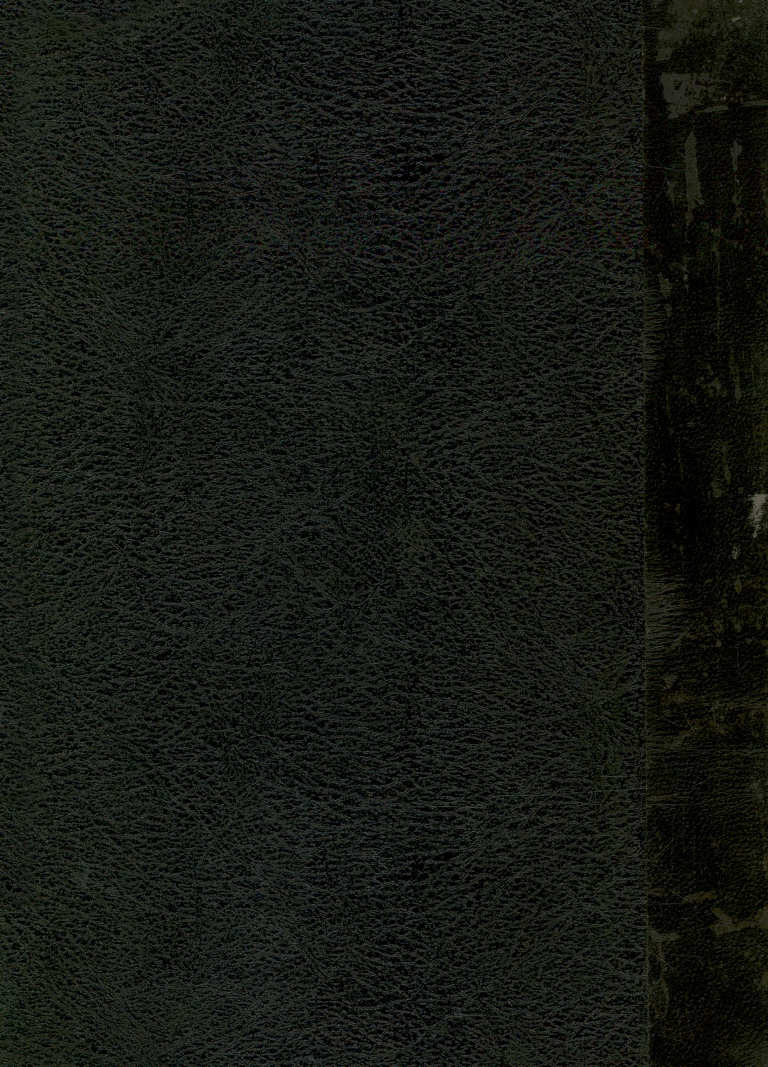


السنة التاسعة - يوليو ١٩٧٣

الطليعة

٧

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

- علاقة اللجان الانتاجية بالخطة القومية
- الهجوم الاستعمارى على امتداد المنطقة
- الدخول الطفيلية
- سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلى

ملحق الأدب والفن

مقتطفات من حوار مع بريخت







طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » .

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج٠م٠ع٠ — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهـــرس

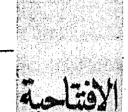
العدد السابع — السنة التاسعة — يوليو ١٩٧٣

د . محمد الخفيف

شارك في تأسيس الطليعة

وأسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢



الهجوم الاستعماري على امتداد المنطقة

ربما بدا عنوان هـذه الافتتاحية ـ على الاقل « في الظاهر » ـ متناقضا مع الجو الدولي العام الذي بدأت تتأكد فيه ظواهر جديدة بحق ، أبرزها تطور العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين أمريكا في اتجاه ايجاد صياغات عملية ومحددة للعلاقات بين البلدين ، تستبعد خطر المواجهة النووية بينهما ، وتسمح بنمو علاقات اقتصادية وتجارية وعلمية ، تسهم بدورها في تعزيز قضية السلم العالمي .

غير أن التناقض الظاهرى هو مرفوع ، في الواقع ، لسبب بسيط : هو أن علم السياسة الاشتراكي لم يزعم في يوم من الايام أن القضاء على أسباب النزاعات المسلحة بين النظامين الاشتراكي والراسمالي يمكن أن ينتكس بقضايا التحرر الوطني او يجمدها او يحاصرها . ذلك ان نقطة البدء في الفكر الاشتراكي هو أن الامبريالية لا تتوقف عن كونها عدوانية وتوسعية الا اذا توقفت ضربات قلبها عن الخفقان ، أو اذا صفيت كظاهرة تاريخية . والامبريالية قد دخلت مرحلة حادة من مراحل أزمتها العامة ، لكنها لم تصف بعد كظاهرة .

ومن هنا ، فان ما يعني هـذه الافتتاحية ، بشكل خاص ، هو أن **يتبدد الوهم القائل بأن الامبريالية العالمية قد غيرت ، أو انها ـ في سبيلها ـ الى تغيير طبيعتها العدوانية** . فمثل هـذا الوهم لا يضر بقضايا تحرير شعوب العالم الثالث ، وتطورها على طريق التقدم الاجتماعي فحسب ، بل انه قد يتسبب ، في نمو اتجاهات لا تقل خطرا تتراوح بين ظهور المغامرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى بين ظهور مواقف ذات طبيعة انهزامية واستسلامية مضمونها انه لا قبل للدول الصغرى بمواجهة الامبريالية .

غير أن واقع الحال ، يقول ان المرء ، ليس في حاجة الى أن يجهد نفسه في عمل حسابات مجردة ، أو تحليلات نظرية ، ليفند بها الادعاءات التي يمكن أن تروج عن التغييرات المزعومة ، أو المحتملة في الطبيعة العدوانية للامبريالية ، وفي مقدمتها الامبريالية الامريكية .

ذلك ان استعراض حصاد شهرين [مايو ويونيو ١٩٧٣] من الوقائع والاحداث في منطقة الشرق الاوسط ، يغني عن كل تحليل او اجتهاد .

فاذا بدأنا باسرائيل ، وهي المخفر الامامي للامبريالية الامريكية . فان كل مواقف وتحركات قادتها وتصريحاتهم لا تترك مجالا للشك في أنها لم تتراجع عن مواقفها العدوانية . بل على العكس ، لقد دللت تل أبيب على ان هـدفها الدائم هو الاحتفاظ بالارض العربية المحتلة .

واذا ما أردنا شاهدا من « أهلها » فان الصحفي اليهودي **جون كيمش** يكتب في **الايفننج ستاندرد** [٧٣/٥/٩] :

« ان اسرائيل قد تحركت بالفعل الى مراكز استعداد للعمل فى سيناء ومرتفعات الجولان ٠٠ وان سلاح الطيران الاسرائيلي يقف فى حالة تأهب كاملة، وتقوم طائراته بالتحليق فى دوريات ، تم تعزيزها ، طوال الاربع والعشرين ساعة » .
ثم يضيف : انه عندما وصلت اسرائيل الى حالة الاستعداد اعلنت مصر بأنها سوف تتحرك للعمل في اللحظة التي تتجاوز فيها مصر نقطة الاستعدادات التى لا عودة منها .
ويمكن أن يضاف الى ذلك أن اسرائيل لم تكتف بهذا ، وانما حشدت قوات هائلة فى منطقة الجليل الاعلى عند حدود كل من سوريا ولبنان . ثم زادت على ذلك قيامها باعتداءات وطلعات ، على الاراضى والشواطىء اللبنانية .
وفى ظل هذه الاستفزازات الاسرائيلية ،اعلنت واشنطن فى الشهر الماضى ، انها ستمد اسرائيل بثمانين طائرة فانتوم جديدة . ولذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن يعيد القادة العسكريون الاسرائيليون سيرة **ادولف هتلر** ، عندما يتحدثون ، وهم يقعقعون بالسلاح ، ويعلنون أنهم سيوجهون ضربات وقائية من الجو والبحر ضد ليبيا . ثم يزيد الاميرال **بتليم** قائد البحرية الاسرائيلية، على ذلك ، تهديده بارسال زوارقه البحرية لضرب اى بلد عربى يقع فى حوض البحر المتوسط ، أو على البحر الاحمر ٠
اما الذين يحاولون ان يجدوا المبررات والاعذار للاستفزازات الاسرائيلية ،فانهم يفسرون هذه الاستفزازات العسكرية بأن اسرائيل تشعر بأن بعض دول المواجهة العربية ــ كمصر وسوريا ــ ماضية ــ لاتزال ــ فى الاستعداد لتحرير الارض . لكن مثل هذه الاقوال يمكن تفنيدها ــ ببساطة ــ اذا استمعنا الى **جولدا مائير** وهى تتحدث عن مشكلة فلسطين ٠ انها تعلن :
ــ ان حل مشكلة فلسطين لا يمكن أن يكون الا فى الاردن .
ــ وانها تعارض اقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية للاردن . لان ذلك يجبر اسرائيل على العودة الى حدود ما قبل ١٩٦٧ .
خلاصة الموقف الاسرائيلى ،اذن ، تصفية قضية فلسطين ، ورفض العودة الى حدود ما قبل ٥ يونيو . مع ما يقترن بهذا من أعمال عدوانية ، وتهديد بالعمل العسكرى الوقائى استنادا على الدعم المتزايد من قبل ترسانة السلاح الامريكية .
وقبل أن نترك النشاط الامريكى العدوانى فى هذا الجزء من الشرق الاوسط ، علينا أن نلتفت الى التطورات والاحداث الخطيرة التى ينظمها حلف الاطلنطى ، بالتعاون الكامل مع اسرائيل فى جزيرة **قبرص** .
والواقع ، لقد وصل التدخل الاسرائيلى فى الشئون الداخلية لقبرص الى درجة خطيرة .
فمن ناحية ، ينشط رجال الكوماندوز الاسرائيليون، فى الجزيرة ،لمطاردة واغتيال رجال المقاومة الفلسطينية . وبالفعل ، قتلوا عددا منهم هناك .
ومن ناحية أخرى ، تنظم اسرائيل ، بالتعاون مع **الجنرال جريفاس** نشاطا تخريبيا يهدف الى الاطاحة بحكم **الرئيس مكاريوس** .
باختصار ، فان اسرائيل ــ كما يذهب بحق بعض المعلقين ــ تستهدف من نشاطها فى قبرص أن تحقق ما يلى :
١ ــ أن تحمى مؤخرتها ، وأن تضمن حرية العمل للاسطول الامريكى فى البحر الابيض . كما تضمنها لقوات شمال الاطلنطى ، وذلك فى حالة وجود « ضرورة » ، لان تقدم هذه القوات العون العسكرى الى اسرائيل عند وقوع عدوان اسرائيلى على البلاد العربية ٠
٢ ــ أما الهدف الثانى لتل ابيب ، فهو ان تصبح قبرص ــ بموقعها الاستراتيجى الهام ، ومطاراتها ، وموانئها ، تحت السيطرة الكاملة لحلف شمال الاطلنطى . وهذا يفسر النشاط الانقلابى المحموم الذى يستهدف الاطاحة بنظام مكاريوس ،واقامة نظام عسكرى تابع وشبه فاشى .
واذا كانت اسرائيل ، كموقع أمريكى متقدم فى الشرق الاوسط ، تمثل الجناح الغربى للامبريالية العالمية ــ خصوصا الامريكية ــ فى حماية المصالح الامبريالية [خصوصا النفطية منها] ، فان الكارتل الدولى للبترول يمارس ــ فى الوقت نفسه ــ نشاطات لا تقل عدوانية فى منطقة الخليج العربى .

فهناك تنشط الامبريالية الامريكية لاقامة حلف سياسي وعسكرى جديد يضم دول منطقة الخليج .

وفي سبيل ذلك ، يتم تحريك ذلك الحلف الذى كانت قد دبت فيه كل مظاهر الموت والتحلل ، وتعنى به حلف المعاهدة المركزية [السنتو] . والذى كان يسمى بحلف بغداد [أيام حكم نورى السعيد] ويضم فى عضويته ايران وباكستان وتركيا وامريكا وبريطانيا .

والذى حدث هو انه فى مايو من هذا العام عقدت فى واشنطن دورة للجنة العسكرية للحلف المركزى ، وشهدتها وفود عسكرية من بريطانيا وامريكا وبقية الدول الاسيوية الاعضاء فى الحلف .

وفي شهر يونيو الماضى عقد اجتماع للحلف المركزى فى طهران . واذا اردنا أن نلخص نتائج هذا الاجتماع المشبوه ، أمكن القول ، بأن الدول المشتركة فيه قد اتخذت قرارات، تهدف أولا وأخيرا الى حماية مصالح الاحتكارات الدولية للبترول ، وتأمينها ضد اتجاه شعوب المنطقة العربية الى استعادة ثرواتها البترولية ، وبالتالى ردع أى محاولة ثورية من هذا القبيل ؛ يمكن أن تتم فى المستقبل ، وفي الوقت نفسه ، محاصرة اى محاولة من هذا القبيل تكون قد تمت فى الماضى القريب [العراق] .

وعلينا ان نقول ان الاجتماع الاخير للحلف ، قد سبقته ، أعمال مخططة من قبل الامبريالية الامريكية وعملائها فى المنطقة . نذكر من هذه الاعمال على سبيل المثال ما يلى :

● **النشاط العسكرى الامريكى فى منطقة الخليج :**

ويظهر هذا النشاط فى :

— دعم وتعزيز مواقع الاسطول الامريكى المرابط هناك (*).

— توسيع القاعدة العسكرية الامريكية فى البحرين (*).

— سعى الامريكان الى الاستيلاء على القاعدة العسكرية الانجليزية القديمة فى الشارقة .

— انشاء قواعد انتقالية على امتداد آلاف من الاميال لحماية طرق مرور البترول (*).

● **التسليح الكثيف الذى تختص به الولايات المتحدة عددا من الدول هناك فى مقدمتها ايران :**

واذا أخذنا ايران على سبيل المثال ، فقد عقدت مع الولايات المتحدة اتفاقية جديدة للتسليح تحصل بمقتضاها على ٨٠ فانتوم جديدة ، و ١٠٠ طائرة قاذفة « وبذلك يصبح عدد قاذفات القنابل المقاتلة لدى ايران ٣٠٠ طائرة » — كما طلبت ايران ٥٠ طائرة نقل بالاضافة الى ٥٠ لديها . كما طلبت ٧٠٠ طائرة هليكوبتر من بينها ٢٢٠ طائرة مزودة بالمدافع و ١٨ طائرة أ.س. المضادة للغواصات . بالاضافة الى ذلك تقوم ايران بشراء ٨٠٠ دبابة تشيفتين من بريطانيا ، بحيث تصل قوة الدبابات التى فى حوزة الجيش الايرانى الى ١٨٠٠ دبابة « راجع الهيرالد تريبيون الدولية : ١٤ — ٥ — ٧٣ » .

واذا سألنا لماذا كل هذا السلاح ؟ امكن ان نعرف على الفور ومن واقع تصريحات المسئولين الايرانيين وهى تصريحات لا تحتمل التأويل ، ان هذا السلاح يهدف الى :

١ — ان تكون ايران قوة رادعة يأخذها جيرانها مأخذ الجد « الهيرالد تريبيون الدولية نفس العدد » .

٢ — أن تقوم ايران بدور عالمى كحامية لستين فى المائة من احتياطى البترول فى العالم « نفس المصدر السابق » .

٣ — مقاومة اى حركة وطنية عربية تتقدم تحت شعار « نفط العرب للعرب » (*).

ولكن ، أيا كانت التفسيرات والتبريرات التى تقدم حول هذه الترسانة الهائلة من السلاح الامريكى الذى يكدس فى ايران ، فانه استنادا الى هذا السلاح، والى الدعم الامريكى ، تتكلم ايران بلهجة التهديد الى « بعض جاراتها العربية » ليس هذا

فحسب ، بل انها تعطى لنفسها حرية الحركة في الاستيلاء على أراض عربية ليست لها . وما حديث جزر طنب الكبرى والصغرى وغيرها من الجزر ببعيد . وهو الأمر الذى دعا صحيفة **الديلى تلغراف البريطانية** الى ان تعلق على ذلك بقولها :

« لا يمكن ان يكون هناك اى خطأ فى معرفة الدور الذى قامت به ايران ، منذ ذلك الحين ، بارتدائها لباس القرصنة البحرى ، والاستيلاء على جزر ذات قيمة استراتيجية بالقرب من مضايق هرمز »« ٧٣/٤/٥ » .

ان هذه الوقائع التى ذكرناها آنفا — كأمثلة لما وقع فى شهرين — والتى تتحدث بنفسها — عن نشاطات واهداف الامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية المحلية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، انما تبرهن على ما يلى :

— أن الامبريالية العالمية لم تتخلص من طبيعتها العدوانية ، وينطبق هذا بشكل أخص على الامبريالية الامريكية .

— أن نشاطها العدوانى فى منطقة الشرق الاوسط ، سوف يتزايد ، ولسوف يتضاعف بشكل أخص ، ضد الدول العربية المتحررة ، التى تناضل من أجل الاستقلال السياسى ، ومن أجل تحرير ثرواتها القومية من قبضة الاحتكارات العالمية .

— ان هذا النشاط العدوانى يمكن أن تتعدد صوره واشكاله ، من ضغوط عسكرية واقتصادية الى احلاف ذات طابع عدوانى ، غير ان الاتجاه الرئيسى لذلك النشاط سوف يظل مركزا على ضرب الدول العربية المتحررة . وفى سبيل ذلك ، تستخدم الامبريالية اسلحة متنوعة فى مقدمتها :

١ — استغلال الصعوبات التى تفرضها الحرب مع اسرائيل على شعوب الدول العربية المتحررة . فهنا تحاول الدعايات الامبريالية أن تهز ثقة الشعوب بكل منجزاتها الوطنية والاجتماعية ، ومن ثم وتروج — بكل سبيل — لشعار تغيير الهياكل الاقتصادية بهدف القضاء التدريجى على الركائز الاساسية للاستقلال الاقتصادى ، وفتح الطريق امام مخططات الاستعمار الجديد ، ليعاودسيرة المستعمرين القدامى فى نهب ثروات المنطقة ، واعادة اشكال مقنعة وخفية من اشكال التبعية .

٢ — العمل المحموم على ابقاء الدول العربية المتحررة متباعدة ومفككة ، حتى لا تتكون منها قوة ضاربة ، نشطة ومبادرة فى المعركة من اجل تحرير الارض المحتلة .

٣ — العمل على احياء القيادات التقليدية القديمة ونفض التراب عنها ، ودفعها الى مقدمة المسرح السياسى لتضطلع بادوار ، كانت حركة التحرر الوطنى العربية ، قد وضعت حدا لها منذ زمن بعيد .

من هنا ، فانه اذا ماقمنا بتقييم حقيقى للهجمة الامبريالية الحالية على منطقة الشرق الاوسط ، فسوف نرى انه من الخطأ ان نقلل — لحظة واحدة — من ضراوتها ومن شرورها القريبة والبعيدة . ذلك ان واقع الحال يفرض على شعوب المنطقة وعلى الشعوب العربية فى المحل الاول ان تخوض معركة — ستكون بالقطع — بعد معركة فيتنام ، احدى معالم العصر الحديث وواحدة من منعطفاته الكبرى .

غير اننا نخطىء من ناحية اخرى ، اذا تصورنا ان قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية تتحرك فى فراغ . فليس فى منطقة الشرق الاوسط فراغ على اى وجه . والتاريخ القريب للمنطقة يدلل على انه لا يمكن ان يكون هناك مستقبل للاحلاف والقواعد العسكرية ، تماما ، كما لم يكن لها مستقبل خلال خمسة والعشرين سنة الماضية . ان حلف السنتو قد اصطدمت به ثورة يوليو فى مصر واجهزت عليه ثورة تموز فى العراق ، كما سقطت اكثر من معاهدة فرضتها القوى الامبريالية او حاولت ان تفرضها .

ولما كان الامبرياليون عاجزين عن ان يستفيدوا من دروس التاريخ ، فانهم يتصورون ان ما عجزوا عن فرضه خلال ربع قرن من الزمان ، يستطيعون ان يفرضوه الآن ، بعد ان قطعت حركة التحرر الوطنى شوطا هائلا ، وانزلت بالامبرياليين وعملائهم هزائم منكرة .

ولقد يقال ان الامبرياليين والصهيونيين والرجعية المحلية فى المنطقة تتحرك فى الحاضر — من مواقع القوة . وهذا صحيح فى الظاهر . والأصح من ذلك ان يقال انها رغم « جبروتها الظاهرى » انما تسلك — وبشكل عام — تحارب معركتها الرئيسية والاخيرة فى الشرق الاوسط . فالواقع أن العدوان الصهيونى فى ٥ يونيو كان مخططــا من قبل الامبريالية والصهيونية لاجهاض مثل ثورة يوليو التى ستحتفل بعيدها الحادى والعشرين فى ٢٣ يوليو من هذا الشهر ، والواقع ، ايضا ان كل محاولات قمع الحركة الوطنية فى منطقة الخليج ، وكل التهديدات والمؤامرات ، التى تفرخ والتى لا تزال فى طريقها الى الظهور ، انما تطرح على ارضــية حاضرة وتاريخية لا تسمح لها بأن تثبت جذورها أو أن تؤتى ثمارها المرة . فالحركة الوطنية الديموقراطية فى البلدان العربيـــة ، تكتسب قوتها الكامنة من أنها على خلاف الحركات الوطنية الديموقراطية التقليدية — ذات مضمون اجتماعى عميق ، لا تتوقف عن جـــذب قوى الثورة الحقيقية الى صفوفها ، وهى القوى التى تمثلهـــا الطبقات الشعبية والوطنية .

هكذا ، وفى ظل الوعى الاجتماعى الذى يرهف ، اكثر فأكثر ، فى صفوف الثورة العربيـــة ، تدفع الامبريالية الامريــكية وعملاءها الصراع فى المنطقة بالكيفية التى تعبىء — موضوعيا — وترص صفوف كل القوى القادرة على هزيمتها واحبـــاط مخططاتهـــا .

ولو اخذنا مثلا على ذلك ، ان حرب يونيو قد طرحت بقوة وحدة شعارات استخدام البترول فى المعركة ، « نفط العرب للعرب » نقول أن هذا المثل يكفى للتدليل على أن الامبريالية والصـــهيونية — من حيث لم يقصدا — تدفعان الحركة الوطنية العربية فى اتجاه حسم قضية الثروات القومية المنهوبة ، وما يقترن بذلك من استقطاب تتحدد فيه الخطوط الفاصلة فى كل بلد بين قوى الشعوب وبين قوى الرجعية .

واذا كان هذا الكلام يعنى — فى التحليل الاخير — ان الامبريالية وعملاءها ليسوا أقوياء قوة كلية ومطلقة ، فانه يتعين علينا مرة اخرى ان نحذر من الوقوع فى التفاؤل الســـاذج ، أو رد الفعل الالى العفوى فنجلس ساكنين فى انتظار عجلة التاريخ . ذلك انه لما كانت الامبريالية واعوانهـــا يخوضـــون فى المنطقة العربية معاركهم الاخيرة الرئيسية والحـــاسمة ، فان اى محاولة للتهوين من الصعوبات والعقبات التى تواجه حركة التحرر الوطنى العربية يمكن ان يؤدى بها الى انتكاسات مريرة .

ثم يبقى بعد ذلك ، على الفصـــائل الطليعية لحركة التحرر الوطنى العربية ، على التنظيمات والاحزاب والهيئات الوطنية والتقدمية ، أن تكافح من أجل وحدة القوى الثورية ، ووفق استراتيجية واقعيـــة ، تأخذ فى الاعتبار ، الوضع الحالى لقـــوى الثورة العربية ، كما تأخذ بعين الاعتبار ايضا وبكل جدية ونظرة موضـــوعية معطيات الوضع الدولى الجديد .

وفى اعتقادنا ، ان هذه المعطيات ، هى فى التحليل الاخير ، فى مصـــلحة نضالنا الوطنى والتحررى .

وفى اعتقادنا ايضا ، ان تطويع هذه المعطيـــات لخدمة معـــاركنا الوطنية والاجتماعية ، سوف يمكن حركة التحرر الوطنى العربية من أن تنتقل من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم .

الا أن هذا كله ، يتطلب من الشـــعوب العربية يقظة غير عادية لدحر الفكريات والدعايات الاستعمارية ، التى ســـتحاول فى الايام المقبلة أن تستغل المناخ الدولى الجديد ، لتبذر فى نفوسنا بذور الاستسلام واليأس ولتهز ثقتنا بقوانا الذاتية ، ثم لتعزلنا عن حلفائنا الثابتين والاستراتيجيين اسرة الدول الاشتراكية ومعســكر بلدان حركة التحرر الوطنى ، وقوى الســلام والديمقراطية فى العالم كله .

« الطليعـــة »

الدخول الطفيلية

هذه مساهمة في دراسة مشكلة «الدخول الطفيلية»
أن مواجهة الدخول الطفيلية ، والحد من اثارها الضارة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كانت موضع اهتمام ، من قبل اوساط الرأى العام منذ مدة ليست بالقصيرة .
وبالفعل فقدبدأت الاجهزةالتشريعية والتنفيذية تتعرض لهذه القضية منذ عام ١٩٧٢ .
وفى الاجتماع المشترك للجنة المركزيةومجلس الشعب ، أعلن الرئيس انور السادات فى ٢٦ مارس ١٩٧٣ ان لمجلس الشعب نظرية فى

الرأسمالية الطفيلية
خصائصها ومخاطرها

كمال السيد

في الجلسة المشتركة التى عقدتها اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الشعب فى ٢٦ مارس ١٩٧٣ ، تحدث رئيس الجمهوريه عن أصحاب الدخول الطفيلية والذين ظهرت عليهم فجأة علامات الثراء ، ودعا مجلس الشعب الى وضع التشريعات اللازمة فى هذا الصدد .
وبالفعل فقد أكدت لجنة الرد على برنامج الحكومة فى تقريرها فى ٣ مايو ١٩٧٣ ، ان الدخول غير المشروعة التى تنشأ عن الاتجار فى السوق السوداء وعن أى نشاط آخر غير مشروع ،

الدخول الطفيلية يجب ان يترجمها المجلس الى تشريعات . وعندما قرر الرئيس السادات ان يتولى رئاسة الحكومة الجديدة شرعت الحكومة فى اعداد طائفة من مشروعات القوانين وصفها المسئولون بانها ترمى الى تحقيق عدالة اكبر فى توزيع اعباء المعركة . ومـن المنتظر ان تتقـدم الحكومة بهذه المشروعات الى مجلس الشعب فى اوائل شهر يوليو الجارى .

أما الدراسة التى تقدمها « الطليعة » ، فهى - كما ذكرنا - فى مستهل المقدمة - « مساهمة فى دراسة الدخول الطفيلية . ونقول مساهمة لان هذه المشكلة لم يسبق فيما نعلم - ان درست بكيفية منهجية وموضوعية ومتكاملة ».

ومثل هذه الدراسة لابد وان تكون بالضرورة حصيلة مجهود كل الاقتصاديين والباحثين والكتاب الذين يضـعون فى مركز اهتمـامهم الرئيسى قضايا الوحدة الوطنية ، والدفاع عن القطـاع العام ، وتامين الشروط الداخليـة والضرورية لاحراز النصر على العدو الاسرائيلى الامبريالى .

تحتاج الى مواجهة حاسمة من المدعى الاشتراكى ، الذى يجيز له قانون فرض الحراسة وتامين سلامة الشعب ، أن يتخذ الاجراءات اللازمة فى حالة تضخم الثروات بطريقة غير مشروعة أو لا يعرف مصدرها » . وعددت اللجنة مصادر « الدخـــول الطفيلية والانتهازية » على النحو التالى : استغلال بعض المتعاملين مع القطاع العام لبعض العاملين فى هذا القطاع ممن تستهويهم سهولة الربح الاثم ، والمقاولات من الباطن ، والوساطة ، وتجـارة الجملة واحتكارها لبعض السلع ، واسـتغلال الحصص المقررة للتوزيع . ثم دعت اللجنة الى « أهمية أن نمسك الافعى من راسها لا من ذيلها » .

والواقع أن رئيس الجمهورية قد لفت النظر مبكرا الى عمليات التلاعب واجتناء ثروات غير مشروعة ، وفى مدى أسابيع ثلاثة ، أثار رئيس الجمهورية قضية العمولات التى تفرض دون وجه حق على وارداتنا مرتين ، كانت الاولى منهما فى بيانه للامة فى ١٦ سبتمبر ١٩٧١ ، وفيه تحدث عن العمولات التى تقتطع لحساب البعض فى الداخل والخارج من وارداتنا التموينية التى تبلغ ١٠٠ مليون جنيه بالعملة الصعبة سنويا ، وفى المرة الثانية أعلن الرئيس فى لقائه مع رجال الجامعة فى ١٠ أكتوبر ١٩٧١ أنه أمـر بالتحقيق فى هـذه العمولات وكشف تلك الامور المخجلة . وفـى أغسطس من العام نفسه دعا رئيس الجمهورية الى تطهير الصفوف من المنحرفين والانتهازيين ، وأكد فى يناير من عام ١٩٧٢ أن المرحلة الحالية مـن تطور بلادنا تقوم على مبدأين ، أولهما هو سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، والثانى هو عدم استغلال الانسان للانسان .

ولم يقتصر الامر على اعلان المبـادىء ، بل اتخذت بالفعل الاجراءات التى تكفـل ردع الخارجين عليها . فقدمت قضية « الصيـاد » ، وأعقبتها قضية « غرباوى وغبور » ، وكان كثيرون

يظنون أن هذين الاخيرين بمنأى عن المساءلة لضخامة وزنهما الاقتصادى وتعدد علاقاتهما ، كما شددت عقوبات الاعتداء على المال العام والتلاعب فى التموين ٠

والحق ان كل هذا يفرض ضرورة مناقشة الانشطة الطفيلية التى ترهق كاهل الاقتصاد القومى بأعباء ضخمة ، دونما مقابل تقدمه له ، وتحاول أن تفسد جهود النظام لضمان الاستقرار والتقدم ٠ وتزداد هذه الحاجة الحاحا ، فى ضوء تضخم هذه الانشطة وامتداد خطرها من المجال الاقتصادى الى غيره من المجالات الاجتماعية ٠ واستهلالا للمناقشة حول هذا الموضوع يمكن طرح السؤال التالى : **من هو الرأسمالى الطفيلى ؟ وبما يختلف عن الرأسمالى المنتج الذى له دور لا يمكن انكاره فى نشاطنا الاقتصادى ؟ وفى الرد على هذا** السؤال يمكن القول بأن :

الرأسمالى الطفيلى شخص يستطيع بطرق تتسم بالاحتيال والتلاعب عادة ، أن يفرض لنفسه « اتاوة » ترتفع بها أسعار السلع والخدمات ، دون أن يقوم بأى دور فى انتاجها أو توزيعها ودون أن يقدم فى ذلك أى خدمة أو يسهم فيه بشىء من عنده ٠ وهو بذلك يختلف كثيرا عن الرأسمالى « **المنتج** » الذى يوظف رأسماله وخبراته ، أو ما يسمونه قدراته التنظيمية ، فى شراء واستغلال عناصر الانتاج وأساسا قوة العمل ، بهدف صنع منتج له قيمة استعمالية وقيمة تبادلية يشبع حاجة لدى منتجين آخرين أو مستهلكين نهائيين ، ويدر عليه دخلا يزيد عما دفعه فى شراء المستلزمات الضرورية لانتاجه ٠ ويتأتى له ذلك فى المحل الاول من انه لا يدفع للعامل كل ما **يستحقه مقابل عمله ، وانما يدفع له جزءا منه فحسب ، ويستولى لنفسه على « فائض القيمة » أو جزء مجانى من عمل العامل** ٠ ورغم الطابع **الاستغلالى هذا ، فان هذا الرأسمالى يعد « منتجا » وله دوره فى عملية الانتاج وخلق المنافع ٠ وهو دور مطلوب** ، والضمانات مكفولة **له** ٠

كما يختلف الرأسمالى الطفيلى عن الرأسمالى الموزع أو التاجر ، فى أن للاخير دورا فى خلق « **المنفعة المكانية** » و «**المنفعة الزمانية**» للسلع وفى توفير « **تشكيلة السلع** » اللازمة وفى « **منح الائتمان** » الضرورى لتداولها ، الخ ٠ ان السمة المميزة للرأسمالى الطفيلى ، هى انه « **يقطع طريق** » انتاج السلع وتبادلها ، ويضيف لنفسه ــ **بدون وجه حق** ــ نصيبا يتحمله المستهلك فى نهاية المطاف ، من غير أن يقدم فى هذا « خدمات رأسماله » ، أو « مهاراته التنظيمية » ، أو قدراته التسويقية ٠ كما ان للرأسمالى الطفيلى صفة أساسية ، هى انه يمكن الاستغناء تماما عن دوره أو خدماته ونشاطه ــ دون أن يعطل هذا ــ الانتاج أو التداول أو يعوقهما ٠ عـلى النقيض من ذلك فان الحد من نشاط الرأسماليين الطفيليين يعطى دفعة كبيرة للانتاج والتبادل ، اذ يكفل « انسيابا منتظما » للقدر المتاح من الموارد والسلع دون عراقيل مفتعلة ، كما يتيح تخفيضا فى الاسعار من جراء الغاء نصيب هؤلاء ، الامر الذى ينمى الطلب ويزيده ويساعد على الرواج ٠

والجهد الاساسى لنشاط وعمل **الرأسمالية الطفيلية موجه نحو « افساد » جهود الدولة لتوفير السلع والمستلزمات والموارد فى الوقت المناسب ، وفى المكان المناسب ، وبالكميات المناسبة ، وبالجودة المناسبة ، وبالسعر المناسب ، الخ** ٠ وذلك بتدخلهم لافساد واحد أو أكثر من هذه العناصر أو حتى افسادها جميعا لخلق نوع مفتعل من « الندرة » ، ومن « عدم الانتظام » فى الانتاج والتوزيع ، يمكنهم من فرض شروطهم ويسمح لهم باقتطاع أجزاء كبيرة من الدخل القومى لحسابهم ٠

التكاليف الاقتصادية لنشاط الطفيليين

والواقع أن الاثار الضارة ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، المترتبة على نشاط العناصر الرأسمالية الطفيلية كثيرة ومتعددة ٠ فهذا النشاط يروج للقيم المحبذة للحصول على الدخول دون بذل عمل ، وهو يشجع على مختلف صور الفساد والرشوة والتلاعب ، ويحقر من شأن العمل المنتج ويزدريه ٠ « **ان مفهوم العمل فى الاقطار المتخلفة يخضع لنوع من التشويه واستصغار الشأن ، بينما يكون احترام المال الذى** يكتسب دون شغل أو تعب عظيما ٠ **وهكذا نجد ان مهن القطاع الثالث الطفيلية ، التى تسمح بنهب المكاسب السهلة ، هى التى تتمتع باعتبار كبير** » (١) ٠ وعلاوة على هذا فان للنشاط الطفيلى آثارا اقتصادية مباشرة يمكن اجمال **بعض** منها فيما يلى :

(١) ايف لاكوست «جغرافية التخلف» ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٢ .

■ **رفع تكاليف الانتاج :** فالطابور الطويل مـــن الوسطاء والسماسرة والمضاربين وتجار السـوق السوداء والمهربين ، يفرض لنفسه نصيبا يضاف الى التكلفة الاجمالية للسلعة ، الامر الذى يقلل هامش ربح المنتج ، ويحد من فرص توسيع مبيعاته، ويؤدى الى ارتفاع الاسعار ، الامر الذى يؤدى بدوره الى تزايد خطر الاتجاهات التضخمية فى الاقتصاد • اذ يصحبه عادة اصدار مزيد من النقد •

ومن وجهة نظر المستهلك ، يؤدى نشـــــاط الطفيليين الى تدهور القدرة الشرائية لدخلــــه ، وذلك تحت تأثير الرفع المفتعل للاسعار والناجم عن اضافة « تكاليف » الانشطة الطفيلية على التكاليف الكلية لانتاج وتوزيع السلع • ويكفى أن نعـــلم أن تجار السوق السوداء يبيعون متر الكستور ـ وهو من الاقمشة الشعبية ـ بمبلغ ٢٥ قرشا ، فى حين ان الدولة التى تنتجه وتوزعه حددت له سعرا يبلغ حوالى ١٦ قرشا •

■ **تضـييق السوق المحــلى وهو محــدود أصــلا :** فالاضافات على الاسعار والتكاليف التى يفرضها الطفيليون دون مبرر ، تستبعد اقساما متزايدة من المستهلكين الذين لا يستطيعون دفع هذه الاسعار المرتفعة • وهى بذلك تكبل التنمية بقيد حديدى قد يزهق أنفاسها • ذلك أن « **آفة التنمية** » فى بلدان العالم الثالث هى ضيق السوق المحلى ، وهو المنفذ الاساسى لصناعاتها اذ أن فرص اقتحام الاسواق الخارجية محدودة ، الامـر الذى يحد من امكانيات التصنيع الذى لابد له وأن يستفيد من « وفورات الحجم الكبير » فى الانتاج •

■ **عدم انتظام الانتاج والتوزيع :** اذ يتوجـــه الجهد الاساسى للطفيليين نحو الاخلال بانتظام تدفق السلع والمستلزمات وافتعال « ندرة » فى مواد موجودة فعلا أو متاحة ، ويتم ذلك « بسحبها » من السوق و « حبسها » عمن هم فى حاجة اليها ، أو تعطيل تدفقها ، مما يجبر القائمين على الانتاج والتوزيع على الرضوخ لشروط المتلاعبيـــن مـن الطفيليين • ففى فترة ماضية تمكن البعض من تعطيل ورود شحنات من السلع الاستهلاكية (خاصة كمية من الشاى كانت واردة من الهند) ، فى حين كانوا قد شحنوا بالفعل نفس السلع على سفن فى ميناء بيروت ، ثم تقدموا للمســـئولين عارضين خدماتهم « لانقاذ الوضع » طبعا بشروط أكثر جزاء لهم •

■ **والاخطر من كـل هــذا ان الطفيليين يستحوذون لانفسهم على نصيب كبير من الدخل القومى ، كان يمكن تخصيصه للاستثمار والتراكم الرأسمالى** • ويتم هذا عـلى حســاب القطاعات المنتجة ، الخاصة والعامة • **والواقع ان خطـر الطفيليين يمتد ليصيب « الرأسماليين المنتجين » فيعوق جهودهم ونشاطهم ، ويقلل من « دخولهم » ، ويقتطع اجزاء كبيرة من نصـيبهم من الدخـل القومى • فالفائض الاقتصادى الفعلى لقطاع الرأسمالية المنتجة ـ وهو الفرق بين انتاجه الفعلى الجارى وبين استهلاكه الفعلى الجارى ـ والذى يتطابق مع الادخار والتراكم الجاريين ، يتم تحويل جزء كبير منه لاعاشة واثراء الفئات الطفيلية ، مما يشكل عبئا على التراكم الرأسمالى لهذا القطاع** •والنتيجة نفسها تتحقق بالنسبة لقدر من الموارد الفائضة الذى يتوفر للدولة نتيجة لمباشرة انشطتها الاقتصادية ، وينجـم عن الفرق بيـن تكاليف وعوائد هذه الانشطة ، اذ تقتطع العناصر الطفيلية بوسائل غير مشروعة جزءا كبيرا من فائض القطاع العام هذا ، وتحرمه من اعادة استثماره فى تجديد وتوسيع طاقته الانتاجية •

■ **وتضخم الدخـول الطفيليـة ، يـؤدى الى « استهلاك مفرط » من قبل الجماعات التى تحصل عليها والمطمئنة على استمرار قدرتها على** الاغتراف منها (٢) فالرأسمالى المنتج يحـرص كثيرا على دخله الذى بذل جهدا لا ينكـر فـى الحصول عليه ، ويعمل على تنمية رأسماله والتوسع فى الاصول المنتجة التى يملكها • أما الطفيلى الذى لم يتعب فى الحصول على دخله ، فلن يحـرص كثيـرا علـى عـدم تبـديده فـى استهلاك زائد أو غيـر ضرورى • فالمدين الـذى أوردت الصحف خبرا عن تقاضيه ٣٠٠ ألف دولار عمولة فى احدى الصفقات ، لا يضيره كثيرا ان يبدد ذات اليمين وذات الشمال ، ما حصل عليه سهلا . وموظف البنك الذى بدد على عشيقة له ٩٣ الف جنيه اختلسها ، لا يهمه كثيرا نوع انفاقه ومجاله •

ان الثروات التى تتجمع فى أيدى العناصر الطفيلية ، ومصدرها الاساسى هو التحويلات

(٢) حذرت لجنة الرد على برنامج الحكومة من « اننا لا يجب ان نسمح بنمو انماط من الاستهلاك فى الكماليات والسلع نصف الكمالية »

والاقتطاعات من فوائض القطاعات الانتاجية ، وأساسا القطاع العام والرأسمالية المنتجة والمستهلك النهائي ، لا تتحول الى التصنيع والانتاج الصناعي ، بل تكتنز او تبدد او تستغل في المضاربة . ففضلا عن عقلية استسهال الربح الموجودة لدى هذه العناصر والتي يدعمها توافر الظروف التي تمكنها من ذلك ، فان « النقود السهلة » او المكسب السهل يجعل منهما مستهلكانهما لكافة انواع السلع والخدمات وبكميات تفوق القدرة الاستهلاكية للرجل العادي . ومن جانب آخر ، فانهم لو أرادوا استثمارها فانهم يفضلون « مجال التبادل » حيث استخدام النقود اكثر ربحا بسبب دورتها السريعة وارتفاع غلتها في هذا المجال . كما انهم يفضلون ايضا شراء الاراضي والعقارات التي تدر ريعا ، وكذلك اعمال المقاولات والمضاربة والاستيراد والتصدير واقراض النقود بالربا ، وهي كلها انشطة يغلب عليها الطابع الطفيلي . وهذا الامر ليس وقفا على البلاد النامية وحدها . ففي فرنسا « **تستحوذ المضاربة مثلا وهي نموذج للانشطة الطفيلية على نسب كبيرة من الدخل القومي . وتتضخم في التجارة (خاصة الدولية) وفي شراء واعادة بيع الاوراق المالية (الاسهم الخ) وقد أصبحت هذه المضاربة رهيبة في مجال العقارات . وفي الفترة الحالية تقدر المزايا المالية التي استخلصها المضاربون من عمليات الاراضي والعمارات في منطقة باريس وحدها ، بما يزيد مرتين عن المنفق على التعليم القومي . ان رأس المال العقاري والانشائي يمثل رسميا ما يزيد عن ٨٠ في المائة من أرصدة رأس المال . وكل هذا يجعل جانبا كبيرا من الانتاج كان يمكن تحويله الى موارد للمستقبل (الانفاق على المعدات وعلى البحث العلمي والتعليم) يتحول الى دخول طفيلية** » (٣) .

وتكمن خطورة النشاط الطفيلي في أنه نشاط مغر وجذاب بسبب عوائده السهلة والكبيرة ، بالمقارنة مع ما يلاقيه من يرغب في استثمار رأس ماله في نشاط انتاجي من نقص في الخامات والمعدات وقلة الخدمات المساعدة للانتاج وضيق السوق ومنافسة السلع الاجنبية ، الخ وفي هذا يقول **بول ا . باران** الاقتصادي الامريكي المعروف « ليست التجارة في المنتجات الزراعية ، او مع المنتجين هي المصدر الوحيد للارباح العالية . **فحيث تكون الاسواق معزولة وغير منظمة ، كما هي الحال في البلاد المتخلفة ، يجري البحث عن هذه الارباح والعثور عليها بتشكيلة عجيبة من الطرق ، فالصفقات التجارية ، واستغلال النقص المحلي ، والمؤقت في السلع المختلفة والمضاربة ، وعمليات التحكيم ، ورسوم السمسرة مقابل ايجاد الصلات بين المشترين والبائعين — كل ذلك يحقق مكاسب كبيرة للمتعاملين المهرة الذين يمارسون مثل تلك المعاملات** . والتضخم المزمن بصورة او بأخرى في معظم البلاد المتخلفة والذهب وغيره من الاشياء النفيسة ، يوفر مزيدا من الفرص للتجارة المربحة ، في حين ان الفرصة الدائمة للحصول على امتيازات مختلفة من الحكومة ، تجتذب باستمرار موارد وطاقات وبراعة رجال الاعمال ذوي الصلات والنفوذ . وهذه الطبقة تفتح ابوابها لانضمام افراد آخرين . ونتيجة لذلك فانها تعج باستمرار بالقادمين الجدد ، من ابناء التجار الحاليين والعائلات النبيلة ، والاعيان السابقين والفلاحين الاكثر قدرة ومبادرة ، والحرفيين الذين اقصتهم المنافسة ، وبأناس مختلفين حصلوا على قدر من التعليم ولم يحصلوا على فرصة لاستخدامه وما شابه . **وحيث ان هذه المجموعة من الناس لا تسهم بشيء يستحق الذكر في الناتج الاجتماعي فانها** تشكل الوجه الحضري المقابل للعاطلين هيكليا في القرى » (٤) .

المخاطر الاجتماعية والسياسية

والواقع ان اتجاهات واهداف العناصر الطفيلية ، تتناقض على طول الخط مع الاختيارات الاساسية — الوطنية والاجتماعية — للقيادة السياسية . كما انها تعادي التطلعات المشروعة للجماهير في السيطرة على مواردها ومقدراتها ، وتوجيهها الوجهة التي تخدم آمالها وتفي باحتياجاتها . بل انها تتناقض مع « الاهداف القومية » للرأسمالية الوطنية المنتجة نفسها . وبيان ذلك على النحو التالي :

في المجال الوطني : ففي حين تؤيد الرأسمالية الوطنية استقلال السوق القومي لكي تأخذ فرصتها في الانتاج والتوزيع في مأمن من المنافسة والمزاحمة الاجنبية ، فان العناصر الطفيلية ترتبط بالخارج بحكم « طبيعة » نشاطها وأهدافها

[٣] Traité Marxiste d'Economie Politique, Le Capitalisme Monopoliste d'Etat, Tome I, Editions Sociales, Paris, 1971.

[٤] الاقتصاد السياسي والتنمية ، تاليف بول ا. باران ترجمة احمد فؤاد بلبع مراجعة الدكتور حامد ربيع ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

ـ وتتلخص فى الحصول على الربح السريع ـ وبحكم أيديولوجيتها التى ترى فى البلدان الرأسمالية الغربية نموذجا أمثل للمبادرات الفردية واجتناء الارباح بلا قيود • وهى فى سعيها نحو الربح الكبير والسهل ، لا تتورع عن التعامل مع جهات أجنبية ، تتناقض أهدافها ومصالحها مع مصالح البلاد • وبالفعل فقد تكشفت قضية غبور وغرباوى عن عدد من الوقائع ذات الدلالة فى هذا الصدد ، منها :

■ **وجود شبكة دولية منظمة تخطط وتنفذ للاضرار بالاقتصاد القومى** • فقد نشرت الاهرام فى ١٩ مارس ١٩٧٣ بيان النيابة الذى جاء فيه « كانت مباحث أمن الدولة خلال تعقبها لنشاط شبكة التهريب ، قد توافر لديها معلومات تؤكد أن هناك **تخطيطا أجنبيا منظما** وراء هذه الشبكات ، التى اتسع نشاطها فجأة بصورة لم تعهدها البلاد من قبل • وأكدت هذه المعلومات أن التخطيط لجأ الى هذا الطريق ، **بهدف ضرب الاقتصاد** القومى » •

■ **النيل من دور القطاع العام والسيطرة على السوق الداخلية** ، والتستر فى ذلك وراء الدعوة لتشجيع القطاع الخاص ، فقد جاء فى نفس البيان « **كان المخطط يبدأ بالدعوة الى تشجيع القطاع الخاص ، ثم تتخذ هذه الدعوة كستار للهجوم على القطاع العام** ، ولاعطاء الفرصة للرأسمال الخاص للربح السريع عن طريق **النشاط الطفيلى** الذى لا يسهم فى زيادة الانتاج ، بل يسعى الى السيطرة على تجارة الجملة وعلى القسم الاكبر من تجارة التجزئة • وذلك عن طريق قيام الرأسمال الخاص بدور الوسيط بين القطاع العام المنتج والمستورد من ناحية ، وبين الشعب كمستهلك من ناحية أخرى • وبهذه الطريقة يتركز جانب من المخزون السلعى فى أيدى هؤلاء الوسطاء وبعدها يظهر دورهم ، حيث تكون لهم السيطرة على السوق المحلية باحتكارهم السلع ، فى حركة تحديد الاسعار ، وفى النهاية ، فى خلق سوق سوداء ، بكل آثارها المخربة من ارتفاع تكاليف الانتاج ونفقات المعيشة » •

■ **التعاون مع عناصر ليست بعيدة عن اسرائيل** ، فالبير أوفاديا سالم المتهم الصهيونى فى القضية ، والده أحد مؤسسى دولة اسرائيل وشقيقه صاحب بنك **ديسكونت فى جنيف** الذى تحول اليه الاموال المهربة • بل لقد ذهب الامر الى حد أن هذه الجهات الاجنبية قد اختارت نفرا من المصريين الذين أدركت أن الربح هو محركهم الاساسى وسهلت لهم تنمية حجم أعمالهم وتضخم نشاطاتهم ليسيطروا بعد ذلك على السوق ويحققوا لها أهدافها ، وفى هذا يقول بيان النيابة السابق الاشارة اليه « **تبين أن منظمة أجنبية فى الخارج تنظم عملية التمويل منذ ٤ سنوات ، بواسطة شبكة تضم مندوبين فى بلدان مختلفة • وان هذه المنظمة تعطى تسهيلات لبعض هؤلاء التجار بطريق غير مباشر ليزداد حجم نشاطهم ، فيتمكنون من السيطرة على تجارة الجملة فى وقت قصير** » •

■ **ان مجال نشاطات هذه الفئات يتعدى نطاق الاقتصاد الى مجالات أخرى ، ربما كانت هى الهدف الاساسى** • فقد نشر الاهرام فى ٢٧ مارس ١٩٧٣ « ان نشاط الشبكة **تعدى** عمليات تهريب النقد الى نشاط أخطر من ذلك بكثير • ان عمليات التهريب **لم تكن سوى ستار** يختفى وراءه النشاط الاخر » • والواقع أن الشبكة الاخيرة « متعددة الجنسيات » فعلا ، فهى تضم ١٠٨ متهما نصفهم ممن يحملون جنسية مصرية ، والباقى ٢٣ منهم أمريكان ، و ٦ المان ، و ٥ ايطاليين ، و ٥ لبنانيين ، و ٤ كنديين ، و ٢ من كل من اليونان ، وبلجيكا ، وواحد من كل من هولندا ، وبريطانيا وفرنسا ، وجنوب افريقيا •

■ **وفى المجال السياسى والاجتماعى** : تهدف العناصر الطفيلية الى ضرب انجازات نظام ٢٣ يوليو • **فالعناصر المضاربة** هى فى واقع الامر « **تضارب على النظام** » بأن تستولى على ما تبذل الحكومة كثيرا من الجهود والتكاليف لتوفيره من سلع ومستلزمات ، لسد حاجات الاستهلاك والانتاج ، وتحبسه عنهما ، لتفرض بعد ذلك شروطها على المستهلك وعلى المنتج سواء كان رأسماليا خاصا ، أو قطاعا عاما •

أما المهربون ، فينتهكون **الميثاق** ، والوثائق السياسية الاساسية التى تقصر الاستيراد والتصرف فى العملات الاجنبية على القطاع العام • وقضية التهريب الاخيرة التى تصفها النيابة بأنها « **أخطر محاولة أجنبية لتخريب الاقتصاد الوطنى** » توضح أن المخطط ـ كما تقول النيابة ـ يقوم على « التلاعب فى عمليات استيراد السلع والبضائع الاجنبية باستغلال نظام الاستيراد بدون تحويل عملة لصالح بعض أفراد القطاع الخاص من التجار المنحرفين • وتمويل هذه العمليات عن طريق الحصول على النقد الاجنبى الخاص بالهيئات والمؤسسات الاجنبية فى

مصر ٥) واستغلال مدخرات المصريين الـذين يعملون فى الخارج • والهدف هو حرمان مصر من النقد الاجنبى وسيطرة بعض افراد القطاع الخاص على السوق المحلى للتحكم فى عملية الاسعار ، وهز الثقة فى نظام القطاع العام كركيزة للنظام الاقتصادى » •

ومن جانب آخر فان **نشاط العناصر الطفيلية يقوم على تقويض التزام جزء من القيادات الاقتصادية بالاهداف الاجتماعية التى تدافع عنها القيادة السياسية ، ويضعف من اخلاصهم للقوانين والقرارات التى اصدرتها** • وكما تقول الاية الكريمة : **« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه»** فانه لا ينتظر ولاء المسئول المرتشى لاهداف الخطة أو قوانين الدولة • فقضية التهريب ، مثلا تورط فيها رئيس قسم الاستيراد بدون تحويل عملة بالشركة العربية للتجارة الخارجية ، ووكيل عام جمارك الاسكندرية ، ومراقب جمارك المحمودية ، ووكيله ، ورئيس قسم الكيماويات بالرقابة الصناعية • بل ان موظفا ببنك القاهرة قام بتحويل مليون دولار لحساب أحد المتهمين •

وكنموذج لانتهاك قوانين الدولة ، تحت تأثير عمليات الافساد التى تقوم بها العناصر الطفيلية لنفر قليل من المسئولين عن الوحدات الاقتصادية ، كشفت الرقابة الادارية عن أن مسئولى الشركة العقارية المصرية خالفوا القرار الذى يقضى بعدم منح مقاولى القطاع الخاص أعمالا تزيد عن ١٠٠ الف جنيه ، وعهدوا الى أحد المقاولين بأعمال تقرب من مليون جنيه ، وصرفوا له دون وجه حق أكثر من نصف مليون جنيه ، حتى أنهم استهلكوا رأس مال الشركة البالغ مليون وربع مليون جنيه ، وبلغت خسائرها أكثر من مليونين و٧٢٢ الف جنيه • بل لقد اشترى هؤلاء المسئولون ٢٥ سيارة نقل على حساب الشركة ، ثم قاموا بتمليكها للمقاول بالتقسيط ، وكان القسط اليومى للسيارة الواحدة هو ٣٥ مليما ، نعم ٣٥ مليما وليس ٣٥ جنيها •

ومن الناحية الاجتماعية ، يعرقل نشاط العناصر الطفيلية جهود النظام لاعادة توزيع الدخول تحقيقا للعدالة الاجتماعية ، ويقوض نشاطه لمواجهة التفاوت الحاد فى الدخول • ففى حين وضعت القيادة السياسية حدا أقصى وحدا أدنى للاجور ـ وقرر **الرئيس السادات** زيادة هذا الاخير ـ ووضعت نظاما للضرائب التصاعدية على الدخول ، فان العناصر الطفيلية تجمع بين أيديها دخولا هائلة لا تتمكن منها الدولة ، سواء باقتطاع جزء منها بالضرائب ، أو حتى تعبئتها بغرض الاستثمار أو تحديد حجمها على أقل تقدير ، وذلك لان معظم هذه الدخول غير مشروعة وتتم بطرق سرية (٦) •

والاخطر من ذلك كله ، أن النشاط الطفيلى يتعارض تماما مع الاخذ بمنهج التخطيط . ذلك أن الاضافات المفتعلة التى يزيدها الطفيليون على الاسعار ، والتى تحددها الدولة بصورة تكفل أكبر قدر ممكن من التوازن بين العرض والطلب ، هذه الاضافات تعوق الجهود المبذولة لتخطيط الاسعار وأحكام الرقابة عليها ، وتعرقل استخدامها كرافعة اقتصادية فى سياسة الانماء وكأداة اجتماعية لتنظيم التوازن

أن أرباح وفرص العناصر الطفيلية تفاقم جشعها وسعارها ، الامر الذى يغريها بفرض سيطرتها كاملة ، والتسلل من المجالات الاقتصادية الى المجالات السياسية ، ومن ثم لا بدوان يتركز عداؤها على القيادة السياسية الوطنية لسببين : أولهما عدم رضائها عن الاهداف الاجتماعية لهذه القيادة ، والثانى هو أن القيادة السياسية قد دأبت اخلاصا منها لهذه الاهداف على ملاحقة هذه العناصر الطفيلية ، وقضية التهريب الاخيرة خير شاهد على هذه الملاحقة. انالقيادة السياسية تعمل على تصفية النشاط الطفيلى ومحاصرته فى كل مجال يظهر فيه ، الامر الذى لا بدوان يغرى جانبا من أصحاب هذا النشاط ـ والمغامرة والمقامرة صفة أساسية فيهم ـ الى اتخاذ موقف معاد ومناوىء للنظام ، والى مباركة أى تحرك معارض له .

والواقع أن العناصر الطفيلية يختلف موقفها من

[٥] اشترك من شركات البسترول الامريكية فى مصر ، عاملون من شركة اوف شور وتايدكس ، وسانتافى ، ومن شركة هوكست الالمانية الغربية وكذلك من المدرسة الالمانية ومن رجال الاثار وشركات السياحة وغيرهم . ولقد بلغت عمليات صادق غبور وحده فى عامين ١٥ مليون دولار .

[٦] قال تقرير لجنة الرد على بيان الحكومة « وقد اطلعت اللجنة على مذكرة لجهاز تخطيط الاسعار مؤرخة فى يناير ١٩٧٣ ، ويؤخذ منها ان فئة الدخول التى تزيد على عشرة آلاف جنيه وهى ٢٣٧٦ اسرة ، يصل متوسط دخل الاسرة الواحدة منها الى ٣٢٤٣٠ جنيها فى السنة ولو صح هذا البيان ، وهو صادر من جهة رسمية ، لكان معناه ان هناك تهربا من الضرائب لان ضريبة الايراد العام فيما زاد على عشرة آلاف جنيه تصل الى ٩٠ ٪ » .

النظام عن موقف باقى الطبقات . فالعمال والفلاحون وقد تحقق لهم عدد كبير من المكاسب يجدون أن مصلحتهم فى بقاء كل نظام وطنى تقدمى والذود عنه .بل ان الرأسمالية الوطنية المنتجة ،ترى هى الاخرى ، مصلحتها متفقة ــ بشكل عام ــ مع مثل هذا النظام ، وفى الحفــاظ عليــه واستمراره ، اذ تكفل لها متطلبات الوحدة الوطنية ، وهى أحدى عناصرها فرصة العمل والانتاج . وحتى اذا نشأت بين هذه الرأسمالية الوطنية المنتجة وبين طبقات الشعب الاخرى تناقضات اوخلافات ، فانها تكون موقوتة وثانوية وغير عدائية ويمكن حلها سلميا ، وفى اطار التحالف ، أما **العناصر الطفيلية فتناقضها تام وعدائى مع الاهداف الاجتماعية والوطنية ، الامر الذى يجعل منها دعامة أساسية من دعائم الثورة المضادة ، ويستدعى حرصا وحذرا ورصدا لكافة تطوراتها ، لسد كافة الثغرات والفرص التى تتيح لها تحقيق اغراضها ، أو على الاقل تغريها بمحاولة ذلك . وهى أغراض أقل ما يمكن أن توصف به هى أنها معادية لما أجمعت عليه غالبية الامة وعبرت عنه القيادة السياسية .**

مجـــالات أســـاسـيـة
لحركة العناصر الطفيلية

وتتركز المجالات الاساسية للحصول على الدخول الطفيلية فى بعض انشطة القطاع الثالث والواقع أن لبعض جـوانب هـذا القطـاع طابعا «طفيليا» واضحا، فهو يضم كتلة من الاشخاص غير المنتجين مباشرة ، اذا لم نقل غير المنتجين بتاتا ، والمصادر الرئيسية للدخول الطفيلية تتمثل أساسا فى : تجارة الجملة ، والمقاولات خاصة من الباطن ، والتوريد للقطاع العام ، والتهريب ، والمضاربة ، وتسهيل الاستيلاء على اموال الدولة .

ففى تجارة الجملة : لم يكتف المسيطرون عليها بالربح الذى يستحقونه فى مقابل خدماتهم فى التوزيع ، وخلق المنافع المكانية والزمانية ، ومنح الائتمان ، وانما تلاعبوا فى عرض السلع الموجودة فعلا ــ بما ضاعف الاسعار التى حددتها لها الدولة : رغم انها تسمح لهم بهامش ربح كبير . ففى تجارة الاقمشة مثلا كان هناك ٢١٩ تاجرا يحتكرون بضائع سنوية قيمتها ١٣٠ مليون جنيه ، ويحققون ربحـا مسموحا به من الجهات المختصة قدره ٢٥ مليون جنيه .

وفضلا عن أن الاموال المستخدمة فى هذه التجارة كانت مقترضة من بنوك الدولة ، بفوائد تقل كثيرا عن ناتج استثمار هذه الاموال ، فان الشركات المنتجـــة كانت تمنح ائتمانا لهـــؤلاء التجار . وكانت مخازن هؤلاء شبه خالية اذ كانوا يكلفون تاجر التجزئة المتعامل معهم بتسلم ما يسمحون له به ، من الشركات المنتجة مباشرة وان يتولى هو عمليات النقل وخلافه . ومع ذلك فقد دأب هؤلاء على اخفاء السلع ، والتلاعب فى حصص المحافظات بما كان يضاعف الاسعار لحسابهم ، وهو الامر الذى جعل الدولة تقرر فى اكتوبر ١٩٦٧ تاميم تجارة الجملة وقصرها على القطاع العام بعد مهلة قدرها سنة ونصف سنة .

وفى قطاع المقاولات : استشرى الطابع الطفيلى حتى تغلب على الطابع « المنتج » الذى كان سائدا فيه فى البدء . والواقع أن « المقاول نمـوذج للوسيط البالغ التطفل على عناصر الانتاج خاصة فى مجال الانشاءات . فكل عملية من عمليات التشييد تتكون من عدة عمليات انتاجية مركبة ، تدخل فيها خامات وحرف متعددة ، وتخصصات فنية ، يعمل المقاول ما وسعه الجهد على نيل أقصى عائد من وراء كل منها ، على حدة ، ثم وراء العملية الكبيرة ككل » (٧) ويعتمد المقاول على استغلال كل الاطراف وأساسا العمال . فقد كشفت الرقابة الادارية عن ان الشركة العقارية المصرية وهى شركة قطاع عام كانت تعطى للمقاول الخاص مبلغ ٣٠ قرشا لتعبئة متر مكعب من الاتربة ، وكان هذا الاخير يعهد بنفس العمل الى مقاول من الباطن مقابل ١٦٫٥ قرشا ، وكان هذا بدوره يعهد بالمهمة الى عامل أجير مقابل ٤ قروش لا غير . وعلاوة على استغلال العمالة ، كان المقاولون يبالغون كثيرا فى أسعار الخامات ، حتى ان التكلفة زادت فى عام ١٩٦٥ بمقدار ٤٠ فى المائة عن السنة التى قبلها ، فى حين أن تكاليف السلع الاستثمارية المستخدمة فى القطاع لم تزد الا بنسبة ٨ فى المائة وزادت الاجور بنسبة ٢٠ فى المائة بما فى ذلك التامينات ومكافآت مجالس الادارة . ولقد « ارتفعت عوائد وحقوق التملك الى القيمـة الاجمالية لتكاليف البناء والتشييد الى حوالى ضعف ما كانت عليه » . وبالاضافة الى هذا اعتمد مقاولو القطاع الخاص على التلاعب فى التنفيذ . فيكفى مثلا أن يقلل مقاول الطرق ٥ سنتيمترات من سمك طبقة الرصف على امتداد طريق طوله مئات الكيلومترات ، ليحصل على مبلغ خرافى لا يستحقه .

(٧) مجلة الطليعة ــ كتابات جديدة ــ مايو ١٩٦٧ .

ولقد بلغ متوسط ما انفق على التشييد فى كل عام من أعوام الخطة الاولى ، ١٨٠٫٠ مليون جنيه ، قام القطاع الخاص ومقاولو الباطن بتنفيذ ٨٠ فى المائة منها ، وقام القطاع العام بالباقى اى أن القطاع الخاص نفذ سنويا مقاولات بمبلغ ١٤٤ مليون جنيه ، تقدر نسبة الربح الحلال منها بـ ٢٠ فى المائة اى ٢٨٫٨ مليون جنيه ، تتضاعف بسبب التلاعب وهو أمر لا يستغنى عنه المقاولون .

وقد شاعت الاستعانة بمقاولى القطاع الخاص على الرغم من قلة امكانياتهم وضعف قدراتهم الفنية ، بل وكانوا يمنحون « دفعات مقدمة » كبيرة يبدأون بها عملهم ، والسبب فى هذا ان اصحاب الشركات التى أممت او انضمت للقطاع العام والذين اصبحوا مديرين ورؤساء لها بعد انتقالها للملكية العامة ، انشأوا باسماء عائلاتهم واقاربهم شركات خاصة عهدوا لها – بحكم مناصبهم – بالمقاولات حتى ان شركة فى القطاع اصدرت امرا مباشرا لاحد المقاولين للقيام باعمال الحفر ، وحدد هذا سعرا قدره ٣٥٫٠ جنيها للمتر المكعب – بدلا من ١٥ جنيها كانت محددة فى تقدير التكاليف – مما رفع التكاليف من ٢٠٠ الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه . وذكرت لجنة تقصى الحقائق فى موضوع ارتفاع اسعار الحديد وتجارة الخردة التى شكلها مجلس الشعب فى تقريرها بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٧٣ ان شركة النحاس المصرية بالاسكندرية اسندت لشركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح – وهى قطاع عام – احدى عمليات المقاولات وقامت هذه الاخيرة باسنادها الى مقاول خاص من الباطن « بطرق مليئة بالشك والريبة وسوء النية » وذكرت اللجنة فى تقريرها الحقائق التالية :

١ – ان جملة العقود الخاصة بالعملية التى تم فحصها كمثال حوالى ١٦ عقدا عن عمليات بعضها متشابه والاخر مختلف ، وقد رست جميعها على نفس مقاول الباطن .

٢ – ان طريقة طرح العطاءات أو رسوها غريبة ومخالفة للاصول .

٣ – ورغم ان القانون ينص على الا يزيد حجم العمليات التى تسند لمقاول القطاع الخاص على ١٠٠ الف جنيه فى السنة فى مجموعها ، الا ان احدى هذه العمليات وحدها تزيد على ٢٠٠ الف جنيه فضلا عن مجموعها .

٤ – ورغم ان القانون ذاته ينص على عدم تجزئة العطاءات الا ان الشركة لجأت لطرق غريبة وخاطئة ظنت أنها تخرجها من نطاق تطبيق القانون لاسناد عمليات لنفس المقاول تزيد عن النصاب القانونى .

٥ – ساعدت الشركة المقاول على التهرب من دفع الاشتراكات المستحقة لهيئة التأمينات الاجتماعية وهى مبالغ كبيرة ، وبطرق ملتوية .

٦ – تم التعاقد فى احدى العمليات على ١٥٫٠٠٠ طن ، وتمت المحاسبة على حوالى ٢٨٫٠٠٠ طن بعد الاتفاق على تعديلات فى الرسومات والمواصفات ، وفى هذا مصلحة كبيرة للمقاول . واكدت اللجنة ان وجه الخطورة فى ذلك يتمثل فى « **ان الحكومة والقطاع العام تقوم باسناد الاعمال لشركات مقاولات القطاع العام بسهولة ، ودون تدقيق فى الاسعار ، ظنا منها أنه لا داعى للكثير من هذه الدقة طالما ان التعاقد يتم مع شركات قطاع عام ، ثم تقوم معظم هذه الشركات فى اغلب الاحيان باسناد هذه الاعمال الى مقاولى الباطن** » .

وحول موضوع التلاعب فى أسناد المقاولات من الباطن الى شركات خاصة أكد تقرير أخير للجهاز المركزى للمحاسبات ما يلى :

« عدم سلامة اجراءات اسناد الاعمال للمقاولين ، وصرف مبالغ كبيرة لمقاولى الباطن ، دون مقابل عن اعمال منفذة او توريدات ودون الحصول منهم على الضمانات الكافية لتنفيذ التزاماتهم ، وهو ما يؤدى حتما الى احتمال ضياع هذه الاموال فضلا عن عدم الحصول على انسب الشروط والاسعار ، ومن ناحية أخرى ، فانها تؤدى الى استخدام جانب من الاموال العامة فى تمويل القطاع الخاص » .

التوريد للقطاع العام والحكومة : مع سيطرة القطاع العام ، ونمو أجهزة الدولة ومؤسساتها يصبح « الانفاق العام » هو الاساس فى النشاط الاقتصادى ، ويغدو « حجم مشتريات القطاع العام والدولة » هو المحدد الاساسى لعمليات الانتاج والتسويق .

ورغم أن الدولة – بقطاعيها العام والحكومى – هى المنتج ، والمستورد ، والموزع الرئيسى لمعظم السلع والمستلزمات ، فقد نشأت فئة من الموردين للقطاع العام والحكومة ، فرضوا لنفسهم « دور الوساطة » بين الشركات العامة والاجهزة الحكومية المنتجة والمستوردة للسلع ، وبين مستخدمى هذه السلع سواء كانوا شركات منتجة – معظمها عامة – أو مستهلكين نهائيين .

ان كل دورهم يتلخص فى الاستيلاء على انتاج احدى الشركات العامة ، لبيعه لشركة عامة أخرى أو للمستهلك النهائى بسعر يزيد احيانا على أربعة أضعاف السعر الذى اشتروا به من الشركة العامة .

وحول هذا الموضوع **قامت اللجنة التى شكلها مجلس الشعب لاستظهار الحقائق** فى موضـوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الخردة المختلفة ، بدراسة جيدة أكدت فيها أن « القنوات التى يقطع فيها الحديد رحلته من المصنع الى المستهلك ، تحددها أياد تتمتع بالكثير من المهارة والبراعة فى خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء تحقق أرباحا طائلة لطائفة من المحتكريـن والسماسرة ، يدفع المستهلك العادى من أفراد الشعب جزءا منها ، ويدفع القطاع العام والحكومة الجزء الاعظم منها » .

وقدرت اللجنة ، أن الحديد الذى يحصل عليه القطاع الخاص من الشركات العامة بالاسعار الرسمية ، ليعيد بيعه للقطاع العام ، بسعر قدره حوالى ٢٥ فى المائة من ثمن شرائه ، يحقق لهم ربحا قدره ١٥ مليون جنيه سنويا علما بأن هذا الجزء الذى يعاد بيعه ، هو الفائض لديهم بعـد سد احتياجات العمليات التى يقومون بها ، وذلك لانهم يبالغون فى مستلزماتها ، ليبيعوا ما يتبقى فى السوق السـوداء . والتـلاعب فى الاسعار التـى يتـم بها التـوريد للقطـاع العـام كبير ومروع ، ويتم فى الداخل والخارج . فقد ذكرت اللجنة نفسها أن **شركة ستيلمت الامريكية** ، اتفقت مع **المؤسسة المصرية العامة للصناعات المعدنية** ، على توريد ٤٠ ألف طن ، مقابل عمولة قدرها ١٥ر٥ دولار عن الطن تقاسمها الوسيط مـع مسئولين فى المؤسسة . وقالت ان **الرقابة الادارية** كشفت عن أن جهة أجنبية دفعت عمولة قدرها ١٨ فى المائة لوسيط فى استيراد مهمات بمبلغ مليون جنيه لجهة حكومية ، مقابل رفع الاسعار بنسب بين ٢٠ فى المائة و ٤٠ فى المائة . وبعد أن أوضحت اللجنة أن القطاع العام هو المنتج والمسـتورد الاساسى ، تساءلت عن الطريقة التى تتسرب بها هذه الكميات الضخمة الى السوق السوداء .

وفى موضوع خردة النحاس ذكرت اللجنة أن شركة النحاس المصرية بـالاسكندرية والشركة العامة للمعادن ، استبعدتا **شركة سيجال** ــ وهى قطاع عام من توريد الخردة عندما أرادت هذه الانفراد بالتوريد ، وأرست عطاء بالتوريد على ٣ تجار قطاع خاص ، وبلغت قيمة العطاء ٥ر٨ مليون جنيه ــ وكان تأمينه ربع مليون جنيه ــ يدر ربحا سنويا على التجار الثلاثة قدره مليون ونصف مليون جنيه . ونصت على أن العقد غير قابل للتجزئة ــ رغم انها رفضت انفراد سيجال ــ ثم عادت لتجزئته للتجار الثلاث كل على حـدة . .

ولقد ذكرتقرير الجهاز المركزى للمحاسبات السابق الاشارة اليه أن « بعض الشركات تسـند الى موردين من القطاع الخاص ، القيام بالتوريدات بالطريق المباشر فى معظم الحالات ، وتصرف لهم مبالغ كبيرة دون أن يقابل ذلك توريدات فعلية . **وفى الحقيقة لا تخرج هذه المبالغ عن تمويل من القطاع العام للقطاع الخاص ، لا يستند الى أسس طبيعية فى التعامل** » .

التهريب : اذا كانت المقاولات قد بدأت منتجة ، ثم تغلب عليها الطفيليون ، فان تهريب السلع الى داخل البـلاد ، وتخريب سيطرة الـدولة على الاستيراد قد نشأ منذ البدء نشاطا طفيليـا . ومخاطر هذا النشاط الطفيلى متعددة ، منها انه يستورد سلعا من « سقط المتاع » فى الخارج ، ليبيعها لمن يؤمنون بتفوق الاجنبى بسعر يبلغ عدة اضعاف ثمن شرائها ، فضلا عن أن كثيرا منها يجىء من بلاد معادية لنا قد تكون الدولة قررت وقف التعامل معها . بل ان بعضه يجىء من اسرائيل فعلا . والتهريب لا يسير فى اتجاه واحد بمعنى أن السلع تجىء من الخارج وتنتهـى العملية ، بل يصحبها عادة اخراج سلع مصرية أو ذهب او نقد مصرى فى أضعف الاحوال ، وذلك « سدادا » لثمن البضائع المجلوبة .

وفضلا عن أن هذا النشاط يمثل انكارا وتحديا لكل انجازاتنا فى مجال الصناعة ــ علما أن كثيرا منه سلع مصرية وضعت عليها علامات أجنبية فى **بيروت** ثم أعيد تصديرها الينا ــ فان له أسوأ الاثر على أخلاقيات ومعنويات المواطنين . فهو مـن ناحية يقوض ثقة كثير من المواطنين فى اجراءات الحشد والمواجهة و « تذويب الفوارق » وهـى سياسة الدولة المعلنة ، وذلك عندما يرون مدى الرواج الذى تحظى به السلع المهربة ، وكثرة عدد مشتريها خاصة ، وان ثمن بعض منها يزيد عن دخل المواطن العادى عدة مرات (هناك جهاز تليفون ثمنه ٣٠٠ جنيه وزجاجة بارفان ثمنها ٤٠ جنيها ، الخ) . **كما أن للمهربات أثر ضار فى اثارة « التطلعات » غير السوية وتنمية انماط استهلاكية شائهة لا تتفق بحال مع أوضاع بلدان العالم الثالث ، وهى توفر أيضا أرضية قوية « للغواية والافساد » ، للحصول على أثمان هذه السلع** . ومما يبين ضخامة هذه التجارة أنه فى ٨

فبراير ١٩٧٢ ، صرح **نائب رئيس الوزراء** للاقتصاد والتجارة الخارجية ، بأن السلع الاستهلاكية التى دخلت بنظام الاستيراد بدون تحويل عملة ، بلغت فى اربع سنوات ٨٠ مليون جنيه ـ بالطبع لم يحسب فى هذا الرقم السلع التى دخلت بطرق غير مشروعة . وقال أنه فى نفس الفترة دخلت ٣٣ ألف سيارة ركوب ثمنها ١٢٫٥ مليون جنيه .

وقد اتخذت تجارة تهريب السلع وتحدى سيطرة الدولة على الاستيراد ، طابعا دوليا تشترك فيه جهات اجنبية كثيرة خاصة السفارات والشركات . واتخذ تحدى الميثاق فى هذا الصدد طابعا علنيا ، حاول به أصحاب هذه التجارة فرض عدم المشروعية ، وجعله أمرا واقعا يتحدى سلطة الدولة واختيارات القيادة السياسية .

ومعذلك لابد من التنبيه الى انجزءا من الاقبال على « منتجات الاجنبى » ، يرجع الى عدم اهتمام بعض صناعاتنا بمستوى الجودة ، واعتمادها على أن المستهلك سيشترى انتاجها رغم أنفه ، طالما انه هو الانتاج الوحيد الموجود فى السوق . ومع مراعاة ذلك يجب الاخذ بتوصية **لجنة الرد على بيان الحكومة** السابق الاشارة اليها والتى تقول :

« اننا فى هذه المرحلة وفى هذه الظروف التى ندرك فيها أننا لا نستطيع أن نحقق لجماهير الشعب العاملة كل ما تصبو اليه من حل لمشكلاتها والنهوض بمستوى معيشتها ، لا يمكن أن نسمح باستمرار الاتجار فى السلع الكمالية المستوردة ، او المهربة ، تحت سمع القانون وبصره . واذا كان القانون عاجزا عن مواجهة هذه الحالة ، فان احترام سيادة القانون يقتضى تعديله . أن الامر لا يتعلق فقط بالحد من دخول تتولد بأساليب غير مشروعة ، بل أن الامر يتعلق بتهيئة الجو النفسى لشعب يجتاز أخطر مراحل حياته » .

المضاربة : وتعتمد أساسا على خلق « ندرة » مفتعلة ، ولا تتم فقط بالتاثير على مختلف العوامل المتحكمة فى العرض (انتاج واستيراد السلع ونقلها وطرحها) ، بل تمتد أيضا الى التاثير فى الطلب باطلاق الاشاعات مثلا عن ان سلعة ستختفى والدعوة الى تخزينها ، مما يضخم الطلب عليها ومن ثم ترتفع أسعارها . ومع أن الدولة فى مصر تبذل قصارى جهدها لتوفر ـ بالانتاج أو الاستيراد ـ الكميات الكافية من السلع والمستلزمات لمواجهة الطلب الاستهلاكى والانتاجى وتطرحها بأسعار مناسبة ـ قد تقل عن ثمن انتاجها أو استيرادها ـ فان المضاربين يستولون على ما وفرته الدولة ، سواء عن طريق بعض المسئولين فى الوحدات الاقتصادية من خربى الذمة ، أو بارسال أتباعهم لشرائها وتخزينها ، ثم اعادة عرضها بالاسعار التى يريدون . وكنموذج لهذا فقد وصل كيلو الجمالكه فى السوق السوداء الى ٧ جنيهات فى حين أن الدولة هى التى استوردته وطرحته للبيع بأربعين قرشا ، كما ان متر الخشب الابيض الذى سعرته الدولة وباعته بحوالى ٣٣ جنيها يباع فى السوق السوداء بمبلغ ١٢٠ جنيها . والغريب أن لدى تجار السوق السوداء ما يكفى مجموع الطلب ويزيد عنه ، وان الدولة هى أصلا التى جاءت بهذه المستلزمات من الخارج .

بل ولا يجد المضاربون على الاسعار حرجا من « سرقة » ما استوردته الدولة ، بالمعنى القانونى والحرفى والاخلاقى لكلمة سرقة ، ثم يبيعونه باسعار مضاعفة ، اى انهم لا يريدون حتى دفع الاسعار الرخيصة نسبيا التى تحددها الدولة ثمنا لها ويفضلون الاستيلاء عليها مجانا . وقد اوردت الصحف اخيرا نبأ تجار الدخان الذين استولوا على شحنة سيارة منه كانت قادمة لحساب احدى شركات القطاع العام ، وثمنها ٦٠ الف جنيه . وقبلها بفترة اختلس بعض المهندسين الموظفين بذورا مستوردة للطماطم وباعوا العلبة منها بمبلغ ٦٠ جنيها ، فى حين أن الدولة حددت لها سعرا هو ٩ جنيهات .

الاستيلاء على أموال الدولة : والنماذج فى هذا كثيرة ومتعددة . فقد دار نقاش طويل فى **مجلس الشعب** حول مبلغ ٨ ملايين جنيه خسائر فى مؤسسة السينما من جراء دفع مبالغ عن أعمال لم تتم . وكذلك حادثة « الصياد » الذى اختلس نصف مليون جنيه من بنك مصر (ديسمبر ١٩٧٢) ، وقبلها اختلس موظف فى البنك الاهلى ٩٣ ألف جنيه (اكتوبر ١٩٧٢) ، وقبل ذلك اختلس صراف من احد البنوك ٧٠ الف جنيه لمشاركة صديق له فى شراء عملة اجنبية واعادة بيعها ولكن الاخير قتله طمعا فى المبلغ (سبتمبر ١٩٧٢) . وقبل ذلك بلغت الاختلاسات من بنك الاتحاد التجارى ١٢١ الف جنيه (يونيو ١٩٧٢) . كل هذه الاختلاسات جعلت المحكمة فى قضية **الصياد** تعلن انها « ترى أن تناشد المسئولين عن الهيئات والمؤسسات العامة والوحدات الاقتصادية التابعة لها ، أن يولوها من الرعاية الحقيقية والاشراف الفعلى ما يتواءم مع خطر شأنها على المركز الاقتصادى ، والثقة المالية للبلاد ، والمصلحة القومية للشعب ، لاسيما فى المرحلة العصيبة التى يجتازها الوطن العزيز فى نضاله التحررى وفى كفاحه المجيد لرد العدوان الغاشم ، واسترداد الارض السليبة من الوطن العربى الكبير . وذلك بالعمل الجاد المستمر فى

حماية الاموال العامة ووسائل الانتاج والحفاظ عليها من جنايات الاستيلاء **التى تعددت (٨) . واتخذت أشكالا وصورا مختلفةمتطورة ومفزعة .** وان سبيل الادارات العليا الى ذلك لا يكون الا بتدعيم أجهزة المراجعة والرقابة والتفتيش والاشراف بالعناصر الواعية المخلصة لعملها والمقدسة لواجباتها والمقدرة لمسئولياتها ، **اذ لو كان شىء من هذا متوافرا ما وصل الاختلاس والاستيلاء على أموال بنك مصر الى هـذا الرقم المذهل الرهيب فى حادثة واحدة » .** وتؤكد احصائيات **الامن العام** أن العبث بالاموال العامة يشكل أكبر نسبة من الجرائم ، اذ تبلغ فى القاهرة ٢١٫٥ فى المائة من جملة الجرائم ، وفى الاسكندرية ١٧٫٧ فى المائة ، وفى القليوبية ٢٠٫٨ فى المائة . وكان مجلس الشعب قد ناقش فى ابريل ١٩٧٢ ، اقتراحا بمشروع قانون ينص على **الحكم بالاعدام على كل عضو مجلس ادارة او مدير او مستخدم باحدى الشركات المساهمة أو الجمعيات التعاونية أو النقابية أو احدى المؤسسات العامة ، اذا اختلس واستولى بغير حق على مال بها أو سهل ذلك للغير .**

تصفية النشاط الطفيلى

قضـية أسـاسيـة

من كل هذا ، يتضح « تعدد » فرص ومجالات الحصول على الارباح الطفيلية ، وتزايد أعداد من يبتغونها ويجعلونها لانفسهم هدفا وغاية ، الامر الذى يهدد كافة مشروعاتنا وخططنا أن نقصر عن تحقيق الامال المنوطة بها ، تحت تاثير تضخم الاعباء التى يفرضها الطفيليون الذين يشكل وجودهم ونشاطهم نوعا من « الغواية » للاخرين . ومن ثم تصبح قضية تصفية الانشطة الطفيلية ، قضية أساسية تحقق اعتبارات « الرشد » وتوفر شروطه فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى ذلك . فبجانب زيادة الانتاجية والاستغلال الرشيد للموارد المتاحة كطريق أساسى لتحقيق ما اعلنته الحكومة من اعتزامها العمل على تخفيض الاسعار أو على الاقل تثبيتها ، يتيح الغاء «نصيب» العناصر الطفيلية امكانيات كبيرة لبلوغ هذا الهدف . ذلك أنه من أهم عوامل تضخم الاسعار ، تلك الاضافات التى يفرضها لنفسه ذلك الحشد الغفير من الوسطاء والسماسرة والمضاربين والمتلاعبين ، دون أن يؤدى دورا يذكر فى « تسهيل » **انتاج او توزيع السلع . والغاء هذه الجزية التى يفرضها** الطفيليون على المستهلك ، او على القطاعات الانتاجية – سواء كانت تابعة للقطاع العام أو الخاص – لن يعطل الانتاج او التسويق على النقيض من ذلك ، كما أنه لن يغير من خصائص السلع والمستلزمات أو فوائدها ، بل ان ماركس يؤكد أن الغاء نصيب وحصة ملاك أدوات الانتاج من « الناتج » – مع أنه لدى هؤلاء ما يقدمونه على عكس الطفيليين الذين لا يقدمون شيئا على الاطلاق – لا يغير خصائص هذه الادوات ، فيقول فى مقاله « انخلاع الاشياء فى ظل الملكية الخاصة » ان « الارض لا شأن لها بالريع العقارى ، والالة لا شأن لها بالربح . فالارض لا تعنى الريع العقارى الا بالنسبة للمالك العقارى ، فهو يؤجر أرضه ويتقاضى الريع : تلك صفة يمكن ان تفقدها الارض دون أن تفقد خصوبتها مثلا » (٩) . كما أن **انجلز** فى كتابه « الرد على دوهرنج » ، يصف ريع الحيازة أو الريع العقارى ومكاسب رأس المال بأنها « استملاك لخدمات الغير دون خدمات مقابلة » .

واذا كان **العمل** – كما تؤكد **مواثيقنا السياسية** – هو المصدر الاساسى للدخول والثروات ، كما انه الاسلوب الاكثر عدلا لتوزيع الناتج القومى ، فانه لا يكون هناك مجال للسماح لاناس عاطلين فعليا ولا يسهمون بأى جهد فى الانتاج أو التوزيع ، بأن يشاركوا فى اقتسام ثمرة جهد من يعملون – من القطاعين العام والخاص – ناهيك عن السماح لهم بالاستيلاء عن جزء من هذه الثمرة يزيد كثيرا عما يناله المنتجون الذين قاموا بالعمل كله . **والحق أن ضخامة التحديات التى تواجه القيادة السياسية ، فى مجـال التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة وسد احتياجات التحرير ، تتطلب أعلى انتاجيـة من كل انفاق للموارد المتاحة – وهى تقل حتما عن تلبية مجموع الاحتياجات ، مما يجعلنا نعطى الاولوية لبعضها ونرجىء البعض الاخر . ومن ثم فلا مجال لتبديد جزء منها على اناس لا يسهمون بشىء فى العمل المشترك لتحقيق أهداف الامة الوطنية والاجتماعية ، ذلك ان السماح بهذا** يوهن كثيرا من حماس ومبادرات جموع العاملين ويضعف من امكانيات تعبئتهم لتحقيق الاختيارات الموضوعة ، وهو شرط ضرورى لاستكمال الفجوة القائمة بين الامال والامكانيات المادية لتحقيقها .

(٨) فى ١٩٦٩ بلغت قضايا الاموال العامة ٤٢٣١ قضية ارتفعت فى ١٩٧٠ الى ٤٥٧٨ قضية .
(٩) كارل ماركس ، مختارات من المؤلفات الاولى ١٨٤٢ – ١٨٤٦ ، دار دمشق للطباعة والنشر .

ثـــــورة ٢٣ يوليــــــو

والرأســــــمالية

الطفيليـــــــة

عبد المنعم الغزالى

لقد قدرت ثورة ٢٣ يوليو دائما دور الرأسمالية الوطنية ، على أساس أنها الرأسمالية المنتجة ، وعـــلى أساس أنه يمكن ان يـكون لها دورها المساعد فى انجاز خطة التنمية .

وفى نفس الوقت ، أعلنت ثورة يوليو دائما تحفظاتها ضد الرأسمالية الكبيرة المستغلة وغير المنتجة . يقول الرئيس أنور السادات : « لقـد اهتمت الدولة بالرأسمالية الوطنية المعـــادية للاستعمار باعتبارها احدى قوى تحالف الشعب العاملة ، كان تحرير الاقتصاد القومى مـن السيطرة الاجنبية ، وضرب الاقطاع والرأسمالية الكبيرة تخليصا لها من شبكة قهر واستغلال طالما حاصرتها وشلت جهودها » .

والرأسمالية الوطنية ـ المنتجة ـ بحكم وضعها كقوة منتجة ـ تتعارض مصالحها تماما مـع الرأسمالية الطفيلية ، هذه الرأسمالية التى تعمل على تطويق القطاع العام بهدف تحقيق أعلى معدل من الربح ، عن طريق احتكار السوق ، والاستفادة من الاختناقات التى يعانى منهـا اقتصاد يبنى نفسه وسط ظروف صعبة وقاسية مثل ظروف بلادنا ، ظروف معركة التحرير ، وظروف تنمية المجتمع .

ولقد يدهشنا أن الراسمالية الطفيلية نمت رغم كل الاجراءات التى اتخذت لتصفية مواقع الرجعية ورأس المال الكبير . لكن هذه الظاهرة ليست جديدة على ثورة يوليو ، بل هى ، فى الحقيقة ، امتداد طبقى لهذه الرأسمالية التى قاومت ثورة يوليو بأساليب مختلفة وعديدة فى كافة مراحل تطورها . يقول ميثاق العمل الوطنى ـ « ان الشعب المصرى وهو يجابه الثورة من اجـل التطور، ويحاول تجميع المدخرات وتشـجيعها وتحريكها فى اتجاه التنمية ، لم يغب عن باله ان الرأسمالية المحلية الكبيرة استطاعت فى ظروف ثورات وطنية عديدة ، أن تحول نتائج الثورة الى أرباح لها ، لانها ـ بامتلاكها للمدخرات القادرة على العمل فى التنمية ـ تستطيع ان تحتل لنفسها مواقع الاحتكار التى تحصل منها على كل فوائد التنمية » .

وقال جمال عبد الناصر ـ فى خطاب له ، فى ١٩٦٤ ، فى السويس ـ « طبعا هناك أيضا طبقات عندها تطلعات .. عايز يبقى مستغل وعايز يبقى رأسمالى وأنا باقول النهاردة ان الرأســمالية الوطنية وقطاع الرأسمالية الوطنية فى بلدنا كبر من ١٩٦٠ أكبر مما نتصور . ازاى ، كل التنمية وكل التجارة ، وكل الخطة .. قطاع الرأسمالية الوطنية بيزيد وبينزل فى ايده فلوس كتير ..

بعض الناس فى هذا القطاع عنده تطلعات انه عايز يكون فى وضع طبقى متميز ، زى ما كانت طبقة الراسمالية وطبقة الاقطاع موجودة فى الماضى ، هو يمكن قبل كده ما كانش عنده حاجة ، والنهاردة شايف ان الظروف ساعدته ، والظروف مكنته من انه يعمل ثروة بسيطة أو ثروة متوسطة .. عايز يعمل رأسمالى .. أو عايز يعمل اقطاعى » .

الموقف قبل اجراءات ١٩٦٠ ـ ١٩٦١

عندما قامت ثورة يوليو ، سعت الى فتح المجال واسعا امام رأس المال المحلى ، ليشارك فى تنمية الاقتصاد القومى ، وليتوجه برؤوس أمواله فى مجال البناء الصناعى . وفى سبيل ذلك قدمت الدولة الكثير لتشجيع الراسمالية لجذب مدخراتها الوطنية ، مثل رفع الرسوم الجمركية على المنتجات الصناعية المنافسة للصناعة المصرية المثيلة ، والغاء وخفض الرسوم على المواد الاولية ومعدات الانتاج ، وخفض الضرائب على الارباح غير الموزعة بنسبة ٥٠ فى المائة ، وذلك الى جانب اعفاءات ضريبية عديدة واجراءات أخرى .

ورغم كل هذه الاجراءات حبست الرأسمالية الكبيرة اموالها عن الصناعة ، وعن تمويل أى خطة للتنمية وعن الاستثمار فى أى مشروع منتج . حتى انه فى عام ١٩٥٣ ، أصبحت الاستثمارات الرأسمالية الجديدة ، ١ر٩ مليونا من الجنيهات مقابل ٢ مليون جنيه فى عام ١٩٥٢ ، وفى الوقت نفسه صارت المدخرات ٦٤ مليون جنيه ، فى ١٩٥٣ ، مقابل ٥٨ مليون جنيه فى ١٩٥٢ . وبلغت الودائع فى البنوك ٢٣٣ مليونا مقابل ٢١٧ مليونا .

وكان اتجـــاه الراسمالية ، منذ البداية ، هو الاستثمار فى المجالات غير المنتجة ، حيث تنعدم المغامرة ، ويتحقق أعلى معدل من الربح . فالبنك الاهلى فى ١٩٥٣ يرى أنه :

« بدلا من الدعوة الى التصنيع لايجاد عمل للفائض من الايدى الزراعية يجدر بنا ان نتناول المسألة من جانبها الاخر بمعنى أنه يجب البدء بتنمية الزراعة إلتماسا لتوسيع نطاق سـوق المنتجات الصناعية ، ليصبح التوسع الصناعى ممكنا » .

وفى ١٩٥٥ يرى أنه : « **هناك بضعة دروس أهمها أن التصنيع عملية طويلة ومعقدة ويحتاج اتمامها الى اجيال طويلة** » . فى ١٩٥٥ بينما استثمر فى المبانى ما قيمته ٤٧٢ مليون جنيه أى ٨ر٧٥ فى المائة من مجموع الاستثمار الخاص ، فان الاستثمار فى الصناعة لم يتجاوز ٧ فى المائة .

وفى ١٩٥٤ ـ بذلت الدولة مجموعة من المحاولات لتقليم أظافر بعض العناصر الرأسمالية ، فأصدرت قرارات تستغنى بها عن بعض كبـار الرأسماليين فى مجلس ادارات مجموعة من الشركات ، وخولت وزير الخزانة ، سلطة اصدار اذون خزانة ، وسندات لتمويل الانتاج فى حدود ٤٠٠ مليون . وانشأت مؤسستي التأمين والادخار التى اصبحت فيما بعد مؤسسة التـــأمينات الاجتماعية ، وكذلك صناديق التأمين والمعاشات كنوع من الادخار .

وتستمر الرأسمالية الكبيرة ، دون يأس ، فى محاولة للاستيلاء على أى مكاسب وطنية حققت على طريق يوليو . فبعد اعلان تمصير البنوك وشركات التأمين ، والوكالات التجارية ، وبعد انشاء مجلس اعلى للتخطيط القومى ، وانشاء المؤسسة الاقتصادية ـ (وكلها اجراءات لتحرير اقتصادنا الوطنى من سيطرة رأس المال الاجنبى) اندفعت الرأسمالية الكبيرة تحاول الاستيلاء على هذه المقدرات الاقتصادية لقمة سائغة ـ وفى هذا لاحظ عبد الناصر ـ : « لما أعلنا تمصير الشركات البريطانية والفرنسية على طول اتلموا على بعض ، وجه القيسونى وجايب كشف مقدم من الراسماليين وكل واحد منهم عايز يخطف شركتين تلاتة من الشركات المصرة . وانا فى هذا اليوم قلت له ان جميع هذه الشركات بتروح للقطاع العام ، وأن احنا لن نستطيع بأى حـال من الاحـــوال ، ان نخلى الراسماليين يزيدوا من تحكمهم بأن يأخذوا أيضا ممتلكات فرنسا وممتلكات انجلترا » .

واستمر احجام الرأسمالية عن أى مشاركة فى أى جهد وطنى مبذول لتصنيع البلاد ، ولتمويل خطة للتنمية . ولم يقتصر موقفها على هـذا الاحجام ، بل بدأت حربها ضد القطاع العام . وفى سبيل ذلك لجأت الرأسمالية الكبيرة الى سحب الاموال من القطاع العام عن طريق عقود الاستيراد والتوريد والمقاولات . فتقرير البنك الاهلى فى ١٩٥٧ يرى أن : « **خطة السنوات الخمس لا تعدو أن تكون خطة بغير موارد** » . وهكذا نجد أن اكتتابات الافراد والبنوك جميعها ، فى ١٩٥٨ ، فى رؤوس أموال الشركات الجديدة ، لم تتجاوز ٤ر١ مليون جنيه فقط ، بنسبة ١٣ فى المائة من مجموع هذه الاستثمارات . وفى ١٩٥٩ عندما أصدرت

الحكومة قانون تحديد الارباح لالزام الشركات بشراء سندات الدولة ، أعلنت الرأسمالية حرب البورصة .

وهكذا نجد الصورة قبل اجراءات ١٩٦٠ - ١٩٦١ - انفراد الرأسمالية بالسوق القومي وجنيها لارباح طائلة ، بلغت حوالى ٥٢ فى المائة فى النسيج ، ومن ٦٠ الى ٧٠ فى المائة فى المقاولات وتركيز استثماراتها فى العمليات المصرفية ، والمبانى ، والمقاولات ، والنقل ، والصناعات الاستهلاكية ، والتجارة الخارجية التى حولتها الى مصدر للحصول على أرباح طائلة ، اغلبها غير مرئى ، ولتهريب الكثير من الثروات والمدخرات ، ثم ممارسة الحصار للقطاع العام ، لاستنزاف أكبر قدر من امواله .

وفى خلال السنوات القليلة ، التى تلت التمصير : من ١٩٥٧ حتى ١٩٥٩ ، ازدهرت الرأسمالية المصرية ازدهارا كبيرا ، وشهدت عصرا ذهبيا . وهنا برز الطابع الطفيلى للرأسمالية المحلية ، فبلغت الارباح التى حققتها الشركات المساهمة قبل التأميم ٤٤ر٢ مليونا من الجنيهات فى ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ، بنسبة ٣٥ فى المائة من قيمة رأس المال الاسمى . وبرز الطابع الطفيلى ، أكثر ، فى قطاع المقاولات والانشاءات والذى بلغ حجم الاستثمارات فيه فى السنة الاولى من سنوات الخطة ٧٫٥ مليون جنيه، أى بنسبة ٥ر٤١ فى المائة منمجموع الاستثمارات . وحققت الرأسمالية المحلية أقصى ربح احتكارى عن محاولات السيطرة على السوق ، لا عن طريق تطوير قوى الانتاج .

ولقد تنبه **عبد الناصر** الى هذه الظاهرة فقال :

« **انا كنت أشعر بان احنا ممكن الدفع الثورى غير قائم ، الثورة بدأت تتعثر ، الرأسمالية المستغلة بدأت تنفذ وبدأت تتهرب وتتسلل الى الصف . الرأسمالية المستغلة والرجعية توشك أن تجمد الثورة أو تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص . وكنا فى نفس الوقت نجد أن الرجعية هنا تتسلل وتبدأ تأخذ مراكز على درجة كبيرة من الخطورة** » .

اجراءات ١٩٦٠ و ١٩٦١

ضد الرأسمالية الطفيلية

وهكذا جاء عام ١٩٦٠ ، وكل جهود ثورة يوليو للتطور بالثورة الوطنية الى مرحلة الثورة الاجتماعية محاصرة بالرأسمالية ، ومنهوبة لصالح قوى طفيلية - واقفة فى وجه أى تطور ثورى - يقول عبد الناصر : « **اذن فى ١٩٦٠ كان من الواضح ان الثورة التى قامت سنة ١٩٥٢ على أن تكون ثورة سياسية، وعلى أن تكون ثورة اجتماعية ، خلصت دورها فى الناحية السياسية ، ولم تستطع أن تندفع فى الناحية الاجتماعية . ولكن لا يمكن بحال من الاحوال أن تمنع الدفع الثورى من وضع الثورة الاجتماعية موضع التنفيذ** » .

وبدأت ثورة يوليو ، تشق طريقها نحو الثورة الاجتماعية ، بتوجيه ضربات الى هذه القوى الرأسمالية التى ازداد خطرها على الثورة ككل . ففى ١٩٦٠ ، أمم كل من بنك مصر والاهلى ، وكل الممتلكات البلجيكية . وبعد ذلك ، فى يوليو ١٩٦١ ، نقلت الى ملكية الدولة جميع البنوك ، وشركات التامين ، والتجارة الخارجية ، ومجموعة كبيرة من الشركات الصناعية والتجارية ، ومؤسسات النقل ، والفنادق ، والمياه ، والاراضى العقارية .. الخ . لقد جاء التأميم ، بعد أن ظهر أن هذه الرأسمالية المحلية ليس فى الامكان ترويضها لصالح اى خطة تنمية وطنية ، فهى كما يرى الميثاق : « **بامتلاكها للمدخرات القادرة على العمل فى التنمية تستطيع أن تحتل لنفسها مواقع الاحتكار التى تحصل منها على كل فوائد هذه التنمية** » .

وهذه هى النتائج التى وصل اليها **ميثاق العمل الوطنى** : فان « رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة ، اعتمادا على استغلال موارد الثروات فى المستعمرات » .

« وان العمل من أجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن أن يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » .

« والرأسمالية المحلية الكبيرة استطاعت أن تحول نتائج الثورة الى أرباح لها » .

« لقد كان عبثا لا فائدة منه أن يدفع الشعب تكاليف الحماية ليزيد أرباح حفنة من الرأسماليين » (*)

« ان ذلك يضع نتيجة محققة امام ارادة الثورة الوطنية، لا يمكن بغير الوصول اليها أن تحقق اهدافها . وهذه النتيجة هى ضرورة سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج ، وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة » .

ولم تلق الراسمالية الطفيلية أسلحتها ، وأخذت تمارس نشاطها ، بوسائل وأساليب مغـايرة ، مواصلة تحقيق أطماعها الاستغلالية ، وتطلعاتها عن طريق تطويق القطاع العام ، ونهب المستهلكين عن طريق السوق وبدات عناصر جديدة تظهر الى الوجود بعـــد التأميـــم أثرت واتخمت وراحت تتسلق كل المكاسب العظيمة وهكذا .. ففى ١٩٦٤ أكد **عبد الناصر** أنه :

« **ينبغى** لنا مهما كان الثمن الا نسمح **بظهور طبقة جديدة** ، تظن ان الامتيازات أرث لها ، بعد الطبقة القديمة . وعلينا ان نقاوم مثل هذا الانحراف ، ونقومه، ونثور عليه اذا اقتضى الامر ، ونجرده من اى سلاح ، يكون قد حصل عليه ، لان هذا السلاح سوف يتجه ـ فى لحظة تواتيه الفرصة ـ الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة » (٠)

ان ما حذر منه **عبد الناصر** أخذ ينمو على حساب التقدم محتفظا بطابعه الطفيلى ، الذى أشرنا اليه فى الفقرات السابقة . وأبرز أمثلة هذا النمو الطفيلى نجدها فى قطاع المقاولات (٠) ففى هذا القطاع استمر مقاولو القطاع الخاص ، بعد التأميم فى الحصول على جميع الارباح الزائدة ، هذه الارباح التى فقدها القطاع العام نتيجة تعقد نظمه الادارية والمكتبية وأجهزته المالية والمحاسبية . فى ١٩٦٦ استطاع مقاولو الباطن خلال ٥ سنوات من السيطرة على ٦٠٪ فى المائة فى المتوسط من مشروعات شركات القطاع العام ، ووصلت النسبة الى ٧٠٪ فى المائة فـى بعض الحالات . وفى الحساب الختامى ، كانت قيمة المشروعات الانشائية التى تولوا تنفيذها ١٢٠٠ مليون جنيه من ٢٠٠٠ مليون جنيه تصرفها الدولة (٠) ومن ٧٠٠ الف عامل بناء كان ٥٠٠ الف عامل تحت سيطرة مقاولى الباطن (٠) ويحصل مقاولو الباطن على ٣٠٪ فى المائة من اجور العمال (٠) وازدادت قدرة مقاولى الباطن على سحب أكبر كمية من الخامات اللازمة لعمليات الانشاء من الاسواق . فنجد مثلا ان ٣٢٠ من مقاولى الباطن للزجاج يسحبون ٩٠ فى المائة من انتاج الزجاج فى الاسواق (٠) وفى مجال الزراعة وحيث أن ٧٠٪ فى المائة من عملياتها اعمال

رى وحفر ، تكون لمقاولى القطاع الخاص السيادة والسيطرة .

ويستخدم مقاولو القطاع الخاص كل الامكانيات والقدرات المتاحة لصالحهم . فهم يستخدمون مقدم المقاولة فى تنفيذ مشروعات اخرى فى مناطق غير المناطق المتعاقد على التنفيذ فيها ، ولا يهم الانجاز فى المواعيد . وفى المناقصات يحصلون على أكبر معدلات ربح نتيجة التكتل والاتفاقات الخفية (٠)

واذا تركنا مجال المقاولات الى مجال التجارة، نجد هذه المجموعات الطفيلية تتسلق كل المكاسب الثورية وتحقق ارباحا احتكارية ـ فـ ٢١٩ من بين ٦ آلاف تاجر جملة يربحون وحدهم ٢٫٥ مليون جنيه فى السنة (٠) وفى سوق البضائع المهربة نجد ٤٢ ملكا لهذا السوق يتعاملون فى ١٠ ملايين من الجنيهات (٠)

قال **عبد الناصر** فى حديثه الى مؤتمر المبعوثين فى اغسطس ١٩٦٦ : « احنا فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية وهى اصعب مراحل العمل ، لو كنا وصلنا للاشتراكية كان والله يكون كويس . لكن وصلنا ماوصلناش . وانا باقولك فيه راسمالية النهاردة . من مفيش بيطلع ناس بتعمل مليون واثنين مليون جنيه قدام عينى (٠) وانا مش قادر نعمل حاجة (٠) وانا شايف المواضيع دى لغاية ما خدنا القرار بأن احنا نعمل هذه العملية فى ثلاث سنين » (٠)

ثم أضاف : « اتكلمتم النهاردة الصبح ان فيه طبقة جديدة ، وباقول لكم ان فيه طبقات جديدة مش طبقة واحدة (٠) فيه طبقة جديدة لا يقصد بها الرجعيون اللى بيتكلموا ويسيئوا ، وهى طبقـــة المقاولين وتجار الجملة اللى بيشتغلوا فى تجارة الجملة ، بيشتغلوا فى ١٥٠ مليون جنيـه ، وبيشتغل فيها تجار نصف الجملة (٠)

« تاجر الجملة ممكن يكسب فى اليوم آلاف الجنيهات ، خلقنا رأسمالية جديدة ، بالنسبة لتجار الجملة ومقاولى القطاع الخاص اللى بياخدوا ٦٠ فى المائة من مبانى البلد، وانا تكلمت عن كده قبل كده ، وقلت فى خلال ثلاث سنين تجارة الجملة كلها تكون تابعة للدولة ، والمقاولات تصل الى ٨٠ فى المائة للقطاع العام » (٠)

« هو وفقا للميثاق طبعا بنقول ان فيه رأسمالية وطنية داخل قوى الشعب العاملة (٠) ولكن أنا فى خطبتى اللى انا اتكلمت فيها فى مارس (مارس

١٩٦٦) ودى خطبة السويس انا اتكلمت بالذات فى هذه الخطبة عن **الرأسمالية اللى زاد غناها** ، وعدد الرأسماليين بيزيد النهاردة عن عدد يمكن الرأسماليين اللى كانوا موجودين من قبل الثورة . وانا تكلمت فى نفس الخطبة عن نقطتين بالذات : تجار الجملة والمقاولين طبعا أى رأسمالية مستغلة لا يمكن بحال أن تكون رأسمالية وطنية ويجب ان تصفى » .

وهكذا نجد أن قيادة يوليو وهى فى صراع مستمر مع ما كان يسميه عبد الناصر « البروز الرأسمالى » قد فرقت بين الرأسمالية الطفيلية هذه الطبقة التى رفضت وترفض أى بعد اجتماعى للثورة — والتى لا تطمئن على أرباحها الطفيلية والاحتكارية مع أى بعد وطنى ديمقراطى لثورة يوليو — وبين الرأسمالية الوطنية التى رأت قيادة يوليو ، انها وطنية ، بحكم تطلعاتها لبناء اقتصاد وطنى مستقل ، وبحكم عدم تطورها الى مرحلة احتكار السوق ، وتكديس ارباحها عن طريق العمل الغير متبع .

وليس من شك فى ان خطر الرأسمالية الطفيلية يزداد بصفة خاصة فى ظروف المواجهة الشاملة للعدو الامبريالى الصهيونى . وذلك لان هذه الطبقة بحكم طفيليتها تسعى للافادة من أى ازمات تسببها معركتنا مع العدو . واليوم وكل عمليات الانتاج والتجارة الخارجية توجه لتوفير متطلبات المجهود الحربى والاستمرار فى خطة تنمية البلاد — فانه سيترتب على هذه الاوضاع اختناقات وأزمات توجب تضحيات من المواطنين اسهاما منهم فى معركة المصير . ومن هنا فانه لا يجوز ، بأى حال ، ان يسمح لاى طبقة طفيلية ان تستغل هذه الاختناقات والازمات على حساب تضحيات مجموع تحالف قوى الشعب العامل . ان الرأسمالية الطفيلية وخاصة فى قطاع المقاولات والتجارة ، سوف تحاول بكل وسائلها ان تفيد من الاختناقات ومن ضعف وتطلع بعض الطبقات لتحقق سيطرتها .

والمعركة الطويلة بين ثورة يوليو وبين الرأسمالية الطفيلية ، مازالت قائمة . وهى فى نفس الوقت معركة تحالف قوى الشعب العامل من أجل بناء اقتصاد وطنى ديمقراطى مستقل ، ومن أجل تحرير الارض .

قال الرئيس أنور السادات فى خطابه فى ٢٤ يوليو ١٩٧٢ : « ان الدرس الاعظم الذى نستفيده من خبرة العشرين عاما الماضية ، هو ان الاستعمار واعوانه من الرجعيين يتربصون دائما بنضال الشعب ومنجزاته . يريدون الانقضاض عليها والارتداد بالجماهير الى اشكال من التبعية والاستغلال ، وأن سلاحنا قوى الشعب العامل واليقظة الدائمة والحرص على استمرار الثورة » .

الحـــد من الدخـــول الطفيليـــة

فى قطـــاع المقـــاولات

مهندس فوزى حبشى

الصفات المميزة لقطاع المقاولات

يتصف قطاع المقاولات وهو أحد فروع الانتاج المادى الاساسية ، بعدد من المميزات التكنيكية والاقتصادية ، النابعة من الطبيعة الخاصة لمنتجاته وذلك من حيث انها ثابتة لارتباطها بالارض او انها تكون جزءا لا يتجزا منها (مثل المساكن ، والمصانع ، والطرق ، والانفاق ، والكبارى ..الخ) . ومن طبيعة أدوات انتاج هذا القطاع أن توجد دائما فى حالة حركة مستمرة خلال حركة التشغيل (الانتاج) المتعاقبة ، حيث أنها لابد أن تنتقل باستمرار من موقع الى آخر ، وذلك على عكس القطاعات الانتاجية الاخرى .

وكذلك من طبيعة منتجات هذا القطاع ان يتطلب اخراجها الى حيز الوجود نفقات كبيرة نسبيا ، ومسحوبة على مدة طويلة زمنيا .

ويتحتم علينا أن ندرك ، بجانب تلك المميزات العامة سالفة الذكر ، السمات الخاصة التى يتصف بها تكوين هذا القطاع فى بلادنا .

قطاع المقاولات قبل التأميم

ولعل أبرز تلك السمات الخاصة ، هى ان قطاع المقاولات فى بلادنا كان وما يزال يعتمد التنفيذ فيه ، أساسا على الانتاج اليدوى الحرفى ، البعيد عن الاساليب الصناعية فى البناء ، ومن ثم سادت داخله علاقات انتاجية متخلفة ، حافظ وهيمن عليها المقاولون .

فقبل عام ١٩٦١ ، ومنذ ان بدات تنفذ مشروعات رأسمالية فى بلادنا ، تزايد حجم الاعمال المطروحة للتنفيذ زيادة كبيرة ، وبرزت الحاجة الى تشييد أو اقامة منشآت ومشاريع ضخمة ومتنوعة ، من حيث الفن الهندسى .

وقد أدى هذا الى نمو دور المقاول العام الى درجة كبيرة ، وتطورت اشكال وأساليب تنفيذ الوحدات المشتغلة بأعمال المقاولات ، وتدعمت امكانياتها المادية والبشرية . ونمت فى قطاع المقاولات ، كما نمت فى غيره من قطاعات الانتاج المادية ، القمم الاحتكارية المسيطرة على هذا النوع من فروع الانتاج .

وقد تحول معظم المقاولين الكبار وشركاتهم الى مجرد وسطاء مولين فى الاساس ، ويقوم خبراؤهم وهم قليلو العدد ، بدراسة عطاءات العملية المطروحة ، وعندما ترسو عليهم احدى العمليات ، تجزا الى مجموعات عديدة من العمليات لكى توزع على مقاولى الباطن من الصف الثانى الذين يقومون ، بدورهم ، باعادة توزيعها ، مرة أخرى ، على مقاولى الصف الثالث . وهكذا ، تتوالى عمليات التجزئة والتوزيع ، وتتعدد حلقات

الوساطة ، لتصل فى نهاية المطـــاف ، للمنتج الحقيقى أى العمال والحرفيين · وهكذا تحولت معظم الشركات الكبيرة الى بنوك من نوع خاص ، بعيدة كل البعد ، عن عمليات الانتاج ، قابضة ، بدرجة أو أخرى ، على أغلب وحدات القطاع مستغلة بشدة القاعدة الواسعة من المنتجيـن الحقيقيين من الحرفيين والعمال ، كل هذا تحت ستار فكرة المقاولة ·

وهكذا لم يسع المسيطرون على مصير هـــذا القطاع ، عامة ، الى تطويروسائل انتاج الوحدات الاخرى المتعاونة معهم ، ذلك أن أساليب الانتاج السائدة والمتخلفة ، كانت تحقق لهم أكبر قدر من الارباح ·

عجز القطاع عن الوفاء الكامل بالاهـــداف المحـــددة فى الخطـــة

ولعل من اهم المشكلات التى جابهت هذا القطاع الانتاجى الهام ، هى عجزه المستمر عن الوفاء بتنفيذ الاهداف المحددة له ، وان نسبة هامةمن هذا العجز ، مرتبطة بالضعف فى تنفيذ أعمال المبانىوالتشييدات التى تمثل وحدها حوالىنصف الاستثمارات المقررة فى الخطط السنوية المختلفة ، الامر الذى كان له أثره فى تخلف تحقيق مختلف الاستثمارات الاجمالية المستهدفة ، وبالتالى ،عدم تحقيق الاهداف المقررة فى مختلف اطارات الخطط السنوية ·

وفى مقدمة أسباب هذا التخلف ، أن وحدات القطاع العام للمقاولات لم تتمكن من القيام بالتنفيذ المباشر ، واتجهت فى تنفيذ أعمالها الى القطاع الخاص ومقاولى الباطن ، وفقدت بذلك ، قدرتها على التحكم المباشر الفعلى فى تنفيـــذ برامـــج وأهداف الخطة المقررة ، لانجاز أكبر قدر من الاهداف ، فى أقل وقت ممكن ، وبكفاية مناسبة · هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان محاولة التشغيل المباشر (أو الذاتى) فى الشركات التى أممت ، فى ظل تخلف أسلوب الانتاج السائد ، واسلوب الانتاج اليدوى ،نقول كانت هذه المحاولة لابد وأن تؤدى ، الى زيادة باهظة فى التكاليف ·

غير أن كل تلك المسائل لم تعد مبررا على الاطلاق لاستمرار تلك الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة الاعتماد على القطاع الخاص ، والتى يجب التصدى لها فورا ، على ضوء تجربة السنوات الماضية وما قدمته من حلول بديلة للوضع القائم حاليا ·

واذا اقتربنا من قطاع المقاولات فى مجـال التشييد الصناعى أو على وجه التحديد فى مجال التركيبات الميكانيكية والكهربائية نجد العجب ، والدخول الطفيلية تزداد ارتفاعا ·

فقد جرت العادة ، فيما يتعلق بتركيب الالات ، أن تقوم بها اقسام التركيب بشركات الاستيراد التى كانت تمثل البيوت الموردة للالات تجاريا فى مصر · ونظرا لان هذه الشركات يغلب عليها الطابع التجارى ، وهى مجرد امتداد لبيـوت التوكيلات التجارية السابقة ، فانها ، فى العادة ، لا يتوفر لديها من المهندسين والعمال والفنيين ما يكفى لقيامها بأعمال التركيبات الفعلية · وانما جرت العادة علىأن تعهد بها الى عدد منالمقاولين المتخصصين ، وذلك كل فيما يتخصص فيه · ثم تكتفى هى بالاشرافوتحمل المسئولية ، نظير نسبة مئوية من التكاليف الفعلية ، بالاضافة الى الربح الذى تحققه من عملية الوكالـة التجـارية والاستيراد ·

وهذا الوضع لم يتغير كثيرا بعد التأميم ، حيث بقيت اهم شركات المقاولات التى تقوم بتركيب المصانع والمرافق العامة تابعة لقطاع التجارة ، وذلك باستثناء بعض شركات تابعة لقطاع التشييد أو الصناعة ،وشركتين أو ثلاثة ، أنشئت أخيرافى قطاع الكهرباء مستفيدين من الخبرة الفنية ، التى حصلنا عليها بعد الانتهاء من أعمال تركيبات محطة كهرباء السد العالى ·

وتحت يدنا جدول يعطى الارقام التقريبية فى عام ١٩٦٨ لحجم الاعمال والعمالة ونسبة التنفيذ الذاتى لاهم الشركات التى تعمل فى التركيبات الميكانيكية والكهربائية وبالتالى فى قطاع التشييد الصناعى ·

اسم الشركة	رقم الاعمال السلوى	نسبة التنفيذ الذاتى	عدد العاملين المؤقتين	عدد العاملين الدائمين
النصر للمقاولات الميكانيكية والكهربالية	٢ر٢٠٠ر٠٠٠	٩٥ ٪	٨٥٠	٢٠
النصر للتصدير والاستيراد	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٥ ٪	٥٠٢٢	٧
العامة للاعمال الهندسية	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	٨٥ ٪	١٨٠٠	٣٠
المحاريث والهندسة	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥ ٪	١٨٠	١٢
مصر للمخازن الهندسية	٢٥٠ر٠٠٠	١٥ ٪	—	١٠

ويتبين من الجدول أن مجموع العاملين بهذه الشركات والشركات المماثلة بالقطاع لا يتجاوز العشرة آلاف عامل بين دائمين ومؤقتين ،وان عدد المهندسين لا يتجاوز المئات .

وهذا يعنى ، أن مقاولات الباطن ماتزال تسيطر حاليا على نسبة ضخمة من أعمال التركيبات الميكانيكية والكهربائية فى قطاع التشييد الصناعى (كذلك فى قطاع محطات القوى والمرافق من مياه ومجارى شبكات الكهرباء ... الخ) . ولكن الجديد فى الامر هو نشأة جيل من العمال المدربين ، وبعضهم على درجة عالية من الكفاءة ، ويحصلون على أجور مرتفعة . ولكن أوضاعهم لا تزال غير مستقرة ، بسبب انتقالهم من مقاول الى آخر ومن شركة الى أخرى ، حسب التغيير فى العمليات المختلفة . ويضاف الى هذه الفئة من العمال المؤقتين ،فئة أخرى من العمال ذوى الخبرة الطويلة من الذين يعملون فى أقسام الصيانة بالمرافق المختلفة ، ولا يحصلون - رغم خبرتهم الكبيرة - الا على أجور منخفضة نسبيا فى الحدود التى تسمح بها لوائح العاملين الحكوميين . وهؤلاء يعملون فى غير أوقات عملهم الرسمية عند مقاول القطاع الخاص ، ويقومون بنسبة كبيرة من أعمال التركيبات الميكانيكية فى قطاعات التشييد الصناعى .

ولقد عملت كل هذه العوامل السابقة الذكر على اختفاء ظاهرة التخصص : فجميـــع شركـــات التركيبات التى تحدثنا عنها ، تقوم بكل أنواع التركيبات الميكانيكية (تركيب مصانع ومحطات قوى وشبكات مياه وكهرباء ومرافق ... الخ) ، ولم يظهر أى اتجاه نحو تخصص كل منهما فى نوع الاعمال المبينة ، على الرغم ما فى ذلك من فائدة محققة . والسبب واضح :

فحيث لا تقوم الشركات باعمال التركيب بقواها الذاتية ، بل تعهد بها الى المقاولين من الباطن ، لا تظهر لديها الحاجة للتخصص ، وحتى اذا كان ثمة تخصص ، فانه بين مقاولى الباطن فى القطاع الخاص ، وحتى هؤلاء تدفعهم الرغبة فى تحقيق أكبر ربح فى أسرع وقت الى قبول جميع الاعمال التى تعرض عليهم . وفى حالة عدم توفر الخبرة لديهم يعهدون بها من الباطن الى مقاولين أصغر وأكثر منهم تخصصا .

وحتى بالنسبة للشركات التى تقوم بتنفيذ نسبة كبيرة من العمليات المعهودة بها اليها ، بقواها الذاتية ، فان طاقتها التنفيذية لازالت أقل بكثير من الاعمال التى يعهد بها اليها ، وهذا يضطرها أحيانا الى الالتجاء الى مقاولى الباطن .

وتؤدى هذه الاوضاع جميعها الى ارتفاع كبير فى تكاليف أعمال التركيبات (الالات والمصانع .. الخ) ، فحيث تتعدد مستويات مقاولى الباطن من شركة القطاع العام ، الى مقاول تركيب متوسط ، الى مقاول تركيب متخصص ، الى رئيس عمال ، بالتنفيذ على شكل مقاولة (يلتزم هو فيها بأجور العمال المساعدين وغير الفنيين .. الخ) يقتطع كل من هؤلاء نسبة ارباح قيمتها لا تقل عن ٢٥ فى المائة من التكلفة الفعلية للاعمال وقد تصل الى ١٠٠ فى المائة من قيمتها ، وترتفع تبعا لذلك تكاليف التركيب بشكل غير عادى .

وضع القطاع الخاص للمقاولات

لعل من أصعب وأعقد الامور اليوم ، تحديد وحصر الدور الذى يقوم به القطاع الخاص فى قطاعات الانتاج ، وعلى الاخص ، فى مجـــال المقاولات . وذلك ليس فقط لندرة البيـــانات والاحصائيات المتعلقة بهذا القطاع ، ولكن أيضا ، لطبيعة الاشكال والاساليب التى يزاول بها أغلب مقاولى الباطن نشاطهم وهم العمود الفقرى للقطاع الخاص .

فلقد استطاعت وحدات القطاع الخـــاص للمقاولات التى تبقت بعد قوانين التاميم ، رغم صغر حجم ما تملك من رأس مال وامكانيات ، ورغم الحد الاعلى لقيمة العمليات التى يمكن ان يسند اليها ، نقول .. استطاعت هذه الوحدات ، ان تنفذ بالفعل حوالى ٨٠ فى المائة من قيمـــة استثمارات خطة التنمية فى قطاع المقاولات التى تبلغ ٧٧١ مليون جنيه والتى تمثل ٤٧ فى المائة من مجموع استثمارات خطة التنمية الاولى ، بينما لم تنفذ كل شركات القطاع العام سوى ٢٠ فى المائة من قيمة هذه الاستثمارات سالفة الذكر .

وفى الحقيقة لم يعد يكفى ، عمليا ، ارجاع سبب هذه الظاهرة الى مجرد ضعف الكفاءة التنفيذية للقطاع العام وعجزه الموضوعى عن التنفيـذ المباشر (الذاتى) فكل هذه المسائل يمكن أن تندرج تحت باب الاسباب الذاتية لتلك الظاهرة ، فما أسهل أن يحمل القطاع العام والمسئولون عنه أسباب تلك الظاهرة .

ولكن هذا القول يطرح الثلاث نقاط التالية للمناقشة :

١ - السبب الاصيل وراء تلك الظاهرة يكمن فيما يلى :

أ - ان جانبا من الرأسمالية الكبيرة المستغلة ظلت بعد اجراءات يوليو ١٩٦١ ، محتفظة بجزء

من رأسمالها بالاضافة الى ما لديها من خبرة مكتسبة تاريخيا فى التنظيم وادارة المشروعات ، وقد وجدت تلك الفئة فى قطاع المقاولات والتوريدات العامة وتجارة الجملة ، تربة صالحة لاستثماراتها الطفيلية ، فوجهت وركزت نشاطها على قطاع المقاولات ، وساعدها ودعم مركزها العناصر اللصيقة بها والتى انضمت للقطاع العام فى بعض شركاته ٠

ب ـ وبجانب هؤلاء وجد مقاولو الباطن ، وكبار الحرفيين بأسلوب انتاجهم الصغير والمتخلف ، ذلك الاسلوب القادر دائما على أن يولد عناصر رأسمالية جديدة .

وهكذا تشكلت من هذه العناصر مع بقايا الرأسمالية الكبيرة فئة طفيلية كبيرة ، هيأت ، ولا شك ، الفرص الموضوعية لدعم مواقع الرأسمالية الطفيلية ٠

ومعنى هذا كله انه تقف وراء هذا القطاع الخاص بوضعه الراهن قوى مازال لها وزن وتأثير كبير فعال .

ج ـ غير أن هذا السبب الاجتماعى لا يكفى وحده ليحرك هذه الفئات ، سالفة الذكر ٠ فهناك ايضا ، **عامل الربح السهل**. ذلك انه يتحقق لهم من وراء ذلك الربح الوفير الذى يتم على حساب استنزاف موارد القطاع العام ، وحتى بعد أن حددت قانونا فرص الاستثمار امام رأس المال الخاص فى قطاع المقاولات ، استطاعت حفنة من أصحاب شركات القطاع الخاص للمقاولات ان تحقق صافى ربح رسمى سنة ١٩٦٨ قدر بـ ٣٩ مليون جنيه ٠

٢ ـ طبيعة نشاط المقاولات ساعدت على نمو دور مقاولى الباطن :

ا ـ ان عمليات المقاولات لا تحتاج عادة الى رأس مال كبير دفعة واحدة ٠ فتنفيذ عمليات ذات قيمة كبيرة يمكن ان يتم بقدر محدود من رأس المال . اذ يستطيع المقاول ان ينفذ عمليات عديدة وكبيرة قد تبلغ قيمتها من خمسة الى عشرة أمثال رأس ماله الخاص ٠

ب ـ والمقاول ، وخاصة مقاول الباطن غير مضطر لتجميد جانب من رأس ماله فى صورة الات ومعدات كى يقوم بالتنفيذ ، اى الانتاج ٠ وهذا يتيح له اكبر الفرص لتصفية مركزه فى انسب الظروف التى يحددها هو لنفسه ، من غير أن يعرض رأس ماله الاستثمارى لاية مخاطر تذكر ٠ ولهذا فان كثيرا من الرأسماليين يفضلون حاليا تمويل هذا النوع من النشاط الذى يتوفر فيه الربح الوفير ، المأمون العواقب .

ج ـ تخلف علاقات الانتاج داخل القطاع ساعدت وتساعد مقاولى الباطن على ربط العمال والحرفيين بهم ٠ وتمكنهم بصور مختلفة من التهرب من تنفيذ المزايا **الاجتماعية** التى كفلتها للعمال قوانين ١٩٦١ ٠ وهكذا يقل عبء وتكاليف العمالة على المشتغلين بنشاط المقاولات ، بالاضافة الى عدم التزامهم بتطبيق قوانين العمل ، وذلك على العكس مما يتم بالنسبة للرأسماليين المشتغلين فى قطاع الصناعة مثلا حيث تقل الى حد كبير امكانيات التهرب او عدم الالتزام بالقوانين سالفة الذكر ٠

٣ ـ هل هناك ضرورة لوجود القطاع الخاص للمقاولات :

وعند هذا الحد يحق لنا ان نتساءل عن ضرورة وجود القطاع الخاص للمقاولات ٠ وقبل ان نجيب بالنفى او بالايجاب على هذا السؤال : **نرى انه من الخطا ان تكون وجهة النظر الاجتماعية والعقائدية هما فقط اللتان تحكمان الرد على هذا السؤال ، اذ ينبغى ان نضع فى الاعتبار الاساس الاقتصادى المتعلق بانتاجية هذا القطاع ٠**

فالاشتراكية وهى تطالب بتصفية كل أشكال الاستغلال الرأسمالى الطفيلى ، فانها تتميز ايضا بانها نظام للانتاج الالى الكبير ، ومن ثم فهى تؤمم وسائل الانتاج الكبير القائم ، ثم تعمل فى نفس الوقت ـ على تحويل الانتاج الصغير الى انتاج كبير ، لكى تطور انتاج وانتاجية تلك الوحدات الصغيرة لصالح الاقتصاد القومى ٠ ذلك ان وجود تلك الوحدات الصغيرة ذاتها مرتبط بالمستوى المتخلف لتطور قوى انتاجها ٠٠ واذا كان هذا صحيحا بالنسبة للوحدات الانتاجية فى قطاع الصناعة ، فانه لا ينسحب على الوحدات الصغيرة العاملة فى قطاع المقاولات ٠ لان اغلب الوحدات لا تشتغل بالانتاج المباشر ، وانما هى فى الاساس تعمل بالوساطة بين القطاع العام والعمال والحرفيين ٠

ومن هنا فان دور تلك الوحدات ، فى قطاع المقاولات دور طفيلى ، لا يمثل اى ضرورة موضوعية لانتاج او لتطوير انتاج ، وانتاجية قطاع المقاولات ، وبالتالى تصبح تصفية هذه الوحدات امرا يستحق الدراسة ٠

غير ان المسالة فى التطبيق لا تحل بهذه البساطة فالقطاع الخاص للمقاولات مازال يتحكم ويهيمن على مصير تنفيذ خطط التنمية ، ومثل هذا الوضع

يمثل خطورة كبيرة ، على مشروعات خطة الانجاز . والتصفية الفورية للقطاع الخاص غير ممكنة ، ومن ثم يجب اولا ، ان نتجه نحو البديل المباشر الذى يمكن أن يتجسد فى أكثر من شكل .

والى أن نجد البديل وتطوره ، فانه سوف يبقى لوحدات القطاع الخاص دور ما . ولابد أن يحدد نصيبه بالشكل الذى يخدم اولا واخيرا دور ومهام القطاع العام للمقاولات ويحقق له القيادة والهيمنة ، مع افساح المجال للكفاءات والخبرة التى يمثلها بعض المشتغلين بالقطاع الخاص للمقاولات .

التشغيل الذاتى كأحد الاشكال البديلة للقطاع الخاص فى المقاولات

المقصود هنا بعبارة « التشغيل الذاتى » هو قيام شركات المقاولات التابعة للقطاع العام بتنفيذ ما يعهد اليها به من عمليات بنفسها وبعمالها الدائمين والمؤقتين بدلا من أن تعهد بالجزء الاكبر منها الى مقاولى الباطن .

وليس التشغيل الذاتى بديلا للقطاع الخاص فى المقاولات فحسب ، بل هو وسيلة أساسية لتطوير انتاج وانتاجية قطاع المقاولات .

وهناك اتجاهان فيما يتعلق بفكرة التشغيل الذاتى يجب الحذر من الوقوع فى احدهما :

الاتجاه الاول :ويطالب بتحقيق التشغيل الذاتى فورا ،وعلى نطاق شركات القطاع العام المقاولات ومن ثم يفسر تحقيق التشغيل الذاتى على انه توسع فورى فى العمالة الثابتة التابعة مباشرة لشركات المقاولات . وخطأ ذلك انه يؤدى الى :

ا ــ ارتفاع تكاليف التنفيذ بسبب عدم ضمان التشغيل المنتظم والمستمر لدواليب العمل ، وللفرق التى سيتم تعيينها كى تتمكن شركات المقاولات من تنفيذ الاعمال المتعددة والمختلفة البنود ، والموكل تنفيذها اليها .

ب ــ تحول القوى العاملة المعينة لتنفيذ هذه الاعمال من العمل بالمقطوعية ــ ادى مقاول الباطن ــ الى العمل بالاجر الثابت غير مرتبط بالانتاج ، مما يترتب عليه ــ بالطبع فى النهاية ــ خفض انتاجية العمل .

وبالتالى ، يتبين ان التشغيل الذاتى الفورى شعار متحمس ، ولكنه غير واقعى وتنفيذه بالوضع الراهن لشركات المقاولات يؤدى الى اثبات فشل التجربة .

الاتجاه الثانى : وهو يعارض تطبيق التشغيل الذاتى فى هذه المرحلة من حيث المبدأ لاكثر من سبب .

وهذا الاتجاه يبقى عمليا على الاوضاع الحالية لقطاع المقاولات ، سواء على أوضاع شركات القطاع العام ، أو على أوضاع مقاولى الباطن ، ومن ثم ، لا يتمشى هذا الاتجاه ، مع المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية لمرحلة التنمية .

وأصحاب هذا الرأى، يستندون ــ أساسا ــ الى فكرتين :

ا ــ التقليل من المخاطرة بتحميلها على عاتق مقاول الباطن .

ب ــ المغالاة فى تقدير احتمالات ارتفاع تكلفة التنفيذ فى التشغيل الذاتى ، وذلك بالمقارنة بما يستطيع أن يحققه مقاول القطاع الخاص بفضل خبرته فى العمل الذى تخصص فيه ، وبفضل قدرته المرنة على مكافأة المجدين من عماله ، ولتهربه ــ فى غالب الاحيان ــ من تنفيذ قوانين العمل ، ولعلاقاته القبلية التقليدية باتباعه .

وكلا الاتجاهين خاطىء . أما هدف التشغيل الذاتى السليم ، فيمكن تحقيقه على مراحل ووفقا لشروط معينة . ونقطة البداية فى تحقيقه هى البدء بتطبيقه فى الاعمال التى تتوفر فيها الخصائص التالية :

١ ــ قلة بنود العملية المراد تنفيذها ذاتيا بحيث يمكن التحكم فى عدد ونوع الفرق المطلوبة لانجاز العمل ، وضبط التوقيت اللازم لانجاز مراحل العمل التالية المختلفة .

٢ ــ توفر عنصر التكرار لهذه البنود بحيث يضمن ، مع مراعاة ، التوقيت باستمرار ، عمل الفرق كلها بطريقة متصلة من بداية العمل حتى نهايته .

٣ ــ تحديد معدلات أداء للعاملين لمختلف أنواع العمل .

٤ ــ الاخذ بفكرة ربط الاجر بالانتاج .

٥ ــ اعداد دراسة تفصيلية جادة بالامكانيات المادية والبشرية التى يتطلبها انجاز العمل المراد تنفيذه ذاتيا فى الموعد المحدد فى برامج التنفيذ .

ولا يعنى هذا ، أن وحدات شركات القطاع العام للمقاولات التى لا تتوفر لبنود أعمالها الشروط السالفة ، يجب ان تبقى على وضعها الحالى ،بل يمكن أن تبدأ بتكوين حد أدنى من الفرق الثابتة يتناسب مع الكمية المستمرة من العمل المتكرر، وتغطى على ذبذبة كميــة العمال اليوميــة فرق احتياطية ، اما عن طريق عمال مؤقتين ، واما عن طريق مقاولى الباطن .

وانطلاقا من نقطة البداية ، هذه ، يمكن التوسع تدريجيا فى التشغيل الذاتى ، كلما ازداد الاخذ بمبدأ التخصص النوعى فى الشركات .

دخـــــول طفيليـــــة تســـــتغل

أزمـــة المســـاكن

د . ميلاد حنا

مع بداية ثورة ١٩٥٢، كانت أصـابع الاتهام تشير بشدة الى الاقطاع فى الريف . ولم يكن مصادفة أن تكون قوانين الاصلاح الزراعى من أولى التشريعات الثورية .. ولما أممت الشركـات الصناعية والتجارية الكبيرة ضمرت الراسمالية فى ميادين الصناعة الكبيرة وفى مجال التوكيلات التجارية ،فضمرت طبقات ،واضمحل نفوذ أخرى ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك شرائح اجتماعية أخرى قد ظهرت ونمت بل وترعرعت .

ومن بين هذه الشرائح فئة من ملاك العقارات الذين وجدوا المجال والامان فى هذا الاستثمار ، فنشأت فئات طفيلية من بينهم ، استغلت وجود أزمة الاسكان لتكوين أرباح باهظة ، واستطاعوا التحايل بمختلف الطرق على القوانين التى شرعت أساسا لمصلحة فئات القاعدة العريضة مـن محدودى الدخل .

رؤوس الاموال تحتمى فى المبانى

فيما عدا عقارات شركات التامين وبعض الافراد الذين وضعوا تحت الحراسة لسبب أو لاخر ، لم تفكر الثورة فى تأميم العقارات والمبانى ، وأغلب الظن أن ذلك كان نتيجة لتعقد مشاكل ادارة وصيانة العقـارات عـن طـريق الاسـاليب البيروقراطية السائدة فى دوائر الحكومة . فمع قوانين الاصلاح الزراعى ، اتجهت قطاعات من أصحاب رؤوس الاموال الى الابتعاد عن استثمار أموالها فى شراء الاراضى الزراعية ، بل ان البعض قد اكتشف أن استمرار تملكه لمساحة واسعة نسبيا لم يعد مجزيا ، ومن ثم اتجهت هذه القطاعات الى تملك العقارات فى المدن . اكثر من هذا ، فان قطاعات من الراسمالية فى المدينة (مثل التجار وأصحاب الورش المختلفة) ، اتجهوا الى بناء العمـارات تامينـا لجـزء من راس المـال ضـد التاميمات ، وذلك على طريقة المثل الانجليـزى الشهير « لا تضع كل البيض فى سلة واحدة » (ه)

وقد لوحظ أن عددا كبيرا من فئة التجـار وأصحاب الورش قد اكتسبوا خبرة ضخمة فى ميدان البناء والتشييد ، حتى صار كثيرون منهم من محترفى عملية البناء ، كما سنوضح فيما بعد . يضاف الى ذلك أن قطاعات واسعة من أصحاب المهن الحـرة (الاطباء والمهنـدسون والمحاسبون .. الخ) لم يجدوا أفضل من توظيف جزء من عائد العيادات والمكاتب ، فـى شكل عمارات سكنية كبيرة أو صغيرة ، تضمن لهم ولعائلاتهم دخلا ثابتا فى حالة ضمور المهنة أو لسبب آخر .

على أية حال ، كان هناك تيار واضح يدفع رؤوس اموال وطنية ، من منابع مختلفة ، ولاسباب متباينة ، تطلب الامان فى ميدان الملكية العقارية لابتعادها عن ميدان التأمين ، وان كانت هناك تشريعات تقلم أظافرها بين الحين والحين .

الثورة والمســاكن

اتجه مسلك الثورة من الملكية العقارية مسلكا فى اتجاهين متوازيين :

أولا : تخفيض ايجارات المساكن كل فترة زمنية كانت أولاها عـام ١٩٥٢ ، اذ خفضت الايجـارات

بمقدار ١٥ فى المائة ، ثم عام ١٩٥٨ فخفضت ايجارات المساكن ذاتها بمقدار ٢٠ فى المائة وفى عام ١٩٦١ خفضت المساكن مرة أخرى بمقدار ٣٥ فى المائة .

وكان هدف الحكومة من هذه التخفيضات التخفيف عن جموع الساكنين دون مساس بأموال الخزانة العامة ، وتعويضا غير مباشر عن الارتفاع الملحوظ فى الاسعار للمعيشة اليومية . وكان ذلك نجاحا سياسيا ملحوظا . ولكنه ، بسبب تحايلات والاعيب كثير من الملاك لم يؤد الى استقرار اقتصادى فى قطاع الاسكان ، بل ترتب عليه العديد من المشاكل القانونية التى تشغل ساحات القضاء بغزارة .

ثانيا : تحديد القيمة الايجارية : كانت القيمة الايجارية متروكة لما يسمى « العرض والطلب » ، أو الاتفاق الغير المتكافىء بين الساكن المحتاج وبين المالك المتحكم فى سلعة نادرة . وقد ترتب من توالى تشريعات تخفيض الايجارات ، أن توقع الملاك مفاجآت التخفيضات ، فتغالوا فى القيم الايجارية مما اضطر الحكومة للتفكير فى تشريع يحدد القيمة الايجارية فأصدرت عام ١٩٦٤ القانون رقم ٤٦ لعام ١٩٦٤ والذى يحدد العائد بمقدار ٨ فى المائة من تكلفة المبانى و ٥ فى المائة من قيمة الارض وقت الانشاء .

الا أن هذا التشريع كذلك لم يتمكن من تقديم حل مستقر ، وزاد عدد القضايا ، ونشطت مكاتب « الخبراء الهندسيون » ، وابتكر الملاك مزيدا من الحيل والالاعيب للوصول الى أقصى الارباح والعوائد .

تحـايلات الملاك

اطمئنانا من الملاك الى عدم تأميم العمارات ، وهروبا من التشريعات المفاجئة بالتخفيضات ، واستغلالا لازمة المساكن ، **اتجه الملاك الى عديد من السبل للحصول على دخول محدودة أحيانا ، وفاحشة أحيانا أخرى** . وذلك حسب الظروف والاوقات ، ووفقا لما يستشعرون من تشريعات وقوانين ، أو أوامر عسكرية تصدرها ، أو تنوى أن تصدرها الحكومة .

خلو الرجل والديكور

وهكذا ، فانه نتيجة لتشريعات المساكن ، ظهرت تناقضات واضحة فى ايجارات الوحدات السكنية المتماثلة طبقا للقانون الذى تخضع له ايجار هذه الوحدة أو تلك ، وعلى سبيل المثال ، يبلغ ايجار وحدة سكنية فى شبرا بنيت قبل الحرب فى الثلاثينات جنيهان ونصف . فى حين يصل ايجار وحدة أخرى ، مماثلة ، فى الطابق الذى يعلوه ، وكان قد بنى فى أوائل الخمسينات ، ضعف هذه القيمة . بينما يصل ايجار وحدة سكنية مماثلة وقريبة عشرة جنيهات لانه قد جرى عليها تخفيض واحد . بينما أصبح ايجار نفس السكن تقريبا خمسة عشر جنيها (لان المالك كان أكثر احتياطا ، ومتوقعا لتخفيضات عام ١٩٦٤) فأصر على كتابة العقود بايجارات وهمية عالية .

وفى مبنى قريب حددت اللجنة ايجار المسكن بحوالى عشرين جنيها تطبيقا لقواعد تحديد الايجارات القانونية .

وهذه كلها شقق صالحة للسكن بدرجات متفاوتة ، وكلها تحدد ايجارها طبقا لقانون أو لاخر ، ولكنها متباينة القيمة الايجارية حتى لقد يصل الفارق خمسة أضعاف أو يزيد .

ولذلك ابتكرت طريقة « خلو الرجل » ، يدفعه المستأجر الجديد تعويضا عن فرق الايجار ، لعدد من السنوات ، ويتقاسم هذا المبلغ كل من المالك والمستأجر القديم حسب الظروف والاحوال .

ولم يكن العلاج فعالا لايقاف هذا النوع من الاستغلال . ذلك أنه عندما أصدرت الحكومة قوانين أو أوامر عسكرية تدين « خلو الرجل » ، سارع بعض الملاك الى استخدام لفظ « الديكور » ، تحايلا على القوانين ووضعوا فى المسكن عدة كراس قديمة استيفاء للشكل ، وتهربا من نص القانون . وفى ذلك ، كانت السيادة الحقيقية للقانون الاقتصادى على التشريع ، تعبيرا عن واقع اجتماعى سائد فرضته تشريعات لم تدرس دراسة متكاملة .

الشقق المفروشــة

عندما ضيقت التشريعات الخناق لمحاصرة خلو الرجل ، اتجه عدد من الملاك الى تحويل المساكن الى شقق مفروشة ، راج سوقها نتيجة العدد المتزايد من الخبراء الاجانب للمشاريع الصناعية المختلفة ، والى رغبة أثرياء العرب قضاء بعض الصيف فى مصر . وتحولت كثير من عمارات القاهرة والاسكندرية الى فنادق تزخر بالداخلين والخارجين وتجلب الرزق للملاك النابهين الذين أخذت ارباحهم تتضخم بطريقة لا تتنافى مع القواعد الاقتصادية المعروفة فحسب ، بل وتتنافى ، كما هو واضح ، مع مصالح السكان محدودى الدخل ، الذين ارهقتهم ظاهرة كظاهرة « خلو الرجل » .

وفى محاولة للحد من هذه الظاهرة صدرت تشريعات لا تسمح بشقق مفروشة الا فى حدود مسكن واحد للعقار الواحد وللمالك الواحد . غير أن عددا من الملاك ، ما لبثوا أن اكتشفوا طرقا جديدة للتحايل ، وذرا للرماد فى عيون الرقباء

القانونيين ، ودفعا لبلاغات السكان المشردين ، حرروا العقود الوهمية مع الزوجة والاولاد والاصدقاء المقربين .

المكاسب السريعة

بطريقة « ابن وبع »

كان من نتيجة تحول قسم هام من رؤوس الاموال من الريف ، ومن عائدات المكاتب والعيادات ، كما سبق القول أن تكونت فئة جديدة، وجدت سوقا رائجة لشراء العقارات المبنية . بعض أفراد هذه الفئة من التجار الذين يستشعرون المجال الذى يعطى العائد الاكبر ، والاسرع . والبعض الاخر ممن جمعوا ثروات من المقاولات ، أو من أصحاب الورش التى تعمل فى ميدان الانشاء والتعمير . ان هؤلاء كلهم استهوتهم عمليات شراء أراضى المبانى « اللقطة » فى نواحى الميادين ، وتمرسوا فى مناقشة الخبراء المعماريين ، وخبروا أماكن شراء مواد البناء الرخيصة ، وكونوا حولهم طاقما من الصناع والبنائين ، حتى صاروا كأحسن المقاولين المحترفين .

لقد أتقنت هذه المجموعة أبعاد اللعبة ، وتمرست فيها ، وعرفت طريق البنوك العقارية ، والدفع بالاجل للموردين حتى يتم بيع العمارة . وفى خلال هذه العملية ، يتحقق عائد مضمون وسريع قد يصل أحيانا الى ٥٠ فى المائة من رأس المال الموظف ، بعد استبعاد ديون البنوك والموردين ، اذ تنتقل ديونهم للمالك الجديد الذى لا تسمح له ظروفه ـ كمهنى أو تاجر متفرغ لتجارة ـ بادارة عملية انشاء العمارة .

والمذهل فعلا ، أن **كل هذه الحركة من بيع ، وشراء ، وعقود ، وسلفيات .. الخ تتم فى وضح النهار ، بعيدا عن متناول أجهزة الضرائب حتى ارتفع رأس المال سنة بعد سنة ، وعمارة تلو عمارة .**

كانت هذه لعبة الخمسينات ، وأوائل الستينات ، حيث كان المشترون متوفرين .. ولكن مع استقرار رؤوس الاموال فى شكل بناء للعمارات ، ابتكرت مجموعة « **الراسماليين البنائين** » خبراتهم فى ميدان جديد .

آخر صيحة فى عالم

الاستغلال الاسكانى

بدأت « موضة » تمليك الشقق على شاطىء البحر فى سيدى بشر بالاسكندرية ، اذ استهوت كبار الموظفين فكرة شراء شقة لقضاء أجازة الصيف شهرين ، ثم يؤجر شهرا أو بعض شهر سدادا لمصروفاتها .. وكانت أسعار الشقق معقولة ، فى البداية ، تعطى عائدا للمالك الاصلى يصل الى ٢٠ فى المائة . ولكن مع نجاح الفكرة ارتفعت أسعار الشقق الى أرقام فلكية تعطى عائدا ضخما ، وسرعان ما انتقلت التقاليد الجديدة الى القاهرة ، فتجمع الرأسماليون ـ حتى الصناعيون منهم ـ لبناء مجمعات ضخمة وعالية لمشروع « **شقق خالية للتمليك** » وفى حوار مع أحد الشركاء فى هذه المشاريع أدركت انه لا توجد وسيلة مشروعة معروفة تعطى عائدا مثل هذه المشاريع اذ تصل فيه نسبة الربح الى حوالى ٥٠ فى المائة سنويا أى أن رأس المال يتضاعف كل سنتين تقريبا .

هنا يبدو كل شىء حلالا زلالا ،وفى وضح النهار: عملية بيع وشراء عاديتين . ولكن الوحدة السكنية التى يكلف بناؤها خمسة آلاف جنيه تباع بسبعة وثمانية وربما عشرة آلاف . المهم هو اختيار موقع رائع على النيل ، واجهات وطلاء ممتاز ، ترتيب الغرفات ومقاساتها ، من يستطيع أن يدفع أكثر ، الاهتمام بالرخام والاضاءة المخفية ، والقيشانى المستورد للحمامات .

والعجيب فى الامر أن العناية بالاساسات والخرسانات محدودة ان لم تكن معدومة . التوفير فى العظم والبذخ فى اللحم والجلد «والتشطيبات» التى تغرى الزبائن . أما الهيكل الخرسانى فلا يهم ، لانه لا أحد يراه . فقد تم البيع والشراء الحلال ليكن عمر العقار محدودا ، لا بل قد ينهار بعد سنوات ، الامر الذى يضر بالاقتصاد أشد الضرر . ان هذا لا يهم ، فقد سدد صاحب العقار اموال البنوك ، وحصل على الربح الحميد ليبنى عمارة أخرى .

والاعجب من هذا وذاك ، أن أسعار المواد اللازمة للبناء ، لم تعد تهم . فالمشترون جاهزون، وقد دفعوا المقدم . وهم يلحون على استلام المسكن المفروش . هنا ، أيضا ، يتم شراء ما يلزم لاعداد المسكن من السوق السوداء . وفى سبيل ذلك قد تستخدم الرشوة للحصول على الحديد والاسمنت ، بأى سعر ، وذلك كسبا للوقت ، ومن أجل الانتقال الى بناء عمارة أخرى ، وهكذا .

وبعد ...

فان هذه صورة لفئات اجتماعية ، تكدس دخولا طفيلية خيالية . وهى فى سعيها هذا ، تتهرب من اقرارات الضرائب ، وتحاول أن تستفيد من الثغرات الموجودة فى التشريعات ، مستغلة وجود أزمة فى الاسكان ، ووجود شرائح تستطيع أن تدفع أى مبلغ مهما بدا هائلا وكبيرا .

الدخـــــول الطفيليـــــة

فى تجـــارة الخضر والفـــاكهة

محمد حلمى ياسين

لا يحتاج الانسان الى أن يثبت الاهمية الحيوية لتوافر الخضر والفاكهـــة باعتبارها مصدرا اســـاسيا من مصادر التغذية . ومع ذلك فلقـــد اعتدنا على أن نسمع — بكيفية دورية — عن وقوع أزمات تتمثل ، تارة فى نقص نوع معين واساسى من الخضر ، وتارة اخرى فى ارتفاع سعره ارتفاعا يجعله فوق مستوى وامكانيات المواطن المحدودة الدخل .

والى جانب هذه الازمات ، التى كثيرا ما تكون مفتعلة ، فقد بات من الثابت ، تقريبا — أن يقترن نزول أى نوع من أنواع الخضر والفاكهة الى الاسواق — فى بداية المواسم — بارتفاع ، مبالغ فيه ، لسعرها ، وأن يستمر ذلك فترة ليســـت بالقصيرة .

وعند حدوث أزمة من هذه الازمات ، يجد المواطن نفسه أمام عدد متباين من التفسيرات والتصريحات ، كما تتعدد الاجراءات التى تقترح لحل الازمة . وهكذا :

— فان الاسباب قد تعود ، كما يقال — الى الاضرار التى أحدثتها تقلبات الجو ، والافات ، والتجار الجشعون الذيـــن يستغلون نقص المحاصيل ، ليحققوا ، عن طريق السوق السوداء ، أرباحا خيالية .

أما الحلول المقترحة دائما ، فهى زيادة رقعة الاراضى المنزرعة خضرا ، والتشديد على مراقبة الاسواق ، والالتزام بالتسعيرة .

وما أن تخف الازمة ، ويتوافر ما كان ناقصا من خضر أو فاكهة حتى تهدأ الحلول والقرارات ، ريثما تنفجر أزمة جديدة ، فى أنواع أخرى من الخضر والفاكهة .

والامر الذى لا شك فيه ، أن هذه الازمات سوف تتوالى وتتكرر ، طالما بقيت الاوضاع الراهنة فى انتاج وتسويق الخضر والفاكهة قائمة .

فالخضر والفاكهة نتاج ملكية خاصة ، وانتاجها يتم على أسس رأسمالية ، كما أن تسويقها يتم تحت السيطرة التامة لمجموعات من كبار التجار والوسطاء يحققون من وراء ذلك أرباحا مذهلة ، قد تزيد خلال فترات الازمات ولكنها تظل مـــع ذلك عالية جدا ، وبشكل ثابت ، على مدار العام كله .

وعلى الرغم من أن الهدف من هذا المقال هو توضيح مصادر الدخول الطفيلية فى تجارة الخضر والفاكهة - فانه يتعين علينا ، قبل أن نستعرض أسلوب تحقيق هذه الدخول ، أن نلقى نظرة شاملة على الاوضاع السائدة فى عمليات انتاج وتسويق الخضر والفاكهة - لنتبين الجذور الحقيقية للمشكلة ، والتى بدون معالجتها - سوف تبقى المشكلة بأزماتها المتوالية ، التى تضر المنتج الصغير كما تضر جمهور المستهلكين - بل ستبقى ، بالتالى ، أرباحها الطفيلية والخيالية التى تتدفق على جيوب حفنة من كبار التجار والوسطاء .

انتـــاج الخضر والفـاكهـة

ووزنه فى الاقتصاد الزراعى

اتسعت رقعة الاراضى الزراعية المخصصـــة للحدائق والبساتين من ٩٤ألف فدان عام ١٩٥٢ الى ١٧١ ألف فدان عام ٦٤ . ثم قفزت الى ٢٣٢ الف فدان عام ١٩٧٢ . ويقدر انتاج الفاكهة عام ١٩٦٦ بنحو مليون و ٣٣٤ الف طن قيمتها ٣٩٫٦ مليون جنيه . وفى عام ٦٦ قدرت مساحة الاراضى المنزرعة بالخضر فى العروات الثلاثة (شتوية وصيفية ونيلية) ٦٥٢ الـف فـدان انتجت ٤٫٩٢٨٫٠٠٠ طن ، قيمتها ٩٩ مليون و ٨٥٥ الف جنيه (وصلت الان مساحة الاراضى المنزرعة خضرا الى ما يقرب من ٨٠٠ الف فدان) .

وفى عام ٦٦ ، بلغ اجمالى قيمة انتاج الخضر والفاكهة نحو ١٤٠ مليون جنيه ، وهو ما يعادل ١٦ فى المائة من اجمالى قيمة الانتاج الزراعى كله .

وبعد قوانين تحديد الملكية الزراعية ، احتفظ الملاك الزراعيون بالحدائق فى اطار المســـاحة المصرح بها لهم ولعائلاتهم ، واتجهوا الى استغلال أراضيهم على أسس رأسمالية ، سعيا وراء تحقيق أكبر عائد ممكن ، مستفيدين الى أقصى حد مما تقدمه الجمعيات التعاونية الزراعية والبنـوك الزراعية من قروض وخدمات .

ويتمتع زراع الفاكهة ، من كبار الملاك وأغنياء الريف بخدمات كثيرة - تقدمها لهم الدولة ، فى صورة معدلات زائدة فى التسميد ، ونحو ٣٠ فى المائة من جملة ما يخص الزراعة مـــن المبيدات المستعملة فى مقاومة الافات ، وذلك بالاضافة الى ضآلة الضرائب المقررة على الاراضى المنـزرعة حدائق .

وهكذا ، بسبب صغر حجم القطاع العـام الزراعى ، المكون من (حدائق الاصلاح والاراضى المستصلحة) ، وبسبب عدم تطبيق ما دعا اليه **الميثاق : « من دعم الملكية الفردية للارض - بالتعاون الزراعى على امتداد مراحل عملية الانتاج فى الزراعة من بدايتها الى نهايتها »** الى أن يكون انتاج الخضر والفاكهة غير خاضع لخطة مرسومة ، ولان التعاونيـــات الزراعيـــة لم يتم تنظيمها ، حتى الان على أسس انتاجية كما دعا الى ذلك ، **برنامج العمل الوطنى** . نقول أن هذا كله قد أدى الى عدم خضوع انتـــاج الخضر والفاكهة لخطة مرسومة . تتوخى ، فى الاساس ، مصلحة كثيرين من المنتجين الصغار ، كما تتوخى مصلحة الجماهير الفقيرة من المستهلكين .

ماذا عن التسويق ؟

فاذا انتقلنا من مجال انتاج الخضر والفاكهة الى مجال تسويقها ، وجدنا ، ان القطاع العام الزراعى يبيع محاصيله لتجار القطاع الخاص ، بواسطة مزادات يقيمها لهم .

أما كبار المزارعين فيقومون بتسويق محاصيلهم باحدى طريقتين :

البعض ، ممن تتـوافر لديهـم امكـانيات حراسة المحصول وجنيه ونقله للاسواق فيقوم بتسويق المحصول ، مقابل عمولة يدفعها للتاجر الكبير الذى يلعب دور الوسيط مقابل هـذه العمولة .

واما البعض الاخر ، فيبيع المحصول للتاجر ، فى بداية الطرح ، ويقوم التاجر بالحراسة والجنى والنقل ثم التسويق . ويتم سداد ثمن المحصول على أساس دفع مقدم ثم اقساط شهرية حتى تمام جنى المحصول .

أما صغار المنتجين من زراع الخضر والفاكهة فهؤلاء يئنون تحت أشد صنوف الاستغلال من قبل كبار التجار والوسطاء .

ذلك انه بحكم حاجتهم الماسة الى النقود اللازمة لخدمة الزراعة واكمال المحصول ، يحصلون على بعض المبالغ الضئيلة ، من كبار التجار أو من وسطائهم ، وهذه المبالغ ، تحرر بهـا صكوك تلزمهم ، فيما بعد ، بتسليم المحصول الى التاجر الكبير - الذى يبيعه ويسترد نقوده ويسترد معها ايجار العبوات والنقل ، الى جانب عمـولاته العديدة .

ولا يتجاوز نشاط القطاع العام فى مجـال التسويق أكثر من ١ فى المائة من حجم المعاملات . حيث لا يوجد فى مجال تسويق الخضر والفاكهة غير شركتين من شركات القطاع العام : اولهما **الشركة المصرية لتسويق الخضر والفاكهة** وهى شركة حديثة لم يمر على انشائها اكثر من عام . والثانية **الشركة العامة للحوم والتـوريدات الغذائية** . وتقوم الشركتان بتسويق احتياجاتهما من تجار القطاع الخاص والوسطاء ، وليس من مراكز الانتاج التى يملكها القطـاع العـام الزراعى — تلك المراكز التى تبيع ايضا انتاجها الى تجار القطاع الخاص ، الذين يعودون فيبيعونها الى شركتى القطاع العام ، محققين ربحا مجزيا فى كلتا الحالتين .

يضاف الى ذلك ، وجود عدد من « الجمعيات التعاونية التسويقية ، التى هى ، فى حقيقتهـا جمعيات صورية ، فهى أما أن تكون مشكلة من تجار او وسطاء ، بسبب قيامها فى مدن لا تنتج الخضر أو الفاكهة . واما أن تكون قد تحولت بعد تشكيلها ، الى مجرد اسم ، وترخيص ولافتة ، معلقة على مكان تم تأجيره فى السوق ، وهو مكان يستغله تاجر كبير ، مقابل دفع مبلغ كبير .

ومن المعروف ان كثيرين من الوسطاء وبعض كبار التجار ينجحون فى ميدان الخضر والفاكهة فى أن يفرضوا ارادتهم على المنتج ، وعلى تاجر التجزئة ، والمستهلك يساعدهم فى ذلك :

١ — قصور الجمعيات التعاونية — بـوضعها الراهن — عن تحقيق ما دعا اليه الميثاق من أن تبدأ عملية التعاون الزراعى مع عملية تجميع الاستغلال الزراعى ، ويساير عملية التحويل التى تحمى الفلاح ،وتحرره من المرابين ، ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الاكبر من ناتج عمله ، وتصل به (عملية التعاون الزراعى) الى الحد الذى يمكنه من استعمال احدث الالات ، والوسـائل العلمية لزيادة الانتاج ، حتـى التسـويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة ، تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل .

٢ — غيبة القطاع العام الزراعى عن عمليات الانتاج والتسويق .

٣ — التطبيق الخاطىء لنظام التسعير الجبرى للخضر والفاكهة ، وهو النظام الذى تقوم به لجنة منقطعة الصلة بمراكز الانتاج ، الامر الذى ينعكس فى وضع تسعيرة غير واقعية .

٤ — انعدام الرقابة المنهجية على الاسواق ، خصوصا انعدام اى نوع من الرقابة المنظمة لجمهور المستهلكين .

وفى ظل هذه العوامل الاربعة ، مجتمعة ، يفتح الطريق امام الوسطاء ومجموعات من كبار التجار لتكوين ثروات ودخول طفيلية هائلة .

بل ان هذه الدخول ، تعتبر **نموذجية** فى عالم الدخول الطفيلية ، وتجسيدا حيا لها ، وذلك اذا ادخلنا فى الاعتبار :

١ — ان الدخل الطفيلى ، هو ذلك الدخل الذى يتحقق باسلوب ربوى ، او بغير استغلال لجهد يوازيه .

٢ — ان هذا « الجهد » المبذول لم يسهم مساهمة فعالة فى الانتاج ، بل غالبا ما تتخـذ شـــكل الوساطة ، أو المضاربة ، أو التلاعب ، فى استغلال السلع المتاحـة لمواجهة مطالب المستهلكين .

٣ — ان الذين يسعون الى تحقيق هذا النوع من الدخول ، يحرصون على عدم الخضوع لايـة ضوابط تجارية ، او رقابة على تحديد الاسعار ، ويتهربون من الضرائب ، بوسائل ما زال القانون الحالى قاصرا عن الامساك بتلابيبها .

دراسة على الطبيعة

ولو اننا اخذنا سوق الجملة للخضر والفاكهة بروض الفرج كنموذج ،على اعتبار انه أكبر سوق للجملة فى البلاد ، وانه السوق الذى يمون أسواق القـاهرة ومحـلاتها وباعتهـا الجائلين بالخضر والفاكهة ، فلسوف تطالعنا الصورة التالية :

يوجد بالسوق (الذى تملكه الشركة العامة لاسواق الجملة التابعة لوزارة التموين) ٣٥٠ محلا يستأجرها نحو ٥٠٠ تاجر ، وذلك بسبب استئجار بعض التجار لنصف دكان فقط . وهؤلاء التجار من مستأجرى المحلات ، هم فقط التجار المصرح لهم بالعمل فى تجارة الخضر والفاكهة داخل السوق .

ولكن فى طرقات السوق وعلى أبواب المحلات ينتشر نحو ٢٥٠٠ « **قماط** » وهم التجار والوسطاء الذين يعملون بدون ترخيص ، ويقومون لحساب كبار التجار ، او لحسابهم الخاص ، بعمليـات السوق السوداء ، ويوجد من بين هؤلاء القماطين

من يتجاوز دخله **اليومى** مائة جنيه - ويسعى « القماط » فى سبيل تأمين عمله الى الحصول على بطاقة عامل فى محل من محلات السوق بأجر عشرين قرشا فى اليوم . او الى شراء محل من تاجر صغير - او الى استئجار مساحة صغيرة داخل احد المحلات ، حيث يحسب الايجار على اساس (البلاطة الواحدة) وفى حالة حصوله على بطاقة العامل ، التى يصل ثمنها الى **ثلاثة آلاف جنيه** ، يقوم بادارة المحل من الباطن ، مقابل مبلغ شهرى أو يومى يدفع لصاحب المحل الاصلى .

والعمولة المقررة رسميا مقابل البيع هى ٨ فى المائة ، ولكن نظام العمل فى السوق يرتفع بهذه العمولة الى ثلاثة أضعافها .

ففى الطماطم ، مثلا ، تحمل السيارة خمسمائة قفص يأخذ التاجر قرشان « **بياعة** » على كل قفص . وهذا يعنى عشرة جنيهات على كل سيارة طماطم . فاذا كان متوسط الحد الادنى لما يرد للتاجر الكبير هو عشرة سيارات طماطم فهذا يعنى مائة جنيه « بياعة » ، بالاضافة الى عمولة الـ ٨ فى المائة وما يسمى بالوهبة ولوكانية المحل وايجار الاقفاص . وعلى ضوء هذا فان بعض التجار الذين تصل اليهم خمسين سيارة طماطم يصل دخلهم الى ١٥٠٠ جنيه يوميا (١) .

وفى حالة البطيخ ، مثلا ، يتم احتساب البياعة والرصاصة (أى ترتيب البطيخ داخل الشادر) ، والخفارة ، بالاضافة الى العمولة المقررة .

وفى تجارة الخضر ، يحتسب على كل وزنة من قرشين الى ثلاثة .

ومن التقاليد المألوفة فى السوق تخصيص جانب من محصول أية فاكهة أو خضر - فى فترة بداية الموسم - بدون مقابل يدفع للمنتج ، باسم « **طعمة** » . كما يلجأ التجار الى زيادة الثمن عن طريق انقاص وزن العبوات المتعارف عليها ، أو زيادة التالف والغير ناضج داخل العبوات ، ممايرغم تاجر التجزئة ، فيما بعد ، الى رفع السعر على المستهلك لتعويض ما دفعه .

ويلجأ التجار الى استخدام « القماطين » لتصريف ما لديهم من محاصيل ، ويشتد هذا الاتجاه فى فترات الازمات ، وبشكل خاص ، عندما تكون التسعيرة المقررة للصنف غير واقعية .

فاذا كان السعر الواقعى للكيلو من الطماطم هو ١٢ قرشا ، وجاءت التسعيرة ، فجعلته عشرة قروش فقط ، فان التاجر الكبير يتخلص مما يرد اليه ببيعه الى القماطين بسعر ١٢ قرشا ويتولى القماط بيعه الى تجار التجزئة والباعة الجائلين بسعر من ١٥ قرشا الى ١٧ قرشا ، وذلك حسب حالة السوق . وهؤلاء بدورهم يصلون بالسعر الى ٢٠ أو ٢٥ قرشا .

ويتعرض صغار المزارعين للمعاملة الشاذة من جانب التجار وأعوانهم . فليس من حق المزارع الاطلاع على الميزان أو مراجعته . وليس من حقه أن يناقش الحساب . ان عليه أن يضع ما لديه من محصول أمام التاجر وأعوانه وهم يقدرون له الثمن ويخصمون البياعة والسلفة والوهبة والوزنة .

واذا كان المزارع قد حصل على سلفة من التاجر فلا يستطيع أن يذهب الى تاجر آخر ، اذ سرعان ما يبطش به أعوان التاجر الاول ، ويعيدونه الى محله .

ويستفيد التجار من ضعف الرقابة على حركة التعامل لكى يخفوا حجم عملياتهم الحقيقى . فعلى باب السوق ، يقوم مندوب الشركة العامة للاسواق بقيد السيارات الداخلة . وكثيرا ما تكتب باسم غير أسماء التجار الذاهبة اليهم . وفى المحل ، يتم قيد حركة التعامل فى ورقة تسمى « **الطيارة** » . وهذه الورقة يختص بها التاجر وكاتبه . وفى نهاية اليوم ، يعاد تسجيل ما يراه التاجر فى

---

[1] يحصل تاجر الجملة على مبلغ ٧٧٫٥ ج مقابل بيع سيارة طماطم وذلك على اساس عشرة جنيهات بياعة خمسمائة قفص ، ٦٠ ج عمولة بواقع ٨٪ و ٧٫٥ ج قيمة ١٪ وهبة . وفى حالة انخفاض سعر الطماطم يحدث التغيير فقط فى قيمة العمولة ، ويحصل التاجر على ٢٤ جنيها على بيع كل سيارة .

وفى حالة البطيخ مثلا يحصل التاجر على جنيه مقابل رص كل مائة بطيخة ، و ٢٥٠ مليما للخفر و ٢٥٠ مليما وهبة وعمولة جنيه ، اى جنيهان ونصف مقابل كل رصة بطيخ . والسيارة عشرين رصة اى خمسين جنيها مقابل السيارة من البطيخ .

وفى حالة خضار مثل الباذنجان تحمل السيارة ٦ طن ثمنها ٢٥٠ ج يحصل التاجر على ٢٠ ج عمولة ، ١٠ بياعة ٢٫٥ وهبة اى ٣٢٫٥ ج .

الدفتر ، وبذلك يصعب على الضرائب الوصول الى الحجم الحقيقى لتعاملات كبار التجار •

أما بالنسبة للقماطين ، والذين يتجاوز دخل ٣٥ واحـــدا منهـــم ٥٠ جنيها يوميـــــا على الاقل ، فلا توجد سجلات لديهم على الاطلاق •

ويستخدم التجار اقاربهم وأتباعهم • ومهما بلغ حجم عملياتهم فليس أكثر من عامل او اثنين لدى التاجر الصغير وأربعة عمال للتاجر الكبير ، يتم قيدهم فى التأمينات •

ويستغل التجار والقماطون الوضع الراهن فى السوق ، ويقاومون بشتى الوسائل انشاء اسواق جديدة خوفا من تشديد الرقابة خلال عملية اعادة القيد ، وتوزيع المحلات الجديدة ، وخطر هروب المزارع بديونه من سوق الى آخر •

خاتمــــة

ان تجارة الخضر والفاكهة من أهـــم قطاعات التجارة الداخلية • ومع ذلك ، مازال القطـــاع العام ، بعيدا جدا عن أن يأخذ الدور الذى حدده الميثاق • وليس من سبيل لوقف النمو السرطانى للدخول الطفيلية فى تجارة الخضر والفاكهة الا بسلسلة من الاجراءات فى مقدمتها :

١ ــ دعم وتطوير دور القطاع العام فى انتاج وتسويق الخضر والفاكهة ، من حيث زيادة رقعة الاراضى المزروعة خضروات وفاكهة ، والوصول بالنسبة للتسويق الى ربع حجم التجارة المتداولة •

٢ ــ الغاء المزادات التى يقيمها القطاع العام لبيع منتجاته وقصر بيع هذه المنتجات على شركات القطاع العام العاملة فى مجال التســـويق •

٣ ــ تنفيذ مشروعات تجميع زراعات الخضر والفاكهة وتشكيل جمعيات تعاونية لمزارعى الخضر والفاكهة ، خصوصا الصغار منهم •

٤ ــ زيادة النسب المخصصة للقروض التى تصرف لمزارعى الخضر والفاكهة ، مع اشتراط تسليم المحصول للقطاع العام ودفع تعويض فى حالة التهرب •

٥ ــ تمثيل مراكز الانتاج والتسويق فى القطاع العام فى لجان التسعيرة ، ووضع دراسة واقعية لحالة السوق ، وذلك بالنسبة لكل محصول على امتداد موسم واطالة مدة سريان التسعيرة •

٦ ــ انشاء عدد من الاسواق لتجار الجملة بالنسبة للخضر والفاكهة لكسر حلقة الاحتكار التى يفرضـــها كبـــار التجـــار والقماطين ، وحل مشكلة صغار القماطين بتحويلهم الى تجار محـلات ، وتأمين حرية المنتج فى بيع سلعته •

٧ ــ فرض رقابة ثابتة وشاملة عـــلى حركـــة التعامل ، بحيث تتمكن أجهزة الضرائب من الاطلاع على الدخول الحقيقية التى تهرب بمختلف الحيل والاســـاليب •

علاقة اللجان الانتاجية بالخطة القومية

أحمد صادق سعد

على أثر اتمام عمليات التاميم الكبرى ، انتشرت فى بعض المصانع والوحدات الاقتصادية للقطاع العام مبادرات صادرة عن القاعدة تستهدف رفع الانتاج كما وكيفا ، والتقليل من الفاقد ، وتخفيض النفقات الخ . (١٩٦٤ ـ ١٩٦٨) . واتخذ أغلب هذه المبادرات شكل لجنة سميت « باللجنة الانتاجية » التى عبرت عن رغبة العمال فى أن يلعبوا دورا أكثر فعالية فى الرفع بالاقتصاد القومى الى مستوى أعلى ،كما عبر تكوين هذه اللجان عن رأى بعض الاوساط فى التنظيم السياسى عن امكان توجيه دفة القطاع العام نحو بناء الاشتراكية .

وجاء القرار الجمهورى رقم ٢٨٠ الصادر فى ٣ـ٣ـ١٩٦٩ ، فأعطى للجان الانتاجية صفة المؤسسات الرسمية داخل وحدات القطاع العام . وحدد طريقة تشكيلها واختصاصاتها وسلطاتها . وترتب على صدور هذا القرار أنه لم تعد هيئة تملكها الدولة تقريبا الا وفيها لجنة انتاجية .

وفى امكان اللجان الانتاجية ـ فى نظر بعض الاوساط السياسية ـ أن تعبىء الجماهير فى مختلف المؤسسات العامة من أجل مساندة فلسفة التخطيط القومى ، ودحر الاراء الرجعية التى مازالت تنادى ـ بصورة ظاهرة أو خفية ـ بالقضاء على القطاع العام . وكذلك فى امكان هذه اللجان ـ من الناحية النظرية البحتة حسب هؤلاء ـ أن تلعب دورا كبيرا فى المساهمة فى وضع الخطة الاقتصادية القومية وتنفيذها وتحقيق أهداف كل وحدة ، ومتابعة هذا التنفيذ . ولكن هناك شرطا لكى تتحول هذه الامكانيات النظرية الى حقيقة ايجابية ملموسة ، وهو أن تزال أمام اللجان الانتاجية تلك العوائق التى تكشف عنها تجربة السنوات الماضية ، والتى جعلت فعالية تلك اللجان تهبط الى مستوى يجعلها قليلة الفائدة فى حقيقة الامر فى ذلك الميدان .

النتائج الايجابية التى حققتها اللجان الانتاجية

من المهم أن نسجل هنا أولا أهم النتائج الايجابية التى حققتها هذه اللجان ، اذ أن هذا قد يمكننا بعد ذلك من استنتاج الامكانيات الكامنة فيها بالنسبة لعمليات اعداد الخطة وتنفيذها .

١ ـ لا شك فى أن اللجان الانتاجية حققت قبل أى شىء بعض التقدم الملموس فى الانتاج والانضباط فى العمل . ففى اجتماعات هذه اللجان طرحت المشاكل التى تعوق الانتاج أو تهدد بتوقفه ، ودرست بصورة جماعية ، وتقدم الاعضاء بحلول جزئية خاصة باستبدال خامة ناقصة بأخرى

متوفرة ، أو باجراء تعديلات فى خطوط الانتاج توفر العمالة .. الخ .

وكذلك امكن بواسطة اللجان الانتاجية ايجاد بعض الانضباط الذاتى فى صفوف العاملين ، تستطيع به الوحدات الاقتصادية ان توفر على نفسها جانبا من المشاكل التى تتعرض لها عادة ، والتى لا ترى الادارة من سبيل الى حلها عادة سوى بمزيد من الضغط عن طريق التشديد فى تطبيق اللوائح أو تفسيرها .

ب – وقدم وجود اللجان الانتاجية فرصة اكبر لتحفيز العاملين على المبادرة والابتكار . فالاقتراحات الجديدة تقدم الى اللجنة عن طريق بعض رؤساء الاقسام ومناقشته ، مما يحفظ لاصحابها حقوقهم . والطلب الخاص بالمكافاة التشجيعية فى هذه الحالة يكتسب قوة أكبر عندما يصدر عن هيئة جماعية مثل اللجنة الانتاجية ، خاصة بعد تنظيم لجنة الترشيد والابتكار بمقتضى القرار الجمهورى رقم ٦١ لسنة ١٩٧١ (١) .

جـ – ولكن اهم نتيجة ايجابية فى تقديرنا هى تعزيز مبدأ المشاركة فى فهم المشاكل وحلها ، وفى ادارة الوحدة والتخطيط على نطاق واسع ، بين ممثلى التنظيمات الشعبية وبين العناصر الادارية العليا . ونقول « تعزيزا » ، لان هذا المبدأ أثير من قبل عندما تقرر اشتراك عناصر منتخبة فى مجالس ادارة الوحدات . وهذا المبدأ هام فى حد ذاته ، وبصرف النظر عن فعالية تطبيقه وفائدة هذا التطبيق ، اذ يغرس فى أذهان العاملين بالقطاع العام والجماهير العاملة عموما ، ان ادارة المنشآت الاقتصادية والتخطيط لعملها يجب الا يكون حقا محصورا على فئة المديرين دون سواهم ، وليس سرا مستغلقا لا يستطيع العامل العادى الوصول الى باطنه وان بذل فى سبيله بعض الجهد .

نواحى القصور والسلبية

غير أن التجربة الماضية للجان الانتاجية فى علاقاتها مع الخطة الاقتصادية القومية تقاس – فى الحقيقة – فى ضوء اعتبارين أساسيين ، وهما اللذان يجب أن يكيفا مناخ العمل وظروفه كلها :

● الاعتبار الاول هو متطلبات القضية الوطنية ، قضية استرجاع الارض العربية من العدو الصهيونى .

● والاعتبار الثانى هو تصميم شعبنا على تطوير البلاد نحو الاشتراكية .

والمطلوب أن تكون اللجان الانتاجية جزءا من حركة جماهيرية واسعة ، تستقى منها الالهام الاشتراكى والوطنى ، وتبث فيها بدورها التوجية والمعلومات . وليس من شك فى أن اللجان الانتاجية كانت – فى الفترة الماضية – بعيدة كل البعد عن هذا النموذج الذى تتطلبه الظروف الراهنة :

أ – فرغم أن هذه اللجان مشكلة من المديرين ومندوبى التنظيمات الشعبية ، الا أن الصلة بين هؤلاء المندوبين وبين قواعد العاملين فى الوحدات الاقتصادية تكاد تكون مقطوعة فى ميدان عمل هذه اللجان على الاقل . فالمندوبون عدد قليل ، والمناقشات تجرى وراء الابواب الموصدة ، ولا شأن لباقى العاملين بها فى أغلب الاحيان .

ب – وفى أحيان كثيرة جدا ، تنقسم الاتجاهات فى اللجان الانتاجية أثناء عملها الى تيارين رئيسيين : يضم الاول المديرين ، ويميل اساسا الى رفع الانتاجية بزيادة الضغط على العمال وترقية الوسائل الفنية للانتاج والاسراع بايقاع العمل وتكثيفه . وفى أغلب الاحيان تدور المناقشات فى هذا الميدان بالمصطلحات الفنية ولا يشترك فيها سوى القلة المؤهلة .. وهى من المديرين على الاكثر .

ويمثل التيار الثانى الميل الى اثارة تحسين أحوال العاملين المادية كشرط أساسى ولرفع الكفاية الانتاجية واثارة الحماس فى نفوس العاملين ازاء الانتاج ، وما أكثر أن تنقلب المناقشات حول هذا المحور الى المطالبة بمزايا أو رفع الظلم عن فئات معينه ، اى تنتقل الى الارضية النقابية ويضم هذا التيار الثانى – على الاغلب ايضا – مندوبى التنظيمات الشعبية .

ونحن لا ننكر أهمية التكنولوجيا لزيادة الانتاج ، ولا حق العاملين فى التطلع الى ظروف معيشية أحسن ، ولكن الذى نريد ابرازه هنا هو قصور اللجنة الانتاجية عن بلوغ الهدف المنشود اى ان تكون أداة توحيدية تلعب دورا فعالا فى بناء الصمود والاشتراكية .

---

(١) – انظر د . عبد الكريم درويش – « اقتصاديات الحوافز » – مجلة الادارة – المجلد الثانى – العدد ٢ – اكتوبر ١٩٦٩ – ص ٧٩ – ٨٧ .

جـ ـ من النادر اليسير أن تناقش اللجنة الانتاجية خطة الوحدة قبل اقرارها . واذا ناقشتها كلية ، فيكون هذا لاستكمال الشكليات ، وبعد أن تكون الخطة قد أثرت فعلا . وتجرى المناقشات فى ضوء اعتبارات الخامات والارصدة والاعتمادات أو طلبات السوق ، دون أن يكون عليها أى انعكاس للخطة الاقتصادية القومية . واذا ذكرت هذه الاخيرة ، فالاغلب لنقدها ولبيان عيوبها ـ وهى موجودة دون شك ـ وبالذات فى علاقاتها بالقيود أو المتطلبات المفروضة على الوحدة الاقتصادية (٢) ».

الاسباب « الداخلية » للقصور

من المعروف أن شكل اللجان الانتاجية منتشر فى العديد من البلدان الاشتراكية ، وأنه أحد أعمدتها فى اعداد الخطة الاقتصادية ومتابعتها لا على نطاق الوحدة فحسب ، بل على النطاق القومى أيضا . وقد أدى هذا الاسلوب الى نتائج باهرة تتمثل فى التقدم الذى احرزته هذه البلاد اقتصاديا وسياسيا وعسكريا (٣) ».

فما الذى دعا هذه اللجان الانتاجية لدينا الى أن تقصر عن الوصول الى نفس النتائج ؟ ما هى الاسباب التى أدت الى نواحى القصور والسلبية التى ذكرناها قبلا ؟

فى تفكيرنا أن هناك أسبابا تتعلق باللجان الانتاجية ذاتها وكيفية تكوينها (ونسميها أسبابا « داخلية ») وأخرى تتعلق بأسلوب التخطيط القومى فى بلادنا ومحتويات الخطة نفسها (ونسميها أسبابا « خارجية ») .

ويمكننا اجمال الاسباب الداخلية لقصور اللجان الانتاجية فى كونها ولدت وبقيت أجهزة بيروقراطية (٤) ، وكجزء من الجهاز البيروقراطى الذى يشرف على القطاع العام فى بلادنا :

١ ـ فاللجان الانتاجية أجهزة ادارية قبل أى شىء آخر ، بمعنى أنها تشكل بطريقة ادارية ، ومن أعلى . ورغم أن فيها مندوبين من الاتحاد الاشتراكى والنقابة ، الا أن اللجنة ككل ليست لها صفة سياسية . والذى يسيطر عليها بصورة عامة هو التظاهر بالحياد ازاء المعارك السياسية الداخلية (فى موضوع «اشتراكية القطاع العام » مثلا) والخارجية (فى موضوع أفضلية التجارة مع المعسكر الاشتراكى عن المعسكر الراسمالى مثلا) . ولذلك فمن الطبيعى أن تفتقد اللجنة الاتجاه ازاء الخطة الاقتصادية القومية ، وأن تحتفظ بمظهر الحياد الزائف ازاء « فلسفة » التخطيط العام .

ب ـ لا تمارس اللجنة الانتاجية النقد الذاتى خوفا من أن تتخذ السلطة الادارية الاعلى هذه الفرصة فتجد المبررات للانقضاض على أشخاصها . وكذلك لا تستطيع هذه اللجنة ممارسة النقد ازاء المستويات الاعلى التى فى يدها السلطة تدافع بها عن نفسها . والملاحظ فى هذا الشأن أن النقد والنقد الذاتى عنصر مفقود تماما فى العلاقات الادارية المصرية ، ومن يطلع على التقارير الدورية أو الحسابات الختامية للشركات مثلا لن يجد أى خسارة أو تلفا أو هبوطا فى الانتاج يعود الى خطأ ما ارتكب .. بل أن سببه يعود دائما الى فعل لا يتصل بداخل الوحدة . أما اذا كان هناك تقدم فى الانتاج أو استعمال موارد جديدة ... الخ ـ أى ناحية ايجابية ـ فيرجع الى نشاط العاملين أو قدرة الادارة العليا ... الخ .

ومن الطبيعى أن اقتطاع جناح النقد والنقد الذاتى من نشاط اللجنة الانتاجية ينزع عنها الصفة العلمية ، وبالتالى القدرة الحقيقية على الابتداع والرقابة والعون الفعال على زيادة الانتاج ومتابعة الخطة .

جـ ـ مندوبو التنظيمات الشعبية معزولون عن القاعدة ، فتستوعبهم البيروقراطية فى سهولة كبيرة . ولا يلغى الانعزال أن يكون المندوبون قد انتخبوا يوما أعضاء فى تلك التنظيمات .

فهؤلاء المندوبون لا سلطة تنفيذية لهم ، وحقيقة الامر أن حضورهم فى اجتماعات اللجان لا يعطيهم أكثر من صفة استشارية ، ويضطرون فى أغلب

---

(٢) على عكس ما قصده الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله : « القطاع العام وديمقراطية الانتاج » ـ الطليعة ـ السنة ٧ ـ العدد ١٠ ـ اكتوبر ١٩٧١ ـ ص ٧٧ .

(٣) انظر : T. WYRWA. «La gestion de l'entreprise socialiste». Paris — Pichon et Durand — Auzias — 1970.

وكذلك د . بوريس زابيلين : « كيف حقق الاتحاد السوفيتى الاستقلال الفنى والاقتصادى ؟ » ـ موسكو ـ نوفوستى ـ ١٩٧١

(٤) انظر مصطفى عمار « تجربة اشتراك العاملين فى الادارة » ـ مجلة العمل ـ السنة ٩ ـ العدد ١٠٠ ـ سبتمبر ١٩٧١ ـ ص ١٦ ـ ١٨ .

الاحيان الى الموافقة على ما يعرضه الجانب الادارى من اللجنة .

ومندوبو التنظيمات الشعبية تستوعبهم البيروقراطية للضعف العقائدى الذى يتفشى فى صفوف التنظيمات الجماهيرية السياسية والنقابية بصورة عامة وحادة . فان المذهب الذى يشكل محور تفكير هذه التنظيمات لا يحدد الموقف السياسى من البيروقراطية والسلطة الادارية الواسعة الا بصورة غامضة ، والاغلب أن تكون لينة باسم « التعاون مع الادارة الاشتراكية » . ولذلك يتحول هؤلاء المندوبون فكريا شيئا فشيئا عن قواعدهم التى انتخبتهم جاهدين ان يتقربوا ويتماثلوا مع الفئات العليا للمجتمع الادارى المصرى ، وبهذا الشكل لا يعودون يمثلون شرايين اتصال بالجماهير ، ويصبح ممكنا أن يهتموا بالخطة ـ القومية أو الخاصة بالوحدة ـ دون أن يكون لهذا الاهتمام صلة برأى القاعدة الشعبية .

وأخيرا ، يتم « تدريب » مندوبى التنظيمات الشعبية فى اللجان الانتاجية بواسطة بعض الهيئات (الاتحاد الاشتراكى ـ الثقافة العمالية ـ الاتحاد النقابى .. الخ) . غير أن الجانب الاكبر من هذا التدريب ينصب على فكرة سريعة (أكاد أقول قشورا) للناحية الادارية الفنية لعمل اللجنة الادارية (التخطيط ـ تكثيف العمل ـ المحاسبة .. الخ) . أما محتواه السياسى فيظل غامضا ضبابيا . ويركز التدريب أساسا على ضرورة التعاون الوثيق ـ والاندماج المذهبى ـ مع الادارة فى حين أنه يهمل أن الصلة الخلاقة الحية مع القاعدة الجماهيرية هى الطريقة الوحيدة لابقاء عصارتها فى عروق ممثليها (٥) .

زد على ذلك ان المندوب يعود ـ بعد التدريب ـ الى نفس الجو الاجتماعى الذى لم يتغير ،مما يبين أن القضية ليست أساسا قضية « تدريب » مؤقت ، بل قضية اجراء تغييرات جذرية فى تلك التنظيمات وسماتها العقائدية ، وكذلك فى المحتوى الفكرى للادارة وصفوتها بالقطاع العام .

د ـ وتمثل بعض المشاكل الفنية صعوبة حقيقية بالنسبة للجنة الانتاجية ، لان مندوبى التنظيمات الشعبية لم يسعفهم الحظ ـ أو بالاحرى الظروف الاجتماعية المصرية ـ حتى يتحصلوا على الارضية العلمية الكافية لاستيعاب تلك المشاكل . أضف الى ذلك أن بعض أعضاء الادارة يجدون فى هذا النقص فرصة يتهربون فيها من التعاون الحقيقى مع هؤلاء المندوبين ، وذلك بتحويل المشاكل البسيطة الى معضلات فنية عويصة لكى يغلقوا أبواب حلها أمام زملائهم .

ويعود هذا الوضع أيضا الى أسباب اجتماعية وسياسية عامة ، وخاصة الى نظم التعليم عندنا التى تحرم العامل اليدوى الماهر من فرصة الترقى النظرى أو العلمى بجهوده الذاتية ، فلا يمكنه بأى حال من الاحوال أن ينتسب الى احدى الكليات العلمية أو النظرية دون التفرغ الكامل تقريبا . كما انه لا يوجد نظام الدراسة بالمراسلة التى تعطى الشهادات المعترف بها . زد على ذلك صعوبات التعليم باللغة الاجنبية فى بعض الكليات (الهندسة ـ الطب ـ العلوم .. الخ) التى تزيد الامور تعقيدا .

ومن الواضح أن استمرار هذا الوضع يمثل عقبة كؤود فى وجه جعل اللجنة الانتاجية احدى الروافع فى يد فلسفة التخطيط الشامل .

هـ ـ ثم هناك اعتبار هام ، وهو أن أعضاء اللجنة الانتاجية لا يجدون فائدة كبيرة فى الاهتمام بها . فبالنسبة لممثلى الادارة يراها أغلبهم انها احدى اللجان التى يحضرونها مثل لجنة الامن الصناعى والدفاع المدنى والتطوير والمتابعة والخامات وشئون العاملين .. الخ . أما بالنسبة لمندوبى التنظيمات الشعبية ، فيركزون اهتمامهم ـ كما قلنا ـ على الحوافز المادية ، وهى قليلة ونادرة .

وخلاصة القول هنا أن عمل اللجان الانتاجية يصاب بالبوار ان لم يدفعه الى الامام الحماس الذى يثيره الرأى السياسى ، والاحساس بشرف العمل الطليعى الوطنى الذى يجد مكافأة كبيرة فى التقدير المعنوى الذى يمنحه الناس للمناضل من أجل الحق والتقدم .

الاسباب « الخارجية » للقصور

نقصد هنا أسباب القصور فى أعمال اللجنة الانتاجية العائدة الى فلسفة التخطيط كما هى منتشرة فى بلادنا ، وأساليب اعداد الخطة وتنفيذها ، كما هى ممارسة حتى الان .

ويتركز بحثنا على ما يجب توافره فى الخطة

(٥) طالب الدكتور ابراهيم البرلسى بتسييس التدريب للمديرين أنفسهم ـ انظر « التعليم فى الادارة العامة » ـ مجلة الادارة ـ المجلد الثالث ـ اكتوبر ١٩٧٠ ـ ص ١٠٧ .

والموقف منها حتى تتمكن اللجنة الانتاجية من فهمهما والاعتماد عليهما كسلاح سياسى وفكرى فى معركة التحرير والبناء والاشتراكية ، وكمرشد يومى لعمل اللجنة لزيادة الانتاج ، والاستجابة لمطالب الجماهير ، وكمحرك قوى لاثارة الحماس وروح التضحية لدى هذه الجماهير .

والواقع الاليم أن الاعداد للخطة والاساليب المختلفة التى تستخدم فيه ، هذا كله يجرى حاليا بعيدا عن الجماهير العادية وممثليها فى التنظيمات الشعبية القاعدية . ولا يعود هذا فحسب الى ان الذين يتولون هذه الموضوعات من الفنيين فى الميدان - وهذا صواب - لان الثقافة التخطيطية تكاد تكون منعدمة عند العامة ، وهذا موجود للاسف . بل ان السبب الاساسى فى البعد بين الناس وبين الاعداد للخطة وعرضها يعود الى افتقار الوضوح للصفة السياسية للخطة .

فقد تجرى مناقشة فى الاوساط الفنية العليا حول المبلغ الذى يخصص لشراء سيارات مستوردة مثلا ، واذا لم يكن أفيد أن يوجه المبلغ لبناء أحد المصانع ، أو تجرى مناقشة أخرى حول بناء مصنع للنسيج أو آخر للراتنجات ، والمهم فى هذا الصدد أن تترجم هذه المناقشة الى معانيها السياسية : فيم يقوى هذا الاتجاه أو ذاك معركتنا ضد العدو الصهيونى الاستعمارى ؟ من هى الطبقات الاجتماعية التى تقوى مراكزها ويزداد نفوذها على أجهزة الحكم بهذه الطريقة ، هذه هى المفاهيم السياسية - بصورة عامة - التى يجب ان تتوافر فى عرض الخطة حتى تفهمها الجماهير وتعتمد عليها اللجان الانتاجية .

اتجــاه الحلــول

ولان الخطة هى التعبير المركز للسياسة الداخلية والخارجية ، فلابد من أن يثير الحديث عنها - وخاصة الحديث عن علاقتها باحد الاجهزة الادارية شبه السياسية وهى اللجنة الانتاجية - نقول لابد من أن يثير هذا الحديث قضايا عامة وواسعة .

أ - والقضية الاولى فى نظرنا هى جماهيرية الخطة وتسييسها ، بمعنى ضرورة أن تكون الخطة موضوع مناقشة الكافة وأن تثار المناقشة وتدار على أسس سياسية . وهذا يقتضى :

أ - ربط الخطة بمعركة التحرير .

ب - توضيح المهام السياسية والاجتماعية للخطة : كيف تحقق السيادة للطبقات الشعبية ؟ ماهى الطبقات التى تقصد الخطة «تذويبها» ؟ وما هى الطبقات التى تعمل الخطة على رفع شأنها ؟

جـ - توضيح الهدف السياسى والاستراتيجى لسلسلة الخطط ، ووضع الخطة الحالية فى مكانها بالنسبة للسلسلة . ولا يمكن ان يكون هذا الهدف الاستراتيجى سوى الاشتراكية ، وبمعنى اكثر تحديدا جعل القطاع العام هو القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد والسياسة بمصر .

د - اشتراك الجماهير الواسعة فى مناقشة الخطة ، واطلاق حرية الرأى فيها ، وتشجيع المناقشة والاراء المعارضة على التعبير عن نفسها . ومن المهم فى هذا الصدد الا يكتفى باصدار بيان وتلاوته فى الاجتماعات ، بل أن يستمع الى رأى الناس . .

ومن الناحية الاخرى ، فمهما بذل من جهد فى سبيل جماهيرية الخطة ، فلن يكون لهذا الجهد الا اثر ضئيل اذا ظلت اللجان الانتاجية على حالتها من الاستيعاب البيروقراطى . وفى تقديرنا أنه يجب تحويل اللجان الانتاجية الى مجالس شعبية منتخبة داخل الوحدات الاقتصادية .

ومن أهم أهداف مقرطة الادارة واللجان الانتاجية :

أ - انتخاب أعضاء اللجان الانتاجية جميعا دون قيود ، لا القيود المتعلقة بالتعليم ولا بعضوية الاتحاد الاشتراكى .

ب - اعطاء استقلالية ومسئولية وسلطة ادارية للجان الانتاجية الرئيسية والفرعية .

جـ - تولى الاعضاء المنتخبين فى مجالس الادارة مسئوليات ادارية تنفيذية .

د - عدم فرض الجزاءات المنصوص عليها فى اللوائح الا بعد عرض الامر على « محاكم شعبية » المحلفون فيها منتخبون من العاملين خصيصا لهذا الغرض بصورة دورية سريعة (مرة كل ستة شهور مثلا) .

سيناء

تحت الاحتلال الاسرائيلى

ممدوح بكر

في الايام الاولى لشهر يونيو الحزين من عام ١٩٦٧ كانت اهالى سيناء على أعلى درجة الاستعداد لمساندة القوات المسلحة التى تحركت الى الحدود الشرقية لمصر ، واقام الشباب عدة معسكرات للتدريب على حمل السلاح والاسعاف والتمريض • وانعقدت عدة مؤتمرات سياسية تحت اشراف اللواء محمد عبد المنعم القرمانى محافظ سيناء أكدت كلها على « ان كل فرد فى سيناء يعتبر نفسه جنديا فى القوات المسلحة (١) •

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧ بدأ العدوان الاسرائيلى يقصف مطارات مصر ومنها مطار العريش • واخذ الشباب مواقعه الفعلية فى حراسة المنشآت الحكومية والاماكن العامة • وتوجه الاهالى الى قسم العريش حيث تسلموا بعض الاسلحة الخفيفة • وفى حوالى الساعة الخامسة والنصف اقتربت قوات العدو الاسرائيلى من مدينة العريش • وفور وصول هذا الخبر انتظم بعض الشباب على شكل مجموعات فدائية لملاقاة العدو •

وتقدم بعضهم الى الامام ، فاطلق عليهم سيل من الرصاص لم يتبينوا مصدره • وسارعوا بالاحتماء خلف ساتر وبدأوا يتبادلون النيران مع العدو الاسرائيلى الذى وصل الى مشارف العريش • وبدأ الجنود الاسرائيليون يطلقون النيران على أفراد الشعب حتى حل الظلام وتعذرت الرؤية •

وخلال يوم الثلاثاء السادس من يونيو قاوم الاهالى فى بسالة قوات العدو الاسرائيلى التى كانت تفوقهم عددا وقوة ، وفى صباح يوم الاربعاء ٧ يونيو نجح العدو الاسرائيلى فى التمركز على الطرق المؤدية الى العريش ، واشتبكت القوات الشعبية مع قوات العدو المتمركزة داخل جامع محطة العريش وفوق التلال المحيطة بالبلدة • وما لبثت المعركة ان انتقلت الى وسط البلدة وعلى الاخص فى ميدان التحرير حيث تقدم العدو الى الداخل بمدرعاته ودباباته وعرباته المجنزرة • وكانت فرصة للشباب من أفراد المقاومة الشعبية تساندهم مجموعة من افراد الجيش لتشتبك مع العدو •

---

(١) سيناء أرض المعركة : من منشورات جمعية الشبان المسلمين •

ويروى عبد العزيز الغالى ذكرياته عن هذا اليوم فى كتاب « سيناء أرض المعركة » فيقول :

« وعلى تبة بحرى فى الجانب الغربى من ميدان التحرير بالعريش كان يقبع ضابط مصرى خلف مدفعه المضاد للدبابات ، اخذ هذا الضابط تعاونه بعض افراد المقاومة فى تسديد ضربات ناجحة لفلول الدبابات المتجهة الى داخل البلدة حتى انه اعطب ست دبابات باصابات مباشرة مما ادى الى توقف باقى الدبابات عن السير • ونزل على اثر ذلك افراد طاقم الدبابات الاخرى من أبراجهم لينتشروا فى أنحاء البلدة ، ويجدوا أمامهم افراد المقاومة الشعبية تشتبك معهم بالسلاح الابيض • وانطلق صوت ميكروفون من قيادة القول الاسرائيلى ، يطلب من الضابط المصرى أن يسلم نفسه ، ولكن الضابط لم يأبه بأوامرهم واخذ يسجل فى هذه المنطقة أروع ملحمة بطولية شهدها ميدان التحرير بالعريش فقد كان بمدفعه ، يشد أزر المقاومة فى الاشتباك مع دباباته • ولم يتوقف هذا الضابط البطل عن الضرب الا بعد أن لجأ العدو الاسرائيلى الى خديعة يغتاله بها ، حيث أرسل دبابتين من دباباته لضربه من الخلف فسقط شهيدا على مدفعه » •

وقاوم اهالى سيناء فى ضراوة المعتدين الاسرائيليين • ومن ضمن المعارك التى خاضها الشعب فى العريش فى ذلك الوقت معركة « تبة الفواخرية » حيث اشتبكت الجماهير مع قوات العدو وكبدته بعض الخسائر ، وتقدمت احدى دبابات العدو الى التبة عبر أحد الشوارع الضيقة وهناك القى احد ابناء سيناء قنبلة على الدبابة مما أسفر عن مصرع افرادها باستثناء اثنين ، استطاعا الفرار فتعقبتهما الجماهير وقتلت احدهما واسرت الثانى • وفى ميدان الشيخ جباره دارت معركة اخرى خسر فيها العدو بعض أفراده •

وفى احد المنازل بحى « المحاسنة » كان القائد الاسرائيلى البريجادير هابى مع فرقته يصوبون طلقات مدافعهم الرشاشة على بعض السكان ، فما كان من شباب المقاومة الموجودين بهذه المنطقة الا أن التفوا حول هذا المنزل واشتبكوا مع قوة العدو بالسلاح الابيض مما أسفر عن مصرع خمسة جنود اسرائيليين والضابط الاسرائيلى الكبير •

واستمر سكان العريش يقاومون المستعمرين الجدد حتى نفذت الذخيرة ، وسقطت عشرات القتلى والجرحى ، واخيرا تمكن الاسرائيليون من احتلال المدينة يوم الخميس ٨ يونيو ١٩٦٧ •

غير ان الشعب فى سيناء لم يستسلم للاحتلال الاسرائيلى ، اذ رفض التعاون مع العدو الاسرائيلى ، وقام بعدة اضرابات ابرزها اضراب ١٩ أغسطس ١٩٦٧ ، ففى فجر ذلك اليوم كانت شوارع العريش مغطاة بالورق الابيض والمنشورات التى تدعو الشعب الى الاضراب وكانت منظمة « صوت العروبة » والخلايا التابعة لها قد قامت بالاعداد لهذا الاضراب والتخطيط له • فقامت احدى مجموعات المنظمة بطبع المنشورات ووزعتها على المجموعات الاخرى وكانت كل مجموعة توزع بدورها على خلاياها ثم تتولى تلك الخلايا توزيع المنشورات فى أنحاء البلدة للدعوة للاضراب الشامل •

لكن لماذا اختير هذا اليوم ١٩ ـ ٨ ـ ١٩٦٧ للقيام بهذا الاضراب ؟

عرف الاهالى ان مجموعة من الصحفيين الاجانب ومراسلى وكالات الانباء سيزورون العريش ، فقرروا القيام بالاضراب ليؤكدوا للشخصيات الاعلامية الاجنبية تصميمهم على تحرير اراضيهم • وحاولت السلطات الاسرائيلية ان تجبر التجار على فتح محالهم ، وان تجبر الاهالى على العمل ، لكنها فشلت فى ذلك ، والاكثر من ذلك أن المظاهرات طافت بانحاء البلاد تهتف بالتصميم على التحرير ، وبسقوط موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ، وبحتمية زوال الاستعمار الاسرائيلى • واشتبك الاهالى مع جنود العدو الذى اخذ يطلق النار بطريقة مجنونة على السكان تحت تأثير الخسائر التى لحقته •

وفيما يلى نص المنشور الذى وزع على الاهالى :

« الى أبناء سيناء الاحرار ••

من أجل تضامننا مع اخواننا فى القدس وفى غزة وفى الضفة الغربية وفى كل قطعة من الارض المحتلة قررنا الدعوة الى القيام باضراب شامل فى يوم السبت الموافق ١٩ ـ ٨ ـ ١٩٦٧ ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى الذى يحسب أن الشعب فى سيناء قد استكان لبطشه وارهابه وانه أصبح خائفا منه ومن احتلاله ، ولكنه لا يعلم ان شعب سيناء ثورة اذا ما انفجرت اخذت تقذف بالحمم والبراكين ضد كل معتد اثيم •

« ولذلك نناشدك أيها التاجر والعامل والموظف والفلاح بألا تتعاون مع العدو والعمل على اغلاق المحال التجارية وعدم التجول فى شوارع او فى ميادين المدينة تعبيرا عن الاحتجاج والاستنكار

لوجود المحتل الاسرائيلى بأرض سيناء • وان الاسباب التى تدعونا الى الاضراب هى :

١ ـ وجود الاحتلال الاسرائيلى داخل سيناء رغما عن ارادة اهلها •

٢ ـ تحويل العملة المصرية الى عملة اسرائيلية •

٣ ـ تجول جيش الدفاع الاسرائيلى بمدرعاته ومجنزراته داخل البلدة والهجوم على المنازل وتفتيشها بغير حق •

٤ ـ نزول جنود الاحتلال وفتياته شبه عراة بداخل البلدة •

٥ ـ اعتقال الشباب والرجال من ابناء البلدة وتعذيبهم فى سجونه ومعتقلاته بدون ذنب ارتكبوه •

٦ ـ تضامنا مع اخواننا ابناء القدس والضفة الغربية فى اضرابهم الشامل •

٧ ـ اعلان السخط امام الرأى العام العالمى على الوجود الاسرائيلى • واخيرا نتمنى ان نكون يدا واحدة ضد عدو الله وعدوكم والله اكبر والنصر للعرب » (٢) •

امضاء
صوت العروبة

لكن كيف تصرفت السلطات الاسرائيلية بعد الاضراب ؟

١ ـ اعلنت نظام منع التجول واطلقت النار على كل من يخرج من منزله مما ادى الى مقتل ٣٠ شخصا من بينهم ٥ اطفال •

٢ ـ اعتقلت ما يزيد عن ١٥٠ شابا بتهمة الاشتراك فى الاضراب وقامت بتعذيبهم على أحدث أساليب التعذيب •

٣ ـ قطعت المياه عن المنازل •

٤ ـ نسفت بعض المنازل •

وخلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ ، مارست السلطات الاسرائيلية اشد انواع الارهاب ضد سكان العريش ، وقامت بتعذيب الاهالى وقتلت بعض السكان ومنهم الشهيد سلامة منسى الفار ، كما دمرت حيا بأكمله ، وهو الحى الذى يقع بين مدرسة التجارة الثانوية (الصناعات سابقا) وشارع جندل •

واذا كانت هذه بعض الحوادث التى وقعت فى العريش عقب عدوان يونيو الحزين ، فان الحوادث لم تنته بعد ذلك ، بل قامت عدة اضرابات وقاوم الاهالى المحتلين الاسرائيليين ، ووقع البعض شهيدا ، واعتقلت السلطات الاسرائيلية البعض الاخر فى سجونها الجديدة التى أنشأتها فى الاراضى المحتلة •

ومن أبرز الاضرابات ، الاضراب الذى تم يوم استشهاد الفريق اول عبد المنعم رياض ، حيث أقام الاهالى جنازة رمزية وأخذوا يهتفون بحياة الشهيد وبحتمية النصر وانتهاء العدوان مهما طال أمده • ومن أبرز المظاهرات مظاهرة يوم الخميس ١٤ـ٢ـ١٩٦٩ التى قام بها طلبة وطالبات مدارس العريش تضامنا مع أشقائهم طلبة وطالبات غزة وتزعمت المظاهرة الطالبتان كاميليا قويدر ونجوى كمال حافظ • وتصدت قوات العدو للطالبات والطلبة ، لكن الهتافات تعالت : « ناصر •• ناصر •• ناصر » و « حطوا المدفع ع البيبان فليسقط ابا ايبان » و « تحيا سيناء حرة عربية » (٣) •

وقد تشكلت عدة جمعيات سرية ، ومنظمات مقاومة أبرزها « منظمة سيناء العربية ، التى قامت بعدة عمليات عسكرية ناجحة اعترف بها العدو نفسه وخصوصا ابان حرب الاستنزاف التى شنتها قواتنا ضد العدو الاسرائيلى •

وقد شملت عمليات منظمة سيناء العربية كل أرض سيناء : شمالا وجنوبا وشرقا وغربا • وكان يوم ٢٣ مارس ١٩٦٩ يوما هاما فى تاريخ المنظمة اذ استخدم فدائيوها لاول مرة الصواريخ التى ضربوا بها مركز قيادة ورادار العدو فى **منطقة البرج** شرقى القنطرة بثمانية عشر كيلو مترا ، وبعد الضرب سمعت انفجارات متتالية فى مخازن الذخيرة والوقود ، وشوهد العدو وهو يخلى عددا من قتلاه وجرحاه •

على أن أجرأ عملية قام بها فدائيو منظمة سيناء هى عملية ضرب مطار العريش ومستعمرة « **ناحال سيناى** » ، وذلك فى يوم ٣١ اغسطس سنة ١٩٦٩. ويقع مطار العريش فى موقع حساس ، كما أن الاماكن المحيطة به مكشوفة والدوريات الاسرائيلية

---

(٢) المرجع السابق •
(٣) المرجع السابق •

تطوقت حوله بصفة دائمة . ومن هنا تأتى أهمية العملية العسكرية . كذلك فان مستعمرة « ناحال سيناى » تقع على بعد ٢ كيلومتر من مدينة العريش وهى محصنة تحصينا جيدا .

ويعتبر الشيخ حسين اول شهيد من شهداء منظمة سيناء العربية وقد صعدت روحه الطاهرة الى بارئها ليلة الاثنين - الثلاثاء ١٣ - ١٤ سنة ١٩٧٠ .

فى تلك الليلة خرجت جماعة من رجال منظمة سيناء تأخذ طريقها الى قلب مواقع العدو فى منطقة القنطرة على الضفة الشرقية للقناة . وكانت المهمة التى كلفت بها الجماعة هى نسف خطوط المواصلات ، وانابيب المياه ، وزرع الالغام على مجموعة المدقات الموصلة الى الطريق الرئيسى ونسف عدد من منشآت العدو فى المنطقة . وكان الطريق امامهم مفروشا بالمخاطر ، فالموت يتربص بهم فى كل خطوة ، ولكنهم طوال عملهم استطاعوا أن يقوموا بعملياتهم دون أن يسقط واحد نتيجة التنظيم الدقيق والتخطيط الجيد للعمليات والتنفيذ المطابق للتخطيط ، وأيضا لمعرفة هؤلاء الرجال بالارض التى يتحركون فوقها .

وفى تلك الليلة كانت الجماعة قد بثت الغامها ومتفجراتها الثقيلة ، كانت هذه الجماعة تضم بين أفرادها الشيخ حسين الذى اصبح أول شهيد يسقط من أبناء منظمة سيناء .

وانتهت الجماعة من العمل على الاهداف ، وانتقلت لزرع الالغام على المدقات الموصلة الى الطريق الرئيسى لاحداث أكبر قدر من الخسائر فى دوريات وأفراد العدو ، تحقيقا لهدف المنظمة ، وهو استنزاف العدو بدرجات متزايدة ، وازعاجه بصفة مستمرة ، وخفض الروح المعنوية لقواته ، واشعاره بأن الموت يترصد افراده فى كل مكان ، وتكبيده خسائر مستمرة فى المعدات والافراد والمنشآت ، واتخذت كل مجموعة طريقها الى المدق الذى ستزرعه بالالغام ، طبقا للتخطيط السابق .

واختار الشهيد الشيخ حسين ان يتقدم مجموعته كفرد استطلاع لاكتشاف المنطقة ، ومن المعلوم أن من يقوم بمثل هذا العمل هو اول من يلتقى بالعدو وأول من يصطدم به ويتعرض لنيرانه ، وبالفعل فقد فتح كمين مضاد لنيرانه ، وسقط الشيخ حسين فى ميدان الشرف .

وكانت الاسابيع الاخيرة من شهر فبراير ، والاولى من شهر مارس أنشط أسابيع عمليات منظمة سيناء . فقد أصدرت المنظمة فى ٢٥-٣-٦٩ بيانا اعلنت فيه مسئوليتها عن ٣٤ عملية عسكرية ضد العدو فى سيناء خلال الاسابيع القليلة الماضية على اصدار البيان . وقد وصلت هذه العمليات كل مناطق سيناء ووصلت الى شرم الشيخ وساحل خليج العقبة ومنطقة القسيمة وتم فيها نسف عشرات من السيارات العسكرية للعدو ومخازن ذخيرته ودباباته وجسور السكك الحديدية ووسائل الاتصال التليفونية التى تستعملها قوات العدو .

وأعلن ناطق باسم المنظمة ، ان الفدائيين العرب انزلوا بالعدو خسائر جسيمة فى الافراد ، ثم أضاف أن المنظمة سوف تواصل نشاطها ، تصعده وتوسع نطاقه ضد العدو فى كل شبر من أرض سيناء .

وأكد المتحدث الرسمى قيام تعاون وثيق بين منظمة سيناء العربية وبين منظمات المقاومة العاملة فى قطاع غزة .

وقد اورد المتحدث باسم المنظمة تفصيلات العمليات التى قامت بها المنظمة فى الفترة الاخيرة عن صدور البيان :

(أولا) فى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٨ تم نسف عربة جنزير على أحد المدقات جنوب رمانة (شرق بورفؤاد) وقتل وجرح جميع ركابها .

وفى اليوم التالى جرت ثلاث عمليات تم فى الاولى نسف عربة (باور واجن) تحمل جهازا لاسلكيا للعدو ، كانت تقوم بأعمال الداورية فى منطقة الجونة على الشاطىء الشرقى لخليج السويس ودمرت تدميرا تاما وقتل سائق السيارة واصيب ٣ آخرون باصابات بالغة .

وفى العملية الثانية تم نسف عربة جيب اسرائيلية تدميرا تاما وقتل ضابط وجنديان كانوا بها وذلك فى منطقة جنوب رأس مكامر على الطريق المؤدى الى العريش .

اما العملية الثالثة التى جرت فى نفس اليوم فتم فيها نسف مخزن ذخيرة للعدو فى منطقة أم عزة فى شرم المياه بجوار منطقة شرم الشيخ ، وقد استمرت الانفجارات والحرائق ٤ ساعات ، ولم يستطع العدو السيطرة عليها .

(ثانيا) وفى ٢ يناير ١٩٦٩ تم نسف جسر السكة الحديد بمنطقة الخروبة بين العريش وغزة .

(ثالثا) فى ٣ يناير تم نسف عربة جيب للعدو على أحد المدقات الساحلية شمال رمانة . وقد أدى الانفجار الى قتل سائق السيارة واصابة اثنين آخرين اصابات بالغة .

(رابعا) فى ٧ يناير تم نسف عربة مجنزرة فى منطقة وادى الغريب شمالى دهب على خليج

العقبة . وقد أدى الانفجار الى تدمير العربة وقتل ٣ أفراد كانوا بها ولم يستخدم العدو الطريق لفترة طويلة بعد الحادث .

(خامسا) فى ١٦ يناير تم نسف خط المياه الرئيسى الذى يمد معسكرات العدو على الطريق بين الاسماعيلية والعريش فى ثلاثة مواقع .

(سادسا) فى ١٧ يناير جرت عمليتان : الاولى تم فيها تدمير عربة مدرعة للعدو وقتل جنديين واصابة خمسة أفراد بجراح خطيرة وذلك على المدق الواصل بين الطريق الرئيسى وطريق العريش .

وفى العملية الثانية أقامت مجموعة من الفدائيين شرقى القنطرة كمينا لسيارتين للعدو محملتين بالجنود وتم تدميرهما كما تم تدمير بعض عربات النجدة وقدرت خسائر العدو بخمسة قتلى و١٠ جرحى .

(سابعا) وفى ١٨ يناير نسف الفدائيون عربة جيب للعدو فى منطقة البرج شرقى القنطرة وقد أدى ذلك الى مقتل السائق وجندى اخر .

(ثامنا) وفى ٢١ يناير تم تدمير عربة باوروا جن اثناء مرورها فى وادى الطيبة شمال أبو زنيمة فى خليج السويس ، ونتج عن ذلك قتل ضابط وجندى واصابة ٤ جنود بجراح .

(تاسعا) وفى ٢٩ يناير نسف الفدائيون عربة مدرعة للعدو جنوبى بالوظة على الطريق الشمالى . وقد قتل السائق واصيب ٣ جنود بجروح خطيرة .

(عاشرا) وفى أول فبراير تم تدمير عربة مدرعة للعدو كانت مكلفة بأعمال الداورية فى منطقة جنوب رمانة أثناء قيامها بالداورية ونتج عن ذلك قتل ثلاثة من الجنود وجرح ٣ آخرين .

(أحد عشر) وفى ٣ فبراير نسف الجسر الرئيسى بين رفح وغزة .

(اثنا عشر) وفى ٩ فبراير تم نسف عربة مدرعة كانت تسير على المدق الساحلى شمالى رمانة وقتل سائق السيارة و٢ جنود واصيب باقى ركاب السيارة بجراح خطيرة .

(ثالث عشر) وفى ١٢ فبراير اقام الفدائيون كمينا لسيارتين اسرائيليتين احداهما سيارة صالون مما يستخدمه كبار القادة الاسرائيليين وذلك على طريق القنطرة - العريش . وقد تم تدمير العربة الصالون وقتل جميع ركابها أما العربة الثانية فقد لاذت بالفرار .

(رابع عشر) وفى ١٣ فبراير قام بعض الافراد بعمل كمائن بالالغام على امتداد الضفة الشرقية للقناة نتج عنها نسف دبابة و٢ عربات مدرعة للعدو وقتل وجرح جميع ركابها .

(خامس عشر) وفى ١٩ فبراير جرت ثلاث عمليات تم فى الاولى نسف الكابل التليفونى الرئيسى فى منطقة جبل لينى ، وفى الثانية نسفت عربة للعدو فى منطقة شمال الختمية وقتل وجرح كل من فيها . وفى العملية الثالثة تم نسف عربة احدى دوريات العدو فى منطقة شرق جبل الحلال وقتل السائق ، واصيب جنديان بجراح خطيرة .

(سادس عشر) وفى ٢٠ فبراير تم نسف عربة لورى للعدو فى منطقة وادى الدير جنوب سيناء ونتج عن ذلك قتل وجرح ٧جنود اسرائيليين .

(سابع عشر) وفى ٢٢ فبراير أقيم كمين لدورية للعدو مكونة من دبابة وعربة مدرعة . وقد تم تعطيل الدبابة وتدمير العربة المدرعة وقتل جميع أفراد العربة كما أصيب أفراد الدبابة باصابات خطيرة .

(ثامن عشر) وفى ٢٢ فبراير جرت عمليتان أسفرت الاولى عن تدمير سيارة ناقلة للجنود فى منطقة شمال البحيرات وأصيب ٣ جنود باصابات خطيرة وأسفرت العملية الثانية عن تدمير جرار اسرائيلى وقتل سائقه فى منطقة شرم الشيخ أثناء محاولته تعبيد الارض .

(تاسع عشر) وفى ٤ مارس تم تدمير عربتين مدرعتين فى المنطقة شرق البحيرات المرة فى كمين بالالغام . وقد أدى ذلك الى قتل وجرح ١١ جنديا اسرائيليا بينهم ضابط برتبة ملازم .

(عشرون) وفى ٦ مارس تم تدمير دبابتين للعدو تدميرا تاما : الاولى فى الساعة ٣٠ر٨ صباحة والثانية فى الساعة ٣٥ر١٢ من نفس اليوم نتيجة كمائن الغام وضعت على طريق اقترابها ونتج عن ذلك قتل طاقم الدبابتين .

(واحد وعشرون) وفى ٨ مارس تم نسف عربة مدرعة على طريق رأس سدر - غمرندل جنوب سيناء وقد قتل السائق وضابط واصيب جنديان باصابات خطيرة . وعند حضور النجدة بقيادة الحاكم العسكرى لمنطقة ابورديس اصطدمت عربته بلغم آخر وقتل ٣ أفراد كانوا بها واستخدم العدو بعد ذلك الطائرات الهليوكوبتر فى اخلاء القتلى والجرحى .

(اثنان وعشرون) وفى ٩ مارس تم نسف عربة جيب للعدو في منطقة القسيمة وقتل وجرح من فيها .

(ثلاث وعشرون) وفى ١٥ مارس تم تدمير سيارة نقل جنود في الساعة العاشرة صباحا

نتيجة اصطدامها بلغم • وقد نتج عن ذلك تدميرها وقتل ٤ ركاب كانوا بها •

(أربع وعشرون) وفى ٢٠ مارس تم نسف ٣٠ مترا من شريط السكة الحديد داخل قطاع غزة •

(خامس وعشرون) وفى ٢٢ مارس تم تدمير دبابة للعدو كانت تقوم بأعمال الدورية بمنطقة شمال السويس • وقد قتل جميع طاقمها •

(سادس وعشرون) وفى ٢٣ مارس ضرب الفدائيون مركز قيادة العدو ورادار بالصواريخ فى منطقة البرج شرق القنطرة بحوالى ١٨ كيلو مترا • وقد سمعت على اثر ذلك عدة انفجارات متتالية وشوهدت النيران تشتعل فى مخازن للذخيرة والوقود • كما شوهد العدو يخلى عددا كبيرا من القتلى والجرحى •

وفى الساعة ٨ر٣٠ من نفس اليوم قامت مجموعة أخرى بقصف مناطق الشئون الادارية ومدفعية العدو الثقيلة فى منطقة عيون موسى بالضفة الشرقية لخليج السويس • وقد شوهدت الانفجارات فوق مواقع العدو من الضفة الغربية للخليج • واستمرت النيران مشتعلة فى مناطق العدو لفترة طويلة •

(سابع وعشرون) وفى ٢٤ مارس تم نسف دبابة نجدة للعدو فى الساعة الثامنة ودبابة أخرى فى الساعة الثامنة والنصف وذلك نتيجة لاصطدامهما بألغام •

وقد أعلن المتحدث باسم المنظمة ـ الذى أذاع بيان هذه العمليات يوم ٢٥ مارس ١٩٦٩ ـ أعلن بأن هناك تنسيقا كاملا فى العمليات بين المجموعات الفدائية لمنظمة سيناء العربية ، وبين ابطال المقاومة العربية فى قطاع غزة •

واضاف المتحدث أن منظمة سيناء العربية ستواصل عملياتها ضد العدو وضد ارهابه • وقال اننا سنقاتل دفاعا عن صحارينا ،ولن نسلم فى شبر من ارض عربية ونحن على استعداد لان نبذل من دمائنا وأرواحنا ، مهما كانت المخاطر ومهما كان الثمن ، حتى يتم تحرير الارض حماية لمصيرنا وتحقيقا لكلمة الحق والعدل والسلام •

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه منظمة سيناء العربية تواصل النضال ، كانت بقية جماهير سيناء تصعد من مقاومتها وتحديها للعدو الاسرائيلى • وعلى سبيل المثال وفى يوم ١٣ أبريل ١٩٧١ وزعت احدى المنظمات الفدائية السرية التى شكلها أبناء سيناء منشورا تحت عنوان : « اخرجوا من بلادنا » تقول فيه بالحرف الواحد :

« ان على قوى البغى والعدوان أن تعلم بأن بقاءها على أرض سيناء أصبح أمرا مستحيلا ، ان مطامع الصهيونية فى الاحتفاظ بأى وجود لها على أرض سيناء هو أمر مرفوض ، ان شعب سيناء المناضل ـ من بدو وحضر ـ الذى قدم قوافل الشهداء ، دفاعا عن أرضه ، قد عقد العزم اليوم على تبديد أحلام الصهيونية العالمية على رمال سيناء الطاهرة • ان كل شبر من ارض سيناء سيتحول على أيدى ابنائها الى جحيم تحت اقدام المعتدين يزلزل كيانهم ، وسيعلمون عندها انهم أمام امرين لا ثالث لهما اما الرحيل واما الهزيمة والاندحار » •

ولم يكن هذا المنشور المؤرخ بتاريخ ١٣ أبريل ١٩٧١ الاول أو الاخير من نوعه ، كما أنه ليس الا وسيلة من عشرات الوسائل التى استخدمها أهالى سيناء فى الدفاع عن أرضهم ورفضهم المطلق للوجود الصهيونى •

ومن الوسائل الاخرى التى استخدمها سكان سيناء المقاومة السلبية ورفض التعاون مع العدو الاسرائيلى بأى شكل من الاشكال •

وفى مواجهة هذه المقاومة الشعبية الصلبة استخدمت السلطات الاسرائيلية أبشع أساليب البطش والارهاب لقمع السكان • وقد كشفت لجان التحقيق الدولية حكايات يشيب لها الولدان تؤكد أن الصهيونية تفوقت على ربيبتها النازية •

وفى جلسة يوم ٢٢ مارس ١٩٧٠ وامام السفير هـ • س • **أميرا سينج** رئيس وفد **سيلان الدائم** فى الامم المتحدة والسفير **عبد الرحيم أبو فرج** ممثل الصومال فى المنظمة الدولية والبروفسور **يوارت بوهتى** عضو الجمعية الفيدرالية اليوجسلافية والاستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة لوبليانا ، أمام هؤلاء وغيرهم روى أبناء سيناء ، وابناء بلدنا أغرب الحكايات •

قال الشاب **محمد درباس** أن الجنود الاسرائيليين افقدوه رجولته بعملية استئصال دنيئة .. وقال الطبيب **كمال ملاك غبريال** الذى كان يعمل فى مستشفى العريش عندما جاء يوم ٥ يونيو ، قال ان حالات الدرن زادت ، وارتفع عدد مرضى السكر والضغط واستمرت عمليات هدم المساكن فكانت الجثث تنقل الى المستشفى وكانت السلطات الاسرائيلية ترفض أن يقوم الطبيب المصرى بتسجيل الاسماء أو معرفة أسباب الوفاة • وفى ٤ اكتوبر سنة ١٩٦٧ احضروا جثة غلام واتضح ان اسمه **صلاح الفار** وقالوا له « ضع الجثة فى المستشفى » واحضروا بعد ذلك ٤ أطباء اسرائيليين حديثى التخرج ليس بينهم جراح واحد • وكتب الدكتور كمال ملاك غبريال الى

الصليب الاحمر» ، وأبلغهم أنه قد يحدث وباء فقد كان كمال الطبيب الوحيد فى المستشفى • ودخلوا الى المستشفى بالاسلحة يهددون المرضى بالقتل اذا لم يتقدموا بمعلومات وهدموا غرفة العمليات ، وكانوا ينقلون المصابين من العريش الى غزة لسوء حالة مستشفى العريش على حساب صحة المرضى دون خوف على حياتهم • واتصل الطبيب بالصليب الاحمر فى فبراير سنة ١٩٦٨ ، وأبلغهم ان الحالة لا تطاق ، وأن أصوات المسجونين كان يسمعها من السجن القريب ، ورفضت السلطات الاسرائيلية أن يزور الطبيب المصابين منهم لان الحرب تقتضى تحمل كل هذه الجرائم والسكوت عليها •

ويضيق بنا المقام لو أثبتنا جميع الوقائع التى عرضت على لجنة التحقيق الدولية ، والتى تشكل جرائم حقيقية بمقتضى القوانين الدولية والاعلان العالمى لحقوق الانسان •

ومع ذلك فثمة جرائم اخرى ارتكبت بحق سكان سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلى:

أولا ــ جرائم اقتصادية واجتماعية :

وتتجلى فى رفع الاسعار والاستيلاء علـى الاراضى بالقوة ونهب المحـاصيل الزراعيـة للسكان • ويقول آخر تقرير عن الاسعار هناك ما يلى بالحرف الواحد :

يعانى المواطنون العرب فى سيناء من غلاء وارتفاع الاسعار فى المواد الغذائية والتموينية ومن نقص كبير فى بعضها وخاصة الاقمشة •

وفى نفس الوقت تقوم السلطات الاسرائيلية باحضار الاسمدة الكيماوية والبلدية وتبيع سيارة السماد البلدى ١٠ متر مكعب) بمبلغ ٣٠٠ ليرة وجوال سماد السوبر فوسفات العادى وزن ٦٠ كيلو بمبلغ ١٥ ليرة واحيانا بعشرين ليرة •

كذلك ترتفع اسعار الادوية والعلاجات والمبيدات الحشرية الخاصة بالنباتات والمزروعات على كافة أنواعها كما ترتفع أسعار استئجار الالات الزراعية مما يحمل المزارع العربى تكاليف مرتفعة •

وعندما يتم نضج المحاصيل الزراعية لـدى المزارع العربى ، يتحكم الاعداء فى بيعهـا وتسويقها • فعندما يحتاجون هم اليها فى الداخل يقومون بجمعها بواسطة هيئات وجمعيات وشركات خاصة وباشتراطات خاصة ، ويفرض ذلك فرضا على المزارعين الذين يقيدون باسعار تجعل قيمة الانتاج لا تغطى التكاليف التى انفقت علـى الزراعة •

ويقوم الاعداء أحيانا بضرب الاسواق المحلية فيحضرون الفائض لديهم من المنتجات الزراعية والانواع الغير صالحة عندهم ، ويقومون ببيعها داخل المناطق المحتلة مما يؤدى الى هبوط اسعار المنتجات المحلية والى ركودها •

ثانيا ــ المشاكل الصحية :

يوجد نقص كبير فى عدد الاطباء والممرضين والادوية والمواد الطبية التى ترتفع أسعارها • كذلك فان ارتفاع الاسعار يؤدى الى انتشـــار الامراض المعدية وخاصة مرض السل بين بدو سيناء •

ثالثا ــ المشاكل التعليمية :

غيرت السلطات الاسرائيلية المناهج التعليمية فى المدارس بما يتلاءم مع المخطط التـوسعى الاسرائيلى • ويوجد نقص كبير فى عدد المدارس والمدرسين الاكفاء كذلك توجد مشاكل كبيرة فى الكتب والمطبوعات المدرسية والكراسات •

رابعا ــ المشاكل الدينية :

توجد مساجد متروكة ومهملة ليس لها ابواب ولا نوافذ ولا فرش وتحتاج الى تعمير واصلاح ولا يوجد لهذه المساجد رجال دين • ومن امثلة ذلك مسجد « الحاج سيد » برفح ومسجد المحطـة ومسجد قسم الشيخ زويد ، ومسجد الحارون برفح الغربية ومسجد الاوقاف برفح سيناء ومسجد البلد بالشيخ زويد •

خامسا ــ مشكلة الامن والاستيلاء على الاراضى :

تقوم السلطات الاسرائيلية بفرض نظام منع التجول فى اغلب المناطق ويحظر تحرك المواطنين الا فى ساعات قليلة ومناطق معينة • ودائمـا يتعرض المواطنون للقتل اذا خالفوا ذلك ومن تكتب له الحياة يوضع فى المعتقلات والسجون ويكون عرضة للاهانة والتعذيب ••

أما بخصوص انشاء المستعمرات الاسرائيلية فى سيناء فيمكن القول أن اسرائيل بدأت بعد حرب يونيو مباشرة فى تنفيذ مخطط مدروس للاستيطان اليهودى فى سيناء • ولقد تتابعت بعثات اسرائيلية بيولوجية وتعدينية على أرجاء سيناء ، وقامت بمسح مناطقها المختلفة ودراسة الحياة فيهـا وامكانيات معيشة المهاجرين اليهود أو المستوطنين الجدد على ارضها (٤) •

---

[٤] مجلة المصور : دراسة بقلم محمد وجدى قنديل •

ثم قامت بعثات علمية تابعة للجامعة العبرية بعد ذلك بالذهاب الى سيناء وكانت مهمتها الاساسية اجراء دراسات حول امكانية الاستيطان فى شبه الجزيرة • ولكن ندرة الارض الزراعية وعدم توافر المياه وقفت حائلا أمام اجتذاب التيار الجماعى الاسرائيلى الى الاستيطان فى سيناء مثل ما حدث من تدفق الحملات الاستيطانية الشعبية على هضبة الجولان والضفة الغربية • وكان لابد من أسلوب آخر وهو الاعتماد على السلطات الاسرائيلية التى اخذت تخطط وتعد الترتيبات وترصد الميزانيات بعد ٥ يونيو لاقامة « مستوطنـــات للنحـــال »: المستعمرات شبه العسكرية فى الجزء الشمالى لسيناء • وكان الهدف بالطبع تأكيد الوجــود الاسرائيلى وتركيزه فى مناطق معينة •

ولكن ذلك لم يكن كافيا لتنفيذ خطة الاستيطان الاسرائيلى فى سيناء بالشكل المطلوب • ووجدت السلطات الاسرائيلية أن المخطط الموضوع يتطلب فتح سيناء أمام الشركات المختلفة لبناء فنادق ومشروعات سياحية وخصوصا فى واحة نوبيع وواحة « دهب » على شاطىءخليج العقبة ، وتصل تكاليف هذه المشروعات الى ١٢ مليون ليـرة اسرائيلية على أساس ان تساعد هذه الفنادق وهذه المشروعات السياحية فى اثبات الوجود الاسرائيلى هناك بالاضافة الى الارباح المنتظرة من وراء تنشيط الحركة السياحية الى الاماكن المقدسة فى سيناء مثل دير سانت كاترين •

وحتى تسهل السلطات الاسرائيلية تنفيذ الخطة للشركات وتجتذبها الى المنطقة الجنوبية ، فقد نفذت مشروع الطريق السريع المرصوف الذى يربط ما بين ميناء ايلات وشرم الشيخ ، ويمتد ١٢٠ ميلا بطول ساحل خليج العقبة • وتدفقت على المنطقة ذات صباح فى سنة ١٩٦٨ بولدوزورات سلاح المهندسين الاسرائيلى وأدوات الرصف للشركات الاسرائيلية واخذت تشق الطريق الجديد وسط الصخور وترصفه بعرض اتجاهين • وقد كانت اسرائيل تهدف أيضا من وراء شق هذا الطريق الى ربط خط الامدادات البرية بين ايلات وشرم الشيخ، وتعزيز مواقع قواتها بكل احتياجاتها العسكرية ، ومن قبل لم يكن هذا الطريق ســوى « مدق صحراوى » • ولذلك كانت القيادة الجنــوبية الاسرائيلية تواجه صعوبات فى تحريك قواتها وامدادها على المحور الجنوبى ، وتضطـر الى استخدام الطائرات الهليوكوبتر فى عمليـــات التموين والاعاشة • ومن ناحية اخرى فان اسرائيل تريد أن تضع قدما ثابتة على طول الساحل الذى يتحكم فى الملاحة عبر خليج العقبة •

ولم تكتف الخطة الاسرائيلية بالخطوة التى اقدمت عليها ببناء مستوطنات « الناحال » شبه العسكرية فى شمال سيناء ، بل أعقب هذا النوع من الاستيطان نوع آخر من الاستيطان المدنى عند مدخل رفح على الحدود المصرية ،وفى نفس الوقت يمضى خط الاستيطان السياحى الى شرم الشيخ ، ويمكن أن تتحدد خطة الاستيطان الاسرائيلى فى شبه الجزيرة فى ثلاثة أنواع وهى :

١ ـ استيطان الناحال على امتداد المحور الشمالى من سيناء •

٢ ـ استيطان مدنى وزراعى عند مدخل رفح •

٣ ـ استيطان مدنى وسياحى فى شرم الشيخ عند مضايق تيران •

وذات صباح فى اكتوبر ١٩٦٧ (٥) وبعد الحرب بأربعة شهور فوجىء البدو الذين يقيمون عند بير مصفق فى شمال سيناء بمشهد غريب أثار انتباههم : طابور طويل من سيارات النقــل العسكرية الاسرائيلية يتقدم على الطريق الشمالى ثم يتجه الى محطة السكة الحديد وينزل من السيارات مجموعات من كتـــائب « الناحـــال » الاسرائيلية وهم يحملون أمتعتهم ومعداتهم الى المنازل المهجورة ومبانى محطة السكة الحديد ثم يقيمون حاجزا من الاسلاك حولها تمهيدا لاقامتهم فيها بصفة مؤقتة ولكن مجموعات الناحال أخذت تضيف الى المبانى عدة انشاءات صغيرة ، وعندما سألهم أهالى سيناء عما يحدث كان جوابهم : لقد جئنا لنقيم معكم هنا •

وكانت هذه هى « ناحال يام » نــواة أول مستعمرة اسرائيلية تبرز على أرض سيناء • وكان هذا هو نفس الاسلوب المختصر الذى اتبعـــه المستوطنون الاسرائيليون فى جهات أخرى • وقد وضع الكولونيل « تسفى ليفانون » قائد النحال فى سيناء خطة الاستيطان السريع بهذا الاسلوب لكى يكون ركيزة تقوم بعدها عمليات التوسع والانشاء لمبانى المستوطنات •

وبالفعل انتقلت المجموعات الاسرائيلية مـــن الناحال بعد شهور الى بيوت جديدة اقيمت لهم بالقرب من بحيرة البردويل على الطريق الرئيسى بين العريش والقنطرة • وكان الهدف العسكرى واضحا فى اختيار هذا الموقع بالذات لمستعمرة « ناحال يام » لانه يمكنها من الاشراف على جزء

---

(٥) محمد وجدى قنديل : مجلة المصور

من المحور الشمالى ومراقبة الطريق ، ويعتبر من أهم المحاور الثلاثة الرئيسية التى تعتمد عليها تحركات الجيش الاسرائيلى فى سيناء ، وذلك بالاضافة الى هدف اقتصادى آخر وهو قرب المستعمرة من بحيرة البردويل الغنية بالاسماك حيث يقوم الاسرائيليون هناك بصيد كميات كافية من هذه الاسماك ، ويتم شحنها الى اسواق اسرائيل بسيارات نقل مبردة • والغريب أن الشركات الاسرائيلية تقوم بدورها بتصدير جزء من تلك الكميات الى اوروبا ، ولذلك وضع المسئولون عن انشاء المستعمرة واستيطانها هذه الميزة فى حسابهم ، واهتموا بأن تكون نواة سكانها من خريجى مدرسة صيد الاسماك •

وطبقا للترتيب الزمنى فقد ظهرت بعد ذلك مستعمرة « ناحال سيناء » فى اواخر سنة ١٩٦٧ ، وتقع بالقرب من العريش وعلى الطريق المؤدى الى مفترق طرق « بير لحفن » وبهذا تشرف على المحور الاوسط فى سيناء •

وقد كانت هناك مزرعة نموذجية مصرية اقيمت لاستصلاح الاراضى فى المنطقة الشمالية ، واستغلت قيادة النحال وجود المزرعة بمبانيها وحولتها الى مستوطنة « ناحال سيناء » • أما غرض اسرائيل من وراء اقامتها فهو « دراسة امكانية توطين اللاجئين فى قرى سيناء حول مدينة العريش ، ثم يقوم الاسرائيليون فى هذه المستعمرة بالاعمال الزراعية ويسوقون انتاجهم بين هؤلاء اللاجئين وبين سكان العريش » •

وتجىء بعد ذلك ثالث المستعمرات الاسرائيلية فى شبه الجزيرة وهى مستعمرة « ناحال ركلا » التى ظهرت فى يونيو سنة ١٩٦٩ • وتقع هذه المستعمرة بالقرب من بلدة « الشيخ زويد » وعلى بعد عشرة كيلو مترات جنوب مفترق الطرق فى رفح وتشرف على الطريق المؤدى الى العريش •

ونواة هذه المستعمرة من أعضاء منظمة « بنى عكيفا » الموالية للحزب الوطنى المتدين ، وكان من المقرر عند انشائها أن تجىء بدلا منهم بعد فترة من الوقت مجموعة أخرى من حركة « بيطار » التابعة لحزب حيروت وبالفعل قدمت الى هناك هذه المجموعة واستوطنت « ناحال ركلا » • وبذلك تكون المستعمرة الوحيدة التى استطاعت حركة بيطار ارسال مستوطنين اليها ، وقد وضعت السلطات العسكرية الاسرائيلية ٢٠٠ دونم تحت تصرف هذه المستعمرة لزراعة الخضروات الشتوية • ولكن مع الوقت ظهر أن هذه المزرعة لا تسد حاجة المستوطنين ولذلك كلفتهم السلطات بمهمة الاعتناء بزراعة بيارة برتقال كبيرة تصل مساحتها الى ٤٠٠ دونم •

ولقد كان التركيز واضحا على ضرورة وضع قدم الاستيطان الاسرائيلى بسرعة فى سيناء وبالذات على المحور الشمالى الساحلى ، وليس سرا أنه منذ سنة ٧٠ أخذت الجهات الاسرائيلية المسئولة عن الاستيطان تبدى المزيد من الاهتمام تجاه المنطقة الشمالية من سيناء • وبدأت منذ ذلك الوقت تخطط فى صمت وتعمل فى هدوء لاقامة ثلاث مستوطنات زراعية مدنية هناك • وهذا هو أخطر أنواع المستعمرات لانه يعنى تهويد المنطقة ، ويعتبر ذلك تحولا حاسما وله مغزى خطير ، بعد أن كان الاستيطان الاسرائيلى فى سيناء يعتمد على مستعمرات الامن أو مستعمرات الناحال •

وقد اقيمت بالفعل اول مستعمرة من هذا النوع واسمها « مستوطنة مدخل رفح » أو « بتحات - رفح » وتقع فى القطاع الشمالى بالقرب من مدينة رفح •

هذه بعض ملامح التغيير الاسرائيلى فى سيناء وهى تؤكد جميعا أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تريد الاستيطان الدائم فى شبه الجزيرة • واذا كان المسئولون الاسرائيليون يختلفون فى مدى اطماعهم فى سيناء فان اختلافاتهم تخفى نواياهم الحقيقية فى عدم ترك شبه الجزيرة • ولقد كان **عزرا وايزمان** وزير المواصلات الاسرائيلى (والذى كان مدير العمليات بهيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى) أكثر المسئولين صراحة اذ قال يوم ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ ما نصه بالحرف الواحد :

« وفيما يتعلق بمشروعات السلام التى اقترحها هؤلاء أو أولئك فاننى لا أعرف من جانبى سوى واحد منها هو مشروع **ثيودور هيرتزل** وهو المشروع الوحيد الذى يمكنه أن يؤدى الى السلام » •

والمعروف أن مشروع هرتزل والذى رسمه فى ص ٧١١ من مذكراته يمتد من النيل الى الفرات ويشمل بالطبع سيناء بأسرها •

غير أن المعتدين الاسرائيليين ينسون دروس التاريخ التى تؤكد أنه فى مثل هذه المنطقة العربية ، التى تموج بحركة وطنية واجتماعية جبارة ، وبنهوض قومى لم يسبق له مثيل ، فان اسرائيل تتحرك فى اتجاه معاكس للتاريخ ، لانها انما تريد أن تفرض على الشعوب العربية نظاما أستعماريا واستيطانيا تخطى التاريخ بمسوته وافلاسه • وفى الواقع فان المعتدين الاسرائيليين انما يبنون احلامهم الامبراطورية فوق الرمال •

مع

بداية

دورة

نقابية

جديدة

المفهوم الواضح للعمل النقابى والديمقراطية النقابية

شرطان لدعم

الحركة النقابية

محمد جمال امام

بعد أيام تبدأ دورة نقابية جديدة ، من المقرر ان تستمر لمدة ثلاث سنوات .. وتضم عددا أقل من النقابات ، مع ما سيصاحب هذا الدمج المتعجل من اشكالات . ورغم أن دورة نقابية مدتها سنتان قد فصلت الدورة الجديدة عن الدورة النقابية الشهيرة التى استمرت سبع سنوات (٦٤ـ١٩٧١) .. فان تركة المشاكل التى تركتها هذه الدورة الطويلة ما تزال مثقلة دون ما حلول جذرية .

وتتمثل هذه التركة فى : مفهوم متميع للعمل النقابى ـ ضعف الاحساس بالديموقراطية النقابية ـ ضعف أشكال الاتصال التنظيمى بين المستويات النقابية المختلفة .

مفهوم العمل النقابى

تكون الاتحاد العام لعمال مصر فى ٣٠ يناير ١٩٥٧ .. فى أعقاب معركة العدوان الثلاثى على مصر .. وبداية عملية تمصير الاقتصاد الوطنى . وكان المد الوطنى عاليا .. والرغبة عند جميع فئات الشعب فى دعم الوحدة الوطنية من أجل مواجهة مؤامرات الاستعمار وبناء المجتمع المصرى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وفى هذه الظروف كان على القيادات النقابية أن تبحث عن حل وسط يمكنها من القيام بمسئولياتها النقابية دون الانزلاق الى مخاطر الصراع مع الطرف المقابل سواء كان الراسمالية المحلية أو ادارة القطاع العام ، خوفا مما قد يؤدى اليه هذا

الصراع من تهديد للوحدة الوطنية أو لكيان الاتحاد الوليد .

وفى ١٩٦١ بدأت مرحلة التحول الى الاشتراكية ، وصدر الميثاق الوطنى ، وبعدها بثلاث سنوات أجريت انتخابات الدورة النقابية « الشهيرة » فى ظل عملية دمج النقابات العامة من ٥٩ نقابة الى ٢٧ فقط ، ولائحة جديدة للاتحاد العام . وكانت هناك نظرية يروج لها ، تقول أنه فى ظل التحول الى الاشتراكية ، يتغير مفهوم العمل النقابى وأولوياته وتنتفى صور الصراع مع الادارة .. الخ . وعلى مدى هذه السنوات تميع مفهوم العمل النقابى .. ولم يعد واضحا أمام القواعد العمالية العريضة ، خاصة التى تدخل حديثا الى الحقل النقابى ، ما هو دور الحركة النقابية ومهامها .. فضعف وجودها ، وفضلت أعداد متزايدة من العمال اللجوء الى التنظيم السياسى لحل مشاكلهم .

ومن هنا نقول أن الخطوة الاولى فى استعادة الحركة النقابية لوضعها الصحيح ، هو اعادة صياغة مفهوم العمل النقابى والاتفاق عليه وجعله معروفا لكافة الجماهير العمالية .

وما يجب أن يوضع فى الاعتبار فى هذا الصدد أن أساس العمل النقابى فى كافة المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية هو الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم وحماية مكاسبهم .

لقد قام التنظيم النقابى لهذا الغرض ، وارتبط به العمال بقدر نجاحه فى القيام بهذه المهمة ، ورسخت فى أذهانهم على مدى السنوات الطويلة أن هذه مهمته . ولا يعنى بناء المجتمع الاشتراكى أن تسقط هذه المهمة من اعتبارها .. أو تبعد عن أولويتها فى العمل النقابى . ففى المجتمعات التى سبقت على طريق التحول الى الاشتراكية ، ما تزال التنظيمات النقابية تضع فى مقدمة مهامها الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم ضد أى صورة من صور الانحراف البيروقراطى التى قد تحاول اساءة تفسير القوانين والنظم بما يضر بمصالح العمال وأوضاعهم ، كما تشارك هذه التنظيمات بدور مؤثر وفعال فى وضع كافة القوانين واللوائح العمالية .

وفى مجتمع ما يزال فى بداية مرحلة التحول الى الاشتراكية ، وعدد كبير من رجال الادارة فى المنشآت والهيئات المختلفة قضوا سنوات عملهم الاولى فى ظل نظم وظروف عمل مختلفة ، لا يجب ان نتوقع أن يتغير المناخ داخل المنشآت بين يوم وليلة بما يجعل حقوق العمال ومصالحهم مصانة ، وبما يضمن حسن تفسير وتطبيق القوانين والنظم الاشتراكية ، بحيث يتراجع الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم من أولويات العمل النقابى . هذا اذا وضعنا جانبا أن الرأسمالية الوطنية لها دورها المعترف به فى هذه المرحلة ، وأن كونها وطنية لن ينفى عنها السمات الاساسية لاية رأسمالية من حيث طريقة تعاملها مع العمال . والاعداد الكبيرة من المشاكل والقضايا المتعلقة بالفصل التعسفى والنقل المتعنت والتوصيف والتسكين والعلاوات والترقيات ، فى القطاع العام والخاص ، والتى تثقل كاهل الاتحاد العام للعمال والنقابات العامة ، خير شاهد على أهمية هذه النقطة .

ولا يوجد سبب آخر لضعف ارتباط القواعد العمالية بالتنظيم النقابى والتفافها حوله ، سوى ابعاده طيلة تلك السنوات عن القيام بهذه المهمة الاصيلة ، خوفا مما قد يؤدى اليه قيامه بها من تفجر بعض أشكال الصراع مع الادارة .

ولن يستطيع التنظيم النقابى أن يقوم بالمهام الاخرى المطلوبة منه فى مرحلة التحول الى الاشتراكية ، الا اذا ضمن ارتباط القواعد العمالية به . والمفروض أن وضعية التنظيم النقابى تختلف عن وضعية التنظيم السياسى ، من حيث كونه تنظيما مهنيا يضم فى عضويته كافة العاملين فى المنشآت المختلفة بما يجعله أوسع عضوية من التنظيم السياسى الذى يتطلب شروطا معينة فى أعضائه ، كما أن هذه العضوية قائمة على أسس اختيارية . فاذا ما فشل التنظيم فى القيام بمهامه المهنية فى الدفاع عن حقوق الاعضاء ومصالحهم .. فانه يفقد قوة الجذب وسط الجماهير العمالية ، ويتحول الى تنظيم ضعيف عضويا فاقد التأثير على الجماهير العريضة .

الديمقراطية النقابية

ان عمق الوعى القومى والسياسى لدى القيادات النقابية ، وهى مسألة يتحمل مسئولية تأمينها النشاط التثقيفى للتنظيم السياسى ، قادرة على أن تجعلهم يقومون بواجباتهم دون التورط فى تفجير صراعات خطيرة تؤثر فى قوة وصلابة الوحدة الوطنية .

بعد ذلك تأتى مهام التنظيم النقابى الاخرى .. فى مجال الخدمات الثقافية والاجتماعية ومساهمته فى النشاط القومى .

● فهو مطالب بتقديم خدمة ثقافية مستمرة في مجالات محو الامية (والتي يعاني منها الجزء الاكبر من القواعد العمالية) ، وفي التثقيف النقابي والقومي والذي يساعد الكوادر والقيادات النقابية على ان تواكب التطورات المستمرة في المعرفة النقابية والعامة .. ويتيح للحركة النقابية أن تكشف من بين قواعدها الكوادر المختارة الصالحة للتصعيد أو لتولي مسئوليات معينة وفي مجالات التدريب المهني والفني . ونحن نرى في كثير من التنظيمات النقابية الاخرى .. ان المرور بمراحل التثقيف النقابية المختلفة شرط هام لتصعيد الكادر النقابي الى مستويات أعلى او لتوليه مسئوليات النشاط الفنية . وفي عصر اصبح العلم فيه هو الوسيلة الاساسية لحسن الاداء ، فان الكوادر النقابية المصرية يجب أن تعد وتدرب على القيام بمسئولياتها النقابية دون الاعتماد على مجرد الخبرة والمعرفة العامة .. (الفهلوة) .

● والتنظيم النقابي مطالب أيضا بتقديم خدمات اجتماعية لاعضائه في شكل تنظيم الاستفادة من أوقات الفراغ والراحة ، من خلال النشاط الرياضي والفني والترويحي والرحلات والمعسكرات الصيفية وغيرها .

● وفي الدول الاسكندنافية على سبيل المثال ، تساهم التنظيمات النقابية في تقديم خدمات اقتصادية لاعضائها من خلال مساهمتها الفعالة في دعم وتطوير الحركة التعاونية ، الانتاجية والاستهلاكية والخدمات . ولبعض النقابات المصرية بدايات في هذا المجال .. ولكنها عمليات فردية تحتاج الى التنظيم والتخطيط بحيث تكون سندا لحركة تعاونية فعالة تدعم جهود القطاع العام الاشتراكي وتحد من سطوة واستغلال القطاع الخاص في هذه المجالات .

● والتنظيم النقابي مطلوب منه أن يشارك بصورة فعالة في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية . اذ تتجمع لديه محصلة خبرات أعضائه وآرائهم ، وهم القوى الاساسية التي يعتمد عليها في تنفيذ هذه الخطط ، ولهم رؤى عملية لابعاد هذا التنفيذ تفتقدها في أغلب الاحيان القيادات التكنوقراطية المكتبية التي تتولى وضع الخطط . وعندما تؤخذ آراء ومقترحات القواعد العمالية في الاعتبار عند وضع هذه الخطط يتدعم الاحساس لدى هذه القواعد بأن هذه الخطط تنبع منهم ووضعت لمصلحتهم ، وبأنهم مسئولون أمام الوطن عن تنفيذها على الوجه الاكمل . والخطوة التالية في هذا الصدد ، الاستفادة من تجربة بعض التنظيمات النقابية في الدول الاشتراكية والتي تتحمل مسئولية التنفيذ من خلال التعاقد مع ادارة المنشآت على تنفيذ ما يخصها من الخطة على الوجه الاكمل في مقابل امتيازات مادية ومعنوية لعمال المنشأة كنوع من الحوافز . وبهذا المدخل يكون التنظيم النقابي مسئولا عن تنظيم حملات التوعية بالخطة ، وبضرورة العمل على خفض تكلفة الانتاج وعوادمه وحسن استخدام مواد الخام والآلات وتحسين نوعية الانتاج ، وما يقتضيه هذا من المشاركة في برامج التدريب المهني المختلفة . كما يدوم التنظيم النقابي أيضا بالمشاركة الفعالة في الرقابة على تنفيذ الخطة وكشف المعوقين والمنحرفين والمخربين وغيرهم . ويتضمن مسئولية التنظيم في هذا المجال دعم مشاركة العمال في مجالس الادارات بحيث تصبح مشاركة فعالة وغير مظهرية تؤدي دورها في خدمة الانتاج .

● ويتحمل التنظيم النقابي مسئولية كبيرة في مجال العمل السياسي لخدمة أهداف مراحل التحول الى الاشتراكية ، من خلال نشاطه الاعلامي والتثقيفي في اطار الخطة العامة للقيادة السياسية في هذا الصدد .

● وللتنظيم النقابي المصري دوره الاساسي في دعم وحدة الحركة العمالية العالمية في نضالها ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والاحتكارات العالمية .

في اطار هذه الخطوط العامة يمكن صياغة مفهوم واضح للعمل النقابي — يكون معروفا لدى القواعد العمالية ، ويصبح محكا ومقياسا لنشاط الكوادر والقيادات النقابية ، يقوم عملها على أساسها ، ويتم انتخابها من عدمه على قدر ما تؤديه من عمل في خدمة هذا المفهوم .

الديمقراطية النقابية

في غيبة مفهوم واضح للعمل النقابي ، كان من الطبيعي ان تبذل عناصر معينة جهودها لكبت الديموقراطية النقابية حتى لا تعطى الفرصة للقواعد العمالية لمحاسبتها وتقييمها ومشاركتها في تعريف امور الحركة النقابية وتوجيهها الوجهة الصحيحة . وكانت النتيجة الحتمية لذلك تضاعف انفصام القواعد العمالية بالحركة النقابية ونشاطها .

ورغم ان اللوائح النقابية تنص على انعقاد الجمعيات العمومية للجان النقابية والنقابات العامة والاتحاد العام في مواعيد دورية معينة ، ان هذا الجانب الضروري من النشاط النقابي يهمل في أغلب الاحيان .

ومشاركة القواعد العمالية بالرأى ، والنقد والتوجيه في أعمال الحركة النقابية مسألة ضرورية

لخلق تلاحم عضوى بين هذه القواعد وتنظيماتها النقابية ، ولتأمين مناخ يوقف اشكال الانحراف المختلفة ، ويضمن تصحيح مسار الحركة باستمرار ، ويكون قوة جذب لدعم العضوية النقابية .

ولا يكفى لتحقيق هذا مجرد انعقاد الجمعيات العمومية فى مواعيدها . بل يجب البحث عن وسائل اضافية ، مثل ادخال نظام المندوبين النقابيين عن الاقسام والورش الانتاجية داخل المنشآت الكبيرة ، وتشكيل لجان فرعية لهذه الاقسام (على سبيل المثال فى شركة كبيره كشركة المحلة للغزل والنسيج .. هل يحقق انتخاب مجلس ادارة للجنة من ١١ عضوا رابطة قوية بينهم وبين عشرات الالوف من عمالها ؟) .. وكذلك الاخذبنظام المجالس المركزية للنقابات العامةوالاتحاد العام ، كمستوى وسط بين الجمعيات العمومية والمجالس التنفيذية . بالاضافة الى عقد المؤتمرات المختلفة على مدار السنة لمناقشة القضايا النوعية ذات الاهمية الفئوية والقومية لعمال المنشآت .

الصلة العضوية بين مستويات التنظيم

كانت النتيجة المنطقية للمشكلتين السابق الاشارة اليهما ، أن ضعفت الصلة العضوية بين مستويات التنظيم المختلفة ، وأصبح تنظيما مقطع الاوصال ، يفتقد قنوات توصيل نظامية بين القاعدة والقيادة والعكس . بل وصل الامر الى حد أن تمتنع النقابات العامة عن دفع حصص اشتراكاتها فى الاتحاد العام للعمال .

والمفروض أن يكون التنظيم النقابى وحدة عضوية ملتحمة ، سبل الاتصال بين مستوياتها المختلفة سلسة وميسرة ،بحيث يكون لدى القيادة الصورة الصحيحة عن آراء القواعد واتجاهاتها ، ولدى هذه القواعد صورة صحيحة مماثلة لاراء القيادة واتجاهاتها ، بحيث تكون تحركات القيادة قائمة على تصور صحيح لموقف الحركه النقابية الشاملة .. وتكون القيادة قادرة على تحريك قواعدها المرتبطة بها على أساس من احساسها بأن تحركاتها نابعة من آرائها ومشاعرها .

ولن يتحقق هذا الا اذا كان هناك مناخ ديموقراطى فعلى يسمح باقامة الاتصال هذه على الوجه الصحيح .

ان وجود تنظيم نقابى قوى وفعال ، ضرورة لا غنى عنها فى كافة مراحل التحول الى الاشتراكية ، ومن أجل هذا نضع هذه الاراء أمام القيادات النقابية الجديدة .. فى محاولة لمساهمة مشتركة لدعم الحركة النقابية وفاعليتها .

دور الجامعات العربية

في التنمية الاقتصادية والاجتماعية

د٠ كاظم حبيب
استاذ مساعد بكلية الادارة والاقتصاد
ـ الجامعة المستنصرية ببغداد

ظاهرتان اجتماعيتان :

تعاني أقطار الوطن العربي ، وهي جزء من مجموعة البلدان النامية من ظاهرتين اجتماعيتين بارزتين تؤثران سلبيا على عملية النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي وتتلخصان في :

أ ـ ارتفاع مستمر في معدلات النمو السنوية للسكان وازدياد متواصل في قوة العمل المتوفرة . (الجدول أدناه يوضح الوضع السكاني لاقطار الوطن العربي ونسب النمو لكل منها ومعدل النمو لها مجتمعة (١)) ، علما بأن نسبة الزيادة السنوية الحاصلة في السكان في كل من الكويت ومحمية عجمان ناجمة بالاساس من الهجرة الى هاتين الامارتين من الاقطار العربية الاخرى بشكل خاص ، ومن عدد من البلدان الاجنبية ومن بينها ايران .

اسم البلد	عدد السكان بالالاف	نسبة الزيادة السنوية
الجزائر	١٤٣٥٧	٩ر٢
ليبيا	١٩٠٤	٧ر٣
المغرب	١٥٥٠٠	٨ر٢
تونس	٥١٨٩	٩ر٢
مصر	٣٣٣٠٦	٥ر٢
السودان	١٥٣٨٩	٨ر٢
غزة	٤٩٥	٠ر٣
العراق	٩٥١٩	٣ر٣
الاردن	٢٢٣٨	١ر٣
الكويت	٦٤٨	٥ر٧
لبنان	٢٦١٤	٨ر٢
سوريا	٦١٣٧	٠ر٣
السعودية	٥٠٧٤	٨ر٢
البحرين	٢١٣	٥ر٣
مسقط وعمان	٦٠١	٥ر٢
محمية عجمان	٢٠٠	٥ر٧
اليمن الشمالية	٥٤٠٠	٢ر٢
اليمن الجنوبية	١٢٩٧	٢ر٢
المجموع	١٧٢ر١٢٠	٨ر٢

(١) الثقافة العربية ٧١ تشرين الثاني ـ السنة الخامسة عشرة ـ العدد ٦ بيروت ١٩٧١ ملف احصائي شامل حول اهم مؤثرات لبنان الاقتصادي والاجتماعي العربي ـ اعداد سليم نصر

ان معدلات النمو السكانية العالية يمكن ان تكون ظاهرة صحية لو كان الاقتصاد الوطني لكل من هذه الاقطار قادرا على استيعاب الزيادة المتنامية فى قوة العمل المتاحة للتشغيل ، الا أن طبيعة اقتصاديات هذه البلدان ما تزال عاجزة عن استيعاب قوة العمل المتوفرة ، فنسبة العاملين فى عدد من الاقطار العربيةواطئة جدا بالمقارنة مع عدد السكان فيها وتشير الارقام التاليةالى هذه الحقيقة بوضوح (٢) .

ونشير دراسات وزارة التخطيط فى العراق الى أن نسبة البطالة ستزداد فى العراق مثلا خلال الفترة القادمه حتى عام ١٩٨٠الى حوالى مليون نسمة . وان هذه الظاهرة لا تقتصر على العراق فقط بل تشمل غالبية الاقطار العربية ، وهى تشكل خطورة على مستوى الدخل ومعدل حصة الفرد الواحد منه ومعدلات التنمية اللاحقة كما تجلب معها مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية جديدة لهذه الاقطار .

ب - ظاهرة التركيب النوعى المشوه لقوة العمل والتخلف فى مستوى التعليم وانتشار الامية والنقص البارزفى الكوادر العلمية والكفاءات والمهارات الفنيه والاختصاصات الاساسية الهامة لعملية التنمية الاقتصادية ٠ ان نسبة التغير فى التركيب النوعى لقوة العمل المتاحة للتنمية بطيئة جدا كما أن اتجاهها ما يزال غير سليم مما يزيد من عمق المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تعانى منها أقطار الوطن العربى . ان ميزانية التعليم فى الاقطار العربية التى تشكل عبئا كبيرا على الميزانية العامة والدخل القومى فى المرحلة الراهنة لا تساهم فى الواقع فى اعطاء مردود مناسب لمستوى المصروفات وفى تعليم النشء بما يقدم خدمة متوافقة مع المصروفات للمجتمع والاقتصاد والوطن .

تخلف وتبعية :

ان الظاهرتين المذكورتين ناجمتان أساسا من سمتين سلبيتين تميزان اقتصاديات الاقطار العربية بصورة عامة وهما :

أ - التخلف الاقتصادى المتعدد الجوانب المتبلور فى التركيب الاقتصادى المشوه ، والتطور وحيد الجانب وانعدام التعاون والتنسيق والتكامل الاقتصادى فيما بين البلدان العربية ، كما يجد تعبيره فى المستوى الواطىء للناتج القومى الاجمالى ولصافى الدخل القومى ولمعدل حصة الفرد الواحد منهما ٠والارقام التالية تشيربوضوح الى مستوى التخلف فيمعدل حصة الفرد الواحد من الناتج القومى الاجمالى (٣) :

الدولة	نسبة العاملين فى العدد الاجمالى للسكان ١٩٦٨
الجزائر	٢٢٪
المغرب	٢٨٪
تونس	٢٤ر١٪
مصر	٣٠ر١٪
السودان	٤٦ر٧٪
الاردن	٢٢ر٩٪
لبنان	٢٩ر١٪
العراق	٢٨ر٣٪
السعودية	٢١ر٨٪
الكويت	٣٩ر٤٪
البحرين	٢٩ر٢٪

القطر	نصيب الفرد الواحد من الناتج القومى الاجمالى بالدولار لعام ١٩٦٩
الجزائر	٢٦٠
ليبيا	١٥١٠
العراق	٣١٠
المملكة العربية السعودية	٣٨٠
الكويت	٣٣٢٠
البحرين	٤٢٠
مصر	١٦٠
السودان	١١٠
مراكش	١٩٠
تونس	٢٣٠
موريتانيا	١٤٠
سوريا	٢٦٠
لبنان	٥٨٠
الاردن	٢٨٠
اليمن الديمقراطية الشعبية	١٢٠
عمان	٢١٠

ويستدل من الارقام اعلاه المستوى المنخفض لمعدل حصة الفرد الواحد من الناتج القومى الاجمالى وخاصة تلك الاقطار العربية التى لا تمتلك موارد أولية أساسية كالنفط . وفى الوقت

(٢) راجع نفس المصدر السابق ـ ص ٩٧.

الذى يبلغ معدله فى الكويت ٣٢٢٠ دولارا فى السنة يبلغ معدله فى السودان ١١٠ دولارات فقط، أى أننا اذا استثنينا بعض الاقطار العربية المنتجة للنفط والتى تتسم بقلة السكان فنجد أن المعدل يتراوح بين ١١٠ دولارات و ٢٨٠ دولارا ـ عدا لبنان ـ وهو مستوى واطىء جدا بالمقارنة مع عدد كبير من البلدان المتطورة اقتصاديا والبلدان النامية . وفيما يلى نورد أرقاما مقارنة للجدول أعلاه بالنسبة لعدد آخر من البلدان (٤) .

ب ـ التبعية الاقتصادية التى تعانى منها اقتصاديات الوطن العربى لاقتصاديات البلدان الرأسمالية المتطورة اقتصاديا . وتتجسد هذه السمة فى واقع الدور الكبير الذى تلعبه التجارة الخارجية ـ الصادرات والاستيرادات فى نسبة تركيب الدخل القومى لكل من هذه الاقطار العربية ولمجمل الوطن العربى . وعدا ذلك فان مادة واحدة أو محصول زراعى واحد يكون النسبة الكبرى فى قيمة صادرات هذه الاقطار نحو الخارج ويمكننا ملاحظة ذلك فى الارقام التالية :

القطـــــر	نصيب الفرد من الناتج القومى الاجمالى بالدولار لعام ١٩٦٩
زامبيا	٢٩٠
غانـا	١٩٠
أنغـولا	٢١٠
ايـران	٣٥٠
سيلان	١٩٠
الفلبين	٢١٠
الارجنتين	١٠٦٠
فنزويلا	١٠٠٠
تشيلى	٥١٠
البرازيل	٢٧٠
المكسيك	٥٨٠
الاتحاد السوفياتى	١٢٠٠
المانيا الاتحادية	٢١٩٠
المملكة المتحدة	١٨٩٠
ايطاليا	١٤٠٠
تركيا	٣٥٠
يوغسلافيا	٥٨٠

● بلغت نسبة معدل التبادل التجارى بين الاقطار العربية والبلدان الصناعية الغربية للفترة ٦٢ ـ ١٩٦٧ ، ٧٦ فى المائة (٥) .

● بلغت نسبة صادرات النفط الخام لبعض الاقطار العربية الى مجموع صادراتها فى عام ١٩٦٨ كما يلى (٦) :

١ ـ ليبيا ٨ر٩٩ فى المائة
٢ ـ العراق ـ ر٩٣ فى المائة
٣ ـ الكويت ـ ر٩٤ فى المائة
٤ ـ السعودية ـ ر٩٣ فى المائة
٥ ـ الجزائر ـ ر٧٣ فى المائة

ومن الجدير بالذكر أن القسم الاعظم من العملات الصعبة والقسم الاكبر من الموارد المالية الموجهة لمناهج التنمية والميزانيات الاعتيادية متأتية من هذه الصادرات وحيدة الجانب .

عاملان رئيسيان :

ان بروز وتطور الظواهر السلبية فى اقتصاديات الاقطار العربية يعتبر نتاج طبيعى لعاملين رئيسيين لعبا ويلعبان دورهما الاساسى فى المجتمع العربى ، كما هى الحال فى بقية البلدان النامية وهذان العاملان هما :

أ ـ السيطرة الاستعمارية الطويلة والاستغلال الامبريالى الشديد الذى عانت منه وما تزال تعانى منه شعوب هذه الاقطار والنهب المتواصل لثرواتها القومية وتقليص لقدراتها التراكمية واضعاف متعمد لطاقات التنمية فيها ، اضافة الى السياسة الاستعمارية التى انتهجت بهدف عرقلة الاستخدام العقلانى للموارد الاقتصادية المادية والبشرية المتاحة وفى سبيل عرقلة تعجيل عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى هذه الاقطار . أن الدول الامبريالية بذلت وما تزال تبذل جهودها لابقاء الاقطار العربية تؤدى وظيفتها الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة والتابعة فى اطار التقسيم الدولى الرأسمالى للعمل .

ب ـ طبيعة العلاقات الانتاجية الاستغلالية والمتخلفة التى سادت أو ما تزال تسود اقتصاديات هذه البلدان . العلاقات الانتاجية شبه الاقطاعية بشكل خاص التى اثرت وتؤثر بصورة حاسمة وبالارتباط مع العامل الاول ، على بقاء مستوى

---

(٤) راجع U.N. Statistical Year Book 1970.
(٥) راجع : اعمال مؤتمر الاقتصاديين العرب الثانى ـ بغداد ـ آذار ـ ١٩٦٩ ـ ـ من منشورات اتحاد الاقتصاديين العرب ـ العلاقات التجارية العربية مع الدول الصناعية الغربية ـ الدكتور نعيم الشمار ـ صحيفة ٦٢١ ـ ٦٢٧.
(٦) راجع نفس المصدر السابق صحيفة ١١٦.

تطور القوى المنتجة فى حالة تخلف شديدة والى عرقلة الاستفادة من الامكانيات المتوفرة لتعجيل ورفع معدلات نموها .

ان هذا الواقع قد عمق من مستوى التفاوت القائم بين الاقطار العربية والبلدان المتطورة اقتصاديا ، كما أن الفجوة ستزداد اتساعا فى المرحلة الراهنة واللاحقة حيث تلعب الثورة العلمية ـ التكنيكية الهائلة دورا كبيرا فى تنمية اقتصاديات الاقطار المتقدمة اذا لم تسارع الاقطار العربية ومعها كل البلدان النامية لاختيار الطريق السليم لتقليص الفجوة وتنمية اقتصادها القومى .

الجامعة .. اداة أساسية :

ان الظواهر الاجتماعية السلبية التى تكونت عبر عشرات السنين كنتيجة منطقية للتخلف والتبعية الاقتصادية أصبحت الان من أهم الاسباب المساعدة على استمرار حالة التخلف والتبعية الاقتصادية . لهذا فلابد لنا أن نتلمس بدقة ووضوح الترابط العضوى والتفاعل المتبادل بين جميع سمات وظواهر التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى هذه البلدان . ان الهدف من ابراز هذا الترابط العضوى بلورة المهمة المركزية التى تجابه هذه الاقطار فى المرحلة الراهنة وفى السنوات العشر أو العشرين القادمة مثلا والتى تتلخص فى ضرورة الاستثمار الواعى للامكانيات والموارد الاقتصادية المادية والبشرية المتاحة لتعجيل عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وفى انجاز هذه المهمة تلعب الجامعة دورا أساسيا وطليعيا . ان الجامعة لم تعد فى ظل الثورة العلمية ـ التكنيكية التى يمر بها العالم وفى واقع التخلف الشديد الذى تعانى منه اقتصاديات هذه الاقطار ترفا أو مسألة ثانوية ، بل يجب أن تتحول الى أداة أساسية فعالة فى عملية التحـولات الاقتصادية والاجتماعية التقدمية . والجـدير بالاشارة أن مستوى الفعالية والتأثير الايجـابى للجامعة يرتبط أولا وقبل كل شىء بطبيعة وتركيب واتجاه التعليم العالى الجامعى فى هذه الاقطار . ان ما يزيد فى دور الجامعة ومهماتها فى البناء الاقتصادى والاجتماعى هو أن العلم فى ظل الثورة العلمية ـ التكنيكية الحالية قد أصبح عاملا مباشرا فى الانتاج ، وجزءا حيويا من القوى المنتجة .

ظواهر سلبية :

من المعروف لدينا جميعا بأن الجامعات العربية الحديثة قد نشأت فى ظل السيطرة الاستعمارية على الاقطار العربية وعلى أيدى المستعمرين ، ولذلك فقط استطاعوا ان يتحكموا بالمناهج واتجاهات التدريس فى هذه الجامعات فترة طويلة وبصورة مباشرة كما لعبوا دورهم فى عزل الجامعة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية المباشرة وعن ضرورات التنمية القومية فيها وما تزال تعانى جامعاتنا من آثار ونتائج تلك السيطرة المباشرة والتى تحتاج الى تغيير ثورى فعال فى اتجاهات التدريس ومناهج هذه الجامعات .

ان الانعكاس البارز لهذا الواقع تجده فى مظاهر عديدة سلبية تسود الجامعات العربية ومن اهمها ما يلى :

١ ـ اتجاهات التعليم غير المبرمجة والمنفصلة عن ضرورات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتؤكد هذه الحقيقة الارقام التالية (٧) :

ويوضح الجدول تباينا ملحوظا بين كل من مصر

جدول يوضح توزيع الطلبة النسبى حسب الفروع لبعض الاقطار العربية لعام ١٩٦٦

القطر	آداب وتربية وفنون جميلة	حقوق وعلوم اجتماعية	مجموع الدراسات الانسانية	علوم وعلوم طبيعية	طب وهندسة وزراعة	مجموع الدراسات العلمية
لبنان	٤٢	٤١	٨٣	٥	١٠	١٥
المغرب	٤٥	٣٧	٨٢	٦	١٣	١٩
سوريا	٤١	٣٦	٧٧	٧	١٢	١٩
تونس	٥٢	٢٤	٧٦	١٩	٥	٢٤
الجزائر	٣٠	٢٦	٥٦	١٨	٢٦	٤٤
مصر	٢١	٣٤	٥٥	٥	٣٩	٤٤

(٧) قارن : نفس المصدر السابق صحيفة ١٠١ .

والجزائر من جهة ، والاقطار العربية الاخرى من جهة ثانية فى مجالات الدراسات العلمية حيث أن وضعهما افضل من بقية الاقطار العربية رغم التباين بينهما فى اتجاهات التركيز .

فى مجالات الدراسات العلمية . وعلى العموم فلا تزال الدراسات الانسانية تمثل المركز الاول والحاسم فى جميع الاقطار العربية . ورغم حصول تطور نسبى فى اتجاهات الدراسة فى العراق نلاحظ استمرار هذا الواقع أيضا فى الوقت الحاضر . وتشير الارقام التالية بوضوح لهذه الحقيقة فقد بلغ عدد الطلبة المقبولين فى الدراسات الانسانية فى العراق فى عام ٧٠ ــ ١٩٧١ (٦٧.٤) طالبا وطالبة ، وبالنسبة للدراسات العلمية (٥٢٣٢) طالبا وطالبة أى بنسبة ٥٦ فى المائة ، ٤٤ فى المائة تقريبا . وهذا تطور ملموس وايجابى بالنسبة للعراق (٨) .

ان اتجاهات التدريس هذه قد أدت الى بروز ظواهر غير سليمة وسلبية على الاقتصاد العربى نجملها فيما يلى :

أ ــ بروز نقص كبير فى الكوادر والكفاءات الفنية لعدد مهم من الاختصاصات العلمية وخاصة التطبيقية منها التى يحتاجها تطور الاقتصاد الوطنى فى المرحلة الراهنة .

ب ــ بروز عطالة غير قليلة فى الكوادر والكفاءات الفنية والادارية لعدد مهم من الاختصاصات العلمية والانسانية النظرية التى يعجز الاقتصاد الوطنى والمجتمع عن استيعابها والاستفادة منها فى واقع ومستوى تطوره الراهن (٨) .

ان هاتين النتيجتين تخلفان اعناقا زجاجية واختناقات كبيرة بالنسبة للاقتصاد الوطنى ، كما أنها تعبر عن تفريط فى الموارد المالية الموجهة والمستثمرة فى التنمية البشرية وعدم استخدام عقلانى لها لمصلحة المجتمع بأسره . وقد ساهم فى استمرار هذا الواقع دور القيم الاجتماعية القديمة والخلل الكبير فى سلم الاجور الذى لا يساعد على دفع الشباب الى الدراسات المهنية التطبيقية ويشجعهم للتوجه نحو الجامعة مهما كانت الفروع التى يتسنى لهم دراستها اذ أن الغاية الاساسية للقسم الاكبر منهم هو الحصول على الشهادة مهما كانت هذه الشهادة حيث توفر لهم مركزا اجتماعيا أفضل وراتبا أعلى .

٢ ــ التوزيع غير السليم للجامعات فى أقطار الوطن العربى حيث نلاحظ أن مناطق واسعة ومكتظة بالسكان لكنها لا تمتلك جامعة علمية أو كليات علمية ، فى حين تتمركز أكثر من جامعة وعدد كبير من الكليات فى عواصم هذه الاقطار وربما فى بعض المدن . ومن الجدير بالاشارة أن تحسنا قد طرأ على واقع العراق فى السنوات العشر الاخيرة ، علما بانها ما تزال دون المستوى المطلوب . ان هذا الواقع يؤثر على امكانيات تطوير هذه المناطق اقتصاديا واجتماعيا اضافة الى واقع نزوح المئات من الخريجين من المناطق المختلفة الى العواصم العربية بسبب تخلف مناطقهم وعدم وجود فرص عمل حقيقية لهم أو لاسباب عديدة أخرى .

٣ ــ التوزيع غير السليم للطلبة الملتحقين بالجامعات المختلفة بالنسبة للتوزيع الاقليمى حيث تستحوذ بعض المدن الرئيسية وخاصة العواصم على حصة الاسد ونحاول فى هذا الشأن أن نورد ارقاما عن التوزيع الاقليمى (٩) للطلبة المقبولين فى جامعات العراق لعام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ لتبيان هذه الحقيقة ، ولعدم توفرها بالنسبة للعديد من الاقطار العربية الاخرى وهى ربما أفضل فى عدد من الاقطار العربية الاخرى .

---

(٨) راجع مجلة « الطليعة » المصرية العدد [١١] ١٩٦٥ ــ القاهرة ــ مطبعة الاهرام صحيفة ٣١ ، ٣٢

(٩) قارن : التعليم الجامعى والعالى فى العراق خلال العام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ المصدر السابق صحيفة ٦ ، راجع ايضا تقديرات د. محمد محمود الامام ــ مديرمشروع الصندوق الخاص ــ وزارة التخطيط ايضا .

اسم المحافظة	المجموع الكلى للطلبة المقبولين فى جامعات العراق الرسمية والاهلية لعام ٧١/٧٠ وتوزيعهم على المحافظات	توزيع السكان على المحافظات العراقية نسمة	التوزيع النسبى للطلبة المقبولين فى الجامعات على المحافظات ٪	التوزيع النسبى للسكان على المحافظات ٪
بغداد	٥٤٧٤	٢٦٨٨٨١٩	٤٧ر٦	٢٨ر٥
نينوى	١٣٥١	٨٢٣٤٦٦	١١ر٧	٨ر٧
دهوك	٩٦	١٥٦٥٧٦	٠ر٨	١ر٧
اربيل	١٣١	٤١٨٩٠٢	١ر١	٤ر٤
كركوك	٣٦٢	٥٣٣٨٦٧	٣ر١	٥ر٧
السليمانية	١٦٣	٤٧١٨٥٦	١ر٤	٥ر٠
ديالى	٥٠٢	٤٤٤٨٤٤	٤ر٣	٤ر٧
الانبار	٣٨٨	٣٤٥٢٢٦	٣ر٨	٣ر٧
واسط	٢٠٢	٣٥٩٧٢٣	١ر٨	٣ر٨
بابل	٤٣٦	٥١٦٨٥٦	٣ر٧	٥ر٥
كربلاء	٤٣٤	٤٧٧٨٧٢	٣ر٧	٤ر٧
القادسية	٣٠٣	٤٠٨٣٩٤	٢ر٦	٤ر٣
المثنى	٥٩	١٤٧٦٦١	٠ر٥	١ر٦
ذى قار	٢٥٨	٥٢٤٢٥٦	٢ر٢	٥ر٦
ميسان	١٩٥	٣٥٤٤٠٤	١ر٧	٣ر٧
البصرة	١١٤٩	٧٩٧٣٧٦	١٠ر٠	٨ر٤
المجموع	١١٥٠٣	٩٤٤٠٠٩٨	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

ويتبين من الجدل السابق الوقائع التالية :

أ ـ استحواذ بغداد على ٤٧ر٦ فى المائة من مجموع المقبولين للدراسة الجامعية فى عام ١٩٧٠ـ١٩٧١ فى حين بلغت نسبة سكان بغداد الى مجموع السكان ٢٨ر٥ فى المائة فقط . كما أن المحافظات الثلاث بغداد ، الموصل ، البصرة قد استحوذت على ٦٩ر٣ فى المائة من مجموع الطلبة المقبولين بنفس العام بينما بلغت نسبة السكان فيها الى مجموع السكان ٤٥ر٧ فى المائة .

ب ـ وفى الوقت نفسه فقد كان نصيب المحافظات الاخرى وهى ثلاث عشرة محافظة ٣٠ر٧ فى المائة من مجموع الطلبة المقبولين ،فى حين تشكل نسبة من السكان تزيد على أضعاف نسبتها من المقبولين للدراسة الجامعية . ان هذا الواقع الذى يعكس تخلفا فى التعليم يعبر عن التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى هذه المناطق والتاثير السلبى لذلك على عملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى .

٤ ـ قلة عدد الطلبة الدارسين فى الجامعات العربية بالنسبة الى مجموع السكان فى هذه الاقطار . فحسب الارقام المتوفرة لعام ١٩٦٦ بلغ عدد الطلبة الموجودين فى الجامعات العربية من غير الاجانب ٣٠٠١٩٠ طالبا أو ما يعادل ٣٠٠ طالب لكل مائة ألف نسمة من السكان فى حين بلغ معدله فى الولايات المتحدة عشرة أضعاف هذا العدد (١٠) .

أما بالنسبة للعراق فقد بلغ معدله فى عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ (٤٥٦ طالبا لكل مائة الف نسمة من السكان (١١) . وبالرغم من أن هذا العدد مايزال بعيدا عن حاجة وضروريات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى العراق الا أن المشكلة الرئيسية هى ليست فقط فى قلة العدد بل وأساسا فى اتجاهات التعليم الخاطئة اذ أن العدد سيكون مقبولا فعلا لو كانت اتجاه التعليم منسجما مع حاجات البلد الفعلية .

٥ ـ ان مشكلة التعليم فى الاقطار العربية لا

---

(١٠) راجع : الثقافة العربية ٧١ ـ مصدر سابق صحيفة ١٠١

(١١) قارن : التعليم الجامعى والعالى فى العراق ـ مصدر سابق ـ صحيفة حول الطلبة

راجع ايضا : كتاب الجيب الاحصائى ١٩٧٠/١٩٦٠ وزارة التخطيط ـ الجهاز المركزى للاحصاء ـ بغداد ـ سنة ١٩٧٢ صحيفة ٣١ حول السكان

تنحصر فيما ذكر أعلاه بل تمتد لتشمل قلة عدد الطالبات الدارسات فى الجامعة الى مجموع الطلبة فيها ومع انه لم تتوفر لدينا أرقام عن الاقطار العربية الاخرى فان نسبة الطالبات فى الجامعات العراقية الى مجموع الطلبة تعطى صورة عن الواقع فى الاقطار العربية . ولقد بلغت النسبة فى عام ٧٠ ـ ١٩٧١ (٢٢ فى المائة) فقط أى (٩٥٥٢) طالبة من مجموع ٤٣٣٥٨ طالبا ، علما بان نسبة الاناث الى الذكور فى العراق لنفس العام بلغت ٦ر٤٩ فى المائة (١٢) . ان هذه المشكلة ليست ناجمة من طبيعة الجامعات بل بطبيعة المشاكل الاجتماعية والتقاليد البالية الموروثة ، وان معالجتها ترتبط عضويا بمعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية .

٦ ـ تعانى المناهج الدراسية فى الجامعات العربية من تخلف شديد وعدم انسجام مع التطورات الجديدة فى مجالات العلم والتكنيك وفى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما انها غير ملائمة لضرورات التطور السريع للاقتصاد الوطنى . ان مشكلات مناهج التعليم العالى متباينة بالنسبة لمختلف الاقسام مع وجود المشكلات المشتركة التى تشمل جميع هذه الاقسام والفروع الدراسية اضافة الى واقع التخلف فى أساليب التدريس السائدة حاليا . وعدا ذلك فان الجامعات العربية التى تطورت فى اطار علاقات اقتصادية واجتماعية متخلفة وتحت سيطرة أجنبية معادية انعكست تأثيراتها وسماتها البارزة على واقع العلاقات فى الجامعات وخاصة العلاقات بين الاساتذة والطلبة أو بين الطلبة وادارات الجامعة أو بين الاساتذة وهذه الادارات . ومن بين هذه المشاكل صلاحيات الاقسام العلمية ومسئولياتها ومهماتها ودورها فى وضع وتنفيذ المناهج العلمية .

ان هذه المشكلات اضافة الى النقص البارز فى الحياة الديمقراطية للجامعات عموما قد أثر ومايزال يؤثر على المستوى العلمى للجامعات والطلبة باتجاه سلبى .

٧ ـ قلة عدد أعضاء الهيئات التدريسية فى الجامعات العربية وارتفاع معدل حصة كل عضو فى الهيئة الى مجموع الطلبة الموجودين فى هذه الجامعات . فقد بلغ معدل حصة العضو الواحد من الاساتذة الجامعيين فى جامعات العراق فى عام ٧٠ ـ ١٩٧١ ، ١٩ طالبا وطالبة (١٣) . ان هذا العدد الكبير من الطلبة لكل عضو فى الهيئة التدريسية يعتبر ارهاقا كبيرا لاعضاء الهيئة التدريسية وللطلبة فى آن واحد ويؤدى الى تقليص قدرة الاساتذة على الاهتمام الجيد والضرورى بطلبتهم وبمستوى التدريس والمفردات العلمية . انهذا الواقع يؤثر سلبيا على مستوى واتجاه التعليم فى الاقطار العربية ويتطلب منا دراسة واقعية مفحمة لدور الجامعات فى عملية التنمية الشاملة فى المرحلة الراهنة وتحديد مهامها الاساسية فى الحاضر والمستقبل .

شرط موضوعى :

ان تطوير وتسريع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية تستهدف بواقع الحال زيادة حجم الانتاج المادى الاجمالى وتحسين وزيادة الخدمات التى تقدم لافراد المجتمع فى سبيل اشباع متزايد لحاجاتهم المادية والروحية وتحسين مستوى معيشتهم . الا أن القاعدة المادية لتطوير الثروة القومية وزيادة الدخل القومى وكذلك تطوير عملية الانتاج تعتمد بدورها على مستوى تطور عناصرها أو شروط عملية الانتاج ونقصد بذلك مستوى تطور القوى المنتجة اضافة الى طبيعة علاقات الانتاج السائدة التى تعمل فى اطارها القوى المنتجة بمحتواها . فتحسين وسائل الانتاج يعتبر الشرط الموضوعى الذى لابد منه لتنمية الانتاج ، كما ان تطور مستوى قوة العمل يعتبر الشرط الضرورى لذلك اضافة الى الطرق والاساليب الحديثة التى ينبغى أن تستخدم فى انتاج الثروات المادية . وكما هو معروف فان زيادة الانتاج تتم عن طريقين رئيسيين ـ : هما أما بزيادة عدد العاملين المساهمين فى الانتاج واما

---

(١٢) قارن : التعليم الجامعى والعالى فى العراق ـ مصدر سابق صحيفة ٧ راجع كتاب الجيب الاحصائى ـ مصدر سابق صحيفة ٧

(١٣) قارن : التعليم الجامعى والعالى فى العراق ـ مصدر سابق ـ صحيفة ٧ و ١٠

ملاحظة : تشير الدراسة الصادرة عن مركز البحوث التربوية والنفسية الى أن معدل حصة عضو الهيئة التدريسية فى الجامعات العراقية من الطلاب قد بلغ فى عام ١٩٦٧/٦٦ [٣٢] طالبا وارتفع فى عام ١٩٧٢/١٩٧١ الى [٣٦] طالبا لكل عضو . فى حين أن النسب المعقولة على المستوى العالمى هى ١٥ طالبا لكل عضو . ومن الجدير بالملاحظة أن معدل حصة كل عضو من أعضاء الهيئة التدريسية فى العراق من طلاب الجامعات هو أعلى معدل موجود فى بلدان انحاء العالم .

راجع : عبد الجليل الزوبعى وموفق الحمدانى ورزار العانى ، تقديرات التعليم العالى فى العراق من الكوادر العلمية للسنوات العشرة القادمة تموز ١٩٧٢ ـ بغداد ـ وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، مركز البحوث التربوية والنفسية صحيفة ٢٤ ـ ٢٧ .

بتحسين انتاجية العمل للفرد الواحد وأما بالطريقين معا . ان زيادة الانتاج من خلال تحسين انتاجية العمل للفرد الواحد تؤدى ليس فقط الى اغناء الثروة القومية ، بل وكذلك الى تقليص تكاليف السلع المنتجة . ان تحسين انتاجية العمل ورفع معدلات نموها تعتبر الاساس المادى لتعجيل عملية النمو الاقتصادى فى اقتصاديات البلدان النامية ومنها العراق . الا أن هذه المشكلة مرتبطة أساسا بناحيتين هما :

أ - امكانيات الدولة على توجيه استثمارات مالية متزايدة لصالح تطوير التعليم العام والتعليم المهنى والتعليم الجامعى ، اذ أن استثمارات التعليم عالية جدا ونتائجها لا تأتى بسرعة وبفترة قصيرة بل تحتاج الى فترة زمنية طويلة فى حين تعانى هذه البلدان من نقص بارز فى الموارد المالية .

ب - وجود أعداد كبيرة من قوة العمل العاطلة عن العمل والتى تخلق مشكلة الخيار بين استخدام تكنيك عالى للحصول على انتاجية عالية ، أو استخدام مزيد من الايدى العاملة لمعالجة ظاهرة البطالة المستفحلة فى هذه الاقطار .

وعلى أى حال فان ايجاد نوع من التوازن بين هاتين المسألتين امر ضرورى جدا فى الاقطار العربية ، كما ان تحسين ورفع انتاجية العمل يعتمد ، وكذا الحال بالنسبة لمجمل عملية الانتاج ، على طبيعة ومستوى التطور فى قوة العمل التى ترتبط بدور الجامعات والمعاهد العلمية والمهنية وباتجاهات وأسس التعليم العالى والجامعى وفى قدرتها فى امداد الاقتصاد الوطنى والحياة الاجتماعية بالكوادر والكفاءات العلمية بمختلف الفروع الضرورية باستمرار ، اضافة الى قدرتها فى ربط الجامعة بالحياة الاقتصادية وبالانتاج المادى والخدمات المباشرة . وبالرغم من ارتفاع تكاليف التعليم وحاجة الدولة الى استثمارات عالية الا ان عائد هذه الاستثمارات للمجتمع تكون بدورها عالية جدا . فتشير الدراسة التى قام بها بياتيسية الى ان محصلة استثمار (٩٠٠٠) دولار فى الجامعة تحقق ناتجا من الخدمات محسوبا على أساس أجر هذا الشخص خلال حياته العاملة قدره (١٠٠,٠٠٠) دولار بينما لو استثمر هذا المبلغ فى أى مشروع آخر صناعى أو ادارى فانه لن يعطى أكثر من ٢٤ الف دولار (١٤) .

ربط خطة التعليم بخطة التنمية :

لا يمكن للجامعات أن تؤدى دورها الحقيقى المنوه عنه فى الموضوع السابق فى تنمية القوى العاملة وتكوين الاختصاصيين الذين تحتاجهم المجتمعات النامية ما لم تأخذ الدولة على عاتقها مهمة ربط خطة التعليم بما فيه التعليم العالى ، بخطة التنمية القومية الشاملة وما لم تلتزم هذه الخطة بمهمة توحيد نظام التعليم فى جميع مراحله بالنسبة القطر الواحد . فتخطيط التعليم عموما والتعليم العالى بشكل خاص وفق متطلبات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب الاخذ بنظر الاعتبار مجموعة من الاهداف الاساسية من أهمها مايلى :

أ - تلبية حاجات الاقتصاد الوطنى والبناء الاجتماعى والثقافى وخاصة الفروع التقدمية فى الصناعة والانتاج .

ب - التوزيع العقلانى الصحيح لشبكة المعاهد الدراسية الاختصاصية العالية والثانوية على الاقاليم الاقتصادية .

جـ - تأمين التناسب الامثل فى اعداد الاختصاصيين ذوى التحصيل العالى والثانوى (١٥) .

د - توسيع المعاهد المهنية التطبيقية التابعة للجامعة وزيادة عدد الفنيين من النوع المتوسط الكفاءة والمهارة الفنية بحيث يساهمون بفعالية فى عمليات التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن تكاليف اعداد مثل هذه الكوادر هى أقل بكثير من تخريج حملة الشهادات الجامعية .

هـ - تحسين مستوى التعليم الثانوى والمهنى والجامعى وجعلها مراحل متكاملة بالنسبة لاهم الاختصاصات العلمية ومتدرجة ، ومن حاجات الاقتصاد الوطنى والاهتمام بنوعية المناهج والمفردات التى تدرس فى هذه المراحل التعليمية وتوحيد أسسها على أفضل وأحدث منجزات العلوم المختلفة بحيث تستطيع الجامعات والمعاهد تخريج شبيبة تحمل علوما نظرية ، وتطبيقه بمستويات جيدة تساهم من خلالها فى انجاز مهمات واهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبسبب من حاجة الاقطار العربية الى المزيد من الكوادر الفنية بالعلوم النظرية فان اقرار وتطبيق الدراسة الجامعية بالمراسلة تصبح ضرورة موضوعية بالنسبة لموظفى ومستخدمى وعمال المؤسسات الاقتصادية وأجهزة الادارة والمعامل والمنشآت المختلفة . ان هذا النوع من الدراسة لا يتطلب استثمارات مالية كبيرة ولكنه يساهم فى توفير الكوادر المطلوبة وبمستويات جيدة أيضا . الا أن

---

(١٥) راجع : مجلة الطليعة المصرية القاهرية - العدد - ١٩٦٥/١١ صحيفة ٢٨

(١٥) راجع : ن.ف تسابكين و.ف.ى بيريسليفين تخطيط الاقتصاد الوطنى فى الاتحاد السوفيتى - ترجمة احمد دباس - مطبعة وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧١ - الجزء الثانى - صحيفة ٢٨

القضية تعتمد ايضاً على عدة نواح منها : المناهج التى سوف تقرر ومفرداتها الاساسية ، أسلوب الاشراف على الطلبة الذين ينتسبون الى مثل هذه الدراسات ، ثم الامتحانات وطبيعة الشهادات التى سوف تمنح لهم والحوافز المادية التى سترتبط بها .

و ــ ان من أهم الاسس التى ينبغى ان تعتمدها الجامعات العربية فى نشاطها التعليمى الراهن واللاحق هو ربط الجامعات العربية بمختلف فروعها بمؤسسات الدول الاقتصادية والادارية وبمراكز البحوث العلمية . والهدف المتوخى من ذلك يتلخص فى :

١ ــ ان العلوم النظرية التى يحصل عليها الطالب فى سنى دراسته فى الجامعة ، يمكن أن تمر بتجربة عملية مباشرة اثناء الدراسة بمايساعد على رسوخ العلوم النظرية وعلى تفاعلها مع الناحية التطبيقية .

٢ ــ نقل العلوم النظرية من خلال فترات التطبيق العملى للطلبة الى الاشخاص العاملين فى مؤسسات الدولة المختلفة وفى ذلك فائدة مهمة بالنسبة للعاملين فى هذه المؤسسات ممن لم يحصلوا على مثل ذلك من تعليم نظرى .

٣ ــ ان الترابط العضوى بين الجامعة ومؤسسات الدولة الاقتصادية : المصانع والمزارع وأجهزة التخطيط والادارة والخدمات الاجتماعية ... وبمراكز البحث العلمى يلعب دوره فى تحقيق الفائدة المتبادلة بين الجامعة وهذه المؤسسات فبمقدور الجامعة الاسهام فى البحوث والتجارب العلمية والدراسات الميدانية وبالتعاون مع تلك المؤسسات ولمصلحتها مما يساعد على توجيه البحوث والدراسات بصورة سليمة تنسجم وحاجات المجتمع والاقتصاد الوطنى المباشر ، كما انها تعطيها حيوية واهتمام واحتمالات نجاح أكبر اضافة الى أنها ستقلص الى حدود بعيدة تكاليف مثل هذه البحوث والدراسات ، وتبعد ازدواجية القيام بها .

٤ ــ وعدا ذلك فان الترابط بين الجامعات والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة وانجاز بعض مهمات تلك المؤسسات يوفر للاقتصاد الوطنى موارد مالية كبيرة ويرفع من روح التعاون والمبادرة ويحقق مزيداً من التفاعل والتفاهم بين الجامعات والمجتمع واهداف المجتمع .

مشكلة تعدد مراكز البحث العلمى :

ان هذه المسألة تطرح فى الواقع مشكلة أخرى تعانى منها البلدان النامية ومنها الاقطار العربية وهى تعدد مراكز البحث العلمى فى كل قطر من هذه الاقطار بما يؤدى الى اهدار فى الموارد وعدم تعبئة الكفاءات والاستفادة العقلانية منها وتربية الكوادر الجديدة . ولذلك تطرح مهمة ايجاد جهاز مركزى للبحوث العلمية بمختلف اختصاصاتها يرتبط باعلى سلطة فى الدولة وينسق البحوث العلمية فى مختلف المجالات مع الجامعات ومراكز البحوث الفرعيه والمؤسسات الاقتصادية ويحقق الترابط العضوى والتعاون المتين والتكامل فى نشاطاتها العلمية . ان مثل هذا الجهاز سيساهم فى تخليص ماتعانيه مراكز البحث العلمى والجامعات فى الوقت الحاضر من انعزال خطير عن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وبعيدة عن احتياجات عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية الى درجة كبيرة . ان هذا الواقع يؤدى الان الى خسارة مزدوجة فى الموارد المالية والكفاءات العلمية وتكون نتائجه غير موجهة لمصلحة الاقتصاد الوطنى وربما نظرية بحتة بعيدة عن الواقع الملموس . ان هذا يمكن تجنبه اذا استطعنا خلال السنوات القادمة تطبيق ارتباط عضوى قانونى نشيط وفعال بين مؤسسات ومراكز البحث العلمى والجامعات العربية من جهة وبين المؤسسات الاقتصادية الزراعية والصناعية والتجارية وأجهزة الادارة والتخطيط من جهة أخرى ، وتجنيد الطلبة وطلبة الماجستير والباحثين لانجاز بحوث علمية تطبيقية مباشرة ومن حاجات تلك المؤسسات وارتباطها بايجاد الحلول العلمية لمشكلاتها القائمة . ان هذه الخطوة ستحقق أكبر الفوائد الاقتصادية والمنافع المباشرة الكبيرة جداً وسيحقق الغرض من وجود مثل هذه المراكز والمؤسسات العلمية كما انها من الجانب الاخر ستحقق وتستجيب للحوافز المادية المباشرة للعاملين فى البحث العلمى ، اذ ان انجاز مثل هذه البحوث ذات الفائدة المباشرة للمؤسسات الاقتصادية والتى توفر لهم مبالغ مالية كبيرة لابد ان تكون مرتبطة بمخصصات ومكافآت مادية وادبية تمنح للقائمين بها .

مراعاة التطور الاقتصادى لكل بلد :

ان القيام بعملية تعاون وتنسيق فيما بين الاقطار العربية فى مجال المناهج الدراسية ومفرداتها فى مختلف مراحل التعليم العام والتعليم الجامعى والمهنى عن طريق اتحاد الجامعات العربية اضافة الى امكانية وضرورة انشاء معاهد تخصصية فى بعض الفروع العلمية والتطبيقية والتى تحتاج الى استثمارات مالية كبيرة من جهة والى كوادر واختصاصيين علميين نادرين عملياً من جهة أخرى ، ان هذا الطريق يساهم فى رفع مستوى عقلانية استخدام الموارد المالية والكوادر والاختصاصيين ، كما انه يحقق من ناحية اخرى تثمين التعاون والتفاهم بين الطلبة العرب الذين يدرسون فى مثل هذه المعاهد والذين يتوجهون لها من مختلف الاقطار العربية . ان اقامة مثل هذه

المعاهد يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار طبيعة التطور الاقتصادى فى الاقطار العربية وطبيعة الموارد الاقتصادية المتوفرة فيها وضرورات اقامة مثل هذا المعهد فى هذا القطر أو ذاك وقدرة ذلك القطر على رعاية وحماية وتطوير مثل هذا المعهد اضافة الى ضرورة توجيه الجهود العربية كلها لتحقيق هذا الهدف .

وليس من شك فى أن تعاون الاقطار العربية من خلال الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز البحث العلمى ستوفر موارد مالية كبيرة وطاقات علمية ضخمة توضع تحت تصرفها وتستفيد منها بصورة اقتصادية عقلانية وان النتائج المترتبة على هذا التعاون ستكون كبيرة ولمصلحة عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى جميع الاقطار العربية التى تبدى استعدادا فعليا للتعاون المثمر فى هذه المجالات .

الاستفادة من التجارب الاخرى :

واخيرا فان المرحلة الراهنة التى تمر بها الاقطار العربية تفرض عليها فى مجال التعليم الجامعى والبحث العلمى ابداء المزيد من الاهتمام للاستفادة من خبرات ونجاحات البلدان الاخرى وخاصة البلدان الاشتراكية فى مجالات التعليم العام والمهنى لتطوير مناهجنا واتجاه التعليم والبحث العلمى فى الاقطار العربية .

ان السعى الجاد لتحقيق هذه الاهداف وفق الامكانيات المتوفرة سيمكن الجامعة من تحقيق مهماتها على المدى البعيد بصورة أكيدة وكذلك وبشكل نسبى على المدى القريب .

وضوح استراتيجية التنمية :

ان تخطيط التعليم المهنى والجامعى يتطلب وضوحا فى استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية اللاحقة لفترة العشرين سنة القادمة كما يتطلب حصرا دقيقا نسبيا للموارد المادية والبشرية المتوفرة . وفى ضوء هذا الحصر والتحديد ستتمكن اجهزة تخطيط التعليم رسم استراتيجية التعليم والبحث العلمى والاختصاصات التى ينبغى تكوينها فى الجامعات المختلفة ، وربط ذلك باستراتيجية التنمية القومية الشامله . ان التوجه الاساسى فى التخصصات المالية لقضايا التعليم المهنى والجامعى يجب ان يكون فى مراكز الثقل الرئيسيه فى استراتيجيه التنمية الاقتصادية والاجتماعية اولا وان تستخدم هذه الموارد المالية والكفاءات المتوفرة بصورة اقتصادية عقلانية حقا بحيث يكون مردود الاستثمار فيها عاليا ولمصلحة المجتمع بأسره ثانيا أى على الضد مما يجرى حاليا فى جميع الاقطار العربية وان تباينت نسب الهدر فى الموارد الماليه والكفاءات العلمية فى كل من هذه الاقطار .

ان تقدير حاجات مختلف القطاعات الاقتصادية للاختصاصيين من مهمة الاختصاصات العالية وخريجى المعاهد الفنية التابعة للجامعات خلال السنوات العشرين القادمة لا ينفصل عن تقديرات تطور مختلف هذه القطاعات الاقتصادية من حيث خطط الاستثمار والانتاج والتوزيع فيها وحاجة مختلف اجهزة الدولة الاخرى الى الاداريين . ولابد فى هذا الشأن من تحقيق التناسب والتوازن المناسب فى تطور هذه القطاعات من النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، كما ينبغى ان يؤخذ بنظر الاعتبار عدد الاختصاصيين والكوادر المختلفه الذين سيتخلون عن المساهمة فى النشاطات الاقتصادية خلال نفس الفترة الزمنية ولاسباب مختلفة لكى يمكن احلال اختصاصيين وكوادر فنية اخرى بدلا عنهم .

أن تخطيط التعليم المهنى والعالى الذى يحتاج الى تخطيط مناسب له فى مجال التعليم العام من جهة والى تخطيط اقليمى وبعيد المدى من جهة اخرى لابد ان يجد تعبيره وتطبيقاته المباشره فى الخطط الخمسية والسنويه الذى تبحث فى عدد الطلبة الذين يقبلون سنويا فى مختلف الفروع وعدد الاساتذة الذين لابد من توفيرهم والبنايات والاجهزة والمعدات والقاعات الضروريه لذلك . ان استثمارات التعليم المهنى والعالى العاليه اذا ما صرفت فى المراكز التى هى بامس الحاجه لها فان هذه الاستثمارات ستؤثر ايجابيا كما أن مردودها على المدى البعيد سيكون كبيرا جدا . ان الخطط التى نتحدث عنها لا يمكن ان تكون فى ظروف البلدان الناميه عموما ومنها الاقطار العربيه دقيقة جدا ، اذ انالمسألة مرتبطة عضويابمستوى التطور الواطىء للقوى المنتجه وبصعوبات وضع وتنفيذ مثل هذه الخطط الا أن وجود المؤشرات الاساسية ذات المدى البعيد ووجود الخطط الخمسيه الاكثر ملموسية ذات المدى القريب تساهم بايجابية فى تحقيق الكثير من الاهداف والمهام . ان مثل هذه الخطط الموجهه ستساهم فى تقليص احتمالات البطالة فى الخريجين من حملة الشهادات الجامعية الذين لا تستوعبهم مؤسسات الاقتصاد الوطنى بسبب عدم الحاجة لهم . ان هؤلاء كلفوا الدولة مبالغ كبيرة لحين حصولهم على شهادة جامعية من جهة ولكنهم لا يساهمون فى انتاج الدخل القومى بل سيستهلكون جزءا منه من جهة اخرى ، وهو عبء كبير على الاقتصاد الوطنى ، وينبغى الاسراع فى ايجاد الحلول العمليه لهذه المشكلة . ان هذه المشكلة يمكن أن نجد حلولا واقعية لها من خلال اجراء تغيير حقيقى فى واقع السياسة الاقتصادية والاجتماعيه للدولة فى الاقطار العربية .

تاريخ البورجوازية المصرية الصغيرة
قبـــل ثـــورة ٢٣ يوليـــو
الجنـــاح التجـــارى والصنـــاعى

د· عبدالعظيم رمضان

تاريخ البورجوازية الصغيرة فـى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تاريخ غامض لم تسلط عليه بعد اضواء كافيةمن المؤرخين والكتابوالمفكرين لسببين : السبب الاول ، أن كتابة التاريخ المصرى بصفة عامة كانت منصبة ، الى مدة قريبة ، على الجانب السياسى منه دون الجانب الاقتصـــادى والاجتماعى ، حتى برزت مدرسة التفسير المادى للتاريخ لتولى هـذا الجانب حقه من الاهتمـــام والتقدير · ثانيا ، أن الكتاب القليلين الذين تناولوا هذه الطبقة بالمعالجة حتى الان ، قد تناولوها ككل ، مع أنها طبقة عريضة تشتمل على أجنحة عديدة مميزة يختلف النشاط الاقتصادى لكل منها عن نشاط الاخر ، وبالتـــالى تختلف حركتـــه الاجتماعية والسياسية والفكرية عن حركة الاخر، مما يحتم معالجـــة كل جنـــاح على حـــدة : ومـــن هنا كانت هذه الدراسة التى ســـتتناول أحد هذه الاجنحة ، وهو الجناح التجـــارى والصناعى ، بالمعالجة ·

وفيما يتصل بالبورجوازية الصغيرة التجارية ، فيمكن القول أن تاريخ الدور الذى لعبته فى مصر فى الفترة الخاضعة للبحث ، تاريخ قصير لا يكاد يرجع الى ما قبل معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية · والاسباب لذلك كثيرة :

اولها : أن ظروف السيطرة الاقتصادية الاجنبية على مصر ، وتركز النشاط الصناعى والتجارى أساسا فى يد العناصر الاجنبية فى ذلك الحين ــ حتى فى الاعمال الصغيرة والصناعات البسيطة ــ قد جعل من المستحيل على العناصر الوطنيـــة الصغيرة النزول الى السوق الا بعد توفر قدر كاف من الاستقلال الوطنى يكفل لنشاطها الانتشـــار والنمو ، وهذا القدر لم يتوفر الا بعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية ·

ثانيا : ان عبء مزاحمة العناصر الاجنبية فـى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة يقع ــ تاريخيا ــ على البورجوازية الكبيرة ، التى تعتبر الوريث الشرعى للراسمالية الاجنبية ، ولا يقع على عاتق البورجوازية الصغيرة ·

ثالثا : أنهفيما يتصل بطبيعة الشعب المصرى ، فأن التجارة بالذات ، لم تحتل أبدا فـى نفســـه الاحترام الكافى والتقدير المناسب ــ وقد تكـون رواسب ذلك موجودة فى مجتمعنا الى الان ــ لقد عرف المصرى قديما ــ كما يقول الدكتور حافظ عفيفى ــ بأنه فلاح يحب الارض · وعرف فى أدوار كثيرة من تاريخه بأنه محب للصناعة يتقن كثيرامن فنونها · ولكن لم يعرف عنه قط ما عرف عن الفينيقى أو اليونانى أو العربى من أنه تاجر يحب التجارة ، ويتقن اساليبها ويعرف مواطنهـــا · والحقيقة أن المصرى كان يكره التجارة حتى بلغت كراهته لها حدا يقرب من الازدراء والاحتقار ، وحتى أنه لم يكن يشتغل بها من المصريين الا من ضاقت فى وجوههم سبل الرزق الاخرى · وحين كان المصرى يشتغل بالتجارة ، كان يحب العمل بها منفردا ، لان « الشركة » كانت فى نظره تضيع « البركة » !

ولقد ترتب على ذلك عـــدة نتـــائج :

اولها: انتجارة مصر الداخلية والخارجية لم تكن فى أيدى بنيها ، وانما كانت فى أيدى الغير . فقد كانت فى مصر مئات الالاف من التجار الاجانب والعرب ، فيهم الارمنى ، والتركى ، واليونانى ، والمالطى ، والقبرصى ، والطليانى ، والسورى ، والطرابلسى ، والتونسى ، والجزائرى ، والانجليزى والامريكى ، والهندى ، والصينى ، والفارسى ، وجنسيات أخرى ، ولم يكن من بينهم من المصريين سوى عدد قليل .

ثانيها : أن البيوت التجارية المصرية القديمة التى كانت ناجحة ، اخذت تضمحل عندما انقرض رجالاتها الذين كانوا يتولون أمرها ، وحل محلهم أولادهم الذين تعلموا فى مصر أو فى أوروبا . فقد توهم هؤلاء عندما تولوا أمرها ، ان اتصالهم المباشر بعملائهم ووقوفهم بأنفسهم على جميع أنواع التعامل الخاصة بتجارتهم ، لا يتفق مع مركزهم الاجتماعى ولا مع كرامتهم . وفى الوقت نفسه ، فان معظم هؤلاء كانوا فى الغالب من الذين سدت فى وجوههم أبواب العمل فى دواوين الحكومة .

أما النتيجة الثالثة : وهى اهم النتائج ، وان كانت مترتبة عليها ، فهى أن البورجوازية التجارية الصغيرة كانت تمثل فى مصر أقل الطبقات حجما . فقد قدر محمد طلعت حرب عدد أفرادها فى خطابه الذى ألقاه يوم ١٤ سبتمبر ١٩٢٤ بـ ٥١٠ر٢٧٦ ، أى بنسبة ١ : ٦٦ من المشتغلين بالزراعة ، و ١ : ٢ من المشتغلين بالصناعات . ومع ذلك فقد كان هذا العدد يضم الاجانب أيضا .

هذا فيما يختص بالبورجوازية التجارية الصغيرة . **أما فيما يختص بالبورجوازية** الصناعية ، فلم تكن بأحسن حال من زميلتها . **ولكن السبب الاساسى مختلف ،** هو فتح أبواب مصر للمنتجات الاجنبية بعد اتفاقية سنة ١٨٤١ وتغيير الرسوم الجمركية . وكانت انجلترا قد عقدت مع تركيا معاهدة تجارية عام ١٨٣٨ فى بلطة ليمان أقرت الغاء الاحتكار وحرية التجارة . ولكن محمد على لم ينفذ ما ارتبطت به تركيا الا بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ حيث أخذ ينفذ ما جاء فى المعاهدة التجارية والمعاهدات الاخرى التى عقدت على نمطها مع فرنسا وبلجيكا وهولندا وبقية الدول الاوروبية من رسوم جمركية على الصادرات والواردات . ولكنه لم ينفذها دفعة واحدة ، وانما أخذ ينفذها تدريجيا حتى سنة ١٨٤٧ ، وهى السنة التى تحددت فيها التعريفات الجمركية للعمل بها مرة أخرى ، وسارت الادارة الجمركية على هذه التعريفات حتى سنة ١٨٥٥ . **وقد قضت تلك التعريفات بأن السلع والبضائع المصرية يدفع عنها ٩ فى المائة ، واذا ما صدرت من الميناء يزيد عليها ٣ فى المائة أخرى رسم تصدير ،** أى أن السلعة المصرية اذا ما وصلت الى الموانى ، كالاسكندرية يدفع **عنها ١٢ فى المائة حتى تخرج الى الاسواق الخارجية . وقد أرهق ذلك السلع المصرية وحركة صادراتها بطبيعة الحال ، لانها أصبحت تتحمل** ضريبة عالية وتصل الى الاسواق ورسومها عالية من غير تفرقة بين الانتاج الزراعى والصناعى . وكان من جراء ذلك ان ماتت الصناعة القومية ، لان الواردات الاوروبية نافستها فى السوق المحلية وكسبت هذه السوق ، اذ كانت الاتفاقات قد قضت بأن هذه الواردات الاوروبية وغيرها لا تزيد ضريبتها على ٥ فى المائة ، فاذا وصلت الى الميناء دفع عنها رسم ٣ فى المائة ، واذا نقلت داخل الاسكندرية حصل عنها رسم ٢ فى المائة ، وبذلك فرقت المعاهدات بين الواردات والصادرات لصالح الاولى ، ودفعت الصادرات المصرية الثمن عدم انتشارها فى السوق الخارجية .

وقد تحسن موقف الرسوم الجمركية بالنسبة للصادرات بمعاهدة ٢٩ ابريل ١٨٦١ التى عقدت بين تركيا وانجلترا ، ثم مع بقية الدول الاوروبية مثل فرنسا وايطاليا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا وهولندا وغيرها (وكانت مصر ملزمة بتنفيذ ما ورد بها) اذ تقرر أن يحصل على البضائع المصرية المصدرة رسم جمركى قدره ٨ فى المائة ، ثم يخفض هذا الرسم بنسبة ١ فى المائة كل سنة حتى يصل فى آخر الأمر الى ١ فى المائة ويصبح رسما نهائيا للصادرات ، وأن يحدد رسم الوارد بمقدار ٨ فى المائة بحسب ثمن السلع .

على أن الصناعة كانت قد ماتت فى مصر ، **وتحولت الصناعات الكبيرة الى صناعات صغيرة ،** وهجر العمال مصانع الدولة بعد اغلاقها ، وشرعوا ينشئون مصانع صغيرة تفتقر الى رأس المال والتوجيه . وقد حاول اسماعيل احياء الصناعة المصرية ، ولكن ذلك كان محصورا داخل نطاق محدود ، حتى اذا **ما جاء الاحتلال حارسا للاحتكارات الاجنبية ، وخضعت الصناعة المصرية للسياسة الانجليزية التى تقضى بأن تظل مصر بلدا زراعيا ، توفرت كافة الظروف التى عجلت باضمحلال الحرف والصناعات أيضا .** فقد كتب اللورد كرومر فى تقريره عن عام ١٩٠٥ يقول :

« من يقارن الحالة الراهنة بالحالة التى كانت منذ خمس عشرة سنة ، يرى بونا شاسعا وفرقا مدهشا ، فالشوارع التى كانت مكتظة بدكاكين أرباب الصناعات والحرف من غزالين وحاكة وصباغين وخيامين وصانعى أحذية .. الخ ، قد أصبحت الان مزدحمة بما قام على أنقاض هذه المحل من القهاوى والحوانيت الغاصة بالبضائع الاوروبية . أما الصانع المصرى فتضاءل شأنه وانحطت كفايته على مر الزمن ، وأصبح ميالا الى الدعة ، نفورا من بذل المجهود ، وفسد لديه الذوق الفنى الذى طالما أخرج فى العصر القديم المعجزات من مفاخر الصناعة ، وكنت اذا تأملت فى عمله ألفيته لا يفقه معنى الاتقان ، بل كان يقنع ويرضى بكل ما قارب الغاية » .

على أن هذا العامل لم يكن وحده سبب اضمحلال البورجوازية الصناعية الصغيرة في مصر ، بل تحالفت معه عوامل اخرى • منها اتجاه المصريين نحو الزراعة وشراء الاراضي بعد استقرار حقوق الملكية في أواخر القرن التاسع عشر • ثم اهمال الحكومة تشجيع الصناعات في مصر الاحتلال بسبب سياسة تخصيص مصر في الزراعة ، هذا بالاضافة الى نظام الرسوم الجمركية على الواردات الذي كان يقوم على أساس مالي بحت ، هو زيادة ايراد الحكومة • فقد كانت الرسوم – كما ذكرنا – واحدة قدرها ٨ في المائة من قيمة جميع الواردات ، سواء كان هذا الوارد من الضروريات أو الكماليات ، أو كان من المواد اللازمة للصناعة المحلية ، أو من المواد المصنوعة التي تنافس المصنوعات المحلية • فاذا أضفنا الى ذلك أن ازدياد الاتصال بمظاهر الحضارة الاوروبية قد أثر في تغيير ذوق فئات كثيرة من الشعب أخذ افرادها يفضلون المصنوعات الاوروبية ، كما أن نظام الطوائف الذي كان يحفظ لطبقة الصناع مستواهم الفني ، كان قد أخذ يضمحل حتى زال رسميا في ٩ يناير ١٨٩٠ ، عندما تقررت حرية الفرد في ممارسة « اية صنعة أو حرفة أو فن أو تجارة » – لعرفنا أسباب تدهور هذه الطبقة •

ولقد أتيحت أول فرصة حقيقية للبورجوازية الصغيرة الصناعية والتجارية في خلال الحرب العالمية الاولى • ففيما يختص بالجناح الصناعي ، فان اختلال التبادل التجاري وتعذر استيراد المصنوعات ، وعودة كثير من الاجانب الى أوطانهم ، قد أتاح الفرصة لافراد هذا الجناح ، الذي كاد يقضى عليه تماما ، للبروز الى السوق • فانتعشت صناعات الدباغة والادوات الجلدية والاثاث ، وكثرت معاصر الزيوت ومطاحن الغلال وورش السبك والحدادة والصناعات الدقيقة . ونشأت صناعات جديدة ، مثل صناعة الورق والفخار والزجاج والمواد المتخلفة من الحيوانات •

أما فيما يختص بالجناح التجاري ، فقد انتعشت الحالة التجارية وارتفعت الاسعار ، وغنم أصحاب الحوانيت الكثير من الاموال التي كانت الجيوش البريطانية تنفقها في مصر ، وكثرت الاموال في المدن والقرى • وبعبارة وجيزة ، استفادت البورجوازية الصغيرة الصناعية والتجارية من هذه الفرصة الفريدة للنهوض والتعويض عما أصابها من أسباب الجمود •

على أنه لم تكد تنتهي الحرب ، حتى أخذت تطغى البضائع الاجنبية على السوق المصرية من جديد ، فماتت معظم الصناعات التي نشطت أو قامت أثناء الحرب بسبب ضعف تحضيرها الفني الناشيء من سرعة انشائها والناتج من الرغبة في الربح السريع • وعادت العناصر الاجنبية الى ممارسة سيطرتها على سوق التجارة الداخلية •

وكانت تلك هي الاسباب الرئيسية لاشتراك البورجوازية الصغيرة في ثورة ١٩١٩ •

وفي الفترة فيما بين الحربين العالميتين ، كان الجناح الصناعي والتجاري من البورجوازية المصرية الصغيرة يمثل في مصر أضعف أجنحتها نفوذا ، وأقل طبقات الشعب وزنا وتأثيرا • فمن ناحية البورجوازية الكبيرة ، فقد كانت هذه الطبقة قليلة العدد حقا ، ولكنها كانت – على حد قول الدكتور حافظ عفيفي – « كثيرة النفوذ بمالها ، وبالتقاليد القديمة المرعية التي احتفظت لها بمكان خاص رغم قلة عددها » • وأما الطبقات الجماهيرية الممثلة في العمال والفلاحين ، فهي وان كانت ضعيفة النفوذ ، الا انها كانت قوية بعددها ، اذ كانت تضم أكثر من أربعة أخماس سكان القطر •

ولقد ترتب على ضعف هذا الجناح من البورجوازية الصغيرة انه لم يستطع أن يمثل في مصر ما كان يمثله في أوروبا وأمريكا ، وبالتالي فلم يستطع ان يقوم بدوره التاريخي • لقد كان هذا الجناح في أوروبا وأمريكا يمثل عصب الطبقة الوسطى أو البورجوازية الصغيرة ، المكونة هناك من التجار وأصحاب المصانع ورجال الاعمال الحرة ، وكان مركز هذه الطبقة المتوسط بين الطبقتين العليا والدنيا ، يجعلها تعادي بطبيعتها التطرف السياسي سواء الى اليمين أو الى اليسار • ومن ثم فقد كانت تعد السند الطبيعي للحكم الديمقراطي الليبرالي ، وأكبر نصير للحكومات الديموقراطية المعتدلة • أما في مصر ، فان عصب الطبقة الوسطى لم يكن صغار التجار والصناع ، وانما كان الموظفين وأرباب المهن الحرة – وبمعنى آخر فان الانتلجنتسيا كانت هي العمود الفقري في الطبقة البورجوازية الصغيرة ، وكانت تمثل في مصر نفس الدور الذي تمثله الطبقة الوسطى الاوروبية في مناصرة الديمقراطية الليبرالية •

وتعتبر معاهدة ١٩٣٦ وما ترتب عليها من الغاء الامتيازات الاجنبية في مصر نقطة التحول الاساسية في حياة الجناح التجاري والصناعي من البورجوازية الصغيرة • وهذه الحقيقة لم تلق الاهتمام الكافي من الباحثين ، ربما بسبب أن الحرب العالمية الثانية قد نشبت بعد الغاء الامتيازات الاجنبية بعامين تقريبا ، فلم يأخذ هذا الحدث الكبير فرصته لاثبات آثاره الاقتصادية والاجتماعية منفصلة عن آثار الحرب العالمية الثانية • ويمكن القول بأن المناخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي كانت تنمو فيه العناصر الاجنبية قد تغير بابرام معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية • فمن ناحية فقد انتقلت حماية المصالح الاجنبية من يد بريطانيا الى يد مصر ، وهي الحماية التي كانت بريطانيا تحتفظ فيها بيد مطلقة بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ •

ومن ناحية أخرى ، فقد استردت مصر سيادتها التشريعية التى كانت مقيدة بالامتيازات الاجنبية ، وصار فى وسعها اخضاع النشاط الاقتصادى الاجنبى للضرائب ، والتدخل فيه لمصلحة المصريين (كما حدث بالنسبة لقانون الشركات) •

وقد ادركت الجاليات الاجنبية ذلك على الفور • فقد كتب أحد رؤساء الشركات الاجنبية فى سنة ١٩٢٧ يقول : « ان معنى الغاء الامتيازات الاجنبية عند المصريين هو ارهاق الاجانب بالضرائب ، وابعادهم بقدر المستطاع عن النشاط المالى • ومعناه أيضا تدخل الحكومات المصرية فى أعمال الشركات ، واصرارها على اخراج الموظفين الاجانب الاكفاء ، واحلال المصريين مكانهم • ومعنى ذلك البطالة بين الاجانب وارتباك الشركات الاجنبية •

ومما لاريب فيه أنه كانت تتوافر فى ذلك الحين العوامل التى تدفع العناصر الاجنبية الى القلق والتوجس • **فبالاضافة الى تزايد الوعى القومى والوطنى ، فان الواقع الاقتصادى للبلاد فى الثلاثينيات كان يدفع دفعا حثيثا العناصر الوطنية، خاصة العناصر المثقفة ، الى النزول الى السوق المحلية ومزاحمة الاجانب فى النشاط الاقتصادى** • فلقد كانت المشكلة الاساسية التى نجمت عن الازمة العالمية فى مطلع الثلاثينيات هى مشكلة **البطالة التى تركت** ألوفا من المتعلمين بدون عمل ، نظرا لامتناع الشركات الاجنبية عن توظيفهم من جانب ، ولعجز دواوين الحكومة المتخمة بالموظفين عن استيعابهم من جانب آخر • وعندئذ فقد بدا أن الحل الوحيد للمشكلة ــ حين لم تصدر الحكومات التشريعات لالزام الشركات الاجنبية بتوظيف المصريين ــ هو ان ينزل الشباب الى غابة السوق المحلية ، يصارعون الاجانب واليهود على لقمة العيش ، **ويحاولون عن طريق اقامة المشروعات الصغيرة ، التعويض عن الوظيفة البعيدة المنال** ، والتى كان أمل الشباب فيها مفقودا فى ذلك الوقت •

وفى هذه الظروف الدقيقة شبت الحرب العالمية الثانية لتحدث تحولا فى الموقف لصالح العناصر الوطنية ، **ويمكن فهم المسألة على هذا النحو : اذا كانت العناصر الوطنية قد أفادت من الحرب العالمية الاولى ، مع وجود الحماية البريطانية والامتيازات الاجنبية ، فان فرصة هذه العناصر للنجاح فى ظروف الاستقلال الوطنى والتحرر من أغلال الامتيازات الاجنبية ، هى بلا ريب فرصة محققة وأكيدة • ويمكن القول ان الحرب العالمية الثانية قد دفعت برياح التغيير التى هبت منذ عام ١٩٣٦ الى الاسراع** • فمن ناحية فان انعدام المنافسة الخارجية ، متحالفا مع انقطاع ورود البضائع الاجنبية ، قد أتاح الفرصة للعناصر الوطنية لسد الفراغ • ومن ناحية أخرى ، **فان الحرب قد خلصت العناصر الوطنية من جالية تعد من أكبر الجاليات فى السوق الوطنى المحلى عددا ونفوذا ، هى الجالية الايطالية التى خطب الدكتور أحمد ماهر فى عام ١٩٤٠ يقول عنها : انها « تزاحم كل باب من أبواب ارتزاقنا »** •

لقد كان تعداد الجالية الايطالية فى عام ١٩٣٧ يبلغ ٥٣٥ر٣٩ من مجموع الاجانب البالغ عددهم ٥١٥ر١٨٦ • وقد ارتفع هذا الرقم مع ازدياد النفوذ الفاشى فى مصر الى ٤٦٢ر٥٢ فى عام ١٩٣٩ • وكان افراد هذه الجالية يتكلمون اللغة العربية كأهلها ، ولا يختلف نظام حياتهم كثيرا عن نظام حياة المصريين ، ولهم فى مصر مصالح كبرى وأموال ضخمة ، ويشتركون مع أبناء البلاد فى مختلف الاعمال • **وبمعنى آخر أن هذه الجالية كانت تزاحم البورجوازية المصرية الصغيرة بالذات فى أرزاقها** • أما الالمان ، فكان معظمهم من التجار وموظفى الشركات الالمانية ، وان كان عددهم فى عام ١٩٣٩ قليلا لا يتجاوز ١٨٠٠ شخص • وكانت مصالحهم فى مصر قد تضاءلت تضاؤلا شديدا بعد وقوع الحرب العالمية الاولى ، اذ لم يكونوا من أصحاب الامتيازات ، ولم يكن لديهم نصيب كبير فى رؤوس الاموال الاجنبية الضخمة •

وبالاضافة الى ذلك ، **فان حكومة الوفد انتهزت فرصة الحرب للتخلص من العناصر الاجنبية الاخرى** • فقد أخذت تقيم العراقيل فى وجوه الاجانب المستوطنين الذين يرغبون فى الحصول على تأشيرة عودة على جوازاتهم لسفر مؤقت خارج القطر • وكانت حكومة الوفد تبرر هذا التصرف بأنه بسبب دواعى الامن ، وأنه لمدة الحرب فقط ، على أن هذه الحجة لم تكن مقنعة تماما للانجليز ، ذلك ان المراقبين قد لاحظوا فى ذلك الحين أن هذا الرفض من جانب حكومة الوفد يعد انتهاكا لاتفاقية مونترو الخاصة بالغاء الامتيازات فى مصر ، اذ ورد بهذه الاتفاقية عن : « الابعاد » أن الحكومة المصرية « ليس فى نيتها ان تستعمل فى فترة الانتقال حقها فى ابعاد أجنبى خاضع لقضاء المحاكم المختلطة • اذا كان قد أقام فى مصر خمس سنوات على الاقل ، او ان ترفض دخوله فى أراضيها اذا كان قد غادرها مؤقتا ، الا اذا كان قد حكم بادانته فى جناية او فى جنحة يعاقب عليها القانون لاكثر من ثلاثة أشهر ، أو يكون قد اتى اعمالا من شأنها أن تؤدى الى الاضطراب أو تخل بالنظام العام أو بالسكينة أو بالآداب أو بالصحة العامة ، او يكون فقيرا وعالة على الدولة » •

وعلى كل حال ، **فتتبدى الآثار التى احدثتها الحرب العالمية الثانية متحالفة مع ظروف الاستقلال ، فى نمو البورجوازية المصرية الصغيرة ، فيما نلاحظه من نمو القطاع الصناعى والتجارى على حساب قطاع الزراعة** • ففى خلال المدة من ١٩٢٧ــ١٩٣٧ كانت الايدى القابلة للعمل

تزيد فى مصر بمعدل ٥٠ ألف شخص فى السنة ، يدخل منهم فى الزراعة نحو ٤٠ ألف شخص ، فى مقابل ٧ آلاف شخص للصناعة ، وألفين للتجارة والنقل والمهن · أى بالنسب الاتية على التوالى ٨٢ـ١٣ـ٤ فى المائة · وقد ارتفعت هذه النسب من عام ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧ لتصبح على النحو التالى: ٢١:٢٠:٤٥ فى المائة ، فقد بلغ معدل الزيادة السنوية للايدى القابلة للعمل نحو ٩٠ ألف شخص تقريبا ، دخل منهم ميدان الزراعة ١٩ ألف شخص تقريبا ، فى مقابل ١٨ ألف تقريبا فى الصناعة و ٤١ الفا تقريبا فى التجارة ·

واذا نحن تناولنا عدد المنشآت الصناعية ، فاننا نلاحظ أن عددها قد ارتفع من ٧٠ر٠٠٠ منشأة فى عام ١٩٢٧ الى ٩٢ر٠٠٠ فى عام ١٩٣٧ ثم ارتفع هذا الرقم الى ١٢٩ر٢٠٠ منشأة فى نهاية عام ١٩٤٤ ومن العدد الاخير كان يوجد ٢٢ر٢٢٠ مصنعا يشتغل بالانتاج ، والباقى يتولى الاصلاح والصيانة ·

واذا نحن اتخذنا أساسا لتقييم هذه المصانع الانتاجية حجم رأسمالها ، أو حجم عمالتها فاننا نجد أن عدد المصانع التى يمكن القول أنها مملوكة لافراد من الطبقة البورجوازية الصغيرة هو ٢١ر٢٩٧ مصنعا رأس مال كل منها يقل عن ٥٠٠٠ جنيه مصرى ، او ٢١ر٦٥٢ مصنعا يعمل بكل منها أقل من خمسين شخصا · ويلاحظ تقارب الرقمين ، مما يشير الى العلاقة الوثيقة بين العاملين ·

وعلى كل حال ، فيعتبر تحديد حجم المصانع الصغيرة والمتوسطة والكبيرة مسألة تقديرية تخضع لاعتبارات مختلفة · فقد قسم تقرير لجنة الصناعة والتجارة عام ١٩١٦ الصناعات المصرية الى صغيرة وكبيرة · فالصغيرة هى التى تقتصر على ورش يشتغل فيها عدد قليل من العمال ، او هى التى يزاولها أصحابها فى حوانيت ضيقة مع الاستعانة ببعض الصبية · أما الصناعات الكبيرة ، فهى الصناعات التى تتناول كميات وافرة من الخامات وتباشرها مصانع كبيرة تدار بالقوة الالية مع استخدام عدد عظيم من العمال فيها · على أنه وفقا لاحصاء الانتاج الصناعى ، فان المصانع الصغيرة هى التى تقل قيمة انتاجها السنوى عن ٥٠٠ جنيه ، والمتوسطة هى التى تتراوح قيمة انتاجها السنوى من ٥٠٠ الى أقل من ١٠٠٠ جنيه ، أما الكبيرة فهى التى تزيد قيمة انتاجها السنوى عن ١٠٠٠ جنيه · ويلاحظ فى عرضنا للموضوع أننا قد اتخذنا أساسا لتحديد حجم المصانع الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ، حجم رأس مالها وعمالتها ، على اعتبار أن هذين العاملين يحددان من وجهة نظرنا عدد المصانع **التى يدخل امتلاكها فى نطاق مقدرة البورجوازية الصغيرة** · فالفرد الذى يستثمر أقل من ٥٠٠٠ **جنيه فى اقامة ورشة أو مصنع صغير لا يدخل فى الطبقة البورجوازية الكبيرة على وجه التحقيق ، وانما يدخل فى البورجوازية الصغيرة** · يدل على هذا الارتباط التقارب الشديد بين عدد المصانع التى تستثمر أقل من ٥٠٠٠ جنيه ، وعدد المصانع التى تستخدم اقل من ٥٠ عاملا كما ذكرنا حيث بلغ عدد الاولى ٢١ر٢٩٧ مصنعا ، وعدد الثانية ٢١ر٦٥٢ مصنعا ·

على كل حال ، فاذا انتقلنا الى الجناح التجارى ، فان هذا الجناح قد نما نموا سريعا أيضا · يدل على ذلك أن جملة المتاجر فى عام ١٩٣٧ كان عددها ١٣٨ر٦٧٥ متجرا ، تأسست غالبيتها (٦٦ر٥٤ فى المائة) فيما بين ١٩٢٨ و١٩٣٧ ، بينما كان قد تأسس ١٦ر٧٥ فى المائة فقط فيما بين سنتى ١٩١٨ ، ١٩٢٧ وكان ٤ر٧٣ فى المائة منها قد تأسس فيما بين سنتى ١٩١٨ ، ١٩٢٧ · اما الباقى وقدره ١١ر٩٨ فى المائة فقد تأسس فى سنوات سابقة أو لم يتبين سنة التأسيس بالنسبة له · **وقد ارتفع هذا الرقم فى عام ١٩٤٧ الى ١٥١ر٤٢٣ متجرا ، كان منها عدد ١٤٧ر٨٤٥ ملكا للمصريين ، و ٣٥٧٨ ملكا للاجانب · أى بنسبة ٩٧٨ : ٢٢ ! وهذا يبين غلبة العنصر المصرى الساحقة فى هذا الميدان الذى كان وقفا على الاجانب ·**

على أن الحرب قد أسفرت عن نتيجة هامة بالنسبة للبورجوازية المصرية الصغيرة ، هى ظهور فئة قادرة منها استطاعت أن تشق طريقها بنجاح فى ظل انعدام المنافسة الاجنبية ، وأن تبلغ حدا من الثراء يقرب مما تملكه الطبقة البورجوازية الكبيرة وأن تشاركها فى الالقاب أيضا · **وهذه الفئة هى التى يطلق على أفرادها اسم « العصاميين » ويطلق على بعضهم اسم « اغنياء الحرب » · وقد عرف بعض أفرادها باسم « الملوك » فى تخصصات نشاطهم الاقتصادى** · فكان منهم « **ملك الفراخ** » ، وهو محمود ابراهيم الشيمى بك ، وهو عصامى النشأة ، ارتقى من بائع طيور صغير الى ملك الطيور ، فقد تعهد بتوريد الطيور الى الجيوش البريطانية ، ثم ظفر بالتعهد للجيش المصرى والمستشفيات ، واصبح موردا للقصور الملكية . وكان ابراهيم الشيمى بك يملك اثنتى عشرة عمارة تدر عليه مئات الجنيهات شهريا ، عدا أمواله المودعة فى البنوك ، وعدا نحو مائتى فدان اشتراها فى الجيزة ·

ومن هؤلاء الملوك « **ملك اللحوم** » وهو حسين عيسى ، الذى كان أبوه جزارا ، وأصبح بعد أن تسلم محل والده متعهدا للجيش والمدارس الحكومية وبعدها السجون · وكان فى اثناء الحرب العالمية الثانية يقوم بتوريد الاغنام حية الى الهنود فى الجيش البريطانى ، ويتولون هم ذبحها بأسلوبهم الخاص ·

ومن هؤلاء أيضا « **ملك الروائح** » وهو حمزة الشبراويشى ، الذى صنع نفسه بنفسه • فقد عشق صناعة الروائح العطرية منذ صباه ، وكره ان يعمل موظفا ، واستطاع عن طريق محاولات صنع بعض الروائح العطرية أن يصبح منتجا كبيرا ، ويصدر منتجـاته الى بعض الدول العربيـة وخصوصا السودان •

ومن هؤلاء الملوك أيضا « **ملك الحلويات** » محمد حسين الرشيدى الذى كان أبوه صاحب محل حلوى ، ولما كانت صناعة الحلوى مقصورة فى ذلك الحين على الاتراك ، فقد استقدم من تركيا صناعا مهرة ، واستخدمهم فى عمله ، وأصبحت لهمصانع كبيرة ، ويملك بضع عشرة عمارة ، وعـزبتين احداهما فى الاسماعيلية ، والاخرى فى الفيوم، هذا الى جانب ماله من أموال فى البنوك •

ثم هناك أيضا « **ملك السيارات** » حسين عبـد الرحمن ، وهو عصامى أيضا بدأ بانشاء جراج ، وكان امتلاك الجراجات قاصرا على الاجانب ، ثم اشترى سيارات للرحلات المدرسية ، وأخرى لنقل أثاث المنازل ، واتسعت أعماله حتى أصبح يملك ثروة تقدر بمبلغ خمسين ألف جنيه •

ومن هؤلاء الملوك أيضا « **ملك البنائين** » محمد حسن العبد بك ، الذى عمل فى صباه بنـاء ، واعتزم أن يكون مقاولا ، وكانت المقـاولات محصورة فى يد الاجانب وبعض كبار الموسرين ، ثم أصبح يملك ألوف الجنيهات •

ويعتبر من أهم العصاميين الذى بنوا أنفسهم ، الحاج محمد سالم الذى أسس فى عـام ١٩٣٧ شركة مصر للهندسة والسيارات ، ثم انشأ مصنعا ضخما فى الاميرية شمال القاهرة ، كان يعمل به أكثر من ثمانمائة عامل ومهندس وموظف •

ولم تلبث العناصر الوطنية الصميمة أن أخذت تزحف بمشروعاتها التجارية على شوارع القاهرة وغيرها من المدن التجارية الكبرى ، التى كانت مصطبغة بالصبغة الاوروبية واليهودية ، فأخذت تتلون باللون الوطنى شيئا فشيئا ، وتبرز الى جانب أسماء شيكوريل وشملا وبنزايون وداود عدس ، أسماء الطرابيشى ، والغندور ، ومحمد رزق ، ومحمد نور سالم ، والعوادلى ، وشاهر ، ومئات من الاسماء المصرية الصميمة ، التى شقت طريقها بنجاح وسط المنافسة الاجنبية • **وقد تزايد هذا المد الوطنى بعد ثورة ٢٣ يوليو حتى سقطت تماما سيطرة العناصر الاجنبية على السـوق المحلية ، واستردت شوارع المدن الكبرى التجارية طابعها الوطنى الذى افتقدته منذ الغزو الاحتكارى للرأسمالية الاوروبية •**

ولقد كان اقبال العناصر الوطنية الصغيرة على الاعمال التجارية والصناعية ، أبرز ما طرأ على المجتمع المصرى من تغيرات بعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية • وفـى عام ١٩٥٠ كتب فيلسوف البورجوازية الصـناعية ، الدكتور صبحى وحيدة يقول :

« فهذا الجيل ان شئنا ، اول جيـل يتكسب بمزاولة الصناعة ، ويواجه تكاليف الحيـاة العصرية دون أن تكون وراءه ثروة خاصة » •

وتلك هى البورجوازية الجديدة ، التى تتشابه أصولها مع أصول البورجوازية الاوروبية والتى أصبحت عصب الحياة الاقتصادية فى مصر •

مصـــادر البحث

وثائق رسـمية

١ — الاتفـاق الخـاص بالغـاء الامتيازات فى مصر .
٢ — تقرير لجنة التجارة والصناعة
٣ — تعـدادات سـكان القطـر المصرى ١٩٢٧ — ١٩٣٧ .
٤ — المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى .

[دوريات]

٥ — آخر ساعة ١٩٣٧ .
٦ — الاثنين ١٩٤١ .
٧ — الجمهورية ١٩٦٩ .
٨ — المصور ١٩٤٨ .

[نشرات اقتصادية]

٩ — البنـك الاهـلى المصرى ، النشرة الاقتصادية ١٩٤٨ — ١٩٥٠.

[دراسات]

١٠ — د. جمال الدين محمد سعيد : التطور الاقتصـادى فى مصر منذ الكساد العالمى الكبير ، الطبعة الاولى .
١١ — د. حافظ عفيفى باشا : على هامش السياسة [١٩٣٨]
١٢ — د. راشد البراوى ومحمد حمزةعليش : التطورالاقتصادى فى مصر فى العصر الحـديث [١٩٤٤]
١٣ — د. عبـد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ — ١٩٣٦ [١٩٦٨] تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٦ — ١٩٤٥ [غير منشور]
١٤ — ملكة عريان : مركز مصر الاقتصادى [١٩٢٣]
١٥ — محمد طلعت حرب : علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك المصريين [١٩١١]

العلم والتخلف والثورة الوطنية

دكتور ر · برسى
وعربى بوعربى ★

من اولى مبادىء الرأسمالية ، مـن حيث هى نظام فى علاقات الانتاج ، ان الرأسمالى يسعى سعيا حثيثا ، موصولا ، لا هوادة فيه الى ايجاد الطرائق الكفيلة بتحقيق المزيد من الارباح . والارباح حصة من نتاج العمل يتاح له استملاكها من أى نشاط اقتصادى ناجح يهيمن عليه · ولكى يحقق الرأسمالى ربحا ، أى ربح ، يتعين عليه ، بادىء ذى بدء ، أن يستخدم العمال فى عملية الانتاج ، وأن يستخدمهم وفاقا لقوى الانتاج التى يتيحها مستوى تطور العلم والثقافة Technolog الذى يتسع للرأسمالى ان يضع يده عليه ، فيستخرجون الذهب من الصخر أو يحولون القمح الى ذهب أو ينتجون أيا من هذه السلع التى يبتاعها الناس · ولابد للرأسمالى أن يدفع للعمال أجرا لقاء هذا العمل الذى يقومون به ، وهم يبتاعون به بعضا من هذه السلع التى ينتجونها ، بينا يستملك ــ الرأسمالى نفسه ــ بقية السلع فى صورة فضل (فائض) من القيمة ، يمثل جانبا من جهد العمال ، لا يتقاضون عنه أجرا بسائق طبيعة العلاقات التى تنظم الانتاج الرأسمالى · ويذهب قسم من هذا الفضل ــ أو

★ الدكتور ر · برسى احد قادة الحركة الشعبية فى جنوب افريقيا ·· وقد كتب المقال خصيصا للطليعة ·

الباقى - فى تعويض الاهتلاك الذى يصيب العدة والابنية والالات وما الى ذلك من رأس مال ثابت ، وذلك كيما يتم الحفاظ على زاد Input الرأسمالى وثروته الاصلية ، ويذهب قسم اخر فى الاستهلاك الذى يتمتع به الرأسمالى شخصيا ، ويذهب قسم ثالث فى عملية تراكم رأس المال وذلك كله ان كانت حظوظ هذا الرأسمالى ازاء بقية الرأسماليين حظوظا صاعدة والا تأخرت أحواله وانتهى أمره الى الخروج من حلبة التنافس والسقوط الذى يعقبه من طبقة اصحاب العمل وسادة العمال الى طبقة العمال وعبوديتهم • فالرأسمالى يخضع بذلك الى نوعين من الصراع : صراع أساسى يدور بينه وبقية أمثاله من الرأسماليين من جهة وبين عماله بشكل خاص وبقية العمال بشكل عام من جهة أخرى ، وصراع فرعى يدور بينه وبين أخصامه الرأسماليين أنفسهم • وما من سبيل يمكن له من البقاء أو حتى الغلبة فى هذا الصراع الفرعى الا تحقيق المزيد من السيطرة على السوق التى يبيع فيها سلعه باللجوء الى اية وسيلة تقلل من تكاليف الانتاج ،سواء أكان ذلك عن طريق استخدام ثمار العلم ومكتشفات التقانة او عن طريق ارهاب العمال وتفتيت تضامنهم ورفع اسعار المنتجات النهائية ، وخفض أسعار المواد الاولية واحداث التضخم النقدى واستخدام جهاز الدولة فى ذلك كله ، ناهيك عن الاستعمار ان كان الرأسمالى يعمل فى نطاق دولة « متقدمة » • وما الى ذلك من أسباب •

فاذا أمكن للعلم ان يظهر للراسمالى كيف يدير معامله ، بعدد من العمال اقل ، أو كمية من التكاليف اصغر ، ظاهر الرأسمالى العلم وناصره • لان العلم يؤدى بذلك الى استهلاك كمية من الارباح اعظم • وذلكم هو الموقف النفعى الذى يقوى وراء كل نظرة أو سياسة يتخذها اى رأسمالى يعنى بمصلحته ، من حيث هو رأسمالى ، تجاه العلم وتقدم العلم ، وانفاق الدولة على « سياسة العلم » •

وفى مقدور العلم اجزال هذه الخدمة للراسمالى ، لان وظيفة العلم ماهى الا اكتشاف القواعد التى تجرى بموجبها الطبيعة ، والطرائق التى تعمل بها عملها : اى اكتشاف ما يسمى بقوانين الطبيعة • فان نحن وقفنا على قوانين الطبيعة هذه ، اتيح لنا الانتفاع بها كى نحقق مأربا من مأربنا • تظهر قوانين الفيزياء ، مثلا ، كيف ينقل المذياع الاذاعات ويبثها بين المستمعين • كما تسمح لنا قوانين علم الحياة بأن نعرف كيف نزرع المزيد من الغذاء فى حقل من الحقول ، ويدرس الاطباء الطب كيما يقدرون على ابراء العليل •

والى ذلك ثمة قوانين يجرى بها التاريخ ، قوانين نكتشفها بالمنطق ، ويدرس التاريخ درسا لا نقحم عليه أهواءنا ومصالحنا ، كما أنه لا يدرس بالتعنت الذى ينفى وجود هذه القوانين ، لمجرد أننا لا نحب من يعنيهم الامر الاطلاع عليها • ولا - أيضا - بالتعسف الذى يشوه فى نظر الناس ، المسارات التى اتخذتها أحداث التاريخ ، أو تشوه الدروس التى تسمح بتوجيه أعمالهم ، بما ينسجم ومعطيات هذه المسارات ، وتحظر انفاق جهودهم ودمائهم فى متاهات معرقلة تحبط نتائج تلك الاحداث • ذلك أن هذه القوانين انما تظهر السبل التى يمكن معها للعمال والفلاحين والشعب العامل أن يمسكوا بمقاليد الحكم فى بلدان افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كما امكن لهم آن يصبحوا أصحاب السلطة فى اقطار أخرى عديدة •

يظهرنا العلم اذن ، يظهرنا نحن الشعب ، على المسالك التى يتاح لنا بها خلق عالم افضل ولكل انسان يعيش فيه • لكن الرأسمالى عندما يرى الى العلم لا يأخذ منه الا ذلك القسط الذى يعينه على استغلال جهد العمال ، وجهد الفلاحين ، ويحقق له - من ثم - ربحا اعظم • وهنا فاننا نجد فى الجامعات ومؤسسات البحث والمعاهد القائمة فى العالم الذى يهيمن الرأسمالى عليه ، أن العلم ينقسم الى الكيمياء ، وعلم الحياة ، والفيزياء ، والطب •• وما الى ذلك مما يسمى بالعلوم الطبيعية • ثم نجد ايضا ، ان بعض الحرية يتوفر فى الدرس والبحث بما يمكن العالم من اكتشاف قوانين الطبيعة • لكن علوم المجتمع كالتاريخ والنفابية والسياسة والاقتصاد والتربية وما اليها تخضع لضوابط أعظم تقييدا • ونجد كل قانون طبيعى يبين بأن النظام الرأسمالى لابد أن يتراجع ، وان تحل محله علاقات فى الانتاج والاجتماع اشتراكية امرا يجرى تشويهه ، أو اخفاؤه بل حظره ، فى بعض الاحوال ، حظرا باتا • وعلى ذلك يعتقل انصار الاشتراكية العلمية ، ويحظر دعاتها فى افريقيا الجنوبية وما شابهها من اقطار ، كما يمنع اعضاء المؤتمر الوطنى الافريقى A.N.C. عن مخاطبة الشعب بحرية ، لا لشىء سوى انهم قد اكتشفوا ان العنصرية والاستغلال يتنافيان وقوانين الطبيعة •

عالمان مختلفان

تقدم الراسمالية ، اذن ، المال والوقت والتعليم والاجور المرتفعة وشيئا من الحرية لمن ينتظر منهم اكتشاف قوانين الطبيعة على النحو الذى يمكن من

اعانة الرأسمالية على استغلال جهد الناس واستثمار اراضيهم وتشغيل الالات والادوات والابنية التى تجمد فيها جهد العمال فى قديم وحديث • على اننا نقع هنا على ظاهرة مثيرة فحيثما حققت الرأسمالية ــ نموا ــ كافيا ، يتجلى بوجود الكثير من المعامل والعمال ، يلقى تشجيع العلم الطبيعى ، والبحث فى العلوم الطبيعية ، كما نلقى اضطهاد الاشتراكية العلمية ،وعلم الثورة الذى ينطوى عليه هذا العلم • لكن حيثما لم تحظ الرأسمالية بأكثر من معامل قليلة ، وانحصر أمرها فى نطاق المواد الاولية ، نجد تشجيع العلم • طبيعيا كان أم اجتماعيا ، وقد امتنع امتناعا تاما • ولئن تبدت مظاهر خداعة من تشجيع العلم ، ونصرة طلابه ، لم يغب عن نظر الثورى الثاقب اقتصارها على أوليات المعرفة العلمية التى لا تحمل خطرا ، وقشور البحث العلمى الذى يقتصر على نواح تطبيقية ضيقة ومحددة لا تهدد مصالح الاستعمار الجديد ، ولا تهدد القاعدة المادية التى يستند اليها • وهى ظاهرة لا يصح أن تبقى بلا درس أو تنبيه •

كان لغانا كلها ، مثلا ، ٧٧٤ عالما فى طول البلاد وعرضها سنة ١٩٦٦ ، وقد انفقت على البحث العلمى فى ذلك العام ٥٠٠ر١ جنيه ، وكان لها ٥١٣٧ طالبا يدرسون فى مختلف جامعاتها • بينما انفقت جامعة « **برمنجاهام** » فى انكلترا ٠٠٠ر٨٠٠ر٤ جنيه على البحث العلمى ، وكان لها ٦٢٤٥ طالبا سنة ١٩٦٩ ، **وخرجت** ٧٥٧ عالما فى تلك السنة وحدها • بذلك تمركز فى تلك الجامعة الواقعة فى قلب انكلترة الصناعى مجهود علمى أكبر مما بذل فى غانا كلها •

ولا يطلب العلم لذاته • يظهر الجدول أ(ص٧٨) أنه حيثما أقيمت معامل كبيرة ، ووجد كثير من عمال الصناعة ، كثرت الجامعات وكثر الطلاب • قارن ، مثلا ، بين **بريطانيا ونيجيريا** اللتين تتمتعان بحجم من السكان متشابه • تنتج بريطانيا كمية من الفولاذ والطاقة الكهربائية كافية لاظهار أنها تتمتع بصناعة كبيرة وعمال كثيرين • وفيها أعداد من الجامعات والطلاب جد كبيرة • أما نيجيريا فذات صناعة صغيرة وعدد من الجامعات والطلاب جد قليل • قارن كذلك بين **افريقيا الجنوبية واستراليا وموزامبيق وكازخستان** (التى تؤلف جزءا من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية) وكلها يحظى بعدد متقارب من السكان فنجد أنه حيثما كانت الصناعة عظيمة الشأن كان العلم عظيم الشأن أيضا ، وكثرة طلاب العلم ضرورة والعكس بالعكس • كتب « **انجلز** » لذلك يقول :

« **اذا توفرت لمجتمع حاجة تقنوية ، دفع ذلك بالعلم الى الامام بأكثر مما تدفع به عشرات الجامعات** » •

فالعلم اذن يتبع الصناعة ، والاشتراكيون العلميون واحزاب الاشتراكية العلمية علماء السياسة • وهذا لباب الحقيقة القائلة : بأنه حيثما وجدت الصناعة وجدت احزاب الاشتراكية العلمية ولكل من بريطانيا واستراليا وافريقيا الجنوبية وكازخستان حزب ينادى بالاشتراكية العلمية • لكن حيثما كانت الصناعة ضعيفة ندر وجود الاشتراكيين العلميين ، كما ندر وجود علماء الطبيعة • وفى كازخستان الاشتراكية عدد من الطلاب أكبر مما فى افريقيا الجنوبية العنصرية ، بالرغم من ان لهما مستويات متشابهة من الانتاج الصناعى ومن عدد السكان • ومرد ذلك الى ان كازخستان تعلم مواطنيها ، الى أقصى حد مستطاع • فى حين ، يقتصر هذا على بعض القوم فى افريقيا الجنوبية ، مع ابقاء السود ، اما على مستوى أضعف من التعليم أو بدون تعليم بتاتا • ولسوف يظهر النماء المقبل فى كازخستان فوائد نظامها التربوى والاجتماعى الافضل الذى يقدم لجميع سكانها مستويات من المعيشة أرفع •

ويظهر الجدول ب (ص٧٨) الى اى حد تقف أمم أفريقيا وراء الامم المصنعة وكيف أن لها من العلماء وطلاب العلم عددا أقل ، وانها تنفق على البحث العلمى بكميات أدنى •

حياة أفضل

أهذه مشكلة ياترى ؟ وهل تظل افريقيا شأن بقية الدول المتخلفة ضعيفة الشأن فى ميدان العلم ؟ أو فى وسع العلم أن يجعل الحياة أسهل ، مما هى الان عليه ، بالقياس الى العمال والفلاحين ؟ أو فى مقدورهم أن ينتجوا انتاجا أكبر بجهد أقل ؟ يظهر الجدول ج (ص٧٩) عدد العمال اللازم للقيام بأعمال متماثلة فى الصناعة والفلاحة على مدى عدد من السنين •

يعنى هذا التقدم ، فى ظل الرأسمالية ، تزايد عدد العمال العاطلين عن العمل تزايدا دوريا بقع بين الفينة والفينة على نحو يمليه انعدام التوازن فى نمو العلم والثقافة ، وقدرة الرأسمالى على الاستفادة من هذا النماء فى مجاله الخاص لتحقيق المزيد من الارباح • كما يعنى ، تزايد العاطلين عن

العمل تزايدا مطلقا على مر السنين • لكنه يعنى ، فى ظل الاشتراكية ، المزيد من أيام الراحة والاستجمام ، بأجر كامل ، واستخدام لجميع الطاقات أيضا تام • وذلك على ما يتيحه التخطيط الاشتراكى القائم على المبادىء الاشتراكية العلمية • ونمو العلم نموا متوازنا ، موجها فى صالح المجتمع ككل ، لا فى صالح فريق منه يسعى وراء الربح على حساب الاخرين • وشتان بين تقدم اعرج مشوه بطىء ، وبين تقدم متوازن صحى سريع • شتان بين عمال عاطلين عن العمل وعمال يتمتعون بالعطل ، لهذا كان من الضرورى ان تنشأ حاجة الى تحقيق المزيد من العلم الحقيقى الفعال ، اى المزيد من العلم (علم قوانين الطبيعة)ومن(علم قوانين المجتمع) ، ومن (تنظيم المجتمع وتنظيم قوى الطبيعة فى صالح كل المجتمع) •

ولا يكفى الحصول على المزيد من الجامعات كما يتوهم بعض الاقطار المستقلة حديثا شأن نيجيريا واوغنداوملاوى • ويظهرالجدولد(ص٧٩) انمدرسى الجامعات ، فى هذه البلدان ، يأتون من أقطار تقع خارج أفريقيا ، ومن الاقطار الرأسمالية بصورة رئيسية • وأن قليلا من المدرسين قد تلقى تعليمه فى الوطن ، حتى فى الاقطار التى تمتعت بجامعات قديمة الانشاء نوعا نحو « مكيرير » MAKERERE مثلا • لكن معظم المدرسين فى انجلترا أو افريقيا الجنوبية انما يأتون من المواطن الاصلية لجامعات هذه البلدان حتى فى الجامعات الجديدة • ومن الضرورى أن نعنى بأن يتعلم أطفالنا ، على أيدينا وأيدى أصدقائنا ، لا على أيدى أعدائنا الرأسماليين الامبرياليين • ففى مجال البحث فى قوانين الطبيعة لا نحظى الا بفتات الموائد ، وفى مجال قوانين المجتمع لا يقدم لنا الا الاسلحة الايديولوجية المعدة للارتداد الى صدورنا ، نحن بالذات أيضا • فلا غرابة اذن أن يمنع الاستاذ « ز • ك • ماثيوز » وكثير سواه فى افريقيا الجنوبية من تعليم الشعب الافريقى ، وأن يجرى تبديلهم بمدرسين بيض ، أو بآخرين ، ممن يتفقون « والابارتهيد » ، فلسفة الحكم الانفصالى السائدة هناك • ولا غرابة أن يطرح من جديد سؤال « **تشرنشفسكى** » القديم : ما العمل ؟

والعمل أن نرى الى أصدقائنا ، أن نحذو حذو الاقطار التى يجرى فيها تشجيع العلوم كلها وتشجيع هذه العلوم فى خدمة الملايين ، أن ننظر بفكر مفتوح الى خبرات الاتحاد السوفياتى وبلغاريا وسواهما من اقطار اشتراكية •

ان كازخستان جمهورية فى الاتحاد السوفياتى • ولقد كان فيها سنة ١٩١٨ ، قبل وصول الثورة الاشتراكية اليه ، اثنان وعشرون شخصا فقط قد اتموا تعليما عاليا من أصل ستة ملايين نسمة ، ولم يك ثمة فولاذ ينتج ، لكن كان انتاج الكهرباء السنوى ١ر٣ مليون كيلوواط ساعة • وكان ثمة نذر يسير من النشاط الصناعى • فلما قامت الثورة اتجه الحزب الى أن يعلم الشعب طريقة فى الحياة أفضل • واليوم تحظى كازخستان بثلاثمائة ألف طالب من أصل اثنتى عشرة مليون نسمة ، اى بزيادة قدرها نحو ٠٠٠ر٧ بالمئة ، يدرسون فى جامعاتها ومعاهد التعليم العالى فيها ، وثمة ٠٠٠ر١٨ عالم يقومون ببحوث علمية فى مختلف المجالات ، كما نمت الصناعة حذاء ذلكعلى النحوالمبين فى الجدول(أ)

ولقد زاد عدد طلاب التعليم العالى فى غانا خلال الخمس عشرة سنة الماضية من ٤ الى ٥٦ فى كل مائة ألف نسمة من السكان ،بينما زاد عددأمثال هؤلاء الطلاب فى كازخستان خلال الخمس عشرة سنة التى أعقبت الثورة من ١٣ الى ٢٥٠ فى كل مائة الف نسمة (ارتفع مجموع امثال هؤلاء فى مطلع الحقبة المذكورة الى نحو ألف طالب أو اقل قليلا بمجرد وصول الثورة الى كازخستان) • وبينما استغرقت الولايات المتحدة ٤٥ سنة (من حوالى ١٩١٠ الى ١٩٥٥) لزيادة عدد طلاب التعليم العالى فيها من ٥٠٠ الى ٢٦٠٠ طالب فى كل مائة الف وحدة من السكان انجزت كازخستان ذلك فى غضون ٢٥ سنة (من ١٩٤٠ الى ١٩٦٥) •

من الواضح اذن انه بالاضافة الى المنافع الاخرى الناشئة عن الاخذ بالطريق الاشتراكى فان السبيل الذى اتبعته الاقطار الاشتراكية يحتاج الى دراسة فائقة الدقة شديدة العناية كما يحتاج الى ملاءمة مع ظروف افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فى مراحل نموها التاريخية المختلفة •

وقد يكون من المفيد ارسال البعوث الى البلاد الاشتراكية ، لكن سوف يظل عدد المبعوثين الى هذه البلاد قليلا بحيث لا يسمح لافريقيا بقاعدةعلمية كافية تمكنها من النهوض السريع • فلابد اذن من توسيع الصناعة فيها توسيعا سريعا لتوفير الاساس اللازم لنماء العلوم والحاجة الى العلوم • وكيف تتوسع الصناعة بدون نشر علم الاشتراكية وحشد أقصى الطاقات المتوفرة لزيادة سلطة العمال السياسية التنظيمية الفعالة •

حقيق بنا أن نعترف بأن المهمة شاقة لكن فى الوسع انجازها ، ولا مندوحة من أن يكون الطريق السهل مسلكا ــ حتى فى الارجاء التى هى طبقة عمالية جد صغيرة وعدد من الاشتراكيين العلميين جد قليل ــ اذا أقيمت صلات وثيقة بعامل الاوطان الاشتراكية •

خلاصة القول أن أسس التقدم الى الامام خمسة :

١ ــ لنأخذ بالطريق الاشتراكى •

٢ ــ لنقيم العرى الوثقى بعمال العالم وخاصة عمال الاقطار الاشتراكية •

٣ ــ لننمى الصناعة ولننبذ تخرصات الاستعمار والرجعية عن « قدرتنا على التصنيع » •

٤ ــ لنعلم العلوم الطبيعية للشعب كل الشعب جميعا •

٥ ــ لندرس آثار لينين وماركس وانجلز ولنتعلم منهج الاشتراكية العلمية فى الدرس والتحليل والتطبيق •

أما الاخطاء التى يتعين علينا تجنبها فهى :

١ ــ لنمتنع عن استيراد العلم والعلماء من العالم الرأسمالى •

٢ ــ لنكف عن انفاق ملايين من الاموال على الجامعات التى تعلم حفنة صغيرة من العلماء المختصين بميادين معينة قد رضى الاستعمار لنا بأن نقبل عليها •

٣ ــ لنتجنب فصل العلم ، (قوانين الطبيعة) عن علم (قوانين المجتمع) •

٤ ــ العلم بلا صناعة كالشجر بلا ثمر •

الجـــدول [أ]

القطر	انتاج الحديد والفولاذ بملايين الاطنان	انتاج الكهرباء بملايين الكيلو واط الساعى	عدد السكان العام بملايين النسمة	عدد الجامعات	عدد طلاب الجامعات
بريطانيا	٣٦ر٠	٢٤٥ر٠٠٠	٥٤	٤٢	١٨٤ر٠٠٠
استراليا	٦ر٠	٢١ر٠٠٠	١٢	١٤	١٠٠ر٠٠٠
افريقيا الجنوبية	٣ر٤	٢ر٢٠٠	١٨	١٤	٤٣ر٠٠٠
نيجيريا	٠ر٠	٤٣٠	٦١	٥	٨ر٠٠٠
ج٠م٠ع٠	٢ر٠	٢ر٢٠٠	٣٢	٦	١٤٠ر٠٠٠
بروندي	٠ر٠	٠	٣	١	١٢٠
موزمبيق	٠ر٠	١٥٠	١٥	٠	٠
كازخستان	٣ر٠	٢١ر٠٠٠	١٢	٣٩	١١٥ر٠٠٠
[ا٠ ج٠ ا٠ ى٠]					

مصدر الاحصاءات اطلس أوكسفورد الاقتصادى ١٩٦٥ ، الكتاب السنوى لجامعات رابطة الشعوب البريطانية ١٩٦٨ ، كتاب السياسى السنوى ١٩٦٨ــ ١٩٦٩ •

الجـــدول [ب]
[الارقام بالقياس الى كل مليون من السكان سنة ١٩٦٧]

القطر	عدد العلماء	عدد طلاب العلوم	المال المنفق على البحث والنماء بملايين الجنيهات
بريطانيا	٣ر٩٠٠	١ر٦٧٠	١٦
نيجيريا	٦٥	١٠	١٦ر٠
غانا	٦٤٠	٩٧	٩ر٠
بوتسوانا	٣٠٥	٤٩	٤ر٠
رواندا	٧٠	٨ر٣	٣٠ر٠
هنغاريا	١٩ر٦٠٠	٣ر٦٤٦	١ر٩

مصدر الاحصاءات كتاب اليونسكو السنوى •

الجـــدول [ج]

عدد العمال اللازم للقيام بعمل من الاعمال [الولايات المتحدة الامريكية]	فى الصناعة	فى الحقل
خلال سنوات ١٩٢٠ — ١٩٣٠	١٠٠	١٠٠
خلال سنوات ١٩٣٠ — ١٩٤٠	٧٥	٨٨
خلال سنوات ١٩٤٠ — ١٩٥٠	٦٠	٦٦
خلال سنوات ١٩٥٠ — ١٩٦٠	٤٨	٤٠

مصدر الاحصاءات : مجلة العــــالم Scientific World

[وهى مجلة الاتحاد العـــالمى للعمال المشتغلين بالعلم] العدد ٥ من المجلد ١٤ سنة ١٩٧٠ م

الجـــدول [د]

القطــر	الجامعة	عدد الطلاب	سنة تأسيس الجامعة	عدد الموظفين حملة الشهادات من الوطن الاصلى	من اقطار أخرى
المملكة المتحدة	برمنغهم	١٢٠٠٠	١٨٨٠	١٥٠	١٠
المملكة المتحدة	اكسفورد	٣٧٠٠٠	١٢٠٠	١٤٠	٢٣
المملكة المتحدة	باث	٥٠٠٠	١٩٦٦	٩٠	٤
افريقيا الجنوبية	كيب تاون	٨٠٠٠	١٨٢٩	٢٠	١٧
افريقيا الجنوبية	بريتورية	١٦٠٠٠	١٩١٠	٥٠	٦
نيجيريا	عبــدان	٦٠٠٠	١٩٤٨	٤	٥٢
ملاوى	ملاوى	٢٠٠٠	١٩٦٤	٠	٢٤
أوغنــدة	مكيوبر	٢٠٠٠	١٩٢٢	٥	٣٤

مصدر الاحصاءات : أطلس أوكسفورد الاقتصادى ١٩٦٥ ، الكتاب السنوى لجامعات رابطة الشـــعوب البريطانية ١٩٦٨ ، كتاب السياسى السنوى ١٩٦٨ — ١٩٦٩ م

مضـــمون العـــلاقات الاقتصـــادية والتجـــارية

بين
الاتحاد السوفيتى
والولايات المتحدة

حمدى عبدالجواد

شهدت الفترة الاخيرة تغيرات على جانب كبير من الاهميـــة فى العــــلاقات الدولية ، كان من ابرزها تسوية المشــــاكل التى خلقتها الحرب العالمية الثانية . وتشير تلك التغيرات الى تحول واضح ومتزايد من الحرب الباردة التى سادت العلاقات الدولية لاكثر من ربع قرن ، الى علاقات تقوم على مبادىء **التعايش السلمى** بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وعلى تخفيف حدة التوتر الدولى وتطوير التعاون ذى المنفعة المتبادلة .

وتجبر حقائق المرحلة الحــــالية من تطور العلاقات الدولية ، الدول الراسمالية الرئيسية على تغيير موقفها من التجـــارة مع الاتحـــاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، والى التخلى عن سياسة فرض القيود واجراءات التمييز السابقة . وتجد هذه التغييرات تعبيرا لها كذلك فى موقف اقوى البلدان الراسمالية وهى الولايات المتحدة الامريكية ، وقد كان هذا البلد حتى وقت قريب لا يبذل فحسب كل مافى وسعه للحد من العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتى ، وانما حــاول ان يفرض ذلك على حلفائه ، لكن منذ محادثات القمة التى جرت فى مايو من العام الماضى بين الزعماء السوفيت والرئيس **نيكسون** فى موسكو ، والتى كانت نقطة تحول فى العلاقات بين البلدين ، حدث تقدم هام فى عدد من المسائل الهامة المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية والتجارية بين الاتحاد الســـوفيتى والولايات المتحدة .

وكما هو معروف فقد تم الاتفاق فى محادثات القمة فى موسكو على « المبادىء الاســـاسية للعلاقات المتبادلة بين البلدين » ، وليس هناك من شك فى ان تلك الوثيقة التى وقعها كل من بريجنيف ونيكسون ، تحتل اهمية كبيرة فى انفراج العلاقات بين البلدين بشكل عام وفى عودة العـــلاقات الاقتصادية والتجارية على وجه الخصوص الى حالتها الطبيعية ، وتنص المادة الاولى من هذه الوثيقة على ان الاتحاد الســـوفيتى والولايات المتحدة « سينطلقان من تصميمهما المشترك على انه فى العصر النووى ليس هناك من بديل لبناء

علاقاتهما المتبادلة على أساس التعايش السلمى . فالخلافات فى الايديولوجية والانظمة الاجتماعية بين البلدين ليست عقبة امام تطور العلاقات العادية بينهما والقائمة على مبادىء السيادة والمساواة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والمنفعة المتبادلة » .

كما تشير المادة السابعة من هذه الوثيقة الى « ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يعتبران الصلات الاقتصادية والتجارية عنصرا ضروريا هاما فى تدعيم علاقاتهما المتبادلة ، ولذلك فانهما سيعملان بنشاط من أجل نمو هذه الصلات وسيسهلان التعاون بين الهيئات والمؤسسات المعنية فى كلا البلدين ، وكذلك توقيع الاتفاقيات والعقود المناسبة » .

أسباب تلك التغيرات

وتتعارض هذه التغيرات مع الاتجاهات التى سادت سياسة الولايات المتحدة خلال ربع القرن الاخير . وذلك يدفعنا بالضرورة الى التساؤل عن سبب ذلك التغير فى موقف الولايات المتحدة الامريكية .

يجب ان نشير فى المحل الاول الى ان الموقف الجديد للولايات المتحدة كان النتيجة المنطقية للتغيرات الموضوعية التى شهدهاالعالم فىالفترة الاخيرة .

ان احد القسمات الرئيسية التى تميز الوضع الدولى اليوم ، بما فى ذلك مجال العلاقات الاقتصادية الدولية ، تكمن فى أن **الامبريالية مجبرة على ان تكيف نفسها مع الظروف الجديدة** ظروف تطور الصراع بين النظامين العالميين ، تلك الظروف التى تجد فيها نفسها فى مواجهة تعاظم قوة الاشتراكية ، وانهيار النظام الاستعمارى للامبريالية والهجوم الواسع النطاق لحركة الطبقة العاملة العالمية ، ويستطيع المرء ان يقول ان السبب الرئيسى لتغيير موقف الولايات المتحدة فيما يختص بمسائل التجارة والصلات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى انما يرجع فى الاساس الى **التغيرات التاريخية فى المجال الدولى ، التى كانت نتيجة مباشرة لتاثير العوامل الثلاث البارزة فى عصرنا — الاشتراكية العالمية وحركة الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى .**

ان التطور السريع للامكانيات الاقتصادية والصلات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتى وبلدان المعسكر الاشتراكى بشكل عام ، قد اقنع العناصر البعيدة النظر فى الولايات المتحدة بأن سياسة فرض القيود على التجارة مع البلدان الاشتراكية لم تؤد الى الثمار التى كانت ترجوها البلدان الرأسمالية التى فرضت تلك القيود . وقد اكد ذلك كل تطور الاحداث فى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية وبشكل خاص مع أواخر الخمسينات ومابعدها مما دفع كثير من الدوائر الامريكية الى اعادة النظر فى تلك السياسة .

لقد حرمت الولايات المتحدة فى وقت من الاوقات تصدير الالات الى الاتحاد السوفيتى نهائيا . غير ان الاتحاد السوفيتى اليوم لا يسد حاجته فحسب من مختلف انواع الالات والاجهزة وعلى أساس الانتاج المحلى ، ولكنه تطور كذلك الى مصدر رئيسى فى عالمنا لمثل تلك المنتجات . وكان محرما أيضا تصدير سلع مثل النحاس والماس ، وغيرها من السلع الى الاتحادالسوفيتى غير ان الاتحاد السوفيتى لم يعد اليوم قادرا على سد احتياجاته فى النحاس فحسب ولكنه يصدره الى البلدان الرأسمالية المتطورة ، كما اصبح مصدرا رئيسيا للماس كذلك .

وبفضل النجاحات التى سجلها التطور الاقتصادى للاتحاد السوفيتى ، وبفضل سياسة الانفتاح فى علاقاته الدولية التى اتبعها منذ أواخر الخمسينات ، بدأت الغالبية العظمى ، من الدول الرأسمالية المتطورة فى تطوير علاقاتها التجارية الطبيعية معه ، كما بدأت تعاونها معه فى مجالات العلم والتكنولوجيا وفى الشئون المالية والنقدية ، ومنحت الاتحاد السوفيتى قروضا طويلة الاجل وبشروط مفيدة للطرفين وكان معنى تلك التطورات ، **عزلة الولايات المتحدة** دون سواها من البلدان الرأسمالية المتطورة عن سوق الاتحاد السوفيتى واسواق البلدان الاشتراكية الاخرى ، الامر الذى حدث خلال العقد الماضى .

واخيرا ، وكما اشار تقرير **نيكسون** الى الكونجرس فى مارس الماضى ، فان الولايات المتحدة بدأت تدرك ، اكثر فأكثر ، انها خسرت مواقعها الاحتكارية للاسواق العالمية ، وللمجالات المالية والنقدية ، وادركت الصعوبات الناجمة من العجز فى ميزان المدفوعات ، ومشكلة البطالة التى لاتجد حلا ، والنقص المتزايد فى المواد الخام ، والنتائج المريرة لتعاظم المنافسة بين بلدان العالم الرأسمالى .

وبالمقارنة مع ذلك تبدو نجاحات البلدان الاشتراكية ذات اثر بالغ . فتدعيم قوتها الاقتصادية ، ونمو الانتاج المطرد ، والادارة

المخططة للاقتصاد الذي لا يواجه اي ازمات — ان كل ذلك يقنع دوائر الاعمال في الغرب بأن الاتحاد السوفيتي ، والبلدان الاشتراكية الاخرى يمكن الاعتماد عليها في العلاقات التجارية .

وفي ظل تلك الظروف اتضح لكثير من الامريكيين ان سياسة التجارة الخارجية التي تتبعها حكومتهم نحو الاتحاد السوفيتي بالشكل الذي وضعت به في اعقاب الحرب العالمية الثانية لا تحل باي حال من المشاكل الحقيقية التي تواجهها الولايات المتحدة ، بل وتكلفها الكثير .

وسرعان ماوجد ذلك انعكاسه في تقارير وموقف عدد من المسئولين في واشنطن . وقد اشار ب. فلانيجان احد مساعدي الرئيس الامريكي الى **ان تجارة حلفاء الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية بلغت عمليا ثلاثين ضعفا بالمقارنة مع الولايات المتحدة وخرج من ذلك بانه قد حان الوقت لتغير الولايات المتحدة موقفها ، وتوسع من تجارتها مع هذه البلدان .**

وتلك هي الاسباب الرئيسية التي دفعت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الى تغيير موقفها من مشكلة التجارة والصلات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، ووضع هذه الاسباب في الاعتبار يكشف ان الامر يتعلق بعوامل موضوعية بعيدة الاثر ، وبأن هناك عوامل أبعد اثرا واكثر قوة من رغبات وقرارات اي حكومة او طبقة . وتلك هي قوة العلاقات الاقتصادية الدولية التي اجبرت الولايات المتحدة في النهاية على اقامة علاقات تجارية واقتصادية متنامية مع الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الاخيرة .

اتساع الصلات الاقتصادية والتجارية

ماهي الخطوات العملية التي تم اتخاذها اليوم لاقامة وتوسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية الطبيعية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ؟

لعبت لجنة التجارة السوفيتية الامريكية المشتركة التي انشئت خلال محادثات موسكو في مايو ١٩٧٢ دورا هاما في التوصل الى نتائج هامة في العلاقات التجارية الاقتصادية بين البلدين . ويدخل في صلاحيات تلك اللجنة مناقشة كل المشاكل الاقتصادية والتجارية بين البلدين . وقد عقدت اللجنة دورتين خلال العام الماضي ، ناقشت خلالهما سلسلة من المشاكل ذات الاهمية للجانبين .

وأدت مباحثات اكتوبر ١٩٧٢ الى توقيع سلسلة من الاتفاقيات الهامة بين الحكومتين حول التجارة ، وتسوية مشاكل الاعارة والتأجير ، ونظام تمويل التجارة وتسوية مشاكل الملاحة ، وغيرها من المشاكل ، وقد بينت الممارسة ان تلك الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية تتمشى تماما مع روح الوثائق التاريخية التي وقعها زعماء البلدين في مايو ١٩٧٢ .

واهم الاتفاقيات التي تم توقيعها هي الاتفاقية التجارية التي وقعت في أكتوبر ١٩٧٢ ، والتي تنظم لاول مرة في تاريخ العلاقات السوفيتية الامريكية سلسلة واسعة من المسائل الاقتصادية والتجارية في العلاقات بين البلدين .

ويعتبر تطبيق مبدأ معاملة الدولة الاكثر رعاية من الجانبين من اهم جوانب الاتفاقية التجارية ، ووفقا لهذا المبدأ لابد وأن يتمتع البلد الذي تتم معه التجارة بنفس الامكانيات والشروط التجارية التي تمنح للشركاء الاخرين ، وسوف يؤدي تطبيق ذلك الى تخفيض الرسوم على السلع السوفيتية المصدرة الى الولايات المتحدة من ٥٠ الى ٧٠٪ وينص الاتفاق على أن يتعهد كل طرف بتشجيع اقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية الفعالة بين الهيئات التجارية والشركات في البلدين على ان يوضع في الاعتبار الموارد والاحتياجات البعيدة المدى لكل بلد الى المواد الخام والمعدات والتكنولوجيا . وهذا مبدأ هام كذلك من وجهة نظر تأمين التطور السريع للتجارة بين البلدين .

وقد وافق الجانبان على اساس تعهدهما بخلق الظروف المواتية لتوسيع الصفقات التجارية على انشاء بعثة تجارية سوفيتية في واشنطن ومكتب تجاري امريكي في موسكو ، وكذلك على تقديم المساعدة لتنشيط هيئات التجارة الخارجية السوفيتية في الولايات المتحدة ، والشركات الامريكية في الاتحاد السوفيتي ، وخاصة عن طريق فتح مكاتب لهذه الشركات في موسكو ، ويجدر بنا أن نذكر ، في هذه المناسبة انه يجري انشاء مركز تجاري بهدف توفير احتياجات ممثلي الشركات الاجنبية ، بما في ذلك الشركات الامريكية في الاتحاد السوفيتي .

وتحوي الاتفاقية التجارية نقاطا اخرى هامة ستؤدي الى توسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين وتنص الاتفاقية على رغبة الجانبين في توسيع نطاق التجارة بينهما خلال فترة سريان الاتفاقية وهي ثلاث سنوات الى ثلاثة اضعاف على الاقل ، بالمقارنة مع السنوات الثلاث السابقة عليها ٦٩ — ١٩٧١ . ويعني ذلك من الناحية العملية ان تصل التجارة عام

١٩٧٤ على الاقل الى مايتراوح بين ٥٠٠ ــ ٦٠٠ مليون دولار سنويا .

شروط مفيدة للطرفين

وتحتل المسائل الخاصة بالتمويل المتبادل للتجارة والتى تم الاتفاق عليها بين البلدين اهمية كبيرة فى تطور العلاقات الاقتصادية السوفيتية الامريكية ، فلقد وفرت حكومة الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتى القواعد العامة فى مجال تمويل الصادرات ووافق الاتحاد السوفيتى بدوره على أن يوفر للشركات الامريكية تمويلا مماثلا اثناء بيع الآلات والمعدات السوفيتية ، كما هو الحال فى الصادرات المماثلة الى البلدان الراسمالية الصناعية .

وقد وقعت اخيرا فى واشنطن اتفاقيات حول عمليات التمويل الطويلة الاجل لتشترى هيئات التجارة الخارجية السوفيتية الالات والمعدات وخاصة لمصانع السيارات كاما ، ولصناعة البترول وغيرها من المشروعات .

وتصل مجموع المشتروات وفقا لهذه الاتفاقيات ٢٢٥ مليون دولار . وتعتبر تلك أول اتفاقيات حكومية حول عمليات الائتمان الطويلة الاجل فى تاريخ العلاقات الاقتصادية السوفيتية الامريكية

ومما له دلالة انه اثناء توقيع تلك الاتفاقيات قال المسئولون فى بنك التصدير والاستيراد الامريكي الحكومى ، ان يوم التوقيع يوم «تاريخى» بالنسبة للبنك . وأوضحوا أن البنك بممارسته لتلك العمليات الائتمانية قد بدأ يقوم بالرسالة الاساسية التى انشىء من أجلها ، بناء على مبادرة الرئيس روزفلت ، وهى تمويل التجارة بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفيتى .

ويجدر أن نشير كذلك الى عدد من الملابسات الاخرى : مدة القروض لشراء الالات والمعدات لمصانع سيارات كاملة ١٦ عاما ، وتقدم اكثر من ٥٠ شركة امريكية كبيرة ومتوسطة الالات والمعدات ، على اساس القروض ، بينما سيتم تمويل التوريدات بعيدا عن بنك الاستيراد والتصدير ، وذلك من قبل احد البنوك التجارية الكبيرة كبنك **تشيز مانهاتن** فى نيويورك وغيرها . ومن المفهوم ان يوافق الجانبان على مثل هذه المبادلات عندما يفكران فى التعاون الاقتصادى والتجارى على فترة طويلة ، وعلى ذلك ، فان العلاقات الائتمانية التى ترتكز على مبادىء المنفعة المتبادلة والمساواة التامة لا تؤدى فحسب الى زيادة تدعيم الصلات الاقتصادية بين البلدين ولكنها تؤدى كذلك الى تحسين العلاقات الدولية بشكل عام .

ومما يلفت النظر أن الصلات بين هيئات التجارة الخارجية السوفيتية والشركات الامريكية فى ظل الجو الجديد ، قد اوضحت ان التجارة بين البلدين يمكن أن تأخذ ابعادا كبيرة . فنتيجة للعمل الواسع الذى قامت به حكومتا البلدين لتوفير ظروف افضل لتطوير العلاقات التجارية المتبادلة زاد تبادل السلع خلال العام الماضى بين البلدين الى ٥٣٨ مليون روبل مقابل ١٨٤ مليون روبل عام ١٩٧١ .

وعلى أساس العقود التى تم توقيعها اخيرا والعقود الموقعة بين هيئات التجارة الخارجية السوفيتية ورجال الاعمال الامريكيين ، فان البلدين سيجدان لديهما كثيرا من السلع يمكن أن يبيعاها لبعضهما لمصلحة التطور الاقتصادى .

ومن المعروف بشكل عام أن التجارة الخارجية السوفيتية التى تنمو باطراد عاما بعد عام ، بلغت ٢٦٫٠٠٠ مليون روبل ، أو حوالى ٣٥٫٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٢ . ولكى نصدر حكما على معدل التجارة الخارجية السوفيتية نستطيع أن نقول ان دورة البضائع السوفيتية لعام ١٩٧٢ بلغت من حيث الحجم ٢٠ ضعف ماكانت عليه قبل الحرب ،ومثل هذا التطور ما كان ممكنا لولا مستوى تقدم القوى المنتجة فى الاتحاد السوفيتى ، هذا التقدم الذى وفر امكانيات جديدة نوعيا لتطور العلاقات الاقتصادية الخارجية .

وتتمتع السلع السوفيتية بطلب واسع فى الاسواق التقليدية للبلدان الاشتراكية والنامية ، وكذلك فى اسواق البلدان الراسمالية المتقدمة صناعيا التى يوجد معها تعاون تجارى وعلمى وتكنولوجى واسع بالفعل ، ويوضع مصالح السوق الامريكية فى الاعتبار يمكن للاتحاد السوفيتى ان يزيد من انتاج سلع للتصدير يهتم بها المشترى الامريكى .

أشكال جديدة من التعاون

وفى نفس الوقت ، وفى سبيل تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية المتبادلة بين البلدين ، يجب الاستفادة بالاضافة الى الاشكال التقليدية للتجارة ، من الاشكال الجديدة للعلاقات الاقتصادية المقبولة من النظامين الاجتماعيين ، وفى هذا المجال توصل الجانبان ، فى مؤتمر عقد اخيرا فى واشنطن لمناقشة مسائل التجارة السوفيتية الامريكية ، الى نتيجة انه بين اكثر

الطرق المبشرة لتطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين يمكن ان توضع الاشكال التالية فى الاعتبار :

● التعاون المتبادل بين الهيئات السوفيتية والشركات والبنوك الامريكية لتطوير بعض الموارد الطبيعية « كالبترول والغاز الطبيعى والخامات والمعادن غير الحديدية والاخشاب ، وصناعة الورق » التى تهتم الشركات الامريكية باستيرادها .

● استخدام انماط مختلفة للتعاون فى الانتاج .

● التطوير المشترك للعمليات الانتاجية الحديثة

● تسجيل الاختراعات وبيعها بشكل مشترك

● التعاون المشترك فى المشاريع الصناعية فى بلد ثالث .

ومن الممكن ان تشارك الهيئات السوفيتية بدورها ، وعلى أساس المعاملة بالمثل ، فى انشاء مؤسسات فى الولايات المتحدة فى صناعات سجل فيها الاتحاد السوفيتى نجاحات معترف بها عالميا « المعادن ، الكوك ، الحديد والصلب ، محطات توليد القوى ، خطوط نقل الطاقة الخ » وتنفيذ مثل هذه المجمعات الضخمة المفيدة للطرفين سيضع اساسا قويا لتوسيع التجارة السوفيتية الامريكية .

ويوجد تعاون من نفس النوع بالفعل فى علاقات الاتحاد السوفيتى مع عدد من دول غرب أوروبا . ومن الامثلة على ذلك الاتفاقيات التى وقعت مع شركات وبنوك من المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا والنمسا لاستيراد الغاز الطبيعى من الاتحاد السوفيتى ، ولاستيراد الالات والمعدات والانابيب وغيرها من المواد اللازمة لصناعة الغاز السوفيتية وعلى اساس تمويل طويل الاجل . وهذه بعض الارقام التى توضح نطاق تلك العمليات ، تصل مشتروات الاتحاد السوفيتى من المعدات والمواد اللازمة لصناعة الغاز الى حوالى ١٥٠٠ مليون دولار . وسيصل ثمن الغاز المصدر الى هذه البلدان خلال عشرين عاما الى ٥٠٠٠ مليون دولار . ويوضح تحليل تلك العملية انها مفيدة اقتصاديا للطرفين . وليس هناك من شك فى ان تلك الاتفاقيات تساعد التطور الاقتصادى لكلا الجانبين

وكانت الاتفاقيات الخاصة بتوريد المعدات والتعاون الفنى فى بناء مصنع الصهر « كاماز » والتى وقعت مع « سويندل دريسلر » عام ١٩٧٢ أول مثال لمشاركة الشركات الامريكية فى بناء المؤسسات الصناعية الضخمة فى الاتحاد السوفيتى . وفى اكتوبر ١٩٧٢ وقع عقد لتوريد المعدات لمد انابيب الغاز الضخمة مع شركة كاتربيلار ، كما وقعت عقود مماثلة مع شركات امريكية اخرى . ان مجموع اذون التصدير التى اعطتها وزارة التجارة الامريكية للشركات الامريكية فى النصف الثانى من عام ١٩٧١ ، وحده زادت عن ١٠٠٠ مليون دولار .

ويمكن تبين الفائدة المتبادلة ونطاق مثل هذا التعاون ، من الاتفاقية التى وقعت اخيرا مع شركة اوكسيدنتال بتروليم الامريكية . فطبقا لهذه الاتفاقية ستشترى الهيئات السوفيتية من الولايات المتحدة ، وعلى اساس تمويل طويل الاجل ، بما قيمته مئات الملايين من الدولارات من المعدات اللازمة لانتاج كميات كبيرة من الامونيا والكاربامید ، وبالاضافة الى ذلك ، فبعد بناء ذلك المجمع سيشترى الاتحاد السوفيتى من امريكا خلال عشرين عاما مليون طن من حامض السوبر فوسفوريك سنويا لانتاج الاسمدة الفوسفورية ، وفى مقابل المعدات والحامض سيقوم بتوريد الامونيا والكاربامید وكلورید البوتاسيوم التى تتوفر الظروف لانتاجها فى الاتحاد السوفيتى وتقدر قيمة المجموع الكلى للسلع الداخلة فى هذه العملية بما قيمته ٨٠٠٠ مليون دولار .

وسوف يستفيد الطرفان من هذه الاتفاقية : فستحصل **الزراعة** السوفيتية نتيجة لتنفيذها على اسمدة اضافية خاصة الاسمدة الفوسفورية ، وستتطور قاعدة **الصناعة** الكيماوية السوفيتية كما تعتبر تلك الاتفاقية دفعة للتجارة السوفيتية الامريكية . وتستفيد الولايات المتحدة هى الاخرى من الاتفاقية لانها بدونها كانت ستشترى ماتحتاجه من الاسمدة النيتروجينية وغيرها لا من الاتحاد السوفيتى وانما من بلد آخر دون ان تصدر اسمدتها ، مما سيضر بميزان المدفوعات الامريكى . وقد كتبت مجلة نيوزويك الامريكية تقول : ان هذا الاتفاق كان لمصلحة البلدين بمنتهى الوضوح . اما فيما يختص بهيكل التجارة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فسيستورد الاتحاد السوفيتى اساسا من الولايات المتحدة ، الالات والمعدات والمواد الخام المختلفة وكذلك السلع الاستهلاكية . ويهتم البلدان ، فى نفس الوقت الى جانب التعاون فى الميدان الاقتصادى والتجارى ، بالتعاون فى الميدان العلمى والتكنولوجى ، وقد بدأ توقيع عدد من الاتفاقيات

للتعاون فى هذا المجال بين لجنة الدولة للعلم والتكنولوجيا بالاتحاد السوفيتى وشركات جنرال الكتريك وجوى واوكسيد نتال بتروليم .

أنصار التفاهم المتبادل ومعارضوه

ان الصلات بين الشركات الامريكية وهيئات التجارة الخارجية السوفيتية ، والمبادرات العديدة والمقترحات التى تقدم بها الجانبان توضح ان الظروف تتسع لمزيد من التعاون الاقتصادى والتجارى على اساس طويل المدى .

ولكى يتحقق تقدم سريع فى هذا المجال من الضرورى أن تترجم الاتفاقيات التى تم توقيعها بين البلدين الى واقع عملى فى التنفيذ اى ان تخلق الظروف بالفعل لتطبيق مبدأ الدولة الاكثر رعاية فى العلاقات التجارية بين البلدين ويتطلب ذلك سرعة التصديق على الاتفاقية التجارية فى كلا البلدين ، اذ بدون التصديق على تلك الاتفاقية لن يتم تنفيذ الاتفاقية الخاصة بالاعارة .

وفيما يتعلق **بموقف الاتحاد السوفيتى** فانه يتحمس لتنفيذ الاتفاقيات لانه يؤمن ان ذلك هو الخطوة الاولى نحو تدعيم التعاون بين البلدين وخلق جو سياسى افضل فى العلاقات السوفيتية الامريكية مما يسهل التقدم نحو الانفراج الدولى

أما **فى الولايات المتحدة** فرغم التغيرات الهامة التى حدثت بعد اجتماع القمة فى موسكو . فلا زالت هناك دوائر معينة تتمسك بالدفاع عن استمرار سياسة الحرب الباردة . **وتتركز تلك الدوائر فى التجمع العسكرى الصناعى الذى يرتبط بطلبيات الحرب ويخشى على تدهور ارباحه فى ظروف انفراج العلاقات السوفيتية الامريكية كما تؤيد العناصر اليمينية المتطرفة والصهيونية نفس السياسة المعادية للتعاون السوفيتى الامريكى .**

وليس من قبيل المصادفة ان يكون على راس المعادين لسياسة التعاون السوفيتى الامريكى **هـ. جاكسون** عضو مجلس الشيوخ والوثيق الصلة بالتجمع العسكرى الصناعى ، والذى لعب دورا كبيرا فى معارضة التصديق على اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية ، والسيناتور نفسه يقف اليوم كما تقول **واشنطن بوست** على راس المدافعين عن الحرب الباردة فى الكونجرس وضد ان يوافق الكونجرس على الاتفاقية التجارية المعقودة بين البلدين ، ومثل هذه القوى تحاول استغلال هذه المعارضة لوضع بعض التحفظات أو الشروط فى طريق التعاون السوفيتى الامريكى ونشاط مثل هذه العناصر والقوى ، يثير القلق لدى المهتمين بانفراج العلاقات السوفيتية الامريكية . حتى لقد صرح **وليم روجرز** وزير الخارجية الامريكية ، بأنه اذا ماساعدت مثل هذه القوى السلبية فستؤدى الى انتكاسة خطيرة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية .

وعلى ذلك ، فان آفاق تطور العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين فى المستقبل القريب ، انما يتوقف فى المحل الاول على درجة نجاح الدوائر المؤيدة لانفراج العلاقات مع الاتحاد السوفيتى فى التغلب على مقاومة الدوائر التى ماتزال تتشبث بمصالحها الخاصة وبسياسة الحرب الباردة التى عفا عليها الزمن . هذا بينما تسمح الظروف الموضوعية الآن بأن تتطور علاقات التعاون بين البلدين ، وذلك بالكيفية التى تساعد على زيادة الانفراج الدولى وصيانة السلام العالمى .

منغوليا وتجربتها الخاصة

من مجتمع رعوى الى مجتمع اشتراكى

مجدى نصيف

القت العديد من دول آسيا وافريقيا بنير الاستعمار، وعندما تقرأ اليوم أن هذه الدولة أو تلك قد اختارت طريق التطور غير الرأسمالى ، فاننا لا نصاب بالدهشة ، فقد اصبح اختيار ذلك الطريق اليوم شيئا منطقيا وجزءاً عاديا من التطورات العالمية فى عالم اليوم . ولكن منذ خمسين عاما كان الموقف مختلفا تمام الاختلاف، فالرأسمالية فى عنوانها ، والاتحاد السوفيتى هى البلد الوحيد الذى اختار بثورته الاشتراكية طريقا جديدا ليطور حياة شعوبه ، والدول الامبريالية تتدخل محاولة ايقافه ومحاصرته حتى لا تبدأ مسيرة الاشتراكية وتزحف .

ولكن تظل «تجربة جمهورية منغوليا الشعبية» من التجارب الاولى التى يجب انتدرسها شعوب دول العالم الثالث لتستفيد من خبرتها . فلقد كان اختيار منغوليا لطريق التطور الرأسمالى ، يستدعى ظروفا خاصة مناسبة ، مثل القرب من الاتحاد السوفيتى ، او حتى الالتصاق به ، اما اليوم ونتيجة لنمو العالم الاشتراكى وازدياد نفوذه ، فلم يعد للتأخر الاجتماعى او الاقتصادى ولا لحجم البلاد ، او حتى لبعدها الكبير جغرافيا عن الدول الاشتراكية ، اهمة قصوى .

لقد كانت منغوليا قبل الثورة بلدا اقطاعيا شديد التخلف ، يعمل كل سكانه بالرعى ،وكانت الثورة الشعبية المنغولية عام ١٩٢١ نتيجةحتمية للنضال التحررى الطويل الذى خاضه الشعب المنغولى ضد الاقطاع وضد الاستعمار ، وقد تحققت هذه الثورة فى ظروف تاريخية جديدة بالنسبة للعالم،اذ دشنت ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا عهدا جديدا فى تاريخ البشرية .

لقد اثبتت تجربة التطور غير الرأسمالى فى منغوليا ان القوانين العامة للثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، يسرى مفعولها على البلدان المتخلفة ذات التراكيب الاقتصادية السابقة على

الرأسمالية . ولقد اصبحت الاشتراكية فى منغوليا الان أمرا واقعا ، وفى نفس الوقت تقابل العديد من الدول النامية التى اختارت هذا السبيل مشاكل مشابهة لما واجهته منغوليا، ولهذا السبب فان خبرة نصف قرن من التطور من الاقطاع الى الاشتراكية عبر طريق التطور غير الرأسمالى يمكن ان تكون ذا فائدة كبيرة .

منغوليا قبل الثورة

يمتد تاريخ منغوليا مئات السنين ، ولكن التاريخ الحديث يبدأ بالدولة المنغولية الاقطاعية الموحدة التى تكونت من عدد من الدويلات الصغيرة بواسطة اتحادات قبلية فى فجر القرن الثالث عشر . وقد ادت هذه الوحدة القوية الى نمو قوى المجتمع المنتجة . واعلن أن الامير تيموجين ممثل طبقة الاقطاعيين البازغة آنذاك هو « الخان الاعظم » للدولة المنغولية الموحدة تحت اسم « جنكيزخان » ، ذلك الوحش الضارى الذى اجتاحت جيوشه « ما وراء النهر » وسهول خوارزم ، وكانت غزواته اعصارا مدمرا من خيل مطهمة لاتعرف التعب ، وجند مدرب لايعرف الكلل ، وسيوف مصقولة لاتعرف الرحمة ،وعلى رأسهم عاهلهم ذو اللحية الحمراء ، وكانت تلك حقبة من تاريخ البشرية يعز نظيرها ، فلقدتحول الرعاة الى محاربين فى قسوة الطبيعة فى منغوليا التى تركوها مندفعين غربا وجنوبا . فما هى القوة التى ألهمتهم فجأة ؟ وكيف يظهر فاتح وقاهر فجأة من بين الرعاة البدو الرحل ويجيش الجيوش الحديثة — بمقاييس ذلك الزمن — من لاشيء ، ثم يغزو المدن الكبيرة ويحطم حضارات زاهية ؟ مازال هذا السؤال يحير علماء التاريخ، ولكن على اى الاحوال لقد ادخل جنكيزخان بعض التغييرات الهامة فى ادارة الدولة وبنى جيشا جبارا ، وطور الثقافة وخاصة اللغة المنغولية المكتوبة .

ولم تؤد هذه الفتوحات الى تنمية القوى المنتجة لمنغوليا ، فلقد ظل الرعى ، وبالتالى البناء الاقتصادى البدائى ، هو السمة المميزة لشكل النشاط الانتاجى ، ولم يتطور المجتمع المنغولى رغم هذه الفتوحات والامبراطورية الشاسعة ،ولم يزد عن كونه مجتمعا رعويا متخلفا . وان كانت قد حطمت بطبيعة الحال القوى المنتجة لعددمن الدول الاسيوية والاوربية .

وقد استمرت الحروب التى بدأها جنكيزخان وواصلها ابناؤه ، اربعين عاما ، وأدت الى تدمير الاقتصاد المنغولى المتخلف أصلا،لان الايدى العاملة انضوت تحت لواء الجيوش المغولية الغازية . وسرعان ما بدأت هذه الامبراطورية فى التفكك فى نهاية القرن نفسه ونتيجة للحروب بين « الخانات » . وما ان حلت نهاية القرن الثالث عشر ايضا — وفى عام ١٦٩١ على وجه التحديد،حتى غزا المنشوريون منغوليا واحتلوها فاصبحت منذ ذلك الوقت جزءا من الامبراطورية المنشورية المتخلفة سياسيا واقتصاديا ، وقد ادى هذا الاستعمار الجديد الى مزيد من استنفاذ منغوليا سياسيا واقتصاديا . وظلت منغوليا تحت سيطرة « المانشو » مايزيد على المائتى عام. وكانت هذه الفترةأحلك الفتراتفىتاريخ الشعب المنغولى ،الذى لم يتوقف عن الثورة ضد الغزاة، فقد نهض « الارات » [الرعاة] فى انتفاضات بقيادة الامراء المنغوليين . وكانت النتيجة أن تحررت منغوليا ونشأت مملكة اقطاعية دينية عام ١٩١١ تساندها روسيا القيصرية . وكان رئيس الدولة هو الرئيس الدينى فى نفس الوقت . واستمر استغلال « الارات » بواسطة الامراء الاقطاعيين المنغوليين وكهنة « اللاما » والتجار الصينيين الذين كانوا يسيطرون على التجارة واستمر فى نفس الوقت كفاح الشعب المنغولى وخاصة بعد انتشار افكار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، حتى قامت ثورة ١٩٢١ بقيادة « حزب الشعب الثورى المنغولى » .

■ فكيف كان التركيب الطبقى للمجتمع المنغولى قبل الثورة ؟

كان الرعى هو حرفة كل الشعب المنغولى ، وكانت تربية الماشية تعتمدفىتربيتها على الظروف المناخية السائدة . وكان الملاك الاقطاعيون هم اكبر مالكى الماشية احدهم كان يمتلك مثلما يمتلك الراعى العادى ١٧ مرة من الابقار و٣٧ مرة من الخراف والماعز و٣٩ مرةمن الجمال ذات السنمين و٧٥ مرة من الجياد . وكانت العلاقات الانتاجية فى المجتمع المنغولى الاقطاعى تعتمد على ملكية الامراء الاقطاعيين للاراضى كلها ، ولرءوس الماشية وملكية«اقنان» الارض من «الارات» ولم يكن يسمح للرعاة باستخدام المراعى الا بأذن من الاقطاعى.

ولقد ثارت مناقشات عديدة ومازالت تثورحتى الان بين علماء الاجتماع عن الملكية وخصائصها فى هذا المجتمع المنغولى الرعوى . يقول البعض أن اساس الملكية هنا هو رءوس الماشية ،بينما يقول البعض الاخر انها المراعى : اى الارض بينما يضع فريق ثالث الماشية والارض كعنصرين متساويين فى العلاقات الانتاجية . وهناك خاصية معينة فى ملكية الارض فى منغوليا ، يجب أن نضعها فى الاعتبار ، فهى لم تكن تستخدم الا كمراعى ، ولكن ليس معنى هذا انها لمتكن

اساس الملكية الاقطاعية . ففي الظروف الخاصة بهذا الاقتصاد « الرعوى » ، كانت الاراضي المثلة في المراعى لاتنفصل عن الماشية ، بمعنى ان انتاج الفلاح ومربى الماشية يعتمد اساسا على الارض ، الفارق الوحيد أن الفلاح يأخذ انتاجه من الارض مباشرة على شكل محاصيل زراعية ، أما الراعى فيحصل على انتاجه من الارض بشكل غير مباشر على شكل البان ولحوم واصواف .

وبذلك كانت هناك طبقتان : **طبقة الاقطاعيين والامراء** ثم طبقة **«الارات»** الذين كانوا لايمتلكون ارضا ، ولكنهم يمتلكون بعض رءوس الماشية التى ترعى فى مراعى الاقطاعيين بعد اذن خاص ونظير مقابل يحصلون عليه . وكان هؤلاء «الارات» ينوءون تحت أعباء ثقيلة ، ليس الاقطاعيين فقط، بل كان معظم التجار الاجانب والمرابين يقرضونهم بل وكانوا يقرضون الاقطاعيين الذين يحاولون تسديدها بفرض ضرائب على « الارات » . وهكذا اغتنى الجميع على حساب « الارات » ، ولذلك كانوا هم جماهير كل الانتفاضات الثورية .

وكان هناك فى منغوليا فئة اخرى لها تأثير كبير على تاريخ منغوليا وكانت مصالحها متشابكة تشابكا تاما مع طبقة الاقطاعيين . هذه الفئة هى **كهنة «اللاما»** ، كانت هذه الفئة تشكل جهازا عظيما يكاد يصل عدده الى مائة الف من الكهنة، فقد كان اجباريا ان يصبح الابن الاكبر فى كل عائلة راهبا بوذيا ، بينما كان بقية السكان لايزيد عددهم عن ٦٠٠ الف . وكان لهذا الجيش من الكهنة تاثيره على تطور المجتمع المنغولى وابقائه على هذا التخلف الشديد : على سبيل المثال فان منغوليا بلد غنى بأرضه وثرواته ومع ذلك فقد كان الكهنة يحرمون فلاحة الارض او البحث عن الخامات المعدنية ، وهكذا لم تعرف منغوليا الزراعة رغم وجود الاراضى الشاسعة الصالحة للزراعة . وحرموا كذلك توزيع الارض ، وكانت بحيران منغوليا وانهارها تموج بانواع عديدة من الاسماك ولكن كان صيدها محرما . وكان كهنة اللاما ايضاهم الاطباء والمدرسون والذين يقررون الزواج والطلاق لمعرفتهم بالنجوم . وتأكدت سلطة الكهنة بعد ثورة ١٩١١ حيث كان رئيس الدولة هو رئيس الكهنة .

ثورة أكتوبر وثورة منغوليا

وفى اكتوبر ١٩١٧ قامت ثورة اكتوبر فى روسيا التى تجاور منغوليا ، فكان لانتشار افكارها تأثيرا ثوريا على تطور حركة التحرر الوطنى بشكل عام ، وقد وجدت هذه الافكار تربة خصبة فى الارض المنغولية ، مما ادى الى قيام بعض الحلقات الماركسية السرية . وفى مارس ١٩٢١ تجمعت هذه الحلقات فى تنظيم واحد هو «حزب الشعب الثورى المنغولى» الذى أسسه «سوخي باتور» البطل الوطنى الاسطورى للشعب المنغولى ، وقد اصبح هذا الحزب هو القوة الملهمة والمنظمة للنضال الثورى ، وقام الحزب بقيادة طبقة « الارات » فى كفاحها .

وكان الموقف بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢١ معقدا للغاية ، فقد هاجمت الصين اراضى منغوليا بمساندة العسكرية اليابانية ، وبذلك انتهى عهد منغوليا بالاستقلال الذى لم يدم طويلا . وفى نفس الوقت دخلت فرق الحرس الابيض متراجعة من الاتحاد السوفيتى أمام الجيش الاحمر . وكانت كل هذه القوات تهاجم المنغوليين وتنهبهم وتسرقهم هنا قام « حزب الشعب الثورى » وهو مازال فى بداية تكوينه ، بتنظيم جماهير « الارات » وبقيادة الكفاح المسلح ضد هذه الجيوش الاجنبية ، وبدأت الاشتباكات المسلحة للجيش الشعبى الجديد الذى وقف الى جانبه فرق الجيش الاحمر وتمكنت القوات الثورية من طرد كل قوات الاحتلال عن اراضى منغوليا ، ثم دخلت الى العاصمة « اورجا » [التى اصبح اسمها اولان باتور] فى ١١ يولية ١٩٢١ . وهكذا اصبحت منغوليا أول بلد فى الشرق يلقى بنير المستعمر ، واطاحت فى نفس الوقت بحكم الاقطاعيين ، وبدأت مهمة تطوير هذا المجتمع الرعوى الذى ظل على بداءته قرون عديدة .

لقد كانت ثورة ١٩٢١ نقطة تحول فى تاريخ الشعب المنغولى ، الذى حصل لاول مرة على استقلاله الحقيقى وانفصل عن النظام الراسمالى العالمى . وكان اول قرار تتخذه الحكومة الجديدة هو توسيع وتوثيق علاقات الصداقة والتعاون مع روسيا السوفيتية : لقد كان هذا مسألة حياة او موت بالنسبة للثورة الوليدة، ثم بدأت بعد ذلك فى حل المشاكل السياسية والاجتماعية الناجمة عن مهام الثورة المعادية للامبريالية وللاقطاع فى نفس الوقت .

وقد بدات الحكومة بتصفية جهاز الدولة القديم فسنت القوانين التى حررت «الاقنان» ، وحررت الارات من الديون المتراكمة عليهم للاقطاعيين والشركات والتجار الاجانب والمرابين : وفى نفس العام اممت المناجم ومحطات الكهرباء ومصانع السلاح وخطوط التلغراف والتليفون وتحكمت الدولة ايضا فى تجارة بعض انواع البضائع واساسا اللحوم ، وقد خلقت كل هذه الاجراءات الظروف لتعميق الثورة بين الجماهير .

وقد خاض راس المال الاجنبى معارك ضارية دفاعا عن مواقعه ، وهكذا فانه بين عامى ١٩٢١

و١٩٢٤ ازداد عدد المؤسسات الاجنبيــة التي افتتحت في منغوليا وازداد عددها من خمسة بريطانية وامريكية و٨٦٣ صينية في عام ١٩٢٣ الى ٦٢ بريطانية وأمريكية و ١٩٤٣ صينية في عام ١٩٢٤ . وبهذا كان لابد من البدء في التضــييق على راس المال التجاري الاجنبي ومحاصرته اذ وقف عقبة امام تطور القوى المنتجة ، ولم تكن هذه المعركة ممــكنة قبلا ، ولكن اعتمادا على المساندة النشطة من الفلاحين الفقراء والمتوسطين الذين استفادوا من الاجراءات الاجتماعية ،وجاء ذلك باعلان الجمهورية واقــرار اول دســتور ديموقرطى حرم الاقطاعيين من حقوقهم السياسية ومنح الشــعب الكادح حــق الانتخــاب وثبت «الخورالات» للعمال والفلاحين بوصفها الاساس للنظام الجديد، وهى المجالس المقابلة للسوفيتيات فى الاتحاد السوفيتى — والى جانب هذا قام اتحاد الشــبيبة الثورى والنقابات والمنظمــات الاخرى التى أنشئت تحت قيادة الحــزب بدور كبير فى اشراك الجمــاهير لتحقيق التحــولات الديموقراطية الثورية .

وهنا لابد من ذكر نقطة هامة، وهى ان الاعداد للثورة المعادية للاقطاع قد استمر سنوات طويلة تغنى فيها على العلاقات الاقطاعية على مراحل فمــا كان يمكن مصــادرة ثروات الاقطاعيين الرئيسية ومواشيهم وتوزيعها على فقراء الرعاة وتأميم المراعى الا بعد اعدادهم للثورة المعادية للاقطاع ، ولم تبدأ هذه الاصلاحات الا عام ١٩٢٩ بينما لم يقض على الحكم الكهنوتى الا فيمــا بعد فى عام ١٩٣٩ .

ولكن الشيء الاساسي أن الســلطة أصــبح أساسها سلسلة من المجالس الكبيرة والصغيرة والمحــلية ، وهى « الخورالات » . فقــد كان « حزب الشعب الثورى المنغولى » فى أساسه حزب فلاحين تبنى الماركسية اللينينية كأســاس ايديولوجى ، ومع نمو الطبقة العاملة المحلية تغير التركيب الاجتماعى لهذا الحزب وأصبح حــزب عمال وفلاحين ، وفى عــام ١٩٢٤ على سبيل المثال كان فقراء الرعاة يمثلون ٢/٣ أعضاء الحزب بينما العمــال والموظفون والحرفيون يشــكلون الثلث البــاقى .

ولقد بدأت الدولة فى توطيد دعائم استقلالها الاقتصادى ، فبدأت باحتكار التجــارة الخارجية وبتنظيم التعاون الاســتهلاكى وانشــأت البنك المركزى ، وبذلك أمكنها أن تقيم نظــاما ماليــا وتجاريا بمعونة الاتحاد السوفيتى ، وأمكنها أيضا أن تنشيء عملتها الوطنية وان تدفع الى الامام بالقطاع الحكومى والمواصلات ، وقد أدت سيطرة الدولة على المواقع الاساسية فى الاقتصاد الى تقويض قوة الاقطــاعيين وازاحة كل التجــار الفرديين تقريبا واغلاق الطريق امام العنــاصر الراسمــالية ، وبهذا اغلقت كل الطرق امام طريق التطور الراسمالى الى الابد .

منغوليا وطريق التطور غيــر الرأســمالى

وكان « حزب الشعب الثورى المنغولى » قد عقد مؤتمره الثالث عام ١٩٢٤ لمناقشة الطريق الذى يجب أن تسلكه البلاد لتطوير مجتمعها . وكان قانون التطور غير الرأسمالى فى البــلاد المتخلفة قد بدأ تطبيقــه لاول مرة فى المنــاطق المتخلفة من الاتحــاد السوفيتى فى كازاخستان وبعض المناطق المجاورة ، على أساس أن طريق التطور غير الراســمالى هو جــزء من العملية الثورية العالمية ، وعلى انه مرحلة انتقالية فى البلاد المتخلفة ، من علاقات ما قبل الرأسمالية الى الاشتراكية .

وحارب « حزب الشعب الثورى المنغولى » وحكومته اولئك الذين حاولوا توجيه البلاد نحــو الراسمالية ، وفى نفس الوقت حارب أولئك الذين حاولوا « الاسراع بالثورة » عن طريق العنف وفرض الكوميونات الزراعية والمزارع الجماعية، حين لم تكن الظروف الموضوعية قد نضجت بعد لمثل هذه الاجراءات .

لقد تدم ماركس وانجلز نظرية امكانية انتقــال البلدان المتحررة حــديثا الى الاشتراكية متخطية الراسمالية ، وربطا هذه العملية بشــكل مباشر بالثورة البروليتارية الاشتراكية فى البلاد الصناعية المتطورة وبمساعدة الطبقة العاملة فى البــلاد المتخلفة أيضا . واكدا « ان أى أمة لا يمكنها ان تتخطى أى مرحلة من مراحل التطور الطبيعى أو تلغيها بمراســيم » . ولــكن البلدان المتخلفة تستطيع اختصار عملية التطور اذا تخطت بلدان صناعية متطورة النظام الراسمالى ، بمعنى أن تستخــدم القوى الصــناعية المعــاصرة كملكية اجتماعية للمجتمع العالمى بأسره .

وعنــــدما طور لينين الماركســية فى عصر الامبريالية ، طور أيضا البرنامج العملى لانتصار الاشتراكية فى البلدان المتخلفة وقال فى المؤتمر الثانى للدولية الشيوعية :

« هل يمكن ان نقبــل الزعــم بأن مرحــلة الرأسمالية فى تطور الاقتصــاد القومى مرحلة حتمية بالنسبة لكل الشعوب المتخلفة التى تحرر نفسها والتى تخطو أولى خطواتها فى طــريق

التقدم ؟ الاجابة على هذا السؤال بالنفى » . واكد أن البلدان الاقل تطورا تستطيع بمعونة بروليتاريا البلدان المتقدمة أن تصل الى الاشتراكية « بتخطى مرحلة التطور الرأسمالى » .

وتبين تجربة منغوليا أن طريق التطور غير الرأسمالى وطريق التطور الاشتراكى لهما نفس الهدف ، واتجاه مشترك فى العمليات الاجتماعية والاقتصادية ، الفارق الوحيد هو ان طريق التطور غير الراسمالى يمر عبر عدد من المراحل الوسيطة ، والسبب الاساسى فى ذلك أنه لم يكن هناك طبقة عاملة ، ولا طبقة بورجوازية .

وهنا يجب أن نذكر أن التطور غير الرأسمالى فى البلاد المتخلفة يرتبط ارتباطا وثيقا بتطور حركة التحرر الوطنى فيها وتطور ثوراتها الوطنية الديمقراطية الى ثورات اشتراكية ، فهذان جانبان لعملية واحدة . فالتطور غير الرأسمالى هو فى أساسه عملية ثورية من التطور المتسق التدريجى لثورة التحرر الوطنى الى ثورة اشتراكية ، وتشمل هذه العملية عدة مراحل وسيطة من التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى حيث تحل مشاكل السلطة السياسية وطبيعتها الطبقية ، والمشاكل الديمقراطية العامة ومهام التربية الايديولوجية والثقافية خلال أشكال انتقالية وليس بشكل مباشر . ويتوقف معدل الانتقال من علاقات ما قبل الرأسمالية الى العلاقات الاشتراكية فى البلدان المختلفة على مستوى التطور الاقتصادى وحدة التناقضات الطبقية ، فكلما زاد تطور الصناعة وبالتالى ارتفعت نسبة الطبقة العاملة الى مجموع السكان ، ازدادت سرعة التحول وجذريته .

ولقد تميزت كل اجراءات تحويل علاقات ماقبل الرأسمالية فى منغوليا بدراسة دءوبة للتقاليد والعادات القومية ، واستخدمها « حزب الشعب الثورى المنغولى » لجذب مجموع السكان للنشاط السياسى ، ويلاحظ أن معدل تحول هذه العلاقات أبطأ ما يكون بين الرعاة الرحل الذين كانوا يكونون كل سكان منغوليا ، حيث استلزم الامر عددا من الاجراءات الاضافية ، اذ أن هذه العملية تتطلب أولا أستقرار الرعاة وضرورة العمل التربوى والتنظيمى بينهم على أوسع نطاق . ولكن لا يجب أن ننسى أن التحولات السياسية التى حدثت بالثورة وما بعدها ، كان لها اليد الطولى على الاصلاحات الاقتصادية ، اذ كفلت تطبيقها بشكل فعال .

ما هو الاساس الواقعى لاختيار « حزب الشعب الثورى المنغولى » طريق التطور غير الرأسمالى فى الظروف الداخلية والعالمية الصعبة التى كانت سائدة عام ١٩٢٤ ؟ فى ذلك الوقت لم يكن فى منغوليا اية صناعة وبالتالى لم تكن هناك طبقة عاملة ، وكان المجتمع رعويا متخلفا لا يعتمد الا على تربية الماشية ، بينما كان الشعب فى معظمه أميا .

لقد اعتمد الحزب على ثلاث عناصر أساسية :

أولا : قيادة « حزب الشعب الثورى » لطريق التطور غير الرأسمالى .

ثانيا : وجود سلطة الشعب الديمقراطية ممثلة فى « الخورالات » .

ثالثا : دعم الحركة الاشتراكية العالمية وأساسا المساعدة الاخوية للاتحاد السوفيتى الذى يتاخم حدود منغوليا .

مرحلة البناء الاشتراكى

وما أن حل عام ١٩٤٠ حتى كان الشعب المنغولى — وبمساعدة الاتحاد السوفيتى — قد أسس اقتصادا وطنيا مستبعدا كل أنواع الاستغلال ، يعتمد على تربية الماشية بواسطة صغار المربين الذين وزعت عليهم الماشية . وفى نفس الوقت كان القطاع الحكومى قد أخذ يتسع ويعمل فى مجالات مختلفة بعد أن أصبح هو القوة الموجهة للاقتصاد كله .

وفى هذا العام عقد « حزب الشعب الثورى » مؤتمره العاشر ، واقر برنامج البناء الاشتراكى . لقد خلق هزيمة الفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية ،ونشأة النظام الاشتراكى العالمى ، وتغير ميزان القوى بين الاشتراكية والرأسمالية خلق الظروف الملائمة لبناء الاشتراكية . وكما ينص دستور عام ١٩٤٠ « ان جمهورية الشعب المنغولية دولة مستقلة للشعب العامل [الرعاة والعمال والخبراء] قضت على القهر الامبريالى والاقطاعى ، وتكفل تطور البلاد غير الرأسمالى من أجل الانتقال الى الاشتراكية » .

والان بعد أن اصبحت علاقات الانتاج اشتراكية واصبحت منغوليا دولة زراعية — صناعية ، بها طبقة عاملة منظمة وقائدة وطبقة الفلاحين التعاونيين الى جانب المثقفين ، وبعد أن أصبحت الايديولوجية الاشتراكية هى أساس حياة الشعب المنغولى الروحية ، علينا أن نوضح خبرة منغوليا فى طريق التطور غير الراسمالى بعد أن نجحت فى القضاء على التخلف الاقتصادى والثقافى والاجتماعى .

ان تطور منغوليا فى هذا الطريق يشمل :

اولا : فى المجال السياسى :

دعمت منغوليا كل القوى الوطنية والتقدمية بعد الاستيلاء على السلطة ، وأبعدت كل العناصر الرجعية عن سلطة الدولة وعزلتها سياسيا . وتقوى « حزب الشعب الثورى المنغولى » ، وأصبح حزبا ذا خبرة من خلال النضال السياسى ومن خلال ارتباطه بجماهير « الارات » الفقراء ، واسترشد بنظرية الاشتراكية العلمية ، ومقرط الحياة الاجتماعية والسياسية فوسع بذلك من مساهمة الشعب من خلال « الخورالات » فى ادارة الدولة وفى الانتاج ، واستخدم السلطة السياسية لاجراء اصلاحات اجتماعية واقتصادية محدد .

ثانيا : فى المجال الاقتصادى :

القضاء على سيطرة رأس المال الاجنبى على اقتصاد البلاد ، والقضاء على علاقات ما قبل الرأسمالية بالغاء الاشكال المتخلفة مثل القنانة وتطبيق اصلاحات زراعية جذرية لصالح فقراء « الارات » ، وتطوير مختلف أشكال التعاون فى كل من التجارة والانتاج ، واقامة قطاع الدولة وتوسيعه ، والاسراع بتطوير الصناعة وتقييد نشاط راس المال الخاص .

ثالثا : فى الميدان الاجتماعى :

جذب الشعب العامل الى الحياة الاجتماعية والسياسة النشطة ، وتطوير الطبقة العاملة وتربيتها واعدادها لقيادة سائر قطاعات الشعب العامل ، واعداد هذه الطبقات لقبول قيادة الطبقة العاملة ، والتحسين المستمر لظروف معيشة الشعب العامل ومركزه الاجتماعى . وهنا يجب أن نركز أيضا على ضرورة اجراءات تحرير المرأة اذ صدرت القوانين التى تحررها من عبودية الرجل بمنع تعدد الزوجات ومنع الزواج قبل بلوغ السن المناسب ونظمت المؤسسات الثقافية والتعليمية لجذب النساء الى النشاط السياسى ولربطهن بالحياة الاجتماعية .

رابعا : فى المجال الايديولوجى :

القضاء على الامية والتطوير الشامل للثقافة ، والصراع ضد الايديولوجيات المتخلفة ، ونشر الاشتراكية العلمية وتوضيحها للشعب العامل من واقع خبرته الذاتية ، والمحافظة على ايديولوجية الاشتراكية العلمية كقوة فعالة للتقدم الاجتماعى . فالاشتراكية هى النهاية الطبيعية والمنطقية لكل عملية تطور ثورات التحرر الوطنى، وطريق التطور غير الرأسمالى .»

مناقشة حديثة لموضوع قديم

المـــادية والمثـــالية

فى عـــلم النفـــس

لطفى فطيم

يذكر القراء المهتمون بالعلوم الانسانية تلك المناقشات الحية المثمرة التى أضاءت صفحات مجلتى « **الطليعة** » و« **الفكر المعاصر**» بلمحات من التعمق فى فهم الانسان بعامة والانسان المصرى بخاصة .

ولم يكن غريبا أن يندلع هذا الاهتمام بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ولم يكن غريبا كذلك ان يجىء هـــــذا الاهتمام من جانب أساتذة علم النفس التقدميين فى مصر . ولقد بدأت هذه الفورة بالمقال الذى نشره الاستاذ **الدكتور مصطفى زيور** ــ رائد التحليــل النفسى فى الشرق العربى ــ فى مجلة الفكر المعاصر فى ديسمبر ١٩٦٨ بعنــوان « جدل الانسان بين الوجود والاغتراب » والذى أتبعه بعد ذلك بمقالين فى جريدة الاهرام بتاريخ ٩ ــ ٨ ــ ٦٩ ، ١٠ ــ ٨ ــ ٦٩ بعنوان « التفسير النفسى للســلوك الاسرائيلى » .

لقد شهدت صفحات مجلتى « **الفكر المعاصر** » و « **الطليعة** » خلال عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ جدلا حاميا وبحوثا لامعة وأفكارا جريئة فى موضوعات التفسير المادى لعلم النفس ، وعلم النفس والصراع الطبقى والعلاقة بين الايديولوجيا والانســان والمجتمع وعلم النفس فى ظل النظام الاشتراكى والماركسية والتحليل النفسى ، قام بالنصيب الاكبر فيها الاستاذ **قدرى حفنى** وكاتب هذه السطور .

وفى رأيى أن هذا الانفتاح على الفكر المادى فى علم النفس كان رد فعل مباشر للهزيمة ، ومحاولة لتلمس أسباب القوة والضعف فى نفسية الانسان المصرى . وهذه البحوث التى سبق الاشارة اليها تكون فى اعتقادى نواة الاتجاه المادى فى العلوم الانسانية فى مصر والشرق العربى .

ولقد كنت فى تلك الفترة مشغولا بكتابة الرسالة التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير فى علم النفس من كلية الاداب بجامعة عين شمس فى أبريل

١٩٧٣ . وكان موضوعها فى الحقيقة هو علم النفس بين المادية والمثالية رغم أن عنوانها كان « الادراك الحسى بين الفلسفة وعلـم النفس المعاصرين » .

ولقد ناقشت الرسالة لجنة برياسة الاستاذ **الدكتور سيد خيرى** أستاذ كرسى علم النفس وعميد كلية الاداب بجامعة عين شمس والاستاذ **الدكتور صلاح مخيمر** أستاذ علم النفس بكلية التربية بجامعة عين شمس والاستاذ **الدكتور جابر عبد الحميد** أستاذ علم النفس المساعد بجـامعة الازهر .

وكانت المناقشة بحق هى صراع بين المثالية والمادية فى علم النفس وكانت أيضا هى السبب فى كتابة هذا المقال .

لقد كان موقفى واضحا منذ البداية « استقرت فى نفسى فكرة ضرورة البدء من فلسفة فى الانسان ونظرة نقدية الى علم النفس .. اذ لاحظت من قراءاتى كره أساتذة علم النفس المثاليين لما يسمى بالتنظير ، والاستنفاد الى أساس نظرى ، واتجاههم الى الفلسفة التجريبية . ولكنهم فى مـواجهة الانتصار الذى أحرزته الاشتراكية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أحسوا بضرورة وجود اساس فلسفى لاتجاهاتهم فى علم النفس . والجديد الذى اضيفه اليوم ، هو أن النظرية السيكولوجية لا يكفى أن تستند الى تفسير نظرى أو صيغة نظرية ، وانما يجب أن تستند الى « فلسفة معينة فى الانسان » .

ولقد بدأت بحثى فى الادراك الحسى وأنا أنوى اتباع الطريق التقليدى فى الرسائل : وهو وضع قضيه ومعالجتها تجريبيا أو احصائيا والخروج من ذلك بعدة نتائج . ولكنى ما أن أتممت الدراسة النظرية لموضوع الادراك الحسى ، حتى أدركت أننى وقعت على مفتاح اساسى من مفاتيح الفهم المادى للنفس الانسانية .

لقد ظلت النفس الانسانية لغزا ، أو ان شئتم لغة عصرية ، لغزا أقرب الى ألغاز الكلمات المتقاطعة . فصراع الانسان من أجل فهم من هو وما هو ، هى نفسها قصة محاولة الانسان اكتشاف أسرار الكون والتحكم فيه . وكلما أحرز الانسان تقدما ما فى مجال كشف أسرار الطبيعة عاد بسرعة ليطبق هذا الكشف على اللغز الابدى عاد ليضـيف حرفا جديدا فى لغز الكلمات المتقاطعة .

وهكذا انعكست فى فهم الانسان كافة الافكار ، والنظريات ، والمعادلات ، والالات والماكينات التى حقق بها الانسان شيئا من فهم الكون . وكانت حركة الانسان من أجل فهم نفسه هى عدو متلاحق من الكشوف العلمية الى النفس الانسـانية وبالعكس .. ولا يزال الامـر كذلك حتى يومنـا هذا .

وهكذا ظهرت فى علم النفس كافة النظريات المستوحاة من الفلك ، والميكانيكا ، والهندسة ، والفيـزياء ، والكيميـاء ، والبيـولوجيا ، والنيورولوجيا ، والطب بكافة فروعه ، وعلـوم الرياضة ، والاحصاء ، والسيبرناطيقا وعلـوم الكمبيوتر .. الخ .. الخ وأضافت كل نظرية حرفا أو كلمة الى لغز الكلمات المتقاطعة .

من هذا المنطلق بدأت فى دراسة الادراك الحسى مبتدئا بما رآه الفلاسفة فيها حتى آخر كلمة أدلت بها العلوم الطبيعية . اذ لما كان الانسان هو خلاصة تجربة الكون كان هو الكائن الوحيد المنوط به فهم أسرارها ، وهو لا يستطيع ذلك الا عن طريق حواسه وعقله ، ومن هنا كانت اللهفة على فهم الادراك الحسى .. فكيف يتم ظهور الصـورة الذهنية فى العقل ؟ ما الذى يحدث منذ أن ينبه منبه حاسة من الحواس حتى تنبثق فى عقله صورة أو فكرة للواقع أو لما بعد الواقع .. ذلكم هو موضوع الادراك الحسى .

لذلك لم يكن غريبا أن يدلى الفلاسفة وعلماء الطبيعة والرياضيات وعلماء النفس والمجتمـع بدلوهم فى هذا الامر .

ما هى العلاقة بين ما يوجد فى العقل من صور للواقع ،وما يدخل الى المخ عن طريق الحواس من تنبهات فى صورة تفاعلات أو موجات أو صور مقلوبة على شبكية العين ؟ واذا كان ما يوجد بالعقل بعيد الصلة أو مقطوعها بالواقع .. فما هى الحكاية ؟

هناك موقفان من هذه المشكلة .. القائلون بأن ما فى العقل ، هو من العقل فى الاساس وهؤلاء هم المثاليون على اختلاف أنواعهم ودرجـاتهم .. والقائلون بأن ما فى العقل هو انعكاس للواقع بطريقة أو بأخرى وهؤلاء هم الماديون على اختلاف أنواعهم ودرجاتهم . وينتمى بحثنا الى هذا الفريق الاخير .

فماهية الادراك وكيفية ارتباطه بشروط وجوده ، قضية مثارة أمام التفكير الانسانى منذ بداية

البحث الفلسفى . فكان هناك اتجاه بوضع هذه المسألة ضمن موضوع الاحساس ، أى ضمن مسألة الحصول على الخبرة بالمعنى الاولى للكلمة ، يقابله اتجاه آخر ، يضع هذه المسألة ضمن مسألة الحكم أى نشاط العقل .

والاتجاه الاول ، أميل الى سلوك الطريق السهل من حيث الربط بين الادراك الحسى وفسيولوجيا أجهزة الحس . فاذا كان الادراك الحسى أمرا سلبيا أى مجرد تلق ، فالارجح أن يكون ناتجا عن تنبيه الحواس . ولكن يتعين ، فى هذه الحالة ، أن نفسر كيف يأتى لنا الادراك الحسى بمعرفة أو معتقدات عن العالم المحيط بنا .

أما الاتجاه الثانى فيحاول تقديم الاجابة على هذا التساؤل بارجاعه الادراك الى نشاط العقل . ولكن تنشأ فى وجهه عقبة هى كيف يتم الانتقال مما هو مادى أى الاحساسات الى ما هو عقلى أو لا مادى . أى ببساطة كيف ينشأ الفكر من المادة .

ولا يثير الادراك الحسى فى رأينا مشكلة ، الا اذا افترض أن هناك بالضرورة ثغرة بين خبرتنا المستمرة ، وبين العالم الموضوعى الذى ندعى معرفته . فاذا كان الادراك الحسى مسألة ذاتية محضة ، فانه يصبح لادعاءات المثاليين ما يبررها . أما اذا كان الادراك الحسى يعكس الواقع الموضوعى ، بدرجة أو بأخرى ، فانه يكون بذلك مقدمة للمعرفة وشرطا من شروطها .

ونحن ننطلق فى بحثنا ، ابتداء من افتراض أساسى وهو أن الانسان يدرك العالم من حوله عن طريق حواسه ادراكا صحيحا وموضوعيا . ولولا ذلك ، ما تمكنت البشرية من التعامل مع الطبيعة والسيطرة عليها . وسنطلق على هذه المسلمة ادراك الرجل العادى ، أو الموقف الشائع ، أو الادراك الواقعى . كما أن البيئة توجد مستقلة عن الاحساس والوعى ، والذات ، والانسان عموما . فالاشياء والعالم والبيئة توجد مستقلة عنا ، وما الوعى والاحاسيس الا صورة لهذا العالم الخارجى .

ان مشكلة نظريات الادراك فى علم النفس هى تبيين كيف يصير الكائن الحى واعيا بذاته وبالعالم الخارجى . لقد رفضت الكثير من النظريات هذه البساطة المفترضة وطعنت فى شهادة العيون والاذان وألقت ظلالا من الشك على المعرفة الامبيريقية التى يبدو أننا نحصل عليها عن طريقها ، بل وأعلنت بعض تلك النظريات أن العالم الذى ندركه هو مجرد مظهر وبحث عن مملكة أرقى فوق العالم الذى نعيش فيه .

نحن نتبنى فى دراستنا هذه نظرية الانعكاس القائلة ببساطة أن احساساتنا وأفكارنا هى بدرجة أو بأخرى صور وانعكاسات للاشياء وللصفات وللقوانين فى العالم المادى المحيط بنا . ان اعتبار احساساتنا صورا للعالم الخارجى ، والاعتراف بالحقيقة الموضوعية واعتناق النظرية المادية فى المعرفة هى كلها شىء واحد .

وانطلاقا من هذا الفهم ، فان الادراك الحسى يجب أن يكون أساس كافة العلوم . فالعلم لن يكون علما حقيقيا ، الا اذا انطلق من العالم المحسوس فى اتجاهين : اتجاه الوعى الحسى ، واتجاه الحاجة الحسية . وما التاريخ كله ، الا تمهيد لكى يصبح الانسان موضوعا للوعى الحسى ، وأن تصبح حاجاته – كانسان – هى حاجات طبيعية وحسية . وبالتالى ، فان العلوم الطبيعية سوف تشمل بمرور الوقت علم الانسان مثلما سيشمل علم الانسان العلوم الطبيعية ، لن يكون هناك الا علم واحد .

ولكن ، تواجهنا هنا المشكلة التقليدية فى الادراك : وهى « لا موضوع بغير ذات » . أى أن العالم المدرك ، ما كان ليدرك لولا الذات التى أدركته . ويفهم من تلك القضية أن العالم فى نهاية الامر هو عالم ذاتى ، وأن وجوده يتوقف على الذات .

غير أننا نفهم تلك المسألة بشكل مختلف . فالانسان – الذات – هو أولا وقبل كل شىء كائن طبيعى وبالتالى فهو يمتلك قوى طبيعية للحياة ، وهذه القوى توجد فيه كميول وقدرات واستعدادات وغرائز . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فباعتباره كائنا موضوعيا ، طبيعيا ، حسيا ، فانه يكون مخلوقا منفعلا معانيا محدودا ومشروطا ، شأنه فى ذلك شأن الحيوان والنبات . أى أن موضوعات غرائزه ، توجد خارجه كموضوعات مستقلة عنه . ومع ذلك ، فان هذه الموضوعات هى موضوعات يحتاجها ، موضوعات جوهرية لا غنى عنها لظهور قواه الجوهرية واثباتها .

فالقول بأن الانسان هو كائن طبيعى ، ملموس ، حى ، حساس ، موضوعى ممتلىء بالحيوية

الطبيعية ، يساوى القول بأنه له موضوعات حقيقية حسية كأهداف لوجوده أو لحياته . ذلك أنه لا يستطيع التعبير عن حياته الا فى موضوعات حسية حقيقية . فان تكون موضوعيا طبيعيا حساسا ، وأن يكون لك فى نفس الوقت موضوعات طبيعية حسية خارج ذاتك ، أو أن تكون أنت ذاتــك موضوعا طبيعيا وحسيا لطرف ثالث كل هذه الامور بمعنى واحد .

فالجوع مثلا حاجة طبيعية ، وهو بالتالى يحتاج لطبيعة خارج ذاته ، وموضوعا خارج ذاته حتى يستطيع اشباع نفسه ، حتى يسكن ويهدأ . الجوع هو حاجة معترف بها لجسمى الى موضوع يوجد خارجه ، ولا غنى عنه لتكامله وللتعبير عن وجوده الجوهرى . والشمس . مثــلا ، هى موضــوع للنبات ، موضوع لا غنى عنه له يؤكد حياته تماما مثلما يكون النبات موضوعا للشمس ، باعتباره تعبيرا عن قوة الشمس فى ايقاظ الحياة . أى عن قوة الشمس الجوهرية الموضوعية .

ان كائنا لا توجـــد طبيعته خارجه ، ليس كائنا موضوعيا ، ولا يقوم بأى دور فى نظام الطبيعة . ان كائنا ليس له موضوع خارج ذاته ليس كائنا موضوعيا ، وان كائنا ليس هو نفسه موضوعا لطرف ثالث ، ليس له وجود كموضوع ، أى ليست له صــلات موضــوعية ، لــن يكــون وجــوده موضوعيا .

وهكذا نقبل على نظريات علم النفس فى الادراك بهذا الفهم لطبيعة الانســان ، وعــلاقة الذات بالموضوع .

وقد استعرضنا أهم النظريات السيكولوجية مبتدئين بالسيكوفيزيقا ، مــارين بالجشطالت ، ونظرية الاطار المرجعى وفكرة ثبات الادراك ، والنظرة الدينامية ، ونظريات التعلم . واتضح لنا أن تناول كل تلك النظريات بعيدا عن سياقها التاريخى ، وأساسها الفلسفى ، والظروف التى أدت الى نشأتها ، يجعلنا نقع فى متاهة . اذ سنجد أمامنا خضما متلاطما من النظــريات المتناقضة ، والتى لايمكن أن تكون كلها صحيحة (*) فاذا اعتبرنا أن ما انتقيناه لنعرضه بتفصيل ، وما أشرنا اليه فى ايجاز ، يمثل أهم وأشهر الاتجاهات السيكولوجية فى الادراك الحسى ، فلن يفوتنا أن نتبين مبلغ التباين بل وعدم الاتساق الموجود بينها ، كما لن يفوتنا أيضا ما تحــويه نفس النظريات من استبصارات عميقة أحيانا (*)

الحق ، أنه لا توجد نظرية واحدة تغطى جميع جوانب الادراك ، كما أن التقدم الذى طرأ على مختلف الاتجاهات ، واتساع المعرفة بــالعوامل الاساسية فى عملية الادراك ، لا يدل بعد على أن هناك فى الافق ثمة خطوطا رئيسية لنظرية وحيدة عريضة مدعمة بالحقائق ومتسقة منطقيا ، وتتسم بالقدرة على تعميم وتفسير مختلف الاساليب التى يبدو بها العالم .

وفى رأينا أن ذلك القصور الذى يعوق منظرى العالم البورجوازى مرجعه الى افتقادهم الى نظرية موحدة فى الطبيعة الانسانية ، والى الطبيعــة الطبقية لفكرهم وكذلك الى نظرتهم التجزيئية .

وأن النظرية الانعكاسية بربطها بين الادراك والفهم والمعرفة من ناحية ، وبربطها بين الذات والموضوع من ناحية أخرى ، بطريقة خلاقة تفتح الطريق أمام نظرة أكثر شمولا للادراك الحسى بخاصة ، وعلم النفس بعامة .

وفى اعتقادنا أن علم النفس فى دول المعسكر الاشتراكى لم يصل بعد الى الصيغة المادية الجدلية الشاملة لتفسير النفس الانسانية (*) فلقد عانى علم النفس فى الاتحاد السوفيتى أيضا من الصراع بين المادية والمثالية (*) ويمكن تلخيص المراحل التى مر بها البحث السيكولوجى عموما فى الاتحاد السوفييتى الى خمس مراحل :

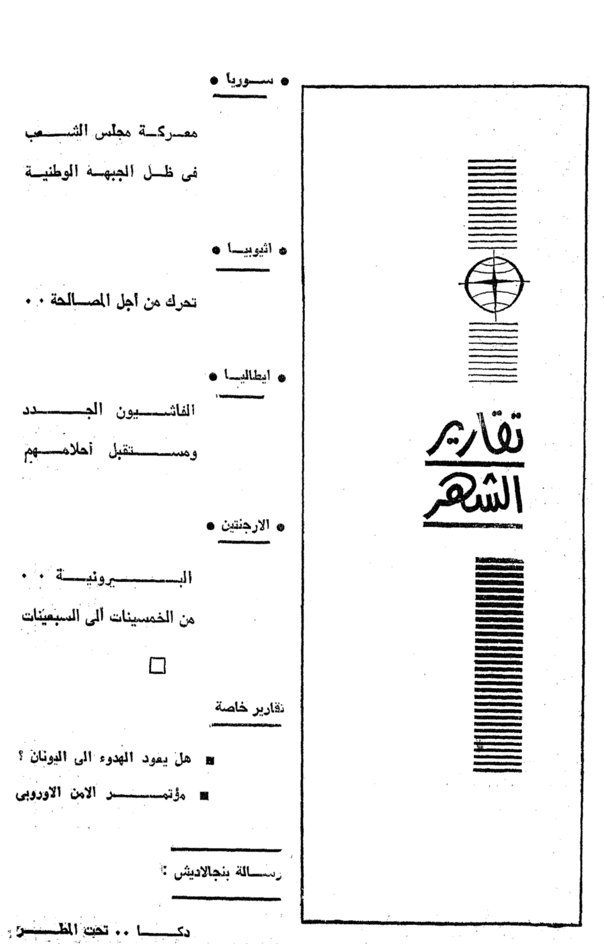
١ ــ المرحلة الاولى : ١٩١٧ ــ ١٩٢٤ وفيها كان النضال ضد المذاهب المثالية واستبعاد الافكار الروحانية والغيبية من علم النفس ، وان كان ذلك قد تم باللجوء الى الافكار المادية الميكانيكية .

٢ ــ المرحلة الثانية : ١٩٢٤ ــ ١٩٣٠ وفيها سادت الافكار المادية المبتذلة التى تختزل النفس الانسانية الى مادة .

٣ ــ المرحلة الثالثة : ١٩٣٠ ــ ١٩٣٦ وهى مرحلة انتقالية بين المادية والديالكتيكية وبدء ظهور الافكار المنادية بالجدلية فى علم النفس .

٤ ــ المرحلة الرابعة : ١٩٣٦ ــ ١٩٥٠ مرحلة انتصار الفكر الجدلى .

٥ ــ المرحلة الخامسة : من ١٩٥٠ حتى الان ، وهى محاولة اخراج تاليف مادى جدلى لعلــم النفس (*)



تقارير الشهر

● سوريا ●

معركة مجلس الشعب

فى ظل الجبهه الوطنية

● اثيوبيا ●

تحرك من أجل المصالحة ..

● ايطاليا ●

الفاشيون الجدد

ومستقبل أحلامهم

● الارجنتين ●

البيرونية ..

من الخمسينات الى السبعينات

□

تقارير خاصة

■ هل يعود الهدوء الى اليونان ؟

■ مؤتمر الامن الاوروبى

رسالة بنجالاديش :

دكا .. تحت المطر

■ جمهورية مصر العربية

الحركة النقابية ..

انتخابات جديدة

تجرى الانتخابات للنقابات العمالية فى الفترة من ٢٩ يونيو الى ١٧ يوليو ١٩٧٣ وقد أصدر وزير القوى العاملة ورئيس الاتحاد العام للعمال ومكتب الاتصال السياسى والنقابى بوزارة القوى العاملة ، مجموعة من القرارات والتعليمات الخاصة بتنظيم هذه الانتخابات .

وأول هذه القرارات قرار الامانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، بأن يحتفظ بصفة العامل لكل من بدأ حياته عاملا وحصل على مؤهل عال وظل عضوا بنقابته العمالية ولم يجمع بينها وبين عضوية نقابة مهنته . وسوف يكون له الحق فى الاختيار بين عضوية النقابة العمالية ، وبين الانضمام للنقابة المهنية وفق مؤهله . وجاء هذا القرار تفسيرا لقرار رئيس الاتحاد الاشتراكى فى عام ١٩٦٨ حول شروط الاحتفاظ بصفة العامل لكل من بدأ حياته عاملا .

كما أصدر وزير القوى العاملة قرارا ـ بعدم اشتراط التعريف السياسى للعامل بالنسبة للناخبين ، وكل من يحمل مؤهلا جامعيا يكون له حق التصويت كعامل ولا يجوز له ترشيح نفسه .

وقد أصدر كذلك قرارا باللائحة الجديدة للنقابات العامة . ووفقها تقرر أن تقوم اللجان النقابية باختيار مندوبين لها فى جميع أقسام المؤسسة أو المنشأة ، ويكون المندوب حلقة اتصال بين القسم ومجلس ادارة اللجنة النقابية ويقوم المندوب بتحقيق أهداف اللجنة النقابية وفقا لما يكلف به . وتضمنت اللائحة أن يتكون مجلس النقابة العامة من شعب تمثل الانشطة الاقتصادية المختلفة ويجرى انتخاب ممثلى الشعب من بين ممثلى كل نشاط اقتصادى وفقا للنسبة العددية لاعضائه . كما سيراعى التمثيل الجغرافى والنسبة العددية لممثلى كل شعبة .

وأصدر وزير القوى العاملة كذلك قرارا بادماج النقابات العامة فى ستة عشر نقابة بدلا من ٢٧ نقابة عامة وهى : الزراعة ـ الكيماويات والبترول والمناجم والمحاجر ـ الصناعات الغذائية والتبغ ـ صناعة الغزل والنسيج وحلج وكبس القطن ـ الصناعات الهندسية المعدنية الكهربائية ـ البناء والاخشاب ـ التجارة ـ البنوك والتأمين والاعمال المالية ـ السكك الحديدية ـ البريد والبرق والتليفون ـ المرافق العامة ـ النقل البرى ـ اعمال النقل البحرى والجوى ـ الاعلام والطباعة والنشر ـ الخدمات التعليمية والصحية ـ الخدمات الادارية والاجتماعية الشخصية والانشطة الاخرى .

كما أصدر مكتب الاتصال السياسى والنقابى بوزارة القوى العاملة التعليمات الخاصة باجراءات ترشيح وانتخابات أعضاء مجالس ادارة المنظمات النقابية على مختلف مستوياتها ، حيث ستكون الانتخابات على ثلاث مراحل . وسوف تتضمن مستندات وطلبات الترشيح شهادات العضوية العاملة بالاتحاد الاشتراكى والتى ستقدم بعد الحصول عليها من الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى أو لجان المحافظات فى كل مرحلة من المراحل الثلاث . وسوف يختار مجلس ادارة كل لجنة نقابية مندوبى اللجنة فى الجمعية العمومية وفق النسب العددية بحيث لا يزيد عدد مندوبى اللجنة عن ٣٥ مندوبا . وتنتهى انتخابات جميع اللجان النقابية فى الفترة من ٢٥ الى ٣٠ يونيو ، وجميع مجالس النقابات العامة فى الفترة من ١٠ الى ١٢ يوليو ، وبالنسبة لانتخاب أعضاء المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال يفتح باب الترشيح يوم ١٦ يوليو ويقفل فى نفس اليوم ، وتجرى الانتخابات يوم ١٧ يوليو .ومن المنتظر أن يتكون المجلس التنفيذى من ١٦ عضوا فقط بدلا من ٢١ عضوا ، كما أنه لن تعقد جمعيات عمومية للنقابات العامة ، ويقتصر على يوم اجراء الانتخابات .

●

■ الجمهورية العربية الليبية

المصالح الامريكية

تتعرض للضغط

قام **الرئيس أنور السادات** بزيارة للجمهورية العربية الليبية فى الفترة من (١٠ ـ ١٣) يونيو الماضى ، بدعوة من الرئيس الليبى **معمر القذافى**، للاشتراك فى الاحتفالات التى اقيمت بمناسبة الذكرى الثالثة لجلاء القوات الامريكية عن الاراضى الليبية .

والقى الرئيس **أنور السادات** كلمة فى الاحتفال بهذه المناسبة ، تحدث فيها عن معانى ودلالات هذا اليوم ، وما يحمله من اشارات ، وكيف استطاع الشعب الليبى ان يواجه القوى

الاستعمارية والرجعية ، وان يسترد حرية تراب الوطن كله : « وان رفع العلم الليبى على قاعدة هويلس ، هو اتصال واستمرار لرفع العلم العربى المصرى ، بالامس ، على قاعدة بورسعيد. وحركة شعبكم العظيم هنا استمرار واتصال لمعركة السويس المجيدة ، وشباب الثورة الليبية فى الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، اتصال واستمرار بل وتجديد لشباب الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

واعلن الرئيس معمر القذافى فى خطابه أمام الجماهير فى هذه المناسبة قرار مجلس الثورة الليبى بتأميم الشركة الامريكية للبترول **بنكر هنت**، وكذلك قرار مجلس الثورة الاعتراف بجمهورية المانيا الشرقية .

وكانت الحكومة الليبية قد منعت الشركة الامريكية فى ٢٤ مايو الماضى ، من انتاج وتصدير النفط من ليبيا ، وذلك بسبب رفض الشركة مطالب الحكومة الليبية بوجوب تسويق النفط المصادرمن شركة « بريتش بتروليوم » البريطانية. وهى الشركة التى سبق ان اعلنت الحكومة الليبية تأميمها فى ديسمبر ١٩٧١ ، كعقوبة لبريطانيا على تواطؤها مع ايران فى احتلال ثلاث جزر عربية فى الخليج العربى فى نوفمبر من نفس العام .

وقد احدث القرار الليبى ، بتأميم الشركة الامريكية للبترول ردود فعل عنيفة فى الدوائر الامريكية والغربية عموما ، وهددت الشركة بمصادرة البترول المستخرج من حقول الشركة ، والذى سيتم نقله الى اى ميناء فى العالم ، والحجز على ناقلات البترول التى تحمل هذا البترول الى تلك الموانى .

والجدير بالذكر ان مساحة حقل امتياز الشركة الامريكية المؤممة تبلغ ٧٥٠ كيلومترا مربعا ، وان عدد الابار المنتجة اكثر من ١٠٠ بئر ، ويحتوى حقل الامتياز على ١١ الف مليون برميل ، ولم يستخرج منه سوى اقل من النصف ، كما ان هناك اكثر من ٥٥٠٠ مليون برميل ، تبلغ قيمتها اكثر من ٢٣٠٠٠ مليون دولار . الامر الذى يوضح مدى الخسارة التى لحقت بالشركة من جراء التأميم .

ويعتبر قرار مجلس الثورة الليبى بتأميم الشركة الامريكية للبترول ، فى ذكرى تصفية قاعدة **هويلس** العسكرية الامريكية فى ليبيا ، خطوة هامة وبداية على طريق مواجهة المصالح الامبريالية الامريكية المتواجدة فى الاراضى العربية . الامر الذى تتطلبه طبيعة المعركة التى تخوضها الجماهير العربية اليوم ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية ، وذلك لوضع حد لنزيف الثروات القومية ، واخطار القواعد العسكرية الاستعمارية الموجهة ضد مصالح شعوب المنطقة . والىهذا أشار **الرئيس القذافى** عندما قال :

ان لهذا اليوم معنى كبيرا ، هو انتصار شعب ليبيا الصغير على قوة كبيرة تتمثل فى امريكا التى تحطمت قواعدها فوق ارض ليبيا .. وان امريكا التى تتلقى الهزائم فى كل مكان مازالت تعربد فى المنطقة العربية وتتحيز تماما لاسرائيل. وان امريكا تحتاج « لصفعة كبيرة على وجهها البارد .

وكانمن الطبيعى ، ان يتعرض **الرئيس القذافى** للاخطار المحيطة بالمقاومة الفلسطينية بقوله :

ان ما يجرى فى لبنان ضد الشعب الفلسطينى وما قد يجرى يشكل خطورة على القضية الفلسطينية ، لانه مخطط استعمارى ، تتعاون فيه الانظمة الخائنة مع اسرائيل والاستعمار ..

تشريعات هامة فى مجلس الشعب

اصدر مجلس الشعب فى الفترة الاخيرة من دورته الحالية عددا منالقوانين الهامة فى مقدمتها :

١ ــ قانون باعفاء صغار الملاك ممن يملكون ثلاثة افدنة فاقل .

٢ ــ قانون تنظيم الجامعات وغيره من القوانين المتعلقة برجال القضاء وموظفى المؤسسات العلمية .

وكان المجلس قد بدأ فى نظر تمثيل العمال فى مجالس ادارات الشركات فى القطاعين العام والخاص ولم ينته من مناقشته بعد .

ولما كانت قد دارت مناقشات هامةحول بعض هذه القوانين فقد رأت الطليعةان ترجىء تقديم تقريرها الشهرى عن نشاط مجلس الشعب الى مابعد انتهاء الدورةفى شهر يوليو الجارى . وسوف تقدم الى القراء عرضا مفصلا لعددمن هذه القوانين والاتجاهات التى تبلورت حولها فى المجلس التشريعى .

واننا لن نقف مكتوفى الايدى بينما المقاومة تذبح فى لبنان بعد الاردن » .

هذا وقدعقد الرئيسان **أنور السادات والرئيس معمر القذافى** عدة اجتماعات للقيادة السياسية الموحدة بين مصر وليبيا ، وبحث خلالها الرئيسان أزمة الشرق الاوسط ، كما استعرض الرئيسان تفاصيل اعمال لجان الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ، التى من المقرر ان تتم فى الخريف القادم.

وقد أدلى **الرئيس السادات** بحديث للاذاعة والتليفزيون الليبى ، تناول فيه بعض القضايا الراهنة :

فحول موضوع الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا قال الرئيس : لقد اتفقنا على ان نلتقى فى اوائل يوليو القادم لاصدار جميع القوانين التى انجزتها لجان الوحدة ، واستعراض الخطوات المقبلة حتى الفاتح من سبتمبر القادم .. وانه لابد لنا من جهد هنا وفى مصر فى المرحلة المقبلة ، ولعل صدور القوانين وتوضيح الرؤية للمواطن المصرى والعربى يكون الفاتحة لعملية تبدا على اتساع البلدين لتوضيح كل المفاهيم .

وفيما يتعلق بامكانية الحل السلمى لمشكلة الشرق الاوسط قال الرئيس : **انه بدون معركة لن تنسحب اسرائيل ، ولن تحل القضية** ، وان التحرك الدبلوماسى مستمر قبل المعركة واثناءها وبعدها ، وان الاقلام الانهزامية هى التى تصور هذا التحرك على انه استجداء .

وبخصوص الموقف بعد تأميم شركة البترول الامريكية فى ليبيا قال **الرئيس** : « انه على امريكا ان تعرف انها لن تستطيع ان تحمى مصالحها اذا استمرت فى هذا التحدى للامة العربية وفى تأييد اسرائيل بلا حساب .. وان قرار التأميم الذى اتخذه العقيد القذافى يعتبر فتحا لهذه المعركة . لمعركة المصالح الامريكية فى المنطقة العربية كلها .

وحول الثورة الثقافية التى تتم فى ليبيا الان قال **الرئيس** : ان ثورة ليبيا تستجيب لتطلعات المرحلة التاريخية التى يمر بها الشعب العربى اليوم .. اما عن صلاحية الثورة الثقافية لجماهير عربية اخرى ، فلابد من الانتظار بعض الوقت لكى تؤتى التجربة ثمارها فى ليبيا ، حتى تكون مركز اشعاع لمن يريد ان يحذو حذوها . وفى كل الظروف فان مصر تقف الى جانب ليبيا : قدرهما واحد ومصيرهما واحد .

■ سوريا

معركة مجلس الشعب

فى ظل الجبهة الوطنية

افتتح الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربيه السورية ، والامين العام لحزب البعث العربى الاشتراكى ، فى التاسع من شهر يونيو الماضى أولى جلسات مجلس الشعب الجديد فى سوريا . ويعد المجلس الجديد ، أول مجلس للشعب ينتخب بالتصويت المباشر ، فى ظل قيام الجبهة الوطنية التقدمية التى يقودها **حزب البعث العربى الاشتراكى** .

وكانت نتائج الانتخابات العامة التى جرت فى سوريا فى ٥/٢٦ لاختيار ١٨٦ نائبا من بينهم : ٩٥ يمثلون العمال والفلاحين ، و ٩١ نائبا يمثلون القطاعات الاخرى ، قد أظهرت فوز القوائم الموحدة للجبهة الوطنية التقدمية فى جميع الدوائر ، وبفارق كبير فى الاصوات على اللوائح الاخرى للمرشحين المستقلين من مختلف الاتجاهات السياسية .

فلقد فازت الجبهة الوطنية التقدمية بثلثى المقاعد فى مجلس الشعب الجديد ، ويبين من توزيع المقاعد ، داخل مجلس الشعب ، أن حزب البعث العربى الاشتراكى ، قد حصل على ١١٦ مقعدا ، وحصل الحزب الشيوعى السورى على ٧ مقاعد ، وتنظيم الوحدويين الاشتراكيين على ٣ مقاعد ، وحركة الاشتراكيين العرب على ٣ مقاعد . أما بقية المقاعد فقد توزعت على النواب المستقلين ، كما حصل على بعض المقاعد أيضا عدد من الذين استقالوا من الاتحاد الاشتراكى العربى . هذا ، وقد مثلت المرأة فى المجلس الجديد بخمس سوريات ينتمين الى حزب البعث .

ويعد مجلس الشعب واحدا من الانجازات الهامة التى شهدتها سوريا فى أعقاب حركة التصحيح التى قادها الرئيس **حافظ الاسد** فى ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٠ ، وفى مقدمتها اقامة الجبهة الوطنية التقدمية ، وانتخابات مجالس الادارة المحلية ، ووضع الدستور الدائم .

وجاء فى خطاب الرئيس حافظ الاسد فى افتتاح

مجلس الشعب ، ان الصيغة الحالية للجبهة هى حصيلة جهود بذلت فى اطار رؤية واضحة لمصلحة الوطن ، وأنها جاءت متلائمة مع مقتضيات المرحلة الراهنةالتىيمر بها القطر .. وأضاف : أنه عندما يحين الوقت لتطوير هذه الصيغة سيكون التطوير منسجما مع مقتضيات المرحلة المقبلة ، وفى اطار نفس الرؤية الواضحة لمصلحة الوطن والشعب وذلك بالكيفية التى توفر للجبهة شمولا أوسع ، وقدرة وفر ، على استيعاب جماهير الشعب وتطوير نضالها ٠

وحول موضوع الوحدة العربية قال الرئيس السورى : ان وحدتنا الوطنية هى طريقنا الطبيعى الى وحدتنا القومية ، وان وحدتنا الوطنية هى التى تجعلنا أكثر قدرة وأكثر فاعلية فى النضال ضد التجزئة ومن أجل الوحدة العربية ٠ ولكى نعزز قدرتنا فى هذا القطر على متابعة السير فى هذا الاتجاه ، فاننا نواصل العمل لاستكمال بنائنا الداخلى ، بمزيد من الحرية ، ومزيد من الديمقراطية ، ومزيد من تنمية القدرة الدفاعية كل ذلك فى اطار وحدتنا الوطنية التى تحمى انجازاتنا ٠

وتعرض الرئيس السورى للازمة بين سوريا ولبنان والجهود التى بذلتها سوريا لتصفية الازمة بين السلطات اللبنانية والمقاومة الفلسطينية « فلما أخفقت الجهود والمساعى لم يكن هناك بد من اللجوء الى الاجراء الذى يفترض ان من شأنه ان يساعد الى اعادة الامور الى أوضاعها الطبيعية » ٠ وهو يشير بذلك الى الاجراء الذى اتخذته سوريا بغلق الحدود مع لبنان ٠

وتحدث الرئيس السورى عن المحاولات من جانب الامبريالية الامريكية لاستغلال جو الانفراج الدولى على حساب الشعوب وقال : وانها بالنسبة للمنطقة العربية تسعى الى استغلال الوفاق الدولى ، لابقاء الامة العربية فى دوامة الاراء المختلفة ، والاجتهادات والتفسيرات المتباينة ، لتدفع بدولها فى طريق مظلم ، يؤدى بها الى متاهات مشروعات الحلول ، والوعود بالحلول ، التى تشل الارادة الفاعلة ، وتمنع تجميع القوى والطاقات ، وتحول دون العمل الايجابى من أجل استعادة الحق العربى ، بل تؤدى الى تفتيت القوى العربية ، وتحرض على ضربها بعضها بالبعض الاخر ٠

وقال : لابد من عمل حقيقى فى كل قطر لتعزيز الجبهة الداخلية ، ولابد من عمل حقيقى على المستوى القومى لتجميع الطاقات وتوحيدها ، ولابد من ان ينطلق ، هذا العمل وذاك ، من قناعة بأن الخطر الذى نواجهه خطر قومى ، وان مجابهته لا تكون الا بجهد قومى يؤدى فيه كل فصيل من فصائل القوة العربية الشاملة دوره فى المعركة .

●

الشرق الاوسط

تحرك على أكثر من جبهة

برغم محاولات متعددة لتجميد ازمة الشرق الاوسط ، وايقاف حركة الاحداث فيها عند حدود حالة اللاسلم واللاحرب ، فقد نجحت مصر ، بفضل جهود دبلوماسية واسعة ، فى تحريك الوضع فى الازمة فى اكثر من اتجاه ، وهكذا اتجهت الانظار من جديد نحو الشرق الاوسط الذى شهد فى الفترة الاخيرة اهتماما عالميا متزايدا يحدد المراقبون بعض معالمه فيما يلى :

● سيكون الشرق الاوسط واحدا من النقاط الهامة التى سيدور حولها حوار القمة بين بريجينيف ونيكسون ٠ وقد تأكد ذلك أكثر من مرة سواء فى البيانات الصادرة فى موسكو أو واشنطون .. وقد صاحب هذا التأكيد اعلان من سكالى ممثل أمريكا فى الامم المتحدة يقول فيه أن الرئيس نيكسون لا يزال يرى استمرار الاولوية الكبرى لمشكلة الشرق الاوسط (الجارديان ٣٠ ــ ٥ ــ ١٩٧٣) . واعلانات متكررة من جانب موسكو تؤكد فيها استمرار مساندتها التامة للقضية العربية .

● كان اجتماع القمة الافريقى انتصارا كبيرا لمصر على حد تعبير جريدة كومبا الفرنسية (٣١ ــ ٥ ــ ١٩٧٣) التى أكدت أن مصر « قد اقنعت معظم الدول الاعضاء فى المنظمة بالدفاع عن وجهات النظر العربية فى الامم المتحدة .

● ويأتى التحرك الاوربى الواسع اهتماما بقضية الشرق الاوسط تتويجا للجهد الدبلوماسى المصرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى تأكيدا لمخاوف أوربا الغربية من تفجر أزمة الوقود وزيادة تعقدها ، بسبب أزمة الشرق الاوسط .. ويعبر ميديتشى وزير الخارجية الايطالية عن هذا الموقف ، بدعوته الحارة لايجاد مخرج من أزمة الشرق الاوسط التى يصفها بأنها « البؤرة التى تكمن فيها

اخطر النزاعات والاحداث » (من خطابه أمام لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب الايطالى – و . أ . ف – ٣١ مايو ١٩٧٣) .

وتقول **كومبا** الفرنسية « وأخيرا ففى استطاعة مصر اليوم أن تعتمد على مساندة دبلوماسية فعالة من جانب فرنسا وبريطانيا ، وذلك بفضل الزيارات التى قام بها للدولتين **حافظ اسماعيل** مستشار **الرئيس السادات** للامن القومى » (٣١ – ٥ – ١٩٧٣) .

وقد انعكس ذلك بالفعل على موقف الدولتين خلال مناقشات مجلس الامن الاخيرة .. حيث اتخذنا موقفا افضل بكثير من مواقفهما السابقة .

ثم تأتى زيارة **فيلى برانت** لاسرائيل لتؤكد اهتمام أوربا الغربية بأزمة الشرق الاوسط ، وبغض النظر عن التصريحات التى أدلى بها **برانت** خلال زيارته ، والتى فسرها البعض بأنها استمرار للاحساس بعقدة الذنب ، أو استمرارا لسياسة خاطئة قديمة . وعلى الرغم من أن **جولد مائير** قد أوضحت **لبرانت** « أن اسرائيل ليست مهتمة بأن يقوم **برانت** بدور الوسيط فى نزاع الشرق الاوسط (**جويش كرونيكل البريطانية** ٨ – ٦ – ١٩٧٣) ، وعلى الرغم من ان العلاقات بين اسرائيل والمانيا الغربية ، تتعزز بوضوح سواء من الناحية السياسية أو من الناحية الاقتصادية اذ تبلغ قيمة تجارة المانيا الغربية مع اسرائيل نحو ٣٣٠ مليون دولار . الا أن المراقبين يلاحظون ان **برانت** قد صرح قبل زيارته لاسرائيل بقوله « ان التدخل فى الشرق الأوسط أمر ممكن ، ولكنه غير أكيد » .

(**دى فليت** الالمانية ٦–٦–١٩٧٣) .

كذلك فقد صرح **شيل** للصحفيين ، بأنه قد ركز فى محادثاته فى واشنطن « على ضرورة التركيز لايجاد تسوية سلمية لنزاع الشرق الاوسط ، والاستفادة من كل مبادرة للحل » وقال **شيل** « ان كل شىء قد بدأ يتحرك » (**زود دويتشه تسايتونج** الالمانية ٢٣ – ٥ – ١٩٧٣) .

وبرغم ما يبدو من تحسن طفيف فى موقف ألمانيا الغربية ، فان العرب لا يزالون يلاحظون أن التعويضات والمساعدات الالمانية الغربية لاسرائيل والتى تبلغ ٢٠ مليون جنيه سنويا هى احد دعائم الاقتصاد الاسرائيلى (التايمز ٨ – ٦ – ١٩٧٣) . بينما تصمم المانيا الشرقية على رفض دفع أية تعويضات لاسرائيل من حيث المبدأ ، كذلك يلاحظ المراقبون ، أن ألمانيا الغربية قد أيدت اسرائيل تأييداً قويا فى طلبها الخاص بالحصول على معاملة الدولة الاولى بالرعاية فى السوق المشتركة (جويش كرونيكل ٨–٦–١٩٧٣) .

لكن بالرغم من ذلك كله ، فانه يمكن ربط التحرك الالمانى الغربى الجديد بالتحرك العام لاوربا الغربية تجاه المشكلة . ومن الملاحظ أن صحيفة « فرانكفورتر الجماين تسايتونج » (٢٧ – ٥ – ١٩٧٣) قد أكدت ان « بون تريد فى المستقبل بالاتفاق مع حلفائها الاوربيين أن تنتهج سياسة فعالة فى الشرق الاوسط » .

ولعل هذا التحرك يمكن أن يرتبط أيضا بالتصريح الذى أدلى به **ميديتشى** وزير الخارجية الايطالى : « لقد اتفقنا مع شركائنا فى السوق الاوربية المشتركة ، على أنه يتعين ، على أوربا بصفة خاصة ، ان تلعب دورا بنـاء من أجل الوصول الى حل لهذه الازمة التى تشكل اخطارا لا يمكن لاوربا أن تتقبلها » . (**و.أ. ف** ٣٠ – ٥ – ١٩٧٣) .

غير أن المراقبين يلاحظون أنه سواء كانت محاولة التحرك من جانب المانيا الغربية منفردة ، أو أوربا الغربية ككل ، فان الامر يتطلب تصحيحا لموقف هذه القوى بصورة تمكنها من أن تلعب دورا ايجابيا مقبولا من جانب العرب .

فاذا مضينا فى سرد الشواهد على تحرك الوضع فى الشرق الاوسط تعترضنا علامة استفهام كبيرة ، تتمثل فى صفقات السلاح الضخمة من الولايات المتحدة للسعودية والكويت . وقد أثارت هذه الصفقات كثيرا من الجدل سواء من حيث توقيتها أو من حيث ضخامتها ، مليار دولار للسعودية ، و ٥٠٠ مليون دولار للكويت (٣٠٠ ألف من السكان) .

وقد حاولت اسرائيل جهد طاقتها أن تستغل هذه الصفقات لتحقق هدفين محددين :

ا – الاسراع فى تسلم كميات الاسلحة التى سبق التعاقد عليها .

ب – خفض أسعار هذه الاسلحة (**دافار** الاسرائيلية ٣٠ مايو ١٩٧٣)

لكن المراقبين يلاحظون ، ان هذه الصفقات قد أرسلت الى السعودية والكويت فى أعقاب صفقة سلاح هائلة لايران حصلت بموجبها على « ١٠٨ طائرة فانتوم ، ١٠٠ طائرة طراز ف – ٥ ، ٧٠٠

طائرة هليوكوبتر ، ۸۰۰ دبابة ، بالاضافة الى وحدات برية عالية الكفاءة » (ا ٠ ب ٠ ث الاسبانية ١٠ يونيو ١٩٧٣) .

وتقول صحيفة ألمانية غربية ان هدف أمريكا من اغراق هذه المنطقة بسلاحها هو «تشجيع انشاء نظام أمن اقليمي جديد عن الخليج العربي ، تتولى فيه ايران مع الكويت والسعودية دور الحراس بشيء من التنسيق ، وترى أمريكا أن لهذا النظام أهميته السياسية الى جانب أهميته العسكرية وهي أهمية لن تظهر الا بعد عدة سنوات ، وانه سوف يحد من النفوذ السوفيتي بشكل فعال وسوف يضمن تدفق البترول الى الغرب (**دى فليت** ـ ألمانيا الغربية ٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٣) .

بينما تقول جريدة **واشنطون بوست** الامريكية أن صفقات الاسلحة هذه « سوف تحقق فائدة كبيرة للولايات المتحدة ، اذ انها تساعد على تحسين ميزان المدفوعات الامريكي ، وتساعد أيضا على توطيد العلاقات مع هذه الدول الثلاث التي تعد من أكبر الدول المصدرة للبترول في العالم ويزيد من احتمالات التوصل الى اتفاق بشأن أسعار البترول » (**واشنطون بوست** ٢٩ ـ ٥ ـ ١٩٧٣) .

وتنقل وكالة **أنباء الشرق الاوسط** عن صحيفة « **الشرق** » البيروتية انها تعتقد ان واشنطون بتقديمها صفقة الأسلحة الضخمة للسعودية والكويت انما تحقق هدفين أولهما تنشيط صناعة السلاح الامريكية على حساب صناعة السلاح السوفيتي . والثاني تطويق أية دعوة عربية لمقاطعة المصالح الامريكية في المنطقة (ا ٠ ش ٠ ا ٠ بيروت ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٣) .

ويرتبط ذلك بما نقلته نفس الوكالة من الكويت وفي نفس اليوم بأن عددا من النواب الكويتيين ، قد طالب في جلسة مجلس الامة بمقاطعة الولايات المتحدة اقتصاديا بسبب تأييدها المستمر لاسرائيل وتزويدها بالاسلحة ، وطالب النواب بفرض رسوم جمركية عالية على البضائع الامريكية المستوردة وقال بعض النواب أن الولايات المتحدة تشجع الدول الصغيرة في منطقة الخليج على شراء أسلحة من مخلفات حرب فيتنام ، وهي بذلك تدفع هذه الدول لزيادة انتاج النفط وبالتالي انخفاض أسعاره ٠ (ا ٠ ش ٠ ا ٠ الكويت ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٣) .

● أما العلامة المميزة الاساسية في تحرك الوضع في الشرق الاوسط فهي عقد مجلس الامن لجلسته الخاصة لمناقشة أزمة الشرق الاوسط بناء على طلب مصر . وقد كان انعقاد المجلس في هذا الوقت بالذات وما صحبه وسبقه من تحرك مصري واسع النطاق وما شهدته جلسات المجلس من تأييد للحق العربي ، ومن اقتراب بعض الدول من مواقع الفهم الصحيح لحقيقة الازمة وأسبابها ، ثم تلك الحملة العالمية التي نظمتها عدة هيئات عالمية من بينها مجلس السلام العالمي والتي تمثلت في سيل من البرقيات من أحزاب ومنظمات وجماعات من مختلف أنحاء العالم تطالب بتوقيع عقوبات على اسرائيل لارغامها على تنفيذ قرار مجلس الامن .. كان ذلك كله يمثل تحركا ايجابيا للموقف لصالح الحق العربي ..

وقبيل عقد المجلس لجلساته أذاعت وكالة **نوفستي** السوفيتية تعليقا هاما بعنوان : « على مجلس الامن أن يجعل اسرائيل تحترم قرارات الامم المتحدة » . وقد جاء في هذا التعليق « وباعتبار مجلس الامن هو أهم أداة لصيانة وتدعيم السلام في العالم أجمع ، فانه يملك الحق ليس فقط في أصدار توصيات محددة ... ولكن ايضا له الحق كما هو منصوص في ميثاق الامم المتحدة في حسم موضوع تطبيق عقوبات اقتصادية وسياسية ، على أعضاء المنظمة الذين يرفضون تنفيذ قراراته وقرارات الجمعية العامة » (نشرة نوفوستي السوفيتية ١ ـ ٦ ـ ١٩٧٣) .

وقد شهدت جلسات المجلس ادانات متتالية للموقف الاسرائيلي ، وشهدت حشدا افريقيا يمثل منظمة الوحدة الافريقية ، يؤيد ضرورة الانسحاب ، وشهدت مواقف متقدمة لبريطانيا وفرنسا .. وكان التركيز المصري على ضرورة استصدار قرار من المجلس ينص بوضوح وبشكل قاطع على ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلت عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ ..

وفي مواجهة ذلك ، كانت المناورة الامريكية الاسرائيلية هي اعلان التمسك بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ لايزال افضل فبعد اجتماع بين **سكالي ونيكسون** كرر **سكالي** « الاعتقاد الامريكي بأن قرار مجلس الامن ٢٤٢ الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ لايزال أفضل اساس لاجراء تسوية سلمية » .

وأعلن **أبا ايبان** أمام الكنيست رفض اسرائيل لادخال اية تعديلات على القرار رقم ٢٤٢ ، علما بأن اسرائيل وأمريكا هما اللتان عرقلتا حتى الان تنفيذ هذا القرار .

وكان د . محمد حسن الزيات قد تحدث أمام المجلس قائلا « لقد اتينا الى المجلس لنوجه سؤالا ونتلقى عليه ردا . وهذا الرد يجب أن يكون « لا » يعلنها المجلس عالية مدوية « لا » هو ما يجب أن يكون رد المجلس على اسلوب القسر والاكراه . أن كلمة « لا » يجب أن تكون رد مجلس الامن على سياسة الاغتصاب والابتزاز » . ومضى الدكتور الزيات قائلا « ان الاسرائيليين يعتقدون انه قد تم لهم الفتح ، ومن ثم فيحق لهم جنى ثمار العدوان أى حقوق الفتح . واذا حالت مقاومة مصر والدول الاخرى دون هذا الحق . فان هذه المقاومة يجب أن تقهر . ان الاراضى المحتلة يجب ألا يصدر فيها ما يعكر السلام الاسرائيلى واذا احتاج الفاتح الى مزيد من السلاح ليفرض ارادته فانه يعلم من أين يحصل عليه » .

وعندما بدأ المندوبان الامريكى والاسرائيلى فى المناورة حول ضرورة التمسك بقرار مجلس الامن وعدم تعديله أو اصدار قرار جديد كان رد الدكتور الزيات واضحا نحن نريد قرارا ينص على كلمة الانسحاب من كل الاراضى التى احتلت عقب عدوان يونيو بوضوح وبحيث يكون هذا المعنى واضحا فى كل اللغات . .

.. وتمضى مناقشات مجلس الامن ، لتعبر عن تحرك جديد فى الموقف ، لكن التحرك لا يعنى غير أن القنبلة الزمنية لازالت تنتظر لحظة الانفجار .

●

لبنان .. سوريا .. المقاومة

لم يكن توقف طلقات الرصاص فى شوارع بيروت بين الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية كافيا بذاته لاعادة الهدوء الى المناخ السياسى فى لبنان .. بل لعله كان بداية متوقعة لصراع عنيف دار حول حكومة د. أمين الحافظ ، وحول قدرتها على الاستمرار فى الحكم ..

ويكون انعقاد جلسة الثقة بغير نصاب .. وانسحاب الوزيرين الممثلين لطائفة السنة ، بداية التهاب الموقف وتصاعده الى النقطة الحرجة .. ولم يكن الهجوم طائفيا ، فقط ، بل كان سياسيا أيضا . فقادة الكتل البرلمانيه والاحزاب يتجمعون ، بعد خصام طويل ، حول مطلب استقالة الوزارة .

وباسم جبهة الاحزاب التقدمية يعقد كمال جنبلاط مؤتمرا صحفيا يطالب فيه د . الحافظ ، اما بتعديل حكومته ، أو الاستقالة . ويتقدم بأربعة عشر مطلبا تتركز فى الاساس على أن تتولى الحكومة سلطاتها التى يكفلها لها الدستور اللبنانى ، بمعنى توسيع اختصاصات الحكومة ، وتقليل نفوذ القصر الجمهورى . ويقول جنبلاط فى مؤتمره الصحفى : « اننا نريد ـ من وراء حملة المشاركة ـ أن تتم المشاركة الحقيقية . أى توزيع الصلاحيات ، وتنفيذ النظام الدستورى البرلمانى فى روحه ونصه ، وأعرافه وأهدافه . وهذا الانحراف عن الدستور واعرافه ، هو الذى كان السبب الرئيسى للازمة القائمة » (الانوار ٨ يونيو ١٩٧٣) .

ورشيد كرامى يؤكد ، هو ايضا ، أنه « من المفيد التكرار بأن لبنان ، يعتبر أن الحريات الديمقراطية ، وأصول النظام البرلمانى ، وتطبيق الدستور نصا وروحا ، هى ـ بمجموعها ـ أهداف نعمل فى سبيلها .. » ويقول « استقالة الحكومة باتت مطلبا واضحا » (الانوار ٧ يونيو ١٩٧٣) .

ويدخل صائب سلام المعركة هو أيضا . وشمعون يعلن : انه اذا كان النواب السنيون ضد الحكومة فان احتمال انسحاب وزراء حزبه من الحكومة يصبح واردا (الانوار ١٠ يونيو ١٩٧٣) .

ويواجه د . الحافظ هذا التيار مصمما « لن استقيل » .

لكن هذا الصراع الذى تفجر فى أعقاب الاشتباك المسلح بين الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية لا يمكن فهمه بغير الرجوع الى الاسباب التى أسرعت بتفجيره .. أى الى الازمة الاساسية .

لكن هذه الاشتباكات ، بدورها ، ثم ما تبعها من أزمة بين لبنان وسوريا ، ثم الازمة الداخلية فى لبنان ، لا يمكن فهمها بغير وضعها فى اطارها الحقيقى .

فما هى اذن الخطوط الاساسية لهذا الاطار ..

● ثمة مخطط أمريكى صهيونى يستهدف تصفية الوجود الفلسطينى ، بتصفية طليعته المنظمة والمسلحة أى المقاومة الفلسطينية .

● ان المشاركة الامريكية ، فى هذا المخطط ، كانت ـ بغير شك ـ مشاركة مستديمة ، لكنها تصاعدت فى الفترة الاخيرة فأصبحت أكثر ايجابية وأكثر سفورا .. ويفسر البعض ذلك بأن المخطط الامريكى الشامل يستوجب الان مزيدا من التحرك ضد المقاومة ، ويفسره البعض الاخر بأنه نتيجة

مترتبة على عملية الخرطوم التى قيل أنها كانت موجهه أساسا ضد بعض عناصر المخابرات الامريكية ٠

● أن هذا المخطط ، ما كان من الممكن أن يتحقق بمثل هذا الشكل الدامى دون أخطاء أو تورطات وقعت من كلا الطرفين ٠٠ وليس ذلك محاولة لاضفاء طابع الخطأ المشترك على الطرفين المتصارعين ، وانما لاثبات أنه وبرغم ايماننا بأن المخطط هو فى الاساس مخطط صهيونى امبريالى ، الا أن اخطاء من هنا أو تورطات من هناك قد دفعت بالامور الى الموقع الحرج الذى وصلت اليه ٠

● وأخيرا فانه من الخطأ تصور أن هذا الصدام كان ملتهبا بين طرفين هما الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية ٠ ذلك أن اطرافا أخرى ، قد تواجدت وأثرت على صورة الصدام ، وعلى نتائجه ، وعلى مستقبل الاحداث ٠

● هناك لبنان بظروفه المعقدة ٠

● وهناك مراكز الثقل العربية المختلفة التى تصب ضغوطا متوازنة أحيانا ، ومختلة التوازن فى أحيان أخرى ، باتجاه لبنان ٠

● وهناك ثالثا الثقل السورى الذى تواجد بالضرورة فى صورة الاحداث ٠

فاذا ماالقينا نظرة على خصوصية الوضع فى لبنان نجد ما يلى :

● ان الاستعمار قد غرس فى لبنان أوضاعا طائفية ، تستفيد منها الرجعية وتغذيها وتستند اليها ٠ لكن الطائفية سلاح ذو حدين ، بمعنى أنه اذا استخدم جانب منه ضد المقاومة ٠ فان جانبا آخر سوف ينحاز اما تلقائيا أو بفعل عوامل تاريخية الى جانبها ، الامر الذى جعل من الصراع بين الجيش اللبنانى والمقاومة صراعا يهدد بقسم الشارع اللبنانى فى صراع طائفى ٠٠ البعض ينحاز هنا والبعض يتحيز هناك ٠

● ان القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، برغم عجزها عن تصفية النزعات الطائفية أو التحكم فيها ، لكنها بتحالفها معا ، ثم بتحالفها مع المقاومة قد استطاعت أن تلعب فى فترة الصدام دورا ذا وزن هام ٠ بمعنى أن الصدام المسلح ، فى مايو ، قد هدد أيضا بقسم الصف اللبنانى الى قوى سياسية تؤيد المقاومة وقوى أخرى تعارضها ٠

فاذا وضعنا فى الاعتبار أن اليسار اللبنانى كان قد اكتسب مؤخرا ثقلا خاصا فى عدد من المعارك المطلبية (عمال غندور ــ مزارعو التبغ ــ المظاهرات الطلابية) فان انحيازه التام للمقاومة خلال فترة الصدام قد أعطى لهذا الانحياز ثقلا خاصا بل ومغزى خاصا ايضا ٠

● مشكلة جنوب لبنان ، وما تفرضه من تعقيدات ، وما تتطلبه من اجراءات جذرية اهمها أعمار الجنوب ، لتحقيق كثافة سكانية تواجه مخططات الصهيونية لافراغه من السكان ٠

مع ملاحظة أن الجنوب يمثل موقعا استراتيجيا بالغ الخطر فى أية مواجهة مسلحة مع اسرائيل فهو معبر هام للمتحاربين ، سواء باتجاه القلب الى اسرائيل ، أو باتجاه القلب الى سوريا ٠ **كذلك فأن لاسرائيل مطامعها فى مياه نهر الليطانى ٠ وهى المطامع التى أخذت تطرح ــ بدون مواربة ــ وفى الايام الاخيرة من قبل المسئولين الاسرائيليين ٠**

● ان الاقتصاد اللبنانى بطابعه الخاص الذى يعتمد على : التسهيلات المصرفية لكثير من الاستثمارات والتعاملات الاجنبية والعربية عبر المنطقة كلها ــ الحركة السياحية الواسعة ودور مطار ومرفأ بيروت الاقتصادى ــ تجارة الترانزيت ــ فائض الانتاج الزراعى وخاصة التفاح ــ الاستثمارات الرأسمالية فى لبنان (وتقوم أساسا على فروع أمريكية أو أوربية) تصدر انتاجها أساسا الى السوق العربية ٠٠ هذا الاقتصاد يفرض طابعا يدعو الى الانفتاح ، وهو بحاجة دوما الى ظروف هادئة ، ليس بالمعنى الشكلى للكلمة فقط ، وانما هادئة بالمعنى الشامل أى من ناحية العلاقات مع مختلف أصحاب الاستثمارات ، والمصالح ، ومع الاسواق والمعابر الى الاسواق ، ومع المودعين بالمصارف والراغبين فى السياحة ، الخ مشجعة بذلك مفهوما تتبناه بعض القوى البورجوازية اللبنانية ينادى بحياد لبنان ٠٠ « لبنان سويسرا الشرق » ٠

● ولقد ادى ذلك كله الى أن أصبحت الساحة اللبنانية منطقة مفتوحة بكل معنى الكلمة ، بمعنى أنها مفتوحة امام تأثيرات خارجية متعددة ، ومفتوحة امام التأثيرات المالية والثقافية والاعلامية من مختلف الاتجاهات ٠

فاذا اتينا الى **النقطة الثانية** وهى الثقل العربى عامة ، وجدنا ان القوى العربية المختلفة تمتلك امتدادات اما اقتصادية او سياسية أو فكرية داخل لبنان ٠ ولقد كان انفتاح لبنان يمثل فى كثير من الاحيان موئلا هاما للمستثمرين وأصحاب الودائع العرب وللسياسيين العرب يمينهم ويسارهم على السواء ٠

وكان ذلك الانفتاح بما يتيحه من حرية للحركة

والتحرك ، ومن قدرة على التأثير ليس فى المحيط اللبنانى وحده ، لسبيلا الى اهتمام كل قوة « ذات ثقل بأن يكون لها « موقع لقدم » على أرض لبنان تمارس من خلالها نشاطا قد يكون موجها فى الاساس الى خارج الحدود اللبنانية ٠

ولقد ظلت المصالح العربية المتضاربة والمتباينة ، والثقل العربى المتضاد الاهداف يمثلان من حيث قوة ضغوطهما نقطة اتزان حرجة فوق ارض لبنان ، بحيث كانت السلطة اللبنانية مضطرة الى الامساك بشعرة معاوية مع الجميع ، محاولة ارضاء الجميع ، او على الاقل عدم اغضاب الجميع ٠

ويفرض هذا الموقف ظله حتى على دعاة « عزلة لبنان » والراغبين فى أن يتطلع لبنان الى اوربا عبر البحر المتوسط وليس الى الداخل عبر المشكلات العربية المتراكمة حتى هؤلاء يدركون ان طبيعة الاقتصاد اللبنانى تفترض استمرار العلاقات مع السوق العربية والودائع العربية ، والمصالح العربية المختلفة ومن ثم فانها تضع ذلك فى الاعتبار سواء عند تحديد مواقف لبنان من القضايا العربية ، أو عند تخطيط علاقاته مع المقاومة الفلسطينية ٠

ثم نأتى بعد ذلك الى **العنصر الثالث** ، وهو العلاقة مع سوريا ،وهى العلاقة التى تمتلك تأثيرا خاصا ، وتاريخيا . باعتبار الصلات الوثيقة والخاصة بين البلدين واقتصاديا باعتبار ان الحدود السورية ، والاجواء السورية منافذ حيوية للاقتصاد اللبنانى ، واجتماعيا باعتبار التمازج الواسع بين الاسر والهجرة الواسعة بين البلدين ، وسياسيا بما يفرضه التأثير السورى التقليدى على السياسة اللبنانية من ظلال ٠ وبما اكتسبته سوريا مؤخرا من نفوذ فى صفوف بعض القوى اللبنانية المؤثرة ، باحتضانها للعناصر المتهمة فى قضية المكتب الثانى اللبنانى ، والتى يبدو أنها عناصر ذات ثقل خاص ٠

كل ذلك يمكننا من فهم الموقف السورى المتحمس ، خلال صدامات مايو بين الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية ، لكننا وحتى نفهم الدوافع جميعا ، يجب أن نضع فى الاعتبار ان خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان — فى ظل وضعية الجيش اللبنانى الحالية ، وافراغ الجنوب من سكانه ، واخضاعه عمليا للمخطط الصهيونى انما يعنى ان الاتجاه الى منطقة القلب من سوريا أى دمشق ، يكون قد أفرغ من قوى مستعدة لمقاومته بمعنى ان استمرار تواجد قوى المقاومة الفلسطينية فى لبنان وفى جنوبه ، على الخصوص ، يمثل عمقا استراتيجيا للمجابهة السورية مع العدو ٠

فاذا ارتبط ذلك كله ، بالجهود المصرية — السورية للخروج من حالة اللاسلم واللاحرب ، والعمل المكثف استعدادا لذلك لامكن القول ان مخططى صدامات مايو كانوا يستهدفون ارباك الساحة السورية والجهد المصرى — السورى — للخروج من مأزق اللاسلم واللاحرب ٠

ومع انتهاء الاشتباك المسلح برزت فى الساحة اللبنانية آثار تلك الانحيازات التى وقعت خلاله مع المقاومة او ضدها ٠ وهى انحيازات سوف تترك آثارا بعيدة المدى على طبيعة حركة الاحداث المقبلة، سواء بالنسبة للمقاومة الفلسطينية او لليسار ، والقوى التقدمية فى لبنان . وهى القوى التى ساندت المقاومة الى حد انزال عناصر مسلحة الى ميدان المعركة تضامنا مع المقاومة . ولابد لهذا الالتزام الجبهوى المتبادل من ان يترك آثارا هامة — ولو لفترة من الزمن — على طبيعة مواقف وانحيازات كلا الطرفين . لكن القوى اللبنانية الاخرى ، تشعر بخطورة هذا التحالف ، فتبدأ هى الاخرى بمد يدها للمقاومة ، وتعقد سلسلة من جلسات الحوار والتنسيق بين حزب الكتائب وبين المقاومة ، والتى تنتهى باصدار مشروع وثيقة عمل مشتركة ٠ (الانوار ٨ يونيو ١٩٧٣) ٠

ويلاحظ المراقبون ، ان المقاومة الفلسطينية تسعى بدورها الى تحقيق أكبر قدر من التهدئة ، ويلمحون بوجه خاص الى مقال نشرته « فلسطين الثورة » الناطقة بلسان المقاومة الفلسطينية تقول فيه « **ان التسليم بالسيادة اللبنانية والتسليم بشرعية الثورة الفلسطينية هما جناحان لطائر واحد** » ويمضى المقال قائلا « هناك محاذير لا يجوز الانزلاق اليها ٠ واستخلاصا من تجاربنا فى الازمة الاخيرة ، يمكن تحديد هذه المحاذير بثلاث مسائل **اولا :** التوهم بأن هناك اى صراع بين السلطة اللبنانية او السيادة اللبنانية من جهة وبين شرعية المقاومة الفلسطينية من جهة اخرى ٠ **ثانيا :** الاعتقاد بقيام أى تناقض بين بعض فئات الشعب اللبنانى وبين المقاومة من جهة اخرى . **ثالثا : انتشار حساسيات لدى السلطات اللبنانية وقوات** الثورة الفلسطينية او قيام أوضاع معينة يمكن أن تؤدى الى الصدام ٠ (فلسطين الثورة ٦ يونيو ١٩٧٣) ٠

وبين المحاذير الثلاثة ، او بين « المآزق » الثلاثة تحاول المقاومة الفلسطينية ان تستشعر بعض الاستقرار على أرض لبنان ٠٠٠

أما لبنان ذاته فان ازمته الداخلية تتصاعد ٠٠ وتظل تتصاعد حتى تستقيل الحكومة ٠

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فانه من الامر المقطوع به ، انه لم يعد بوسع أى بلـــد عربى فى دائرة المواجهة مع اسرائيل ان يعيش مشـــاكله وازماته وأحداثه الهامة داخل حدوده الخاصة .

وهذه الحقيقة التى تأكدت بعد عدوان يونيـــو تنطبق بالكامل على لبنان ٠ والدليل على ذلك أن المسئولين فى ليبيا ، قد وجدوا انفسهم مطالبين بأن يحددوا مواقف من بعض الاحداث الداخلية فى لبنان ٠ كما أن العلاقة بين السلطة وبين المقاومة كانت موضع دراسة واهتمام ملحوظين انعكسا فى البيان المشترك الذى صدر عقب لقاء الرئيســـين **السادات وحافظ الاسد .**

●

■ **اسرائيـــل**

المـــزيج الجـــــديد من الميثولوجيـــا والســـياســـة ؟

كل من حـــاول ان يتابع زيـــارة فيلى برانت مستشار المانيا الغربية لاسرائيل — من ٧ الى ١١ يونيو الماضى — من خلال صحافة الغـــرب سوف يلاحظ بسهولة ان تغطيتها للزيارة تميزت بطابع « ميثولوجى » فيه اهتمام مفرط بالاساطير وبالجوانب « الدفينة » من المشاعر « الجرمانية »، فى طرف و « اليهودية » فى طرف آخر . واظهرت صحف الغرب زيارة مستشار حكومة بون لتـــل ابيب كما لو كانت فى الاساس زيارة للتكفير ، وليست زيارة رجل دولة اوروبى لدولة فى الشرق الاوسط تربطهما علاقات دبلوماسية منذ نحو ١٠ سنوات [بالتحديد عام ١٩٦٤] وتربطهما من قبلها علاقات اعمق ٠٠ علاقات تمويل وتسليح المانى غربى لاسرائيل بأرقام فلكية .

ومع ذلك فان هذا الطابع « الميثولوجى » نفسه الذى اضفى على الزيارة لم يكن عديم الدلالة السياسية . فلقد كتبت صحيفة « **انترناشيونال هيرالد تريبيون** » الامريكية تصف رحلة برانت لاسرائيل فقالت : انه بدأ الرحلة « بصلاة صامتة دامت دقيقة واحدة ، على ذكرى الملايين الستة من اليهود الذى قتلهم هتلر » .. وقـــالت ان « المستشار » اشـــترك فى حفل عند النصـــب التذكارى لهؤلاء الضحايا فى « يادفاشيم » بأن « قرا ببطء وانفعال بعض آيات من الزمور ١٠٣ » وهى الايات التى تقول :

« الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمـــــة »

« لا يحاكم الى الابد ، ولا يحقد ابد الدهر »

« لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا » .

والدلالة السياسية الاساسية لهذه البكائيات التكفيرية يمكن الخروج بها عنـــدما نضـــعها — ونضع الزيارة كلها ومظاهرها ونتائجها — فى الاطار الجديد الذى احاطت به المانيا الغـــربية سياستها تجاه الشرق الاوســـط وهـــو **اطـــار « الحياد » بين العرب واسرائيل .**

وهذا الاطار الجديد قد لقى فى الواقع ترحيبا وحفاوة فى كثير من الدوائر العربية باعتباره « تحولا » مواتيا فى سياسة حكومة بون يجعلها اقرب الى الموقف العربى مما كانت من قبـــل . وذلك على اساس قاعدة ان من لا يؤيد اسرائيل تأييدا كاملا ومطلقا فهو ليس ضد العرب .

وحتى لا يذهب الانسان مذاهب شتى فى تفسير معنى الحياد ، فان الواجب ان نضع امامنا اقوال « المستشار » نفســـه وما قاله مضـــيفوه مـــن المسئولين الاسرائيليين . وهذا ما قاله برانت : « **ان اهتمام المانيا (الغربية) واضح ، اننا نريد ان نرى تسوية سلمية يتفاوض بشأنها ويقبلهـــا اولئك المعنيون مباشرة** » .

ثم قال : « **اننى اشعر بأن اسرائيل وجيرانها ينبغى ان يجروا محادثات معا حول امن حدودهم، بل وينبغى ايضا ان يجروا محادثات حول الامكانيات العظيمة للتعاون الاقليمى** » .

وقد اشار بعض المراقبين الى المحاولات الذى بذلها المسئولون الاسرائيليون لاستغلال تصريحات المستشار :

فقد صرح ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، قبل يومين من بداية زيارة برانت :

« **ان موقف المانيا الغربية اقرب المواقف الى اسرائيل بعد الولايات المتحدة** » .

وهكذا يمكن القول بأن عناصر الموقف الالمانى الغربى من ازمة الشرق الاوسط هى : المفاوضات المباشرة — الحدود الامنة — التعاون الاقليمى .

بل لقد اضـــــافت **جولدا مائير** رئيسة الوزراء امام برانت :

« ان جمهورية المانيا الاتحادية واسرائيل تقفان على نحو ما على جانب واحد من الحدود . وسوف نعلم جيراننا هذا الدرس » .

ويرى المراقبون ان المسألة اثناء زيارة المستشار الالمانى لم تكن مجرد تصريحات وتصريحات متبادلة

فالواقع ان الجانبين — الالمانى الغربى والاسرائيلى — حرصا بشدة على اعتبار زيارة برانت لاسرائيل « حدثا تاريخيا » . ولما كانت كذلك فما كان يمكن ان تنقضى فى مجاملات الزيارات الرسمية التقليدية . ولان الزيارة « تاريخية » فانها لا تقل اهمية عن احداث تاريخية سابقة فى تاريخ العلاقات بين المانيا الغربية واسرائيل :

— توقيع اتفاقية التعويضات (التى بلغت نحو ٣٤٥٠ مليون مارك) عام ١٩٥٣ ، وقد دفعت على مدى ١٢ عاما .

— الاتفاقات السرية على مدى السنوات من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ بين بون وتل ابيب ، وكان اهم ما كشف منها فيما بعد اتفاقيات المساعدات العسكرية والتسليح ، واتفاقيات المساعدات الاقتصادية التى بلغ معدلها ١٦٠ مليون مارك سنويا (خارج اطار التعويضات) .

— اتفاق تبادل العلاقات الدبلوماسية الذى تم التوصل اليه بينهما فى مايو ١٩٦٥ . وعلى اثره حصلت اسرائيل على قرض آخر طويل الاجل قيمته ١٦٠ مليون مارك .

وفى كل تلك « الاحداث التاريخية » السابقة فان النتائج لا تعلن فورا ومباشرة . ومع ذلك فهناك مؤشرات الى طبيعتها :

□ سافر **شمعون بيريز** وزير النقل الاسرائيلى الى المانيا الغربية . وبيريز **هو نفسه الذى عقد نحو ١١ اجتماعا سريا عام ١٩٦٠ — وكان وقتها وزيرا للمالية — مع فرانز جوزيف شتراوس وزير الدفاع الالمانى الغربى آنئذ . وهى الاجتماعات التى مهدت لاجتماع بن جوريون مع المستشار الالمانى الاسبق كونراد اديناور واسفر عن صفقة الاسلحة السرية من المانيا الغربية لاسرائيل .**

□ **شنت اسرائيل حملة دعائية ضارية ضد المانيا الديمقراطية** (ووصفها ابا ايبان بأنها اشد دول الكتلة الشرقية عداء لاسرائيل) واعلن ان اسرائيل ستصوت ضد عضوية المانيا الديمقراطية فى الامم المتحدة . واذا كان المفهوم ان السبب الرئيسى وراء هذه الحملة هو **رفض المانيا الديمقراطية الرضوخ لضغوط الصهيونية العالمية لارغامها على دفع تعويضات لاسرائيل على غرار** ما فعلت المانيا الاتحادية . فان اشتداد الحملة بعد زيارة برانت بالتحديد يعنى ان تنسيق السياسة الخارجية لالمانيا الغربية واسرائيل يمضى خطوات ابعد .

■ **تبنت المانيا الغربية بصورة مباشرة واكثر وضوحا من ذى قبل مشروع ضم اسرائيل — عضوا منتسبا — الى السوق الاوروبية المشتركة** (والواقع ان برانت يتبنى هذا المشروع بالتحديد منذ نوفمبر ١٩٦٧) .

ويرى المراقبون ان هذه الملامح الثلاثة ليست سوى مؤشرات تنقصها التفاصيل ، وان تطور الاحداث فى المستقبل كفيل بأن يوضح كل ابعاد الصورة .

●

■ اثيوبيا

تحرك من أجل المصالحة ..

أنهى مؤتمر القمة الافريقى **فى اديس ابابا** ، أعماله فى ٣٠ مايو الماضى ، دون أن تتحقق توقعات — أو آمال — بعض المعلقين الغربيين والاسرائيليين ، بتصدع كيان منظمة الوحدة الافريقية . وكانت مبررات توقعاتهم — أو آمالهم — هذه تستند الى عدد من الخلافات المتفجرة التى طرحت نفسها أمام المؤتمر ، والتى تابعها الرأى العام الافريقى باهتمام واضح .

فقبل انعقاد المؤتمر — وأثنائه — تقدمت **ليبيا** بمذكرة تطالب فيها ، بعد أن ذكرت أعضاء المؤتمر بأوجه المقارنة بين مواقف المساندة التى تقفها الدول العربية من قضايا تحرير القارة وتطورها ، وبين مواقف « بعض دول القارة من الكيان الصهيونى » ولذلك طالبت بمقاطعة جماعية افريقية للعلاقات الدبلوماسية بأسرائيل، وبنقل مقر المنظمة من اديس أبابا الى **القاهرة** . هذا بالاضافة الى المشاكل المتفجرة بين **أوغندا — تنزانيا ، اثيوبيا — الصومال ، بوروندى — رواندا** » بسبب ما أصبح يسمى « **بمشاكل الحدود** » .

على أن عددا من المهتمين بالشئون الافريقية ودوائر منظمة الوحدة نفسها ، كانت تتوقع أن

يهتم المؤتمر بضرورة تحديد تصور عام لدور ومهام المنظمة في العقد الثاني وطبيعة بعض المهام التى طرحتها على نفسها من قبل ولم تتمكن ، لاكثر من اعتبار ــ من انجازها . ومن هذه الزاوية يتحدث بعض المهتمين عما أسموه « ببعض جوانب القصور » .

ومن الملاحظ ، أن عددا من المعلقين السياسيين الغربيين والاسرائيليين ، كانوا يحرصون ــ قبل انعقاد المؤتمر ــ الى الترويج لشعار « ضرورة أن يناقش المؤتمر القضايا الافريقية فقط » . وكان هدفهم من وراء ذلك ، هو استبعاد ــ أو على الاقل التقليل من أهمية ــ مناقشة مشكلة الشرق الاوسط . وكان هؤلاء المعلقون يضعون فى اعتبارهم ــ فى هذا الصدد ــ اتجاه الاحداث فى الشهور القليلة السابقة على انعقاد المؤتمر . وأبرزها اقدام ٦ دول افريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل .

ويرى المراقبون الافريقيون ، أن مشكلة الشرق الاوسط ، كانت تطرح نفسها بالحاح ، لا باعتبارها قضية تهم الدول العربية الاعضاء فى المنظمة فحسب ، بل ولانها « تمس أمن القارة واستقلالها » . وقد دفع ذلك بعض المعلقين الوطنيين فى افريقيا الى الكتابة فى المشكلة بمفهوم « **مشكلة شمال شرق افريقيا** » .

وقد أصدر المؤتمر قرارا هاما بشأن الشرق الاوسط عبر فيه رؤساء الدول الافريقية عن قلقهم البالغ بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلى «للاراضى العربية» وأضاف أنه « يندد بشدة بموقف اسرائيل السلبى وأعمالها الارهابية وعرقلتها للجهود الرامية للتوصل الى ايجاد حل عادل ومنصف للمشكلة وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » وطالب « مرة أخرى بالانسحاب الفورى غير المشروط للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضى الافريقية والعربية المحتلة » وأعلن المؤتمر « **ان موقف اسرائيل قد يدفع الدول الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية الى أن تتخذ على المستوى الافريقى بصورة فردية أو جماعية تدابير سياسية واقتصادية ضد اسرائيل تمشيا مع المبادىء الواردة فى ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة** » . وعين المؤتمر وزراء خارجية **نيجيريا وتشاد وتنزانيا وغينيا والجزائر** « ليتحدثوا فى هذه المسألة أمام مجلس الامن نيابة عن المنظمة » . ويعتبر المراقبون قرار المنظمة هذا ، « خطوة متقدمة بوصوله الى صيغة اتفاق تتضمن تهديد اسرائيل بالعقوبة » .

وعلى الرغم من محاولة الصحف الاسرائيلية الظهور بمظهر الاعصاب الهادئة بشان هذا القرار ، الا أن اذاعة اسرائيل لم تخف أن القرار « تحذير لا يمكن تجاهله » ويعتقد المراقبون بأهمية تخطى المنظمة ــ فى هذا المجال ــ توقعات المعلقين الاسرائيليين والغربيين وآمالهم ، حيث امكن تهدئة الموقف رغم حدة المناقشات بين المندوبين الليبى والاثيوبى . ويذكر الصحفيون الذين حضروا المؤتمر ان الجهد العربى الذى بذله الرؤساء **أنور السادات وهوارى بومدين وجعفر نميرى** قد حقق نتائجه .

ومن الجدير بالذكر ، أن المؤتمر الذى كان يمكن أن ينشغل فى اطار « الاحتفالات » ، ساده جو من العمل المرهق ، نظرا للمشاكل التى مازالت تعانى منها القارة ، سواء فى مجال التحرر الوطنى أو فى مجال الخلافات الثنائية . فبرغم مرور ١٠ سنوات على حياة المنظمة الا أن عددا من الدول الافريقية وخاصة في جنوب القارة ، مازال خاضعا للنظم الاستعمارية والعنصرية ، كما أن مشاكل عدم التوصل الى تعاون واسع فى المجال الاقتصادى عاقت اتخاذ موقف موحد يحقق مصالح دول القارة ، بشأن التجارة فى المواد الخام ، وعدم ارتفاع أسعارها بالقدر المماثل لارتفاع أسعار السلع المصنعة . وقد اتخذ المؤتمر قرارا بادانة سياسة بعض الدول فى حلف الاطلنطى لتقديمها مساعدات عسكرية الى انظمة حكم الاقليات ، وأكد من جديد مساندته ودعمه لحركات الكفاح الوطنى المسلح من أجل الاستقلال وضد النظم العنصرية .

أما فى المجال الاقتصادى ، فقد أصدر المؤتمر ميثاقا اقتصاديا تناول قضايا التعاون الاقتصادى بين دول القارة باعتباره « الطريق الوحيد للوحدة » . وهى القضايا التى تأخذ اهتماما كافيا خلال السنوات العشر الماضية ، بسبب كثرة المشاكل السياسية . ويستهدف الميثاق الاقتصادى دعم موقف الدول الافريقية خلال مفاوضاتها القادمة حول العلاقات التجارية مع السوق الاوربية المشتركة .

أما بخصوص المشاكل الثنائية ، فقد فوجىء المؤتمر « بالروح الودية » التى أظهرها الرئيس **عيدى أمين** تجاه الرئيس التنزانى **جوليوس نيريرى** ، والتى أدت الى تصفية كثير من حالة التوتر التى سادت علاقات البلدين ، منذ تولى عيدى أمين السلطة . وجدير بالذكر هنا ، أن عيدى أمين قد حرص ، قبل عملية التهدئة هذه ، على الاشادة بالدور البارز الذى لعبة نيريرى فى مجال

الوحدة الافريقية ، بل وأشاد بدور الرئيس الاوغندى السابق ميلتون اوبوتى الذى يقيم الان فى تنزانيا .

كذلك تمكن المؤتمر من تخطى المشكلة الحادة التى اثيرت بين اثيوبيا والصومال بسبب منطقة « اوجادين » التى تعتبرها الصومال « قضية وطنية » ينبغى حلها باستعادة الصومال لها . وشكل المؤتمر بعد أن وجه نداء الى الرئيس الصومالى محمد زياد برى لحضور المؤتمر وحضره ، شكل لجنة لمناقشة الموضوع ، وعرض نتائج أعمالها على مؤتمر القمة القادم الذى قرر المؤتمر عقده فى مقديشيو (عاصمة الصومال) فى يونيو ١٩٧٤ . كما أحال المؤتمر الى لجنة أخرى ، مناقشة مشكلة الحدود بين بوروندى ورواندا . وبهذا يميل بعض المراقبين الى القول بأن كثيرا من نتائج هذا المؤتمر كانت تأكيدا جديدا على قدرة المنظمة على القيام بدور فعال فى مجال « الوساطة » و « المصالحة » .

●

■ ايطاليا

الفاشيون الجدد ومستقبل أحلامهم

أحداث العنف التى تقع فى المدن الايطالية كل يوم ، ونراها على الصفحات الاولى من الصحف الاوربية أصبحت تثير قلق الرأى العام الايطالى والاوربى . فأصوات انفجارات القنابل . واضرابات الطلبة والشباب ، والسطو على القطارات ، وحوادث الاغتيال اصبحت من الامور التى اعتاد القارىء عليها . وتحولت بذلك المدن الايطالية الهادئة الى أعنف بلدان اوربا الغربية وأكثرها تمزقا ورعبا ، وآخر هذه الحوادث وقع منذ أيام فى مدينة ميلانو ، فقد انفجرت قنبلة فى أحد شوارع المدينة قتلت امرأة وجرحت ثمانية أشخاص حالة أربعة منهم خطيرة .. والغريب أن هذه الحوادث الدموية ــ كما أكدت أجهزة الامن هناك .. تحمل توقيعا اسود واحدا وهو : « الحركة الاجتماعية الايطالية » أى الحزب الفاشى بزعامة جورجيو الميرانتى .

وهذا الزعيم الحزبى ، الذى يتحدث فى كل مناسبة بفخر شديد عن تعاونه مع التيار الفاشى أيام موسولينى ، يذهب الى رفض صفة « الفاشية الجديدة » التى تطلق على حزبه ، فقد صرح فى آخر مؤتمر صحفى له قائلا : « لسنا بفاشيين جدد ، نحن فاشيون ، و " باستا " » « أى وكفى ! » .

واذا كان جورجيو الميرانتى واحدا من القادة الفاشيين الذين ظهروا بالعشرات فى مدن ايطاليا وألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، ويشاركهم أحلامهم العقيمة ، الا أنه يختلف عنهم باعتماده على قاعدة واسعة من الشباب المسلحين ، والمصممين على خوض المعارك من أجل الاستيلاء على السلطة . فقد بلغ عدد أعضاء الحزب الفاشى الجديد ربعمائة ألف عضو فى سجلاته الرسمية ، وصوت له فى آخر انتخابات نيابية جرت فى ايطاليا العام الماضى ثلاثة ملايين ناخب . وهو يصدر عددا من الصحف ، ويجد صدى لافكاره حتى فى أشهر صحف ايطاليا ، وأكثرها رواجا . وللحزب أيضا نوابه ومنظماته الخاصة بالشباب . وأخذ يمتد نشاطه فى الحياة السياسية الايطالية معتمدا على التأييد الخارجى ، وخاصة من الانظمة الاسبانية والبرتغالية واليونانية . وتهدف « الحركة الاجتماعية الايطالية » تحت شعار « النظام الجديد » الى الغاء كل دور سياسى لقوى اليسار فى ايطاليا ، عن طريق الاحتواء التدريجى لقوى الوسط ، وتحصل على مساعدات مالية ضخمة من أصحاب الاحتكارات الكبرى فى ايطاليا ، ولكنها لم تحقق اجماع أقطاب الصناعة الايطالية حول شعاراتها .

وقاعدة الحزب الفاشى الجديد ، هم تلك الاعداد الهائلة من قطاعات من العاطلين ذوى الوعى الاجتماعى المشوه ومن البعيدين تماما عن النقابات العمالية . وهذه القطاعات تقف ــ فى كثير من الاحيان ــ المواقف التى تفصلها عن العمال المنظمين فى نقاباتهم . ومن ثم فانتسابها السياسى الى الطبقة العاملة ضعيف .

ومن ثم فقد انضموا الى هذا الحزب على أمل أن يحقق لهم حياة أفضل بعد أن فقدوا كل أمل فى النظام القائم ، كما يعتمد الحزب فى عضويته على بعض الشباب المثقف من حملة الشهادات الذين تخرجوا حديثا من الجامعة ، ولم يجدوا العمل المناسب الذى يرضى طموحهم . واستغل الفاشيون الانهيار الاقتصادى والسياسى فى البلاد لاثارة نقمة هذه الفئات من الشعب وعبأتهم لمصلحتها فى حرب ضد النظام القائم .

وساعد على انتشار الافكار الفاشية ، وتزايد هذه الاضطرابات فى الفترة الاخيرة العجز الواضح للحكومة فى مواجهة هذه الاضطرابات الامر الذى أصبح يهدد استمرارها فى حكم البلاد . فالحكومة الايطالية الحالية المشكلة من

الحزب الديمقراطى المسيحى والحزب الليبرالى والحزب الاشتراكى الديمقراط تجد صعوبات حقيقية فى الاستمرار ، فى حكم البلاد ، من خلال صيغة اليمين الوسط وذلك نظرا لصعوبة حصولها على أكثرية فى البرلمان حول عدة مشاريع قوانين ، خصوصا فيما يتعلق بالخط الاقتصادى المقترح للخروج من الازمة التى تعانى منها البلاد لمحاولة علاج البطالة التى بلغ ضحاياها مليون شاب . ثم تأتى بعد ذلك مشكلة ارتفاع الاسعار المستمر ، ثم القلق من تدهور الليرة الايطالية ، وتزايد الاضرابات التى تشل مرافق كثيرة فى البلاد . ويزيد الامر خطورة أعمال العنف التى تزايدت هذه الايام . ويعترف سكرتير الحزب الاشتراكى بعجز الحكومة عن مواجهة هذه الاعمال بقوله : « ان **التيار الفاشى ليس سببا فى الأزمة الايطالية بل نتيجة لها** » .

■ **الارجنتين**

البيرونية :

من الخمسينات الى السبعينات

أكدت رويتر ووكالة الانباء الفرنسية ،ان خلافا نشب بين **بيرون وهكتور كامبورا** الرئيس الجديد للارجنتين ، تجلت دلائله فى أن بيرون لم يحضر حفل الاستقبال الذى اقامه الجنرال **فرانكو** تكريما لكامبورا بمناسبة زيارته لاسبانيا ، كما أنه لم يكن بين مستقبليه عند وصوله ، رغم أن كامبورا جاء خصيصا لاصطحاب بيرون فى عودته « الظافرة » الى بلاده .

وفسرت الوكالتان هذا بأن **بيرون** لم يعد قانعا بشعار « السلطة لبيرون والحكم لكامبورا » ،وتلك بداية الخلافات على القمة . أما فى القاعدة ، فالشباب البيرونى يطالب باتجاه اشتراكى واضح ومحدد ، ويرفض التخلى عن تنظيماته المسلحة ، ويطلب المزيد من الاجراءات الديمقراطية والاجتماعية ، رغم أن كامبورا حقق خطوات كبيرة فى الفترة القصيرة التى انقضت منذ تنصيبه فى ٢٥ مايو الماضى . ففى يوم ٢٦ مايو — أى اليوم التالى — أصدر قرارا بالعفو عن المسجونين والمعتقلين السياسيين .

وبعد تنصيبه بثلاثة ايام ، وقع مرسوما بالغاء القوانين المقيدةللحريات ومنهاالقانون رقم١٧٤٠١ الخاص بتحريم الشيوعية ، وبعض الاجراءات الاخرى التى تعد — فى نظر الحكومة الجديدة — « اجراءات قمعية » . كما تضمن المرسوم الغاء « المحكمة الخاصة بالاعمال التخريبية — التى كانت الحكومة العسكرية السابقة قد شكلتها لضرب معارضيها . كما أمر الرئيس الجديد بتدمير ملفات البوليس السياسى عن "المناضلين التقدميين والديمقراطيين .

وفى حفل تنصيبه القى كلمة تعهد فيها بانهاء نهب الاجانب لثروات البلاد ، واجراء اصلاحات اقتصادية بعيدة المدى ، واضفاء الشرعية على الاحزاب المعارضة ، واعادة العلاقات مع الدول الاشتراكية . وبالفعل اعاد العلاقات مع كوبا ، بل ان رئيسها **دورتيكوس** حضر احتفالات التنصيب ، حتى قبل اعادة العلاقات بين البلدين ، واشترك معه فى هذا الرئيس **الليندى** رئيس شيلى ، **ووليام روجرز** وزير الخارجية الامريكى الذى استقبل بفتور كبير من الرسميين . أما المواطنون ، فقد حيوا روجرز بالقاء الاحجار على شيراتون وتحطيم واجهته للتعبير عن تقديرهم لامريكا .

ورغم هذه الاجراءات والتصريحات ، فان الجماعات الثورية العسكرية مثل جيش الشعب الثورى ، والقوات المسلحة الثورية ، والقوات المسلحة البيرونية ، أعلنت أنها « ستواصل العمل ضد العسكريين والرأسماليين المحليين والاجانب » ، وحذرت من المهادنة مع الاوليجاركية ورأس المال الكبير والعسكريين ، بل وذهبت بعض جماعاتها الى تأكيد « أن الحكومة الجديدة لا تستطيع ولا تريد — بحكم تركيبها ووسائلها — قيادة وتوجيه سياسة النضال الثورى للطبقة العاملة والشعب العامل الذى سيواصل نضاله » . وقالت ، انها لن تهاجم الحكومة ،ما لم تهاجم هذه الشعب ، وتحاول قمع فرق حرب العصابات . وأكدت انها ستستمر فى كراهية المشروعات الاستغلالية الاجنبية والمحلية والقوى المضادة وستصر على تأميم المشروعات الامريكية والاوربية ، واجراء اصلاح زراعى حقيقى . وحتى الان ، لم يتعرض الرئيس الجديد للحركات الثورية مباشرة ، وان كان المجلس الاعلى للحركة العدلية — حزب الرئيس الجديد — وقد اعلن فى ٢ يونيو الماضى ، انه يعرف أين تكمن الاوليجاركية والامبريالية ، وانه مصمم على أخذ السلطة ، ولكن هذا يقتضى النظام والانضباط . كما **أعلن كامبورا** «انقواعد اللعبة قدأصبحت واضحة ، لقدصوتنا منأجلأسلوب للديمقراطية،ولكى يتمتع الجميعبأكبر قدر من الحرية ، وتخلينا عن جهاز القمع . ومن ثم على الجميع ان يتصرفوا علانية » .

ومعذلك ،فانهذهالتصريحات لاترضىالجماعات الثورية ، ومنها الاجنحة اليسارية من الحركة

البيرونية ، نفسها ، خاصة فصائلها المسلحة ، وتنظيمات الشباب فيها . الامر الذى جعل بيرون يدعو من منفاه الى السيطرة على حركة الشباب ومنع التطرف . كما تحرك الاتحاد العام للعمال ـ بقيادته الحالية القوة الاساسية للبيرونية ـ وعقد مؤتمرا غير عادى ، رفع فيه بعض قادته شعار « لا اليانكي ولا الماركسية ، وانما البيرونية » . ومما يزيد من قلق الجماعات الثورية حديث كامبورا عن اتاحة الفرصة لرأس المال المحلى ، والرقابة على رأس المال الاجنبى وليس الغائه ، وتعيين رئيس الاتحاد الاقتصادى الوطنى (تنظيم أرباب الاعمال) وزيرا للمالية ، وهو يهودى مهاجر ممن يقولون عنهم انهم « عصاميون » تمكن من تحقيق ثروات هائلة ويدعو الى اعطاء الفرصة لرأس المال المحلى . وبالفعل فلقد اعتدلت الاوضاع فى البورصة بعد تنصيب الرئيس الجديد ، بل لقد أكدت صحيفة « **الكرونستا كومرسيال** » ان التفاؤل أصبح مسيطرا عليها ، وأن أرباب الاعمال يقبلون كثيرا من جوانب البيرونية ، وكان اتحاد أرباب الاعمال ، قد أعد برنامجا « للاصلاح الاقتصادى » ناقشه قبل الانتخابات مع ممثلى الاحزاب الرئيسية ـ خاصة البيرونيين . وأعلن المتحدث باسمه : « ان شعبنا يشترك فى الثروة اقل فأقل ، ولا يمكن أن ننتظر منه مزيدا من التضحيات » . ومما يؤكد التوتر بين الحكومة الجديدة والجماعات الثورية ، أن القوات المسلحة البيرونية قتلت احد قادة اتحاد العمال ـ وهو سكرتير عام نقابة صناعة السيارات ، وقالت أنه فى خدمة المخابرات الامريكية .

ويرى بعض المراقبين أن بيرونية الخمسينات ـ وهى نموذج للاصلاحية وفكرية البرجوازية الصغيرة تجد صعوبة الان ، اى فى السبعينات . ذلك أن محاولتها الابقاء على الاوضاع على ماهى عليه ـ أى ترك الملكية الخاصة للبرجوازية الكبيرة وكبار ملاك الارض « وتقييد » رأس المال الاجنبى وليس الغائه ـ لا يمكن أن تستمر طويلا ، لانها لا تقدم حلا للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية القائمة بل هى لا ترضى المستفيدين منها . وقد تبين بيرون عند عودته فى أكتوبر الماضى ، أن الشباب البيرونى نفسه ، يأمل فى نظام اشتراكى ثورى ، ومن ثم تعددت تصريحاته عن الاحتكارات ، ومعاداة الشركات متعددة القوميات ، ومناهضة الدكتاتورية ، ولكن هذه التصريحات ، خفت ـ أخيرا ـ وحل محلها الدعوة الى النظام . والواقع أن النظام البيرونى السابق تشكل فى اطار اقتصادى واجتماعى معين ـ عقب الحرب العالمية الثانية ـ تميز بالازدهار الاقتصادى النسبى على أساس التوسع فى تصدير اللحوم والحبوب وتراكم الارصدة من العملات الاجنبية ، وبدء عمليات التصنيع ، وتدفق الالوف من سكان الريف الى المدن . وقد اعتمد بيرون كثيرا على هؤلاء بكل ماكانوا يتميزون به من نقص فى الوعى الاجتماعى ولم يحاول المساس بأسس النظام القائم ـ حينذاك ـ على سيطرة أصحاب اللاتفونديات (الاقطاعيات الشاسعة) والبرجوازية الكبيرة التى سكتت على النظام ، لاعتقادها ـ أن طابعه الاصلاحى يطمس وعى الجماهير .

ولكن ازاء اشتداد المشاكل الاقتصادية ، وشيوع التناقضات داخل الحركة البيرونية قرروا الاطاحة به ، وسهل لهم هذا ان النظام لم يحدث تحويلات هيكلية تسد الطريق على الثورة المضادة .

غير ان البيرونية تعود اليوم فى ظروف مختلفة . ففى فترة حكم بيرون السابقة ، كان الدولار يساوى ١٦ بيزو ، أما اليوم فيساوى ١١٠٠ بيزو . كما يزداد عبء الضرائب فقد ارتفعت هذه من ٦٫٥٨ مليون دولار فى ٧٠ الى ١١١١١ مليون فى ١٩٧٢ ، فى حين تزايد الانفاق الحكومى من ٨١٤٨ مليون الى ٢٠١٦٣ مليون ، وبين ١٩٦٠ و١٩٧٣ زادت نفقات المعيشة حوالى عشرين مرة ، فى حين انخفضت الاجور حتى اصبحت فى ١٩٧٣ تقل بنسبة ٨٫٧ فى المائة عنها فى ١٩٥٤ . هذا فى الوقت الذى تنامى فيه الوعى الاجتماعى ، خاصة بين الشباب ، بل لقد وصل هذا الوعى الى قمس الكنيسة .

من هنا ، فان التحديات التى تواجهها الحكومة الجديدة تكمن فى المجال الاقتصادى ، وهذا ما ترقبه الطبقة العاملة والجماعات الثورية ، بل ان العسكريين يعتمدون عليه اذا أرادوا أن يعودوا من جديد . والسؤال هو : هل سيستطيع قادة البيرونية الاستجابة للظروف الجديدة ومسايرة مطالب القواعد الشعبية لحركتهم ـ واجراء التحولات الاجتماعية والاقتصادية الاساسية التى تحول دون اقصائهم مرة أخرى ؟

ان الطريق الى هذا ، لا يمر أبدا بمهادنة الطبقات الرجعية المحلية المتعاونة مع الامبريالية والمسيطرة اقتصاديا . لاسيما بعد أن أعلنت الجماعات الثورية أنها سوف تقف بالمرصاد لاى محاولة من هذا النوع .

■ الولايات المتحدة الامريكية

خطوات جديدة للتعاون الدولى

يجمع المراقبون السياسيون فى مختلف البلدان على ان محادثات القمة السوفيتية الامريكية التى جرت فى واشنطن بين الزعيمين **ليونيد بريجنيف وريتشارد نيكسون** تعتبر اسهاما جديدا فى تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة وفى زيادة الانفراج والتعاون الدولى .

وكان ليونيد بريجنيف قد وصل الى واشنطن فى ١٦ يونيو فى زيارة للولايات المتحدة بناء على دعوة الرئيس نيكسون ، لمواصلة الحوار الذى بداه الزعيمان فى موسكو فى مايو ١٩٧٢ . وعند وصوله الى الولايات المتحدة صرح بريجنيف : « بأن محادثات القمة التى بدأت فى موسكو فى العام الماضى قد وضعت اساسا طيبا للعلاقات السلمية بين البلدين . ونحن نعتبر زيارتنا للولايات المتحدة ومحادثاتنا مع الرئيس نيكسون تعبيرا عن تصميمنا المشترك على اتخاذ المزيد من الخطوات فى العمل الذى بدأناه سويا » .

وجاءت الزيارة ، فحققت توقعات بريجنيف . فخلال المحادثات استعرض الزعيمان ما تم انجازه على طريق انفراج العلاقات والتعاون بينهما خلال الفترة التى انقضت منذ مايو ١٩٧٢ . واعلنا ارتياحهما الى النتائج التى تم تحقيقها فى هذا المضمار . وكشفت لهما تجربة التعاون — خلال العام الماضى — عن اهمية اتخاذ خطوات جديدة فى نفس الاتجاه . وكللت جهود البلدين بتوقيع عدد من الاتفاقيات الهامة التى تفتح آفاقا أرحب للتعاون السوفيتى الامريكى . وقد اشارت **واشنطن بوست** الى « أن الاتفاقيات التى تم توقيعها فى واشنطن ، تخدم تدعيم وتوسيع العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة . » وواصل الزعيمان حوارهما الذى بدأ — منذ عام مضى — حول القضايا الهامة فى العلاقات الدولية والتى تؤثر على مصالح الدولتين ومصالح كل البشرية ، وامكنهما التوصل الى اتفاق فى وجهات النظر حول بعض القضايا المتعلقة بالوضع الدولى وتدعيم السلام فى العالم .

وتم التوصل الى عدد من الاتفاقيات لتوسيع التعاون بين البلدين فى مجال الصلات والتبادل ، والنقل ، والزراعة ، واستكشاف المحيطات .

ولقد بدأ التعاون فى مجال الصلات والتبادل بين البلدين منذ عام ١٩٥٨ . غير ان الاتفاقية الجديدة اتفاقية طويلة المدى سيسرى مفعولها حتى ١٩٧٩ ، تمشيا مع رغبة البلدين فى التعاون على مدى طويل ، ولكى تكون متسقة مع الاتفاقيات التى تم التوصل اليها فى المجالات الاخرى . لقد وضعت الاتفاقية الاخيرة اسس التعاون — فى هذا المجال — انطلاقا من مبادىء المساواة والمنفعة المتبادلة . كما تتفق الاجراءات التى ترتبط بها مع الدساتير واللوائح والقوانين فى كلا البلدين .

وتستهدف اتفاقية الصلات والتبادل ، تطوير العلاقات الشاملة بين البلدين ، واضعة فى اعتبارها الاتفاقيات السبع للتعاون فى مختلف المجالات التى وقعت فى موسكو ، فى مايو الماضى فى واشنطن اخيرا . وتنص الاتفاقية الجديدة على اجراءات توسيع وتسهيل الصلات ، والتبادل والتعاون فى مجال العلوم والتعليم والفن والافلام والراديو والتليفزيون وتبادل الكتب العلمية والثقافية والمعارض والسياحة وتبادل الوفود والمطبوعات والوثائق . وقد اشار **ستيفنز** المسئول بوزارة الخارجية الامريكية عن التبادل مع الاتحاد السوفيتى ، الى ان الاتفاقية الجديدة تتيح فرصا اكبر للتبادل كما توسعه عن ذى قبل ، مما يؤدى الى زيادة التفاهم المتبادل واطراد تحسين العلاقات بين البلدين .

وجاءت اتفاقية التعاون فى مجال النقل نتيجة لتوسيع التعاون العلمى والتكنيكى بين البلدين ، خلال الفترة الاخيرة ، حيث نشأت مشاكل متعلقة بالنقل وبتكرار الجهود من اجل حل تلك المشاكل . ومن اجل تبادل المعلومات والاخصائيين وتطوير التنفيذ المشترك للمشاريع الخاصة بالنقل البرى والبحرى والجوى بحيث يمكن الاستفادة من خبرة كل من البلدين ، ومن تعاونهما المشترك . وتستهدف الاتفاقية الاخيرة فى هذا المجال توفير الجهود القوية عن طريق التعاون وتبادل الخبرات والمعلومات .

اما الاتفاقية الخاصة باستكشاف المحيطات فقد كانت ثمرة للتعاون المشترك بين المختصين فى البلدين ، والذى بدأ عام ١٩٥٨ . ويجرى الان توسيع ذلك التعاون الذى ستوضع نتائجه تحت تصرف كل البلدان ليكون ذا فائدة للبشرية بأسرها .

وتعالج الاتفاقية الرابعة الخاصة بالزراعة توسيع التعاون فى مجال الزراعة وتربية الماشية وتبادل الخبرات فى مجالات الرى وحفظ التربة واستصلاح الاراضى وغيرها من المجالات .

وبفضل الجهود المشتركة التى بذلت خلال العام الماضى ، أمكن التوصل فى اجتماع القمة فى

واشنطن الى اتفاقيات جديدة نحو حل القضايا المتعلقة بالسلام والامن الدولى واهمها القضايا المتعلقة بنزع السلاح .

وتوصل الطرفان ، الى اتفاقية حول التعاون العلمى والتكنيكى فى مجال الاستخدام السلمى للطاقة الذرية . وتهدف تلك الاتفاقية الى زيادة التعاون فى هذا المجال لصالح الشعبين ولصالح كل البشرية . وسيوسع البلدان نتيجة لهذا الاتفاق من تعاونهما فى مجال الابحاث وتطوير واستخدام الطاقة الذرية ، بهدف تطوير موارد الطاقة . وسوف تنشأ لجنة مشتركة للتعاون فى مجال الاستخدام السلمى للطاقة الذرية .

ووقع الزعيمان وثيقة خاصة بالمبادىء الاساسية لمفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية . وأكد الجانبان ان مزيدا من العمل فى هذا المجال سيكون اسهاما هاما فى الحد من خطر اندلاع حرب نووية وتدعيم السلام العالمى .

واتفق الطرفان على ان يبذلا خلال العام القادم جهودا من اجل التوصل الى اتفاق دائم حول اجراءات الحد من الاسلحة الاستراتيجية للتوقيع عليه عام ١٩٧٤ .

كما وقع الزعيمان اتفاقية خاصة بتجنب نشوب الحرب النووية والازمات العسكرية التى قد تؤدى الى صدام بينهما . واشارت الاتفاقية الى تعهد كل من الدولتين بالامتناع عن استخدام القوة او التهديد باستخدامها فى اى ظرف كان ، ومحاولة اجراء مشاورات بين الطرفين فى حالة وجود اى خطر من هذا القبيل .

« ان محادثات القمة السوفيتية الامريكية فى واشنطن وما سيترتب عليها من نتائج ستساعد ، كما يقول **رئيس الجمعية الوطنية** فى تانزانيا ، على تخفيف حدة التوتر وابعاد خطر حرب عالمية جديدة » . وشعوب افريقيا التى لها مصلحة حيوية فى السلام تشعر بالارتياح ازاء هذه المحادثات . ففى ظل الامن الدولى وحده سيكون لدى دول افريقيا الفتية امكانية لتدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى وتقدمها »

ويشير المراقبون السياسيون الى ان المحادثات ستفتح آفاقا رحبة امام تطور العلاقات الدولية فى اتجاه امن وسلام كل البلدان ، وهذا يتوقف على مدى قدرة البلد المعنى من تطويع العلاقات الدولية الجديدة لخدمة اهدافه الوطنية والقومية. وقد اشار بريجنيف الى ذلك فقال : « اذا كنا نبنى بالجهود المشتركة صرحا جديدا من العلاقات السلمية فاننا لا ننوى على الاطلاق تحويله الى صرح منعزل عن العالم الخارجى . اننا نريد ان يكون هذا الصرح الرحب مفتوحا لكل من يعمل على تعزيز سلام وسعادة البشر » .●

■ **الكوميكون**

منجـــزات عامين من برنامج التكـــامل الاقتصـــــــادى

فى الوقت الذى تتوالى فيه الازمات النقدية على « النظام النقدى العالمى » للغـــرب كله ، وبينما تاخـــذ قيمة الدولار الامريكى فى التدهور تحت ضغوط المضاربات فى أسواق الذهب ، وفى أسواق الاوراق المالية فى العالم الغربى ،تتمتع مجموعة الدول الاشتراكية باستقرار كبير فى نظامها النقدى . سواء فى ذلك احوالها النقدية الداخلية ــ كل على حـــدة ــ أو فى علاقاتها النقدية المشتركة .

ولا شك أن الوضع النقدى ــ ســـواء فى الغرب أو فى الشرق ــ هو **انعكاس للاوضاع الاقتصادية العامة ولطبيعـــة العلاقات المـــالية والنقدية** فى ظل النظامين العالميين المختلفين .

ومن هنا تكتسب أهمية كبيرة عملية القـــاء الضوء على **الدورة السابعة والعشرين لمجلس العون الاقتصادى المتبادل [« السيميا » ــ أو « الكوميكون » كما يسمونه فى الغـــرب] وهو** الهيئة الاقتصادية التى يتم فى اطارها تنســـيق الانشطة الاقتصادية والمالية والتجارية والنقدية لمجموعة الدول الاشتراكية فيما بينها ، وايضا بينها وبين دول العالم الاخرى ، وخاصة الدول النامية التى تربطها علاقات تعاون ومســـاعدة وثيقة مع العالم الاشتراكى .

وقد عقدت هـــذه الدورة ــ على مـــستوى رؤساء الحـــكومات فى براج بين ٥ و ٨ يونيو الماضى ، ونوقشت خلالها ــ بصورة شاملة ــ المسائل المتعلقة بتنفيذ **البرنامج الشامل لتحقيق مزيد من التوسع وتحسين التعاون والتنميـــة للتكامل الاقتصادى الاشتراكى بين دول المجلس.**

ويمكن القول بأن هذا البرنامج يلقى اهتماما كبيرا على المستوى العـــالمى ، وليس داخـــل مجلس العون الاقتصادى المتبادل وحده ، لانه يشكل تجربة جديدة فى العمل الجماعى للدول الاشتراكية ، ومرحلة عليا فى تقسيم العمـــل الاشتراكى بين هذه الدول فى مرحلة هامة مـــن تطورها الاقتصادى والتكنولوجى .

وقد حـــددت دول المجلـــس ــ فى الدورة الاخيرة ــ هدف التعاون بينها فى اطار برنامج التكامل بأنه « **ضرورة تطوير التعاون الاقتصادى بين دول المجلس نحو أقصى استفادة من امكانيات التكامل الاقتصادى الاشتراكى ، على أساس أن**

هذا يضمن المزيد من تقوية الامكانيات الاقتصادية والعلمية والتكنيكية والقدرة الدفاعية للدول أعضاء المجلس » .

والواقع أنه منذ بدء تنفيذ برنامج التكامل الاقتصادى الاشتراكى حققت مجموعة الدول الاشتراكية نتائج ومنجزات هامة . لقد انتقلت من مشروعات خطط التنمية الاقتصادية الخمسية الى خطط التنمية الخمسية المنسقة ، مع تطبيق نتائج المشاورات حول المشكلات الرئيسية الاقتصادية والعلمية والتكنيكية ، كل هذا ــ فى نسيج واحد ــ مع خطط التنمية الطويلة الاجل .

وقد كشفت الدورة السابعة والعشرون للمجلس ــ بما أذيع خلال مناقشاتها وفي بيانها الختامى ــ عن جوانب تفصيلية عديدة عن منجزات مجموعة الدول الاشتراكية فى اطار هذا البرنامج الشامل الهام . ومن أبرز ما كشفه بيان الدورة أن الدخل القومى الاجمالى للدول الاعضاء ككل زاد **خلال عام ١٩٧٢ بنسبة ٦ر١١٪ بالمقارنة بما كان عليه عام ١٩٧٠ ، كما زاد الانتاج الصناعى ــ فى هذه الدول ــ بنسبة تفوق ١٥٪ مقابل نسبة زيادة الانتاج الصناعى فى دول الغرب الرأسمالية ككل التى بلغت خلال الفترة نفسها ٨ر٨٪ .**

وخلال عام ١٩٧٢ بلغت قيمةالتجارة الخارجية لدول المجموعة الاشتراكية مع العالم الخارجى ٤٠٠ر٦٨ مليون روبل بزيادة ٤ر١٠٪ ، بينما بلغت زيادة قيمة التجارة بين الدول الاشتراكية أعضاء المجلس فيما بينها ٢ر١٠٪ .

ومن أبرز الارقام التى تضمنها بيان الدورة الـ ٢٧ للمجلس أن حجم السلع المصنعة الاستهلاكية المتبادلة بين الدول الاعضاء ارتفع خلال ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ بنسبة ٥ر٢٦٪ مما عكس اهتمام دول المجموعة الاشتراكية بشكل خاص باشباع حاجات الجماهير وطلبها على السلع ذات الجودة العالية .

وفى المجال النقدى ، فان حجم التسويات المالية الاجمالية ــ التى قامت بها بنوك الدول الاعضاء فى المجلس ــ عن طريق الروبل القابل للتحويل [وهو العملة المشتركة التى تجرى بها المبادلات المالية بين الدول الاشتراكية] زاد بنسبة ١٠٪ عما كان عليه عام ١٩٧١ . وقد أكد البيان الختامى للدورة ، أن الدول الاعضاء ، وكذلك هيئات المجلس وأجهزته ، نفذت عددا من الاجراءات التى دعمت الاستقرار النقدى والعلاقات المالية بين الدول الاعضاء . وقد انعكس ذلك ، فى زيادة الحجم الكلى لعمليات التحويل النقدى مع بنوك الدول الاخرى ــ غير الاعضاء ــ بنسبة ٢ر١٥٪ فى عام ١٩٧٢ عما كانت عليه عام ١٩٧١ .

والواقع أن **دورة براغ** لم تقتصر على تقسيم نتائج ما تم تنفيذه من البرنامج الشامل للتكامل الاقتصادى الاشتراكى للمجموعة الاشتراكية ، بل انها تضمنت **مناقشات واجراءات لتحديد أساليب ازالة العقبات ، واتخاذ التدابير لزيادة امكانيات التعاون لصالح كل من البلدان الاشتراكية على حدة ، وتطور المجموعة ككل .**

وقد ظهرت ، فعلا ، مجالات جديدة لاهتمام المجلس خلال هذه الدورة ، وكان أبرزها **حماية البيئة** وتحسينها ، وما يتعلق بها من مسائل استغلال المصادر الطبيعية . وقد أوصت الدورة كل الدول الاعضاء بالاستمرار فى دعم التعاون على أوسع نطاق بينها وبين جميع الدول المعنية والمنظمات الدولية فيما يتعلق بمشكلات البيئة . وأصدرت دورة رؤساء الحكومات تعليماتها الى لجنة التعاون العلمى والفنى التابعة للمجلس بوضع وتنفيذ الاجراءات المتعلقة بالتعاون فى مجال حماية البيئة ، ومراعاة التنسيق مع الاجراءات المتبعة على المستوى الاوروبى ككل .

ان النجاح الذى تحقق والذى يمكن أن يتحقق مستقبلا لبرنامج التكامل الاقتصادى الاشتراكى لا ينفصل بأى حال عن **الموقف الدولى العام ، خاصة وقد أصبحت المنافسة الاقتصادية بين العالمين الاشتراكى والرأسمالى هما أبرز سماته** .. ولهذا فان هذا **البرنامج يمكن أن يعد الوسيلة الاساسية فى مواجهة تحدى المنافسة بين الاشتراكية والرأسمالية ، فمن خلاله يتم رسم صورة المستقبل الاقتصادى للعالم الاشتراكى على خلفية من سياسة التعايش السلمى التى يعززها العالم الاشتراكى بنجاح فى العالم وخاصة فى أوروبا .**

●

■ علوم :

ندوة السكان والتنمية

دراسات جادة عن مشكلة خطيرة

فى الندوة العالمية عن السكان والتنمية التى عقدت فى القاهرة من ٤ الى ١٤ يونيو الماضى والتى افتتحها **د . عبد القادر حاتم** نائب رئيس الوزراء لشئون الثقافة والاعلام ، أكد **بول بيروش** أستاذ التاريخ الاقتصادى بجامعة جنيف ، الارتباط الوثيق بين الزيادة الديمجرافية والتصنيع فى العالم الثالث . وأوضح أن نمو الطلب على

سلع التصنيع الناجم عن التزايد السكانى محدود ، لان عمليات التصنيع اعتمدت فى هذه البلدان ، أساسا على اسلوب احلال الواردات . وقال أنه رغم النمو السريع للصناعة (حوالى ٥ر٦ فى المائة سنويا) فانها لم تمتص الا جانبا محدودا من الفائض السكانى الزراعى . فقد زاد هذا الفائض بمقدار ٨١ مليون نسمة بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ ، امتصت الصناعة ١٠ فى المائة منها فحسب ، وفيما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ امتصت الصناعة ما بين ١٠ و ١٢ فى المائة من فائض السكان الزراعيين . فى حين أن نسبة الامتصاص فى أوربا وصلت فى العشرين سنة الاولى للتصنيع فيها (بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠) ما بين ٤٠ فى المائة ، و ١٠٠ فى المائة فى بعض البلدان ، أى بمتوسط قدره ٥٠ فى المائة . والفرق فى قدرة الصناعة على امتصاص الفائض الزراعى بين بلدان العالم الثالث وبين بلدان أوربا ، لا يرجع كما يقول بيروش ، الى ارتفاع معدل النمو والانتاجية فى البلدان الاخيرة عنها فى الاولى ، وانما يرجع الى ضخامة النمو الديمجرافى فى بلدان العالم الثالث ، الامر الذى يرفع الرقم المطلق للفائض السكانى .

ولقد ارتفع عدد السكان العاملين فى الصناعة فى العالم الثالث من ٣٢ مليونا فى ١٩٥٠ ، الى ٤٦ مليونا فى ١٩٦٠ ، الى ٦٧ مليونا فى ١٩٧٠ ، أى أنه ارتفع من ٦ر٧ فى المائة من مجموع العاملين فى ١٩٥٠ الى حوالى ١٠ فى المائة فى ١٩٧٠ ، والنسبة الاخيرة تعادل نسبة من كانوا يعملون فى الصناعة فى هذه البلدان فى ١٩٠٠ . وفى هذا يقول بيروش « من المستحيل تحليل مشاكل التصنيع فى العالم الثالث بصورة موضوعية ، دون التعرض لظاهرة الاستعمار التى مست معظم بلدانه واستمرت حتى سنوات ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ . فقد أدى افتقاد الاستقلال السياسى ، الى عدم اقامة حماية جمركية تمنع التوسع فى استيراد السلع المصنوعة . وفى الفترة من ١٩٠٠ ، حتى نهاية الحرب العالمية ، كانت الحماية الجمركية قوية للغاية فى الدول المتطورة ، وضعيفة جدا فى البلدان التى تسلك طريق التنمية . فقد بلغت الضرائب على الواردات المصنوعة فى البلاد المتطورة ـ وهى قادرة أصلا على مواجهة المنافسة ـ مابين ٢٠ و ٤٠ فى المائة ، فى حين لم تتجاوز فى بلدان العالم الثالث ٣ ـ ٦ فى المائة واستمرت عملية القضاء على التصنيع وتعويقه ، والتى تعرضت لها بلدان العالم الثالث ، فى القرن ١٩ حتى الخمسينات ، ومن جرائها انخفضت نسبة العاملين فى الصناعة من مجموع السكان المشتغلين من ٩ر٩ فى المائة فى ١٩٠٠ الى ٩ر٢ فى ١٩٣٠ الى ٧ر٣ فى المائة فى ١٩٥٠ » .

أما رينيه ديمون الخبير الزراعى الفرنسى المشهور ، بالمعهد الزراعى القومى فى باريس ، فيوضح فى بحثه للندوة أن سبعة مليارات نسمة ستمثل بالنسبة لمستقبل البشرية فى القرن الحالى أخطر تهديد وأشده ، وتعتبر نذيرا بكارثة يصعب تلافيها . ويقول أنه يتعين تخفيض معدل المواليد والتزايد السكانى فى البلاد المتطورة ـ قبل البلاد النامية ـ باعتبار أن الاولى هى المستهلك الاساسى للمواد الغذائية ، اذ ينفق ٢١٠ مواطنا فى الولايات المتحدة ، أكثر مما ينفقه ٥٦٠ مليونا هنديا بحوالى ٢٥ مرة . ويقول « فى بلدان العالم الثالث الرأسمالية ، لن يكفل الرخاء المتوقع كبح جماح التزايد السكانى ، رغم أن الرخاء قد فعل ذلك فى البلدان المتطورة . ولكن الصين وفيتنام ، تبينان لنا أن العمل السياسى ، يستطيع هو أيضا أن يخفض ـ وحتى بصورة أسرع ـ معدل المواليد ، اذا تم فى اطار نظام صارم ملزم للجميع » .

ويقول ، أن عدد من يعانون من سوء التغذية عدد هائل ، قدر فى ١٩٧٢ بما يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ مليون نسمة ، أما «أكثر الجرائم ايلاما فى عصرنا الراهن ، فهى تلك التى تتمثل فى وجود عشرات الملايين من الاطفال فى البلدان الفقيرة ، لا يستطيعون ولن يستطيعوا فى العقود القادمة ـ بسبب النقص الواضح فى البروتين اللازم لتغذيتهم ـ بلوغ النمو الطبيعى لحجم المخ ، هذا .. اذا استمر التفاوت الحالى » .

وندوة القاهرة هذه هى الاولى من ٤ ندوات عالمية ، ستعقد الثلاث الباقية فى هونولولو وستوكهلم وامستردام ، وذلك تمهيدا للمؤتمر العالمى للسكان الذى ستنظمه الامم المتحدة فى بوخارست فى ١٩٧٤ . وقد عقدت الندوة تنفيذا لتوصية لجنة السكان التابعة للامم المتحدة ، فى دورتها السادسة عشرة ، والتى أيدها المجلس الاقتصادى والاجتماعى ، وهى تعتبر جزءا من نشاطات السنة الدولية للسكان وهى سنة ١٩٧٤ .

ولقد تركزت ندوة القاهرة على بحث العلاقة بين السكان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على أسس علمية ، وذلك لفهم المشاكل التى تثور فى هذا الصدد ، وبحث امكانية وضع خطة عالمية للسكان . أما الندوات الثلاث الاخرى فستبحث على الترتيب : الموارد والبيئة ، والسكان والاسرة ، والسكان والحقوق الانسانية .

وقد وضعت سكرتارية الامم المتحدة ، تقديراتها لعدد سكان العالم فى الفترة المقبلة ، تبين منها أنه سيصل على أساس الفرض المتوسط الى ٣ر١٢ مليار نسمة فى عام ٢١٢٥ وفى الفرض الاعلى الى

١٦ مليارا فى عام ١١٣٥ . وفى الفرض الادنى الى ٩ر٨ مليار نسمة • أما من حيث توزيع هؤلاء على البلدان المتطورة والنامية ، فحسب الفرض المتوسط سيصل سكان الاولى الى ٩ر١ مليار نسمة وسكان الثانية الى ٥ر١٠ مليار ، ويصل الرقم الاخير حسب التقديرين الاكبر والاقل على التوالى الى ١ر١٤ مليار و ٩ر٧ مليار ، أما سكان البلاد المتقدمة فهو ثابت تقريبا فى الفروض الثلاثة .

وقد أعد **الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء** تقريرا عن زيادة السكان وتحديها للتنمية ، أكد فيه أن زيادة الاستهلاك ، الناجمة عن زيادة السكان تذهب بمعظم الانتاج ، ولا تبقى الكثير منه للاستثمار • اذ قدر متوسط الانفاق على السلع الاستهلاكية فى مصر خلال الفترة من ٦٨ ـ ١٩٦٩ الى ٦٩ ـ ١٩٧٠ بحوالى ٥ر٦٦ فى المائة من الدخل القومى ، فى حين بلغ نصيب التكوين الرأسمالى ٢ر١٤ فى المائة من الدخل القومى فى ٦٩ ـ ٧٠ ، ومع ضرورة الاعتماد على الموارد المحلية ، لابد من تطوير سياسة حازمة للادخار وتأكيد أهمية هذه السياسة بالنسبة للفرد والاسرة والمجتمع فى الحاضر والمستقبل على حد سواء ولكن الاستهلاك عقبة كؤود امام ذلك .

كما أن الاستهلاك الحكومى الذى يمثل الخدمات العامة التى تقدمها الدولة للفرد ، يتضخم من جراء التزايد السكانى ومن جراء سياسة الدولة نحو العمالة والتزامها بتوفير فرصها ، ومن ثم يقل حجم الانفاق الاستثمارى •

أما الواردات فعلى الرغم من تناقص نصيب سلع الاستهلاك فيها لحساب سلع الانتاج ، فان نصيب الاولى مايزال كبيرا • فحصة المواد الغذائية ، والمشروبات لوحدها ، بلغت حوالى الربع من واردات ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ، فارتفعت الى حوالى ٤٠ فى المائة فى ٦٧ ـ ١٩٦٨ ، ثم عادت فانخفضت فى ٦٨ ـ ٦٩ الى حوالى ٣٠ فى المائة وارتفعت واردات الغزل والنسيج والاحذية من ٢ر١ فى المائة فى ٦١ ـ ١٩٦٢ الى حوالى ٦ فى المائة فى ٦٥ ـ ٦٦ وانخفضت الى ٩ر٢ فى المائة فى ٦٧ ـ ١٩٦٨ لترتفع من جديد الى ٥ فى المائة فى ٦٨ ـ ٦٩ •

ويقول تقرير **الجهاز** « لا شك ان المستوى المنخفض للدخل القومى للفرد فى البلدان النامية ، انعكاس للقدرة الانتاجية المنخفضة الناجمة عن الزيادة المضطردة فى السكان بالاضافة الى الموارد الاقتصادية المحدودة فى هذه البلدان • وتلك هى الاسباب الرئيسية للتأخر •

وربما تبين مقارنة متوسط دخل الفرد فى مصر مع بعض البلدان الاخرى ، كم هو منخفض مستوى المعيشة ، طالما أن حجم السكان يلعب دوراً كبيرا فى تحديد مستوى المعيشة الفردى • ان الدخل القومى وحده ليس مقياسا صالحا للتطور الاقتصادى ، وانما المؤشر الحقيقى هو متوسط دخل الفرد الذى يضع فى اعتباره حجم السكان ومعدل نموه •

وتوضح تقديرات الدخل القومى فى مصر ، منذ بداية القرن الحالى ، انه على الرغم من زيادة اجمالى الدخل القومى من عام الى عام فان هذه الزيادة تقصر عن مواجهة زيادة السكان وتتناقض معها . ونتيجة لهذا يتجه الدخل الفردى على الدوام ، الى البقاء راكدا •

فلقد تزايد الدخل القومى (بالاسعار الجارية) من ٨٠٦ مليون جنيه فى ٥٢ ـ ١٩٥٣ الى ٢٥٠٨ ملايين جنيه فى ٦٩ ـ ١٩٧٠ ، أى بزياده قدرها ٢١١ فى المائة وخلال نفس الفترة ارتفع دخل الفرد ، بالاسعار الجارية أيضا ، من٣٧ جنيها الى ٢ر٧٦ جنيه أى بزيادة قدرها ١٠٥ فى المائة فحسب •

كما أوضحت **سكرتارية الامم المتحدة** فى تقرير لها عن زيادة السكان والتعليم ان ضغط السكان يؤدى الى تدهور كمى وكيفى فى التعليم ، ويعوق مساهمة التعليم فى تحقيق العدالة الاجتماعية • فغالبية الموارد التى كان يمكن تخصيصها للمساواة فى التعليم بين الولد والبنت ، وبين سكان المدن وسكان الريف وبين الاغنياء والفقراء ، تلتهمها خطط توفير الحد الادنى من التسهيلات التعليمية ، لمواجهة ـ أو محاولة مواجهة ـ الاعداد المتزايدة سريعا من الاطفال فى سن التعليم . أما المراحل اللاحقة ، فتبقى معتمدة على القدرة المادية • ويقول تقرير سكرتارية الامم المتحدة هذا ، ان الابحاث التى تمت فى عدة بلدان ، تبين انه عندما يرتبط الفقر بكبر حجم الاسرة ، يؤدى الى الحد من فرص تعليم الاطفال ، وزيادة معارفهم ، وتنمية قدراتهم العلمية • ولقد تبين أن البلاد التى تزيد نسبة معرفة القراءة والكتابة فيها عن ٨٥ فى المائة ، ينخفض معدل المواليد فيها عن ٢٠ فى الالف ، أما البلاد التى تقل نسبة معرفة القراءة والكتابة فيها عن ٤٠ فى المائة ، فان معدل المواليد يرتفع عن ٤٠ فى الألف • وتوضح تجربة اليابان ان للتطور الاقتصادى وانتشار التعليم فى الريف يؤدى الى انخفاض معدل المواليد واضطراد هذا الانخفاض • وتؤكد سكرتارية **الامم المتحدة** فى تقريرها هذا على ضرورة :

■ بحث التطور السكانى ومشاكله ، ليس فقط بالمقارنة بين البلدان والدول ، وانما بالمقارنة بين

المجموعات السكانية المختلفة داخل البلد الواحد · ذلك أن معدلات الخصوبة ، مثلا ، ليست متساوية بين الطبقات فى البلد الواحد · فالتفاوت بين المجموعات الاجتماعية فى الوضع الاجتماعى والدخول وفرص الثقافة والحصول على المعلومات ، وكذلك فى القيم والتقاليد ، والنظر الى التعليم وأهميته ، ينعكس عادة فى سلوكها ومواقفها من مختلف القضايا · وفى ضوء هذا ، من الخطأ وضع سياسة تعليمية موحدة ومتشابهة للجميع . ان التجديد التعليمى لابد له اذا اراد ان يؤثر على ديناميكية السكان ، من أن يهتم أكثر بالمجموعات الاقل حظوة وفرصة ، مثل شباب الريف ، والبنات ، والشباب الذى لم يلتحق بمدارس ، والذين تركوا المدارس قبل الاوان ، والشبان المهاجرين للمدن ·

■ لابد من برامج التجديد التعليمى لكى تواجه التحدى السكانى من أن يكون جزءا لا يتجزأ من برامج تنمية متكاملة ·

فمثلا ، محاولة غرس السلوك الرشيد والمسئول خلال التعليم ، ربما لا تحقق النتائج المرجوة ، اذا فشلت الهياكل الاجتماعية ، والقواعد السلوكية الثقافية فى حفز روح التقدم والتغيير · ومن ثم فان تخفيض الخصوبة المرتفعة ، يصعب تحقيقه عن طريق مجهود معزول للسياسة التعليمية وحدها ·

■ ان محاولة التأثير على ديناميكيات السكان خارج الوسائل والطرق التعليمية ، لا تقتصر على نظام المدارس الرسمية · فلقد اتضح من عدة بلدان ان نظام المدارس الرسمية يؤدى عمله ، على خير وجه ، عندما لا تكون المشاكل الديمجرافية حادة ، أى بين الطبقات الثرية والمتوسطة فى المناطق الحضرية ، ولكن نطاقها وجودتها ، تكون أقل اقناعا بين تلك القطاعات من المجتمع التى تعتبر المساهم ، بل المسبب الاول للنمو السكانى السريع · كما أوضح تقرير **المؤتمر الاسيوى الثانى للسكان** « ان الجانب الاعظم من مصروفات التعليم كرست لقطاع المدارس الرسمية ، ولكن هناك اعداد كبيرة خارج هذا القطاع · وهم غاية فى الاهمية ، ليس فقط من وجهة نظر اسهامهم فى الخصوبة السكانية ، وانما أيضا باعتبارهم مساهمين محتملين فى اقتصاد البلاد » · ثم ان حقيقة أن النسبة من الناتج القومى الاجمالى أو اجمالى انفاق الدولة المخصص للتعليم فى بعض البلدان محدودة أصلا ، تؤكد أهمية التركيز على الطاقات والامكانيات التعليمية للمعاهد والمؤسسات الواقعة خارج نظام المدارس الرسمية ·

وفى البحث الذى اعده الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط فى مصر وضح الحقائق التالية :

■ **ان زيادة السكان ليست قضية عالمية** : فاول ما يجب تفنيده هو الفكرة التى يروج لها الاستعمار الامريكى · من أن العالم مهدد بانفجار سكانى يؤدى الى أن تضيق الارض بمن عليها من البشر · ومن ثم يفضى الى تصارعهم على موارد الغذاء ، وما يمكن أن يصحب ذلك من كوارث · وحجته فى ذلك أن الفترة التى يتضاعف فيها عدد سكان العالم تناقصت من ٢٠٠ سنة الى ٤٥ · وللرد على هذا يكفى ، أن نضع فى مواجهة الزيادة السكانية معدلات النمو التكنولوجى · فخلال قرنين من الزمان (فيما بين ١٦٥٠ و ١٨٥٠) لم يشهد العالم الا ثورة تكنولوجية واحدة هى استخدام طاقة البخار · ثم تلا ذلك فى النصف الثانى من القرن الماضى اكتشاف المحرك ذى الاحتراق الداخلى واستخدام منتجات البترول ثم استخدام الكهرباء والعالم المعاصر مسرح لثورة تكنولوجية ضخمة لم تكتمل نتائجها بعد ، وان كان من ثمراتها الاولى استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية ، وبدء استخدام الطاقة الشمسية ، والتقدم المثير للصناعات الالكترونية يضاف الى ذلك انه وفقا للاحصائيات الدولية ، ذاتها ، كان معدل النمو الاقتصادى فى العالم فى الستينات حوالى ٤ فى المائة فى حين كان معدل زيادة السكان على نفس المستوى لا يزيد عن ١٫٩ فى المائة ·

وحتى اذا قصرنا النظر على موضوع المواد الغذائية وحدها ، فسوف نجد ان مستقبل البشرية ليس مظلما ، والشواهد كثيرة تؤكد انه لا توجد مشكلة نقص فى الغذاء على المدى الطويل · فهيئة الاغذية والزراعة تبين احصائياتها وجود أكثر من ١٣٠٠ مليون اكر من الاراضى الصالحة للزراعة غير مزروعة حاليا · ويمكن أن نضيف آفاق ازالة ملوحة مياه البحر بتكلفة معقولة اقتصاديا · وبحيث يمكن زراعة اجزاء كبيرة من الصحارى . كما أن موارد البحار لم يستخدم منها حتى الان الا الاسماك · وان الطحالب مثلا غنية بالبروتين . كما يمكن تحضير بعض المواد الغذائية كيمائيا . اما فى الاجل القصير فان ازمة الحبوب الغذائية مثلا ، وهى أزمة اسعار وليست ازمة كميات ، وخلاصة القول هى انه على المستوى العالمى لا توجد مشكلة تضخم سكانى ، وانما توجد مشكلة سوء توزيع موارد هى فى الوقت نفسه سبب ونتيجة لظاهرة التفاوت الشديد فى درجة النمو الاقتصادى · فالمجتمع البشرى كالمجتمع فى كل دولة يمكنه أن ينمى موارده بأكثر ما ينمو عدد

سكانه ، لو توافرت الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لذلك .

■ كثافة السكان ليست هى سبب التخلف :

والبيانات الاحصائية تدحض فكرة الاستعمار عن أن كثرة السكان تورث التخلف ، وما يصحبه من جهل وفقر ومرض . فالبلاد الاكثر اكتظاظا هى الاكثر تقدما ، فى حين ان كثافة السكان فى معظم البلاد المتخلفة ضعيفة نسبيا . والواقع انه من الناحية النظرية على الاقل كل انسان يعمل ينتج بالضرورة ما يزيد عن استهلاكه الضرورى . ومن ثم ، فالمشكلة السكانية توضع فى وضعها الصحيح ليس بنسبة عدد السكان الى الموارد الغذائية المتاحة . وانما بنسبة عدد السكان الى وسائل الانتاج المتاحة لهم . أو بعبارة اخرى ، قدرة المجتمع على توفير العمل المنتج لكل القادرين ، وقصور المجتمعات التى تسمى بالنامية عن توفير وسائل الانتاج اللازمة لتشغيل كل العمالة المتاحة ، ليس مرجعه كثرة الايدى العاملة ، وانما مرجعه ظاهرة التخلف الاقتصادى والاجتماعى التى فرضها النهب الاستعمارى والهيكل الاجتماعى الذى سمح تاريخيا بأن تتربع طبقات غير منتجة على قمة الهرم الاجتماعى تستولى على معظم الدخل القومى وتبدده فى استهلاك ترفى .

ولكن تبقى بعد ذلك ، مشكلة خاصة لابد من التنويه بها ، لانها ، تمثل جوهر مشكلة السكان فى عدد من البلاد النامية ، الا وهى نسبة عدد السكان الذين هم دون سن العمل الى مجموع السكان . فهؤلاء ليسوا جزءا من قوة العمل ، وبالتالى لا يكفى ان ندبر لهم فرص العمل ، بل يتعين على المجتمع ان يعولهم حتى يبلغوا سن العمل . فمن هم دون الخامسة عشرة تبلغ نسبتهم فى مصر مثلا ٤٢ فى المائة ، فى حين تبلغ فى فرنسا ٢٥ فى المائة وفى بريطانيا ٢٢ فى المائة .

■ القضية الاساسية هى فى الاساس تحقيق علاقة سليمة بين معدل النمو الاقتصادى وبين معدل زيادة السكان خلال مرحلة التنمية :

فالقضية السكانية توجد فى البلاد الكثيرة السكان نسبيا التى بدأت مرحلة التنمية . وبعبارة اخرى لا وجود لمشكلة سكانية فى البلاد المتخلفة التى بقيت بصفة عامة على تخلفها .. كما أنه لا توجد مشكلة سكانية فى البلاد التى وصلت الى مرحلة التقدم اللهم الا اذا رأينا فى انخفاض معدل زيادة السكان مشكلة تحتاج الى علاج . ان اختلال التوازن السكانى لا يظهر الا فى البلاد التى بدأت التنمية وسارت فيها بخطى ثابتة . ذلك أن اول أثر تعكسه التنمية على مستوى معيشة الافراد هو الاثر الصحى المتمثل فى انخفاض معدل الوفيات . ولما كانت جهود التنمية فى مراحلها الاولى فان ارتفاع متوسط دخل الفرد لا يصل بعد الى الحد الذى ينخفض معه معدل المواليد تلقائيا . ومن هنا يحدث الانفجار السكانى .

واذا كان من الصعوبة بمكان ان نقدم الخطوط العامة لجميع الابحاث التى قدمت للمؤتمر ، فان هذا لا ينفى أن مجموع الابحاث التى ألقيت فى المؤتمر ، تعتبر مساهمة لها قيمتها فى قضية يتوقف عليها مستقبل الجنس البشرى بأسره ، هى تستحق فعلا ترجمتها كاملة للاستفادة منها فى معاهدنا ومراكز الابحاث القائمة لدينا .

● ● ●

تقرير خاص

هل يعود الهدوء الى اليونان

أبلغ الملك قسطنطين بقرار عزله عن العرش ، بعد أن احتفل بعيد ميلاده الثالث والثلاثين بيوم واحد . وتولى الجنرال بابادوبلوس رئاسة الجمهورية [بشكل مؤقت] ، كما جاء فى اعلان قيام الجمهورية .

وهكذا ، انتهت الملكية الالمانية الدانيمركية التى حكمت اليونان ، حوالى نصف قرن ، وازيل اسم ملك آخر ، من الملوك الحاكمين فى أوروبا .

ومنذ أن حصلت اليونان على استقلالها عن الدولة العثمانية فى عام ١٨٣٢ ، فان سبعة ملوك قد تولوا حكم البلاد ، واحد منهم فقط حكم طوال حياته الى أن مات . ولقد اختارت القوى الحامية فى القرن التاسع عشر ، اختيارا عشوائيا ، ابن ملك الدانمرك وقتئذ ، ونصبته ملكا على اليونان ، باسم **جورج الاول** ليخلف **أوتو البافارى** الذى كان قد أرغم على التنازل عن العرش . ومنذ ذلك الوقت ، قتل أول ملوك اليونان ، ومات الثانى بعد أن عضه قرده المدلل ، والاربعة الآخرون قضوا فترة من حياتهم فى المنفى .

والملك الان ؟ وهو بغير عرش ، يعيش فى منفاه بايطاليا حزينا خاصة بعد أن وصفته اذاعة أثينا بألفاظ جارحة ، والقريبين منه لا يتوقعون منه اكثر من الصمت والحزن ، فهو يعيش حياة هادئة فى فيلته الانيقة مع زوجته وأطفاله الثلاثة الذين ولد أصغرهم فى روما ، وأصدقاء الملك قسطنطين لديهم الانطبـاع بأن الملك كان يمضى معظم وقته مع أسرته فى حوض السـباحة ، ولا يمضيه فى وضـع خطة تعيـده بالقوة الى العرش الذى فقده فى أثينا ..

ان المتابعين للاحداث السياسية فى اليونان يؤكدون أن رئيس الوزراء اليـونانى **جـورج بابا دوبلوس** قد استبعد الملك بنجاح وبعنـاية فائقة ، باستغلال المحاولة الفاشلة التى قام بها ضباط البحـرية . ويرى المراقبون فى هـذا استكمالا لنشاطه السياسى الداخلى الذى بداه منذ عام ، عندما بدأ يصـوب ضرباته للملـكية باستخدام البروتوكول . فلقد نزع شارات الملكية من علامات رتب القوات المسلحة ، وقام بالغاء القائمة الشرفية التى كانت تعلن يوم راس السنة الميلادية .

والسؤال الان هو الى أى مدى اسـتجاب الرأى العام للتغيير الجديد ؟

كان رد الفعل لما حدث هادئا جدا ، بل سارت الحياة كما كانت كأن شيئا لم يحدث ، لقد أحيـل اربعة من كبـار الضباط الى المعـاش وأوقفت احدى صحف أثينا عن الصدور ووجه دعوة الى سكان أثينا لحضـور اجتماع فى ميدان أومونيا وذلك للاحتفال باعلان الجمهورية الرئاسـية . وعلى الرغم من أن المسـئولين أذاعوا أن عدد الحاضرين فى هذا الاجتماع بلغ ثلاثين الفا ، الا أن المراسلين الذين يتابعون الاحـداث هنـاك قدروا عددهم بما لا يزيد عن أربعة آلاف .

واذا كان من الصعب ، أن تجد انسانا يأسف لما حدث فى اليونان ، الا أن الغالب على الناس هو شعور « اللامبالاة » .

وقد جاء قرار ايقاف العمل بدستور ١٩٦٨ ، وانهاء الملكية والوعد بانتخابات قبل نهاية سـنة ١٩٧٤ على خلفية من الاضطرابات أصبحت تهدد النظام القائم رغم أساليب القمع التى استحدثها القادة اليونانيون خلال فترة حكمهم الماضية ... ومن بين ما كتب تعبيرا عن هذه الفترة التى يعيشها شـعب اليـونان ، كلمات **تيودوراكيس** موسيقار أثينا ونائبها السابق فى البرلمان ، عندما زار بيروت فى الشهر الماضى والتقى بالشـباب اللبنانى فقد قال :



الملك قسطنطين



جورج بابادوبلوس

ان المرحلة الجديدة التى يعيشها شعب اليونان هى شيء آخر يختلف عما عرفه فى المـاضى ، فقاعدة القتال وطنية ، **ولكن الحكومة التى يناضل الشعب ضدها هى حكومة دولية ، ان شـعب اليونان لا يحارب جورج بابادوبلوس وستيليانوس باتاكوس نائبه ، بل يحارب أمريكا ، ان أمريكا هى المظلة السياسية للحكم العسكرى فى اليونان »** .

ومن المعـروف أن تيودوراكيس كان قـد ترك اليونان بعد أن تعرض للسجن طوال ثلاث سنوات واختار باريس موطنا مؤقتا حتى تستقر الامور فى بلاده . !

وثمة رأى آخر ظهر فى الندوة العالمية التى

عقدت في مدينة آسن بألمانيا الديمقراطية عند مناقشة **الاشكال الجديدة للخطر الفاشي** ، فلقد أشير الى أن ما هو قائم في اليونان دكتاتورية فاشية عسكرية ، لها كل السمات المميزة للفاشية التقليدية تقريبا وذلك بعد أن «حل البرلمان» وجميع الاحزاب السياسية ، ومعظم نقابات العمال وبعد أن فرضت حالة الطوارىء وشكلت المحاكم العسكرية ، ولجأت الى أساليب التعذيب الشبيهة بالاساليب التى كانت تتبعها محاكم التفتيش . ومع ذلك ، فقد قيل أيضا أن نظام الحكم يفتقر الى احدى السمات المميزة للفاشية ، وهى المنظمات الفاشية الجماهيرية ، وقد فشلت المحاولات التى بذلت لانشاء منظمة للشباب ، لان الشباب رفض الانضمام اليها .

ولكن .. هل تعبر هذه الاراء عن حقيقة الوضع السياسى فى الداخل .. ؟

ان تصريحات المسئولين توضح الى حد كبير ما يجرى هناك ، فبعد مرور ست سنوات على الانقلاب ، يقف زعيمه جورج بابادوبلوس فى ديسمبر الماضى ليعلن الغاء الاحكام العرفية فى مدينة سالونيك — فقط ! — وهى أول مرة يعلن فيها رفع الاحكام العرفية فى أى مدينة يونانية ، منذ أن أعلنت بعد الانقلاب العسكرى فى ابريل ١٩٦٧ ، أى أن الشعب اليونانى يعيش فى ظل الاحكام العرفية منذ ست سنوات باستثناء أهالى سالونيك .. ! وفى نفس اليوم يصرح رئيس الوزراء بأنه اصدر قرارا باجراء محاكمات لاول مرة لحوالى ٦٠٠ سجين سياسى كانوا معتقلين منذ نجاح الانقلاب العسكرى .

وقبل هذا التصريح بأسبوع واحد ، اعلن **الجنرال ستيليانوس باتاكوس** نائب رئيس الوزراء واحد قادة الانقلاب العسكرى انه لا يتوقع اجراء أية انتخابات برلمانية فى اليونان فى المستقبل القريب « **لان الشعب لم يتأهل لهذه الانتخابات حتى الان** » .. !!

ويرى المراقبون أن الهدوء الذى تراه فى الشارع اليونانى يرتبط بأغرب القوانين والاجراءات مثال ذلك أغرب قانون للتوظف صدر فى العام الماضى ، ويعبر ايضا عن مدى عدم استقرار النظام ، ومدى خوفه من الجماهير ، ان القانون الجديد يحتم على كل طالب وظيفة حكومية ان يعلن رسميا استنكاره للاراء السياسية التى يدين بها أى قريب له اذا كان هذا القريب من المنتمين لاصحاب الجماعات المناهضة للحكومة . ! ويقضى هذا القانون — وهو الاول من نوعه فى العالم - بأن يعلن طالب الوظيفة تبرأه من أى فرد من افراد أسرته ينتمى لاحدى المنظمات المعادية لحكومة اليونان ، ولقد بدأ تطبيق هذا القانون على جميع طالبى الوظائف سواء فى الحكومة أو المرافق العامة أو البنوك ، ويمنع القانون فرصة التوظف عن أى شخص يمكن أن يكون قد شارك فى أى وقت فى مسيرة أو حفل أو معرض فنى أو حتى رقصة شعبية نظمتها احدى الجماعات المناهضة للحكومة .

ويميل كثير من المحللين الى أن يربطوا بين تطور الاوضاع فى اليونان وبين استراتيجية حلف الاطلنطى . فمن المعروف ان اليونان عضو فى الحلف وقاعدة عسكرية له . ويشير هؤلاء المحللون الى ان الانقلاب الذى وقع فى ٢٠ ابريل ١٩٦٧ ، وهو الذى نفذ تحت اسم الشفرة « بروميثيوس » قد تم باشراف حلف الاطلنطى لمواجهة احتمال نشوب حرب بين اليونان وبين اى دولة شيوعية . وقيل فى ذلك الوقت ان خطة حلف الاطلنطى كانت تقضى بالمبادرة الى اعتقال كل اليساريين فى اليونان ، وذلك حال نشوب تلك الحرب .

أما اعلان الجمهورية بالنسبة لرجل الشارع فى اليونان ، فهو ليس سوى مشكلة فرعية ، بالقياس الى المشكلات الملحة التى تواجهه كل يوم ، والتى ساهمت فى ثورته على نظام الحكم العسكرى ، ومع الاعتراف بالنجاح الذى حققته البلاد فى مجال السياحة [٢٫٧٣٠٫٠٠٠ سائح فى العام الماضى] ولا فى مقدرة الحكومة فى اجتذاب راس المال الاجنبى فى السنوات الاخيرة فان البلاد تعانى من التضخم الحاد ، لقد ارتفعت الاسعار خلال ١٢ شهرا بنسبة ٢٥ فى المائة. كذلك لن يهدىء اعلان الجمهورية من متاعب نظام الحكم مع الكنيسة ، التى تعترض كثيرا على بعض اجراءات الحكومة ، فمن الاساقفة العشرة الذين يشكلون المجمع الكنسى ، يوجد سبعة عرفوا بأن لهم آراء تعارض راى كبير الاساقفة الذى يحظى برضاء نظام الحكم .

لهذا قوبلت جمهورية بابادوبلوس من الكثيرين من اليونانيين بالسخرية والتشكك ، لقد اثار الاستفتاء الذى سيجرى بعد شهرين للتصديق على مرسومه الثورى ، ذكريات الارهاب الذى استخدم من أجل استفتاء التعديلات الدستورية عام ١٩٦٨ عندما حصلت مخططات مجلس الثورة بموافقة ٩٢٪ من الناخبين نتيجة الضغط على الناخبين من الشرطة ومراقبتها لعمليات التصويت .

مصطفى سامى

تقرير خاص

مؤتمر الأمن الأوربي .. خطوة للأمام

تبدأ في هلسنكى ، ، بعد يومين ، اجتماعات وزراء خارجية الدول الاربع والثلاثين المزمع اشتراكها فى مؤتمر الامن الاوروبى المنتظر . ومن المعروف ، أن الدعوة لحضور هذا المؤتمر ، قد وجهت الى اثنين وثلاثين دولة أوروبيـــة ، بما فيهـــا الاتحاد الســـوفيتى ، ودولتان غير أوروبيتين هما : كندا والولايات المتحدة الامريكية .. ومن المعروف أيضا أن محاولات اقحام اليابان على المؤتمر قد باءت بالفشل .

وتأتى اجتماعات وزراء خارجية الدول الاربع والثلاثين ، بعد نحو ثمانية أشهر من المحادثات التمهيدية المكثفة التى بدأت فى نوفمبر عام ١٩٧٢، ويتوقع المراقبون أن تستمر الجولة الاولى من هذه الاجتماعات ثمانية أيام ، ويتوقعون أيضا أن يتمكن وزراء الخارجية ، فى اجتماعاتهم تلك ، من تهيئة المناخ تماما لانعقاد مؤتمر القمة للامن الاوروبى خلال هذا الصيف ، أو فى الخريف القادم على الاكثر ، وذلك بتذليل ما يمكن تذليله من عقبات، وتحديد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بوضوح ، يتيح للمؤتمر احراز أقصى نجاحات ممكنة .

ويرى كثير من المراقبين ، أن مؤتمر الامـــن الاوروبى المرتقب وان يكن انتصارا استراتيجيا هاما للدول الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحـــاد السوفيتى بل ولكل القوى المحبة للســـلام فى أوروبا ، الا أنه لم يكن انتصارا سهلا ، فلقد ظلت قضيـــة الامن الاوروبى ، لفترة طويلة ، مكتومة الانفاس ، تحت وطأة الحرب الباردة التى كان يشنها المعسكر الامبريالى ضد الانظمة القائمة فى الدول الاشتراكية بأمل اسقاطها ، ولـــكن صمود هذه الدول فى وجه مؤامرات الامبريالية العالمية ، بل وتزايد قدرتها على التأثير المضاد ، ساهم فى دفع الواقع الاوروبى والعـــالمى الى أوضاع لا يمكن تجاهلهـــا الا بثمن فادح ، وهو الامر الذى أجبر المعسكر الامبريالى على أن ينحو نحوا اكثر واقعية فى التعامل مع موسكو وغيرها من العواصم الاوروبية الاشتراكية .

ويرصد المراقبون أولى المبادرات التى صدرت عن البلدان الاشتراكية ، فى موضـــوع الامن الاوروبى عام ١٩٥٤ على شكل مشروع معاهدة أوروبية للامن الجماعى تقدم بها الاتحاد السوفيتى خلال مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى الذى انعقد فى برلين من ٢٥ يناير الى ١٨ فبراير من ذلك العام . وتضمن مشروع المعاهدة عددا من المبادىء الاساسية التى يجب أن تحكم العلاقة بين شطرى القارة ، من أهمها :

- التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .
- حظر استخدام القوة، أو التهديد باستخدامها فى العلاقات بين هذه الدول .
- حل المشكلات التى تنشأ بينها بالطـــرق السلمية .
- الاتفاق على التدابير الجماعية التى يمكن اتخاذها لمواجهة العدوان الذى يقع ضد أية دولة اوروبية .

وعلى الرغم من أن الدول الامبريالية قد رفضت هذه المعاهدة المقترحة ، الا أن الاتحاد السوفيتى، عاد فى يوليو من نفس العام طالبا عقد اجتماع أوروبى شامل لمناقشة هذه القضية . وتكررت بعد ذلك المقترحات ، سواء من جانب الاتحـــاد السوفيتى أو غيره من الدول الاشتراكية ، بحيث أصبحت مسألة اقرار الامن الاوروبى سياسة ثابتة للمعسكر الاشتراكى فى مقابل ســـياسة الرفض التى اتبعتها الدول الامبريالية ازاء هذه المسألة .

ويرصد المراقبون على الجانب الاخر عام ١٩٦٩ باعتباره السنة التى شهدت بدء الانعطاف مـــن جانب دول الغرب نحو الاستجابة لنداءات البلدان الاشتراكية . ففى هذه السنة وصل الحـــزب الاشتراكى الديموقراطى بزعامة فيلى برانت الى الحكم فى المانيا الغربيـــة ، وبدأ بشـــكل جاد سياسة الانفتاح على الشرق ، بكل ما تمخضت عنه من تطورات .

وفى ١٣ اكتوبر من نفس السنة ، أعلنت فرنسا لاول مرة تأييدها الرسمى الصريح لعقد مؤتمر عام للامن الاوروبى ، وتبعهـــا المجلس الوزارى لحلف الاطلنطى [فى ديسمبر] معلنا تأييده لانعقاد

المؤتمر من حيث المبدأ ، ومقدما وجهة نظره عن الضمانات المطلوبة له .

ويشير المراقبون كذلك الى أثر تطورات العلاقة بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي فى دفع الولايات المتحدة الى التجاوب مع فكرة عقد مؤتمر عام للامن الاوربى . وهكذا ، تفتت الموقف المتعنت الذى كانت تتخذه الدول الغربية ، وأصبحت ولا مفر أمامها من الجلوس الى مائدة المفاوضات .

واذا صح أن بعض المراقبين ، من ذوى النوايا السيئة ، أو أصحاب الذاكرة الضعيفة ، يتناسون هذا السياق التاريخي لتطورات قضية الامن الاوروبى ، محاولين تصوير ما يحدث الان على أنه تنازل من جانب المعسكر الاشتراكى عن مواقعه الايديولوجية ، فمن المؤكد أنهم يفعلون ما سبق أن فعلته الدول الغربية قبل أن يضطرها الواقع الى الانصياع لمتطلباته .

وعموما ، فقد أسفرت محادثات **هلسنكى** التمهيدية عن برنامج عمل من أربع نقاط أساسية سوف تطرح أمام مؤتمر وزراء الخارجية المقبل:

النقطة الاولى : هى تحديد المبادىء العامة التى تحكم العلاقات بين الدول الاوروبية .

النقطة الثانية : هى توسيع التعاون الاقتصادى والعلمى والتكنولوجى على أساس المساواة وكذلك التعاون فى مسألة حماية البيئة .

أما النقطة الثالثة : فهى توسيع التعاون الثقافى ، وتبادل المعلومات والافكار ، والعلاقات بين الهيئات والافراد ، والسياحة الفردية والجماعية .

النقطة الرابعة : وتشمل بحث الاشكال التنظيمية التى سوف يعتمد عليها لتعزيز نجاح تدابير الامن الاوروبى التى يتفق عليها .

ويرى المراقبون ، ان البلدان الاشتراكية قد نجحت ليس فقط فى انتزاع اعتراف البلدان الغربية بضرورة انعقاد مؤتمر عام للامن الاوروبى، وانما ـ أيضا ـ فى تأكيد ، أن حجر الزاوية فى أى نظام لأمن القارة هو الاعتراف بالحدود القائمة فيها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية باعتبارها حدودا تاريخية غير قابلة للتعديل . ولعل هذا ما أكدته عمليا سلسلة المعاهدات التى عقدت بين المانيا الغربية وكل من الاتحاد السوفيتى [اغسطس ١٩٧٠] والمانيا الديموقراطية [نوفمبر ١٩٧٢] وبولندا [دسمبر ١٩٧٠] وتشيكوسلوفاكيا [يونيو ١٩٧٣] . وذلك فضلا عن الاتفاق الرباعى حول برلين الغربية [سبتمبر ١٩٧١] .

ويؤكد كثير من المراقبين ، على أن محادثات هلسنكى التمهيدية قد نجحت فى تذليل الكثير من العقبات التى طرحت للبحث أثناءها ، فيما عدا مشكلتين ، سوف يتعين على مؤتمر وزراء الخارجية ان يصل بشأنهما الى قرار وهما :

أولا : اصرار مالطة على السماح للدول العربية المطلة على البحر الابيض بالاشتراك فى المؤتمر رغم معارضة كثير من الدول الاوروبية لهذا الطلب ومن بينها الاتحاد السوفيتى .

ثانيا : اصرار بعض الدول الاوروبية الغربية على الربط بين محادثات هلسنكى للامن الاوروبى، وبين محادثات الخفض المتبادل للقوات فى وسط أوروبا التى تجرى فى فينا .

وينظر كثير من المراقبين الى المشكلة الثانية باعتبارها الصخرة التى يمكن أن تتحطم فوقها الجهود المضنية التى بذلت فى سبيل انعقاد المؤتمر . فاذا ما تم الربط بين محادثات الامن الاوروبى وبين محادثات الخفض المتبادل للقوات والاسلحة فى وسط أوروبا ، فقد يعنى ذلك أن يتأجل انعقاد مؤتمر الامن الاوروبى الى أجل غير مسمى ، نظرا لما يكتنف مسألة الخفض المتبادل من صعوبات فنية وسياسية بالغة التعقيد . ولذلك ، فليس هناك مفر من الضغط على الدول التى تنادى بالربط بين المسألتين للتخلى عن عنادها ، وهو الامر الذى لا يمكن أن يتم الا بجهد مشترك من جانب الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة معا .

وأيا ما كان الامر ، فان الراى السائد بين المراقبين الان هو أن مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى لن ينتهى الى حل جميع المشكلات الكبرى المعلقة بين الشرق والغرب . ولكنه سيساعد بلا شك على ازالة مزيد من الرواسب العالقة بجو العلاقات فى فترة ما بعد الحرب ، كما أنه قد يوفق فى وضع أساس للتعايش السلمى بين مختلف الدول والتكتلات فى أوروبا » . محققا أمنية الزعيم السوفيتى **ليونيد بريجنيف** التى أعاد التأكيد عليها فى خطاب الاحتفال بعيد أول مايو عام ١٩٧٣ قائلا « **اننا ندعو الى التغلب على ماضى أوروبا الدموى ليس لكى ننساه ، ولكن لكى لا يتكرر مرة أخرى على الاطلاق** » .

عبد اللطيف حنفى



دكا .. تحت المطر

دكا : من د. رفعت السيد :

كانت سيول المطر تنهال بوحشية بينما الحياة تمضى دون أى تردد ، سائقو « الريكشا » يدفعون عرباتهم صانعين بجهدهم الانسانى سبل المواصلات الاساسية فى هذه المدينة الضخمة . الناس يسيرون بهدوء وسيول المطر تبلل أجسادهم نصف العارية . المتسولون يستوقفونك ـ تحت المطر ايضا ـ ليواصلوا الحاحهم .

ثم مظاهرة ضخمة تحمل العصى وتهتف لمجيب الرحمن وتلوح بعصيها فى وجه الرجعية . وكانت المظاهرة مجرد رد على مظاهرة أخرى نظمتها أحزاب المعارضة ضد « المؤتمر الاسيوى للسلام » . وكمقدمة للمظاهرات المعارضة أعلن « **مولانا بار شانى** » رئيس حزب « **عوامى بارتى** » صيامه عن الطعام .

وتحت المطر تمضى الحياة دون توقف . وتطوف المظاهرات مؤيدة أو معارضة ، وتسأل عن السبب . لكن الاجابة لابد وان تكون طويلة .

● **لنبدأ القصة من أولها ..**

هكذا أصر كل انسان حاولت أن أناقشه ، أو أن أستمع اليه ، لا أحد من ممثلى الاحزاب أو الجماعات مؤيدة أو معارضة يريد أن يمضى مباشرة الى الاحداث الراهنة . الكل مصممون على أن يبدأوا من البداية ، فلنبدأ معهم محاولين أن نلخص بعض الحقائق عن تاريخ المشكلة :

● لقد تكونت البذور الاساسية للمشكلة مع تقسيم شبه القارة الهندية ، على أساس دينى وليس على أساس قومى . وكانت خطة الاستعمار هى ضرب الديانتين الاساسيتين الاسلام والهندوسية بعضهما بالبعض . وتكونت الهند وباكستان وبقيت معهما وبداخلهما مشكلات قومية معقدة .

● وبعد التقسيم ، كان ٧٥ فى المائة من سكان باكستان مسلمون و ٢٥ فى المائة هندوس . وبدأت بين الجماعتين اضطرابات ومذابح . وبدأت أفواج من الهجرة : ٥ مليون هندوسى هاجروا من باكستان الى الهند ، والى باكستان أتى من الهند مسلمون . لكنهم مسلمون من قومية مختلفة عن ـ البنجال ـ ويتكلمون لغة أخرى ـ هى الاردية وبدأت بين الجماعتين خلافات .

● وعندما قامت باكستان من جناحين تفصل بينهما مسافة الف ميل ، كان الغرب (**الاقل عددا**) هو السيد المتحكم ، وتسهيلا لتحكمه استخدم المسلمين الوافدين من المتحدثين بالاردية كأداة للضغط على المسلمين البنجال .

● وتحكم الغرب فى شرق باكستان من خلال سلطة الدولة ، ٢٢ أسرة اقطاعية معظمها من البنجاب (الغرب) وقليل منهم اردبون .

● وفى البداية كانت الجماهير فى البنجال تؤيد قيام باكستان ، ثم ما لبثت أن فوجئت بأن شرق باكستان (٧٥ نسمة + ٧٠ فى المائة من حصيلة كل باكستان من العملات الصعبة) قد تحول الى مزرعة تستغلها ٢٢ أسرة من البنجاب . وبدأ القلق ، وجوبهت المعارضة بوحشية لا مثيل لها .

● ولان البنجال هم الاكثر عددا فقد تبلور نضالهم فى المطالبة بالديمقراطية والحياة البرلمانية . فالبرلمان سيكفل لهم ٦٠ فى المائة من المقاعد . وهكذا أصبحت الديمقراطية مطلبا سياسيا وقوميا معا .

● وفى ١٩٥٨ وضع مشروع للدستور . وقبيل الانتخابات ، قام الحاكم العسكرى لشرق باكستان **أيوب خان** بانقلاب استولى فيه على السلطة فى باكستان كلها . وأوقف الدستور وألغى الانتخابات . ومع حكم « **أيوب خان** » بدأ التدخل الامريكى يتزايد ، وانهالت الاستثمارات والخبراء ، كل شىء أصبح فى يد أمريكا ، حتى الكتب المدرسية كان يعدها مؤلفون أمريكيون ويطبعونها فى أمريكا . ويبتسم كل من يروى القصة ، عندما يذكر أن « **يحيى خان** » قال فى مؤتمر صحفى عقده فى أمريكا عام ١٩٦١ « لا تخشوا شيئا ، فحتى اذا فقدت أمريكا كل قواعدها

فى المناطق الاخرى فى آسيا ، فلسوف يبقى لها مكان مفتوح على الدوام هو باكستان » .

● وفى هذه الاثناء ، كان البنجاليون يخوضون معركة محورها الحفاظ على لغتهم وقوميتهم . وفى محاولة لطمس هذه القومية ، حاولت غرب باكستان أن تفرض عليهم اللغة العربية بحجة أنها لغة الاسلام ، لكن الفكرة استحال تنفيذها ، ثم حاولت أن تفرض عليهم اللغة الاردية بحجة أنها تكتب بأحرف عربية ومن ثم فهى الاقرب الى لغة الاسلام ، ورفض البنجاليون ذلك فى مظاهرات دامية . واتخذ تمسكهم بلغتهم وأغانيهم وتراثهم طابعا شديد الحساسية .

وكان القهر يتخذ طابعا اقتصاديا أيضا فمعظم السلع الاساسية كانت تباع فى شرق باكستان بضعف ثمنها فى غرب باكستان . كل ثروات شرق باكستان كانت تمتص لتقفز عبر ألف ميل كاملة حتى تصل الى غرب باكستان .

● وكان الموقف يتدهور فى باكستان كلها ، فتخلى أيوب خان عن السلطة « ليحيى خان » . وأجرى « يحيى خان » انتخابات عامة نتج عنها أن حصل حزب « عوامى ليج » (الشيخ مجيب الرحمن (على ۱۷۳ مقعدا من ۱۷٥ مقعدا كانت مخصصة لشرق باكستان . وهكذا حصل على الاغلبية المطلقة لمقاعد برلمان كل باكستان (۳۰۰ مقعد) . وأسقط فى يد الجميع فالانتخابات دفعت بالمقهورين فى شرق باكستان الى موقع يستطيعون منه التحكم فى باكستان كلها . وطلب « يحيى خان » المفاوضة ، واستمرت المفاوضات شهرين . ثم بدأت المذبحة :

وبهدوء شديد يمضى محدثى (أحد قادة عوامى ليج) قائلا « كانوا يستغلون فترة الشهرين لتعزيز قواتهم ، وحشد ترسانة ضخمة من الاسلحة . وكنا نعرف ذلك ، وندعو الى اضرابات عمالية لمنع تفريغ شحنات الاسلحة . وحتى ٢٤ مارس كنا لا نزال نأمل فى امكانية التوصل الى تسوية ، وكنا نلح فى ضرورة التوصل الى تسوية » .

وأسأل : لماذا كانوا يتعلقون بالامل الواهى ، بينما كل الظواهر كانت تؤكد أن مذبحة رهيبة يجرى اعدادها ؟

ويجيبنى على السؤال أحد القادة المتحالفين مع « عوامى ليج » .. « كان الكثير من قادة « عوامى ليج » يتطلعون الى الولايات المتحدة ، لكى تضغط



مجيب الرحمن

على « يحيى خان » للتوصل الى تسوية . وكانت أمريكا تغذى هذا الاحساس ، وتمد لهم حبال الامل ، موهمة اياهم انها غير راضية عن سياسة « يحيى خان » لانه يتقرب من الاتحاد السوفيتى . وتعد بالضغط عليه . لكن التعلق بالامل فى الضغط الأمريكى تبدد فى اللحظة الحرجة وتخلت أمريكا عن وعودها » .

واكتمل الاعداد للمذبحة ، وخانت أمريكا وعودها . وفجأة ، ومع فجر ٢٥ مارس اعتقل « مجيب الرحمن » ، وخرجت الدبابات الى شوارع دكا لتطلق النيران على كل شىء ، ولم يكن بامكان أكواخ البوص أن تحمى أحدا من نيرانها وقتل الكثيرون . ويؤكد كل من حدثنى أن القتلى فى هذا اليوم وحده بلغ ۲٥ر۰۰۰ قتيل .

واسقط فى يد « عوامى ليج » . فالامل الواهى فى أمريكا تبدد . والقائد قبض عليه ، والمذبحة تطيح بكل من تجده فى شوارع دكا . وشعرت الجماهير بالضياع . فالامل فى أمريكا منع القيادة من أى استعداد ، ولم يكن بامكان الاجساد البشرية أن تصمد أمام الدبابات . ولم يكن من سبيل سوى الهجرة الجماعية الى الهند .

اذهب الى الهند .. وعد مسلحا

عشرة ملايين هاجروا هربا من المأساة ، وفى البداية كان الهرب تعبيرا عن الضياع وفقدان الاتجاه . وبعد ذلك استعادت القيادة زمام المبادرة ، وبمساندة الهند والاصدقاء الاخرين ، تحول الهرب الى مقاومة . ففى الهند لم يكن هناك الملجأ الامن والطعام فقط وانما كان هناك السلاح أيضا .

ومع تصاعد حملة القمع ، تزايدت الهجْرة • أما الأسر التى لم تكن تستطيع الهجرة فقد كانت تبعث بأحد ابنائها « اذهب الى الهند .. وعد مسلحا » فبغير سلاح لا يمكن للانسان أن يواجه المأساة •

وفى الهند وحدها تدرب على السلاح ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل ، وعادوا ببنادقهم ومدافعهم الرشاشة ليواجهوا جنود « البنجاب » •

ومع تصاعد حملات الارهاب ومع المجابهة المسلحة بين الشعبين بدأت الدعوة للانفصال تترسخ • وحتى بعض الجماعات الاسلامية المتطرفة التى كانت تعارض الانفصال فى البداية على اساس انه اضعاف للوحدة الاسلامية ، بدأت هى ايضا تقاتل البنجاب معلنة أن هؤلاء الذين يرتكبون كل هذه المذابح لا يمكن أن يكونوا مسلمين بحق ••

وترسخت الكراهية للجيوش « البنجابية » • وعندما دخلت جيوش الهند ، كانت الالوف من البنجال المسلحين يشاركونها فى محاربة « البنجاب » . ووجد البنجاب انفسهم فى بحر من العداء الكامل ، حتى الاطفال البنجال كانوا يجوسون فى الاحراش بحثا عن مخابىء « البنجاب » ليرشدوا القوات الهندية اليها ••

وبدت الصورة غريبة بعض الشىء .

فمنذ اقل من عشرين عاما كان المسلمون والهندوس يتبادلون المذابح ، أما اليوم فالمسلمون البنجاليون يقودون الهندوس الى مواقع « البنجاب » ••

وقامت الدولة الجديدة

ولم يكن قيامها نهاية للمتاعب ، بل وربما كان مجرد بداية لها . فالبنجاليون الذين عاشوا مأساة اضطهاد طويل ، يمزجون فخرهم غير المحدود بدولتهم الفتية ، برغبة عارمة فى تغيير كل شىء سريعا . وتبدأ عملية الصراع والتحالفات بين مجموعة كبيرة من الاحزاب •

فى المعارضة تقف مجموعة الاحزاب والجماعات ذات الاتجاه الاسلامى الصرف « مسلم ليج » ، و « جامعات اسلام » ، وهى ضد تدخل الهند ، وضد الانفصال ، وقد صدر قرار بتحريم نشاطها ، لكنها لا زالت تمارس نشاطها على أية حال •

وفى المعارضة أيضا فى أقصى اليسار ـ خمس تجمعات واحزاب ذات اتجاه صينى ، تتهم كل ما جدث بأنه مؤامرة هندية ـ سوفيتية ـ استعمارية •

وهناك ـ فى المقابل ـ حزب الشعب الوطنى (ناشيونال عوامى بارتى) ، وقد انقسم بعد الحرب الهندية الباكستانية الاولى •• الى جناح معتدل يقوده « مظفر أحمد » ، وهو يؤيد مجيب الرحمن • وجناح آخر يقوده « مولانا برشانى » وهو يعارض الحكومة الراهنة ، فهو ضد أى تدخل هندى •• وله ميول صينية أيضا •

وفى قمة التحالف الوطنى ، يقف حزب « عوامى ليج » وهو الحزب الحاكم بزعامة « الشيخ مجيب الرحمن » ، ويقول حلفاء الحزب انه ليس حزبا منظما بالمعنى المفهوم ، وانما هو مجرد « زعيم » وطنى ذو نفوذ قومى جارف ، وجماهير واسعة غير منظمة وهو يمثل أساسا فئات الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة .

وهناك أيضا « الحزب الوطنى الاشتراكى » وهو انقسام من « عوامى ليج » قام أساسا فى الجناح الطلابى للحزب بعد الاستقلال • ويقول البعض ان هذا الحزب بالرغم مما يكسوه من مسحة يسارية الا أن بعض قادته مشكوك فى علاقاتهم بالمخابرات الامريكية •

وهناك الحزب الشيوعى ، وهو يمتلك نفوذا لا بأس به ، وخاصة وسط المثقفين • ويمتلك أيضا منظمة فلاحية قوية الى حد ما • ويمكن القول أنه حليف قوى لمجيب الرحمن •

وفى الانتخابات التى جرت مؤخرا حصل « عوامى ليج » على كل مقاعد البرلمان بغير استثناء •

وتلمح رغم التحالف ، علامات اختلاف فى الجبهة المتحالفة ، وان كان الجميع يصوغون تحالفهم على أسس واضحة •

الاسس الاربعة

« التأميم » « العلمانية » « الديمقراطية » « الاشتراكية » تلك هى الاسس الاربع التى حددتها الحكومة برنامجا لها ، والتى التف جميع المتحالفين حولها •• والتى تمنح الاحزاب المتحالفة تأييدها لحكومة « الشيخ مجيب الرحمن » على

أساسها .. ورغم أن سفينة التحالف تمضى فى هدوء الا ان البعض له بعض تحفظات :

● انهم يؤيدون اجراءات الشيخ مجيب فى تأميم البنوك وشركات التأمين وصناعات الجوت والسكر والنسيج ، لكنهم يلاحظون انه بعد التاميم ، يظل المديرون السابقون لهذه المؤسسات فى مواقع الادارة العليا ، الامر الذى يمكنهم من خدمه مصالحهم الخاصة ، وتخريب اقتصاد الدولة .

● وهم يؤيدون الاصلاح الزراعى الذى نص على أن الحد الاقصى للكية الاسرة من الاراضى الزراعيــة هو ١٠٠ بيجـــا (٥ر٧ بيجـــا = هكتار) لكنهم يلاحظون أن السلطة لم تشرع بعد فى الاستيلاء على الاراضى الزائدة ، ولم تبدأ بعد فى الاستيلاء على الاراضى الزائدة ، ولم تعلن بعد عن خطتها للتصرف فى هذه الاراضى الزائدة .

● وهم يشعرون أن تطبيق البرنامج مسألة صعبر ، وتتطلب مزيدا من توحيد الجهود ، ومزيدا من مشاركة القوى المختلفة فى السلطة .

● وهم يلمحون أن تفشى الكثير من الفساد والرشوة ، وخاصة بين كوادر حـزب « عـوامى ليج » .

« بنجاباندو » .. مجيب :

أى « صديق الشعب » مجيب هكذا تتردد صيحة الجماهير فى كل مكان ، والاحزاب المتحالفة ، مع « بنجا باندو » تعرب عن خشيتها من تعاظم دور الفرد ، وان كانت تشارك فى حملة تأييده . لكن ملاحظاتهم عديدة .

« بنجا باندو » وحده يحكم ، وحده اختار الوزراء ، ومن صفوف حزبه فقط .

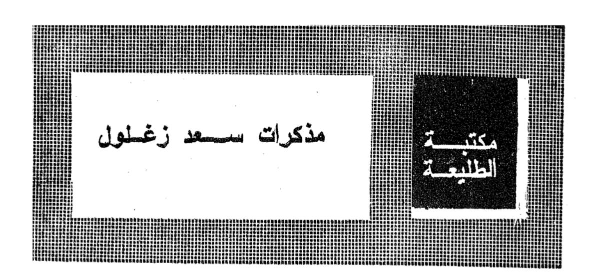
و « بنجا باندو » يسمح بقيام أحزاب مختلفة ، لكن لا يعطى أيا منها أية فرصة للمشاركة وعندما سألت أحد قادة حرب « عوامى بارتى » من الجناح المتحالف مع الشيخ مجيب الرحمن .. الا يتشاور معكم ؟ قال « انه يفعل ، لكنه لم يأخذ برأينا ولا مرة واحدة » .

وفى الانتخابات اكتسح حزبه كل المقاعد ، وهم يقولون ان ثمة ضغطا قد وقع ، ويقولون انه فى ثلاثين دائرة على الاقل لم تجر انتخابات حقيقية ، فالعناصر المسلحة من رجال الشيخ مجيب احتلت مراكز التصويت مرغمة الجماهير بقوة السلاح على التصويت لمرشحى « بنجا باندو » .

ومع ذلك تمضى الحياة فى خضم المشاكل المعقدة ، تماما كما تمضى تحت سيول الامطار .

وفى الاجتماع الجماهيرى الضـخم (٦٠٠٠ شخص) الذى اقيم احتفالا بمنح المجلس العالمى للسلام ميدالية جوليو كورى الذهبية للسلام الى الشيخ مجيب الرحمن ، وعندما وقفت الالوف تحية للنشيد القومى لبنجلاديش ، وبينما مجموعة من الفتيات تنشد مع نغمات الموسيقى الهادئة ، كلمات النشيد التى صاغها الشاعر الهندوسى « طاغور » « يا أرض البنجال الذهبية .. الكم أحبك » ، وبينما الجميع مستغرقون وقوفا فى جو يشبه الحلم مع نغمات أكثر الاناشيد القومية فى العالم هدوءا وعذوبة ، تسلل طفل صغير ، نصف عار ، حافى القدمين ، تكسو جسده النحيل قطرات المطر الذى كان ينهمر خارج السرادق ، تسلل فى براءة الى مقدمة الصفوف الحالمة ، ووقف فى هدوء منشدا مع الفتيات « يا أرض البنجـال الحبيبة .. لكـم أحبك .. سماؤك وهواؤك يعزفان بحنان على أوتار قلبى » .

وكان ذلك تلخيصا لكل شىء (*)



دراســـة :

مصطفى النحاس جبر

عرض وتحليل :

د. رفعت السعيد

النـــاشر :

كتاب روز اليوسف

يونيو ١٩٧٣

لعل أهم ما تثيره دراســة **مصطفى النحاس جبر** لمذكرات **سعد زغلول** هو قضية المنهج .. ودور — كاتب التاريخ — تجاه الحقائق والاحداث التاريخية . ذلك ان البعض يتصور ان التاريخ — بسبب كونه قد اصبح تاريخا — هو أرض مستباحة ، يمكنه أن يمرح فيها كما يشـاء ، مقدما ما شاء من افتراضات أو استنتاجات ، أو بالدقة ما شـاء من « قرارات » ، مستخدما عصـا المدرس تارة ، وصـفارة الحكم تارة اخرى ، ضد أناس طواهم الزمن ولم يعد بامكان اى منهم أن يعترض أو يحتج .

كذلك يتصور البعض ، ان كاتب التـاريخ ، يمـكنه أن « يؤلف » الحقيقـة التى يريدها ، باقتناص « نص » من هنا ، وقصة من هنـاك ، ويتجاهل كل مالا ينسجم مع هواه ، مكونا من هذه القصاصات المجتزئة «الحقيقة» التى يريدها او التى يزعمها .

لكن « الحقيقة » لا تكون « حقيقة » ، الا اذا قدمت كاملة ، وفى اطارها الموضوعى ، ينطبق ذلك على التـاريخ وعلى غيره من العـلوم

الاجتماعية ؟ كما انه ينطبق على كل مجال يجرى فيه البحث عن الحقيقة .

غير ان بعض « كتاب التاريخ » ينتزع أجزاء من الحقيقة ، ويتجاهل أجزاء أخرى ، لاعبا دور عامل « المونتاج » فى الفيلم السينمائى ، محاولا بذلك أن يفرض نفسه وفكره وارادته على الحدث التاريخى ، ناسيا ان « اجتزاء » الحقيقة ، ولوى عنقها ، وما الى ذلك من محاولات تطويعها لتتوافق مع فكر المؤلف ، لا يثمر غير الزيف .

فاذا ما حاولنا تصفح دراسة **مصطفى النحاس جبر** لمذكرات سعد زغلول وجدنا انفسنا امام عدة أسئلة :

■ **لماذا لم توضع هذه المذكرات فى اطارها الموضوعى ، أى فى اطار الحدث التاريخى الذى حاولت أن تسجله ؟**

■ **على أى أساس تم اختيار المقتبسات من هذه المذكرات ؟ وما هو القدر الذى أظهر والقدر الذى أخفى منها ؟**

■ **لماذا يكلف الكاتب نفسه عناء تبرير ما لايمكن تبريره ، واضعا نفسه وكتابه بين رحى تناقضات حادة .. ؟**

فحتى ، عندما يورد **سعد زغلول** فى مذكراته عبارات تدل على تعاليه على الجماهير ، وانفصاله عنها ، وعن قضاياها ، بل وادانته لها مثل « ان الصناع والفعلة لا يشتركون فى الثورة الا بما يسهل عليهم سبل النهب والسلب » فان المؤلف يجد لزاما عليه أن يبرر هذا القول قائلا : « ونحن نعلم أن وقوع الجماهير تحت وطأة الفقر والجهل يجعل من الصعب عليها التحرك تلقائيا فى أغلب الاحيان وفق مصالحها الحقيقية التاريخية » . [ص ١٧] .

ناسيا فى غمرة دفاعه ، ان «الصناع والفعلة» كانوا ، فى هذه الفترة بالذات ، وبرغم ضعف وعيهم الطبقى ، وبرغم ضآلة ثقلهم الاجتماعى والسياسى ، يمارسون نضالا طبقيا واضح المعالم تمثل فى سلسلة اضرابات عمال الترام والسكك الحديدية ، والدخان والترزية وغيرها ، وفى تزايد التنظيمات النقابية والعمالية ، والصحافة العمالية التى لعبت دورا لا بأس به فى ايقاظ الرأى العام ، وفى تحديد معالم الصراع المصرى العام ضد الاحتلال الانجليزى وضد السيطرة الاجنبية على اقتصاديات البلاد .

وعندما يقرن **سعد زغلول** فى مذكراته منطلقا من موقف طبقى ، مغرق فى رجعيته « أن العامة من كل شعب لهم اميال تخالف صوالحهم ، وأفكار لا تلتئم مع منافعهم ، وشهوات اذا اطلق العنان لها ، أفسدت الاخلاق » .. عندما يشن زغلول هذا الهجوم على « الشعب المصرى » كان مصطفى النحاس جبر لا يملك ازاء هذه الصراحة ، فى العداء لحركة الجماهير ، الا أن يتفلسف مدافعا حتى عن هذا الموقف قائلا : « ان هذا التحديد تحديد عام يربط بين الوعى وبين الجماهير ، ولا يرى الكم مجردا بل يربطه بالكيف . ان الايمان بالجماهير عند سعد يصبح بهذا المعنى ايمانا بالجماهير الواعية ، وليس ايمانا بالكتل الهائمة المضللة التى يتملقها « أرباب الجرائد » [ص ١٠] .

فاذا علمنا انه يعنى « بأرباب الجرائد » مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، ورجال الحزب الوطنى ، أمكننا أن نحدد مدى السقطة التى تردى فيها المؤلف ، وهو يحاول أن يشارك سعد هجومه على حركة الشعب المصرى الواعية التى تحركت تحت قيادة الحزب الوطنى فى ذلك الحين .

وعلى أية حال ، فانه يكفى انه بينما كان رجال الحزب الوطنى من « أرباب الجرائد » يقاومون الاحتلال ما وسعتهم المقاومة ، ويحاولون ايقاظ الشعب قدر طاقتهم ، وبرغم أخطاء ارتكبوها أيضا .. فان مصطفى النحاس جبر يفاخر بأن سعد زغلول قد خرج من تحليله للطبقات فى المجتمع المصرى فى مطلع القرن الى نتيجة تقول انه ليس فى « جميع هذه الطبقات قوة الاعتماد على النفس التى هى منبع الحياة للامم » .

ولم يكتف الكاتب بالتبرير ، بل انه مضى فى دفاعه غير الموضوعى ليحمل الكلمات أكثر مما تحتمل .. ولنتأمل مثالا واحدا من بين عشرات من الامثلة يمكن أن يلتقطها حتى القارىء المتعجل ..

يقول المؤلف : « وعلى الرغم مما ذهب اليه سعد ، من افتقار الحركة الوطنية المصرية ، الى الوعى الذاتى ، والحركة المستقلة ، فانه لاينتهى الى اليأس بل يدعو الى قيام تنظيم سياسى قائد فيقول [وعندى ان أحسن ما ترشد اليه هذه الامة فى الظروف الحاضرة وغيرها أن تقوم منها طائفة ، يكون همها نشر الحقائق بينها ، ودعوة الناس الى الايمان بها » .

[أين فكرة التنظيم السياسى القائد ؟] ثم يمضى الكاتب قائلا : « أما شروط هذا التنظيم عند سعد فهى قيامه بتربية الكوادر والقيادات

الجماهيرية ... والعبارة الأخيرة هى محاولة لترجمة عبارة وردت فى مذكرات سعد تقول « بتربية الكفاءات الشخصية بين الافراد » . [ص ٢١] .

الا يبعث ذلك على الدهشة ؟ فماذا مضى المؤلف على هذا النمط — وقد مضى بالفعل — فى تأويل الكلمات واضفاء معان لم تكن لتدور بخلد صاحبها ، ولا يمكن أن تحتملها الكلمات الاصلية فان من حقنا أن نستشعر الخطر على الحقيقة ذاتها .

وحتى عندما يسجل سعد بنفسه اعترافا يحدد طبيعة موقف القوى الوطنية منه فى هذه الفترة قائلا للمستشار الانجليزى : « ان قومى يسددون نحوى سهام الملام ، بدعوى أنى متحد معكم على اضعاف شأنهم وتثبيط هممهم » فان الكاتب يعتبر ذلك مناورة بارعة حاكها سعد زغلول فى حواره مع ممثل الاحتلال الانجليزى [ص ٩٦] .

ثم يمضى سعد زغلول ، مقدما لدنلوب كشف حساب بما قدمه من خدمات للانجليز « كيف ساغ للسير جورست أن يتصور ذلك ، وقد قدمت من الانجليز من تعين وكيلا لمدرسة الفنون والصنائع ، وعددا كبيرا من المدرسين فى مدرستى الصنائع والمهندسخانة فى العام الماضى ولم تخل هذا العام وظيفة يليق أن يرقى انجليزى اليها ثم منعته عن ذلك » . لكن الكاتب لا يجد ما يعلق به على ذلك الا قوله : « وأسلوب سعد فى ادارة الحوار والصراع مع المستشار الانجليزى العنيد هو أسلوب مرن يتسم بالبراعة والذكاء » [ص ٩٦] .

وهكذا يمضى الكاتب ، مبررا كل خطأ ، محاولا أن يثبت أن « الزعيم » لم يخطىء ، ولم يكن من الممكن له أن يخطىء ، حتى ولو اتهم صحف الحزب الوطنى « بالحماقة والسفاهة » وحتى لو وصف قادة هذا الحزب بأنهم مجرد « أرباب جرائد » ، وحتى لو اتهم الامة المصرية كلها بأنها « أمة غافلة أو لاهية أو مشتغلة بالسفاسف والهزيانات » [ص ١١٨] .

بل وحتى عندما يشغل سعد نفسه بالسفاسف قائلا « كيف قد لمحت لرشدى باشا ذات يوم عن اقتراب عيد الجلوس — الخديوى — ان يلفت نظر الخديوى الى ، لان كل اخواتى عندهم علامات شرف راقية ، وليس لى منها الا نيشان صغير لا يليق أن يحمله صدر وزير » . [ص ١٧٢] .

ثم يمضى القارىء ، باحثا عن أفكار سعد فلا يجدها ، أو باحثا عن الحدث التاريخى وترابطه فيفتقده ، ذلك أن عملية « المونتاج » التى قام بها المؤلف لافكار سعد وللاحداث التاريخية ، قد تمت بصورة مفتعلة بحيث أفقدت الموضوع موضوعيته ، وقادت القارىء من متاهة الى أخرى .

وبعد .. فان أحد لايشكك فى زعامة سعد زغلول ، بل ان احدا لا يملك الحق فى ذلك ، فهى زعامة شامخة برغم كل ما شابها من أخطاء ، غير أن الكتاب الذى قدمه لنا مصطفى النحاس جبر ليس دفاعا جيدا عن سعد [الذى لا يحتاج الى دفاع] .. ولا شرحا لمواقفه [التى تحتاج الى مزيد من الشرح] .. بل هو من فرط اسرافه غير الموضوعى فى تبرير كل موقف ، بل وكل خطأ ، قد جعل القارىء يخرج من متاهات كتابه ، محاطا بعشرات من علامات الاستفهام ، حول سعد ، وحول مواقفه ، خاصة فى فترة مشاركته فى الوزارات العميلة للاحتلال — قبل ثورة ١٩١٩ — تارة وزيرا للمعارف العمومية وتارة أخرى وزيرا للحقانية .

وبعد هذا الحديث عن المنهج تبقى بعض تساؤلات ..

● هل من السهل على كاتب التاريخ ان يتهم الحزب الوطنى كله .. بأنه كان فى قبضة الخديوى ؟ وبأن الخديوى بعد هرب فريد من البلاد سيطر على الحزب .. ؟ وأصبح رجال الحزب هم رجال الخديوى ؟ [ص ٢٧١] .

● وهل يمكن ببساطة اتهام رجل مثل الشيخ عبد العزيز جاويش بأنه عنصر مشبوه ؟ [ص ٢٧١] .

● وهل صحيح أن جورست كان مغتاظا ومتهيجا خلال أحداث الفتنة الطائفية ضد الرجعيين من الاقباط ؟ أم انه كان المحرض على الفتنة ؟ [ص ١٦٧] .

واسئلة أخرى كثيرة توحى من كثرتها بأن المؤلف كان فى عجلة من أمره ؟ أو انه لم يكن مهتما الا بشىء واحد فقط هو عملية « المونتاج » مستهدفا ابراز جانب واحد من الصورة ..

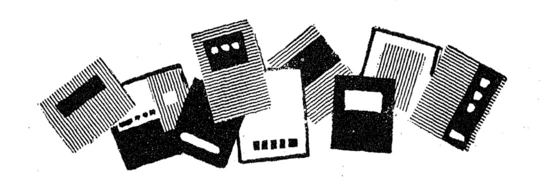
لكن لماذا أجهد مصطفى النحاس جبر نفسه فى اصدار هذا الكتاب .. ؟ انه يجيب على ذلك فى مقدمة الكتاب عندما يقول : « سؤال هنا يعترض .. لماذا الدفاع عن سعد زغلول .. وما هى قضية سعد زغلول الان ؟ والاجابة ان الدفاع عن سعد يمثل دفاعا عن مصر وشعب

مصر الذى اختار وحدد زعامته .. وان الهجوم على سعد بعد المكانة التاريخية التى احتلهـا لايعنى الا الهجـوم على المصريين واتهـامهم بالسذاجة » .

.. السذاجة .. نفس اللفظ الذى اتهم به سعد شعب بلاده يوما ما .. لكننا ، مع ذلك ، نشارك مصطفى النحاس جبر احساسه بضرورة الدفاع عن سعد كزعيم وطنى .. قاد واحدة من اهم الثورات الوطنية المصرية ، لكننا لا نشاركه منهجه فى الدفاع غير المنهجى وغير الموضوعى ، ولا نشـاركه تأويله للالفاظ والباس الكلمـات معان غير معانيها الاصلية .. بمعنى اننا نعتقد أن سعد بثقله الوطنى والتاريخى ليس بحاجة الى « تزويق » أو « ماكياج » حتى نقدمه لمواطنيه .. فلنقدمه كما هو .. زعيم برجوازى وطنى ، خاض غمار المسـاومة مع قوات الاحتلال حتى أضنته المسـاومة ، وعاش تجربة المهادنة حتى مداها العقيم ، ثم انصـهر فى بوتقة النضـال المصرى فتمرد ، رفع راية العصيان ضد الاحتلال وأن كان قد رفعها فى حيرة وتردد فى بادىء الامر ، لكن شعب مصر ، عماله وفلاحيه وطلبته وجموعه الكادحة تلقفت النداء وحولته الى ثورة . وربما لم يكن سعد راضيا عن كل حركتها .. عن ثورتها العنيفة . ولعله فى بعض الاحيـان قد ادان العنف الثورى ، ودعا شعبه الى الهدوء ، والى العمـل « بالوسـائل المشروعة » . لكن الجماهير المصرية تمردت على نداء « الزعيـم » ورفضته واستمرت فى ثورتها وهى تهتف باسم هذا « الزعيم » .

وربما بدا الامر متناقضا ، لكنه كان تعبيرا واقعيا وحيا عن طبيعة الحركة الثـورية التى كانت تموج بها مصر ..

لقد كانت مصر « تذوب شوقا الى الثورة » ، كما وضعها كرومر . وعندما قال سعد « لا » تردد صوت الملايين خلفه ، لكن صـوت الملايين كان يحمل معنى آخر غير الذى أراده الزعيم . ومع ذلك ، فقـد كانت مصر من الوفاء بحيث حفظت لسعد مكانة خاصة فى قلبها ، مكانة اعتقد انها ليست بحاجة الى « دراسة » متعجلة .. وغير موضوعية كى تتأكد .





حل المشكلة الزراعية في مصر تعاونيا

كتب المهندس الزراعي بالادارة العامة للتقاوى عبد العزيز عبد الرحيم الزعويلى عن « السياسة الزراعية فى مصر .. » وقد طرح فى تعليقه عددا من القضايا ، من بينها قضية خلق زراعة تعاونية كحل لمشاكل الزراعة فى مصر ، وقد كتب يقول :

فى تصورى لقضية الزراعة فى مصر أنها ليست فى حاجة الى قانون يحل محل قانون قائم أو سياسة تحل محل سياسة قائمة ولكنها فى الصميم قضية الزراعة المصرية الاصيلة والعريقة على وادى النيل تلك المهنة الخالدة التى تستذبت من الارض كل أسرارها ونتيجة العمل الجاد فيها قضاء على الجوع والتخلف البشرى والفقر والمرض وكل ما تجزع منه الانسانية ..

لقد قدمت ثورتنا العظيمة للزراعة المصرية :

- قانون الاصلاح الزراعى ١٩٥٢ .
- الميثاق الوطنى ١٩٦٢
- بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨
- برنامج العمل الوطنى ١٩٧١ .

تحتوى من المبادىء العميقة والاصيلة فى التنظيم الزراعى الكثير التى لم تتح له فرصة حقيقية للتطبيق .

ألم يحن الوقت أن ندرك بصراحة جيدا أن الزراعة المصرية فى حاجة الى ايديولوجية جديدة تعى عدة نقاط هى :

● من أبرز سمات المجتمع المصرى مُنذ آلاف السنين .. أنه مجتمع الفلاحين هذا المجتمع - الان - الذى يحتوى على قوة هائلة من البشر يتمثلون فى :

- ١٨٫٧ مليون نسمة .
- يقطنون ٤٠٤٠ قرية + ٢٨٣٨١ عزبة .
- به نصف القوى العاملة فى مصر .
- ينتج ٥٥ فى المائة من الانتاج القومى الحقيقى .
- به حركة تعاونية تضم ٣ ملايين مزارع .

معنى ذلك أن مشاكل هذا المجتمع - الفلاحين - تعتبر بحق انعكاس لمشاكل المجتمع المصرى كله ...

● مصر الان بلغت أقصى طاقتها فى استغلال أرضها للزراعة بالمفهوم التقليدى القديم أعلى متوسط انتاج للمحاصيل الزراعية التقليدية - القطن - القمح - الذرة - الارز ، استغلال منهك للارض

الزراعية المصرية على مدار السنة بالكامل ...
تبديد لا معنى له لثمار العمل الانسانى . فى مواجهة هذه القضية فى أعتقادى الوعى بها فى الحقيقة هى مقدمة الادراك الايجابى الفعال لما ينبغى أن نرفضه من الزراعة المصرية بوضعها الحالى وما نقبله بتحفظات ، وذلك بطرح نقط الضعف من جديد ومحاولة الاجابة عليها بمنطق العلم والايمان بحرية الفكر وحقوق الانسان على الارض وادانة الروح التواكلية والسلوك الهمجى والعفوائى والدعوة الى قيم العلم والصناعة والانفتاح على تجارب دول متقدمة سبقتنا فى هذا المجال « الزراعة المتقدمة » فنحن مع التقدم بغير شك نأخذ القيمة ونستلهم الشكل :

فالحاجة ماسة الى أن نستوعب بعمق حركة تطور التاريخ ونناضل لاعداد أنفسنا اعدادا علميا لكى نهضم كل أصيل فى الجديد .. ان تجارب البلدان الاشتراكية مثل بلغاريا ـ المجر ـ والتى كانت مثلا للتخلف الزراعى فى يوم من الايام ينبغى أن تكون دليلنا الى التقدم والعصرية والديمقراطية فى هذا المجال ....

● ان المشكلة الزراعية هنا على أرض مصر ليست مجرد « عدم العدل » فى توزيع الارض الزراعية فحسب بل ان مشكلتنا هى أنه حتى مجموع هذه الاراضى لو وزعناها بالعدل فانه لا يكفى الا لحياة لا تختلف كثيرا عن الحياة التعسة الراهنة التى يحياها أغلب الناس ....

اذن نحن محتاجون الى « تعاونيات زراعيسة انتاجية » تقف بالنسبة الى حجم الانتاج فى سباق مع زيادة السكان الرهيب .. فى سباق لتعويض سنوات التخلف .. فى سباق مع البطون الخاوية والمحرومة ... الى متى ؟؟

● ان شبكة التعاونيات ـ ٤٢٠٠ تعاونية ـ التى تملأ مساحة هذا المجتمع هى بغير شك تفعل فعلها البطىء فى عقول ووجدان الفلاح المصرى لذلك يجب أن نفرق بين الكم والكيف بين مبنى الجمعية بطوبه ورمله وبين منهجها العلمى والانسانى بلحمه ودمه .. فان ما نحتاج اليه جنبا الى جنب مع الجرارات والمبانى والموتورات والمبيدات والتقاوى الموجودة بالجمعية هو المنهج العلمى والانسانى الذى يتجاوز أسوار الجمعية الى العلوم الانسانية وحياة البشر « الانسان التعاونى وكيف نبنيه ؟؟ » وخصوصا وان كنا لا ننكر حقائق التاريخ هو « التعاون » فتعاونياتنا الزراعية المصرية الان تحتاج الى حركة والحركة تحتاج الى محرك والمحرك هنا يحتاج الى قدرة تحريك .. من هو المسئول عن قدرة التحريك ؟؟

● ان حربنا القادمة تعتمد على قوة كل الشعب التى تكمن فى قوته الاساسية فى الفلاحين .. هنا يظهر دور « التعاونيات الزراعية المصرية » القواعد الثابتة فى الريف والتى يجب ان تفرخ القوى الثورية رجال وشباب ونساء تحركه الوطنية الاصيلة .. فالفلاح المصرى منذ آلاف السنين على ضفاف النيل فى الوادى الاخضر الخصيب قبل التحدى وتخطاه .. ووضعت أمامه المصاعب والاشواك ولكنه شق طريقه خلالها حتى أصبح جزءا من تركيبه المزاجى والنفسى ان يتحرك أشد الحركة ويكشف عن معدنه القوى كلما زاد التحدى الذى يواجهه والتى تجلت فى محاربة الاقطاع فى « كفور نجسم » و « بهوت » « وكفر عشما » ، و « ابنود » و « شلش » فالتساؤل الذى يحتاج الى اجابة ... **هل تعاونياتنا الزراعية المصرية بوضعها الراهن والحالى تقوم بتفريخ القوى الثورية الرجال والشباب والنساء والتى تحركه الوطنية الاصيلة النابعة من ريف مصر .. تراب مصر .. طين مصر ؟؟**

هل أى طلاء جديد لهذا النظام القائم فى زراعتنا المصرية على واقع مر يمكن أن يقدم الحل ؟؟

ألم يحن الوقت أن نقول بصراحة أن العمل الزراعى الثورى والجاد لا يزال فى حاجة شديدة وماسة وملحة الى :

أولا : نظرة أكثر عمقا لمشاكل الفلاحين اليومية والمستمرة يوما بعد يوم والتى لم تجد حلا الى الان ...

ثانيا : تحليل علمى لمقدمات قيام واستمرار هذه المشاكل الى الان .

ثالثا : أين الطريق ؟ .. ما هو الحل ؟ .. من أجل الخروج بالزراعة المصرية من الكفاف الى الكفاية ..

فمثلا ماذا قدمنا لمعالجة التفتيت فى الارض الزراعية المصرية ؟؟

نظرة سريعة الى الارقام نرى :

ـ عدد المكلفات ٥ر٣ مليون مكلفة فى ج٠م٠ع

ـ يوجد ٣ ملايين مكلفة اقل من ٣ أفدنة .

معنى ذلك :

أنه يوجد على الارض المصرية اكثر من ٥ر٣ مليون مزرعة اقل من ٣ افدنة ، هذاكمااثبتت لغة الارقام على الورق ، أما الواقع الفعلى فهو أعمق بكثير مما تقدمه احصائيات الملكية فهناك فى حدود الارقام المعبرة عن التفتيت أنواع أخرى من التفتيت .. فمثلا :

ـ مالك لفدان على أكثر من قطعة :

ـ مالك يوجد ما يملكه على قطع صغيرة .

ـ حائز يقسم الارض على أولاده فظاهريا حائز واحد والحقيقة أنها مفتتة أكثر ...

اما التفسير الخطير للارض الزراعية فيرجع الى :

قديما : هذه الظاهرة ترجع الى أواخر القرن الماضى وذلك بصدور اللائحة السعيدية ١٨٥٨ فقد أباحت هذه اللائحة لمستغل الارض الحق فى تأجيرها أو رهنها أو بيعها .. أى أباحت الملكية الفردية فى الارض الزراعية المصرية ...

كذلك كان التسويق والتمويل للمزارع المصرى هو المرابى وكان التسلط والكرباج والارهاب على الفلاح المصرى من جانب كبار الملاك والاقطاعيين . الامر الذى أدى فى الحالة الاولى الى انتزاع الارض منه وهروبه من مراكز التسلط والارهاب فى الحالة الثانية مما أدى الى هدم تجمعاته وكيانه وتشتته وتفتيت ملكيته الى وحدات صغيرة مبعثرة .

حديثا : يمكن القول ان قانون الاصلاح الزراعى والذى اعتمد على توزيع الارض على الفلاحين الكادحين والمعدمين خلق من المزارع الصغيرة ـ ٣ افدنة ـ التى وزعت عليهم هذا التفتيت بمشاكله العديدة .

ـ عادات وتقاليد المجتمع المصرى والتوارث المستمر فى حق الارث تقسيم للمزارع الكبيرة الى صغيرة عاما بعد عام .

ـ عمليات الشراء والبيع للارض الزراعية المصرية ، ستظل هذه الحالة ما بقيت الملكية الزراعية الفردية .

هنا يجب ان نتساءل .. ماذا قدمت سياستنا الزراعية اذا كانت لنا سياسة فعلا لمعالجة مشكلة التفتيت الخطيرة على الارض المصرية ؟؟

ـ هل نظام الدورة الزراعية والذى طبق فى مصر منذ أكثر من ١٠٠ سنة بطريقة منتظمة وان دلت المراجع على انها منذ عهد الرومان حل هذه المشكلة ؟؟

ـ هل مشروع تنظيم الانتاج الزراعى الذى طبق عام ٦٣ ـ ١٩٦٤ فى محافظة كفر الشيخ وبنى سويف حل هذه المشكلة ؟؟

ـ هل قوانين الورق والظل التى صدرت قديما أو حديثا ، والتى وضعت الحل الكافى والشافى آن الاوان لها ان تطبق وتحل هذه المشكلة ؟؟

ـ هل توزيع الارض الزراعية على المهندسين الزراعيين حل مشكلة تفتيت الارض الزراعية ؟؟

هل كل هذا قدم الحل والبحث بجدية عن حل سليم وحاسم لهذه المشكلة ؟ والى متى ؟؟ يتوقف هذا التفتيت المستمر والذى فرض على الارض الزراعية المصرية .

ـ مشاكل يومية ومستمرة يوما بعد يوم .

ـ خلق علاقات انتاج على الارض الزراعية مريضة تهدر عمل الفلاحين المصريين وتعوق الانطلاق نحو الافاق التى لابد من ارتيادها حتى يتحقق النهوض الشامل بالزراعة المصرية .

فاذا كنا جادين حقا فى تطوير الزراعة المصرية وتحويلها من زراعة الكفاف الى زراعة الكفاية على اساس العلم والتخطيط يجب ان :

- ندرس ونناقش التجارب والدراسات التى قدمت فى هذا المجال حتى الان لكى نتعرف على جوانبها الايجابية فندعمها ونطورها وان نعرف جوانبها السلبية فنعالجها ونقضى على اسبابها ..

- ان نضع قوانين الظل والورق موضع التنفيذ والتطبيق بجدية ويوجد فى قوانين الاصلاح الزراعى من عام ١٩٥٢ علاج لهذه الحالة .

- يجب ان نعى جيدا ان توزيع الارض على الكادحين فى قانون الاصلاح الزراعى ليس غاية فى حد ذاته . ان الغاية الحقيقية هى الوصول بالزراعة المصرية الى مرحلة الكفاية لمجتمع الفلاحين المصريين الكادحين . فتوزيع الارض خطوة اولى نحو هذه الغاية . اذن فالاقتصار على هذه الخطوة مستحيل وترك الفلاح لنفسه ولثلاثة افدنة ، ولنظام مسئول عن تطوره وتقدمه ـ التعاونيات الزراعية ـ مريض لا تكفى لاجتذابه الى هذا العالم الحديث المتطور من حوله والذى تتزايد حاجاته ويرتفع مستواه يوما بعد يوم .

- يجب ان نلغى كلمة مكلفة القديمة قدم « محمد على » وان نضع رقم ٣ر٥ مليون مزرعة بين أقواس فى قاموس الزراعة المصرية الحديثة ونحولها الى ٣ر٥ الف مزرعة .. بذلك ننظم العمل على مساحات كبيرة من الارض تضم ملكيات كثيرة وصغيرة حتى نتمكن من ازالة كلمة مستحيل تحويل الزراعة المصرية الراهنة بلحمها ودمها الان الى زراعة حديثة متقدمة ومتطورة .

اليس من حقنا ان نتساءل اذا كان لدينا سياسة زراعية ترد بصراحة على سؤالين :

اولهما : لماذا لم تستطع الزراعة المصرية بنظامها ووضعها الراهن والحالى ان تغير من السمات والمشاكل اليومية والمستمرة للفلاح المصرى وكما وضحها برنامج العمل الوطنى ؟؟

ثانيهما : لماذا لم يظهر اثر واضح لزيادة عدد القادة الزراعيين الثوريين ، والجادين عـلى حل مشاكل الفلاحين وتطوير مجتمعهم • على عكس ما حدث فى المجتمعات الاوربية وكما هو مفروض ان يحدث •• ماهو السبب ؟؟.

■ ■

وكتب عمر عبد المنعم حمودة ـ ليسانس حقوق عن :

فكــرنا المعـــاصر بين الاصـالة والتجديد

قضـية الفكر العــربى المعــاصر بين الاصالة والتجديد من أهم القضايا المثارة الان فى ساحات المناقشة والدراسة تحت عناوين عديدة باحثة عن الوضوح والتجديد ، وعلى الاخص وان فكرنا يمر بمرحلة حضارية وثقافية تفرض عليه أن يكشف بجلاء عن هويته القومية فكرا وثقافة ، والذات المميزة لهذا الفكر ، سواء كان تراثا ام حديثا ومعاصرا •

والفكر العربى منذ مطلع العصور الحديثـة مع فجر يقظته ، تنازعته تيارات شـتى اختلفت وتباينت ، شكلت معالمه وكونت بنيانه • هـذه التيارات ينتمى بعضها الى التراث العربى القديم ممثلا فى التعبير ادبا وفكرا عن المعرى والتوحيدى وابن خلدون والمتنبى وغيرهم ، وبعضها الاخر ينتمى الى الفكر الاوربى الحديث ابتداء من عصر النهضة الاوربية الى يومنا هذا • وثالثها يأخذ بحل توفيقى من التراث والفكر الاوربى فى قضاياه ومشكلاته •

البعض من تيار الفكر السلفى يرى أن الفكر الاسلامى هو سفينة النجاة والتعبير الحقيقى عن شخصيتنا القومية وانه الفكر العربى المتســـم بالاصالة والعمق مقتصرا فى ذلك على تحقيـــق التراث ونشر كتبه ومصنفاته •

ومما لاشك فيه اننا لا ولن نستطيع أن نقطع الصلة بيننا وبين تراثنا القديم كلية • فهو نقطة بدء لما وصل اليه فكرنا اليوم كما انه حلقة من حلقات التطور • الا أنه ينبغى علينا أن نضع التراث فى موضعه السليم من تطورنا بمعنى انه يجب ألا نأخذ كل ما ورد فى التراث على انه مسلمات وبديهيات لا تقبل المناقشة أو الجدل • لكن المطلوب هو أن نأخذ زمام المبادرة بالانتقاء العلمى والموضوعى للافكار والمواقف الجديرة بالاحياء والتقبل من العصر الذى نعيش فيه • وانى لارى ما قاله الفيلسوف الانجليزى الراحل راسل بالنسبة للفكر العربى من«ان امجاد العرب لايصنعها أدبها ولا شعرها ولا فنها ولا علومها ولا جمال لغتها فحسب بل ان عظمة العرب وتقدمهم يصنعه أيضا أولئك الذين يملكون الاستقلال الثقافى ويمارسون النقد الذكى لان هذا هو ثروة أى شعب وسر قوته الخالدة التى تمكنه من تحقيق الاستقلال الفعلى والاكتفاء الذاتى » • وهذا الرأى هو بعينه ما انصرف اليه لوبون ، وبروكلمان ، وبارتولد فى نظرتهم الى الفكر العربى القديم • فكرنا العربى المعاصر مطالب بأن يخلق ويبدع فكرا وأدبا من خلال معاناة اصيلة تعبر عن واقعه ومشكلاته ، وعليه أن يجتهد كما اجتهد السلف فيما عن له من قضايا فرضها عليه واقعه فأعمل أهله العقــل وسيطروا على أقدارهم فى ضوء مناهج العقل والمنطق •

وفى التراث العربى والاسلامى نجـد فكرة جديرة بالاخذ بها كأساس لحياتنا الفكريـة والسياسية والاجتماعية ، هـذه الفكـرة هىفكرة الاجتهاد ، لانها كانت فى حقيقة أمرها أصدق تعبير عن الفكر التقدمى فى الاسلام تلك الفكرة التى عرفها الفكر الفلسفى والدينى ولم تقتصر على نطاق الدراسات الفقهية بل امتدت الى التربة الاسلامية والعربية ، لتحدث كل مظاهر التحويل فى حياة الفكر العربى والاسلامى • وأساس فكر الاجتهاد أن « الوقـائع متجـددة والنصــوص محدودة » على حد تعبير الفقيه الاسلامى الكبير الكسائى •

ونجد فى التراث العربى فلسفيا مدرسة فلسفية قامت عند المعتزلة سادت نظرتها العقلانية الى الامور وأكدت حرية الفرد فى فكره وسـلوكه والدعوة الى مشاركة الفرد فى حياة المجتمع •• مثل هذه الافكار والمواقف هو ما تريد بعثه من التراث العربى فيما يدل على الاتجاهات العقلية المجتهدة عند العرب •

واذا كان الفكر العربى يعانى من الذبـــول والضعف والاضمحلال فان ذلك مرجعه الى وقوعه فى أسر الفكر السلفى بعناصره السلبية دون الايجابية ودون النزوع الى التجديد والابتكار بما يرسى دعائم فكر عربى معاصر يبرز قسمات الذات القومية والعربية كما فعل جيل الرواد ارتباطا بالتراث من ناحية ، والفكر الغربى الحديث من ناحية أخرى ••

اننا اذا أردنا تجديد الفكر العربى فعلينا أن نرفض مدارس الشرح على المتون ، واحياء الكتب الصفراء باعادة تحقيقها فحسب ، بل يستلزم الامر

الكشف عن كل المواقف النضالية فى فكرنا على مر العصور استجابة لمنطق التطور وروح العصر ٠

أما التجديد والمعاصرة وهو الشق الثانى من القضية فينصرف الى الابداع الفنى والفكرى والثقافى ارتباطا بثقافة العصر وتجاربه ،واستلهاما للواقع العربى فى قضاياه ومشكلاته ٠ فعلى الادب العربى المعاصر كأداة من أدوات الفكر المعبر عنه الا يقف عند حدود الماضى أو يتجمد فى نطاق الحاضر وانما عليه أن يستشرف آفاق المستقبل المنشود ٠

ولن يكون هناك تجـــديد ومعـاصرة دون أن يتخلص العقل العربى من ارهاب المـؤسسة الاجتماعية المتخلفة ، ودون تحطيم لـلاغلال الحديدية التى يولد بها فكرنا ونرثها منـــذ مجيئنا الى الدنيا ٠٠

والمعاصرة والتجديد تعنى بالدرجة الاولى أن يبنى الانسان العربى والمصرى بالذات بناء جديدا تتوافر فيه كل سمات الانسان المعاصر ٠ فبغير هذا الانسان لن تكون هناك ثقافة ولا حضارة على الارض العربية ٠

اننا نريد اذن الشخصية الابتكارية للعقـــل العربى حين يعرض لقضاياه ومشكلاته وعلى الاخص وأن هذا العقل الحديث ولد منذ أكثر من قرن من الزمان ،ومن‌ثم فانه يكون على هذا النحو قد بلغ سن الرشد الفكرى بما يعنيه من قدرته على تحمل تبعات التجديد ٠

وعلينا أن نفهم ونعى أن فكرنا سيظل على ما هو عليه اذا لم تتوافر له الامكانيات والمناخ الملائم لقيام حوار على أرضه ٠ فالحوار الفلسفى والحر اذا ما أخذ دوراته الطبيعية فى الفكر لا يلبث أن يخصب ويرشد الفكر فى تجاربه ٠ حوار يجرى داخل المجتمع لا يعــرف التعصب أو الأكـراه ، وحوار يجرى فى الوقت ذاته بين الفكر العربى من ناحية والفكر العالمى من ناحية أخرى ٠٠ وثمار المزاوجة والتفاعل هى بلاشك التى ستمنحنا طاقات وقدرات التجديد وفى نفس الوقت المشـــاركة فى الفكر الانسانى ٠

وليكن الحوار بين القديـم والحديث ٠٠ وليكن الحوار بين الشرق والغرب ٠٠ وليبق العقـــل العربى فيصلا فيما نترسمه عـلى درب تجـــديد فكره ٠

□□□□□

المواقـــف مـــن خـــريجى المـــدارس الفنيـــة المتوســـطة بعـد التعـــريف الجـــديد للعـــامل

وكتب عبد الرحمن محمد خير :

بعد التعريف الجديد للعامل الذى حسم موقف الذين يسمح لهم بقيادة العمال فى نقاباتهم « الا يكونو اعضاء فى نقابات مهنية أو مـــن ذوى المؤهلات العالية » برز سؤال يقول ما هو الموقف من خريجى المدارس الفنية المتوسطة بعد التعريف الجديد للعامل ؟ ويلوح لى أن طرح هذا السؤال يجىء فى وقته بعد تصاعد حركة المطـــالبة بالانضمام لنقابة « المهن الهندسية » بين خريجى المدارس الثانوية الصناعية أسوة بأخوانهم من خريجى المدارس التجارية والصناعية الذين سمح لهم بالانضمام لنقابات مهنية ٠

وهنا ينبغى أن نتساءل عن سر هذا الاصرار العنيد على الانضمام الى النقابات المهنية مـــن خريجى المدارس الفنية المتوسطة ؟ !! والنظـرة الفاحصة تجد أن هناك الكثير من العوامل تتداخل لتجعل مسألة دخول النقابات المهنية قضية مصير بالنسبة لهؤلاء والقاء الضوء على هذه العوامل قد يجعل أمر ازالتها سهلا بالنسبة لمن يريدون خدمة الحركة العمالية ٠ وان كانت هذه العوامل مرئية ومنظورة الا أنه لم يتطرق البحث او النقاش اليها فى يوم من الايام مما جعلها تحدث اثرها المدمر فى صفوف فئة يبلغ تعدادها حوالى الـــ ستمائة الف وتزداد سنويا بمعدل مائة الف من خريجى المدارس الفنية (تجارية ، صناعية ، زراعية) ومـــراكز التدريب المهنى ومعاهد اعداد الفنيين ٠ فما هى هذه العوامل ؟

اولا : الاحساس بالتفرقة سواء على المستوى الاعلى أو الادنى أو المقابل ، وتعـــــدد مستويات هـــــذه التفرقـــــة عجيب ، ولـــكن الـــذى يرسخها ويزيدها **السلم الوظيفى ولوائح العاملين،** ففى مستواها الاعلى نجد أن الفارق بين سنوات الدراسة لا يزيد عن أربع سنوات بين حامل الشهادة المتوسطة والعالية وفى بعض الاحوال سنتين وثلاث سنوات (خريجى معاهد اعداد الفنيين ومراكز تدريب المصانع الحربية) ومع هذا فان فارق الاجر ١٠ جنيهات علاوة على ميزة البدل للمهندسين ٩ جنيهات اى ١٩ جنيها بين المتقاربين سنا ودراسة والمكملين لبعضهم فى العمل الواحد فى الاشراف والعمليات الفنية الدقيقة ٠ وبـــالنسبة

للدرجة فارق درجتين وما يحمله من فارق العلاوة وفرص الترقية المتاحة لهذا دون ذاك ويصبح هذا الفارق قائما طوال سنى الخدمة متجليافى نوعيات ومسميات وظائف كل منهم وهذا يولد لدى خريجى المدارس الفنية احساسا بالظلم الفادح يفرغونه فى اتجاه سلبى هو محاولة الانضمام لنقابات المهنيين فى محاولة الحصول على امتيازاتهم اما الاحساس بالتفرقة على المستويين الادنى والمقابل فينتج عن محاولة بعض رؤساء العمال والملاحظين من غير المؤهلين احاطة هذه الفئة الشابة بسياج من عدم الثقة وتلقيبهم بالافندية لعزلهم عن أخوانهم العمال خشية من المنافسة على الدرجات الوظيفية وتستهل فى هذا الكثير من الاساليب الحاقدة المتنافية مع مثل الطبقة العاملة المصرية وتنمى جهات الادارة هذه الاساليب فى محاولة لمنع تطعيم العمال بالعناصر الواعية المتفتحة وتمزيق صفوفهم ودفعا لهذه الفئات الى الهروب من العمل بين العمال نتيجة للاحساس بالغربة والاضطهاد مما يهدر ما لهذه الفئات من خبرات نظرية وعملية بعيدا عن مصالح العمل والعمال الى الاهتمام بالاوضاع الوظيفية •

ثانيا : التطلعات الموجودة لدى بعض العناصر وضعف الاحساس بقيمة العمل : ان بريق العمل المكتبى والقاب الاستاذية والافندية مازالت تحدث تأثيرها فى بيئاتنا المتخلفة مما يولد دائما لدى الكثيرين من خريجى المدارس الفنية للخروج من ظروف العمل هذه التى وضعتهم فيها نسبة المجموع دون رغبة منهم فيحاول الكثير منهم الهروب الى العمل المكتبى مع ما فى هذا من ضياع لما اكتسبوه من معارف عملية ونظرية يستتبع هذا اللجوء الى نقابات الافندية هروبا من اوساط العمال •• وهذا مؤشر من مؤشرات الخطة خاصة فى مجتمع المفروض فيه أنه يتحول نحو الاشتراكية •

ثالثا : ضعف الحركة العمالية : ان ضعف الحركة العمالية ـ الناشىء عن سيطرة العديد من المهنيين على مواقع القيادة فيها والذين لا تربطهم بالطبقة العاملة اية رابطة مصلحية (تزيد على مصالحهم الذاتية فى استغلال اموال النقابات العمالية لحسابهم) زيادة على بقية القيادات العمالية الغير واعية والتى ابتعدت الصلة بينها وبين حياة القاعدة العمالية وأصبح العمل النقابى لديهم عمل مكتبى يتمتعون من خلاله بكل ما حلموا به ايام أرادوا أن يكونوا افندية ـ كل هذه الاسباب ادت الى عجز قيادة الحركة العمالية عن تبنى قضايا عديدة تمس مصالح العمال مثل •

١ ـ قضية ايام الجمع وحرمان العمال من أجرها بعد تطبيق لوائح العاملين الجديدة سنة ١٩٦٤ •

٢ ـ قضية بدل طبيعة العمل ومسائل الحوافز والاجور وتوزيع الارباح واستغلال النسب الباقية منها فى مشاريع الاسكان والتنمية العمالية •

٣ ـ مشاكل التأمين الصحى وعلاج العمال وعدم وجود ما يكفل مشاركة العمال فى توجيه سياسته •

وينظر خريجو المدارس الفنية الى انفسهم كضحايا ومظلومين ويحاولون دخول نقابات المهنيين جريا وراء البدلات وميزات العلاج والاسكان والترفيه • التى توفرها هذه النقابات للمنضمين اليها •

والسؤال الان ما موقف اتحاد العمال بعد أن حسم مسألة (الصفة العمالية) وحصرها فيمن لا يحملون مؤهلات عاليه أو منضمين لنقابات مهنية من هذه الاعداد الهائلة من خريجى المدارس الفنية ؟

تصورى هو أن يقوم هذا الاتحاد بعمل ضخم على جانبين أولهما : برنامج عمل محدد يتبنى فيه المطالب العمالية المشروعة على أن تناقشه كل القواعد العمالية مما يعطى هذه العناصر الشابة الفرصة لتبرز من خلال مناقشة هذا البرنامج وتندمج فى الصفوف الواسعة للطبقة العاملة بفكر موحد حول كل قضايا العمل والعمال ـ وتستعيد من خلال هذا ثقتها بنفسها واحساسها بالانتماء لهذا الكم الهائل من جماهير العمال وما يمكن أن تصفه نوعيتها المتميزة فنيا وعلميا وثقافيا فى هذه الجبهة العريضة ملتحمة معها محركة لها .

والثانى : القيام بحملة توعية مكثفة ومركزة داخل صفوف هذه الفئات لاشعارها بانتمائها العضوى للطبقة العاملة وما يمكن أن تؤديه لها ودعما لثقتها واعتزازها بنفسها احساسا بقيمة العمل والعمال فى مجتمعنا النامى .. ومحاولة توجيه كل الجهد المهدر من اجل الانضمام لنقابات مهنية الى عمل جاد داخل النقابات العمالية •

ان هذا المنبع الهائل للطاقات الشابة المتفتحة بالامل لهو كسب هائل للحركة العمالية اذا أحسن توجيهه واكتساب ثقته انه الدم الجديد الذى تحتاجه الحركة النقابية لوقايتها من مرض تصلب الشرايين الذى تعيش اليوم مرحلة متقدمة من مراحله .. ان الفرصة قد اعطيت لهذا الكم الهائل من الشباب للدخول فى الحركة النقابية وانمائها وقيادتها فى كل مستوياتها بعد تحريرها من سيطرة فئات المهنيين ، وعليه ان يستغل هذه الفرصة المتاحة للدفاع عن مصالحهم ضمن مصالح الفئات العريضة من العمال من خلال منظمات نقابية قوية بثقل الملايين الذين تمثلهم .. ولكن الواجب أولا على اتحاد عام العمال وقدامى النقابيين لجعل الارض خصبة حتى تنجح فيها عملية استنبات هذه البذور وتفتيح براعمها المليئة بالامل •



وثائق عن الأرض المحتلة

١٩٧٠

التخويف والارهاب
والأعمال الانتقامية
والاعتقال المؤقت

تنشر «الطليعة» فى هذا العدد ، وثيقة « التخويف والارهاب والاعمال الانتقامية » وهذه الوثيقة جزء من الوثائق التى أعدتها «The Arab Women's Information Committee» واصدرها « معهد الدراسات الفلسطينية — بيروت ، يونيو ١٩٧١ » تحت عنوان « العرب تحت الاحتلال الاسرائيلى : ١٩٧٠ » وهى الوثائق التى بدأت« الطليعة » نشرها فى ابريل الماضى ، التى كانت تكشف عن ظاهرة الرفض والتمرد الشعبية داخل الاراضى المحتلة وعن أعمال البطش الاسرائيلى ضد اقتصاديات وممتلكات العرب وتغيير طابعها العربى .

وتكشف الوثيقة التى تنشرها « الطليعة » فى هذا العدد ، عن أعمال الانتقام البشعة التى تمارسها السلطات الاسرائيلية ضد العرب .



« جميع اجراءات التخويف والارهاب محظورة » .

« الاعمال الانتقامية ضد الاشخاص الواقعين تحت الحماية وممتلكاتهم محظورة » .

[المادة ٣٣ من معاهدة جنيف الرابعة]

« لايجوز ان يتعرض اى شخص للقبض او الاعتقال التعسفى »

[المادة التاسعة من ميثاق الامم المتحدة لعام ١٩٦٦ بشأن الحقوق المدنية والسياسية]

اصدر الحاكم العسكرى للضفة الغربية المحتلة والحاكم العسكرى لقطاع غزة وسيناء اوامرهما الى على رافع المحامى ★ بمنعه من دخول المنطقتين لمدة ستة شهور تبدأ من تاريخ انتهاء امر مماثل استمر العمل به لمدة عام . كما ان المحامى يخضع ايضا لامر آخر بتحديد اقامته لمدة تسعة شهور . وقد رفض الحاكمان العسكريان بالمنطقتين المحتلتين ، دخول المحامى الى اى من سجون المنطقتين ، ومنعاه من مقابلة اى من موكليه ، الا اذا حصل على اذن خاص فى كل حالة على حدة .

[الاتحاد : ٢ يناير ١٩٧٠]

القى القبض فى القدس على ١٥ من اصحاب المحال التجارية المجاورة لميدان دبارة ، بالقرب من كنيسة القبر المقدس .

[جيروساليم بوست ، ٢ يناير ١٩٧٠]

قامت سلطات الاحتلال بعمليات بحث واعتقال واسعة فى غزة عقب الانفجار الذى وقع فى الشبكة الكهربائية التى تربط بين شركة كهرباء غزة وبين شبكة الكهرباء الاسرائيلية .

[الاتحاد : ٦ يناير ١٩٧٠]

منذ ثلاثة شهور القى القبض على ١٣ شخصا من اريحا بتهمة تكوين منظمة غير مشروعة . وقد اعترف المعتقلون بأن نشاط منظمتهم يقتصر على مساعدة ضحايا الاحتلال والحرب . وقد وضعت السلطات المعتقلين تحت الحجز الادارى لمدة ثلاثة شهور بدلا من ان تقدمهم للمحاكمة . وكان من بين المعتقلين شاب فى السادسة عشرة ، هو واسم عبد الفتاح حداد ، لم يوجه اليه اى اتهام .

[الاتحاد ، ٩ يناير ١٩٧٠]

اعتقل عدد من اشقاء احد المتسللين المتسلحين ، ويدعى حسن سراير ، فى الاسبوع الماضى فى مسجد الكروم للاشتباه فى مساعدتهم لشقيقهم .

[جيروساليم بوست ، ١١ يناير ١٩٧٠]

كتب راغب العلمى عمدة غزة من طريق الحكومة العسكرية الى رئيس الجمهورية ؟ والى رئيس الوزراء ؟ والمتحدث الرسمى باسم الكنيست ، ووزير الدفاع شاكيا من ان ولده محتجز فى السجن ، وان سلطات الضرائب قد استولت على ممتلكاته الشخصية ، ومن بينها سيارة وعربة نقل وبستان للموالح ومصنع . وقد اعتقل هانى ، ٣٥ سنة ، نجل السيد العلمى فى ٨ ديسمبر للاشتباه فى تهريبه لاموال من الاردن الى قطاع غزة لصالح منظمات المقاومة وتهريب امواله الخاصة خارج القطاع .

[جيروساليم بوست ، ١١ يناير ١٩٧٠]

صرح السيد مور عثمان ، رئيس المجلس المحلى لمسجد الكروم لصحيفة **جيروساليم بوست بقوله : «** اننا نشعر بتغيير فى الموقف تجاه مسجد الكروم وسكانها . » ويتمثل هذا فى التفتيش الاكثر تدقيقا للقرويين فى نقط المرور على الطرق . « اننا لا نشكو من عمليات التفتيش ، ولكن من الشك بالجملة الموجه ضد ٣٨٠٠ من القرويين بسبب ١٢ شخصا — خمسة منهم بسبب محاولات تخريبية جرت منذ شهرين وسبعة من المتهمين بالتسلل المسلح » .

[جيروساليم بوست : ١٢ يناير ١٩٧٠]

صرح تاتالوف شلدمو جازيت ، المسئول عن تنسيق النشاطات فى المناطق الخاضعة للادارة الاسرائيلية ، فى ١٢ يناير انه : « من بين ٣٠٠٠ من المعتقلين لانتمائهم او مساعدتهم لمنظمة فتح ، هناك بعض الابرياء . » وعندما سأل احدهم « كم عددهم ؟ » قال الجنرال : « اذا زاد عددهم عن ١٠٠ فانه يكون كثيرا جدا » . واضاف السيد جازيت ان بعض مخاطر الامن المعروفة قد جرت فى السجن دون محاكمة .

[جيروساليم بوست ، ١٣ يناير ١٩٧٠]

قتل احد الفدائيين واعتقل ٢٠ آخرون فى ٦ يناير فى قرية قريبة من بيت نجار شمالى حبرون .

[جيروساليم بوست ، ١٣ يناير ١٩٧٠]

القى القبض على عدد كبير من السكان المحليين فى غزة عقب انفجار ادى الى قتل سائق التاكسى موشى يوسف .

[جيروساليم بوست ، ١٣ يناير ١٩٧٠]

اجرت قوات الامن تفتيشا فى المنطقة المجاورة للشارع الرئيسى بغزة واعتقلت عددا من المشبوهين عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة اسرائيلية مدنية فى الشارع الرئيسى من المدينة فى ١٦ يناير .

[جيروساليم بوست ، ١٨ يناير ١٩٧٠]

اجرت قوات الامن تفتيشا واعتقلت عددا من الاشخاص لاستجوابهم عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة عسكرية فى غزة فى ١٧ يناير .

[جيروساليم بوست ، ١٨ يناير ١٩٧٠]

اعتقل ١٢ رجلا من طيرة ورجلان من قرية طيبة المجاورة للاشتباه فى قيامهم بسلسلة من الاعمال التخريبية فى منطقة كفار سابا .

[جيروساليم بوست : ٢٢ يناير ١٩٧٠]

رفضت الحكومة العسكرية عددا من الطلبات التى تقدم بها السكان المحليون للسماح لهم باعادة بناء مساكنهم ، التى نسفت لاخفائهم للفدائيين . ولم يتم اعادة بناء سوى منزل واحد بعد ان كانت قوات الامن قد دمرته .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ يناير ١٩٧٠]

اصدرت محكمة الصلح بتل ابيب امرا بالقبض على ليلى يوسف الاسمر لمدة ١٥ يوما بعد عودتها من قبرص ، بتهمة الاتصال بممثلى احدى المنظمات المعادية فى الخارج .

[دافار ، ٢٧ يناير ١٩٧٠]

التقط البوليس عددا من المشبوهين عقب هجوم بالقنابل على سيارة اسرائيلية لنقل الوقود جنوبى غزة .

[جيروساليم بوست ، ٢٧ يناير ١٩٧٠]

اغلقت قوات الامن فى نابلس فى ٢٩ يناير بالشمع الاحمر بيتى اثنين من السكان المحليين كانا قد اعتقلا منذ ثلاثة اسابيع للاشتباه فى انتمائهما لاحدى المنظمات المعادية . والبيتان احدهما لاسعد مطيع ابو زينات ، ٤٥ سنة ، بحى رأس العين ، والاخر يملكه عطا الله شاكر ، ٣٥ سنة ، وموظف بجمعية الشبان المسيحية ويقيم بحى المرج .

[ها آرتس ، ٢٩ يناير ١٩٧٠]

اعتقل عدد غير محدد من المشبوهين لاستجوابهم فى نابلس عقب القاء قنبلة يدوية على احدى السيارات العسكرية .

[جيروساليم بوست ، ٣٠ يناير ١٩٧٠]

فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على معسكر البريج عقب نسف احدى السيارات العسكرية الاسرائيلية بالقرب من المعسكر ، وجمعت جميع شباب المعسكر واخذت تطلق النار فوق رءوسهم ، مما ادى الى اصابة اربعة منهم .

[النهار ، ٢ فبراير ١٩٧٠]

اعتقلت سلطات الامن ابراهيم ابو غيهب ، ٢٨ سنة ، وليمان ابوبيده ، ٣٠ سنة ، ومحمد طهبات ، ٣١ سنة ، اثناء تفتيشها لمعسكر النصيرات للاجئين فى الاسبوع الماضى للاشتباه فى انهم قادة الفرع المحلى لمنظمة التحرير الفلسطينية .

[جيروساليم بوست ، ٥ فبراير ١٩٧٠]

اجريت عمليات تفتيش شاملة فى قرية

★ **اشتهر على رافع كأحد محامى الدفاع عن المتهمين بالقيام بعمليات المقاومة فى الاراضى المحتلة .**

سيلواد وقيل انه قد القى القبض على بعض الاشخاص ، بعد قليل من مقتل احد رجال شرطة الحدود بواسطة احد الشراك الخداعية بالقرب من القرية .

[جيروساليم بوست ، ٩ فبراير ١٩٧٠]

اعلنت ال[illegible] العسكرية فى القدس ان مدير معسكر البلاطة بالقرب من نابلس ، وهو عبد الرؤوف صلاح ورهان ، قد القى القبض عليه فى الشهر الماضى للاشتباه فى عضويته لاحدى مجموعات الفدائيين .

[رويتر ، النهار ، ١١ فبراير ١٩٧٠]

صدر امر بالتحفظ الادارى على عيسى نوح ابو عصب لمدة عام آخر بعد اتمامه مباشرة لفترة حبسه لمدة عام ، ولم يعلن عن سبب لصدور هذا الامر .

[الاتحاد ، ١٣ فبراير ١٩٧٠]

اعتقل جنود احدى السيارات العسكرية جميع المارة بمنطقة شارع عمر الخطاب بغزة عقب احباط محاولة لالقاء قنبلة يدوية على السيارة .

[جيروساليم بوست ، ١٣ فبراير ١٩٧٠]

اصدرت سلطات البوليس امرا بتحديد اقامة عبدالحميد ابو عيطة ، من طيبة ، لمدة ستة شهور ، عقب انتهاء فترة تحديد اقامته السابقة لمدة عام .

[الاتحاد ، ١٣ فبراير ١٩٧٠]

لاحظت احدى الداوريات العسكرية فى ١٣ فبراير وقوف جماعة من الاشخاص فى بستان جنوبى دير البلح اثناء فترة حظر التجول بالمنطقة . وقد حاولت المجموعة ان تهرب عندما اتجهت الداورية نحوها . وبعد ان اطلقت الداورية بضع طلقات للتحذير فتحت نيرانها عليهم ، مما ادى الى مصرع سيدة واصابة سيدة اخرى .

[جيروساليم بوست ، ١٥ فبراير ١٩٧٠]

اعلنت القيادة العسكرية فى مدينة غزة المحتلة ، ان القوات الاسرائيلية قد قتلت عابر سبيل عربى فى الرابعة عشرة من عمره ، واصابت ثلاثة آخرين ، يوم السبت الماضى اثناء اطلاقها النار على احد المشبوهين كان يحاول الهروب

وقال متحدث عسكرى ان الجنود فتحوا نيرانهم بعد ان ركض احد الاشخاص المشتبه فيهم وبعد ان امروه بالتوقف .

وقد اصيب عابرو السبيل الاربعة ، وجميعهم من العرب ، برصاصات طائشة ، وصرح المتحدث العسكرى ان اثنان منهم كانوا من الاطفال .

[وكالات الانباء ، ديلى ستار ، ١٥ فبراير ١٩٧٠]

اصدرت السلطات اوامر عسكرية تحظر على عشرة من المحامين العرب الاعضاء فى النقابة العامة للمحامين من دخول الاراضى المحتلة . واذا استطاع احدهم ان يحصل على تصريح خاص فانه يلزمه تصريح آخر من الحاكم العسكرى المختص لمقابلة موكله فى اى من سجون الاراضى المحتلة . وهذا التصريح الاخير لايمكن الحصول عليه عادة . والمحامون العرب العشرة الذين يشملهم الامر العسكرى هم : حنا نقاره ، وصبرى جريس ، ومحمد معرى ، وعلى رافع ، وحشنى عراقى ، وفراج سالمان ، وعبدالحافظ درويش ، وكامل ظاهر ، وحسن نصار ، ويحيى الجيوشى .

[الاتحاد ، ١٧ فبراير ١٩٧٠]

اعتقل ٢١ من العرب الاسرائيليين اثناء البحث عن مجموعتين من المشتبه فى انتمائهم الى الفدائيين ، احداهما فى الجليل الغربى ، والاخرى فى الناصرة ومن بين هؤلاء المعتقلين سيدة واحدة ، وبهذا بلغت جملة العرب الاسرائيليين المحتجزين لاعتبارات خاصة بالامن ١٧٠ شخصا .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ فبراير ١٩٧٠]

فرضت القوات الاسرائيلية حظر التجول الى اجل غير محدود فى حبرون اليوم واستجوبت عشرات من السكان العرب بحثا عن الفدائيين الذين اطلقوا النار على سيارة اتوبيس محملة بالسائحين الامريكيين فى ٢٤ فبراير .

[هيرالد تريبيون ، ٢٥ فبراير ١٩٧٠]

اطلقت قوات الامن النار على شخص انتهك حظر التجول فأردته قتيلا فى تركوميا بالقرب من حبرون فى حوالى الخامسة من بعد ظهر ٢٤ فبراير .

[جيروساليم بوست ، ٢٥فبراير ١٩٧٠]

من بين الذين شملتهم اوامر الحجز الادارى فهمى المواسى الذى كان معتقلا لمدة عامين ونصف .

[الاتحاد ، ٢٧ فبراير ١٩٧٠]

حدد تاتالوف موردخاى جور ، قائد القطاع الشمالى ، اقامة الشاعر محمود درويش بمنزله اثناء الليل ، مع عدم مغادرة مدينة حيفا . وصدرت اليه الاوامر بتقديم نفسه للشرطة فى الرابعة مساء يوميا . و[illegible] سمح للشرطة بزيارته فى اى وقت اثناء الليل . ويستمر العمل بهذه الاوامر لمدة ستة شهور . ومما يذكر ان محمود درويش محدد الاقامة حاليا لمدة تسعة شهور تنتهى فى اول مارس .

[الاتحاد ، ٢٧ فبراير ١٩٧٠]

قضت احدى المحاكم فى ٢٧ فبراير باستمرار حبس صبحى ابو عروق ، ٦٠ سنة ، وصاحب مدرسة لقيادة السيارات فى عفولة ، والفهائق حسن ابو رحال ٣٣ سنة ، لمدة ١٥ يوما اخرى لكل منهما . وكان الرجلان قد القى القبض عليهما فى الاسبوع الماضى لاتهامات متعلقة بالامن .

[جيروتساليم بوست ، ٢٧فبراير ١٩٧٠]

اعتقل عشرون شابا من طولكرم بتهمة تخريب اسلاك التليفون . وقالت السلطات ان المشبوهين قد اعترفوا بالاتهامات الموجهة اليهم .

[الاتحاد ، ٢٧ فبراير ١٩٧٠]

اعتقل ١١ شابا من غزة للاشتباه فى القائهم للقنابل اليدوية او تغطيتهم للقائمين بهذا العمل اثناء هجوم على سيارتين اسرائيليتين .

[جيروساليم بوست ، اول مارس ١٩٧٠]

القت قوات الامن القبض على عدد من سكان حى السجاعية بشرق غزة عقب انفجار قنبلة فى ٣ مارس ، قتلت رقيبا وجرحت سائق احدى السيارات العسكرية .

[جيروساليم بوست ، ٦مارس ١٩٧٠]

القت قوات الشرطة عند منتصف ليلة ٢ فبراير ١٩٧٠ القبض على اربعة من مدرسى مدرسة **كفار ماندا** الابتدائية ، من بينهم ثلاثة من ابناء كفار ماندا هم بدر حاج ، ووطا الزغبى وعاطف بيشناق . اما الرابع صالح مصباح فهو من القدس المحتلة .

[الاتحاد ، ٦ مارس ١٩٧٠]

اعتقل فهمى المحورى من القدس العربية فى ١٠ يناير ١٩٧٠ ووضع تحت الحجز الادارى لمدة ثلاثة شهور فى سجن رامون . ولم يحقق معه ولم يواجه باى اتهام .

[الاتحاد ، ٦ مارس ١٩٧٠]

القت قوات الامن فى غزة القبض على عدد من الاشخاص المشتبه فى انهم وضعوا شحنة من المتفجرات فى مكتب العمل فى جباليا فى ٩ مارس .

[جيروساليم بوست ، ١١ مارس ١٩٧٠]

اطلقت احدى داوريات الجيش النار على رجل فى خان يونس فأردته قتيلا فى ١١ مارس عندما خرق قرار حظر التجول الذى كان قد فرض من قبل على المدينة .

[جيروساليم بوست ، ١٢مارس ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدستور** الاردنية فى ١٢ مارس نقلا عن بعض القادمين من القدس قولهم ان القوات الاسرائيلية قد لجأت خلال الايام القليلة الماضية الى استخدام اساليب الارهاب ضد العرب المقيمين فى الحى اليهودى من المدينة القديمة المحتلة لحملهم على هجر مساكنهم

وقالت الصحيفة ، ان هذه الاساليب تضمنت وضع عدد من الشحنات الناسفة فى المنطقة مما ادى الى نسف وتدمير عدد من المنازل . واضافت الصحيفة ان سلطات الاحتلال قد اقامت عددا كبيرا من المبانى تمهيدا لتوطين العائلات اليهودية فى الحى .

وجدير بالذكر ان ايجال آلون ، نائب رئيسة الوزراء الاسرائيلى ، واسرته وعدد من حراسه يعيشون الان فى المنطقة .

[رويتر ، ديلى ستار ، ١٣مارس ١٩٧٠]

قتل الجنود الاسرائيليون شابا عربيا

وجرحوا آخر في ١٤ مارس لرفضهما التوقف عندما امرتهما بذلك احدى الداوريات العسكرية . وقد اعلن هذا متحدث عسكري اسرائيلي في غزةفي ١٥ مارس » .

واضاف المتحدث ان الداورية كانت قد لاحظت بعض الاشخاص يتسكعون بالقرب من احدى الجبانات في غزة . وعندما امرتهم بالتوقف واظهار اوراقهم الشخصية لاذوا بالفرار » وقامت الداورية بمطاردتهم واطلقت بضع طلقات في الهواء تحذيرا لهم قبل ان تقتل مواطنا عربيا في الثانية والعشرين وتجرح رجلا آخر .

[وكالات الانباء ، ديلي ستار ، ١٦ مارس ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الامن في قطاع غزة ٣٥ من الفدائيين الذين ينتمون الىالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، من بينهم ٢٨ من طلاب المدرسة العليا برفحتشكلت منهم منظمة طلابية تابعة للجبهةالشعبية . واعتقل اثنان آخران من الفدائيين في القطاع خلال عطلة نهاية الاسبوع . وفي خانيونس القى القبض علىخمسة اعضاء باحدى مجموعات الفدائيين .

[جيروساليم بوست ، ١٧ مارس ١٩٧٠]

اعتقل اربعة اشخاص في غزة في٢٢ مارس في اعقاب حادثتين القيت فيهما القنابل اليدوية .

[جيروساليم بوست ، ٢٣ مارس١٩٧٠]

تم مد اوامر الحجز الاداري لبعض المسجونين السياسيين الذين احتجزوا طوال اكثر من عام لمدة عام آخر . وقد نقل هؤلاء المسجونون السياسيون مؤخرا الى سجن كفار يونس الذييضم الان ٢٨٠ مسجونا سياسيا . اما المسجونون الاخرون الذين كانوا في سجن كفار يونس فقد نقلو الى سجن جديد في بيرسبع .

[الاتحاد ، ٢٤ مارس ١٩٧٠]

اعتقل عدد من الاشخاص في غزة في ٢٥ مارس عقب حادث القاء قنبلة يدوية على سيارة نقل .

[جيروساليم بوست ، ٢٦ مارس ١٩٧٠]

في ٢١ مارس ١٩٧٠ تلقى عبدالكريم اسماعيل حركوش من كفار كفا ، الذي ظل في الحجز الاداري منذ ١٩سبتمبر ١٩٦٩ ، امرا بتجديد اعتقاله . وكان الامر الذي صدر باعتقاله في ١٩٦٩ قد صدر بعد الافراج عنه بعد قضائه لسبع سنوات في السجن . وقد اعتقل وقتئذ لرفضه التعاون مع السلطات . كما اعتقل مصطفى وفؤاد حركوش من كفار كفا بدورهما ، احدهما بأمر لحجزه اداريا والاخر حتى تقديمه للمحاكمة .

[الاتحاد ، ٢٧ مارس ١٩٧٠]

أطلقت احدى داوريات الامن النار على احد السكان المحليين فأردته قتيلا في ٢٧ مارس عندما انتهك قرار حظر التجول في شارع فيصل بنابلس » وكان ضحية هذا الحادث حلاق في السابعة والعشرين ، هو وليد جودت جاموس ، كانقد رفض الاذعان لامر بالوقوف وحاول الهروب على دراجته البخارية .وقامت القوة بمطاردته مطاردة قصيرة فيشارع مجاور واطلقت عليه النار فقتل

(جيروساليم بوست ، ٢٩ مارس ١٩٧٠)

اعتقل شخص شوهد يلقي بقنبلة يدوية على سيارة اسرائيلية في غزة وبعض المشبوهين الاخرين .

[جيروساليم بوست ، ٢٩ مارس ١٩٧٠]

اعتقل ثلاثون شخصا يشتبه في انهم من الفدائيين خلال عملية تمشيط فيبيت تاهيا وبيت هانوم شمالي قطاع غزة في ٢٨ مارس .

[جيروساليم بوست ، ٢٩ مارس ١٩٧٠]

تحتجز قوات الامنعددا من المشبوهين وتواصل التحقيق معهم في ثلاثة من حوادث القاء القنابل اليدوية في غزة منذ يوم ٢٨ مارس .

[جيروساليم بوست ، ٣ ابريل ١٩٧٠]

اطلقت احدى الداوريات العسكرية النار على شاب في الثلاثين من سكان بيت هانوم شمالي قطاع غزة فقتلته في اول ابريل . وكان هذا الشخص قد شوهد في بيت هانوم في الثامنةوالنصف، اي بعد نصف ساعة من سريان حظر التجول اثناء الليل . وقد تجاهل هذا الشخص الاوامر التي صدرت اليه بالوقوف ، على الرغم من الطلقاتالتي اطلقت في الهواء على سبيل التحذير. وقد قتل عندما حاول ان يجري هاربا.

[جيروساليم بوست ، ٣٠ ابريل ١٩٧٠]

بلغ العدد الرسمي للمعتقلين اداريا لمدة عام ٢٢٦ شخصا . ولم يعلن عدد الذين اعتقلوا اداريا لفترات اقل ، على الرغم من ان هناك مئات منالحالات التي تمتد فيها فترة اعتقالهم التيتتراوح بين شهر واحد وثلاثة او ستةشهور. وقد اعلن وزير الدفاع انه ليست هناك حاجة الى تحديد فترات الاعتقال ، لان هناك بالفعل عددا من اللجانالعسكرية التي يستطيع المعتقلون ان يتظلموا اليها. ومع ذلك فليس هناك مايشير الى ان هذه اللجان قد اتخذت اجراء ما ولو في حالة واحدة .

[الاتحاد ، ٣ ابريل ١٩٧٠]

تبدو لمحة من التعليل والتساؤلات الذاتية الكامنة وراء اعتقال اسرائيل للعرب في الحديث الذي اذاعه راديو اسرائيل مع السيد شلومو هليل وزير البوليس .

وقد كانت اجابات الوزير علىالاسئلة المباشرة مدهشة اذا ما تذكر المرء انه كان عليه ان يدافع عن الاعتقال بغير محاكمة ، وهو ما كان اليهود يحاربونه طوال الوقت عندما كان يستخدم ضدهم في ظل الانتداب البريطاني » وقال السيد هليل ان هناك في الوقت الحالي اكثر من ٣٢٠٠ مسجون معتقلين لاعتبارات خصاصة بالامن . وان مايقرب من ١٠٠٠٠اشخص قد احتجزوا على ذمة التحقيق ، لفترات طويلة او قصيرة منذ يونيو ١٩٦٧ » ومن بين هذا العدد الاجمالي هناك الان بضعة مئات ممن اعتقلوا « اداريا »

ويبدو الان من المعلومات التي امكن الحصول عليها من مصادر اخرىاننحوا من ثلاثة اخماس المعتقلين الـ ٣٢٠٠ يمضون فترات العقوبة التي وقعتعليهم بعد محاكمات جرت امام المحاكم ،وان خمسهم معتقلون بغير مثل هذهالمحاكمات اماحالات الخمس الباقي فهي حالات لم يبت فيها بعد . وهؤلاء جميعا فيما عدا ١٢٠ عربيا من الاراضي العربية المحتلة او ما وراءها ، وليسوا من داخل اسرائيل نفسها .

[التايمس ، ٦ ابريل ١٩٧٠]

اصابت احدى الداوريات العسكرية شابا في منطقة الشيخ زويد شمالي سيناء في ٥ ابريل عندما رفضتمجموعة من مخترقي حظر التجول الامتثال لامر الداورية بالوقوف .

[جيروساليم بوست ، ٦ ابريل ١٩٧٠]

ساد جو من الرعب قرية تاران العربية اقترن بالحملات الصحفيةالداعية الى اتخاذ اعمال استفزازية عنيفة ضد سكانها في اعقاب مقتل ثلاثة منشباب القرية هم رشاد راضي بشارة ، ٢١ سنة ، وبدر حسين ، ١٦ سنة ،وركاد سليم شداد ، ١٨ سنة . وقد وصفت الصحافة رشاد راضي بشارة بانه « زعيم الخلية الارهابية » ، ومع ذلك فمن المعروف لابناء القرية جميعا ان رشاد متخلف عقليا . وقد اعلن الاطباء انه متخلف عقليا عندما اخذه والده للعلاج ، فكيف يمكن لشخص متخلفعقليا ان يكون زعيما لخلية ارهابية ؟ وقال احد القرويين ان الشبان الثلاثة قد اخذوا من القرية ثم اعيدوا جثثا . ووصف قروي آخر احدى هذه الجثث قائلا : « كانت يداه فوق صدره وزنده ملتصقا بجسده ، وقد تيبست ذراعاه ، وكانت هناك آثار كدمات على رأسه » .

[الاتحاد ، ٧ ابريل ١٩٧٠]

اعتقل مروان صبري حركوشليستجوب على ايدي سليمان حموده فلاح ، احد موظفي وزارة التربية والتعليم » وكان السبب في اعتقاله اشاعة تقول بأن الطالب وطني متطرف . اما السبب في مثل هذا العمل فهو اشاعة الخوف بين جماهير الطلاب . ولعله كان من الافضل ان يشغل موظفو وزارة التربية والتعليم انفسهم بالتحقيق في الموقف التعليمي البائس الذي تردت اليه بعض المدارس في المناطق العربية .

(الاتحاد ، ١٧ ابريل ١٩٧٠)

اعتقل عدد من ابناء القدس الشرقية فى اعقاب الانفجار الذى وقع فى مدخل احد المطاعم بشارع بورسعيد فى ٧ ابريل .

[جيروساليم بوست ، ٩ ابريل ١٩٧٠]

قتل مصطفى دياب الارجر ، وهو مخرب فى السادسة والثلاثين ، فى حى السباعية فى ١٢ ابريل عندما تجاهل اوامر احدى الداوريات العسكرية وحاول ان يجزى هاربا .

[جيروساليم بوست ، ١٣ ابريل١٩٧٠]

[ملحوظة : تطلق الصحافةالاسرائيلية لفظ مخرب على رجال المقاومة]

ذكر متحدث اسرائيلى ان قوات الامن بمدينة غزة قد اطلقت النار على احد السكان العرب فقتلته عندما حاول الهرب بعد ان استوقفته هذه القوات وطلبت اليه اظهار اوراقه الشخصية .

[انترناشيونال هيرالد تريبيون ، ١٣ ابريل ١٩٧٠]

ذكر عبد الفتاح رجاء فى خطاب الى الكتلة الشيوعية فى الكنيست انه قد وضع تحت الحجز الادارى بسجن رامون منذ ١٠ نوفمبر ١٩٦٩ . واضاف انه قد اعتقل بسبب رفضه التعاون مع سلطات الاحتلال فى غزة .

[الاتحاد ، ١٧ ابريل ١٩٧٠]

التقط عدد غير معروف من سكان مدينة حبرون لاستجوابهم خلال اليومين الماضيين بشأن واقعة اطلاق النيران على مقر قيادة الحاكم العسكرى ليلة١٩ ابريل .

جيروساليم بوست ، ٢٢ ابريل١٩٧٠]

قتل اثنان من سكان رفح فى ٢٠ابريل حيث لم يستجيبا لاوامر الداوريات العسكرية الاسرائيلية ، وقد وقع الحادثان فى منطقة حظر التجول خارج المدينة .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ ابريل ١٩٧٠]

نشرت صحيفة هاآرتس ان ثلاث سيدات من دير البلح قد اعتقلن وقدمن للمحاكمة عقب اضراب فى غزة وديرالبلح احتجاجا على مقتل اربعة من الفدائيين.

[الاتحاد ، ٢٤ ابريل ١٩٧٠]

حتى ٢٣ ابريل كان اكثر من خمسين من سكان مدينة نابلس لازالوا محتجزين بشأن الهجوم الذى وقع بالقنابل اليدوية فى ٢٢ ابريل . وكان قد افرج عن١٥٠ آخرين من قبل بعد استجوابهم .

[جيروساليم بوست ، ٢٤ابريل ١٩٧٠]

زعم متحدث عسكرى فى ٢٤ ابريل ان القوات الاسرائيلية قد القت القبض على القائد العسكرى للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقطاع غزة . واضاف المتحدث ان ١٢ من الفدائيين قد قتلوا واعتقل خمسين آخرين خلال حملة ضد الفدائيين فىغزة خلال الايام القليلة الماضية .

[ديلى ستار ، ٢٥ ابريل ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدستور** الاردنية فى ٢٥ ابريل نقلا عن بعض القادمين من نابلس ، بالضفة الغربية المحتلةللاردن، قولهم ان السلطات الاسرائيلية قد اعتقلت اكثر من ١٠٠ عربى بالمدينة .

وقالت ان عملية الاعتقال جاءت عقب القاء قنبلة يدوية فى ٢٣ ابريل على سيارة اتوبيس تحمل اسرائيليين الى المدينة لحضور احتفال السامريين بعيد الفصح على جبل جاريزيم .

واضافت الصحيفة ان عددا من المحال القريبة من مكان الانفجار قد اغلقت واعتقل اصحابها .

وذكرت الصحيفة على لسان هؤلاء القادمين ايضا ان الحاكم العسكرى الاسرائيلى فى نابلس قد اتخذ عددامن الاجراءات التأديبية من بينها فرضحظر التجول فى بعض الاحياء والحد من تحركات السكان .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

اعتقل السيد منير الريس ، عمدة غزة السابق ، لاستجوابه . وكان الريس قد اعتقل لفترة قصيرة بعد حرب الايام الستة مباشرة ، بعد ان رفض التعاون مع الاسرائيليين . وتقولوكالة الانباء الاسرائيلية انه الان يشتبه فى علاقته بالمنظمات الفدائية وبالسلطات المصرية . كما القى القبض ايضا على احد القضاة المحليين للاشتباه فىتعاونه مع احدى المنظمات غير المشروعة .

[دافار ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الامن عشرات من الاشخاص لاستجوابهم فى اعقابانفجار قنبلة يدوية فى ٤ مايو فى نابلس . وكان اربعون شخصا لا يزالون معتقلين فى الليلة الماضية .

[جيروساليم بوست ٥ مايو ١٩٧٠]

ذكرت صحيفة **الدستور** الاردنية ان السلطات تمنع الفلاحين العرب فى منطقتى اريحا والعوجة من الوصول الى حقولهم فى الصباح ، بهدفالضغط عليهم للتخلى عن اراضيهم .

[اب ، ديلى ستار ، ٢٥ مارس ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدستور** الاردنية فى ٤ مايو ان الاسرائيليين قد القوا القبض على كثيرين من العمال العرب فى قطاع غزة بعد ان وزعتمنشورات تدعو العرب الى التوقف عن العمل فى المشروعات الاسرائيلية .

وقالت الصحيفةنقلا عن بعضالقادمين من القطاع المحتل ان المنشورات تتهم سياسة تشغيل العرب بانها تخدم المجهود الحربى الاسرائيلى .

[رويتر ، ديلىستار ، ٥مايو ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدفاع** الاردنية ان سلطات الاحتلال فىغزة طبقا للمعلومات التى تلقتها من الاراضى المحتلة قد اطلقت النيران من النوافذ داخل المنازل لارغام السكان على الرحيل عنها .

وتضيف **الدفاع** ان الجنود الاسرائيليين قد هاجموا سكان معسكرات المغازى والبريج وبيت راس بمنطقة غزة كاجراء انتقامى ضد تجدد المقاومة الفلسطينية. وقد نسفوا سبعة منازل واعتقلوا سكانها . واطلق الجنود النار فوق النوافذ وخلالهاالارهاب السكانوارغامهم على هجر منازلهم . وقد جرح ١٥ شخصا نتيجة لهذه الاعمال الارهابية . وتوفيت احدى السيدات متأثرةبجراحها.

[الوكالة الفرنسية ، لورينت ، ٧ مايو ١٩٧٠]

اعتقل تسعة اشخاص فى غزة اشتبه فى عضويتهم لاحدى المنظمات غير المشروعة .

كما اعتقل عدد من المشبوهين فى اعقاب انفجار قنبلة يدوية فىخانيونس.

[جيروساليم بوست ، ٧ مايو١٩٧٠]

تم الافراج فى ٧ مايو عن سناءالباز، وهى تلميذة فى العشرين ، بكفالةقدرها ١٠٠٫٠٠٠ ليرة اسرائيلية . وكانت الفتاة قد احتجزت لمدة نحو خمسةشهور للاشتباه فى قيامها باعمال تخريبية .

[جيروساليم بوست ، ٨ مايو ١٩٧٠]

القى البوليس القبض على طالبتين فى اليوم الثالث للمظاهرات التىوقعت خارج مدارس غزة تضامنا معالمسجونين العرب المحتجزين فى السجونالاسرائيلية

[رويتر ، ديلى ستار ، ٨ مايو ١٩٧٠]

اعتقل حسين شكرى القاضى السابق فى حبرون ، فى اواخر الاسبوعالماضى كما اعتقل خمسة طلاب من بيت جالا للاشتباه فى قيامهم بنشاط تخريبى

[هاارتس ، ١٠ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية نحو خمسين عربيا عقب هجومينبالقنابل اليدوية على اثنين من المطاعم فى القطاع الاردنى المحتل من القدس فى الليلة الماضية . وقد اصيب تسعة من الاسرائيليين بجراح طفيفة .

وصرح متحدث عسكرى فى ١٠ مايو ان قنبلة قد انفجرت فى رفح واصيب عربيان . وبدات السلطات الاسرائيلية عملية تفتيش فى المنطقة . وكشف المتحدث ايضا عن ان هناك ستة من الفدائيين العرب الجرحى محتجزون فى اسرائيل اثر اشتباك مع القوات الاسرائيلية فى دارى الاردن يوم ٤مايو.

[النهار ، ١١ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الامن فى نابلس فى١٣ مايو عددا من الاشخاص بعد انفجار قنبلة يدوية بشارع الغزالى .

[جيروساليم بوست ، ١٤ مايو ١٩٧٠]

القى البوليس الاسرائيلى القبض على الممرضة امينة سارى بعد ان فتش منزلها . كما اعتقلوا ايضا شقيقتهاعلى

بعد تفتيش منزله ، وقد احتجز الاثنان لمدة ١٥ يوما .

[الاتحاد ، ١٩ مايو ١٩٧٠]

تم الافراج عن منير الريس ، عمدة غزة السابق الذى اعتقلته قوات الامن منذ شهر مضى ، بكفالة قدرها ٤٠٫٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، وقد افرج عنه فى ١٥ مايو .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ مايو ١٩٧٠]

جرت بعض الاعتقالات فى غزة عقب هجوم بالقنابل اليدوية على مبنىقسم الشئون الداخلية بالحكومة العسكرية. وقد امرت السلطات بتحديد اقامةتسعة شبان من القدس المحتلة بعد ان افرج عنهم من الحجز الادارى لفتراتمتفاوتة، وهؤلاء الشبان هم : حياة خيرو ،ونفوذ المفتش ، وفريد الطويل ، ونعيمقبلانى، وياسين قواسمى ، وخضر عسلينى ، وحسن دنديس ، ويعقوب فرح ، وجميل الشقيرات .

[الاتحاد ، ٢٥ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت السلطات حوالى ٨٠شخصا خلال الشهرين الماضيين بتهمة الانتماء الى منظمات المقاومة .

[الاتحاد ، ٢٦ مايو ١٩٧٠]

قال ديان وزير الدفاع ردا على سؤال فى الكنيست ان جملة عدد المعتقلين المتحفظ عليهم اداريا حتى ابريل ١٩٧٠ بلغت ١٢٩٨ شخصا ، من بينهم ٣٧ من المواطنين الاسرائيليين. وان الحد الاقصى لمدة كل من اوامر الاعتقال هذه هى عام واحد قابل للتجديد الى عدد غير محدود من المرات

[هـا ارتس ، ٢٧ مايو ١٩٧٠ ، والنشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٢٨ مايو ١٩٧٠] .

غرقت مدينة غزة فى ظلام كامل الليلة الثانية على التوالى ، عقب نسف الفدائيين الفلسطينيينلاحد ابراج الكهرباء ذات الضغط العالى الواقعة فى منطقة كيبوتز ناحال عوز .

وقد فرضت السلطات الاسرائيلية ، بعد هذا الحادث ، حظر التجول فى المدينة واعتقلت خمسين شخصا . واستدعى الحاكم العسكرى رئيس المجلس البلدى العربى وحذره تحذيرا صارماوحمله مسئولية هذه الاعمال .

وذكرت صحيفة الدستور ان الموقف فى غزة متوتر للغاية ، خاصة وان رئيس المجلس البلدى قد قال للحاكم العسكرى : « ان هذه المحاولات انما هى رد على احتلالكم لهذه الاراضى . وينبغى ان ترحلوا قبل ان يصبح الموقف اكثر تفجرا » .

[الوكالة الفرنسية ، لوريئت ، ٢٨ مايو ١٩٧٠]

وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلية صلاح الدين محمد من القدس تحتالحجز الادارى واخذته الى سجن دامون .

[الاتحاد ، ٢٩ مايو ١٩٧٠]

اطلقت داورية من قوات الامن الاسرائيلية النار على عودة عمر سليمان طربان ، احد السكان العرب من مدينة رفح ، فى الثانية والخمسين، فقتلته . وكان ضحية هذا الحادث قد رفض الاستجابة لاوامر الداورية فى٢٩ مايو .

ومما يذكر ان التحرك بدون تصريح ممنوع فى رفح بعد حلول الظلام ، وكان حظر التجول اثناء الليل لايزال معمولا به فى المنطقة عندما وقع الحادث .

[جيروساليم بوست ، ٣١ مايو ١٩٧٠]

صرح بعض المسئولين فى ٣١ مايو ان قوات الامن الاسرائيلية قد القت القبض على عشرات من العرب المشتبه فى انتمائهم الىمنظمات الفدائيين فى الضفة الغربية للاردن التى تحتلها اسرائيل . واضاف هؤلاء المسئولون ان كميات كبيرة من الاسلحة والمتفجرات قد ضبطت خلال الحملة التىجرت مؤخرا. وذكر اكثر من عشرين من المشبوهين الذين اعتقلوا فى السامرية للمحققين انهم قد اعتقلوا قبل ان يستطيعوا القيام بأى عمل من نشاطات المقاومة.

وقال المسئولون ان عشرات آخرين من بينهم ٢١ من المعتقلين فى منطقة حبرون قد اعترفوا بقيامهم بعدد من الاعمال الفدائية ، من بينها اطلاق النار على مقر قيادة الحاكم العسكرى فى حبرون وعلى سيارات عسكرية

[رويتر : ديلى ستار، اول يونيو ١٩٧٠]

تم استجواب اكثر من ١٥٠ منسكان غرب الجليل بشأن الانفجارات الخمسة التى وقعت نهارا وبالقرب منها فى ٢ يونيو . وقد اطلق البوليس سراح اكثر من ٦٠ شخصا بعد لقاءات قصيرة ، ولايزال التحقيق مستمرا مع الاخرين .

(جيروساليم بوست ، ٤ يونيو ١٩٧٠)

القى القبض على ١٥ شخصا بعد وقت قليل من وقوع انفجار فى جاراج يملكه يهودى فى وادى الجوز ، فى الشمال الشرقى من مدينة القدس ، يوم ٢ يونيو . وقد افرج عن ١٠ منهم فى ٣ يونيو ، بينما لايزال الخمسةالاخرون معتقلين حتى الان .

[جيروساليم بوست ، ٤ يونيو ١٩٧٠]
. [١٩٧٠

القت قوات الامن مؤخرا القبض على ١٤ شخصا يشتبه فى قيامهم بأعمال تخريبية فى قطاع غزة . وقد اعلن هذا متحدث عسكرى اسرائيلى فى ٣ يونيو . وجاء فى تصريحاته أن ١٢ منهم اعضاء بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . أما الاثنان الاخران فهما من بدو سيناء .

[جيروساليم بوست ، ٤ يونيو ١٩٧٠]

القت سلطات الاحتلال فى الضفة الغربية القبض على السيدة تسارة عرب من بيت لحم ، وهى أم لستة منالاطفال عند عودتها من زيارة الى عمان .

[الاتحاد ، ٥ يونيو ١٩٧٠]

ابلغت قوات الامن الاسرائيلية الزعماء العرب فى المناطق المحتلة انها لن تسمح بأى اضرابات او مظاهرات ، حتى ولو كانت سلمية ، بمناسبة ذكرى حرب الايام الستة .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٥ يونيو ١٩٧٠]

اعلن راديو اسرائيل ان أحد رجال الشرطة قد اصيب عندما القيت قنبلة يدوية فى القدس القديمة فى ٥ يونيو . وقال الراديو أن قوات الأمن كانت تقوم بعملية تمشيط للمنطقة ، وقد جرت بعض الاعتقالات بعد الهجوم الذى وقع حوالى الساعة السابعة والنصف مساء بالتوقيت المحلى .

[ديلى ستار ، ٦ يونيو ١٩٧٠]

قدم شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلى تقريرا الى الكنيست عننشاط وزارته ، وقد أعلن أن عدد المعتقلين السياسيين فى الارض المحتلة يبلغ ٣٥٠٠ من بينهم ٢٣٤ من العرب الاسرائيليين ، منهم ٣٤ معتقلا اداريا . وكان وزير الدفاع قد أعلن فى الاسبوع الماضى أن عدد المعتقلين اداريا فى الاراضى المحتلة يبلغ ١٢٩٢ معتقلا . وقد طلب وزير الشرطة زيادة عدد السجون حتى تستطيع أن تستوعب أعدادا أكبر من المسجونين .

[الاتحاد ، ٩ يونيو ١٩٧٠]

قتل رجل فى الثانية والثلاثين منأبناء غزة وجرح أربعة آخرون عندما فتحت داورية عسكرية النار على مجموعة من المشبوهين الهاربين فى الثامنة من مساء ٩ يونيو . وقد وقع الحادث بعد وقوع انفجار هز قطاعا من المدينة بالقرب من ميدان فلسطين . وقد اندفعت داورية عسكرية الى مكان الحادث ووصلت فى الوقت المناسب لترى عددا منالاشخاص يهربون . وعندما صدرت اليهم الاوامر بالتوقف لم يستجيبوا ففتحت الداورية عليهم نيرانها .

[جيروساليم بوست ، ١١ يونيو ١٩٧٠] .

قتل رجل مسن فى بيت هانوم ، واصيبت امرأة فى الثلاثين اصابات بالغة فى ١٠ يونيو ، عندما فتحتاحدى الداوريات العسكرية عليها نيرانها . فقد لاحظ الجنود الذين كانوا فى داورية بمناطق حظر التجول بعض الاشخاص الذين اشتبهوا فيهم واصدروا اليهم امرا بالتوقف . وعندما بدأ هؤلاء يجرون هاربين أطلقت قوات الامن نيرانها

[جيروساليم بوست ، ١٢ يونيو ١٩٧٠]

أطلقت احدى الداوريات العسكرية النار على رجل من غزة فقتلته بالقرب من كيبوتز كيسوفيم فى الثالثة والنصف من صباح ٢٠ يونيو وقد طلبت الداورية فى البداية ان يتوقف ، وعندما لم يستجب

لهذا الامر أطلقت عليه النار وقتلته .

[**جيروســـاليم بوست ، ٢١ يونيو ١٩٧٠**]

قـامت قوات الامن بعملية تمشـيط واسعة النطاق والقت القبض على عدد من أصحاب المحال التجارية فى حبرون فى ٢١ يونيو عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة أتوبيس سياحية عابرة .

[**جيروســـاليم بوست ، ٢٢ يونيو ١٩٧٠**]

منذ أكثر من شهر نسفت سـلطات الاحتلال منزل احمد صـادق ابراهيم فى قرية طيبة بالقرب من جنين واعتقلته هو وزوجته وولده ابراهيم ، ١٥ سنة ، وأودعتهم سجونا مختلفة فى الضـفة الغربية . أما بقية الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ و ١٤ عاما فقد وضعتهم السلطات فى خيمة من القش ، ولم يجرؤ أحد على الاعتراض .

[**الاتحاد ، ٢٣ يونيو ١٩٧٠**]

اعتقلت قوات الامن بعض الاشخاص المشتبه فيهم عقب هجوم بالمتفجرات على طابور من الرجال المنتظرين خارج مكتب العمل المحلى فى غزة فى ٢٨ يونيو .

[**جيروســـاليم بوست ، ٢٩ يونيو ١٩٧٠**]

اعتقل عدد من الاشخاص فى الشيخ دنون وأبو سنان عقب هجوم لتخريب أحد ابراج الكهرباء فى غرب الجليل .

[**دافار ، أول يوليو ١٩٧٠**]

ألقت قوات الامن القبض على عدد من الاشخاص المشتبه فيهم فى غزة عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة تابعة للسلطات الحكومية المدنية فى ٣٠ يونيو

[**جيروســـاليم بوست ، أول يوليو ١٩٧٠**] .

قتلت احدى السيدات من سكان قطاع غزة بمدينة غزة فى ٢٩ يونيو بواسـطة طلقات أطلقتها احدى الدوريات العسكرية بالقرب من ميدان المدينة .

ففى حوالى الساعة التاسعة والربع اكتشفت الداورية عددا من الاشخاص المشتبه فيهم ينتهكون قرار حظر التجول . وعندما رفضوا الامتثال للامر الذى صدر اليهم بالوقوف واظهار أوراقهم الشخصية فتحت الداورية نيرانها ، وقتلت السيدة

[**جيروســـاليم بوست ، أول يوليو ١٩٧٠**] .

أغلقت قوات الامن بالشمع الاحمـر منزل الحاج كامل ابوشيسى من حبرون الذى كان قد اعتقل منذ أكثر من شهر .

[**هاآرتس ، أول يوليو ١٩٧٠**]

أغلقت قوات الامن حى السجاعية بمدينة غزة للقيام بعملية تمشيط عامة ، واعتقلت عددا من المشتبه فيهم عقب هجوم بالقنابل اليـدوية على سـيارة اتوبيس مزدحمة بالركاب فى غزة فى أول يوليو .

[**جيروســـالم بوست ، ٢ يوليـو ١٩٧٠**]

اعتقل عدد من الاشخاص فى الضفة الغربية بتهمة القيام بنشـاط تخريبى . وكان من بين المعتقلين الدكتور محمـد غوشة من رام الله .

[**الجارديان ، ٢ يوليو ١٩٧٠**]

ذكرت صحيفة **الدستور** الاردنية فى عمان أن القوات الاسرائيلية قد اعتقلت ٤٠ من الطلاب العرب ، من بينهم فتيات فى منطقة بيت لحم مؤخرا بينما كانوا يؤدون امتحانات الدراسة الثانوية . وقالت الصحيفة أن القوات الاسرائيلية أغارت على قاعة كانت تجرى فيهـا الامتحانات واقتادت الطلاب الى الخارج لاستجوابهم . وذكرت الصحيفة أيضـا أن الاسرائيليين قد اعتقلوا مؤخرا الدكتور أحمد خلف ، مدير مستشفى الامراض العقلية فى بيت لحم ، بينما كان يقوم باجراء جـراحة . وهو الان بسـجن صرفند .

[**هاآرتس ، ٣ يوليو ١٩٧٠**]

تمت عدة اعتقالات فى غزة اثر هجوم بالقنـابل اليدوية على سيارة اتوبيس مزدحمة بالركاب فى ٥ يوليو .

[**جيروســـاليم بوست ، ٦ يوليـو ١٩٧٠**] .

كان أربعة أشخاص لازالوا فى الحبس فى ١٢ يوليو بسبب الهجوم بالقنـابل على بلاج اشزيف فى اليوم السابق .

[**جيروساليم بوسـت ، ١٣ يوليو ١٩٧٠**] .

وضع عدد من الاشخاص فى الحبس لاستجوابهم عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة اتوبيس مزدحمة بالركاب فى غزة فى ١٢ يوليو .

[**جيروساليم بوست ، ١٣ يوليـو ١٩٧٠**] .

قتلت احدى الداوريات سيدة فى غزة عندما رفضت الاذعان لامر بالتوقف أثناء حظر التجول .

[**لوموند ، ١٤ يوليو ١٩٧٠**]

اعتقلت قوات الامن مؤخرا مجموعة من ١٤ طالبا بالمدرسة المهنية التابعة لوكالة الغوث والتشـغيل التابعة للامم المتحدة فى غزة . وقد ألقى القبض على مجمـوعة اخرى بمعسـكر النصيرات للاجئين . وألقت قوات الامن هنـاك على سبعة أشـخاص شبان ، بينهم ثلاثة من الفتيات ، كلهم من أعضـاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

[**جيروساليم بوست ، ١٥ يوليو ١٩٧٠**] .

أطلق الرصاص على بدوى فأصيب فى العاشرة والنصف مساء ١٦ يوليو عندما شوهد وهو يسير أثناء حظر التجول . وقد طلبت اليه احدى الداوريات العسكرية التوقف ، واطلقت النـار فى الهـواء للانذار عندما رفض الاستجابة . وعندما أخذ يعدو هاربا أطلق أحد الجنود النار على ساقه فأصابه .

[**جيروساليم بوست ، ١٧ يوليـو ١٩٧٠**]

نشرت صحيفة **الدستور** الاردنية ان حوالى ٢٠٠٠٠-٣٠٠٠٠ من الجنود الاسرائيليين يساندهم عدد كبير من الدبابات وطائرات الاستطلاع يقومون الان بواحدة من أكبر عمليات التفتيش فى مناطق غزة والعريش وسيناء بحثا عن الفدائيين . وقد أصدرت أوامر بمنع التجول في المناطق الثلاث .

واضافت الصحيفة أن سلطات الاحتلال قد اعتقلت نحو ١٥٠ من البدو من ابناء العريش وسيناء ونقلتهم بواسطة طائرات الهليكوبتر الى معسكرات الاعتقال فى غزة .

[**النهار ، ١٧ يوليو ١٩٧٠**]

ذكرت صحيفة فتح أن قرية **بيت فوريك** بمنطقة نابلس قد حوصرت والقى القبض على أربعة أشخاص فيها . اما السبب فهو أن اسم القرية قد « ذكر ببساطة » فى برنامج اذاعى لاذاعة فتح .

[**النهار ، ١٧ يوليو ١٩٧٠**]

نشرت صحيفة **فتح** التى تصـدر فى عمان أن سلطات الاحتلال الاسرائيلية قد حاصرت قرية بيت سورين ، بالقرب من نابلس ، والقت القبض على اربعة اشخاص بتهمة انهم على علاقة بالفدائيين الفلسطينيين .

[**لورينت ، ١٧ يوليو ١٩٧٠**]

اتهمت صحيفة **الدفاع** الاردنية فى ٢٢ يوليو سلطات الاحتلال الاسرائيلية فى الضفة الغربية بعزل قرية كفار راى بمنطقة جنين ، واغلاق جميـع الطرق المؤدية اليها . وفضلا عن ذلك فقد قامت قوات الاحتلال الاسرائيلية باجراء تفتيش واسع النطاق لكافة المنازل واقتـادت كافة رجال القرية الى فناء المدرسـة لفحص أوراقهم الشخصية . وقد اعتقل نتيجة لذلك ١١ شخصا .

[**رويتر ، النهار ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠**]

اغلقت قوات الامن الاسرائيلية محلا تجاريا يملكه حسين مصطفى أحمد فى قرية بالقرب من رام الله بعد القـاء القبض عليه .

[**هاآرتس ، ١٩ يوليو ١٩٧٠**]

اعتقلت سـيدتان فى ٢٢ يوليـو لاحداثهما شغبا واخلالهما بالامن فى محكمة نابلس العسكرية .

[**جيروســـاليم بوست ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠**] .

اعتقل البوليس عددا من الاشخاص فى ٢٢ يوليو من بينهم عدد من موظفى المستشفى ، للاشتباه فى تواطئهم فى جريمة قتل أحد السكان بغزة .

[**جيروســـاليم بوست ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠**] .

اعلنت صحيفة **الدفاع** الاردنية أن القوات الاسرائيلية قد أضرمت النار فى أكثر اشجار الزيتون والفواكه بمنطقـة غزة . واتهمت الصحيفة أيضا الاسرائيليين فى قطاع غزة بمسئوليتهم عن الهجمات التى تجرى بالقنابل على المناطق العربية المزدحمة واتهام الفدائيين العرب بهذه الهجمات . وقالت الصحيفة أن الاسرائيليين قد جندوا ١٠٠ من أعضاء حزب حيروت

والمجندين السابقين لهـذا الغرض .
وقالت الصحيفة ان هذه العناصر قد قامت تحت اشراف المخابرات الاسرائيلية بالقاء سبع قنابل يدوية خلال شهرين على الحشود العربية فى مدن القطاع ، مما ادى الى قتل ١٨ شخصا على الاقل واصابة عشرات آخرين بينهم نسـاء وأطفال .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠] .
القت قوات الامن الاسرائيلية القبض على تسعة من الطلاب بالمدرسة المهنية لوكالة الاغاثة فى غزة فى أوائل هذا الاسبوع بتهمة القيام بأعمـال تخريبية ضد السلطات .

[هاآرتس ، ٢٩ يوليو ١٩٧٠]
القى القبض على اربعة من الشبان فى نابلس ، تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٣ عاما يوم ٢٩ يوليـو لتوزيعهم منشـورات تنطوى على تحريض ضـد السلطات . وكان اثنان من المعتقلين من تلاميذ المدارس الثانوية .

[جيروســاليم بوست ، ٣٠ يوليو ١٩٧٠] .
امتد حبس بضعة اشخاص لاستجوابهم عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة لثلاثة من الاسرائيليين من اللد .

[جيروساليم بوست ، ٣ اغسطس ١٩٧٠] .
القى القبض فى مدينة غزة على ٢٧ من الفدائيين ، من أعضاء قوات التحرير الشعبية ، الجناح العسكرى للجبهـة الشعبية لتحرير فلسطين . كما اعتقل سبعة فدائيين آخرين من اعضاء الجبهة الشعبية فى معسكر النصيرات للاجئين بالقرب من دير البلح .

[جيروســاليم بوست ، ٩ أغسطس ١٩٧٠] .
قالت صحيفة الدفاع الاردنية فى ٧ اغسطس أن القوات الاسرائيلية قـد اعتقلت فى اليوم السـابق ١٩ شخصا على الاقل ممن يشتبه فى تعاونهم مع مقاتلى المقاومة العرب فى عملية تفتيش واسعة بمدينة البيرة ، شمالى القدس .
كما ذكرت الصحيفة أن السـلطات الاسرائيلية قد الغت أيضا التصـاريح التى كانت قد أعطتها لسكان المدينة لزيارة اقاربهم فى الضفة الشرقية ، ومنعت الزوار القادمين من عمان من الدخول .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٨ أغسطس ١٩٧٠] .
اعتقلت قوات الامن الاسرائيلية ١٥ شابا كانوا يعدون للقيام بمظاهرات فى قطاع غزة ضد وقف اطلاق النار . كما اذيع أيضـا أن هذه القوات قد قبضت على ٣٤ من المخربين خلال الايام القليلة الماضية .

[النشرة اليـومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ١٠ اغسطس ١٩٧٠]
اعتقلت سلطات الاحتلال فى غزة ٣٤ من الفـدائيين فى معسـكر النصيرات للاجئين .

[الاتحاد ، ١١ اغسطس ١٩٧٠]
حاصر البوليس قرية تاران وقام بحملة اعتقالات جماعية ، كما قام بتفتيش جميع الداخلين الى القرية أو الخارجين منها . وقد كان هذا عقب الانفجار الذى وقع فى مستوطنة ساديلام بالقرب من تاران .

[الاتحاد ، ١١ اغسطس ١٩٧٠]
قام أفراد احدى الداوريات الاسرائيلية باعتقال عدد من الاشخاص فى رفح فى ١٢ اغسطس عقب هجوم على احـدى الداوريات .
وحاصرت قوات الامن حى السجاعية بشرق غزة واعتقلت عدة أشخاص عقب هجوم على احدى السيارات المدنيـة الاسرائيلية حوالى الساعة الثانية بعد الظهر .

(جيروساليم بوست ، ١٣ اغسطس ١٩٧٠] .
فى ١٢ اغسـطس كان عـدد غير معروف من سـكان الضـفة الغربيـة لايزالون رهن التحقيق بشـأن واقعتى القاء قنابل فى حبرون ونابلس يوم ١١ اغسطس .

[جيروساليم بوست ، ١٣ اغسطس ١٩٧٠] .
اعتقل عدد من الاشـخاص فى ٣ سبتمبر فى خان يونس عقب القاء قنبلة يدوية على سـيارة اتوبيس مزدحمـة بالركاب .

[جيروساليم بوست ، ٤ سبتمبر ١٩٧٠] .
اعتقل ثلاثة اشخاص فى ٣ سبتمبر بعد القاء قنبلة يدوية فى مقهى برفح .

[جيروساليم بوست ، ٦ سبتمبر ١٩٧٠] .
اغلقت الطرقات داخل بوابة هيرودس فى القدس الشرقية بواسطة قوات الامن على الفور والقى القبض على ٢٠شخصا بعد القاء قنبلة يدوية من داخل سـور المدينة القديمة امس .

[جيروساليم بوست : ٧ سبتمبر ١٩٧٠] .
قتل متسللان من قطاع غزة فى ٥ سبتمبر بالقرب من كيبوتز نير ابتزوك .

[جيروساليم بوست ، ٨ سبتمبر ١٩٧٠] .
اعتقل عدد من الاشخاص فى خـان يونس فى ٦ ستمبر عقب انفجار وقع أمام مكتب العمل .

[جيروساليم بوست ، ٨ سبتمبر ١٩٧٠]
جددت قوات الاحتلال الاسرائيلية أمرا بتحديد اقامة كل من رمزى خمى ونمر مرقص وجميل شهادة لمدة عام كامل .

[الاتحـاد ، ٨ سبتمبر ١٩٧٠]
يجرى استجواب عدد غير معروف من الاشخاص فى القدس . وقد القى القبض عليهم بالقرب من البوابة الجديدة بعد انفجار قنبلة يدوية فى ٨ سبتمبر .

[جيروساليم بوست ، ٩ سبتمبر ١٩٧٠] .
صرح متحدث عسكرى بأن ثلاثة من السكان العرب بقطاع غزة الذى تحتله اسرائيل قد اصيبوا فى ١١ سبتمبر على أيدى داورية اسرائيلية كانت قد طلبت اليهم أن يظهروا أوراقهم الشخصية . وقال المتحدث أن الثلاثة لم يتوقفوا عندما طلب اليهم ذلك وحاولوا الهرب .

[رويتر ، ديلى ستار ، ١٢ سبتمبر ١٩٧٠] .
بلغ عدد المعتقلين العرب فى اسرائيل فى منتصف اغسطس ٣٤٠٤ اشخاص . وهذا العدد لا يشمل الجنود السوريين والمصريين الذين يعاملون كأسرى حرب، وان كان يشتمل على نحو ١٢٠ من العرب الاسرائيليين ، وقد ادين نحـو نصف هذا العدد وصدرت ضدهم أحكام لارتكابهم اعمالا ضد أمن اسرائيل ، ويقدر أن عددا يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ من المعتقلين ينتمون الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ويخضع ٩٨٠ عربيا لقوانين الحجز الادارى ، التى تمتـد اصولها الى عهد الانتداب البريطانى .
وقد وصف وزير الشرطة الاسرائيلى هذه القوانين بأنها « وقائية وليست عقابية » وأضاف ان الشخص يمكن أن يعتقل طالما ان هناك مخاطر ان يؤدى الافراج عنه الى مزيد من التحريض أو الاثارة أو العنف . وهناك لجنة تستعرض كل حالة من هذه الحالات كل ستة شهور .
وهناك ١٠٠٠ عربى آخرين يعتقد انهم قد اعتقلوا مؤخرا ، وهم محبوسون فى انتظار البدء فى محاكمتهم .

[الجارديان ، ١٢ سبتمبر ١٩٧٠]
اعتقلت قوات الامن عـدة أشخاص بالقرب من المخرج الشمالى لمدينة غزة عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة تابعة للادارة المدنية فى ١٧ اغسطس .
وفى رفح اطلقت القوات الاسرائيلية النـار على شخص فأصـابته فى ١٦ اغسطس عندما شوهد وهو ينتهك حظر التجول ولم يتوقف عندما طلب اليه ذلك

[جيروساليم بوست ، ١٨ اغسـطس ١٩٧٠] .
اعتقل عدد من الاشخاص فى خان يونس فى ٢٣ اغسطس عقب تخريب الخط الحديدى شمالى المدينة .

[جيروساليم بوست ، ١٨ اغسطس ١٩٧٠] .
تحتفظ قوات الامن بعدد من الاشخاص لاستجوابهم بشأن تفجير سيارة فنطاس

منظرا لولكس فاجن فى موقف للسيارات بمدينة ناتانيا فى ١٩ اغسطس . ولم تذع اية تفصيلات عن الاشخاص المشتبه فيهم .

[جيروساليم بوست ، ٢١ اغسطس ١٩٧٠] .

اعتقلت قوات الامن عدة اشخاص فى رفح عقب انفجار دمر طلمبة للمياه واحدثت اضرارا طفيفة بالمنشآت المحيطة بها فى ٢١ اغسطس .

[جيروساليم بوست ، ٢٣ اغسطس ١٩٧٠] .

امرت سلطات الاحتلال بتحديد اقامة تسعة من شباب القدس العربية المحتلة بعد أن افرج عنهم من الحجز الادارى لمدد متفاوتة ، وهم : حياة خبيرو ، ونفوذ المفتش ، وفريد الطويل ، ونعيم قبلاوى ، وياسين قواسمى ، وخضر عسلينى ، وحسن دنديس ، ويعقوب فرح ، وجميل الشقيرات .

[الاتحاد ، ٢٥ اغسطس ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الامن عددا من الاشخاص فى غزة فى ٢٤ اغسطس عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة نقل .

[جيروساليم بوست ، ٢٥ اغسطس ١٩٧٠] .

اعتقل البوليس عددا من الاشخاص فى غزة فى ٢٥ اغسطس بعد القاء قنبلة يدوية فى فناء مكتب تسجيل المركبات بالحكومة المدنية .

[جيروساليم بوست ، ٢٦ اغسطس ١٩٧٠] .

اعتقل عدد من الاشخاص عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة للشرطة فى رفح فى ٢٧ اغسطس .

[جيروساليم بوست ، ٢٨ اغسطس ١٩٧٠] .

اعتقلت سلطات الامن عددا من الاشخاص فى غزة يومى ٢٨ و ٢٩ اغسطس عقب تخريب الخط الحديدى فى غزة .

[جيروساليم بوست ، ٣٠ اغسطس ١٩٧٠] .

اعتقل عدد من الاشخاص فى غزة فى أول سبتمبر عندما انفجرت قنبلة يدوية بجوار مبنى الادارة المدنية للحكومة العسكرية لقطاع غزة .

[جيروساليم بوست ، ٢ سبتمبر ١٩٧٠]

اعتقل عدد غير معروف من السكان العرب بالضفة الغربية وقطاع غزة خلال عطلة نهاية الاسبوع فيما سمى بانه احدى عمليات الامن . وصرح المتحدث باسم وزارة الدفاع لجيروساليم بوست الليلة الماضية بأن الاعتقالات كانت « روتينية » بينما رفضت دوائر الامن أن تفصح عن أى مزيد من التفصيلات . وقد بلغ عدد المعتقلين فى الضفة الغربية فى ١٢ سبتمبر بضعة عشرات ، معظمهم فى منطقتى نابلس وقلقيلية .

[جيروساليم بوست ، ١٣ سبتمبر ١٩٧٠] .

أطلق أحد جنود الاحتياط الاسرائيليين النار على شاب عربى فى الرابعة والعشرين فأصابه اصابة قاتلة أثناء داورية راجلة بميدان فلسطين ، بغزة ، بعد الظهر . وكان الشاب قد طعن الجندى الاسرائيلى فجأة قبل أن يطلق الاخير النار عليه . وقد شارك عدد من الجنود الذين كانوا على مقربة فى اطلاق النار بدورهم ، مما أدى الى اصابة صبى فى نحو العاشرة لم يلبث أن توفى بعد ذلك ، كما أصيب شاب آخر فى الثانية والعشرين ونقل الى المستشفى .

[جيروساليم بوست ، ١٤ سبتمبر ١٩٧٠] .

أصيب رجل فى الخمسين من رفح فى الساعة ٣٠ر١ من صباح ١٩ سبتمبر وكان اثنان آخران قد اصيبا فى الخامسة والنصف والحادية عشرة على التوالى فى ١٨ سبتمبر . وكان الرجال الثلاثة قد التقوا بالداوريات العسكرية أثناء سيرهم فى الشارع واطلقت عليهم النيران لرفضهم الامتثال لأوامرها بالوقوف .

[جيروساليم بوست ، ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠] .

اعتقل عدد من الاشخاص فى غزة فى ١٩ سبتمبر بعد تدمير برج للكهرباء بالقرب من مصنع كرمى لتعبئة الموالح .

[جيروساليم بوست ، ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠] .

اعتقلت قوات الامن فى غزة عددا من الاشخاص فى ٢١ سبتمبر بعد القاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية بمعسكر جباليا .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٠] .

اعتقلت شرطة الاحتلال الاسرائيلى عشرات من عرب القدس لاستجوابهم بعد هجوم بالقنابل اليدوية على مطعم دولفين بالقدس الغربية واصابة عدد من الزبائن .

[الاتحاد ، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٠]

اعتقلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية عددا من الاشخاص من معسكر الشاطىء بعد حادث القاء قنبلة يدوية على داورية اسرائيلية . وكانت الداورية قد فتحت نيرانها على الفور على المعسكر فقتلت سيدتين ورجلا واحدا كما أصابت أربعة آخرين بجراح خطيرة .

[الاتحاد ، ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠]

اشتبكت القوات الاسرائيلية مع المتظاهرين الذين قذفوها بالاحجار فى ٢٩ سبتمبر عندما عبر عشرات الالاف من العرب فى الاراضى المحتلة وبعض العرب فى اسرائيل عن حزنهم لوفاة الرئيس عبد الناصر .

وقد أصيبت سيدة فى السابعة والخمسين بمعسكرات الشاطىء للاجئين بقطاع غزة ، عندما فتحت القوات النار بعد أن رفض المتظاهرون أن يتفرقوا ، واستمروا فى اقامة المتاريس ، وقذف الاحجار . وفى القدس أصيب عدد من المتظاهرين ، ورجال الشرطة ، اصابات طفيفة ، عندما اخترقت قوات الامن المسلحة بالعصى ، تساندها مدافع الماء حشود قاذفى الاحجار من الشباب خارج جدران المدينة القديمة .

وقد وقع الاشتباك مع البوليس بالقرب من بوابة هيرودس التى تؤدى الى المدينة المسورة القديمة ، عندما بدأ نحو ٦٠٠ من المتظاهرين فى القاء الطوب على البوليس الاسرائيلى .

وكانت تعزيزات من رجال الجيش فى سيارات نصف نقل ترقب المشهد ولكنها لم تتدخل . وقد القى القبض على حوالى ٣٠ من المتظاهرين من بينهم بعض الفتيات .

[رويتر ، ديلى تلغراف ، أول اكتوبر ١٩٧٠] .

اطلقت النار على سيدة انتهكت حظر التجول فى غزة فأصيبت بجراح طفيفة فى ٢ اكتوبر . وكانت احدى الداوريات العسكرية قد لاحظت شخصا يتحرك فى الظلام وصاحت تستوقفه . وعندما بدأت المرأة تجرى فتحت الداورية نيرانها ، فاصابتها فى ساقها .

[جيروساليم بوست ، ٤ اكتوبر ١٩٧٠] .

اعتقل عدة اشخاص فى غزة عقب اغتيال ناظر زيكوت ، صاحب احد محلات التليفزيون .

[جيروساليم بوست ، ٧ اكتوبر ١٩٧٠] .

اعتقلت قوات الامن فى خان يونس مؤخرا شخصا يدعى عابد سراى ، زعمت انه قد حل محل ابن عمه كقائد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فى المنطقة الوسطى من قطاع غزة . وقد ادت عملية اخرى ، لقوات الامن فى خان يونس ، فى الاسبوع الماضى ، الى القبض على مجموعة من خمسة افراد من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

[جيروساليم بوست ، ١٤ اكتوبر ١٩٧٠] .

طرد الاسرائيليون ناظر مدرسة باحدى قرى الدروز وثلاثة من مدرسيها ، بمرتفعات الجولان السورية المحتلة ، بدعوى تحريضهم للدروز على الشغب فى مسيرة جنائزية للرئيس المصرى عبد الناصر .

وقالت المصادر الرسمية العسكرية ، ان خمسة آخرين من سكان مجدل شمس قد اعتقلوا لاستجوابهم بشأن علاقتهم

بأعزل العنف • وشارك نحو ٥٠٠ من القرويين فى مظاهرة قامت بالقاء الاحجار ومزقت العلم الاسرائيلى ، وهتفت بشعارات معادية لاسرائيل ، وقد قامت القوات الاسرائيلية بتفريق المتظاهرين .
[أب ، ديلى ستار ، ١٥ اكتوبر ١٩٧٠]
النمس السيد محمد اسماعيل موسى كبة من الكنيست أن يبحث قضية نجله اسماعيل .

فقد ذهب نجله الى الكويت فى عام ١٩٦٤ ، وعاد الى الضفة الغربية قبل حرب يونيو وحصل بعد الاحتلال على بطاقة شخصية عسكرية . واعتقل فى ١٩٦٨ حيث ظل فى السجن لمدة عشرة شهور . وعمل فى الزراعة بعد أن أفرج عنه ولكنه اعتقل فى ٢٦ فبراير ١٩٧٠ مرة أخرى ولايزال فى السجن حتى الان .

[الاتحاد ، ١٦ اكتوبر ١٩٧٠]

شاهدت احدى الداوريات العسكرية سيدة غير معروفة ، وسط جماعة من الاشخاص المريبين على شاطىء خسان يونس فى نحو الساعة التاسعة والنصف بعد موعد حظر التجول . وقد ذكر أنهم قد اطلقوا تحذيرا الى المجموعة ثم اطلقوا بضع طلقات فى الهواء للتحذير قبل أن يطلقوا النار على السيدة التى شرعت فى الجرى . وقد قتلت السيدة واقتيد الاشخاص الاخرين بعد قليل لاستجوابهم .

[جيروساليم بوست ، ٢٣ اكتوبر ١٩٧٠]
تفيد الانباء ان عددا من الاشخاص قد اعتقلوا فى ٢٤ اكتوبر فى بنى سحيلة وهى قرية صغيرة بالقرب من خان يونس عقب حادث القاء قنبلة يدوية على داورية عسكرية بالقرب من مدرسة جباليا الابتدائية .

[جيروساليم بوست ، ٢٥ اكتوبر ١٩٧٠]
ألقت قوات الامن القبض على ٢٠ من طلاب المدرسة العليا فى نابلس لاستجوابهم بشأن توزيع منشورات معادية لاسرائيل .

[هاآرتس ، ٢٥ اكتوبر ١٩٧٠]
اعتقلت قوات الامن نحو ٧٠ شخصا من الضفة الغربية مؤخرا للاشتباه فى عضويتهم للمنظمات الارهابية وقيامهم بأعمال تخريبية . وقد اعتقل خمسون منهم فى نابلس والباقون فى حبرون .
[جيروساليم بوست ، ٢٦ اكتوبر ١٩٧٠]
اعتقلت قوات الامن عددا من الاشخاص فى ٢٧ اكتوبر بالقرب من معسكر جباليا للاجئين فى قطاع غزة بعد القاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

[جيروساليم بوست ، ٢٨ اكتوبر ١٩٧٠]
كان نحو ٢٠٠ عربى لايزالون محتجزين ليلة أمس عقب الانفجار المزدوج فى محطة الاتوبيس المركزية بتل أبيب فى ٦ نوفمبر . وقد اعتقل نحو ١٢٨ عربيا بعد وقوع الانفجار مباشرة . وألقى القبض على بعضهم طبقا لقائمة معدة فى أيدى قوات الامن ، ولكن أغلبهم اعتقلوا لانه قد تصادف وجودهم ، فى محطة الاتوبيس أو بالقرب منها وقت وقوع الحادث . وقد تطوع الكثيرون من هذه الفئة الاخيرة بتسليم انفسهم الى البوليس ، طلبا لحمايتهم من مجموعات من الشباب المتهوس كانت تحاول ان تنصب من نفسها سلطة لحماية القانون
[جيروساليم بوست ، ٨ نوفمبر ١٩٧٠]
اعتقل البوليس عدة أشخاص لاستجوابهم فى ١٢ نوفمبر بعد انفجار حقيبة ملأى بالمتفجرات فى ميدان المدينة بغزة .

[جيروساليم بوست ، ١٣ نوفمبر ١٩٧٠]

تفيد الانباء أن ١٥ اصابة اخرى بالكوليرا قد ظهرت فى قطاع غزة خلال اليومين الماضيين . وقد أعلنت السلطات انها لا تعتزم تطعيم سكان القطاع .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الامن فى قطاع غزة عشرات من فدائيى فتح خلال الايام القليلة الماضية . وكان قائد المجموعة بين هؤلاء الذين تم اعتقالهم .

[جيروساليم بوست ، ٢٧ نوفمبر ١٩٧٠]

تلقى اثنان من المحامين هما على رافع ومحمد الحاج أوامر بتحديد اقامتهما ، تحدد نطاق تحركاتهما فى مناطق اقامتهما .. وستجعل هذه الاوامر من المستحيل على المحامين الدفاع عن موكليهما فى اسرائيل والاراضى المحتلة .
[الاتحاد ، ٢٧ نوفمبر ١٩٧٠]
[جيروساليم بوست ، ٢ ديسمبر ١٩٧٠]
قتل رجل ، واصيبت سيدة اصابة خطيرة ، برصاص داورية اسرائيلية ، فى بيت لحية شمالى قطاع غزة ، فى ساعة مبكرة من صباح اول ديسمبر . وقد وقع الحادث فى الرابعة والنصف صباحا ، اذ رأت الداورية شبحان يتحركان فاستوقفتهما . وعندما تجاهلا الامر ، فتح الجنود نيرانهم ، ولم يكن التجول محظورا فى هذه الساعة .
[جيروساليم بوست ، ٩ ديسمبر ١٩٧٠]
صادفت احدى الداوريات رجلا فى الخامسة والستين فى العاشرة من مساء ٧ ديسمبر بالقرب من معسكر جباليا للاجئين الذى يقيم فيه . وقد شاهدته الداورية فأمرته بالتوقف ، وقيل انه قد حاول الهرب . وقد أطلقت الداورية عليه النار فأصابته اصابة طفيفة .
[جيروساليم بوست ، ١١ ديسمبر ١٩٧٠]
اعتقل عدد من الاشخاص فى غزة فى ١٠ ديسمبر عقب هجوم بالقنابل اليدوية على سيارة اتوبيس مزدحمة بالركاب فى حى السجاعية .
وقد أصيب شخص من معسكر جباليا بغزة اصابة طفيفة فى ١٤ ديسمبر بطلقات من احدى الداوريات العسكرية . وقد اعلن أن الداورية قد شاهدته واعتقدت أن حركاته مريبة ، فطلبت اليه ان يتوقف ، وعندما تجاهل الامر فتحوا عليه النيران .
[جيروساليم بوست ، ١٥ ديسمبر ١٩٧٠]
شاهد أفراد احدى الداوريات العسكرية فى غزة رجلين يهربان من منطقة وقع فيها انفجار حاد دمر بنايةخالية وعددا من المحالالتجارية المجاورة فأمرهما بالتوقف . واذ لم يمتثلا للامر فتح الجنود النار عليهما فأصيب أحدهما ، وهو شاب فى الثامنة عشرة ، اصابة خطيرة . وقد أصيب زميله بدوره وهو فى السادسة والعشرين ، ووصفت جراحه بأنها معتدلة .

[جيروساليم بوست ، ١٦ ديسمبر ١٩٧٠]

أعلنت الحكومة العسكرية فى ١٩ ديسمبر أن جزءا من الطريق الرئيسى بمدينة غزة قد أغلق بالنسبة لمرورالعرب ويقع هذا الجزء الذى يبلغ طوله ٣٠٠ متر بين مكاتب الحكومة العسكرية وبين مكاتب الادارة المدنية بشارع عمر المختار . وقد أصبح على جميع السيارات التى يملكها العرب أن تدور حول هذه المنطقة حتى اشعار آخر .

[جيروساليم بوست ، ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠]
ألقت احدى الداوريات العسكرية القبض فى أوائل هذا الشهر على فريق من أربعة من رجال فتح كان يحاول عبور صحراء باران على ظهور الجمال ، متجها صوب قطاع غزة ، وقد وقع اللقاء على مسافة نحو ٥٠ كيلومترا جنوبى متسباح رامون ، وكان الفريق بقيادة أحد شباب فتح المعروفين لادارة الامن وقد كان « مطلوبا » منذ بعض الوقت .
كما ألقى القبض على ١٢ ارهابيا آخرين فى قطاع غزة خلال النصف الاخير من نوفمبر . وكان من بينهم ثلاثة من قادة ما يسمى « بالجبهة الشعبية الديمقراطية » . وكان هؤلاء القادة الثلاثة بدورهم فى قائمة « المطلوبين » الذين تبحث عنهم قوات الامن منذ مدة طويلة .

[جيروساليم بوست ، ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠] .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

□ طقوس للحب والحياة على المسرح الانجليزى

□ رجل البوليس : نجم فوق العادة في أحدث أفلام هوليود



شكسبير





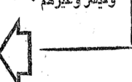
تينسى ويليامز

فى هـذا العـدد :

مقتطفات من حوار مع بريخت

فاروق عبد القادر

هذه علاقة من العلاقات التى لازالت ملتفة بالغموض فى تاريخ الادب المعاصر ، علاقة لم تبدأ جوانبها فى التكشف الا بعدانقضاء اكثر من ربع قرن على مصرع أحد طرفيها ، واكثر من عشر سنوات على موت الاخر .
انها العلاقة بين برتولت بريخت (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) والناقد والمفكر والاثر بنجامين (١٨٩٢ ـ ١٩٤٠) .
صحيح أن العالم كله قد عرف بريخت . عرف مسرحياته وكتاباته النظرية وأشعاره ، لكن قليلين هم الذين يعرفون بنجامين والدور الذى كان يمكن ان يلعبه فى تطوير النقد الماركسى جنبا الى جنب مع لوكاتش وبلوش وفيشر وغيرهم .



ولد بنجامين لاسرة المانية يهودية فى ١٨٩٢ . وتخلى فى شبابه عن الفكر الغيبى ليقترب من الماركسية ، ووقفت ب حساسياته العقلية الخاصة دون أن يصيب نجاحا أكاديميا ، فرفضت رسالة الدكتوراه التى تقدم بها حول « جذور التراجيديا الالمانية » بحجة انها غامضة وغير مفهومة ، فظل أديبا جوالا ، يعيش تلك الحالة من « البروليتارية الثقافية » التى وصفها فى كتاباته فيما بعد • ومن الصعب أن نعرف ماذا كان يمكن أن يصيب فكره من تطور اذا ضمن عملا مستقرا داخل أسوار الجامعة ، لكن الشيء الذى لاشك فيه هو أن وضعه المالى القلق كان يزيد من ارتباطه بالفكر الماركسى ، حتى هم يوما بالانضمام الى الحزب الشيوعى ، وفى أواخر العشرينيات تعرف الى بريخت ، وقضى معه فترات طويلة أثناء نفيه فى الدانيمرك ، وخلال هذا العقد من ١٩٣٠ الى ١٩٣٩ ـ فى ظل صعود الفاشية وانتصاراتها ـ كتب بنجامين تخطيطاته ودراساته عن أعمال بريخت ، التى لم يبدأ نشرها الا بعد ١٩٦٦ •

وكتابات بنجامين انشائية ، مفتتة ، مثقلة بالحكم والاستعارات والامثال ، وربما بدا مدهشا أن تقوم علاقة وثيقة بين بريخت وبنجامين ، ولا تقوم مثل هذه العلاقة بين بريخت وكاتب أكثر التزاما مثل جورج لوكاتش ، فلم يحدث أن التقى هذان وجها لوجه ، بل كانت بينهما ملاحاة دائمة ، وربما كان بعض السبب كامنا فى أن لوكاتش لم يكن يرحب بأدب القرن العشرين وطبيعته التجريبية والجزئية ، وكان يراه مفتقدا حس الشمول ، والقدرة على النفاذ الى المستقبل ، فى حين أن بريخت وبنجامين كانا يلتقيان على حب هذا الادب والاهتمام به •

وهذه المقتطفات من الحوار بين الرجلين ـ والتى تنشر للمرة الاولى (١) ـ تشير الى أن بريخت هو الذى كان يمنح وبنجامين هو الذى يتلقى • وهذا صحيح على المستوى السيكولوجى • كتب أحد أصدقاء بنجامين يقول : « ان بريخت كان ذا طبيعة أكثر تحددا وتماسكا ، لهذا كان تأثيره قويا على بنجامين بحساسياته المفرطة ، أما على المستوى الثقافى فهى علاقة أخذ وعطاء ، فالافكار الخاصة بالمسرح الملحمى ـ على سبيل المثال ـ كانت أفكارا مشتركة عند كليهما قبل أن يلتقيا » •

وهذه المقتطفات ـ التى [illegible] ـ هامة لانها تعطى صورة الجو المباشر لحوار الرجلين وحالتهما العقلية وأسلوبهما فى الحديث وولعهما المشترك بالتعبير بالصورة والتشبيه والامثولة ، وهو ما يتضح فى كتابات كل منهما على حدة • وهذا طبيعى اذا وضعنا فى اعتبارنا أن بنجامين كان ينتمى الى جيل من المفكرين تمرد ـ فى السنوات السابقة مباشرة على الحرب العالمية الاولى ـ على فقر وعرى اللغة المستخدمة فى الدوائر الاكاديمية الالمانية ، وقد حاول هؤلاء المفكرون ـ بوسائل مختلفة ـ أن يكتشفوا الصدق والمعنى باحياء الطابع الاستعارى المخصب للغة نفسها ، وأفادت الماركسية من مفكرى هذا الجيل فى كتابات بنجامين وبلوش وأندورنو ، وفى الوقت نفسه ، فان الماركسية لن تفيد من هؤلاء المفكرين شيئا ان تناولت أعمالهم بمقياس مادى مبتذل وضيق الافق • فهنا ـ تماما كما فى الشعر ـ تصدق نصيحة جوته :

اذا أردت أن تفهم الشاعر•••
فعليك ان تصحبه الى ارضه هو••

●

شيء أساسى كان يربط بين بريخت وبنجامين هو التقارب فى تصورهما التاريخى واتجاههما الانسانى • كانا يتميزان عن الحركة الشيوعية « الرسمية » فى الثلاثينيات بتشاؤم تاريخى عميق • تشاؤم كان يرتبط بانتصارات الفاشية من جانب وانحراف تطبيق الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى من الجانب الاخر • لكنه تشاؤم استراتيجى لو صح التعبير ، تشاؤم يهدف الى بعث الامل ، لا من أجل تحقيق انتصارات محدودة فى المستقبل ، ولكن من أجل استمرار النوع الانسانى نفسه • صحيح أن العصر النووى لم يكن قد أطل بوجهه المخيف بعد ، لكن بريخت كان قادرا على التنبؤ : « انهم يضعون خططهم لآلاف السنين ، انهم سيدمرون كل شيء ، انهم يجهضون الاجنة فى أرحام الامهات » •

كان بريخت وبنجامين يفكران فى الآلاف السنين ، واكتشفا التفاؤل عند أقدم معلمى الانسان ، فالتفاؤل هو ما يستخلصه بريخت من هذا المعلم القديم فى قصيدته المشهورة : « اسطورة تروى حكاية الكتاب الذى ألفه الحكيم لاو ـ تسى وهو فى طريقه الى المنفى » (٢) ، يقول بنجامين معلقا على هذه القصيدة : « ترن القصيدة فى أسماعنا كنبوءة من نبوءات المسيح فى عصر لا علاقة له بالمسيح ، لكنها تحوى الى جانب النبوءة درسا يجب أن يعيه القارىء المعاصر :

« ان الماء الذى يتساقط على الصخر
يلينه على مر الايام •• » •

وان يفكر الانسان فى الارتباط بهذه الاشياء التى هى مثل قطرات الماء « هادئة ودائمة ، ولا يصيبها الوهن » لابد أن يقوده مباشرة للارتباط بقضية المضطهدين والمقهورين • كتب بنجامين تحت عنوان « موضوع فى فلسفة التاريخ » : « ان المؤرخ فقط هو الذى ينفرد بامتياز أن يذكى جذوة الامل فى الماضى ، والذى يقتنع كل الاقتناع بأنه حتى الموتى لن يكونوا بمأمن من أعدائهم اذا انتصروا عليهم ، لان المنتصرين لن يكفوا عن أن يظلوا منتصرين على الدوام » • كان التاريخ عند بنجامين ميدان قتال فى الحاضر دائما ، ولم يكن (كما عند لوكاتش مثلا) مجرد « الشروط السابقة على وجود الحاضر » ، فمعارك الماضى يجب أن تحارب مرة ومرة حتى لا تخسر من جديد •

يضع بنجامين تحليله هذا فى التطبيق وهو يعلق على قصيدة « لاو ـ تسى » ، فجذوة الامل فى الماضى كامنة فى هذه الصداقة « المؤقتة » بين الحكيم وموظف الجمرك الذى حفظ لنا آثار الحكيم ، هذه الصداقة ـ عند بريخت وبنجامين ـ هى « الحد الادنى من الانسانية » ، ويختتم بنجامين تعليقه بكلمات تشبه الحكم القديمة : « من أراد أن يقضى على الشرور ، فلا يجب أن يهمل فرصة للصداقة » •

وفى نهاية هذا الحوار يقتبس بنجامين واحدة من حكم بريخت : « لا تبدأ من الاشياء الطيبة القديمة ، بل ابدأ من الاشياء السيئة الجديدة » • وهى جملة تتردد بنصها فى مقال لبريخت عن لوكاتش ، الذى نقده مرة لارتباطه المتخلف بمعلمى الماضى و « بتلك الايام الطيبة القديمة للثقافة البورجوازية » ، ويرفض لوكاتش أرستقراطية توماس مان وتشاؤم كافكا معا • وفى هذا الحوار يتشاد بنجامين وبريخت حول كافكا ، ويتهم بريخت صديقه بأنه أسير حيرة كافكا وارتباكه ، رغم أن بريخت ـ فى سياق آخر يضع اسم كافكا بين

---

[١] انظر : Walter Benjamin, Talking to Brecht, New left Review, No. 75 January — February 1973.

[٢] تحكى القصيدة حكاية حكيم عجوز ، بلغ السبعين ، ثم قرر أن يهاجر « لان الخير كان قد غاب عن البلاد » فحزم أشياءه القليلة ومضى راكبا ثوره بصحبة غلامه ، فأوقفه موظف الجمرك فى بعض الطريق وسأل عن شيء يستحق الضريبة ، فأجاب الغلام بأن سيده كان يعلم الناس ولا يملك شيئا ، هنا أصر موظف الجمرك على الاحتفاظ بالحكيم أياما فى ضيافته حيث سجل احدى وثمانين حكمة من حكمه . انظر : قصائد من برتولت بريخت ، ترجمة د. عبدالغفار مكاوى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٧ ـ ١٦١ .

أصحاب « وثائق اليأس » التي تعلم منها الكتاب الاشتراكيون • وما هو سيء عند كافكا هو يأسه ، وما هو جديد ليس التكنيك فقط ، لكنه مختلف ألوان الفهم والادراك التي يعبر عنها • ويصف بريخت منطلق كافكا بأنه منطلق رجل « مسحقته عجلات البورجوازية الصغيرة » ، لكنه حتى وهو منسحق تحت العجلات لا يكف عن طرح الاسئلة « لانه حكيم » ، وحكمته — كما يقول بنجامين عن جالي جاي بكل مسرحية بريخت « الانسان هو الانسان » (٣) • هي حكمة الرجل الذي يخلي بين تناقضات لوجود والمكان الوحيد الذي يمكنها أن تجد فيه حلا •• أعني حياة الانسان • ابطال كافكا مسحوقون تحت العجلات ، لكنهم رغم ذلك يقفون جنبا لجنب أبطال آخرين — مثل ليوبولد بلوم بطل اوليسيس — بين « الرجال الحكماء لهذه الايام الجديدة السيئة » ، انما بهؤلاء — ضحايا وحطام المجتمعات الكبيرة — يبدأ بريخت • وعلى حين صب لوكاتش هجومه على أدب القرن العشرين « لانه لا يقدم شخصيات متكاملة » ، أشار بريخت الى ان انتفاء الطابع الانساني عن الانسان لن يتوقف بالانسلاخ عن الجماعة ولكن بالاندماج فيها • ويشير بنجامين الى جالي جاي فيرى انه « ليس مخلصا لجوهر ثابت مفرد لكنه استعداد دائم لتقبل جوهر جديد •• » ، ان الايام الجديدة السيئة تدمر الشخصية الانسانية وتسقط عنها ما يميزها وتحولها الى شخصية مجهولة (ك عند كافكا أو كونر عند بريخت) ، يبدأ بريخت وبنجامين بهذا الانسان المجهل ، ويشجعان قدراته على استعادة سماته الضائعة ، انهما يخافان مجيء عصر جديد مظلم ، لهذا يفكران بمنظور يتجاوز النضال الطبقي المباشر كي يضم كل صور النضال الاجتماعي للانسانية بأسرها ، حينئذ تكتسب صفات مثل المرونة والقدرة على البقاء والاستمرار أهمية أكبر من أهمية البطولة ، وتصبح درامات بريخت وأشعاره رفيقا انسانيا ملازما للعصور المظلمة ، لان أبطاله — لو صحت الكلمة — يتميزون أول ما يتميزون بالفكاهة وسعة الحيلة •

عن المسرح الملحمي

والمسرح الملحمي نتاج تصور تاريخي ، ومحاولات بريخت في اعادة كتابة أعمال شكسبير ومارلو انما هي تجارب حول ما اذا كان الحدث التاريخي وتناوله الادبي يمكن أن يتغيرا اذا ما أعيد تقييم العمليات التاريخية التي انتجتهما • دراما بريخت هي امتحان لمعنى الحتمية التراجيدية ، وتشاؤمه ينسف الارض تحت أقدام هؤلاء « المتفائلين المتشائمين » الذين يعلقون كل آمالهم على حتمية تاريخية قادمة لا ريب فيها • يقول بنجامين مسترجعا دراسته حول « فلسفة التاريخ » : « ان الامر يمكن أن يحدث على هذا النحو لكنه يمكن أن يحدث على نحو آخر ، وهذا هو الاتجاه الاساسي لمن يريد أن يكتب للمسرح الملحمي ، وامكانية أن يكون التاريخ مختلفا عما كان لابد أن تثير في المتفرج الاحساس بأن التاريخ المعاصر يمكن أن يكون مختلفا كذلك • ان التاريخ بين يديك مهما بدت امكانياتك ضئيلة هينة • وهكذا •• فان كاتب المسرح الملحمي عندما يستعيد الماضي فانه يميل الى أن يؤكد لا القرارات الخطيرة التي تصنع المجرى الرئيسي للتاريخ لكنه يؤكد المتفرد وغير القابل للقياس •



ايليوت

ويقود بنجامين الحوار مع بريخت كي يصل من طرح سؤال حول المسرح الملحمي الى وضع تخطيط لنظرية يؤمن بها في تاريخ الدراما ، فقد رأى بنجامين تشابها بين كتاب الدراما الباروكية (٤) في ألمانيا من جانب ، والاحتياجات الفنية للقرن العشرين من الجانب الاخر ، من حيث ان الدراما الباروكية تنزع الى لسوداوية والانقباض واستخدام الشارات والرموز الغامضة ، ثم هذا التشابه في استخدام المونتاج كما وجده في أعمال ايزنشتين وبريخت • ورأى بنجامين في المونتاج الشكل الفني البناء والفعال للتعبير بالاستعارة من حيث هو القدرة على الربط بين غير المتشابه في كل واحد « يصدم » الجمهور بمعرفة وفهم جديدين • وجانب كبير من كتابات بنجامين النقدية يدور حول فكرة « الصدمة » من حيث هي الخبرة الاساسية للحياة المضطربة في المدينة الصناعية الجديدة ، ويعتبر أدب بودلير وبروست — على سبيل المثال — وسائل لحماية الذات ضد صدمات الحياة الحديثة ، هذه الحماية للذات لا يحتاجها الفنان الثوري ، على العكس ، انه يرحب باحداث هذه الصدمة شرط أن يتوفر « حضور عقلي مرهف » لدى المتلقي • من هنا يرى بنجامين أن المونتاج — أي القدرة على اصطياد التشابه والارتباطات المفاجئة والخفية في غير المتشابه — هو المبدأ الرئيسي للتصور الفني في عصر التكنولوجيا •

---

[٣] الانسان هو الانسان ، مسرحية بريخت الثالثة بعد « بعل — كتبت في ١٩١٨ وعرضت للمرة الاولى في ١٩٢٣ » و « في احراش المدن — كتبت في ١٩٢١ وعرضت في ١٩٢٣ » — كتبها في ١٩٢٦ . وبهذه المسرحية تبدأ سلسلة اعماله التي يبدو فيها متأثرا بالفكر الماركسي ، فبطلها المشار اليه انسان عادي يتحول الى اداة من ادوات الحرب ، ويقيم بريخت بتغييره الدليل على أن الانسان نتاج الظروف الاجتماعية ، وانه يمكن أن يشكل على الصورة التي تراد له •

[٤] الدراما الباروكية : استخدمت كاملة [الباروك] للمرة الاولى كي تدل على طراز معماري معين ساد من اواخر القرن السادس عشر الى اوائل الثامن عشر ، وتشير الى اهم خصائصه : الاهتمام بالزخرفة الدقيقة الغريبة ، الافتقار الى التوازن ، الغموض ، اصطناع الاشكال المنحرفة والملتوية •• الخ • ثم دخلت الكلمة مجال المسرح لتعني خصائص معينة ، فالبطل الباروكي انفعالي ذو عاطفة مشبوبة لكنه لازال محتفظا بالجلال المأساوي التقليدي ، ويرجع مؤرخو المسرح ان تكوين البطل الباروكي من الاحساس بالعظمة وادراك عدم ديمومة الحياة انما يرجع لسببين : تقدم العلوم وخاصة علم الفلك الذي اثبت ان الارض ليست مركز الكون ، ثم قيام الدولة الحديثة وما تبعها من تقليل حاسم لاهمية النبلاء •



كافكا

ومن أجل تاكيد وجهة نظره ، رجع بنجامين الى ما قبل الدراما الباروكية الالمانية ، الى هذه الاشكال من الدراما التى ظهر فيها مبدأ المونتاج للمرة الاولى ، ووجدها حيث يوجد نوع من الذكاء النقدى يقوم بالتعليق على العرض • بعبارة أخرى : انه يوجد حيث لا يكون العرض مكتملا فى ذاته لكنه مفتوح لمقارنته بالحياة التى يصدر عنها ويمثلها ، حيث يستطيع الممثلون فى أية لحظة أن يقفوا خارج أنفسهم ، ويقدموا أنفسهم كممثلين •

مرة أخرى •• تلعب الثقافة الصينية دورها فى تفكير الرجلين ، فيشير بنجامين الى تقليد المسرح الصينى فى أن يجعل « ما يعرض على المسرح بعيدا عن الاثارة » • ويؤكد دين بريخت لهذا التكنيك ، ثم يضع تخطيطا سريعا لطريق فرعى فى تاريخ المسرح : فهو يعتقد أن المسرح الاوربى كان يحاول دائما أن يهرب من الدراما « المغلقة » التى تضمها التراجيديا الاغريقية ، ويبحث عن دراما لا تراجيدية • هذا الطريق الفرعى يقودنا من مسرحيات الاسرار (٥) فى العصور الوسطى الى الدراما الباروكية الالمانية ، عبر بعض مشاهد من شكسبير وقسم من فاوست لجوته ، الى ستريندبرج •• ويصل بنا الى بريخت والمسرح الملحمى •

ويقتبس بنجامين من كتابات لوكاتش الاولى ما يعينه على اقامة دعائم نظرية تسير فى اتجاه مخالف لنظرية لوكاتش التالية عن الدراما • فلوكاتش ــ المهتم « بالمجرى الرئيسى للتاريخ » ــ يعتقد أن الطرق الفرعية اما ألا تكون موجودة أو تكون غير جديرة بالاهتمام ، من هنا فان البطل التراجيدى عنده نصير الارادة ، فى صراع بين مطلبين أخلاقيين ، كلاهما كلى وشامل ، وهدفه أن يحقق ارادته ضد كل العقبات ، فهذا التحقيق هو مجده وهزيمته جميعا • ويلاحظ بنجامين أن « لوكاتش كتب قبل عشرين سنة أن أفلاطون قد تعرف على الطبيعة غير الدرامية لاعلى صورة من صور الانسان ، أى الانسان الحكيم ، لكنه جاء به ــ رغم ذلك ــ وأوقفه ــ فى « محاوراته » ــ على عتبة المسرح » • هكذا •• يبدأ تاريخ بنجامين ، البديل للدراما الاوربية بأفلاطون ، حيث يصبح الرجل الحكيم ، المجرد من العاطفة ، هو البطل ، يقول بنجامين : «يمكننا اذن أن نعتبر المسرح الملحمى أكثر درامية من المحاورات الافلاطونية ، لكن هذا لا يحتم ان يكون هذا المسرح أقل منها اهتماما بالفلسفة » •

ولنلحظ الان تطور ملامح الحكيم عند بريخت ، من جالى ــ جاى فى « الانسان هو الانسان » الى أزدك فى « دائرة الطباشير القوقازية » ، وماتى فى « السيد بونتيللا » • سنجد الحكيم عند بريخت هو الرجل الذى عانى كثيرا وارتحل كثيرا ورأى كثيرا ، وهو الذى يغير دوره كى يلائم ظروفه • انه ــ بكلمات بنجامين : « خشبة مسرح فارغة تلعب الدور الاول عليها تناقضات مجتمعنا » • من خلال هذا البطل « الفارغ » ، « الطيع » ، « القادر على التوافق » فان بعض مبادىء المونتاج ــ مثل الاغراب أو كسر الايهام وتبادل الادوار ــ يمكن أن تقوم بدورها • مثل هذه الوسيلة استخدمها ت • س • اليوت فى قصيدته الشهيرة « الارض الخراب » • فى صورة العراف الاعمى تريزياس الذى رأى كل شىء من قبل ، والذى يشهد كل شىء ويعانى كل شىء من جديد ، لكنه الان حكيم رواقى تقليدى يتحدث لغة سوقية ساخرة ، ولا يستطيع أن يورث الاجيال التالية عليه سوى المقاطع الاولية من اللغة الهندية ــ الاوربية • أما حكماء بريخت أو رجاله المفكرون فهم على النقيض ، ممتلئون حياة وحسا : جالى جاى يعى درسه ويسيطر على موقفه ، ومن أجل قدرته على التوافق ــ بل بسبب هذه القدرة ــ يثبت أنه الشخصية الانسانية الوحيدة فى المسرحية • كذلك يستطيع القاضى الصعلوك « أزدك » أن يقيم ميزان العدالة ساعة سحرية واحدة ، بل ان جاليليو ــ رغم أنه ليس من عامة الشعب ــ قدم فى الطبعة الثانية من المسرحية (التى لم يقرأها بنجامين) نقدا ذاتيا له ولكل العلماء من عصر النهضة الى العصر الحالى •

عن الفن والسياسة

استطاع بريخت ، فى أواخر حياته ــ مع نضجه النظرى وتراكم خبرته العملية ــ أن يوضح الحدود بين الفن والسياسة ، أما بنجامين فقد لقى مصرعه قبل أن يصل الى جماليات جديدة تقوم على أسس مادية • كانت اتجاهات بريخت الاولى متأثرة ببسكاتور والمستقبليين الروس ، من هنا كان تدمير المسرح القائم على الوهم يعنى الهجوم المباشر على البورجوازية ، حتى عروض ستانسلافسكى كانت تعتبر عروضا بورجوازيا ، وأن تكون ضد البورجوازية ــ أى بروليتاريا ــ فهذا يعنى شيئا واحدا هو أن تكشف اللعبة وأنت تعرضها ، أن تكشف الحقيقة عارية (على حد تعبير المستقبليين الروس) ، ان الفن لون من ألوان الانتاج وليس شيئا ملتفا بالغموض ، وخشبة المسرح ــ بالتالى ــ يجب أن تكون أشبه شىء بمصنع تبدو كل آلاته واضحة للعيان •

ولكن •• عن طريق استخدام المونتاج ــ كما رأينا ــ يمكن اقامة الروابط السياسية التى لا تمكن رؤيتها على نحو مباشر ، وعن طريق الفن الطليعى ذى الطابع اليسارى فى العشرينيات والثلاثينيات ساد الاعتقاد بأن الهجوم على « الوهم » أو « العرضى » نفسه يمثل عملا سياسيا تقدميا ، وعن هذا الطريق يمكن للسياسة أن تدخل مباشرة الى الفن ، ولازال هذا الاعتقاد يؤثر فى الفكر الراديكالى واليسارى حول علم الجمال حتى الان •

وكان تطور بنجامين وصولا الى هذه النقطة تطورا متفردا ، بدأ على نحو نموذجى تماما فى ذلك الحين ، بدأ فيلسوفا جماليا يرثى ضياع التقاليد القديمة لتحل محلها التكنولوجيا الجديدة ، كان بنجامين أى شىء الا أن يكون ثوريا طليعيا ، كان طليعيا ولكن على طريقة ايليوت (الذى كان يشاركه فى كثير •• فاكتشاف ايليوت للشعراء الميتافيزيقيين ينبع عن نفس الاصول التى ينبع عنها اهتمام بنجامين بالدراما الباروكية ، وكان كنا قد يعجب بقدرة ايليوت على المجاز والاستعارة واستخدام الرمز واكتشاف الروابط بين

[٥] تمثيليات بسيطة كانت تستمد موضوعاتها من الكتاب المقدس ، ويعنى المصطلح ــ بوجه خاص ــ التمثيلية التى كانت تتناول آلام المسيح •

الاشياء) » ٠

ثم يأتى رأى بنجامين فى الصحافة والصحف ليكشف عن تطوره التالى ٠ فهو - فى أحد مقالاته - يصف الصحف (الصحف السوفيتية المعاصرة له على التحديد) بأنها تقوم بعملية « صهر واذابة على نطاق راسع » ، انها لا تكتفى بتدمير الحدود الفاصلة بين الاجناس الادبية المختلفة ، وبين الكاتب والشاعر ، وبين الدارس الاكاديمى وكاتب الذوق العام ، لكنها ايضا تتساءل عن الانفصال بين القارىء والكاتب « فالمكان الذى يساء فيه استخدام الكلمة - أى الصحف - هو نفس المكان الذى يجب أن تتم فيه عملية انقاذ للكلمة » ، ولعل صحف الحائط فى ثورة الصين الثقافية ، والملصقات ، والمنشورات ، والاوراق المطبوعة على الرونيو للطلاب الباريسيين (وغيرهم) فى ١٩٦٨ قد حققت شيئا مما طالب به بنجامين ، وكذلك ٠٠ فلعل فى انتشار مسارح الشوارع وفرق الاثارة الجوالة ما يؤكد وجهة نظره - هو وبريخت فى المسرح ٠

لكن حماسهما وراديكاليتهما يمكن ان يخفيا خطر الوقوف عند جانب واحد ٠ فبنجامين يرى أن ملكية الشعب لوسائل انتاج الفن انما سيؤدى الى نبذ كل الاشكال التقليدية للفن التى تضع الحدود بين المؤدى والجمهور ، بين المالك والمتفرج ، ويرادف بنجامين بين تلك الهالة التى تحيط بالعمل الفنى وبين الملكية ، كما يرادف بين الانتاج الالى للفن وجهد البروليتاريا ، وبالطبع ٠٠ يمكن للرأسمالية أن تمتص جهد البروليتاريا وتسىء استخدامه ، وكوسيلة وقائية (أو علاجية ان كان هذا ضروريا) يقترح بنجامين الملكية الجماعية لوسيلة الانتاج ، وليس فى هذا شىء جديد ، لكن ما كان يحفل فى هذا الاقتراح هو احتمال أن يؤدى الى خلق أشكال فنية جديدة ٠ ان تسييس الوسيلة هو تماما تسييس الفن ٠ بعبارة أخرى : هناك تطابق بين الوسيلة والفن ، بعد أن انهار الفصل التقليدى بين الشكل والمضمون ، وأصبح الشكل فى ذاته عملا سياسيا ٠

وهكذا ٠٠ باندغام الشكل داخل المضمون ، فان هذا يؤدى الى تقييد المدى الذى يمكن أن يبلغه الشكل ، لكن بنجامين - لانه كان ابن المرحلة الاولى من العصر التكنولوجى الحديث ، حين كان لتكنيك ما (مثل الفوتومونتاج) أثر سياسى مباشر - كان يميل أحيانا الى أن يفصل التكنيك من حيث هو مؤثر سياسى فى ذاته - متجاهلا أن تسييس التكنولوجيا انما يشمل علاقات الانتاج كما يشمل وسائل الانتاج فى كل واحد ٠

وبنجامين - فى نفس الوقت - كان يمجد « الاشياء السيئة القديمة » ، وتطالبنا فلسفته التاريخية بأن نخوض المعارك من أجل الماضى وضحايا الماضى ، وقد حاول أن يحل هذا التناقض عن طريق مفهوم « الحضور الان » ، بمعنى أن الزمن يقف ساكنا على حين يلتقى الماضى والمستقبل ، لا لقاء متناغما ، لكنه لقاء متفجر فى الحاضر ٠

كان هذا المفهوم - بالاضافة لمفهومه عن « ضرورة استمرار الانهاك » - هما الفكرتان الرئيستان اللتان سادتا فكر بنجامين فى سنواته الاخيرة ٠ هذا المفهوم الاخير يعنى قدرتنا على التدخل فى الاحداث - سواء كنا سياسيين أو مثقفين - من أجل « شق الطريق بالقوة أمام اتصال تقدم التاريخ » ، وهى فكرة هامة فى ضوء التراث التقنى والتطورى للديموقراطيات الاجتماعية ، وفيما يتعلق بالربط بين هذه الفكرة والحركة الاشتراكية الثورية فان بنجامين يلتقى مع لوكاتش ومؤلفه الهام « التاريخ والوعى الطبقى » الذى تأثر به تأثرا كبيرا ٠

ولعل هذه الفكرة نفسها هى ما صاغها بريخت فى قصيدة مثقلة بالتشاؤم بعد مصرع بنجامين :

« ضرورة الانهاك هى ما كنت تستمتع بها ٠٠
جالسا الى مائدة الشطرنج ٠٠
فى ظل شجرة الكمثرى ٠٠
لكن العدو الذى انتزعك بعيدا
عن كتبك وأوراقك
لم يسقط صريعا لمجرد
مرآك ! » ٠

وقد كتب بلوشى عن انتحار بنجامين فقال انه لون من الاختصام مع الحياة لم يكن غريبا عليه ان تأملنا قوله : « على أقل تقدير ، لا سيطرة لاحد على رجل ميت ٠٠ » ، وبمزاج مماثل كتب بريخت فى قصيدة أخرى يرثى صديقه :

« حين دفعت فى النهاية الى طريق لا يمكن اجتيازه
سمعنا أنك عبرته الى آخر ٠٠
واجتزت الى بعيد » ٠

انتحر بنجامين فى بورت - بو على الحدود الفرنسية الاسبانية فى سبتمبر ١٩٤٠ حين عرف انه سيسلم الى الجستابو فى اليوم التالى ٠ وقال بريخت حين بلغه نبأ موته : هذه أول خسارة يوقعها هتلر بالادب الالمانى ٠

□□□□

٠٠ من الحوار

٢٧ سبتمبر ١٩٣٤ :

قبل عدة أمسيات ، أشار بريخت فى حواره معى الى تلك الحيرة المدهشة التى تمنعه فى الوقت الحالى من وضع أية خطط محددة ، وكان هو البادىء بالاشارة الى أن السبب الرئيسى هو احساسه بأن موقفه يفضل موقف سواء من المهاجرين ، وما دام لا يعترف - على وجه العموم - بأن المنفى يمكن أن يكون مكانا ملائما للخطط والمشروعات ، فهو يرفض . من حيث المبدأ - هذا الامر فى حالته هو ٠ ان خططه تمتد لابعد من فترة الهجرة ، ومن ثم فأمامه أحد اختيارين : هناك - من ناحية - بعض الاعمال النثرية بحاجة لاكمال من بينها « ارتورى أوى » وهو عمل ساخر يروى صعود هتلر الى السلطة على طريقة رواية السير فى عصر النهضة ، ورواية طويلة باسم « توى » وهى تسخ شامل لحماقات المثقفين ، أغلب الظن أن أحداثها ستدور فى الصين ،وقد فرغ بالفعل من نموذج مصغر لهذا العمل الاخير . لكنه - من الناحية الاخرى - مشغول بتطوير مشروعات افكار ودراسات قديمة ٠ فعلى حين كان بريخت يستطيع - عند الاقتضاء - أن يكتب ملاحظاته وأفكاره عن المسرح الملحمى ، فان أفكارا أخرى - صادرة عن نفس الاهتمامات - قد التحمت بدراسته لكتابات لينين ، والاتجاهات العلمية للتجريبيين ، وأدى هذا الى توسيع الاطار المحدد للدراسة ٠ ظلت هذه الافكار تخايله عدة سنوات ، تبدو له مرة تحت فكرة رئيسية ، وأخرى تحت فكرة أخرى ، فهى حينا تخايله فى ضوء المنطق غير الارسطى ، وحينا تخايله فى ضوء النظرية السلوكية ، وفى الوقت الحالى فان معظم هذه الاهتمامات تلتقى حول فكرة واحدة هى الشعر الفلسفى التعليمى ، لكن الشكوك تراوده حول هذا الموضوع ، فهو يتساءل : هل سيتقبل الجمهور هذا الشكل على مافيه من عناصر ساخرة كما فى « البنات الثلاثة » ؟ هذا الشك يقوم على سلسلتين منفصلتين من الافكار : الاولى أن بريخت كلما ازداد اهتمامه بقضايا وأساليب النضال الطبقى للبروليتاريا ازداد تشككه حول امكانية استخدام أسلوب ساخر فى الكتابة لكن خلط هذه الشكوك - ذات الطبيعة العملية الى حد كبير - بتلك السلسلة الاخرى من الشكوك سيؤدى الى سوء الفهم ٠

تلك الشكوك – على المستوى الاعمق – تدور حول العناصر ذات الطبيعة الفنية والتمثيلية فى الفن . تلك العناصر التى من شأنها احيانا وعلى نحو جزئى – أن تجعل الفن عملا مقاوما لقوة العقل . وكان جهد بريخت البطولى لاضفاء صفة الشرعية على الفن فى مواجهة العلم يعود به . مرة بعد مرة – الى الامثولة والحكاية الرمزية ، حيث تقوم العناصر الفنية بالغاء احدها للاخر .

هذه الجهود المرتبطة بالامثولة او الحكاية الرمزية هى التى تبدو الان فى صورة اكثر اصالة وراديكالية فى فكرة الشعر التعليمى . وخلال الحوار حاولت أن أفسر لبريخت أن هذا الشعر قد لا يلقى القبول عند جمهور بورجوازى ، لكن عند جمهور بروليتارى يفترض فيه أنه لا يجد نفسه فى تلك الاعمال الاولى لبريخت ، ذات الاطار البورجوازى بعض الشىء ، وقلت له : « اذا نجحت قصيدتك التعليمية فى أن تأخذ قضية الماركسية الى جانبها ، فان أعمالك الاولى لن تضعف من القضية بنفس الدرجة » .

٤ اكتوبر :

بالامس مضى بريخت الى لندن . لا اعرف ان كان وجودى يمثل اغراء خاصا فى هذا الصدد أم ان بريخت قد اصبح اشد تعلقا بهذا الاتجاه عن ذى قبل : ان عدوانيته (وهو يسميها « الهجوم المستمر على الفريسة ») تتضح الان فى الحوار اكثر واكثر ، وتدهشنى فى الحقيقة بعض الالفاظ التى تعبر عن هذا العدوان ، فهو مولع بوجه خاص باستخدام كلمة (Würstchen أى سجق من النوع الصغير) ليصف بها كل مالا يروقه . كنت أقرأ « الجريمة والعقاب » ، فبدأ بأن هاجم اختيارى لما اقرأ ، وعده مسئولا عن حالتى النفسية غير الطيبة ، وللتدليل على وجهة نظره حكى لى كيف انه مرض مرضا طويلا فى شبابه (واضح أن المرض ظل كامنا فترة طويلة قبل ظهور أعراضه) ، وأن مرضه بدأ حين عزف واحد من زملائه فى المدرسة مقطوعة لشوبان على البيانو ، دون أن تكون لديه القدرة على الاحتجاج ، وهكذا فهو يعتقد أن لدستويفسكى وشوبان تأثيرا سيئا على الصحة ، لكنه لم يكن ليعدم وسيلة اخرى لمهاجمة قراءاتى ، فقد مد الى دستويفسكى هذا التعبير الجاهز لديه آنذاك عن أى عمل يعتبر أنه لا يقدم استنارة واضحة ، فهو يصفه بأنه (Klump أى كتلة منحشرة أو متخبطسة ، متجلطة) .

٢٨ يونيو ١٩٣٨ :

رأيت نفسى اتخبط فى متاهة من سلالم كثيرة . لم تكن المتاهة مسقوفة . وكنت أصعد وأصعد على حين كانت سلالم أخرى نهبط لاسفل ، وعند منبسط من منبسطات السلم أيقنت أننى وصلت للذروة وانفسحت امام ناظرى اراض واسعة ممتدة ، ورأيت رجالا آخرين يقفون على ذرى أخرى ، وفجأة أصاب الدوار واحدا منهم فانكب على وجهه وهوى ، ثم انتشر الدوار . فهوى آخرون من هذه الذرى الى الاعماق . وحين أصابنى الدوار استيقظت من نومى .

فى ٢٢ يونيو وصلت الى بريخت ..

كان بريخت يتحدث عن روعة واصالة الاتجاه الاساسى لكل من دانتى وفيرجيل ووصفهما الكلاسيكى للجحيم ، ويقول عنه : « انك تستطيع أن تستمتع بقراءته فى الهواء الطلق » .

ثم تحدث عن كراهيته العميقة للقسس ، كراهية ورثها عن جدته ، وأشار الى أن هؤلاء الذين انتحلوا افكار ماركس النظرية وتولوا ادارتها لابد أن يتحولوا الى بطانة اكليريكية ، فالماركسية تسلم نفسها بسهولة « للشراح والمفسرين » . لقد بلغ عمرها الان مائة عام فماذا نرى ؟ (عند هذه النقطة انقطب الحوار) ... ان الدولة يجب أن تتلاشى ، ومن الذى يقول هذا ؟ .. انه الدولة . » (واضح انه كان يعنى الاتحاد السوفيتى فقط) ، ثم اتخذ وجهه هيئة ماكرة – وهو يشخص الدولة ، ونظر نظرة جانبية خبيثة الى محاور وهمى وهو يقول بلسانها : « أعرف أننى يجب أن اتلاشى » .

ودار الحوار حول الروايه السوفيتية الجديدة ، وكنا قد توقفنا عن قراءتها ، ثم تطرق الحديث الى الشعر وترجماته من اللغات المختلفة التى يكتب بها فى الاتحاد السوفيتى . وقال بريخت : « لا شك أن الشعراء هناك يمرون بأوقات عصيبة . فالقصيدة التى لا يتسلل اليها اسم ستالين تتخذ دليلا على سوء النية » .

٢٩ يونيو :

تحدث بريخت عن المسرح الملحمى ، وأشار الى أن بعض المسرحيات التى يمثلها الاطفال تقوم فيها أخطاء الاداء بدور عامل الاغراب ، وتضيف طابعا ملحميا الى العرض ، وشىء من هذا يمكن أن يحدث فى عروض فرق الاقاليم من الدرجة الثالثة ، فأشرت الى أننى شهدت عرضا لمسرحية « السيد » فى خليف ، كان الملك يلبس التاج فيها على نحو معقوف وملتو ، فأوحى لى هذا المشهد ببداية افكار عن المسرح الملحمى تطورت فيما بعد كذلك اشار بريخت الى اللحظة التى بدأ فيها المسرح الملحمى يلح على فكره . حدث هذا للمرة الاولى اثناء بروفات مسرحية « ادوارد الثانى » فى ميونيخ كان المفروض ان تشغل المعركة فى هذه المسرحية حوالى ثلاثة ارباع الساعة ، ولم يستطع بريخت ان يدير حركة الجنود على المسرح ، كذلك لم يستطع مساعده فى الاخراج ان يفعل شيئا ، حينئذ استدار بريخت نحو اصدقائه المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البروفة وسأله فى يأس واضح : « ما حكاية هؤلاء الجنود ؟ ما الذى يحدث لهم ؟ » ورد فالنتين : « انهم شاحبون ، انهم خائفون ، هذا كل شىء » ، وانهت هذه الملاحظة الموضوع ، وأضاف بريخت : « انهم متعبون » ، وكانت وجوه الجنود مطلية بالطباشير الابيض طلاء ثقيلا ، من ساعتها تحدد الاسلوب العام للعرض كله .

واخيرا .. دار الحديث حول الموضوع القديم الخاص بالوضعية المنطقية وكنت أتبنى اتجاها متشددا نحو هذا الموضوع . وتهدد الحوار بأن ينحرف الى مجرى حاد ، لولا أن بريخت تجنب هذا حين اشار – للمرة الاولى – الى ان حججه حول هذا الموضوع كانت حججا سطحية ، قال هذا فى صياغة طريفة مرحة : « ان الاحتياج العميق يؤدى دائما لنظرة سطحية » ، وحين كنا نسير معا نحو منزله (كان الحوار يدور فى حجرتى) قال بريخت : « من المستحسن أن يقضى الانسان الذى يتخذ موقفا متطرفا فترة من رد الفعل ، لانه سيصل الى حل وسط » ، وهذا ما حدث له ، لقد أصبح لين العريكة .

١ يوليو :

كلما اشرت الى ما يجرى فى روسيا بدت ملاحظات بريخت متشككة دائما ، تساءلت عما اذا كان أوتوالد لا زال سجينا (فى العامية الالمانية تساوى لا زال جالسا) فكان رد بريخت : « اذا كان لا يزال قادرا على الجلوس فهو جالس » وبالامس ، أشار جريتل ستيفن الى أن تروتسكى لم يعد على قيد الحياة .

٤ يوليو :

فى حوار حول بودلير الليلة الماضية قال بريخت : « أننا

تعرف .. انني لست ضد من يواجه المجتمع ، لكنني ضد الكائن غير الاجتماعي » .

٢١ يوليو :

ان اعمال لوكاتش وكوريلا وغيرهما تسبب لبريخت منغصات كثيرة ، وهو يعتقد أن على المرء الا يناقشهما على الصعيد النظري نقلت السؤال الى الصعيد السياسى فلم يستطع بريخت ان يكبح جماحه : « ان الاقتصاد الاشتراكى ليس بحاجة للحرب ، لهذا فهو يعارضها ، وما تعبير « طبيعة الشعب الروسي المحبة للسلام » الاصياغة هذه الحقيقة ، لا يمكن قيام اقتصاد اشتراكى فى بلد واحد ، واعادة التسليح لابد ان تعود بالبروليتاريا الروسية مراحل الى الوراء ، الى مراحل من التطور التاريخي قد تم تخطيها ، من بينها مرحلة الحكم الملكى ، وروسيا الان يحكمها شخص واحد ، لا ينكر هذا سوى البلهاء والحمقى » . كانت محاورة قصيرة سرعان ما انقطعت . وأضيف - في هذا السياق - ان بريخت قال انه نتيجة تفكك الدولية الاولي فان ماركس وانجلز فقدا اتصالهما الفعال بحركة الطبقة العاملة ، وأنهما قدما بالتالي نصائح - بصفة شخصية وغير قابلة للنشر - الى بعض الزعماء ، كذلك لم يكن مصادفة - وان كان شيئا يؤسف له - ان تحول انجلز فى نهاية حياته الى العلوم الطبيعية .

وقال بريخت ان « بيلا - كون كان أعظم المدافعين عنه فى الاتحاد السوفيتى ، وان بريخت وهاينى كانا الشاعرين الالمانيين فقط اللذين درسهما كون . (كان بريخت يشير احيانا الى وجود شخص مدافع عنه فى اللجنة المركزية) .

٢٥ يوليو :

صباح الامس ، جاء بريخت الى حجرتى ليقرأعلى قصيدته عن ستالين بعنوان : « حديث الفلاح الى ثوره » (٦) ، وفى البداية لم يتكشف لى معناها العام ، ثم برقت فى رأسى صورة ستالين ، لكننى لم أجرؤ على النطق بها . وكان هذا التأثير هو ما يهدف بريخت الى ايقاظه فى المتلقى كما أشار فى حواره التالى فى هذا الحوار أكد بريخت - بين ما أكده الجوانب الايجابية للقصيدة . كانت القصيدة تكريما لستالين الذى يرى بريخت أنه على جانب كبير من الجدارة والاستحقاق ، وبالاضافة لهذا .. فان اختيار منهج متحمس لتكريم ستالين لم يكن مفروضا على بريخت ، القاعد فى المنفى ينتظر وصول الجيش الاحمر ، انه يتابع التطورات التى تحدث داخل روسيا ويتابع كتابات تروتسكى معا ، وهذا يثبت أنه كانت لديه شكوك ، وشكوك مبررة فى الحقيقة - تتطلب منهجا أكثر حذرا فى تقييم ما يحدث بروسيا . هذا التشكك مسموح به حسب الماركسية التقليدية . واذا ثبتت صحته يوما تحتم الوقوف ضد هذا النظام .. علنا ودون مواربة . قال بريخت .. « ولكن - لحسن الحظ أو الحمد لله - اختر ما شئت من هذين التعبيرين - فان الشكوك لم تتحول - بعد - الى يقين ، ولا مبرر لان نقيم على أساس هذه الشكوك سياسة مثل سياسه تروتسكى لا شك فى وجود عصابات اجرامية تعمل داخل روسيا ، ترى اثارها الضارة بين الحين والحين .. » ، ثم أشار بريخت الى اننا - نحن الالمان ، قد تأثرنا تأثرا خاصا بالنكبات التى عانينا منها فى بلادنا .. « علينا أن ندفع ثمن الموقف الذى اتخذناه ، نحن مثخنون بالجراح والندوب ، وطبيعى أن نكون أكثر حساسية .. » .

وقرب المساء ، وجدنى بريخت فى الحديقة اقرأ « رأس المال » ، قال : « حسن أن تدرس ماركس الان ، فى وقت لم يعد أحد يقترب منه . خاصة فى بلادنا » ، فأجبت بأننى افضل دراسة المؤلفين الذين يثيرون الجدل حين تنتهى « موضتهم » ، ثم مضينا نناقش السياسة الادبية الروسية ، وقلت - مشيرا للوكاتش وجابور وكوريلا - « هؤلاء الناس ليس لديهم شىء فى بلادهم يكتبون عنه .. » (وحرفيا : مع هؤلاء الناس لا تستطيع أن تقيم دولة) ، قال بريخت : « الامر - بالاحرى - هو أن الدونة هى كل ما تستطيع ان تقيمه معهم ، لكنك لا تستطيع ان تقيم معهم جماعة ، انهم - ولنقل الامر بوضوح - اعداء الانتاج ، لان الانتاج يجعلهم فى حالة غير مريحة ، فالانتاج هو ما لا يمكن توقعه ، وهم لا يريدون الانتاج ، بل يريدون ممارسة السيطرة على غيرهم من الناس ، وكل عمل من اعمالهم النقدية ينطوى على تهديد لا يمكن اغفاله » ، ثم انتقل بنا الحديث - لا أذكر كيف .. الى روايات جوته ، لم يكن بريخت يعرف من رواياته غير رواية واحدة هى « صلات انتقائية » ، وقال ان ما يعجبه فيها هو بلاغة جوته وتدفقه ، وحين أخبرته بأن جوته كتب هذه الرواية وقد تجاوز الستين دهش دهشة واضحة ، ثم قال ان هذا الكتاب عمل عظيم لانه لا شىء فيه ضد التقدم ، فى حين أن كل الدراما الالمانية - حتى الاعمال المتميزة منها - ضد التقدم ، وحين قلت ان هذه الرواية استقبلت استقبالا سيئا حين نشرت طبعتها الاولى أجاب بريخت : « انني سعيد لسماع هذا ، فنحن الالمان شعب خسيس ، وبالنسبة لي ، فان كل ما هو المانى فى انما هو سىء ، غير أن ما لا اطيق احتماله ضد الالمان بوجه خاص فهو هذا الاستقلال ضيق الافق ، فليس هناك مكان اخر وجدت فيه مثل هذه المدن المستقلة للتاريخ الالماني ، والمدن المستقلة في عصر النهضة انما كانت دولا فى مدن . ولوكاتش المانى بالاختيار ، لهذا فهو فارغ بلا حشو على الاطلاق . » .

٢ يوليو :

قال بريخت الليلة الماضية : « لم يعد لدى شك فى ان النضال ضد الايديولوجية قد أصبح ايديولوجية جديدة » ..

٢٩ يوليو :

قرأ على بريخت فقرات من مقال جدلى - جزء من حواره مع لوكاتش - كان يعده لينشره فى « الكلمة » ، وسألنى رايى حول نشره ، خصوصا وأن موقع لوكاتش « هناك فى القمة » كان قويا فى الوقت الحالى ، فأجبته بأننى لا أستطيع أن أقدم له النصح حول هذا الموضوع « فثمة أمور تتعلق بالسلطة ، وعليك أن تستنير برأى واحد من هؤلاء الذين فى القمة .. أليس لك أصدقاء بينهم ؟ » أجاب بريخت : « لا أصدقاء لى بينهم ، حتى أهل موسكو ليسوا أصدقاءهم ، انهم موتى » .

٣ أغسطس :

فى مساء ٢٩ يونيو ، حين كنا بالحديقة ، دار بيننا حوار حول امكانية أن تضم مجموعة بريخت الشعرية الجديدة بعض قصائده من « أغانى الاطفال » . وأبديت معارضتى لهذا الاقتراح ، وقلت أن المقابلة بين القصائد السياسية والقصائد الخاصة فى المجموعة ستجعل تجربة المنفى تبدو بكل كثافتها وثقلها ، هذه المقابلة ستقل قيمتها كثيرا اذا ضمت المجموعة مستويات متفاوتة من القصائد ، حين قلت هذا ربما كنت أشير الى ذلك الجانب

---

[٦] راجع : قصائد من برتولت بريخت ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

المتمثل في شخصية بريخت ، والذي كان يعرض كل شيء للخطر قبل أن يتحقق ، قال بريخت : « أعرف انهم سيقولون عني انني مجنون ، ولكن حين ينتقل تاريخ عصرنا هذا الى ايدي المستقبل ، فستنتقل معه أسباب جنوني ، والاوقات التي نحياها الآن ستكون الستارة الخلفية التي يبدو امامها جنوني ، كلما اريده أن يقول الناس عني : قد كان مجنونا معتدلا » . قال بريخت ان مجموعته الشعرية الجديدة ستعبر عن اكتشافه لهذا الاعتدال ، وستعبر كذلك عن استمرار الحياة رغم وجود هتلر ، وسيكون هناك اطفال دائما من حقهم علينا أن نغني لهم ، ثم أضاف – في عنف متوهج قلما كان يسمح له بالظهور – حجة جديدة لاضافة أغاني الاطفال في مجموعته « أشعار من المنفى » ، قال بريخت : « يجب الا نهمل اي شيء في نضالنا ضد كل هؤلاء ، ان ما يخططون له ليس بالشيء الهين ، اذكر هذا دائما انهم يخططون لثلاثين ألف سنة قادمة ، يضعون تخطيط اشياء مريعة ، جرائم مريعة ، ولا شيء يوقفهم ، وهم يوشكون أن يدمروا كل شيء ، كل خلية حية تتقلص تحت ضرباتهم ، لهذا يجب علينا ان نفكر في كل شيء ، انهم يجهضون الاجنة في أرحام الامهات . ولا يجب أن نهمل نحن الاطفال مهما كان السبب » . حين كان بريخت يتحدث على هذا النحو شعرت بقوة تجتاحني ، ليست أقل من قوة الفاشيين ، عنى انها قوة تنبع عن عمق في التاريخ ليس دون العمق الذي تنبع عنه الفاشية . كان شعورا غامرا ومدهشا وجديدا بالنسبة لي ثم اتخذت افكار بريخت اتجاها آخر زاد من حدة هذا الشعور : « انهم يخططون لدمار يرجع بنا الى العصر الجليدي مرة أخرى ، انهم لم يستولوا على بيتي وبركة أسماكي وسيارتي فقط ، لكنهم انتزعوا أيضا مسرحي وجمهوري ، وأنا حيث أقف الآن لا أستطيع أن أعترف – من حيث المبدأ – بأن شكسبير كان موهوبا اكثر مني ، ان شكسبير لم يكن يستطيع أن يكتب ويضع أوراقه في درج مكتبه أكثر مما أستطيع أنا . كانت شخوصه تتمشى أمامه ، والناس الذين صورهم كانوا يخطرون تحت سمعه وبصره في الطرقات والشوارع ، راقب مسلكهم والتقط بعضه ، وما تركه أكثر مما أخذه » .

اوائل اغسطس :

« في روسيا ثمة ديكتاتورية تمارس لحكم البروليتاريا . وعلينا الا نعزل أنفسنا عن هذه الديكتاتورية طالما قامت بعمل لصالح البروليتاريا ، بمعنى انها تحاول الوصول الى وفاق بين البروليتاريا والفلاحين مع اهتمام خاص بمصالح الطبقة الاولى » . بعدها بأيام تحدث بريخت عن النظام « الملكي للعاملين » ، وتصورت هذا الشيء كائنا خرافيا تلتقطه الشباك من اعماق البحار : سمكة ذات قرون أو غير ذلك من الكائنات العجيبة .

٢٥ أغسطس :

حكمة من حكم بريخت : « لا تبدأ بالاشياء الطيبة في الماضي ، بل ابدأ بالاشياء السيئة في الحاضر » .

تعليق

تأمـــــلات
فى دراما العيون

تلح دائما على الفنان المؤمن برسالة ما ، مشكلة « الشكل » الذى يحمل رسالته الى جمهوره . وغالبا ما يجد نفسه فى تناقض بين أن يعبر ، وأن يصور .. فأن يعبر : أمر يستلزم درجة كبيرة من الوضوح ليصل المضمون الذى يريد التعبير منه الى الاخرين ، مما يجعله يبحث عن المشترك والمتعارف عليه فى مدلولات الاشياء بينه وبينهم . وأن يصور : فذلك أمر يتعلق أساسا بجماليات فنه ، بأسلوبه المميز ، بلغته الخاصة جدا ، التى قد يجد لذة مجردة فى البحث من أبجدياتها . وكثيرا ما توصله هذه اللذة ذات الاغراء الجارف الى نتيجة تنأى به عن جمهوره الذى لم يتح له فى الغالب الحد الادنى من الثقافة الفنية أو حتى العامة . ويزداد هذا التناقض حدة اذا كان الفنان قد التزم برسالة اجتماعية ، مما يتطلب مزيدا من الوضوح نظرا لاتساع قاعدة جمهوره التى تشمل قطاعات شعبية عريضة تعوزها الثقافة بالطبع .

وكثيرا ما وقف هذا التناقض عائقا أمام تطور العديد من الفنانين ، أو جرفهم الى آخر مدى الى احد طرفى التناقض ، أما بالتحول الى « الدعائية » حيث يصبح الفن مجرد وسيلة للتأثير الجماهيرى ، واما بالتحول الى الانغلاق فى القيم الشكلية المجردة أو الى ما يسمى « الفن للفن » . وقليلون هم الفنانون الذين نجحوا فى حل هذا التناقض ، وحققوا الوحدة العضوية بين التصوير والتعبير ، بين ذاتية العمل الفنى وجماهيريته فى الوقت نفسه ، بابداع وتميز .

والفنان المصور **جورج البهجورى** أحد هؤلاء الفنانين القلائل . وقد اتيح لنا ان نلتقى بآخر انتاجه فى معرضه الذى أقيم بقاعة الفنون الجميلة فى الشهر الماضى ، عرض فيه أعماله فى الفترة بين ٦٨ — ١٩٧٢ .

والمتابع لاعمال البهجورى منذ أوائل الستينات يجد لديه هذا الاهتمام المبكر بالواقع الاجتماعى ، وان اتخذ فى البداية شكل « التعاطف » مع بسطاء الناس والفقراء وصبية الورش والمكوجية وأولاد الحارة ... الا أن هذا الاهتمام نضج فيما بعد الى أن أصبح موقفا واضحا « بتبنى » قضية هذه الفئات فى أدنى درجات السلم الاجتماعى . (وفرق كبير بين التعاطف والتبنى) . لقد عايشها فى صراعها اليومى من اجل الحياة ، وتغلغل داخل اعماقها فى أحزانها وأفراحها ، فى انسحاقها وتطلعاتها ، وعبر عن كل ذلك دون الوقوع فى التسجيلية أو الخطابية ، بل مع احتفاء بلغة الشكل ومعاناة من أجل تحقيق أسلوب مميز ومعاصر ، مستفيدا من الاتجاهات العالمية .

وهذا التطور الذى حدث للرؤية الموضوعية عنده — من التعاطف الى التبنى — انعكس على بنائه التشكيلى ، فلان المنطلق لاعماله الاولى كان رومانسيا ، اساسه الحب والحس الدينى ، ولانه كان يصور لوحاته داخل مرسمه الصامت ويرى الناس برهبانية جورج روو . فقد كان يسيطر عليها السكون والقتامة ، وشاعرية تقرب من الصوفية ، وحزن ثقيل رازح على أشخاصه يجعلهم كتلا صماء مدكوكة مشلولة الحركة مفتوحة العيون فى ذهول أخرس أو استسلام بائس أو استمتاع مسيحى بالعذاب :

كنا نرى فى لوحاته الطفل ابن السابعة وكأنه ابن الخمسين ، وحيدا خائفا ، حتى وهو يلعب كرة القدم فى الحارة : « **حارس المرمى** » .

لكنه حين خرج من صمت مرسمه ليعايش الناس فى حياتهم اليومية وزحامهم فى الشوارع والاتوبيسات وفوق الارصفة وداخل الورش والجراجات وعلى عربات الفول المدمس حيث يتناولون طعامهم الاساسى فى الطرقات .. وفى مظاهراتهم

واجتماعاتهم ولهوهم أيضا ، أصبحت لوحاته تضج بالحياة حتى لنكاد نسمع فيها صخب الشارع وأبواق العربات ودق الشواكيش على الصاج وصيحات الاطفال أمام بائع الفول ... وترك كل ذلك اثره على أسلوب معالجته لمسطح اللوحة : امتلات بالديناميكية .. تحررت من ثقل البنيات القاتمة .. دخلها الاحمر والازرق والاصفر وكثرت المساحات البيضاء .. خفت الكتل الثقيلة فى الاشخاص وتفرقت على مسطح اللوحة .. اختفت الخطوط المستقيمة الساكنة والمكعبات الهندسية وانطلقت خطوط دائرية ومنحنية ولولبية تمرح على مسطح اللوحة .. قل الاهتمام بالصورة الشخصية (البورترية)وامتلات اللوحات بزحام عجيب .. يبدو وكأنه مئات الاشخاص .. لم يعد يرسم أجساما أو يراعى نسبا واقعية ، بل أصبحت العيون هى المعادل الموضوعى والتشكيلى للاشخاص .. تكاثرت العيون وتداخلت كأنها منعكسة فى مرايا داخل مرايا .. لكنها عيون غير تلك العيون القديمة الضائعة المستسلمة .. هى عيون لامعة متوقدة نافذة .. مشحونة بالسخط .. بالرغبة .. بالرفض .. بالكبرياء .. بالذعر .. بالتوسل .. بالحزن النبيل .. اننى لم اتخلص بعد من تأثير عيونه المخيفة فى ملحمته المفجعة « ٥ يونيو » التى صورها فى لوحتين متجاورتين : فعلى مساحتيهما الهائلتين لا نرى غير آلاف العيون (هكذا نشعر بعددها) لاشخاص مكدسين فى شرفة يحملقون الى أعلى فى ذهول مفزوع واحتجاج متوسل ، كأنهم يتلقون الصاعقة. ما أظننى رأيت عيونا فى مثل عيون البهجورى غير عيون مقابر الفيوم فى فجر المسيحية بمصر ، تلك المدرسة العظيمة فى التصوير الحائطى . لن أنسى أيضا ذلك الوجه النسائى الفريد الذى يقلد فيه البهجورى صورة الجوكندا لدافنشى، وقد سماه فعلا « جوكندا ٧٢ » : لقد انتقل مركز الاشعاع من الابتسامة المشهورة فى لوحة دافنشى الى العيون الواسعة المحمومة بالرغبة فى لوحة البهجورى .

لكن الى أى مدى تعيش تلك الاعمال الفنية بعد أن تتغير الظروف التى أدت اليها ؟ .. هناك من يرى انها لن تعيش الا بقدر ما تثير لدينا الاحساس بالحاجة الى تغيير تلك الظروف ، أو فى أحسن الاحوال قد تظل اعمالا متحفية كشهادات واقعية على مرحلة حضارية من تطورنا .. الا أننا اذا سلمنا بذلك فاننا نلغى من تراث الفن العالمى أعمال الفنان دوميية ، التى صور فيها ركاب الدرجة الثالثة بالقطار والغسالات ومحاربى طواحين الهواء ... ومعظم اعمال فان جوخ عن حياة الفقراء والمسجونين وسعاة البريد .. ولوحات تولوز لوتريك عن فتيات الليل ، والوجه الآخر البشع لحياتهن ... ان الحس الانسانى الساخر فى تلك الاعمال من اهم العوامل فى بقائها ، أو بكلمة أخرى « روح النقد »ولا أقول جديدا اذا اعتبرت أن النقد خلق . غير اننى أضيف أن تلك الاعمال لم تحقق الخلود لمجرد اكتشافها تناقضات فى واقع معين وتعريتها ، بل الاهم من ذلك هو اكتشافها لاساليب جديدة وفريدة للتعبير عن تلك التناقضات.

فما هو الاسلوب الذى ابتدعه البهجورى للتعبير عن رؤيته ؟

لقد شغل لفترة بالبحث فى حلول للشكل متاثرا بالمدرسة التكعيبية بالغاء البعد الثالث وتسطيح الكتلة ومحاولة النظر اليها من زوايا متعددة فى وقت واحد ، مستفيدا من براك وبيكاسو ، لكنه لفظ من التكعيبية استخدامها للمشخص كمجرد شكل يخلو من الحس الانسانى شأنه شأن نازة أو آلة موسيقية ، واستخدامها كذلك للعناصر الهندسية المجردة والخامات الغريبة مثل قصاصات الصحف وقطع الخشب ... ذلك أن ما يشغل البهجورى بالدرجة الاولى هو تأكيد الحس الانسانى وليس خنقه ، لذلك اتجه الى البحث من أسلوبه الخاص مستلهما تراثنا الفنى ــ خاصة الفرعونى والقبطى ــ ولعل عنايته بالخط فى مرحلته الاخيرة وشفافية الوانه التى تقترب من الوان التمبرا أو الفرسك على جدران المقابر الفرعونية أو وجوه الفيوم ، وتأكيد دور العيون الواسعة والمستطيلة ، واستخدام عناصر الاطعمة والانية والقدور بتفصيل دقيق بين المشخصات ــ كما فى لوحات مقابر الاشراف بالدير البحرى بالاقصر ــ لعل كل ذلك من تأثير ذلك البحث .

ان البهجورى بهذا قد عاد الى المنابع الحقيقية التى يمكن أن تثرى رؤيته المعاصرة بأصالة قومية ، دون أن يلجأ الى اغتصاب عناصر سطحية من التراث وفرضها على أعمال تجريبية خالية من الحس الانسانى لادعاء الاصالة وخلق فن قومى . لقد استلهم البهجورى روح الفنون القديمة وليس أشكالها الخارجية فقط ، وهذا ما يجعل أى متلق لاعماله أيا كانت جنسيته يشعر للوهلة الاولى أنه أمام مصور مصرى صميم ؛ ومع ذلك فهو يصل الى اعماقه ايضا بلا حواجز ، شأن أى فن جيد .

الا أن لى بعض الملاحظات السريعة على أعمال ذلك المعرض ...

● ان جورج لم يتخلص كلية من تاثير الطابع الصحفى على انتاجه ، يبدو ذلك فى اغراقه فى السرد التفصيلى لجزئيات لا تفيد اللوحة ، ولعله كان أكثر توفيقا حين عالج هذه التفاصيل فى رسومه بالحبر فى معرضه الذى اقامه فى بداية هذا العام بقاعة جوته .

● أن ألوانه فى المرحلة الاخيرة اكتسبت شفافية وتنوعا ، لكنها فى كثير من الاحيان تبدو أقرب الى الالوان المائية أو الفرسك منها الى الالوان الزيتية (مثل لوحات ميكانيكا السيارات والناس فى الطريق) . لكنى أظن أنه من السابق لاوانه تقييم تلك المرحلة تقييما نهائيا لانه لم ينته منها بعد .

● شعرت فى بعض اللوحات بأنه يحاول بشكل تعسفى أن يخلق تركيبا غريبا بهدف الاثارة ، واكتساب مسحة الحداثة مثل لوحة التليفون ، ولوحة جمهور الفول ، وهى عبارة عن طبيعة صامتة تشمل أنواعا من الاطعمة وقدرة الفول وزجاجة الزيت ، والى جانب تلك الاشياء رأس طفل كل ذلك مرسوم على مستطيل ابيض يخترق خلفية اللوحة المكونة من وجوه وعيون عديدة . كما يبدو هذا التركيب الذهنى ايضا فى احدى لوحتى « ٥ يونيو » التى يقسمها الى ثلاثة شرائط طولية ، بلا ضرورة درامية أو تشكيلية ، فى الوقت الذى قالت فيه اللوحة الثانية كل شىء عن الموضوع ببلاغة تشكيلية فذة . واذا قارنا هذه اللوحة بلوحة اخرى استخدم فيهما تكوينا مشابها هى لوحة « الناس فى الطريق » حيث نظر من مسقط رأسى الى الشارع المزدحم فرأى الناس شريطا طويلا رفيعا مضغوطا حتى الاختناق بين طوابير العربات والعمارات ، لوجدنا انه نجح بلا افتعال فى معالجة الفكرة الاخيرة تشكيليا وتعبيريا .

الا ان كل تلك الملاحظات تظل فى مجرد هوامش عابرة لهذا المعرض الجيد الذى كان لابد منه فى تلك الفترة ، كرد على عشرات المعارض الهزيلة ذات الصوت المرتفع فى الحركة الفنية .

عز الدين نجيب



علي الجنـدى : مـات أرق الشعـراء

فى الثاني من شهر يونيو ١٩٧٣ لقى الشاعر الاستاذ على الجندى ربه بعد عمر مديد بلغ خمسة وسبعين عاما . قضاها معلما وشاعرا ومحققا وانسانا . وقد ولد لاسرة عريقة فى أعالى الصعيد تجتمع فى نسبه عروق تركية وعربية ومصرية تلقى تعليمه الاول فى كتاب القرية شأن اترابه ولداته ثم التحق بمدرسة المعلمين الاولية لثلاث سنوات سافر بعدها الى القاهرة ليدرس فى الازهر ، ثم دار العلوم، حتى تخرج وصار معلما فى وزارة المعارف ثم مدرسا واستاذا فعميدا لكلية دار العلوم. هكذا عملت نشاته وفطرته وتربيته وتعليمه على أن يكون نموذجا يقترب من الكمال للاستقامة الاخلاقية والمحافظة الاجتماعية والتقليدية الادبية ولا يشذ فيه عن الاستواء الا هذا الافراط - المعهود فى الشعراء - فى شدة الحساسية والرقة ، حتى لقد جعله هذا الافراط يسيل رحمة وعطفا وانسا . ونوشك الا نعدو الحقيقة اذا قلنا بأن تأثيره على معاصريه وتلاميذه ومريديه كان تأثيرا شخصيا أكثر منه تأثيرا ادبيا . ولعله بسمته ورقته البالغة حتى لتكاد وأنت تمعن فى تأمله ان تلمح روحه تتحرك فى جسده . ولقد ظننت بأن هذه الصورة التى كان عليها الاستاذ الجندى فى سنوات عمره الاخيرة والتى كنت أراه عليها انما هى من الشيخوخة ورقة التطامن لتراكم الايام والاعوام حتى رأيت هذه الصورة التى رسمها له الاستاذ محمد صالح سمك فى مقدمة الديوان الاول للشاعر الجندى وهو أغاريد السمر ، فاذا برقته نظرة فيه

ولعلنا نلمس عن قرب حقيقة هذا الشاعر لو تأملنا هذه الصورة النفسية التى كتبها الاستاذ سمك يقول : « هو أشد حياء من العذراء يتضرج وجهه لاقل شىء بخدش شعوره ولايكاد يثبت بصره فى احدلم تتوثق معرفته به ولهذا يقطع حديثه بالاغضاء مرة والابتسام اخرى ، ولكنه

- ولد عام ١٨٩٨ بشندويل - سوهاج .
- تلقى دراسته فى مدرسة المعلمين الاولية ثم التحق بالازهر فمدرسة دار العلوم
- عمل بعد تخرجه من دار العلوم عام ١٩٢٥ مدرسا بوزارة المعارف ثم انتقل الى التدريس بدار العلوم حتى اصبح عميدا لها .
- عضو بالمجمع اللغوى بالقاهرة .
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب
- صدر له أكثر من ثلاثين كتابا فى اللغة وعلوم البلاغة والنقد والادب .
- له ثلاثة دواوين مطبوعة هى :
  - أغاريد السمر (١٩٤٧)
  - ألحان الاصيل (١٩٥٠)
  - ترانيم الليل (١٩٦٤)

اذا غضب صلبت عيناه وتوهجتا وانطلقت نظراتها كالسهام النافذة . وحياؤه فطرى لا تكلف فيه يضفى عليه عذوبة ورقة وهدوءا يحببه الى جليسه ، وهو جم العطف والرحمة الى درجة تشتيه ، ورحمته تعم الانسان والحيوان فيتالم لضرب القطط والكلاب وتحميل الدواب فوق طاقتها وحبس الطيور فى الاقفاص وذبح البهائم والاوالف .. صوفى النزعة راسخ العقيدة » . ولقد كانت الصورة التى رسمها بقلمه الاستاذ صالح سمك دقيقة الى حد أنها تتطابق مع ما يقوله الشاعر عن نفسه فى هذه الابيات :

لـكل امرىء جهـر يخـالف سره
ومالـى سر يخـالفه جهـرى

تطالع فى وجهى صحيفة خاطرى
وتقرأ فى عينى ما حاك فى صدرى

خلقت كعيسى لا اكن ضـغينة
بقلبى ولا أطوى ضلوعى على غـدر

ولا ناسيا صـنع امرىء وجميلـه
الى ونسـيان الجميـل من الـكفر

وفى لاصحابى على السخط والرضا
يعنى باحبابى على الوصل والهجر
واعتبر حبى للجمال عبادة
ارجى بها حسن المثوبة والاجر

وأظننى اسهبت فى تأمل الشاعر وصورته النفسية ، وعـذرى أننى رأيت شعره تجسيدا لخصائصه النفسية

وأخلاقه وطباعه. لقد ترك الشاعر على الجندى كما ضخما من الشعر التقليدى، فصدرت له ثلاثة دواوين هى **أغاريد السمر عام** ١٩٤٧ ويضم ٩٦ قصيدة ومقطوعة .. ويقسم الشاعر ديوانه الى أربعة اقسام :

الاول : الشعر الدينى

الثانى : شعر الاخوانيات

الثالث : الشعر الوطنى

الرابع : شعر الوجدان .

والديوان الثانى **ألحان الاصيل** وصدر عام ١٩٥٠ . اما الثالث فهو **ترانيم الليل** وهو آخر ديوان مطبوع له وقد صدر عام ١٩٦٤ وقد التزم الشاعر فى كل دواوينه بتصنيف موضوعات قصائده وهى تخرج عن تصنيف الديوان الاول الا فى التوسع فى بعض الشعر الاجتماعى أو شعر المأساة الاجتماعيةولعل أول ملاحظة عامة على شعره هو أنه شديد التقليدى حتى ليكاد أن يكون آخر الشعرا العباسيين طال به العمر حتى وصل الى زماننا . ولقد كان شعره صورةلتكوينه النفسى والاخلاقى الى حد كبير فهذا الحياء الذى غلب عليه جعله يحيط عاطفة الحب بهالة من العفة ورقته البالغة جعلته سريع التأثر فالنظم مما أتاح له أن يترك لنا هذه القصائد العديدة من شعر الشفقة واستقامته الاخلاقية جعلت شعره يجنح الى الموعظة والنصيحةحتى كاد أن يلتقى الشاعر فى مفهومه بالمصلح الاجتماعى وجعله تواضعه يؤثر العزلة رغم أنه تواضع ملىء بالكبرياء كما دفعه ميله الريفى الى المحافظة على سمعته الى البعد عن كل ما يريب حتى تهيب فلم تكن له الجراة على اقتحام المدينة . واكتفى برؤيتها فى الطريق العام وعلى صفحات المصحف . ولقد اتسعت حياة الشاعر حتى واكب الحركة الشعرية منذ نهاية عصر شعراء البعث الذى بدأه البارودى فى منتصف القرن الماضى ثم عاصر المرحلة الكلاسيكية ـ شوقى وحافظ ومطران ـ ثم شهد ظهور المدرسة الرومانتيكية التى عرفتباسم مدرسة ابوللو فىالثلاثينات ثم عاصر الوثبة الشعرية الحديثة وهى التى مازال الجدل محتدما حولها رغم رسوخ اقدام شعرائها ، ورغم حرص الشاعر على التصنيف ، فانك تجد مشقة لا شك فيها اذا أردت ان تلحقه بواحدة من هذه المدارس بشكل نهائى . فان كل المدارس تتنازعه تقريبا ماعدا مدرسة الشعر الحديث . بالطبع تستطيع وأنت تنظر الى هذا الكم الهائل من الشعر الذى يذكرك أحيانا بالبحترى وأحيانا أخرى بالبهاء زهير وربما بالعباس بن الاحنف فتقول بأنه من شعراء البعث الذين ارتكزوا والى مدى بعيد على الديباجة العباسية وما قبلها وما بعدها وتستطيع وأنت ترى هذا النظم التقليدى الذى لا يخرجفى اغراضه عنالشعرالقديم فتقول هذا شاعر كلاسيكى النزعة والاتجاه . وقد تؤخذ بهـذا الفيض من المشاعر الانسانية والتى تتجلى فى الوجدانيات وشعر المآسى الاجتماعية فتقول ربما كان رومانتيكيا . وقد تكون فى النهاية ساخرا فتقول هذا واعظ وليس بشاعر ولكنك غير منصف بلا شك اذا اكتفيت بأحد هذه الاوصاف دون أن تتجاوزها وقد تكون أشد أنصافا لو أنك جمعت هذه الاوصاف جميعا وأعطيتها للشاعر على الجندى . وقد يتصور المرء ان هذا الشاعر لفرط رقته قد أدار ظهره لعصره ، واصطفى لنفسه موضوعا مريحا يتأمله مثل المرأة او الطبيعة ولكن الحقيقة ان الشاعر كان يواكب باحساس بالغ الرهافة كل ما يجرى على أرض وطنه منذ التهيب الحماسة والغضب عند القبض على سعد زغلول فى ٨ مارس ١٩١٩ عشية الثورة المصرية حتى المواجهة مع الصهيونية فى اسرائيل. لقد كتب عنسعد زغلول ولجنة ملنر بل انه ربما يكون قد أسرف فى انفعالاته الوطنية أكثر من أغراضه الشعريةالاخرى ، وكتب عن مجلس الامن عام ١٩٤٥ وسماه مجلس الخوف كما يقول :

تجمعتمـوا من كل جنس وامـة ..
ولون لحفظ السلم هل حفظ السلم ؟

والا فما بال الشـــام دماؤه ..
تســيل وأنتم عن مناحته صـم

وكان يشير الى كفاح سوريا ضد الاستعمار الفرنسى ، ولا شك ان وطنيته وحسه العميق بالظلم الاجتماعى الذى تعانىمنه الطبقاتالفقيرة جعل شعرهليس فقط صورة لنفسه بلصورةلعصره ايضا وربما كانأسرافه فى التأثر بكلشىءحتى جاء شعرهخاليا منالرؤية الشاملةقدحرمه من أن ينال المكانة التى كان جديرا بالوصول اليها . لقد كان تحفظه يشكل قيدا ثقيلا على تجربته الشعرية ، هذه التجربة التى ظلت تعتمد على البعد الخارجى الاولوكانت اخلاقه وعفته قيدا على حركته الادبية وأظن أن الشاعر على الجندى يستحق من التقدير الادبى والانصاف النقدى فوق ما حصل عليه بالفعل فى حياته . واذا كانت صفاته النفسية قد ظلمت شعره فان هذا الشعر قد لقى ظلما جديرا بعدم اهتمام النقاد به اهتماما كبيرا ولا شك أن الحياة الادبية ستحظى باضافة حقيقية الى تراثنا الشعرى لو ان لجنة تألفت لاصدار مختارات من شعر الاستاذ على الجندى متوخية اختيار أفضل نماذجه فى الوطنية والوجدانيات والمآسى الاجتماعية مغفلة الكثير من شعر المناسبات .

محمد ابراهيم أبو سنة

مهرجان كان ٧٣

عقد فى الفترة من ١٠ الى ٢٥ مايو مهرجان كان السينمائى الدولى الفرنسى السادس والعشرين ·
وقد تشكلت لجنة التحكيم برئاسة الممثلة انجريد برجمان (٤٠ فيلما من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٦١) وعضوية الكاتب البريطانى لورانس داريل والمخرج الامريكى سيدنى بولاك وجان ديلونوى ورودولفايشفيرا وبوريسلاف ميشاليك وفرنسوا نوريه وثيو بيستيللى وروبرت رودو يستيفينسكى الى جانب روبرت أنريكو وصامويل لاشير والكسندر مارين للافلام القصيرة ·

الافلام الطويلة

عرض فى مسابقة الافلام الطويلة ٢٤ فيلما من ١٢ دولة ، وصرح موريس بيدس السكرتير العام الجديد للمهرجان ان ادارة المهرجان تتحمل مسئولية اختيار الافلام لاول مرة ، اذ رفضت تدخل وزارة الخارجية الفرنسية والسفارات الاجنبية لما كان يحدث فى الماضى · وانها اختارت هذه الافلام من بين ٢٠٠ فيلم تقدمت بها ٤٠ دولة · وقد اشتركت الولايات المتحدة الامريكية بخمسة افلام وايطاليا باربعة افلام وفرنسا بثلاثة افلام وكل من بريطانيا واسبانيا وبلجيكا بفيلمين وكل من كندا وسويسرا والبرتغال والاتحاد السوفيتى والمجر وبولندا بفيلم واحد على النحو التالى :

■ **الولايات المتحدة الامريكية :**

١ — خيال المآته اخراج جيرى شاتسبرج
٢ — انجيل العهد الجديد اخراج دافيد جرين
٣ — آثار اشعة جاما على زهرات المرجريت اخراج بول نيومان
٤ — جيرمى اخراج ارثر بارون
٥ — الكترا حليد الزرقاء اخراج جيمس وليم جورشيو

■ **ايطاليا :**

٦ — نريد كولونيلات اخراج ماريو مونشيللى
٧ — المانيا البيضاء اخراج لويجى زامبا
٨ — فيلم من الحب والفوضى اخراج لينا ورتمولر
٩ — هاملت اخراج كارميلو بينى

■ **فرنسا :**

١٠ — الام والعاهرة اخراج جان اوستاش
١١ — الكوكب المتوحش اخراج رينيه لالو ورولاند توبور
١٢ — الوليمة الكبرى اخراج ماركو فيرارى

■ **بريطانيا :**

١٣ — ياله من رجل محظوظ اخراج لينساى اندرسون
١٤ — سوء تعارف اخراج آلان بريدجز

■ **اسبانيا :**

١٥ — آنا والذئاب اخراج كارلوس سورا
١٦ — السورة الاخرى اخراج انتونيو ريباس

■ **بلجيكا :**

١٧ — جميلة اخراج اندريه ديلفو
١٨ — الغرب البعيد اخراج جاك بريل

■ **كندا :**

١٩ — وفاة حطاب اخراج جيل كارل

■ **سويسرا :**

٢٠ — الدعوة اخراج كلود جورتيا

■ **البرتغال :**

٢١ — التدر اخراج انتونيو دى ماسيدو

■ **الاتحاد السوفيتى :**

٢٢ — مونولوج اخراج يوليا افريباك

■ **المجر :**

٢٣ — بيتوفى ٧٣ اخراج فرينش كاردوش

■ **بولندا :**

٢٤ — المصحة اخراج وشيس هاس

الافلام القصيرة

وفى مسابقة الافلام القصيرة اشتركت ٧ افلام من ٦ دول ٤ منها اشتركت فى مسابقة الافلام الطويلة ايضا · وهذه الافلام هى فيلمان من فرنسا وفيلم واحد من كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا والدانمرك والمجر ومصر على النحو التالى :

٢٥ — الراس اخراج اميل بورجيه
٢٦ — حظ سو اخراج جان بول توروك

■ **الولايات المتحدة الامريكية :**

٢٧ — فتى الفضاء اخراج ريناتا دروكس

■ **كندا :**

٢٨ — بالابلوك اخراج بورتيسلاف بوجار

■ **الدانمرك :**

٢٩ — سكاجت ٧٢ اخراج كلوس ويك

■ **المجر :**

٣٠ — ١٨١٢ اخراج شاندور رايسنبو شللر

■ **مصر :**

٣١ — حوار اخراج كمال الشيخ

خارج المسابقة

عرض خارج المسابقة ٥ افلام طويلة من ٥ دول هى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا والسويد وكندا على النحو التالى :

■ **الولايات المتحدة الامريكية :**

٣٢ — سيدة تغنى الجاز الحزين اخراج سيدنى فور

■ **فرنسا :**

٣٣ — الليلة الامريكية اخراج فرنسوا تروفو

■ **بريطانيا :**

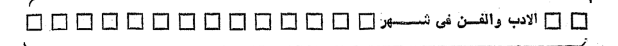
٣٤ — بيت الدمية اخراج جوزيف لوزى

■ **السويد :**

٣٥ — صراخ وهمسات اخراج انجمار برجمان

■ **كندا :**

٣٦ — كاموراسكا اخراج كلود جوترا





« خيال الماتة » .. الجائزة الكبرى

[باسم اتحاد نقاد السينما الفرنسيين]

دراسات ووثائق

ولاول مرة نظم المهرجان برنامجـــا باسم « دراسات ووثائق » عرضت فيـه ١٠ افلام من ٣ دول ٥ من الـولايات المتحدة الامريكية و٤ من فرنسا وفيلـم واحد من بريطانيا على النحو التالى :

■ الولايات المتحدة الامريكية :

٣٧ ــ الجبل المقدس اخراج الكسندرو جودوروفسكى

٣٨ ــ اننا لانستطيع العودة الىالمنزل ثانية اخراج نيكولاس راى

٣٩ ــ وتستاكس اخراج ميل ستيوارت

٤٠ ــ صدمة المستقبل اخراج الـكس جراسوف

٤١ ــ رؤيا الثمانيةاخراجيورىاوزيرف ــ مايا زيترنج ــ ارترين ــ ميشـيل بلجار ــ كون ايشيكاوا ــ ميلوشفورمان ــ كلودلبلوش ــ جون شلزنجر

■ فرنسا :

٤٢ ــ بيكاسو : رسام العصر اخراج لورو فينتورى

٤٣ ــ الوطن اخراج جيرار جوران

٤٤ ــ اوليفيه ميسان والمصافيراخراج دنييس توال

٤٥ ــ الموضوع المستحيل اخراج جون فرانكنهايمر [باســـم الاتحاد الدولى لمؤلفى الافلام]

■ بريطانيا :

٤٦ ــ سفاستيكا اخراج فيليب مورا

اسبوع النقاد

عرض فى اسبوع النقاد الثانى عشر الذى ينظمه اتحاد نقاد السينماالفرنسيين ٨ افلام من ٧ دول وقد تم اختيار هــذه الافلام من بين ١٢٥ فيلما من ٣٨ دولة. وهذه الافلام هى فيلمان من فرنســـا وفيلم من كل من الولايات المتحدةالامريكية وايطاليا ورومانيا واليابان وشـــيللى والجزائر على النحو التالى :

■ فرنســا

٤٧ ــ الحياة سويا اخراج آنا كارنيا

٤٨ ــ جنة كاشيما اخراج يان ليماسون وبتى دسوارت

■ الولايات المتحدة الامريكية :

٤٩ جانجا وهيس اخراج هيل جان

■ ايطاليا :

٥٠ ــ ايفارست من بلاد الغال اخراج انسانو جيانا ريللى

■ رومانيا :

٥١ ــ الزفاف الحجرى اخراج ميرسيا فيرويو

■ اليابان :

٥٢ ــ كانت المياه صافية اخـــراج بويش تاكاباياش

■ شيللى :

٥٣ ــ الصلاة لم تعد كافية اخراج الدو فرانسيا

■ الجزائر :

٥٤ — الفحام اخراج محمد بوعمارى

نصف شهر المخرجين

الافلام الطويلة

عرض فى نصف شهر المخرجين الخامس الذى تقيمه جمعية المخرجين فى فرنسا ٢٧ فيلما طويلا من ١٨ دولة ٣ افلام من كل من فرنسا وايطاليا والمانيا الاتحادية وفيلمان من كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا والبرازيل وفيلم واحد من كل من بريطانيا وهولندا والدانمرك واليونان وسويسرا ويوغسلافيا وبولندا والمجر واليابان والمكسيك والسنغال ومصر على النحو التالى :

■ فرنسا

٥٥ — فصل من حياة ايمانويل اخراج كلود ويس

٥٦ — الصعلوك اخراج جان ماربوف

٥٧ — الابتسامة العمودية اخراج روبير لابوجار

■ ايطاليا

٥٨ — الحياة فى جيوكو اخراج جيسان فرانكو مينجوزى

٥٩ — مدينة الشمس اخراج جيانى اميليو

٦٠ — الاصطبات اخراج ماركو ليتو

■ المانيا الاتحادية

٦١ — الهارب من الجندية اخراج رينهارت هوف

٦٢ — درس التاريخ اخراج جان مارى ستراوب

٦٣ — جويرا : غضب الرب اخراج ورنر هيرزدج

■ الولايات المتحدة الامريكية

٦٤ — البعض يسمونها حب اخراج جيمس هاريس

٦٥ — كل يوم اخراج داريل ديوك

■ كندا

٦٦ — ريحان بادوفانى اخراج دينيس اركان

٦٧ — العرس الابيض اخراج بيل فرويت

■ بريطانيا

٦٨ — الصدى الثلاثى اخراج مايكل ابتيد

■ هولندا

٦٩ — الالم الاسود اخراج جاكوببيجل

■ الدانمرك

٧٠ — قبلات خطيرة اخراج هينريك ستانجروب

■ اليونان

٧١ — ايام ٣٦ اخراج ثيو انجلوبولوس

■ سويسرا

٧٢ هاتيبال اخراج اكسافير كوللر

■ يوغسلافيا

٧٣ — العاب المجتمع اخراج سريان كارانوفيتش

■ بولندا

٧٤ — الشمس تشرق كل يوم اخراج هنريك كلوبا

■ المجر

٧٥ — صورة اخراج بال زولناى

■ اليابان

٧٦ — الانقلاب العسكرى اخراج يوشيجر يوشيدا

■ البرازيل

٧٧ — لا عنف بيننا اخراج نيلسون بريرا دو سانتوس

٧٨ — جزاء العراء اخراج ارنالدوجابور

■ المكسيك

٧٩ — البنك اخراج الفريدو جوسكو فيتش

■ السنغال

٨٠ — رحلة الضبع اخراج جبرييل ديوب

■ مصر

٨١ — العصفور اخراج يوسف شاهين

الافلام القصيرة

عرض ١٦ فيلما من ٦ دول ٩ من فرنسا و٢ من كل من المانيا الاتحادية وبولندا وفيلم واحد من الولايات المتحدة الامريكية وكلها من الدول التى عرضت لها افلام طويلة الى جانب فيلم من كل من ايران والارجنتين على النحو التالى :

■ فرنسا

٨٢ — اشكال بسيطة اخراج كلود هوديلس

٨٣ — خيطا خيطا اخراج كريستينبابوريل

٨٤ — عمل الممثل اخراج اتولابا ليكى

٨٥ — لماذا اخراج جان دنيس برنباون

٨٦ — النسخة الاصلية اخراج بولدوف

٨٧ — الارنب الصياد اخراج توماس له هاستر

٨٨ — الاستجواب اخراج فرانسوا ديوت

٨٩ — موعد رومانتيكى اخراج ميشا جوركى

٩٠ — الجندى والاخوات الثلاث اخراج باسكال اودرى

■ المانيا الاتحادية

٩١ — مقدمة لموسيقى مشهد من فيلم لانولد شوينبرج اخراج جان مارى ستراوب .

٩٢ — حب اخراج هربرت شارام

■ الولايات المتحدة الامريكية

٩٣ — اقلاع اخراج جينفور نيلسون

■ بولندا

٩٤ — السلطان اخراج نالانكو جيليك

٩٥ — الرايات اخراج زوران جوماتو فيتش

■ ايران

٩٦ — مدينة رمادية اخراج نادر تكميل ميجالى

■ الارجنتين

٩٧ — الرجل المعذب اخراج برناردو بوربنو ليتز

آفاق السينما الفرنسية

ولاول مرة نظمت جمعية المخرجين فى فرنسا برنامجا باسم « آفاق السينما الفرنسية » عرضت فيه ١٩ فيلما طويلا و١٧ فيلما قصيرا عرض بعضها من قبل فى نصف شهر المخرجين .

الايام الدولية للافلام القصيرة

ولاول مرة ايضا نظم الاتحاد الدولى للافلام القصيرة فى اطار المهرجان برنامجا باسم « الايام الدولية للافلام القصيرة » وقد تضمن ٢٥ فيلما من ٨ دول ٩ من فرنسا و٣ من كل من بريطانيا وبولندا ويوغسلافيا وفيلمين من كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا وفيلم واحد من كل من المانيا الاتحادية والمجر وايران

افلام الاطفال

وباسم نادى سينما سندريلون للاطفال الذى اسسته سونيكا بو ، تم عرض ١٠ افلام من مختلف دول العالم لمدة ساعتين وقد تكرر العرض مرتين .

افلام الاحتفالات

احتفل اتحاد نقاد السينما الفرنسيين بذكرى مرور عشر سنوات على وفاة بول جيدلسون احد مؤسسى الاتحاد ، وقد عرض بهذه المناسبة « فيلم » عالم بول جيلسون الرائع . اخراج فيليب اوجستين .

واحتفل السينماتيك الفرنسى بذكرى المخرج البلجيكى جاك فيدر (١٨٨٨ —

١٩٤٨] حيث عرض فيلما اعده هنرى لانجلوا يتضمن مختارات من افلامه منذ عام ١٩١٦ ، وقد حضر الحفل وزيـر الثقافة البلجيكى .

واحتفل السنياتيك الفرنسي بحضور المخرج الإمريكى فرانك كابرا الىالمهرجان وعرض احد افلامه وهـو « امـرأة المعجزات » .

السوق الدولى

عرض فى السوق الدولى للسينما نحو ٢٥٠ فيلما من مختلف دول العالم مـن بينها الفيلم الكويتى « بس يابحـر » اخراج خالد الصديق والفيلم الجـزائرى « ديسمبر » اخراج محمد الاخضرحامنيا. وقد كان من بين اهم الافلام التى عرضت فى السوق الفيلم البولندى « الزواج » اخراج اندريه فايدا .

السنياتية الفرنسية

لاول مرة اقيم فى اطار المهـرجان معرض للمطبوعات السنياتية باسـم « المعرض الأول للمطبوعات السنياتية الفرنسية » . وقد تضمن المعرض العديد من الكتب واهم المجـلات السنياتيـة الفرنسية .

المسابقة الدولية الاولى للملصقات السينمائية

ولاول مرة اقام المهرجان مسـابقة للملصقات السينمائية باسم « المسابقة الدولية الاولى للملصقات السينمائية » وقد اشترك فى المسابقة نحو ٥٠٠ملصق من مختلف دول العالم ، وتقاسـمت تشيكوسلوفاكيا واليابان وايطاليا الجائزة

نتائج المهرجان

فازت الولايات المتحدة الامريكية بثلاث جوائز وفرنسا بجائزتين وكل من بريطانيا وايطاليا وسويسرا وكندا وبولندا والمجر بجائزة واحدة قسمت لجنة التحـكيم الجائزة الكبري وجائزتها الخاصة ولـم تمنح جائزة للاخراج . وفيما يلى النص الكامل لجوائز المهرجان وجوائز الهيئات:

الجائزة الكبرى [مناصفة] :

الفيلم الامريكى « خيال المآته »

الفيلم البريطانى « سوء تمارف »

مع الاشارة الى اداء جين هالمان وآل بانشينو فى الفيلم الاول وإداء سارة مايلز فى الفيلم الثانى .

جائزة كبرى خاصة من لجنة التحكيم :

الفيلم الفرنسى « الام والعاهرة »



« سوء تعارف » .. الجائزة الكبرى

جائزة خاصة :

الفيلم الفرنسى « الكوكب المتوحش »

جائزة لجنةالتحكيم الخاصة [مناصفة]

الفيلم البولندى « المصحة »

الفيلم السويسرى « الدعوة »

جائزة العمل الاول

الفيلم الامريكى « جيرمى »

جائزة احسن ممثلة

الممثلة الامريكية جوان وود وارد عن دورها فى فيلم « آثار اشعة جاماعلى زهرات المرجريت »

جائزة احسن ممثل

الممثل الايطالى جيان كارلو جيانينى عن دوره فى فيلم « فيلـم عن الحب والفوضى »

الجائزة الكبرى للافلام القصيرة

الفيلم الكندى « بالابلوك »

جائزة لجنة التحكيم للافلام القصيرة

الفيلم المجرى « ١٨١٢ »

مع الاشارة الى قلة عدد الافـلام القصيرة التى عرضت فى المهـرجان، وضرورة المزيد من الاهتمام بهذا النوع المؤثر من الافلام .

جائزة الاتحاد الدولى للصـحفيين السينمائيين [مناصفة]

الفيلم الفرنسى « الوليمة الكبرى » وذلك « لرؤيتـه العـدمية للمجتمـع الاستهلاكى .

الفيلم الفرنسى « الام والعاهرة »وذلك « لاخلاصه وحساسيته فى التعبير غير التقليدى »

جائزة اللجنة العليا الفنية للسـينما الفرنسية

الفيلم السويدى « صراخ وهمسات »

شهادة تقدير

الفيلم الامريكى « رؤيا الثمانية »

جائزة المركزالكاثوليكى الدولىللسينما والتليفزيون

الفيلم الامريكى « خيال المآته »

مع الاشارة الى اهمية الفيلم الامريكى « آثار اشعة جاما على زهـرات المرجريت » والفيلم الشيللى « الصلاة لم تعد كافية »

جائزة المركز الانجيلى الدولى للسينما والتليفزيون

الفيلم السويسرى « الدعوة »

مع الاشارة الى اهمية الفيلم الامريكى « خيال المآته »

وقد كانت جوائز الهيئات قاصرة على افلام المسابقة وافلام اسبوع النقـاد وافلام برنامج دراسات ووثائق فقط .

مكسيم جوركى



حيـــاة حافـــلة وكلمـــات مضـــيئة

تحتفل الاوســـاط الادبية فى العـــالم بالذكرى الخامسة بعد المـــائة لميـــلاد الاديب الروسى العـــالمى ، ورائد « الواقعـــية الاشتراكية » فى الادب : مكسيم جوركى ..

ويمكن تلخيص حياة مكسيم جوركى ، الذى ولد فى ٢٨ مارس ١٨٦٨ ، فى كلمات قليلة : طفولة بائسة ، واصطدام بالحياة منذ البداية ، وتقلب فى مهن وأعمال عـــديدة ، وتسكع طويل بين المدن والكتب . قال له الرجل الطيب على ظهر سفينة كان يعمل بها : « افتح عينيك ، ولا تمشى فى الدنيا كالابله ، واقرأ الكتب ، فلا شىء اجدى لك من القراءة » . ووعى الفتى النصيحة ، فحاول الالتحاق بجامعة فى مدينة قازان لكنه فشل ، فالتحق بجامعة اخرى هى النضال السياسى . كانت المدينة تموج بأخلاط من الفرق والمذاهب والاتجاهات السياسية : اعضاء الجمعيات السرية المؤمنين بالكفاح عن طريق الاغتيالات الفردية ، واعضاء الحلقات الماركسية الثورية ، واتباع تولستوى المنادين بالزهد والتقوى والعـــودة الى الريف والبـــداوة والمغامرين والانتهازيين والجواسيس ورجال البوليس القيصرى . ظل جوركى بالمدينة يعمل حمالا على رصيف النهر اثناء النهار ، ويقرأ فى ساعات الليل ، ثم جاء الخريف وتوقف العمل ، ووجد جوركى نفسه بلا عمل ولا مأوى ولا طعام . فى « ليلة خريف » كان يرتجف من الحمى والبرد ووجد عاهرة صغيرة تبحث مثله عن ملاذ ، وجدا رغيفا فاقتسماه ، ثم قصدا الى قارب مقلوب على الشاطىء ليحتميا به من الريح والمطر . حيث ناما متجاورين ، وكانت هى تحتضنه طـــول الليل وتضمه الى صدرها برقة وحنان كطفل صغير لتدفئته وتشجعه بكلماتها وهو يرتجف بين ذراعيها من شدة الحمى ..

ويقول فى قصته معلقا على هذا اللقاء : « أنه مـــن سخرية القـــدر انا الذى كنـــت اشـــغل نفسى بالتفكيـــر فى مستقبل الانسانية كلها ، واحلم بالثورات السياسية واعادة تنظيم المجتمع واقرأ كتب الفلاسفة والمفكرين التى يخيل الى ان مؤلفيها انفسهم لايفهمونها ، تمنحنى عاهرة يطاردها الرجال والمجتمع الدفء من جسدها وانفاسها قبل ان افكر فى مساعدتها ، وماكنت قادرا حتى لو فكرت .. » .

وتقلبت به الحياة ، فعمل عاملا فى مخبز ، ثم سافر الى الريف حيث عرف وجه الحياة هناك : استغلال الاقطاعيين وكبار الملاك للفلاحين ، وانعكاس هذا القهر على حياة الفـــلاحين وعـــلاقاتهم المتسمة بالحقد والجشع والصراع حول الرزق القليل ، ومن القرية خرج مطاردا الى مدينة دوبرنيكا حيث عمل حارسا لمحطة السكك الحديدية ، ورأى بعينيه كيف يشترك مدير المحطة مع موظفيه فى سرقة أجولة الدقيق ، وبعدها بدأ جولته الواســعة فى انحاء روسيا دون هدف سوى معرفة وجهها الحقيقى ، يعمل اى عمل يلقاه ، ويسير على قدميه ، يرافق المتشردين والصعاليك والمنبوذين وشذاذ الافاق ، يفتح عينيه على سعتهما ويختـــزن فى وعيـــه آلاف الصـــور والشخصيات والتجارب ، الى جانب الفولجا سار ، فاجتاز الدون واوكرانيا والقرم والقوقاز ، واستقر بعد الطواف الطويل فى مدينة تفليس حيث عمل فى ورشة للسكك الحديدية وانضـــم الى الحلقات الثورية السرية للعمال والمثقفين بالمدينة . وبدأ جوركى رحلته مع الكتابة .

كتب قصته القصيرة الاولى « ماكار

شودرا » وبعث بها الى المحرر الادبي لجريدة « تفليس » فنشرها في عدد سبتمبر ١٨٩٢ ، واستمرت محاولاته الناجحة في كتابة القصة القصيرة . كما لقيت مقالاته الادبية والنقدية حماسا مماثلا ، واثارت كتاباته ـ بوجه عام ـ اهتمام النقاد في روسيا والبلاد الاوربية فقد كان جوركي يمثل روحا جديدة في الادب الروسي والاوربي ، يقتفي اثر الكتاب الكلاسيكيين الروس ، تورجنيف وتولستوى وديستويفسكي وتشيكوف من حيث نزوعهم الانساني الى تمجيد روح الشعب الروسي وعظمته ، غير انه كان يختلف عنهم في تصوير الواقع ومعالجته بطريقة مختلفة ، هي مزيج من الواقعية والرومانسية الثورية المتفائلة .

وفي قصة « قارىء » التي نشرت في ١٨٩٨ يكشف جوركي عن مفهومه لمهمة الادب في تلك الفترة المبكرة من حياته الادبية . يقول جوركي : «غاية الادب ان يساعد الانسان على فهم نفسه ويدله على الخير الكامن فيه ، وينمى فيه التطلع نحو الفضيلة ، ويثير في نفسه الغضب على قوى الشر ، ويزوده بالشجاعة ويحثه على فعل كل ما يجعل الناس اقوياء على سماحة وكرم اخلاق ومحبة للجمال . هذا تعريفي . وهو ناقص بلا شك ، فنكمله بقولنا ان غاية الادب هي أن يفعل كل ما يمكنه أن يحبب الحياة الى الناس . » .

لهذا كان ادب جوركي طاقة ضرورية ودافعة لايقاظ الوجدان الروسي وتحريره كي يثور على الاوضاع الفاسدة القائمة ولاحداث تغييرات داخل النفس مماثلة للتغييرات الثورية في المجتمع ، ولتحويل النشاط الثوري الى قوة دافعة تنبع من رغبات واحلام الجماهير . ولهذا ايضا اصبح جوركي موضع اهتمام حكومة القيصر التي رأت فيه وفي اعماله عدوا خطيرا . وفي ١٩٠١ زار جوركي العاصمة بطرسبرج وهاجم النظام القيصري في قصيدته المشهورة « نذير العاصفة » التي يبدو وكأن جوركي يتنبأ بأحداث الثورة الروسية الاولى في ١٩٠٥ :

« السحب تتجمع فوق صفحة البحر العريضة ، ونذير العاصفة الثائر يحلق طائرا كالبرق بين السحب المتكاثفة والامواج الغاضبة . انه يطير ، وبجناحه يشق الامواج ، وبالجناح الآخر يمزق وجه السحب . انه يصيح والسحب تصغي فرحة الى صيحات نذير العاصفة .. لان في دعائه الشجاعة والحماسة والايمان السامي بالنصر .. » .

وسرعان ما انتشرت القصيدة كالبرق ورددتها الجماهير في كل انحاء البلاد واهتزت دوائر الحكومة القيصرية فألقت القبض على جوركي واودعته السجن ، واحدث هذا النبأ سخطا وغضبا بين الجماهير وفي الاوساط الادبية والهيئات الشعبية والتنظيمات الثورية ، واعلن تولستوى وكورولنكو وتشيكوف احتجاجهم على اعتقال زميلهم وصديقهم ، فاضطرت الحكومة الى الافراج عنه. لكنها ابعدته من العاصمة وحاولت ان تضيق عليه الخناق وتحدد اقامته . وفي هذه الفترة ظهرت له عدة اعمال ادبية هامة : « فوما جوردييف » اول اعماله الروائية الطويلة ، ١٨٩٩ ، وقدمت مسرحيته « البورجوازي الصغير » على مسرح بطرسبرج في ١٩٠٠ ، ونشرت روايته « الثلاثة » في ١٩٠١ ، وربما كانت اهم اعماله في تلك الفترة هي مسرحيته « الحضيض » التي قدمها الفنان الروسي العظيم ستانسلافسكي على المسرح الفني في ١٩٠٢ فأحدث عرضها دويا هائلا وكانت تجد نفس الاقبال اينما عرضت داخل روسيا او خارجها . ابطال « الحضيض » خليط عجيب من المخلوقات المنبوذة والنفايات البشرية المحطمة ، لكنهم ـ وهم الغارقون في الوحل والبؤس ـ يتفلسفون ويحلمون بعالم افضل يسوده الحق والعدل . ولم يكن جوركي ـ وهو يقدم هذه الشخصيات ـ يهدف الى استدرار الشفقة ، او صدم مشاعر ذوى العواطف الزائفة ، لكنه كان يهدف الى أن يستثير غضب الناس وحقدهم ضد النظام الاجتماعي الفاسد الذي يفرخ مثل هذه المخلوقات المشوهة ويدمر انسانيتها . لهذا كان ادب جوركي تعبيرا صادقا عن الكادحين والمضطهدين ، لا في روسيا وحدها بل في كل انحاء العالم .

وفي ١٩٠٤ نشبت الحرب الروسية اليابانية ، وكانت مغامرة فاشلة من مغامرات القيصر الاستعمارية ، التي اغرقت البلاد في الازمات الاقتصادية ، وتكونت في روسيا جبهة عريضة من العمال والفلاحين والمثقفين والبورجوازيين الليبراليين لمعارضة الحرب والمطالبة بالدستور والمجلس الوطني ، ورغم تجمع هذه الجبهة العريضة فلم يتحرك سوى العمال ، وكانت الامور تتطور منذرة بوقوع احداث خطيرة ، وجاء جوركي الى العاصمة ، ليكون على مقربة من الاحداث ، فوصلها حين كانت جمعية عمال المصانع قد دعت العمال الى القيام بمظاهرة سلمية يوم الاحد ٩ يناير ١٩٠٥ ومعهم ذووهم من الشيوخ والنساء والاطفال لتقديم التماس للقيصر يطلبون منه ان يرفع عنهم ظلم المسئولين واستغلال اصحاب العمل وتحديد حد ادنى للاجور وتخفيض ساعات العمل . واعترض جوركي على قيام المظاهرة على هذا النحو التلقائي ، وجمع وفدا من الصحفيين والعلماء والكتاب لمقابلة المسئولين واقناعهم بعدم التعرض للمظاهرة السلمية .. ولكن بلا جدوى .

وفي الصباح الباكر كان جوركي يذرع شوارع المدينة ، وحين وصل مدخل ساحة قصر القيصر وجد رجال الجيش والبوليس يحصدون المتظاهرين بالبنادق والمدافع ، وشاهد مئات العمال وذويهم يسقطون صرعى ، والباقون يولون الفرار وقد استبد بهم الذعر والهلع ، وبلغ ضحايا هذه المذبحة اكثر من ثلاثة آلاف بين قتيل وجريح . وكتب جوركي نداء الى جميع المواطنين الروس والرأى العام في البلاد الاوربية . وفيه يتهم حكومة القيصر بالقتل العمد ، ويدعو الروس جميعا الى الكفاح من اجل اسقاط النظام القيصري . وقبض على جوركي بتهمة العمل ضد امن الدولة ، واودع السجن المخصص للمتهمين بالخيانة العظمى ، وهب الشعب الروسي بجميع هيئاته للدفاع عن جوركي ، ونظم الحزب الاشتراكي الديمقراطي احتجاجات واسعة لانقاذ كاتب الشعب وعضو الحزب ، وغمرت المنشورات الثورية جميع المدن الروسية تنادى بحياة جوركي وسقوط القيصرية . وفي معظم البلاد الاوربية قامت حركة استنكارات واسعة لمذبحة ٩ يناير ، وفي المانيا اشتركت كبار الشخصيات الادبية والعلمية والفنية في التوقيع على النداءات التي تطالب بالافراج عن جوركي ، وفي فرنسا كان اناتول فرانس ورومان رولان وغيرهما على رأس الشخصيات الذين وقعوا مثل هذه النداءات ، وتحت ضغط الرأى العام في روسيا والبلاد الاوربية اضطرت حكومة القيصر للافراج عن جوركي بكفالة مالية كبيرة ، وطلبت منه مغادرة العاصمة فرحل الى يالتا طلبا للعلاج ، حيث وضع تحت رقابة بوليسية مشددة . لكنه لم يمكث في يالتا كثيرا فظل يتنقل

سرا بين موسكو وبطرسبرج للمشاركة فى صنع ثورة ١٩٠٥ ، والتى بدأت فى اكتوبر باعلان الاضراب السياسى العام ثم الانتفاضة المسلحة فى شهر ديسمبر فى موسكو وبطرسبرج ، لكن القوى الرجعية تمكنت اخيرا من اخماد الثورة وقمعها بوحشية ، ففر جوركى الى ايطاليا .

وفى ١٩٠٦ اخرج جوركى روايته الشهيرة « **الام** » التى تعد ملحمة تاريخية لنضال الشعب الروسى من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين فى اعقاب فشل ثورة ١٩٠٥ ، وتصور حركته وصراعه المستمر وهو يستجمع قواه من جديد قبل ان ينطلق فى اكتوبر ١٩١٧ كالعاصفة يقتلع ميراث قرون طويلة من العبودية والاستغلال والاستبداد . فى « الام » لم يعد الشعب الروسى هو ذلك الشعب الابكم الصامت عند تولستوى ، او المسيح الشهيد عند دستويفسكى ، او الذليل البائس عند تشيكوف ، بل اصبح افراد الشعب عند جوركى ابطالا ايجابيين مرفوعى الرءوس يتحركون بارادتهم ويعرفون اعداءهم ، ويكافحون من اجل مستقبل افضل وحياة جديدة متحررة من العداء والكراهية والعوز والخوف .

وفى المنفى ، كانت حياة جوركى مليئة بالنشاط السياسى والانتاج الادبى خاصة خلال سنوات الردة الرجعية — « ١٩٠٦ — ١٩١٠ » وما صحبها من انقسامات خطيرة داخل صفوف الثورة انتقد جوركى بشدة اولئك المثقفين الذين تخلوا عن الثورة والكفاح ضد القيصرية وجو الانهيار النفسى وروح التشاؤم التى شاعت فى ادب تلك الفترة . وطوال اعوام المنفى لم تنقطع مقابلاته لزملائه الثوريين فى الخارج والاتصال بهم فى الداخل ، كما تقابل مع الزعيم لينين عدة مرات وقامت بينهما صداقة وطيدة وتوفر له خلال اقامته فى ايطاليا ان يكتب دراساته فى تاريخ الادب الروسى كما كتب الجزء الاول من سيرته الذاتية بعنوان « **طفولتى** » وصورا ادبية عن تولستوى وتشيكوف وغيرهما من الادباء الروس ، كذلك بعض الاعمال الروائية والقصصية .

وعاد جوركى الى وطنه فى ١٩١٣ بعد صدور عفو عام عن المنفيين ، وقام جوركى وزملائه بجهد كبير لفضح دعايات القيصر المضللة حول الحرب العالمية الاولى التى راح ضحيتها اكثر من ثمانية ملايين روسى ، ثم قامت الثورة الاشتراكية فى اكتوبر ١٩١٧ ، وتم اسقاط القيصرية واعلان انتصار الاشتراكية وبداية عصر جديد فى التاريخ . وانتخب جوركى عضوا فى مجلس سوفيتيات العمال والفلاحين والجنود فى بتروجراد ، واسندت اليه مهمة بناء وتنظيم الحركة الثقافية فى البلاد فى عهدها الجديد ، فتولى الاشراف على مجلة « **الحياة الجديدة** » واصدار عديد من الصحف والمجلات ، وانشاء دور النشر الخاصة بالاداب العالمية وآداب القوميات المختلفة فى الاتحاد السوفيتى ، والمساهمة فى تطوير آدابها وفنونها الشعبية .

وقد بذل جوركى جهدا كبيرا فى جمع التراث القومى واتخاذ الاجراءات الضرورية اثناء الثورة المضادة والتدخل الامبريالى من اجل انقاذ الاعمال الفنية والتحف النادرة والاثار الحضارية والمسارح ودور السينما والمكتبات . ولم تكن عملية بناء الثورة الثقافية امرا سهلا فى اعقاب انتصار الثورة الاشتراكية وظروف الحرب الاهلية والتدخل الامبريالى ، وقد اصطدم جوركى باليساريين المتطرفين من الادباء والنقاد الذين دعوا الى « الثقافة البروليتارية » ، ونبذ وتحطيم التراث الانسانى فى الادب والفن لانه تراث مجتمعات اقطاعية ورأسمالية ، وانه يجب على الطبقة العاملة الا تتعلم شيئا من البورجوازية بل عليها ان تحطم الماضى كله وتبنى ثقافتها الجديدة ، كما تمثلت هذه الدعوات ايضا عند جماعة المتطرفين الفوضويين فى المطالبة بعدم اشتراك العلماء والخبراء القدامى فى بناء الاشتراكية ، وعدم الثقة بالمتعلمين والغاء دراسة التاريخ وآداب اللغة ... الخ .

كان جوركى يتفق مع لينين فى ضرورة الوقوف بحزم ضد تلك الدعوات اليسارية الفوضوية لانها تنكر على الماركسية مضمونها كثمرة متطورة لكل ما ابدعته المعرفة والثقافة الانسانية فى الماضى ، ويؤكد ان المجتمع الاشتراكى الجديد لايمكن ان يتم عن طريق هدم واهدار التطور الروحى للمجتمع بل يجب الاستفادة من التراث التقدمى الذى يتضمن عناصر وبذور الثقافة الديمقراطية والشعبية التى انتجتها الطبقات الاجتماعية فى بداية ظهورها كقوة ثورية ايجابية ، والنظر الى هذا التراث التقدمى بعين النافد وتفسيره فى ضوء المنهج الاشتراكى العلمى من شأنه ان يضاعف الاستفادة منه ، وان يخلق طرازا جديدا من الثقافة الاشتراكية .

وساءت صحة جوركى كثيرا نتيجة الجهد الذى بذله فى السنوات الاخيرة فسافر الى ايطاليا للراحة والعلاج ومن هناك ظل يتابع احداث وطنه والاشراف على النشاط الثقافى وتوجيه الادباء الشبان . وقد عكف خلال هذه الفترة على كتابة الجزء الثالث من سيرته الذاتية وكان قد سبق له ان اصدر الجزء الثانى منها بعنوان « **بين الناس** » فى ١٩١٦ ، كذلك كتب بعض الاعمال الروائية والمسرحية فى هذه الفترة ، وفى عام ١٩٢٨ عاد جوركى الى وطنه فاستقبلته الجماهير والدولة استقبالا حارا باعتباره الواجهة الادبية والفنية للثورة الروسية .

وقد كان من اثر الثورة الروسية انها طرحت مهاما جديدة امام الكتاب والفنانين ولم تعد الواقعية الانتقادية القديمة صالحة للتعبير عن واقع وحياة المجتمع الجديد ، واصبح من الضرورى الاهتداء الى طريقة جديدة للتعبير تتلاءم مع الاحتياجات والمتطلبات الجديدة ، وكانت « **الواقعية الاشتراكية** » هى وجهة النظر الجمالية لطبقة العمال والفلاحين فى الادب والفن ، للتعبير عن الحقيقة الموضوعية وتجسيد ملامحها الحية فى تطورها ، وفيما تعكسه من صور الحياة والعمل الثورى من اجل تغيير المجتمع .. يقول جوركى : « ان الواقعية الاشتراكية تنظر الى الوجود على انه فعل وتعتبر الوجود نشاطا مبدعا ، هدفها نمو المواهب الفردية نموا لايتوقف حتى يستطيع ان يقهر قوى الطبيعة ويستمتع بالحياة على الارض ، ويجعل منها مكانا رائعا لسكنى الجنس البشرى » .

وكافح جوركى فى سنواته الاخيرة ضد خطر النازية والفاشية الذى اخذ ينمو ويشتد فى اوربا ، ورفع صوته محذرا من طبيعة هذا الخطر قبل أن يتنبه اليه الكثيرين بسنوات عديدة .

وفى ١٨ يونيو ١٩٣٦ لفظ مكسيم جوركى انفاسه الاخيرة متأثرا بمرضه الشديد . وآن لهذا القلب الكبير ان يهدأ ، ليعيش بعدها فى ضمير الانسانية التى طالما احبها وأفنى ايامه فى خدمتها والدفاع عنها .

وديع أمين

«أرض الميعاد»

رواية سوفيتية ضد الصهيونية

● نشرت مجلة « اكتوبر » الادبية التى تصدر فى موسكو رواية لروائى سوفيتى شاب هو يورى كولسنيكوف بعنوان « ارض الميعاد » ، واثارت الرواية اهتماما واسعا لانها تتعرض بجرأة لقضية الصهيونية ، طبيعتها العنصرية ، وعلاقتها بالامبريالية ، وكراهيتها للانسان .

عن هذه الرواية كتب الناقد السوفيتى اناتولى جروموف، يقول : « ان الصعوبات التى تواجه كاتبا يريد التعبير عن مثل هذه القضية بتكنيك روائى صعوبات متعددة ، واستطيع أن أتصور عشرات الاسئلة التى لابد وجهها الكاتب لنفسه ـ من اين ابدأ ؟ واية مرحلة من مراحل تطور هذه القضية جديرة بالاهتمام اكثر من غيرها ؟ وكيف أوازن بين الوصف والتأريخ ومصائر الابطال ؟ . وقبل كل شىء ، فان الموضوع الذى اختاره الكاتب يتطلب درجة من المعرفة بالتاريخ والجغرافيا والسياسة والفلسفة ، كذلك الخصائص اللغوية والنفسية والدينية لهؤلاء الناس الذين اختارهم ليكونوا موضوعه الادبى .

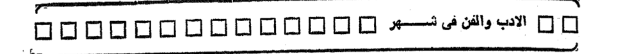
اذا وضعنا هذه الصعوبات واحدة الى جوار الاخرى استطعنا ان نقدر مدى الجهد الذى بذله الروائى الشاب يورى كولسينكوف . لقد اختار ان يبدأ بتلك الفترة المضطربة اعظم الاضطراب فى تاريخ اوربا .. حين بدأت المانيا النازية « تلتهم البلاد واحدة بعد واحدة ، وقرر حاييم فولديتر ، وهو شاب رومانى من اصل يهودى ، ان يهاجر من رومانيا الى فلسطين . لم يكن حاييم صادرا عن اية دوافع دينية أو ايديولوجية ، كان ببساطة يريد ان ينقذ حياته . يقول حاييم لصديق رومانى فى مثل عمره : « اذا جاء هتلر الى هنا فانا واثق اننى سأقتل او اشنق او أعذب حتى الموت . لا يعنينى نازيا يلبس القميص البنى او فاشيا يلبس القميص الاخضر ، ارجو أن تفهمنى ، اننى لااعلق اية آمال على دولة اليهود القوية التى يدعو لها الصهيونيون من فوق أسطح المنازل فانا لا اومن بوجود ملكوت على الارض كل ما اريده هو ان احتفظ بحياتى فى هذه الايام المخيفة » .

هذا الشاب الذى يصف نفسه بانه « رجل ضعيف » يقوم برحلة بحرية طويلة حتى شواطىء « أرض الميعاد » ، وينجو من الموت بعد ان اصيب بالتيفود ، واقام اياما فى قبرص ، هذا الشاب ـ حاييم فولديتر ـ اصبح شاهدا على النشاط المحموم الذى تقوم به العصابات الصهيونية فوق ظهر الباخرة التى تنقل اليهود من اوربا ، ثم فى فلسطين . انهم بلا وصايا على الاطلاق ، لايتورعون عن شىء ولا يتعففون . وفى قبرص ـ فى بيت زعيم اليهود الذى آواه اثناء مرضه شهد حاييم وصول مبعوث « لجنة العمل » الصهيونية فى فلسطين يأتى اليهم برسالة . كان المبعوث يتحدث فى الاجتماع على النحو التالى : « اذكروا كلمات هرتزل حين قال كلما ازدادت المذابح هناك كلما اقتربت لحظة حل مشكلة هجرة شعبنا الى فلسطين ، لو لم يكن هتلر موجودا .. لاخترعناه نحن ، والذين يرفضون وجهة النظر هذه لايقدمون بدلها سوى مشاعر عفنه وانسانية زائفة تؤخر تحقيق حلم الاباء والاجداد . وانا اقول انه لولا النازية ونظريتها العنصرية مااستطاعت الاغلبية الساحقة من اخوتنا واخواننا ان يعرفوا الطريق الى ارض الميعاد » .

هذه العلاقة بين الايديولوجية الفاشية والاهداف الصهيونية تتضح للشاب حاييم ـ ولقراء روايته كذلك ـ حين تتحول فى التطبيق الى تفاهم بين قادة النازية والصهيونية . فى ارض الميعاد يقول نتسى ايوناى ، الذى كفل حاييم مايدهشه ، ان البرتو ادلر وسيزار جولدمان مديرى اكبر بنوك ايطاليا يتعاونان مع موسولينى .. يقول له نتسى وهو يحاوره : « اتظنهما رومانيين ؟ كلا ، أنهما يهوديان ، مثلنا تماما ، وماذا تظن بالمول المعروف كاستليونى ؟ انه ابن حاخام فى تريستا ، وبالمناسبة .. فان اسحق ليفى على رأس المكتب الايطالى المشهور للمشروعات العسكرية « الانسالدو » ، والان .. اترى اى رؤوس تفكر ايها الاقليمى الشاب ؟ » ، وفهم حاييم . كما يقول المؤلف ـ أن القمصان الزرقاء التى يرأسها سيمون سولومترن فى فلسطين هى صورة من القمصان السوداء والبنية ، وفهم كذلك أن وراءها جميعا « رؤوس » مفكرة مثل « بتليتز » الذى لاتحصى ملايينه فهم حاييم هذا واستبد به الفزع .

واكتشف حاييم فولدتير اكتشافات اخرى مروعة فى « ارض الميعاد » اكتشف انهم قساة غلاظ القلوب الى ابعد الحدود وفقد كذلك امراته . وهى فتاة يونانية اقدمت على الانتحار ، وحين لاحت له اول فرصة للهرب ، ترك حاييم أرض الميعاد الى غير عودة .

يقول الناقد الروسى فى نهاية عرضه : يصعب فى حقل هذا الخير عرض كل أحداث الرواية وشخصياتها القانونية .. يكفينى القول الان ان يورى كولسينكوف استطاع ان يكتب رواية جيدة ، وكلمة صادقة تدين الصهيونية » .





« المـــاء » .. على الصـخب والعنـــف

قدمت على مسرح ييل — فى الولايات المتحدة — اول ترجمة انجليزية لمسرحية يونسكو الاخيرة التى اثارت ضجة كبيرة فى باريس : « ماكبت » . انظر جيدا انها ماكبت بالتاء لابالثاء ، ويقول يونيسكو « قد اسميت بطل مسرحيتى ماكبت — بالتاء — حتى لايختلط ببطل شكسبير الذى أظن بعض الناس يعرفونه » ، تلك سخرية يونسكو كما نعرفها ، تذكرنا بهجوم بعض النقاد عليه واتهامهم له بالابتذال ، لكن يبقى اثمن مافيه هو البساطة والحساسية .

ماكبث شكسبير هى ماساة الرغبة فى السلطة « التى تدمر انسانية الانسان ، لكنها مصدر هام من مصادر عظمته » ، يعرى يونيسكو تصور شكسبير قطعة بعد قطعة ، ولديه القدرة الساحرة على ان يفجر الشعر فيما هو عادى ومبتذل ، وقد هداه حسه العادى والمبتـــذل الى ان الشخصيات التى تعبر عن « الطموح والقـــوة والفعـــل » انما هى شخصيات مهرجة لاتثير فى النفس شيئا ، وان الدافع الى حكم الاخرين امر جدير بالارتياب والتشكك كسمكة تفوح رائحتها العفنة .

لكن هذا كله يمكن ان يكون لاشىء لولا قدرة يونيسكو على أن يخلق نسيجا كوميديا لايعلق على ما يحـــدث ، لـكنه هو مايحـــدث بالذات . تلك قدرة كوميدية يشاركه فيهـــا آخرون مثل شـــارل شابلن والاخوة ماركس وغيرهم ، هنا نرى ماكبت وبانكو وبقية الشخصيات مجرد لصوص صغار يتبادلون ادوارهم ، وهمهم الوحيد ان يكيدوا للمهرج الذى يحكمهم ، هكذا تضيف مسرحية يونسكو نكهة ساخرة الى صخب شكسبير وعنفه ، فدنكان — بعد ان سحق ثورة جلاميس وكاندور « هكذا اسماهم » من امراء اسكتلندا ، وقف يلقى خطابا ينافق فيه الشعب « لقد قدم كثيرون منكم حياتهم فى هـــذه المعركة الدامية ، وانا اشكركم جدا ، الموتى منكم والاحياء ، ان سادتكم وحكامكم يحبونكم جميعا .. رغم نضالكم .. » وبضربة بارعة ، يستبعد يونيســـكو من المسرحية شخصية ليدى ماكبث ، ويضع بدلا منها ليدى دنكات التى تغرى ماكبت على قتل زوجها ، وهى التى تسارع بالتحول لتصبح قائدة الساحرات التى تنبئه بأنه سيكون ملكا — أما هو — الاحمر النبيل — فيبتهج مثل مراهق ، ويقول لرفيقه بانكو — قبل ان يقتل دنكان — انه وليدى دنكان مخطوبان ، وماكبت لايمكن ان يلقى مصرعه على يد انسان لهذا يقتله ماكول — ابن بانكو غير الشرعى من غزالة ! .

يقول جاك كيرول — ناقد « النيوزويك » ان العرض الذى قدم على مسرح ييل كان ساخرا ، وأن أعظم ممثليه كان « الفينى النيبتينى » الذى لعب دور ماكبت .

هكذا .. صب يونيسكو الماء والسخرية على تراجيديا شكسبير الملتهبة بالصخب والعنف !

طقوس للحب وللحياة على المسرح الانجليزى

صبرى حافظ

فى لنــدن ٤٦ مسرحا كبيرا و ١٤ مسرحا تجريبيا وناديا للمسرح وثــلاثة مسارح للهواة ، فضلا عن ١٣ مسرحا فى ضواحى لندن ــ ناهيك عن المسارح المتعددة فى اكسفورد وكيمبريدج وليدز ومانشستر وغيرها من المدن الكبيــرة والصغيرة ــ هذا عن لندن وحدها ، أكثر من سبعين مسرحا أو عرضا تقدم على خشبة المسرح اللندنى وحده خــل ليلة . كيف يمكن لعين غريبة أن تدلف الى هذا العالم ؟ ما هى أهم المسرحيات التى تعرض على خشبة المسرح اللندنى هذه الايام ؟ ! وبدا سؤالى غريبا ، كيف يمكن لشخص أن يحيط بكل مايعرض على المسرح اللندنى مهما كانت درجــة اهتمامه بالمسرح ؟ .. ولكن ثمة مجلة اسبوعية همها أن تجيب على مثــل سؤالك هذا هى [ماذا فى لندن الان] أو [ماذا يقدم فى لندن] وبحثت عن هذه المجلة ، ووجدت فيها تفاصيل مايقدم فى كل هــذه المســارح العديدة التى احصيتها قبل سطور .. ومع التفاصيل بدا الاختيار صعبا .. كان هناك موسم لاعمال موليير تقدمه الكوميدى فرانسيز على المسرح اللندنى بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على وفاة موليير فى [الاولدفيتش] وكان هناك اخراج جديد [لماكبث] فى [الاولدفيك] ومسرحيات عديدة لشكسبير بمناسبة اقتراب عيده السنوى .. كانت هناك [ريتشارد الثانى] و [سيدان مــن فيرونا] و [روميــو وجولييت] وقراءات من الشعر الشكسبيرى . وكان هناك عدد من المسرحيات الشهيرة التى شهدنا بعضها فى القاهرة مثل [بيت الدمية] لابسن و [يرما] للوركا ، ومسرحيات ليوجين أونيل [الامبراطور جونز] وتينسى وليامز . ومسرحيــة تجريبية لارابال، هى [طقوس من اجل القاتل الاسود] فضلا عن أكثر مــن عشر مسرحيات من ذلك النوع الذىندعوه عندنا بالمسرح الشامل والذى يســمى هنا بالمسرحيات الموسيقية بينما يحــب بعضــها أن تطلق على نفســه اسـم [Renue] ويوشك هذا الاســم أن يصبح جنسا مسرحيا له خصــائصه المتميزة كالاجناس التى عرفناها من قبل من كوميديا وتراجيديا وفارس وميلودراما وبيرليسك وغيرها .. والرفيو هو عمل مسرحى يتكون من مزيج من الحــوار والرقص والغناء ويستهدف عادة السخرية القائمة من الاحــداث أو العــادات أو الافكار السائدة .. وينطوى دائما على نغمة من النقد الحاد .. وتحت هــذا الجنس المسرحى الجــديد تندرج عــدة مسرحيات تجاوزت شهرتها العالم الغربى وسمعت عنها قبل أن أجيء الى انجلترا ..وقلت فلابدأ بهذا الجنس المسرحى الجديد .. لكن كيف يمكن أن اختــار واحدة أو اثنين من بين أكثر من عشر مسرحيات من هذا النوع وحده تعرض على المسرح هنا .. وبدأت ابحث عن مقياس آخر ، وقلت فلاتخذ من مــدة عرض المسرحية مقياسا .. وكان بين هــذه المسرحيات الشــاملة [الرفيو] ثلاث مسرحيــات تجاوز ما تــدم مــن عروضــها الالف عرض وهى [هير ــ شعر] و [أوه كلكتا] و « يتســوع المسيح أعظم نجم » وبدأت بمسرحيــة [شــعر] ليس فقط لانها اطول هذه المسرحيات عرضا فقد تجاوز ما تــدم منها ١٧٠٠ عرضا ، ولكن ايضا لاننى كنت قد سمعت وقرأت عنها من قبــل كثيرا .. وذهبت الى مسرح شافتسبرى الذى تعرض فيه مسرحية [شعر] ، ولاول وهلة فاجأتنى اسعار الدخول .. كنت قد سمعت عن ارتفاع اسعار المسرح فى انجلترا لكنى لم اكن اتصور أن هذا يعنى انك تحتاج الى اكثر مــن جنيــه لتحصــل على تذكــرة فى اعلى اعلى المسرح !

ما أن تدخل الى المسرح حتى تشعر بأنك غريب وســط هذا الجمهور مــن

الشباب والفتيان الصغار ؟ بأنك اجنبى فى عالم من الشباب المبتهج بنفسه ، المحتشد فى حفل خاص به ، يشعر بخصوصية هذا الحفل ولا يعبأ بالمتطفلين على عالمه من أمثالى الذين لاتزال فكرتهم عن المسرح مدثرة بمهابة الطقوس الاغريقية القديمة . ان مفهومهم عن المسرح جد مختلف .. انه اقرب الى قاعة الرقص منه الى المسرح التقليدى .

والمسرحية كلها هى محاولة هذا الجيل للتعبير عن نفسه ، بايقاعه الخاص وتصوره الخاص واسلوبه الخاص . وهى لذلك توشك الا تكون مسرحية بالمعنى الذى ألفناه للمسرحيات .. انها احتفال ذاتى خاص من احتفالات هذا الجيل الجديد من الشباب . اذ تحس ان أبطالها يتغنون بأنفسهم ، وانهم مبتهجون بالعرض وبالعمل وكأنهم لا يعملون ولا يمثلون بل يستمتعون بالعرض ويمارسون عبره طقسا من طقوس حياتهم وبهجتهم واحتجاجهم معا . ولهذا فانك تخال نفسك معها فى منتدى ليلى لشباب هذا الجيل وليس فى مسرح . الموسيقى الصاخبة تعزف ، والرقص والغناء التلقائيان يدوران .. فالمسرحية تريد دائما أن توحى لك بهذه الانفتاحة وهذه التلقائية التى تلغى بها احساسك بأنك أمام عمل مسرحى مرسوم ، ولكن تلقائياتها هذه هى التلقائية المنظمة او التلقائية المحسوبة . التى تعقد توازنا دقيقا بين نزوعها الى ايهامك بهذه التلقائية المتفجرة ، ورغبتها فى الحفاظ على جماليات العرض المسرحى الجديد الذى تقدمه .. وعلى خط هذا التوازن الدقيق تدور المسرحية . برقصاتها وأغنياتها ومشاهدها التمثيلية ذات الطابع الابيسودى ، واستعراضاتها التى تدور كلها حول محور واحد هو البحث عن معبود دينوتسيوسى جديد ينطلق من الاحتفال به مسرح جديد كما انطلق المسرح اليونانى والمسرح الاوروبى كله ــ من احتفالات ديونيسيوس القديم . والمعبود الجديد الذى تقدم المسرحية صلواتها فى محرابه أقرب الى آلهة الزنوج البدائية .. وصلوات المسرحية له تدور على الايقاع الزنجى السريع العنيف ، وتتخذ من [الشعر] طوطما لهذه العبادة الجديدة .

لكن ما الذى تنطوى عليه هذه



شكسبير

الصلوات الجديدة التى يمتزج فيها العنف بالصخب بالثورة بالجنس بالاحتجاج بالاستسلام بالتمرد بالطهارة والعودة الى كن الدين المسيحى تارة والى كن الطبيعة أخرى ، بكل شىء ؟ .. هل يمكن أن نعتبر هذا الخليط المدهش من المشاهد والاستعراضات والاغنيات ثورة احتجاج على الحضارة الغربية فى لحظة من لحظات ضعفها وتحللها ؟ لا أظن ذلك ، فهذه المسرحية ليست صرخة احتجاج على العصر أو الحضارة ــ برغم كل ما فيها من تهكم مرير على كل شىء ــ ولكنها الابنة الطبيعية لهذا العصر ولهذه الحضارة . انها العمل الذى اندغم فى العصر واستعار ايقاعه ورؤيته . انها تدور فوق أرض هذا العصر وبعدتسليمها الضمنى ــ كما تقول أرضية المسرح ــ بكل أوامره ونواهيه . انها تنطلق من فوق أرض الشارع الاوروبى ، تسخر من الكثير من قيمه ونواهيه ولكنها لاتجد مناصا من تشييد حياتها والحلم بمستقبلها فوق أرض هذا الشارع نفسها . وهى تعلم أن الحضارة الاوروبية قد وصلت مؤسساتها الى درجة من الرسوخ والتفسخ يصعب معها تغييرها أو التمرد المجدى عليها . ومن هنا كان تسليمها بكل هذا الواقع وانطلاقها فوق أوامره ونواهيه لتشييد حلمها الجديد . وتبدأ المسرحية هذا الحلم من التسليم بأن الحضارة الاوروبية ــ برسوخها وتفسخها معا ــ لم تترك للجيل الجديد نطاقا كبيرا لممارسة حريته خلاله . كل شىء يسير كما هو وليس لك حق تغييره . النطاق الوحيد المسموح لك بممارسة حريتك الخاصة فيه لا يتعدى نطاق جسدك ذاته . انه الشىء الوحيد الذى لك مطلق الحرية فيه .. تستطيع أن تستمتع به ، تؤلهه ، تدمره ، تحافظ عليه ، كما تشاء . وبهذا الجسد وداخله وحده تستطيع أن تمارس ثورتك واحتجاجك وتمردك وكل شىء . ولذلك فان اعنف تهجم وتهكم فى المسرحية هو على هؤلاء الذين يريدون أن يمدوا نطاق قوانينهم وأوامرهم ونواهيهم الى داخل هذا الجسد نفسه .. ان اعنف ما توجهه المسرحية من هجوم هو لصانعى حرب فيتنام الذين يسوقون الشباب الامريكى اليها مقررين بذلك مصير جسده ، أو بالاحرى حاكمين على هذا الجسد بالاعدام ، أو على الاقل بالحرمان من الحرية التى يبغى ممارستها بنفسه ولنفسه . ثم تؤكد هذا المعنى مرة اخرى باحتفائها الشديد بالحب كقيمة من اسمى قيم الحياة وأجدرها بالتقديس .. والحب عند [هير] والجنس شىء واحد .. أو بالاحرى أن الحب والجنس وجهان مختلفان لجوهر واحد هو الحياة ، الحياة المليئة بالحب والسلم والتلقائية والسعادة الحياة التى تحلم [هير] بصياغة جديدة لها تمتزج فيها بدائية الحضارة الزنجية بتحرر ــ ولا أقول بتحلل ــ الشباب الاوروبى . ومن هنا فان [هير] كحلم تشير كثيرا الى الروح الزنجى ، أو الى يقظة الروح الزنجى فى اغوار الشباب . وربما لهذا تحرص [هير] على أن يكون بين فريق ممثليها عدد كبير من الزنوج والزنجيات . تصوغ من خلال المزاوجة الدائمة فى مشاهد الحب والجنس بينهم وبين بقية الشباب الاوروبى فكرتها عن ضرورة اللقاح بين تلك الحضارة الاوروبية التى أوشك الحاحها على العقل وحده وتضخم الطابع الحسابى فيها أن يقضى على قلبها الذى اصابه الضعف والوهن منذ زمن طويل . وبين تلك الحضارة الزنجية التى تتفجر حسا وتوهجا وتلقائية . والتى يستطيع تدفقها الحسى أن يقيل الجسد الاوروبى الضامر من مهاوى الاعتماد على العقل وحده ، حتى أوشك أن يعصف فى طريقه بالجسد وبالحياة كقيمة جسدية قبل اى شىء آخر .

هذا ما تنطوى عليه فى اعتقادى صلوات هذه المسرحية الجديدة .. انها تنطوى بالطبع على تحقير للقتل وعلى .

فيق بالكثير من القيم والمواضعات الاجتماعية . وعلى حس قوى بالتفاؤل تعرب عنه اغنيتها الختامية « ولكن ستشرق الشمس » ودعوتها الى الجمهور للرقص معهم على ايقاع هذه الاغنية الصاخبة المتفائلة معا . ولم يلب هذه الدعوة — ليلة أن شاهدت المسرحية — سوى عدد قليل من الشباب الصغار . هذا العدد القليل من الشباب الذين صعدوا الى المسرح وواصلوا الرقص مع فريق المسرحية ، هم الذين استطاعوا أن يخترقوا الحاجز وأن يندغموا فى حلم [هير] وفى واقعها معا .. واذا أشار عدد هؤلاء الشباب الضئيل الى شيء ، فالى أن الدعوة التى تدعو اليها [هير] منذ خمس سنوات لاتزال دعوة صعبة ، تفعل أثرها ولكن ببطء شديد . ولسن تستطيع سوى الايام وحدها أن تحكم على هذه الدعوة أو عليها .

بعد مسرحية [هير] شهدت [أوه .. كلكتا] .. وهى رفيو آخر من نفس النوع .. ولابد من البداية أن اشير الى انه ليس ثمة اى علاقة من بعيد أو قريب بين اسم المسرحية وبين المدينة الهندية المعروفة بهذا الاسم .. ولكنه مجرد اسم لا معنى له كما أن اسم [هير] هو الاخر اسم لا معنى له ولا علاقة مباشرة بينه وبين المسرحية .. ومع أن الاغنية الاساسية فى المسرحية اسمها [أوه كلكتا] كما أن الاغنية الاساسية فى [هير] اسمها هى الاخير [هير] الا أن الاسم فى حد ذاته لامعنى له .. وقد تناولت المسرحية نفسهامسألة الاسم هذه فى داخلها مؤكدة على انه مجرد اسم لامعنى له . هذه فقط ملاحظة عابرة أردت أن ابديها قبل ان اتحدث عن المسرحية ذاتها . وهى مسرحية لا نستطيع فهمها جيدا بغير فهم [هير . لانها تسير ببعض الخطوط التى طرحتها [هير] الى نهايتها ، وتغالى فى ذلك الى حد الشطط أحيانا ، والابتذال أخرى . واذا كنت قد اكتفيت بتحليل [هير] لانه قد سبق أن كتب عنها فى العربية عدة مرات وعرضت هذه الكتابات العربية لاحداثها . فانه لابد قبل اى تحليل لمحتوى [أوه كلكتا] أو لمبناها أن اتحدث عن جزئيات العرض وتسلسلها ، لاننى اظن أن احدا لم يكتب من قبلّ بالعربية — بالطبع — عن هذه المسرحية .

ومسرحية [أوه كلكتا] مكونة من فصلين يتكون أولهما من ثمانية مشاهد وثانيهما من ستة مشاهد والمشاهد كلها — كما فى [هير] — من النوع الابيسودى .. كل مشهد يوشك أن يكون مستقلا ، يوحى عدم ارتباطه بالمشاهد السابقة أو اللاحقة بشيء من التفكك . ولكنه يشارك بدور ما فى بلورة المحتوى العام للمسرحية وفى صياغة المناخ واحداث التأثير الذى تبتغيه . ولكل مشهد من هذه المشاهد عنوان خاص به . ولنبدأ بالمشهد الاول وعنوانه [خلع الثياب] وهو عبارة عن رقصة لكل فريق المسرحية على انغام اغنية العرض الاساسية [أوه كلكتا] وهم يرتدون أرواب الحمام التقليدية ويبدأون بالتدريج فى تعرية أجسادهم ويستمر هذا العرى التدريجى فى التصاعد مع اللعب بتشكيلات الحركة والاضاءة جماليا حتى ينتهى المشهد بالعرى الكامل بعد خلع هذه الثياب وحركة الجميع على المسرح عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ودونما حتى ورقة التوت . وبعد الاظلام تظهر خلال استخدام خاص للفانوس السحرى يسمى [بالنافذة المفتوحة] بعض الصور والرسوم التى تمهد لظهور لافتة المشهد الثانى بعنوان [الاهانات اللذيذة] وهو مشهد تمثيلى خالص لا رقص فيه ولا غناء يتم بملابس تنتمى الى القرون الوسطى ، يدور بين شاب استدرج فتاة الى قلعة من قلاع هذا العصر وحاول بخدعة ما


يوجين اونيل

أن يقيدها الى الحائط وان ينتزع ثيابها ويعتدى عليها . وعندما يفعل تصرخ الفتاة وتسب وتعترض . وفجأة يقيد الشاب هو الاخر الى كرسى بعيد فتتراخى الاهانات ويحل محلها نوع من المصارحة التى تكشف عن التناقض بين الرغبة الحقيقية وما يفرضه عليها المجتمع من كوابح . وتكشف عن الجانب اللذيذ فى هذه الاهانات التى يفرض علينا المجتمع مقاومتها بعناد حتى تتحقق للفرد تلك السلامة الداخلية التى تنهض على التوازنات الدقيقة بين رغباته الفعلية وما ينبغى عليه أن يسلكه فى المجتمع حتى يحظى باهتمام هذا المجتمع له .. وبعد هذا يبدأ المشهد الثالث بصورة للشاعر الانجليزى جون دون [١٥٧٣ — ١٦٣١] تحتها أبيات مقتبسة من شعره ولكن بشيء من التعديل .. وعنوان هذا المشهد [مع مدرسته تلك ، فليذهب الى الفراش] والمشهد كله عبارة عن اعداد لاحدى قصائد جون دون تغنيها تلك المدرسة التى تتحدث عنها هذه القصيدة وهى عارية تماما ومضطجعة على [صوفا] فى زاوية المشهد ، فى محاولة من المسرحية لان تكشف ، حتى فى نص لهذا الشاعر الانجليزى اللاهوتى الذى رسم كاهنا والحق كقسيس ببلاط جيمس الاول وامتلات اشعاره بالعظات الاخلاقية والصلوات الصوفية التى تعد من اعظم الاشعار الميتافيزيقية فى القرن السابع عشر ، ان تكشف حتى فى نص من هذا الشاعر بعدا جنسيا واضحا .. واذا كان الامر كذلك ، فلابد كما يقول عنوان المشهد الرابع أن [نجيب كل الاجابات الصادقة] وهو مشهد تمثيلى بين اسرتين تزور أحدهما الاخرى ، ويكشف المشهد عن طريق الصدمة فى الحوار واللعب بالدلالات المزدوجةللكلمات والكنايات عن البعد الجنسى خلف واجهة التهذيبات التقليدية والاحاديث الرسمية وعن ان الكثير من التقاليد الاوروبية تنطوى على نزعات جنسية تم احباطها أو تحويلها . أما المشهد الخامس فهو مشهد غنائى عنوانه [حاشية على خمسة خطابات] وهو عبارة عن خمسة ممثلين كل منهما يقدم اعدادا غنائيا لخطاب من الخطابات التى ترسلها الى محررى ابواب المشاكل فى الصحف وتعرض لمشاكل القراء . أو هى خمسة اصوات فى اغنية واحدة

عنوانها [عزيزى المحرر] وفى القسم الاول من المشهد نتعرف على خمسة خطابات من الخطابات التى ترسل الى [عزيزى المحرر] فى الثلاثينات من هذا القرن ، أما فى القسم الثانى من المشهد ويؤديه نفس الممثلين، فنتعرف على خمس خطابات اخرى تلقاها [عزيزى المحرر عام ١٩٧٣ .. ومن خلال الهوة الفظيعة بين طبيعة لغة ولهجة ومشاكل خطابات الثلاثينات وخطابات السبعينات .. تبرز المسرحية الاتجاه نحو العرى فى المجتمع الاوروبى ونحو الصراحة فى معالجة قضايا الحب والجنس فيه .. وفى المشهد السادس [اسم الفاعل : اسم المفعول] وهو عنوان مستمد من قواعد النحو نجد محاضرة من طراز غريب عن انواع العلاقات الجنسية وعن بعض مظاهر الانحراف والشذوذ فى هذا المجال . أما المشهد السابع [ملابس الامبراطورة الجديدة] فانه يوشك أن يكون تكرارا لما يريد أن يقوله مشهد الخطابات ولكن بشكل آخر .. انه يعقد مقارنة بين ملابس القرون الوسطى وملابس الامبراطورة الجديدة .. اى امرأة العقد الثامن من القرن العشرين. وهو لاينكر أن ملابس الامبراطورة القديمة كانت مثيرة للغرائز كملابس الامبراطورة الجديدة . بل ربما يميل الى أن الملابس القديمة كانت أكثر اثارة بقدر ما كانت أكثر مغالاة فى الاحتشام . ولكن الملابس الجديدة عنده أكثر صراحة ومباشرة وبالطبع عريا . وبعد هذا يجىء المشهد الاخير فى هذا الفصل ، وهو مشهد يوشك أن يكون بلورة غنائية استعراضية لكل ما انطوت عليه المشاهد السابقة من تلميحات ، فهو استعراض كامل العري مصحوب بأغنية [أكان الامر طيبا بالنسبة لك ايضا] يتم فيه مزج شعرى بين الرقص والباليه والبنتوميم والغناء ، وينتهى به الفصل الاول من المسرحية .

ويبدأ الفصل الثانى بأغنية راقصة اخرى عنوانها [الكثير .. حالا] وهو مشهد يتصاعد فيه ايقاع المسرحية نحو المزيد من الصراحة الصارمة فى الكلمات والحركات يوشك معها أن يكون نوعا من عروض البرنوجرافيا ، لكنه نوع خاص لا يركز على الاثارة قدر ما يتجه الى الاهتمام بالتشكيلات الجمالية العارية



تينيسى وليامز

التى تتقطع معها الانفاس كما يقول ناقد « الصنداى تيمس » ، والذى مهد لاكثر مشاهد المسرحية شاعرية وجمالا وهو مشهد [واحد لواحد] وهو عبارة عن رقصة باليه لراقصين - راقص وراقصة - عاريين تماما ، وتدور الرقصة حول الرجل والمرأة فى مختلف درجاتها ومستوياتها وبعد ذلك يجىء المشهد الثالث بعنوان [الحديقة المثيرة للدوار] وهو من اكثر مشاهد المسرحية ابتذالا وسقوطا ، وربما أرادت المسرحية بحدة هذا المشهد ومباشرته أن تكسر شاعرية الرقصة السابقة وأن تؤكد ان الحياة تنطوى على الشعر والابتذال فى وقت واحد ، انه مشهد عن عملية جنسية فى المعمل وعن القياسات الخاصة بها والتى تتناول مدى ومقدار الطاقة التى يبذلها الكائن البشرى فى هذا المجال لكنه يتم بطريقة سوقية وبعد سمتحالبقية المشاهد السوقية فى هذا الفصل ، فالمشهد الرابع وهو بعنوان [حتى نصرخ مهتاجة] لايقل سوقية عن هذا المشهد ، وان كان هناك ما يشده الى مناخ المسرحية وما يمنحه قدرا من التبرير ، إنه عن امرأة عجوز ما أن تجد فرصة الحديث بصراحة حتى تطلق رغباتها المكبوتة خلف قناع السن والاحترام ، واشواقها الى تجربة المضاجعة فى هذا السن ، الى هنا وليس فى المشهد ما يثير النفور ، لكن ما ان تبدأ هذه الاشواق فى التحقق وتتصاعد الصرخات ويتحول المشهد الى ايقاع كوميدي ضاحك حتى تلمس بعض الجزئيات المثيرة للتقزز ، بعد ذلك يأتى المشهد الخامس [أربعة فى اليد] ؟ وهو مشهد يعتمد اساسا على عروض الفانوس السحرى التى تقدم بعض المشاهد البرنوجرافية لاربعة من المشاهدين الذين يتناوبون التعليق الساخر عليها ، وبعد ذلك يأتى المشهد الاخير فى المسرحية وهو عبارة عن رقصة غنائية تذكرك برقصة [هير] الاخيرة وبعنوان [هيا .. معا] ، وهى رقصة تؤديها مجموعة ممثلى المسرحية وممثلاتها وهم عرايا تماما ، وتدعو فيها الجمهور الى أن يتخطى كل الكوابح وأن يعبر عن رغباته وأشواقه بتحرر وانطلاق .

بعد هذا العرض السريع لمسرحية [أوه .. كلكتا] نحس أن هذه المسرحية امتداد ما لمسرحية [هير] لانها تدعو مثلها الى الحب والجنس وتحاول أن تجعلها المحور الاساسى للحياة الحلم التى تنشدها المسرحية . واذا كانت [هير] تعالج دعوتها من زاوية حضارية تهتم كثيرا بطبيعة العصر وقضاياه السياسية والاجتماعية فان [أوه .. كلكتا] تتناول دعوتها من زاوية فرويدية خالصة ، تستفيد من كتابات الماركيز دى صاد وتعاليمه ، لكنها تتناول كل شىء تستخدمه أو تستفيد منه من وجهة نظر فرويدية خالصة ، وهذا الاتجاه الواحدى فى النظرة والمنطلق هو ما يجعل [أوه .. كلكتا] برغم كل ما فيها من عرى وتقديس لجمال الجسد الانسانى وقيمته اقل قيمة وتأثيرا من [هير] وأقل منها خصوبة واثارة للخيال ، وقد لاحظت ان المسرح فى [هير] رغم تجاوزها ١٧٠٠ عرض كان ممتلئا عن آخره ، بينما كان المسرح فى [أوه كلكتا] برغم كل هذه المشهيات ، ورغم انها تجاوزت ألف عرض فقط كانت به مقاعد كثيرة شاغرة .. ايعنى هذا أن الاقبال هنا يتزايد على العرض المسرحى كلما ازدادت درجة جديته وعمقه؟ ربما . لاننى أيضا حين حاولت ان احصل على تذكرة لمسرحية [يرما] لم استطع الحصول عليها الا بشق النفس ، ولم استطع طوال مشاهدتى هذا العرض أن افلت من انشوطة المقارنة بين [يرما] هذه وتلك التى شهدتها على المسرح المصرى قبل سنوات ، لكن تلك قصة أخرى كما يقولون .

رسالة باريس



الفيلم الفرنسي « الوليمة الكبرى »

سمير فريد

من بين اهم الافلام التى عرضت فى مسابقة مهرجان كان هذا العام ، والذى حضرته فى الفترة من ١٠ الى ٢٥ مايو الماضى الافلام الايطالية « نريد كولونيلات » و « المانيا البيضاء » و « فيلم عن الحب والفوضى » والفيلم الامريكى « الكتراجلين الزرقاء » والفيلم الفرنسى « الوليمة الكبرى » والفيلم الاسبانى « آنا والذئاب » .

أما الافلام الايطالية الثلاث فتنتمي الى الواقعية الايطالية على اختلاف اساليبها واتجاهاتها . الاول « نريد كولونيلات » الذى كتبه واخرجه ماريو مونشيللى كوميديا سياسية عن القوى الفاشية التى تحاول التسيطرة على ايطاليا من جديد ، وان كنت لا افضل معالجة الموضوعات الجادة بأسلوب ساخر ، وخاصة بالنسبة لموضوع مثل هذا يشغل الواقع الايطالى اليوم . والفيلم الثانى « المانيا البيضاء » يكشف بجرأة عن استغلال الاطباء [اصحاب المعاطف البيضاء] للمرضى ، وهو احدث افلام لويجى زامبا احد مخرجى الواقعية الجديدة فى ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية . والفيلم الثالث « فيلم عن الحب والفوضى » هو الفيلم الثانى للمخرجة لينا ورتمولر التى شاهدت فيلمها الاول « ميمى العامل المجروح فى شرفه » فى مهرجان كان العام الماضى ، وفى الفيلم الجديد تبدو وجهة نظر ورتمولر الفوضوية بوضوح لا يقبل الشك . ويدور حول احدى محاولات الفوضويين لاغتيال موسولينى فى عهد الفاشية فى ايطاليا.

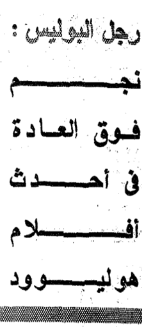
الكتراجلين الزرقاء

كان « الكتراجلين الزرقاء » أول افلام الموسيقار جيمس وليم جورشيو [٢٧ سنة] والذى كتب له الموسيقى وصوره كونراد هال أحد اعظم المصورين فى هوليود اليوم هو اهم فيلم امريكى فى مسابقة كان هذا العام رغم ان الولايات المتحدة كانت صاحبة العدد الاكبر من الافلام . انه امتداد اصيل لسينما الواقعية الجديدة فى هوليود ، والتى بدأت فى ظل ازمة الشركات الكبرى ، وانتشار شركات الانتاج الصغيرة .

يبدأ الفيلم على قارعة الطريق الصحراوى فى ولاية اريزونا الامريكية حيث نرى شرطين جون وزيبر يكشفان عن نزعة هائلة للتسلط عندما يوقفان احدى السيارات ، ويفتشان صاحبها الشاب الذى يبدو من الهيبز . ومن خلال العثور على جثة رجل عجوز قتل وسرقت ثروته الصغيرة البالغة خمسة آلاف دولار ندرك الى اى مدى لا يهتم رجل البوليس بغير الترقية ، فعندما يشك الطبيب فى البداية أن الرجل قد انتحر يتشاجر معه جون قائلا ان هذا يعنى انه لاتوجد جريمة ، وبالتالى تضيع فرصتي في الترقية . ويأتى رجل المباحث الانيق هارف ، ونتبين بالفعل أن الرجل قد قتل . وفى مشهد بارع على اغنية ساخرة نرى جون وهو يرتدى حلة مثل حلة هارف ، ولكن المخرج يقلل من قيمة المشهد عندما ينهيه بلقطة تصور جون يخرج الى الطريق العام وقد نسى ان يرتدى البنطلون !

وتبدأ رحلة جون وهارف بحثا عن القاتل . وفى احد تجمعات الهيبز يتضح مدى اختلاف كل منهما عن الاخر : جون يلجأ الى العقل ، وهارف يلجأ الى العنف . ولكن النتيجة ان العنف لم يؤد

رجل البوليس : نجـــــم فـوق العـادة فى أحـــدث أفـــــلام هوليـــوود



الفيلم الامريكى « الكترا جلين الزرقاء »

الى معرفة الحقيقة ، اذ تضطر احدى الفتيات تحت ضغط هارف بالقوة على صديقها ان تدعى كذبا انها تعرف بوب زيمكو المتهم بقتل الرجل العجوز وسرقة الدولارات . وفى احد البارات الصغيرة حيث يدخل جون وهارف بعد موعد اغلاق البار ندرك ان هناك علاقة معقدة بين فتاة البار التى تحلم بالتمثيل فى هوليود وبين هارف ، وان مأساة فاجعة تكمن خلف مظهره البراق .

وفى احدى جولاتهما يتعرف جـون وزيبر على بوب زيمكو وسط مجموعة من راكبى الموتوسيكلات حيث تجرى مطاردة طويلة بالموتوسيكلات تنتهى بمصرع عدد كبير من الشباب ، ونحن لا نعرف هل كان بينهم بوب زيمكو ام لا . وهل هو فعلا القاتل ام لا . وقد كان من الممكن للفيلم ان ينتهى عند هذا الحد ، وبعد ان عبر عن طبيعة العنف المستشرى فى المجتمع الامريكى بشكل خاص . ولكن الفيلم يتابع اكتشاف الجريمة حيث يعترف رجل عجوز شبه مجنون انه القاتل ، ويعترف زيبر لجون انه سرق الدولارات واشترى دراجة ماركة « الكترا جلين الزرقاء » . ويصاب زيبر بحالة هيستيرية تؤدى الى اطلاق النار على رجل برىء وقتله ، فيضطر جون الى قتل زميله .

ومع مشـهد يصـور جون فى وادى العمالقة ، وهو احد الاماكن المشهورة فى افلام الغرب قام الناس من مقاعدهم استعدادا لمغادرة الصالة على اساس أن الفيلم قد انتهى . وقد انتهى بالفعل دراميا . وهنا كانت المفاجأة : مشهد طويل جدا يمكننا أن نعتبره دخيلا على الدراما من ناحية ، كما انه يفسـد الروح النقدية التى تميز بها الفيلم من ناحية اخرى ، اذ نعود الى الطـريق الصحراوى من جديد حيث نرى جون وحده يمارس عمله ، وفجأة تمر نفس السيارة التى اوقفها مع زيبر فى البداية ، ويوقفها جون ، ثم يسمح لراكبيها بالمرور . وبعد لحظات يكتشف جون ان قـائد السيارة قد نسى معه رخصة القيادة ، وعندما يسرع وراءه يطلق عليه زميـل السائق النار فيرديه قتيلا ، ويتهاوى جسده بالحركة البطيئة وهو يرفع رخصة القيادة بيده ، وهكذا يتحـول رجـل البوليس الى مسيح جديد ، ونجم فوق العادة .

الوليمـة الكبرى

أما الفيلم الفرنسى « الوليمة الكبرى » فهو احدث افلام فنان السينما الايطالى ماركو فيرارى ، وفيه يقدم صورة اخرى من عالمه العدمى الذى يتجاوز الواقع الى الكاريكاتير حيث نرى طوال الفيلم اربعة رجال من مهن مختلفة يجتمعـون فى فيلا صغيرة ، ويأكلون ويمارسون الجنس مع امرأة واحدة ، ويموتـون الواحد بعد الاخر وتبقى المرأة وحدهـا فى النهاية وسـط مجموعة كبيرة مـن اللحوم النيئة فى الحديقة ، والكـلاب تعوى .

وليس هذا الفيلم افضل ما يعبر عن عالم فيرارى ، فهو يكرر نفس الموقف طوال الفيلم الى درجة تدعو الى الملل ، كما انه لا يخلو من نزعة تجارية واضحة تتمثل فى اقامة مباراة بين اربعة مـن كبار نجوم أوربا اليوم ، وهم الايطاليين مارشيليو ماستردياني واوجو تونيازى ، والفرنسيين ميشيل بيكولى وفيليب نوريه .

آنا والذئاب

وفى الفيلم الاسبانى « آنا والذئاب » احدث افلام كارلوس سورا الذى يمثل ما يمكن ان نطلق عليه السينما الجديدة فى اسبانيا ، وهى فى الحقيقة سـينما محدودة الجدة الى اقصى درجة ، نشاهد « نظرية » اخـرى نسـبة الى فيـلم بازولين المشـهور . فمن خـلال المربيـة الشابة آنا التى تذهب لرعاية اطفـال احدى العائلات البورجوازية يكشف سورا عن مدى انهيار ، بل وجنون هذه العائلة التى تعبـــر عـــن البورجـــوازية الاسـبانية الفاشـية : أم مصـابة بالصرع ، وثـلاثة أبنـاء رجـال احدهم صوفى والاخر يهوى جمع الاسلحة وارتداء الملابس العسكرية ، والثالث وهو المتزوج ووالد الاطفال شبق الى درجة ممارسـة العادة السرية طـوال النهار . وفى المشهد الاخير تقرر آنا مغادرة الفيلا ، ولكن الاخوة الثـلاثة يحاصرونها فى المراعى : يغتصبها الرجل الشبق ، ويقص الصوفى شعرها الطويل الناعم ، ويطلق الثالث النار عليها ، وتموت آنا التى اجادت تمثيل دورهـا جيرالدين شابلن .

قصة قصيرة

لحظة يمتلىء الجرح بالرماد

محمد المنسى قنديل

١

مثل الفراعنة القدامى . حاولت أن أزيل من فوق جسدك نقوش الذين سبقونى وأرسم نقوشا ، لان تواريخهم وأخبار الانتصارات وآثار البصمات الغائرة كانت تقتلنى كل مساء عندما أشم رائحتك . ولقد طفت جسدك كله أبحث من مكان خال . أدون عليه انتصارا ما . أى انتصار هزيل . لكننى لم أجد . واكتشفت لحظتها أن جسدك كان متعبا وعجوزا كالصفصاف. كنت أنا آخر ملوكك وأتعسهم حظا . وكان الازميل الذى ورثته عن جدى صدئا ومثلوما .

٢

كانت يدها كثيرة الخطوط . أخبرتنى انها ذاقت من الحياة الكثير . وأنها رغم الابتسامة الواسعة لم يتح لها — ولو مرة واحدة — أن تختار بحرية مطلقة . لم تحبنى كثيرا . لكنى أحببت كل عضو من أعضائها بطريقة تقترب نوعا ما من الهوس الصوفى . لم يكن فى وجهها المستطيل ولا فى جبينها الناصع ولا حتى فى عينيها المضيئتين القلقتين ما يوحى بمدى مرارة هذه التجارب !! لعلها اختزنت فى يدها كل الاثار .. وما هذه الخطوط الا شذرات الاحلام المجهضة والامنيات الغريبة ..

ورغم أنها قالت أكثر من مرة أنها تشعر بمدى قصر عمرها وأن هناك مرضا خبيثا يلتهم لحظاتها القليلة .رغم ذلك كان خط العمر طويلا . يمتد من منتصف حافة الكف تقريبا ويستدير منحنيا على حافة سمانة اليد . وعندما يصل الى حد الرسغ يتكسر الى شرط صغيرة ما تلبث أن تمحى . عمرها كان طويلا حقا . لكنه متقطع . ممتلىء بالفجوات المؤسفة . كانت تعانى من لحظات المرض واليأس الغريب . الا أن الحظ كان يحمل شيئا أشبه بالرثاء الدائم . شيئا من حيرة النورس وهو يرف للمرة الاخيرة ...

أحيانا . كانت تود أن تفكر بمفردها. لكنها ظلت دائما عاجزة عن اتخاذ اى موقف حاد . لم تحب ولم تكره . وكان خط الافكار وهو يمتد عرضيا بأعلى الكف غائرا ، لكنه متشعب الخطوط . ذبذبات قلقة متكسرة . رقصة غريبة فوق خيط رفيع . أحبتنى .. ؟ .. لم تحبنى .. ؟ .. لا أدرى . لعلها أيضا لم تدر . كانت آلامها نوعا من النضوج الممزق . يقول الخط الغائر أنها عرفت الكثير . وتقول الخطوط الصغيرة المتشعبة أنها كم تألمت بهذا الكثير .

قلت لها ضاحكا . ستكون لك ثروة كبيرة . لم تعرف أبدا قيمة النقود الفعلية .. وكانت تحس بالذنب عندما تمتلك منها كمية فوق العادة . لكن « جزيرة الرزق » المثلثة وسط الكف. يحدها من أعلى خط التعليم العرضى وخط العمر فى انحداره المتكسر . جزيرة كبيرة لا تقسمها الخطوط السطحية قالت لا أريد شيئا . قليل من الراحة وبيت بعيد عن العيون . وجزيرة الرزق مفعمة بالنزوات وطعم الاحلام الملونة . اضافت أنها ستعطى ثروتها للاطفال. اعترضت . قلت لها . ان اطفال العالم مجرد أشرار صغار . كانت تكرهنى بحق عندما أبدل طبيعة الاشياء الحلوة ..

لم تكن تعلم أنها طموحة . ذلك النوع من الطموح المضنى . لكن خط التعليم فى التقائه مع خط العمر . وعندما ينفرج عرضيا حتى يقسم الكف الى نصفين . يتخطى حواجز الزواج والمرض والالام الصغيرة . وينتهى حادا متقوسا مصرا . وهى تسعى نحو ذلك سريعا . حتى أننى كنت أخشى عليها من توهج الشهب الساطع المفاجىء . بعدها تتحول السماء الى قحل أسود يائس .. .. وتتسع ابتسامتها المعذبة وأنا أخبرها أن فى جانب يدها خطوطا بعدد التجارب العاطفية السابقة ، ولعل لى أحد تلك الخطوط الضئيلة .. قلت لها . تلك الاظافر المحنية الى أعلى تعنى الارادة القوية .. وكنت أعرف ذلك ..



عندما تتحول نظراتها الى برود كالثلج ، وكان الثلاثاء أسعد أيامها . أضافت ضاحكة انها ابتسمت لنفسها هذا الصباح فى المرآة ونادرا ما تكون سعيدة . كان فى الكف أشياء أخرى كثيرة .. عن الاولاد مثلا . عن الامراض الاصدقاء . لحظات السفر والفرقة . لكننى لم أخبرها بشىء . كنت فقط أود لو أرى شيئا يخصنى . يميزنى وحدى . لكننى تهت خلال التشعبات القلقة ...

٣

فى منتصف الكوبرى . شاهدت الرجل العجوز . كانت المدينة ساكنة . تكسوها غشاء من المخمل العتيق المترب . غاية فى الحزن . قال لى ..

— لا تثق بأحد .. أنظر الى (أشار الى أحد الندوب) لقد خسرت كل شىء .. سألنى عن الوقت . نظرت سريعا الى ساعتى وذكرت الوقت خطئا . لم يلحظ أو يبال . واصل القول ..

— المصيبة أننا لا نتعود الحزن . ولا نستطيع التخلص منه .. يبقى دائما كهذا الحجر .. أشار الى الحجر الجيرى تحت قدميه . كان للحجر نفس حجم الكلب الصغير تقريبا . سألته عن عمره ..

— ياه . زمن بعيد ونحن نأكل سويا وننام سويا .

قال الجندى الذى يقف دائما لحراسة الكوبرى ..

— ممنوع القاء القنابل فقط ..

ضحكت بجفاف ولم يتأثر العجوز . أمسك الكلب فى حنان بالغ . أخذ يلف الحبل حول بطنه . مرة واثنين وثلاثة . والكلب مستسلم فى سرور . غاصت ضحكة الجندى .. قال ببرود .. لماذا ؟ .. أجاب العجوز ..

— الايام غدارة . كل شىء غدار والله .

بدا الجندى كئيبا . عاود العجوز سؤالى عن الوقت . أجبته صحيحا فلم يلحظ أى تغيير . كنت أعانى من بعض

المتآمنين وأنتظر القطار حتى يذهب بي بعيداً . لم أكن متأكداً من أن حزني سوف يهدأ . لكنه لم يكن أمامي الا الابتعاد .

عاود الجندي سيره النشط فوق الكوبري . بدأ الرجل يلف الطرف الاخر من الحبل حول الحجر . رفع الكلب رأسه وقد تدلى لسانه . توقف بعض المارة والقوا تعليقات غاضبة . عاد الجندي ونهرهم بسرعة . هذا زمن حرب لا ينتهي . توقف بجانبي وقال بود .

ــ الا تشعر بالخوف . قد يظهر شبحه ويظل يعوى طوال الليل .. هه .. ؟ ..

خيل لي أن القطار يدخل المحطة يئن مجهدا . لم أتحرك . انتهى العجوز من ربط الحبل . شده ليتأكد من متانته . أخذ يداعب الكلب في حب . غرس أصابعه خلف أذنيه وتحت ابطيه . قفز الكلب فوق صدره يزوم في حبور . زعق الجندي ..

لماذا لا تنتهي .. ؟ ..

حمل العجوز الكلب ووضعه على حاجز الكوبري . تراجع الكلب وقد أفزعه سكون الماء المترقب وهو يتشعر من مويجات متتابعة . احاطته يدا العجوز . سألني عن الوقت للمرة الثالثة فلم أجبه . كان يمسك الكلب بكلتا يديه والحجر على الارض . قال متوسلا ..

ــ ساعداني .. أرفعا الحجر ..

رفضت . رفض الجندي . أوشك العجوز أن يبكي .

ــ أنتما غير فاهمين .. ليس هناك مفر ..

تجمع المارة . لم يتحرك الجندي . أنزل العجوز الكلب . هز ذيله مسرورا . رفع العجوز الحجر ووضعه أولا على السور . عاد ورفع الكلب . ويبدو أن الكلب في هذه اللحظة فقط فهم كل شيء . ابتعد الجندي . دخل القطار المحطة بالفعل . دفع العجوز الحجر . بوغت الكلب عندما جذبه الحبل على حين غرة . عوى عواء مبتورا والهواء يئز كالسوط . استمر المشهد عدة ثوان لان الحبل كان طويلا . طفا الكلب لحظة قصيرة جدا ثم غاص فجأة ــ دون صوت ــ ولم يظهر . توقف الجندي وهو يعطينا ظهره . خيل لي أن العجوز يبكي . لكنني حين نظرت الى وجهه لم أجد أي تعبير . صفر القطار للمرة الاخيرة . أسرعت أجري لكنني كنت واثقا من أنني لن أستطيع اللحاق به .

٤

الكوبري الطويل المتقوس يصل بين ضفتي النهر ــ النهر الفاتر المقطوع اللسان عند الشلال الاول والشلال الثاني والثالث .. المستسلم الكئيب . الغائص بلا نبذ . الزاخر بالطفيليات المسجي قتيلا . يمر تحته خاشعا ــ والكوبري متقنع كالشاهد الخائن . تحوم حوله أذيال ريح فبراير في زمجرات خفيضة .. ..

كان الحراس بعيدين .. وكانت الشمس بعيدة .. وكان الله أشد بعدا ..

السور الواطىء يمتد كلما امتد الكوبري ــ يعلو ويتقوس ويهبط ــ اعمدته المتتابعة الرتيبة بلونها الاخضر القاتم تختلف عن الحاجز الافقي . كانت اللمسات البشرية .. لمسات الرجال المتعبين وهم يحثون السير . والعشاق الصغار . والمتأملين النهر المنتظرين أبدا . والنسوة الخائفات . وحفيف أردية الجنود الخشنة . كل هذه اللمسات أزالت اخضراره القاتم وأعطته لمعة خاصة . فيها القليل من صدأ الحديد والكثير من دفء الحياة ..

الرصيفان الضيقان مقسمان باللون الابيض والاسود . يحصران أرضية الكوبري من كل جانب . الارضية نفسها رغم صقلها الشديد لا تبدو لامعة الوجه كما يجب . كانت ميتة تحت وطأة الصمت . تركها صباح اليوم الفائت مترقبة مثخنة . تحمل على طول امتدادها كتل الاحجار وبقايا الفوارغ المعدنية المثقوبة الجوانب .

من ناحية الضفة اليمنى لا يوجد الا القليل من الاحجار المتناثرة . معظمها صغير . لكن ما يغطي الارضية حقا هو قصاصات الورق السميك ومزق اللافتات المكتوبة بالبوية . كانت تحمل كلمات ضخمة واضحة الحروف . لكنها لكثرة ما تمزقت . لكثرة ما دهستها الاقدام القاسية المطاردة والاقدام الخائفة المطاردة . لم تعد تقرأ على الاطلاق . هناك أيضا بقع ضئيلة من الدم ذائبة في جهامة الارضية . لكن ذلك لم يمنع الذباب من أن يحط عليها بلا مبالاة للريح أو للحراس .

في المنتصف تتكاثف قطع الاحجار . تظهر الوانها وأشكالها المتنوعة . الزلط الصغير الاصفر . قطع الاحجار الجيرية بلونها المطفأ . شظايا من البازلت الاسود . أطرافها حادة وسطحها خشن . أجزاء من قوالب طوب البناء الاحمر وقد تناثرت فوق الارضية كأنها جرح ينزف . قطع الترميد الارجواني القاتم وقد فقد زهوه السابق . بين كل هذه الانواع ــ سواء في الوسط أو أعلى الرصيف ــ تناثرت الفوارغ المعدنية المثقوبة الجوانب كأنها عيون محملقة .

وسوف يأتي المساء . حالا أو فيما بعد . ولن تضاء المصابيح . سيأتي الكناسون المقصومو الظهور . يأتون بالامر ويذهبون بالامر . يزيحون هذه الاحجار والفوارغ كأنما يخفون عارا . لن يلقوها في النهر . لانهم لا يودون تحريكه . ايقاظ مويجاته الغافلة . نفض الطحالب المحنية الرأس . يريدونه هكذا . غائصا فاترا . مستسلما كالجثة . سوف يحملون الاحجار الى أماكن لا يعرفها سوى الحراس . وسيعتقدون ــ الحراس والكناسون ــ أنهم قد أخفوا كل شيء وأعادوا للكوبري نظافته الزائفة .

٥

القلعة . بئر يوسف . منتصف الطريق نحو القاع المظلم ونحو السماء المعطن

قالت لي لاهثة ..

ــ كلا .. سوف نتوقف هنا ..

كنا مرهقتين من كثرة النزول والانحدار نظرت الى أعلى حيث فتحة البئر . السماء ــ التي تغطيها وتغطي القلعة وتغطي مصر كلها ــ بعيدة فاقدة اللون . مجرد دائرة بيضاء باهتة . قالت وهي تستند للجدار الحجري الخشن ..

الجزء الباقي من البئر مظلم خطر والسلالم زلقة ولا سور لها ..

الرجل ذو الشارب الضخم مازال يدفع زوجته أمامه . بدا لي أبلها بدرجة ما . الزوجة الصغيرة مرعوبة من خشونته ومن جهامة الاحجار . نظر الرجل الي وتوقف معتذرا ..

ــ لم نرزق بأبناء بعد [ضحك ..] أريد ولدا ..

ضحكت الزوجة بتردد لعله يلين . لكنه واصل دفعها ..

قالت وهي تعدل خصلات شعرها .

ــ ياه .. كم كان الامر متعبا . لا ادري لم طاوعتك .. ؟ ..

كنا نصعد سلم القلعة سويا . نمر خلال البوابات الحجرية . نرتاح جنب قبر الوالي التركي في المسجد . نتأمل بيوت القاهرة المرتعدة المتلاحقة وسقوف المقطم الجهمة . البائعون يلاحقون السياح كالذباب . الطيور المطاردة . الحرس المرتابون . بائعو الحنه والبخور تلمس يدي وألمس يدها . وفي أسفل القلعة تجري صفوف النمل حتى تلحق بآخر المواصلات وآخر فرص العمل

وآخر فتات العيش . تلفح الريح وجهى ناوشك على البكاء . تحول قصر الجوهرة الى كومة من الاخشاب المحترقة والقلعة الى سراديب غامضة والسياح الى مومياوات تتأمل جثتنا ببلاهة حقيقية ..
قلت فجاة ..

— سوف أنزل النصف الباقى من البئر ..

نظرت الى فى دهشة غاضبة ..
وحدك .. ؟ ..

— وحدى ..

لم نتناقش . ترك الرجل زوجته ويحلق فى قائلا .. يا أفندى لم يعد .. دون أن يكمل . سرت الى الفتحة الضيقة . تمنيت أن التفت وأرى عينيها قبل أن اهبط .. أرى تعبير وجهها . كنت واثقا بطريقة مبهمة من انها لا تحبنى .. لذا لم التفت ..

مستنى رعدة وانا ألمس أول درجة . تصاعدت من قدمى الى عينى وأحسست بالرغبة فى البكاء . هبطت الدرجة الثانية والثالثة والرابعة واصبحت بأكملى داخل البئر . وحدى كما لم أكن من قبل . ثمة ضوء يتسلل من الفتحة وينير التفاف الدرج الاول . أما بعد ذلك فلا شيء . ظلام ثقيل مشبع بالرطوبة يحاصرنى وأنا التصق بالجدار . تتحفز احجاره تحت أصابعى كالمخالب . اهبط درجة فدرجة .. سوف تنصرف هى الان . تهز كتفها بلا مبالاة ويأخذها أي أتوبيس سياحى غامض . تكبر بطن الزوجة العاقر . تمر عليها شهور الحمل وتفرخ خفاشا كبيرا . يظل يهوم فى ظلام البئر . وتأتى الاعوام العجاف . سبعة أعوام . عشرون عاما ولا زال النيل يفيض . تحرق الشمس تيمانه الطحلبية وتنشر عفونة الاسماك . وأنا أهبط . قد لا يكون هناك طريق للعودة . اسمع صوت أنفاسى اصداء موحشة ترددها الجدران الاربعة . أسمع دبيب أقدامى خطو غريب يدق حولى ثم يقودنى الى حيث لا أعلم .. لم أعد بحاجة للشمس . هذا الظلام هو خجل السنوات العجاف كلها . وهذه الارض الشراقى تسكن اخاديدها الفئران . أهبط الدرج عاجزا عن العد . والهواء الراكد يرسل داخلى احساسا بالشيخوخة . يزيد من تجاعيد وجهى ومن خوفى من دائرة الضوء البعيدة من السماء التى لا لون لها ومن حفيف ثياب الحراس السميكة .

تعودت عيناى الظلمة .. لم أر تفاصيل البئر لكننى احسسته يتشكل أمامى ، احسست بأبعاد جدرانه . المسافة التى هبطتها والتى فى انتظارى . لو أننى هبطت للنهاية ربما امكننى العودة لو أننى توقفت فى المنتصف القاسى ربما سقطت .. ربما تجمدت حتى تزيحنى خطوة



القادمين الجدد . زادت سرعة هبوطى . أشعر بالماء يقترب . ماء النيل القديم عندما حملته جرار يوسف للمرة الاولى بعدها غير النيل مجراه وازدادت وطأة الجفاف ..

انتهى الجزء الباقى من الدرج . اصبح الماء امامى . لم أره جيدا . جلست على الحافة الحجرية ومددت يدى بحذر . ظلت تغوص فى الفراغ المظلم حتى لمست السطح البارد . ارتعدت . أصدرت المياه صوتا خافتا . كأنى ايقظتها من الموت . أرجعت يدى مسرعا . لو أننى بكيت الان فلن يرانى احد . لن ترانى هى ولا الزوجة الخائفة ولا السياح . لن يرى الحرس دموعى . انزويت فى الجدار أكثر . اصبحت ضئيلا . ضئيلا لدرجة التلاشى . بدأ الهواء فى التحرك ومويجات الماء تصدر انينا خافتا . فتحت عينى أو لم أفتحها نهضت . لم أنهض . صرخت . تكلمت . ازداد صمتى . لا ادرى ....
كان يوسف أمامى . جالسا وسط الماء الراكد الاسن عاريا . يبدو جسده الابيض النحيف شاحبا لدرجة الزرقة . ضاما يده الى صدره مكوما ساقيه حتى أوشكت ركبتاه أن تلمسا ذقنه . وحيدا وسط فراغ البئر . ميتا حيا . يبكى فى نحيب خافت .

٦

فاجأنى منظر المرأة . ضحك صديقى وهو يدفعها عبر الباب للداخل

— أعرف أنها ضخمة . لكن هذا افضل نوع للنحاف من أمثالك ..

ضحكت المرأة . بانت تجاعيد وجهها كانت كبيرة السن أيضا . رد صديقى الباب . سمعت صوت أقدامه وهو يهبط مسرعا . ظلت تحلق فى مبتسمة . لم تكن تسخر ولا شك . سارت بتمهل . قالت كلمة أو كلمتين عن الشقة . سألتنى عن أسمى .. ضحكت بصوت ممطوط . جلست على حافة السرير وهى تقول ..

— اليس عندك ما يشرب ؟ ..

وانا أسير خلال برد الليل . غاصت فى ضلوعى الاغصان الجافة . ادهشنى أني عاجز عن الحلم وعن الرغبة فى التحول . ادهشني أنى متخم بالذكريات المبتورة وورق الزهر الجاف وبقايا السجائر ..

ضحكت المرأة حين رأتنى أحمل كوبى الشاى . كانت قد خلعت ثوبها الخارجى ووضعته بعناية فوق مقعد جنب السرير . قميصها الداخلى رث . تماما كأجزاء جسدها التى تظهر من خلاله . هكذا اذن . انطفأت أقمارى الصغيرة الملونة ودعنا بعضنا منذ شهر ومزقت صورتها هذا الصباح . آخر ما تبقى منها . جلست المرأة على حافة سريرى وهى تراقصنى بطرف عينيها . تسألنى ان كانت هى المرة الاولى .. ؟ .. هكذا اذن تنحسر الشمس عن أعضائى العارية وتتركنى رمادا معتما . سألت عن اسمها . قالت اسما ما — مزيفا .. سألت عن سنها . قالت رقما ما — مزيفا . سألته عن بلدتها . تمهلت قليلا حتى عاودت السؤال . اجابت بغتة كأنما تطعننى ..

— انا من السويس ..

توقفت أصابعى وهى تحاول مرتجفة أن تفك ازرار القميص . ارتاح كل جسدها فوق السرير . بدأ فخذاها الضخمان يوشكان أن يمزقا القميص الرث . قلت ماذا .. ؟ .. واحسست بالبلاهة . رددت الاسم مرة أخرى . نظرت نحوى مهتمة للمرة الاولى منذ بداية الليل . سألتنى بشك ..

— هل أنت من السويس .. ؟ ..

نفيت ذلك . ضحكت حتى أؤكد نفيى . كنت فقط قد رأيت السويس . عرفت صورها الغير ملونة كنت فقط اعانى من حالة خاصة غاية فى الخصوصية . مؤداها انها تركتنى . وثقت بها وحلمت بها . لكنها تركتنى . قالت كثيرا من الاسباب التى لم تقنعنى . وكانت السويس هناك . خلف عشرات الكيلومترات الصحراوية الموحشة . خلف الاسلاك والالغام والغابات المتحجرة . ابعد ما تكون عن غرفتى بالدور الثانى . من سريرى الخشبى الذى اشتريته بالتقسيط . لم تكن اكثر من مدينة نائية . بها الكثير من الاحياء الفقيرة والناس الفقراء . القليل من النساء الجميلات والاطفال المكتملى النمو . لكننى تلت اهيا ..

— هل تعني السويس شيئا خاصا .. ؟ ..

كانت خائفة من أن يزيد الحزن عدد التجاعيد فى وجهها .. قالت بسرعة ..

— الماضى فقط . السويس تعنى ماضيا لا طعم له ..

كنت اخشى أن ترانى عاريا . نحيلا . كنت أكره قفصى الصدرى الضيق وانحناءه المحدب للامام . وساقي يكسوهما الشعر

المشرئب .. كنت أخشى أن تضحك لانها بلا شك قد عرفت الكثير من رجال السويس والاماكن الاخرى .

قلت متأسيا نجاة ..

ـ لم أعرف السويس جيدا .

كنت اكذب اننى كلما تناولت طعاما فى الصباح . فى المساء . أوشكت ان أتىء . ذلك الصديق عندما حاول ان يملا جرحى بالرماد زاد من حدته . كنت أعرف السويس جيدا . مثلما أحببت للمرة الاولى .. مثلما انتهى كل شىء فجاة . وأن المصابيح الخافتة والزجاج الازرق والزيجات السريعة والهمس المتوتر المبتور . والوعود الوعود الوعود . اللهاث . شنط المهربين . لحظات الحب الميت . الصورة التى كانت آخر ما مزقت . عرفتها جيدا . كانت تضاريس الشوارع هى تجاعيد الزمن فوق فخذى المرأة . والبيوت التى هدمتها القنابل هى ملامحى وأسنانى التى لوثتها السجائر . كذبتى اليومية وشاى اصطباحى البارد .

وجدت المرأة تمسك بالصورة . تتأملها بنفس الهدوء الساخر . أصابنى الرعب . خطفتها من يدها . علقت هى بهدوء .

ـ فتاه حلوه

كنت مخنوقا

ـ من أين اتيت بها

أجابت ببساطة

ـ كانت تحت الوسادة .

كنت قد مزقتها هذا الصباح . قطعت أوصال هذه الملامح . قتلت ابتسامة التصوير الزائفة . أدرت ظهرى وحسبت أنه يكفى أن آكل بشهية . اقرأ جرائد اليوم بلا اهتمام . أنام نوما عميقا دون أن أحلم . أنتظر العلاوه .. و .. و .. ولكن الصورة والسويس . والمرأة العجوز مستندة على وسادتى . نائمة فوق سريرى لازالت قادرة على الكلام .

ـ لا تكن كئيبا لهذه الدرجة . اطفىء النور وتعال بجانبى .. هذه أولى تجاربك ..

اليس كذلك .. ؟ ..

٧

دفعت التيارات جثتى الى أعلى . كانت متيبسة ومفرودة حتى أنها استطاعت الطفو . وكانت اصابع يدها متقوسة ـ قابضة على حفنة من طين القاع والطحالب الرخوة . لكن الماء أذاب كل شىء وبقت أصابع جثتى متقوسة ـ قابضة على لا شىء ..

لمست الشمس الماء والشاطىء . وظلت جثتى طافية فوق السطح شاحبة زرقاء . يتسرب الماء حول أعضائها النحيلة ويدفعها أمامه . نظيفة كما لم تكن من قبل . عالقا بقدميها بضع من الاعشاب النهرية وغصون الصفصاف ترافقها فى رحلة السفر الطويل ..

يسير التيار وتسير جثتى نحو المصب البعيد . يمران بالشبطآن الموحشة . تبحلق المدن الصغيرة فى جثتى ببلاهة دون أن تتعرف عليها . وجثتى ـ قديما ـ كانت تتمشق كل تلك الاشياء . تتشهاها بلهفة العمر القصير وحرقة الساعات الوجيزة . فيما تمضى أيام الموت . فيما تمضى الاحلام وفيما يغرد طائر مقصوص الجناح كانه ينعى جثتى بلا مقابل ..



وجه جثتى دائما للسماء ـ السماء العتيقة المتناهية البعد كأنها اكذوبة ـ مزموم الفم . أزرق الشفتين زرقة حالكة بوجنتيه أثار حب الشباب تملؤها المياه وتجففها الشمس . الحدقتان مطبقتان على فراغ . بقية الجسد الظاهر سليم ناصع . الجروح فى الظهر طولية متجاورة . زال لونها وما فيها من دماء نبدت كأنها شفاه مفغورة رعبا ..

تغيب الشمس ولاتنى جثتى عن السفر . لاتنى عن عبور الشواطىء التى تنكرها والتى حلمت هى دوما بأمنها الزائف . بساكنيها المنكسرى العيون . الخائفى لسعة السياط . وأرقام جباه الضرائب حلمت جثتى ببيت صغير وسط الخضرة . ليست به غرفات داخلية ولا حواجز . مجرد صالة واسعة تضم كل الحاجيات اليومية والكتب وقصاصات المشاريع المؤجلة . تواصل جثتى السفر . تفقد ملامحها وحدة خوفها . يشكلها الماء طوفا وحيدا عابرا ..

وفى يوم ما . دفع التيار جثتى قرب الشاطىء . لم يكن أحد هناك . وظلت تقترب حتى التصقت كتفها اليسرى بلسان طينى ممتد . دفعها التيار فازدادت التصاقا . أصبحتا كأنها كتلة واحدة لا يفرقها سوى اللون . كان فى الطين أملاح وبذور وجذور مختبئة لكن ذلك لم يمنح جثتى نبضة واحدة . ظل لونها يزداد قتامة وأعضاؤها تزداد ضمورا . ويوما بعد يوم . تصبح الاوردة الزرقاء تحت الجلد كأنها حروف مشمشة .. .. عاودت التيارات دفع جثتى الى منتصف النهر . وظل الطين ملتصقا بها لفترة . حتى أذاب الماء ـ كالعادة ـ كل شىء ..

طوال هذا السفر لم ير أحد جثتى . أو ان أحدا رآها ولم يعر الامر اهتماما ولقد حاول أبو جثتى وأم جثتى البحث عنها . ذهبا الى أقسام البوليس والمستشفيات . وسألا الاصدقاء لكن الجميع التزموا الصمت . التزموا صمتا مطلقا كأنما يخفون عارا أو جريمة . وعاد والدا جثتى عجوزين فوق العادة . تأملا الغرفة الساكنة والكتب الكثيرة والراديو نصف المهشم الفارغ البطاريات تأملا أوراق جثتى . بحروفها المنمنمة الصغيرة وقمصانها المعلقة على مسمار فوق الحائط . والحذاء القديم جنب المقعد . تذكرا فجاة حزنهما المتكرر وهما يريان جثتى تقرأ وتكتب وتردد الكلام المحظور . تذكرا فرحتيهما عند مجىء كل صباح عندما يريان جثتى مازالت فى الفراش تعاكسهما لحظة النهوض ولا يعجبها فول الفطار . هجمت على ذهنيهما المتعبين آلاف الذكريات والعذابات الصغيرة فانزويا فى احد الاركان عاجزين ـ معا ـ من البكاء .

ومن بعيد تمال صوت فيروز وهى تغنى .. دائما تغنى فيروز من بعيد ـ رفعا راسيهما وانصتا معا . وكان فى نبراتها العذبة شىء من الرثاء وشىء من السلوى .. ..

دارت دوامات النهر بجثتى . دارت جثتى حول صخرة ناتئة . حفت بها ثم واصلت الطفو ببطء . اقترب المصب وأصبحت تيارات النهر غاية فى الوهن . لكنه فى منتصف يوم ما . انفجرت بطن جثتى . ظلت غازات العفونة تملؤها وتضغط جدارها المتيبس المبلل حتى انفجرت . خلال هذه الرحلة وجثتى تتآكل من الداخل .. يذيبها النهر بضراوة ناعمة . يحولها الى خبزيومى . حتى أن بطن جثتى انفجرت . وقفت مكانها برهة وجيزة ثم غاصت فجأة حتى أن الهواء زام فى رضى وأخفى النهر لقمته السائغة . حتى أن الضفة المشرئبة والارض البور لم تظفرا بشىء حتى أن الاسماك شعرت بالاشمئزاز للمرة الاولى فابتعدت . حتى أن القاع كان مظلما مظلما .. باردا باردا .. قاسيا قاسيا ...

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السـنة التاسعة ـ أغسطس ١٩٧٢

٨

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

- الثـورة .. البرنامج .. والوحدة الوطنية
- مناقشات حول مستقبل القطاع العام

تقارير من مجلس الشعب .. وتعليقـات

- التهـرب من الضريبـة .. والدخـول الطفيليـة
- دور الاستثمارات الامبريالية فى تهديد عروبة الخليج
- تحول العلاقات السوفيتية الأمريكية: أسبابه وآفاقه

ملحـق الادب والفـن



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ . ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

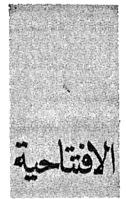
لسنة بالبريد العادى ج٠م٠ع٠ — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهـرس

العدد الثامن — السنة التاسعة — اغسطس ١٩٧٣

د . محمد الخفيف

شــارك فى تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرهـــا
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢



الافتتاحية

٢١ عاما على ثورة يوليو
الثورة .. البرنامج والوحدة الوطنية

ربما لا نجاوز الحقيقة ، اذا قلنا ، ان الاحتفالات بعيد ثورة ٢٣ يوليو قد اكتسبت اهمية خاصة منذ وقوع العدوان الاسرائيلي الامريكي في يونيو ١٩٦٧ .

ذلك ان هذه الاحتفالات انما تؤكد ، المرة بعد المرة ، على عدد من القضايا الهامة ، في مقدمتها :

١ ـ ان مخطط القضاء على ثورة ٢٣ يوليو عن طريق الغزو العسكري واحتلال الارض قد باء بالفشل ـ أو ـ على الاقل ـ لم يحقق كل أهدافه الرئيسية .

٢ ـ **ان هذا الفشل لم يكن وليد المصادفات** السعيدة بقدر ما كان محصلة نضال طويل ، خاضته ثورة يوليو على جبهتين : جبهة الحركة الوطنية المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، وجبهة التنمية الاقتصادية المستقلة لتحقيق التقدم الاجتماعي . وبفضل ما تحقق من مكاسب على هاتين الجبهتين ، كسبت مصر التفاف ومساندة كل قوى الثورة والتحرر في البلاد العربية ، كما كسبت دعم ومساندة المعسكر الاشتراكي ، وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وتأييد معسكر بلدان حركة التحرر الوطني ، وجميع المناضلين من أجل السلم والديمقراطية في العالم .

وواقع الحال ، ان ثورة يوليو قد سلكت خلال مسيرتها ، منذ عام ١٩٥٢ ، طرقا شاقة شديدة الوعورة . اذ لم تنقطع المعارك المفروضة على الشعب خارجيا وداخليا ، ان من قبل الامبرياليين والمستعمرين الجدد والصهاينة ، او من قبل الاقطاعيين والرأسماليين الكبار .

وعلى امتداد تلك الطرق الشاقة والوعرة ، تعرضت ثورة يوليو ايضا ، لازمات كان من الممكن أن تطيح بها ، كما أطاحت ـ من قبل ـ ازمات اخرى ، بثورات وطنية وتقدمية ـ اخرى ـ في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .. نعم ، كان من الممكن أن يحدث هذا ، لولا أن قيادة ثورة يوليو ثبتت ـ بشكل عام ـ في سياستها الداخلية والخارجية عند مواقع لم تتخل عنها أو تغيرها .

وهذه المواقع ، تمثلها المبادىء التي صاغتها ثورة يوليو في شكل برنامج سياسي واقتصادي ، واجتماعي تضمنه **ميثاق العمل الوطني** . وصحيح ان هذا البرنامج قد وضع تحت شعارات عامة واستراتيجية : الحرية ـ الاشتراكية ـ الوحدة ، الا أنه تضمن ايضا نقاطا محددة أهمها :

١ ـ **الدفاع عن الاستقلال السياسي** . وجوهر هذا الدفاع هو النضال الايجابي الجسور ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية

٢ ــ الاستقلال الاقتصادى هو دعامة الاستقلال السياسى • ويتعزز الاستقلال الاقتصادى من خلال التنمية التى يقودها قطاع عام قوى ، يملك وسائل الانتاج الرئيسية •

٣ ــ **وعلى طريق التنمية الاقتصادية** يتعين تشديد اليقظة ، لان للتنمية المستقلة اعداء مميتن ، هم : المستعمرون الجدد الذين يتخفون تحت اقنعة سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية ، ثم تلك القوى الاجتماعية القديمة التى تريد أن تنتكس بمنجزات الثورة ، او تلك القوى الجديدة التى تريد أن تستحوذ لنفسها على ثمارها •

٤ ــ **وطريق التنمية المستقلة هو طريق التخطيط** العلمى الشامل ، وانهاض البحث العلمى وتطوير التعليم على أسس عصرية ، وتوسيع قاعدته الشعبية ، والقضاء على عار الامية •

٥ ــ **والتنمية فى الميثاق هدف ووسيلة فى آن واحد** • وهدفها أن تنتهى ثمرات البناء الاقتصادى والاجتماعى الى أيدى الفلاحين والعمال ، ووسيلتها تمكين هذه الطبقات والقوى الاجتماعية ، صاحبة المصلحة فى التحول الاجتماعى من المشاركة ، بكيفية متزايدة وحقيقية ، فى السلطة ، فى اطار تنظيم يمثل تحالفها مع المثقفين ، والجنود والرأسمالية الوطنية •

٦ ــ **ثم طرح البرنامج على الشعب المصرى أن يعمل** من أجل تحقيق الوحدة العربية ، وحدد أن الوحدة العربية عملية ثورية فى المحل الاول تتطلب تشديد النضال لتصفية كل ألوان النفوذ الامبريالى وعلاقات التبعية الاستعمارية ، والعلاقات الاجتماعية المتخلفة ، والقواعد العسكرية فى العالم العربى •

٧ ــ **وفى الوقت نفسه حدد البرنامج مهام مصر** النضالية فى المجال الدولى :

الدفاع عن السلم العالمى ، ودفع خطر الحروب النووية ، والقضاء على العنصرية ، والتضامن مع كل قوى التحرر المعادية للامبريالية ، والتعاون مع جميع الدول على أساس احترام الاستقلال والمنفعة المتبادلة •

هذا البرنامج الذى تضمنه الميثاق ، لا تكمن أهميته فى أن بعض فقراته كان قد بدأ بتنفيذها فعلا وحسب ، وانما تكمن اهميته الحقيقية ، فى أنه **يمثل الحد الادنى من مطالب مرحلة تاريخية بأكملها هى مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديموقراطية** ، أو مرحلة **الانتقال من المجتمع الاقطاعى الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى** ، وذلك **اذا استخدمنا التعبير المتداول فى بيانات وأحاديث قيادات يوليو** •

ولما كان هذا البرنامج واضحا فى فقراته بحيث لا يحتمل التاويل ، فقد نجح فى استقطاب القوى الوطنية والتقدمية على اختلاف مدارسها الفكرية • فقد رأت فيه مدخلا الى وحدة وطنية سليمة ، أساسها وحدة العمل والنضال • ثم رأت انه ، اذا مادعيت الجماهير الشعبية الى وضعه موضع التنفيذ • فعندئذ يمكن ان تنشأ أفضل الظروف ، لكى تحل ، عن طريق الحوار ، هذه المشكلات التى تتعدد فيها وجهات النظر والمواقف بتعدد الفكريات والمنطلقات الاجتماعية •

ونحن نعلم أن قيادة ثورة يوليو قد خاضت ــ خصوصا منذ عام ١٩٦١ ــ معارك وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ . ومن خلال هذه المعارك أضافت اليه ، وطورته • وذلك فى اتجاه أن تزداد فقراته تفصيلا وتحديدا • **ولكن هذه الاضافة أو التطوير لم تكن ــ على اى حال ــ فى اتجاه مراجعته أو الانتكاس عليه** • وهذا الموقف من جانب قيادة الثورة ، لم يكن مرجعه ، الى أن البرنامج الذى تضمنه ميثاق العمل **الوطنى نص مقدس أو كتاب منزل لا يمكن تغييره** . بل ان التمسك بالبرنامج يرجع الى **سببين :**

الاول : هو أن مهام « مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية » لم تكن قد انجزت ، أى أن معدلات التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى التى حددها البرنامج لم يكن قد تم تجاوزها بعد ، أو لم تكن قد تحققت بالكامل ، وهذه القضية كان قد تحدث عنها **جمال عبد الناصر** ، مع طلاب البعثات ، عندما أشار الى أن مرحلة الانتقال فى مصر تسير ببطء ، وأنها ستأخذ وقتا أطول مما حدث فى بلاد أخرى ٠

الثانى : هو أن الحياة نفسها أثبتت لقادة ثورة يوليو سلامة الخطوط العامة للبرنامج الذى طرحه «الميثاق» . وعلى سبيل المثال : عندما حدثت هزيمة يونيو ، كانت توقعات الاعداء الامريكيين والاسرائيليين أن يسقط نظام يوليو فى مصر لكن هذا لم يتم ٠ وذلك لاستناده ــ أساسا ــ الى قاعدة اجتماعية واسعة تولت صد الهجوم عن النظام (٩ ، ١٠ يونيو ٠٠٠ الخ) ٠ ومثال آخر : عندما فرضت المعركة مع العدو الاسرائيلى مضاعفة الجهد فى العمل لزيادة الانتاج المحلى ، اعترف كل الناس الشرفاء ــ بما فى ذلك بعض الذين تشككوا فى جدوى اقامة القطاع العام ، بأنه لو لم يقم هذا القطاع لتعرضت البلاد لصعوبات وآلام مضاعفة

بالطبع ، فان تنفيذ البرنامج الذى طرحه الميثاق لم يتم وفق توقيت معين ، ولم يسر ــ دائما ــ بدون عقبات أو عثرات فى الاداء . فالواقع أن عددا من أوجه القصور فى الاداء قد شاب تطبيقه ، وذلك لاكثر من سبب ذاتى وموضوعى :

فأما الاسباب الذاتية ففى مقدمتها :

١ ــ أن **التنظيمات السياسية** والنقابية ــ والجماهيرية عموما ــ لم توفق دائما فى حشد الجماهير وحفزها بأكثر الطرق ديموقراطية الى أن تأخذ بيديها قضية التنفيذ ، أو قضية التطبيق الخلاق للبرنامج ٠

٢ ــ **ان بعض القوى الاجتماعية الداخلة فى اطار الطبقات** الشعبية والوطنية المتحالفة ، كانت ــ بدافع المصلحة الذاتية الضيقة ــ تسعى دائما لتستحوذ لنفسها عن نصيب الاسد من الدخل القومى ٠

من هنا حديث عبد الناصر عن الطبقة الجديدة والبروز الرأسمالى ، واشارة **الرئيس السادات** الى الطفيليين والبيروقراطيين ٠

وأما الاسباب الموضوعية فنذكر منها :

١ ــ **النشاط المحموم لقوى الاستعمار** الجديد والصهيونية ، هذا النشاط الذى يأخذ شكل حرب أيديولوجية هدفها التشكيك فى المنطلقات الوطنية والاجتماعية الرئيسية لثورة يوليو ٠ وبالطبع يدخل تحت هذا النشاط أيضا الدعايات التى تبثها بقايا الطبقات المخلوعة ، والقوى المعادية للتقدم ٠

٢ ــ **ان الحياة تطرح على كل ثورة** طائفة من القضايا المعقدة والمتشابكة بطبيعتها ، ومن قبيل هذه المشاكل :

ــ مشكلة حل التناقض بين احترام المشروعية وسيادة القانون من ناحية ، وبين تأمين تقدم الثورة من ناحية أخرى ٠

ــ مشكلة حل التناقض بين الثبات أقصى الثبات على المبادىء التى تحكم مسيرة الثورة ، وبين ما يقتضيه تغيير الظروف من المرونة المطلوبة فى التطبيق ٠

وعلى سبيل المثال : فى مواجهة هذين النوعين من المشكلات ، اعتقد البعض ، وتصرف ، من منطلق أن سيادة القانون تتعارض مع استمرار الثورة ٠ وفى الوقت نفسه ، ذهب البعض الاخر الى أن تقنين الثورة مرادف لتجميدها وغلق صفحتها .

نقول : انه تحت تأثير تلك الصعوبات الذاتية والموضوعية ــ وغيرها ــ تعرض الميثاق ، وبالاخص الجزء الخاص بالبرنامج لاكثر من محنة شديدة . وفى الواقع ، فقد بدأت عقب النكسة محاولات تدعو الى التخلى أو العدول عن البرنامج الذى طرحته

قيادة الثورة فى الميثاق . وكانت هذه المحاولات ، من الخطورة والضراوة ، بحيث أن جمال عبد الناصر رأى أن يتصدى لها بتقديم برنامج ٣٠ مارس ، وما سبق تقديمه من حوار واسع حر ، أكد على النقاط الاساسية لبرنامج الثورة كما تضمنه الميثاق ثم أضاف البيان حصيلة التجربة منذ صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، والتى تتلخص فى فقدان الممارسة الديموقراطية ، وتم كل ذلك فى اطار ما تطرحه معركة تحرير الارض من مهام .

ولقد ظلت محاولات تحريف البرنامج مستفحلة لا تنقطع ، وعادت تطل براسها من جديد بعد رحيل **عبد الناصر** . الا أن **الرئيس السادات** واجهها هو أيضا بطرح « برنامج العمل الوطنى » الذى قدمه الى المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى فى ١٩٧١ . وتمثلت أهمية هذا البرنامج فى أمرين :

الاول : أنه لا ينطلق من الميثاق فحسب ، بل يبدأ من حيث انتهى بيان ٣٠ مارس .

الثانى : أنه قدم حصيلة التجارب السابقة مصاغة فى شكل برامج ، فيها تفصيل وتحديد ، واضافات ، تشكل ــ فى الجوهر ــ امتدادا لكثير من نقاط البرنامج فى الميثاق (بناء القرية ــ التعاون الانتاجى ــ المجمعات الصناعية ــ تحديد دور كل قطاع من القطاعات الاقتصادية) .

أكثر من هذا ، يمكن القول أيضا بان حديث الرئيس السادات فى ١١ يونيو ١٩٧١ قد حوى برنامجا سياسيا واقتصاديا ــ يتطابق حتى فى صياغة معظم نقاطه مع البرنامج الذى قدمه ميثاق العمل الوطنى . مثل :

(**التأكيد على الدور القيادى** للقطاع العام ــ استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة .. الخ) .

هنا يتساءل المرء ــ وبحق ــ فهل يعنى التقييد أو الالتزام باحترام البرنامج السياسى والاقتصادى والاجتماعى تجميد الميثاق وتحنيطه ؟

الاجابة ــ طبعا ــ بالنفى . فالواقع أن الميثاق يتكون من قسمين رئيسيين :

ــ **فالفصول الثلاثة الاولى** فيه تحاول ــ بشكل عام ــ أن تضع الاساس الفكرى والنظرى لمسيرة ثورة يوليو بعد عام ١٩٦١ .

ــ **وأما الفصول الباقية** ــ فتحاول أيضا ــ بشكل عام ــ تحديد المبادىء التى تحكم البرنامج ، ثم تضع « نقاطا » أكثر تحديدا لهذا البرنامج .

وليس من شك فى أن القسم الاول من الميثاق ، يمكن أن يكون مدخلا الى الحوار الفكرى العميق ، بل وبابا للاجتهاد ــ حول طائفة كبيرة من القضايا :

مثلا العلاقة بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ــ تقييم منهج التجربة والخطأ ــ تراث النضال الشعبى وتقييمه ــ متغيرات عالم اليوم والجديد فيها ــ سلم القيم الروحية والاخلاقية فى عصر ثورة العلم والتكنولوجيا ــ الاستعمار الجديد بعد الستينات ــ المفهوم المحدد لقوى الثورة وقوى الثورة المضادة بعد ١٩٦٧ .. وهكذا .

مثل هذا الحوار مطلوب ، وهام ، فى هذا القسم من الميثاق . ويمكن أن يؤدى الحوار الحر ــ مع تعدد زوايا الرؤية ــ بين قوى الثورة الى صياغات خلاقة ، بل وأكثر استجابة لمتطلبات المرحلة ــ التى نحياها ، صياغات تدعم وحدة العمل والفكر بين هذه القوى .

الا أن الوصول الى هذه الوحدة مرهون ــ فى اعتقادنا ــ بالتمسك اشد التمسك بالقسم الثانى من الميثاق (مبادىء البرنامج السياسى والاقتصادى والاجتماعى) وحمايتها من أية محاولة لاجتزائه أو تحريفه ، ويمكن ان تتسلل تحت باب « الاجتهاد المزعوم » . فالقاعدة تقول أنه « لا اجتهاد حيث يوجد نص » .

وعلى سبيل المثال :

ــ **اذا نص الميثاق فى برنامجه** على أن الصناعة الثقيلة « **هى دون شك القاعدة الثابتة للكيان الاقتصادى الشامخ** » فلامجال فى النظرية أو التطبيق ــ مع وجود

هذا النص فى البرنامج ـ لاعتبار الصناعات الخفيفة هى القاعدة الثابتة . ولذلك لم يكن من الصدفة ان يتضمن بيـان الرئيس السادات فى ١١ يونيو فى البرنامج الذى قدمه عبارة تكاد أن تكون متطابقة لعبارة الميثاق وهى : « استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة فهى وحدها الكفيلة بـأن يكون اقتصادنا اقتصادا صناعيا من الدرجـة الاولى . وهذا وحده هو المقياس الحقيقى للتقدم » .

ـ واذا نص الميثاق فى برنامجه ـ مرة أخرى ـ على أن الاستعانة برأس المـال الاجنبى مقبولة .

« فى العمليات الضرورية ، خصوصا ، تلك التى تقتضى خبرات جديدة يصـعب توفرها فى المجال الوطنى » فليس مقبولا ـ بعد ذلك على أى وجه ـ أن يفتح باب « الاجتهاد » أو « التجديد » ليجىء رأس المال الاجنبى بدون قيد أو شرط . ذلك أن الميثاق قد وضع بما لا يحتمل الاجتهاد ضوابط للاستعانة برأس المال الاجنبى عندما قال :

« ان الاولوية الاولى للمعونات غيـر المشروطة »

« والمكانة الثـانية للقـروض غيـر المشروطة » .

ـ واذا نص الميثاق ، بالنسبة للقطاع الخاص ، على أنه لابد من توفير الحماية التى تكفل له أداء دوره ، فليس من المقبول ، أن يفتح باب « الاجتهاد » ليعطى حقوقا غير محدودة لرأس المال الخاص . فالميثاق قد نص بما لا يحتمل الاجتهاد على ضرورة أن يقوم رأس المال الخاص بدوره الفعال :

١ ـ فى خطة التنمية .

٢ ـ ومن أجل التقدم .

٣ ـ وتحت قيادة القطاع العام .

وهكذا ، نستطيع أن نمضى شوطا طويلا فى ايراد الامثلة التى تؤكد على أن جملة من الصعوبات التى اعترضت طريق ثورة يوليو مردها الى تجاوز هذه النقطة أو تلك ، أو اجتزاء أو تجميد هذه الفقرة أو تلك من فقرات البرنامج .

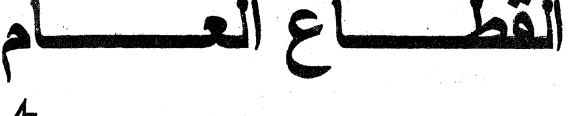
والذى نريد أن نؤكده ـ وهو أمر بديهى ـ أن معـركة تصفية العـدوان الاسرائيلى الامريكى تتطلب الوحدة كل الوحدة بين الطبقات الوطنية والشعبية ، وبين كافـة القوى الوطنية والتقدمية . وان هذه الوحدة سوف تصان وتتعزز بقدر ما تؤسس ، على قاعدة واضحة ملموسة ، وهذه القاعدة هى الحد الادنى مـن البـرنامج الوطنـى والاجتماعى كما جاء فى ميثاق العمـل الوطنى ، وما أضيف اليه من النقـاط البرنامجية الاخرى التى وردت فى بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى .

واعتقادنا ، بعد ذلك ، أن كل نجـــاح تحرزه بلادنا فى تنفيذ هذا البرنامج لمصلحة الطبقات الشعبية ، واعتمادا على حركتها الواعية ، نقول ان مثل هذا النجاح لا يقل أثرا عن كسب معركة رئيسية وحاسمة فى ساحة الحرب ضد العدو الاسرائيلى . ذلك لان تنفيذ هذا البرنامج ـ على هذا الوجه ـ كفيل بأن يعزز القوة الذاتية للبلاد ، ويرص حول شعبنا أوسع جبهة من الحلفـاء والاصدقاء ، ويدفع ـ بالتالى ـ العدو الى حافة اليأس الكامل من انزال الهزيمة بثورة يوليو والنظام الذى اقامته . فاذا ما وصل العدو الى النقطة التى يتبين فيها استحالة « الغزو من الداخل » ، واستحالة أن يفرط الشعب المصرى فى اهدافه الاجتماعية تحت ضغط الاحتلال ، عند ذلك سيكون فى وسعنا أن نقول : ان مصر قد قطعت شوطا حاسما نحو احراز النصر النهائى .

« الطلـــيعة »

مناقشات
حول
مستقبل

القطاع العام



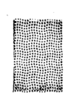
تقارير
مجلس الشعب
وتعليقات

هذه الدراسة الجديدة التى تقدمها الطليعة عن القطاع العام ليست أول دراساتها عن هذا الموضوع . ففى أغسطس ١٩٦٥ قدمنا دراسة « الوضع الراهن للقطاع العام » وفى أغسطس ١٩٦٦ قدمنا « قضايا التنمية والتخطيط فى مصر » وفى نوفمبر ١٩٦٩ قدمنا « الرقابة على القطاع العام ـ مشاكل الفكر والتطبيق » .

وتنطلق الطليعة فى اهتمامها بقضايا القطاع العام من موقف مبدئى ، هو ان القطاع العام قام ليكون الركيزة الاساسية للاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، وأن قاعدته اتسعت وتوطدت فى المعارك ضد الاستعمار الجديد ، وضد الاحتكارات الدولية .

لذلك : اهتمت الطليعة بالجهد الكبير والبناء الذى بدأته بعض لجان تقصى الحقائق ولجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب ، عندما ركزت انتباهها على المعوقات التى تقف فى طريق تقدم القطاع العام وتطوره • ومن هنا بادرت الطليعة الى نشر النصوص الكاملة لعدد من هذه التقارير ، ثم ساهم كتابها بالتعليق على كل تقرير منها • ثم نشرت الطليعة فى نهاية التقارير تعليقها الشامل الذى يطرح ، من الزوايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، قضية الحفاظ على القطاع العام والدفاع عنه ، وتأمين دوره باعتباره القطاع الذى يجب أن يقود التطور الاقتصادى فى البلاد •

تقرير لجنة استظهار الحقائق فى موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الخردة المختلفة



اصدر المجلس بجلسته المعقودة صباح يوم الاحد الموافق ٢٦ ـ ١١ ـ ١٩٧٢ قرارا بتشكيل لجنة لاستظهار الحقائق فيما يختص بالاسباب التى تؤدى الى ارتفاع أصناف الحديد المختلفة فى السوق وفيما يتعلق بتجارة الخردة ، ونظام تسويقها ، وتأثير ذلك على الاسعار ، وهو موضوع السؤال الذى تقدم به السيد الدكتور مهندس محمود أحمد القاضى عضو المجلس الى السيد وزير الصناعة والبترول والثروة المعدنية •

وقد أحال المجلس ، فى ذات الجلسة ، السؤال واجابة السيد الدكتور الوزير عنه والتعليقات التى دارت فى الجلسة بشأنه :

وقد صدر القرار بتشكيل اللجنة على الوجه التالى من السادة :

١ ـ الدكتور مهندس محمود أحمد القاضى رئيسا

٢ ـ عبد القادر البحراوى •

٣ ـ محمد عبد الرحمن قرقورة •

٤ ـ محمد سيد خليل أبو سديرة •

٥ ـ محمد خليل حافظ •

أعضاء

وقد شرعت اللجنة فى القيام بالمهمة التى نيطت بها ، مبتدئة بشركة مصانع النحاس المصرية بالاسكندرية ، وعقدت مع المسئولين بها اجتماعين فى يومى ٤ و ٥ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢ ، ثم قامت اللجنة بزيارة مصانع الشركة لتقف بنفسها على أحوالها •

ثم اجتمعت اللجنة يوم ٢٠ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢ بالمسئولين بشركة الحديد والصلب ، وزارت مصانعها •

ثم اجتمعت اللجنة بالسيد رئيس مجلس ادارة الشركة الاهلية للصناعات المعدنية والمسئولين بها فى يوم ٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢ •

واجتمعت أيضا بالسيد رئيس مجلس ادارة شركة الدلتا للصلب فى يوم ٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ •

وعقدت اللجنة اجتماعا فى يوم ٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ بمسئول عن الشركة العامة للمعادن •

ثم دعت اللجنة أصحاب مصانع السحب التابعة للقطاع الخاص ، وعقدت معهم اجتماعا

يوم ١٢ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ ناقشت خلاله أحوال هذه المصانع والمشكلات التى تواجهها ٠

ثم عقدت اللجنة اجتماعا يوم ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ مع تجار الحديد المتعاقدين مع شركة الحديد والصلب للوقوف على المشكلات المتعلقة بتجارة الحديد ٠

ثم قامت اللجنة يوم ٣١ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ بزيارة الشركة العربية المتحدة للشحن والتفريغ بالاسكندرية ، وكذلك الجمعية التعاونية الانتاجية لعمال فرفرة القطن بالاسكندرية ، واطلعت على نظم العمالة واللوائح الخاصة بها فى كل من الشركة والجمعية ٠

ثم أنهت اللجنة اجتماعاتها ، بلقاء مع تجار الحديد المتعاقدين مع شركة الحديد والصلب ، بحضور المسئولين عن الشركة للتعرف على وجهات نظر الطرفين فى ٩ ـ ٤ ـ ١٩٧٣ ، ولقاء فى ذات التاريخ مع السيد رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية لتجارة المعادن (سيجال) للوقوف على خطوات واجراءات الشركة ازاء قراضة النحاس ٠

ثم اجتمعت اللجنة يوم ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٧٣ الوضع تقريرها وتضمينه توصياتها ٠

واللجنة تورد تقريرها فيما يلى :

من المعلوم أن الحديد سواء منه المستعمل فى الخرسانة المسلحة (المبروم) أو الاصناف الاخرى المستعملة فى الانشاءات المعدنية (الزوايا والكمرات والصاج وخلافه) يباع فى السوق السوداء بأسعار تعادل أضعاف الثمن الاصلى الذى يجب أن تباع به هذه الاصناف ٠٠٠ هذه حقيقة واضحة وثابتة ٠

وهنا ينهض سؤالان :

(أولا) كيف تتسرب هذه الكميات الى السوق السوداء ؟!!

(ثانيا) كيف تصل الاسعار الى الارقام المرتفعة التى يباع بها ؟!!

وللاجابة عن هذين السؤالين فان البحث سوف يقودنا حتما الى النقاط التالية :

١ ـ انتاج هذه الاصناف من الحديد وظروف هذا الانتاج وتكلفته ٠

٢ ـ طرق توزيع هذه الاصناف وبيعها ومتابعة ذلك من المصنع حتى تصل الى المستهلك الحقيقى ٠

ان السوق السوداء تنشأ عن أمرين :

(ا) الندرة ٠

(ب) سوء التوزيع ٠

هذان العاملان مجتمعان ،أو ايهما يمكن أن يخلق سوقا سوداء فى أى سلعة من السلع الا أن الامر يكون شديد الخطورة اذا اقترنت الندرة بسوء التوزيع فيصل الامر الى مداه ، وقد تبين للجنة أنه فى بعض الحالات يرجع السبب الى الندرة مع سوء التوزيع الا انه فى بعضها يرجع السبب الى سوء التوزيع وحده ٠ على أنه قد تبين للجنة أن القنوات التى يقطع فيها الحديد رحلته ، من المصنع الى المستهلك ، قنوات تتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى ، فى مسيرة تحددها اياد تتمتع بالكثير من المهارة والبراعة فى خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء ، تحقق أرباحا طائلة لطائفة من المحتكرين والسماسرة ، يدفع المستهلك العادى من أفراد الشعب جزءا منها ، ويدفع القطاع العام والحكومة الجزء الاعظم ٠

ولعله يحسن أن نقسم الموضوع الى جزءين:

١ ـ الحديد المبروم (المستعمل فى أعمال البناء) ٠

٢ ـ باقى أصناف الحديد (كالزوايا والكمرات والصاج وخلافه) ٠

الحديد المستعمل فى أعمال البناء (الحديد المبروم)

الشركات المنتجة لهذا النوع من الحديد هى شركة الحديد والصلب المصرية والدلتا للصلب والاهلية للصناعات المعدنية والنحاس المصرية ٠

وتقوم معظم هذه الشركات بانتاج حديد التسليح منذ اكثر من عشرين عاما بمعدات انتاجية كان قد تم شراؤها قديمة فى الاصل وما زالت تعتمد عليها الشركات الثلاث (غيرشركة الحديد والصلب المصرية) حتى الان ، وقد أصبحت هذه المعدات فى حالة يستحيل معها زيادة الانتاج ، كما أنها تعمل بطرق انتاج عتيقة وغير اقتصادية ، ولم تعد موجودة أو مستعملة فى أية بقعة من بقاع العالم المتقدم الان ، ذلك لانها تعتمد على المجهود العضلى خلافا للطرق الحديثة الاوتوماتيكية فينتج عن ذلك أن العمالة وبالتالى تكاليف الانتاج تصبح مرتفعة بشكل كبير عن مثيلتها فى المصانع الحديثة ، كل هذا بالاضافة الى عناصر الانتاج الاخرى على النحو الذى سيأتى ذكره فى هذا التقرير ، وفضلا عن كل ما ذكر فان الكميات المعروضة فى النهاية لا تفى بحاجة الاستهلاك المحلى من هذا النوع من الحديد ،ويرجع ذلك

- كما ذكر السيد وزير الصناعة فى المجلس - الى الانشاءات التى تقام فى المدن والارياف دون تراخيص بناء وازدياد احتياجات القوات المسلحة وقيام الدولة بمشروعات صناعية تستخدم كميات كبيرة من هذا الحديد ، مثل مشروع كهربة الريف ومجمع الحديد والصلب واحتياجات السكة الحديد . وتعتمد الشركات المنتجة لحديد التسليح أساسا على خردة الحديد ، فانتاج المصانع حاليا بلغ ٢٢٠ الف طن سنويا وهو ما يحتاج الى حوالى ٢٤٠ الف طن خردة حديد وزهر بصفة أساسية مع بعض اضافات أخرى بسيطة من مستلزمات الانتاج ، وقد اعتمدت المصانع حتى عام ١٩٦٢ اعتمادا كليا فى انتاج حديد التسليح على الخردة المحلية ، ولكن منذ بداية عام ١٩٦٣ بدانا نستورد خردة من الخارج بمعدل ٨٠ الف طن سنويا ، وكان هذا الرقم يزيد وينقص طبقا لما يتاح من امكانيات .

اسباب ارتفاع أسعار منتجات الصلب ومخلفاته

نظرا لعدم كفاية الخردة فى الاسواق المحلية كما ان كميات الخردة المستوردة بدات هى الاخرى فى النقصان مما دعا المصانع الى التهافت على الخردة المحلية ، فنتج عن ذلك ارتفاع فى أسعارها خصوصا وأنها غير كافية ، وهكذا اخذت أسعار الخردة فى الارتفاع مما زاد فى تكلفة حديد التسليح . ولما كانت أسعاره محددة فان المصانع تخسر عندما تبيع بسعر ٨٠ جنيها للطن - وهو السعر الصافى بعد استبعاد رسم الخزانة وقدره خمسة جنيهات عن كل طن ، ولذلك - ومن المؤسف - أن الشركات أخذت تلجأ الى انتاج بعض منتجات غير مسعرة لبيعها كما تشاء ولتعويض الخسارة فى المنتجات المسعرة ، وهذه الاصناف بسعرها المرتفع هى أحد الثقوب الكبيرة والخطيرة التى ينساب منها حديد التسليح الى السوق السوداء الى جانب ثقوب أخرى سنذكرها .

اذن فقد اخذت ولا زالت هذه المصانع تنتج اصنافا غير كاملة التصنيع ، وارتفعت نسبتها عن المعتاد لانها اوفر ربحا ، وتباع هذه الاصناف لمصانع القطاع الخاص التى تقوم بسحبها وبيعها بأسعار فاحشة الارتفاع .. فكان السوق السوداء من هذه الناحية مصدرها جهتان :

الاولى : المصانع التى تنتج حديد التسليح عندما تبيع هذه الاصناف الناقصة الصنع أو التالفة بأسعار تزيد ٥٠ فى المائة عن الاصناف الجيدة الصالحة للاستعمال ، وليت الامر يقتصر على فرق السعر بل أن الادهى والامر هو انها أصناف غير مطابقة للمواصفات تباع لاعادة سحبها وبيعها واستعمالها فى مبان لن تكمل عمرها الاقتصادى بسبب العيوب الموجودة فى الحديد المستعمل فيها وهو أمر سيظهر اثره حتما فى المستقبل ويشكل خطرا على المبانى التى يستخدم فيها .

الثانية : المصانع المملوكة للقطاع الخاص والتى تعيد سحب هذه الاصناف وبيعها بأسعار عالية محققة ربحا كبيرا (الى جانب كميات أخرى من الخردة تقطع الى شرائح ثم يعاد سحبها بما فيها من عيوب خطيرة) .

وعلى الرغم من أنه غير مسموح لمصانع القطاع الخاص أن تقوم بانتاج حديد التسليح الا أنها تقوم بذلك مخالفة هذا الحظر ، والمفروض أن تنتج أصنافا أخرى كالخوص مثلا .

لذلك ومنعا لكل تلاعب فان اللجنة تقترح فى هذا الخصوص أحد أمرين :

(ا) فرض رقابة صارمة على هذه المصانع لالزامها بانتاج الاصناف التى تحددها لها الحكومة مع فرض التسعير الجبرى على هذه الاصناف .

(ب) الا يسمح لهذه المصانع بالبيع مباشرة فى السوق بل تسلم لها كميات محددة من مخلفات مصانع القطاع العام ثم تسلمها بالتالى مسحوبة حسب الطلب الى احدى شركات القطاع العام لتقوم ببيعها على أن يكون ذلك نظير مبلغ معلوم يدفع لها عن كل طن مع عمل حساب الفاقد فى عمليات التصنيع على أن تمنح علاوات لجودة الانتاج تشجيعا على تحسينه .

وبهذا يسد هذا الثقب الذى يغذى السوق السوداء ، كما ان ذلك سيساعد على تخفيض أسعار الخردة كما سيأتى شرحه فيما يلى :

تجارة خردة الحديد :

يسوقنا الحديث السابق الى دراسة تجارة خردة الحديد ، وقد اتضح للجنة عند مراجعتها لكيفية تسويق هذا النوع من الخردة أن مصادرها ثلاثة :

(ا) خردة مستوردة من الخارج •

(ب) خردة محلية مشتراة من القطاع العام أو الحكومة •

(ج) خردة محلية مشتراة من تجار الخردة •

الخردة المستوردة

يتم شراؤها عن طريق لجان بمعرفة المؤسسات الحكومية ، ولهذا النوع من الخردة قصص تقرب من الخيال فهى تحتوى على أجزاء كثيرة غالية الثمن كالحديد الصالح لاعادة التصنيع وكقطع الغيار التى يمكن اعادة بيعها بأسعار مرتفعة تبلغ أضعاف ثمن الخردة العادية ، وتقوم الشركات المنتجة بفرز هذه الاصناف وبيعها لتجار القطاع الخاص الا أن الامر الغريب هو أن هذه الشركات تبيع هذه الاصناف بطريقة يشوبها الكثير من الشك اذ أنها لا تتبع فى ذلك القواعد القانونية على الاطلاق ، ففى احدى هذه الشركات (شركة مصانع النحاس المصرية بالاسكندرية) يتم البيع بطريق الممارسة المشوبة بالشك فيما عدا مرة أو مرتين فى المدة السابقة كلها تم البيع عن طريق المزاد ، وحتى هذا المزاد تحوطه الشبهات فقد اتضح للجنة أن الشركة تبيع بسعر تقدره هى لتاجر معين ، وحتى هذا التقدير لا يتم عن طريق لجان مع أن المفروض أن يتم تقدير مبدئى عن طريق لجنة فنية ثم يطرح فى مزاد علنى أو بمظاريف مغلقة • والشركتان الباقيتان تقومان الى جانب ما تقدم ببيع هذه الخردة المستوردة التى تحتوى على أشياء ثمينة بطريقة أغرب ، اذ انهما تقومان بمبادلة هذه الخردة بخردة محلية وهى عملية بيع بلا شك ،وكان يجبان تتم بالطريق السليم ، فالخردة المحلية محددة السعر ،أما المستوردة فتختلف قيمتها حسبما بها من أشياء ثمينة ، وتتم هذه المبادلة بدعوى تشجيع الحصول على كميات أكبر من الخردة لسد حاجة المصانع ،مع أن ذلك يكون ممكنا أيضا باتباع الطرق السليمة •

كما أن عملية المبادلة تؤدى الى ارتفاع أسعار الخردة المحلية وهو الامر الذى حدث ويحدث حتى الان ، وكل هذه أمور تثير فعلا الكثير من الشك ، ولعله يجدر باللجنة أن تذكر أنها عند مراجعتها للملفات هذه العمليات فى احدى الشركات وجدت أن عملية بيع أو شراء الخردة بعشرات الالوف من الجنيهات كانت تتم على ورقة من أوراق كراسات التلاميذ ، باستهتار بالغ واجراءات غريبة لا تتقيد بالقوانين أو اللوائح أو حتى بالذوق السليم • وفى حقيقة الامر فان عمليات شراء الخردة نفسها هى الفوضى بعينها ، وفى جو هذه الفوضى يعلم الله ما يمكن أن يحدث وما هو حادث بالفعل ، وقد لاحظت اللجنة أن هذه الشركات تبيع أو تشترى الخردة من تاجر معين باستمرار ، وقد يستعين هذا التاجر ببعض الوسطاء على سبيل التعمية الا أن الكافة والخاصة تعلم أن حقيقة الامر هى أن تاجرا واحدا هو الذى يحتكر هذه العملية مع كل شركة من هذه الشركات مؤديا ذلك الى أشد ما يمكن أن تؤدى اليه مثل هذه العملية الاحتكارية • فمن الناحية النظرية قد يقال ان هذه الشركات تسمح لمن يشاء بتوريد الخردة اليها الا أن طرقا معينة ومتعددة تتبع الجعل ذلك مجرد أمر نظرى •

وقد يقال انها خبرة طويلة لدى هؤلاء التجار المحتكرين الا أن هذا الخبير ـ بالنسبة لشركة مصانع النحاس بالاسكندرية قد توفى ،غيران ابنه ، وهو شاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر ـ مما يقطع بعدم خبرته ـ ، لا يزال يحتكر العمل مع هذه الشركة وليس هذا بسبب الخبرة طبعا بل هو راجع لاسباب أخرى ورثها عن والده ولا زالت هذه الاسباب تجعل منه أحد أمراء الاحتكار فى هذا المجتمع الاشتراكى الذى يجب أن يسقط هؤلاء الامراء مهما كان الثمن ، تدعيما لثقة الناس فى نظامنا الاشتراكى •

ويمكن ايجاز ما يحدث فى تجارة الخردة على النحو التالى :

(ا) عملية توريد الخردة المحلية •• احتكار محض •

(ب) أسعار شراء هذه الخردة •• فيها تلاعب مستمر •

(ج) عملية بيع الاصناف الثمينة الداخلة فى الخردة المستوردة أو خردة القطاع العام لا تتم طبقا للقواعد القانونية مما يؤدى الى حدوث تلاعب مستمر فيها •

(د) عملية المبادلة (خردة محلية بدلا من خردة مستوردة) هى عملية بيع مقنعة يحدث عن طريقها تلاعب كبير كما تؤدى الى ارتفاع أسعار الخردة فى السوق المحلية •

(هـ) نقل الخردة المستوردة لا يتم بالطريق السليم مما يساعد على قيام عمليات استبدال فى الطريق •

وقد جاء فى رد السيد وزير الصناعة عن السؤال الموجه لسيادته من الدكتور محمود احمد القاضى عضو المجلس بجلسة ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧٢ ما يلى :

« وقد اتضح لنا أن الاساليب المتبعة فى احدى الشركات قد لا تكون هى أصلح الاساليب وأكثرها بعدا عن الشبهات ولذلك فقد طلبت المؤسسة المعدنية ـ وهى المؤسسة المختصة بالاشراف علـى هـذه الشركات ـ بعض الايضاحات عما يتبع بشأن شراء الخردة ونقلها لهذه الشركة فاذا تبين لنا من البيانات أن ثمة أساليب معينة تتبعها الشركة فى معاملاتها فستحال المسألة برمتها الى جهات التحقيق (النيابة الادارية ـ ثم النيابة العامة اذا اقتضى الامر ذلك) » .

ورغم أن هذه العمليات فى شركة مصانع النحاس بالاسكندرية وغيرها مـن الشركات المنتجة للحديد لا يشوبها الشك فقط بل هى غارقة فى ذلك الا أن شيئا ما لم يحـول للتحقيق .

وقد قامت اللجنة بفحص ملفات هـذه العمليات لدى شركتين من هذه الشركات كما طلبت بيانات من جميع الشركات عن هذه الامور وقد وافت الشركات اللجنة بما طلبته ، ولما تبين للجنة من فحص الملفات والبيانات عدم سلامة الطرق التى يتم بها بيع الاصناف المفروزة من الخردة وأن احدى هذه الشركات (الشركة الاهلية للصناعات المعدنية) لم تقم بالبيع بالمزاد غير مرة واحدة وبطريقة غير سليمة فان اللجنة رأت ـ وكمثال ـ وقطعا للشك باليقين أن ترسل خطابا لهذه الشركة صريحا فى معناه نصه كالاتى :

« **السيد رئيس مجلس ادارة الشركة الاهلية للصناعات المعدنية**

ابو زعبل ـ قليوبية

تحية طيبة وبعد ، فأرجو التكرم بموافاة اللجنة بمحاضر قرارات بيع لوطات الخردة المفروزة التى تمت خلال السنوات الخمس الماضية ، أو بيان طريقة البيع .

ونأمل أن تصل فى أسرع وقت .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

تحريرا فى ٥ ـ ٣ ـ ١٩٧٣

رئيس اللجنة
امضاء
د . مهندس محمود أحمد القاضى

وتلقت اللجنة ردا على خطابها بتاريخ ٣١ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ نصه كالاتى :

« السيد الدكتور رئيس لجنة استظهار الحقائق مجلس الشعب :

تحية طيبة وبعد ، ردا على خطابكم الصادر برقم ٩٧٤ بتاريخ ٦ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ نتشرف بأن نرفق لسيادتكم بيان الخردة المفروزة المستغنى عنها والمباعة خلال الخمس السنوات الماضية علما بأن الشركة كانت تقوم بهذه العمليات عندما تتوافر ظروف فرز الخردة المستوردة أو الخردة المحلية فى بعض الاوقات وتقوم بسداد فرق الرسوم الجمركية عن الخردة المستوردة المباعة الى مصلحة الجمارك وفقا للاتفاق معها بهذا الشأن . هذا وقد كان بيع الخردة المستغنى عنها فى أوائل السنوات الخمس المـاضية بالمزايدة استهدافا للتعـرف على الشروط والاسعار المناسبة ، ونفيد ايضـا انـه خلال السنتين الماضيتين ضعف الوارد من الخردة المستوردة ، ولذلك فان عمليات البيع زادت بالنسبة للخردة المحلية ، وكان يتم التصرف فيها بالممارسة وبأنسب الشروط اما نقدا أو بالمبادلة بحديد خردة فى بعض الاوقات .

برجاء الاحاطة

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

امضاء

رئيس مجلس الادارة

ومن هذا الخطاب يتضح صدق ما وصلت اليه اللجنة من أن البيع لم يكن يتم بالمزاد أو حتى بالممارسة السليمة فهى ممارسات صورية ومضحكة ويتم البيع لشخص معين بصـفة مستمرة أو لبعض شركائه أو وسطائه فى بعض الحالات للتعمية . وحقيقة الامر ان هذه الشركة قامت بالبيع عن طريق مزاد لا يوحى بالثقة ، ولكن حتى ذلك تم مرة واحدة فقط فى خمس سنوات فى بداية التعامل فى هذه الاصناف .

الحـديد الذى يعـاد سحبه ونظام بيعـه

تبيع شركة الحديد والصـلب والشركات الثلاث الاخرى لمصانع القطاع الخاص اصنافا غير تامة الصنع أو أصنافا من عوادم الدرفلة وذلك بأسعار أعلى من الاصناف الكاملة الصنع كما بين التقرير قبل ذلك الا أن هذه العملية

أيضا تتم بطريقة أكثر غرابة وأكثر مدعاة للشك من عملية بيع وشراء الخردة ، فكل مصنع من هذه المصانع يبيع هذه الاصناف بأسعار يحددها بمعرفته وهى تختلف من مصنع ، الى مصنع ، ويصل هذا الاختلاف الى فارق ملموس رغم أن الاصناف لا تكاد تختلف من مصنع لمصنع وهذه الكميات تتهافت عليها بشدة مصانع القطاع الخاص مما يفسح مجالا للتلاعب عند بيعها ، ومن الغريب أنه لا يوجد ضابط للكميات التى تسلم لكل من مصانع القطاع الخاص ، ولالتحديد السعر مما يؤكد خطورة هذا الوضع ، وتود اللجنة انتشير هنا الى أن أصحاب هذه المصانع قد أصبحوا فى غالبيتهم يملكون ثروات ضخمة عن طريق تعاملهم مع هذه الشركات ، والاتجار فىهذه الاصناف ٠

ان عملية بيع وشراء الخردة المحلية وعملية بيع أصناف الحديد غير المسعر ، لمصانع القطاع الخاص ، لهما مثل للتسيب الموجود فى بعض مؤسساتنا ، بل ان اللجنة بالاجماع قد دهشت كل الدهشة للاسلوب المتبع فى هذه العمليات ، **وتوصى اللجنة بأن تحال هذه العمليات برمتها للنيابة العامة للتحقيق فيها فورا مع اتخاذ الاجراءات الفورية لابعاد المسئولين بهذه الشركات مؤقتا حتى ينتهى التحقيق فى هذه الامور ، كما توصى اللجنة أن تتولى وزارة الصناعة حساب الكمية اللازمة لكل مصنع من المصانع التابعة لها من الخردة المحلية ــ فى حدود الكميات المتاحة بالسوق ــ بالتنسيق مع المصانع كلها ،ولا يسمح لاىمصنع بشراء أكثر من الكمية التى ستحدد له حتى لا تحدث منافسة بين هذه المصانع فى شراء الخردة ، مما يترتب عليه ارتفاع أسعارها ، ومن البديهى انه عندما يستوفى اىمصنعمن المصانع الكمية المحددة له فستتجه الخردة تلقائيا لمصنع آخر لانها الجهات الوحيدة المستهلكة لها ، كما يجب تثبيت سعر الخردة بشكل قاطع لا يسمح بالتلاعب الحادث الان ٠**

كما توصى اللجنة بوجوب بيع الاصناف المفروزة ، ان وجدت ، فى مزادات علنية مع عدم ربط البيع بعملية توريد خردة ، بحجة تشجيع موردى الخردة ، اذ أن الخردة لابد أن تصل فى نهاية الامر الى المصانع ٠ كما توصى اللجنة بايقاف جميع عمليات المبادلة أو المقايضة حتى يتم الفصل تماما بين توريد الخردة واستلام أى بديل لها ، كما توصى اللجنة بالاستمرار فى استيراد الخردة من الخارج لتكملة احتياجات هذه المصانع وتوزيعها عليها حسب طاقتها الانتاجية ، لان ذلك أفضل من استيراد حديد التسليح من ناحية توفير العملات الصعبة ، كما توصى اللجنة بتوحيد الجهة التى تحدد الكميات التى تسلم من مخلفات المصانع الى مصانع القطاع الخاص لاعادة سحبها على أن تحدد حسب امكانيات الانتاج الموجودة بهذه المصانع الاخيرة طبقا لاسس عادلة وأسعار موحدة ٠

الحديد غير التام

الصنع وميزانية الشركات

وقد قامت اللجنة بمراجعة موازنات الارباح والخسائر للشركات المنتجة للحديد عن السنوات الخمس الماضية ، ولاحظت اللجنة أنه لو استبعد فارق سعر بيع هذه الاصناف غير التامة الصنع أو عوادم الدرفلة التى تباع لمصانع السحب لكانت شركات الحديد كلها تكاد تكون خاسرة مما يدل على أنها تحقق معظم أرباحها عن طريق بيع هذه الاصناف باسعار مرتفعة يدفعها المستهلك فى نهاية الامر ، والمستهلك هنا هو أفراد الشعب أحيانا والحكومة والقطاع العام فى معظم الاحيان ٠

ويتضح من ذلك ان مواقف هذه الشركاتفى حاجة لمراجعة ، وان مصانعها فى حاجة الى تجديد بما يساير العصر الحديث والتقدم العلمى السريع الذى يجرى فى العالم من حولنا ، فليس معقولا أن تستمر هذه المصانع فى الانتاج بمعدات بدائية تكاد تكون مستهلكة فى معظم الاحيان ويدفع اقتصادنا القومى الثمن غاليا فى نهاية الامر ٠

ان المصانع تحتجز دائما قسطا سنويا للاهلاك (depreciation) يحدد على أساس عمر الالات والمبانى وغيرها وعند تحديد عمر الالات يدخل فى ذلك عامل هام لاقصى درجات الاهمية ، وهو احتمال حدوث تطور علمى يؤدى الى تغيير فى الالات بحيث قد تصبح الالات القائمة بالمصنع غير اقتصادية وغير قادرة على المنافسة ، وهنا يحسن استبدالها بغيرها من الالات الحديثة ، مع أنها قد تكون قادرة على الانتاج ، ولكن العبرة هنا ليست بالانتاج فى حد ذاته ، وانما بالكفاءة

الموجودة فى هذا الانتاج ، حتى يكون انتاجا اقتصاديا ومنافسا ، والا تحمل الاقتصاد القومى عبئا ثقيلا نتيجة تشغيل آلات متخلفة وغير اقتصادية كما هو حادث بالنسبة لهذه المصانع ومثيلاتها ٠

شراء الخردة المستوردة :

وقد قامت اللجنة بدراسة عملية شراء الخردة المستوردة واتضح لها انها لا تتم بالطريقة السليمة ولعله من الاوفق ان تورد اللجنة هنا ما جاء فى تقرير الرقابة الادارية عن التلاعب فى التعاقدات الخارجية والتى كانت عقود الخردة مثلا سيئا لها ، لما حدث فيها من انحراف ٠

وقد جاء فى تقرير الرقابة الادارية ما يلى :

التلاعب فى التعاقدات الخارجية :

١ ـ بالنسبة للاصناف والمعدات التى يتقرر شراؤها من الخارج ، فانه يتم استيرادهااما بمعرفة الشركات التجارية المتخصصة أو تتولى المصالح او الهيئات أو الشركات استيرادها بمعرفتها مباشرة ٠

٢ ـ يتم الشراء من الخارج اما بواسطة طلب عروض من الموردين الاجانب واختيار انسبها أو عن طريق ايفاد لجان يكون لها الصلاحيات للبت فى عمليات الشراء وتنفيذها، أو عن طريق طرح العملية فى مناقصة عالمية ٠

٣ ـ تبيح النظم التجارية المعمول بها فى الخارج دفع عمولات للعملاء أو مندوبيهم وخاصة فى التعاملات التجارية ذات القيمة المرتفعة ، ويعتبر ذلك أمرا مشروعا فى عديد من الدول الاجنبية تحبذه وتشجعه وتسعى اليه ، رواجا لبيع السلعة مع اعطاء الضمان الكافى بوضع العمولات فى حسابات سرية يصعب على جهات الامن الكشف عنها ٠

٤ ـ فى ضوء ذلك ، أصبح ملموسا ان غالبية الصفقات التى تتم بين الوحدات الاقتصادية أو القطاع الحكومى فى الجمهورية العربية المتحدة وبين الموردين أو المستوردين الاجانب تخصص فيها عمولات يتقاضاها المتفاوضون الذين تكلفهم الدولة بانجاز هذه الصفقات ـ وغالبا ما تحجز هذه العمولات فى أحد البنوك الاجنبية فى حسابات سرية ـ وقد ساعد على ذلك أن قمة الاجهزة المتحكمة فى التفاوض تكون هى أحيانا المشتركة فى المجالس السلعية التى تبت فى العروض ، وهى ايضا الموكل اليها عمليات التعاقد والتنفيذ ٠ ومثال ذلك ما تكشف للرقابة الادارية من أحد الحالات والتى ثبت تقاضى بعض المسئولين لعمولات احتجزت لهم بالخارج عن عمليات استيراد الخردة ، من أن أحد المتهمين كان يشغل وظيفة المدير المالى والتجارى للمؤسسة ، وفى نفس الوقت كان رئيسا لجهاز تنسيق الخردة بحكم وظيفته وضمن المكلفين بالتفاوض والتعاقد والاشراف على التنفيذ ٠

٥ ـ كما يتردد أن بعض المتفاوضين يلجأون الى رفع سعر الواردات موضوع التفاوض أو خفض سعر المنتجات والحاصلات المتعاقد على تصديرها من ج ٠ ع ٠ م ٠ بغية زيادة حجم العمولات المستحقة لهم ٠

٦ ـ كما يلجأ بعض المتفاوضين الى اتمام التعاقدات عن طريق الوسطاء أو وكلاء الموردين ـ الذين يحصلون على عمولات عن تلك الصفقات ـ الامر الذى يؤدى الى رفع سعر المواد موضوع التعاقد نتيجة لاضافة هذه العملات على السعر ٠ وقد ثبت للرقابة الادارية أن شركة ستيلمت الامريكية عندما تعاقدت مع المؤسسة المصرية العامة للصناعات المعدنية على توريد كمية من الخردة (الكتل) بلغت ٤٠ ألف طن كانت قد اتفقت مع الوسيط الذى تعاقدت خلاله المؤسسة المعدنية على عمولة قدرها ١٥ر٥ دولار عن كل طن ٠ وقد اتضح أن الوسيط قد تقاسم العمولة مع بعض المتهمين من العاملين بالمؤسسة ٠

٧ـ نظرا لان هذه العمولات تتم بين طرفين كلاهما مستفيد ، ورغم أن هذه الوقائع تشكل جرائم جنائية ، متمثلة فى الاستغلال والرشوة والتلاعب فى عمليات الاستيراد أو التصدير مما يقع ضرره على الدولة الا أنه يصعب السير فى اجراءات الضبط قبل مرتكبيها نظرا لان شقا هاما من جوانب الاثبات يتواجد بالخارج سواء بالبنوك أو الشركات الاجنبية الامر الذى يتيح لهؤلاء المستفيدين الافلات من طائلة القانون ٠

٨ ـ الا ان فى أكتوبر ١٩٦٩ أمكن للرقابة الادارية اثبات تقاضى بعض كبار العاملين بالمؤسسة المصرية العامة للصناعات المعدنية وشركاتها لعمولات حجزت لهم بحسابات ، بأرقام سرية ببعض البنوك الاجنبية ، عن عمليات استيراد الخردة اللازمة لشركات المؤسسة ، وأمكن اعادة الاموال المودعة بالحسابات السرية لهؤلاء العاملين فى بنوك

سويسرا ، والتى بلغت حوالى ١٨٠ الف دولار ٠

٩ ــ كما قامت الرقابة الادارية بمتابعة عمليات استيراد مهمات ومعدات ، تقدر قيمتها بحوالى مليون جم ، من احدى الشركات العالمية لصالح احدى الجهات الحكومية ، وكشفت المتابعة عن حصول بعض العاملين على عمولات بلغت حوالى ١٨ فى المائة من حجم التعاقد ، احتجزت لهم بالخارج نظير رفع الاسعار بنسب تتراوح بين ٢٠ و ٤٠ فى المائة » ٠

واللجنة تدهش للطريقة التى انتهى بها الامر !! فكيف يفلت هؤلاء الافراد من العقاب ؟!! وهل مبلغ الـ ١٨٠ الف دولار هو كل المبلغ المدفوع ؟!!

ان اللجنة هنا ايضا توصى بأن يحال هذا الامر للمدعى العام الاشتراكى لاستكماله وضرب تلك الايدى العابثة باقتصاد البلاد وأرزاق الشعب ٠

أصناف الحديد الاخرى

والمقصود بها جميع أصناف الحديد غير حديد التسليح وهذه الاصناف تقوم بانتاجها شركة الحديد والصلب المصرية الى جانب كميات أخرى تستورد من الخارج من الاصناف التى لايتم صنعها محليا ٠٠ وهذه الاصناف توزع على النحو التالى :

١ ــ بعض الكميات توزع عن طريق تجار الحديد وان كانت الكميات التى تتاح لهم قد قلت كثيرا فى السنتين الاخيرتين ٠

٢ ــ كميات تصرف لشركات القطاع العام (مقاولات أو غيرها) ٠

٣ ــ كميات تصرف لجهات حكومية ، او لمشاريع معينة ٠

٤ــ كميات تصرف للورش التى تشتغل فى تصنيع الحديد ٠

ومن هذه الكميات ما يتسرب للسوق السوداء لان ما يصرف لعمليات المقاولات يتجاوز فى معظم الاحيان ما تحتاجه هذه العمليات فى حقيقة أمرها ، فيتسرب الفائض للسوق السوداء ، كما سيأتى شرحه فى هذا التقرير ، أما الكميات التى تصرف للورش فهى لا تقدر أيضا على أساس سليم ، بل ان جزءا من هذه الورش لا وجود له الا على الورق ، كما أن بعض هذه الورش لا يقوم بتصنيع ما يصرف لها من الحديد ، بل انها تحقق ربحا أسهل وأكبر عن طريق الاتجار فيه ، وأحيانا لا تكاد تستلمه من شركة الحديد والصلب بل تبيعه لبعض الوسطاء بارباح كبيرة ، وهكذا تتعدد عمليات التداول فى الحديد ، حتى يصل الى المستهلك الحقيقى ، وفى كل دورة من دورات هذا التداول ترتفع أسعاره لتصل الى ارقام خيالية قد تكون أربعة أضعاف الثمن الاصلى فى بعض الحالات ، وقد أوجدت هذه الحلقة من التوزيع السىء طبقة كبيرة من السماسرة والوسطاء لا يهمها الا الكسب بأى طريق ، **ولا يعالج هذا الامر غير احكام التوزيع بما لا يسمح بالتداول مع فرض التسعير الجبرى على كل أصناف الحديد وفرض عقاب رادع على من يخالف هذه التسعيرة واعتبارها جريمة ضد الشعب مع اعادة حصر الورش من جديد وربط كميات لها تحدد بمعرفة لجان فنية مع تشكيل لجان لنظر الطعون فى هذه التقديرات ، هذا بالاضافة الى متابعة مستمرة من أجهزة الرقابة الصناعية لهذه الورش للتأكد من جدية عملها من وقت لآخر ٠**

وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات مع تجار الحديد ومع المسئولين فى شركة الحديد والصلب وقد اتضح للجنة من المواجهة أن سعر الحديد فى السوق السوداء كان ينخفض كلما سلمت الشركة كمية منه للتجار كما لاحظت اللجنة أن انتاج هذه الاصناف بالاضافة الى ما يتم استيراده يمكن أن يكفى حاجة البلاد بل هو كاف فعلا ، فيكون منشأ السوق السوداء اذن هو سوء التوزيع التى تتعمده بعض الجهات بل وتفتعله لخلق سوق سوداء تعود عليها بالربح الحرام ، وقد وافق المسئولون عن البيع بشركة الحديد والصلب على أن تسليم كميات معقولة للتجار كلما سمحت ظروف الانتاج مع فرض التسعير الجبرى سيكون عاملا هاما لخفض الاسعار والعودة بها الى الوضع الطبيعى ٠

شركات المقاولات التابعة للقطاع العام ومقاولى الباطن

تبين للجنة ان الحديد بأنواعه المختلفة يتسرب الى السوق السوداء من ثقوب عديدة لعل أهمها هو قطاع المقاولات وتتم عمليات هذا القطاع على النحو التالى :

١ ــ عمليات يتم التعاقد عليها بين الجهات الحكومية وشركات القطاع العام من ناحية ،

وبعض مقاولى القطاع الخاص مباشرة من ناحية أخرى ·

٢ ــ عمليات يتم التعاقد عليها بين نفس الجهات السابقة وبين شركات مقاولات قطاع عام ، وهذه الاخيرة تقوم باسناد معظمها من الباطن الى مقاولى القطاع الخاص ·

وكما ذكر التقرير قبل ذلك فان شركة الحديد والصلب أو جهات الاسكان تقوم بصرف الكميات المطلوبة لمثل هذه العمليات طبقا لتقديرات الجهات الحكومية أو القطاع العام ، وهى كميات غالبا ما يبالغ فيها الى حد بعيد عن طريق الخطأ أحيانا ، وعن طريق العمد أحيانا أخرى ، وتسلم هذه الكميات لمقاولى القطاع الخاص أو الباطن الذين يقومون بتصنيع جزء منها للعمل ، والفائض يتسرب للسوق السوداء بأسعار مرتفعة ، وهذه الكميات بهذا السعر الرهيب من أصناف لا يستعملها الا الحكومة أو القطاع العام فهى بالضرورة ستعود لهذه الجهات فى بعض توريدات أو مقاولات أخرى بهذه الاسعار الضخمة ، **وتعتقد اللجنة أن ما تخسره الحكومة أو شركات القطاع العام عن هذا الطريق يصل الى مبلغ يتراوح بين عشرة وعشرين مليونا من الجنيهات فى العام الواحد ،** اذ أن حجم مبيعات شركة الحديد والصلب وحدها حوالى ٤٠ مليونا من الجنيهات ·

فلو تصورنا أن حوالى ربع هذه الكمية فقط وهو تقدير متواضع للغاية يعاد بيعه للحكومة والقطاع العام بسعر يعادل ٢٥٠ فى المائة من سعره الاصلى ، لكانت الخسارة لا تقل عن خمسة عشر مليونا من الجنيهات يمكن تلافيها لو أحكم التسليم وتم تقدير الكميات تقديرا سليما ودقيقا ·

واللجنة تقترح أن تكلف جهة فنية بالمراجعة المستمرة لعمليات الحكومة والقطاع العام للتأكد من سلامة التقديرات ومطابقتها للواقع ، وأن يكون العقاب رادعا اذا ثبت العمد فى سوء التقدير لهذه الكميات اذ انها حتما ستنزل الى السوق السوداء ·

فحص احدى عمليات المقاولة

وقد اختارت اللجنة ــ على سبيل المثال ــ احدى عمليات المقاولة المسندة من شركة مصانع النحاس المصرية لشركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح بالاسكندرية وهى عملية « عنبر البثق » وقامت اللجنة بفحص هذه العملية من جميع النواحى ، وانتدبت بموافقة رئيس المجلس ، السيد المهندس محمد نادر البارودى ويعمل سيادته مديرا بشركة راكتا بالاسكندرية خبيرا لها لفحص هذه العملية ، فقام سيادته بفحصها من جميع النواحى وتقدم لها بتقرير كامل عن هذه العملية ·

وقد تبين للجنة من هذا التقرير مدى ما يحدث فى عمليات مقاولات الباطن من مخالفات وتجاوزات بل وانحرافات توجزها اللجنة فى النقاط التالية ، تاركة التفاصيل لتقرير المهندس الخبير ، فقد أثبتت الدراسة سوء تقدير كميات الحديد مما يؤكد ما ذهبت اليه فى استنتاجاتها ، كما أثبت هذا التقرير كيف تنتقل عمليات المقاولات من شركات المقاولات التابعة للقطاع العام الى مقاولى الباطن بطرق مليئة بالشك والريبة وسوء النية ·· وقدكشف التقرير على مايأتى :

(ا) جملة العقود الخاصة بالعملية التى تم فحصها كمثل ، حوالى ستة عشر عقدا ، عن عمليات بعضها متشابه والاخر مختلف ، وقد رست جميعها على نفس مقاول الباطن ·

(ب) طريقة طرح العطاءات أو رسوها غريبة ومخالفة للاصول ·

(ج) رغم أن القانون ينص على الا يزيد حجم العمليات التى تسند لمقاول القطاع الخاص على ١٠٠٫٠٠٠ جنيه فى العام الواحد فى مجموعها ، الا أن احدى هذه العمليات وحدها تزيد على مائتى ألف جنيه فضلا عن مجموعها ·

(د) ورغم أن القانون ذاته ينص على عدم تجزئة العطاءات الا أن الشركة لجأت لطرق غريبة وخاطئة ظنت انها تخرجها من نطاق تطبيق القانون لاسناد عمليات لنفس المقاول تزيد على النصاب القانونى ·

(هـ) ساعدت الشركة المقاول على التهرب من دفع الاشتراكات المستحقة لهيئة التأمينات الاجتماعيةوهى مبالغ كبيرة ،وبطرق ملتوية ·

(و) تم التعاقد فى احدى العمليات على ١٥٠٠ طن ، وتمت المحاسبة عن حوالى ٢٨٠٠ طن بعد الاتفاق على تعديلات فى الرسومات والمواصفات ، وفى هذا مصلحة كبيرة للمقاول تنتج عن تغيير تخانات الحديد ، ومقاسات القطاعات ، علما بأن الاسعار قد تختلف فى هذه الاحوال بفروق كبيرة ، ومحققة بذلك ربحا كبيرا للمقاول ·

وهكذا يتضح كيف تنتقل الاعمال الى مقاولى الباطن ونحن نظن أن القائم بها هو القطاع العام وما هو الا ظن خاطىء ٠

وجـه الخطورة

ان الحكومة والقطاع العام تقوم باسـناد الاعمال لشركات مقاولات القطاع العام بسهولة ودون تدقيق فى الاسعار ، ظنا منها انه لاداعى للكثير من الدقة طالما أن التعاقد يتمع شركات قطاع عام ، ثم تقوم معظم هذه الشركات فى أغلب الاحيان باسناد هذه الاعمال الى مقاولى الباطن بطرق مشابهة للمثل الذى أوضحته اللجنة وقد أباح القرار الجمهورى بالقانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢ اسناد عمليات لشركات المقاولات بتكليف دون طرحها فى مناقصات عامة ، **وترى اللجنة وجوب الغاء هذه القواعد وألا يكون اسناد الاعمال الا عن طـريق المناقصات مع التقيد بشروطها والتـزاماتها تماما ٠ كما توصى اللجنة بضرورة الالتزام بقرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٢ لسنة ١٩٦١ والمعدل بالقرار رقم ١٠٤٩ لسـنة ١٩٦٢ وخصوصا ما نص عليه من حظر تجـزئة العطاءات بغية اسنادها الى مقاولى القطاع الخاص تهربا من الحد الاقصى المنصوص عليه فى هذه القرارات وهو مبلغ المائة ألف جنيه فى العام ٠**

كما توصى اللجنة بتعديل لائحة المناقصات والمزايدات ، فقد صدرت عام ١٩٥٧ قبل صدور القوانين الاشتراكية ، وبـالتالى أصبحت أحكامها لا تتفق وسيادة القطاع العام وازدياد حجم التعامل معه ٠

خردة النحاس (القراضة)

لما كان قرار المجلس أن تدرس اللجنة الى جانب أسعار الحديد وارتفاعها موضوع تجارة الانواع المختلفة من الخردة فقد رأت اللجنة استكمالا للبحث أن تدرس موضوع خـردة النحاس وهو ما أثاره العضو الدكتور محمود احمد القاضى فى سؤاله الموجه للدكتـور وزير الصناعة ٠

وقد اتضح للجنة أنه موضوع على جانب كبير من الاهمية وأنه جانب هام من جوانب تجارة الخردة تتم فيه عمليات احتكاريـة واستغلالية أكبر مما يتم فى خردة الحديد ، وتعتبر اللجنة هذا الجزء من التقرير مكملا للتقرير الذى سبق أن تقدمت به لجنة الانتاج الصناعى للمجلس الموقر ، وهو جزء ضرورى يتعرض لهذا الموضوع من زاوية غير الزوايا التى تناولتها لجنة الانتاج الصناعى فـى تقريرها المشار اليه ، وتوجز اللجنة ملاحظاتها فى تجارة هذا النوع من الخردة فيما يلى :

تقوم كل من شركة مصانع النحاس المصرية والشركة العامة للمعادن (وسنرمز لـلاولى بشركة الاسكندرية وللثانية بشركة القاهرة فى هذا التقرير) وحدهما بانتاج النحاس ويعتمد انتاجهما على خردة النحاس التى يتم الحصول عليها من السوق المحلية ، والتىكان يقـوم بتوريدها للمصنعين تجار معينون احترفوا بل واحتكروا هذا العمل لمدة طويلة ، وهـم لا يزيدون على ستة أفراد يتدرجون فى حجم الكمية الموردة من كل منهم ، الا أنه عندما عين المهندس مراد نور الدين رئيسا للشركة المصرية لتجارة المعادن (سيجال) وكان قبل ذلك مديرا للشركة العامة للمعادن التى تعمل فى انتاج النحاس ، طلب الى الشركتين اللتين تنتجان النحاس والالومنيوم ، أن تتولى شركة سيجال تسويق منتجاتهما ، حيث ان سيجالكانتتقوم بتسويق المنتجات المعدنية المختلفـة ، ولكن الشركتين صممتا على أن تقوم سيجال بتوريد خردة نحاس مقابل ما يتم تسليمه لها من منتجات لان هذا ، فى رأى الشركتين ، هو السبيل الوحيد للحصول على الخردة (أى مبادلتها بالمنتجات) ، وتم الاتفاق فعلافى سنة ١٩٦٩ بين الشركة العامة للمعادن - شركة القاهرة - وشركة سيجال ٠ وبمقتضى هذا العقد قامت شركة سيجال بتوريد القراضة بمفردها ، وفى أبريل سنة ١٩٧٠ تم الاتفاق بين سيجال وكل منالشركة العامة للمعادن ومصانعالنحاس بالاسكندرية على أن تقوم سيجال مشتركة مع بعض التجار بتوريد القـراضة مناصفة للشركتين لمدة سنة وسارت الامور الى انأصبح الوضع فى سنة ١٩٧٢ كالاتى :

١ - عقد سيجال مع شركة القـاهرة بالاشتراك مع التجار ينتهى فى ٣٠ - ٦ - ١٩٧٢ ٠

٢ - عقد سيجال مع شركة الاسكندرية بالاشتراك مع التجار ينتهى فى ٣١ - ٨ - ١٩٧٢ ٠

٣ ـ فى شهر ٦ سنة ١٩٧٢ طلبت شركة سيجال قصر العقد عليها دون التجار فى خطاب لها بتاريخ ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٧٢ حتى يتسنى لها تنظيم السوق ، أو انها ترفض تجديد العقد ، فرفضت الشركتان ، وأرسلت شركة القاهرة لشركة سيجال خطابا فى ٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ «تسجل فيه لها الشكر على قيامها بتنفيذ تعهداتها وتوريداتها وحسن توزيع سيجال لمنتجات هذه الشركة » .

الا ان الشركة قالت فى خطابها لسيجال « لذلك فانا حريصون على الحفاظ على صيغة التعامل الحالية التى تضمن لنا أكثر من مصدر لتوريد الخامات » .

وفعلا تم الاتفاق على انهاء العقد وتسوية الحساب واخطرت شركة القاهرة سيجال باصرارها على عدم قصر التعامل معها قائلة مرة أخرى :

« كما أن اعتمادنا على أكثر من مصدر لتوريد الخامات ضمان لانتظام انتاجنا وبناء على ذلك فقد قررنا فتح باب التعاقد على توريد احتياجاتنا خلال الاشهر الستة القادمة اعتبارا من ١ ـ ٧ ـ ١٩٧٢ أمام كبار تجار الصنف وندعوكم الى التقدم بعرضكم وفقا للشروط المرفقة فى موعد غايته ٢٥ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ » .

وفعلا طرحت شركة القاهرة العطاء بشروط مناسبة اولها « ترغب الشركة فى التعاقد على توريد من ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ طن قراضة خلال المدة ويمكن للمورد التقدم بتوريد جزء من هذه الكمية بحيث لا يقل التعاقد عن ١٢٠ طنا » .

وتقدمت سيجال فى المناقصة ورست عليها ، وتم التعاقد معها وحدها لمدة ستة شهور تبدا من ١ ـ ٧ ـ ١٩٧٢ الى ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢ .

٤ ـ حيث ان عقد سيجال مع شركة النحاس بالاسكندرية بالاشتراك مع التجار لم يكن قد انتهى الا أنه لن يكون أمام هذه الشركة عند نهايته الا أن تتعاقد مع سيجال منفردة كما فعلت زميلتها بالقاهرة ، وكما تصر سيجال ، حتى يمكنها أن تتحكم فى سعر الخردة .

وهنا بدأت المؤامرة ....

ينص عقد سيجال مع شركة الاسكندرية على أن يتم توريد الخردة مناصفة أى النصف من سيجال والنصف من التجار . على انه لو ورد التجار كميات تزيد على أنصبتهم فانها تضاف لرصيد سيجال بطريقة تلقائية مع عمل الحساب اللازم .. أراد بعض التجار احراج سيجال لاظهارها بمظهر العاجز عن التوريد ، تمهيدا لاخراجها من العملية والانفراد بها ، (الامر الذى تم فعلا بعد ذلك) فاشترى تاجران معينان كميات كبيرة من القراضة بأسعار مرتفعة وقاما بحجزها لديهما حتى تعجز سيجال عن التوريد لشركة القاهرة التى كانت سيجال فى هذا الوقت المورد الوحيد لها ، ورغم أن سيجال قبلت الشراء بسعر مرتفع نوعا ما ، الا أنها لم تستطع جمع الكمية المطلوبة حيث انها كانت مخزونة لدى هذين التاجرين ، والغريب انهما امتنعا عن توريدها لشركة الاسكندرية ، الا فانها تضاف لرصيد سيجال حسب العقد ، وهنا تم اتفاق مريب وغريب بينهم وبين شركة الاسكندرية ، تم بمقتضاه ان وردت الكميات الاضافية لهذه الشركة بأسماء اقارب للتاجرين ،وذلك بالمخالفة لاحكام العقد ، ودفعت الشركة لهم قيمتها ، ولو كانت هذه الشركة قد صممت على أن يتم التوريد من التجار أنفسهم لاضيفت لسيجال ، بل ولكان هناك فائض يتيسر لسيجال توريده لشركة القاهرة الا ان شركة الاسكندرية قبلت بحجة حاجتها الماسة للقراضة ـ وهو أمر مشكوك فيه ـ وكانت بذلك مساعدة لهذين التاجرين المحتكرين على احراج شركة سيجال واظهارها بمظهر العاجز عن التوريد ، حتى يكون هناك مبرر لالغاء عقودها أو عدم تجديدها ، علما بأنها قامت بالتوريد من سنة ١٩٦٩ حتى سنة ١٩٧٢ بنجاح ، الا أن الجديد فى الامر هو أن هذين التاجرين وعملاءهما داخل شركة الاسكندرية ، أحسوا بنهاية عهدهم عندما صممت سيجال على الانفراد بالعقد فى شهر يونيه سنة ١٩٧٢ وقبلت شركة القاهرة ذلك وتعاقدت فعلا منفردة مع سيجال وحدها .

الا ان المؤامرة كانت فى حاجة لمزيد من الحبكة ...

وتمت هذه الحبكة باخراج المهندس مراد نور الدين من رئاسة شركة سيجال ، فى ظروف غريبة لم تكن متوقعة ،وكان ذلك فى ٢٢ ـ ٨ ـ ١٩٧٢ قبل انتهاء عقد سيجال مع شركة الاسكندرية ، والذى ينتهى فى ٣١ ـ ٨ ـ ١٩٧٢ وليت الامر توقف عند هذا الحد .. بل راحت الاقاويل تروج بأنه خرج بسبب عملية خردة النحاس .. ثم عين رئيس جديد لسيجال ..

افلا يبعد عن هذه العملية التى أطاحت فى ظنه وفيما يشاع بمن سلفه ؟ . وفعلا قرر الرئيس الجديد أن يبعد عن هذه العملية بالكامل مؤثرا جانب الحكمة من وجهة نظره ، تاركا الميدان لاحتكار رهيب ، يباشره ثلاثة من التجار مشتركين يعاونهم عملاء لهم فى داخل هذه الشركات .

المناقصة الكبرى

طوال هذه الشهور كانت شركة الاسكندرية تباشر غواية مريبة لشركة القاهرة انتهت الى اقناعها بالاشتراك معها فى امر ظاهره القانون وباطنه احتكار مليء بالاستغلال الفاحش ، واتفقت الشركتان على طرح مناقصة مشتركة لتوريد خردة النحاس وبالتالى استلام منتجات النحاس والالومنيوم . مناقصة قيمتها ، بيعا وشراء حوالى ثمانية ملايين من الجنيهات غير قابلة للتجزئة (الامر الذى كانت شركة القاهرة ترفضه بدعوى رغبتها الشديدة فى عدم قصر توريد الخردة على مصدر واحد لضمان استمرار التوريد) ، تامينها يعادل ربع مليون من الجنيهات ، وشروطها شاذة تخالف الميثاق والقانون ويعجز كل انسان عن التقدم اليها ، غير أفراد معينين ينقص كتابة أسمائهم فى المناقصة نفسها ..هذا كله بعد أن تم الاطمئنان الى أن سيجال لن تتقدم الى هذه المناقصة بعد تغيير رئيسها ـ وهو ما حدث بالفعل .. وتقدمت ثلاثة عروض كالاتى :

الاول : وهو العرض الذى قبل ، وقد تقدم به ثلاثة من التجار المشار اليهم فى هذا التقرير ـ اثنان منهم بنسبة ٤٠ فى المائة لكل منهما ، والثالث بنسبة ٢٠ فى المائة من العملية ، وقد أبدوا تحفظات علىجميع شروط المناقصةتقريبا (كما هو واضح فى عطائهم وفى محضر لجنة الفحص) ولكن التعاقد قد تم معهم وبشروط معدلة غير ما ورد فى شروط المناقصة المطروحة .

الثانى والثالث :وقد تم رفضهما دونمناقشة مع مقدميهما ونصهما كالاتى :

(ا) « نفيدكم باستعدادنا للارتباط معكم بالعطاء المحدد له١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢عن توريد القراضة بالكمية التى تحددونها لنا » .

(ب) « تقدم العرض المعلن افتتاح مظاريفه بتاريخ ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢ هو الكمية التى تقدرونها لنا ضمن الكمية المطروحة وحسب اللى ترونه أصلح للمصانع وللصالح العام أو كمية تساوى أحد اخواننا الكبار وهذا للعلم »

وكانت الحجة فى الرفض أنهما غير مطابقين للشروط ، وقد جاء فى محضر لجنة الفحص أنهما لم يلتزما بأى بند من بنود العقد ، مع أن العطاء بهذه الصورة معناه قبول كافة الشروط ، طالما لم يبد مقدم العطاء أية تحفظات بشأنها . الا أن الشركتين لم تناقشهما ولم تمارسهما مع أنهمامن قدامىالموردين للقراضة لكلتا الشركتين ، وتمت المناقشة والممارسة مع أصحاب العطاء الذى طالب بتغيير معظم بنود المناقصة المهمة وتم فعلا تعديلها والتعاقد بعد التعديل مع تجار ثلاثة فى عقد واحد وبكمية محددة لكل منهم ـ وهو ما يعتبر تجزئة للعملية دون أدنى شك ـ وهكذاصار توقيع عقداحتكار كبير قيمته كما ذكر التقرير ثمانية ملايين من الجنيهات وربحه لا يقل عن المليون ونصف المليون من الجنيهات كل عام ، وأضيف اليه أيضا شرط لم يكن موجودا فى المناقصة مؤداه أن العقد قابل للامتداد لسنوات أخرى .. هكذا بكل بساطة واقتدار ..

وبدأ التجار فى مباشرة احتكارهم وامتنع تسليم المنتجات للحرفيين الا بشروط استغلالية فضجوا بالشكوى التى وصلت الى مجلسكم الموقر فى لجنة الاقتراحات والشكاوى ، التى أحالتها الى لجنة الانتاج الصناعى .. وفى هذه اللجنة الغى السيد الدكتور وزير الصناعة السابق العقد المدهش الغريب ولكن ، ومع الاسف ، دون تحقيق ، ودونتحديد مسئولية ، الامر الذى تطالب به اللجنة **وترجو المجلس الموقر أن يوافق على احالة أوراق هذه العملية كلها الى المدعى العامالاشتراكى ليلقىالمخطىء جزاء خطئه وحتى لا يتكرر مثل هذا الامر مرة أخرى** ، فان عناصر الريبة تملأ هذا الموضوع ويحيطه الخطأ من كل جانب .. لقد صرح أحد هؤلاء التجار فى لجان رسمية وفى اجتماعات عامة بأنه علىاستعداد لدفعأو انفاق مليون من الجنيهات للقضاء على سيجال وأنه سيستعيد ما ينفقه بعد ذلك . واللجنة تتساءل .. كيف يمكن أن يقال هذا القول فىمجتمعنا الاشتراكى ويمر الامر مر الكرام ونكتفى بالغاء العقد ويفلت المخطئون ليكررو ما فعلوه فى صور

اخرى اشر واخطر طالما ان يد العقاب لا تصل اليهم .

بعد قيام وزير الصناعة بالغاء العقد

الغى السيد الدكتور وزير الصناعة السابق العقد واصدر قرارات بذلك - ووضع أسسا جديدة لتوريد خردة النحاس ولاستلام المنتجات - أقرب الى المنطق والعدالة ، الا أن هذا النظام يلقى مقاومة كبيرة من التجار المحتكرين ومعاونيهم ، فهم لا يزالون يمارسون نشاطا كبيرا فى هذه العملية بأساليب جديدة يبتكرونها كل يوم وما زالت الشكاوى تتوالى على اللجنة من الحرفيين وصغار الصناع ، والتجار شاكين من الحيل الجديد المختلفة التى تبتكر كل يوم ومن أن هناك من يساعد على ذلك داخل هذه الشركات .

الا أن اللجنة يهمها فى ختام هذا الجزء من التقرير أن تشير الى أن قرار السيد الدكتور وزير الصناعة لم يعالج تنظيم انتاج هذين المصنعين ، فان المصانع قد تعودت على ربط انتاجها بتوريد الخردة ، لظروف تاريخية ، وهى أن التجار كانوا يجمعون القراضة ويقومون بتشغيلها لحسابهم الى اقراص النحاس الاحمر لدى المصنعين ، وفى اوائل الستينات عندما بدأت الاوانى الالومنيوم فى الانتشار استغنى التجار عن جزء مما يوردونه من القراضة وباعوه للشركات . وفى النصف الثانى من الستينات أصبح التجار يبيعون الخردة للشركات ويشترون مقابلها أقراض نحاس احمر والومنيوم (وكان هذا الاسلوب بناء على طلب الشركات لاظهار حجم نشط اكبر) ثم تطور الامر الى النظام الحالى ، وفى هذا النظام تحدد الشركات احتياجاتها من القراضة ، دون أى مراعاة لامكانية الحصول عليها ، وهل هى كمية متاحة أو لا ؟! ومن المعلوم أن كميات الخردة فى تناقص مستمر ، وأن الشركات عند تحديدها لهذه الكميات الضخمة فانما تدفع تجار الخردة الى أمور عديدة ، فأولا ترتفع أسعار الخردة الامر الذى يغرى الفلاح فيبيع الاوانى النحاسية نصف جديدة تحت تأثير اغراء السعر المرتفع ، كما ان هذه الاسعار المغرية تدفع الى عمليات خطيرة وهى سرقة كابلات التليفونات وأسلاك الكهرباء وهى أمور ينتج عنها تعطيل المرافق الحيوية فى البلاد ، كما أنها تمثل خسائر مادية كبيرة للدولة ، فان الكابلات التى يتم تركيبها بدلا من المسروقات قيمتها أعلى بكثير من الخردة ، الى جانب كون بعضها مستوردا ، وحتى المصنع محلى فان خاماته مستوردة ، وتذهب هذه المسروقات الى الخردة الموردة لمصانع القطاع العام . ويعلم هذا جيدا جميع المشتغلين بهذه المصانع .

وترى اللجنة ان علاج هذه المشاكل يكمن فى الاتى :

١ - تفتح الشركات الصناعية أبوابها لاى مورد للخردة مع تحديد السعر المناسب بدون أى حصة تشجيعية أو خلافه ، أى بدون أى ارتباط بالانتاج ، وسيؤدى هذا الاجراء الى أن الخردة ستصل للمصانع عن طريق تجارها الاصليين دون وسطاء يتحكمون فى الاسعار ويتلاعبون بها ، ويعوضون ذلك عن طريق رفع أسعار المنتجات ويمولون مرتكبى الجرائم والسرقات من سارقى الكابلات .

٢ - تقوم الشركات بتحديد انتاجها ، على أساس الخردة المتاحة فعلا ، وان تستكمل احتياجاتها عن طريق الاستيراد طبقا للامكانيات المتاحة للدولة ، وستأتى الخردة الحقيقية بلا شك للمصانع ، اذ انها المستهلك الوحيد لها تقريبا .

٣ - يجب تخطيط الانتاج من اقراص النحاس الاحمر والاصفر وأقراص الالومنيوم ومواسير النحاس وشبكات النحاس من ناحية المقاسات والكميات حسب احتياجات السوق الفعلية لا حسب الاسهل انتاجا والارخص تكلفة .

٤ - تقوم جهة واحدة تابعة للقطاع العام بتوزيع الانتاج ومقاساته المختلفة منعا للتلاعب وضمانا للعدالة .

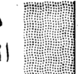
خاتمة

ان اللجنة وهى تتشرف بتقديم تقريرها للمجلس لترجو أن تكون قد وفقت فى لمس جوانب هذا الموضوع ، وان تكون قد اعطت بصيصا من الضوء يساعد على كشف بعض العيوب التى يعانى منها اقتصادنا الوطنى فى هذه الظروف العصيبة التى تجتازها البلاد فى

معركتين كبيرتين : الاولى ضد العدوان الاسرائيلى ، والثانية ضد عوامل التخلف الاقتصادى ، حتى تنطلق خطط التنمية الاقتصادية فى طريق خال من العيوب والعثرات لنبنى لبلدنا مستقبلا مشرقا نتطلع اليه ، واقتصادا سليما ثابت الاركان يتولى القطاع العام فيه دوره القيادى العظيم الذى نص عليه الدستور بقوله « ويقود القطاع العام التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية » وعلينا نحن بالنقد البناء اتاحة المجال امامه لكى يقوم بدوره الضرورى فى المجتمع الجديد ، والنقد البناء ليس بالامر السهل ، على انه يظل أيسر من المعاناة الثورية، وهو يعد خير دور تستطيع ان تقوم به اللجنة فى تقريرها هذا . على أن المرء يحسن النقد الا اذا كان هو نفسه فى الاتجاه الصائب، واللجنة ترجو ان تكون قد وفقت الى صائب الاتجاه ، وان اللجنة وفاء بقصدها تجد لزاما عليها ان تشيد بما للقطاع العام من افضال على التقدم الاقتصادى الحادث الان فى بلدنا والذى يتمثل فى الصمود الرائع لشعبنا العظيم امام قوى العدوان .

واللجنة تتشرف برفع تقريرها الى المجلس الموقر برجاء الموافقة عليه والله ولى التوفيق .

رئيس اللجنة الخاصة
دكتور مهندس
محمود أحمد القاضى



من تقصى الحقائق الى تقصى الحلول

محمد حلمى ياسين

يعتبر تقرير اللجنة البرلمانية التى شكلها **مجلس الشعب** ، فى نوفمبر ١٩٧٢ ـ لاستظهار الحقائق فى موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الخردة ـ وثيقة على أكبر قدر من الاهمية .

فمن خلال دراسة وسائل انتاج وتوزيع سلعة تباع فى السوق السوداء بأسعار تعادل أضعاف ثمنها الاصلى الذى يجب أن تباع به .

وبعد دراسة ميدانية لنشاط عدد من الشركات التابعة للقطاع العام . المنتجة للسلعة موضوع التحقيق ـ وامتداد بحث اللجنة ليشمل احدى شركات المقاولات الكبرى التى تدخل السلعة فى استخداماتها .

وبالاستناد الى نتائج عمل **أجهزة الرقابة الادارية** وما توصلت اليه هذه الاجهزة ، من أدلة قاطعة ضد نزاهة تصرفات بعض القائمين على أمور الشركات والمؤسسات . نقول : بالاستناد الى ذلك كله ـ استطاعت لجنة تقصى الحقائق ، أن تقدم للمجلس التشريعى ـ هذه الوثيقة الهامة التى يمكن ، بل ويجب أن تكون منطلقا لاستكمال الاجراءات السياسية ، والتشريعات اللازمة والضرورية لمواجهة أية أخطار يمكن أن تحدق بالاقتصاد القومى . خصوصا تلك الاخطار التى تتهدد الدور القيادى للقطاع العام .

وعمل **لجنة تقصى الحقائق** يختلف عن عمل **لجنة الخطة والموازنة** فى دراستها للوضع المالى لشركات القطاع العام التى تحقق خسارة .

فلجنة الخطة والميزانية قد قصرت بحثها منخلال جلسات الاستماع على مشكلات الانتاج ، من حيث توفير المواد الاولية والبدائل والالات اللازمة ، والاعتمادات المطلوبة ، والاستثمارات بأنواعها ، والعمالة والاسعار ، وذلك دون أن يمتد بحثها ليغطى ما يمكن أن يوجد من انحرافات تساعد على تفاقم الخسارة فى تلك الشركات .

ولكن لجنة تقصى الحقائق قد سعت ـ الى جانب دراسة حالة الانتاج وامكانياته وكفاءته ـ الى

كشف حالات التسيب والانحراف ومنابع السوق السوداء وقنوات ومسارب الحصول على الثروات الطائلة باستنزاف موارد الدولة والقطاع العام لحساب مجموعات من أصحاب مصانع وورش القطاع الخاص، متعاونين فى ذلك مع بعض المنحرفين فى المؤسسات والشركات .

واذا جاز لنا ان نوجز أهم ما توصلت اليه اللجنة من حقائق ، (مع التحفظ بشأن بعض القضايا التى وردت تحت عنوان قراضة النحاس) . لوجدناها على النحو التالى :

١ ـ ان بعض الشركات تعمل بطرق انتاج عتيقة وغير اقتصادية ـ وهى طرق لم تعد موجودة أو مستعملة فى أية بقعة من بقاع العالم المتقدم ـ وتكاليف انتاجها مرتفعة بشكل كبير عن مثيلاتها فى العالم .

٢ ـ ان بعض النظم واللوائح المطبقة حاليا فى القطاع العام ـ مثل لائحة المزادات والمناقصات ، قد صدرت منذ عام ١٩٥٧ قبل صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، وبالتالى ، اصبحت احكامها لا تتفق مع سيادة القطاع العام ـ ولا مع ازدياد حجم التعامل الذى يجريه ..

٣ ـ ان بعض شركات القطاع العام يتحايل للالتفاف حول القوانين والقرارات المنظمة لعملها . فالشركات المنتجة لحديد التسليح المسعر ، تنتج أصنافا غير تامة الصنع ، وتبيعها لمصانع القطاع الخاص بأسعار تزيد بنحو ٥٠ فى المائة عن أسعار الانواع التامة الصنع .

وبعض شركات القطاع العام فى قطاع المقاولات ترتكب مخالفات صارخة للقرار الجمهورى رقم ١٠٢٢ لعام ١٩٦١ والمعدل بالقرار رقم ١٠٤٩ لعام ١٩٦٢ ، بشأن حجم العمليات التى تسند الى مقاولى القطاع الخاص ، بما لا يزيد فى مجموعها ، عن ١٠٠ ألف جنيه فى العام الواحد . فتلجأ بعض الشركات الى تجزئة العطاءات ، بغية اسنادها الى مقاولى القطاع الخاص ، تهربا من الحد الاقصى المقرر . بل ان أحد مقاولى القطاع الخاص قد حصل على عملية بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه دفعة واحدة .

٤ ـ أيدت اللجنة ما توصلت اليه النيابة الادارية بالنسبة لحركة التعاقدات الخارجية ـ من أن قمة الاجهزة المتحكمة فى التفاوض مع الشركات والمؤسسات الاجنبية تكون هى أحيانا المشتركة فى المجالس السلعية التى تبت فى القروض ، وهى أيضا الموكل اليها عمليات التعاقد والتنفيذ .

وعلى الرغم مما توصلت اليه النيابة الادارية ، من أدلة قاطعة ، على عمليات تم فيها دفع عمولات فى بنوك أجنبية ، فانه ـ فى بعض الحالات ـ بقى الاشخاص الذين تقاضوا هذه العمولات دون حساب .

٥ ـ كشفت اللجنة عن دور بعض مصانع القطاع الخاص ، فى خلق السوق السوداء واستنزاف موارد الدولة والقطاع العام .

فبعض هذه المصانع والورش ، موجود على الورق فقط ، ليصرف حصته ثم يسربها الى السوق السوداء . والبعض الاخر ، لا يقوم بتصنيع الحصة المسلمة اليه أو جزء منها .

وبالرغم من أن انتاج حديد التسليح محظور على مصانع القطاع الخاص ، فان هذه المصانع تقوم بانتاجه دون حساب أو رقابة على الاسعار التى يبيع بها .

وقدرت اللجنة أن ما تخسره الحكومة والقطاع العام عن هذا الطريق مبلغ يتراوح ما بين عشرة الى عشرين مليونا من الجنيهات سنويا .

٦ ـ كشفت اللجنة عن الدور الذى يلعبه بعض كبار التجار والمحتكرين من المتعاملين مع القطاع العام . فمن مضاربة غير مشروعة لفرض الاسعار التى تضمن لهم أرباحا خيالية ، الى اشاعة الفساد والتسيب داخل قيادات الشركات والمؤسسات ، الى استخدام نفوذهم لتسهيل حصولهم على مغانم غير مشروعة ، بل ولضرب شركات أخرى من شركات القطاع العام . وعلى الرغم من النتائج الهامة التى توصلت اليها لجنة تقصى الحقائق خلال عملها ـ وما استطاعت كشفه من حالات التسيب والعلاقات المشبوهة بين بعض العاملين فى القطاع الخاص وبين بعض العناصر القيادية فى القطاع العام . على الرغم من ذلك ، فان تقرير اللجنة كان يمكن أن يزداد ثراء وعمقا لو عالجت اللجنة الموضوع من زاويتين أخريين :

١ ـ دور المنظمات واللجان الشعبية .

٢ ـ دور القطاع الخاص وحدوده .

فالملاحظ أن التقرير ، على كثرة ما ورد فيه ، من اجتماعات مع المسئولين عن الشركات موضع

التقصى ، لم يرد فيه أى ذكر للمنظمات السياسية والنقابية فى هذه الشركة .

فلجنة تقصى الحقائق لم تورد فى تقريرها ما يفيد أنها التقت بلجان الاتحاد الاشتراكى ، أو اللجان النقابية ، أو الاعضاء المنتخبين فى مجالس الادارات ، أو لجان الانتاج فى هذه الشركات .

وهذه اللجان كلها ، وبحكم وضعها فى مواقع العمل ، تتجمع لديها كثرة من الوقائع والتصرفات . وان الاستماع اليها ، ومناقشتها ، ودراسة الاقتراحات التى تقدمها ، كان لابد وأن يضع أمام لجنة تقصى الحقائق ، ما تستكمل به بحثها ، أو ما ينير لها الطريق الى مزيد من استكمال الصورة ، واستكشاف أعماق المشكلة .

ومثل هذا العمل من جانب اللجنة التى تمثل المجلس التشريعى كان سيعطى ولا شك دفعة كبيرة للمنظمات الشعبية فى تلك المؤسسات ،كما أنه كان سيتيح للجنة أن تدرس على الطبيعة العلاقات بين الادارات وهذه اللجان ، على ضوء موقف هذه اللجان من السلبيات . وذلك على قدر قيامها بواجباتها السياسية ، أو النقابية فى مراقبة الجهاز الادارى والتنفيذى .

وأيا ما كان الغموض الذى مازال يشوب فهم مسئولية هذه اللجان ، ودورها فى الوحدات الانتاجية والسعى الدائم من جانب بعض ادارات الإنتاج الى جعل هذه اللجان مجرد صورة باهتة . فان كثيرا من هذه اللجان ، أو عناصر منها ترفع صوتها بالنقد وكلما تستطيع تحاول التنبيه . ولكن الرد فى الغالب ، من جانب العناصر البيروقراطية المنحرفة التى تخشى من الرقابة السياسية والشعبية ، يكون الاضطهاد لقيادات العمل السياسى والنقابى والتشهير بها .

وفى اقتراحات اللجنة أيضا لم يرد ذكر لما يتعين على هذه اللجان القيام به دفاعا عن المال العام ، ومن أجل حماية الانتاج وتطويره . ذلك أن أية قوانين ، أو قواعد ، أو قرارات ، لن يضمن لها التنفيذ الحقيقى داخل المؤسسات والشركات دون رقابة فعالة من لجان الاتحاد الاشتراكى ، ولجان نقابية ، ولجان انتاج ، وأعضاء مجلس الادارة المنتخبين .

وقد أثبتت تجربة عدد من الوحدات الانتاجية ان هذه اللجان ، استطاعت ، عندما لجأت اليها الادارة ، أن تقدم حلولا لكثير من مشكلات الانتاج ، وأن تقلل الخسائر ، وأن تستفيد من المخلفات ، وأن توقف أيضا كثيرا من الانحرافات وأن تكشف الكثير من اللوائح والنظم البالية التى تفتح الثغرات أمام المنحرفين .

والحاجة اليوم ماسة ، اكبر من أى وقت ، لتنشيط دور هذه اللجان ، ودعمها ، وتحديد مجال نشاطها ، وحمايتها من الاضطهاد ، ومساندتها بالتجديد الشامل للوائح المالية والادارية .

دور القطاع الخاص

وعلى الرغم من كل ما كشفته اللجنة فى تقريرها من سلبيات ، فان اللجنة لم تقع فى شراك الحملات المغرضة التى تشن ضد القطاع العام وصلاحياته وكفاءته ، تلك الحملات التى تهدف ــ فى نهاية الامر ــ الى تصفية القطاع العام وترويضه ــ بشكل أو بآخر ــ ليخدم القطاع الخاص .

ولقد حرصت اللجنة ، فى نهاية تقريرها ، على أن تشيد بفضل القطاع العام على التقدم الاقتصادى ، الحادث الان فى بلادنا ، والذى يتمثل فى الصمود الرائع لشعبنا أمام قوى العدوان . وعبرت اللجنة عن تطلعها الى مستقبل يتحقق فيه اقتصاد سليم ، ثابت الاركان ، يتولى القطاع العام فيه ، دوره القيادى الحقيقى الذى نص عليه الدستور .

واذا كانت اللجنة ــ بحكم مهمتها التى حددها لها المجلس ــ قد كشفت عن دور بعض جهات معينة فى القطاع الخاص فى نهب موارد الدولة ، والقطاع العام ، وفى مخالفة اللوائح ، وخلق السوق السوداء ، فان الامر فى اعتقادنا يتطلب أن نؤكد أن هذه الاعمال والانشطة الغير مشروعة ليست طارئة أو محدودة الاثر ولكنها تستفحل ، وتوجه الى كثير من شركات القطاع العام التى تتعامل مع القطاع الخاص .

وفى تقديرنا ، أن الوقائع التى كشفتها اللجنة ، كان لابد وأن تجعلنا نسترجع الدور الذى حدده **ميثاق العمل الوطنى** للقطاع الخاص فى الانتاج والتجارة .

وكلنا يعلم ، أن الميثاق أكد على القطاع الخاص ودوره الهام فى الانتاج من أجل التقدم ولابد من توفير الحماية له حتى يكفل له اداء دوره .

وهذا الدور الذى حدده الميثاق بحق الملكية الشخصية فى الصناعات المتوسطة والخفيفة ، والمشاركة فىتجارة الصادراتبنسبةلاتزيدعنالربع، بالاضافة الى ثلاثة أرباع التجارة الداخلية ،ولكن **بشرط أساسى هو أن يكون تحت سيطرة القطاع العام وقيادته وكما طالب الميثاق القطاع الخاص أن يجدد نفسه وأن يشق بعمله طريقا من الجهد** الخلاق .

وهكذا ، فان ما جاء بالميثاق يفترض أن تعد الخطط والتشريعات اللازمة ، لتحديد مجالات النشاط للقطاع الخاص ، وأسلوب احكام الرقابة على نشاطه بواسطة القطاع العام .

ولكن مما يؤسف له ، أنه بدلا من أن تكون القضية الاساسية هى احكامرقابة القطاعالعام وسيطرته على تنفيذ خطة التنمية ، وقيام القطاع الخاص بدوره الذى رسمه له الميثاق ، تتحول القضية الى محاولات للحد من صلاحيات القطاع العام ، وتبذل جهود مبالغ فيها عن ضرورة وضع الضمانات اللازمة لنمو القطاع الخاص . ونحن نقول « مبالغات » ليس هناك ما يبررها ، وذلك بسبب بسيط ، وهو أنه لا توجد عوائق ضد نمو القطاع الخاص . وأما الضجة التى تثار حول هذه القضية ، فهى مفتعلة ، وهدفها التغطية على نشاطات ضارة بالاقتصاد القومى فى مجموعه . ولابد من الاشارة هنا ، الى أن العناصر الطفيلية والنفعية – فى داخل القطاع الخاص – لا تنفك عن شن هجماتها ضد القطاع العام ، تارة للايحاء بفشله وتعثره ، وتارة أخرى للعمل على تطويقه ، أو تطويعه لمصالحها الانانية والضيقة .

من هنا ، فان هذا التقرير البالغ الاهمية ، والذى أصدرته لجنة تقصى الحقائق ، لابد وأن يحفز الجهات المسئولة الى :

أولا : دراسة شاملة للقوانين واللوائح المالية والادارية التى تحكم نشاط القطاع العام . وذلك لسد الثغرات التى تنساب منها موارد الدولة الى حفنة من المضاربين والسماسرة والوسطاء أصحاب السوق السوداء .

ثانيا : اصدار التشريعات اللازمة التى تحدد اطار نشاط القطاع الخاص ، ومجالات عمله ، وذلك بما يضمن مساهمة هذا القطاع فى زيادة الانتاج ، وانجاح أية خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة العربية لاستصلاح الأراضي البور

لاحظت لجنة الخطة والموازنة عند بحث موازنة السنة المالية ١٩٧٣ أن الشركة العربية لاستصلاح الاراضى البور قد أدرج بموازنتها التخطيطية مبلغ ١١٣ ألف جنيه كفائض مقدر لاعمالها الجارية فى مقابل عجز مقدر لتلك الاعمال فى السنة المالية ٧١-١٩٧٢ يبلغ ٧٨ ألف جنيه · وضمانا لعدم امتداد الخسارة المقدرة المذكورة الى أعمال ١٧٩٣ رأت اللجنة أن تتعرف على المعوقات الخارجية والداخلية التى يتعرض لها انتاج هذه الشركة بهدف تبادل الرأى فيما يمكن الوصول اليه مع الشركة من وسائل تساعد على ازالة هذه المعوقات وتطوير نشاطها ورفع كفاية الاداء بها ·

وعلى الرغم من أن الشركات بصفة عامة لا تحصل على اعانة سد عجز جارى من الخزانة العامة ، شأن الهيئات والمؤسسات ، الا أن تحقق عجز جارى بالشركات يحرم الخزانة العامة من مصدر من مصادر تمويلها العام وهو فائض أرباح القطاع العام · ومن هنا كانت أهمية بحث أوضاع الشركات التى بها عجز جارى عن تشغيلها ·

ولهذا عقدت لجنة الخطة والموازنة اجتماعا مع المسئولين عن الشركة العربية لاستصلاح الاراضى البور حضرها من جانب قطاع استصلاح الاراضى :

- السيد وكيل الوزارة المختص بالشركة ·
- السيد رئيس مجلس ادارة مؤسسة استصلاح الاراضى ·
- السيد رئيس وأعضاء مجلس ادارة الشركة ·
- بعض السادة الفنيين من الوزارة والمؤسسة والشركة ·

كما حضرها مندوبون من وزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية والجهاز المركزى للمحاسبات ·

ومن واقع المناقشة التى تمت والبيانات المقدمة من الشركة العربية لاستصلاح الاراضى البور تعرض اللجنة هذا التقرير عن الشركة فى النقاط التالية :

- تطور نشاط الشركة ·
- نتائج أعمال الشركة ·

● مشاكل انتاج الشركة وجهود ادارتها فى التغلب عليها ٠

● توصيات لجنة الخطة والموازنة ٠

تطور نشاط الشركة

أنشئت الشركة بالقرار الجمهورى رقم ١٠١٦ لسنة ١٩٦٤ والذى يقضى بأن يكون رأس مال الشركة مليون جنيه تساهم به المؤسسة المصرية العامة لاستصلاح الاراضى بالكمل على أن يسدد فى مدة أقصاها خمس سنوات من تاريخ الانشاء – أى من ١–٧–١٩٦٤ – والا « تحتم » أن تتحمل المؤسسة بفائدة قدرها ٦ فى المائة عن الجزء غير المدفوع من رأس المال بعد انقضاء فترة الخمس سنوات ٠ ولما كان ما سدد من رأس المال يبلغ ٨٧٠ الف جنيه وكان الباقى ١٣٠ الف جنيه لم تسدده المؤسسة منذ تاريخ استحقاقه ١–٧–١٩٦٩ لهذا فقد صدر قرار مجلس ادارة الشركة بالجلسة السابقة بتاريخ ٢٥–٦–١٩٧٢ بتحميل المؤسسة بالفائدة المستحقة للشركة وقدرها ٤ر٣٣ الف جنيه عن المدة من أول يوليو ١٩٦٩ حتى ٣٠–٦–١٩٧٢ ٠

نتائج أعمال الشركة

بلغ صافى ربح الشركة قبل الضرائب على النحو التالى :

ومن الجدول التالى يتبين ثبات صافى الربح تقريبا فى السنوات من ٦٨–١٩٦٩ حتى ٧٠–١٩٧١ حول ١٥٥ ألف جنيه ، أما سنة ٧١–١٩٧٢ فقد انخفض ربحها الى الثلث حيث بلغ ٤٨ ألف جنيه ، وهو متضخم بالفائدة التى احتسبتها الشركة على رأس المال غير المدفوع من المؤسسة بمبلغ ٣٣ ألف جنيه على النحو سالف الذكر ٠ وعلى الرغم من عدم مشاركة اللجنة الشركة فى احتساب فائدة على رأس المال غير المدفوع نظرا لتمتعها بسيولة نقدية كبيرة تبلغ حوالى النصف مليون جنيه فى المتوسط خلال الاربع سنين الاخيرة وأن دفع باقى رأس المال سيزيد من سيولة الشركة بدون مبرر فى الوقت الذى يحرم غيرها من سيولة مطلوبة بالحاح لها ، رغم هذا فان هناك صافى ربح للشركة بعد خصم الفوائد (حوالى ١٥ ألف جنيه) يعنى أن الشركة بذلت جهدا طيبا لتحويل عجزها الجارى فى موازنتها التخطيطية وقدره ٧٨ ألف جنيه الى ربح ، أى أن حقيقه جهدها يبلغ ٩٣ الف جنيه (٧٨ + ١٥) ، وعلى أية حال ستظهر نتائج الشركة عن السنة المالية ٧١–١٩٧٢ الممتدة حتى ٣١–١٢–١٩٧٢ بعد فحص المؤسسة لها عن قريب ان شاء الله ٠

مشـــاكل انتـــاج الشركة

وجهود ادارتها فى التغلب عليها

١ – نقص حجم العمل المسند الى الشركة بما لا يتناسب مع الطاقة الانتاجية لها ٠

وقد تغلبت الشركة على ذلك بأن حصلت على تعاقدات جديدة خارج نطاق الاستصلاح مثل :

(ا) بنـاء محطات الدواجن لمواجهة التوسع فى الانتاج الحيوانى ٠

السنة المالية	صافى الربح		
	القيمة بالالف جنيه	نسبته لرأس المال المستثمر	نسبته للايراد
١٩٦٨/٦٧ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	٢١	٠٧ر٠٪	٤ر١٪
١٩٦٩/٦٨ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	١٥٥	٨ر٤٪	٤ر٩٪
١٩٧٠/٦٩ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	١٥٧	٦ر٤٪	٧ر٧٪
١٩٧١/٧٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	١٥٤	١ر٥٪	٩ر٨٪
١٩٧٢/٧١ [مركز مالى حتى ١٩٧٢/٦/٣٠ تقديرى] ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	٤٨	لم يوضح	٨ر٢٪

(ب) انشاء المصارف المغطاة المسندة من قبل وزارة الري والهيئات التابعة لها ٠

(جـ) أعمال الصرف الصحي ٠

(د) أعمال المجهود الحربي ٠

٢ ـ عدم استكمال راسمال الشركة المصرح به وقدره مليون جنيه ٠

وقد واجهت الشركة ذلك بالحصول على قروض من الجهاز المصرفي ٠ ولا تعاني الشركة حاليا من عجز في السيولة ٠

٣ ـ لا تزال فئات اسناد الاعمال من الجهات محددة وفقا لاسعار ما قبل سنة ١٩٦٧ ـ وذلك رغم الارتفاع الملحوظ في أسعار المواد خلال تلك الفترة ، مما أثر على فائض أعمال الشركة ٠

٤ ـ عدم توافر المواد الخام في السوق مما يؤدي احيانا الى تعطيل عمليات التشغيل ٠

٥ ـ ارتفاع قيمة معدات القرض الروسي عن مثيلاتها في السوق وذلك نتيجة لاضافة علاوة الروبل بنسبة ٢٥ في المائة من قيمة هذه المعدات بالاضافة الى ارتفاع قيمة الرسوم الجمركية والمصروفات الاخرى واحتياج تلك المعدات الى الكثير من مصروفات الصيانة اللازمة لها ٠

٦ ـ اشتراط أغلب موردي القطاع العام الدفع المقدم لقيمة المستلزمات اللازمة للتشغيل قبل الاستلام بما يتطلب ضرورة ايجاد سيولة دائمة لدى الشركة ٠

٧ ـ تأخر صرف مستحقات الشركة قبل الغير ، وضرورة الدفع المقدم الوارد بالبند (٦) مما يؤثر على السيولة النقدية الخاصة بالشركة ٠

٨ ـ عدم تعويض الشركة عن الاضرار الناتجة عن قصف بعض وحداتها أثناء أعمال المجهود الحربي التي كلفت الشركة بتنفيذها وتبلغ حوالي ٦٠ ألف جنيه ٠

٩ ـ قلة الاستثمارات المخصصة لاحلال المعدات المهلكة وعدم توافر قطع الغيار اللازمة لها ، وعدم توافر الاعتمادات اللازمة ٠

لذلك وفي ضوء ما تقدم توصي لجنة الخطة والموازنة بما يلي :

ـ انشاء مركز صيانة للالات الروسية ـ العاملة في مجال استصلاح الاراضي وغيرها ـ تتركز فيه خبرة مدربة على نفس النـــوع من الاصــــول ٠

ـ مراعاة افضل الاسعار عند شراء الاصول، بما يحقق صالح الاقتصاد القومي ٠

ـ تعويض الشركة عن وحداتها التي دمرت أثناء أعمال العدوان ٠

رئيس اللجنة
د ٠ أحمد أبو اسماعيل



فتح مجالات جديدة ورفع معدلات الأداء

مهندس حسين طلعت

يشير تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة العربية لاستصلاح الاراضي البورالي انخفاض أرباح الشركة الى٤٨ ألف جنيه عن عام ٧١ ـ ٧٢ ٠ **في حين أن متوسط أرباحها خلال الثلاث سنوات السابقة بلغ ١٥٥ ألف جنيه ، ولا يعزو التقرير هذا الانخفاض الى عدم تمتع الشركة بالسيولة النقدية اللازمة .. بل على العكس ، فانه على الرغم من عدم** استكمال رأس مال الشركة الى مليون جنيه ، طبقا لقرار انشائها ، فقد تمتعت الشركة بسيولة نقدية بلغت نصف مليون من الجنيهات ـ أي بنسبة ٥٧ في المائة من رأسمالها المدفوع (ويقدر بمبلغ ٨٧٠ ألف جنيه) ٠

كما يلاحظ أن أرباح عام ٧١ ـ ٧٢ ، تضمنت الفوائد على الجزء غير المدفوع من رأس المال

وقدره ١٣٠ ألفا من الجنيهات . فاذا استنزلت قيمة هذه الفوائد البالغة ٣٣ ألفا من الجنيهات ، يصل صافى أرباح الشركة الى ١٥ ألفا من الجنيهات .

وبمراجعة الجدول ، يلاحظ ان نسبة صافى الارباح الى رأس المال لعام ٦٧ ـ ٦٨ لم تتجاوز ٧ر. فى المائة الامر الذى يمكن تفسيره على ضوء الظروف الاقتصادية التى مرت بها البلاد عقب العدوان الاسرائيلى . وفى الاعوام الثلاثة التالية حققت الشركة صافى أرباح بالنسبة الى رأس المال بمتوسط ٨٣ر٤ فى المائة ، مما يدل على ثبات مركز الشركة المالى ، على الرغم من عدم استكمالها لرأس المال المدفوع من المؤسسة .

ويتضح من مقابلة أوجه النشاط التى طرقتها الشركة ، خارج مجال الاستصلاح أن مشروعات التوسع فى اقامة محطات الدواجن ، والصرف المغطى ، وأعمال الصرف الصحى ، تعتبر من المجالات المضطردة التزايد سنويا ، الامر الذى يمكن الشركة من التوسع فى أعمالها ، وتحقيق أرباح لا تقل عما حققته فى السنوات الثلاث السابقة ـ الا أنه قد تكون الشركة قد التزمت بالقيام بعمليات معينة اقتضت ضرورة اقتراضها من الجهاز المصرفى . وفى هذه الحالة فانه ربما يحدث عند تأخير تنفيذ هذه العمليات ، لسبب أو لاخر ، أن تسدد الشركة فوائد هذه القروض ، مما يترتب عليه أن تؤثر هذه الفوائد على أرباح الشركة بوجه عام .

وقد عزت الشركة أسباب الانخفاض فى أرباحها الى عوامل عدة :

أولها ـ نقص العمل المسند اليها بما لا يتناسب مع طاقتها الانتاجية ـ وبشكل عام ، واجهت شركات استصلاح الاراضى هذه الصعوبات أثر الانكماش فى المعدلات السنوية لاستصلاح الاراضى الجديدة ، بالتركيز على استكمال النواقص فى المساحات السابق استصلاحها .

ونظرا لان هذه الشركات بطبيعة تكوينها قد تخصصت أساسا فى عمليات استصلاح الاراضى ، فقد كان من الصعب عليها أن تتحول عن ميدان نشاطها التقليدى الى ميادين أخرى .. وهنا ، لابد **وأن يعاد النظر فى طبيعة تكوين هذه الشركات ، من حيث الخبرات والتجهيز ، كى تمكن من القيام بمشروعات أكثر تنوعا فى مجالات التعمير والانشاء . ويمكن أن نسوق أمثلة على ذلك ، تتمثل فى شركات المقاولات فى البلدان المتطورة اقتصاديا ، والتى يشمل نشاطها ـ بالاضافة الى الاستصلاح ـ أعمالا أخرى ، مثل مد أنابيب** **البترول ، وانشاء الطرق ، واقامة المنشآت الصناعية .. الخ .**

وفى ظروف بلادنا يمكن أن تقوم مثل هذه الشركات بعمليات التطهير السنوية للرياحات والترع والمصارف الرئيسية التى تستخدم فيها الكراكات . ومثل هذه العمليات يمكن أن تشكل مصادر للارباح لا يستهان بها بالاضافة الى تزايد المبالغ المخصصة للانفاق عليها سنويا .

وقد يكون من أسباب نقص حجم العمالة الموكولة الى الشركة ، ارتفاع أسعار عطاءاتها عن غيرها من شركات القطاع العام أو مقاولى القطاع الخاص . وغالبا ما يكون سبب هذا الارتفاع الى أن شركات المقاولات فى القطاع العام تسند نسبة لا يستهان بها من عمياتها الى مقاولى القطاع الخاص من الباطن ـ وهى ظاهرة متفشية فى قطاع المقاولات والتشييد والاستصلاح ، الامر الذى يحتم على هذه الشركة ومثيلاتها احتساب نسبة مئوية لارباحها تضاف الى نسبة أرباح مقاولى القطاع الخاص ، مما يؤدى بالضرورة الى ارتفاع اسعارها عن المتوسط العام .

ومن أهم الاسباب التى يمكن أن تخفض من أرباح الشركة انخفاض معدلات الاداء للعمليات المختلفة عما يجب أن تكون عليه .. وأسباب ذلك ترجع أساسا الى انخفاض مستوى التدريب بالنسبة للعمالة الفنية .. كما يشكل ضعف مستوى التشغيل والصيانة للمعدات أعباء اضافية على نفقات الشركة بسبب تزايد معدلات استهلاك الالات والمعدات ، مما يزيد بالضرورة من حجم الاستثمارات السنوية دون عائد مجز يقابلها ..

وتعتبر دقة المتابعة الفنية والمالية وكفاءة الرقابة من أهم عوامل نجاح التنفيذ ، خاصة فى المشروعات المنفذة فى المناطق البعيدة عن العمران .. والملاحظ أن غالبية مؤسسات وشركات وهيئات القطاع العام لا تولى أجهزة المتابعة عنايتها واهتمامها اللازم .. وغالبا ما تتحول أجهزة المتابعة الى كيانات شبه عاجزة يغلب على بياناتها وتقاريرها عدم الدقة والمحاباة والضعف ، الامر الذى يفوت على الاجهزة القيادية امكانية تلافى الخسائر قبل استفحالها ..

وغالبا ما يشكل تضخم العمالة الغير فنية عبئا مرهقا على ميزانية الشركات ويتمثل ذلك فى تضخم بند الاجور بما لا يتناسب مع حجم أعمال الشركة مما يتطلب ضرورة تحويل العمالة الغير الفنية الى عمالة فنية منتجة عن طريق التدريب الموسمى المنتظم ،وربط الترقيات والعلاوات الدورية بمستوى التدريب والانتاج ..

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن
الشركة المصرية للطباعة والنشر

تبين للجنة الخطة والموازنة عند بحث موازنة السنة المالية ١٩٧٣ ان الشركة المصرية للطباعة والنشر تتوقع فى موازنتها التخطيطية أن يتحقق فائض قدره ٧٢ ألف جنيه وهى نتيجة تحتاج الى امعان ، نظرا لان موازنة الدولة كانت تتحمل اعانة مباشرة سد العجز الجارى للشركة من الاموال التى تجمعها الخزانة العامة للتنمية ، قدرها ٨٣ ألف جنيه فى كل من السنتين الماليتين ٧٠ - ١٩٧١و٧١-١٩٧٢ .

وقد تبين للجنة الخطة ضرورة الوقوف على اسباب هذا التحول . ولهذا تمت مناقشة المسئولين عن الشركة سواء من الوزارة او المؤسسة او الشركة ذاتها . ومن واقع هذه المناقشة أعدت لجنة الخطة والموازنة دراسة لظروف الشركة على النحو التالى :

- تطور الشركة .
- نتائج النشاط الجارى .
- مشاكل الشركة .
- حلول مشاكل الشركة من وجهة نظرها .
- توصيات لجنة الخطة .

تطور الشركة

يتبين من العرض الذى قدمته الشركة فيما بعد كيفية انشاء الشركة والاندماجات والانفصالات عنها بصدور ستة عشر قرارا تمس شكل هذه الشركة سواء من حيث الحجم أو الاختصاص او التبعية ، ولازالت الشركة حتى الان غير مستقرة وفى قطاع لا يمت لنشاطها بصلة . فهى كما سنرى نشأت فى أحضان قطاع الثقافة ثم آلت الى قطاع التموين والتجارة الداخلية . وقد تساءلت لجنة الخطة والموازنة وشاركها ممثلو المؤسسة المشرفة عليها عن أسباب عدم ضم الشركة الى قطاع الصناعة لتشرف عليها هيئة المطابع الاميرية باعتبارها ذات نشاط مشابه لها ، وأن فى تواجدهما معا ما يساعد على الاستفادة من طاقة الطباعة الممولة من الاموال العامة والتى يجب أن توفر لها الدولة حجم العمل المناسب ، وهو كما سنرى لب مشكلة الشركة .

وتعتبر الشركة المصرية للطباعة والنشر شركة تحت التأسيس بدات مزاولة نشاطها منذ ١ -٧ -١٩٧٠ الا أن هناك مرحلة هامة سبقت انشاء الشركة وتتصل اتصالا مباشرا وماديا بوضع الشركة الجديد مما يستلزم عرضا موجزا لهذه المرحلة لان ايضاحها يلقى الضوء على كثير من المشكلات التى صادفتها الشركة المصرية منذ بدء نشاطها . وفيما يلى عرض موجز لهذه المرحلة التاريخية :

- بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٦٢ صدر قرار مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر والتوزيع والطباعة بالموافقة على قبول تنازل كل من السيدين عبد الواحد حافظ الوكيل وعمر

عبد العزيز أمين عن ملكيتهما الشركة الدار القومية للطباعة والنشر الى المؤسسة بما لها وما عليها ·

وفى ٣ ـ١٢ ـ١٩٦٣ صدر قرار المؤسسة المذكورة بالموافقة على انشاء الدار القومية للطباعة والنشر برأس مال قدره مليون جنيه على أن تساهم المؤسسة فى الزيادة فى رأس المال بالكامل وعلى أن تشمل الشركة الانشطة التالية ويكون كل نشاط وحدة مستقلة اداريا وماليا :

١ ـ نشاط التأليف والترجمة والنشر ·
٢ ـ نشاط الطباعة ·
٣ ـ نشاط المجلات ·
٤ ـ نشاط المكتبات ·

كانت الشركة مكونة أساسا من فرعين هما :

فرع الساحل ومقره ١٥٧ شارع عبيد بالساحل ·

فرع الصحافة ومقره ١١ شارع الصحافة ببولاق ·

ـ وفى ٧ ـ٣ ـ١٩٦٤ تم شراء مطبعة الاتحاد المصرى للطباعة ومقرها ١٤ شارع صبرى بالظاهر من الحراسة العامة للطوارىء كما ضمت الى الدار القومية ·

ـ وفى ١ ـ١٠ ـ١٩٦٤ تم شراء منشآتى شركة تورس خاتشادوريان والمعهد المصرى لفن الطباعة من الحراسة العامة للطوارىء كما ضمت الى الدار القومية ·

١ ـ مطبعة مصر ومقرها ٤٠ شارع نوبار ـ عابدين ـ القاهرة

٢ ـ مطبعة ر · ماتوسيان ومقرها شارع وابور السعودى ـ ساحل روض الفرج ·

ـ فى ٢٥ ـ١٢ ـ١٩٦٦ صدر قرار الجمعية العمومية للمؤسسة المصرية للتأليف والنشر برئاسة السيد وزير الثقافة فى ذلك الوقت ويقضى بالاتى :

١ ـ ضم شركتى دار القلم والدار المصرية للتأليف والترجمة الى شركة الدار القومية للطباعة والنشر وتغيير مسمى الاخيرة الى شركة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ·

٢ ـ فصل نشاط التوزيع بما يشمله من مكتبات فى كل من الشركات الثلاث وضمه الى الشركة القومية للتوزيع · وبذلك اقتصر نشاط الشركة على الاتى :

الطباعة ·
النشر ·
اصدار المجلات الاعلامية ·

ـ فى ١ ـ ٧ ـ ١٩٦٧ نقل نشاط اصدار المجلات الاعلامية ـ وكانت الشركة تصدر فى ذلك الوقت مجلة الاذاعة والتليفزيون فقط ـ الى وزارة الارشاد القومى ·

ـ وفى ٥ ـ٤ ـ١٩٦٩ أصدر مجلس ادارة المؤسسة اعمالا لقرار اللجنة الوزارية للاصلاح الاقتصادى والمالى والقرارات المعتمدة للجنة الفنية المشكلة لدراسة المطابع ، القرارات التالية :

١ ـ انشاء مطبعة ثقافية تضم فرعى الساحل والمبيضة نقلا من شركة دار الكاتب العربى ·

٢ ـ نقل نشاط النشر من شركة دار الكاتب العربى الى المؤسسة ·

٣ ـ تشكيل لجنة ادارية للتصرف فى وحدات المطابع المتبقية من شركة دار الكاتب العربى ·

ـ فى ١٠ أبريل ١٩٦٩ وتنفيذا لقرار المؤسسة المشار اليه آنفا صدر قرار السيد وزير الثقافة رقم ٩١ لسنة ١٩٦٩ بتشكيل لجنة ادارية مهمتها التصرف فى باقى فروع المطابع عن طريق توزيعها أو تحديد تبعيتها وتم تحديد رئيسها باتفاق السيدين وزيرى الثقافة والخزانة ·

ـ فى ١٥ ـ٧ ـ١٩٦٩ صدر قرار السيد الدكتور وزير الثقافة رقم ٢٠٥ بتشكيل لجنة للاشراف على فروع الطباعة التابعة لشركة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر وتحديد طريقة التصرف فيها والجهات التى ستؤول اليها وتفويض اللجنة فى اتخاذ القرارات اللازمة فى هذا الشأن فى ضوء قرارات اللجنة الوزارية للاصلاح المالى والاقتصادى فى ٥ ـ٢ ـ١٩٦٨ وما أعتمدته من قرارات اللجنة الفنية التى شكلت لهذا الغرض وباشرت اللجنة أعمالها منذ ذلك التاريخ ·

ـ فى ٢٢ ـ٩ ـ١٩٦٩ صدر القرار الجمهورى رقم ٧٨١ لسنة ٦٩ بانشاء الهيئة العامة للتأليف والنشر بدلا من مؤسسة التأليف والنشر ·

ـ أتمت لجنة الاشراف اعمالها ورفعت تقريرا بذلك الى كل من السيدين وزير الخزانة ووزير الثقافة بنتيجة أعمالها والتى انتهت الى التوصية باستمرار فروع المطابع المتبقية كوحدة اقتصادية ·

ـ باشرت وحدات المطابع المتبقية من شركة دار الكاتب العربى عملها خلال الفترة من ١ ـ٧ ـ١٩٦٩ وحتى ٣٠ ـ٦ ـ١٩٧٠ تحت اشراف وزارة الثقافة ·

ـ صدرت توصية اللجنة الوزارية لشئون الاقتصاد والخطة فى جلستها بتاريخ

١ ــ ٧ ــ ٦٩ وتقضى بنقل وحدات المطابع التجارية المتبقية من شركة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر من قطاع الثقافة الى قطاع التموين وانشاء شركة جديدة تتبع المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات على أن يوضع تحت تصرف الشركة الجديدة مبلغ لتدبير السيولة النقدية اللازمة لها وتحديد العمالة الزائدة عن حاجة التشغيل بالشركة .

ــ فى ٥ ــ ٧ ــ ١٩٧٠ صدر قرار السيد الدكتور وزير الخزانة رقم ١٢٠ بتشكيل لجنة للاشراف على جرد ونقل وتسليم وحدات المطابع التجارية لشركة دار الكاتب العربى الى المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات على أن يكون تاريخ التسليم ١ ــ ٧ ــ ١٩٧٠ .

ــ فى ٢٨ ــ ٩ ــ ١٩٧٠ صدر قرار السيد وزير التموين رقم ٣٠٦ بتخويل اللجنة المشكلة بقرار وزير الخزانة رقم ١٢٠ المهام الاتية :

١ ــ تقييم أصول الوحدات المنقولة للشركة الجديدة .

٢ ــ تحديد الالتزامات التى ستنقل الى الشركة الجديدة على ضوء قيمة الاصول المنقولة .

٣ ــ دراسة السيولة اللازمة وتحديد رأس مال الشركة الجديدة .

٤ ــ تحديد العمالة الزائدة عن حاجة التشغيل بالشركة المذكورة .

ــ فى ١٥ ــ ٥ ــ ١٩٧١ أتمت اللجنة أعمالها وقدمت تقريرها للجهات المعنية وأصدر السيد وزير التموين والتجارة الداخلية القرار رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٢ باعتماد ما أنتهت اليه لجنة التقييم من توصيات وأبلغت وزارة الخزانة بذلك التى وافقت فى ١٢ ــ ١٢ ــ ١٩٧٢ على سداد فائض الالتزامات الى جهات استحقاقها وفقا لما تضمنته توصيات هذه اللجنة .

وفى خلال هذه الفترة دفعت وزارة الخزانة مبلغ ٢٠٠ الف جنيه على دفعتين تحت حساب رأس المال .

ــ فى ٢١ أغسطس ١٩٧٢ صدر قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ١٠٢٢ لسنة ١٩٧٢ بتشكيل مجلس الادارة الحالى .

وتلاحظ لجنة الخطة والموازنة من العرض السابق أن وضع هذه الشركة لم يستقر بعد ، ولن يستقر فى ظل تواجدها بقطاع غريب عنها ، ولابد وأن يلفظها فىنهاية الامر باعتبارها جسما غريبا عنه . وفى تعدد المجالس والقيادات تعدد لانماط السلوك التى يجب أن تسود فى ظل مفاهيم كل مجلس أو قيادة . وكل هذا يجعل لجنة الخطة والموازنة تطرح سؤالا هاما حول معايير تشكيل القطاع الواحد من أجهزة تحقيق أهداف القطاع ، باعتبارها ادوات تكتيكية تحقق استراتيجية القطاع فى الاجل القصير والطويل . ولاشك أن فى سيادة نظام المجالس القومية ما يساعد على تحقيق الاستقرار للادوات الادارية التى يستخدمها القطاع فى ادارة نشاطه .

نتائج النشاط التجارى

حققت الشركة خسائر فى سنتى ٧٠ ــ ٧١ و٧١ ــ ١٩٧٢ قدرها ٧٧ ألف جنيه و١٨١ ألف جنيه بينما قدر لسنة ٧٣ فائض قدره حوالى ٧٢ ألف جنيه ويوضح المرفق (١) مقارنة النشاط الجارى فى السنتين ٧٠ ــ ٧١ ، ٧١ ــ ٧٢ الفعليتين بالمقدر لسنة١٩٧٣ . ومنه يتضح مايلى:

● ازدياد الاجور بحوالى ٤٨ ألف جنيه بين موازنة ٧٠ ــ ٧١ ، ١٩٧٣ بما يعادل١٠فى المائة من اجور٧٠ــ ٧١ . ومن المنتظر زيادةذلك لو دفعت العلاوة بالكامل خاصة وأن العمال يطالبون بها على أساس أن الشركة تحت التأسيس .

● ان نسبة المستلزمات السلعية الفعلية تصل الى حوالى ٥١ فى المائة من ايرادات النشاط الجارى بينما أن المقدر ٤٧ فى المائة وهى نسبة لن تتحقق فى ظل ظروف الرقابة الحالية على التشغيل . فاذا اخذت النسب الفعلية كأساس فان الربح المقدر ينخفض بحوالى ٣٠ ألف جنيه .

● ان المصروفات التحويلية التخصصية وعلى الاخص مصروفات السنوات السابقة عامل هام فى تغيير النتيجة النهائية للتشغيل . فعلى الرغم من أن المنصرف الفعلى فى سنة ٧٠ ــ ٧١ بلغ ٥٥ ألف جنيه قابله ٢٣٧ ألف جنيه فى ٧١ ــ ٧٢ فان المقدر لسنة ٧٣ يبلغ ٢٢ ألف جنيه . فاذا روعيت ظروف الشركة فقد يصل هذا الرقم الى ما يعادل متوسط نسبة هذه المصروفات الى ايرادات التشغيل فى السنتين السابقتين وقدره ١٦١ ألف جنيه .

مما تقدم يتبين أن الشركة سوف تحقق خسارة عن أعمال سنة ٧٣ قدرها ١٢٢ ألف جنيه على النحو التالى :

	ألف جنيه
زيـادة فى الاجور لو دفعت العـلاوة بالكامل	٢٥
زيادة المستلزمات السـلعية	٣٠
زيادة التحويلات التخصصية	١٣٩
اجمالى الزيادات فى المصروفات	١٩٤
الرقم المقـدر للارباح	٧٢
الخسارة التقديرية لسنة ١٩٧٣ لو تحقق رقم الاعمـال بالكامل	١٢٢

ولعل هذا هو ماحدا بالشركة الى أن تتظلم من أن وزارة المالية والاقتصاد لم تدرج ضمن الموازنة التخطيطية للسنة المالية ١٩٧٣ الاعانة المعتادة وقدرها ٨٣ ألف جنيه ٠

مشاكل الشركة

أوضحت الشركة مشاكلها فى المجـالات المختلفة ، وقد كان لمندوبى الجهاز المركزى للمحاسبات تعليقات عليها ٠ وفيما يلى تفاصيل المشاكل :

اولا ـ الصعاب المرتبطة بالنواحى الانتاجية :

١ ـ الالات :

الالات الموجودة بالشركة هى عبارة عـن المتبقى من الالات التى كانت تمتلكها الهيئات والشركات والمطابع الخاصة التى اندمجت فى شركة دار الكاتب العربى والتى اسـتولت المؤسسة المصرية للتأليف والنشر (الهيئة العامة للكتاب حاليا) على خيرها وأحدثها لانشاء المطبعة الثقافية ٠

ومعظم هذه الالات قديم جدا يرجع عمر بعضها الى سنة ١٩٢٠ مما كان سببا فى انخفاض معدلات انتاجها وارتفاع تكاليـف صيانتها الى جانب توقف بعضها من حين لاخر لعدم توافر قطع الغيار وبالتالى انخفاض الطاقة الطباعية للشركة ٠

٢ ـ العمالة :

ـ تبلغ نسبة تكلفة العمالة الى ايـرادات التشغيل حوالى ٤٤ فى المائة وهى نسبة غير اقتصادية ومرتفعة اذا ما قورنت بالانشطة المماثلة فى القطاع العام والخاص ، وهى نتيجة مباشرة لتعدد توالى المجالس الادارية على الشركة ٠

ـ نتيجة لما قامت به وزارة الثقافة لدى انشاء المطبعة الثقافية سلخا من شركة دار الكتاب العربى واختيارها لاكفأ وأصلح العنـاصر العمالية ، بجانب النقص فى كثير مـن التخصصات اللازمة سواء على المستوى الفنى أو الادارى ، تعانى الشركة من تحملها بأعباء عمالة غير ملائمة ٠ وتشير الشركة الى أن عدد ذوى المؤهلات العليا يقتصر على ٢٧ عاملا فقط من مجموع العاملين البالغ عددهم ١٥٥٠ عاملا وأن الشركة رغم أن بها عددا غير قليل من الالات لايوجد بها مهندس واحد ٠

ـ رسوب العمال فى فئاتهم الوظيفية نتيجة عدم ترقيتهم منذ مدة طويلة ـ أيام كانوافى الدار القومية ثم دار الكاتب العربى ـ وعدم حصولهم على علاوة كاملة خلال العشر سنوات الماضية ،وقد أدى ذلك الىعدم بذلالجهدالكافى وقد ترتب على ذلك أيضا مشاكل للادارة بصفة مستمرة أثرت على الانتاج ٠

ـ نتيجة عدم انسياب المواد الخام فى الوقت المناسب والتزام الشركة قبل العملاء بمواعيد محددة لتسليم المطبوعات تضطر الى التشغيل الاضافى بما يزيد فى التكلفة ٠

هذا وقد أعدت الشركة حصرا بالعمالة التى يمكن الاستغناء عنها تمهيدا لاتخاذ اجراءات نقلها بمعاونة الوزارة والمؤسسة تخفيفا لعبء العمالة من ناحية وامكان احلال التخصصات المطلوبة بجزء من تكلفتها من ناحية أخرى ٠

وتلاحظ لجنة الخطة والموازنة أن ظـروف تشغيل العمال فى الشركة قد جعل جزءا كبيرا من العاملين يعمل فى القطاع الخاص لزيادة دخله ، ولهذا أثره على الشركة من ناحيتين :

- عدم اهتمام العاملين بالشركة بالعمل فيها وانخفاض درجة الولاء للشركة ٠
- افشاء أسرار العمل للقطاع الخاص مما يتيح له التقدم بمناقصاته بأسعار أقل من القطاع العام ٠
- مساعدة القطاع الخاص فى خفض تكلفة العمالة لديه وبالتالى ينافس القطاع العـام منافسة غير سليمة ، لانه لا يدفع تأمينات عن هؤلاء العاملين ، بجانب أن الاجر المدفوع من القطاع الخاص يدفع مقابل انتاج اقتصادى لا دخل فيه للعوامل الاجتماعية التى تراعيها نظم الاجور فى القطاع العام كتحمل أجر المجندين ونظام العلاج الطبى أى أن الغرم فى النهاية

يتحمله المال العام ، حيث لا تتقابل الاجور مع الانتاج الاقتصادى اللازم لاستيعابها ٠

٣ ـ الخامات

(وتمثل ٥٣ فى المائة من التكاليف بينما النسبة المعتادة هى ٣٥ فى المائة) كما تمثل قيمة الورق ٨٥ فى المائة من قيمة المستلزمات التى تعتمد عليها المطابع ومن هذه النسبة تتضح أهميتها لاستمرار الانتاج وزيـادته ٠ وتحصل الشركة على الورق اللازم لها اما عن طريق ما تخصصه لها الدولة من نقد أجنبى للاستيراد من الخارج ، او الحصة المحددة لها عن طريق شركات الانتاج المحلية ٠

وبالنسبة للطريق الاول فالحصة النقـدية محددة جدا نتيجة للظروف الحالية اذ لـم تتجاوز خلال السنة المـالية ٧١ ـ٧٢ مبلغ ١٠٥٠٠ جنيه من قيمة قدرها ١٠٢ ألف جنيه طلبتها الشركة ٠

أما بالنسبة للطريق الثانى فالحصة المقررة محسوبة على أساس متوسط رقم الاعمال خلال الثلاث سنوات السابقة على انشاء الشركة ٠ وقد تضاعف هذا الرقم تقريبا دون زيادة هذه الحصة ، وقد أدى هذا الى أن الشركة حصلت على الكميات الاضافية التى غطت رقم أعمالها المتزايد من الشركة المصرية للورق والادوات الكتابية عن طريق لجنة الورق وبـالمعاونة المستمرة من السيد رئيس المؤسسة ٠

كما أن عدم توافر الخامات المساعدة الاخرى بالاسواق مثل الغراء والصمغ والدوبـارة والسلك وخلافه وعدم توافر السيولة بالشركة يؤدى الى عدم القدرة على التخزين والشراء أولا بأول وبأسعار تزيد أحيانا عن السعر الرسمى لكى تتمكن من التنفيذ فى المواعيد المحددة ٠ وهذا يؤدى الى ارتفاع تكلفـة الانتاج ٠

وقد أوضح مندوبو الجهـاز المـركزى للمحاسبات أن حقيقة ارتفاع نسبة الخامات الى التكاليف ترجع الى اهمال القائمين على الرقابة على صرف الخامات ذاتها بما يزيد فى حالات كثيرة عن ٣٠ فى المائة من اللازم للتشغيل فعلا ، وأن أذون الصرف المسلسلة لا تستعمل بالمخازن ٠ وقد وعد المسئولون بـالمؤسسة بدراسة طريقة صرف الخامات ومراجعتها مع التشغيل ٠

وترى لجنة الخطة والموازنة أن جميـع الاعمال التى تتم بالطلبية ـ اى ليست بالانتاج المستمر النمطى ، الذى ينتج مقدما فى انتظار الطلب بعد ذلك ـ يمكن ان تخضع لنظام رقابى دقيق لو أمكن للشركة مسك حسابات تكلفة اللاوامر مدعما بنظام تكاليف معيارية ٠ وهو أمر كانت الشركة قد بدأت تمارسه سنة ١٩٦٨ ثم عدلت عنه بعد ذلك دون مبرر ٠

كما أنه قد تبين للجنة أن طريقة توزيع خامات الطباعة على مختلف المطابع من ورق ورصاص وألوان تحتاج الى انضباط لضمان عدم المتاجرة فيها فى السوق الســوداء ، ثم يتحمل المستهلك عبء ذلك فى النهاية فى شكل زيادة تكاليف الثقافة المقروءة وخاصة على ابنائنا فى الجامعات

٤ ـ تعدد فروع الشركة :

نشاط الشركة موزع على ستة فـروع ، وبجانب تشتت هذه الفروع فى أماكن متفرقة فان كلا منها لا يمثل وحدة انتـاجية كاملة وبالتالى يوجد زيادة فى الاعباء المالية وتكرار لبعض الوظائف فضلا عن أن هذه الفروع فى مبان معظمها مستأجر وقديم ويحتاج الى صيانة مستمرة مما يؤدى الى عمل الشركة بنفقات تزيد عن النفقات العادية ٠

ثانيا : الصعاب المرتبطة بالنواحى التسويقية :

تختلف طبيعة نشاط الشركة عن بـاقى الشركات الانتاجية الاخرى اذ انهـا لا تنتج انتاجا نمطيا يعرض للبيع بالاسواق ، بل انها تقوم بتنفيذ ما يطلب منها من أعمال الطباعة ، اى تعمل فى نظام يسمى بالتشغيل حسـب الطلبيات ٠ وتوضح الشركة أنها تعانى فى سبيل ذلك منافسة غير متكافئة من الوحدات الاقتصادية المثيلة ، فالمؤسسات الصــحفية توسعت أخيرا فى أعمال الطباعة التجارية واستخدمت أحدث الالات ومالها من امكانيات لا تتوافر للشركة ، ومطابع القطاع الخاص لها أساليبها التى لا يمكن للشركة أن تسلكها ٠ ثم أوضحت الشركة بأن وزارة المالية والاقتصاد أعطت صورة من صور الرعاية والتفضيل لهيئة المطابع الاميرية باصدار المنشور رقم ١٠ لسنة ١٩٧٢ بالزام كافة الجهات الحكومية والهيئات العامة ووحدات الادارة المحلية بطبع مطبوعاتها بالهيئة بل ونقل الاعتمادات الخاصة بالمطبوعات من ميزانية هذه الجهات الى ميزانية الهيئة ٠

وقد أوضحت الشركة أنها حاولت السير فى نفس السبيل فعملت على استصدار توصيات من اللجنة الاستشارية للمؤسسات التموينية بقيام كافة المؤسسات والشركات التموينية بطبـع مطبوعاتها بالشركتين التابعتين لوزارة التموين الا أنه على الرغم من الجهود المتواصلة من

السيد رئيس المؤسسة ومن جانب الشركة لوضع هذه التوصيات موضع التنفيذ الكامل فان بعض الشركات التموينية لم تستجب لهذه التوصيات الاستجابة الواجبة ٠

هذا وقد أوضح ممثلو الجهاز المركزى للمحاسبات أن الشركة تعتذر عن تنفيذ بعض الطلبيات ٠

ثالثا ـ الصعاب المرتبطة بالنواحي التمويلية :

بناء على قرار وزير التموين رقم ٣٠٦ لسنة ١٩٧٠ بقيام لجنة التقييم المشكلة بقرار وزير الخزانة رقم ١٢٠ لسنة ١٩٧٠ ـ بدراسة أوضاع السيولة على أساس الاصول والالتزامات وتحديد راس المال اللازم للشركه فى ضوء مكونات الاصول والالتزامات ودورة الانتاج ومتطلبات النشاط بوجه عام فقد ضمنت لجنة التقييم تقريرها قيمة رأس المال المطلوب والسيولة اللازمه للشركة حتى تتمكن من مزاولة نشاطها بكفاءة ودون معوقات مالية بمبلغ ٨٠٠ر٠٠٧ر١ جنيه ممثلا فى :

جنيـــه	
٢٤٦ر١٩٤	قيمة الاصول الثابتة اللازمة للانتاج
٨٠٠ر٥٠٧	قيمة المال العامل الواجب توافره .
٧٥٤ر٣٠٥	مقابل الفرق بين القيمة الاستبدالية للاصول وقيمتها الدفترية على ان يتم سداد قيمة البندين الاول والثانى مباشرة ويصرف البند الثالث حسب احتياجات التجديدات مستقبلا .

وقد أوضحت الشركة انه على الرغم من اعتماد وزارة المالية والاقتصاد لتقرير لجنة التقييم المشار اليه فان المبلغ الذى سدد للشركة ـ وقد مضى على تكوينها أكثر من سنتين ـ اقتصر على ٢٠٠ الف جنيه فقط ، وقد استعمل جانب كبير منه فى سداد بعض التزامات الشركة التى لها صفة الاستعجال ٠

وترى الشركة ان افتقارها الى السيولة اللازمة يؤدى الى :

ا ـ القصور فيما يجب أن يكون عليه المخزون ٠٠ بل تكاد الشركة أن تحصل على مستلزمات انتاجها أولا بأول ٠٠ وهى سياسة خاطئة ولكنها مضطرة لانتهاجها ٠

ب ـ اضطرار الشركة للسحب على المكشوف من البنوك لتمويل عمليات شراء المستلزمات السلعية مما يكبدها فوائد دون مبرر ٠

جـ ـ أثر ذلك على سمعة الشركة التجارية اذ يشترط الموردون الدفع المقدم دائما ٠

د ـ تعذر احلال آلات جديدة بدلا من تلك التى أصبحت فى حكم المستهلكة وادخال المستحدث من آلات الطباعة والتصوير مما تفتقر اليه الشركة ٠

وتلاحظ لجنة الخطة والموازنة انه كان يمكن للشركة ان تستخدم مبلغ الـ ٢٠٠ الف جنيه كراسمال دائر بجانب الدفعات المقدمة التى تأخذها من العملاء ، خاصة وان القطاع الخاص لا تتوفر له نفس الامكانيات المتاحة للشركة ٠

الحلول المقترحة لمواجهة الصعاب من وجهـــة نظـــر الشركـــة

رغم الجهود التى تبذلها الشركة فى الدفع بعجلة الانتاج ورغم المعاونة المشكورة لها من جانب وزارة التموين والتجارة الداخلية والمؤسسة فهى مازالت فى حاجة الى المزيد منها لكى تتمكن من تحقيق الاهداف المنشودة ٠

وفيما يلى المقترحات التى تقدمت بها الشركة لامكان قيامها بمزاولة نشاطها بصورة اقتصادية :

١ ـ استصدار القرار المناسب الذى يلزم كافة المؤسسات والشركات التموينية بطبع كافة ما يلزمها من مطبوعات وعلب وأكياس وحلافه بالشركة اسوة بقرار السيد وزير المالية والاقتصاد الصادر لصالح هيئة المطابع الاميرية وبذلك يزيد رقم أعمالها الى الحد الذى يغطى نفقاتها ثم تحقيق فائض مناسب ٠

ب ـ تخصيص كمية من الورق بما يتناسب مع رقم الاعمال المنشود والذى لا يجب أن يقل عن ثلاثة ملايين جنيه وتبلغ هذه الكمية حوالى ٥٠٠٠ طن ٠

جـ ـ زيادة الحصة النقدية المخصصة للشركة لامكان استيراد قطع غيار للالات ولتنفيذ خطة خمسية لاستبدال الالات القديمة بأخرى متطورة وحديثة ٠

د ـ العمل على تخفيف عبء العمالة بنقل العناصر التى يمكن الاستغناء عنها الى جهات أخرى لامكان تزويد الشركة ببعض التخصصات والكفاءات التى تحتاجها ٠

هـ ـ سداد باقى رأس المال الذى حددته لجنة التقييم مع الاسراع فى صرف دفعة عاجلة لا تقل قيمتها عن ١٠٠ الف جنيه لكى تتمكن

الشركة من حل أزمة السيولة بها وتكوين مخزون خامات مناسب ٠

توصيات لجنة الخطة والموازنة

لقد كان لملاحظات الجهاز المركزى للمحاسبات عن الرقابة على صرف الخامات وجلب الطلبات الاثر الاكبر فى توضيح أن العاملين فى هذه الشركة هم مصدر خسارتها ٠ ولقد كانت تصفية شركة دار الكاتب العربى واخذ قطاع الثقافة احتياجاته من أصولها وعمالها مقدمة فعلية لباقى عمال الشركة للاتعاظ بأن بقاءهم فى الموقع الانتاجى رهن بتقدمهم وولائهم وحرصهم على المال الذى ائتمنتهم الدولة على ادارته وتشغيله ٠ ولكن السنتين اللتين تليا انشاء الشركة الجديدة بعد تصفية دار الكاتب العربى قد اثبتا أن العاملين فى الشركة لا يتوفر لديهم الولاء الكافى للشركة ولا الحرص الواجب على أموالها بحيث أنهم أنفسهم قد مكنوا منافسيها من الحصول على مناقصات كان يمكن الشركة أن تحصل عليها وأن تحقق رقم الاعمال المربح لها ٠ ولقد ركن العاملون بالشركة الى الاعانة الجارية التى كانت تدفعها الخزانة العامة للشركة بعد انشائها فى الوضع الجديد وقد ظنوا أن الدولة مجبرة على هذا ٠ ولقد بدأ اهمال العاملين بالشركة وعدم ولائهم للشركة فى الاتى :

- العمل لدى المنافسين بالقطاع الخاص دون اذن ، وبأجر غير محمل بتأمينات ومصاريف علاج وأجور مجندين وعمالة زائدة ٠
- افشاء أسرار العمل للمنافسين تجعلهم يتقدمون بأسعار فى المناقصات أقل من عطاءات الشركة ٠
- الاعتذار عن طلبيات كان فى امكان الشركة اتمامها ٠
- عدم الامانة فى الرقابة على استخدام الخامات ٠

وان أضعف الايمان بالنسبة لهذه الشركة اعطاءها فرصة للبقاء دون تصفية لمدة سنة ـ بشرط أن تديرها هيئة المطابع الاميرية باعتبارها الهيئة المتخصصة ، والتى يمكن ان تفيدها وتقيلها من عثرتها ٠

هذا ومرفق بيان مقارن بالنشاط الجارى للشركة خلال السنتين ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ وكذلك تقديرات السنة المالية ١٩٧٣ ٠

رئيس اللجنة
د ٠ احمد أبو اسماعيل

مقارنة النشاط الجارى بعناصر الاستخدامات الجارية
خلال الفترة من ٧١/٧٠ حتى ١٩٧٣

سنوات المقارنة وتطور القيم	١٩٧١/٧٠ فعلى			٧٢/٧١ [١٢ شهر] فعلى			١٩٧٣ تقديرى		
		نسب تحليلية ٪			نسب تحليلية ٪			نسب تحليلية ٪	
ايرادات النشاط الجارى وعناصر الاستخدامات الجارية	القيمة بالالف جنيه	الى ايرادات النشاط الجارى	ايرادات سنة الاساس ٧١/٧٠	القيمة بالالف جنيه	الى ايرادات الجارى النشاط	الى سنة الاساس ٧١/٧٠	القيمة بالالف جنيه	الى ايرادات النشاط الجارى	الى سنة الاساس ٧١/٧٠
ايرادات النشاط الجارى	١٠٣٤	١٠٠٪	١٠٠٪	١٢٧٥	—	١٢٣٪	١٤٠٠	١٠٠٪	١٣٥٪
الاستخدامات الجارية :									
الاجور	٤٧٧	٤٦ ٪	١٠٠٪	٥١٢	٤٠٪	١٠٧٪	٥٢٥	٣٧ ٪	١١٠٪
المصروفات الجارية :									
المستلزمات السلعية	٥٣٠	٥١ ٪	١٠٠٪	٦٤٧	٥٠٪	١٢١٪	٦٧١	٤٧ ٪	١٢٦٪
المستلزمات الخدمية	٦١	٥ ٪	١٠٠٪	٧٦	٥ ٪	١٢٥٪	٦٥	٤ ٪	١٠٦٪
التحويلات الجارية	٤٦	٤ ٪	١٠٠٪	٥٦	٤ ٪	١٢١٪	٤٧	٣ ٪	١٠١٪
التحويلات التخصصية الجارية	٥٥	٥ ٪	١٠٠٪	٢٣٧	١٨٪	٤٢٩٪	٢٢	١ ٪	٣٩ ٪
مجموع المصروفات الجارية	٦٩٢		١٠٠٪	١٠١٦	—	—	٨٠٥	—	—
اجمالى الاستخدامات الجارية	١١٦٩	—	—	١٥٢٨	—	—	١٣٣٠	—	—
فائض العمليات الجارية [١]				—	—	—	٧٢	٥ ٪	—
عجز العمليات الجارية [١]	٧٧	٧ ٪	١٠٠٪	١٨١	١٤٪		—	— —	—

(١) للايرادات التحويلية الجارية تاثيرها فى الوصول الى هذه النتيجة وبالتالى لا تعبر هذه القيم عن الفرق بين ايرادات النشاط الجارى ومجموع الاستخدامات الجارية ٠



المشـــــكلة ..
وأصـــل المشـــكلة

د. رفعت السعيد

برفق شديد وضعت لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب يدها على المشكلة وأسبابها ، وعددت هذه الاسباب فيما يلى :

● عدم اهتمام العاملين بالشركة بالعمل فيها ، وعدم توفر الولاء الكافى للشركة ولا الحرص الواجب على أموالها .

● افشاء أسرار العمل للمنافسين من القطاع الخاص مما يتيح له التقدم بمناقصاته بأسعار أقل من القطاع العام .

● العمل لدى القطاع الخاص ، بما يساعد القطاع الخاص على خفض تكلفة العمالة لديه ، فهو لا يدفع عنهم تأمينات اجتماعية ولا يتحمل قبلهم بأية مسئوليات .

● عدم الامانة فى الرقابة على استخدام الخامات .

● الاعتذار عن طلبيات كان بامكان الشركة اتمامها .

ولنتامل هذه الاسباب ، ثم لنسأل انفسنا ماذا بقى للشركة المصرية للطباعة والنشر .. ؟ أهى وحدة انتاجية تابعة للقطاع العام المملوك للشعب ، أم هى مجرد « ثقب » تستنزف من خلاله أموال الشعب بطريق غير مشروع ؟ وهؤلاء العاملون ماذا بقى لهم من حقوق تجاه الدولة ؟

أقول ان التقرير قد وضع يده « برفق شديد » على الاسباب ، لكنه .. قال كلمته ومشى ، هل هذا يكفى ؟ بل وهل يكفى ما اقترحه أيضا - برفق شديد - فى النهاية بأن « أضعف الايمان بالنسبة لهذه الشركة هو اعطاؤها فرصة للبقاء ، دون تصفية لمدة سنة » ؟ .

حسنا .. وماذا عن هذه «المخالفات» الجسيمة؟.. ماذا عن هؤلاء الذين أفشوا أسرار العمل ، وليس لديهم الولاء الكافى لشركتهم ، ولا الحرص الكافى على أموالها ، ولا الامانة فى الرقابة على استخدام الخامات . وكل هذه أوصاف ، مهذبة لاعمال تندرج بشكل مباشر تحت طائلة القانون ، وتصل بأصحابها ليس فقط الى المسائلة الادارية وانما أيضا الى المساءلة القانونية .

والسؤال الملح الان هو ماذا كان رد الفعل لدى المسئولين فى المؤسسة التى تتبعها هذه الشركة ؟ هل تحركو؟ هل حاسبوا؟ أم تجاهلوا هذه المخالفات الخطيرة التى أوردها تقرير أقرته أعلى سلطة تشريعية فى البلاد ؟ وهؤلاء المسئولين عن الشركة، مديروها وأهل الحل والربط فيها ألم يتحرك ضمير واحد منهم استشعر المسئولية ، أو حتى - دونما

حاجة الى ضمير ـ أستشعر الخوف والخطر فقدم استقالته ؟ فيما أعتقد لاشيء من ذلك قد حدث ..

وهنا الخطر الاكبر ... هنا الكارثة الحقيقية .

أن تكون هناك مخالفات صارخة ، فهذه مصيبة ، لكن أن تكتشف المخالفات ، ويشار اليها ، وتتحدد التهم بواسطة السلطة التشريعية ، ثم لا يتحرك أحد فهذه كارثة . لان معناها أننا نضيء النور الاخضر أمام المخطئين .

لكننا لا نطالب بالعقاب فقط وانما نطالب بالبحث عن أصل المشكلة .. وأصل المشكلة بعيد ، بعيد منذ أن اعتبرت الثقافة فى مصر ترفا ، وأعتبر النشر تجارة ، مقياسها الوحيد الربح ، ومنذ أن اعتبر العامل الماهر عبئا على ميزانية الشركة والالات غير الحديثة شيئا غير مرغوب فيه فى حين أن العامل الفنى والالات غير الحديثة ثروات ما أشد حاجتنا اليها .

والذى حدث هو أن مؤسسة التأليف والنشر ، وقعت ـ منذ البداية ـ فريسة لبعض المتاجرين بالنشر ، الذين طالبوا ـ وياللعجب ـ بتأميم أنفسهم (وربما كانت مصر هى البلد الوحيد فى العالم الذى طالب فيه المنتجون الرأسماليون بتأميم شركاتهم) . ودخلت هذه الشركات بأعبائها ثقلا فوق كاهل القطاع العام ، وتربع أصحابها قادة لشركاته .. ثم تطورت الامور ، وزادت الاعباء ، أو بالدقة زادت الاخطاء . وألقى اللوم ليس على سوء الادارة ، ولا على سوء التخطيط ، ولا سوء الاختيار ، ولا سوء التوزيع ، وانما ألقى اللوم على « الكتاب الجاد » ، وكأن الكتاب الجاد سلعة بائرة ، ناسين أن المتاجرين بأكثر الكتب جدية ـ سواء فى مصر أو لبنان ـ هم أكثر الناس ربحا ، ناسين أن تجربة مؤسسات النشر البيروتية وما تجنيه من أرباح طائلة من نشر الكتب الجادة ولكتاب مصريين بالذات تدحض كلدعاويهم .

المهم ، لقد ألقى اللوم على « الكتاب الجاد » ، وتقرر أن مصر ـ ٣٥ مليونا من البشر ـ وأن مصر بكل ثقلها الحضارى والثقافى العربى والاسلامى ، وبكل تراثها الفكرى ، وبكل كتابها وشعرائها ومؤرخيها وأدبائها ، هؤلاء الذين يهتبرون ثروة حقيقية تتصيدها مؤسسات النشر اللبنانية ، تستجدى منهم انتاجهم لتنشره وتتاجر به وتربح أرباحا خيالية ، تقرر أن كل ذلك ـ مصر بكتابها وبثقافتها وبتراثها ـ أقل من طاقات دار نشر حكومية واحدة . ومن ثم تقرر تضييق نشاط هذه الدار .

وصفيت المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، واستصفى منها كل من له نفوذ أو بعض نفوذ ليبقى فى الهيئة العامة للتأليف والنشر . ونبذ الباقون ـ ١٥٥٠ من العاملين ـ ومعهم آلاتهم غير الحديثة ، نبذوا الى الشركة موضوع الحديث ، فماذا تريدون منهم بعد أن نبذتموهم ؟ !

واحتارت الالباب فى البحث عن جهة يعلق برقبتها هذا العبء الرهيب (ومرة أخرى يشعر الانسان بالاسى وهو يحس أن عمال طباعة فنيين وخبراء فى فن طباعة ونشر الكتاب ، وآلات طباعة قادرة على العمل ، يمكنها أن تكون عبئا فى مجتمع متحضر أو حتى شبه متحضر) .

وأخيرا ، ألقى هذا العبء على عاتق قطاع لا يستطيع أن يقول لا ، هو قطاع التموين والتجارة الداخلية ، لكن لماذا « التموين » بالذات ؟ ربما لان الثقافة غذاء للروح ! . لكن ذلك افتراض حسن النية ، والاقرب الى المنطق هو أن البعض قرر أن الطباعة والنشر تجارة فحسب ، وهى حتى تجارة داخلية ليست بحاجة الى تصدير . والامر فى اعتقادى يشبه الحاق مجمع الحديد والصلب بوزارة السياحة ، باعتبار أن حلوان منطقة سياحية . وهكذا ومنذ البداية دارت العجلة فى الاتجاه الخاطىء . وأسرع الكتاب بانتاجهم الى بيروت ، وتاجر العاملون المنبوذون بولائهم لشركتهم ،وباعوا أسرارها وارتكبوا ماهو أكثر من ذلك .. وكسب الكتاب .. وكسب العاملون المنبوذون ، وخسرت مصر .. وخسر تراثها الثقافى والحضارى ..

والان .. فان العلاج يتطلب ليس الشدة وحدها ـ وهى ضرورية ـ وانما أيضا علاج المشكلة من جذرها ، وعلينا ونحن نبحث عن العلاج أن نتلمس ـ دوما ـ الخطر الذى تشكله محاولات القطاع الخاص افساد القطاع العام والتطفل عليه .

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية

تبين للجنة الخطة والموازنة عند دراسة الشركات الخاسرة أن الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية مقدر فى موازنتها التخطيطية عجز قدره ١٣٠ الف جنيه فى السنة المالية ٧١ ـ ١٩٧٢ ·

ولهذا طلبت من المسئولين عن الشركة توضيح أسباب هذا العجز الجارى ، فعقدت لهذا الغرض اجتماعين ، الاول مع المسئولين بقطاع المقاولات والشركة للتعرف على نشاط الشركة ومعوقات الاداء فيه ، أما الثانى فكان خاصا بالنقابات العمالية وقيادات الاتحاد الاشتراكى للوقوف علي آرائهم فى حل المشاكل التى تواجه الشركة ·

وقد حضر الاجتماع الاول عن قطاع المقاولات :

ـ السيد وكيل وزارة الاسكان لشئون المؤسسات ·

ـ السيد رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المبانى ·

ـ رئيس وأعضاء مجلس ادارة الشركة ·

ـ بعض الفنيين من وزارة الاسكان والمؤسسة والشركة ·

كما حضر الاجتماع أيضا ممثلون عن الجهاز المركزى للمحاسبات ووزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية

أما الاجتماع الثانى فقد تم بحضور ممثلى قطاع المقاولات وممثلى التنظيمات السياسية والنقابية والعمالية بالشركة ·

ومن واقع جلسات الاستماع والتقارير التى قدمت من المختصين عن نشاط الشركة وما طلب من بيانات ، تقدم لجنة الخطة والموازنة دراستها للشركة · ونظرا الى أن ما دار فى جلسات الاستماع قد مس بعض جوانب قطاع المقاولات فقد أفردت اللجنة لظروف القطاع دراسة مستقلة عن الشركة ·

وبهذا يتضمن هذا التقرير ما يلى :

ـ ملاحظات عامة عن قطاع المقاولات ·

ـ دراسة عن الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية وتحتوى على :

- تطور تكوين الشركة ونشاطها ·
- نتيجة نشاط الشركة ·

مشاكل الشركة التى تسببت فى خسائرها

- العمالة الزائدة ·
- قصور أصول الشركة ·
- أخطاء اختيار مواقع المصانع والورش الانتاجية ·
- ظروف تشغيل الشركة ·
- اتساع رقعة أعمال الشركه ·

ملخص توصيات اللجنة

ملاحظات عامة عن قطاع المقاولات ظهرت للجنة الخطة والموازنة عند دراسة الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية

كان نصيب قطاع المقاولات من الشركات

الخاسرة شركة واحدة جاءت اليه من قطاع آخر ، اذ تبعت لمؤسسة مقاولات المبانى الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية نقلا من المؤسسة العامة لاستصلاح الاراضى ٠

ومن مناقشة الشركة عن الظروف التى أدت الى ظهور خسائر بها ، تبين أن هناك ملاحظات خاصة بالقطاع كله أثرت على الشركة ذاتها ، واذ تنظر لجنة الخطة والموازنة للموضوع من زاوية تخطيطية وموازنية ، تجد أن استثمارات الخطة السنوية ـ بجانب الاعمال المماثلة فى اعتمادات القوات المسلحة بالموازنة العادية وموازنة الطوارىء ـ تتضمن أعمالا للمبانى لتحوى بين جدرانها الات ومعدات انتاجية تستورد وتكلف الاقتصاد القومى الكثير ٠

ولئن كانت لجنة الخطة والموازنة قد سبق لها ـ عند الرد على بيان السيد وزير الخزانة عن موازنة ١٩٧٣ ـ طالب تدعيم قطاع المقاولات للوفاء بحجم الاعباء الملقاة عليه ، فانها تؤكد فى التقرير المعروض ضرورة ترابط عمليات تنفيذ الخطة ، نظرا الى أن عدم الترابط الاجرائى للتنفيذ يؤدى الى اطالة مدة انشاء المبانى وبالتالى تعريض الالات التى تكون قد وردت فعلا ، لعوامل التعرية والجو وبالتالى لافساد كفاءتها ٠ ومن الاسباب الرئيسية التى تؤدى الى عدم تنفيذ حجم العمل المقدر فى الموازنات التقديرية لشركات المقاولات أو اضعاف سيولتها نجد ما يلى :

● تأخر شركات المقاولات فى الحصول على حجم العمل المناسب سواء عن طريق الاسناد أو بالمناقصة العامة ٠

● تنفيذ أعمال للوزارات والمصالح دون أن يكون لهذه الاخيرة اعتمادات كافية لسداد مستحقات الشركات مما يزيد من أزمة السيولة لدى شركات المقاولات، ويلقى على الخزانة العامة عبء تصفية هذه المديونيات ويصعب من مهمتها فى التوازن النقدى ٠

● قصور الحصص المخصصة للشركات من مواد البناء مثل الاسمنت والخشب والحديد ، مما يطيل من مدد تنفيذ الاعمال ويزيد من تحميل الاصول بفوائد ما قبل التشغيل وبالتالى يرفع قيمة الاصول دون ما مقابل انتاجى ، فيزيد عبء الاهلاك على التشغيل ، وفى النهاية تتحقق خسائر ليس للوحدات الانتاجية دخل فيها ٠ كما أن هذا لا يساعد الشركات على تدوير معداتها بالمعدل المناسب ٠

● زيادة عمليات المجهود الحربى ترفع الاسعار فى الزلط والرمل ، على الرغم من أن مصدرها يمكن أن تتحكم فيه الحكومة ٠

● عدم تنميط المبانى التى تؤدى الغرض الواحد حتى الان ، ولهذا يمكن أن تزداد تكلفة مبنى معدا للاسكان الادارى من جهة لاخرى حسب الجهة ذاتها لانها هى التى تحدد المواصفات والتصميمات والرسومات عن طريق مكاتب خاصة ٠

ولئن كان هذا التنميط لا يدخل فى صميم عمل المقاولات ـ كما أوضحت مؤسسة المبانى ، وأنها لا تتدخل فى شىء الا عندما ترى ارتفاعا فى الاسعار فترجع الى بحث أسباب المغالاة فى المواصفات او فى المواد التى تستخدم فى المبانى ، الا ان وزارة الاسكان مسئولة عن وضع حد قاطع لمواصفات الاسكان الادارى والاعمال المشتركة فى المصانع وغيرها سواء من حيث المواد أو التصميم أو الاسعار ٠ ولعل فى هذا ما ييسر على الدولة تطبيق ما تشير اليه فى موازنة البرامج والاداء ٠ وقد تبين للجنة أن لدى أجهزة وزارة الاسكان ومؤسسة المبانى معايير سعرية محددة على أساس مواصفات مشتركة يمكن عن طريقها تحديد تكاليف المبانى والانشاءات مما ييسر عملية توزيع أعمال المبانى والانشاءات الخاصة بالقطاع العام على شركات هذا القطاع حسب طاقاتها وترك الباقى للقطاع الخاص ٠ ويكون التنافس بين شركات مقاولات القطاع العام فى مجال استيعاب الطاقات المتبادلة للموارد الاقتصادية المتاحة لكل شركة وبالتالى فى تخفيض تكاليف الانتاج ، ومن هنا يتباين ربح كل شركة حسب ضغطها لتكاليفها ومدى استيعابها للموارد الاقتصادية فى الانتاج بكفاءة ٠

● نقص القيادة الوسيطة بين الملاحظ والمهندس فى هذا القطاع ، مما يشير الى خلل هيكلى فى التعليم الفنى ٠ ويرجع البعض هذه المشكلة الى الغاء نظام التعليم الذى كان يخرج هذا النوع من الفنيين والذى كان يتمثل فى مدارس الفنون والصنائع ٠

ولهذا ترى اللجنة أنه لو أعد نظام يضمن تخريج المهارة الفنية الوسيطة ، فان مشكلة نقص القيادات الوسيطة يمكن حلها خاصة عندما تكفل لهم لائحة للاجور تراعى اعطاءهم الحوافز الكافية بما فى ذلك « بدل للمواقع » ، وذلك شأن طبيعة المقاولات باعتبارها صناعة متنقلة ٠

● اتجاه العامل حاليا الى عدم توريث مهنته لابنائه لتوفر التعليم العام المجانى ٠

● اتجاه العامل الى هجر قطاع المقاولات الى قطاعات بها أجر أعلى أو فى الخارج وعلى الاخص فى ليبيا ٠

● نظرا الى اعتماد الدولة على استيراد معداتها الانتاجية من دول الكتلة الشرقية ، وكانت الخبرات المحلية لصيانة هذه المعدات ما زالت قاصرة عن بلوغ مستوى الجودة المناسب ، لهذا فمن الرأى أن يتولى قطاع التعليم بالاشتراك مع قطاعات الانتاج الاخرى تنظيم تدريب منظم لصيانة هذه المعدات الانتاجية ، لتغذية السوق بالمهارة المناسبة فى هذا المجال ٠

● نظرا الى أن النظام المحاسبى الموحد يوجب اهلاك الاصول على أساس القسط الثابت ، سواء اشتركت بعض هذه الاصول فى الانتاج من عدمه ، فان عبء الاهلاك يرفع من تكاليف الانتاج حسب نصيب الاصول التى لم تشترك فى العملية الانتاجية فعلا ٠ لهذا فانه من الرأى أن يعاد النظر فى هذا الاسلوب بحيث لا تتحمل الشركة بعبء اهلاك معدات لم يكن لها رأى فى شرائها ولم تشترك فى الانتاج لسوء حالها أو لعدم توفر الخبرة اللازمة لادارتها أو صيانتها ، أو لم تشترك فى الانتاج كلية ٠

● عدم دراسة المشروعات دراسة وافية ، اذ بعد أن تقرب مقاولة البناء من الانتهاء بالبياض ، وينتهى دور السقايل ، تواجه الشركات بأمر تشغيل اضافى ، مما يؤدى الى ترك السقايل وعدة الشغل لفترة والبحث عن سقايل جديدة لاعمال تنشأ لاول مرة ٠

● انخفاض الاصول اللازمة لعمل الشركات وضرورة زيادة الاستثمارات ، وذلك بالنسبة لمستلزمات الانتاج المستوردة من الخارج فى الاونة الاخيرة لزيادة الاسعار ٠

● عدم ملاءمة نظام دفع الاجور الذى تقرره اللائحة الحالية مع عمال المقاولات حيث لا يراعى الاجر كفاءة العامل فى استخدام الخامات وعدم اهدار المون وخلافه . وقد ظهر من الحديث مع المختصين بمقاولات المبانى أنه يجب أن تكون معدلات ربط الاجر بالانتاج هى المعدلات التى تكون فى صالح اتمام الانتاج بأقل تكلفة وأجود صنعة ، لانها هى التى تتخذ أساسا فى عمليات التكاليف المعيارية الموجودة حاليا بمؤسسة المبانى ٠ وهذه المعدلات تعدل كل سنتين عن الاعمال المتكررة وتشمل المون والمصنعية ٠

● لا زالت بعض حسابات السنوات السابقة لبعض شركات المقاولات لم تعتمد بعد ، مما يؤثر على نفسية العاملين ٠

● هناك بعض الورش التابعة للقطاع العام لا تستغل بالدرجة الكافية لنقص تنسيق نشاط وحدات القطاع العام كوحدة متكاملة ٠ فهناك مثلا ورش نجارة تابعة للقطاع العام يمكن أن تعد أنماطا جاهزة ويتفق عليها وتباع للقطاع العام أو القطاع الخاص ٠

● هناك ازدواج فى الاصول التى تؤدى الغرض الواحد ، فشركات استصلاح الاراضى مثلا تصنع ما تنتجه شركة المبانى الريفية بعد الحاقها بقطاع المقاولات ٠

● عدم كفاية الاموال المخصصة للطاقة الانتاجية بشركات المقاولات ، اذ المفروض أن تشترى معدات المقاولات بما يناسب طاقات القطاع ٠ وقد كان لنقص تلك الاموال أثره على القطاع بأن كان يشترى من مقدم ثمن المبانى أصولا انتاجية ليعمل بها ، وكان يعنى هذا بطء فى التشغيل ٠

● العبء الكبير الواقع على سيولة قطاع المقاولات نتيجة دفعه ثمن الاسمنت والحديد مقدما ثم استلام البضاعة بعد تاريخ الدفع بشهور ، مما يزيد من ازمة السيولة فى القطاع وبالتالى تحمله بفوائد الاقتراض لتمويل التشغيل ٠

وتوصى اللجنة بأن يكون هناك تنسيق بين اجهزة انتاج الاسمنت والحديد وشركات المبانى بحيث يتفادى حدوث أزمة سيولة كأن يتم الدفع وقت الاستلام أو قبله بأسبوع مثلا ٠

ومن الظروف السابقة يتبين أن قطاع المبانى عصب رئيسى للقطاعات كلها لما يشكله عنصر الانشاءات والتشييد من أهمية بها ، ويحتاج الامر الى انشاء وحدة لتنسيق تنفيذ مشروعات الخطة ٠ ولئن كانت وزارة التخطيط حاليا تقوم باعداد موازين سلعية ، فان الامر يتطلب أكثر من مجرد الموازين السلعية للدخول فى اجراءات احداث التوازن وسهولة انسياب السلع من مواقع انتاجها الى مواقع مستلزماتها أو استهلاكها . وان الظروف القادمة ــ وهى ظروف الحرب ــ تقتضى منا قبل أى شىء أن نجهز انفسنا بمثل هذا الاسلوب الذى يضمن عدم تواجد اختناق فى ظل وفرة المواد ذاتها نتيجة لعدم احكام ترابط اجراءات التنفيذ ٠

دراسة عن الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية وأسباب عجزها

اولا ــ تطور تكوين الشركة ونشاطها :

انشئت الشركة بموجب القرار الجمهورى رقم ٢٤٥٦ لسنة ١٩٦٤ ، وتبعت للمؤسسة المصرية العامة لاستصلاح الاراضى ،بهدف اقامة المبانى والمنشآت فى الاراضى المستصلحة التى تقوم بها شركات استصلاح الاراضى ٠

وفى عام ١٩٦٥ صدر قرار السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى رقم ٢٣ لسنة ١٩٦٥ بنقل مصانع المنتجات الخرسانية وورش النجارة والكريتال التابعة لمديرية التحرير بعمالها وموجوداتها الى الشركة ، ونقل معها عدد ٨٢٨ عاملا ، تبلغ أجورهم السنوية حوالى ربع مليون جنيه منها عمالة زائدة قدرت آنذاك بمبلغ ٦٧٫٥ الف جنيه عن حاجة المصانع وجزء منها مرضى ، وان كانت الشركة قد تمكنت من التخلص من ٧٥ فى المائة من العمالة الزائدة حاليا ٠

وفى ابريل ١٩٦٩ صدر القرار الجمهورى رقم ٤٥٤ لسنة ١٩٦٩ بنقل تبعية الشركة من مؤسسة استصلاح الاراضى الى مؤسسة مقاولات المبانى ٠ ونتيجة لهذا بدأت الشركة تغير من تخصصها القاصر على مبانى وانشاءات الاراضى المستصلحة وانطلقت الى مجال مقاولات المبانى والمنشآت العامة بجانب نشاط فرعى آخر يتيحه لها تخصص أصولها الانتاجية ، وبذلك فنشاط الشركة حاليا موزع بين نشاط مقاولات ونشاط من الورش الانتاجية ويمثل الاخير حوالى ثلث الاول ويتمثل نشاط الورش فى تصنيع :

- أعمدة الانارة الخرسانية (وتزداد الحاجة اليه فى عملية انارة قرى الجمهورية) ٠
- المواسير الاسمنتية المسلحة والعادية (ويواجه حالة ضعف فى الطلب لمنافسة شركة سيجوارت الشديدة والقطاع الخاص واعتماد استصلاح الاراضى على التشغيل الذاتى) ٠
- البلاط بأنواعه ٠
- الطوب الاسمنتى المفرغ ٠
- أعمال نجارة ٠
- أعمال الكريتال ٠

وفى ٦ ــ ١ ــ ١٩٧١ صدرت تعليمات السيد وزير الاسكان والتشييد بنقل ورشتى النجارة والكريتال وما يتبعهما من عاملين ومخزون سلعى من الشركة الى كل من شركتى الجمهورية للمقاولات وأطلس للمقاولات ٠

وقد تم صدور قرار النقل فجأة ٠ ويصاحب فترة انتقال الورش من جهة الى أخرى ضعف فى الانتاج نتيجة للبلبلة التى تصاحب عملية النقل (قبل النقل وبعده) ، وقد تم هذا بعد أن بدأت الشركة فى ايجاد حجم عمل يناسب طاقة الورشتين السابقتين بدلا من الخسائر التى كانتا تسببانها للشركة ٠

نتيجة نشاط الشركة

يتبين من دراسة الموقف المالى للشركة منذ بدء نشاط الشركة فى سنة ١٩٦٥ حتى ٣٠ ــ ٦ ــ ١٩٧١ ما يلى :

	ايراد	تكلفة	الربح	الخسارة
	الف جنيه	الف جنيه	الف جنيه	الف جنيه
من نشاط مقاولات المبانى	٥٫٤٢٩	٥٫٣٣٢	٩٧	—
من نشاط الورش	٢٫٣٣٨	٢٫٦١٤	—	٢٧٦
	٧٫٧٦٧	٧٫٩٤٦	٩٧	٢٧٦
مصروفات عمومية	—	١٫٠٠٤	—	١٫٠٠٤
	٧٫٧٦٧	٨٫٩٥٠	٩٧	١٫٢٨٠
صافى الخسارة . . .		١٫١٨٣	١٫١٨٣	

مشاكل الشركة التى تسببت فى خسائرها

يتبين من بيانات الشركة أنه يمكن اجمال تحليل هذه الخسائر على النحو التالى :

	الف جنيه
ـ الاجور الزائدة عن الفترة كلها حتى نهاية سنة ٧١/٧٠	٤٥٠
ـ فائدة رأس المال	١٣٦
ـ زيادة معدلات الاستهلاك	٢٦٧
ـ غرامات تأخير لعدم توفر مواد البناء	٥٢
	٩٠٥
اسباب أخرى	٢٧٨
	١٨٣ر١

وفيما يلى تفصيل ما تقدم :

١ ـ العمالة الزائدة :

نقلت الورش الانتاجية بعامليها وموجوداتها ومخزونها السلعى الراكد من هيئة مديرية التحرير الى الشركة عام ١٩٦٥ ، عقب انشاء الشركة مباشرة • وقد بلغ عدد العاملين المنقولين ٨٢٨ عاملا تكفلت الشركة بأجورهم التى تبلغ حوالى ٢٠٠ الف جنيه سنويا منها ٥ر٦٧ ألف جنيه تكلفة عمالة زائدة محددة بمعرفة اللجنة التى شكلتها المؤسسة العامة لاستصلاح الاراضى • وبذلك تحمل الانتاج بأجور زائدة تصل الى ٤٥٠ الف جنيه عن السنوات حتى ٧٠ ـ ٧١ ، وقد نقل من هؤلاء العمال جزء مع ورشتى النجارة والكريتال بحيث أصبح الباقى بالشركة ٢٨٥ عاملا منهم ١٥ فى المائة فنيين فقط • وتركزت مشاكل هؤلاء العمال فى أنهم كانوا معينين على أساس خدمات وفى ظل قانون يعطى علاوات وبدلات دون ربط الاجر بالانتاج وهو قانون العاملين للدولة • وقد كانوا يحصلون على بدل طبيعة عمل تتراوح بين ٣٥ فى المائة (للورش) ، ٤٠ فى المائة (للمزارع) كما كان بهم عدد غير قليل مريض بأمراض مستعصية • وبذلك كان من الصعب نقلهم الى جهات أخرى ليس بها بدل طبيعة عمل • وإزاء عبء العمالة نهجت الشركة على نقل العمال الى مواقع مختلفة للعمل بها (مع احتفاظهم بمساكنهم المجانية فى مديرية التحرير) الا أنه كان يواجه العمال انخفاض بدل طبيعة العمل ، بجانب أن أصبح المقر الحالى للشركة هو القاهرة بدلا من مديرية التحرير لامكان مواجهة التحول الجديد فى المجال الذى تخدمه الشركة بعيدا عن استصلاح الاراضى ، ولهذا اضطرت الشركة الى صرف بدل سفر للعمال الذين ينقلون ، وهو أمر كبد الشركة الكثير أيضا •

وقد أثار عمال الشركة قضيتين هامتين :

القضية الاولى أنهم نقلوا الى الشركة من مديرية التحرير دون أن يكونوا مؤهلين لهذا الاجراء ، وهذا يستدعى التوصية بأن تراعى الحكومة ضرورة اعداد الكادر العام للحكومة بحيث يرتبط فيه الاجر بالانتاج وأن يطبق نظام توصيف الوظائف بدقة بحيث يسهل تحريك العمالة بين الحكومة وفروعها أو بينها وبين الشركات •

القضية الثانية أن عمال الشركة كانوا يطالبون بأن تتحمل باقى قطاعات الانتاج خسارة الشركة بحيث يأخذون علاواتهم كاملة مثلهم ، لانهم لم يكونوا مسئولين عن التنظيم الذى وجدوا أنفسهم تحت ظلاله • والواقع أن هذا الموقف يوجب التوصية بالاهتمام بالبعد الاقتصادى للانتاج وأنه من معين ناتج عمل الشركة الواحدة يأخذ عمال الشركة علاواتهم وأرباحهم دون امتداد اليد الى عرق وكفاح الشركات الاخرى • وان مسئولية ادارة كل شركة ولجان الانتاج فيها واللجان السياسية وكل هذه التنظيمات هى أولا وأخيرا زيادة انتاج الشركة وخفض تكلفتها ، لان الانتاج وحده هو لحمة المعركة وسداها • فالكل يدور فى فلك واحد هو :

ـ الانتاج للشركة بأقل تكلفة •

ـ ولان الانتاج هو عصب المعركة الوحيد •

ـ ومن الانتاج يأخذ العاملون نصيبهم •

هذا هو الولاء الحقيقى للوطن وللقمة العيش أيضا •

ويرتبط بعبء العمالة أيضا أثر الاجور على الموقف التنافسى مع القطاع الخاص اذ تطالب الشركة بأن تعامل فى التأمينات مثل معاملة القطاع الخاص ، فبدلا من دفع ما يقرب من ٢٠ فى المائة من الاجر تدفع النسبة المخصصة للقطاع الخاص وهى ٥ر٢ فى المائة من قيمة المقاولة ، كما تطالب أيضا بمساواة القطاع الخاص بالقطاع العام بالنسبة لتحمل أجور المجندين •

وتوصى اللجنة فى هذا المجال بألا تتحمل شركات القطاع العام بأجور المجندين لان هذا عبء اجتماعى واقع على مراكز انتاجية وتقييم أعمالها بمعايير اقتصادية وليست اجتماعية

ويكون عندئذ من واجب الدولة أن توفر صندوقا خاصا لهذا الغرض • وليكن تمويله عن طريق مشاركة جزئية بين مواقع العمل وبين الحكومة ذاتها •

كما توصى بضرورة تشديد الرقابة علـى مقاولى الباطن الذين تتعامل معهم أجهـزة القطاع العام وربط صرفيات الحكومة لهم بما يلزمونه من دفع أجور المجندين وتـأمينات اجتماعية • ويفيد فى هذا انشاء نظام لتبادل المعلومات بين أجهزة الضرائب والتـأمينات وقطاع المقاولات •

٢ ـ قصور أصول الشركة :

هناك تركيبة خاصة لاصول شركات المقاولات لم تراع عند انشاء شركة المبانى الريفية • فقد كانت عدة المقاولات تمثل ٣٠ فى المائة من الاصول وهى نسبة قليلة للغاية ، بينما أن أسطول النقل كان يعادل ٥٠ فى المائة من الاصول وهو أكبر من احتياجات النشاط •

كذلك فقد تحملت الشركة بقروض أجنبية لتمويل معدات ومهمات فرضت على الشركة اذ كانت خاصة بالنقل وهى لا تحتاج الى زيادة فيه ، ولم يكن لها ورش تصليح أو خبـرة لادارتها ، كما لم تكن قطع غيارها متوفرة • ولهذا زاد العبء على الشركة من حيث الفوائد واقساط الاهلاك ،وقد بلغت هذه الاعباء حتى ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٧١ مبلغ ٩٨٠الف جنيه • ونظرا لعدم ملاءمة هذه الاصول باعت الشركة ما لم تحتاجه بالتدريج لتصبح الاصول متماثلة مع الهيكل المطلوب لاعمال الشركة • والى أن حدث هذا كانت الشركة قد تحملت عبئا اثقلكاهلها •

بل ان نوعية الاصل ذاته تحتاج الى مراعاة لظروف العمل • فأعمال الشركة مثلا كانت تحتاج الى طوب وزلط فى أماكن مختلفة •• وكان المفروض أن تكون السيارات معدة لمواجهة هذه الحال • لكن لم تكن حمولة الســيارات الموجودة ـ التى تم شراؤها بقرض أجنبى ـ حمولة اقتصادية بحيث يكون الوقت الضائع فى « المشاوير » أقل ما يمكن ـ اذ العكس كانت الحمولة أقل من المطلوب ، ولهذا وجدت الشركة أنه من الواجب التخلص من مثل هـذه السيارات • كذلك لم تكن الشركة بحاجة الى أصول كالكاسحات والبولدوزرات فى مجال المبانى الريفية ، حيث أن حاجاتها الى تمهيد الاراضى كانت قاصرة على مساحات صغيرة • هذا فضلا عن عدم ملاءمة السيارات لطبيعة الاراضى التى يتم فيها بناء المنازل الريفية ، حيث كـانت الطفلـة تسـبب زيـادة اهــلاك السـيارات بمعـدل جعل ٥٠ فى المائة منها قد تأثرت انتاجيته فى زمن قصير فى الوقت الذى لم تتوفر فيه خبرة الاصلاح والصيانة •

٣ ـ أخطاء اختيار مواقع المصانع والورش الانتاجية :

ويضاف الى ما تقدم أن مواقع انشـاء المصانع والورش الانتاجية التابعة للشركة لم يراع فى اختيارها افضل المواقع اقتصادا فى النفقات • فورشة النجارة مثلا أقيمت فـى مديرية التحرير لا فى الاسكندرية حيث تتميز بالعمالة المتخصصة وبعدم تحمل أعباء نقل الخامات الى المصنع ثم نقل المنتج الى أماكن المبانى الريفية • وفضلا عن أعباء النقل كان يصاحب هذا أعباء بدلات السفر والانتقال •

كذلك فان مصنع الطوب المفرغ أقيم فى مديرية التحرير لعامل تاريخى بحت حيث أنشىء سنة ١٩٥٦ كهبة أمريكية لهيئة أبيس • وان كان المصنع ينقصه الكثير من قطع غيار وخلافه وبذلك كان لابد من أن يستعوضوا قيمة الهدية من اللوازم التى تشترى لتشغيل المصـنع • وعلى الرغم من هذه الثغرة فى طرق التمويل ، فان نقل الطوب الى جميع الجهات يعتبر مكلفا لدرجة كبيرة ، اذ أن المحيط الذى يمكن ان يتم فيه النقل لا يزيد على ٦٠ كيلو ، او اقل بحيث ينافس أسعار الطوب فى نفس مواقع اقامة المبانى الريفية • ولكى تتخلص الشركة من عيوب الموقع ، نقلت المصنع الى قرب الهرم ومع هذا فالاختيار غير موفق اقتصاديا لانه يلقى على من يشغله عبء توفير نقل العمال من والى المصنع أو توفير مساكن لهم ومرافق صحية وتعليمية وخلافه •

٤ ـ ظروف تشغيل الشركة :

اذا كانت الشركة تقوم بانشاء المبانى سواء قبل الاستصلاح أو الاستزراع ، وبذلك كان رجالها هم أول من يدخل المنطقة لتعميرها بدون مرافق ، هى بهذا الوضع تعتبر أداة أساسية من أدوات تهيئة المواقع الانتاجية التى يتعين أن تتكفل بها الدولة دون تحميل عبئها على شركات الاستصلاح • ولظروف الخطوة الاولى فـى التعمير ، كانت تكاليف المقومات الاسـاسية للحياة فى هذه المناطق مرتفعة لدرجة كبيرة • وقد أعطت الشركة لهذا مثلا حادا هو أن تكلفة المتر المكعب من المياه كان يصل الى جنيهين للمبانى وللشرب على حد سواء •

٥ ـ اتساع رقعة أعمال الشركة :

نظرا لتعدد أماكن البناء ، كانت تتبعثر عدة الشغل مما تصعب معه الرقابة على التشغيل

ويؤدى الى فقد المعدات • ولهذا فان الشركة بعد ابتعادها عن الارتباط باستصلاح الاراضى أصبحت تركز عملها فى ثلاث مواقع هى :

- القاهرة لاتمام الاسكان الصناعى •
- الاسكندرية لاعمال المجهود الحربى •
- عمليات تشطيب قديمة ، فى بعض مناطق القاهرة والاسكندرية •

ومن الطبيعى أنه كلما تركز العمل كلما أمكن الاشراف على التشغيل والاقلال من الاسراف والفقد والضياع •

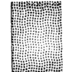
وعلى ضوء ما تقدم نجد أن ظروف انشاء الشركة وهيكل معداتها والاعباء التى تحملتها فى سبيل تطوير مناخ عمال كانوا مهيئين للعمل فى ظل كادر لا يراعى الانتاجية كمقابل للعمل ، كل هذا أدى الى خسارة الشركة ، وهى الان بدأت تقف على رجليها وتحقق فائضا •

وفيما يلى ملخص لتوصيات اللجنة :

- اعفاء الشركة من عبء فوائد واهلاك الاصول التى لم تكن فى حاجة اليها •.
- تجديد أصول الشركة •
- تعزيزها بالقيادة الفنية الوسيطة •
- التوسع فى الانتاج عن طريق مد النشاط الى الخارج طالما كان هذا لا يعيق تنفيذ المشروعات المحلية •
- نقل باقى الاصول التى لا تستفيد منها الشركة بالدرجة القصوى وعلى الاخص مصنع الطوب الذى يمثل طاقة انتاجية معطلة •
- تكوين صندوق خاص لتمويل المجندين مع تمويله مشاركة بين الدولة ومواقع الانتاج فى القطاعين العام والخاص بنسبة من رقم الاعمال •
- المساواة بين شركات القطاع العام والقطاع الخاص فيما يتعلق بعبء التأمينات •
- التركيز على البعد الاقتصادى للانتاج •
- البدء فى اعداد لائحة أجور خاصة بظروف المقاولات •

رئيس اللجنة

د • أحمد أبو اسماعيل



تقليد جديد لمواجهة مشاكل قطاع المقاولات على الطبيعة

مهندس حسنى حسين

كانت محاولة لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب دراسة المشاكل المعروضة عليها دراسة واقعية على الطبيعة ، مع محاولة الاتصال بجميع أطراف المشكلة تمثل تقليدا مفيدا ، لانه بغض النظر عن النتائج العملية لهذه الدراسة ، فان المواجهة الواقعية تعطيها أبعادا لا يمكن توفرها لعمل مكتبى يعتمد على التقارير الرسمية وحدها •

ولقد كان من نتائج بحث وضع الشركة موضوع الدراسة ، أن تطرق البحث ليشمل قطاع المقاولات ككل ، باعتباره الاطار العام الذى تعيش الشركة فى نطاقه ، وتتأثر بمشاكله • وقد وضعت اللجنة يدها على بعض مشاكل هذا القطاع • ونحن هنا ، فى مناقشتنا لهذا التقرير ، سوف نستعرض ملاحظات اللجنة تحت عناوين رئيسية تمثل المقومات الاساسية للانتاج :

١ ـ حجم الاعمال :

تشكو بعض الشركات من أن حجم الاعمال التى تسند اليها لا يتناسب مع حجم العمالة الموجودة بها ، مما يجعلها تشكو باستمرار من العمالة الزائدة التى تشكل عبئا على ميزانيتها ، خاصة وأن جزءا من هذه العمالة يفرض عليها من لجنة القوى العاملة •

والواقع أنه بينما تشكو بعض الشركات من قلة حجم أعمالها ، نجد شركات أخرى متخمة بالاعمال

الى الدرجة التى ترفض أو تعتذر فيها عن قبول مشروعات تعرض عليها •

ولا سبيل الى مثل هذا الموقف المتناقض داخل قطاع المقاولات الا بعملية تنسيق تشمل شركات القطاع جميعها •

وفى الوقت الذى تشكو فيه بعض الشركات من قلة حجم الاعمال ، قياسا على امكانياتها البشرية والمادية ، فان شركات القطاع ، جميعها ، تشكو من ظاهرة عدم استقرار حجم المشروعات بها لفترة زمنية طويلة نسبيا . والسبب هنا ، واضح ، وهو عدم وجود خطة للدولة تحدد مشروعاتها ، وبالتالى حجم الاعمال المطلوبة خلال فترة الخطة ، خمس سنوات أو عشر سنوات •• أو حتى ثلاث سنوات • ولسوف يظل قطاع المقاولات عرضة لعدم الاستقرار النسبى الحجم الاعمال ، طالما ظلت الدولة مفتقدة التخطيط العلمى الشامل •

٢ ــ التمويل والسيولة النقدية :

ومن المشاكل الاساسية فى هذا القطاع مشكلة التمويل ،وتوفير السيولة الكافية التى تمكن الشركة من الوفاء بالتزاماتها • ومن المناظر المألوفة ، أن نجد العمل فى مشروع ما قد توقف والسبب : رد بسيط للغاية : أن ميزانية هذا العام قد استنفدت ، ويتعين على الشركة ، فى هذه الحالة أن تحتفظ بمعداتها وخفرائها وملاحظيها وموظفيها العاملين بهذا المشروع دون عمل لحين يرصد فى الميزانية مبالغ أخرى للمشروع •

والغريب فى الامر ، أن هذه المشروعات ملك للقطاع العام والحكومى ، ومفترض أنها مدروسة ، ومقدر اجمالى تكاليفها • وهى غالبا ما تكون كذلك • وهنا يجب أن نصل الى حل يضمن أن يستمر العمل فى المشروع ، طالما قد تقرر ، وبدأ العمل فى تنفيذه ، حتى ولو استنفدت المبالغ المرصودة فى الميزانية الحالية • وذلك بأن يسمح لاحد البنوك بأن يمول الشركات بضمان ما يتم تنفيذه حسب المستخلصات ، ثم تقوم الجهة صاحبة المشروع بسداد ما دفعه البنك نظير عمولة تحددها الدولة ، وبهذا نضمن الا يتوقف العمل فى أى مشروع طالما بدأ الا حين الانتهاء منه • وبذلك نحقق أكثر من هدف : الاول أن يستخدم المشروع فى الغرض المخصص له فى أسرع وقت ، والثانى : الا تتعطل المعدات والمهمات بعض الوقت ، مما يزيد من تكلفة الانتاج أو يسبب خسائر لبعض الشركات •

٣ ــ المون والخامات :

وتشكو شركات المقاولات من نقص الخامات والمون التى تحصل عليها • وهى شكوى عامة وتتلخص فى :

١ ــ أن ما يصرح به للشركات من المون الاساسية « الحديد والاسمنت » وغيرها من المواد التى يحصل عليها بأذونات ، هذه الكميات لا تتفق عادة مع حجم الاعمال المسندة اليها •

٢ ــ كما أن الجدول الزمنى لوصول هذه المون الى مواقع العمل لا يتفق والبرنامج الزمنى للتنفيذ •

٣ ــ الارتفاع المستمر فى اسعار بعض الخامات وهى تخضع للعرض والطلب وتضطر الشركات فى كثير من الاحيان الى شرائها من السوق السوداء لعدم تواجدها بمحلات القطاع العام •

وللتغلب على هذه المشكلة ، لابد من وجود تنسيق بين الجهات المنتجة للمواد الخام والشركات المستخدمة لها ، بحيث يتوافق ورود هذه الخامات الى مواقع العمليات مع الجدول الزمنى للتنفيذ • ومن جانب آخر بحيث لا يحدث تكدس للخامات فى شركة ، بينما غيرها تعانى من النقص منها ، وكل هذا يعود بنا الى ضرورة التخطيط العلمى على نطاق الدولة جميعها •

٤ ــ العمالة :

ولقد قدمت اللجنة جوانب من هذه القضية دون جوانب أخرى • كما اننا نختلف معها فى بعض الجوانب التى مستها ، وفى هذا ، توجد قضيتان الاولى هى **الفنيون** وقد مستها اللجنة باعتبار أن نقطة الضعف فيها هو غياب أو نقص القيادة الوسيطة بين المهندس والملاحظ رغم كونها قضية جزئية تماما •

والواقع انه قبل التعرض الى النقص فى الكادر الفنى داخل قطاع المقاولات نرى من المفيد طرح قضيتين هامتين :

الاولى : أن هناك تناقضا بين الفنيين من جانب وبين الاداريين من جانب آخر • هذا التناقض مبعثه الشعور بعدم المساواة . فمعركة التنمية واتساع حركة البناء والتصنيع دفعت بالفنيين الى مكان الصدارة فى المشروعات ، وأصبحوا هم

السلطة الحقيقية داخل القطاع ويغذى هذا التناقض اختلاف نظرة كل منهما فى مدى التقيد بالروتين ازاء مشاكل التنفيذ ·

ثانيا : والامر الاهم هو أن غالبية من الفنيين ليسوا على وفاق فكرى مع تدخل الدولة والقطاع العام ويفضلون لو أن قطاع المقاولات كان قطاعا خاصا ·

فبعد أكثر من عشر سنوات من التأميم وتكوين القطاع العام ، مازال التناقض الفكرى قائما ، بل لعله ازداد حدة · ولا ينبع هذا التناقض من موقف طبقى ، اذ تنتمى الاغلبية العظمى من الفنيين الى الطبقات الشعبية والوطنية ذات المصلحة الاكيدة فى تطور القطاع العام ونجاحه · وانما ينبع التناقض من نواقص عديدة تشوب العمل داخل القطاع ، وتطلعات ذاتية لا يقدر روتين العمل بالقطاع على اشباعها · أى أننا بعد أكثر من عشر سنوات من قيام القطاع العام نجد أنه لم ينجح فى حل التناقض بين الفنيين والتكنيكيين وبين القطاع العام . وهى قضية هامة جدا وتحتاج الى دراسة أكثر وأشمل من هذا التعليق السريع ·

واذا انتقلنا الى الجانب العملى ، فاننا نجد نقصا فى الفنيين عموما ، أحد أسبابه تجنيد عدد كبير من الخريجين . أما رفع مستوى كفاءة القيادات المتوسطة فلن يتأتى حلها الا برسم سياسة ثابتة للقيام بدورات تدريبية جادة ·

أما العمالة غير الفنية ، فنحن نعانى منها اليوم نقصا ملحوظا وارتفاعا فى أجورها ، نظرا لهجرة أو سفر عدد كبير من العمال الى بعض البلاد العربية ·

ملاحظات حول أوضاع الشركة المصرية العامة للمبانى الريفية

ولقد ناقشت اللجنة أوضاع الشركة وذلك لتبين أسباب العجز بالميزانية وفى سبيل ذلك استعرضت تطور تكوين الشركة ونشاطها ويهمنا هنا ابداء بعض الملاحظات :

١ ــ ان تكوين الشركة عام ١٩٦٤ ، بهدف اقامة المبانى والمنشآت فى الاراضى المستصلحة ، كان قرارا صائبا · ففى ذلك التاريخ كانت عمليات الاستصلاح منتشرة وبميزانيات ضخمة · وكان حجم ما فيها من أعمال انشائية مساكن ومنشآت ومبان ادارية ومرافق وخلافه ، يستوعب طاقة أكثر من شركة مقاولات · والدليل على ذلك ، أنه خلال الفترة من ١٩٦٤ــ١٩٦٨ ، لم تكن شركة المبانى الريفية ــ وحدها ــ داخل مناطق الاستصلاح ، وانما تواجدت شركات أخرى مثل شركة النصر (حسن علام) وشركة النيل وشركة الاسكندرية وغيرها ··· وذلك الضخامة حجم المشروعات المطروحة وارتباطها بفترة زمنية يجب أن ينتهى العمل خلالها ·

ولم يكن القرار الجمهورى الصادر فى عام ١٩٦٩ بنقل تبعية الشركة من مؤسسة استصلاح الاراضى الى مؤسسة مقاولات المبانى مغيرا لطبيعتها ، وانما ما فعله هو أنه أفسح أمامها المجال · وكان هذا منطقيا ومتمشيا مع الانكماش فى عمليات الاستصلاح وقلة حجم الاعمال الانشائية المطروحة فى ميزانية عام ١٩٦٩ وما بعدها ·

أى أن حركة تطور الشركة كان يسير فى خط تنازلى ، ولم يكن فى حجم الاعمال المطروحة بين عامى ٦٤ــ١٩٦٨ ما يمنعها من العمل بكامل طاقتها الانتاجية ، ولا ما يمنعها من تحقيق أرباح ·

٢ ــ وفى عام ١٩٦٥ صدر قرار السيد نائب رئيس الوزراء ووزير استصلاح الاراضى بضم ورش النجارة والكريتال بعمالهما · وكذلك مصانع المنتجات الخرسانية التى تصنع أعمدة الانارة الخرسانية والمواسير الاسمنتية المسلحة والعادية ، ومصنع الطوب الاسمنتى المفرغ ومصنع البلاط ·

ونحن نرى أن هذا الضم كان من أساسه خاطئا ، لا لان المصانع بها عمالة زائدة ، أو أنه لم يكن لديها (طلبيات) تستوعب طاقتها الانتاجية ، ليس هذا أو ذاك ، وانما لأن هذه المصانع ذات طابع انتاجى مختلف تماما عن طابع وأسلوب العمل بالمقاولات · ولو أن ضم هذه المصانع كان الهدف منه هو توفير احتياجات الشركة فى عملياتها ، أو حتى تغطية احتياجات قطاع استصلاح الاراضى ، لامكن قبول هذا الضم ولو

لبعض الوقت ، ولكان على الشركة بالضرورة أن تكون منتجاتها فى جودة ومستوى أسعار المنتجات المشابهة لمصانع أخرى • غير أن الواقع كان عكس ذلك ، الامر الذى دفع بعض شركات الاستصلاح الى الاعتماد على نفسها حسب اعتراف التقرير نفسه • وتبرر الشركة ذلك بقولها أنه لكى تكون أسعار منتجاتها منافسة لاسعار مثيلاتها لابد وأن يكون محيط النقل لا يزيد عن ٦٠ كيلومترا •.

وهذا المبرر ليس كافيا لارتفاع أسعار منتجات الشركة لان العبرة أولا بالتكلفة الحقيقية داخل المصنع ، ومن جانب آخر فان جميع أعمال الشركة كانت فى محيط لا يزيد كثيرا عن هذه المسافة بالنسبة لمديرية التحرير ، فمعظم عمليات الشركة فى الفترة من ٦٤ ـ ٦٨ كانت فى مديرية التحرير وشمال التحرير والنوبارية ومريوط •

ولقد استمر هذا الوضع الخاطىء حتى عام ١٩٧١ ، حين صدرت تعليمات وزير الاسكان بنقل ورشتى النجارة والكريتال لشركتى الجمهورية وأطلس للمقاولات • وهذا القرار ولو أنه صحح الوضع بالنسبة لشركة المبانى الريفية بالنسبة للورشتين ، الا أنه كرر نفس الخطأ السابق ، اذ ضمهما الى شركتى مقاولات أيضا •

أما مصانع المنتجات الخرسانية ، فبغض النظر عن نقلها الى الهرم ، فان استمرار تبعيتها لشركة مقاولات ليس فى صالح الانتاج ، ومن المفيد والافضل أن تضم هذه المصانع وكذلك الورشة الى جهات متخصصة فى نفس النوع من العمل •

٣ ـ أصول الشركة :

ولقد أثارت الشركة أن أصولها يوم أنشئت لم تكن وفق التكوين المعتاد لشركات المقاولات حيث بلغت نسبة أسطول النقل بها ٥٠ فى المائة من الاصول •

وكان المفروض أمام هذا الخلل فى أصول الشركة أن يواجه بأحد حلين :

الاول : هو الاستغناء عن العدد الفائض وبيعه الى شركات كانت فى مسيس الحاجة اليها ، والعودة بذلك بأصول الشركة الى الوضع الطبيعى •

والثانى : هو الاحتفاظ بأسطول النقل مع حسن استخدامه وتشغيله ، وهو ما لم يحدث • فلا الشركة تخلصت مما زاد عن حاجتها فى الوقت المناسب ، وهو مازال جديدا . ولا هى أحسنت استخدامه • فقد استخدمت الشركة موردين من الباطن لتوريد الرمل والزلط لعملياتها المختلفة • أما القول بأن حمولة هذه العربات كانت غير اقتصادية ، وأن المسافات من المحاجر الى مواقع العمليات كانت بعيدة فهى كلها أسباب غير واقعية ومردود عليها ، اذ أن حمولة عربات القطاع الخاص الذى كان يورد الرمل والزلط لم تكن تزيد عن حمولة عربات الشركة •

بهذا تصبح الشركة بالنسبة لهذا السبب المتعلق بالاصول مسئولة مسئولية كاملة لا يمكن اعفائها منها • ذلك أن حسن التصرف فى أسطول النقل ، والقدرة على الاستفادة منه الى أقصى حد ممكن ، هو مسئولية الشركة فى المحل الاول ، يضاف الى ذلك أن الشركة كان قد أسند اليها ـ خلال هذه الفترة ـ أعمال كثيرة داخل منطقة الاستصلاح .

٤ ـ وتقدم الشركة سببا آخر للعجز فى الميزانية هو اتساع رقعة أعمال الشركة (مما يصعب معه الرقابة على التشغيل ويؤدى الى فقد العدة) •

على أن مثل هذا السبب يمكن أن يكون صحيحا لو أن عمليات الشركة كانت صغيرة الحجم ومتناثرة ، وفى نفس الوقت مفروضة عليها ، أما اذا كانت العمليات كبيرة الحجم وشبه مركزة رغم تعددها ووجودها فى مناطق مختلفة ـ وهو شىء طبيعى فى مجال المقاولات ـ حيث تسعى الشركات الى مواقع العمل ، فان العيب فى هذا الوقت يصبح عيبا فى ادارة الشركة وليس ناتجا عن طبيعة العمليات المسندة اليها •

وفى هذا الموقع من حديثنا ، نحب أن نعلق على سعى الشركة الى تركيز أعمالها بالقاهرة والاسكندرية مبررة ذلك بقولها (من الطبيعى أنه كلما تركز العمل كلما أمكن الاشراف على التشغيل والاقلال من الاسراف والفقد والضياع) • وهذا صحيح ، غير أنه يجب أن نضع فى الاعتبار ، أن القاهرة والاسكندرية متخمة بشركات المقاولات • ولو فكرت كل شركة فى أن تستكين بالقاهرة والاسكندرية ، تحت أية حجة ، لكان معنى ذلك ترك بقية المحافظات دون عمران وبناء • انه اتجاه يحقق الراحة لقيادة الشركة وموظفيها ، اذ من المؤكد ، أن ظروف العمل ، فى كثير من

المحافظات ، وكثير من مواقع العمل ليست سهلة وتحتاج الى جهود صادقة ، ولكنها ضرورية . وكان أوفق لو أنها ركزت أعمالها فى محافظة من المحافظات الفقيرة بالشركات مثل محافظات الصعيد .

كما أن العبرة بالتركيز فى أعمال المقاولات هو أن تكون العملية صالحة فى ذاتها لتشكل مشروعا بذاته .

٥ ـ وفى نهاية مناقشة تقرير لجنة الموازنة نلتقى ببعض الاقتراحات يهمنا أن نعلق عليها :

أولا : الاقتراح الخاص بمطالبة الشركة بأن تعامل معاملة القطاع الخاص بالنسبة للمقاولات . والذى نحب أن نشير اليه هنا ، هو أن نسبة التأمينات الاجتماعية ـ بغض النظر عن قيمتها ـ تحتسب دائما نسبة ضمن دراسة أسعار أى عملية . أى أن أسعار الشركة تتضمن دائما التزاماتها تجاه التأمينات الاجتماعية ، وبذلك لا تمثل عبئا اضافيا على ميزانية الشركة ، أو أنها تمتص جزءا من ربحها .

ثانيا : والاقتراح الثانى الذى قدمته الشركة هو اعفائها من دفع أجور المجندين ، مساواة بالقطاع الخاص . ومن الواضح أن اللجنة لم تقتنع بهذا الاقتراح وقدمت بديلا عنه اقتراحا صائبا وان كان يحتاج الى دراسة وتطوير ، وهو تكوين صندوق خاص لهذا الغرض تموله الدولة والشركات .

ومن الممكن لو أخذ بهذا ، أن يكون اشتراك الشركات بنسب تتفق مع حجم العمليات المسندة أو مع حجم العمالة ، أو حجم العمليات التى تم تنفيذها خلال العام ، أو وفقا لاى مقياس آخر . وبذلك تساهم الشركات كل بحسب حجمها وطاقتها الانتاجية وميزانية أعمالها .

تلك هى بعض ملاحظاتنا عن دراسة اللجنة لشكلة الشركة المصرية للمبانى الريفية واحب أن أنوه فى الختام مرة أخرى أن الانتقال الى الواقع الحى للمشاكل ومحاولة دراستها هو تقليد مفيد وصحى ، وفى نفس الوقت هو أقرب الاساليب الى وضع اليد على وجهات النظر المتعددة ورؤية المشاكل من زوايا عديدة مما يمكن أن يساعد على الوصول الى حلول واقعية صحيحة .

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن شركة السكر والتقطير المصرية

لاحظت اللجنة عند دراستها للموازنة العامة للدولة عن السنة المالية ١٩٧٣ أن بعض شركات القطاع العام بها عجز جارى ، مما يقلل من الفوائض التى تؤول الى الخزانة العامة ٠ ومن هذه الشركات شركة السكر التى يقدر عجزها فى الموازنة المشار اليها ب ٥٠٠ الف جنيه ولما كانت هذه الصناعة من الصناعات الاساسية فى مصر ، فقد رأت اللجنة تقصى الاسباب التى أدت الى ظهور هذا العجز ، حتى يمكن المشاركة فى علاج هذا الوضع ، وازالة العقبات التى تعترى نشاط هذه الشركة العريقة ٠

لذلك عقدت اللجنة اجتماعين بتاريخ ٣ ـ ٣ و٢١ ـ ٣ ـ ٧٣ خصص الاول لدراسة أسباب العجز . وحضره من جانب قطاع الصناعة :

السيد وكيل أول وزارة الصناعة لشئون المؤسسات ٠

السيد رئيس مجلس ادارة مؤسسة الصناعات الغذائية ٠

السيد نائب رئيس مجلس ادارة شركة السكر والتقطير المصرية ٠

بعض السادة الفنيين بوزارة الصناعة والمؤسسة والشركة ٠

ومن جانب وزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

السيد وكيل الوزارة لشئون الموازنة العامة ٠

السيد مدير عام موازنة المؤسسات الاقتصادية ٠

السيد مدير الادارة المركزية للموازنة ٠

الباحث المختص بالشركة ٠

ومن جانب الجهاز المركزى للمحاسبات :

المختصون بالجهاز عن مراجعة الشركة وتقييم أدائها ٠

أما الاجتماع الثانى فقد تم مع ممثلى التنظيمات السياسية والنقابية والعمالية بالشركة حضره ممثلو قطاع الصناعة المشار اليهم ٠ بهدف تبيان آراء العاملين فى ظروف الانتاج والمعوقات التى تعترض سيره ، وآراء العاملين فى كيفية الوصول الى تحقيق أهداف الشركة .

وتعرض اللجنة تقريرها عن دراسة ظروف الانتاج بالشركة من واقع جلسات الاستماع التى تمت والتقارير المقدمة من المختصين عن الشركة وأسباب وجود العجز الجارى بعملياتها لسنة ١٩٧٣ على النحو التالى :

ـ تطور تكوين الشركة ٠

ـ منتجات الشركة ومصانعها وعلاقتها بالخزانة العامة وأهمية الصادرات فى سد العجز ٠

ـ انخفاض الاعتمادات المخصصة للاحلال والتجديد ٠

ـ نقص الاستثمارات الجديدة ٠

ـ خلاف الشركة مع الخزانة العامة عن تعويضها عن بنود فى التكاليف لم تراع من قبل ٠

ـ عدم توافر السيولة المالية الكافيـة للشركة ٠

ـ توصيات اللجنة ٠

أولا ـ تطور تكوين شركة السكر والتقطير المصرية :

عرفت صناعة السكر فى مصر عام ١٨٥٥ عندما انشأت الدائرة السنية مصانع لانتاج السكر الخام وكان يتم تكريره فى مرسيليا وتريستا وغيرهما من مدن جنوب أوربا ٠

وفى عام ١٨٨١ تأسست شركة مساهمة فرنسية بلجيكية قامت بانشاء مصانع التكرير بالحوامدية وفى عام ١٨٩٧ تم ادماج مصانع التكرير بالحوامدية فى مصانع السكر القائمة وقتئذ تحت اسم الشركة العامة لمصانع السكر والتكرير المصرية ٠ وقد تولت الشركة الجديدة انشاء مصانع السكر فى أبى قرقاص ونجع حمادى وكوم أمبو بالاضافة الى مصنع أرمنت الذى كان قائما وقتئذ ٠

وفى عام ١٩٥٦ تم تمصير الشركة وأدمج فيها مصنع التقطير بالحوامدية (والذى بدأ انتاجه عام ١٩٤٩) وتعدل اسمها الى الاسم الحالى « شركة السكر والتقطير المصرية » ٠

وفى عام ١٩٦١ تم تأميم الشركة بالكامل وأصبحت من شركات القطاع العام التى تتبع المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية ٠

وقد أدمجت فى شركة السكر والتقطير المصرية شركة النصر لصناعة السكر ولب الورق بتاريخ ١ ـ ٧ ـ ١٩٦٦ كما ضمت اليها مصانع الشبراويشى والعطور بتاريخ ١ ـ ٦ ـ ٦٧ كما أدمجت بها شركة الكيماويات العضوية عام ١٩٦٩ ٠

ولقد ترتب على ادماج شركة النصر لصناعة السكر ولب الورق ، ومشروع دشنا فى شركة السكر والتقطير المصرية وجود عجز مرحل ، بلغ فى ميزانية ٧٠ ـ ١٩٧١ ، ١ر١ مليون جنيه ، ويمثل هذا العجز المرحل خسارة صافى تقييم أصول الشركة المشار اليها ومشروع دشنا ، ولقد رأت الشركة اهلاك هذا العجز على مدى ثلاث سنوات ابتداء من سنة ٧٠ ـ ١٩٧١ ٠

ثانيا ـ منتجات الشركة ومصانعها وعلاقتها بالخزانة العامة واهمية التصدير فى سد العجز :

أ ـ المنتجات :

لاشك فى أن صناعة السكر تعتبر الصناعة الرئيسية للشركة ، الا ان هناك بعض الصناعات الثانوية التى تقوم بها الشركة الى جانب صناعة السكر والتى تعتمد أساسا على متخلفات صناعة السكر مثل المصاص والمولاس ، وهذه الصناعات الثانوية هى :

١ ـ صناعة التقطير ، وتضم :

أ ـ الكحول ٠

ب ـ الخل ٠

جـ ـ ثانى أكسيد الكربون ٠

د ـ حامض الخليك الثلجى ٠

هـ ـ الخميرة الجافة ٠

٢ ـ صناعة العطور ومستحضرات التجميل ٠

٣ ـ صناعة الخشب الحبيبى

٤ ـ صناعة لب الورق ٠

٥ ـ صناعة الكيماويات (المذيبات والملصقات) ٠

وسيتضح من العرض الوارد بعد أن العجز الجارى يرجع الى صناعة السكر ذاتها ، بينما تساهم الصناعات الثانوية فى تغطية هذا العجز ، بل أنها تجعل الشركة تحقق فائضا من عملياتها الجارية ٠

ب ـ مصانع الشركة :

ويعمل حاليا فى صناعة السكر سبعة مصانع ، تقوم ستة منها باستخلاص السكر من القصب وهى :

١ ـ مصنع أبى قرقاص ، وطاقته القصوى ٦٠ ألف طن سنويا ٠

٢ ـ « نجع حمادى ، ويعتبر من أكبر مصانع السكر فى العالم ، وتبلغ طاقته الانتاجية ١٤٠ ألف طن سنويا ٠

٣ ـ مصنع سكر أرمنت ، وهو أقدم مصانع السكر ، وطاقته ١٠٠ ألف طن سنويا ٠

٤ ـ مصنع كوم أمبو ، وستبلغ طاقة هذا المصنع بعد استكمال التوسعات اللازمة له ١٥٠ ألف طن ٠

٥ ـ مصنع قوص ، وستبلغ طاقته الانتاجية بعد استكمال الخط الثالث فيه ١٥٠ ألف طن ٠

٦ ـ مصنع ادفو وتبلغ طاقته الانتاجية ١٠٠ ألف طن سكر سنويا ٠

أما مصنع تكرير السكر بالحوامدية ، فقد أنشىء عام ١٨٨١ ، وتبلغ طاقته الانتاجية فى الوقت الحالى ١٠٠٠ طن سكر مكرر يوميا ، أى ما يعادل ٣٦٠ ألف طن سنويا تقريبا ٠

ويبين الجدول التالى تطور انتاج وتصدير واستيراد السكر والمبيعات المحلية منه .

تطور الانتاج والمبيعات المحلية والصادرات

السنة المالية	الانتاج	الاستيراد	جملة الموارد	المبيعات المحلية	الصادرات	جملة الاستخدامات	الفائض [والعجز]
	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن
١٩٦٨/٦٧	٣٨٨	٤٣	٤٣١	٤٢٦	٤٤	٤٧٠	[٣٩]
١٩٦٩/٦٨	٤٦١	٨٦	٥٤٧	٤٧١	٨١	٥٥٢	[٥]
١٩٧٠/٦٩	٥٤٦	٦٦	٦١٢	٥١٧	٧٩	٥٩٦	١٦
١٩٧١/٧٠	٥٩١	٧٧	٦٦٨	٥٤٥	٨٤	٦٢٩	٣٩
٧٢/٧١ [٧٢/٦/٣٠]	٥٩٣	٥٣	٦٤٦	٥٧٣	٥٤	٦٢٧	١٩

وفيما يلى بيان عن سنتى ٧٠/٦٩ ، ٧٢/٧١ لحجم الانتاج والمبيعات المحلية والصادرات للمنتجات الرئيسية المختلفة للشركة .

البيـــان	الوحدة فى الانتاج	حجم الانتاج	المبيعات المحلية	الصادرات	اجمالى المبيعات
١ ـــ المولاس :					
٧٠/٦٩	الف طن	٢٦٢	٦٣٤	٣٦٢	٩٩٦
٧١/٧٠	»	٢٥٥	٥٦٩	١٠٠٠	١٥٦٩
٢ ـــ منتجات التقطير :					
[أ] الكحول					
٧٠/٦٩	مليون لتر	٣٠ر٦	٢٦٠٠	—	٢٦٠٠
٧١/٧٠	»	٣١ر٣	٣٠٠٠	—	٣٠٠٠
[ب] الخل					
٧٠/٦٩	»	٣ر٥	١٠٠	—	١٠٠
٧١/٧٠		٤ر٨	١٢٠	—	١٢٠
[ج] ثانى أكسيد الكربون	مليون كجم	—	—	—	—
٧٠/٦٩	»	١ر٨	١٠٨	—	١٠٨
٧١/٧٠	»	١ر٩	١١٦	—	١١٦
[د] حامض الخليك الثلجى					
٧٠/٦٩	»	١ر١	٢١٥	—	٢١٥
٧١/٧٠	»	١ر٢	٢٢٥	—	٢٢٥
[هـ] الخميرة الجافة	»	—	—	—	—
٧٠/٦٩	»	٢ر٥	٧٥	٦٨	١٤٣
٧١/٧٠	»	٢ر٣	٤٣	٧٤	١١٧
اجمالى منتجات التقطير	»	—	—	—	—
٧٠/٦٩	»	—	—	—	—
٧١/٧٠	»	—	—	—	٣٢٠٠
٣ ـــ العطور ومستحضرات التجميل	»	—	—	—	٣٥٠٠
٧٠/٦٩	»	—	١٣٠٠	٣٨٤	١٦٨٤
٧١/٧٠	»	—	١٥٠٠	٥٧٨	٢٠٧٨
٤ ـــ صناعة الخشب الحبيبى :					
٧٠/٦٩	بالطن	٥ر٦٥٤	٢٧٢	—	٢٧٢
٧١/٧٠	»	١٠ر٢٧٥	٥١٥	—	٥١٥
٥ ـــ صناعة لب الورق :					
٧٠/٦٩	»	٧ر٨٠٠	٣٥٩	—	٣٥٩
٧١/٧٠	»	١٠ر٦٠٠	٧٥٤	—	٧٥٤
٦ ـــ صناعة الكيماويات :					
٧٠/٦٩	»	١٩٤٢	٥١٩	—	٥١٩
٧١/٧٠	»	١٣١٨	٦٤٨	—	٦٤٨

ويلاحظ من جدول تطور اجمالى الانتاج والمبيعات ما يلى :

١ ـ أن انتاج السكر قد حقق أكبر معدلات نمو له فى الاعوام ٦٨ ـ٦٩ و٦٩ ـ٧٠ و ٧٠ ـ٧١ ، اذ تبلغ معدلات النمو هذه على التوالى ١٩ فى المائة و٥ر١٨ فى المائة و١٠ فى المائة • حيث كان أعلى معدل نمو فى الثلاث سنوات التالية ٤ر٤ فى المائة •

٢ ـ ارتباط معدل نمو المبيعات المحلية ، وبالتالى معدل نمو الاستهلاك بعاملين أساسيين (على اعتبار أن السكر سلعة اقتصادية غير رديئة) وهى : ا ـ معدل نمو السكان ب ـ معدل نمو دخل الفرد •

٣ ـ التساوى بين الكميات المستوردة من السكر والمصدرة منه تقريبا •

جـ ـ علاقة الشركة بالخزانة العامة :

تتشابك مصلحة الخزانة العامة مع عمليات الشركة صرفا وايرادا ، فهى تورد للخزانة العامة مبالغ فى أشكال متعددة هى :

- رسم انتاج •
- اتاوات •
- فروق أسعار الخزانة •
- فروق البطاقات •

وفيما يلى تطور حصيلة الخزانة العامة من صناعة السكر (بالمليون جنيه) : فى الخمس سنوات ٦٧ ـ ٦٨ حتى ٧١ ـ ٧٢ (نهاية يونيو) •

السنة المالية	رسم الانتاج	اتاوة	فروق الاسعار	فروق البطاقات	اجمالى
٦٨/٦٧	١٢ر٠	٢ر٨	٢ر٧	٠ر٤	١٧ر٩
٦٩/٦٨	١٦ر٠	٧ر٥	٥ر٧	٠ر٦	٢٩ر٨
٧٠/٦٩	١٧ر٧	١٣ر٦	٦ر٠	٠ر٦	٣٧ر٩
٧١/٧٠	٢٠ر٥	١٧ر٣	٥ر٢	٠ر٦	٤٣ر٦
٧٢/٧١	٢٢ر٧	١٨ر٥	٤ر٥	٠ر٦	٤٦ر٣

كما أن الخزانة العامة تسدد للشركة مبالغ كالتزامات عليها صدرت بقرارات من مجلس الوزراء ووزارة التموين واللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد وذلك على النحو الاتى :

١ ـ فروق تخفيض سعر بيع سكر البطاقات :

بتاريخ ٥ ـ٧ ـ١٩٥٩ رأت الحكومة التيسير على المستهلكين فقررت تخفيض أسعار بيع سكر البطاقات بجميع أصنافه بواقع ١٦ جنيها للطن على أن تتحمل الحكومة بقيمة هذا التخفيض •

وتقوم الهيئة العامة للسلع التموينية بسداد هذه الفروق الى الشركة يوم ٢٥ من الشهر التالى للبيع •

٢ ـ فروق زيادة أسعار شراء القصب من المزارعين :

رغبة فى معاونة المزارعين وزيادة دخولهم قررت الحكومة بتاريخ ١٥ ـ٢ ـ١٩٦٥ رفع السعر الذى تشترى به الشركة القصب من المزارعين على أن تتحمل الحكومة بقيمة هذه الزيادة بواقع ٢٨٤ مليما عن كل طن من القصب الذى يحتوى على نسبة ناتج سكر قدرها ٣ر١٠ فى المائة ثم زيد الى ٥٨٤ مليما أبتداء من موسم ١٩٧٣ •

وتسدد هذه الفروق عن طريق خصمها من رسوم الانتاج المستحقة على السكر •

هذا وقد قررت اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد بجلسة ١٣ ـ١٢ ـ١٩٦٧ أن يؤخذ فى الاعتبار أية اجراءات حكومية من شأنها التأثير على سعر القصب •

٣ ـ فروق أسعار الخيش :

نظرا للزيادات الكبيرة التى طرأت على أسعار الخيش فقد قررت لجنة التموين العليا أن تتحمل الحكومة الفرق بين الاسعار الجارية وبين متوسط أسعار استيراد الخيش خلال المدة من ١ ـ١ ـ١٩٥٩ حتى نهاية فبراير سنة ١٩٦٠ •

هذا وقد قررت اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد بجلسة ١٣ ـ١٢ ـ١٩٦٧ أن يؤخذ فى الاعتبار أى تغيير فى أسعار العبوات مستقبلا •

وقد اخطرت الشركة أخيرا بأن هذه الفروق ستراجع وتسدد عن طريق الهيئة العامة للسلع التموينية •

٤ـ فرق التكاليف :

نظرا لان أسعار بيع السكر لم تطرأ عليها أية زيادة لصالح الصناعة لاكثر من عشرين عاما ، رغم الزيادات المضطردة فى أسعار المستلزمات وتكلفة العمالة ، فقد قررت اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد بتاريخ ١٣ ـ١٢ ـ١٩٦٧ أن تدفع الحكومة للشركة عن كل طن من السكر يباع محليا مبلغ ثلاثة جنيهات و ٩٥٦ مليما اعتبارا من ١ ـ٧ ـ١٩٦٧ •

ومما يسترعى النظر أن اللجنة الوزارية قد اتخذت هذا القرار بعد أن ناقشت التقارير المقدمة اليها من اللجان التى شكلت لدراسة ثمن التكلفة والتى استغرق بحثها حوالى الثمانية شهور ٠

٥ ـ فروق النقل بالسكة الحديد :

نظرا لان ثمن التكلفة الذى اعتمدته اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد لم يتضمن فروق النقل بالسكة الحديد المترتبة على قيام الهيئة العامة للسكك الحديدية بالغاء اتفاقية سنة ١٩٥٤ التى كانت تعطى للشركة امتيازات خاصة باعتبارها من أكبر عملاء الهيئة ٠

فقد قررت اللجنة الوزارية أن تتحمل الحكومة بفروق فئات النقل المترتبة على الغاء الاتفاقية المتقدم ذكرها ٠

٦ ـ فوائد الخزانة العامة :

ولما كان ثمن التكلفة الذى اعتمدته اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد لم يتضمن فوائد المبالغ التى سبق أن حصلت عليها الشركة من وزارة الخزانة عن طريق المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية ٠ فقد قررت اللجنة بجلسة ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٦٧ ما نصه :

« تدفع الحكومة فوائد الخزانة على الاموال التى قدمتها وزارة الخزانة أو تقدمها مستقبلا للشركة وذلك على أساس أنها عنصر تكلفة لم يؤخذ فى الاعتبار » ٠

وتلاحظ لجنة الخطة والموازنة أن تعدد الفروق يستدعى تعدد لجان بحث هذه الفروق وتعطيل تدفق السيولة اللازمة للشركة لحين الانتهاء من تقارير لجان الفروق المذكورة ٠ ولهذا توصى لجنة الخطة والموازنة باعادة النظر فى كل هذه الفروق بحيث يكون هناك أساس محدد لتعويض الشركة عن خسارتها فى التشغيل والبيع بسعر محدد ، ويعاد النظر فى هذا الاساس كل ثلاث سنوات ٠

د ـ مساهمة الشركة فى حصيلة النقد الاجنبى وعلاقته بعجز ١٩٧٣ :

كانت الشركة تساهم فى امداد الخزانة العامة بالعملات الاجنبية ، اذ أن الطاقة المستغلة فى مصنع التكرير بالحوامدية نتيجة لتكرير السكر المنتج محليا كانت تقل عن ٨٠ فى المائة من الطاقة الانتاجية للمصنع ، لذا كانت تلجأ الشركة الى استيراد سكر خام غير مكرر لتكريره فى الحوامدية ، ثم تعيد تصديره من جديد وتكسب الشركة من جراء هذه العملية ما لا يقل عن ٢٠ جنيها من العملات الاجنبية عن كل طن ٠

وكانت هناك اتفاقية بين الشركة وبين وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية تدفع بمقتضاها الشركة الى وزارة الاقتصاد ٦٠ ألف جنيه نتيجة تصدير بعض منتجات الشركة الى الخارج ، على أن يترك للشركة باقى حصيلة صادراتها لتستخدمه فى شراء ما تحتاجه من مستلزمات للانتاج بالعملة الاجنبية ٠

واستمر هذا الوضع حتى العام الماضى حيث ارتفعت أسعار السكر الخام العالمية على النحو التالى :

سعر السكر الخام فى ١٥ فبراير من كل عام

١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣
٢٩	٩٥	٢٨ر٩	٤٣ر٥٦	٧٣ر٤٦	٨٠ر٥٩

(السعر بالجنية الاسترلينى)

ولقد أدى ارتفاع الاسعار العالمية بهذا الشكل الى توقف دول الاتفاقيات عن توريد السكر لتكريره ٠ كذلك أصدر السيد وزير التموين والتجارة الداخلية قرارا بمنع تصدير السكر الى الخارج ٠

ونتيجة لهذين العاملين ، فقدت الشركة المصدر الاساسى للعملات الحرة التى كانت تستخدمها فى استيراد مستلزمات الانتاج ٠

وقد قامت لجنة الخطة والموازنة بمناقشة المسئولين فى امكانية تعويض ما سلف من نقص فى العملة الاجنبية ، فأوضحوا بأنه جرى أخيرا بعض التعديلات فى القرارات الحكومية مما سيتيح لهم استيراد سكر لتكريره وتفادى العجز المقدر فى الموازنة التخطيطية لسنة ١٩٧٣ ٠

ثالثا ـ انخفاض الاعتمادات المخصصة للشركة بغرض الاحلال والتجديد :

ترى الشركة ان الاعتمادات التى تدرج فى موازنتها من أجل الاحلال والتجديد هى

اعتمادات منخفضة ولا تكفى للحفاظ على الطاقة الانتاجية الحالية لمصانعها فقد خصص لها فى السنوات الخمس الماضية المبالغ التالية :

السنة	محلى	اجنبى	جملة
١٩٦٨/٦٧	—	—	—
١٩٦٩/٦٨	٣٨٤	—	٣٨٤
١٩٧٠/٦٩	٥٤٨	٢٢١	٧٦٩
١٩٧١/٧٠	٧٠	—	٧٠
١٩٧٢/٧١	١٥٠	٣٢٢	٤٧٣
اجمالى السنوات الخمس	١١٥٢	٥٤٣	١٦٩٥
١٩٧٣	٥٠	٣٨١	٤٣١

ولق ذكر المسئولون عن الشركة أنها طلبت من الخزانة مليون جنيه لشراء معدات انتاجية من الخارج لتخفيض نسبة السكر فى المصاص المتخلف عن العملية الانتاجية بما يترتب عليه زيادة انتاج السكر ب ١٠ آلاف طن كل سنة ، قيمتها تزيد عن مليون جنيه ، الا أن هذا الطلب ، لم يجد القبــول وان كانت وزارة الخزانة ترى أن أولوية تخصيص الاعتمادات فى يد قطاع الصناعة كله •

كذلك فان الاعتمادات المدرجة للشركة بالخطة الخمسية المعتمدة (٧٣ ــ ٧٧) فى هذا المجال تعتبر اعتمادات منخفضة لا تفى باحتياجات التجديد للشركة •

فعلى اســاس ان القيمــــة الاســـتبدالية للموجودات الثابتة للشركة تقدر بحوالى ٢٥٠ مليون جنيه ، واذا كانت هذه الاصول فى حاجة الى احلال وتجديد بنسبة ٤ فى المائة سنويا من قيمتها الاستبدالية ، فان المبالغ المطلوبة سنويا بهذا الشأن يجب أن تكون فى حدود ١٠ ملايين جنيه ، نصفها بالعملات المحلية ، والاخــر بالعملات الاجنبية • ولكننا اذا نظــرنا الى الاحلال والتجديد المدرج فى الخطة الخمسية ٧٣ ــ ٧٧ لوجدناه على النحو التالى :

الاحلال والتجديد المدرج بالخطة الخمســية المعتمدة ٧٣ ــ ١٩٧٧ :

(بالالف جنيه)

السنة	محلى	اجنبى	جملة
١٩٧٣	٥٠	٣٧٦	٤٢٦
١٩٧٤	١٠٠	٣٧٦	٤٧٦
١٩٧٥	١٥٠	٣٠٠	٤٥٠
١٩٧٦	٤٥٩	٢٣٤	٦٩٣
١٩٧٧	٤٨٣	١٥٠	٦٣٣
اجمالى المعتمد بالخطة	١٢٤٢	٤٣٦	٢٦٧٨
ما يجب اعتماده	٩٦١٤	٧٠٧٣	١٦٦٨٧

ويلاحظ من هذا البيان أن هناك بونا شاسعا بين احتياجات الشركة الفعلية وبين ما يدرج لها من اعتمادات بغرض الاحلال والتجديد ، الامر الذى يكون له انعكاسه على تكاليف الانتاج يدفعها نحو الزيادة •

رابعا ــ نقص الاستثمارات الجديدة :

يعتبر تزايد الاستهلاك من الســكر دالة لعاملين اساسيين كما سبق وهما معدل نمو السكان ومعدل نمو دخل الفرد الحقيقى ، ولقد كان متوسط معدل النمو السنوى للمبيعـات المحلية من السكر فى الســنوات الخمس ٦٧ ــ ٧٢ هو ٥ر٧ فى المائة •

ولقد قامت الشركة بعمل دراسات حول معدل تزايد استهلاك السكر وقدرته ب ٨ فى المائة سنويا ، وقامت بتقدير الاستهلاك السنوى من السكر حتى عام ١٩٨٢ •

وطبقا لخطة الشركة فى استكمال المصانع الجديدة مثل خط ثالث كوم أمبو ، وقوص ، ومصنع دشنا ، ستكون الطاقة الانتـاجية لمصانعها هى ٨٠٠ الف طن مما يؤدى الى عدم ملاحقة الانتاج المحلى للاستهلاك ، وهو ما يدفعنا الى الاستيراد ، كما تظهره الصورة التالية :

انتاج واستهلاك السكر فى السنوات ١٩٧٣ حتى ١٩٨٢
فى حالة تنفيذ برنامج الشركة للاستثمارات
(بدون مصانع البلينا)

السنة	الاستهلاك بالالف طن (على اساس زيادة سنوية ٨٪)	طاقة الانتاج	الفائض او العجز	ملاحظـات
١٩٧٢/٧١	٥٧٣	٦٠٠	٢٧	
١٩٧٣	٦١٩	٦٠٠	ـــ١٩	
١٩٧٤	٦٦٨	٦٥٠	ـــ١٨	اذا تم خط ثالث كوم امبو
١٩٧٥	٧٢٢	٧٠٠	ـــ٢٢	« « خط ثالث قوص
١٩٧٦	٧٨٠	٧٥٠	ـــ٣٠	« « خط اول دشنا
١٩٧٧	٨٤٢	٨٠٠	ـــ٤٢	« « خط ثالث دشنا
١٩٧٨	٩١٠	٨٠٠	ـــ١١٠	
١٩٧٩	٩٨٣	٨٠٠	ـــ١٨٣	
١٩٨٠	١٠٦٢	٨٠٠	ـــ٢٦٢	
١٩٨١	١١٤٧	٨٠٠	ـــ٣٤٧	
١٩٨٢	١٢٣٩	٨٠٠	ـــ٤٣٩	

ملاحظات :

ـ طاقة انتاج المصانع القائمة ٦٠٠ آلف طن عند التشغيل الكامل ٠

ـ تصل الطاقة الى ٧٠٠ الف طن بعد تشغيل خط ثالث كوم امبو وخط ثالث قوص ٠

ـ بتشغيل مصنع دشنا بالطاقة الكاملة عام ١٩٧٨ تصبح طاقة المصانع ٨٠٠ الف طن ٠

ـ يبلغ عجز الانتاج عن الاستهلاك كالاتى :

١ ـ ١٩ ألف طن فى عام ١٩٧٣

٢ ـ ٤٢ ألف طن فى عام ١٩٧٧

٣ ـ ٤٣٩ الف طن فى عام ١٩٨٢ ٠

هذا مع الاخذ فى الاعتبار أنه حتى يمكن تنفيذ برنامج الانتاج المذكور يجب أن تقسم استثمارات المشروعات الجديدة والتكميلية للخمس سنوات القادمة طبقا البرنامج الزمنى الموضوع من الشركة :

الاستثمارات اللازمة		
تشغيل خط ثالث قوص عام ١٩٧٥	..	٥١٠٠
تشغيل خط ثالث كوم امبو عام ١٩٧٤	..	٢٥٥٠
البدء فى انتاج مصنع دشنا عام ١٩٧٦	..	١٥٢٠٠
الاحلال والتجديدات	..	٩٢١٤
		٣٢٤٦٤

أى أن الاستثمارات المطلوبة للسنوات الخمس القادمة تبلغ ٦ر٣٢ مليون جنيه (بخلاف الصناعات الاخرى مثل الخشب الحبيبى ولب الورق والتقطير والكيماويات) بينما تبلغ المبالغ المعتمدة فى الخطة الخمسية لهذه المشروعات ٥ر٢٤ مليون جنيه ٠

السنة	الاستثمارات المطلوبة طبقا لبرنامج الشركة	الاستثمارات المعتمدة بالخطة الخمسية
	جنيه	جنيه
١٩٧٣	ــر٩	ــر٤
١٩٧٤	٩ ر٨	ــر٣
١٩٧٥	ــر٧	ــر٥
١٩٧٦	٥ ر٥	٧ ر٥
١٩٧٧	ــر٢	٨ ر٦
	٤ ر٣٢	٥ ر٢٤

وعدم اعتماد الاستثمارات المطلوبة طبقا لبرنامج الشركة سوف يؤدى الى زيادة العجز فى الانتاج عن الاستهلاك المبين بالجدول السابق ٠

ولما كان الانتاج ، حتى بعد استكمال مصنع دشنا ، سوف يقل عن الاستهلاك فى عام ١٩٧٧ بما يقدر بـ ٤٢ الف طن ، وبـ ٢٦٢ الف طن سنة ١٩٨٠ ٠

وعلى أساس أن مساحة القصب المزروعة فعلا فى عام ٧٠ ـ ١٩٧١ تبلغ ١٣٦ ألف فدان تعطى ١ر٥ مليون طن قصب بمتوسط محصول للفدان ٣٨ طنا تقريبا ، ونتيجة لزراعة هذه المساحة كان انتاج السكر ٥٩١ ألف طن .

واذا ما علم انه يمكن زيادة المساحة المزروعة قصبا الى ٢٧٠ ألف فدان ، كما يمكن زيادة محصول الفدان الى حوالى ٦٠ طنا ، فان الامر يقتضى زيادة الطاقة الانتاجية لمصانع السكر عن ٨٠٠ ألف طن سنويا ، وهو المستوى الذى سوف تبلغه شركة السكر بعد استكمال المشروعات الجديدة التى بدىء فيها فعلا .

وتأتى هذه الزيادة فى الانتاج عن طريق الموافقة فورا على طرح مناقصة عالمية لتنفيذ مصنع سكر البلينا بطاقة ١٥٠ الف طن سكر سنويا ، ومن ثم يمكن الارتفاع بمستوى الانتاج الى ٩٥٠ الف طن تقريبا ، وهو ما يكفى بالكاد لحاجات الاستهلاك المحلى فى عام ١٩٨٠ .

ولقد رد مندوبو الحكومة على سؤال حول الطاقة التى يمكن استغلالها لو استكملت المصانع القائمة ، وتم بناء مصنع البلينا ، فأكدوا أن كل المصانع سوف تعمل بكامل طاقتها لانها سوف تجد المواد الخام (القصب) التى تكفى لتشغيلها اذا ما زرعت كل المساحة التى يمكن أن تزرع بالقصب ، ووفر قطاع الرى المياه اللازمة ـ حيث يحتاج فدان القصب من ٢٠ الى ٢٥ الف م ٣ من المياه فى السنة ـ ووفر قطاع الصرف المصارف اللازمة لهذه المساحة ، كذلك أكد مندوبو الحكومة على ضرورة توفير وسائل النقل المناسبة ، لانه من الضرورى نقل القصب خلال ١٢٠ يوما فقط .

وفى هذا المجال ، ذكر مندوبو الصناعة انه لو استكملت مصانع السكر كما كان واردا فى الخطة الخمسية الثانية لكان من الممكن لمصران تنتج فى عام ١٩٧٠ ما يعادل مليون طن من السكر يخصص منها للاستهلاك المحلى ما يقرب من ٦٠٠ الف طن ، ويصدر ٤٠٠ ألف طن للخارج تقدر قيمتها ب ٥٠ مليون جنيه ، ولتوافرت لدينا كميات كبيرة من المولاس كان يمكن استخدامها فى أغراض شتى .

لكنه بسبب ضعف الاستثمارات التى خصصت للشركة لم يتم تحقيق هذه الاهداف .

خامسا ـ خلاف الشركة مع الخزانة العامة عن تعويضها عن بنود فى التكاليف لم تراع من قبل :

ذكرت الشركة انه كان هناك اتفاقية بينها وبين الحكومة منذ أكثر من عشرين سنة تقضى بتثبيت ثمن السكر الذى تتقاضاه الشركة على اساس ثمن الطن ٩٢٨ر٤٠ ، ولقد حدثت زيادة مختلفة فى كثير من بنود التكاليف مثل أسعار شراء القصب وأسعار الخيش وتكاليف النقل عوضت الشركة عن معظمها حتى اصبحت تتقاضى اليوم حوالى ٥٨ جنيها لكل طن سكر يباع محليا من انتاجها تدخل فيه الفروق السابق ذكرها . الا أن الشركة تذكر أن هناك بنودا أخرى فى تكاليف الانتاج لم تعوض عنها مثل الاجور نتيجة رفع الحد الادنى للاجر واعطاء العاملين بدل طبيعة عمل ، الامر الذى حمل الشركة ب ٨٠٠ ألف جنيه اضافية نتيجة للسياسة العامة للدولة ، كذلك تزايدت تكاليف مواد التشحيم والتعبئة . والشركة الان فى مفاوضات مع الحكومة فى هذا الشأن .

سادسا ـ عدم توافر السيولة المالية الكافية للشركة :

تتميز الصناعات الغذائية ، لاسيما تلك التى تعتمد على المنتجات الزراعية ، بأمر هام وهو موسمية الانتاج . ويصدق هذا الوضع على صناعة السكر . اذ تعمل مصانع السكر ـ بخلاف مصنع التكرير ـ مدة أربعة أشهر كل عام فقط حيث يتوافر محصول القصب . بينما يمتد تسويق السكر طوال العام . ويعنى ذلك أنه لابد من توافر قدر كبير من الاصول السائلة التى يمكن تحويلها الى النقود فى الاوقات التى يتركز فيها تشغيل المصانع ، أى لابد من توافر نسبة سيولة مرتفعة لدى الشركة .

لكننا اذا نظرنا الى المركز المالى للشركة فى ٣٠ ـ ٦ ـ ٧١ نجد أن نسبة التداول تبلغ ٢ر١١٩ فى المائة تقابل ٣ر١٢٠ فى المائة فى عام ١٩٧٠ وان نسبة السيولة تبلغ ٣ر٠ فى ١٩٧١ مقابل ٤ر٠ فى عام ١٩٧٠ ، وان نسبة السيولة السريعة تبلغ فى العامين ١ر٠ .

ولاشك أن هذه النسب ، بالمقارنة لظروف شركة السكر والتقطير المصرية ، هى نسب منخفضة ، ولعل من أسباب انخفاضها هو ارتفاع نسبة القروض الى اجمالى رأس المال المملوك والى مجموع الاموال المستثمرة لدى الشركة مما يحملها أعباء كبيرة سواء فى سداد الاقساط أو تحمل الفوائد . فنسبة القروض طويلة الاجل فى ٣٠ ـ ٦ ـ ٧١ تبلغ أكثر من ١٠٠ فى المائة من رأس المال المملوك للشركة ، و٢٨ فى المائة من اجمالى رأس المال المستثمر ، واذا أضيفت مساهمة الحكومة الى القروض طويلة الاجل لبلغت نسبتها معا ٤١ فى المائة من رأس المال المستثمر .

ولقد كان من نتيجة نقص السيولة لدى الشركة التجائها الى البنوك التجارية للاقتراض

بحيث كانت نتيجة ذلك ظهور مبلغ ٢٫٨٩٣ مليون جنيه سحب على المكشوف فى موازنة ١٩٧١ .

خلاصة الدراسة السابقة

يمكن أن نخلص - مما سبق - الى أن السبب الرئيسى لظهور العجز المرحل فى ميزانية ٧٠ - ٧١ هو الخسارة الناتجة عن تقييم صافى أصول شركة النصر لصناعة السكر وشب الورق ومشروع دشنا وشركه السكر والتقطير المصرية ، أما الاسباب التى أدت الى أن تتوقع الشركة خسارة فى موازنة ١٩٧٣ بمقدار نصف مليون جنيه فيمكن تحديدها فى توقف دول الاتفاقيات عن توريد السكر الخام ، بسبب ارتفاع الاسعار العالمية ، وصدور قرار يقضى بمنع تصدير السكر الى الخارج ، الامر الذى حرم الشركة من أهم مصادرها للحصول على العملات الاجنبية نتيجة استيراد سكر خام وتكريره واعادة تصديره ، غير انه قد اوضحت الشركة ان الحكومة بسبيل تدارك هذا الموقف حاليا وأنها ستتفادى تحقق خسارة فعلية فى نهاية السنة المالية ١٩٧٣. (*)

توصيات اللجنة

فى ضوء الدراسة المتقدمة توصى لجنة الخطة والموازنة بالاتى :

١ - ضرورة السماح للشركة باستيراد السكر الخام لتكريره محليا واعادة تصديره للاستفادة من فروق الاسعار العالمية وذلك فى ضوء الظروف الدولية وطاقة التكرير المحلية ، حتى يمكن توفير العملات الاجنبية للشركة ، وتيسير عمليات التمويل لها .

٢ - ضرورة اجراء الدراسات اللازمة لتحديد تكلفة انتاج الطن من السكر فى ضوء الزيادة التى حدثت فى الاجور وبعض مستلزمات الانتاج الاخرى ، حتى يمكن تحديد ما يجب أن تتقاضاه الشركة عن كل طن تنتجه من السكر وتحميل صندوق موازنة الاسعار بالفرق .

٣ - ضرورة التوسع فى زراعة القصب وتشجيع الزراع على زراعته ، ورفع انتاجية الفدان منه وذلك عن طريق :

- توفير مياه الرى اللازمة له .
- الارتفاع بكفاءة الصرف .
- زيادة التسميد .
- تحسين سلالات القصب .
- دراسة تكاليف انتاج القصب بالنسبة للزراع فى ضوء الظروف السالفة ، لضمان سعر يحقق لهم عائدا مجز يشجعهم على الاستمرار والتوسع فى الزراعة .

٤ - ضرورة دراسة مشروع مصنع البلينا ، والموافقة على طرح مناقصة عالمية لتنفيذه لمواجهة العجز المتوقع فى الانتاج فى المستقبل القريب .

٥ - ضرورة توفير الاعتمادات اللازمة للاحلال والتجديد حتى يمكن الحفاظ على طاقة المصانع الانتاجية ، وتوفير الاستثمارات اللازمة لاستكمال خطوط الانتاج فى مصانع كوم أمبو وقوص ودشنا ومشروعات الشركة الاخرى .

٦ - ضرورة توفير الاموال المطلوبة لشراء بعض المعدات الانتاجية اللازمة لتخفيض نسبة السكر فى المولاس مما يترتب عليه زيادة حجم انتاج السكر بأكثر من مليون جنيه سنويا ، علما بأن هذه المعدات تتكلف مليون جنيه .

رئيس اللجنة

د . احمد أبو اسماعيل

خطة شاملة لتطوير صناعة السكر

كمال السيد

المعدل المتوقع للزيادة السنوية فى استهلاك السكر ،وهو ٨ فى المائة معدل معقول للغاية وليس فيه أى افراط أو تبديد ، خاصة اذا ما أدخلنا فى اعتبارنا ارتفاع معدل التزايد السكانى (والطفل منذ اليوم الاول لمولده مستهلك نهم للسكر) وعملية اعادة توزيع الدخول ، التى تدخل مستهلكين جددا لهذه السلع من جانب ، وتقفز باستهلاك فئات من السكان الى معدلات خيالية الارتفاع ، من جانب آخر .

ومن ثم فان ارتفاع الاستهلاك من ٧٢٥ ألف طن

فى ٧١ ـ ٧٢ الى ١٢٣٩ الف طن فى ١٩٨٢ ،يعد فى اطار الضروريات الاساسية ، طبعا مع بذل كل الجهد اللازم للحد من الاستهلاك المفرط لدى البعض ، حتى لا يذهب كل الجهد الذى تبذله الدولة ـ وبأموال الشعب كله ـ لتوفير هذه السلعة الى أصحاب الدخول الكبيرة القادرين على التهام واستهلاك كميات تفوق كثيرا مافى مقدور الرجل العادى استهلاكه (فى أبريل ١٩٥٢ أعلن وزير التموين ان مقررات بطاقات التموين تحدد حسب الوضع الاجتماعى للاسرة ، وان مقررات بعض الاسر وصل الى ٨٢٠ أقة شهريا) .

وواضح أن زيادة الانتاج من ٦٠٠ ألف طن الى ٨٠٠ ألف فى نفس الفترة ، تقصر عن ملاحقة نمو الاستهلاك ، اذ سيصل الفرق بينهما فى ١٩٨٢ الى ٤٣٩ الف طن . فاذا تم اكمال هذا النقص بالاستيراد ، فان ذلك سيتكلف نحو ٣٥ مليون جنيه استرلينى بحساب أسعار ١٩٧٣ وهى ٥ر٨٠ جنيه استرلينى للطن (كان فى ١٩٧٠ ، ٩ر٢٨ جنيه للطن) .

وصناعة السكر فى مصر صناعة عريقة (١١٨ سنة) وكبيرة فعلا (نجع حمادى من أكبر مصانع السكر فى العالم) الا أن المشكلة الاساسية هى فى عدم وجود خطة واحدة متكاملة لتطوير صناعة السكر تتعلق باطراف عملية انتاج واستهلاك السكر الثلاثة الاساسيين وهم زراع القصب أو منتجو المادة الخام ، وأدوات انتاج السكر وطرائق الصنع ، والسوق الاستهلاكية له .

■ فمشكلة الزراعة تتلخص فى انخفاض العائد ، بفعل ارتفاع تكاليف زراعة القصب ، والتلاعب فى عمليات محاسبتهم على انتاجهم ، ونقص التسهيلات خاصة النقل التى تفسد جزءا منه ، ورخص أسعاره ، مما دفع زراع كثيرين خاصة فى محافظة قنا ـ الموطن الاساسى للقصب ـ الى الانصراف عن زراعته والتحول الى محاصيل أخرى أكثر جزاء ، الامر الذى أدى الى تشغيل النسبة الغالبة من المصانع بأقل من طاقتها الانتاجية ، فى وقت يتزايد فيه استخدام السكر واستهلاكه . وقد كان لمجلس الشعب مناقشات واسعة حول هذه القضايا قبل أن يفض دورته الثانية .

وكثيرة هى ومتعددة مشاكل الزراعة من عدم وجود شبكات الصرف مما يرفع منسوب المياه الجوفية ويقلل انتاجية الارض ، الى عدم وجود تقاوى جيدة أو عدم الاقبال عليها الى نقص الاسمدة وارتفاع أجور العاملين ، الخ . لكل هذا وكثير غيره فان خطة لانهاض صناعة السكر لتسد احتياجاتنا ولتكون مجالا للتصدير ، لابد وان تشمل مجال زراعة القصب . وفى نجع حمادى أجريت تجربة للتجميع التعاونى لزراعات القصب ـ بما يتيح استخدام الماكينات والاساليب العلمية وتحقيق وفورات الحجم الكبير ـ خفضت تكاليف الانتاج بنسبة الثمن تقريبا . وليس هناك ما يمنع من دراسة تجارب الاقطاعيين والرأسمالية الزراعية ، فتفتيش يوسف كمال فى نجع حمادى وشركة الاراضى التى كان يملكها اليهود والاجانب ، توافرت لها امكانيات اقامة التسهيلات الانتاجية ، واستخدام معدات الانتاج الكبير على أسس حديثة مما جعل عائدها يفوق كثيرا عائد صغار زراع القصب الذين كانوا يستخدمون وسائل بدائية يتميز بها الانتاج الصغير ، وبالطبع فان هدف مثل هذه الدراسة هو الارتفاع بالانتاج كما ونوعا ، وليس العودة الى العلاقات الاجتماعية المتخلفة .

ان التجميع هو الطريق الوحيد لخفض تكاليف الانتاج والتسويق بما يزيد كثيرا من العائد الذى يحصل عليه المزارعون ، وللقضاء على كافة شكاواهم من سوء طرق محاسبتهم ، الخ . واذا ما ارتفع عائد زراعة القصب ، فسيتحول اليه المزارعون بلا جهد يذكر ودونما أى ضغوط (فشلت خطة تحويل ٢٢ ألف فدان فى قنا لزراعة القصب رغم كل ما بذل فيها من جهد) وليس هناك أى جدوى من وضع خطط لانشاء مصانع السكر ، والتوسع فى المصانع القائمة ، طالما ان منتجى المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة ـ القصب ـ يفضلون دفع الغرامات على الاستمرار فى زراعته والا أنفقنا مواردنا على انشاء مصانع نعرف مقدما أنها قد تتعطل كليا أو جزئيا .

■ واذا ضمنا زراعة المساحات اللازمة من القصب نجى ضرورة تخصيص الاستثمارات اللازمة لاقامة مصانع جديدة للسكر حتى يبلغ مجموع الطاقة الانتاجية حجما يكفى احتياجات الاستهلاك المحلى أو يزيد . وبالاضافة الى هذا لابد من تخصيص الارصدة الضرورية لتجديد واحلال المصانع القائمة ، والتى أنشىء معظمها فى القرن الماضى (بدأت فى ١٨٨٥) ذلك أن النسبة الغالبة من معدات مصانع السكر الاساسية ، ابوقرقاص نجع حمادى وكوم أمبو وارمنت ، بالية ومستهلكة وانتاجيتها أقل مما يمكن الحصول عليه بعد تجديدها . وكما يقول التقرير فان « القيمة الاستبدالية للموجودات الثابتة لشركة السكر تقدر بحوالى ٢٥٠ مليون جنيه . واذا كانت هذه الاصول تحتاج الى احلال وتجديد بنسبة ٤ فى المائة سنويا من قيمتها الاستبدالية ، فان المبالغ المطلوبة سنويا ، بهذا الشأن ، يجب أن تكون فى حدود ١٠ مليون جنيه » .لكن المخصص لذلك فعلا

يتراوح بين ٤٢٦ ألف جنيه فى ١٩٧٣و ٦٣٣ ألف جنيه فى ١٩٧٧ . ومعنى هـذا أننـا « نأكل » رأسمالنا ونهمل كل القوانين التى توضح ضرورة تخصص الموارد اللازمة لتكرار الانتاج على أسس موسعة ، أى تخصيص جزء من العائد لاعادة الانتاج على نطاق أكبر ، ولكننا لا نفعل هذا ، بل اننا لا نخصص الاموال اللازمة لمجـرد تكرار الانتاج وليس توسيعه .

فاذا علمنا أن حصيلة الخزانة العامة مـن صناعة السكر قد زادت من ٩ر١٧ مليون جنيه فى ٦٧ ـ ٦٨ الى ٣ر٤٦ مليون فى ٧١ ـ ٧٢ ،لتبينا أن صناعة السكر صناعة مربحة للدولة ، وأنهـا تستحق تخصيص جزء من مكاسبها لعمليـة تطويرها ، وذلك يتفق تماما مع اعتبارات الرشد والحساب الاقتصادى ، لان التطوير سيدر عائدا أكبر ،وفى هذا يقول التقرير « لو استكملت مصانع السكر كما كان واردا فى الخطة الخمسية الثانية لكان من الممكن لمصر أن تنتج فى عام ١٩٧٠ ما يعادل مليون طن من السكر يخصص منها للاستهلاك المحلى ما يقرب من ٦٠٠ ألف طن ، ويصدر ٤٠٠ ألف طن للخارج تقدر قيمتها بـ ٥٠ مليون جنيه ، ولتوافرت لدينا كميات كبيرة من المولاس كان يمكن استخدامها فى أغراض شتى ، لكنه بسبب ضعف الاستثمارات التى خصصت للشركة لم يتم تحقيق هذه الاهداف » .

■ وضع خطة للاستهلاك تحد من عمليات التبديد التى يتيحها للبعض تضخم دخولهم ، وفى الوقت نفسه تيسر على صغار المستهلكين الحصول على مايعد استهلاكه ضروريا بأسعار معقولة .

أما ملاحظاتنا على مقترحات اللجنة ، فهى مع صحتها ، تظل فى دائرة الحلول الفرعية لمشكلة مترابطة الاطراف فليس هناك من ينكر الضرورات الاربعة التى أوصت بها وهى : ضرورة السماح للشركة باستيراد السكر الخام لتكريره واعادة تصديره للاستفادة من فروق الاسعار ، وضرورة دراسة تكلفة انتاج الطن من السكر ، وضرورة التوسع فى زراعة القصب ، وضرورة دراسة مشروع مصنع البلينا ،ولكن ربما تعين أن نضيف أهم ضرورتين وهما :

● ضرورة أن يتم ذلك وغيره فى اطار خطة متكاملة لتطوير صناعة السكر .

● ضرورة بيان طريقة تنفيذ المقترحات السابقة فيس يكفى أن نضع توصيات ، وانما يتعين أيضا الارشاد الى طرق تحقيقها ..

ملاحظـــات عامـــة للجنـــة الخطـــة والمـــوازنة

لاحظت لجنة الخطة والموازنة أن صافى عائد شركات القطاع العام بلغ ٤ر٢ فى المائة من رأس المال المستثمر فى السنة المالية ٧٠ ـ ٧١ وينعكس هذا الوضع على ميزانية الدولة ، اذ بلغ صافى فائض المؤسسات العامة فى سنة ١٩٧٣ ـ ٨ر٤٠ مليون جنيه ، كمـا لاحظت اللجنة عند دراستها للموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٣ أن بعض شركات القطاع العام بها عجز جارى • ولئن لم تأخذ هذه الشركات اعانة من الخزانة العامة بطريقـة مباشرة الا أن هذا العجز الجارى يقلل من الفوائض التى تؤول الى الخزانة العامة ، ولهذا رأت لجنة الخطة والموازنة ضرورة دراسة نتائج شركات القطاع العـام واختطت لنفسـها اسلوبين ، أولهما : دراسة الشركات الخاسرة من واقع الموازنة التقديرية لسنتى ٧١ ـ ٧٢ ، ٧٣ وثانيهما : اجراء مسح شامل لنتـائج شركات القطاع العام كلة • ورأت اللجنة أن تعرض أولا بأول على المجلس ـ كلما توافرت البيانات ـ دراسة لبعض الشركات الخاسرة من واقع البيانات التى قدمتها تلـك الشركات والمؤسسات والوزارات المشرفه عليها • وقد تبين من واقع هذه الدراسة . ان الشركات الخاسرة تشترك فى عناصر واحدة تسـبب تضخم خساراتها بجانب انفراد كل منهـا بظروف خاصة • واذ توضح اللجنة الظروف المشتركة للخسارة وتوصياتها ازاء كل منها ، فانها تترك دراسة كل شركة لتقرير منفصل •

العنـاصر المشـــتركة بين الشركات الخاسرة

١ ـ الخلل الهيكلى فى تمويل رأس المال :

جرت العادة فى الشركات المساهمة بالقطاع الخاص أن يجمع رأس المال من المساهمين حتى تستطيع الشركة أن تشترى به أصولها الثابتة

وتسيير دولاب عملها · كما قد تقترض الشركة قروضا طويلة الاجل لاستكمال الاموال اللازمة لاصولها الثابتة والحد الاساسى اللازم لممارسة العمل · وبذلك فانها تحتفظ بتوازن مالى اذا دبرت من الاموال ما يتناسب مع طول بقاء الاصول الثابتة فى الانتاج ·

لكن فى غياب سوق نشطة للاوراق المالية ، لا تستطيع شركات القطاع العام أن تدبر الاموال اللازمة لنشاطها بالسهولة التى تواجهها شركات القطاع الخاص · ولهذا تعمد الخزانة العامة ـ بطريقة مباشرة او غير مباشرة ـ الى تدبير الاموال المطلوبة للشركات وتقدمها لها فى شكل مساهمات أو قروض · وتعامل الخزانة العامة المساهمة نفس معاملة القروض حتى عام ١٩٦٧ من حيث تحمل الشركة بالفائدة والالتزام بسداد أقساط المساهمات والقروض · وعلى الرغم من أن الاموال التى تدبرها الخزانة العامة للشركات كمساهمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ـ ابتداء من السنة المالية ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ يقع عبؤها على المؤسسة المشرفة عليها ، الا أنه لازالت المساهمات قبل سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ تعامل نفس المعاملة القديمة · وتظهر خطورة هذه المعاملة على شركات القطاع العام من أن انتاجها يتحمل بفائدة المساهمات قبل السنة المالية ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ الى جانب أن أرباحها بعد خصم الفوائد المذكورة ـ يحتجز جزء منها لسداد أقساط المساهمة · وهو أمر رغم أنه غير منطقى الا أن مكمن الخطورة فيه يظهر فى خفض سيولة الشركات بمقدار ما تدفعه من فائدة وقسط استهلاك المساهمة ·

ولا يقتصر الامر على ذلك فقط ، بل أن ما تدبره الخزانة العامة لشركات القطاع العام من أموال طويلة الاجل ، سواء فى شكل مساهمات أو قروض ، أقل مما يلزم لمواجهة الاصول الثابتة وعناصر الاصول الاخرى التى لها نفس خصائص الاصول الثابتة وأهمها طول البقاء فى الشركة · ولهذا تلجأ تلك الشركات الى البنوك التجارية للاقتراض منها قروضا قصيرة الاجل لتمويل عجز التمويل فى رأس المال اللازم للاحتياجات طويلة الاجل للشركة · ويحمل هذا الوضع الانتاج بأعباء باهظة ، تظهر شركات القطاع العام بمظهر العجز ·

ولهذا توصى لجنة الخطة والموازنة بأن تصحح الخزانة العامة الخلل الهيكلى فى تمويل رأس المال بأن تحقق التوازن المالى للشركة وتضمن التوازن النقدى لاصولها وخصومها المتداولة وبحيث يتم التوازن المالى على أساس تعادل رأس المال الذى تدبره الحكومة فى شكل مساهمة مع الاصول الثابتة للشركة ، وأن تأخذ مساهمة الحكومة نفس خصائص المساهمة فى شركات القطاع الخاص وتتحمل الحكومة بنتائج تخطيطها للموارد الاقتصادية للبلد ، بالتساوى مع مساهمة القطاع الخاص ·

٢ ـ اظهار عبء مساهمة المؤسسة أو الخزانة العامة ضمن التكلفة :

تتولى الدولة تخطيط الاستثمار على المستوى القومى ، فتحدد المشروع الاستثمارى ثم تهيء له القوة العاملة والموارد الاقتصادية لتنفيذه ··· ثم تسأل الحكومة ادارة الشركة عن نتائج استخدامها للموارد البشرية والاقتصادية فى تحقيق أهداف المشروع الاستثمارى ، وكلما زادت نسبة المساهمة (بوضعها الحالى) أو القروض المحلية والاجنبية فى تمويل أصول المشروع كلما زاد العبء عليه · ونظرا الى أن هدف الربحية ليس وحده المعيار الذى يؤخذ به عند وضع أولوية المشروعات الاستثمارية التى تنفذ ، وأن هدف تكامل المشروعات من بين المعايير الملحوظة فى هذا الشأن ، وذلك بجانب المعايير الاجتماعية والسياسية الاخرى ·

ولهذا فان لجنة الخطة والموازنة توصى بابعاد فوائد رأس المال الذى تدبره الحكومة عن منطقة الاعباء فى حساب العمليات الجارية حتى لا تدخل ضمن تكاليف الانتاج ، وجعل الفائدة ضمن منطقة توزيع دخل الشركة ، وذلك على أساس أن الاموال التى تدبرها الحكومة للشركات هى من قبيل المساهمة ·

٣ ـ خلل العلاقة السعرية بين مراحل الانتاج :

نتيجة لتدخل الدولة فى الاسعار وترابط كل صناعة بالاخرى وعدم وجود فرص بديلة تحمى المنشأة المشترية من تحكم المنشأة البائعة أو العكس وجدت لجنة الخطة والموازنة أن الاسعار التى تفرض على بعض الشركات لا تبقى لها هامشا تجاريا كافيا تغطى به مصاريفها ·

ولهذا توصى اللجنة بأمرين : أولهما دراسة الاسعار التى تحول بها الصناعات لبعضها البعض منتجاتها بحيث لا تطغى صناعة على الاخرى ، وثانيهما تحديد مسئولية العاملين عن

ربحية الشركة اذ أن السعر الذى تفرضه الدولة لمنتج ما على أساس اعتبارات اجتماعية أو اقتصادية هو الاساس الذى تحتسب عليه أرباح العاملين • ولابد فى جميع الاحوال أن يكون هناك سعر تقديرى تحتسب على أساسه أرباح جميع العاملين فى كافة الشركات •

٤ - عدم التركيز على البعد الانتاجى فى بعض الشركات الخاسرة :

تعتقد بعض الشركات انها خلقت لتأدية خدمات ، بغض النظر عن بعدها الاقتصادى ، وان التطبيق الاشتراكى ينبغى أن يوفر للعاملين فى الشركات كلها مستوى واحدا من الميزات الاجرية بغض النظر عن نتائج كل شركة ، وهذه النظرة مصدر خلل فى الحافز على الانتاج ، ولهذا ترى اللجنة معالجة هذا الوضع فى اطار يركز على البعد الانتاجى فى العمل الاشتراكى •

على انه نظرا الى طبيعة تسعير المنتجات وتغير أسعار مستلزماتها ، وبمراعاة طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية التى تسود المناخ الاقتصادى المصرى ، لكل هذا نجد وقع بعض هذه الظروف على شركات القطاع العام يختلف من شركة الى أخرى ، بحيث تظهر بعض الشركات عجزا جاريا فى الوقت الذى تظهر فيه الاخرى فائضا جاريا ، ولا يكون للعاملين فيها يد فى كلا الحالتين •

ومن ثم توصى لجنة الخطة والموازنة فى هذا الشأن بما يلى :

ا - يأخذ شعار الاجر حسب الانتاج سبيله الى التطبيق باستخدام نظم أجرية تختلف بحسب طبيعة كل نشاط •

ب - استخدام نظام الاسعار التقديرية السابق الاشارة اليها فى بند ٣ ، وريثما يتم تطبيق هذا النظام تؤخذ نسبة من أرباح الشركات الكاسبة لتودع فى صندوق مشترك للارباح يوزع منه على جميع الشركات ، الرابح منها والخاسر على أساس النظام الجارى ويقترح أن تكون هذه النسبة ٥٠ فى المائة من الربح القابل للتوزيع على العمال حاليا •

٥ - تحميل الشركات بعبء الجيش الشعبى :

بدأ للجنة ثقل وطأة عبء الجيش الشعبى على بعض الشركات رغم انها خاسرة فى حين لا تتحمل شركات أخرى منافسة مثل هذا العبء •

ولهذا توصى اللجنة بانشاء صندوق لتمويل الجيش الشعبى يتحمل بأعبائه الشركات عن طريق مساهمة كل شركة من شركات القطاع العام بنسبة من ايراداتها نشاطها الجارى أو من اجمالى أجورها ، وتدفع نفقات الجيش الشعبى المكلف بصيانة وأمن بعض الوحدات من أموال ذلك الصندوق •

٦ - تحمل بعض الشركات الخاسرة بأعباء الطوارىء دون استعواض :

وقد رأت اللجنة أن بعض الشركات وخاصة شركات الملاحة تصدر لها أوامر برحلات معينة فتقدم عليها رغم انها خاسرة دون استعواض ، كما أن بعض الشركات الاخرى لا يجد كفايته من مستلزمات الانتاج للظروف العسكرية التى نمر بها •

وتوصى اللجنة بأن يتحمل صندوق الطوارىء بخسائر هذه الظروف الطارئة ، أو تتحمل الجهة التى أصدرت قرارها الطارىء بخسارة العمليات المترتبة على هذا القرار •

٧ - تحمل الشركات بأعباء التوطن الحضارى الاساسى :

لاحظت اللجنة أن بعض الشركات يتحمل بأعباء شبكات مياه وطرق وكهربة وأسكان عمالى وتوفير وسائل مواصلات مناسبة للعاملين بالشركة وتهيئة مرافق تعليمية وصحية مختلفة لهم ، وكل هذه مرافق من المفروض أن توفرها الحكومة لشركات القطاع العام بحيث لا يتحمل الانتاج الا بالتكلفة اللازمة لممارسة الانتاج بصفة مباشرة ، وبحيث تستبعد من النتائج التى تسأل عنها الشركة كل مرافق التوطن الحضارى الاساسى •

ولهذا توصى اللجنة بأن يراعى فى تقييم شركات القطاع العام استبعاد مرافق التوطن الحضارى من أصول الشركات •

٩ - عدم اعطاء الشركات المصدرة حصة ثابتة من النقد الاجنبى الذى تديره :

رأت اللجنة أن بعض الشركات الخاسرة تواجه صعوبة فى شراء مستلزماتها الاجنبية

المناسبة لكي تنافس في السوق المحلي أو الخارجي أو حتى في استعواض أصولها التي تهلك في الانتاج .

وتوصى اللجنة بأن يحدد لكل شركة هدف تصديري ويكون لها حصتان : الاولى بالنسبة للهدف وتتحدد على ضوء انتاجها في السنوات الماضية والثانية بنسبة أعلى وتؤخذ من الزيادة عن الهدف المخطط لها لتمويل التوسعات والاحلال ومستلزمات التسويق الخارجي .

وبالنسبة للشركات التي لا تصدر انتاجها للخارج نظرا لاستنفاده في السوق المحلية ، كبديل للاستيراد ، توصي اللجنة بتحديد حصة من النقد الاجنبي لها كنسبة من رقم أعمالها تؤخذ من النقد الاجنبي لباقي القطاعات ويكون لها حرية التصرف والايداع الخارجي في حدود اطار عام تضعه الحكومة .

٩ ـ عدم التنسيق بين شركات الانتاج وشركات التوزيع :

تتولى بعض شركات القطاع العام انتاج بعض مستلزمات الانتاج لشركات قطاع عام أخرى ، ونتيجة لعدم أحكام الرابطة بين المنتج ومستخدم انتاجه من القطاع العام ، يتدخل القطاع الخاص بأياد طفيلية تزيد من أعباء الصناعة برفع الاسعار على المستهلك الاخير .

ويحدث نفس الشيء بالنسبة لشركات الاستيراد بالنسبة للسلع الرئيسية دون الاهتمام بالربط بين شركات الانتاج والاستيراد من ناحية وبين الشركات التي تستخدم انتاج الشركات الاخرى واستيرادها من ناحية أخرى .

ولهذا توصي لجنة الخطة والموازنة باحكام الرابطة الانتاجية على مستوى القطاع العام كله لابعاد أصحاب الدخول الطفيلية عن خنق المستهلك النهائي بما ترفعه من الاسعار عليه .

١٠ ـ انخفاض الاستثمار الذى يقابل الاحلال والتجديد :

لاحظت اللجنة أن أولوية تخصيص الموارد الاستثمارية لا تعطى لعنصر استبدال الاصول الاهمية الواجبة ، كما أن قسط استهلاك الاصول يحدد على أساس القيمة الدفترية لها بغض النظر عن ارتفاع أسعارها عند احلالها ، ولا يراعى أثر ارتفاع أسعار الاصول الا عندما تحقق الشركة ربحا فتخصص من الربح نسبة ٥ في المائة لمواجهة ارتفاع أسعار الاصول .

وازاء ما تلاحظه اللجنة من الارتفاع المستمر لاسعار الاصول ، وخاصة في ظروف عالمية بدأت فيها العملات الاجنبية العملاقة تتهاوى وتترنح أمام التضخم المالي العالمي ، فانها توصي باعتبار أن ارتفاع أسعار الاصول عبء ينبغي تحمله في جميع الاحوال سواء سمحت الارباح به من عدمه . كما توصي اللجنة بأن يعتبر الاهلاك مصدر تمويل لصندوق يخصص لاستبدال أصول كل قطاع ، ويتم تمويل التوسعات والانشاءات الجديدة في القطاع عن طريق المدخرات التي توفرها الخزانة العامة للاستثمارات الجديدة وذلك ضمانا للحفاظ على رأس المال القومي .

١١ ـ اعتماد الشركات على مصادر تمويل أجنبية مرتفعة التكاليف :

تبين للجنة أن أسعار بعض الدول ليست في حقيقة الامر أقل الاسعار عبئا على الانتاج ، ونظرا الى أننا ننتج لكي نصدر بحيث نستعوض العملة الاجنبية التي أغرقت في الاصول الانتاجية فان عبء التمويل من تلك الدول يعرقل من هدف التصدير (أى هدف الاستعواض من الخارج) كما أنه من ناحية أخرى يسمح بوجود منافسة بين الانتاج المحلي والانتاج الاجنبي المهرب .

ولهذا توصي لجنة الخطة والموازنة بعدم شراء الاصول الثابتة الا بأرخص الاسعار عبئا على الانتاج سواء من دول الاتفاقيات أو دول العملات الحرة، اذ ان اللون الذى تاخذه التجارة الخارجيه هو الصالح الاقتصادى العام لمصر قبل أى شيء اخر .

رئيس اللجنة
د. أحمد أبو اسماعيل

ملاحظات وتعليق «الطليعة» على الدراسة

القطاع العام .. الى أين ؟

القطاع العام فى مصر انجاز عظيم من انجازات معارك التحرر الوطنى التى خاضتها ثورة يوليو ، وقاعدة لا غنى عنها للتنمية الشاملة المخططة ، وأساس لكل أمل فى امكانية التحول الاشتراكى فى المستقبل . ويكفى أنه يقدم نحو ٩٠ فى المائة من حجم الانتاج القومى فيما عدا الزراعة ، ويزود البلاد بما يزيد عن ٩٠ فى المائة من حجم الادخار المستثمر ، ويمثل بالتالى قاعدة الصمود فى اقتصادنا الوطنى . لذلك نحرص على القطاع العام ، ونحرص بالتالى على معالجة مشاكله بروح توفير الظروف المواتية لنجاحه .

وقد قامت لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب بدراسة هامة لعدد من شركات القطاع العام ، اختارتها فى ضوء معيار معين هو كونها « شركات خاسرة » من واقع الموازنة التقديرية لسنتى ٧١ ـ ٧٢ ، ٧٣ . وقد ظهر أن عدد هذه الشركات لا يتجاوز العشرة . كما قدمت لجنة استظهار الحقائق فى موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الخردة تقريرا بالغ الاهمية يضيف جوانب عديدة الى الصورة التى عنيت بها لجنة الخطة والموازنة . والتقارير جميعا تقدم للقطاع العام صورة تقرع بشدة ناقوس الخطر وتطرح بالتالى هذا السؤال بالحاح : الى أين يسير القطاع العام الذى تعلقت به كل الامال بوصفه عنصرا حاسما للنضال سواء فى معركة التحرير الوطنى أو فى معركة التقدم الاجتماعى ؟

واذا كانت لجنة الخطة والموازنة قد كشفت فقط عن عشر شركات مختلة لانها شركات خاسرة ، فمن الضرورى أن نضع فى اعتبارنا من البداية هاتين الحقيقتين :

الاولى ـ **أن الخسارة ليست هى بالضرورة عنوان الخلل** . فمن الممكن أن تتحمل شركة ما بخسارة محسوبة اقتصاديا ومطلوبة اجتماعيا ، مثلما هى الحال فى شركات تنتج أو توزع السلع الضرورية مثل السكر والخبز واللبن والزيت والثلج والاقمشة الشعبية . وعندئذ يكون من الواجب أن تتدخل الدولة صراحة لدعم هذه السلع الضرورية وان توضع سياسة أسعار شاملة لجميع السلع تقيم علاقة سليمة بين أسعار السلع الضرورية وأسعار السلع غير الضرورية بحيث تحفظ التوازن فيما بين دخول الافراد والاسعار وتسمح للدولة بحسن توزيع الموارد القومية فيما بين الانتاج والاستهلاك .

الثانية ـ **أن الخسارة ليست هى بالضرورة المعيار الوحيد للخلل** . فمن الممكن ـ كما تقول اللجنة نفسها ـ الا تكون هناك خسارة على الاطلاق ، أو يكون ببعض شركات القطاع العام

مجرد عجز جار ، بل وقد لاتحصل الشركات على اعانة من الخزانة العامة بطريقة مباشرة — ومع ذلك تكون الشركات مختلة . بل يمكن القول أيضا بأن أغلب شركات القطاع العام تشكو بشكل أو بآخر من كل ما اعتبرته اللجنة أسبابا عامة للخسارة لدى عشر شركات فحسب ، وذلك من غير أن تحقق تلك الشركات أية خسارة — وبعضها على العكس بالغ النجاح بمعيار الارباح . ولذلك فان مشكلة القطاع العام ليست هى أبدا فى وجود عشر شركات أو أقل تحقق خسارة من بين نحو ٤٠٠ شركة .»

ان الشركات الرابحة كالشركات الخاسرة يجب أن تخضع لدراسة واحدة فى ضوء معيار شامل هو **كفاءة القطاع العام** — دراسة تبحث لماذا تحققت هذه الخسارة بالذات ولماذا تحقق هذا الفائض بالذات ، بل تبحث أيضا متى وكيف يجب أن تتحقق الخسارة ، وأسلوب زيادة الفائض ، وكيف يجب أن يتحقق أقصى فائض ممكن . فمن غير المقبول أن القطاع العام الذى يمثل رءوس أموال مستثمرة تجمعت بفضل التأميم وبفضل التنمية لا تقل عن ١٧٠٠ مليون جنيه ، هذا القطاع العام يقدم فائضا صافيا يقدر فى ميزانية عام ٧٣ بنحو ٤٠٫٨ مليون جنيه فقط ، بمعدل ٢٫٤ فى المائة من رأس المال المستثمر . فمن هو الرأسمالى الذى يمكن أن يكتفى بعائد صاف يبلغ ٢٫٤ فى المائة لرأسماله ؟ هناك بالطبع مكاسب مادية أخرى يحققها القطاع العام للمجتمع ، فى صورة ضرائب وتأمينات واحتياطيات . لكن تبقى مع ذلك حقيقة أن الفائض الصافى ضئيل لا يقبله رأسمالى لاموالة . فلماذا يقبله المجتمع للقطاع العام ؟

ان مبدأ تحقيق أقصى فائض ممكن يجب أن يكون فى القطاع العام هو الشعار المقابل لمبدأ تحقيق أقصى ربح ممكن فى القطاع الخاص ، فمن المؤكد أن تحقيق أقصى فائض ممكن فى القطاع العام هو خطوة حاسمة نحو تحقيق أقصى اشباع ممكن للجماهير . من أجل هذا نؤكد على ضرورة رفع كفاءة القطاع العام .

مشاكل القطاع العام

ان لجنة الخطة والموازنة عندما درست أسباب الخسارة فى عشر شركات ، قد تبينت فيما بينها ظروفا مشتركة بالاضافة الى الظروف الخاصة التى تنفرد بها كل شركة منها . وتكشف الظروف المشتركة عن أسباب عامة تعوق النشاط الواجب للقطاع العام وتخفض من كفاءته . واذا حللنا هذه الاسباب ، أو المشاكل وجدناها تقع تحت العناوين التالية :

— الظروف التاريخية لنشأة القطاع العام .»

— الظروف الخاصة باختلال التنمية المخططة .»

— الظروف الناجمة عن الهزيمة العسكرية .»

أولا — ان القطاع العام ما زال يحمل بصمات نشأته الاولى . فالشركات التى أممت قد نقلت فى أغلب الاحوال الى القطاع العام محملة بأعباء ماضيها الرأسمالى ، مثل : انعدام أو قصور رأسمالها — قدم الالات وخطوط الانتاج — ارتفاع نفقات الصيانة والاصلاح — العقلية الرأسمالية فى الادارة — عدم كفاءة العمالة وارتفاع تكلفتها . وفى الوقت ذاته فان بعض الشركات التى أنشئت حديثا قد اقتحمت الميدان على عجل وبلا زاد كاف ، مثل : انشاء بعض الشركات بلا نشاط واضح معلوم — انعدام الخبرة فى النشاط الاقتصادى المعين — انعدام أو نقص الخبرة الادارية والتنظيمية — عدم تدبير رأس المال الكافى — تحميل الشركات بأعباء التوطين الحضارى الاساسى من شبكات مياه وطرق وكهربة واسكان ومواصلات وتعليم وصحة — العمالة الزائدة نتيجة للتوسع العفوى فى التشغيل لاعتبارات اجتماعية أو سياسية أو انتهازية — ارتفاع التكلفة — كثرة تغيير الادارات — تعدد حالات الحل والفصل والاندماج .»

وينعكس ذلك كله فى صورة ارتفاع كل من التكلفة الرأسمالية والتكلفة الجارية ، وأحيانا زيادة المصروفات عن الايرادات . ومن الاصل تمثل مشكلة التمويل أو الخلل الهيكلى فى التمويل مشكلة خطيرة حقا . فأغلب الشركات لا تستطيع تدبير الاموال اللازمة لنشاطها ، ومن ثم تدخلت الخزانة العامة وأمدتها بالاموال فى صورة مساهمات أو قروض ، تدر على الخزانة أرباحا وفوائد ، أعباؤها معا شديدة الوطأة على الشركات . فتلجأ بالتالى من أجل توفير السيولة الى البنوك التجارية ، وتحصل منها على قروض قصيرة الاجل لتمويل استثماراتها وهى أنشطة وعمليات طويلة الاجل . وهكذا تزداد المشكلة تعقيدا .

ثانيا : ان القطاع العام قد تحمل أيضا بأعباء فادحة نتيجة لعدم احكام عملية التنمية المخططة . فلقد بدأ القطاع العام تاريخيا قبل أن تبدأ أول خطة خمسية . ولقد بدأت الخطة نفسها فى عام ١٩٦٠ بوصفها شريحة نصفية من خطة عشرية للتنمية الشاملة بهدف مضاعفة الدخل القومى . لكن سرعان ما أهدر مفهوم التخطيط والتنمية المخططة بعد انجاز الخطة الخمسية الاولى

مباشرة . وأصبح من المألوف أن تبدو صورة الاقتصاد القومى تملؤها الثغرات . فبدلا من التطوير الواعى للاقتصاد ، وتغلب أسلوب التطور العفوى بكل ما يحمل من سلبيات . **واذا كان التطور العفوى لاقتصاد رأسمالى محكوما فى النهاية بقوانين السوق وفى مقدمتها قانون الربح ، فما الذى يمكن أن يحكم التطور العفوى لقطاع عام فى بلد نام ؟** لا شىء اللهم الا قرارات المديرين بالمعنى الواسع لكلمة المدير . وبدلا من أن يعنى القطاع العام مركزية القرار والتوجيه بفضل التخطيط تتفكك على العكس أوصال القطاع العام نفسه وتتضارب تصرفاته . اذ تنتشر وتتفاقم وتسود ظاهرة انعدام التنسيق بين وحدات ومؤسسات القطاع العام . فلا تنسيق بين شركات الانتاج وشركات التجارة الخارجية ، لا تنسيق بين شركات الانتاج وشركات التوزيع الداخلى ، لا تنسيق بين شركات الانتاج بعضها البعض . وبذلك نشهد ظاهرة عدم احكام الصلة بين المنتج وبين من يستخدم منتجاته . ولا يعنى هذا كله سوى عدم القدرة على استخدام الموارد المحدودة المتاحة للمجتمع الاستخدام الامثل ، وهو ما يصل الى حد تضييع هذه الموارد وتبديدها . ومن ثم تختل العلاقة السعرية بين مراحل تداول السلعة الواحدة من المستورد أو المنتج الى المستهلك . فلا حماية للمشترى من البائع ، والاسعار التى تفرض على بعض الشركات لا تبقى لها هامشا للربح . لكن كل شركة ملزمة مع ذلك بأن تربح تعبيرا عن نجاحها . ومن ثم يحتدم سباق الاسعار ، ويتدخل الوسطاء من القطاع الخاص ليرفعوا بدورهم السعر على المستهلك الاخير . وفى مثل هذه الظروف يسهل على القطاع الخاص أن يهزم القطاع العام فى ظل المنافسة فى السوق . وتبدأ بعض شركات القطاع العام تطالب بأن تعامل معاملة القطاع الخاص الناجح ، من حيث الاسعار أو التأمينات الاجتماعية . ويأخذ الشك يحيط بجدوى وجود القطاع العام نفسه .

وفى غيبة التخطيط المركزى للقطاع العام ، تشتد وطأة تأثيرات السوق الخارجية على الاقتصاد القومى . وبالذات فاننا نصطدم بحقيقة خطيرة هى التأثير المستمر والمتزايد للسوق الرأسمالية العالمية على اقتصادنا . ويتمثل هذا التأثير بصفة خاصة فى انعكاس التضخم الرأسمالى على سوقنا فى صورة ارتفاع أسعار مستلزمات الانتاج ومواد الاستهلاك المستوردة وارتفاع أسعار المنتجات المحلية بدورها ، بدرجة أكبر نتيجة لارتفاع نسبة المستلزمات السلعية الاجنبية فيها . فاذا ماأرادت الدولة أن تخفف من عبء هذا التضخم المستورد على المواطن المستهلك تحملت الخزانة العامة بأعباء فروق الاسعار وهى فى ارتفاع لا يتوقف .

وان تنعدم المركزية فى القطاع العام نتيجة لغياب الخطة ، تحاول كل شركة أن تحل مشاكلها بنفسها ، ومن ثم تبدأ عمليا فى أن تحل محل المخطط المركزى فى اتخاذ قرارات لها انعكاسها على الاقتصاد القومى كله ويكون من شأنها أن تزيد من الاختلال الموجود أصلا . فمثلا عندما تقوم شركة لانتاج اللبن المبستر والاغذية بغير أن تكون لها حظائر الماشية الخاصة بها أو ترتب لها كميات اللبن اللازمة لانتاجها ، ثم يفرض عليها ان تبيع اللبن للمستهلكين بأقل من سعر شرائه ، فلسوف تواجه هذه الشركة مشكلة عدم توفر اللبن ثم مشكلة ارتفاع الطاقة الكاملة .. ومن ثم تتضاعف تكلفة الانتاج عليها ، فتبحث الشركة عن منتجات بديلة تخفف من حدة الخسارة — هذا بينما القطاع الخاص حر فى تحديد سعر الشراء وسعر البيع .

وبالمثل ، فعندما يكون الانتاج الرئيسى للشركة سببا فى خسارتها ، بينما توجد الى جواره منتجات ثانوية مربحة تساهم فى تغطية الخسارة ، فلسوف نجد الشركة تتجه اتجاها غريزيا للتوسع فى انتاج المنتجات الثانوية على حساب الناتج الرئيسى : سواء كان هو السكر أو الثلج أو الاقمشة الشعبية أو الحديد .

ومع مضى الزمن تتفاقم كل مشكلة قائمة . فالسكر مثلا يزيد استهلاكه بمعدل ٨ ٪ سنويا على الاقل . واذا كان انتاجنا الحالى (٦٠٠ الف طن) يعادل استهلاكنا الحالى (٥٦٠ ألف طن) فلابد أن نشهد فى السنوات القليلة المقبلة عجزا فى الانتاج عن الاستهلاك . وتذكر لجنة الخطة والموازنة هنا أنه لو كانت استكملت مصانع السكر كما وردت فى الخطة الخمسية الثانية لكان يمكن انتاج مليون طن من السكر فى عام ١٩٧٠ ، مما يسمح بتصدير فائض تغطى حصيلته فى عام واحد كل ما كان استثمر فى خمس سنوات . وبالطبع فان مثل هذا التوسع فى الصناعة كان يقتضى توسعا مماثلا فى زراعة قصب السكر .

وليس هذا كله بالجديد الذى نكتشفه اليوم . فمنذ خمس سنوات وبالتحديد فى سبتمبر ١٩٦٨ ، كتبت (الطليعة) دراسة شاملة عن (التعبئة الاقتصادية) جاء فيها ما يلى بالحرف :

« يمكن القول بأن القطاع العام يعانى من ثلاث ظواهر خطيرة هى : الطاقات المعطلة بداخله ،

وضعف انتاجية العمل البشرى ، وعدم كفاءة قياداته . وكل هذا يدفع الى أن يجرى الانتاج بنسبة عالية من الضياع والتبديد للموارد الانتاجية المحدودة . وهو ما ينعكس فورا فى صورة تشوه هيكل نفقات الانتاج وترفع أسعار السلع الصناعية ، سعيا وراء ربح ادارى مفتعل لا ربحا اقتصاديا طبيعيا ـ مما يسمح بالتشكيك من ثم فى كفاءة التصنيع وجدوى القطاع العام أصلا . وفى هذه الظروف لابد أن نلاحظ حالة من التضخم المكبوت حالت دون انفجار آثاره الفادحة ظاهرتان خطيرتان هما : البطالة الكامنة التى تحول دون ارتفاع الاجور ، ورقابة الدولة على الاسعار . ولهذا فان أى دعوة فى الحال لفتح اقتصادنا وتحرير الاسعار هى دعوة بالغة الخطورة على الاقتصاد القومى » .

ثالثا ـ ان القطاع العام محمل بعد ذلك كله باعباء اضافية طارئة ناجمة عن الهزيمة العسكرية وما تلاها من جهود هائلة للصمود . بالطبع لسنا نذكر هنا الانشطة التىتوقفت أو انخفضت نتيجة للحرب واحتلال الارض ، ولا الاستثمارات التى كان يجب أن تخصص للتنمية لكنها وجهت لاغراض الدفاع . وانما نذكر فحسب النتائج الملموسة على نشاط الشركات التى تحملت بصفة عامة باعباء الطوارىء بلا تعويض ، وباعباء الجيش الشعبى ، وبمخاطر عدم توفر مستلزمات انتاجها أو تسعير منتجاتها لصالح الدفاع . ولقد لمست الشركات جميعا تأثير الحرب على الاستثمارات التى خفضت ، وبخاصة ما يلزم منها للاحلال والتجديد . وهذا كله مرتبط بالعبء الثقيل الواقع على كل من الواردات والصادرات نتيجة للعدوان المستمر حتى الان .

القطاع العام والقطاع الخاص

ولو كان القطاع العام بحيث يعمل وحده فى اقتصادنا القومى لامكن بسهولة محاصرة الجوانب السلبية للقطاع العام . لكن هذا القطاع العام يعمل بجانبه قطاع خاص ينفرد تقريبا بقطاع الزراعة ويمثل ٢٥ فى المائة من قطاع الصناعة ويسيطر على أكثر من ٧٥ فى المائة من قطاع التجارة الداخلية . وهذا القطاع الخاص متحرر من اللوائح والقيود التى تنظم عمل القطاع العام ، من هنا تبدو خطورة الاوضاع الراهنة داخل القطاع العام ، هذه الاوضاع التى تهدد اليوم بتحويله من قطاع قائد للقطاع الخاص الى قطاع تابع للقطاع الخاص . وهنا يكشف تقرير لجنة استظهار الحقائق بوضوح صارخ عن العلاقة المريبة بين القطاع العام والقطاع الخاص ، والتى تتلخص من الجانبين فى سياسة معينة تتمثل بدقة فى : «**خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء تحقق أرباحا طائلة لطائفة من المحتكرين والسماسرة يدفع المستهلك العادى من أفراد الشعب جزءا منها ويدفع القطاع العام والحكومة الجزء الاعظم** » .

ففى مجالات انتاج وتسويق السلع الرئيسية والضرورية مثل الحديد والنحاس والخشب والورق والاقمشة الشعبية تتدخل مجموعات من الوسطاء مهمتهم التوسط بين القطاع العام والقطاع العام ، أو بين القطاع العام والدولة ، أو بين القطاع العام والقطاع الخاص ـ سواء فى صورة عمليات توزيع الخامات أو فى صورة عمليات التوريدات والمقاولات . وفى كل حالة من حالات الوساطة يستغل الوسطاء حقيقة عدم احكام الصلة بين المنتج والمستهلك أو بين المنتج والموزع أو بين المستورد والموزع والمستهلك . ومن ثم يتدخلون للوساطة والتقريب بين الطرفين . ويصبح كل المطلوب هو السيطرة على عملية التسويق ـ ولو تعددت قنوات التوزيع وتضاعفت مرات تداول السلعة من وسيط الى وسيط . وترتفع الاسعار فى كل مرة بمقدار ربح كل وسيط . ولكن الربح الكلى فى النهاية مضمون نظرا لقيام القطاع العام بخلق احتكار معين لمجموعة محدودة من الوسطاء ، مستغلا واقع نقص السلعة فى السوق . وكما يذكر التقرير فانه نتيجة لذلك « خلقت طبقة من السماسرة والوسطاء لا يهمها الا الكسب بأى طريق » . وهى طبقة طفيلية تعيش عالة على المنتجين فى كل من القطاع العام والقطاع الخاص .

ونقص السلعة فى السوق أمر يمكن أن يحدث عمليا نتيجة لزيادة الطلب عن العرض ، ومن الممكن عندئذ أن يتصدى التخطيط المركزى لتنظيم هذا النقص عن طريق تراخيص تحكم استخدام السلطة وتتحكم فى سعرها حتى لا يرتفع . لكننا فى السوق نجد شتى المحاولات لافساد مفعول مثل هذا التخطيط المركزى بهدف نقل السلعة الى السوق السوداء .

فاذا كان الحديد المستخدم فى الخرسانة المسلحة مثلا ناقصا فى السوق ، فالسبب فى ذلك فى الواقع : ا ـ أن كثيرا من المبانى تقام دون تراخيص بناء . ب ـ وأن شركات الحديد تخسر فى انتاجه نتيجة لتسعيره للمستهلكين ، فتحجم عن انتاجه بالقدر الكافى .

لكن اذا كان هذا الحديد النادر موجودا مع ذلك فى السوق السوداء ، فالسبب فى ذلك : ا ـ أن شركات الحديد تفضل أن تنتج منتجات غير مسعرة لتربح منها ، تجعلها فى صورة حديد غير كامل التصنيع ، أو تالف تبيعه بدورها لمصانع القطاع الخاص التى تقوم من ثم بسحبه وبيعه كحديد تسليح بأسعار فاحشة فى سوقها السوداء . ب ـ وأن ما يصرف من حديد تسليح فى صورة تراخيص رسمية لعمليات المقاولات يتجاوز فى معظم الاحيان ما تحتاجه هذه العمليات فى حقيقة أمرها . ومن ثم يتسرب الزائد الى السوق السوداء .

وهكذا تخلق السوق السوداء بنفس الكمية الموجودة أصلا فى السوق البيضاء . يكفى أن تنتقل السلعة من القطاع العام الى الوسيط ، لتنتقل من السوق البيضاء الى السوق السوداء .

وهذه السوق السوداء سوق خاصة ، يوضع فيها القطاع العام فى خدمة القطاع الخاص ، أعنى فى خدمة مجموعة من الطفيليين من سماسرة ووسطاء ـ وذلك من خلال قنوات لا تنقصها المشروعية مثل :

ا ـ أن تبيع شركات الحديد ما لديها من خردة للقطاع الخاص بطريقة الممارسة ، وأن تفعل الشركات المستوردة للخردة نفس الشىء تحت اسم مبادلة الخردة المستوردة بخردة محلية .

ب ـ أن تربط شركات انتاج الحديد بيع الحديد للقطاع الخاص بتوريد الخردة منه بحجة تشجيع موردى الخردة .

ويتم هذا بالنسبة لسلعة ناقصة فعلا مثل حديد التسليح . فالسوق السوداء هنا تتمسح فى حجة ندرة السلعة . لكن كيف نفسر وجود السوق السوداء فى سلعة متوفرة بالفعل ؟ هنا تخلق السوق السوداء بفعل النقص المفتعل نتيجة سوء التوزيع الذى يفتعل عمدا فى أغلب الاحوال . فالحديد اللازم للانشاءات المعدنية كاف بحاجة البلاد . ومع ذلك فانه يتسرب للسوق السوداء ، لان ما يصرف لعمليات المقاولات أكبر مما تحتاجه فعلا ، ولان بعض الورش ذات الحصص موجودة على الورق فقط . والادهى من كل ذلك أن أغلب أصناف هذا الحديد لا يستعملها فى النهاية الا الحكومة أو القطاع العام ـ اذ تعود اليهما فى توريدات أو مقاولات لكن بأسعار السوق السوداء .

ان السوق السوداء تقوم اذن على الشعور العام بنقص السلعة ، سواء كان نقصها حقيقيا أو مفتعلا . وفى كلتا الحالتين يحدث سوء التوزيع عن عمد : يحدث فى الاولى لمضاعفة الشعور بالنقص ، بينما يحدث فى الثانية لافتعال النقص افتعالا . وبالفعل فان افتعال الازمات فى الخامات الرئيسية والسلع الضرورية يتم ببراعة فائقة بحيث أن بعض الادارات الحكومية والقطاع العام تستخدم عادة كادوات يتم تحريكها فوق رقعة السوق السوداء . ان الافساد الذى تمارسه مجموعة الوسطاء والسماسرة ـ المسلحة بثروات ضخمة متكدسة وأرباح طائلة متجددة ـ يجدون من الوسائل ما يجعلهم يلصقونه بالقطاع العام نفسه . وفى الواقع فان القلة الفاسدة داخل القطاع العام تستطيع بالفعل ـ من خلال لجان البت والادارات التجارية ـ أن تسخر امكانيات القطاع العام ونظمه لخدمة مجموعة من الوسطاء والسماسرة ، مما يشكل فى الحقيقة عملية **تصفية سرية للقطاع العام** . وهذه أمثلة لها :

ا ـ عندما لا يجد القطاع العام مستلزمات الانتاج ، وتتعطل بالتالى طاقات انتاجية هائلة ، بينما يجد القطاع الخاص مستلزمات الانتاج ولو بسعر مرتفع .

ب ـ عندما تضع الدولة نظاما لتسعير المنتجات والسلع لمصلحة المستهلك ، فيصبح التسعير مبررا لخفض الانتاج والسماح بالتالى بانتاج بديل أو ثانوى يتولاه القطاع العام والقطاع الخاص ، لكنه غير مسعر .

جـ ـ عندما يتم نقل النشاط سرا من القطاع العام الى القطاع الخاص ، وذلك بسرقة التوكيلات المتاحة للقطاع العام أو تسريب الخامات التى ينتجها أو يستوردها أو المغالاة فى تسعير منتجات القطاع العام أو افشاء أسراره الى القطاع الخاص .

وتظل التجارة الخارجية هى القناة الرحبة التى تتسع لمرور أكبر العمولات ، الامر الذى يقترن عملا بالاصرار الشائع على التعامل مع الدول الرأسمالية . ويذكر تقرير الرقابة الادارية عن التلاعب فى التعاقدات الخارجية أن « غالبية الصفقات التى تتم بين الوحدات الاقتصادية أو القطاع الحكومى وبين الموردين أو المستوردين الاجانب تخصص فيها عمولات يتقاضاها المتفاوضون الذين تكلفهم الدولة بانجاز هذه الصفقات ». كما يتردد أن بعض المتفاوضين

يلجأون الى رفع سعر الواردات موضوع التفاوض بغية زيادة حجم العمولات المستحقة لهم . كما يلجأ بعض المتفاوضين الى اتمام التعاقدات عن طريق الوسطاء أو وكلاء الموردين الذين يحصلون على عمولات عن تلك الصفقات ، الامر الذى يؤدى الى رفع سعر المواد . ثم يتقاسم الوسيط العمولة مع المتفاوضين باسم الدولة » . ولقد وصلت العمولة أحيانا فى صفقات معينة الى ١٨ فى المائة من حجم التعاقد . وكل هذا لا يلبث أن ينعكس على أسعار القطاع العام وأسعار السوق الداخلية ، وينضم الجميع الى صفوف الحملة على القطاع العام .

هكذا يتم بالفعل استنزاف القطاع العام وامتصاص الفائض الذى يتوقعه الشعب منه . وينحدر معدل الفائض المتحقق الى ٢ر٤ فى المائة من رأس المال المستثمر . وتحقق الشركات خسائر كبيرة ، تخفيها أو تكشفها على حسب مصلحتها الخاصة . ومن ثم تصل الحملة على القطاع العام الى غايتها عندما تعلن الدعوة لتصفية القطاع العام من خلال التنظيم السياسى تشد أزر رقابة تحت التصفية فى صورة بيع القطاع العام فى السوق أو في صورة الادماج والتصفية القانونية . ويتفكك القطاع العام الى وحدات متفرقة تصارع كل منها على حدة من اجل البقاء بغض النظر عن الوسيلة .

مصير القطاع العام

لهذا يتساءل الشعب عن مصير هذا القطاع العام :

ومنذ خمس سنوات أبرزت الدراسة التى وضعتها (الطليعة) عن (التعبئة الاقتصادية) ما يتعرض له القطاع العام من مخاطر قائلة :

« على الرغم من أن الاساس المادى للقطاع العام هو الملكية العامة لمجموع الشعب ، وعلى الرغم من وضع مبدأ مشاركة العاملين فى الادارة وفى ثمار الانتاج ، مما كان يصلح أساسا لظهور ونمو علاقات انتاج جديدة داخل هذا القطاع تقود بالضرورة الى الاشتراكية ،نجد أن شيئا من القصور أصاب هذا الاساس .فتم التأكيد على ملكية الدولة، وتم اختيار القيادات فى القطاع العام من بين الادارات الحكومية وأجهزة الدولة وقيادات الشركات قبل التأميم وتحولت مشاركة بعض العاملين فى الادارة الى مناسبة انتخابية هامة وحسب .وفى النهاية لم يقدم القطاع العام نموذجا جديدا لاسلوب الانتاج يكون هو النقيض والبديل لاسلوب الانتاج الرأسمالى .ويفاقم من هذا الوضع اننا بلد يسوده أسلوب الانتاج الصغير وتنتشر فيه بورجوازية صغيرة شديدة التطلع والقلق » .

وبالطبع فان القطاع العام لا يعيش فى فراغ منعزلا عن الحياة فى مصر . ولهذا تتأكد اليوم أكثر من ذى قبل أهمية توفير الظروف الخارجية التى تسمح بنجاح القطاع العام . ويأتى فى مقدمتها :

أولا ـ التأكيد على أهمية ودور التنمية المخططة :

نظرا لان الخطة هى التنظيم السليم لقطاع اقتصادى مملوك ملكية عامة والا خضع لقوانين السوق الراسمالية ، فاننا لن نمل من الالحاح على ضرورة القيام بتنمية مخططة ذات استراتيجية طويلة الامد تتضمن الاهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة وتنفذ طبقا لخطط عشرية أو خمسية ويعرض مشروعها على المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى لاقراره ، ويصدر بعد موافقة مجلس الشعب بقرار من رئيس الجمهورية ويقدم عنها وزير التخطيط الى رئيس الجمهورية تقارير دورية لمتابعة التنفيذ وتقارير سنوية ، وتبلغ التقارير جميعا الى مجلس الشعب بعد اعتمادها من رئيس الجمهورية .

مثل هذه التنمية المخططة التى تتخذ صورة الخطة ، ثم مرة فى نهاية كل سنة مالية للتصديق واقرارها يجب أن تستهدف ما يلى :

ا ــ مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات على الاكثر .

ب ــ دعم التحولات الاجتماعية وحماية المكاسب التى تحققت للعاملين .

جـ ــ تعزيز مكانة القطاع العام بوصفه قائدا للاقتصاد القومى .

د ـ مواصلة التنمية الشاملة للاقتصاد والتأكيد على دور الصناعة فى زيادة الدخل القومى والاعتماد على التصنيع الثقيل .

هـ ـ اتباع سياسة سليمة لتشجيع الرأسمالية الوطنية المرتبطة بالتنمية المخططة .

و ـ اعادة تنظيم الانتاج الصغير والحرفى عن طريق التعاون لافادته من مزايا الانتاج الكبير .

ز ـ تصفية الانشطة الرأسمالية الطفيلية .

ولقد آن الاوان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة فى الوقت نفسه برفع كفاءة التخطيط وأساليبه وأجهزته . وفيما يلى امثلة لذلك : الربط المناسب بين التخطيط والرقابة غير المباشرة عن طريق السوق ـ التنسيق بين الاستثمارات الرأسمالية وبين تحسين استخدام الموارد الذاتية ـ احكام طرق محاسبة التكاليف ومخصصات الاستهلاك وحساب الربح ـ انشاء بنك استثمار لممارسة الرقابة على تنفيذ الاستثمارات .

ثانيا ـ التأكيد على أهمية ودور العمل السياسى :

فنظرا لان السياسة هى الاشتغال العام بمصالح الناس ، ونظرا لان مصالح الناس هى فى الاساس مصالح اقتصادية ، فان الاقتصاد هو صميم السياسة . ان الانتاج عمل سياسى ، والتوزيع عمل سياسى ، والاستهلاك عمل سياسى . ولذلك فان القطاع العام يجب أن يكون محور العمل السياسى كله .

ان ادارة القطاع العام لا يمكن أن تكون ادارة رأسمالية بل ادارة اشتراكية بمديرين اشتراكيين . ولقد دلت التجربة فى البلاد الاشتراكية على أن النجاح مضمون كلما كانت التنظيمات السياسية (الحزب) هناك مشغولة بصفة دائمة وبطريقة محددة بمشاكل زيادة الانتاجية . فلا يكفى اليوم أن يكون المدير اخصائيا كفؤا أو رجل ادارة صالحا ، وانما المسألة الجوهرية هى أن تكون ادارة الانتاج ادارة سياسية ، ادارة تعى أهداف المجتمع وتتحمس لها وتحشد كل قواها من أجل تحقيقها . ولذلك لا يكفى أن تقتصر تنظيمات الحزب هناك على كشف وتسجيل النواقص فى الاقتصاد القومى ، من غير أن تفعل هى نفسها كل ما هو ضرورى من أجل تصحيحها . بل ان لجنة الحزب هناك تستطيع أن تقدم تصورا طويل المدى لعدد من الاجراءات السياسية والتنظيمية والفنية تكفل حل أهم مشاكل تنمية الانتاج على مستوى المدينة أو القسم أو الحى أو الوحدة الاقتصادية .

ومن الطبيعى أن رقابة الجماهير على القطاع العام من خلال التنظيم السياسى تشد أزر رقابة العاملين فيه أنفسهم وتعزز امكانيات ديمقراطية الانتاج كجزء لا يتجزأ من عملية اضفاء الديمقراطية على جهاز الدولة والقطاع العام . وعلى سبيل المثال فان انعقاد جمعية عمومية لكل مصنع ولكل شركة مرة كل ثلاثة شهور لمتابعة تنفيذ الخطة ، ثم مرة فى نهاية كل سنة مالية للتصديق على الحساب الختامى للميزانية وحساب الخسائر والارباح ولانتخاب ممثلى العاملين فى مجلس الادارة ـ هو أمر حيوى فى تجسيد المصلحة المشتركة لمجموع العاملين فى استمرار ونجاح القطاع العام .

ان القطاع العام يجب أن يصان بوضع خطة شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (أقر مجلس الشعب فى دورته الاخيرة قانون اصدار الخطة) ومن ثم فنحن نتطلع الى أن تطرح الخطة حتى تساعد التنظيم السياسى ومجموع العاملين على أن يشاركوا مشاركة فعالة فى تحقيق الرقابة عليه .

دور الاستثمارات الامبريالية في تهديد عروبة الخليج

حربي محمد

المحرر بجريدة الثورة العراقية

تعتبر منطقة الخليج العربي محور الصراع الدولي في الشرق الاوسط سياسيا واقتصاديا ، وقد تنازعت القوى الدولية الطامعة السيطرة عليها منذ القدم ، وتمتاز هذه المنطقة في عصرنا الحالي ، بمركزها الاستراتيجي الهام ، وموقعها العسكري المتزايد الاهمية ، وموانيها البحرية والجوية المؤدية الى أرجاء العالم ، وثروتها النفطية الهائلة ومخزونها الاحتياطي الكبير فيها .

ولقد تعرضت هذه المنطقة العربية الى غزو العديد من الدول الاستعمارية ، فكان المكتشفون البرتغاليون في القرن السادس عشر ، والشركات التجارية البريطانية والفرنسية والهولندية الممثلة للاستعمار الاوربي الغربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتزايد نفوذ الاساطيل الروسية والفرنسية والبريطانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وسعت هذه الدول الاستعمارية الى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية التي جلبت ، فيما بعد ، الثراء والاموال الطائلة للمستعمرين ، والخراب والفقر والمرض لشعبنا العربي هناك .

تاريخ السيطرة الاستعمارية

لقد ظلت هذه المنطقة منذ التحرير العربي التام لها خارج نطاق السيطرة الاستعمارية حتى مطلع القرن السادس عشر الذي شهد أولى البوادر الاستعمارية الغربية على يد البرتغاليين عند غزوهم البحرين عام ١٥١٤ م ، ثم بدأ الصراع بين الدول الاستعمارية الكبرى للسيطرة على المنطقة ، وهي البرتغال وهولندا وفرنسا وانجلترا وروسيا القيصرية . وكان قيام شركة الهند الشرقية البريطانية المؤسسة عام ١٦٠٠ في الهند ، بفتح فرع لها في منطقة الخليج العربي بداية التغلغل الاقتصادي الاستعماري البريطاني ، مهما يكن من

امر قان الاستعمار البريطاني ، مختفيا وراء شركة الهند الشرقية المؤسسة عام ١٦٠٠ ، اخذ يمهد للسيطرة على هذه البلاد في القرن السابع عشر ، ويتحسس مواطىء أقدامه ـ ويخطط لاهدافه العدوانية في خبث ودهاء ووفق منهاجه التقليدي « فرق تسد » .. وكان أساس الحكم في عمان هو اختيار الامام الصالح ، وقد ظلت الامامة قائمة على هذا الاساس منذ النصف الاول من القرن الهجري الثاني ، أو القرن الثامن الميلادي حين ظهر الاباضيون اصحاب المذهب الديني الاسلامي المتشدد . ولم يكن لديهم من بأس أن يخلو مقعد الامامة حين لا يوجد الرجل الصالح . لكنه في القرن السابع عشر ، ومن بعد تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية ، أخذت مظاهر الضعف والتفكك في الوحدة الوطنية العمانية تبدو ، وتيسر المداخل الاستعمارية البريطانية .. » (١) .

سياسة « التجزئة »

كان المخططون الاستعماريون يفكرون دوما في احكام السيطرة الاحتكارية على هذه المنطقة الغنية والمهمة ، لذلك كانت احدى الوسائل التي اتبعتها بريطانيا الاستعمارية للاستمرار في نهب خيرات مستعمراتها التي احتلتها بالقوة ، سياسة « التجزئة » ، فقد قسمت ساحل عمان « الذي أطلقت عليه اسم ساحل القراصنة » الذي لم يكن يتجاوز عدد سكانه بضعة آلاف الى امارات صغيرة ، ونصبت على كل امارة شيخ قبيلة ليحكمها ، واستغلت الخلافات القبلية والعشائرية فغزتها ضمن تكتيك « فرق تسد » الاستعماري ، وخلقت السلطات البريطانية خلافات جديدة لم تكن موجودة من قبل ، وهي « خلافات الحدود » بعد اقامة الكيانات السياسية الهزيلة ، وبذلك استطاعت بريطانيا احكام قبضتها على هذه المنطقة الاستراتيجية وتعزيز وجودها ، ولقد اتبعت أيضا اسلوب فرض المعاهدات والاتفاقيات العسكرية وغيرها . وكانت معاهدة اذار ١٨٩٣ المفروضة على شيوخ ساحل عمان ، والتي عرفت، بعد ذلك، بالمعاهدة المانعة ، غريبة في بنودها وشروطها التي كفلت لبريطانيا كل الحقوق في التصرف بهذه الامارات ، وفي عام ١٨٩٩ فرضت اتفاقية مماثلة على الكويت ، وبذلك أكملت حلقة « مستعمراتها » في الخليج العربي ، الذي تحول الى « بحيرة انجليزية » تدر ارباحا اسطورية على الامبراطورية البريطانية الاستعمارية .

امتيازات واستثمارات

في مثل هذه الظروف استطاعت شركات النفط الاحتكارية العالمية والبريطانية بوجه خاص ان تنتزع اتفاقات امتيازية لاستغلال الثروة النفطية ، فتم لها السيطرة على النفط العراقي بامتيازات ١٩٢٥و ١٩٣٢ و ١٩٣٨ (أممت شركة نفطالعراق عام ١٩٧٢ واستعيدت شركة نفطالموصل واصبحت ملكا للعراق في الاول من آذار ١٩٧٣) وعلى نفط البحرين عام ١٩٢٥ وعلى نفط مسقط وعمان عام ١٩٣٠ ونفط السعودية وأبو ظبي عام ١٩٣٣ والنفط الكويتي عام ١٩٣٤ ونفط قطر عام ١٩٣٨ ونفط الاراضي المحايدة بين الكويت والسعودية عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ وعلى المناطق البحرية عام ١٩٥٢ ، واليوم تسيطر على الثروة النفطية في الخليج العربي (٣٢) شركة نفطية احتكارية مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالكارتل النفطي العالمي .. هذا وقد بلغت الرساميل الامريكية المستثمرة في نفط الخليج ٥٠٠٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٠ أما البريطانية فتقدر بـ ٢٠٠٠ مليون دولار لنفس السنة .

وخضعت الاتفاقيات الامتيازية النفطية لاعتبارات السياسة الاستعمارية الدولية وليس لاعتبارات سيادة البلدان واستقلالها وارادة الجماهير ، وهكذانشأت قطاعاتنفط أجنبية داخل امارات الخليج العربي معزولة تماما عن الاقتصاد الوطني ، وقد لاحظ ذلك تقرير الامم المتحدة الصادر حول امتيازات النفط الذي جاء فيه:

« تمنح بنود هذه الامتيازات للشركات الاجنبية حرية العمل ، وتجعلها منعزلة تماما عن اقتصاد دول الشرق الاوسط ، فكميات الانتاج تحددها الشركات بموجب اعتبارات عالمية لا بموجب الظروف المحلية . وبالاضافة الى ذلك فان الشركات نفسها هي التي تقدم وتمتلك وسائل النقل ، سواء كانت خطوط أنابيب أو ناقلات ، من أجل نقل بترول الشرق الاوسط الى أسواقه ، وهذه الشركات هي التي تسيطر على هذه الاسواق، سواء في غربي أوربا أو في الاماكن الاخرى من العالم ، وتعود العملات الصعبة الناتجة عن عمليات بيع البترول الى تلك الشركات التي تحتفظ

---

(١) الدكتور سيد نوفل ، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي ، القاهرة ص ٢٥٢ .
(٢) مجلة دراسات عربية العدد ٤شباط ١٩٦٧ (حقيقة النفط العربي للدكتور عاطف سليمان) .

بنصيب كبير منها • وعلى ذلك فان تأثير العمليات البترولية على الدول المنتجة فى الشرق الاوسط هو ، الى حد بعيد ، تأثير غير مباشر ، والمنافع التى تجنيها تلك الدول محدودة ••

مدينة الموصل

وكانت النتيجة الرئيسية لهذه الظاهرة الاقتصادية الخطيرة أن تحصل الشركات الاحتكارية على سلاح قوى تحارب به تطلعات شعبنا فى منطقة الخليج العربى للتخلص من ربقة الاحتكار والاستغلال البشعين ، وتاريخ المنطقة الحديث ملىء بالشواهد الصارخة على سلوك الشركات الاحتكارية الرامى الى مسح عروبة الخليج وتجزئة المنطقة وتفتيتها وزرع اجناس اجنبية فيها • فالضغط الذى مارسته الدول الاستعمارية ـ حامية شركات النفط الاحتكارية ـ بعد الحرب العالمية الاولى لفصل مدينة « الموصل » عن العراق أحد الشواهد التاريخية على ذلك • ونجد فى المذكرات المتبادلة بين فرنسا وانجلترا فى لندن عام ١٩١٩ حول الاتفاق على فصل مدينة الموصل ما يلى :

أولا ، تحتفظ فرنسا بالجزء الاكبر من سوريا ، وجانب كبير من جنوبى الاناضول ومنطقة الموصل فى العراق •

ثانيا : يتكون نصيب انجلترا من مساحة تمتد من أقصى جنوبى سوريا ثم الى العراق حيث تنتشر على شكل مروحة لتشمل بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربى والمنطقة المخصصة لفرنسا ويشمل النصيب كذلك ثغرى حيفا وعكا •

ثالثا : وهناك جزء آخر يشمل جانبا من فلسطين احتفظ به لاقامة نظام دولى خاص به •

وفى هذا الاتفاق أمر يستوقف النظر ونقصد به ادخال الموصل ـ المنطقة النفطية ـ فى دائرة النفوذ الفرنسى فى الوقت الذى كانت بريطانيا تسعى الى حكر المنطقة العربية كلها بين يديها •• ولعل تعليل ذلك ان بريطانيا بعد الهزيمة التى منى بها جيشها فى الكوت والعمارة فى العراق ، ارادت اغراء فرنسا لبذل مجهود أكبر وأوسع فى الشرق الادنى ، فوعدتها بمنطقة واسعة منه ، ولكن هذا الامل لم يتحقق بسبب تحرج الموقف الفرنسى فى الميدان الاوربى ، والحاجة الى تركيز جهود فرنسا فيه ، وبهذا وقع عبء الحرب فى الميدان الاسيوى على عاتق انجلترا التى أدركت بعد أن لاحت طلائع « الانتصار » ان استبقاء الموصل فى منطقة انتدابها أمر لابد منه (٣)

وكانت انجلترا الاستعمارية قد استغلت قضية الموصل لفرض اتفاقياتها الجائرة المجحفة بحق شعبنا وخصوصا امتيازات النفط ، لقد أقر مجلس الوزراء العراقى فى ١٣ أيار ١٩٢٣ مايلى :

أولا : أن الحكومة العراقية لا تعترف بالامتياز الذى تدعيه شركة النفط التركية •

ثانيا : تفوض الحكومة العراقية الى ساسون أفندى (وزير المالية آنذاك) المفاوضة أثناء بقائه فى لندن ، ومع الشركات المتقدمة لطلب امتياز النفط فى العراق •

وكان هذا الموقف يهدد مصالح بريطانيا من الاساس ، ويشجع الشركات الامريكية فى موقفها من عدم الاعتراف بشرعية امتياز شركة النفط التركية لعام ١٩١٤ •

وبلغ ضغط الحكومة البريطانية ذروته عندما وصلت مدينة الموصل لجنة التحقيق الخاصة بعصبة الامم فى يوم ٢٧ كانون الثانى ١٩٢٥ ، وشرعت باستجواب الاهلين حول مستقبل ولاية الموصل ، وأخذت اللجنة المذكورة توجه الاسئلة الى المعتمد السامى البريطانى حول الموضوع ، وتتدخل فى شئون البلاد الداخلية بشكل سافر ، ولم تكتف بريطانيا بهذا التهديد باقتطاع « ولاية » الموصل وسلخها عن العراق فى حالة رفضه تصديق امتياز النفط ، بل ذهبت الى رفض تصديق القانون الاساسى العراقى الذى سبق ان صادق عليه المجلس التأسيسى العراقى فى ١٠ تموز ١٩٢٤ ، الا ان السلطات البريطانية وافقت على تصديقه بعد ثلاثة أيام من تصديق اتفاقية البترول وفى مثل هذا الجو المشحون بالقلق وقعت اتفاقية النفط العراقية البريطانية •

(٣) حرب البترول فى الشرق الاوسط بقلم الدكتور راشد البراوى من ١٢٨ ـ ١٢٩ •

تغذية الخلافات الاقليمية

كانت قضية « الموصل » نموذجا صارخا على السلوك الاحتكاري الذى انتهجته شركات النفط الاحتكارية ضد الامة العربية وفى منطقة الخليج العربى ،ونتيجة لسياسة « التجزئة » الاستعمارية واقامة الحدود المصطنعة فى الوطن العربى برزت الى الوجود مشكلات عديدة بين العراق والكويت والسعودية وابو ظبى والبحرين .. الخ . كان هدفها تغذية النزعة الاقليميـــة وتحريكها فـى الظروف التى تختارها الدول الاستعمارية لحماية مصالحها . وفى كثير من الاحيان كانت المشكلات التى تتفاقم بين امارتين ، مثلا ، هى فى الحقيقة مشكلات مصالح الدول الاستعمارية المتنافسة . لقد حدث صدام مسلح أكثر من مرة على الحدود بين السعودية وابو ظبى بسبب التنازع على واحة البريمى الغنية بالنفط .. وذهب ضحية الصدام العديد من العرب بينما كانت المشكلة في الواقع نتيجة التنافس بين شركات نفطية امريكية تستغل نفط السعودية وشركات نفطية بريطانية تستغل نفط أبو ظبى

تفريس الخليج العربى

ولم تكتف الشركات الاحتكارية بتفتيت وحدة منطقة الخليج العربى الى كيانات متعددة وخلق المشكلات الدائمة فيما بينها ، فحسب ، بل سعت الى « مسح » عروبة الخليج .. ودفعت عشرات الالاف من البشر على اختلاف جنسياتهم وعـــلى الاخص الايرانيين الى الهجرة الى هذه المنطقة والاستيطان فيها

فالاستعمار الانجلوامريكى يقـــدم لايران كل أشكال العون والمساعدات العســكرية والمـالية والاقتصادية والسياسية ،والحقيقة،التى ينبغى ان تواجهها الانظمة العربية في المنطقة هى ان هدف الغزو البشرى فى الخليج العـــربى لا يختلف عن هدف غزو مئات الالوف من يهود العالم الى فلسطين قبل عام١٩٤٨ ، فالمخططان الاستعماريان يسعيان الى تفتيت وحدة التراب العربى ، وتكوين نقاط وثوب على بقية الوطن العربى .

من الواضح ان ايران تعمد الى انتهاج شتى السبل بهدف استيطان الايرانيين فى المنطقـــة .

فيدخل عدد كبير من الايرانيين بجوازات سفر مزورة ، فضلا عن افواج المتسللين الايرانييـن المتدفقة يوميا على امتداد الشاطىء العــربى للخليج ، ومع ذلك لا يشكل عدد الايرانييــن المتجنسين بجنسية دول وامارات الخليج العربى الا نسبة ضئيلة بالقياس لعدد الايرانيين المتسللين أو الذين يحملون جوازات سفر مـــزورة . وباستثناء الكويت يشكل الايرانيون حوالى نصف سكان الخليج العربى ،وللدقة حوالى نصف مليون ايرانىمقابل ٦٠٠ ألف عربى فىالخليج . وتزداد خطورة هذه النسبة اذا عرفناان حوالى ٩٠فىالمائة من المتسللين الايرانيين يظلون سنوات عديدة دون عائلاتهم التى تركوها وراءهم فى ايران ، ويوصلنا هذا الى حقيقة خطرة ، هى انهؤلاء المتسللينماهم الا طليعة متقدمة لعدد أكبر من المتسللين هم عائلاتهموأقاربهم .

تسلل غريب

وتبين الاحصاءات الرسمية ضخامة التســـلل الايرانى الى منطقة الخليج العربى رغم قناعتنا بأن هذه الاحصاءات لا تعكس كل الواقع المر .. ففى احصاء اصـــدرته وزارة العمـــل والشــــئون الاجتماعية فى الكويت عام ١٩٦٣ جاء أن عدد الايرانيين يزيد عن ٣٠ الف نسمة وقـــدر نفس الاحصاء أن هذا العدد قد زاد عام ١٩٦٣ بنسبة ٩٣ فى المائة عما كان عليه الحال فى عام ١٩٦٢ . ويبلغ عدد الايرانيين الان أكثر من مائـــة الف شخص .. وهم فى تزايد مستمر ، وفى البحرين يشكلون اكثر من ٥٠ فى المائة . اما فى امارة دبى فتبلغ نسبة الايرانيين الى مجموع السكان حوالى الثلثين وفى امارة أبو ظبى أكثر من الثلث . وتشير نشرات الاتحاد الوطنى لطلبة الكويت الى انه فى عام ١٩٦٣ بلغ عدد الايرانيين فى قطر ٤٦ الفا و ٥٠١ نسمة منهم ٤٧٧٨ يحملون جوازات سفر ايرانية و ١٥ الفا و ٧٦٧ ايرانيـــا دخلـــوا بجوازات سفر عربية مزورة ، ولذلك فان نسبة الايرانيين تشكل ٦٦ فى المائة من مجموع السكان الذين لا يتجاوزون ٧٠ الف نسمة . وتســـاعد القوانين والقراراتوالاجراءات التى تتبعها دوائر الهجرة والجوازات فى دول وامارات الخليـــج العربى وخاصة فى قطر ، على تســـهيل تسلل الايرانيين .

ومن هنا تتضح خطورة الاستيطان البشرى الايرانى ، والسنوات الاخيرة مليئة بالاحداث التى تؤكد الاهداف العدوانية التوسعية • وكان احتلال الجزر العربية الثلاث أحد الادلة الواقعية الملموسة للمشروع التوسعى الايرانى •

مما تقدم يتضح لنا بجلاء أن الدول الإستعمارية استثمرت ومازالت المطامع الايرانية فى الخليج العربى لغرض تحقيق أهدافها الاحتكارية ، لذلك يستهدف التخطيط الامبريالى الاجنبى بالتعاون مع الرجعية الايرانية تثبيت الاستيطان البشرى الاجنبى وخصوصا الايرانى لتحقيق الاغـراض الاتيـة :

أولا : محاربة حركة الثورة العـربية بكل الاساليب الاستعمارية الرجعية ، ومنها التصدى للمواطنين العرب عند التعبير عن مشاعرهم فـى مناسبات وطنية أو قومية •

ثانيا : تحقيق الحلم الامبراطورى الايرانى القديم باخضاع المنطقة العربية تحت سيطرته ، لقد ظلت ايران تطالب بالبحرين على أنها جزء من أراضيها رغم الحقائق التى تثبت عروبتها الى أن أجرت الامم المتحدة بالاتفاق مع بريطانيا وايران استفتاء تحت اشراف احد مبعوثيها وخرجت الامم المتحدة بالنتيجة وهى أن سكان البحرين يريدون الإنضمام الى الاقطار العربية وانهم عرب •• ؟! وكان القصد من هذا الاستفتاء تثبيته كـ « قاعدة » تستخدم فى الظروف المناسبة عندما تنجز خطة جعل الايرانيين اغلبية فى احدى مناطق الخليج وفقا لخطة الغزو المنظم ، اضافة الى استخدام القوة والاحتلال العسكرى للاراضى العربية •

وازاء هذا الخطر الذى يهدد عروبة الخليج والسكان العرب بتشريدهم وتحويلهم الى لاجئين ، لابد من اعتبار قضية الخليج العربى الوجه الاخر لقضية فلسطين• فالاخطار التى تهدد الوطن العربى واحدة ، وهى التآمر على وحـدة الوطن وتفتيته وتكريس تجزئته لكى تسهل السيطرة عليه وبالتالى نهب خيراته وثرواته وفى مقدمتها النفط • وبالتالى فان مسئولية التصدى لهـذا المخطط الامبريالى ــ الصهيونى ــ الرجعى تقع عـلى عاتق القـوى الوطنية والقومية التقدمية العربية كافة والدول العربية المتحررة ، ومن المؤكد أن هناك اجراءات يمكن بواسطتها الحد من خطر تزايد الهجمة الايرانية بمنعها وفتح الابواب على مصراعيها أمام الهجرة العربية وخصوصا من الدول الكثيفـة السكان كمصر ولبنان والجزائر ••••••• الخ • للتوصل الى موازنة ،على الاقل ، فى عدد السكان القاطنين فى الامارات .ويتطلب الامر تشريععدد من القوانين التى تحدد وتقيد دخول الاجانب الى المنطقة ووضع عقوبات صارمة تصل الى حد الموت على كل متسلل .•

مشـــاكل الحـــــركة العمـــــالية

فى بنجـــلاديش

أنيل موخارجى *

ساهمت الطبقـة العاملـة فى بـنجلاديش فى النضال من اجل التحرر جنبا الى جنـب الطلاب والفـلاحين وغيرهم من قطاعات المجتمع · وقد اعلنت الجمهورية الشعبية فى بنجلاديش عزمها على اقامة الاشتراكية فى البلاد ، وقامت ــ كخطوة فى هذا الاتجاه ــ بتأميم الصناعات الوطنية الكبرى ·

وحسب الارقام الرسمية ، فان نسبة الصناعات المؤممة تبلغ ٨٥ فى المائة من مجموع الصناعات فى البلاد ، وقد أعلنت الحكومة أيضا أنها ستتخذ الخطوات الضرورية من أجل مشاركة ممثلـى العمال فى الادارة ، وستقيم نظاما للمشاركة فى الارباح · وفى ظل هذه الظروف ، فان هنـاك اهتماما عاما بالطبقة العاملة فى بلادنا ، لان نجاح سياسة الحكومة فى التأميم ، والسير بالبلاد فى طريق الاشتراكية انما يعتمد ــ الى حد كبير ــ على مستوى الوعى والتنظيم للطبقة العاملة ·

وبالارقام ، فان نسبة العمال الصناعيين الى مجموع السكان نسبة تافهة ، فعددهم لا يتجاوز المليون من عدد السكان البالغ حوالى ٧٥ مليونا · وفى الحقيقة فان بلادنا متخلفة تخلفا واضحا بالنسبة للصناعات ، فليس فيها ما يمكن أن نسميه صناعة أساسية او صناعة ثقيلة · والصناعات الرئيسية فيها هى صناعات الجوت والنسيج ، فحوالى ١٢٥ الف عامل يعملون فى صـناعة الجوت ، وحوالى ٦٠ الفا فى صناعة النسيج ، وثمة صناعات أخرى يعمل بها عدد كبير من العمال بينهـا صـناعات السكر والكبـريت والورق والسجائر ·· الخ ، وهناك أيضا حوالى ٢٥ الف عامل يعملون فى صناعات درفلة الحديد وتشكيله ، ومن بينهم أيضا عمال السكك الحديدية ، أما مصنع الصلب فى شيتاجونج فهو فى الحقيقة مصنع لدرفلة الصلب فقط ولا تتجاوز قـدرته الانتاجية ١٠٠ ألف طن ويستخدم ٢٥٠٠ عامل ·

وهناك ، بطبيعة الحال ، عمال آخـرون الى جانب عمال الصناعة : فمزارع الشاى تستخدم حوالى ١٢٥ ألف عامل ، وثمة آخرون يعملون فى مصانع اعداد الجوت ، وأعمال الخدم ، ودفع عربات الريكشا ، وغيرهم ، يبلغ عددهم رقمـا

* أنيل موخارجى احـد قادة الحركة العمالية والنقابية فى بنجلاديش ، وقـد كتب هـذا المقـال خصيصـا لمجلـة « الطليعة »

يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ الفا • هؤلاء جميعا بالاضافة الى حوالى ٤٠٠ الف عامل زراعى يعملون فى أرض يملكها آخرون •

وقد نظم عدد من النقابات بين العمال الصناعيين ، كما أن هناك منظمات قليلة بين عمال الريكشا والجوت ومزارع الشاى ، أما بقية العمال الاخرين فغير منظمين على الاطلاق •

وتاريخ الحركة النقابية فى بلادنا متميز الى حد بعيد • ففى ١٩٤٧ ، حين أصبحت بلادنا جزءا من باكستان بعد تقسيم الهند ، لجأت حكومة **الرابطة الاسلامية** (Muslim League) آنذاك الى اجراءات قهر عنيف ، ووضعت حدا لكل الانشطة العمالية النقابية • وفى ذلك الوقت ، كان عدد المصانع لا يكاد يذكر فى البلاد كلها ، لكنها كانت تضم معظم العناصر الديموقراطية والتقدمية التى تستطيع القيام بأعباء العمل النقابى ، وكثير منهم كانوا من الهندوس وكانوا متعلمين ووطنيين ، وبالتالى • وفى هذا المناخ الطائفى ، وجدت حكومة الرابطة الاسلامية الفرصة لقمع الحركة النقابية الديموقراطية •

وأكثر من ذلك •• فقد ساد الشعور بين العمال المسلمين بأن حكومة الرابطة الاسلامية ستنجح فى حل مشاكل المسلمين ، ولما كانت باكستان دولة اسلامية ، فلم يكن لديهم شعور بوجود مشاكل فى حياتهم •

وبعد قيام باكستان مباشرة ، جاء من كلكتا الى شرق باكستان عدد من الزعماء المسلمين النقابيين الذين كانوا موالين للبريطانيين وللملاك المحافظين ، من بينهم « **افتاب على** » ، « **وفايز أحمد** » ، و « **زمان** » ، و « **دكتور كاليك** » وغيرهم ، وكان العمل النقابى عندهم مجرد وسيلة لكسب العيش ، ووسيلة لجمع المال أو تحقيق النجاح الشخصى ، وبتأييد ودعم كاملين من الحكومة الباكستانية ، بدأت هذه العناصر عملا نقابيا جديدا فى البلاد • وكانت السمة المميزة لنقاباتهم هى انتقاء ، وتكوين عدد من الجماعات المأجورة من بين العمال ، وظيفتها ضرب بقية العمال وارغامهم على تأييد نقابات هؤلاء الناس ، وعدم معارضة دفع « الاتاوات » التى يحددونها ، وساد الشعور بالقهر والعجز بين العمال الخائفين على فقد العمل أو التعرض لايذاء المأجورين أو قهر الشرطة •

المستشارون الامريكيون

وعلى أى حال ، فلم يكن ممكنا قهر سخط العمال ومعارضتهم لاستغلال الملاك وارهابهم أكثر من خمس سنوات او ستة ، وفى نفس الوقت كان الامبرياليون الامريكيون قد استطاعوا أن يشقوا طريقهم الى بلادنا ، فكانت كل قطاعات الحكومة – ومن بينها قطاع العمل – يدار وفقا لتوجيهات « المستشارين » ، الذين عقدوا الصلات مع الزعماء النقابيين الذين أشرنا اليهم أيضا • ونظم « **الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة** » (ICFTU) عملية ارسال عدد من هنا الى امريكا كى « يتلقوا تدريبا » ، وكان يحضر ايضا عدد من المعلمين » الى هنا كى يقيموا حركة نقابية جديدة • وأصبحت دولارات الامريكيين هى الهدف الرئيسى لهؤلاء « الزعماء » المزعومين • والى جانب ابتزاز « الاتاوات » من العمال بتهديدهم بفقدان العمل أو الاعتقال ، اوحتى التعرض لارهاب المأجورين ، فأن دولارات الامريكيين قد حولت هؤلاء الزعماء النقابيين الى أثرياء ، وحولت نقاباتهم الى ادارات بيروقراطية •

وكان العمال يخشون مواجهة هؤلاء الزعماء وجها لوجه ، فاعتادوا تقديم شكاواهم الى مأجورى النقابات ، وكانوا يخاطبون هؤلاء الزعماء دائما « **بيا سيدى** » •

بعد ذلك حدث تغيير آخر فى طريقة أداء هذه النقابات لوظائفها ، فبدأت تتحدث عن المطالب الاقتصادية للعمال ، بل وتدعو أحيانا للاضرابات من أجل تحقيقها ، وتذيع – فى نفس الوقت – الدعاية بأن تبنى الحركة النقابية لاية مطالب قومية أو سياسية انما هو ضد مصالح العمال ، فعلى العمال دائما ان يبتعدوا عن السياسة •

وبالطبع ، لم تنجح هذه المحاولة لابعاد العمال عن السياسة الوطنية • ولكن ساد اتجاه نحو الاهتمام بالذات ومشاكل الاجور داخل النقابات التى يديرها زعماء نقابيون واقعون تحت تأثير الامبرياليين الامريكيين ، ويبعدون كل البعد ، عن الوعى الطبقى الثورى ، الوعى بضرورة النضال من أجل القضاء على عبودية الاجر •

وبدأت مساهمة واسعة من جانب العمال فى حركة التحرر الوطنى منذ سنة ١٩٦٦ بوجه خاص • وانضم العمال منذ ذلك الحين الى حركة النضال الوطنى جنبا لجنب الطلبة والفلاحين والشباب وغيرهم • لكن هذه المشاركة كانت – بوجه عام – بتأثير الدافع الوطنى ، لا كطبقة عاملة واعية بنضالها الطبقى •

وبعد تحرر البلاد ، طرد الزعماء النقابيون القدامى الذين كانوا أدوات فى أيدى الامريكيين ،

لان كثيرين منهم ـ نظرا لمعارضتهم لحركة التحرر ـ كانوا أعداء فى نظر العمال ، وبالاضافة لذلك ، فقد فقد هؤلاء الزعماء حماية الحكومة .

والان .. فان الفرصة مواتية تماما للنقابات التقدمية والديموقراطية كى تقوم بدورها بين العمال . لكن لهذه النقابات أيضا خلافاتها الحزبية والسياسية ، انهم ليسوا مهتمين بتنظيم العمال فى نقابات ، قدر اهتمامهم بأن يجعلوا هذه النقابات تحت سيطرة أحزابهم التى ينتمون اليها . بل ويريد بعضهم أن يجعل النقابة تحت نفوذه الشخصى . وكنتيجة لهذا ، هناك أكثر من ستة اتحادات لنقابات العمال ، وفى مصانع كثيرة تتنافس أكثر من نقابة واحدة . وفيما يلى نقدم تعريفا موجزا بالاتحادات العمالية الستة التى تمارس شيئا من التأثير بين العمال .

● **عصبة العمل الوطنى : (National LabourLeague)**
فرع من « رابطة عوامى » ، وان كان هذا بشكل غير مباشر ، لكنها تحت حماية الحكومة . وقد أصبح هذا الاتحاد هو الاوسع انتشارا وتأثيرا بين العمال نظرا للتأييد الواسع الذى يلقاه حزب «رابطة عوامى » فى البلاد كلها ،وقد حاول جناح فى قيادة هذا الاتحاد ضمه الى « الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة » ، فى حين حاول جناح اخر ضمه الى « الاتحاد العالمى لنقابات العمال » (WFTU) وأخيرا ، تم الاتفاق على أن يقوم هذا الاتحاد على أساس القومية البنغالية فقط دون ضمه الى أى اتحاد دولى للنقابات ، وهكذا غيروا شعاره من « يا عمال العالم .. اتحدوا » الى « يا عمال بنجلاديش .. اتحدوا .. » .

ورغم أن عصبة العمل الوطنى تؤيد حرفيا سياسة الحكومة فى تأميم الصناعة وزيادة الانتاج ، فان نشاطاتها تتحول شيئا فشيئا الى عقبات أمام تنفيذ هذه السياسة ، فزعماؤها يلجأون دائما لزيادة مطالبهم الاقتصادية ، ويهددون بالاضراب كوسيلة وحيدة لفرض ومد سيطرتهم على العمال ، وعلى هذا النحو فان عصبة العمل تنافس غيرها من المنظمات النقابية التى لا تؤمن بسياسة الحكومة فى التأميم ، وتعتقد أن واجب الطبقة العاملة هو الوقوف ضد هذه السياسة لا تأييدها .

ويهدف زعماء عصبة العمل لان يجعلوا كل عمال البلاد ينضمون اليهم مهما كانت الوسيلة ، فلجأوا الى سياسة « استعراض القوة » بل واستخدام القوة من أجل ضمان تأييد العمال ، وهم لا يترددون فى تهديد « بل واغتيال ـ العمال الذين ينتمون لمنظمات أخرى ، ولهذا الهدف ضموا الى صفوفهم هؤلاء العمال الذين مارسوا عمليات الابتزاز فى السابق ، وهؤلاء مستعدون لارتكاب كل الاعمال غير المشروعة لفرض مصالحهم الشخصية . وقد حدث ـ فى عدة حالات ـ أن اشترك عدد من هذه العناصر مع مديرى المصانع المؤممة غير المخلصين فى سرقة الالات والمواد وغير ذلك من أعمال التخريب .

● **لال باهينى : (Lal Bahini)**

انشأت عصبة العمل فرقة من المتطوعين باسم « لال باهينى » ، تضم ـ بالاضافة لبعض عمال المصانع ـ عددا من الشباب غير العاملين يحومون حولها . أما العمال المنضمون الى « لال باهينى » فلا يعملون ، لكن مصانعهم تدفع لهم أجورهم بانتظام ، لان من المفهوم أن « لال باهينى » تحت حماية الحكومة ، وأنها يمكن أن تثير الشغب فى اى وقت ، فان المسئولين فى المصانع يتجنبون اثارة العقبات والمشاكل . ولان المصانع مملوكة للحكومة ، فان المديرين لا يشعرون بازائها بأى مصلحة شخصية أو مسئولية .وهناك تقريبا افتقاد كامل للمديرين الذين يؤمنون بسياسة التأميم ولديهم احساس بالامانة او المسئولية او المبادرة ، والمستعدين لركوب الخطر من أجل تنفيذ هذه السياسة . والسبب هو ، ان عددا كبيرا من هؤلاء المديرين اما أنهم موظفون ذوو درجات كبيرة فى الحكومة ، او ملاك سابقون للمصانع .

والان أصبحت « لال باهينى » قوة غاشمة مجنونة ، يتجاوز ضررها العمال الى افراد الشعب ، فأحيانا يقوم اعضاؤها بمسئولية رجال الشرطة ، ويقهرون الناس ، ويخرقون القوانين ، ويقدمون حلول المشاكل على هواهم ، والنتيجة : اما أن لا يتحمس رجال البوليس للقيام بواجباتهم ويفضلون تحاشى الاصطدام بهؤلاء ، واما أن تنشأ المشاكل بين الجانبين . ونظرا لمسلك أعضاء « لال باهينى » لا يحس العمال العاديون حماسا خاصا للانتاج .

● **الاتحاد المركزى لنقابات بنجلاديش :**

(Bangladesh Trade Union Centre)
من حيث الشعبية والنفوذ بين العمال يأتى الاتحاد المركزى تاليا لعصبة العمل ، رغم الهوة الواسعة القائمة بين المنظمتين من حيث النفوذ والدعم الجماهيرى . ويضم هذا الاتحاد أعضاء من حزب عوامى القومى (National Awami Party) والحزب الشيوعى .

● الانشطة الرئيسية :

ان الاهتمام الرئيسى لهذه المنظمة هو دعم سياسة التأميم ، وتوحيد وتنظيم الطبقة العاملة ، لهذا يتبنى المطالبة باشراك العمال فى ادارة المؤسسات • وفى الحقيقة ، فان التنظيم النقابى الوحيد فى البلاد الذى يحث العمال على الوقوف وراء سياسة التأميم وادارة مصانعهم ـ باشراف نقاباتهم ـ بطريقة يمكنها ان تبدأ بزيادة الانتاج والدخل ، ورغم أن الحكومة لم تقم بمبادرة خاصة تدل على اهتمام بهذا الامر ، الا أن النشاط المنظم للعمال فى أى مصنع يمكنه أن يضمن عون الحكومة ، والتقليل من العقبات البيروقراطية •

ان اهداف اتحاد النقابات تتركز حول : تنظيم العمال وحشدهم من اجل تأييد سياسة الحكومة فى تأميم الصناعة ، والقضاء على العقبات البيروقراطية ، والتقدم نحو معاونة الحكومة ومشاركتها مشاركة كاملة من أجل تحقيق هذه الاهداف ، كما يقوم الاتحاد بجهود للانضمام الى « الاتحاد العالمى لنقابات العمال ، وقد انضمت اليه بالفعل بعض النقابات المتعلقة بصناعات خاصة •

● اتحـــاد « شراميك » فى البنجـــال :

(Bangla Shramic Federation)

زعماء هذا التنظيم جماعة من الماويين المنتمين للحزب الشيوعى (اللينينى) فى بنجلاديش ، وهـم يعتبرون الحكومة الحالية فى بنجلاديش حكومة راسمالية ، وهى بالتالى لا تريد ولا تستطيع أن تمضى فى سياسة التأميم • وبالنسبة لهم فان أى جهد فى هذا الاتجاه انما هو تحريف ومراجعة وخيانة للحركة الثورية للطبقة العاملة ، وسياسة ذيلية للراسمالية ، ويؤمن هؤلاء الزعماء بضرورة الاطاحة بالحكومة ، وقيام جمهورية شعبية تحت قيادة الطبقة العاملة ، وبالتالى تطبيق سياسة التأميم •

ومن ثم فان اسلوبهم فى العمل يتركز حول تغذية سخط العمال بكل الوسائل ، خاصة رفع أكبر قدر ممكن من المطالب الاقتصادية ، وتعويق الادارة للمؤسسات المؤممة • وهم قادرون على أن يجدوا بعض الاستجابة بين العمال بالنظر الى الفقر والازمات الاقتصادية ، وسيطرة المطالب الاقتصادية على جماهير العمال • كما أن احد الانشطة الرئيسية لهؤلاء الزعماء هو بث الدعايات المضادة للهند ، وللاتحاد السوفيتى بين العمال •

فروق طفيفة

● اتحـــاد « شراميـك » فى بنجــــلاديش :

(Bangla Shramic Federation) وهو ايضا جماعة ماوية منقسمة ، تابع للحزب الشيوعى الماركسى اللينينى ببنجلاديش ونشاطه مشابه لنشاط اتحاد شراميك فى البنجال ، والفرق الطفيف بيـن السياستين ينحصر فى أن هذا الاخير يعتبر من الضرورى وجود معارضة فعالة لسياسة التأميم مادامت الراسمالية موجودة فى البلاد ، وزعماؤه يعتقدون ان الراسمالية ستظل هنا ، ومن ثم ، فلابد من قيام الجمهورية الشعبية أولا ، وحينئذ فقط ، يمكن أن يكون ثمة تأميم • وكلا التنظيمين يتبع سياسة القوة وتهديد العمال ـ مثل عصبة العمل ـ وكلاهما لا يؤمن بالحركة النقابية الديمقراطية •

● بانجـــوكتا شراميــك (اتحــاد العمال)

(United Workers' Federation) يتبع الحزب الاشتراكى الثورى ، أما فى التطبيق فمن الصعب ادراك فروق بين سياسته وسياسة اتحاد شراميك فى البنجال • لكن نفوذه قليل بين العمال •

● اتحاد مـاجدور **(Majdoor Federation)**

بعض محبى السلطة ، وبعض النقابيين الباحثين عن مصالحهم الشخصية ، والمؤمنين بـالعمل الاقتصادى وحده ، وقلة من النقابيين المحافظين يديرون هذا التنظيم • ليس لهم تبعية سياسية محددة ، ولا موقف لهم ، مع او ضد سياسـة التأميم ، هدفهم الوحيد هو ضمان شىء من التأييد لانفسهم عن طريق تحقيق بعض مطالب للعمال ورفع مطالب مبالغ فيها •

وعلى وجه العموم ، فالموقف هو أن اتحادا واحدا من بين اتحادات نقابات العمال هو الذى يقوم بجهود نشيط لدعم سياسة الحكومة فى تأميم الصناعة ، لقد اخذ على عاتقه هذا التأييد كمطلب للعمال فى نضالهم الطبقى وكهدف قومى فى الوقت نفسه • ورغم أن أكبر الاتحادات النقابية مؤيد للحكومة ، وتحميه الحكومة والحزب الحاكم ، الا أن تأييده لسياسة التأميم لا يتجاوز بعض البيانات اللفظية ، اما فى التطبيق فهو يشجع سيـادة المطالب الاقتصادية بين العمال وبقية المنظمات بحيث يبقى العمال ـ مباشرة أو على نحو غير مباشر ـ غارقين فى أسر هذه المطالب ويجب أن نلاحظ ان اتحـاد « شراميك » فى بنجلاديش ، واتحاد شراميك فى البنغال ، واتحاد العمال ، واتحـاد ماجدور نشطون معـا فى اتجـاه تعزيز المطالب الاقتصادية •

وليس بين هذه المنظمات منظمة تقود العمال على أساس ديموقراطى ، وهناك حاجة الى بذل الجهد لبناء حركة نقابية ديموقراطية فعالية ٠

والاستثناء الوحيد هو « الاتحاد المركزى لنقابات بنجلاديش » فله نقابة واحدة فى المصنع الواحد ، وتسير الامور على نحو ديموقراطى وانتخابات سنوية سليمة فى النقابات ، ويقوم الاتحاد بحملات كى تكون فى كل مصنع نقابة واحدة ، من أجل انهاء الفرقة واقامة الوحدة بين العمال ، وحتى الان لم يستطع الاتحاد أن يجتذب أى تنظيم نقابى آخر لهذا الهدف ، كما أن الحكومة تبدو لا مبالية ٠

وقد اشرت الى الصدامات التى تقع بين العمال، هذه الصدامات نتيجة محاولات اجبار العمال على الانضمام لاتحاد معين ٠ وفى هذه الصدامات جرح بعض العمال وقتل آخرون ٠ والان يتهدد العمال خطر آخر ، هو اثارة نزعات الاختلافات الاقليمية والجغرافية بينهم ٠

ان الطبقة العاملة فى بلادنا حديثة التكوين الى حد كبير ، والعائلات العمالية لا تكاد توجد على الاطلاق، والعمال الذين عملوا فى المصانعمدة تزيد على خمسة عشر عاما عدد قليل جدا لا يكاد يذكر ، ولكل عامل تقريبا روابطه بالقرية لازالت قائمة ، ومعظمهم ابناء فلاحين فقراء ومعدمين ٠ ان بنجلاديش ــ فى الحقيقة ــ هى بنجال الريف واقتصادها يقوم على الزراعة ، والطبقة العاملة ، بدورها ليست بعيدة عن التأثر بمختلف مظاهر التخلف والتعصب وضيق الافق التى تسود فى مجتمع زراعى اقطاعى ٠ ثم هى محرومة من مزايا التعليم ، وقد جاء العمال الى المصانع بهذه الاتجاهات الريفية نفسها ، وفى علاقاتهم بالاخرين يظلون مرتبطين بجماعاتهم الاقليمية ٠ واحيانا تتخذ صراعاتهم طابعا اقليميا ٠وبالاضافةلذلك، فان مصانع كثيرة قد انشئت على مسافات قريبة من المدن ، فى المناطق الريفية ٠ وفى كل أنحاء البلاد ــ وخاصة فى المناطق الريفية ــ يسود الفقر المدقع ، وتغص القرية بالعمال الزراعيين ، وهم عاطلون معظم الوقت ، ودخلهم لا يكاد يذكر ويدفعهم ذلك الى أن يشتغلوا كعمال ، فقدرات العمال الشرائية فى أسواقهم الريفية تثير بينهم الحسد والغيرة ٠

كل هذا يضع اساس الصراعات الاقليمية ، بين « أهل المنطقة والاغراب » ٠ او بين « أهل شيتاجونج وأهل نواخالى » الخ ٠٠ وأثناء فترة حكم باكستان ، كانت الحكومة والمليونيرات من غير البنجاليين يعمدون الى اثارة الصراعات الاقليمية ، وايقاظ الفتن الدينية والطائفية ، بين الهندوس والمسلمين ، وبين البنجاليين وغير البنجاليين مما أدى الى موت مئات العمال فى هذه الاضطرابات ٠

والان ، وباستثناء « الاتحاد المركزى لنقابات بنجلاديش ، تعمد كل الاتحادات الاخرى الى تغذية المشاعر الاقليمية المتطرفة بين العمال من أجل دعم نفوذها ، حتى عصبة العمل والتنظيمات الماوية تتنافس فيما بينها فى هذا الصدد ٠ وطبيعى أن يكون للعمال من أهل المنطقة صوت أكثر ارتفاعا فى المصنع ، ولرابطة عوامى نفوذها فى كل المناطق الريفية ، وعلى هذا النحو تستغل عصبة العمل هذين الاعتبارين فى كل مكان تقريبا ٠ وتعمد ــ من أجل السيطرة على نقابة فى مصنع ما ــ الى التحالف مع العمال من أهل المنطقة من أجل تسجيل العمال من المناطق الاخرى فى نقابتهم عن طريق التهديد وبمعاونة العمال المحليين ، وخلال الشهور الستة الاخيرة ، لقى ما لا يقل عن ثلاثمائة عامل مصرعهم نتيجة الصراعات بين أهل المنطقة والاغراب فى مصادمات حرضت عليها اتحادات العمال ٠

كما أن هناك أمثلة للتنافس بين زعماء ذوى نفوذ فى نفس الاتحاد وهذه الامثلة ترتدى طابع الصراع بين العمال المحليين وغيرهم ، لان كلا من هؤلاء الزعماء ، يحاول أن يقوى نفوذه بين جماعات العمال فيلجأ منافسوه الى الجماعات الاخرى ٠ وفى بعض المصانع يلجأ المديرون ــ بدوافع أنانية محضة الى تحريض الاتحادات على الانهماك فى هذه الصراعات التى تضر بقضية الطبقة العاملة وانتاجها ٠

التخريب الاقتصادى

لوحظ أخيرا ان بعض أصحاب الاعمال السابقين ، وبعض كبار تجار الجوت وبعض كبار الموظفين ، يلجأون الى خلق صراعات اقليمية بين العمال من أجل تخريب سياسة التأميم واثبات أن المصانع المؤممة لا تحقق ربحا ٠ كما أن اتباع الرابطة الاسلامية (Muslim League) وجماعة الاسلام (Jamaati Islami)يستغلونها ايضا كوسيلة لخلق حالة من الفوضى فى البلاد ٠ وفى الحقيقة فان الدعاوى الدينية لم تعد الان مشكلة تتعلق بمصالح قطاع ضئيل من الشعب ، لكنها اصبحت عقبة كبيرة فى سبيل تطور البلاد كلها ٠

ومن الناحية الاخرى ، فان نفوذ الطبقة العاملة قد أضعفت منه هذه الانشطة المعادية للشعب ،

وتلك الاضطرابات الاقليمية المتكررة • انها تعبير عن حاجة جماهير الناس الى الوعى السياسى أكثر منها تعبيرا عن مصادر الضيق • صحيح أن الوضع الاقتصادى للطبقة العاملة فى بلادنا سيء الى درجة كبيرة ، لكن ظروف حياتهم افضل — على نحو نسبى — من حياة ٨٠ فى المائة من أهل البلاد • وفى ظل هذه الظروف ، فان الانشغال الدائم للطبقة العاملة بمطالبها الاقتصادية لا يخلق لدى أفرادها شعورا بالتعاطف والتعاون مع غيرهم من الفئات المسحوقة فى المجتمع •

وباستثناء « الاتحاد المركزى لنقابات بنجلاديش » فان الاخرين ممن يعملون بالحركة النقابية لا يبدون الاهتمام الكافى بمشاكل الطبقة العاملة ، ولا يجعلون محور نشاطهم هذه المشاكل ، فهدفهم الوحيد هو استخدام الطبقة العاملة لتحقيق مكاسب فردية أو حزبية ، وتنظيمهم لاجل هذه المكاسب ، ليس هدفهم ان يكون رخاء العمال ومصالح البلاد فوق اى اعتبار ، ولا تنمية وعيهم الطبقى ، ولا تعليمهم سياسيا بهدف خلق طبقة عاملة متحدة ومنظمة •

ان تنظيم وتوحيد الطبقة العاملة فى بنجلاديش ، وتنمية وعيها الطبقى ، وحشدها لتأييد سياسة التأميم التى أعلنتها الحكومة هى المهام التى تواجه العاملين فى الحركة النقابية لكن الحركة النقابية لازالت فى مرحلة بدائية فى بلادنا •

وكما لم يكن نظام التفرغ السياسى معروفا فى الاحزاب السياسية او فى الحركة النقابية فليس هناك نظام لجمع الاشتراكات من أعضاء الاتحاد اللهم الا اذا أرغموا ارغاما على الدفع • والعمال يبدون تأييدهم لاتحاد نقابى ما بأن يظلوا متعلقين بالحزب السياسى الذى يتبعه الاتحاد • وتظل الرغبة فى قيام طبقة عاملة موحدة،وحركة نقابية موحدة مقصورة على الاعضاء ذوى الخبرة والتجربة وليس عددهم بالكثير • وبالتالى ، سينقضى وقت طويل قبل أن تنمو حركة نقابية ديموقراطية ، تستطيع التغلب على العقبات المختلفة ،وتصطبغ بصبغة وطنية ودولية •

والدليل الوحيد على الامل هو الشجاعة والثقة بالنفس فى النضال من أجل التحرر • ان العمال بحاجة الى حلول سريعة لمشاكلهم ، وهم بالتالى دواقون الى الحركة • ومن الناحية الاخرى ، فان هناك رغبة قوية بينهم من أجل معرفة الامور وفهمها ، وهم تواقون بوجه خاص لان يعرفوا كل شيء عما يجرى فى العالم •• عن الاشتراكية وعن الاتحاد السوفيتى ، وعن الدولة الاشتراكية • وكلما اتيحت فرصة معرفة الاهمية الحقيقية لدعم سياسة التأميم وزيادة الانتاج ، كلما بدا لديهم الحماس ، وقام العمال انفسهم بالمبادرة ، وتحمل المسئولية •

التحــــول فى العــلاقات الســـوفيتية الأمــــريكية
أســـــبابه
وآفـــــاقه

حمدى عبد الجواد

يحتل التحول الملموس فى العلاقات السوفيتية الامريكية مكانا بارزا بين الاحداث الدولية خلال العام الاخير . لقد اصبح هذا التحول، واضح المعالم ، بعد محادثات القمة التى جرت فى موسكو فى مايو ١٩٧٢، وبعد الاتفاقيات التى وقعت بين البلدين ، نتيجة لتلك المحادثات . ثم جاءت محادثات القمة فى وشنطن ، فى يونيو ١٩٧٣ ، لتعطى لهذا التحول دفعة جديدة ، وأبعادا أكبر . فى العلاقات بين البلدين ، بل ولتمتد بوضوح الى مجال العلاقات الدولية بأسرها .

وبدأت التحولات فى العلاقات السوفيتية الامريكية تجد لها صدى فى كثير من المجالات . فلقد أدت الى تغيرات جوهرية فى قضية تعزيز العلاقات القائمة على تغليب الاسلوب السلمى والتفاهم بين الاتحاد السوفييتى وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وفى تطوير التعاون الواسع القائم على المنفعة المتبادلة بين البلدين ، فى مختلف المجالات .

وترتب على هذا التحول ، تحسن واضح فى المناخ السياسى الدولى ، فتم التوصل الى اتفاقية انهاء الحرب الباردة ، واعادة السلام الى فيتنام ولاوس ، وتجرى محاولات التوصل الى تسوية للحرب فى كمبوديا .

وتطورت العلاقات فى أوروبا ، فى اتجاه تصفية آثار الحرب العالمية الثانية . وبدأ عهد من السلام والتعاون بين مختلف بلدان القارة . وكان توقيع سلسلة من المعاهدات بين الدول الاوربية وبين الاتحاد السوفييتى ، ونجاح المرحلة الاولى من مؤتمر هلسنكى خطوات هامة على هذا الطريق . وهكذا تفتح التحولات التى تجرى فى اتجاه تسوية الوضع الدولى آفاقا ملائمة ، لتخفيف حدة التوتر ولتسوية المشاكل الدولية التى لم تحل بعد .

لقد بدأ يتبلور بين البلدين اتجاه واضح من أجل الحوار البناء والبحث عن مجالات يمكن التوصل الى اتفاق بشأنها ، أو التعاون فيها . واذا ما وضعنا فى اعتبارنا دور كل من الدولتين الكبيرتين فى السياسة الدولية ، وكذلك التوتر الذى ساد العلاقات بينهما لربع قرن ، لامكننا أن نقدر الى أى حد حدث بالفعل تغير نحو الافضل .

لكن اعداء الانفراج الدولى يواصلون جهودهم من أجل محاولة القاء ظلال من الشك على تلك

التغيرات . فنراهم يقولون – مثلا – أن فترات ذوبان الجليد فى العلاقات السوفيتية الامريكية ، عادة ما تتكرر لبعض الوقت كما حدث فى الماضى خلال الحرب العالمية الثانية . لكن هذه الفترات ، كما يزعمون ، كانت قصيرة العمر وسرعان ما أعقبها فترات من التوتر الحاد والخطر .

بالطبع هناك شىء من الصحة فى هذا الكلام . ولكننا هنا ، لسنا بصدد الحديث ، عن « مناخ سياسى عام » يتحكم فى العلاقات بين الدول . ومن هنا ، فمن الصحيح أيضا أن التغيرات الحقيقية ، نحو الافضل ، تمثل شيئا أكثر من مجرد ذوبان الجليد فى المناخ السياسى . . ذلك أن التغيرات فى العلاقات السوفيتية الامريكية ، والتى اتضحت منذ العام الماضى قد تميزت ووجدت تعبيراتها ، لا فى مناخ سياسى أفضل ، **وانما فى تفاهم ملموس تبلور فى اتفاقيات حول عدد من المسائل الهامة .**

وتأتى فى مقدمة تلك الاتفاقيات وثيقة « **المبادىء الاساسية للعلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة** » التى تضع تلك المبادىء وفق قواعد القانون الدولى . واهم تلك القواعد، هو الاقتناع الذى حددته الوثيقة ، بأنه فى العصر الذرى يمثل مبدأ التعايش السلمى الاساس الوحيد الواقعى للمحافظة على العلاقات بين البلدين .

وبالاضافة الى هذه الوثيقة ، وقعت عـدة اتفاقيات أخرى ، حول تحريم التجارب النووية ، وتخزينها ، والحـد مـن سـباق الاسـلحة الاستراتيجية ، وحماية البيئة ، وتوسيع العلاقات التجارية والاقتصادية ، ومنع الحرب النووية ، واستخدام الطـاقة الذرية للاغـراض السـلمية ، وتوسيع التعاون فى الزراعة ، واسـتكشاف المحيطات ، والنقل ، والمواصلات ، والتبـادل ، ومواصلة بذل الجهود من أجل التوصل الى اتفاق حول نزع السلاح .

على أن هذه التغيرات الهامة فى مجال العلاقات السوفيتية الامريكيـة ، والنتـائج التى ستترتب عليها ، انما تتخطى حدود العلاقات بين البلدين . ذلك انه على درجة تطور العلاقات ، بين أكبر دولة اشتراكية وبين أكبر دولة رأسمالية ، تتوقف بدرجة كبيرة امكانية منع الحرب ، والمحافظة على السلام وتدعيمه على كوكبنا . ان تطور العلاقات بين البلدين مشـكلة تؤثر على المصـالح الحيوية لكل الشعوب ، ويدفعنا ذلـك الى محاولة فهم أوسع للعـلاقات السـوفيتيـة الامريكيـة . أسباب تلك التغيرات وآفاق تطور تلك العلاقات فى المستقبل .

أسباب التحول فى العلاقات السـوفيتيـة الامريكيـة

أما أسباب التغيرات التى طرأت على العلاقات السوفيتية الامريكية فهامة ومعقدة لانها مسألة تخفى العلاقات بين دولتين كانتا لوقت طويل فى نظر الرأى العام العالمى تجسيدا لنظـامين اجتماعيين متعارضين: هما الاشتراكية والرأسمالية .

واذا ما أخذنا فى اعتبارنا طبيعة التناقضات بين النظامين – وبالتالى – بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة ، لوجدنا أنفسنا مدفوعين الى التساؤل : ما الذى أدى الى هذه التحولات فى العلاقات بين البلدين ، هذه العلاقات التى كانت ، لاكثر من ربع قرن ، مسرحا لنزاعات حادة ؟

للاجابة على هذا السؤال ، من المهم أن نرى فى المحل الاول **أن التغيرات فى العلاقات السوفيتية الامريكية هى نتيجة طبيعية للتغيرات الموضوعية الرئيسية التى حدثت فى عالمنا فى الفتـرة الاخيرة .**

فمن المعروف أن توازن القوى على نطاق العالم يواصل تغيره لصالح الاشتراكية . وتؤثر تلك التغيرات فى توازن القوى الدولية على كل نواحى الحياة الاجتماعية فى عالمنا المعاصر كما تؤثر على سياسة جميع الحكومات ، بما فى ذلك حكومات الدول الامبريالية الكبرى . ان كثيرا من القسمات الهامة للامبريالية المعاصرة ، يمكن تفسيرها بأنها قد أجبرت على أن تكيف نفسها مع الظروف الجديدة ، ظروف تعاظم الصراع بين النظامين .

وتلك هى أحد الخصائص الرئيسية للوضع العالمى اليوم . ان الاحداث الدولية ، خلال الفترة الاخيرة ، بمـا فى ذلـك العـلاقات السـوفيتية الامريكية توحى بتلك النتائج وتوضح أن التغير فى علاقات القوى ليست افتراضا مجردا ، وانما هو حقيقة ملموسة تؤدى بالفعل الى تغيرات ايجابية هامة فى الوضع الدولى . **ان التحول الهام فى ميزان القوى العالمى والظروف الجديدة المواتية التى يتيحها ، يلعب الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية والطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى دورا كبيرا فى تحقيقها من خلال جهودهم المتفانية .**

وقد ألقت الاحداث الدولية الاخيرة ضـوءا ساطعا على الفوارق الاساسية بين الاشتراكية وبين الامبريالية من حيث نمو قواها . وليس هناك شك فى أن أى تغير فى علاقات القوى لصالح الامبريالية ما كان يمكن أن يؤدى الا الى زيادة التوتر لا الى تخفيفه ، وكان سيشجع الامبريالية فى مطامحها العدوانية . وعلى العكس ، فان تغير علاقات القوى لصالح الاشتراكية قد ساعد على

تقدم قضية السلام والامن الدولى . ويتضح ذلك من التحسن الملموس للوضع فى أوروبا وعودة العلاقات السوفييتية الامريكية الى حالتها الطبيعية .

وهكذا فان التغيرات الايجابية فى الوضع الدولى ، انما هى نتيجة طبيعية لا لتوازن القوى العالمى فحسب ، **وانما للسياسة الخارجية الواضحة والثابتة للدول الاشتراكية** ، التى تربط بين الردع الحازم لتحركات الامبريالية العدوانية ، وبين السياسة البناءة لتدعيم السلام وتطوير التعاون الدولى . وتكمن قوة هذا الخط ، فى أنه فى الوقت الذى يعبر فيه عن المصالح الحيوية للنظام الاشتراكى ، يضع فى اعتباره ، بشكل واقعى ، الاخطار الكامنة فى الوضع السياسى ، فى عالم اليوم وكذلك الامكانيات الكامنة فيه . ولقد كان الهدف الدائم للسياسة الخارجية للدول الاشتراكية هو تحقيق السلام وتوطيده . لانه فى ظل علاقات سلمية يستطيع النظام الاشتراكى أن يدعم مواقعه الاقتصادية والاجتماعية ،ويبرهن على النظرية القائلة بأن هذا النظام يستطيع أن يدخل فى منافسة حقيقية يتفوق فيها على النظام الرأسمالى . ومع ذلك فان الرغبة الطيبة لم تكن بكافية لتحقيق تلك الاهداف انما كان لابد من توفر شروط معينة تبلورت فى الفترة الاخيرة . فعلى أساس تلك الشروط - فحسب - يمكن تحقيق تحسن حقيقى وهام فى الوضع الدولى ، أى على أساس رغبة واتفاق الدول الرأسمالية فى أن تقيم علاقاتها مع العالم الاشتراكى على أساس مبادىء التعايش السلمى .

واذا كان عديد من الدول الامبريالية يتحول الى موقع المشاركة فى الجهود المبذولة من أجل الحد من خطر الحرب وانفراج الوضع الدولى ، فان ذلك لا يرجع الى تغير الطبيعة الطبقية لسياسة تلك الدول ، فهذا ما لا يمكن أن يحدث على الاطلاق . لكن الشيء الذى تغير هو العالم الذى يعيش فيه الامبرياليون ، وأصبح حتما عليهم أن يكيفوا سياستهم الداخلية والخارجية مع الحقائق الموضوعية للوضع الراهن فى عالمنا .

ولا تشذ الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة عن هذه القاعدة . ففى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، **أدركت الاقسام الابعد نظرا فى تلك الطبقة ، أن الاعتماد على تحقيق انتصار عسكرى على أسرة الدول الاشتراكية لم يعد أساسا يمكن أن تبنى عليه سياستها ، وأن حربا نووية ستكون فى الواقع انتحارا لامريكا** . وقد أوضح مجرى تطور الحرب فى فيتنام ، أن الولايات المتحدة لا يمكنها ، فى الظروف القائمة ، أن تأمل فى تحقيق النجاح ، حتى فى الحروب « المحدودة » أو « المحلية » التى ارتكزت عليها الاستراتيجية السياسية والعسكرية الامريكية منذ نهاية الخمسينات . وبشكل عام ، فان مجرى الاحداث فى نهاية الستينات وبداية السبعينات قد أجبر واضعى السياسة الخارجية الامريكية على التخلى عن تلك الاسس التى وضعت فى سنوات الحرب الباردة .

ونحن نعلم أنه كان من بين تلك الاسس ، الاعتماد على قوة السلاح ، كأداة رئيسية للسياسة الخارجية . ولما كانت الولايات المتحدة قد فشلت فى الاحتفاظ باحتكارها لهذه القوة ، وظهرت القوة الدفاعية الموازية للاتحاد السوفييتى ، **فقد تحددت ملامح وضع جديد لم تعد ترتبط فيه زيادة بناء القوة العسكرية بالضرورة بزيادة القوة السياسية . وكما يقول هنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشئون الامن القومى ، فان ترجمة القوة العسكرية الى نفوذ سياسى أمر يزداد صعوبة فى عالم اليوم .**

على أن الامر لا يقف - فحسب - عند هذا الواقع وهو أنه فى ظل توازن القوى العالمى الحالى تتناقص امكانية استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية لتحقيق أهداف سياسية . وانما يرتبط بذلك ، أيضا ، جانب من الجوانب الهامة لازمة الاسس التقليدية للسياسة الخارجية الامريكية ! ذلك أن السياسة الخارجية الامريكية التى تشكلت فى سنوات ما بعد الحرب ، لم تعد بقادرة على مواجهة تحديات المشاكل الواقعية التى تواجه الولايات المتحدة فى الوضع الراهن . فهذه السياسة ظلت تستند على مقدمة منطقية بسيطة ، وهى أن الشيوعية التى يمثلها فى المجال الدولى فى المحل الاول الاتحاد السوفييتى ، هى مصدر كل المتاعب ، وأنه لذلك ، يمكن ضمان مصالح الولايات المتحدة - الى حد كبير - كلما استطاعت السياسة الامريكية ، والقوة العسكرية الامريكية ، مواجهة هذا العدو « واحتوائه » فى المدى القصير ، وتحطيمه فى المدى الطويل .

ورغم ذلك ، فان مجرى الاحداث يكشف بشكل متزايد عن عدم جدوى هذه السياسة ، **وأصبح من الصعوبة بدرجة أكبر القاء اللوم على « المؤامرة الشيوعية » فى التغيرات السياسية والاجتماعية العميقة التى تحدث فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، والتى تؤدى الى تقويض سيطرة رأس المال الامريكى هناك** . وبدأت تتبلور اخطار جديدة على مصالح الامبريالية الامريكية نتيجة لتفاقم تناقضاتها مع حلفائها فى غرب اوروبا واليابان ،ثم لازدياد هذه التناقضات بسبب حدة المنافسة فى

الأسواق العالمية وفى المجال المالى والنقدى ».

وحتى أكثر العقول تحجرا فى الولايات المتحدة ، لم تعد ترى فى هذه الاخطار « أصبع موسكو » أو تعتبر زيادة الاستعداد العسكرى والمغامرات المسلحة طريقا لمواجهة تلك الاخطار .

لقد أدى الوضع العالمى الجديد ، الى اتضاح عدم جدوى العداء المحموم للشيوعية ولم يعد ايقاع أكبر الاضرار بالاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية هو الهدف الفاصل للسياسة الخارجية الامريكية ـ فى نظر اقسام مؤثرة فى الطبقة الحاكمة الامريكية .

ولا يعنى ذلك بالطبع ، ان الاحتكارات الامريكية قد راجعت موقفها من الافكار الاشتراكية والشيوعية . ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث . لكن حقائق الحياة الصلدة علمت الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة أن الاستناد الكلى على معاداة الشيوعية ، لم يمكن البورجوازية الامريكية من ان تحمى نفسها من أخطار اخرى ، بينما أضرت هذه السياسة الهستيرية بمصالحها الطبقية الى حد بعيد . وبدأت اقسام من البورجوازية الحاكمة الامريكية ترى أن تبديد جزء كبير من الموارد القومية على سباق التسلح والمغامرات العسكرية انما يؤدى الى أضعاف مواقع الولايات المتحدة فى صراعها ضد البلدان الرأسمالية الاخرى ، ويقودها الى اضطرابات مالية ونقدية ، ويضعف أسس تأثيرها الاقتصادى والسياسى فى العالم . وقد اعترف بهذه الحقيقة ، بلباقة ، **لاندبرج** الرئيس السابق لبنك امريكا أكبر بنك فى العالم الرأسمالى ، وذلك فى اجتماع لاحدى لجان الكونجرس ، فقد لخص نصيحته لكل المعتدين فى العالم بقوله : **اذا أردتم أن تحققوا أرباحا ، واذا أردتم أن يكون العالم لكم ، لا تبددوا طاقاتكم فى مؤسسات عسكرية لا جدوى منها ـ اتبعوا مثال اليابان والمانيا ما بعد الحرب ولتكن عدوانيتكم اقتصادية .**

ولم يكن ذلك مجرد شعور شخصى ، ولكنه أصبح الشعور المتزايد فى عالم الاعمال ، أى بين البورجوازية الحاكمة ، مما دفع **ريتشارد بارنت** أحد المختصين البارزين فى الشئون الخارجية ، الى أن يخرج بنتيجة أنه منذ منتصف الستينات بدأت تكاليف المحافظة على النظام الاستعمارى تفوق الفوائد المترتبة عليه ، وان زعماء مختلفين ينطلقون كلية من « مقاييس اقتصادية » يصلون الى **نتيجة أن تحقيق المصالح القومية بمساعدة القوات** المسلحة ربما يشكل تهديدا لامتيازاتهم وأرباحهم .

وهذا التصريح ، يحدد ـ بدقة ـ الاطار الفكرى **الذى بدأ** يتشكل بين قطاعات واسعة من البورجوازية الاحتكارية الامريكية ، على أن **هناك قطاعات اخرى ، بينها ، تدافع عن وجهه نظر معارضته تماما وتغمض عيونها عن حقائق الواقع خاصة عن تلك الحقائق التى تتعارض مع مصالحها المادية العاجلة .** ومن بين تلك الاحتكارات تلك التى لها مصلحة مباشرة بالطلبيات العسكرية ، والتى تشكل العمود الفقرى للتجمع العسكرى الصناعى فى الولايات المتحدة ، وهم قوة كبيرة لها نفوذ (1) . ورغم أن النفوذ السياسى للتجمع العسكرى الصناعى ، يفوق بدرجة كبيرة «الوزن الاقتصادى النسبى للاحتكارات المعنية» فان تلك الاحتكارات ، وهى تحاول أن تفرض على كل الطبقة الحاكمة الامريكية سياسة تناسبها انما تدخل فى صدام مباشر مع كثير من المجموعات الاخرى ذات النفوذ فى رأس المال الاحتكارى الامريكى .

وفى خلال السنوات الاخيرة اتخذ الصدام بين تلك المصالح اشكالا واضحة لا ترتبط ـ فحسب ـ بمصاعب السياسة الخارجية ، وانما ترتبط أيضا بتفاقم كثير من المشاكل الاخرى . واهم تلك المشاكل ، فى المجال الاقتصادى التضخم والبطالة ، وعجز ميزان المدفوعات ، والمركز الضعيف للدولار ، والمصاعب فى الاسواق العالمية ، وفى المجال الاجتماعى : الفقر فى أغنى دولة رأسمالية فى العالم ، ومشاكل الزنوج الذين يتعرضون لاضطهاد وحشى ، وأزمة المدن الكبرى ، وارتفاع معدل الجرائم و « التدهور الخلقى » ، وازدياد « معارضة الجيل الشباب « للقيم » البورجوازية التقليدية ».

ان تفاقم كل تلك المشكلات ، وما يترتب عليها من تعاظم نضال الكادحين ، والحركات الديموقراطية ، كان له أثره الخطير ـ دون شك ـ على آراء قسم كبير من أوساط الرأى العام الامريكى بالنسبة للسياسة الخارجية ».

ففى المحل الاول ، ضعفت ثقة الرأى العام فى تفوق المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الامريكية ، وفى طريقة الحياة الامريكية ، وهو ما بشرت به الولايات المتحدة

---

(1) راجع فى هذا الصدد : مكتبة الطليعة فى العدد التالى من المجلة .

لعشرات السنين ، واستخدمته الدعاية الامريكية فى الدفاع عن ادعاء الولايات المتحدة الحق فى « غرس » مثلها فى جميع أنحاء العالم حتى ولو كان ذلك بمساعدة القوات المسلحة . وفى ظروف نمو الحركة الديموقراطية والجماهيرية المعادية للحرب فى الولايات المتحدة ، أصبح من الصعوبة بمكان حقن الرأى العام بهذه الافكار . وكما كتب **البروفيسور هاكر** ، أحد المتخصصين البارزين فى المشاكل السياسية والاجتماعية فى الولايات المتحدة ، فان معظم الامريكيين لم يعودوا يصدقون ، أن القدر قد ألقى على كاهلهم نشر الرأسمالية والمسيحية ودستور الولايات المتحدة فى جميع انحاء العالم ، والواقع ان اعدادا متزايدة من الامريكيين ، تقتنع بأن نوع الحياة التى يحيونها فى بلادهم ، يصعب أن تكون مادة للتصدير للبلدان الاخرى .

وهناك موضوع آخر يشغل تفكير ملايين الامريكيين : هل يمكن لبلادهم ، وهل يتعين عليها أن تستمر فى انفاق موارد ضخمة على سباق التسلح ومغامرات السياسة الخارجية بدلا من استخدامها لحل المشاكل الداخلية الملحة ؟ وامتدت المناقشات حول الاولويات السياسية التى ترتبت على ذلك ، لا الى أوساط الرأى العام فحسب ، وانما الى جزء كبير من الدوائر الحاكمة كذلك .

وبدا بعض المتحدثين الرسميين باسم الدوائر الحاكمة ، يبدى ارتيابه فى المفهومات السياسية القديمة ، ويطالب بموقف جديد من مفهومات السياسه القديمة ، بما فى ذلك المفهومات المتعلقة بالامن القومى والاعتراف بأن القوة والنفوذ الدولى للولايات المتحدة تتطلب — فى المحل الاول — اهتماما باستقرار مؤخرتها ، وبالاوضاع داخل الولايات المتحدة نفسها . ونستطيع أن نستشهد فى هذا الخصوص **بالجنرال ل . جافين** أحد كبار المتخصصين فى الشئون العسكرية ، وأحد الشخصيات العامة . انه يتساءل : **ما هو مصدر القوة فى عالمنا ؟ هل يمكن أن تقاس بالاسلحة ؟ بعدد الفرق العسكرية ؟ وبوجود حاملات الطائرات المستعدة للعمل فى أى وقت ؟ أو هل تستند على الرخاء الاقتصادى ؟ ليس هناك من سبيل أمامنا سوى اعادة النظر فى كل القيم التى كانت تحكمنا ، وهى المستقبل لابد أن تنطلق الاستراتيجية الامريكيه بشكل متزايد مما يحدث فى داخل البلاد .** ويخرج جافين فى نهاية المطاف بالنتيجة التالية : ان طبيعة النزاعات والصراع فى عالمنا تتعرض لتغيير كبير . ويبدو أن نتيجة النزاعات المقبلة ، ستحسم فى مجال الاقتصاد ، وظروف الحياة الداخلية الشعب فى مجال التطور العلمى والتكنولوجى ، ولهذا السبب كتب **جافين** أنه يشك فى حكمة انفاق ٣٠٠٠٠ مليون دولار فى العام على العمليات العسكرية فى فيتنام ، وهو الامر الذى ينزل اضرارا بالغة بالاقتصاد الامريكى ، وللوضع الداخلى عموما .

ويجد هذا الرأى صدى متزايدا فى الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ويتحول الى عامل هام فى الوضع السياسى ، خاصة بعد أن طرحت حرب فيتنام الطويلة والدامية على سطح المجتمع الامريكى المشاكل الحيوية للسياسة الامريكية ، وزادت من حدة الصراع الداخلى ، بدرجة جعلت أقساما واسعة متباينة من الرأى العام ، وكثيرا من ممثلى الطبقة الحاكمة ، يدركون ، بل ويعلنون ، أنه لابد من التغيير .

إن كل ذلك قد بدأ يتبلور بوضوح خلال انتخابات عام ١٩٦٨ . فلقد وعد **نيكسون** خلال هذه الحملة الانتخابية ، لا بانهاء سريع للحرب فى فيتنام ، وانما تعهد باعادة النظر فى خط السياسة الخارجية الامريكية . وأكد **نيكسون** أن اعادة النظر هذه ستنطلق فى اتجاه الحد من « تورط » الولايات المتحدة والتزاماتها الخارجية و « الانتقال من عصر المواجهة الى عصر المفاوضات » مع الاعداء ، وخاصة مع الاتحاد السوفيتى .

وعند تحليل أسباب التغييرات المحددة فى السياسة الامريكية ، والتى دفعت بها فى اتجاه انفراج العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ، من المفيد أن تشير الى العوامل الذاتية ، وخاصة ، سعى **نيكسون** لان يسجل نجاحات هامة فى مجال السياسة الخارجية تمهيدا لانتخابات الرئاسة فى ١٩٧٢ . ولا ينكر أحد أن **نيكسون** كان يريد أن يدخل المعركة الانتخابية بنجاحات كبيرة لصالحه . ويعتبر تحقيق انفراج مع الاتحاد السوفيتى نجاحا كبيرا فى نظر أوساط الرأى العام الامريكى . ويعزى نجاح **نيكسون** فى الانتخابات الاخيرة بدرجة كبيرة — دون شك — الى ارتياح الناخبين الامريكيين الى محادثات موسكو والاتفاقيات التى ترتبت عليها مع الاتحاد السوفيتى .

لكن الاشارة الى أهمية العوامل الذاتية يترك السؤال الرئيسى دون جواب :

لماذا يلجأ زعماء الولايات المتحدة فى سعيهم لكسب شعبية فى الانتخابات الى سياسة انفراج فى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وتخفيف حدة التوتر الدولى ؟ وذلك فى الوقت الذى كان صانعو السياسة الامريكية منذ خمسة عشر عاما مضت يسعون الى كسب التأييد الانتخابى بطريقة

مختلفة ، وفى مجال مختلف تماما ، عن طريق التشدد مع الاتحاد السوفييتي ، ومن خلال معاداه الشيوعيه ، وعبر سباق التسلح .

من الواضح ان الدور الرئيسى قد لعبته العوامل الموضوعية ، او تلك التغيرات الهامة التى حدثت فى العالم وفى الولايات المتحدة نفسها فى الفترة الاخيرة .

آفاق تطور العلاقات الامريكية السوفيتية

اصبحت اسباب التغيرات التى بدأت تتبلور فى موقف الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة من بعض المسائل الهامة فى السياسة الخارجية ، بما فى ذلك مسألة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، مسأله تثير اهتمام قطاعات واسعة من الرأى العام فى العالم . وتوضيح تلك المسألة قد يقدم مفتاحا لمسالة اخرى وهى مدى ثبات تلك التغييرات واستمرارها .

يرجع السبب الرئيسى فى التغيرات نحو انفراج العلاقات الامريكية السوفيتية ، والاتجاه نحو تخفيف حدة التوتر والتعاون الدولى الى عوامل موضوعية بعيدة المدى . وبالتالى ، فان لتلك التغيرات آفاقا واسعة ويرجع السبب فى نجاح السياسة السوفيتية الخارجية — فى الفترة الاخيرة — الى انها تضع فى الاعتبار ، الاتجاهات السائدة فى تطور الاحداث العالمية ، والامكانيات الجديدة التى تفتحها أمام النضال من أجل تدعيم السلام والامن الدولى .

ومن المفيد أن نرى أن الافاق القائمة فى هذا المجال ، وخاصة فى مجال العلاقات الامريكية السوفيتية تحددها فى المحل الاول الاجابة على هذا السؤال : **هل هناك مجالات تلتقى فيها مصالح الدولتين ؟** فاذا لم يكن هناك مثل هذه المجالات فلن تتخطى تلك التطورات ، بعض التحسن فى العلاقات الدبلوماسية ، مهما بذل من جهد . أما اذا وجدت تلك المجالات التى تتطابق فيها مصالح الدولتين ، فسيصبح هناك امل فى الانفراج ، وتحسين العلاقات من أجل تطوير التعاون . والتغيرات التى طرأت على العلاقات الامريكية السوفيتية انما تعكس حقيقة موضوعية ، وهى : أنه رغم الخلافات الاساسية فى الطبيعة الطبقية والنظام الاجتماعى ، ورغم التناقضات السياسية الواسعة بين البلدين ، حول كثير من القضايا الهامة ، فقد ظهرت مجالات يمكن أن تلتقى فيها مصالحهما التقاء واضحا .

أن أحد هذه المجالات التى تلتقى فيها مصالح الدولتين هو منع الحرب النووية . ذلك أن مسألة منع الحرب جديدة أصبحت فى الظروف الحاضرة مسألة تشغل اهتمام الجانبين ، ومجرد ادراك ذلك انما قد يفتح امكانيات واسعة لتحسين العلاقات بينهما ، حيث أن منع مثل تلك الحرب ، لا يتطلب فحسب الاتفاق على ادانة المحاولات الواعية لاشعالها ، وانما يتطلب كذلك تحسينا هادفا لكل نظام العلاقات الدولية .

ففى عالم يسوده التوتر ، يمكن للنزاعات العسكرية أن تتحول ، وعلى غير رغبة من الدول ، الى تصعيد الاحداث تفقد فى ظله القوى المتنازعة السيطرة على الموقف ، ويصبح وقوع الكارثة أمرا لا يمكن تجنبه . ولهذا السبب ، تحاول الحكومة السوفيتية ، ان تذهب فى سياستها السلمية الى أبعد من مجرد أدانة خطر الحرب النووية من جانب جميع الدول . انها تستهدف ازالة كل بؤر النزاع العسكرى ، واقامة أنظمة فعالة للامن الجماعى فى أوروبا وآسيا ، والاتفاق على اجراءات لتطوير التفاهم والتعاون الدولى .

ويعتبر سباق التسلح مجالا هاما آخر تلتقى فيه مصالح الدولتين الكبيرتين . ان جهود الاتحاد السوفيتى ضد سباق التسلح ، ومن أجل نزع السلاح ليس أمرا جديدا على السياسة الخارجية السوفيتية ، بل انه يعكس المصالح الحيوية للاشتراكية التى تطالب بتركيز القوى على المهام الحيوية لبناء المجتمع الجديد .

لكن الامر ليس بمثل هذه السهولة ، فيما يتعلق بالولايات المتحدة . **ويرجع ذلك الى أن قسما هاما من الطبقة الحاكمة ، وتمثله الاحتكارات التى تخدم جهاز الحرب لها مصلحة فى سباق التسلح ، هذا بالاضافة الى أن الامبريالية الامريكية كان يراودها ، لفترة طويلة ، الامل فى التفوق العسكرى على الاتحاد السوفيتى ، وتخطى أزمتها الاقتصادية عن طريق زيادة سباق التسلح (٥) .**

وطالما ساد هذا الرأى بين الدوائر الحاكمة فلا يمكن أن يكون هناك أمل فى اتفاق حول الحد من سباق التسلح . غير أن الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، فى ظل ظروف الوضع الدولى الراهن ، قد خابت آمالها فى التفوق العسكرى على الاتحاد السوفيتى ، أو تخطى أزمة الرأسمالية الاقتصادية ، من خلال سباق التسلح (٥) ، واكتشفت الدوائر الحاكمة أن النفقات العسكرية الهائلة ، فى الوقت الذى تؤدى فيه الى تحقيق أرباح خيالية لاحتكارات السلاح ، انما تمارس تأثيرا مدمرا على الاقتصاد الامريكى ، وقد وصلت تلك النفقات فى سنوات ما بعد الحرب أرقاما خيالية ، فبلغت ١٠٠٠٠٠٠ر٢ر١ مليون دولار (٥) وكان لذلك آثاره

البعيدة المدى ، والوخيمة ، حتى على أغنى دولة رأسمالية فأدى الى التضخم ، وزيادة الضرائب ، وتقلص السوق الداخلى ، واضعاف قدرة الولايات المتحدة على المنافسة وتفاقم المشاكل الداخلية .

ثم أدى ذلك كله الى زيادة ادراك قطاعات أوسع فى الولايات المتحدة بأن الحد من سباق التسلح انما يتفق مع المصالح الوطنية .. وهذا التغيير فى النظرة للامور — اذا ما وجد تعبيرا له فى السياسة الرسمية — سيفتح مجالا لالتقاء المصالح ولاتفاقات متبادلة ومفيدة للجانبين .

ويعتبر مجال التعاون الاقتصادى ، والعلمى ، والتكنيكى ، والثقافى ، كذلك أحد مجالات التقاء المصالح بين الدولتين . واتساع امكانيات البلدين الذى لا حدود له ، شاهد على وجود امكانيات ضخمة فى هذا المجال . والجدير بالذكر أن الجهود الاولى التى بذلت عام ١٩٧٢ قد حققت زيادة ملموسة فى التجارة بين البلدين . وتم توقيع عدد من العقود الخاصة بتوريد مصانع وبضائع أمريكية الى الاتحاد السوفييتى ، وشراء أمريكا للسلع السوفييتية والمستحدثات التكنولوجية . ولا يقف الامر عند هذا الحد ، وانما يتعداه الى المناقشات التى تجرى للتوصل الى أشكال مبشرة من الصلات الاقتصادية ، واقامة مشاريع ضخمة مشتركة ، والتعاون فى الانتاج والعلوم والتكنيك ، وفى حل عدد من المسائل الهامة ، وفى جميع هذه المجالات تفتح آفاق مبشرة لفوائد ملموسة ومتبادلة للدولتين .

وهكذا نرى ، أن هناك مجالات لمصالح مشتركة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وأن هذه المجالات توفر أساسا راسخا لانفراج العلاقات والتعاون الواسع بينهما فى مختلف الميادين .

ولابد أن نشير الى أن المصالح المشتركة بين البلدين لا تؤدى الى الاضرار بالبلدان والشعوب الاخرى . وعلى العكس من ذلك ، فان سياسة الاتحاد السوفييتى تنطلق من أن تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ، سيكون ذا فائدة للشعوب الاخرى ، كما سيساهم فى دعم السلام العالمى . وينطبق ذلك على جميع مجالات التعاون السوفيتى الامريكى التى تعرضنا لها من قبل . أن منع قيام حرب عالمية وتحسين الوضع الدولى والحد من سباق التسلح والجهود المشتركة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والتكنيكية انما يتفق — فى التحليل النهائى — مع مصالح الشعوب ،مع مصالح كل الشعوب والدول . وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة لا يمكن أن يكون هدفا للسياسة السوفيتية فى حد ذاته .. أن ذلك يعتبر جزءا من الخط العام للسياسة السوفيتية نحو تدعيم السلام والامن الدولى وتوسيع التعاون مع كل البلدان .

ويمكننا أن نخرج من ذلك بنتيجة أن انفراج العلاقات الامريكية السوفيتية ، وتطورها يجد فرصا موضوعية واسعة . وما حدث فى العام الماضى من تقدم ، يعتبر خطوة على هذا الطريق . واذا ما سار البلدان حقا ، كما يقول بريجنيف ، فى الطريق الذى رسمته المحادثات المشتركة واجتماعى القمة فى موسكو ووشنطن فمن المتوقع أن تحقق العلاقات السوفيتية الامريكية خطوات هامة جديدة لصالح شعبى البلدين ولصالح السلام العالمى .

وسوف تلعب الاتفاقات التى تم التوصل اليها بين البلدين خلال اجتماعى القمة فى موسكو ووشنطن دورها الايجابى الكامل اذا ما تم تنفيذها بدقة ، وبروح التفاهم حول المسائل الاخرى . وعلى سبيل المثال فأن الاتفاق حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية سيكتسب قيمة كبيرة اذا ما أصبح الاتفاق المؤقت حول الاسلحة الهجومية اتفاقا دائما ، واذا ما أصبح الانتقال من الحد من الاسلحة الى تحقيقها ، واذا لم تبذل محاولات لزيادة سباق التسلح فى المجالات التى لم تشملها الاتفاقيات .

وينطبق نفس الشىء ، على الاتفاقيات الاخرى ، بما فيها الاتفاقية الاقتصادية . وأنه لشىء حسن أن تستهدف ازالة الحواجز المصطنعة فى التجارة التى وضعت فى سنوات الحرب الباردة ، لكن حتى بعد أن تصبح تلك الاتفاقيات فعالة تماما ، ستكون هناك حاجة الى جهد كبير من أجل اتصالات جادة بين البلدين للتوصل الى مستوى فى التعاون فى تلك المجالات يتفق ومستوى امكانيات البلدين ..

وباختصار ، فلابد من تطوير ما تم التوصل اليه ، مع العمل على تنفيذ روح الاتفاقيات وليس نصوصها فحسب . ومن هذه الزاوية ، فأن أهم نتيجة للتغيرات التى تجرى لم تكن الاتفاقيات نفسها ، وانما الخطوات التى تحققت والتى توفر امكانيات مواتية لتحول جذرى من علاقات الحرب الباردة الى علاقات التعايش السلمى الحقيقية بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

ولابد من توضيح ذلك ، لانه فى الوقت الذى توجد فيه امكانيات كبيرة لتطوير التغيرات الجديدة ، توجد كذلك أخطار جدية تعترض سبيل تطور العلاقات السوفيتية الامريكية ..

ولا يرجع السبب فى ذلك الى أن الدولتين تنتميان الى نظامين اجتماعيين مختلفين ، فتلك حقيقة واضحة ، يترتب عليها أن علاقات الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة ، وبغيرها من البلدان الرأسمالية ستظل ، علاقات صراع مهما تقدمت عملية الانفراج الدولى . والمشكلة التى تواجه العالم هى الاشكال التى يتخذها هذا الصراع وتتراوح تلك الاشكال ، من الصدام المسلح ، وسباق التسلح ، والنزاعات الحادة الى التعايش السلمى الذى يرتبط فى ظله الصراع الايديولوجى بين النظامين والتنافس بينهما فى مختلف المجالات ، بالتعاون المتعدد الجوانب ، وتحل فى ظله الخلافات المحتومة عن طريق المحادثات ، ويحل محل سباق التسلح سياسة الحد من الاسلحة .

وأشكال الصراع لها أهمية كبيرة فى هذا المجال كذلك ، وربما يدور الصراع حول الاختلاف بين الحرب والسلم ، وبين تبديد موارد مادية ضخمة فى سباق التسلح والنزاعات العسكرية ، والتنافس البناء المفيد لكل الشعوب .

وعندما نتحدث عن الاخطار التى تواجه تطور العلاقات السوفيتية الامريكية ، فأننا نعنى بذلك ، على وجه التحديد ، مؤامرات تلك القوى التى لها مصلحة فى زيادة التوتر وزيادة سباق التسلح فى الولايات المتحدة ، والتى تتمثل أساسا فى التجمع العسكرى الصناعى واليمين المتطرف والدوائر الصهيونية الخ . **فكل تلك القوى لم تلق السلاح بعد ، وهى ما تزال تبذل جهودا مضنية لمقاومة التصديق على الاتفاقيات التى تم التوصل اليها .**

وسيمارس مجرى الاحداث السياسية فى المناطق المختلفة من العالم ، خاصة فى تلك المناطق المتأزمة ؟ وتأثيره الملموس على تطور العلاقات الامريكية السوفيتية . وقد كشف العدوان الامريكى فى فيتنام عن ذلك بشكل واضح . **فقد أدى تصعيد الحرب ، عام ١٩٦٥** ، الى توجيه ضربة حادة لاتجاهات الانفراج وهى الاتجاهات التى كانت قد بدأت تتبلور حينذاك ، وحالت الحرب الفيتنامية خلال مجرى تطورها دون انفراج الوضع الدولى لانها كانت تهدد دائما بتفاقم الاوضاع . ولقد أدى انهاء الحرب فى فيتنام الى موجة من التفاؤل فى امكان أن يؤثر ذلك على مزيد من تحسن الوضع الدولى وتدعيم السلام .

ومازال الوضع المعقد فى الشرق الاوسط ، واستمرار مساندة الولايات المتحدة للعدوان الاسرائيلى على البلدان العربية يحمل اخطار زيادة الوضع الدولى تعقيدا بل ويهدد بتدهوره ، اذا ما تفاقمت الاوضاع . وليس هناك شك فى أن تسوية أزمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، يدفع بتحسين الوضع الدولى خطوات الى الامام . ويتوقف الكثير فى هذا المجال على موقف وسياسة الولايات المتحدة .

ان انفراج العلاقات الامريكية السوفيتية ، يتطلب مناخا سياسيا دوليا مواتيا ، فالازمات السياسية والنزاعات العسكرية واستمرار بؤر التوتر لا يمكن الا أن تقف عقبة فى طريق تطور تلك العلاقات .

وباختصار ... فان تطور العلاقات الامريكية السوفيتية يتوقف بدرجة كبيرة على مستوى التخلص من آثار وأسس الحرب الباردة ومفهوماتها ، وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ».

أوربـــا

من « المواجهـــة »

الى « الأمـــن والتعـــاون »

أحمد عبد العليم

في السابع من شهر يوليو الماضي ، انتهت المرحلة الاولى من مؤتمر الامن والتعاون الاوربي ، الذي عقدت في هلسنكي عاصمة فنلندا . وشارك فيها وزراء خارجية ٣٢ دولة اوربية ووزيرا خارجية الولايات المتحدة وكندا . وجاء في البيان الصادر في ختام اجتماعات هلسنكي : ان المرحلة الثانية للمؤتمر ستعقد في جنيف يوم ١٨ سبتمبر القادم ، ويتم خلالها مواصلة بحث الموضوعات المدرجة فيجدول الاعمال ، ووضع الوثائق النهائية للمؤتمر .

واذاكانت المرحلة الاولى من المؤتمر لم تسفر عن نتائج باهرة ، وكشفت عن أن الشقة بين المواقف ما تزال متسعة ، فان هذا لا يقلل على الاطلاق من الاهمية التاريخية لانعقاد هذا المؤتمر . انه حدث تاريخي بكل معنى الكلمة ، سيكون دون شك مقدمة لتطورات بعيدة المدى . ولقد كان الرئيس تيتو على صواب تماما حين قال قبل انعقاد المؤتمر ببضعة شهور أنه « من الخطأ أن يعتقد أحد أن مواقف متعارضة ، كتلك التي ما تزال قائمة اليوم في أوربا ، يمكن التوفيق بينها وتسويتها خلال مؤتمر واحد . ولكن هذا على وجه التحديد هو السبب الذي يجعل هذا المؤتمر ضروريا ضرورة مطلقة » (١) .

ان هذا المؤتمر هو أحد الشواهد العديدة التي تتتابع الان على المسرح الدولي ، والتي تنبىء بأن سبعينيات هذا القرن ستدخل تاريخ العالم باعتبارها نقطة تحول في العلاقات الدولية . وأن سحب الحرب الباردة التي خيمت على العلاقات بين المعسكرين العالميين آخذة الان في الانقشاع .

---

[١] انظر حديث الرئيس تيتو مع الصحفية اليوغوسلافية دورا جافكوفيتش في ٢٢ فبراير الماضي ، المنشور في : Questions Actuelles du Socialisme, Mars — Avril 1973.

وأن أخطار المواجهة بينهما تتراجع أمام بوادر مرحلة جديدة تتأكد فيها الواقعية السياسية ، وينتقل خلالها بالتدريج مركز الثقل في الصراع بين النظامين الى مجالات المنافسة الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية .

وقد يكفي أن نتذكر ، أن أوربا هي القارة التي اندلع منها لهيب أكبر صراعين مسلحين في التاريخ ، والتي تتواجه فوق أراضيها القوات المسلحة لاكبر حلفين سياسيين وعسكريين عرفهما العالم ، وأنها القارة التي يجرى عبرها خط الحدود الفاصل بين المعسكرين ، والتي تضم ثلاث قوى ذرية من خمس قوى ذرية في العالم . يكفي أن نتذكر هذا كله لكي ندرك ما ينطوي عليه تخفيف حدة التوتر في أوربا ، وكفالة الامن والتعاون فيها ، من آثار بالغة الاهمية على العلاقات الدولية ، وعلى امن وسلام العالم كله . وفي هذا الضوء ينبغي ان يكون تقييمنا للمؤتمر الامن الاوربي ، وجلوس ٣٢ دولة أوربية من الشرق والغرب - ومعهما الولايات المتحدة وكندا - حول مائدة مفاوضات واحدة ، لاول مرة في التاريخ ، للاتفاق على أسس كفالة الامن الاوربي والمبادىء التي تحكم التعاون السياسي والاقتصادي بين دول القارة والضمانات التي تكفل استمرار هذا التعاون .

واقع عالمي جديد

يتوج هذا المؤتمر في الواقع سلسلة من التطورات الهامة في العلاقات الدولية . وهو يأتي - شأن كل حدث هام في عصرنا - نتيجة لتفاعل عوامل تشمل المسرح العالمي كله . انه يعبر عن حقائق واقع عالمي جديد ، عن مستوى معين بلغه توازن القوى العالمية - ومن هنا فمن الخطأ أن ننظر اليه ، كما يفعل البعض ، كمجرد ثمرة من ثمار « **التقارب** » أو « **الوفاق** » بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . **فاذا كان من الصحيح أن للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي دور حاسم في الامن الاوربي والامن العالمي كله ، باعتبارهما الدولتين اللتين تقفان على رأس المعسكرين وتملك كل منهما القوة الاستراتيجية الاساسية للدفاع عن النظام الذي تنتمي اليه ، فليس معنى ذلك أنهما تتحركان في فراغ ، أى بمعزل عن ميزان شامل للقوى العالمية ، أو أننا نستطيع أن نغفل وجود قوى أخرى لها مصالح مؤثرة .**

ومن هنا ، فان التحسن في العلاقات السوفيتية **الامريكية ، ليس في نهاية المطاف سوى وجه** واحد - وان كان بالغ الاهمية - لواقع عالمي جديد ، واقع صنعته التغيرات التي تتابعت على مسرح العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . هذا الواقع ، هو المحصلة النهائية لافعال وردود أفعال القوى المؤثرة في مجال يشمل العالم كله .

ولكي يكون ما نقصده هنا واضحا ، لابد أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال : لماذا يتحقق هذا التحسن في العلاقات السوفيتية الامريكية الان .. في النصف الاول من السبعينيات ؟ ان الاتحاد السوفيتي يسعى منذ عام ١٩١٧ الى اقامة علاقات طبيعية - اقتصادية وسياسية - مع كل دول العالم . ولقد كان **لينين** هو الذي صاغ - في السنوات الاولى بعد مولد الدولة السوفيتية - أسس **التعايش السلمي** بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . كان لينين يقول « **ان أي سلام سيفتح أمام تأثيرنا طريقا أرحب وأوسع مائة مرة** » . وكان هو الذي دعا الى اقامة علاقات اقتصادية وتجارية مع دول الغرب الرأسمالي . كان يقول « **لابد أن نتاجر مع الدول الرأسمالية طالما ظلت موجودة** » (٢) ، وكانت الدول الرأسمالية هي التي انتهجت سياسة الحصار السياسي والاقتصادي والعسكري ضد الاتحاد السوفيتي ثم ضد الدول الاشتراكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . **في عام ١٩١٧ - بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا - كان ونستون تشرشل يقول « لابد من القضاء على الوليد في مهده »** . ولم يكن تاريخ الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩١٧ ، الا كفاحا متصلا ضد محاولات الرأسمالية العالمية للاجهاز على الدولة الاشتراكية الاولى في العالم ، ابتداء من حرب التدخل الاجنبي ضد روسيا السوفيتية في الاعوام ١٩١٨ - ١٩٢١ ، الى اتفاقية ميونيخ في عام ١٩٣٨ التي فتحت الطريق الى العدوان الهتلري على الاتحاد السوفيتي ، الى العدوان نفسه في يونيو ١٩٤١ ، الى سياسات « **الردع النووي الشامل** » و « **الاحتواء** » التي تبناها حلف الاطلنطي ضد الدول الاشتراكية . ومن هنا يقتضينا الانصاف أن نقول أن السعي الى التعايش السلمي وتوسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية مع كل دول العالم ، كان خطا ثابتا في السياسة الخارجية السوفيتية ، وأن ما نشهده اليوم من تطورات في علاقات الاتحاد السوفيتي بالولايات المتحدة وغيرها من الدول الرأسمالية ، لا يمكن تصويره بأنه تخل من جانب الاتحاد السوفيتي عن

---

(٢) لينين - المؤلفات الكاملة - الطبعة الانجليزية المجلد ٣٢ - ص ٢١٥ .

« مواقعه الايديولوجية » وبأنه يضحي « بالمبادىء » على مذبح « الوفاق » ومغانمه . واذا كانت الدول الرأسمالية تضطر اليوم الى قبول مبدأ التعايش السلمي في علاقاتها مع الدول الاشتراكية ، فان هذا يعني أن ثمة واقع جديد يتأكد في العالم الان ، وأن هذا الواقع لم يعد يسمح للدول الامبريالية أن تملي مشيئتها في العلاقات الدولية ، ويفرض عليها أن تقبل تدريجيا ما ظلت ترفضه منذ أكثر من نصف قرن .

ولعله يكفينا هنا — تأكيدا لهذه الحقيقة — أن نقارن ما كان يقوله بول هنري سباك في الخمسينيات باعتباره سكرتيرا عاما لحلف الاطلنطي ، حين كان يطالب « بمحاربة فكرة التعايش السلمي بأي ثمن » ويصفها بانها « مناورة شيوعية خطيرة » ، أوما كان يقوله هنري كيسنجر عن التعايش السلمي في عام ١٩٥٧ حين كتب يقول « ان القادة السوفيت لجأوا الى التعايش السلمي لانه يعد في نظرهم أكفأ تكتيك هجومي وأفضل وسيلة لهدم الكيان القائم بوسيلة أخرى غير الحرب الشاملة » (٣) ، يكفي أن نقارن هذه الاقوال والكثير من امثالها بالوثيقة التي وقعها الرئيس ريتشارد نيكسون — باسم الدولة الامبريالية الاولى في العالم — مع ليونيد بريجنيف في مايو ١٩٧٢ ، والتي تؤكد صراحة مبدأ التعايش السلمي . تقول وثيقة « مبادىء العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي » أن الجانبين « ينطلقان من اعتقادهما المشترك بانه ليس هناك أساس يمكن أن تقوم عليه العلاقات بينهما في العصر الذري سوى التعايش السلمي » . وربما ألقت هذه المقارنة التاريخية بعض الضوء على حقيقة ما يشهده العالم الان من أحداث ، أدارت رؤوس البعض الى الحد الذي جعلهم يتلمسون أسبابها في « صفقة مريبة » عقدها الاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة . والواقع أن خطورة هذا النوع من « التحليلات » لا يقتصر على طمس حقيقة هذه التغيرات ، واظهار الولايات المتحدة بمظهر القوة التي تستطيع دائما أن تملي ارادتها ، وتجبر الاخرين على « التخلي عن المبادىء » وتملك بيدها مفتاح حل كل المشكلات ، وانما يمتد — وهذا مكمن الخطر الحقيقي — الى محاولة تبديد كل أمل تعقده القوى المكافحة من أجل الحرية والتقدم على الاتحاد السوفيتي — باعتباره حليفا طبيعيا لها في هذا الكفاح .

المبادرات السوفيتية في قضـــية الامن الاوربي

هكذا ناضل الاتحاد السوفيتي منذ وجوده من أجل علاقات دولية جديدة تقوم على مبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

واذا كان هناك اليوم من يعز عليهم الاعتراف بالحقيقة أو يصعب عليهم فهمها ، فيحاولون تصوير نتائج مؤتمر القمة الامريكي — السوفيتي الاخير أو انعقاد مؤتمر الامن الاوربي على أنها أدلة تشهد بانتهاء التناقضات وزوال الخصومة الايديولوجية بين النظامين العالميين ، ويسارعون بدق « نواقيس الخطر » تحذيرا من نتائج « سياسة الوفاق بين الشيوعية والرأسمالية » ، فان التاريخ يصبح عندئذ هو الفيصل الذي نستطيع أن نتبين في ضوئه حقيقة ما يجري في العالم الان من أحداث ، وهل هي هزيمة « لمبادىء » الدول الاشتراكية أم أنها — على العكس — انتصار لها .

وحين نعود الى التاريخ ، سنجد أن قضية الامن الاوربي ، وتوسيع التعاون بين دول أوربا ، كانت هدفا ثابتا للسياسة الخارجية السوفيتية . لقد كان لينين هو الذي صاغ المقترحات التي تقدم بها الوفد السوفيتي الى مؤتمر تخفيف حدة التوتر الذي عقد في جنوا في عام ١٩٢٢ . وكانت هذه المقترحات تدعو الى نبذ استخدام القوة في العلاقات بين الدول الاوربية والاعتراف بالحدود الاقليمية والسياسية القائمة ، والتوصل الى اتفاقيات للقيام بمشروعات مشتركة في مقدمتها مشروع لاستغلال موارد الطاقة يقوم على خطة موحدة للكهربة واعادة تنظيم المواصلات الدولية والارتفاع بكفاءتها (٤) . وتحدث شيشيرين رئيس الوفد السوفيتي في ذلك المؤتمر عن « امكانية بل ضرورة التعاون الاقتصادي بين الدول التي تمثل نظامين مختلفين للملكية » . وقد حفلت الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدء المشاورات التمهيدية لمؤتمر الامن والتعاون الاوربي في هلسنكي في نوفمبر من العام الماضي ، بالمقترحات التي قدمها الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاوربية من أجل كفالة الامن الاوربي واقامة نظام للامن الجماعي في أوربا :

---

(٣) Henri Kissinger: Necular weapons and Foreign Policy. New York, 1957, p. 142.

(٤) Georges Girard : Cocxistence Pacifique et lutte de Classes, Cahiers du Communisme, Nov, 1972, p. 111.

■ **في فبراير ١٩٥٤** قدمت الحكومة السوفيتية . في الاجتماع الذي عقده وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا في برلين ، اقتراحا بعقد « معاهدة أوربية شاملة للامن الجماعي في أوربا » . ورفضت الدول الغربية الثلاث هذا الاقتراح .

■ **في نوفمبر ١٩٥٤** اقترح الاتحاد السوفيتي عقد مؤتمر تشترك فيه كل دول أوربا لمناقشة اقامة نظام للامن الجماعي في أوربا . ورفضت دول حلف الاطلنطي الاشتراك في هذا المؤتمر .

■ **في نوفمبر ١٩٥٥** اقترحت الحكومة السوفيتية عقد ميثاق عدم اعتداء بين دول حلفي وارسو والاطلنطي كخطوة تمهيدية نحو عقد معاهدة أوربية شاملة تكفل الامن الجماعي في القارة . ورفضت دول حلف الاطلنطي هذا الاقتراح .

■ **في يوليو ١٩٦٦** اقترحت اللجنة الاستشارية لدول حلف وارسو عقد مؤتمر عام للامن والتعاون الاوربي . وأكد البيان الصادر عن اجتماع اللجنة أن الاعتراف بالحدود التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية في أوربا ، بما في ذلك خط حدود « الاودر - نيس » بين بولندا والمانيا الاتحادية ، وخط الحدود بين الدولتين الالمانيتين ، هو أساس اقامة سلام دائم في أوربا .

■ **في اكتوبر ١٩٦٩** قدمت دول حلف وارسو جدول أعمال مقترح لمؤتمر الامن الاوربي ، ثم عادت **في يونيو ١٩٧٠** فقدمت مقترحات عملية قالت فيها أنه بعد الاتصالات التي أجريت بشأن المؤتمر فانها تقترح أن تكون الدول التي تشترك فيه هي كل دول أوربا ، بما فيها الدولتين الالمانيتين ، ومعها الولايات المتحدة وكندا . واقترحت أن يتضمن جدول أعمال المؤتمر النقاط الاتية :

١ - كفالة الامن الاوربي ونبذ التهديد باستخدام القوة أو استخدامها في العلاقات بين الدول الاوربية .

٢ - توسيع العلاقات التجارية والاقتصادية والعلمية والفنية والثقافية على أساس المساواة وبما يكفل تنمية التعاون السياسي بين الدول الاوربية .

٣ - قيام المؤتمر الاوربي الشامل بانشاء هيئة دائمة تتولى مناقشة مشكلات الامن والتعاون في أوربا .

■ **في يناير ١٩٧٢** أصدرت اللجنة الاستشارية لدول حلف وارسو بيانا عن « السلام والامن والتعاون في أوربا » حددت فيه المبادىء الاساسية للامن الاوربي والعلاقات بين دول القارة على النحو التالي :

- احترام الحدود القائمة ورفض أية مطالب اقليمية تتقدم بها دولة أوربية الى دولة أوربية أخرى .

- نبذ استخدام القوة وحل جميع المسائل المختلف عليها بين الدول الاوربية بالوسائل السلمية والسياسية وحدها .

- التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة ، وتنمية علاقات حسن الجوار على أساس مبادىء الاستقلال والسيادة الوطنية والمساواة والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في الشئون الداخلية .

- تنمية العلاقات ذات المنفعة المتبادلة بين الدول .

- العمل بكل الوسائل على حل قضية نزع السلاح بوجه عام والسلاح الذري بوجه خاص .

- مساندة هيئة الامم المتحدة .

هذا جانب من مبادرات الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية في قضية الامن الاوربي ، وهي تشهد جميعا أن الامن الاوربي كان مطلبا ثابتا تلح عليه السياسة الخارجية لهذه الدول ، وأن هذا المطلب ظل يقابل بالاعراض والتجاهل من دول حلف الاطلنطي ، التي كانت تصف الدعوة لعقد مؤتمر للامن الاوربي بأنه حلم لا طائل وراءه ، وظلت تضع في سبيله شتى العراقيل ، الى أن بدأت في أواخر العام الماضي المشاورات التمهيدية لعقد المؤتمر بعد سلسلة من التطورات الهامة في العلاقات الدولية .

موقف فرنسا

كان في مقدمة هذه التطورات بلا شك ، **التغير في السياسة الخارجية الفرنسية ، بعد أن بدأ الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديجول في انتهاج سياسة تقوم على الاستقلال عن السياسة الامريكية .** وتمثلت هذه السياسة المستقلة في مواقف هامة كان من أبرزها الانسحاب من المنظمة العسكرية لحلف الاطلنطي ، وتوثيق علاقات فرنسا بالاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، والاعتراف بالصين الشعبية ، وادانة العدوان على فيتنام والمطالبة بانسحاب القوات الامريكية من

الهند الصينية ، وحظر تصدير الاسلحة الى اسرائيل بعد عدوانها على الدول العربية . وكان **للعلاقات التى نشأت بين الاتحاد السوفيتى وفرنسا دور هام فى تقديم نموذج جديد للعلاقات بين الدول الاوربية** ، حتى لقد وصفت **العلاقات السوفيتية ـ الفرنسية بأنها « معمل للتعايش السلمى »** . ففى أكتوبر ١٩٧٠ زار الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو الاتحاد السوفيتى ، **وتمخضت** هذه الزيارة عن توقيع **« بروتوكول للمشاورات السياسية بين الدولتين »** . وتلت ذلك زيارة بريجنيف لفرنسا فى عسام ١٩٧١ ، والتى اسفرت عن توقيع وثيقة **« مبادىء التعاون بين فرنسا والاتحاد السوفيتى »** فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧١ . ونصت هذه الوثيقة على أن الاتحاد السوفيتى وفرنسا **« سيرتبان علاقاتهما الثنائية فى كل المجالات بصورة تجعل منهما نموذجا يحتذى فى التعاون بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة »** . كما جاء فى البيان المشترك الذى صدر فى ختام هذه الزيارة أن « الجانبين يعتقدان أنه من المهم أن **يحقق المؤتمر الاوربى الشامل كل الامال التى يعقدها الرأى العام عليه** وأن يسفر عن نتائج ملموسة فى المسائل التى يبحثها . وهما يعربان عن أملهما فى أن تجرى الاعمال التحضيرية للمؤتمر بطريقة تؤدى الى عقده فى عام ١٩٧٢ » . وفى المؤتمر القومى للحزب الفرنسى الحاكم ـ « اتحاد الديموقراطيين للدفاع عن الجمهورية » ـ الذى عقد فى مدينة ستراسبورج خلال الفترة بين ١٩ و٢١ نوفمبر ١٩٧١ ، قدم تقرير بعنوان « دور فرنسا فى العالم » . وتحدث هذا التقرير عن أهمية عقد مؤتمر الامن الاوربى ، ثم أضاف **« يبدو أن الطريق أصبح الان ممهدا للتحضير لمؤتمر أوربى شامل لبحث قضية الامن . وهو المؤتمر الذى تلح دول الشرق على عقده منذ عدة سنوات »** . وفى يناير الماضى عقد بريجينيف وبومبيدو اجتماعهما الثالث فى مينسك عاصمة روسيا البيضاء ، وكان من أهم الموضوعات فى المباحثات بينهما مشاورات هلسنكى للتمهيد لعقد مؤتمر الامن والتعاون الاوربى .

وفى مجال العلاقات الاقتصادية والعلمية والفنية بين البلدين أنشئت لجنة مشتركة تتولى مناقشة مشكلات هذا التعاون . **ويكفى أن نذكر هنا أن التجارة بين فرنسا والاتحاد السوفيتى زادت بنسبة ٢٥٠ فى المائة خلال الفترة بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٦٩ .**

سياسة « الانفتاح على الشرق » فى ألمانيا الاتحادية

كذلك كان من التطورات البالغة الاهمية التى مهدت لعقد مؤتمر الامن الاوربى السياسة التى **انتهجتها حكومة فيلى برانت ـ فالتر شيل الائتلافية بعد توليها الحكم فى ألمانيا الاتحادية فى خريف عام ١٩٦٩** . ومن أبرز جوانب هذه السياسة سعيها الى تخفيف حدة التوتر انطلاقا من الاعتراف بالواقع السياسى ، والاتجاه الى تحسين العلاقات مع الدول الاشتراكية . وكان من أهم ما أسفرت عنه « سياسة الانفتاح على الشرق » هذه ، **توقيع معاهدة موسكو بين الاتحاد السوفيتى والمانيا الاتحادية فى أغسطس عام ١٩٧٠** . وبمقتضى هذه المعاهدة ، تعهدت المانيا الاتحادية **« أن تحترم دون تحفظ السلامة الاقليمية لكل الدول الاوربية بحدودها القائمة الان »** . **وأعلنت أنها «ليس لها أى مطالب اقليمية لدى أية دولة ،ولا تزمع المطالبة بمثل هذه المطالب فى المستقبل »** ، **وأنها تحترم « حدود كل الدول الاوربية كما هى قائمة فى اليوم الذى وقعت فيه هذه المعاهدة بما فى ذلك خط حدود الاودر ـ نيس باعتباره خط حدود جمهورية بولندا الشعبية والحدود بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديموقراطية »** .

وفى ٧ ديسمبر ١٩٧٠ وقعت المانيا الاتحادية مع بولندا معاهدة اعترفت فيها بخط حدود الاودر ـ نيس باعتباره خط الحدود بين الدولتين ، ونصت هذه المعاهدة على أن « مناعة الحدود واحترام السلامة الاقليمية لكل الدول وسيادتها بحدودها القائمة الان هما الشرط الاساسى للسلام .

وفى الاجتماعات التى عقدها ليونيد بريجنيف وفيلى برانت خلال زيارة المستشار الالمانى للاتحاد السوفيتى فى سبتمبر ١٩٧١ ، أكد الجانبان ضرورة العمل على ازالة التوتر فى وسط أوربا ، واتفقا على أن من بين شروط تحقيق هذا الهدف اقامة علاقات على قدم المساواة بين جمهوريتى ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديموقراطية بما يتمشى مع قواعد القانون الدولى ويعجل بقبول الدولتين الالمانيتين فى الامم المتحدة .

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٧٢ ، وقعت فى برلين عاصمة ألمانيا الديموقراطية ، **« معاهدة المبادىء التى تحكم العلاقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديموقراطية »** . وكان توقيع هذه المعاهدة صفحة جديدة فى العلاقات بين الدولتين ، اذ نصت مادتها الاولى أن علاقاتهما تقوم **« على أساس المساواة بين البلدين »** ، كما نصت على احترام خط الحدود بين الدولتين الالمانيتين « سواء فى الحاضر أو فى المستقبل » . وتعهدت الدولتان بأن « تحلا كل المسائل المختلف عليها بالطرق السلمية ، وأن يمتنعا عن التهديد باستخدام القوة » .

وفى مايو ١٩٧٣ زار بريجنيف المانيا الاتحادية • وجاء فى البيان الذى صدر فى ختام مباحثاته مع فيلى برانت أن الجانبين « بحثا بالتفصيل المشاكل المتعلقة بالاعداد لعقد مؤتمر الامن والتعاون الاوربى وعقده والتى أصبحت تحتل مكان الصدارة فى السياسة الاوربية • وأعربا عن أملهما فى أن تنتهى المشاورات المتعددة الاطراف فى هلسنكى قريبا • وأن يدعى المؤتمر الى الانعقاد فى وقت قريب وعلى مستوى يتفق مع الاهمية الدولية لهذا اللقاء • وأكد الجانبان « عزمهما الكامل على الاسهام فى نجاح المؤتمر بغية خلق أساس قوى للسلام والامن والتعاون فى أوربا » • كما عقدت خلال هذه الزيارة « اتفاقية لتطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والفنى » بين البلدين ،وأخرى للتعاون الثقافى ، وبروتوكول للمواصلات الجوية •

وفى يونيو ١٩٧٣ وقعت ألمانيا الاتحادية معاهدة مع جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية اعترفت فيها بالحدود التشيكوسلوفاكية القائمة وببطلان « اتفاقية ميونيخ » التى كانت ألمانيا الهتلرية قد ضمت بمقتضاها اقليم السوديت التشيكوسلوفاكى اليها •

ولقد كان توقيع هذه المعاهدات ـ كما وصف بحق ـ حدثا تاريخيا • كان بمثابة اقرار بالنتائج التى أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية فى أوربا ، وهزيمة للقوى الانتقامية الرجعية فى ألمانيا الاتحادية ، التى ظلت طيلة فترة تربو على العشرين عاما ترفض الاعتراف بهذه النتائج وتحلم بتصفية النظام الاشتراكى فى ألمانيا الديموقراطية واعادة الحدود الالمانية الى حدود الرايخ الالمانى فى عام ١٩٣٧ •

الاتفـــاق الرباعى

بشأن برلين الغربية

وفى ٣ سبتمبر ١٩٧١ ، وقعت الدول الاربع الكبرى الاتفاق الرباعى بشأن برلين الغربية ، واعترفت الدول الغربية الثلاث فى هذه الاتفاقية لاول مرة بأن العلاقة بين الدولتين الالمانيتين تقوم على سيادة كل منهما على أراضيها ، كما اعترفت بالمركز الخاص لبرلين الغربية باعتبارها لا تشكل جزءا من أراضى ألمانيا الاتحادية • وبهذا حسمت مشكلة من أخطر المشاكل الدولية المعلقة ، وصفيت بؤرة من أخطر بؤر الاحتكاك والتوتر فى أوربا •

موقف الولايات المتحدة

ظلت الولايات المتحدة تتجـــاهل طويلا دعوة الدول الاشتراكية ومقترحاتها لعقد مؤتمر الامن الاوربى ، وكانت ترى فى هذه المقترحات خطرا مباشرا على سياسة « مراكز القوة » التى تنتهجها وعلى تماسك حلف الاطلنطى • والواقع أن أهم ما كان يقلق الولايات المتحدة فى تلك الفترة ـ وهو ما عبر عنه صراحة هنرى كيسنجر ـ هو أن تبدأ دول أوربا الغربية منفردة فى تنمية علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى فى أوربا ، دون أن تضع رغبات واشنطن موضع الاعتبار • ومع اتساع نطاق حركة الدعوة الى عقد المؤتمر وتزايد ضغط الرأى العام الاوربى ، بدأت الولايات المتحدة تلجأ الى تاكتيكات جديدة ، لا تقوم على رفض المؤتمر صراحة ، وانما تجعل انعقاده مرهونا بشروط معينة منها تسوية مشكلة برلين الغربية ، والتقدم فى مباحثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى •

وفى دورة مجلس حلف الاطلنطى التى عقدها فى بروكسل فى أواخر عام ١٩٧١ ، بدا الخلاف واضحا بين الدول التى تؤيد سياسة التسويف الامريكية والدول الاخرى (فرنسا ودول اسكندينافيا) التى كانت تدعو الى التعجيل بعقد المؤتمر •

وقد عكس البيان فى ختام الدورة هذه الخلافات بين الدول الاعضاء ، وكان بمثابة حل وسط يوفق بين الاتجاهين المتعارضين • فقد ذكر البيان أن ثمة حاجة الى تنشيط الاتصالات الثنائية مع الدول الاخرى المعنية بعقد المؤتمر ،لكنه عاد ليشترط مرة أخرى تسوية مشكلة برلين الغربية قبل البدء فى الاعداد للمؤتمر •

وكانت أول بادرة تشير الى تغير جاد فى الموقف الامريكى من هذه القضية ، هى ما ورد بتقرير الرئيس الامريكى الى الكونجرس فى ٩ فبراير ١٩٧٢ • فقد أيد هذا التقرير فى جزئه المعنون « السياسة الخارجية للولايات المتحـدة فـى السبعينيات » عقد المؤتمر الا أنه اشترط أن يسبق هذا الانعقاد « اعداد متـان » ، وأكد ضرورة التنسيق بين مواقف الدول الغربية قبل بـدء المشاورات التمهيدية للمؤتمر •

وأخيرا ، أعلن البيان الذى صدر فى ختام محادثات القمة السوفيتية ـ الامريكية فى موسكو فى مايو ١٩٧٢ استعداد الجانبين « للاسهام فى تخفيف حدة التوتر فى أوربا ، وعقد مؤتمر شامل للامن الاوربى » •

كيف نفسر هذه التغيرات ؟

هذه هى أهم التطورات التى سبقت بـدء

المشاورات التمهيدية لمؤتمر الامن والتعاون الاوربى فى نوفمبر ١٩٧٢ ، ثم بدء المرحلة الاولى للمؤتمر فى أوائل الشهر الماضى • فما هى حقيقة العوامل التى تقف وراء هذه التغيرات ؟ لماذا تقبل دول حلف الاطلنطى اليوم ما ظلت ترفضه منذ نهاية الحرب العالمية ؟ لماذا قبلت حكومة فيلى برانت فى ألمانيا الاتحادية ـ مثلا ـ الاقرار بنتائج الحرب العالمية الثانية وهو المطلب الذى كان محل انكار وهجوم من كل الحكومات الالمانية الغربية السابقة ابتداء من أديناور الى ايرهارد الى كيسنجر ؟ ..

ميزان جديد للقوى العالمية

ربما استطعنا أن نجد جانبا من الاجابة على الاسئلة السابقة فيما كتبه فالتر شيل وزير خارجة ألمانيا الاتحادية فى صحيفة « شتوتجارتر تسايتونج » فى ٣ ديسمبر ١٩٧١ • كتب فالترشيل يقول « ان الذين ما زالوا يريدون أن يتركوا مسألة الحدود « مفتوحة » مهما كان من تغير الظروف ، عليهم أن يوضحوا لانفسهم ماذا يأملون فى تحقيقه من وراء ذلك طالما أن تغيير الحدود بالوسائل العنيفة لم يعد ممكنا » • والواقع أن هذه الحقيقة ، حقيقة تغير ميزان القوى العسكرية فى العالم لصالح الدول الاشتراكية ، لم تعد محل جدل بين قادة الدول الرأسمالية ومفكريها الاستراتيجيين • لقد انقضى العصر الذى كانت الامبريالية الامريكية تستطيع أن تتصرف فيه معتمدة على تفوقها الاستراتيجى على الاتحاد السوفيتى • انقضى العصر الذى كانت تملك فيه من التفوق العسكرى ما يجعلها تحلم باعادة عجلة التاريخ الى الوراء بقوة السلاح وتصفية المكاسب التى حققتها الاشتراكية العالمية • **« اننا نملك الان سلاحا لن يقتصر على احداث ثورة فى الحرب بل هو قادر على أن يغير مجرى التاريخ والحضارة » •• هكذا كان يتحدث الرئيس الامريكى هارى ترومان بعد تفجير القنبلة الذرية الامريكية الاولى فى عام ١٩٤٥ ، هكذا كان يحلم « بتغيير مجرى التاريخ والحضارة » • فلنقارن هذا التصريح بما قاله الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون فى تقريره الى الكونجرس فى ١٨ فبراير ١٩٧٠ • يقول الرئيس الامريكى فى هذا التقرير أن من الحقائق التى لا يمكن تجاهلها فى السبعينيات امتلاك الاتحاد السوفيتى لاسلحة استراتيجية قوية ومتقدمة « تقارب أسلحتنا من حيث العدد والقدرة وتزيد عليها فى بعض الانواع (٥) »** •

على أنه يكون من الخطأ أن نعتبر هذا التغير فى ميزان القوى العسكرية العالمية ، عاملا منفصلا عن مجرى التطور الاجتماعى والاقتصادى فى البلاد الاشتراكية • ذلك أن تطور القدرة العسكرية ، فى ظروف الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة ، أصبح يرتبط الان أكثر من أى وقت مضى بالتقدم الاقتصادى والتكنولوجى والعلمى العام • ونجاح الدول الاشتراكية فى تطوير قدرتها الدفاعية الى هذا الحد الرادع هو دليل على قدرة الاشتراكية كنظام اجتماعى على الانتصار فى المنافسة الاقتصادية بين النظامين العالميين • ولعله يكفينا تأكيدا لهذه الحقيقة أن نورد الاحصائية التالية عن تطور نصيب المناطق الاقتصادية الهامة فى الانتاج الصناعى العالمى :

النسبة المئوية لنصيب المناطق الصناعية الكبرى فى الانتاج الصناعى العالمى

	عام ١٩٣٧	عام ١٩٦٨
بلاد مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة [٦]	١٦	٣١
الولايات المتحدة	٣٨	٢٧
أوربا الغربية	٣٥	٢٠
ألمانيا الغربية [٧]	١٢	٦
اليابان	٣	٥ر٤

وفى عام ١٩٦٩ ارتفعت نسبة بلاد مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة فى الانتاج الصناعى العالمى الى ٣٣ فى المائة من الانتاج الصناعى العالمى • كما أصبح الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٧٠ يحتل المركز الاول فى العالم فى عدد من المنتجات الصناعية الاساسية منها الصلب والحديد الخام وفحم الكوك والقاطرات والجرارات •

تدهور مركز الولايات المتحدة فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى

وفى مواجهة هذا النمو المتزايد فى المركز الاقتصادى العالمى للدول الاشتراكية ، شهد التطور الاقتصادى للبلاد الرأسمالية خلال الفترة التى

---

(٥) US Foreign Policy for the 1970's. A Report to the Congress by Richard Nixon. President of the United States, February 1970, Washington 1970, p. 119.

(٦) يضم مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة الاتحاد السوفيتى وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا والمانيا الديمقراطية وبولندا .

(٧) النسبة المئوية لعام ١٩٣٧ لالمانيا كلها .

انقضت منذ الحرب العالمية الثانية تغيرات عميقة فى ميزان القوى بين الدول الرأسمالية ، أسفرت عن **تدهور متزايد لمركز الرأسمالية الامريكية فى الإقتصاد الرأسمالى العالمى** ، تدهور كان من شأنه أن يهدد بصورة خطيرة قيادتها الصناعية فى العالم الرأسمالى ، وينهى سيطرتها الطويلة على المركز الاول فى تصدير السلع الصناعية . لقد كان **والتر ليبمان** المعلق السياسى الامريكى الشهير - على حق تماما حين كتب يقول : **أن الولايات المتحدة تتعامل الان مع خصم يتساوى معها فى القوة العسكرية ومع شركاء يتساوون معها فى القوة الاقتصادية . ثم يؤكد بعد ذلك أن هذا شىء جديد تماما على الولايات المتحدة التى ظلت طيلة مائة عام غير مضطرة لمواجهة المشكلة الانسانية القديمة : مشكلة أن نعيش فى عالم ليست ارادتنا هى القانون الوحيد فيه** » (٨) .

وتبين الاحصائية التالية للمؤشرات الاقتصادية للدول الرأسمالية الاساسية فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ، هذا التدهور النسبى فى مركز الولايات المتحدة :

لقد أدى النموّ غير المتكافىء للرأسمالية فى البلاد المختلفة - كما يتضح من الاحصائية السابقة - الى اضعاف التفوق الاقتصادى لرأس المال الاحتكارى الامريكى بصورة متزايدة ، اذ كانت اقتصاديات البلاد الرأسمالية الاخرى تنمو بمعدل أسرع من معدل نمو اقتصاد الولايات المتحدة (فيما عدا بريطانيا التى أصبحت الان المريض المزمن فى النظام الامبريالى العالمى) . **وازاء ذلك كانت قدرة الولايات المتحدة على املاء ارادتها على الدول الرأسمالية ، تتقلص باستمرار . وهذه حقيقة لم تعد الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة تجد مناصا من الاعتراف بها** ، فقد كان الرئيس نيكسون نفسه هو الذى قال فى بيانه عن تخفيض قيمة الدولار فى ٨ ديسمبر ١٩٧١ :

« **لقد أصبح لدينا الان عالم جديد ، عالم أصبحت توجد فيه بدلا من دولة قوية واحدة ، دول أوربا واليابان وآسيا وكندا وأمريكا الشمالية .. كل من هذه الدول منافس قوى للاخر ، ونتيجة لذلك كان من الضرورى فى هذه اللقاءات أن يتسم التفاوض بين دول متساوية القوة فيما يتعلق بعملاتها** » (٩) .

ومع تقلص نصيب الولايات المتحدة من صادرات العالم الرأسمالى (من ٢٣٫٨ فى المائة فى سنة ١٩٤٨ الى ١٥٫٥ فى المائة فى سنة ١٩٦٩) وزيادة نصيب دول أوربا الغربية واليابان فى سنة ١٩٤٨ الى ١٥٫٥ فى المائة فى سنة الامريكية وتفاقم التضخم المالى فى الولايات المتحدة ، أخذ الميزان التجارى للولايات المتحدة فى التدهور المستمر ، فعلى حين كان الفائض فى الميزان التجارى الامريكى فى عام ١٩٦٤ يبلغ حوالى ٧٫٣ مليار دولار ، شهد عام ١٩٧١ عجزا فى الميزان التجارى يقدر بنحو ١٫٨ مليار دولار .

أما العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى فقد أخذ يتفاقم مع تفاقم السياسة العدوانية للامبريالية الامريكية ، ومع تزايد النفقات العسكرية للمحافظة على حلف الاطلنطى والاحلاف العسكرية الاخرى ودعمها والمساعدات التى تقدم الى الطبقات الحاكمة والانظمة العميلة والقوات المسلحة فى البلدان الموالية والحليفة ، ومع تصدير الاحتكارات

		الولايات المتحدة	بريطانيا	فرنسا	المانيا الغربية	ايطاليا	اليابان
النسبة المئوية من الانتاج الصناعى للعالم الرأسمالى .	١٩٤٨	٥٣٫٩	١١٫٣	٤٫٠	٣٫٦	٢٫٦	١٫٠
	١٩٥٨	٤٦٫١	٩٫٠	٥٫٠	٨٫٩	٣٫٦	٣٫١
	١٩٦٨	٤٤٫٢	٧٫٤	٤٫٣	٨٫٨	٧٫٣	٧٫٦
النسبة المئوية من صادرات العالم الرأسمالى	١٩٤٨	٢٣٫٨	١٢٫١	٣٫٨	١٫١	٢٫٠	٤٫٠
	١٩٥٨	١٨٫٥	٩٫٣	٥٫٦	٩٫٧	٢٫٧	٣٫٠
	١٩٦٨	١٦٫٢	٧٫٠	٦٫٠	١١٫٨	٤٫٨	٦٫٢

(٨) نقلا عن : Problems of War and Peace, Progress Publishers, Moscow 1972, p. 199.

(٩) New York Times, December 19, 1971.

الامريكية لرأس المال الى الخارج • وهكذا تحول الفائض الكبير الذى كان يحققه ميزان المدفوعات الامريكى فى السنوات الاولى التالية للحرب العالمية الثانية الى عجز أثناء الحرب الكورية ، ثم أخذ هذا العجز فى الازدياد بصورة حادة فى أواخر الخمسينيات وأثناء الحرب الفيتنامية حتى بلغ حوالى ٣٠ مليار دولار فى عام ١٩٧١ • وكانت هذه الجذور الحقيقية لازمة الدولار التى تهدد النظام النقدى فى العالم الرأسمالى كله بالفوضى ، والتى تحاول الولايات المتحدة القاء عبئها على الدول الرأسمالية الاخرى فى أوربا الغربية واليابان . وهكذا اشتعلت نيران « حرب العملات » والحرب التجارية بين أوربا الغربية واليابان وبين الولايات المتحدة ، وزادت ضراوة التناقضات الاقتصادية والسياسية بين الدول الرأسمالية •

التناقضات الامبريالية وأزمة حلف الاطلنطى

ولقد كان من الطبيعى أن يؤدى هذا الانحدار النسبى فى القوة الاقتصادية للرأسمالية الامريكية ، الى زيادة فى حدة التناقضات بين الدول الرأسمالية ، والى تمايز تدريجى فى مواقفها ، أتاح للقوى الواقعية فى الدول الرأسمالية فرصة الاسهام الايجابى فى خدمة قضية السلام والامن فى العالم • وربما كانت الميزة الكبرى للرئيس الفرنسى الراحل شارل ديجول ، انه كان اول من أدرك بين زعماء أوربا الغربية ضرورة التكيف مع مقتضيات الواقع الجديد ، وحاول ان يشق لفرنسا طريقا جديدا ـ بعيدا عن السيطرة الامريكية ـ يتفق مع الظروف المتغيرة • ومن هنا بدأت دول أوربا الغربية فى توسيع علاقاتها الاقتصادية مع البلاد الاشتراكية والى تحسين علاقاتها السياسية معها ، مبتعدة عمليا وبالتدريج عن سياسة المواجهة التى ينتهجها حلف الاطلنطى •

ومع تعمق التناقضات بين الدول الامبريالية وازدياد حدتها ، تعرضت علاقة « السيطرة والخضوع » التى ظلت لسنوات طويلة هى طابع العلاقات بين الولايات المتحدة وحلفائها فى حلف الاطلنطى لازمة خطيرة • ففى نفس الوقت الذى أخذ فيه عدد من دول أوربا الغربية فى الاستفادة من الفرص المتزايدة المتاحة لها لانتهاج سياسة تتفق مع مصالحها الخاصة ، كان تفاقم الازمة الداخلية فى الولايات المتحدة يجبر الدوائر الحاكمة فى واشنطون على البحث عن الوسائل التى يمكن أن تخفض بها الاعباء الباهظة لسياستها الخارجية وتحميل حلفائها فى أوربا الغربية جانبا متزايدا من هذه الاعباء • والواقع أن هذا هو الذى يفسر انتقال التركيز فى السياسة الخارجية الامريكية الى مشاكل أوربا الغربية والتحالف الاطلنطى • فرسائل الرئيس الامريكى الى الكونجرس تلح على العلاقات مع أوربا الغربية باعتبارها « حجر الزاوية » فى السياسة الامريكية ، وهنرى كيسنجر يؤكد أن عام ١٩٧٣ هو « عام أوربا » ويعلن عن اتجاه الولايات المتحدة الى اعادة ترتيب علاقاتها مع حلفائها الغربيين على أساس « **ميثاق أطلنطى جديد** » يقوم على « المشاركة الراشدة » (Nature Partnership)

•• وليس لذلك كله من معنى سوى أن الولايات المتحدة تتجه الان نحو ايجاد حلول أوربية لمشكلة العجز المزمن فى ميزان مدفوعاتها ، وأنها تريد أن تلقى على أوربا الغربية المزيد من الاعباء فى الاستراتيجية العسكرية لحلف الاطلنطى ، أى انها تريد أن تحكم قبضتها على أوربا بأموال الاوربيين أنفسهم • ويحدث هذا فى نفس الوقت الذى يتضح فيه أمام الاوربيين أنفسهم عقم سياسة المواجهة العسكرية ، وتتهادى فيه مع انقشاع السحب الباردة المزاعم عن « السياسة العدوانية الشيوعية » و « التهديد السوفيتى » ، ويتسع فيه نطاق حركة الجماهير الاوربية من أجل الامن والسلام والتعاون فى أوربا وتخفيض الميزانيات العسكرية ، ويتصاعد نضالها من أجل رفع مستوى المعيشة •

واذا كانت الازمة الداخلية فى الولايات المتحدة قد أسفرت عن هذه الاثار فى العلاقات الامريكية ـ الاوربية الغربية وفى داخل حلف الاطلنطى ، فقد انعكست فى الولايات المتحدة نفسها فى صورة ضغط متزايد من الكونجرس ومن الرأى العام الامريكى كوسيلة للتغلب على العجز فى ميزان المدفوعات • وكان هذا بلا شك أحد الاسباب القوية التى جعلت الولايات المتحدة تقبل الدخول فى المشاورات التمهيدية لخفض القوات العسكرية فى اوربا ، وتوافق فى النهاية على تغيير موقفها من انعقاد مؤتمر الامن الاوربى •

ان الذى نريد أن نخلص اليه من كل ما تقدم هو أن انعقاد مؤتمر الامن الاوربى كان ثمرة لتطورات عالمية عميقة الاثر فى مقدمتها : تغير الميزان العالمى للقوى العسكرية ، والضعف المتزايد للامبريالية العالمية أمام انتصارات الدول الاشتراكية والحركة التحريرية العالمية ونضال كل القوى المحبة للسلام ، وتدهور فى مركز الولايات المتحدة فى العالم الرأسمالى ، واحتدام التناقضات بين الدول الرأسمالية • انه انتصار تمتد جذوره عميقة فى واقع عالمى جديد ، وبشير تحولات كبرى فى العلاقات الدولية •

التهـــــرب الضـــــريبى والدخـــول الطفيليـــة

حسن محمـد العزباوى
مدير عام مصلحة الضرائب

هناك اكثر من وسيلة يتم بها التخلص من الضريبة . وهذا التهرب يتم :

- اما بنقل عبء الضريبة الى آخر ..

- أو عن طريق تعويض الضريبة ، بالتجاء المنتج الى ادخال تحسينات وخفض تكاليف الانتاج .

- أو عن طريق التمويل الرأسمالى بتخفيض قيمة رأس المال الخاضع للضريبة ، بحيث تكون نسبة صافى الربح ، قبل وبعد فرض الضريبة ، واحدة .

وفى هذه الطرق الثلاث ، لا تخسر الدولة شيئا : فالضريبة تدفع سواء تحملها من فرضت عليه ـ أو يقل عبؤها ـ أو تحملها المشترى أو البائع .

وفى بحثنا هذا ، سوف نعرض لصورة أخرى من صور التخلص من الضريبة ، وهى التهرب الضريبى ، وذلك لما لها من أثر خطير على الدولة والمجتمع من ناحية ، ولاتصالها بالمسلك الاخلاقى العام من ناحية اخرى .

ـ ١ ـ
التهـرب الضريبى
من الناحية النظرية

أولا : التهرب من الضرائب ، هو التخلص من الالتزام بدفعها ، بوسيلة من الوسائل . ونظرا لما يترتب على هذا التهرب من آثار اجتمـاعية ومالية ، فقد أصبحت الرقابة الضريبيـة ضرورة لمكافحة التهرب حتى لا يمتاز المتهرب على الامين ، كما أصبحت ضرورة مالية لضمان تحصيـل مستحقات الدولة من الضرائب ، كاملة ، لمواجهة مشروعاتها ، ونفقاتها ، وتنفيذ برامجها .

ثانيا ـ دلالاته او مظاهر حدوثه :

١ ـ **بالنسبة للفرد** أهم دلالاته مظاهر الاثراء الملحوظ استعمالا أو اكتنازا الذى لا يتفق مع المركز الضريبى للممول .

٢ ـ **بالنسبة للدولة** ، عدم تناسب الحصيلة مع الدخل القومى بصفة عامة ، أو عدم تناسب حصيلة أى نشاط أو مهنة ، بصفة خاصة ، مع حصيلة

الضريبة على أرباح الاموال المستثمرة فيها ، أو ايراد العاملين بهـا . وهنا تظهر أهمية نجاح التجربة الرائدة للمأموريات النوعية التى اتجه اليها التنظيم الضريبى أخيـرا بجمهـورية مصر العربية ، والتى تختص فيها كل مأمورية بالقاهرة والاسكندرية بـأنماط معينـة مـن النشـاط الاقتصادى .

ثالثا ــ صور التهرب من الضرائب :

١ ــ النوع الاول : مشروع وغير مشروع :

التهرب المشروع أى غير المخالف للقانون ، ويسمى تجنب الضريبة أو تفاديها وتتم هـذه الصورة بوسيلتين :

الاولى سلبية ، والثانية ايجابية .

ا ــ **الوسيلة السلبية** هى الامتناع عن التصرف الموجب للضريبة ، أو النشاط الخاضع لها ، وهذا الامتناع قد يكون مقصودا من المشرع لمحاربة عادة سيئة ، أو القضاء على نشاط غير مرغوب فيه مثل تعاطى الخمور .

ب ــ **أما الايجابية** فهى الافادة من ثغرات فى القانون للتخلص من الضريبة ــ على أساس عدم توافر شروط الواقعة المنشئة للضريبة أو الانتفاع ، بما يرتبه القانون من اعفاءات ، فتتجه الاموال الى نواحى الاستثمار المعفاة ، كالاستغلال الزراعى ، أو السندات المعفاة أو غير ذلك .

وكمثال عملى لهذه الثغرات ، ما تضـمنته مشروعات الضرائب التى أقرها **مجلس الشعب** ، لمكافحة التهرب فى حالة الارباح المحققة من تقسيم الاراضى وبيعها للبناء . اذ يشترط القـانون الحالى ، ضرورة القيام بالاعمال التمهيدية فى أراضى التقسيم لاخضاعها للضريبة . وتفـاديا للضريبة اتجه الملاك الى اجراء التقسيم ، دون القيام بهذه الاعمال ، وبالتالى لا يخضعـون للضريبة . لذلك عمـد المشرع الى سـد هذه الثغرة بحذف هذا الشرط للاخضـاع .

ــ ويسـتند التهـرب المشروع ، أو تجنب الضريبة ، الى قـاعدة قديمة تعطى للممـول حق تنظيم عمله وثروته ، بحيث يدفع أقل ضريبة ولكن بشرط عدم مخالفة القوانين . ولذلك يعمد المشرع دائما لسد هذه الثغرات لتحقيق صالح الخزانة من ناحية والعدالة الضريبية من ناحية أخرى ــ حيث لا يستفيد من هذه الثغرات الا القادر على الدراسة أو الاستعانة بالخبراء القادرين على كشف هـذه الثغرات والاستفادة منها .

التهرب غير المشروع وهو الذى يتضمن مخالفة قوانين الضرائب . ويندرج تحت هذه الصورة كل طرق الغش المالى ، سواء بالاخفاء ، أو الصورية ، أو التلاعب بالحسابات أو ازدواجها . وسواء تم الغش بعدم تقديم الاقرار أو بتقديم اقرار غير صحيح ، أو عند تحديد الوعاء بتقدير المال بأقل من قيمته أو عند التحصيل باخفاء الاموال المطلوب التنفيذ عليها . وهذا ما سنعرض له ، عمليا ، فى القسم الثانى من البحث .

٢ ــ **النوع الثانى :** يقسم التهرب الى داخلى ودولى :

ا ــ التهرب الداخلى يتم داخل حدود الدولة .

ب ــ التهرب الدولى أو الخارجى يتم فى حالةنقل رؤوس الاموال والايرادات من دولة لاخرى .

رابعا ــ أسبابه : ترجع أسباب التهرب الى أربعة عوامل رئيسية :

١ ــ **العامل الاول :** يرجع للتشريع الضريبى فى أسسه وصياغته ومن صور الاسباب التى ترجع الى هذا العامل :

ا ــ **المبالغة** فى رفع سعر الضرائـب أو ازدواجها .

ب ــ **التمييز** فى سعر الضرائب بين الطوائف ، أو المناطق ، أو أنواع النشاط ، لذلك كانت أول خطوة للاصـلاح الضريبى فى الكثير من الدول الغاء هذا التمييز .

جـ ــ **المغالاة** فى تعدد الضرائب بما يزيد من تكلفة التحصيل من جهة ويوجد ثغرات للتهرب من ناحية أخرى لسوء الصياغة .

د ــ ضعف الجزاءات الضريبية ، أو صعوبة الالتجاء اليها ، لتعقد وطول اجراءاتها . لذلك ينادى الكثيرون بأن يكون الجزاء . بطريقة ادارية وتلقائية ، وهو ما اتجه اليه الرأى فى التعديلات الضريبية الاخيرة كوسيلة للالتزام بتقديم الاقرار .

٢ ــ **العامل الثانى :** يرجع للادارة المالية ، ومن هذا :

ا ــ **مبالغة موظفى** الضرائب فى التقـدير والالتجاء للتقـدير الجـزافى الذى لا يستند الى أساس مقنع او يصلح دليلا أمام القضاء .

ب ــ **عدم المساواة** فى التطبيق بما يضعف الثقة ويشعر الممول الامين بالظلم الذى يدفعه للتهرب .

جـ ــ **تعقيد الاجراءات** الادارية ، أو التنظيم الضريبى ، بما يؤدى الى بث روح الكراهيـة والتهرب .

د ــ **التأخير فى الفحص والربط يؤدى للتهرب** ،

سواء كان ذلك نتيجة عجز القوة أو التراخى فى العمل .

٣ ـ العامل الثالث : العامل النفسى أو الاخلاقى :
اذ يرجع التهرب غالبا الى نفسية الممول ونظرته الى الضريبة والمجتمع والدولة . فالممول الامين غير المتهرب ، ينظر الى مصلحة الجماعة ، لا الى مصلحته الفردية . بينما المتهرب ، ينظر الى مصلحته الخاصة ، ويعتقد انه يعطى الدولة أكثر مما يأخذ . وقد يكون للتطور التاريخى للضرائب دخل فى ذلك . ولكن ، رغم التطور الديمقراطى ، وخاصة فى نواحى فرض الضرائب ، لم يتخلص كثيرون من الممولين من هذا المسلك ، وخاصة اذا كانت سياسة الانفاق غير رشيدة أو غير واضحة أو مقنعة للممول بحيث يلمس آثارها بالنسبة لما يقدم له من خدمات أو بقيام مشروعات ناجحة .

٤ ـ العامل الرابع والاخير : الظروف الاجتماعية والاقتصادية وأهمها :

عدم الاستقرار ، وارتفاع الاسعار ، والازمات الاقتصادية وانتشار التجارة الدولية ، والمناطق الحرة ، فكل ذلك يؤثر على مدى انتشار التهرب .

خامسا ـ مدى التهرب : وعلى أساس ماتقدم يتوقف مدى التهرب على الاتى :

١ ـ مدى النضج السياسى للممولين نتيجة لظروف سياسية خارجية أو داخلية .

٢ ـ مدى مستوى الثقافة الضريبية والمستوى الاخلاقى .

٣ ـ مدى دقة الانظمة الضريبية ، تشريعيا واداريا ، سواء من حيث السعر ، أو وعاء الضريبة ، أو كفاية الاداة المنفذة أو الاجراءات .

٤ ـ الظروف الاقتصادية والاجتماعية والاثار الايجابية الرشيدة لسياسة الانفاق .

سادسا ـ آثار التهرب : للتهرب آثار على كل من الدولة والممولين والمجتمع :

١ ـ بالنسبة للدولة :

يضر الخزانة ضررا مباشرا بضياع استحقاقاتها الضريبية وبالتالى ارتباك ميزانيتها .

٢ ـ بالنسبة للممولين :

يؤدى لعدم العدالة فى توزيع العبء الضريبى فيتحمله الامناء ويتهرب منه غيرهم ، فتلجأ الدولة ازاء التزاماتها المالية لزيادة الضرائب وبالتالى لزيادة العبء على الامناء .

٣ ـ بالنسبة للمجتمع :

من الناحية الاقتصادية تتعطل المشروعات لنقص الموارد كما أنه من الناحية الاجتماعية يؤدى لانتشار الغش وضعف الاخلاق وتفكك المجتمع .

سابعا ـ صور عامة للتهرب من بعض انواع الضرائب :

التهرب فى الضرائب غير المباشرة من صورها :

أ ـ اخفاء المادة المفروض عليها الضريبة ، أو تهريبها من الرسوم الجمركية مثلا .

ب ـ استعمال فاتورتين : الحقيقية لغرض التعامل والثانية للاغراض الضريبية .

التهرب فى الضرائب المباشرة

١ ـ **بالنسبة للضرائب على الاجور** يقل التهرب ، خاصة اذا كانت الدولة تدفعها . أما بالنسبة للقطاع الخاص فيتم التهرب اما مباشرة لعدم الخصم ، أو بطريقة غير مباشرة بمنح مزايا عينية أو نقدية .

٢ ـ **ضريبة المهن غير التجارية** أكثر الضرائب تهربا وذلك لصعوبة مراقبتها . ومن هنا لجأ المشرع المصرى الى خصم نسبة عن كل ما يدفع من القطاع العام لمولى المهن غير التجارية تحت حساب الضريبة ، ويتم التهرب من هذه الضريبة بالتلاعب فى الدفاتر أو عدم امساكها وعدم اعطاء ايصالات أو منح ومكافآت وأتعاب صورية .

٣ ـ **ضريبة الارباح التجارية** يتم التهرب بطرق كثيرة منها :

أ ـ عدم امساك الدفاتر او التلاعب فيها ، او امساك دفاتر مزدوجة ، الاولى حقيقية للممول ، والثانية صورية للضرائب .

ب ـ الامتناع عن تقديمها .

جـ ـ اخفاء بعض أوجه النشاط أو بعض العمليات .

د ـ تصفية المنشاة قبل الفحص .

هـ ـ هروب الممول للخارج أو تهريب أمواله .

و ـ تكوين شركات صورية سواء مع افراد أسرته ، أو مع العاملين لديه .

ز ـ المبالغة فى حساب التكاليف أو التلاعب فى جرد بضاعة آخر المدة .

٤ ـ **ضريبة القيم المنقولة** تحجز من المنبع فيصعب التهرب فيها .

٥ - ضريبة التركات يتم التهرب منها بالتصرف قبل الوفاة أو عن طريق بالحساب المشترك أو باخفاء الاموال المنقولة أو اخضاع ديون وهمية على التركة أو اخفاء حقوقها لدى الغير .

ثامنا - طرق مكافحة التهرب :

١ - وسائل داخلية أهمها :

أ - دقة صياغة التشريعات الضريبية ووضوحها .

ب - اعطاء الادارة الضريبية قانونا حق الاطلاع على دفاتر ووثائق الممول ، أو الغير ، ممن يتعامل معهم بما يمكنها من اكتشاف المخالفات الضريبية .

جـ - تقديم اقرار مؤيد باليمين ، فبعض التشريعات تلزم الممول بتقديم اقرار مؤيد باليمين . وهذا الاجراء اذا لم يكن له أثره النفسى أو الدينى عند البعض فانه يعرض الحانث فيه لعقوبة اليمين الكاذب من الناحية الجنائية .

د - التبليغ بواسطة الغير : فبعض التشريعات تلجأ الى اباحة تلقى الاخطارات والتبليغات من الغير ، ومنح مكافآت ارشاد ، اذا ثبت الغش نتيجة التبليغ . ويلحق بذلك ما تلجأ اليه بعض التشريعات من اذاعة اقرارات الممولين (مثل الولايات المتحدة الامريكية) لتحملهم على الصدق خشية التشهير بهم وكشف غشهم .

هـ - الجباية فى المنبع : فقد رأينا أن أقل الضرائب تهربا ، نتيجة لحجز الضريبة من المنبع ، هى ضرائب المرتبات والاجور ، وبصفة خاصة لموظفى الحكومة ، وكذلك الضرائب على القيم المنقولة المحلية ، حيث تحجز عند صرف الارباح . ويتبع النظام الانجليزى حجز الضريبة من المنبع ، فلا يحصل صاحب الايراد عليه الا بعد اقتطاع الضريبة . ولهذا اتجهت وزارة المالية والاقتصاد الى مكافحة هذا التهرب على ضوء الشعار الذى رفعه الدكتور عبد العزيز حجازى وهو شعار المواطن الملتزم والذى يقوم تنفيذه على أساس الحجز من المنبع والتعامل بالبطاقة الضريبية ، فلا حق لممول فى الحصول على أى مقاولة أو تعهد أو سلعة أو تقديم خدمة مالية كالتوريدات بدون بطاقة ضريبية موضح بها رقم ملفه ومدى التزامه بالقانون الضريبى . وبذلك نحقق ثلاثة أهداف : الاول حصر المجتمع الضريبى ، والثانى ضمان المورد المالى ، من ناحية ، والثالث تخفيف العبء الضريبى آخر العام على الممول بأن يسدد تحت الحساب جزءا من الضريبة خلال قيامه بنشاطه .

و - رفع كفاية الاداء المنفذة : بحيث تحقق صحة التقدير وفى هذا ما يطمئن الامين ويشجعه على الاحتفاظ بأمانته ويحمل المنحرف على صحة الاقرار .

ويلحق بذلك تبسيط الاجراءات ، والبعد عن الروتين وحسن معاملة الممولين .

ز - حق الدولة فى أخذ الاموال بالقيمة التى قدرها الممول فى اقراره كالرسوم الجمركية أو التركات .

ح - نشر الوعى الضريبى والقاء محاضرات وندوات فى كل وسط ضريبى أو مهنى أو نقابى لتوضيح الاجراءات والنظم والاحكام .

ط - توقيع الجزاء على المتهربين مع النظر فى تحديد الجزاء طبقا للنظرية الحدية ، فالغش الضريبى يحدث اذا كانت المنفعة الحدية لمبلغ الضريبة المهربة أكبر من ضرر الجزاء أو العقاب . لذلك يراعى أن يكون الجزاء رادعا ، وقد يكون ماليا أو بدنيا ، وقد يكون غرامة جنائية أو تعويضا للخزانة ، أو يجمع بينهما .

ى - تقييد بعض التصرفات ، كالتسجيل بدون شهادة تركات ، أو فتح الخزائن بدون حضور مندوب المصلحة .

ك - وأخيرا نشير الى أهم وسائل مكافحة التهرب ، وهى دور خبراء الضرائب من محاسبين ومحامين فى مكافحة التهرب ، سواء فى توعية الممولين ، أو فى الاعتماد على جهودهم فى تنظيم الدفاتر التجارية والاقرارات الضريبية ، مع تنظيم هذه الجهود تشريعيا لالزامهم باعتماد الاقرارات والدفاتر وتحديد مسئوليتهم عنها مع تعزيز ذلك بالزام الممولين بمسك الدفاتر .

٢ - وسائل دولية :

فقد يكون التهرب الضريبى دوليا ، اذا تعدى نشاطه الشخصى حدود الدولة وأخفى بعض هذا النشاط ، أو اذا فرضت الضريبة على شخص ، أو باشر نشاطا خاضعا للضريبة ، وأفلت بأمواله خارج الدولة تخلصا من الضريبة .

ويتم مكافحة هذا النوع من التهرب بوسائل منها :

١ - الزام الممول بالاقرار عن أمواله وممتلكاته بالخارج .

٢ - فرض رقابة على الصرف الاجنبى فتضطر

الاموال للبقاء داخل الدولة فلا يخرج الا باذنها وبعد التحقق من سداد الضرائب .

٣ ـ فرض الرقابة على الممول المغادر حتى يتم محاسبته وتحصيل الضرائب .

٤ ـ تجنب الازدواج الدولى ، عن طريق الاتفاقات الدولية ، وتبادل المعلومات عن الممولين الخاضعين للضرائب فى كل منها . وأشهر هذه المعاهدات بين فرنسا والسويد . وقد اهتمت بذلك من قبل عصبة الامم ،فأعدت لجنة الخبراء الفنيين سنة ١٩٢٥ مشروع معاهدة للمساعدة الادارية فى الربط ، واخرى للمساعدة فى التحصيل .

وقد أعد المؤتمر الضريبى الدولى الثالث عشر الذى عقد فى مدريد سنة ١٩٥٩ بحثا عن الرقابة الضريبية بين فيه :

أ ـ مظاهرها القانونية من حيث ظروفها ، وهدفها فى التحديد الصحيح للضريبة ، وعموميتها ، وقيامها على حسن النية ، ومتى تبدأ ، أو متى تنتهى ، وحدودها .

ب ـ السلطة المخولة للادارة الضريبية ، وطبيعتها ، وخاصة بالنسبة لحق الاطلاع والزيارة والتفتيش وأين ومتى يتم .

جـ ـ الاثار القانونية للاجراءات ، وهل يوقف البدء فيها حق الممول فى الاقرار من تلقاء نفسه ، وهل يعتبر قاطعا للتقادم .

د ـ المظاهر النفسية للرقابة الضريبية، وعلاقاتها بالنضج السياسى ، والوعى الضريبى والمستوى الخلقى .

وأوضح التقرير تأثر نفسية الممول باجراءات الفحص ، وسلوك الفاحصين ، وأثر عدم معالجة نقص القوانين ، وعدم تطبيق الجزاءات الضريبية فى فقدان الثقة ، وانتشار حالات التهرب ، وضرورة العمل على التغلب على روح العداء بين الممول والادارة وتوفير الثقة بينهما .

هـ ـ المظاهر الاقتصادية للرقابة من حيث لزومها لتحقيق المساواة بين الافراد فى الفحص والضريبة المستحقة .

وأخيرا أوصى المؤتمر بالاتى :

أ ـ الاهتمام بتثقيف الممول ضريبيا وتشجيعه على القيام راضيا بواجبه الضريبى مع توفر الثقة عند الفحص .

ب ـ ضرورة الفحص بسرعة وكفاية لتحاشى عدم امكان تحصيل الضريبة وقت استحقاقها أو سوء توزيع العبء الضريبى نتيجة للغش والتهرب .

ـ ٢ ـ

التهــرب الضريبى فى مصر

أولا : الاجهزة المختصة بمكافحة التهرب :

رغبة فى مكافحة التهرب ، تضمن البناء التنظيمى لمصلحة الضرائب ، شأنها فى ذلك شأن ادارات الضرائب فى مختلف الدول ، قسما خاصا لمكافحة التهرب من الضرائب وقد تم انشاء هذا القسم عام ١٩٤٧ وتطور فأصبح ادارة عامة ، وذلك علاوة على واجبات مأموريات الضرائب ، كل فى اختصاصها ، عن التحرى لحصر الممولين وتجميع البيانات عن حقيقة نشاطهم .

وتضم ادارة مكافحة التهرب الشعب الاتية :

١ ـ شعبة المكافحة ويتبعها وحدتا البحوث والفحص .

٢ ـ شعبة التجميع ويتبعها وحدتا المطابقة والاخطارات .

٣ ـ شعبة المغادرة والتحويل ويتبعها وحدتا الاجانب والمواطنين .

٤ ـ قسم شرطة المباحث ، وقد توقف عمله بالمصلحة اذ اتجه الرأى لانشاء قسم خاص للرقابة التابعة على مستوى وزارة المالية والاقتصاد .

وسنعرض أولا الى اختصاصات هذه الاقسام ثم نعرض طرق التهرب الضريبية على ضوء الدراسات والتعليمات وطرق التحرى بالنسبة لمختلف الضرائب وأخيرا للنصوص التشريعية وجزاء ارتكاب جرائم التهرب .

١ ـ شعبة المكافحة :

وتختص بتحقيق البلاغات الهامة ، وتقوم ـ فى سبيل ذلك ـ بسؤال المبلغين ، كما قد تقوم باستصدار الاذن برفع الدعوى العمومية والتفتيش وفحص المضبوطات . أما الحالات قليلة الاهمية ، فتحيلها للمأموريات لتحقيقها بنفسها . وفى الحالات التى تباشرها بنفسها ، تقوم مراقبة البحوث بالاتصال بالمأمورية أو تطلع على الملف وتقارن ما جاء بالتبليغ أو الاخطار أو ما تجمع لها من بيانات على ما ورد باقرار الممول وتقرير الفحص وتحقيق الخلاف بوسائلها المختلفة وتخطر المأمورية المختصة بنتائج البحث لمراعاتها عند المحاسبة .

مكافأة المبلغين والمرشدين :

على أساس استفادة الخزانة من التبليغ

والارشاد فى حالات التهرب من الضرائب تقوم المصلحة بصرف مكافآت لمن يطلب ذلك من المبلغين والمرشدين من غير موظفى مصلحة الضرائب وتحدد المكافأة بنسبة ١٠ فى المائة للمبلغ و ١٥ فى المائة للمرشد من مقدار فروق الضرائب والرسوم التى حصلتها الخزانة العامة ، بصفة نهائية ، كنتيجة للتبليغ أو الارشاد . واذا اجتمعت الصفتان عد مرشدا ، ويعتبر مبلغا كل من أدلى ببيانات ، أو معلومات تؤدى للكشف عن حالات التهرب .

٢ ـ شعبة المغادرة والتحويل :

وتقوم باعداد نشرة على جميع المأموريات فى حالات المغادرة والتحويل للتحقق من سداد مستحقات مصلحة الضرائب قبل الموافقة على التصريح للممول بالسفر أو تحويل الاموال وذلك بناء على الاتفاق الذى تم مع مصلحة الجوازات والجنسية ومراقبة النقد .

بالنسبة للمغادرة : يقسم الممولون الى أربع فئات :

١ ـ طالبوا المغادرة نهائيا بالنسبة للاجانب ، وطالبوا الهجرة بالنسبة للمصريين . ويجب أن يصل رد المصلحة للجوازات خلال فترة من ١٥ الى ٢٥ يوما .

٢ ـ طالبو السفر للخارج من المصريين مع العودة أو للعمل ويتم الرد خلال ٤٨ ساعة .

٣ ـ طالبو الحصول على تذاكر مرور مع العودة ويتم الرد خلال ٤٨ ساعة .

٤ ـ الاجانب المبعدون أو المكلفون بالسفر ويتم النشر عنهم ، واتخاذ اللازم فى حينه .

وبالنسبة لتحويل الاموال :

يشترط البنك عند التحويل تقديم شهادة من مصلحة الضرائب (ادارة التهرب) بموافقتها على التحويل . ويقدم الطلب من الممول للمأمورية التى يقع فيها محل اقامته ،أو مركز أعماله ،فى حدود اختصاصها . وتدفع رسم الشهادة والبحث والدمغة ٤٥٠ر١ مليما للجهة التى تبحثه وترسله للمكافحة للنشر . ويعتبر عدم رد أى جهة فى الموعد المحدد موافقة منها على التحويل . وتمسك كل مأمورية سجلا لهذه الطلبات ، وكل جهة بالمصلحة تخشى مغادرة ممول تخطر المكافحة التى تتولى بدورها اخطار الجوازات لادراج اسمه فى كشف الممنوعين من السفر .

الرقابة على أيرادات المصريين بالخارج :

يتم بالاتفاق مع الجوازات عند طلبهم الحصول على جواز سفر عادى ، أو تجديده ، فيرسل للمصلحة صور اقرارات الموارد المالية لهم ، وترسل هذه البيانات للمأموريات لاخذها فى الحسبان عند محاسبتهم .

محاسبة الفنانين الاجانب :

تخطر الجوازات المصلحة بأسمائهم فور وصولهم ، وعلى المأموريات المختصة اتخاذ اللازم لمحاسبتهم فورا على ضوء العقد المبرم معهم .

٣ ـ شعبة التجميع :

وتتلقى بيانات القطاع العام والبنوك وأجهزة الحكومة وتوزعها على المأموريات المختلفة . وتتحقق المتابعة من أخذ هذه البيانات فى الاعتبار، سواء فى اقرار الممول ، او فى تقرير فحص . كما تعد حملات اطلاع فى بعض الحالات الهامة فى المصارف والمؤسسات ومصادر الانتاج ، والتوزيع ، وتجمع البيانات من الجريدة الرسمية والوقائع من الصحف . وتزود بها المأموريات . وترد اليها البيانات من الجهات التالية :

١ ـ ادارات التوريد والمشتريات العامة بالوزارات والمصالح والقطاع العام .

٢ ـ الجمارك بالنسبة للمستوردين والمصدرين .

٣ ـ الداخلية بالنسبة لقضايا التهريب للنقدية والممنوعات .

ثانيا : التعليمات التنفيذية بشأن مكافحة التهرب :

أوضحت تعليمات مصلحة الضرائب المنشورة بمجموعة التعليمات التنظيمية والتنفيذية وسائل التهرب فى كل ضريبة ، كما بينت واجبات مأموريات للضرائب لمكافحة كل وسيلة ، بما يسد الطريق على المتهربين . ولا يتسع المقام لنشر تفصيلاتها ولمن شاء الرجوع اليها .

ثالثا : الى جانب ما أوضحناه بشأن وجود جهاز لمكافحة التهرب ، ضمن البناء التنظيمى لمصلحة الضرائب ، واصدار المصلحة تعليمات توضح وسائل التهرب وطرق مكافحتها ، حرص المشرع الضريبى المصرى ،على أن يضمن تشريعاته نصوصا ، اما لكفالة اصدار ربط اضافى فى حالة

اعفاء الممول لحقيقة نشاطه أو لتمكين موظفيه من الاطلاع على دفاتر المنشأة أو دفاتر الغير أو لترتيب جزاءات وتعويضات على المتهربين :

١ ـ نص القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ الخاص بالضرائب على الثروة المنقولة والارباح التجارية وحسب العمل اعطى للمصلحة فى م ٤٧ مكرر حق الربط الاضافى تضمنت المواد ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ حق الاطلاع ، ونصت المادة ٨١ بضرورة التبليغ عن أى غش ضريبى واخيرا نصت المواد ٨٥ مكرر ١ ، ٢ ، ٣ على الجزاءات فى الجرائم الضريبية .

٢ ـ بالنسبة للضريبة العامة على الايراد نصت المواد ٢١ مكرر ١ ، ٢ ، ٣ على الجزاءات الضريبية واجراءاتها .

٣ ـ بالنسبة لضريبة التركات ورسم الايلولة نصت المادتين ٣٤ ، ٢٥ من القانون واخفاء عناصر التركة .

٤ ـ بالنسبة لرسوم الدمغة تضمنت المواد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ جزاء مخالفة قانون الدمغة رقم ٢٢٤ لسنة ١٩٥١ .

رابعا : بالرغم مما ذكرناه آنفا فى الفقرات الثلاث السابقة لضمان عدم التهرب ، تدل الاحصاءات والوقائع أن نسبة التهرب من الضرائب فى القطاع الخاص لازالت كبيرة . واذا كان تقرير **البنك الدولى للانشاء والتعمير** فى بحثه عن المكافحة الضريبية قد تضمن أن نسبة التهرب فى الدول الجرمانية من ١٠ـ١٥ فى المائة وفى دول أمريكا اللاتينية من ٣٠ـ٤٠ فى المائة فهى فى جمهورية مصر العربية أكثر من ٥٠ فى المائة ، بل يصل الى ٩٠ فى المائة فى بعض أنواع النشاط . بمعنى ان هذا القطاع لا يقوم بدوره كاملا ، سواء فى المساهمة بصفة عامة فى تمويل الخزانة لمواجهة مشروعاتها أو فى القيام بصفة خاصة بدوره فى المرحلة الحرجة التى تجتازها البلاد ، أى مرحلة المواجهة الشاملة . وهذا ما دعا **الحكومة ومجلس الشعب** الى المطالبة بمكافحة التهرب ، وتحقيق المساواة فى تحمل الاعباء الضريبية وعدالة توزيعها .

ومن ثم فقد أقر مجلس الشعب رغبة الحكومة فى اتباع سياسة ضريبية جديدة تضمنت الاتى بصفة خاصة :

١ ـ **الحجز من المنبع** بالنسبة للضرائب على الارباح التجارية والصناعية سواء عن طريق الخصم مما يصرف من الحكومة وهيئاتها الى المقاولين أو الموردين ومن فى حكمهم ، أو عن طريق الاضافة لما يدفع من الممولين عند توزيع السلع التى تنتجها المؤسسات العامة ووحداتها الاقتصادية ـ كما أضاف أحكاما جديدة بشأن اخضاع التصرفات العقارية لاكثر من مرة خلال ١٠ سنوات ومكافحة الشركات الصورية سواء بين الاسرة الواحدة أو بين رب العمل الحقيقى وعماله وأقاربه ، وأخيرا أضاف لاحكام المادة ٧٧ مكرر بشأن الخصم من المنبع بالنسبة للخاضعين للمهن غير التجارية مؤسسات ومنشآت خاصة ، ورتب جزاء على المخالفين لاحكامها .

٢ ـ **تعديل المرسوم بقانون رقم ٧ بحصر** الممولين بالزام الجهات التى يحددها وزير المالية والاقتصاد بعدم التعامل الا بعد تقديم بطاقة الممول الضريبية امكانا لحصر الممولين ، كما ألزم هذه الجهات فى نفس الوقت باخطار مصلحة الضرائب بمعاملاتها مع كل ممول كل ثلاثة شهور .

٣ ـ **تعديل جزاء عدم تقديم الاقرار** ، والزام المخالف بأداء مبلغ ٣٠ جنيها بدلا من تحرير محاضر ، مكافحة للتهرب بعدم تقديم الاقرار حيث لا يتجاوز نسبة من يقدم الاقرار من الممولين ٣٥ فى المائة من الخاضعين للضرائب سواء فى الضرائب الارباح التجارية أو غير التجارية أو فى الضريبة العامة على الايراد .

٤ ـ **تعديل قانون رسوم الدمغة** وتكليف مصلحة الضرائب العقارية بتحصيل رسوم الدمغة على الايصالات من الملاك مع الضرائب العقارية مما ثبت عدم دفع الايصالات أو استعمال الايصالات المدموغة .

٥ ـ تكليف **الضرائب العقارية بتحصيل الضريبة العامة على الايراد** المستحقة على من يزيد صافى دخله من العقارات عن ١٢٠٠ جنيه مع الضرائب العقارية تحت الحساب .

واذا كان البعض قد أبدى عدم موافقته على هذه التشريعات بحجة أن القوانين الحالية تكفل عدم التهرب ، ملقيا اللوم على الجهاز الضريبى ، فاننى دون أن أتصدى فى هذا المجال للدفاع عن هذا الجهاز الذى يعمل فى ظروف قاسية ، وحتى لا أضطر فى معرض ذلك الى القاء اللوم على الممولين غير الملتزمين بواجباتهم ، أكتفى بالاشارة لما أوضحته من أسباب رئيسية للتهرب فى القسم الاول ، **خاصة اننى أنشر هذا البحث كباحث فحسب** ، وليس بصفتى مديرا لمصلحة الضرائب ، كما أعرض أمام كل باحث فى هذا المجال بيانين احصائيين هامين :

متوسط ما يدفعه الممول الخاضع خلال الستة شهور المنتهية فى ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢

نوع النشـــــاط	حصيلة الـ ٦ شهور يوليو / ديسمبر ٧٢	عدد المولين الخاضعين	متوسط مادفعه الممول
(التجـــارة)			بالجنيه
الحاصــــلات الزراعيـــــة	٥٠٢٣٢	٩٣٩٩	٥ر٤٠٠
المواشى والاغنام والدواجن والاسماك	١٩٨١٦	٦٠١٢	٣ر٣٠٠
المـــــواد الغذائيـــــة	١٤٩٩٩٥	٣١٤٩٣	٤ر٨٠٠
الاقمشــــــة والملبوســـــات	٢٠٩١٦٤	١٣٤٣٧	١٥ر٦٠٠
الادوات المنزليـــــة	٥٩٨٨١	٤٣٥٦	١٣ر٧٠٠
الاخشاب والادوات الصحية والكهربائية ومواد البناء	١٠٦٤٣٢	٥٠٤٢	٢١ر١٠٠
المعــــادن والالات	٣٢٢٨٤٨	١٥٩٢٨	٢٠ر٢٠٠
انواع اخرى	٩٢،٤٧	٥٢٧٦	١٧ر٤٠٠
(الصـــناعة)			
المواد الغذائية والمشروبات والتبغ	١٠٩٤٢٠	٥١٥٣	٢١ر٢٠٠
الغزل والنسيج والملابس الجاهزة	١٢٠٥٦٤	٣٩٥٤	٣٠ر٥٠٠
الجلود والمصنوعات الجلدية	٧١٤٤٧	٤٩٥٣	١٤ر٤٠٠
الخشب والجريد والموبيليات	١٧٣٧٠	٤٦٠٤	٣ر٨٠٠
الصناعات الكيماوية ومنتجاتها	٥٠٨٢٩	١١٤٦	٤٤ر٤٠٠
صناعات من الخامات غير المعدنية	٣٩١٧٩	٣٨١٤	١٠ر٣٠٠
الصــــناعات المعدنيــــة	٣٧٢٥٩	٣٨٢	٩٧ر٥٠٠
(قسم الورش الصغيرة والحرف)			
الســـباكة والبـــــرادة	٩٣٩٦٩	٦٣٤٧	١٠ر٠٠٠
اصــــلاح الســـــيارات	١٢٣٥٥	٤٢٦١	٢ر٩٠٠
اصــــلاح المــــاكينات	٥٤٠٥	٦٩٣	٨ر٠٠٠
اصلاح الاجهزة المنزلية	٥٦٤٧	١٠٤٣	٥ر٦٠٠
صــــناعة المصــــوغات	٥٤٣٧	٧٢٩	٧ر٥٠٠
حروف صغيرة متنوعة	١٢٧٣٤	٥٧١٣	٢ر٢٠٠
(قسم المقاولات والمناجم والمحاجر)			
المقاولات العامة والفرعية للمبانى	١٢٢٧٨٢	٧١٨٤	١٧ر٠٠٠
مقاولات عامة [غير المبانى]	١٨١٤٨	١٢٣٢	١٤ر٧٠٠
استخراج المعادن والخامات الغيـــــر معدنيــــة	٢٠٢٧	٩٣٠	٢ر٢٠٠
١٦٠ ـ ١٦٦ مقاولات [تجارة]			
٢٤٠ ، ٢٤٥ مقاولات صناعية	٧٢٨١٤	٧٦٤١	٩ر٥٠٠
٢٦٠ ، ٢٦٣ مقاولات صناعية			
[قسم الخدمات والنقل والتخزين]			
التســـلية والترفيـــــه	١٦٦٩٠	٥٨٤	٢٨ر٦٠٠
الخـــدمات الشـــــخصية	١٢٣١٢٤	٢٩٢٣٨	٤ر٢٠٠
خدمات شخصية اخرى	٨١١١	٢٤٠٢	٣ر٤٠٠
خدمات زراعية وصيد الاسماك	٤٨٧٤	٣٥٨٦	١ر٣٠٠
النقـــــل	٩٨٧٦٩	٥١٣٤٤	١ر٩٠٠
التخـــــزين	٦٨٥٦	٣٠	٢٢٨ر٠٠٠

عدد الاقرارات المقدمة فى سنة ١٩٧٢

السنة التى قدم فيهـا الاقــرارات	الارباح التجارية			المهن الغير تجـــارية	الايراد العام
	بيــــان	جملة الممولين الخاضـــــعين	جملة الممولين المعفيين		
١٩٧٢	عدد الاقرارات	٦٨٣ر٢٦٣	٢٩٥٧٢١	٣٩٠٣٤	٧٦٣٠٩
	عدد الممولين	٥٧٥٩٨	٨٧٩٣	١٣٦٦٢	٢٧٠٥٣
	النسبة	٢٣٪	٣٪	٣٥٪	٣٥٪

الاول : عدد من تقدموا باقرارات ضريبية سنة ١٩٧٢ من المولين الخاضعين مع العلم بأن احصائية سنة ١٩٧٣ لا تختلف عن ذلك كثيرا .

الثانى : بيان أنواع النشاط الخاضعة لضريبة الارباح التجارية وحصيلتها فى ستة شهور من ١-٧-٧٢ الى ٣١-١٢-١٩٧٢ مقارنة بعدد المولين ومتوسط ما تحمله كل منهم فى هذه الفترة .

وما فى الجدول من البيانات تعطى لمن لديه فكرة عن حجم المعاملات فى أى نشاط من هذه الانشطة ، عن نسبة التهرب الضريبى ، ومدى جسامتها ، وتجعله يطالب بمحاسبة كل ممول تسول له نفسه التهرب من الضرائب كما يعامل من يختلس أموال الدولة .

ـ ٣ ـ

وأخيرا ، نصل الى ختام بحثنا ، بايضاح المقصود بالدخول الطفيلية وهو تعبير جديد فى الفقه الضريبى المصرى نشأ من وحى ظروف المعركه وتحقيق كثيرين لارباح كبيرة لا تسهم بدورها فى تحمل الاعباء الضريبية ، كغيرها ، من الدخول وتكرر ذكره فى بيان الحكومة وفى تقارير لجان مجلس الشعب ردا على بيان الحكومة .

ومن المعلوم لغة أن لفظ طفيلى هو الذى يعيش عالة على غيره ، سواء كان حيوانا أو نباتا . ومن هنا اشتق هذا التعبير لان أصحاب هذه الدخول يعيشون عالة على المجتمع ويمتصون دماءه دون أن يساهموا فى مقومات حياته ، ومن خلال المناقشات التى دارت حول هذا التعبير فى الندوات والمقالات الصحفية نعرض بعض الاراء بشأنه :

١ ـ الدكتور أحمد أبو اسماعيل :

يعرف الدخل الطفيلى بأنه الدخل المتهرب بوسائل ظاهرة ، أو مستترة ، والذى يعيش صاحبه على حساب المجتمع دون مشاركة فى الاعباء .

٢ ـ الدكتور فؤاد هاشم :

يضيف الى ما سبق أن الدخل الطفيلى قد يكون دخلا غير مشروع أصلا فى ظل ظروف السوق ويؤدى للاثراء . وأن « كنز » يسمى هذه الدخول بالارباح القدرية .

٣ ـ الدكتور أحمد المرشدى :

يرى أن صفة الطفيلى تعنى الشىء الذى ليس له أصل ، وأن ذلك يرتبط بالاطار الفكرى للمجتمع .

٤ ـ الدكتور جمال العطيفى :

يرى أن الدخول الطفيلية تعبير عن الدخول التى تنشد الكسب السريع استغلالا للظروف وتعتبر خطرا على الاهداف الاشتراكية ، وهو يميز بين ثلاثة أنواع من الدخول :

أ ـ دخول غير مشروعة : تشكل جريمة وتعالج بقوانين الحراسة وحماية الاموال العامة .

ب ـ دخل طفيلى ، وهو دخل يتحقق على حساب القطاع العام فهو طفيلى من هذه الناحية ، وهو أيضا انتهازى بمعنى أن يستغل ظروف المعركة وعدم توفر بعض الحاجات بمقادير كافية لتحقيق أرباح كبيرة دون مساهمة فى الاعباء الضريبية .

وميدان هذه الدخول غالبا أعمال الوساطة فى توزيع سلع ومنتجات القطاع العام والمغالاة والتوريدات .

جـ ـ دخول متهربة وهى نوعان :

١ ـ نوع يخضع للقانون ولا يتناوله الحصر وتكلفت بهذا الحصر وشمول المجتمع الضريبى تعديلات القوانين الضريبية الجديدة بشأن البطاقة الضريبية والحجز من المنبع .

٢ ـ والنوع الثانى لا يمتد اليه القانون الحالى مثل شقق التمليك ، ومن هنا يشملها التعديل الضريبى الاخير .

٥ ـ وأخيرا نعرض ما ورد بشأن هذه الدخول بالتقرير الاقتصادى عن عدالة توزيع أعباء المعركة اذ تضمن أنه يقصد بالدخول الطفيلية فى مقام عدالة توزيع أعباء المعركة الدخول التى تأتى بعد جهد أو عمل متطفلة على غيرها من الدخول متهربة من الضريبة مثل الاتجار فى السوق السوداء والاتجار فى أذونات الاستيراد وعمليات الوساطة غير الشرعية وغيرها من عمليات الاتجار المتهربة من الضرائب والمخالفة للمبدأ الاشتراكى «من كل بحسب قدرته الى كل بحسب أرباحه » .

من هذا العرض يتبين كما ذكرنا فى المقدمة ، أن الدخول الطفيلية هى الدخول الناتجة من انتهاز الظروف الاقتصادية واستغلالها لتحقيق أرباح تتهرب من الضريبة ولا تساهم أو تتحمل بنصيبها من الاعباء الضريبية ، ومجالها الاساسى توزيع السلع النادرة أو تخزينها توصلا لرفع سعرها ، أو التلاعب باذون الاستيراد والتصدير وشقق التمليك والاتجار فى السيارات والعقارات .

● جمهورية مصر العربية ●

صيف دراسة وعمل فكرى

للقيادات السياسية والتشريعية

● ليبيا ●

٧ مبررات + ٧ تحفظات

... والمهم هو المضمون

● لبنان ●

جنبلاط :

هل هو الازمة ؟

أم المخرج من الازمة ؟

● العراق ●

التكرار :

من الارهاب الى التآمر

● المانيا الغربية ●

اعلام أوربية ترفرف

فوق شركات أمريكية

● علوم ●

القحط : مأساة

لا يمكن قياس حجمها

ولا مداها الان



■ جمهورية مصر العربية :

صيف دراسة وعمل فكرى

للقيادات السياسية والتشريعية

فى مؤتمر مشترك ضم اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى والهيئة البرلمانية لمجلس الشعب ، القى الرئيس أنور السادات خطاب الاحتفال بالعيد الحادى والعشرين لثورة يوليو .

وقد تضمن خطاب الرئيس ٤ فقرات رئيسية :

١ – ففى مقدمة الخطاب ، قدم الرئيس عرضا سريعا للاثار العربية والدولية التى احدثها فى المنطقة قيام ثورة يوليو ، فحدد أنها كانت قوة دافعة لحركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية ، كما أنها بذرت بذور فكر اجتماعى جديد فى مقابل القيم المتخلفة .

وبعد أن رسم الرئيس الخطوط الرئيسية للتحولات التى أحدثتها الثورة فى الداخل ، أشار الى أن بلادنا تواجه صعوبات جمة مصدرها الاساسى الاحتلال الواقع على الارض والسياسة التى تدعم هذا الاحتلال ماديا وعسكريا من قبل الولايات المتحدة الامريكية .

٢ – وعرض الرئيس ، بتفصيل لسياسة العداء الامريكية طوال مرحلة بأكملها بدأت قبل العدوان ، ففى ١٩٦٥ ضغطت أمريكا على مصر مطالبة بتخفيض الجيش المصرى . وبعد عدوان ١٩٦٧ حال الموقف الامريكى بين المجتمع الدولى وبين أن يصل الى قرار ، أو اجراء حاسم يرغم به اسرائيل على الانسحاب . وأوضح الرئيس أن محصلة الموقف الامريكى تتلخص فى تجميد القضية تمهيدا لتصفيتها ولتمكين اسرائيل من فرض الامر الواقع : الاحتلال وضم الارض .

٣ – وفى الفقرة الثالثة من الخطاب ، أشار الرئيس الى أن سياسة مصر لتصفية العدوان فى مواجهة الحلف الامريكى الاسرائيلى ، تتحرك على ثلاثة محاور رئيسية :

المحور الاول : القوة الذاتية المصرية ، وهنا أوضح الرئيس كيف أن حركة الجماهير المصرية ، وموقف المواطن المصرى العادى ، هى التى تشكل أساس الصمود . وفى الوقت نفسه أشار بالاستناد الى الارقام الى ان حجم العمل الداخلى الذى تم خلال ٦ سنوات منذ بدء العدوان يبين ان القوة الذاتية على الجبهات العسكرية والاقتصادية ما فتئت تتدعم . وذلك على الرغم من ان البلاد تتحمل حالة هائلة من الاجهاد ينعكس اثرها على الخدمات المقدمة الى الناس ، وفى الوقت نفسه أكد الرئيس ، على أن الدولة ماضية فى سياسة تقشف تفرضها المعركة ، فبدأت بالاستغناء عن استيراد الكماليات . بل ذهبت الى أبعد من ذلك ، فبدأت تقييد استهلاك بعض الضرورات (الزيت) .

المحور الثانى : هو «الامكانيات العربية الهائلة» ، وأوضح **الرئيس** ان البلاد العربية توجد تحت أيديها امكانيات هائلة تتمثل فى ثرواتها البترولية وفى أرصدتها الموجودة فى البنوك الاجنبية (٥٠ مليار جنيه) . غير ان هذه الامكانيات لم تستخدم بعد فى معركة المواجهة .

وعن العلاقات مع الدول العربية **حدد الرئيس** أن سياسة مصر يحكمها المبدأ التالى : الترحيب بكل تعاون عربى ، وتنسيق بين القوى العربية على امتداد مناطقها الجغرافية ، وتباين أنظمتها السياسية والارتفاع فوق الصراعات والخلافات .

وعندما انتقل الى الحديث عن العلاقات مع ليبيا ، أكد الرئيس أنه مع ثقته وتقديره الكبير للدور الذى لعبته الثورة الليبية بقيادة **معمر القذافى** ، ومع تمسك مصر بالوحدة مع ليبيا ، الا ان موقف مصر فى بناء دولة الوحدة الكاملة مع ليبيا ينطلق من أخذ دروس الماضى بعين الاعتبار ، ومن التدرج ، ومراعاة عنصر الزمن ، ومراعاة الحساسيات والاختلاف فى المستويات الحضارية والاقتصادية ، وان ما يهم مصر هو دراسة ضمانات استمرار ونجاح الوحدة .

وعن المقاومة الفلسطينية استنكر الرئيس كل محاولات التصفية التى تعرضت – ولازالت تتعرض لها – المقاومة ، وأكد ان النظام فى مصر « **ينطلق من تأييد كامل غير محدود ولا مشروط لقوى المقاومة الفلسطينية** » .

المحور الثالث فى حركة مصر لتصفية العدوان يمثله الدعم السياسى والعسكرى السوفيتى . وبعد أن اشار الرئيس الى أن العلاقات السوفيتية المصرية مرت بعدد من المراحل المختلفة . حدد ان هذه العلاقات تحكمها .

١ – ان الصديق مهما حدث منه فان اختلافاتنا يجب أن تظل اختلافات الاصدقاء .

٢ – تثمين المساعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى لبلادنا فى وقت المحنة تثمينا كبيرا .

وتحدث الرئيس عن اهم المشاكل التى يتعرض لها التعاون المصرى السوفيتى ، فأشار الى ان فى مقدمة هذه المشاكل قضية « الوفاق الدولى » . وهنا ذكر الرئيس أن **الرفيق بريجنيف** أكد للمستشار **حافظ اسماعيل** ثبات موقف الاتحاد السوفيتى واستمراره فى مناصرة ودعم القوة العربية . كما أضاف الرئيس الى أن .. الاصدقاء السوفييت حريصون على عدم عزل انفسهم عن حركات التحرر الوطنى .

وأنهى الرئيس كلامه عن المحاور الثلاثة التى تتحرك عليها مصر فى مواجهة العدوان بقوله : **ان المطلوب هو مزيد من الجهد والتعبئة على جميع هذه الجبهات : القوة الذاتية ، والقوة العربية ، والدعم السوفيتى .**

وقد ختم الرئيس خطابه بدعوة المؤتمر المشترك من اللجنة المركزية والهيئة البرلمانية الى أن نشرع خلال هذا الصيف فى دراسة عدد من القضايا الهامة هى :

- التغييرات التى طرأت على قوتنا الذاتية .
- التغييرات التى طرأت على الظروف العالمية المحيطة بنا
- ماهو تأثيرها على المنطقة العربية
- ما هى النتائج المترتبة على هذه التغييرات
- كيف نسخرها لتكون اضافة لقوتنا الذاتية والى القوة العربية .
- وكيف نستفيد من هذا كله لنحقق الهدف الرئيسى وهو تحرير الارض

وكان الرئيس فى مستهل كلامه قد أشار الى انه اقترح على اللجنة المركزية تأجيل المؤتمر القومى العام الى شهر سبتمبر . حتى تعد الدراسات اللازمة حول النقاط التى طرحها الرئيس على الاجتماع المشترك . وحتى يكون هناك تصور واضح يساعد المؤتمر العام على اتخاذ قراراته .

ويرى المراقبون بالاضافة الى ما تقدم من قضايا مطروحة للدراسة فان الفترة القادمة ستشهد عملا متنوعا وواسعا على الجبهة الفكرية . وهذا ما وضح فى اجتماع اللجنة المركزية فى ١٦ ـ ٧ عندما أعلن الرئيس عن اعداد ورقة فكرية تضع تفسيرا للميثاق تجنبه الغموض من ناحية ، كما تجنبه ـ من ناحية أخرى ـ الجنوح به نحو تفسيرات مذهبية معينة .

ويضيف المراقبون ايضا ان هذا الجهد الذى سيبذل فى دراسة التغييرات الدولية بكل ابعادها ونتائجها ، وفى وضع الازمة الفكرية » المفسرة للميثاق ، ستستمر جنبا الى جنب مع دراسات اخرى هامة ذات طابع فكرى وسياسى عن ضمانات قيام دولة الوحدة بين مصر وليبيا .

ولما كانت جميع هذه القضايا الفكرية والسياسية ستكون محل تركيز الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب والقيادات العليا التنفيذية ، فقد حذر الرئيس من ان يتوهم انسان ـ أو يحاول الايهام ـ بأن مجموع هذا العمل معناه تأجيل المعركة وأكد الرئيس انه يمثل فى الواقع نوعا من الحشد فى اتجاهها .

●

■ **مصر ـ ليبيا :**

٧ مبررات + ٧ تحفظات

... والمهم هو المضمون

يتوقع المراقبون أن يتم فى أول سبتمبر القادم صدور « اعلان الوحدة » بين مصر وليبيا . على ان يعقبذلك صدور عدد منالاجراءات والتشريعات التى تحقق الاهداف التى ستزود باعلان الوحده .

وكانت مصر وليبيا ، قد شهدتا خلال الاسابيع القليلة الماضية عددا من الاحداث والمناقشات الهامة حول قضية الوحدة .

فقد أكد الرئيس **أنور السادات** فى خطابه فى الاحتفال بالعيد الحادى والعشرين لثورة يوليو ـ أهمية الوحدة وضرورتها ، وأبدى حرصه الكبير على الاستفادة من « دروس الوحدة مع سوريا » التى تتلخص فى أن « جوهر الوحدة » هو الاهم بغض النظر عن شكلها الدستورى ، ووضع الاختلافات الواقعية فى الاعتبار بمعنى « مراعاة عنصر الزمن والحساسيات الاقليمية » ، وأهمية « وضع الاساس والدراسات من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتغلب على العقبات الادارية » وفى هذا المجال أضاف **الرئيس : أن ضمان استمرار الوحدة بعد قيامها هو أيضا مسئوليتنا التاريخية ازاء أنفسنا وازاء الشعب الليبى وازاء العرب جميعا وازاء المعركة الدائرة مع عدونا وازاء أجيالنا المقبلة كلها** » وقام الرئيس السادات بتوضيح تفاصيل زيارة الرئيس القذافى فى أواخر يونيو الى القاهرة والمحادثات

التى أجراها حول الوحدة والتى انتهت الى عرض تصورات ثلاثة يقول الاول ببرنامج متدرج اهم معالمه اجراء استفتاء فى أول سبتمبر القادم على اعلان دستورى يتضمن قيام الوحدة بين مصر وليبيا على أساس المبادىء الواردة فى بيان بنغازى وبيان طرابلس . ويقول التصور الثانى بالاخذ بنظام الاتحاد الاشتراكى بحيث يستفتى على مشروع الدستور وعلى اعلان دستور مؤقت ملحق به ويتضمن قواعد نظام الحكم فى المرحلة الانتقالية . ويقول التصور الثالث بأنه يجب قبل الوصول الى الشكل النهائى للوحدة الاندماجيه ، أن يتم الاتفاق بين الدولتين على سياسة خارجية وعربية موحدة وعلى سياسة موحدة خاصة بالمعركة . وقد انتهى الامر الى اقرار صيغة معدلة للتصور الاول أفرغت فى شكل مشروع قرار يصدر من القيادة السياسية فى شكل اعلان دستورى للوحدة بين مصر وليبيا وينص على ١٨ مادة تحدد نظام الحكم ومؤسساته واصدار موازنة واحدة وتعريفة جمركية موحدة .

وبعد الموافقة المبدئية على هذا المشروع ، جرت مناقشات طويلة حول عدد من القضايا الفكرية ، عاد بعدها الرئيس القذافى الى ليبيا وتم الاتفاق على ضرورة متابعة التشاور حول القضايا التى لم يتحقق الاتفاق حولها .

وبعد أن عاد الرئيس القذافى الى ليبيا أذاع راديو طرابلس فى النصف الثانى من يوليو الماضى ، نبأ اعداد الترتيبات لقيام « مسيرة شعبية » تبدأ من الحدود الغربية الليبية لتمر بالبلاد حيث ينضم اليها اعداد أخرى من جماهر الشعب الليبى لتتجمع جميعها عند الحدود مع مصر فى الطريق الى القاهرة حاملة وثيقة مكتوبة « بدماء المرأة الليبية » تطالب « بالوحدة الاندماجية فى موعدها » . وقد أبدت القاهرة استعدادها لاستقبال « ممثلى المسيرة » حيث يصعب — لاكثر من اعتبار لعل أهمها ظروف المواجهة مع العدو — توفر ضمانات نجاح المسيرة دون مضاعفات فى أكثر من مجال ، وقام الاتحاد الاشتراكى فى مصر بالاعداد لمناقشات عن الوحدة فجرى فى معسكر بمرسى مطروح مع اعضاء المسيرة وقيادات من الاتحاد الاشتراكى وقد تبادل الرئيسان السادات والقذافى الخطابات حول « المسيرة » وفاجأ الرئيس القذافى الرأى العام فى البلدين — فى خطابه للرئيس السادات — بأنه « مستقيل » ، كما أنه دعا جماهير المسيرة الى العمل بأوامر الرئيس السادات ووصل الرائد مصطفى الخروبى عضو مجلس الثورة الليبى الى القاهرة حيث تم ترتيب حضور ١٠٠ عضو من المسيرة لمقابلة الرئيس السادات الذى أكد لهم ضرورة الوحدة وأوضح أهمية أن تقوم الجماهير الليبية برفض استقالة الرئيس القذافى وارجاعه الى « موقع المسئولية » حيث ان استمرار وجوده فى قيادة دولة الوحدة شرط من شروط قيامها .

وقد اتجهت الجماهير الليبية ، الى مقر اقامة الرئيس القذافى تطالبه بالعدول عن الاستقالة وفى خطابه فى ٢٣ يوليو الذى حيا فيه الثورة المصرية والشعب المصرى ، اشار الى انه استقال لانه وجد نفسه لا يستطيع أن يستمر فى تحمل مسئولية القيادة لان له آراء خاصة فى بعض أسس قيام الوحدة . وخاصة فى قضايا المعركة والميثاق والشريعة الاسلامية والثورة الشعبية ، وأضاف ان موقعه وآراءه الشخصية يجب أن تكون منفصلة عن قضية الوحدة « التى يجب أن تقوم بأى حال وعلى أية صورة » وامام اصرار الجماهير على ضرورة العدول عن الاستقالة أوضح انه عدل الى حين تتم الوحدة ليحدد بعدها موقفه .

ومعروف أن الرأى العام فى مصر وليبيا والرأى العام العربى كله ، كان قد تابع باهتمام كبير ، «مناقشات الوحدة » التى جرت على المستوى الرسمى والعام فى القاهرة — على امتداد ١٧ يوما قضاها الرئيس معمر القذافى فى زيارة لمصر ، وتعد هذه الزيارة أطول مدة قضاها الرئيس الليبى خارج ليبيا منذ قيام ثورة « الفاتح من سبتمبر » فى عام ١٩٦٩ : مما أكد لدى المراقبين مدى أهمية المناقشات التى اتخذت طابعا من الحوار الصريح أضفى مناخا من الحيوية السياسية تؤمن الدوائر التقدمية العربية بضرورته وفوائده .

ويركز المراقبون العرب فى تقييمهم نتائج هذه المناقشات والاراء التى أبديت حول المشاكل القانونية والدستورية والاقتصادية والسياسيه ، يركزون على أهمية الاتفاق على منهج واحد يقول بضرورة طرح كل التصورات والتحفظات فى « اطار وحدوى » تثار فيه وجهات النظر المختلفة من أجل ضمان قيام وحدة سليمة تصمد أمام اختبارات الزمن ، على أن ذلك لا يعنى ضرورة الاتفاق التام ومقدما — على كل التفاصيل . وانما يعنى أهمية تحقيق بدايات عملية — سياسية واقتصادية ودستورية — يتسع نطاقها بشكل مضطرد كانعكاس لعملية توحيد المفاهيم والرؤية التى يؤمن المراقبون العرب بأهميتها من خلال حوار ديمقراطى يوفر مناخا من « المد الشعبى الوحدوى » يدعم ويحمى كل اجراء المد .

وتعتقد الدوائر الوطنية والتقدمية العربية ، بأنه على عكس ما قد يتصور أحد من أن ظروف وواقع مابعد يونيو ١٩٦٧ ، يمكن أن تشكل عقبه نحو تحقيق أية وحدة بين دولتين عربيتين او أكثر ، تؤمن هذه الدوائر بأن العمل الموحد من اجل « قضية تحرير الارض » هو « المدخل » الحقيقى الصحيح تأكيدا لحقيقة ان المنطلق الوطنى هو أنسب بداية « للانطلاق القومى » وخلق مناخ « المد الشعبى الوحدوى » .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس أنور السادات ، قد قدم عملية المناقشات الواسعة التى جرت فى القاهرة فيما بين أواخر يونيو وأوائل يوليو الماضيين ، بالدعوة الى « حوار عميق فى مختلف مؤسساتنا وقياداتنا ، نريده معا بمنتهى الحرية والصراحة لان ما نتعرض له اليوم من تحديات يستلزم منا أن نعطى لكل أمر قيمته وان نتعمق فى بحث كل ما يتعلق به حرصا على المستقبل » .

ويمكن رصد اتجاهين أساسيين سادا مناقشات الوحدة ، يرى الاتجاه الاول ضرورة قيام « الوحدة الاندماجية » فى موعدها (أول سبتمبر) وذلك بالغاء الشخصية الدولية لكل من مصر وليبيا وقيام شخصية دولية واحدة هى دولة الوحدة على أن يتم تصفية الخلافات من خلال الممارسة اليومية للوحدة . اما الاتجاه الثانى فيرى ضرورة قيام الوحدة - فى موعدها ايضا - على خطوات متدرجة يتم خلالها تصفية الخلافات ، حرصا على « سلامة » الوحدة وضمانا « لنجاحها »

وتستند وجهة النظر الداعية الى قيام الوحدة الاندماجية « فورا وفى موعدها » ، الى عدد من الاسباب كان محمد حسنين هيكل قد اوجزها فى مقاله ويمكن رصدها فى : أولا : أن هناك تماثلا كاملا بين المنطلقات الاساسية للثورة المصرية والثورة الليبية حيث تصب جميعا فى « مجرى التيار الواسع للناصرية » . ويؤكد الليبيون هنا أن « ثورة الفاتح من سبتمبر » امتداد لثورة يوليو . ثانيا : قيام الاتصال الجغرافى كحقيقة واقعة بين البلدين ، وذلك يغطى احدى ثغرات « تجربة الوحدة مع سوريا » حيث لم يكن يوجد اتصال جغرافى بينهما . ثالثا : تكامل المصلحة حيث لمصر امكانيات انتاجية هائلة لا تعمل بكل طاقتها نظرا لعدم توفر الاموال اللازمة للاستثمارات ، بينما تتوفر لدى ليبيا مثل هذه الاموال فى نفس الوقت الذى يعد فيه « نبع الثروة » لديها « محدود العمر » . رابعا : ان قيام « دولة الوحدة » فى الظروف العربية الراهنة بالذات ، يعد قوة جذب مؤثرة « لامال عربية خبت الجذوة فى قلوبها » . خامسا : ان الوحدة سوف تعطى لجبهة المواجهة مع العدو ، « عمقا يؤثر على موازين القوى الاستراتيجية والتاكتيكية » . سادسا : ان وجود « الدولة الجديدة » فى « صميم ازمة الطاقة وأزمة النقد الدولى » ، سوف يوفر لها كثيرا من عناصر المبادرة . سابعا : تلبية دواعى الوحدة العربية وحاجتها الى « دولة نواة فى ظل عالم الكيانات الكبيرة » .

أما الاتجاه الذى يرى ضرورة « قيام الوحدة على خطوات متدرجة » ، فيستند الى عدد من الاسباب يمكن رصدها فى : أولا : التعارض بين الدعوة لقيام ووجود « المؤسسات وسيادة القانون » فى مصر ، وبين الدعوة لقيام ووجود « الثورة الثقافية » أو « الثورة الشعبية » فى ليبيا . ثانيا : الاختلاف القائم بين المستوى الاقتصادى للتطور والدخل فى مصر وفى ليبيا . ثالثا : دواعى ومفهوم « النظرية الثالثه » التى يدعو لها الرئيس القذافى ، فى نفس الوقت الذى يقوم فيه العمل الوطنى فى مصر على أساس « الميثاق » . رابعا : الحساسيات التى ينبغى أن تصفى فيما بين المصريين والليبيين والتى تحتاج لدراسة « جذورها الطبقية » و « واختلاف السلوك » . خامسا : أن المصالح الوطنية العليا لحركة التحرر الوطنى سواء فى مصر أو فى العالم العربى كله ، تتطلب عدم الدخول فى معارك لا مبرر لها سواء ضد « الماركسية » أو ضد الاتحاد السوفيتى . سادسا : ان الاسلام - كما فى الدستور المصرى - « مصدر رئيسى » للتشريع وليس « المصدر الوحيد » ، كما أن النظرة اليه والعمل وفق مفاهيمه ينبغى أن تتم فى اطار « عقلانى » . سابعا : تحديد أولويات اساسية فى العمل السياسى الخارجى وفق « طاقات واقعية وعملية » ، يتجنب « الانتشار والتعرض الزائد على جبهة تمتد من ايرلندا للفلبين » .

ويعتقد المراقبون الذين تابعوا عن قرب مجريات « مناقشات الوحدة » التى تمت فى القاهرة ، أن القضية المحورية التى يمكن استخلاصها هى ضرورة الاتفاق على « مضمون الوحدة » : هل هى مجرد تجميع لدولتين عربيتين بينهما من دواعى « التوحيد » أكثر من دواعى « التباعد » ؟ أم هو أهمية قيام « دولة واحدة ثورية تنطلق من آخر ما وصلت اليه ثورة ٢٣ يوليو من ايجابيات ومكاسب » ؟ ويرى هؤلاء المراقبون ان الاجابة على هذا السؤال تقتضى أول

ما تقتضى البدء بالاتفاق على « استراتيجية ثورية واحدة لتحرير الارض » و « تحديد خط عام واحد لتعميق المحتوى الاجتماعى للتطور فى الدولة الجديدة » .

ومن الجدير بالذكر أن **الرئيس معمر القذافى ،** قد حرص طوال الوقت الذى استمرت فيه « مناقشات الوحدة » ، على توضيح أفكاره الرئيسية حول كثير من المسائل التى دار الحوار حولها . فقد أوضح — بخصوص « الثورة الشعبية » — ان دوافعها تعود الى أنه لاحظ بعد ٣ سنوات من الثورة ، أن مجلس قيادة الثورة قد أصبح يقرر كل شىء مما قد يهىء الفرصة لان « يتأله » أعضاء المجلس ويصدروا القوانين بسهولة، وأن فى ذلك خطر على الثورة نفسها . وقد حاولوا أن يجدوا حلا لذلك باجراء انتخابات ، ولكن « هيمنة أفكار المجتمع القديم » ، ادت الى انتخاب « العناصر القديمة » . ومن هنا كانت الدعوة للجماهير لكى تتولى « تحرير » مصالحها والقوانين التى تحتاجها وفقا لمبدأ « الديمقراطية المباشرة » . وأكد **الرئيس القذافى** انه اذا قد وقعت « بعض الاخطاء والتجاوزات » فى التطبيق فان حجمها « لا يتناسب مع الايجابيات الكبيرة التى حققتها » . وأشار **الرئيس القذافى** فى هذا المجال ، وفى رده على وجهة النظر القائلة «بيمينية» الثورة الليبية ، أوضح أن الثورة الليبية تمثل اليسار العالمى الجديد الذى يقف ضد الرأسمالية وضد « الشيوعيين الرجعيين الذين يتمسكون بقوالب جامدة من القرن الثامن عشر والتاسع عشر » .

وحرص الرئيس القذافى على تأكيد « ان الاتحاد السوفيتى دولة صديقة لاعاديها » . ولاول مرة ، أعلن أنه يؤيد « معاهدة الصداقة والتعاون » بين مصر والاتحاد السوفيتى على أساس أن الظروف « تستوجبها» ولكنه أضاف أنه لا يؤيد المعاهدة بين العراق والاتحاد السوفيتى لان « لا مبرر لها » فى رأيه . ويدلل **الرئيس القذافى** على أن ليبيا لا تعادى الاتحاد السوفيتى ، من واقع ان حجم العلاقات التجارية بين البلدين أكبر من أى بلد عربى آخر . ولكنه حرص على الاستطراد بقوله « أما فى مجال الايديولوجية فلا مجال لاى تنازلات » . وبرغم انه ذكر فى أكثر من مجال « احنا لينا رأى فى المعركة مختلف مع مصر وسوريا » ، الا أنه لم يوضح أكثر من ذلك . وفى عرضه « للنظرية الثالثة » ، أوضح انها « تنظير لتطبيقات اقتصادية وسياسية واجتماعيه » . جانبها الاقتصادى « الاشتراكية التى تسمح بنزع الملكية احيانا وبالتأميم وبوضع قيود على الملكية ، حسب « الظروف التى يمر بها المجتمع » . أما جانبها السياسى فهو « الحياد الايجابى وعدم الانحياز » . أما تفسيرها للتاريخ فيقوم على أساس أن « الدين والقومية » هما القوتان المحركتان للتاريخ . أما الجانب الفلسفى لها ، فهو « الدين الاسلامى » . وجدير بالذكر هنا ان **الرئيس القذافى قد أوضح بأنه يقصد بذلك « جميع الاديان باعتبار انها الاسلام » . وأعلن تمسكه «بضرورة وجود مصدر للتشريع» . وأوضح أنه « القرآن » ، ولكنه هاجم فى نفس الوقت « الاتجاهات الرجعية فى تفسير القرآن » .**

وقد قدم **الرئيس القذافى** « النظرية الثالثة » على انها « اجتهاد فى الناصرية . فثورة ليبيا لن تتجمد . وان توقفت الثورة الثقافية والشعبية فى ليبيا ، فمعنى هذا قفل باب الاجتهاد فى ثورة ٢٣ يوليو » . ثم أشار الى ضرورة أن تكون الدولة الجديدة « دولة اندماجية أشد الاندماج حتى تكون نواة صلبة لوحدة عربية شاملة . واذا وضعنوها اتحاد تكونوا قد وضعتوا نواة الانفصال من اول يوم » . ورد على ما أثير من « ضرورة الاستفادة من تجربة الوحدة مع سوريا » بقوله « ان ضعف الوحدة مع سوريا كان فى تخلفها عن أن تكون وحدة اندماجية » .

وفى مناقشات ممثلى الرأى العام المصرى ، « أفضى كلّ منهم بما عنده » وعبر عن كثير من المخاوف الشائعة ، وأوضح أن « الخلاف الفكرى أمر انسانى وهو مهما تكن جذوره لا يمكن أن يقف حائلا دون تحقيق الوحدة ولكن لكى تولد الوحدة سليمة وتملك القدرة على النمو والاستمرار » . ومن هذه الزاوية أوضحت قيادات العمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى وقيادات العمل الصحفى والنشاط النسائى ، أوضحت وجهات نظرها التى كان من ابرزها : ان الوحدة بشكل عام لابد أن تعنى مكاسب ومزيد من الانتصارات على طريق ما أنجزته ثورة يوليو بمضمونها الوطنى المعادى للاستعمار وبمضمونها الاجتماعى الذى يهدف الى بناء الاشتراكية . ومع التسليم بضرورة الاخذ بعين الاعتبار الاجتهادات والافكار الليبية ، الا انه قد تم ابداء عدد من التحفظات تنبع من زاويتين : **أولا :** ضرورة توحيد المفاهيم والمعايير حول مضمون الوحدة . **ثانيا :** ضرورة البدء بخطوات تمهيدية تقلل من الاختلاف

فى المستوى الاقتصادى والتباعد الحضارى واختلاف نظم التعليم ومؤسسات السلطة بين البلدين . وفى هذا الاطار ، أشار المصريون الى أن « الميثاق » هو نتاج التجربة المصرية ، فاذا لم يكن هناك خلاف حوله ، فما هى مبررات الدعوة الى النظرية الثالثة ؟ . ومن هنا أبدى عدد من المصريين تحفظاتهم وبخاصة حول تجربة « لجان الثورة الثقافية » فى ليبيا . وبالاضافة الى ضرورة «عقلانية الدولة » ، اشار المصريون الى « أخطار التمسك بالحرفية وكيف أن التمسك بالحرفية جمد الفكر وجمد المسلمين » . وفى مجال « مصدر التشريع » أشاروا الى ان الاعتبارات الواقعية والعملية تقتضى عدم التمسك بمصدر وحيد مع التسليم بوجود « مصدر رئيسى » هو « الاسلام » بمفهوم « أن الروح التى تقف وراء النص ينبغى أن تحقق التطور المطلوب » . وفى مجال الموقف من الماركسية والماركسيين العرب ، أشار **عبد الرحمن الشرقاوى** رئيس تحرير « روز اليوسف » الى « اننا نعيش مرحلة تجميع كل قوى الوطن وحشدها على طريق التحرير ، واذن يجب أن يتجمع كل الذين تلتقى مصالحهم فى محاربة الاستعمار والامبريالية والصهيونية . والخطأ الخالد الذى وقع فيه بعض زعماء التحرر الوطنى هو شن حرب صليبية ضد القوى الماركسية وهى قوى حليفة بطبيعتها . فاذا بهم يدركون بعد فوات الاوان انهم يضعفون الجبهة التى يتحركون فيها ويضربون القوى التى تمثل عصبا حيويا فى المقاومة ودفع حركة التحرر » . وبخصوص أهمية علاقات « الصداقة والتعاون » مع الاتحاد السوفيتى ، أشار المصريون الى أنه « ليس صحيحا أن الامة العربية تستطيع أن تخرج من التخلف دون مساعدة الاتحاد السوفيتى . ولم يقدم الينا احد المساعدة سوى الاتحاد السوفيتى لان الدول الرأسمالية تعمل على بقاء هذه المنطقة لمواصلة استغلالها . أما الاتحاد السوفيتى فهو الدولة التى يسمح نظامها الاقتصادى بمساعدة الدول المتخلفة وأمامنا الامثلة كثيرة على ذلك . وجدير بالذكر أن قيادات التنظيم النسائى فى مصر قد أجرت حوارا واسعا مع الرئيس القذافى دار معظمه حول تصورات كل طرف عن وضعية المرأة فى دولة الوحدة وحقوقها . وقد أشارت المصريات فى هذا الخصوص الى « ضرورة أن تعنى الوحدة بالنسبة للمرأة اضافة جديدة لمكتسباتها الهامة وحقوقها الواسعة التى حققتها لها الثورة المصرية » . وقد أوضح الرئيس الليبى فى هذا الخصوص وجهة نظره التى تقول بهذه الحقوق مع التسليم بالفوارق بين الرجل والمرأة فى نفس الوقت .

وقد اشار ممثلو الرأى العام المصرى ، الى أهمية العمل من أجل تحقيق حد من « الوفاق العربى بين الدول العربية ، تفرضه ظروف مواجهة متطلبات المعركة ، ويفيد ذلك بضرورة تضييق « جبهات الهجوم التى تفتحها ليبيا مع عدد من البلاد العربية » .

وقد أجمع عدد من ممثلى الرأى العام المصرى ، على أن مقومات النجاح للوحدة « متاحة » وينبغى أن تقوم على أسس « مدروسة وتدريجية » مع الحرص على تجربة مصر التى تتضمن « المؤسسات وسيادة القانون» وفى نفس الوقت الحرص على مراعاة « اجتهادات وأفكار » تجربة ليبيا . وأكدوا فى نفس الوقت ضرورة الاستفادة من تجربة « الوحدة مع سوريا » .

ويرى المراقبون المؤيدون للوحدة - سواء على مستوى « الاندماج » أم مستوى « الاتحاد » - ان قيام لقاءات واسعة ومتعددة بين ممثلى مختلف فئات الشعب فى مصر وفى ليبيا ، أمر ضرورى يفتح الطريق أمام تحقيق مهمة « ازالة أية حساسيات والتقريب بين التكوين الحضرى والنفسى لكل منهما عن طريق مباشر وفعال » . ويرى هؤلاء المراقبون أن الخلافات التى طرحتها « مناقشات الوحدة » قد تمت بهدف « العمل على تقريب المفاهيم ووحدتها لضمان قيام وحدة سليمة » . وتجمع الاوساط السياسية المهتمة فى البلدين على أن مبدأ الوحدة لا خلاف عليه وأن أية تصورات مختلفة « التفاصيل » مسألة « يمكن معالجتها طالما أن الايمان باهمية الوحدة وفعاليتها فى الظروف الراهنة حقيقة مسلم بها » .

●

■ **مجلس الشعب :**

كم من العمال فى مجلس الادارة ؟

فى خلال الفصل التشريعى الاول من دور الانعقاد العادى الثانى لمجلس الشعب تقدم عضو المجلس **د . محمود أحمد القاضى** بمشروع قانون بشأن الشروط الواجب توافرها فى الناخبين والمرشحين عن العاملين فى شركات القطاع العام ، أو الخاص ، والجمعيات ، لعضوية مجالس ادارتها .

وأول ما تعرض له هذا المشروع هو تعديل الطريقة التى نظم بها قرار رئيس الجمهورية رقم

٢٤٢٤ لسنة ١٩٧١ عملية الترشيح لمجالس الادارة فى القطاع العام ، أو الخاص ، والجمعيات التعاونية . فقد جعل هذا القرار ـ المادة الثانية منه ـ الترشيح من حق لجان الاتحاد الاشتراكى واللجان النقابية ، وأن يتم من بين أعضاء هذه اللجان . ووفق ما جاء بالمذكرة الايضاحية لمشروع القانون ، فقد حذفت المادة الثانية واستبدلت بالمادة الثالثة فى المشروع ـ تقول المذكرة الايضاحية !

« ولما كانت طبيعة العمل فى مجالس الادارة تختلف تماما عنها فى الوحدات النقابية ووحدات الاتحاد الاشتراكى ، مما قد يحتاج الامر معه الى نوعية أخرى للاعضاء . كما أنه لما كان فى قيام اللجان المذكورة بالترشيح من بين أعضائها ، ما يضيق من دائرة الاختيار على الناخبين علاوة على ما يترتب عليه من آثار داخل هذه اللجان الضيقة الحدود ـ كذلك لما كان الترشيح بهذه الطريقة قد لا يجعل المنتخبين يمارسون عملهم فى مجالس ادارة الشركات ، بنظرة مجردة بعيدة عما تمليه عليهم طبيعة عضويتهم للجان الاتحاد الاشتراكى واللجان النقابية » .

« فانه لكل هذه الاسباب وحتى يكون مجال الاختيار لمجالس الادارة أوسع وأعم ، قد حذف هذا المشروع المادة الثانية من القرار الجمهورى المشار اليه برمتها ، وذلك باستبدالها بالمادة الثالثة من ذات القرار » (١)

كما نصت المادة الثالثة من المشروع أيضا ، على وجوب أن يكون نصف الاعضاء المنتخبين على الاقل من العمال .وهو مالم يسبق النص عليه فى القرار الجمهورى ٢٤٢٤ . وذلك كما تقول المذكرة الايضاحية : « اعمالا لحكم الفقرة الثانية من المادة ٢٦ من الدستور التى أوجبت أن يكون تمثيل العمال فى مجالس ادارة وحدات القطاع العام فى حدود خمسين فى المائة من عدد أعضاء هذه المجالس » . وكما ترى المذكرة الايضاحية فانه : « بغير فرض هذا القيد ، يصبح من المحتمل أن يكون جميع الاعضاء المنتخبين لمجالس الادارة من بين العاملين الذين لا ينطبق عليهم وصف العامل » .

كما أضاف المشروع فى مادته الثامنة فقرة جديدة لضمان تجديد مجالس الادارة فى مدة اقصاها اربع سنوات حيث أن القرار الجمهورى لم يكن قد نص على حد أقصى لبقاء تشكيل تلك المجالس وضرورة اعادة انتخابها ، مكتفيا بتحديد حد أدنى فحسب لمدة العضوية ،وكما تذكر المذكرة الايضاحية : « مما كان يمكن أن يترتب عليه ، استمرار بقاء تلك المجالس بذات تشكيلها لاجل غير معلوم ، مع مافى ذلك من ضرر مؤكد لعدم تجديدها فى فترات دورية معقولة رجوعا لرأى الناخبين » .

وقد أحال مجلس الشعب بجلسته المنعقدة فى ٤ـ٦ـ١٩٧٣ المشروع بقانون ، بعد الموافقة المبدئية عليه ، الى لجنة مشتركة من اللجنة التشريعية ومكتب لجنة القوى العاملة ، وذلك لاعادة صياغته . وقد رأت اللجنة ـ كما جاء فى التقرير المقدم من **د. جمال العطيفى** رئيس اللجنة المشتركة : « اعادة صياغة بعض نصوص الاقتراح بمشروع قانون المذكور ، بما يحقق الغرض الذى قصد اليه ، وبما يتفق واحكام الدستور فى شأن تمثيل العمال فى مجالس ادارة وحدات القطاع العام والشركات المساهمة والجمعيات والمؤسسات الخاصة » .

وقد جاء تعديل المادة الثالثة على النحو التالى : « يقوم الناخبون بانتخاب نصف عدد أعضاء مجلس الادارة من بين المرشحين من العمال .

ويقصد بالعامل فى حكم هذه المادة ، من يؤدى عملا ذهنيا أو يدويا ، فى الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الخدمات الاخرى ، ويعيش من دخله الناتج عن هذا العمل ، ولا يحق له الانضمام الى نقابة مهنية ، ولا يكون من خريجى الجامعات أو المعاهد العليا أو الكليات العسكرية .

« ويستثنى من ذلك من بدأ حياته عاملا ، وحصل على مؤهل جامعى وبقى فى نقابته العمالية دون أن ينضم الى نقابة مهنية » .

وأما المادة الثامنة فقد عدلت لتصبح : « مدة عضوية الاعضاء المنتخبين فى مجالس الادارة سنتان ، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية لاعتبارات تتعلق بالمصلحة القومية العامة ، من هذه المدة لفترة لا تجاوز سنتين » (٢)

وفى جلسة **مجلس الشعب** المنعقدة فى ١٧ يونيو

---

[١] المادة الثالثة : « يقوم الناخبون بانتخاب اربعة أعضاء من بين المرشحين بشرط أن يكون اثنان منهم على الاقل من العمال ، ويجب مراعاة هذه النسبة فى جميع الاحوال المنصوص عليها فى المادة السابقة من هذا القانون » .

[٢] كانت المادة الثامنة : فى نص المشروع المقدم من د. القافى :
« لا تقل مدة العضوية فى مجلس الادارة للاعضاء المنتخبين عن سنتين ولا تزيد على أربع سنوات » .

١٩٧٣ دار نقاش حول المشروع بقانون المقدم من اللجنة المشتركة .

وحول المادة الثالثة بدأ الحوار ـ فاقترح د. **السيد على السيد** ـ حذف الفقرتين الثانية والثالثة من المادة ، لانه كما يرى البعد بالقوانين عن التعاريف ، وتركها للفقه . وذلك لان التعاريف لا تكاد تستقر ، لانها اذا وضعت فى نطاق القوانين فانها تعرقل القانون فى تطوره أو فى ذاته . وقال **د. محمود القاضى** ـ ان هذا الكلام يتعارض مع نص المادة ٨٧ فقرة ثانية من الدستور التى تنص على « ويبين القانون تعريف العامل والفلاح » . حقيقة لقد ورد النص على ذلك فى قانون **مجلس الشعب** ولكن المادة ٨٧ من الدستور أوردت فقرة مستقلة بذلك ـ ورأى أنه يجب أن يشتمل القانون على تعريف العامل والفلاح ، حتى يكون القانون واضحا وصريحا ـ وذلك كما أتبع بالنسبة لقانون مجلس الشعب الذى صدر فى الدورة الماضية وحتى لا يترك للاتحاد الاشتراكى أو للقرارات السياسية .

وتحدث **د. جمال العطيفى** فقال أنه لابد وأن تتضمن المادة طريقا للوصول الى تعريف العامل ـ « حتى لو أخذنا برأى **د. السيد على السيد** . وتعريف العامل هو نفسه التعريف الذى ورد فى قانون مجلس الشعب ، وهو تعريف سياسى ، اذا ما استثنينا العبارة الاخيرة وهى «دون أن ينضم الى نقابة مهنية» . والتفسير السليم للتعريف بالعامل ، يقضى بأن يظل العامل الذى حصل على مؤهل عال أثناء الخدمة ـ فى نقابته العمالية ، متمتعا بصفة العامل ، ويجب الا ينضم الى نقابة مهنية ، ولهذا ففى الترشيحات النقابية الاخيرة ، اضيفت هذه العبارة ، وهى عبارة تفسيرية أكثر منها عبارة تورد حكما جديدا ، وأرى ، أن تكون هناك وسيلة ، بشكل أو بآخر لتعريف العامل . والملاحظة التى يبديها الاعضاء وهى قولهم : لماذا لا تحدد عدد الاعضاء المنتخبين ، ولماذا لا نقول أربعة ونقول النصف ؟ ذلك لان تحديد أعضاء مجلس الادارة فى القانون الحالى وارد فى قانون القطاع العام » .

ويقول **د. جمال العطيفى** ـ أن « اقتراح **د. القاضى**، يقول بضرورة أن يكون نصفهم ، أى اثنان فقط من العمال بالمعنى الضيق . ولكن ما المقصود من أن يصل العمال الى عضوية مجلس الادارة ؟ ان الموظفين بحكم مافى أيديهم من سلطة داخل الشركة يستطيعون أن يصلوا الى مجلس الادارة ويفوتوا على العمال فرصة تمثيلهم تمثيلا حقيقيا ، وقد انتهت لجنة القوى العاملة الى أكثر من هذا ، فقالت ان جميع المنتخبين فى مجلس الادارة يكونون من العمال .وكانت لهم حجة دستورية واردة فى المادة ٢٦ من الدستور ـ الفقرة الثانية ـ ونصها : « ويكون تمثيل العمال فى مجالس ادارة وحدات القطاع العام فى حدود خمسين فى المائة من عدد أعضاء هذه المجالس » .

وعن صياغة المادة ٢٦ فى الدستور قال **د. جمال العطيفى** « اننى أعترف أن الصياغة التى وردت فى الدستور فى هذا الشأن معيبة ، ومن اجل هذا ، قلت « الله أعلم » ومن ثم يذهب **د. جمال العطيفى** الى أن معنى كلمة « فى حدود » لغويا هو أنه يمكن أن ينقص العدد عن ٥٠ فى المائة ولكن لا يزيد على هذه النسبة وأقول أن هذا النص معيب دستوريا ، ولكنه لا يعيبنا فى شىء ، فمن الممكن أن تصل الى ٦٠ ، ٧٠ ، ٨٠ فى المائة وليس هناك ما يقيدنا ، لان مبدأ تمثيل العمال فى مجلس الادارة هو مبدأ وارد فى الميثاق » .

واحتدم الحوار والنقاش حول هذه النقطة . فأشار العضو **محمد محمد عطية** الى : ان الثورة قد أعطت حقا العمال والفلاحين وحددت لهم مالا يقل عن ٥٠ فى المائة من مقاعد التنظيمات المختلفة . . » وهو يرى أن نص المادة ٢٦ من الدستور ، واضح ولا ليس فيه ، بتخصيص ٥٠ فى المائة من عضوية هذه المجالس للعمال . وقال ان القانون اذ استهدف الاقلال من نسبة الـ ٥٠ فى المائة : « فمعنى ذلك أنه يقصد اضاعة حقوق العمال التى منحتها لهم الدولة ! ولا يمكن طبقا للمادة ٥٩ من الدستور التى تنص على أن « حماية المكاسب الاشتراكية ودعمها والحفاظ عليها ، واجب وطنى طبقا للقانون » أن نتهاون فى هذا الموضوع اطلاقا وأصر على أن يكون **الاربعة** المرشحين من العمال .

أما العضو **مصطفى كامل مراد** ـ فقد فرق بين نوعين من وحدات القطاع العام : ـ « فهناك الوحدات التى يغلب عليها الطابع اليدوى : مثل المصانع ، وهناك الوحدات التى يغلب عليها الطابع الذهنى مثل البنوك وشركات التأمين ، فلا يوجد بمثل هذه الوحدات سوى اخواننا السعاة . من هذا يتضح أن وحدات القطاع العام ليست متجانسة فى نسبة العمال أو فئاتهم » . وقد رأى ضرورة الاخذ بمشروع القانون لانه يحقق العدالة اذ يقضى بأن يكون ٥٠ فى المائة من الاربعة المنتخبين على الاقل من العمال » .

وتحدث **العضو أحمد طه أحمد** ـ عن فلسفة الثورة ومشروع اللجنة عن اشراك العمال فى مجلس الادارة فقال :

« اننى أرى أن صياغة هذه المادة يجب أن تستند الى الفلسفة التى استهدفها مشروع اللجنة واستهدفتها الثورة من اشراك العمال فى مجالس الادارة بتحقيق هدفين أساسيين : **أولهما** : أن

يشارك المنتخبون أنفسهم فى الرقابة على الادارة ،
ثانيهما : هو تدريب جماهير العاملين من أبناء العمال والفلاحين على فن الادارة ذاته .

« فهذا هو حكم وفلسفة اشراك العاملين فى الادارة ومن هنا فاننى أرى أن صياغة هذه المادة يجب أن تراعى روح هذه الفلسفة كما انها يجب أن تستند الى الوثائق الاساسية للثورة ، والى الدستور بمعنى ضرورة النص على تمثيل العمال بنسبة ٥٠ فى المائة على الاقل ومن هنا فاننى أعتقد ان الحكمة التى أملت صدور القرار الاخير للاتحاد الاشتراكى بتعريف العامل هى تحقيق الحماية لانه كما نعلم جميعا جدت فى فترات استخدام التعريف القديم أن كان تمثيل العمال فى بعض مجالس الادارة أو فى بعض الاجهزة الاخرى تمثيلا غير دقيق ، ولقد كان هذا هو السبب الذى من أجله صدر التعريف الاخير للعامل » .

« اننى أرى انطلاقا من الروح التى أملت اصدار التعريف الاخير للعامل فى المجال النقابى أن نتمسك هنا بالنص الوارد فى المشروع المقترح ، ومن هنا فاننى أرى أن النص كما ورد فى المادة الثالثة يحقق كل الاهداف التى تمليها هذه المعانى فكرا وروحا من اشراك العمال فى الادارة » .

وشرح د. جمال العطيفى وجهة نظره فى ضرورة اشتراك كل العاملين فى الانتخاب والترشيح ، فقال :

«نرجو من الاخوة جميعا الا يتحدثوا من منطلق انهم عمال أو غير عمال ،لاننا جميعا نعمل ونكدح ، كما أننا جزء من قوى الشعب العاملة ونحن ندافع عن مصالح الطبقة العاملة بقدر ما تدافع به الطبقة العاملة عن مصالحها » .

وقال : « اننا اذا قلنا بالسماح لجميع العاملين فى المشروع الاقتصادى بحق الانتخاب ، ثم لم نسمح لجزء منهم بترشيح أنفسهم فمعنى هذا أننا نعزل تماما هذا الجزء من العاملين ، وقد يكونون مهندسين أو أطباء أو محاسبين ، وقد يكون عددهم فى بعض الوحدات ـ كما أشار الاخ مصطفى مراد ـ عددا كبيرا ، وقد يزيد على عدد العمال بمعناه الضيق » .

الى أن يقول : « اذن ليس من مصلحة العمال أنفسهم أن نعزلهم عن جزء من العاملين يضاف الى هذا أن مجلس الادارة هو الذى يقرر ما يتعلق بتوزيع الارباح لجميع العاملين من عمال يدويين أو مهندسين » .

ويختم كلمته قائلا : « عندما يرتفع الوعى لدى العمال ، فانهم يستطيعون الحصول على الاربعة مقاعد المخصصة لهم ، أو على كل مقاعد مجلس الادارة الا أنه يتعين علينا فى هذه المرحلة أن نفعل مثلما فعلنا فى انتخابات مجلس الشعب فنقرر بأن يكون نصف الاعضاء المنتخبين على الاقل من العمال . أى اننى أرى أن نوافق على الاقتراح الاصلى الذى قدمه الدكتور القاضى ، ففى ضوء هذا الاقتراح يمكن للعمال أن يحصلوا على أكثر من نصف المقاعد » .

وتحدث العضو أنور الشماع ـ مدافعا عن زيادة نسبة العمال عن ٥٠ فى المائة ـ قال :

« ارجو ألا نتسرع فى بحث هذا الموضوع ، لاننا لو تسرعنا واقررنا انتخاب عضوين من الاربعة أعضاء المرشحين ، عن العمال ، فقد يكون الاربعة أعضاء الاول معينون من الفئات وفى هذه الحالة يكون هناك أربعة أعضاء فئات معينين ، وعضوان فئات أيضا منتخبين ، ويكون الباقى وهما عضوان فقط من العمال ، فتصبح نسبة تمثيل العمال فى مجالس الادارات ٢٥ فى المائة وهذا مخالف للدستور ، وكل مواثيق الثورة » .

وختم أنور شماع كلمته مقترحا أن يكون الاعضاء الاربعة المنتخبون لمجلس الادارة من العمال حتى لا يضار العمال ، ويكفى أن يكون صوت رئيس المجلس مرجحا أحد الجانبين عندما تتساوى الاصوات وقال : « أعتقد أنه اذا وافق المجلس على أن يكون عدد أعضاء مجلس الادارة من العمال اقل من أربعة فان ذلك يعنى القهقرى بالاشتراكية وهذا ما لا نقبله ولا نريده .

وقال العضو المأمون صالح مشالى ردا على الرأى المطالب بأن يكون كل الاعضاء المنتخبين عمالا ـ قائلا : ان المادة الثالثة من الاقتراح بمشروع قانون المطروح تحرم بعض المواطنين من حق مشروع لهم ، وهو حق الترشيح ، وقال : « وانى ارجوا الزملاء العمال ألا يفرقوا بين كل من يعمل سواء كان حاصلا على مؤهل أو لم يكن حاصلا عليه » .

وتحدث العضو محمد رجب السعدى مدافعا عن اقتراحه بأن يقوم الناخبون بانتخاب عدد لا يقل عن نصف العدد الكلى لمجلس الادارة من بين المرشحين فقال :

« نحن فى هذا المجلس ، اذا تحدثنا فانما نتحدث باسم جميع الفئات ، وليس باسم فئة واحدة . واذا تحدثنا أيضا ، فانما نتحدث باسم الجماهير العاملة ، فى المصانع وفى الورش وفى المكاتب وفى البنوك ، لا فرق بين عامل أو موظف ، بل نحن جميعا عاملون ، ولكن كل ما نرجوه هو أن نحافظ على المكاسب التى كفلتها لنا مواثيق الثورة ، وهى نصف عدد أعضاء جميع المجالس ، مهما كانت هذه المجالس ، سواء كانت شعبية أو سياسية ، واننا اذ نتمسك بهذه النسبة ، انما لان هذا فى الواقع حق لنا ، واننى عندما أردت أن أقدم اقتراحا بتعديل النص ، فاننى قلت فى هذا

الاقتراح « يقوم الناخبون بانتخاب عدد لا يقل عن نصف العدد الكلى لمجلس الادارة من بين المرشحين » . ذلك لاننا نعلم جميعا اننا نحن العمال نقع دائما تحت سيطرة الرؤساء فى المصانع والمؤسسات والبنوك ، فاذا ما رشح الرئيس لابد أن نجامله .

« ورد د . **جمال العطيفى** وقال : اننا نستطيع بوعينا نحن العمال أن ننتخب أربعة فعلا ، ولكن التأثير والضغوط التى نراها يوميا ، وفى أثناء الانتخابات بصفة خاصة ، تجعلنا جميعا نتمسك بالعدد الذى كفلته مواثيق الثورة ، ومن هنا فاننا نعمل جميعا لمصلحة مصر لا لمصلحة فرد معين ، ولكن كل ما نرجوه هو أن نحافظ على المكاسب الثورية ، كما قالها **جمال عبد الناصر** فقد قال رحمه الله : يجب على العمال أن يتمسكوا بهذه المكاسب حتى لا تضيع من أيديهم » .

وبعد قفل باب المناقشة أعيد المشروع بقانون الى لجنة مشتركة من مكتب اللجنة التشريعية ولجنة القوى العاملة لدراسته فى ضوء ما أثير من مناقشات . وكما قال **رئيس المجلس** : « ان هذا الاقتراح بمشروع قانون قدمه د . **محمود القاضى** لمصلحة العمال أنفسهم ، الا أننى أشعر أن بعض الاخوة من العمال غير مرتاحين ، فهل هناك مانع من اعادته الى اللجنة ؟ »

وانتهت اللجنة الى تعديلات هامة فى المشروع بقانون ـ **فأولا** : ارتأت اللجنة وجوب التمييز بين التعريف السياسى للعامل فى قانون الاتحاد الاشتراكى وفى قانون مجلس الشعب وبين تعريف العامل وفق قانون العمل وهو الذى يحكم الترشيح لعضوية مجالس ادارة الشركات .

ثانيا : اتاحة الفرصة للعمال بالمعنى الضيق ، وهم الذين يشاركون مباشرة فى الانتاج ويؤدون أعمالا تغلب عليها الصفة الفنية اليدوية ، للوصول الى عضوية مجالس الادارة .

ثالثا : أن ينص على دعوة رئيس اللجنة النقابية وأمين وحدة الاتحاد الاشتراكى لحضور اجتماعات مجلس الادارة وذلك دعا للتعاون بين كل الجهات التمثيلية فى الوحدة الاقتصادية .

رابعا : اضافة قيد جديد على حق الترشيح يمنع مظنة التأثير على سلامة تمثيل العاملين ، وذلك بأن يستبعد من حق الترشيح شاغلى وظائف الادارة العليا والمفوضين بتوقيع الجزاء اذا كان الامر يتعلق بشركات القطاع العام أما بالنسبة لغيرها ، وهى التى لا تخضع لنظام العاملين فى القطاع العام ، فانها قد رأت استبعاد من يكون مفوضا فى ممارسة كل أو بعض سلطات الادارة (٣) .

وهكذا عدلت المادة الثالثة من الاقتراح بمشروع قانون وأصبحت كالاتى :

« المادة الثالثة : يقوم الناخبون بانتخاب نصف عدد أعضاء مجلس الادارة من بين العاملين ، على ان يكون خمسين فى المائة منهم ، على الاقل ، من العمال . وذلك فى الجهات التى تمارس نشاطا انتاجيا فى الصناعة أو الزراعة » .

« ويقصد بالعامل فى حكم هذه المادة من يؤدى عملا فى الانتاج الصناعى أو الزراعى تغلب عليه الصفة الفنية اليدوية » .

« ويفصل وزير القوى العاملة فى أى خلاف ينشأ فى هذا الشأن » .

« ويدعى رئيس اللجنة النقابية بالوحدة وأمين الاتحاد الاشتراكى بها ، لحضور اجتماعات مجالس ادارتها ، دون أن يكون لها صوت معدود فى المداولات » . .

•

■ لبنان :

جنبلاط :

هل هو الازمة ؟

أم المخرج من الازمة ؟

لبنان بلد يعيش على التوازن ، بل ان البعض يتصور أنه يعيش من أجل التوازن ، والتوازن اللبنانى لعبة صعبة بقدر ما هى ضرورية . (الجارديان ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٧٣)

كل ذلك أصبح معروفا ، ربما الى درجة انه اصبح محتما أن يضاف صراحة الى الكتب المدرسية فى الجغرافيا السياسية . لكن التوازن الذى سارت عليه لبنان منذ استقلالها يهتز الان بعنف .

لماذا ؟

لان احد الاطراف الاساسية بل والضرورية فى لعبة التوازن ، قد غير منذ سنوات طويلة موقعه بشكل راديكالى ، اذ هجر المواقع الطائفية وهو

---

(٣) اضيفت فقرة جديدة الى المادة الثانية : « ١ ـ الا يكون من شاغلى وظائف الادارة العليا او من المفوضين فى توقيع الجزاء فى الوحدات الاقتصادية التابعة للقطاع العام ، والا يكون مفوضا فى كل او بعض سلطات الادارة فى باقى الجهات الخاضعة لاحكام هذا القانون .

يتجه يسارا ، ولبنان المحافظ ، الطائفى ، ذو الاقتصاد الحر ، والواجهة الليبرالية البراقة ، والصحافة الحرة ، والسجون الخالية من السياسيين ، عاش طوال حياته المستقلة يتقن لعبة التوازن بين أطراف اليمين وحدهم ، فماذا يحدث لو انحاز أحد هذه الاطراف يسارا ؟

تلك هى العقدة اللبنانية الان ..

جنبلاط ينحاز يسارا ، فعلها بالامس ، ثم هو يؤكدها اليوم ، وهكذا فلا مناص من اضفاء طابع سياسى ، وغير طائفى ، على لعبة التوازن ، وهنا يختل التوازن ذاته .

وعندما استقالت وزارة **الحافظ** ، أو بالدقة أجبرت على الاستقالة ، بدأت المعركة حول اختيار مرشح للرئاسة ، وبدأت مشاورات عديدة وقدمت عدة ترشيحات **رشيد كرامى** مدعوما من جنبلاط وجبهة النضال والباقى (حركة التوعية) ، لكن **شمعون** يعترض على **كرامى** ويرشح **صائب سلام** ويعترض الجميع على **سلام** ، فيرشح بدوره **سليمان العلى** (الانوار ٢١ يونيو ١٩٧٣) .

ويحاول الرئيس **فرنجية** أن يتخلص من كل هذه الاعتراضات فيفكر فى ترشيح شخصية غير سياسية لتولى رئاسة الوزارة ، ويعلن **جنبلاط** « ان اختيار شخصية غير سياسية لا يحل المشكلة بل يزيدها تعقيدا . وربما أدى الى عودة المقاطعة التى واجهتها حكومة **الدكتور الحافظ** » (الانوار ٢١ يونيو ١٩٧٣) . وأخيرا نجح **جنبلاط** فى أن يجمع قوى سياسية هامة تؤيد ترشيح **تقى الدين الصلح** ، الذى كلف بتشكيل الوزارة فى أعقاب زيارة قام بها **جنبلاط** للقصر الجمهورى (الصياد ٢٨ يونيو ـ ٥ يوليو ١٩٧٣) .

لكن النجاح فى اختيار مرشح لرئاسة الوزارة لم يكن نهاية المشكلة بل كان مجرد تحديد لبدايتها .

● **جنبلاط أم لا ..**

فقد أعلنت جبهة النضال ، وجبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، وجبهة المشاركة مع الثورة الفلسطينية مطلبا محددا .. **جنبلاط** وزير للداخلية واعترض البعض على ذلك ، وفى تصريح صحفى أعلن **جنبلاط** :

● ان موضوع وزاة الداخلية لا يتعلق به شخصيا ، ولكن القوى الوطنية والتقدمية رشحته لتحمل مسئولية هذا المنصب فى الظروف الراهنة .

● ان الداخلية هى أكثر الوزارات حساسية ، لانها مفتاح الازمة مع الفلسطينيين ، والازمة الخارجية مع سوريا والعراق بشكل خاص ، ومع سائر دول العالم العربى .

● ان الرأى العام اللبنانى والعربى يخشى من جولة ثانية ضد المقاومة الفلسطينية .

● ثم تساءل **جنبلاط** عن مصدر الاعتراض على توليه وزارة الداخلية ومن اين يأتى من أمريكا ، أو من اسرائيل ، أو من السعودية ! (راديو بيروت ـ ٢٥ ـ ٦ ـ ١٩٧٣) .

ومن ناحية أخرى ، أعلن **كرامى** فى حديث صحفى « أصر على اسناد الداخلية الى جنبلاط ، واذا أرادوا الراحة فليسلموه وزارة الدفاع أيضا » (الانوار ٢٦ يونيو ١٩٧٣) .

وتصور البعض أن « الفيتو » على **جنبلاط** يأتى من القصر الجمهورى . لكن الرئيس **فرنجية** أعلن لعدد من النواب أنا لا أضع « فيتو » على أحد ، وخصوصا على **السيد جنبلاط** اذا اسندت اليه وزارة الداخلية » ثم اتضح أن مصدر « الفيتو » هو الاحرار (**شمعون**) والكتائب (**الجميل**) (الانوار ٢٧ يونيو ١٩٧٣) وخروجا من المأزق عرض على **جنبلاط** وزارة الدولة للشئون العربية والفلسطينية فرفضها . ثم عرضت عليه وزارة الاشغال فاعتبرها اهانة له . وتردد أن **جنبلاط** ينوى اعلان عزوفه عن الاشتراك فى الوزارة حتى ولو وافق « المعنيون » على اعطائه وزارة الداخلية « لان المعلومات التى توفرت من خلال الاتصالات التى أجراها ، ولدت لديه قناعة بأن الاشتراك فى الحكومة ، ولو اسندت اليه وزارة الداخلية ، لا يعنى بأية حال « رحلة شهر عسل » بل رحلة محفوفة بالمصاعب (الانوار ٢٧ يونيو ١٩٧٣ .

ومرة أخرى تتحرك ضغوط كثيرة ..

حركة التوعية ، أصدرت بيانا أعلنت فيه تمسكها بمطلب اسناد وزارة الداخلية **لجنبلاط** ، وعدم التعاون مع أية حكومة لا تحقق هذا المطلب » . ودار الافتاء أصدرت بيانا بتوقيع المفتى **حسن خالد** جاء فيه ان **جنبلاط** « أخ كريم ورجل كبير من رجالات البلاد وأصحاب الرأى والدور السياسى فيها » .

ثم أصدرت جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بيانا أعلنت فيه « .. ان اسناد وزارة الداخلية للاستاذ **كمال جنبلاط** ، ليست قضية شخصية تهم **جنبلاط** نفسه ، بل هى قضية وطنية وديمقراطية ، تهم جماهير لبنان الواسعة التى اعلنت رأيها صريحا بضرورة اعتماد سياسة ايجابية واضحة مع المقاومة الفلسطينية ، تقوم على أساس توفير عناصر الثقة بتطبيق الاتفاقيات المعقودة ، وتصفية ذيول الاحداث الاخيرة ، واعتماد سياسة دفاعية وطنية ، ومن أجل تثبيت الحقوق والحريات الديمقراطية والاجتماعية ، وعودة العلاقات مع الدول العربية الشقيقة الى

حالتها الطبيعية » . كذلك أصدرت حركة الصحوة (مجموعة من الشخصيات السنية) بيانا تطالب فيه باسناد منصب وزير الداخلية لجنبلاط ، لان المصلحة الوطنية تحتم ذلك » (وكالة الانباء الفرنسية ـ بيروت ـ ٢٩ يونية ١٩٧٣) ..

واستمر **شمعون والجميل** يعارضان ، بل ان **شمعون** زاد الطين بأن صرح بأنه ضد اشتراك **جنبلاط** فى الحكومة أصلا ، لانه اشتراكى ، وضد نظام الاقتصاد الحر ، ولا يؤمن بالنظام البرلمانى » .

(ا . ش . ا ـ بيروت ـ ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٧٣)

و**صائب سلام** أعلن أنه فى موقف المتفرج ، أما جنبلاط فقد رد على كل ذلك ردا لا يمكن الا أن يصدر عن **جنبلاط** « أفضل الكرسى الهزاز فى منزلى على كرسى الوزارة » (الانوار ٢٩ يونيو ١٩٧٣) .

● التهديد بالعسكر ..

ووصل الوضع الى مختنق خطير ، وبدأت العناصر المقربة من القصر الجمهورى تلوح بوزارة عسكرية ما لم يتفق الساسة وصرح **طونى فرنجية** نائب شمال لبنان والابن الاكبر للرئيس **فرنجية** « ان تأليف وزارة عسكرية يمكن أن يكون العلاج الاخير . ذلك انه اذا كان على المرء أن يختار بين تدمير الدولة وبين تشكيل حكومة عسكرية ، فاننى أفضل شخصيا الا تتعرض الدولة للدمار . وسوف نعطى السلطة للجنود حتى يحافظوا على لبنان » (وكالة الانباء الفرنسية ـ بيروت ـ ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٧٣) .

لكن الضغوط على أرض التوازنات لم تكن داخلية فحسب .. فقد ترددت شائعات قوية عن ضغوط خارجية بعضها عربى وبعضها غير عربى تلح على منع **جنبلاط** من الاشتراك فى الوزارة .

كذلك فقد كانت المشاورات تجرى فى ظل تهديد اسرائيلى واضح تمثل فى حشود اسرائيلية كبيرة ،

تعليق

أرصدة العرب فى الخارج هل تترك فى مهب العواصف ؟

بدأ حلفاء امريكا وشركاؤها ، وذوو العلاقات الخاصة بها ، يتخلصون من ارصدتهم من الدولارات ، او على الاقل يوقفون تزايدها ، حتى لاتتجمد ثرواتهم فى عملة يضطرد تدهورها مما يبدد جزءا من هذه الثروات .

وما يحدث للدولار الامريكى ليس « حالة خاصة » فمن قبل حدث للجنيه الاسترلينى ، بل وللين اليابانى والمارك الالمانى ، بعد هزيمتهما فى الحرب العالمية الثانية ، مما يؤكد ان ازدهارهما الحالى ليس بمنجاة مما يلاقيه الدولار . ذلك ان قوانين النمو الرأسمالى وازماته الدورية ، تجعل من تدهور قيمة عملات هذه الدول قدرا محتوما .

وتعدد التجارب لابد وان يدفع كل من يحتفظ برأسمالية فى شكل ارصدة من عملات الدول الغربية وفى بنوكها الى اعادة التفكير فى سلامة تصرفه هذا ومدى رشده . والواقع ان تقسيم العمل الدولى الذى فرضت به الدول الرأسمالية المتطورة لنفسها دور التاجر ، ثم دور الصانع ، واخيرادور المصرفى على النطاق العالمى ، اعتمد فى الاساس على خداع البلدان النامية وسلبها حقها ، والانتقاص منه ، بكل صور التلاعب والتحايل . وقام على فكرة أن دور هذه البلدان الاخيرة هو أن تكون مجرد « زبون » ، او « عميل » للمراكز التجارية والصناعية والمالية فى الغرب المتقدم .

ومما سهل هذا ، أن موارد البلدان النامية من السلع والثروات ، كانت « تنقل » الى البلدان المتطورة حيث تجرى عليها مختلف العمليات التجارية والصناعية بحكم أن مراكز وشبكات التوزيع والتصنيع والتمويل الاساسية كانت قائمة فى هذه الاخيرة .

ولقد تمكنت البلدان الرأسمالية المتطورة ايضا بحكم المصارف العملاقة التى قامت بها ، والتى تتبعها شبكة واسعة من الفروع تغطى العالم كله ، او معظمه ، من أن تقنع اولى الامر فى البلدان النامية بايداع حصيلة صادرات ومعاملات بلادهم فى هذه البنوك ، بحجة استثمارها بطريقة مضمونة ومماشجع على هذا ان عملة هذه البلدان المتطورة ـ وبالتالى البنوك التى تقف وراءها ـ كانت هى اساس نظام النقد الدولى والمعاملات التجارية الخارجية ، ومن ثم كان من اليسير اقناع البلدان النامية بترك ارصدتها فى البنوك العالمية لتسوية معاملاتها ، استيرادا وتصديرا .

وفى الدول المنتجة للبترول التى تحصل على ارصدة ضخمة من صادراتها منه ، « لاتستخدم هذه الارصدة فى زيادة الانتاجية اوفى رفع مستوى معيشة الشعب » كمايقول باران الاقتصادى الامريكى المعروف » .

وفائض ارصدة دول البترول المكتنز فى البنوك الاجنبية هذا سيستمر فى التزايد ، بفعل زيادة ضخامة عائداتها ، بالمقارنة مع قدراتها الاستهلاكية ـ وهى محدودة بقدرة اصحاب الحظوة والدخول الكبيرة فيها على الاستهلاك . وبحكم ان قدراتها على التنمية محدودة ، بسبب ضيق سوقها المحلى ، وعدم وجود فرص حقيقية لها فى الاسواق الخارجية . ثم بسبب نقص المهارات البشرية والفنية أو او التسهيلات الانتاجية

وقد تكون فوائد هذه الارصدة التى تدفعها البنوك الرأسمالية معقولة [تصل الى ٨٪] ، لكن هناك عوامل اخرى تنسف هذه الفوائد بل وتؤدى فى نهاية المطاف الى تخفيض قيمة

فى مقابل القطاع الاوسط والعرقوب • وكانت هذه الحشود قريبة ، الى حد أنها كانت تشاهد بالعين المجردة • كذلك فقد نشطت الزوارق والقطع البحرية الصهيونية حيث اقتربت الى مسافة ستة كيلو مترات من الساحل اللبنانى فى مقابل بلدة النعمة ، وتحت حراسة الطائرات المروحية (المحرر ٢٥ يونيو ١٩٧٣) •

وفى المقابل فان هناك ضغوطا معاكسة •• بل ان البعض قد فسر استمرار غلق الحدود السورية ـ اللبنانية على أنه ضغط لصالح **جنبلاط** • ووصل الامر الى حد أنهم فسروا تصريحا **لجنبلاط** على أنه تهديد بأن الحدود لن تفتح الا اذا أصبح هو وزيرا للداخلية • واضطر **جنبلاط** الى أن يفسر تصريحه قائلا انه كان يعنى ان هناك حاجة ملحة الى محاور وطنية فى الحكومة قادرة على الحوار مع الدول العربية • (الانوار ٣٠ يونيو ١٩٧٣) •

ويتأزم الوضع حتى يكتب محرر الانوار **الياس ربابى** « يهزل السياسيون فيطل العسكر » (الانوار ٢ يوليــو ١٩٧٣) ••• ويبدو خطــر الحكومة العسكرية محيقا بالجميع •• وتجرى محاولات جديدة •

● ١ = ٣

ويعلن **جنبلاط** تخليه عن المطالبة بأى منصب وزارى ، مقابل تعيين ثلاثة وزراء من انصاره ، واحد عن حزبه ، واثنان عن جبهة النضال • وتصدر جبهة النضال وجبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بيانا تعلن فيه أن جنبلاط يتخلى عن المطالبة بوزارة الداخلية مشترطين أن يتعهد الرئيس المكلف بتشكيل الوزارة بما يلى :

● **التعهد بعدم ضرب المقاومة الفلسطينية •**
● **التعهد بعدم ضرب الحركة الوطنية •**
● **سحب قانون الاحزاب والجمعيات مــن مجلس النواب •**
● **انشاء مجلس أعلى لقيــادة الجيش لتحقيق** التوازن (الانوار ٢ يوليو ١٩٧٣) •

وقدرة رأس المال الاساسى المودع فى هذه البنوك ، واهم هذه العوامل :

☐ تدهور قيمة عملات البلدان الرأسمالية وتخفيضــها رسميا ــ وارصدة الدول المصدرة للبترول مكونة منها ــ مما يؤدى فى نهاية المطاف الى تخفيض القوة الشرائية لهذه الارصدة . وعلى سبيل المثال قد فقدت الدول العربية من جراء آخر تخفيض فى الاسترلينى حوالى ٥٠٠ مليون دولار وتقول الفيجارو الفرنسية آن ليبيا فقدت بسبب تخفيض الدولار حوالى ٢٥٠ مليون دولار [مع ملاحظة ان ليبيا تختلف عن الدول التى تنهب ثرواتها البترولية ، بسبب النهج الوطنى الذى يلتزمه قادتها] .

☐ التضخم وارتفاع الاسعار المستمر فى الدول المتطورة ، مما يهبط مرة اخرى بالقدرة الشرائية لتلك الارصدة فى حين انها لو كانت مستمرة فى اصول انتاجية لزادت قيمتها او على الاقل لما انخفضت . ناهيك عن الدخل الذى ستدره هذه الاصول .

☐ أن الدول المتطورة تستفيد كثيرا من اســتثمار هذه الفوائض ، بما يدر عليها ارباحا تزيد كثيرا عمــا تدفعه كفوائد لاصحابها . لقد انعكست الاية ، فبعد أن كانت الدول الامبريالية تصــدر رأس المال المالى الى الدول المتخلفة ، اصبحت تستورده من بعض هذه الدول لاستثماره بمعرفتها وفى مشروعاتها .

ويقدر باران أن دول البترول فى الشرق الاوسط حصلت على ٣ مليارات دولار فى تسع سنوات حتى ١٩٥٤ . وانها لو استخدمتها فى استثمارات منتجة ، لزاد الدخل الجارى لهذه الدول عما هو عليه حوالى مليار دولار ، وعلاوة على ذلك لو ان الايرادات السنوية للبترول استثمرت بصورة منتجة بمجرد تحصيلها ، فان الزيادة الاجمالية فى الدخل فى فترة السنوات التسع ، كانت لابد وان تصل الى مايقرب من ٣ مليارات دولار ، وذلك بالاضافة الى المفقول التراكمى لرأس المال .

☐ مخاطر التجميد ، فما اسهل آن تمنع الدول المتقدمة البلدان النامية من استخدام ارصدتها ، ولاتملك هذه الاخيرة وسائل فعالة للضغط للحيلولة دون هذا . وكلنا يذكر تجميد بريطانيا لارصـــدة مصر وغيرها مــن الدول عندما واجهت بريطانيا ازمة الحرب ، وعندما اختلفت مع هذه الــدول . وقد قدمت الولايات المتحدة مشروعا بفرض قيود على حق الدول ذات الفوائض فى سحب او استخدام ارصدتها .

☐ ان مشروعات الولايات المتحدة وكندا لاقناع الــدول العربية باستثمار اموالها فى مشروعات تقام فى هاتين الدولتين ، لاتغير من الامر كثيرا . فلن تكون للدول العربية اى سيطرة فعلية على هذه المشروعات ، كمــا ان معظم ثمرتها ستذهب الى امريكا وكندا . ومما يزيد الامر صــعوبة هو ان جزءا عظيما من هذه الاموال لاتملكها الحكــومات العربية ، بل هى ملكية شخصية لافراد .

والحل ــ بعد ذلك ــ هو ان تشرع الدول العربية المالكة لهذه الثروات فى استثمارها فى بلادها . لكن هذا العمل مرادف تماما لقولنا : ان على البلاد العربية التى لم تكسب بعد استقلالها الاقتصادى ، أن تهب ، وان تخوض الجهاد الاكبر من اجل أن تملك فى يديها زمام توجيه اقتصادها القومى بما يعزز استقلالها السياسى ، وبما يضمن تطورها فى جميع المجالات .

ك • ع

ولعل هذه الشروط تلخص البرنامج الذى كان يزمع جنبلاط التمسك به كوزير للداخلية ، ولعلها تمثل أيضا السبب الحقيقى فى اعتراض الاخرين عليه ٠

المهم أن الازمة بدت وكأنها قد حلت ، وأعلن بالفعل مشروع التشكيل الوزارى فى ٣ يوليو متضمنا ترشيح بهيج تقى الدين (من حزب جنبلاط) وزيرا للداخلية ٠

ويرفض الاخرون منح أى من انصار جنبلاط وزارة الداخلية ٠٠ وتعود الازمة من جديد ٠٠ لكن « تقى الدين الصلح » ، وهو الرجل الذى وصفوه بأنه ظل ينتظر الرئاسة خمسة وعشرين عاما ، وانه يحفر الجبل بابرة (الصياد ٢٨ يونيو ٥ يوليو ١٩٧٣) لا يستسلم بسهولة ٠ وتمضى أيام أربعة ، ويعلن فيها تشكيل وزارى جديد يتضمن نفس الخطوط الاساسية وأهمها أن بهيج تقى الدين ظل وزيرا للداخلية ٠

وهكذا فان الكثيرين الذين صوروا جنبلاط على أنه « الازمة » ، ربما أحسوا اليوم أنه هو وحده الذى يستطيع أن يجمع حوله توليفة هى رغم تمايز أطرافها ، وتعدد منابرها تمثل مرحلة جديدة فى تاريخ الحركةالوطنية فى لبنان ، من حيث انها تمثل التجمع والتقارب حول برامج لا حول طوائف . هذه التوليفة تضم الدروز + الكثير من التيارات والتجمعات الاسلامية + الحزب الاشتراكى التقدمى + جبهة النضال + جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية + المقاومة الفلسطينية + اليسار اللبنانى + بعض الانظمة العربية بحيث يجعل من نفسه « المخرج الوحيد من الازمة » ، لان جنبلاط قد أدرك أصول اللعبة السياسية وهى أن المخرج للبنان هو أوسع جبهة وطنية ضد الاستعمار والصهيونية .٠.

●

العراق :

الكزار من الارهاب الى التآمر

فى ٨ يوليو ١٩٧٣ ، نشرت الاوبزرفر البريطانية مقالا عن الاوضاع فى العراق بقلم جافين يانج جاء فى مقدمته ٠

« هددت حفنة من السفاحين السياسيين ، بتحويل المستقبل الذهبى للشعب العراقى الى حمام من الدم والطين ٠ ويعتبر حزب البعث الاشتراكى الحاكم ، الذى تولى حكم البلاد منذ خمسة أعوام ، يعتبر أول حكومة تقوم منذ ثورة عام ١٩٥٨ باحداث تطور ملحوظ فى البلاد ، وظل الامل الضعيف سائدا فى العراق حتى حاول واحد أو اثنان من القراصنة السياسيين تعكير صفو البلاد من جديد ، والحط من شأنها ٠ وينبغى أن يتسنى للبعث الذى هزته هذه المحاولة ، وان كانت لم تلحق به الضرر ، الاستمرار فى طريقه التقدمى ، وهناك أشياء أعظم ينبغى تحقيقها للعراقيين تفوق بكثير ما يمكن لمدير الامن المتمرد (وهو زعيم المؤامرة) أن يحلم به » ٠

ويشير مقال الاوبزرفر بذلك الى سلسلة الاحداث المثيرة التى بدأت بعملية الاغتيال التى دبرها ناظم كزار مدير الامن العام السابق فى العراق ضد الفريق حماد شهاب وزير الدفاع العراقى ٠ وكان ناظم كزار يملك فى يده سلطة هائلة ينفرد بها ، وكانت له صلاحيات التصرف فى أشياء كثيرة ، ليس فقط كعضو قيادة فرع الحزب ببغداد ، او باعتباره المسئول العسكرى فى منطقة بغداد ، ولكن باعتباره ـ قبل كل شىء ـ سلطة الامن الحاكمة فى العراق كله ٠

وقبل الاحداث المثيرة ، لهذه الحركة الانقلابية ، كان ناظم الكزار يتصرف بأسلوب بعيد عن سياسة الوحدة الوطنية ٠ فهو يعتقل عناصر من الحزب الشيوعى العراقى والقوى التقدمية ، وعناصر كردية دون علم قيادة حزب البعث أو أوامر منها ٠ وهو يقوم بأعمال فردية ، دوناستشارة أحد ، رغم خطورة هذه الاعمال وتناقضها مع الخط السياسى لمجلس الثورة وقيادة حزب البعث ٠ وفى دائرة الامن العام كان الكزار يتصرف كشخصية مستقلة يضم اليها قواعد وعناصر تدين له شخصيا ، بينما استبعد عناصر حزبية عديدة حتى لا تطلع على تصرفاته ، ويكون الامر كله فى يده وفى يد العناصر المؤيدة لشخصه والمنتفعة من استمرارية بقائة مديرا للامن العام ٠

ومنذ ستة أشهر ، وقبل محاولة الكزار الانقلابية ، ودوائر حزب البعث العراقى تنتظر مؤامرة تخيط خيوطها المخابرات الامريكية ضد العراق ، وخاصة بعد اجتماع طهران ٠ وكانت المفاجأة أن تهب رياح المؤامرة من داخل حزب البعث ، ومن دائرة الامن العام ، حيث كان الكزار يمارس صناعة تعذيب وقتل عناصر تقدمية ووطنية ، ويثير بذلك دائما الشكوك حول امكانية نجاح الجبهة الوطنية التقدمية فى العراق ٠

هذا يفسر موقف جريدة التآخى العراقية (لسان حال الحزب الكردستانى) عقب تخفيف الحكم الصادر ضد عبد الخالق السمرائى ، حين اعربت عن اغتباطها بذلك لان السمرائى كان له دور ايجابى من أجل تسوية المسألة الكردية وابرام

الاتفاقية العراقية الكردية فى ١١ مارس ١٩٧٠ • الا انها ـ فى الوقت نفسه ـ ابدت ارتياحها للاجراءات التى اتخذت ضد **ناظم الكزار** مدير الامن العراقى السابق الذى تم اعدامه ، على أساس ان تصرفات **الكزار** ومعاونيه ـ كما قالت الجريدة ـ قد عاقت تقدم البلاد فى عدة مجالات ، وان هذه الطغمة كانت قد أصبحت دولة داخل الدولة •

وقد كانت مؤامرة **الكزار** تستهدف اغتيال الرئيس **البكر** عند عودته من بولندا ومعه **صدام حسين** ومجموعة من قادة الحزب والوزراء وقادة الحزب الشيوعى وقادة الحركة الكردية ـ واثناء الاحداث المثيرة • وعندما كان **الكزار** ومعه رهائنه ، وهو محاصر باربعمائة فلاح فى منطقة البدعة الصحراوية شرقى يعقوبه ، أملى باللاسلكى شروطه ـ وهى استئناف المعارك ضد الاكراد ، طرد بعض قادة البعث ، وقف التحالف مع الحزب الشيوعى العراقى • ثم أضاف شرطا رابعا للتمويه وهو اشراك جيش العراق فى المعركة ضد اسرائيل •

وبعد تصفية المجموعة الانقلابية بقيادة **الكزار** وباعدامه هو وخمسة وثلاثون آخرون من بينهم المسئول العسكرى فى حزب البعث **محمد فاضل** ، اتخذ حزب البعث مجموعة من القرارات فى اجتماع استثنائى للمؤتمر القطرى للحزب فى ٨ يوليو الماضى :

أولا : تخويل القيادة القطرية الصلاحيات اللازمة لمعالجة الاثار الناجمة عن الحادثة الاجرامية الاخيرة • **ثانيا :** الاعداد للانتخابات الحزبية فى القطر خلال أربعة أشهر اعتبارا من تاريخ انعقاد الاجتماع • **ثالثا :** رفع التوصية الى القيادة القومية للحزب للاعداد للانتخابات الحزبية فى عموم الحزب خلال ستة أشهر من تاريخ انعقاد الاجتماع • **رابعا :** بعد اجراء الانتخابات الحزبية فى القطر وعقد المؤتمر القطرى الثامن خلال فترة الاشهر الاربعة المشار اليها يجرى انتخاب قيادة قطرية موسعة للحزب ينبثق عنها مكتب سياسى •

وفى ١٣ يوليو ـ أعلن مجلس قيادة الثورة فى العراق بعض تعديلات مهمة فى بعض مواد الدستور المؤقت وسعت من صلاحيات رئيس الجمهورية • وهكذا أصبح رئيس الجمهورية •

« هو رئيس الدولة ، والقائد العام للقوات المسلحة ، ويتولى السلطة التنفيذية مباشرة ، أو بواسطة مجلس الوزراء » •

وبمقتضى هذه التعديلات ، يصبح رئيس الجمهورية هو رئيس الوزراء ، وهو الذى يدعو مجلس الوزراء للاجتماع ويرأس جلساته • كما منحت صلاحيات عديدة فى نفس الوقت لمجلس الوزراء •

وفى نفس الوقت ، الذى كانت تصفى فيه المؤامرة الانقلابية ، اكدت انباء بغداد ان الرئيس **البكر وصدام حسين** اتفقا على انتهاج سياسة انفتاح داخلى وخارجى وخاصة مع الاكراد والاحزاب اليسارية والقوى القومية داخل العراق • وكذلك ممارسة سياسة انفتاح عربى وانفراج مع الدول المجاورة •

وبدأت معالم هذا الانفراج بالاتفاق الذى توصل اليه حزب البعث مع الحزب الشيوعى ، وتوقيعهما على بيان مشترك فى السابع عشر من يوليو معلنين اتفاق الحزبين على ميثاق العمل الوطنى وقواعد العمل فى الجبهة الوطنية والقومية التقدمية •

وقد جاء فى البيان المشترك : « ان مسيرة الحركة الثورية فى العراق وفى أنحاء عديدة من الوطن العربى قد دلت بشكل قاطع على أن من أبرز عوامل صمود هذه الحركة وبأسها ووعيها لاهمية التعاون والتحالف بين فصائلها الطليعية فى جبهة موحدة ، كما ان من ابرز عوامل هزائمها ونكساتها هبوط وعيها بهذه الحقيقة المهمة ونزوع فصائلها الى تغليب التناقضات الثانوية فيما بينها على التناقض الرئيسى والقائم بينها من جهة ، وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة اخرى » •

●

شيلى :

انقلاب الدبابات الخمس

خمس دبابات واقل من مئتى جندى •• وفيما عدا ذلك لابيان ولا برنامج ولا اسماء ولا حتى رسالة تأييد واحدة من دائرة عسكرية او دائرة مدنية • هذا ما اطلق عليه اسم « محاولة الانقلاب » التى قامت فى شيلى فى ٢٩ يونيو الماضى • وربما تكون الصدفة وحدها هى التى مكنت «انقلاب الدبابات الخمس» من الوصول الى القصر الجمهورى وسط العاصمة سنتياجو واحتلاله . او فى الحقيقة دخوله والمكوث بداخله ما لايزيد على ٣ ساعات .

والواقع انه حتى اللحظات التى بدات فيها القوة التى قامت بهذه المحاولة تطلق النيران على قوات الحكومة والحرس الجمهورى لم يكن هناك تصور كامل لعملية انقلابية . وبدا كأن الامر لايتجاوز حدود التمرد الجزئى بين مجموعة صغيرة تنتمى لاحدى فرق المدرعات .

واما اذا عوملت العملية على انها كانت تستهدف بالفعل قلب نظام الحكم ، فان علامات استفهام ، وبالاحرى علامات تعجب كثيرة تتناثر حولها من جميع الجوانب !

ولو ان « انقلاب الدبابات الخمس » قد وقع بنفس حجمه وتخطيطه ومناورته فى اى من دول امريكا اللاتينية الاخرى ـ فى معظمها ـ لامكن فعلا ان يسقط الحكومة ويقيم سلطة عسكرية محلها . ولكان كافيا ان تصل الدبابات الخمس الى القصر الجمهورى لكي تتوالى رسائل التأييد للانقلاب من هنا وهناك ، بل ربما اصدرت وزارة الخارجية الامريكية بيان اعتراف رسمى بالحكومة الجديدة .

اما فى شيلى والتقاليد الديمقراطية الليبرالية راسخة فيها رسوخا شديدا وسجلها السياسي خال على مدى اكثر من نصف قرن من اى محاولة انقلاب عسكرية ، وماضي القوات المسلحة يؤكد ارتباطها الكامل بالحكومة البرلمانية المنتخبة ، فان الامر يختلف تماما . وربما لايعرف الكثيرون انه بعد وقت قصير من بدء المحاولة الاخيرة فى سنتياجو كان المتحدث باسم حزب المعارضة الرئيسى فى شيلى وهو **الحزب المسيحى الديمقراطى يعلن تأييده « للحكومة الدستورية »** ويدعو اتباع الحزب « للبقاء فى منازلهم » .

وعندما خرجت المظاهرات الضخمة المؤيدة للاشتراكية وللرئيس **سلفادور الليندى** تهتف « **الليندى .. الشعب يدافع عنك** » فانه لم يحدث ماكان يحدث اثناء المظاهرات السابقة من اشتباك بين عناصر الحكومة وعناصر المعارضة . وانما سارت **مظاهرات** التأييد لا لليندى والائتلاف اليسارى الحاكم وللبرنامج الاشتراكي لايتحداها احد ولا تتصدى لها مظاهرات مضادة .

والنتيجة ؟

النتيجة التي يمكن استخلاصها من هذه الغرائب **هى ان عناصر من خارج اطار الحكومة ومن خارج اطار المعارضة البرلمانية تماما هى التى كانت قد دبرت لهذا الانقلاب الفاشل** . وهى التى صور لها تصور حساباتها أن فى شيلى ايضا يمكن لخمس دبابات واقل من مائتى جندي ان يفرضوا حكومة عسكرية . وبالتحديد فان العناصر التى دبرت هذه المحاولة هى بالفعل وكما وصفها **الرئيس الليندى** قبل وقوعها بعدة اسابيع بأنها « **فاشستية** » . فهذا وحده مايفسر وقوف المعارضة البرلمانية ضد المحاولة منذ البداية . لم يكن ذلك حبا فى **الليندى** او رغبة فى استمرار حكومة الاتحاد الشعبى او رضاء مفاجئا عن البرنامج الاشتراكي لهذه الحكومة. فان المعارضة تعمل لاحراج الحكومة واسقاطها وتعمل بكل جهد لعرقلة البرنامج الاشتراكي بكل الوسائل داخل البرلمان وخارجه ، وتلجأ ايضا للمظاهرات العنيفة . ولكنها ادركت **ان محاولة الانقلاب العسكرية موجهة لا ضد الليندي وضد الاشتراكية فحسب،بل انها بطبيعتها الفاشستية موجهة ضد الديمقراطية التى تتمتع المعارضة فى ظلها بحرية الحركة** .. وحتى بوسائل تتجاوز كثيرا كل الاشكال المتاحة فى اى مجتمع ياخذ بالتنمية الاشتراكية .

ويفسر هذا ايضا لماذا عادت المعارضة بعد فشل المحاولة مباشرة تضع العراقيل فى وجه حكومة **الليندى** ، فتحول دون موافقة البرلمان ـ الذى تسيطر فيه على الاغلبية ـ على اعلان حالة الطوارىء وتثير فى وجه **الليندى** اعتراضات دستورية خطيرة على **سماحه للعمال باحتلال المصانع ، وهو الاجراء الذى دعا اليه اثر وقوع المحاولة لكي يحمي العمال بأنفسهم وبسلاحهم مكاسبهم الاشتراكية ضد العناصر الفاشستية التي تريد الانقضاض عليها**،بل لقد رفضت المعارضة يد **الليندى** التى مدت اليها للاشتراك فى التشكيل الوزارى الذى كونه بعد محاولة الانقلاب . فقد رشح اثنين من رجال الحزب المسيحى الديمقراطى للمشاركة فى الوزارة ـ هما **فيليب هيريرا** رجل الاقتصاد الشهير ومدير بنك التنمية لعموم امريكا **وفرناندو كاستيو** مدير الجامعة الكاثوليكية فى شيلى . وكلا الرجلين رفض . الاول بحجة تفرغه للعمل مع الامم المتحدة فى مشروع انشاء جامعة عالمية ، والثانى اعلن مباشرة « ان الحزب لم يسمح له » .

اما ذلك اليمين الفاشستي الذى ظن انه يستطيع الانقضاض على السلطة لتقويض البرنامج الاشتراكى وتقويض الاسس الديمقراطية القائمة ـ والتى تتمسك بها حتى المعارضة ـ فانه لم يكن يتحرك بهذا الانقلاب ضد **الليندى** لاول مرة . فهو مسئول عن **مصرع الجنرال شنايدر قائد القوات المسلحة الشيلية** وصديق **الليندى** الشخصى فى اعقاب تولى الزعيم الاشتراكى الرئاسة فى اكتوبر عام ١٩٧٠ . ولم يكن اغتيال الجنرال **شنايدر** حادثا اقل خطورة من « انقلاب الدبابات الخمس » .

كما ان اليمين الفاشستى تحرك ضد **الليندى** فى عديد من **المحاولات التخريبية فى مناطق الاقطاعيين السابقين** فى ريف شيلى . وظهرت بصمات المنظمة الرئيسية لنشاط اليمين الفاشستى ـ وهى منظمة « **الوطن والحرية** » ـ على عدد من الاضرابات المنظمة ، وخاصة **اضراب اصحاب سيارات النقل فى اواخر الشهر** الماضى . وهو الاضراب الذى اطلق عليه اسم « **اضراب رجال الاعمال** » او « **اضراب الرؤساء** » **والذى استهدف شل حركة نقل المواد الغذائية فى جميع انحاء شيلى لاصطناع موقف « تجويع » فى البلاد** . وظهرت بصمات المنظمة نفسها على **اضراب منجم « التنينت »** وهو اضخم منجم للنحاس تحت الارض فى العالم كله .

والحقيقة ان محاولات اعداء الاشتراكية فى **شيلى** لم تنقطع منذ انتخاب الحكومة الاشتراكية عن السعى الى خلق حالة من « الاستياء الشعبى » بافتعال كافة الوسائل لاحداث حالة من الفوضى ، حتى ولو اثار ذلك خطر نشوب حرب اهلية فى شيلى . **وقد فشلت العناصر المعادية للاشتراكية فى احداث انقسام بين صفوف الطبقة العاملة** التى يستند اليها فى الاساس تنفيذ البرنامج الاشتراكى لحكومة الاتحاد الشعبى ، برغم مصاعب حقيقية ، ذات طابع اقتصادى اساسا تواجهها الحكومة .

ولعل **تماسك الطبقة العاملة الشيلية وتمسكها بالمكاسب الاشتراكية واصرارها على المضى فى تنفيذ برنامج التنمية الاشتراكية هو عامل القوة الرئيسى لحكومة الليندى** التى تواجهه مؤامرات اليمين الفاشستى ومناورات اليمين البرلمانى فى وقت واحد .

ويدرك **الليندى** هذه الحقيقة بوضوح تام ، وهو ما انعكس فى اول بيان له اثر قيام محاولة الانقلاب الاخيرة . لقد وجه نداءه الى **العمال بأن يحموا** مكاسبهم وحقوقهم ومستقبلهم . وانعكس بعد ذلك فى مؤتمر صحفى عقده للمراسلين الاجانب فى سنتياجو يوم ٧ يوليو اذ اعلن ان حكومته « **لن تتنازل فى المبادىء** » وقال « **اننا لن نتخلى ابدا عن برنامج التغيير الاجتماعى والاقتصادى** » .

وبالفعل فانه بقوة تأييد الطبقة العاملة ووحدة صفوفها وراء الليندى والبرنامج الاشتراكى ــ ممثلة فى الاحزاب اليسارية وخاصة الحزبين الشيوعى والاشتراكى ــ تواصل حكومة **الليندى** التغلب على المصاعب الداخلية . وكان تأكيد استنادها الى هذا التأييد الجماهيرى العريض واضحا فى اقدامها على الغاء حالة الطوارىء الجزئية التى كانت قد اعلنتها فى اعقاب محاولة الانقلاب .

وكأن **الليندى** كان يقول للمعارضة البرلمانية ــ بعد ان سحق محاولة المعارضة الفاشستية ــ **لسنا فى حاجة الى حالة الطوارىء لنواصل مسيرتنا الى الاشتراكية . ولن يجرؤ اليمين الفاشستى على تكرار المحاولة .**

■ **المانيا الاتحادية :**

أعلام أوربية ترفرف فوق شركات أمريكية

أعلنت المانيا الاتحادية رفع سعر عملتها بالنسبة لعملات البلدان الاخرى ــ أو معدل تبادلها معها ــ بمقدار ٥ر٥ فى المائة ، وذلك فى محاولة تستهدف فى الاساس وقف تدفق الدولارات لشراء المارك الالمانى (اذ تدفق اليها حوالى ٦ مليارات دولار فى ٩ أيام ابتداء من أول فبراير) وذلك باعتبار المارك عملة تزداد مكانتها الدولية وتتدعم ، وللمراهنة على رفع سعره ــ بعد شرائه ــ مما يجعل اعادة بيعه تحقق ربحا كبيرا ، وللتخلص من الدولار الذى بات عملة غير مرغوب فيها .

ان ألمانيا الغربية التى لعبت الدور الاساسى فى دعم الدولار فى أزمته الاخيرة ، انما تقلل بقرارها هذا ، من مدى مساندتها للدولار ، ومن مساهمتها فى امتصاص الفائض الكبير الموجود منه فى العالم (يقدر بحوالى ٨٠ مليار دولار) . كما تستهدف منع التضخم ، وارتفاع الاسعار الذى قد ينجم عن تدفق هذا الفيض من الدولارات ، والحيلولة دون تسرب كميات كبيرة من الماركات الى الخارج ، وهى فى هذا تضحى باحتمال نقص صادراتها بسبب ارتفاع قيمة المارك ، مما يجعل القوة الشرائية للعملات الاخرى فى السوق الالمانى ومن السلع الالمانية أقل من ذى قبل .

ورفع سعر العملة لمنع تدفق الدولارات ، ليس هو الاجراء الوحيد الذى تتبعه دول أوربا للتخلص من العملة الامريكية . وانما يصاحبه اجراء آخر هو تزايد استثمار فائضها من الدولارات فى انشاء مشروعات داخل الولايات المتحدة ، حيث مكانة الدولار ــ هناك ــ أكثر استقرارا منها فى الخارج . ثم للتخلص من القيود الجمركية والسياسة الحمائية التى بدأت الولايات المتحدة فى اتباعها للحد من الواردات الاوربية اليها . كما أن ألمانيا الاتحادية تريد ، بذلك ــ أن تستفيد من المزايا التى تتاح للمشروعات المحلية فى الولايات المتحدة . وفى هذا لاحظت « **النيوزويك** » وحذرت من « **غزو أوربى يابانى للاستيلاء موجه الى الشركات الامريكية** » . ويورد الاقتصاديون ، كنماذج للشركات الاوربية التى اقتحمت السوق الامريكية بصورة أثرت على حركة التعامل فيه ، أسماء شركات **نستله** الهولندية **وباير** الالمانية **وفيليبس** الهولندية **وبريتش أوكسجين** الانجليزية ، وغيرها .

والواقع أن الحكومات الاوربية التى كانت تفرض من قبل قيودا على تحويل العملات منها ، خاصة الدولارات ، رأت انه من الافضل ارساله الى المكان الذى يصبح فيه أكثر جزاء . كما أن الولايات المتحدة المشغولة بتحسين ميزان مدفوعاتها ، لا تعارض فى دخول رؤوس الاموال اليها لتعويض العجز فيه .

وبالفعل بدأت حركة عكسية من الاستثمارات ورؤوس الاموال الضخمة تتجه من أوربا الى

أمريكا ، وذلك على النقيض مما حدث بعد الحرب الثانية ،ولقد ازدادت هذه الحركة فى الستينات ، حتى وصلت الاستثمارات الاوربية فى الولايات المتحدة الى ١٠ مليار دولار فى نهاية ١٩٧١ ٠

والاستثمار الاوربى فى أمريكا قصة قديمة تتكرر ٠ ففى القرن الماضى ، لعبت المدخرات البريطانية والالمانية والفرنسية دورا هاما فى انشاء شركات السكك الحديدية والتليفونات فى الولايات المتحدة وغيرها من المشروعات التى احتاجت الى رؤوس أموال ضخمة ٠ غير أن هذه الاستثمارات صفيت فيما بعد ، فقد اضطرت بريطانيا لبيع الاسهم التى يملكها رعاياها فى الشركات الامريكية للحصول على الدولارات اللازمة لدفع ديون الحرب ٠ أما الاسهم الالمانية فقد صودرت ، كما استهلكت سندات السكك الحديدية وغيرها ، حتى وصلت الاستثمارات الاوربية بعد ١٩٤٥ الى حوالى ٣٠٠ مليون دولار فقط ٠ ولكن فى السنوات الاخيرة تزايدت هذه الاستثمارات سريعا ، حتى بلغت مليار دولار فى السنة ـ خاصة بين ١٩٦٢ و ١٩٧١ . والواقع أن معدل الارباح والفوائد فى أمريكا يغرى المستثمرين الاوربيين ، كما أن التخفيضات المتوالية فى سعر الدولار وأزمة وول ستريت قد جعلت عالبية الاوراق المالية الامريكية مغرية ٠ وقد استفاد الاوربيون كثيرا من التوسعات الامريكية فى الستينات ، وتمكنوا من تصدير كميات ضخمة من انتاجها الى أمريكا ، حتى لقد زادت صادرات بعض الشركات الاوربية عن ١٠٠ مليون دولار لكل منها سنويا (صدرت شركة ميشلين بـ ٢٥٠ مليون دولار فى ١٩٧٢) ٠ وعندئذ بدأت الولايات المتحدة فى فرض قيود على الاستيراد ٠ وللافلات من هذا ، وبالاستفادة من خبرة السوق المشتركة ، والتركز الرأسمالى الذى نجم عنه ، أنشأت أوربا شركات ضخمة ترفرف عليها راياتها فى الولايات المتحدة ، خاصة فى المنتجات الكيماوية والمعدنية ٠

وكما فعل الامريكيون فى أوربا ، من قبل ،بدأت هذه الاخيرة فى انشاء فروع تجارية لشركاتها فى أمريكا لانشاء المخازن اللازمة والقيام بالحملات الاعلانية وتقديم خدمات ما بعد البيع ٠ ولم يقتصر هذا على الشركات العملاقة وحدها ، بل قامت به مئات الشركات من كل الاحجام ٠ وبعد ذلك بدأت مرحلة انشاء الشركات الانتاجية فى أمريكا برؤوس أموال أوربية ٠

أما العشرة مليارات دولار التى تستثمرها أوربا فى الولايات المتحدة فموزعة على النحو التالى :

٥ر٤ مليار لبريطانيا ،٢٥ر٢ مليار لهولندا ،٥ر١ مليار لسويسرا ، ٧٦٥ مليون دولار لالمانيا الغربية و ٣٤٠ مليونا لبلجيكا ولوكسمبرج ، و ٣١٥ مليونا لفرنسا ، و٢٣٠ مليونا للسويد ، و ١١٠ ملايين لايطاليا ٠ ونصف هذه الاستثمارات فى الصناعات التحويلية ، وربعها فى البترول ، وحوالى الخمس فى البنوك والتأمين ، و ٤ فى المائة منها فى التجارة ٠

وقد بدأت المانيا الاتحادية استثماراتها متأخرة ، ولكنها تضاعفت ٤ مرات بعد ١٩٦٠ ، خاصة فى شركات الكيماويات وصناعة السيارات ٠ أما بريطانيا فهى على الدوام صاحبة أكبر استثمارات ، خاصة فى البترول بفضل استثمارات شركة بريتش بتروليم ٠ وتتركز الاستثمارات الهولندية فى البترول بفضل شركة شل ، والسويسرية فى المواد الغذائية بفضل شركة نستله وشركات الدواء (سيبا ، جايجى ،

تعليق

فى برلين ٠٠ شباب العالم يتهم الامبريالية

فى اغسطس عام ١٩٥١ ، انعقد فى برلين الشرقية عاصمة جمهورية المانيا الديمقراطية المهرجان العالمى الثالث للشباب والطلبة الذى ينظمه اتحاد الشباب الديموقراطى العالمى والاتحاد العالمى للطلاب ، واختار المهرجان شعارا يناسب الظروف الدولية التى كانت سائدة آنذاك «الشباب يناضل من اجل السلام وضد خطر حرب جديدة » . يومها كان الدمار الذى سببه اكثر من ٤٥ الف طن من المتفجرات القيت على برلين الشرقية اثناء الحرب الثانية مايزال يكسو وجه المدينة الدءوب ،ويومها ايضـــا لم يكن قد مضى على تاسيس المانيا الديموقراطية نفسها سوى عامين فقط ،وكانت الدولة الفتية لم تزل تحت الحصار الذى حاول الغرب الامبريالى ان يفرضه عليها من اول لحظة ، ويذكر الالمان انفسهم كيف هزتهم من الاعماق مشاعر التضامن التى حملها الشباب الديموقراطى اليهم من شباب ٦٧ دولة هى كل الدول التى امكن أن تشترك فى المهرجان الثالث .

ومثل كل الاشياء والظواهر فى دنيانا لم تتوقف المهرجانات عن الحركة والنمو باستمرار . وعقد المهرجان الرابع فى بوخارست عام ١٩٥٣، والخامس فى وارسو [١٩٥٥] ، والسادس فى موسكو [١٩٥٧] والسابع فى فينيا [١٩٥٩] والثامن فى هلسنكى [١٩٦٢] والتاسع فى صوفيا [١٩٦٨] وفى هذا العام [١٩٧٣] يعود المهرجان العالمى للشباب والطلبة الى الانعقاد خلال الفترة من ٢٨ يوليو الى ٥ اغسطس الحالى فى ظل ظروف دولية مميزة . وتقديرى ، انه لم يكن مصادفة ان تبادر منظمة الشباب الالمانى الحر الى طلب انعقاد المهرجان العاشر فى العاصمة الالمانية برلين ، وان تبادر اللجنة التحضيرية العالمية للمهرجان بدورها الى الموافقة

هوفمان ، لابروش ٧ ٪ وحسب تقرير لوزارة التجارة الامريكية ، لا توجد اى صناعة امريكية لا تستثمر فيها الاموال الاوربية ، التى تسيطر تماما على انتاج النيكل والدواء .

وفى البدء كانت أرباح الشركات الاوربية أقل من أرباح الشركات الامريكية ، ولكن الفرق بينهما آخذ فى التناقص . ففى ١٩٦٢ كان العائد فى الصناعة الامريكية حوالى ١١ فى المائة ، وكان بالنسبة للمشروعات الاجنبية الصناعية يقل عن ٦ فى المائة . ولكن فى ١٩٧١ ، أصبح الرقمان على التوالى : هما ٥ر١٠ فى المائة و ٤ر٨ فى المائة . غير أن عوائد الاوربيين أكثر من هذا ، اذا أضفنا اليها فوائد الديون التى تحتسب على رؤوس الاموال الممنوحة لفروع الشركات الاوربية فى أمريكا ، مما يرفع العائد عن ٩ فى المائة .

والواقع أن تزايد الاستثمارات الاوربية ، وانتقال رؤوس الاموال منها الى أمريكا ،لا يؤدى الى تحسن ميزان المدفوعات فى هذه الاخيرة ، لان الاستثمارات الاوربية زادت فى العشر سنوات الاخيرة بمقدار ٣ر٦ مليار دولار ، جاء الثلث منها من الخارج (حوالى ٦ر٢ مليار أى ٢٥٠ مليون دولار سنويا) .

وكان الباقى تمويلا ذاتيا من أرباح وتراكمات الشركات الاوربية فى أمريكا . ليس هذا فقط ، بل ان هذه الشركات ترسل الى البلدان الاوربية الام ارباحا سنوية وصلت الى ٧٥٠ مليون دولار فى ١٩٧١ (٥٥٠ مليون فى العام السابق) ، الامر الذى يزيد من ازمة ميزان المدفوعات الامريكى . ولا تقتصر الشركات الاوربية على التجارة والصناعة ، بل تمتد الى البنوك وشركات التأمين .

على هذا الطلب . فالمهرجان ياتى وقد تمكنت جمهورية المانيا الديمقراطية من تفتيت الحصار الذى حاول الغرب الامبريالى أن يفرضه عليها ، وحصلت على اعتراف عالمى واسع النطاق واصبح من المنتظر أن تاخذ عضوية الامم المتحدة على قدم المساواة هي والمانيا الغربية فى الدورة القادمة للجمعية العامة ومن ناحية اخرى فان الاستقرار فى برلين يمكن أن يكون رمزا لقيمة ماحققه المعسكر الاشتراكى من انجازات لصالح الامن والسلام فى القارة الاوروبية . وما من شك ان انعقاد مهرجان بهذا الحجم حيث يتجمع على ارض جمهورية المانيا الديمقراطية اكثر من ٨٠ الف شاب يمثلون الشباب الديموقراطى والتقدمى فى ١٥٠ دولة ، وممثلى اكثر من ٥٠ منظمة دولية وشعبية مابين عالمية وقارية واقليمية مع مليون ونصف مليون من اعضاء منظمة الشباب الالمانى الحر هو تتويج لانتصار الدولة الالمانية الاشتراكية على الحصار الامبريالى وهو فى نفس الوقت استنفار لاوسع قطاعات الشباب واكثرها فاعلية حول ما احرزته قضايا الامن والسلام فى اوروبا من تقدم .

ومن الامور ذات الاهمية ان التركيب الفكرى والسياسى للوفود المشتركة فى المهرجان ياتى مواكبا تماما لخطة البلدان الاشتراكية ، وكل القوى المحبة للسلام ومتفقا مع دأبها — خلال السنوات الماضية — على العمل لبناء أوسع جبهة عالمية معادية للامبريالية . فهو يضم وفودا من الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، والمسيحيين ، والليبراليين ، والمتدينين . يلتقون جميعا عند نقطة اتفاق محسورية ، هى العداء للامبريالية باعتبارها المسئولة عما اصاب عالمنا ، ومايصيبه ، وماقد يصيبه فى المستقبل من ويلات وآلام . ولقد جدت كل الاعمال التحضيرية للمهرجان فى المانيا الديمقراطية وفى كثير من البلدان الاخرى تحت شعار [الشباب يتهم الامبريالية] كما أن الشعار الاساسى الذى اختارته للمهرجان اللجنة التحضيرية العالمية يعكس نفس الاتجاه السابق . [من اجل التضامن المعادى للامبريالية ، وفى سبيل السلم والصداقة]

ويعطى المهرجان أهمية خاصة لنضال شعوب الهند الصينية ويخصص يوما للتضامن مع الشعب الفيتنامى «اليوم اكثر من اى وقت مضى لتعمير ماخربته الامبريالية » ويتبنى المهرجان بشكل عملى الدعوة الى المساهمة فى بناء مستشفى ضخم فى هانوى باسم الشهيد الفيتنامى الشاب فان تروى. ومن الجدير بالانتباه ايضا أن يخصص للتضامن مع نضال الشعوب العربية يوم كامل من ايام المهرجان بعكس ماحدث فى المهرجان التاسع بصوفيا حيث كان اليوم مشتركا مع بقية حركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وان تقام خلال هذا اليوم [٣٠ يوليو] ندوة فكرية وسياسية حول الشبيبة المتدينة وانخراطها فى النضال من اجل السلم والتقدم الاجتماعى .

ولعل ذلك ردا يجىء فى زمانه ومكانه المناسبيين ، تماما على دعايات الدوائر الامبريالية والصورة المشوهة التى تقدمهـا عن العلاقة بين القوتين الاعظم ، و « التراضى الايديولوجى » بهدف تغطية ازمتها هى ، واضطرارها الى الانصياع لسياسة التعايش السلمى . ومن جانب آخر يهدف ارباك قوى الثورة العالمية وتمزيق وحدتها وتضامنها كلما امكن . وتقديرى أن المهرجان العاشر بما سبقه من اعمال تحضيرية وماسيترتب عليه من نتائج هو شهادة جديدة بمهارة التكتيك الذى تتبعه قوى الثورة الاشتراكية فى العالم لدحر الامبريالية ، وتفادى اخطارها المروعة . لقد كتب شاعر شيلى العظيم بابلو نيرودا تحية لمهرجان الشبيبة الثالث عام ١٩٥١ قال فيها « ان السلام سوف يملا العالم كله بالورود . فلقد بدأت براعمه تزدهر فعلا ، فى برلين وبكامل قوتها » . كتب نيرودا ذلك رغم كثرة زخات الرصاص الحاقد التى رآها تنطلق من فوهات البنادق الالية فى ايدى شرطة برلين الغربية على المظاهرات السلمية التى كانت تقوم بها وفود المهرجان . والان ارغمت الامبريالية على قبول التعايش السلمى فى مناطق كثيرة فى كوريا وفيتنام واوروبا ، وحتما سيجىء اليوم الذى تمتد فيه مظلة السلام الى تلك البلدان التى مازالت تعانى ويلات العدوان الامبريالى ، وهكذا فلم تكن كلمات نيرودا العظيم رجما بالغيب ، ولاتفاولا تاريخيا كسولا بحتمية النصر ولاحتى مجرد خيال جامح لشاعر مرهف ، ولكنها كانت نبوءة علمية ، وكما تقول لنا ادبيات الاشتراكية فان النبوءة العلمية حقيقة .

عبد اللطيف حنفى

ولا يعنى كل هذا أن تصدير رأس المال الامريكى الى أوربا قد توقف · اذ تقدر جملة الاستثمارات الامريكية فيها بنحو ٩٠ مليار دولار فى ١٩٧١ ، كما وصلت الزيادة منها فى هذا العام الى ٨ر٧ مليار (مقابل ٢ر٧ فى العام السابق لذلك) وزعت على النحو التالى : ٩٥٠ مليونا أرسلت الى بريطانيا ، وبذا وصلت الاستثمارات الامريكية فيها الى ٨ر٧ مليار دولار · كما أرسل للسوق المشتركة فى العام نفسه ٨ر١ مليار دولار ليصل اجمالى الاستثمارات الامريكية فيها الى ٦ر١٣ مليار دولار ، وأرسل ٤٠٠ مليون دولار لباقى أوربا الغربية ليصل الاجمالى الى ١ر٥ مليار دولار ، ووزع الباقى بين كندا لتصل استثمارات أمريكا فيها الى ٢٤ مليارا ، واليابان (٨ر١ مليار) واستراليا ونيوزلندا وجنوب افريقيا (٩ر٤ مليار) وأمريكا الجنوبية ونصف الكرة الغربى (٨ر١٥ مليار) والى المناطق الاخرى (٩ر١١ مليار) . ومبلغ الـ ٨ر٧ مليار هذا من الاستثمارات الجديدة ، لم يخرج كله من الولايات المتحدة ،بل خرج منها ٨ر٤ مليار فقط · أما الباقى ، وهو يزيد عن ٣ مليارات دولار فكان من أرباح الشركات الامريكية فى الخارج التى أعيد استثمارها · وقد وزع اجمالى المبلغ على النحو التالى : ٥ر٢ مليار فى البترول ، ٢ر٣ مليار فى الصناعات التحويلية والباقى فى الصناعات الاخرى والخدمات · وتوزيع الاستثمارات الامريكية فى بلدان أوربا له دلالته · ففى بريطانيا استثمر ٢ر٢ مليار فى البترول و ٥ر٤ مليار فى الصناعة التحويلية ، وفى السوق المشتركة استثمر ٩ر٢ مليار فى البترول ، و ٨ر٤ مليار فى الصناعة التحويلية .

وتسيطر على هذه الاستثمارات حفنة قليلة من الشركات الامريكية العملاقة · ففى ١٩٦٧ كان ٤٠ فى المائة من كل الاستثمارات الامريكية فى فرنسا وألمانيا وبريطانيا مملوكا لستاندرد أويل أوف نيوجرسى وجنرال موتورز وفورد . وكان ثلثا الاستثمارات الامريكية فى كل أوربا الغربية فى أيدى ٢٠ شركة ، وفى ١٩٦٩ كان ٤٠ فى المائة من استثمارات أمريكا مملوكا لخمس شركات ، و ٤٠ فى المائة أخرى مملوكا لخمسة وعشرين شركة · ومع ذلك فان شركات أمريكية كثيرة تقيم مصانع لها فى أوربا ، فبين يوليو ١٩٦٠ وديسمبر ١٩٦٦ ، أقامت ٢٥٠٧ شركة أمريكية للصناعات التحويلية ٣٠٠٠ وحدة انتاج تابعة لها فى أوربا ·

والواقع أن التسلل الامريكى الى أوربا ، نشأ عن حقيقة أن الازدهار الصناعى فى الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية سرعان ما أدى الى تشبع السوق المحلى ، وأصبح من الصعب زيادة المبيعات محليا وتحقيق الارباح · وكانت أوربا هى الوسيلة للخروج من الطريق المسدود · واستفاد الامريكيون كثيرا من الطلب الاوربى على معدات التجهيز واعادة التعمير وتوسع الاستهلاك · كما أتاح لهم **مشروع مارشال** التوسع فى التصدير · وعندما أخذت أوربا بسياسة الحماية الجمركية ، انشأت أمريكا مصانعها بها ، وتحولت أسواق التصدير الى قواعد انتاج · ولكن المزايا التى استفادت منها فى أوربا بدأت تتقلص ، مما يقلل احتمالات مواصلة التوسع فى السبعينات · لقد بلغت استثمارات أمريكا ذروتها فى ١٩٦٥ ، ثم أخذت تقل بعد ذلك · ويؤكد رجال الصناعة فى ألمانيا الغربية أن تكاليف انشاء المشروعات الامريكية فى ألمانيا ، تزيد عنها فى أمريكا ،ليس فقط لاسباب نقدية ـ مثل رفع سعر المارك ،وتخفيض سعر الدولار ـ وانما لزيادة الاجور والمواد الخام ، وفرض القيود على التبادل من قبل حكومات أوربا . وكانت ألمانيا آخر هذه الدول التى فرضت ، فى ٦ فبراير الماضى الرقابة على التبادل ، مما عاق الشركات الامريكية عن القيام باستثمارات جديدة بها · أما فرنسا فتطبق ، منذ زمن طويل سياسة رقابة متشددة مما يفسر انخفاض استثمارات أمريكا بها عن مثيلتها فى انجلترا وألمانيا الاتحادية . ومع ذلك فان الشركات الامريكية العاملة : فى أوربا ، تدين بحوالى من ٣٠ الى ٥٠ فى المائة من أرباحها الى فروعها الاوربية . ويؤكد **هوج ستيفنسون** فى كتابه « **الصدام المقبل** » أن عدد الشركات الامريكية التى تزيد استثماراتها فى الخارج عنها فى الداخل ، أو على الاقل تساويها ، يتزايد ويقول : انه من بين هذه الشركات استاندرد أويل اسو ، وشركة التلغراف والتليفون الدولية وسنجر ، وكولجيب ـ بالموليف ، وموبيل أويل ، وناشونال كاش ريجستر ، كورن برودكتس كوربـوريشن وسبيرى راند ·

والواقع ان لامريكا ما يمكنها من الضغط على شركائها الاوربيين بطريقة مؤثرة ، ليس فقط من الناحية الاقتصادية فحسب ، وانما أيضا السياسية والعسكرية · وقد طالب **نيكسون** فى خطابه أمام الكونجرس « بتحرير الولايات المتحدة من الالتزامات » التى تفرضها عليها حماية أوربا بمظلة ذرية وبقوات ضخمة وتساءل قائلا : « هل يتفق مبدأ وحدة الاطلنطى حول مسائل الدفاع والامن مع السياسة الاقتصادية التى يتزايد طابعها الاقليمى للسوق المشتركة ؟ » · وبطريقة غير مباشرة **ردت لجنة بروكسل** ـ قيادة السوق المشتركة ـ فقالت : « انه لابد من الذهاب الى

المناقشات القادمة ـ بين الولايات المتحدة وبين الدول الاوربية التسعة الاعضاء فى السوق . كما يذهب الناس الى الكنيسة ، حيث كل الخاطئين سواء » . **وعلى الرغم من تأكيدات قادة أوربا على فضل أمريكا على أوربا ، فان مصالح بلادهم لها الاعتبار الاول ، وليس هناك مجال للمجاملة فى هذا الصدد .** فالرئيس **بومبيدو** الذى أوضح ، فى آخر لقاء قمة أوربى فى أكتوبر الماضى « أن أوربا تحررت من الجيوش الاجنبية بفضل مساهمة الجنود الامريكيين ، وأعادت التعمير بالقروض الامريكية ، ويجب ألا تدخل فى نزاع مع الولايات المتحدة » ، هو الرئيس الذى يتشدد مندوبوه ،أكثر من غيرهم ، فى المفاوضات مع الولايات المتحدة ، ويرفضون تقديم التنازلات التى كان شركاؤهم الاوربيون الاخرون يقبلون القيام بها . والتطورات الاخيرة تبين أن هؤلاء الشركاء قد بدأوا بدورهم يتشددون . وزيادة سعر المارك الالمانى بداية هذا الطريق ، الذى سيتجرأ آخرون ويتبعونه . وسيندفع الى السطح مرة أخرى الشعور القديم للاوربيين الذى استمر حتى الحرب الاولى ، ثم خبا عندما بدأ « زمن أمريكا » ، وهو شعورهم بأنهم أكثر أصالة وأرقى ثقافة وحضارة ..

●

علوم :

القحط : مأساة لا يمكن قياس حجمها ولا مداها الآن

فى الوقت الذى تدور فيه سفينة الفضاء الامريكية « سكاى لاب » حول الارض معلنة انتصار العقل البشرى على الفضاء الخارجى ، تجتاح أراضى آسيا وافريقيا موجة من الجفاف لم تشهد البشرية له مثيلا من قبل .

فقد اجتاح الجفاف أراضى **الهند** ، ويواجه ٢٠٠ مليون هندى مجاعة خطيرة فى الشهور القادمة ، بعد أن نفقت ماشيتهم ، وانتهت محاصيلهم . والقحط ليس مقصورا على الهند ولكنه اجتاح عددا من دول جنوب شرقى آسيا ابتداء من **بنجلاديش** ، **وسرى لانكا** (جزيرة سيلان) ، وحتى **الفيليبين** فى الشرق . وكذلك أجزاء من **الصين** . وامتد الامر الى غرب افريقيا التى اجتاحها أسوأ جفاف أصابها منذ ستين عاما ، فتحولت المحاصيل الى رماد والاشجار الى هياكل والمراعى الخضراء الى صحارى . ويمكننا ان نعرف حجم المشكلة من تصريح مرتضى **ديالو** وزير منطقة غرب افريقيا لبعثة الاقتصادية للامم المتحدة الذى قال :

ـ اذا لم تحل المشكلة خلال الشهرين القادمين فسيموت قرابة ٦ ملايين افريقى فى هذه المنطقة من بين٢٥ مليونا يقطنونها !ولا تقتصر المشكلة علىهذا الان ، اذ ستمتد على مدى سنوات قادمة

فيقول « **بيير لاردينويس** » رئيس المكتب الزراعى للسوق الاوربية المشتركة :

ـ ان المنطقة المصابة فى غرب افريقيا تواجه مأساة لا يمكن قياس حجمها ولامداها الان !

وتقول احصائيات « منظمة الاغذية والزراعة » التابعة للامم المتحدة ، ان ست دول ، على الاقل ، قد عانت من القحط وهى : **تشاد ـ ومالى ـ وموريتانيا ـ والنيجر ـ والسنغال ـ وفولتا العليا** ، وفقدت نصف دخلها القومى هذا العام .

الخسارة الحقيقية بطبيعة الحال هى الانسان : يقول **جورج دورس** المتحدث باسم منظمة الاغذية والزراعة (**الفاو**) :

ـ فى بعض الاماكن لا يوجد طعام بالمرة ، ويترك الالاف قراهم بحثا عن الماء والطعام ، تاركين خلفهم الشيوخ والمرضى والاطفال . وتوجه الملايين الى المدن فى انتظار جراية الماء . وفى بعض مناطق الكارثة تجد بقرة ميتة كل مائة متر . لقد تحولت الاراضى الزراعية والمراعى الخضراء الغنية الى أرض قاحلة ، أما الانهار التى كانت تجرى لتروى هذه الاراضى فقد جفت أو تحولت فى بعض الاماكن الى مستنقعات آسنة . ان حوالى ٤٠ فى المائة من الماشية فى **النيجر ومالى وتشاد وفولتا العليا والسنغال** قد نفقت ووصلت هذه النسبة الى ٨٠ فى المائة فى موريتانيا .

وحتى فى **داكار** ، عاصمة **السنغال** ـ التى تعتبر احدى مدن افريقيا المزدهرة ، تجمع الناس فى شوارعها بحثا عن الماء ، وهناك صعوبة فى تقييم الخسائر البشرية ، فهناك من ماتوا من العطش والجوع ، وهناك من ماتوا من سوء التغذية والاوبئة .

المشكلة أيضا ، أن القحط قد أصاب منطقة غير قادرة على مواجهته ، فكل الدول الست باستثناء **موريتانيا والسنغال** ، فى آخر قائمة الدول المتخلفة فى العالم كله التى وضعتها الامم المتحدة ، اذ لا يزيد دخل الفرد فى أى من هذه الدول عن ٦٠ الى ١٠٠ دولار سنويا .

الغريب ، أن هذا الموضوع ليس مفاجئا ولا جديدا ، اذ سبق أن تنبأ الخبراء بهذه الموجهة من القحط فى آسيا وافريقيا . فقد بدأ الامر منذ خمس سنوات حين انخفض منسوب سقوط الامطار بشكل محسوس ، واستمر هذا الانخفاض حتى هذا العام

الذى حدثت فيه المأساة • ومنظمة (الفاو) لها ممثلوها فى كل دول المنطقة ، وكانوا قد ارسلوا تقارير بنقص المحاصيل والاغذية ، منذ سبتمبر من العام الماضى ، وكانوا قد حذروا ايضا من أن المنطقة سيصيبها قحط شديد هذا العام ، لم تشهده منذ ستين عاما • ولكن أحدا لم يستمع الى هذه النداءات الا بعد أن حدثت المجاعة بالفعل •

يقول **رايموند شيفين** ممثل الفاو فى مكتب المنطقة :

ـ كانت استجابة الدول للنداءات بطيئة ، ربما لان المسألة حدثت بشكل تدريجى منذ خمسة أعوام ، وربما بسبب العزة القومية ، ولكن حين أذعنا نداء فى مارس الماضى كان الوقت متأخرا •

تقول تقارير منظمة **(الفاو)** ان انتاج الحبوب قد هبط بنسبة ٦٠ فى المائة فى السنغال أقل الدول الست تأثرا بالكارثة ، أما الدول الخمس الاخرى فليس لديها انتاج بالمرة ! وقد استنفد السكان محصولهم المخزون من الحبوب ، وهم يحاربون الان من أجل البقاء ، بعد أن التهموا حتى البذور التى كانوا يعدونها للزراعة فى العام القادم • ومعنى هذا استمرار القحط لاعوام قادمة • أما الرعاة الذين كانوا يتنقلون فى المنطقة فقد اضطروا الى ذبح ماشيتهم ليرووا عطشهم بشرب دمائها ، وكانوا يطبخون روث الجمال فى كفاحهم من أجل البقاء !

والمشكلة العويصة ليست فى وصول مساعدات • فقد قدمت **السوق المشتركة** بما قيمته ٢٠ مليون دولار ، **وفرنسا** دفعة مقدارها ٦ ملايين دولار ، **والولايات المتحدة الامريكية** ١٥٦ ألف طن من فائض الحبوب لديها • المشكلة أن كل هذه المساعدات تكدست فى موانى المنطقة التى تمثل عنق زجاجة ، فالحاجة الرئيسية لهذه المساعدات فى الداخل ، حيث السكان الذين يعانون القحط • ذلك ان شبكة المواصلات الداخلية ضعيفة أصلا ، ويحتاج الامر الى اقامة جسر جوى الى الداخل •

وقد بدأت الامطار الاولى فى السقوط ، وفكر البعض أن هذا بداية انفراج المشكلة • والحقيقة أن هذا القحط سيصيب التنمية فى هذه الدول ربما لعشر سنوات قادمة كما يقدر الخبراء • والواقع ان هذه الامطار سوف تزيد الامر سوءا الان لسببين :ان الماشية والناس العطاش سيشربون حتى الموت . ومن ناحية اخرى سوف تزيد من مشكلة المواصلات ، حيث تتحول الطرق الى برك طينية تعوق السيارات •

ونتيجة لنقص البروتين ، الذى كان أصلا مشكلة عويصة من مشاكل افريقيا ، فان عشرات الالوف من الاطفال مقدر لهم أن ينموا مصابين بنقص عقلى وجثمانى •

هل يمكن أن يمنع العلم مثل هذا القحط الان وفى المستقبل ؟

نعم بكل تأكيد •• ولكن المشكلة أن البشرية لا يمكنها أن ترتب كوكبها وتلك الفوضى سائدة • ان برامج الفضاء التى يصرف عليها بلايين الدولارات يمكنها أن تقدم بعض الحلول • والولايات المتحدة الامريكية قدمت بعض الحلول ، ولكنها فضلت ان تستخدمها للدمار فى **فيتنام** ، وأنا هنا أتحدث عن الاخبار التى تناقلتها وكالات الانباء عن اسقاط الامطار فى غير مواسمها لعرقلة تقدم الثوار الفيتناميين ، ان هذا التقدم العلمى كان يمكن أن يستخدم لانقاذ غرب افريقيا بدلا من اغراق فيتنام •

على أى الاحوال ، يقول الخبراء انه يجب أن تتخذ اجراءات طوارىء لحل المشاكل التى سببها القحط بصفة عاجلة الان • أما منع القحط فى المستقبل فلا يمكن ان يتم الا بخطة طويلة المدى • وقد اقترح خبراء منظمة الاغذية والزراعة اتخاذ الاجراءات التالية :

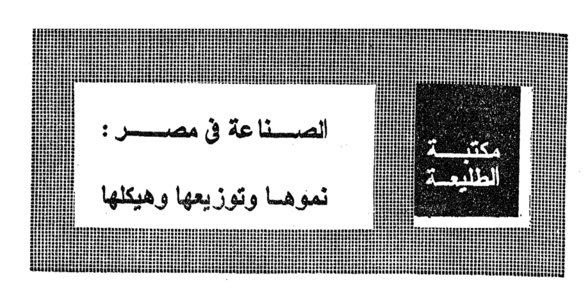
١ ـ رصد الاحوال الجوية فى المناطق المختلفة من العالم وخاصة المعرضة لهذه الكوارث ، باستخدام الاقمار الصناعية والطائرات •

٢ ـ انشاء نظام خاص لجمع الحبوب لمساعدة المناطق المنكوبة قبل حدوث القحط حتى يمكن انقاذ الازمة •

٣ ـ يقول الخبراء أن هناك تفسيرين علميين لتفسير موجة القحط والجفاف التى اجتاحت آسيا وافريقيا • التفسير الاول يقول ان هذه الموجة بدأت فى أواخر الخمسينات من الصين ، ثم الى الهند ، ثم امتدت فى بداية السبعينات الى غرب افريقيا . التفسير الثانى ، يحذر منه العلماء ويخشونه ، اذ يقول : ان الصحراء تزحف تدريجيا الى الجنوب فى منطقة غرب افريقيا وأن ذلك بدأ منذ عدة سنوات • ويجب اتخاذ خطوات تكنولوجية لوقف هذا الزحف •

٤ ـ انشاء بنك دولى للاغذية لانقاذ الدول المنكوبة بالقحط والجفاف مباشرة ، حتى تصل ما تقدمه الدول من مساعدات وذلك لانقاذ الموقف قبل تفاقمه •

الا أن الامر سوف يستغرق عدة سنوات حتى تقف هذه الدول الست على قدميها مرة أخرى • ولكن ماذا لو أصابها القحط مرة أخرى ، لهذا ينادى الخبراء بضرورة تنفيذ اقتراحاتهم . المسألة الهامة أن هذه الاقتراحات يجب أن تنفذها الهيئات العالمية والمنظمات التابعة للامم المتحدة فهذه الدول وحدها لايمكن أن تفكر فى تنفيذ اقتراح واحد منها !



تأليف :

ك . مايكل باربور
أستاذ الجغرافيا
بجامعة (ايبدان) بنيجيريا

عرض وتحليل :

أحمد صادق سعد

الناشر :

بريجر - نيويورك - ١٩٧٢

منذ الحرب العالمية الثانية أثير موضوع النمو الاقتصادى بصورة ملحة ، واتجه الاهتمام الى المقاييس التى تمكن الباحث من تحديد مكان دولة مافىمسار النمو ، واستعمل لهذاالغرض نصيب الفرد من الانتاج القومى ومعدلات زيادة السكان والامية والعمالة ومستوى المعيشة واستهلاك الطاقة الخ. ويلاحظ أن مصر تتميز فى وقت واحد بسمات البلد النامى وغير النامى معا. ويركز هذا البحث على الصناعة المصرية لتحديد ما اذا كانت قريبة من مرحلة الانطلاق فى التنمية أو أنها فى طور اكثر تقدما ، وهذا باعتبار الصناعة عنصرا اساسيا للنمو الاقتصادى .

ولهذا الموضوع نواح عديدة ، ولكن الكتاب اكتفى بمؤشرات معينة هى نمو الصناعة وتوزيع فروعها [كدليل على اقتراب البلاد من الاكتفاء الذاتى من عدمه)، والتوزيع الجغرافى للمصانع (كدليل على القدرة على استغلال الموارد القومية وخدمة السوق الداخلية والخارجية] ، والتركيزا الصناعى من حيث وصوله الى المستوى العالمى حجما وتركيبا .

وكذلك اعار الكاتب بعض الاهتمام الى ما بين الصناعة والحالة السكانية من علاقة ، ليحدد ما اذا كانت المنشآت الصناعية تقدم فرصا متساوية لتشغيل العمالة فى مختلف اجزاء البلاد . ودرس التركيز المحلى للصناعات فى مختلف المراكز بحثا

عن صعود « لاقطاب النمو » سواء كان صعودا تلقائيا أو كنتيجة لسياسة رسمية تستهدف موازنة مركزى الصناعى التحويلية الكبيرين في القاهرة والإسكندرية .

وقد وصل البحث الى النتائج الاتية : لقد سبقت مصر أمما كثيرة فى التقدم الصناعى من الناحية التاريخية ، اذان محمد على افتتح سياسة واعية تهدف الى التصنيع فى الربع الاول من القرن الماضى . غير أن عددا من العوامل لعبت دورا فى افشال هذه التجربة ، ومنها صعوبة المهمة وندرة المواد الخام المحلية ، والافتقار الى الفئة المتعلمة حينذاك التى تستطيع ادارة المنشآت الصناعية ، ثم القيود التى فرضت على محمد على بسبب تبعيته اسميا الى الامبراطورية العثمانية .

وقد اغرى المركز الاستراتيجى المصرى بين آسيا وافريقيا الدول الاجنبية بالتدخل فى شئونها بعد ذلك . وبدأت بالاحتلال البريطانى فترة تركز فيها الاهتمام على حل المشاكل الزراعية والمالية ، فى حين أن الهيكل الفكرى للامة كان يرتفع بسبب انتشار التعليم واقامة الجامعات . ولكن السيطرة الاجنبية كانت تتبنى مذهب الاقتصاد الحر مما جعل مصر فى وضع المستعمرة من الناحية الاقتصادية ، وهو وضع لم يزدهر فيه سوى نوع معين ومحدود من الصناعات المتخصصة جنبا الى جنب العديد من المصانع والورش الصغيرة التى تخدم الاسواق المحلية المنفصلة .

ويظهر التوزيع الجغرافى للصناعات المصرية مثل هذا الازدواج . فالمصانع التى تسد الاحتياجات اليومية للسكان منتشرة بشكل واسع ، وخاصة تلك التى بها خمسة عمال فأقل ، أما تلك الصناعات التى تغذى الاحتياجات المتخصصة ، فهى مركزة بشكل ملحوظ فى المحافظتين الحضريتين القاهرة والاسكندرية . وتوجد فى مصر العليا والسويس أو المناطق الصحراوية البعيدة بعض المصانع الكبيرة المعتمدة على المواد الخام المحلية ، ولكن هذا هو الاستثناء . ولصناعة النسيج منشآت هامة فى الدلتا ومصر الوسطى ، وهى تبين تركيزا مكانيا كبيرا فى مختلف مراحل التحويل الصناعى . أما صناعة مواد البناء على نطاق واسع (الطوب والاسمنت الخ) فهى تبدو مركزة تركيزا أكبر من اللازم فى المراكز الحضرية الكبرى ، وان كان هذا يعود على الاغلب الى أن سكان الريف يستعملون مواد بناء لا تنتج فى تلك المصانع .

وفى السنوات الاولى الخمسة للتوجيه الحكومى للتنمية الصناعية — أى من عام ١٩٥٧ الى ١٩٦٣ — لم يظهر تغير كبير فى الاسلوب العام للتوزيع الجغرافى الصناعى . واذا كانت بعض الاستثمارات الكبرى قد تمت فى السويس واسوان وادفو وغيرها ، فان القوى العامة المتجهة الى التركيز الصناعى نشطت بصورة خاصة حول تلك الانواع من الصناعات والعمليات الصناعية التى ضغطت السلطات لاقامتها ، فلم تكن هناك سياسة واضحة للانتشار الصناعى جغرافيا بحيث تتغير الاوضاع القائمة تغييرا كاملا . وذلك لان المحافظتين الكبيرتين تحتويان على قطاع السكان الهام الذى يملك نواصى القدرة المالية والسياسية فيستطيع اتخاذ القرارات ذات الفعالية .

واتجهت الدراسة بعد ذلك الى موضوعات انماط التركيب والهيكل الحجمى والتركيز للصناعة المصرية . واتضح أن نمط التركيب الصناعى المصرى يختلف اختلافا جوهريا عن ذلك المرتبط بالدول المتخلفة التى تعتمد الى اكبر حد على نوع واحد من فروع الصناعة ، وفى الوقت نفسه يبدو أن الصناعة المصرية فيها نسبة عالية من الصناعات الغذائية وأعمال النسيج ، فتقع فى مستوى متدن على المقاييس الدولية المبنية على نسبة العمال فى هذه الصناعات . ويوحى الهيكل الحجمى المصرى بالاقتصاد المزدوج ، اذ أن المصانع الكبيرة جدا حجما ورأسمالا تعمل جنبا الى جنب المنشآت القزمية ذات الرأسمال الضعيف ، وكذلك يتواجد مستويان متوازيان للتقنية كما هو مبين من دراسة نسبة الرأسمال للعامل الواحد فى مختلف الفروع الصناعية . وتمت المقارنة لدرجة التركيز الرأسمالى بين مصر والمملكة المتحدة ، فاظهرت أن الصناعة الانجليزية مركزة أكثر من المصرية فى صناعات الصابون والطوب وطحن القمح والمخابز ، فى حين أن مصر متفوقة تقنيا فى الفروع الصناعية الاخرى .

وقد وصل الكاتب الى نتيجتين من دراسته للعلاقة بين الصناعة والحالة السكانية فى مصر . أما الاولى فهى أن اعتبارات السوق وحدها وجهت دون شك منشىء الصناعات القائمة الى اختيار الامكنة القريبة من القاهرة والاسكندرية ووسط الدلتا . والنتيجة الثانية هى المتعلقة بامكانيات التشغيل التى تقدمها الصناعة للسكان ، وهنا لم يلاحظ فرقا كبيرا بين مختلف المراكز الصناعية .

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى تحليل النمو الصناعى ومكانه فى ضوء المفهوم القائل «باقطاب النمو »» ، وخاصة اهتمام هذه الفكرة بالبحث عن الحلقات الرابطة الامامية (اى من حيث توريد المواد الخام) والخلفية (اى تقديم المنتجات نصف المشغولة] بين المصانع وبعضها . ومن هذه الزاوية لم يبد أن هناك قطبا جديدا قد نما بعد القاهرة والاسكندرية . فقد توقف نمو السويس منذ حرب ١٩٦٧ ، واذا كان عدد سكان مدينة اسوان زاد دون شك ، واستثمرت فيها مبالغ كبيرة فى فروع صناعية شتى ، فلم يجد الكاتب اثباتا على أن هذه الاستثمارات تم تخطيطها لتساند وتخدم بعضها بعضا . وفيما يتعلق بالمستقبل ، فقد بدا أن

مصر الدنيا — بما فيها الدلتا ومنطقة القناة ، والقاهرة والتركيب الصناعى الممتد منهـا الى حلوان والتبين — سوف تنمو الى قطب صناعى واحد ، ويمكن مقارنة هذا القطب المقبل بالمنطقة الصناعية الموجودة فى جنوب انجلترا ووسطها ، وقد تكون مثلها مستقلة من ناحيتى الموارد وتصريف المنتجات . كما أن أسوان تستطيع أن تتطور الى ما يماثله اذا اقيمت فيها مع الزمن المشروعات الرابطة المميزة لتركيب صـناعى متكامل .

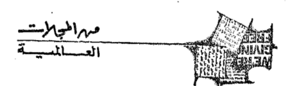
وفى ختام دراسته، استنتج المؤلف منـها أن مصر اكتسبت الى درجة كبيرة المهارات الصناعية والتقنية المتنوعة والضرورى توافرها حتى تعتبر دولة متطورة، غير ان الذى تفتقر اليه هو الطلب الداخلى والخارجى الفعال لاستغلال طاقتها الكبيرة . فمصر متطورة من الناحية الصناعية ، ويبقى أن يلاحق باقى اقتصـادها بـأعمال الصناعة .

رغم أن اغلب المعطيات المدروسة فى الكتاب تقف عند سنة ١٩٦٣ — أى فى نهاية مـرحلة التأميمات الكبرى — فانه يقدم مادة غزيرة ودسمة للغاية تفيد فى تقديم صورة جزئية للاقتصـاد المصرى . ونقول «جزئية» لان الوضع الصناعى المصرى لا يمكن أن يدرس بصـورة سليمـة الا بالارتباط بعناصر اقتصادية أخرى ، وخاصة حالة الزراعة والتجارة فى بلادنا .

واذا اكتفينـا بالتعليق على ذلـك المجـال المتخصص الذى اختاره البروفيسـور بـاربور، فيهمنـا أن نبرز ناحيتين يجب القـاء المزيد من الضوء عليهما فى الظروف الراهنة :

الاولى : أن النشاط الصناعى — او التحويلى بمعنى ادق — مركز بمصر عـلى طرفى السـلم الحجمى : فعدد كبير من المصـانع والورش الصغيرة والقزمية ذات المستوى الفنى والالى المنخفض من جهة، وعـدد صغير من المصـانع الكبيرة ذات الرأسمال المركز والانتاج المتقدم من جهة اخرى ، ويـكاد لايوجد شيء ذو وزن بين النشاط الحرفى الاول وبين المصانع الحـديثة الثانية . وهذا يعنى صغر حجـم ونشـاط البورجوازية الصـناعية المتوسطة ، وضعفها الاقتصادى — وبالتالى السياسى — مع الملاحظة أن الصناعة الكبيرة فى يد الدولة أى عدم وجـود بورجوازية صناعية كبيرة مستقلة فى بلادنا . واذا كانت الصناعة المصرية الكبيرة قد تقدمت فى القطاع العام منذ ١٩٦٣ ، واذا كانت الطبقـة الوسطى قد استفادت من هذا الوضع فى الميادين التجارية والزراعية بالتالى ، فلا نعتقد أن تغييرا كبيرا جرى منذ ذلك التاريخ على اوضاع الصناعة المصرية المتوسطة ، وكذلك لم تخط المصـانع الصغيرة والورش شوطا هاما فى طريق التقدم مستوى التطور الى انخفاض الاجور فى القطاع التقنى والالى، بل ظلت الى درجة كبيرة على الاساليب الحرفية . ويعود تأخرها الحالى فى الخاص ،والى اتساع البطالة المقنعة والراكدة فى سوق العمالة الريفية ، كما يعود الى عدم قيام الاتحاد الاشتراكى بتعبئة العدد الهائل من اصحاب تلك المصـانع والورش القزمية فى اتجاه تكوين الجمعيـات التعـاونية الانتاجية المستقلـة عن السيطرة الادارية الرسمية : وهذه مهمة نضالية من المستبعد أن يكتب لها القيام طالما بقيت الاعمال السياسية فى هذا المجال متشبعة بخليط من الروح الابوية والنظرة البيروقراطية .

الناحية الثـانية: أن التمـركز الادارى فـى القاهرة وضع خاتمة على كل الشبكة الهيكلية المساندة للاقتصاد المصرى ، فالطرق ومعظم المجارى المائية والاتصالات السـلكية والسكك الحديدية تتفرع من العاصمة، والحياة السياسية والثقافية مجمعة فيها . ولذلك ، فكـون القاهرة الكبرى هى قطب النمو الصناعى الرئيسى جزء من اوضاع عامة ناتجة من سيطرة البيروقراطيـة الشاملة ، ولم يكن للمحاولات الخجولة لارساء بذور الادارات المحلية تأثير يذكر على هذه الاوضاع ، خاصة وأن تلك المحاولات تمت .. بمضمون بيروقراطى ايضا ، ومن هنا ينبع تأكيدنا على ان نجاح التحـويل الصناعى لبلادنا يتوقف على نجاح التحول الاشتراكى اساسا .



مـاذا قـالوا عن لقـاء القمـة الأمـريكى السـوفيتى

تناولت صحافة العالم كله بالتعليق — على نطاق واسع — لقاء القمة الامريكى السوفيتى الاخير فى واشنطن ، والاتفاقيات التى وقعت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ودبلوماسية « الوفاق الدولى » بشكل عام .

ومن وسط الطوفان الهائل من المقـالات

والتعليقات من صحف ومجلات الشرق والغرب ، وكذلك صحافة « **العالم الثالث** » ، يمكن الخروج بملاحظات رئيسية قد يكون من المفيد طرحها قبل الدخول فى جولة وسط مختارات من هذه التعليقات من المجلات العالمية ·

● فيما يهمنا نحن ·· أى فيما يتعلق بالدرجة الاولى بأزمة الشرق الاوسط ، يلاحظ أن هناك ضربا من « مؤامرة صمت » حول مغزى ماتضمنه البيان المشترك بين بريجنيف ونيكسون عنها ، **وهى فقرة أكدت اختلاف الجانبين واستمرار كل منهما على موقفه : الجانب السوفيتى على تأييده للقضية العربية والتزامه بمساعدة العرب ضحايا العدوان على ازالة هذا العدوان · وتأكيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، والجانب الامريكى على تأييده لاسرائيل ورفضه كل سبيل ـ الا المفاوضات المباشرة بين العرب والاسرائيليين ـ نحو تسوية ـ أيا كانت ـ فى الشرق الاوسط ·**

وبعيدا عن الصحافة العقائدية ـ سواء فى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ـ أو خارجها ـ فان أيا من الصحف والمجلات العالمية لم تشأ أن تكرس جزءا من جهدها فى موضع التعليق الموضوعى على ما يتعلق بالشرق الاوسط فى البيان المشترك لبريجنيف ونيكسون أو غير ذلك من جوانب الاتفاقات التى أسفر عنها لقاؤهما ·

● محاولة ظاهرة للغاية من جانب عدد كبير من صحف الغرب لاستغلال « مخاوف » الصين فى الهجوم على سياسة الاتحاد السوفيتى فى السعى الى اقرار السلام مع الولايات المتحدة وأوربا . والشىء البارز فى هذه المحاولة اعتماد هذه الصحف على منطق الصين نفسه فى تصوير الاشياء · ومن خلال منطق الصين واتهاماتها عمدت صحف كثيرة ـ ربما كان اكثرها الصحف البريطانية بالذات ـ الى مواصلة ترديد نغمة عدم الثقة بالسياسة الخارجية السوفيتية مهما كانت تبديه موسكو من نوايا حسنة تجاه السلام والتعاون الدولى والتعايش السلمى والمنافسة السلمية ·

● انطلاق التعليقات الغربية فى اجتهادات فردية وذاتية شديدة التنوع والاختلاف ، مما يكشف غياب عنصر « المبدأ » فى السياسة الخارجية للدول او للدوائر التى تعبر عنها هذه التعليقات . فى الوقت الذى تنطلق فيه السياسة السوفيتية من مبادىء محددة من سياسة التعايش السلمى وتدور فى أطر أيديولوجية وعملية فيها الحدود واضحة بين الصراع الايديولوجى والحرب الباردة .

● ادراك صحافة العالم الثالث الوطنية ـ التى انتقينا الصحافة الهندية كنموذج لها ـ لاهمية سياسة التعايش السلمى لقضايا العالم الثالث ، وفى مقدمتها قضايا التحرر الوطنى والاستقلال الاقتصادى والتنمية · ومن هنا مناقشة صحافة العالم الثالث ، لعديد من التساؤلات المحيطة بسياسة « الوفاق الدولى » وتاثيراتها على مسيرة الاشتراكية والعلاقات بين دول العالم الاشتراكى ودول العالم النامى ·

لقد كتبت صحيفة « **باتروبت** » **الهندية** تعليقا مطولا بعنوان « **التفاهم الامريكى السوفيتى ليس ضد الدول الصغيرة** » قالت فيه :

« صحيح ان البيان المشترك الامريكى السوفيتى وغيره من البيانات لا يعد باى تحسن فورى فى غرب آسيا (المقصود الشرق الاوسط) أو كمبوديا ، وغيرهما من المناطق العديدة التى تسودها الصراعات والتوترات بما فى ذلك شبه القارة الهندية ، ومنطقة الخليج الفارسى (العربى) · ولكن فيما يتعلق بالتهديد بوقوع كارثة ذرية ، فان هذا التهديد يتلاشى سريعا · ان الاتفاق السوفيتى الامريكى لمنع الحرب الذرية ـ بالاضافة الى الاتفاقية على مبادىء التفاوض من أجل مزيد من الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية ومعاهدة الحد من الصواريخ المضادة للصواريخ التى وقعت فى موسكو فى العام الماضى ، وعلاوة على الوعد باتفاقية بشأن الاسلحة الكيماوية ـ فانها لا يمكن الا أن تعزز السلام العالمى ·

ان السلام العالمى ـ بمعنى السلام فى كل منطقة من العالم مأخوذة على حدة ـ ليس منظورا بعد · ولاشك أن أوروبا قطعت شوطا كبيرا على الطريق نحو سلام دائم ، ولكنه لا يمكن أن يقال ذلك عن كل أجزاء آسيا وأفريقيا ، حيث تستخدم القوى الامبريالية القوة ، او تشجع على استخدامها ·

ومع ذلك **فان السلام الاقليمى يمكن أيضا أن يتدعم كنتيجة فرعية للتفاهم السوفيتى الامريكى ، طبعا بشرط أن تمتلك القوى الاقليمية ـ والعدل فى صفها ـ القوة العسكرية والسياسية الملائمة ·**

ان الدعاية الصينية القائلة بأن الدولتين الاكبر تتآمران ضد الامم الاصغر مجرد لغو اجوف ·

المؤكد أن الدول الكبرى قادرة على التآمر ضد الامم الصغيرة ، ولكن حتى اذا نحينا جانبا طبيعة السياسة الخارجية السوفيتية القائمة على المبادىء ـ فان اختلافاتها مع السياسة الامريكية على المسائل الاقليمية تغلق الطريق فى وجه أى تواطؤ ·

وبالاضافة الى هذا ، **فان الاتحاد السوفيتى كدولة اشتراكية يعتبر كل الدول النامية حلفاءه**

المكثين ، كما انه متحسرر تماما من اطماع السيطرة •• ولهذا فان القيادة السوفيتية لن تتآمر ضـــد الامم الاصغـــر • والاتحاد السوفيتي منشغل حقا فى استراتيجية كبرى لبناءأنظمة للامن الاقليمى تقوم على التفاهم السياسى والتعاون الاقتصادى والسياسى • وتثبت الجهود السوفيتية نجاحها فى قارة أوروبا ، وكذلك فى امــريكا وكندا •

وتتناول « باترويت » فى تعليقها ذلك السؤال الذى غالبا مايتردد من جانب القوى التى تبدى تحفظات معينة ازاء التفاهم الامريكى السوفيتى وهو السؤال : **من الذى سيكسب أكثر الاتحاد السوفيتى ، أم الولايات المتحدة ؟**

وتجيب الصحيفة ، الهندية قائلة : « حسنا ، **أن الاتحاد السوفيتى يعتقد أنه سيكسب أكثر على المدى البعيد ، وأن الاشتراكية فى النهاية سوف تنتصر فى ظروف التعايش السلمى** • وما اذا كان هذا الزعم يمكن أن تثبت صحته أم لا ، فانه ليست هناك وسيلة لدحضه •

« وربما سيفقد هذا النوع من الاسئلة مغزاه سريعا وسيبدو لا محل له فى عالم يرفض يوميا سياسة العصا الغليظة فى الاقتصاد ، كمـــا فى السياسة • وباستطاعة المرء أن ينتظر ليمتدح النهار عندما يأتى المساء » •

والظاهرة الاساسية فى تعقيبات **صحف الغرب** على لقاء القمة وعلى اتفاقياته والنتائج التى اسفر عنها ، اعتراف هذه الصحف ـ حتى أكثرها مغالاة فى محاولة النيل من السياسة الخارجية السوفيتية بالتشكيك فى نواياها ، او باظهار موسكو وكأنها فى مركز الضعف ـ بأن اتفاقيات الوفاق ودبلوماسية لقاءات القمة لن تحول دون استمرار الصراع الايديولوجى بين النظامين الاجتماعيين فـــى العالم : الاشتراكية والراسمالية •

وقد كتبت مجلة « ايكونوميست » **البريطانية** التى لايمكن اعتبارها معبرة عن اى اتجاه ممالىء لموسكو تقول : « **ليس فى النهج الذى يسلكه بريجنيف حاليا ما يدعو للاعتقاد بان الصراع بين الماركسية والديمقراطية الليبرالية قد انتهى** ••• » •

وفى المقابل فان أكثر ما تختلف عليه الصحف الغربية فى أمر دبلوماسية لقـــاءات القمـــة وسياسة « الوفاق » ككل ، هو اختلافها ـ حسبما تعبر كل منهما عنه من اتجاهات ومصالح ـ على تقييم موقف الاتحاد السوفيتى ، وما اذا كان مسعاه للسلام مجرد مناورة على الغرب أم سياسة سلامية مخلصة أم انتهاجا لمبادىء ثابتة فى عقيدته الماركسية • وينعكس هذا الاختلاف بوضوح فى التعقيبات التالية :

كتبت مجلة « **اكسبريس** » **الفرنسية** مقالا ركزت فيه اهتمامها على الاتفاق الامريكى السوفيتى الخاص بمنع الحرب الذرية •• قالت فيه :

« ان وجود أى سوء تفاهم فى العصر النووى يمكن أن يؤدى الى فناء العالم • لقد عاش العالم مدة ربع قرن فى ظل هذا التهديد ، وفى يوم الجمعة الماضى (المقصود يوم توقيع الاتفـــق) تعهدت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى رسميا بابعاد خطر هذا التهديد وذلك فى الاتفاق التاريخى الذى عقد بينهما • وينص الاتفاق الذى وقعه كل من نيكسون وبريجنيف فى البيت الابيض على ان الدولتين العملاقتين سوف تلجآن على الفور الى اجراء المشاورات فى حالة ما اذا طرأ أى تهديد بوقوع نزاع ليس فقط بينهما ، ولكن أيضا بين حلفائهما • فهل يعد ذلك بمثابة « يالتا » جديدة ؟ ليس الامر كذلك بالتحديد • فان **اتفاق يالتا الذى وقع عام ١٩٤٥ قد قسم العالم الى مناطق نفوذ • أما الاتفاق الذى وقع يوم الجمعة الماضى ، فقد جعل من الكرملين وواشنطن حراسا على السلام فى العالم** •

« ما الذى تغير اذن ؟ للوهلة الاولى لا نلحظ تغييرا كبيرا • فنظام المشاورات المستمرة ، وخط التليفون الساخن كانا قائمين قبل الاجتماع وما تزال الاحلاف العسكرية الموجودة حاليا ـ مثل حلف الاطلنطى وحلف وارسو قائمة • ومن الممكن أن تتحرك اذا ما نشب نزاع لا حل له • ان السلام التام لن يسود العالم فى القريب العاجل •

« وجدير بنا ـ حتى نتبين أن ثمة شيئا قد تغير على وجه الارض أن نتذكر **أن مثل هذا التصريح عن المبادىء كان ضربا من الوهم منذ خمسة وعشرين عاما ، أى قبل حرب كوريا أو أزمة كوبا** • ويعد هذا التصريح من أهم ما صدر أثناء الزيارة التى قام بهـــا بـــريجنيف « رسول الســـلام » لواشنطن •

« لقد جاء بريجنيف الى الولايات المتحدة لكى يتباحث مع نيكسون « على قدم المساواة » • ومنذ الدقيقة الاولى فى الزيارة بدأ بريجنيف واثقا من نفسه ومبتسما • وقد أعطى لمحدثيه وللملايين من مشاهدى التليفزيون انطباعا بأنه مسئول جاد يمثل دولة كبرى » •

وتناولت صـــحيفة « **جـــازيت دو لوزان** » **السويسرية** بالنقد الشكوك التى تثيرها كثير من الدوائر فى الغرب حول حسن نوايا الاتحـــاد السوفيتى من دور سياسته الخارجية • وقالت فى أسلوب محدد وصريح :

« منذ أن بدأت المحادثات بين الرئيس الامريكى نيكسون والسكرتير العام للحزب الشيـــوعى السوفيتى •• أراد الزعيمان أن يطمئنا بقية دول العالم بشأن نواياهما • واذا كانا قد فعلا ذلك بالحاح فان هدفهما لم يكن مجرد **الاظهار**

مسئوليتهما الخاصة تجاه الانسانية بأكملها أمام العالم كله ، وانما ايضا محاولة تبديد مشاعر عدم الثقة والشكوك التى تثيرها دبلوماسية لقاء القمة بين الدولتين الاعظم » .

« وثمة تناقض ظاهر بين هذه الجهود وهذه الرغبة فى ابداء حسن النية . فالتحالف ضد الحرب الذى تقوم عليه العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ينبغى أن يحظى بمساندة كل دولة من دول العالم ، وجميع الشعوب التى تقطن هذه الدول .. فعملية الابادة النووية ممكنة من الناحية الفنية . فمن ذا الذى يمكنه أن يتظلم من أن الدول التى تملك الاسلحة وتستطيع أن تحول العالم الى رماد تتفاوض بشأن الامن وتعمل بصفة عامة على توسيع نطاق علاقات التعاون والثقة » .

وفى خط الاهتمام بأوروبا فى الاتفاقيات الامريكية السوفيتية التى أسفر عنها لقاء واشنطن بين نيكسون وبريجنيف قالت صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية :

« لقد قبل الغرب اليوم ضمنيا استمرار الحكم الشيوعى فى أوروبا الشرقية . وهو قبول وجد تعبيره الرمزى فى السلسلة الاخيرة من المعاهدات التى وقعتها ألمانيا الغربية مع الاتحاد السوفيتى وبولندا وألمانيا الشرقية . وبينما لا يمكن أن يستبعد تماما احتمال تقدم الجيوش السوفيتية ضد أوروبا الغربية ، فان الاوروبيين الغربيين أنفسهم يبدون مقتنعين بأن موسكو تريد الاتجار مع اوروبا الغربية وتريد الحصول على التكنولوجيا منها ، أكثر مما تريد غزوها عسكريا ..

« ولكنه لا ينبغى الافتراض بأن الصراع الايديولوجى قد انتهى سواء فى الولايات المتحدة أو فى أوروبا ، فان المنافسة والصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى سوف تستمر سواء بسبب اختلافاتهما الايديولوجية أو بسبب تصادم مصالحهما الوطنية على أجزاء مختلفة من هذا العالم . ولكن الشىء الذى تدركه الدولتان الان بوضوح أكثر ـ وربما باخلاص أكثر من قبل ـ هو ضرورة وضع حدود على المدى الذى يذهب اليه صراعهما . وأن التعاون فى مجالات المصلحة المشتركة سوف يفيد الكل ، ليس الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فحسب بل والعالم أجمع » .

وقالت صحيفة « صن » البريطانية « أن هناك أسبابا تشجع على الاعتقاد بوجود رغبة حقيقية فى السلام . ذلك أن تصريحات بريجنيف خالية من أى نغمة دعائية ولا ينبغى أن يحول الحذر الزائد بيننا وبين أن نمد يد الصداقة » .

وفى مجلة « نيوزويك » الامريكية كتب كبير مراسليها أرنو دى بور شجريف « وجهة نظر عن الوفاق » قال فيها :

« بينما أجرت موسكو تغييرا هاما فى أساليبها فان مخططى السياسة يقولون أن الاهداف التى يسعى اليها الكرملين منذ أوائل الخمسينات لم تتغير :

« ولقد حققت موسكو من الناحية العملية اثنين من أهدافها الجيوبولوتيكية الرئيسية ، وهما تفوق عسكرى فى الاسلحة التقليدية فى أوروبا على الولايات المتحدة وحلفائها » . واعتراف بقبضة موسكو على اوروبا الشرقية » .

« والاهداف التالية للكرملين هى انسحاب القوات الامريكية من أوروبا وانهيار حلف الاطلنطى . وسيتحقق هذا ـ طبقا لما يتصوره الكرملين ـ نتيجة ضغوط داخلية فى الولايات المتحدة وشكوك أوروبية متزايدة حول امكانية الاعتماد على أمريكا ..

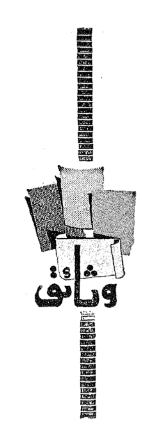
« أما هدف الكرملين الرابع ـ وهو وضع القدرة الانتاجية للغرب فى خدمة الاتحاد السوفيتى ـ فهو ايضا يسير فى الطريق المرسوم له الى حد كبير . أن تحليل زيارة بريجنيف الاخيرة لالمانيا الغربية يبين ان الروس خرجوا من المساومة الاقتصادية بنصيب أفضل . »

وحتى ذلك الاهتمام بالجوانب الشخصية فى بريجنيف الذى فاضت به سطور التعليقات فى صحف ومجلات امريكا كان لايخفى دلالته فى معظم الاحوال على الاثر التى تركته زيارة بريجنيف . ووصل الامر الى حد المقارنة بين سلوك بريجنيف ونيكسون والوصول الى نتائج فى صف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى .

وقد كتبت مجلة « تايم » الامريكية تقول :

« كان من بين النتائج حدوث تباين فى التصرفات بين الضيف والمضيف . كان نيكسون الذى تطارده فضيحة ووترجيت يبدو مغلوبا على أمره وقلقا وحريصا على الالتزام بالبرنامج ، أما بريجنيف الذى بقى خارج دائرة الجمهور لاسباب تتعلق بالامن ، فقد تصرف عندما كان يجدجمهورا بطريقة ودية . كان ينتهز كل فرصة ليتحدث مع الصحفيين ويختلط بالناس ويثرثر ويصافح . وحدث فى بعض اللحظات أن وجد رئيس الولايات المتحدة نفسه وقد توارى جانبا ، وهو ما علق عليه نيكسون فى احدى المناسبات بقوله : « ان بريجنيف هو أمهر سياسى فى هذه القاعة » .

« وخارج دائرة الكاميرات والجماهير ، كان بريجنيف يعود الى الدور المألوف ، دور المساوم العنيف الذى راهن على تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة لصالح الاقتصاد السوفيتى »



الارهــاب الاسرائيلى فى الأرض المحتـــلة

فى الاعداد السـابقة نشرت « الطليعة » وثائق « العرب تحت الاحتلال الاسرائيلى » وفى هـذا العدد تقدم « الطليعة » وثيقة جديدة عن « الارهاب الاسرائيلى فى الارض المحتلة » .

ان أهمية هذه الوثيقة هى انها قد جرى اعدادها وتجميع كل ما بها من معلومات فى داخل الارض المحتلة وداخل اسرائيل ذاتها .. وانهـا أيضـا تحكى وقائع مدعومة بالاسماء والحقائق والتواريخ .

لقد بذل اصحاب هـذه الوثيقة جهودا كبيرة ، وتعرضـوا لمخاطر حقيقية وهم يجمعون هـــذه الوقائع ويتقصون الاسماء والمعلومات والحقائق ، ثم وهم يهربونهـا الى خـارج اسرائيـل ..

ان « الطليعة » تقدم للرأى العـام العالمى هذه الوثيقة ليس فقط كدليل ادانة للاحتلال الاسرائيلى ، وانما ـ وهـذا هو المهم ـ تعبيرا عن بطولة سكان الارض المحتلة فى مواجهتهم للاحتلال ورفضهم له .



● **قاسم عبد الله أبو عسكر :**

من القدس ، عمره ٢٨ سنة ، اعتقله الاسرائيليـــون فى ١٥ مارس ١٩٦٩ ، وصبوا عليه التعذيب الوانا . وفى يوم ٢٣ مارس ١٩٦٩ ، بلغ التعذيب الوحشى مداه ، فقد ظل الزبانية يضربونه بعصى غليظة (رجل كرسى) من مطلع النهار حتى غروب الشمس . وانهالت الضربات على رأس قاسم وضلوعه فحطمته تحطيما وقبل ان يطلع فجر اليوم التالى [٢٤ مارس ١٩٦٩] كان قاسم يعانى سكرات الموت من فرط التعذيب . ولم يشفقوا على زوجته المسكينة التى استدعوها قبل بزوغ النهار ، وطلبوا منهـا الاسراع باعداد قبر تدفن فيه زوجها . وعنـدما تسلمت الزوجة حطام زوجها بين الحياة والموت ، وحملته بين ذراعيها ، لم تستطع أن تلتقط من بين شفتيه المختلجتين سوى ثلاثة الفاظ همس بها فى حشرجة الموت ..

قال قاسم وهو يلفظ الروح : « آه ! عذبونى ! موتونى ! » .

● **محمد عبد القادر المصرى :**

من قرية ادنى جبل الخليل ، مات من شدة التعذيب اثناء وجوده فى ســجن الخليل ، ولم يرحم الجنود الاسرائيليون شيخوخته ، اذ ان عبد القادر يبلغ من العمر خمسة وستين عامــا ، وظلوا يضربونه الى أن لفظ انفاسه الاخيرة بين أيدى جلاديه ..

● **راغب بوراس :**

من البيرة ، اعتقله الاسرائيليون مرتين ولمدة ثلاثة عشر شهرا .. وقد نقلوه من سجن الى سجن فى رام الله والرملة وصرفند ونابلس .. وفى السجن طعنوه بقضيب حام ، وربطوه بحبل معلق فى سقف غرفة التعذيب ، وراحوا يضربونه ضربا مؤلما على اعضائه التناسلية حتى فقد الوعى ، ولاتزال آثار الضرب والتعذيب واضحة على جسده .

● **شاكر الخراز :**

فى ٢١ يناير ١٩٧٠ ، سلمت السلطات الإسرائيلية جثة شاكر الخراز ، الذى كان مسجونا فى سجن نابلس ، وادعت هذه السلطات أن شاكر وجد مقتولا فى زنزانته ، وان اثنين من زملائه المسجونين قتلاه ! ولم يقنع هذا الادعاء احدا وساد الاعتقاد بين الناس أن شاكر الخرازمات من شدة الضرب والتعذيب اللذين لاقاهما فى السجن .

ولقد ذكرت وكالة انباء رويتر فى ذلك الوقت أن جمعية الهلال الاحمر الفلسطينى طلبت من جمعية الصليب الاحمر الدولى التحقيق فى مقتل شــاكر الخراز واثنين آخرين من زملائه هما : قاسم ابو خضر ومحمد حسن العباس .

وجدير بالذكر ايضا أن متحدثا باسم حركة التحرير الفلسطينى [فتح] كان قد سبق ان اعلن أن هؤلاء الشــبان الثلاثة من اعضاء فتح .

● **ثلاثة من الشبان الفلسطينيين :**

يدعى احدهم « صايل الملوخ » كانوا قد عبروا نهر الاردن عائدين الى بلدتهم التى كانوا قد غادروها فى حرب (يونيو) ١٩٦٧ .. ولقد اصيبوا فى طريقهم الى موطنهم بجراح بسيطة اثناء اجتيازهم حقلا من الالغام .

وتقدم الاسرائيليون يمدون — كمــا يدعون — يد المساعدة اليهم وحملوهم الى مستشفى الهداسا ، وادخلوا فى روعهم انهم مهددون بخطر الموت وان جراحهم تستلزم بتر بعض اطرافهم . وفعلا اجريت لهم عمليات جراحية بتروا اثناءها ساقى احدهم ، كما بتروا ساقا لكل من الاثنين الاخرين .

وفى ٢٧ مارس ١٩٧٠ ، حمل الاسرائيليون الشبان الثلاثة — بعد ان اقعدوهم عن الحركة — الى جسر اللنبى ، والقوا بهم وراء نهر الاردن ، ليعودوا من حيث أتوا وبذلك منعوهم من الذهاب الى مســقط رأسهم . وأكد الشبان الثلاثة للصحفيين فى عمان أن اصاباتهم فى ارجلهم كانت بسيطة ، وانها لم تكن تستدعى بتــر سيقانهم وايدت هذه الاقوال السيدة « رشيدة الملوخ » والدة صايل الملوخ — احــد هؤلاء الشبان الثلاثة — وقالت فى ١٦ ابريل ١٩٧٠ انها رأت بعينيها هؤلاء الشبان الثلاثة ، ومن بينهم ولدها ، فى مستشفى الهداسا ، قبل اجراء العملية الجراحيـــة وبعدها ، وذكـــرت ان الاسرائيليين صمموا على قطع ارجــل هؤلاء الشبان ، على الرغم مــن جميع المحاولات التى بذلت لاثنائهم عن ذلك .

● **على محمد سليمان ابوليل [٨٠ سنة]**
● **محمد سليمان ابو ليل [٤٧ سنة]**
● **مريم محمد موسى ابوليل [٦٠ سنة]**
● **مريم محمد فرحان ابوليل [٥٨ سنة]**
● **فاطمة على ابو ليل (٤٥ سنة)**

هؤلاء من قرية لفتا ، ولهم قطعة ارض عند مشارف القدس فى حى الشيخ جراح ولقد استولى الاسرائيليون على اراضيهم بالقوة وشرعوا فى تنفيذ اعمال بناء بها فاعترض هؤلاء الخمسة على ذلك وقاوموا الغاصبين ، الذين لم يتورعوا عن ضربهم بقصد الارهاب ، وساقوهم الى السجن فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٨ .. وفى اليوم التالى ١١ — ٦ — ١٩٦٨ اطلقوا سراحهم فانطلقوا الى ارضــهم حيث وجــدوا الاسرائيليين قد احتلوها .

● **محمد عبد الرحمن عريان :**

من قرية حلحول قرب الخليل ، وقد اعتقله الاسرائيليون لمدة شهرين ثم اطلقوا سراحه ، فاذا به قد فقد عقله ، بينما كانت هناك آثار عملية جراحية اجريت له فى بطنه ، ولم تلتئم جراحها بعد .. لذلك تقيحت هذه الجراح . ومما يذكر أن هذه العملية اجريت لمحمد عبد الرحمن عريان نتيجة التعذيب الوحشى الذى صبه عليه الفاشيون فى اسرائيل .

● **عبد الله ابو ساكوت :**

من قرية بنى نعيم فى جبل المكبر ، احتلهــا الاسرائيليون فى ١٠ حزيران «يونيو» ١٩٦٧ . ومنذ احتلال الاسرائيليين لهذه القرية ، لايكاد يمر يوم واحد دون أن تتعرض لحملة ارهاب او تفتيش او اعتقال او ترحيل بسبب وبغير سبب . ويقال ان مايقرب من خمس سكان قرية بنى نعيم ، او بتعبير ادق حوالى الف نسمة من ابنائها ، اضطروا الى الرحيل والنزوح الى الضفة الشرقية لنهر الاردن بسبب هذه الحملات المستمرة . وتسأل سكان القرية فيذكرون لك اسماء كثيرة لاشخاص عذبوا الى درجة انهم ماتوا او فقدوا عقولهم او رحلوا عن منازلهم الى حيث لايعلم أحد عنهم شيئا ، ومن بين أهالى القرية الذين صــب عليهم الاسرائيليون التعذيب الوحشى **عبد الله ابو ساكوت** ، الذى عذب الى حد انه فقد الوعى فادخلوه المستشفى من باب الاجراء الشكلى ، وعندما خرج مــن المستشــفى فى ١٦ سبتمبر «ايلول» ٦٧ كان حطاما بشريا لقد اصبح عبد الله ابو ساكوت «مجنونا»

● **محمود عبد الحليم الطرايرة :**

وهو ايضا من قرية بنى نعيم ، ولقد حمله الاسرائيليون مع ابيه **عبد الحليم** فى طائرة هليوكوبتر والقوا بهما فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٧ فى سجن الخليل ، حيث انهالت عليهما عمليات التعذيب الوانا ، واضطر السفاحون الى اخلاء سبيل الاب ولكنهم لم يطلقوا سراح ابنه الا بعد ان اصيب بعاهة دائمة هى « الصمم » ●

● **جمعة حسن مطيرة :**

وهو ايضا من قرية بنى نعيم . ولقد اعتقله الاسرائيليون فى ٢٦ مارس ١٩٦٨ ، وانهالوا عليه فى السجن ضربا وتعذيبا وعندما خطــر لهم أن يطلقوا سراحه ، ربطوا ســاقه الى ذيل حمار ، وربطوا الحمار الى سيارة وامروا سائق السيارة بقيادة سيارته فانطلقت وفى اثرها الحمار ، بينما اخذ **جمعة حسن مطيرة** فى الارتطام بالحجارة من خلفهما . وعندما اغمى عليه فكوا اساره ، وتركوه بين الحياة والموت

● **عبد العزيز منصور :**

من أم صفا ، حيث قصدها رجال الجيش الاسرائيلى الساعة الثامنة مساء ١١ يونيو ١٩٦٨ ، طلبوا من المختار أن يدلهم على بيت عبد العزيز منصور ، وهو رجل مزارع عمره ٧٥ سنة . واخــذوا **عبد العزيز منصور** فى سيارتهم العسكرية ، وانصرفوا .. وفى اليوم التالى ، ذهب

المختار الى الشرطة للسؤال عنه فتسلموه حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر عبد العزيز منصور فاقد الوعى من شدة التعذيب ، بينما ينزف الدم من فمه واذنيه وحمل المختار الضحية الى المستشفى الحكومى الجديد ، فرفضت المستشفى معالجته بحجة انه مصاب فى رأسه ، ونصحته بادخاله مستشفى بيت لحم . ولايزال عبد العزيز منصور فى مستشفى بيت لحم مصابا بالجنون !

- **محمود عبد السلام سالم** [مدرس]
- **اسماعيل الحايك** [مدرس]
- **زوجة اسماعيل الحايك**
- **حسن نمر ابو سليخ**
- **عبد الله صالح عبيد**
- **على محمد عبيد**
- **عبد الله محمد ابو احمد**
- **احمد عبد الله خليل**

هؤلاء من قرية قطنة [من اعمال القدس] التى احتلها الاسرائيليون فى ٢٧ يونيو ١٩٦٧ . وقد اعتقلهم الاسرائيليون بعد احتلالهم لقريتهم بحوالى ثلاثة اسابيع، وزجوا بهم فى السجن ، حيث ضربوهم بالسياط والعصى ، وعذبوهم عذابا شديدا ولم يكتفوا بذلك ، بل سلبوهم كل ما يملكون من متاع ومصاغ ونقود ! .

● **محمد يوسف :**

لاجىء ، فى الثمانين من عمره ، يقيم فى مسكن بمخيم البريج بقطاع غزة وتهيأ الجنود الاسرائيليون لنسف مسكن الشيخ العجوز ومساكن اخرى للاجئين فى هذا المخيم ،فأمروا اصحابها باخلائها وانصاع الجميع ماعدا محمد يوسف الذى رفض ان يغادر المسكن الذى عاش فيه عشرين عاما . وهنا هدم الاسرائيليون المسكن على راس صاحبه فقضى لتوه تحت الانقاض

● **رفيق النمرى :**

من القدس ، اعتقله الاسرائيليون فى ٤ مارس [آذار] ١٩٦٨ ، وبعد يومين نسفوا منزله الذى يقيم به فى بيت حنينا وتصدعت البيوت المجاورة لمنزل رفيق النمرى بسبب هذا النسف . وفى السجن انهال العذاب على **رفيق النمرى** الوانا لقد اجلسوه على كرسى كهربائى،وربطوا يديه باسلاك متصلة بالكهرباء ، فشلت احداهما ،وأصيب بنزيف دموى فى معدته ثم القوا عليه سطلا مليئا بالقاذورات ، واستمرت عمليات التعذيب ثلاثة ايام متتالية دون انقطاع .

● **خليل عبد الرزاق :**

من قلنديا ، فتشوا بيته بعد الاحتلال باسابيع قليلة ، وانتزعوا منه الفى دينار واعتقلوا ولديه **يوسف** و**محمد** بحجة انهما يتعاونان مع الفدائيين . وساوم الاسرائيليون **خليل عبد الرزاق** على انهم سوف يعيدون اليه المبلغ الذى انتزعوه منه اذا تعاون معهم، ولكنه رفض باصرار ولايزال المبلغ بايدى الاسرائيليين ، كما لايزال ولداه فى السجن يعانيان التعذيب دون محاكمة .

● **رشيد حسن رشيد :**

من قرية « دورا القرع » من اعمال رام الله ، اعتقله الاسرائيليون فى اواخر سنة ١٩٦٧ بتهمة انه قدم الطعام للفدائيين ولما لم يجدوا ادلة كافية تكفى لمحاكمته اطلقوا سراحه . ولكنه خرج محطما من شدة التعذيب يعانى الما شديدا فى ظهره وهو لايستطيع الحركة حتى الان .

● **قاسم ابو خضرا :**

من عكا ، اعتقله الاسرائيليون فى ٤ نوفمبر ١٩٦٩ ، عندما قدم الى عكا فى قارب لبنانى ، واعتقلوا بعد ذلك بأسبوع فى ١٢ نوفمبر ١٩٦٩ شقيقته **هناء ابو خضرا** ثم اطلقوا سراحها ،ولقد مات **قاسم** فى السجن من شدة التعذيب وادعى الاسرائيليون انه انتحر . ورفض الاسرائيليون طلبا تقدم به **شكرى الريس** لجولدا مائير رئيسة الوزراء ولاعضاء مجلس الكنيست من اجل انتداب لجنة للتحقيق فى اسباب وفاته .

وقال **ليبسون** حاكم الصلح فى مستوطنة بتاح تيكفا بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٦٩ ان قاسم انتحر شنقا اثناء اعتقاله ولكنه لم يذكر **اين** كان معتقلا . بينما قال **غسان دافيد** الضابط الذى اعتقل **قاسم ابو خضرا** أن هذا الاخير اصيب بعيار نارى اطلقه الضابط عليه عندما اعتقله وقال شاهد يدعى **فضل يونس** أمام محكمة اللد العسكرية الاسرائيلية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٧٠ مايلى بالحرف الواحد : « راينا زميلنا وقائد زورقنا **قاسم ابو خضرا** يموت من شدة التعذيب وجسمه ملفوف بالقطن والشاش » .

● **ابراهيم الخاروف :**

من نابلس ، وقد اعتقله الاسرائيليون اثر اشتباك بين الفدائيين والجنود فى قرية بيت فوريك الى الشرق من نابلس . وكان اهله يعتقدون انه استشهد فى ذلك الاشتباك ، الى ان تبين لهم انه لم يقتل وانه موجود فى أحد المستشفيات الاسرائيلية ولما ساءت حالته الصحية طلبت السلطات الاسرائيلية الى اهله ان يتسلموه ، فحضروا واخذوه معهم وهو بين الحياة والموت بسبب كسر أصاب جمجمته . وتباينت الروايات بشأن هذا الكسر ،فمن قائل انه من اثر رصاصة اصابت رأسه أثناء المعركة ، ومن قائل أنه جاء نتيجة للضرب والتعذيب فى السجن وقد نقله اهله الى مستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية فى حالة يرثى لها .

● **نعيم الاشهب :**

فلسطينى شيوعى ، اودع سجن شطة بأمر ادارى . وفى ١٢ يناير ١٩٧٠ اعتدى عليه السجناء الاسرائيليون وضربوه ضربا مبرحا ،ولم تتخذ ادارة السجن اى اجراء ضد المعتدين ، بل تواطأت معهم وادعت أن الذى ضربه رجل مجنون ، واضرب جميع السجناء العرب فى ذلك السجن احتجاجا على هذا الاعتداء .

● **عصام الحجاوى :**

زج به فى سجن بيت ليد حيث لايزال حبيسا . ولقد عذب عن طريق اطفاء السجاير فى لحمه ، ولاتزال آثار هذا التعذيب بادية على جسمه فى مواضع مختلفة .

● **شريف على شحرور :**

نسفوا بيته ، وسجنوه فى زنزانة بسجن نابلس ، حيث عذب الى درجة انه اصيب بانهيار عصبى . وبعد ذلك نقلوه الى سجن الرملة حيث لايزال موجودا .

● **منير حجازى :**

اودع سجن شطة حيث تعرض لالوان من التعذيب الى حد انه اصيب بمرض خطير .

● **نادر العصفورى :**

يضمه سجن نابلس فى الزنزانة رقم [٤] ،والجانب الايسر من صدره محترق وحلمتا ثدييه محترقتان ، اما ابطاه فمتورمتان من وطأة الوثاق الذى ربطوا به ذراعيه الى جدار الحجرة .

● **عبد الله خالد النابلسى :**

جرح فى فخذه الايسر ، وفقد النطق لفترة من الوقت .

● **عبد الله هلال طعمة :**

جرح فى فخذه ، ثم اصيب بشلل فيه، وفقد بصره نتيجة التعذيب .

● **احمد محمد الهدهد :**

فقد النطق نتيجة التعذيب الذى عاناه فى سجن الرملة ، وكان الاسرائيليون قد حكموا عليه بالسجن خمسة عشر عاما وامضى فى السجن عامين اصطلى خلالهما نار التعذيب الوانا . وفى ١٥ اغسطس ١٩٧٠ ابعدوه الى الضفة الشرقية لنهر الاردن فاقد البصر والسمع،بينما تحطمت جميع اسنانه .

● **احسان سلامة :**

من طرابلس ، اصيب بشلل فى احدى يديه ، وسحب كمية كبيرة من دمه ، وانتابه مرض شديد حتى اصبح على وشك الموت .

● **محمود حسن حمدان :**

من حلحول ، ويبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما تقريبا ، وكان موجودا فى بيته فى حلحول صباح يوم ٢٤ اكتوبر

١٩٦٩ ، عندما داهمته فرقة من جنود الاحتلال الاسرائيلى ، فهب محمود ليقاومهم مستخدما سلاحه ، وقتل منهم ضابطا برتبة ملازم ، وجرح جنديين آخرين من حرس الحدود ، واضطر فى نهاية الامر لتسليم نفسه ، فساقوه الى السجن حيث عذبوه عذاباً اليما ادى الى فقدانه لبصره .

● **حسين شرعب :**

دسوا فى شرجه انبوبا يجرى فيه الماء حتى اذا انتفخ بطنه جاء الجنود ليطأوا بطنه باقدامهم فيخرج الماء من فمه وانفه .

وكانوا يربطون يديه بحبل يتدلى من سقف الغرفة ، ثم ينهالون عليه ضربا بالعصى ، وباللكمات فى بطنه .

● **سليمان برغش شواهين :**

من قرية بطة بجبل الخليل ، ظلوا يضربونه الى ان تحطمت ضلوعه وضعف بصره ، فجردوه من ملابسه ووضعوه فى كيس كبير بداخله عدد من القطط ، وراح حراس السجن يضربون القطط ، فتهيج وتمزق لحمه . ولقد اخطرت لجنة الصليب الاحمر الدولية بهذا الحادث فى ٢٩ ابريل سنة ١٩٦٩ ، ولم تتلق اللجنة ولا اهله حتى اليوم ردا من اللجنة .

● **سليمان خلف العويرى :**

من الخليل ، وضعوه فى كيس وبسطوا الكيس ارضا ، وراح الجنود الاسرائيليون يطاون الكيس بما حواه بأحذيتهم ، فتهشمت ضلوعه واطرافه ، ولا يزال مصابا الى يومنا هذا بمرض فى سجن الخليل .

● **انور جابر :**

اعتقلوه ، وامضى فى السجن فترة عانى فيها جميع صنوف العذاب ، ثم ابعدوه الى الضفة الشرقية لنهر الاردن . ومن انواع التعذيب التى تعرض لها انهم مروا على جسمه بتيار كهربائى مرات كثيرة ، وكثيرا ماكانوا يربطون يديه بحبل معلق فى سقف الغرفة ، وينهالون عليه ضرباً بقضيب من البلاستيك ، وكانوا يوثقون رجليه بحبل ويجرونه فوق الارض

● **يعقوب عبيدى :**

من رام الله ، مكث فى سجن صرفند ٦٥ يوما ، ثم نقل الى سجن المسكوبية بالقدس ولقد عذبوه فى السجن بأمل ان يلتقطوا منه اعترافا ، وحاولوا ان يجدوا مبررا لتقديمه الى القضاء واصدار حكم عليه فلما عجزوا من ذلك اطلقوا سراحه والقوا به الى الضفة الشرقية لنهر الاردن وفى الضفة الشرقية اخذ يعقوب عبيدى يروى صنوف التعذيب التى عاناها ، فقال ان الاسرائيليين كانوا يضربونه بأيديهم وبالعصى على اعضائه التناسلية وعلى كليتيه واجبروه على المشى حافى القدمين فوق ارض مليئة بالاشواك والحجارة الى ان ادمت قدماه وتقيحتا .

● **احمد مسعود :**

تنقل بين السجون ليلقى العذاب الوانا ولايزال يحمل على جسمه آثار التعذيب الذى انزله به الاسرائيليين . ولقد ضربوه ضربا مبرحا كما عرضوا جسده واطرافه للصدمات الكهربائية .

وعندما عرضت قضيته على الصليب الاحمر الدولى زاره ممثل اللجنة الدولية للصليب الاحمر فى زنزانته رقم [٤] بسجن نابلس فرآه ينزف دما من الداخل كما رأى علامات الضرب سوداء ظاهرة على جسمه . وقد رفض الاسرائيليون اسعافه طبيا على الرغم من ان ذراعه كسرت نتيجة للتعذيب .

● **احمد ابو سرور :**

كان الاسرائيليون يبتكرون اساليب التعذيب التى يطبقونها على هذا الشاب ومن امثال ذلك انهم لفوا فخذه بسلك ثم جعلوا تيارا كهربائيا يمر بهذا السلك بشكل متقطع تتخلع من هوله اطراف احمد ابو سرور ، وعلقوا فى اذنه ملقطا حديديا تسرى فيه الكهرباء ، وكانوا يضعون تحت ابطيه بيضا يغلى ، ثم يضغط الجنود على ذراعيه لكى يصطلى بنار البيض المغلى ، وظل على هذا الوضع اربعة عشر يوما ، لايستطيع ان يضع ثوبا على بدنه . !

● **لجنة العفو الدولية .. وجرائم اسرائيل**

نشرت وكالات الانباء المختلفة فى يوم الخميس ٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ برقيات اشارت فيها الى ان لجنة العفو الدولية كانت قد انتدبت قبل ذلك بعام للتحقيق فى وضع المعتقلين والمسجونين الفلسطينيين الموجودين فى اسرائيل ، والى ان هذه اللجنة قد اصدرت فى لندن تقريرا بهذا الشأن .

ولقد ادانت لجنة العفو الدولية اسرائيل للتعذيب الذى انزلته ولاتزال تنزله بأبناء فلسطين الموجودين فى سجونها . ومن بين انواع هذا التعذيب الذى تحققت منه اللجنة تعريض السجناء لصدمات كهربائية وضربهم وحرقهم بنيران السجائر ، وذكرت اللجنة فى تقريرها امثلة كثيرة عززتها بالصور والوثائق والشهادات .

ومن بين الوقائع التى ذكرتها اللجنة ماحدث لفتاة عربية فى الثامنة عشرة من عمرها ، اذ ابقاها الاسرائيليون حبيسة السجن ودون محاكمة لمدة ثلاثة واربعين يوما ، ضربوها خلالها ضربا شديدا بقضيب من حديد ، وكثيرا ماكان يجرها السجانون من شعرها . وختمت لجنة العفو الدولية تقريرها بانها تحققت من كل هذه الافعال قبل صدور التقرير بعام ، ولكنها ترددت فى نشر هذا التقرير طوال هذه المدة بأمل ان ترتدع اسرائيل عن افعالها ، ولكنها تبينت انه لا فائدة ترجى من تأخير نشر الحقائق التى توصلت اليها لان اسرائيل واصلت اساليب التعذيب ضد الفلسطينيين فى سجونها ، ومن ثم اقدمت اللجنة على اصدار تقريرها .

● **محامية يهودية تقول :**

الوقائع التالية جاءت على لسان « **فليتسيا لانجر** » المحامية اليهودية فى القضية رقم [٦٩/٨٢] والمتهم فيها محام اسمه «بشير الخبرى» من الرملة ، وهو لاجىء فلسطينى يعيش فى رام الله منذ عام ١٩٤٨ . وقد اعتقله الاسرائيليون وزجوا به فى السجن ، وعذبوه عذابا شديدا ذكره بتفصيلاته لقضاة المحكمة التى قدموه اليها ، وأشار باصبعه الى الضابط والجنود الاسرائيليين الذين عذبوه ، والذين حضروا المحاكمة .

قال بشير الخبرى المحامى أنه يطلب من المحكمة احالة هؤلاء الوحوش الى التحقيق .

وقالت فليتسيا لانجر أن تحقيقا يجرى بهذه الصورة التى تتنافى مع مبادىء القانون والعدالة باطل من أساسه . وصرخت المحامية اليهودية فى المحكمة وهى تؤكد أن بشير الخبرى عذب بصدمات كهربائية وأن جلاديه الاسرائيليين كانوا يلقون عليه ماء ساخنا يتبعونه بعد ثوان بصب ماء بارد جدا عليه . واهابت المحامية بالقضاة ان يتحركوا ، وان يضبطوا المجرمين فى حالة تلبس ، لان الجريمة تتكرر كل يوم وكل ساعة بل كل دقيقة فى سجن رام الله حيث تنصب الوان التعذيب على المسجونين بهدف انتزاع اعترافات لا أساس لها من بين أفواههم .

ورفض القضاة الذهاب الى سجن رام الله ، باعتبار أن ذلك ليس من صلاحياتهم !

● **عدم تسجيل وقائع التعذيب فى محضر الجلسة :**

قالت **فليتسيا لانجر** للمحكمة أن الاسرائيليين نسفوا دار **سمير أبو دياب** ثم اعتقلوه وزجوا به فى السجن ، حيث عذبوه عذابا شديدا ، ودعت المتهم لكى يروى للمحكمة تفصيلات التعذيب الذى انزلوه به ، وشرع **سمير ابو دياب** فى سرد الوقائع الاليمة .. وهاج القضاة وقال رئيس المحكمة ان ذلك لا دخل له فى سير المحاكمة . وامتنع عن تسجيل أقوال **سمير أبو دياب** فى محضر الجلسة

ولكن الصحف الاسرائيلية نشرت هذه الوقائع بتفصيلاتها وتنديد المحامية بها واستنكارها لاسلوب المحاكمة .

● **محمد حسن دياب :**

فى ٣ فبراير ١٩٧٠ ، حملت فليتسيا

لانجر الى القضاء ووزير الشرطة شكوى **محمد حسن دياب** من أهالى القدس ، وظلت الشكوى حتى اليوم دون تحقيق أو اجراء ! جاء فى الشكوى كيف ظل **محمد حسن دياب** سبعة وأربعين يوما معتقلا دون سؤال ، وكيف أرسل بعد ذلك الى سجن صرفند حيث جردوه من ملابسه كلها وأخذوا يصبون عليه الماء البارد مرة والماء الساخن مرة أخرى بشكل سريع متوال كاد يفقده عقله ، ومنعوه من التحدث الى محاميه ، ولا يزال **محمد حسن دياب** سجينا حتى اليوم .

● عبد اللطيف أبو رميله :

قدم هذه الشكوى **عبد اللطيف أبورميلة** من أهالى القدس فى ٢٧ يناير ١٩٧٠، وتتضمن هذه الشكوى أنه قد اعتقل بتهمة انتمائه لاحدى المنظمات الفلسطينية الفدائية وحيازة أسلحة ، وأنه اصيب بمرض بعد مرور ثلاثة أشهر على اعتقاله وان الاطباء قرروا انه لا يستطيع المثول أمام المحكمة بسبب مرضه . وبعد الافراج عنه اتضح أنه دمر تماما من التعذيب الوحشى بحيث تستحيل محاكمته .

● عرضوا أمام المحكمة آثار تعذيبهم :

صرح **عبد الهادى عودة** أمام محكمة القدس فى الجلسة التى عقدتها بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٧٠، وهو يروى لقضاتها أساليب التعسف التى اتبعت معه أثناء اعتقاله وكيف عذب بعد ذلك فى مكتب التحقيق والسجن بالقدس الى أن فقد وعيه . وكشف **عبد الهادى عودة** عن صدره وذراعيه وساقيه أمام القضاة ليريهم آثار التعذيب لا تزال بادية عليها .

وفى نفس الجلسة [١٢ أبريل ١٩٧٠] سرد **جميل أبو خديجة** كيف اعتقل وضرب وعذب فى مكتب التحقيق والسجن بالقدس الى أن فقد وعيه هو الآخر . وأزاح شعر رأسه ليطلع المحكمة على آثار الجروح والندوب والكدمات لا تزال باقية ثم أخذ يتحدث عما أصابه فى سجن صرفند وزنزانته الضيقة ، وكيف أوثقوه من يديه ، وساقيه ، وأطلقوا عليه الكلاب لتهدده . واستمعت المحكمة الى أقوالهما ولم تتحرك مشاعرها على الاطلاق ، ورفضت تسجيل حرف واحد مما قالاه فى محضر الجلسة .

● قالت المحامية اليهودية لوزير الشرطة الاسرائيلى :

« **شلومو هيلل** » : ما هذا الذى تفعلونه ؟! كيف يمكنكم بعد هذه الجرائم التى ترتكبونها أن تتحدثوا عن اضطهاد النازية لكم ؟ وكيف يمكن للرأى العام العالمى أن يواصل الاستماع اليكم وهو يراكم تسلكون نفس الطريق ؟ أم تراها عدوى التنكيل تسرى الى المغلوب على أمره فاذا به يصاب عندما تدين له السلطة بسعار الطغيان والقمع والتعذيب ؟!

ثم تحدثت المحامية عن **محمد محفوظ ابن فضل جابر** من مدينة الخليل ومن سكان القدس ، وهو طالب فى كلية التجارة بجامعة بيروت العربية ، ويبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما ، واضافت المحامية أنه اعتقل مرتين ، المرة الاولى فى ٢٤ يناير [كانون ثان] ١٩٦٨ ، والمرة الثانية فى شهر مارس [آذار] ١٩٦٩ وفى كلتا المرتين عذب تعذيبا شديدا بضربه على وجهه ورأسه ، وبالقاء الماء الساخن عليه ، وبتعريض بطنه وصدره للصدمات الكهربائية . وترتب على عمليات التعذيب التى عاناها أن ضعف بصره ، وكاد يفقد حاسة الابصار .. وشوهد هذا التعس محمولا فى عربة عسكرية ومنقولا الى أحد المستشفيات ، ولا يزال حتى الان رهن الاعتقال الادارى ، يشكو آلاما فى رأسه ومعدته ، ويفقد وعيه بين الحين والاخر .

● العاهرات ينكلن باحدى المدرسات :

ومضت المحامية **فليتسيا لانجر** قائلة لوزير الشرطة الاسرائيلى ان معلمة شابة تدعى **عبلة طه** من القدس اعتقلت فى أوائل الاحتلال الاسرائيلى بتهمة نقل مواد متفجرة من عمان فى حقيبتها . وقالت **عبلة** أنها لا تعرف كيف دست عليها فى حقيبتها هذه المواد المتفجرة التى لا تدرى من أمرها شيئا . وأمام محكمة نابلس العسكرية ، حيث جرت محاكمتها ، أعلنت **عبلة طه** انها أرغمت على أن تدخل فى السجن غرفة بها بعض العاهرات اليهوديات اللاتى اعترفن بأن رجال الشرطة أمروهن بأن يضربوها ، ولقد ضربنها هؤلاء العاهرات . وقد عرضت المدرسة الفلسطينية على المحكمة آثار الضرب واضحة على جسدها .

وأردفت المحامية **فليتسيا لانجر** بهذه القصة قصة أخرى لفتاة اسمها **لطيفة الخوارى** زج بها فى نفس غرفة السجن مع **عبلة طه** لتلقى نفس المصير فتضربها العاهرات هى الأخرى ويجزون شعر رأسها بمقص وجد معهن داخل السجن . ويعتقد أن رجال الشرطة هم الذين أعطوا العاهرات هذا المقص !

● اعتقلوا لانهم أنشأوا اتحــادا للطلبة الجامعيين ! :

خمسة من شباب الجامعـــة ، هم **ابراهيم سعيد صبرى** من قلقيلية ، ومن سكان القدس ، ووالده **هو الشــيخ سعيد صبرى** قاضى القدس الشرعى ، **وفتحى صبرى الطوبجى** من أهالى القدس ، **وابراهيم عبد الرؤوف العفيفى** من سكان القدس ووليم **بشارة خورى ، وأحمد عبد المهدى العمورى** من شعفاط احدى قرى القدس .

اعتقلهم الاسرائيليون فى ٢٤ يناير [كانون ثان] ١٩٦٨ ، ولمدد تتراوح بين شهرين وتسعة شهور ، لانهم أنشأوا اتحادا للطلبة الجامعيين ! وخــلال اعتقالهم نزلت بهم ألوان التعذيب ، ولا سيما **فتحى الطوبجى** الذى صدر حكم بحبسه عامين لا لشىء سوى أن اسمه **فتحى** . لقد ظن الطغاة (الاذكياء) أن **فتحى** لابد أن يكون منتميا لمنظمة [فتح] الفدائية ، وانهال عليــــه احد رجال المخابرات الاسرائيلية ضربا بقضيب من حديد حتى أدمت ساقاه !!

● « لو كنتم مكانى لفعلتم مثلمــا أفعل » :

هذا ما قاله **نمر عبد الرحمن عدوان** لقضاة المحكمة التى ساقوه اليها . ولقد عذبوه وحاولوا اكراهه على التسليم بصواب الاجراءات التى يقومون بهــا ، ولكنه أبى وأخذ يردد هذه العبارة على مسامعهم صارخا فى وجوههم . ثم واجه المحكمة قائلا أن الاحتــلال الاسرائيلى للاراضى العربية لا يقره القانون الدولى ولا تعترف به أية دولة فى العالم ، ولهذا فمن حقنا الشرعى أن نناضل ضد الاحتلال .

ثم سأل التساؤل : لماذا لا توافقون على تنفيذ قرار مجلس الامن ؟ ولم يتورع الحارس أن يركله فى بطنه على مرأى من المحكمة ..

● فريد عبد المجيد الطويل :

وفى شهر يناير [كانون ثان] ١٩٦٨ ، أعتقل **فريد عبدالمجيد الطويل** من الخليل ، ومن سكان القدس ، والبالغ من العمر ثلاثين عاما ، وخريج قسم التاريخ بكلية الاداب بجامعة دمشــق ، وهو متزوج ويعمل مدرسا . كانت تهمته هى ايواء فدائيين والانتماء الى منظمة فدائية ! ، ولقد اعتقل اداريا ، وكلما انتهت مدته جددت من تلقاء نفسها ، ولا يزال فى سجن الرملة . وفى كلا السجنين ضرب وعذب ولطم على وجهه مرارا كثيرة .

● فليتسيا لانجر .. مرة اخرى :

وأمام قضاة آخرين قالت المحاميـة اليهودية **فليتسيا لانجر** للمحكمة ان هناك شابا اسمه « **خليل مهيص** » ، من سكان القدس ، وأحد طلبة قسم اللغة العربية بكلية الاداب بجامعة بيروت العربية ، اعتقل فى شهر تشرين أول [أكتوبر] ١٩٦٧ ، وحكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام تنقل خلالها من سجن الى سجن ... فى الرملة ورام الله ، ثم نابلس . ولقد عذب تعذيبا شديدا فى هذه الســجون المختلفة ، وقبل انتهاء مدة الحكم أبعد

الى الاردن » واضافت المحامية : وهى تتحدث عن ضحية أخرى هو الشاب العربى عبد اللطيف غيث الذى اعتقله الاسرائيليون وزجوا به فى سجونهم ، ان هذا الشاب المسكين لم يملك من فرط التعذيب الذى نزل به الا أن يصرخ فى وجوه الجلادين قائلا : هل هذه هى ديموقراطيتكم التى تتشدقون بها ؟! ، فما كان من احد الجلادين الا أن انتزع من مسدسه رصاصة ادخلها فى شرج عبد اللطيف غيث قائلا له : هنا الديموقراطية !»

ولقد نشرت بعض الصحف الاسرائيلية نفسها هذه الوقائع نقلا عن تصريحات المحامية اليهودية . اما عبد اللطيف غيث فقد انتهى به الامر الى الجنون داخل سجن الرملة .

● يوسف عبد الله هدوان :

ثم تحدثت المحامية فليتسيا لانجر عن يوسف عبد الله هدوان من « طولكرم » وتهمته انه «شيوعى» ضبط معه منشور ضد الاحتلال ، ولايزال حتى الان معتقلا اداريا وهو موجود حاليا فى سجن كفر يونا حيث عذب تعذيبا شديدا قابله برباطة جأش ادهش الجلادين انفسهم . وتقدمت فليتسيا لانجر بشكوى بشأن تعذيبه فى ١٩٦٩/٩/١١ ، ذكرت فيها اسماء من عذبوه ، ولكن المحكمة لم تستدع أحدا منهم لتحقق معه فى الجرائم التى ارتكبها !»

كما تحدثت ايضا عن اسعد عبد الرحمن من سكان القدس ، وقائد منظمة الطلاب الفلسطينيين ، الذى سجن وعذب هو الاخر .. ولقد قال لقضاته انه لا يعترف بالاحتلال ولا بالمحكمة التى تحاكمه ، وقال لهم ايضا : « اننى لا اقر بأى حال من الاحوال وصفكم لى باننى متسلل ، فلست ادرى كيف يمكن أن اكون متسللا عندما أنتقل من احدى ضفتى نهر الاردن الى الضفة الاخرى داخل وطنى » !!

وتطرقت المحامية فليتسيا لانجر للحديث بعد ذلك عن نعيم الاشهب القائد الشيوعى الاردنى ، الذى اعتقلته السلطات الاسرائيلية فى شهر اكتوبر [تشرين أول] سنة ١٩٦٨ اعتقالا اداريا . وبعد أن بقى فى السجن مدة دون محاكمة ، عادت السلطات الاسرائيلية فجددت مدة اعتقاله فى شهر ابريل [نيسان] ١٩٧٠ لستة شهور أخرى.

وتقول فليتسيا لانجر عن نعيم الاشهب « انه رجل صامد هادىء ، لا يبالى بالصعاب ولا يأبه بالتعذيب ، وهو يفكر باستمرار فى العذاب الذى ينزل بالاخرين » . لقد عرفته عند اعتقاله للمرة الاولى وبعد ذلك تعين عليه الا يغادر بيته ، بينما يمر عليه يوميا رجل يمثل الشرطة ليتأكد من وجوده فى المنزل »» وعندما اعتقل للمرة الثانية ، توطدت صلتى به».

وتستطرد قائلة : « لقد اعتقلوه دون أن يوجهوا اليه أية تهمة ، وهو يعامل فى السجن معاملة سيئة رغم انه مريض .. ولقد عرض الاسرائيليون عليه مرارا أن يطلقوا سراحه بشرط أن يترك وطنه، فرفض هذا العرض باباء » . وتمضى المحامية قائلة : « لن أنسى فى حياتى كيف راح — بعد الاعتداء عليه واضراب رفاقه السجناء العرب عن الطعام — يهتم بالمضربين أكثر من اهتمامه بنفسه، وقد نسى آلام الجرح الذى اصابه فى رأسه » .

وتختتم فليتسيا لانجر حديثها قائلة : « لقد اشترك عدد كبير من رجال القدس البارزين فى تقديم طلب للمسئولين من أجل اطلاق سراح هذا البطل ، كى يعود الى عائلته التى تنتظره خارج السجن ، والتى لا يقل أفرادها فى بطولتهم عنه » .

● مهزلة على شاشة التليفزيون الاسرائيلى :

بتاريخ ٤ ابريل [نيسان] ١٩٧٠ ، التقت المحامية فليتسيا لانجر بشالومو هيلل وزير الشرطة فى اسرائيل . واذيعت هذه المقابلة على شاشة التليفزيون الاسرائيلى .

وبدأ اللقاء المذاع تليفزيونيا بأن سأل المذيع وزير الشرطة الاسرائيلى : هل صحيح ما يقال بأن المعتقلين والمسجونين العرب يعذبون فى أثناء التحقيق معهم ؟ فنفى الوزير ذلك نفيا باتا واضاف قائلا : انهم لا يعذبون لان التعذيب يتنافى مع العرف والتقاليد ، بل انه يتعارض مع أخلاق المحققين لدينا . وكل ما فى الامر اننا نستطيع ، عن طريق تحقيق دقيق محكم ، أن نستخلص الحقيقة من فم المعتقل أو السجين !.

وهنا ، وعلى شاشة تليفزيون اسرائيل أخذت فليتسيا لانجر المحامية تعدد للوزير حالات تعذيب من بينها حالة اسحق على المراغى ، من سلوان ، عمره ثمانية وعشرون عاما ، وهو موظف فى جمعية المقاصد الخيرية . وقد اعتقل اداريا مرارا ، المرة الاولى فى شهر اكتوبر [تشرين الاول] ١٩٦٧ ، عندما ضرب ضربا مبرحا أثناء وجوده فى سجن الرملة حيث ظل معتقلا اداريا لمدة عام ثم أفرج عنه :

وقالت : أن المسكين لم ينعم بالحرية سوى شهرين ، اعتقل بعدهما مرة أخرى وصب عليه تعذيب لا يمكن وصفه ، اذ راح السجانون يصبون على رأسه ماء ساخنا بين الحين والاخر الى أن زال شعره كله ، وتورم رأسه وتقيح ، ولاتزال علامات التورم بادية على رأسه حتى الان .. كما تعرض للصدمات الكهربائية ، ولايزال فى سجن الدامون. وقالت انها قدمت شكوى بتاريخ ١٥/ ١٩٦٩/٩ ذكرت فيها أن اسحق على المراغى روى للمحكمة جميع أنواع التعذيب الذى ألم به ، وأسماء من عذبوه ، وكان واحد منهم حاضرا فى المحكمة فأشار اليه بيده ، وكذلك ذكر اسحق أسماء عدد من شهود تعذيبه ، وتمضى المحامية قائلة أن المحكمة لم تستدع الشهود ، ولم تستدع احدا من الجلادين ، بل لم تسأل حتى ذلك الجلاد الذى كان يجلس هادئا فى قاعة المحكمة ! ولم يحرك شالومو هيلل وزير الشرطة الاسرائيلى ساكنا .. وأبدى تشككه فى هذه « الادعاءات » كما أسماها ، وقال انه لا يوجد دليل على ذلك !

وانتهت المهزلة التليفزيونية الاسرائيلية !!

● جرائم ضد النساء :

اعتقل الاسرائيليون « رسمية يوسف عودة » من لفتا ، وتعيش فى البيرة ، فى ١٩٦٩/٢/٢٨ ، بتهمة محاولة نسف القنصلية البريطانية ، والانتماء الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وحكموا عليها بالسجن المؤبد ثلاث مرات

ولم يكتفوا بذلك ، بل نسفوا دار أبيها وعمها فى البيرة ، واعتقلوا جميع أفراد أسرتها ، بما فى ذلك اختها المريضة ! وفى داخل السجن ، تعرضت رسمية لتعذيب شديد ، فضربت على رأسها ضربا مبرحا ، وانتزعوا ثيابها،واعتدوا عليها جنسيا بأن أزالوا بكارتها بعصى من خشب ! وفى ١٩٦٩/٢/٢٩ ، اعتقل الاسرائيليون عائشة عودة المدرسة التى تقيم فى دير جرير ، وحكموا عليها بالسجن المؤبد ثلاث مرات لانتمائها الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولاشتراكها فى عمليات نسف بالقدس .

ولقد نسف الاسرائيليون بيت عائشة عودة فى دير جرير وعذبوها فى السجن عذابا مريرا ، الى حد أنهم فقأوا احدى عينيها ، ثم أجروا لها عملية لمحاولة رد البصر الى هذه العين ، ولقد كسروا احدى يديها . واعتدوا عليها بأن أدخلوا فى فرجها قضيبا من خشب . وامتد الاضطهاد الى أفراد أسرتها ، فأخذ الاسرائيليون يتعقبون أخاها كامل الذى يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما ، ولما لم يستطيعوا الوصول اليه صبوا جام غضبهم على سيارته فصادروها ! وجدير بالذكر أن عائشة عودة استدعيت من سجنها فى ١٧ يونيو [حزيران] ٧٠ لتدلى بشهادتها فى قضية المحامى

بشير الخيري ورفاقه أمام محكمة رام الله العسكرية وفي طريق عودتها الى سجن الرملة فصلوها عن صديقتها رسمية يوسف عودة وادخلوها سجن القدس . وفي هذا السجن عنفتها السجانة يافة وقالت لها : حرام أن يقدم لك الطعام كما يقدم الى بني آدم في حجرة .. بل يجب ان يلقى الطعام اليك كما يلقى الى الكلاب لتأكليه على الارض ! ولم تكتف السجانة بذلك بل سحبت من أمام عائشة طبق الحساء الساخن وسكبته على رأسها وساقيها .. ولما قاومتها عائشة القت السجانة يافة على رأسها بكتلة المفاتيح التي تحملها ، وأخذت تركلها بحذائها ولم تسكت عائشة فاشتبكت بها وضربتها دفاعاً عن نفسها . واستدعت السجانة الطاهي الذي راح هو الاخر يضرب عائشة .. واستنجدت عائشة بالمسئول عن السجن الجاويش عرقوري الذي أخذ يلكم عائشة ويركلها بدلا من أن يستمع الى شكواها .. وانتهزت يافة الفرصة فانقضت على الفتاة تمزق وجهها بكتلة المفاتيح التي في يدها حتى نزفت الدماء من وجهها . وتغلب الجلادون على ضحيتهم فطرحوها أرضا ومضوا ينهالون عليها ضربا ولكما وتعذيبا

وامتد التنكيل الى رزينة عودة أخت عائشة ، فاعتقل الاسرائيليون زوجها احمد عودة بتهمة ايواء فدائيين وحكموا عليه بالسجن سنتين [١٩٦٨] ، ونسفوا بيته في دير جرير ، وعذبوه وهو في سجنه تعذيبا شديدا . وهناك بطلة ثالثة اسمها « نعمت ايوب كمال » المدرسة التي تقيم في نابلس والتي اتهمت بأنها عضو في اتحاد الطلبة الفلسطينيين ، وحكم عليها في ١٥ مارس (آذار) ١٩٦٩ بالسجن عاما ونصف عام لهذا السبب . كما توجد بطلة اخرى اسمها آمنة حنبلي قبض عليها في ١٩٦٩/٣/١٢ وحكم عليها بالسجن سنتين لانتمائها الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ولقد تعرضت هاتان الشابتان لاقسى أنواع التعذيب اثناء التحقيق ، وفي السجن . .

● **كيف تجري المحاكمات الاسرائيلية ؟**

ستة من ابناء قرية حلحول هم : **محمود حسن أبو دنهش وعلي ابراهيم الشطريف وعبد الله الخطيب واحمد الشسطة ونايف أحمد الغاوي ومحمد العودة** .. وتهمتهم هي الانتماء الى منظمة فتح الفدائية ، وحمل السلاح ، واطلاق النار على مصفحة اسرائيلية تحمل حرس الحدود .. وقد اتهم بعضهم باغتيال خمسة من مخاتير [جمع مختار وهو العمدة] حلحول للاشتباه بأنهم تعاونوا مع سلطات الاحتلال . ويبلغ المتهم الاول **محمود حسن أبو دنهش** الحادية والعشرين من عمره . وقد وجهت اليه أيضاً تهمة قتل ضابط اسرائيلي هو الملازم **دوف انتجر** في أواخر عام ١٩٦٩ . قال **محمود حسن ابو دنهش** أمام المحكمة في جلستها الاولى التي عقدت في فبراير [شباط] ١٩٧٠ انه **فقد بصره من شدة التعذيب الذي انزله به الاسرائيليون** في السجن ، واضاف **أن آثار الجروح لاتزال بادية على جسمه** واعترف أمام المحكمة بأنه **قتل الضابط دون انتجر دفاعا عن نفسه** .

وفي نفس الجلسة ، شهد الجندي **مردخاي شبيرا** انه وعددا من الجنود ورجال الشرطة وحرس الحدود طوقوا بيت المتهم **محمود أبو دنهش** ، وكان يرافقهم الكولونيل **عوفر بن دافيد** الحاكم العسكري لمنطقة الخليل . ونادوا على من في البيت بمكبرات الصوت كي يخرجوا ، فلم يخرج أحد .

ويقول **مردخاي شبيرا** « وعندئذ كسرنا الباب ، ودخلنا ، واطلقنا النار . ولكن اطلقت علينا الاعيرة النارية من داخل البيت ، فجرح الضابط **دوف انتجر** ومات بعد ذلك . واضطررنا الى التراجع الى الخلف .. وعندما وصلتنا نجدة ، عدنا فهاجمنا البيت مرة أخرى . وأطلقنا سيلا من الاعيرة النارية . وأخيرا خرج رجل هو **محمود حسن أبو دنهش** مصابا في كل جسمه ، بينما الدم ينزف من رأسه ، فنقلناه الى دائرة الحاكم العسكري في الخليل ، واجرينا التحقيق معه ، وهو على تلك الحال .. » !

● **الجلسة الثانية في المحاكمة :**

عقدت الجلسة الثانية للمحاكمة التي جرت أمام محكمة الخليل العسكري في ٢٦ مارس [آذار] ١٩٧٠ فشرح **محامو الدفاع** للمحكمة أن « اعترافات » المتهمين التي قدمها المدعي العام أخذت من المتهمين قسرا ، تحت وطأة الضرب والتعذيب . ومضى المتهمون يروون للمحكمة تفصيلات ما نزل بهم من تنكيل وتعذيب :

قال عبد الله الخطيب : انه أودع في سجن صرفند العسكري حيث علقوه في السقف من يديه ، وأطفأوا أعقاب السجائر في جسمه ، وسكبوا عليه مياها قذرة ، وادخلوه غرفة مملوءة بالغازات المسيلة للدموع حيث بقي على تلك الحال ثلاثة اسابيع ، نقلوه بعدها الى سجن الخليل حيث استمرت عمليات الضرب والتعذيب .

وقال نايف احمد الغاوي للمحكمة انه ضرب وعذب ، وأن بعض جلاديه موجودون في قاعة المحكمة ، ومن بينهم الشاويش **مزراحي** من شرطة الخليل . واشار اليه بيده ، كما تعرف المتهمون الاخرون عليه وأشاروا بأصابعهم اليه أيضا .

وتحدث **محمد العودة** الذي يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما ، عن تعذيب الطغاة له ، وكيف كانوا يركلونه بأحذيتهم ويضربونه بالعصي كي يرغموه على الاعتراف بأعمال لم يرتكبها .

وجاء دور المتهم الاول **محمود حسن أبو دنهش** ليقص على المحكمة في نفس هذه الجلسة الثانية « ١٩٧٠/٣/٢٦ » تفصيلات التعذيب الرهيب الذي عاناه ، فقال : ان رجال التحقيق اخذوا اقواله في ثلاثة أمكنة : شرطة الخليل ، ومستشفى هداسا بالقدس ، وسجن الرملة .

وقال : عندما هاجموني في منزلي ، واطلقوا النار على اضطررت دفاعا عن نفسي ان ارد على النار بالمثل الى ان نفدت ذخيرتي ، فاستسلمت ، وألقوا القبض علي فقادوني الى شرطة الخليل حيث ضربني أحد المحققين على وجهي ورجلي اليسرى ، وكثيرا ماكان يرفسني المحققون بأحذيتهم وكانوا يتبادلونني بين أحذيتهم كأنما أنا كرة قدم يتقاذفونها .. »

واستطرد محمود حسن أبو دنهش قائلا : « ولم أعرف ما حدث بعد ذلك ، اذ كنت قد فقدت وعيي بسبب الالام التي عانيتها والرصاص الذي نفذ الى أمكنة كثيرة في جسمي . واستيقظت لأرى نفسي في مستشفى الهداسا بالقدس ، والى جانبي المحقق **الماجور يوسف** يطلب مني تفصيلات عن وقائع لا أدري عنها شيئا .. ولم استطع أن أكذب ، فراح يضربني ، ويشدني من شعري ، ويعذبني بتحريك انبوب المطاط الذي كانوا قد وضعوه في أنفي كي أتنفس عن طريقه . ولم يكتف بذلك ، بل أخرج من فمي أنبوب المطاط الذي كنت اتناول غذائي بواسطته ، فشعرت بآلام لا أستطيع وصفها . وبعد ذلك بخمسة ايام اجبرت على التوقيع على عدة أوراق لا أعلم شيئا من مضمون ما كتب فيها .. وقد أجريت لي عملية جراحية ، اخرجوا اثناءها من جسمي عشرين شظية » .

واصغت المحكمة لاقوال محمود حسن أبو دنهش في عدم اكتراث واخيرا سأله رئيس المحكمة : « متى فقدت بصرك ؟ »

وأجابه المتهم : « فقدت بصري بعد أن القيت سلاحي واعتقلت . وأنا أذكر جيدا ملامح الجندي الذي حقق معي اذ ذاك . وهو الذي ضربني بكعب مسدسه على وجهي ، وعلى اثر ذلك فقدت بصري .. »

وهنا رفعت الجلسة على أن تعود

للانعقاد فى ٦ ابريل [نيسان] ١٩٧٠ .

وقد حضر هذه الجلسة واستمع الى جميع ما دار فيها من اقوال واسئلة واجابات ومناقشات ممثل لجنة الصليب الاحمر الدولية وسكرتيره ، اللذان كانا يسجلان ما يجرى فى قاعة المحكمة .

● **جرائم قتل :**

ان ضحايا التعذيب الاسرائيلى الذين فقدوا حياتهم كثيرون .. من بينهم **محمد ابراهيم حامد جبريل** ، من قـرية معير فى جبل الخليل ، عمره ٢١ سنة ، ولقد اعتقله الاسرائيليون ، وبقى فى السجن عاما دون محاكمة ، تنهال عليه جميع انواع التعذيب ، الى ان مات .

وهناك شابان من عائلة **دكيدك** ، من الخليل ، ويقيمان فى مدينة القدس ، قبض عليهما واودعا السجن ثم فقدا . بحث اقاربهما عنهما فى جميع السجون الاسرائيلية ، الا انهم لم يعثروا لهما على اثر . وقد اشترك فى البحث عنهما رجال الصليب الاحمر دون جدوى !

وأمام اللجنة الدولية لتقصى الحقائق حول انتهاك اسرائيل لحقوق الانسان فى المناطق المحتلة ، المنعقدة فى القاهرة فى ٢٢ ابريل [نيسان] ١٩٧٠ ، شهد **محمـود سليمان البيه** مدير مدرسة العريش ان الاسرائيليين نصبوا مدافعهم فى وسط المدينة وفى مسجد العريش ، وانهم اطلقوا النار على خمسة رجال فقتلوهم . وشهد كثيرون من سكان العـريش أن الاسرائيليين سمموا بئر العريش بهدف القضاء على العرب الذين لابد لهم من ورود هذا البئر .

وفى ١١ يونيو [حزيران] ١٩٦٧ ، وبعد وقف القتال مباشرة .. راح الاسرائيليون يهدمون منازل المسلمين فى حارة المغاربة بالقدس ــ التى كانوا قد احتلوها فى ٧ يونيو ــ وقد هدموا ١٣٥ منزلا فى ذلك الحى من بينها منزل الحاجة **رسمية بنت اسماعيل الطباخى** ، زوجة الحاج **على أبوعقيل المغربى** ، وهى أرملة عجـوز كفيفة البصر فى الخامسة والستين من عمرها ، واصلها من بسكرة بالمغرب ، ولقد استوطنت القدس ، ونزلت هى واهلها قرب المسجد الاقصى تبركا . ولم يتورع الاسرائيليون عن هدم بيت هذه السيدة العجوز فوق رأسها ، دون أن يمهلوها وقتا كافيا لاخلاء المنزل ، فماتت تحت الانقاض !

وشهدت السيدة **نرجس السيد ابراهيم** أمام اللجنة الدولية لتقصى الحقائق بالقاهرة أن الاسرائيليين اقتحموا منزلها وذبحوا زوجها أمام عينيها وعينى ولدها الصغير الذى يبلغ من العمر عشر سنوات والذين بتروا يديه بحضور أمه . ولقد استدعت اللجنة هذا الصبى الذى وقف أمامها مادا ذراعيه المبتورتين ، ليقص عليها فى تلعثم واضطراب ما علق بذهنه من تلك الجريمة الشنعاء .

وقال **حسن اليمنى** من سكان العريش أمام نفس اللجنة أن الاسرائيليين اغلقوا مخبزه وقتلوا خمسة من عماله .

وقال **ضيف الله على** أن الاسرائيليين اقتحموا منزله فى العريش ، وقتلوا اطفاله أمام عينيه ، وهدموا منزله فأصبح كومة من التراب .

وفى ١٣ تشرين الثانى [نوفمبر] ١٩٦٩ ، داهمت القوات الاسرائيلية منزل رجل من نوبا ــ الخليل يدعى **محمد حسن اسماعيل** ، يبلغ الخامسة والاربعين من عمره ، فانتزعته من بين زوجته واطفاله الخمسة بعد أن ضربوه وعذبوه امام اعينهم . وبعد شهرين ونصف من اختطافه ، وعلى وجه التحديد فى ٢٩ كانون الثانى [يناير] ١٩٧٠ ، استدعت السلطات الاسرائيلية اهله الى القدس كى يتسلموه . وعندما حضر أهله وجدوه ميتا . وقال لهم رجال الشرطة انه توفى اثر محاولته الهرب من سيارة الشرطة . وقد رافق رجال الشرطة أهل الضحية الذين حملوا الجثة وظلوا معهم الى أن وصلوا القرية حيث أصر رجال الشرطة على دفن الميت ليلا وأكد أفراد عائلة الفقيد انهم لاحظوا أثناء غسل الجثة ودفنها أن جلد **محمد حسن اسماعيل** كان متسلخا ورأسه محطما واظافره مخلوعة وضلوع صدره وعظام يديه وساقيه مهشمة .

● **مأساة قرية يالو :**

أمر الجنود الاسرائيليون أهل هـذه القرية بأن يغادروا منازلهم لانهم يريدون هدمها .

واعتذر **الشيخ عيسى بن عبد الله زياد** [٩٧ عاما] بأنه لا يستطيع المشى لكبر سنه ، فهددوه بالقتل ان هو لم يتحرك . وتوسل اليهم أن يطلقوا النار ــ اذا كان لابد من القتل ــ على رأسه مباشرة حتى يجنبوه الالام !

وقد أطلق الجلادون النار على هـذا الشيخ الهرم ، وهو قابع تحت شـجرة توت أمـام منزله ، فى ١٤ يونيـو [حزيران] ١٩٦٧ ، فأصابوه بجرح بالغ بين كتفيه ، وظل يئن ويتألم يومين الى ان فاضت روحه فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ ولم يكن الى جواره عندما لفظ انفاسه الاخيرة شخص يسعفه أو يقدم اليه جرعة ماء !

ومات تحت الانقـاض ايضـا ثلاثة أشخاص عجزوا عن المشى مثـل ذلك الشيخ العجوز ، وهم : **حسين محمـد الحورانى** [مصاب بالشلل وعمره ٦٢ عاما] ، **وسارة أم محمد سليمان عبد الله أبو مية** [٧٠ سنة] ، وعلى [٦٧ سنة]

وهناك ثلاثة اشخاص هم **صبحة عبد الله** وعمرها ٧٣ عاما ، **وفضة محمد العرب** [٦٥ سنة] ، **ونعمة حسين حماد** [٨٠ سنة] تحايلوا على انفسهم وغادروا منازلهم متجهين الى احدى القرى المجاورة ، وفى منتصف الطريق عجزوا عن مواصلة السير فجلسوا على الارض ليستردوا انفاسهم . ولكن لم يمهلهم الجنـود الاسرائيليون فعاجلوهم بطلقـات نارية تقتلهم فى ١٤ حزيران ١٩٦٧ . وفى نفس اليوم المشئوم ، عاد **ابراهيم على شعيبى** ، **والعبد نابه** ، **وعبد الكريم محمود نمر** ، **وعيسى بن عيسى عبد الله** ، **وسهيل بن زهدى عبد الله موسى** الى قرية يالو ، ومعهم نساؤهم ــ بعد أن كانوا قد غـادروا منازلهم ــ بحثا عن غطاء يقيهم شر البرد بين الانقاض . ولقد وجدوا بالفعل اغطية حملوها واتجهوا الى بيت لقيا . ولكن الجنود اعترضوهم وقد أوقفوهم فى الطريق ، وسمحوا للنسـوة بمواصلة السير بعد أن سلبوهن ما كان معهن من حلى . وأمروا الرجال الخمسـة بالوقوف صفا واحدا ورفع أيديهم ثم أطلقوا عليهم الرصاص فقتلوهم .

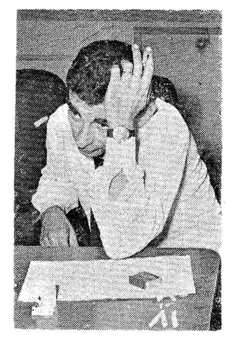
وهناك شاب فى الواحد والعشرين من عمره يدعى **محمود العبد خليل اسعد** اراد الهرب من جحيم قرية يالو مع امه ولكنهما ماكادا يبتعدان عن القرية حتى فاجأهما الاسرائيليون واطلقوا عليهمـا الرصاص فجرحوا الشاب فى سـاقيه واقعدوه عن الحركة . أما الام فقد اصيبت فى احدى قدميها واستطاعت مواصلة السير . وظل الشاب المسكين فى مكانه عاجزا عن العودة الى القرية التى هدمت ، عاجزا عن التقدم الى قرية اخرى كى يسعفه أحد . واخيرا فاضت روحه .

وتعين على **حليمة حسن على محمد** بعد أن أنذرها الاسرائيليـون باخـلاء منزلها فورا كى يهدموه ، أن تخرج مع صغارها الاربعة الذين لا يتجاوز أكبرهم السادسـة من عمره ، واستطاع أكبر هؤلاء الاطفال أن يمشى على قدميه الى جانب أمه . أما هى فقد حملت اثنين من اطفالها على كتفيها ، واحتضنت صـغراهم وهى طفلة صـغيرة عمرها سبعة شهور فقط . ومضت المرأة بحملها الثقيل تتحرك فى العراء متثاقلة الخطى هربا من الاهوال والويلات .. ولكنهـا لم تلبث أن ناءت بحملهـا فتخلت عن الصغيرة لتموت حيث كانت .. وواصلت القافلة التعسة سيرها الى المصير المجهول. ويقول **محمد عبدالحميد حسان** الذى استطاع أن يعـود الى القرية متسللا بعد ثلاثة أيام انه شاهد جثث أفراد هذه الاسرة الصغيرة فى العراء .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- الدور النضالى لنوادى السينما
- يوسف شاهين وانطلاقة العصفور
- حركة الفن التشكيلى .. إلى أين ؟



يوسف شاهين



في هـذا العـدد :

■ حول المعرض الخامس للفنون التشكيلية ■

حركة الفن التشكيلي

الى أيـــن ؟

عز الدين نجيب

اعتاد جمهور الفن أن يشـــهد هـــذه المظاهرة الصاخبة فى هذا الوقت من كل عام ، يلهث وراءها مابين أرض المعارض بالجزيرة ، حيث يقام احيانا ، وبين قاعة الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى على النيل احيانا أخرى [كما حدث هذا العام]. ويلهث داخلها وسط اعمال مئات الفنانين الذين غالبا مايتجاوزون ثلاثمائة فنان ، باتجاهاتهم شديدة التنوع والتباين ...

ومع أمسيات يونيو ويوليو الحارة — بعد انتهاء موسم المعارض — تدور أحاديث الوسط الفنى حوله ، وهى احاديث مثيرة خاصة عندما تصل الى مسألة المقتنيات ، وأخبار اللجنة المشكلة لاختيار الاعمال . وتثور زوبعة من الغضب من قبل الفنانين على اللجنة ، وعلى أسـلوب اختيـار الاعمال وتحديد أسعارها وترتفع صيحات التهديد برفض البيع ، لكن سريعا ماينتهى كل شىء بالتوجـــه الى البنـك وصرف الشـيكات ، فالدولة فى النهـاية هى المشترى الوحيد للاعمال التشكيلية مرة يتيمة كل عام ، ينتظرها السواد الاعظم من الفنانين بفارغ الصبر ، ومن خلفهم طوابير الدائنين والزوجات ! ... ومن الطريف أنه خلال السنوات الخمس التى اقيم فيهـا المعـرض حتى اليوم ، لم تبع قطعة واحدة لفنان من مجمـــوع الاعمال التى تبلغ الالفين ، فيما عدا الاعمال التى اشترتها الدولة ! ...

وقد يبدو الحديث عن البيع والشراء فى المعرض العام ، بهذه الكيفية ، مبتذلا لكننا لو نظرنا الى الفكرة الاساسية من انشائه ، لما وجدنا فى ذلك ابتذالا ، أو غرابة . اذ أنه أنشىء أساسا لحل مشكلة المقتنيات ، بعد أن ارتفعت شـــكاوى الفنانين من أن لجنة المقتنيات التـابعة لوزارة الثقافة ، أصبحت عـاجزة عن ملاحقة نشاطهم المتمثل فى العديد من المعارض الخاصة والجماعية . وأنهـا تمارس عملها باسـلوب بيروقراطى أو تبعا للاهواء الشخصية ... وفى المؤتمر العام الذى عقد سنة ١٩٦٨ بين الفنانين وبين وزير الثقافة والمسئولين فى الوزارة طرحت هذه الفكرة — من أعلى — لاول مرة : أن يقام كل عام معرض شامل يشارك فيه كل الفنانين بنماذج من أعمالهم لا تزيد عن ثلاثة قطع لكل منهم وترصد له كل ميزانية الاقتناء .

● مفهومان متعارضان

كان ذلك فى الحقيقة تبسيطا غريبا للمشكلة يسكنها دون أن يعالجها ، وينظر اليها كظاهرة جزئية محدودة . وهى مشكلة الاحتياج الاقتصادى للفنان، دون ربط هذه المشكلة بالقضية الاشمل: وهى احتياج المجتمع اساسا للفن ودور الفنان فى المجتمع . والذى يجب أن يترتب على قيامه بهذا الدور ، الا يكون ما يعطى له مساعدة على نمط مساعدات الشئون الاجتماعية ، تشكل لها لجنة تطوف بطريقة سرية على معارض الفنانين ، أو يقام لهما سرادق عام لتوزيع الصدقات ! .. وانما ينبغى أن يكون مايحصل عليه حقا مشروعا قائما على تخطيط علمى ينظم العلاقة بين الفنان والدولة ، ويحدد ماله وماعليه فى المقابل ... وعلى ذلك ، تسقط اساسا فكرة ان الشكل الوحيد لمكافأة الفنان ، هو اقتناء قطعة من أعماله لتخزينها كل عام فى مخبأ . وانما مكافأته الكبرى ، هى اخراج أعماله من رطوبة المراسم وظلام المخازن والمخابىء ، الى حيث تشاهدها الجماهير ، وتؤثر فيهم فى الحدائق العامة والميادين والمؤسسات والمتاحف . وعلى الدولة — فى هذه الحالة ان تجزل له العطاء أو — على الاقل — أن تعامله كما تعامل المهندس الذى صمم البناء أو الميدان .

حتى على المستوى العملى الضيق ، كانت فكرة تجميع مئات الفنانين فى معرض واحد يمثل كل منهم فيه عملا أو اثنين لاقتناء أحدهما ، فكرة محدودة ، فان ذلك من شأنه ان يخلق طائفة من المنتفعين الذين ينتجون قطعة أو اثنين كل عام خصيصا للمعرض . والوسط الفنى مكتظ بعشرات الاسماء التى تنتسب اليه بصكوك الاعتراف الرسمى من المعاهد والكليات الفنية فى شكل دبلومات ، او بمراكزها الادارية ، فى الوقت الذى توقفت فيه عن الانتاج الحقيقى منذ سنوات طوال ، والمعرض العام هو الفرصة الذهبية التى تساوى بينهم وبين فنانين اعتصروا أنفسهم طويلا ليقدموا تجارب اصيلة لها سمة الاستمرار والنمو . ان من اصعب الامور الحكم على تجربة فنان من خلال عمل أو عملين فى عزلة عن مجمل تجربته ومتسار تطوره ، ومن ناحية اخرى : ما هى المعايير الموضوعية لاختيار اعمال تقتنيها الدولة — لتصبح ملكا للشعب — من بين مئات الاعمال والاسماء ؟... أهى معايير جمالية بحتة ، أم أن للمضمون الاجتماعى مكانا فيها ، على اعتبار أنها تقتنى من أجل الجماهير ؟ ... وهل الاموال التى توزع على الفنانين مكافأة عامة على غرار مكافأة عيد الثورة فى الماضى ، أم هى جائزة تعطى لافضل الاعمال المعروضة حتى ولو كانت عشرة ؟... وهل للاسماء اعتبار خاص ، تبعا لرسوخ الفنان وذيوع اسمه — بشكل او بآخر — على مدى سنوات ، أم أن قيمة العمل تتحدد بامكانياته الذاتية أيا كان اسم صاحبه ذائعا أو مغمورا ؟ ....

فى ظنى : أن أيا من اللجان التى تصدت للاقتناء على مدى السنوات الخمس من حياة المعرض العام لم تتوصل الى وضع معايير واضحة حول هذه المسائل . بل لعلى أضيف أنه ليس بوسع لجنة مشكلة من أعلى — مهما كانت درجة نزاهتها — ان تفعل ذلك ، خاصة اذا كان اصحابها من العارضين وسط الاسماء التى سيتم الاختيار منها.
اننى اتصور ، أن وضع هذه المعايير يجب أن يكون من مهمة طرفين اساسيين:
الاول : هم ممثلون حقيقيون لمجموع الفنانين التشكيليين المنتجين ، يتم انتخابهم من خلال مؤتمر عام ، نظرا لافتقارهم المحزن الى وجود نقابة أو اتحاد عام يمثلهم . والثانى هم ممثلون لرجال الفكر الذين يعملون تبعة وضع اسس البناء الثقافى والحضارى ، ويمدون الجسور لاجيال المستقبل .

ومدى علمى ، أن كثيرين من الفنانين وقفوا منذ البداية معارضين لفكرة المعرض العام بمفهومها الخيرى ، وعبروا عن وجهة نظرهم فى المؤتمر العام للفنانين التشكيليين سنة ١٩٦٨ ، لكن أصواتهم ذهبت ادراج الريح . واقيم المعرض الاول سنة ١٩٦٩ بالجزيرة واشترك فيه ٢٥٠ فنانا — فى كرنفال متنافر الالوان ، كان يتصدره الفنانون الرسميون من الاكاديميين واساتذة المعاهد والكليات الفنية (وقد حازوا بالطبع أعلى الاثمان من لجنة الاقتناء) الى جانب فنانى صورة البرواز والصالونات ، ومحترفى اصطياد السياح وببغاوات الفن من مقلدى المدارس الفنية الغربية بلا موهبة او اصالة . ووضع فى الظل — الى جانب كل هؤلاء — فرسان شهداء للحركة الفنية ممن احترقوا بنارها ، وماتوا بلا طبول ، مثل عبد الهادى الجزار وكمال خليفة ورمسيس يونان . وقد قرر الكثير من الفنانين الجادين ممن عرضوا فى ذلك المعرض عدم معاودة التجربة ، والتزم القليلون منهم بهذا القرار فى المعارض اللاحقة ، وعجز الاخرون عن ذلك لاسباب اقتصادية ، بل لحق بهم حتى أولئك الذين رفضوا الفكرة منذ أول عام. لكن منذ العام الماضى وهذا العام ، عادت مواقف المقاطعة للمعرض من كثير من الفنانين الذين لا يستهان بهم ، مما ضاعف انخفاض مستواه عن السنوات الماضية ، وحتى بالنسبة للميزانية المخصصة للاقتناء ، بدلا من أن ترتفع عن العشرة آلاف جنيه المعتادة — كما وعد المسئولون — انخفضت هذا العام الى أربعة آلاف جنيه . أما الشىء الوحيد الذى كان يرتفع على مر الاعوام ، فهى اكوام الاعمال الفنية المقتناة فى مخازن الوزارة ، تلك المخازن التى اصبحت تنافس مخازن هيئة النقل العام ! ...

المعرض العام الخامس

وعلى الرغم من كل شىء ، دعونا نلقى نظرة على المعرض العام الخامس ... عرض فى المعرض ٤٠٠ عمل فنى لاكثر من ٣٠٠ فنان ، مابين تصوير ، ونحت ، وحفر ، وطباعة على النسيج ، وفنون تطبيقية وأشياء أخرى من الصعب تسميتها ، تكدست جميعها فى قاعات الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، بصورة تصيب النظرة الاولى بالدوار — رغم الجهد الواضح الذى بذلته ادارة المعارض بالفنون الجميلة لتنسيق المعرض — نظرا لضيق المكان بالنسبة لعدد الاعمال المعروضة . وقد استرعت انتباهى بعد الجولة الاولى عدة ملاحظات :

● غياب اسماء عدد من الفنانين الجادين المؤثرين فى الحقل الفنى ، حتى ممن اعتادوا العرض خلال الدورات الماضية ، مثل المصورين : **سيف وانلى وراغب عياد وحامد عويس وتحية حليم وانجى افلاطون وممدوح عمار وحامد ندا** (ولعله كان أسبق هؤلاء الى مقاطعة المعرض فى أغلب الدورات الماضية) . كذلك اختفت مجموعة الفنانين السكندريين من معيدى كلية الفنون الجميلة وغيرهم من الفنانين ذوى الوجود النشط فى الحركة الفنية مثل : **سعيد العدوى ومصطفى عبد المعطى وأحمد عزمى وعادل المصرى ومجدى قناوى ومحمد سالم وسعيد حداية** وغيرهم ... وقد أعلنوا انهم اتخذوا موقفا مشتركا بمقاطعة المعرض هذا العام . كما غابت اسماء أهم النحاتين المعاصرين : **جمال السجينى ومحمود موسى ومحمد هجرس وصلاح عبد الكريم وآدم حنين وعبد البديع عبد الحى ...**

● فى الوقت الذى عرضت فيه صورتان « بورتريه » هزيلتان للمرحوم المصور **أحمد صبرى** ، وطبيعة صامتة عادية صغيرة الحجم للمرحوم **كمال خليفه** لم نجد عملا واحدا للفنانين الفطاحل الراحلين **عبد الهادى الجزار ورمسيس يونان ويوسف كامل**، مما يثير التساؤل : على أى أساس تختار أعمال الرواد والراحلين ؟.

● فى مقابل هذا الغياب لكل هذه الاسماء ، كان هناك عشرات من الاسماء الجديدة بعض أصحابها ما يزالون طلبة فى المعاهد والكليات الفنية يعرضون لاول مرة فى حياتهم ، وبعضهم هواة يتلمسون اولى خطواتهم على طريق التشكيل ، والبعض الثالث من الاسماء الصاعدة لخريجين جدد من كليات ومعاهد الفن . وبقدر ماهى ظاهرة طيبة ومبهجة أن يمتد وهج الحماس للابداع الفنى الى الاجيال الجديدة التى ستواصل حمل الشعلة بعد الاجيال السابقة والحالية ، وبقدر ماهو جميل أن تمتد اليها يد القائمين على المعرض العام لتحتضنها وتتبناها فى هذه السن المبكرة ، الا ان الظاهرة للاسف أدت الى نتيجة عكسية ، فان معظم أعمال هؤلاء الشبان دون مستوى المعرض حيث لم تتبلور تجاربهم بعد. وقد ساعدت على هبوط المستوى العام للمعرض ، وخلقت جوا من التشتت والصخب الاجوف ، ضاعت فى ثناياه كثير من الاصوات الجادة والمحاولات الاصيلة .

فن الغيبوبة والزينة

أما الاتجاهات التى سادت المعرض ، فهى فى أغلبها هروبية فى أنواع شتى من الغيبوبة ، منها غيبوبة الاشكال والزخارف التراثية ، مثل الخط العربى ، والوحدات الزخرفية الاسلامية ، وتقليدها بتنويعات مجردة مفصولة عن اطارها الطبيعى والفلسفة التى أوجدتها ، حتى ليبدو الجناح الذى ضم انتاج هذا الاتجاه كمعرض لمدرسة تحسين الخطوط : [**عمر النجدى ويوسف سيده ورؤوف عبد المجيد وكمال السراج واحمد فؤاد سليم وفتحى جودة وسامى رافع ... وغيرهم**] . أو فى غيبوبة التعبد فى موتيفات شعبية أو فرعونية أو قبطية ومحاكاتها دون استلهام روحها الدفينة : (**سيد عبد الرسول ومصطفى الرزاز وكمال يكنور وسعد كامل وفرغلى عبد الحفيظ .. وغيرهم**) ... أو تلفيق تركيبات تجريدية هندسية مثل المكعبات والاسطوانات من خامات رديئة ليس لها صفة البقاء مثل الصفيح ، مع تلوينها بألوان اعلانية صارخة وايهام النفس والمتفرجين أن ذلك استلهام من البيئة الشعبية ، لمجرد وجود تشابه بين شكل الاسطوانات المرصوصة « والكيزان الصفيح » : (**د . رمزى مصطفى**) .. او غيبوبة البحث الذهنى فى علاقات تجريدية بحتة تكاد تخلو من أى شحنة تعبيرية : [**مصطفى الارناؤوطى وحسين الجبالى وعونى هيكل ونبيل الحسينى ونعيمة الشيشينى ومنى العجمى ومحسن ابراهيم ... وغيرهم**) .

ولو بحثنا عن وظيفة لانتاج هذه الاتجاهات الهروبية من الواقع ومن مسئولية الفنان تجاه مجتمعه وعصره وتأثيره فيه بشكل أو بآخر ، لما وجدنا له الا وظيفة الزينة . أن المرء يتساءل مندهشا : فى أى قوقعة يعيش هؤلاء الفنانون ؟ .. ألم يسأل أحدهم نفسه يوما : لماذا ولمن ينتج ؟ .. ان الجماهير المصرية بالقطع لاعلاقة لها بكل هذا ، رغم زعم هؤلاء الفنانين بأنهم يستلهمون رموزها وتراثها . أقول ذلك دون ان اخرج الزينة ايضا من حسابى اننى لست ضد فن الزينة لكن ، عندما يكون جزء من أرض الوطن محتلا ، وغالبية الشعب تعانى من الامية والتخلف وكل مشاكل العالم الثالث ، فان الاستغراق فى فن الزينة ، وفى كافة الاشكال الهروبية لايعنى الا شيئا واحدا : هو الاشتراك فى جريمة تخدير الجماهير ، شأنه شأن أغانى الملاهى الليلية ومسرحيات الهزل والافلام الهندية الميلودرامية التى تغزو مصر منذ سنوات ... اننا نتجاهل ان المطالب الملحة للجماهير ــ حتى الطبقة المتوسطة منها ــ ماتزال بعيدة تماما عن الفن ، وانها لهذا لن تسعى اليها بنفسها ابدا. وانما قدر الفنان ــ طالما وجد فى عالم متخلف ــ هو أن يسعى بنفسه اليها ، ولن يتحقق ذلك بدون أن يغوص فى واقعها ، حتى يلفحه صهد المها ومعاناتها ويلسعه توقها المحموم الى التحرير والتغيير ، ويجد نفسه جزءا من مسيرتها نحو هذا التغيير .. فى تلك الحالة سوف يستشعر نبض الخلاص الزاحف .. وعندئذ فقط سوف يجد نفسه يعبر بدون ان تخنقه أزمة الشكل ، وسوف يجد ان التواصل قد تم ببساطة بينه وبين جماهيره الحقيقية ، التى حددها تلقائيا بتحديد موقفه الفكرى ... اما اذا لم يدرك كل ذلك واستمر فى اتجاهه الهروبى فسوف يزداد كل يوم عزلة وانحسارا ..

على ضفاف الواقعية

واذا كانت قد سادت المعرض اتجاهات الفن الهروبى الذى يوصل الى الغيبوبة او الزينة ، فانه لم يخل من اتجاهات اكثر موضوعية ، اتجاهات جعلت من الانسان منطلقها الاساسى شكلا ومضمونا وقد تحوم احيانا حول ضفاف الواقعية من زوايا متعددة ، وبأساليب مختلفة .

● **فثمة من يرى الواقع من زاوية** نقدية تصل الى حد التعرية مثل **جورج البهجورى وغالب خاطر ...**

ــ **يصدمنا البهجورى فى لوحته** « الاتوبيس » بمشهد طالما الفناه ، واعتصرنا فيه ، حيث يبلغ الصراع من أجل مكان فى الاتوبيس ــ أو حتى على سلمه ــ درجة غير انسانية . لقد قدم البهجورى مؤخرة السيارة وقد تكدست عليها كتلة بشرية أو وحشية يتصارع كل من فيها للتشبث بالسيارة . ولا تخفى عنا الدلالة الايحائية للوحة ، فالاتوبيس يمكن ان يكون رمزا أكثر منه تسجيلا واقعيا .

وفى لوحة **غالب خاطر** ذات العنوان الغريب وهو « سمها ما شئت ! » يقدم لنا عالما طالما تعودناه منه فى المعارض الاخيرة، والذى يمكن تسميته « لوحة الصفعة » .. أنه يقدم فى لوحته مجموعة من الحمير ، تنظر ساخرة الى آثار أقدام آدمية ، وتتهامس فيما بينها بشكل تآمرى أو تهكمى .. ولا اود ان استرسل فى وضع تفسيرات ادبية لذلك العمل ، فهذا من شأنه أن يجهض احتمالاته التعبيرية التى قد تختلف من مشاهد الى آخر .. فليس الفن تعبيرا

ميكانيكيا بالرمز عن فكرة ما ، لكننى اعتقد ، أن الاسلوب الذى ينفذ به خاطر هذه الاعمال قد استهلك حتى بالنسبة له وأصبح نمطيا ، وعليه أن يسارع الى تطوير أدواته وخاصة اللون — حتى لا يجد نفسه فى طريق مسدود .

● **وثمة من يرى الواقع رؤية شعريه** ايحائية ، حيث يضع الانسان فى علاقة بشىء ما يتم معه الحوار او التواصل ، ومن ثم يجعل المشاهد يشارك فى خلق اللوحة باكمال ذلك الحوار ، او يضعه أمام لحظة قد تكون هى الحد الفاصل بين الواقع والحلم ..

— **ففى لوحة حسن سليمان** « امراة وقطة » نرى المراة الجالسة فى باب شرفة يعكس الضوء الباهر المتدفق من خلفهـا وأمامهـا ، تجلس قطـة فى وضع استعداد وترقب ويخيم على اللوحـة ذلك الحـدس المتوجس ، والهمس الخرافى الذى توحى به القطة السوداء فى الاساطير الشعبية . لقد تاكدت فى هذا العمل لحسن سليمان من جديد أستاذيته فى البنـاء المعمارى للوحة ، واستخدامه الشاعرى للاسود والرمادى .

— **وفى لوحة أحمد مرسى** « تكوين» نرى المرأة العارية النائمة وفوقها — فى جو شبيه بالحلم أو الكابوس — نرى سحابة قاتمة تحتوى شكلا أقرب الى رأس الثور ، ولعلها تذكرنا بلوحـة **هنرى روسو** — المرأة النائمة والاسد الا أن اسـتخدام الشـكل الدائرى للسحابة فى مقابل الشكل المستطيل لجسم المرأة النائمة أصبح استخداما نمطيا أفقد اللوحة الدهشة التى كانت خليقة بأن تبعثها فينا ، ولكنها مع ذلك احتفظت بروح الشعر .

— **أما صبرى منصور** ، فقـد خلق عالما تحددت له رموز خاصة تجعـله موازيا لعالم الواقع وليس انعكاسا له وذلك فى ثلاثيتـه « المرأة والطائر والهلال » . من خلال علاقة ديناميكية بين تلك العناصر الثلاثة على خلفية من لون فيروزى شديد الصفاء كأعماق بحر أو سماء لازوردية .

— **وفى لوحـة مصـطفى احمـد** « تحية الى أم » يقدم لنا رؤية جديدة نوعا بالنسبة للوحاته القديمة ، فبعد أن كانت أشكاله أقرب الى جزوع الاشجار او كتل الصخور يوظفها لخدمة علاقات شبه تجريدية ، نجده فى هذه اللوحة يصور — بشاعرية — مجمـوعة من النسوة المتشحات بالبياض ، كأطياف او أميرات فرعـونيات . واحـداهن تنحنى لتلقى الحب الى مجمـوعة من الحمام الابيض — ان هذه اللوحة اغنية رقيقة ، لا يعيبها غير الميل المبالغ فيه الى اليسار لجسم المرأة الوسطى ، مما يصيب اللوحة بالخلل ، وكذلك التحليل غير الناضـج لثنيات مـلابس النسوة وسطح الخلفية .

— **وفى لوحـة سمـير تـادرس** « انسان أمريكا الاسمر » تجاوز لواقع محدود ، الى واقع شـامل يصـلب الانسان فيه كل يوم وفى كل مكان ، دافعا حياته أو دمه من أجل فكرة . ورغم تجـريدية الموضـوع وشـيوع التكوين ، فقد أنقذت اللوحة الوانهـا الدرامية المكتومة التى تخفى بداخلها صرخات مهولة من الالم والاحتجاج .

— **وفى لوحة سـعد عبـد الوهاب** « عازفة المندولين » تتصاعد موسـيقى اللون الرمادى فى هارمونية غنية لتكون اغنية حب حزينة . لقد بدأت تتحـدد لسعد « بالتة » لون مستقلة ، الا آن نمطية وضع الفتاة فى المسطح يجعلها اقرب الى الاعمال الاكاديمية .

— ويقدم **على دسـوقى** فى لوحته « مراكب فى النيل » أشرعة ضبابية فى جو غائم يذكرنا بلوحات « ترنر » . لكن على دسوقى قد أشبع الجو العام فى لوحته — ومعظم لوحاته الاخيرة — على حساب الاشكال ، ففى الوقت الذى تأكدت سـيطرته على اللون وطوعـه ليصوغ منه تلك الشفافية المرهفة ، تجمـدت قدراته على تحليل الاشـكال والمشخصات ، ولعله يلجأ الى الهروب من ذلك باغراق لوحاته فى الضباب .. وفى رأيى انه كان اكثر صدقا مع نفسه وواقعه فى مرحلته السابقة التى صور فيها ملامح البيئة الشعبية .

● **وهناك من اقاموا عالمهم** التشكيلى من عناصر واقعية ، لكنهم لا يلتزمون بحرفية الواقع أو منظوره ، بل كل همهم أن يقيموا بناء تركيبيا مخترعا بفرض احداث توافق جمالى او حالة درامية .

— **هذا ما نراه فى العالم الذى** قدمته **جاذبية سرى** فى لوحتها « بيت الصمت » حيث امتزجت على سطح اللوحة ملامح من منازلها وأبوابها ونوافذها التقليدية فى الاحياء الشعبية ، مع عيون ووجوه متـداخلة ، فى جو ملىء بالغمـوض والتربص .

وتؤكد جاذبية بهذه اللوحة من جديد مقدرتها على خلق دراما صميمة الصلة بالواقع معتمدة على عناصر شديدة المحلية لكن فى نسيج خطى ولونى متشـابك يقترب من التجريد يتجاوز بها الحـدود المحلية ، مما يذكرنا بملحمتها الرائعة « النيل » .

— **نفس العالم نجده ، بصورة اخرى** فى لوحة محمد **حسنين على** « اللحن الحزين » .. بعد حارته ذات البيوت المتداعية والوجوه القديمة التى حولها الزمن الى منحوتات صخرية أوخشبية ، اتجه الى اشكال اقرب الى المكعبات . وكان يبدو انه يضع احدى رجليه فى الحارة الاخرى فى لوحات بيكاسو وبراك التكعيبية وقد حسم الصراع فى هذه اللوحة بالانحياز الى المكعب مع الغاء المشخص واستبداله بمعادل هندسى هو الدائرة والمربع ، واصبحت البطولة للون الرمادى القاتم ، الرازح فى جهـامة ليلية ثقيلة على عالمه المبهم .

وهناك العديد من الاعمـال لفنانين آخرين حققوا خطوات جادة على كل تلك الاتجاهات بتنويعات مختلفة واسـاليب متميزة .. نذكر منهم : **زكريا الزينى ومريم عبـد العليم وجمال مجمود وعبد الوهاب مرسى وسيد توفيق وجابرحجازى ومحمود ابو المجد وعلى عزام ولطفى محمد على ومحمد القبانى واحمد مصطفى وسمير عبد الله ومحمود ابراهيم وحامد الشيخ ومصطفى الفقى واحمد حجاب .**

جيل بلا اسـاتذة

واعمال الكثيرين من تلك الاسماء ، من جيل الستينات ، وعشرات الاعمال الاخرى التى تطالعنا بالمعرض لجيـل بدأ يقدم انتاجه مع اوائل السبعينات ، تعكس المحاولات المحمومة للعثور على مخرج من الازمة التى تمر بها الحـركة الفنية فى مصر ، بالبحث عن شخصية متميزة عن كل ما قدمته تلك الحركة فى نصف القرن الماضى من اتجـاهات ، لكنهم ، كثيرا ما يقعون أسرى لدوامات المدارس الغربية ، نتيجة لوحدتهم الباردة فى البحث عن خلاص ، بلا مشاعل تنير لهم بدايات الطريق . لقد سقطت القواعد والقيم الاكاديمية التى كانت فى يـوم من الايام ثابتة ، وعجزت اكاديميـات الفنون عن أن تشبع تطلعهم الى خلق قيم جمالية جـديدة تواكب بين تراثهم الحضارى وبين التيارات المجنونة التى يطلقها العصر .. بل ان معظم الاساتذة بتلك الاكاديميات صاروا يمثلون عقبـة فعلية أمام تفتح وانطلاق طاقات شابة تهفو الى التجديد ، وذلك بسبب عمقهم او تحجرهم عند المراحل الاكاديمية الاولى .. حتى من كان منهم ذا دور ريادى فى التجريب والبحث فى وقت من الاوقات بلغ درجة من القناعة — بما أنجز — ولم يعد بقادر على الاجابة على الاسئلة التى تطرحها الاجيال الجديدة والمنعكسة عن تناقضات هذا العصر . على آن هذا لا ينفى وجود عدد محدود من الاساتذة الذين تركوا بصماتهم على الحركة الفنية وعلى الاجيال الشابة من الفنانين ، ولم

تنضب لديهم منابع الابداع ، لكنهم رغم خصوبة تجاربهم مازالوا تائهين هم أيضا بحثا عن طريق للخلاص ، وكثيرا مايتجهون الى مسالك مسدودة او يتوقفون صامتين لبعض الوقت — ومن هؤلاء الفنانين : سيف وانلى وحامد ندا وصلاح طاهر وجمال السجينى وحسن سليمان وصلاح عبد الكريم .

لعل هذا يفسر عدم استمرار تجربة احدهم فى تجارب فنانى الاجيال اللاحقة رغم تأثر الكثيرين منهم بهذا الفنان أو ذاك فترة من الوقت .

حتى الفنانين الكبار من جيل الرواد : مختار ومحمود سعيد وناجى وغيرهم ، تبددت عنهم الى حد ما — فى نظر هذا الجيل من فنانى الستينات والسبعينات — هالات القداسة ، مع ازدياد نضجهم وتطور وعيهم . لقد أدركوا أن هؤلاء الرواد — رغم جسارتهم فى ارتياد آفاق جديدة للفن المصرى — ليسوا الا تلامذة قصار القامة الى جانب اساتذتهم العظام من الاجداد مبدعى الحضارة الفنية الفرعونية على وجه الخصوص ، تلك التى نهلوا منها بكل الاخلاص والحب لكنهم لم ينجحوا تماما فى أن يصنعوا الجسور بينها وبين الحضارة المعاصرة والواقع المتغير وما يفرضه من رؤى جديدة . كما لم يستطيعوا أن يتمثلوا الانجازات الحديثة التى اجتاحت العالم من بعد ، رغم اتصالهم المباشر بها .. فان نجحوا فى ان يقدموا اعمالا قومية ناضجة متفرقة هنا وهناك ، الا انهم لم يستطيعوا أن يقيموا بناء راسخا لمدرسة قومية ، أو يعبروا طريقا واضحا تسير عليه الاجيال اللاحقة . وهكذا اصبح مكانهم اللائق هو المتاحف ، وصاروا على مدى المرحلة الشاقة مجرد علامات غالية على الطريق .

وقد نكون فى تلك النظرة بعض المغالاه لكن حتى تلك المغالاة ، تعكس بعدا آخر فى ازمة الاجيال الشابة من الفنانين، وهو غياب النقد الفنى . فالحركة الفنية تفتقر الى وجود نقاد موهوبين يملكون من الثقافة والحس المرهف وعمق البصيرة ما يؤهلهم لتحليل المراحل الفنية المتعاقبة ووضعها فى مكانها الصحيح ، واكتشاف حلقات الاتصال بين الاجيال المتواترة لتلمس ملامح شخصية قومية متميزة من خلالها . وترشيدا للمواهب الشابة التى تظهر باستمرار . وفوق كل هذا : خلق وسائط الاتصال بين مجمل الحركة الفنية وبين الجماهير ، وتقريب الفنون اليها بخلق لغة للتواصل معها . يجدر بى ان انوه بالدور الهام الذى تام به الاستاذ بدر الدين ابو غازى فى هذا المجال ، لكن ماذا كان بوسعه أن يفعل وحده تماما وسط مسئولياته الاخرى العديدة ؟ .

.. كل ذلك جعل النسبة الكبرى من الفنانين الجدد — من جيل الستينات والسبعينات — فى غربة حقيقية ، وعرى من أى غطاء . وهذا ما دفع الكثيرين منهم الى مغامرات غير مأمونة ، فى مجال الشكل ، متأثرين تأثرا مباشرا بالتيارات الوافدة ، أو الاستغراق الميكانيكى فى تقليد اشكال نمطية من التراث ، أو الدخول فى غيبوبة النزعات الميتافيزيقية ، الاصيلة منها والزائفة .. وهناك نسبة فضلت الصمت المطبق وكفت عن الانتاج ، أو استمرت فيه بشكل سرى ورفضت تقديمه فى المعارض استعلاء أو احتجاجا او يأسا .

لكن رغم كل شىء ، تظل الحيوية المتدفقة فى عروق هذا الجيل واخلاصه الشديد لمصريته وجديته فى البحث عن شخصية مستقلة للفن المصرى ، يظل كل ذلك هو الحماية له من الاحباط أو السقوط . ومع نمو وعيه الفكرى سوف يتحدد له موقف واضح فى الفن والمجتمع وسوف يدرك الحاجة الملحة الى فن جديد يحرك وجدان هذه الامة ويشارك فى بعثها . فى اذكاء روح المقاومة ، والاحتجاج ، والنزوع الذى لا يخبو الى الحرية ، الى استكشاف المجهول وامتلاكه ، الى الحب والفرح ، الى تجاوز الضعف والموت .

وتبقى فى النهاية كلمة ينبغى أن تقال من المعرض العام : رغم كل ما ذكرناه عنه — فكرة وتطبيقا — فان له الفضل فى تقديم العديد من أبناء هذا الجيل وفتح الافاق امامهم . أما أعظم حسناته فهى أنه يثير دائما هذا الحوار المثمر حول قضايا الفن ، ويخلق منطقة جذب قوية لقطاعات كبيرة من الجماهير، ما كان ليتوفر لها التعرف على حركة الفن التشكيلى بدونه .. انه باختصار يعمل فى كل مرة على تجديد الدورة الدموية فى جسد الحركة الفنية .. فاذا كنت قد قسوت عليه فما ذلك الا بدافع الحرص على بلورة فكرته من منطلق جديد وتحديد مسار واضح ومدروس له يعمل على اثراء الحركة التشكيلية ، وعلى أن يكون جسرا راسخا بينها وبين الجماهير ■

يوسف شاهين وانطلاقة العصفور

للكاتب التونسى
الطاهر الشريعة

« مصر ياما يابهية
« يأم طرحة وجلابية
« الزمان شاب وانت شابة
« هو رايح وانت جاية
« جاية فوق الصعب ماشية
« فات عليك ليل ومية
« واحتمالك هو هو وابتسامتك هى هى
« تضحكى للصبح يصبح بعد ليلة ومغربية
« تطلع الشمس تلاقيكى
« باقى بهية وصبية.. يابهية ...
« رفاق مسيرة عسيرة
« وصورة حشيد ...
« ومواكب فى عيون صبية بهية
« عليها الكلمة والمعنى !
« مصر يا اما ياسفينة
« مهما كان البحر عاتى
« فلاحينك ملاحينك بزعقوا للريح يواتى
« اللى ع الدفة صنايعى واللى ع المجداف زناتى
« واللى فوق الصارى كاشف كل ماضى وكل آت
« مصر يا اما يا بهية .... »

●

ذلك هو «موضوع» فيلم «العصفور» أو ذلك هما الخطان الرئيسيان لما يجرى على الشاشة ... بينما تمر مواضيع أخرى شتى فى شعاب فرعية مكنت يوسف شاهين هذه المرة من الغور فى أعماق شعبه ومن تصوير طبقاته الاجتماعية والفكرية تصويرا صحيحا وفيا كما لم يسبق له ذلك ....(ولا لغيره من السينمائيين المصريين] .

ومن أهم تلك المواضيع « موقف » **النخبة المثقفة من مجرى التاريخ فى بلادها** ! علاقتها «الابوية المتعالية» بطبقات الشعب **التى تتعاطف معها نظريا ولا تكاد تعرفها سوى من خلال تلك النظريات ...** هذا الموضوع الذى كان محور فيلم شاهين السابق «الاختيار»] وكذلك مواضيع المرأة والاخلاق وموضوع « الريف » واهمال «العاصمة» لمصيره وغير ذلك ..

ان قيمة هذا الفيلم التى تفوق فى نظرى قيمة كل فيلم مصرى منذ ثلاثين عاما [باستثناء فيلم «المتمردون» لتوفيق صالح .. لكن من ناحية جلاء الرؤية السياسية فقط !] لقيمة بارزة من عدة نواح :

١ — هى بارزة أولا فى بنائه الدرامى حيث اتفق الشكل والمعنى اتفاقا محكما بديعا . صحيح أن المشاهد قد يشعر

أولا ببعض العناء [! اذا لم يكن ... مصريا !] وقد تختلط عليه شبعاب أحداث الفيلم فى ربع الساعة الاول منه ... ولكن ماذا كان غرض المخرج — وزميله **لطفى الخولى** ؟ يقول شاهين نفسه ما يلى : « **عندما أمر بشارع فى القاهرة أو الجزائر او تونس أو بغداد كثيرا ما يستوقفنى الشبان ويسألوننى « ما الذى حدث فى يونيو ١٩٦٧ ؟ من أين جاءت الهزيمة ؟ لماذا ؟ ألم نكن جميعا مستعدين للقتال ؟** » وان هؤلاء الشبان وأمثالهم الذين لم يترددوا لحظة فجر يوم ٩ يونيو لينزلوا لشوارع القاهرة صارخين معلنين عزمهم على مواجهة العدو ،ولو فى جيبهموعقر بيوتهم هم ذاتهم الذين اغتصب منهم اندفاعهم وحول عزمهم عن اتجاهه تحويلا بشعا وأخرست عزيمتهم الطيبة القوية ... فنحن انما نريد اليوم بهذا الفيلم أن نرد لاولئك العصافير شيئا من كرامتهم وذلك بتجلية بعض جوانب الخديعة الكبرى التي كانوا ضحاياها الابرياء ».

ومادام الغرض من الفيلم هو ذلك فأى بناء درامي يمكن تصوره كان أحكم وأوفى بالغرض مما توخاه شاهين ولطفي الخولي في «العصفور» أى تتبع قضية مثلى ... [من بين ألف قضية مماثلة] كقضية أبى خضر وتحليل مركباتها وكشف أطرافها وفضح أسبابها وغاياتها وأن يكون ذلك على «خلفية» سياسية وعسكرية خطيرة هى .. الحرب والحرب المصيرية ذاتها ؟ أليست تلك القضية — وأمثالها — هى سبب تلك الهزيمة النكراء ... بل سببها الاول والاخير ؟ أو ليست ما تدل عليه « قضية أبى خضر » أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا أروع بيان وأهول بيان لاسباب هزيمة كهزيمة مصر فى يونيو ١٩٦٧ ؟ ... أليس لهذا التوفيق الجليل الذى تيسر هذه المرة ليوسف شاهين فى بناء فيلمه « العصفور » يرجع الفضل فى أن المشاهد — [أى مشاهد مصرى أو عربى أو أجنبى ... وقد تبينت ذلك وتأكدت منه خلال خمسة عروض للفيلم حضرتها حتى الان ومنها ثلاثة عروض عمومية فى « كان » وفى « باريس »] — أن المشاهد يتابع ما يشبه قصة بوليتسية [بحث صحفى عن لصوص من نوع خاص ومطاردة شرطة لمجرم لا نراه أبدا] مدة ساعة ونصف ويخرج ممتلئا حتى الاختناق بالشعور أنه لم ير سوى فيلم من



● العصفور ... وما بعد العدوان ●

حرب يونو ٦٧ فى مصر كلها عاصمة وريفا ؟؟

أنا لم احص مشاهد الحرب ولم أوقت لحظات مرورها على الشاشة ولكنى على يقين انها لا تتجاوز عشر دقائق متفرقة فى ٥ او ٦ فترات من الفيلم فى لقطات خاطفة جدا [ماعدا الاولى ... اى قطارات الجنود والمصفحات وهى تغادر القاهرة الى الجبهة] ومع ذلك فقد رأيت الفيلم خمس مرات فى أقل من مدة شهر وما رأيت فيه — أو منه — الا شيئا واحدا : **مصر وحرب يونيو ٦٧** .

٢ — وقيمة « العصفور » لتبرز كذلك **فى وجهة النظر التى التزمها المخرج** ونجح فى الثبات عليها وهى **وجهة نظر** ابن الشعب ... الذى يخاطبه الفيلم ويقصده بالذات : أى المواطن البسيط فى الريف وفى العاصمة على السواء : .... او القهوجى الساذج الذى يسارع الى توزيع مشروبات النصر لان « المذياع قال إننا انتصرنا » .....

ويستقبل ابنه الجندي الذي أسروه بالتقهقر الى الخط الثانى » .

بخجل الشريف المقهور الذي انكسر لخزى الهزيمة لفرط ايمانه ولانه — هو — لا يعرف الجبن ولا الخيانة فلا يتصورها من قادته .... ووجهة نظر هذا المواطن البسيط — أيا كان — هى تلك التي سار عليها الفيلم تماما ، ولم يحد عن هديها من اوله الى نهايته: ..المواطن البسيط **يتطلع لمعرفة الحقيقة من فوق** ... حدسه يوجهه الى السعى من تحت الى فوق ... فأبو خضر عنده ليس سوى أسفل حلقة فى السلسلة مادام هو العنصر القريب منه حالا ومكانا ... واما الحرب واسرائيل والجبهة والقتال والامم المتحدة وغير ذلك ... فهى شئون «الوطن» ومسائل «السياسة» والوطن والسياسة لهما « الرئيس » هناك فى قمة « الفوق » أما هو ... ابن الشعب البسيط فى قريته أو فى حيه . . قلبه من ذلك صدى المذياع وتصاوير التلفزه ولافتات الشوارع المرددة للشعارات تقنعه بأنه هو « كل شيء » حامى الوطن ومصدر الوحى والقوة لقادته وغاية التضحيات من جهدهم واجتهادهم ..... ولذلك فقد

« انتظر » ذلك المواطن حرب المصير مع العدو الصهيونى « واستعد لها » — فهذا الجندى ابنه وتلك الطائرة سلاحه وهذا المذياع صوته ! — وانتصر على ذلك العدو انتصارات باهرة من أول لقاء ... ثم انهزم وتحطمت قواه فجأة ودفعة واحدة ... تماما كما انتصر بالامس الاقرب : **بالسماع** ! دون أن يشهد أو يمارس شيئا ...وأمام قضية كهذه [كهذه الهزيمة يتولاها الوكيل عن موكله !] ابن الشعب لايتطلع الى الحقيقة من فوق فقط فاليقين يعج فى أعماقه ان الحقيقة الشنعاء هذه فوق وليست سوى **فوق** لذلك هو حين يسمع « صوته » [مذياعه الامين] يعلن أنه « تنحى عن كل مسئولية ، وعاد الى الصفليقوم بواجبه كمواطن بسيط » فهو ينفجر رفضا ويصرخ « لا ! » ...

٣ — وتبرز قيمة « العصفور » أيضا فى كون هذا « الاختيار » الفنى من قبل يوسف شاهين [توخى وجهة نظر ابن الشعب البسيط ليقول لنا ماذا جرى فى يونيو ٦٧ وأى هزيمة كانت هذه الهزيمة ، **يمثل خطوة حاسمة فى مسيرة** هذا المخرج المصرى منذ فيلمه الاول [« ابن النيل » سنة ١٩٥١] ومنذ فيلم « الارض » [١٩٧٠] بشكل أخص ، نعيسم . أعتقد أن فيلم « العصفور » خطوة حاسمة ولعله نقطة التحول الجذرية التى تتجلى بها غوامض السبيل والتى تجلى للفنان نهائيا منحى الصواب فى اجتهاده الطويل وتوضح له [بشكل لا رجوع معه لاى خلط] جهة المواصلة والمثابرة على الابداع . بعبارة أخرى أعتقد أن شاهين بعد انتهائه من تركيب « العصفور » وبعد مشاهدته مع المشاهدين **قد عرف الان — والان فقط — من هو يوسف شاهين وماذا يريد وماذا عليه أن يفعل بممارسة هذا الفن السينمائى** ، أعتقد أنه عرف ذلك كمالم يكن عرفه قط [حتى ولا فى «الارض»] وأنه لن يستطيع بعد « العصفور » أن يصنع أفلاما من نوع « انت حبيبى » (١٩٥٧) أو «حب الى الابد» (١٩٥٩) ، نعم ١٩٥٩ أى بعد « جميلة الجزائرية » و«باب الحديد» و «صراع فى الوادى»!) أو «بين يديك» [١٩٦٠] أو « رجل فى حياتى» [١٩٦١] أنه لم يمتنع عن اقتراف مثل تلك الافلام فقط **بل سوف** يمتنع عنه صنع أفلام غير ملتزمة بعد **اليوم** ! ماذا أعنى بغير ملتزمة ؟ أعنى شيئا بسيطا وان كان خطيرا اعنى غير **ملتزمة فى ضوء مذهب يوسف شاهين الذى اكتمل وتجلى له فى «العصفور» وبمعاناته لخلق « العصفور »** [أعنى أفلاما ... يصنعها ويمسح منها يده أو ينظف منها خاطره ، وكأنما لم تكن شيئا منه ولا عليه .. فينظر اليها وهو شبيه غير المكترث مادامت **فى** ظنه « لا أهمية لها » ! ..] أعتقد ان مثل هذا أصبح ممتنعا أو بعيدا جدا من يوسف شاهين .

وأعتقد أن هذا من أفضل ما يميز فيلم «العصفور» ويبرز قيمته الخاصة بين سائر أفلام شاهين [بل سائر الافلام المصرية منذ ثلاثين عاما كما قلت] . فهذا الفيلم يمثل مرحلة اكتمال الوعى بالنسبة لصاحبه أو **اكتمال النضج الفكرى والسياسى والانسانى للفرد المصرى وللفنان السينمائى وللمواطن** العربى الذين يتألف منهم « شخص » **يوسف شاهين** .

ولن يتسع المقام لبيان هذه الميزة لفيلم « العصفور » بيانا كافيا وجديرا بالافهام والاقناع . اذ لابد من مراجعة عامة لمسيرة هذا المخرج منذ فيلمه الاول « بابا أمين » عام ١٩٥٠ الى أحاديثنا « الدرامية » حول «العصفور» و «الاختيار» و «الارض» و «والناس والنيل» ومداولاتنا الحماسية الاخيرة — ليلة السبت ٢ يونيو ١٩٧٣ بمطعم « قرطاج » بباريس صحبة فاتن حمامة التى « أبكاها فيلم العصفور كما لم يحدث أن أبكاها فيلم عربى ولا غير عربى من شدة التأثر والاعجاب والرضا العميق » على حد تعبيرها — لابد من مراجعة ذلك ، ومن تحليل عدد من أفلام يوسف شاهين لبيان ما مثله كل فيلم منها من « مرحلة » حتى تبين المسيرة الشاهينية كلها ويصبح واضحا ومقنعا ما كررت قوله وهو أن «العصفور» يمثل المرحلة الحاسمة ونقطة التحول الجذرية فى تلك المسيرة ....

المسيح في برودواي

د. عبد الوهاب المسيري

ثمة تيار عملى قوى يسرى فى التفكير الدينى المسيحى فى الولايات المتحدة ، فالبيوريتانيون المستوطنون الاول فى الولايات المتحدة شانهم فى ذلك شأن بعض البروتستانتية المتطرفين كانوا يتصورون انه اذا رضى الله عن فرد فانه يصيب من النجاح المادى والتجارى الشىء العظيم [وهكذا يصبح الدين اتجارا والاتجار الدين — وهذه سمة اساسية فى التجربة الدينية البورجوازية سواء فى أمريكا أم فى مصر] . وقد نجح اليمين الامريكى فى ان يحول قصة المسيح ، ان كان ميلاده أو صلبه أو بعثه ، الى ما يشبه قصة الرجل العصامى الناجح الذى تنتهى حياته التعسة « نهاية سينمائية سعيدة » وهى نهاية س :ة يلقاها ايضا اى مؤمن ورع ، وقد اطلق بعض المتمردين اصطلاح « المسيح وعشرة فى المائة » على هذا الضرب من التدين التجارى الذى يرى ان الايمان تجارة مربحة يقبض ربحها فى هذا العالم ، والذى يحول التجربة الروحية الى شىء كمى يمكن ان يقاس ويحسب بالمليم .

وفى الاونة الاخيرة ظهرت حركة دينية جديدة ، تسمى « أهل يسوع » وهى عبارة عن خليط عجيب من الرفض الهيبى للرأسمالية والتقوى المسيحية التقليدية . وتعد حركة اهل يسوع تمردا على العقلية التجارية الدينية السائدة فى المجتمع الامريكى ، ولكن حتى هذا التمرد يمكن تحويله الى استثمار مالى مربح ، وهذا ما كانت تفكر فيه برودواى — حى المسرح فى نيويورك — حينما استولت على قصة المسيح وحولتها الى مسرحية غنائية عنوانها « يسوع المسيح : النجم الاعظم « تعرض الان فى نيويورك » . وقد كتب اغانى المسرحية تيم رايس ولحنها اندروويبر وكلاهما كان مغمورا قبل الاشتراك فى هذه المسرحية ، واخرجها توم اوهرجان الذى اخرج من قبل مسرحية « هير » [شعر] . والمسرحية تعالج موضوعا قديما مطروقا ، الصراع بين الروح والمادة ، مستخدمة قصة حياة المسيح فى الايام السبعة الاخيرة من حياته بعد اضفاء مسحة عصرية عليها وبعد استبعاد عديد من المشكلات اللاهوتية مثل الوهية المسيح وبعثه من قبره بعد صلبه .

والاشارة فى عنوان المسرحية الى « النجم الاعظم » لها مدلولات ثلاثة :

أولا : مدلولها المسيحى التقليدى على ان المسيح هو النجم الذى ظهر فى بيت لحم .

ثانيا : مدلولها العام ، فالنجمة تظهر فى الظلمات لتبددها فهى رمز للروح التى تصارع قوى الظلام والشر .

وثالثا : مدلولها المعاصر بمعنى أن المسيح نجم سينمائى لامع يستحوذ على اعجاب الجماهير مما يجعلها مهووسة بحبه .

تفتح الستار على يهوذا الاسخريوطى يحاول الفكاك من أربعة رجال يرتدون ملابس غريبة فى لون العنكبوت وهم فى سلوكهم يشبهون ربات العذاب فى الاساطير الاغريقية ، ويظل الاربعة يضيقون على يهوذا الخناق الى أن يستسلم لهم ثم يبدأ فى غناء الاغنية الافتتاحية « السماء فى عقولهم » :

لقد صفا عقلى الان — واخيرا أرى
بوضوح كيف ستنتهى بنا الامر ،

اذا نزعت الاسطورة من الرجل لعرفت
كيف سينتهى بنا الامر ،

يسوع [لقد بدأت تصدق

ما يقولونه عنك ،

انك حقا لمؤمن

بان هذا الحديث عن الالوهية صدق ؟

وكل الخير الذى انجزت

سريعا ما سيجرفه التيار ؟

لقد بدأت تفوق فى اهميتك

الاشياء التى تقولها] .

ان يهوذا الاسخريوطى غير راض ان

« تتجسد » الفكرة في شخص انسان محسوس ، لان التجسد يعني أن ترتدى الفكرة الكاملة والمثال المجرد رداءانسانيا محسوسا يقلل من كمالهما ويدنس من طهرهما ، وهو تحول تحيطه الاسرار ولا يمكن للعقل التجريبي تقبله بسهولة ، وقد يقال أن الانسان العملي لا يمكن أن يكون تجريديا ، وفي هذا خطل في الرأى ، فالانسان العملي ضيق الرؤية لا يحب أن يتعامل الا مع ما يمكن قياسه بالارقام [النقود والكميات والمساحات] والارقام هي أكثر الاشياء تجريدا لانها مجردعلامة تشير الى الشيء المحسوس وتحل محله ، اما الانسان الكريم رحب الرؤية فانه على استعداد لتقبل الظواهر المحسوسة والمركبة ، كما انه على الاستعدادللايمان بالحب والعدالة والجمال على الرغم من انها قيم لا تقاس ولا توزن وليس لها ثمن معروف او غير معروف . ويهوذا الكمى الذى يحسب حساب كل شيء يحذر المسيح من أن يجعل من نفسه « المسيح المنتظر » ومن ان يوقد نيران الحماس الديني بين الجماهير :

أمر اذنا صاغية لوعيدى يا يسوع ،

بالله فلتذكر انني اريد أن نستمر في الحياة ،

ولكن من المحزن أن ارى فرص بقائنا تضعف مع كل ساعة ،

فكل اتباعك على عيونهم غشاوة ،

خيمت السماء على عقولهم أكثر من اللازم ،

كم كان الامر جميلا ولكنه اصبح الان مريرا ،

نعم لقد اصبح كل شيء مريرا .

ان السماء التى لا يمكن ادراكها بالحواس الخمسة هي رمز السمو الذى يعذب وجدان يهوذا هذا الرجل التجريبي الذى يقف بالمرصاد لكل عاطفة غير مقننة فحينما تربت مريم المجدلية على شعر المسيح يثور ويزمجر صاحبنا المتدبر ويتهم المسيح بعدم الاتساق المنطقى مع نفسه لان مصاحبته للمجدلية لا تتفق مع ما يدعو اليه . ويهوذا ثورى ولكن ثوريته منحصرة في نطاق رؤيته الاقتصادية الضيقة ، ولذلك فهو يعنف المجدلية لتضميخها المسيح بالعطور . ألم يكن في مقدورها ان توفر النقود التى انفقتها على المراهم والعطور لتعطيها للفقراء والمعوزين ؟ وحتى حينما تهزم يهوذا عاطفة حبه للمسيح فانه يستنكر هذا الحب ويتعجب كيف يمكن لرجل مثل هذا أن يؤثر فيه وان يبعث في نفسه الخوف والرهبة ؟ ثم يتساءل فيما اذا كان سيدعه وشأنه بعد أن يصلب أم ان



شبحه سيظل يطارده ؟ وتختلط الامور أمام يهوذا ويتركه صفاء عقله كلية بعد ان يسلم المسيح الى قاتليه من اجل « الصالح العام » وينتهى به الامر الى شنق نفسه . ولكن حتى بعد أن تصعد روحه الى الرب فانه لا يكف عن الجدل والنقاش فهو يعاتب المسيح لتركه الامور تسير دون اية ضوابط او تخطيط علمى ، بل انه يعيب على المسيح اختياره أرضا غريبة وحقبة تاريخية متخلفة لينشر رسالته في الارض :

لو أتيت في عصر كهذا لوصلت كلمتك للامة بأسرها ،

فاسرائيل في السنة الرابعة قبل الميلاد لم يكن فيها وسائل اعلام جماهيرية ،

لا تسيء فهمي — فانا لا أنشد الا المعرفة .

ان يهوذا دائب البحث دون كلل ودون غاية من معرفة يقينية عملية .

ويهوذا ليس وحده في هذا الشأن ، كهنة اليهود يفشلون ايضا في فهم يسوع ما يبشر به . فكل الامر بالنسبة لهم ان هو الا « الجنون اليسوعى » الذى هو استمرار للجنون الذى بداه يوحنا المعمدان « حينما كان يقوم بحكاية التعميد اياها » على حد قول الكاهن الثالث في المسرحية . وكما قتل يوحنا المعمدان لتحديه البيروقراطية الدينية لابد وان يقتل أيضا هذا النبى الجديد ، اذ كيف يتأتى لهؤلاء الكهنة أن يقبلوا فكرة النبوة الخلاقة ، وهى فكرة تنطوى على أن الانسان ليس عبدا لحواسه أو بيئته . وقد لا يؤمن الانسان بامكان حدوث المعجزات لا في الحاضر ولا في الماضى ، ولكن المقدرة على الاتيان بالمعجزات في هذا العمل الفنى هى رمز المقدرة على الارتفاع على الحواس وعلى المواصفات الاجتماعية السائدة ، ولهذا يكون في رفض الكهنة اليهود للمعجزات وفي كرههم لها دليل على انهم جسد بلا روح .

والجماهير في الخارج ساخطة صاخبة لاتلوى على شيء بل وتنادى على معبودها النجم الاعظم :

هيى ى.م. لماذا لا تبتسم لنا ،

الحمد لله الحمد ، هيى يانجمنا الاعظم

يا مسيح انت تعرف انني احبك

الا ترى لقد لوحت بيدى ؟

انى اؤمن بالرب

فلتخبرنى اذن اننى كتب لى الخلاص.

ولكن الجماهير الوالهة لا ترى سوى نجمها السينمائى العظيم ، وهى مولعة باختصار الاسماء على الطريقة الامريكية [ى.م. اختصار يسوع المسيح] لانها جماهير عملية على عجلة من أمرها تصر على الخلاص الفورى المريح . وحتى المرضى يهاجمون المسيح ، كل يطلب معجزة فورية تأتى له بالشفاء الناجع :

هل لك أن تلمسنى لتشفينى يا مسيح

هل لك أن تقبلنى يا مسيح فانه في مقدورك أن تعالجنى ،

هل لك ان تقبلنى هل لك أن تتصدق على يا مسيح .

ان المسيح بالنسبة لهم هو الساحر الطبيب القادر على القيام بالحيل وعلى الاتيان بالشفاء العاجل ، أما المغزى الروحى والانسانى العام لحياته والامه فهذا ما لا يمكنهم ادراكه . وحينما يقبض عليه فهذا لا يسبب اى أسى لهم ذلك انهم يرون محاكمته على انها مجرد فصل آخر في فيلم سينمائى مثير ، بل ويذهبون الى حد المطالبة برقبته والتحدث اليه باستخفاف شديد :

اخبرنا يا مسيح ما هو شعورك الليلة

هل تنوى ان تصمد ؟

هل تفكر في التقاعد الان ؟

ام تعتقد انك سيرتفع مقدارك ؟

وما رأيك في محاكمتك المقبلة ؟

تعالَ معنا لترى الكاهن الاكبر

فانت سيروق لك منزله للغاية ،

وسيروق لك كذلك الكاهن ذاته

وستموت فى منزل الكاهن الاكبر ،
انت عليم بشعور مؤيديك

انك ستهرب فى اللقطة الاخيرة من المنظر .

ان الجماهير باستخدامها لغة وصورا تذكرنا بلغة وصور العصر الحديث تنقلنا من أيام المسيح لايامنا هذه ، وبالتالى فالمسرحية تدعونا لان نرى انفسنا على اننا شركاء فى الجريمة . فالمسيح هو رمز البطل الذى لايزال عليه ان يدفع دمه ثمنا لبطولته واصراره على انسانيته وحريته ورؤيته .

والحواريون انفسهم لا يختلفون عن الجماهير أو الكهنة أو يهوذا فهم ايضا يطاردون المسيح بأسئلتهم وبرغبتهم فى المعرفة اليقينية ، وهم لا يجدون اية اجابة لتساؤلاتهم ولكن حينما يعلمون أن المسيح على وشك ان يصلب تغوص كل محنتهم وآلامهم النفسية فى بركة هادئة من الخمر ، ويبدأون فى استخلاص العظات والعبر من حياة هذا الرجل المصلوب ويفكرون جديا فى التقاعد ليكتبوا الاناجيل « حتى يستمر الناس فى الحديث عنا بعد موتنا » . ان المسيح بالنسبة لهم نجم أعظم وتكأة لتحقيق اهدافهم العملية المباشرة ، فهم عن طريقه سيصيبون الشهرة والخلود .

فى وسط هذا الضجيج والصخب والضوضاء الرتيبة توجد ثلاثة شخصيات لها ابعاد انسانية اصيلة : المجدلية وبيلاطس والمسيح نفسه .

اما المجدلية فهى فتاة طيبة القلب تجمع فى شخصيتها بين الام والحبيبة ، فبينما يمزق الحواريون المسيح بأسئلتهم عن « أين ومتى ومن وكيف » هى وحدها تحاول أن تهدىء من خاطره

كل شيء على مايرام ، نعم كل شيء طيب ،

ونحن نريدك ان تستغرق فى النوم الليلة .

ولتدع العالم يدور بدونك الليلة ..

اغمض عينيك ، اغمض عينيك

هدىء من روعك واسترح ولا تفكر فى شيء الليلة .

ورغم أن المجدلية ترى مثل يهوذا أن المسيح فى « كثير من الوجوه ، مجرد رجل آخر » الا انها تحس انه رجل **ليس مثل كل الرجال ، ولذلك فهى لابد وان تحبه بطريقة جديدة فريدة تتناسب** مع شخصيته . وهى تدهش من التحول النفسى الذى طرا عليها ، فقد كانت دائما باردة هادئة لا تخضع للحب أو أهوائه ، كانت دائما سيدة الموقف أو المنظر على حد قولها [والصورة السائدة فى المسرحية هى صورة العالم كفيلم سينمائى] ، وكانت مثل الاخرين محدودة الافق تسيطر عليها الرؤية الاجتماعية السائدة ، وفجأة يبعثها حب المسيح من موتها النفسى والانسانى . ولكنه على الرغم من ذلك يخيفها ويدخل على قلبها الرهبة لان حبها له يملك عليها شغاف قلبها ويخرجها من الانغماس فى عالم التدبر والحساب والخطط والحيل والفضائح والشهرة والنجوم السينمائية المتألقة ويدخلها عالم الحب والخير والجمال . ان هذه المحبة الوفية والام الرؤوم تقف وحدها مع المسيح ساعة محنته حتى بعد ان باعه احد اتباعه وانكره آخر .

واذا كانت المجدلية تصل الى خلاصها عن طريق الحب فبيلاطس الوثنى الرومانى لا ينشد الخلاص اساسا بل يرى عدم جدواه واستحالته وعبث محاولة البحث عنه ، ومن هنا كانت نسبيته واشمئزازه من اليهود ومن الجماهير الصاخبة التى طالب بدق عنق المسيح . ان بيلاطس لا يبحث عن الله ولكنه لا يهبط الى مستوى الرؤية الاحادية العملية الضيقة لانه ليس له ولاء محدد لاى شيء .

يرى بيلاطس فيما يرى النائم أن هناك رجلا من الجليل تبدو على محياه نظرة الفريسة المطاردة ، فيسأله المرة تلو الاخرى كيف وصل به الامر الى هذا الحد ؟ ولكن الجليلى لايتفوه بكلمة ،

ثم تمتلىء الحجرة بآلاف الرجال المتوحشين الساخطين المفعمين بكره هذا الرجل ، ثم يرى بيلاطس بعد ذلك مئات الملايين التى تبكى وتنتحب من اجل الجليلى ويلقون عليه هو اللوم لصلبه . ويحكى هذا الحاكم الرومانى قصة الحلم بلغة بسيطة تنم عن الاشمئزاز والدهشة من هذا الهوس الدينى الزائد الذى لا يمكنه ان يسبر له غور . وهو فى عزلته يشبه فى كثير من الوجوه الجليلى الحزين ، ومما يؤكد ذلك الموسيقى الحزينة التى صاحبت اغنية « حلم بيلاطس » والتى توحى للمستمعين بان ولاءه ، ان كان عنده اى ولاء ، انما يتجه الى المسيح الى حد كبير .

وحينما تتحقق الحلم ويؤتى بالجليلى سجينا لمحاكمته يحاول بيلاطس مقارعته الحجة بالحجة ، فيخبره المسيح انه يبحث عن الحقيقة فيجيبه :

ولكن ماهى الحقيقة ؟ هل الحقيقة قانون ثابت ؟

لكلٍ منا حقيقته ، فهل الحقيقة بالنسبة لى ولك نفس الشيء ؟ ..

ثم يلتفت الى الجماهير ليخبرها أن المسيح قد يكون مجنونا من الواجب وضعه فى السجن ، ولكن هذا ليس سبب كاف لتدميره كلية

انه رجل صغير حزين

وما هو بملك وما هو باله

وما هو بلص - انى محتاج لجريمة ارتكبها كى اضعه فى السجن .

ولكن المسيح يعرف انه لا أمل ويعرف ايضا انه من الافضل الاستسلام ، فلا بيلاطس ولا غيره بقادرين أن يفعلوا شيئا .. فكل شيء ثابت لا يمكن تغييره . والايمان بثبات الاشياء كلها وبعبث محاولة تغييرها عن طريق الكفاح السياسى أو الاجتماعى أو حتى الفردى هو أحد الركائز التى تستند اليها فلسفة الهيبى وأهل يسوع ، وهذا موقف ينتج عنه السلبية المطلقة والدوران حول المثاليات الميتافيزيقية الثابتة . ويبدو أن مسيح هذه المسرحية حتمى متطرف فى رؤيته ، فحينما احتج يهوذا على اسراف المجدلية عنفه يسوع لضيق افقه ولكنه يسوق له المنطق التقليدى انه ليس لدينا الامكانيات الكافية لاطعام كل الفقراء وانه سيكون هناك فقراء دائما ، وعلى عادة الهيبى فان هذا الاحساس القدرى يؤدى به الى دعوة يهوذا والاخرين الى الاستمتاع بحياتهم الان وهنا ، وبالحب الذى يغدقه عليهم . والمسيح نفسه يقبل دعوة المجدلية ان « يدع العالم يدور بدونه الليلة » لانه اذا كان العقل الانسانى عديم الجدوى فكل الامور متساوية . ولكن الى جانب هذا المسيح يوجد مسيح السيف الذى يدخل المعبد يطرد التجار والمرابين :

معبدى لابد وان يكون بيتا للعبادة

ولكنكم حولتموه الى وكر للصوص والكهنة .

وهو يكره التجار والنفعيين والوصوليين والكهنة الذين حولوا الحياة كلها الى سوق كبير . وهناك ايضا المسيح المنشد الذى يؤمن بالمعرفة الحدسية والذى يؤمن بأنه حتى لو سكتت كل الالسنة فالصخور والاحجار ذاتها ستبدأ فى الشدو .

وهو الى جانب كل هذا انسانى عميق الانسانية ، تمزقه معرفته بخيانة اتباعه له :

تصبح النهاية أكثر قسوة

حينما يسببها الاصدقاء .

الا تعلمون أن هذا الخمر قد يكون دمى

الا تعلمون أن هذا الخبز قد يكون جسدى .

النهاية !

هذا هو دمى الذى ترشفون ،

هذا هو جسدى الذى تأكلون ،

آه لو تذكروننى حينما تشربون وتأكلون

انظروا الى وجوهكم الجوفاء ان اسمى سوف لا يعنى شيئا لكم

بعد عشرة دقائق من موتى .

احدكم ينكرنى

والاخر يخوننى .

وتمزق المسيح هو علامة احساسه بنفسه كارادة مستقلة واعية ولذلك فهو يسائل ربه عن معنى نهايته وصلبه ، وهل كان من الحتمى ان ننتهى هذه النهاية ، وما المبرر لهذه التضحية ؟ وحينما يذعن اخيرا لارادة خالقه فان اذعانه تلفحه لفحة احتجاج قوية وان كانت مستترة :

حسنا سأموت

ولكن انظر الى لحظة موتى

انظر كيف أموت فلتثبتنى بالمسامير .

سأشرب كاس سمك على الصليب

ولتكسر عودى

ولتنزف دمى ولتضربنى ولتقتلنى ولتأخذ روحى الان — قبل أن أغير رأيى .

وهكذا يمزق المسيح قناع الهيبى الغارق فى اللحظة والباحث عن الراحة الابيقورية ولكن هذا الجانب المتمرد عبارة عن لمسات لا تغير من البناء الاساسى للشخصية ، فالمسيح يظل هيبى أولا واخيرا منحصرا فى تجربته الذاتية وفى تأملاته وفى عالمه المستقل عن الناس والمجتمع ، وهذا يضع الصلب فى اطار جديد اذ يصبح نتيجة حتمية لوقوف البطل وحيدا فى مواجهة اعدائه واتباعه . بل انه يمكن رؤية الصلب فى هذه المسرحية على انه نوع من الانتحار [خاصة وانه لا يتبعه بعث] . والانتحار يعد شكلا رومانتيكيا من اشكال تحقيق الذات ، بل هو اعلى هذه الاشكال لانه الفعل الذى لا تمليه سوى الارادة الذاتية المطلقة وهو النقطة التى لا اوبة منها ولا رجوع ، انه السرمدية بعينها [بل انه « الفردوس والجحيم » فى الوقت ذاته] . ولعل هذا ما كان يعنيه يسوع حينما يخبر سيمون انه لا أحد ، لا سيمون ولا الالاف المؤلفة التى تهتف باسمه ولا الرومان ولا اليهود ولا يهوذا ولا الحواريون ولا الكهنة ولا الكتبة ولا اورشليم نفسها يفهمون ما هى القوة وما هو المجد :

كى تهزم الموت يجب عليك أن تموت وحسب

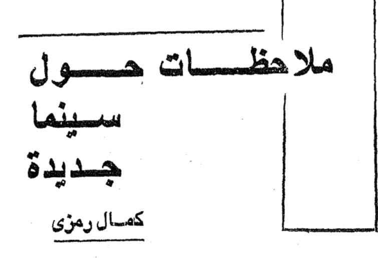
يجب عليك ان تموت وحسب .

ان الموت الذى يشير اليه يسوع فى هذه المسرحية ليس هو الموت الرمزى اللازم لدخول الحياة المسيحية الكاملة ، ولا هو الموت الذى يسبق الحياة الاخرة ، انما هو فناء كامل لابعث بعده ، انه موت ينهى كل الالام والامال .

وقد حاول المخرج ان يضفى ضربا من الوحدة على عناصر المسرحية المتضاربة سواء كان العنصر الدنيوى الحديث أو العنصر المسيحى التقليدى أو العنصر المسيحى الهيبى ، فحول المسرحية الى مجموعة من الصور الرائعة الجمال التى ليس لها محتوى واضح والتى تحاول التأثير فى المشاهدين بشكل مباشر وان تترك فى نفوسهم أثرا عميقا محسوسا لا أثر للفكر او النظرية فيه ، اى انه حاول تخطى المحتوى الفكرى من طريق الصورة المحسوسة المتكاملة . وتوم اوهرجان مخرج المسرحية مغرم بما يسميه « الوعى الخرافى » [فى مقابل « الوعى العلمى الحديث »] ، فالانسان صاحب الوعى الخرافى لا يفكر ولا ينظر بل يستجيب استجابة المؤمن للرموز الدينية المقدسة » وقد حاول تطبيق نظريته فى اخراج هذه المسرحية بأن أكد العناصر المرئية التى تغرق المشاهدين وتجعلهم يعيشون داخل الطقوس المسرحية وليس خارجها . وفى اول منظر يفاجىء المشاهد بتغلب العنصر المرئى على النص نفسه ، فالستار عبارة عن جدار مائل ينزل الى الداخل ليصبح هو ذاته خشبة المسرح . ونكتشف ان الجدار عليه خمسة رجال احدهم يهوذا والاخرون هم رمز وجدانه المعذب، وتبدأ المطاردة والجدار لايزال فى وضعه الرأسى . وحينما يظهر بيلاطس فانه يدخل من باب على هيئة راس قيصر ضخمة ذات خمسة جباه وعشرة عيون كل جبهة وعينين فوق الاخرى لتعطى احساسا بعظمة وضخامة روما .

والمسيح فى احد المناظر يخرج من شىء يشبه الكرة بعد آن يمزقه مما يوحى انه مثل الفراشة التى تخرج من الشرنقة ثم يرتفع الى علو شاهق بواسطة مصعد صغير غير مرئى لانه مغطى برداء المسيح الذهبى الذى يصل طول ذيله حوالى ٢٠٠ متر على الاقل . وقد بلغت تكاليف هذا الرداء حوالى ٢٠ ألف دولار . وبعض المناظر تستحوذ على المتفرج وتجعله يشترك بكل عواطفه فيما يدور أمامه ، ولكن بعض المناظر الاخرى تذكر الانسان بالتليفزيون الامريكى وبأفلام هوليود الفخمة .

ولكن المخرج مع ذلك لم ينجح بتاتا فى حل المشكلة الاساسية التى واجهته أعنى ترجمة قصة المسيح الى صيغة امريكية معاصرة مع الاحتفاظ بصبغتها المسيحية . فالمسيح التقليدى كان فى المسرحية ولكنه لم يمتزج بالمسيح الامريكى المعاصر . ولذلك يظل المدلول الرمزى والاسطورى العام سطحيا ، ولا يتذكر القارىء أو المستمع أو المشاهد سوى لمسات رائعة وصور شعرية جميلة ومناظر مدهشة ، ولكنه لايعيش بتاتا رؤية جديدة متكاملة .



ملاحظات حول سينما جديدة

كمال رمزى

تعددت الكتابات التى تؤرخ للفن السينمائى ، الا أن معظمها لا يتعرض للجانب الايديولوجى ، فبعض هذه الكتابات — وهى اكثرها تخلفا — تستعرض تاريخ السينما على انه مجموعة متوالية من المخترعات ، تبدا بالفانوس السحرى لتنتهى بالسينيراما ، مرورا بالصوت والالوان والشاشة العريضة . والبعض يؤرخ للسينما زمنيا ، فيقسمها الى حقبات تاريخية ، ويقدم تسجيلا بليدا للاسماء والارقام وقصص الافلام .. ونوع ثالث يتستر وراء استعراض التطور الخلاق للغة السينمائية دون عناية بالتيارات الفكرية ، فيتحدث مثلا عن انجازات «جريفث» ، أبوتكنيك الفيلم ، فيبرز براعته فى استخدام اللقطة الكبيرة ، واكتشافه للامكانيات الدرامية التى يتيحها المونتاج المتوازى وانتقائه العبقرى لزوايا التصوير وكيفية تحرك المجموعات .. وهذا النوع من التأريخ بالغ الخطورة ، لانه أكثر الكتابات جاذبية ، فهو يقدم مادة فنية غزيرة ، لكنه يتجاهل متعمدا — أو غير متعمد — الاجابة على السؤال التالى : فى أى اتجاه كرست هذه الطاقة الفنية ؟ . ان هذه الكتابات غالبا ما تتحاشى التعرض للمضمون الفكرى الذى كان سببا فى الاعتداءات التى وقعت على الزنوج فى كل بلد عرض فيه « مولد أمة » الذى اخرجه « جريفث » ، « ابو تكنيك الفيلم » .

أما موسوعة « جورج سادول » فتحسب لها نقطتان ايجابيتان ، الاولى : انها اعترفت بالسينما القومية ، وخصصت صفحات طويلة للسينما المجرية والمصرية واليابانية واعربت عن ثقتها فى مستقبل هذه السينما ، وانها ستصمد أمام أفلام هوليوود . والنقطة الثانية : انها حاولت أن تتبين الاسس الفكرية العامة والقيم الجمالية التى تشتمل عليها المدارس السينمائية المختلفة ، بالاضافة الى احتفالها بالافلام ذات المضمون الانسانى بشكل عام .

ومنذ البداية ، تضافرت ظروف عديدة جعلت صناعة السينما حكرا على الشركات الرأسمالية الامريكية ، ونجحت هوليوود فى فرض نفوذها على عقول ملايين المتفرجين فى العالم ، وقدمت من خلال آلاف الافلام المبهرة رؤيتها الرجعية للانسان والتاريخ والحياة !! وهى لاتزال تحمى نفسها بكتيبة قوية من الفنانين والنقاد ومؤرخى السينما ، يسخرون طاقاتهم الخلاقة لنشر وتدعيم اهدافها ومصالحها .

ووسط الافلام الامبريالية المتدفقة ، التى تكاد تكتسح معظم دور العرض ، بدأت تظهر بعض الافلام المناهضة لكافة القيم التى تروج لها السينما الامريكية . وبرغم قلة هذه الافلام ، والمحاولات الدائمة لمحاصرتها والقضاء عليها ، سواء قبل تنفيذها او بعد تنفيذها ، الا انها استطاعت ان تفلت من الحصار ، وبدأت تكون رصيدا لسينما جديدة ، تكشف النظم المستغلة ، وتنزع القناع عن خداع ورياء القيم التى تفرضها الطبقات الراسمالية .. أن الفيلم اليسارى الذى بدأت ملامحه تتشكل ، والذى يعبر عن مصالح الجماهير وآمالها ، والذى عرضت بعض نماذجه فى القاهرة ، من واجبنا أن ندرسه ونستوعبه ، بل ونتمثله ، نعرف مصادره واصوله عناصر قوته ونقاط ضعفه ، وقبل أن نستعرض نماذج من أفلام اليسار لنحدد خصائصها وتسماتها يجب التنبه الى أن الدراسة تستبعد كلا من سينما البلاد الاشتراكية وسينما العالم الثالث ، ذلك أن لهما ملابسات خاصة ، تفرض تناولهما فى دراسات مستقلة .

وقد شهد تاريخ السينما عدة موجات من الافلام اليسارية ، الا انه لم يكتب لهذه الموجات أن تنمو وتمتد وتستمر ، ذلك لانها كانت تقابل دائما بحرب لا هوادة فيها .. فبعد الازمة الاقتصادية عام ١٩٢٩ ، وبانكشاف ثغرات النظام الامريكى وبتأثير من كتابات « كليفوردو أوديتس » و « جون شتاينبك » « وهوارد فاست » ، بدأ بعض الفنانين الامريكيين بانتاج افلام تتمتع بوعى طبقى ، وتدافع عن حقوق العمال الذين طحنتهم الازمة الاقتصادية . وبدأت تظهر جموع المتعطلين والجائعين الذين يدفعهم الفقر الى الجريمة والانحراف فى أفلام مثل « خبزنا اليومى » و « عناقيد الغضب » و « ذو الوجه المجروح » .. الا أن الرأسمالية الامريكية ضربت هذا الاتجاه بقبضة ما سمى بـ « فرقة الادب » التى تكونت عام ١٩٣٣ ، والتى فرضت قيودا حديدية على أفلام اليسار ، بل وحظرت ظهور عامل عاطل او فتاة ليل ، ومنعت مشاهد

العنف واللصوص والمجرمين .. أى انها صادرت المادة الواقعية التى يقوم عليها الكثير من افلام اليسار .

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفى جو الحريات النسبى الذى عم أوروبا وامريكا بدأت سينما اليسار تظهر من جديد لتعيد حق وتقدير رجل الشارع المناضل ، الذى تحمل عبء سنوات الحرب والظلام ، واذا كان هذا التيار باهتا الى حد ما فى كل من فرنسا وانجلترا فانه كان واضحا وقويا فى ايطاليا وامريكا ، وبينما انطلقت سينما النقد الاجتماعى والسياسى والاخلاقى فى ايطاليا لتصل الان الى افلام خطيرة من نوع « انتهى التحقيق المبدئى » و « سيطرة على المدينة » ، نجد أن النظام الامريكى تحرك بسرعة ليوقف هذا النوع من الافلام ، ومرة ثانية تعود « فرقة الادب » ، ولكن على نحو أكثر شراسة ، حيث سميت هذه المرة « لجنة النشاط المعادى لامريكا » ، وبدأت تحاصر الافلام التى تظهر احياء نيويورك الفاسدة البائسة « المدينة الملعونة » ، والتى تعبر عن حالة اليأس التى يحسها الجنود العائدون من ميدان القتال حيث يتم تسريحهم فى جو كئيب خانق « النيران المتشابكة » ، وقد بلغت « لجنة النشاط المعادى لامريكا » ذروتها على يد «مكارثى» ابتداء من الخمسينات فأصبحت تقدم للمحاكمة كل من يرسم « شخصية الرجل الثرى فى صورة شرير » او يقوم بـ «نقد اعضاء الكونجرس أو اظهار جندى مسرح من الجيش وغير راض عن حياته المدنية ».

لكن سينما اليسار ، بعد التكتل العام ضد المكارثية وانفضاح امرها ، بدأت تظهر من جديد ، ابتداء من الستينات ، بشكل قوى راسخ هذه المرة ، حيث توالى ظهور أفلام من نوع « الحادث » ، تأخذ موقفا واعيا من مجتمع لا بد أن يتقوض ، طالما يعيش القطاع العريض منه فى ظل القلق والتوتر .

الحادث : احتكار الحلم الامريكى

لم يكن الحظ العاثر لفيلم « الحادث » فى القاهرة أكثر سوءا من حظه فى امريكا ، ففى القاهرة عرض لمدة اسبوعين فقط ، ولم يتنبه الجمهور لجودته الا فى الايام الاخيرة . أما فى امريكا فان شركات وول ستريت الكبيرة رفضته كسيناريو منذ البداية ، وبعد أن اتم « لارى بيرس » اخراجه فى ظروف صعبة تسلمته شركة « فوكس » لتقوم بتوزيعه ، لكنها لم تقدم له الدعاية المناسبة . وقامت الصحافة الامريكية بعمل ما يمكن أن يسمى بمؤامرة صمت ازاء الفيلم ، وبالتالى لم ينل ما يستحقه من نجاح .

لم يقدم « لارى بيرس » فيلما من العنف كما ذكر بعض نقادنا ، بل لم يحاول أن يزيد نسبة التوتر عند المتفرج الا فى حدود معينة ، لكنه قدم فيلما من « الحلم الامريكى » ، من الحلم بالاطمئنان والسعادة والصحة والرحلات الدائمة ، الحلم بالامان والفيلا والغنى والحياة الناعمة .. كان هدفه أن يكشف حقيقة هذا الحلم .. انه حكر على طبقة صغيرة ، بينما بقية المجتمع ضحايا ، يتفاوت نسبة تحطم هذا الحلم فى حياتها .

يدور الفيلم داخل عربة قطار ما بعد منتصف الليل ، بعض الركاب متناثرون على المقاعد فى رحلة العودة الى بيوتهم ، ويقتحم العربة مجرمان بالغا الفظاظة ، يبدآن فى ابتزاز الركاب الذين يتحولون الى فرائس مرعوبة . وعلى طول الفيلم تتكشف حقيقة كل منهم .. انهم ليسوا فرائس داخل القطار فحسب ، ولكنهم ضحايا مسحوقة اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا .. لقد تم افتراسهم من قبل .. ليس بفعل مجرمين متشردين كالذين سيطرا على العربة لمدة ساعتين ، ولكن بفعل نظام استغلالى راسخ ، حطم لهم كافة احلامهم .

جمع « لارى بيرس » فى عربة القطار مجموعة طحنتها طبيعة الحياة التى يفرضها النظام الامريكى ، مدرس تاريخ تعس ، عرف موقعه وحدوده فاستسلم لمصيره .. ثم عامل عائد مع زوجته بعد الاحتفال بعيد ميلاد ابنتهما ، طالبته زوجته بأن يعودا فى تاكسى ، لكن ميزانيته لا تحتمل ، وثمة سكير لا يتحدث ولا يفيق طول الفيلم ، فهو موجود بجثمانه فقط ، منطرح على أحد المقاعد فى البداية ، ثم على الارض ، لا يحس بشىء على الاطلاق ، لكنه يفرض بوجوده الميت ظلا بالغ القتامة .

« والحلم الاميركى » فى هذا الفيلم ليس وهما من صنع المتعطش الى الاطمئنان والمال ، بل هو شىء موجود بالفعل الا انه حكر على طبقة صغيرة ، ويظهر هؤلاء المستمتعون بالحلم الاميركى فى مشهد بالغ الدلالة ، يكتسب من خلال لغة « لارى بيرس » السينمائية عمقا وتأثيرا كبيرين ، فعندما يتشكى راكب عجوز من ابنائه الفاسدين لانهم تنكروا له ، ورفضوا اعطاءه المال اللازم ليعالج اسنانه ، تتركه الكاميرا بشيخوخته الموحشة ، غارقا فى دوائر الظلام حيث تنطلق الى احد الحفلات الفاخرة ، الاضواء المبهرة ، الكراسى الوثيرة بعد دكك القطار الخشبية ، الشباب والمرح بعد الشيخوخة والاكتئاب ، الاطمئنان والامان ، بعد القلق والتوتر ، وفى الحفلة تلتقط الكاميرا مدرس التاريخ المنطوى وزوجته المزعجة ، وهما من ركاب القطار البائسين فيما بعد .. وعندما يخرج مدرس التاريخ وزوجته يصفق باب الشقة الفخمة المضيئة وراءهما بعنف ، وهنا يصبح الجميع — مدرس التاريخ وزوجته ، والكاميرا والمتفرجين — فى ظلام دامس ، كما لو كانوا ضيوفا ثقلاء ، حضروا عن طريق الخطأ وبدافع التطفل .

والى جانب « الحادث » ظهرت افلام اخرى تتخذ نفس الموقف الساخر من « الحلم الاميركى » ، فقصة حياة ووفاة « ريكو » الشخصية الثانوية فى فيلم «راعى بقر منتصف الليل » تعد هجاء قاسيا لمجتمع يضطر فيه المرأ ان يعيش فى مكان موحش لا يصلح الا للهدم ، بينما يضطر آخر الى ان يبيع دمه ليشترى قوته ، لقد عاش « ريكو » حياته وهو يحلم بالاطمئنان والصحة والغنى .. ومن سخريات الفيلم المريرة أن « ريكو » يموت قبل أن يكتشف تماما انه حتى لو عاش سنوات قادمة فان حلمه لن يتحقق .

ومرة أخرى يتكرر الهجاء فى « انهم يقتلون الجياد ، اليس كذلك » . وكما تجاوز « لارى بيرس » حدود عربة القطار بركابها الواقعين فى قبضة الرعب والابتزاز ليشمل برؤيته المجتمع كله ، يتجاوز « سيدنى بولاك » ايضا حدود حلقة

الرقص التى تتم فيها مسابقة الرقص الجنونية ليجعلها رمزا لاسلوب الحياة الامريكية ، ففى حمى المنافسة الجنونية ، التى يذكيها الحلم بكسب ضخم لا يتحقق - يتم استنزاف كل قوى المرء ، حتى اذا ما خارت قواه ، يعامل معاملة الجياد الهرمة ، فيطلق الرصاص على رأسه ، او يعيش كعجوز « لارى بيرس » نهبا للاحساس بالتنكر والوحشة والشيخوخة .

« انتهى التحقيق المبدئى ، انساه » قمة الواقعية الايطالية

ليس صحيحا ما قاله نقاد سينما هوليوود وشركات « وول ستريت » ، بخصوص انحسار موجة الواقعية الايطالية فى الاعوام الاخيرة ، فالافلام التى شاهدتها القاهرة فى اسبوع الفيلم الايطالى فى بداية هذا العام تثبت أن الاسس الفكرية والقيم الجمالية التى قامت عليها الواقعية الايطالية لاتزال تملك مقدرة على الصمود امام التيارات السينمائية الجديدة ، بل وتقول - بشكل صريح وواضح - مالا تستطيع التيارات الجديدة أن تقوله .

كان « قضية ماتى » و « انتهى التحقيق المبدئى » انجح فيلمين فى الاسبوع ، وقد حظى « قضية ماتى » بتعليقات وترحيب أكثر مما يستحق ، الا أن هذه التعليقات وهذا الترحيب يجعلنا ننتبه الى خطورة الانزلاق فى الاعجاب بالافلام ذات المسحة اليسارية .

يترك الفيلم انطباعا أوليا بأنه فضح لشركات البترول الاحتكارية ، وبرغم أن الفيلم لم يقل صراحة بأن الشركات الامريكية هى التى اغتالت « ماتى » ، الا أن الجمهور جزم بأن الجريمة لم تدبرها الا الاحتكارات المستغلة . والفيلم فى كشفه عن الوجه الشائه للمؤسسات الامريكيةيعد مكسبا لكل من يهمهم اظهار الحقيقة للناس .. لكن السؤال الذى يجب أن نجد اجابته هو : من هو « ماتى » ؟ وما هى القضية التى دفع حياته ثمنا من اجلها ؟

يخبرنا الفيلم بانه ايطالى حتى النخاع ! لا يفرق بين ايطالى نازى وايطالى اشتراكى !! كلهم عنده ابناء وطن واحد .. وهو يمد مساعداته المالية الى كافة الاحزاب . وامنيته هى : أن تصبح مؤسسات ايطاليا البترولية فى قوة مؤسسة «فيات» .. لكن الطريق ليس سهلا ، فهو عندما يخرج من ايطاليا بمؤسسته باحثا عن ينابيع البترول فى دول العالم الثالث يصطدم بمؤسسات ذات ماض عريق فى المناورات والدسائس واللعب بكل الاوراق .. وتصبح قضيته كما يحددها هو بالقصة الرمزية الاتية « ثمة قط ضعيف حاول ان يأكل من طبق تأكل منه كلاب ضخمة ، الا أنأحد الكلاب الضخمة يضربه برجله فيقذفه بعيدا حيثيقع فوقعموده الفقرىويموت» . ويشبه مؤسسته بالقط الضعيف الذى يحاول أن يشترك مع الكلاب فى وليمة ينابيع البترول .

هذه هى « قضية ماتى » ، ان يشترك مع المؤسسات الامريكية فى استثمار حقول البترول . وهو - كجزء من حربه ضد الاحتكارات الامريكية - يعرض تعاونه مع دول العالم الثالث بشروط أقلّ من شروط المؤسسات الامبريالية ، وكجزء ايضا من حربه ضد الاحتكارات الاجنبية يذكر ويستنجد بأسماء حبيبة الى نفوسنا ، الجزائر ، مصر ، مصدق ، دول العالم الثالث المنتجة للبترول .

لقد حارب « ماتى » المؤسسات الامريكية حقا ، ولكن لحساب المؤسسات الايطالية ، فى هذه الحدود يجب أن نعامله ، فهو ليس أحد شهداء الجماهير ، وليس احد الشهداء المدافعين عن العالم الثالث ، ولكنه رجل المؤسسات الايطالية المتطلعة لينابيع البترول التى تنفرد بها مؤسسات على استعداد للقيام بأخس الاعمال لتظل الابار حكرا لها وحدها .

أما بالنسبة لفيلم « انتهى التحقيق المبدئى » فانه قد استحوذ على اعجاب الجمهور عن جدارة ، ولعل السؤال الذى تردد على هن الجميع : كيف استطاع فيلم به هذا القدر من النقد أن يرى النور ؟ اهو لمتانة وتماسك اليسار الايطالى ؟ أم لتراث السينما الايطالية المعروف بنقده الاجتماعى والسياسى الجرىء ؟ مهما كانت الاسباب ، ففى النهاية يقدم الفيلم نقدا بالغ الوعى والشجاعة لسطوة السلطة ، ويفضح دورها فى التستر على جرائم النظام .

وعلى طريقة الواقعية الايطالية اخرج « دميانو دميانى » فيلمه عن حادث حقيقى وقع لاحد المواطنين ، قبض عليه ووضع فى السجن للتحقيق معه مبدئيا فى تهمة مفتعلة، وفى السجن يكتشف المواطن المحترم « فانزى » ، والجمهور معه ، أن السجن ليس مكانا منعزلا عن المجتمع الخارجى ، فكل منهما يعكس نظاما واحدا ، ويخضع لقيم واحدة ، فاذا كان للاغنياء فى المجتمعحق الاستمتاع ،دون غيرهم بمباهج الحياة ، فان من حق الاغنياء ، داخل السجن ، أن يعيشوا فى ظروف اقل وحشية من التى يعيشها المساجين الفقراء . وعن طريق الرشوة يستطيع « فانزى » الغنى ، المحترم ، أن يمكث فترة فى مستشفى السجن ، وعن طريق الرشوة ايضا يستمتع مع احدى السجينات الغنيات ، المحترمات ، فى حجرة الاشعة بالمستشفى .

لكن الاكتشاف الاهم الذى يكتشفه « فانزى » والجمهور معه انه لا يستطيع بماله ان يحمى نفسه الى الابد ، ذلك ان سطوة السلطة تمتد بفسادها لتخضع معظم فئات المجتمع تحت وطأة القهر والارهاب ، ان السلطة لا تطلب ممن وقع عليه الاختيار أقل من ان يصبح عميلا لها ، يشهد بما تريده ، وينفذ ما تطلبه .. وهنا يقدم « دميانو دميانى » الجزء الجوهرى فى فيلمه ، وهو امتداد لفيلمه السابق « المافيا » ، الذى كشف فيه عن العلاقة بين هذه العصابة والسلطة ، فالمافيا فى النهاية ليست سوى مخلب من مخالب السلطة ، يتعاون كل منهما مع الاخر لتدعيم النظام القائم والمحافظة على مصالح الشركات الراسمالية .. فى فيلم « المافيا » تتم جريمة قتل تقوم بها العصابة ، ويتبين المتفرج على طول الفيلم ان الجريمة لم تتم الا لحماية احدى عمليات الغش التى تقوم بها شركة مقاولات .

مرة ثانية يعود « دميانى » لنفس الموضوع ، ففى « انتهى التحقيق المبدئى » يمتد نشاط « المافيا » ليشمل الحياة داخل السجن ، فثمة جريمة يدبرها احد عملاء « المافيا » لقتل احد العمال المسجونين ، ومحاولة القتل هنا لها

اسبابها الخطيرة ، فالعامل « بيزنيتى » يملك وثائق تدين وتفضح مهندسى احدى شركات المقاولات ، الذين قاموا بعملية غش كبيرة تسببت فى انهيار احد السدود ومصرع عشرات العمال . لقد تمت محاولات عديدة لترويض « بيزنيتى » وجعله عميلا حقيرا ، مرة بمحاولة رشوته ، ومرة بمحاولة ادخاله مستشفى الامراض العقلية ، ومرة بتهديده ، وفى النهاية ، وبعد ان تيأس منه كل الاطراف التى يعنيها الامر ، يقررون التخلص منه .. وبالتواطؤ بين رجال « المافيا » وضباط السجن ، يقتحم بعض المجرمين زنزانة « بيزنيتى » ويقومون بقطع شريان يده أمام « فانزى » المواطن المحترم ، وزميل « بيزنيتى » فى الزنزانة .

ويصبح أمام « فانزى » احد أمرين ، يعرضهما عليه ضابط السجن ، اما ان يشهد بأن الرجل قد انتحر ، وبذلك يعاون « المافيا » و « السلطة » فى حماية جرائم الشركات الرأسمالية ، واما ان يقول الحقيقة ، وفى هذه الحالة ستوجه له تهمة القتل ، وسيبقى فى السجن وراء ما يسمى بالتحقيق المبدئى .

وبعد تردد قليل ، يشترى المواطن المحترم ، الغنى ، سلامته بأن ينكر دم « بيزنيتى » ، فيشهد بكل ما تطلبه منه سلطة السجن ، يشهد بأن القتيل كان يعانى من عقدة اضطهاد فظيعة .. بلغت به حد الانتحار .. ويترك بقية الامور لطبيب السجن الذى سيستعين بتعبيرات علم النفس الفرويدى ، وما أكثرها ، لتأكيد شهادة المواطن المحترم ، الغنى .. ويخرج « فانزى » من السجن ، وسرعان ما ينخرط مع عائلته الدافئة فى الاستمتاع بمباهج الحياة .. ويؤمن مع الجميع بأن التحقيق المبدئى قد انتهى ، وانه يجب ان ينساه .

لكن هل انتهى حقا كل شىء ؟ .. ان « دميانو دميانى » يؤكد ان لا .. فوسط سعادة « فانزى » باطلاق سراحه ، يفاجأ بابنة « بيزنيتى » .. تقترب منه وتسأله عما حدث لوالدها .. واستمرارا لتقهقر « فانزى » ، المحترم ، الغنى ، ينكر انه يعرفه .. ثم يعود فيدعى انه قد انتحر .. وهنا تخطره الفتاة بثقة بأنها تعرف اباها تماما .. انه ليس من الذين ينتحرون .. وعندما يتركها ليتجه لاسرته يبدو وجهها الرقيق كما لو كانت قد بيتت أمرا .

هكذا يربط « دميانو دميانى » كافة ظواهر المجتمع ببعضها ، ليقدم فى النهاية رؤية شاملة ، فنشاط « المافيا » ، واستمرار وجودها ، والشركات الرأسمالية المستغلة ، والجرائم التى تقيد ضد مجهولين ، والسدود والمبانى التى تنهار .. كلها مرتبطة ببعضها ، وكلها مظاهر وجوانب متعددة لنظام رأسمالى واحد .

Z : مكسب كبير لسينما اليسار

واذا كان « روسيلليني » ، أبو الواقعية الايطالية ، قد حدد أهم مبادئها فى الجملة التى كتبها فى تقديمه لفيلم « **روما مدينة مفتوحة** » ، والتى تقول : « هكذا تسير الامور » ، فان « **كوستا جفراس** » يفتتح فيلمه « **زد** » بجملة من المتوقع ان تصبح من اهم مبادىء سينما اليسار ، تقول الجملة : « أى تشابه مع أحداث حقيقية أو شخصيات ما زالت أو لم تعد على قيد الحياة ، لا يعد من قبيل المصادفة ، وانما هو مقصود » ..

لقد كان روسيلليني يؤكد بجملته ان فيلمه لا يقدم احتمالا ، ولا يقدم خيالا ، ولكنه يقدم حقيقة الامور ، وقائع حدثت أو تحدث أو ستحدث .. أما « كوستا جفراس » ، فان فيلمه يصبح أداة قتال ، لا يحارب به طواحين هواء ، بل يصارع ويهاجم أعداء حقيقيين محددين .

و « زد » فيلم يشرح نفسه بنفسه ، فهو محاضرة سياسية تتعرض للصراع بين قوى التقدم وقوى التخلف ، بين أنصار العدالة وأرباب الظلم ، بين مناصرى الفقراء وكلاب العروش الدموية ، بين طلاب السلام والمؤيدين لوجود القواعد الامريكية .. ويتم الصراع تحت مظلة القانون المحايد ، ومؤسسات الدولة الديمقراطية ، وفى حماية أجهزة الامن النزيهة .. ويبدأ « جفراس » مع بداية الفيلم فى الكشف عن حقائق الامور ، فالقانون لا اهمية له الا اذا كان فى أيد شريفة ، ومن المستحيل ان توجد ديمقراطية فى دولة قائمة على ابتزاز العمال واخضاعهم لسطوة الارهاب عن طريق التحكم فى قوتهم اليومى وأجهزة الامن فى النهاية لا تحمى الا الطبقات العليا .

فى « زد » يتم مقتل نائب يسارى يقف الى جانب الفقراء والسلام .. ويحقق فى القضية أحد المحققين الشرفاء .. ويتعرض المحقق للعديد من الضغوط ليزيف القضية ويتستر على مرتكبيها ، لكنه يأبى ، ويستمر التحقيق حيث تتكشف الاساليب الخسيسة التى يتبعها معسكر التخلف والظلم والاستغلال وعروش الدم ، فهو لا يكتفى بابتزاز الفقراء والسيطرة على حياتهم اليومية ، بل يحاول عن طريق الجمعيات والمنظمات العميلة،تحويل انتباه العمال عن مشاكلهم الحقيقية الى مشاكل وهمية ، ويجعل بعضهم يقفون ضد مصالحهم ومصالح طبقتهم .

و « زد » فى النهاية ، وان كان يثق بأن أفكار النائب الشهيد ستظل حية ، الا انه يحذر من الامال التى قد تداعب المكافحين دون ان يكون لها سند من الواقع .. ان أحد الشرفاء فى الفيلم ينطلق سعيدا عندما يصدر المحقق الشاب أمره بتقديم قواد البوليس للمحاكمة بتهمة الاشتراك فى قتل النائب اليسارى .. ويظن ان القضية قد حسمت ضد مدبرى الاغتيال .. لكن عروش الدم ، والانظمة القائمة على الظلم لا تسلم ولا تستسلم بسهولة ، وعندها الجديد من أساليب القمع والارهاب ، فسرعان ما يتم انقلاب عسكرى ينكل بالقوى الشريفة ، ويفرض قائمة من الممنوعات تشمل كل ما قدمه العقل الانسانى من ايجابيات : سوفكليس ، وأريستوفان ، ودوستويفسكى و .. و .. الخ .

هكذا يصبح الفيلم وعيا جديدا بالعالم ، وسلاحا فى وجه النظم الظالمة ، وفضحا لاساليبها ، وتحذيرا من التفاؤل الساذج لقوى اليسار ، وفى النهاية : تدعيما لثقة الانسان فى المستقبل .

خصائص سينما اليسار

لا تزال سينما اليسار تتشكل ، وكل فيلم جديد يضيف قسمة جديدة الى قسماتها ، ولكن من خلال الافلام السابقة يمكن تحديد أهم خصائصها العامة :

● يأخذ الفيلم موقفا عدائيا من النظام الرأسمالي ؟ وبالتالي يعمل على فضح قيمه وتعرية عيوبه .

● تعتمد سينما اليسار على الواقع الحي ، فهي تقدم أحداثا واقعية ، يتم عرضها من خلال وجهة نظر تحليلية ، تكشف المغزى السياسي والاقتصادي والاجتماعي لهذه الاحداث ، وذلك بألا تعزلها عن الظروف المحيطة بها ، والتي أدت بالضرورة لوجودها .

لقد التقط « لارى بيرس » واحدة من حوادث الابتزاز الاجرامى التى تتكرر فى نيويورك ، وخلال ساعتين ، كشف « لارى بيرس » ان الاجرام الفوضوى داخل عربة القطار ليس الا الوجه الاخر من الاجرام المنظم فى المجتمع الرأسمالى

أما « دميانو دميانى » فقد قدم فيلمه عن وقائع حقيقية حدثت لاحد المواطنين ، ونشرها فى كتاب أحدث ضجة منذ سنوات . وأبرز « دميانى » المغزى الحقيقى لجرائم القتل .. انها لا تتم مصادفة ، أو بفعل أحد المجرمين ، ولكنها تتم كضرورة لكى تحمى الشركات الرأسمالية نفسها من الفضائح .

كذلك اعتمد « كوستا جفراس » على حادث اغتيال النائب اليسارى « جريجوريس لامبراكيس » ، والذى تم قتله على يد قوى اليمين المدافعة عن وجود القواعد العسكرية على أرض اليونان ، والمرتجفة من نمو قوى اليسار .

● تعطى سينما اليسار مفهوما انسانيا للبطولة ، فهى لا تقيم وزنا للبطولة الفردية الموهومة ، القائمة على معايير شكلية مثل الوسامة والشارب الانيق « كلارك جيبل » ، أو « الضخامة والرجولة التى تبلغ حد الفحولة « أنتونى كوين » وأخيرا الغموض والدفء و « القبح الجميل » شارلز برونسون » .. ان البطولة هنا ليست حكرا على رجال لهم مواصفات خاصة ، ولكنها بطولة الرجل العادى ، بطل الحياة اليومية الذى لا شهرة له ...

فى فيلم « الحادث » يمقد «لارىبيرس»، لواء البطولةعلى جندى مكسور الذراع ، لا حول له الا مشاعر انسانية تستثار عندما يهين المجرمان كل من فى العربة ، وعندما يبدآن انفعالهما الاستفزازية مع طفلة صغيرة ، يندفع بكل مشاعره الانسانية ليضرب أحدهم بذراعه المكسور ، الملفوف بالجبس ، فيتبين ان المجرم لم يكن بالقوة التى توقعها .. البطولة هنا بطولة فعل انسانى عظيم ، صادر من انسان عادى .

أما « دميانو دميانى » فيقدم بطله بكل اعزاز ، ليس قوى الجسد ، وليس جذاب الوجه ، وليس من علية القوم .. انه عامل من آلاف العمال الذين نقابلهم كل صباح ، والذين ظهروا كثيرا فى أفلام الواقعية الايطالية ، جسمه يميل الى القصور والهزال ، ووجهه منهك بارز العظام .. لكن سر جماله يكمن فى صموده واصراره على الا يبيع دم زملائه بأى ثمن وتحت أى تهديد .. البطولة هنا معنى وقيمة .. البطولة هنا ليست فعلا خارقا للطبيعة البشرية ، ولكنها اظهار لاجمل ما فى الطبيعة البشرية .. ان يقف المرء ضد قوى الظلم والارهاب ، مهما كان بطش هذه القوى .

أما فى « زد » فان البطل يتشهد فى الثلث الاول من الفيلم .. بل وينتهى الفيلم بهزيمة القوى الشريفة ، ومع هذا فان الفيلم يؤكد ثقته فى المستقبل .. ولا يشك لحظة فى بطولة الشرفاء الذين تم تصفيتهم جسديا أو تم نفيهم خارج البلاد .. فالبطولة هنا أسلوب فى التفكير وسلوك فى الحياة .. تفكير يقف الى جانب القوى المهضومة ، وسلوك قتالى ، لا يتوقف المرء عن الصراع الا اذا تحقق أحد أمرين : النصر أو الموت .

● لاتحاول سينما اليسار أن تبهرك بالشكل، ترباً بنفسها ان تسرق الانتباه لتحوله من مضمون الفيلم الى شكله ، لذلك فان الاسلوب الواقعى هو الاساسى فى سينما اليسار ، فالوضوح ، والسرد المتسلسل للاحداث ، والابتعاد عن الاغراب والاستعراض ، مواصفات لسينما تهدف الى التعبئة ضد النظم المستغلة ... وليس معنى هذا ان سينما اليسار لا تستخدم كافة وسائل التعبير السينمائى ، بل بالعكس ، انها تستخدمها طالما تخدم غرضا محددا ، « فالفلاش بـاك » مثلا يستخدمه « كوستا جفراس » استخداما بديعا عندما يعيد مشاهد اغتيال النائب من وجهة النظر الكاذبة لمدير البوليس .

كذلك يستخدم « لارى بيرس » أقصى امكانيات الكاميرا ، حتى انه يحيلها الى عيون حساسة ، بل تكاد تكون أحد ركاب القطار ، تلهث وهى تتابع حركة ابتزاز المجرمين للركاب ، وتحتضن الجندى الشاب بحب وتقدير ، وتنبهر بالحفلة الفاخرة فتنتقل بسرعة واستطلاع منمكان لمكان. وعندمايخرج مدرس التاريخ وزوجته من الحفلة ، ويصفق الباب وراءهما ، تقف — معهما — حائرة فى الظلام .

أما « دميانو دميانى » فقد تعلم من أساتذته الايطاليين كيف يستغل عناصر الحياة الواقعية فى السجن استغلالا دراميا .. فالصمت ، وصرير الابواب الحديدية لزنزانات السجن ، يخلق بها حالات التوتر المطلوبة .. والصور المعلقة على جدران الزنزانات تعبر عن نفسية كل سجين ، فأحد المساجين يعلق مجموعة من الاوراق الملونة التى تكاد تشبه زينات الاطفال . وخلال مشاهد قليلة ، يتبين المشاهد مدى التدهور العقلى والنكوص الذىحل بالسجين العجوزالذىتحول الىطفلمنسحق، سريع الغضب ، وسريع البكاء .. أما « بيزنيتى » ، فانه يعلق صورة ابنته الرقيقة ، وفى مشهد اغتياله ، وبينما الدم يسيل من عروقه المقطوعة ، تنظر الكاميرا من خلال عينيه اللتين ينطفىء فيهما نور الحياة ، وهما يحتضنان صورة ابنته المبتسمة فى أمل للمستقبل .

● أثبتت سينما اليسار وجودها ، وأفلتت من محاولة محاصرتها وخنقها ، كما بدأت قسماتها تتشكل وتتضح لتكون تيارا سينمائيا ، وليس معنى هذا ان المستقبل سهل ومفتوح أمامها ، ذلك ان رجال سينما اليمين بالضرورة لن يتركوا الميدان .. بل سينزلون المعركة بمئات الافلام ، فلا يزال فى جعبتهم العديد من قصص التوله العاطفى ، ومرضى النفس ، والشواذ ، والرعب ، والاثارة ، بل سينزلون الميدان بأفلام ذات مسحة يسارية كاذبة .. وهنا من الضرورى ان يأخذ النقاد دورهم فى المعركة ، فعليهم فضح هذه الافلام ، وتهيئة ذوق الجماهير لتقبل ، وتحب ، بل وتحمى ، سينما اليسار ، المعبرة عن مصالحهم وآمالهم .

غســـــان



فى ذكراه الأولى

« فى ٨ يوليـو المـاضى ، احتفلت الاوساط العربية التقدمية بمرور عام على استشهاد المناضل والكاتب الفلسـطينى غسان كنفانى » .

●

ولم يكن أحد ممن عرفوا غسان او تابعوا اعماله يرى مصـيرا آخـر هو ألصق بغسان وأوضح فى الدلالة على حياته . عاش حياة قصيرة [٣٦ عاما] لكنها كثيفة ممتلئة : مثالا بالـغ النقاء لمسيرة جيله : من النزوح الى التشـتت الى حتمية الفداء . صبيا خرج من يافا بعد أن وعت عيناه وذاكرته كل عناصر المأساة : فساد النظم وخيانة الزعامات وندرة السلاح ،وتراخى المحاربين ،والارض تسقط شبرا بعد شبر ، وقرية بعـد مدينة ، وأمواج النازحين تتدفق ، وراءها الفزع وأمامها المخيمات وأكواخ الصفيح.

ولم يكن ممكنا له أن يعرف أو يحب غير فلسطين . ظلت حبه وجرحه ، وألمه العالق بقلمه ولسانه . خرج من طفولته يوم خرج من فلسطين ، وطاف بالارض العربية من شـمالها [سـوريا] الى أقصى الجنوب [الخليج] يبحث عن مقر، يخايله مرة فى الحلم ومرة فى الوهم ، لكن قبضتيه أمسكتا به فى الواقع ، ووجد الطائر الشريد مستقره ،فى الثورة والفن. وحين استقر فى بيروت مرفرفا بجناحيه هذين كان قد وصل الى أول اقتناع صلب آمن به : لاخلاص للانسان الفلسـطينى ــ الصورة الاكثر تجسيدا لضياع الانسان العربى ــ الا فى الثورة . بعـدها لم يعرف لنفسه هدفا آخر ، عرف أن الطريق الى يافا وحيفا وعكا وكل تلك المـدن والقرى بلا اسماء انما هو طريق واحد ، لا طريق غيره لمن أراد ان يعود ، ليس فقط ان يعود ، ولكن ان يسترد جوهره الانسـانى المسـحوق تحت وطأة المنفى والمذلة والتشريد والضياع .

وتوترت حيـاته كلها لهذا الهـدف : كتب المقالات والبيانات والقصص القصيرة والطويلة والتحقيقات الصحفية والدراسات الادبية ، وفى كل ما كتب لم تنحـرف عيناه عن هدفه لحظة ، ظل واقعه فى قلبه وأمامه وورائه ، سـواء كتب عن موقف سـياسى محدد ، أو رأى بعين الطائر « كيف تشرق الشمس فى آسيا ». أو رجع الى صور طفولته وصـباه فى الارض الضائعة فصـاغها شـخصيات وأحداثا ومواقف ، او انكب على النماذج المتاحة فى الادب الاسرائيلى يدرسـها ويحاول أن يدلل من خلالها على تكوين العدو وتفكيره ، او تابع ــ بدأب السياسى وروح الفنان ــ تجميع نماذج أدب المقاومة الفلسطينى ليكون اسمه بين أول اسماء من قدموا للعالم هـذا الادب الرجولى الصامد ، الحار والمقاوم .

حين التقى الخطان المنفصلان : خـط القضية وخط الحياة لم يكتف غسـان بالكلمات . كما كان أدبه تعبيرا عن تحول جديد فى الواقع الفلسطينى ، كان هذا الواقع يحول الكاتب بدوره ، فينغمس فى النضال اليومى والحزبى والسياسى ، كاتبا ومتحدثا ومحاورا ومتفتحا على العالم من حوله ، يريد أن يأخذ منه ويعطيه ، ويقدم له شهادته على المأساة : هى حياته بالذات .

وانبثقت صورة الفدائى فى أدب غسان على نحو انسانى ومقنع . أبطـاله يفكرون ويفكرون ، ثم لا يجدون أمامهـم سوى طريق الفداء والثورة المسـلحة ومواجهة العدو وجها لوجه . بعـد أن غرست الخيانة بذرتها فى احشاء مـريم انطلق حامد الى الوهم الذى أعده طوال سنوات المنفى ، لكنه ايقن وهمه لحظة المواجهة، فلا شىء غير المواجهة والالتحام يهب المعنى لحياة بلا معنى ، هذا فقط ما يحيل الفتات وأشـباه الحقائق الى حقائق كاملة ، هذا فقط ما يعيد الى بقايا الانسان جوهره المتماسك والمتألق. لا يذوب الوهم الا فى حرارة الالتحام .

وتقدم خطوة اخرى : داهمتنا ٦٧ وفتحت الحدود ، ورجع النازح من حيفا اليها ، عاش ذكرياتها شارعا فشـارعا

ولحظة فلحظة ، لكنه خرج منها فى رحلة العودة باليقين نفسه ، ان الوطن ليس الماضى ، ليس حفنة ذكريات عفا عليها الزمن ، نتمســك بهــا كى نخفى جبننا وعجزنا ، الوطن مستقبل كامن فى فوهات البنادق ، لا مستقبل غيره ، ولا طريق للعودة ســواه .

وتقدم خطوة ثالثة : كما وحــد بين عذاب المهاجر الفلسطينى والعربى الضائع من ارض اخــرى ، تفتحت عيناه على حقيقة باهرة : ان السادة ، هناك ، فوق ، توحد بينهم الاهداف والمصالح والرغبة فى ان يظلوا دائما على القمة ، فى حين ان العبيــد ممزقون متنــاحرون غارقون فى الخرافات والاوهام ، آه ، ماذا لو اتحد هؤلاء الممزقون المتناحرون الغارقون فى الخرافات والاوهام ؟ .

ثم تقدم آخر خطواته وأكثرها بسالة . لابد انه كان عنده يوما مثل غيره من الايام ، مثقلا بمشروعات العمل واللقاء والحوار ، ثم الهدوء - آخر الليل - الى كتبه وأوراقه ، لكن شيئا حدث : تناثرت أشلاء غسان فى كل مكان فاكتمل. بتمزقه اكتمل . بتناثر اشــلائه تحقــق التحقق الوحيد الممكن ، قالت الاشلاء المتناثرة خلاصــة كل الكلمات ، ودلل غسان - مرة أخيرة - على صحةقضيته .

ومن وراء حجاب الموت البارد طالعتنا بعض آثار غسان وأعماله التى لم تكتمل: فى « الاعمى والاطرش » تجسد الوهم ثم انحسرت غلالته ، انحسرت عندالاعمى والاطرش على نحو تلقائى ، وبتجربتهما المباشرة ، ثم جاء الفدائى العائد مــن وراء اسوار السجن ليزيد وعيهما ويضع ايديهما على اصل المسألة ، قال لهمــا ان الاولياء [مثل الزعامات والوجاهات] كالافاعى فى قصة الزير ، ان قطعت لها رأسا طلعت مكانه سبعة رؤوس ، واذا شئت ان تهدم قبر الولى فعليك ان تقتلعه من جذوره ، والا تسمح لولى جديد بان يظهر من وراء ظهرك . كذلك قال الفدائى العائد شــيئا آخر : قال ان اطــلاق الرصاص نوعان : نوع اسماه « الطق طق » والاخر اسماه « السياسة » . لم يشرح الفدائى العائد أكثر ، لكن مــن قال لهم هذا « فهموا عليه » .

اما العاشـــق ، فهو عاشــق أرض فلسطين ، عاشق شجرها وتلالها وجبالها وشجيرات الشوك النابتة فى هضابها ، عاشق الخيل والحرية وعيون النســاء ، من المجهول جاء ، والى المجهول يمضى ، دوخ مفتش البوليس الانجليزى وراءه من أرض لأرض ؟ حتى استطاع أن يلقــاه اخيرا فوضعه فى زنزانة بسجن عكا ، .. سقط القلم من يد الكاتب وسجينه رقــم ٣٦٢ لايزال فى زنزانته اللعينــة ســجن عكا .

ترى .. كيف كانت ستكتمل قصتاك ايها العزيز غسان ؟ .

بوسعك أن تسأل رفاق جيلك وطريقك ومصيرك .. اسأل أبا يوسف وعدوان وناصر .. لعلهم سيقولون لك ان القضية لازالت مطروحة ، وان الجراح لازالت تدمى ، وان القبضة القوية التى امسكت بالحلم يوما وهمت بتجسيده على أرض الواقع تتراخى ، والحلم يتسرب مثــل حبات الرمــال .

ولعلهم سيقولون لك ايضا ان احدا لا يستطيع ان ينســف الامــل ويمزقه اشــلاء ، وان « تلك الطبقة البائســة والمسحوقة والفقيرة ، المرمية فى مخيمات البؤس ، والتى عشت فيها ومعها ولها .. تلك الطبقة الفلسطينية التى دفعت غاليا ثمن الهزيمة » لازالت قادرة على مواصلة الدفع ، لان البارودة ، مثل الحصبة ، تعدى ، وتلك الدالية الصغيرة التى زرعتها « ام ســعد » على عتبة دارك لابد أن تبرعم يوما ، ونطعم من جناها ..

فاروق عبد القادر

□

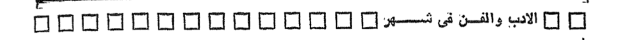
فــؤاد كامــل .. والتصــوير المصــرى المعــاصر

توفى فى الشهر الماضى المصور فؤاد كامل بعد مرض طويل ، وبموته فقدت الحركة الفنية المعاصرة فى مصر قطبامن اقطابها البارزين ، كما انتهت بمــوته تجربة ابداعية جادة ومخلصة .

●

لقد ارتبط فؤاد كامل منذ بدء حياته الفنية بالاتجاه نحو التجريد المطلق ،حتى لقد اصبح اسمه بالاضافة الى رمسيس يونان علما على ذلك الاتجاه اللاتشخيصى فى فن التصوير المصرى، ولقد ظل مخلصا للاتجاه الذى اختاره وآمن به طيلة حياته الفنية لايحيد عنه وكأنما قد وجد خلاصه فيه ، فسار به قدما وواصل التجربة الى آخر الشوط .

فى الاربعينات من هذا القرن كانت الحركة الفنية والادبية فى مصر تغلى وتمور بشــتى الاتجاهات الفنيــة التى تضاربت بل وتناقضت سبلها ؟ وفى بلد كان قد فقد استمرارية حضارته وفنونه لمدة طويلة من الزمان كانت مشكلة الفنانين والمثقفين الرئيسية هى البحث عن سمات الشخصية المصرية الفنية ، وعن الطريق الذى يمكن ان يسلكه الفن المصرى بكافة فروعه كى يكون فى النهاية فنا متحضرا يليق بأمة حديثة منطلقة تســاير ركب الحضارة .



وقد تمخضت هذه الفترة الهامة عن اتجاهين رئيسيين كان لكل منهما ولايزال انصاره المدافعون عنه والداعون له كما ان المعركة بينهما لم تزل حتى الان دائرة رحاها لا غلبة فيها لاحد. **الاتجاه الاول** كان محاولة ابتداع اشكال خاصة بالفن المصرى ، اشكالا لاتساير هذا المذهب او ذاك من المذاهب التى طلعت علينا بها الحضارة الغربية المعاصرة [كالسيريالية والتكعيبية والتجريدية وماإليها] ، اشكالا تنبع من الواقع المصرى ، وتمتد من خلال تراث مصر الحضارى متمثلا فى الفن المصرى القديم فالفن القبطى فالاسلامى ، مع الاحاطة والاستفادة فى نفس الوقت بشكل او بآخر بالثورة الفنية التى بنى عليها مفهوم الفن الغربى الحديث ، على شريطة الا تتعدى الاستفادة حدودها الى النسخ والتقليد او الانطواء الكامل تحت المدارس الفنية الاوربية ، وتبلورت افكار هذا الاتجاه فى جماعة الفن المعاصر التى كونها المفكر **حسين يوسف امين** ، وطالعتنا لوحات **عبد الهادى الجزار وسمير رافع وحامد ندا** تطل علينا بمصريتها من خلال الاشكال المستقاة من قاع المجتمع المصرى باسلوب فنى مستقل ، وان كنا نلمح اثر الاساليب الغربية واضحا فى اعمالهم وعلى وجه الخصوص اساليب المدرستين التعبيرية والسيريالية .

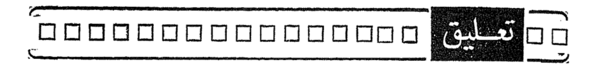
أما الاتجاه الثانى وقد مثلته جماعة الفن والحرية ـ التى كان فؤاد كامل احد اعمدتها الاساسية ـ فكان ينادى بنبذ الماضى بتقاليده الفنية التى نشأت تحت ظروف خاصة بعصرها، والسير فى ركاب الحضارة الغربية المعاصرة وما ابدعته من تيارات فنية ، فهذا العالم قد اصبح عالما واحدا تلاشت فيه الفواصل والمسافات بفضل التقدم التكنولوجى السريع ، فلم يعد هناك مكان لانغلاق او تقوقع ، ومن هنا فلابد للفن المصرى من ان يساير احدث الاتجاهات فى الفن الاوربى المتطور ، فالفن الحديث لايتكلم لغة الانسان الاوربى فقط وانما قد اصبح لغة عالمية يتذوقها الانسان اينما كان ، فى امريكا او فى الهند . ولقد مثل هذه النظرة الفنية اصدق تمثيل كل من **رمسيس يونان وفؤاد كامل** ، فسارا فى طريق التجريد كأسلوب فنى حديث ، مطورين اياه الى غايات ابعد وأعمق ، مضيفين اليه من الذات والروح ما اكسب لوحاتهما ابعادا جديدة، لقد اقتنعا بمفهوم التجريد فى التصوير وبأن اللوحة لابد وان تقتصر على القيم التشكيلية وحدها او كما يقال فى علم الجمال [القيم الموسيقية] ، فالقيم الادبية او التمثيلية تصرف النظر وتشتت الخيال عن الاحساس بجمال الشكل المطلق ، والجمال فى أنقى صوره هو ما اقتصر على علاقات تقوم على الخطوط والمساحات والالوان والاضواء والظلال، وأنه اذا كان لابد للعمل الفنى من ان يثير خيالا ادبيا او معنى أو يوحى بمضمون فليكن ذلك من خلال تلك العلاقات التشكيلية النقية والمجردة .

● قدم لنا رمسيس يونان تجريدا تتراءى لنا فيه مسحة صوفية رقيقة وشفافية يبعثها نسيج لوحاته الدافىء الذى يتدرج من البنى الداكن الى الاصفر الوهاج من خلال درجات ضوئية تشى بعالم مسحور وكون غامض .

● **أما تجريد فؤاد كامل فعلى النقيض، اذ تعكس لوحاته اللاتشخيصية صراعا مخيفا بين الاسود والابيض الذى يجاهد كى يخترق السواد الكامل للوحة ، وثورة عارمة مجنونة توحى بها الكتل اللونية المتصارعة** ، ولقد ظل اللون الاسود بدرجاته حتى الابيض ولفترة طويلة عالمه اللونى المفضل ، اضاف اليه فى مرحلته الاخيرة اللونين الاحمر والازرق .

لقد ابدع **فؤاد كامل** تجربة فى التصوير المصرى المعاصر تتسم بالجدية والعمق والاخلاص لمذهب فنى، وان كان فى أصله مذهبا غربيا الا انه اضاف عليه من ذاته الكثير ، ومن السهل علينا تمييز اعماله التجريدية بين مئات التجريديين اذ تتصف بنوع من التفرد فى المعالجة التصويرية وفى الخيال الذى يمكن ان تثيره ، انه لم يكن مجرد ناقل او داعية لتيار فنى اوربى ، وانما قد صادف هذا التيار بمفهومه المتطور للفن هوى فى نفسه فآمن به واعتنقه وأخلص له حتى النهاية مستخدما اياه فى التعبير عن ذاته المتفردة ، واذا كان لنا ان نبدى رأيا فى التجربة التى خاضها فؤاد كامل ومات وهو يكافح من اجلها ، فسوف نقول ان لوحاته تقف جنبا الى جنب بعمقها وتفردها مع اعمال كبار التجريديين المعاصرين فى الغرب ، ولكننا فى نفس الوقت نقول أن **فؤاد كامل** قد اختار اتجاها فنيا مغلقا لايسمح باستمرارية او اتصال فى بناء شخصية واضحة للتصوير المصرى ، وفى هذه الحدود قدم تجربة ابداعية بارزة .

صبرى منصور



نشر التراث : بين التحقيق .. والتدقيق

يبذل الاستاذ محمد عمارة جهداً غير منكور فى تجميع وتحقيق الاعمال الكاملة لعدد من رواد الفكر المصرى والعربى الافغانى والكواكبى والشيخ محمد عبده ، وهو جهد يستحق الثناء ،لكنه يتطلب أيضا ان يحاط باكبر قدر من الاعتناء العلمى والتدقيق الشديد ، حتى لا تصبح عملية « التحقيق » محاولة لفرض «استنتاجات» « المحقق » وآرائه » على الواقع التاريخى وعلى الحقيقة ذاتها ..

والاستاذ عمارة يبذل جهده فى عملية التحقيق مستخدما ضوابط لعلها هى الضوابط المتاحة لكنها ليست كافية على الاطلاق لكى تمنحنا الجرأة لنعلن نسبة هذا المقال أو ذاك الى هذا المؤلف أو ذلك ..

فالاستاذ عماره يتجول بين صفحات المجلات والكتب منتقيا مقالات غيرموقعة، ثم يفحصها أو يحققها على طريقته الخاصة معلنا فى نهاية الامر ، نسبتها الى الافغانى أو الى محمد عبده أو غيرهما ، ناسيا ان « التحقيق » لانه عملية تستند الى ضوابط احتمالية ، فان نتائجه أيضا احتمالية لايمكن الجزم بها ، فهى مثلا ليست مثل تحقيقات الطب الشرعى التى تعتمد على ضوابط علمية قاطعة فنتائجها اذن علمية قاطعة ..

ولكى لا نطيل فاننا نكتفى ببعض امثلة :

● جمع الاستاذ عماره الاعمال الكاملة للافغانى معلنا للجميع انها الاعمال « الكاملة » . ولنتأمل معنى « الكاملة » هذه وربما صدق الناس ذلك ، لكنه يعود فيقول الان ، انه اكتشف مقالات كانت منسوبة خطأ لمحمد عبده ونسبها هو للافغانى وحجمها مجلد كامل .. اليس فى ذلك ما يدعو للدهشة ! اليس هذا دليلا على « احتمالية » كل النتائج التى توصل اليها « المحققون » السابقون على كثرتهم وكل نتائج محمد عمارة أيضا . [الاعمال الكاملة لمحمد عبده الجزء الاول ص ١٢] .

● هل يكفى أن نستخدم السجع مثلا دليلا يقينيا على نسبة كل المقالات المسجوعة الى الشيخ محمد عبده فى فترة معينة ..؟ ألم يكتشف محمد عماره نفسه مقالا غير مسجوع ونسبه لمحمد عبده ؟ [المرجع السابق ص ٢٠٨] .

● هل يكفى أن نعلن ان هذا النص دسم وعميق ، حتى نستخدم بعد ذلك كلمات قاطعة مثل « نؤمن ونوقن » بنسبة النص الى صاحبه ، اليس فى ذلك تباعدا عن اسلوب البحث العلمى [المرجع السابق ص ٢١٨] .

● هل يكفى ان نقطع بأن « الحقيقة وليس مجرد الاستنتاج » كما يقول عمارة هى أن توقيع رئيس التحرير فى اسفل الجريدة ، يعنى نسبة كل ما بها من مقالات غير موقعة اليه ؟ الم يكتشف عماره نفسه عديدا من المقالات غير الموقعة وتأكد من ان كاتبها ليس الشيخ محمد عبده « ثم ماذا لو جاء محقق آخر ، واكتشف مقالات اخرى من بين تلك التى جمعها محمد عماره اكواما ليضمها فى مجلدات منسوبة الى محمد عبده ، ونسبها الى كاتب آخر ؟

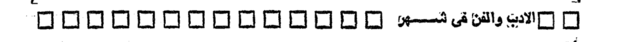
● عماره يجزم بان كل نصوص « العروة الوثقى » هى للافغانى ، الا يحتمل ان يخطىء ولو لمرة واحدة فى مقال واحد ؟ اليس هذا الاحتمال واردا ؟ ثم ما رأيه فيما أورده هو من نص نسبه للشيخ محمد عبده « الافكار فى العروة الوثقى كلها للسيد ، ليس لى منها فكرة واحدة ، والعبارة كلها لى ، ليس للسيد منها كلمة واحدة » [المرجع السابق ص ٥٨٠] . أيهما نعتمد محمد عبده ام محمد عماره ؟ وهل يكفى القول بأن « الافكار كلها للافغانى لنسبة كل المقالات « جزافا » للافغانى مع التيقن بأن صاحب صياغتها هو « محمد عبده » ؟ وهل كان محمد عبده بكل ما خلعه عمارة عليه من أوصاف بالرجل الذى يكتفى بنسخ افكار غيره ، دون ان يطبع عليها أثراً من نفسه ؟ اليس فى ذلك ما يضيف ويعمق الشكوك ؟

واخيرا ، فاننا لا ننكر الجهد الذى يبذله الاستاذ عماره . فقط ، نريد له ان ينتقل من « التحقيق » بأسلوبه الخاص الى التدقيق على اسس علمية ، والاسس العلمية تفترض انه ليس من حق الباحث مطلقا ان يلبس استنتاجاته ثياب الحقائق ، والا فاننا بذلك نشوه الحقيقة التاريخية ذاتها ونضر من حيث اردنا ان ننفع .

والطريقة المثلى والتى يتعين أن نتمسك بها ، وأن نفرضها على كل بحث كهذا ، هى ان يشير الكاتب ، فى هامش كل مقال أو كل مادة ، الى انها نشرت « غير موقعة » . مثلا . والى انه هو « يعتقد » مجرد اعتقاد بنسبته الى « فلان » ثم يحدد اسباب اعتقاده .. أليس فى ذلك ، ما يكفل لنا تراثا تاريخيا سليما من الاستنتاجات الشخصية التى جعلت من أعمالنا « المحققة » مثارا لانتقاد كثير من اجهزة الاستشراق فى العالم ..

مرة اخرى ، للاستاذ عماره ، نحن نقدر جهدك ، ولكن مزيدا من التدقيق ، وحذار من ان تحيل استنتاجاتك أو آرائك الى مواقف نهائية . أو ان تلبسها ثياب الحقيقة ، فان اجيالا قادمة و « محققين » آخرين سوف يعيدون فحص ذلك كله اليوم ، أو غدا . كما فعلت انت مع من سبقوك من المحققين .. وليس من عاصم سوى الاسلوب العلمى الذى يضع الحقيقة كما هى ، دون أن يطمسها باستنتاجات أو آراء شخصية قد تصيب احيانا لكنها قد تخطىء احيانا أخرى ..

د . رفعت السعيد



المهرجان القومى الرابع للأفلام التسجيلية والقصيرة

اقيم فى القاهرة المهرجان القومى الرابع للافلاع التسجيلية والقصيرة التى انتجت الهيئات والافراد بالقطاعين العام والخاص من انتاجها خلال الفترة من أول يناير ١٩٧٢ حتى نهاية ديسمبر من نفس العام .

وقد اشتركت فى المهرجان ١٦ هيئة قدمت ٨٢ فيلما مقابل ٩ هيئات قدمت ٦٠ فيلما فى المهرجان الثانى [عام١٩٧١] و ٩ هيئات أيضا قدمت ٢٠ فيلما فى المهرجان الثالث [١٩٧٢] .

ولمدة أسبوع من ٢٢ مايو حتى ٢٨ من نفس الشهر عرضت أفلام المهرجان بالمركز الفنى للصور المرئية وتنقسم الى ستة مجموعات :

[١] أفلام تسجيلية لا تزيد مدة عرضها عن عشر دقائق ..

[٢] أفلام تسجيلية تصل مدة عرضها الى ثلاثين دقيقة ..

[٣] أفلام تسجيلية تزيد مدة عرضها عن ثلاثين دقيقة ..

[٤] افلام روائية قصيرة لا تزيد مدة عرضها عن ٤٥ دقيقة ..

[٥] افلام تحريك [رسوم متحركة وعرائس] ..

ولقد وزعت أفلام المهرجان تحت هذه المجموعات على النحو التالى :

٢٧ فيلما لا تزيد مدة عرضها عن عشر دقائق .

٢٦ فيلما تصل مدة عرضها الى ثلاثين دقيقة .

فيلمان تزيد مدة عرضهما عن ثلاثين دقيقة .

٦ أفلام روائية قصيرة .

٧ أفلام تحريك .

وقد تكونت لجنة التحكيم للمهرجان من احمد كامل مرسى رئيسا واحمد خورشيد واسماعيل القاضى ورؤوف توفيق وأحمد الحضرى ويوسف جوهر وجمال مدكور وجلال صالح وحسن فؤاد . وبعد اختيار الافلام الفائزة اعتمد يوسف السباعى وزير الثقافة نتيجة المهرجان .

جوائز المهرجان

الافلام التسجيلية والقصيرة

١ ــ جائزة الفكرة لابراهيم الموجى عن فيلم ملامح شرقية .

٢ ــ جائزة السيناريو لهاشم النحاس عن فيلم النيل ارزاق .

٣ ــ جائزة التصوير لرمسيس مرزوق عن فيلم النيل أرزاق .

٤ ــ جائزة التصوير لمحمود عبد السميع عن فيلم الرجال والخنادق .

٥ ــ جائزة الاخراج لهاشم النحاس عن فيلم النيل ارزاق .

وقدمت لجنة المهرجان شهادة خاصة لفيلم [حوار] من اخراج كمال الشيخ .

الافلام التسجيلية المتوسطة

١ ــ جائزة الفكرة لفؤاد التهامى عن فيلم شدوان .

٢ ــ جائزة السيناريو لعبد القادر التلمسانى عن فيلم وصف مصر .

٣ ــ جائزة التصوير لسمير فرج عن فيلم لؤلؤة النيل .

٤ ــ جائزة المونتاج لكمال أبو العلا عن فيلم اعداء الحياة .

٥ ــ جائزة الموسيقى لسليمان جميل عن فيلم وصف مصر .

٦ ــ جائزة الصوت لكمال عبد الله عن فيلم وصف مصر .

٧ ــ جائزة الاخراج لعبد القادر التلمسانى عن فيلم وصف مصر .

وقد منحت لجنة التحكيم شهادة خاصة وميدالية لفيلم [أسوار الحياة] من اخراج نبيل البيه ، وشهادة خاصة وميدالية لفيلم [موكب الباباوات] من اخراج سمير سليمان ومتياس نصر ..

الافلام التسجيلية الطويلة

١ ــ جائزة السيناريو لصلاح التهامى عن فيلم [سد مصر العالى] .

٢ ــ جائزة التصوير لحسن التلمسانى عن فيلم [من أجل الحياة] .

٣ ــ جائزة المونتاج لحسين عفيفى عن فيلم [سد مصر العالى] .

٤ ــ جائزة الاخراج لصلاح التهامى عن فيلم [سد مصر العالى] .

الافلام الروائية المتوسطة الطول

١ ــ جائزة السيناريو لعصام المغربى عن فيلم اثنين ..

٢ ــ جائزة التصوير لعلى الغزولى من فيلم اثنين .

٣ ــ جائزة المونتاج لاحمد اسماعيل من فيلم اثنين .

٤ ــ جائزة الموسيقى لجمال سلامة من فيلم اثنين .

٥ ــ جائزة الصوت لاحمد جابر من فيلم اثنين .

٦ ــ جائزة الاخراج لمحمد فاضل من فيلم اثنين .

افلام المنوعات القصيرة

جائزة التصوير لعلى عبد المجيد عن فيلم شئون صغيرة .

افلام التحريك

جائزة الاخراج مناصفة بين نصحى اسكندر عن فيلم [واحد وخمسة] وعبد العليم زكى عن أفلام الاعلانات .

افلام طلبة المعهد

١ ــ جائزة القصة لها الشرى عن فيلم ميرهام .

٢ ــ جائزة السيناريو لها الشرى عن فيلم ميرهام .

٣ ــ جائزة التصوير لابة تريد عن فيلم ميرهام

٤ ــ جائزة المونتاج لسامى سعد الدين عن فيلم ميرهام

٥ ــ جائزة الصوت لالفيرا جندى عن فيلم ميرهام .

٦ ــ جائزة الاخراج لها الشرى عن فيلم ميرهام .

ووجيه الشناوى عن فيلم [حالة تلبس] وهانى حمدى عن فيلم [طفل له ماضى]

٧ ــ جائزة التمثيل لمحمد لطفى عن أدواره

٨ ــ والطفلة ميرهام عن دورها فى ميرهام .

وشهادة خاصة وميدالية للمعهد العالى للسينما عن مجموعة الافلام التى تمت خلال عام ١٩٧٢ .

احسن افلام ١٩٧٢

وقد فاز بالميدالية الذهبية كأحسن فيلم فى المهرجان فيلم [رحلة فى كتاب وصف مصر] من اخراج عبد القادر التلمسانى وانتاج التلمسانى اخوان .

وبذلك أصبح عدد الميداليات الفضية التى وزعتها لجنة التحكيم ٣٩ ميدالية والميدالية الذهبية وكذلك ٤ شهادات تقدير .

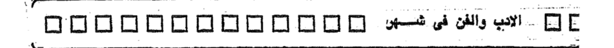
المهرجان القومى الثانى للافلام الروائية الطويلة

يقام فى طنطا فى الفترة من ١ الى ١٥ اغسطس الحالى المهرجان القومى الثانى للافلام الروائية الطويلة الذى تنظمه الثقافة الجماهيرية كل عام مع احدى المحافظات . يمنح المهرجان ١٣ جائزة للفيلم والاخراج والسيناريو والتصوير والتمثيل [رجال ونساء ، ادوار أولى وأدوار ثانوية] والديكور والمونتاج وتنسيق المناظر والموسيقى والصوت الى جانب جائزة لجنة التحكيم الخاصة .

اقيم المهرجان الاول فى بلطيم عام ١٩٧١ وتسابقت فيه أفلام ١٩٧٠ . وسوف يشمل المهرجان الثانى أفلام ١٩٧١ وافلام ١٩٧٢ حيث لم تتمكن الثقافة الجماهيرية من اقامة المهرجان العام الماضى . وسوف تكون لجنة التحكيم برئاسة أحمد كامل مرسى .

قررت لجنة التصفية اختيار ١٣ فيلما من أفلام عام ١٩٧١ هى : **فجر الاسلام** اخراج صلاح أبو سيف ، **وشباب فى عاصفة** اخراج عادل صادق **والاختيار** اخراج يوسف شاهين **وأختى** اخراج هنرى بركات ، **واعترافات امرأة** اخراج سعد عرفة **وامرأة ورجل** اخراج حسام الدين مصطفى **وشىء فى صدرى** اخراج كمال الشيخ ، **والخيط الرفيع** اخراج هنرى بركات **وثرثرة فوق النيل** اخراج حسين كمال **وزوجتى والكلب** اخراج سعيد مرزوق **وولد وبنت والشيطان** اخراج حسن يوسف . كما قررت اختيار ١١ فيلما من أفلام عام ١٩٧٢ هى : « **الناس والنيل** » اخراج يوسف شاهين **والخوف** اخراج سعيد مرزوق **واغنية على الممر** اخراج على عبد الخالق **وحب وكبرياء** اخراج حسن الامام **وصور ممنوعة** اخراج أشرف فهمى ومحمد عبدالعزيز ومدكورثابت ، **وغدا يعود الحب** اخراج نادر جلال **والحاجز** اخراج محمد راضى **وبيت من رمال** اخراج سعد عرفة **والشيماء** اخراج حسام الدين مصطفى **واضواء المدينة** اخراج فطين عبد الوهاب **وامبراطورية م** اخراج حسين كمال . سيعرض فى الافتتاح فيلم **المومياء** اخراج شادى عبد السلام ، وفى الختام فيلم **الظلال على الجانب الاخر** اخراج غالب شعث ، كما ستقيم جمعية نقاد السينما المصريين يوما باسم « يوم فلسطين » تعرض فيه الفيلم السورى «**المخدوعون**» اخراج توفيق صالح . والافلام الثلاثة ستشهد عرضها الجماهيرى الاول فى مصر فى اطار المهرجان .

جمعية نقاد السينما المصريين ستمنح جائزة خاصة باسمها لاحسن الافلام التى ستعرض فى المهرجان .



صدر حديثا فى بولندا كتاب عن باخ بعنوان .. « باخ : الموسيقى والعظمة » يقول عنه محرر الكتب الجديدة فى « **البوليتي برسبكتيف** » انه واحد من أروع وأدق الكتب التى كتبت عن الموسيقى ، وأكثرها جرأة وتفردا . انه يستطيع النفاذ الى اعمق طبقات الفن والثقافة ، ثم هو مكتوب بأسلوب حر متدفق ، بعيد كل البعد عما يحتاجه الاسلوب الصحفى من اثارة وتبسيط . يكتسب جرأته وتفرده لانه يحاول استكشاف تلك الارض الغائمة الملتفة بالغموض المشتركة بين تلك المجالات المستقلة من الثقافة مثل الموسيقى والفلسفة والدين .

ويضم الكتاب ثلاثة اقسام تحت العناوين التالية : **الفكر — الايمان — الشعور** . من حيث أن هذه التعبيرات الثلاثة — كما يقول المؤلف بودان بوسيج — « هى فقط التى تستطيع أن تعبر عن جوهر الانسانية ، فى تفرده وتنوعه معا » ، وفى الاقسام الثلاثة يشرح بوسيج ، على التوالى : [١] ما هو موضوعى ومنطقى فى موسيقى باخ . [٢] ما هو متعال ومطلق . [٣] ما هو ذاتى وتعبيرى وعاطفى فى هذه الموسيقى . وفى كل من الاقسام الثلاثة يحاول المؤلف أن يتتبع أوجه الشبه بين موسيقى باخ من جانب والافكار الفلسفية والدينية السائدة فى عصره من الجانب الاخر .

فيما يتعلق بالفلسفة يجد المؤلف أوجه الشبه قائمة على مستويين من مستويات موسيقى باخ : مستوى الفكر الكامن فى الموسيقى ، ثم مستوى الشعور . ويتضح ارتباط موسيقى باخ بالفلسفة اذا نظرنا فى اتجاهه نحو المشاكل الرئيسية الثلاثة فى التأليف الموسيقى : مشكلة **التصنيف** ومشكلة **الشكل أو الصياغة** ، ثم مشكلة **الزمن** . فمن حيث التصنيف — وهو عند بوسيج أداة منهجية الى جانب انه بناء قيمى وايجابى ، هناك تشابه بين باخ وفلاسفة الميتافيزيقا العظام فى القرن السابع عشر ، هناك — على سبيل المثال — تشابه بينه وبين لايبنتز فى أن كلا منهما يميل لان يعبر عن أكمل معرفة ممكنة للعالم ، كما أن كلا منهما يصدر عن مقدمة منطقية ذات طابع فلسفى لاهوتى [شىء اشبه بالناموس الكونى] تتمثل فى الايمان بأن الانسجام والجمال يعبران عن نفسيهما فى العالم ، ولكن يجب اثباتهما [عن طريق الفلسفة] أو تحقيقهما [عن طريق الفن] بمعاونة العقل .

ومن حيث الشكل أو الصياغة ، فان أكثر الاشكال تعبيرا عن باخ هو الشكل « **الاحادى** » او الذى تتجسد فيه وحدة الوجود ، وهذا ما يجعل بوسيج يفكر فى مفهوم سبينوزا حول جوهر الوجود . وهذا يعنى عند باخ « نموذجا محددا يمكن ادراكه ، أو نمطا فى التأليف الموسيقى » يتخذ شكل تكنيكات مختلفة . وأحد مظاهر الافصاح عن هذا « الجوهر الواحد » يمكن وصفه بعدم تأثر التأليف باختلاف الالات الموسيقية التى تؤديه ، فالفوجا يمكن أن يؤديها البيانو أو رباعى الوتريات دون أن تفقد شيئا من جوهرها أو قيمتها ، هى على هذا النحو نوع من الفكرة المنفصلة عن تحقيقها . [ويرى بوسيج هنا وجه شبه مع تقدم الميتافيزيقا تدريجا نحو الانتولوجى أو علم الوجود] ، ويمكن ادراك هذه الفكرة أيضا فى مفهوم باخ للزمن ، وهو مفهوم يحمل النقيضين : فمن ناحية « ان الجوهر والماهية وراء أو فوق الزمن ، وجوهر وماهية الموسيقى — اذا كان ثمة شىء بهذا الاسم — مرتبط باللامتناهى » ، ومن الناحية الاخرى فان هذا الجوهر يجب أن يحقق ذاته ، ولان الزمن هو مكان الفكر ، يصبح هو الوسيط الذى يحقق من خلاله الفكر ذاته . مرة اخرى : ان تحقق الجوهر على هذا النحو يحمل وجه شبه بفكرة اللامتناهى عند باسكال [ونضيف أيضا : عند هيجل] ، الذى يتطور لكنه يظل رمز المطلق فى الوقت نفسه ، ويبدو كأنه يزداد كثافة كلما ازداد عمقا . انها رؤية دينامية ودرامية للزمن — وربما للعالم ايضا . أليس كذلك ؟

هذا الحس الدرامى ، وهذا الميل نحو اللامتناهى يميزان ايضا **ايمان** باخ كما يتبلور فى موسيقاه ، بمعنى احساسه

بالمطلق . **فهل يستطيع أحد أن يتحدث عن شيء مقدس فى موسيقى باخ ؟ ..** بعبارة اخرى : هل يستطيع أحد أن يضع خطا فاصلا بين ما هو مقدس وماهو غير مقدس فى موسيقاه ؟ نعم .مادام الدين شيئا « **كلي الوجود** » فى هذه الموسيقى .. « هدفه النهائى والسامى أن يكون فى خدمة الله ، يؤكد وجوده ويقيم الدليل على حضوره » ، هذه الموسيقى تصدر عن ايمان قوى عميق بالصلوات كما تجسدها تراتيل الكورال عند البروتستانت. ومن الناحية الاخرى ، فلابد للايمان من أن يعبر عن نفسه فى رموز ، وتضفى رموز الايمان على الموسيقى طابع القداسة ، من هنا يمكن أن نحدد معيار ما هو دينى فى موسيقى باخ بأنه ما يتعلق بتراتيل الكورال من جانب ومايتعلق بالنصوص الدينية من الجانب الاخر . ويضع بوسيج خطا فاصلا بين «الرمزية» فى موسيقى باخ ، تلك التى تضعها فى سياق الحقائق الدينية المجردة ، و « الدلالة » ، أى تلك التى ترتبط بمواقف وحالات أكثرشمولا وأقل وضوحا: التحليق والسقوط ، الفرح والاسى. الخ وتستمد الرمزية فى موسيقى باخ اصولها من الانجيل الذى يفسره باقتدار لا مثيل له ، ولعل أروع الامثلة لهذا التفسير ما قدمه باخ فى قداسة من الديون الصغير ومقطوعتيه عنآلام المسيح ، وتكشف هذه الامثلة عن اتفاقه مع الطريقة البروتستانتية فى الحياة كما بشر بها الانجيل ، **من حيث أن المفهومات** اللاهوتية يمكن ان تصبح هى نفسها أروع **الخبرات** الدينية ، وأن هذه المفهومات مطمورة فى اعماق وجود الانسان وانفعاله ، فى احساسه بالتوتر والتمزق بين وجود الشر والخطيئة فى العالم وامكانية تحقيق الخير المطلق فيه .

والى جانب الايمان البروتستانتى عند باخ ، هناك ما يتعلق بالمشاعر ، وهذا عنصر لا عقلانى . فعلى سطح هذه المشاعر تطفو قشرة رومانسية ، والرومانسية عند بروسيج اتجاه فى الفن [والفكر] قديم قدم الفن نفسه ، « ترجع بدايته الى الطقوس الديونيزيسية على أقل تقدير » ، وهو يعرفالرومانسية بأنها تعنى ما هو انفعالى وذاتى [ولا عقلانى] ومتمال [بمعنى هذا التعبير عند كانت] . ويبرز العنصر الرومانسى عند تلك الحدود الفاصلة بين الشعور والابداع ، وهو يمتزج ــ خاصة فى القرن السابع عشر ــ بالتفكير العقلى المنظم ، ففى هذا القرن كان ثمة ميل نحو « تفسير » العواطف والانفعالات ، لكن هذه العواطف ــ اذا كانت فياضة جياشة كما هى فى موسيقى باخ ــ لابد أن تقودنا الى نطاق الذاتية واللاعقلانية ، هذا هو مجال التعبير الذى لا يمكن أن يكون موضوعيا موضوعية خالصة ، بل يظل كامنا فى مكان ما من تلك العلاقة الدينامية بين الذات والموضوع .

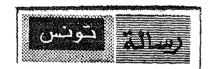
والفلسفة ــ مثل الفن ــ وليدة الحب : حب الحقيقة والخير والجمال ، حب المطلق . والجمال ــ ومن ثم الفن ــ يجعل الوجود أكثر **قوة وكثافة** ، هنا يقدم بروسيج مفهومه الجمالى الخاص بالجمال الذى يكثف الوجود او الذى يزيد الوجودكثافة ، والذى يميز ــ فى رأيه ــ الحساسية الرومانسية . هذا الجمال « يوقظ فينا شعورا متفردا ، نوعا من الذبذبة ترفع حرارة أفضل مشاعرنا ، وتملانا بالوجد والنشوة » ، حين نعانى هذه الخبرة نحب الشيء الجميلونتعشقه، وان كنا لا نستطيع أن نمتلكه ، فلو امتلكناه لتلاشى الجمال .

وعلى هذا .. فان المشاركة فى هذا الجمال المكثف تقترب بنا من ميتافيزيقا ذات طابع افلاطونى أو كانتى ، بل ان هذا الجمال المكثف ليس مقولة جمالية فقط بل ميتافيزيقية ايضا .. « لانه حين يثير فينا هذا الشوق الذى لايرتوى ، يجعلنا نعيش خبرة ميتافيزيقية هى **نقص** ما ندركه بالحواس وعدم اكتماله » .

يثير هذا الكتاب ، الجميل والحكيم ، ملاحظتين نقديتين : الاولى تتناول استخدامه للمصطلح الفلسفى ومنهجه فى تقصى أوجه الشبه بين الفلسفة والموسيقى . انه يستخدم مفهوم « الجوهر » حسب معناه عند سبينوزا ، لكنه فى نفس الوقت يقتبس عن ارسطو وسبينوزا وليبنتز دون محاولة من جانبه لان يجد بينهم خصائص مشتركة . ثم هو لكى يناقش ماهو جوهرى فى موسيقى باخ يشير الى تراتيل الكورال كما لو كانت « شيئا له قوة البديهيات يصدر عنه المؤلف الموسيقى كله » ، ويرمز ــ فى نفس الوقت ــ «للامكانيات الخالصة» أو للمادة ، مادام يكمن فيهما العمل الموسيقى أو عدد محدود من الاعمال المحتملة أو امكانية التأليف بوجه عام . ولكن « الامكانية الخالصة » ــ ويبدو أن المؤلف يناقشها هنا بمدلولها الارسطى ــ تستبعد امكان الشكل أو الصياغة ، ثم ان عددا محدودا من الاعمال المحتملة لا يطابق امكانية التأليف ، ومن تراتيل الكورال هناك امكانية للتأليف [بوجه عام ، لكن تأليف « عدد محدود من الاعمال المحتملة » أميل لان يجعل من الكورال شيئا يشبه الامكانية بالمعنى الوجودى أو الانتولوجى ، اى للفكرة التى تطابق الجوهر عند بوسيج . وهى كذلك تبدو فكرة بمعنى انها نموذج ، فهى ليست شيئا يمكن أداؤه ، لكنها شيء فى طبيعة المادة نفسها [بمعنى واحد من المعانى المتعددة لهذه الكلمة] ، هكذا نرى : انها يمكن ان تكون هذا او ذاك لكنها لا يمكن أن تكون « امكانية خالصة » . وأخيرا فان المادة ليست هى نفسها الجوهر [رغم ان بوسيج يسوق لنا بعض النصوص عما وراء الطبيعة لارسطو] ، فالجوهر ليس مجرد فكرة ، ولا يمكن أن يكون شكلا خالصا .

الملاحظة الثانية ذات طابع أكثرشمولا، وهى تتناول مد أوجه التشابه بينالجوانب « المنطقية » و « غير المنطقية » فى الثقافة . وكمثال لهذا نذكر صورالتشابه بين الدين والموسيقى . ان الرموزالدينية « تغذى الفكر » ، وهى ــ بالتالى ومثل أى رموز اخرى ــ بينة لا التباس فيها ، ومن الناحية الاخرى فان الموسيقى فن لايقوم على وضوح المنطق ، ويبدو أن حقيقة استخدام الدين للرموز هى ما يغرى بسهولة الانتقال الى الموسيقى الدينية ، ويبدو ان الموسيقى لا تستطيع ان تترجم الابنية التصورية الى لغتنا دون لغة الرموز ، لكن امكانيات « دلالة الالفاظ وتطورها » فى الموسيقى امكانيات محدودة للغاية ، بل اننى اشك فى ان ما يدعوه بوسيج « بالمعانى أو الدلالات » فى موسيقى باخ يمكن حل شفرته دائما دون وجود مفتاح متقن ومتفق عليه لهذه الشفرة . لكن الموسيقى تستطيع أن تنقل وان تستثير ما يمكن أن ندعوه بالمشاعر عن طريق سلم واسع الاتساع من الظلال الكيفية المتنوعة ، على أن تظل حالات انفعالية وشعورية مستقلة عن الموضوعات التى أثارتها وعن اى خليط ذى طابع منطقى .

ويبدو أن صعوبة تقديم تحليل مقنع يدعم أوجه التشابه بين الموسيقى وغيرها من مجالات الثقافة ، وكل التناقضات الناجمة عن هذا التحليل ، يبدو أنها سمة ضرورية تلازم اى مقارنة من هذا النوع . انها تكشف بجلاء ضعفومحدودية الفكر الملتزم بالمنطق وحده ، وعجز المفهومات البينة التى لا لبس فيها واللغة التى تعبر عنها على السواء .



الــدور النضــالى

لاتحـاد نـوادى السـينما

سمير فريد

تعتبر حركة نوادى السينما فى تونس أعرق وأكبر واهم حركات نوادى السينما على الصــعيد العربى ، وكذلك الامر بالنسبة لحركة جمعيات الفيلم التى تنتج افلام الهواة . وكما فى كل بلاد العالم حيث تأخذ حركة النوادي وحركة الهواة موضعها بالنسبة الى الثقافة القوميــة هناك اتحادان فى تونس أولهما للنوادى وثانيهما لجمعيات الهواة . ويقيم اتحاد الهواة مهرجانا دوليا لافلام الهواة كل عامين فى مدينة قليبية ، وسوف ينعقد المهرجان التابع من ١٠ الى ١٧ أغسطس الحالى .

وقد تم فى ٢٠ يونيو الماضى افتتاح أول قاعات السينماتيك التونسى بفيــلم «العصفور» الذى أخرجه يوسف شاهين وبافتتاح هذه القـــاعة التى ستعرض فيلمين مختلفين كل يوم من روائع الافلام فى تاريــخ السينما ، وفى الســينما المعاصرة تصبح حركة الثقافة السينمائية فى تونس أقرب الى الاكتمال منها فى اى دولة عربية أخرى ، وخاصــة أن تونس هى البلد العربى الوحيــد الذى يقيم مهرجانا دوليا للسينما كل عامين منذ عشرة أعوام ، وهو مهرجان الايام السينمائية بقرطاج الذى تفتح مسابقته على الافلام العربية والافريقية فقط .

وعندما ذهبت الى تونس لحضــــور افتتاح السينماتيك والاشتراك مع يوسف شاهين فى مؤتمر صحفى حول الظروف الراهنة للسينما المصرية كان المــؤتمر السنوى لاتحاد نوادى السينما قــد انتهى منذ أيام قليلة . وقــد أتيح لى مشاهدة أحدث أفلام منصف بن مراد رئيس اتحاد نوادى السينما وهو فيلم « اعترافات آكل لحوم » ، الذى خرج من المعامل منذ عدة أسابيع ، ومناقشة الدور النضالى للاتحاد مع السكرتير العام الشاعر والكاتب عبد الكريم قابوش .

أما فيلم «اعترافات آكل لحوم» فهو تجربة شجاعة تمثل بحق ثمرة من ثمرات تلك الحركة الثقافية النشطة ، وهو من الافلام العربية القليلة التى يمــكن أن نصفها عن حق بصفة «التجريبية» حتى ولو كانت هذه الكلمة ربما تزعج مخرجه منصف بن مراد الذى يتصــــور فيلمه شعبيا من الدرجة الاولى . انه فيلم جودارى [نسبة الى جودار] ، كما أنه يتــأثر كثيرا بنظريات بريخت فى المسرح والسينما .

يبدأ الفيلم الذى صــــوره بالابيض والاسود عبد اللطيف بن عمار بمدرس تاريخ فى سان فرانسيسكو يلقى محاضرة ويستعين أثناء محاضرته بمقاطـــع من اللقطات الوثائقية والصور الفوتوغرافية ، وخلاصة هذه المحاضرة أن العــرب هم الذين اضطهدوا اليهود وتسببوا فى الحرب العالمية الثانية ، وانهم الذين احتــلوا اسرائيــل ، بل وهــم الذين اخترعوا القنبلــة الــذرية ، والقــوا بها فى هيروشيما وناجازاكى !!

نعم : ذلك مايقوله الفيلم بجدية تامة معبرا عن الحقائق المقلوبة فى هــــذا العالم ، ومنبها المتفرج الى الحقيقــة الكامنة وراء ما يشاهده . وينتهى الفيلم بحديث مع فلاح تونسى يسأله فيه المخرج من وراء الكاميرا هل أنت مخترع القنبلة

الذرية فيردبكل جدية : نعم ! وهكذا يخترق الفيلم رأس المشاهد بمزيج من العقل والجنون والواقع والخيال المثير للدهشة، وقديما قالوا أن الدهشة أصل المعرفة ، وما الانسان الا حيوان عارف

وبالطبع يتوجه منصف بن مراد بفيلمه هذا الى المتفرج الاوروبى الخاضع لتأثيرات الاشعة الالكترونية المسلطة عليه فى منزله من خلال أجهزة التلفزيون، والتى تشكل المصدر الاكبر لمعرفته اليوم وهو نفس المتفرج الذى لايجد الوقت ولا المبرر لكى يضع مسافة ذهنية ما بينه وبين ما تقدمه اليه هذه الاشعة الالكترونية التى تخضعه تماما .

هذا عن فيلم « اعترافات آكل لحوم » الذى فاز بجائزة خاصة من اتحاد نوادى السينما ، أما عن الدور النضالى لهذا الاتحاد فهو يتمثل أول ما يتمثل فى انتشاره فى جميع أنحاء الجمهورية لا يفرق بين مدينة أو قرية وفى محاولته القيام بالتنسيق بين نشاط نوادى السينما على الصعيدين العربى والافريقى على أساس الاهداف المشتركة للنضال السياسى والاجتماعى فى دول العالم الثالث .

ففى اطار مهرجان قرطاج الرابع الذى أقيم فى العام الماضى عقد الاتحاد المؤتمر الاول لنوادى السينما العربية والافريقية الذى اشتركت فيه مصر والجزائر ولبنان ودمشق وساحل العاج . وقد تمخض المؤتمر عن اتفاقية مشتركة لم يلتزم بتنفيذها اى من الاطراف الموقعة عليها حتى الان . وفى الفترة من ٢٠ الى ٢٥ مارس الماضى أقام الاتحاد اللقاء الاول لنوادى السينما العربية والافريقية حيث عرض مجموعة من الافلام التى تعبر عن الموضوعات المطروحة للمناقشة عبر أيام اللقاء وهى السينما الفلسطينية والسينما النضالية وسينما الاطفال والمرأة فى السينما العربية والرقابة على السينما والسينما الافريقية . وكلها من الموضوعات الهامة التى تعبر عن التزام اتحاد نوادى السينما فى تونس السياسى والاجتماعى .

وقد أصدر الاتحاد قبل بدء اللقاء بيانا الى نوادى السينما العربية والافريقية جاء فيه :

نتمنى أن يكون لقاءنا الاول هذا الباعث لارضية سياسة سينمائية وثقافية موحدة لاننا بغض النظر عن الحدود الاعتباطية التى تفصل بين بلداننا نعتقد أن السينما هى وسيلة لفهم مشاكلنا المشتركة ، وانها تشكل نوعا من النضال المرير والمستميت للوقوف ضد عملية استبدال جندى الاستعمار القديم ، ببطل من طراز جيمس بوند !

ورغم هذا البيان ــ النداء الا ان نوادى السينما العربية والافريقية تقاعست عن المشاركة فى انجاح هذا اللقاء . ولكن ، ورغم ذلك فان الامل فى التنسيق على الصعيدين العربى والافريقى ــ كما قال لى عبد الكريم قابوتى ــ لن يضمحل ، وسوف يواصل الاتحاد التونسى جهوده فى هذا الطريق ايمانا منه أن كل مايحول دون التنسيق العربى الافريقى سوف يزول يوما . وهذه المعوقات فى الحقيقة لاترجع الى أسباب سياسية ، وانما الى البيروقراطية التى تسيطر على بعض النوادى مثل نادى سينما القاهرة ، والى عدم توفر امكانيات المشاركة بالنسبة لبعض النوادى الاخرى .

وفى مايو الماضى وبمناسبة مرور ٢٥ عاما على الاحتلال الصهيونى الامبريالى لاراضى فلسطين نظم الاتحاد التونسى بناء على نداء مهرجان بغداد لافلام وبرامج فلسطين عرضا خاصا لمختارات من الافلام الفلسطينية فى جميع نوادى السينما فى تونس وخصصت ايرادات هذا العرض التى بلغت ما يزيد عن الف دينار تونسى لصالح منظمة التحرير الفلسطينية . وكان الاتحاد التونسى الجهة الوحيدة التى لبت نداء مهرجان بغداد فى العالم العربى كله .

ان الاتحاد التونسى لنوادى السينما يقدم لنا النموذج الذى يجب أن يحتذى فى كل البلاد العربية ، بل وفى كل بلاد العالم الثالث . ونجاحه لا يعنى أنه لايعانى من المشاكل ، بل على العكس، لقد كان نجاحه يعنى المزيد من المشاكل الى جانب المشاكل التقليدية لنوادى السينما مثل عدم توفر الافلام الكافية أو المختصين بالكتابة والمناقشة . وقد كانت مشكلة الرقابة الخاصة التى فرضت على نوادى السينما فى تونس خلال العام الماضى من أهم المشاكل التى واجهته أخيرا ، ولكن مجلس ادارة الاتحاد استطاع بفضل مثابرة أعضائه ، ونضالهم الذى لايهدأ أن يتمكنوا من الغاء هذه الرقابة فى الشهر الماضى .

ونحن عندما نقدم هذه الصورة السريعة لحركة نوادى السينما فى تونس نأمل فى يوم ما انشاء اتحاد مماثل فى مصر ــ بديلا عن ادارة نوادى السينما القابعة بلا عمل فى احد أركان المركز الفنى للصور المرئية ــ يجمع النوادى المشتتة فى اتحاد مصر ويعاونها على الاستمرار والازدهار ، ويزيد من عددها بحيث تتحول النوادى الى « حركة » حقيقية .



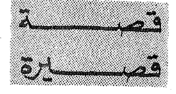


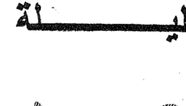
شعر : محمد على شمس الدين ـ لبنان

رمادية كانت الريح بين الغصون التى أعلنت حزنها
أتت تسأل النهر عنى وفى كفها آية من دمى
أتأتين ؟ ـ هذا أنا طفل هذى الضفاف التى أنكرتنى
تعالى ، خذى مرفقى واجعلى منه جسراً وهدبى شراعاً وطيرى على الماء
بى أو بدونى ـ فلا فرق ـ آتيك ـ لا نلتقى
وتأتين ـ لا نلتقى
ونبقى بعيدين ـ أبنى لعينيك فى أول القوس غيماً
وتبنين سيفاً كقوس الغمام
فمن أنت ؟ هل كنت وجهاً لأمى ؟
وهل شردتك الرياح التى كنت فيها ؟
وهل غربتك الضفاف ـ العباءات ـ جذع الأساطير ـ بوابة للخيول التى خوضت
فى دم السبط ، قس من الجن ، غدارة فى الظلام ؟
تعالى ـ فقد آن أن نلتقى
وتخضر فى راحتيك العظام •

● ●

ما بين الموت وبين الموت أرى عجبا
طفلاً قمرى الوجه ـ فما ـ ذهبا
ويدا
أشلاء ينبت منها الورد
ينسقها عصبا ـ عصبا
فرشت أمى
ما بين الموت وبين الموت لى الهدبا
فعبرت الجسر
غسلت ببحر اليرموك التعبا
وأقمت ،
وجذع الماء دم
ودم أرخت به العشبا
صبى يا أمى على تعبى
زهر النارنج اذا التهبا
فالموت يمهد لى سببا
والورد يمهد لى سببا (•)







عبد الحميد دواس

[١]

لم أدر كيف تنبأت بقدومهم ، لكن هاتفا أوعز لى بذلك وأنا أمر أمام القرية — على الشاطىء المقابل — ينصل بيننا وبينها النهر . كانت النبوءة تدوم فى خاطرى : انهم قادمون !

هل كانت رطوبة ما قبل الفجر هى التى اطلقت ذلك الخاطر ؟

كانت الاضواء الوانية المحمرة الاصفرار تطل من كوى القرية سادرة فى ديمومتها الابدية . ومضينا — أنت وأنا — فى تجوالنا نحو الشمال فى مهمة لا أدريها

كان على أن أواصل المسير . لم أقلق كثيرا على القرية ، فقد كان يسرى مع يقين النبوءة يقين مماثل : انهم لن يهزموا القرية ! يقين استقر منذ طفولتى لما أخبرونى عن قوم يأجوج ومأجوج . كانوا ينكبون على السد الحديدى الفاصل بينهم وبين العمران يلعقونه طوال أيام الاسبوع السبعة ، وتكاد صفائح السد تذوب من لعقاتهم ولا يبقى الا قدر سمك ورقة السيجارة وعندها تعقد جماعة الجمعة فيعود السد أعرض وأصلب مما كان .

عيون القرية ماضية نحو الشمال .

وشيئا فشيئا تسمعت — دون أن يكون هناك صوت — القطار يدمدم قادما من بعد بعيد . كانت خلايا جسدى هى التى تسمع الدمدمة المكنونة والمنتظرة . أومأت لك ، وكان هناك اتفاقا على دلالة الايماءة ، انحنيت نحو ارض الطريق الزراعى الدافئة تنصتين فى استغراق باطنى عميق . فجأة أدركت أن تلك كانت مهمتنا بالتحديد .

قلت : قطار الشرق السريع !

قلت : ولكن .. لم هذه الجلبة الشديدة ؟!

وعبرت وجهك البدرى موجة من الاشفاق ، أن يفتضح السر ، ممزوجا بالخشية ان ينفلت القطار من مجراه .

رغم البعد البعيد رأينا القطار ينطلق هادرا تصطفق عجلاته بالقضبان ، كان من فرط السرعة يتمتع الفلنكات من مواضعها . وكان نشيش البخار المتصاعد من مراجله يصنع حوله زفيفا يشبه زفيف الكواكب تتسارع فى افلاكها .

كان يمضى مخترقا منبسط الدلتا بيننا وبينه النيل ثم صفوف من الحقول تتالى كموجات خضر . وكلما خفت وجيب قلبينا العالى كان صوت اصطفاق عجلات القطار بالقضبان يعود للسيطرة على أسماعنا .

لبثنا برهة متجاورين صامتين نتشرب هذه السوناتا الكونية تتراوح الحانها بين هدير القطار ، ودقات قلبينا ، وخضرة الحقول ، ولمعات ماء النيل تحت قمر فجرى حنون .

[٢]

خرجنا من سباتنا ، فقد كان علينا أن نعود للرفاق . ولما مررنا أمام القرية وجدتهم قد جاءوا .

اناسى ، لكن شعث غبر يتمنطقون بأزر مصنوعة من جلود الحيوانات ، وفى يمين كل منهم هراوة ثقيلة . كان احدهم — فى المقدمة — عملاقا ، وئيد الخطو ، كالح لون الوجه ، مشعرا . وكان هو الذى رأيته بوضوح أكاد ألمسه رغم سعة النهر بيننا .

[٣]

بان عليك الروع . أردت — كطفل نزق — أن أطمئنك فتباهيت بأن زعقت نحو البر الاخر : ها ....! التفت الى العملاق الاول ، وهو يتفحص كوى البيوت وردد : ها ....! بصوت حلقى عريض .. وشرعت أكلمه بأعلى طبقات صوتى .



ولكنه لم يفهم منى شيئا . بدا ذلك لما اصدر همهمة غليظة سمعتها وانا على البر الاخر . وأعطانى ظهره وانحدر مع بعض جماعته فى شارع القرية الرئيسى يتشممون ويتفحصون الكوى .

— من أى جنس هؤلاء ؟

حرت فى تصنيفهم ، ولم أستطع ان اقدم لك صفة جاهزة . قلت : بدائيون ؟ همجيون ؟ ! وذكرنى ذلك بصور رأيتها لاشباه هؤلاء الناس فى الكتب التى تحكى عن انسان الغابة .

تململت : لم لا يطفىء الاهـــالى انوارهم ؟ ترى كيف يتحصنون من هذا البلاء الذى حط ؟!

لم يكن تفاؤلى الاولى قد فارقنى فقلت ان الفجر قد شـــارف على الطلوع وسيضطر هؤلاء الى الانسحاب فهذا هو الموعد الذى يبطل فيه سحرهم .

ورأينا فى الزاوية الجانبية للقـرية الاهالى مكدسين وراء قضبان حـديدية لقبو فسيح . وكان أحدهم يضـــائل من نفسه لينفلت من بين قضيبين ، فى الوقت الذى اخـذ يقترب منه العمـلاق ويبد الخطى . اذ ذاك انفلت الاخر جـاريا نحو النهر عند الموضع الذى يتصل بالمرج الذى تقيم فيه جماعتنا .

[٤]

جرينا نحو المرج ، وقفزت أنت فوق الصخرة التى تسد الطريق اليه بخفة فراشة ، وغبت فى ظلال المرج الكثيفة .

أما أنا بحجمى الثقيل فقد قفزت قفزة اعتليت بها الصخرة . نقلت ســاقى اليمنى الى الجهة الاخرى ، وثقلت ساقى اليسرى ثقلا كابوسـيا لم استطع لها رفعا . كانت اللحظات تمضى ثقيلة الوطأة جعلت انفاسى تتلاحق وانا ابذل مجهودا هائلا لنقل ساقى فلا أقدر . ولم أملك الا أن امسكها بيدى وأرفعها كشىء طفيلى معلق بجسدى . ومن عجب انه ما أن مست قدماى الجانب الاخر حتى انطلقت أعدو داخل المرج .

[٥]

كان على أن ألحق قبل فوات الوقت. لقد شقشـــق الفجر ، ولابـد أن تتم المراسيم قبل طلوع الصبح ، والا كان على أن انتظـر يومـا كاملا حتى تتم الدورة .

لحقت بك وانت تحملين طـوقك من جدائل الصفصاف الاخضر المنداة بالزيت المقدس. وفهمت أنك انتهيت من المراسيم اشرت بايمـاءة من وجهك البـدرى : الحق !

جريت ملهوفا مضطرب الحركات . اخذت طوقى الصفصافى الاخضر يتقاطر منه الزيت المقدس ، وأسرعت الى حيث النورانى الاكبر . ولكنى وجدت من يحيلنى الى جهة أخرى .

— لقد انتهت المراسم هنا .. يمكنك أن تلحق بهناك !

حرت حيرة صـبى تائه . وتملكنى القنوت لهذا التسويف . قلت : بالطبع لن ألحق لو ذهبت الى هناك .. تسيلت الوقت !

رأيت لامبالاته وكأنه يهم أن يقول : وماذا لو انتظرت الى يوم آخر !

تجاوزته ومضيت . كنت أوقن أن النورانى يفهم تحرق روحى . هتفت ، وكأنه حقى : لا أريد الا أنت .. انت مطلبى ! وأتممت — فى داخـلى — مصليا : أى يوم يمضى بعيدا عنكم فهو ضياع وغربة !

[٦]

تحت سنا حضوره ركعت على ركبتى مبتهلا :

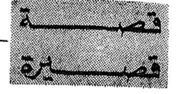
— أبى عمدنى !

رفعت رأسى نحوه فتجلى لى بطلعته البدرية — دون أن يعشى نوره بصرى . لم أدهش كثيرا لملامحه ، رغم انى لم استطع التحقق منها كاملا . كانت تتبدل باستمرار . تعرفت على بعض ملامح كنت قد رأيتها فى وجه القمر — شقيق روحى . ولم أعجب لما رأيت وجهك البدرى المخملى ، وعينيك الوطفاوين تطلان على من ذلك الاطار النـورانى الزيتى .

سمعت هاتفا ودودا ، لكنه قاطع — لم أدر أين مصـدره فقد كان كهمس النجوى !

— انهض يابنى ..

قمت محتضنا طوقى الصفصافى الاخضر وفى قلبى سكينة لم يعرفها من قبل أبدا ◙





محمود الريماوى

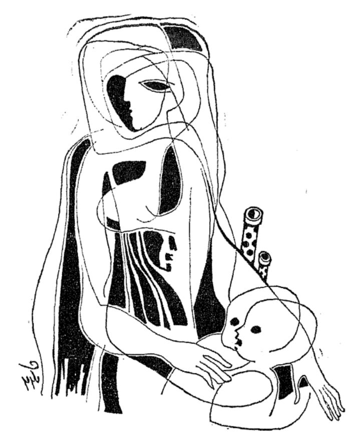
تعلق الطفل بأمه التي كانت تتشنج وترتجف في ثوبها الاسود ، ولما رفع راسه وسألها مرة ومرتين ولم تجبه ، فقد انتابه خوف . تحرك بضع خطوات الي جانبها ، ووضع يده على جسم الرجل بجانبه . كان الرجل الواقف الى جوار المراة ، يشهد بثبات وألم ، رفيقه نادي الذى هبط ليستريح في بيتـه . أحاطه الرجل بذراعه القوية، فيما وقفت المراة وحيدة ملتاعة ، تضم ذراعيها الى صدرها ، وتحـاول مغلوبة أن تلتقط أعصابها [كون من دخان كثيف]والرجال حولها يلتفتون الى بعضهم ، كما يلتفت الرجل في ختام الصلاة ، ويجـادلون مشاعر وقرارات صامتة ، كان ملمس جسم الرجل ساخنا مثل الاب عنـدما يحتضنه ، نظر الطفل فاكتشف البندقية تحت يده . بدت له أليفة ، وبدت جزءا من ثياب الرجل ،قال الطفلدون أن يتلعثم برجاء صغير : أنت زرتنا في الصباح ، أين كان أبى ، خذنى معك، سمعته المرأة وشهقت بعد أن أخذ نادي يغيب تحت الأزهار .

في الصباح سمعت الطرق على الباب. زجرته بتلعثم الطفل وهو يتعلم النطق ، أسرعت وفتحت الباب ، فصادفت رجلا فارعا مشدود القامة ، فوجيء بهـا لاول وهلة ــ بدل ان تفاجأ هي به ــ وكأنما جاء لمجرد أن يطرق الباب ويمضى .. فقد كان يتمنى زيارة غير هذه حتى بدا نادما على مجيئه ، ثم كاد يغلبه التردد والتمنع . كان في وجه المرأة صفاء يخالطه تعب نبيل ، وفي عينى الواقف غضب خفيف يكاد يكون سمحا ، توقف الطفل عن التلعثم ، وفي الخارج كان الصباح الطفل يتدفق وينتشر في المدينة الكبيرة . أخفض الرجل رأسه ثم ارتفعت عيناه اليهـا « نادى يسلم عليك »

فأخفضت رأسها بعد أن خطفبارق بصرها للحظة . وبدأت قشعريرة حارقة تسرى في أوصالها،والاشياء في رؤيتها تتباعد وتغيم . شعر الرجل كأنما انزلق وأخطأ [الارامل يطفن على الشواهد يستحضرن الماضى] وقد خرج الامر عن طوقه . استدار عائدا ، ولو ظل واقفا أو دخل وجلس ، لقال اي كلام ، « لاعتذر » واقترف خطأ آخر ، ولقال كلاما لا يريد أن يقوله ، ولا يريد أن يندم عليـه . حاولت أن تهتف له لكن صـوتها كان معتقلا ، وحاولت أن تمضى في اثره لكن اقدامها توقفت عند العتبة [ثلاث كلمات بطرق رفيقه الباب ، أنهض وافتحه ، يقول ثلاث كلمات .. ما الذى قاله ، وهل انتهى الامر، لابد ان هناك خطأ ما .. هكذا تستعجل وقبل فوات الاوان . كنت انتظر ذلك لكنى لم اتوقعه . لم اتوقع أن تنكسر ضحكتك ، ويذوب خفق اقدامك ، هل اتوقع ان أكون وحيدة يا وحيدى . الم نتفق على أن .. الم تقل لي . اعطيتنى كثيرا ، ما يشبه عطاء أمى ، ما يشبه الحياة ذاتها . اين أنت الان ، هل ذهبت ، ماذا أفعل اذن بيدى هاتين انك هنا معى فأين تذهب ؟ ماذا تريد أن تفعل . أنا أعرف ، من غيرنا اذن .. انك معى ، البرتقال لمن لن غيرنا . وهل كانت المسألة من البداية تحتاج للمناقشة ؟ أين أنت ، هكذا ، هكذا ، قل لى أين أنت] .

لم يمنعها أحد . كان بعضهم يتقدم اليهـا ثم لا يلبث أن يتراجع ، فمـن يجرؤ أن يقف بين الرجل وامرأته . كانت تثير الحزن ، في الرجال الذين يطأون الحزن بالحزن الوطنى . طلبتـه وحين وصلت اليه،ورأته لاول مرة مرأى العين ، وهو ينام خارج بيته ، تحلقوا حولها باعتداد وحمية .. أصبح الحـزن سيدة غائبة ، والصبر في وجوه الرجال قد أصبح جبلا ، ثم لوحت بصوت أليم وهى تنحنى : هكذا يا نادى . كان وجهـه محمرا مثل طفلها وهو يحلم عندما ينام .. هكذا يانادى . كان وجهه هادئا في راحته « كمن يتأهب ببطء للـكلام » .. هكذا .. وحين أخضل صوتها بالدمع ثم تحشرج واختنق ، اغمضت عينيهـا ، وأطلقت يديها [انه يسخر منها ، يعنفها ليضاحكها : كنت أعرف أن ذلك سوف يحدث ، ألم اقل لك . سوف يحـدث لمرة أخيرة ، ولكنها ايضـا مرة واحدة فقط . لماذا لا يحدث الان اذن . قولى أنت لماذا ، هل نسيت يا امرأة يا قليلة الحيلة ، يا امرأة اعمارى ..] .

لم تناقش الجميل، فالكلام عند السفر يثقل عليه .. انحنت ولثمت جبينـه ..



تسمع همهمة الرجال والدوى الصامت يعصف بأعصابها ، وهى تطبق على النشيج ، تسمع فى الخارج زغرودة [أى زمن مضى على الزغرودة الاولى] : هذا يومك يا عريس ، فتحنى رأسها ، وتمنع نفسها عن البكاء فى حضرة زوجها ، حتى لا تغضبه أمام رفاقه .

وفى تلك اللحظات ، وعلى الضفة الاخرى المشهودة ، لم تسمع أرغنا يتلو على حافة الجبل ، والعصافير ترتجل الريح ، والريح تمر على الشجر ، وقرب الشجر وراء البيت طفل يلعب ويتعثر ويركض . وأمام البيت امرأة قديمة ، أضناها الهجر والانتظار ، تفتح ذراعيها وصدرها : يا ولدى ، ياسندى ، يا كبدى ، يانور عينى ، يا عودة الفارس ، يا حبيبى ، يا أحرسه يا حارس .

ولكنها سمعت اجراسا تخفق وتعزف. مثل تصفيق الاولاد فى المدرسة ساعة الصباح ، مثل جرس المدرسة عند الخروج ساعة الظهيرة ، مثل صوت الدبكة ، عندما ينسى الرجال أنفسهم فى الدبكة ، أجراسا تخفق بانتظام ، ثم تضرب بعنف طاغ ولكن فى المدى البعيد والمدى يرتج قبل أن يعيد ترتيب نفسه ، اجراسا تضرب بوقع متواتر متواتت ، ساعة الشفق أو ساعة السحر ، مثل دقات القلب الذى يعلن الحياة . وعندما ترتفع جلبة الرجال ، ويعلو صوت اقدامهم ، يختلط صوت الاجراس فى خلدها ، فتأخذ مثل طفلة ضلت الطريق، ترتجف فى وحدتها القوية ، وتراه وحيدا فى جلاله [يا وحيدى لا تختبرنى . أين أنت ، ما الذى يفصل الان بيننا : حياتى أنا ، هذه الانفاس المقطوعة .. ام صمتك العميق يا حبيبى] ثم اقبل الرجال فالتفتت الى زائرهم الذى لم يغادرها :

ــ **أين تذهبون به ؟ .**

ــ الى بيته .

ــ **وأنا ..**

ــ أنت أختنا تذهبين معنا .

ــ **الى أين ؟**

ــ **فى الطريق الى بيته .**

ــ **ويترك بيتى ، ونتركه .**

ــ **يسبقنا ، يذهب الى بيته الاول وهناك يستريح .**

حاولت أن تنفلت منه ، فجعل يعترض طريقها ، حتى ينتهى الرجال ويلبسونه ثوبه . فجعلت تنهج ودوى الأجراس فى خلدها يضرب بعنف .

ــ **انكم تسرعون ، لماذا تسرعون به؟**

ــ لا نسرع ، ولا نريده يتأخر عن موعده .

ــ **كنت انتظره .**

ــ هو الان ينتظرنا .

وعندما سار الحشد ، كانت الاناشيد ترتفع ، تنبثق من جميع الجهات لتلتقى

وترتفع ، أمسكت بطفلها وأخذ كيانها يمشى ، وقالت فى نفسها الحزينة : انهم يسرعون ، تسرع الاناشيد والازهار لارجع وحدى [أى زمن مضى عندما سارت الى جواره وأسرعت تفتح باب البيت] كانت الايدى ترتفع ، لكن فادى يركض . يتعثر بالشمس التى أشرقت ، وبالحجارة بين السريس ، وبساقه الضعيفة . يتعثر ثم يركض :] ياحافظة طفولتى رجعت فخذينى . أطلقى جناحيك على واغمرى عرى روحى وخذينى ..

مضى زمن طويل ، كنت فيه ارعى غربتنا ، واحفظ اسمك الحبيب يا امى. جئت أعلن حبك ، أعلن صوتك فى دمى، فخذينى ..

لم أكن ضالا ولم أكن بطلا . ولما طغى الزمن الطويل أقدمت على حبك بصدرى ، فاجمعينى وخذينى يا امى .

ثم توقفوا . ارتفعت موسيقى الحزن الوطنى ، واختلطت الاجراس وزاد عنفها تاهت عيناها ، ومدت يديها برجاء يتيم مكسور . وبدأ يهبط مثل هبوط الاشواق على الجسد ، فتقدمت وهى تدفع من حولها ، قريبة وشيكة من الحفرة ، حتى دوت رصاصة قوية واحدة فى المدى ، فاهتزت لها مرة وأخرى وهى ترجع الى مكانها الاول [سحابة ضوء فى كون من دخان كثيف] وقد انخفض صوت الاجراس فى المساء ،تحول رقيقا عميقا ، فرفعت عينيها ورأت الاشياء حولها ، الاشكال الباقية ذاتها ، وهى تعرى وتشرع فى ترتيب نفسها من جديد . ابتعدت الى الوراء قليلا ، ولما همت توقفت] فلم تركض الى مكان بعيد تعرفه، لم تترك قيادها لتركض اليه فى مكان بعيد ، وترجع قبل أن يكتشف غيابها أحد] . وطافت عيناها فى وجوه الرجال، فرأتهم يتأهبون لامر ويتسارعون ، ولم تميز فيهم طفلها الذى خرج اليها .

« **لماذا نرجع الى البيت . أبى ليس هناك ، أنت تعرفين ؟ .**

وكانت تعرف فى تلك الساعة ، بعد أن انتشر فى الوديان والقرى ، فتقدمت منه حتى لا يبتعد عنها ، ومدت اليه ذراعيها كما تمدهما الى الرب .

« **لكنى لم أعرف أن ذلك سوف يحدث أيضا .. » .**

« هل كان يجب أن تقول لى يا صغيرى من قبل » .

« **أم كان يجب فى المرة الاخيرة ، أن انتظرك فى البيت : يا فادى » .**

وسارت هى بطيئة تضرب ظلال الليل التى امتدت ، بثوبها الاسود ، وقبل أن تركض الى مكان بعيد تعرفه .

وسار الصغير الى جوارها ، معا بعد أن توقف عن التلعثم والاسئلة .

---

* فى القصة عبارتان سبق أن وردتا فى قصص لغسان كنفانى .

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ سبتمبر ١٩٧٣

الطليعة

٩

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

كل شىء «ليس هادئا» فى معسكر العدو

- المغزى السياسى والاستراتيجى لتأميم عمليات شركة نفط العراق
- المؤتمر النقابى العالمى الثامن ووثيقة النضال ضد الاستعمار

ثلاثة أبحاث عن المسرح العربى

ملحق الأدب والفن





طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..



عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٤٦٤ق٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

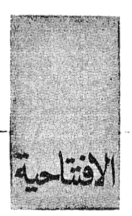
لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. ــ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد التاسع ــ السنة الثامنة ــ سبتمبر ١٩٧٣

د . محمد الخفيف

مشارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢



كل شيء «ليس هـادئا» في معسكر العدو

وربما يتعين علينا ـ ونحن ندرس المتغيرات الدولية ، أن ندرس أيضا باهتمام عميق وموضوعي ـ تلك المتغيرات التي تجري داخل معسكر العدو الاسرائيلي ٠

وربما كانت عمليتا خطف اسرائيل للطائرتين العراقية ثم اللبنانية ، مؤشرا هاما على أن هناك أمورا قد اضحت تستوجب منا الالتفات واليقظة كل اليقظة الى ما يجري ، هناك ، على الجانب الاخر من الخندق ٠

فما الذي تشير اليه أعمال خطف اسرائيل« الرسمية » للطائرات ؟ ان تحليل العمليتين يبرهن على أن الزمرة العسكرية الحاكمة في اسرائيل قد اجبرت على أن تنزع عن وجهها ـ مكرهة ـ بعض الاقنعة التي حرصت على أن تجمل بها وجهها الكئيب ٠

فلقد حرصت اسرائيل ، طوال السنوات الماضية ، على أن توهم الرأى العام العالمي خصوصا ـ الامريكي والاوربي الغربي ـ انها ليست واحة « الديموقراطية » المزعومة فحسب ، بل انها القوة القادرة على حماية النظام والامن في المنطقة ، ـ وعلى وجه خاص ـ حماية المصالح البترولية في وجه الحركة الثورية العربية ٠ ومن هنا كان وصفها لرجال المقاومة الفلسطينية ، بأنهم« ارهابيون » و « مخربون » ، يتحتم تصفيتهم وابادتهم ٠ وكانت هذه الدعاية الاسرائيلية تدوى وتجلجل كلما أعلن الفدائيون أنهم استولوا على احدى الطائرات ٠

ولكن ربما يبدو غريبا أنه عندما أدان ياسر عرفات حادث خطف طائرة أثينا ، وتابعه فى هذا ، بعض قادة فصائل المقاومة الفلسطينية ٠ اندفعت اسرائيل (وهى التى تحاول ان تثبت انها دولة جديرة بعضوية المجتمع الدولى) الى عمليات قرصنة وارهاب ضد الطائرات ، تحت الحجة البالية بأنها انما تطارد « الارهابيين » و « المخربين » ٠

على أن انتقال اسرائيل الى هذا العمل الذى حرصت ـ فى الظاهر ـ على أن تبدو بعيدة عنه ، ثم ما بدا من اصرار المسئولين الاسرائيليين على تبريره فى تحد سافر للرأى العام العالمى ، نقول : أن انتقال اسرائيل الى مثل هذه الاعمال لا يدل فقط على أن نوعا من الارتباك الظاهر قد أخذ يدب فى صفوف العدو ، بل **انه يدل أيضا على أن هذا الارتباك عرض من أعراض الازمة العميقة التى تختمر ببطء ـ ولكن بثبات ـ داخل كيان هذه الدولة العسكرية** ٠

وهناك ظاهرتان أخريان تعكسان هذه الازمة التى نشير اليها :

الاولى : هى اضطرار مسئولين عسكريين اسرائيليين [ياريف] الى الاعتراف بنشاط المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة ٠ الى الحد الذى دفع هؤلاء المسئولين الى القول بأنه وان كان هذا النشاط ضعيفا ، الا انه لا ينبغى الاستهانة به ٠ وفى السنوات الماضية كانت اسرائيل تحرص على اخفاء هذا النشاط وطمسه ٠

الثانية : حرص الدوائر الاسرائيلية على أن تركز دعايتها على أنها تستعد لاستقرار نهائى فى الارض المحتلة ٠ ونحن نذكر انه فى خلال الشهر الماضى ، حرصت الصحافة الاسرائيلية على أن تبرز الخلاف ، أو الجدل الحاد ، داخل **حزب العمل الاسرائيلى** حول مشروعات **ديان** لاستيطان بعض الاراضى المحتلة خصوصا فى سيناء (١) ٠ فبعد أن حرصت الدعاية الاسرائيلية طوال السنوات الماضية على الادعاء بأنه ليس لها « مطلب اقليمى » هام فى الاراضى المصرية ، اذ بدعايتها تتجه أخيرا اتجاها معاكسا وصريحا ٠

وربما قيل ـ بعد ذلك ـ أن حكام اسرائيل، عندما يصرحون بشىء ، أو يعلنون عن « سياسة جديدة » فانما يفعلون ذلك بعد حسابات دقيقة ٠ ولكن حتى اذا سلمنا ـ بهذا ، وبأنه لا يجوز أن نقع فى شراك العدو ٠ فان الوقائع المشار اليها تظل فى حاجة الى تفسير ٠

والواقع يقول لنا ، ان اسرائيل التى قامت منذ نشأتها كمجتمع عسكرى وعنصرى ، من المستحيل أن تنجو من التناقضات والازمات الحادة التى تلازم بالضرورة طبيعة أية دولة عنصرية عدوانية :

ـ فمن ناحية ، هى تقف فى وجه حركة ثورية تاريخية ، هى حركة الشعوب العربية التى تخط طريق تصفية السيطرة الامبريالية وطريق التقدم الاجتماعى ٠

---

(١) راجع تقرير النزاع العربى الاسرائيلى ٠

ــ ومن ناحية أخرى ، فان الاقتصاد الاسرائيلى نفسه لا يستمد قوته من عناصر طبيعية واجتماعية فى تكوين اسرائيل والمجتمع الاسرائيلى ، بل لقد ظل على الدوام معتمدا اعتمادا أساسيا على المعونات ٠ واستمر على هذا الوضع الذى زاد سوءا بازدياد عسكرة وتبعية هذا الاقتصاد للاحتكارات الامبريالية ــ خصوصا الامريكية منها ٠

ــ ومن ناحية ثالثة ، فان التسلح الكثيف الذى يحرص حكام اسرائيل على الاحتفاظ به ، وعلى التزود بكميات لا تنقطع منه ، هذا التسلح هو ــ فى نهاية المطاف « سلفة على المستقبل » ــ وذلك اذا صح هذا التعبير ــ ولابد للمقترض من أن يسدد هذه السلفة فى يوم من الايام لدائنه (أى تنفيذ أهداف أمريكا فى المنطقة) ٠

والواقع آنه ليس أمام اسرائيل غير طريقتين :

فاما أن تسدد هذه السلفة ، واما وأن تفترسها الازمة الداخلية الطاحنة ٠

أما الازمة الداخلية فتكشر عن أنيابها فى أكثر من جانب :

● هناك التضخم المالى المستفحل الذى يبتلع كل زيادة فى الاجور والمرتبات ٠

● وتحت وطأة التضخم شهدت اسرائيل هذا العام ، والعام الذى سبقه ، أضخم موجة من الاضرابات لم تقتصر على العمال وانما شملت الاطباء والمدرسين ٠٠٠ الخ ، حتى لقد كتب **روز شستان فى هاآرتس** يقول :

« ان اسرائيل تحتل المرتبة الثانية فى العالم ــ بعد ايطاليا ــ بالنسبة الى ظاهرة الاضرابات » بل ان بعض زعماء اسرائيل أشاروا الى أن هذه الظاهرة المستفحلة تدل على أن **الهستادروت** يبدو أنه فقد السيطرة على الحركة العمالية فى اسرائيل ٠

● وفى ظل عسكرة الاقتصاد ، وازاء ضعف ثقة الرأى العام الاسرائيلى فى امكانية فرض سلام مسلح على العرب « يدوم مائة عام أو ألف عام » تنمو شكوك الجيل الجديد فى سياسة الامن الاسرائيلية ٠ وتنعكس هذه الشكوك فى مواقف متعددة ــ وان كانت لا تزال محدودة جدا ــ من رفض العودة الى اسرائيل (بالنسبة لبعض طلاب البعثات) أو اظهار التعاطف مع عرب فلسطين والمقاومة الفلسطينية ٠

وبالاضافة الى سلبيات الوضع الداخلى ، فان الاذكياء من حكام اسرائيل لابد وأن يداخلهم ذلك الاحساس الحتمى بأن الوقت ــ على المدى الطويل ــ لا يمر فى صالحهم ٠ ويمكن أن نرصد ــ فى هذا ــ بعض الوقائع على نطاق العالم ٠

فعلى الصعيد الدولى هناك :

● ازدياد عزلة اسرائيل على اتساع الرأى العام العالمى وهى خسارة محققة (بالمقارنة الى مكانة اسرائيل الدولية قبل عدوان ٦٧) ٠

● أن الانفراج الواقع فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى من ناحية وبين أمريكا من ناحية اخرى ، ثم بين الاتحاد السوفيتى وأوروبا الغربية ، وما يرتبط به من اهتمام

المجتمع الدولى (بما فى ذلك الاوسـاط المتعقلة فى البلاد الامبريالية) ، بتصفية آثار الحرب الباردة ، كل هذا يمثل نوعا من الحصار السياسى والمعنوى حول قـادة اسرائيل . واذا صح أن المجمـوعات الصهيونية الضاغطة فى أمريكا تعـارض الانفراج الدولى ، فان هناك قوى ومجموعات فى أمريكا وأوربا الغربية قد لا ترحب بمغامرات عدوانية من قبل اسرائيل يمكن أن تعرض مصالحها فى منطقة الشرق الاوسط لاخطار غير محسوبة . وهذه القوى التى نشير اليها ربما لا تستطيع أن تتخذ اجراءات ردع مادية ضـد العسكريـة الاسرائيلية ، لكن موقفها كما قلنا يمثل نوعا من الحصار المعنوى على مغامرات المعتدين الصهاينة .

أكثر من هذا ، لا نكاد نجد سياسيا مسئولا فى الغرب لا يذكر اليوم فى أحاديثه « حقوق الفلسطينيين ، أو حقوق شـعب فلسطين » .

وعلـى صـعيد بلدان العـالم الثالث ، تستمر عزلة اسرائيل في الازدياد . هنا نذكر كمثال : الخمس دول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل .

وعلـى الصـعيد العربـى يمكن أن نسجل :

ـ ان المقاومة نفذت ١٠٥ عملية خلال سبعة شهور فى هذا العام داخل الاراضى المحتلة واسرائيل .

ـ ان شعار استخدام البترول كسلاح فى المعركة يشق طريقه الى التطبيق ، وان ظل ذلك حتى الان فى حدود ضيقة للغاية . ولكنها تظل مع ذلك ـ ومع تصاعد حركة الجماهير العربية ـ مؤثرة ومبشرة .

فاذا وضعنا ـ بعد ذلك ـ جميع هذه الوقائع فى اطار رفض الشعوب العربية الاستسلام لشروط اسرائيل ، فان القول بأن الوقت لم يعد فى صالح اسرائيل يظل ـ بلا شك ـ صحيحا ، وسوف يكتسـب كل دلالاته .

هنا نأتى الى السؤال الجوهرى : فما الذى نتوقع أن تفعله اسرائيل ، وما هى ردود فعلها الكبيرة بازاء هذه الاوضاع ؟

لقد أشرنا من قبل الى أن اسرائيل أمام اختيارين أو حلين :

١ ـ اما أن تستسلم لازمتها الداخلية العميقة .

٢ ـ واما أن تسدد « السلفة التى أخذتها من امريكا على المستقبل » وهى ترسانة السلاح المكثف .

ولما كانت اسرائيل لا تريد أن تستسلم لازمتها الداخلية ، فان هذه الازمة تدفعها دفعا الى الاخذ بالحل الثانى . (وهو الحل الذى تأخذ به فى العادة النظم الفاشية والعسكرية : هتلر .. الخ) .

وهكذا لا نستبعد أن تحمل الايام القادمة أخبار مغامرة اسرائيلية خطيرة ضد البلاد العربية . وهذه المغامرة تعد لها اسرائيل اعدادا . ولا أدل على ذلك من أنها :

ـ تغلق كل سبيل أمام تنفيذ قرارات مجلس الامن وهيئة الامم أى أمام كل حل سياسى ٠

ـ تصعدت هذه الايام الاستفزازات بكيفية متعمدة على الجبهات العسكرية ، وعلى نطاق المنطقة ككل (خطف الطائرات ٠٠ الخ) ٠ وهدفها ان تواجه المنطقة بتفجير كامل للصراع تضع فيه المجتمع الدولى امام الامر الواقع ٠

ولكننا نعلم أنه كان فى يد اسرائيل أن تقوم بمغامرات ، فليس فى يدها أبدا أن تضمن نجاحها ، لان بين النجاح والفشل توجد قوى فاعلة ومؤثرة محلية ودولية ٠
نعم ٠٠ بين هذا وذاك توجد الشعوب العربية ، ويوجد الشعب المصرى ، وهو القوة الرئيسية فى المعركة ضد اسرائيل ٠

وعلى شعبنا المصرى أن يواصل دعم قوته العسكرية ، وأن يتم هذا الدعم على امتداد خطين أساسيين :

خط سياسى : تمثله وحدة القوى الوطنية والتقدمية ، وحدة الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية ، على اساس ديموقراطى يضمن توزيع اعباء المعركة توزيعا عادلا بين الطبقات الشعبية والوطنية ٠

وخط اقتصادى : قوامه استراتيجية أو خطة للتنمية تقيم فى مصر اقتصادا يجب أن يكون النقيض الكامل للاقتصاد الاسرائيلى التابع ٠

وتملك مصر ـ بالفعل ـ نواة هذا الاقتصاد فى شكل القطاع العام ، وفى هذه البدايات أو القدرات الاساسية ممثلة فى عدد من الصناعات الثقيلة ٠ وكل هذا يحتم ـ بالضرورة ـ أن تمضى البلاد ـ وفقا لخطة قومية ، فى دعم الاستقلال الاقتصادى ، ودفع الاخطار المحيطة به من قبل الاستعمار الجديد ، ومن قبل القوى المتخلفة والطفيلية ٠ فهذا هو جوهر الصمود وصخرته الراسخة ، وعلى هذه الصخرة يجب أن تتحطم آمال المعتدين الاسرائيليين ، وشركائهم الامريكيين ٠

« الطليعة »

عبد النــــاصر

فى ذكراه الثالثة

فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، فقدت الانسانية التقدمية والامة العربية والشعب المصرى ــ خاصة ــ قائداً من ابرز قادة الحركة الوطنية المصرية والعربية على امتداد تاريخها الطويل هو : الرئيس جمال عبد الناصر .

وفى ٢٨ سبتمبر من كل عام ، يحتفل الشعب المصرى والعربى والانسانية التقدمية كلها ، بذكرى وفاة الزعيم الوطنى عبد الناصر .

والاحتفال بذكرى الزعماء الوطنيين البارزين فى حياة الامم : كعبد الناصر ، لا يقتصر فحسب على الاحتفال التقليدى بوفاة انسان ، انما تكمن القيمة الحقيقية لهذا الاحتفال ، فى تكريس المبادىء والقيم التى أرساها ، وفى اذكاء الشعور الوطنى لتحقيق الاهداف التى حددها للعمل الوطنى لقوى الشعب العاملة وأولها تحرير الارض وهزيمة العدو الاستعمارى الصهيونى .

والمبادىء والاهداف التى أرساها الرئيس عبد الناصر ، التى هى باختصار مبادىء وأهداف ثورة يوليو الوطنية التقدمية ، والتى هى بدورها أهداف الشعب المصرى ، نقول أن هذا كله قد صاغه الفكر الوطنى المصرى وعبر عنه الرئيس أنور السادات بشكل محدد له دلالته حين لخص الموقف يوم تحمله لمسئولياته الوطنية بقوله : « الاستمرار على طريق عبد الناصر » .

وفى كلمات قليلة : فان الاستمرار على طريق عبد الناصر معناه :

ــ مواصلة السير على طريق الاستقلال والتقدم الاجتماعى والوحدة العربية ،والسلم العالمى .

ــ طريق حماية الاستقلال الوطنى ، عند عبد الناصر ، هو النضال الايجابى والجسور ضد الامبريالية والاستعمار الجديد وضد الصهيونية والرجعية .

ــ الاستقلال الاقتصادى هو جوهر الاستقلال السياسى . وطريق عبد الناصر هنا هو مواصلة التنمية تحت قيادة قطاع عام قوى يملك وسائل الانتاج الرئيسية (*)

ـ على طريق مواصلة التنمية ، يجب أن نضاعف اليقظة ، فعند كل منعطف يكمن أخطر الاعداء : الاستعمار الجديد ، الذى يمثل مصالح الاحتكارات الاجنبية ، ويتخفى وراء أقنعة اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية .

ـ طريق التنمية الصحيحة ، هو طريق التخطيط العلمى لبناء قاعدة الصناعة الثقيلة .

ـ التنمية عند عبد الناصر وسيلة وهدف . هدفها أن تنتهى ثمار البناء الاقتصادى والاجتماعى الى أيدى العمال والفلاحين ، الى الطبقات التى طال حرمانها .

ـ طريق الدفاع عن « خط التنمية الاشتراكية » عند عبد الناصر هو طريق تمكين العمال والفلاحين من المشاركة فى السلطة . وتأكيد الدور القيادى للطبقة العاملة فى المجتمع . وكان عبد الناصر يقول : أعتبر أن أهم شىء فى الميثاق هو الـ ٥٠ فى المائة عمال وفلاحين .

ـ طريق عبد الناصر هو طريق الوحدة العربية ، وهى عنده عملية نضالية وثورية : مضمونها وحدة الهدف التى تفترض العمل الموحد ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، والكفاح لتصفية علاقات التخلف الاقطاعية والرأسمالية فى الوطن العربى .

ـ طريق عبد الناصر هو طريق التواجد والعمل الايجابى فى صفوف الحركة الثورية العالمية ، التى تضم معسكر البلدان الاشتراكية ، والثورات الوطنية ، والقوى المناضلة من أجل الديمقراطية والسلم العالمى .

ـ فاذا لخصنا ما تقدم كله فى واجبات عملية مباشرة ، قلنا ان طريق عبد الناصر هو فى ـ آن واحد ـ طريق الالتزام الثورى الوطنى والاجتماعى :

ـ الالتزام الوطنى بتحرير الارض وصد العدوان الاسرائيلى الامريكى .

ـ الالتزام الاجتماعى برفع مستوى الشعب بكيفية مستمرة فى جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

« الطليعة »

عن المتغـــــيرات

مســـاهمة
فى الحـــوار

عن « المتغـــــيرات الدوليـــــة »

محمد سيد أحمد

كان ما أصبح يعرف « **بالمتغيرات الدولية** » موضع اهتمام كبير طوال الشهر الماضى ، منذ أن طالب الرئيس **أنور السادات** فى خطاب ٢٣ يوليو بأن تكون مناقشة هذه « المتغيرات » أساسا لتحديد **خط استراتيجى** يكفل لنا تحقيق **هـدف التحرير** فى الظروف الدولية المتغيرة . وقـد طرحت **ورقة حوار** لتكون أساس هذه المناقشة على اتساع المؤسسات السياسية والشعبية . وهـذه المناقشة ، المنتظر لهـا أن تقيم **الخط الاستراتيجى** على أساس **خط فـكرى** كفيـل بمواجهة التحديات الناجمة عن الوضع الدولى الجديد ، انما تقتضى المشاركة بالرأى ، بمـا تستحقه قضايا المصـير ، من جدية وصراحـة وفكر مفتوح . والواقع أن امعان النظر فى كل ما تطرحه المناقشة ليس مجرد **حق وطنى** لجميع المواطنين المشتغلين بالقضايا العامة ، بل هو قبل ذلك **واجب وطنى** للتوصل الى تعبير عن مصالح الوطن الاساسية فى هذا الظرف البالغ الحساسية .

أولا ــ عن ورقة الحوار :

ملاحظـات فى الشـكل :

ورقة الحوار ليست بطبيعة الحال « **الصيغة النهائية** » فى تحديد أثر المتغيرات الدولية على قضايا المصير التى تواجهنا ، وفى مقدمتهـا ،

طرحت ورقة « الحوار الوطنى » التى أعدتها الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى واللجنة الدائمة لمجلس الشعب ، قضية المتغيرات الدولية وأثرها على تطور الاوضاع فى المنطقة العربية، وبكيفية خاصة على الصراع العربى الاسرائيلى .

ثم طرحت الورقة بدورها ، ومعها ورقة عن المتغيرات الدولية والثورة العلمية والتكنولوجية على بساط المناقشة فى جلسات مفتوحة فى مجلس الشعب ، وفى جلسات تنظيمية فى مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكى .

وازاء أهمية هذا الموضوع ، حاولت الطليعة من جانبها أن تسهم فى الحوار المفتوح ، بتعميق الدراسة حول العوامل الرئيسية التى أدت الى التطورات الجديدة فى الوضع الدولى. مع ملاحظة أن « الطليعة » كانت قد خصصت فى عدد يناير من هذا العام دراسة رئيسية بأكملها عن المتغيرات وذلك تحت عنوان :

« المتغيرات الدولية : حدود جديدة .. أم اشكال جديدة للصراع » .



ازالة آثار العدوان . بل هى « **ورقة عمل** » ، أقرها مؤتمر مشترك لاعضاء الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، ورؤساء اللجان الدائمة بمجلس الشعب وامناء المحافظات ، لتكون — كما حدد الرئيس السادات — اساسا للحوار الواسع والمفتوح الذى يشمل المؤسسات السياسية والشعبية ، وصولا الى « **الوثيقة النهائية** » التى تبلور نتائج المناقشة فى دورة المؤتمر القومى المقرر عقدها هذا الشهر .

وربما اقتضت ظروف التعجيل بفتح باب الحوار ، اقرار ورقة اكتفت بعرض مقتضب لابرز ما هو مقصود « بالمتغيرات الدولية » وأثرها علينا ، وانتقاء معان مطلوبة الابراز ، بدلا من بحث الموضوع — منهجيا — بطريقة جامعة مانعة . **الا أن هذا الاقتضاب فى العرض ربما اكسب الورقة تبسيطا جعله ميسور الفهم للجماهير العريضة ، ولكنه أفقدها المقومات الضرورية لتكون الورقة تلبية لطلب الرئيس السادات فى فتح حوار يضع اسس « خط استراتيجى » مناسب لمواجهة وضع دولى : مقدر له — على حد تقرير الرئيس نفسه — أن يستمر لعدد من العقود** . واذا رأينا أن نستهل المناقشة بهذه الملاحظة ، فلتقدير لم نتوان عن تأكيده — طوال الاعوام الثلاثة الماضية — عن ضرورة التصدى لتفهم **ينفذ الى الاعماق** عما يجرى من تحولات على المسرح الدولى ، ذلك أن هذه التغيرات قد اكسبت العلاقات الدولية **صفات**

كيفية جديدة ، **ولا يجوز النظر اليها كمجرد** تغيرات « عادية » داخل اطار الانماط الدولية المألوفة . **وفى راينا أن بدون تقدير واضح لهذه التغييرات ، فانه يتعذر علينا تحديد رؤية صائبة لاستراتيجية كفيلة بتخطى حالة « اللاحرب واللاسلم » التى نعانى من آثارها منذ عدد من السنوات .**

وقد تختلف الاراء — بل ينتظر أن تختلف — حول بعض الاحكام التى تضمنتها الورقة ، وحول تقدير ما ينبغى تركيز الاضواء عليه . وهذا أمر طبيعى ومطلوب ، والا فلم يكن هناك ما يدعو الى اجراء حوار على النحو الواسع الذى طالب به **رئيس الجمهورية** ، ولكن لتحاشى أن تتطرق المناقشة الى مسالك جانبية — نحن فى غنى عنها — كان لا بد من الحرص على **الا** تسفر صياغة الورقة عن عبارات غير دقيقة فى مسائل **ليست** مجال اختلافات فى التقدير ، بل تمس **المعلومات** المتعارف عليها عن خواص العصر الذى نعيش فيه ، أو أن **تغفل الورقة** عناصر أساسية فى التغيرات الدولية الجارية ، وذلك على نحو يوحى بأن واضعى الورقة لم يحرصوا على تشخيص ما هو حادث بالفعل ، بقدر ما حرصوا على انتقاء ما بدا فى نظرهم على علاقة بواقعنا فقط .

فقد أورد نص الورقة — مثلا — فيما يتعلق « بالمتغيرات العلمية والتكنولوجية » أنه « **فى الوقت الذى حدثت فيه** كل هذه التغيرات العالمية بدأ العالم يشهد ثورة تكنولوجية واسعة النطاق ... » . وهذه عبارة لا شك تعوزها الدقة ، ذلك ان الثورة التكنولوجية العصرية ليست ظاهرة برزت فى السنوات المحدودة الاخيرة فقط ، وليست ظاهرة واكبت ظهور تغيير فى العلاقات الدولية الراهنة ، بل هى ظاهرة **قائمة منذ عدد من العقود على الاقل** ، وذلك بمقتضى رأى جميع الباحثين فى هذا المجال دون استثناء على اختلاف وجهات نظرهم ، واختلاف مدارسهم الفكرية . انها ظاهرة **سابقة** على التغيرات الدولية التى وقعت فى الاونة الاخيرة ، بل هى ظاهرة كان لها **أثر بالغ الاهمية فى احداث** هذا التغيير .

ولا مفر من ملاحظة **عدم اتساق فى ان ورقة** الحوار عادت لتؤكد فى الفقرة التالية ان « من أخطر **نتائج** الثورة التكنولوجية ، التوسع فى انتاج أسلحة الدمار الشامل ، وفى انتاج الاسلحة التقليدية .. » . والمعلوم أن التوسع فى انتاج أسلحة الدمار الشامل ، فضلا عن الاسلحة التقليدية ، ليس مما وقع حديثا فقط ، **بل يجرى** تنفيذ هذا التوسع دون انقطاع منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . **وكان للابعاد الخطيرة التى اكتسبها انتاج أسلحة الدمار الشامل ، أثرها الحاسم فى فرض ضرورة تحاشى المواجهة بين الدول الكبرى بالحرب النووية الشاملة .** والورقة باقرار أن التوسع فى انتاج هذه الاسلحة كان من **نتائج** الثورة التكنولوجية العصرية ، انما تقر ضمنا بدء قيام هذه الثورة منذ تفجير قنبلتى هيروشيما ونجازاكى فى نهاية الحرب العالمية الثانية .. على الاقل .

والواقع أن هذا التضارب لم يكن من المتصور حدوثه لو كانت الورقة قد تعرضت بالتحليل العميق ، **للدواعى والاسباب** التى أفضت الى سيادة مناخ « **الوفاق الدولى** » الراهن ، ولم تكن قد اكتفت بمجرد **رصد** بعض مظاهره البارزة . وجدير بالملاحظة — فى هذا الصدد — أن حتى الرصد لم يكن شاملا لابرز المتغيرات المعترف بأهميتها ، كقضية **الامن الاوروبى** — على سبيل المثال — فى مجال المتغيرات السياسية والاقتصادية ، أو كقضية **الايكولوجيا وتلويث البيئة** فى مجال المتغيرات العلمية والتكنولوجية وهى قضية تحتم اجراء اتفاقات بين الدول المتطورة تقى كوكبنا من أخطار جسيمة ناجمة عن انجازات التكنولوجيا العصرية ، لا رجعة فيها .

وحتى لو أخذنا بمنطق أن الورقة اكتفت بانتقاء أهم ما من شأنه التأثير على مجريات قضيتنا المباشرة ، وهى قضية كفيلة بأن تستغرق اهتماماتنا ، **فقد كان ينتظر منها — بحق — أن تبرز كل ما ينبغى لنا أن نحرص عليه فى الواقع الدولى المعاصر — بكل ما طرأ عليه من تغيير — بما يؤكد كل ما هو رصيد ايجابى لنا من وجهة نظر معركة التحرير** . ولكن هل جاءت صياغة الورقة تعبيرا عن هذا الحرص دائما ؟ .

لقد حددت الورقة أن « الدول ترسم علاقاتها على أساس من مصالحها القومية » . وهذا صحيح . ولكنها لم تشر فى أية فقرة منها الى أن « المصالح القومية » للدول **ليست متطابقة** حيال **قضية التحرر الوطنى** مثلا ، وهى قضية تشغلنا فى المقام الاول . ولا يجوز فى هذا الصدد ، لا من ناحية المبدأ ، ولا من ناحية الواقع الاجتماعى ، **وضع الدول الاشتراكية الصديقة — مثلا — على قدم المساواة مع الدول الامبريالية** وفى مقدمتها الولايات المتحدة التى لا تدخر جهدا فى اعطاء تأكيدات كل يوم عن مساندتها بلا

تحفظ للعدوان الاسرائيلى . وهذه مسألة لايمكن لنا الغاؤها بجرة قلم ، مهما أحدث مناخ « الوفاق الدولى » من تغيير فى العلاقات بين الدول .

والواقع ان الورقة قد حرصت فى أكثر من موضع على ابراز « **المتغيرات** » الدولية المؤثرة فى اتجاه **التقارب** بين الدول المتطورة المنتمية الى نظم اجتماعية مختلفة ، وقد أشارت فى مواضع كثيرة الى **الانفتاح الاقتصادى** بينها مثلا ولكنها لم تتعرض فى اى مكان « **للثوابت** » النابعة من صميم التركيب الاجتماعى للمجتمعات ، والتى ينبغى لنا أن نحرص على تأكيدها ، وأن نساهم فى الحيلولة دون أن تحدث لها « اذابة » أو « تمييع » ، لا لصالح قضية التحرير عموما فحسب ، بل لانها قضية تتعلق مباشرة بتحرير أرضنا قبل أى اعتبار آخر . وقد اكتفت الورقة فى هذا الصدد بأن تسجل « أن الاعتبارات الاقتصادية تقدمت على الاعتبارات الايديولوجية النظرية » .

ويجدر بنا هنا أن نطرح التساؤل : **أليست هناك علاقة بين قصور الورقة عن ابراز أثر ودور الثورة التكنولوجية ، كظاهرة فرضت نفسها على الواقع المعاصر ، لا من اليوم فحسب ، بل منذ عدد من العقود** ، وخاصة فى مجال **سلاح الدمار الشامل** ، وفى **مجال تلويث البيئة** ، وكلاهما عاملان بالغا الاهمية فى املاء ضرورة اقرار مناخ « الوفاق » بين الدول المتطورة على اختلاف نظمها الاجتماعية ، نقول ... ألا توجد علاقة بين هذا **وبين الاستنتاج ان « الوفاق الدولى » ــ مادامت الثورة التكنولوجية لم يكن لها دور هام فى تهيئة المناخ « للوفاق الدولى » ــ انما يرجع الى تغيير لا بد أن يكون قد طرأ على طبيعة النظم الاجتماعية ذاتها ؟**

وهذه الملاحظات ، بما نعلق عليها من أهمية ، لا نقصد بها ــ بطبيعة الحال ــ التهوين من أهمية القضايا التى يجرى الحوار حولها ، وتفرضها بصورة أو أخرى « المتغيرات الدولية » الجارية . وهى قضايا تقتضى دون ما شك اجراء **مراجعة شاملة** لاستراتيجيتنا مع الحرص ــ كما جاء بالورقة ــ على الا تنطوى هذه المراجعة على **تراجع** ، ولا أن ينتهى « السلام » الذى نبحث عنه فى الظروف الجديدة الى مجرد « تسليم » . ومما لا شك فيه أن أبرز مقومات فرض السلام العادل ، كان **الرئيس السادات** قد أشار اليها فى خطاب ٢٣ يوليو ، بتركيزها فى ضرورة استمرار تعزيز **القوة الذاتية المصرية** وتنمية كل مصادر **القوة والوحدة العربية** ، وفى أن نحرص على **الدعم السوفيتى** والصداقة العربية السوفيتية . ومن المؤكد أن **تركيز الحوار على وسائل تطوير هذه المقومات الثلاثة بالذات ، وتجسيمها عمليا بمشاركة ايجابية وبمبادرات فعالة تنطلق من صفوف الجماهير ذاتها ، سوف يسهم بدور أساسى فى اثبات حقيقة انه يمكن وينبغى لنا الا نكون ــ كما ورد فى ورقة الحوار ــ ضد سياسة « الوفاق الدولى » ، بل يمكن لنا فى ظل هذا المناخ الدولى الجديد ، تحقيق أهدافنا فى رد العدوان واسترداد حقوقنا المشروعة .**

ثانيا ــ عن « الوفاق الدولى » :

ملاحظات فى المنهج :

مصطلح « **الوفاق الدولى** » كتعبير عن السمة المميزة لحقبة جديدة فى العلاقات الدولية ، تأتى فى أعقاب فترة عرفت « **بالحرب الباردة** » وبالمواجهة العدائية الحادة بين الدول المنتمية الى نظم اجتماعية مختلفة ، وبالذات بين الدولتين الاعظم ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .. هو مصطلح فى حاجة فعلا الى **تحديد وتمحيص** .

وأول ما يجذب الانتباه فى مصطلح « الوفاق الدولى » أنه يركز الاضواء على « **أوجه التقارب** بين **الدولتين** الاعظم » ويستشف منه ضمنا أنه ينم عن « أوجه تقارب » بين **النظم الاجتماعية المختلفة** ذاتها ، بوجه خاص فى الدول المنتمية الى القطاع « **المتطور** » من العالم ، وهى الدول التى تملك القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية ، والقادرة قبل غيرها على تقرير ملامح ومجريات التحول العالمى المعاصر .

وقد وصلت الاجتهادات فى هذا الصدد الى حد أن مراكز أبحاث عديدة فى الغرب قد بلورت نظريات لا عن مجرد وجود « **أوجه تقارب** » بين الدول المتطورة المنتمية الى النظم الاجتماعية المختلفة ، بل عن نشوء « **أوجه تماثل** » بينها كذلك . و « اوجه التماثل » هذه ــ على حد قول هذه النظريات ــ تفرض وجودها فى صورة « **انماط متشابهة** فى هيكل بناء المجتمع » بغض النظر عن الاختلافات التى يبرزها تعارض المنطلق **الايديولوجى** .

والقضية لا شك ذات أهمية وخطورة ، ليس فقط ــ كما أوردنا ــ من وجهة نظر قضية التحرير بوجه عام ، أو قضية تحرير القطاع

« **المتخلفة** » **من العالم بوجه خاص** ، **بل من وجهة نظر ايجاد حل عادل لأزمة الشرق الاوسط على الوجه الأخص** ، ذلك ان هذا الحل ليس منبت الصلة عما ينطوى عليه النزاع من بعد **اجتماعى** ومساندة امريكا لاسرائيل دون تحفظ ، تأكيد لحقيقة أن مواجهة العدوان الاسرائيلى وازالة آثاره ليست مجرد قضية « **وطنية** » ، أو قضية « **قومية** » من وجهة النظر العربية ، بل تندرج داخل نطاق **النضال التحررى المعادى للامبريالية** عموما . **ولا يستقيم أن يكتسب هذا النضال كل أبعاده اذا صح أن المجتمعات الاشتراكية تلتقى مع المجتمعات الامبريالية فى « أنماط متماثلة » ، على نحو يسقط عنها أسباب تعارضها الجذرى.**

ويجدر بنا فى هذا الصدد ان نؤكد امرين :

■ **الامر الاول** : هو ان النجاح فى وضع سياسة « **التعايش السلمى** » موضع التنفيذ [و « التعايش السلمى » هو المصطلح الذى ابتدعه **لينين** لوصف الحالة التى يعرفها الغرب الان « بالوفاق الدولى »] ليس ، ولم يكن فى اى يوم فى نظر السوفييت **انتكاسا أو تراجعا** على سياساتهم السابقة ، بل هو **تتويج** لجهود لم يتوانوا عن بذلها لبلوغ هذا الهدف منذ ايام لينين ، ومنذ أن حسم النزاع داخل القيادة السوفيتية حول **مستقبل استراتيجية الثورة** فى أعقاب نجاح ثورة اكتوبر مباشرة : هل تتركز هذه الاستراتيجية حول **اقامة الاشتراكية فى دولة واحدة** — وقتذاك — وكان ذلك وجهة نظر **لينين فستالين** ، أم يؤخذ بنظرية **تروتسكى** عن « **الثورة الدائمة** » ، المتضمنة معنى عدم قبول أية « هدنة » مع الدول الراسمالية المحيطة .

وبمجرد أن استقر الراى على الاخذ باستراتيجية « اقامة الاشتراكية فىدولة واحدة » ابستنادا الى مبدأ أن « الثورة لا تصدر » وأن « اندلاعها فى اى بلد هو فى المقام الاول رهن نضوج الظروف الداخلية » ، نقول : كان لا بد أن يستتبع ذلك التسليم بتجاور النظامين الاشتراكى والراسمالى لحقبة منالزمان قد تقصر أو تطول و « **التعايش السلمى** » **بينهما هو فى نظر الدول الاشتراكية افضل ما يضمن لها الانصراف بكل جهودها لانجاز عملية البناء الاشتراكى فى الداخل ، بل يهيىء لها أنسب الظروف لدرء أخطار « تصدير الثورة المضادة » اليها كذلك .**

■ الامر الثانى : هو ان **ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية** ، التى بدأت ملامحها تتجسم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، **قد** أسهمت بدور هام فى « اقناع » الدول الامبريالية **كذلك** بمصلحتها فى تطبيق سياسة « التعايش السلمى » ، ومهدت لما يجرى الان من تحولات جسيمة فى العلاقات الدولية ، بعد فترة طويلة حاولت فيها الدول الامبريالية مقاومة حقائق أصبحت تفرض نفسها بالحاح . والواقع ان الدول الامبريالية لم « تقتنع » لمجرد ما ابتدعته ثورة العلوم والتكنولوجيا من **أسلحة للدمار الشامل** ، تحمل خطر الافناء الكلى للدول المعتدية والمعتدى عليها فى آن واحد فحسب ، بل ايضا بسبب ظواهر أخرى نجمت عن انجازات التكنولوجيا العصرية ، ذات آثار ضارة لا يمكن درؤها **دون تعاون وثيق** بين الدول المتطورة جميعها ، كآثارها الايكولوجية على **تلويث البيئة** ومن هنا ، أصبح « التعاون » **ضروريا** ، لا لمجرد درء أخطار **الحرب** النووية الشاملة فحسب ، بل لدرء أخطار تنجم — فى **السلم** — عن عدم احلال « التنسيق » و « التعاون » مكان استمرار التوتر والعداء .

الا أنه يبقى بعد ذلك السؤال : **هذا التغيير الذى أحدثته ثورة العلوم والتكنولوجيا فى موقف الدول الامبريالية ، هل ترتب عليه بشكل أو آخر تغيير مقابل فى موقف الدول الاشتراكية ، بما يكسب « التعاون » و« التقارب » صفة «التكامل» و « التماثل » ؟**

تسوق مراكز الابحاث الغربية حججا عديدة ومتنوعة حول هذا الموضوع ، ليس مجال استعراضها أو مناقشتها هنا . ولكن يجدر بنا أن ننتقى بينها حجة تعد **نموذجية** فى ابراز نوعية **المنطق** الذى تعتمد عليه هذه الحجج عموما .

تستند احدى هذه الحجج ، ومن ابرزها ، الى شواهد ليست منقطعة الصلة عن انجازات ثورة التكنولوجيا . وتسجل هذه الشواهد انتقال وظائف اقتصادية متعاظمة الاهمية **فى الدول الراسمالية المتطورة** من القطاع الخاص الى القطاع العام ، من **الشركات الخاصة** الى **الدولة** . والمستفاد من هذا التحول هو تضاؤل دور الراسمالى صاحب الاسهم ، وتعاظم شأن « **المديرين** » باعتبارهم اصحاب الكلمة الفاصلة فى تقرير سياسة الانتاج ، واتجاهات الاقتصاد وبالتالى فى رسم سياسة الدولة .. يقابل ذلك — فى نظر طارحى هذه الحجة — اتجاه **فى الدول الاشتراكية المتطورة** نحو **اللامركزية** فى التخطيط والانتاج ، أيضا بسبب انجازات

التكنولوجيا العصرية ، وتعذر استمرار قصر وظيفة التوجيه والتخطيط على هيئة مركزية واحدة نتيجة زيادة تعقيد هيكل البناء الصناعى ونموه حجما نموا ضخما ، وزيادة تشابك العلاقات بين فروعه المختلفة . وهذا امر يقتضي بدوره ضرورة تفويض سلطة اكبر الى فئة « **المديرين** » المسئولين عن الاشراف على المشروعات الانتاجية . وهذا التفويض فى السلطة لا بد أن يتم على حساب **السلطة المركزية** ، ذات الصلة الاكثر وثوقا بمقتضيات السياسة العامة ، والمؤهلة قبل غيرها على اخضاع قراراتها لمتطلبات **الايديولوجية** .

ان « **التخطيط** » — بمقتضى منطق هذه الحجة — يتضاءل وضعه الى حدود « معقولة » فى ظل الاشتراكية ، بينما يلجا اليه كلما هو «ضرورى» فى ظل الرأسمالية . **ومن هنا ، لم تعد الفواصل — فى نظر اصحاب هذا الراى — حاسمة بين النظامين ، وكلاهما يتجه لنقل السلطة اساسا الى فئة تكنوقراطية جديدة ، على حساب طبقة الراسماليين فى العالم الامبريالى ، وعلى حساب سلطة الحزب الايديولوجية ، الممثلة للطبقة العاملة ، فى العالم الاشتراكى .**

وتستند هذه الحجة الى عدد من الشواهد **الصحيحة . ذلك أن القطاع العام** قد اتسع بالفعل فى اغلب الدول الرأسمالية المتطورة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، الى حد انه اصبح يشمل فى بعض الاحوال ٢٠ الى ٣٠ ٪ من الانتاج الصناعى العام ، ويتسع لـ ٤٠ الى ٥٠ ٪ من مجموع الاستثمارات . ولكن تكمن **المغالطة** فى ان ملكية الدولة **مقصورة** فى الدول الراسمالية على فروع الصناعة **الباهظة التكلفة التى لا تحقق سوى عائد ضئيل فى الامد القصير** [كالصناعات النووية او صناعات الفضاء] أو فروع الصناعة **التكميلية** [كالنقل والمواصلات والغاز والمياه ..] او **الاستخراجية** [كالفحم والحديد والمعادن ..] **ومن هذا كله ، تبرز وظيفة القطاع العام والدولة** ، كهيئة **تدير قطاعات الصناعة الضرورية وغير المربحة فى الامد المباشر ، لصالح الطبقة الرأسمالية ككل ، ذلك بينما يحتفظ القطاع الخاص ولا يفرط اطلاقا فى افرع الصناعة الحديثة التى تحقق ارباحا كبيرة** ، كالصناعات الكيماوية والبتروكيماوية والالكترونية والميكانيكية المنتجة لادوات الانتاج وللصناعات الدقيقة ، الخ من المجالات التى تعتبر اكثر فروع الصناعة الحديثة تطويرا ، والتى يجرى فيها عملية تركيز وتمركز منقطعة النظير فى صورة احتكارات عظمى ذات كيان يتجاوز فى احوال كثيرة نطاق الدولة الرأسمالية الواحدة .

من هنا ، لا يمكن اعتبار ما يجرى من تغيير فى الدول الرأسمالية المتطورة — فى ضوء ما اوردته الحجة السالفة البيان — **ماسا بجوهريات النظام الرأسمالى ، تماما كما لا يعتبر توسيع نطاق اللامركزية ماسا بجوهريات النظام الاشتراكى** ، ذلك أن تخويل سلطات اكبر للمسئولين عن مشروعات الانتاج المختلفة ، لا يعتبر فى ذاته انتقالا للسلطة من طبقة الى أخرى ، ولا هو انتهاك فى ذاته لمبدأ الملكية العامة لوسائل الانتاج .

لقد أوردنا هذه الحجة لنلفت النظر الى أن « أوجه التقارب » و « التماثل » بين النظامين الذى يجرى الحديث كثيرا حولهما فى الاونة الاخيرة ، لا ينبغى أن تلهينا عن حقائق تمت الى اعتبارات أكثر أساسية ، وتعتبر « ثوابت » لا ينالها كل ما يجرى من تغيير . والالتفات الى هذه « الثوابت » ، ووضعها موضعها الصحيح من التقدير والحساب ، ليس مجرد ترف أكاديمى بل ينبغى ان يحظى بما يستحقه من عناية ، ضمانا لعدم التفريط فى ارصدة لصالح قضية التحرير عموما ، ولاستثمار كل ما هو كفيل فعلا بتوفير مقومات الحل العادل لازمة الشرق الاوسط تخصيصا .

والواقع ان بناء استراتيجية للتحرير فى الاوضاع الدولية الجديدة انما يفترض الا تشغلنا « المتغيرات » عن « الثوابت » ، تماما كما لاينبغى أن نجمد عند «الثوابت» دون مراعاة «للمتغيرات» بل تقتضي هذه الاستراتيجية — **منهجيا — البحث عن أفضل سبل استثمار «المتغيرات» و«الثوابت» معا ، بالتكيف لوضع ينشط الايجابيات فى كل منهما ، بدلا من أن يكون أبرز ما يستوقفنا هو ما تنطوى عليه من سلبيات .**

ثالثا — عن « المتغيرات » و « الثوابت » ملاحظات فى الموضوع

ان اخطر ما يمكن ان يصيب احساسنا بواقع ازمة الشرق الاوسط فى الملابسات الدولية الراهنة ، او رؤيتنا لمستقبلها او كل تفكير

استراتيجى فيها .. أن نبدأ بافتراض ؟ يغلب عليه التشاؤم ، أن مناخ « الوفاق الدولى » هو حتما ضد التحرير ، ويسلبنا أدوات نضال ، أو أدوات ضغط على العدو ، نبقى بدونها فى وضع اكثر صعوبة ، لتخطى حالة «اللاحرب واللاسلم» السائدة الان .

اننا نرفض هـذا الافتراض ، لانه يعنى ان التوتر الدولى وحده هو حليفنا ، وأن سـبيل استرداد حقوقنا رهن استثمار التناقضات الدولية فى المقام الاول . وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع مبدأ لا نتوانى عن تاكيده ، وهو أن « قوتنا الذاتية » باعتبارنا طرفا أصـيلا فى النزاع ، ينبغى ان تكون العنصر الفاصل فى حسمه .

الاصل ؟ هو أن سيادة السلام فى العالم ؟ والقضاء على الاسباب المفضية الى وجود مواطن مرشحة لنزاعات ملتهبة وقابـلة للتصاعد الى نزاعات عامة ، **ظرف يخلق مناخا اكثر مواتاة — وليس اقل مواتاة — لابراز النزاعات المستعصية الحل ، المتبقية بعـد ذلك ، كعوامل اضطراب تهدد بناء السلام العالمى كله .**

لا يمكن الاعتراض اذن — من حيث المبدأ — على أن يكون السلام هو المنتصر فى العالم . ولكن ما نعتبره مشروعا ان يكون موضع اعتراض هو ان يكون جو « الوفاق الدولى » **على حساب** حقوق مقررة ومشروعة ، او على أساس **اغفال** حقوق مقررة ومشروعة . ومع ذلك ، فان **اثبات** أن هذه الحقوق المقررة والمشروعة **لا تقبل الاغفال** يتوقف فى المقام الاول على اصحاب هذه الحقوق انفسهم .

المطلوب اذن هو تكشف السبل الكفيلة باثبات الحق فى الملابسات الدولية الجديدة . و «اثبات» الحق لا يقتصر على الحجة « الشرعية » وحدها .

الجديد فى الموقف الـدولى ليس ان فرص اثبات الحق قد تقلصت . ونقصد فرص **اثبات الحق** بسبل لا تقتصر على الحجة « الشرعية » او الحجة « المنطقية » وحدهما ، ذلك أن كلا منهما محدود الفعالية ما لم يستند الى « قوة مادية » **وانما الجـديد هو أن قواعـد التعـامل الدولى قد تغيرت ، والمناخ الذى يجرى فيه اعمال « القوة المادية » يتطلب اعمالها بطرق جديدة .**

واذا صح أن الوضع الدولى الجديد قد فرض **محاذير** على أساليب « لاعمال القـوة » كانت مباحة ، أو متاحة من قبل ، **فلا يعنى ذلك ان فرصا جديدة لاثبات الحق لم تجد** ، بغير الاعتماد فقط على الحجة « الشرعية » أو « المنطقية » . **ولكن فى سبيل أن نتكشف هذه الفرص الجديدة ، فلا بد لنا بادىء ذىبدء ألا نتقيـد فى ارتيادنا للواقع الجديد بأنماط تفكير ، أو بمقومات نعتبرها مسلمات ، مستمدة فقط مما ألفنا العمل بمقتضاه فى الفترة السابقة ، بل أن نجـرأ أن نتحرك انطلاقا من المقدمات التالية :**

[] أولا — أن قواعد التعاون الدولى قد تغيرت وعلينا بالتالى أن نقاوم الاتجاه الذى يعاند فى رفض التسليم بهذا التغيير وبنتائجه . ولا شك فىأن طرح **رئيسالجمهورية** موضوع «المتغيرات الدولية» لحوار عام ومفتوح خطوة ينبغى الاعتماد عليها لكسر هذا العناد ، وللحفز على التفكير الخلاق بتصميم وجسارة .

[] ثانيا — أن نحدد وبوضوح انطلاقا من هذا التسليم ، مالم يعد من الممكن بناء استراتيجيتنا عليه ، بما فى ذلك أساليب كان من الجائز أن تشملها استراتيجيتنا من قبل .

[] ثالثا — أن نحـدد وبنفس الوضـوح ، أساليب العمل الجديدة المتاح لنـا ارتيادها ؟ والتى يجب علينا أن نتكشفها ، فى ضوء الخواص الجديدة التى تميز عصر « التعايش السلمى » و « الوفاق الدولى » .

واستشفاف ملامح وخواص الواقع الدولى الجديد لاستثماره لصالحنا ، لا يمكن — بطبيعة الحال — أن يكون ثمرة اجتهاد فرد أو افراد ؟ بل يقتضى — لا شك — جهدا جماعيا منظما ، يجرى الان تنشيطه بالحوار الدائر والمنتظر له أن يتوج فى قرارات المؤتمر القومى القادم . **ومع ذلك : نرى المساهمة فى هذا الجهد بعدد من النقاط نعتقد أنه يمكن تأكيدها دون خشية الوقوع فى خطأ جسيم :**

■ **يمكن القطع بأن أى نزاع اقليمى ، فى حالة اكتسابه صفة الصدام العسكرى ، ومهما بلغت حدته ، فانه لن يتصاعد الى حد شمول قوى دولية ، أو دول عظمى ، بمعنى مشاركتها المباشرة فى عمليات حربية .** ومن هنـا يكتسب **الاداء العسكرى** لاطراف النزاع المباشرة اهمية تفوق كل وقت سابق فى تقرير النتـائج السياسية

لمعركة عسكرية . ولا شك فى ان السلاح يحتفظ فى نوعه وفى كمه بأهميته البالغة ، ولكن القيود التى قد تعترض استيراد كل انواع السلاح الى غير حد ، يحتم زيادة تركيز الجهود على كفاءة اداء ما هو متاح استخدامه . وفى نفس الوقت ، يقتضى هذا الوضع الجديد التوسع فى استثمار طرق الضغط الاخرى على العدو ، بمبادرات ايجابية وفعالية حركة لا تنقطع فى موطن النزاع وفى مختلف الاتجاهات على الصعيد الدولى ، اعتمادا على ما ينطوى عليه مناخ « الوفاق » من صور جديدة « للصراع » .

ليس من « المتغيرات » اذن ، فى نزاع اقليمى امكان بل وربما وجوب اللجوء الى الحرب كوسيلة لاسترداد حق ، متى توافرت الظروف لخوض هذه الحرب بفرص « معقولة » للنجاح .

ليس من « المتغيرات » اذن ، فى نزاع اقليمى الكبرى عن تزويد الدول الاخرى بالسلاح — على اطلاقه — بدليل ما نراه الان على سبيل المثال من صفقات سلاح امريكية فى المنطقة ، لاسرائيل ، وايران ، الخ .. ذلك مع احتمال أن مفاوضات **خفض السلاح او نزع السلاح** على الصعيد الدولى ، من الممكن أن تكون لها آثار فى **ضبط تصدير نوعيات معينة من الاسلحة** الى المناطق العرضة لنشوء نزاعات ملتهبة فيها مع العلم ان **احتكارات انتاج السلاح** فى الغرب تحاول التخفيف من نتائج ضبط او خفض السلاح **بتنشيط صادراتها منه** الى دول اخرى ، قادرة او راغبة فى الشراء .

ولكن مما تشمله « المتغيرات » على وجه القطع امكان توقع حسم لنزاع اقليمى ، لمجرد ان اتخاذه شكل الحرب هو فى ذاته تهديد لجو « الوفاق » ويعرض ما يجرى من اتفاقات بين الدول الكبرى للانتكاس . ولم يعد من المنتظر ان يترتب على نشوب حرب محلية ان يصدر بسببها « انذارا » الى دول كبرى ، على غرار الانذار الذى وجهه بولجانين عام ١٩٥٦ الى بريطانيا وفرنسا .

■ **جو التعايش السلمى و « الوفاق » لا يعنى الغاء الصراعات الدولية ، ولكنه يضع ضوابط لمنع ان تكتسب هذه الصراعات صفة الصدام العسكرى الواسع النطاق ، وعلى نحو يهدد السلام العالمى ، بين « دول » على المسرح الدولى**

ومن هنا ، ينبغى ان ننتظر أن تعبر الصراعات عن نفسها بطرق اخرى ، من ابرزها بطبيعة الحال ، صور للصراع تجرى داخل نطاق كل « دولة » على حدة ، أو داخل نطاق « مجموعة دول » تنتمى الى نفس النظام الاجتماعى والاقتصادى . وعلينا أن نتوقع أن الانفراج الدولى ، والحد من التوتر ، والاتفاق على تدابير تكفل منع اللجوء الى الحرب كوسيلة لحل النزاعات المحتدمة ، هى صورة جديدة **للعلاقات بين الدول** لا بد أن يصاحبها ويتعاظم معها شأن الصراعات داخل المجتمع الواحد ، اى شأن الصراعات ذات **الصفة الاجتماعية** ، حسب طبيعة كل مجتمع ، وبالذات الصراعات التى كانت مكبوته فى المرحلة السابقة بسبب الاستقطاب الدولى الحاد ، وتقسيم العالم الى كتل متنابذة ، يتربص بعضها للبعض .

ومنذ الان ، نجد فى الابعاد الواسعة التى اصبحت تكتسبها فى الغرب **أزمة النقد الدولية** او فى حجم **فضيحة ووترجيت** وما اصبح يتداعى عنها من مخالفات وجرائم وفضائح تدفقت وتفجرت اكثر من اى وقت مضى ، مؤشرات تنبىء بنوعية الصراعات المنتظر لها ان تكتسب أهمية متعاظمة .

واذا صح ان النزاعات المستعصية الحل الموروثة من الفترة السابقة على « عصر الوفاق » — كأزمة الشرق الاوسط — ما زالت تحتفظ بصفة أنها **نزاع بين دول** ، بمعنى أنها تدور حول قضايا تمس **سيادة دول** ، والحق **الوطنى** فى تأمين ارض الوطن ضد العدوان والاغتصاب ، **فلا بد ان تنطبع هذه النزاعات ايضا مستقبلا بالخواص الجديدة التى اصبحت تميز ابرز النزاعات الفارضة نفسها على المسرح الدولى ، وان يكون للبعد الاجتماعى شأنا متعاظما لا العكس .**

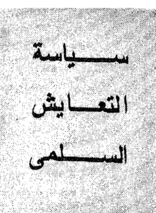
ليس من « المتغيرات » اذن تجميد كل اشكال الصراع ، بل يكمن جوهر ما يجرى من تغيرات الان فى تجميد انواع محددة من الصراع ، وبالذات تلك التىتنطوى علىتهديد **لاستمرار حياة البشرية** فوق الارض ، فى عصر تطرح فيه **انجازات التكنولوجيا** — لاول مرة — امكان افناء البشرية بأسرها ، سواء **بالحرب** النووية الشاملة ، او بآثار « **سلمية** » اخرى للتكنولوجيا ، كآثارها فى

تلويث البيئـــة ، أو في تعريض كوكبنا **لاختـــلال ايكولوجي** بجعله غير صالح للحياة .

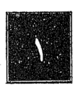
ان جوهر ما يجرى من تغييرات اذن ، هو تغيير نوعيـــة الصراعـــات التى تكتسب مـــكان الصدارة ، بعد ضبط اشكال محددة من الصراع ، ذلك ان تصادم المصـــالح فى ظل جو « الوفاق » لابد ان يعبر عن نفسه بصـــور جديدة ، وبقدر تجميد او ضبط اوجه الصراع التى تتخذ شكل **نزاعات عدائية بين دول** ، بنفس القدر ســـوف تقفز للمقدمة صراعات ذات طابع اجتماعى أو اقتصادى أو مالى « أزمة النقد الدولية » أو أخلاقى « فضـــــــــائح كفضيحة ووترجيت » أو قانونى ودستورى « الحـــــاجة الى نوعية جديدة من المؤسسات تلائم العلاقات الدولية الجديدة » ، أو ذات صلة بمتطلبـــــات التكنولوجيا الحديثة « ازمة الطاقة » فى الدول المتطورة ، أو بعـــدم القدرة على مســـــايرة انجـــازات التكنولوجيا واستثمارها لدرء تفاقم مشـــاكل تستبد بالقطاع المتخلف من العالم .. **ومن خلال هذه الصراعات سوف يكتسب « الصراع الايديولوجى » صـــورا جديدة تختلف كثيرا عن صورها فى ظل خريطة للعالم تميزت اســـاســـا بالاستقطاب بين دول .**

■ **ومن هنا ، فكان من ابرز خواص « عصر الوفاق » الراهن ، هو ما ينطوى عليه من تبديل فى « شخصية الاطراف » التى ينبغى تمييزها فى كل نزاع يفرض نفسه على المجتمع الدولى ..** لقد كانت « أطراف » النزاعات فى الفترة السابقة تبرز ــ اساسا ــ فى صورة « **دول** ذات سيادة» وينظر اليها **ككيانات ذات شخصية قائمة بذاتها** ، دون أن يتناول التعامل الدولى ما تنطوى عليه هذه الدول من مكونات اجتماعية متباينة المنطلقات والاهداف . الا ان الوضع الدولى الجديد القائم على استبعاد الحرب كوسيلة لحل النزاعات **بين دول** ، استدعى من قبل جميع الدول ان تتخلى عن النظر الى « اطراف » نزاع محدد ، كمجرد « دول » كل منها « قائم بذاته » فقط ، وفرض عليها ضرورة ان تميز داخل كل دولة ، **بين « أطراف » فيها تجد مصـــالحها الاســـاسية تتحقق بمقتضى ضوابط مقبولة دوليـــا ، مجسمة فى مبادىء كمبادىء ميثاق الامم المتحدة ، أو فى اتفاقات جماعية أو ثنائية بين دول ، و « أطراف » اخرى تسلك سلوكا يتعارض مع هذه المبادىء ، كالاصرار على العدوان ، أو على قمع حقوق وطنية ، أو قومية ، أو اجتماعية ، او اقتصادية تستمد مشروعيتها من ضوابط «الشرعية الدولية» المتعارف عليها والمعترف بها . واصبح « جـــو الوفاق » ممكنا بالقدر الذى أمكن فيـــه ابرام اتفاقات تعزل وتهزم الاطراف داخل دول شتى ذات مصالح واهداف وتطلعات تتعارض مع هذه الضوابط** ، هكذا أمكن حل المشكلة **الالمانية** ــ مفتاح ايجاد حل لقضية **الامن الاوروبى** ــ بعزل وهزيمة الاتجاهات الانتقامية فى المانيا الغربية التى طالما أصرت على عدم الاعتراف بخط الاودر نيسى . وبخريطة المانيا كما اسفرت عنها نتائج الحرب العالمية الثانية . وبنفس المنطق امكن ازالة التوتر **بين الولايات المتحدة والصـــين** ، بتسليم واشنطن بأنه لا توجد سوى صين واحدة عاصمتها بكين .. كما حل بنفس المنطق قضية **فيتنام** الخ .. وليس من شك فى أن تعاظم الاعتراف الدولى **بشعب فلسطين العربى** ، كطرف لا يمكن اغفاله فى البحث عن حل لازمة الشرق الاوسط ، رغم أنه ليس مجسما فى صـــورة « دولة » ، هو مؤشر له مغزاه فى أن الازمة لا يمكن أن تظل بمنأى عن القواعد الجـــديدة التى تحكم التعامل الدولى .

من هنا يتضح أن « المتغيرات الدولية » لم تعد تجيز قصر « أطراف » نزاع ســـاخن على عدد من « الدول » فقط ، سواء كانت هذه « الدول » « أطرافا مباشرة » فى النزاع ، ام كانت « دولا اخرى » ، معنية بالنزاع بصورة أو اخرى ، كالدول العظمى ، أو كدول ذات مصلحة فى علاج النزاع على نحو أو آخر .. **بل أصبحت هـــــذه « المتغيرات » تتطلب تصميم استراتيجية لمواجهة « النزاع » ، تدخل فى الاعتبـــار شبكة واسعة ومعقدة من العوامل** ، بتاثيرات متبادلة بينها ، بعضها ذات صفة عســـكرية واخرى سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، الخ .. **والمواءمة** بينها جميعا على نحو **يركز** على **عزل وهزيمة القوى** ذات المصلحة فى منع أو عرقلة الحل « العـــادل » للنزاع ، بمقتضى ما أصبح متعارفا عليه ، ومعترفا به دوليا **كضوابط** لازالة اوجه التوتر فى العالم ، دون تفريط فى الحقوق المشروعة للشعوب ، ولا فى المقومات التى تضمن لها امنها وسلامتها وسيادتها الوطنية ، متحررة من العدوان ، ومن كل عوامل الضغط على تنميتها الاجتماعية والاقتصـــــادية وفق ارادتها الحرة المستقلة .



الدوافع والمظاهر



على الجانب الاشتراكى

كتب سمير كرم :

من السهل والمنطقى الاتفاق على أن ما يصطلح الان على تسميته بالمتغيرات الدولية - وهو واقع موضوعى جديد بغير شك - انما هو محصلة صراع بين دبلوماسيتين : دبلوماسية يتبعها كل من النظامين العالميين السائدين ، دبلوماسية يتبعها النظام الاشتراكى فى علاقاته الدولية بدوائرها المختلفة ، ودبلوماسية يتبعها النظام الرأسمالى فى علاقاته الدولية بمناطقها المختلفة أيضا .

ومن المنطقى ايضا - وان لم يمكن من السهل على البعض - الاتفاق على أن الدبلوماسية الاشتراكية لها ملامح مختلفة بصورة تكاد تكون كلية عن ملامح الدبلوماسية الرأسمالية أو الغربية - بمعنى أن الدبلوماسية التى تنتهجها دول العالم الاشتراكى دوافع وأساليب وأهداف تختلف وتتميز بوضوح عن دوافع وأساليب وأهداف دول العالم الرأسمالى ، لان كلا منهما فى النهاية يعكس مصالح طبقية معينة .

مبادىء الدبلوماسية الاشتراكية

ولا نستطيع أن نتصدى لتحليل دوافع الدبلوماسية الاشتراكية من وراء هذا الالحاح الشديد الواضح على وضع مبادىء وسياسة التعايش السلمى موضع التطبيق العملى - على النحو الذى انتج هذه « **المتغيرات الدولية** » - دون أن نعرض **لمفهوم الدبلوماسية فى العالم الاشتراكى** ، وهوبطبيعة الامور ليس وليد التجربة والخطأ أو الخبرة العملية العفوية وانما هو مبنى على اساس نظرى أيديولوجى محدد الابعاد منذ البداية .

وأول سمات الدبلوماسية الاشتراكية باعتبارها **جملة الاساليب الرامية الى تطبيق مبادىء التعايش السلمى** ، واقرارها كوسيلة للعلاقات والمعاملات الدولية – أنها ترتبط عضويا بأنشطة الدولة الاشتراكية والمجتمع الاشتراكى الداخلية . بمعنى أنها ترمى أساسا الى حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية . وأنها فى الوقت نفسه تعكس مدى التطور الذى حققه المجتمع الاشتراكى فى مواجهة هذه المشكلات .

والدبلوماسية بهذا المفهوم نمط جديد فى العلاقات الدولية ، لم يعرف قبل نشأة أول دولة اشتراكية فى العالم . فهى تقوم على :

١ – **النظرة الدولية** (أى النظرة التى لا تحدها حدود المصالح القومية والوطنية المباشرة) .

٢ – **التزام مبادىء معينة** وليس على المرونة المطلقة والتلون طبقا للاحتياجات والمواقف الوقتية .

٣ – **الدفاع عن المصالح الطبقية** للمجتمعات الاشتراكية فى صراعها ضد المصالح الطبقية للمجتمعات التى يسيطر عليها النظام الرأسمالى سواء داخل أوطانه أو خارجها . أى سواء داخل الدول الرأسمالية نفسها أو الدول التى تقع تحت طائلة استغلال الرأسمالية الاجنبية بها . أى البلاد التى يسودها الصراع بين حركة التحرر الوطنى والامبريالية .

٤ – **العلنية الكاملة** فى الوسائل والاهداف . ولعل هذه الميزة قد صاحبت الدبلوماسية الاشتراكية – كما هو معروف منذ الساعات الاولى لاعلان الجمهورية السوفيتية . وقد التزم الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى برفض فرض أى قدر من السرية على اتصالاتها ومعاهداتها وتعاقداتها ، سواء فيما بينها ، أو بين دول العالم الرأسمالى .

وهذه الاسس التى تقوم عليها الدبلوماسية الاشتراكية هى التى حددت الاشكال والوسائل الجديدة لادارة الشئون الدبلوماسية للدول الاشتراكية ، ابتداء من البيانات والنداءات الموجهة الى شعوب العالم ، والى الرأى العام فى العالم ، أو فى دول معينة ، حتى محادثات القمة على المستوى الرسمى بين الدول .

ومع وضع هذا المفهوم للدبلوماسية الاشتراكية ، فى اطار أهداف السياسة الخارجية لدول النظام الاشتراكى ،نجد صورة ما يطلق عليه فى الاتحاد السوفيتى اسم « **استراتيجية السلام** » أو « **هجوم السلام** » . وهى تسمية ليست عشوائية – برغم ما قد يبدو فى ظاهرها من تناقض . فقد كان اصطلاح **الاستراتيجية** دائما احتكارا لنظريات الحرب طوال مئات بل آلاف السنين . وحتى عندما كان « **الاستراتيجيون** » يفكرون فى السلام ، فانهم كانوا يفكرون فيه استجابة لحاجة لفترة استعداد ، أو التقاط للانفاس قبل وضع استراتيجية حرب جديدة موضع التنفيذ .

معنى استراتيجية السلام

فماذا تعنى « استراتيجية السلام » وما هى اهدافها ؟

ويمكننا أن نجيب ببساطة بأن « استراتيجية السلام » التى اقرها المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى (مارس – ابريل ١٩٧١) لم تكن اكثر من برنامج لتكثيف الجهود **لوضع سياسة التعايش السلمى ومبادىء التعايش . المعلنة منذ اليوم الاول لقيام الاتحاد السوفيتى – موضع التنفيذ** . على اساس أن **الظروف الموضوعية السائدة فى العالم مواتية لفرض هذه السياسة على العالم الامبريالى الرأسمالى** الذى ظل يرفضها ويقاومها عندما كان يحس أنه فى مركز قوة متفوق – وعندما كان لا يزال يساوره الامل فى تدمير النظام الاشتراكى من أساسه أو على الاقل – بعد ذلك – تطويقه وعزله وضربه من الداخل .

ذلك أن التحليل الذى توصل اليه الحزب الشيوعى السوفيتى للموقف الراهن فى العالم انتهى الى :

١ – **أن الازمة العامة للرأسمالية تتعمق** ، فحتى أكثر الدول الرأسمالية تطورا لا تخلو من الهزات الاقتصادية الكبيرة . . واتسمت السنوات الاخيرة أيضا بأزمة كبيرة فى النظام النقدى والمالى للرأسمالية وأصبح التضخم المالى والبطالة فى آن واحد ظاهرة دائمة .

٢ – **أن عمليات التكامل ومصالح الامبرياليين الطبقية فى توحيد الجهود ضد الاشتراكية العالمية لم تفض الى ازالة التناقضات بين الدول الامبريالية** . وعند بداية السبعينات تبلورت بوضوح مراكز التنافس الامبريالى الاساسية ، وهى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان ، ويجرى بينها صراع تنافس اقتصادى وسياسى متزايد الحدة والعنف .

٣ – أن **قوة العالم الاشتراكى العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية تزداد** على نحو كان من الطبيعى أن يغير تماما مخططات المعسكر

الامبريالى التى ظلت تحلم على مدى السنوات الخمسين الماضية بالانقضاض على النظام الاشتراكى والقضاء عليه ، وقد انعكست قوة العالم الاشتراكى العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية فى ازدياد نفوذه على المسرح الدولى بحيث لم يعد بامكان المعسكر الرأسمالى أن ينفرد بفرض الحلول فى العلاقات والمشكلات الدولية بما يحقق مصالحه الاستغلالية والعدوانية .

ويمكننا أن نعتبر أن أحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، **ربما كانت آخر محاولة أدركت بعدها الامبريالية استحالة المضى فى خطط مواجهة المعسكر الاشتراكى بالقوة أو بأسلوب الغزو من الداخل** . فان تحرك قوات الاتحاد السوفيتى وقوات حلف وارسو واحباط مخطط الغزو الخطير ، الذى رتبت له دول الغرب لسنوات عديدة ، قد برهن على أن الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية لا يمكن أن تهادن اذا كان النظام الاشتراكى نفسه مهددا فى أحد هذه الدول .

٤ ـ **ان دور حركات التحرر الوطنى فى مواجهة الامبريالية تعاظم** حتى مع ازدياد ميل المعسكر الرأسمالى الى اللجوء للقوة (كما حدث فى الشرق الاوسط وقبله فى فيتنام) وفشل الامبريالية فى تحقيق أهداف السيطرة على الشعوب بالقوة العسكرية .

٥ ـ **أن تطورا قد طرأ على قوة القوى الثورية داخل المعسكر الرأسمالى نفسه** ، وخاصة قوة الطبقة العاملة فى العمل ضد الامبريالية والنظام الرأسمالى .

٦ ـ **أن النضال فى سبيل التحرر الوطنى فى كثير من البلدان بدأ يتحول عمليا الى نضال ضد العلاقات الاستغلالية الاقطاعية والرأسمالية على السواء** . وازدياد عدد وقوة دول العالم الثالث التى تنتهج الطريق غير الرأسمالى الى التنمية ، موجهة فى هذا الطريق ضربات قوية ضد الاحتكارات الامبريالية عن طريق التأميم .

الصـــورة بوجهيهـــا

والواقع أن الفترة التى مضت منذ انعقاد المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، تشهد على صحة هذا التحليل . فقد شهدت هذه الفترة عددا من **التطورات المؤكدة لازدياد ضعف المعسكر الامبريالى وازدياد قوة المعسكر الاشتراكى ، وجبهة حركة التحرر الوطنى** .

ويمكننا ايجاز هذه التطورات فى النقاط التالية:

ـ **تفاقم أزمة النظام النقدى الغربى** ، وتوالى الازمات المالية على دول الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة التى عجزت مع مرور الاعوام عن سد العجز فى ميزان مدفوعاتها .

● **اشتداد حدة التناقضات بين المراكز الكبرى فى العالم الرأسمالى** ، وخاصة بين الولايات المتحدة واليابان ، وبينها وبين أوروبا الغربية التى تكتلت على نطاق أوسع فى السوق الاوروبية المشتركة .

● **انتصار الشعب الفيتنامى** فى نضاله ضد العدوان العسكرى الامريكى ، وتوقيع اتفاق السلام الذى أسفر ـ فى أهم جوانبه ـ عن انسحاب جميع القوات الامريكية من فيتنام .

● **خروج ألمانيا الغربية ـ بسياسة الانفتاح على الشرق ـ الى آفاق الاعتراف بالامر الواقع** بتوقيع اتفاقيات التعاون وحسن الجوار مع الاتحاد السوفيتى وبولندا ، وأخيرا مع تشيكوسلوفاكيا . ثم توقيع المعاهدة المنظمة للعلاقات بين المانيا الغربية وجمهورية المانيا الديمقراطية ، وهى المعاهدة التى قدمت اعترافا مباشرا بوجود دولتين المانيتين . ولا شك أن موقف المانيا الغربية هذا ليس وليد مجرد تساهل مستشارها **فيلى برانت** وانما هو موضوعيا وليد ازدياد قوة المانيا الديمقراطية واستقرار نظامها الاشتراكى وتدعم دورها ومكانتها الدولية . **وهكذا فان بون تكون قد غيرت موقفها بزاوية ١٨٠ درجة بالنسبة لهذه المسألة** التى ظلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تلزم فيها مواقع دجماطيقية جامدة بتأييد ودعم من الولايات المتحدة والمعسكر الامبريالى كله .

● **انتصار الحركة الاستقلالية لبنجلاديش** باعتبارها حركة تحرر وطنى وقفت الدول الاشتراكية وراءها فى مساندة واضحة بكافة السبل حتى قامت جمهورية بنجلاديش برغم معارضة الولايات المتحدة ومحاولاتها للتلويح باستخدام أسطولها السابع ، وبرغم تحالف الصين معها فى موقف دبلوماسى ودعائى واحد ضد الهند وحركة استقلال بنجلاديش .

● **صمود حركة التحرر الوطنى العربية** ضد كل محاولات اجبارها على التسليم لاسرائيل عن طريق المفاوضات المباشرة وضد تهديدات الامبريالية الامريكية ومواقفها المتعنتة الى جانب التوسعية الصهيونية ونجاح مصر بشكل خاص ـ بتأييد من العالم الاشتراكى ـ فى عزل اسرائيل عن الرأى العام العالمى الذى كان قد اعتاد على مدى السنوات الماضية على تأييد الاسرائيليين على طول الخط ودون تمحيص .

● استقرار وازدياد قوة النظام الاشتراكي في كوبا وبزوغه في كل من شيلي وبيرو وانتصار القوى البيرونية كقوى تقدمية مناهضة للامبريالية في الارجنتين ، مما جعل الامبريالية الامريكية تواجه موقفا جديدا تماما في أمريكا اللاتينية لا تستطيع فيه فرض ارادتها على شعوب القارة .

استراتيجية السلام

أهدافها وبرنامجها

هذه هي - اذن - الصورة التي بدأ فيها الاتحاد السوفيتي تنفيذ حملته المكثفة لفرض مبادىء التعايش السلمي ووضعها موضع التطبيق ، في اطار استراتيجيةهجومية السلام » . وفي ظل هذه الظروف الموضوعية ، عملالاتحاد السوفيتي على تنمية علاقاته مع الدول الرأسمالية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة . فلم يكن ذلك اذن من مركز ضعف أو بحسابات تراجع ، وانما كان اختيارا للخطة المناسبة لاجبار الامبريالية على احترام سياسة التعايش السلمي وقبولها أساسا للعلاقات الدولية . وعندما اعلن الاتحاد السوفيتي استراتيجية السلام امام المؤتمر الرابع والعشرين لحزبه كان هذا ما قاله بالتحديد :

« **اننا لنعلن بشعور كامل بالمسئولية : لا توجد لنا أية مطالبإقليمية من أحد ، ولسنا نهدد احدا ، ولا نريد أن نهاجم أحدا ، بل اننا نؤيد التطور الحر والمستقل لجميع الشعوب . ولكننا لن نسمح لاحد بأن يحدثنا بلغة الانذارات والقوة ، أن لدينا كل ما هو ضروري : سياسة السلام الحقيقية والقدرة العسكرية** ... »

فما هي الاهداف التي حددتها استراتيجية السلام كواجبات أساسية ؟

اولا - ا - القضاء على بؤرتي الحرب في جنوب شرق آسيا وفي الشرق الاوسط ، والمساعدة في تحقيق التسوية السياسية في المنطقتين على أساس احترام الحقوق المشروعة للدول والشعوب التي تعرضت للعدوان .

ب - الردع الفوري الحازم لكل عمل من أعمال العدوان والتعسف الدولي ، ويجب لاجل هذا الاستفادة بشكل تام من امكانيات الامم المتحدة ايضا .

ج - **ان الامتناع عن استخدام القوة والتهديد باستخدامها** لحل المسائل المتنازع عليها يجب أن يصبح قانونا للحياة الدولية .

ثانيا - ا - الانطلاق من الاعتراف النهائي بالتغييرات الاقليمية التي حدثت في اوربا نتيجة للحرب العالمية الثانية .. ضمان عقد المؤتمر الاوروبي العام ونجاحه .

ب - بذل كل شيء لضمان الامن الجماعي في أوروبا .

ثالثا - ا - عقد معاهدات لحظر الاسلحة النووية والكيميائية والبكتريولوجيه .

ب - العمل لوقف تجارب السلاح النووي في كل مكان ومن قبل الجميع .

ج - الاسهام في انشاء مناطق لا ذرية في انحاء مختلفة من العالم .

د - تأييد نزع السلاح النووي لجميع الدول التي تملكه ..

رابعا - ا - تنشيط النضال من أجل وقف سباق التسلح بجميع أنواعه ..

ب - تأييد تصفية القواعد العسكرية الاجنبية وخفض القوات المسلحة والاسلحة في المناطق التي فيها المواجهة الحربية خطرة بشكل خاص ..

ج - وضع تدابير تقلل من احتمال نشوء الحوادث الحربية بالمصادفة او تدبيرها عن عمد وتحولها الى أزمات دولية ثم الى حرب .

خامسا : يجب أن تنفذ كليا كل قرارات الامم المتحدة الخاصة بتصفية ما تبقى من الانظمة الاستعمارية .

سادسا - الاستعداد لتعميق علاقات التعاون المتبادل النفع في كل الميادين مع الدول التي تطمح **بدورها في ذلك** ، والاشتراك مع الدول الاخرى في حل قضايا صيانة البيئة الطبيعية واستثمار موارد الطاقة .. وتصفية أخطر الامراض .. ودراسة وغزو الفضاء الكوني والمحيط العالمي .

وقد تأكد في ختام هذا البرنامج بشكل صريح : « **اننا نعلن أن الاتحاد السوفيتي - اذ ينهج بثبات سياسة السلام والصداقة بين الشعوب - سيظل يناضل نضالا حازما ضد الامبريالية ، ويرد بحزم على دسائس المعتدين وأعمالهم التخريبية . وسنظل كسابق عهدنا نؤيد باستمرار نضال الشعوب من أجل الديمقراطية والتحرر الوطني والاشتراكية** » .

والحقيقة أن هذا التأكيد قد ظل قائما بعد اجتماعي القمة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة (في موسكو - مايو ١٩٧٢ ، وفي واشنطن - يونيو ١٩٧٣) . وبهذا المعنى نفسه وجه الاتحاد السوفيتي نداء الى الدول الاشتراكية الحليفة له بأن تلتزم الحذر واليقظة من « **التأثيرات الغربية الهدامة حتى وهي تسعى لتحسين علاقاتها مع الغرب** » .

وقالت صحيفة برافدا فى مقال طويل على ثلاث صفحات كاملة (يوم ٧ أغسطس الماضى) :

« ان الرجعية الامبريالية سوف تحاول وهى تحاول بالفعل اضعاف وحدة الدول الاشتراكية .. للتأثير ، على نحو مفيد لها ، على الخط السياسى والطابع العام لتقدم هذه الدولة الاشتراكية أو تلك . ولهذه الاغراض فانها تستخدم الاتصالات السياسية والوسائل الاقتصادية والاشكال المختلفة للتدخل الايديولوجى . ان الامبرياليون يركزون الان على الدعاية التى لا تعطى فى مظهرها دليلا على العداء الصريح ، ولكنها هدامة فى جوهرها » .

استمرار الصراع على جبهات أخرى

والواقع ان هذا التحذير ليس مجرد حملة اعتراضية وسط فصل الاتفاقيات الجديدة بين الشرق والغرب . وانما هو يعكس وعى الدول الاشتراكية بأن كل هذه الاتفاقيات والاسلوب الذى تتم به ــ سواء كانت اتفاقيات للتعاون الاقتصادى أو التكنولوجى أو اتفاقيات للحد من الاسلحة الاستراتيجية ــ **لم تغير من طبيعة الامبريالية واهدافها ، وبالتالى لم تلغ الصراع القائم بينها وبين النظام الاشتراكى ككل فى العالم** .

فالذى نجح فيه العالم الاشتراكى من خلال هذه المتغيرات هو أنه فرض على النظام الامبريالى والرأسمالى اسلوب الصراع السلمى وسحب من تحت اقدامه بساط اسلوب الصراع العسكرى بأن أكد له استحالته (بسبب التوازن النووى) وفشله (بسبب هزائم الامبريالية فى كل الحروب التقليدية أو المحدودة التى خاضتها ضد العالم الاشتراكى ابتداء من الحرب الكورية حتى الحرب الفيتنامية التى وضعت فيها الامبريالية الامريكية كل قوتها وامكانياتها الحربية دون أن تتمكن من تحقيق أى هدف ايجابى يمكن أن تكون قد حاربت من أجله) .

الصراع اذن ينتقل ــ بتطبيق مبادىء التعايش السلمى ــ **الى مرحلة جديدة يأخذ فيها شكل الصراع الايديولوجى أساسا** . تهدف الدول الاشتراكية خلال هذا الصراع الى اعمال قوانين المنافسة السلمية ، الاقتصادية والعلمية والايديولوجية أيضا ، وترمى دول المعسكر الامبريالى الى استخدام السلاح الايديولوجى للتخريب الداخلى . فالصراع اذن مستمر ولكن بالاسلوب الذى أراده العالم الاشتراكى دائما وليس بالاسلوب الذى أراده **واستخدمه قبل ذلك** المعسكر الامبريالى .

والامر **المفهوم** بوضوح فى السياسة الخارجية للعالم الاشتراكى ــ فى علاقاته مع ١ ــ العالم الرأسمالى ، ٢ ــ حركة التحرر الوطنى العالمية ــ **أن التعايش السلمى هو مبدأ للعلاقات بين الدول ولا يمتد الى العلاقات بين المستغلين والمستغلين ، بين الشعوب المقهورة وقاهريها** . ومن ثم فان التعايش السلمى يهدف فى الاساس الى خلق ظروف اكثر مواءمة لتطور العملية الثورية فى العالم بوجهيها : ثورة التحرر الوطنى وثورة التحرر الاجتماعى .

حقيقة « الاستثمارات » الغربية

ولا يخفى أن كثيرين فى الغرب يميلون الى اعتبار أى خطوة تتخذها دولة اشتراكية نحو تحسين العلاقات مع الدول الرأسمالية على أنها مظهر ضعف ، وانها « تحول » أو « انحراف » عن الاشتراكية ومفاهيمها الرئيسية ، أى أنها رغبة من هذه الدولة الاشتراكية للقيام بدور « جسر للتقارب بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية ، أو بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى » .

ولهذا يسود الاعتقاد لدى البعض بأن الاتفاقات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية والرأسمالية ، وخاصة الاتفاقات الاخيرة التى عقدت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بشأن استثمارات فى مشروعات معينة فى الاتحاد السوفيتى ، مثل مشروعات البترول فى سيبيريا ــ هى نوع من التراجع عن المواقف الاشتراكية التقليدية .

والواقع أن هذا سؤال جدير بأن يجد اجابة واضحة عليه . **ما هى حقيقة الاستثمارات الرأسمالية التى اتفق عليها فى الاتحاد السوفيتى ، وهل هى تعنى خلق جيوب رأسمالية فى الدولة الاشتراكية ، وفتح الاقتصاد الاشتراكى للرأسمالية الغربية لتكوين الارباح فيه واستغلال عمال الدول الاشتراكية ؟**

ان اتفاقات الاستثمارات تتم فى اطار سياسة التعاون الاقتصادى لا تمس النظام الاقتصادى الاشتراكى ولا تسمح بأى استغلال لا للثروات الطبيعية ولا للقوى البشرية العاملة فى هذه المشروعات ، حتى ولو كانت قوى عمالية أجنبية مستخدمة فيه فى صورة فنيين . **ان الدولة**

الاشتراكية تحصل على رؤوس أموال لاقامة مشروعات ضخمة فيها محتفظة بملكيتها للمنشآت والمواد الخام المستخدمة ، ولا تتعدى رؤوس الاموال هذه أن تكون قروضا تسدد قيمتها ـ وفوائدها التى يتفق عليها ـ من انتاج المشروع نفسه .

إن المؤسسات الرأسمالية الامريكية عندما تستثمر اموالها فى دولة من دول امريكا اللاتينية مثلا تحتفظ بملكية المشروعات التى تنشئها . فهى مثلا تملك شركات البترول فى فنزويلا ملكية كاملة ، سواء فى ذلك رؤوس الاموال أو المنشآت أو المستخرج من البترول ، وتقدم مقابل ذلك نسبة محدودة من عوائد الانتاج للدولة التى أعطتها هذا الامتياز . وكانت الشركات الامريكية تملك بنفس المعنى مناجم النحاس وشركات التعدين فى شيلى فى ظل الحكومة الرأسمالية ، وقبل أن تؤممها الحكومة الاشتراكية .

أما وضع استثمارات فى مشروع ضخم على غرار الاستثمارات التى وضعت فى السد العالى ـ فانها لا تمثل استغلالا رأسماليا ولا ملكية رأسمالية . وهذا هو شأن المشروعات التى وقعت اتفاقات الاستثمارات الامريكية (أو غيرها من الاستثمارات الغربية) فى الاتحاد السوفيتى . أنها ملكية للشعب السوفيتى تخضع لقوانين الدولة الاشتراكية ولا تتعرض لاى قدر من الاستغلال . كما أن هذه المشروعات لا تحمل اى شبهة تكوين رأسمالية روسية جديدة . فلا يمكن القول بأن هذه الاستثمارات تمهد لعودة على الطريق الرأسمالى .

تدعيم الاقتصاد الاشتراكى

وربما يكون منشأ التصور عن عودة الرأسمالية اعتقاد خاطىء بأن المركز السياسى والاقتصادى للعالم الاشتراكى قد ضعف ولم يقو خلال السنوات الماضية بالنسبة للعالم الرأسمالى . والحقيقة أن **نسبة الانتاج الصناعى للعالم الاشتراكى الى الانتاج الصناعى العالمى كله قد ارتفعت من ٣ فى المائة فى عام ١٩١٩ الى ١٠ فى المائة عام ١٩٣٧ الى ٢٧ فى المائة عام ١٩٥٥ الى ٣٩ فى المائة عام ١٩٦٩ . وفى** الوقت نفسه فان نسبة الانتاج الصناعى للعالم الرأسمالى الى الانتاج الصناعى العالمى انخفضت من ٩٧ فى المائة عام ١٩١٩ الى ٩٠ فى المائة عام ١٩٣٧ ومرة أخرى الى ٧٣ فى المائة عام ١٩٥٥ ومرة رابعة الى ٦١ فى المائة عام ١٩٦٩ .

وقد جاء فى آخر كتاب احصائى سنوى للامم المتحدة أن الانتاج الصناعى العالمى زاد خلال الفترة من ١٩٦٣ الى ١٩٧١ بنسبة ٦٦ فى المائة ، بينما زاد الانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفيتى خلال الفترة نفسها بنسبة ١٨٩ فى المائة مقابل ١٣٩ فى المائة فى الولايات المتحدة و ١٢٥ فى المائة فى بريطانيا و ١٥٧ فى المائة فى المانيا الغربية .

واذا كانت هذه الاحصاءات تنطق بشىء فهو أن النظام الاشتراكى اثبت أن الاتجاه الرئيسى فى النمو الاقتصادى فى القرن العشرين هو نمو الاشتراكية .

وقد يثار التساؤل عما اذا كان فتح أسواق العالم الاشتراكى امام رؤوس الاموال الغربية وأمام تجارة العالم الرأسمالى لا ينطوى على مساعدة للامبريالية وهى تواجه أزمات حادة ، مثل التضخم وتدهور مركز الدولار الامريكى .

الواقع لابد من التفريق ـ هنا ـ بين الازمات الوقتية التى تواجهها الدول الرأسمالية ـ كتلك التى أشرنا اليها ـ وبين الازمة العامة للرأسمالية والنظام الرأسمالى ، وهى شىء أعم وأعمق من الازمات الطارئة . ان الدول الاشتراكية فى اطار سياسة التعايش السلمى تسعى لفائدة متبادلة عن طريق الاتفاقات التجارية والاقتصادية مع دول الغرب ، وقد يساعد هذا فى حل الازمات المؤقتة فى العالم الرأسمالى ، ولكنه على المدى الطويل لا يساعد النظام الرأسمالى العالمى فى أزمته العامة ، بل انه على المدى الطويل يضعفه فى مواجهة القوة الاقتصادية للعالم الاشتراكى الذى يمكنه التخطيط الشامل من الاستفادة الكاملة من التعاون الاقتصادى مع العالم الرأسمالى .

أن هذا التعاون لا يتم على اساس تبعية أو خضوع . فالدول الاشتراكية مستقلة اقتصاديا وسياسيا عن العالم الرأسمالى ، وتظهر فى السوق العالمية كشريك مساو ، له مصلحة مساوية ، فى جنى الفوائد الاقتصادية من التبادل . وتنمية هذا التعاون انما تهدف ـ وتحقق فعلا ـ فرصة أكبر للدول الاشتراكية لدفع نموها الاقتصادى وتطوير صناعاتها ومعداتها التكنولوجية . وهذا التقدم يستخدم بطبيعة الحال فى الدول الاشتراكية فى دعم عملية « **خلق الاساس المادى** » للاشتراكية ، وتطوير الاشتراكية . وفضلا عن ذلك فان الدول الرأسمالية ـ بحكم قوانين اقتصادها نفسه ـ تتنافس فيما بينها على أسواق العالم الاشتراكى ـ سواء للصادرات أو الواردات ـ وهى منافسة تخدم الدول الاشتراكية بالدرجة الاولى .

ان احتمالات السلام فى العالم ـ التى تعتمد بغير شك على العلاقات بين النظامين العالميين القائمين ـ ليست مرهونة بمجرد « نوايا » طيبة أو سيئة لدى المعسكر الامبريالى ، وانما ـ وهذا ما يمليه منطق التفكير العالمى الموضوعى السليم ـ على الموقف التاريخى المحدد وحقيقة قوة كل من النظامين . ولهذا فلا يمكن اعتبار « المتغيرات الدولية » التى تبدو فى لقاءات القمة والاتفاقات التى تسفر عنها فى المجالات المختلفة بمثابة نتيجة لجهد مشترك من جانب هذين الطرفين سعيا نحو السلام ، وانما هى فى الحقيقة انتصار لسياسة انتهجها أحدهما ودعا اليها منذ البداية ، وانتكاسة لسياسة انتهجها الطرف الآخر وجرب وسائل عديدة لفرضها دون جدوى .

ولعل من الجدير بالملاحظة أن العالم الاشتراكى استطاع أن يحقق هذه النتائج مع وجود الانقسام الخطير الذى تمثله الحالة الراهنة للعلاقات السوفيتية الصينية ، ورغم كل محاولات الولايات المتحدة لاستغلال هذا الانقسام لصالحها .

ان « استراتيجية السلام » تهدف فى مجموعها ـ وفى مجالات تطبيقها المختلفة الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية ـ الى شل قوى العدوان فى العالم تدريجيا لخلق ظروف افضل لسياسة خارجية ملائمة لصراع الشعوب من أجل الحرية والاستقلال ، وأيضا من أجل التقدم الاجتماعى .



التعايش ومفهومه على الجانب الرأسمالى

كتب كمال السيد :

القدرة على تحديد المتغير الاساسى فى حركة الاحداث وهو التغيير الذى يحكم المتغيرات القادمة ويتوقف عليه تأثيرها وفاعليتها ، ضمان لا غناء عنه للوصول الى المعالجة السليمة والتعامل الرشيد مع هذه الاحداث فى مجموعها ، أو مع كل حدث منها على حدة . والتحليل الدقيق للمتغيرات الدوليه . يوضح ان أهمها جميعا فى الاونة الاخيرة ، هو القبول المتزايد نسبيا من جانب حكومات الدول الامبريالية الرأسمالية لسياسة التعايش السلمى ، أسلوبا لتحقيق اهدافها . نفس اهدافها التى جربت كل الطرق والوسائل الاخرى للوصول اليها ، واهمها الطرق العسكرية . وثبت فشلها لاسباب موضوعية ، الامر الذى عبر عنه ببلاغة صحفى فرنسى بقوله « ان الديمقراطية (يقصد الرأسمالية) تموت لانها اهتمت فقط بالاعداد للحرب الذرية . انها تموت لانها ترفض الاستجابة للحرب السياسية التى تشن ضدها فى الخمسة عشر عاما الاخيرة ، التى اخذ فيها العالم الحر يفقد مواقعه واحدا بعد الاخر ، لابسبب نقص الصواريخ فى ترسانته ، وانما لعدم كفاءته فى ادارة الحرب السياسية »

والواقع ان الرضاء اخيرا بالتعايش السلمى، بل والسعى اليه من جانب الدول الامبريالية ، يدل على حنكة ودهاء لايجب ان نسىء تقديرهما ، ان تنبع قدرة ومن ثم خطورة مخططى السياسة الاستعمارية الجديدة وواضعى استراتيجيتها ، من تفوقهم فعلا فى ادراك حقائق العصر ، وملاحظة التغيرات فى حركة الاحداث (فور حدوثها احيانا) والانطلاق منها فى رسم خطط تحقق اهدافهم وتحديد الوسائل الاكثر فاعلية لبلوغها .

وتتجلى هذه القدرة بصورة رائعة فى قصة العلاقات بين الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وفى الموقف من سياسة التعايش السلمى ـ أساسا بين

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . « فالتكيف مع الحقائق » الذي يبذل نيكسون كل جهده للترويج له ، وسياسة « اقامة الكباري » التي بشربها سلفه جونسون ، لا يعني ابدا التسليم بالامر الواقع ، وانما الانطلاق منه لتحقيق نفس الاغراض التي قصرت الوسائل الاخرى عن تحقيقها . ان سعي الرئيس نيكسون لكي يدعوه الصينيون لزيارة بلادهم ، وتلهفه على تبادل الزيارات مع القادة السوفيت ، لا يدل ابدا على أنه أصبح متيما بالتجربة الصينية ، او انه مغرم بالنظام السوفيتي أو انه فقد ايمانه بتفوق واحقية النظام الراسمالي وضرورة السعي لضمان سيطرته وخلوده (١) .

ان سياسة الولايات المتحدة في تكثيف التعاون الاقتصادي مع المعسكر الاشتراكي ، وسعي المانيا الاتحادية للتسويات السياسية مع دول اوربا الشرقية ، وجهود فرنسا لتدعيم علاقاتها مع السوفيت ومباراة اليابان لكل هؤلاء في عرض الاستثمارات على السوفيت وعلى فيتنام ، بل وسعي ايطاليا للمشاركة في هذا — كل ذلك لا يدل على ان الاهداف والاختيارات الاساسية لهذه الدول في الداخل او الخارج قد تغيرت ، هذه الاختيارات التي تنطلق أساسا من هدف تحقيق اقصى ربح للمشروع الخاص على المستويين المحلي والعالمي .

ان « المباراة الاقتصادية » سواء اتخذت اسم « التعاون الاقتصادي » أو « الحرب الاقتصادية » هي الاسلوب الذي آمنت الدول الرأسمالية اخيرا بانه اقدر على تحقيق اهدافها ، التي لم تتغير مطلقا — وهي رواج وازدهار المشروع الرأسمالي الفردي . وتوهم ان الدول الرأسمالية بقبول سياسة التعايش السلمي قد عدلت او غيرت اهدافها الاساسية ، يدخل تحت باب السذاجة بل الغفلة ، لانها لو فعلت ذلك لفقدت طبيعتها وصفتها الرأسمالية ، وحينذاك لما كانت هناك قضية تعايش سلمي اصلا .

ان الهدف لم يتغير ، وانما الاسلوب هو الذي تبدل . فالتعايش السلمي الذي كان بول هنري سباك سكرتير حلف الاطلنطي يعتبره مؤامرة شيوعية خطيرة ، وكذلك كان سير أليك دوجلاس هيوم رئيس وزراء بريطانيا السابق يراه مناورة شيوعية مدمرة ، قد غدا أسلوبا معترفا به من جانب الدول الرأسمالية ، وفي المحل الاول الولايات المتحدة ، للتعامل مع النظم المعادية للرأسمالية ، وفي المحل الاول النظام الاشتراكي ، وبالتحديد مع الاتحاد السوفيتي بعد أن رفضته طوال ما يزيد عن نصف قرن .

ففي أوائل القرن عندما نضج الوضع الثوري لاحداث تحويل اشتراكي في روسيا ، أجمع القادة السياسيون للدول الرأسمالية والمفكرون المطريون فيها على استحالة اقامة نظام اشتراكي ، وان ذلك يدخل تحت باب الهلوسة والاحلام الطوباوية . وعندما حدث المستحيل وقامت دولة اشتراكية ، وصفوها بأنها مغامرة قصيرة الاجل ، وأكدت النيويورك تايمز الامريكية أنها تجربة لن تنجح وقالت انها فشلت فعلا . وفي فرنسا اعلنوا بكل الثقة « ان وصول البلاشفة الى السلطة لا أساس له ، وان اول يوم في انتصارهم النهائي ، هو أول يوم لسقوطهم السريع . وان افضل طريقة في التخلص من البلشفية لسنوات طويلة قادمة ، هو تسليم مصير البلاد لقادتها » .

لقد كان ايمان قادة الرأسمالية في هذه الفترة بأن تعايش النظامين مؤقت ، ايمان لا يتزعزع . هذا من الناحية الدعائية والسياسية . أما من الناحية العملية ، فقد أكدت أعمالهم أنهم يؤمنون بأن التعايش مستحيل ويجب الانتهاء منه سريعا ، لهذا دبروا حروب التدخل التي شاركت فيها جميع الدول الرأسمالية الاستعمارية مع بقايا النظام القديم .

وبعد أن أثبت النظام الجديد قدرته على الصمود في وجه محاولات الاطاحة به ، انتقل العمل ضده من الميدان السياسي الى الميدان الاقتصادي ، خاصة وانه بدأ خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية . وتوالت عمليات الحصار الاقتصادي والمقاطعة التجارية والضغط بالديون ورفض توريد الخبرات التكنيكية رغم اعلان لينين في حديثه مع الصحفي الامريكي كارل ويجند :

« ليدعنا الرأسماليون الامريكيون وشأننا . ونحن لن نتعرض لهم . بل اننا على استعداد لان ندفع لهم بالذهب مقابل أي آلات وأدوات .. الخ ، نافعة لمواصلاتنا وصناعاتنا . لسنا فقط على

(١) يدخل في هذه التطورات ايضا اتفاق بون وكل من موسكو ووارسو حول الحدود والاتفاق حول برلين ومباحثات توحيد كوريا ، والمعاهدة بين دولتي المانيا ، ومؤتمر الامن الاوروبي ، واتفاق فيتنام .

استعداد لان ندفع لهم بالذهب ، بل وبالمواد الخام أيضا » (٢) ، بل ولقد مضى لينين الى أبعد من ذلك ، فقد أكد :

« يسألوننى عادة عما اذا كان هؤلاء الامريكيون المعارضون للحرب ضد روسيا - ليس فقط العمال وانما البرجوازيون أساسا - على صواب عندما يتوقعون منا بعد توقيع اتفاق السلام، ليس فقط اعادة العلاقات التجارية فحسب ، وانما أيضا امكانية الحصول على امتيازات فى روسيا . وأكرر مرة أخرى أنهم على حق فى ذلك . ان منح امتيازات بشروط معقولة أمر نرغبه ، باعتباره وسيلة لكى نجذب الى روسيا **خلال فترة تعايش الدول الاشتراكية والرأسمالية جنبا الى جنب** ، المساعدات التكنيكية من البلاد الاكثر تقدما فى هذا الصدد » (٣) . ولكن الدول الرأسمالية أصرت على أن الاقتصاد سيكون هو « كعب أخيل » الذى يمكن منه اصابة النظام الاشتراكى فى مقتل ، وبذلت صحافتها وأيديولوجيوها كل جهودهم للتقليل من قيمة البناء الاشتراكى . **وفى تلك الفترة كان التعايش - أيضا - أمرا موقوتا لدى القادة الاستعماريين و « الحرب الاقتصادية » هى أساسا وسيلة الانتهاء منه بالقضاء على الدولة الجديدة .**

لكن « **الانتصار الاقتصادى** » لاول بلد اشتراكى بعد « **الانتصار السياسى** » ، وتحقيقه لمعدلات نمو قياسية لا يمكن انكارها ، دفع اعداءه الى الترويج لمقولة أن روسيا « **حالة خاصة** » لن تتكرر ، اذ تضافرت فيها عوامل تاريخية جعلت الاشتراكية تحقق فيها نتائج كبيرة ، ولكنها - فى رأيهم - تجربة محدودة فى الزمان وفى المكان ، وان مصيرها الى زوال . لقد تنبأوا بانبعاث الرأسمالية - مرة أخرى - بعد بلوغ مرحلة معينة من النمو الاقتصادى . لقد صوروا الاشتراكية على أنها « **قضية روسية** » بهدفين :

● محاولة تعبئة الاتجاهات الوطنية والقومية فى البلدان الاخرى ضد الاشتراكية باعتبارها شيئا أجنبيا غريبا .

● محاولة تصوير حركة القوى الساعية نحو بناء الاشتراكية فى الدول الاخرى ، على أنها تعمل بايعاز من تجربة أخرى وليس لتقديم حل أمثل من وجهة نظرها لمشاكل مجتمعاتها .

التعايش مع المحاصرة

وفى هذه الفترة رضى القادة الرأسماليون بمعايشة الخطر الاشتراكى مؤقتا شرط محاصرته فى بلد واحد . ولكنهم لم يستبعدوا نهائيا تجربة القوة المسلحة للانتهاء منه . فقد استغلوا من جديد صعود النازية فى ألمانيا ومغامرتها ضد الاتحاد السوفيتى ، الذى استطاع أن يصمد مرة أخرى للتدخل الخارجى ، بل وأن يلعب الدور الرئيسى فى هزيمة الفاشية ودفع خطرها . ثم طور قواته العسكرية والنووية والصاروخية حتى بات العدوان عليه مغامرة نتيجتها مؤكدة وهى اصابة المعتدى بضربات مميتة لا شفاء منها .

وأعقب الحرب الثانية امتداد نطاق المعسكر الاشتراكى ليشمل ثلث البشرية وتحوله الى نظام عالمى . ليس هذا فقط بل تأكدت فى الوقت نفسه حقيقتان :

● ثبوت تفوق الاشتراكية كنظام اقتصادى اجتماعى استطاع الانتقال ببلاد كانت متخلفة ، الى الصف الاول من الدول الصناعية المتقدمة .

● تكشف مثالب الرأسمالية وعيوبها ، واحتدام ازماتها الاقتصادية وتناقضاتها الطبقية . كما تبين أنها هى السبب الاساسى فى الحروب والنزاعات المسلحة ، وفى قهر واضطهاد شعوب العالم الثالث .

وفى هذه الفترة لم يتخل حماة النظام الرأسمالى عن اصرارهم على ان للتعايش طابع مؤقت ، ورأوا ان العمل على عدة جبهات يحقق لهم اغراضهم على النحو التالى :

■ **الاعداد للعمل العسكرى** ومحاصرة النظام الاشتراكى بسلسلة من القواعد والاحلاف العسكرية ، وبدء سباق التسلح ، خاصة الذرى . وهكذا نشأ حلف الاطلنطى ، والسنتو ، والمركزى ، الى آخر تلك القائمة ، وأقيمت القواعد فى دول شمال افريقيا وتركيا واليونان وعراق نورى السعيد ، وايران ، وباكستان ، ودول الهند الصينية ، واليابان والفلبيين وكوريا ، الخ . علاوة على القواعد والقوات الامريكية فى الدول الاوربية .

■ **تكوين الكتل السياسية المعادية للنظام الاشتراكى** ، سواء بين الدول الاوربية والولايات المتحدة ، أو بينها جميعا وبين دول العالم الثالث ، لمحاصرة الاشتراكية وضمان مقاطعتها وعدم اقامة

(٢) لينين ، المختارات ، المجلد ٣ جزءا ١ ، دار التقدم موسكو ١٩٦٧

(٣) V.I. Lenin, To the American Workers, Collected Works, Vol. 30.

علاقات طبيعية معها ، وتجلى الانجاز الرئيسي لهذه السياسة فى تأخير دخول الصين للامم المتحدة ، وتقسيم كثير من البلدان ، مثل المانيا وكوريا والهند الصينية .

■ **محاولة استعادة « البلاد الاسيرة » فى النظام الاشتراكى** . فى البدء بتنظيم الثورات المضادة فى بعض دول شرق اوربا لاحراجها من وراء « الستار الحديدى » ، ثم باقامة الكبارى التجارية والاقتصادية معها سعيا لشق وحدة العمل الاقتصادى فى المعسكر الاشتراكى .

■ **العمل الاقتصادى** المكثف على عدة جبهات تحقيقا لاهداف متعددة من أهمها :

● محاولة وقف انتشار الاشتراكية : فقد أعلن مارشال عقب عودته من موسكو ، ومن أوربا ، فى ١٩٤٥ ان الدول الاوربية قد « تبلع الشيوعية كدواء لامراضها ، التى أصبحت يائسة من علاجها (٤) ، لهذا وضع مشروعه الشهير لانهاض اوربا واعادة تعميرها على أسس رأسمالية ، تقطع الطريق على دعاة الاشتراكية ، وتضمن مجالا واسعا للاستثمارات الامريكية .

● **المقاطعة التجارية** ، وما عرف باسم السلع الاستراتيجية المحظور التعامل فيها مع النظام الاشتراكى والتى كانت تشمل كل شىء تقريبا ، بل وحظر تعامل الدول التابعة و « الصديقة » مع المعسكر الاشتراكى . وقد سهل هذا ، ان معظم البلدان المتحررة حتى التى اتخذت فى ذلك الحين خطا معاديا للاستعمار ، كانت بحكم هياكلها الاقتصادية ، جزءا من السوق الرأسمالى العالمى ، الذى تسيطر الدول الامبريالية على المبادلات التجارية فيه ، وعلى حركة الاستثمارات والقروض ، وعلى عمليات نقل وتحويل الخبرات الفنية .

ومع كل هذا فقد نما وتدعم النظام الاشتراكى على النحو التالى (النسبة المئوية للعالم) :

	١٩١٩	١٩٦٩
المساحة	١٦	٢٦
السكان	٧ر٨	٣٦
الانتاج	٣	٣٩

لقد زاد الانتاج الصناعى الاشتراكى بين ١٩٥٠ و١٩٦٨ ٣ر٦ مرة ، فى حين زاد فى البلاد الرأسمالية بمقدار ٦ر٢ مرة .

وكل ذلك جعل نفرا من القادة المستنيرين للفكر الرأسمالى ، ينبه مبكرا الى حتمية التعامل الاقتصادى رغم الحرب الايديولوجية . ففى ١٩٤٣ أوضح والتر ليبمان المعلق السياسى المشهور ان « قصة العلاقات الروسية الامريكية ، دليل مدهش على عدم أهمية الايديولوجية فى تحديد السياسة وعلى الطابع الجبرى للمصلحة القومية . ومن عدم الصراحة وعدم الواقعية ، الا نواجه حقيقة ان القضية الاساسية فى العصر الذى نوشك على الدخول فيه ، هى قضية العلاقة بين روسيا ومجتمع الاطلنطى » (٥)

لقد اتضح كما أعلن **كوريولكسى** عالم الاجتماع الامريكى « **ان النظام الاشتراكى باق ، ولا يمكن الاطاحة به عسكريا أو عن طريق اثارة الشعوب التى تعيش فى ظله لانها متمسكة به ، وانه لا يمكن اعادة الرأسمالية بوسائل مسلحة أو تدخل خارجى** » . ولكن الكاتب لم يفته أن يؤكد ان النظام سيتعرض « للتحلل التدريجى الداخلى » . عموما لقد تحققت أخيرا نبوءة لينين التى قال فيها « **هناك قوة أقدر وأقوى من رغبات وارادة وقرارات الحكومات والطبقات المعادية لنا . هذه القوة هى العلاقات الاقتصادية العالمية العامة ، التى ستجبرهم على الاتصال بنا** » (٦)

تغيير لابد منه

وتحت ضغط حقائق العصر ، ومع الاصرار على ضمان تحقيق نفس الاهداف ، أصبح القادة الامبرياليون **هم الساعون** وراء التعاون الاقتصادى والتعايش السلمى الى حد ما – مع النظام الاشتراكى . ولم يكن ذلك لان « الشيوعية أصبحت تسيطر على الحكومة الفيدرالية ، والرئيس الامريكى أصبح أداة للشيوعية » كما

[٤] The World Socialist System and Anti-Com munism. Progress Publishers, Moscow, 1972.

[٥] Walter Lippmann U.S. Foreign Policy. Hamish Hamilton. London, 1944.

[٦] V.I. Lenin, Ninth All-Russia Congress of Soviets, Collected Works, Vol. 33.

تؤكد جمعية جون برش العنصرية الارهابية الامريكية . وانما كان ذلك تحت تأثير آراء حماة الرأسمالية « العاقلين » أمثال جوزيف ك . كيرشو الذى أكد أنه « يبدو من الواضح ، أنه يتعين علينا أن نتعود بشكل ما على هذا التطور الاقتصادى السريع للمعسكر الاشتراكى ، الذى سيستمر بمعدل متزايد . لان الاقتصاد السوفيتى يراكم بطريقة فعالة رؤوس الاموال » . لقد رأى الامبرياليون أن لهم مصلحة محققة فى التصرف بطريقة أخرى . ولكن كل هذا لا يعنى أنهم قد سلموا نهائيا بالتعايش السلمى طريقا وحيدا للتعامل مع المعسكر الاجتماعى الاخر ، بل ان معسكر القيادة الامبريالية نفسه ما يزال منقسما بين فريقين :

■ فريق الامبرياليين المتطرفين أنصار الحرب النووية ، وحسم الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية لمصلحة الاخيرة بالقوة المسلحة ـ الذرية أساسا . وما زال هؤلاء يحتلون أعلى المناصب الحكومية والعسكرية والسياسية والاقتصادية فى دول الغرب وهؤلاء يعتبرون التعايش « جريمة » .

■ فريق الامبرياليين الليبراليين اذا جاز التعبير ، وهؤلاء لا يقلون عن الاولين حماسا للنظام الرأسمالى ، ولكنهم يرون استخدام وسائل أخرى فى القضاء على الاشتراكية ، وأبطال هذا الاتجاه رجال مثل : جون كينيدى ، جيمس فولبرايت ، جورج كينان ، و . أتوود ، ريتشارد نيكسون ، هنرى كيسنجر . ومع ذلك فان هذا القسم يتفرع بدوره الى مجموعتين :

● مجموعة الحرب الباردة ، التى تدرك أن للصدام المسلح نتائج مدمرة بالنسبة لبلادهم ، ومع ذلك ترفض تخفيف التوتر والتعايش السلمى الحقيقى . وكان الرئيس ايزنهاور من أبرز ممثلى هذا الاتجاه .

● أنصار الاتفاقيات المحدودة ، والعمل على ضمان استمرار الرأسمالية فى ظل السلام وتجنب الحرب ، مع الاحتفاظ بقوات عسكرية ضخمة ، لاحتمالات نشوء الحاجة اليها .

قبول التعايش لا ينفى الاغراض العدوانية

والواقع أن القبول الجزئى من قادة الدول الامبريالية لسياسة التعايش السلمى ، لا يعنى تخليهم عن أهدافهم « العدوانية » ازاء النظم المخالفة ، ولا يقلل من أهمية وخطورة سعيهم لضمان سيطرة و « خلود » الرأسمالية . والواقع أن المصالح والاوهام والوقائع الفعلية تتشابك بطريقة مذهلة فى الدول الامبريالية ، لتفضى الى قبول التعايش طريقا لتحقيق نفس الاغراض . وبيان ذلك على النحو التالى :

■ الحرب الاقتصادية بين الدول الامبريالية وسعى كل منها لايجاد مجالات جديدة للتعامل الاقتصادى ، يمكن أن تتوافر فى السوق الاشتراكى ذى المواد الضخمة الطبيعية والصناعية . فالنمو غير المتكافىء قانون أساسى يحكم العلاقات بين الدول الرأسمالية ، مما يسببه عدم استقرار الشروط والاوضاع التى تسود بينها فيما بين مرحلة وأخرى . فقد كفت أوربا عن أن تكون « مجالا مباحا » للاستثمارات الامريكية تغترف منها أرباحا أعلى مما تحققه فى سوقها المحلى ، وتنقل اليه عبء أزماتها واختناقاتها . فمع أن الاستثمارات الامريكية فى أوربا قد وصلت الى نحو ٣٠ مليار دولار ، الا أن القيود التى فرضتها دول أوربا (آخرها المانيا الاتحادية فى فبراير الماضى) سواء على دخول الاستثمارات أو على أسعار التمويل ، وارتفاع ارباح المواد الخام واليد العاملة فى أوربا وتدهور قيمة الدولار ، ضيق الفرص كثيرا أمام الاستثمارات الامريكية ، وجعل تكلفة اقامة المشروعات الامريكية فى أوروبا غير مربحة كما يؤكد رجال الصناعة فى بون .

ليس هذا فحسب بل لقد بدأت حركة عكسية لرؤوس الاموال والاستثمارات الاوربية تتجه لامريكا لاقامة مشروعات فيها ، للتغلب على القيود الجمركية التى تفرضها أمريكا على وارداتها من أوربا (منها مثلا أن الرسوم على الواردات نحو ٨ فى المائة فى حين تبلغ فى السوق المشتركة نحو ٦ فى المائة) حتى وصلت استثمارات أوربا فى أمريكا الى حوالى ١٠ مليارات دولار فى ١٩٧١ تربح سنويا ما يقرب من ٩ فى المائة . الامر الذى جعل النيوزويك تحذر من غزو أوربى يابانى للاستيلاء على الشركات الامريكية . ومع كل القيود على الواردات ، فقد زادت صادرات عدة شركات أوربية الى أمريكا عن ١٠٠ مليون دولار سنويا لكل منها (بلغت صادرات شركة ميشلين فى ١٩٧١ نحو ٢٥٠ مليون دولار) .

لكل هذا وكثير غيره تسعى الاستثمارات الامريكية بل والاوربية ، الى البحث عن مجالات واسعة اخرى للتعامل الاقتصادى الذى يحقق لها أهدافها . والدول الاشتراكية تقدم لها عن وعى

هذه الفرصة ، وقد قدمتها منذ اليوم الاول لقيامها .

■ **استغلال احتياجات التنمية الاشتراكية لبعض الخبرات التكنيكية المتطورة في الغرب** . بما يوفر عليها نفقات هائلة فيما لو حاولت بجهودها هي التوصل اليها . كذلك فان التنمية الشاملة للاقتصاديات الاشتراكية ، واستغلال ثرواتها بصورة رشيدة وكاملة ، يحتاج الى رؤوس اموال ضخمة يمكن اقتراضها من الغرب بفوائد معقولة لاستثمارها في مشروعات مملوكة تماما للدولة الاشتراكية . ويؤمل قادة البلد الرأسمالية أن يؤدى التعاون التكنولوجي الى الاسراع بتقارب النظامين ، ذلك أن استخدام وسائل ومناهج متشابهة ، يؤدى الى « تدعيم عملية التوحيد » . ولكن فاتهم أن التعارض جذرى فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية ، فليس المهم هو نوع التكنيك المستخدم ، وانما الاكثر أهمية هو الغرض الذى يستخدم من أجله والمصلحة التى يهدف الى تحقيقها .

■ محاولة تفتيت وحدة المعسكر الاشتراكى ، وايجاد عوامل ضغط فى اقتصادياته . اذ يأمل قادة الدول الامبريالية فى أن يؤدى التعاون الاقتصادى الى خلق نفوذ لهم فى النظم الاخرى ، ذلك :

● ان اعتماد جزء من التنمية الاشتراكية على رؤوس الاموال والخبرات الرأسمالية ، وانشاء مشاريع مرتبطة بالخارج فى تسويق انتاجها أو فى الحصول على مستلزماته ، يوفر فرصا واسعة للتأثير والضغط . وهم فى هذا يتناسون أن الملكية ستظل للدولة الاشتراكية وأن السيطرة ستبقى لها .

● كما ان زيادة التفاوت فى مستوى النمو بين البلدان الاشتراكية يسهل اثارتها ضد بعضها البعض ، ويضعف من التعاون بينها لحساب تقوية التعاون مع الدول الرأسمالية ، وهم فى هذا يفكرون بمنطق علاقاتهم هم مع بعضهم البعض . فى حين تقوم العلاقات بين الدول الاشتراكية على أساس من التعاون المتبادل وتقسيم العمل الدولى على اسس اشتراكية ، لا تضمن فقط تقدم كل بلد على حدة ، وانما تكفل أيضا « التقريب » بين مستويات النمو .

ولقد دعا ا . جرين عالم الاجتماع الامريكى صراحة الى أن تصدير التكنولوجيا الامريكية الى بعض البلدان الاشتراكية ، سيساعد كثيرا على تقسيمها على أساس اختلاف مستوى النمو . كما أكد دين راسك ان السلام والتعاون سيؤدى الى احداث تغييرات جذرية فى النظام الاشتراكى ويساعد على « تحوله الى البرجوازية » ، وأكد المعنى نفسه و . روستو الذى زعم أن سكان البلاد الاشتراكية الاكثر تطورا سيتخلون عن أشقائهم فى العقيدة فى البلاد الاقل تطورا ، وسيزداد انحيازهم لقيم الحضارة الغربية . وقال « ان الهوة التى تمنع التفاهم ستضيق ، حتى لو بقيت الهوة الايديولوجية كما هى »

ومن أهم أوجه التشابه أو الالتقاء كما يقول هؤلاء المفكرون : الثورة العلمية ومعدل التصنيع السريع والتطورات المتشابهة فى تكنيك الانتاج والتنظيم الصناعى والمطالب المتشابهة فيما يتعلق بمستوى المهارات والعمل ، وتشابه بعض أساليب المعيشة مثل اسلوب بناء المساكن وأساليب ميكنة الحياة الحديثة وتصنيع الخدمات . **ولكن فاتهم أن كل ذلك يعتبر ظاهرة ذات طابع ثقافى تكنيكى لا يؤثر فى العلاقات الاجتماعية القائمة ، اذ يظل جوهر علاقات الانتاج الرأسمالية متناقضا على طول الخط مع علاقات الانتاج الاشتراكية .** كما يتخذ مفكرو « التقارب » من انتشار « الموضات » وبعض أساليب المعيشة الغربية دليلا على « التعاطف والتطلع الى المجتمع البرجوازى » . فلاشك انه مع تطور وسائل الاعلام وثورة المواصلات تنتقل بعض عادات الحياة ، كالموسيقى والكتب واسلوب شغل الفراغ والرياضة والملابس ، الخ . ولكن كل ذلك لا يغير شيئا من طبيعة العلاقات القائمة بين البشر ، ولا يعدل الاختيارات الاساسية للمجتمع .

التعايش السلمى والعالم النامى

■ ومن أهم أهداف الغرب الاستعمارى من تكثيف التعاون فى بعض مجالات الاقتصاد ، دق اسفين بين الدول النامية وبين الدول الاشتراكية على أساس أن الاخيرة قد ولت وجهها شطر الغرب وأدارت ظهرها للدول النامية . وانها فى سبيل ضمان اضطراد التعاون مع الدول الرأسمالية ، قد تتخلى عن مساندة دول العالم الثالث .

والواقع أن التعايش السلمى لاينال بأى حال من الاحوال من الجبهة المعادية للامبريالية والرأسمالية ، على النقيض من ذلك فانه يؤدى الى تلاحم أشد فى صفوفها وفرص أوسع لزيادة التعاون فيما بينها على النحو التالى :

● ان التعايش السلمى يتفق تماما مع الاعتبارات النظرية والعملية التى تحدد سياسة

المجتمع الاشتراكى العالمى ، نحو تدعيم الجبهة العالمية المعادية للامبريالية « لمحاصرة الرأسمالية » بطرق سلمية ، ويستدعى هذا فى المحل الاول تكثيف التعاون مع بلدان العالم الثالث . ان التعايش لا يلغى التضامن بين القوى التقدمية أو ينال منه ، على النقيض من ذلك فهو يوفر له فرص الازدهار والنمو .

● يوفر للدول الاشتراكية جانبا كبيرا من مخصصات تطوير القوات المسلحة اللازمة للدفاع عن نظامها ، الامر الذى يمكنها مباشرة من زيادة معوناتها ومساعداتها للبلدان النامية ، كما يسمح لها باستغلال جانب من هذه المخصصات فى تطوير قدراتها الانتاجية ، ومن ثم زيادة قدرتها على العطاء والبذل .

● من جانب آخر فان التعايش وتخفيف التوتر الدولى والالتزام بحل المشاكل سلميا ، يتيح للدول النامية أن تخفض هى أيضا ما تنفقه على الاحتفاظ بالجيوش اللازمة للدفاع عن استقلالها ضد العدوان الامبريالى ، وتوجيه الوفر نحو تنمية اقتصادياتها وزيادة استثماراتها .

● ان استبعاد النزاع المسلح ، وتركيز المنافسة بين النظامين على المجالات الاقتصادية ، يشكل فرصة ذهبية للدول النامية فى المحل الاول ، اذ ستحتدم المنافسة بين الدول المتقدمة على تقديم التسهيلات والقروض لها بشروط اكثر مواتاة . ان السلام سيتيح للدول الاشتراكية امكانيات هائلة للتنمية ومن ثم زيادة معوناتها وتعاونها مع الدول النامية ، ولن تقف الدول الرأسمالية مكتوفة ازاء هذا الوضع بل ستعدل كثيرا من شروط منح قروضها ومعوناتها لدول العالم الثالث حتى لا تخرج هذه من دائرة التعامل معها تماما وحتى لا تتركها تماما للدول الاشتراكية . وهذا أمر أكدته التجربة ، فتحت تأثير معونات الدول الاشتراكية ، رضيت الدول الاستعمارية أن تسهم فى تصنيع بعض انشطة بلدان العالم الثالث وهذا ما كانت ترفضه قبلا ، كما خفضت معدلات الفوائد على قروضها وشروط السداد .

● ان ادراك طرفى الجبهة المعادية للامبريالية والرأسمالية ، الدول الوطنية والدول الاشتراكية ، لحقيقة أن تعاونها وتكاتفها هو الضمان الاكبر ضد انبعاث النزعات العدوانية والمغامرة لدى الدوائر الامبريالية ، ولفرض « استمرار » التعايش السلمى ، يجعلهما أكثر حرصا على التلاحم والترابط ، خاصة بعد أن يزداد ادراكهما من واقع التجربة للنتائج الهائلة للسلام على التطور الداخلى فى كل منهما .

● ان التعايش السلمى بمعنى عدم التدخل فى شئون الاخرين ، وترك الحرية لكل شعب ليختار النظام الذى يريده ، ضمان هائل للبلدان النامية فى المحل الاول ، لانه يكفل اذا ما تم تنفيذه بيقظة واصرار – والطريق الى ذلك تلاحم قوى الوطنية والاشتراكية – منع تصدير الثورة المضادة الى البلدان النامية .

● ان التعايش السلمى يكفل تركيز الجهود فى المجالات الدولية على قضايا العالم الثالث ومشاكله بوصفها مشاكل حادة وملحة ، وذلك بدلا من استهلاك طاقات العمل السياسى العالمى فى تصفية النزاعات والصراعات المسلحة .

● ان التعايش السلمى يوفر افضل اطار للتطورات الاجتماعية فى كل بلد نام على حدة . ذلك أن تراجع الاخطار الخارجية التى تطغى عادة على القضايا الاجتماعية الداخلية فى فترات احتدام هذه الاخطار ، يدفع الى المقدمة بالتطورات الاجتماعية فى الداخل ويجعلها قضية الساعة والبند الاول فى جدول أعمال الشعب ، ويسمح بتركيز كل الجهود لمحاولة الوصول الى الحل الامثل لها الذى يتفق مع اعتبارات التقدم .

● ان النجاح فى فرض التعايش السلمى – وطريقه الاساسى وقف سباق التسلح وتصفية القواعد العسكرية – يعفى البلدان النامية من كثير من خطط احتوائها فى مشاريع عدوانية ، ويسهل تصفية السيطرة العسكرية على أراضيها والتى تصطحب عادة بسيطرة سياسية واقتصادية .

أسباب موضوعية

وفهم سليم

والواقع أنه من خير التعريفات التى تدمت لسياسة التعايش السلمى التعريف الذى قدمه جورج مارشيه (7) عندما أكد « أن سياسة التعايش السلمى لا تعنى أبدا ، ترك الامبريالية

تتصرف على هواها فيما يمكن أن نسميه « الصيد المحروس لها » أو ما تسميه هى مجال نفوذها . كما أنه لا يعنى أى مهادنة بين الاشتراكية والرأسمالية . وانما يهدف الى اقامة علاقات جديدة بين الدول : احترام السيادة ، والمساواة فى الحقوق ، وضمان التكامل الوطنى لكل دولة صغيرة كانت أم كبيرة ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، وتسوية المشاكل الدولية المتنازع عليها بوسائل سلمية . ان هذه السياسة لا تمس طبيعة الانظمة الاجتماعية والاقتصادية ، ولا تلغى بأى طريقة من الطرق التناقض الاساسى بين الاشتراكية والرأسمالية . ولا تمنع او تعوق نضال الشعوب المقهورة ضد سيطرة الامبريالية واستغلالها ، ولا تضع قيودا أو عقبات امام تطور الصراع الطبقى على المستوى الوطنى . على النقيض من ذلك ، فان كل تقدم فى اتجاه التعايش السلمى يساهم فى الحد من تدخل الامبريالية ، وعزل القطاعات الاكثر رجعية من البرجوازية » . وبالفعل فان التعايش السلمى :

■ **لا ينفى الصراع بين النظامين** ، وهذا ما يدركه الطرفان . فقد أكد **باشتر** المفكر الامريكى الكبير : « أن التعايش نوع من الصدام ، وهو ليس تصالحا واتفاقا ، بل عملا يوميا لمنع الحرب » . كما أوضح **كوارونى** وهو مفكر أمريكى آخر : « أن التعايش السلمى حرب سياسية ، وهى تعنى رضاء كل من الطرفين بأن يعيش مع الاخر حتى يموت هذا الاخر » . وكان لينين قد أوضح — من قبل — فى لقاء له مع كوادر تنظيم موسكو (فى ١٩٢٠) أن التجربة الاشتراكية لابد وأن تعرض انجازاتها وتروج لها ، وقال : « ان ذلك ايضا نوع من الحرب ، انه صراع بين منهجين ، بين نظامين سياسيين واقتصاديين — الشيوعى والرأسمالى — سنبرهن فيه على أننا الاقوى . سنقول لهم ابدأوا التشييد وامضوا فى البناء ، وسنرى من سيكسب . بالطبع ان المهمة صعبة . ولكننا قلنا وما نزال نقول ، ان للاشتراكية قوة المثل وتأثيره » .

■ **ان الاوضاع والسياسات الداخلية هى الاصل فى الخط الذى تنتهجه السياسة الخارجية ، وان العكس ليس صحيحا** . فى حين أن مفكرى الغرب يضفون أهمية مطلقة على السياسة الخارجية كعامل مؤثر حاسم بالنسبة لاوضاع الاخرين الداخلية . والسبب فى أن البلاد الاشتراكية طرحت منذ البدء فكرة التعايش السلمى ، هو ايمانها بأن انتقال أى بلد آخر نحو الاشتراكية ، رهن بأوضاعه الداخلية ، وأن الثورة لا يمكن أن تصدر . ومن ثم فالتعايش لا يعنى التغاضى عن الاوضاع الداخلية فى البلدان الرأسمالية . لان هذه الاخيرة تتوقف فى واقع الامر على علاقات القوى الاجتماعية فى هذه البلدان . كذلك فان التعايش لا يضفى صفة « الخلود » على المجتمعات الرأسمالية ، لانه لا يوقف التطورات الاجتماعية فيها . ان تعايش النظامين لا يخضع لارادة أى منهما . ذلك أن اختلاف مستوى النمو فى كل بلد هو الذى يحدد تحولها الى الاشتراكية أو بقائها فى اطار رأسمالى لفترة أخرى . والبلد الذى يتحول الى الاشتراكية ليس شرطا الحصول على موافقته لبقاء الرأسمالية فى بلد آخر ، كما أن رضاء هذا الاخير من عدمه لا يقدم أو يؤخر فى شىء التحول الاشتراكى فى البلد الاول .

■ ان مدة استمرار هذا التعايش لا تحددها رغبات الاطراف المختلفة ، وانما يحددها معدل التقدم الاجتماعى ونضج الاوضاع الثورية لبناء الاشتراكية فى معظم دول العالم . اذ لابد وأن تنقضى فترة طويلة نسبيا بين ظهور « مجموعة » اشتراكية الى جانب نظام رأسمالى ، وبين الانتصار الكامل للاشتراكية فى كل أو غالبية دول العالم .

ان التعايش نوع من الصراع الطبقى على المستوى الدولى بين نظامين اجتماعيين واقتصاديين متعارضين ، يسعى كل منهما لاثبات تفوقه وجدارته بالتزام أسلوب سلمى فى المنافسة والمباراة والتفوق . انه صراع يومى متجدد يمتد على كافة الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية .

كذلك فان التعايش السلمى ليس عملا سلبيا ، بل جهدا ايجابيا يوميا . ليس فقط لمنع الحرب وعزل وشل القطاعات الاشد عدوانية ورجعية من الدوائر الحاكمة فى البلدان الامبريالية ، وانما أيضا لتدعيم التعاون الدولى فى المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والثقافية ، وذلك أمر يتفق تماما مع مصالح شعوب العالم الثالث ، وهو لا يضع أى قيد على حقها فى العمل بكل قواها لكسب وتدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى وضمان تقدمها الاجتماعى بل الحضارى . ان التعايش السلمى ليس أبدا تسليما للرأسمالية ، فهو خط وسياسة أصيلة وقديمة للنظام الاشتراكى ، رفضتها الدول الرأسمالية طويلا ثم قبلتها عندما تفيد فيما فشلت فيه الوسائل الاخرى . وواجب القوى الثورية استغلال هذا القبول لتحقيق أهدافها هى أولا .

الانفــراج الــدولى :

تطويعه لقضية تحـرير الأرض

كتب حسين شعلان :

ليس هناك خلاف بين صفوف القوى الوطنية فى بلادنا على محصلة خبرات السنوات الست الماضية ازاء مشكلة تحرير الارض · وتقول هذه المحصلة باختصار : ان تحرير الارض ، رهن بقدرتنا على **استثمار وممارسة** « عناصر القوة الضاغطة » ـ السياسية والاقتصادية والعسكرية ـ أحدها مرة أو جميعها مرة واحدة · لكنها فى كل المرات مرتبطة بعضها البعض . وما لم نحقق متطلبات « عناصر القوة الضاغطة » هذه ، فلسوف تظل قضية تحرير الارض معلقة دون تقدم يذكر ، بل على العكس تهدد باحتمالات من التدهور نقدر جميعا أخطارها المحدقة بالمصالح الوطنية العليا لكل قوى الشعب الوطنية ·

ولان قضية تحرير الارض هى الشاغل الملح الاول لقوى الشعب الوطنية ، فانه من الطبيعى أن يشغلنا جميعا السؤال التالى : **هل يساعد « الانفراج الدولى » القائم على توفير ظروف أفضل لقضية تحرير الارض ؟ أم انه يعرقلجهودنا ويضع الصعاب أمامها ؟**

واذا كان المألوف ان نصوغ الاجابة ـ من وجهة نظرنا ـ على هذا السؤال ، بعد أن نضع المقدمات التى تقودنا اليها وتدلل على صحتها ، الا أننا ـ من قبيل التوضيح ـ نخرج على المألوف لنرصد منذ البداية : ان « الانفراج الدولى » **القائم اليوم يخلق ظروفا موضوعية وأكيدة لحل مشكلتنا الوطنية حلا يحقق مصالح الوطن العليا ·**

كيف اذن يمكن أن تكون هذه الاجابة صحيحة ؟

أولا :

من أهم معالم « الانفراج الدولى » القائم اليوم ، هو اتفاق الاتحاد السوفيتى من جهة والولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى ، على ضرورة تجنب المواجهة المباشرة بينهما فى صدام مباشر يمكن أن تؤدى ـ بل هى تؤدى بالفعل ـ الى اندلاع حرب نووية ثالثة شاملة · وتقوم رغبة الطرفين فى تجنب المواجهة المباشرة ، على أساس تقديرهما لنتائج الدمار الشامل من حيث الكم والكيف معا والذى يمكن أن يصيبهما ويصيب البشرية كلها نتيجة للتقدم الهائل الذى أحرزته صناعة الاسلحة النووية أساسا والاسلحة التقليدية عامة ·

وجزء أساسى من عملية « تجنب المواجهة المباشرة » ـ وخاصة فى منطقة كمنطقة الشرق الاوسط ، ذات الاهمية الاستراتيجية الفائقة ، للطرفين ـ يعنى **عدم قيام أى طرف منهما بالتدخل المباشر فى حالة الصدام العربى ـ الاسرائيلى ·**

والطرف التى أثبتت الخبرة الوطنية لشعبنا منذ عام ١٩١٤ وحتى اليوم ، انه دائم التدخل بفظاظة فى شئون المنطقة ، وانه ـ بالتالى ـ الطرف المعادى لمصالحنا فى الاستقلال والتقدم ، هو الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها زعيمة معسكر الامبريالية ·

من هنا تصبح عملية الحد من أخطار التدخل الامريكى العسكرى المباشر فى مجريات صراع حركة التحرر الوطنى العربية ضد اسرائيل ، عملية لها أهميتها الخاصة · ذلك أن حجم أعباء مواجهة التدخل الامريكى العسكرى المباشر ، هو بالقطع حجم يختلف نوعيا عن أعباء مواجهة العدوان الاسرائيلى · وذلك يحصر القضية فى اطار ممكن ومقدور عليه وفق معطيات معينة ·

والواقع أن أخطار التدخل الامريكى العسكرى المباشر ، لم تكن فى أى يوم أخطارا وهمية ، بل أخطارا حقيقيةتؤكدها خبرة حركة التحرر الوطنى العربية سواء فى نضالها ضد اقامة القواعد العسكرية الاجنبية أو فى مجريات صراعها

الوطنى . ولعله من المفيد أن نذكر هنا بالتدخل العسكرى الامريكى فى لبنان فى عام ١٩٥٨ غداة قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) فى العراق فى ظل حالة المد الوطنى العارم بعد معركة السويس (١٩٥٦) ووحدة مصر وسوريا (١٩٥٨) حيث كان مجرى الاحداث ينذر باجتياح رياح التغيير الوطنى ، ولعلنا لم ننس بعد دور الاسطول السادس الامريكى فى شرق البحر المتوسط عشية عدوان ٥ يونيو وأثناءه (الباخرة ليبرتى ودورها) . كما نذكر هنا أن الرئيس الامريكى نيكسون كان ينوى القيام بمظاهرة بحرية على ظهر احدى طرادات الاسطول السادس فى شرق البحر المتوسط بالقرب من الشواطىء المصرية وذلك عشية وفاة **الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٧٠)** .

ولعل خبرات حركة المقاومة الفلسطينية خلال مذابح سبتمبر ١٩٧٠ والغارة التى قام بها بعض رجال الكوماندوز الاسرائيليين على بيروت واغتيل فيها ثلاثة من أبرز قيادات المقاومة الفلسطينية (١٩٧٣) . ودور امريكا فى المذبحتين معروف — نقول لعل فى ذلك ، شيئا قليلا وبسيطا ، من مؤشرات أخطار التدخل الامريكى المباشر .

والواقع ، أن هذا الخطر لم يكن محددا فحسب بحركة التحرر الوطنى العربية ، بل اننا نذكر جميعا التدخل الامريكى فى الكونجو (١٩٦٤) وفى فيتنام وفى كمبوديا ولاوس وفى الدومينيكان .. الخ .. الخ .

ثانيا :

فى ظل حالة **التوتر** الدولى ، تطرح قضية « التسليح » نفسها — بكافة أنواع الاسلحة — على المعسكرين العالميين : الاشتراكى والرأسمالى . ومن ثم على الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة — بكيفية تختلف عنها فى حالة **الانفراج** الدولى . فيقين المعسكرين بأن عملية التسليح « بئر بلا قرار » ، عامل من عوامل الاتجاه نحو الانفراج الدولى القائم اليوم .

من هنا تصبح الاتفاقات التى تعقد بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة — فى ظل حالة الانفراج الدولى — فى أى مجال من مجالات الحد من الاسلحة الاستراتيجية (اتفاقية مايو ١٩٧٢) ، تصبح قضية هامة . **لماذا ؟** لانها تخفف من الاعباء المهولة التى يتحملها اقتصاد الاتحاد السوفيتى بشكل خاص والمعسكر الاشتراكى بشكل عام .

وما الذى يعنيه ذلك — من الناحية العملية — بالنسبة لحركة التحرر الوطنى العالمية بشكل عام وبالنسبة لحركة التحرر الوطنى العربية ومصر على رأسها بشكل خاص ؟

ان تخفيف الاعباء الضخمة للاتحاد السوفيتى فى نفقات صناعة الاسلحة فى ظل « الانفراج الدولى » ، ينعكس بالضرورة على الاقتصاد السوفيتى ليدعمه ومن ثم يوفر فرصا أفضل وأوسع لزيادة حجم ونوع المساعدات السوفيتية — والدول الاشتراكية الاخرى — الى حركة التحرر الوطنى . ومن المعروف أن حركة التحرر الوطنى فى مصر ، تحتل مكانة خاصة فى هذا المجال . بل اننا نقول ان تخفيف أعباء الاتحاد السوفيتى العسكرية بسبب الانفراج الدولى ، يوفر كذلك فرصا أوسع لزيادة حجم ونوع مساعداته العسكرية الى دول التحرر الوطنى وخاصة حركة التحرر الوطنى العربية — ومصر فى مقدمتها — نظرا لاهمية صمودها وانتصارها على العدوان الاسرائيلى — الاستعمارى من زاوية المصالح الوطنية العليا لحماية ظهر الاتحاد السوفيتى نفسه .

ويكفى أن نرصد هنا بعض الحقائق الدولية الخاصة بقضية « التسليح » لنعرف حجم فائدة تخفيف اعبائها بالنسبة للدول النامية .

فقد جاء فى تقارير الامم المتحدة أن اجمالى النفقات العسكرية فى العالم فى عام ١٩٧٠ ، قد بلغت ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ دولار (٤٠٠ مليار دولار) معظمه بالطبع فى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وتقدر تقارير الامم المتحدة أن هذه النفقات فى عام ١٩٨٠ سوف تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ دولار (٨٠٠ مليار دولار) . وتقول نفس التقارير أن هذه النفقات تزيد فى قيمتها على مجموع المساعدات التى تقدم للدول النامية بمقدار ٣٠ مرة . وجدير بالذكر هنا أن **يوثانت** — السكرتير العام السابق للامم المتحدة — كان قد أشار فى تقريره بمناسبة مرور ٢٥ عاما على انشاء المنظمة العالمية (١٩٧٠) الى أنه « **اذا انفقت الدول على التسلح أقل مما تنفقه الان بنسبة ١٠ فى المائة فقط لكان ما يتوفر من المال نتيجة لذلك كافيا لسد الفجوة الموجودة بين الدول الغنية والدول الفقيرة** » .

من هنا تجىء حقيقة القول بأن الانفراج الدولى ، يوفر ظروفا أفضل لاتساع حجم دعم الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى بوجه خاص ، لدول التحرر الوطنى فى كل المجالات . وذلك بدوره يدعم قوتنا على المستوى الاقتصادى والعسكرى والسياسى ، فيخلق بالتالى ظروفا أفضل لمبادرات فى تملك وممارسة « عناصر القوة الضاغطة » التى نؤمن جميعا بأهميتها الضرورية .

ثالثا :

ان حالة الانفراج الدولى ، لا تعنى أن الصراع بين النظامين العالميين قد انتهى • فالواقع ان نهاية هذا الصراع رهن توفر ظرف واحد : هو أن يتمكن أحد النظامين من تصفية النظام الاخر • وفى هذا المجرى يتخذ الصراع أشكالا اخرى جديدة مغايرة لشكل المواجهة العسكرية • ومن أبرز هذه الاشكال الجديدة ، هو شكل « **المواجهة الاقتصادية** » وبمعنى آخر **التنافس الاقتصادى** لاثبات تفوق احدهما على الاخر بشكل نهائى ، ليكون نموذجا دعائيا لسائر الشعوب • بل ان التنافس الاقتصادى — فى ظل حالة الانفراج الدولى — ستزداد حدة ، كما نرى شواهدها اليوم ، داخل صفوف معسكر الغرب الرأسمالى بأكمله (اوربا الغربية — اليابان — الولايات المتحدة الامريكية) •

ومن الطبيعى فى هذه الحالة ، ان تزداد حاجة هذه الدول — فى المعسكر الغربى — الى مصادر الطاقة والتمويل • وتدفع هذه الحاجة بالتالى ، الى بروز « البترول العربى » و « الارصدة العربية » باعتبارها أسلحة هامة و « عنصر قوة ضاغط » فى ايدى العرب فى معركتهم من أجل تصفية آثار العدوان •

ومن المعروف ان تزايد الطلب على البترول ، لا يمكن اشباعه من أية مصادر أخرى ، فى حالة امتناع الدول العربية عن زيادة انتاجها لتلبية هذا الطلب • وفى هذا المجال يمكن أن تشغل الدول العربية « مركز قوة ضاغطة » المحتملة ، يتضح لنا مدى حجمها اذا عرفنا الحقائق التالية :

فمن المتوقع أن يرتفع انتاج البترول فى **ايران** — مثلا — فى عام ١٩٧٦ من ٥ ملايين برميل يوميا الى ٨ ملايين برميل ، وفى **نيجيريا** من ٩ر١ مليون برميل الى ٥ر٢ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) ، وفى **اندونيسيا** من ٥ر١ مليون برميل الى ٢ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) ، أما **فنزويلا** فانتاجها فى **تراجع** مستمر ولا زيادة منتظرة • وفى **بحر الشمال** حيث تجرى جهود ضخمة للبحث عن البترول ، من المتوقع أن تنتج **بريطانيا والنرويج** فى عام ١٩٨٠ حوالى ٢ مليون برميل يوميا • أما **الاسكا** فستزود **أمريكا** فى ١٩٨٠ بحوالى ٢ مليون برميل يوميا • وذلك يعنى أن تتمكن أمريكا من الابقاء على معدل انتاج يبلغ ١٢ مليون برميل يوميا ، بينما تكون **فى حاجة لاستيراد** ١٢ مليون برميل اضافى يوميا بأسعار تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليار دولار سنويا •

ويقول خبراء البترول أن الجزائر والكويت وقطر وليبيا سوف لا يزيد انتاجها للبترول فى خلال السنوات الثلاث القادمة الا فى الحدود التى يتيحها اكتشاف آبار جديدة • أما **السعودية** فسيزيد انتاجها من ٥ر٦ مليون برميل الى ١٢ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) مع احتمال رفعه الى ٢٠ أو ٢٥ مليون برميل يوميا (١٩٨٠) • أما **العراق** فسيزيد انتاجها من ٥ر١ مليون برميل الى ٣ ملايين برميل يوميا (١٩٧٥) مع احتمال رفعه الى ٥ أو ٦ مليون برميل يوميا (١٩٨٠) • أما **أبو ظبى** فسيرتفع انتاجها من ٤ر١ مليون برميل الى ٧ر٢ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) واحتمال رفعه الى ٤ أو ٥ مليون برميل يوميا (١٩٨٠) وذلك يعنى أن الزيادة فى انتاج هذه الدول الثلاث سيبلغ أكثر من ٨ مليون برميل يوميا فى ١٩٧٥ و ٢٧ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٠ وهذه المصادر لا يمكن تعويضها من أى مكان آخر •

واذا كانت الترجمة السياسية لهذه الحقائق تعنى مدى أهمية وحجم « السلاح الاقتصادى — السياسى » فى يد العرب ، وذلك طبعا بقدر ما يصبح « نفط العرب فى أيدى الشعوب العربية فعلا » ، فان تصور استخدام سلاح الارصدة العربية التى تتزايد فى البنوك الغربية والامريكية ودورها فى استثمارات دول الغرب من أجل التطور والتنافس الاقتصادى ، يعطينا فكرة كافية لادراك اهمية الانفراج الدولى الذى يدفع قضية التنافس الاقتصادى الى المقدمة ، ويدفع — اذا أردنا — وفى نفس الوقت بأسلحة مهولة فى أيدى القوى الوطنية والتقدمية العربية •

رابعا :

ان تحسن العلاقات الخارجية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، أى قيام حالة الانفراج الدولى ، لم تؤد الى اتفاق الطرفين على حساب مصلحتنا الوطنية ، كما لم تؤد الى طمس معالم موقف أى منهما من قضيتنا بحيث يصعب علينا تحديد حساباتنا وتحديد من معنا ومن ضدنا •

واذا كان سجل التصويت فى الامم المتحدة — فى الجمعية العامة أو فى مجلس الامن — سواء قبل أو بعد « **اجتماع موسكو ١٩٧٢** » او « اجتماع واشنطن ١٩٧٣ » دليلا أكيدا على ذلك ، فان البيان المشترك الصادر عن اجتماع واشنطن — باعتباره آخر بيان لهما — تعكس بوضوح هذه الحقيقة •

تقول الترجمة الحرفية لنص الفقرة المتعلقة بالشرق الاوسط فى البيان : « **أعرب الطرفان عن قلقهما العميق ازاء الوضع فى الشرق الاوسط** •

وتبادلا الاراء حول وسائل تحقيق تسوية في الشرق الاوسط • وعرض كل طرف مواقفه ازاء المشكلة • ووافق الطرفان على متابعة جهودهما لكي تتم في أسرع وقت ممكن تسوية تتناسب مع مصالح جميع الأطراف في المنطقة ، بما يحفظ استقلال وسيادة دول المنطقة ويأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » •

ان القراءة السياسية المتأنية لهذه الفقرة ، توضح ان ما جاء فيها ليس الا تسجيلا عمليا لاختلاف وجهات نظر الطرفين : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، حول المشكلة • وذلك بالتحديد ما يعنيه أي بيان مشترك حين يقول بأن كل طرف « عرض مواقفه » وبأنهما اتفقا على « متابعة الجهود » فعرض مواقف كل طرف يعني اختلافهما والا لقالت الصياغة باتفاق وجهة نظر الطرفين • كما ان الاتفاق على متابعة الجهود ، تعني الاعتراف بأن كل ما سبق وبذل من جهد لم يحقق نتائج ايجابية •

ومعروف في هذا المجال أن الموقف الامريكي يقوم على محاور ثلاثة هي : ١ ــ العمل على تكريس الاحتلال الاسرائيلي ودعم اسرائيل بالسلاح ٢ ــ امكانية التوصل الى حل جزئي دون أن يكون ذلك شرط لتسوية شاملة ٣ ــ ضرورة اجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل ــ بشكل مباشر أو غير مباشر ــ للوصول الى حل • مما يعني امكانية او احتمال الا يكون قرار مجلس الامن ٢٤٢ هو الاساس • ومعروف ايضا في هذا المجال ان الموقف السوفيتي ، يقوم على أسس ثلاثة هي : ١ ــ ضرورة الانسحاب الاسرائيلي الى حدود ٥ يونيو كشرط للتوصل الى تسوية الازمة (اي الالتزام بقرار مجلس الامن) ٢ ــ ضرورة أن تقدم اسرائيل ردا ايجابيا على مذكرة يارنج التي وجهها في فبراير ١٩٧١ ، ٣ ــ الاعتراف بوجود وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة •

تلك المواقف هي الخلفية الحقيقية لاختلاف وجهات نظر الطرفين الذي عبر عنه (الاختلاف) البيان بقوله « وعرض كل طرف مواقفه ازاء المشكلة » ثم استطراده بالقول « ووافق الطرفان على متابعة جهودهما » •

لقد كان بيان واشنطن بحق تجسيدا دقيقا لتمسك كل طرف بموقفه مما يزيد من توضيح الرؤية امام أية حسابات لنا • على أن هذه القراءة للبيان تظل ناقصة ما لم تشر الى « انتزاع » توقيع الرئيس الامريكي على بيان رسمي يتحدث عن « الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة » • وتعبير « الشعب الفلسطيني » هنا يختلف عن تعبير « الفلسطينيين الذي كان المسئولون الامريكيون يتداولونه دائما •

وإذا كان البيان لم يشر الى « قرارات مجلس الامن والامم المتحدة » فذلك بسبب الرفض الامريكي ، كما أنه لم يشر ــ ولا حتى تلميحا ــ الى محادثات بين العرب واسرائيل ، وذلك بسبب الرفض السوفيتي الذي يتجاوب مع موقف الرفض العربي في هذا الصدد •

وكتب رفعت السعيد :

لكي نطوع معطيات الانفراج الدولي الجديد لصالح قضية تحرير الارض • يتعين علينا بادىء ذي بدء ، أن نحاول رصد بعض عوامل القوة والضعف في مجابهة الامة العربية لاعدائها •

والعنصر الاول الذي يستحق الدراسة ، هو حركة التحرر الوطني العربية • وذلك من حيث محتواها العام المعادي للامبريالية ، ومن حيث المحور الاساسي لحركتها واتجاهاتها الاجتماعية •

فعلى الرغم من أن حركة التحرر الوطني العربية قد تعرضت منذ ٥ يونيو ــ ولاتزال تتعرض لهجمات شرسة متتالية على جميع الجبهات ، من قبل الامبريالية الامريكية وأداتها الضارية اسرائيل والصهيونية العالمية ، الا أن نضال الجماهير العربية قد تصدى لهذه الهجمات وأمكنه ــ بشكل عام ــ ان يحبط الاهداف الاساسية ، التي رمى اليها عدوان يونيو ، والهجمة المخططة الاخرى التي بدأت بعد تقديم مشروع روجرز •

لقد كان في مقدمة هذه الاهداف :

ــ تصفية الانظمة التقدمية خاصة في مصر وسوريا ، واجهاض حركة التقدم الاجتماعي في المنطقة •

ــ عزل مصر عن حركة التحرر العربي ، باعتبارها القوة الرئيسية في مقاومة العدوان الاسرائيلي •

ــ دفن قضية فلسطين ، وتصفية المقاومة بدنيا •

ــ دعم مراكز القوى الرجعية والمضادة في البلاد

العربية ومساعدتها على أن تعاود النشاط وتمهد طريق الاستسلام المعتدين وفتح الباب للاستعمار الامريكى الجديد .

– عزل مصر عن أصدقائها فى الجبهة المعادية للاستعمار وفى مقدمتهم الاتحاد السوفييتى .

وبالفعل فقد مرت الحركة الوطنية فى ظروف صعبة وبالغة التعقيد . وربما تكون قد خسرت بالفعل هذا الموقع هنا أو هناك . غير أن القوى الوطنية والتقدمية – عبرت بوجه عام ، لا عن صمود هائل فحسب ، بل وعن استعداد للانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، وهذا هو المطلوب اليوم .

وبشكل عام – يمكن القول – انه رغم جميع السلبيات – لم يوفق الامبرياليون الامريكان وعملاؤهم وشركاؤهم من حكام اسرائيل فى تحقيق الاهداف الرئيسية المشار اليها كاملة .

وان نظرة الى بعض الامثلة على ما يجرى الان على أرض المنطقة تكفى للتدليل على ما نقول :

ففى عمان وظفار يخوض الثوار العرب حربا وطنية مسلحة ضد الوجود الاستعمارى . وفى أماكن أخرى من الخليج العربى يتصاعد النضال الوطنى الديموقراطى ضد كافة أشكال التبعية للاستعمار والاستعمار الجديد وضد القواعد العسكرية ، وضد تهديد عروبة الخليج .

وعلى نطاق البلاد العربية كلها ، حددت الجماهير العربية أن امريكا هى العدو الاساسى والسند الرئيسى لاسرائيل . وهذا التحديد أصبح من الوضوح والرسوخ فى وجدان الجماهير الى الدرجة التى باتت تعجز الامبريالية الامريكية فيها عن ترك هامش ضيق لاصدقائها وأعوانها فى المنطقة يمكنهم من الادعاء بانه يمكن بناء أى شكل من أشكال الصداقة مع أمريكا أو التعاون معها .

وهكذا ففى ظل تعاظم الشعور القومى والوطنى المناهض للاحتلال الاسرائيلى تجد القوى المضادة الموالية لامريكا نفسها فى تناقض حاد :

أحد طرفيه تورط أمريكا مع اسرائيل ، والطرف الآخر تورط هذه القوى مع أمريكا . ولابد لهذا التناقض من أن يترك – فى القريب – آثارا بالغة الاهمية على مستقبل القوى المضادة ، ليضع – فى النهاية – حاجزا فاصلا بين الوطنية العربية وبين العمالة للاستعمار .

ولقد كان بروز المنطلقات الاجتماعية التقدمية فى مسار حركة التحرر الوطنى العربية أحد المعالم الهامة والاساسية فى تاريخ تطور هذه الحركة ، وكان أيضا نقطة تحول هامة فى تاريخها . ولايزال بروز هذه المنطلقات الاجتماعية دليل صحة وحيوية حركة التحرر الوطنى العربية واتجاهها فى المسار الصحيح برغم كل العوائق والعقبات .

ان الاتجاهات الاجتماعية تنفجر فى أماكن لم يكن فى الحسبان بروزها فيها .. وبرغم نكسات تقع هنا أو هناك فان المسار الاساسى للحركة لايزال فى صعود ، فهى تفتح جبهات جديدة .. العراق ، جنوب اليمن ، الجزائر ، ليبيا .

وثمة دلائل هامة تشير الى ان محاولات الانتكاس بالانجازات الاجتماعية تواجه رفضا متصاعدا من جانب الجماهير حيثما تتواجد مثل هذه المحاولات .

ولسنا نحاول هنا أن نثبت الشىء بوجود نقيضه قائلين ان التحولات الاجتماعية قوية لان ثمة معارضة لمحاولات الانقضاض عليها .. أى اننا لا نحاول تاكيد الايجابى بابراز مجابهته للسلبى، وانما فقط نريد أن نشير الى أن الانجازات الاجتماعية متى تواجدت هنا أو فى أى مكان آخر فانها تكتسب حصانة خاصة ، تجعلها – الى حد كبير – مستعصية على محاولات التصفية ، ذلك انها تستمد حصانتها من تمسك الجماهير بها واصرارها على صيانتها . أى أن التحول الاجتماعى قد أصبح – الى حد كبير – قضية الجماهير ومحط دفاعها وآمالها ، بحيث أصبح من المتعين على اعدائه أن يلجأوا للتحايل والمناورة خوفا من غضبة الجماهير .. ولقد ينجح البعض فى تجميد اجراءات التحول الاجتماعى أو غرس العقبات فى طريقها ، لكن ما أنجز من تحـولات يبقى دوما أملا للجماهير ونموذجا يلهب خيالاتها ومشاعرها ويحفزها للتحرك .

وباختصار فان التحولات الاجتماعية قد غرست فى أرض خصبة فدقت جذورها عميقا ، ولم يعد من السهل اقتلاعها .

حركة المقاومة

فاذا ما أتينا الى **العنصر الثانى وهو حركة** المقاومة الفلسطينية ، وهى جزء من حركة التحرر الوطنى العربية ، بل لعلها أشد أجزائها التهابا وحساسية .. نجد أن المقاومة بعد أن شقت طريقا مليئا بالعقبات والاخطاء والبطولات قد اجتازت مرحلة الاختناق . وما من أحد يكابر ويدعى أن المقاومة لم تعش فترة صعبة عسكرية وسياسيا وفكريا ونفسيا ، وما من أحد يتجاهل أن العدو قد نسج من كل كفاءاته ومن كل خبرته

وخبرة حماته الامريكيين ومساندتهم ومن كل قوة هراوته العسكرية • وأيضا من أخطاء المقاومة وأخطاء بعض الانظمة العربية والتناقضات القائمة بينها ، نسج من ذلك كله حبلا حاول جاهدا ، ضاغطا بكل قوته وقوة أمريكا معا ، أن يشنق به المقاومة الفلسطينية •

ولقد نجح الى حد ما ، ولبعض الوقت ، في ارباك صفوف المقاومة وفي توجيه ضربات رهيبة لها ، وفي محاصرتها • وثمة لحظات من الزمن بدا فيها الامر وكأن المخطط الصهيوني الامريكي قد نجح أو يوشك على النجـــاح ، لكن المقـــاومة الفلسطينية اجتازت ذلك كله لانها أولا وأخيرا ارادة شعب يناضل من أجل حقوق قومية مشروعة وعادلة •

وتبدأ المقاومة تتنفس من جديد ، ويكون مجرد تغلبها على المؤامرات المتــلاحقة والضربــات الاجرامية والارهاب الاسرائيلي المنتشر في كل مكان •• يكون مجرد اصرارها على البقــاء ومحاولتها التغلب على الاخطاء ورفضــها أن تستدرج من جديد الى استهلاك نفسها في ساحة الاعمال المجدبة وغير المفيدة ، وعملها من أجل توحيد صفوفها أو التنسيق فيما بينها ، وتصعيدها للعمليات داخل الارض المحتلة باعتبارها المجال الاساسي للنضال ضد العدوان الاسرائيلــي ، وسعيها لتوحيد كل صفوف القوى الوطنيــة والتقدمية والثورية ، سواء في الساحة الفلسطينية أو الاردنية ، واستشعارها بحساسية مرهفة خطر المؤامرات الصهيونية والاستعمارية للوقيعة بينها وبين المعسكر الاشتراكي وخــاصة الاتحــاد السوفيتي ، يكون ذلك كله ، دليلا جديدا على حيوية المقاومة الفلسطينية وعلى أنها قد أصبحت بالفعل جزءا من وجدان الامة العربية ، وجزءا من آمالها في التوصل الى الانتصار الحقيقي •

ولعل رعونة الاعمال الارهابية الاسرائيليــة الاخيرة وتخبطها (حادث أوسلو وحادث اختطاف الطائرة العراقية) دليلا جديدا على أن حكام اسرائيل قد بدأوا يستشعرون الملل في مجابهتهم للمقاومة الى حد ارتكابهم اعمالا بالغة الخطر على سمعتهم الدولية وعلى علاقاتهم الدولية ، وهو أمر كانوا حريصين دوا. على تفاديه •

الانظمة الوطنية المتحررة

والعنصر الثالث في الموقف هو صمود الانظمة الوطنية المتحررة العربية في مواجهة مخططات التصفية الامريكية ـ الاسرائيلية ، ويتمثل هــذا الصمود في رفض التسليم أو الاستسلام لهذا المخطط وفي رفض الشروط التي تمليها اسرائيل أو الثمن الذي تطلبه أمريكا ، وفي اعلانها باستمرار على تصميمها على استعادة كل ما اغتصـبه المعتدون الاسرائيليون ان سلما أو حربا ، وفي استمرار مساندتها للمقاومة الفلسطينية وتبنيها لها •

وتبقى الانظمة العربية المتحررة ، بـرغم كل شيء ، قوى فاعلة في دائرة النضال ضد الاستعمار والصهيونية وضد مخططات التصفية ، ومحورا تتجمع حوله قوى أخرى قد تكون أقل ثورية لكنها ذات قدرة فاعلة •

وقد نجحت الانظمة المتحررة والشعوب العربية عامة في فرض شعار « البترول سلاح في المعركة ضد العدوان » وشعار « النضال ضد أمريكا جزء لا يتجزأ من النضال ضد اسرائيل » وشعار « ضرب المصالح الامريكية لاجبارها على الكف علــى مساعدتها لاسرائيل أو الحد منها » •

وحتى ولو كانت جميع هذه الكلمات لــم تتعد ـ بعد ـ حدود الشعارات فانها تكتسـب دلالات هامة ، لانها توضح اتجاه المشاعر والامال والارادة للشعوب العربية وللقوى التقدمية فيها •• وتوضح ان الشعارات التقدمية قد أصبحت برغـم كل شيء ، هي المحور الذي يلتف حوله الكثيرون ، والذي يجبر حتى أعدائه على التمسح به •

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان أقساما من القوى الوطنية والتقدمية قامت بعملية اقتحام في اتجاه تصفية بعض مـــواقع الاحتكارات البترولية ، فأممت العراق شركة نفط العراق ، وأممت ليبيــا كليا او جــزئيـــا بعض الشركات الاخــرى (البرتش بتروليـوم ـ أوكسـيدنتال ـ موازسير) . فاذا دل هذا على شيء ، فعلى أن حركة التحرر العربي لاتزال تملك ـ رغـم كل الصعوبات والسلبيات ـ القدرة على المبادرة ، وعلى منازلة قوى الاحتكارات الدولية التي نهبت ـ ولا تزال تنهب ثروات الشعوب العربية ••

على أن التأكيد على ما يشكل الرصيد الايجابي لحركة التحرر العربي ينبغي الا يصرفنا عن الالتفاف الى نقاط الضعف والسلبيات التي نعاني منها •• وهي نقاط خطيرة ، لا يجوز لانسان أن يتخطاها دون أن يقع في نوع من السذاجة المهلكة •

والحقيقة أن حركة التحرر الوطني تقف اليوم

فى منعطف خطير للغاية ، وهذا المنعطف تجسده المواجهة مع العدو الصهيونى الامريكى • واذا كان **الرئيس السادات** قد استخدم فى وصف ضراوة المعركة مع هذا العدو عبارات : « **معركة المصير** » و « **أن نكون أو لا نكون** » ، فان هذه العبارات شديدة الدلالة على طبيعة المعركة ، كما أنها أدعى الى التفتيش عن نقاط الضعف التى تعانى منها الجبهات العربية •

واذا أردنا أن نحدد هذه النقاط فى ايجاز أمكن القول أن فى مقدمتها :

ـ أن وحدة القوى الوطنية والتقدمية داخل الدول المتحررة لم ترتفع الى المستوى المطلوب للمواجهة ، وأنها تعانى من نقاط ضعف رئيسية •

ـ أن وحدة العمل بين الدول الوطنية المتحررة ، هى أيضا لم تحقق الحد الادنى المطلوب للمواجهة ، رغم التقدم هنا وهناك •

ـ أن الاستعمار الجديد يخوض ضد الدول العربية المتحررة حربا أيديولوجية تنشر البلبلة وتهدف الى تخريب وتصفية المكتسبات الكبيرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى حققتها الشعوب ، وتهدف ـ بالتالى ـ الى ردها طريق التطور الرأسمالى •

ـ ان الامبريالية الامريكية واسرائيل والقوى المضادة تبذل كل جهدها لعزل معركتنا عن الجبهة الدولية الواسعة المناصرة والمتعاطفة مع البلاد العربية ، خاصة عن الاتحاد السوفيتى ، ومعسكر البلدان الاشتراكية •

وهكذا فان حساب الايجابيات والسلبيات فى مواقع الحركة الوطنية يدعونا الى أن نركز على تحديد المهام الرئيسية التى تمكن حركة الثورة العربية من أن تنتقل من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم •

وكتب عبد المنعم الغزالى :

واذا كان جو الانفراج الدولى يصلح اطارا تحل فيه قضايانا ، بكيفية ايجابية ، فان هذا الحل مشروط ، بالعمل على دعم مراكز القوة فى حركة التحرر العربية ، وتخطى النواقص والسلبيات الكامنة فيها • ان هذا معناه أن تحدد قوى الثورة العربية واجباتها الوطنية والقومية والدولية •

هذا ، وقبل أن ندخل الى حديث مفصل عن الواجبات ، من المهم أن نوضح هذه الحقيقة وهى أنه يجب الا ننظر الى ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، على أنها مجرد ازمة طارئة أو أنها مجرد حرب محلية فيها طرفان ، طرف منتصر ، وطرف مهزوم • الحقيقة أنها طور من أطوار نضال حركة التحرر الوطنى الديمقراطى العربى أمام هجمة من هجمات الامبريالية والاستعمار الجديد ، استخدمت فيها الدولة العسكرية الصهيونية (اسرائيل) ، ضد كل ما أحرزته الثورة العربية من انتصارات فى مجال تعزيز حركة التحرر الوطنى ، وبناء النظم التقدمية التى أعلنت عن هدف بناء مجتمع اشتراكى •

واجبات ومهام

أولا : على النطاق الوطنى ؟

١ ـ أول واجب يبدو أمامنا كالتزام ثورى يجب أن يناضل من أجله كل الوطنيين رغم تباين مواقعهم الاجتماعية والفكرية والمذهبية ـ هو تحقيق **وحدة القوى الوطنية** ، باعتبار أن تحقيقها شرط أساسى من شروط النضال من أجل تحرير الارض المغتصبة .

وتحقيق وحدة القوى الوطنية لا يمكن أن يتم الا من خلال منهج توحيدى ثورى ، وهذا المنهج التوحيدى ، هو الذى يتجنب أى عملية لدفع التناقضات الثانوية الى التأثير على الصف الواحد ، والى اغراق القوى الوطنية والثورية الحقيقية ـ تحالف قوى الشعب الوطنية ـ فى صراعات داخلية وجانبية ، متجاهلا بذلك أن التناقض الرئيسى الذى يحكم حركة الثورة اليوم هو التناقض بين حركة التحرر العربى ، وبين العدو الامبريالى الصهيونى •

انه واجب ملح وعاجل أن يتدعم بناء الوحدة الوطنية ، وأن يكون هذا البناء انطلاقا من المواثيق التى ارتضتها حركة الثورة المصرية خلال تطورها المستمر الى مواقع أكثر تقدما ، وهى ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطنى .

٢ – ان **الواجب الثانى** – لانجاز التعبئة اللازمة لاحراز النصر – يتمثل فى ضرورة الاصرار على **الاستمرار بالثورة الاجتماعية ، ومحتواها الديمقراطى** ، وتعميق جذورها ، والتصدى لكل محاولات قوى الرجعية والشرائح الطفيلية المتسلقة على المنجزات الاجتماعية التقدمية والديمقراطية . قال الرئيس **جمال عبد الناصر** فى خطاب له فى ٢٣ – ٧ – ١٩٦٧ : « **ايه كان القصد الحقيقى لعملية العدوان المركبة التى تعرضنا لها أخيرا ؟ لو سألنا أنفسنا هذا السؤال الرد كان .. يكون القصد الحقيقى القضاء على الثورة الاشتراكية الموجودة فى مصر . واذن فلكى نستطيع مواجهة العدوان فانه من الضرورى تدعيم الثورة الاجتماعية فى مصر** » .

ان دعم **القطاع العام** – الذى هو قاعدة التطور الاقتصادى الوطنى التقدمى المستقل لمصر – يكون بوضع خطط جريئة ، ومستنيرة لعمليات الاصلاح المالى والاقتصادى والادارى ، لتحرير كل طاقات الانتاج من أية معوقات ، ولرفع وصاية البيروقراطية وروتينها التقليدى عن هذا القطاع ، وكذلك منع القطاع الخاص من التحكم فى سير عملياته . أن قضية دعم القطاع العام باعتباره الركيزة الرئيسية لكل تطور اقتصادى تعنى ضرورة اليقظة والحذر من كل المخططات التى تهدف الى تقويض هذا البناء والاجهاز على رأس المال العام ، تحت شعارات التطوير الليبرالى لاقتصادنا .

ان هناك جيوبا رأسمالية نمت بطرق طفيلية ، وعلى حساب كل مخططات التقدم الاجتماعى للثورة المصرية ، ومن مصلحة هذه الجيوب وكل القوى الرجعية المضادة لخط ثورة ٢٣ يوليو الاجتماعى أن تضرب القطاع العام ورأس المال العام ، وكذلك من مصلحة الاستعمار الجديد الذى يعيش أحلاما ذهبية بالعودة الى بلادنا والسيطرة على مقدراتنا الاقتصادية أن يشكك فى قدرة القطاع العام ، ويروج لامكانية بناء ثورة اجتماعية بواسطة اقتصاد رأسمالى وطبقة رأسمالية . وقد أوضح **عبد الناصر** فى خطابه فى أول مايو ١٩٦٥ الهدف من الحملات المضادة للقطاع العام بقوله :

« **طبعا الرجعيين ، أى بقايا الرأسماليين والاقطاعيين حيكون انتقادهم باستمرار للقطاع العام انتقاد بغرض الهدم وبغرض أن يؤمن الشعب أن تجارب العمل من خلال القطاع العام لا يمكن أن تنجح وأن السبيل الوحيد هو القطاع الخاص . احنا بنقول ان احنا بنترك القطاع العام للنقد البناء للنقد النزيه للنقد الشريف** » .

ان تعميق الثورة الاجتماعية – من أجل التحرر ، توجب علينا اتخاذ كل الخطوات الحاسمة للمساواة بين المواطنين فى تحمل أعباء المعركة وتضحياتها ، على أساس أن يوضع فى الاعتبار المراكز الاجتماعية ومستويات الدخول . والى جانب ذلك ضرورة توفير ضمانات حقيقية بأن المعركة لن تعطى لفئة امتيازات خاصة على حساب القوى الشعبية وارادتها فى تطوير وتحسين مستوى حياتها وظروف معيشتها وممارستها لحقوقها الديمقراطية .

ان تعبئة كل طاقات الشعب من أجل المعركة تفرض توجيه القدرة البشرية للانسان المصرى على أساس من الالتزام بالثورة الاجتماعية – كقاعدة للانطلاق من أجل التحرير – نقول : توجيه هذه القدرة لخدمة الانتاج ومضاعفته من أجل توفير كل احتياجات اقتصادنا ليتمكن من الصمود فى وجه كل عدوان على خط تطوره الوطنى التقدمى .

وان تعميق جذور الثورة الاجتماعية ، خدمة لمعركة التحرير يعنى فى نفس الوقت النضال من أجل الديمقراطية السياسية – التى هى الوجه الاخر المقابل للديمقراطية الاجتماعية . وقد عبر عن ذلك الرئيس **جمال عبد الناصر** ثم فيما بعد **الرئيس انور السادات** – واكد دائما على مجموعة من الحقائق الهامة : ا – ان القيادات وحدها ليس فى استطاعتها أن تعطى شيئا – انما بالجماهير وبالاعتماد على الجماهير يعطى كل شىء وتوجه كل الطاقات للخلق وكل القوى للردع ، للبناء والدفاع . ب – ان اشراك كل طاقات الجماهير الخلاقة – يوجب تقنين الثورة وتوفير حصانات أكيدة للتطور الدستورى السليم ، وليظل القانون دائما أكبر من مراكز القوة وأعلى من ارادات الافراد . جـ – ان الحرية كل الحرية للشعب – من أجل أكبر حشد وتعبئة للمعركة ، ومن أجل الاستمرار فى بناء الثورة الاجتماعية . وان تكون قوى الشعب يقظة كل اليقظة لمحاولات استخدام القوى المضادة للثورة لهذه الحرية ومؤسساتها وما أكثر هذه المحاولات اليوم ، قال جمال عبد الناصر فى خطاب له فى ٦ – ٧ – ١٩٦٦ : « **الصحافة حرة فى حدود الميثاق .. لكن لا يمكن**

أن أقبل صحيفة تقول عايزين مجتمع رأسمالى • هذا عمل مضاد للثورة ، وهذه صحيفة الثورة المضادة » •

في المجال العربي

المجال العربي : ١ ـ ان قوى حركة التحرر الوطنى العربية مطالبة قبل أى شىء آخر أن توحد صفها ، وتلم شملها الوطنى والثورى • وعلينا أن نضع أمام أعيننا تجربة **جمال عبد الناصر** فى هذا المجال وهى تجربة غنية بالدروس ـ فى حديث له فى لقاء خاص مع ممثلى المحامين العرب فى ٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٧ قال : « وحدة القوى الثورية ممكن انها تيجى فى عدة أشكال ومش ضرورى ابدا نصمم على الوحدة بصفتها المطلقة اللى هى الوحدة ، اللى هى الدمج والتوحيد الكامل ، لان انا فى رأيى ان هذا الموضوع عسير قوى الوصول اليه • قد يكون من الاسهل أن نبتدى بنوع من الجبهات أو عمليات بهذا الشكل ودى بتوصل فى المستقبل الى نوع من التفاهم لمواجهة القوى المضادة الموجودة فى العالم العربى » •

والمنهج الذى رسمه **جمال عبد الناصر** فى ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٧ مازال محتفظا بكل حيويته ، ففى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المحامين العرب التاسع أكد :

« **أولا** : أن القوى الوطنية والثورية مطالبة قبل كل شىء آخر بأن تبنى قواعدها الاساسية فى أوطانها ومع جماهيرها • وهذا هو العامل الذى يحدد مكانها فى مجال وحدة القوى القومية الثورية ، كما أنه يحدد فاعليتها ، وبالتالى فان العمل الوطنى الثورى فى كل وطن عربى ـ هو مقياس الطاقة على خدمة العمل القومى » • ثم قال :

« •• وحين أتحدث عن القواعد الاساسية فلست أعنى بذلك قواعد السلطة فى اكثر ما نرى الجماهير العربية على ناحية ، والسلطة فى أوطانها على الناحية الاخرى • ان الجماهير هى القوة الحقيقية ، والسلطة بغير جماهير مجرد تسلط معاد لجوهر الحقيقة » •

« **ثانيا** : ان ذلك بغير شك سوف يقدم خدمة كبرى لتحقيق لقاء القوى الثورية ، ذلك أن القوى الثورية فى هذه الحالة سوف تتقدم الى ميدان اللقاء القومى على العمل الثورى وهى أكثر وضوحا من تأثير تفاعل فكرها بجماهير شعبها ، ثم هى أكثر ثقة بالنفس من تأثير اطمئنانها الى قواعد قوتها ، والثقة بالنفس مقدمة طبيعية الى الثقة بالكفاح المشترك ، وعلى أساس هذه الثقة فان القوى الثورية العربية تستطيع أن تدير الحوار البانى لوحدتها الفكرية بما يمكنها من تحديد هدفها ومراحله ، وتحركها عبر المراحل المتعددة الى الهدف الواحد النهائى » • ثم قال :

« **ثالثا** : ان وحدة القوى الثورية سوف تقدر فى هذه الحالة على تحمل مسئولية المواجهة الخطيرة المفروضة الان على الامة العربية والتى لا تحتمل بالنسبة لها ـ وفى النتيجة الاخيرة ـ غير النصر الكامل » •

البترول سلاحا

هذه الوحدة الموجهة الى كسب معركة التحرير مطالبة بالاساس أن تستخدم فى نضالها هذه الاسلحة ذات الفعالية الهائلة ـ البترول •

يقول د • **مايكل تانزر** وهو من علماء الولايات المتحدة فى المسائل البترولية ، ويرأس حاليا شركة تانزار الاقتصادية المتحدة (بنيويورك) وهى شركة استشارية فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية ـ فى بحث قدمه فى الندوة العلمية العالمية التى انعقدت فى بغداد من ١١ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ ـ عن **النفط كسلاح** :

« ان وحدة العالم الثالث ككل تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا فى التغلب على الامبريالية الغربية ، وفى ارساء الاساس للتنمية التدريجية لجميع بلاد العالم الثالث • ان البلاد المتخلفة المصدرة للنفط ، اذ تملك مصدرا للثورة نادرا وثمينا الى اقصى حد ، ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره ، فانها فى وضع بتميز خاص يتيح لها أن تتولى القيادة بهدف ارساء اساس محدد تقوم عليه هذه الوحدة بين بلدان العالم الثالث • وهناك أيضا عدد كبير من البلدان المتخلفة المستوردة للنفط فى وضع مماثل ، اذ تملك ـ هى الاخرى ـ موارد طبيعية ثمينة تتحكم فيها الاحتكارات الدولية • وهكذا ، فمن المأمول فيه أن تكون السياسة التقدمية التى تنتهجها البلاد المتخلفة المصدرة للنفط ازاء بلاد العالم الثالث الاخرى ، مثالا تحتذيه هذه البلاد

الاخيرة ، ولابد من أن تتسم بطابع الاستعاضة ومعاملات متبادلة خارج نطاق البترول تقوم بها بلاد العالم الثالثفيما بينها على حساب الشركات الدولية ، التى استغلت جميع هذه البلاد لامد طويل وطبقاً لخطة موضوعة » •

ثم يضيف :

« فاذا استطاعت البلاد المتخلفة المصدرة للنفط أن ترتفع الى مستوى الموقف ـ بكل ما يفرضه من تحديات فاقامت مثل هذه القيادة الرشيدة ، فانها لن تكون قد قطعت خطوة كبرى نحو تحررها هى من الامبريالية فحسب ، وانما ستكون قد رفعت أيضا الكفاح المحتدم فى جميع أرجاء العالم ضد الامبريالية الى مستوى جديد أعلى وسوف يذكر التاريخ دوما أولئك الذين كان لديهم من بعد النظر والشجاعة ما يدفعهم الى الاضطلاع بهذه المهمة الحيوية الملحة » •

وتتضح لنا أهمية البترول كسلاح ، فى مواجهة العدوان الامبريالى الصهيونى ، وفى مواجهة الهجمة الجديدة للاستعمار الجديد على كل منجزات حركة التحرير العربية من الارقام التالية :

● حققت الاعمال المتعلقة بالبترول أرباحا صافية للولايات المتحدة الامريكية بلغت قيمتها خلال فترة عشرين عاما من عام ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ حوالى ١٢٠ مليارا من الدولارات فى الشرق الاوسط ، بينما هى لم تستثمر فى هذه المنطقة سوى ١ر٥ مليارا من الدولارات •

● بلغت أرباح الشركات التى تنتمى الى كارتل النفط الدولى ٣ر٨ بليون دولار فى عام ١٩٧٠ ويحصل أعضاء الكارتل على ١ر٢٥٨ مليون طن أو ٨٦ فى المائة من انتاج النفط فى العالم غير الاشتراكى ، ويأتى ٤٢ فى المائة من هذه الكمية من بلاد الشرق الادنى والاوسط و٢٥ فى المائة من بلاد افريقيا الاستوائية وفنزويلا •

● وفى عام ١٩٧١ قدرت أرباح الاستخراج للشركات فى البلاد العربية ب ٤٤٥٠ مليون دولار ، وأرباح التخزين والتوزيع ب ٤٠٠٠ مليون دولار ، هذا غير أرباح النقل والتكرير وهى غير معلنة ، وبلغت أرباح الحكومات المستهلكة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة ما يزيد ٣٤ مليار دولار من النفط العربى •

● وهكذا يشكل البترول العربى بوقوعه تحت سيطرة المجموعات الامبريالية فى الولايات المتحدة الامريكية ، أو فى أوروبا الغربية قاعدة مهمة لنشاط الرأسمالية العالمية ضد حركة التحرر الوطنى ، وضد الاشتراكية ـ ويشكل ـ بصفة خاصة ـ قاعدة هامة لتمويل اسرائيل والمنظمات الصهيونية ـ ويكفى ان نشير هنا الى أن المؤسسات المالية اليهودية المعروفة بولائها لاسرائيل والحركة الصهيونية العالمية قد تمكنت من شراء قسم لا يستهان به من اسهم الشركات البترولية الغربية والعاملة فى البلاد العربية ـ الى جانب مساهمة بعضها فى تمويل هذه الشركات بقروض طويلة الاجل •

تملك عائلة روتشيلد الان قسما من أسهم شركة جولف أويل كوربوريشن وشركة شل وشركة البترول الفرنسية وكلها من الشركات الكبار المستثمرة للبترول العربى • وقد ساهمت عائلة روتشيلد فى تمويل خط انابيب ايلات ـ حيفا •

بعد ذلك كله ، يصبح على حركة التحرر العربى أن تعمل من أجل استخدام هذا السلاح « **النادر الثمين** » وفى امكان قوى حركة التحرر العربى اذا استخدمت هذا السلاح ان تتحدث عن وجود « **متغير** » ستكون له تأثيراته الاستراتيجية لا فقط من وجهة نظر تحرير الارض العربية المغتصبة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين ، ولكن كذلك من وجهة نظر مستقبل بناء اقتصاد عربى قوى ومستقل ، وانجاز خطة تنمية عربية طموحة . فهذا هو الاستخدام الامثل للقوة الذاتية العربية •

واجب حيال المقاومة الفلسطينية

بعد يونيو ١٩٦٧ نمت منظمات المقاومة الفلسطينية وتعاظم دورها وتصاعدت عملياتها ، واعتبر ذلك ظاهرة مشرقة فى حركة النضال العربى • ولطالما أكد **جمال عبد الناصر** ومن بعده **الرئيس أنور السادات** على هذه الحقيقة •

ان الهجوم الشرس من قبل العسكرية الاسرائيلية وسادتها امبرياليى الولايات المتحدة على حركة المقاومة لتصفيتها يوجب على حركة التحرر العربى ، وعلى كل مواقعها التقدمية فى العالم العربى أن تستمر دون ـ قيد أو شرط ـ فى دعم حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها أمل الفجر المشرق الذى يترقبه الشعب الفلسطينى العربى لاستعادة أرضه المغتصبة وحقوقه السليبة . ولنذكر هنا كلمة **جمال عبد الناصر** فى ٢٠ ـ ١ ـ ١٩٦٩ : « **ان الارادة الفلسطينية يجب**

أن تترك بغير اعتراض ويجب أن تكون لها الفرصة كاملة لتحقيق آمالها ولا ينبغى أن تكون هناك آية وصاية على تصرفاتها » .

ان حركة التحرر العربية - وبكل مواقعها التقدمية يجب أن تمنح المقاومة الفلسطينية وهى تناضل الان فى ظروف قاسية وصعبة - كل القدرات والمساعدات النضالية والاخوية لتتمكن من دعم قواعد نضالها داخل الارض المحتلة .

وعندما نؤكد هنا - على أن هذا الواجب ، هو واجب المواقع التقدمية فى حركة التحرر العربى - فذلك لان مواقع الرجعية تخشى حركة المقاومة الفلسطينية وترتعد من أى عوامل قوة تضاف لها - وقد سعت من قبل لتصفيتها دمويا . قال **جمال عبد الناصر** فى خطابه فى ١٥ - ٦ - ١٩٦٦ فى دمنهور :

« ان الرجعية لا يمكن بأى حال من الاحوال ان تسير مع القوى التقدمية .. ولو كانت المسيرة نحو فلسطين ، لان الرجعية تنظر الى القوى الثورية العربية وتنظر الى القوى التقدمية العربية على أنها خطر عليها أكبر من خطر اسرائيل ، ولان الرجعية المتعاونة مع الاستعمار .. الرجعية المتحالفة مع الاستعمار .. الرجعية الداخلة فى مناطق نفوذ الاستعمار لا تحسب خطر اسرائيل لان الاستعمار باستمرار يحميها وينسق بينها وبين اسرائيل . والرجعية العربية تحسب خطر التقدم العربى لانها رجعية مستغلة تسلب اموال الشعب العربى ، وانها رجعية مستبدة تعتمد فى حكمها على النضال الطبقى ، ولانها رجعية متعصبة ، رجعية مسيطرة » .

ثالثا : على الجبهة العالمية

يجب علينا ونحن نتصور واجبات حركة التحرر العربية فى المجال الدولى ، أن نقرر أن التناقض الرئيسى الذى مازال يحكم تطور الحركة الثورية فى العالم هو التناقض بين معسكر الثورة العالمية - والذى يضم بلدان الاشتراكية ، وبلدان حركة التحرر الوطنى فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية - ومعسكر الرأسمالية العالمية وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية .

واذا ما اعتبرنا أن هذا هو التناقض الرئيسى على الصعيد العالمى فيمكننا أن نحدد موقع حركة التحرر العربى فى هذا الصراع - انها جزء لا يتجزأ من معسكر الثورة العالمية ، وحركة وحدة هذا المعسكر فى نضاله ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث لا تنفى وجود خلافات وتناقضات داخلة ، وتعدد الايديولوجيات والافكار والمنطلقات المذهبية ، ولكن كل هذه الخلافات والتناقضات هى الان ثانوية وعلى الثوريين الحقيقيين والوطنيين الصادقين الا يجعلوها تهدد وحدة هذا المعسكر والا لوفعلنا لانتصرت سياسة الاستعمار التقليدية « فرق تسد » ، وعلى قوى حركة التحرر ان تكون يقظة لان قوى الامبريالية العالمية والاستعمار الجديد - بوسائلهم المتعددة - يسعون الى بذر بذور الفرقة داخل معسكر الثورة العالمية ، بهدف عزل حركة التحرير الوطنى عن القوى الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى - والتى متحالفه مع حركة التحرر الوطنى تمكنت من أن تحقق العديد من الانتصارات على معسكر الامبريالية والرأسمالية العالمية . وحتى فى ظل سياسة الانفراج الدولى تمكنت قوى عديدة فى الفترة الاخيرة من تحقيق انتصارات حاسمة على الامبريالية العالمية ورأس رمحها الولايات المتحدة - فيتنام مثلا وها هى كمبوديا تخطو نحو نصر حاسم .

ومن هنا ، فان أول واجب علينا ازاء الجبهة العالمية ، يوجب علينا أن نقدر غاية التقدير عنصر التحالف بين حركة التحرر العربية والقوى الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى - وان نحذر كل الحذر كل الدعاوى التى تريد لهذا التحالف ان تنفصم عراه . ولقد نبه **جمال عبد الناصر** الى ذلك فى خطابه فى أول مايو ١٩٧٠ :

« من عجب - أيها الاخوة - أن يقول وزير خارجية اسرائيل ان المساعدة السوفيتية لمصر هى وجود استعمارى ، وهو قلق على مصر (!!) .. وزير خارجية اسرائيل قلق على مصر (!!) .. هل هذا صحيح ؟ هل مساعدتنا فى تحرير أرضنا هو الوجود الاستعمارى ، أم أن الوجود الاستعمارى هو قوات الاحتلال الاسرائيلية على أرضنا . هل مساعدتنا فى مواجهة الارهاب الموجه الى الشعوب العربية هو الوجود الاستعمارى ، أم أن الارهاب والقتل وتغيير طبيعة الاراضى العربية هو الوجود الاستعمارى !! » .

« اننا أيها الاخوة نقول انه لولا المساعدات السوفيتية لنا بعد ما حدث فى يونيو ١٩٦٧ ، لكان الاستعمار تحكم فينا ، لكانت كل اهدافنا تحت أقدام الغزاة ، لكان القتل هو شريعة الذين يريدون التحكم فى مصائر الامة العربية وفى أقدارنا » .

« ان المساعدات السوفيتية قد تضاف الى طاقة النضال من أجل التحرير ، ومن أجل الحرية • وان الاستعمار وخطر الاستعمار ، والاستغلال والتهديد الموجه هو الخطر على الاستقلال والخطر على الحرية • وهذا هو ما تمارسه اسرائيل ضدنا بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية » •

هذا هو العنصر الاول الذى يجب وأن نوجه كل اهتمام له فى مجال علاقاتنا الدولية - وذلك حتى نفسد على الامبريالية والصهيونية مخططهـا للاساءة الى هذه العلاقات التى نمت وتطورت خلال تجارب عملية ، وأثمرت تحالفا صادقا ، داخل حركة التحرر العالمية عامة ، والعربية بصفة خاصة •

ويأتى العنصر الثانى فى مجال الجبهة العالمية وهو حركة التحرر الوطنى فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية • فالحقيقة ان نضالنا الوطنى المصرى الشعبى ونضال شعوب الامة العربية كلها انما يحدث اليوم فى اطار حركة الثورة العالمية كلها بما فيها حركة التحرر الوطنى • ان حركة التحرر الوطنى فى العالم كله تتعرض اليـوم لهجمات وغارات استعمارية رجعية وشرسة ، وان وحدة حركات التحرر الوطنى فى مواجهة هـذه الهجمات يجب أن تتعزز فى كل المجالات التى ازدهرت فيها ، على نطاق المؤتمر الاسيـوى الافريقى - وعلى نطاق مؤتمرات دول عـدم الانحياز • وعلى حركة التحرر الوطنى العربية ان تعزز علاقاتها ووحدتها مع هذه المواقع ، وان تفيد منها فى نضالها العادل ضد العدوان الامبريالى الصهيونى •

والعنصر الثالث ، فى الجبهة العالمية ، والذى يتمثل فى المنظمات العالمية الشعبية المعـادية للرأسمالية العالمية والامبريالية : الاتحـادات العالمية للعمال والشباب والنساء والطلاب ، وهى منظمات بطبيعتها تقف الى جانبنا بكل جهـد ووسيلة • وعلينا أن نبذل المزيد من الجهد لتعبئة أوسع وأشمل لهذه المنظمات لتكون منابر تعلو من فوقها رايات حركة التحرر العربى •

ثم يأتى عنصر رابع - وهو عنصر لا نغفله ، ولكنه يستوجب من حركة التحرر العربى كل الحذر واليقظة وهى تتعامل معه - وهو عنصر استخدام التناقضات داخل معسكر البلدان الرأسمالية ، بحكم اختلاف مصالح طبقاتها الحاكمة للسيطرة على أسواق العالم ، وبحكم الصراع الداخلـى الدائر بينها وبين الولايات المتحدة • ولكن علينا أن نذكر دائما كلمة لجمال عبد الناصر قالها فى ٢-١١-١٩٦٦ فى خطابه فى مجلس الامة :

« اننا نواجه مع غيرنا من الدول المنتجة للمواد الخام والمصدرة لها ضغوط الدول الصـناعية المتقدمة التى تسعى الى هدف مزدوج تحتفظ فيه بمستويات المعيشة العالية لشعوبها ، هذا الهدف المزدوج هو تخفيض سعر المواد الخام وفى نفس الوقت رفع سعر السلع المصنعة » • ثم يضيف :

« يتصـل بذلك مباشرة اننـا نعـانى فى الفترة الاخيرة ، بالرغم منا نصيبا من أزمة الرأسمالية العالمية ، هذه الازمة المتمثلة فى التناقضات التى تواجهها القوى المالية التى سيطرت فى العالم منذ انتهاء الحرب الكبرى الاخيرة • ولقد انعكست من هذه الازمة بعض المظاهر كالخلل فى ميـزان المدفوعات الامريكى والنقص الظاهر فى وسائل الدفع والارتفاع الخيالى فى أسعار الفائدة • واذا ما ذكرنا ان نصف تعاملنا مع العالم الخارجى هو مع العالم الرأسمالى لادركنا أننا شئنا أم لم نشأ نتحمل نصيبا فى هذه الازمة ، ومن سوء الحظ أن الاقوياء فى عالمنا لا يصدرون بضائعهم فقط ولكنهم يصدرون أيضا متناقضاتهم الداخلية ، ويفرضون على غيرهم أن يدفعوا الثمن أو على الاقل جزءا منه • وفى الحقيقة فان ظاهرة الاستعمار الجديد تعنى بالدرجة الاولى أن الرأسمالية العالمية وهى تسعى للسيطرة على موارد الشعوب الاخـرى واخضاعها للاستغلال ونهب مواردها الطبيعية وعملها الانسانى بأرخص الاسعار ، انما هـى بصورة أو بأخرى تقوم بتصدير متناقضاتها خارج حدودها » •

والواقع أن عبد الناصر قد طرح بهذا الكلام المدخل السياسى اللازم لاستفادة مصر - كبلد نام - من ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية . ان مصر لم ترفض فى يوم من الايام أن تتعامل - على قدم المساواة - مع جميع البلدان ، على الرغـم من اختلاف نظمها الاجتماعية • لكن الذى حدث هو أن الاحتكارات الامبريالية كانت ترفض أن تقيم مصر صناعاتها الثقيلة العصرية ، لعلمها أن هذا يحفز الدول النامية الاخرى على أن تحذو حذوها • ومن ثم فقد كانت معركة بناء الصناعة فى مصر فى مواجهة الاحتكارات الدولية هى معركة ثورة يوليو من أجل الاستقلال الاقتصادى ، من أجل أن يقوم فى مصر اقتصاد صناعى زراعى متوازن لا تزعزع أسسه الازمات المالية والنقدية التى يعمل العالم الرأسمالى على تصديرها فى هذه الايام الى بلدان العالم الثالث •.

حـــركة التحـــرر الـــوطنى واسهامها فى الانفراج الـــدولى الراهـــن

ودیع أمين

اذا كان ظهور النظام الاشتراكى ـ كنظـــام عالمى ـ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ثم بدء ظهور الثورة العلمية والتكنولوجية منذ منتصف الخمسينات فى مقدمة العوامل التى مهدت • خلال خمسة عشر عاما الماضية لظهور ما نسميه اليوم بالمتغيرات الدولية الجديدة ، فان هناك عـــاملا أساسيا ثالثا لا ينبغى اغفاله ، ونعنى به هذه الحركة العالمية الجبارة ، حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية •

فبعد هزيمة الفاشية ، وفى فترة تقل عن عشر سنوات انهار الصرح الاستعمارى الذى شيدته الامبراطوريات القديمة وعلى رأسها الامبراطورية البريطانية ، وانطلقتحركة تحرير المستعمرات •• تتصاعد وتتسع بايقاع متزايد السرعة • وهكذا ، ففى الفترة مابين عام ١٩٤٥ ـــ ١٩٥٧ـــتحرر من التبعية الاستعمارية حوالى ٧٠٠ مليون نسمة فى آسيا . وفى الفترة من ١٩٤٥ ـ ١٩٦٢ تحرر فى افريقيا ١٥٠ مليون نسمة • واليوم ، نجد أن حوالى ١٥٠٠ مليون نسمة (نصف البشريـــة تقريبا) قد طرحوا قيـــود التبعيـــة للـــدول الاستعمارية ، وأن ٧٠ دولة قد ظهرت على خريطة العالم كدول ذات سيادة ، ومستقلة سياسيا .

وهذه الظاهرة ، ظاهرة نضـــال شـــعوب المستعمرات التى ترجع بداياتها الى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد لفتت نظر لينين الذى اهتم بدراستها ، وخرج منْ هـــذا باستنتاجات وتوقعات ثبتت صحتها وفى مقدمتها :

ان شعوب الشرق :

« ستظهر كمشـــاركة مستقلة وبانية لحيـــاة جديدة » •

وان :

« **فترة يقظة الشرق فى الثورة المعاصرة سوف تخلفها فترة تصبح فيها شعوب الشرق جميعها مشاركة فى تقرير مصير العالم كله** » •

فاذا سألنا بعد ذلك : بأى معنى يمكن أن نقول أن شعوب بلدان العالم الثالث قد أصبحت تشارك مشاركة متزايدة فى تقرير مصير العالم فأن هذا معناه :

أولا : ان استقلال ٧٠ دولة عن التسلط الاستعمارى قد أضعف مواقع الامبرياليين اضعافا خطيرا وذلك من ناحيتين :

ناحية كمية (أو جغرافية) تتمثل فى تقلص

مساحات الاراضى التى كان الامبرياليون يبسطون عليها نفوذهم وينهبونها ٠

وناحية كيفية (ترتبط بالعلاقات والسياسات الدولية) وهى ان النضالات الجماهيرية السياسية والاقتصادية والصدامات المسلحة التى خاضتها شعوب حركة التحرر الوطنى لم تضعف هيبة الامبرياليين فحسب ، بل صفت كثيرا من قواعدهم العسكرية العدوانية ، وأيقظت الجماهير فى داخل البلدان الامبريالية ذاتها ، وحفزتها على أن تكافح ضد سياسات حكوماتها الامبريالية ذاتها من أجل وضع حد للحروب الاستعمارية ، ومن أجل تعاون دولى يقوم على المساواة والمنفعة المتبادلة ٠

ثانيا : ان نمو وتطور الرأسمالية العالمية من مرحلة المنافسة الحرة الى مرحلة الامبريالية . وما اقترن بذلك من مضاعفة نهب واستغلال شعوب المستعمرات من قبل مجموعات قليلة من الاحتكاريين ، ان هذه الظاهرة قد أرست الاساس الموضوعى للكفاح المشترك ضد العدو المشترك الرأسمالية الدولية من قبل معسكر البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى العالمية . وهذا التحالف والتضامن الموضوعيين لم يكن أبدا يتعارض مع شعار الحياد الايجابى ، لان هذا الحياد قد برهن على أنه شكل ملموس وايجابى من أشكال الكفاح ضد الامبريالية ٠

ثالثا : وفى مجرى التعاون الذى قام بين البلدان النامية التى دخلت معارك ضارية لتحرير نفسها من قبضة الاحتكارات الدولية ٠ وجدت تفهما ومساعدة فعالة من قبل المعسكر الاشتراكى . فقد قدم النظام الاشتراكى للبلدان النامية مساعدات متعددة الجوانب اقتصادية وسياسية ، وقدم السلاح للثورات التحريرية الى طلبته فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ٠ وكان لهذا كله أثره على العلاقات التجارية الدولية ٠ وحال بين كثير من البلدان النامية وبين وقوعها مرة أخرى فى حظيرة التبعية الاستعمارية ٠ وهنا نذكر ، على سبيل المثال — مواقف الاتحاد السوفيتى ، أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وتهديد كوبا بالغزو عام ١٩٦٢ ومساندة كفاح شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا ٠ ووقوفه مع حق تقرير مصير شعب البنغال ٠

رابعا : وفى مجرى نضال بلدان العالم الثالث ضد الامبريالية ، وأثناء كفاحها الشاق من أجل تصفية التركة الاستعمارية المثقلة ، أخذت هذه البلدان تظهر على صعيد السياسة الدولية كقوة مؤثرة وايجابية ، تقوم بدورها ، وتقدم اسهامها الخاص على النطاق العالمى فى ضرب وتجميد ومحاصرة مغامرات الامبرياليين ومخططاتهم العدوانية ٠

وهكذا لم تتوان البلدان المستقلة حديثا عن فضح ومقاومة محاولات التدخل فى شئونها الداخلية ، ومطالبة الدول الامبريالية بالكف عن ممارسة الضغوط الاقتصادية ، والمناداة بتحرير التجارة الدولية من سيطرة الاحتكارات الدولية ٠

وقد وجدت من بين قادة بلدان العالم الثالث طلائع قادت الكفاح على الصعيد العالمى من أجل تجنيب العالم كارثة حرب نووية مدمرة ، وهنا نذكر مثلا العدد الكبير من المؤتمرات الدولية واللقاءات التى شارك فيها جمال عبد الناصر ونهرو وسوكارنو ، وغيرهم من أقطاب سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، فقد عبروا باستمرار فى بياناتهم وأحاديثهم عن رغبتهم فى وقف سباق التسلح النووى بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة ، كما طالبوا بنزع السلاح الكامل الشامل ٠

ولعلنا نذكر — فى هذا المجال — أن قرارات مؤتمر **باندونج** (١٩٥٥) قد تضمنت :

« المطالبة بتحريم استخدام وسائل الدفاع الجماعية لخدمة الاهداف الخاصة بأية دولة من الدول الكبرى ، وتدعيم التعاون المشترك والمنافع المتبادلة بين الجميع » ٠ كما طالب مؤتمر **بلجراد** عام ١٩٦١ : « بتدخل دول العالم الثالث من أجل تخفيف حدة التوتر الدولى ، والعمل على تحقيق التعاون الاقتصادى بين الجميع ، وتجريد بعض المناطق من الاسلحة النووية ، وحل جميع الاحلاف العسكرية ، وازالة القواعد العسكرية من أراضى جميع البلدان ٠ وقد وصف الزعيم الراحل **جمال عبد الناصر** مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٦٤ وشاركت فيه ستون دولة بقوله : « **كان مؤتمر باندونج وقفة ضد الاستعمار ، ومؤتمر بلجراد وقفة ضد الحرب ، وليكن مؤتمر القاهرة وقفة من أجل السلام** » ٠

هنـا يتضح ان التغييرات التى تحدث فى السياسة الدولية فى اتجاه الانفراج ، وتصفية آثار

الحرب الباردة ، واستبعاد شبح الحرب النووية ، نقول ان هذه التغييرات لم تكن بعيـدة عن عمل وكفاح شعوب بلدان العالم الثالث • بل لقد كان نضال حركة التحرر الوطني ـ علـى الدوام ـ اسهاما من أجل تحقيق هذه الاهداف ، واحداث هذه المتغيرات •

ومن هنا فان كل تغير حقيقي في اتجاه الانفراج الدولي ، لابد وأن يوفر مناخا مواتيا لتطور حركة التحرر الوطني وتعزيز مكاسبها وانتصاراتها وذلك على الوجه التالي :

١ ـ ان اضطرار الامبرياليين الى الموافقة على سياسة التعايش السلمي سيقلل ـ بلاشك ـ من فرض عدوانهم العسكري المباشر علـى الدول النامية •

٢ ـ ان الحد من انتاج أسلحة الدمار سيوفر مناخا دوليا يسمح للبلدان النامية بأن تستفيد أقصى فائدة من المعونات الاقتصادية الدولية ، لكي تختار ما هو أصلح لها ، ولدعم استقلالها الاقتصادي والسياسي • ولاشك أن تخفيض نفقات التسلح سيمكن البلدان الاشتراكية من تقديم مساعدات أكثر تنوعا للبلدان النامية ، بل أنه سيتيح حرية الحركة للبلدان النامية في تعاملها التجاري والاقتصادي مع البلدان الامبريالية وذلك في جو المنافسة الحادة القائمة بينها •

٣ ـ ان دعم سياسة الانفراج الدولي من شأنه أن يضعف مواقع الدوائر الاشد عدوانية فـي البلدان الامبريالية ، وهي دوائر المجموعات الاحتكارية ، والتجمعات الصناعية العسكرية التي تكون ثرواتها أساسا من صناعة السلاح • وهذه الدوائر هي أشد أقسام الرأسمالية الدوليـة عداء لاهداف حركة التحرر الوطني •

وعلى ضوء هذا كله يتعين على القوى السليمة في حركة التحرر الوطني ألا تقف موقف المتفرج على التحولات الضخمة التي تجري على الصعيد الدولي في اتجاه الانفراج والتعايش السلمي • ذلك أن هذه القوى قد ساهمت في الدفاع عن السلم مساهمات ايجابية للغاية ، وهي قد فعلت ذلك من معرفتها ـ بحكم التجربة ـ بأن جو التوتر الدولي ، والحرب الباردة هو المناخ الذي تفرخ فيه الثورات المضادة ، ويستفحل فيه التدخل في الشئـون الداخلية للبلدان النامية • وتشتد فيه الضغوط الاقتصادية من كل نوع •

وبالتحديد فان ما هو مطلوب من البلـدان المستقلة في العالم الثالث هو أن تقوم بمسئولياتها من أجل أن يستمر هذا الانفراج الذي بدأ ، والا ينتكس الوضع الدولي مرة أخرى •

الجامعـــة الأهليـــة

اســـتطلاع رأى

١ ـ مـا رأيك فى الجـــــامعـــة الاهليـــــة من زاوية :

- مبدأ تكافؤ الفرص
- مجانية التعليم التى ينص عليها الدستورصراحة ..
- وحدة التعليم

٢ ـ هـل تتوافر الامكانيـات المـادية اللازمة لنجـاح المشروع (خصوصا من زاوية :

- توفر الاساتذة اللازمين
- رأس المال اللازم للانشاء
- التمويل اللازم لاعدادها اعدادا عصريا

٣ ـ ماهى الاشـياء التى يفرضـها المشروع على الدولة من زاوية :

- زيادة عدد الخريجيين الذين تلتزم الدولة بتعيينهم
- مطالبة الدولة بتوفير احتياجاتها واعانتها

حظى موضوع الجامعة الاهلية ـ ولايزال ـ باهتمام واسع من اقسام الرأى العام فى بلادنا ، وتصدى لمعالجة الموضوع مؤيدون للمشروع ومعارضون له ، من أساتذة الجامعات والكتاب والصحفيين .

وتمشيا مع اهتمام الطليعة بتحديد موقف من القضايا الداخلية الحيوية ، فقد رأت أن تستطلع حول هذه القضية الهامة راى عدد من اساتذة الجامعة والباحثين والمعيدين ورجال التعليم .

وترحب الطليعة بكل رأى موضوعى ، حتى وان اختلف مع رأيها القائل بأن كل مشروع تعليمى يجب أن يؤسس على الاساسيين التاليين :

ــ تحقيق تكافؤ الفرص ..

ــ وأن مجانية التعليم فى جميع المراحل حق كفله الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية .

دعوة تحتاج الى تمحيص شديد !

قد تبدو الدعوة لانشاء جامعة أهلية دعوة براقة للوهلة الاولى ، خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار الازمة المزمنه التى يعانيها نظامنا التعليمى بأكمله . ولكن هذه الدعوة تحتاج بالتأكيد الى تمحيص شديد . ويمكن فى رايى تناول هذا الموضوع من جانبين :

الجانب الاول : جانب فكرى ومبدئى . وهنا يثور سؤال هل من السليم حقا ان توجد جامعة أهلية فى مجتمع اشتراكى ، وهل هذا يتسق مع المواثيق الاساسية للثورة وخصوصا الميثاق الوطنى وأيضا دستور البلاد .. أم لا ؟

الجانب الثانى : جانب عملى يدور حول مدى امكانية توفير الاحتياجات التى يتطلبها انشاء جامعة أهلية « محترمة من الناحية العلمية » فى ظل الظروف الصعبة الراهنة ؟ رأيى فيما يتعلق بالنقطة الاولى ان فكرة الجامعة الاهلية تتعارض تعارضا مبدئيا مع مواثيق الثورة واهداف المجتمع الاشتراكى . واركز هنا على سببين :

اولا : ان فكرة الجامعة الاهلية قائمة على أساس أن يكون التعليم فيها بمصروفات وليس بالمجان مع استعدادها لقبول القادرين ماليا بصرف النظر عن مدى قدرتهم أو استعدادهم العلمى . وبالتالى فمن السهل ان نتوقع أن الضغوط التى تنادى بقيام جامعة أهلية هى اساسا ضغوط من أولياء الامور القادرين ماليا وغير القادرين فى نفس الوقت على ادخال ابنائهم الجامعة بسبب عقبة المجموع . اذن الجامعة الاهلية ستكون مكانا

لابناء القادرين ماليا الذين يعجزون بسبب ضعفهم العلمي عن القفز من طابور التنسيق الى الجامعات الحكومية . وهذا اهدار لمبدأ تكافؤ الفرص الذى دعا اليه الميثاق ، سواء فى مجال التعليم ، او فى غيره من المجالات . واضيف أيضا انه لا ينبغى الاحتجاج هنا بوجود مدارس اعدادية وثانويه بمصروفات . فهذا من الاساس اهدار لتكافؤ الفرص . وطالما رفعنا أصواتنا بضرورة ضم هذه المدارس الى الحكومة خصوصا وان الدولة تعينها سنويا بمبالغ ضخمة وهذا معناه أن هناك جزءا من أموال الشعب يصرف من أجل مساعدة القادرين على تعليم أبنائهم تعليما خاصا فى حين كان العكس هو الاولى بأن يكون .

ثانيا : ان التعليم الخاص بمصروفات ، سواء فى الاعدادى أو فى الثانوى أو فى الجامعة الاهلية أمر مناف لنص صريح فى الدستور الذى تنص مادته العشرين على أن « التعليم فى مؤسسات الدولة التعليمية مجانى فى مراحله المختلفة » . ولو أن المسألة اقتصرت على مدرستين أو ثلاثة مدارس بالمصروفات ولا تعينهم الدولة لهان الامر ولكن المسألة تتفاقم كما هو معروف ، وقد ادركت وزارة التربية والتعليم هذه المسألة مرة فأصدرت قرارا بحل مجلس ادارة المدارس القومية تاركة كل مدرسة تمول نفسها بنفسها .

أما الجانب الاخر فى هذا الموضوع ، وهو الجانب العملى ، فانه فى رأيى يبشر بأن يكون مشروع الجامعة الاهلية أضعف المشروعات التعليمية وذلك للاسباب التالية :

أولا : من المعروف تماما أن هناك نقصا شديدا فى هيئات التدريس تعانى منه الجامعات الحكومية ، خصوصا بعد الاتجاه الى التوسع فى الجامعات الاقليمية . وهذا النقص يمس أساسا فروع العلم والمعرفة الموجودة فى كليات الطب والهندسة والصيدلة والعلوم والاقتصاد والعلوم السياسية وهى الكليات التى يطمع أبناء القادرين ماليا فى الانضمام اليها . وبطبيعة الحال ، فمن غير المتصور أن تقوم الجامعة الاهلية على كليات الاداب والحقوق والتجارة لان هناك بالفعل شكوى واسعة من تضخم أعداد الخريجين من هذه الكليات بما يزيد على احتياجات المجتمع وليس من المنطقى أبدا أن تقوم الجامعة الاهلية لتخرج لنا طابورا جديدا من الذين سوف يتعطلون « عمليا » لعدم احتياج المجتمع الى أعدادهم بهذه الكثرة .

أما اذا كانت الجامعة الاهلية ستتجه الى الكليات العملية فالسؤال الطبيعى هو من أين نوفر أعضاء هيئة التدريس المسئولين ، ليس فقط عن التدريس ، وانما أيضا عن قيادة مجالات البحث العلمى الجاد . ونحن نعلم سلفا أن كثيرا من الكليات العملية فى الجامعات الحكومية القائمة فعلا تعانى نقصا شديدا فى كثير من التخصصات ، وان هناك كثيرا من أعضاء هيئات التدريس يعارون سنويا لجامعات الدول العربية والافريقية مما يزيد فى هذا النقص .

وتقديرى ، أن فكرة الاعتماد على الاساتذة المحالين الى المعاش فكرة غريبة وغير عملية . لان المحالين الى المعاش يكونون فى العادة قد انقطعوا عن البحث العلمى سنوات طويلة قبل تقاعدهم وحتى فى نطاق التدريس فقد اثبتت تجربة الجامعات الحكومية أن كثيرين من هؤلاء عندما يعينون أساتذة غير متفرغين يكونون غير قادرين على المساهمة بكفاءة فى التدريس للطلاب بسبب ظروفهم الصحية التى لا تسمح بكثير من الاجهاد ولا تمكنهم من ضبط الفصل ضبطا جيدا .

ثانيا : فيما يتعلق بالمعامل ، سواء للبحث أو لتدريب الطلاب .. من أين يمكن تمويل هذه العملية محليا حتى لو اهملنا أن الاجهزة العلمية فى حاجة الى الاستيراد بالعملة الصعبة على نطاق واسع . هناك احد طريقين : فتمويل الجامعة الاهلية ، اما أن يتم من تبرعات الاهالى ولا أعتقد أن هذا التمويل سوف يكفى على الاطلاق لتغطية ولو حتى واحد على عشرة من نفقات هذه الجامعة ، والطريق الثانى هو أن تدخل الحكومة من بادىء الامر شريكا فى التمويل ، وهذا مخالف للدستور ولمبادىء حسن استخدام أموال الشعب .

اخشى ما أخشاه ، ان تبدأ الجامعة الاهلية بداية ضعيفة من الناحية المالية والعلمية ، ثم بعد ذلك بعد أن تتحول الى أمر واقع بشكل أو بآخر تذهب الى السلطات المسئولة وتستصرخها وتطلب منها التدخل والمساعدة ، وتضيف الى جملة ما يعانيه نظامنا التعليمى من مشاكل مشكلة جديدة ، وأن تكون من نوع أشد خطورة .

الخلاصة .. اننى اعترض على فكرة الجامعة الاهلية على مستويين احدهما مبدئى وفكرى بل ودستورى ، والاخر عملى وعلمى ... وينبغى أن نتذكر أن بعض جامعاتنا الاقليمية الجديدة تظل حتى نهاية النصف الاول من العام بلا محاضرات فى بعض الفروع لعدم توافر أساتذة ولعدم وجود وقت لدى أساتذة جامعات القاهرة والاسكندرية للتدريس لطلبة هذه الجامعات الاقليمية .

د . عبد العظيم أنيس
استاذ الرياضة البحتة - جامعة عين شمس

الطليعة متحيزة .. والمشكلة لها عدة أوجه ..

الملاحظة الاولى التى أحب أن ابديها حول الاسئلة التى وضعتها مجلة الطليعة لاستطلاع الرأى حول مشروع الجامعة الاهلية هى أن تلك الاسئلة وضعت بطريقة منحازة الى عدم اقامة الجامعة ، ومستنكرة لمشروع اقامتها .

واذا كانت تلك الاسئلة متمشية مع الفكر اليسارى المثالى فانها لا تتمشى مع الفكر العربى الواقعى . والمجموعة الاولى من الاسئلة وهى : هل الجامعة الاهلية تتمشى مع مبدأ تكافؤ الفرص او مبدأ مجانية التعليم أو مبدأ وحدة التعليم ؟ يبدو الانحياز فيها واضحا لان تلك المبادىء الثلاثة التى ذكرتها يخالفها مشروع اقامة جامعة أهلية ، على ان هذه المبادىء الثلاثة لا تطبق اليوم تطبيقا كاملا . فهل هناك تكافؤ فى الفرص بين المدارس فى الارياف والمدارس فى المدن الكبرى ؟ وهل هناك تكافؤ فى الفرص بين أبناء عامة الشعب وأبناء أساتذة المدارس والجامعات فى الالتحاق بتلك المدارس وهذه الجامعات ؟ وهل هناك تكافؤ فى الفرص بين المتقدمين الى الكليات الحربية والشرطة من ابناء الشعب وأبناء الضباط ؟ وهل هناك تكافؤ فى الفرص بين من نشأ فى بيئة تسمح ظروفها بأن يتقن لغة أجنبية أو أكثر فى بيته وبين من حرم من هذه الظروف ؟ وهل مجانية التعليم تطبق تطبيقا كاملا ام أن الطالب يتحمل الكثير فى شراء الكتب والاوراق ونحوهما ؟

وهل توجد وحدة التعليم الجامعى ونحن نرى فى القاهرة جامعة القاهرة ، وجامعة عين شمس ، وجامعة الازهر ، والجامعة الامريكية ؟ وهل وحدة التعليم مثل أعلى يجب أن نستميت فى سبيل تحقيقه ؟

واذا انتقلنا الى المجموعة الثانيه من الاسئلة وهى التى تدور حول الامكانيات المادية اللازمة لانجاح المشروع فان جوابنا هو أنه اذا كانت الجامعة الاهلية المزمع انشاؤها ستكون صورة طبق الاصل لغيرها من الجامعات المصرية فالمشروع لا جدوى منه ولا داعى لمناقشة توافر أو عدم توافر الامكانيات اللازمة لنجاحه . أما اذا كانت تلك الجامعة الاهلية جامعة دولية عربية تساهم فى اقامتها الدول العربية والمنظمات الدولية وتوضع لها البرامج المتطورة ، ويعمل فيها اساتذة مختارون من مختلف الدول العربية فلا شك أنها ستكون تجربة صالحة يجب تأييدها والتحمس ، والكفاح من أجل انجاحها

وثمة ملاحظة هى أن الجامعة الاهلية ستنشأ اصلا لابناء الوطن العربى الوافدين الى مصر ، وأولى لهم أن يتعلموا فى مصر بدلا عن ان يتعلموا فى جامعات نيويورك أو موسكو ، أو لندن ، أو باريس . أولى لهم أن يتعلموا فى مصر لصيانة عروبتهم ، والاحتفاظ بقوميتهم حتى لو جاز أن يكون هذا على حساب تكافؤ الفرص ، أو مجانية التعليم .

د . بطرس بطرس غالى

استاذ العلوم السياسيه ـ بجامعة القاهرة

■ ليس هناك مبرر لانشائها

فى ظل مجتمع يتحول اشتراكيا مستندا فى ذلك الى مبادىء التأميم والتخطيط وتكافؤ الفرص .

وفى ظل مجتمع يأخذ بتحالف قوى الشعب العامل من عمال وفلاحين ومثقفين وجنود وبورجوازية وطنية .

وفى ظل مجتمع هذه سمته ـ سمة التحول والتحالف ـ فانه مجتمع لا يخلو من متناقضات .

بيد أن التناقضات على ضربين :

ـ تناقضات مشروعة .

ـ تناقضات غير مشروعة .

التناقضات المشروعة هى التى تدفع هذا المجتمع الى تحقيق الاشتراكية .

والتناقضات غير المشروعة هى التى تعرقل هذا المجتمع من تحقيق الاشتراكية .

ومعنى ذلك أن التناقضات المشروعة محكومة بالقوى الاشتراكية ، والتناقضات غير المشروعة محكومة بالقوى المعادية للاشتراكية .

والقوى الاشتراكية هى القوى الاجتماعية الصاعدة والقوى المعادية للاشتراكية هى القوى الاجتماعية الهابطة .

والقوى الاجتماعية الصاعدة – فى مجتمعنا – هى القوى التى تستمد كيانها الاجتماعى من عملها وليس من أى مصدر سواه .

وتأسيسا على ذلك فان مشروع الجامعة الاهلية يفرز – فى المقام الاول – تناقضا غير مشروع .

فالجامعة الاهلية هى جامعة القادرين اقتصاديا فى حين أن جامعات الدولة هى جامعات القادرين علميا .

ومن ثم فالجامعة الاهلية هى جامعة البورجوازية .

وفى ظل مجتمع لا تنفرد فيه البورجوازية بالحياة اذ هى تحيا فى أحضان قوى اجتماعية أخرى فان الجامعة الاهلية من شأن تأسيسها احداث شرخ فى قوى التحالف ، اذ ينتفى معها مبدأ تكافؤ الفرص ، وتنتفى معها الغاية من اقرار مجانية التعليم المنصوص عليها صراحة فى الدستور .

وفى ظل مجتمع يتحول اشتراكيا مستندا فى ذلك الى مبدأ التخطيط فان تأسيس جامعة أهلية من شأنه احداث خلل فى الاخذ بهذا المبدأ . ذلك أن جامعات الدولة القائمة لم تستكمل بعد مقدماتها الضرورية من أجهزة مادية وبشرية ، ولم تستكشف بعد الوسائل الجدية لاستكمال هذه المقومات .

وفى ظل هذه الظروف فان مشروع جامعة أهلية لا يعنى الا أحد أمرين :

اما أن تأتى هذه الجامعة على غرار جامعات الدولة فى وضعها الراهن فتضيف ثقلا جديدا ليس له من مبرر سوى ارضاء تطلعات غير مشروعة .

واما أن تأتى متميزة ومتمايزة فتغرى بالدعوة الى نمط آخر من أنماط الحياة الاجتماعية يتنافى مع النمط الذى تدعو اليه مواثيق الثورة الاساسية .

وليس من المعقول ولا من المقبول احتمال الامر الاول فلم يبق الا الامر الثانى ، وهو باق ما بقى التفكير فى مشروع الجامعة الاهلية وفى غيره من مشروعات مماثلة .

د . مراد وهبة
أستاذ الفلسفة بكلية التربية
جامعة عين شمس

قضايا واقتراحات أولى أن نتدبرها

تجددت فى الايام الاخيرة فكرة انشاء جامعة أهلية فى مصر ، وقد كثر القيل والقال فى هذا الموضوع وأصبح لزاما أن يناقش الموضوع بصراحة تامة حتى يستبين لنا الطريق الصحيح .

ومن المعروف أنه قد انشئت قبل ذلك الجامعة الاهلية فى القاهرة وكان ذلك بمجهود المخلصين من أبناء مصر بغرض محاربة الاستعمار الاجنبى الذى وضع نصب عينيه محاربة التعليم فى البلاد من وجوه متعددة . فكانت سياسة المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف أو ما نسميها سياسة دانلوب ، تقوم على حذف الصالح وتعميم الفاسد ولا نزال حتى الان نعانى أشد المعاناة من جراء تلك السياسة المغرضة .

وجدية البلاد فى مناهضة الاستعمار دفعتها الى انشاء الجامعة الاهلية رغم أنفه . وأصبح لا مناص من انشاء الجامعة الحكومية ، فقامت جامعة القاهرة تحت اسم جامعة فؤاد الاول وقتئذ . ورغم ما كان يحيط بتلك الجامعة الوليدة من طراوة العود وضغط الاستعمار الا أنها كانت تمثل بحق أول مسمار يدق فى نعش الاستعمار البريطانى لمصر .

فرغم حداثة الجامعة وقتئذ نجد انها حوربت بشتى الطرق وحتى المبعوثون لانجلترا للحصول على المؤهلات العلمية العالية حوربوا بصراحة منقطعة النظير لانهم سيتولون مناصب كانت وقفا على الانجليز .

انشئت الجامعة الاولى – أى الحكومية – على انقاض الجامعة الاهلية التى انشأها أبناء الشعب بمجهودهم وأموالهم وأراد الله أن تنمو وتكبر وصارت تلبى حاجة البلاد الى المزيد من مناهل العلم . فانشئت جامعة الاسكندرية ثم جامعة عين شمس فجامعة أسيوط فجامعة الازهر ولم نقف عند هذا الحد بل أصبح لدينا على طريق الانشاء جامعات أخرى وذلك فى طنطا والمنصورة والزقازيق وأسوان .

ثم اصبحنا نفكر فى بعث الجامعة الاهلية من جديد .. لم يذكر حتى الان اية اسباب منطقية تبرر هذا التفكير ومدى التصحيح الذى ستنتهجه

الجامعة الجديدة المزمع انشاؤها رغم وجود أربع جامعات تحت الانشاء . .

ومن المعلوم لنا أن الجامعات القائمة فعلا حتى الان والجامعات التى لا تزال فى طريق الانشاء قد اتخذت كلها طريقا موحدا للقبول بها ، وهى عملية التنسيق بين الطلاب حسب مجموع الدرجات التى حصلوا عليها فى امتحان الثانوية العامة ، وهذا أبسط صورة للعدل المطلق بين الطلاب ، ولا فضل لاحد الا بالمجموع . وعلى هذا الاساس وفى دوامات العرض والطلب أعطت عملية التنسيق بين الطلاب أولويات لكليات الجامعة المختلفة ، فتارة نجد كليات الطب لها الاولوية وتارة أخرى نجد كليات الهندسة فى المقدمة .. بل وتستمر دوامات العرض والطلب حتى تشمل التوزيع الجغرافى ، فنعطى جامعة القاهرة حق الاولوية تليها عين شمس فالاسكندرية .. الخ .

لذلك كله نتساءل اين ذهب التنافس بين الجامعات ، أو بالاخرى أين وئد التنافس بين الجامعات ، وهو ضرورة لازمة للتقدم العلمى . لماذا لا يكون طالب العلم حرا فى أن يختار الاستاذ الذى يحضر عليه دراسة المادة العلمية من بين الجامعات المختلفة ، وهذه هى الطريقة الجامعية الاصيلة التى كانت متبعة فى الازهر الشريف وانجبت منهم علماء بحق من بين الاساتذة وربت للمستقبل علماء من بين الطلاب .

لقد طالبت مرارا أثناء عملى بجامعة القاهرة على أن يقوم بدل التنسيق للقبول بالجامعات تجهيز الطالب للدراسة التى يختارها وذلك بأن تضم سنة الثانوية العامة الى السنة المعدة لاعدادى الجامعة وتصبح هذه المدة جميعها بمثابة اعدادى للجامعة وعلى الطالب أن يجاهد فى هذه الدراسة حتى يلتحق بالكلية التى يريدها ، ولا يقفل الباب فى وجهه الا عند ثبوت فشله . وأمامنا المثل .. فالعنكبوت الذى فشل مرات ومرات فى العبور لم ييأس بل واصل محاولته حتى نجح ...

ومن ناحية أخرى ، فقد اكتفينا بعملية التنسيق بين الطلبة حسب المجموع وتحت ضغط العرض والطلب ، فاعطينا أولويات للكليات وللتوزيع الجغرافى ونسينا أن نتابع ونسجل نتائج هذا التنسيق حتى نستخلص ما يصلح للاجيال المقبلة .. وغير منكور أن القدرات وقوة الاحتمال تتغير مع الزمن .. والقدرات نفسها تتفاوت مع درجات النضج .. والنضج يتفاوت حسب الصفات الوراثية .. كما أنها تختلف حسب عوامل الصحة والمرض فى طريق الحياة المملوء بالاشواك والمفاجآت .. وما أصدق قول المتنبى :

وتراكضوا خيل الشباب وبادروا
أن تسترد فانهن عوارى

فأين الاحصائيات التى تبين مصير الاوائل والاواخر الذين التحقوا بالجامعات ، فدراسة تلك النتائج تمهد لنا الطريق الصحيح للالتحاق بالجامعات ..

بل وأين سياسة الباب المفتوح فى الجامعات التى منها يستزيد الراغب فى تحسين معلوماته . لقد سبق أن طلبت من الجامعة فتح الابواب الموصدة بين الهندسة والعلوم ، فقد يرغب طالب العلوم فيمارس مشكلاته ويقدم لها حلولا علمية ، العكس ، وما الهندسة الا ممثلة للعلوم التطبيقية . فلو فتحت الابواب لوجد عندنا المهندس المتغلغل فى العلوم فيمارس مشكلاته ، ويقدم لها حلولا علمية ، وكذلك يوجد عندنا العالم الذى يسعى دائما لايجاد تطبيقات علمية وهذا هو عين التكنولوجيا المطلوبة دائما .. وأعرف ذلك عن يقين بصفتى خريج هندسة القاهرة وحائز على اجازة العلوم من لندن . ومن هنا ، يتضح أنه عند انشاء جامعة جديدة لابد من مناقشة المعوقات القديمة حتى يمكن اقتراح الحلول المناسبة التى تقوم الجامعة الجديدة بتنظيمها ، وبذلك نسير من حسن الى أحسن .. لا العكس .

ولا فائدة ترجى من ايجاد شبيه آخر لما عندنا من جامعات ، فتشمله كل المعوقات السابقة .. والتى تأخذ بتلابيبه ان عاجلا أو آجلا ..

وما الحياة الا توازن دقيق بين الكثير جدا من العوامل والصفات .. فلا نأخذ بشهادة الزور ، فالظواهر قد تخفى وراءها الكثير من الحقائق .. وقد يكون الدواء مر المذاق ولكنه يؤدى الى الشفاء والعافية .

هذه كلمة وجيزة أسوقها باخلاص فالجامعة الاهلية أمل كبير نود مخلصين اذا قدر له أن يخرج الى حيز الوجود ان يكون خالصا من كل معوقات الماضى وخالصا من شر روتين الاستعمار ، ولها مجلس ادارة يعمل بحرية واخلاص ويسعى دائما الى كل ما هو نافع لنهضة البلاد ، ويجب لها أن تمول تمويلا سليما يمكنها من أداء رسالتها العلمية وعلى حد قول المثل العامى « ما نخسرش الطبخة عشان بعشرة خردة فلفل » . كما يجب الا يكون الغرض من انشاء هذه الجامعة .. هو حل مؤقت لقبول بعض من خانهم الحظ فى الحصول على المجموع المناسب .. فتقبل فى هذه الجامعة بالمصاريف ثم بعد نجاحه فى السنة الاولى يطلب تحويله الى الجامعات الاخرى ليتمتع بالمجانية أو قد ينتهى بهم المطاف الى التخرج ويزداد عدد الخريجين ، وتبعا لذلك يزداد عدد المهاجرين الى البلاد الاخرى كما هو حاصل الان .

محمد محمود ابراهيم
رئيس قسم هندسة التعدين والبترول
كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة سابقا

المشروع يجب أن يحكمه التخطيط الشامل للتعليم

يثير اقتراح انشاء جامعة اهلية تساؤلات متعددة تتعلق بمبدأ تكافؤ الفرص . ونقع فى خطأ كبير لو ناقشنا هذا الاقتراح مناقشة منطقية بحتة ، تستند الى عدة مبادىء منصوص عليها فى الدستور كمجانية التعليم او مبدأ تكافؤ الفرص . ذلك اننا ينبغى أن ننظر الى التنظيم التعليمى عندنا نظرة شاملة ، تستند الى التطبيق الفعلى . فبالرغم من مبدأ تكافؤ الفرص ، فان لدينا مدارس خاصة لا يستطيع أن يلحق أولاده بها الا من كان من الصفوة القادرة . فأين هذا من مبدأ مجانية التعليم ، ومبدأ تكافؤ الفرص ؟

واخطر من هذا محاولات الالتفاف حول هذه المبادىء عن طريق الدروس الخصوصية التى اصبحت نظاما مستقرا ، أو بعبارة أخرى حولت التعليم المجانى الى تعليم بمصروفات بعيدا عن رقابة القانون والاجهزة التربوية . وأسوأ من هذا أن الدروس الخصوصية دخلت الجامعة أيضا ، ولم تعد ــ بحكم تحولها الى نظام مستقر ــ تثير كثيرا من الاستنكار كما كان يحدث فى السنين الماضية .

ومن ناحية أخرى ، ينبغى النظر فى اقتراح انشاء الجامعة الاهلية فى اطار أعم واشمل ، هو التخطيط الشامل لانشاء الجامعات فى بلادنا فهل لدينا مثل هذا التخطيط ؟ أم أن جامعاتنا الجديدة الاقليمية تنشأ بطريقة عشوائية تفتقر الى أى تخطيط سليم ؟ ان كثيرا من جامعات الاقاليم تعتمد على هيئات تدريس منتدبة تماما من جامعات أخرى ، فهل يحقق ذلك الغرض من التعليم الجامعى ؟

واذا نظرنا الى جامعاتنا العرقية نجدها تكاد تفرغ من خيرة أساتذتها الذين اجتذبتهم الجامعات العربية المختلفة ، التى يزيد عددها بسرعة خارقة عاما بعد عام . ترى كيف يمكن التوفيق بين اعطاء طلبتنا فرصة التعلم على خيرة العقول المصرية المبدعة ، وبين سد حاجات الجامعات العربية التى تتزايد باستمرار ؟

ستظل السياسات التعليمية والتربوية فى بلادنا تتعثر وتتخبط ، مالم ينشأ مجلس قومى للتعليم فى اطار المجالس القومية المتخصصة التى نص عليها بيان ٣٠ مارس ، والتى لم تجد سبيلها الى التطبيق .

ان مهمة هذا المجلس الخطيرة تبدو أولا فى تقنين سياسة تربوية عصرية تنهض على أساس فلسفة تربوية تتسق مع التغيير الاجتماعى الواسع المدى الذى يأخذ طريقه فى بلادنا ، والذى ــ ان لم يستند تماما الى المبادىء الاشتراكية المسلم بها ــ فلن يكون سوى مغامرة اجتماعية غير محسوبة ، قد تستفيد منها فئات وطبقات مستغلة ، ولكنها بالقطع لن تعود بالخير على جماهير الشعب العاملة .

ان اقتراح الجامعة الاهلية مجرد جزئية صغيرة فى بناء ضخم ، ما زال ينتظر الدستور الموجه لاتجاهاته وتطوراته . فليكن هذا الاقتراح فرصة لاعادة النظر بصورة شمولية فى نظامنا الجامعى كله ، ولن يضير ابناء الطبقات القادرة الذين عجزوا عن دخول جامعاتنا بمجهودهم الذهنى وكفاحهم ، ويريدون أن يتلقوا تعليما جامعيا بفضل الاموال التى اكتنزوها أن ينتظروا قليلا ، حتى تستبين ملامح الصراع التقليدى بين العمل ورأس المال !!

السيد يسين
رئيس وحدة بحوث السلوك الاجرامى
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

الأولى تطوير التعليم العام نحو العصرية

الاجابة على السؤال الاول :

أ : مشروع الجامعة الاهلية يتعارض صراحة مع مبدأ تكافؤ الفرص ، اذ يتيح بداهة مزيدا من الفرص أمام الطبقات العليا من المجتمع القادرة على دفع نفقات التعليم دون القطاعات العريضة غير القادرة على دفع هذه النفقات .

ب ــ كما وان المشروع يخالف نص الدستور

فيما يتعلق بمجانية التعليم فى دولة اشتراكية تلتزم فى كافة مواثيقها بأن تتولى أعباء التعليم .

ج - مشروع انشاء الجامعة الاهلية يخلق مشكلة جوهرية خاصة بوحدة التعليم فى مناهجه بالذات ، وبصفة خاصة فى الدراسات الانسانية التى يجب أن توجه لخدمة الاهداف العامة للدولة ، ويقينى أن هذه المناهج فى الجامعة الاهلية ستخدم التيار البورجوازى انطلاقا من أن مبدأ انشاء جامعة أهلية سيقتصر بالضرورة على ابناء البورجوازية .

الاجابة على السؤال الثانى :

أ : انشاء الجامعة الاهلية يتطلب توفر جهاز كامل من اعضاء هيئة التدريس فى وقت نعانى فيه من قلة الاساتذة فى جامعاتنا من ناحية ، ومع سياستنا فى الانفتاح على الدول العربية والافريقية من ناحية اخرى فى مد جامعاتها بالاساتذة المصريين وهو جزء من رسالة حضارية تضطلع بها مصر ازاء جاراتها .

ب : من المفيد أن يوجه رأس المال اللازم لانشاء الجامعة الاهلية فى دعم الجامعات الحالية والتوسع فى استكمال الجامعات الاقليمية التى تعانى نقصا هائلا فى امكانياتها العلمية من معامل ومكتبات .. الخ .

ج : يرتبط بهذه النقطة مسألة اخرى وهى طموحنا الى الطفرة بالتعليم الجامعى طفرة تجعله عصريا ، وهذا أمر يحتاج الى مزيد من الدعم المادى الذى يستوعب كافة الامكانيات المتاحة .

الاجابة على السؤال الثالث :

أ : لا شك أن زيادة عدد الخريجين يفرض على الدولة مزيدا من الالتزامات نحو تشغيل الخريجين والا فستكون بطالة لا محالة كان من الممكن استثمارها فى التعليم الفنى بالذات .

ب : اذا كان على الدولة تقديم الاعانات للجامعة الاهلية - وهى لا شك ستحتاج الى مساعدة الدولة - فالاولى تقديم هذه الاعانات كما سبق القول نحو دعم الجامعات والتوسع فى انشاء الجامعات الاقليمية وتطوير التعليم بشكل عام نحو العصرية .

د . محمود اسماعيل
مدرس التاريخ بكلية الاداب
جامعة عين شمس

هل نتنازل عن مبدأ تخطيط التعليم ؟

من الافضل فى تقديرى أن نؤجل اجابة السؤال الاول الى نهاية الحديث ، وان نبدأ بمناقشة مدى توافر الامكانيات اللازمة لنجاح مشروع الجامعة الاهلية والاعباء التى سوف يفرضها المشروع على الدولة ، وهنا سنجد أنفسنا أمام أحد احتمالين فاما ألا تكون هناك امكانيات مادية مناسبة وفى هذه الحالة لن يخرج الامر عن أن يكون اضافة مشروع جديد فاشل الى الجامعات القائمة فعلا والتى ليست على المستوى الذى يرضى عنه الجميع ، واما أن يتم الاهتداء الى طريقة أو عدة طرق نوفر بها امكانيات مادية تكفى لنجاح المشروع وعندئذ لابد أن نطرح السؤال .. ولماذا اذن لا تستخدم هذه الامكانيات فى دعم الجامعات الحالية ؟

فيما يتعلق بالاساتذة مثلا نلاحظ أن هناك أزمة واضحة فى عدد الاساتذة ونسبتهم الى الطلاب وهى نسبة تقل كثيرا عن المعدلات العالمية المعترف بها . فبينما يعتبر المعدل العالمى المعقول بين اعضاء هيئة التدريس والطلبة (١ : ١٢) فانه ينخفض عندنا بدرجة كبيرة ليصبح (١ : ٤٠ ، ١ : ٥٠ وأحيانا ١ : ١٠٠) وفضلا عن ذلك فانه لدى مصر بالذات التزامات عديدة تجاه البلاد العربية الاخرى التى تستمد العدد الاكبر من أساتذتها من جامعاتنا . وعلى سبيل المثال : فحينما قررت المغرب تعريب التعليم الجامعى بها وطلبت مساعدتها فى ذلك ، لم يكن أمامنا مفر من الموافقة على تزويدها بما تحتاجه من أساتذة كالتزام قومى لابد من الوفاء به . وفى هذا العام تقرر أن يسافر الاساتذة المطلوبون الى المغرب استثناء من كل قواعد الاعارة . ولو أنه كانت هناك سياسة واسعة النطاق لايفاد البعثات فى كل التخصصات الجامعية لهان الامر . ولكن الواقع أن البعثات القليلة التى توفد حاليا تكفى بصعوبة لمنع التدهور فى هذه المعدلات المتخلفة أصلا ، ولا تسمح بأى تحسين أو توسع فى المستقبل . وطبعا لا يمكن الادعاء بامكانية الاستعانة بمتخصصين من خارج الجامعات . فلو كان هناك من يمكن الاطمئنان الى قدرتهم فى هذا المجال ، لبادرت الجامعات القائمة فعلا الى اسناد هذه المهمة لهم .

ولكن الذى يحدث فى الواقع هو أن الدراسة تتعطل فى اقسام جامعية كثيرة دون أن يكون فى الامكان الاستعانة بأحد من خارج الجامعة . وليس ذلك طعنا فى هؤلاء ولكن كل ما فى الامر أن أغلبهم لم يعد الاعداد المناسب لمهمة التدريس الجامعى .

ومن ناحية رأس المال فان الامر لا يختلف كثيرا . فمن المعروف أن الجامعات الموجودة تعانى نقصا فى المبانى والانشاءات الاساسيه كما أن الاجهزة والمعامل تنتمى عادة الى عصر متخلف تماما عن العصر الذى نعيش فيه . لذلك فمن غير المتصور أن تحدث معجزة تجعل من الممكن اعداد الجامعة الاهلية اعدادا عصريا فى الوقت الذى نعجز فيه عن استكمال الضروريات التى طالما بحت أصوات الجامعيين بالمطالبة بها منذ سنوات طويلة . كذلك لابد أن ننبه فى هذا الصدد الى التوقيت الذى تطرح فيه هذه الفكرة ، فالجامعة الاهلية تقترح علينا بينما نعانى أزمة مالية ناتجة عن التزاماتنا الخاصة بالمعركة والفادحة التكاليف ، وفى الوقت الذى نؤجل فيه كثيرا من المطالب والاحتياجات والمشروعات الحيويه التزاما من الدولة باسبقية مطالب المعركة لا يمكن تصور أن يوجه جزء من ميزانيتنا الى مشروع من هذا النوع . وتقديرى انه لا يمكن الاحتجاج هنا بامكانية الاعتماد على التمويل الخاص ، فهذا النوع من التمويل لا يكفى الا جزءا ضئيلا للغاية من تكاليف بناء جامعة عصرية حقا .

ومن زاوية زيادة اعداد الخريجين الذين تلتزم الدولة بتعيينهم ، فاننى أرجو فقط ، أن نتذكر ، أن الجامعات المصرية حاولت منذ عدة سنوات أن تخطط عدد الملتحقين بها ليتناسب مع مايتوقع أن تحتاجه البلاد من القوى العاملة بتخصصاتها المختلفة ، وعلى الرغم من أن هذه المحاولة لم تنجح تماما - لاعتبارات كثيرة - الا أن المبدأ فى ذاته مبدأ سليم ، ومن الواجب أن نحاول اصلاح عيوب تنفيذه قدر الامكان لا أن نتنازل عنه كلية . ومن المؤكد أن انشاء جامعة أهلية من هذا النوع معناه **اننا تنازلنا كلية عن مبدأ تخطيط التعليم الذى كنا نتمسك به حتى عهد قريب .**

واذا اكتفينا بهذا القدر ، وعدنا الى السؤال المؤجل فاننى فى الحقيقة لست بحاجة الى الاشارة الى أن المبدأ الذى ترتكز عليه هذه الجامعة الاهلية هو مبدأ « **عدم تكافؤ الفرص** » فهى جامعة سوف تفتح أساسا للقادرين ماليا بحيث أن أقرانهم الذين حصلوا على نفس المجموع أو على مجموع أفضل منه قليلا فى الثانوية العامة سيظلون مبعدين عن التعليم الجامعى ان لم يكن أهلهم قادرين على دفع مصروفات الجامعة الجديدة ، وهذا أمر يتعارض أيضا مع مجانية التعليم التى هى أحد المكتسبات التى وصلنا اليها بعد كفاح طويل . ولذلك ، فلست اشك لحظة واحدة فى أن فكرة الجامعة الاهلية هى من هذه الزاوية ردة الى فلسفة فى التعليم كنا قد تجاوزناها . واعتقدنا اننا لن نعود اليها مطلقا . ومن الامور التى يجب أن نتنبه اليها ، أن هذا المشروع لو نجح فسوف يشكك الناس جميعا ، بل والمجتمع بأسره فى قيمة مبدأ اشراف الدولة على التعليم ، وسوف يحدث اتجاها قويا نحو ترك التعليم فى ايدى هيئات خاصة ، على غرار ما هو سائد فى مجتمع مغاير لنا تماما كالولايات المتحدة الامريكية مثلا . أما اذا فشل فسوف ندرك عندئذ - وبعد المشقة - أنه لم يكن هناك داع للبدء فيه اصلا . خلاصة القول ان هذا المشروع سيكون مشروعا ضارا سواء نجح أو فشل .

د . فؤاد زكريا
استاذ الفلسفة بكلية الاداب
جامعة عين شمس

من الذى سيلتحق بالجامعة الأهلية .. ؟

أقرر من البداية أن ما سأكتبه لا يخرج عن كونه انطباعا وخاطرا لمواطن عادى لم يتناول المسألة بالبحث الدقيق المدعم بالاحصائيات مما يدخل فى نطاق عمل الخبراء المتخصصين

لقد فوجئت مثلا بما كتبه البعض أنه قد تحقق أخيرا ، ما طالبوا به منذ سنوات ، ولقد كانت علة المفاجأة أننى أتتبع المناقشات والقرارات الخاصة بالتعليم بجميع مراحله فلم أسمع عن توصية أو قرار بضرورة انشاء الجامعة الاهلية ولم تكن هناك اشارة واحدة الى أنه لحل مشاكل التعليم الجامعى ، يرى المجتمعون انشاء جامعة أهلية .

متى أثير النقاش حول هذا الموضوع ؟ ومتى كان موضوع انشاء الجامعة الاهلية مطلبا جماهيريا ؟ لقد قادتنا هذه المفاجأة بالطبع الى الاعتقاد بأنه ليس من الضرورى أبدا أن تكون هناك

حاجة جماهيرية ماسة كأساس لاتخاذ قرار ما بشأن مسألة ما ، بل العكس هو الصحيح ، فاذا كانت هناك حاجة ماسة لحل مشكلة تعانى منها القاعدة الجماهيرية ، أوصت القيادة السياسية بتشكيل اللجان لدراستها ، واتخاذ القرارات اللازمة ، ثم يحدث ما نعرفه جميعا وما ينتهى دائما ببقاء المشكلة كما هى بدون حل .

لقد عقدت المفاجأة ألسنتنا ، وأشتدت بنا الحيرة فلقد رسخ فى ضمائرنا منذ سنوات عديدة ، أن **الالتحاق بالجامعة له قدسيته وحرمته وأن الشهادة الجامعية لا تشترى وانما ينالها الاكفأ بغض النظر عن عرقه أو نسبه أو مقدرته المالية . لقد كان هذا انتصارا ونجاحا حققته ثورة ٢٣ يوليو المجيدة فلم النكوص عن هذا المبدأ ؟ والى أين يقودنا مثل هذا الاتجاه ؟**

لو سألنا انفسنا ما هى الجامعة الاهلية ، لوجدنا أنها شيء يختلف عما تزمع الحكومة عمله ومن الاجدر بنا أن نسمى ما تقترحه الحكومة « بجامعة حكومية بمصاريف » . انه واضح جدا أن الحكومة لا تستطيع أن تسمح لافراد بأن يفتتحوا جامعة أهلية على أن تخضع الدراسة فيها والامتحانات لاشراف الجهات المختصة بوزارة التعليم العالى كما هو المتبع بين المدارس الخاصة بجميع مراحلها ووزارة التربية والتعليم لاختلاف طبيعة التعليم الجامعى عن التعليم فى المراحل الادنى ، ولهذا فلقد أخذت على عاتقها تنفيذ المشروع . **أفإن هى جامعة حكومية بمصاريف فهل انتهت الحكومة من انشاء جامعاتها الاخرى ودعمتها بأعضاء هيئة التدريس والمعامل والاجهزة وقاعات المحاضرات مما يمكنها من القيام بعملها ؟**

لمن تعتزم الحكومة انشاء هذه الجامعة التى سوف يتحمل الشعب فى نهاية المطاف جل تكاليفها ؟ أللوافدين أم لفئة من الطلبة الغير قادرة علميا على مواصلة الدراسة الجامعية ؟ ان أغلب الوافدين لا ولن يشرفهم أبدا أن يدرسوا فى جامعة عرف عنها أنها لا تقبل الا هؤلاء الذين لم يجدوا لهم مكانا فى جامعات الحكومة العريقة . كيف سيكون تقدير الوافد لمستوى شهادته التى سوف يحصل عليها من هذه الجامعة الاهلية ؟ وكيف سيواجه أقرانه عندما يعود الى بلده وقد حصلوا على شهاداتهم من أعرق جامعات أوروبا ؟

ان مكانة الجامعة التى يدرس بها الوافد شيء أساسى له سواء فى سنوات الدراسة ، أو بعد حصوله على الشهادة وممارسته لحياته العملية فى بلده . **ان اختلاطه بالعناصر الممتازة فى البلد التى يدرس بها أو مجرد الدراسة والتواجد معهم والتعرف عليهم يملأ قلبه بالاحترام والتقدير للبلد وللجامعة التى يدرس بها** ، أما اذا جمعنا هؤلاء **الوافدين وأضفنا اليهم أصحاب المجاميع الضعيفة** الكسالى من أبناء ذوى الدخول الطفيلية وأبناء بقايا طبقة الاقطاعيين وأبناء طبقة كبار موظفى الدولة فأى انطباع وأى تقدير سوف يحمله معه الى بلده عن مصر ومكانة الجامعة التى درس بها .

يفخر بعض قادة الدول العربية أنهم تلقوا تعليمهم الجامعى فى مصر وأنه كان طالبا بجامعة القهرة أو الازهر الشريف وأعتقد أنه **اذا أرغمنا كل الوافدين على الدراسة فى الجامعة الاهلية المقترحة فلن يفخر أحد منهم بذلك أبدا بل سوف يملأ قلوبهم الأسى لانهم حرموا من شرف الدراسة باحدى جامعاتنا الكبرى ، الى جانب ذلك سوف تحرم الامة العربية من عناصر ممتازة كان التفوق هو طريقهم الوحيد الى جامعاتنا .**

ان مكانة الجامعة وعراقتها لا تتحقق فى يوم وليلة وانما تبلغ هذه المكانة وتحوز أعلى الدرجات بكفاح العاملين بها وتراكم امكانياتها سنة بعد أخرى ، فلا غرابة أن يكون المقياس لعراقة الجامعة وأصالتها ما مضى عليها من السنين ، وبالتالى فان الجامعة الاهلية المقترحة سوف تبقى شيئا لا يذكر لسنين طويلة فهل نرغم الوافدين على الدراسة بها بمجرد انشائها أم نؤجل ذلك الى حين ؟ وما العمل اذا رفضوا الالتحاق بها وفضلوا عليها جامعات أوروبا وأمريكا مادام الامر سواء ؟

أما بالنسبة لهذه الفئة الغير قادرة علميا على مواصلة الدراسة بالجامعة فيرى البعض أن انشاء الجامعة الاهلية سوف يعطى الدولة الحق فى منع سفر من يرغب منهم فى الدراسة بالخارج . ان هذا الرأى يحتاج الى بعض التمحيص ، فسفر هؤلاء الطلبة للخارج للدراسة يثبت لهم بطريقة قاطعة أنهم غير قادرين على مواصلة التعليم الجامعى ، فنسبة بسيطة جدا هى التى تمكنت من انهاء دراستها بعد مرات غير قليلة من الرسوب . أما الاغلبية فعادوا يجرون أذيال الخيبة فهل لهؤلاء ننشىء جامعة أهلية أم كتابا أهليا ؟ **ومع ذلك فالجامعة الاهلية اذا أنشئت سوف تلفظ الى المجتمع كل عام باعداد منهم يتميزون بضعف المستوى العلمى والرغبة العنيفة على الطفو فوق سطح المجتمع بتأثير مكانتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية المتعددة الاطراف مما ينتج عن ذلك تراكمهم عند القمة بدلا من أن تصل اليها أحسن العناصر وأبرزها ولا يخفى على أحد ضرر ذلك على قضية بناء المجتمع الاشتراكى . اننى كما قلت فى البداية أن هذه انطباعاتى كمواطن ازاء هذا الموضوع ، ولا اعتقد أن انسانا أمينا صادقا مع نفسه ، محبا ومخلصا لوطنه يحس بثقل المسئولية نحوه لا يشاطرنى اياها .**

د . محمد عبد العاطى عرفة
باحث بالمركز القومى للبحوث

مبدأ تكافؤ الفرص يحقق المنفعة للأفراد وللوطن

الاجابة على السؤال الاول :

ا ــ مبدا تكافؤ الفرص :

اعتقد أن النظام المصرى الحالى للقبول بالجامعات يعطى مبدا تكافؤ الفرص مدلولا محددا بشأن المشكلة موضوع البحث وهو أن اولئك الحاصلين على درجات متساوية لا بد وأن تتوفر لهم نفس الفرص بالنسبة للمستقبل التعليمى بعد مرحلة الثانوية العامة .. والجامعة الاهلية ، أي جامعة المصروفات ، تعنى أن أولئك الذين لم يتقبلوا بجامعات الدولة سوف ينقسمون الى فئتين : فئة قادرة على مواصلة التعليم الجامعى لانها تملك المقدرة المادية لدخول الجامعة الاهلية ، والاخرى غير قادرة على ذلك ، بل ان المقبولين فى جامعات الدولة نفسها سوف يتمكنون من تحسين وضعهم فى السلم التفضيلي لترتيب الكليات والمعاهد بانتقال من يملك المقدرة المادية الى كلية فى الجامعة الاهلية لم يكن مجموعه ليؤهله لها فى جامعات الدولة ، والحالتان تمثلان اخلالا صريحا بمبدأ تكافؤ الفرص . والخطورة هنا ليست واقعة على المصالح الفردية فحسب بل على المصلحة الوطنية ايضا ، فمبدأ تكافؤ الفرص يحقق فائدة خاصة للافراد ــ بالمساواة ــ وعامة للوطن بالكفاءة .

ب ــ مجانية التعليم التى ينص الدستور صراحة عليها :

اعتقد انه لايمكن النظر الى مبدأ مجانية التعليم فى ذاته ، فمثل هذه النظرة قد تثير جدلا قانونى الطابع ينفى مساس الجامعة الاهلية بمبدأ مجانية التعليم ، على اساس انها لاتمس الحقوق الحالية بأى نقصان رأسى أو أفقى ، وسوف توجد وجهة نظر قانونية مخالفة بالطبع ، ولكن مبدأ مجانية التعليم جزء لا يتجزأ من مبدأ تكافؤ الفرص قصد به أن يزيل أى عائق مادى فى سبيل التمتع بأى فرصة فى مجال التعليم .

جـ ــ وحدة التعليم :

اذا كان المقصود بوحدة التعليم هو تلك الوحدة فى المناهج والمقررات بفرض الحفاظ على مستواها ، فمن الناحية النظرية لايوجد ما يمنع الحفاظ على هذه الوحدة بنوع من الاشراف العلمى لجامعات الدولة ، مع الاخذ فى الاعتبار مقاومة « مالكى » الجامعة ، واذا كان الفرض ثانيا هو على الحفاظ على « الاتجاه » فى حالة الدراسات الانسانية بالذات فمن الوهم ان نتصور ان هذه الوحدة متحققة فى ظل جامعات الدولة . وهذه قضية أخرى .

الاجابة على السؤال الثانى :

أ ــ توفر الاساتذة اللازمين :

فى المدى القصير ولمدة ١٥ سنة على الاقل سوف تعتمد الجامعة الاهلية على اعضاء هيئات التدريس الموجودين فعلا فى جامعات الدولة ، فمصر دولة مصدرة لاساتذة الجامعات للبلاد العربية مما ينفى فكرة الاستعانة بأساتذة عرب مثلا ، كما أن فكرة الاستعانة بأساتذة اجانب لن تطرح فى تصورى نظرا لتكلفتها [والجامعة الاهلية مشروع خاص] ونظرا للمستوى المتوقع لطلابها من ناحية أخرى . فاذا أضفنا الى هذا العجز الحالى الذى تواجهه الجامعات المصرية فى عديد من كلياتها فى اعضاء هيئات التدريس لوصلنا الى أن الجامعة الاهلية لن تؤدى الا الى الضغط على الاساتذة الحاليين فى جامعات الدولة بما يؤثر على ادائهم العلمى فى الحالتين .

ب ــ رأس المال اللازم للانشاء

جـ ــ التمويل اللازم لاعدادها اعدادا عصريا

المحظور الوحيد فى الحالتين هو اسهام الدولة سواء فى رأس المال اللازم للانشاء، أو التمويل اللازم لاعدادها عصريا لان أى اسهام من هذا النوع سوف يكون من الاولى به أن يتجه لتدعيم جامعات الدولة نفسها التى تحتاج كثيرا من التدعيم .

الاجابة على السؤال الثالث :

أ ــ زيادة عدد الخريجين الذين تلتزم الدولة بتعيينهم .

ب ــ مطالبة الدولة بتوفير احتياجات الجامعة الاهلية واعانتها .

ا ــ زيادة عدد الخريجين الذين تلتزم الدولة بتعيينهم .

بفرض انشاء جامعة اهلية اعتقد انه من المستحيل الحديث عن التزام للدولة بتعيين خريجيها

ب ــ مطالبة الدولة بتوفير احتياجات الدولة واعانتها :

نفس اجابة ب ، جـ من السؤال الثانى

احمد يوسف احمد
المعيد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

الجامعة الخاصة «الأهلية»

ومبدأ تكافؤ الفرص

بدأت فكرة الجامعة الخاصة تخطو خطوات جادة نحو الخروج الى حيز التنفيذ بصدور هذا المشروع الذى أعدته **وزارة التعليم العالى** وقررت عرضه على مجلس الوزراء . ويعتبر هذا المشروع خطوة خطيرة فى سياسة التعليم العالى فى مصر . لانه لاول مرة بعد أن تحققت مجانية التعليم العالى . ووضعت اول لبنة فى بناء مبدأ تكافؤ الفرص فى مجال هذا التعليم ، تقوم الوزارة بمحاولة صحيحة لفتح ابواب التعليم العالى أمام القادرين على دفع المصروفات ، بغض النظر عن مستواهم العلمى واستعداداتهم وقدراتهم .

وبعد أن تم تحقيق مجانية التعليم العالى ، لم تتوقف محاولات فتح ابواب ذلك التعليم لاصحاب القدرات المالية ، واخذت هذه المحاولات تبرز كلما سمحت لها الفرصة معبرة عن مصالح تلك الفئات التى تعودت أن تحصل على كل الامتيازات لانها تملك القدرة المالية .

وكانت تلك المحاولات قد حققت بعض النجاح بانشاء المعاهد العاليه الخاصة ، وبذلك فتحت ثغرات لمرور الطلبة الذين لا يملكون القدرة العلمية ولكنهم يملكون القدرة المالية ، بعد أن تحقق لهم فتح أبواب التعليم الثانوى العام فى المدارس الخاصة ذات المصروفات . ولكن المشروع الاخير هو محاولة لفتح أبواب التعليم العالى على مصراعيه أمام كل من استطاع أن يدفع مصروفاته .

والذين يرون أن انشاء الجامعة الخاصة ذات المصروفات قد أصبح ضرورة لا يمكن التباطؤ فى تحقيقها قد قدموا بعض الدوافع لذلك منها :

أولا : أن الجامعات والمعاهد العالية قد ازدحمت ازدحاما شديدا بالطلاب ، وقد عجزت الحلول التى قدمتها الوزارة ، ومن بينها الكليات والجامعات الاقليمية ، عن التقليل من هذا الضغط الشديد على التعليم العالى وهو الضغط الذى ضاعف مما تعانيه الجامعات والكليات الاقليميه من نقص فى هيئات التدريس والمعامل والمكتبات .

ومن الواضح أن هذا الازدحام لا ينظر اليه الا من زاوية أنه يحرم محدودى القدرات العلمية من دخول الكليات التى يرغبونها ، لانه لا يمكن أن يكون علاج هذا النقص الشديد فى هيئات التدريس والمعامل والمكتبات هو انشاء جامعة خاصة ذات مصروفات يحتاج الى هيئة تدريس كاملة ومعدات كاملة يشترطها أصحاب القدرات المالية وأصحاب الاصوات المسموعة .

واذا كانت الوزارة قادرة على توفير هيئات التدريس لجامعة جديدة فلماذا لا تستكمل النقص الشديد الذى تشكو منه الجامعات فى هيئة التدريس ، أم أن حصول الوزارة على هيئة تدريس للجامعة الخاصة ذات المصروفات سهل ويسير ، بينما الحصول عليها للجامعة الحكومية المجانية صعب وعسير .

ثانيا : منع تلك الاعداد من الطلاب المصريين من ذوى الكفاءة والقدرات العلمية المحدودة من التسرب الى الخارج بحثا عن التعليم الجامعى فى الجامعات الاجنبية بصور غير مشروعة .

وهذه الحجة ايضا غير مقبولة ، لان تلك الاعداد من الطلبة التى لم تجد لها مكانا فى الجامعات المصرية لقلة مجموع درجاتهم ، ليس من المستساغ أن تؤسس لهم جامعة خاصة لمجرد أنهم قادرون على دفع المصروفات ، بينما يتجه زملاؤهم الذين حصلوا على نفس المجموع والذين ليس لديهم القدرة على دفع المصروفات الى أنواع أخرى من التعليم ، ويتوقف تعليمهم عند مرحلة الثانوية العامة .

ثالثا : أن مصر بحكم التزامها الادبى والعلمى تجاه الدول العربية والافريقية تجد نفسها مطالبة بتوفير فرص التعليم الجامعى للوافدين من أبناء

هذه الدول حتى لا يتجهوا الى البحث عن فرصة التعليم الجامعى خارج مصر ، وبأى مقابل مادى .

وقد قامت مصر بواجبها وأوفت بالتزاماتها الادبية والعلمية ازاء الدول الصديقة وفتحت أبواب جامعاتها ومعاهدها أمام أبناء هذه الدول ، فى حدود الاتفاقيات وفى حدود التخطيط الذى وضعته الدولة . ومن الممكن أن تستمر مصر فى اداء واجبها وأن توسع من نطاق خدماتها لهذه الدول دون أن تكون هناك جامعة خاصة ذات مصروفات تقدم التعليم للمصريين القادرين على دفع المصروفات .

ان انشاء الجامعة الاهلية يجب أن ينظر اليه على ضوء الاعتبارات الاتية :

أ ـ انه يهدم مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم العالى :

ان أول أهداف الاشتراكية فى مجال التعليم هو أن تكفل الدولة التعليم لجميع أبنائها القادرين عليه بصرف النظر عن القدرة المالية أو الوضع الاجتماعى ، وأول خطوة فى هذا الطريق هى تحقيق مجانية التعليم بحيث لا يقف العجز المالى عائقا أمام الكفاءات من أبناء الشعب عن الوصول الى أعلى مستويات التعليم . وانشاء الجامعة الخاصة يعنى التمييز بين الطلبة القادرين ماليا وغير القادرين . لانه اذا كان حصل طالبان على نفس المجموع فى امتحان الثانوية العامة فان من يملك قدرة مالية أكبر يستطيع ان يدرس الطب بينما يتعين على من لا يملك هذه القدرة أن يقف عند هذا الحد من التعليم . بل ان الطلبة الاكثر كفاءة علمية قد لا يستطيعون الالتحاق بالكلية التى يرغبونها بينما يكون لدى الاقل كفاءة فرصة اكبر للاختيار ، اذا كانوا قادرين على دفع المصروفات .

ولا يجد المنادون بانشاء الجامعة الخاصة ذات المصروفات ردا على تعارض مبدأ تكافؤ الفرص وديمقراطية التعليم مع انشاء تلك الجامعة سوى أن الدولة سمحت ووافقت على انشاء المدارس الخاصة ذات المصروفات فى كافة مراحل التعليم الابتدائية والاعدادية والثانوية . بل وفى التعليم العالى لم تعارض الدولة مبدأ وجود تعليم عال خاص ممثلا فى عدد من المعاهد العليا الخاصة ذات المصروفات المدرسية .

وأنصار هذه الجامعة الخاصة لا يقولون ان ذلك لا يتعارض مع مبدأ تكافؤ الفرص ، ولكنهم يستندون الى وجود ثغرات كثيرة فى تكافؤ الفرص فى مجال التعليم ويطلبون توسيع هذه الثغرات حتى تتحول ديمقراطية التعليم فى مصر الى مجرد عبارة لا يسندها الواقع . فاذا كانت الدولة لم تستطع أن تسد هذه الثغرات ، واضطرت فى بعض الفترات ، وتحت ضغوط اجتماعية مختلفة ، الى السماح بوجود هذا القطاع الكبير من التعليم الخاص بان التصحيح يقتضى ازالة هذا القطاع بأسرع ما يمكن بدلا من المطالبة بتدعيمه .

ان برنامج العمل الوطنى يقرر آسفا أن هناك بعض الاوضاع ـ من بينها اعتماد الطلاب على الدروس الخصوصية ـ قد جعلت التعليم مرتبطا بالقدرة المالية للاباء ، وان ذلك يحد كثيرا من الفرص أمام أبناء العمال والفلاحين . ولاشك أن انشاء تلك الجامعة سيجعل التعليم أكثر ارتباطا بالقدرة المالية ، واذا كانت هذه الاوضاع التى أشار اليها برنامج العمل الوطنى تحتاج الى وقت طويل والى مجهودات كبيرة لعلاجها ، فان الواجب يقتضى بألا نضيف الى هذه الاوضاع وضعا جديدا يضاعف من تأثيره ثم نعود لنبحث عن حاول لها .

ويلجأ البعض الى محاولة الايهام بأن هذه الجامعة الخاصة سوف تتيح المزيد من الفرص أمام ابناء غير القادرين ماليا ، لانها بامتصاصها أعدادا كبيرة من الطلاب سوف تتيح ، لطلاب غيرهم فرصة الالتحاق بالجامعات الرسمية ، حين تترك لهم مكانا خاليا فى الجامعات الرسمية .

وهذه الحجة هى نفس الحجة التى رددتها الفئات صاحبة الامتيازات عام ١٩٥٤ عندما طالبت بتخصيص بعض المدارس الرسمية لابنائها على أن تفرض عليها مصروفات مقابل الخدمة التعليمية . بل ان وزير التربية والتعليم حينذاك استخدم نفس الكلمات فى توضيحه لاهداف انشاء هذه المدارس الرسمية الخاصة مؤكدا أن بانشاء هذه المدارس سيجعل الدولة تحصل على مصروفات تساعدها فى بناء المدارس لابناء الشعب . كما أن التحاق أبناء القادرين ماليا بهذه المدارس سيترك لابناء الشعب أماكن فى هذه المدارس . وكانت النتيجة أن خصصت أحسن المدارس وأرقى الامكانيات وزودت بأكفأ المعلمين ، ولم يدفع الطلبة سوى مبالغ ضئيلة لا توازى عشر ما تتكلفه الدولة من أجل تعليمهم . وفى نفس الوقت حرم أبناء الشعب من هذه المدارس التى هى حقهم الطبيعى لان جميع المدارس والامكانيات يجب ان تكون لابناء الشعب .

وأصحاب فكرة الجامعة الخاصة يتناسون أن كل جامعة أو معهد تستطيع الدولة أو المؤسسات ان تنشئه انما هو من حق ابناء الشعب ، ويقبلونه حسب قدراتهم العلمية .

ب ـ قضية التمويل :

ان انشاء جامعة جديدة بمبانيها ومعداتها ومعاملها يتكلف عشرات الملايين من الجنيهات . ولذلك فان أول ما يفكر فيه أصحاب فكرة الجامعة الخاصة هي طريقة الحصول على الاموال اللازمة لانشائها ، ثم الحصول على الاموال اللازمة لتغطية نفقاتها ، اذ من المعروف أن التعليم العالي نفقاته كبيرة جدا ، والمصروفات التي يدفعها الطالب عادة لا توازي سوى نسبة ضئيلة من تكاليف تعاليمه . وعلى سبيل المثال فان المصروفات المدرسية التي يدفعها طلبة الجامعة الامريكية بالقاهرة رغم ارتفاعها ، لا تمثل سوى ١١ في المائة من مجموع ما تنفقه الجامعة . ولذلك فان هذه الجامعة لا يمكن أن تعتمد على هذه المصروفات المدرسية ، ولكنها تعتمد في تسديد ٨٩ في المائة من نفقاتها على الهبات التي تقدمها الحكومة الامريكية والشخصيات والمؤسسات والشركات الامريكية .

فاذا كانت الجامعة الخاصة ستحاول أن تقدم نوعا من الخدمة قريبا من هذا المستوى الذي تقدمه الجامعة الامريكية ، فان تعليم الطالب لن يتكلف أقل من خمسمائة جنيه ، وهؤلاء الطلاب لا يمكن أن يدفعوا مثل هذه المبالغ .

ولذلك فهناك عدة اقتراحات للتمويل أهمها :

١ ـ افتتاح اكتتاب شعبي عام تسهم فيه الهيئات الشعبية والمؤسسات المختلفة . وهذا الاقتراح غير عملي لانه لا يمكن لمثل هذا الاكتتاب أن يجمع نفقات انشاء جامعة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الهيئات الشعبية لا تتحمس لجمع هذه المبالغ لتعليم طلبة ضعاف علميا . ولكنهم قادرون فقط على تغطية جزء من مصروفاتهم التعليمية . فلا يمكن أن يتحمس الشعب لتدعيم امتيازات للفئات صاحبة الامتياز ، بينما يحرم ابناؤه ـ ممن هم أكفأ ـ من التعليم الجامعي لانهم لا يستطيعون دفع نسبة ضئيلة من تكاليف تعليمهم .

أما المؤسسات الشعبية فان واجبها أن تعاون الدولة في بناء المدارس الرسمية في المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية لاتاحة فرص أوسع لتعليم أبناء الشعب ، وعليها ان تساهم في نفقات ومجهودات الدولة من أجل محو الامية .

٢ ـ تأسيس شركة أو جمعية تعاونية لانشاء هذه الجامعة : من المعروف أن القطاع الخاص ورأس المال الخاص لا يقبل على مثل هذه المشروعات التي لا تعود بارباح سريعة ومضمونة . ويتضح ذلك في مجال التعليم الخاص . فان أحدا لا ينشيء مدرسة صناعية خاصة ذات مصروفات ، لان هذه المدارس تكاليفها كبيرة جدا ولا تحقق عائدا سريعا مجزيا . ومن ثم فقد اتجه أصحاب رءوس الاموال الذين يرغبون في استغلال أموالهم في مجال التعليم الى التعليم الثانوي العام الذي لا يحتاج الى تكاليف بينما يحقق أرباحا عالية وسريعة .

وأغلب الظن أن المتحمسين لفكرة الجامعة الخاصة سيلجأون الى ما لجأ اليه أصحاب فكرة انشاء مؤسسة للمدارس الخاصة وهي التي عرفت باسم المعاهد القومية للتربية والتعليم . فقد كون عدد من الافراد عام ١٩٥٧ شركة مساهمة تدعى « المعاهد القومية للتربية والتعليم » دفع أربعة من المساهمين اربعمائة جنيه ، ودفعت نقابة المهن التعليمية ، وصندوق ادخار معلمي المدارس الابتدائية وهيئة التحرير باقي رأس المال وقدره ٢٠٠ الف جنيه . واعطت الدولة لهذه المؤسسة مجموعة المدارس الانجليزية والفرنسية التي استولت عليها الدولة بعد عدوان ١٩٥٦ ، كما أعطتها مجموعة من المدارس حديثة البناء المجهزة أحدث تجهيز لتخصصها للفئات القادرة على دفع المصروفات ، وزودتها بأحسن وأكفأ المدرسين ، ودفعت لها الدولة حوالي مليونين من الجنيهات على شكل اعانات .

وفي عام ١٩٦٨ عندما تحولت هذه الشركة الى جمعية تعاونية ، تساهم فيها وزارة التربية والتعليم ونقابة المعلمين والمؤسسين الافراد . وتحولت المعاهد القومية (عمليا) الى مؤسسة حكومية تقدم تعليما للخاصة القادرين على دفع جزء ضئيل من نفقات تعليمهم . الامر الذي حدا بمجلس الدولة الى أن يفتي بأن الوزارة قد وقعت في مخالفة دستورية عندما قدمت معونات مالية لمدارس تتقاضى مصروفات ، في حين ان التعليم مجاني بنص الدستور . وسيلجأ أصحاب مشروع الجامعة الى الدولة لتعطيهم الارض والاعانات والى المؤسسات الحكومية والقطاع العام لاقامة هذه المؤسسة الخاصة بأموال الشعب .

٣ ـ أن تقوم الحكومة بانشاء هذه الجامعة على نفقتها نظرا لان وزارة التعليم العالي هي التي تتبنى المشروع ، وفي ذلك بعد وضع المبررات القومية التي تقضي بأن توفر مصر التعليم لابناء الدول العربية مقابل مصروفات وما يحققه ذلك من زيادة رصيد البلاد من العملة الصعبة ، وبعد وضع المبررات الانسانية لانقاذ ابنائنا الذين لم يحصلوا على مجموع الدرجات المناسب من الضياع وسط مجتمعات غريبة عنهم .... الخ .

ولكن الدولة لا تستطيع نظرا لالتزامها بالمواثيق وبالدستور الدائم بالخط الاشتراكى أن تتحمل تكاليف مثل هذه الجامعة .

ولعل الذين يدعون الى مساهمة الهيئات الشعبية يتذكروا الفارق بين الدعوة الى انشاء الجامعة الاهلية (المصرية) فى بداية هذا القرن ، وبين الدعوة الى انشاء الجامعة الخاصة فى هذه الايام . ذلك أن الدعوة الى انشاء الجامعة الاهلية فى بداية هذا القرن كانت دعوة وطنية ثورية موجهه ضد سياسة الاستعمار التعليمية التى كانت تقصر أهداف التعليم العالى على اعداد الموظفين فى اضيق الحدود ، دعوة الى انشاء جامعة أهلية بعيدة عن سيطرة حكومة الاحتلال وعن نفوذها ، جامعه تفتح امام القوى الوطنية كلها آفاق العلم وتزودها باسلحة هامة من أجل الاستقلال ولذلك تسابق الاهالى فى التبرع بالمال والارض والجهد .

اما الجامعة الخاصة ، فانما تقوم بتقدم العلم الى فئة من الطلاب عجزت قدراتها العلمية عن الحاقهم بالجامعات فلجأوا الى المال ليحققوا ما عجزت قدراتهم عن تحقيقها ، ولتحقيق ما يعجز ابناء الشعب ممن هم فى كفاءتهم عن تحقيقه ، انها جامعة تقوم على اضافة شرخ كبير الى تلك الشروخ الموجودة فى جدار تكافؤ الفرص التعليمى . انها جامعة تقوم على هدم ما كنا نعتز به من أن مقياس الحكم على الطلاب هو عملهم فقط ، وأن المصريين جميعا سيتقدمون الى مكاتب التنسيق . لا امتياز لاحد على أحد ، بسبب الاوضاع المالية .

واخيرا ، فاذا كانت وزارة التعليم العالى قادرة على الحصول على هيئة تدريس ومعامل ومكتبات لهذه الجامعة ، فان الاولى بها أن تضاعف من جهودها من أجل استكمال النقص فى الكليات والجامعات الموجودة حتى تقوم برسالتها على وجه أكمل .

وبدلا من أن تبذل كل الجهود من أجل البحث عن حل لمشكلات بضع عشرات من الطلاب ضعاف المستوى الذين لم يستطيعوا أن يحققوا نجاحا يذكر ، بالرغم من أن عائلاتهم قد قدمت لهم كل امكانيات النجاح من دروس خاصة ومدارس راقية وغير ذلك ، بدلا من ذلك عليها أن توجه جهودها لبحث مشاكل مئات الالوف من أبناء الشعب المتفوقين الذين يعانون من نقص الاجهزة والمعامل .

وبدلا من أن تهدم مبدأ تكافؤ الفرص بفتح أبواب التعليم العالى لكل من يدفع الثمن ، فان عليها فى ظل الدولة الاشتراكية أن تدعم هذا المبدأ وتدرس فكرة تأميم المعاهد العالية الخاصة حتى لا تقف القدرة المالية عائقا أمام من يقدرون على استكمال تعليمهم .

اننا نخشى ان يؤدى انشاء الجامعة الخاصة الى تعويق مسيرة الثورة التعليمية ، والى انتكاسة بجهود الثورة من أجل توسيع ديمقراطية التعليم .

ممدوح نور

الشـــرق الأوســـط

ميـــدان التحـــام

تنـــاقضـــات العصر

د. محمد على الشهارى

الكرة الارضية بكل اتســـاعها ، وبكل تناقضاتها ، وصراعاتها ، التى لا تحصى ، غدت فى عصر صـعود وتألـــق شـــمس الاشـــتراكية ، والديمقراطية ، والوطنية ، وافول وانحدار نجم الامبريالية والاستعمار والرجعية ، وفـــى عصر الثورة الايديولوجية التى ايقظت الحس الطبقى على نطاق العالم كله ، والثورة التكنولوجية التى قصرت الابعاد ، وطوت المســـافات الزمـــانية والمكانية ، والثورة العالمية التحـــررية التقدمية ، والثورة العالمية المضادة اللتين ربط كل منهما الشبيه بشبيهه ،وقربتا بين المثيل والمثيل ، ومزجتا بين الطبقات المستغلة ، سواء كانت اقطاعية ، أو رأسمالية ، أو امبريالية ، وفى أى ركن من أركان الارض ، فى حلف عملى مكتوب أو غير مكتوب ، موجه ضد الطبقات المناضلة والمتحالفة بدورها ــ موضوعيا وتاريخيا ــ سواء كانت عمالية ، أو فلاحية أو بورجوازية وطنية ثورية ــ أقول هذه الكرة الارضية غدت فى الواقع بسبب ذلك كله ، من حيث تكشف وتركز هذه الصراعات الاساسية والجوهرية والشمولية فى مثل ساحة كرة القدم ، التى يتبارى فيها فريقان اثنان لا ثالث لهما ، ولا وسيط بينهما ، والتى ليس فيها محايدون على الاطلاق ، حتى ان اولئك الذين يبدو أنهم فى مقاعد المتفرجين ليســوا فى الحقيقة ــ وبفعل عامل التجاذب الطبقى سوى منحازين مصلحيا ، أو متحمسين وجدانيا ، الى هذا الفريق أو ذاك ، حتى ولو لم ينزلوا ويشتركوا بشكل مباشر وفعال فى حلبة الصراع الدائر والمحتدم .

مغزى انقسام العالم الى معسكرين

ان هذه الحقيقة العلمية لم تنطبق فى أى وقت من الاوقات على عالمنا ، كما انطبقت عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، أى منذ انقسم هذا العالم الى معسكرين ونظامين دوليين متضادين ، معسكر ونظام الاشتراكية الديمقراطية ، ومعسكر ونظام

الرأسمالية الامبريالية ، ومنذ غدت حركة التحرر الوطني العالمية جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية العالمية ، وغدا انتصارها الكامل والشامل ، وتطورها الصاعد والمستمر ، متوقفا على التحامها العضوي والعميق بهذه الثورة التقدمية الكاسحة ، بنظامها الاجتماعي الممثل والمبلور والمبشر بمستقبل الانسانية كلها ، وبمعسكرها الاشتراكي ، الآخذ في التعاظم والقوة وانتشار الهيبة ، واتساع النفوذ .

حسم الصراع في أوربا لصالح قوى السلام

وقد تجسدت هذه الحقيقة أول ما تجسدت هناك في اوربا وفي برلين بالذات ، التي كانت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولسنين عديدة ، نقطة تصادم التناقضات الرئيسية العالمية ، بين معسكر قوى التقدم الاشتراكي . ومعسكر قوى الرجعية الامبريالية ، وبرغم ان نقطة الاحتكاك الخطيرة والمتفجرة هذه ، التي هددت غير مرة بان تكون من جديد بؤرة حقيقية ، تندلع منها شرارة حرب عالمية ثالثة ، كما اندلعت منها بالفعل شرارة حربين عالميتين استعماريتين ، الا انه بفضل ميل ميزان القوى لصالح قوى الاشتراكية على النطاق العالمي ، كبحت نزعات العدوان الامبريالية والفاشية ، الالمانية والامريكية ، واضطرت المانيا الغربية - مع موافقة أو اذعان عاصمة الاستعمار الجديد واشنطن - الى عقد معاهدات عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي ، وبولندا ، والتراجع عن مطالبها الاقليمية ، التي طالما رفعتها ، والاقرار بالحدود الاوروبية الحالية ، كما عقدت اتفاقية بين المانيا الديمقراطية ، وسلطات برلين الغربية ، واتفاقية رباعية حول هذا القسم من برلين ، واخذت الامور تسير في هذه المنطقة التي كانت اشبه ببرميل بارود على نحو مخالف تماما لطرق الالحاق والضم التي كانت تتمسك بها وتصر عليها بون الى حد التشنج ، وتحطم مبدأ هلشتاين ، واعترفت كثير من الدول بالمانيا الديمقراطية ، وغدا دخول الدولتين الالمانيتين الى الامم المتحدة مسألة وقت فقط ، وتوفرت شروط موضوعية كثيرة لتحقيق السلام في أوربا ، ولعقد مؤتمر أمن اوربي . وبذلك حلت ، او سارت في طريق الحل اعقد مشكلة خلفتها الحرب العالمية الثانية ، تعبيرا عن التناقض العام الرئيسي بين النظامين الاشتراكي ، والرأسمالي .

تراجع قوى العدوان في أمريكا اللاتينية

ومع مطلع الستينيات بدا أن نقطة تصادم الاضداد اخذت تتحرك نحو أمريكا اللاتينية ، ونحو كوبا بالذات التي التحقت منذ عام ١٩٦١ بالمعسكر الاشتراكي ، وشكلت بحق حريقا ثوريا في (فناء البيت الامريكي) مما شدد من حدة التناقضات بين النظامين العالميين وهدد باشعال حرب عالمية بالفعل ، غير أنه امكن اطفاء هذه البؤرة لصالح ابقاء النظام الاشتراكي في نصف الكرة الغربي ، واستمرار انتمائه الى معسكر الاشتراكية العالمي ، واحتفاظه بمقدرته التهديدية الدائمة والمستمرة لنظام الاحتكارات والنهب هناك ، وطاقته الالهامية المشعة بالثورة وبالتحريض المتصل عليها ، حتى غدت الثورة الكوبية - ولا سيما بعد قيام النظام الديمقراطي الشعبي من حولها في تشيلي ، والنظام الوطني في بيرو ، واشتعال الثورات الوطنية في كافة انحاء القارة الامريكية اللاتينية احدى حقائق العصر الثابتة . وبذلك هزمت الامبريالية الامريكية ، قائدة الاستعمار العالمي في عقر دارها هذه المرة ، وحلت عقدة أخرى وخطيرة ، فرزها التناقض الرئيسي بين النظامين العالميين المتضادين ، وكان حلها لصالح وفي اتجاه حركة التقدم التاريخي .

اندحار قوى الاستعمار في جنوب شرق آسيا

وعبر نهاية الستينيات ، ومطلع السبعينيات ، انتقل مركز الصراع الاساسي بين قوى التقدم العالمية ، وقوى التآمر الدولية ، الى منطقة الهند الصينية وعموم جنوب شرق آسيا ، التي أراد الاستعمار أن يجعل منها حزاما واقيا ضد ما أسماه انتشار الشيوعية ، وأن يجابه منها المعسكر الاشتراكي كله ، ويضربه من الخاصرة ، ويطوق بها الصين الشعبية . غير أن حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في هذه المنطقة الملتهبة امكنها - بفضل تنامي قوى الاشتراكية واشتداد ساعدها ، وبرغم الانقسام العابر في صفوفها ، وبفضل دعم الاتحاد السوفيتي الخاص والمكثف ان

تلحق هزائم نكراء متلاحقة بالامبريالية الامريكية فى مختلف مناطق الهند الصينية ، وان تمرغ هيبتها فى مستنقعاتها ، وأن (تقبر) حلف جنوب شرق آسيا فى معركة شبه القارة الهندية، فى البنغال ، وتقبر معه السمعة العسكرية ، والفاشية الامريكية ، مما دعا زعيم المعارضة فى استراليا أن يعلن الحقيقة المرة (أن حلف جنوب شرق آسيا قد مات ، وانتهى وأصبح من معالم الماضى !) الاهرام ٧ - ٧ - ٧٢) ، وحتى غدت مسألة انسحاب قوات الاستعمار الامريكى من كمبوديا ولاوس وفيتنام وكوريا قضية مسلما بها . ولا سيما بعد اضطرار الامبريالية الامريكية الى القبول بوجود الصين الشعبية والاعتراف بها ، والتعايش معها ، وبعد الاتجاه الى التفاهم والتقارب الاخير بين كوريا الشمالية والجنوبية ، واتفاق السلام بين الهند وباكستان واتجاه اليابان للاعتراف بالصين الشعبية ، وعقد معاهدة سلام مع الاتحاد السوفيتى لانهاء الاوضاع التى ترتبت على الحرب العالمية الثانية ، وأخيرا فرض السلام فى فيتنام ، ولم يعد يطمع حكام البيت الابيض بنكؤهم فى ابرام وتنفيذ اتفاقية السلم التى اعلنت عنها فيتنام الشمالية فى أكثر من الوصول الى تسوية سياسية يحافظون بها على بعض المظاهر ، وحتى على بعض ماء الوجه ، عسكريا وسياسيا ومعنويا لصالح قوى التحرر والتقدم الوطنية والاشتراكية . وبذلك حلت عقدة أخرى فى الاتجاه الصحيح تماما ، اتجاه انتصار قوى المستقبل على قوى الامس الدابر ، واندحار قوى الثورة المضادة أمام قوى الزحف العالمية .

تركز الصراع العالمى

فى الشرق الاوسط

وبنظرة عامة على خارطة الكرة الارضية يتضح منذ الان - وعلى الفور ان منطقة الشرق الاوسط غدت هى بؤرة التناقض الرئيسى لعالمنا ، ومحور الصراع بين قواه التقدمية وقواه الرجعية وساحة الالتحام الحقيقية والاخيرة ، التى سيتقرر فيها نهائيا والى الابد مصير الاستعمار العالمى ، والامبريالية الامريكية بوجه خاص ، التى أصبحت هى الاخرى تشكل مع الصهيونية والامبريالية النقيض المضاد لحركة التحرر الوطنى العربية ، المتحالفة سياسيا وعمليا مع حركة الثورة الاشتراكية ، والمشكلة معها جبهة ثورية واحدة ، معادية ومكافحة ضد جبهة الاستعمار واسرائيل والرجعية .

ان هذه الحقيقة الموضوعية والتاريخية تتجلى أكثر ما تتجلى فى النقاط الاتية :

١ - ان منطقة الشرق الاوسط تعتبر بالنسبة للاستعمار الامريكى حلبة الصدام الاخيرة والحاسمة ، حيث انها تمثل مسرح الثورة العربية الجامحة ، التى منذ انطلقت صيحتها الاولى والمدوية فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ بالقاهرة - عاصمة العرب الكبرى التاريخية والروحية - وهى تسير فى مثل الطوفان العاصف ، والقدر الكاسح ، يطوى الارض العربية طيا ، ويجتاح قلاع الامبريالية ، ويدك حصون الرجعية ، ويزلزل عواصم الاستعمار العالمى، ويحكم بالزوال على وجود الامبراطورية البريطانية من المشرق العربى ، والامبراطورية الفرنسية من المغرب العربى ، ويدخل فى اشتباك مباشر مع زعيمة الاستعمار الجديد - أمريكا - التى تسلمت الراية السوداء عن الاستعمار القديم ، وارادت ان تقاوم حتمية التاريخ ، وارادة الشعوب ، وأن تقف فى وجه الطوفان ، قبل ان يبتلعها هى الاخرى ، ويحكم على وجودها بالزوال من الكرةالارضية .

٢ - ان الاستعمار الغربى بزعامة الولايات المتحدة غدا يدركمدى خطورةنجاح حركة العرب القومية الحديثة ، المستهدفة استعادة امجادهم التاريخية العتيدة ، وابتعاث ماضيهم الحضارى العظيم ، واقامة دولتهم العربية الكبرى الموحدة المتحررة ، التى تمتد قوميا ما بين المحيط والخليج وتملأ جغرافيا مساحة الشرق الاوسط كلها تقريبا ، وتشغل (سرة) العالم ، وتهيمن على مداخل بحاره ، الهندى ، والاحمر ، والاوسط ، وعلى بوابته الافريقية والاسيوية ، وعلى ملتقى شبكة المواصلات العالمية ، والتى ستقف بتحقق وحدتها القومية التقدمية على قدم المساواة مع الدول العظمى المتقدمة والمهيبة فى هذا العصر .

٣ - ان الامبريالية العالمية - بقيادتها الامريكية - تعرف جيدا ان نجاح حركة التحرر الوطنى العربية يعنى على وجه الضبط اخراج الامبريالية العالمية نهائيا والى الابد من أهم مناطق استغلالها واستعمارها ونفوذها فى العالم على الاطلاق ، التى طالما اصطرعت من أجل امتلاكها كل قوى الاستعمار العالمى ، ومنذ فترات مبكرة - وكانت أرضها احدى ساحات المعارك خلال

الحربين العالميتين الاولى والثانية بين القوى المتنافسة ،وغدتمنذ الثلاثينيات مركز الامبراطورية الاحتكارية الاستعمارية العالمية ، وأصبحت تمثل مخزن احتياطى البترول الهائل والخيالى والفريد فى العالم كله ، والمعين الثرى الذى لا ينضب ، فى الوقت الذى أخذت فى النضوب فيه المنابع البترولية الاخرى حتى فى امريكا ذاتها ، كما أصبحت المورد الاول والاخير — حتى من الناحية التجارية البحتة — بالنسبة لكل الدول الرأسمالية — ابتداء من اليابان فى الشرق الى امريكا فى الغرب ، والمركز العصبى الحساس لكل المصالح الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والسياسية للامبريالية العالمية •

٤ — أن الاستعمار العالمى — وعلى رأسه الاستعمار الامريكى — اخذ يعى جيدا مدى فداحة صحوة الوعى العربى الثورى على واقع انه هو بالذات وراء زرع سرطان الدولة الصهيونية فى الجسم العربى التى اثبتت الوقائع أنها لا تعدو أن تكون استعمارا استيطانيا غربيا ، وتركة خلفها الاستعمار القديم ، واحتضنها الاستعمار الجديد ، ورأس جسر ممتد للامبريالية العالمية كلها ، مغروز فى المنطقة العربية ، لحماية هذه الامبراطورية الاحتكارية التى اقامتها فى الشرق الاوسط ، ولابتزاز حركة التحرر الوطنية العربية ، وارهاب الشعوب العربية ، وللحيلولة دون تحقيق وحدتها القومية ، ولابقائها رازحة تحت نير الاستغلال والتبعية والذلة •

٥ — ان الامبريالية العالمية — تحت الزعامة الامريكية — تنبهت الى مدى خطورة الثورة العربية التحررية التى تمكنت عبر نضال لاهب من اقامة انظمة وطنية ديمقراطية فى اكثر من بلد عربى ، معادية للاستعمار محاربة لعملائه ، واخذت تطل بالفعل على افق الثورة الاجتماعية التقدمية ولم تكتف بتأميم وضرب الكثير من المصالح الاجنبية ، وانما شرعت فى تأميم وضرب الكومبرادورية العربية ، وقطاعات واسعة من مصالح البورجوازية الوسطى المحلية ، كما قطعت خطوات حاسمة فى مجال الثورة الزراعية ، واحدثت تغيرات هيكلية على كيان المجتمع العربى ، واجرت اصلاحات ديمقراطية متنوعة ، وسارت على طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المستقلة ، وفى طريق التطور غير الرأسمالى ، وتبنت كثيرا من المفاهيم التقدمية ، بل ورفعت بعض هذه الانظمة شعار (الاشتراكية العلمية) منذ نص عليه الميثاق الوطنى المصرى عام ١٩٦٢ •

٦ — أن الاستعمار العالمى — بحصته الامريكى — صحا بغتة على حقيقة أن منطقة الشرق الاوسط التى كان يعتبرها تمثل الجناح الجنوبى الشرقى للحلف الاطلنطى وامتدادا طبيعيا لاوربا ومجالا حيويا وتقليديا لها ، والتى طالما صنع الشباك والاحلاف قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو وبعدها لالحاقها بهذا الحلف الاستعمارى ، قد أخذت تنفصل فجأة — منذ اتجه القائد العربى المظفر عبد الناصر نحو الشرق ، وعقد صفقة الاسلحة السوفيتية — التشيكية الشهيرة عام ١٩٥٥ عن الجبهة الغربية ، وتنضم الى جبهة الشرق الاشتراكية ، المعادية للاستعمار والامبريالية وتلتحم بحركة التحرر الوطنى العالمية ، وتشكل رأس الرمح فيها ، وتلتقى بالحركة العمالية والديمقراطية فى المعسكر الراسمالى نفسه ، وتغدو بحق حلقة أساسية وصدامية وحاسمة فى سلسلة الثورة العالمية •

٧ — ان الجبهة الامبريالية — بطليعتها الامريكية — ازدادت قناعة بأن مصر التى أطلقت هذه العاصفة الثورية المجتاحة فى المنطقة ،والتى شن ضدها — بعدوان ١٩٥٦ — ١٩٦٧ حربى تدخل سافرتين ، بغية هزيمتها ، واخراجها من ميدان النضال نهائيا ، واضطرارها الى التراجع صاغرة الى حظيرة التبعية الاستعمارية — لم يؤثر فى عزيمتها الثورية — واستراتيجيتها القومية ، وريادتها التقدمية ، ودورها الطليعى ، وتوهجها الحضارى ، وان الضغوط الاستعمارية ، والحروب العدوانية لم تولد سوى ردود فعل ثورية ، وثورات وطنية ، ومزيد من الارتباط بالقضية القومية ، والالتحام مع معسكر الثورة العالمية ومزيد من العداء لمعسكر الامبريالية • وأكثر من ذلك كان من شأن هذه الهجمات الاستعمارية — الصهيونية على قلعة الثورة العربية — القاهرة — ان تبصرها أكثر فأكثر ، وتكشف لها على نحو اعمق واشد ان هناك فى (الشرق) حقا يوجد الحلفاء الشرفاء ، والاصدقاء الامناء ، وان سبيل النجاة من القبضة الامبريالية الصهيونية الخانقة ، ووسيلة الانتصار على الوحش الفاشى المنقض والمفترس هو بالتعاهد والتحالف مع طليعة الثورة العربية • ومن هنا عقد (معاهدة الصداقة والتعاون) بين مصر والاتحاد السوفيتى فى ٢٧ مايو ١٩٧١ التى كانت فيها القاهرة رائدة لحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية فى مضمار اكتشاف مدى أهمية وضرورة تقنين النضال الثورى المشترك ضد الامبريالية ، وصبه فى قالب تعاهدى ، وكانت بذلك سباقة الى تطبيق أحد قوانين العصر الموضوعية ، المتمثل فى

تلك العلاقة الثورية العضوية والصميمة ، بين الديمقراطية الثورية ، والديمقراطية الاشتراكية .

٨ ـ ان قوى الاستعمار والصهيونية المتحركة تحت اللواء الامريكي ـ لم تتمكن برغم كل الجهود المختلفة والمحمومة ، العلانية والسرية ، العسكرية والسياسية ، الخارجية والداخلية من أن تطمس طبيعة الصراع فى منطقة الشرق الاوسط ، ومن أن تخفى معالمه الواضحة ومن أن تميع المعركة ، وتصيب العيون بالغشاوة عن أن ترى حقيقة الاعداء ، ومن أن تحول دون تمحور قوى الثورة فى جانب ، وتركز قوى الثورة المضادة فى جانب آخر ، وتبلور قوى التقدم فى جهة ، وتجمع قوى التأخرفى جهة اخرى ، وسقطت كل محاولات جعل امريكا فى موقع المنقذ ، أو المحايد ، او الوسيط ، وبقيت بل ظهرت أكثر فأكثر فى موقع العدو الاساسى ، والفاعل الاصلى ، حتى ظهرت الصهيونية ، وتجسيدها المتمثل فى اسرائيل ، برغم كل مطامعها وتطلعاتها التوسعية الخاصة ، كذراع امريكية ممتدة فى الشرق الاوسط ، وكقلعة غربية امبريالية متقدمة على أراضيه ، وكلب حراسة لمصالحه ، وعصا غليظة فى يده .

حتمية هزيمة الثالوث الاستعمارى ـ الصهيونى ـ الرجعى

لكل هذه العوامل والظروف النابعة من (خصوصيه) منطقة الشرق الاوسط ، ومن طبيعة التيارات والاعاصير المنطلقة والمهددة فيها ، ولانحسار الامبريالية وانحسار نفوذها من مختلف المناطق العالمية الحساسة ، ولاصرارها واستماتتها على اتخاذ هذه المنطقة البترولية والاستراتيجية موقعا أخيرا لاستحكاماتها الدفاعية ، ومعقلا نهائيا لنفوذها ، ولتركز الصراع الوطنى والقومى والعالمى حولها ،وانتقال مركز الاستقطاب بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة على النطاق العالمى اليها ، لذلك كله ولغيره من الاسباب فانه يمكن القول انه هنا فى الشرق الاوسط ، وفى المنطقة العربية منه بالذات ، ستدور أنبل واعظم واخلد معارك حركة التحرير العربية والعالمية الحاسمة ، ذات الابعاد الوطنية والقومية والاجتماعية ، وذات المغزى المحلى والدولى معا ، والتى فيها ذاتها ستنتكس راية الاستعمار الجديد ، كما انتكست فيها دون غيرها راية الاستعمار القديم ، وسترد الهجمة الصهيونية الاستعمارية ـ على الامة العربية ، وتصفى آثارها ، ومن على ارضها ستكتسح امبراطورية الاحتكارات الامبريالية ، ويستعيد العرب وغيرهم من شعوب المنطقة ثرواتهم المنهوبة ، ويقيموا صناعتهم المتقدمة ، ومجتمعهم المتحضر ، وستختفى حصون الرجعية العربية وتسقط أوكار العمالة ، والتى عبر جحيمها الثورى المتصاعد والمتدفق وعند الذروة العليا منه ستتحلل وتذوب ـ حتميا ـ دولة الصهيونية ، مفسحة الطريق ـ آخر الامر ـ لقيام دولة ديمقراطية على أرض فلسطين ، وفوق هذه الارض ستحقق الثورة العالمية بتياراتها الاشتراكية والوطنية الديمقراطية انتصاراتها التاريخية الفاصلة والمجيدة ، وفيها ستنهض وتتظاهر دولة العرب الكبرى القومية الموحدة ، الناهضة المتطورة ، الاشتراكية الديمقراطية .

المغـــــزى السـيـاسـى والاستراتيجى لتأميم عمليــــات شركة نفـط العـــراق

بيتر يوسف *

لقد سلم الحكم الاهلى الذى اقامه المستعمرون الانجليز فى القطر العراقى فى أعقاب ثورة عام ١٩٢٠، أراضى القطر ـ منذ العشرينات ـ للشركات الاحتكارية النفطية ، وفقا لاتفاقيات جائرة تمتد الى نهاية هذا القرن . ومنذ ذلك الحين ، سارت عمليات الحفر والانتاج منسجمة مع مصالح تلك الشركات دون الاهتمام بمصلحة شعبنا فى العراق . وظلت الحركة الوطنية ، طيلة عشرات من السنين ، حبيسة الخوف من العمل على ، وبث الوعى عن ، ورفع شعار حل قضية النفط حلا جذريا . وانحصرت نشاطاتها فى هذا الحقل بمطالبة الشركات والسلطات الحكومية بزيادة حصة العراق من عائدات النفط ومساهمة القطر برأسمال الشركة ، ورفع آجور العمال العاملين فى حقول النفط وتحسين أحوالهم المعاشية ، وغير ذلك من المطاليب التى لم تكن تمس الكارتيل النفطى فى الصميم . وكانت صورة الفشل الذى أصيبت به حركة التأميم فى ايران ـ أيام الدكتور مصدق ـ تقف أمام أنظار القوى الوطنية لتشلها وتحول دون قيامها بأى نشاط جدى فى هذا المجـــال ، دون أن تدرك أن الظـروف العالمية ـ آنذاك ـ كانت تختلف عن الفترات التى أعقبتها ، ودون أن تأخذ بالحسبان عوامل أخرى داخلية وخارجية أحاطت بتلك العملية الجريئة ، وسببت لها الهزيمة . لقد بقيت القوى الوطنية فى العراق تخشى الاقدام على المطالبة بتأميم النفط حتى فى عهد الحكومات التى قامت بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، لانها لم تكن تدرك الحاجة الماسة التى نشأت لدى الدول الرأسمالية الكبرى الى النفط وعدم امكان تلك الدول الاستغناء

* المحرر بجريدة الثورة العراقية

عنه ، وبقيت تخشى أن يكون فى التأميم احراج لاصدقاء العراق من البلدان المتحررة والاشتراكية ، وظلت القوى ، التى تجرأت على طرح فكرة التأميم فى شعاراتها ، تضع شرطا للاقدام على ذلك أن يكون الظرف مؤاتيا ، ومن الواضح جدا أن الظرف المؤاتى مسألة تخضع لكثير من التفسيرات والاجتهادات والدوافع .

معارضة منذ البداية

ولكن ذلك لا يعنى على الاطلاق أن الوطنيين والقوى السياسية المعادية للاستعمار رضخت للسيطرة الاجنبية على ثروات القطر النفطية . ان المعارضة الوطنية للاتفاقيات التى عقدها المستعمرون مع الحكومات الرجعية العميلة بدأت منذ العشرينات . فقد استقال عدد من الوزراء فى عام ١٩٢٥ بسبب « عدم منح الشركات الاحتكارية للعراق حقا فى المشاركة برأسمالها » ! واستخدمت بريطانيا اسلوب التهديد باعطاء ولاية الموصل لتركيا التى كانت تطالب بها ـ آنذاك ـ اذا امتنع العراق عن الرضوخ لرغبات الشركات النفطية . ووقعت الاتفاقيات فى جو من الارهاب والتهديد ، بعد أن اتفقت الاطراف الاستعمارية الانكليزية والاميركية والفرنسية وغيرها على نهب ثروات العراق . ومنذ ذلك الحين ظل الاستعمار فى العراق ذا طابع نفطى بصورة رئيسية وبقيت شركة النفط طيلة عشرات السنين هى الحاكم الفعلى فى العراق ، واستمرت ميزانية الدولة ، حتى بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، تعتمد بصورة رئيسية على عائدات النفط .

أحد أسباب الحرب العالمية الاولى

ان أمتنا العربية تجرعت من المصائب والويلات من الاستعمار واحتكاراته النفطية ما لا يمكن أن يقع تحت حصر . ان معظم اجزاء وطننا العربى تعرضت للاحتلال العسكرى ، ووقع كل النفط العربى تحت سيطرة الاحتكارات ، وكان هذا النفط وراء اتجاه الاطماع الاستعمارية ، منذ القرن التاسع عشر ، نحو القطر العراقى ، ووراء الاسراع فى ارسال الجيوش لاحتلاله أثناء الحرب العالمية الاولى . كما ظل النفط العربى ، منذ بدايات هذا القرن ، أداة بيد المستعمرين يستخدمونه لتحريك ماكنيتهم العسكرية التى قمعت ثورات شعبنا العربى فى كل مكان تنفجرت فيه .

لم يكن الامر عفويا

الا أن معركة النفط بين الشركات الاحتكارية ، ومن ورائها الاستعمار العالمى بزعامة الولايات المتحدة والصهيونية العالمية ، من جهة ، وبين السلطة الثورية بقيادة حزب البعث العربى الاشتراكى فى القطر العراقى من جهة أخرى ، بدأت على أشدها عندما أقدم العراق على تأميم عمليات شركة نفط العراق ، الممثلة للامبراطورية النفطية بشركاتها السبع المسيطرة على أغلب نفط العالم غير الاشتراكى . ولم تأت هذه البداية عفوية أو بنت ساعتها ، كما قد يتخيل للبعض ، أو رد فعل لموقف الشركة المتعنت وأضرارها بمصالح العراق ، عندما أخذت تخفض انتاج النفط المستخرج من حقول كركوك . ان ميثاق العمل الوطنى الذى أعلنه الرئيس أحمد حسن البكر فى تشرين الثانى من عام ١٩٧١ ، حدد ـ بصورة واضحة ـ اصرار حكومة الثورة على اعتماد الهدف الاستراتيجى لسياستها فى حقل النفط وهو : « تحرير هذه الثروة تحريرا كاملا من السيطرة والاستغلال الاجنبى واخضاعها للسيادة الوطنية من كافة الوجوه » . وأن من مهمات حكومة الثورة وحزب البعث والقوى الوطنية الاخرى نشر الوعى النفطى بصورة مستمرة بين الجماهير لتعبئتها فى المعركة التى لم يكن مفر من نشوبها بين عراق الثورة والاحتكارات الاجنبية .

ولم يأت هذا الموقف من جانب حكومة الثورة فى العراق مفاجئا أو لدواعى آنية فرضتها ظروف وعناصر مسيرة ثورة السابع عشر من تموز ، بل كانت ترجمة فعلية وواقعية للقرار الذى اتخذه المؤتمر القومى الثامن لحزب البعث العربى الاشتراكى الذى انعقد عام ١٩٦٥ ، والقاضى بجعل نفط العرب للعرب وليس للمستعمرين . كما كانت بيانات الحزب منذ الخمسينات وخلال الستينات تؤكد على أن النفط ثروة أساسية يجب أن تعود الى أمتنا .

سلسلة من الاجراءات

ان التأميم ـ هذه الخطوة البالغة الاهمية ـ جاء تتويجا لهذه السياسة الوطنية القومية المرسومة ، وقمة فى الاجراءات التى بدأت حكومة الثورة باتخاذها منذ أن تسلم حزب البعث العربى الاشتراكى مقاليد الحكم ، وهو مدرك أن لا هدنة بين الثورة العربية والاستعمار . وكان هذا هو منطلقه منذ أن عقد الاتفاقات مع البلدان الصديقة ومع المؤسسات والشركات المختلفة التى هيأت للعراق امكانية البدء بالعمل لانتاج النفط وطنيا فى حقل الرميلة بجنوب العراق ، من جهة ، والعمل على تقليل الاعتماد على عائدات النفط ، باقامة مشاريع وطنية لاستثمار الكبريت وغيره ، من جهة أخرى .

متعلق بقضية فلسطين

لقد شكل النفط ، بصفته أكثر مواد الوقود والطاقة استعمالا ، وأكبر السلع تداولا في السوق العالمية ، عاملا محركا اساسيا في اقتصاد العراق ، لانه كان العنصر الاساسي في تمويل المشاريع الانشائية والصناعات الخفيفة وطرق المواصلات ، واحتلت عائدات النفط المكان الاول بين مصادر ايرادات البلاد ، الامر الذي كان يجعل الميزانية العامة تعتمد أساسا على هذه العائدات . وهو بالاضافة الى ذلك ، جزء من النفط العربي الذي يتواجد في وطننا ، والذي يتعلق بشكل عضوي بأهم مشاكل امتنا العربية ، وهي قضية فلسطين . فالكيان الصهيوني أقيم في وسط وطننا ، أساسا ، ليكون قاعدة تحمي المصالح النفطية الاستعمارية ، ولصيانة وضمان سلامة الطرق التي يقتضيها تسويقه . وهذا يبدو واضحا في امتداد الاخطبوط الصهيوني الى البحر الاحمر والتقائه بالذراع الامبريالية الاخرى على الخليج العربي - ايران - ، الامر الذي نفذ مخططات الاستعمار في تطويق مصادر النفط في وطننا العربي والسيطرة على الممرات المائية الضرورية لتدفقه بدون انقطاع .

استعادة السلاح

ان حكومة الثورة في العراق خاضت معركة التأميم ضد الاحتكارات النفطية العالمية التي كانت شركة نفط العراق جزءا أساسيا منها ، ادراكا منها أن استمرار سيطرة الاحتكارات الاجنبية على نفطنا يعني في حقيقته استمرار بقاء هذا السلاح الهام بيد أعداء أمتنا وهو أمر يتنافى مع مصالحها . ولقد كان خضوع الانظمة العميلة في العهد الملكي لارادة الشركات اخضاعا لمصالح شعبنا وأمتنا لارادة الاستعمار والصهيونية . وعندما قامت ثورة الرابع عشر من تموز ، استطاع شعبنا دفع النظام الذي قام بعدها الى خوض النضال ضد الشركات . الا أن انحراف السلطة ومعاداتها للشعب جعلاها تحت رحمة الشركات وفشلت في تحقيق أية مكاسب جديدة في هذا المجال . أما السلطة التي أعقبت ردة تشرين ١٩٦٣ فانها اكتفت - وتحت ضغط الظروف الداخلية والخارجية - بسن بعض التشريعات التي بقيت حبرا على ورق ، ولم تجد تجسيدا لها الا بعد ثورة السابع عشر من تموز التي قامت باجراء تحولات نوعية جذرية في مضامين الحكم وفي جوهر مسيرة القطر ووقفت بكل صلابة أمام كل مافيه اضرار بمصلحة شعبنا وأمتنا .

مفاجأة للاحتكارات

ان حكومة الثورة دخلت معركة النفط وهي مدركة لابعادها وملابساتها وتعقيداتها . وكانت تعرف أن كل السياسة الانتاجية التي اعتمدتها شركة النفط الاجنبية انما كانت بهدف الضغط اقتصاديا عليها واجبارها على تعديل موقفها ليس من الشركة وحسب ، بل من الاقطار الاستعمارية نفسها ، ودفعها الى التخلي عن القانون رقم (٨٠) وعن انتاج النفط وطنيا . وكانت الشركات تستبعد اقدام العراق على اتخاذ خطوات جدية ضدها ، مستندة الى تقديرات اختصاصييها التي دفعت رئيس مجلس مديري شركة (ستاندرد أويل أوف نيوجيرسي) الى التصريح في حديث له للصحافة قائلا : « انه لا يرى أي خطر من تأميم ممتلكات النفط التابعة للشركة في الشرق الاوسط ، اذ أن الدول المنتجة للنفط لابد أن تكون مدركة للفرق الشاسع بين حقول النفط من ناحية والاسواق التي تشرف عليها الاحتكارات النفطية العالمية من ناحية أخرى » .. وكانت الشركات تضع في حساباتها أن استمرار الضغط الاقتصادي عامل يقف الى جانبها ، في حين انه يتناقض مع مصلحة العراق الذي لم يكن اقتصاده يتحمل ذلك الضغط فترة طويلة ، دون أن يترك ذلك أثره السلبي على مسيرة الثورة وثباتها ورسوخ جذورها وانجاز اهدافها الانية والبعيدة ، وبالتالي فان ذلك يعرضها الى خطر السقوط .

الدوافع الآنية

ولكن حكومة الثورة كانت قد وضعت حساباتها بموجب ووفق انماط جديدة حتى على اختصاصيي شركات النفط والدول الاستعمارية التي تنتمي اليها . ان الاستعماريين وشركاتهم أهملوا في حساباتهم حقيقة الروابط العضوية المتينة ، التي قامت عبر السنوات التي أعقبت ثورة السابع عشر من تموز ، بين الحكم الثوري والشعب العراقي ، تلك الروابط التي نمت وترعرعت واشتد عودها من خلال انغمار قيادة الثورة والجماهير في معارك البناء والتشييد وعبر النضال الدائب الحازم ضد المؤامرات والدسائس ، وفي بوتقة معركة الثقة المتبادلة بين الجماهير وقيادتها . وعلى هذا فان قيادة الثورة بدأت معركة النفط وخاضتها بعناد وتصميم وهي مصرة على انتزاع حقوقنا النفطية ، حتى اذا تطلب ذلك تحمل شعبنا لحرمانات ومصاعب اقتصادية كبرى لفترة زمنية طويلة . وكانت الدوافع الانية وراء اصرار حكومة الثورة على تحرير ثرواتنا النفطية هي :

١ ـ ان النفط يشكل موردا أساسيا فى اقتصاد القطر .

٢ ـ ان الشركات الاحتكارية تشكل ـ بوجودها فى القطر ـ بؤرة استعمارية تنطلق منها المؤامرات والمحاولات التخريبية الموجهة لعرقلة المسيرة الثورية .

٣ ـ وضع حد للمعركة التى بدأها شعبنا منذ عشرات السنين دون أن تتيح له الانظمة الرجعية والدكتاتورية مجالا للخروج منها بأى انتصار .

ان حكومة الثورة ربطت بين تحرير ثرواتنا النفطية تحريرا كاملا ، وبيـــن استكمال سيادتنـــا الوطنية وامتلاك الامكانات المادية ليؤدى العراق دورا أساسيا فى الثورة العربية ومعركة التحرير القومية ، وتوفير الاساس لنهوض الامة العربية على طريق الوحدة وبناء المستقبل الافضـــل . وكانت الثورة واعية لحقيقة أن المصالح النفطية الاستعمارية فى الشرق الاوسط من الضـــخامة والاهمية بحيث أن فتح جبهة ضد الاحتكارات فى القطر يعنى فتح معركة مصيرية فاصلة تحتاج الى حشـد كل طـــاقات الشـــعب لمجابهـــة القـــوى ، والامكانات الاستعمارية الهائلة التى ستستنفر فى المعركة . ان معركة من هذا القبيل تندفع بالامبرياليين الى تجنيد كل قواهم السيـــاسية والمادية وخبراتهم التآمرية ضد الشعب ، فنجاح أى بلد فى تأميم نفطه يشكل خطرا على مصالحهم بما يقدمه من المثال الايجابى المغرى .

طاقات الشعب

ووسط الاصوات المبحوحة الناعبة التــى ارتفعت « محذرة » من نتائج « التورط » فى التأميم والمآسي والبطالة والفقر وتوقف البناء الناجم عنه ، واغلاق الاسواق العالمية بوجه النفط العـــراقى وردود الفعل « العنيفة » التى ستظهر لدى الطرف الاخر (الشركات) ، خاض العراق معركة التأميم التى أكد انتصاره فيها حقيقة ينكرها جميـــع المتخاذلين والسائرين بركاب المشاريع الاستعمارية الرامية الى تفتيت قوى أمتنا وبذر اليأس فى قلوب شعبنا . . لقد برهن النصر أن للشعوب قوى عظيمة الاهمية وطاقات هائلة تبرز خلال المعارك ضد أعدائها . واذا كانت هذه الطاقات غير منظورة أيام السلم ، فانها ـ أيام المعارك ـ تتفجر وتنزل الهزائم الساحقة بأولئك الاعداء . لقد تبدت بكل وضوح قوة شعبنا وقابلياته غير المحدودة أيام الصراع ضد الاحتكارات ، وكان استعداده لتحمل أعباء المعركة كلها رائعا وعظيما . ولم تكتف جماهيرنا بتهيئة نفسها لتحمل التقشف والشظف الذى كان متوقعا وحسب ، بل أنها شمرت عن ساعديها واستعدت لخوض اية معركة قد يفكـــر المستعمرون بفرضها . وكانت عوامل الانتصار قد زرعت ونبتت قبل معركة التأميم بفترة زمنية ، أثمرت خلالها مساعى قيادة الثورة فى تحقيق وحدة القوى الوطنية عـى نطـــاق القطر اولا ، والالتحام الذى عملت من أجله على نطاق الوطن العربى مع القوى التقدمية ، قوى الثورة العربية . ان ترسيخ قواعد الوحدة على النطاق القطرى ادى الى تعبئة جميع المواطنين والارتفاع بهـم الى مستوى المسئوليات التى تتطلبها المعركة ، كما عبئت كل القوى الثورية فى أمتنا وجندت لتأييد العراق فى نضاله .

ردود الفعل

ان معركة التأميم غيرت ـ بشكل حـــاسم ـ خارطة المنطقة وعلى نطاق العالم الثالث بمـــا استحدثته من تبدل فى ميزان القوى الذى كان لصالح الاستعمار والصهيونية بشكل مطلـــق ، فأربكته وأدخلت اليه عوامل جديدة حيوية وفعالة تقف لصالح الثورة العربية . لقد استطاعت أن تنقل سلاحا رهيبا يستخدم لضرب الثورة العربية الى أداة فعالة بيدها . وكانت العملية من الكفاءة والمفاجأة أنها سببت بروز نشاطين على الساحة العربية وفى البلدان المتواجدة فى المنطقة . فلقد صاحب المد الثورى الجماهيرى الذى ارتفع فى كل أقطار الوطن العربى وبلدان المنطقة ، تحرك ونشاط وتجمع رجعى اســـتهدف ابرام تحالفات مكتوبة وغير مكتوبة ، وعقد حلف السنتو (حلف بغـــداد سابقا) ، والذى كان جثة هامدة منذ أن وجهت اليه ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ ضربتها القاضية ، اجتماعات متعددة ، وظهر تصـــعيد وتسريع أعمال التطويق التى شملت البحر الاحمر والخليج العربى بالتعاون الكامل بين الرجعية الايرانية والكيان الصهيونى وأثيوبيا والرجعيات العربية فى المنطقة .

أبعاد العملية ومغزاها

ان قيام القطر العراقى بتأميم نفطه وانتصاره فى هذه المعركة يحوى أبعادا عميقة ، قطـــرية وقومية . . انه عنى :

١ ـ أن القطر العراقى دخل السوق العالمية كدولة منتجة للنفط مسوقة له ، مصنعة اياه . ووضـــع قدمه علـــى درب اقـــامة الصـــناعات البتروكيماوية ، واستخدام موارده النفطية فى بناء اقتصاد متنوع ومتكامل لا يخضع للنفط فقط ، ولا يمكن أن تتحكم به أية شركة احتكارية .

٢ ـ أن القطر حقق تحرره الاقتصادى والسياسى الكامل ، الامر الذى يتيح له اقامة العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية بملء رغبته ، ومع الجهات التى يختارها ، وعلى أساس المساواة التامة والمصلحة المتبادلة . ان التأميم جاء حاويا لمقومات التحرر الاقتصادى الذى يتطلب القضاء على الاحتكارات الاجنبية ، والسيطرة على ثروات البلاد ومن ثم الانطلاق نحو انشاء صناعه كبيرة فى البلاد ، وتطوير الزراعة وتحرير التجارة الخارجية من كل القيود التى تربطها بالسوق الرأسمالية الاستعمارية .

٣ ـ أن الثورة العربية امتلكت بيدها جزءا من السلاح المتوفر لديها ، الخاضع لاعدائها ، وأنها ـ بهذا الجزء الذى امتلكته ـ تستطيع فرض وجودها وتحقيق تحرير الاجزاء الاخرى . بعد أن تحول هذا السلاح من يد أعدائها الى يدها هى . وأن التأميم قد وضع بيد طليعة الثورة العربية امكانات اقتصادية وسياسية كبيرة لمد يد العون المادى والمعنوى لشعبنا العربى المكافح فى أرجاء الوطن العربى الكبير . وأن الثوره العربية لم تستسلم للهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية ، وأنها ماتزال تجد الاسلحة التى تساعدها فى المعركة ضد أعدائها .

٤ ـ ان الامة العربية سجلت أول نصر سياسى كبير ، منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، ضد الاستعمار العالمى الذى كان أساس تخلفها وضياع جزء من ارضها ، وتسييد الكيان الصهيونى البغيض عليها . لقد جاء التاميم ضربة ساحقة لاسس السيطرة الاستعمارية ، ولنفوذ الاحتكارات فى وطننا العربى ، وبرهانا على حيوية امتنا العربية ، وقدرتها على صنع الانتصارات حتى فى ظروف التراجع والتحديات . لقد تحقق النصر فى حزيران الذى ارتبط اسمه بالهزيمة فقدم للامة الفرح والامل ودحض الخرافة التى يروج لها الخونة والعملاء فى عدم امكان قهر الاستعمار ، وأن لا مناص للامة من الاستسلام والرضوخ . ان الانتصار كان ردا على الهزيمة وبرهانا على امكانية الرد على العدوان ، وتأكيدا للامة أنها تمتلك السلاح الرهيب الذى تستطيع ـ عن طريق تحريره ـ دحر عدوها الى الابد ، وخاصة فى هذه الظروف التى تتناقص فيها موجودات الدول الاستعمارية من الوقود والطاقة .

٥ ـ أنه فى الوقت الذى تكالبت القوى الرجعية العربية والاجنبية فى المنطقة يساندها الاستعمار العالمى بزعامة الولايات المتحدة الامريكية لاذلال امتنا وتعميق شعورها باليأس ، ودفعها الى الرضوخ لمخططات الصهيونية والاستعمار .. فى هذا الوقت بالذات حقق شعبنا العربى فى العراق واحدا من أكبر الانتصارات فى كفاح امتنا ، وأجبر أكبر الاحتكارات وأكثرها خطرا وجبروتا ـ الكارتل النفطى ـ على الركوع امام مشيئته . وحقق انتصارا للارادة العربية على القوى المعادية السوداء وبدأ تاريخا كفاحيا جديدا فى طريق استرداد حقوقنا المغتصبة ، وبرهن على أن بامكان أى بلد عربى أن يحطم السيطرة الاجنبية على ثرواته ويستعيد حرية التصرف بها لما فيه خير الامة العربية .

٦ ـ ان خطوة مهمة فى الطريق نحو تحرير فلسطين قد اتخذت بعد أن ظهرت فى المعركة أداة تضاف الى تلك التى تمتلكها الثورة العربية ، وتستخدمها فى صراعها ضد أعدائها الامبرياليين والصهاينة والرجعيين . لقد كشفت معركة التأميم فى العراق أهمية النفط لاعدائنا . وبذلك اكتشفت الثورة الفلسطينية ميدانا أو ميادين عديدة تستطيع عليها توجيه الضربات القاصمة للذين احتلوا فلسطين وللذين ساعدوا على احتلالها .

أن اعتبار العمل العسكرى وحده طريقا لانزال الهزيمة بالاعداء ابتعاد عن فهم طبيعة المعركة التى تخوضها الثورة الفلسطينية والثورة العربية ككل واهمال لاسلحة وأساليب وطرق لخوض المعارك تسبب للاعداء هزائم شنيعة . ان الطريق العسكرى وحده لا يقرر نتائج الصراع القائم بيننا وبين أعداء أمتنا ، فضرب المصالح الاقتصادية للامبريالية ، بكل أنواعها ، يسهل لنا الانتصار على الطريق العسكرى أيضا .

ان ضرب المصالح النفطية الامبريالية يعنى ضرب الامبريالية والصهيونية وهو خطوة فى الطريق لتحرير فلسطين ، وأداة فعالة تضاف الى أسلحة الثورة العربية . لقد فتح نجاح التأميم فى العراق أمام الثورة الفلسطينية آفاقا كبرى ووضع بيدها مفاتيح النصر فى الكفاح ضد الصهيونية .

٧ ـ ان الثورة العربية بدأت بتغيير العلاقات الانتاجية ، التى يشكل الاحتكاريون الاجانب أحد جوانبها ، بعلاقات جديدة تنهى التبعية الاقتصادية للمستعمرين وتفتح الباب أمام اعادة تركيب البنى الاقتصادية بصورة جديدة تؤهل القطر للسير باضطراد ، واللحاق بالمستوى العالمى الذى وصلته أقطار العالم المتطورة فى حقل العلم والتقنية والتنمية الاقتصادية .

ان الاحتكارات النفطية لم تعد سيدة الموقف ، بل فقدت سيطرتها ومقومات تأثيرها بعد أن كانت القوة الفعالة فى حياة العراق السياسية والاقتصادية لعشرات من السنين .

٨ ـ ان الثورة العربية بدأت فعلا في تطبيق وتحقيق شعارها : « نفط العرب للعرب وليس لأعدائهم » . وهي ـ عندما تكرر التجربة ـ ستمتلك عصب الحياة الذي بدونه لا تستطيع الولايات المتحدة أن تظل نصيرة للكيان الصهيوني ، وعندئذ تستطيع الامة العربية تحقيق النصر على هذا الكيان .

الآثار المتوقعة

ان تأميم حكومة المكسيك التقدمية ، في الثلاثينات من هذا القرن ، لنفط بلادها وانقاذه من سيطرة الاحتكارات الاميركية ، كان له بالغ الاثر في دفع الشعوب التي تنتج النفط الى تصعيد نضالاتها ومطالبة حكوماتها بانتهاج نفس الطريق . ولقد استطاع الشعب الفنزويلي أن يفرض ، بنضالاته التي استمرت حتى عام ١٩٤٣ ، اتفاقيات جديدة مع شركات النفط الاجنبية على أساس مناصفة الارباح . وامتد أثر ذلك الى الشرق الاوسط فبدأت ايران ـ التي كانت فيها حكومة تتوخى مصلحة الشعوب الايرانية ـ بالمطالبة باتفاقية جديدة تنال فيها نصف الارباح أيضا . الا أن الشركة الاحتكارية البريطانية تعنتت ورفضت الرضوخ لهذا المطلب رغم جزئيته وعدم جذريته . وحاولت الحكومات الايرانية ـ بسبب الضغط الشعبي ـ اقناع الشركة بالموافقة دون جدوى حتى قامت حكومة الدكتور مصدق بتأميم النفط الايراني عام ١٩٥١ .

وتأميم النفط في العراق ، أيضا ، لا يمكن أن يكون عملية منعزلة ينحصر مفعولها في هذا الجزء من الوطن العربي . ان هذه العملية ذات أثر كبير وخطير ، لا في الوطن العربي وحده ، بل في كل قطر منتج للنفط في أرجاء العالم الثالث أيضا ، حيث ماتزال الاحتكارات تنهب ثرواته النفطية . ولابد أن يظهر تأثير ذلك عاجلا أو آجلا ، بعد أن شهدت شعوب العالم نجاح العراق وأخذت تلمس نتائج هذا النجاح .

لقد أثبت نجاح التأميم ان الامبريالية لم يعد بامكانها صد التضامن العالمي الذي يتصاعد مع كل معركة يخوضها شعب مناضل ضد الاستعمار وسيطرته الاقتصادية . ان الاحتكارات وبلدانها فشلت في كل الاجراءات الانتقامية التي حاولت عن طريقها احباط التأميم . فجبهة النضال العالمي تتسع وتقوى يوما بعد آخر ، وهي تحمل تباشير النصر للشعوب . وعلى ان ثقل المعركة الاساس كان يقع على عاتق شعبنا في العراق ، وتوقفت نتائجها على مدى تحمله مستلزمات المضي في المعركة الى النهاية ، فان خوض العراق لهذه المعركة كان تجربة خاضتها الانسانية التقدمية جمعاء باعتبارها صراعا بين جبهة الشعوب وجبهة أعدائها .

ان التأميم كان خطوة تاريخية ثورية تركت آثارها في كل أرجاء العالم الثالث والراسمالي ، لانها كانت اسلوبا ثوريا في النضال يمثل مرحلة متقدمة في التاكتيك والاستراتيج الذي تختطه القوى التقدمية المعادية للاستعمار ، ولقد كان من آثار تلك الخطوة أن خبراء وسياسيين من (٣٤) بلدا اجتمعوا في العراق تحت شعار (النفط كسلاح في الكفاح ضد الامبريالية والعدوان الصهيوني) وكان ذلك في ندوة مجلس السلم العالمي المنعقدة في تشرين الثاني ١٩٧٢ ، والتي جاء في البيان السياسي الذي أصدرته : « ان تأميم عمليات شركة نفط العراق خطوة هامة نحو تحرير جميع مصادر النفط من السيطرة الاحتكارية ونحو تحقيق الاستقلال الاقتصادي التام » ، وأكد البيان أن العراق بعمله هذا وجه ضربة قوية للامبريالية وان البترول العربي هو السلاح الفعال في معركة الامة العربية وان تحريره شرط أساسي لدحر الامبريالية .

الـــدعم الامـــريكى لاسرائيـل

محمد حسين الجهمانى

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تخلى الصهاينة عن حليفتهم الام « بريطانيا » ورأوا فى أمريكا السند القوى لتحقيق مطامعهم • وتناسى الصهاينة أيادى البريطانيين - الملطخة بالدماء - التى منحتهم وعد بلفور فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٧ • لقد خرجت بريطانيا من تلك الحرب وقد أفل نجم زعـامتها للمعسكر الامبريالى •

وسارع الامريكان لكسب ود الصهاينة ، لان اهتمام أمريكا انصب على تدعيم مـراكزها البترولية وقواعدها العسكريـة فـى الشرق الاوسط • ومن هنا كان قيام دولة اسرائيل ، تحقيقا لاهداف الولايات المتحدة الامريكية ، الاقتصادية والسياسية من جهة ، ولتكون اسرائيل الدركى - فى المنطقة - الذى يقوم باغتيال المد الثورى كلما بدأت تباشيره بالبزوغ من جهة ثانية • لهذا كان التأييد الامريكى لاسرائيل على أشكال مختلفة ••• فمن دعم عسكرى ، الى سياسى ••• الى اقتصادى وغيره •••

الدعم السياسى

صدر قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ - ١١ - ١٩٤٧ ، ولولا ضغط الولايات المتحدة على الدول المرتبطة معها اقتصاديا ، لما كان لهذا القرار أن ينجح •

لقد أشار الى الدور الذى قامت به الولايات المتحدة من أجل اقرار التقسيم ، عضو الكونغرس الامريكى « لورانس سميث » الذى طالب باجراء تحقيق حول الموضوع • وذلك فى خطاب مشحون بالغضب ألقاه فى ١٨ - ١٢ - ١٩٤٧ جاء فيه :

« ان مندوبى ثلاث دول تعرضوا لضغط شديد من جانب مندوب الولايات المتحدة ، ومن مسئولين على أعلى المستويات فى واشنطن ، والذى حدث ، أن الاصوات الحاسمة والمرجحة الى جـانب التقسيم كانت أصوات هاييتى وليبريا والفلبين ، وكانت هذه الاصوات كافية لتأمين أكثرية الثلثين • لقد كانت هذه البلدان تعارض الفكرة فى السابق ، غير ان ضغط مندوبينا ومسئولينا وغيرهم من المواطنين الخصوصيين فى الولايات المتحـدة ، يشكل مسلكا ضدهم وضدنا يستوجب التعنيف والزجر » (١)

(1) U.S. Congressional Record, 18 December 1917, p. 1176.

سمر ويلز صرح فى كتابه « لا يجوز لنا أن نخفق » مايلى :

« لقد تمت بايعاز مباشر من البيت الابيض ، ممارسة كل شكل من أشكال الضغط المباشر وغير المباشر من قبل الموظفين الامريكيين على تلك البلدان الواقعة خارج نطاق العالم الاسلامى المعروفة بانها اما أن تكون محايدة ، واما أن تكون ضد التقسيم . واستعمل البيت الابيض ممثلين دبلوماسيين ووسطاء ليكون على يقين من أن الاكثرية اللازمة على الاقل مضمونة » (٢) .

لقد كانت نتيجة التقسيم ، ٣٣ صوتا الى جانب القرار بتقسيم فلسطين . و ١٣ دولة ضده ، و ١٠ دول (بينها انجلترا والصين) تمتنع عن التصويت .

لقد رضخت الدول الصغرى للضغط الامريكى بشأن التصويت ، بوليفيا ـ كوستاريكا ـ الدومينيكان ـ غواتيمالا ـ هايتى ـ ليبريا ، نيكاراجوا ، بناما ـ بيرو ـ الفيلبين (٣)

ان الرئيس الامريكى هارى ترومان ، اعترف بالضغط الذى مارسته الصهيونية على البيت الابيض . بقوله :

« لقد تعرض البيت الابيض لموجات قوية متواصلة من الضغط ، ولا أظن أننى تعرضت من قبل لضغط ودعاوة موجهين الى البيت الابيض كما تعرضت فى هذا الوقت . وقد أزعجنى وأقلقنى الحاح بعض زعماء الصهاينة المتشددين ، مجسدا بحوافز سياسية ومرتبطا بتهديدات سياسية ... حتى أن بعضهم كان يقترح علينا أن نضغط على أمم ذات سيادة لتقترع فى جانبهم فى الجمعية العمومية . ولكن هذا النوع من أساليب الضغط الذى كان بعض المتصلين به يمارسونه ، لم يحظ بالموافقة » (٤) .

وبينما كان الرئيس ترومان يحاول جاهدا أن ينكر انواع الضغط التى ضلع بهـا هو وادارته . يبدو أن مراجع أخرى تعترف باندماج البيت الابيض فى الموضوع كلية .

هورفتز يعترف صراحة بتدخل أمريكا لمصلحة الصهيونية فى اقناع الدول بالتقسيم وذلك بقوله :

« تابعنا الاتصال بالوفود ، فرادى او مجتمعين ... وكنتيجة لتعليمات تلقتها وزارة الخارجية الامريكية من الرئيس (ترومان) ، تحولت الامور لصالحنا . ان تدخل الولايات المتحدة الامريكية قد تجاوز مفعول الاصوات الجانبية ضدنا » . (٥)

« ان دولة اسرائيل مدينة كثيرا لهارى ترومان الذى أخلص للقضية الصهيونية طوال مدة رئاسته ، لقد كان البيت الابيض يضم عددا من المستشارين يكفى لاقناع الرئيس بأهمية أصوات اليهود فى انتخابات الرئاسة القادمة . » (٦)

واثناء مؤتمر الحزب الجمهورى الامريكى المنعقد فى صيف ١٩٤٨ للتحضير لمعركة الرئاسة لعام ١٩٤٨ قال رئيس الحزب :

« اننا نرحب باسرائيل كعضو فى العائلة الدولية . ونفخر بأن الحزب الجمهورى أول من نادى بانشاء دولة يهودية حرة مستقلة . اننا نتعهد لاسرائيل بالاعتراف الكامل بحدودها كما أقرتها هيئة الامم . كما نتعهد بمدها بالمساعدات لتنميتها الاقتصادية .

وجاء دور الحزب الديمقراطى الامريكى . فاصدر بدوره بيانا قال فيه :

« واننا نوافق على مطالب دولة اسرائيل فيما يتعلق بحدودها التى حددها قرار هيئة الامم . كما اننا نتوق الى قبول اسرائيل عضوا فى الامم المتحدة ، ونتعهد لها بكل مساعدة لتنميتها الاقتصادية » . كما حرص ترومان أن يضيف الى برنامجه الانتخابى ما يلى : اننا نؤيد الغاء حظر تصدير الاسلحة حتى نمكن اسرائيل من حقها فى الدفاع . ونتعهد بأن نسعى لتعديل أى قرار تصدره هيئة الامم بقصد الابقاء على قرار حظر تصدير الاسلحة » (٧)

---

(٢) الدكتور فرانتس شايدل « اسرائيل امة مفتعلة » ترجمة محمد جديد ـ دمشق ـ ١٩٦٩ . ص ١٢٧ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٦ .
(٤) الدكتور احمد طربين « قضية فلسطين » الجزء الثانى ـ ١٩٦٨ ـ ص ٨٩ .
(٥) المصدر السابق ـ ص ٨٩١ .
(٦) لوران غاسبار : « تاريخ فلسطين » وزارة الدفاع فى الجمهورية العربية السورية ـ ترجمة ابراهيم ميخائيل خورى .
(٧) عبد القادر ياسين: « امريكا ـ والمسألة الفلسطينية ـ مجلة الكاتب ـ القاهرة ـ العدد ١٢٧ . اكتوبر ١٩٧١ ص ١١١ .

وفى الساعة السادسة من يوم ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ حسب توقيت واشنطن أعلن نبأ نهاية الانتداب البريطانى عن فلسطين • وفى الساعة السادسة والدقيقة الواحدة ، أعلن قيام دولة اسرائيل • وفى الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بدولة اسرائيل ، مشفوعا بتمنيات الرئيس الامريكى (ترومان) لاقرارها السلام فى تلك الربوع » (٨)

وفى ٢ شباط (فبراير) ١٩٥٤ : عقد هنرى بايرود ، مساعد وزير الخارجية الامريكية آنذاك مؤتمرا صحفيا قال فيه :

« ان اسرائيل وجدت هناك لتبقى • وان أمريكا هنا لتؤمن حياتها » وعندما بدأت المؤتمرات الانتخابية الامريكية لعام ١٩٥٢ • أصدر مؤتمر الحزب الجمهورى المنعقد فى شيكاغو فى يونيو (حزيران) ١٩٥٢ ، قرارا خاصا باسرائيل أشار فيه الى ان الحزب قد عمل « منذ ثلاثين سنة مضت فى سبيل انشاء وطن قومى لليهود ، وتحظى اسرائيل بتأييد الحزب • ولهذا فانه سوف يستخدم نفوذه لعقد الصلح بين العرب واسرائيل • وسوف يتابع اهتمامه بهذه الدولة الانسانية الناجحة •

وعلى غرار هذا القرار أصدر مؤتمر الحزب الديمقراطى المنعقد فى نفس الزمان والمكان قرارا بتأييد اسرائيل • ومن الجدير بالذكر انه قاد الحملة لاصدار قرار مؤتمر الحزب الجمهورى كل من :

ايرفنج ايفى ، ريتشارد نيكسون (الرئيس الحالى لامريكا) وأوجين ميليكان » (٩)

وفى عام ١٩٦٤ فى التاسع من يونيو (حزيران) صرح ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل آنذاك فى مؤتمر صحفى عقده فى لوس انجلوس :«بأن الولايات المتحدة الامريكية ستسارع الى نجدة اسرائيل اذا ما هاجمها العرب ، وان الرئيس الامريكى يحبذ الابقاء على حدود اسرائيل ومنع مهاجمتها » (١٠)

وفى بداية مايو (آيار) ١٩٦٧ ، وجهت مجلة (أخبار أمريكا وتحقيقات العالم) سؤالا الى رئيس مجلس الوزراء الاسرائيلى ليفى اشكول :

« هل تنتظرون مساعدة من الولايات المتحدة الامريكية اذا هوجمت اسرائيل بالقوة » لا أجاب قائلا :

« يقينا نحن ننتظر مساعدة •• وأنا أتوقع العون استنادا الى الوعود الرسمية التى قطعت لاسرائيل لما طلبنا من الولايات المتحدة أسلحة • فأجبنا : «لا تهدروا اموالكم . اننا هنا .. الاسطول السادس هنا •• » (١٠) •

ماذا كان للرئيس جونسون ، أن يقول غير هذا ، وهو على ابواب سنة انتخابية ، فهو لا يستطيع اغضاب سكان نيويورك من اليهود الذين يزيد عددهم على سكان اسرائيل كلها • ولسنا فى حاجة الى التذكير بأن عاصمة اسرائيل الحقيقية منذ انشائها ليست تل أبيب أو القدس ولكنها نيويورك التى يأتى منها عصب الحرب والدمار ـ الدولار ؟

وفى ١٨ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٠ ـ أعلن وليم روجرز وزير خارجية أمريكا أن بلاده مستمرة فى تأييدها لاسرائيل • وأن لا خلاف حول ذلك • وهو أمر تعرفه اسرائيل [١١] .

الدعم العسكرى

يذكر فراج طايع نقلا عن كتاب (الستار الحديدى حول أمريكا) لمؤلفه جون بيتى ما يلى : « لا يعرف بالضبط عدد الجنود والضباط الامريكيين الذين التحقوا سرا بالجيش الاسرائيلى أثناء الحرب ضد العرب • وقد كتب روبرت كنوى من القدس فى ١٩ (كانون الثانى) يناير ١٩٤٨ قائلا : ان أكثر من الفى أمريكى التحقوا بالهاغانا • وهى عصابة ارهابية • وأضاف كنوى أن الوكالة اليهودية تنتظر وصول خمسة آلاف أمريكى آخرين ليحاربوا فى صف اليهود • ولو ادى الامر الى أن تسقط الولايات المتحدة الجنسية الامريكية عن هؤلاء المتطوعين » (١٢) •

---

[٨] الدكتور احمد طربين : المصدر السابق ص ٩٣٧ •
[٩] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب ص ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١١٥ ـ المصدر السابق •
[١٠] بيير ديميرون : ضد اسرائيل ـ وزارة الدفاع السورية ـ ترجمة حسيب كيالى ـ ص ٦٣ ـ تاريخ صدوره ١٩٧١ دمشق •
[١١] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب ـ المصدر السابق ص ١١٧ •
[١٢] الدكتور احمد طربين : المصدر السابق ص ٩٠٩ •

والذى يهمنا فى هذا المجـــال هو الدعم الامريكى لاسرائيل قبل وأثناء حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ٠ ففى شهر فبراير (شباط) ١٩٦٦، وقع أبا ايبان وزير خارجيـــة اسرائيل مع المســئولين فى واشنطن اتفـاقا سريا مولت أمريكا بموجبـــه اسرائيل بقاذفات القنابل الاستطلاعية ٠ كما وقع وينشتين ـ نائب وزير الدفاع الاسرائيلى ـ اتفاقية أخرى مع المسئولين الامريكان فى مايو (آيار) ١٩٦٦ يقضى بتزويد اسرائيـــل بقـــاذفات من طراز (سكاى هوك) ، وعشية حرب حزيران سنة ١٩٦٧ تعهدت امريكا لاسرائيل بالتدخل اذا سارت المعركة فى غير صالح اسرائيل ٠ وكان هناك مائتا طائرة أمريكية وألف طيار أمريكى ٠ بالاضافة الى حماية الاجواء الاسرائيلية بحاملات الطـــائرات الامريكية الراسية فى البحر المتوسط ، بالاضافة الى تحديد مواقع المطارات المصرية ، والممرات الامنة التى يمكن للطيران الاسرائيلى أن يسلكها فى هجومه على هذه المطارات ٠ والتقاط الاشارات الصادرة عن غرفة العمليات المصرية ، وتسليمها للقيادة الاسرائيلية بعد حل رموزها ٠ مع قيام أمريكا بـــالتشويش علـــى شـــبكات الرادار المصرية ٠ ٠ » (١٣) ٠

وقد أورد العقيد محمد الشاعر دلائل لا تقبل الشك ـ فى كتابه (الحرب الفدائية) ـ عن التدخل الامريكى لحساب اسرائيل ٠ وللاهمية نقتطف أهم ما جاء فيه :

فى ٣ حزيران سنة ١٩٦٧ تم اعادة دهان عدد كبير من الطائرات الامريكية فى القـــواعد الالمـــانية (فيسبادن ٠ ورامشـــتاين) بلـــون الصحراء ٠

وفى الواحدة صباح ٥ حزيران سنة ١٩٦٧، اقلعت جميع هذه الطائرات الى جهة معلومة وعاد بعضها فى اليوم التالى ٠

ووصلت الى القـــواعد الامـــريكية باسبانيا (قاعدتى ساراجوسا وتورنجون) بعض الوحدات الجوية الامريكية من قاعدة (هويلس) فى ليبيا وأعيد دهانها وتحركت بعد ذلك الى اسرائيل (١٤) ٠

تعزيز قوة الاسطول السادس الامريكى بحاملة طائرات خامسة وهى (كونستليشن) بعد تحـرك الحاملة (انتربيد) الى البحر الاحمر ، والتى لـم يتأكد خروجها الى الشرق الاقصى ، كما أعلن عن وجهتها ٠

اعلان حالة الطوارىء والاستعداد فى جميع القواعد العسكرية الامريكية فى ليبيا ، وكـــذلك الاسطول السادس ، وتحركه الى شرق البحـــر المتوسط ٠ وقد ذكرت (الاهرام) فى ٣٠ـ٥ـ١٩٦٧، أن وكالات الانبـاء العالميـــة فى اثينـــا أذاعت تصريحات نسبت الى مسئول كبير فى الاسطول السادس تقول :

أن الوحدة السادسة (البر مائية) التى تضم عددا يتراوح بين ١٥٠٠ ـ ١٨٠٠ جندى من مشاة الاسطول الامريكى قد أبحرت من نابولى يـوم الخميس الماضى متجهة الى اسرائيل ٠ (١٥) ٠

كما ان سفينة الابحـــاث (ليبرتى) الامريكية كانت تستخدم للتشويش وقد تأكد عملهـا ضـد أجهزة رادار قوات الجمهورية العربيـــة المتحـدة البحرية ٠ وبصورة خاصة عندما كانت زوارق الصواريخ تدعم اعمال القوات البرية على المحور الساحلى ليلة ٨ حزيران (١٦)

لقد توقعت أمريكا أن تحل كل مشاكل الشرق الاوسط حلا حاسما يناسبها بضربة واحدة تحصل على صلح دائم بين العرب واسرائيل ٠ وأن تسقط النظم والحكومات التقدمية (المشاكسة) ٠ ولكن هذا لم يتم كما ارادته امريكا (١٧) ٠

وفى حزيران سنة ١٩٦٥ : تم اتفـــاق بيـــن أمريكا واسرائيل يتضمن اقامة شبكة للـــدفاع الجوى فى اسرائيل من صواريخ هوك الموجهة من الارض للجو ٠ واختارت بعد ذلك اسرائيل اثنتى عشرة قاعدة لاطلاق الصواريخ ، تسع قواعد فى مناطق حدودها مع مصر قبل الخامس من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ ٠ وقاعدة علـى الحدود الاردنية ٠ وقاعدتان علـى الحـدود السورية (١٨) ٠

وفى أول نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٩ وصل الى اسرائيل ٤٨ طيارا امريكيا و ١٢٦ خبيرا فى الطيران والرادار ٠ وأعاد هؤلاء تنظيم شبكات الرادار والمطارات والدفاع الجوى فى اسرائيل ٠

---

[١٣] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب ص ١١٨ ـ ١١٩ ٠

[١٤] العقيد محمد الشاعر : الحرب الفدائية فى فلسطين ـ دمشق ١٩٦٨ ـ ص ٣٥٨ ٠

[١٥] المصدر السابق ـ ص ٣٦٠

[١٦] المصدر السابق ـ ص ٣٦٦ ٠

[١٧] احمد بهاء الدين : « اسرائيليات وما بعد العدوان » دار الهلال ـ اكتوبر ١٩٦٧ ٠

[١٨] حركة التحرير الفلسطينى : دراسات عن العدو ص ٤٦ ٠

وكل خبير ترسله أمريكا الى اسرائيل تضاعف له الحكومة الامريكية مرتبه ، وتكافئه بما يوازي راتب اربعة أشهر من كل سنة يقضيها في اسرائيل كما تؤمن على حياته بمبلغ ٢٥ ألف دولار ..

وقد سمحت المحكمة الامريكية العليا بقرار منها سنة ١٩٦٩ ـ للمواطنين الامريكيين بالانخراط في الجيش الاسرائيلي .

وفي خلال عام ١٩٧٠ تعهد مائة ألف أمريكي كتابيا ، بالمجيء الى اسرائيل في حالة نشوب القتال مع العرب .

وهذا الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون يوم ٢-٧-١٩٧٠ يصرح لممثلي شبكات التليفزيون الرئيسية الثلاث في الولايات المتحدة عمل ماهو ضروري للمحافظة على قوة اسرائيل بالنسبة الى جاراتها ، لا لاننا نريد أن نرى اسرائيل في موقف يمكنها من شن حرب ، وانما لردع جاراتها عن الهجوم » . (١٩)

الدعم المالي والاقتصادي

الواقع أن اسرائيل لا تواصل حياتها اليوم الا بصعوبة ، وذلك عن طريق الهبات المستمرة من أموال الضرائب الطائفية الامريكية . ويجري تمويل اسرائيل الى حد بعيد بتبرعات المواطنين الامريكيين المعفاة من الضرائب . حيث لا تخدم هذه المبالغ اهدافا خيرية فقط . بل تخدم اهدافا سياسية أيضا .. هذا هو ما قاله عضو الكونجرس الامريكي رالف فلاندرز في كلمة القاها في تموز (يوليو) ١٩٥٨ (٢٠) .

في عام ١٩٦٢ بلغت التبرعات الامريكية ٩٠ مليون دولار والقروض الامريكية ١٣٨ مليون دولار بالاضافة الى الدفعات الالمانية ٢٣٥ مليون دولار . لقد بذلت الولايات المتحدة الامريكية كل جهد ممكن من أجل تثبيت دعائم (دولة اسرائيل) وجعلها قادرة على الحياة . وفي الفترة الواقعة بين سنة ١٩٥٠ و سنة ١٩٦٠ قدمت أمريكا لاسرائيل مساعدات مالية وصلت الى ماقيمته ٥٠٠ مليون دولار كما بلغت التبرعات الخاصة المعفاة من الضرائب التي جمعتها جمعية الاغاثة اليهودية المتحدة مبلغ يقارب مليار دولار .

كما حصلت اسرائيل على امتياز غريب لبيع سندات الحكومة الاسرائيلية في الولايات المتحدة . الامر الذي عاد على دولة اسرائيل بما يتراوح بين ٥٠ و ٧٥ مليون دولار سنويا . (٢١)

وفي خلال السنوات العشر الاولى من قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٨ قدمت الولايات المتحدة ١٢٠٠ مليون دولار . اذا نحن لم نتكلم عن السبعمائة مليون دولار المقدمة من المنظمات الخيرية .

بداهة ليس العون الامريكي خلوا من الغرض . واسرائيل رأس الاستعمار في الشرق الاوسط هي أيضا مستعمرة . ويروي اسحاق دويتشر (مجلة الازمنة الحديثة العدد ٢٥٨ ص ٨٠٠) : أن موظفا كبيرا في تل أبيب قد عدد له المصانع التي لايحق للاسرائيليين بناؤها لان الامريكان يعارضون تشييدها ولا سيما مصانع المعادن ومصانع المواد الزراعية ، ولقد غدت مصانع اخرى بيد الامريكان مثل مصانع المنتجات الكيماوية في حيفا . ولولا المساعدات الامريكية لما استطاع الاسرائيليون أن يستمروا لولا الدولارات لما كانت هناك « معجزة » اسرائيلية . [٢٢] . ان ميزانية اسرائيل لعام ١٩٧١- ١٩٧٢ البالغة ١٣٤٢٣ مليون ليرة اسرائيلية يقدر نصيب نفقات الدفاع بـ ٥٢٠٠ مليون ليرة أي نسبة تعادل ٤٠ في المائة من اجمالي الميزانية أي أن الفرد في اسرائيل ملتزم بأن يقدم لميزانية الحرب مايقرب من ١٧٥ ليرة اسرائيلية (حوالي ٥٠ دولارا) بعد هذا تبقى الحقيقة المؤكدة ، وهي أن المعونات الامريكية وغيرها لا تستطيع أن تقيم اقتصاد دولة لا تتوافرلها المقومات الطبيعية . فالاستهلاك والانفاق الحربي الضخم الذي يتصف به اقتصاد اسرائيل تحتم على العامل الاسرائيلي أن يكون في مستوى الانتاجية الكافية لمنافسة العامل الياباني والالماني والتفوق على العامل الامريكي ايضا حتى يستطيع أن يحقق فائضا ذاتيا يواجه به احتياجاته المعيشية وتغطية نفقات الدفاع التي تخطط لها المؤسسة العسكرية الحاكمة في اسرائيل (٢٣) .

---

[١٩] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب ـ المصدر السابق ص ١٢٢ .
[٢٠] الدكتور فرانتس شايدل ـ اسرائيل امة مفتعلة ص ٢٤٤ .
[٢١] المصدر السابق ص ٢٥٧ .
[٢٢] بيير ديميرون : ضد اسرائيل ص ٨٨ ـ ٩٠ .
[٢٣] عبد العزيز الصبروت : اقتصاد اسرائيل ـ مجلة الكاتب اكتوبر ١٩٧١ ـ ص ١٧٠ .

الواقــــع والممــــكن في هجــــرة العقــــول

د. سلمان رشيد سلمان

ان المتتبع لبعض المقالات والابحاث التى تتناول احداثا او ظواهر مهمة فى الوطن العربى ، يلاحظ ان هنالك ولعــــا خاصــا يعزل الظواهر العلميــة والاجتمــاعية والســياسية بعضها عن البعض الاخر ، وكما ان من المهم دوما تحديد خصوصيات ظاهرة ما ودرسها بدقة علمية الا ان من الضرورى ربط هذه الظــاهرة بالظواهر الاخرى فى المجتمع . ولعل احد القضايا الخطيرة التى نوقشت واخضعت لهذه المنهجية الخاطئة ، ظــاهرة هجرة العقول العلمية من الوطن العربى ، فلقد كتب الكثير عن اسـباب هذه الهجرة ووضـــعت لها الحلول التى قدمها اصحابها كدواء اكيد لوقفها الا ان هذه البحوث ناقشت القضية بخصوصية كادت تفقدها الاهمية المتأتية من كونها مشكلة اجتماعية وســياسية واقتصادية وتربوية ، اى ان من الخطأ مناقشة السـياسة التربوية بدون مناقشــة النواحى الاخرى .

ان المتتبع لمجريات الامور فى العالم العربى يدرك بأن وقف الهجرة عملية صعبة فى ظل الظروف الحالية للدول العربية ، وان الهجرة ستزداد فى المستقبل ، الا ان ذلك لا يعنى بأن من غير الممكن تحديد هذه الهجرة وتقليلها الى درجة كبيرة باتباع الحلول الاتية التى ســتأتى الى التطرق اليها فيما بعد ، الا ان من المهم الان مناقشة الهجرة العلمية كظاهرة ســياسية واقتصادية ، وقبل البدء بذلك لابد من تدوين بعض النقاط المهمة وهى :

١ ــ ان الاقليات الاثنية والطائفية اكثر ميلا للهجرة من غيرها [١] ، ومثــال على ذلك أن معدل الهجــرة لخريجى كلية الطب للجــامعة الامريكية فى لبنان هى كالاتى [٢] .

---

١ ــ الدكتور الياس زين ، هجرة الادمغة العربية ، المؤسســة العربية للدراسات والنشر ، ص ٣١ .
٢ ــ نفس المصدر ، ص ٥٥ .

٥٢٪ أرمن
٣٤٪ للعرب المسيحيين .
٥٢٪ للعرب المسلمين .

٢ — أن الهجرة قد ازدادت بصورة كبيرة ما بين ٦٦ — ٦٨ ولو اخذنا مصر كمثال على ذلك فاننا نلاحظ عدد المهاجرين خلال هذه المدة كما يأتي [٣] .

السنة	العدد
١٩٦٥	١٦٦
١٩٦٦	٣١٠
١٩٦٧	٤٨٧
١٩٦٨	٩٧٠

٣ — ان هجرة العلميين بالنسبة لكل عشرة آلاف نسمة من السكان تسجل نسبة عالية لكل من الاردن ولبنان كما يتوضح ذلك فى الجدول التالى [٤] :

معدل هجرة الادمغة وأرباب المهن لكل عشرة آلاف نسمة من السكان

	الهجرة الى الولايات المتحدة من ٦٢ — ٦٩	الهجرة الى كندا من ٦٢ — ٦٧
مصر	٣	١
لبنان	٣٠٠	٤
الأردن	٤٢٠	اقل من واحد
العراق	٤ر٥	.
سوريا	٤	.

٤ — فى دراسة اجريت فى مصر تبين أن اكثر من ٧٠ بالمائة من مجموع المهاجرين الجامعيين كانوا من حملة الدكتوراه فى الفلسفة و٣ر٥٨ بالمائة من الذين هاجروا هم من العلماء والمهندسين و٥ر١٧ بالمائة من حملة شهادة الماجستير فى العلوم و٦ بالمائة من حملة دبلوم الدراسات العليا و٥ر٦ بالمائة انهوا تدريباتهم المحلية فى الدرسات العليا [٥] ، وكذلك تبين انه بينما لم يهاجر احد من الحاصلين على درجات علمية عليا [الدبلوم والماجستير والدكتوراه] فى عام ١٩٦٢ ، هاجر فرداً واحداً فى ١٩٦٣ وتزايد العدد حتى بلغ ٢٣ فردا فى عام ١٩٦٧ ثم ٩٢ فى عام ١٩٦٨ وبلغ العدد ١٢٢ فردا فى ١٩٦٩ ، اى أن نسبة الكفاءات العلمية من مجموع المهاجرين من مصر فى عام ١٩٦٢ كانت ٤ر٣ بالمائة وازدادت هذه النسبة لتصبح ٣ر٦٢ بالمائة فى عام ١٩٦٩ [٦] .

٥ — أن كثيرا من البلدان قد شهدت هجرة علمية بعد أن مرت بهزات سياسية وكمثال على ذلك فقد هاجر ٩٠٠ أستاذ من مجموع ٢٠٠٠ من جامعة بوينس ايرس بعد الانقلاب الذى حدث فى ١٩٦٦ [٧] ، وحدث ما يشبه ذلك بعد انقلاب اليونان ، وازدادت هجرة الكفاءات العلمية من الدول العربية بعد حرب ٥ حزيران .

٦ — ان الهجرة تكاد أن تكون معدومة فى الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى فى الوقت الحاضر .

٧ — ان الدول التي لها ارتباط قوى بالولايات المتحدة تشهد هجرة متصاعدة فى الكفاءات العلمية ومثال على ذلك جنوب كوريا ، وتايوان ، والفلبيين .

٨ — وتقدر نسبة الذين يهاجرون كل سنة الى أمريكا ٣٠ — ٥٠ بالمائة من خريجى هذه الدول [٩] ، كما ان نسبة المهاجرين الى أمريكا من القارات الثلاث تشير الى أن أعلى نسبة هى من أمريكا اللاتينية .

٩ — كما أن الدول ذات الارتباط المتين مع امريكا تشهد حالة بطالة هائلة بين اوساط خريجى الجامعات ، ففى سنة ١٩٦٢ كان هناك ٤٠٪ من مهندسى بورما بلا عمل وهذه النسبة مشابهة لمثيلاتها فى تايلاند بحيث تقدم اكثر من ١٠٠٠ طلب للتوظيف فى ثلاث وظائف كتابية معلنة ، وفى الفلبين كان هنالك اكثر من ٣٥٠٠٠٠ خريج جامعة بلا عمل [١٠] .

---

٣ — نفس المصدر ، ص ٣٩ .
٤ — لقد اعتمدت فى عمل هذه الاحصائية على الجداول المنشورة فى كتاب الدكتور الياس زين ، ص ٣٤ — ٣٧ ، اما احصائيات النفوس فى الدول العربية فقد اخذتها من المصدر التالى .
The Book of the World, 1971, Edited by John Mantagu, Tom Stacey Ltd.
٥ — الدكتور الياس زين ، ص ٥٢ .
٦ — الاهرام الاقتصادى ١٩٧٢/٥/١ ص ٧ .
٧ — G. Skorov, Brain Drain, Interna-tional affairs June 1969, p. 19.
٨ — G.B. Baldwin, Brain Drain or over flow, FOREIGN AFFAIS,197 p. 361.
٩ — G. Skorov, International affairs p. 16.
١٠ — نفس المصدر ، ص ١٨ .

هذه هى بعض الحقائق المتوفرة ؟ فما تعنى هذه الحقائق انها تعنى بأن هذه المشكلة لا تحدد بكونها مشكلة تربوية أو اجتماعية منفصلة عن الوضع الطبقى والسياسى للمؤسسات الحاكمة وللوضع الاقتصادى الذى تعيشه الدول التى تعانى من الهجرة . **فالحقائق تدال على أن الدول التى ترتبط ارتباطا اقتصاديا بأمريكا تعانى من بطالة علمية وبالتالى من زيادة فى هجرة الكفاءات العلمية** ، كما أن دولا كهذه لا تضع أى قوانين لوقف الهجرة بل هى تفتح أبواب الهجرة أمام من يود ان يفعل ذلك ، ان الهجرة هنا ترتبط ارتباطا كاملا بالاوضاع التى تعيشها هذه الدول ، فهى عبارة عن مستعمرات اقتصادية تخضع للاستعمار الامريكى الجديد، لذلك فان اقتصاد هذه الدول سيكون تابعا لامريكا، أى أنها ستكون سوقا مفتوحا للبضائع الامريكية . ولا يمكن أن تقوم فى هذه الدول صناعات انتاجية ، بل صناعات تمول راس المال الاجنبى. ان أمريكا تشجع قيام اقتصاد استهلاكى مرتبط بالسوق الراسمالية العالمية . وان هنالك ظاهرة تاريخية جديرة بالانتباه ، فالدور الذى لعبته البورجوازية الاوروبية فى قيادة التطور الاقتصادى فى تلك الدول ، يختلف عن الدور الذى تقوم به البورجوازية فى الدول النامية ذلك بأن هذه البورجوازية ، هى بورجوازية متخلفة وغير قادرة على تطور الاقتصاد الوطنى ، لانها تخضع لظروف موضوعية وعالمية فهى لن تكون الا تابعا ووسيطا ما بين الراسمالية الاوروبية والامريكية ، وما بين المستهلك فى الدول النامية . ومن هنا ، فلن يكون بامكان هذه الطبقة الا أن تسن القوانين والانظمة والسياسة التربوية التى تتلاءم مع طبيعتها تلك .

ولكن اين يقع العالم العربى من كل ذلك ؟ ان من الممكن أن نقسم الدول العربية التى أخذناها فى دراستنا هذه [لبنان ، الاردن ، مصر ، سوريا ، العراق] الى قسمين ، **القسم الاول** : هى دول تخضع الى تأثيرات السوق الراسمالية وتتحكم من قبل انظمة تشجع على قيام صناعات استهلاكية ، ان هذه الدول ترتبط بدرجة كبيرة بأمريكا ، ولقد ناقشنا وضع الطبقة الحاكمة فى دول كهذه ، أى ان الطبقة الحاكمة هى طبقة وسيطة بين الراسمالية الامريكية والاوروبية وبين المستهلك وتحت هذه الدول تنطوى الاردن ولبنان ، ومن هنا نرى بأن السياسة التربوية والقوانين الموضوعية تخدم هذه الطبقة وطموحاتها . وفى ظل هذه الظروف ، لا يمكن أن تقوم صناعات انتاجية والتى هى الحل الامثل لتوظيف العقول العلمية فيها . ومن هنا ، فان العقول العلمية لن تجد نفسها الا فى حالة بطالة أو فى حالة استخدام لا يمت الى اختصاصاتهم بصلة . والواقع ان النظام التربوى فى هذه الدول يشجع على قيام تخصصات عالية لا فائدة منها فى تلك الدول، لذلك نرى بأن اكثر من ٧٣ بالمائة من الكيمائيين فى لبنان يهاجرون الى الخارج(١١) . وعدم فتح كليات تكنولوجية او صناعية لان هذه الدول لا تستفيد من قيام صناعة منتجة ، لان الطبقة الحاكمة لا يمكن أن تسمح بقيام مثل هذه الصناعة ، لانها خاضعة للتأثيرات الخارجية، كما أن اقتصادها خاضع للاقتصاد الراسمالى .

لذلك ، فنحن لا نتوقع أن تحاول لبنان أن تضع سياسة علمية تشجع البحث العلمى « البحث العلمى من اجل ماذا ؟ ولخدمة من ؟ » لان مردود هذا البحث العلمى سيكون لا قيمة له لنظام كالذى يوجد فى لبنان . ومن هنا ، فان قيام سياسة تربوية تحد من الهجرة العلمية فى لبنان او الاردن لا يمكن أن تقوم لانها لا تخدم مصلحة الطبقة الحاكمة ، ولذلك تسجل الهجرة العلمية من هذه الدول نسبة عالية من مجموع الهجرة العلمية من الوطن العربى .

اما المجموعة الثانية من الدول العربية كمصر وسوريا والعراق فانها دول تقودها سلطة وطنية تجد من مصلحتها السير بالدولة نحو قيام صناعات انتاجية ونحو توظيف كامل لعقولها العلمية . الا ان هذه الدول تواجه ضغوطا خارجية مستمرة لمنع قيام هذه الصناعات ، ان السياسة التربوية فى هذه الدول تخدم ايضا طموحات السلطة الحاكمة ومن هنا رأينا بأن الهجرة العلمية من مصر مثلا كانت قليلة جدا فى أوائل الستينات ، حينما بدأت مصر تتجه نحو قيام صناعات انتاجية ونحو الاتجاه نحو الاكتفاء الذاتى .. الا أن نمو البيروقراطية من [بداية الستينات وحتى حرب حزيران] ، هذا النمو حاول احتواء هذه التغيرات وتشويهها خاصة فى المجال التربوى ، وجاءت الحرب لتفرض ضغوطا كبيرة على مصر من أجل ايقاف الاتجاه الاقتصادى الذى تسير عليه ومن أجل اخضاعها مرة أخرى للسوق الراسمالية .

ان الحرب قد فرضت **انفاقا** هائلا على التسليح مما حد من الاهتمام بالمشاريع الاخرى والبحث العلمى . ومن هنا لاحظنا زيادة الهجرة من هذه الدول ، علاوة على أن الهجرة من الدول العربية بصورة عامة — قد ازدادت نتيجة للتغيرات السياسية المتواصلة ، وهى التغييرات التى تتسبب فى ضمور التقاليد الديمقراطية فى هذه

١١ — الدكتور الياس زين ، ص ٤٤ .

الدول . وكذلك ازدادت الهجرة بعد حرب حزيران هذه الحرب التى دللت على ان العجز القائم فى مفاهيمنا وان المشكلة ليست سياسية واقتصادية فحسب بل وحضارية ايضا ، ان العلم لا يمكن ان ينمو وينشأ الا فى اطارات معينة وفى ظل أوضاع حضارية واقتصادية متقدمة .

على ان هذا كله ، لا يعنى اننا نقول بان الهجرة ستستمر ولا يمكن ايقافها ، بل ان هذا يعنى بأن من الخطأ النظر الى هجرة العقول بمعزل عن الاوضاع السياسية والاقتصادية فى بلد ما . فنحن نلاحظ بان هجرة الاقليات هى اكثر من هجرة ابناء البلد ، والسبب هو ان الاقليات هى اسرع القطاعات السكانية واكثرها تأثرا بأى تغير اجتماعى أو سياسى أو اقتصادى فى البلد . كما ان كل ما ذكر لا يعنى عدم وجود مشكلة تربويه الا ان من المهم معرفة حقيقة كون النظام التربوى جزءا لا يتجزأ من النظام القائم وهو مكرس لخدمته . ان الظاهرة التى نراها بوضوح فى الدول ذات الانظمة الوطنية هى قيام بيروقراطية فى كل المجالات . ففى المجال التعليمى ، نلاحظ هذه البيروقراطية مكونة من الجهاز العلمى القديم المتمرس بكل الاحاييل ووسائل التعويق ، وهذا الجهاز يرفض اى اصلاح ولذلك نجد العلماء الشباب يعانون الامرين من هذا الجهاز البيروقراطى مما يدفعهم فى النهاية نحو الهجرة .

ان مثال الصين والدول الاشتراكية ، دليل على ماننذهب اليه ، اذ ادى قيام الحكم الوطنى فى الصين الشعبية الى قيام حركة تصنيع هائلة وقيام تخطيط علمى لامكانات البلد كما شهدت الصين حركة هجرة علمية عكسية لعلمائها من خارج الصين الى داخلها ونتج عن ذلك نهوض علمى كبير — مكن الصين من أن توظف كوادرها العلمية فى المكانات الملائمة لهم والتى تمكنهم من الانتاج وتطوير الصناعة والعلم ، وهكذا فان الحكم الذى يريد أن يصنع البلاد ، لابد له من ارساء اسس علمية لهذه العملية ، وذلك يتطلب أولا تخطيطا منظما ، وبعيد المدى ، من أجل استغلال كافة الامكانات الاقتصادية والعلمية وهذا ما حققته البلدان الاشتراكية ، ومن هنا نستطيع ان ندرك ارتباط السياسة التربوية فى هذين القطرين بالاهداف التى تحملها الطبقات القائدة .

ان هذه النظرة العامة لهذا الموضوع الحيوى تجعلنا نستنتج ما يأتى :

١ — ان الهجرة العلمية من الدول العربية ذات الانظمة المرتبطة بالرأسمالية الامريكية والغربية ستستمر وتتزايد وستتأثر بمقدار الطلب على هذه العقول فى امريكا واوربا الغربية ، لان هذه الدول مهيأة لانتاج العقول التى لا تجد امامها سوى الهجرة الى الخارج ؟ تحت ظل عوامل شتى تحتاج وحدها الى دراسة مطولة ، ومن هنا فان انتهاج اى سياسة للحد من الهجرة العلمية لا يمكن لها النجاح الا بصورة ضئيلة .

٢ — ان الهجرة من الدول ذات الانظمة الوطنية لا يمكن القضاء عليها لان ذلك مرتبط مع البرنامج الاقتصادى الذى تسير عليه هذه الدول والخاضع الى ضغوطات عالمية وداخلية شتى ، الا ان الحد من هذه الهجرة هو امر وارد وممكن ومن هنا تأتى اهمية وضع الحلول الاتية والتى نستطيع ان نلخصها فى النقاط التالية :

١ — وضع سياسة شاملة لتشجيع البحث العلمى وقيام تنسيق بين المؤسسات التى تقوم بالبحث العلمى .

٢ — الاهتمام بالوحدة الاساسية للبحث العلمى الا وهى الباحث العلمى والذى لا يمكن ان يكون هناك اى بحث علمى بدونه .

٣ — تهيئة المناخ العلمى والفكرى الحر للباحث العلمى باعتبارها احد اهم الاسس التى يمكن ان يقوم عليها البحث العلمى .

٤ — تنفيذ سياسة تربوية مترابطة مع سياسة الدولة فى النمو الاقتصادى ، تعتمد على تدريس العلوم بصورة منطقية بعيدة عن عملية حشو المعلومات الكثيرة والقديمة فى ذهن الطالب كما هو الامر الان فى كل المدارس والجامعات فى العالم العربى .

٥ — تخصيص نسبة معقولة من ميزانية الدولة للبحث العلمى .

٦ — رفع الحالة المادية للباحث العلمى وتشجيع الاتصال مابين الاجهزة العلمية المحلية والعالمية بتشجيع الباحثين لحضور المؤتمرات العلمية وفى مواصلة التحصيل العلمى وفى القيام ببحوث مشتركة مع العلماء فى انحاء اخرى من العالم .

٧ — قيام جهاز تخطيط لدرس حاجة الدول من الكوادر العلمية فى شتى المجالات والاكثار فى فتح الكليات التكنولوجية وتشجيع العلوم التطبيقية والعلوم الصرفة بحيث يسيران جنبا الى جنب حيث ان الدول النامية تحتاج الى نسبة عالية من الفنيين والى عدد قليل من الاختصاصيين .

٨ — التقليل من تأثير الجهاز البيروقراطى على البحث العلمى بربط مجالس البحث العلمى باعلى المستويات الحكومية ، واعطاء مؤسسات البحث العلمى حرية العمل ضمن سياسة الدولة العامة .

٩ — قيام مؤسسة علمية عربية للبحث العلمى كمحاولة مبدئية لقيام تنسيق بين الدول العربية بخصوص البحث العلمى .

تلـــوث البيئـــة والصـــراع بين الاشـــتراكية والرأســمالية

مجدى نصيف

برزت مشكلة « تلوث البيئة » بشكل ملح امام العالم فى اواخر الستينات ، فى وقت كان الانسان يحقق فيه « معجزات » علمية وتكنولوجية هائلة : السيطرة على الطاقة الذرية ، الاكتشافات الخلاقة فى مجال الوراثة، الرحلات الكونية الى القمر والانسان يضع قدمه على سطحه لاول مرة فى تاريخ البشرية ، ثم الرحلات الفضائية الاخرى بواسطة سفن الفضاء الاوتوماتيكية الى كواكب المجموعة الشمسية ، تخليق مواد صناعية جديدة لخدمة بنى البشر .

وبدأت الصيحات تحذر من التهديد المستمر لهبات الطبيعة للانسان : الاوكسجين فى الهواء — نقاوة مياه الشرب — التحكم فى درجة حرارة الكرة الارضية — الحيوانات والغابات . وبدأت هذه الصيحات نفسها تقول بأن التقدم العلمى والتكنولوجى هو سبب الازمة الايكولوجية — اى تلوث البيئة — التى تجتاح العالم ، وذلك بسبب اجهاد هذا التقدم للمصادر الطبيعية من ناحية ، وتلوث البيئة من ناحية اخرى ، لان هناك « عوامل جديدة » دخيلة على البيئة لم تستطع استيعابها .

مثل هذا المنطق يجعل من الطبيعة « صنما » لا يمكن للانسان ان يسيطر عليه ، وبهذه الطريقة ايضا تتجرد المشكلة من اى مضمون اجتماعى ؛ كما لو أنها كانت مشكلة مرتبطة بالتقدم العلمى والتكنولوجى ، بعيدة عن النظام الاجتماعى ، وعن الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية فى عالم اليوم . ان هذا المنطق لا يفسر المشكلة الا من جانب واحد فقط ، ويحاول المنظرون البورجوازيون فرضه على العالم ، حتى تعمى الجماهير عن المشكلة .

الانسان والتكنولوجيا والبيئة

تنقسم مشكلة البيئة الى ثلاث نواحى :

اولا : تلوث البيئة .
ثانيا : الخلل فى التوازن الايكولوجى .
ثالثا : اجهاد المصادر الطبيعية .

وقبل ان نناقش الموضوع ، فلنضع بعض الحقائق والارقام .

ان تلوث واستهلاك **المياه** العذبة ينمو بخطى واسعة ، رغم ان كوكبنا هو أكثر كواكب المجموعة الشمسية التسعة وفرة فى الماء ، ان كمية مياه الشرب تتناقص وهى قليلة أصلا ، بينما تتجمع معظم كمية المياه على أرضنا فى الثلاجات . لقد تحولت البحار والمحيطات الى

بالوعات للعالم ؟ حيث يصب فيها كل عام ٤٤٠٠ كيلو متر مكعب من المياه القذرة ، ويؤدى هذا الى افساد ١٥ ضعفا من حجم هذه المياه أى ثلث ما يجرى من المياه سنويا . وحتى نعطى مثلا صارخا لهذا فى منطقتنا ، نذكر البحر الابيض المتوسط الذى قرر العلماء الفرنسيون أنه اذا استمر تلوثه بالمعدل الحالى فسوف تنعدم فيه الحياة تماما فى مدة بين ٢٠ — ٣٠ سنة . وتحولت كذلك عديد من بحيرات العالم وأنهاره الى اجسام مائية ميتة .

وفى نفس الوقت هناك نقص فى المياه العذبة فى عديد من المناطق الصناعية فى العالم ، وبالذات فى الدول الصناعية المتقدمة . ويحدد هذا الان — الى درجة كبيرة — معدلات تنمية المدن والصناعة .

وهناك أكثر من ٥٠٠ مليون شخص فى العالم يسقطون مرضى سنويا بسبب نقص مياه الشرب أو بسبب تلوثها . ويعانى الاطفال اكثر : فأكثر من خمسة ملايين طفل مولود حديثا يموتون سنويا من الامراض التى تحدث بسبب تلوث المياه . وتختلف حدة المشكلة من بلد صناعى الى آخر ، ولكن كل الدول الصناعية المتقدمة تعانى من هذه المشكلة . وهذه الارقام التى ذكرناها تقدمها « هيئة الصحة العالمية » .

أما تلوث **الهواء** فهو الخطر الرهيب الناتج من المستوى الحالى للتنمية الصناعية . ففى الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال ، يعيش ثلثى السكان فى مناطق هواؤها على درجة عالية من التلوث . واذا أخذنا السيارات التى تجرى فى الشوارع الامريكية ، فهناك ٩٩ مليون سيارة تقذف سنويا الى الهواء الجوى بحوالى ٦٦ مليون طن من أول أكسيد الكربون و ٦ مليون طن من أكاسيد النيتروجين و ١٩٠ الف طن من المركبات الغازية للرصاص الى جانب ملايين الاطنان من مواد اخرى [1] .

وتضيف المصانع ومحطات الكهرباء الى هذه الكميات سنويا : ٢٦ مليون طن من أكسيد الكبريت وحوالى ٥٠ مليون طن من خبث المعادن وهكذا تبدو السماء دائما داكنة ، حتى كتبت مجلة **التايم** الامريكية تقول ان معظم الامريكيين يتنفسون الان قذارة بالمعنى الحرفى للكلمة .

وليس هذا فى الولايات المتحدة وحدها ، ولكن فى كل المدن الغربية الاخرى . كتب العالم الفرنسى ج. **دورست** : « ان الباريسيين يتنفسون هواء قادرا على سحق الجرانيت » . وفى وسط لندن يتنفس كل فرد من سكانها من الهواء الملوث فى اليوم ، كما لو انه كان يدخن مائة سيجارة . والخضرة تنقرض فى الرور وتتحلل الكاتدرائيات والتماثيل فى فينسيا وكولونيا . أما « مسلة كليوباترا المصرية » المقامة منذ حوالى ثمانين عاما فى سنترال بارك فى نيويورك ، فقد تعرضت للتدمير اكثر من الثلاثة آلاف سنة التى تعرضت لها فى مصر .

والصناعة الكيميائية بالذات هى اكثر الصناعات تلويثا للبيئة . وزيت البترول بالذات الذى هو ثروة الحضارة البشرية الان ، هو اكثر سمومها أيضا . ثم بعد ذلك الكيماويات السامة .

ولاكثر من اربعين عاما الان يلقى الى الهواء الجوى بكميات ضخمة من الرصاص المضاف اليه شحوم السيارات ، وقد بينت الدراسات أن محتوى الرصاص فى الجسم البشرى قد وصل الى مستوى خطر فى المدن الصناعية . الى جانب ذلك فالغلاف الجوى المحيط بالكرة الارضية له تركيب معين ، وبسبب ما يتصاعد الى هذا الغلاف الجوى من غازات يتغير تركيبه عاما بعد عام ، ونتيجة لهذا فان « التوازن الحرارى » لكوكبنا يتغير . ويشير العلماء الى الزيادة الخطيرة لنسبة ثانى أكسيد الكربون بالذات . وقد ثبت من التجارب أن زيادة نسبته مرتين فى الهواء الجوى تؤدى الى ارتفاع درجة حرارة سطح الارض أربع درجات . ويؤدى هذا كله بالتالى الى تغير المناخ والظروف التى تنمو فيها النباتات والمزروعات ومسار العمليات البيولوجية المختلفة . الخلاصة أن نسب الغازات والمواد السامة فى الهواء الجوى قد ازدادت الى درجة كبيرة : أول أكسيد الكربون ، ومركبات الرصاص ، وتراب الاسبستوس والهيدروكربونات ، وأول أكسيد الكربون غاز سام اذا دخل جهازنا التنفسى ، اذ أنه يتحد مع هيموجلوبين الدم ليكون مادة تجعل الدم غير قادر على حمل الاكسجين الى اجزاء الجسم .

وتذكر « هيئة الصحة العالمية » رقمين فى غاية الخطورة . فالمواد الملوثة التى تطلق فى الغلاف الجوى سنويا فى انحاء العالم :

---

(١) وزيادة على ذلك فهذه أرقام عام ١٩٦٩ التى ازدادت بشكل كبير الان بطبيعة الحال . المصدر : 1. — Bykov : The Urban Crisis in the United States.

٨٥ الف مليون طن من ثاني أكسيد الكربون .

١٥ الف مليون طن من ثاني أكسيد الكبريت .

وتزداد مشكلة **الزبالة والنفايات** عاما بعد عام ، وتلفت نظر المسئولين عن الصحة العامة في جميع انحاء العالم . وطبقا لما يقول خبراء « هيئة الصحة العالمية » فان نصيب كل فرد من سكان المراكز الصناعية في الدول الراسمالية المتطورة صناعيا من الزبالة يتراوح بين كيلوجرام وكيلوجرامين ، وأصبحت هذه المشكلة تهدد المدن الكبيرة المزدحمة . ومن المتوقع أن يزداد هذا الرقم بمعدل ٢ في المائة على الاقل سنويا خلال العشر أو الخمس عشرة سنة القادمة . ويزداد تعقيد المشكلة بسبب البقايا الزجاجية والمعدنية والبلاستيكية التي لا يمكن أن تذوب في التربة .

وقد بدأ **انقراض بعض سلالات الحيوانات** منذ عدة قرون وهي تزداد الان . ويقول علماء البيولوجيا أن الحيوانات تختفي الان من العالم **بمعدل نوع كل عام** .فعلى سبيل المثال قارب الثور الامريكي « البيسون » على الانقراض من الولايات المتحدة ، كذلك الحمام الوحشي الذي كان أكثر الطيور انتشارا هناك . أما « الحوت الازرق » فهو على وشك الانقراض رغم أنها اضخم حيوانات العالم ، ولسبب مضحك للغاية ، اذ يستخدم كطعام للكلاب في الدول الاوروبية ، هذا الى جانب استخدامه في صناعة المسلي الصناعي في العشرين سنة الاخيرة . وفي الالفين سنة الاخيرة فقد كوكبنا الارضي ١٠٦ نوعا وسلالة من الحيوانات الثديية فقط ، اي لا يدخل في هذا الطيور والحيوانات الاخرى . أما الملفت للنظر الان فهو الخطى السريعة التي يتم بها هذا الامر الان . فبينما اختفى ٣٣ **سلالة** من الحيوانات الثديية خلال ١٨٠٠ سنة من على وجه الارض ، اختفت ٣٣ سلالة اخرى خلال مائة عام فقط ، بينما اختفت ٥٠ سلالة اخرى في خمسين سنة فقط . بينما هناك ٦٠٠ نوع مهددة بالفناء الان . ويفترض علماء الاحياء ان كل نوع من الثدييات يعمر حوالي ٦٠٠ ألف سنة وفي حالة الطيور ٢ مليون سنة . وتكتب ا . لينكوفا عالمة البيئة البولندية : «انه لو استمر انقراض الحيوانات على يد الانسان بهذه الطريقة المتبعة فسنصبح بمفردنا على ظهر هذا الكوكب . وربما تظل معنا الحشرات والفئران فقط . وهذا الخطر وشيك الوقوع » (٢) .

من المسئول ؟

هل يمكن ان نقول ان الانسان ـ بشكل عام ـ هو المسئول عن ظهور المشاكل الثلاثة للبيئة التي قدمناها في البداية ؟ كلا ! لقد دمرت انهار وبحيرات ومساحات هائلة من الغابات منذ مئات السنين في مرحلة التنمية المكثفة للزراعة وتربية الماشية وتحولت مراعي الى صحاري ومناطق قاحلة . **فما الذي تغير بظهور تكنولوجيا الالات ؟** لم يتغير الا **نوعية** تأثير الانسان على البيئة ، اذ أنه مع ظهور الالات ازدادت خطى التقدم ، وبالتالي ازداد استخدام المصادر الطبيعية . فالتكنولوجيا (أو الانتاج) هي عملية تفاعل المجتمع البشري مع البيئة الطبيعية ، وهكذا ازداد استغلال الماء والهواء والتربة بشكل مكثف . وهكذا يمكننا أن نقول أن التأثير السلبي للانسان على الطبيعة وجد قبل تكنولوجيا الالة المعاصرة وبعدها . ولهذا فان تلوث البيئة ليس سببه التكنولوجيا المعاصرة . ولكن الطريقة التي يتعامل بها كل نظام اجتماعي مع الطبيعة .

ولذا فالسؤال هو : هل يمكن أن نمنع التأثير السيء للتقدم العلمي والتكنولوجي على البيئة ، والجواب هو نعم بطبيعة الحال .

وبدأت الكتابات تظهر في الاونة الاخيرة ، وكذلك أخرجت المطابع عشرات من الكتب تبحث المشكلة : « ليس هناك مستقبل » و « جريمة ضد مستقبل كوكبنا » و « صحاري من صنع الانسان » وبدأ آلاف البحاث والاقتصاديين والمحامين ورجال الاجتماع في العمل على مشاكل حماية البيئة . « وبدأت قطاعات واسعة من الجماهير تستيقظ على التهديد بالتلوث . ان طرح المشكلة في حد ذاته دليل على خطورة الوضع ، فلقد كان على الشعوب أن تتحمل استنزاف ثرواتها ثمنا لنهب الراسمالية وموقفها غير المسئول من البيئة ، وأصبح على الشعوب الان أن تدفع المزيد ، اذ ظهر في العقد الماضي خطر حقيقي يهدد البيئة الانسانية ، لان الشروط البيولوجية للوجود الانساني في نفسه تتعرض الان للدمار ، فالتلوث ليس مشكلة اجتماعية خطيرة بالنسبة للمستقبل فحسب ، بل هو يؤثر كذلك تأثيرا خطيرا على صحة الانسان في الوقت الراهن .. انه يهدد كل أشكال الحياة فوق هذا الكوكب » (٣) .

أما الصحافة البورجوازية فهي تدافع بطبيعة

---

(٢) ا . لينكوفا : « الارض تنتزع قشرتها » موسكو ١٩٧١ ـ ص ٧٢

(٣) جاس هول : « البيئة والانسان هل نستطيع الحياة في ظل الراسمالية » ـ نيويورك ـ الناشرون الدوليون ـ ١٩٧٢

الحال عن الرأسمالية وتنسب التلوث الى أسباب غريبة غير منطقية . تقول دير شبيجل الالمانية الغربية : « ان التقدم التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في ظل النظامين الرأسمالي والاشتراكي يستلزمان « تضحية اجتماعية » خسائر مصاحبة للانتاج والاستهلاك ، ولا يمكن أن يعوضها المنتج ولا المستهلك » .

وبمعنى آخر فان المجلة تريد أن تقول أن السبب الرئيسي « للازمة الايكولوجية » هو الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة ، وعملية تراكم المعلومات وتطبيقها . ما العمل اذن اذا أصر الانسان أن يعيش في عالم نظيف ؟ الطريقة الوحيدة التي يقدمها معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا طبقا لدراسة أجراها لحساب نادي روما الذي يضم مجموعة من العلماء والموظفين الكبار ، هو ايقاف التقدم العلمي والتكنولوجي ! والا فان العالم — هكذا تقول الدراسة — يتعرض لكارثة كبرى قبل عام ٢١٠٠ : ان الملايين سيتعرضون فجأة وستختفي الحضارة الغربية !

ونفس الفكرة يتعرض لها عالم الاحياء البريطاني جوردون تيلور في كتابه « كتاب يوم الدينونة » الذي ظهر منذ ثلاث سنوات في لندن . انه يرجع الازمة الايكولوجية الى نمو السكان والقوة المدمرة للتكنولوجيا المعاصرة . وهو يطالب بالحد من النمو السكاني والتقدم العلمي والتكنولوجي . وبمعنى آخر ، فان التقدم العلمي والتكنولوجي ليس وحده المسئول عن « الازمة الايكولوجية » ، ولكن « الشعوب » أيضا تشترك في المسئولية !

وهناك عديد من وكالات الاعلان والمعاهد تنادي « الجماهير » بحماية البيئة ، وبهذا فهي تحمل المجتمع كله المسئولية . والغرض من هذه الدعاية هو اطلاق دخان كثيف ليغطي على المجرم الحقيقي .... الاحتكارات . فعلى سبيل المثال تحمل هذه الدعاية كل من عمال وأصحاب مصانع شركة باير مسئولية تلوث نهر الراين . ويتحمل الامريكي العادي الذي يمتلك سيارة نفس مسئولية « جنرال موتورز » و « ستاندارد أويل » ، بسبب انطلاق ٨٦ مليون طن من عوادم السيارات (من الغازات السامة) سنويا الى الغلاف الجوي . وتبذل الدعاية البورجوازية جهدها لتثبت فكرة « المسئولية المشتركة » لكل أفراد المجتمع .

والمسألة هنا لا تحتاج الى بحث ، فهي منطقية جدا . ورغم ذلك فهناك عديد من الدراسات التي أجريت على هذه المناطق الصناعية . وقد أجرت هذه البحوث والدراسات معاهد من نفس هذه المناطق . على سبيل المثال أجرى الدكتور شتيرم العالم الايكولوجي الالماني الغربي بحثا عن أحد المصانع فوجد أنه يلوث نهر ين (وهو أحد فروع نهر الراين) أكثر مما تلوثها كل القرى الواقعة في بداية النهر ، ويصل تعدادها الى حوالي ٢٠٠ ألف نسمة . أما مصانع باير فهي تلوث نهر الراين أكثر مما تلوثها المجاري التي تخدم نصف سكان منطقة الرور بكاملها . وقدر أن مصانع الصناعات الثقيلة في المنطقة « تنتج » ست مرات من المياه الملوثة قدر ما « ينتجه » ٦ر٥ مليونا من سكانها .

فمسألة مسئولية من لا يحتاج هنا الى مناقشة . فالمهم أن الاحتكارات لا تريد أن تقوم بالعلاج الممكن لتلوث البيئة الذي تسببه ، بل تريد أن تلقي بهذا العبء على الجماهير . ففي ألمانيا الغربية على سبيل المثال قدر أن هذا يحتاج الى ميزانية مبدئية تصل الى ٣٦ ألف مليون مارك . وقدر أن الحد الادنى يصل ما بين ١ الى ٥ر١ في المائة من الناتج القومي يجب ان يخصص لاجراءات طارئة سريعة في هذا المجال . ويقول خبراء الاقتصاد الغربيين أن هذا معناه زيادة بين ٥ الى ١٠ في المائة في أسعار المنشآت الاقتصادية . وهذا هو ما تخشاه الاحتكارات .

وتحت ضغط كفاح الجماهير في الدول الرأسمالية وبالذات تحت ضغط الصراع الذي تخوضه الطبقة العاملة ، اضطرت الحكومات الى سن عدد من القوانين ، ففي ٥٠ ولاية أمريكية هناك مجالس لحماية البيئة ولكن المشكلة كما يقول جاس هول سكرتير الحزب الشيوعي الامريكي « أن ٣٥ على الاقل من هذه المجالس أغلبيتها من ممثلي الاحتكارات التي هي السبب في تلوث البيئة » .

وتلجأ الاحتكارات الى تهديد الجماهير التي تناضل من أجل الحياة في بيئة نظيفة بنقل مصانعها الى الخارج وبالذات الى دول العالم الثالث . وهذا التهديد يضرب عصفورين بحجر واحد : أولا يجعل الجماهير تخاف هذا التهديد بسبب الاستغناء عن العمال ، ثم ثانيا : بنقل المصانع الى مناطق تحقق فيها ربحا أكثر . فكثير من المصانع الكيماوية ، وهي أكثر المصانع تلويثا للماء والهواء (مصانع البتروكيماويات والكيماويات ولب الورق) اذا نقلت الى هذه الدول لن تدفع نقودا لحماية البيئة . وطبقا للاحصائيات التي نشرت أخيرا في الولايات المتحدة ، فان تكاليف حماية البيئة تكلف مصانع الحديد والصلب ٧ر١٢ في المائة من كمية الاستثمارات في داخل الولايات المتحدة ، بينما لا تتكلف أكثر من ٢ر٢ في المائة في الخارج .

ان الرأسمالية التي استنفذت شعوب العالم الثالث من قبل وخربت ثرواته ، تريد الان أن تهدم بيئته وتخرب مياهه وهواءه .

ولكن لعل الاخطر من ذلك هو تأثير هذه الايديولوجية على دول العالم الثالث ، فكل هذه المحاولات تصور التصنيع والتلوث وكأنهما صنوان ، ولما كان التصنيع هو السبيل الوحيد للقضاء على التخلف والجوع ، فقد تحجم هذه الدول عن التصنيع المرتبط بالتلوث .

كفاح الشعوب لحماية العالم

من أجل هذا دعت الجمعية العامة للامم المتحدة الى عقد مؤتمر « بيئة الانسان » فى استكهولم بين ٥ـ١٧ يونية عام ١٩٧٢ وناقش المسائل التالية :

ـ التضخم السكانى ومشاكل المدن الكبرى وهجرة السكان الى المدن .

ـ استغلال المصادر الطبيعية (الحيوانية والنباتية والمعدنية) استغلالا سليما .

ـ مشاكل تلوث الماء والهواء والارض وعلاجها

ـ الثقافة والتعليم وأثرهما فى البيئة

ـ التنمية والبيئة

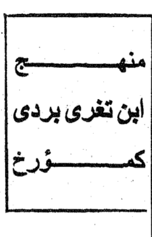
ـ انشاء هيئة لمكافحة التلوث .

ان مكافحة تلوث البيئة يستلزم تخطيطا شاملا من أعلى وهذا سهل فى الدول الاشتراكية ، وهو ما يرفضه الرأسماليون الذين لا يريدون تحمل أى مصاريف .

ففى العالم الرأسمالى تصبح مشكلة حماية البيئة مشكلة اجتماعية حادة يتحقق حلها عن طريق النضال المعادى للاحتكارات ، ذلك النضال الذى تشنه الطبقة العاملة والشعب العامل ، وعن طريق التحول الديموقراطى . وهكذا فان الحركة الجماهيرية لحماية البيئة تمثل ظاهرة اجتماعية جديدة تزيد من التناقض بين العمل ورأس المال .

أما فى العالم الاشتراكى فان جزءا من تكاليف اقامة أى مشروع تخصص لمكافحة التلوث منذ البداية . ان استخدام البيئة المتعقل ، والحيلولة دون التلوث الخطير لمكوناتها على أساس الربط بين مزايا النظام الاشتراكى ومنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية .

وعلى النطاق العالمى تستلزم حماية البيئة التعاون بين جميع الدول ، ولا يمكن فصل جهود حماية البيئة عن جهود تحقيق السلام والتعايش السلمى ، والامن الجماعى والمشاكل العالمية الاخرى .



منهج ابن تغرى بردى كمؤرخ

د• محمود اسماعيل *

لا مراء فى أن مشكلة المنهج هى أم المشاكل التى واجهت تطور العلوم الانسانية بوجه عام ومن بينها التاريخ بطبيعة الحال . ولا شك أن تطبيق المنهج العلمى فى بحث الدراسات الانسانية من حسنات الفكر الحديث ، ولولا ذلك لظلت تلك المعارف جامدة تائهة فى ضباب الميتافيزيقا والاساطير والفكر الدوجماتى . وبقدر سبقها الى الاخذ بالاسلوب العلمى — الذى بفضله طفرت العلوم الطبيعية والرياضية — بقدر اكتسابها صفة العلم من حيث تحديد مباحثها وصياغة قوانينها وتأصيل ركائزها ومقوماتها النظرية ..

وقد انتهى الوقت الذى كان التاريخ فيه موضوعا للخلاف حول ما اذا كان علما او فنا ، او هما معا فى آن واحد ، ولم يعد ثمة شك فى لحاقه بالعلوم الانسانية بعد تطبيق المنهج العلمى فى ميدان البحث التاريخى . والحق — ان الطريق نحو علمنة التاريخ كان وعرا وشاقا ، اسهم فى تمهيده جمهرة متصلة من المشتغلين به على امتداد عصوره ، تمخضت جهودهم عن ذلك النوع من الدراسات التى اصطلح على تسميتها « بفلسفة التاريخ » .

ولا يعنى ذلك الاصطلاح المزعج فى الواقع اكثر من تحديد منهج واضح ومحدد يقود الى معرفة الحقيقة التاريخية وسبر غورها واستكناه عللها واسبابها، وربما الوقوف على قوانين الحركة التى افضت اليهـا ..

ولا حاجة بنا للاستطراد فى تبيان جهود المؤرخين فى هذا الصدد ، وما يعنينا هو أن نقرر دورا لمدرسة التاريخ الاسلامى فى هذا المضمار. ولاول وهلة ينصرف الذهن الى ابن خلدون كرائد فى فلسفة التاريخ عند المسلمين . ولا احد ينكر انجازه الرائع فى مقدمته الخالدة التى ضمنها آراءه ونظرياته بما تنطوى عليه من نظرة علمية للتاريخ تستقصى حركته من خلال تفاعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل والنفسية ايضا . وباختصار ، فالفضل يعزى الى ابن خلدون فى تنظير منظور شامل للتاريخ قوامه دراسة العمران البشرى .. ومن الانصاف أن نذكر فضل مؤرخ كالمسعودى فطن منذ وقت مبكر لتطبيق هذا المنهج العلمى فى تاريخه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، فشرح فيه « احوال الامم والافاق .. وذكر نحلهم وعوائدهم ، ووصف

* د• محمود اسماعيل — مدرس التاريخ الاسلامى بكلية الاداب جامعة عين شمس •

البلدان والبحار والممالك والدول ، وفرق شعوب العرب والعجم .. الخ [١] . حتى اعتبره ابن خلدون اماما للمؤرخين ، ومن هنا فالمسعودى كان ملهم ابن خلدون فيما وصل اليه ، لكنه آثر تطبيق منظوره [٢] للتاريخ على التنظير له ، وفى ذلك يقول : « وكتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر » [٣] .

ولقد استطردنا فى هذه التقدمة كمدخل لموضوعنا لاثبات استقامة منهج البحث التاريخى عند مدرسة التاريخ الاسلامى منذ وقت مبكر ، ومتابعة تطور هذه المدرسة فى مصر فى القرن التاسع الهجرى ، لنقيم فى وضوح منهج مؤرخنا أبى المحاسن ابن تغرى بردى فى كتابه « النجوم الزاهرة » . ولا يخفى تأثر المدرسة المصرية — وبالذات أبى المحاسن — بالنقلة الهائلة التى تمت على يد ابن خلدون ، فالدارسون [٤] مجمعون على انه ظل مثلا يحتذيه من جاء بعده من المؤرخين ، وخاصة مؤرخى مصر الاسلامية .

وكان أثر ابن خلدون واضحا على المدرسة المصرية فى العصر المملوكى ، وحسبنا وجود مؤرخين فى هذا العصر يتخصصون فى دراسة التاريخ كعلم ، أو بالاحرى فى فلسفة التاريخ من امثال السخاوى [٥] والكافياجى [٦] حيث أفردوا أسفارا عن التعريف بالتاريخ وتحديد أغراضه وغاياته وخصائصه وفوائده ومناهج بحثه .. الخ .

لكننا نتحفظ فنقول ان مؤرخى هذه المدرسة — ومن بينهم أبى المحاسن — لم يلتزموا بالمنهج الذى حدده ابن خلدون فى صورته المثالية ، وابن خلدون نفسه لم يلتزم التزاما تاما بآرائه ونظرياته التى سطرها فى مقدمته حينما صنف تاريخه الكبير المعروف « بالعبر وديوان المبتدأ والخبر » ، فالدقة والموضوعية اللذين دعا اليهما نبحث عنهما فى تواريخه بصعوبة ولأى ، والتناقض والاخطاء فى التواريخ والاعلام والقبائل والخلط بين الملل والنحل والفرق .. الخ أمور يألفها قارىء كتاب العبر وليس جزافا تحذير مؤرخ مثل ماسكراى [٧] بالحيطة والحذر وأعمال الفكر فيما كتبه هذا المؤرخ الموهوب . ولا يخامرنا شك فى أن أبا المحاسن وأقرانه انزلقوا الى نفس المزالق ، ووقعوا فى نفس الاخطاء . لكن عذر ابن خلدون انه انصرف فى تاريخه الى الاهتمام بالكليات والتركيز على التفسير والتحليل وتتبع مسار الحركة التاريخية وهو أمر يغفر له هناته على كل حال .

أما المدرسة المصرية المملوكية فلم ترث عنه تلك المزايا ، وأغلب الظن أنها أخطأت فهم آرائه ، اذ فسرت دعوته الى دراسة كافة جوانب « العمران البشرى » تفسيرا خاطئا ، فانبرى مؤرخو هذا العصر يصنفون فى كافة جوانب المعرفة ويكرسون فى موسوعات عامة أو رسائل خاصة ركاما من المعلومات لا تربطها صلة ولا تجمعها نظرة ، أو وحدة موضوعية .

تلك اذن المؤثرات العامة التى تركت بصماتها على منهج ابن تغرى بردى وأقرانه ، فما هى المؤثرات المباشرة التى أسهمت فى صياغة خصائص تلك المدرسة ؟

تتمثل تلك المؤثرات بداهة فى معطيات البيئة المصرية ، أو بالاحرى فى النزعة المحلية التى غمرت العالم الاسلامى فى جوانبه السياسية والثقافية . وللمؤرخين مذاهب شتى فى تعليلها [٨] ، ويهمنا فى هذا الصدد مدى انعكاسها على تطور الدراسات التاريخية . وفى هذا الاطار ، نعتقد أن ظهور التواريخ المحلية الدولة الاسلامية وترامى حدودها الى ظهور واكب نزعة الاستقلال السياسى ، فكما أدى اتساع اللامركزية ، أدى تضخم الاخبار ووفرتها وتشعبها وتنوعها الى ظهور التواريخ المتخصصة والمحلية. وفى مصر ظهر مؤرخون مصريون منذ وقت مبكر يهتمون بأخبارها ، وينوهون بفضائلها ، ويصفون خططها ، ويعنون بسير ولاتها وقضاتها ، ويدونون ذلك فى تصانيف ذات طابع مصرى واضح ، وفى

---

(١) ابن خلدون : المقدمة — الطبعة التجارية — القاهرة . ص ٢٣ .

(٢) زعم روزنثال ان السعودى تأثر فى رؤياه الشمولية للتاريخ بمؤثرات سريانية نصرانية.
انظر : علم التاريخ عند المسلمين — الترجمة العربية — ط بغداد سنة ١٩٦٣ — ص ١٥٢ . وهو زعم موتور متواتر عند كثير من المستشرقين اذ ينسبون دائما جوانب القوة فى الفكر الاسلامى الى اصول هللينية .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ . ط باريس . ص ١٥١ .

(٤) انظر : زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ص ٦ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى . ط دار المعارف ص ١٨ من المقدمة .

(٥) انظر كتابه : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .

(٦) انظر كتابه : المختصر فى علم التاريخ .

(٧) انظر مقدمة .Masqueray E فى كتابه : Chronique d'Abou Zakaria, Alger, 1878.

(٨) راجع : حسن محمود : الكندى المؤرخ — سلسلة اعلام العرب ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

هذا المجال تبرز أسماء ابن عبد الحكم وابن زولاق والكندى وغيرهم .

هذه النزعة المصرية اتخذت شـكلا جديدا فى العصر المملوكى ، قوامه استمرار العناية بالتاريخ المحلى مع عدم اغفال اخبـار العالم الاسلامى ، ولذلك تفسيره ومغزاه ، فدولة المماليك لم تكن دولة مصرية فحسب ، بل امتد نفوذها على الشام والحجاز واليمن .

واحياء الخلافة العباسية فى القاهرة اكسب مصر منزلة خاصة فى العالم الاسلامى فأصبحت موئلا للنشـاط العلمى ، وهـاجر اليها العلماء والفقهاء والادباء والمؤرخون ولا غرو ، فكثير من مؤرخى مصر المملوكية ليسـوا مصريين أصـلا كالمقريزى والعينى وابن عربشاه ، وابن تغرى بردى ذاته . هؤلاء المتمصرون لم يقطعوا صلتهم بأوطـانهم الاولى ، ولم يتنصـلوا من ثقـافتهم الاسلامية . وانعكس ذلك على منهجهم التاريخى، فاهتموا بأخبـار العالم الاسـلامى وضـمنوها مصنفاتهم الخاصة بمصر ، وان غلب عليها الطابع المحلى بشكل واضح .

ومن الناحية الفنية ، او بالاحرى فيما يتعلق « بصنعة » كتابة التاريخ ، نرى أن مدرسة القرن التاسع الهجرى تأثرت الى أبعد الحدود بالاصول المنهجية الاولى التى وضعها الطبرى والمسعودى . وعلى سبيل المثـال التشبث بالنظـام الحولى والطبرى عمدته بلا منـازع ، وايضـا التأريخ لموضوعات متنوعة يجمعها متن واحد جريا على سنة المسعودى . الا أن تلك المدرسة اغفلت فى الغالب بعض حسنات منهج الاوائل ، كنسـبة الروايات الى ذويها وهو ما يعرف « بالاسناد » والنقد والتثبت من صحة الاخبار اى اسـلوب « الجرح والتعديل » .

قصارى القول ، ان مدرسـة التاريخ المصرى فى القرن التاسـع الهجـرى اكتسبت مقوماتها الاساسية من نظام التاريخ الحولى عند الطبرى ، والرؤية التركيبية للتاريخ عند المسـعودى وابن خلدون ، والنزعة الاقليمية عند مؤرخى التـاريخ المحلى، والظروف الفريدة المميزة للدولة المملوكية. من هذه العناصر جميعا ممتزجة تبلورت خصائص تلك المدرسة التى كان مؤرخنا أبو المحاسن احد اقطابها .

واذا كان منهج ابن تغرى بردى فى ملامحه العـامة نتاجا لتلك المؤثرات ، فلا شك أن ظروف حياته كأصله ونشأته وثقافته ووضعه الاجتمـاعى قد لون منظوره التاريخى الى ابعد الحـدود . فوالده تغرى بردى مملوك رومى برز فى سلطنة برقوق وتدرج فى الوظائف العامة حتى تولى نيابة دمشق ، ولعب دورا قياديا فى الصراعات التى احتدمت فى عصر برقوق ، وشارك فى توجيـه الاحداث ابان سلطنة فرج بن برقوق [9] ، فأفاد أبو المحاسن أيما فائدة مما أخذه عن مماليك أبيه ممن أرخ للسـلاطين الجراكسـة الأوائل . وأمه جارية تركية ، فكان حجة فى معرفة دقائق اللغة التركية ، لذلك كان أقدر معاصريه على فهم نظم عصره واصطلاحاته . وقد مات والده وهو فى المهد صبيا فكفله زوج أخته القاضى ابن العـديم الحنفى ، ومن بعده زوجها الاخر جـلال الدين البلقينى الشافعى قاضى القضاة ، ثم تعهده جماعة من مماليك أبيه حتى صار يافعا ، فأتيح له أن يحظى بنوع من التربية الدينية والعسكرية ، اذ حفظ القرآن ودرس الفقـه والحـديث والمنطق والنحو البديع والشعر والتاريخ ، فضـلا عن الفروسية والموسيقى والالعـاب الرياضية . ولا غرو فقد ألف وصنف فى عدد لا بأس به من هذه العلوم والفنون وأفاد منها فى دراسـة التاريخ التى استهوته بشكل خاص .

وباعتباره تلميذا للمقريزى ، فقد تأثر بمنهجه الى حـد كبير ، فكان خليفته فى زعامة مؤرخى عصره بعد وفاة بدر الدين العينى صاحب « عقد الجمان » . ولكونه من طبقة « أولاد الناس » ، فقد تقرب الى البلاط السلطانى ، وجالس سلاطين الجراكسة من أمثال جقمق وخشقدم وبرسباى ، وصادق أبناءهم ، وسـاعده ذلك على وقوفه على مجريات الامور ، وتوجيه اهتمامه بالدرجة الاولى نحو التـاريخ للارستقراطية العسـكرية المملوكية حتى يمكن أن يقال ان ابن تغرى بردى كان اقرب ما يكون الى المؤرخ الرسمى للسلاطين الجراكسة الاوائل ، وبطبيعة الحال ضرب صفحا عن التـاريخ للمجتمع المصرى مدفوعـا فى ذلك بنزعة استعلائية مردها الى انتمائه الطبقى . واغلب الظن انه ألف كتابه النجوم الزاهرة ليقدمه قربانا الى صـديقه محمد بن جقمق ليحظى عنده ــ اذا ما تولى السلطنة ــ بمثـل ما حظى به العينى عند السلطان برسباى عندما ألف له كتابه المعروف « عقد الجمان » . ونحن نشك فى قوله انه صنف كتابه « غير مستدعى الى ذلك من أمير أو سلطان » وانما ليكون له « فى الوحدة جليسا »

(9) عن تدرج تغرى بردى فى سلك الجندية . انظر : النجوم الزاهرة جـ12 ص 37 ، 55 ، 75 .

وحبا فى مصر لما لها من « ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين » [١٠] ..

اما وقد وقفنا على المؤثرات العامة والخاصة فى منهج أبى المحاسن بن تغرى بردى ، فلنعرض لهذا المنهج كما نص عليه فى مقدمة كتابه ، ثم نناقش مدى التزامه به فى ضوء محتوى الكتاب ذاته .

يقول أبو المحاسن (١١) : « ... فما ستفتحه بفتح مصر وما وقع لهم فى المسالك ، ومن حضرها من الصحابة ومن كان المتولى لذلك ، وعلى اى حال فتحت ، صلح أم عنوة من أصحابها ، وأجمع فى ذلك أقوال من اختلف من المؤرخين وأهل الاخبار وأربابها ، وذلك بعد اتصال سندى الى من ولى عنه منهم رواية ، ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية ، وأطلق عنان القلم فيما جاء فى فضلها وذكرها من الكتاب العزيز ، وما ورد فى حقها من الاحاديث وما اختصت به من المحاسن فصار لها على غيرها بذلك التمييز ، ثم أذكر من وليها من يوم فتحت وما وقع فى دولته من العجب واحدا بعد واحد لا أقدم احدا منهم على أحد باسم ولا كنية ولا لقب ، ثم أذكر ايضا فى كل ترجمة ما أحدث صاحبها فى أيام ولايته من الامور ، وما جدده من القواعد والوظائف والولايات فى مدى الدهور ، ولا أقتصر على ذلك بل استطرد الى ذكر ما بنى فيها من المبانى الزاهرة ، كالميدين والجوامع ومقياس النيل ، وعمارة القاهرة أولا بأول أذكره فى يوم مبناه وفى زمان سلطنته ، مستوعبا لهذا المعنى ضابطا لشأنه ، على أننى أذكر من توفى من الاعيان فى دولة كل خليفة وسلطان باقتصار بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض الحوادث فى مدة ولاية المذكور فى اى قطر من الاقطار . وأبدأ فيه بعد التعريف بأحوال مصر بولاية عمرو بن العاص فى المملكة الاسلامية ، ثم ملك بعد ملك كل واحد على حدته وما وقع فى أيامه الى الدولة الاشرفية الاينالية ، وسميته : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ...

ومن حسنات هذا المنهج أن أبا المحاسن أكد فيه طابع المحلية حين جعل تاريخ مصر محور

اهتمامه ، وأحجم عن اتباع سنة بالية وهى التاريخ منذ بدء الخليقة فصان مصنفه من تلك المعلومات الفجة ذات الطابع الروائى الاسطورى التى تزهر بها المصنفات التاريخية التقليدية وحتى فيما يتعلق بتاريخ مصر قبل الاسلام كرس له صفحات محدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة نخصها تلخيصا سريعا . ولقد أدرك أهمية دراسة الجغرافيا فى فهم التاريخ فعرض لجغرافية مصر مستفيدا من كتابات الجغرافيين والرحالة . كما عرض لفضائلها ومحاسنها وذكر من الاحاديث والاقوال المأثورة والمنتحلة فى هذا المعنى ما يجده عند ابن زولاق . ويؤخذ عليه عدم مراعاة التسلسل المنطقى فى معالجة موضوعاته ، اذ بدأ تاريخه بذكر فتوح مصر ، ثم ذكر فضائلها ووصف جغرافيتها ، وعرض لتاريخها قبل الاسلام . ثم عاد لسرد أخبار ولاتها ، والمنطق أن يكون فتح مصر قبل أخبار ولاتها مباشرة .

وهو فى ذلك كله ينقل ويلخص عن ابن عبد الحكم وغيره ، كما أنه يعتمد على ابن الاثير والذهبى وابن كثير فى عرضه المقتضب المبتور للاحداث المعاصرة فى العالم الاسلامى . ولا يفوته أيضا تسطير أخبار البيزنطيين والمغول وغيرهم ، كتنصيب الحكام أو عزلهم أو وفاتهم .

والملاحظ أن أبا المحاسن سواء فى تأريخه لمصر أو فى تتبعه للاخبار المعاصرة خارجها — فى العصور السابقة لعصره — ينقل ويلخص عن المدونات الحولية السابقة دونما نظر أو روية . وقد قاده ذلك الى التردى فى مزالق مشينة ، اذ وقع فى أخطاء لا تغتفر كقوله على سبيل المثال أن عيسى بن مريم ولد بمصر (١٢) ، وأن عبد الله بن سعد فتح بلاد البربر والاندلس سنة ٢٧ هـ (١٣) ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة بالحبشة (١٤) ، وأن الصفرية من الخوارج ينسبون الى المهلب بن أبى صفره (١٥) ... الخ (١٦) .

وهو فى نقله أو تلخيصه نادرا ما يهتم بالاسناد وغالبا ما يكتفى بكلمة « قيل » أو « ذكر » . وحين يعلق على بعض الوقائع بذكر كلمة « قلت » ، وتعليقاته لا تتعدى الموعظة الحسنة والعبرة المستوحاة من القرآن الكريم ، أو من مأثور القول

(١٠) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢ .
(١١) نفس المرجع ص ٢ ، ٣ .
(١٢) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٥١
(١٣) نفسه ص ٨٠
(١٤) نفسه ص ١٢٣
(١٥) نفسه ص ٢٨٩
(١٦) هذا بخلاف أخطاء اخرى اقل اهمية كخلطه بين الولاة والقواد وعدم تدقيقه لاسماء الاعلام وتواريخ الاحداث، انظر على سبيل المثال : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٠٧ ، ٣٤٩ .

مثل « وما ربك بظلام للعبيد ، القصاص قريب ، الجزاء من جنس العمل ، انظر الى تقلبات الدهر ، نعوذ بالله من زوال النعم ·· الخ » ، أو يقحم أشعاره اقحاما فى بعض الاحيان تاكيدا لمعنى من المعانى ، فيقول « وحضرنى فى هذا المعنى مقطوع » ويذكره « اتماما للفائدة » (١٧) على حد قوله · وأبو المحاسن فى عجالته فى سرد الاحداث لا يهتم بمقارنة الروايات المتضاربة وترجيح أقواها على أساس من التحقيق الموضوعى ، ومعياره فى ترجيح رواية على أخرى تواترها فى الحوليات أكثر من غيرها ، وهاك مثالا : قال أبو المحاسن (١٨) « فى ولاية الاشتر النخعى على مصر قبل محمد بن أبى بكر الصديق اختلاف كثير ، حكى جماعة كثيرة من المؤرخين وذكروا ما يدل على أن ولاية محمد بن أبى بكر كانت هى السابقة ، وجماعة قدموا ولاية الاشتر هذا ، ولكل منهما استدلال قوى ، والذين قدموا الاشتر هم الاكثر ، وقد رأيت فى عدة كتب ولاية الاشتر هى المقدمة ، فقدمته لذلك » .

ويفتقر أبو المحاسن الى فضيلة الحيدة والموضوعية ، فتعاطفه مع الحزب العلوى جعله يقف موقف العداء للبيت الاموى ، وساقه ذلك الى الاحجام عن ذكر الكثير من أخبار بنى أمية ، أو تناولها بشكل مبتسر ، فحين عرض لخلافة يزيد بن معاوية اكتفى بقوله « ··· وله أشياء كثيرة غير أننى أضربت عنها لشدة فسقه » (١٩) ، ولم يذكر عن مروان بن محمد أكثر من أنه « وثب على الامة وبويع له بالخلافة » (٢٠) . هذا فى الوقت الذى استطرد فيه فى ذكر أخبار بعيدة تماما عن موضوعه ، كان ينهى حديثه المسهب عنها بعبارة « خرجنا عن المقصود » ·

ولا يلمس القارىء للنجوم الزاهرة ـ فى الاجزاء التى لخصها أبو المحاسن عن أسلافه · ثمة ما يفيد فى الوقوف على الاحوال الاقتصادية والاوضاع الاجتماعية ، اللهم الا ما ورد عن أخبار النوازل والملمات كالطواعين والمجاعات والاوبئة ، فقد حظيت بنصيب من اهتمامه · وان كان حرصه على اثبات أحوال النيل وما يعترى منسوبه من زيادة أو نقص فى نهاية كل عام ذا أهمية قصوى فى هذا الصدد ·

وتراجمه فى الوفيات مقتضبة ممسوخة نتيجة منهجه فى النقل والتلخيص ، حيث اعتاد فى كل سنة ان يضع ثبتا بالوفيات الذين وردوا عند الذهبى ، ولا يكلف نفسه أكثر من ذكر عبارة « الدين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ... »

قصارى القول ـ أن تاريخ أبى المحاسن حتى بداية العصر المملوكى ـ لا يضيف جديدا الى معارفنا عن تاريخ مصر ، ولا يقدم أدنى فائدة للمشتغلين به (٢١) . ولا نسرف حين نقول ان أبا المحاسن واقرانه شوهوا كتابات السابقين ومسخوها بعد تجريدها من أهم ميزاتها وهى الاسناد والتحقيق · وحق للسخاوى لذلك أن يرمى أبا المحاسن ـ فى الاجزاء غير المعاصرة من مؤلفه ـ « بالوهم الكثير ·· والخلط الغزير ··· والسقط فى الانساب ··· والتصحيف والتحريف ·· والتكرير · وذكره فى الحوادث ما لم يتفق ··· الخ » ·

ويعتقد بعض المؤرخين (٢٢) أن أسلوب المعالجة الحولية كان من وراء فقر المنهج التاريخى عند معظم مؤرخى العصور الوسطى حيث تقوم تلك الطريقة على رصد الحقائق المجردة دونما صلة أو رابطة تجمعها · ومع تسليمنا بوجاهة ذلك القول ، فان تاريخ أبى المحاسن للفترة التى عاصرها وأرخ لها وفق النظام الحولى ، كذلك فمينه بأن يعفرله مثالبه الكثيرة التى اشرنا اليها سلفا ، فلم يقف النظام الحولى حجر عثرة أمام ظهوره كمؤرخ واسع المعرفة ، يستقى مادته من مصادرها الاصلية ، ويتحرى الامانة والصدق فى نسبة ما ينقله الى ذويه ، ويناقش الروايات مناقشة العالم

---

(١٧) أنظر : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٨٧ .
(١٨) نفسه جـ ٢ ص ١٠٢ .
(١٩) نفسه جـ ١ ص ١٦٣ .
(٢٠) نفسه ص ١٦٤ .
(٢١) واذا صدق قول الدكتور زيادة فى « أن الطريقة النقلية (التى اتبعها أبو المحاسن ومعاصروه فى الاجزاء غير المعاصرة من مؤلفاتهم ، عادت بفائدة ـ لا يمكن المبالغة فى مداها ـ اذ حفظت بفضلها كتب مفقودة أصولها الكاملة حتى الان ، ولولاها ما وصل من تلك الكتب شىء للمتاخرين » فنحن نؤكد أن تلك الميزة لا تنسحب على كتاب النجوم الزاهرة ، اذ أن الحوليات والمراجع التى نقل عنها أبو المحاسن موجودة لدينا الان ومعظمها نشر نشرا علميا محققا .
انظر : زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ص ٩٩
(٢٢) أنظر : روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص ١١٧ ، جمال الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر ص ٢٢٧ .

الواثق ، ويقيم آراءه على أساس منطقى مدعمة بالحجج والبراهين ، فضلا عن طول باع فى معرفة روح العصر وخبرة بنظمه ورسومه ودراية ببواطن الامور فيها ، فقدم بذلك اضافة يستحق من أجلها أن تخلد ذكراه ٠

لم يتخل ابن تغرى بردى فى تاريخه لتلك الفترة عن منهجه السابق وهو المنهج الحولى ، لكنه أفاض واسترسل فى رصد الوقائع والاحداث فجزأ السنين الى أشهر وأيام وأتخمها بالمادة التاريخية الجديدة التى استقاها من أم مصادرها . وقد أتاح له وضعه الاجتماعى أن يحصل عليها دون عناء ٠ فقد أفاد من مماليك أبيه فى الوصول الى معلومات غاية فى الاهمية عن سلطنة برقوق وابنه فرج من بعده ، وفى ضوء ذلك يمكن تفسير عرض ابن تغرى بردى الرائع لاحداث تلك الحقبة ، ومن أهمها حرب التتار التى شارك فيها والده (٢٣) ، كما أفاد من صداقته لرجال البلاط وأبناء السلاطين ، وخاصة محمد بن خشقدم ، فكثيرا ما يروى عنهم مباشرة اذ يقول : « حدثنى غير واحد من حواشى الاسياد وأولاد السلاطين .. » (٢٤) . ورغم عدم اشتغاله بالدواوين ـ الا أن علاقته الطيبة بالسلاطين سهلت له الاطلاع على أرشيفاتها ، فقدم صورة متكاملة عن الجهاز المملوكى بسلاطينه وأمرائه وقضاته ، وكتاب سره ، وموظفيه ،فضلا عن النظم العسكرية والادارية والمالية ، ولوائح الرتب والانعامات ، وحكام الايالات ، والثغور والمدن .. الخ (٢٥) ، وتابع ما كان يستجد من تعديل أو تغيير أو تبديل فى هذه النظم بدقة وعناية ٠

وتتضح امانته العلمية فى تعويله على الاسناد فى غالب الاحيان ، ومن الواضح أنه استفاد كثيرا من معاصرة الشيخ خليل الصفدى فيمن ترجم لهم من أعلام عصره وخاصة من أهل الشام ، ذلك أنه كان حجة فى تصنيف التراجم والوفيات (٢٦) . أما اعتماد أبى المحاسن على المقريزى ، فأمر واضح للعيان ، اذ نقل عنه كثيرا حتى أخطاءه فى اللغة والنحو ، ولا يدعو ذلك الى الشك فى نزاهته بقدر دلالته على ضعفه فى اللغة العربية وقواعدها حتى لقد قال فيه ابن الصيرفى « أنه كلما فرغ من تصنيف يتوجه به الى من يعرف العربية فيصلحه له » ٠ حقيقة كان أبو المحاسن امتدادا طبيعيا لاستاذه المقريزى ، وتقديره له فى الواقع فوق مستوى الشبهات ، لكن يبدو أنه استباح لنفسه أن يأخذ عنه وينقل منه دونما حرص على اسناد ما ينقله الى أستاذه ، وان كان فى أحيان كثيرة يثبت مصدره بقوله « قال المقريزى رحمه الله ٠٠ » ٠

ونعتقد أن أبا المحاسن تفوق على استاذه فيما يتعلق بتاريخ السلاطين الجراكسة ، وربما اعانته معرفته باللغة التركية على أن يصبح فريد عصره فى استيعاب وتفهم النظام المملوكى ، وحسبه أنه كرس مصنفا خاصا صحح فيه تحريفات المؤرخين فى الاسماء التركية ٠ وقد اعترف له السخاوى بالفضل فى هذا الصدد فقال انه « بارع فى احوال الترك ومناصبهم وغالب أحوالهم منفرد بذلك ٠٠ »

ولا غرو فقد تصدى لتفنيد دعاوى معاصريه ـ ومنهم المقريزى ـ فيما شجر من قضايا تاريخية حول المماليك الجراكسة ٠ فالخلاف حول ما اذا كان برقوق أول سلاطين الجراكسة أم بيبرس الجاشنكير ، حسمه أبو المحاسن فى ثقة مرجحا برقوق ، فقال « فهو الاصح وبه أقول » (٢٧) : وتتحول تلك الثقة الى نوع من التفاخر والمباهاة حينما يفند رواية المقريزى وغيره حول أمور متعلقة بنفس السلطان ، فيعلق على الروايتين بقوله « والقولان ليسا بشىء » (٢٨) . بل كثيرا ما تطاول على استاذه بخبث ووقف منه موقف المتصيد للاخطاء المتصدى للرد عليها ، وفى هذا المعنى يقول على سبيل المثال « ٠٠ ونحن نسامح الشيخ تقى الدين المقريزى فى كلامه .. » ، بل أعلن عن موقفه هذا فى سفور حين ذكر صراحة أن « الشيخ تقى الدين ـ رحمه الله ـ كان له انحرافات معروفة تارة وتارة » (٢٩) . لقد كان أبو المحاسن يعتقد فى قرارة نفسه أنه مؤرخ عصره وأوانه ، وأنه بز استاذه المقريزى فى التاريخ للمماليك الجراكسة ، فانبرى يتصيد هفواته ويتعقب أخطاءه كلما سنحت له فرصة (٣٠) ، مظهرا انه لم يرد بذلك الحط على

---

(٢٣) النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٣٦٩ وما بعدها .
(٢٤) نفسه جـ ١٢ ص ٥٧
(٢٥) نفسه جـ ١٢ ص ١١٥ ـ ١١٩
(٢٦) صنف الصفدى كتابين فى التراجم والوفيات ، هما أعوان النصر فى أعيان العصر والوافى بالوفيات ؟ قرظهما أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة انظر : جـ ١١ ص ١٩.
(٢٧) نفسه جـ ١١ ص ٢٢١
(٢٨) نفسه ص ٢٢٤
(٢٩) نفسه ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣
(٣٠) زيادة (م) المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ص ٨٥

الشيخ تقى الدين .. غير أن الحق يقال ،(٣١) « .. وأيماما كان الامرفلذلك دلالة على أن تاريخ أبى المحاسن للمماليك الجراكسة رفعه الى مصاف أقطاب المؤرخين من معاصريه .

وهذه المكنة لا ترجع فقط الى عرضه الدقيق البارع لتاريخ الارستقراطية العسكرية الحاكمه - وهو فى جوهره يدور حول الصراع على السلطة - بل كشف أبو المحاسن عن الحياة الاجتماعية لتلك الطائفة ، فافرد أسفارا طويلة وصف فيها المواكب السلطانية ، ومراسيم استقبال الحكام الاجانب ، والرسوم المرعية فى الاحتفالات الدينية وغير الدينية وتقاليد الانعام بالرتب والنيشاشين والاسمطة السلطانية ، والقى الضوء على حياة السلاطين والامراء الخاصة ومظاهر لهوهم وتسليتهم ، بل تغلغل الى قصورهم فكشف النقاب عن حياتهم مع الجوارى والغلمان والمهرجين ، جنبا الى جنب مع أمسياتهم الوقورة مع الفقهاء والادباء والعلماء ، الى غير ذلك من المعلومات ذات الطرافة والجدة والاهمية فى تصوير الحياة الاجتماعية .

ومن أسف أن أبا المحاسن أغفل فى تأريخه حياة الشعب المصرى بقطاعاته المختلفة أغفالا تاما ، باستثناء قطاع المثقفين من المشايخ والعلماء والادباء ، فقد ترجم - فى اسهاب - للاعلام والمشاهير منهم ، فكان يذكر أفضالهم ويعدد مؤلفاتهم وتصانيفهم ، وكثيرا ما استرسل فى نقل أشعارهم . وفى حين يفرد حيزا كبيرا من كتابه للتعريف بالملوك والحكام والعلماء فى سائر أجزاء العالم الاسلامى ، نجده يضن بمجرد الاشارة الى حياة الجماهير المصرية الا ما يرد عنها عفوا ، الاستعلائية المنبثقة من انتمائه الطبقى ، وحسبنا حين يعرض لمظاهراتهم عند استقبال السلاطين ، أو نهب العامة لبيوت الامراء المغضوب عليهم من السلطان ... الخ . ويعزى ذلك الى نظرته الاستعلائية المنبثقة من انتمائه الطبقى ، وحسبنا ان المصريين فى نظره كانوا مجرد « غوغاء » و « حرافيش » أو « عامة » على أحسن الاحوال .

أما وقد غض الطرف عن حياة الشعب المصرى داخل القاهرة ، فبديهى الا يلقى بالا للمصريين فى الريف والمدن الاخرى ، فلا نقف على ذكر لهم فى كتابه الا كضحايا للنوازل والملمات ، وحتى الاسكندرية لا نعرف عنها شيئا فى النجوم الزاهرة أكثر من كونها منفى للامراء المغضوب عليهم من قبل السلطان . ويقينى أن التزامه بعنوان مؤلفه « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » لا يعفيه قط من تبعة هذه النقائص .

غير ان هذه النقائص على كل حال - مضافا اليها هنات اخرى كسقامة الاسلوب وركاكته وكثرة الاخطاء فى النحو واللغة ، كل ذلك لا يقلل من قيمته كمؤرخ مصر فى عهد الجراكسة بلا منازع وصدق فيه قول ابن اياس بأنه « كان نادرة فى أولاد الناس » .

---

(٣١) النجوم الزاهرة جـ ١١ ص٢٩٤


تقارير
الشهر

جمهورية مصر العربية

الانفتاح الاقتصادى .. أهدافه وآفاقه

فى حديثه للاهرام فى ١٩ أغسطس الماضى ، أكد **عبد العزيز حجازى** نائب رئيس الوزراء ووزير المالية ، انه لابد من أن« تحدد مصر صورة لمستقبلها الاقتصادى على ضوء المتغيرات الاقتصادية العالمية » .وقال أن الاجراءات الاقتصادية الاخيرة المتعلقة بالتجارة الداخلية تهدف الى :تحقيق استخدام أكثر كفاءة للامكانيات الرأسمالية والبشرية ، ورفع مستوى ادائها . واستخدام أساليب التعامل التجارى التى تتفق مع عمليات التجارة الخارجية بعيدا عن التعقيدات والبيروقراطية ، وتبادل الخبرات المكتسبة فى مجال التجارة من خلال خطة عربية موحدة والعمل على تنمية الصادرات .

ولتحقيق كل هذا اتخذ اجراءين اساسيين :

■ **انشاء سوق موازية للنقد الاجنبى** . لاتخضع لاسعار الصرف الرسمى ، وانما يتم التعامل فيها بالاسعار التشجيعية لتحقيق الاهداف التالية كما أعلنها الدكتور حجازى :

- استقطاب مدخرات المصريين فى الخارج وموارد السياحة وحصيلة صادرات القطاع الخاص من السلع غير التقليدية .
- تسهيل استيراد مستلزمات الانتاج للقطاع الخاص والسفر للخارج واعداد حملات اعلانية لترويج صادراته .
- تخفيف الضغط عن ميزانية الدولة من النقد الاجنبى ، ومواجهة الاختناقات فى توفير مستلزمات الوحدات الانتاجية العامة والخاصة
- تشجيع تنمية الصادرات الى أسواق العملات الحرة ، طالما أنه سيصبح لمن يصدر حق استخدام حصيلته من هذه العملات .

والهدف الاخير يرمى ، كما قيل ، الى تحقيق التوازن فى التوزيع الجغرافى لتجارتنا الخارجية . اذ ان صادراتنا يذهب ٧٠ فى المائة منها الى دول الاتفاقيات التى تورد لنا أيضا ٥٠ فى المائة من احتياجاتنا .



د. حجازى

ويرى البعض أن سبب الاختلال الحالى فى هيكل تجارتنا يرجع الى « اتجاه الجزء الاكبر من الصادرات الى دول الاتفاقيات فى حين أن معظم الواردات أو على الاقل الجزء الاكبر من الطلب على الاستيراد يتجه الى الغرب ، نتيجة لعدة عوامل أهمها الحلقة المفرغة لعملية **التسهيلات الائتمانية المقيدة** التى تحصل عليها من دول الاتفاقيات وما تعمل عليه من زيادة حجم الواردات **الانتاجية** من هذه الدول بالرغم من ارتفاع السعر وانخفاض الجودة ، بحيث أصبح **تصريف الناتج** غير متاح الا لهذه الدول أو للاستهلاك المحلى ، نتيجة للحماية الضارة المطبقة . هذا بالاضافة الى أن أسعار الصرف الرسمية الحالية تحمل ارتفاعا كبيرا فى سعر الجنيه المصرى لا يتفق مع قدرته الشرائية وتكاليف الانتاج ، بحيث **يفضل** المنتج تصريف سلعه بالاسعار المرتفعة التى تعرضها دول الاتفاقيات لرغبتها فى استهلاك مديونية مصر بأى ثمن ، خاصة وأن جزءا منها راجع الى ارتفاع اسعار التوريد» (الاهرام الاقتصادى ١٥ ـ ٨ ـ ٧٣) .

والرأى السابق يأخذ على دول الاتفاقيات :

- منحها تسهيلات ائتمانية لنا .
- استيرادها لجزء كبير من انتاجنا .

● ارتفاع أسعار صادراتها لنا وانخفاض جودتها .

● توريدها للمعدات الانتاجية التى نحتاجها

● استيرادها لانتاجنا بأسعار مرتفعة .

وحول هذا يقول د . حجازى « لا يمكن لنا أن ننكر الدور الذى قامت وتقوم به دول الاتفاقيات فى التنمية الاقتصادية فى مصر ،خاصة دول الكتلة الشرقية . لقد أعطتنا القروض طويلة الاجل فى وقت رفض الغرب أن يقدم لنا فيه شيئا . ولا يمكن لانسان مصرى أن ينكر النتائج التى حققها التعاون الفنى والاقتصادى مع دول الكتلة الشرقية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى . هناك مشروعات اقتصادية عملاقة كالسد العالى ، ومجمع الحديد والصلب وغيرها ، ولا شك أنها قاعدة أساسية فى الاقتصاد المصرى » .

■ أما الاجراء الثانى فى سياسة الانفتاح الاقتصادى ، فكان متعلقا بتنظيم التجارة الخارجية ، بحيث يكفل : تأكيد وظيفة التخطيط الشامل للتجارة الخارجية تصديرا واستيرادا ، وتحديد أهداف وسياسات واضحة ، واقتراح استراتيجية محددة للمعاملات الخارجية مع المنظمات الاقتصادية ، وتوفير الدراسات والبيانات اللازمة لتخطيط التوسع فى العلاقات التجارية مع دول العالم ، وفصل أعمال التخطيط عن أعمال التنفيذ بحيث تسهل المتابعة والرقابة . وتحقيقا لكل هذا تقرر :

■ أن يقوم المجلس الاعلى للتجارة الخارجية بتحديد الاهداف والسياسات واقتراح استراتيجية التجارة الخارجية ،بحيث يتركز عمله فى توجيه الدراسات الاساسية التى تتعلق بالتخطيط .

■ ينبثق عنه سبعة مجالس للتخطيط السلعى : لاعداد الدراسات السلعية لتوفير معلومات وبيانات كاملة عن الانتاج والاستهلاك المحلى ومتطلبات الاستيراد والتصدير ، ولوضع خطة تفصيلية للاستيراد والتصدير ومتابعة تنفيذها وادخال التعديلات اللازمة عليها . والمجالس السبعة هى : السلع الغذائية والزراعية ، السلع الاستهلاكية ، والكيماوية والدوائية والبترولية ، والمعدنية والحراريات ، والهندسية والكهربائية والالكترونية ،ووسائل النقل ومستلزماتها ، والسلع الاستثمارية .

■ تشكيل أمانة فنية للمجلس الاعلى للتجارة الخارجية ومجالسه السلعية تتولى تحضير الدراسات والبحوث ، وتعتبر جزءا من وزارة المالية والاقتصاد . كما يعقد اجتماع دورى مشترك لرؤساء وأمناء مجالس التخطيط السلعى ، لتنسيق عملها وتبادل الرأى فى أسس واتجاهات تطوير التجارة الخارجية .

■ تخصيص شركات التجارة فى عمليات الاستيراد والتصدير تحت اشراف مؤسسة التجارة التى تشرف على تنفيذ خطة التجارة الخارجية ، وتزويد المجالس السلعية بالبيانات . ويتم تطبيق نظام التخصص السلعى والجغرافى .

وبجانب هذا تقرر : ١ ـ ان تقوم شركات التجارة الخارجية بعمليات التصدير لحساب القطاع العام المنتجة ، فاذا تجاوزت الوحدات التصديرية أهدافها بالعملات الحرة ، يكون لها أن تحتفظ بـ ٥٠ فى المائة من الفائض ٢ ـ يعد اتحاد الصناعات بيان بمصانع القطاع الخاص تراجعه مؤسسة التجارة ، ويتقدم القطاع الخاص الى الشركة المختصة بطلبات الاستيراد والتصدير على أن يكون له حق الاتصال المباشر بالمستوردين ٣ ـ الغاء تراخيص استيراد سيارات الركوب ، على أن تفرج عنها الجمارك مباشرة بعد تحويل ١٠٠ جنيه استرلينى للسيارة الصغيرة ، و ١٥٠ للسيارة الكبيرة ٤ ـ رفع حد الاعفاء من تراخيص الاستيراد للهدايا والسلع الشخصية من ٥٠ الى ١٠٠ جنيه ٥ ـ الغاء نظام الاستيراد عن طريق استخدام ارصدة الحسابات غير المقيمة والاستيراد بدون تحويل عملة ، على أن تتاح فرصة الاستيراد العينى بمدخرات المصريين العاملين فى الخارج الذين تزيد مدة عملهم على سنة .

وقد تخوف البعض من أن تؤدى السوق الموازية للنقد الى تدهور سريع فى قيمة الجنيه المصرى لخضوعه لتلاعبات العرض والطلب بعيدا عن رقابة الدولة • ولكن د • حجازى يرى « ان السوق الموازية خطوة نحو تحرير النقد فى مصر ، واعطاء قيمة حقيقية للجنيه المصرى • وهى ليست تخفيضا للجنيه المصرى ، ولكنها تدعيم له لكى يفرض وجوده فى المستقبل فى أسواق النقد • ولقد كان لانشاء هذه السوق آثار دولية سريعة • فقد وافق صندوق النقد الدولى على تقديم قرض قيمته ٤٧ مليون دولار ، عقب قرار انشاء السوق الموازية •» وقد كان ذلك مطلبا ملحا لدعم ميزان المدفوعات المصرى وسعر الصرف للجنيه المصرى » •

وعقب اعلان سياسة الانفتاح مع الجميع ، سافر د • حجازى الى تشيكوسلوفاكيا حيث وقع عددا من الاتفاقيات الاقتصادية لزيادة حجم التبادل التجارى والتعاون الفنى ، ولتشغيل العمال المصريين هناك • وأما ألمانيا الاتحادية فقد أعلنت أنها ستقوم بدراسة تستغرق ٣ سنوات ، حول تنفيذ مشروع منخفض القطارة لتوليد الكهرباء • وقد أكدت ورقة الحوار ضرورة الالتزام بمواثيق الثورة فيما يتعلق بنظامنا الاقتصادى والسياسى ، لهذا فان الانفتاح كأسلوب فى التجارة الخارجية يجب أن يتم فى اطار خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وفى اطار هذه المواثيق الثورية التى تنص مثلا على ان الاستيراد بكامله يجب أن يتولاه القطاع العام ، وعلى ألا تتحول التجارة الخارجية الى وسيلة للاثراء غير المشروع • وهذا ما أكده الدكتور حجازى من أن الهدف هو ضمان تكامل سياسة التجارة الخارجية مع خطة التنمية وخضوعها لها •

●

بنــاء جــديد لمنظمــة الشــباب

فى الرابع والعشرين من يوليو الماضى أعلنت أمانة الشباب بالاتحاد الاشتراكى العربى ، ومن خلال مؤتمر ضم عدة آلاف من الفتيات والفتيان الذين قامت بتدريبهم الامانة فى معسكراتها خلال العامين الماضيين ــ أعلنت عن قيام تنظيم شبابى قدم له **الرئيس السادات** بنفسه قائلا : « ان الشباب فى هذا الوطن وبالارقام أغلبية ، واذا أضفنا الى ذلك أن المستقبل هو الشباب فمعنى ذلك أنه بفكره وبمكوناته هو أيضا أغلبية الغد • واذا أضفنا الى ذلك أيضا أن الشباب ــ أغلبية اليوم وأغلبية الغد ــ هو وليد وتربية سنوات الثورة ، لرأينا بوضوح أربعة عوامل :

الاول : أن الشباب هو صاحب أكبر الحقوق فى الحاضر •

الثانى : أنه صاحب الحق الكامل فى الغد •

الثالث : أنه دعامة شعبه فى كل ما يلمه •• وفى ميدان القتال •

الرابع : أن الشباب هو الامين على فكر الثورة لانها عمره فى الحاضر وفى المستقبل » •

وبعد ذلك بخمسة أيام عقدت الامانة مؤتمرا تأسيسيا لهذا التنظيم الشبابى ضم أكثر من ٦٠٠ شاب هم مجموع العاملين بالمكاتب الفنية المركزية وأمناء وأعضاء لجان الشباب بالمحافظات والمراكز والاقسام ، وعرضت على المؤتمر مجموعة من الاوراق تتميز ورقتين منها بأهمية خاصة هما ورقة البرنامج السياسى ، وورقة النظام الاساسى للتنظيم الجديد • وبعد مناقشات امتدت طوال فترة انعقاد المؤتمر من ٢٩ الى ٣١ يوليو ، وكانت ــ كما وصفها كثير من أعضاء المؤتمر أنفسهم ــ حوارا ساخنا يعبر

عن كثير مما يدور فى الاذهان من تساؤلات ،أصدر المؤتمر توصياته كما أصدر بيانا سياسيا حدد فيه مواقفه تجاه القضايا الوطنية والقومية والعالمية . ولعلنا لا نختلف كثيرا اذا قلنا أن النظرة الموضوعية الى هذا التنظيم الشبابى الجديد يستوجب أن نضع فى الاعتبار :

أولا : أن التنظيم الشبابى لا يبنى من فراغ ، وانما هو جزء من سياق تاريخى وامتداد لتجارب سبقت عليه · وهو اما أن يستوعب دروسها ويتقدم عليها ، واما أن يكررها أو يتخلف عنها ·

ثانيا : ومع ذلك فان التنظيم الشبابى لا يبنى فى فراغ ، وانما يبنى داخل مجتمع تسيطر عليه مصالح اجتماعية محددة ،ويسوده فكر سياسى وتنظيمى معبر عن تلك المصالح ، ومن المتوقع — بداهة — أن يعكس التنظيم أوضاع المجتمع الذى ينشأ فيه ·

وربما كان من المفيد جدا أن نشير هنا الى أن التنظيم الشبابى الجديد هو المحاولة الرابعة من جانب قيادات ثورة ٢٣ يوليو لبناء منظمة سياسية للشباب المصرى منذ أعلن جمال عبد الناصر فى يناير عام ١٩٦٥ « أن الامل الحقيقى هو فى استمرار النضال ، ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ، ولحمل الامانة ومواصلة التقدم بها ، أكثر وعيا من جيل سبق ·· أكثر صلابة من جيل سبق ·· أكثر طموحا من جيل سبق » ·

ففى ٢١ يوليو عام ١٩٦٦ — وبعد عامين من الاستعداد — أعلن رسميا لاول مرة عن قيام منظمة الشباب الاشتراكى باعتبارها التنظيم السياسى للشباب فى مصر · وقدر للمنظمة أن تولد فى مناخ تميز باحتدام النضال بين طلائع الحركة الجماهيرية البازغة وبين الطبقة الطفيلية التى كانت جيوبها قد انتفخت بجزء كبير من ثمار الخطة الاولى الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية · وما كادت قوائم المنظمة ترتفع عن الارض حتى جاءت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ لتزلزل المجتمع المصرى من الاعماق ·

وبمقدار ما كانت الهزيمة فى حد ذاتها دلالة مبكرة ومؤشرا الى مشقة النضال الذى سوف يتعين على الحركة الجماهيرية أن تخوضه قبل أن تتمكن من قلب ميزان القوى لصالحها · وبدا واضحا للكثيرين حينذاك أن الثورة المصرية ، بل وحركة التحرر الوطنى العربية كلها تواجه مأزقا تاريخيا لا سبيل الى اجتيازه الا بتعميق الثورة الاجتماعية ، والانعطاف بحسم نحو مزيد من التحولات الديموقراطية فى مختلف مجالات العمل الوطنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتنظيمية باعتبار ذلك نقطة بدء لابد منها لاى مواجهة ناجحة مع العدو الامبريالى ، وكان هذا ولا شىء سواه هو جوهر التغيير المطلوب ·

وفى أوائل عام ١٩٦٨ كانت المحاولة الثانية لبناء منظمة الشباب قد تبلورت · بينما كان الصراع المرير بين الحركة الجماهيرية وبين مختلف المعوقات التى تقف فى سبيل تخطى السلبيات التى كشفتها الهزيمة ·

وفى نفس الشهر — فبراير ١٩٦٨ — الذى انتهت فيه المنظمة من وضع خطتها ، أخذت الجماهير تدعو الى التغيير الحقيقى الذى طالبت به فى ٩ ، ١٠ يونيو عام ١٩٦٧ ·

ومن المفارقات ذات المغزى أن جزءا ، وان يكن ضئيلا من قيادة المنظمة ، وكثير من أعضائها فى أوساط العمال والطلبة قد اشتركوا فى هذه الدعوة ، بشكل تلقائى ، ليطالبوا مع الجماهير بنفس مطالبها ·وبعدها اصدرت مراكز القوى قرارا بوقف نشاط المنظمة كلية بالجامعات ،ومنع الاتصال الرأسى بين مستوياتها التنظيمية ، وتحويل هيئاتها القيادية الى لجان تتبع مباشرة المستوى المقابل من تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى · أى أن المنظمة قد جمدت على حد التعبير الذى استخدم حينذاك · وبدا واضحا أننا بدلا من أن نستخدم أساليب جديدة ، تناسب الظروف الجديدة ، قد

اكتفينا بلمسة هنا ، ولمسة هناك ورحنا نلعق جراحنا فنزيدها التهابا ، وتحولت المعركة من نقطة وثوب نحو التغيير الحقيقى المطلوب الى عقبة فى وجهه ، وخطوة بعد خطوة أفرغت كل الشعارات من مضامينها التقدمية وحشيت بمضامين من نوع آخر .

وفى يناير عام ١٩٦٩ ، حينما سمح باعادة بناء المنظمة للمرة الثالثة ، خرجت التجربة الجديدة مثقلة بكل أعباء المرحلة ٠ وكان كل ما حدث هو اعادة صياغة لقرار التجميد الذى صدر عام ١٩٦٨ ، أبقى على مضمونه بالكامل ولم يغير فى شكله سوى تغييرات ضئيلة تناسب مقتضى الحال ٠

واليوم ، تجىء التجربة الرابعة لبناء تنظيم سياسى للشباب وماتزال حركة التحرر الوطنى المصرية والعربية أسيرة نفس المأزق التاريخي الذى جسدته هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، ومايزال التغيير الحقيقى المطلوب أمل تتطلع اليه الجماهير وتستعجل حدوثه ٠٠ ويدرك الجميع الان أن التغييرات الديموقراطية المنشودة هى الاساس الحقيقى فى بناء منظمة ثورية للشباب ٠

ومن المسائل الايجابية فى تقديرى أن شباب المنظمة مازال يدرك بدرجة أو بأخرى من الوضوح طبيعة هذه الازمة ، فالبرنامج السياسى يبرر قيام المنظمة فى هذه المرحلة من نضالنا الوطنى بأنه :

« ينبع من حقيقة أن هناك شوط طويل بين ما حققناه وبين ما نهدف الى تحقيقه من أجل تحرير الارض والانسان وهذا يفرض على شباب الثورة وحدته داخل تنظيم ثورى وطنى يحميه من البعثرة والتشتت » ٠

وأمام الهجمة الاستعمارية والرجعية الضارية على منجزات ثورة ٢٣ يوليو يعلن الشباب فى برنامجه السياسى تمسكه بمواثيق الثورة الرئيسية : الميثاق الوطنى ، وبرنامج ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطنى ٠

ثم يعود فى بيانه السياسى الختامى فيؤكد على حقيقتين :

أولا : أن ثورة ٢٣ يوليو خاضت أعظم معاركها من أجل تأكيد سيطرة قوى الشعب العاملة فى وطننا ، على وسائل الانتاج ووضعها فى موقع السلطة السياسية ومن ثم يحدد موقفه بأن ضمان استمرار الثورة يتطلب الحفاظ على الانجازات «الاشتراكية» لثورة يوليو ، والدفاع عنها ، وتأكيد استمرار التحول الاجتماعى .

ثانيا : أن ثورة يوليو حددت أن طريقها وسبيل أمتها الى العصر هو بمقدار ما تسهم به من جهد فى دعم حركة الثورة العالمية وتصفية الاستعمار بكل أشكاله العدوانية ٠ ومن ثم حدد الشباب موقفه من الصراع القائم فى المنطقة بأنه صراع حضارى شامل بين حركة التحرر الوطنى العربية من جانب وقوى الامبريالية والصهيونية من جانب آخر ٠ وهذا الفهم ـ كما يقول البيان ـ يؤكد ضرورة حشد الجماهير العاملة والممثلة لقوى التحالف فى اطار حرب التحرير الوطنية التى تستلزم مواجهة شاملة تستند على جهد الجماهير الشعبية ٠

وفى النهاية ، قد يكون صحيحا أن العشرة آلاف شاب الذين تضمهم عضوية المنظمة فى تجربتها الرابعة ، ليسوا الا جزءا ضئيلا من شباب مصر ، وأن المنظمة ماتزال أبعد بكثير من أن تكون معبرا حقيقيا عن حركة الشباب المصرى ٠ وقد يكون صحيحا ـ أيضا ـ أن معيار الثورية ليس هو الكلمات وحدها ، ولكن مقدرة التطبيق العملى للكلمات هى المعيار الاصدق ٠ وقد يكون صحيحا ، من ناحية ثالثة ، أن وثائق المؤتمر التأسيسى للمنظمة ومناقشاته وقراراته ماتزال توصيات أمام القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى ٠ ولكن المؤتمر مع ذلك كان علامة من علامات كثيرة تؤكد كل يوم أن شباب مصر لم ينس قضيته ٠ واذا كان هدف الشباب المصرى كله الان هو منظمة ديموقراطية حقيقية ، فان عليه ألا يكف عن النضال بمختلف الوسائل من أجل هذا الهدف ٠

ليبيا أسبوع محادثات الوحدة

عقد فى مدينة طرابلس خلال الفترة من ٥ الى ١١ اغسطس ، الاجتماعات الخاصة باستكمال خطوات الوحدة بين مصر وليبيا ، بين وفد مصر برئاسة الدكتور **عبد القادر حاتم** نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ، وبين الوفد الليبى برئاسة الرائد **عبد السلام جلود** عضو مجلس الثورة ورئيس الوزراء . ثم انضم الى وفد مصر بعد ذلك **اشرف مروان** سكرتير الرئيس لشئون المعلومات وأمين القيادة السياسية الموحدة ، الذى حمل معه رسالة شخصية من الرئيس السادات الى **الرئيس معمر القذافى** . وقد اشترك الرئيس **معمر القذافى** بنفسه فى أربعة اجتماعات فى سلسلة المحادثات بين وفدى البلدين ، التى استمرت اسبوعا واستغرقت جلساتها أكثر من ٥٠ ساعة ، كما ظل الرئيس **أنور السادات** على اتصال دائم مع الوفد المصرى لمتابعة سير المحادثات ، وذلك عن طريق الاتصال التليفونى .

وقد تم فى هذه الاجتماعات بحث الموضوعات التى كان قد اتفق عليها بين الرئيس **أنور السادات** والرئيس **معمر القذافى** أثناء زيارته لمصر فى شهر يوليو الماضى . وكان أساس هذه المحادثات هو « اعلان بنغازى » الذى صدر عن اجتماع الرئيسين المصرى والليبى فى سبتمبر ١٩٧٢ ، ونص على تحقيق الوحدة بين مصر وليبيا .

وقد ناقش الجانبان المصرى والليبى فى هذه المحادثات أعمال اللجان الفرعية للوحدة فى الفترة السابقة ، والمناقشات التى دارت فى المؤسسات الدستورية والشعبية التى حضرها الرئيس الليبى أثناء زيارته للقاهرة فى شهر يوليو الماضى . كما ناقشا ايضا التصورات الثلاثة لتحقيق الوحدة بين مصر وليبيا ، والتى سبق طرحها فى اجتماع مجلس الوزراء المصرى وحضرها الرئيس معمر القذافى .

وقد تم وضع النتائج التى انتهت اليها المناقشات والمقترحات التى وضعت لتنفيذ اعلان بنغازى وتحقيق الوحدة بين مصر وليبيا لعرضها على القيادة السياسية الموحدة المشكلة من الرئيسين **أنور السادات ومعمر القذافى** . وقد تم عرض هذه النتائج على الرئيس القذافى فى الاجتماع الاخير الذى عقده مع أعضاء الجانبين المصرى والليبى ، ثم عرضت بعد ذلك على الرئيس **أنور السادات** فى القاهرة .

وعقب انتهاء المحادثات الخاصة بالوحدة ، عقد اجتماع خاص بين **د . عبد القادر حاتم** والرائد **عبد السلام جلود** ، لبحث المسائل المتعلقة بتدعيم العلاقات بين البلدين ، وقد تم الاتفاق على مساهمة الشركات المصرية فى تنفيذ خطة التنمية فى ليبيا ، وبناء ٨٠٠٠ وحدة سكنية جديدة هذا العام ، وايفاد ١٨ الف خبير وفنى وعامل مصرى للعمل فى ليبيا ، و ٣٠٠٠ مدرس للعمل هناك . وتم الاتفاق أيضا على مد خط سكة حديد بين السلوم وطبرق ، ومد كابل بحرى بين الحدود الليبية والاسكندرية ، وذلك لتدعيم الاتصال بين البلدين .

الاحتكار الدولي للبترول : أين المفر ؟

للمرة الثانية وفى خلال اسبوع واحدتوجه الحكومة الليبية ضربة عنيفة الى شركات البترول الاستعمارية العاملة فى ليبيا ، وذلك عندما أقدمت فى ١١ أغسطس الماضى على تأميم نسبة ٥١ فى المائة من الاسهم ، والمصالح المملوكة لشركة « اوكسنتال » الامريكية ٠

وكانت الضربة الثانية فى ١٧ إغسطس عندما اقدمت على تأميم نسبة ٥١ فى المائة من مجموعة « **اواسيز** » ، وتشمل جميع الاصول والموجودات والمرافق بما فيها الابار وخطوط الانابيب،ومستودعات التخزين، وكل ما يتعلق بعقود الامتياز ٠ وتعتبر اواسيز من أكبر المجموعات المنتجة للبترول فى ليبيا وتمتلكها ٤ شركات ، ثلاث منهـا امريكية والرابعة فهى شركة شل (الهولندية ـ البريطانية) ٠

وكان قد سبق تأميم الشركة الاخيرة طلب الحكومة الليبية الى مجموعة « **أموسيز** » التى تملكها مناصفة شركتا ستاندارد أويل اوف كاليفورنيا وتيكساكو الامريكيتين ، تحديد الانتاج وخفضه من ٢٠٠ ألف برميل يوميا الى ١٠٠ ألف برميل ، وذلك كوسيلة تطبيقا من جانب الحكومة الليبية لشعار استخدام سلاح البترول عمليا وفى اتجاه الضغط على الولايات المتحدة الامريكية ٠

والمعروف ان حوالى ٩٠ فى المائة من انتاج البترول الليبى ، يتم بواسطة شركات امريكية ٠ وقد جاء قرار الحكومة الليبية بتأميم ٥١ فى المائة من شركة اوكسدنتال ومجموعة اواسيز مفاجأة بالنسبة لكارتل البترول الدولى ،فقد كانت هناك مفاوضات منذ عدة اشهر بين الحكومة الليبية وشركة اوكسدنتال ومجموعتى أواسيز واموسيز ، وتدور حول مطلب ليبيا تحقيق الاشراف الكامل على عمليات هذه الشركات ، وكانت هذه الشركات قد لجأت الى المماطلة والتعنت ، والى اتخاذ مواقف موحدة خلال المفاوضات للضغط على الحكومة الليبية واجبارها على التراجع عن مطلبها ٠ كما ان الحكومة الليبية لم تثر خلال المفاوضات موضوع التأميم على الاطلاق ، الامر الذى عد بمثابة ضربة مباغتة لهـذه الشركات الامريكية من جانب الحكومة الليبية ، وذلك تنفيذا لشعار قومية المعركة التى ترفعه ليبيا فى مواجهة التحالف الصهيونى الامريكى ، واستخلاصـا لحق الشعب الليبى فى ثروته الوطنية ٠

ولم يكن هناك مفر امام شركات البترول سوى الموافقة على قبول شروط الحكومة الليبية ، سواء بالنسبة للتأميم اوبخصوص التعويضات الممنوحة لها عن الحصص المؤممة وذلك على أساس قيمة رأس المال الثابت ، فى نظير استمرار امدادات البترول ، وخوفا من تعريض البقية الباقية من مصالحها للخطر فيما لو عارضت الشروط الليبية ٠

وقد وقعت الحكومة الليبية اتفاقا آخر مع شركة اوكسدنتال ومجموعة اواسيز،وينص على بيع حصة الحكومة الليبية من الانتاج الى هذه الشركات بسعر ٤ر٩٠ دولار للبرميل أى بزيادة ٣٠ سنتا للبرميل عن الاسعار المعلنة حاليا ٠ ولم تتخلف عن التوقيع على اتفاقية التأميم من الشركات الاربع التى تشترك فى ملكية اواسيز سوى شركة شل (الهولندية ـ البريطانية) التى طلبت الرجوع الى مقر رئاستها فى لندن ، وقد أوقفت ليبيا تصدير حصتها من البترول ٠

وفى تصريح للرائد **عبد السلام جلود** عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء الليبى فى أوائل الشهر الماضى جاء فيه :« انه قد تمت فى الماضى عملية استنزاف

ذكرت مصادر مطلعة ان الشيخ عبد الله الطريقى خبير البترول المعروف ، قد طرح على كل من العراق والكويت مسودة مشروع اتفاق لانهاء الخلافات بين البلدين ٠ وكانت « الانوار » اللبنانية قد اشارت الى ذلك عندما ذكرت ان الشيخ الطريقى ظل يتنقل بين البلدين لمدة ثلاثة اشهر ، احاط فيها مهمته بسرية تامة٠ وقد ذكرت نفس المصادر ان مسودة الاتفاق قد نالت منذ اسبوعين ، موافقة الحكومتين العراقية والكويتية فقد وافقت الكويت مؤخرا على منح العراق حق انشاء ميناء يضمن تدفق البترول العراقى الذى سيتزايد ، خلال السنتين القادمتين فى حقل الرميلة فى جنوب العراق ٠ كما تم الاتفاق على تخطيط الحدود البرية ، بما يرضى الطرفين، على ان تستثمر المناطق التى يوجد فيهـا البترول ولم تستثمر حتى الان ٠

للبترول العربى من قبل الشركات الاستعمارية ، وان الحكومة الليبية كان لابد لها من ان تحصل على أسعار عادلة من الشركات المنتجة وتحديد الانتاج ، وان ليبيا قد حصلت بأثر رجعى على ٧٩٠ مليون دولار ، وان شركات النفط كانت تريد التستر على دفع هذا المبلغ خشية ان تحذو الدول العربية المنتجة للنفط حذو ليبيا ·

وتبدى شركات البترول الاستعمارية قلقها الشديد من اجراءات التأميم الليبية ولعل اشد ماتخشاه هو انتقال المثل الليبى الى سائر الدول العربية المنتجة للبترول ، فتقتفى اثر ليبيا وتطالب بالمعاملة بالمثل · وهذا ما اشارت اليه بالفعل بعض الصحف الاجنبية ·

فقد علقت صحيفة الفينانشيال تايمز البريطانية فى عددها بتاريخ ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٧٣) ، على موضوع التأميمات الليبية بقولها : « **ان قوة ليبيا التى اكتسبتها ليست باعتبارها دولة منتجة للبترول من النوع الممتاز فحسب ، بل ان قوة ليبيا أصبحت الان فى قدرتها على تقويض الاتفاقيات التى تم التوصل اليها فى أماكن أخرى** » ·

□

الصراع العربى الاسرائيلى

ما الذى يجرى على جانبى الخندق ؟

بعد مضى ثلاث سنوات على وقف اطلاق النار فى جبهة قناة السويس تشهد ساحة الصراع العربى الاسرائيلى الظواهر الاساسية التالية :

أولهما ـ تصاعد نشاط المقاومة الفلسطينية وازدياد عملياتها داخل الارض المحتلة ، واتساع جبهة العمل السياسى للمقاومة ·

ثانيهما ـ استمرار التحرك المصرى الواسع من أجل تعبئة الراى العام العالمى والوصول الى حد مقبول من وحدة العمل العربى ·

ثالثهما ـ وفى مواجهة هذا وعلى الجانب الاخر من الساحة ، تندفع اسرائيل فى عنف محموم لتنفيذ مخطط اسرائيلى أمريكى ، يهدف الى تصفية المقاومة الفلسطينية وتشويه نضالها أمام شعوب العالم ·

وفى نفس الوقت تعمل اسرائيل ـ مدعوة بالمساندة الامريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية ـ على تنفيذ مخططها الرامى الى تصفية الوجود الفلسطينى ذاته ، وابتلاع الاراضى العربية المحتلة ، وفرض ما يسمى « بحقائق الامر الواقع » متجاهلة مبادىء القانون الدولى وقرارات الامم المتحدة واجماع الرأى العام العالمى ·

والواقع ، ان المقاومة الفلسطينية استطاعت أن تعيد تنظيم صفوفها ، بعد ما تعرضت له من مذابح فى الاردن ـ وبالرغم من الضربات العنيفة التى وجهتها اسرائيل الى معسكرات اللاجئين ومراكز تجمعات المقاومة فى لبنان ـ تلك الضربات التى بلغت ذروتها بالهجوم الاسرائيلى على بيروت واغتيال ثلاثة من قادة المقاومة ونسف مقر الجبهة الشعبية ·

لقد اذاعت وكالة أ · ب · الامريكية فى ١١ـ٧ـ بيانا لوكالة الانباء الفلسطينية اعلنت فيه « **أنه تم وضع استراتيجية جديدة للاعمال الفدائية داخل اسرائيل ، بحيث تعتمد على العناصر العربية**

الموجودة داخل اسرائيل – فعلا – مع تجنيد أكبر عدد ممكن من اليهود لخدمة القضية الفلسطينية ، واستخدام المتفجرات المصنوعة فى اسرائيل والاراضى المحتلة •

وأكدت الاسوشيتد برس ، أن الفدائيين يصعدون عملياتهم داخل الاراضى المحتلة وخارج اسرائيل ، وأن خطتهم تقوم على الضرب – أولا – لا انتظار ضربات اسرائيل ثم الرد عليها » •

واعترف الاسرائيليون أنفسهم بهذه الحقيقة على لسان الجنرال **أهارون ياريف** مستشار **مائير** لشئون الامن ، عندما صرح فى ٧–٧– بقوله : « **ينبغى ألا نستهين بالفدائيين •• فانهم يدخلون تحسينات مستمرة على وسائلهم ويستخلصون الدروس من أخطائهم** » •

وأعلن **ياريف** بأن الفدائيين الفلسطينيين قد نجحوا فى ١٢ عملية من ٤٨ عملية خططوا لها . وأعلنت المقاومة أن عدد العمليات التى قامت بها خلال السبعة شهور الماضية داخل الارض المحتلة بلغت ١٠٥ عملية منها ١١ عملية فى تل أبيب ذاتها •

ومن أهم هذه العمليات تدمير مجمع الضغط العالى الذى يزود تل ابيب وضواحيها بالكهرباء ، وتدمير جزء من مجمع معامل البتروكيماويات الاسرائيلى فى شمال شرق حيفا ، وكذلك تعدد عمليات الاعتداء على الجنود الاسرائيليين وخطف سلاحهم . ونسف وسائل المواصلات ومهاجمة الدوريات العسكرية الاسرائيلية ، وتفجير أماكن التجمعات والاندية •

والى جانب تصاعد العمليات الفدائية داخل الاراضى المحتلة وخارجها ، اتسعت جبهة النضال السياسى للمقاومة الفلسطينية : فقد زادت المقاومة من تلاحمها مع القوى الوطنية والديمقراطية فى لبنان مما شكل حتى الان عائقا أمام نجاح هجمات الدوائر الرجعية الساعية الى التخلص من وجود المقاومة فى لبنان •

وواصلت قيادات المقاومة مناقشاتها مع الحكومات العربية المعنية بأوضاع المقاومة ومستقبلها •

وقد اذاعت وكالة الانباء الفرنسية فى ١٤–٧ تعقيبا **لياسر عرفات** أعلن فيه « أن هدفنا هو انشاء دولة ديمقراطية غير عنصرية ، وسوف تواصل الثورة نضالها من أجل هذا الهدف •• ولن نلتزم بأى مبادرة خارج أطار مفاهيمها » • **وكان عرفات** يعلق على بعض المشروعات التونسية والجزائرية الخاصة بانشاء دولة فلسطينية ، ومن المعروف ان عرفات سافر الى موسكو خلال أغسطس لمقابلة القادة السوفييت •

● ● ●

وازاء تصاعد النضال العسكرى والسياسى للمقاومة الفلسطينية بدأت خطة اسرائيلية أمريكية للقضاء على المقاومة • وجاء قرار اسرائيل بتعيين البريجادير **اسرائيل ليور** (٥٢ سنة) قائدا للعمليات الحربية ضد الفدائيين العرب خلفا **لاهارون ياريف** الذى استقال « ليشتغل بالسياسة » تعبيرا عن الاهمية التى تعلقها اسرائيل على الحرب ضد الفدائيين •

وتلجأ اسرائيل فىحربها المحمومة ضد الفدائيين الفلسطينيين الى كل الوسائل الغادرة ، ومن أبرز ملامحها :

١ – تشكيل فرقة اغتيالات خاصة – مهمتها اغتيال زعماء حركة المقاومة فى أوروبا – وقدرت مجلة تايم الامريكية أن عدد الذين تم اغتيالهم فى أوروبا ١٣ عربيا ، كان آخرهم المواطن المغربى **أحمد بوشيكى** •

٢ – قيام الحكومة الاسرائيلية باستخدام طائراتها الحربية فى اختطاف طائرات مدنية بحثا عن زعماء المقاومة ، واصرار **جولدا مائير وديان** وكل زعماء اسرائيل على التبجح بارتكاب حادث اختطاف الطائرة العراقية يوم ١٠–٨ من أجواء لبنان بهدف اغتيال الدكتور جورج حبش وزملائه . ويرى المراقبون أن اصرار القادة الاسرائيليين على الاعلان بأنهم سيواصلون هذا النوع من اعمال القرصنة رغم الادانة الجماعية التى أعلنها مجلس الامن لهذه العملية فى ١٥–٨ ، يؤكد أن النية مبيتة على العدوان على سوريا ولبنان لضرب مراكز المقاومة الى جانب مواصلة خطة الاغتيالات •

٣ – تدبير حوادث خطف طائرات ونسفها (الطائرة الجامبو اليابانية) واغتيال المسافرين غير الاسرائيليين (حادث مطار أثينا) ونسبة هذه الحوادث لمنظمات المقاومة •

وقد أعلنت صحيفة الثورة الفلسطينية الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، أن التحقيقات أثبتت أن أية منظمة فلسطينية لم تشترك فى حادث مطار أثينا •

ونقلت وكالة ى . ب . ا . فى ٣٠ – ٧ تصريحا

لياسر عرفات أعلن فيه « أن ليبيا على حق فى قرارها بمحاكمة خاطفى الطائرة اليابانيه ، وأن على الفدائيين العرب تجنب الافعال الطائشة مثل خطف الطائرات فى نضالهم ضد اسرائيل » ٠

٤ ـ ممارسة ضغط عنيف على لبنان ومحاولة التأثير فى موقف الحكومات اللبنانية من المقاومة ٠ وكان آخر هذه المحاولات قيام عدة تشكيلات من الطيران الاسرائيلى باختراق حاجز الصوت عدة مرات ـ على ارتفاعات عالية جدا فوق بيروت وصيدا ولمدة ساعتين يوم تشكيل وزارة **تقى الدين الصلح** ، وبلغت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان ١٠٤ عدوانا خلال الشهور الثمانية من مستهل العام حتى الان (٢٠ـ٨) ٠

هذا وقد أعلن **ياسر عرفات** فى لقائه مع الصحفيين المصريين أن المقاومة تقاتل ضد ثلاث أجهزة : جهاز أمريكى برأسه كيسنجر مستشار **نيكسون** وجهاز اسرائيلى يتبع جولدا مائير مباشرة ، وجهاز أردنى يتزعمه الامير الحسن ٠

كما نشرت الهيرالدتريبون الامريكية أن أجهزة المخابرات الغربية والاسرائيلية تتبادل المعلومات حول نشاط الفدائيين ، وأن نيكسون يجند وكالة المخابرات المركزية فى الشرق الاوسط لهذه المهمة ضمن مهامها الاخرى ، وان مكتب التحقيقات الفيدرالى (المباحث الجنائية) معبأ لرصد تحركات الفلسطينيين ٠

●●●

وبينما تندفع اسرائيل فى عنف لتنفيذ مخطط ابادة فصائل المقاومة تتقدم أيضا فى اصرار وثبات لتنفيذ مخططها البعيد المدى الذى يستهدف تغيير الواقع الجغرافى والسكانى والاقتصادى للارض العربية المحتلة ٠

ففى منتصف أغسطس ، وبعد شهور من المناقشات العلنية توصل حزب العمل الاسرائيلى الحاكم لحل وسط بين مشروع **ديان** ومشاريع خصوم **سابير وآلون** ٠ وكان **ديان** قد أعلن أنه لن يستطيع الدخول فى الانتخابات التى سوف تجرى فى نوفمبر القادم ، على قائمة حزب العمل الحاكم ، ما لم توافق الحكومة على برنامجه ٠

ويستهدف البرنامج الذى تم الاتفاق حوله ، وضع خريطة جديدة لاسرائيل ، بحيث تضم قطاعات من الاراضى العربية المحتلة ، كما تشمل اقامة ميناء باسم (**ياميت**) فى منطقة رفح ٠ كما يتضمن السماح لليهود بشراء الاراضى من العرب فى المناطق الخاضعة للاحتلال الاسرائيلى ، وزيادة ادماج القوة العاملة العربية فى الاقتصاد الاسرائيلى ٠

ولا يخفى قادة اسرائيل على اختلافهم ، الاهداف التى يسعون اليها ٠

ففى برقية لوكالة الانباء الفرنسية من البرازيل فى ١١ـ٨ تحدث **أبا ايبان** عن الاهمية الحيوية الاستراتيجية والاقتصادية التى تمثلها منطقتان من الاراضى المحتلة بالنسبة لاسرائيل ، وهما شرم الشيخ التى يرد عن طريقها بترول الخليج الى اسرائيل ، ومرتفعات الجولان على الحدود السورية ٠

وفى برقية لرويتر بتاريخ ١٨ـ٧ صرح **اسرائيل جاليلى** بانه ستقام مستعمرات جديدة فى مرتفعات الجولان وعلى طول نهر الاردن وفى منطقة رفح شمال وشرق سيناء ٠ وقال فى تصريحه أن المستعمرات الاسرائيلية ينبغى أن تشير الى الحدود التى تستهدفها اسرائيل وفقا لاتفاقية السلام ٠

وفى ١٨ـ٧ نقلت وكالة الانباء الفرنسية تصريحا **لشيمون بيريز** وزير المواصلات الاسرائيلى فى مؤتمر صحفى ، قال فيه أن مطار شرم الشيخ الذى بناه الاسرائيليون يمكنه أن يستقبل طائرات البوينج ٧٠٧ والطائرات الاخرى من نفس الحجم ، وأن شركة **العال** الاسرائيلية ستقيم خلال الخمسة أو الستة شهور القادمة خطا جويا مباشرا بين أوروبا وشرم الشيخ ٠

وصرح **بيريز** أن اسرائيل تستعد لبناء مطار دولى ضخم فى أواخر هذا القرن فى مدينة رفح الواقعة بين غزة وسيناء على مقربة من المدينة الساحلية (ياميت) التى يعتزم الاسرائيليون انشاءها ٠

وفى ١٩ـ٧ نقلت وكالة رويتر تصريحا لاسرائيل جاليلى وزير الدولة الاسرائيلى قال فيه أن الحكومة بصدد بناء مستعمرات فى مرتفعات الجولان وعلى امتداد نهر الاردن ومنطقة رفح وشمالى سيناء ٠ واضاف أن تخطيط مناطق هذه المستعمرات سوف يشير الى خط الحدود التى تهدف اسرائيل اليه فى أية تسوية سلمية ٠

وفى حديث **لديان** مع مجلة تايم الامريكية فى ٢٤ـ٧ أعلن :

« ان شرم الشيخ غير ضرورى لمصر ، وسنسيطر على المضيق المؤدى من ايلات الى بور سعيد ،

وسيأتي يوم تصبح فيه لدى مصر قيادة مستعدة للبدء بالمفاوضات » .

ونشرت جريدة جيروزاليم بوست الاسرائيلية أن الخطط الموضوعة تقضي باقامة ستة قرى فى الوقت الراهن فى المنطقة الواقعة بين العريش وغزة ومنطقة الحدود السابقة التي كانت تفصل غزة عن سيناء ، وستنشىء هذه القرى حول مركز اقليمي يطلق عليه اسم (ايشالوم) ، وقد قامت اسرائيل ببناء مستعمرتين داخل قطاع غزة أولهما عند وادي غزة والاخرى بين غزة وخان يونس .

وأكد ديان فى ١٢ ــ ٨ ان ميناء (ياميت) سوف يكون له الاولية عن أية احتياجات اخرى وانه سوف يكون بمثابة حاجز بين غزة والعريش فى الجنوب وسوف يكون انشاؤه أحد النقاط فى أية حدود تقام فى المستقبل بين اسرائيل ومصر فى اطار محادثات السلام .

كما اعلن ديان فى نفس التصريح انه يتعين ان تقام بين بئر سبع والبحر الابيض المتوسط مجموعة من المناطق السكانية تفصل سكان غزة عن الجزء الذى قد يعاد لمصر من سيناء . وأكد انه خلال الاشهر الاربعة القادمة سيتم تحقيق عدة مشاريع للتنمية الصناعية فى مدينة ياميت فى قطاع رفح .

ويقدر بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي تكاليف الميناء المقترح اقامته عند مشارف رفح بمائة مليون جنيه استرليني . وسوف يمتد اليه طريق طوله ٨٠ ك وسوف يتم انجازه خلال ستة شهور .

وفي برقية و . أ . ف فى ٢٢ ــ ٧ من تل ابيب ان صحيفة ها آرتز الاسرائيلية كتبت أن صفقات عقارية ضخمة تجرى من جديد فى الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن بين أصحاب الاراضى العرب والصندوق القومي اليهودى بعد أن كانت قد توقفت تماما منذ ثلاثة اشهر .. وكانت الحكومة الاسرائيلية قد حظرت هذه الصفقات على الافراد الاسرائيليين وقصرتها على الحكومة والهيئات العامة .

والمعروف ان الصندوق القومي اليهودى الذى انشأته المنظمة الصهيونية العالمية قد اشترى جميع الاراضى التى استوطن فيها اليهود قبل عام ١٩٤٨ ويقوم الصندوق حاليا بشراء الاراضي فى منطقة القدس وبوش وجنوبى غربى القدس .

وتواصل سلطات الاحتلال الاسرائيلي الاستيلاء على الاراضى بدعوى استغلالها لاغراض عسكرية . وكان آخرها الاستيلاء على ٣٥ ألف هكتار من مزارع الكروم فى بيت لحم بالضفة الغربية المحتلة (و . ف فى ١٦ ــ ٧) .

وتقدر الجيرازيلم بوست فى ملحقها بتاريخ ١٣ ــ ٤ ــ ٧٣ مساحة الاراضى التى استولت عليها سلطات الاحتلال على النحو التالى :

من مجموع اراضى الضفة الغربية البالغة ٦ ملايين دونم استولت اسرائيل على ٤٢٧ر١٠٠ مليون دونم موزعة بين املاك الدولة واملاك الغائبين والاراضى المصادرة واراضى مشتراه .

أما فى قطاع غزة البالغة مساحته ٣٦٢ر٩٢٣ دونم فقد استولى الاسرائيليون على ١١٩ر٢٤٤ دونما ــ نصفها فى المناطق المدنية والمزارع بالاضافة الى ٢٢ر٣٥٨ من الطرق و ٥١٥٢٦ دونما من الشواطيء ــ ولا تضم المناطق المشار اليها ما يسمى بالمناطق المقلقة لاسباب الامن كأراضى بيت سامور [٧٠ الف دونم] واراضى عقربة والاغوار .

ــ ولا يخفي اسحاق رابين سفير اسرائيل السابق فى واشنطون عن قلقه وقلق الاسرائيليين ازاء ما وصفه بوجود الواقع السياسى الفلسطيني الذى قال انه من خلاله اصبحت القضية الفلسطينية نواة النزاع العربي الاسرائيلي (جمهورية ٨ ــ ٧) .

ومن أجل هذا تسعى اسرائيل الى تصفية الوجود البشرى الفلسطيني فى الاراضى المحتلة ــ فالى جانب موجات الاعتقال الواسعة النطاق فى ضفة الاردن الغربية وقطاع غزة بحجة البحث عن فدائيين وأسلحة ، واقتحام المنازل ونسفها ، والاستيلاء على آلاف الدونمات من الاراضى وطرد أصحابها بحجة استخدامها للاغراض العسكرية ومحاولات حمل العرب على الهجرة بواسطة جمعيات اسرائيلية تعرض اجورا مجزية للرجال من سن ١٨ الى ٤٥ سنة ــ الى جانب هذا كله تعمل على ربط العرب اقتصاديا عن طريق منعهم من العمل فى المزارع وارغامهم على هجرتها ، والذهاب للعمل فى مصانع اسرائيل بأجور مرتفعة وانخفضت نسبة البطالة الى أقل من ٣ فى المائة . ويتم اغراء الشباب والتلاميذ بالاجور المرتفعة لترك الدراسة والتحول الى اجراء والعمل على خلق زعامات محلية فى مواجهة حركة النضال الفلسطيني المسلح .

● ● ●

وفى الامم المتحدة كشفت المناقشة الشاملة التى أجراها مجلس الامن ــ على أن سعى العرب لازالة

آثار العدوان لم تحظ باهتمام وتأييد منذ عام ١٩٦٧ ، مثل ما حظى به خلال المناقشة الاخيرة للازمة .

لقد استخدمت الولايات المتحدة الامـريكية (الفيتو) فى ٢٦ ـ ٧ ضد مشروع القرار الذى قدمته الدول غير المنحازة الى مجلس الامن والذى تضمن استنكارا لاستمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية ويطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضى التى احتلتها خلال حرب ١٩٦٧ .

وقد بات من الواضح تماما ان هناك اغلبية ساحقة من الدول وليست الدول العربية وحدها ، تؤمن أن سياسة الامر الواقع فى الاراضى المحتلة وبالمثل طلبات تعديل الحدود ـ لا يمكن أن تتفق مع القرار ٢٤٢ ، وانها تمثل عقبة جـدية فى وجه السلام » .

وفى أعقاب مناقشات مجلس الامن للعدوان الاسرائيلى وما كشفت عنه من اتجاهات ، واصلت مصر تحركها السياسى الواسع .

فقد بادر **الرئيس أنور السادات** بارسال رسائل شخصية لرؤساء الدول التى وقفت بجانبنا فى مجلس الامن ، وتضمنت الرسائل تقدير موقف تلك الدول خلال مناقشة مجلس الامن للعـدوان الاسرائيلى وتأييد هذه الدول للانسحاب الكامل لاسرائيل من جميع الاراضى المحتلة ـ وضمان حقوق وامانى الشعب الفلسطينى .

وفى اطار التحرك السياسى الذى أعقـب مناقشات مجلس الامن اكتسبت زيارة **حـافظ اسماعيل** مستشار **الرئيس انور السادات** لشئون الامن القومى ـ لكل من رومانيا ويـوغوسلافيا أهمية خاصة .

فرومانيا هى الدولة الوحيدة فـى المعسكر الاشتراكى التى لها علاقات دبلوماسية مـع اسرائيل . وكان **الرئيس شاوشيسكو** قد قام بزيارة لمصر ، وقامت جولدامائير بزيارة لرومانيا وابدى الرئيس الرومانى اهتماما دائما بالمساعدة على ايجاد حل للازمة ، وهذا ما اكده سفير رومانيا فى مصر ، فى مؤتمره الاخير .

وقد وصل **كورت فالدهايم** سكرتير عام الامم المتحدة الى رومانيا لاجراء مباحثات مع وزير خارجية رومانيا ـ فى فترة زيارة **حافظ اسماعيل** ولقاءاته مع **الرئيس شاوشيسكو** .

وكان فالدهايم قد أعلن قبل ذلك عن « اعتزامه زيارة دول المنطقة ليرى ما يمكن ان يفعله للخروج من حالة الجمود التى تجتازها الازمة فى الوقت الحاضر » .

واعلنت مصر انها ترحب بزيارة فالدهايم (التى يفترض أن تتم فى الاسبوع الاخير من اغسطس) على أساس انها تتم فى اطار قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، ومهمة **الدكتور يارنج** .

كما رحبت سوريا بزيارة فالدهايم مؤكدة على أن زيارة فالدهايم لا تعنى بأى حال قبولها حتى ولو جزئيا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ أو لمهمة الدكتور يارنج المبعوث الدولى .

اما اسرائيل فقد وافقت على ان تتم رحلة فالدهايم دون التزام علنى من جانبه بمذكرة يارنج او قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . واعلن ابا ايبان ان اسرائيل لن يكون لديها اقتراحات جديدة تقدمها لفالدهايم « لان لدينا اقتراحنا الدائم بشأن اجراء المفاوضات ولا يوجد هناك حل آخر » .

وعلى مستوى دول المـواجهة واسـتكمالا للمناقشات التى أجراها **عبد المنعم الرفاعى** مرتين فى القاهرة ـ بوصفه ممثلا شخصيا **للملك حسين** ـ بعث الرئيس السادات بممثله الشخصى **د . حسن صبرى الخولى** الى عمان ثـم الى دمشق .

وجاء فى تصريحات الدكتور الخـولى أن مباحثاته تنطلق من وجوب تجميع الطاقات من أجل المعركة فى هذه الظروف المصيرية لان الموقف لا يتحمل ترددا أو خلافات فى مواجهة العدوان الاسرائيلى الذى تدعمه وتؤيده أمريكا بلا حدود ، وأن مباحثاته كانت استمرارا لموقف مصر من قضية فلسطين والمحافظة على كافة الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

وقد وصف المراقبون مهمة الدكتور الخولى فى عمان « بأنها تنقل الحوار الصامت الدائر منذ بعض الوقت بين مصر والاردن الى دائرة أكثر وضوحا » .

وبالرغم من أن الاردن يسعى لكسر العزلة التى يعيش فيها بسبب علاقاته الدبلوماسية المقطوعة أو المجمدة مع أكثر من نصف الدول العـربية واستمرار موقف الدعم العربى ـ فان عبد المنعم الرفاعى الممثل الشخصى للملك حسين نفى ما نشرته بعض الصحف من أن الملك حسين وافق على شروط القاهرة .

وصرح الدكتور الخولى بعد اجتماعه بالملك

حسين ورئيس وزراء الاردن بأن هناك أملا كبيرا فى أن نرى الاهداف المشتركة تتحقق فى المرحلة الحرجة التى نجتازها ٠

وفى دمشق أكد مراسل وكالة أنباء الشرق الاوسط أنه تم التوصل الى اتفاق حول عدة أمور محددة ، وأن وجهات النظر التقت حول العديد من القضايا ذات الاهمية المشتركة ، وأن قيادة المقاومة الفلسطينية على اطلاع مستمر على فحوى الاتصالات الجارية ٠

ويرى المراقبون أن ردود الفعل العصبية الاسرائيلية كما تمثلت فى خطف الطائرات ، واصرار المسئولين الاسرائيليين واعلانهم عن مواصلة هذه الاعمال ، يعتبر مؤشرا هاما على التحركات المقبلة للعدو الصهيونى ٠ وأن هذه التحركات سوف تزداد فى اتجاه :

ـ تدبير المزيد من الاعتداءات والاستفزازات على سوريا ولبنان والمقاومة ٠

ـ استغلال ردود الفعل التى تثيرها هذه الاستفزازات لمفاجأة الجبهات العربية بضربات غادرة ٠

□

قبرص

هل ينجح عملاء الاستعمار فى عزل مكاريوس ؟

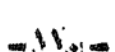
مهما قيل (وما أكثر الاقوال المتضاربة) عن الدور الذى لعبه جنرال قبرص العجوز ـ جورج جريفاس ـ فى تاريخ قبرص ، ومهما قيل عن دوره ودور رجال منظمته « ايوكا » ضد البريطانيين ، الا أن الاحداث الاخيرة فى الجزيرة خلال الشهرين الماضيين افقدته كل ماحصل عليه من « تقدير » أن بحق أو بغير حق داخل بلاده وخارجها ٠

لقد قبل على نفسه ـ باسم الوحدة مع اليونان ـ ان يتحول الى عميل للاستعمار ولاسرائيل ٠٠ ! واستخدم من أجل تحقيق « الوحدة » التى يتادى بها أو ينادون له بها كل الاساليب السياسية والدينية للاطاحة بالرئيس القبرصى مكاريوس ونظامه القائم على سياسة عدم الانحياز والوقوف ضد الاحلاف ، وعدم القبول لبلاده بأن تستخدم قاعدة للعدوان على الدول الصديقة والمجاورة له ٠٠

مكاريوس

ان عمليات اختطاف المسئولين القبارصة ، والحرائق التى اشعلها مؤيديه من رجال منظمة أيوكا واثارة المواطنين على النظام ثم الاتجاه الى رجال الدين وحثهم على عزل الرئيس مكاريوس عن منصبه الدينى ، كل هذه المحاولات انتهت بالفشل ، ولم يبق عنده ـ بعد ذلك ـ غير التصفية الجسدية بعد فشل الاسلوب السياسى والدينى ، واكتشفت محاولة اغتيال الرئيس مكاريوس بواسطة عملاء جريفاس قبل ساعات من تنفيذها ، وقبض البوليس القبرصى على معاونى جريفاس وهم يستعدون لتنفيذ جريمتهم وضبط معهم مجموعة من الاسلحة والذخائر جاءت كلها من اسرائيل ـ حسب اعترافهم ٠

ان الجنرال جريفاس يطالب بمنح الشعب القبرصى « الحرية السياسية للاعراب عن رغبته بشأن مسألة الوحدة » ويطالب أيضا ، باجراء انتخابات للرئاسة ، ويتطلب ذلك من الرئيس مكاريوس أن يختار بين دوره كرجل دين أو كسياسى ، كما يطالب بالافراج عن جميع المعتقلين السياسيين من أعوانه واعادة رجال البوليس الذين تم استبعادهم


جريفاس

بعد أن ثبت تواطؤهم من الاحداث الاخيرة وتعاونهم مع رجال أيوكا . وليس غريبا أن يرفض الرئيس مكاريوس كل هذه المطالب ، ويعلن فى بيان استنكاره لكل ما قام به حليفه القديم – جريفاس – الذى وصل به الامر لتدبير عملية لاغتياله ، وتعهد بعد ذلك بأنه سيستمر فى خدمة بلاده ، وأنه أكثر تصميما من أى وقت مضى على مواجهة الارهاب بالارهاب .

ان التصعيد الاخير لعمليات الارهاب فى جزيرة قبرص والذى يأتى فى الوقت الذى تزداد فيه الاهمية الاستراتيجية للجزيرة يكشف مؤامرات الامبريالية العالمية وأهدافها العدوانية فى الشرق الاوسط ، ويلقى تأييد اسرائيل والصهيونية ومن أجل اسقاط حكومة الرئيس مكاريوس ، وتحويل الجزيرة الى قاعدة عدوانية ضد الشعوب العربية وشعوب البحر الابيض المتوسط . وقد فسرت الاضطرابات الاخيرة بما فيها الاعتداءات على العرب هذا المخطط الذى تعمل له منظمة أيوكا ويلقى التأييد من الحكم العسكرى فى اليونان القاعدة الضخمة لحلف الاطلنطى ، كما لا تعارضه تركيا أيضا عضو حلف الاطلنطى ، رغم أن ٢٠ فى المائة من سكان الجزيرة من الاتراك ، ورغم أنهم كانوا يرفضون قبل ذلك انضمام الجزيرة الى اليونان ، لان ذلك سيؤثر على مصالحهم . ان الاوساط الحاكمة فى اليونان ، وحلف الاطلنطى ، ومن ورائه الولايات المتحدة ، يرفضون باصرار استقلال جزيرة قبرص ودورها الايجابى فى الشئون الدولية وخاصة بالنسبة لقضية الشرق الاوسط وموقفها من العدوان الاسرائيلى على العرب .

ان انضمام الجزيرة لليونان أو تقسيمها ليست هى القضية الاساسية . لان وحدة قبرص واستقلالها أمرا لا يمكن تغييره الان ، وهو واقع معترف به من جميع الاطراف فى الجزيرة ، لكن الشىء الذى لا يمكن قبوله – من الولايات المتحدة ومن ورائها اسرائيل – أن تكون للجزيرة سياستها المستقلة بعيدا عن مخططات الامبريالية ..

والسؤال الان : هل ستنجح مؤامرات الاستعمار فى الاطاحة بالرئيس مكاريوس ، وتحويلها قاعدة أخرى للعدوان الامريكى الاسرائيلى على شعوب البحر الابيض والدول العربية .. ؟

ان جميع التوقعات تستبعد تماما أى نجاح لجريفاس لتصفية القوى الوطنية فى الجزيرة ، وقد اثبتت جميع المحاولات السابقة وقوف الشعب القبرصى صفا واحدا الى جانب زعيمه الذى قاده الى النصر والى الاستقلال ورفض التبعية للاستعمار عن طريق استخدام اراضيه قواعد للعدوان على الشعوب المحبة للسلام .

□

المانيا الديمقراطية

لحظة الوداع : مهرجان الشباب العظيم

ولد فى ٣٠ يونيو ١٨٩٣ ، ومات فى اغسطس ١٩٧٣ ..

وعبر هذه الرحلة الطويلة خاض المناضل **والتر أولبريشت** ، نجار الاثاث البسيط معركة مستمرة من أجل شعبه ومن أجل المبادىء التى آمن بها والتى بدأ كفاحه فى سبيلها منذ عام ١٩٠٨ عندما انضم الى منظمة الشباب الاشتراكية العمالية .. وبعدها بأربعة سنوات اصبح **أولبريشت** عضوا بالحزب الاشتراكى الديمقراطى

الالمانى ، وفى الصراع الحزبى الذى احتدم حول موضوع الحرب العالمية الاولى وموقف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية منـها . **كان أولبريشت** فى الجانب الصحيح جانب **لينين وكارل ليبنخت** .

ثم شـارك فى تأسيس فـرع رابطـة سبارتاكوس [الحزب الشيوعى الالمانى] فى مسقط راسه ليبزج فى يناير ١٩١٩ .

ويمضى شريط احداث طويل وحـافل بالتضحية والكفاح :

- عضو فى مـؤتمر الكومنتـرن الرابع [١٩٢٢]
- عضو اللجنة المركزية للحـزب الشيوعى الالمانى [١٩٢٣]
- عضـو اللجنـة التنفيـذية للكومنترن [١٩٢٩]
- عضـو فـى مجلس النـواب الالمانى [١٩٣٣]
- عضو سكرتارية اللجنة المـركزية للحزب الشيوعى الالمانى [١٩٣٣]

وبدات المعركة الرهيبة فى مواجهـة النازية ..

واذا كان العالم كله قد عانى من ويلات الهتلرية ، فان **أولبريشت** كان واحدا من رجال قلائل قادوا الكتيبة التى تلقت الصدمات الاولى من الهتلرية والذى كافح ببطولة نـادرة فى مواجهـة ابشع معركة شهدها التاريخ .

وقدم الحزب الشيوعى الالمانى تضحيات تفـوق الخيال من خـلال مثابرته الدؤوبة واصراره العنيد على رفض النازية ، وعلى تحديها ـــ وعلى مواصلة المعركة ضدها .

وكان الرفاق الالمان يعرفون انهم يخوضون معركة وحشية ، وان عـدوهم سوف ينال منهم الكثير . ولكنها معـركة مؤكدة الانتصار . كانوا يعرفون ان تضحياتهم سوف تفوق كل خيال ، لكنهم كانوا يعلمون انهم يفتدون الانسانية كلها بتضحياتهم ، وانهم يفتدون ـــ ايضا ـــ شرف الشـعب الالمـانى وحتى لا تبقى الهتلرية النـموذج الوحيد البارز فيه . واستمر **أولبريشت** طوال هذه الفترة واحدا من القادة الاساسيين لذلك النضال العظيم (•)

وهزمت الهتلرية (•:•)

ويكتب **أولبريشت** قائلا « ان هـزيمة الهتلرية كانت حتمية ، ولكن كان من الممكن أن تصبح هزيمة هتلر نصرا تاريخيا عظيمـا لشعبنا الالمانى فيما لو ادرك كيف يستغل الضعف العسكرى للنظام الهتلرى ويطيح بالنظام النازى بقوته الخاصة »

وهزمت المانيا فى الحرب ..

ويعترف **أولبريشت** بشجاعة بمسئولية الشعب الالمانى فى كل ما وقع .. « ان مأساة الشـعب الالمانى تكمن فى ان اطاع عصابة من المجرمين . وهذا افظع ما فى الامر ، ان ادراك هذا الخطأ هو الشرط الاساسى لكى يقوم شعبنا بقطع كل صلة له بالماضى الرجعى والسير بعزم وثبات على طريق جديد » [**أولبريشت** : برنـامج النـظام الديمقراطى المعادى للفاشية ـــ ١٩٤٥] .

وانتهت المعركة ضد الهتلرية .. لتبدا معركة بناء المانيا الجديدة ، نموذج آخـر جديد قادر على محو وصمـة الهتلرية من جبين الشـعب الالمانى ، ويؤكد قدرة الشعب الالمانى على ان يقـدم للانسانية بديلا عن الهتلرية . كفاح دائب من أجل السلام العالمى ، وبناء اقتصـاد ناجح .. ويكتب **أولبريشت** « ان أكثر المهام الحاحا هى ايضاح برنامج عملنا للشعب ، واطلاق جميع قوى الشعب من أجل اكمال مهـام

البناء الهائلة والتى يتطلبها ميلاد وبناء شعبنا الجديد » [**اولبريشت** : حول تاريخ الحركة العمالية الالمانية] .

وكانت نقطة البدء هى وحدة كل قوى الشعب ، المانيا الديمقراطيــة فى معركة البناء ، وادرك **اولبريشت** أن نواة هـذه الوحدة هى توحيد القوى الاشتراكية الممثلة فى الحزب الشيوعى الالمانى والحـــزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى ، ذلك ان « النضال فى ســبيل نظام ديمقراطى جديد فى المانيا هو بالدرجة الاولى قضية الوحدة بين الحزبين العماليين ، ووحـدة القوى والمنظمات الديمقراطيـــة المعـادية للفاشية » [المهام المقبلة للحزب الشيوعى الالمانى ـ ١٩٤٥]

وتوحدت الصفوف ، وانخرطت جميعا فى معركة بناء اسطورية قفزت بـالمانيا الديمقراطية الى مصـــاف واحدة من اكبر الدول الصناعية فى العالم ، وأكثرها قدرة على زيادة معدلات الانتاج وكفاءة العمـل وتنظيمه ..

وتحت القيادة الدؤوبة والمثابرة **لوالتر اولبريشت** **بنيت المانيا الديمقـراطية**، وبرزت الى الوجود صورة جديدة للانسان الالمانى ، ليس جنديا فى فرق العاصفة ، وانما واحدا من أخلص المناضلين من أجل سلام العالم ، ومن اكثر العــاملين كفاءة ودقة .

واذا كان الرجعيون فى المانيا الاتحادية من بقايا النازى الـذين اضطهدوا اليهود يستشعرون عقدة الذنب ــ أو يتظاهرون بذلك ــ فيقدمون مساعدات وتعويضـــات لا حصر الى اسرائيل ، فان **اولبريشت** قدخط لالمانيا الديمقراطية طريقا يرفض ايــة مسئولية للشعب الالمانى عن أعمال اضطهاد اليهود ، ويرفض حـق اسرائيل فى تلقى التعويضات نيابة عن يهود العالم .

وبعـــد عـــدوان ١٩٦٧ وقف **اولبريشت** يقول : « ان صداقتنا للجمهورية العربيــة المتحدة والدول العربيـــة الاخـــرى ليست صداقة مقصورة على الايام الحلوة ، بــل انها تمتد الى الايام الصعبة ايضا ، ولسوف نواصل الكفاح المشترك ضد المعتدى وضد القوى التى أفسحت المجال أمامه بمساندتها الواسعة لمثل هذا الهجوم الجبان . ولن يكتب النجاح لهذه المؤامرة الاســتعمارية، فان من يعمل بعناد وذكاء فى سبيل قضية عادلة لابد وان ينتصر فى نهاية الامر » . [الاهرام ٦ مايو ١٩٧١]

وفى مناسبة اخرى اكد **اولبريشت** « ان المانيا الديمقراطية تقف بثبات الى جــانب الشعوب العربية ، وهى تدين الســياسة التوسعية لحكام اسرائيل كما تدين الاعمال الارهابية ضد الشعب العربى فى الاراضى العربية المحتلة ، وهى تؤيد النضال العادل لشعب فلسطين وحقه فى تقرير مصيره » [الجمهورية ٧ اكتوبر ١٩٦٩] .

ومع التقدم الهائل الذى أحرزته المانيا الديمقراطية فى كافة المجـــالات ، كـــانت هناك مسالتان ملحتان ، قضية الاعتراف بالمانيا الديمقراطية ، وقضية تســوية المسائل المعلقة مع المانيا الغربية . ثم يتم حل القضيتان حلا يؤكد بشكل رائع صحة الخط الذى انتهجه **اولبريشت** منذ اليــوم الاول ..

ويحقق الرجل أهم اهدافه الحيـــوية . لقد قدم لشعبه ما كان يحلم به ، عندما ثبت اقدامه على طريق التطور الاشــتراكى .

ولعلها حالات نادرة فى التاريخ تلك التى يمتلك فيها الزعيم الرغبة والقدرة والاصرار والجماهيرية ويمتلك معها جميعـــا عمـــرا مديدا يمكنه من أن يشهد بعينيـــه ثمرات يانعة لكفاح رائع ..

لقد تحققت آمـــاله ، وآن للمسيرة أن تنتهى ، وعلى أنغام الانتصار العظيم تعزفه حناجر عشرات الالاف من شبيبة العـــالم المحتشدة فى مهرجان شباب العـــالم ، رقد أولبريشت مستريحا ..

« الطليعة »

اجتماع القرم .. متابعة لجهود السلام

عقد زعماء الاحزاب الشيوعية والعمالية فى بلغاريا والمجر وجمهورية المانيا الديموقراطية ومنغوليا وبولندا ورومانيا والاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا اجتماعا فى القرم بتاريخ ٣٠ - ٣١ يوليو الماضى . ومثل هذه الاجتماعات التى يناقش فيها زعماء البلدان الاشتراكية تنسيق السياسة الخارجية والاقتصادية والايديولوجية أصبحت تقليدا فى تعاون البلدان الاشتراكية فى السنوات الاخيرة . فقد سبق أن عقد زعماء نفس البلدان أمثال تلك الاجتماعات المشتركة فى اغسطس ١٩٧١ ، وفى يوليو ١٩٧٢ .

وفى ضوء البيان الذى صدر عن اجتماع القرم الاخير ، اكدت الصحافة ووكالات الانباء ، أن هذا الاجتماع يأتى دليلا جديدا على توطد العلاقات بين الاحزاب والبلدان الاشتراكية ، سواء فى مجال التعاون السياسى والاقتصادى والايديولوجى ، أو فى موقفها من المشاكل الدولية الملحة .

وقد كشف بيان اجتماع القرم عن الصلة العضوية المواتية بين النضال من اجل السلام والامن الدولى وبين النضال من اجل حرية واستقلال جميع الشعوب ، وعن ان حق الشعوب المقدس فى أن تقرر مسيرها يظل الاساس الثابت للسياسة الخارجية الدؤوبة للبلدان الاشتراكية .

واكد بيان اجتماع القرم ان « السياسة التى ترمى الى تدعيم السلام والامن الدولى » و « التضامن مع النضال التحريرى لشعوب كل البلدان والقارات » تشكل « أجزاء لا تنفصل عن هذه السياسة » .

وجاء موقف اجتماع القرم من مشكلة الشرق الاوسط تطبيقا لهذه السياسة وتاكيدا جديدا للتضامن الثابت مع نضال حركة التحرر الوطنى العربية ضد العدوان الصهيونى الامبريالى . وقد أشار المشتركون فى اجتماع القرم الى انهم يعتبرون ازالة بؤرة العدوان فى الشرق الاوسط مهمة أساسية وشرطا ضروريا لزيادة انفراج الاوضاع فى العالم . واعلنوا فى بيانهم : « **ان الوضع فى الشرق الاوسط يظل من أكثر المشاكل حدة . ولابد من تسويته على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة واحترام الاستقلال والحقوق المشروعة للدول والشعوب فى المنطقة ، بما فى ذلك حقوق الشعب العربى الفلسطينى** » .

وقد اشارت جريدة **لومانيتيه** الفرنسية الى « أن التأييد الحازم للقضية العادلة للشعوب العربية وهو التأييد الذى أعرب عنه من جديد المشتركون فى اجتماع القرم يوجه ضربة جديدة للدوائر الرجعية والامبريالية التى حاولت بحماس فى الفترة الاخيرة تشويه المبادرات السلمية والسياسية الخارجية لاسرة البلدان الاشتراكية ، وبخاصة الاتحاد السوفييتى ، زاعمين انها تشارك فى « مؤامرة » مع الامبريالية .

واعرب زعماء الاحزاب التى اجتمعت فى القرم ، فى بيانهم ، عن اقتناعهم بأن عمل المؤتمر الاوروبى الشامل الذى تعلق عليه الشعوب آمالا كبيرة من اجل اقامة سلام دائم فى أوروبا سوف ينتهى بالفعل ، هذا العام ، اذا مابدى المشتركون فيه نواياهم

الطيبة ، واذا ما عقدت المرحلة الختامية على مستوى القمة لاعطاء اكبر هيبة سياسية لقرارات المؤتمر .

كما اعلن بيان الفرم وقوف البلدان الاشتراكية بثبات مع تكملة الانفراج السياسي بانفراج عسكري يسهم في نزع السلاح . كما علقوا أهمية كبرى على المحادثات الخاصة بتخفيض القوات في وسط اوروبا التي ستجرى في فينا في اكتوبر القادم .

وتدرك البلدان الاشتراكية ، انه لاتزال توجد قوى في العالم تعارض الانفراج الدولي وتدافع عن زيادة الاستعدادات العسكرية وتضخم الميزانيات العسكرية . ومن بين المناطق التي تنشط فيها هذه القوى منطقة الشرق الاوسط . ولذلك تشير البلدان الاشتراكية الى ضرورة اليقظة ومواصلة العمل بعزم من اجل احباط محاولات أنصار الحرب الباردة لبذر بذور عدم الثقة والعداء بين الشعوب ولفرض سيطرتهم عليها .

□

منظمة «الاوكام» انسحاب ٧ من ١٥ : تمرد أم صراع ؟

اعلنت حكومة **مالاجاش** ، في اوائل الشهر الماضي ، انسحابها من منظمة « **الاوكام** » (المنظمة الاقتصادية لدول افريقيا ومالاجاش وموريشيوش) ليصبح بذلك عدد الدول المنسحبة من المنظمة حتى الان ٧ دول وهي : **موريتانيا** (برغم أنها ما تزال عضوا في اللجنة الفنية للمنظمة) - **زائير** (التي كانت تساهم بـ ٢٥ في المائة من ميزانية المنظمة) - **الكونجو برازافيل** - **افريقيا الوسطى** - **تشاد** - **الكاميرون** (انسحبت قبل أسابيع قليلة من انسحاب مالاجاش) - ثم **مالاجاش** مؤخرا .

وقد اثارت ظاهرة انسحاب ٧ دول (حيث يبقى ٨ دول هي : **ساحل العاج** - **داهومي** - **جابون** - **فولتا العليا** - **النيجر** - **السنغال** - **توجو** - **رواندا**) ، تقول : هذه الظاهرة أثارت اهتمام المراقبين ، ودفعتهم الى الاعتقاد بأن ظاهرة الانسحاب هي بمثابة « تمرد » من المستعمرات الفرنسية السابقة ، على قيود العلاقات الاقتصادية التي تربط دول المنظمة بفرنسا بمقتضى اتفاق التعاون الذي وقع في عام ١٩٦٠ « بهدف استمرار ربط اقتصاديات وسياسات هذه الدول بفرنسا حتى بعد الاستقلال » . وكانت دول « المجموعة الفرنسية » هذه ، قد اتفقت مع فرنسا في عام ٦٠ على « تحقيق نوع من التعاون بينهما ، يقوم على أساس الثقافة والمصلحة المشتركة» . واصبحت تعرف « **بمجموعة برازافيل** » مقابل تجمع الدول المتحررة التي عرفت باسم « **مجموعة الدار البيضاء** » . وتطورت « مجموعة برازافيل » فيما بين ٦١ - ١٩٦٣ بعد انضمام الكاميرون ومالاجاش ورواندا وتوجو لتصبح « منظمة دول افريقيا ومالاجاش » . وفي أعقاب قيام **منظمة الوحدة الافريقية** في عام ١٩٦٣ ، انهي نشاط الكيانات السياسية السابقة عليها : « مجموعة الدار البيضاء » .. الخ . وفي فبراير ١٩٦٥ ، أي بعد انضمام **الكونجو كينشاسا** [**زائير الان**) ورواندا وموريشيوس ، قامت « المنظمة الاقتصادية لدول افريقيا ومالاجاش وموريشيوس » .

ويربط المراقبون السياسيون ، بين ظاهرة انسحاب هذه الدول وبين الطلبات المتكررة

التى تقدمت بها من قبل « لاعادة النظر فى القواعد التىتحكم ما عرفبمنطقة الفرنك » فى عامى ٧١ ـ ١٩٧٢ ، وخاصة بعد ان اضطرب مركز الفرنك الفرنسى وجرى تحفيض قيمته . ومعروف أن اقتصاد معظم هذه الدول يقوم على نظام « المحصول الواحد » . وتقوم الاحتكارات الفرنسية باستيراد هذه المحاصيل بأسعار مطردة الانخفاض ، بينما تصدر اليها ١٠ فى المائة من سلعها المصنعة بأسعار مطردة الارتفاع . ولهذا ، طالبت دول المنظمة بضرورة تعديل سعر التبادل . وامام ضغوط هذه الدول ، اضطرت فرنسا الى الغاء « ديون ما قبل الاستقلال » (٥٠ الف مليون فرنك) ، والى تقديم اعتمادات جديدة لعام ١٩٧٣ لبعض مشروعات التنمية . الا أن ذلك لم يحل دون قيام دول جديدة بالانسحاب من « الاوكام » نظرا لان شيئا من هذه الخطوات لم تحقق أى تقدم ملحوظ لاقتصاديات هذه الدول .

ومن الجدير بالذكر أن عددا آخر من المراقبين السياسيين ، يعتقدون أن **الولايات المتحدة الامريكية** ، دور فى ظاهرة الانسحاب هذه ، ويستندون ، فى اعتقادهم هذا ، الى الدور الملحوظ الذى لعبته زائير فى عملية الانسحاب من جهة ، والذى تلعبه اليوم بسعيها الى تشكيل « محور جديد » من خلال العمل الثنائى مع الدول المنسحبة .

ويرى المراقبون الافريقيون ، ان السمة الاساسية التى تميز انسحاب بعض دول « الاوكام » ، هى أنها تعبير عن رفض البقاء فى داخل اطار لا يمارس دورا له فعاليته فى القضاء على واقع التخلف الاقتصادى الذى تعانيه شعوب هذه الدول ، او فى وضع خطط للتنمية توضع موضع التطبيق .

□

علـــوم

« السكاى لاب » وبرنامج الفضاء الامريكى القادم

قد لا يضع رجل الفضاء الامريكى قدمه مرة أخرى على سطح القمر خلال العشرين سنة القادمة . فماذا بعد « برنامج ابوللو » لغزو القمر ؟ تقول « **وكالة الفضاء الامريكية** » [ناسا] **أن البرنامج** يركز على غزو كل المجموعة الشمسية والاستغلال المكثف للفضاء القريب من الارض . وباستثناء التصاق ابوللو الامريكية وسيوز السوفييتية الذى سيتم عام ١٩٧٥ ، سيتراجع استخدام رواد الفضاء فى الرحلات الكونية حتى عام ١٩٧٩ ليفسح الطريق أمام اطلاق سفن الفضاء الاوتوماتيكية بشكل عام .

وبعد أن تألق الانسان فى المراحل الاولى لغزو الفضاء ـــ التى تمت فى الستينات ـــ يتراجع دوره الى الخلف قليلا الان فى برنامج الفضاء الامريكى ، ولكنه يعود ليتألق مرة أخرى فى برنامج « **السكاى لاب** » الحالى ، وان كانت الرحلة تعتبر امتدادا لانجازات الستينات الفضائية . و « السكاى لاب » يتكون من **صاروخ ساتيرن** الذى تحول الى معمل بعد ان أضيفت الى طرفه أنبوبة أخرى ، وقد ثبت فى جانب منه يضاف تلسكوب « ابوللو » . ويعتبر اكبر سفينة اطلقت فى مدار حتى الان اذ يصل حجم هذه الغرفة الى ٤٠ فى ٣٢ فى ٨ أمتار .

ويتلخص برنامج « السكاى لاب » ، انه بعد اطلاقها الى مدارها ، ينطلق اليها رواد الفضاء من الارض على ثلاث ورديات ، كل وردية تتكون من ثلاثة رواد ، فى « نموذج

ابوللو » الذى أطلق وجرب من قبل فى برنامج ابوللو ، وبعد ان يقضى أول مجموعة ٢٨ يوما فى دراساتهم وابحاثهم يعودون الى الارض ، ثم تنطلق المجموعة الثانيه وهكذا . ولعل أهم الدراسات التى سيقومون بها ، هى كيف يعمل الجسم البشرى ، وكيف يؤدى الجسم البشرى وظائفه التقليدية فى ظل انعدام الوزن والرحلات الفضائية الطويلة المدى ، اذ سيقضى الرواد فى هذه الرحلات اطول فترات قضاها الانسان فى الفضاء . وستساعد نتائج هذه الرحلات فى رحلات الفضاء فى المستقبل ، وستنتهى فى نفس الوقت المناقشات الحامية التى دارت بين العلماء حول تزويد سفن الفضاء التى تقوم برحلات فضائية طويلة بمركز جاذبية صناعية . ويعيش رواد الفضاء فى هذه الغرفة الفضائية الواسعة حياة تقرب من ظروف المعيشة الطبيعية ، حين يستمتعون بالدوش ومنضدة طعام بجوار نافذة تطل على جانب الكرة الارضية المضىء ، ويتناولون طعامهم بالشوكة والسكين ويستخدمون مياه دافئة لحلاقة ذقونهم .

ويحمل « السكاى لاب » اجهزة ومعدات « للتنقيب » عن مصادر الارض الطبيعية اكثر مما يحمل القمر الصناعى التكنولوجى الباحث عن هذه المصادر ، والذى اطلق قبل « السكاى لاب » . وتستطيع اجهزة « السكاى لاب » ان تلتقط الصور فى الضوء المرئى ، وبالاشعة تحت الحمراء القريبة والبعيدة ، وبالموجات اللاسلكية ، وبالرادار . . . وسيساعد « السكاى لاب » على التنبؤ بنتائج المحاصيل والاصابة بالحشرات وعمل خرائط للصحارى ، وقياس مقدار الثلوج وظروفها . وسيتصل روادفضاء « السكاى لاب » بفلكيى العالم وبمركز دراسة الشمس « ببولدر » لان التلسكوبات تعمل بالصور التليفزيونية . ثم تجرى تجارب فلكية وفيزياء فضائية .

وماذا بعد « السكاى لاب » ؟

بعد انتهاء برنامج « السكاى لاب » ستنطلق « **بيونير ــ ١٠** » لتشق طريقها نحو كوكب **المشترى** اضخم كواكب المجموعة الشمسية التسعة وخامسها من حيث البعد عن الشمس . وقد اطلقت « بيونير » فى اوائل العام الماضى [١٩٧٢] وقد شقت طريقها بسلام خلال « الحزام النجمى » وكانت هذه أكبر عقبة فى رحلتها ، حيث المفروض ان تصل الى اقرب نقطة بعد ان تعبر واحدا من أقمار المشترى (يو) فى ٣ ديسمبر القادم [١٩٧٣] .

وفى ٢٤ اكتوبر القادم تنطلق سفينة الفضاء « **مارنير** » فى طريقها الى الكوكب « **عطارد** » عن طريق كوكب « الزهرة » . وستكون هذه اول مرة فى الرحلات الفضائية يستخدم فيها جاذبية أحد الكواكب [الزهرة] للتأثير على سفينة فضاء لتنطلق الى مسار جديد . ويجب مراعاة الدقة فى هذه التجربة ، اذ انه لو انحرفت « مارنير » عن طريقها ميلا واحدا لانحرفت عن « عطارد » الف ميل . على اى الاحوال « ستمر السفينة عبر « الزهرة » فى ٤ فبراير من العام القادم [١٩٧٤] حيث تأخذ صورا قريبة للكوكب لاول مرة . ثم تصل السفينة الى كوكب « عطارد » نفسه فى ٢٤ مارس حيث تقوم بالتقاط ٨٨٢ صورة ثابتة تماما الى جانب ٢٧٧٥ صورة ربع ثابتة . والكوكب « عطارد » هو اقرب كواكب المجموعة الشمسية الى الشمس ويتوقع العلماء ان يجدوا كوكبا ملتهبا من ناحية ومتجمدا من الناحية الاخرى .

ولعل أهم تجربة فضائية فى عام ١٩٧٤ هى اطلاق « **القمر الصناعى ــ ف للتطبيق التكنولوجى** » . ولعل اهم ما فى التجربة انه سيقوم بالاتصالات ، احداها تجربة فى الهند حيث ينقل برامج من محطة مركزية فى الهند الى جميع انحاء الهند الشاسعة ولكن على ١٣ قناة صوتية مختلفة كل واحدة باحدى اللغات السائدة فى الهند ، هذا الى جانب الصورة بطبيعة الحال .

أما بعد ذلك فهناك « **بعثة الفايكنج** » الى كوكب **المريخ** ، وستكون اكثر رحلات

الفضاء اثارة لو اكتشف أى نوع من أنواع الحياة هناك . وستكون هذه المركبة أو سفينة فضاء أمريكية تهبط على كوكب آخر من كواكب المجموعة الشمسية . واول سفن الفايكنج ستكون بين منتصف اغسطس ومنتصف سبتمبر من العام ، ثم تتبعها سفينة أخرى بعد عشرة ايام . وبعد عام بالتمام والكمال ستصل السفينتان الى مداريهما حول المريخ لدراسة امكانيات الهبوط على سطحه . وستقوم بدراسة الاماكن بالستيريو والالوان ، وتجس الزلازل ، وتدرس المناخ وتحلل التربة .

اما محاولات الاندفاع مساوراء « المشترى » للوصول الى « الكوكب زحل » ، فلن تبدأ قبل عام ١٩٧٧ . وسيشهد النصف الثانى من السبعينات قفزة جديدة فى رحلات الفضاء حيث تنطلق الى الكواكب عدة سفن . ولكن تخفيض ميزانية « وكالة الفضاء الامريكية » عام ١٩٧٢ اجبرها على الغاء كل الرحلات المتعددة واستبدالها برحلة مزدوجة للسفينة « مارنير » التى تنطلق الى كوكبى « المشترى » و « زحل » . وستنطلق السفينتان خلال ٣٠ يوما فى اوائل سبتمبر ١٩٧٧ . وفى منتصف مارس عام ١٩٧٩ ستمر السفينة بكوكب « المشترى » ، ثم بعد سنتين تصل الى « زحل » . والمفروض فى هذه التجربة أن يعاد استخدام سفينة الفضاء المنطلقة ، حوالى مائة مرة ، بعد تركيب خزانات الوقود مرة أخرى فى كل رحلة بطبيعة الحال ، وبهذه الطريقة تنخفض تكاليف الرحلات الفضائية ، وهى احدى منغصات البرامج التى يدرس العلماء مختلف الطرق للتوصل الى حل لها .

وبهذا ينتهى البرنامج الاساسى للسبعينات !

وتقول الخطة الرسمية لبرنامج الفضاء الامريكى ، أن سفينتى « فايكنج » ستنطلقان الى كوكب المريخ عام ١٩٧٩ ، ثم سرعان ما تنطلق بعثة من رواد الفضاء الى هذا الكوكب عام ١٩٨٦ . أى ان هذا فى برنامج الثمانينات . ولان الاتصال من الارض بالرواد فى المريخ يستغرق بين عشرة وأربعين دقيقة ، فان « السيارة المريخية » المستخدمة [المقابلة للسيارة القمرية التى استخدمت فى رحلات أبوللو الاخيرة الى القمر] ستصمم بحيث يمكنها التصرف أمام العقبات من نفسها دون انتظار أوامر من الارض كما كان الحال فى الرحلات القمرية ، لان انتظار عشر دقائق مثلا — وهو الحد الادنى — قد يؤدى الى كارثة ، وبهذا تتخلص هذه السيارات من التحكم البشرى — الارضى الى حد كبير .

قبل أن تنطلق أبوللو الى « القمر » كان العلماء يحلمون بأن يكون القمر « حفرية » يرجع تاريخها الى زمن تكوين الكواكب ، ولكن الفلكيين وجدوا هذه « الحفرية » وقد حطمها النشاط الجيولوجى . وتبين صور « المريخ » أنه كوكب اكثر نشاطا — بطبيعة الحال ، ولذلك يريد العلماء أن ينطلقوا **الى المذنبات والكويكبات** المحفوظة بطريقة أفضل . وهكذا فان (الناسا) ترتب مناورة مع المذنب « انيك » فى عام ١٩٨٤ ومناورة أخرى فى عام ١٩٨٩ مع كويكب .

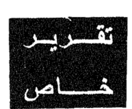
والان بعد ان ناقشنا اهم المشاريع فى العقدين الحالى والقادم لبرامج غزو الفضاء . . فلنتأمل بعض الافاق الاخرى التى يفكر فيها العلماء ، والمساحية لغزو الفضاء .

يفكر العلماء فى استخدام « **الصواريخ النووية** » لغزو الفضاء ، اذ بهذا تكون الرحلات اسرع ويمكن زيادة حمولة السفن ، وهذا مكسب للاجهزة العلمية والتكنولوجية . ويمكن لهذه الصواريخ ان تحمل رواد الفضاء الى المريخ فى ٦٠ يوما بدلا من سنة كاملة . ويعتقد العالم الامريكى « **روبرت راجسديل** » من « مركز بحوث لويس » التابع للناسا ، أنه لا يمكن ان نغامر بارسال بعثات من رواد الفضاء الى كوكب المريخ أو غيره الابعد الوصول الى تصميم هذه الصواريخ .

وهنا « **الدفع الكهربائى** » الذى يعطى سرعـات هـائلة . وانواع « الدفع الكهربائى » سـواء أكانت نووية أم شمسية ، ستدفع بالرحلات الفضائية الى أطراف المجموعة الشمسية وربما خلف المجموعة الشمسية . وهناك امكانيـة استخدام « **أشعة الليزر** » فى الدفع . وقـد اقتـرح الدكتـور **ارثـر كنتـروفيتز** مدير « **معمل أبحاث أفكو إيفريت** » توجيه شعاع ليزر من قاعدة أرضية نحـو صاروخ ، ليقوم بتسخين غاز الدفع ».

على اى الاحوال هناك افـكار كثيـرة خاصة بتطوير الوقود بالذات ، ولكننـا لا نغالى اذا قلنا أنها أفكار المستوى الحالى من التقدم العلمى والتكنولوجى . وانهـا أفكار للسبعة عشر عاما القادمة من غزو الفضاء ، وهى بهذا أفكار « محـافظة » للغاية ، فالتقدم فى مجـال الفضـاء يتـم بسرعة هائلة . فمنذ سبعة عشر عاما اى عام ١٩٥٦ ، وهو العام السابق لانطلاق القمر الصـناعى « سبوتنيك الاول »، عندما كنا نناقش برامج الفضاء التالية ، هل كان يخطر ببالنا ما تم من انجازات حتى الان ؟





المؤتمـر النقـابى العـالمى الثـامن
ووثيقة النضال ضد الاحتكار والاستعمار

عبد المنعم الغزالى

ينعقد فى **فارنا** فى الفترة من ١٥ الى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ المؤتمر النقابى العـالمى الثامن . وتشهده وفود منظمات نقابية تمثل ما يقرب من ٢٦٠ مليون عامل منظم فى نقابات من مختلف المراكز النقابية بغض النظر عن انتماءاتهم الدولية ، وأيا كانت أراؤهم السياسية والفلسفية ومعتقـداتهم وأيا كان النظام الاقتصادى أو الاجتماعى فى بلادهم .

وينعقد المؤتمر النقابى العالمى الثامن فى فترة تتميز بمجموعة من العناصر الايجابية لصالح النضال من أجل السلام العـالمى وتحرير الشعوب والتقدم والاشتراكية :

١ ـ تعاظم القوى الاشتراكية وازدياد رسوخها .

٢ ـ ازدياد معارك العمال فى البلاد الرأسمالية واتساعها فى مواجهة رأس المال الكبير والاحتكارات .

٣ ـ تمكن كفاح الشعوب ضد الاعتداءات الامبريالية ومن أجل حق تقرير المصير والاستقلال الوطنى من اجبار الامبريالية على تقديم تنازلات كبيرة (الانتصار الكبير الذى أحرزه شعب فيتنام ـ وتحرزه شعوب كمبوديا والهند الصينية .. الخ) .

٤ ـ تم فى خلال السنوات الاخيرة احراز تقدم واضح فى ميدان الكفاح من أجل التعايش السلمى والتعاون بين الشعوب من أجل نزع السلاح واقرار الامن الدولى .

وبينما يسجل الوضع الدولى الذى ينعقد فيه المؤتمر النقابى العالمى الثـامن هذه العناصر الايجابية ، فان الوثيقة الاساسية المقدمة للمؤتمر من قبل قيادة الاتحاد العالمى للنقابات تؤكد على أن الامبريـالية : « **لاتتنازل عن موقع الا عندما تضطر الى ذلك**

مكرهه ، ولا يترك لها نضال الشعوب وميزان القوى أى خيار آخر ، وهى فى الوقت نفسه تحاول أن تضمن لنفسه مواقع تنسحب اليها . وعندما تضطر الامبريالية الى التراجع وقبول التفاوض ، تحاول أن تسترد زمام المبادرة فى مكان آخر وهى تجدد استراتيجيتها » .

« وهذا ما ترمى اليه على سبيل المثال المحاولة التى يفصح عنها مبدأ نيكسون الخاص بميثاق جديد لدول الاطلنطى . ويتطلب ذلك عدم التراخى فى أى لحظة عن اليقظة والحركة الضروريتين فى مواجهة الامبريالية ومناوراتها العدوانية ضد الشعوب وبالاخص الامبرياليه الامريكية » .

وتركز الوثيقة الرئيسية المقدمة للمؤتمر ،على تصاعد النضال من أجل التحرر الوطنى ، وعلى أن انطلاق حركة التحرير الوطنى عنصر تتزايد أهميته يوما بعد يوم فى تطور الوضع الدولى . حيث تخوض الشعوب فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا معارك مريرة ضد الامبريالية من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية .

وتؤكد الوثيقة على ان : « نضال الشعوب العربية من أجل تحريرها من قبضة الامبريالية والاحتكارات الاجنبية ، وحرية التصرف بالثروات الوطنية ومن أجل سيادتها ،يمضى قدما رغم ظروف النضال العصيبة » .

« ودليل ذلك فى الاجراءات التى اتخذتها عدة بلاد عربية ومنها العراق وسوريا لتضمن السيطرة على ثرواتها الطبيعية وفى المقام الاول البترول » .

« ومازال التوتر قائما فى المنطقة حيث لم يسجل أى تقدم فى حل النزاع الناشىء عن العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ » .

«ان اسرائيل على العكس تحاول بتشجيع وتأييد الولايات المتحدة عسكريا وسياسيا أن تزيد من حدة النزاع وتوسعه بمضاعفة الاعتداءات الجوية والاستفزازات المسلحة ضد الجمهورية العربية السورية ولبنان وغيرهما من البلاد العربية » .

وتمضى الوثيقة لتقول :

« ومازالت أهداف التوسعيين الاسرائيليين الذى تتفق مصالحهم مع مصالح الامبريالية الامريكية . مثلما كانت خلال عدوان ١٩٦٧ . وهى منع نمو حركات التحرير فى البلاد العربية ووقف المسيرة الثورية المعادية للامبرياليه فى المنطقة ، وبقاء السيطرة الاسرائيلية على الاراضى العربية المحتلة بصفة نهائية . وترفض اسرائيل بعناد تطبيق القرارات الصادرة من هيئة الامم المتحدة بانسحاب قواتها من هذه الاراضى واحترام الحقوق القومية لشعب فلسطين العربى » .

ويناقش المؤتمر مجموعة من القضايا الرئيسية التى يتميز بها الموقف الدولى والتى تسجل تغييرات عميقة تفتح آفاقا جديدة تساعد كثيرا على نمو النشاط النقابى .

أولا : عمق أزمة العالم الرأسمالى :

ففى البلاد الرأسمالية حيث يخوض الملايين من العمال ونقاباتهم معارك النضال داخل قلاع الرأسمالية نفسها . وحيث تتخذ هذه المعارك ابعادا جديدة ، وترتبط بين المطالب ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية ومطالب الحريات النقابية ، وبين الاصرار على اجراء تغييرات عميقة لاضعاف سيطرة الاحتكارات ، فان الاحتكارات ودولها تشدد من مقاومتها للانطلاق الجماهيرى العريض للحركة العمالية وتحاول الدفاع عن مصالحها بكل الوسائل المتاحة لها .

وتخوض حركة الطبقة العاملة فى بلادها وفى العالم كله معاركها التاريخية ذلك –

والبلاد الرأسمالية تعاني من أزمة حادة تزداد عمقا كل يوم وتمتد اثارها الى كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهذه الازمة ليست مجرد صعاب طارئة او محلية انما هي مرحلة جديدة من الازمة العامة للنظام الرأسمالي :

« أن مقتضيات تراكم رأس المال والبحث عن الربح تدفع الاحتكارات الى زيادة توسعها على النطاق الدولي وتؤدى بذلك الى احتدام المنافسة الدولية والخصومة بين البلاد الرأسمالية ·

« ان الاحتكارات والدول الرأسمالية لاتستطيع وهي تحاول ان تواجه الصعاب التي تهاجمها ، الا أن تزيد من التناقضات التي تشل النظام الرأسمالي في مجموعه » ·

« وهذه التناقضات هي الاصل في التضخم الذي يصيب مجموع العالم الرأسمالي ويرتبط بركود أو بابطاء التنمية الاقتصادية وتتبدى مظاهره بوضوح في نقص العمالة وفي البطالة » ·

«أن ارتباط التضخم والركود ظاهرة جديدة تدل على عمق أزمة الرأسمالية المعاصرة ·

« أن التضخم الذي يظهر في انتشار وتعميم ارتفاع الاسعار يشمل جميع البلاد الرأسمالية ويتخذ صفة الدوام » ·

« وتعود أسبابه الى تدخل الدولة اقتصاديا لصالح الاحتكارات ، والى التمويل العام التضخمي الذي يرمي الى دعم التراكم الرأسمالي ورفع مستوى الارباح ، والى زيادة النفقات غير المنتجة وبالذات النفقات العسكرية ونفقات القمع وهي تؤدي في كثير من الاحوال الى اخضاع الاقتصاد للمصالح العسكرية · والتضخم الذي يسمح بخفض القوة الشرائية للعمال ودخول الفئات الكادحة من الاهالي · يستخدم كوسيلة للتكيف مع أزمة النظام الرأسمالي الحالي وتصبح عنصرا لتفاقم وتعميق هذه الازمة » ·

وهنا تؤكد الوثيقة على ارتباط الاتجاه الى سرعة التضخم وارتفاع الاسعار وركود النمو الاقتصادي بالفوضى النقدية وحركات المضاربة العنيفة والارتفاع المستمر في سعر الذهب ، وبصورة عامة اقتران هذا الاتجاه بأزمة حادة في النظام النقدي الرأسمالي الدولي · وكما ترى الوثيقة فان : « اضطراب النظام النقدي مرتبط بأزمة الاقتصاد الامريكي ومشروعات الولايات المتحدة الامبريالية ومنها حرب الهند الصينية ، وانشاء القواعد العسكرية الخارجية ، الامر الذي يؤدي الى زيادة مستمرة في العجز الخارجي في الدولارات · واضطراب النظام النقدي يأتي أيضا من التضخم الداخلي والركود اللذين يصيبان بدرجات متفاوتة كل البلاد الرأسمالية · »

ان خفض قيمة الدولار تعبير عن تعديل في ميزان القوى بين الدول الرأسمالية دون أن ينهي مع ذلك سيطرة الولايات المتحدة على النظام الدولي أو ينهي قدرة الامبريالية الامريكية على تصدير التضخم الداخلي الناشيء عن سياستها ·

ويحاول النظام الرأسمالي أن يواجه الصعاب التي تطحنه داخليا بمحاولات عديدة ـ منها ، نمو الشركات المتعددة الجنسيات ، ونمو قوى التكامل الدولية وأهمها السوق الاوروبية المشتركة ـ ولكن ذلك كله اثبت عجزه عن ازالة التناقضات القائمة بين الاحتكارات ودولها · ولقد أصبحت المنافسة الدولية وبالاخص بين الولايات المتحدة والسوق الاوروبية المشتركة واليابان أشد ضراوة من أي وقت مضى ·

وهي تعبر عن فروق في النمو والتطوروخلافات في الاوضاع غيرت في السنوات الاخيرة ميزان القوى بين المجموعات الاحتكارية والبلاد الراسمالية ٠

ان الازمة الحالية للنظام الرأسمالي ـ لم تعد قاصرة على الجوانب الاقتصادية انما هي تشمل كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية ٠

ويؤدي عمق هذه الازمة ٠ وعجز النظام الراسمالي عن الاستجابة لمتطلبات نمو المجتمع في عصرنا ـ الى :

١ ـ زيادة حدة الصراع الطبقي ونمو النضال الجماهيري للطبقة العاملة ، فالاحتكارات ودولها تسعى الى تحميل جميع الفئات الكادحة اثار الازمة ، وفي مواجهة هذه المحاولات تنمو المعارك النضالية ضد الاحتكارات ودولها ٠

٢ ـ ان الاحتكارات ودولها ترسم خططاتكتيكية جديدة تتعارض تصاعد الحركة الجماهيرية ـ فمعظم البلاد الرأسمالية ترفعشعار « **التقشف** » . اخضاع تطور القوى الشرائية لمتطلبات التراكم الرأسمالي باستخدام سياسة الدخول (ضبط الاجور وتجميدها) . وتتجه حملة الاجور ـ كما يحدث في بعض بلدان امريكا اللاتينية الى الحرمان من العمل وتشديد الضرائب ، استجابة لمطلب صندوق النقد الدولي ٠ وفي محاولة الاحتكارات الحصول على فائض من الارباح فانها تلجأ الى تشغيل العمال المهاجرين والذين يعانون التفرقة والتمييز المجحف الى جانب ذلك تقترن كل هذه المحاولات بحملة فكرية لتغطية أساليب التعاون الطبقي وبث الفرقة بين العمال ، واستخدام كل وسائل الاعلام الجماهيري بهدف اخفاء حقيقة الاستقلال الراسمالي ، ونشر الوهم الذي يزعم وجود مصالح مشتركة بين العمال وبين الذين يستغلونهم وفي نفس الوقت تستخدم وسائل قمعية ، وتقاوم الحريات النقابية لتحول دون تطور ونمو المنظمات النقابية ، كما تسعى الى انشاء نقابات عميلة بامكانيات رأسمالية طائلة لزيادة الفرقة والانقسام ٠

٣ ـ انه مع تشديد الهجوم الرأسمالي على ظروف عمل وحياة العمال ، فان المعارك العمالية المطلبية المباشرة أصبحت ترتبط بالتطلع الى أحداث تغييرات ديمقراطية عميقة ، وبمواجهة اشمل للاحتكارات والشركات المتعددة الجنسيات ، سواء على النطاق القومي أو الدولي ٠ ومن هنا فان الاتحاد العالمي للنقابات والاتحادات المهنية الدولية والمنظمات النقابية المنضمة اليه تسعى الى أن تساعد بكل الوسائل على نمو الاتجاه الى وحدة النضال في كل بلد وفي الشركات المتعددة الجنسيات وداخل السوق الاوروبية المشتركة والتحالفات الرأسمالية الحكومية الاخرى وعلى نطاق القارات والنطاق العالمي ٠

ثانيا : تقدم البلاد الاشتراكية وتزايد دور النقابات ، وتلاحظ الوثيقة الرئيسية ـ ان النظام الاشتراكي العالمي ، وفي الوقت نفسه الحركة النقابية في البلاد الاشتراكية قد حققت انطلاقا كبيرا بعد المؤتمر النقابي العالمي السابع ٠ فقد تدعمت سلطة العمال ، واتسعت قاعدة الديمقراطية ، وتضاعفت مكاسب العمال ، وتحسنت كيفية الانتفاع بالمزايا التي يوفرها الاقتصاد الاشتراكي ، وزادت الحقوق النقابية اتساعا ، وتعاظم الدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي للنقابات الى حد كبير ٠ ونما النظام الاشتراكي العالمي ووحدته من جوانب عديدة ٠

وقد أبرزت وثيقة المؤتمر النقابي العالمي الثامن مجموعة من العناصر الاساسية المتعلقة بنمو وتطور الحركة النقابية في العالم الاشتراكي :

أولا : ان للحركة النقابية في العالم الاشتراكي طابعا متطابقا ووحدويا أساسا فيما يتعلق بموقفها وتأثيرها ٠ ولكن لها بالمثل جوانب نوعية عديدة ٠ حيث تراعي نقابات البلاد الاشتراكية المهام التي تواجهكل بلد في بناء المجتمع الجديد ٠ وهذه الجوانب النوعية والفوارق التي تحددت تاريخيا وتنشأ في المهام العاجلة في كل بلد ،

تدل على أن الواجبات المشتركة بصفة أساسية تتحقق بالضرورة بمبادرات مختلفة وبطرق نوعية خاصة . انه لكي ندرك الوحدة الاساسية بين نقابات البلاد الاشتراكية يجب أن ندرك نوعيتها الخاصة وفقا لتقاليدها والمهام والواجبات الراهنة .

ثانيا : الرغبة المتزايدة فى تحسين نشاط النقابات عن طريق استخدامها بطريقة أفضل لاختصاصاتها وحقوقها النقابية التى ضمنها القانون ، وتوسيع مشاركة العمال فى القرارات الخاصة بكل المسائل ، وازالة السمات الشكلية فى نشاطها .

ثالثا : ان نقابات البلاد الاشتراكية قدمت ، بنشاطها ، وبمبادراتها المتعددة ، مساهمة كبيرة فى خلق مناخ جديد فى العلاقات النقابية العالمية . ان وجود نشاط المنظمات النقابية ممثلة العمال الذين يتولون السلطة فى البلاد الاشتراكية تزود الاتحاد العالمى للنقابات بقوة كبيرة . ان عمال العالم ، والشعوب المضطهدة والمناضلة من أجل استقلالها ، والعمال المطالبين بحقوقهم فى مواجهة الاحتكارات ، وأنصار السلام والتقدم الاجتماعى يمكن ان يعتمدوا بحق على التضامن الايجابى والاممى من عدة ملايين من العمال النقابيين فى البلاد الاشتراكية .

رابعا : التخلف ، التحدى الذى يواجه العصر ، فانه بينما يعيش العالم عصر نهضة باهرة فى العلوم والتكنيك فان التخلف مازال يجثم على كثير من بلاد افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . والتناقض الرئيسى الذى مازال يحكم هذه البلدان هو التناقض القائم بين التأخر الاقتصادى الناجم عن الاستغلال الاستعمارى الطويل وبين الضرورة العاجلة لحدوث نمو اجتماعى اقتصادى سريع ومتعدد الجوانب .

وهنا نلاحظ ، أن اقتصاد معظم هذه البلاد مازال زراعيا فى غالبها ، وحيث تطورت الصناعة فى بعضها بعض الشىء فانه لا يستخدم الا جزءا من اليد العاملة المتاحة ، فى حين ينتشر تطفل قطاع التجارة والخدمات . ويتميز مستوى المعيشة بالانخفاض الشديد ، بقلة الكوادر والفنيين وترتفع نسبة الامية . وما زالت الطبقة العاملة فى معظم البلاد النامية قليلة الاهمية نسبيا رغم نموها العددى .

كما يتعرض عمال البلاد النامية فى آن واحد لاستغلال الطبقات المسيطرة فى بلادهم ولاستغلال رأس المال الاحتكارى العالمى الذى يستغلهم مباشرة فى المصانع التى يمتلكها وبطريقة غير مباشرة من خلال التجارة .

واذ نسجل الوثيقة ـ النمو والازدهار ـ داخل حركة التحرر الوطنى ـ وظهور قوى جديدة فى هذه البلاد تسعى الى ازالة التخلف والقضاء على المناورات والدسائس الامبريالية ، وظهور اشكال جديدة للتنمية أمام هذه البلاد التى اختار بعضها الطريق غير الرأسمالى فى التنمية ، أو طريقا اشتراكى الاتجاه .

ان الوثيقة ـ اذ تسجل هذا النمو ـ فانها تنبه الى خطر الاستعمار الجديد باعتباره امتدادا للاستعمار القديم :

« الاستعمار ، بما فى ذلك شكله الجديد ، ظاهرة جوهرية فى الامبريالية ، والاساليب الاستعمارية الجديدة ترتبط ارتباطا وثيقا بسياسة رأسمالية الدولة الاحتكارية » . وهى تستلزم تشديد استغلال الفئات الكادحة فى البلاد الرأسمالية المتطورة فى سبيل جمع الموارد اللازمة لتصدير رؤوس الاموال وسائر الاستثمارات التى تتحقق لفائدة الاحتكارات وحدها . وتنمو هذه الاساليب فى ظروف تشتد فيها التناقضات بين الدول الامبريالية المتنافسة ، ويشتد فى نفس الوقت تضامنها فى مواجهة التأثير المتزايد للمعسكر الاشتراكى وتقدم ونمو حركة تحرير الشعوب » .

«وتحاول الامبريالية للحفاظ على مصالحها الاقتصادية ، أن تستفيد بعون

العناصر المؤيدة لها مثل الاقطاعيين وبعض قطاعات البورجوازية والمضاربين وغيرهم . وتبحث عن حلفاء بين بعض المثقفين والكوادر الادارية والمدنية والعسكرية الرجعية وبعض الافراد المرتبطين بها . وتحاول أن تقيم حكومات مخلصة للاحتكارات ترتبط ارتباطا وثيقا بالدول الرأسمالية » .

ان الاستعمار الجديد ـ بكل أساليبه الخادعة والماكرة ، وبكل عنفه ومؤامراته وتدخله المسلح وتضليله الفكرى والاجتماعى ـ هو الخطر الذى يواجه الحركة النقابية النشطة والنامية فى البلدان النامية ، والتى عليها أن تشدد النضال ضده . وحقيقة أن تحديد أشكال الكفاح والالتزام النضال من خواص كل بلد وتعود الى الوضع الخاص والمحدد فى كل بلد ومنطقة . ولكن الاحتكار الرأسمالى يجب أن يواجه بالتضامن العمالى الدولى بتدعيم التضامن والعلاقات مع نقابات البلاد الاشتراكية ونقابات البلاد الرأسمالية المتطورة على المستوى العام وعلى مستوى المنظمات المهنية وعلى الاخص مع المنظمات النقابية والعاملين فى نفس الاحتكار .

ان المستقبل والنجاح فى القضاء على التخلف معقود فى التنسيق والربط بين معارك النقابات والعمال وشعوب البلاد المتخلفة من أجل استقلالها والتقدم الاقتصادى والاجتماعى ومعارك النقابات والعمال فى البلاد الرأسمالية « المتطورة » ومساعدة البلاد الاشتراكية .

ومن أجل هذا فان الاتحاد العالمى للنقابات سيستمر فى نضاله الدؤوب من أجل :

- منع الامبريالية التى تتسبب سياستها العدوانية والحربية فى كل المخاطر التى تهدد السلام العالمى وأمن الشعوب ، من أن تحقق خططها العدوانية .

- ومن أجل التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية والسياسية المختلفة .

- وحل جميع التكتلات العسكرية .

- وتحقيق نزع السلاح الشامل تحت رقابة دولية ووقف كل التجارب النووية وتدمير المخزون من الاسلحة الذرية والنووية ، وتحديد صناعة الاسلحة البكترولوجية والكيماوية والنووية .

- وقطع الطريق على كل المناورات الممكنة من جانب الامبريالية فى فيتنام والهند الصينية ، والعمل على تطبيق اتفاقيات باريس بدقة ، والمساعدة على المصلحة والائتلاف الوطنى واعادة توحيد فيتنام واحترام الاتفاقيات بشأن لاوس . ومن أجل أن يتحقق لكمبوديا السلام والاستقلال والسيادة .

- وازالة التوترات الدائمة الموجودة فى الشرق الاوسط والتى يمكن أن تؤدى الى قيام نزاع جديد فى هذه المنطقة من العالم . وفرض جلاء القوات الاسرائيلية فورا عن الاراضى المحتلة ، ومساندة العمال العرب والشعوب العربية وتنمية التضامن معهم فى نضالهم ضد الامبريالية والصهيونية . وفرض تطبيق قرارات الامم المتحدة . ومساندة القضية العادلة للعمال الفلسطينيين والشعب الفلسطينى من أجل الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربى وحقه فى تقرير مصيره بنفسه ، والمطالبة باحترام وصيانة حقوق الشعوب العربية فى الاستقلال والسيادة والتقدم .

رســـالة العراق

لمـاذا تشـكيل الجبهـة الوطنية فى العـراق ؟

بغداد : من صلاح الدين حافظ

لم تكن مصادفة ان شهدت بغداد فى منتصف يوليو الماضى واحدة من اضخم الاحتفالات الرسمية والشعبية فى تاريخها الحديث ، عندما تدفقت الى شوارعها وعبر ميادينها عشرات الالاف من الجماهير فى مسيرات طويلة انتظمت داخل ثلاثة اطر اساسية هى تنظيمات حزب البعث العربى الاشتراكى ، والحزب الديموقراطى الكردستانى ، والحزب الشيوعى العراقى ، فعلى دقات هذه الجماهير واهازيجها شهدت بغداد فى تلك الايام عدة مناسبات هامة ، اهمها أن الحزب الحاكم ـــ البعث ـــ استفاد من مرور خمسة عشر سنة على قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وخمس سنوات على استيلائه على الحكم فى ١٧ يوليو ١٩٦٨ ، ليتظاهر سياسيا ويؤكد احكام سيطرته على النظام ، رغم تعرضه قبل أيام قليلة من هذه المناسبة لمحاولة انقلابية قام بها ناظم كزار مدير الامن العام ومحمد فاضل رئيس المكتب العسكرى فى الحزب ، وكلاهما كان من أقرب المقربين الى قمة السلطة الحاكمة .

على ان الحياة السياسية فى العراق شهدت خلال تلك الفترة عدة أحداث سياسية هامة عكست ، وسوف تعكس ، آثارها العميقة على مجرى التطورات القادمة :

أولا : قبل ايام قليلة من الاحتفالات اهتزت العاصمة العراقية على « الوقع المعتاد » لمحاولة انقلاب جديدة ، لم تجىء هذه المرة « العسكرتاريا » العراقية كما تعودت بغداد لفترة طويلة ، لكنها جاءت من بعض كوادر حزب البعث الحاكم ، وكانت هذه سمة بارزة للمحاولة . أما السمة الثانية فهى أن المتهمين الاساسيين فيها كانا محمد فاضل وناظم كزار .. وكلاهما مدنى وحزبى قديم ، الاول يشرف على المكتب العسكرى والثانى يرأس جهاز الامن لذلك منح رتبة اللواء الشرفية ويتبعان مباشرة صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة .

ثانيا : كانت الاحتفالات مناسبة لاعلان عدة تغييرات سياسية ملحوظة فى مجرى العمل السياسى واهمها : التعديل الدستورى الذى اقره مجلس قيادة الثورة . وكان من نتائجه النص على تشكيل مجلس للوزراء محدد الاختصاصات ، وان يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية مباشرة أو عن طريق هذا المجلس ، وانشاء هيئة عليا لها سلطة الرقابة المالية فى البلاد وتتبع مجلس قيادة الثورة .

وقد فهم من هذه التعديلات عدة مؤشرات منها سحب بعض اختصاصات مجلس قيادة الثورة واعطائها لمجلس للوزراء له كيان مستقل ، ومنها تركيز السلطة فى يد رئيس الجمهورية ومنها اعطاء سلطة الرقابة المالية العليا لهيئة واضحة المعالم والاختصاصات لاول مرة فى العراق .. وكانت هذه كلها بعض مطالب الاحزاب السياسية الاخرى المدعوة للحوار حول الجبهة الوطنية ، ولذلك فسرت هذه التعديلات الدستورية على انها تمهيد لمشاركة هذه الاحزاب فى قيادة البلاد داخل صيغة الجبهة .

ثالثا : فى مساء يوم الثلاثاء ١٧ يوليو ١٩٧٣ وقع الرئيس احمد حسن البكر ممثلا لحزب البعث وعزيز محمد السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى ، اتفاق الحزبان على ميثاق العمل الوطنى وقواعد العمل فى الجبهة الوطنية والتقدمية .

وكان هذا التوقيع « التاريخى » كما وصفه الطرفان ، حدثا سياسيا بارزا فى الحياة العراقية من ناحية ، ونتيجة ايجابية لحوار استمر عامين ، وبدأ منذ اعلان البعث لميثاق العمل الوطنى فى عام ١٩٧١ من ناحية اخرى . ولقد كان هذا الميثاق يعبر عند اعلانه عن مفهوم حزب البعث للتطورات السياسية فى البلاد ، ويعبر عن تصوراته للمستقبل ، ويطرح افكاره حول مشاركة الاخرين فى حكم البلاد .. ووقتها طلب

البعث من القوى السياسية الاخرى بدء حوار حول هذا الميثاق ، وصولا الى صيغة اتفاق ، تتكون بمقتضاه جبهة قومية وتقدمية تشارك فيها القوى السياسية البارزة .

وكانت دعوة الحوار موجهة أساسا الى ثلاث قوى سياسية هى : الحزب الديموقراطى الكردستانى ، والحزب الشيوعى ، والمجموعات القومية والديموقراطية المستقلة .

وبينما تركز الحوار عبر عامين شهدا عشرات من الاجتماعات ، بين البعث والاكراد حول الحل السلمى والديموقراطى للمشكلة الكردية ، وطريقة تنفيذ بيان آذار ـــ مارس ـــ الذى قرر منح الحكم الذاتى لهم فى اطار جمهورية عراقية موحدة ، فان المطالب الاساسية للاكراد تركزت فى :

١ ـــ تطبيق الحكم الذاتى فى مناطق الاغلبية الكردية .

٢ ـــ المشاركة الفعالة فى الحكم وخاصة فى المؤسسات التشريعية والتنفيذية .

٣ ـــ تحقيق التطور المتكافىء لاقاليم العراق عن طريق تنفيذ مشروعات التنمية والخدمات .

ومن خلال الحوار ، ظهرت نقاط الخلاف بين حزب البعث والحزب الكردستانى وهى أساسا :

● دور الاحزاب التى سوف تشارك فى الجبهة فى الحكم وفى قيادة البلاد ، فبينما يصر البعث على انه قائد الجبهة ، يصر الاكراد على ان القيادة للاحزاب المشتركة مجتمعة .

● ممارسة نشاط الحزب الكردى فى الجيش ، فبينما يصر البعث على قصر هذا النشاط عليه ، يرى الحزب الكردى انه من بين غيره من الاحزاب المدعوة للحوار ، يجب أن يكون له ايضا هذا الحق ، باعتبار أن ١٠ آلاف من المقاتلين الاكراد انضموا رسميا للجيش العراقى بعد الاتفاق على بيان آذار ، وأصبحوا يشكلون جزءا من البناء العسكرى للبلاد .

● طريقة تشكيل المؤسسات الدستورية ، وخاصة المجلس الوطنى ومجلس الوزراء وتوزيع المقاعد والمناصب داخل هذه المؤسسات .

● النص فى الميثاق على عروبة العراق ، فبينما يرى البعث أن النص السليم هو أن العراق جزء من الامة العربية ، يقول الاكراد أن النص يجب أن يكون « الشعب العربى فى العراق جزء من الامة العربية » على اساس ان العراق يضم قوميتين هما العرب والاكراد والاخيرين ليسوا جزءا من الامة العربية لكن لهم وضعهم المتميز قوميا .

● تنفيذ خطوات اعادة الجو الطبيعى للبلاد وانهاء دور اجهزة الامن فى تسيير الحياة الدستورية .

ورغم أن بعض هذه المطالب وما صاحبها من خلاف فى وجهات النظر ، خاصة بالاكراد ، الا أن بعضها الاخر مشترك مع كل الاحزاب الاخرى المساهمة فى الحوار السياسى مع البعث . غير أن المشكلة الاساسية هى أن حوار البعث ـــ الاكراد لم يصل بعد الى نتيجة نهائية ، وتعرض أكثر من مرة للتوقف . لكن الطرفين يصران على مواصلته وعلى تحقيق التفاهم القريب ، على أساس اقتناعهما أن بديل الحوار الديموقراطى ، هو اضعاف الوحدة الوطنية مما قد يؤدى الى استئناف العمليات العسكرية المريرة التى تعرض لها العراق طوال عشر سنوات طاحنة .

● ● ● ●

وفى مقابل الخلافات البعثية الكردية ، التى ما زال نقاشها ومحاولة تسويتها جارية ، فان الحوار على المحور الثانى ، أعنى بين البعث والحزب الشيوعى ، قد حقق اتفاقهما الذى أعلن فى ١٧ يوليو ١٩٧٣ والذى اكد الطرفان على اهميته التاريخية ، بعد خصومات طويلة ومريرة .

وقد كان واضحا خلال العامين الاخيرين أن الحزبين سوف يصلان الى نهاية ايجابية للحوار القائم بينهما والذى تمثل فى اشراك بعض الشيوعيين فى الحكم ، كما تمثل اساسا فى ايجابية حوارهما رغم تعرضه لعقبات الخلاف حول ميثاق الجبهة الوطنية ، وتمثل هذا الخلاف الذى **امكن حسمه اخيرا فى النقاط التالية :**

● قيادة الجبهة .. وهى نقطة خلاف مشتركة بين كل الاحزاب المدعوة للحوار مع البعث . ورغم ان هذه لم تسو مع الاكراد والقوى القومية مثلا ، فانها سويت مع الحزب الشيوعى فى الاتفاق الاخير بعد ان توصل الطرفان الى صيغة تقول : ان قيادة الجبهة للقوى السياسية المشتركة فيها والتى يتمتع حزب البعث بينها بدور

خاص ومتميز ، وذلك على أساس انه فى السلطة فعلا ويحكم البلاد .

● الاستقلال السياسي والتنظيمى للقـــوى الحزبية المشتركة فى الجبهة ، وقد أصر الحزب الشيوعى على بقاء هذه الاستقلالية داخل اطار الجبهة .

● طالب الحزب الشيوعى بانهاء فترة الحكم الاستثنائى خلال عامين . وخلال الحوار ، اتفق الطرفان على صيغة انهائها فى أقرب فرصة ، على اساس ان البعث اعلن انه قد ينهيها قبـل مرور عامين .

أما فيما يتعلق بتحرير فلسطين ، فقد توصل الطرفان فى اتفاقهما الاخـير الى صيغة استخدام كل الطرق المتاحة لتحرير فلسطين .

● تسوية المشكلة الكردية ، وقد اتفق الطرفان على أن اتفاقهما يمثل دفعة ايجابيـة للقوى العاقلة فى الحـزب الديمـوقراطى الكردستانى لتمارس دورا اكثر فعالية وشجاعة فى مواجهة القوى التى تدعو الى توتر العـلاقات ودفع الامور الى مواجهة مسلحة جـديدة ضد النظام . ومن هنا كان اتفاق البعث والشيوعيين على العمل معا ، ومشاركة فى الحوار مـع الاكراد والفئـات القـومية والديمـوقراطية الاخرى .

واذا كان الحوار مازال دائرا مع الاكراد ، وحقق فى نفس الوقت اتفاقا مع الشيوعيين ، الا أنه مازال متعثرا مع الفئات القومية ومـع الديموقراطيين المستقلين .

والمشكلة فى ذلك ، ان هذه الفئات ليست موحدة المواقف مثل الشيوعيين والاكراد مثلا . ليست داخلة فى أطر تنظيمية محددة المعـالم واضحة السياسات . ومن هنا ، فان مـوقف البعث تجاهها مازال غـير محـدد ، والقيادات البعثية تقول : مع من نتحـدث من هـؤلاء .. وعلى اى فئـة نعتمـد ، وكلـهم انقسـامات وخلافات ! ؟

والحقيقة ، ان الفئات القومية تشرذمت فى العراق بشكل ملفت ــ وليست هذه ظـاهرة سياسية عراقية فقط بقدر ما هى ظاهرة عربية عامة . ولقد وصل عدد هذه الفئات فى الفترة الاخيرة الى حوالى ١٣ تنظيما وحزبا ، منها على سـبيل المثـال لا الحصر : الوحـدويون الاشتراكيون ، والاشتراكيون العرب ، والحزب العربى الاشتراكى والطلائع الثورية للعـربى الاشتراكى ، ثم انشقاقات الاتحـاد الاشتراكى والقوميين العرب .. الخ .

وبالاضافة الى استغلال هذا التفتت ، فان البعث يطرح وجهة نظره قائلا ، انـه هو وحده الممثل الشرعى الاساسى للتيار القومى التقدمى فى العراق ، ومن ثم فالحماس للتحاور مع هذه الفئات ليس قويا داخل بعض دوائر الحزب .

ولقد تمثل هذا الموقف ــ الذى ترجم عدم عمق الحوار بين البعث والفئات القومية ــ فى لقاء عقده أخيرا صدام حسين وحضره حوالى ٤٠ شخصية من قيادات هذه الفئات . وبعد ٤ ساعات تحدث فيها نائب رئيس مجلس قيـادة الثورة عن الحوار والمشاركة فى الحكم ، انتهى اللقاء بلا نتائج محددة .

● ● ● ●

وبذلك يمكن أن يكون التحاور قد قطع شوطا معقولا للعمل المشترك بين البعث والقوى السياسية البارزة فى العراق والتى تضم الاكراد والشيوعيين والقوميين التقدميين والديموقراطيين المستقلين .

بقيت نقطة اساسية ، وهى تشـكيل قيـادة الجبهة ــ عندما يتم اتفاق أطرافها . وبداية فان نص التعديلات التى أدخلت على ميثاق الجبهة الوطنية بمقتضى اتفاق الشيوعيين مع البعث لم تعلن بعد ، وهناك وجهة نظر تنادى بتـأجيل اعلانها حتى تعرض على القوى السياسية الاخرى ليتم ادخال التعديلات المعروضة كلها معا ثم تعلن الصورة النهائية للميثاق المتفق عليه .

غير أنه رغم ذلك ، فان المعلومات المتوافرة عن تشكيل قيادة الجبهة تقول ، ان التصـور الاساسى لهذا التشكيل يتضمن توزيع المقاعد على الوجه التالى :

٨ مقاعد للبعث و ٣ للاكراد و ٣ للشيوعيين ومقعد واحد للقوميين التقدميين ومقعد آخـر للديموقراطيين المستقلين .

كما ان المجلس الوطنى ــ البرلمان ــ سوف يتكون من ١٥٠ عضوا توزع مقاعـدهم طبقـا للنسب السابق توزيعها فى قيادة الجبهة ، ثم تعمم نفس النسب على المستويات التنظيميـة والمؤسسات الشعبية الاخرى فى البلاد .

ولكن .. لماذا اعلان الجبهة الان والاتفـاق حولها بين البعث والشيوعيين ، ولماذا اهتمـام البعث بالذات لقيام الجبهة ؟

ان نظرة موضوعية على التحركات السياسية فى العراق وفى المنطقة المحيطة به تعكس اجابة شبه واضحة لهذا السؤال .

ففى داخل العراق هناك تطورات وتفاعـلات سياسية واضحة ، دفعت بالبعث الذى كـان منفردا بالحكم ودفعت بالقوى التقدمية الاخرى التى كانت مطاردة أو منزوية ومقاطعة الى ان تعاود مراجعة المواقف . وخاصة على ضـوء نتائج التجارب المريرة التى خاضها البعث محليا وعربيا ، ونتيجة لتوالى التصفيات والتصفيات المضادة بين كوادره وبينه وبين بعض الاحزاب الاخرى . كل ذلك دفع الى الامام الاقتناع بحتمية قيام جبهة وطنية تتحمل مسئولية الحكـم . كذلك ، فان بعض الخطوات الناجحة التـى تحققت فى البلاد خاصة تأميم النفط ، والاصـلاح الزراعى ، واعادة تخطيط الاقتصاد القـومى اقنعت القوى السياسية بجدية البعث فى الحوار حول الجبهة .

وصاحب ذلك كله تحـركات الرجعيـة داخل العراق فى محاولة للاستيلاء على السلطة، وهو خطر يهدد البعث كما يهدد كل الفئات التقدمية الاخرى . ومن ثم أصبح طريق الخلاص من خطر هذه التحركات الرجعية هوالتكاتف القـومى والتقدمى لضرب هذا الخطر الذى ظهرت بوادره ليس فقط على مستوى بقايا الرجعية العراقية بل بين بعض اجنحة البعث الحاكم نفسه .

اما اذا مددنا البصر خارج العـراق وعمـر حدوده ، فان الخريطة السياسية فى المنطقـة المحيطة وخاصة فى الخليج العربى ، يعاد الان رسمها على ضوء التطورات الدولية والمحليـة الاخيرة .

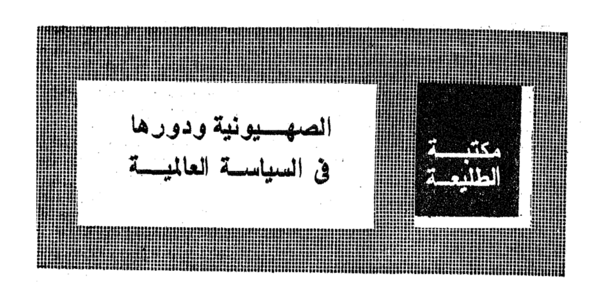
ولاشـك ان امريكا تتـزعم قـوى محليـة فى المنطقة فى محاولة لحصار حركة الثورة فى الخليج العربى ، وفى نفس الوقت لاسـتنزاف البترول العربى من هذه المنطقة التى تحوى ثلثى احتياطى البترول العالمى .

واذا كان العراق يؤمن بأن عليه دورا قوميا فى الخليج ، باعتباره دولة خليجية اساسية ، فان القوى المضادة تجد فيه خطرا تجدر محاصرته وضرب نفوذه قبل ان يتسلل للخليـج كلـه وينقل الى دويلاته وأماراته عدوى الثورة !!

وقد احيت كل هذه العوامل الداخليـة والخارجية الاحساس العام فى العراق بضرورة اعادة ترتيب المنزل وبضرورة توحيـد المـوقف الداخلى لمواجهة مخاطر المستقبل بجبهة وطنية موحدة .

الا أن دروس التاريخ تقول ان لنجاح العمل الجبهوى شروطا اساسية يجب توافرها واهمها : الثقة والثقة المتبادلة بين أطراف الجبهـة ، والجدية فى ممارسة النشاط الجبهوى علـى اساس انه سياسة بعيدة المدى وليست تكتيكا مؤقتا ، والتخلص من آثار صراعات المـاضى وحساسياته ، وبناء الجبهة فى القواعد وليس عند القمة وحدها ، بأسلوب ديمقراطى .

والواقع انه بقدر ماتتحقق هذه الشروط بقدرما يكون قد تم بالفعل تأمين طريق المستقبل .



■ تاليف :

هايمن لومر

■ عرض وتقديم :

د. رفعت السعيد

■ الناشر :

الناشرون الدوليون
نيويورك ١٩٧٣

ما أصعب أن يواجه الانسان بشجاعة خصما شرسا مثل الصهيونية العالمية فى عقر داره الحصينة .. نيويورك .. لكن هايمن لومر وهو يهودى أمريكى يقوم بهذه المهمة فى كتاب حظى باهتمام بالغ فى أوساط واسعة من الرأى العام الامريكى ، وخاصة دوائر اليسار والليبراليين اليهود فيه .

وفى الصفحة الاولى من الكتاب يجابهك الكاتب بموقف صريح .. ثلاث خرائط ، خريطة اسرائيل وفقا لقرار التقسيم ١٩٤٧ ، وخريطتها عام ١٩٤٩ ، ثم خريطتها مع الاراضى التى احتلت عقب عدوان ١٩٦٧ ، وبدون كلمة واحدة يدفعك الكاتب الى تبين السياسة التوسعية لاسرائيل ..

ثم تبدأ المجابهة ...

وهى ليست مهمة سهلة فالكاتب أولا وقبل كل شىء يهودى ، وهو يعيش حياة المجتمع اليهودى الامريكى ، وهو كقائد سياسى يسارى لا يريد أن

يعزل نفسه عن مجتمعه ، فهو فى مجلته النصف شـهرية The Jewish Communist يمـارس. مع جماهير اليهود الامريكيين كل الطقـوس اليهودية .. عشاء السبت وما الى ذلك .. لكنه برغم ذلك يوجه اداناته للصهيونية صريحـة وحادة ..

« لقد دفعت الازمة العنيفة فى الشرق الاوسط منذ يونيو ١٩٦٧ ، والحرب بين العرب واسرائيل بالمسألة الصهيونية الى المقدمة ، ذلـك أن الصهيونية هى التى تملى السياسة الاسرائيلية ، وهى الاداة الاساسية لحشد التأييد الامـريكى والاوربى لاسرائيل .. وهكذا ولكى نفهم اسرائيل ودوافعها علينا أن نفهم الصهيونية .. » .

الصهيونية السياسية

ويفرق الكاتب بين الصهيونية الدينية (التى تستند الى أساس دينى بحت) وبين الصهيونية السياسية التى أسسها « **موسيه هيس** » ودعا اليها فى كتابه « **روما واورشليم** » عام ١٨٦٢ قائلا « نحن اليهود سنظل دوما غرباء فى هذه الامم .. وكل يهودى أيا كان ، وسواء أراد أو لم يرد هو وبشكل أوتوماتيكى ، وبسبب طبيعة ميـلاده ، مضطر الى التضامن مع امته اليهودية ، وكل منهم يتحمل - برغم أنفه - مسئولية فى احياء دولة اسرائيل » .

لكن هذه الاراء لم تحظ باهتمام كبير ،حتى جاء هيرتزل مستخدما العداء المستعر ضد السامية فى أوربا مبررا لتكريس الصهيونية السياسية من جديد ، بينما حاولت عناصر ثورية يهودية أن تجد المخرج من العداء للسامية فى المساهمة فى النضال الثورى العام لبلادها ومن ثم وقفت وبحماس ضد الصهيونية ..

الصـهيونية .. زيف

والصهيونية السياسية كما يقول الكاتب « هى فى جوهرها فكر رجعى بورجوازى متعصب تقوم فى الاساس على فكرتين زائفتين تماما :

أولهما : ان اليهود فى مختلف أنحاء العالم يكونون أمة واحدة .

والثانية : ان معاداة السامية عنصر ثـابت ومستمر ولا يمكن تلافيه » .

وتفنيدا للفكرة الاولى يقول المـؤلف « ان الصهيونية تدعى أن اليهود يكونون أمة علـى أساس **بيولوجى** صرف ، ذلك انه من المفترض انهم سلالة يهود العصور القديمة ، وعلى روحى أى أن لديهم جميعا خلفية واحدة ، أو كما يقول البعض أن لديهم (ذاكرة تاريخية واحدة) ثم ديـانة واحدة ، ومن ثم تنشأ من ذلك عنـاصر لثقافة واحدة . والحقيقة أن الصهيونية تنظر لليهود كعنصر متميز استنادا الى فكرة « شعب الله المختار » المفترض ان يلعب دورا متميزا فىالتاريخ، ومن ثم فانه يتعين «فرزه» منفصلا عن الشعوب الاخرى .. **وباختصار فان الصهيونية تقوم على أساس أن ثمة فجوة لا يمكن تلافيها بين اليهودى وغير اليهودى . والغريب انها تلتقى بذلك مع الفكرة العنصرية المعادية للسامية** » .

اما عن الفكرة الثانية يقول **بنسكر** أحد مؤسسى الصهيونية السياسية ان معاداة السامية هى أيضا ذات طبيعة بيولوجية .. فهو يقول « ان عقدة كراهية اليهود ليست خاصة بجنس أو آخر لكنها تشمل الانسانية كلها وهى داء عضوى فـى الانسانية توارثته عبر الفى عام ، ولا يمكن شفائها منه » .

واذا كان هرتزل يقول ان سبب العداء للسامية اجتماعى وليس بيولوجى الا أنها فى نظره « شىء لا يمكن تلافيه أو التخلص منه » .

والصهيونية كما يقول « **لومر** » تنظر الى اليهود فى كل العالم كأشخاص موالين لاسرائيل ، وهى بذلك تحاول انتزاعهم من النضال الديمقراطى والتقدمى فى كل بلد على حدة ، وبحيث تصبح مشكلات البلاد التى يقيمون بها وكأنها لا تعنيهم .. انها تقيم حائطا من العزلة بين العامل اليهودى والعامل غير اليهودى ، ذلك أن التحالف الوحيد الممكن أمام العامل اليهودى هو مع اليهود الاخرين حتى ولو كانوا رأسماليين ، وهى تـرفض الاشتراكية كعلاج لمعاداة السامية ، فمعـاداة السامية مرض بيولوجى لا يمكن الشفاء منه » .

العرب طابور خامس فى وطنهم ..

وفى الوقت الذى يعدل فيه قانون الجنسية الاسرائيلى فى مايو ١٩٧١ بحيث يسمح لاى يهودى بالحصول على الجنسية الاسرائيلية « بمجـرد التعبير عن رغبته فى الاقامة فى اسرائيل » حتى ولم يتحرك بوصة واحدة من وطنه الاصلى » ، فان

العرب المقيمين داخل اسرائيل يعتبرون طابورا خامسا وتصادر اراضيهم . ويخضعون لحكم عسكرى دائم ، وفى ظروف معيشية منخفضة ، ووفقا لاحصاء رسمى اسرائيلى يبلغ متوسط دخل الاسرة العربية ٦٤ فى المائة من متوسط دخل الاسرة اليهودية ،فى حين أن متوسط المشتغلين فى الاسرة العربية ١ر٦ فرد ومتوسط المشتغلين فى الاسرة اليهودية ١ر٣ فرد .

● نصف العمال العرب فقط سمح لهم بالانضمام للهستدروت ، بينما ٤/٣ العمال اليهود منضمون اليه ، ثلث العمال العرب فقط يتمتعون شكليا بالتأمين الصحى ، بينما يتمتع به فعليا ٧٢ فى المائة من العمال اليهود .

● نسبة الطلبة العرب فى المعاهد العليا ٥ر١ فى المائة من مجموع الطلبة فى حين أنهم ١٢ فى المائة من السكان وهم ممنوعون من الدراسة فى كثير من الفروع بدعوى الامن ..

اليهود الشرقيون ..

أغلبية مضطهدة ..

واليهود الشرقيون ٦٠ فى المائة من سكان اسرائيل ، لكنهم بسبب كونهم شرقيين محرومين من الوظائف الهامة وحتى من التعليم العـالى ..

أبناؤهم يشكلون ٦٠ فى المائة من تلاميـذ المدارس الابتدائية ، وفى المدارس الثانوية تنخفض النسبة الى ٢٥ فى المائة ، ثم تهبط مرة أخرى لتصل فى الجامعات الى ١٠ فى المائة فقط ..

قالت نيويورك تايمز فى ٢٥ يناير ١٩٦٥ « انهم يعاملون اليهود الشرقيين فى اسرائيل كما يعامل الزنوج فى أمريكا » .

أما أبنة « موشى ديان » وهى كاتبة قصصية مشهورة فقد تحدثت فى أحد قصصها التى نشرت مجلة يعدوت احرونوت (٢٢ مارس ١٩٦٨) عن الصعوبات التى واجهت شخصا يحاول بيع منزله لانه المنزل المجاور مملوك ليهودى يمنى ويقول المشترى انه كان على استعداد لدفع ٥٠٠٠ ليرة أزيد اذا لم يكن للمنزل مثل هؤلاء الجيران .

والستين بالمائة من السكان لهم سدس من مقاعد الكنيست (٢٠ من ١٢٠ مقعدا) ولهم فى الوزارة وزيرين فقط .

لا تصــــــدق ..

الصهيونية اليسارية ..

ويحذر المؤلف من آية محاولة لادعاء أن الصهيونى يمكن أن يكون اشتراكى أو يسارى او ماركسى ، وهو يقول أن محاولات قديمة قد بدءت للمواءمة بين الفكر الصهيونى والاتجـاهات الاشتراكية ، عندما تأسست منظمة عمال صهيون فى ١٩٠٠ فى روسيا القيصرية ، والتى سرعان ما تحولت الى منظمة تدعو لاقامة دولة يهـودية اشتراكية على أرض فلسطين . وفى ١٩٠٥ تأسس فرع لعمال صهيون فى الولايات المتحدة .

وانقسم الصـهيونيون الاشـتراكيون الى جناحين : جنـــاح يدعى الماركسـية بزعـامة Ber Borochou Nachman Syrkin وكلاهما زائف ، فلا يمكن كما يقول الكاتب لاى صهيونى أن يكـون اشتراكيا او ماركسيا او يساريا ، فالصهيونية نظرة شوفينية تستهدف عزل العمال اليهود عن النضال القومى العام ضد رأس المال . ويورد الكاتب دليلا هاما على ذلك ، هو موقف منظمة عمال صهيون من ثورة ١٩٠٥ فى روسيا ، فقد أصدروا بيانا يقولون فيه « بما اننا لا نتوقع من هذه الثورة أى حل جذرى للمسألة اليهودية ، وطالما أن لنا رسالة تاريخية متميزة ، فاننا لن نشارك فى التحضير لهذه الثورة .. ذلك اننا نحن اليهود نشارك فقط فى الاعمال التى تخدم بشكل خاص المصالح اليهودية » .

The Jewish Worker, Moscow, 1925, vol. II. p. 401.

ويؤكد المؤلف « أن الحركة البروليتارية العالمية لم تخدع مطلقا بأية دعاوى ماركسية أو يسارية رددتها الصهيونية . وفى عام ١٩٢٠ وافقت أغلبية المؤتمر العالمى الخامس لعمال صهيون على الانضمام للدولية الشيوعية ، لكن طلبهم رفض رفضـا قاطعا » .

الصهيونية .. فى

خدمة الامبريالية

وهذا هو عنوان الفصل الثانى من الكتاب ، وفيه يقول الكاتب ان مجرد اصرار الصهيونيين

على اقامة وطن قومى لهم فى أرض فلسطين ضد ارادة سكانها العرب ، وما يستتبعه ذلك من مقاومة عربية ، ان ذلك — فى ذاته — قد أدى بالصهيونيين وهم يخططون — منذ البداية — لمشروع دولتهم الى السعى للاعتماد على أحد القوى الامبريالية .

ويسرد الكاتب سلسلة من التحالفات غير الشريفة بين الصهيونية والامبريالية .. ويقول ان وايزمان كتب خلال الحرب العالمية الاولى الى سكوت رئيس تحرير مانشستر جارديان يقول «انه اذا خرجت بريطانيا من الحرب وهى مستحوذة على فلسطين ، واذا ما شجع الانجليز الهجرة اليهودية اليها ، **فان اليهود يتعهدون بضمان حماية فعالة للمصالح البريطانية فى قناة السويس** » .

بل ان الصهيونية قد سعت الى تمكين بريطانيا من فرض نفوذها على فلسطين .. وقد كتب وايزمان يقول « ماذا كنا نريد ؟ .. كنا نريد أن تصبح فلسطين تحت الحماية البريطانية ، ان اليهود فى كل انحاء العالم يثقون ثقة كاملة فى بريطانيا » .

مع الاستعمار الجديد

خلال الفترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٦ كانت اسرائيل تقدم معونات اقتصادية وفنية وتدريبية وقروض واستثمارات الى ٣٨ دولة افريقية ، ٢٣ دولة من أمريكا اللاتينية ، ١١ دولة آسيوية ، ٨ فى حوض البحر الابيض المتوسط (نقلا عن Leopold Laufer اسرائيل والدول النامية ص ١٨] . ويتساءل المؤلف كيف استطاعت اسرائيل أن تتحمل كل هذا العبء الا اذا كانت تعتمد على مساندة قادة الاستعمار الجديد فى أمريكا ..

والعلاقات مع جنوب افريقيا تتزايد باستمرار ، كانت الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا ٤ر١ مليون جنيه عام ١٩٦١ ، فأصبحت ٤ملايين جنيه فى ١٩٦٧ ، ثم ارتفعت الى ١٥ مليونا فى ١٩٧٠ . وفى عام ١٩٦٨ كانت المجوهرات المعاد صقلها تمثل ٤ر٣٤ فى المائة من الصادرات الاسرائيلية (وهى مستوردة أصلا من جنوب افريقيا) .

ويكشف المؤلف عن الدور الذى تلعبه الجالية اليهودية فى جنوب افريقيا ١٢٠,٠٠٠ شخص والتى تعد أغنى جالية يهودية فى الخارج ، والتى تقدم مساعدات مالية ضخمة لاسرائيل ، ويقول انها تتعاون تعاونا وثيقا مع الحزب القومى (الحاكم) والذى كان خلال الحرب العالمية الثانية حزبا مواليا للنازية .

عملاء للمخابرات الامبريالية أيضا

وعلى مدى التاريخ — كما يقول الكاتب — كانت الصهيونية السياسية تكرس جهودها لخدمة المخابرات الامبريالية ، يقول Jacob Hass « خلال سنوات الحرب العالمية الاولى كانت القوة الاساسية للمنظمة الصهيونية فى أمريكا تكمن فى اتصالاتها الواسعة ، وفيما تملكه من معلومات ، فاذا ما طلب الرئيس نيلسون — مثلا — معلومات عن أنصار أو خصوم كيرنسكى فى روسيا ، فان مكتبنا فى نيويورك كان يقدم له تفاصيل وافية على الفور » .

ويكشف المؤلف أيضا عن دور المخابرات البريطانية فى تأسيس منظمة أرجون زفاى ليون بزعامة مناحم بيجن وسط المهاجرين البولنديين اليهود ..

أما اليوم فان المخابرات الاسرائيلية وهى — كما يقول المؤلف — جهاز عالى الكفاءة ويمتلك شبكة تجسس واسعة على نطاق العالم كله ، تضع كل ما تحصل عليه من معلومات تحت أمرة المخابرات الامريكية .

وبالمقابل فان الامريكيين يقدمون لهم كل ما لديهم من معلومات عن منطقة الشرق الاوسط ..

ويفضح David Ness الذى كان قائما بالاعمال الامريكية فى القاهرة خلال عدوان ١٩٦٧ هذه العلاقة فيقول : « **خلال الاشهر السابقة على حرب يونيو ١٩٦٧ كانت واشنطون تلح فى طلب معلومات من السفارات الامريكية وأجهزة المخابرات فى منطقة الشرق الاوسط ، ويمكن القول بأن كل أجهزة وكالة المخابرات المركزية وادارة المخابرات الحربية الامريكية فى الشرق الاوسط قد وضعت تماما تحت تصرف اسرائيل فى هذه الفترة** » .

ويؤكد Ness « أن كفاءة ضربات الطيران الاسرائيلى فى يوم ٥ يونيو قد اعتمدت جزئيا ، ان لم يكن كليا ، على المعلومات التى قدمتها المخابرات الامريكية لاسرائيل عن المطارات المصرية ، ويمكن القول - أيضا - أن وزارة الخارجية الامريكية تسلم لسفارة اسرائيل فى واشنطون نسخا من كل التقارير الهامة عن منطقة الشرق الاوسط ».

وتدور المطابع ، وتصدر كتبا لا تحصى ، بعضها هام وبعضها غير هام ، لكن كتاب هايمن لومرهذا يبقى فريدا من نوعه ، تعبيرا عن شجاعة مناضل يسارى أمريكى يواجه التيار فى وطنه ، معلنا الحقيقة فى وجه مواطنيه ، وفوق هذا القدر من الشجاعة ، فان الكتاب يبقى نموذجا فى التحليل العلمى الماركسى لطبيعة الصهيونية ومنابعها الفكرية والاجتماعية .



من المجلات العالمية

لماذا يثار غبار الحرب الباردة حول أحداث أفغانستان ؟

فى جو عام من حملة الصحافة فى العالم الغربى عن « الوفاق » الدولى جاء اعلان النظام الجمهورى فى افغانستان وتولى داود خان السلطة فيها بعد عزل الملك محمد ظاهر شاه ليفجر جانبا من جوانب الصراع الباقية بين النظامين العالميين الاشتراكى والرأسمالى برغم اتفاقيات التعاون بين الشرق والغرب .

فلقد تناولت تعليقات ، وتحليلات صحف العواصم الغربية « انقلاب » أفغانستان ، على أنه ضربة سوفيتية جديدة موجهة للغرب والنفوذ الغربى فى جنوب آسيا والمناطق المتاخمة للمحيط الهندى . حتى أن هذه التعليقات والتحليلات تعيد الى الاذهان جو الحرب الباردة وأصداء الحديث عن «الخطر السوفيتى» و «التوسع الاحمر» . الخ .

وتنتشر فى صحف الغرب كلها - ربما بلا استثناء - نغمة الحسرة أو الاسف بسبب وقوع هذا الانقلاب فى افغانستان رغم ان هذه الصحف جميعا - وبلا استثناء أيضا - تعترف بحالة الفساد التى سادت افغانستان فى السنوات الاخيرة والتخلف الذى ران على هذا البلد رغم المساعدات التى تدفقت عليه من « الشرق والغرب » ولا غرابة فى هذا ، فان الصحافة الغربية اعتادت أن تضع مصالح العالم الغربى الاقتصادية والاستراتيجية فوق المصالح الوطنية لاى من البلاد .

على هذا النمط تصور مجلة « نيوزويك » الامريكية ما تسميه بأحلام الجنرال داود على أنه اقتطاع جزء آخر من باكستان لتكوين دولة «باختونستان» من قبائل الباتهان التى يعيش بعضها

في افغانستان وبعضـها الاخر في باكستان . وتصل « نيوزويك » الى حد الزعم بانه قد يغامر باثارة حرب دموية جديدة ، على غرار حرب بنجالاديش من أجل تكويـن هـذه الدولـة لتكون « عميلة » لافغانستان !.

ولكن « نيوزويك » تردد كل هذا في الوقت الذي تعترف فيه بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتراكمة في افغانستان :

« انها بلد فقير الى حد البؤس حيث يعيش معظم السكان على أقل من ٦ دولارات في الشهر (أقل من ٣ جنيهات) . وتترنح افغانستان تحت وطأة ٣ سنوات من الجفاف والمجاعة . وقد قضى ما لا يقل عن ٨٠ ألف شخص نحبه جوعا . وحتى في الاوقات الطيبة ، فان نصف الاطفال الذين يولدون في افغانستان يموتون قبل ان يكملوا السنة الاولى من عمرهم . كما أن أقل من ١٠ في المائة من السكان يعرفون القراءة والكتابة ولا يوجد جهاز وظيفي كفء ولهذا فانه لا يوجد نظام فعال لجمع الضرائب ، والبرلمان نصف أعضائه فقط يعرفون القراءة » .

وكان كل هذه الاوضاع لا تكفي سببا لتغيير نظام الحكم في أفغانستان ، حتى أن « نيوزويك » ترى أن الهدف من التغيير هو في الاساس « حلم » جنرال داود بانقطاع جزء آخر من باكستان !

وبهذا المفهوم نجد مجلة « **تايم** » **الامريكية** تحلل الموقف في أفغانستان نتيجة لاقامة النظـام الجمهوري في مقال لها بعنوان : « **انقلاب فـي مفترق الطرق** » على النحو التالي الذي تعكسه آخر فقرتين في هذا المقال :

« لقد استطاع الجنرال داود في الفترة التي قضاها كرئيس للوزراء ـ فيما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٦٣ ـ استغلال موقع أفغانستان الاستراتيجي بذكاء ، حيث تقع بالقرب من ممر خيبر ، وتوجد حدود مشتركة بينها وبين كل من ايران وباكستان والصين وروسيا . واستطاع بذلك أن يدفع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى التنافس على تقديم العون لبلاده . وقد قال يوما على سبيل المزاح : انني أشعر بقمة السعادة عندما أشعل سيجارتي الامريكية بعود ثقاب روسي .

« غير أن المساعدة الاقتصادية والعسكرية ، التي قدمتها موسكو ، والتي بلغت قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار في السنوات العشرين الماضية قد فاقت بكثير معونة واشنطن التي بلغت ٥٠ مليون دولار . وقد فاقت الحرارة المنبعثة من شعلة عود الثقاب في نهاية المطاف وهج السيجارة » .

أما صحيفة « **التايمز** » **البريطانية** فقد أشارت نقطة هامة في مقال افتتاحي لها ، ربما لم تتعرض لها أي من صحف الغرب الاخرى في تعليقاتها على الانقلاب . اذ قالت :

« يمكن قبول أسباب انقلاب أفغانستان على أنها استياء جنرال داود من حـالة أفغانستان السياسية طوال السنوات العشر الماضية . ولكن منابع القوة في الانقلاب تكمن كلية في مظاهر الولاء ومظاهر الغيرة في الجيش والبلاط . **أما طبقة المثقفين التي تشعر انها مزودة بالثقافة والخبرة التي تمكنها من وضع نظام نيابي للحكم ، فانها لاتزال ـ وفقا لما تشير اليه الانباء ـ تتخذ مواقع المتفـرجين العاجزين ازاء الاحداث** » .

وكان تعليـق مجلـة الـ « **ايكـونوميست** » **البريطانية** مؤكدا لعدم ارتياح عواصم الغـرب الاوروبية والعواصم الموالية لها في منطقة الشرق الادنى وجنوب وغرب آسيا للتغيير الذي حدث في كابول . وقد اتضح هذا من السطور الاولـى لتعليقها مباشرة :

« ان باستطاعة الامير محمد داود ـ القائد الذي استولى على السلطة في كابول ـ أن يفخر بأنه صنع ثلاثة أشياء دفعة واحدة . **لقد أسقط الملكية ، ومهد لاحتمال نشوب حرب أهلية يمكن أن تجر اليها جيران أفغانستان الاقوياء ، وربما يكون أيضا قد نقل التوازن الاقليمي بوصة أو بوصتين حاسمتين لصالح الروس** » .

وربما كانت الـ « **ايكونوميست** » أكثر صحف الغرب وضوحا في شرح موقف الدول المجاورة لافغانستان ـ والتي تلعب دورا غريبا ـ ازاء هذا التغيير :

« لقد خبا تأييد افغانستان لفكرة اقامة دولة « باختونستان » بعد عزل الامير داود منذ ١٠ سنوات . وسوف يزعج الرئيس بوتو وشاه ايران أن تحيى من جديد . **وهذا الخوف هو بالتحديد الذي دفع الشاه لان يؤكد للرئيس بوتو تأييد ايران العسكري اذا وقعت اية محاولات لكسر وحدة باكستان . ان الشاه يساوره شك عميق في أن الروس يعتزمون مد نفوذهم حول ايران** . وسوف

تتأكد مخاوفه اذا تبين أن الامير داود ينوى الاقتراب اكثر الى الاتحاد السوفيتى ، وتشجيع الانفصالية بين الباتهان الباكستانيين » .

وتضيف المجلة البريطانية الى هذا — فى عدد تال لها — « أن افغانستان الاكثر اعتمادا على الروس يمكن أن تشكل فرصا جديدة للباتهان والبالوشستان للاتجاه نحو حملة حرب عصابات قوية ضد حكم بوتو (باكستان) .

« وقد يعنى هذا بالنسبة الروس — بالاضافة الى الثورة الموجودة فى ظفار — فى جنوب عمان — تطبين من القلاقل فى المنطقة . وعندئذ **ربما يكون الروس متجهين بانظارهم نحو اتساع آخر للاعمال التخريبية بين امارات البترول فى الخليج . وهذا تخمين معقول عن أهداف الروس » !** .

وتستعرض صحيفة « **الهيرالد تريبيون** » **الامريكية** الذكريات القديمة التى تمثلها أفغانستان بالنسبة للاستعماريين القدامى — وخاصة البريطانيين — ولكنها عادت سريعا الى الموقف الراهن لتقول :

« الواقع أن الولايات المتحدة ، وليست بريطانيا ، هى التى كانت تتنافس مع الاتحاد السوفيتى على الفوز بصداقة أفغانستان . وكانت هذه المنافسة تدور حول الاعمال المفيدة التى يمكن أن تقوم بها الدولتان وليس التقاتل ، وذلك فى الوقت الذى يحظى فيه الاتحاد السوفيتى بتأييد الهند المستقلة وليس عداوتها .. وبعد فهل ستكون لاعلان الجمهورية فى افغانستان بواسطة جنرال داود أهمية على المستوى الدولى ؟ .. **يبدو أن الموقف مازال غامضا . الا ان الامريكيين يحسنون صنعا لو انهم حولوا انتباههم — من حين لاخر — عن قضية ووترجيت . لكى يتطلعوا الى نهر كابول الذى غنى له الشاعر كيبلنج »** .

وهكذا فان صحافة العالم الغربى — وخاصة تلك الناطقة بلسان احتكارات معينة لها وجود فى تلك المنطقة ، وخاصة احتكارات البترول — تقوم بعملية « اسقاط » لافكار الغرب على احداث المنطقة فيما تقدمه من تفسيرات وتحليلات لاعلان النظام الجمهورى فى افغانستان .

وهى لاتضع فى تحليلاتها اى اعتبار لما اعلنه رئيس افغانستان الجديد عن حرص حكومته على انتهاج سياسة عدم الانحياز . ويتضح — كما قلنا فى البداية — غياب اى احساس « بالوفاق » بين الشرق والغرب لمجرد وقوع انقلاب فى بلد تتوفر فيه كل الاسباب الموضوعية الداخلية له .

ولم يكن غريبا ان تهتم الصحف الاسرائيلية بالتعقيب على الانقلاب من زاوية قلق الغرب وحلفائه فى المنطقة فيه . فنجد صحيفة « **جيروزاليم بوست** » — اقرب الصحف نطقا باراء وزارة الخارجية الاسرائيلية — تقول :

« **يدخل الانقلاب الذى وقع فى كابول عامل شك جديد فى المنطقة التى تتزايد فيها الاضطرابات على الجانب الغربى للهند** . غير ان هناك ظاهرة مريحة من وجهة النظر الهندية ، الا وهى ان من قام بالانقلاب للاطاحة بالملك ظاهر شاه يعد صديقا قديما للهند وللاتحاد السوفيتى . وهذا يوضح السبب الذى جعل نيودلهى وموسكو اول عاصمتين تعترفان بالجمهورية .

« **ولا يمكن ان تشعر ايران وباكستان بالارتياح للتطورات التى حدثت فى هذه الدولة المجاورة لهما واللتان تعدان المنفذ الوحيد لتجارتها عن طريق** المحيط الهندى . وليس بوسع شاه ايران ان يرحب بتغيير النظام الملكى الاقطاعى الى نظام جمهورى له اتجاهات سوفيتية ، لان ذلك قد يكون بمثابة حافز للشباب الطموح من الكولونيلات فى القوات المسلحة الايرانية » .

واختتمت الصحيفة الاسرائيلية تحليلها **بالاسلوب** التقليدى المتبع دائما فى الغرب وهو اسلوب البحث عن « الخطر السوفيتى » وراء اى انقلاب او تغيير سياسى او اجتماعى هنا او هناك . فنجدها تقول « **لقد اثار ذلك الانقلاب مخاوف دبلوماسيى الدول الغربية .. من ان تصبح روسيا فى نهاية الامر فى وضع يتيح لها فرصة الحصول على ميناء فى المياه الساخنة تقوم بالسيطرة عليه من وسط اسيا . وقد تأكدت هذه المخاوف من الانباء التى أشارت الى ان الاتحاد السوفيتى كان بمثابة العقل المدبر للانقلاب الذى قام به الجنرال داود »** .

اما **صحافة الهند** فقد كان لها منهج آخر ، ومنظور مختلف فى التناول . انها اقرب الى واقع المنطقة وصراعاتها المباشرة . وقد كتبت صحيفة « **باتريوت** » الهندية بعد نحو شهر كامل من التغيير فى أفغانستان تقول :

« **من المرجح ان تكون لدعم حكم داود فى افغانستان آثار بعيدة المدى على باكستان . وبالفعل فان هناك تقارير عن حشد قوات باكستانية**

على الحدود الباكستانية الافغانية • وقد تولى الجنرال شيكا خان (الذى قاد قوات باكستان فى المذابح الرهيبة ضد البنغاليين فى باكستان الشرقية التى أثارت وعجلت بحركة استقلال بنجالاديش) القيادة فى تلك المنطقة بنفسه ، واستبدل رجال الميليشيا والكشافة (الذين يتولون عادة دوريات الحدود والذين ينتمون للقبائل المحلية) بقوات ضاربة بنجابية •

« لقد اعترفت كل من باكستان والصين بحكومة داود • وجاء قرار بكين بالاعتراف بعد محادثات سريعة بين عزيز احمد (وزير خارجيةباكستان) والسفير الصينى • وقد طار مسئول كبير فى وكالة المخابرات المركزية الامريكية من طهران الى اسلام اباد لجمع المعلومات عن الموقف • ومن الواضح ان المجموعة الباكستانية الحاكمةوتؤيدها الولايات المتحدة والصين وايران - لاتزال تأمل رغم كل شىء فى امكان اسقاط حكومة داود ••

« وربما يعتمد المتشددون الباكستانيون على مقدرة اسلام اباد على ابتزاز كابول عن طريق سحب تسهيلات العبور فى مطار كراتش واغلاق الطرق البرية التى تربط أفغانستان بالهند •

ولقد كانت باكستان قد مارست - فى اواخر الخمسينات - ضغطا كبيرا على افغانستان عندما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وكان سردار داود وقتها رئيسا للوزراء • اما اليوم، فان الموقف قد طرا عليه تغير كبير • فقد انشىء بالفعل طريق برى بين الاتحاد السوفيتى وأفغانستان •• وقد لايكون هذا هو الحل المثالى ، ولكن كابول تأمل ان تحول دون اى طارىء لبعض الوقت ، ولكن باكستان يمكن ان تخسر كثيراً » •

كلمة الى «البلاغ» البيروتية عن التقاليد الصحفية

نشرت مجلة البلاغ البيروتية فى أعدادهاالاخيرة ، ما قيل انه ندوة أدبية دارت ، هنا فى القاهرة ، فى « الطليعة » •

والامر المؤكد هو أن الطليعة هى التى تملك وحدها حق نشر الندوات التى تدور فى داخلها ، أو على الاقل هى التى تحدد متى ينشر وكيف ينشر ما تملكه من مقالات أو ندوات لا نزاع فى حق ملكيتها لها • ولقد جرى العرف بين الصحفيين بأن تحصل مجلة من مجلة أخرى على اذن بنشر ما نشر أو لم ينشر فيها •

لكن زميلتنا البيروتية يبدو انها فوق العرف والتقاليد المستقرة ، وانها تنجرف فى تقاليد صحفية غريبة علينا : شعارها شهوة النشر بأى ثمن ، ومهما يكن الثمن ، وأن تعتبر ملكا لها ما ليس كذلك •

وليست هذه هى السابقة الاولى لمجلة البلاغ البيروتية •• ففى مارس سنة ١٩٧٣ ، نشرت مذكرة بتوقيع بعض الصحفيين والكتاب فى مصر ، موجهة الى السلطات المختصة • وفى هذه المرة - أيضا - لم تستأذن البلاغ فى نشر هذه المذكرة ، ولو من باب العلاقات الطيبة التى يفترض أنها تجمع صحفيين عربا هنا ، فى القاهرة ، وهناك ، فى لبنان ، تحت اسم مهنة الصحافة •

ولم يقتصر الامر على هذا ، فان المذكرة التى كانت قد نشرتها البلاغ لم تحصل عليها من أصحاب المذكرة أنفسهم ، أو حتى تستأذنهم فى نشرها ، ولم يقتصر الامر على كل هذه الوسائل التى نراها غريبة ، بل اضافت اليها البلاغ اضافات لم ترد فى الاصل الوحيد الذى قدم فعلا الى المسئولين •

واخيرا فنحن نكتفى بان نسأل الزميلة البيروتية لماذا هذا ؟ •• ولمصلحة من ؟ •• الا اذا كان المقصود هو المزيد من تصديع الصف الوطنى ، والمضى فى احراج زملائهم المصريين •• وهل لا يمكن أن تقوم بين الصحفيين والكتاب هنا ، وبين بعض الصحف والمجلات البيروتية علاقات سليمة ، تأخذ فى الاعتبار الاحترام المتبادل ، بل المصلحة المتبادلة ؟

نحن نأمل •

■ الطليعة ■



وجهة نظر :

على العالم أن يكون عالما

كتب الدكتور يسرى خميس :

وصلنى عن طريق الصدفة عدد أبريل ١٩٧٣ من مجلة « الطليعة » وأنا ـ فى الغربة ـ موفد منذ مارس ٧٣ فى مهمة علمية ، على حساب منحة من المانيا الغربية لاجراء بعض البحوث حول أمراض الماشية . وقد تعرضت « الطليعة » لدراسة « مشكلة هجرة العقول » . وفى الحقيقة ، لقد غطت الدراسات والشهادات المعروضة اغلب أبعاد المشكلة من عوامل طرد ، الى عوامل جذب ، ومن دوافع عامة الى دوافع شخصية . وكأحد الذين يساهمون فى تطوير البحث العلمى فى مصرنا العزيزة ، وفى ارساء المنهج العلمى فى فهم الواقع ، بهدف تغييره ـ لن أقترح حلولا ، لكننى سوف أناقش باختصار بعض النقاط التى أثيرت وبعضها التى قد أهملت .

العلم كسلعة

العلم فى الدول الرأسمالية (المتقدمة ـ وبتعبير ادق « المتقدمة تكنولوجيا ») سلعة من السلع الاساسية المطروحة فى السوق ـ مهما غلفت هذه السلعة بكثير من الاغلفة المتعددة الالوان ، المرئية وغير المرئية . ان « السلعة ـ العلم » تدخل فى نظام تسويق معين ، يتحرك داخل نظام اقتصادى معين ، يحكمه ويرسم له هيكل سياسى معين . وهذا مفهوم ومبرر .

الوضع هنا فى مصر يختلف تماما . الواقع السياسى الاقتصادى ،والتركيب الاجتماعى يختلف كلية عن الدول الرأسمالية . هذه بديهية . ومع ذلك ففهم أغلب الافراد العلميين فى مصر يقترب كثيرا من وجهة نظر الدول الرأسمالية ، وأعتقد أن ذلك يرجع الى أن بعض المشتغلين بالعلم فى مصر

* د. يسرى خميس استاذ مساعد بكلية الطب البيطرى ـ جامعة عين شمس

ينحدرون أصلا من طبقات فقيرة ، أو من الطبقة البورجوازية الصغيرة · وهذا البعض يحاول باستمرار — مع توفر عدم الوعى السياسى الذى تكلم عنه الاستاذ سيد ياسين — أن يتخطى وضعه الطبقى ، مطالبا بامتيازات وامتيازات لا تنتهى ، ومحولا فى النهاية المعرفة العلمية الى سلعة · كما أننا لا نعدم للاسف أن نجد أفرادا من المشتغلين بالتدريس فى الجامعات مثلا يبيعون معرفتهم العلمية بشكل أو بآخر ، بل أحيانا تباع بشكل علنى (الدروس الخصوصية ولعبة الكتب ... الخ) بل وبالمزايدة والتنافس الحر أيضا ·

العلماء والفهم غير العلمى

الغريب والملفت للنظر ، أن كثيرا من علمائنا عاجزون —بالفعل— عن رؤية الواقع المصرى بشكل علمى ، الواقع فى شموله · فغالبا ما يفهم هذا العالم أو ذاك تخصصه بشكل جيد · لكنه ، اذا خطى خطوة خارج هذا التخصص ، تجده يرتد الى فهم قدرى ، غيبى ، ومتوارث فى لاعقلانيته · العلم يرصد الظاهرة ، ويحللها ، ويفهمها — ليس بشكل منفصل عن الواقع العام ، التى تكون الظاهرة جزءا منه ، بل داخل هذا الواقع وعلاقة كل منهما بالاخر · يحاول أن يفهم الجزئى ، حتى يمكن ادراك الكلى فى النهاية · فالعالم المصرى ، غالبا ما يفعل ذلك ، فى حدود تخصصه · لكنه غالبا ما يفشل فى ربط ذلك بالواقع الذى نعيشه فى تلك المرحلة التاريخية المتأزمة والاطار التاريخى الذى نتحرك فيه · يشكو من نقص الاجهزة ، والدوريات العلمية ، والكيماويات .. الخ ولا يتساءل قط : لماذا ؟ ولا يرى أننا فى ظروف استعداد لمعركة طويلة الاجل ، وأن قوى عالمية معادية ومتعددة الوجوه تمارس الضغط على المنطقة بأكملها ، وأن اقتصادنا مثقل بضغوط اضطرارية مرحلية ، وأن لميزانية الدولة أولويات ·· الخ وهنا يتناقض العالم مع منطق العلم تناقضا صريحا ومباشرا ، يسقط عنه فى الحال صفة « العالم » ·

لن نقول : ادفع ديون عرق ملايين الفلاحين · ولو أن هذا ضرورى ·

ولن نقول : كن مخلصا لتراب وطنك · وهذا ضرورى أيضا ·

لكننا نقول : فقط ، كن « عالما » فى رؤيتك للواقع ·

تساؤلات لا لزوم للرد عليها

وهنا يقع الدكتور السيد الحسينى والدكتور عبد الباسط محمد فى نفس الخطأ التقليدى الذى يقع فيه الاخرون ، حيث ينظران للمشكلة بشكل منفصل عن اطارها الاجتماعى والتاريخى ، ويرجعان أسباب الهجرة ضمنا الى :

١ — « فقدان المناخ العلمى » · وأتساءل بشغف : من سيخلق هذا المناخ اذن ، ان لم نخلقه نحن ؟ فى ظروف بلد نامية ·

٢ — « احساس العالم بعدم وجود التقدير الكافى من (أفراد المجتمع) » ·

حقيقة أريد أن أعرف كيف ؟ وبأى شكل يكون هذا التقدير — من (أفراد المجتمع) ؟

٣ — « احساس العالم (بالاغتراب) عن بقية أفراد المجتمع » ·

أى نوع من أنواع الاغتراب هذا ؟ لا يمكن أن يكون الا اغتراب البورجوازى عن بقية شعبه ، عندما ينزل للقرية المصرية ويزعجه منظر الاطفال القذرين والبيوت الطين !! متناسيا تماما كل نضال الشعب المصرى ضد القوى القديمة التى تعرقل تطوره فى مسار التاريخ ·

٤ — « عدم وجود تقاليد للبحث العلمى » · هذا طبيعى أيضا · ومن اذن سيرسى تلك التقاليد ، ان لم نضعها نحن ؟

٥ — « الظروف الراهنة ، خاصة بعد هزيمة يونيو ، وما تطلبته وتتطلبه من تضحيات » — كما تؤكده الاحصائيات المنشورة بنفس العدد من ارتفاع نسبة المهاجرين فى عامى ٦٨ ، ١٩٦٩ بشكل ملفت للنظر · وهنا تسقط كل الاقنعة ، ويظهر الوجه البورجوازى البراجماتى النفعى · ولو اتخذ هذا كنموذج ، لفرغت دول العالم الفقيرة ، ولهاجرت قارة افريقيا وأغلب دول قارة آسيا ، وأمريكا الجنوبية الى الولايات المتحدة

العلم محليا وليس عالميا

فى دراسة الدكتور رشدى لبيب القيمة ، استوقفتنى عبارة أن [العلم عالمى فى حقائقه] وان كان هذا يصدق لحد ما على بعض فروع العلم كالرياضيات والفيزياء ، الا انه يختلف تماما عند اصطدامه بالواقع ، ويختلف أيضا مع أغلب فروع المعرفة العلمية الاخرى · حتى الحقيقة العلمية

متغيرة باستمرار . أدوات البحث الجديدة تتيح لنا امكانيات جديدة لرؤية أعمق، وتكشف لنا عن أبعاد جديدة، نضطر أمامها باستمرار أن نتراجع عن معارفنا السابقة، وأن نعيد النظر فيها، وأن نصححها. هذا هو ديالكتيك الحقيقة العلمية ومنطقها .

الخبرة العلمية المحلية تتفق دائما مع خبرات وتختلف مع خبرات أخرى فى أماكن مختلفة . الحقيقة العلمية تبدأ أصلا ودائما من خبرة جزئية محلية . تبدأ من الواقع الخاص، المحلى الخاص الذى يتعامل معه العالم ويفهمه أكثر من أى واقع غيره، والذى يختلف عن أى واقع آخر . ومن هنا فقط، يمكن أن تكتسب الخبرة العلمية أهمية أوسع فى مناطق مختلفة من العالم .

الحرية .. الحرية المسئولة

وأخيرا استوقفنى فى مقال الدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** « ضرر عمليات الاضطهاد السياسى والاقصاء عن العمل، وقصر المناصب ذات الفعالية على الانصار السياسيين بغض النظر عن كفاءتهم » . وان كان هذا يمكن فهمه فى ظل عدم الاستقرار السياسى الذى تحدث عنه سيادة الوزير، فى الدول النامية بشكل عام، الا انه ليس مبررا على الاطلاق، بل يجب على كل صوت مخلص أن يكون باستمرار ضد مثل هذه الاجراءات، التى تعوق معدل التطور . ففى ظل الحرية، الحرية المسئولة فقط، يمكن للعلماء والمفكرين أن يقدموا شيئا لمصر .

■ ■

نداء الى شعوب العالم لانقاذ الوطنين الفيتناميين

وجهت لجنة نضال جنوب الفيتنام نداء عاجلا الى شعوب العالم ومحبى السلام والتقدم تطالبهم فيه بالعمل على الافراج عن المعتقلين السياسيين الذين ما زالوا فى سجون حكومة سايجون العميلة .

وجاء فى النداء :

ان توقيع اتفاقية انهاء الحرب، واعادة السلام فى فيتنام نصر عظيم للشعب الفيتنامى .

ولقد انقضت ٦ اشهر منذ سريان مفعول الاتفاقية، وكان لابد من أن يعود المدنيون الاسرى والمعتقلون فى جنوب فيتنام الى عائلاتهم .

واضاف النداء : ان عصابة نجوين فان ثيو الفاشية الدكتاتورية التى لا تقيم أى اعتبار للعدل وابسط بنود القانون، واصلت اعتقالها غير المشروع لمئات الالاف من السجناء السياسيين، كما أن مصير مئات الالاف من أبناء الشعب الفيتنامى الاعزاء مهدد بصورة خطيرة . وفى كافة سجون سلطة ثيو يعيش المعتقلون فى ظروف قاسية للغاية، ولا يمر اى يوم دون ممارسة القمع والارهاب ضدهم . ويعانى عشرات الالاف منهم من امراض معدية تحيلهم الى مقعدين للابد، كما عذب عشرات المئات حتى الموت، وانزال الاصابات الخطيرة بهم، وتم القضاء على الكثيرين سرا بجبن، وقتل عشرات الالاف من النساء مع تهشيم الجثث وشدها الى حجارة ورميها فى النهر . وقد القى بكثير من الرجال والنساء بعد شد وثاق أيديهم الى البحر، كما اعدم الكثيرون رميا بالرصاص ثم القيت جثثهم فى الهاوية العميقة الاغوار، أو أى مكان آخر بهدف طمس معالم الجرائم ويستمر التعذيب الوحشى وقتل السجناء بشكل أشد همجية .

وأوضح النداء ان نظام ثيو ما فتىء يلجأ الى المناورات بقصد تفادى ارجاع المدنيين الاسرى والمعتقلين المنصوص عليه فى اتفاقية باريس حول فيتنام والبيان المشترك الصادر فى ١٣ يونيو ١٩٧٣ . وقاموا بضرب العديد من المعتقلين حتى فقدوا الوعى ثم اجبروهم على توقيع او بصم طلبات البقاء فى صفهم وشهادات اطلاق سراحهم مختلقين الاكاذيب بهدف تحويلهم الى سجناء عاديين .

وبالنسبة للمعتقلين لمدد طويلة دون محاكمة عمدت سلطة ثيو الى احالتهم الى سجناء عاديين .

وبخصوص السجناء السياسيين الذين توشك فترة اعتقالهم على الانتهاء تجرى محاكمتهم ومد فترة حبسهم . كما يتم تفريق السجناء السياسيين او نقلهم من سجون كبيرة الى سجون محلية واحتجازهم مع المجرمين واللصوص .

وجاء فى نداء اللجنة :

وفى الوقت نفسه تشن سلطة ثيو مئات الالاف

من العمليات البوليسية والتخلص من مئات الالاف من الاشخاص والقبض على عشرات الالاف من محبى الحرية والسلام ومؤيدى المصالحة والوفاق الوطنى . والواقع انهم يتخلصون من مجموعات الوطنيين البواسل الذين لا يستطيعون استمالتهم ويمارسون التعذيب والارهاب مع الاغـراء والترغيب لاكراههم على الالتحاق بالجيش والتملق لاحراز طلبات البقاء بصفوفهم ويستخدمون كل وسيلة لعدم اعادة السجناء السياسيين .

وفى حالة ممارسة الضغط الشديد ضدهم حول هذا الموضوع ، يعيدون الاشخاص المقعدين فقط .

واوضح النداء ان خطط وجـرائم الولايـات المتحدة وسلطة ثيو تهدف الى القضاء على كافة القوى المضادة لهم فى جنوب فيتنام لتحقيـق الاستعمار الجديد فى جنوب فيتنام .. وبهـذه الاعمال السالفة الذكر انتهكت الولايات المتحدة وسلطة سايجون بصورة خطيرة اتفاقية باريس حول فيتنام ، وبيان ١٣ يونيو ٧٣ المشترك ، وانطلقتا تدوسان بصـفاقة القـانون الدولى ، وتعارض بوقاحة طموحات شعب جنوب فيتنـام الملحة فى السلام والاستقلال والحرية والديمقراطية والوفاق والوئام القومى ، وتعتبر تصرفاتهما كتحد مهين للبشرية التقدمية فى مختلف ارجاء العالم .

ومضى النداء يقول :

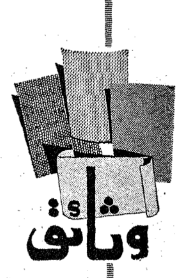
لقد ضحى مئات الالاف من ابناء الفيتنـام وناضلوا فى سبيل الشعب والاستقلال والحرية والسعادة للشعب الذى يجرى اغتيال الكثير من افراده فى سجون طغمة ثيو الفاشية .

ودعت اللجنة من اجل المسئولية تجاه بقاء الشعب ، والواجب ازاء هؤلاء المهددين بشكل خطير النضال بقوة لشل ايادى طغمة ثيو الملطخة بالدماء واجبارها على تحسين معاملة السجناء كما تنص اتفاقيـة باريس حول فيتنام، واجبار الولايات المتحدة وسلطة سايجون على اعادة المدنيين الاسرى والمعتقلين حالا دون تاخير او اى عذر . واختتمت اللجنة نداءها بقولها :

« انه خلال الاشهر الاخيرة اهتمت المنظمات العالمية والوطنية بمصير اكثر من ٢٠٠,٠٠٠ معتقل ، واستنكرت بشدة احكام السجن القاسية لسلطة ثيو ، وفى سـبيل الانسانيـة والحقيقـة ستواصل شجب خطط وجرائم طغمة ثيو الفاشية التى تقوم — بوحشية متناهية — بتعذيب وقتل السجناء السياسيين ، والتمادى فى تـأجيـل ورفض اعادة المدنيين الاسرى والمعتقلين » .

وطالب النداء الولايات المتحدة وسلطة ثيو بتطبيق اتفاقية باريس حول فيتنام بدقة وجدية وبالعودة الفورية والشاملة للوطنيين ومحبـى السلام ومن بينهم من ينتمى الى القوة الثالثة ، الذين تعتقلهم السلطة فى جنوب فيتنام .





وثــائق الحـــوار

□ ورقـــة الحـــــوار

□ الثورة العلمية والتكنولوجية

تقدم « الطليعة » فى هــذا العــددوثيقتين هامتين هما :

١ ـ ورقة « الحــوار الوطنى » التى اشتركت فى اصدارها الامانة العــامة للاتحاد الاشتراكى العربى واللجنة الدائمة لمجلس الشعب • وهى الورقــة التى رأت القيادات السياسية أن تــكون موضوعا لنقاش مفتوح داخل المؤسسات السياسية والتشريعية والتنفيذية •

٢ ـ الورقة الثــانية تركز الاهتمام على ارتباط الثورة العلمية والتكنولوجية بالمتغيرات الدولية •

والطليعة فى حرصها على نشر هاتين الوثيقتين ، تواصل التقليد الذى تمسكت به فى أن تضع دائما فى أيدى قرائها كل الوثائق الفكرية والسياسية والاجتماعية التى اثرت وتؤثر فى مجــرى العمــل الوطنى •



ورقة الحوار

فيما يلى النص الكامل لورقة الحوار التى وافق عليها الاجتماع المكون من الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى واللجنة الدائمة لمجلس الشعب .

المتغيرات العالمية

منذ أن صاغ شعبنا العظيم فلسفته وحدد ابعاد سياسته فى ميثاق العمل الوطنى وقعت على المسرح الوطنى والعربى تغييرات هامة ، تمثلت ، بصفة اساسية ، فى التحول الاشتراكى وفى اقامة تحالف قوى الشعب العاملة وفى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وفى دعم الاستقلال الوطنى وتعميق الاتجاه نحو الوحدة العربية .

ووقعت الهزيمة فى ١٩٦٧ ، واحتلت اسرائيل مزيدا من الاراضى العربية ، وصاحب ذلك تمزق فى الامة العربية وظهور القصور فى استعداداتها ،وأخذت مصر العريقة والمكافحة تعيد بناء قواتها المسلحة وتبدأ من جديد نضالها السياسى والعسكرى لتحرير الارض واسترداد الحق .

ومع ان مصر قد فقدت مؤقتا بعض مواردها فى سيناء وقناة السويس فان الشعب المصرى لم يتأخر عن أن يوجه الجانب الاكبر من انتاجه القومى نحو المعركة والتنمية ، الامر الذى فرض عليه اعباء مالية ، وألقى على مستوى الخدمات العامة وعلى ظروف المعيشة ، ضغوطا كبيرة .

وفى ١٥ مايو ١٩٧١ قاد شعبنا الثائر حركة التصحيح ، فرد ثورة ٢٣ يوليو الى مسارها الصحيح ، وأقام دولة المؤسسات والحريات وسيادة القانون ، وبدأ مرحلة جديدة من مراحل البناء والمعركة ، وهى مرحلة البناء الجديد والمواجهة الشاملة وهكذا لم يقبل شعبنا المكافح التضحية بواحد من هذين الهدفين فى سبيل الاخر ، وجعل شعاره « المعركة والتنمية » لا « المعركة أو التنمية » وكان ذلك منه تحديا للاعداء وللتخلف والتزاما بأعباء جديدة ، وتقبلا لتضحيات اكبر .

وبالاضافة الى ذلك تصاعد الموقف العدائى الامريكى للعرب ولحقوق شعب فلسطين ، فتزايد الدعم الامريكى لاسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا كما تزايد التحدى الامريكى للحق العربى ولميثاق الامم المتحدة .

ومع الدور المتعاظم لمنطقة الخليج العربى بدأت الولايات المتحدة الامريكية تعد لاثارة معركة شرسة فى هذه المنطقة ان حلم الولايات المتحدة الامريكية فى السيطرة على منابع البترول العربى قد دفعها لان تخطط لاخضاع العالم العربى لها عن طريق تطويقه عسكريا .

التقارب السوفيتى الامريكى

وفى الوقت نفسه ، وقعت على المسرح العالمى « متغيرات سياسية واقتصادية وتكنولوجية واجتماعية وسلوكية هامة ، تمثلت ، بصفة اساسية ، فى ظهور قوى اقتصادية وسياسية عالمية جديدة ، لها أهميتها وتأثيرها ، وفى الاتجاه نحو التكتل والاندماج السياسى والاقتصادى ، ثم فى سياسة الوفاق العالمى التى أنهت الحرب الباردة بين الدولتين الكبريين وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ، تلك السياسة التى انتقلت بهما من مرحلة التعايش السلمى الى مرحلة أكثر ايجابية ، وهى مرحلة الانفتاح العالمى والتعاون المتبادل ، مما أثر تأثيرا عميقا على طبيعة المشكلات الدولية واساليب معالجتها وعلى الاوضاع السياسية والاقتصادية فى العالم ، وخاصة فى منطقة الشرق الاوسط .

وهكذا تغيرت الظروف الموضوعية التى تحيط بالعمل الوطنى ، والتى تحكم الاختيار بين الحلول المتعددة والمطروحة لمواجهة المواقف ، مما يحتاج الى عملية متابعة مستمرة لهذه المتغيرات ، والى عملية مراجعة مستمرة للحلول والسياسات .

وهنا يجب أن ننبه الى عدة أمور اساسية :

الالتزام بمواثيق الثورة

أولا — ان هناك فارقا بين المراجعة والتراجع ، فاذا كان التراجع يعنى النزول من المبادىء والاهداف فان المراجعة تعنى — حفاظا على المبادىء والاهداف — اعادة النظر فى الاساليب والسياسات فى ضوء النتائج الواقعية للتأكد من مدى ملاءمتها لتحقيق هذه المبادىء والاهداف .

وعلى ذلك فان مراجعة الاساليب والسياسات ، وهو أمر طبيعى وضرورى لضمان سلامة الثورة ، واستمرار مكاسبها ، لا يعنى ابدا التراجع عن المبادىء والاهداف . ان هناك مثلا فارقا واضحا بين الالتزام بالتطور الاشتراكى ومراجعة السياسة الاقتصادية ضمانا لسلامة الاقتصاد القومى ، ثم ضمانا فى النهاية لهذا التطور الاشتراكى نفسه .

ولذلك فاننا نؤكد هنا — بما لا يدع مجالا للشك او للتشكيك — التزامنا الكامل بمواثيق ثورتنا ، وبأهدافها فى الحرية والاشتراكية والوحدة ، والتزامنا الكامل بحماية المكاسب الثورية الاشتراكية والديمقراطية التى حققها شعبنا بثورة ٢٣ يوليو وبحركة التصحيح التى اقامت دولة المؤسسات والحريات وسيادة القانون

كما نؤكد أيضا أن هناك فارقا بين السلام والتسليم ، واذا كنا نحرص على السلام فاننا لن نسلم ابدا ، لن نفرط فى شبر من الارض العربية ولن نساوم على حقوق شعب فلسطين ان التزامنا بتحرير الارض كلها تحريرا كاملا ونهائيا سيظل دائما ، فى هذه المرحلة هو الهدف الاول والاساسى .

ثانيا — اننا يجب ان نضمن للسياسات الجديدة ، التى نحن بصدد رسمها ، المرونة الكافية لمواجهة المتغيرات المستقبلة ، ذلك ان الظروف الموضوعية التى تحيط بالعمل الوطنى لن تتوقف عن التغيير .

ثالثا — اننا يجب ان نضع نصب اعيننا ، ونحن نحدد علاقاتنا بالدول المختلفة ، ان هذه الدول ترسم هذه العلاقات على اساس من مصالحها القومية ، وهو ما يجب أن نتقبله كحقيقة، وان نفعله كضرورة .

رابعا — ان التحرك السياسى ، على ضرورته واهميته ، ليس بديلا عن الاعداد العسكرى لمواجهة كل الاحتمالات . ولذلك فمن المحتم ان يكون كفاحنا فى الميدانين السياسى والعسكرى معا ، وان نكون على استعداد لتحمل الاعباء والتضحيات التى يفرضها هذا الكفاح ، خاصة وقد تأكد لنا ان ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .

ان المواجهة الشاملة تستلزم منا الصمود الشامل ، الصمود العسكرى والسياسى والاقتصادى والثقافى ، حتى يمكن ان نخرج من دائرة التأثر الى دائرة التأثير ، وان نحرر الارض ونسترد الحق ، ونحقق النصر ، وحتى نتبين حقيقة الموقف علينا ان نعرض هنا أهم المتغيرات العالمية وتأثيرها على قضية الشرق الاوسط ، وعلى مسار العمل الوطنى .

المتغيرات السياسية

لقد كان من اخطر المتغيرات العالمية قيام الوفاق بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ، هذا الوفاق الذى انهى حالة الحرب الباردة واحتمالات الصراع المسلح بينهما ، والذى ربط بينهما على اساس من المصالح المشتركة .

وقد تميز الوفاق العالمى بتعدد صور التعاون ، بين الشرق والغرب بصفة عامة وبين هاتين الدولتين بصفة خاصة، فى مجالات نزع السلاح والمجالات الاقتصادية ، والفنية والعلمية ، والثقافية

كما بدأ تعاون جديد بين الصين والولايات المتحدة الامريكية انهى مرحلة التوتر فى العلاقات بين البلدين ، وفتح المجال واسعا امام القيام بمشروعات مشتركة .

وقد بدأت سياسة الوفاق العالمى تنتج آثارها فى انهاء الصراعات والخلافات التى كانت قائمة منذ الحرب العالمية

الثانية في أوربا وآسيا فانتهى الصراع بين المانيا الغربية والمانيا الشرقية ، وبين المانيا الغربية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ، وتحسنت علاقات المانيا الغربية بالاتحاد السوفيتي ، كما انتهت الحرب الفيتنامية باقرار السلام وببدء التعاون الاقتصادي بين الولايات المتحدة الامريكية وفيتنام الشمالية .

وكذلك ظهرت قوى سياسية جديدة في العالم ، فتقدمت الصين الشعبية لتحتل مكانها السياسي العالمي الذي ظل شاغرا مدة طويلة ، وتقدمت اليابان لتحتل وضعا دوليا ممتازا يستند الى قوة اقتصادية هائلة ، كما بدأت أوربا الغربية تدعم وحدتها الاقتصادية والسياسية ، وتبحث لها عن مكان على خريطة العالم الجديدة .

وبدأت الدول العربية المنتجة للبترول تظهر كقوة مؤثرة في عالم الطاقة والمال ، كما ظهرت اهمية دور افريقيا العالمي واحتمالات تعاظم تأثير منظمة الوحدة الافريقية .

كما قوى الاتجاه العالمي نحو اقامة الوحدات السياسية والاقتصادية الكبيرة ، ومثال ذلك ما تم في أوربا الغربية وأوربا الشرقية ، وهكذا بدأ عالم الوحدات الكبيرة .

المتغيرات الاقتصادية

وكان من ابرز هذه المتغيرات العالمية الانفتاح الاقتصادي العالمي وقيام المصالح المشتركة بين الدول ذات الانظمة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة وخاصة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، وهكذا تقدمت الاعتبارات الاقتصادية العملية على الاعتبارات الايديولوجية النظرية ، فاتسع التعاون بين الغرب والشرق ، واتخذ هذا التعاون ابعادا متعددة ، تمثلت ، بصفة اساسية ، في التوسع في العلاقات التجارية الدولية ، وفي اقامة المشروعات المشتركة ، وفي التعاون الفني في الانتاج ، وفي التعاون المالي عن طريق التسهيلات الائتمانية والقروض واقامة البنوك المشتركة .

وامام هذا الانفتاح الاقتصادي العالمي بدات الدول الراسمالية تعدل من تشريعاتها التي كانت تحرم التكامل الاقتصادي مع البلاد الشيوعية ، كما عمدت بعض الدول الاشتراكية الى تعديل قوانينها ، بما يسمح للاستثمارات الاجنبية بالمساهمة في النشاط الاقتصادي الوطني . وأدخلت تعديلات على النظم الخاصة بادارة الاقتصاد القومي ، بما يضمن ارتفاع الكفاية الانتاجية .

ومن المتغيرات الاقتصادية العالمية الهامة ازمة الطاقة الدولية ، وازمة النقد الدولية ، وازمة الغذاء الدولية التي تمثلت اساسا في نقص المواد الغذائية وخاصة القمح ، مما ترتب عليه ارتفاع اسعاره .

المتغيرات العلمية والتكنولوجية

وفي الوقت الذي حدثت فيه كل هذه المتغيرات العالمية بدأ العالم يشهد ثورة تكنولوجية واسعة النطاق وعظيمة الخطر ، بل ان بعض الدول المتقدمة قد بدأت تستقبل ما يعرف بعصر الثورة الصناعية الثانية ، عصر الثورة الالكترونية . ولقد ادت هذه الثورة التكنولوجية في البلاد المتقدمة الى تطوير وسائل الانتاج تطويرا ادى الى وفرة المنتجات ، والى اقامة مجتمعات الاستهلاك والرفاهية ، والى اتساع الهوة بين البلاد الغنية والبلاد الفقيرة ، كما ادى الى ضرورة البحث عن فرص جديدة للتصدير ، مما دعم سياسة الانفتاح الاقتصادي . وفضلا عن ذلك فان البلاد الاشتراكية الشرقية ، وقد ادركت أهمية هذه الثورة التكنولوجية ، لم تشأ ان تحرم نفسها من نتاج التعاون الفني الصناعي مع الغرب .

ولقد كان هذا التعاون هو الاخر من اهم عوامل الانفتاح الاقتصادي العالمي .

وكان من اخطر نتائج الثورةالتكنولوجية التوسع في انتاج اسلحة الدمارالشامل ، وفي انتاج الاسلحة التقليدية . واذا كان انتشار اسلحة الدمار الشامل قد ادى الى اقامة التوازن النووي ، توازن الرعب ، واسهم بالتالي في القضاء على احتمالات المواجهة المباشرة بين العملاقين فان التوسع في انتاج اسلحة الحرب التقليدية قد استتبع ، ورغبة في فتح اسواق لتصريف هذه الاسلحة ، اشعال الحروب الاقليمية الصغيرة .

وهكذا فان العمالقة ، وقد امتنعت بينهم الحرب المباشرة ، نتيجة للتوازن النووي ، يحلون مشاكل السلام على حساب الامم الصغيرة ، باشعال الحروب الاقليمية الصغيرة .

المتغيرات الاجتماعية والسلوكية

كان طبيعيا ان تستتبع هذه المتغيرات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية حدوث تغييرات عميقة في العلاقات الاجتماعية وفي السلوك ، مما اثر في طبيعة العلاقات القائمة بين الاجيال وفي العلاقات الاسرية ، وفي مدى الالتزام بالقيم الخلقية والدينية مما احدث اضطرابا واضحا في المجتمعات الانسانية المعاصرة ، ظهر على هيئة قلق وعدم وضوح الرؤية وبصفة خاصة في بعض قطاعات الشباب .

كما ظهرت مشكلات اجتماعية بالغة الاهمية من بينها الانفجار السكاني العالمي وتزايد حركات الهجرة الدولية وبصفة خاصة هجرة العقول من البلاد الاخذة في النمو الى البلاد المتقدمة . وظهر ايضا الميل الواضح للاستهلاك ونقل انماط الاستهلاك فيما بين المجتمعات . مما عقد المشكلات الاقتصادية ، وقد اصبح من الضروري مع هذه التغيرات السلوكية العمل على حماية المجتمع العربي من هذا الطوفان المادي الذي يجتاح العالم الذي بدأ يجرف أمامه كثيرا من التقاليد والقيم . لقد اصبح من الضروري التزاما بقضية حماية الانسان الجديد ان نحمي شبابنا من هذا التيار الجارف المدمر وذلك بالتمكين للتقاليد المصرية الاصيلة وبالاهتمام بالتربية الدينية وتدعيم القيم الخلقية والوطنية والحقائق العلمية والسلوك الاشتراكي والديمقراطي والاداب العامة .

ولقد كان طبيعيا ، مع كل هذه المتغيرات السريعة والمتلاحقة وعلى رأسها سياسة الوفاق العالمي ، أن تتغير الاوضاع الاقتصادية والسياسية العالمية تغيرا بعيدا ، وان تتغير ايضا علاقة كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي بالبلاد الاخرى ، وخاصة بلاد العالم الثالث . ولم يكن من المتصور أن تنجو منطقة الشرق الاوسط من هذا التأثير .

وكان من الطبيعي ، وعلى ما ذكرنا ان تقوم مصر بدراسة وتحليل تأثير هذه المتغيرات العالمية على مصالحها الوطنية والقومية ، وان تضع السياسات التي تمكنها من مواجهة هذه المتغيرات ورسم طريق المستقبل وأساليب وخطط العمل الوطني والقومي .

اننا بداهة لسنا ضد سياسة الوفاق العالمي ، ولكننا بالتاكيد ننكر ان تتم هذه السياسة على حسابنا .

ومن الضروري ان نعرض هنا تصورنا لتأثير سياسة الوفاق العالمي بين العملاقين على مشكلة الشرق الاوسط :

الوفاق العالمي

أولا : لقد ادت سياسة الوفاق العالمي بين العملاقين الى ان اصبحت الولايات المتحدة الامريكية أكثر جرأة في تدعيم اسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، دون ما حاجة للتستر وراء حجة التوازن العسكري في الشرق الاوسط ، واكثر صراحة في عدائها للعرب ، وفي تنكرها للحقوق المشروعة لشعب فلسطين وميثاق الامم المتحدة ، فلجأت الى استخدام الفيتو ضد مشروع القرار الذي تقدمت به دول عدم الانحياز لمجلس الامن ، والذي نال التأييد الكامل لكافة الدول الاعضاء ، مدعمة بذلك الاحتلال الاسرائيلي ، ومتحدية الرأى العام العالمي ، هادفة الى قطع الطريق امام تسوية سياسية عادلة .

ثانيا : ان سياسة الوفاق العالمي

بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى قد اضعفت من قوة الامم المتحدة ، وذلك ان كثيرا من الاتفاقات والمصالحات قد بدأ يتم خارج اطار هذه الامم المتحدة ، واتفاقا مع هذا المنطق بدأت الولايات المتحدة ، مستغلة حالة الوفاق العالمى ، تعمل على ابعاد قضية الشرق الاوسط من اطار الامم المتحدة فى محاولة لاحتكار حل هذه القضية لنفسها لتضيق قبضتها على العالم العربى .

ثالثا : ان مشكلة الشرق الاوسط قد اصبحت ، واكثر من اى وقت مضى ، جزءا من استراتيجية الدولتين الكبيرتين .. ومع هذا الوضع اصبح الاتحاد السوفيتى ، نزولا على سياسة الوفاق العالمى والمصالح المشتركة ، ملتزما بمراجعة الولايات المتحدة فى كثير من المواقف ، ومثل ذلك رفع قيود الهجرة عن اليهود السوفييت .

رابعا : أن اعتمادنا على القوى الخارجية ، مع حرصنا عليها ، قد اصبح ، فى اطار الوفاق العالمى ، اقل فاعلية ، واضيق نطاقا .

الحرص على الصداقة

وفى ضوء هذا التصور لتأثير سياسة الوفاق العالمى بين العملاقين على قضية الشرق الاوسط يكون من الضرورى ان نؤكد على الامور الاتية :

أولا : اننا يجب ان نحرص دائما على صداقة الاصدقاء ، وخاصة الاتحاد السوفيتى مع وضع هذه الصداقات فى موضعها الصحيح والصريح .

ثانيا : اننا يجب ان نعمل على تقوية صداقاتنا الجديدة ، وان ننفتح سياسيا واقتصاديا على جميع القوى العالمية التى تتفق مع السلام والعدل .

ثالثا : اننا يجب ان ندعم سياسة عدم الانحياز ، ولا يصح الظن ان هذه السياسة قد فقدت ، مع الوفاق العالمى بين العملاقين ، اهميتها ، بل لقد اصبح لها ، مع هذا الوفاق ، مضمونا جديدا لا يقل أهمية عن مضمونها السابق . لقد كانت سياسة عدم الانحياز موقفا لمواجهة الصراع بين العملاقين . فأصبح من الضرورى مع الوفاق العالمى ، ان تنتقل الى مرحلة أكثر ايجابية ، لتصبح موقفا لمواجهة الوفاق بين العملاقين ، حتى لا يتم هذا الوفاق على حساب دول عدم الانحياز ، وعلى حساب الدول الصغيرة والامم المتحدة .

نعتمد على قوتنا الذاتية

رابعا : اننا يجب ان نعتمد ، بصفة اساسية ، على قوتنا الذاتية المصرية والعربية فى المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وهو ما يستلزم ضرورة العمل على تعبئتها وتركيزها .

ان المواجهة العربية الطبيعية والضرورية لسياسة التكتل العالمى ولسياسة الوفاق العالمى يجب ان تتمثل اساسا فيما يلى :

١ — ضرورة الاعتماد على القوة الذاتية ، مع حسن استخدام المصادر المتعاظمة لهذه القوة وتدعيمها . ونشير هنا بوجه خاص الى البترول العربى والى رءوس الاموال العربية المستثمرة فى الخارج ، وان العرب ، على الرغم من تعاظم ثرواتهم البترولية والمالية ، لم يتمكنوا بعد من استخدامها فى الدفاع عن حقوقهم وفى تأمين مستقبلهم . ان الامة العربية يجب ان تتحمل مسئوليتها التاريخية كاملة فى معركة المصير .

٢ — ضرورة العمل على تسوية الاتجاهات والسياسات الوحدوية الطبيعية فى العالم العربى ، وهو ما يستلزم العمل على تنقية الجو العربى من الخلافات وسوء الفهم ، وعلى تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين البلاد العربية ، ضمانا لقومية المعركة ، ووصولا الى وحدة العمل ، وخلقا للظروف الموضوعية اللازمة لاقامة الوحدة العربية الشاملة .

ان اختلاف النظم الاجتماعية القائمة فى البلاد العربية لا يصح ان يعرض المصالح الحقيقية العربية المشتركة للخطر . ان اختلاف هذه النظم الاجتماعية على المستوى العالمى لم يحل دون قيام الوفاق العالمى تحقيقا للمصالح المشتركة .

الاسراع فى اقامة الوحدة

وفى المجال السياسى العربى يكون من الضرورى العمل على تقوية جامعة الدول العربية ، وعلى تقوية دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، كما يكون من الضرورى ايضا الاسراع بالبدء فى اقامة الوحدة بين مصر وليبيا مع توفير العوامل الموضوعية اللازمة لضمان نجاحها ، حتى تكون دولة الوحدة الجديدة دعما لمعركة المصير ، ونواة لدولة الوحدة الكبرى .

وفى المجال الحربى ، يجب العمل على احياء وتدعيم الجبهة الشرقية ، كما يجب العمل على البحث عن اسواق جديدة للسلاح ، وعلى اقامة صناعات للتسليح برءوس أموال عربية مشتركة ذلك ان المسئولية المشتركة عن المصير المشترك تستلزم العمل المشترك والتضحية المشتركة .

الانفتاح الاقتصادى

وفى المجال الاقتصادى العربى يتمثل الرد الطبيعى على سياسة الانفتاح الاقتصادى العالمى فى ضرورة الانفتاح الاقتصادى العربى ، وهو ما يستلزم العمل على تقوية العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية ، وعلى اقامة التكامل الاقتصادى العربى وصولا الى اقامة الوحدة الاقتصادية العربية ، وخاصة عن طريق الاجراءات التالية :

١ — الاخذ بقدر من التخطيط الاقتصادى على مستوى العالم العربى مما يحقق التكامل الاقتصادى ، وبما يحقق الاكتفاء الذاتى للعالم العربى .

٢ — تدعيم السوق العربية المشتركة وتوسيع نطاقها .

٣ — التوسع فى العلاقات التجارية بين البلاد العربية .

٤ — التوسع فى التعاون الفنى فى مجال الانتاج .

٥ — التوسع فى التعاون المالى العربى .

٦ — اقامة مشروعات عربية مشتركة .

وهنا يجب ان نؤكد فى وضوح أن التزامنا بالمحافظة على المكاسب الثورية وبتعميق التطور الاشتراكى يستلزم منا بالدرجة الاولى المحافظة على سلامة الاقتصاد القومى وعلى انطلاقه فى طريق النمو .

ولقد أصبح من الضرورى ، فى عالم تسيطر عليه ظاهرة التكتل الاقتصادى وظاهرة الانفتاح الاقتصادى ، ان نرسم سياستنا الاقتصادية ، بما يضمن حشد الامكانيات والطاقات العربية والانفتاح الاقتصادى على العالم ، وخاصة عن طريق التوسع فى العلاقات التجارية وعن طريق الاستعانة برءوس الاموال العربية والاجنبية ، واقامة المشروعات المشتركة كما يجب ان نؤكد فى وضوح ايضا ان الاهمية المعلقة على القطاع العام فى قيادة التنمية لا يمكن ان تلغى وجود القطاع الخاص ذلك ان له هو الاخر دوره الهام والفعال فى خطة التنمية ، وهو ما يجعل له بالضرورة وبالمنطق حقا فى الحماية التى تكفل له اداء هذا الدور ، والتى تسمح له ان يمد نشاطه الى الحدود التى ترسمها له خطط التنمية .

وليكن واضحا انه لم يعد من الممكن للمراهقة الفكرية أو للمضاربات المذهبية ان تعرض مصير المعركة ومستقبل البناء الجديد ولقمة العيش للخطر .

الحشد العسكرى

ان مرحلة المواجهة الشاملة تستلزم منا حشد كل امكانياتنا الذاتية الهائلة العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، وتستلزم المحافظة على الوحدة الوطنية ودعمها داخل اطار تحالف قوى الشعب العاملة ، وان يكون لكل مواطن دوره الايجابى المحدد فى معركة البناء ومعركة المصير .. كما تستلزم حشد كل الامكانيات العربية الضخمة ، وحشد تأييد وتدعيم كل الاصدقاء والشعوب المؤمنة بالسلام والعدل والتقدم ، انها تستلزم المزيد من العطاء ومن الفداء ، حتى يبلغ عملنا الوطنى الضخم غايته بتحرير الارض ، واسترداد الحق ، وتحقيق النصر ، واقامة البناء الجديد .

القضايا المطروحة

اولا : قضايا متعلقة بالقدرة الذاتية المصرية :

١ ـ توضيح الخط الفكري لثورة ٢٣ يوليو بما لا يدع مجالا للتحريف أو الانحراف،وبدعم قوتنا الفكرية باعتبارها أحد الابعاد الرئيسية لقوتنا الذاتية .

٢ ـ قضية بناء الانسان الجديد بما يحفظ لنا تبعنا الخلقية والدينية والوطنية والقومية ويضمن لنا بناء الدولة العصرية.

٣ ـ دعم القدرة الاقتصادية المصرية من اجل المعركة والبناء الجديد ورفع مستوى المعيشة .

٤ ـ الادارة العلمية فى الجهاز الحكومى وفى القطاعات الاقتصادية بما يضمن الارتفاع بانتاجية العمل والقضاء على الروتين والانحراف .

٥ ـ الانفتاح الاقتصادى على العالم العربى وعلى العالم الخارجى .

ثانيا ـ قضايا متعلقة بحشد الامكانيات العربية :

١ ـ تنقية الجو العربى من جميع السلبيات والتركيز على ايجابيات العمل العربى المشترك والعمل من اجل اقامة الوحدة العربية .

٢ ـ استخدام البترول العربى ورءوس الاموال العربية بما يحقق مصالح الدول العربية المالكة لها وبما يخدم معركة المصير ومصالح الامة العربية .

٣ ـ مواجهة الاخطار التى تتعرض لها منطقة الخليج العربى .

٤ ـ احياء وتدعيم الجبهة الشرقية .

٥ ـ تأييد الشعب الفلسطينى فى كفاحه العادل من اجل استعادة حقوقه السياسية والانسانية .

٦ ـ دعم جامعة الدول العربية واتحاد الجمهوريات العربية واتخاذ الخطوات التى تؤدى الى قيام الوحدة بين مصر وليبيا وتضمن نجاحها .

ثالثا : قضايا متعلقة بالسياسة المصرية الخارجية :

١ ـ تحديد علاقاتنا مع جميع الدول على أساس من المصالح المشتركة ومن موقف كل دولة من الحق العربى ومدى دعمها لجهدنا الوطنى .

٢ ـ تقوية علاقات مصر بالشعوب الافريقية سياسيا واقتصاديا وفكريا .

٣ ـ دراسة أساليب ممارسة سياسة عدم الانحياز فى مرحلة الوفاق العالمى وبصفة خاصة من حيث حشد امكانيات العالم الثالث فى مواجهة القوى الكبرى .

٤ ـ مساندة الامم المتحدة فى جهودها من اجل اقامة سلام عادل فى الشرق الاوسط بتطبيق قراراتها ، وخاصة قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

٥ ـ الانفتاح الاقتصادى على العالم من اجل دعم القدرة الاقتصادية المصرية ■

□

خطوط الثورة العلمية والتكنولوجية العالمية وآثارها

كان العلم العامل الرئيسى وراء التقدم الانسانى منذ كان الانسان ، وكان يملك القدرة على الكشف العلمى وتطبيق نتائجه مقياسا لقوة المجتمعات ماديا ومعنويا .

وقد حققت التطبيقات العلمية انتصارات باهرة فى مجالات الانتاج الصناعى والزراعى والصحة، وبلغت الثورة العلمية والتكنولوجية فى عصرنا حدودا من الاعجاز فى مجالات الفضاء والطاقة النووية والالكترونيات والنقل والمواصلات والاسكان واستخدامات هائلة للموارد الطبيعية وبدائل أكثر تنوعا من مواد مخلقة صناعيا .

ومازالت هناك مجالات خصبة لتحقيق انجازات مماثلة فى مجالات الطاقة الشمسية والحرارية الارضية والرياح وأعماق البحار واعماق الارض والليزر والزراعة العلمية فى مياه مالحة أو رمال الصحراء مع الاستخدام الامثل للموارد المائية ومجالات مقاومة الامراض وزراعة الاعضاء والجراحة والعلاج وتحكم فى البيئة وحماية الانسان .

ولقد كان للعلوم وكشوفاته آثار عميقة على شكل المجتمع واقتصادياته ومن ثم ثقافته ومعاملاته .. ان العلم والتكنولوجيا الذرية بما انتجته من اسلحة الدمار فرضت بقوة الردع السلام الذرى ، ومن ثم كانت عاملا حاسما من عوامل المتغيرات الدولية فى اتجاه الوفاق بين القوتين الاعظم وهى فى نفس الوقت تعيد شكل الحياة بما تولده من طاقة نووية ينتظر فى نهاية القرن ان تمثل نصف مصادر الطاقة الكهربائية ، وان تصبح عاملا هاما فى الميزان الدولى للوقود والطاقة لان ٩٠ فى المائة من الخامات الذرية المكتشفة حاليا فى البلاد المتقدمة . وان هذا القدر من الخامات الذرية يمثل ثلث الوقود النووى المطلوب حتى نهاية هذا القرن : الامر الذى يترتب عليه صراع اكبر على البترول ، وصراع آخر لا يقل خطورة على مصادر الوقود النووى ، وقيام احتكارات دولية ضخمة فى المرحلة المقبلة . مما يدعو الامة العربية الذى يوجد فى أراضيها الجزء الاكبر من احتياطى البترول فى العالم الى مضاعفة الجهد فى استكشاف واستغلال مزيد من مواردها البترولية ، والوصول بقوة الى عصر الذرة بكل ابعاده ـ فى انتاج القوى النووية والتصنيع الذرى . وما ينطوى عليه من آفاق بالنسبة لتحويل مياه البحر الى مياه عذبة واستخدامات الاشعاع فى توفير الغذاء وغيره من مجالات الصناعة والصحة .

ان دول العالم تتسابق فيما بينها فى بحوث أعماق البحار والمحيطات لتستغل مواردها الهائلة فى الثروة السمكية والدياتية ـ بما يوفر مزيدا من الغذاء وزيادة البروتين أمام التفجر السكانى المتزايد ، وفى الثروة المعدنية والبترولية التى تتيح مصادر بكر من الخامات الاساسية فى التصنيع والطاقة .

ان بحوث الفضاء والدخول فى عالم الالكترونيات والليزر تتحت مجالات فسيحة بما توصلت اليه من حقائق وكشوفات مذهلة يمكن باستخدامها فى كل مجالات الحياة اليومية ، ان تحدث تغييرا هائلا فى حياة الانسان .

ان الطموح نحو مزيد من التقدم التكنولوجى وفى مستويات الحياة مع الانفجار السكانى الهائل فى البلاد النامية يفرضان ان يواجه انسان الربع الاخير من القرن العشرين عددا من القضايا الكبرى تتمثل فى العجز فى مصادر الغذاء والتهديد بخطر المجاعة ، وفى مصادر الطاقة ، وفى مصادر المياه العذبة خاصة فى المناطق القاحلة وشبه القاحلة ، واغلبها تقع فى البلاد النامية ، وكذلك فى مصادر الخامات المعدنية فى الصناعة ، علاوة على قضية زيادة تلوث البيئة ـ وهذه القضايا تتطلب من الثورة التكنولوجية العالمية التصدى لها بكل الامكانات .

ان الميكنة والآلية الكاملة (الاوتوماتية) أو شبه الكاملة المعتمدة

على التقدم فى مجال الالكترونيات تختصر عمل الانسان بما يصل الى نصف الاسبوع أو يزيد يقابله مزيد من الوقت للراحة والفراغ أو الترفيه .. فى مجتمع سيزيد فيه الاستهلاك كما ونوعا وقيمة .. فى عالم واحد يعرف فيه كل رجل وامرأة وطفل بفضل وسائل المواصلات الحديثة كل ما يدور فى بقاع الارض المختلفة ويعيش فى نفس الوقت كل ثقافته وحضارته ويتطلع الى التمتع بكل ثمراته ومباهجه .. مجتمع تقل أو تكاد تنعدم فيه الفوارق بين العواصم الكبرى والمدن الاصغر ، بين الحضر والريف ، وبين الاجناس والشعوب جميعا .. وكل ذلك يفرض مواكبة العلوم الاجتماعية والانسانية للتقدم العلمى والتكنولوجى ، وفى اطار من التخطيط الشامل .

وفى ظل هذه الانجازات العلمية والتكنولوجية تبدو لنا حقائق العصر على اكبر جانب من الخطر .. فتكشف بعض الدراسات عن ان النشاط العلمى والتكنولوجى أصبح يتضاعف مرة كل عشرة أعوام ، وان أكثر من ٩٧ فى المائة منه يتم فى الدول المتقدمة ، وان وظيفة العلم لم تعد طارئة على وظائف الدول الاخرى بل واحدة من وظائفها الاساسية ، وان الانفاق عليه أصبح فى مقدمة استثمارات المال العام ، وان العامل الأساسى فى تقدم المجتمع انما هو فى تنظيم التعليم والتجديد والابتكار التكنولوجى كما تكشف عن تعاظم دور المؤسسات متعددة القوميات فى البحث والتطوير بجانب تعاظم دور الوحدات السياسية والاقتصادية على مستوى الدول والشعوب .

ان تغييرا تاريخيا هائلا يبدو قادما فى فترة زمنية لا تتعدى جيلا واحدا يتفاوت فيه شكل المجتمع الانسانى بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية من مجتمع ما قبل التصنيع ، ومجتمع فى طور التصنيع ومجتمع صناعى ثم مجتمع ما بعد التصنيع .. وهكذا تصبح الهوة العلمية والتكنولوجية هوة خطيرة بين حضارة الطليعة التى ينبغى العمل على اللحاق بها بين التخلف الذى لا يمكن تقبوله .

والاختيار هو المصير .. ولا سبيل أمامنا الا أن نقبل التحدى ونعيش عصر العلم والتكنولوجيا والادارة العلمية ، والتربية الحديثة .

ان العدو يزعم انه واحة من العلم فى محيط من التخلف وعلينا ان نكسر هذا الزعم كأساس للمواجهة والتحدى الحضارى على مدى الاجيال .

ان تحدى العصر يفرض اقامة التنظيمات الحديثة المستقرة التى تستطيع اصدار اسلم القرارات على اساس من الحقائق العلمية .

ولا سبيل أمام ذلك كله الا ان يكون لدينا القدرة الذاتية لدخول عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة .. وبأن يكون لدينا سياسة علمية قومية مستقرة بعيدة المدى توائم تحديات العصر .

ان هدف السياسة العلمية القومية هو تنمية كل النشاط العلمى والتكنولوجى وتنسيقه وتوجيهه فى خطة شاملة تخدم اقامة الدولة العصرية الحديثة ، وخططها للتنمية القومية وتكون جزءا لايتجزأ منها مع الاخذ فى الاعتبار نوعيات النشاط والتعاون العلمى والدولى .

ان سياستنا العلمية القومية يجب ان ترتكز على الاعتبارات التالية ،

١ — زيادة الارتباط والعلاقة الوثيقة بين البحوث العلمية والتكنولوجية من ناحية ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى ، وضمان قدرة التنظيم على الربط بين النتائج العلمية والتطبيق .

٢ — ملاحقة التطور السريع للعلوم ، ومراعاة الطبيعة المتكاملة للبحث العلمى الحديث وارتباطاته المتداخلة ، وتشابكه العضوى مع العلوم الاجتماعية والانسانية

٣ — المتطلبات البشرية والمالية للبحث العلمى والتنمية التجريبية (بحوث التطوير) مما يستدعى ضرورة تدخل الدولة بشكل اساسى دعما للجهد العلمى .

٤ — الحدود الممكنة لهذه الموارد البشرية والمالية المخصصة للبحث والتطوير بما يدعو بالضرورة الى تحديد الاهداف والاولويات فى اطار التقدم العالمى المتزايد ، وفى ضوء الاحتياجات الوطنية الرئيسية .

٥ — الدور المتزايد للتعاون الدولى فى مجال العلوم والتكنولوجيا ان اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، مطالبة بان تضع الخطط العريضة المرنة البعيدة والقريبة التى تتحقق بها اهداف السياسة العلمية القومية ، وان تخطط لتنمية العلم فى مناخه المناسب ، وان تخطط ليكون العلم فى خدمة التنمية فى كل مشروعاتها .

وقد لا نستطيع ان ندخل جميع الميادين بنفس الثقل ، ولكن علينا أن نختار الاولويات .. ولا ريب ان مجالات الالكترونيات والعلوم والتكنولوجيا النووية والطاقة والغذاء والموارد المائية والبيئة ستأخذ مكان الصدارة فيها .

وعلينا فى جميع مجالات عملنا العلمى الوطنى أن نعطى الاسبقية الاولى لاحتياجات معركة المصير .

اننا فى حاجة الى اعادة النظر فى اسلوب استيراد أنواع التكنولوجيا الجديدة بما تتلائم والمنطلق الجديد الذى نهدف اليه فى اللحاق بالثورة التكنولوجية العالمية .

ان المجتمع العلمى كله مطالب بان يشترك مع الاكاديمية فى التخطيط والتنسيق والتنفيذ ، كما ان أجهزة الدولة كلها مطالبة بأن تدعم هذا الجهد بكل معطيات النجاح ، وأن تعمل على الافادة القصوى منه .

ان سياسة الوفاق تعجل بالتعاون الوثيق بين القوى الاعظم فى مجالات العلوم والتكنولوجيا الحديثة وتضيف بذلك اضافات هائلة الى تعبئة الجهد العلمى البشرى فيما بينها وتعزز ما هو موجود بالفعل من تعاون وتآزر المؤسسات متعددة القوميات .

وان ذلك يلقى اعباء مضاعفة على الدول النامية والاقل نموا .. ويزيد من مستوى التحدى أمامها .

ولاسبيل أمامنا الا ان نسعى هذا السعى ، ونسير هذا الطريق .. نعبىء الجهد الوطنى والجهد العربى والجهد الافريقى والجهد الاسيوى .... دون قصد الى الاستقطاب ، ولكن بلوغا للتعاون والتكامل والمساندة .. ودون ان نغفل التعاون الامثل مع كل الجهود العالمية المتقدمة مؤكدين فى كل ذلك أن تقدمنا العلمى الوطنى سيكون محور الجذب والدفع لنجاح سياستنا فى التعاون العلمى مع الدول والمجموعات الدولية .

ان ثرواتنا البشرية والطبيعية ، على الارض المصرية والارض العربية تستطيع بالتنمية الرشيدة والادارة العصرية المستندة على العلم والتكنولوجيا ان تبلغ شأنا عظيما وتوفر لامتنا مكانتها المرموقة فى هذا العصر .. ان الوحدة العربية الشاملة هى الاطار المناسب لتحقيق هذا التقدم وملاحقة الركب العالمى .

وان اتساع العمل العلمى على المستوى الافريقى والاسيوى ، يزيد من عمق التجربة ، ويوفر مزيدا من الامكانيات والأمل ، ذلك بان الحركة النشيطة على المستوى العالمى بكل ما تقدر عليه من انفتاح وانطلاق تعزز الجهد وتدعمه .

ان نجاحنا فى مواجهة التحدى ، مرهون باحداث ثورة فكرية وعقلية تمكننا من أن نتعامل مع العصر بلغته وأسلوبه ومنهجه .. لغة العقل ، وأسلوب العلم ، بلوغا الى الخلق والابداع والتمتع بكل ثمرات الخلق والابداع

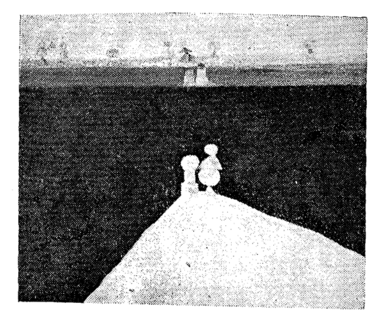
ان النجاح الحقيقى فى اقامة دولة العلم والايمان ، هو ان يصبح العلم والايمان واقعا حيا فى حياة الشعب والدولة وان توفر كل المؤسسات والاجهزة المسئولة فى الدولة كل الدعم والمناخ المطلوبين لتقدم الحركة العلمية وتمكينها من اداء رسالتها فى بناء الدولة العصرية على اساس العلم والتكنولوجيا المدعمين بالايمان .

والله ولى التوفيق

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- الواقعية الانحيازية في قصص سعد مكاوي
- هاردي .. والطائر المغرد في الظلام
- على مشارف فن الاحتجاج





من أعمال الفنان مصطفى عبد المعطى ...
احدى اللوحات التى تعبر عن فن الاحتجاج

في هــذا العــدد :

- صفحات من أدب المقاومة الاسبانى
- فدائى يكتب للمحرر القصة الكاملة لعملية فرحان السعدى
- حوار مع المخرج السنغالى تداورى
- الواقعية الانحيازية فى قصص سعد مكاوى
- هاردى .. والطائر المفرد فى الظلام
- ((قصيدة)) صلوات القمر المخنوق

[أيلول ٧٠ ـ أيلول ٧٣]

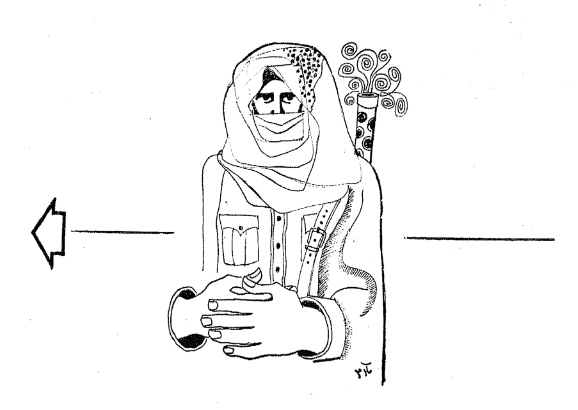
فـــــدائى يكتب للطليعـــة القصة الكاملة

.. فى ١٩٧٠ ، قام وفـد من محررى « الطليعة » بزيارة الاردن ، تضى أياما وسط المقاتلين شهد بنفسه قواعـدهم وناقشهم واستمع الى حوارهم ورآهم يتأهبون للقيام ببعض عملياتهم ..

بعدها . بدات أحداث ايلول الدامية .

وهذا العرض يكتبه فدائى آثر عدم نشر اسمه . تنشره « الطليعة » فى ذكرى أيلول الحزين .

لعمليـة فرحـــان الســـــعدى



حين تبدأ السيارة فى الانحدار مع الارض التى تقع تحت سطح البحر تكاد تشعر بفقدان الصلة مع كل من هم فوق سطحه . خيط شجيرات «الدفلى» وصوت المقاتل الى جانبي يشكلان واحتين خضراوين وسط تلال جرداء تبدو كستنائية اللون حينا وجرباء المظهر حينا آخر ، مع جوانب الطريق تزهر أكف الصفار بالف دفقة عطاء وهى تهتز نشوى تحيي سيارة الفدائيين تمر سهما اخضر فوق الطريق التى تروى كل حفرة فيها اكثر من قصة ، ثمة بطتان تقتطعان الطريق باطمئنان رائع ويهدىء السائق من سرعة السيارة .. ويهمس المقاتل بجانبى : وديع .. وديعة .. واشار الى زوج البط .. ثم اردفه : حين تتعرض المنطقة للقصف .. ويأخذ الاطفال مواقعهم الى جانب الرجال فى ترقب قاتل .. يمارس البط هوايته فى قطع الشارع .. منذ شهرين وقعت قذيفة على بعد عشرين مترا من زوج البط .. وها هو لا يزال يدرج .

— أحد الاخوة القادمين من أرض بعيدة يسال : ذلك الشريط الاخضر ؟ يتمتم المقاتل :

— انه امتداد الحياة الخضراء مع النهر ، خلف النهر تبدو التلال بنية وتصعد النظر معها قليلا ليصبغها الظل بلون رصاصى مقبض .. وتسحب النظر لتصدمك الواحة الخضراء الضخمة التى تلف اريحا .. واتذكر على الفور المقهى الواقع فى قلب البنايات المحيطة بميدان المدينة .. فى كل رحلة بين عمان والقدس كان لابد ان استريح على مقعد من مقاعد المقهى المنثورة على الرصيف لارتشف على مهل كوب عصير الليمون .. واهز قطع الثلج العائمة فيه واتفرس الصغار عائدين من المدارس . . ويظل طعم شراب الليمون فى فمى لامر مع بسطات بائعى الخضار فى شوارع القدس .. واتمتم مخاطبا من معى فى السيارة ...

— الليمون اريحا مذاق خاص ويتمتم المقاتل :

— الارض طيبة ...

ويسأل نفس الاخ القادم من الارض البعيدة :

— وذلك الجبل ..

يرد المقاتل :

— جبل قرنطل .. قبل شهور خضنا فيه معركة كبيرة .. عند قدميه يستلقى مخيم عين السلطان حيث عاش شعبنا اقسى سنوات تشرده .. مع امتداد الارض جنوبا يقوم مخيم عقبة جبر .. ارض قهر اخرى لشعبنا .. بين المخيم والبحر الميت تقوم الان ثلاثة مواقع للعدو ، وسيستهدفها هجومنا الليلة .. تله الحمراء ، المغطس ، السويمة . اوقف السائق السيارة قفز المقاتل منها .. تبعناه سار وسرنا وراءه طويلا ، الارض سيل تراب ناعم وصلنا تبادل المقاتل التحية مع مقاتل آخر ، حدثه همسا ثم استدار صافحنا متمتما :

— ارجو ان اراكم آخر الليل ..

المقاتل الجديد .. شاب اسمر حليق الشارب ، أستأذن ليعود بعد قليل ومعه بطانية فرشها على [البسطة] الاسمنتية التى تمتد امام غرفة طينية وطلب الينا الجلوس وقال :

— لا شك انكم عطشى .. الجو حار هنا كما ترون نصنع هنا شايا جيدا سيأتى به احد الاخوة بعد قليل .

سألت :

— متى سنتحرك ؟

— بعد المغيب ، نحن هنا قريبون من النهر .

ويسأل الاخ القادم من الارض البعيدة :

— لماذا سميتم عملية الليلة باسم عملية الشهيد فرحان السعدى ؟ .

كنت اود الاجابة لكن المقاتل قال بصوت خافت :

— عمليتنا الكبيرة السابقة اسميناها عملية دير ياسين .. اقتحمنا مستعمرة [الجبين] بالجولان ودمرناها تعرفون كلكم حكاية دير ياسين كانت مذبحة ولن ننساها بالتأكيد الشهيد فرحان السعدى استشهد قبل مذبحة دير ياسين بأكثر من احد عشر عاما استشهد من اجل الا يذبح شعبنا فى دير ياسين استشهد فى ثورة ١٩٣٦ حمل السلاح وصعد الى الجبال آخر معركة خاضها استمرت اسبوعا حصل هذا بالفعل حوصر وظل يقاوم اسبوعا نفذت ذخيرته وسقط اعياء حينذاك وقع فى الاسر وحوكم ، وحكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم فى رمضان وهو صائم حدث كل هذا ولشهيدنا من العمر تسعين عاما ..

كنت اريد ان اعقب على ما قاله المقاتل الاسمر لكنه نهض وغيبته الاشجار .. عاد بالشاى بعد قليل .. لفنا صمت لم تكن تجرحه سوى رشفات الشاى ليصل بعد قليل مقاتل آخر حيانا ومر بسرعة وهمس المقاتل الاسمر :

— انه ضابط عملية الليلة .

سألته :

— وانت ؟

— انا ساقود احدى وحدات الاقتحام

— هل لك سابق تجربة ؟

اطرق قليلا ثم سحب عينيه عن الارض وتفرس السماء التى بدت فى ذلك الوقت باكثر من لون وتمتم :

— دوما اصر ان اكون من ضمن مجموعة الاقتحام .. الخطر الشديد لا يعنى شيئا امام اللحظات التى تمتلكها لحظة الاقتحام .. تحس بالدم نارا تتلوى فى عروقك .. تهزك رجفة لذة لا توصف .. تتكرر الرجفة .. يرتخى الاصبع عن زناد الرشاش قليلا .. تحس بجسدك يسبح متشنجا فى قلب عاصفة .. تسمع الاصوات لاول مرة من حولك .. يعود الاصبع ليضغط على زناد الرشاش لتمتلك الرجفة الاسطورية من جديد .. وتموت كل الاصوات من حولك .. وتحاول ان تثبت قدميك على الارض بلا جدوى .. الرجفة لذيذة ولابد من امتلاكها الى الابد .. ويموت كل شىء .. ويكون كل شىء قد انتهى .. وتستقر قدماك فوق الارض .

كان المقاتل الاسمر يتصبب عرقا غزيرا .. كان يعيش لحظة الاقتحام بالفعل ..

بعد قليل بدأ الشباب يخرجون من بين الاشجار حاملين اسلحتهم بدأت ابحث فى وجوههم عن الشىء الذى لابد من ان يميزهم عن غيرهم .. كانت وجوهم هادئة .. البعض يبتسم .. آخر يسأل .. وثالث يربت على عنق كلب صغير يتمسح بساقيه .. نهضت وتقدمت منه وسألته :

— هل هو لك ؟

— عثرت عليه ضالا منذ شهور ونحن الان صديقان لا نفترق ..

— وهل تجد متسعا من الوقت لتربيته ؟

— فى الحياة متسع لكل شىء يا اخى ..

قالها وقفز الى السيارة قفز الكلب خلفه وتسلق عجلات المدفع الرشاش الضخم القابع وسط السيارة ليستقر فوقه .. وبدأ جميع الشباب بمداعبته

وامسك الاخ القادم من الارض البعيدة بكتفى وهمس مذهولا :

— انظر ...

نظرت حيث اشار .. كان قادما تتدلى من وسطه اربع قنابل يدوية وفوهة مدفعه الرشاش تكاد تلامس كتفه .. تذكرت على الفور اخى الصغير وهو يلبس البذلة المموهة والرشاش الزائف .. مر بجوارنا وحيانا وقفز الى قلب السيارة .. ويهمس الاخ القادم من الارض البعيدة :

— اريد ان اتحدث اليه ..

يبدو .. يبدو .. عفوا لا اكاد اصدق ..

بفرسته .. كان مذهولا بالفعل .. سحبته من يده وتقدمنا من السيارة وقلت :

ــ الاخ .. عفوا .. هل نستطيع ان نتعرف عليك ؟

ــ اسمي عزام فارس

ــ وعمرك ؟

ــ ١٢ سنة .

ويتدخل احد المقاتلين :

ــ انه بطل مجموعتنا ابتسمت .. ليتدخل مقاتل آخر :

ــ لماذا تبتسم .. انه بالفعل بطل مجموعتنا .. أول من يدخل وآخر من يخرج خاض معنا ثلاث معارك ونحن جميعا نحترمه ونقدره .. وتحجب الغبار السيارة عنا ويندفع الاخ القادم من الارض البعيدة ويصرخ :

ــ مهلا .. مهلا .. أريد أن أسأله ربت على كتفه وهمست .

ــ عندما يعود .. سيكون لديكما متسع من الوقت وتفرست الافق كانت العتمة قد اكلت كل اثر للنهار ... وتصطدم عيني باضواء تأتي من بعد .. انها اضواء القدس .. وشعرت بالضوء المنحدر مع جبال اريحا يكاد يعميني .. فركت عيني بظاهر يدي .. كل ما تراه .. كل ما تحس به .. تبدو اشياء غير قابلة للفهم .. وشعرت بغربة قاتلة .. أريد ان اتحدث .. ان اقول شيئا .. اي شيء .. وسألت الاخ القادم من الارض البعيدة :

ــ عن اي شيء كنت تريد انتسأل الشبل ؟

قال باستغراب :

اي شبل تقصد ؟

ــ ذاك الذي قفز برشاشه وقنابله الى السيارة .

ــ لا .. لا .. انه ليس شبلا .. لا يمكن ان يكون اي شيء .. لا يمكن ان يحمل اي اسم .. انه أعظم من كل هذه الاشياء .

تمتمت :

ــ انه على اي حال شبل .. واطفال شعبي كلهم مثله ..

بدأنا نقترب من اضواء اريحا ... وشعرنا بالخطر الحقيقي لاول مرة .. ولفنا الصمت طلب الينا احد المقاتلين ان ننتظر مكاننا وتحرك ليغيب وراء تله قريبه وهمس مقاتل آخر :

ــ نحن الان على بعد امتار قليلة من النهر .. ولن يعود رفيقنا الا بعد ان يكونوا جميعا فوق ارض الوطن .. سألت :

ــ هل استطيع ان اشعل لفافة..

ــ بالتأكيد لا ..

جلس على الارض فجلسنا .. بعد اكثر من نصف ساعة عاد المقاتل والكلب الذي رأيناه مع المساء يقفز بين قدميه .. وهمس السائق :

ــ سيظل الكلب ينتظر هنا .. حتى يعود الشباب .. في احدى العمليات تأخر صاحب الكلب وانتظرناه طويلا ثم غادرنا المنطقة بعد ان اعتقدنا انه استشهد .. فشلنا في وضع الكلب في السيارة .. في الليلة التالية .. عاد كلاهما .. كانا في اوج السعادة .. اخذنا مكانا يطل على جزء كبير من الارض التي ستشهد المعركة بعد قليل .. حضر ضابط العمليات .. حيانا وجلس .. وسألته ..

ــ ما هي اهداف عملية الليلة ؟

ــ سنضرب اكثر من عشرة مواقع هامة للعدو وعلى امتداد اربعين كيلو مترا غربي النهر .. حشدنا من اجل ذلك عددا كبيرا من ثوارنا .. اخترنا اكثر الشباب خبرة في المناطق التي سنضربها .. مع هذا الحشد ومع توفير عنصر المفاجأة سنحقق الليلة نتائج جيدة .

تفرس عقارب ساعته ، واستدعى مقاتلا همس في اذنه ببضع كلمات غادرنا بعدها .. وعاد الصمت يلفنا من جديد .. ويقول احد المقاتلين :

ــ عند بدء المعركة تنزلون الى هذه الخنادق.. قد نتعرض الى قصف مدفعي هذه الخنادق تحميكم جيدا ..

فجأة انفجرت في قلب العتمة كرة نار .. تحركت لاقفز في الخندق .. ويشد ضابط العمليات على ركبتي ويقول :

ــ انها طلقة تنوير يطلقها العدو بين حين واخر لتفتيش المنطقة .

عادت تتملكني رغبة قوية فيتدخين لفافة .. كان احد المقاتلين قد هبط الى ارض الخندق واشعل لفافته وبدأ بتدخينها بهدوء غريب .. وددت لو افعل مثله .. لكنني كنت اريد ان امتلك لحظة بدء المعركة .. وعدت اتفرس العتمة .. اشياء بلا اشكال تتلوى في قلب العتمة امامنا .. اشياء لا وجود لها الا في عيوننا اشجار الكينا امامنا تتسابق مع ضفة النهر الى ارتفاع بلا نهاية .. تذوب رؤوسها في العتمة .. وتظل للحظات تبحث عن رؤوس هذه الاشجار ثم تنحدر العيون مع اغصانها المغروسة في عتمة اشد .. لتصدمها تلال الضفة الغربية .. خلف هذه التلال يتحرك رجالنا الان .. ومعهم الشبل .. وتذكرت الكلب على الفور .. بحثت عنه فلم اجده ..

سألت :

ــ اين الكلب ؟

قال احد المقاتلين :

ــ انه الان في مكان ما على النهر .. يترقب مثلنا تماما بداية المعركة .. عندما تبدأ يبدأ بالركض مع امتداد النهر ولا يهدأ الا حين يعود الشباب.

تفجرت العتمة .. عدة صواريخ انطلقت .. كان لها لون احمر محروق .. وتتبعها صواريخ أخرى .. وتمتد الاسهم النارية لتغتال كل العتمة على امتداد النهر .. وننزل الى الخنادق لكننا لا نجلس .. لا شعور بالخطر البتة .. ترى أمامك شيئا لا يصدق .. تقاطع سيل الرصاص ينطلق من رشاشاتهم الثقيلة ومن رشاشاتنا الثقيلة .. ويأتيك صوت الرشاشات الصغيرة من الداخل فتشعر بنبض عروق الرجال يسيل نارا مع كل رصاصة .. وتبدأ مدفعية العدو الثقيلة في قصف المنطقة وتتشكل سيمفونية لا توصف .. وتحس بكل ما في جوفك يقفز الى حلقك .. وتمتد يدك الى اسفل صدرك لتبحث عن لا شيء .. ويهزك الانفعال للحظات .. تشعر برغبة في الرقص ..وللحظة تشعر برغبة هي اطلاق صرخات فرحة ... ثم تبدأ تحسس بالحركة من حولك .. وتتذكر أن ثمة اشخاصا من حولك .. تنظر اليهم .. عيونهم تتفرس ارض المعركة .. وتعود بعينيك الى حيث النار .. وتحس بصوت الاخ القادم من الارض البعيدة وكأنه يأتي من عالم آخر ..

ــ انا خائف

يرد صوت :

ــ لماذا .. لا خطر هنا

ــ انظروا الموقع الذي اتجه الشبل اليه يتعرض لقصف شديد .. انظروا .. انظروا .. سقطت ست قنابل اشعلت المنطقة بنار صفراء .

ويهمس صوت :

ــ انها قنابل فسفورية .. نيران

مدافعهم الكثيفة توحى بانهم فى وضع سيىء .. يبدوا ان الشباب يحققون الكثير الان .. لقد فاجاناهم بالفعل .
ويهمس صوت ضابط العمليات :
— لقد مضى على بدء المعركة ثلاثة ارباع الساعة .. المعروض ان تبدا الوحدات بالعودة الان .
نظرت الى الساعة بهلع .. غير معقول هذا الذى يقوله ضابط العمليات .. دقائق فقط مضت على بدءالمعركة .. بالتاكيد دقائق وهمست بانفعال :
— لم تمض الا دقائـــق على بدء المعركة .. دقائق فقط .
ويهمس ضابط العمليات :
— بدأت المعركة فى الثامنة والربع والعقارب تشير الى التاسعة الان .. يبدو انهـــا تجربتك الاولى .. فى التجارب الاولى يفقد المرء المقـــدرة على تحديد الزمن .. حسنا .. على ان اتحرك الان الى مكان آخر ..
عـــدت الى المعركة .. لا زالت الانفجارات تمزق العتمة .. يلمعضوء اصفر مبهر .. وتغمض عنايك ... ليهزك على الفور صوت انفجار شديد .. ويهمس احد المقاتلين :

— رائع .. رائع .. لقد بدأوا فى استعمال صواريخ ارض\ارض .. فى العادة لا يستعملونها الا فى ساعات الارتباك والياس .. عندما يستعمل العدو هذه الصواريخ لا نسال الشباب حين يعودون عما فعلوه .. فى احدى المعارك وكنا قد ظهرنا الهدف تماما وفى الوقت الذى بدأت آليات العدو تحاول حصارنا بدأ العدو فى استعمال هذه الصواريخ .. الصـــاروخ الاول سقط فى قلب احدى آلياته .. وعـــلا الصراخ وعادت باقى الاليات وصمتت اسلحة العدو وعدنا بسلام .
ويأتينا من اسفل التلة عواء الكلب .. يصعد التلة كسهم حتى يصل الى حافة الخندق .. يقع لثانيه واحدة ثم يتسرب مع اخدود صغير يسير مـــع صدر التلة ليصل الى اول ماء النهر .. ويطفح وجه المقاتلين بشرا ويهمسون بسعادة لا توصف :

— لقد عاد الشباب .
ونتحرك هبوطا مع صدر التلة .. ونصل الى الماء .. على الضفةالاخرى تتحرك اجسام الرجال المغروسةبالعتمة وتمتلك رغبة لا تقاوملتقفزالى الماءلتصل الى الشباب .. لكنهم يبدأون فى قطع النهر .. ولا تملك الا ان تعانقهم .. ملابسهم مبتلة بالماء تماما .. الطين يلطخهم .. انه طين بلدى .. وددت لو امد اصبعا .. لاغمسه فى طين بلدى .. مددت يدى .. ارتجف اصبعى .. عدت وسحبته .. اعلم اننى اذا اردت هذه القطعة الصغيرة من طين بلدى .. لابد ان اذهب .. ان اقطع النهر .. ان اواجه الموت .. ان اموت .. من اجل هذه الحفنة الصغيرة من طين بلدى .. واحس بغصة تـــكاد تفجر حلقى .. والدموع حبات جمر تتجر فى عينى .. ويندفع الاخ القادم من الارض البعيدة ليعانق الجسد الصغير .. ويغيب الجسد الصغير فى الصدر الكبير .. ويتحد الجسدان وانفرس الاخ القادم من الارض البعيدة كانت ملابسه قد ابتلت تماما والطين يلطخها .. لكن ثمة بقعه فى ملابسه كانت جافة .. بقعة على شكل رشاش الكلاشنكوف الذى فصل الجسدين المتعانقين .

وتفرست اسفل الصدر بحثا عن اثر القنابل اليدوية .. لم يكن ثمة اثر .. تفرست الجسد الصغير الطرى .. لم تكن هنـــاك قنابل يدوية وعلمت انه تركها هناك .. شظايا تزرع المـــوت لسارقى الارض .. تحركنا .. سرنا



فى قلب العتمة .. كانت اصـــوات الانفجارات لا تزال تدوى بعيدا ... وصلنا الى حيث تنتظر السيارة .. قفز الشباب الى قلبها .. صعدنا خلفهم .. حشرنا اجسامنا وسط اجسامهم المبتلة .. وعاد الكلب ليتسلق عجلات المدفع الرشـــاش الثقيل ليستقر فوق اعلى جزء منه وتحركت السيارةقطعة سوداء تبحر فى بحر سواد المنطقـــة أضواؤها جمرات لفافات الشباب .. واشعلت لفافة وامتلكت راحة عجيبة

هدأ هدير محرك السيارة .. قفز الشباب من فوق جوانبها .. تبعناهم .. توجهنا الى نفس البقعة التى كنا نجلس فيها العصر .. بدأ الشباب تغيير ملابسهم .. وتوجهوا الى بركة ماء قريبة تحجبها عنا شجرة كبيرة .. بعد لحظات حضر احدهم .. كان عارى الصدر تماما يلف جسده ببطانيةرمادية .. حيانا وجلس .. وسالته على الفور :

— كم عمرك ؟
— ستة عشر ســـنة اكملتها قبل شهر ونصف .
دفعت اليه بلفافة .. وهمسبخجل رائــــع :
— شكرا .. لا ادخن .
كانت البطانية قدانزلقت منعلىكتيفه لتستقر حول الارض .. تفرست لحم صدره الاسمر .. اهتزاز غصن الشجرة يعترض الضوء من شـــباك الغرفة المجاورة فيرسم ظلال اوراق الشجر على صـــدره البرونزى فيبدو صدرا اسطوريا وهمست :
— كم مرة قطعت النهر
— قطعته الليلة للمرة السابعة ..
— وهل حققتم نجاحا الليلة ..
— يبدو ان خطتنا كانت محـــكمة ..شاغلنا الموقع بالرشاشاتالمتوسطة .. بدأت مرابض رشاشـــاته الثقيلة تزمجر .. ضربها الاخوان على الفور بقذائف [ار . بى . جى ٧] .. اقتحمنا الموقع وطهرناه بالقنابلاليدوية حاولت مجنزرتان التقدم الى الموقـــع فانفجر تحت الاولى احد الغامناوعادت الثانية فورا ، وبدأ العدو فى قصف المنطقة بالمورتر والمدفعية الثقيلة .. معظم قذائفه كانت تسقط بعيدا عنـــا .. قذيفة واحدة سقطت بجوار احد الشباب .. لكنه نجا .

ويقطع الحديث صوت الاخ القـــادم من الارض البعيدة :
— ذلك هو الشبل .. ارجو ان تستدعيه ..
ويهتف الشاب ذو الصدر الاســـمر العــــارى :

— يا عـــزام ...
كان قد استبدل ملابسه .. وبدا بخصلة الشعر الخروبية تستلقى فوق حاجبيه الايمن كطفل حقيقى .. لكنه بالتأكيد ليس طفلا .. وقف امامناوحيانا بصوت حاول انيسمعنا اياه وهمسته :

— اجلس يا عزام ..
وعلى الفور قال الاخ القادم من الارض البعيدة :

— لـــماذا التحقت بالثورة .. وانت بهذا السن .. ؟
وبثبات غريب يقول عزام :
— لاننى جوعان !
علت وجوهنا الدهشة للحظة :

— فقط لانك جوعـــان ...
— الا يكفى أن تكون جوعانا لتثور .. هل انتظر حتى اموت جوعا ثـــم اثور ..
— ولكن ما علاقة ثورتكم بالجوع ..
— علاقة قوية ... لو لـــم يسرقوا

الصهاينة الارض .. لما جعت .. ولدت فى خيمة وكان يجب ان اولد فى بيت فى فلسطين .. لدم كتفى هذامنطحين وكالة الغوث بينما بلدى ينتج اجـود انواع القمح .. اختى الصغيرة ماتت مسلولة بينما تؤكد والدتى ان قريتنا فى فلسطين لمتكن تسمع بمرض اسمه السل .. وابى ماتتعيسا فى الخيمة.. وتسارت جنازته عبر صفوف لا تـكاد تنتهى من الخيام بينما بقول عمى ان مقبرة قريتنا تقع وسط غابة من اشجار الزيتون .. اذا فكرت فى كل هذا جيدا .. لا تملك الا ان تثور ..

امتدت يد الاخ القادم من الارض البعيدة الى كتف الشبل .. ثم انزلقت مسح ظهره .. كنت اعلـم انه لا يكاد يصدق ان عزام انسان حقيقى .. وتذكرت على الفور ما قاله عن الشبل قبل المعركة .. انه ليس شبلا لا يمكن ان يكون اى شىء .. لا يمكن ان يحمل اى اسم .. انه اعظم من كل هذه الاشياء .

قدم المقاتل الذى رافقنا فى بداية الرحلة وقال :

— يبـدو أن الاقامة طابت لـكم هنـا ..

اصطحبنا .. وسالت :
— الى اين ؟

— الى مكان آخر .. ستقابلين شبابا آخرين قادمين من مواقع اخرى

كانت اصوات انفجارات متقطعة لا تزال تدوى فى المنطقة .. وعندما وصلت السيارة الى طريق مكشوف بدأنا نرى من جديد الامتداد الارضى الذى شهد المعركة .. فى موقع يقوم عند اخر نقطة امتداد نستطيـع ان نراها شمالا كانت طلقات الرشاشات الثقيلة تمزق العتمة ..

ويقول المقاتل :
— تأخر بعض الشباب فى تلك المنطقة واستطاع العدو ان يحاصرهم ويحاول الان فك الحصار .. اضاءت منطقـة المواجهة اكثر من ست طلقات تنوير .. ويقول المقاتل :

— هذه عادتهم .. بعد ان تنتهى المعركة يكثرون من اطلاقها .. كما ان آلياتهم تنشط بحثا عن رجالنا ... سيعودون خائبين .. الشباب عادوا .. والمحاصرون بالتاكيد سيعودون.. مجموعة من الشباب تتسلل الان الى الخطوط الخلفية للعدو لتضربه من الخلف فيضطر الى سحب قواته ويمر الشباب .

داهمنى شعور بالقلق .. واخرجت لفافة لاشعلها .. لكن المقاتل منعنى فاعدتها .. ونظرت الى الساعة .. كانت تقترب من الحادية عشرة ... ووصلنا الى منطقة .. وجدنا فيها ضابط العمليات وعددا اخر من المقاتلين .. كان القلق يشوب حركات بعضهم .. ضابط العمليات كان هادئا ..

نظر الينا وقال :

— لا داعى للقلق .. انها ليست تجربتنا الاولى .. كثيرا ما يحـاصر العدو شبابنا .. لكنهم يعرفون طريق العودة دائما ..

كما اننا نعتمد فى مثل هذه المواقف على معرفة العدو الجيدة لنا ..معرفتهم لنا تجعلهم يفكرون كثيرا قبل ان يحكموا الطوق .. لحظات ويعود الشباب ..

رغم هدوء الضابط ظل القلق يتملكنى .. وبدأ العدو بقصف المنطقة بالمدافع الثقيلة ويهمس الضابط .

— هذا يعنى انهم قرروا الانسحاب.

بدأت اضواء الآليات تتباعد كان صوت هدير محركاتها يصلنا بوضوح .. لكنه الان بدأ بالابتعاد .. شعرت بالراحة بالرغم من ان قذائف العدو بدأت بالتساقط من حولنا .. نزلنا الى الخنادق .. تركنا اثنان من المقاتلين واتجها الى النهر القريب ..

بعد نصف ساعة كان الشباب يقفون بيننا .. على بعد امتار وقف بعض الشباب يناقشون .. احدهم اتى وطلب لفافة هبط بها الى الخندق واشعلها ثم صعد ومال نحو شاب يستلقى على الارض وغرسها بين شفافه .. كان جريحا .. تقدمت باتجاهه فى اللحظة التى بدأ الشباب فيها فى رفعه والسير به تجاه السيارة .. تفرست ناحية وجهه اليمنى .. كانت عيناه هادئتان ... بدأت اللفافة فى فمه تهتز وكأنه يمضغ طرفها .. همس ضابط العمليات

— انه الملازم سهيل ادريس ... ارجو الا تكون اصابته خطرة .. اخاه استشهد فى صفوفنا قبل عام وجدنا سيارة الاسـعاف تنتظر .. وتحركت على الفور .. وددت ان اصعد اليها ولكنها تحركت .. جلسنا ننتظر قدوم باقى الشباب .. قال احد الذين وصلوا
— طلب سهيل الينا ان نتركه ونعود .. رافقته فى ثلاث معارك .. كان دائما بطلا .. لكنه الليلة كان شبلا آخر .. عندما اطلقنا آخر قذيفة [آر بى جى ٧] .. كانت ست آليات لا تزال تقترب .. طلب الينا ان نعود .. كانت لديه قنبلة يدوية طلب ما لدينا من قنابل .. وبدأ يزحف فى اتجـاه اول آلية .. ارتفع بجسده قليـلا وقذف القنبلة .. وحاول أن يضرب ثانية لكنه سقط .. فى نفس اللحظة بدأ الشباب فى ضرب العـدو من الخلف فهربت آلياته .. وعدنا بسهيل ..

شعرت بالانقباض .. كان المقاتل يتحدث عن سهيل وكأنه استشهد .. فى اللحظات القليلة التى رأيت فيها سهيلا والدم يسيل من صفحة وجهه اليمنى امتلكنى شعور قوى بأن سهيلا لن يموت ..

شد الاخ القادم من الارض البعيدة على ركبتى اليسرى وهمس .

— انها المرة الاولى التى ارى فيها دما حقيقيا..انه لا زال شابا همست بحزن ..
— معظم شهدائنا يمضون شبابا .. انه قدرنا ..

فى طريـق العودة الى عمان .. تفرست الشارع الطويل الذى تروى كل حفرة فيه اكثر من قصة كان زوج البط قد نام مع مجىء العتمـة .. وكان الصفار قد ناموا مع انتهاء المعركة ..

ومع الصباح وانا اهبط مع الدرجات المؤدية الى المكتب استوقفنى صوت

— لقد استشهد محمد فيض الصعابر

— قلت بهلع ..

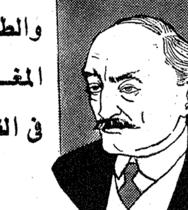
— من تقصـد ..

— الملازم سهيل ادريس .

تابعت الهبوط مـع الدرجات عبر الدرجات كنت ارى بوضوح شـهيدنا فرحان السعدى ولحيته البيضاء تشبع اغصان الياسمينة التى تنتهى عندهـا نسورا .

هــــاردى والطـــــائر المغــــــرد فى الظـــــلام





د. عبدالوهاب المسيرى

كانَ توماس هاردى رضيعا حينما عادت امه الى كوخهم الريفى فى ظهيرة يوم حار فوجدته غارقا فى سبات عميق وقد تكوم فوق صدره ثعبان نائم فى هــدوء وسكينة ، وصورة الطفل البرىء الذى ينام فى حضنه ثعبان خير تعبير عن حياة واعمال توماس هاردى القصاص والشاعر الانجليزى ·

ولد هاردى عام ١٨٤٠ أى بعد عشرة أعوام من تاريخ نشر المجموعة الاولى لقصائد تنيسون الشعرية بما فيها من حزن ونحيب واحساس بالنهاية ، ومات عام ١٩٢٨ أى بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى · وبعــد أن أتت عــلى البقيــة الباقية من آمال رومانتيكية كانت لا تزال تعتلج فى بعض القلوب ·

والحقبة التاريخية التى نفاعل معها هاردى كانت تتسم بالقسوة البالغة والظلم الاجتماعى ، فقد شاهد بنفسه اعدام رجلين فى الميدان العام ، ومشــاهدة تنفيذ احكام الاعدام كانت تعد حتى ذلك الوقت نوعا من التسلية العامة · وكانت الفاقة الشديدة تترك اثارها فى كل مكان خاصة بعد أن بدأ « قانون الفقراء » لعام ١٨٣٤ ياتى ثماره اللعينة ، فقد نص هذا القانون على منع تقديم اى معونات للفقراء عقابا لهم على كسلهم ، على أن ينشأ ما يسمى « ببيوت العمل » وهى اماكن تشبه اصلاحيات الاحداث يعمل فيها المعوزون ليقيموا اودهم · وهذه الاصلاحيات الجهنمية هى المسئولة عن الاسراع فى اقتلاع الفلاحين من الريف لارسالهم الى المدينة ليعملون كبروليتاريا لاجذور لها تتقاضى اجورا تضمن لها حد الكفاف ·

ولم تسلم بلدة دورست فى مقاطعة وســـكس من التحــولات الاجتماعيــه والاقتصادية التى شاهدها القرن التاسع عشر ، فقد بدأت المقاطعة فى فقدان طابعها الزراعى الهادىء ، وشيد اول خط حديدى فى دورست بعد مولد هاردى بسبعة أعوام ، واخذت المصانع الكئيبة تظهر الواحد تلو الاخر · وهى مصانع كانت تسودها ظروف انتاجية لا يمكن أن توصف الا بانها غير انسانية تعمل فيها بروليتاريا تعانى اشد أنواع الاذلال والقهر ، وقد شــاهد هــاردى بنفسه أثناء احدى نزهاته الخلوية جثة طفل قضى نحبه من الجوع ·

ولكن على الرغم من ذلك كان لهذه المقاطعة طابع خاص ترك آثاره العميقة التى لا تمحى على وجدان شاعرنا ومخيلته ، فهنا كان عالم محدد المعالم والخلفية تشرب الشاعر روحه واستوعب ابعاده وعرف تلاله وأنهاره وجبــاله واحجاره وفلاحيه البسطاء بــاسمائهم النورمانية ووجوههم الكهنة ، وهو عالم احتفظ بجوهره شبه الاسطورى الذى لم يدخل عليه تغير كبير رغم تتابع الحقب التاريخية ، ورغم تعرض قشرته الى غزو عالم الصناعة والتجارة · وظلت هذه ظلت وسكس بالنسبة لهاردى من النــاحية الوجدانية كالمركز الثابت الذى يعود له الشاعر · ويمكن القول ان العنــاصر الفلكلورية والافكــار البدائيــة العــديدة التى تتكرر فى كتابات هاردى من تاكيده على الخرافات الى اشارة للأشباح والارواح الى اهتمــام بــالمقابر والموتى ، يمكن ارجاعها الى نشأته فى وسكس ، بل ان بعض الكتاب يرى أن هاردى يشبه فى بعض النواحى الكاتب الفرنسى الفونس دوديه الذى ركز كل اهتمــامه علــى تصــوير تقــاليد الريف « وروح المكان » ،

وقد تعلم هاردى الكثير من أبويه ، ومن المدارس التى التحق بهما فى السنين المبكرة من حياته ، الا ان اهم مراحل تعليمه هى الفترة التى قضاها تحت التمرين فى مكتب المهندس جون هكس . ففى هذه الاونة تعلم اليونانية واللاتينية وبدأ فى كتابة الشعر وشاهد كثيرا من المسرحيات والحفلات الموسيقية ، كما حضر عديدا من المناقشات الدينية والفلسفية فى جامعة لندن .

وقد قوت دراسة هاردى للهندسة المعمارية من احساسه بالبنية العامه للعمل الادبى ، ومع أنه أصبح مهندسا له وزنه (خاصة بعد أن حصل على جائزة المعهد الملكى عام ١٨٦٣) الا أنه صرف جل اهتمامه للكتابة الادبية . وكاتبنا يعرف اساسا كقصاص ولكنه كان يتصور أنه شاعر بالدرجة الاولى . يكتب القصص ليحصل على قوت يومه وحسب ؛ وفى عام ١٨٩٨ ظهرت اولى مجموعاته الشعرية ، كما ظهرت قصيدته الشهيرة « الحكام » بين عامى ١٩٠٢ـ١٩٠٨ .

موت الرومانتيكية

ويمكننا أن نرى فى شعر هاردى بداية التحول الحقيقى من الحساسية الرومانتيكية الى الحساسية الحديثة فرغم أنه من الممكن ملاحظة بدايات هذا التحول فى أسلوب براوننج (الذى تاثر هاردى بشعره) وفى رؤية ارنولد . الا أنه من الممكن أن نقرر بشىء من الاطمئنان أن كليهما مكثا داخل حدود الاطار الغنائى الرومانتيكى بايقاعاته الثرية وصوره المحسوسة . وأن تمردهما على المثل الادبية الرومانتيكيه لم يشكل قطيعة كاملة بينهما وبين هذه المثل . على العكس من هذا نجد أن هاردى قد تخلى الى حد كبير عن هذه الايقاعات والصور الرومانتيكية وأحل محلها ايقاعات غير منسجمة تعكس تناقضات رؤيته وتساؤلاته التى لا اجابة لها . واذا كان الشاعر الرومانتيكى منشدا يحتفى اما برؤياه وبمقدرته على اعادة خلق الطبيعة (كما هو الحال مع **ورد زورث وبليك**) او برؤيته للعصر الذهبى الذى ولى (كما هو الحال مع **أرنولد**) . فان هاردى لا ينتمى الى هذا التقليد الادبى ، فشعره أبعد ما يكون عن الانشاد ، رغم انه كثيرا ما يطلق على قصائده اصطلاح « أغنية » . وهو كثيرا ما ينحت كلمات جديدة او يبعث كلمات قديمة غير متداولة او يستخدم الافعال كأسماء والاسماء كأفعال أو كظروف كما أن تركيباته اللغوية فيها تقديم

وتأخير لا تالفهما الاذن ، أى أن أسلوبه أبعد ما يكون عن السلاسة والسهولة . وقد قام هاردى بكل هذه التجارب اللفظية حتى يبتعد عما سماه هو « ببيت الشعر المرصع » الذى يذكر القارىء بشعر كيتس فى مرحلته الاولى وبشعر تنيسون وبعض الشعراء الفكتوريين .

ورفض هاردى للمثل الرومانتيكية يظهر بشكل بين فى رفضه للتفاؤل الرومانتيكى . فرغم ان الشاعر الرومانتيكى كان يرى انه يقف وحيدا وجها لوجه مع الطبيعة والعناصر الاولية . الا انه كان يؤمن بانه حتما سيعود فى نهاية الامر لجماعته برؤياه الخصبة الجديدة ليثريها وليعمق من احساسها بالحياة ، فالطبيعة والحياة قد تكونان اشياء يحفها الغموض . الا انها فى نهاية الامر مفاهيم لها مغزى ومحتوى انسانى . بل ان الطبيعة فى نظامها وجمالها وخصبها ان هى الا انعكاس لعقل الانسان فى نظامه وجماله وخصوبته ، ولذلك تعد الرؤية الرومانتيكيه رؤية متعاليه ترانسندنتالية ، متفائلة تؤمن بمقدرة الانسان على تخطى واقعه رغم كل ما قد يشعر به من احزان وما قد يصاب به من نكسات وهزائم . اما هاردى فانه حينما نظر الى الطبيعة فانه لم يجد سوى حركة ميكانيكية لا اخلاقية بلهاء قدمها داروين فى كتابه **أصل الانواع** ، وبدلا من الجمال والتناسق رأى هاردى التناحر والصراع والكراهية والشر .

الصدفة العمياء

وقد حذر هاردى قراءه وناقديه من محاولة استخلاص فلسفة متكاملة من شعره ، فهو لم يقدم فى اعماله سوى « ميتافيزيقا مؤقتة » على حد قوله . وهو محق فى تحذيره هذا اذ اننا يجب الا نتوقع من أى شاعر ، مهما بلغ من التفلسف والتجريد ، أن يقدم مذهبا فلسفيا متناسقا . ولكن على الرغم من ذلك ثمة عدد من الافكار المتواترة التى يحق للناقد أن يشير اليها دون ان يجردها من سياقها الفنى ، او حتى قد يحق له تجريدها بشكل تاكتيكى ومؤقت حتى يمكن للقارىء ان يلم بأطراف رؤية الشاعر ككل . ومن اهم الافكار والاصطلاحات التى تتردد فى شعر هاردى فكرة « **الصدفة العمياء** » فالعالم . حسب تصوره . تحكمه قوة غير واعية بذاتها وهى قوة لا تخلق او تدمر عن قصد بل تفعل ما تفعل دون علة او غاية او هدف . والطبيعة المرئية ان هى الا تعبير عن هذه الفوضى والحيادية اللاانسانية التى دعمتها الرؤية العلمية .

ووسط هذه الفوضى وعدم الاكتراث الكونى ظهر الوعى الانسانى عن طريق الخطأ . فالانسان هو المخلوق الوحيد الواعى بنفسه ، وهو لهذا السبب ايضا المخلوق الوحيد الذى يتألم بل ان كل تجربة انسانية حسب هذا التصور لابد وان تسبب الالم والحزن ، وكلما ازددنا وعيا وحساسية كلما ازدادت مواجعنا وتعمقت آلامنا .

وفى قصيدة « المصير » يعطينا الشاعر صورة واضحة عن احساسه بحيادية العالم والطبيعة :

لو أن الها منتقما نادى على من عل
وضحك فى السماء قائلا :
ايها الشىء البائس ؛
فلتعلم ان فى شقائك نشوتى
وأن ضياع حبك هو ازدهار ضغينتى .
لتحملت اذن الاسى وأطبقت اعصابى ولاقيت حتفى
يشد من أزرى احساسى
بأننى لا استحق الغضب الذى أجنى ثمرته ،
ملاقيا بعض الراحة فى ان من هو اقوى منى ؛
قد شاء وقدر ان اسكب كل هذه الدموع ،
لكن الامر ليس كذلك لم سقط الفرح اذن ذبيحا ؟
ولم لا تزدهر أحلى الامال التى نبذرها ؟
الصدفة الفظة تسد طريق الشمس والقمر ،
والزمن الذى يلقى بالنرد يرسل بعد كل فرحة آهة ،
فهذه القوى المصيرية العمياء نثرت
حول طريق رحلتى البركات والاحزان دون تمييز ؛

ان العالم الذى نعيش فيه لا يسيره عقل ولا ارادة ، وهو يتحرك دونما هدف او اتجاه ، ولعل صورة الزمن العابث الذى يلعب بالنرد تعبر اصدق تعبير عن عبثية هذا العالم ، ولكن هاردى لا يخلص من كل هذا الى ضرورة الهرب من الوعى ، بل يواجه الشر الذى ياخذ صورة اللامعقول مواجهة شجاعة ، اذ انه شر حقيقى لا مناص لنا من تقبله ، ويمكننا القول ان جانبا من عظمة شعر هاردى يعود الى تقبله البطولى لانهزام للوضع الانسانى .

أحادية العبث

ولكن خطورة هذه الفلسفة العبثية انها تؤدى بالشاعر الى طريق مسدود على المستويين الفلسفى والجمالى .. فهى - شانها شأن الفلسفة النقعية - فلسفة احادية تصفى ديالكتيك التسامى الذى يؤمن بمقدرة الانسان على تخطى واقعه وعلى تنظيم الكون عن طريق ادراكه وتغييره بشكل فردى او جماعى · ان وجود الوعى الانسانى فى الكون هو ما يضفى عليه معنى ، فاذا ما انسحب هذا الوعى من العالم تساوت كل الاشياء وتحددت وتقولبت وفقدت علاقتها بالاشياء الاخرى ، ففكرة العلاقة بين الاشياء تفترض وجود معنى ما . وحد أدنى من النظام الذى يكتشفه ويفرضه الانسان فى آن واحد ·

ومما زاد من احادية هاردى انه آمن برؤيته المتشككة ايمانا أعمى دون أى تحفظ أو تساؤل ، أى أنه رغم أن محتوى فكره نسبى متشكك الا ان نسبيته وتشككه ياخذان شكلا دوجماتيا حجب عنه فى نهاية الامر الواقع الحى · ومن هذه الناحية لا يختلف شك هاردى عن تعصب فلاحى « وسكس » البسطاء للمسيحية أو عن تفاؤل البورجوازية الفكتوريه الكامل بخصوص مصير المجتمع الرأسمالى الصناعى ·

وعلى المستوى الجمالى ، كان لهذه الاحادية أثر سىء للغاية على شعر هاردى ، فتصفية ديالكتيك التسامى هو فى الواقع تصفية لكل الامكانيات المأساوية بل والملهاوية للموقف الانسانى ، فالشاعر العبثى الاحادى يجابه كل موقف انسانى مزودا بقالب جاهز جامد خلاصته « أن لاحول لنا ولا قوة فى مجابهة القدر » وفكرة القدر - كما نعلم - تشكل عنصرا اساسيا فى التصور المأساوى للحياة من سوفوكليس الى برخت ، فهى فكرة تعبر عن جانب اصيل فى الواقع الانسانى وفى استجابتنا له وتفاعلنا معه ، فنحن مهما بلغنا من تقدم علمى وأجتماعى لن يقدر لنا أن نكون اسياد مصيرنا وبيئتنا بشكل كامل ، والانسان الفرد يجابه اختبارات يومية أخلاقية فردية لا يمكن لحكمة السنين ووعى الاجيال مساعدته فيها · كما أن كل اختيار ، مهما كانت حكمته وصوابه ، هو فى نهاية الامر اختيار مأساوى ، اذ أنه عادة ما يلغى البدائل الاخرى المطروحة مما يجعل الانسان أسير اختياره · ومما يجعل هذا الاختيار هو ايضا قدره المحتوم ·· ولنضرب مثلا على هذا الوضع المأساوى من مسرحية ماكبث ، فالساحرات الثلاث يجسدن فكرة القدر بالمعنى الذى ذكرناه ، فهن يخبرن ماكبث انه سيصبح ملكا مما يعنى انه من المكتوب عليه أن يقتل ابن عمه وضيفه وولى نعمته الملك دنكان ، ولكن الساحرات على الرغم من ذلك لايدعين ماكبث الى ارتكاب الجريمة · فهو يقف وحيدا المنظر تلو الاخر ليختار ويقرر بارادة حرة واعية ، وحينما يرتكب جرمه فانه يفعل ذلك فى حرية كاملة · ولكن فعلته الاثمة تستعبده وتحوله الى سفاح لا قلب له يخوض فى بحار الدم دون أن دهتز له جفن · ولان ماكبث اختار مصيره المحتوم - ان صح التعبير - نجده يكتسب ابعادا بطولية مأساوية ، فحرية ارادة البطل مكون أساسى لشخصيته ، بدونها يتحول الى مخلوق ميكانيكى ليس له أية ملامح انسانية ·

ومعظم الشخصيات والمواقف التى تتواتر فى قصائد هاردى المعنونة « سخرية المواقف » من هذا النوع الاخير ، فهى مواقف ساذجة فى ميكانيكيتها تبين أن كل الامال خداع وأن السعادة البشرية زائفة زائلة · ونظرا لان فحوى الموقف لا ينبع من السياق الادبى الحى وانما يفرض عليه من الخارج فان هذه القصائد هى اشبه بالمواعظ الريفية القصصية · وقصيدة « امام قبر خالتها » تقدم لنا موقفا ساذجا من هذا النوع : تخبر الفتاة حبيبها ان خالتها لفرط ثقتها فيها كانت تدخر عندها ستة مليمات فى الاسبوع لتشترى لها بها شاهدا لقبرها وتعترف له أنها لم تنفذ وصية خالتها بعد ، وتضيف قائلة انها لا تزال عاقدة العزم على أنها صادقة فى نيتها · ولكن حينما يقترح عليها الحبيب أن ينفقا المال سويا على عرسهما تومىء الفتاة بالايجاب فى سلبية واضحة ·

وتظهر أحادية هاردى كذلك فى معالجته للتفاصيل العديدة فى قصائده فهى معالجة تعطى القارىء الاحساس بان الشاعر قد رفض اللغة المجازية كلية وان الاشياء الواقعية بالنسبة له هى وحدها الاشياء الحقيقية ، ولذلك تظل معظم هذه التفاصيل مجرد أشياء جاهزة مستوردة من عالم الواقع دون أن تعاد صياغتها أو تشكيلها ·

وقصائد هاردى الاحادية تتكون من اضداد بسيطة مثل صور النور والفرح مقابل صور الظلام والحزن . والانسان الواعى المعذب مقابل الصدفة العمياء غير المكترثة ، ولكن روائعه الشعرية لا تقع فى قبضة هذه الاضداد البسيطة وتنسلخ عن دائرتها ، وقصيدة « كلانا ينتظر » رغم انها مفعمة بالحزن الا انها تذكرنا بقصائد ورد زورث فى احساسه العميق بالتناسق والانسجام ، فهى قصيدة حزينة هادئة ، بل وفرحة فى الوقت ذاته :

أطلت على نجمة من السماء
وقالت « ها نحن نقف
انا وانت ، كل فى مكانه
ماذا تنوى أن تفعل
ماذا نويت أن تفعل ؟؟»
اجبت : « على قدر معرفتى
سأنتظر وادع الزمان يمر
الى أن يحل وقت تغيرى » .
« هذا وحسب »

قالت النجمة « هذا ما أنويه
بلى هذا ما انويه » .

فى القصيدة السابقة لم يقترب الشاعر من الواقع مسلحا برؤيته عن « الصدفة العمياء » ليصنف كل التفاصيل فى سرعة واتقان وليبين « سخرية المواقف » ، وليصل الى الموعظة الاخلاقية · وانما نجده فى حالة هدوء وفى مزاج نسبى يقبل وضعه المأساوى فى العالم دون أن تدوى خطبه الساخطة ودون أن يتفلسف فى لغة مجردة ، بل يمكننا القول ان الشاعر يمتزج بالطبيعة التى يبدو وكأنها تتحداه ويصل الى السلام الذى ينشده دون تكلف أو قسر ·

وفى قصيدة « قبرة شللى » يتحدث الشاعر عن مصير الطائر الذى احتفى به الشاعر الرومانتيكى فى انشودته ، والقصيدة فى واقع الامر تتحدث عن مصير الرومانتيكية والمثال الرومانتيكى الذى لم يقدر له الاستمرار والحياة · ولكن مرة أخرى لم يكتف الشاعر بتقرير حادثة الموت وكأنه يجد شيئا من الغبطة فى تسجيلها ، بل يحول حزنه ذاته الى وسيلة للتسامى · وتبدأ القصيدة بهذه الابيات :

فى بقعة ما فى هذه الحقول
ترقد

حفنة من التراب لاتراها عين
ولا ترعاها يد

تحرسها عيون الامراض
الكفيفة الغافلة

انها تراب القبرة التى هزت اوتار قلب شللى فاضحى كالنبى يلقى نبوءاته ومنحها الخلود فى أغنيته ولكنها سقطت وكأنها « كرة صغيرة من الريش والعظام » واصبحت جزءا من كوم طين · وهكذا ما كان ساميا محلقا منشدا هبط وسقط فى عالم داروين المحايد الذى لا تزدهر فيه قيم أو مثاليات ·

ولا يستسلم هاردى فى القصيدة لحزنه بل يحاول أن يستمد شيئا من القوة والمقدرة من تأمله فى موت القبرة ،

ولذلك ينادى على الجنيات ليذهبن ويبحثن عن ترابها ليضعنه فى تابوت مرصع باسمه والذهب والجواهر لأنه سيكرس هذا التراب للابدية .

الطائر المغرد فى الظلام

ومن اشهر قصائد هاردى التى لاتسقط لا فى الاحادية الضيقة ولا فى الازدواجية الميكانيكية قصيدته المعروفة « الطائر المغرد فى الظلام » :

حينما استندت الى بسوابة الايكة
كان الصقيع رماديا كالشبح
وبقايا الشتاء تكسوها بالكآبة
عين النهار الواهنة .
بدت سيقان النباتات المتسلقة
خطوطا فى السماء
كأوتار قيثارة محطمة
بينما اخذ كل القاطنين على مقربة
فى السعى الى دفء منازلهم
ملامح الارض الواضحة بدت وكأنها
جثمان القرن الممتد .
اما قبره فقد ظلله الغمام ،
والريح كانت أنشــــودة رثائه .
النبض الذى يسرى منذ القدم .
فى البذرة والميلاد جــف وذبل ،
وكل روح تسعى فوق الارض
فترت فيها الحياة مثلى .
وبغتة تصاعد مــن بين الاغصان الكئيبة فوق راسى
صوت طائر الدج
بانشودة نابعة من القلب
تتغنى بالفرح الدفاق :
طائر مسن هزيل نحيف ضئيل
تعصف بريشه الانواء :
الا أنه آثر أن يطلق روحه
فوق الظلام الزاحف
على وجه الارض
عن قرب أو بعد
لم يك هناك ما يدعو للانشاد
بصوت ملئه النشـــوه ،حتى اننى ظننت أن ثمة أملا مباركا

ينبض فى رياح ليلته الطيبة
امل مبارك يعرفه هو
ولا أدرى انا كنهه .

نشرت هذه القصيدة لاول مرة فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٩ تحت عنوان « بجوار سرير القرن المحتضر » ويبدو انها مرثية الشاعر للقرن التاسع عشر او مجرد تعليقه عليه . وزمن القصيدة هو اللحظة التى تغرب فيها الشمس فى اخر ايام القرن ، وهى لحظة وداع ونهاية : نهاية اليوم ونهاية القرن ونهاية حقبة تاريخية صاخبة انجزت ما انجزت ، ودمرت وخربت ما شاءت من التدمير والتخريب . ورغم اهمية المناسبة الا اننا نفاجا بافتتاحية فاترة ليس فيها حرارة او حماس . فالشاعر قد صور نفسه متكئا بشكل روتينى على البوابة واقفا غير منتظر رؤى عظيمة اوحقائق سرمدية تهبط عليه بغتة من السماء ، وهذه النبرة الفاترة تسرى فى القصيدة من افتتاحيتها حتى خاتمتها .

وحينما ينظر الشاعر الى الطبيعه فانه لا يرصد تفاصيل مجردة ، وانما نجده على طريقة وردزورث يدع المنظر يتكلم على لسانه مجسدا احزانه ومواجعه ـ فالمنظر لا اضــواء ولا ظلال ولا الوان فيه ، اذ انه منظر رمادى كالشبح كئيب كالموت تعزف فيه قيثارة محطمة ، بل يبدو ان المنظر قد أصبح هو الموت بعينه ولذلك تسرع كل مظاهر الحياة بالانسحاب منه .

وصور المقطوعتين الاولى والثانية تدل على الموت ، فجثمان القرن ممتــد ، والغمام قد ظلل قبره والريح انشودة رثائه ، واذا كنا قد لاحظنا فى المقطوعة الاولى هرب الناس من هذا المكان ، فاننا نعرف من الشاعر فى المقطوعة الثانية ان نبض الحياة ذاته ذبل وجف . وحركة الصور فى هــاتين المقطوعتين (وفى بقية القصيدة) تصور لنا بدقة حركة فكر الشاعر ، كما يتضح لنا من الصور ذاتها اهتمام هاردى بالفنون التشكيلية فهو يجيد استخدام الظلال والالوان (فى المقطـوعة الاولى) ويجيد تجسيم المنظر حتى نراه وكانه منحوت أمامنا (خاصة فى المقطوعة الثانية) .

ولكننا لو تفحصنا الصور فى المقطوعة الاولى للاحظنا انه ثمة بقايا حياة وحركة كأن عنصر الحياة الاخذ فى الذبول يحاول رغم كل شىء أن يؤكد نفسه ، وبغتة يتصاعد صوت طائر الدج فتعترينا الدهشة وينتابنا عدم التصديق ويستعيد هـذا الصوت الى ذاكرتنا بلبل كيتس الصداح وقبرة شللى المحلقة . ولكن اذا كان البلبل والقبرة يتحولان فى قصيدتى الشاعرين الرومانتيكيين الى رمزين للخيال الخلاق والمقدرة على قهر الزمن ، فان طائر هاردى المسن النحيف يظل قابعا داخل ريشه خاضعا لتقلبات الزمان وعواصفه ، لا تحيطه اية هالات من القداسة ولا تغمره اية انوار صوفية .

وعلى الرغم من ان طائرى كيتس وشللى طائران مقدسان مثاليان الا ان كلا من الشاعرين يبذل قصارى جهده للحاق بطائره ولتخطى الهوة التى تفصله عن مثله الاعلى . فان هاردى يعطينا انطباعا واضحا انه ليس فى نيته ان يحاول الوصول الى طائره رغم انه طائر لا يجيد التحليق او الشدو الصوفى .

لا يفكر هاردى اذن ان يشارك فى هذه الحياة المتدفقة أو فى هذا الامل الدافىء المنبثق ، ولكنــه مع ذلـك لا ينكـر وجودهما ، فالنبض لايزال ساريا فى الطائر المغرد العجوز ، بل ان الشاعر ليعترف بانه لا يشارك فى هذه الحياة لقصوره هو فى الرؤية وهو بهذا لايحسم الموقف نظرا لعدم تمكنه من الوصول الى معرفة يقينية بخصوص هذا الشدو ، فما هو بالمنكر للحياة ولا هو بالمحتفى بها ، وانما ينظر اليها فى هدوء وفتور يذكراننا بالبيت الافتتاحى .

وهذه النبرة النسبية هى ما ينقذ القصيدة من السقوط فى العبثية والقدرية وهى بمثابة تاكيد لنا بان القصيدة تقدم لنا تجربة حقيقية ليس فيها تبسيط عقائدى أو فلسفى ، فالشاعر النسبى الذى يؤكد الشىء ولا يتجاهل نقيضه هو شاعر فى نهاية الامر قادر على مواجهة كل عناصر التجربة الانسانية بما فيها من حرية وقسر ، ولكن هذه النبرة ذاتها تنبهنا الى أن الرومانتيكية بدأت تعانى سكرات الموت ، فقصــائد وردزورث وكيتس وشللى كانت نتاج رؤية متوترة مؤمنة بمقدرة الانســان على اعــادة صيــاغة الواقع وعلى اختراق سطحه للوصول الى جوهره ، ولذلك نجــد ان الشعر الرومانتيكى فى عصره الذهبى ، عصر ثورة البورجوازية ، كان شعرا ايجابيا رغم تساؤلاته ، تسرى فيه دفعة قوية من الايمان بالحياة ومن التفاؤل بالمستقبل .

وهاردى كما نرى يقف بين عالمين ، فهو آخر الرومانتكيين وأول الشــعراء المحدثين اى انه شاعر « انتقالى » تختلط فى شعره الاساليب والصــور والنبرات وربما كان هذا هو السر فى انه ظل شاعرا من الدرجة الثانية يعبر عن الحساسية الحديثة دون أن يجد الاسلوب الامثل للتعبير عنها .

الواقعية الانحيازية في قصص سعد مكاوى القصيرة



د. سيد حامد النساج

طالب « لينين » الكتاب جميعا ان يتخذوا موقفا انحيازيا ليكونوا اشتراكيين حقا ، وأن يحتضنوا قضية البروليتاريا أو الطبقة المنتجة ، وبالا ينعزلوا عن الاغلبية الشعبية الساحقة التى تتجاوز عشرات الملايين ، وأن يكون انحيازهم المذهبى اليها جهارا : وأن يوقفوا مواهبهم على خدمتها . ومن ثم رأينا كتابا واقعيين ينحازون فى قصصهم على النحو الذى حدده لهم « لينين » . وفى مصر ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ظهر عدد كبير من كتاب القصة القصيرة الذين تمثلوا أولا الفكر الماركسى ، فكانوا أكثر انحيازا له ودعوة الى تطبيقه فى مجتمعنا . ثم تمثلوا اقوال « لينين » و « انجلز » و « بليخانوف » ، فى الفن والادب المرتبط أو الملتزم الذى يحتوى « معنى ثورى الجوهر » ويصور صراع القوتين : الجديدة التى تنمو ، والقديمة التى تتعرض للموت ، ثم آمنوا ايمانا قويا بضرورة انحيازهم للطبقات الاكثر عددا والاطول حرمانا ، وهى الطبقات التى ينتمون اليها بحكم النشأة أو المصلحة المتقاربة ، أو الايمان بالتغيير الجذرى لصالح العاملين الكادحين .

وكان ظهور الانحياز على هذه الشاكلة امرا طبيعيا وحتميا فى مجتمعنا آنذاك اذا نظرنا الى الظروف والعوامل المحيطة به عالميا والى حركة المجتمع ذاتها . والدعوات والافكار الجديدة . ويلاحظ الدارس للقصص الواقعية الانحيازية ان من كتابها من كانوا ينتسبون الى الطبقة المتوسطة الصغيرة ، ومنهم من كانوا ابناء عمال أو فلاحين ، ومنهم من كانوا عمالا فعلا . وجدير بالذكر أنه كان هناك التحام قوى بين أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة وطبقة العمال والفلاحين ، وأنه من أحشائهم جميعا خرجت الطليعة الثورية للعمال والفلاحين : تلك التى قادت المظاهرات والاضرابات وأعلنت المطالب الاجتماعية والافكار الثورية والاشتراكية ، وقدمت عديدا من التضحيات فى سبيل ذلك كله . فالطليعة الثورية المثقفة هذه خرجت من بين صفوف العمال والفلاحين والطبقة الوسطى الصغيرة المستنيرة . ذلك أن أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة كانت مصالحهم تتلخص فى الكفاح من أجل استقرار اقتصادى يشبه كفاح العمال والفلاحين . ويخضعون لقانون العرض والطلب بالنسبة لقوة عملهم ، ويعانون من نفس الضغوط التى يعانى منها العمال والفلاحون ، بل إن معاناتهم تتخذ صورة أقوى من العمال والفلاحين لان وعيهم بالحياة اشمل واعمق نتيجة ما احرزوه من ثقافة وعلم [١] .

تشكيلات سياسية متعددة

من هذه الطليعة تكونت تشكيلات سياسية متعددة : بعضها كون الجناح اليسارى فى الوفد ، وبعضها اشترك فى تكوين تنظيمات مغايرة كمصر الفتاة ، ثم الحزب الاشتراكى ثم الاخوان المسلمين ، وآخرون شكلوا التيار اليسارى الشيوعى فى مختلف التشكيلات كالحزب الديمقراطى لتحرير وادى النيل وحزب الاشتراكيين المسلمين . الخ . وفى مجال الادب كان المنحازون فكريا الى الماركسية بكل تعاليمها ومبادئها ، والمتشددون فى تطبيقها ، هم أنشط الدعاة الى الواقعية الانحيازية او الواقعية الاشتراكية كما نقلوها عن الادب الروسى والصينى فيما بعد ، ولما لم يكن مجتمعنا قد انتهى فى الواقع من تطبيق الاشتراكية العلمية حتى ذلك الحين ، فانا نفضل تسمية المنهج الذى اتبعه هؤلاء فى كتاباتهم ، والاسلوب الذى التزموه فى قصصهم القصيرة بخاصة « الواقعية الانحيازية » فهم منحازون او انحيازيون فكريا وسياسيا وطبقيا ، وهم انحيازيون للواقع المصرى . وهم انحيازيون لغير الطبقة البورجوازية الكبيرة والارستقراطية . وهم انحيازيون للطبقة العاملة بصفة عامة وللبروليتاريا بصفة خاصة . فان من نشأ منهم فى بيئة فلاحية كعبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاوى وغيرهما انحاز الى الفلاحين ، ومن نشأ فى بيئة عمالية انحاز الى البروليتاريا مثل محمد صدقى . وهكذا نجد أن انحيازهم واضح فى قصصهم القصيرة ، وأنهم وضعوا نصب أعينهم ما كتبه النقاد اليساريون الواقعيون فى مصر وما خلفه اعلام الواقعية الاشتراكية فى روسيا والصين ، مستندين الى الماركسية قبل هذا وذاك .

وفى ميدان القصة القصيرة نجد ذلك ممثلا فى القصص التى كتبها الجيل الاول من الواقعيين الانحيازيين أمثال : سعد مكاوى ، وعبد الرحمن الشرقاوى وأحمد رشدى صالح وعلى الدالى ونعمان عاشور وزكريا الحجاوى ، وكذلك فى القصص التى كتبها : لطفى الخولى وابراهيم عبد الحليم وأحمد عباس صالح ومحمد صدقى ومحمد يسرى أحمد وصلاح حافظ والفريد فرج وفاروق منيب وعبد الله الطوخى وعبد السميع عبد الله ومحمود دياب واحمد نوح وبدر نشأت وغيرهم ممن يمثلون الجيل الثانى . وهؤلاء فى مجموعهم قدموا للقصة القصيرة حصادا وفيرا يصعب على الدارس او الناقد الوقوف عند كل ما خلفوه او حتى الوقوف عند كل منهم على حدة ، لذا فانا سوف نختار من بينهم ما يساعد على توضيح ملامح « الواقعية الانحيازية » خاصة ، وان من كتاب الجيل التالى من بدات حدة انحيازه وتخفت فى محاولة منه ليس للبعد عن الانحياز بل ولتجاوز الواقعية .

انحياز واضح

ويبرز اسم « سعد مكاوى » فى مقدمة من كتبوا القصة القصيرة وكانوا يعبرون بها عن عقيدتهم ويظهرون من خلالها انحيازهم الواضح . هذا الانحياز الذى لازمه فى مقالاته وكتاباته ابتداء من مقاله عن [مصر والسياسة الصناعية] [٢] الذى يبدو فيه متاثرا الى حد كبير بآراء كارل ماركس وبالذات فى كتابه [رأس المال) ، اذ يتحدث عن مصادر القوى والانتاج وتطور مراحله والعلاقات الانتاجية رأس المال الانفرادى وتدخل الدولة للحد من المنافسة والاحتكار والاستغلال ، وحتى قصته [المتشعبطون] [٣] التى تستهدف ضرب العناصر الانتهازية التى تهدد أمن المناضلين الشرفاء وحياتهم ومستقبلهم . كما أن كتاباته تدل على ايمان ثابت بالناس والجماهير وبضرورة ان يصل الفرد حياته بحياة المجموع ، وبأن على الكاتب أن يجعل من نفسه جزءا صالحا فى موكب الحياة الزاخر ، يصنع ما فى وسعه لجعل الحياة مع الناس أطيب وأرحب وأدنى الى الصفاء والراحة والالفة . والحياة التى يعنيها سعد مكاوى يشبهها بالبهو الطويل (تقوم على جانبيه المرايا . والناس فى عبور هذا البهو فريقان : فريق تشغله عن السير المرايا ، فهو لا ينفك يتلفت ، وفى حيثما يلتفت يرى نفسه ، فهو ما عاش فى شغل شاغل بنفسه . وفريق اوتى الجرأة على تحطيم بعض هذه المرايا ، فصارت نوافذ يستطيع من خلالها أن يرى العالم الخارجى ويستحدث لنفسه مشاغل جديدة ، وانت لاتنجح فى أن تكون رجلا حقا ما لم تحطم بعض هذه المرايا وتجعل منها نوافذ تطل على العالم الرحب ، فان اهتمام المرء بتفهم نفسه لا يجب ان يصل الى حد تركيز الاهتمام بحيث يصبح اشتغالا دائما بالنفس (٤) .

والادباء والمفكرون فى نظره يجب ان يكونوا أسرع الناس الى تحطيم المرايا ، والا تشغلهم أنفسهم وذواتهم عن بحث المشكلات التى يضج بها عصرهم ، فهم القادرون على ان يقدموا للمجتمع الانسانى ما يخفف حدة مشكلاته وآلامه وأوجاعه ، وهم صوت الحق والخير ودعوة المثل الاعلى ، وهم الذين يذودون عن ركب الحضارة خسة الجشع ويرفعون عنه عار الاثرة ، ويزيلون منه وصمة الانانية ، ويقاومون فيه سلطان الشر وبطش الاستبداد والاستغلال ، لذا كان عليهم (ان يهبطوا — دفاعا عن سير الحضارة — الى شوارع الحياة .. ان مصير الجنس البشرى ينتظر كلمتهم . فلمن يتركون النظر فى أمور هذا العالم القلق المريض المتصدع ؟ ومن غيرهم يرسم للناس سبل الحياة الحرة والحق الجميل والخير الرحيم ؟ من يهدى الناس الى المحبة والرغد والسلام ؟ ومن يهديهم الى الحرية ؟ ..] [٥] .

---

[١] انظر مقال احمد عباس صالح : « الطبقة الجديدة والثورة الاشتراكية — مجلة الكاتب العدد ٣٦ مارس ١٩٦٤ — ص ٧ .
[٢] « الفجر الجديد » العدد الاول — ١٦ مايو ١٩٤٥ — ص ٨ ، ص ٩ .
[٣] « الجمهورية » العدد ٢٥٤٧ — ق١٩٦٠/١٢/١ — ص ١٠ .
[٤] « المصرى » العدد ٣٦٤٥ — ١٩٤٧/٩/٢٧ — ص ١٠
[٥] « المصرى » العدد ٤٤٨٨ — ١٩٥٠/٥/٢٣ — ص ١٢

رسالة الاديب والمفكر

هناك اذن رسالة يحملها المفكر والاديب ويلتزم بها كلاهما من اجل الحياة والناس ومستقبل البشرية • وهذه الرسالة هي "التقدم" نحو الامام ، والغد المأمول وان تتحقق هذه الرسالة الا اذا قام الادب والفكر والفن بالدور القيادى الرائد في الحياة (اذا أعرض الادب عن مهمته الحقيقية فانه لا يعود غير لعبة لا قيمة لها ، فالادب الحى هو الادب الذى يتكلم لغة عصره • ويحترق بحميائه ويكشف اماله وآلامه ، ويقود معاركه وهو الذى يغمر جذوره في تربة الحياة نفسها ويخدم حقائق عصره واحتياجاته ، ويجعل مهمته بناء الرجال وهندسة الحياة] [٦] • ولسعد مكاوى مقالات كثيرة يفصح فيها عن رأيه واتجاهه الفكرى وحماسه للادب الواقعى الانحيازى . ولعل اسهامه القوى فى هذا المجال يتضح اكثر لو عرفنا أنه حينما كان يشرف على تحرير الصفحة الادبية بجريدة (المصرى) فتح الباب على مصراعيه للكتاب والنقاد اليساريين كى يعبروا عن آرائهم وأفكارهم وينشروا قصصهم القصيرة • وكانت صفحة الادب صفحة يومية كاملة • تعنى بنشر النقد الواقعى الانحيازى ، والقصص القصيرة الواقعية ، والمقالات والدراسات، واهتمت بتقديم الكتاب العالميين والكتب المشهورة عالميا — وعلى هذه الصفحة قرأنا لمحمود أمين العالم وعبد العظيم انيس ومحمود عبد المنعم مراد وحسن فؤاد وعبد الرحمن الشرقاوى ، وربما يكون لنشر رواية [الارض] ابتداء من العدد ٥٤٥٠ الصادر فى ٢٩ يناير ١٩٥٣ على هذه الصفحة مغزى كبيرا •

ويتأكد لنا دور سعد مكاوى كاتبا واقعيا انحيازيا اذا ما عرفنا أن عبد الرحمن الشرقاوى يصرح بأن سعد مكاوى هو رائده الحقيقي الذى قاد خطاه الى هذا الاتجاه ، وأنه فى رواياته وقصصه القصيرة ومسرحياته الشعرية كان يسير على نسق سعد مكاوى • (كنت متأثرا فى بدء حياتى تأثيرا معينا بالاستاذ سعد مكاوى وتأثرت به جدا جدا ، وكنت أنشر على نسقه وهو الذى قادنى الى تشيخوف وجوركى وماياكوفسكى] [٧] • وقد ساعد على هذا الالتقاء بين الكاتبين فكريا وعقائديا وفنيا ، أنهما نشأ فىبيئة ريفيه واحدة وفى قرية (الدلاتون) محافظة المنوفية ، وعاشا فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية مشتركة ، وانضما الى التنظيمات اليساريه التى طالبت بالثورة وتحطيم القديم والضرب بعنف على ايدى الرجعيين والانتهازيين والرأسماليين والاقطاعيين ، وانتصرت للشعب العامل الكادح • ويبدو تأثير هذه النشأة وتلك الظروف لو أننا أمعنا النظر فى قصص كل منهما • فالنماذج التى كتب عنها عبد الرحمن الشرقاوى فى (الارض) هى نفسها النماذج التى صورها سعد مكاوى فى قصصه القصيرة التى تدور حول الريف والقرية المصرية والتى ضمتها مجموعته (الماء العكر) .

القضية الاجتماعية

وسعد مكاوى فى قصصه القصيرة مهتم بالقضية الاجتماعية فى الريف والمدينة على حد سواء ، وان كان الريف والقرية والفلاح فى مجتمعنا المصرى يحظى بمزيد من فنه وفكره ، وهو أمر طبيعى وواقعى من انه فلاح مولود فى عمق القرية . وهو فى تعرضه للمدينة انما يريد أن يكشف الزيف الموجود بها ، والبورجوازية التى تتحكم فيها ، والصراعات الطبقية التى تعتمل فى جنباتها • ولم يكن أبدا ممجدا للبورجوازية والطبقة الحاكمة ، وانما كان دائم التنبؤ بانهيارهم . ونجد صورة لهم فى قصة (الينبوع) التى نشرها ١٩٤٩ : الاقطاعى المستغل ، الرأسمالى الجشع ، الكاتب المزيف ، الطفيلى المنتهز ، الوصولى غير الشريف ، السيدات البورجوازيات ، برذيلتهن وقد وقعوا جميعا فى ازمة بعد أن تاهوا فى الصحراء وضلوا السبيل ، واصبحوا يتأهبون للقاء الموت أصبحوا فجأة أمام ندرهم ، لم يجد كل منهم بدا من الاعتراف بآثامه وجشعه واستغلاله ونفاقه وظلمه للجماهير ، كل بوسيلته ومن موقع سلطته وعمله • ومن خلال اعترافاتهم وابتهالاتهم ، نلمح نقد الكاتب وتجريحه للقوى التى تتعرض للموت والفناء ، وتعريته لمساوئها كما نتعرف الى صورة المجتمع الجديد الذى يتصوره بعد القضاء على هذه الطبقة . وهو ينحاز الى الطبقة التى يجب أن يتدعم حقها الفعلى فى تولى القيادة . ونجده فى عدائه للارستقراطية والبورجوازية لا يرمز ولا يتخفى وراء ستار ، وانما يظهر ذلك بسفور : (وكانوا متى اجتمعوا صورة موجزة دقيقة للمجتمع المريض كما أعادت خلقه فى آخر الزمان رذيلة النفاق الاجتماعى وكل أدواتهم من سيارات وخيام وفرش وطعام وشراب تشير الى أن مزرع الحياة الاجتماعية فى عالمهم هو ما ورثوه أو كنزوه من المال .. لقد وضعت عبودية المال فى أفواههم الارستقراطية اعنة تبرق ولكنها بالرغم من بريقها قاسية لا ترحم ، وباطشة لا تلين] [٨] •

والكاتب لا ينخدع ويرجو ألا ينخدع قراؤه بما تقوله هذه الطبقة وبما تشيع أنها تريد أن تحققه للفلاحين والعمال ولحق الشعب الكادح ، فان كل ما يصدر عنها خداع وزيف وباطل الاباطيل • فعندما ابتهل كل منهم واعترف بأخطائه ووعد بعمل الخير وتحقيق العدالة واعطاء الفلاحين او العمال حقوقهم ، لم يصدق الكاتب وانما رأى ان نجاتهم مؤقتة ولا سبيل الا أن تأتى يد قوية فى لحظة معينة لتدق أبواب الحقيقة وتقضى على هذه الطبقة المخادعة :) أيتها الحقيقة المسكينة فى أعماق ينبوعها البعيد فى بطن الصحراء ، نامى طويلا ، ولا تبرحى مثواك دهرا ، فليس هذا زمانك •. ولسوف تجدين من يوقظك عندما تدق ساعتك] [٩] فالاشتراكية لن تتحقق على أيدى هؤلاء اذ هم أبعد الناس عن القيام بذلك ، وكلماتهم وألفاظهم وشعاراتهم التى يتشدقون بها جوفاء مصلحية ، فما أن اهتدوا الى طريقهم حتى عاد كل منهم الى سيرته وكأنه لم يقل شيئا أو كان شيئا لم يكن !

مجتمع المدينة

ونبرة الازدراء من الاوضاع والحياة والناس تعلو دائما وهو يصور مجتمع المدينة : (وتبدى لى كل شىء حولى فى الحياة والناس باطلا وحصاد هشيم .. أزياء الناس وأوضاع المجتمع .. حدود القيم وقوانين البشر .. عبودية الجاه وسطوة المال .. وزيف الحياة الدنيا على قيد الجسد] [١٠] والثورة لن تأتى أبدا من قبل ساكنى المدينة لان كل فرد فيها مشغول بنفسه لا يحفل بالاخرين وانما القرية بأعدادها الهائلة ، وبحياتها التى مارست فيها العمل الجماعى والتكاتف ، هى القادرة على أن تحدث تغييرا بما يعتمل فى أعماقها من عوامل الانفجار والثورة .

وهنا يكمن الانحياز الحقيقى للفلاح

---

[٦] « الشعب » العدد ٦٣٦ — ١٩٥٨/٣/٨ — ص ٨ •
[٧] من حديثه معى يوم الاحد ١٩٦٧/٣/١٢ .
[٨] « المصرى » العدد ٤١٥١ — ١٩٤٩/٥/٧ — ص ١٢ •
[٩] « المصرى » العدد ٤١٥٥ — ١٩٤٩/٥/١٢ — ص ١٢ •
[١٠] « المصرى » العدد ٤٥٩٥ — ١٩٥٠/٩/١٠ — ص ١٢ قصة [قديسة من باب الشعرية]

المصرى وهو انحياز نابع من المعايشة الفعلية والاحتكاك الصادق الطبيعى ، والدراسة المتأملة لطبيعة الحياة والعلاقات والسلوك والقيم فى الريف المصرى . فعلى الرغم من أن سعد مكاوى شارك فى الكتابة من « المدينة » فانه لم يكن منحازا لاى من القطاعات أو الطبقات الموجودة بها ، لانه يشعر أنه أولا وقبل كل شىء « فلاح » وتلزمه هذه الصفة بضرورة الانحياز الى أهله من الريف لا فى قريته فحسب ولكن على مستوى الريف المصرى كله " لان المشكلات التى يعانى منها ابن قريته يعانى منها الفلاحون المصريون جميعا . وانحيازه لهذه الطبقة والتزامه بالتعبير عنها وتصوير حياتها ، كان يدفعه الى التردد الدائم على قريته والاتصال المستمر بأهله الريفيين ، للتعرف الى قضاياهم الملحة وامالهم وأحاسيسهم وهذا هو الذى يجعلنا نشعر فى قصصه القصيرة التى تدور حول الريف باخلاص عميق لقضية القرية والبسطاء فيها ، لا بتعاطف رومانسى حالم بعيد عن الواقع ، ولكن بوعى اجتماعى ، بهدف دفع هذه الطبقات المحرومة الى الخلاص مما هى فيه من ازمات طاحنة وواقع مدمر .

ومما ساعد ايضا على انحياز سعد مكاوى لطبقة الفلاحين وجعلها مدار قصصه القصيرة ، تأثره بكاتبين من كتاب القصة الصينية : أحدهما الكاتب الصينى (لى تشويين) وهو كاتب فلاح كتب كثيرا عن الفلاحين . علم نفسه بنفسه لان فاقة اهله الفلاحين البؤساء اضطرته الى قطع دراسته من أول سنة له فى المدرسة . وعندما تحررت بلدته فى اقليم [هونان] ١٩٤٩ صار استاذ اللغة الصينية فى احدى مدارسها ، وقصصه التى كتبها عن الفلاحين واقعية الى ابعد الحدود ، لانه كان يعيش بينهم ويكتب عنهم ولهم . وقد ترجم له سعد مكاوى قصة [ليس هذا هو الطريق] [١١] أما الكاتب الثانى فهو [تسواى با ـ وا] ولد لاب فلاح فقير ، فباعه أبوه وهو طفل ، الى أحد اقطاعيى الارض ، وكان عمله عنده حراسة البقر ، وكان يعيش حياة أسوأ من حياة هذه الحيوانات . وفى ١٩٤٩ جند بالقوة فى جيش (الكيومنتانج) وفى نفس العام هزمت فرقته من جيش التحرير الشعبى ، الذى انضم اليه بعد ذلك (تسواى با ـ وا) وفى جيش التحرير تعلم القراءة وبدأ يكتب ، فلم يكن حتى ذلك الحين يعرف القراءة والكتابة . ومن قصصه المشهورة (الطفل الذى بيع لدفن ديسن) و [الكلب يعود الى النباح] و [صلاح المارد] . هذان الكاتبان اليساريان المنحازان الى اقليميهما جعلا سعد مكاوى ينحاز هو الاخر لارضه وترابه وقريته وفلاحيها المناضل .

يضاف الى العاملين السابقين أن صورة الريف الحقيقية كانت قد زيفتها القصص القصيرة الرومانسية التى كتبها ادباء لم يعيشوا فى الريف اصلا ولم يتعاطفوا لا بحكم نشأتهم ولا بدافع من عقيدتهم مع مشكلات أهله والقضايا الحقيقية فيه . كما أن الكتابة عن الريف كانت تعطيه الفرصة للتأمل الهادىء فى الطبيعة ، والتعبير الصادق عن أحاسيسه ومشاعره غير المصطنعة ، وتفسح الطريق قليلا امام شفافيته بقدر ماتهىء الفرصة لشاعرية عبد الرحمن الشرقاوى ، فلاتحمل واقعيتهما بالجمود والتحجر والالية ، وانما تجمل الواقع عندهما . خاصة وأن الريف حتى تلك الفترة كان يمثل فى ذهن القارىء العام الطبيعة الجميلة والهدوء والاستقرار والجمال الالهى الذى صنعته يد القدر . فأراد سعد مكاوى وعبد الرحمن الشرقاوى من بعده الا يحرما القارىء من بقايا هذا الاحساس وذلك التمثل .

الدلاتون : منبع هذا الانتاج

وقد ظل سعد مكاوى ، يكتب قصصه القصيرة الواقعية الانحيازية دون الاشارة الى المنبع الحقيقى الذى كان ينهل منه ، الى أن صرح بذلك فى تقديمه لقصته (فى الدلاتون) وهو اسم قريته وموطنه الذى تنعطف اليه نفسه ويستمد منه موضوعات وشخوص قصصه : (الدلاتون قرية صغيرة من قرى المنوفية تعيش وادعة على بحر شبين ، كما تعيش الكثير من ذكريات طفولتى وصباى .. هى دنيا وتاريخ .. وهى واقع حى موصول بدمى وفكرى وحياتى .. واليها فى مجال الاهداء يهدى الكثير مما كتبت ، فهى صاحبة « قراريط رضوان التسعة » وعلى بحر شبين « كفر العقلاء » و « الماء العكر » و « مصرع حمار » و « حكمة المجنون » (الزفاف) « وفضيحة الشيخ عمر » « والشاطىء » « وأعشار ضائعة » « والشيخ عبد الصمد » و « ابن أنيسة » و « طريق القبور » وغيرها وفى الكثير من هذه القصص كنت أدعوها « كفر العقلاء » قبل ان أرى أن من حقها وقد أهدتنى كل هذا الخير ان أطلق لاسمها العزيز حريته فى أن يعيش] [١٢] قريته هى صاحبة هذا الانتاج الذى استمده من واقعها الحى الموصول بدمه وفكره وحياته ووجدانه .

هذا الواقع الذى كان بالنسبة له أول معلم علمه أن للحياة فى قوتها الدافعة وصورها المتطورة ألف درجة ولذتها فى حقيقتها جوهر واحد يعيش فيه الكل .

وفى [الدلاتون] أو فى القرية المصرية التى انحازت لها قصص سعد مكاوى سنجد قوى الثورة الكامنة ، وسنجد « الجماعة » تسعى للقضاء على « الفرد » المستغل ، وتحقق « العدل » للجميع ، وسنجد الثورة على القديم وكل ما يمت اليه بصلة حتى ولو كان مما يدخل فى عقيدتهم . وسنجد فيها صورة الصراع الطبقى ، وهو يشتد ويعنف بين « المالك » و « الفلاح » الاجير ، والجديد الذى يهدم « القديم » وانحياز الكاتب له .

واذا كان الرومانسيون فى قصصهم القصيرة قد اهتموا « بالفرد » فى القرية وآثروا تصوير استسلامه ويأسه وقناعته ورضوخه للذل ، فان الواقعيين الانحيازيين صوروا « الجماعة » غير المستسلمة الثائرة . وقصة (الماء العكر) هى ثورة الجماعة الفقيرة من أهل « الدلاتون » على احدى ممتلكات « العمل » المستغل ، وهى بركة كبيرة تبلغ مساحتها اربعة أفدنة مليئة بالاسماك ـ فقد هبت « الجماعة » كتلة واحدة واستولت على الاسماك الموجودة بالبركة وقامت بتوزيعها بالتساوى على كل من اشترك فى عملية استخراج السمك ، اذ لم يقعد عن أداء عمل ما فى البركة « سوى » المرضى والعجزة والصغار ورجال الخفر أو من صبر من هؤلاء جميعا على البقاء . والجماعة ثارت لانها تعتبر أن السمك ثروة طبيعية ليست حكرا للبك الذى لا يستغلها ولا يجعل الاخرين من المحرومين يستغلونها فهو يعرف أن « البركة » مليئة بالسمك ، لكنه يحرم أهل « الدلاتون » والعسالته . من هذه الثروة الطبيعية التى هى حق لهم جميعا . « لقد كانت هذه البركة فى الاصل جزءا من مجرى النهر ثم تغير المجرى وبقيت تلك المساحة من الماء فى أرض « البك » فردم منها ما ردم وضمه لمزارعه الواسعة ، ولم يبق منها سوى هذه الافدنة الاربعة ، وقد حصر فيها مالا يحصى من أنواع السمك .. وكان سطحها وشاطئها الغامض وسمارها وحسكها وحلفاؤها وطنين الرياح فيها شيئا مفزعا لمن لا تفزعه غلظة « البك » وسطوته ، نقل أن كان من الناس من يجرؤ على صيد شىء من سمك العمياء الذى تغير لونه

[١١] « الجمهورية » العدد ١٤١٦ ـ ١٩٥٧/١١/٢ ـ ص ٥ .
[١٢] « المصرى » العدد ٥٨٨٤ ـ ١٩٥٤/٤/١٣ ـ ص ١٢

وطعمه لطول انحباسه فى الماء الراكد الثقيل .. اما فى تلك الليلة فقد قلبت البركة ظهرا لبطن . وكان الصيد موفورا ميسورا » [١٣] . وذلك أن الفلاحين فى حركة جماعية واقعية حققوا هدفهم . فالبركة اصلا ليست ملكا للبك وهى مستغلة ، والماء فيها راكد — والسمك تغير لونه ، والمنطقة أصبحت موحشة ؛ فلا حركة ولا حياة ولا جماعة .

ويشير الكاتب اشارة خفية الى ان الثورة على الاقطاع والاستغلال كامنة فى نفوس أهل الريف وأنها تنتظر دائما الفرصة لتنطلق ، وذلك فى قوله وهو يصف حالة الفلاحين أثناء اصطيادهم للسمك من البركة :« فى النور الشاحب كان الماء راكدا معتما والعيون تومض ببريق قاس ، كأنما استيقظت فى أعماق الصائدين غريزة قديمة مرت عليها الاجيال وهى نائمة . فالنور الشاحب هنا ليس الا شيئا من الامل الذى بدأت تحققه الثورة الفلاحية الجماعية ، وهو رمز التفاؤل والاستبشار بأنهم سيحققون رويدا رويدا كل ما يستهدفون . والماء الراكد يدل على الجمود والقدم والثبات الذى يحافظ البورجوازى أو الرأسمالى أو « صاحب الملك » على ابقائه كما هو . لا تهمه الا مصلحته فقط حتى ولو أفسد طعمه واحتكاره كل مايملك ؛ فالرأسمالية تخلق من داخلها نقيضها الذى يقضى عليها وحرصه على الا يستمتع احد من الفلاحين الجائعين بسمكة جعله يكتفى بالماء العكر مستنقعا لاسماكه المتباينة الاحجام والاشكال . فى الاتجاه المقابل نجد « الجماعة » غير مستغلة وانما تعاونية واشتراكية فالسمك وهو عائد العمل الجماعى أو الانتاج الجماعى لا تستأثر بـه فئـة دون أخرى وانما « الكل » يعود عليه شيء من ناتج العمل بلا تفرقة وبلا اعتبار لاى شيء الا « المصلحة الجماعية » فان القرية كلها استمتعت بالسمك ورائحته فترة طويلة من الزمن . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل ان مخلفات السمك استخدمت لصالح الجماعة « وبتعاونهم واتحادهم معا . (ويحدثك من يقص عليك هذا الحدث الساذج من اهلنا فى الدلاتون أن رائحة السمك ظلت الاشهر الطوال تعمر دورها ، وان النـاس استخدموا مخلفات السمك وبقاياه فى تحويل أكوام التراب حول القرية الى سماد لم تعرف له الارض مثيلا من قبل ومن بعد] [١٤] .

العمل الجماعى التعاونى

أى ان العائد من وراء العمل الجماعى التعاونى نظل ثمرته ناضجة ويمتد تأثيره طويلا وتكون نتيجته عظيمة ، على عكس النتيجة التى تترتب على الاستغلال الفردى والملكيـة الفـردية الخاصـة ، والعمـل الانانى . الجماعة هنا هى الشخصية المحورية فى القصة القصيرة وهى جماعة ايجابية ثورية ، وليست سلبية منكسرة منهـزمة ، كمـا صـورتها قصص الرومانسيين . والحدث هنا ليس حدثا فرديا يهم شخصا بذاته ، وانما يرتبط بالجماعة وعمـل الجمـاعة ومسيـر الجماعة . والجماعة هنا لا تندفع بشكل مفاجىء غير مبرر ، وانما السبب المادى متوفر وظاهر للعيان ، فضلا عن الدوافع الخفية التى حركتها . فالرغبة فى القضاء على استغلال الانسان للانسان كامنة فى أعماقها وكأنها غريزة قديمة لا تلبث ان تصحو اذا ما وجـدت المثير والفرصة والجو المساعد . وتتميز ثورة الجماعة بأنها لا تعبأ بالسلطة وبمن يمثلونها . فالحاج « مبروك القلعاوى ناظر زراعة البك أقبل زاعقا مهـددا متوعدا ملوحا بعصاه ، لكن احدا من افراد الجماعة لم يعره اى التفات ، اذ سرعان ما تخضع السلطة لارادة الجماعة القوية . فقد أمر الحاج مبروك خفيره التابع بالنزول فى الماء العكر ، فلم يكد يسمعه حتى تفز الى الماء العكر بحذائه الميرى ولبدته ذات الرقم النحاسى . لقد جرفت الجماهير الثائرة فى تيارها المتدفق كل من كان يقف ضد مصلحتها من اصحاب رأس المال واصحاب السلطة ؛ لانها هى وحدها صاحبة المصلحة الفعلية فى التغيير الذى يعود بالنفع عليها .

الكاتب هنا لا يبدو مجرد وسيط سلبى ينقل فى صورة طبق الاصل ما تقدمه له الحياة ، وانما هو اعاد خلق الواقع الحقيقى واستمع بانتباه شديد جدا الى صوت الموضوع المعبر عنه ، محاولا تقديم ما يراه موافقا لافكاره ومثله التى يدين بها . والقصة تريد أن تقدم للناس شيئا جديدا يثرى أحاسيسهم ويغنيها ويفتح عقولهم ،ويقوى ارادتهم ويوقظ فيهم روح الثورة الكامنة المتأصلة لديهم والكاتب يركز على الجانب البطولى فى شـخصية « الجمـاعة » ، ويجعـل النهـاية « متفـائلة » . والجمـاعة هنا « تعمل » وارادتها تنفذ . وهذه هى نفس الخطوط العريضة التى دارت فى فلكها الواقعية الاشتراكية فى روسيا التى انحازت للبروليتاريا فى عملها الجماعى وبطولتها اليومية وثوراتها المتصلة ، والنهايات المتفائلة التى كانت تنتهى بها اعمالها .

و « هـارون » فى قصة [ابن انيسة] [١٥] شاب يثـور على الفكر الرجعى المتخلف ويحطم القديم ، ويرفض الظلم والاستغلال والاستبداد الواقع عليه من « الشيخ هنداوى » شيخ المسجد . ورغم انه ريفى فانه ينزع بصفة مستمرة الى التردد على الاستاذ «أحمد » الاديب الذى يأتى الى القرية ويدعو « هارون » لمخالطته ومجالسته والتحاور معه . ومنه يستمد « هارون » حبه للمدينة التى ترمز الى التقدم ، وكراهيته لرجال الديـن الادعياء الذين لا يخدمون الدين بقدر ما يحاولون استغلال السذج من القرويين ، ويستفيدون هم ماديا اذ يحشون بطونهم ويملأون جيوبهم . وهذه أفكار تقدمية متطورة يحملها الكاتب الاستاذ « احمد » وينقلها الى « هارون » الريفى البسيط عن طريق تفاعلهما واحتكاكهما وجدلهما معا ، مما يدفعنا الى الظن بانه يبغى اثارة ثائرة الفلاحين على كل ما يعوق تقدمهم أو يقف فى سبيل حريتهم . وهو هنا يريد أن يحطم سيطرة رجال الدين على عقول الفلاحين ،ووقوف بعض الفقهاء فى طريق التقدم أو جعلهم رمزا للمتخلف كان موجودا فى القصص ، وبما أن « هارون » هو الوحيد الذى يعرف خبايا الشيخ هنداوى وقدراته الخاصة ، فانه من السهل جدا أن يكون وسيلة الثورة عليه : الثورة التقدمية المليئة بالامل والتفاؤل المشرق بالمستقبل الباسم ، لينال حريته كالطير الصادح . وليذهب الى « المدينة » و « يعمل » ويلبس عفريتة العمال ويحصل على ناتج العمل « قطع العملة الفضية التى توشوش بشخشختها جيبه ، فقد أصبح يكره الحياة بلا عمل أو العمل فى كنف ضريـح « شـهاب الدين » .

وتبدأ ثـورة « هـارون » علـى « الدين » ورجاله ممثلا فى الشيـخ هنداوى بالتساؤل الدائم عن حقيقة شهاب الدين هذا الثاوى فى لحده . ماذا كان حقا فى زمانه المجهول ؟ أكان صاحب كرامات حقا ام أنه صورة اخرى من الشيخ هنداوى شيخ هذا الزمان ؟ لقد استغله الشيخ هنداوى ليلة ماتت امه وجاء به الى المسجد ليخدم عباد الله ، ويملأ الميضة بصفايح الماء ، ويأخذ اللقمة ، ويكسب الثواب [ترى كم

---

[١٣] « الماء العكر » سعد مكاوى — ص ٦ .
[١٤] المصدر السابق — ص ٨ .
[١٥] « المصرى » العدد ٥٦٦٠ — ١٩٥٣/٩/١ — ص ١٠ .

سنة – منذ تلك اللحظة – مرت عليه وهو يذرع الطريق بين المسجد وبحر شبين حاملا العصا الضخمة التى تتدلى من طرفيها صفيحتان من صفائح الجاز القديمة ، فارغتان فى الطريق الى النهر ومليئتان بالماء فى كل عودة •• وكم من صفائح تغيرت لما رثت فى طرفى العصا وما تغير هارون •• كم سنة انه لعمر فى فطرة نفسه القريبة الى قرار الزمن •• غير تملؤه شتائم الشيخ واللذعة المريرة كل لحظة مناديا ابن انيسة •• ولاعنا ابن انيسة •• وداعيا على ابن انيسة ابن انيسة •• وهل للشيخ نفسه الا ابن امرأة •• وهل شهاب الدين هذا الذى تمسح سترة قبره بالضراعات الذليلة الا ابن امرأة •• شهاب الدين مرة اخرى • من يكون شهاب الدين هذا ؟ هنداوى قديم ، ينهى الغير ان يتبولوا على جدار الضريح ويأكل هو الجدار وساكنه كما يأكل الحلاوة الطحينية • يرتل التواشيح ويمامىء بالابتهالات الكاذبة فى ليلة سيدى شهاب الدين وليالى سائر سكان الاضرحة السبعة فى القرية ، ويأكل فيها الفتة واللحم المسلوق وله فى كثير من بيوت القرية فلوس يربيها •• يربيها كما يربى زبيبة الصلاة المشهورة فى جبينه •• ويقبلون يمناه ويتبركون باحجبته ودعواته] [١٦] •

هذه هى سخرية « هارون » من رجال الدين غير الاتقياء ، والتناقض متوفر فى شخصية « هنداوى » الذى يفعل غير ما يدعو الناس الى عمله ، وغير ما يمت الى الدين بصلة • ويرد الكاتب أسباب التحول الذى طرأ على فكر هارون فى الاعوام الاخيرة الى الاستاذ احمد الاديب الذى يرمز الى الفكر التقدمى الثورى ، والذى يصفه هارون بأن « نفسه نشطة للحياة بلا حدود ولا قيود » وان « دماغه كبيرة » فهو المثقف الثورى الذى يحتك بالجماهير ويبصرها بأمورها ويوضح لها حقيقة ما يدور حولها ، ويحدد لها مطالبها الحقيقية التى يجب أن تثور من اجلها • ونبدأ ثورة هارون الحقيقية على القيود التى تكبله والاغلال التى تحيط به من كل جانب : على الشيخ هنداوى نفسه • اذ يحرم عليه صعود المئذنة ، فان صعودها حكر عليه وحده وفى اختيار عملية صعود المئذنة اشارة الى الطموح والتقدم • ويصعد هارون المئذنة بالفعل ، لكن يصفعه صوت الشيخ هنداوى الرجعى الذى يريد أن يحتفظ لنفسه بكل شىء : [ما شاء الله ما شاء الله •• ناقص تاذن كمان يا ابن أنيسة] [ما تاذن يا ابن انيسة يا ابن يدالى •• قول الله اكبر ، قول ، ما هى الدنيا سايبة • انت حاتنزل يا ابن اسمها ايه ولا اطلع لك] •• عندئذ انطلق المارد ثائرا ورد هارون : [لا •• انا حانزل لك] فلم يصدق الشيخ هنداوى ما سمع ، اذ جاءه الصوت من عل قاطعا كما لم يسمع قط هارون يتكلم ، وكانت نبرة الصوت الحاسم المتهاوى عليه جديدة تنم عن ارادة حازمة فجائية الى حد مذهل •

القوى الكامنة للثورة

يؤكد الكاتب هنا على قوة الارادة لا الاستسلام للجبروت ، ويشير الى القوى الكامنة للثورة لدى الريفيين الذين اتهموا بالبلاهة والاستكانة ، وان الدافع الى تحريك هذه القوى هو « الاستاذ احمد ، الاديب التقدمى الاشتراكى الذى ينحاز للفلاحين ويؤمن بقضيتهم العادلة ، والذى كان يقول لهارون أنه ينظر اليه فيرى فى روحه عقالا يحول بينه وبين التفكير والاقدام •• وكان يجهد نفسه فى شرح هذا القول فيفهم هارون بعضه ويطمئن اليه ويعلن عجزه عن فهم البعض الاخر •• لكنه يفهم على الاقل ان هذا العقال هو الد اعداء الانسان] ، حتى اذا ما نظر حواليه واستعرض ماضيه واستغلال الشيخ هنداوى له انطلق يثور فى [حزم وارادة وتفجر رهيب] ليقضى على أسباب تعاسته ومبعث الظلم حواليه ، وليحقق اهدافه التقدمية التى من شأنها أن تغير اسلوب حياته الماضى من الجذور • ونهاية القصة توحى بهذا الهدف • فبعد ثورة هارون وتهديده واعتدائه على الشيخ هنداوى ، وبعد ان اطمأن تماما الى أن المظلمة القابعة فى مدخل الدرب قد لفته فلم يعد له اثر ، رفع بصره الى المئذنة وتنهد ومشى ثم توقف لحظة على السكة الزراعية وشمل القرية الهاجعة فى الظلام بنظرة وداع ، ثم استهدف الاتجاه الذى يعلم انه يفضى الى المدينة الكبيرة وانطلق فى خفة •• وفى هذه اللحظة ذكر هارون فار الضريح وتبسم لذكره ، ثم هز كتفيه واستأنف الخطو نحو التجربة] [١٧]، هنا انتصار للقوى الجديدة والفكر التقدمى الجديد ، وهزيمة للقوى الرجعية العتيقة •

ورغم ان الكاتب يبدو تقريريا ، والفكرة تبدو مسيطرة ، والهدف واضحا ، وهذه هى سمة الواقعية الانحيازية عموما ، فان الكاتب فى هذه القصة بالذات يستخدم عناصر من الطبيعة لخدمة الموقف وللايحاء بالجو العام ، لكن الطبيعة لا تشكل هدفا وانما هى عامل مساعد عنده وعند عبد الرحمن الشرقاوى • تساعدهم على ذلك فى بعض الاحيان لغة رقيقة عذبة ، والفاظ موسيقية ذات وقع طيب حسن ، وبعض الصور والتشبيهات ، وهذه كلها جعلت واقعيتهم الى حد ما تتخفف من الالية والموضوعية الصارمة التى نراها واضحة عند غيرهما ، وبخاصة عند الجيل الثانى من الواقعيين الانحيازيين ، فقصص الشرقاوى القصيرة تتمتع بهذه الميزة التى اهلته لها شاعريته •• وان المتأمل فى روايته الواقعية [الارض] سوف يجد نفسه فى بعض صفحاتها وكأنه يقرأ قصائد من الشعر المنثور الجميل • ولم ينل هذا من موضوعيته ولا من واقعيته ولا من انحيازه • فى هذه القصة القصيرة لسعد مكاوى نقرأ له هذه الفقرات وهو يصف هارون بعد صعوده الى المئذنة [كان الليل صافيا وعميقا ، حتى نعيق الضفادع فى مجرى الماء القريب وصدى نباح الكلاب البعيدة كان يتزايل ضائعا فى الافق الواسع الساكن •• وتأمل هارون الافق ثم السماء والنجوم ثم نكس رأسه واستند بكفيه الى الحاجز الخشبى المتآكل الذى يفصل شرفة المئذنة الدائرية الضيقة من فراغ الملكوت] وفى لحظة تفكيره فى القيود التى تحيط به وضرورة التغلب عليها لكى يصبح حرا يدخل الكاتب عنصرا من عناصر الطبيعة وكأنه جاء بذكره بأن السماء ذاتها تدعو الى الحرية والانطلاق [وعبر السماء عاليا فوق رأسه ذلك الطائر الذى يرسل دائما فى سكون الليل صرخته الضاحكة العجيبة ، والذى لا يعرف له هارون صفة ولا اسما •• ترى الى اى غاية يقصد هذا الطائر الصارخ فى قبة السماء ؟ وكم فى صرخته من قوة الحيوية وفرحة الانطلاق • ذوات الاجنحة هذه ليس عندها مفال يمسكها ان تنشط فى الوجود وتبنى وتنعم وتحلق •• فى خفق اجنحتها تسبيح واندماج فى الكون ، لكن عالمها لا يعرف وساطة بين خفق الجناح وحقيقة الله الماثلة فى الحياة ذاتها ، ولا يسبغ على الحقيقة البسيطة الجميلة فى بساطتها من تهاويل الخرافة ما يباعد بيننا وبين اصلها النضر المشرق بنضارته •• لو امكن ان تهبط الى الارض هذه الحرية] [١٨] •

تأثير ماركس

وفى قصصه لا يخلو تأثير ماركس بتفسيره الاقتصادى المادى للصراع

[١٦] المصدر السابق – ص ١٠ •
[١٧] المصدر السابق – ص ٢٣ •
[١٨] المصدر السابق – ص ٢٣ •

الطبقى • وتأكيده على ضرورة ثورة البروليتاريا لانها هى الوحيدة صاحبة المصلحة فى التغيير لصالحها ، ثم وجهة نظره فى الدين والدولة والقانون والاخلاق • ولئن كان فى قصته السابقة [ابن انيسة] قد سخر من رجال الدين الذين يمثلون سلطة قوية تحكم وتثرى وتملك باسم الدين ، وتبث قيم الذل والرضى والقناعة والاستكانة والخضوع والاستسلام والصبر والطاعة باسم الدين فانه فى قصة [مصرع حمار] يعقد الصلة المادية بين صاحب « الدين » وصاحب « الملك » • وهو يجعل هذين الصنفين من الناس فى جانب ، والفلاحين والاجراء فى جانب آخر • والكاتب يوضح لنا أن الفلاحين واعون بكل شئ ومتفهمون لحقيقة الامور ، وأنهم ساخطون على تناقض الاوضاع • وهو هنا يختار شخصية لم نالفها فى قصص غيره من الذين كتبوا عن الريف : « شخصية « البرادعى » فليس كل من يعيش فى القرية يعمل بزراعة الارض وانما هناك حرفيون صغار يخدمون الزراعة والفلاحين والقرية ، ولهم كذلك مشكلاتهم لا الخاصة بحرفتهم ، ولكن المنعكسة عليهم من مشكلات القرية عموما • والبرادعى فى هذه القصة واع بمجتمعه وعيا سليما يفتت لنا مساوىء الطبقتين : رجال الدين ، والمالكين « انت عاوز الحق ، انا أكرهش فى الدنيا اد صنف عبد الفضيل الـ[illegible] الضلالى اللى بيتاجر بالدين ، وصنف جودة الاعيانجى ظلام العباد •• والعجيبة الصنفين دول يا أستاذ تلاقيهم ينهموا بعض كويس ويساعدوا بعض كويس ، ما تفهمش ليه [١٩] •

هذا هو احساس الرجل الذى يعيش فى اعماق الريف وكل صناعته ان يجهز اغطية الدواب ، انه يفطن الى علاقة المصلحة المتبادلة بين رجل الدين « المنافق الضلالى اللى بيتاجر بالدين » وبين الاقطاعى « ظلام العباد » فالاول يساعد الثانى على استغلاله للسذج والبسطاء والعاملين الاشقياء • والكاتب لا يهمل « موسى البرادعى » ويجرده من الذكاء والفهم وقوة الادراك ، وانما يجعل منه « هو الاخر » تقدميا ، كما كان « هارون » ويجعله يجلس كثيرا ويتناقش كثيرا مع الـراوى وهو الكاتب فيما يعتقد ، كما كان « هارون » يحب الاستماع الى الاستاذ احمد الاديب التقدمى الاشتراكى الانحيازى وهو الكاتب فيما نعتقد أيضا • فموسى البرادعى هو « الصانع الريفى الفنان الذى يقرأ الجرائد القديمة ان وقع فى يده شئ منها ، • فهو يقرأ اولا ، ثم انه يناقش فى اشياء متعددة ليست شخصية أبدا ولكن تهم القرية بخاصة والدولة بعامة فى الحكومة ، والادارة ، والاهالى والارض ، والدين والملكية والذين يعيشون والذين ماتوا •• [نسخر معا من الاموات والاحياء – من الاضرحة وساكنيها والمتعلقين باستارها •• ومن اصحاب « الطين » وعنجهيتهم وعقلياتهم ، وقد نهدم دنيانا كلها ونعيد بناءها فى جلسة واحدة] هم يهدمون الواقع الموجود أو الدنيا التى يعيشونها ويعيدون بناءها من جديد على أسس جديدة لا سرقة ولا نهب ولا ملكية ولا دين ولا طبقات ولا استغلال • والقضايا الاجتماعية التى تعرض لها سعد مكاوى فى قصصه القصيرة الملتزمة نجد مثيلا لها عند عبد الرحمن الشرقاوى ، تتناول بعضها بوضوح متحدثا عنها من خلال شخصياته واحداثه ، حتى طغى الموضوع على الشكل الفنى للقصة القصيرة طغيانا كبيرا ، وعالجها بفن وحذق وشاعرية فى بعض قصصه فوفق أيما توفيق شخصية « حسان » فى قصة [العقرب] هو « هارون » فى [ابن انيسة] عند سعد مكاوى فى ثورة فى سخريته من الاوضاع ، فى احساسه بالظلم ، فى نقده للتناقض الطبقى ، غير أن نهايته هنا نهاية مأساوية غير متفائلة • وقد كان « حسان » فى بداية القصة ليقوم بنفس العمل الذى كان يؤديه « هارون » لكن شيخ الجامع ظلمه ولم يوافق على أن يرفع له أجره رغم زيادة الاسعار والغلاء الفاحش فى أثر الحرب •

وثورة اهل الدلاتون الفلاحين عند سعد مكاوى فى [الماء العكر] يثورونها فى [الخادم] تحت زعامة ابن الريف المخلص « هنداوى » الذى كان يعمل عند خالة العمدة فى القاهرة ، ثم عاد الى قريته بعد ما أدرك أن الحياة هناك شر كلها • فقد تسللت اليه ابنتها الشابة الفاتنة ونامت بين احضانه ، ثم ما لبثت امها أن فكرت فى الاقدام على نفس الشئ ، لكنها فوجئت بابنتها عنده • ولم يجد بدا من الرجوع الى اهله الفلاحين والالتصاق بهم ، والحنو عليهم ، وارتدى ثوبا صاليا • ويتزعم ثورة خفية ضد العمدة وجبروته وسيطرته وعنجهيته وظلمه وتسخيره الفقراء • ولما اشتد عود الثورة ، وعصيان الناس للعمدة وعدم طاعتهم اوامره : الرجال والنساء والاطفال ، ادرك ان هنداوى هو سبب التحول ، فاراد أن يتهمه أية تهمة يتذرع بها لسجنه • لكن تحدث مواجهة علنية بينه وبين هنداوى يشهدها كل فلاح فى القرية وتكون الغلبة لهنداوى ، والعار كل العار للعمدة ، بعد ما كشف هنداوى سر خالة العمدة وابنتها التى حملت منه •

هنداوى هنا هو محرك الثورة ودافعها ، كما كان الاستاذ احمد الاديب وراء ثورة هارون على الشيخ هنداوى فى [ابن انيسة] فقد كانت القرية آمنة مطيعة قبل ان يعود لاخر مرة • ولكنه منذ عاد بدأ الفلاحون يناقشون ، وقال واحد منهم للعمدة « لا » ذات مرة فتبعه اخرون ، وكانما هى العدوى واطفال القريه الذين كانوا يجرون من فرط الاحترام عندما يلوح العمدة لهم من اول الطريق ، اصبحوا الان يستمرون فى اللعب والعمدة يمشى تحت كرة القماش التى يتقاذفونها • لقد اضطرب كل شئ • الجماعة كلها تتحرك • القرية باسرها تثور وتنتقم من الظلم الذى عاشت فيه طويلا • وتبلغ الازمة ذروتها حين يصفع هارون العمدة على وجهه : [وكان العمدة اذ ذاك فوق الارض والتراب يملأ خياشيمه على حين دهمه الخجل المزرى والام عديدة مجهولة تلهب منه الصدر والدماغ •• وعندما حاول ان يرفع راسه وهو يصيح بكلمات بعد المباغتة ، كانت ضحكات القرية تغمر صوته ، وصوت جلسائه الذين سيطر عليهم الرعب] [٢٠] • ضرب هنداوى الثائر وجماهير القرية من الفلاحين رأس الفساد ، كما ضربت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على ايدى الظالمين والحكام المستغلين وجدير بالملاحظة ان هذه القصة نشرت يوم قيام الثورة • أما اذا كانت قد كتبت قبل هذا التاريخ فانها بكل تاكيد تكون قد ساهمت فى الارهاص للثورة التى تخدم الفلاحين ، وهم القطاع الذى يشغل كل فكر عبد الرحمن الشرقاوى وفنه ، لانه فلاح ابن فلاح ، فليس بدعا ان ينحاز انحيازا كليا لقضاياهم ومشكلاتهم ، وليس غريبا أن يكتب عنهم ولهم •

---

[١٩] « المصرى » العدد ٥٣٣٢ – ١٩٥٢/١٠/٣ – ص ٨ .
[٢٠] « المصرى » العدد ٥٢٦٢ – ١٩٥٢/٧/٢٣ – ص ٨

مبادىء الواقعية الاشتراكية

بعد هذين الكاتبين المنحازين لقضايا الريف والفلاح المصرى نجد من جيل الرواد الانحيازيين أيضا احمد رشدى صالح وعلى الدالى وزكريا الحجاوى قد وضح انحيازهم نحو الريف والفلاح • ويجمع بين الثلاثة فى انحيازهم طغيان الفكرة والموضوع على الشكل الفنى ، وعلو صوت المؤلف وسيادته على صوت الشخصيات وسلوكها وحركتها - وهم جميعا يصورون الواقع ، ويهتمون بجوانب الصراع فيه وهم يساندون القوى الصاعدة النامية ويزعقون فى وجه القوى الاخرى مهددين اياها بالفناء طالبين منها أن تتوارى خلف الاستار قبل أن يجرفها التيار فى موجة الثائر الهادر • وهم ثلاثتهم يطبقون فى قصصهم المبادىء الرئيسية للواقعية الاشتراكية ، وان خلت واقعيتهم من الفن ، وان خلت اهدافهم من خفوت النبرة وحدة الانفعال الخطابى ، والطابع التقريرى الغالب • ولا احد ينكر ان الدافع الى كل هذا دافع مخلص صادق نقى لا تشوبه شائبة من زيف او خداع ، فهم يريدون التعبير عن الواقع المتناقض ، وهم يبتغون كشف الاسباب التى تكمن وراء الصراع الطبقى [ان الكتابة فى ظل المصير نوع من الفروسية وربما كان الفارس قاطع طريق • وربما كان رجلا فاضلا بمعنى الكلمة ، فاذا اختار ان يطعن طواحين الهواء ويهاجم الخراف فقد صار يركب فرسا عجفاء ويقطع اطباقا من الفضاء ، واذا صوب القلم الى حياة الناس بدل الطواحين ، والى أعدائهم بدل الخراف ، فقد ركب حصان حرب واكتسى الدروع وأصابته جراح المعركة الحقة •• وخير لرب القلم أن يموت فى الميدان وينداح بين اشلاء المجاهدين ، من ان ينفسق فى فراش الحرير المقصب] [٢١] •

وقبل ان يشهر كاتب القصة القصيرة سلاحه ، عليه أولا أن يصطدم بالمشاكل الحقيقية [ان مشاكلنا فى الشارع وفى الحارة وفى الزقاق •• وفى هذه الاماكن توجد القصة • ولكى لا يتهمنا احد بأننا نعيش فى ابراج عاجية يجب أن ننزل الى الشارع ، ففى الشارع كل مشاكلنا] [٢٢] • وكلما ازداد ايمانهم بما يدور فى الشارع وما يصطرع فى الواقع وما يعانى منه الشعب ، لكان فهم ملتصقا بالواقع منحازا له نابعا من حياة الذين يتطلعون الى عصر بهيج يعيش فيه كل الناس بلا مشاكل أو صراع أو تناقض أو جريمة او كراهية او فقر وهذا هو احمد رشدى صالح يرجو بقصصه القصيرة [ان تدل على الحاضر والغد ، فتعين وتبنى وتعطى ، وتهبنى الامل فى أن أظل ما حييت قادرا على فهم امجاد اهلى ، وبطولات جهادهم وصبرهم] [٢٣] •

ولعل انطلاق الكتاب الواقعيين الانحيازيين من وجهة نظر واحدة وايمانهم بعقيدة واحدة ، وانحيازهم لطبقة معينة ، وربط مصيرهم ككتاب بمصير هذه الطبقة ، يجعلنا نرى ان فكرتهم وموضوعات قصصهم القصيرة ومضامينها ، تكاد تكون واحدة . بل لعل هذا كله هو السبب فى ان قصصهم القصيرة قد تؤخذ عليها ماخذ متشابهة فقد تختلف الاحداث وتتعدد اسماء الشخوص ، وتتنوع القرى او مواقع الاحداث • ولكن المالك المستبد ، والفلاح المقهور ، وعمليات اغتصاب الارض او العرض ، والصراع الدامى بين الطبقات الذى تحركه عوامل مادية ، هى التى تشكل الاطار العام الذى تدور فى فلكه القصة القصيرة عندهم فضلا عن الحوار العامى والسرد الذى تتخلله الفاظ عامية متداولة • ومهما يكن من شىء ، فانا ننفق وقول على الوالى عن نفسه : [ليس لى فضل على الاطلاق فى اتجاه بعض الكتاب الى معالجة الحياة فى ريفنا كما يعيشها ابناء ذلك الريف •• فذلك الاتجاه الواقعى فى الادب موجود منذ بدأت الحركات الوطنية تاخذ شكلها الايجابى فى جميع البلدان ، منذ عرفت الشعوب أن البطل ليس الملك او الامير او صاحب القصر والارض • ولا ذلك الفتى الفقير الذى احبته ابنة الباشا الفاتنة •• بل البطل هو اى انسان ، يعيش بين الجموع متطلعا الى الخلاص من ماساته] [٢٤] • ذلك ان الكتاب الواقعيين عموما - قد اتجهوا نحو الريف المصرى يصورونه ويعبرون عن حركة الحياة فيه بحكم الواقع ، والظروف وحركة التاريخ ، ولم يكن لاحد فضل على الاطلاق ، واذا كان ثمة فضل حقيقى فى التعبير عن الريف والفلاح المصرى بصدق واخلاص وفن ، فانه يرجع الى سعد مكاوى وعبد الرحمن الشرقاوى الكاتبين الواقعيين اللذين انحازا للريف وللطبقة الفلاحية فى قصصهما القصيرة عن معايشة واحتكاك وعقيدة وايمان ، ومع ذلك فانا نرى أن ريفنا المصرى لم ينل حقه فى القصة القصيرة حتى الان ، ولم تصور الحياة فيه بكل جوانبها وحركتها الدائرة ، والصراعات الموجودة بها ، وتطلعات ابنائه ، وحركة جموعه ، والتغير الذى اصابه •

كتاب الجيل الثانى

ويصبح على كتاب الجيل الثانى من الانحيازيين الملتزمين أن يتحملوا مسئولية التعبير عن واقع ريفنا المصرى بفلاحه المناضل حقيقة ، وان يصوروا حركة هذا الواقع فى مراحله المختلفة ، والا يقفوا عند موضوع بذاته كى لا تدور قصصهم القصيرة فى حلقة مفرغة ، وان يكون تعبيرهم عن الريف من خلال رؤيتهم للعلاقات والنظم فى المجتمع ككل وعلاقة انسان القرية بانسان المدينة ، ونظام القرية بنظام المدينة وحركة القرية بحركة المدينة ودرجة تطور القرية بالنسبة لتطور المدينة ، والمشكلات الجديدة التى تواجه فلاح القرية ونظيرها مما يواجه ساكن المدينة ، وهكذا حتى لا يؤدى انحيازهم الكلى الى انغلاق تام ونأى عن حركة المجتمع فى تصاعدها وشموليتها • ونحن نرى أن عبء هذه المسئولية يقع بالدرجة الاولى على بعض كتاب الجيل الثانى من الذين تكشف قصصهم القصيرة التى نشرت فى هذه الفترة عن انعطاف نفسى وفكرى كبير نحو الريف المصرى امثال فاروق منيب ، وعبد الله الطوخى ، وبدر نشأت ، وعبد السميع عبد الله ، واحمد نوح ، وفهمى حسين ، وعبد المنعم سليم وغيرهم •

---

[٢١] « الزوجة الثانية » أحمد رشدى صالح — المكتب الدولى للترجمة والنشر سنة ١٩٥٥ — ص ٥ .

[٢٢] « القصة » العدد ١١٨ — ١٩٥٤/٨/٢٠ — ص ٥٧ .

[٢٣] « الزوجة الثانية » ص ٦ .

[٢٤] « الجمهورية » العدد ٥٩٤ — ١٩٥٥/٨/٢ — ص ١٠ من مقال [الادب والحركات الوطنية] .



(المرأة) اخراج محمد جونسون

حوار مع المخرج السنغالى تراورى

سمير فريد

تعتبر السينما السنغالية اليوم أهم سينما فى أفريقيا السوداء التى لم تعرف الانتاج السينمائى الا بعد حصول العدد الاكبر من دولها على الاستقلال فى أوائل الستينات .

ومحمد جونسون تراورى من أهم المخرجين السنغاليين . وهو من مواليد عام ١٩٤٢ .

● كيف عرفت طريقك الى السينما ؟

● ● لقد تلقيت تعليمى الابتدائى والثانوى فى السنغال ، وكنت أتجه الى دراسة الالكترونيات . وبالفعل ذهبت الى فرنسا لدراسة الهندسة ، وهناك عملت فترة مسجلا للصوت فى بعض الافلام ، وأدركت من خلال هذا العمل ان السينما هى غايتى .

بالطبع كنت قبل ذلك اشاهد الافلام بكثرة ، وكان لى نشاط كبير فى نوادى السينما فى السنغال ، كنت أحب السينما ولكن لم اكن افكر فى أن تكون مهنتى .

وفى فرنسا تركت دراسة الهندسة رغم معارضة أسرتى التى رأت أننى أترك الدراسة الجدية الى عالم المغامرات غير المأمونة العواقب . ولكن بالطبع درست السينما ، وكانت دراستى لها دون اعانة دولية — أو عائلية — وانما اقتصرت على الدروس الليلية فى بعض المعاهد . كنت أعمل بالنهار ، وأدرس فى الليل .

● وكيف بدأت العمل ؟

● ● بعد هذه الدراسة البسيطة تمكنت من العمل فى التليفزيون ، وكان مدرستى الحقيقية حيث عملت مع عدد كبير من المخرجين كمساعد ، ولم أعمل فى التليفزيون الفرنسى فقط ، وانما فى تليفزيون ايطاليا والمانيا الغربية وبريطانيا أيضا .

وفى عام ١٩٦٨ قررت العودة الى السنغال . اننى أعتقد أنه ليس بوسع الافريقى ان يعمل فى أوربا لانهم هناك

كثيرون ومتفوقون . ثم لان واجب الافريقى وخاصة فى هذه المرحلةمن مراحل مابعد الاستقلال ، أن يكون فى بلاده .

● وهل كان الطريق معبدا فى بلادك؟

●● كلا بالطبع ، فمن ناحية لم تؤمن عائلتى بمهنة السينما أبدا ، ومن ناحية أخرى ليست هناك سينما بمعنى الكلمة فى السنغال ، والدولة لا تعيرها الاهتمام الكافى . كان نشاطى فى البداية فى ميدان الثقافة السينمائية أى فى تقديم الافلام فى نوادى السينما ، والكتابة عنهـا أحيانا ،ولكن سرعان ما وجدت من يمول فيلمى الاول « الفتاة » الذى كان بداية انتاج شركتى عام ١٩٦٩ .

● بعد « الفتاة » أخرجت الفيلم القصير « جهنم الابرياء » عام ١٩٦٩ أيضا بالتعاون مع تونس ، ثم أخرجت فيلمين طويلين هما « المراة » عام ١٩٧٠ و « لامباى » عام ١٩٧٢ ، ثم الفيلم التسجيلى « ريوتاخ » فى نفس العام

● هل لك أن تحدثنا عن هذه الافلام؟

●● يتناول فيلم « الفتاة » قضية تطور الفتاة فى السنغال بعد الاستقلال، والتقابل بين العـالمين التقليدى والعصرى . كما يبرز ضـياع الثقافة القومية نتيجة الاستعمار . وذلك من خلال قصة ثلاث فتيات: أختان وصديقة لهما . الاخت الكبيرة تقليدية والاخت الصغيرة عصرية وتذهب الى المدرسة ، أما الصديقة فهى حائرة بينهما ، وهى تحاول أن تخلق الوفاق المطلوب بين العالمين ، وكيفية ادماج القيم التقليدية التى لابد من الحفاظ عليها داخل القيم العصرية الضرورية أيضا للتقدم والتطور .

● وماذا عن « جهنم الابرياء »

●● انه عن شابين تعاطيا نفس التعليم ، ولكن أحدهما بورجوازى والاخر فقير . ونحن نراهما يعودان من أوربا وقد فشل البورجوازى ونجح الفقير . والفيلم يشير من خلال هذين النمطين الى خطورة البورجوازية الجديدة ، فى السنغال ، كما يثير مشكلة الكفاءات الوطنية التى تهاجر الى الخارج هربا من البيروقراطية ، وبحثا عن المكان الذى تجد فيه التقدير الصحيح .

● هل كان « المراة » هـو الفيلم الثانى بعد « الفتاة » ؟

●● نعم ، هذا صحيح ، وان كان الفيلم الاول يعالج قضية تطور الفتاة بينما يعالج « المراة » العلاقة بين الرجل والمراة . اننا أمام زوجين من البورجوازية الصغيرة حيث يعمل الرجل ، ولا تعمل المراة ، ويكون كل واجبها أن تنتظره فى البيت . ومن خلال الحياة فى هذا البيت نجد كيف يتمان تحت تأثير « أولياء الله » الذين يضحكون عليهما . وكيف يضطر الرجل الى اللجوء الى نظام «البطاقة» حتى يلبى رغباته ورغبات زوجتـه فى الحياة المرفهة ، حتى ولو لم يـكن فى مقدورهما أن يحققا هذه الحياة . ونظام البطاقة هذا نظام خاص بالموظفين فقط حيث يمكنهم شراء كل ما يلزمهم دون الزام بالدفع الفورى .

● فى « لامباى » الذى فاز بالجائزة البرونزية فى مهرجان قرطاج ١٩٧٢ لجأت الى مسرحية جوجول المعروفة « المفتش العام » . هل تعتقد أن الاقتباس اتجاه صحيح ، وخاصة بالنسبة الى السينما السنغالية فى هذه المرحلة ؟

●● يتوقف ذلك فى تقديرى على العمل المقتبس ذاته ، ومدى صلاحيته لواقع الحال فى هذا البلد أو ذاك ، وأعتقد أننى جعلت من مسرحية جوجول فيلما « سنغاليا » مائة فى المائة . اننا نرى الوالى ونائب البرلمان وآمر الشرطة وقائد الحامية العسكرية وغيرهم مـن كبار الموظفين فى اى قرية سنغالية وهم يقعون ضحايا أعمالهم القـذرة التى يكشف عنها الفيلم ، وذلك عندما يستغل أحد النصابين اشاعة أن هناك مراقبا عاما سيصل من العاصمة متنكرا لكتابة تقرير الى السلطة ، ويدعى انه ذلك المراقب ويبدأ فى استغلالهم وهم يحاولون شراء سكوته .

● وأخيرا « ريوتاخ » .

●● أنه أول افلامى التسجيلية ، وقد اعتمدت فيه على اللقطات الوثائقية لابراز التناقضات فى افريقيا اليوم ، وليس فى المجتمع السنغالى فقط . وانا افضل أن أترك هذا الفيلم يتحدث عـن نفسه .

● ما هو الموقف فى السـينما السنغالية اليوم ، هل هناك حقا موجة جديدة وموجة قديمة ؟

●● لست أعتقد فى وجود موجات قديمة أو جديدة عندنا . هناك نحو ١٥ مخرجا ينتمون الى جمعية معترف بهـا من الحكومة ، وهم مختلفون فى أساليبهم — وهذا طبيعى — ولكن الغالبية منهم تؤمن بضرورة معالجة المشاكل الحقيقية للمجتمع ، والاتجـاه الغـالب هو الواقعية — وهذا طبيعى أيضا — لكى يتمكنوا من دراسة هذه المشـاكل ، والتوجه الى الشعب الكادح .

● وما هو دور الدولة ؟

●● لم تكن الدولة تلعب دورا فى السينما . كل الافلام تم انتاجها دون مساعدة الدولة باستثناء بعض الافلام القصيرة ، ولكن الدولة فكرت أخيرا فى انشاء ديوانا خاصا بالسينما ، وهذا بالطبع ضرورى جدا ومهم .

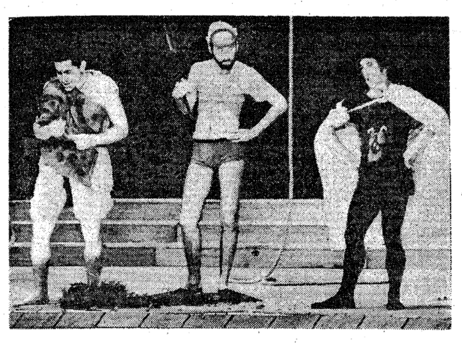
● ما هى المشاكل التى تواجه السينما فى السنغال ، وما هو دور الدولة فى حل هذه المشاكل ؟

●● انها مجموعة من المشـاكل المترابطة ، ولابد من تدخـل الدولة للقضاء عليها وأولها مشكلة عدم وجود معامل ولا ستوديوهات مما يضطرنا الى الذهاب لفرنسا ، ومما يجعل ميزانية الفيلم نحو ٦ ملايين فرنك سنغالى . وثانيها مشكلة دور العرض حيث لا يوجد غير ٣٣ دارا منها ١٨ فى داكار وحدها أى أكثر من نصف هذه الدور . وبالطبع هناك أيضا مشكلة التوزيع الذى تحتكره الشركات الاجنبية .

● هل نستطيع اليوم أن نتحـدث عن سينما افريقية ؟

●● ليست هناك سينما افريقية ، ولكن هناك اتجـاها نحو خلق سـينما افريقية . اننا نصطدم بالمشاكل منذ أن نفكر فى الفيلم الى أن نتمكن من توزيعه وعرضه ، كما أننا أمام مشكلة الجمهور الذى تعود على السينما الاجنبيـة ، والجمهور الجديد الذى نريد أن نخلقه لافلامنـا .

رسالة بودابست



مشهد من مسرحية «السحاب» في مسرح بيت الثقافة في ثانا برانيا

المسرح المجرى : حيوية وثراء في الكيف والكم

سامي خشبة

تستمد الحياة المسرحية الحديثة في جمهورية المجر الديمقراطية ملامحها من مصادر متعددة بتعدد مصادر الحياة الثقافية والعقلية للشعب المجرى ، منذ بداية استيطانه لبلاده في القرن التاسع الميلادي . فقد جهد المجريون منذ ذلك الحين ودخولهم المسيحية — أتباعا للكنيسة الكاثوليكية .. أن يرتبطوا بالثقافة والحضارة الغربيتين بفروع تراثها الاغريقي واللاتيني .. وعلى الرغم من سقوط القسم الاكبر من البلاد تحت السيطرة العثمانية ، ثم سقوط البلاد كلها تحت سيطرة الهابسبرج النمساويين ، فان الكفاح القومي ضد السيطرتين كان مشبعا بدافع حضارى بديهى ، هو استمرار الارتباط بالحضارة الغربية وتقاليدها الثقافية ، مع المحافظة على الملامح الثقافية الخاصة لشعب لا تربطه أية أواصر عرقية أو لغوية بأى من الشعوب المجاورة ، الجرمانية أو السلافية . لقد أثرت الثقافة الالمانية — من خلال النمسا — على الثقافة المجرية وانماطها ونظمها تأثيرا كبيرا . (وفي اسلوب تنظيم الحياة المسرحية مثال قوى لذلك التأثير ، من حيث ارتباط تمويل المسارح والاشراف الادارى عليها

بلديات [مجالس] المدن ، هـذا التقليد الالمانى الذى يرجع الى القرن الثامن عشر] ، ولعله أن يكون من اللافت للنظر ان اشهر الشعراء المسرحيين المجريين فى القرن الماضى هو **ايمرى مادانس** ، مؤلف « **تراجيديا الانسان** » التى تأثرت بفاوست جوته تأثرا عميقا واخضع مؤلفها مادته المستمدة من سفر التكوين فى التوراة للنزعة الفلسفية التاريخية بصورتها الهيجلية ، ذروة تطور الفلسفة الكلاسيكية الالمانية فى القرن التاسع عشر .

ولكن كان من البديهى — فى عصر السيطرة النمساوية — أن ينحصر تأثير الثقافة واللغة الالمانيتين على المثقفين التقليديين فى المدن ، أما الشعب بفئاته الوطنية المختلفة فكان يجد التعبير الصحيح عن ذاته القومية وأمانيه فى التحرر الوطنى والعدالة فى الشعر الملحمى والغنائى ، الذى كتبه شعراؤه بلغته المجرية [واشهر الامثلة بالطبع هنا هما « **آرانى** » شاعر البحث عن الذات القومية « **وبيتوفى** » شاعر التحرر الوطنى والعدالة] . ولكن المجر ، رغم استقلالها مع تحطم امبراطورية الهابسبرج [النمسا والمجر] فى نهاية الحرب الكبرى الاولى ، ظلت ثقافتها الرسمية تدور فى فلك الثقافة الالمانية ، وظل الشعب محروما من الانتاج الثقافى مع الامية والقهر الاجتماعى فى ظل الحكم النازى الذى اندحر مع هزيمة المانيا النازية فى الحرب العالمية الاخيرة .

من هـذه العجالة التاريخية نستطيع ان نقول أن اتساع الحياة الثقافية [والمسرحية] فى المجر ، واتخاذها طابعا ديمقراطيا وشعبيا ، لا يعود بالفضل الى أبعد من عمر الثورة الاشتراكية فى ١٩٤٦ . وكان المسرح — هذا الفن الجماهيرى الاصيل — من أكثر الفنون انتفاعا بهذا التحول الاجتماعى والفكرى العميق .

لقد تم منذ ذلك الحين تجديد كل المسارح القديمة [مثل دار أوبرا بودابست ومسرح الفيج ودور الاوبرا فى مدن «سجد» و « جيور » وغيرها) ، واعادة تجهيزها بالمعدات الحديثة ، كما تم بناء عشرات من المسارح — المغلقة والمكشوفة — فى العاصمة وفى العواصم والمدن الاقليمية ، بعضها مثل مسرح « ايركل » فى العاصمة يتسع لالفى متفرج ، ومثل مسرح الكاتدرائية فى مدينة « سجد » ، وهو مسرح مكشوف يتسع لاكثر من أربعة آلاف متفرج ، وبعضها الاخر لا يتسع لاكثر من خمسة وعشرين مقعدا ، ويسمى بعدد مقاعده ، او مسرح الميكروسكوب الذى يتسع لخمسة وسبعين مقعدا . ومن الواضح أن هـذه المسارح الصغيرة تخلص للاعمال التجريبية وذات الطابع التجديدى المحض [وهى تتبع هيئة المسرح فى وزارة التعليم والثقافة مباشرة] .

كذلك تم تطوير صناعة الاجهزة المسرحية المختلفة [للاضاءة والصوت والحركة والنقل داخل منصة المسرح] حتى اصبحت المجر موردا عالميا لاجهزة الاضاءة والصوت المسرحية الصغيرة والمتوسطة .

واسس فى بودابست معهدان للدراسات المسرحية ، أحدهما يماثل معهد الفنون المسرحية فى القاهرة ، من حيث تقسيمه الى اقسام مختلفة لدراسة أدب المسرح والاخراج والديكور والموسيقى المسرحية والتمثيل .. الخ ، وتخصص المعهد الاخر فى تدريب الفنيين [عمال المنصة] بتخصصاتهم المختلفة ، ومساعدى المخرجين ومديرى المنصة طبقا لاحتياجات انواع العمل المسرحى المتعددة [المسرح الاستعراضى ، الاوبرا ، الباليه ، المسرح الدرامى ، الكونسير الموسيقى .. الخ] .


مشهد من مسرحية « ماراصاد »

بذلك تأسست القاعدة المادية والبشرية لنشاط مسرحى ضخم وحيوى ، وأصبح من الممكن تخصيص مسارح بعينها لنوع بعينه من الانواع المسرحية : مسرح الاوبريت مثلا يتخصص فى الاوبريتات العصرية [أى المسرحيات الموسيقية الغنائية الحديثة] ، دار الاوبرا تتخصص فى الاوبرات والباليهات الكلاسيكية ، وتعمل فرقة الاوبرا ايضا على مسرح « ايركل » الكبير ، وتقاسمها فيه فرقة بودابست للفنون الشعبية ، المسرح القومى يتخصص فى الاعمال الدرامية ذات الطابع الدرامى القومى والقيمة الكلاسيكية ، مسرح جوزيف أتيلا يتخصص فى الفودفيلات الاجتماعية الخفيفة ، مسرح كاتوناجوزيف يتخصص فى الدرامات الاجتماعية الحديثة الرفيعة المستوى ، مسرح « منوعات الكاميرا » يتخصص فى المنوعات المسرحية القائمة على فكرة الكاباريه السياسى والنقد الاجتماعى التسجيلى المباشر .. الخ ، بحيث يصبح من السهل بالنسبة للجمهور الكبير فى العاصمة مثلا أن يتابع بدقة النشاط المسرحى وأن يختار ما يشاء من العروض فى مسارح بودابست التى تبلغ خمسة وعشرين مسرحا تعمل طوال العام ، ويضاف اليها ثلاثون مسرحا مفتوحا فى موسم الصيف .

كذلك أصبح من الممكن توسيع رقعة النشاط المسرحى وخروجه من دائرة العاصمة ، حاملا نفس الحيوية وثراء المادة المسرحية وارتفاع مستواها . ان أقدم مسارح المجر الباقية حتى الان فى مدينة « جيور » فى الشمال الغربى — عمره مائة وخمسون عاما — ويملك ثلاثة فرق للاوبرا والاوبريت والدراما ، ومسرح مدينة « سجد » عمره مائة عام ويملك فرقتين للاوبرا والدراما ، وكل من المسرحين يملك فرقتين موسيقيتين تضم كل منهما ستين عازفا ، ويستضيف قادة الفرق الموسيقية [المايسترو] من بودابست ومن خارج المجر كلها . ولكن المسرح الجديد فى بيت الثقافة فى بلدة «تاتابانيا » فى الشمال الشرقى [وهى بلدة لعمال المناجم] يضم هو الاخر فرقتين ، للاوبرا والدراما ، وفرقة موسيقية ، ومعهدا لتدريب الممثلين والفنيين ، ومن بين الاعمال التى قدمها فى الشتاء الماضى « **اوبوملسكا** » ، « **ماراصاد** » ، وكان المخرج من العاصمة ، بالاضافة الى قدرته على

استضافة عدد من الفرق المسرحية من العاصمة لتقديم عروضها فى البيت .

ولابد هنا من وقفة عند مسألة « جماهيرية » الفن المسرحى الضخم ، لان اقبال الجماهير فى النهاية هو مايبرر استمرار تطور ونمو تلك القاعدة المادية والبشرية الثمينة للمسرح ، يرتبط النظام التعليمى ارتباطا وثيقا بعملية استهلاك الشعب للمنتجات الثقافية والفنية وتقديره لها . وبدلا من نظام « النجوم » ، حيث ترتبط الجماهير بالنجم الذى يجسد أحلامها المحبطة ويحقق لها امانيها ورغباتها وينفس عن مكبوتاتها فى عالم الفن الخيالى المأمون ، تتلقى الجماهير [التى تخلصت من أمية القراءة والكتابة منذ جيل كامل] تعليما يربطها بالفن وينمى قدراتها على التذوق ويدفعها الى اشباع احتياجاتها المعنوية من خلال العمل الفنى بوجه عام . يتلقى التلميذ والطالب المجرى منهجا دراسيا — على طول حياته المدرسية والجامعية — منهجا متزايد العمق والتنوع فى الفنون المختلفة [وبوجه خاص فى الموسيقى والدراما والفنون التشكيلية] الامر الذى يمنحه فى النهاية « الوجدان » الذى « يحتاج » الى الفن الجيد والعقل القادر على تذوق العمل الفنى والتفاعل معه ، والقادر على المطالبة دائما بالمزيد فى الكمية والنوع . [ولعله من المفيد هنا أن نذكر أن زولتان كوداى ، الموسيقار المجرى المشهور ، هو الذى وضع منهج الدراسة الموسيقية الذى تتبعه حاليا مدارس المجر ، وتطبقه أيضا المدارس البولندية والفرنسية والكندية] .

● سبق أن قلت ان المسرح المجرى ظل منذ نشأته ، يتبع ، من حيث الاشراف الادارى والتمويل — لبلديات المدن [أو مجالس المدن كما يطلق عليها الان] وتتكون هذه المجالس بالطبع بالانتخاب ، وتشترك فى الانتخابات المنظمات السياسية والشعبية الاساسية [اساسا حزب العمال الاشتراكى المجرى ، والجبهة الوطنية] ، أى أن القوى الشعبية ممثلة فى هذه المجالس هى التى تشرف اداريا وماليا على المسرح ، كما تشرف على كل المرافق والخدمات الحيوية الاخرى . ورغم الاقبال الجماهيرى الضخم على « كل » المسارح وعلى « كل » أنواع العروض المسرحية فان انخفاض أسعار الدخول نسبيا ، يؤدى الى عدم تحقيق أرباح « سريعة » خاصة فى العروض الضخمة التى تستثمر فيها رؤوس أموال كبيرة ، هذا على الرغم من أن نسبة معقولة من الاعمال المسرحية تصل الى ٤٥٪ من مجموع العروض فى العاصمة ، تستعيد تكاليفها من حصيلة شباك التذاكر فى خلال عام واحد ، وأحيانا فى أقل من عام . ولذلك فان ميزانية المسرح [التابع لمجالس المدن] تكون جزءا من ميزانية هذه المجالس ، اما المسارح التابعة لبيوت وقصور الثقافة فتمولها اتحادات العمال أو النقابات او التعاونيات الزراعية التى تنشىء تلك البيوت والقصور فى مراكز تجمع العمال أو الفلاحين فى المدن والقرى ولكنها تتبع من ناحية الاشراف الفنى [فى اختيار المسرحيات وترشيح المدربين والمخرجين وقواد الفرق الموسيقية] لادارة خاصة فى هيئة المسرح بالعاصمة .

ورغم أن الحساب الختامى لكل بيت مسرحى فى نهاية كل عام لابد أن يبين موقف البيت الاقتصادى [رابحا أو خاسرا] فان الميزانية المرصودة لنشاطه لا تتأثر بهذا الحساب ، البرنامج هو الذى يتأثر ، والبرنامج يناقش أساسا من وجهات النظر الفنية والايديولوجية والسياسية ، وليس من وجهة النظر التجارية ، فالمسرح ، مثل كل النشاطات الفنية والثقافية الاخرى — لا ينظر اليه باعتباره عملا تجاريا ، رغم أنه بالفعل عمل اقتصادى وغير خاسر من وجهة النظر التجارية ، بسبب اقبال الجمهور الذى أعد بالتعليم أعدادا جيدا ، والذى يتمتع بمستوى معيشى بشكل واضح — يجعله قادرا على استهلاك الفن فى يسر ودون عنت .

بعد هذه الصورة العامة للملامح « الكمية » والتنظيمية للحياة المسرحية فى المجر ، لنقترب الان من ملامحها الفنية .

مثل كل المسارح الاوروبية — فى القارة [أى باستثناء انجلترا] يعمل المسرح المجرى وفق نظام « **الريبرتوار** » أى أن البيت المسرحى [الذى يضم فى العادة فرقتين ، **ويعمل** أحيانا على مسرحين] **لا يستمر فى عرض العمل** الواحد حتى يستنفد اقبال الجماهير ، ثم يلغيه للنسيان أو حتى تلجئه الحاجة اليه ، وانما يضم البرنامج «الاسبوعى» فى العادة عملين لكل فرقة من فرق البيت المسرحى ، يقدم كل منهما لمدة ثلاثة أيام فى حفلة الماتينيه أو السواريه . والعمل الجديد بالطبع يحتل أيامه الثلاثة من كل اسبوع طوال أسابيع « الموسم » الذى ظهر فيه العمل ، فاذا أثبت استمرار نجاحه استمر يشغل مكانه طوال مواسم الفصول التالية [أى فى مواسم الربيع فالصيف فالخريف اذا كان العمل قد ظهر فى موسم الشتاء مثلا] . وهذا معناه أن « الفرقة » التى تقدم الان عملين ، تكون فى العادة مشغولة باعداد عمل آخر على الاقل . ولامانع بالطبع من تبادل الممثلين والمخرجين بين الفرق وبين البيوت المسرحية ، ولا من اشتغال الممثل أو المخرج فى وسائل درامية أخرى كالاذاعة أو التليفزيون أو السينما [هناك مكتب خاص فى الهيئة ينظم أوقات الممثلين ، ويتقدم اليه المخرجون بطلب الممثلين ، والمكتب هو الذى يقرر ، اذا كان الممثل سيكون خاليا أو لن يكون فى أوقات البروفات والعروض أو التصوير أو التسجيل للعمل الجديد — وهى أوقات تحدد مقدما . والمهم هنا هو «الانضباط» الكامل من جانب كل المشاركين فى أى عمل ، الامر الذى ييسر عملية التقرير اعتمادا على الوثوق المطلق من هذا الانضباط ، واعتمادا على « نظم » اخلاقية ، محددة رقميا على أساس حسابى ، تسود توزيع الاعمال بين الجميع بحيث تتساوى فرص الجميع فى العمل اذا تقاربت مواهبهم ومستوياتهم] .

ولان نظام « النجوم » مستبعد أصلا رغم الاعتراف بالمواهب الكبيرة ، فان المخرج والممثل ، لا يتخصصان فى أنواع بعينها من الاعمال او الادوار ، أن الممثلة العظيمة ايرين **بشوتا** ، التى أدت شخصية « **الام الشجاعة** » فى مسرحية بريخت الشهيرة ، هى التى أدت شخصية « جيتل موسكا » فى الميلودراما النفسية الامريكية « **اثنان من أجل الارجوحة** » ، للكاتب الامريكى المعاصر **ويليام جيبسون** والممثل العظيم **باشانى** ، هو الذى أدى

شخصية « **توبيا بائع اللبن** » فى الميلودراما الاجتماعية الغنائية « **عازف الكمان فوق السطح** » وهو الذى ادى شخصية « **ماكبث** » فى التراجيديا الشيكسبيرية . والمخرج **فاموش لازلو** الذى أخرج « **الام شجاعة** » هو نفسه الذى أخرج « **سيدتى الجميلة** » والمخرج الشاب **مارتون لازلو** «وليس هناك قرابة بينه وبين **فاموش لازلو** ! » **يقدم** عملا جديدا ، سياسيا وفلسفيا عميقا وتجديدى الشكل والقالب اسمه « **تقرير خيالى عن مهرجان بوب أمريكى** » ، ويقدم فى نفس الوقت احدى هزليات « **فيدو** » الضاحكة الخالية تقريبا من اى معنى سوى معانى الرسم الكاريكاتيرى الأخلاقى للحياة الزوجية . وقد يؤدى هذا الى افتقاد المخرج أو الممثل الى وحدة واتساق حياته الفنية العملية ، ولكنه دون شك سيساعد على اثراء تجربته وأسلوب تعبيره الفنى وسيغنى خبرته فى مستويات وانواع واتجاهات العمل المسرحى وفنون التشكيل والاداء دون حد .

ان عملية « الاتجاه غربا » بالمعنى الحضارى ، التى بدأها الماجيار [المجريون] الاوائل منذ وصولهم الى أوروبا من آسيا فى منتصف القرن التاسع ، مازالت مستمرة الى الان ، رغم الاشتراكية الماركسية ، أو ربما بسبب الاشتراكية الماركسية [الاوروبية] فان عملية استجلاب الحضارة والتقدم الحضارى ، كانت تعنى الارتباط بأنماط الحياة والثقافة الغربيين ، وبتقاليد وامكانيات الحضارة الغربية .

وفى المسرح ، يتضح هذا الاتجاه بقوة لا تضارع . لقد احتلت بلدان أوروبا الغربية الرئيسية [انجلترا وفرنسا وايطاليا ، ثم اسبانيا ، الى جانب المانيا] المحل الذى كانت تشغله المانيا بمفردها فى الحياة الثقافية [والمسرحية خاصة] المجرية منذ احتل النمساويون المجر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن الموسيقى الاوركسترالية والباليه الروسيين ، لا يجدان منافسا حقيقيا فى هذا المجال ، الاوبرا الايطالية [**مونتفيردى وبوتشينى وفيردى**] تطارد الاوبرا الالمانية [**فاجنر أساسا**] وتتفوق عليها هنا والترجمات المأخوذة من المسارح الفرنسية والانجليزية والامريكية ، ثم الايطالية والاسبانية ، تحتل المكان الاول ، تليها الاعمال المجرية ، ثم الترجمات عن الالمانية [شيللر ، ثم بريخت وفايس ، ثم دورينمات وماكس فريش] . أما الترجمات عن الروسية ، فاننى لم أشهد عملا من أصل روسى سوى « المسرحة » المشهورة لرواية **جوجول** القديمة « **المفتش العام** » وكان المخرج روسيا .

وهذا معناه أن المسرح المجرى بنشاطه الوافر يعتمد أساسا على الترجمة ، رغم توافر عدد لابأس به من المؤلفين المجريين [لا تشغلهم مسألة الوصول السريع الى العالمية ، انهم يثقون من أنهم يوما ما سوف يصلون] ولا يتقيد الا بالمستوى الفنى الجيد للعمل المترجم . ومصطلح الترجمة ، يمكن تفسيره بشكل واسع : انهم لا يترجمون « النص » وحده ، ولكنهم « يترجمون » أو « يقتبسون » العرض نفسه اذا أمكن ذلك . لقد أخبرنى المخرج المسرحى المصرى ، الصديق الاستاذ **أحمد عبد الحليم** ، الذى كان يتابع النشاط المسرحى فى المجر لمدة عام ، ويشترك فى اخراج بعض أعمال مسرح الاوبريت أخبرنى أن فاموش لازلو ، مخرج « الام شجاعة » جاء قبل الشروع فى البروفات بفيلم سينمائى كامل يسجل عرضا للمسرحية من أخراج بريخت نفسه فى البرلينر انسامبل ، وأن لازلو يكاد يكون قد صنع صورة طبق الاصل من هذا العرض مع اضافات أساسية من عندى بالطبع . [وكان أحمد عبد الحليم يشارك لازلو فى عمله فى اخراج أوبريت «**كابتن دوهانى**» ، وقد ساعدنى كثيرا فى التعرف على جوانب وشخصيات كثيرة وهامة فى المسرح المجرى] . وقد لمست بنفسى فى عرض اوبريت « **سيدتى الجميلة** » أن فاموش لازلو نقل مشهد سباق الخيل فى المسرحية الغنائية من الفيلم الامريكى الذى كان مأخوذا فى الاصل عن عرض مسرحى قدم فى برودواى . وهذا « التواضع » وان كان مأخذا قويا على اصالة المخرج وعمله المسرحى ، يساعد دون شك على الارتفاع بمستوى تذوق الجمهور ، ويدمج الممثل فى المستويات الاصلية للعمل المترجم ، ويقلل من فرص تزييف العمل او تشويهه ، اذ أن هدفه الاساسى هو تقديم عمل جيد لجمهور ذواقة يجب أن يشعر بأنه قادر على مشاركة جمهور المسرح فى العالم « المتقدم » مايستمتع به وما يتذوقه .

ربما لان المجريين جاءوا من آسيا منذ زمن قريب نسبيا ، وربما لعلاقتهم القوية بالشرق نتيجة للاحتلال العثمانى ، وربما بسبب التأثر بتقاليد الحضارة الغربية التى تعودت على استهلاك المنتجات الثقافية للحضارات الاخرى ، وربما بسبب الحيوية الفائقة للحركة المسرحية : ربما كان أحد هذه الاسباب او غيرها هو ما يدفعهم الى الاهتمام بالمسارح الشرقية [غير الاوروبية والتى لا تنتمى الى المنبع الاغريقى القديم] اهتماما جعلهم يخصصون مسرحا وفرقة كاملة لمنتجات المسرح الصينى واليابانى والهندى ، بل والمسرح التركى . والمخرج **كازيمير كاروى** هو صاحب الاتجاه وأبرز مخرجيه حتى الان الى درجة الولع بأعمال هذه المسارح فلا يقدم غيرها تقريبا . وكان العمل الاخير مأخوذا من احدى الحكايات التركية من « جحا » مع الاستفادة بشخصية الاراجوز والجو الشعبى التركى ، بالموسيقى والرقصات الشعبية التركية ، وسميت المسرحية « **قرة جوز** » ، حيث يتعاطف القرة جوز مع نضال المجريين ضد الاحتلال التركى والعدوان النمساوى ، ويشارك فى فضح أسلوب المستعمرين من الجهتين .

من الصعب أن تستوعب هذه الصورة السريعة كل ما تتمتع به الحركة المسرحية المجرية من حيوية وثراء غير عاديين . ولكن يمكننا أن نرجع هذه الحيوية — الى جانب الاسباب العادية والعامة — الى مبدأ أساسى ، هو انهم لم يتقيدوا بأفكار مسبقة عن « العمل » المسرحى ، سوى بفكرة احتياج الجمهور الى مسرح ثرى وحيوى وانسانى ، قادر على استيعاب كل عصور المسرح ، و « كل » مدارسه ، من ثلاثيات اسخيلوس الى عبثيات السبعينات ذات الممثل الواحد والفصل الواحد حتى تسجيليات وعروض المسارح السياسية والفلسفية التى تفكر الان فى الثمانينات ، وذلك حتى يستطيع المسرح أن يستوعب — فى نفس الوقت — كل الجمهور الذى يريد — والذى يستطيع — أن « يستهلك » وأن «يحب» كل هذا المسرح بكل ثرائه وحيويته .■

صلوات القمر المختنوق

شعر : أحمد الحوتي

[١] الريح

بلا ميعاد .
أدار البدر وجه الليل .. واختنقا .
أفقنا من ثمالتنا ..
وقد غشي المدام .. دما
قبلنا نحتسي .. فرقا
هي البيداء ، لا كأس نهيم به ؟
ولا ساق لنا رقا .
واعرف ، ان آخر زفرة كانت لنا مدية
وكانت ركعة للعرى واللغة الضبابية !
لنا جلد الشياه ، وزحمة الابار ، والشمس الطريدة
لنا الارقام فى صمت المضاجع ..
والجريدة ..
سحاب الصيف .. قبلتهم ..
وباب لست ادخله ...
[فلا نار الشتاء يثيرها عجز الفقير ولا كلماتنا رسم البواخر ..
او خطى الطوفان .. ،
او صمت الاسير .]
لهم منا التكايا والكؤوس الذهبية
واعرف اننا غضب الحكايات الجديدة
وان لنا مفاتيح المواسم ..
والقصيدة ،
وان البحر .. لا ينشق ..
[يخون البحر
اذا احسست بالموت بالبطء يخون البحر .. ،
تفلت منه ريح السحر .. ابحر ...
ليس يعرفني ،
ولا ميناؤه للقادمين .. يضيء] .
واعرف انهم يلقون شيئا فى مهب الشمس
وان البحر .. لاينشق .
ولا يغتالني الريح المحاصر ..
انني استقدم الريح الجريء .

[٢] تعويذة

ترتاح فى شرفاتنا شمس الخريف .. ،
وتسقط الاوراق .
يمتد حبل العمر .. نقرأ ، كل يوم ، آية
وتدور فى صمت الرواق
متوضئين بأحرف التهويم .. فى سخط النتيجة
وميممين صباحنا ، وظهورنا ، عنف السباق !
فلعلنا نستمطر الغيم المطارد ..
والاجنة فى بطون الامهات ..
ولعلنا نلقى بتقوانا الى نهر الثبات
ولعل آخر أحرف التكوين شاهد قبر
ولعله عرق اللقاح على تويجات النبات
ولعله قمر ، يضاجع حزنه يوما ،
ويلقى بذرة الارض التى ماتت
على ظهر البراق .

[٣] صلاة

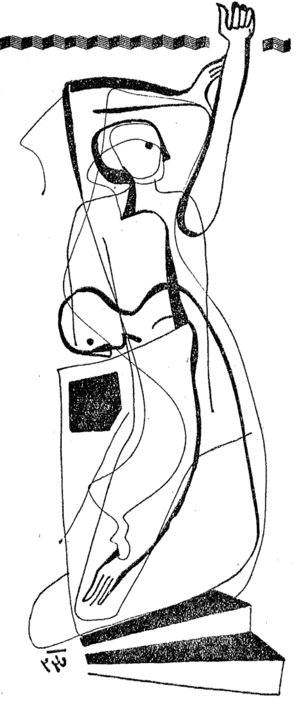
لتجهش السماء ...
لتجهش السماء ... ،

هزى رتاج النور
يوفى لنا بالنذر
من شوقه المحظور]
[أيا بنــات الجنة
سلاســل الاغنــة
تدميــه . والاجنة
فى بيتــه المهجور]
والبدر .. لا يفيق !
ويكبر النـــداء
يصير غيمة .. تصارع اللهب
يفيض بالحنين ... ... ينسكب
يلقى على وجه السماء .. دمعتين
قطــرتين من غضـــب .
ولا يفيــق !!
وأنت فى الصـــحراء ..
صبية .. يشتاقها العدو ، والصديق !
تبكين ؟! .. ما تبكين ؟؟!
ميراثنا حطين .
وفوقنا تثاؤب السحب ..

[دمعى على الخدين
ابكى على صرح خشب
ابكى عليه ، قبــة ..
ومنبرا .. واحرفا
تضـــاء بالذهب]
وأنت فى الصحراء
يغتالك العـــراء
وفوقنا .. تثاؤب السحب !

[٤] افضــــاء

انا الذى رأيت كل شىء
وطفت فى الممالك البعيدة .
ــ وسيطرت كتائبى ــ
انازل الملــوك
وامتطى زخارف التيجان
اتيــه .. فارسا
وصــــولجان .
فلتصــمتوا ...
ولتحرقوا الصحائف الاثيمة ..
فاننى اقولها .. كالسيف :
يخوننى السباق .. مــرة
ومرة .. تخوننى الهزيمة



فالبدر يختنق ،
يغيم فى الصـــحراء ..
فى الصحراء .. يحترق
تغمغم الارجاء ، لاتحنو على اسماله ،
فيضـــــيع !!
[أيا بنــات الحور ..
فكى خناق البدر ..

[٥] مواجهة

● تجتاحنا ريح الخطر .
ـ واسير فى نفس الطريق ،
فانهم قد علمونى كل شىء .
[هم علمونى ، كيف اخشى
ما تخبئه الغيوم .. وعنف ما تخفى
براكين السفر
اخشاه حتى صار حقلى جوربا
وبات حقلى .. ملعبا
صارت دمائى كالحجر]
● تجتاحنا ريح الخطر .
لكنهم قد علمونى ان اكون طيبا
وان اخر للقضاء .. والقدر .
● تجتاحنا ريح الخطر !!
لكنهم قد علمونى أن اعيش رؤى الحقيقة
.. لا الحقيقة .
فأصير وسط الاتقياء .. ، متوجا عرش البرية
لاننا نحن الجياع ، لنا السماء .
[ولنا عظام الشاه ..
فى يوم الضحية !]

[٦] العشق

صوت : ينشق صوت السندباد فلا يجاوبه الرماد
ماذا تبقى من شهود ..
ومن يحاوره يعاد ؟!
[يا أهل عاد
هذا النعاس .. وفوقنا قمر يموت ؟!]
ويصيح لا يقظان يسأله
ولا صوت يداعب عشتروت !
ويصيح .. ، كم سنة يصيح
كأنه .. أبدا .. يموت !!
صدى : انا .. وأنت
صوتان يحترقان ـ شوقا ـ فى بحار الموت .
بحارة نجتاز خلجان الالم
ما كنت اهوى أن تحار .. وان تعانقنى
تباريح الكآبة
يا من تصبح بمهمهة الموتى .. واصرخ
يمتطى صوتى سحابات الكتابة
واصبح يمصرنى الالم
يا من تجرجر جبة مملوءة بالشوك ..
والتاريخ .. والفوضى ..
وتمضى غير مهزوز القدم
ماذا تبقى من كتاب العشق ..
فى كثبان من رحلوا ، ولم يستمطروا غيما
ولم يمضوا كما تمضى النسم ؟
ابدا تصيح ،
انا .. وأنت
صوتان يحترقان ـ شوقا ـ فى بحار الموت ،

[٧] الخسوف

[ايا بنسات الحور
فكى خناق البدر
هزى رتاج النور]
يدير البدر اعينه عن الكلمات
يدير البدر اعينه .. ، ويبقى الخوف
مطروحا .. ، بلا قسمات ..
على رئتيه بعض مرارة الاحياء
بعض تحسر الاموات
فمن يعطى ؟؟
يقول اليوم احرفه .. بلا الغاز
ولا يبكى ...
وحادينا .. ، يكون
على اراضينا .. ، يكون
زمام مهرتنا .. وفرحتنا .. ، يكون
يكون الخطو .. والمهماز
يشج الصخر وسط السوق .. يشعل
غيلة الفقراء ويكسر دورة التاريخ .. يلقى
بالوشاح على غشاوتنا ، فنبصر
تلوح لنا البشارة .. والامارة
نيمم شطر غزوتنا ..
يجف الداء .
[ايا بنسات الحور
فكى خنساق البسدر
هزى رتاج النور]
تهب ريح الضيق
محمومة الزمام .
تهب ريح الضيق
تفجر الكلام .
تهب ريح الضيق
اقول .. ما اقول
من غير ان اخاف .. او يهبننى الزحام .
تهب ريح الضيق ..
فأبصر الحياة .. لحظة ،
أو كلمة ، تشال فى مفازة الطريق .

ثـــلاثة أبحـــاث عـــن المســـرح العـــربى

نشرت « المعرفة » السورية فى واحدمن اعدادها الاخيرة عددا من الابحاث التى القيت فى مؤتمر المسرح فى الوطن العربى الذى عقد فى دمشق من ١٥ الى ٢٢ مايو الماضى .

ولعل اهم هذه الابحاث هى ماقدمهاكل من الدكتور على الراعى عن «التراث المسرحى العربى وقضية الانتشار » ،والاستاذ نعمان عاشور عن : « علاقة المسرح بالدولة والمجتمع » ، والدكتورابراهيم حمـــادة عـــن « علاقة المسرح بالمؤسسات الثقافية ووسائل الاتصـــال الجماهيرية » .

يبدأ **الدكتور على الراعى** بحثه بالاشارة الي ملاحظة اوردها الكاتب بات تشيلدر فى كتابه « مسرح العرائس منذ قدماء المصريين » مؤداها أن مصر القديمة كانت اول من ابتكر ومارس فنون العـــرائس بنوعيها . الدمى الجسمة والتصاوير . ولوصح هذا لامتلات الفجوة التى تفصلنا عن فن المسرح فى مصر القديمة . ويمكن اعادة صياغة وضع المسرح العربى من حيث تاريخه وتراثه على النحو التالى :

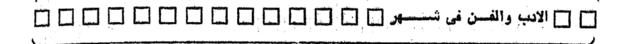
« ولد للعرب مسرح جنينى فى شـــكل **مقامات بديـــع الـــزمان الهمـــدانى** ، وتلميـــذه **الحـــريرى** ، وظلت هـــذه تخايل نفوس قرائهـــا والمســـتمعين اليها وتلهب خيالهم الى ان تبقى **لابن دانيال** ان يلتفت الى مافيها من مسرح ، فأدخلها عالم الظل والنور الذى كان يهواه وحولها الى مسرحيات فعلية تعتمد على الملابس والالوان والنور والحوار والقصة والشخصية ، وان تم هذا كله بالوساطة ومن وراء ستار .

وظل ذلك اللون من مسرح خيال الظل قائما فى مصر ، وانتشر منها الى تركيا ومن تركيـــا الى ســـوريا حيث ازدهر ازدهارا واضحا ، الى ان فكر الفنان السورى **جورج دخول** فى تحويل فصول الخيال الى تمثيل بشرى فأنشأ فصوله المضحكة وحملها معه الى مصر ، وظل يقدمها فى اماكن التجمعات الشعبية المختلفة منذ اواخر القـــرن الماضى حتى نهاية عشرينات هذا القرن .

وقد كان لهذه الفصول اثر كبير فى تكوين الكوميديا المصرية [على نحو ما فصل الباحث فى كتابيه : الكوميديا المرتجلة وفنون الكوميديا] فقد قامت على اساس قوى منها كوميديا **على الكسار ونجيب الريحانى** ، وامتد هذا الاثر الى كتابات ادباء محترفين مثل **ابراهيم رمزى ومحمد تيمور وتوفيق الحكيم** » .

ويدلل الباحث على وجهة نظره بالتناول التفصيلى لمسرحيات **المخبطين** ومسرحيات **يعقوب صنوع واسماعيل عاصم** ، ويتابع فكرته حتى يصل بها الى المسرح العربى الحديث : « على ان اهم تجربة على الاطلاق تتم فى حقل استخدام العرائس ومسرح المقامات لكتابة مسرحيات عصرية انما هى تلك التى قام بها الفنان المغربى **الطيب الصديقى** وقدمها فى دمشق عام ١٩٧٢ بعنـــوان « **مقامات بديع الزمان الهمدانى** » ، فقد انتقى الصـــديقى بعضا من مقامات بديع الزمان ونظم منها عقدا جعل واسطته المقامة المضيرية ، واتخذ من هذا العقد وسيلة لعرض باقى المقامة من شكل فنى — هو مسرحى فى اساسه — ومن مضمون يعكس عصره ، وان أضاف الصديقى الى هذا المضمون ماجعل منه تعليقا مواربا على العصر الذى نعيش فيه » .

والى جوار التراث المسرحى الناتج من فنون العرائس ومسرح المقامات . هناك **ظاهرة عروض الشوارع والكرنفالات التى** عرفت فى كل من العراق ومصر والمغرب ويشير الباحث هنا الى ظاهرة المواكب التى تقام فى العـــراق للاحتفال بذكرى مأساة كربلاء وآلام الحسين ، ويقف بالتفصيل أمام مايعرف فى المغرب باسم « **مسرح البساط** » : فالمبسطون اى المشتركون فى الموكب كانوا يتوجهون الى دار المخزن او قصر الملك فى جو مـــن الفكاهة والمرح ، وقد ارتدى كل منهم لباسا زاهى الالوان ، وجعل على وجهه قناعا من الدوم اليابس ، ليتمكن مـــن التلفظ بما شاء من الفكاهات الجريئة امام الحضرة العلية دون خجل أو إستحياء ، وفى الطريق تلتحق بالموكب مجموعات من الطوائف بدفوفها . وحينما يصل الكل الى ساحة القصر تأخذ كل جماعة مكانهـــا المخصـــص لهـــا ، ثم تشرع فى تقديم مسلياتها بالاضافة الى الواقعة التى تكون مرتجلة وتتناول فى الغالب جانبا انتقاديا يستغله المشـــخصون لتبليغ شـــكاواهم للسلطان . هذا المسرح — كما يؤكد الدكتـــور الـــراعى — قـــادر على ن يلد لنـــا ضيـــفة مسرحيـــة تجمـــع بيـــن الاصـــــالة المعـــاصرة .. فهو « يلتقط مايحدث فى واقع الحياة من احداث ويسعى الى تقديمها على المسرح بهدف الفضح والاثارة . وقد كان هذا دائما هدف المسرح الكوميدى المرتجل منذ قيام الكوميديا المرتجلة الايطالية حتى الان



كما انه جوهر المسرح التسجيلى الذى ابتكره بيتر فايس ، وسعى به الى اثارة الناس وتوعيتهم بمايحيط بهم من اخطار عن طريق الحوادث المنتزعة من واقع الحياة وعن طريق مجموعة من فنون العرض المختلفة سماها فايس فنون السوق وسعى بها الى بلوغ هدفه عن طريق المسرح الشامل » .

ثم يصل الباحث الى مصر، فيناقش مسرح السامر ، ويذكر الامثلة على استغلال هذا الشكل من جانب كتاب المسرح المصرى المعاصر : محمود دياب فى « ليالى الحصاد » [ويمكننا أن نضيف ايضا « الهلافيت » للكاتب نفسه، وهو نص غير مطبوع وبالتالى لم يقدر للدكتور الراعى أن يطلع عليه] ، وتوفيق الحكيم فى « الصفقة » ، ويوسف ادريس فى « الفرافير » ، ويقول عن هذه الاخيرة: انها « اقرب الى النمط العالمى للكوميديا الشعبية الذى يتداخل فيه تهريج السيرك بنمر الكاباريه بألعاب الحواة بفن الاراجوز منها الى فن السامر الذى قصد المؤلف بكتابته للمسرحية ان يقدم للناس نموذجا تطبيقيا منه » .

وقد دعا توفيق الحكيم فى كتابه «قالبنا المسرحى» الى تبنى مسرح الراوية ــ المقلد مع الاستعانة بالمداح احيانا ، لخلق قالب مسرحى عربى يسع انتاجنا المحلى بكل مافيه من خصائص قومية هى ملك لنا وحدنا ، ولايرفض مع هذا أن يحتوى فن العالم الواسع . وقدم بين يدى دعوته نماذج اختارها من الادب المسرحى العالمى ورأى انها يمكن ان تصب فى القالب المقترح بنجاح . يقول الباحث « غير ان هذه النماذج العالمية لم تثبت صحة القضية ، انما الذى اثبت صحتها بالفعل هما عملان مسرحيان لم يكتبهما الحكيم نفسه بل كتبهما الكاتب المصرى نجيب سرور [يس وبهية] والفنان المسرحى المغربى الطيب الصديقى (ديوان سيدى عبد الرحمن المجذوب] ، وفى هذه الاخيرة يصدر الفنان المسرحى الحياة العريضة التى عاشها هذا الشاعر الشعبى فى القرن السادس عشر ، والتى قضاها كلها جوالا يقول الشعر وينشر الحكم ويعانق الحياة والناس .

وفى شكل الحاكى والمقلد كذلك كتب الفنان السورى سعد الله ونوس مسرحيته اللافتة للنظر « مغامرة رأس المملوك جابر » وفيها يستخدم شخصية الحكواتى الذى يروى سير الاقدمين لرواد مقهى شعبى صغير ، فيروى الحكواتى مقاطع من حكايته ونشهد امامنا مقاطع اخرى يؤديها الممثلون ويدور حوار بين الحكواتى وبين رواد المقهى ، بينما يكون فى قاعة العرض افراد من الناس يتولون التعليق الشامل على ما يدور على الخشبة من احداث وحوار .

وكان الدكتور الراعى قد دعا الى الافادة من صيغة المسرح المرتجل فى اضفاء حياة جديدة على المسرح العربى، وهو يرى ان الكاتب المسرحى المصرى الفريد فرج قد استجاب إلى هذه الدعوة فى مسرحيته الاخيرة « جواز على ورقة طلاق » ، حين استخدم الحيلة المسرحية المعروفة : حيلة مؤلف ومخرج يناقشان مسرحية هما بسبيل اخراجها الى الناس، كما استخدم النمر الفكاهية التى تعتمد على مهارة الممثل ، والنمر التى تعتمد على الوهم .

يبقى بعد كل هذا التراث العظيم الذى خلفته لنا الف ليلة ، وقد استوحاه مارون النقاش حين كتب « أبو الحسن المغفل » واستوحاه كذلك ابو خليل القبانى ليقدم بعض مسرحياته القائمة على خليط من الشعر والغناء والحادثة المثيرة وتسربت حكايات الف ليلة الى المسرح الشعبى فشكلت هذه المسرحيات تشكيلا قويا على نحو مانجد فى بعض مسرحيات يعقوب صنوع وعلى الكسار ونجيب الريحانى وبديع خيرى ، ثم جاء توفيق الحكيم فاختار الشخصية النسائية الرئيسية فى هذه الحكايات شخصية الراوية الفاتنة شهرزاد ، وفضل أن يغوص فى نفسها ونفس شهريار : ومن هذه الدراما الداخلية كتب توفيق الحكيم واحدة من امتع واعمق ماكتب .

وبهدف تطوير الف ليلة كتب الفريد فرج اثنتين من مسرحياته الشائقة «حلاق بغداد » و « على جناح التبريزى وتابعه قفة » ، وقد لفتت المسرحية الاولى نظر رواد المسرح فاقبلوا عليها ومدحها النقاد جميعا ، « واثبت بها الكاتب أن تراثنا غير المسرحى قابل للتطويع والتشكيل ليصبح عروضا مسرحية حيث تجتذب الجمهور الواسع ، وتقبل ما يصب فيها من أفكار معاصرة » . وعن المسرحية الثانية يقول الباحث « ان استلهام الف ليلة قد حقق هنا اعلى مستوى بلغه كاتب مسرحى عربى ، ذلك أن «على جناح التبريزى » تقف شامخة فى رأى الفائلة، تقف بصلابة ، وان لم يمنعها هذا من التطلع الى آثار غير العرب من الكتاب المسرحيين من أمثال شكسبير وبريشت» .

وفى نهاية هذه الجولة مع تراثنا المسرحى العربى ووسائل استلهامه وتطويعه يلخص الدكتور على الراعى ما سبق أن نادى به مرارا وقدم للمكتبة العربيه أكثر من كتاب هام للتدليل على صحته ، يقول الدكتور الراعى : « ينبغى ان يستند المسرح العربى الى اصوله التراثية ، المسرحى منها والمقابل للمسرحة ، وان يعكس المزاج الشعبى الذى يفضل الدراما الشاملة ، على دراما الكلمة وحدها ، وأن يضع نفسه فى خدمة القضايا الشعبية البارزة من سياسية واجتماعية وأخلاقية ،مراعيا فى هذا حب الشعب لان يرى قضاياه معروضة عرضا حيا يغلب عليه التفاؤل والامل فى المستقبل » .

● أما بحث الاستاذ نعمان عاشور تحت عنوان « علاقة المسرح بالدولة والمجتمع » فينقسم الى ثلاثة أجزاء رئيسية : الاول تمهيد فى التعريف بالمسرح واهميته مع التركيز على دور الجمهور فيه [فيناقش الباحث العلاقة بين الجمهور والنص وبينه وبين الممثل وبينه وبين المخرج ومجموعة الفنانين الذين يعدون العرض] ، ويخلص فى نهاية هذا الجزء من بحثه الى ان « قيمة المسرح كفن جماعى تتوقف على تكامل العناصر السابقة كلها ، هذا التكامل لا يمكن قيامه الا بتوافر الامكانيات التى تحقق وجودها كعناصر لها فاعليتها فى خلق المسرح العربى القادر على خدمة البيئة العربية والتطور بها ، وهذا بدوره لايمكن تحقيقه الا اذا شملت الدولة المسرح برعايتها وتأييدها ، ولعل أول مظاهر هذا التأييد حماية الجمهور نفسه ، وهى حماية لا تتأتى الا بحماية المؤلف المسرحى خالق الكلمة ومبدعها ، ورعاية الممثل الناضج الواعى ، والحرص على وجود المخرج المثقف الدارس المتفنن » .

الجزء الثانى عرض تاريخى لحياتنا المسرحية وتطورها منذ كانت معرفتنا بالمسرح فى منتصف القرن التاسع عشر . ويبدأ الاستاذ نعمان بأننا « كأمة لم تكن لنا فى تراثنا العربى والاسلامى ادنى معرفة بالمسرح ، ويستبعد كذلك «مزاعم»

الذين يحاولون التنقيب عن المسرح فى الحضارة الفرعونية القديمة أو ما تبعها من حضارات سيطرت على الشرق قبل الاسلام . ويضيف : « كذلك فاننا ، وبكل اصرار ، لايمكننا ان نسلم بالمحاولات الواهية العاجزة التى تسعى جاهدة فى الحاح عقيم الى الرجوع بالمسرح فى حياتنا لما يسمونه بالاراجوز وخيال الظل أو غيره من المعبرات التى شاعت فى عصور الحكم العثمانى » ..

البداية المعتمدة عنده ، اذن ، هى دعوة رفاعة **الطهطاوى** للاهتمام بالمسرح والاخذ به ، ثم دعوة **الخديوى اسماعيل** لان يجعل مصر « قطعة من أوربا » . **ومارون النقاش ويعقوب صنوع والنديم** ... الى آخر القائمة المحفوظة حتى انشاء الفرقة القومية فى القاهرة سنة ١٩٣٥ ، وفى ختام هذه الفترة انشىء **المعهد العالى للفنون المسرحية** الذى أخرج كافة فى المسرح حاليا من كبار ممثليه وأبرز مخرجيه ، « وكانت هذه الخطوة من أهم وأثبت الخطوات التى خطتها الدولة فى خدمة النشاط المسرحى ، اذ دفعت الى مجال المسرح بعناصر مثقفة واعية من الموهوبين والقادرين على تأسيس النشاط المسرحى على قوام من المعرفة والثقافة الدرامية المفتقدة حتى بين كبار المحترفين ، وعلى أكتافهم قامت النهضة المسرحية التى أعقبت وصاحبت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » .

ما بعد ٥٢ هو الجزء الثالث والاخير من بحث الاستاذ نعمان عاشور ، وبعد أن يستعرض المبررات التى أدت لضرورة قيام مسرح جديد « فالخطوات الجذرية التى خطتها ثورة ١٩٥٢ وما أحدثته من تغيرات فى الساحة الاقتصادية والسياسية وما نتج عن ذلك من نشوء علاقات اجتماعية جديدة ، كانت كلها تحتاج الى مقدمات من بناء ثقافى جديد ، وتعبير أدبى وفنى جديد ، وجد له خير مجلى فى التعبير الدرامى المتقد » ، وهكذا .. انشئت **وزارة الثقافة** سنة ١٩٥٤ وأعيد تكوين المسرح القومى ، وأشرفت الدولة اشرافا كليا على النشاط المسرحى من خلال **مؤسسة المسرح** ، وأرسيت قواعد جديدة لقيام حركة مسرحية حقيقية تحتضنها الدولة لمصلحة المجتمع وخدمة أهدافه ، وبدأ المسرح يأخذ دوره الطليعى كبؤرة اشعاع للنضج الثقافى والوعى الاجتماعى والتطور الفكرى .

يقول الباحث تحت عنوان « **تعثر المسار المسرحى** » : « لكن الحركة المسرحية فى مصر على قدر ما لقيت من ازدهار ومناصرة من جانب الدولة ومن تأييد المجتمع فى أوائل الستينات على قدر ما بدأت تنحسر عنها موجة التأييد والمساندة بعد ذلك ، ولهذا اسبابه ودواعيه العديدة .. **واذا راعينا أن تلك الفترة شهدت بداية التراكم لما كان يسميه عبد الناصر الطبقة الجديدة ، والاحزاب السياسية الرجعية غير المعلنة ، وامتدادات الرجعية الفكرية فى محاولاتها السيطرة على الاوضاع الثقافية ، وبالتالى اهدار القيم والمثل الايجابية والرجوع الى السلفيات والغيبيات وهرب الاطاحة بالافكار والتطلعات الاشتراكية** » ، **اذا راعينا فى ذلك ما استعصى علينا أن نلمس ما لحق بالانتاج الادبى والفكرى .. وكان المسرح قوامه فى تلك المرحلة — من عثرات أدت بالكتاب للجوء الى مسارب الرمزية والغموض وعبث اللامعقول والهروب فى الاسقاطات التاريخية وما اشبه .. »** .

ومن النقاط الرئيسية التى يناقشها الباحث فى هذا الجزء من بحثه **الرقابة على المسرح** ودورها ، وهو يبدأ مناقشته بأن يؤكد حتمية وجود الرقابة ، فهى — من ناحية المبدأ — اجراء مأخوذ به فى كل المجتمعات [وان كانت قد الغيت أخيرا فى انجلترا بعد ستمائة سنة من وجودها] ، ليست العبرة فى وجود الرقابة اذن ، لكن العبرة فى استخدامها وطريقة مزاولتها لسلطتها كجهاز من أجهزة التنظيم والتنسيق لخدمة المسرح قبل أن تكون جهازا للقمع والمصادرة وحجب النشاط المسرحى . « **لكننا اذا نظرنا الى الرقابة عبر الواقع التاريخى لمسرحنا ، لراعنا انها كانت دائما تستغل كسلطة للقهر والارهاب والمنع والمصادرة والاهدار ..** » ، ويناقش المؤلف أنواع الرقابة المختلفة : ثمة رقابة يمارسها **رجال الدين** ، ورقابة تخضع لسلطة **الحاكم المطلق** ، وثالثة تخضع **للسيطرة الاستعمارية** وتزاوله الحكومات المستبدة فى وجه الحركات السياسية والتحريرية والوطنية . « وهناك ذلك النوع من الرقابة الذى يخضع لمقتضيات **الصراع الطبقى** ، وهو يقوم على الاستناد الى سلطة القوانين الموضوعة ، والتى تحرم فى معظم الاحيان تحريما قاطعا ابراز التناقضات القائمة بين مصالح الطبقات ، واحيانا بين الطوائف بحيث يلتزم المسرح بالا يتعرض لتصوير أو عرض أو تقديم أى مظهر من مظاهر الفكر أو السلوك الذى يمكن أن يعبر عن طبقة أو طائفة يتعارض وجودها أو بمصالحها مع وجود أو مصالح الطبقة



نعمان عاشور

التى تقوم على شئون الحكم ... » .

ويخلص الاستاذ نعمان عاشور من مناقشته لهذه النقطة الى القول « **بأن الصورة التى تزاول بها الرقابة على مسارحنا العربية ، وبكل هذه الحساسية الفائقة الدائمة مصدرها ما يعانيه مسرحنا بالفعل من افتقار الى النضج الذى يتيح له تحقيق رسالته ، وما تعانيه مجتمعاتنا العربية ذاتها من قصور فى نظرتها للمسرح ودوره وقيمته وأهميته** .. » .

● وفى بحث **الدكتور ابراهيم حمادة** « **علاقة المسرح بالمؤسسات الثقافية ووسائل الاتصال الجماهيرية** » ، يحدد الباحث هذه المؤسسات والوسائل فى ثلاث مجموعات :

[١] **الاجهزة الناقلة** ، وتضم : الاذاعة المسموعة ، الاذاعة المرئية [التلفزيون] ، السينما .

(٢) **المؤسسات التعليمية والتثقيفية** ، وتضم : التربية والتعليم ، الثقافة الجماهيرية ، الاندية الثقافية ، المؤتمرات المحلية والعالمية .

[٣] **الوسائل المطبعية** ، وتضم : الكتب ، المجلات والدوريات ، الصحافة

فيما يتعلق بالمجموعة الاولى يرى الباحث أن ثمة قصورا لا شك فيه ، وللتغلب على هذا القصور يرى الباحث أنه « اذا كانت مسارحنا القائمة الان لا تستطيع أن تفى بمتطلبات الراديو الكثيرة والمستمرة ، واذا كانت حركة التأليف المسرحى فى العالم العربى لاتزال بطيئة الانتاج ، أو محدودة القيمة الفنية ، أو متعثرة لسبب ما ، فان فى الروائع المسرحية العالمية مجالا للترجمة الحرفية ... ولكن اذا كان من المحتمل الا يتقبل المستمع العربى فى اشتهاء روائع المسرحيات العالمية المترجمة حرفيا — مع أنها ذات قدرة على تخصيب البيئة الثقافية بقيمها الفنية والحضارية — فهناك حلول لهذه المشكلة المحتملة منها لقا



توفيق الحكيم

١ ــ **اقتباس وتعريب** بعض المسرحيات الاجنبية القابلة للاقلمة والتطبع بما يناسب المناخ الاجتماعى والفكرى فى بلادنا ، كما أن فى مسرحة الروايات والقصص العالمية ما يسد بعض الحاجة الى نصوص درامية .

٢ ــ **تخصيص موجة اذاعية ثقافية** ــ كالبرنامج الثانى بالقاهرة ــ لتقديم النتاج الثقافى الرفيع سواء كان محليا أو عالميا مترجما . ومن الملاحظ أن الموجات الحالية الموقوفة على الارسال الفنى والثقافى تقصر خدمتها على مدى استماعى ... جغرافيا يكاد لا يتعدى منطقة الارسال بكيلو مترات قليلة ، بينما الهدف الحقيقى من البرامج الثقافية المتخصصة هو توصيل المعارف الفكرية والفنية الى مستمعى المدن والقرى البعيدة ، المحرومة مما تنعم به العواصم من مؤسسات تثقيفية وترفيهية .. » .

وتعانى معظم البرامج الثقافية التى تقدمها الاذاعات المرئية العربية من هبوط المستوى ، ومزاحمة البرامج الترفيهية التى يمكن أن يوصف بعضها بالغثاثة والاصرار على تجريح الذوق السليم .. ، « واذا كانت معظم الاذاعات المرئية فى الوطن العربى قد التجأت الى تسجيل بعض المسرحيات المحلية المعروضة وبثها ، فان تلك العملية بشقيها ما فتئت فى حاجة الى تطوير حرفى يساير ما وصلت اليه البلدان المتقدمة فى هذا السبيل » .

وبالنسبة للمجموعة الثانية فان الباحث يلاحظ أن « النظرة المتفحصة لمناهج التعليم فى الوطن العربى بصفة عامة تؤكد خلوها من مواد أدب المسرح ، والتى يمكن أن تتمثل فى :

[أ] **تدريس** بعض النصوص الدرامية ، وتاريخ المسرح كوجه من أوجه الحضارة الانسانية .

[ب] **مسرحة** بعض المواد الدراسية القابلة للمسرحة مما يمكن أن يدخل فى نطاق استخدام الوسائل التعليمية » .

أما المسرح المدرسى فلا يزال ضربا من ضروب النشاطات الثانوية التى توضع غالبا فى مؤخرة النشاطات الفنية الحرة أو الرياضة ، ولا يختلف وضع **المسرح الجامعى** عن ذلك كثيرا ، ويقدم الباحث طائفة من الاقتراحات أهمها تدعيم ادارات المسرح المدرسى وتوزيع اختصاصاتها على أن تتولى الاشراف الكامل على النشاطات المسرحية فى المدارس الابتدائية والثانوية وما فى مستواها ، وما يقترح للمسرح المدرسى يمكن تطبيقه أيضا على المسرح الجامعى مع بعض الاضافات مثل تكوين أكثر من فرقة مسرحية فى كل كلية ، واتاحة الفرصة للفرق الجامعية الفائزة فى المسابقات المسرحية لعرض مسرحياتها ــ فترة محدودة من الوقت ــ على خشبات المسارح المحترفة ، وعقد مسابقات فى التأليف المسرحى أو الترجمة بين طلبة الجامعات ، وترجمة أمهات الكتب العالمية المتخصصة فى فنون المسرح ، واتاحتها للطلبة فى طبعات شعبية .

ثم يقف الباحث وقفة طويلة أمام نشاط **الثقافة الجماهيرية** ، فيلخص سلبيات هذا النشاط ، ثم يقدم اقتراحاته :

١ ــ انشاء قصر للثقافة فى كل عاصمة اقليمية بالوطن العربى ، تكون مهمته تقديم الخدمة الثقافية لطلابه من عامة الشعب ، وتتمثل تلك الخدمة فيما يمكن أن تتيحه امكانات المسرح والسينما والموسيقى والفنون التشكيلية والفنون الشعبية والمكتبات والمحاضرات وثقافة الطفل والخدمات العامة .. الخ ، بحيث يصبح القصر بمثابة مركز اشعاع فنى وثقافى فى نطاق كل اقليم .

٢ ــ انشاء هذه القصور وتوابعها لابد أن يكون مسبوقا بدراسات اجتماعية ونفسية ومادية متخصصة عن الطبيعة السكانية فى مواقع العمل ، حتى يمكن للمسئولين الثقافيين اكتشاف مقومات المجتمع المخدوم وسلبياته من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

٣ ــ ولا شك أن الحاجة ماسة للتوصل معماريا الى شكل مسرحى بسيط يمكن تنفيذه وتعميمه دونما تكاليف باهظة ، كما يمكن استخدام مسارح متنقلة يسهل تركيبها وفكها والتنقل بها .

٤ ــ وكما تضم الثقافة الجماهيرية نوادٍ للعلوم والسينما والفنون التشكيلية يمكن أيضا أن تضم نوادٍ للمسرح تهدف الى تشجيع الهواة على تقديم عروض مسرحية الى جانب تنظيم محاضرات ومناقشات فى فنون المسرح .

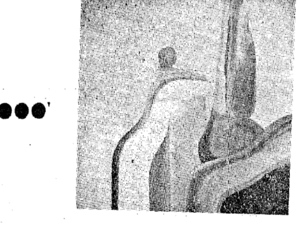
وفيما يتعلق بالمجموعة الثالثة والاخيرة يرى الباحث ــ بالنسبة **للكتاب** ــ أن « **حركة ترجمة ونشر النصوص المسرحية وأبحاث النقد الدرامى ما زالت تفتقر الى التخطيط الموضوعى والتنسيق والمتابعة ،** كذلك فان اختيار غالبية الكتب المسرحية المؤلفة أو المترجمة يخضع لاذواق فردية غير متخصصة ، وعلى هذا الاساس قد تصبح الكتب المنشورة والمتداولة بين أيدى القراء اما سطحية المادة أو مكررة أو غامضة أو مجافية لذوق العامة القارئة .. » .

وتعتبر **المجلات والنشرات الدورية** المتخصصة فى معالجة شئون المسرح والدراما من أهم وسائل التثقيف فى الوطن العربى ، ويلاحظ الباحث أن انواعا متعددة من المجلات المسرحية كانت تصدر فى بعض الاقطار العربية ــ كمصر مثلا ــ « **غير أن تلك المجلات ــ رغم دورها الحيوى فى التعريف بالحركة المسرحية الداخلية والخارجية كانت تتعثر فى طريقها لاسباب عديدة كان من الممكن ازالتها وتصحيح المسار المرجو بدلا من الاجهاز عليها ومصادرتها** .. ولا شك أن العالم العربى فى أمس الحاجة الى مجلة متخصصة قادرة على تتبع سير الحركة المسرحية فى أنحاء الوطن العربى ، ومناقشة قضايا تراثه ومقدراته ، وبنفس القدرة على متابعة ما يجرى على مسارح العالم الخارجى .. » .

بقى دور **الصحافة العربية** التى لعبت فى الماضى دورا جوهريا فى تطوير ثقافتنا المعاصرة وفى تنشيط فكرنا الادبى ، غير أن الباحث يلاحظ أن الصحافة العربية « قد أصيبت فى الربع الاخير من قرننا هذا بنفور شديد ــ يصل الى حد العداء ــ من المادة الادبية والفكرية الخالصة حتى تقلص ــ أو انزاح جانبا ــ الاهتمام الكبير الذى كانت تحظى به المسائل الثقافية فى السنين الخوالى » .. **هكذا** أصبحت أركان الكلمات المتقاطعة وأخبار مواليد حديقة الحيوان وزواج وطلاق قردتها ونسانيسها أهم بكثير من نشر عمل أدبى أو فنى « يتهم » بالجدية والتخصص .. » ، ويرى الباحث أن على الصحافة ــ التى لا تزال هى الارخص والاكثر انتشارا ــ « أن تتحمل عبء التوعية الثقافية بوجه عام ، بما فى ذلك ما يتصل بالمعرفة المسرحية ، فكما تفرد لتسريحات الشعر مساحات أسبوعية منتظمة ينبغى أن تخصص مساحات أخرى لنشر المسرحيات القصيرة ومقالات النقد والتحليل الجاد مما يمكن أن يعود الجمهور على الفيبة الثقافة الجادة ... » .

على مشارف فن الاحتجاج

●●●



لوحة من أعمال الفنان أحمد عزمى

« .. عالم اليوم ، وحضارة القرن العشرين . وقيم المجتمع المادى ورفاهيته المزيفة التى يخلقها مجتمع قائم على الاستهلاك ، هذه الحضارة لم تحقق السعادة للبشر ، وانما أشاعت الفوضى والاضطراب وقطعت أواصر الترابط بين الانسان وأخيه الانسان ، وفقدت العلاقات الانسانية حرارتها ودفئها بعد أن تحكمت التكنولوجيا التى صنعها الانسان ليتحكم بها فى ظروف الطبيعة فتحكمت هى فيه وأصبح أداة من أدواتها .. وانسان هذا العصر مطحون بالقلق والتوتر ، مهدد بالدمار الشامل بأسلحة الحرب التكنولوجية ، محاط برفاهية مزيفة ، ولا يملك الفنان ازاء هذا العالم الا أن يستشعر الخوف من مصير مجهول يتهدد الحضارة والانسانية ، مصير يجسد الانسان نفسه فيه وحيدا معزولا وحوله ركام الحضارة وبريقها الصناعى .. »

بهذه الكلمات قدم الفنان السكندرى احمد عزمى لاعماله فى كتالوج المعرض الذى اشترك فيه مع زميليه الفنانين السكندريين أيضا : عادل المصرى ومصطفى عبد المعطى ، والذى أقيم فى الشهر الماضى بالاسكندرية بقاعة المركز الثقافى السوفيتى ، بعد ان أقيم قبل ذلك بأسابيع فى القاهرة بقاعة باب اللوق .. وهى كلمات لا تبعد كثيرا عن مضمون الكلمتين اللتين قوم بهما زميلاه لاعمالهما • وعندما نجد كلمات مشتركة بين الفنانين الثلاثة مثل : [حضارة القرن العشرين ، القلق والتوتر ، طبيعة العصر ، الخروج من الجاذبية الارضية ..] فاننا ندخل الى عوالمهم ـ أو عالمهم الواحد المشترك ، على اعتبار أنهم يقدمون رؤية فكرية واحدة ـ ونحن مهيأون لان نلتقى بهذا العالم متحققا فى أعمال تصويرية .. فهل تحقق لنا ذلك ؟

ان الفنانين الثلاثة ـ وهم من طليعة جيل الفنانين الشباب الذين شاركوا باعمالهم فى الحركة الفنية خلال السنوات العشر الماضية وأثبتوا وجودهم فيها باساليبهم المتميزة ـ قد حملوا انفسهم فوق طاقتها حينما صاغوا فى مقدماتهم هذه الكلمات الضخمة ، فتاريخ التطور الفنى لكل منهم ـ من ناحية ـ هو رحلة معاناة من أجل خلق أسلوب خاص يأنف فى معظم الاحيان من أن يحمل بداخله مضمونا سياسيا أو اجتماعيا ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هى الوصول الى التجريد البحت [خاصة بالنسبة لعزمى وعبد المعطى] • ومن ناحية أخرى ، فانهم حين التزموا مختارين بهذا المضمون لم يجدوا الاسلوب المناسب للتعبير عنه ، وانما استمروا يصورون بنفس الاساليب التى عكفوا عليها بشكل معملى طوال سنوات وكان التجريد أبرزها ، ومن هنا ظلت كلماتهم مجرد كلمات طموح •

فاذا كان عزمى يدعونا الى أن نستشعر معه « الخوف من مصير مجهول يتهدد الحضارة الانسانية » فان لوحاته ملأى بالمسطحات اللونية المتألقة النظيفة ، وبلمسات الفرشاة العريضة المنتعشة التى لا توحى بخوف أو قلق .. لكن لعل هناك ـ من ناحية أخرى فى عدد من لوحاته ـ ذلك التشيؤ للحياة الانسانية بعد أن صعقها عصر التكنولوجيا وحولها الى كائنات استهلاكية تحقق « رفاهية مزيفة » .. ويبدو ذلك فى تلك الاشكال المعمارية الصلبة أو الاسطوانات ذات البريق المعدنى .. ومن هنا يكون لخوف الفنان على مصير الحضارة الانسانية ما يبرره ، اذا كان يقيم معرضه فى نيويورك مثلا ، اما وأنه لا مفر امامه من أن يعرض أعماله علينا هنا فى هذه المنطقة المتخلفة من العالم ، والتى لا تعانى من امراض التكنولوجيا قدر ما تعانى من الافتقار اليها ، فان هذه الاعمال تظل مجموعة الوان ومساحات جميلة نظيفة لا تقول الكثير •

واذا كان عادل المصرى يرى « أن الفنان اقدر النوعيات على ادراك صراع الوجود والواقع » .. فان ما نراه فى لوحاته هو عالم ميتافيزيقى لا صلة له بالواقع ، عالم ثقيل السكون شحيح الالوان حتى ليكاد يقتصر على الرماديات كجو الاحلام ، عناصره هى أبنية معمارية ذات أعمدة شاهقة وعقود ، كقصور اسطورية مهجورة ، وكائنات كروية معلقة فى فراغ ، وأوان مستديرة فوق مكعبات راسخة على خلفية من الضوء الباهر .. ومن هنا فهو مصور جيد يحترم الكتلة والضوء والمكان ، ويحقق الصراع فى لوحاته بواسطة هذه العناصر ، لكنه يظل بعيدا جدا عن صراع الواقع •

واذا كان مصطفى عبد المعطى ـ من خلال « فضائياته » ، ومن خلال « عالم الصمت » الذى تمتلىء به لوحاته ـ يدعونا الى الاحساس « بارهاصات المخاض للجنين الذى يوشك أن يولد .. » فان ما نراه مجرد مخلوقات كونية مشتقة من أشكال هندسية صارمة مثل الدائرة والمثلث والمكعب ، تتناجى أو تتحاور بلا ضجيج فى ثنائيات أو ثلاثيات متباعدة عبر آفاق منبسطة لا نهائية ، فى عالم شديد الهدوء والسكون ، عالم خال من الصراع والتوتر ، استتب فيه النظام والسلام .. فهل هذا هو العالم الذى يبشر به الفنان ؟ .. هل هو الجنين الذى على وشك أن يولد ؟ ـ لقد نجح فى أن

يصنع فانتازيا فضائية طريفة كملاذ يهرب اليه انسان تمزقه صراعات المجتمعات التى طحنتها الالة ، انسان فقد الامل فى تحقيق جنته على الارض •• ولعلنا نتساءل : اليس جديرا به ان يفكر فى الجنة الارضية التى تناضل الشعوب النامية نضالا اسطوريا من اجل تحقيقها •• تلك الشعوب التى لم تر من عصر التقدم الالى غير آلات الحرب التى تاتى لتدمرها ؟ ـ وانا هنا لا احاول ان افرض رؤية على الفنان ، او حتى ان اقوم بعملية نقدية تحليلية لاعمال المعرض ، بقدر ما اقدم انطباعاتى الخاصة التى تقبل المناقشة والاختلاف معها بالطبع ••

لكن على اى حال ، وسواء كان هذا الاهتمام بوجود مضمون سياسى فى أعمال الفنانين الثلاثة اصيلا أم طارئا ، فانه يمثل خطوة واسعة للامام فى تطورهم الفنى والفكرى ، واضافة لانتاج جيل جديد من الفنانين ، يسعى لان يجعل من الفن صوت احتجاج على تدمير روح الانسان أو تشيؤه باسم الحضارة المزيفة ، هذا الصوت الذى يحاول جاهدا الانبثاق وسط مختلف الاصوات ذات الضجيج المرتفع الذى تدارى به هروبها من الالتزام باى مضمون

وفى النهاية أستعير كلمات الفنان عادل المصرى فى مقدمة لوحاته : « ان مع كل عمل صادق يولد ، تتفتح احدى زهرات الارض لتزهو الحياة ، وحينما تذبل تنمو نبتة بيضاء من بقايا الرفات لتعلن الاستمرار » •

عز الدين نجيب

●●●

مؤتمـــر الفلســـفة فى فـــارنا

تعقد « الاتحــاد العــالمى الجمعيات الفلسفية » مؤتمـره الخامس عشر للفلسفة فى الفترة من ١٧ الى ٢٢ سبتمبر القادم • وسيتم عقد المؤتمر فى مدينـة فارنا ببلغاريا • أما الموضـوع المطـروح على المؤتمـر فهو : « العلوم ، التكنيك ـ الانسان » وسوف يكون المؤتمر تحت رعاية رئيـس مجلـس الدولة تودور جيفكوف •

وكان **البروفيسور اندريه** ميرسييه قد زار بلغاريا ليشارك فى الاشراف على اعداد المؤتمر ، وقد تحدث ، عن أهمية المؤتمر وأهدافه ، الى ممثلى الصحافة البلغارية فقال :

ـ **أن أختيار موضوع « العلوم ، التكنيك ، الانسان »** ينبثق من واقع أن الفلسفة تعالج ـ فى آن واحد ـ معضلات البشر الازلية ، كما تعـالج المسـائل المتعلقة بالانسان ، وبالوضع الخاص لوجوده فى عالمنا المعاصر هذا ، وذلك بشبة تجاوزه لهذا الوجود • واليوم نجد الانسان غارقا فى موجة عارمة بسبب التطور الخيالى الذى طرا على العلوم فى القرن العشرين • هذه الموجة تتميز سماتها بما يلى :

ـ **الثورات التى طرات على التفكير** الواقعى والتى بدلت الاراء التقليدية للعلوم الكلاسيكية •

ـ **الثورات الاجتماعية** التى غيرت مركز ثقل القضايا الاخلاقية •

ـ **التقاء هاتين الظاهرتين** على قمة الموجة الكبرى التى تتجسـد فى التكنيك الحديث بكل جبروته ، وبكل الخطورة التى يخفيها بين طياته •

واستطرد الاستاذ ميرسييه يقـول :

وأود أن أضيف أن التكنيك ينبغى الا ينظر اليه كمجرد تطبيق للعلم • على العكس فان التكنيك هو ملتقى العـلم والاخلاق • ذلك أن العـلوم الصرفة تسعى الى اكتشاف الحقيقة فى الظواهر الطبيعية ، والاخلاق تتطلب فرض الخير فى أسس المجتمع • والاخلاق لايمكن تحويلها الى علوم ، كما أن العـلوم لا تخضع لمتطلبات الاخلاق • ولهذا ، بالذات لم نقصد حل معضلات الاخلاق بالاساليب العملية • وانما غايتنا أن نكشف عن الظروف التى يمكن من خلالها التوفيق بين العلوم وبين متطلبات الاخلاق •• من هنا ، فان موضوع المؤتمر العالمى للفلسفة ، يعكس ـ فى آن واحـد ـ القضايا النظرية والعملية ، ويشتمل على مطامح الانسان الجسدية والروحية ، لا بالنسبة للانسان المعاصر فحسب ، بل وبالنسبة لمجتمع المستقبل •

وتحدث الاستاذ ميرسييه عن العمل التحضيرى الذى تضطلع به اللجنـة التنظيمية البلغارية فقال :

ـ **ان تنظيم مؤتمر كبير** ـ بهـذا المستوى ـ فى أيامنا الراهنة هو أمر يستحق الشكر والتقدير • واذا ما عرفنا أن الفلسفة ليست مجرد علم كبقيـة العلوم ـ كالفيزياء مثلا والطب وعلم الاجتماع ، وانما هى خلاصة جميـع المظاهر الروحية ، فاننا نستطيع ـ عندئذ ـ أن نقول ان مؤتمرا فلسفيا ـ كهذا ـ لا يطرح مسـائل ذات طابع ادارى ومالى فحسب ، ولكن أهم ما فيه هو ما سيطرح عليه من قضـايا ذات مغزى وفى اختيار الاسلوب الذى يكفل معالجتها بنجاح ـ وأضـاف الاستاذ ميرسييه :

ـ **ان نوعية أى مؤتمر فلسفى تتوقف** على نوعية الاسهام الفردى فيه أيضا • فلسوف يلتقى فى فارنا عدد كبير من المفكرين المشهـورين • ولن ينحصر اسهامهم فى المقالات والتقـارير التى أعدوها مسبقا وحسب ـ بل والى درجة كبيرة ـ فى المناقشة وتقديم الحجج المقنعة • وفى الواقع فان الموضـوع المطروح على المؤتمر يفتح المجال أمام مناقشات حامية الوطيس • واذا ما احترم المرء آراء الاخرين ، فبالامكان أن نتوقع نوعا من التقارب من خلال التفـاهم المتبادل • واستطرد ميرسييه يقول :

وليس من شك فى أن نتائج المؤتمر ستكون غنية ، لانه لم يسبق أن اجتمع ـ فى تاريخ البشرية ـ عدد من المفكرين بهذا القدر ، ومن بلدان مختلفة ونائية ، فى مكان واحد يبحثون مسألة واحـدة مشتركة ، كما سيجرى ذلك فى فارنا •

وفى ختام تصريحه أشار الاستـاذ ميرسييه الى أن اللجنة التنظيمية عاكفة على تأمين جو ملائم للمناقشة والحوار •

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ اكتوبر ١٩٧٣

١٠

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

رؤية ايجابية للقوة العربية

٣ دراسات حول «المتغيرات الدولية»

تأميم البترول فى ليبيا : خطوة هامة

شيلى: التجربة - الانقلاب - المقاومة

مناقشات مجلس الشعب لقانون الـ ٣ أفدنة

ملحق الادب والفن



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

أن [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..



عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٤٦٤ق٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد العاشر ـ السنة التاسعة ـ اكتوبر ١٩٧٣

د. محمد الخفيف

مشارك فى تاسيس الطليعة
واسرة تحريرهـا
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢



رؤيـــة ايجـــابية للقـــوة العـــربية

يجب القول بأن موضوع القوة العربيةبات مطروحا بالحاح شديد على راس جدول أعمال جميع الشعوب العربية ، وبخاصة تلك الشعوب القائمة فى قلب المعركة الضارية مع الامبريالية والصهيونية ، وذلك منذ العدوان الاسرائيلى الممتد من يونية ١٩٦٧ حتـى اليوم • وهذا هو ما يجرى فى مصر منذ بعض الوقت • واذا كان من المألوف أن تناقش القوة العربية بوصفها اضافة الى القوة الذاتية المصرية ، فاننا لسنا بحاجة الى التدليل على حقيقة مقابلة ـ ليست أقل صحة ـ وهى أن القوة الذاتية المصرية هى بدورها اضافة حاسمة الى القوة العربية ذاتها • ولعل هذا ، كان وراء حرص بعض القـادة العـرب على الدعوة الى ما سمى بقومية المعركة •

والواقع انه من خلال معالجة موضوع القوة العربية أو قومية المعركة فى علاقتها بالقوة الذاتية ـ وهى علاقة جد دقيقة ـ قد كشفت الممارسة عن اتجاهات متباينة يحسن التمييز بينها خدمة للقضية العربية •

فهناك اتجاه يضع قومية المعركة شرطا للمعركة ، بمعنى أنه اذا لم يجتمع العرب لوضع قوتهم فى خدمة المعركة فلا معركة هناك ، بعبارة أخرى ، فانه اتجاه يضع القـوة العربية شرطا للقوة الذاتية • ومن ثم فانه باسم قومية المعركة ـ وقد يكون مستحيلا تحقيقها ـ تستحيل المعركة أصلا • ومـن حسن الحظ أن القيادة المصرية قد أعلنت منذ زمن بعيد أنها تخطط للمعركة ، حتى لو بقيت مصر وحدها ، وأن القوة العربية بالتالى اضافة قيمة ومطلوبة ، لكنها تظل اضافة فقط •

وهناك اتجاه يضع القوة العربية بديلا من القوة الذاتية ، بمعنى أنه يمكن أن تكون عناصر القوة العربية بديلا من المعركة المحتومة مع العدو ،وبعبارة أخرى ،فانه من الممكن استخدام البترول العربي والارصدة العربية عناصر للضغط ، أعني للمساومة على المصالح المتبادلة مع الامبريالية العالمية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية ـ ومن ثم يحل الصراع العربي الاسرائيلي بغير معركة • ومن حسن الحظ أن القيادة المصرية قد أعلنت منذ زمن بعيد أنه لا بديل للمعركة ، وأن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة . ولقد جاءت احداث السنين الاخيرة لتؤكد تأكيدا صارما ، ما أعلنته القيادة المصرية منذ البداية •

لذلك لا يبقى صحيحا سوى الاتجاه الذي يضع القوة الذاتية لمصر والقوة العربية معا في اطار حركة الامة العربية كلها ـ باعتبار ان الارضية الاصلية للصراع العربي الاسرائيلي هي أرضية التناقض بين الامة العربية الراغبة في التحرر الوطني السياسي والاجتماعي وبين الاستعمار الراغب في السيطرة وفي مواصلة الاستغلال في الوطن العربي • هنا تبدو العلاقة متوازنة ومتبادلة بين القوة الذاتية والقوة العربية • فالشعوب العربية كلها منخرطة في عملية تاريخية واحدة هي حركة التحرير العربية ، أو هي الثورة العربية الشاملة • انها الحركة العارمة لجماهير الامة العربية بكافة شعوبها للقفز من التخلف الى التقدم • وهي الحركة التي يعاديها الاستعمار ويدفع اسرائيل كل حين لضربها وكسر شوكتها أو تصفيتها حتى لا تصيب مصالح الاستعمار بالدمار ، وهذا بالدقة هو ما يجمع بين العرب :•

ولقد كانت ثورة ٢٣ يوليو مثالا حيا يجسد هذه الحركة التاريخية ـ يجسدها للشعب المصري ولسائر الشعوب العربية • فلقد طرحت الثورة منذ البداية قضية التحرر الوطني ، وانتزعت حقها في الاستقلال السياسي كاملا من بين لهيب معركة السويس • وخرجت منها مباشرة تسعى للتحرر الاقتصادي ، وتتطلع لبناء اقتصاد وطني مستقل وحديث • ومن ثم طرحت الثورة قضية التنمية الاقتصادية بكل أبعادها • كان لابد من تصفية التخلف الموروث من عهود الاقطاع والاستعمار • كان لابد من مسابقة الزمن واللحاق بركب العصر الذي يشهد انتصار الاشتراكية على الرأسمالية .فكان لابد من تصفية الاقطاع :ملكية ودولة ومجتمعا • وكان لابد من تصفية المصالح الاستعمارية الاخطبوطية التي تمتص دماء الشعب ، وتحيلها أرباحا سائغة للسادة الاستعماريين عبر البحار .وبالاضافة الى ذلك كان لابد من اتاحة الفرصة للمواطن كي ينعم بخيرات بلاده التي استقلت ، كان يجب أن يتحول الاستقلال الى لقمة عيش حلوة في فم الشعب :•

ومن ثم أهتدت الثورة من خلال الممارسة لمشاكل التحرر الوطني الى طريق التحول الاشتراكي • وتوصلت بذلك الى درس تاريخي صالح لكل الشعوب الفتية مؤداه أن طريق التحول الاجتماعي قد أصبح في ظروف عالم اليوم هو الطريق الوحيد لمواصلة واستمرار الثورة الوطنية ذاتها • فمن خلال تحقيق معدلات عالية لنمو الدخل القومي تسمح بالقضاء على التخلف وتواجه الزيادة المطردة في السكان ، ومن خلال بناء وتدعيم قطاع عام قوي يقود التنمية الاقتصادية كلها ويتحمل المسئولية الاولى في

بناء القاعدة الاقتصادية الصلبة التى تسمح بالتحول الاشتراكى ، ومن خلال قيام تخطيط مركزى يحقق الاستخدام الامثل للموارد القومية المحدودة ويحل محل فوضى التلقائية الاقتصادية للسوق الرأسمالية ، ومن خلال الحرص على تحقيق ارتفاع ملموس فى مستوى معيشة الجماهير الكادحة من العمال والفلاحين وصغار الموظفين والحرفيين — من خلال ذلك كله يمكن النجاح فى تنمية الثروة القومية بارادة الملايين من ابناء الشعب · أن الثورة الوطنية تصبح بذلك ثورة للتحرر السياسى والاجتماعى معا ·

وفى الوقت ذاته ، فلقد طرحت ثورة ٢٣ يوليو قضية الارتباط المصيرى للشعب المصرى بالامة العربية · فالثورة المصرية جزء لا يتجزأ من الثورة العربية ، وهذه الثورة العربية جزء لا يتجزأ من الحركة العالمية المعادية للاستعمار · ومن ثم رفضت الثورة شعار عزلة مصر عن العرب ، شعار التفتت والتمزق · فالثورة الوطنية المعادية للاستعمار لابد بالضرورة أن تتجه نحو الوحدة · ان الاستعمار يريدنا أمة عربية ممزقة لكى تسهل عليه مواجهة شعوبها ·كما أن الرجعية — وراء الحدود المصنوعة — قد استطاعت أن تبنى لنفسها امتيازات طبقية شرهة · ومن هنا — يقول عبد الناصر — فان أمل الوحدة العربية حين يتحقق يصبح تتويجا لكل الامال العربية الاخرى · وبالمثل ، وانطلاقا من المنطق ذاته ، رفضت الثورة شعار الانعزال عن تيار التحرير العالمى ، عن الحليف الطبيعى لحركة التحرر الوطنى العربية ، وهو معسكر الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ·

تلك هى دروس ثورة يوليو العربية · فعلاقة القوة الذاتية بالقوة العربية هى علاقة الوحدة بين المناضلين من أجل قضية واحدة هى : قضية التحرر الوطنى العربى ، هى علاقة وحدة النضال · انها تتمثل فى حتمية تلاحم فصائل النضال الوطنى العربية · ومن ثم تتمثل فى وحدة الجماهير الوطنية على مستوى الوطن العربى كله · وهذه هى القوة الذاتية والقوة العربية معا ، فالشعوب العربية والجماهير العربية والوطنيون العرب هم القوة كل القوة ·

ليست القوة العربية فى البترول العربى ولا فى الارصدة العربية — على الرغم من كل مالهما من أهمية · فهما فى النهاية مجرد سلاحين تستخدمهما القوة العربية · ونحن بذلك لا نقلل من شأنهما كأداة فى أيدى النضال العربى ، لكننا نرفض أن يكونا هما كل أسلحة النضال العربى ، بمعنى أن يحاربا بدلا من العرب · والا فاننا نكون جاهلين تماما بحقيقة المعركة التاريخية الدائرة على طول الساحة العربية — هذه المعركة التى تتلخص فى التناقض الذى لايقبل المصالحة بين الاستعمار العالمى والامة العربية ·

من الممكن أن نخفض انتاج البترول ، أو نرفع العوائد التى تدفعها الاحتكارات الاجنبية عن استخراج البترول ، ومن الممكن أيضا أن تتدفق عدة ملايين من فوائض

الاموال العربية الى بلاد عربية تحتاج اليهاللتنمية الملحة ، أو لاغراض المعركة التي لا تنتهي ، ومع ذلك تبقى المشكلة في الجوهركما هي .

● ● ●

فالمشكلة الحقيقية في البترول العربيوالارصدة العربية انهما لا يوجدان بأيدي الامة العربيــة ، بقدر ما يوجــدان بأيدي الاستعمار الاجنبي ،ومن ثم فان علىالنضال العربي الذى يريد أن يستخدمهما أن يبدأ أولا بأن يحررهما ٠٠ فالبترول تسيطر على انتاجه وتكريره وتسويقه ونقله الاحتكارات الاستعمارية ٠ وهي تتحكم في مراحل دورته الانتاجية جميعها وتستخلص من ورائهــا أرباحا شديدة الاغراء ٠ وعنــدما نمت الحركة الوطنية العربية فطالبت بنصيبها من ثرواتها المنهوبة سلمت الاحتكارات الاجنبية بسياسة المشاركة حتى تجعل من النظم العربية حماة لارباحها على الدوام وتحرم الشعوب من فرص التنمية الاقتصــادية السليمة التي توفر الرخاء والتقدم للملايين المحرومة . لذلك لم يبق سليما ازاء موقف تلك الاحتكارات سوى شعار التأميم فهو وحده الذى يعيد بترول العرب للعرب ،ومهما يكن التــأميم محفــوفا بالصــعاب ــ وهذا صحيح ــ فــان الاعــداد منذ الان ليــوم التأميم عندما يقع هو العمل الصحيح في الاتجاه الصحيح ، وهذا ما فعلــه العراق بنجاح ، وتحاوله الجزائر بتخطيط بعيــد المدى ، وبدأته ليبيا بذكاء شديد ٠ وفيما عدا التأميم والاستعداد للتاميم ، فان استخدام سلاح البترول لا يمكن ان يدخل في عــداد الاسلحة الحاسمة ٠ وعلى العكس فــانه معرض عندئذ لان يدخل في اطار المصالحة مع الاستعمار ، أعني المساومة للحفاظ على مصالحه المهددة في وجه الثورة العربية ــ مقابل الضغط على اسرائيل لتقديم بعض التنازلات للعرب ٠ ولسنا بحاجة للتذكير بأن ما يربط الاستعمار باسرائيل ليس فقط تلك العلاقة العضوية التي تجمع بينهما ــ فهما من نسيج استعماري واحد ــ وانما كذلك تلك الكفاءة الفائقة التي أثبتتها اسرائيل في حماية المصالح الاستعمارية في المنطقة وبأقل التكاليف ٠

● ● ●

وقصة الارصدة العربية هي نفسها قصة البترول العربي وأسوأ وقعا ٠ فــالعوائد البترولية التي تتضاعف عاما بعد عام تدفع بــالدولار والاســترليني ٠ وبــدلا مــن استخدامها في التنمية الاقتصادية الرشيدة للعالم العربي ، يحفظ أغلبها في خزائن البنوك الاوربية والامريكية سعيا في الاساس وراء الافاق ٠ ولذلك فانها تودع أحيانا بلا فائدة ، وأحيانا أخرى بفائدة عكسية يدفعها المودعون العرب أنفسهم ! فكيف يمكن أن يستخدم سلاح الارصدة العربية فــي المعركة ؟ هــل تســحب مــن البنــوك الاستعمارية ، فأين تودع في العالم العربي ؟وهل تستطيع البنوك العربية أن تستوعبها ، أم تعيد استخدامها مرة أخرى في بنوك أوربا وأمريكا ؟ وما هي الشروط التي يمكن قبولها من أجل ايداعها في بلد كمصر ؟ وهل المطلوب ، كل المطلوب ، هو أن يقدم أصحاب هذه الارصدة عــدة ملايين منهــا خــدمة للمعركة أو خدمة للتنمية ؟ كلها تساؤلات ليس من السهل الاجابة عليها ٠ فلابد أن نعرف أن أصحاب هذه الارصدة ما زالوا

يحتفظون بها فى البنوك الاستعمارية على الرغم من الخسائر التى حلت بهم من جراء تخفيض الاسترليني والدولار ، وتعرضهما حتى الان لخطر الانهيار • ويجب أن نعرف أيضا أن أصحاب الارصدة العربية يقدمون على اقراض المنظمات المالية الدولية كالبنك الدولى للانشاء والتعمير مئات الملايين من الدولارات وتوضع الترتيبات للتوسع فى هذه القروض ، فى الوقت الذى يرفض البنك الدولى للانشاء والتعمير أن يقدم لنا عشرات الملايين من الدولارات لاغراض التنمية الملحة ! وأخيرا يجب أن نعرف أن أصحاب الارصدة العربية يضاربون بها فى سوق النقد العالمية ، وأنهم ينتقلون بها بسرعة من بنك الى بنك ومن بلد الى بلد فى اطار السوق الرأسمالية العالمية المفتوحة أمامهم • **لذلك فان الارصدة العربية توجد هناك وستظل هناك ـ اللهم الا الفتات ـ طالما لم توضع هذه الارصدة فى اطار الحركة التاريخية العربية الواحدة ، حركة التحرر والاشتراكية والوحدة** • اننا نعنى بذلك أن توضع فى خدمة التنمية الاقتصادية ـ على ان تكون تنمية مخططة تستفيد على الفور من كل عوائد البترول قبل أن تجف آباره ، وعلى أن تكون تنمية مشتركة تبنى وتدعم اقتصادا عربيا موحدا وسوقا عربية واحدة تحاول بجدارة ان تجد لها مكانا فى عالم العمالقة •

● ● ●

هكذا يمكن أن يقضى بالفعل على التخلف العربى وينطلق الانسان العربى الجديد • أن القضاء على التخلف ليس أبدا عملية تكنولوجية ، لكنه عملية ثورية ، عملية تحررية • ان عملية التحرير الاقتصادى للثروات العربية من براثن الاحتكارات الاستعمارية • ومن ثم فانه حركة وطنية عارمة ، حركة جماهيرية بالضرورة . وعندما يوضع البترول العربى كله وتوضع الارصدة العربية كلها فى خدمة العرب • ومن الواضح أن نقطة البدء فى ذلك كله هى التركيز على ضرب المصالح الامريكية فى الوطن العربى ضربا موجعا ، وهو ما أجمعت على ضرورته كل الاراء المستنيرة فى جلسات الحوار •

● ● ●

ان المبدأ السليم الذى اختطته القيادة المصرية منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ وهو التركيز على العدو الرئيسى وهو الاستعمار الامريكى واسرائيل ، وما يقتضيه ذلك من تنقية الجو العربى من الخلافات ، لا يمكن أن ينفى أن هناك رجعية عربية ان لم تكن مصالحها تتحد بالاستعمار فهى تلتقى معه •

ومن الضرورى ونحن نحسب حساب القوة العربية الا نخلط بين الرجعية العربية والامة العربية • بل علينا بحكم التجربة المريرة لثورة يوليو أن نكون على حذر من أن تلعب الرجعية العربية دور الاغراء ، أعنى القيام باستدراج الامة العربية الى فراش الاستعمار الجديد • لكل ذلك فاننا نكون سعداء الحظ اذا نجحنا فى الزامها جانب

الحياد فى المعركة المصيرية التى تفصل بين الوطنيين العرب من جانب والاستعمار واسرائيل من جانب آخر •

● ● ●

ومرة أخرى فان القوة العربية ، هى فى الانسان العربى ، فى الشعوب العربية ، فى الوطنيين العرب ، فى الحركة الجماهيرية العربية المعادية للاستعمار واسرائيل والراغبة فى تحرير ارادتها وثرواتها من السيطرة الاستعمارية والعدوان الاسرائيلى المتكرر. ولذلك يتجه اهتمامنا الرئيسى نحو هذه الحركة الجماهيرية • ان القوة العربية تتضاعف كلما أمكن توجيه اهتمام جدى وفعال نحو تدعيم وتوحيد الحركة الوطنية العربية • وعلى سبيل المثال ، وبغير أدنى تفريط فى أى عنصر قوة يمكن أن يوجد بأيدى العرب ، فاننا نعرض المهام التالية بوصفها عناصر حاسمة فى القوة العربية :

أولا – تدعيم حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها الحركة الوطنية المسلحة للشعب الفلسطينى من أجل تحرير الارض الفلسطينية من الاحتلال الاسرائيلى المسلح ، ورفض كل وصاية على تصرفاتها ، وكفالة حركة العمل الفدائى فى جميع الاراضى العربيه وبالذات فى الاردن • ان حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره انما يفترض ايضا مسئوليته كطرف اصيل فى الصراع العربى الاسرائيلى •

ثانيا – بذل جهود جديه من اجل وحدة القوى الوطنية العربيه ، بوصفها الصيغة الوحيدة والسليمه التى تقتضيها المواجهة الشاملة مع الاستعمار واسرائيل ، وهى الصيغة التى يمكن أن تضع جميع اهداف المعركة العربية ، السياسية والاجتماعيه والوحدوية ، فى خط واحد • وبالطبع فانه لن يمكن ان تكون هناك وحده قوى وطنية على المستوى العربى الا اذا كانت هناك وحدة قوى وطنيه فى كل بلد عربى على حدة • وكما قال عبد الناصر ، فان الحركات الوطنية التى لا تبنى قواعدها الاساسية فى أوطانها ومع جماهيرها لا تستطيع أن تقدم للعمل الوطنى الموحد أو تضيف اليه • ولاشك أن هذه مسئولية الاحزاب والتنظيمات والعناصر الوطنية والتقدمية العربية جميعها • واذا كانت هذه القوى قد توصلت بالفعل الى صيغة جنينية للوحدة وذلك من خلال « الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية » فان الخطوة التالية هى ضرورة أن تتحول الى جبهة وطنية عربية شاملة وفعالة ضد الاستعمار واسرائيل •

ثالثا – تحريك الجمود الذى يوجد فيه اتحاد الجمهوريات العربيه ومحاوله توسيع هذا الاتحاد لكى يضم جميع الدول التى تطرح خط الحركة العربية الموحدة ، خط وحدة النضال الشامل من أجل التحرر الوطنى • وبالمثل كذلك الحرص على الوحدة الوليدة بين مصر وليبيا وترسيخ بداياتها التى تمثلت فى اعلان الوحدة • ان مصر التى رفضت شعار الوحدة بأى ثمن ، وبأى شكل ، قد رفضت أيضا شعار العزلة والتفتت العربى • وكلما اتخذت خطوات الوحدة خط النضال المشترك ضد الاستعمار والصهيونية • كلما تعمقت جذورها وبدت حيويتها وتأكدت ضرورتها الحاسمة • فالوحدة فى نهاية الامر عملية نضالية وليست نصا ولا شكلا • وهى بالتالى عملية جماهيرية واعية وليست قرارا بالوحدة • والوحدة لذلك عملية طويلة ، تستغرق

بالضرورة كل الزمن الكفيل – مع الوعي – بالتغلب على عناصر الفرقة وتعميق عوامل واتجاهات الوحدة . ولهذا لا يمكن الا أن تكون الوحدة تعبيرا عن ارادة جماهيرية حقة ، أي انها لا تكون الا عملا ديمقراطيا ، تحتضنه وتحرص عليه نفس الجماهير التى تتولى فى كل بلد على حدة النضال ضد الاستعمار والصهيونية . مثل هذه الوحدة بوصفها عملية نضالية لابد أن تجيء بالضرورة اضافة نوعية للقوة العربية .

● ● ●

لكل هذا ستظل القوة العربية الحقة تكمن فى قوة الحركة الجماهيرية العربية الهائلة المعادية بحزم للاستعمار واسرائيل . وهى الحركة التى تضم بالطبيعة كل الشعوب العربية بعمالها وفلاحيها وحرفييها ومثقفيها ورأسمالييها الوطنيين . ان تجمع هذه القوى والدخول بها فى نضالات متصلة ضد الاستعمار واسرائيل كفيل فى النهاية بتحقيق أمرين على اكبر جانب من الاهمية :

أولهما : تنمية القوة العسكرية ذاتها باضافات جديدة تبدعها الشعوب المناضلة .

ثانيهما : تعبئة كافة الاسلحة المتاحة تحت تصرف العرب وحسن استخدامها فى المعركة . وهنا بالتحديد يكون موضع الحديث المفيد عن استخدام البترول العربى والارصدة العربية بوصفهما جزءا لا يتجزأ من استراتيجية شاملة – وموضوعة سلفا – للتحرر الوطنى للشعوب العربية .

« الطليعة »

تأميم البترول في ليبيا

خطوة هامة

على

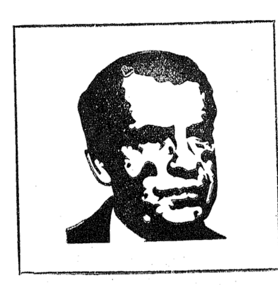
طريق طويل

د٠ محمد عجلان

تبلغ المساحة الكلية للجمهورية العربية الليبية ٦٨٠ر٠٠٠ ميل مربع ، كما يبلغ عدد سكانها ١ر٨٠٢ر٠٠٠ نسمة حسب آخر تقديرات للامم المتحدة في ١٩٦٨ ٠

ولان الارض الليبية جزء من الهضبة الكبرى التي تخترق دول المغرب العربي ، فانها ارض جبلية صحراوية ، عدا الواحات ، والشريط الساحلي المتاخم للبحر الابيض ، والذي يتسع في شمال المغرب ، ولكنه يضيق كلما اتجهنا شرقا بحيث يكاد ينعدم وجوده في بعض المناطق على الساحل الليبي والساحل المصري غرب مرسى مطروح ٠ والامطار خفيفة جدا ولذلك تتضاءل المساحات الزراعية بحيث أنه مع الندرة النسبية في عدد السكان مقارنا بالمساحة المتاحة فان الاقتصاد الليبي تميز فيما قبل اكتشاف البترول بكونه اقتصاد زراعي رعوي ، ينتج كميات من الشعير





والقمح والزيتون والفاكهة ، كما تتوافر بنسبة ـ بصورة نسبية ـ ثروة حيوانية قوامها الضأن والماعز والجمال وقليل من الابقار .

ونظرا للطبيعة المتخلفة لذلك الاقتصاد ، وللرغبات الاستعمارية الايطالية فقد تمت سيطرة اجنبية شبه كامله على التجارة الخارجية والصناعات الخفيفة النامية فيها . وظلت البلاد تعانى عجزا مستديما فى ميزانيتها السنوية العامة مما يدفعها الى البحث عن القروض والمساعدات لدى الدول الاخرى ، وهيأ بهذا لسيطرة استعمارية على سياسة البلاد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بانهيار ايطاليا ، وحلول انجلترا وامريكا مكانها .

بدء ظهور البترول

وظهرت الملامح البترولية للبلاد فى أوائل الخمسينات ، وكان هذا بداية لتغيرات عديدة فى الصورة الاقتصادية ، وان لم ينعكس بأى شكل فى الجانب السياسى نظرا لاستمرار السيطرة الاستعمارية ، ونشوء هذه التحولات الاقتصادية فى ظل سيطرة شركات الدول الاستعمارية ذاتها .

فى شتاء عام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ منحت ليبيا امتيازات للتنقيب عن البترول لعدد من الشركات الامريكية وغيرها . وبحلول عام ١٩٥٩ كانت هناك خمس عشرة شركة اجنبية معظمها امريكية وبريطانية وفرنسية لديها حقوق امتياز للتنقيب عن البترول فى ليبيا .

ولا يجوز أن يمر تاريخ عام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ هذا دون ملاحظة . فقد جاء فى اعقاب ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، ودعوتها النشيطة لابراز فكرة القومية العربية وضرورة الارتباط بعرب المشرق الدينى وجدت اسرائيل لتحجز ما بين مصر وبينهم ، وفى أعقاب تأميم البترول الايرانى على يد مصدق واحتمالات أن تجد شعارات «بترول العرب للعرب» من يضغط أو يقوم بوضعها موضع التطبيق .

لقد بدأت عمليات البحث فى ليبيا (وكذلك فى الجزائر) فى الواقع منذ ١٩٥٤ ، ويمكن ان يلاحظ من الجدول التالى (رقم ١) كيف كان الاهتمام حثيثا بالبحث والتنقيب وحفر الآبار خلال استعار أزمة العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ وما بعدها ، حتى اذا وصلت الامور بمنطقة السويس فى شرقها وغربها الى شبه استقرار ، تضاءل نشاط الاستكشاف معبرا عنه فى عدد العاملين أو كميات الحفر .

ولم تكن الامتيازات التى حصلت عليها الشركات فى ليبيا لتختلف فى طبيعتها عن نوع العقود السارية فى المنطقة العربية . من النص على مبدأ مناصفة الارباح ـ وقد كان أمرا واقعا فى كل المناطق البترولية ـ الى طول مدة الامتياز حتى ستين عاما ، والى السماح باستيراد مستلزمات الحفر والتنقيب والاستغلال دون رسوم جمركية ، والى تخلى الشركات عن ٧٥ فى المائة من المساحة الابتدائية الممنوحة تدريجيا وبعد خمس سنوات من منح الامتياز . وطبيعى أن تعانى عقود الامتياز تلك من نفس النقائص التى ميزت كل العقود العربية فى ذلك الوقت من عدم سيطرة الجانب الوطنى على معدلات العمل وتقدمه بل ان يخضع ذلك كليا لرغبة الشركات ، ومن عدم امكان التفتيش والمراجعة « الفعلية » على الشركات فى التكنولوجيا التى تستخدمها ، ونظم قيد حساباتها المالية ، ومن أشتراط انفاق قدر من الارباح المحققة فى البلد مانح الامتياز ، وعدم امكان المشاركة فى اتخاذ القرارات الهامة او تدريب الكادر الوطنى او حتى امكان التصرف فى البترول المستخرج بل ملكيته ملكية كاملة للشركة صاحبة الامتياز بحيث تستطيع اذا ارادت ان تسوقه فى اسرائيل العدو الاول لجميع العرب .

وشجع هذا النوع من الامتيازات بالاضافة الى رغبة الاستعمار فى تنويع مصادر الامداد بالبترول بعد أزمة ١٩٥٦ ، والى دخول الشركات المستقلة ـ ويقصد المستقلة عن الشركات السبع العملاقة المسيطرة على البترول العالمى ـ حقل البحث عن

جدول رقم [١]
المعدلات الاولى للتنقيب عن البترول فى ليبيا

السنة	١٩٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠
رجل\شهر لفرق البحث والتنقيب	١٠	٧٠	٢٥٢	٦٢١	٩٨٩	٦٧٥	٨١٤
كمية الحفر الاستكشافى ١٠٠٠ قدم مكعب	—	—	٩	٢٩	١٥٧	٣٤٣	١٤٢

البترول خارج بلادها الاصلية • ومعظمها أمريكية ـ الى ان تمنح ليبيا خلال احدى عشر عاما ١٣٦ امتيازا للتنقيب عن البترول لعديد من الشركات تعمل كلها فى أربع مناطق رئيسية منتجة للبترول • **لقد وصل عدد هذه الشركات فى ١٩٦٧ الى ٤٢ شركة منها ٢٢ أمريكية ، ٦ ألمانية ، ٣ برووس أموال انجليزية وهولندية وفرنسية ، وواحدة ايطالية وواحدة سويسرية وواحدة أسبانية** • ولكن العاملات بالتصدير منها كانت ٢٣ شركة فقط أهمها شركات أموسيز أموكو ليبيا أويل ، اكويتان [ليبيا] ، بى بى للتنقيب ، تلسون ـ بنكر ـ هنت ، واسوسرت ، واسو ستاندرد ليبيا ، وجلسنبرج بنزين موبل أويل ليبيا ، واوكسيدنتال بتروليم ، وأويست أويل فيليبس بتروليم •

ولكن ما ان قامت ثورة سبتمبر ١٩٦٩ حتى انخفض عدد تلك الشركات على الفور فى نوفمبر من نفس السنة الى ٢٠ شركة عاملة ، تعتبر اوكسيدنتال اكبرها اذ يبلغ انتاجها ٢٠ فى المائة من جملة انتاج البترول الليبى تليها مجموعة أويسس ثم أميرادا ـ كونتننتال ـ ماراثون •

ولسنا بحاجة الى الافاضة فى مدى الارباح التى حققتها تلك الشركات فى حقل استخراج البترول الليبى ، فذلك شأنها فى كل مناطق البترول العربية • والحقائق فى هذا المجال عديدة كثيرة • وقد يكفى أن نذكر فى حالة البترول الليبى بالذات أن نذكر أن **شركة أكسيدنتال التى بدأت العمل فى ليبيا برأسمال متواضع قدره ١٢٠ الف دولار ، والتى كانت مغمورة لا يكاد يسمع بها فى حقل انتاج البترول • ارتفع ذلك الرأسمال فى مدى عشر سنوات الى ٢٠٠٠ مليون دولار** (١) جزؤه الاكبر من عملياتها فى ليبيا والعمليات المترتبة على البترول الليبى بعد استخراجه • وهى بعينها هذه الشركة المغمورة ـ فيما مضى ـ الـ[illegible] تقود الجانب الامريكى حاليا فى اتفاقاته لاستخر[illegible]ج ونقل الغاز السوفيتى من سيبيريا تلك العملية التى تدخل أرقامها فى حدود مليارات الدولارات •

وان كانت أرباح الشركات أمرا مفروغا منه الا أن عملياتها تميزت فى ليبيا بمميزات خاصة • فهى من ناحية لم تعترف للبترول الليبى بأى ميزة خاصة رغم التكلفة المنخفضة بالنسبة لغيره فى الاستخراج حيث ترتفع نسبة الابار التى يفيض منها البترول دون حاجة الى الضخ الى حوالى ٧٠ فى المائة من جملة الابار العاملة ، وحيث يزيد متوسط أنتاج البئر الواحد يوميا عن ٢٠٠٠ برميل ، تلك الصفات التى يندر أن توجد فى عديد من مناطق البترول • كما لم تعترف بميزة خاصة ازاء المواصفات النادرة للبترول الليبى من حيث انخفاض محتواه من الكبريت الى صورة متضائلة تجعله دون منافس فى ماكينات الاحتراق الداخلى ومن حيث نسبة المقطرات المختلفة فيه . [انظر جدول ٢] والتى تعطيه بالفعل قيمة أعلى عند التسويق . يضاف الى تلك الميزات قربه الشديد من أكبر المناطق المستوردة للبترول وهى أوربا الغربية الامر الذى ينخفض بتكلفة نقله حتى روتردام الى ١٠ سنت للبرميل مقارنا بحوالى ٨٠ سنتا لبترول منطقة الخليج •

استغلال البترول الليبى

ضد الصالح العربى

لقد استفادت الشركات من هذه الميزات الخاصة للبترول الليبى دون عائد مقابل لاصحاب الثروة الاصليين • واتسمت سياستها كذلك ـ من بعد

جدول رقم [٢]
مواصفات البترول الليبى

الحقل	درجة الجودة	كبريت ٪ بالوزن	بنزين ومقطرات خفيفة	منتجات وسطى	مازوت
سيدر	١ر٤٢	٣٧ر٠	٥ر٣٢	٥ر٣٢	٣٥
بوبقة	٢ر٣٩	٢١ر٠	١٥ر٢٦	٧ر٣١	١٥ر٤٢
الحريقه	٤ر٣٧	١٦ر٠	٧٥ر٢٠	٢٧	٢٥ر٥٢

(١) الاهرام ـ فى ١٩٧١/٢/١٦

دولها الاستعمارية ــ بجعل البترول الليبي أداة للتخلص من اي ضائقة تصيب ــ أو قد تصيب ــ الاستعمار في باقي أجزاء المنطقة العربية · لقد أشرنا الى ذلك الاهتمام الذي بدأ ببترول شمال افريقيا في توقيت ــ لا يمكن أن يكون مصادفة ــ مع أزمة عام ١٩٥٦ · ويمكن أن يلاحظ من الجدول رقم [٣] عن احصائيات استخراج البترول الليبي عدد من الظواهر · **فالزيادة السنوية في الانتاج ظلت تنخفض منذ اوائل الستينات حتى عام١٩٦٧ حين عادت الشركات الى رفع انتاجها بدرجة كبيرة بعد اغلاق قناة السويس**·كما أن استنزاف البترول كان مبدأ يحافظ عليه من جانب تلك الشركات كما توضحه أرقام نسبة الاحتياطي الى الانتاج · ولقد شهد عام ١٩٦٧ ارتفاعا ضخما لهذا الرقم نتيجة اكتشاف البريتيش بتروليم لمستودع كبير جدا في المنطقة الشرقية قريبا من الحدود الليبية المصرية ، واكتشاف شركتي بي بي البريطانية وبنكر هنت الامريكية لحقول هامة بالقرب من سرير · ولكن عادت نسبة الاحتياطي الى الانتاج للتنازل مرة أخرى بعد ذلك التاريخ ·

وتخريب الاقتصاد الاصلي للبلاد

وطبيعي أن **تطبق الشركات في ليبيا** نفس المبدأ الذي تطبقه في مناطق أخرى حيث يقتصر دور الدولة على دور جابي الاتاوة عن البترول المستخرج دون نفاذ بصيرة الى ما يمكن أن يحدثه البترول من انتعاش اقتصادي اذا ما تم ربطه بالاقتصاد الوطني ، واستعمل كباعث للحياة في جوانب هذا الاقتصاد · ولعلنا نذكر في هذا الصدد اتفاقية الخط الاحمر التي عقدت في١٩٢٨، وظل احد بنودها الهامة ساري المفعول حيث تسيطر الشركات الاستعمارية حتى اليوم · ونعني به ذلك التفاهم بين الشركات العملاقة الكبرى على ألا يقام بالمنطقة العربية (المحاطة بخط احمر على خريطة الاتفاق ــ وكانت تشمل معظم المنطقة شرق السويس عندئذ) أي صناعة للتكرير تزيد عن احتياجات الاستهلاك المحلي ، وألا تنشأ الا بواسطة تلك الشركات أوما يتفرع عنها فحسب ·

وتتكرر الصورة تماما في ليبيا ، وذلك عندما أعلنت اثنتان من الشركات المنقبة عن البترول هما الشركة الليبية ــ الامريكية ومؤسسة جريس عن تنازلهما لشركة اسو عن بعض امتيازاتها في حقل السرت ــ وكأنها أملاكها الخاصة دون اعتبار للجانب الوطني أو تدخل منه في الواقع ــ بحجة أنهما تجدان صعوبة في ايجاد أسواق تجارية خارجية لتسويق النفط الذي قد يعثر عليه · والتقطت اسو التنازل والدراسات التي كانت تلك الشركات قد قامت بها لانشاء مصفاة للبترول ، واختارت اسو مرسى البريقة التي كانت قد قامت ببنائه للاستفادة من الخدمات الموجودة به · وصممت المصفاة بصفة أساسية لمواجهة حاجة الاستهلاك المحلي من المشتقات البترولية المختلفة بطاقة انتاجية قصوى قدرها ٩٥٠٠ برميل في اليوم ، ولكن شغلت بطاقة انتاجية قدرها ٨٠٠٠ برميل فقط · لقد كان الاستهلاك المحلي في حدود ٦٠٠٠ برميل في اليوم خلال عام ١٩٦٦ ، ولكن التغيرات الاقتصادية الداخلية ونمط الاستهلاك نتيجة الوافد البترولي الجديد ارتفع بالاستهلاك سريعا الى حوالي ١١٠٠٠ برميل يوميا في ١٩٦٧

جدول رقم [٣]
بعض احصائيـــات استخراج البترول الليبي واحتياطياته [٢]

السنة	الانتاج الف برميل يوميا	مليون برميل في السنة	نسبة الزيادة في الانتاج الى السنة السابقة	الاحتياطي مليون برميل	الاحتياطي/ الانتاج
١٩٦٣	٤٦٥	١٦٩ر٧		٥٠٠ر٤	٢٧ر١
١٩٦٤	٨٦٠	٣١٣ر٩	٪٨٥	٧ر٠٠٠	٢٢ر٣
١٩٦٥	١ر٢٢٠	٤٤٥ر٣	٪٤١	٩ر٠٠٠	٢٠
١٩٦٦	١ر٥٠٥	٥٤٩ر٣	٪ ٢٣	١٠ر٠٠٠	١٦ر٩
١٩٦٧	١ر٧٤٥	٦٣٦ر٩	٪١٦	٣٠ر٠٠٠	٣١
١٩٦٨	٢ر٦٠٠	٩٤٩ر٠	٪٤٩	٢٩ر٠٠٠	٣٠ر٥
١٩٦٩	٣ر٥٠٠	١ر٢٨٠ر٠٠٠	٪٣٥	٣٠ر٠٠٠	٢٣

[٢] بترول الشرق الاوسط والخيال الغربي — سام ه شور ؟ وبول ته هومان

والى ١٨٠٠٠ برميل يوميا فى ١٩٧٠ ، وصار على ليبيا أن تستكمل احتياجاتها من منتجات البترول من الخارج •

وعلى عكس ما تفترضه القواعد الاقتصادية فى الدول التى تنمو نموا طبيعيا من أن يكون اكتشاف مصدر جديد للثروة فى المجتمع نقطة انطلاق لدفع جديد لجوانب الاقتصاد القومى كله ، نجد أن اكتشاف البترول في ليبيا ـ شأنه شأن باقي البلاد العربية المنتجة للبترول فى مراحل نموها المختلفة ـ قد أدى على العكس الى شبه البوار لاوجه الاقتصاد القومى السابقة • فالنشاط البترولى الجديد وحاجته لليد العاملة من ناحية ، واغراء الاجور المرتفعة من ناحية أخرى ساعد على جذب اليد العاملة المتاحة من كل من الزراعة والرعى • يضاف اليها نشاط الخدمات التجارية والتموينية حول مراكز الحركة الجديدة • كل ذلك قد أدى الى شبه انهيار لنواحى الاقتصاد الاخرى ، بحيث تحولت ليبيا وقد كانت تتمتع بشبه اكتفاء ، بل وقدرة تصديرية ، الى مستوردة المواد الاساسية للغذاء ، وزاد نشاط الخدمات من تجارة وتوزيع لسلع اغلبها مستورد •

كما عملت الدوائر الاستعمارية على اذكاء نشاط المشروعات البراقة الخلابة مثل بناء عاصمة جديدة ، وانشاء مدارس ومراكز للخدمات قد تبدو البراءة فى اقتراحها ، كما يزينها صورة الحضارة الحديثة فيها ، ولكن هى ما لا يتلاءم مع مستوى المجتمع او اطار للتطور فيه لا تمثل الا أبوابا للانفاق ترجو منها القوى الاستعمارية أن تسترد باليمين ـ عن طريق تولى شركاتها لهذه الاعمال ـ ما دفعت ثمنا للبترول بالشمال •

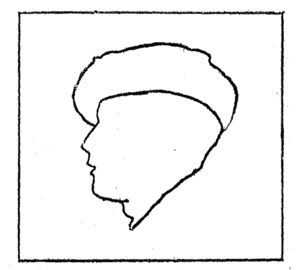
والنتيجة ان يصبح الاقتصاد معتمدا اعتمادا كاملا على البترول وعوائده فحسب ، بحيث قد تزول مقومات الحياة من تلك الدولة يوم ينتهى البترول ، وبحيث تصبح عوائد البترول طوقا من الاسر تربط به الشركات الاستعمارية سياسات تلك البلاد ومجال حركتها ونشاطها •

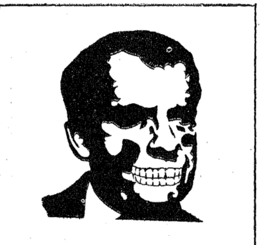
سبتمبر ١٩٦٩ فاتحة جديدة

انه بالاضافة الى كل مميزات الاستغلال الاستعمارى فى قطاع البترول الذى تعانى منه جميع البلاد المنتجة له ومن بينها ليبيا ، فانه قد تجمع لهذه الاخيرة من العوامل الاضافية ما كان يلزم بأن يكون لثورة سبتمبر ١٩٦٩ سياسة مختلفة جديدة ، وبأن تكون عينها على البترول الليبى من لحظة قيامها ، بل وفيما قبل ذلك •

لقد ارتبطت ثورة ليبيا منذ الاعداد لها بالناصرية حيث مثلت دائما عداوة أصيلة للمصالح الاستعمارية فى المنطقة ، ودعوة للقومية العربية ، بينما ليبيا كانت تعانى من احتلال عسكرى استعمارى استهدف حماية المصالح الاستعمارية فى ليبيا ذاتها ، وجعل منها قاعدة عسكرية للاحلاف العربية اكثر منها دولة عربية مرتبطة بالمصير العربى •

ووجدت الثورة الليبية ان الاستعمار يستعمل البترول الليبى للضغط على القوى البترولية العربية وخنق واسكات أى محاولة تغيير فى منطقة





الخليج العربى ـ وان اقتصرت المحاولات عندئذ على مجرد مطالبة بتغيير السعر رفعا له او تعديل أسس حسابه ـ تدفع بالبحث والتنقيب فى ليبيا عند أى أزمة أو بوادر أزمة فى الخليج ، وترفع من انتاجه ليعوض أى نقص هناك ، ولترحب بأن أى انقاص أو تدخل فى معدلات الاستخراج يمكن تعويضه من هذا المصدر الفتى الجديد ·

وجاءت الثورة الليبية بعد يونيو ١٩٦٧ والصدور العربية كلها تدمى من جرح الهزيمة ، وتود طريقا للثأر من الاستعمار · **ووجدت ان الهدف الاستعمارى كان استنزاف البترول الليبى** بحكم عديد من الاعتبارات بحيث كانت نسبة الاحتياطى الى الانتاج أقل نسبة فى البلاد العربية · **ووجدت ان البترول وما أتى به من مكاسب قد تحول الى ارباح تستعيدها نفس البلاد الاستعمارية** فى صورة سلع اغرقت بها السوق الليبية ، والى مكاسب شخصية فى جيوب طبقة من الحكام وأذنابهم تنفقها فى سنة ، وفيما لا يعود على البلاد بأى خير · ووجدت سلاح الرشوة وقد استعملته كل الدوائر الغربية ، تقدم لبعض الافراد ملايين على صورة ودائع فى الخارج ليبيعوا لهم مشروعات بمئات الملايين تنهب بهـا شركات الاستعمار ثروة البلاد ·

قابلت ثورة ليبيا كل هذا ، وكانت ظروفا تلزم بأن تأخذ موقفا جديدا · واستطاعت ان تحقق فى مجال البترول عددا من النجاحات لم يقتصر أثرها على ليبيا وحدها ، بل تعداها الى باقى البـلاد العربية المنتجة للبترول ·

فاوضت من أجل رفع الاسعار عامة ، ونجحت فى ذلك · وطلبت الاعتراف بمقابل مادى نظير الميزات الخاصة التى يتميز بها البترول الليبى من الناحية النوعية او الجغرافية ، وتحقق لها ذلك · وتدخلت لضبط معدل الانتاج ما لم تحقق الشركات جهدا فى الاستكشاف ورفع الاحتياطى البترولى · وفاوضت من اجل رفع قاعدة مناصفة الارباح لصالح الجانب الليبى ·

لقد كفلت اتفاقية السنوات الخمس التى عقدت بين ليبيا وجميع شركات البترول الرئيسية العاملة فيها والتى عقدت فى ٢١ مارس ١٩٧١ عددا من المكاسب أهمها :

ـ وضع سعر أدنى لخام البترول المنتج ، ذى كثافة ٤٠ درجة حسب مواصفات معهد البترول الامريكى بأن يصبح السعر ٣٫٣٢ دولارا للبرميل

ـ اصبح مجموع الضرائب على أرباح الشركات مستقرا على ٥٥ فى المائة بدلا من ٥٠ فى المائة ·

ـ شمول الاسعار الجديدة للبيع على ١٠ سنت لكل برميل كمقابل لانخفاض نسبة الكبريت التى يتمتع بها البترول الليبى ·

ويصبح من الانصاف وحسن تقييم الامور أن نقرر ان هذا الجهد الليبى من ناحيه ، واقدام الجزائر على تأميم والسيطرة الكاملة على ٧٠ فى المائه من ثروتها البترولية فى ١٩٧١ ، كانا خلفهما وراء النجاح الذى تحقق لكل الدول المصدرة للبترول فى اتفاقية طهران عام ١٩٧٢ مع الشركات الاحتكارية الكبرى من حيث رفع الاسعار بدرجة كبيرة نسبيا ، والقبول بقاعدة مشاركة الجانب الوطنى فى رؤوس أموال الشركات العاملة ، وعديد آخر من النجاحات تمثل قمة ما وصلت اليه هذه الدول فى علاقاتها مع الاخطبوط الاحتكارى العالمى ·

وأممت ليبيا شركة البترول البريطانية فى ١٩٧١ اثر احتلال ايران لجزائر الخليج العربى الثلاث · ومع ان التأميم كان لجزء من حقل سرير ـ على اهميته ـ ويمثل نسبة ليست كبيرة من البترول الليبى ، الا أن كل تأميم للمصالح الاحتكارية الغربية فى البلاد العربية لابد وأن يشاد بها · لقد كان ذلك التأميم ـ على جزئيته فى أوضاع ليبيا البترولية ـ هو الجسر الذى عبر عليه الكفاح العربى من تأميمات الجزائر فى ١٩٧١ الى تأميم البترول العراقى فى ١٩٧٢ ·

لقد استطاعت ليبيا أن تحقق لبترولها أعلى سعر فى المنطقة العربية ، وأعلى سعر فى كافة الدول المصدرة بعد فنزويلا كما يوضحه الجدول رقم [٤] ·

عوامل القوة فى الموقف الليبى

ويثور السؤال كثيرا عن عوامل القوة التى تستند اليها ليبيا فى تصديها للشركات الاستعمارية فى بلادها على هذا النحو المتكرر خلال السنوات الاخيرة ؟

ومع التسليم بأن هناك عوامل خاصة تدعم الموقف الليبي يمكن ايجازها فى [٤] :

– جودة الخام الليبي بحيث تضعه فى مركز لا ينافس بسهولة نتيجة انخفاض الكبريت ونسب المقطرات ، وهما صفتان مطلوبتان بشدة فى أسواق أوربا وأمريكا واليابان •

– قربه من الاسواق الاوربية بحيث يشكل ٣٠ في المائة من البترول السريع النقل اليها •

– وجود شركات لا يكاد يكون لها نشاط بترولي خارج ليبيا وتنتج مع بعضها حوالى ٦٠ فى المائة من البترول الليبي بحيث تجبر خوفا من تقلص نشاطها الى درجة العدم على القبول بشروط الدولة المضيفة •

– تدعم المركز المالى الليبي المتمثل فى وجود احتياطي مالى قوى • يتيح التشدد لفترات طويلة نسبيا بدون خوف على الاحوال الاقتصادية الداخلية •

جدول رقم [٤]
الإسعار المعلنة للبترول الخام العربي والعالمي [٣]
[اعتبارا من أول ابريل ١٩٧٣]

البترول الخام	الكثافة	الميناء	السعر المعلن على ظهر السفينة دولار – برميل
الجزائر	٤٠ — ٤٤ر٥٠	ارزو	٢ر٦٦٥
ليبيا			
بترول البريقه	٤٠ — ٤٠ر٠٩	مرسى البريقه	٤ر٠٢٤
بترول ليبى خفيفة	٤٠ — ٤٠ر٠٩	رأس لنوف	٤ر٠٢٤
بترول ليبى ذو درجة انسكاب عالية	٤٠ — ٤٠ر٠٩	» »	٣ر٧٧٧
العراق			
بترول البصره	٣٥ — ٣٥ر٠٩	خور العميه	٢ر٧١١
» شمال العراق	٣٦ — ٣٦ر٠٩	طرابلس / بانياس	٣ر٧١٢
الكويت			
بترول الكويت	٣١ — ٣١ر٠٩	الاحمدى	٢ر٦٢٦
السعودية			
بترول عربى خفيف	٣٤ — ٣٤ر٠٩	راس تنورة	٢ر٧٤٢
بترول عربى متوسط	٣١ — ٣١ر٠٩	» »	٢ر٦٢٦
بترول عربى ثقيل	٢٧ — ٢٧ر٠٩	» »	٢ر٤٨١
قطـــر			
بترول قطر	٤٠ — ٤٠ر٠٩	أم سعيد	٢ر٨٦٢
بترول قطر [المغمورة]	٣٦ — ٣٦ر٠٩	جزيرة هلول	٢ر٧٦٦
ابو ظبى			
بترول مربان	٣٩ — ٣٩ر٠٩	جبل الظفه	٢ر٨٠٨
عمـــان			
بترول عمان	٣٣ — ٣٣ر٠٩	الفحـــل	٢ر٧٧١
ايـــران			
بترول ايرانى خفيفة	٣٤ — ٣٤ر٠٩	بندر ماشور	٢ر٧١٦
» » » »	» » » »	عبـــادان	٢ر٦٥٧
بترول ايرانى ثقيل	٣١ — ٣١ر٠٩	جزيرة خارك	٢ر٦٧٤
» » » »	» » » »	عبـــادان	٢ر٦١٤
نيجيريا			
بترول نيجيرى خفيفة	٣٤ — ٣٤ر٠٩	بـــونى	٣ر٧٨٧
بترول نيجيرى متوسط	٢٧ — ٢٧ر٠٩	» »	٣ر٦٥٩
بترول نيجيرى تصدير	٣٤ — ٣٤ر٠٩	فور كادوس	٣ر٧٨٧
بترول نيجيرى خفيف	» » » »	بنتجتون	٣ر٧٨٧

[٣] عن مجلة نفط العرب عدد يونيو ٧٣
[٤] الاهرام ٧١/٣/١٦ ، والاهرام فى ٧٣/٩/١٤ للاستاذ صلاح منتصر

نقول بأن هذه عوامل تدعم الموقف الليبى وتعطيه قوة اضافية ، وتجعله قادرا على النجاح فى معاركه . ولكنا نرجو أن نرجع الاسباب الرئيسية فى نجاح ليبيا حاليا ، ونجاح العراق بالامس القريب فى خطوة أكبر من الخطوة الليبية الحالية الى عوامل آخرى نرجو أن نوضحها فيما يلى :

أولا : انطلاق الثورة الليبية فى هذا الصراع ـ ومن قبلها الجزائر والعراق ـ من موقف المعاداة للمصالح الامبريالية فى المنطقة العربية ، والرغبة فى تصفيتها . ذلك الموقف الذى يلعب دوره من ناحية فى جذب الجماهير العربية كافة لمساندتها وتأييدها ، بحيث أنه يجبر أشد مؤيدى الارتباط بالشركات الاستعمارية فى المنطقة على الوقوف هم الاخرين موقف التأييد .

ثانيا : ظروف أزمة الشرق الاوسط والجهود الفائقة من جانب الاستعمار على أن تظل فى حالة التبريد الشديد التى هى عليها تجعله يهدر فى أمر المعارك حول البترول العربى ضرورة ألا يجعل منها معارك متفجرة يمكن أن تثير الجماهير العربية الى حد ألا تقتصر المعركة على الموقعة المعينة بل أن تمتد الى كل أزمة الشرق الاوسط والى المصالح الامبريالية كافة فى المنطقة . ان حالة التبريد الشديد التى يريدها الاستعمار تستلزم أن يحاصر كل مشكلة حيث هى ولو ببعض التسليم من جانبه حتى لا يفلت زمامها من يده وتحول الحركة فى المنطقة الى الطابع الساخن الذى لا يريده .

لقد فعل ذلك مع العراق وقبل باجراءات التأميم وسعى للوصول الى اتفاق . وزاد عليه بأن قدم مباشرة مشروعات المشاركة لدول الخليج والسعودية والكويت حتى يعزل هذا المصدر الاكبر عن تيار التأميم الذى بدأته العراق .

ثالثا : أزمة الطاقة العالمية . وهى وضع لا تعانى منه امريكا فى الوقت الحالى فما زالت مصادرها تسمح بتموين القدر الاكبر من احتياجاتها . وما زالت مصادر نصف الكرة الغربى تفى بالقدر الاكبر من احتياجاتها من الخارج .

ولكن أمريكا سوف تدخل سوق الطاقة العالمى مشترية وبكميات كبيرة خلال العقد الحالى ، الامر الذى يخيف باقى مستوردى الطاقة فى اوربا واليابان على مستوى الاسعار حين تنزل امريكا بطلبها الكبير الى السوق حريصة على السعر .

وهذه الدول من ناحية أخرى ترى انها مستغلة من جانب الشركات الاحتكارية الكبرى التى تقف بينها وبين مصادر البترول . وتفكر بالفعل ـ ونفذت فى عديد من الامثلة ـ فى ايجاد صلة مباشرة لها بالمنتجين .

هذا بينما تسعى امريكا الى تكتيلها فى صورة مجموعة الدول المستوردة للبترول لتحقق بهذا اغراضا ثلاثة ، امكانية ضغط كبيرة على الدول المنتجة فى مواجهة أى مطالب لها لا يقبل بها الاستعمار ، وتأكيد استمرار دور شركاتها فى حركة البترول العالمية وبالتالى أرباحها منها التى تساعد ميزان المدفوعات الامريكى ، والثالث امكانية المحافظة على مستوى الاسعار فى الحدود التى تقبل بها أمريكا حين تدخل مشترية بكمياتها الكبيرة المتوقعة .

ولكن ما زالت هناك عوائق كبيرة أمام تكوين هذه الجبهة من الدول المستوردة رغم الجهد الامريكى الدؤوب فى تكوينها . ان تناقضات الاستعمار التقليدية تلعب دورها حتى الان ، وهو ما يضعف من جبهة الاعداء .

رابعا : انهبسبب التفكك العربى،وعدم وجود استراتيجية عربية متكاملة فى شأن البترول فان ضرباتنا مازالت حتى الان لا تصيب الاستعمار الا فى القليل الذى نؤكد انه مستعد لقبوله .

لقد افاض الادب البترولى العربى فى ايضاح انه وان كانت شركات البترول الاحتكارية تحقق من وراء بيع البترول الخام العربى ارباحا طائلة، الا ان الارباح الكبيرة فى صناعة البترول تأتى من العمليات اللاحقة للاستخراج وذلك فى عمليات النقل والتخزين والتكرير والتسويق ، كما أنها تتضاعف أكثر واكثر فى عمليات تصنيع البتروكيماويات . انه من الحقائق المسلم بها أن سعر البترول الخام عند الدولة المنتجة لا يزيد عن حوالى ٤ فى المائة من سعر بيع المنتجات النهائية بعد التكرير والتخزين وغيرها من العمليات (٥)

---

(٥) انظر الطليعة ـ عدد يوليو ١٩٧٢ من اجل جدول توزيع نسبة العوامل المختلفة فى انتاج البترول فى تكوين السعر النهائى لدى المستهلك

وان يظل جهد الدول المنتجة فى حدود تعديلات سعر البترول الخام او حتى الاستيلاء على السعر كاملا لما يمكن أن يقبله الاستعمار طالما بقيت له السيطرة على الحركة العالمية للبترول ، وطالما لم تمس ارباحه الطائلة من جملة العمليات التالية ٠

ولعل هذه العوامل الاربعة تجعله واجبا على كل الثوريين العرب الذين يريدون استعمال البترول سلاحا لصالح الشعوب العربية ان يفكروا كثيرا فيما يجب أن تكون عليه الاستراتيجية العربية في شأن البترول بحيث تصبح الخطوات التى تتخذها كل دولة خطوة على طريق رئيسى طويل ينتهى بان يحصل العرب من بترولهم على كل الميزات التى يمكن أن يحققها سواء فى المجال السياسى او الاقتصادى او الاجتماعى ٠

ومع ذلك فانه يجب أن نذكر أن ذلك ليس اقلالا من جدية واهمية الخطوة التى اتخذتها ليبيا اخيرا فان هناك من الاعتبارات المرتبطة بها ما يجعلها خطوة صحيحة وفى الوقت الملائم وفى الحدود التى تستطيعها دولة تقف بمفردها دون صف عربى متماسك يستهدف أكثر من مجرد رفع الاسعار ٠

أهمية الخطوة الليبية الاخيرة

وحتى ندرك أهمية هذه الخطوة يجب أن نعود قليلا الى الوراء ، وبالتحديد الى يوم قامت العراق بتأميم بترولها فى أول يونيو ١٩٧٢ ٠ لقد وجد الاستعمار فى هذه الخطوة نذير خطر كبير وخاصة فى منطقة الخليج حيث يركز الاستعمار كل قواه من أجل استمرار سيطرته على أكبر وأضخم المنابع البترولية فى العالم والتى ينتظر أن تكون مسئولة عن توفير القدر الاكبر من احتياجات العالم من الان وحتى نهاية القرن تقريبا ، وحيث تتركز مصالحه البترولية بصورة أساسية ، وحيث للاخطبوط الاحتكارى بشركاته السبع الاحتكارية الكبرى السيطرة شبه الكاملة على البترول ٠

لقد نصت الاتفاقيات بين الدول المنتجة وشركات الاستغلال قبل ذلك على امكان مشاركة الجانب الوطنى فى رؤوس أموال الشركات ٠ ولكن هذه الاخيرة ماطلت وسوفت تؤجل الوصول الى اى اتفاق فى هذا الصدد ٠ وفجأة وفى بحر شهور اربعة بعد تأميم العراق للبترول وافقت الشركات على مبدأ المشاركة ، فى محاولة فى واقع الامر لحرف انظار شعوب المنطقة عن شعار التأميم الذى كان قد طال انتظاره على الشعوب العربية ، قبل أن تعلنه وتطبقه العراق ٠

وجاءت شروط المشاركة هزيلة ضعيفة تبدأ بـ ٢٥ فى المائة من رأس المال وتتدرج طوال عشر سنوات حتى تصل الى نسبة الـ ٥٠ فى المائة ٠ ويتم حسبها تعويض شركات الاستغلال عن هذه النسب ليس حسب القيم الدفترية للاصول المستثمرة ولكن حسب تقدير مغاير يصل بالتعويض الى أربع أمثال القيمة الدفترية تقريبا وقدره بعض الباحثين بما يصل الى حوالى الالف مليون دولار خلال السنوات الخمس الاولى وحدها ، وتضع اتفاقيات المشاركة التى عرضتها الشركات قيودا على سلطة الدولة المنتجة فى تسويق البترول المنتج وعلى قرارات الادارة العليا بحيث يصبح للشركات حق الفيتو على أى قرار لا يمثل مصالحها تماما ٠

وتعرضت اتفاقيات المشاركة هذه لنقد شديد ٠ ورفضها الفكر العربى البترولى رغم عديد من الاصوات المأجورة التى هللت لها أول صدورها ٠ وبسبب الحكم الاوتوقراطى فى بعض البلاد فقد قبلت تلك الاتفاقيات ، ولكن حيث وجد قدر من التعبير الشعبى عن رأى الجماهير ازدادت المعارضة الى حد أن رفضها مجلس الامة الكويتى وظلت الكويت وحدها من دول منطقة الخليج دون التوقيع على تلك الاتفاقيات ٠

وتبرز أهمية الخطوة الليبية الاخيرة فى ضوء هذا السرد للتاريخ القريب فى أمر المشاركة ٠٠

ان القرار الليبى بتأميم ٥١ فى المائة من أسهم الشركات العاملة فيها هو فى الحقيقة فرض للمشاركة بهذه النسبة من جانب الدولة المنتجة بدلا من انتظار النسبة التى تقبل بها الشركات وتتدرج معها ٠ وهو يحدد التعويض على أساس القيمة الدفترية فحسب ، كما يضع القرارات العليا فى يد أغلبية ليبية فى لجنة ادارية من ثلاث ٠

ان النجاح فى تنفيذ ذلك القرار ــ وأغلب التقديرات تؤكد أنه سوف ينجح ــ انما يوجد فى نظر الشركات الاستعمارية خطورة قصوى من ناحية انه يضع مبدأ يمكن للدول المنتجة الاخرى أن تحتذيه ٠ لقد طبقت الجزائر عند التأميم فى ١٩٧١ كثيرا مما يفرضه القرار الليبى ولكنه لم يتعرض عندئذ للشركات السبع العملاقة ، اذ لم تكن ممثلة بصورة تذكر فى حقل البترول الجزائرى ٠ ولكن المشكلة الان أن اجبار بعض من هذه الشركات ــ التى تعمل فى ليبيا ــ على القبول بهذا المبدأ انما يعنى تحريكا لشعوب منطقة الخليج أن لابد من أن تقبل الشركات بنفس المبدأ هناك ٠ ان الكويت لم توافق على اتفاقيات المشاركة السابقة ، وسوف يكون موقفها من ناحية الضغط لتنفيذ نفس القرار ،

الليبي عندها بمثابة فتح الباب لتعديل اتفاقيات المشاركة التي قبلتها دول الخليج الاخرى ٠

فالقرار الليبي اذن من هذه الناحية انما هو خطورة رائدة يمكن أن يتبعها تكرار لنفس الموقف في منطقة الخليج ٠ وسوف تتوقف سرعة التطبيق على مدى ما تمارسه تلك الدول ـ وبالاحرى الشعوب العربية ـ من ضغط في هذا الاتجاه ٠

وتأتي الاهمية الاخرى للقرار الليبي من أنه قد صارت امور البترول في ثلاث من الدول المصدرة هي الجزائر والعراق وليبيا في يد ابنائها :الاولى تتحكم في حوالي ٧٥ في المائة منه والثانية في ٦٥ في المائه والثالثة فيما لا يقل عن ٥١ في المائه مع علو الارادة الوطنية على ماعداها من ارادات في اتخاذ القرارات وتسيير الاعمال ٠ واذا لاحظنا أن هذه الدول الثلاث تنتج فيما بينها ما لايقل عن ٢٥ في المائة من البترول العربي فضلا عن امكانيات الغاز الطبيعي فيها جميعا لوجدنا أننا أمام وضع يلزم على قدر من التفكير والترتيب لخلق جبهة من الدول التي تحرر بترولها أو كاد ٠

ورب أهميــة أخـرى تكمن فـي أن تتـوالى الضربات العربية ازاء الاستعمار ـ الجزائر في ١٩٧١ : والعراق في ١٩٧٢ : وليبيا في ١٩٧٣ ـ لتبقى جذوة المقاومة العربية لاثار نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ولتمثل طعنة تتلوها اخرى هنــاك تمهيدا لضربة قاضية تكون الظروف الموضوعية العربية قد تهيأت لها بحيث تحسم معركة لابد منها مع الاستعمار في كافة المجالات ٠

ولكنه طريق طويل

لقد قلنا أن القرار الليبي خطوة هامة على طريق طويل ٠ وعلينا اذن أن نتعرف على هذا الطريق الطويل ومداه وأهدافه البعيدة

وأضفنا أن تأميما هنا وآخر هناك ، انما هو شيء يستعد الاستعمار تحت الضغط لقبوله والرضا به مادام الامر يقف عند حدوده ٠

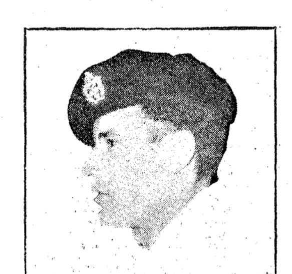
فالأرباح العظمى للبترول لا تأتي من سعر الخام أيا كان ارتفاعه وانما تأتي في الاساس من عمليات التكرير والنقل والتخزين والتوزيع ، ومن تصنيع البتروكيماويات ، ومن استعماله مصدرا للطاقة تقوم عليه الكيانات الانتاجية المتطورة للــدول المتقدمة ٠

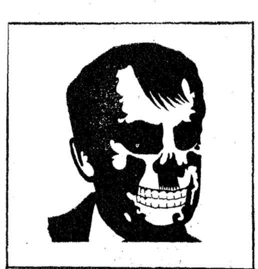
واذا بقي الامر عند حدود النزاع على سعر الخام بل والاستيلاء عليه كله فلن يضير ذلك الاستعمار كثيرا مادام الخط الطويل من العمليات التي يدخل فيها أو يقيمها البترول في يده ٠

وقد كانت استراتيجية الاستعمار وسياسته ان يظل مسيطرا طول الوقت على كافة حركة البترول العالمية فهنا مكاسبه الفعلية ٠ وانه هنا فقط حيث يمكن أن توجه الضربات للاستعمار ، وهنا فقط سوف تصبح المعركة حامية الوطيس لا يقبل فيها التسليم ٠

اما من ناحية الدول المصدرة للبترول فانه يزداد الوعي ويجب ان تعمل على زيادته ـ مع الوقت بأن :

بيع الخامات مهما كانت أهميتها ـ حتى وان كانت النادرة منها ـ لايمكن في حد ذاته انيولد ثروة ٠





وأن أى زيادة فى سعر بيع الخامات الطبيعية انما يستهلكه ويزيد عليه معدل الزيادة فى أسعار المنتجات المصنعة ·

وأن القطن المصرى – مثلا – وله سمعته العالمية وأسواقه المفتوحة لم يولد ثروة تذكر فى مصر ، وانما بدأت الثروة تنتج عنه بزيادة مراحل التصنيع التى يدخلها من حلج الى غزل الى نسيج الى صباغة ، ومن بذرة الى زيوت وغذاء حيوانى وهكذا ·

وأن مظاهر الثراء التى تبدو فى بعض البلاد البترولية لم تجعل مستوى المعيشة فى أى بلد – حتى أكثرها دخلا – يصل الى أى نسبة معقولة من مستوى المعيشة فى اقل بلاد اوربا الصناعية·وان البترول فى النهاية ثروة موقوته سوف تنتهى يوما · وقد أصبح ذلك اليوم قريبا – بضع عشرات ضئيلة من السنين لاتمثل شيئا فى عمر الشعوب ·

ومن ثم وجب أن يكون للدول العربية المصدرة **للبترول** أستراتيجيتها فى مواجهة استراتيجية **الاستعمار** ·

ولن تكون هذه شيئا يختلف كثيرا عن تحويل الثروة المؤقتة المتمثلة فى احتياطيات البترول وانتاجه الى ثروة مستمرة ودائمة بتنمية واسعة فى جميع أرجاء المجتمع العربى ، واتاحة الفرصة أن يعمل الانسان العربى بمستوى العمل المبدع السائد فى القرن العشرين ·

وهى تعنى تنمية قطاع البترول بدفعه فيماوراء مرحلة الاستخراج عبر كل مراحل التصنيع حتى البتروكيماويات ·

وتعنى تنمية باقى قطاعات الاقتصاد القومى **الاخرى** المحيطة بالبترول تأخذ منه وتعطيه ·

ويعنى كذلك كسر الحصار من حولنا والدخول فى مبادلة متكافئة مع المستهلكين للبترول ، وتحويل عوائده من أرصدة تأكل منها تخفيضات العملة الى سلع انتاجية ومعدات وآلات تدفع دم الحياة فى شرايين المجتمع العربى ·

تعنى **فى الاساس اذن ضرب** العلاقات البترولية العالمية السائدة والتى فرضها الاستعمار لصالحه بالانفتاح على المستهلكين والارتباط المباشر بدول العالم الثالث والدول الاشتراكية ·

وتعنى الكثير غير ذلك من تنسيق عربى ، فى الخطة والتكتيك وفى التصنيع بل وفى التوزيع السكانى والنشاط الاقتصادى ·

ولكنها أمور **قد تبدو فى ضوء الاوضاع** العربية الحالية ضربا من الخيال ·

ولا عيب فى ذلك فالخيال انما هو رؤية مسبقة لحركة التاريخ مادام يبنى على الدراسة والتحليل الواقعى والعلمى ·

وان لم يكن ممكنا جمع الصف العربى كله الان ، فلا بد من أن تجتمع حول استراتيجية واحدة كل الدول التى أثبتت وتثبت معاداة صريحة للاستعمار ·

تلك من بين دول البترول الجزائر والعراق وليبيا

وتدعمها وتساندها مصر وسوريا واليمن الديمقراطية ·

هى كتلة ان تكونت كان لها السيطرة على الشارع العربى ·

والويل لاى حاكم لا يحسب للشارع حسابه ·

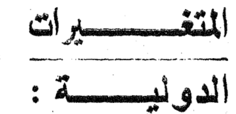
قد تكون هذه مجرد ملامح لهذا الطريق **الطويل** ·

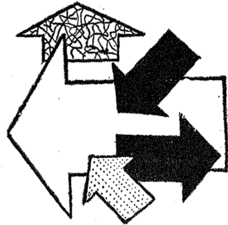
ولكن ما يجب أن يجتهد الفكر العربى ليتبين كل دقائقه **وتفاصيله حتى لا تطيش ضرباتنا فى الهواء ، وحتى لا تكون تحركاتنا انفعالا قليل الفعل** ·

٣ دراسات حول المتغيرات الدولية

مساهمة فى « الحوار الوطنى » الذى افتتح على أساس الورقة التى أعدتها الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى واللجنة الدائمة لمجلس الشعب حول قضية المتغيرات الدولية وآثرها على تطور الاوضاع فى مصر والمنطقة العربية ، وخاصة فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط ، قدمت « الطليعة » فى العدد الماضى مجموعة من « المنطلقات » التى تفرض نفسها بالضرورة عند أية محاولة للتعمق فى دراسة العوامل الرئيسية التى أدت الى التطورات الجديدة فى الوضع الدولى . . وفى هذا العدد تواصل « الطليعة » مشاركتها فى الحوار الوطنى بثلاثة اوراق .. احداهما أعدتها لجنة من أعضاء المجلس المصرى للسلام برئاسة خالد محيى الدين ، والثانية للدكتور جمال العطيفى ، والثالثة للاستاذ أبوسيف يوسف . .

المتغيرات الدولية :





مساهمة من المجلس المصرى للسلام فى الحوار الدائر حول « المتغيرات الدولية » ، قررت سكرتارية المجلس تشكيل لجنة من بعض اعضاء المجلس برئاسة خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس لاعداد تقرير حول هذه المتغيرات والقيام بمناقشته مع ممثلى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .

وبناء على طلب من ممثلى الامانة العامة اعدت اللجنة تقريرا مكتوبا .. تنشره « الطليعة » كواحدة من المساهمات الهامة التى بذلت فى هذا الصدد .

يتقدم وفد المجلس المصرى للسلام برأيه حول المتغيرات من زاوية الموقف الدولى مستخلصا الخبرة الطويلة التى مارستها حركة السلام المصرية منذ نشوئها ، اذ ناضلت مع حركات السلام فى العالم من اجل اقرار سياسة التعايش السلمى على الصعيد العالمى كى تنظم العلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة تجنبا لاخطار الحروب وشجبا لسياسة العدوان ودعما للعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين الدول على أسس متكافئة ولصالح كل الشعوب ... ولعل المجلس بهذه الخبرة أن يضيف جديدا الى الحوار الدائر فيثريه ويعمقه .

ويقر وفد المجلس المصرى للسلام ما ورد فى الورقة التى طرحها الاتحاد الاشتراكى عن ظهور متغيرات هامة فى العلاقات الدولية ستؤثر ولا شك فى سياستنا ، غير أنه يرى أن تقييم هذه المتغيرات على اسس موضوعية سليمة من أجل معرفة السبيل للافادة منها وتكريسها لصالح الشعب المصرى والشعوب العربية لا يمكن أن يتم بمجرد تسجيلها وسردها بشكل وصفى انما ينبغى أن نتعرف عليها كظواهر تاريخية نتجت عن أسباب وعلل محددة ، كما أن هذه الظواهر التاريخية كانت تتنامى فى عالمنا طوال سنوات عديدة وكان لشعوب العالم ومن بينها شعبنا وشعوب بلدان عدم الانحياز دور ايجابى فى تحديد مسارها حتى انتهت الى ما نشهده اليوم من تغيرات هامة فى العلاقات الدولية . ولهذا فان اية دراسة للمتغيرات العالمية ينبغى أن تبدأ بتعميق أصولها التاريخية للتعرف على اسبابها الموضوعية ، حتى يمكن أن

نعرف بعد ذلك سبل الافادة منها لصالح النضال المصرى والعربى •

الحرب والحرب الباردة والحروب الاستعمارية

لم تكن الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى شرعت الامبريالية فى الاعداد لحرب جديدة ضد الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية وضد حركات التحرر الوطنى ••• ولقد دعا تشرشل صراحة فى خطاب مشهور عام ١٩٤٦ الى فرض ستار حديدى حول الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية والى اقامة تكتلات عسكرية بهدف أن تجر اليها العديد من بلدان افريقيا وآسيا خدمة لهذه السياسة •

وكانت نقطة البدء فى هذه السياسة هى اعلان « **مبدأ ترومان** » الذى أجاز لامريكا التدخل فى شئون تركيا واليونان بدعوى حمايتها من تهديد سوفيتى ، ثم أعلن عن « **مشروع مارشال** » لدعم دول غرب اوروبا الرأسمالية واستخدامها كجزء من المخطط الامريكى ضد البلدان الاشتراكية ، ثم أعلن عن قيام حلف الاطلنطى فى عام ١٩٤٩ وانشىء بعد ذلك حلف « السنتو » فى جنوب شرقى آسيا ،وحلف « بغداد» فى الشرق الاوسط وغيرهما من الاحلاف التى استهدفت ضرب حركات التحرر واخضاع بلدان افريقيا وآسيا ، وبهذا تحولت الحرب الباردة التى أعلنها تشرشل فى عام ١٩٤٦ الى استراتيجية متكاملة ضد الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى ، الامر الذى اضطرت معه البلدان الاشتراكية الى اقامة حلف «وارسو» فى عام ١٩٥٤ ، كما اخذت حركات التحرير ومن بينها حركة التحرير المصرية تشدد من نضالها للافلات من عبودية الاحلاف العسكرية التى فرضتها الامبريالية على كثير من البلدان الناشئة الصغيرة •

وكانت بريطانيا تطالب باستمرار قواعدها كاملة فى الهند كشرط لانسحابها ، وكان هناك مشروع « صدقى ــ بيفن » فى مصر ، ومشروع « جبر ــ بيفن » فى العراق ،وكانت هولندا تضرب بالسلاح حركة التحرير الاندونيسية ، وفرنسا تشن حربا استعمارية فى فيتنام ، وأمريكا وحليفاتها يحاربون فى كوريا ، وبريطانيا تحارب فى الملايو وكينيا وغيرها •

ثم ارتفعت سياسة الحرب الباردة الى مستوى آخر خطير بعد قيام التكتلات العسكرية الامبريالية فى الاربعينات وأوائل الخمسينات ، فدعا **دلاس** وزير خارجية أمريكا ومعه « **نيكسون** » الذى كان نائبا للرئيس الامريكى حينئذ الى سياسة « دفع الاشتراكية الى الوراء » ، أى العدوان المباشر على البلدان الاشتراكية والوصول بالعلاقات الدولية الى«حافة الهاوية »،كما هاجما بعنف سياسة«الحياد الايجابى » وعدم الانحياز ، التى نادى بها بعض زعماء بلدان افريقيا وآسيا ، باعتبارها سياسة « غير اخلاقية » وفى نفس الوقت استمر التدخل العسكرى والحروب العدوانية فى الجزائر والهند الصينية وجواتيمالا وسان دومنجو ولبنان والاردن ••• كما تم عدوان ١٩٥٦ الامبريالى الصهيونى على مصر •

ولقد أثبتت الخبرة التاريخية التى نعرفها جميعا أن هذا المخطط الامبريالى قد فشل فى تحقيق أهدافه •

فشل فى تصفية النظم الاشتراكية •

ثم وجد صعابا متزايدة فى تحقيق الاهداف التى سعى اليها من وراء شن حروب استعمارية محددة ، وكانت حرب فيتنام وما أسفرت عنه أكبر شاهد على ذلك •• وبذلك تحددت السياسة الاساسية لوضع عالمى جديد لا يرتبط فيه تعاظم القوة العسكرية ــ بالضرورة ــ بتعاظم القوة السياسية ••• وعلى حد تعبير **كيسنجر** ــ وهو صاحب فكرة الحرب المحدودة ــ أصبحت ترجمة القوة العسكرية الى قوة سياسية امرا يزداد صعوبة •••

غير ان ذلك لم يتم فى فراغ ، انما تم بفضل سياسة أخرى اتبعتها البلدان الاشتراكية وبلدان عدم الانحياز وحركات التحرر والقوى الديمقراطية والسلامية فى العالم

العدوان وتوطيد السلام والتعايش السلمى

اولا ــ بالنسبة للبلدان الاشتراكية : ان وثائق مؤتمرات الاحزاب الشيوعية والخطب الرسمية ومواقف الدول الاشتراكية فى المؤتمرات الدولية تؤكد ان مجموعة هذه الدول قد التزمت خطا

سياسيا ثابتا لا تحيد عنه منذ الحرب العالمية الثانية ... ويقوم هذا الموقف على أساس المبادىء التالية :

١ ـ احترام حدود الدول الاوروبية واتفاقياتها بعد الحرب العالمية الثانية .

٢ ـ حل المشكلة الالمانية على اساس الاعتراف بوجود دولتين المانيتين كمنطلق لاقرار أمن أوروبى جماعى .

٣ ـ تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .

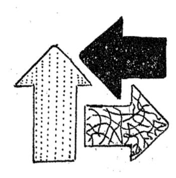
٤ ـ اتخاذ مبادىء التعايش السلمى اساسا للعلاقات الدولية تجنبا للحرب النووية ، ثم العمل على اتخاذ خطوات عملية وتدريجية نحو تحريم السلاح النووى ونزع السلاح التام الشامل تحت الرقابة الدولية الفعالة .

٥ ـ تعزيز العلاقات التجارية على اساس الغاء القيود التى فرضتها الحرب الباردة ، وعلى أساس احترام المصالح المتبادلة ، والنفع المتكافىء محل الحرب الباردة فى تنظيم العلاقات بين الدول .

٦ ـ مساندة حركات التحرر الوطنى والدول المستقلة كمبدأ أساسى من مبادىء التعايش السلمى .

وهكذا فان الدول الاشتراكية كانت تدعو دائما الى التعايش السلمى ... والتعايش السلمى كما هو معروف هو التعايش بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ... وبالدرجة الاولى التعايش بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى ... وكان **لينين** أول من دعا الى هذا المبدأ وأعلنه رسميا وطالب بتطبيقه بعد ساعات قليلة من انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، واصدار مرسوم السلام ، ولم يكن فى ذلك يبتكر شيئا جديدا فقد كان اصطلاحا لابد من دخوله لغة السياسة الدولية بعد قيام أول دولة اشتراكية فى التاريخ ، وهى حقيقة تاريخية وقائمة لا يمكن تجاهلها ، وتنبىء بقيام عالم جديد متعدد النظم الاجتماعية والاقتصادية لاول مرة .

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح التعايش السلمى بين الرأسمالية والاشتراكية ، شرطا أساسيا لا مفر منه لقيام السلام فى عصر الذرة ولقيام الاشتراكية فى اكثر من بلد ، الامر الذى ادى الى نشوء نظام اشتراكى عالمى فى مواجهة نظام رأسمالى عالمى ، ثم الى تواجد وتعايش هذين النظامين لفترة تاريخية قد تطول ... .



وهكذا واجه عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية متطلبات جديدة بسبب تعدد النظم الاجتماعية العالمية . فقد أخذت الحقائق الجديدة والادلة تتوافر على امتداد ربع قرن ، على أن التعايش السلمى هو السبيل الوحيد أمام البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، الاشتراكية والرأسمالية ، مادام تواجدهما فى هذا العالم ولفترة تاريخية هو أمر لا مفر منه ... والا نشبت حرب نووية تدمر العالم كله .

ولا ريب أن تعاظم قوى البلدان الاشتراكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فى المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية ، ثم تضامن هذه البلدان مع نضال حركات التحرر والشعوب قد غيرت من موازين القوى الدولية .. بحيث أصبح الاصرار على استخدام القوة ضد الاشتراكية يعرض العالم كله لحرب نووية شاملة الدمار .

ثانيا ـ بالنسبة لنضال الشعوب : ان قوى السلام والقوى الديمقراطية والاشتراكية رفعت هى الاخرى لواء سياسة السلام والتعايش السلمى ، ودحر العدوان واقامة العلاقات الدولية فى مختلف المجالات على أسس متكافئة بناءة .. ولعبت هذه القوى دورا هاما منذ الحرب العالمية الثانية فى تعبئة الرأى العام العالمى حول هذه الاهداف حتى أصبح لها أثرها الايجابى الفعال داخل البلدان الامبريالية نفسها .. وخير دليل على ذلك هو ثورة الرأى العام الامريكى نفسه ضد حرب فيتنام .

حقا أن أثر الرأى العام العالمى كقوة ضاغطة لمصلحة الشعوب ليس وحده كافيا لدحر **العدوان** واقرار السلام .. ولا يمكن أن يكون .. انما كان اثره فعالا واساسيا بالنسبة لفيتنام عندما اضيف الى نضال الشعب الفيتنامى نفسه فى أرض

المعركة ، فالعاملان مترابطان متداخلان فعلا وتأثيرا • والشاهد القائم اليوم على ذلك هو مايحدث بالنسبة للنضال الكمبودى •• فنضال الشعب فى أرض المعركة قد أثار الرأى العام فى العالم وفى أمريكا نفسها ليضغط على الكونجرس الامريكى فيصدر قرارا يجبر حكومة نيكسون على وقف الغارات الوحشية على كمبوديا ، ومثل هذا التأثير المتبادل بين العاملين كان وليد تفاعل النضال المستمر فى أرض المعركة وفى أوساط الرأى العام العالمى امتد لسنوات •

ان تعبئة الرأى العام العالمى من أجل السلام والتعايش السلمى له أثره البالغ لدحر العدوان وحماية حقوق الشعوب عندما يرتبط بنضال الشعب المعين ، سياسيا أو عسكريا أو كليهما معا ، على أرض المعركة •

ويقيننا ان اثر الرأى العام العالمى يشتد ويتعاظم بالنسبة لقضية الشرق الاوسط باتصال النضال العربى وتعاظمه والقدرة على تعبئة القوى العربية وتنظيم جماهيرها وحشد امكانياتها سياسيا وعسكريا واقتصاديا على أرض المعركة •

ثالثا ـ بالنسبة لبلدان عدم الانحياز : لقد اتسعت دائرة الشعوب والبلدان المؤمنة بمبدأ التعايش السلمى ودحر سياسة العدوان ولاقامة العلاقات البناءة بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة على أسس متكافئة وعادلة •• وأخذ الكثير من البلدان فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، بعد أن حصل على استقلاله السياسى خلال الخمسينات ، يرفع هو الاخر علم التعايش السلمى ، فكان من أهم المبادىء التى أقرها مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ ودعا اليها : احترام أسس هذا المبدأ وقيام تعاون دولى على أساس ميثاق الامم المتحدة الذى يشكل فى مجموعه أسس التعايش السلمى بين الدول ، ثم دعا جميع الشعوب فى العالم الى ان تقدر النتائج المفزعة التى سوف تنجم عن نشوب حرب نووية •••

وفى عام ١٩٦١ عقد أول مؤتمر لعدم الانحياز فى بلجراد ودعا المؤتمر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى أن توقفا استعداداتهما للحرب ، وأن تستأنفا المفاوضات من أجل التوصل الى تسوية سليمة لاية خلافات قائمة بينهما • وفى عام ١٩٦٣ قامت منظمة الوحدة الافريقية واحتل مبدأ التعايش السلمى مكانا بارزا بين مبادئها • وفى عام ١٩٦٤ أكد مؤتمر عدم الانحياز الثانى فى القاهرة على مبادىء التعايش السلمى باعتبارها **« الطريق الوحيد لتدعيم السلام والذى يجب أن يقوم على الحرية والمساواة والعدل »** •

هذا الارتباط الموضوعى بين حريات ومصالح الشعوب ، وبين قضايا السلام ، وقضية التعايش السلمى جعل مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الاخير والذى عقد فى جوج تاون عام ٧٢ بعد لقاء بريجنيف ونيكسون فى موسكو « ترحيبه بالتحسن الذى طرأ على العلاقات بين الدول الكبرى » ، كما سجل بارتياح « الاتجاه الجديد نحو اجراء مفاوضات وابرام اتفاقيات ثنائية » مشيرا بذلك الى الاتفاقيات الامريكية السوفيتية والامريكية الصينية والاتفاقيات والمعاهدات الثنائية التى تمت بين دول شرق أوربا وغربها •

ولا جدال فى أن كل ما قدمنا من حقائق سياسية قد ازداد رسوخا فى الستينات وبداية السبعينات •• مما أجبر واضعى ومنظرى السياسة الامريكية على تغيير سياستهم •••

وخير دليل على ذلك هو المتغيرات التى تتم اليوم والتى تؤكد أن الامبريالية قد اضطرت الى وضع سياسة تعتبر بالنسبة لسياستها السابقة بمثابة تحول من النقيض الى النقيض !

فبدلا من الحرب الباردة والتوتر والصراع المسلح أو التهديد باستخدام القوة المسلحة قام تفاهم واضح حول عديد من القضايا الدولية تعكسه اتفاقيات كثيرة فى مختلف المجالات •

وبدلا من سباق التسلح المتصاعد أبدا ورفض تحديد الاسلحة الاستراتيجية ونزع السلاح وقعت اتفاقية المرحلة الاولى للحد من الاسلحة الاستراتيجية فى موسكو ، وأعلن فى واشنطون بيان أمريكى سوفيتى بتحريم الحرب النووية كما أعلن التزام الطرفين بتوقيع اتفاقية المرحلة الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية قبل نهاية ١٩٧٤ •• وهذه الاتفاقية المنتظرة تعتبر بمثابة الخطوة الاولى الايجابية والواسعة نحو خفض جذرى فى الاسلحة الاستراتيجية •

وبدلا من رفض فكرة عقد مؤتمر للامن الاوربى ، والاصرار على توحيد المانيا وتعديل حدود ما بعد الحرب ، اضطرت الامبريالية الى قبول قيام الدولتين الالمانيتين ، وتثبيت الحدود وعقد اتفاقيات عدم اعتداء بين الاتحاد السوفيتى والمانيا الغربية •• بعد أن اثبتت احداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، على تباين الاحكام بشأنها ، الفشل المحتوم لسياسة « رد الاشتراكية الى الوراء » وتغيير الحدود التى أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية •

وبذلك أصبح الامن الاوربى ضرورة موضوعية لدعم المصالح الفردية والجماعية لدول وشعوب أوروبا الغربية والشرقية معا رغم تناقض أنظمتها الاجتماعية واختلاف اتجاهاتها الايديولوجية والفكرية ٠

وبدلا من الحصار والمقاطعة التجارية والاقتصادية للدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتى والصين ، قام عهد من التبادل الاقتصادى الواسع بين الدول الراسمالية والاشتراكية وأخذ التعاون الفنى والتكنولوجى يتسع ، وأخذت العلاقات التجارية بين الطرفين تتدعم وأقيمت التسهيلات الائتمانيه والقروض ٠ ثم كان ازدياد التعاون فى المجالات الاقتصادية مع احتفاظ كل طرف بنظامه الاقتصادى والاجتماعى ٠

تلك بعض حصيلة السنوات الاخيرة من الستينات والسنوات الاولى من السبعينات التى تؤكد أن الدول الامبريالية هى التى غيرت سياستها ومناخها ، وان البلدان الاشتراكية وبلدان عدم الانحياز وحركات التحرير والسلام هى التى ظلت ثابتة على ما رسمته من أهداف سلاميه بناءة لتنظيم العلاقات الدولية على أسس التعايش السلمى والعلاقات المتكافئة والبناءة بين الدول وان اختلفت الانظمة الاجتماعية والايديولوجية فى هذه الدول ٠٠٠ فما الذى دعا الامبريالية الى تغيير سياستها واتخاذ هذه الخطوات الجذرية ؟ ! وما هى الحقائق التى ازدادت وضوحا ورسوخا خلال هذه الحقبة لتشكل آخر الامر متغيرات هامة فى العلاقات الدولية ؟ !

حقائق العصر

ان شروع البلدان الامبريالية فى تغيير سياستها ومناهجها لا يعنى أن طبيعتها قد تغيرت ٠٠٠ فلا تزال استغلالية عدوانية كما كانت ، غير أن حقائق العصر قد فرضت حدودا على قدرتها الاستغلالية العدوانية ٠ فالامبريالية لم تتغير ولكن العالم حولها قد تغير وأصبحت علاقات القوى الجديدة تفرض على الامبريالية أوضاعا وقيودا جديدة على حركتها ٠

الحقيقة الاولى :

ان القوة العسكرية الامريكية باتت عاجزة عن فرض ارادتها على شعوب العالم ٠٠ واذا كانت الستينات قد شهدت مرحلة سباق بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا لخلق توازن نووى ، فانه بات واضحا منذ نهاية الستينات ومع بداية السبعينات ان الامر انتهى الى تعادل بين القوتين النوويتين بحيث نفت كل منها تأثير الاخرى ، لان استخدام الطرف الامريكى للسلاح الذرى لتدمير الطرف الاخر ، سيؤدى فى نفس الوقت الى دمار شامل لوجوده نفسه ، ومن ثم أصبحت الحرب العالمية النووية الشاملة خطرا بعيد التحقق ٠ وبهذا لم يعد السلاح النووى والتهديد باستخدامه لردع خصوم السياسة الامريكية صالحا اليوم لفرض الاهداف الامبريالية العدوانية ٠

الحقيقة الثانية :

ان البلدان الامبريالية وفى مقدمتها امريكا حين ادركت مخاطر الحرب العالمية النووية على وجودها نفسه لجأت الى شن حروب محدودة حتى شكلت لها نظرية خاصة واستراتيجية خاصة فى الستينات ، غير أن الخبرة التاريخية قد علمتها أنه من الصعب تحقيق اهدافها الاستغلالية العدوانية عن طريق هذه الحروب المحدودة ، ٠٠٠ أثبتت ذلك الحرب الامريكية فى كوريا والحرب الفرنسية فى الهند الصينية ، والحرب الفرنسية الانجليزية الاسرائيلية ضد مصر عام ١٩٥٦ ، والحرب الفرنسية فى الجزائر ، ومحاولات غزو كوبا فى أوائل الستينات ، ثم الحرب الامريكية فى فيتنام وكذلك الحرب الامريكية فى لاوس وكمبوديا ٠

ولقد كانت نتائج الحرب الفيتنامية واضطرار أمريكا الى سحب كل قواتها من الارض الفيتنامية آخر الامر ، درسا عميق الاثر على السياسة الامريكية العدوانية ، وذلك بفضل نضال الشعب الفيتنامى المستند الى خط سياسى ثورى رشيد والى تعبئة منظمة شاملة لكل قواته الجماهيرية والاقتصادية والعسكرية والى المساعدات المتصلة من البلدان الاشتراكية والى التأييد المتزايد من الرأى العام العالمى ٠

ولا يعنى ذلك أن الامبريالية الامريكية ستتخلى نهائيا عن الحروب المحدودة ولكنها ستغير من اشكالها وابعادها وحدودها ، فبدلا من ان تشترك مباشرة فى هذه الحروب بقواتها وأسلحتها فانها قد تحاول أن توكل هذه المهمة لعملائها من البلدان الرجعية المحلية مثل حكومة سايجون فى جنوب شرقى اسيا أو حكومة اسرائيل أو ايران فى الشرق الاوسط ٠٠ وهذا تغيير مفروض على امريكا وفى صالح نضال حركات التحرر والبلدان الوطنية

الناهضة ... لان هناك فارق جوهرى بين نضال شعب فيتنام ضد حكومة سايجون ونضاله ضد هذه الحكومة مع وجود أكثر من نصف مليون جندى أمريكى ، وهناك فارق بين نضال شعب كمبوديا ضد الحكومة العميلة ، ونضاله ضد هذه الحكومة مع اتصال الغارات الامريكية الوحشية على قوات التحرير الكمبودية ...

بل ان زيادة فاعلية سياسة التعايش السلمى على العلاقات الدولية فى المستقبل ستجعل من الصعب على البلدان الرجعية العميلة للامبريالية ان تقوم باعتداءاتها ببساطة على البلدان الوطنية بديلا عن البلدان الامبريالية نفسها ، لان المناخ العالمى لن يقبل مستقبلا مثل هذه العربدة الامبريالية الرجعية ... المهم هو أن تعرف البلدان الوطنية المستقلة كيف تنهض بامكانياتها وتنظمها وكيف تستفيد من المساعدات المتاحة حتى تجعل مناخ التعايش السلمى ، الذى يتزايد تأثيره على العلاقات الدولية ، كله فى صالحها .

الحقيقة الثالثة :

أنه قد تأكد أن الامبريالية الامريكية عاجزة تماما عن تحمل نفقات الحفاظ على امبراطوريتها ... أى الانفاق على الحروب المحدودة التى تشنها وعلى قواعدها العسكرية وعلى بناء قواتها المسلحة فى أراضى البلدان الاخرى .

واذا علمنا ان الانفاق على الحرب الفيتنامية وحدها قد كلف أمريكا أكثر من (١٢٠) ألف مليون دولار لتصورنا الملايين الهائلة من الدولارات التى تسربت الى الاسواق العالمية من اجل الحفاظ على الامبراطورية الامريكية ، الامر الذى ادى الى تدهور قيمة الدولار فى العالم والى تحطيم النظام المالى والنقدى الذى وضعته البلدان الرأسمالية وسارت عليه لتنظيم العلاقات المالية والتجارية فيما بينها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

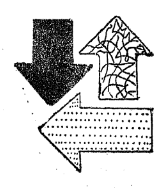
ولا ريب أن هذه الحقيقة التى تتزايد اخطارها على مصالح الرأسمالية العالمية وخاصة الامريكية كانت من العوامل التى أدت بأمريكا الى تقديم تنازلات سياسية هامة فى كثير من القضايا وفى مقدمتها القضية الفيتنامية .

على أنه يجب الاشارة هنا الى أنه على الرغم من هذه الازمة التى تعانى منها أمريكا فستظل المظلة الذووية الامريكية هى أساس الدفاع فى أوروبا الغربية لفترة من الزمن ، غير ان السير بخطوات أوسع نحو الغاء خطر الحرب والعدوان مع استمرار هذه الازمة سيفرض على امريكا آخر الامران تسحب قواتها ، وبالتدريج من اوروبا ، مما يساعد شعوب أوروبا الغربية على الافلات أكثر وأكثر من السيطرة الامريكية الامر الذى سيؤدى الى ضعف متزايد فى قوة النظام الامبريالى العالمى .. وذلك فى مصلحة الاشتراكية وحركات التحرير والبلدان المستقلة الناهضة . ولعلنا نذكر فى هذا الصدد أن القواعد الامريكية فى أوروبا كانت دائما تستخدم كمظلة لحماية ودعم العدوان الامبريالى الصهيونى على بلدان الشرق الاوسط .

الحقيقة الرابعة :

أنه لم يكن هناك من سبيل لوقف تدهور قيمة الدولار الا بتنازل الرأسماليين فى اليابان وأوروبا الغربية لحساب الرأسماليين الامريكيين وذلك بالحد من الصادرات الاوروبية واليابانية وفتح الاسواق للواردات الامريكية أملا فى تعديل ميزان المدفوعات والميزان التجارى الامريكيين ، وبالتالى أملا فى تدعيم قيمة الدولار .

غير أن ذلك يتناقض مع طبيعة الرأسمالية التى تقوم على المنافسة الشرسة من أجل الربح ولقد نشأ صراع مالى وتجارى شرس بين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية ... وبالتحديد بين اليابان وبلدان غرب أوربا من ناحية وأمريكا من ناحية أخرى ... وأسفر هذا الصراع عن عجز الميزان التجارى الامريكى عام ١٩٧١ بلغ ٦ر٩ ألف مليون دولار ، وهو رقم لم يبلغه اطلاقا خلال القرن العشرين . ومثل هذا الوضع جعل السماسرة والمديرين الماليين يدركون أن قيمة الدولار ستنهار مما ادى الى سعيهم الى تغيير آلاف الملايين من الدولارات الى عملات أخرى والى انهيار النظام



النقدى العالمى .. واسفر ذلك عن خفض قيمة الدولار خلال هذا العام الى اكثر من ١٤ فى المائة بالنسبة للمارك الالمانى ، والى اكثر من ١٧ فى المائة بالنسبة للين اليابانى . وكانت حكومة نيكسون تأمل من وراء هذا الخفض فى قيمة الدولار الى تعديل الميزان التجارى لصالح امريكا ، غير ان هذه الاحلام تبددت حين وصل العجز فى الميزان التجارى الامريكى خلال عام ١٩٧٢ الى اكثر من سبعة آلاف مليون دولار .

ان صراعا مشتدا بين الدول الامبريالية تمتد جذوره فى الوضع النقدى العالمى هو أمر لا مفر منه ، وهنا ينبغى أن نؤكد أن هذا الامر لا يتصل برغبة هذه الدول فى دخول هذا الصراع أو تجنبه ، فذلك خارج عن ارادتها ، لان اليابانيين والاوروبيين لا يمكنهم الاستمرار فى قبول عملة الدولار الورقية غير قابلة للتحويل الى ذهب ، كما ان امريكا لايمكنها الاستمرار فى السماح باضعاف قيمة الدولار . وقد أسفر هذا الوضع كله عن قيام حرب تجارية بين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية من أجل السيطرة على الاسواق القائمة والوصول الى أسواق جديدة . وقد كان من الممكن أن تسفر هذه الصراعات بين الدول الامبريالية حول الاسواق الى حرب مسلحة بينها ، كما كان الحال فى الماضى ، لولا ادراك هذه الدول مجتمعة بتناقضها الاساسى مع الاشتراكية .

غير أن هذا التنافس يفسر تكالب أمريكا وبلدان غرب أوروبا على أسواق البلدان الاشتراكية - الواسعة والمستقرة والتى يسودها اليقين - حتى أصبحت قضية البلدان الاشتراكية هى المفاضلة بين العروض المتزاحمة التى تقدمها شركات البلدان الرأسمالية اليها . وهذه المنافسات الاقتصادية والتجارية هى فى مصلحة الاقتصاد الاشتراكى ، سواء رضيت بذلك الرأسمالية أو لم ترض ، كما أن هذه المنافسات هى فى صالح البلدان المستقلة حديثا ، لو عرفت كيف تستفيد منها ، لا لمصلحة الشركات الاحتكارية ، بل لمصلحة الاقتصاد الوطنى المستقل والتحرر الاقتصادى والاجتماعى لهذه البلدان .

الحقيقة الخامسة :

انه فى الوقت الذى تشتد فيه الصراعات والخلافات بين الكتل الاقتصادية الرأسمالية ، فان السوق الاشتراكية (الكوميكون) تزداد تماسكا وتوحدا ونموا وازدهارا حتى اصبح فى مقدور مجموعة البلدان الاشتراكية أن ترسم لنفسها تخطيطا مشتركا يمتد لخمسة عشر عاما ، ثم ان العلاقات الاقتصادية والتجارية الجديدة بين بلدان السوق الاشتراكى وبين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية ستساعد بدورها على الاسراع بمعدلات نمو الاقتصاد الاشتراكى ... الامر الذى سيؤدى آخر الامر الى تعاظم قدرة السوق الاشتراكية على منافسة السوق الرأسمالية على الصعيد العالمى .

ومثل هذه المباراة الاقتصادية والتجارية السلمية بين الاشتراكية والرأسمالية ستخلق فرصا واسعة أمام التنمية فى البلدان المستقلة حديثا ، اذ ستزداد قدرة الدول الاشتراكية على مساعدة هذه البلدان للاسراع بمعدلات التنمية ، كما أن المباراة الاقتصادية بين الاشتراكية والرأسمالية ستفرض على الشركات الرأسمالية قبول شروط فى العلاقات التجارية والاقتصادية تتفق مع مصالح البلدان المستقلة حديثا ، بحيث يكون الانفتاح الاقتصادى المنشود صحيا وسليما وفى مصلحة التحرر الاقتصادى والاجتماعى لهذه البلدان .. وليس لخدمة الاهداف الاستغلالية لاصحاب رؤوس الاموال الاجنبية .

الحقيقة السادسة :

انه نتيجة للمناخ الجديد الذى خلقته تباشير انتصار سياسة التعايش السلمى فى العالم فان خطوات جادة أخذت تتم لاول مرة فى اتجاه نزع السلاح ، ويتمثل ذلك فى المحادثات الدائرة اليوم بين امريكا والاتحاد السوفيتى للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية والدفاعية . واذا علمنا أن امريكا وحدها قد انفقت اكثر من الف الف مليون دولار على التسليح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وان نزع السلاح التدريجى ثم الشامل سيوفر فائضا هائلا من رؤوس الاموال فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية لابد أن ينصرف الى مجالات الاقتصاد والتجارة الدولية ، لادركنا أهمية هذه القضية بالنسبة لبلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية التى تحتاج الى دعم اقتصادها وتجارتها . ان نزع السلاح التدريجى ثم الشامل سيؤدى حتما الى تزايد المنافسة التجارية والاقتصادية والتكنولوجية والعلمية بين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية ، كما سيؤدى الى تعاظم المباراة العالمية والسلمية بين الاشتراكية والرأسمالية فى مجال الاقتصاد والتجارة والعلم والتكنولوجيا ... وذلك بالقطع سيكون فى صالح التنمية الاقتصادية للبلدان المستقلة حديثا .

الحقيقة السابعة :

ان الثورة التكنولوجية العلمية وتطبيقاتها فى الصناعة والزراعة تحتاج الى أنفاق هائل يتجاوز قدرة البلد الواحد الامر الذى ادى الى نشوء كيانات اقتصادية كبيرة مثل السوق الاشتراكى الذى يضم مجموعة البلدان الاشتراكية فى تكامل اقتصادى متنامى (**الكوميكون**) ، ومثل السوق الاوربية المشتركة • وقد أدت هذه التطورات العلمية والتكنولوجية من ناحية ونشوء التكتلات الاقتصادية لرفع معدلات التنمية بسرعة على أساس المشروع الاقتصادى الكبير وعلى اساس تقسيم العمل دوليا الى زيادة الفجوة بشكل هائل بين البلدان المتقدمة صناعيا وبلدان افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية • وتشير التقديرات الى أنه لو استمرت معدلات التنمية فى البلدان المستقلة حديثا على ماهى عليه الان فان نسبة الفجوة بينها وبين البلدان المتقدمة صناعيا ستصل بعد حوالى ٢٥ عاما الى نسبة ١ الى ٢٠٠ — وهذا خطر حضارى وتاريخى لم تتعرف له البشرية مثيلا ••• ثم انه خطر مريع سيواجه الجيل الحالى فى بلادنا • وليس من سبيل أمام البلدان الصغيرة الحديثة الاستقلال كى تستفيد من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية،وكى تقيم لنفسها كيانات اقتصادية كبيرة •• الا أن تعرف كيف تستفيد من الحقائق الاقتصادية والتجارية التى اخذت تسود العالم والتى اشرنا اليها من قبل • وبمعنى آخر فان سياسة التعايش السلمى وتعاظم نفوذها عالميا لتنظيم العلاقات الدولية هى المناخ الوحيد الذى يمكن البلدان المستقلة حديثا من اجتياز الفجوة الخطيرة القائمة بينها وبين البلدان المتقدمة صناعيا فى أسرع وقت مستطاع •

المهم هو أن تعرف البلدان المستقلة حديثا كيف تستفيد من الحقائق الجديدة التى تخلقها سياسة التعايش السلمى لتحقيق هذه المهمة الحضارية •

الحقيقة الثامنة :

هناك مشكلات عالمية بالغة الاهمية أصبح علاجها يتطلب أوفر قدر من التعاون الدولى مثل تلوث البيئة ، ونقص الغذاء ، وتوفير المياه للزراعة ومشكلة الطاقة ، والانفجار السكانى ، واستغلال اعماق البحار ، وغزو الفضاء ، والقضاء على امراض القلب والسكر والسرطان ، وتحويل الصحراء الى أرض زراعية •••• الخ •

كما أن التقدم العلمى والتكنولوجى جعل التعاون الدولى أكثر أهمية لحل هذه المشاكل الاساسية • وان ظروف التعايش السلمى الجديدة هى وحدها التى ستوفر الفرص لحل هذه القضايا التى تتصل بمستقبل البشرية •

الظروف الجديدة للعلاقات الدولية

كل هذه الحقائق الاساسية قد خلقت ظروفا جديدة فى العالم أخذت تصوغ العلاقات الدولية صياغة جديدة •

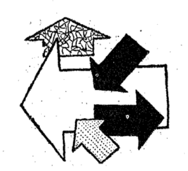
وقد أطلقت ورقة العمل التى يدور حولها الحوار على هذه الصياغة الجديدة للعلاقات الدولية عدة مسميات منها « **الوفاق الدولى** » ، والوفاق من العرف الدبلوماسى والسياسى ترجمة لكلمة Entente وهى كلمة لا تعثر عليها فى كل المواثيق والاتفاقيات التى أبرمت بين الصين وامريكا او بين الاتحاد السوفيتى وامريكا او بين الاتحاد السوفيتى ودول غرب أوروبا ، ثم ان وثائق البلدان الاشتراكية لا تستخدم هذه الكلمة وصفا للعلاقات الجديدة فى العالم ، كما أنه نادرا ما تطلق وثائق البلدان الرأسمالية هذه الكلمة على هذه العلاقات •

والظن أن ورقة العمل قد استندت الى خطأ وقعت فيه بعض الصحف العربية حين ترجمت كلمة Detente بالوفاق ، بينما معناها السياسى والدبلوماسى هو **تخفيف حدة التوتر الدولى** ، ولا يهمنا تصحيح هذا الخطأ بقدر ما يهمنا ما يمكن أن توحى به كلمة وفاق من تقديرات خاطئة للتغيرات الجارية قد تؤدى بنا الى تجاهل فرص النضال التى تتيحها المتغيرات الجديدة • وبالتالى الى رسم سياسات تضر بمصالحنا ولا تستند الى حقيقة الواقع المتنامى من حولنا •

والتعبير الذى استخدمته الوثائق الاشتراكية ووثائق بلدان عدم الانحياز ووثائق حركات التحرر والسلام وصفا للسياسة الدولية الجارية اليوم هو « **التعايش السلمى** » ، وقد ذكر هذا التعبير فى الوثائق المبرمة بين أمريكا وغيرها من البلدان الرأسمالية وبين البلدان الاشتراكية ، كما أن وثائق الامم المتحدة أخذت تتبناه هى الاخرى ، ونحن نرى أنه الوصف السليم للمتغيرات الجارية فى السياسة الدولية •

ذلك أن التعايش السلمى لا يعنى مجرد التواجد السلمى السلبى للانظمة المختلفة اجتماعيا ، انما يقوم على مبادىء هى :

١ — احترام استقلال الدول وسيادتها ووحدة أراضيها •



٢ ـ احترام مبدأ عدم الاعتداء ونبذ التهديد باستخدام القوة .

٣ ـ احترام مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلدان .

٤ ـ المساواة فى العلاقات الدولية بين جميع الدول كبيرها وصغيرها ، بصرف النظر عن موقعها ونظمها الاجتماعية .

٥ ـ اقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والثقافية بين الدول على أساس مبدأ النفع المتبادل والمزايا المتكاملة .

وما يحدث اليوم هو سعى لصياغة العلاقات الدولية على هذه الاسس التى حددها « التعايش السلمى » ، ثم ان ما يحدث اليوم هو مجرد تباشير وبدايات لتنظيم العلاقات الدولية على هذه الاسس ، الامر الذى يفرض على كل القوى الاشتراكية والتقدمية والتحررية والديمقراطية والسلامية أن تشدد من كفاحها ونضالها حتى تتثبت وتتأكد هذه المبادىء كصيغة للعلاقات الدولية تخدم مصالح الشعوب . فرضوخ الامبريالية لما تفرضه هذه المبادىء من سياسات دولية أمر لن يتحقق بيسر وسهولة لان تطبيق هذه المبادىء ، وان لم يغير من الطبيعة العدوانية للامبريالية ، فانه ولا شك سيضعف من قدراتها العدوانية بقدر كفاح الشعوب لتغيير موازين القوى العالمية باستمرار وبشكل متزايد لصالحها .

« **التعايش السلمى** » اذن هو صيغة بديلة عن الحرب الباردة لصياغة العلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .. أى أنه أساس لتنظيم العلاقات بين الدول وليس أساسا للصراع الطبقى فى كل بلد ، او الصراع الايديولوجى بين الانظمة الاجتماعية ، او كفاح الشعوب ضد الاستعمار والامبريالية .

فهذه الصراعات الطبقية والايديولوجية والتحررية لا تتصل اساسا بالعلاقات الدولية التى تتغير وفقا لتغير موازين القوى بين الدول ، انما تتصل بالظروف الموضوعية والحتمية « الاجتماعية والاقتصادية » التى يعيشها كل بلد ، فما دامت هناك اشتراكية ورأسمالية فسيدور بينهما صراع أيديولوجى محتوم ، وما دامت هناك طبقات معادية فسيدور بينها صراع محتوم . وما دام هناك استغلال استعمارى فسيدور ضده صراع محتوم .

والخلاف الاساسى هو أن الامبريالية كانت تريد لهذه الصراعات أن تتم فى ظل سيادة الحرب الباردة على العالم خدمة لمصالحها . أما الشعوب فتريد لهذه الصراعات أن تتم فى ظل سيادة التعايش السلمى على العلاقات الدولية لانه فى صالحها .

فلقد كانت الامبريالية تستخدم سياسة الحرب الباردة والتهديدات السوفيتية المزعومة كغطاء لاسر البلدان الصغيرة فى احلاف عسكرية ، وكمبرر لكبت الجماهير الكادحة وما تعانيه من استغلال على يد الطبقات الرجعية فى بلدانها ... هكذا كانت تفعل أمريكا وهكذا تفعل اسرائيل .. وبالتالى فان التعايش السلمى كمناخ عالمى سيساعد على تفجير الصراعات داخل البلدان الامبريالية والراسمالية والبلدان ذات النظم الرجعية .

كذلك فان التعايش السلمى كسياسة مناهضة للعدوان سيكون سلاحا دوليا مضافا فى يد الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والعدوان .. لان العدوان يتناقض مع سياسة التعايش السلمى التى تناهضه ، ومن ثمة ينبغى الوقوف ضده بكل الوسائل دفاعا عن الحقوق القومية للشعوب ودفاعا عن التعايش السلمى نفسه .. ولعل العزلة التى تعيشها اليوم أمريكا واسرائيل فى المحافل الدولية ازاء ازمة الشرق الاوسط هى خير شاهد على ان مناخ التعايش السلمى على الصعيد الدولى يتناقض مع مصالح المعتدين .

ثم ان الصراع السلمى بين البلدان الاشتراكية والراسمالية سيتيح فرصا أوسع لاشكال أخرى من الصراع بين النظامين ، وفى مقدمتها الصراع الايديولوجى والمباراة الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية بينهما . تلك هى اهم المتغيرات الجارية اليوم من حولنا ، والتى ساهمت بلدان عدم الانحياز وقوى السلام والاشتراكية فى فرضها ، وتلك هى الصياغة الجديدة للعلاقات الدولية التى بدات تشكلها هذه المتغيرات كى تستقر وتتأكد وتتثبت فى المستقبل مع اتصال كفاح الشعوب واستمراره .. فهل ذلك كله فى صالحنا ؟

نحن والمتغيرات

أولا :

تقول ورقة العمل « لقد كانت سياسة عدم الانحياز موقفا لمواجهة الصراع بين العملاقين ، فأصبح من الضرورى مع الوفاق العالمى ، أن تنتقل الى مرحلة اكثر ايجابية ، لتصبح موقفا لمواجهة الوفاق بين العملاقين » •

وهذا كلام سليم فى عمومياته ولكنه غير محدد وقد يوحى للبعض بمفاهيم غير سليمة •

وبادىء ذى بدء يهمنا أن نؤكد أن موقف مصر الثورة من الصراع بين الاتحاد السوفيتى وامريكا كان بعيدا عن أن يكون استغلالا لهذا الصراع بحيث نأخذ من هذا الطرف حتى يضطر الطرف الاخر الى العطاء •• لم يكن موقفنا تجارة بالخلافات بين الدول الكبرى ، انما كان موقفنا مبدئيا كما عبر عنه عبد الناصر فى المؤتمر الثانى لبلدان عدم الانحياز فى ٥ ــ ١٠ ــ ١٩٦٤ حين قال « ان سياسة عدم الانحياز ليست تجارة فى الصراع بين الكتلتين ، تستهدف الحصول على أكبر قدر من المزايا من كل منهما •• بدليل أننا وجهنا اكبر جهودنا لازالة هذا الصراع ،والتنبيه الى مخاطره والعمل ايجابيا على تلافيه » •

ومعنى ذلك أن موقف مصر فى مواجهة الصراع بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا كان فى اتجاه ازالة سياسة الحرب الباردة ونبذ الحرب النووية والعمل على ازالة هذا النوع من الصراعات التى كانت تهدد العالم بأخطار بالغة حتى تقوم بين دول العالم علاقات بناءة متكافئة اى ان موقف مصر كان فى اتجاه سياسة التعايش السلمى ، يتعاون مع أصحاب هذه السياسة ويقف ضد خصومها •• ذلك هو المعنى الوحيد « لمواجهتنا » للصراع بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا •

ويوحى هذا الفهم المبدئى لموقفنا من الصراع الساخن والحرب الباردة بين الدول الكبرى ، ينبغى أن يكون موقفنا ونحن نواجه ظروفا جديدة بدت فيها تباشير انتصار سياسة التعايش السلمى فى العالم ، ينبغى ان نشارك مع بلدان عدم الانحياز ، ايجابيا وعلى أوسع نطاق ، فى صياغة هذه السياسة العالمية الجديدة ، دعما لمبادىء التعايش السلمى ، حتى نعرف كيف نستثمرها لصالح الشعب المصرى •

ثانيا :

غير اننا ونحن نناضل مشاركين ايجابيا فى صياغة العلاقات الدولية الجديدة لابد وأن نتعاون مع الاصدقاء الاقوياء كما كنا نتعامل فى الماضى ، ونحن مع تأكيد ورقة العمل وهى تقول « اننا يجب أن نحرص دائما على صداقة الاصدقاء وخاصة الاتحاد السوفيتى مع وضع هذه الصداقات فى موضعها الصحيح والصريح » •

وتؤكد خبرة العامين الماضيين أن الاتحاد السوفيتى واصل مساعداته القوية لحركات التحرير بعد اجتماعات القمة وبنفس الاسس التى كان يتقدم بها قبل هذه الاجتماعات وذلك لان هذه المساندة تخدم فى النهاية الهدف الاشتراكى الاستراتيجى الرامى الى انهاء الحرب العدوانية وتصفية الامبريالية وانتصار قوى التحرر والاشتراكية •

فعل ذلك مع فيتنام بعد اجتماع القمة فى موسكو حين كانت أطقم الصواريخ تسقط الطائرات الامريكية الضخمة ب ٥٢ بالعشرات •

وفعل ذلك مع العراق حين أمم البترول ووجه ضربته الى الاحتكارات •

وفعل ذلك مع شيلى وهى تواجه المؤامرات الرجعية الامريكية •

ويواصل مساندة كوبا بقوة رغم ما بينها وبين أمريكا من قطيعة •

وأقل ما يمكن أن يقال بالنسبة لنا هو أن دعم الاتحاد السوفيتى العسكرى والاقتصادى والسياسى لم يكن بعد اجتماعات القمة أقل مما كان عليه قبل هذه الاجتماعات •• ان لم يزد ويتعاظم فى بعض المجالات •• وذلك رغم تحفظات قديمة كانت قائمة قبل اجتماعات القمة •

على أن هناك خطرا ينبغى الانتباه اليه ، وهو أن الدعايات الاستعمارية تروج لفكرة أن المتغيرات الجديدة ستقيد الاتحاد السوفيتى والبلدان

الاشتراكية وستؤثر بالتالي على مساعداتها لحركة التحرر الوطني ، مستهدفة من وراء ذلك نشر جو من العزلة الخانقة حول البلدان الناهضة حديثا وحول حركات التحرير ٠٠ ان خطة الامبريالية الامريكية بعد أن ادركت اليوم خطر صدامها مع الاتحاد السوفيتي في الازمات المحلية التي لاتزال قائمة والتي ستقوم هي المستقبل على ابعاد الاتحاد السوفيتي عن مجال هذه الازمات حتى تنفرد وحدها بحلها وفقا لمصالحها الامبريالية ، وتستفيد الامبريالية الامريكية لتدبير هذه المؤامرة بقوى الرجعية المحلية ثم بنشر دعايات ضارة حول الاتحاد السوفيتي تثير الشكوك في بعض القوى المترددة حتى تقع هي الاخرى فريسة للمخطط الامريكي الذي يستهدف الفرقة بين القوى الاشتراكية وبين حركات التحرير ، ومن ثم تنفرد أمريكا وحدها بحل الازمات في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية •

ولا احد ينكر وجود خلافات أو تحفظات تنشأ خلال التعاون بين الاتحاد السوفيتي وبين البلدان الناهضة والمناضلة ضد الامبريالية ٠٠٠ مثل هذه الخلافات التي قامت بين الاتحاد السوفيتي وفيتنام خلال النضال ، ومثل هذه الخلافات في الرأي قام بين الاتحاد السوفيتي وكوبا ٠٠ ذلك أمر طبيعي ٠٠ والمهم هو أن تعرف الاطراف صاحبة المصلحة المشتركة كيف تعالج هذه الخلافات بمنهاج لا يضر بمصالحها ، ولايفيد العدو المتربص • وكذلك ما اشد الخلافات بين الاطراف التي تضمها جبهة الاعداء ، وانه لمن السذاجة ، الا نتصور وجود خلافات بين أمريكا واسرائيل ٠٠ والمهم هو أن نعرفها نحن بدقة ثم نعرف كيف نستفيد منها لمصلحتنا •

هكذا ينبغي أن نفعل مع أصدقائنا وبخصومنا وهكذا يفعل الخصوم بنا ومع أنفسهم •

ثالثا :

ان تأكيد الورقة المطروحة للحوار على أهمية الاعتماد على القوة العربية الذاتية مثل البترول ورؤوس الاموال العربية وكذلك ضرورة العمل على تقوية الاتجاهات السياسية الوحدوية وتنقية الجو العربي ضمانا لقومية المعركة ثم ما أشارت اليه الورقة من ضرورة تدعيم السوق العربية المشتركة والاخذ بقدر من التخطيط المشترك على مستوى العالم العربي ٠٠٠ هي من القضايا الهامة التي تحتاج الى مزيد من الدراسات كي توضع موضع التنفيذ العملي في اطار خطة شاملة •

على اننا نود أن نشير في هذا الصدد الى خبرة حركة السلام المصرية التي تؤكد على أهمية وحدة كل القوى الديمقراطية والتقدمية والتحررية والسلامية العربية في جبهة متراصة وقادرة على تعبئة الجماهير العربية من أجل قيام عمل عربي موحد ولتنفيذ مثل هذه المشروعات الطموحة والضرورية •

ان العمل على مستوى الحكومات له ضرورته ، بطبيعة الحال • غير انه ما لم يدعم بنضال جماهيري يستند الى جبهة عربية تضم كل القوى التقدمية والديمقراطية السلامية ٠٠ قادرة على ممارسة ضغط مستمر على المترددين فان العمل الرسمي والحكومي سيتلكأ ويتعثر في الطريق ٠٠ فما أكثر المناقشات التي دارت بين الحكومات العربية حول كثير من هذه القضايا طوال الاعوام الماضية ، ثم لم تسفر عن اية نتيجة عملية •

كذلك فان الحوار الواسع بين الجماهير العربية حول هذه المشروعات ، ثم النضال الجماهيري لتنفيذها هو الضمان الوحيد والاكيد كي تقوم هذه المشروعات على اسس سليمة تخدم مصالح الجماهير العربية واهدافها الوطنية التحررية •

رابعا :

ان الورقة المطروحة تتحدث عن « الانفتاح الاقتصادي على العالم ، وخاصة عن طريق التوسع في العلاقات التجارية ، وعن طريق الاستعانة برؤوس الاموال العربية والاجنبية • واقامة المشروعات المشتركة » •

غير اننا نود ان نشير الى الحقائق الاتية :

● **ان اقتصاد الحرب وهو احد الدعامات** الاساسية التي لابد أن تستند اليها معركتنا الحالية يفترض مركزية شاملة في التخطيط حتى نضمن تعبئة حقيقية لكل امكانياتنا الاقتصادية ، ولهذا لابد ان نكون على حذر من انفتاح في بعض مجالاتنا الاقتصادية لا يتفق مع الشروط التي ينبغي توفرها من أجل حماية قدرتنا على هذه التعبئة اللازمة لانتصارنا في المعركة •

● **ان الظروف العالمية** التي أشرنا اليها من قبل تتيح لنا توفير شروط تتفق مع مصالحنا في مجالات العلاقات التجارية والاقتصادية

الدولية .. فالاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى هي التي تحدد بنفسها مجالات المشروعات الاقتصادية التي تسهم فيها المؤسسات الاجنبية وفقا لخطتها الاقتصادية المركزية ودعما لاقتصادها الاشتراكي المتقدم ... وكذلك في مقدورنا أن نفعل لو عرفنا كيف نستفيد بوعي من الظروف العالمية الجديدة .

خامسا :

تقول الورقة المطروحة انه « في ضوء هذا التصور لتأثير سياسة الوفاق بين العملاقين على قضية الشرق الاوسط يكون من الضروري أن نؤكد . . . اننا يجب ان نعتمد بصفة اساسية على قوتنا الذاتية والعربية .

وتأكيدا لاهمية هذه الحقيقة التي أشارت اليها الورقة نود أن نشير الى مسألتين :

● **ان اهمية الاعتماد على** قوتنا الذاتية لا تتصل بالتطورات التي تتم اليوم في العلاقات الدولية .. لان قوتنا الذاتية ينبغي ان تكون هي الاساس الثابت والدائم للنضال المصري سواء حدثت هذه التطورات أو لم تحدث .

● **ان قوتنا الذاتية « المصرية »** وقوتنا المصرية بالذات .. وتنميتها وتعبئتها وتوحيدها وتنظيمها حتى نهاية النهاية ، وقاع القاع ، وفي مختلف المجالات الجماهيرية والاقتصادية والعسكرية والسياسية ، وبلا تمييز او تفرقة ، هي العامل الاول والحاسم في تحديد قدرتنا على توحيد القوى العربية حولنا ، وعلى تنمية مساعدة الاصدقاء لنا ، وعلى كسب المزيد من المؤيدين والمتضامنين معنا ، ثم على ردع الخصوم والاعداء .. وبغيرها لن نكون ، وبضعفها سيتعذر سبيل نضالنا وستتفرق القوى العربية وستضطرب علاقاتنا بالاصدقاء وسيستهين بنا الاعداء . فتلك هي قضية القضايا التي ينبغي أن تهتم بها الورقة المطروحة ابلغ اهتمام حتى يمكننا ان نستفيد من التغيرات التي تتم حولنا للانتصار في معركتنا .

سادسا :

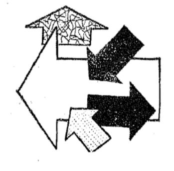
على ان قراءة الورقة المطروحة تخلق احساسا عاما بأن ثمة تخوفا من التغيرات الجارية في التطورات الدولية ، ومما يهمنا في هذا الصدد هو أن الخوف قد يفقدنا امكانيات متاحة اليوم لخدمة معركتنا .

● **فلاشك أن ظروف النضال ضد العدوان** الامبريالي الصهيوني في مناخ التعايش السلمي الذي ينبذ العدوان ويناهضه هي خير من ظروف هذا النضال في ظل سياسة الحرب الباردة القائمة على العدوان والتدخل في الشئون الداخلية للبلدان .

حقا ان سيادة سياسة التعايش السلمي في العالم لاتزال هدفا ، وأن ما نلمسه حولنا هو مجرد تباشير تنبيء عن انتصار هذه السياسة لتنظيم العلاقات الدولية ، ومع ذلك فان هذا المناخ السلامي الذي سيتزايد نفوذه في المستقبل قد مكن الرأي العام العالمي والامريكي اليوم من أن يفرض على حكومة نيكسون وقف غاراتها الوحشية على كمبوديا ، كذلك فان هذا المناخ يفرض اليوم على اسرائيل وأمريكا عزلة متزايدة حتى أصبح أصدق أصدقاء أمريكا يعارضون مواقفها في الامم المتحدة ازاء أزمة الشرق الاوسط .

ويقينا أن العدوان سواء كان اسرائيليا أو أمريكيا سيصبح أمره مرفوضا من العالم كله ، وسيشتد هذا الرفض ويتعاظم مع تزايد نفوذ مبادىء التعايش السلمي وتعاظمها على العلاقات الدولية .

● **ان التغيرات الجديدة** في العلاقات الدولية لن تضعف على الاطلاق من قوة الامم المتحدة لان هذه التغيرات تتجه لاقرار مبادىء التعايش السلمي التي هي في مضمونها مبادىء الامم المتحدة وميثاقها .



ولقد أخذت أمريكا العبرة والدرس عميقين من حربها المحدودة فى فيتنام حتى انها اخذت ترسم اليوم خططا جديدة لسياستها تساعدها على عدم التورط فى حروب محدودة فى المستقبل .

ولا يعنى ذلك أن الامبريالية الامريكية قد تخلت عن طبيعتها العدوانية ، انما ذلك ينبىء بأن قدرتها على شن حرب محدودة فى ظل سياسة التعايش السلمى قد تقلصت وهذا مكسب كبير للشعوب . واذا كانت الامبريالية الامريكية تتلون اليوم كالحرباء وتعد مشروعات عدوانية جديدة تدفع بها العملاء من قادة الانظمة الرجعية المحلية للاعتداء على الانظمة الوطنية والتقدمية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، فان هذه المشروعات مصيرها الفشل المحتوم . لقد فشلت الحرب المحدودةحين كانت أمريكا تشارك فيها بكل قواتها المسلحة ، وامر من ذلك بكثير ان يفشل العدوان حين يقوم به الصغار والاقزام من العملاء .. وخاصة اذا تم وسياسة التعايش السلمى تزداد قوة ونفوذا فى العالم .

المهم ان تعرف البلدان الوطنية والتقدمية الناهضة كيف تنمى وتنظم وتعبىء امكانياتها الذاتية ،وكيف تحسن استثمار مساعدة الاصدقاء ، ثم كيف تستفيد من مناخ التعايش السلمى .

● **كما أن القول بأن** « اعتمادنا على القوى الخارجية مع حرصنا عليه قد اصبح فى اطار الوفاق العالمى أقل فاعلية وأضيق نظاما » . لا يستقيم مع حقائق المتغيرات . فلا شك أن سياسة التعايش السلمى المناهضة للعدوان وتباشير انتصارها فى العالم قد هيأت لنا فرصا واسعة لكسب المزيد من الاصدقاء والمؤيدين لموقفنا ، والشاهد على ذلك ما طرأ على موقف المانيا الغربية من تغيير جزئى بالنسبة لازمة الشرق الاوسط بعد أن كانت تؤيد اسرائيل تأييدا مطلقا وكذلك موقف فرنسا وانجلترا اللتين تقتربان اكثر وأكثر من موقف التأييد لنا بعد أن كانتا متضامنتين مع اسرائيل فى عدوان مشترك على أرضنا عام ١٩٥٦ ، وكذلك الحال بالنسبة للعديد من الدول الغربية التى أخذت تبتعد عن موقف التأييد الملزم للعدوان الاسرائيلى وذلك بفضل ازدياد تقبل هذه الدول لمبادىء التعايش السلمى كأساس لتنظيم علاقاتها مع الدول الاخرى ، بعد ان ادركت انها ستفيدها فى ظل حقائق العصر ومتغيراته . كذلك فان الحقائق الاقتصادية والتجارية التى تسود عالم اليوم والتى اشرنا اليها من قبل ستهيىء لنا امكانيات وفرصا جديدة ومتضاعفة لتوسيع علاقاتنا الاقتصادية والتجارية ولجلب المزيد من المعونات والقروض بشروط تتفق مع مصالحنا .

الدرس الاساسى

على اننا نعود فنؤكد من جديد ان كل ما ذكرناه فى هذا الحديث من تصورات حول المتغيرات والسياسات التى يتم صياغتها اليوم لتنظيم العلاقات الدولية على أساس مبادىء التعايش السلمى ، ثم كل التطبيقات المتاحة لهذه التصورات لخدمة معركتنا المباشرة ضد العدو الصهيونى الامبريالى ، ثم لخدمة قضايا التحرر الاقتصادى والاجتماعى انتقالا بمجتمعنا الى الاشتراكية ، بلا نكوص أو انتكاس .. انما يتوقف كله وفى المحل الاول على وضوح خطنا السياسى الثورى وعلى جديتنا فى تعبئة وتوحيد كل قواتنا الجماهيرية والسياسية ، ثم على قدرتنا على حشد وتنظيم كل امكانياتنا الاقتصادية والعسكرية، متحملين بتكافؤ، وكل حسب ما يملك، أعباء المعركة ومسئوليات النضال ، ثم مشاركين جميعا فى ذلك كله بالفكر الحر والمبادرة الخلاقة .

وبغير ذلك سنتوه عن سبيلنا الثورى .

وليس ذلك منا مزايدة كلامية ، انما هو الدرس الاساسى والجوهرى الذى نستخلصه من كفاح الشعوب .

ويوم ننجز هذه المهام سنقدر بقوتنا على هزيمة العدوان الرابض على أرضنا ، وسنضيف جديدا عظيما الى كفاح الشعوب ، تنتصر به سياسة التعايش السلمى وتتدعم .

ثم نود ان نشير الى مسألتين قبل ان نختم الكلام ..

الاولى ـ متصلة بهجرة اليهود السوفييت التى اشارت اليها الورقة المطروحة للنقاش .

وفى هذا الصدد نشير الى ان النقاش حول هذه المسألة فى مصر يستند أساسا على ما تنشره الصحف العربية من أخبار .. والملاحظ أن وكالات

الانباء الغربية تروج بين العرب أنباء تضخم من قضية هجرة اليهود السوفييت . بينما تروج فى غرب أوربا وأمريكا أنباء أخرى تزعم أن هناك اضطهادا لليهود فى الاتحاد السوفيتى ومنعا لهم من الهجرة .

ولهذا نقترح أن تتم دراسة علمية وموضوعية حول هذه المسألة تحدد الامور التالية :

● **معرفة الحقائق والاحصاءات** الدقيقة حول الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتى .

● **معرفة دقيقة لنوعية هذه الهجرة** وتقييم طبيعة المهاجرين من حيث العمل ، والاتجاهات والسن ... الخ .

● **دراسة الضغوط العالمية** التى تقوم بها الصهيونية وامريكا لتحقيق هذه الهجرة .

● دراسة للضغوط التى تتم داخل الاتحاد السوفيتى لخلق مشكلة يهودية تؤدى الى اتخاذ بعض اليهود لمواقف معادية وضارة بالامن .

● **دراسة ما اذا كان** للاتحـــاد السوفيتى أهداف قد تفيدنا من وراء تسرب عناصر سوفيتية الى داخل اسرائيل . وهو ماقد تؤيده الانباء الاخيرة عن الاضطرابات التى اثارها اليهـــود السوفيت فى وجه السلطات الاسرائيلية .

● **تحديد خط عربى** لممارسة ضغوط على الصعيد العالمى نواجه بها الضغوط الصهيونية العالمية حتى يمكن ان نسهم عمليا فى درء هذا الخطر .

● **تحديد خط عربى** لمناقشة الجانب السوفيتى فى الاجتماعات الرسمية مناقشة صريحة وموضوعية حول هذه القضية للوصول الى تفاهم مشترك وعمل مشترك .

اما ان نترك احكامنا نهبا لاخبار وكالات الانباء الغربية فأمر لن يفيدنا او يفيد اصدقاءنا ... لان الهجرة اليهودية مشكلة تواجهنا ويواجهونها .

بل ان تركنا لهذه المسألة بلا دراسة موضوعية وبلا موقف عمل واع انما يفيد الاعداء فى خلق حساسيات ودعايات ضارة تسىء الى العـــلاقات العربية السوفيتية .

الثانية ـ هى العلاقات التجارية والاقتصادية التى اخذت تتسع بين الاتحاد السوفيتى وبيـن امريكا وبلدان غرب اوربا .. خاصة ان هـذه العلاقات يشار اليها فى المناقشات الدائرة اليوم كمثل يدعونا الى انفتاح اقتصادى يبيح لرؤوس الاموال الاجنبية والعربية ان تفد الينا ليستثمرها اصحابها فى بلادنا .

ونحن نقترح اعداد دراسة علمية توضح الامور التالية :

● **هل مجالات مساهمة** المؤسسات الغربية فى الاقتصاد السوفيتى خاضعة خضوعا مطلقا لمتطلبات خطة التنمية السوفيتية والتخطيط الاشتراكى ام وفقا لما تعرضه هذه المؤسسات الغربية ؟!

● **هل المشروعات السوفيتية** التى تساهم فيها المؤسسات والشركات الغربية تدعم الاقتصـــاد الاشتراكى وتسرع بمعدلات نموه ، ام انها تضعف الاشتراكية ؟ .

● **هل هذه المشروعات** خاضعة تماما للمؤسسات الاشتراكية السوفيتية ، ام ان حرية التصرف متاحة للمؤسسات الرأسمالية ؟ .

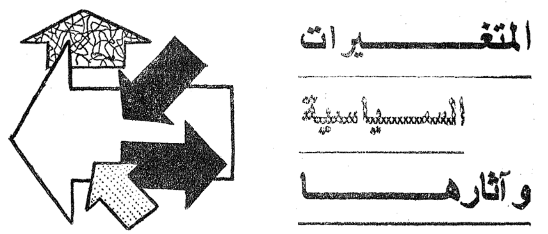
● **ماهى الشروط الواردة** فى الاتفاقيات بين الاتحاد السوفيتى والمؤسسات الغربية الرأسمالية ؟

ولاشك ان لنا ظروفا مختلفة عن ظروف الاتحاد السوفيتى ، غيران هذه الدراسة ستفيدنا فى تكشف الامكانيات التى تتيحها الظروف العالمية الجديدة للاستعانة بالمؤسسات والشركات الرأسمالية من اجل دعم خطنا الثورى فى التنمية الاقتصادية ومن اجل دعم القطاع العام ومن اجل تعزيز نضالنا للتحـرر الاقتصادى والاجتماعى ، انتقالا بمجتمعنا الى الاشتراكية ..

وبعد ..

فتلك بعض نقاط حول القضايا التى طرحتها ورقة المتغيرات اراد وفد المجلس المصرى للســـلام عرضها للوصول الى مزيد من التفاهم المشترك ولاثراء الحوار الذى بدأه الاتحاد الاشتراكى .. ولعل هذه المساهمة المتواضعة ان تضيف جديدا الى ماعند الناس حتى نتفق جميعا على يقين ثورى بناء يعيننا على خدمة شعبنا العظيم .

المتغـــيرات السـياسية وآثارهـــا



د٠ جمـال العطيفى

الغرض من هذا التقرير ، أن يعرض بطريقة موضوعية الحقائق المتعلقة بالمتغيرات السياسية فى علاقات المجتمع الدولى ، لتكون أساسا لاستخلاص النتائج المتعلقة بتأثير هذه المتغيرات فى مسار العمل الوطنى ٠

فى مقدمة الدراسة اهتم د٠ جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب على التفرقة بين « المتغيرات » وبين « التغييرات » ثم تابع التطورات الاساسية فى الموقف الدولى ابتداء من احتدام الحرب الباردة ثم تراجعها ، كما رصد بعض العوامل الاخرى الدائرة فى الموقف الدولى [أزمة النقد وازمة الطاقة] وانتهى من ذلك الى تحليل لنتائج « سياسة الوفاق » وآثارها الدولية ، واثرها على ازمة الشرق الاوسط ، ثم ينهى د٠ العطيفى دراسته بتحديد لعدد من القضايا أو الاسئلة التى تتطلب دراسات واجابات اوضح وأوفى ٠

وقبل أن يعرض التقرير هذه المتغيرات ، فان هناك أربع ملحوظات تمهيدية يرى من المفيد الاشارة اليها :

الملحوظة الاولى :

اننا يجب أن نفرق بين « المتغيرات Variables وبين « التغييرات » Changes فبينما تتسم المتغيرات بدرجة من الثبات تسمح بالقول بأنها قد أصبحت عاملا Factor مؤثرا فى العلاقات الدولية ، فان التغييرات لا تصل الى هذه الدرجة ٠ فالتقارب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، فى أواخر الستينات كان يعتبر « تغييرا » فى العلاقات بينهما ، ولكنه لم يصل الى درجة اعتباره متغيرا الا فى السنوات الاخيرة ٠

وازمة الطاقة ، وازمة النقد العالمى مثلا لم تتحدد بعد معالمها كمتغيرين لهما تأثير ثابت فى العلاقات الدولية بقدر ما يعتبران تغييرا يمكن استخدامه فى احداث هذا التأثير ٠

الملحوظة الثانية :

ان هذا التقرير فى عرضه المتغيرات السياسية ، سيضطر الى التعرض لمتغيرات اقتصادية وتكنولوجية ، قد تكون عاملا من عوامل المتغيرات السياسية وقد تكون فى حالات أخرى نتيجة لها ، كما انه لايمكن اغفال العوامل الداخلية فى تأثيرها على المتغيرات السياسية ، ومن ذلك تأثير الرأى العام الامريكى وجماعات الضغط على سياسة امريكا الجنوبية سواء فيما يتعلق بأزمة فيتنام أو أزمة الشرق الاوسط ، ومن ذلك أيضا تأثير المرحلة التى بلغها الاتحاد السوفيتى فى التنمية وتطلع شعوبه الى نمط مجتمعات الاستهلاك ، على انفتاحه السياسى والاقتصادى على الغرب •

الملحوظة الثالثة :

ان **ميثاق العمل الوطنى** نفسه (فى الباب الثانى المعنون فى ضرورة الثورة) قد رصد التغييرات التى طرأت على العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهى التى كانت مقدمة لما جرى من متغيرات بعد ذلك فى السبعينات ، ورأى أن : « **هذه التغييرات الضخمة فى العالم تأتى معها بظروف جديدة تؤثر تأثيرا لا جدال فيه على العمل من أجل أهداف النضال الوطنى لكل الامم بما فى ذلك اهداف الامة العربية** » •

وأشار **الميثاق** الى أبرز هذه المتغيرات ولخصها فيما يلى :

أولا : تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية حتى لقد استطاعت هذه الحركات أن تقود معارك عديدة ومنتصرة ضد القوى الاستعمارية ، ومن ثم اصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير عالمى فعال •

ثانيا : ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى •

ثالثا : التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاقا غير محدودة أمام محاولات التطوير •

كما انه حقق طفرة فى اسلحة الحرب بلغت خطورتها الى حد انها أصبحت رادعا يحول دون نشوبها بسبب ما تقدر على الحاقه من الاهوال بجميع الاطراف فى أى معركة •

هذا فضلا عن التغيير الاساسى المذهل الذى حققه هذا التقدم العلمى فى وسائل المواصلات لدرجة أن تلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل ما بين الامم فعليا وفكريا •

رابعا : نتائج هذا كله فى محيط العلاقات الدولية وأهمها زيادة تأثير القوى المعنوية فى العالم ، كالامم المتحدة ، والدول غير المنحازة ، وقوة الرأى العام العالمى •

وفى نفس الوقت اضطر الاستعمار تحت هذه الظروف الى الاتجاه نحو وسائل العمل غير المباشر • عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل • وعن طريق التكتلات الاقتصادية الاحتكارية • وعن طريق الحرب الباردة التى تدخل فى نطاقها محاولة تشكيك الامم الصغيرة فى قدرتها على تطوير نفسها وعلى الاسهام الايجابى المتكافىء ، فى خدمة المجتمع الانسانى •

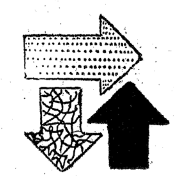
ثم رتب الميثاق على هذه التغييرات العالمية النتائج الاتية :

١ ــ انه بتفاعل هذه التغييرات العالمية مع ارادة الثورة الوطنية لم يعد اسلوب المصالحة مع الاستعمار ومساومته هو طريق الحرية بل انه طريق حمل السلاح مثلما فعل الشعب المصرى فى عام ١٩٥٦ ، ومثلما فعل الشعب العربى فى الجزائر •

٢ ــ ان العمل الاشتراكى لم يعد حتما عليه ان يلتزم التزاما حرفيا بقوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر • فان تقدم وسائل الانتاج ونمو الحركات الوطنية والعمالية فى مواجهة سيطرة الاستعمار والاحتكارات وزيادة فرص السلام فى العالم بتأثير القوى المعنوية وبتأثير ميزان الرعب الذرى فى نفس الوقت يخلق ظروفا جديدة أمام التجارب الاشتراكية تختلف تماما عن الظروف السابقة بل انها تستوجب هذا الاختلاف وتحتمه كضرورة •

٣ ــ ان الامر كذلك فى تجربة الوحدة ، فان النماذج السابقة لها فى القرن التاسع عشر ، وابرزها تجربة الوحدة الالمانية **وتجربة الوحدة الايطالية لم تعد تقبل التكرار ، وان اشتراط الدعوة السلمية واشتراط الاجماع الشعبى اصبح ضرورة لازمة للحفاظ على الوحدة الوطنية للشعب العربى فى ظروف العمل من أجل الوحدة القومية للامة العربية كلها وضد أعدائها الذين مازالت قواعدهم على الارض العربية** •

ومن هذا يتبين أن معاودة رصد ما انتهت اليه هذه التغييرات التى أشار اليها الميثاق فى عام



١٩٦٢ وما طرأ بعدها من متغيرات ،هو استطراد لمنطق الميثاق نفسه تفرضه ضرورة مراجعة السياسات ، مع ثبات الاهداف والمبادىء وفق ما اشار اليه الرئيس انور السادات فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٧٣ .

الملحوظة الرابعة :

ان الحديث عن المتغيرات الاخيرة التى تأكدت شواهدها فى السنتين الاخيرتين ، لم يبدأ فجأة بل انه كان موضع متابعة القيادة السياسية . ففى بيان الرئيس انور السادات امام مجلس الشعب بجلسة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٧٢ ، نبه الى أن العالم من حولنا كان يحفل بمتغيرات كانت ملاحقتها تجربة مضنية لنا ولغيرنا من الشعوب المناضلة ، وان علينا ألا نترك الظروف لتفرض على ارادتنا بل أن نتقدم لكى نفرض ارادتنا على الظروف .

وفى تقرير مجلس الشعب فى رده على بيان الحكومة الذى عرض فى مايو من هذا العام أشار الى سياسة التوافق العالمى وهى أهم المتغيرات ، وطلب أن نضع هذه السياسة فى اطارها الصحيح الذى تفيد منه قضيتنا .

الوفاق متغير أساسى

يعرض هذا التقرير الوفاق بين القوتين الاعظم كمتغير اساسى يمكن أن يلعب دورا مؤثرا حتى عام ٢٠٠٠ .

وفى عرض هذا المتغير الاساسى يحسن أن نستعرض تطور العلاقات بين القمتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، مكتفين بالمؤشرات الهامة فى مراحل هذا التطور . وفى هذا فاننا يجب أن ننبه الى أن موقف الدول الاخرى ، سواء تلك التى ارتبطت بأحداهما أن تبقى بعيدا عن دائرة نفوذهما . ومن ثم فان عرض تطور هذه العلاقات بين القمتين هو عرض فى الواقع لتطور علاقات المجتمع الدولى بأسره .

وتبسيطا للعرض فاننا نقسم مراحل تطور هذه العلاقات الى **مرحلة الحرب الباردة** ، ثم **مرحلة بداية انتهاء الحرب الباردة** ، واخيرا **مرحلة ظهور سياسة الوفاق** .

مرحلة الحرب الباردة :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عقد الحلفاء فى أغسطس سنة ١٩٤٥ مؤتمرا فى مدينة بوتسدام لتسوية آثار هذه الحرب وقد تمخض عن الاتفاقية التى عرفت باتفاقية بوتسدام والتى غيرت الخريطة السياسية لدول اوربا كما غيرت حدودها . ونتيجة لذلك قسمت اوربا الى ماعرف وقتئذ بأوربا الشرقية وقد ارتبطت بالاتحاد السوفيتى ، وما عرف بأوربا الغربية وقد ارتبطت بالولايات المتحدة الامريكية ، وقسمت ألمانيا المهزومة الى اقليمين شرقا وغربا وأصبح لبرلين وضع خاص تتقاسمه دول الحلفاء ، كذلك لحقت خريطة آسيا السياسية تغييرات هامة فشبه القارة الهندية انقسم الى دولتى الهند وباكستان عام ١٩٤٨ ، وتحررت اندونيسيا بعد صراع مرير مع هولندا عام ١٩٤٩ ، واعلنت الجمهورية الشعبية الصينية فى أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيطرت على اقليم الصين ، بينما انسحبت حكومة شيانج كاى شيك الى جزيرة فورموزا لتصبح دولة الصين الوطنية ، وفى عام ١٩٥٠ خاضت الولايات المتحدة حرب كوريا التى استمرت قرابة ثلاث سنوات فى محاولة لوقف الزحف الشيوعى فى جنوبى شرقى آسيا . أما فرنسا فلم تترك الهند الصينية الا بعد هزيمة جيوشها فى آخر قلاعها فى ديان بيان فو عام ١٩٥٤ وهى الهزيمة التى عقدت على أثرها معاهدة جنيف التى أنشأت دولتى فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وضمنت استقلال وحياد كامبوديا ولاوس .

ورغم اعلان ميثاق الامم المتحدة فى يونيو سنة ١٩٤٥ فانه فى أقل من خمس سنوات كانت رياح الحرب الباردة تهب على العالم ، فتجمع الغرب بزعامة الولايات المتحدة الامريكية فى حلف الاطلنطى فى ابريل ١٩٤٩ ثم اتبعته الولايات المتحدة بحلف آخر فى آسيا هو حلف جنوب شرقى آسيا المسمى أيضا حلف مانيلا فى سبتمبر ١٩٥٤ **وردا على** ذلك وقع الاتحاد السوفييتى مع دول أوربا الشرقية حلف وارسو فى ١٤ مايو سنة ١٩٥٥ . وقد تحول حلف الاطلنطى من أتفاقية عسكرية الى منظمة دولية عسكرية بموجب قرارات من مجلس الحلف عام ١٩٥٢ . ونشأ حلف بغداد ، حتى انسحبت منه العراق فى عام ١٩٥٨ فتحول

اسمه الى الحلف المركزى أو السانتو وأصبح مقره فى انقرة وهو يضم تركيا وايران وباكستان وانجلترا ، وهذا غير عديد من الاحلاف الثنائية ٠ وتكتلت دول الشرق اقتصاديا فى مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة المعروف بالكوميكون فى ٢٩ يناير سنة ١٩٤٩ بينما تكتلت دول الغرب اقتصاديا فى منظمة التعاون الاقتصادى الاوربى التى انتهت بعد ذلك الى السوق الاوربية المشتركة بموجب اتفاقية روما فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ وكانت فى بدايتها مكونة من ست دول فقط ٠ (المانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولنده ولوكسمبرج) ٠

وقد انعكست آثار هذه الحرب الباردة وما صحبها من تسابق فى التسليح ، وتطور فى الاسلحة النووية التى يملكها الجانبان على كثير من الازمات الدولية فى ايران وفى اليونان وقبرص وفى كوريا وفى برلين وفى الكونجو وفى لبنان وفى نيجيريا ٠ وانعكس ذلك ايضا على نشاط الامم المتحدة التى عجزت عن أن تتخذ أية قرارات فعالة الا بصدد بعض الازمات التى توافقت فيها مصالح الدول الكبرى ، لاسباب مختلفة ومتباينة ، على اتخاذ موقف واحد ، وهو ما حدث فى شأن الازمة الاندونيسية عام ١٩٤٧ والازمة الفلسطينية خلال الفترة ما بين عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ ، والعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ٠

كذلك كان لهذه الحرب الباردة آثارها على كثير من الدول الاسيوية والافريقية التى اجتمعت فى باندونج فى ابريل سنة ١٩٥٥ والتى كانت تريد ان تبقى بعيدة عن دائرة الصراع الذى كان يجرى بين الكتلتين الشرقية والغربية وأن تعمل على تخفيف حدة التوتر الدولى وهو المؤتمر الذى كان فاتحة لسياسة عدم الانحياز التى انتهجتها مصر وسجلها ميثاق العمل الوطنى عام ١٩٦٢ ٠

ومع ذلك فان تعاظم حركات التحرر الوطنى قد أدى الى صدور قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ بشأن تصفية الاستعمار ومنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة ، والتى شكلت بناء عليه لجنة تصفية الاستعمار ، واستطاعت معظم شعوب افريقيا ان تحصل على استقلالها ، وان تتجمع بعد ذلك فى منظمة الوحدة الافريقية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ ٠

ويمكننا من مراجعة وقائع العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية أن نقف عند أزمة صواريخ كوبا عام ١٩٦٢ ، لنستخلص منها مؤشرا على بداية انتهاء عصر الحرب الباردة ٠

مرحلة بداية انتهاء الحرب الباردة

كان التوتر قد بلغ اشده بعد حادث اسقاط طائرة التجسس الامريكية فوق الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٦٠ ، وجاءت أزمة صواريخ كوبا أثناء رئاسة الرئيس كيندى ، التى بدأت بمحاولة كيندى فى ٥ أبريل سنة ١٩٦١ انزال قوات من المرتزقة الكوبيين المناهضين لكاسترو فى منطقة خليج الخنازير ، وذلك بمعاونة المخابرات المركزية وفشلت المحاولة ٠ **وبعد شهور وقعت أخطر** مواجهة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة حينما اتهمت الولايات المتحدة الاتحاد السوفييتى فى اكتوبر سنة ١٩٦٢ بتركيب قواعد صواريخ كوبا ، وقامت الولايات المتحدة بفرض حصار بحرى على كوبا وطلب كيندى ازالة هذه القواعد فى مقابل رفع الحصار مهددا بغزو كوبا ٠

وكان هذا الحادث بمثابة انذار لخطورة المواجهة النووية ، وتنبيها الى ان أية مواجهة بين القوتين الاعظم سيترتب عليها تدميرهما معا ٠ كما كانت بمثابة اعلان لفشل سياسة جون فوستر دالاس القائمة على الردع النووى الشامل ٠

ولا يعنى هذا أن الحرب الباردة قد انتهت تماما بعد زوال خطر المواجهة فى كوبا ، فقد تجددت هذه الحرب فى جنوب شرقى آسيا بعد أن اندلعت الثورة الشيوعية ضد الحكومة الموالية لامريكا فى فيتنام الجنوبية فى عام ١٩٦١ ، وبعد أن كان الهدف الامريكى بعد عام ١٩٥٤ هو ضرب فيتنام الشمالية والقضاء على الوجود الشيوعى فيها اصبح هدفها توقى وقوع فيتنام الجنوبية فى أيدى القوى الشيوعية ٠ ومن هنا بدأ التدخل الامريكى فى فيتنام الذى تصاعد فى عام ١٩٦٤ بتورط مباشر فيها انتهى الى اقتراح الرئيس الامريكى جونسون فى ٧ مارس سنة ١٩٦٨ اجراء مفاوضات سلام مع حكومة هانوى وهى المفاوضات التى استمرت سنوات جنبا الى جنب مع العمليات الحربية والتى كان واضحا من مسارها أن الانتصار العسكرى المطلق أمر غير ممكن ٠

على أن توقيع اتفاقية الحظر الجزئى على اجراء التجارب النووية فى أغسطس سنة ١٩٦٣ تعتبر علامة بارزة على بداية النهاية لعصر الحرب الباردة ، وقد اعقبتها بعد ذلك معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية فى عام ١٩٦٨ ٠

وحينما وقعت حوادث تشيكوسلوفاكيا عام

١٩٦٨ وابتعدت الولايات المتحدة عن محاولة استغلالها أو التدخل فيها ، كان ذلك مؤشرا آخر على أن القوتين الاعظم تدركان استحالة المواجهة المباشرة بينهما ـ وهو نفس موقف الاتحاد السوفييتى حينما كانت القاذفات الامريكية تضرب فيتنام الشمالية ـ وان لكل منهما منطقة عمل حيوية مقصورة عليه Reserved Area أنها تمس أمنه مباشرة •

ولا يود التقرير أن يوغل فى تحليل الاسباب المختلفة التى دعت الى وضع نهاية لعصر الحرب الباردة • ولكن كان من الواضح فى عام ١٩٧٠ أن سباق التسلح قد أدى الى تحميل الدولتين بأعباء باهظة كان لها أثرها المباشر على اقتصادياتها ، وقد كان تورط الولايات المتحدة فى حرب فيتنام دون ان تنجح فى الوصول الى نصر سريع ، مع تصاعد نفقات هذه الحملة وقيمة المساعدات التى قدمتها للحكومات الموالية لها فى جنوب شرق آسيا • أثره فى الرأى العام الامريكى والعالمى ، وفى تحول السياسة الامريكية من القيام بدور الشرطى فى أية بقعة من العالم وتولى مسئولية الدفاع عنها ضد النفوذ الشيوعى الى أن تدع للحكومات المعنية مسئولية الدفاع بنفسها ، فبينما قال **الرئيس كينيدى** فى عام ١٩٦١ حين تولى مسئولية الحكم « لتعلم كل أمة أيا كانت رباتها تجاهنا أننا سندفع أى ثمن ونتحمل أى عبء ونواجه أى صعاب ونساند أى صديق ونقاوم أى عدو لنضمن انتصار الحرية » كان **الرئيس نيكسون** يقول فى رسالته الى الكونجرس عام ١٩٧٠ « أن امريكا لا تستطيع ولن تستطيع ان تدبر جميع الخطط وترسم كل البرامج وتنفذ كل القرارات وتتولى وحدها كل مسئولية الدفاع عن شعوب العالم الحرة » • وقد تمخض هذا عن تغيير السياسة الامريكية فى فيتنام الى ما عرف بفتنمة هذه الحرب •

وبالمقابل فان الاتحاد السوفييتى لم يعد متخلفا عن اللحاق بالقوة الامريكية المدمرة ، بل انه مثلها يملك أخطر الاسلحة الذرية وهو مثلها استطاع أن ينافسها فى السيطرة على الفضاء الخارجى • وقد برزت الى جواره الصين كقوة صاعدة ، وكان اشتداد النزاع الصينى السوفييتى الذى وصل الى حد وقوع صدام مسلح على الحدود بينهما فى مارس ١٩٦٩ عنصرا آخر للتقارب بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية تجنبا لمواجهة أكثر من صراع فى العالم •

ولعل العامل الاساسى هو ان القمتين الاعظم قد وصلتا الى حد من التوازن الاستراتيجى أصبح هو **المرتكز الفعلى لحماية الامن الدولى وأنه يجب** **استثمار هذا التوازن فى توسيع آفاق الحوار حول المشكلات الدولية والحد من سباق التسلح نوويا للتكاليف المادية الباهظة والقضاء على مصادر التوتر •**

واذا رجعنا الى رسالة نيكسون الى الكونجرس التى حدد فيها معالم السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة فى السبعينات (١٨ فبراير ١٩٧١) لتبين لنا أنه سجل فيها ان عام ١٩٦٩ كان بداية طيبة ولكن الامر يقتضى اتصالا مستمرا مثابرا مع العالم الشيوعى ، وأنه يقر فيها بأن قوة الاتحاد السوفييتى المتزايدة فى انتاج الصواريخ الذرية العابرة القارات قد خلقت تهديدا لقدرة الولايات المتحدة الرادعة •

مرحلة الوفاق

يمكننا أن نقول أن زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتى فى مايو سنة ١٩٧٢ كانت هى التسجيل الشكلى لقيام مرحلة الوفاق •

ومع ذلك فقد سبق هذا التسجيل الشكلى عدة تغييرات فى الاوضاع الدولية القائمة والمستحكمة ، ويمكن رصد بداية هذه التغييرات عند عام ١٩٧٠ ، حينما وقع الاتحاد السوفييتى مع ألمانيا الاتحادية معاهدة عدم اعتداء •

فقد ظلت سياسة المانيا الاتحادية قائمة على الدعوة الى وحدة الالمانيتين وعلى المطالبة بالعودة الى حدودها القديمة ، وكان هذا مصدرا للتوتر بالنسبة لبولنده وتشيكوسلوفاكيا بوجه خاص ، كما كانت هذه السياسة قائمة وفق مبدأ هولشتاين على قطع علاقاتها بأية دولة تقيم علاقات سياسية بالمانيا الديموقراطية •

وكانت بداية ذوبان الجليد هو توقيع معاهدة بين الاتحاد السوفييتى والمانيا الاتحادية فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٠ وهى تقضى بنبذ استخدام القوة وتوسيع مجالات الاتصال والتعاون بين البلدين • وفى هذه المعاهدة أقر الطرفان بأنه لا يمكن حماية السلام فى أوربا الا بشرط عدم المساس بالحدود الراهنة ، وأنهما يعتبران حدود جميع الدول فى أوربا مقدسة بما فى ذلك خط أودرنيس (وهى حدود بولندا مع المانيا الديموقراطية والتى كانت ألمانيا الاتحادية تطالب بالوصول اليها ضمن دعوتها الى المانيا موحدة) • وقد كانت هذه المعاهدة بذلك اعلانا من المانيا الاتحادية بالتنازل عن جميع طلبات الحدود ، سواء تلك التى تمس بولندا أو تشيكوسلوفاكيا •

وقد أعقب ذلك التوصل الى اتفاقية ٣ سبتمبر سنة ١٩٧١ بشأن برلين ، واتفاقية المرور بين

الدولتين فى ٢٦ مايو سنة ١٩٧٢ ٠ وفى نوفمبر سنة ١٩٧٢ وقعت الالمانيتان معاهدة لاقامة علاقات بينهما ، وأصبح من المقرر قبول الدولتين فى الامم المتحدة فى دورتها القادمة ، وبدأ فيلى برانت مستشار المانيا الاتحادية [الحزب الاشتراكى الديموقراطى] يعمل على تحقيق سياسة الانفتاح على الشرق اقتصاديا وفنيا .

وفى ظل مناخ الوفاق امكن الوصول الى تسوية لمشكلة الحرب الفيتنامية التى ظلت مستعمرة أكثر من ١٢ عاما ووقع اتفاقها النهائى فى ٢٣ يناير سنة ١٩٧٣ ، كما أمكن دعوة مؤتمر الامن الاوروبى فى ٣ يوليو من هذا العام حيث بدأت المرحلة الاولى لهذه المحادثات فى هلسنكى حيث شهدتها ٣٢ دولة أوربية من بينها الاتحاد السوفييتى كما اشتركت فيها كل من الولايات المتحدة وكندا ، وكانت الدعوة الى عقد مؤتمر الامن الاوربى لا تجد استجابة لها منذ أن دعا الاتحاد السوفييتى اليها فى عام ١٩٥٤ على شكل مشروع معاهدة أوربية للامن الجماعى ٠ وفى محادثات الامن الاوربى تأكدت سياسة الاعتراف بالحدود القائمة فى اوربا باعتبارها حدودا دائمة غير قابلة للتعديل .

على انه مما يلفت النظر فى الخريطة السياسية الدولية ان هناك عناصر جديدة قد طرأت عليها ، وهذه العناصر لا ترقى الى درجة اعتبارها من المتغيرات ، ولكنها يجب أن تكون فى الحسبان :

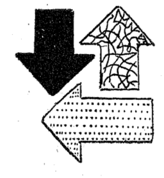
١ ـ وأهم هذه العناصر هو بروز الصين كقوة دولية بعد أن احتلت مقعدها الطبيعى فى مجلس الامن الذى ظلت محرومة منه منذ قيام الامم المتحدة .

وبعد زيارة نيكسون للصين فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٧٢ أعلن البيان المشترك الذى صدر بعدها أن الهدف هو سحب القوات الامريكية من جنوب شرقى آسيا بما فى ذلك تايوان (فورموزا) واعترف بأن فورموزا جزء من الاراضى الصينية ، وبذلك أصبح الطريق مفتوحا الى علاقات أوثق مع دولة آسيوية تحاول أن تلحق بالنادى الذرى ، وبينما تمسك الاتحاد السوفييتى بالدعوة الى دخول الصين الامم المتحدة ٠ استمرت الخلافات بينهما وأصبحت الولايات المتحدة هى التى ترتبط بعلاقات ودية ، او عادية بالدولتين الشيوعيتين .

٢ ـ كذلك فقد برزت أوربا الغربية كقوة اكتسبت درجة أكبر من الاستقلال تجاه سياسة الولايات المتحدة الامريكية ٠ وبدت أوربا الغربية كقوة اقتصادية مؤثرة فى العالم بعد أن انضمت بريطانيا وايرلنده والدانمرك الى السوق الاوربية وبعد أن أصبحت تسعى الى تحقيق وحدة نقدية واقتصادية لها فى عام ١٩٨٠ ٠ ان تعداد هذه الدول التسع أعضاء السوق الاوروبية المشتركة يبلغ ١٥٤ مليونا وهو أكثر من تعداد الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتى كما أن الانتاج الصناعى لهذه الدول مجتمعة يزيد عن الانتاج الصناعى للولايات المتحدة واليابان وصادراتها الى العالم تسعة أمثال صادرات الاتحاد السوفييتى وخمسة أمثال اليابان وثلاثة أمثال الولايات المتحدة .

وهناك دلائل كثيرة على أن أوربا تريد أن تقوم بدورها فى الشئون العالمية كشخصية متميزة (مواقف بريطانيا وفرنسا فى قرارات مجلس الامن الاخيرة الخاصة بالشرق الاوسط ـ سابقة انسحاب ديجول عام ١٩٦٦ من القيادة العسكرية الموحدة لحلف شمال الاطلنطى] وهوما أشار اليه البيان الصادر فى باريس فى أكتوبر ١٩٧٢ فى نهاية اجتماعات القمة لدول السوق الاوربية . كما أنها تريد أن يكون لها قوتها النووية المستقلة ، مما قد ينتهى بالنظام الدولى الى أن يتحول من نظام ثنائى تكون الهيمنة عليه للدولتين الاعظم الى نظام بين الثنائى والمتعدد وذلك بدخول قوى ذرية أخرى مثل الصين وفرنسا .

٣ ـ تجدد ازمات النقد العالمية ، وتوقع أزمة فى الطاقة ، وأزمات النقد لها صفة عارضة ، ولايمكن ان يكون لها وضع ثابت بحيث يمكن اعتبارها عاملا مؤثرا فى العلاقات الدولية ، ولكن من الواضح أن صندوق النقد الدولى أصبح يعمل حسابا للارصدة العربية للدول المصدرة للبترول ، والتى تقدر استثماراتها فى الاسواق الاجنبية بحوالى ٣٠ ألف مليون دولار ، وهى تزيد سنويا الى حد أن أرصدة السعودية وحدها تقدر فى عام ١٩٨٠ بأنها ستصل الى عشرة آلاف مليون دولار فى السنة .



اما توقع أزمة الطاقة فيكاد يكون أمرا مسلما به ، ومن هنا تبدو أهمية احتياطات الدول العربية في البترول التى تصل الى اكثر من ستين في المائة من احتياطى العالم •

ان هناك عبارات وردت في رسالة الرئيس الامريكى نيكسون الى الكونجرس التى وجهها فى ٣ مايو ١٩٧٣ يجب أن نقف أمامها متأملين ، فهو يشير من ناحية الى منطقة الشرق الاوسط التى يمزقها الانقسام القومى والاجتماعى والعقائدى بالاضافة الى الصراع العربى الاسرائيلى ،والى ان قيام الحربين العالميتين وتحرك تيار القومية قد أدى الى انهيار النظام الذى كان سائدا قبل عام ١٩١٤، وانه حتى الان لم تقم أنماط جديدة للاستقرار فى هذه المنطقة ، ثم يضيف :

« **لقد أدت الخلافات** الحديثة الى قيام وتراكم الخلافات القديمة التى مازالت قائمة ، وقد كانت أهمية المنطقة الاستراتيجية سببا فى استمرار تورط القوى الخارجية فيها ، وغالبا قام ذلك على اساس التنافس بين هذه القوى، ولذلك فان الشرق الاوسط كان ولعدة مرات منذ الحرب العالمية الثانية منطقة أزمات كبرى •

وانه لمن سخرية القدر حقا أن الشرق الاوسط يملك امكانيات ضخمة للتقدم والتنمية السلمية فهو من دون جميع مناطق العالم النامى لايعتمد بالمرة على تدفق رؤوس الاموال الخارجية وذلك بسبب ثرائه ، وقد أبدت دوله الغنية استطاعتها واستعدادها لتوفير رؤوس الاموال اللازمة • لمشاريع التنمية الخاصة بها كما بدأت هذه الدول فعلا مساعدة جيرانها فى التنمية ، فحركة الاعتماد على النفس والتعاون قائمة فى المنطقة على قدم وساق ، ان الحنين الى الوحدة يعتبر عاملا قويا فى العالم العربى لما لها من جذور تاريخية وثقافية عميقة ، وتجد القوة الدافعة الايجابية لها تعبيرا جديدا فى هذه المشاريع التعاونية » •

ويعود نيكسون فى وضع آخر من التقرير فيشير الى الدول العربية على انها تلك التى تمتلك الطاقة ويشير الى تضاعف العائد من البترول فى دول الخليج الفارسى [العربى] ثلاثة اضعاف خلال السنوات الخمس الماضية ، والى تزايد رصيدها من العملات الصعبة الذى أصبح سندا متزايدا فى النظام النقدى الدولى ، ويضيف « ونحن نشارك هذه الدول الرغبة فى الوصول الى ترتيبات تزيد من رخاء المنطقة بما يضمن وسائل فعالة لمقابلة الطلب العالمى للطاقة » •

ان هذه العبارات التى وردت فى تقرير نيكسون تكشف عن الاهمية الحيوية التى ينظر بها الرئيس الامريكى الى الشرق الاوسط ، كمصدر للطاقة وكمالك لاحتياطى ضخم للعملات الحرة ، وهى التى دعت الرئيس الامريكى الى أن يطلب من الكونجرس اصدار قرار يخوله توزيع البترول بالبطاقات كما دعته الى أن يرصد مبلغ ٣٠٠٠ مليون دولار للابحاث العلمية فى مجال استكشاف بدائل للبترول كمصدر للطاقة •

وقد سبق لدول السوق الاوربية المشتركة أن سجلت فى بيانها الذى أصدرته فى أكتوبر ١٩٧٢ « ضرورة حث المنظمات التابعة للجماعة الاوربية على اعداد سياسة الطاقة فى أقرب وقت ممكن على أن تشمل هذه السياسة تمويلا مضمونا ودائما للطاقة وذلك بشروط اقتصادية مرضية»، وهى اشارات لها دلالتها التى يجب أن تكون فى الحساب عند التخطيط للسياسة النفطية العربية واستخدامها فى التأثير على سياسات الولايات المتحدة واوربا تجاه البلاد العربية ، كما يجب ان يقابلها جانب الحذر من محاولات اسرائيل الايهام بأنها هى التى تستطيع أن تدافع عن مصالح الولايات المتحدة وأوربا فى ضمان تدفق بترول الشرق الاوسط اليها •

٤ ـ وهناك تغييرات أخرى فى المجتمع الدولى لم تتحول بعد الى عامل حاسم فى العلاقات الدولية وان كان يجب أن تقدر قيمتها • فنشاط منظمة الوحدة الافريقية قد أصبح يمثل ثقلا له اعتباره سواء فى الامم المتحدة أو فى القرارات الفردية التى اتخذت مثل قيام ست دول افريقية بقطع علاقاتها السياسية مع اسرائيل ومثل صدور قرار مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا فى ٢٩ مايو من هذا العام الذى ندد بشدة بموقف اسرائيل ومطالبتها بالانسحاب الفورى منبها الى الخطر الذى يهدد أمن القارة الاوربية ووحدتها نتيجة لعدوانها المستمر ، ورفضها الجلاء •

ومثل ذلك أيضا التغييرات التى تجرى فى أمريكا اللاتينية ومنها قيام حكومة جديدة فى شيلى مناهضة للسياسة الامريكية ، وقيام النظام الجديد فى الارجنتين ، وقيام كثير من دول امريكا اللاتينية باستئناف علاقاتها مع كوبا ، بل وبروز اتجاهات مستقلة عن سياسة الولايات المتحدة الامريكية وتطالب بالقضاء على العلاقات غير المتكافئة سواء فى بيرو أو المكسيك أو كولومبيا أو كوستاريكا أو فنزويلا أو نياما •

ان هذا كله يدعم دور دول عدم الانحياز التى ستعقد اجتماعا للقمة فى شهر سبتمبر فى

الجزائر ، والتى ينتظر ان يشهده اكثر من ثمانين دولة بالمقابلة لاول مؤتمر لهذه الدول عقد فى بلجراد عام ١٩٦١ ولم يزد المشتركون فيه عن ٢٨ دولة •

ان سياسة عدم الانحياز لازالت سياسة صالحة فى هذا المجتمع المتغير ورغم سياسة الوفاق، ذلك ان مفهوم عدم الانحياز لم يعد مجرد الوقوف على الحياد بين الكتلتين المتصارعتين بل انه موقف ايجابى يرمى الى تدعيم السلام والامن فى العالم ، وهو ليس السلام والامن المتعلق بالقمتين الاعظم ، كما كان الامر فى زمن الحرب الباردة ، بل انه سلام وامن الدول الصغيرة والمتوسطة وتعاونها الاقتصادى ، والذى اكدته الدول السبعة والسبعين النامية اعضاء مؤتمر التجارة والتنمية (انكتاد) منذ أول اجتماع لها فى جنيف عام ١٩٦٤ •

ه — كذلك فاننا يجب الا نغفل التغييرات التى طرأت على الخريطة السياسية والاقتصادية للعالم العربى فى السنوات الاخيرة ، فقد تحررت الجزائر وحصلت اليمن الجنوبية على استقلالها، وهى التى تحتل مركزا استراتيجيا هاما على باب المندب عند مدخل البحر الاحمر جنوبا ، وصفيت القواعد العسكرية التى كانت قائمة فى تونس وليبيا ، ونشأ اتحاد الامارات العربية فى يوليو ١٩٧١ ،بينما اعلنت البحرين وقطر استقلالهما، كما اعلن اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وليبيا وسوريا فى نفس العام ، وبرز دور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى لشعب فلسطين ، كما برز نضالها على الصعيد الدولى واصبح عنصرا يعمل حسابه • كما تغيرت الخريطة الاقتصادية للعالم العربى بعد ان اصبحت تحتل الصدارة بين الدول المنتجة للبترول وهذه القوة العربية الهائلة بمواردها وامكانياتها وتأثيرها الدولى المتزايد لازالت غير مستثمرة تماما نتيجة لبعض المتناقضات والخلافات التى يجب العمل على تخطيها ، وفى هذا فاننا يجب الا نغفل عن الملاحظات الاتية :

١ — ان وحدة الصف العربى فى مواجهة العدوان الصهيونى أمر تمليه طبيعة المرحلة والتهديد الصهيونى لكيان الدول العربية جميعا ومنذ مؤتمر القمة الذى عقد فى الخرطوم عام ١٩٦٨ حتى مؤتمر القاهرة الذى عقد بشأن ازمة المقاومة الفلسطينية مع السلطة الاردنية فى سبتمبر ١٩٧٠ لم يعد تصنيف الدول العربية فى مواجهة الصراع الاسرائيلى الى دول تقدمية ودول غير تقدمية أمرا مقبولا ، بل أصبح مناط العمل العربى هو ما تستطيع أن تسهم به كل دولة فى المعركة بصرف النظر عن اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية ، فان ما بينها من نقط الالتقاء فى مواجهة الصراع الاسرائيلى أكثر مما بينها من نقط خلاف تتعلق بنظمها الداخلية •

ب — أن بعض الدول العربية تربطه علاقات ودية وتعاون مع الاتحاد السوفييتى بينما أن دولا أخرى لم تقطع علاقاتها السياسية بالولايات المتحدة وبعضها قد أعادها •

ج — أن للولايات المتحدة استثمارات مباشرة لاستخراج البترول فى البلاد العربية المنتجة للبترول ، وانها قد ارتبطت مع الجزائر بعقد طويل المدى (عشرون عاما) بشأن توريد الغاز الطبيعى •

د — ان ايران قد برزت كقوة عسكرية واقتصادية تطل على منطقة الخليج ، وقد عقدت مؤخرا صفقة سلاح ضخمة مع الولايات المتحدة مقدارها ٢٠٠٠ مليون دولار ، وهى فى نفس الوقت تحاول أن تحتفظ بعلاقات ودية بالاتحاد السوفييتى ، وقد دفعتها قوتها المساعدة الى ان تعلن اخيرا انها لن تسمح بتكرار ما حدث فى بانجلاديش ، باعتبار أن هذه المنطقة قريبة من حدودها وماسة بأمنها •

تحليل سياسة الوفاق ونتائجها

اذا كانت سياسة الوفاق قد تأكدت بدايتها بزيارة نيكسون للاتحاد السوفييتى فى مايو ١٩٧٢ ، فان زيارة بريجنيف للولايات المتحدة هذا العام قد طورت هذه السياسة الى مرحلة أكثر تقدما هى بداية مرحلة تعاون فى كثير من المجالات •

وحتى يمكن نفهم أثر هذه السياسة كمتغير عن العلاقات الدولية ، فانه يجب عدم الاكتفاء بالرجوع الى البيان الرسمى الذى اذيع فى ٢٩ مايو ١٩٧٢ عقب زيارة نيكسون ،ولا الى مجرد الاتفاقات التى وقعت بعدها بين الدولتين سواء بعد هذه الزيارة او بعد زيارة بريجنيف للولايات المتحدة ، بل أنه يتعين الرجوع الى وثيقة « اعلان المبادىء الاساسية للعلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى » ، التى اشار اليها البيان الاول •

ان هذه الوثيقة تحوى اثنى عشر بندا وهى تنطلق من هدفين أساسيين أشارت اليهما مقدمة هذه الوثيقة — الهدف الاول الرغبة فى ازالة خطر الحرب وخلق الظروف التى تشجع على الحد من التوتر فى العالم ودعم الامن العالمى ، والهدف

الثانى هو تحسين العلاقات السوفيتية ـ الامريكية وتنميتها والاسهام فى تحسين التفاهم المتبـادل والتعاون بينهما ٠

ثم يقرر البند الاول من هذه الوثيقة أنهما **« سينطلقان من تصميم مشترك مفاده أنه لا بديل فى العصر الذرى لادارة علاقاتهما المشتركة الا على أساس التعايش السلمى ، وأن الخلافات فى المذهب وفى النظم الاجتماعية لكل من الولايات المتحد الامريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ليست عقبات فى سبيل التنمية الثنائية للعلاقات العادية على أساس مبادىء السيادة والمساواة »** ٠

ثم يعود البند الثانى من هذه الوثيقة فيرتب على **أنه لا بديل فى العصر** الذرى **لغير التعايش** السلمى ، **أنهما « يعلقان أهمية كبيرة على منع نشوء وتطور مواقف يمكن أن تسبب تفاقما خطيراً فى علاقاتهما ٠ ومن ثم فانهما سيبذلان كل ما فى وسعهما لتجنب المجابهات العسكرية ، ومنع نشوب حرب ذرية وسيعملان دائما على ضبط النفس فى علاقاتهما المتبادلة »** ٠

ثم تعود الوثيقة فى البند الثالث فتـؤكد مسئولياتهما الخاصة عن تجنب نشوء صراعات أو نشوء مواقف تؤدى الى زيادة التوتر الدولى » ٠

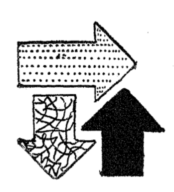
وتتضمن الوثيقة بعد ذلك اعلان العزم على مواصلة الجهود لتقييد الاسلحة الاستراتيجية ثم لتشجيع الروابط الاقتصادية والتجارية وتنميـة التعاون فى مجال العلوم والتكنولوجيا وفـى المجالات الثقافية وأن هذا التعاون سيكون على أساس ثابت وطويل الاجل ٠

ويمكن من هذه الوثيقة أن نستخلص أمرين على جانب كبير من الاهمية :

١ ـ أن الطرفين يسلمان بعدم امكان المجابهة المباشرة بينهما وأنهما لن يسمحا بقيام صراعات أو مواقف تؤدى الى توتر دولى أو الى تفاقم فى علاقاتهما ٠

٢ ـ أن هذه المبادىء قد أرست دعائم العلاقات بينهما لاجل طويل ٠

ومن ناحية أخرى فقد وردت فى هذه الوثيقة عبارات بشأن أثر هذا الوفاق بالنسبة للـدول الاخرى ، فهى فى المقدمة تشير الى أن **تنمية هذه العلاقات « لن تكون اضطرارا بأى شكل بمصـالح الدول الاخرى »** ويسجلان فى البند الثانى أن : **« محاولة حصول أحد الطرفين على مزايا على حساب الاخر بشكل مباشر أو غير مباشر أمر لا**



يتفق مع أهدافهما » ثم يسجلان فى البند الحادى عشر : **« بان تنمية العلاقات الامريكية السوفيتية ليست موجهة ضد دول اخرى وضد مصالحها ،** ومع ذلك فهما يقرران فى البند الثانى عشر : **أن المبادىء الاساسية الواردة فى هذه الوثيقة لا تؤثر على أية التزامات تكون الدولتان قد التزمتا بها فيما يتعلق بدول أخرى ٠**

النتائج المباشرة للوفاق

بعد ذلك نعرض لاهم النتائج المباشرة لهذا الوفاق الذى عبرت عنه وثيقة اعلان المبادىء ٠

لقد أبرمت الولايات المتحدة مع الاتحـاد السوفيتى فى أكتوبر الماضى معاهدة تجـارية تضمنت تخفيضات فى التعريفة الجمركية على الواردات السوفيتية مع منحها شرط الدولة الاولى بالرعاية (وهذا الموضوع لا يزال محل نقاش فى الكونجرس الامريكى) ، وأبرمت صفقة القمح التى أربت قيمتها على بليون دولار نظـرا لنقص المحصول السوفيتى نتيجة لعوامل طبيعية ، وهو نقص طارىء يجب ألا نعمل له حسابا كبيرا ٠

على أن أهم النتائج المباشرة لهذا الوفاق ، كان الانتهاء من توقيع اتفاقية الصلح الخاصة بحرب فيتنام وتوقيع اتفاقية للتعاون فى الفضاء وفى ميادين العلم والتكنولوجيا وتوقيع اتفاقية بشأن الحد من الاسلحة الهجومية ٠

وتمثل زيارة بريجنيف للولايات المتحدة فى يونيو من هذا العام مزيدا من التقدم فى العلاقات بين الدولتين ، فقد تمخضت سياسيا عن دعوة مؤتمر الامن الاوربى الذى عقد فى شهر يوليو ، كما تمخضت عن توقيع اتفاقية للتفاوض فى شأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية وأبرمت عدة اتفاقيات فى مجالات التعاون الاخرى فيما يتعلق بتطوير

الاستخدام السلمى للطاقة وبشأن تبادل المعلومات التكنولوجية حول المواصلات وتوسيع التعاون فى أبحاث المحيطات وانهاء الازدواج الضريبى وانشاء غرفة تجارية سوفيتية ـ أمريكية ومنح تمثيل دائم فى موسكو لعشر شركات وبنوك امريكية ومد خطوط شركة الطيران السوفيتية (ايروفلوت) الى ما بعد نيويورك لتصل الى واشنطن مع منح الولايات المتحدة خطا الى لينينجراد ، وقد فتح الباب أمام تعاون مشترك فى مشروعات هامة مثل خط الانابيب من سيبريا الى كاليفورنيا وذلك للاستفادة من التكنولوجيا الامريكية المتقدمة وتوسيع حجم التبادل التجارى بين الدولتين ٠

وقد تبدو الاشارة الى مظاهر هذا التعاون بعيدة عن موضوعنا الاساسى وهو أثر المتغيرات العالمية على مسار عملنا الوطنى ، ولكن لهذه الاشارة مغزى فى تبين أبعاد هذا الوفاق وبالتالى التعرف على نتائجه بالنسبة لسياستنا ٠

سياسة الوفاق والموقف فى الشـرق الاوسـط

لم تكن سياسة الوفاق مفاجأة ظهرت هذا العام ، بل أنها كانت واضحة المعالم فى وثيقة المبادىء التى أشرنا اليها والتى أعلنت فى مايو الماضى عقب زيارة نيكسون للاتحاد السوفييتى ، كما أنه كانت لها عدة مقدمات سبق أن أشرنا اليها ٠

واذا أردنا أن نقيم سياسة الوفاق تقييما موضوعيا فيجب أن نلاحظ ما يأتى :

١ ـ أن الدعوة الى التعايش السلمى كانت تمثل دائما جزءا من السياسة السوفيتية حتى فى زمن الحرب الباردة ، كما ان الدعوة الى التقارب بين الكتلتين وازالة اسباب التوتر بينهما كانت امنية لدول عدم الانحياز عبروا عنها فى أول مؤتمر لهم عقد فى بلجراد عام ١٩٦١ وقت أن كانت الحرب الباردة على أشدها ٠

٢ ـ هذه السياسة قد فتحت الباب امام انهاء كثير من المنازعات فى العالم ، ولكنها لم تقض على المتناقضات القائمة بين الكتلتين سواء أيديولوجيا أو بالنسبة لمصالحهما ، وكل ما هنالك فان القمتين لن يسمحا لاى خلاف بان يؤدى الى مواجهة بينهما ٠ بينما انه قبل اجتماع موسكو كان هذا الخطر قائما حتى ان الرئيس الامريكى نيكسون قد أشار الى ذلك فى تقريره الى الكونجرس عن سياسة أمريكا فى السبعينات (٢٥ فبراير سنة ١٩٧١) ٠

٣ ـ أن أزمة الشرق الاوسط لم تكن موضع اتفاق بين القمتين سواء فى اجتماع موسكو فى العام الماضى أو فى اجتماع واشنطون هذا العام ٠ فبعد اجتماع موسكو أشار البيان المشترك الى تأييد الطرفين لبذل الجهود للوصول الى حل سلمى وفق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مع التعاون مع مبعوث السكرتير العام للامم المتحدة ، ولكن فى اجتماع واشنطون اكتفى البيان المشترك بالاشارة الى ان كل طرف قد تمسك بموقفه وانهما سيبذلان جهودهما للوصول الى تسوية عادلة ، وهذه التسوية ستكون وفق مصالح الدول فى المنطقة على أن يؤخذ فى الاعتبار المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى ٠

وواضح أنه رغم عدم اتفاق الطرفين فى شأن الوصول الى رأى موحد بالنسبة لازمة الشرق الاوسط الا أن هناك اتفاقا بينهما حول ثلاثة أمور : التسوية السلمية ـ ضمان سيادة الدول فى المنطقة بما فى ذلك اسرائيل ـ الاشارة لاول مرة على لسان الولايات المتحدة الى المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى ٠ أما الخلاف بينهما فهو يعكس أن الاتحاد السوفييتى يؤيد الموقف العربى وفق سياسته المعلنة من قبل ، كما أن الولايات المتحدة تؤيد مطالب أسرائيل بشأن ما سمعته تسوية يراعى فيها الحفاظ على أمن اسرائيل على أساس التفاوض ٠

٤ ـ ان جولدا مائير قد أعربت عن ارتياحها الى عدم توصل واشنطون وموسكو الى اتفاق بشأن حل قضية الشرق الاوسط ، ذلك أن اسرائيل تخشى مثل هذا الاتفاق الذى يمكن أن يشكل ضغطا سوفيتيا أمريكيا عليها ، مثل الضغط الذى جرى بعد عدوان عام ١٩٥٦ ٠

٥ ـ أن هناك اشارات واضحة فى ميثاق المبادىء الاساسية لعلاقات القمتين ، الى ان هذا الوفاق لا يمكن أن يكون على حساب دول أخرى ٠ وهو ما أكده الرئيس بودجورنى فى خطابه فى ٢٢ مايو سنة ١٩٧٢ حيث قال « ان الاتحاد السوفييتى يرى أنه من الممكن ومن المرغوب فيه اقامة علاقات طيبة بل وودية بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ولكن ذلك لن يكون بالتأكيد على حساب أى دولة أو شعوب أخرى وأنه رغم وجود خلافات أيديولوجية فان هناك عوامل موضوعية تقرر وجود مصالح متماثلة ٠

- والذى يمكن أن نستخلصه من ذلك أن علينا أن نستثمر نقط الالتقاء بيننا وبين الاتحاد السوفييتى بما يدعم هذا الوفاق لمصلحتنا على أن يكون فى حسباننا أن القوتين الاعظم لن يدعا لاى صراع أن يتدخل فى احساسهما المشترك بضرورة تدعيم التفاهم بينهما • وليس معنى هذا بالضرورة ان هذا الوفاق سيكون على حسابنا ، بل معناه أن أزمتنا لا يمكن أن تقوض علاقاتهما الودية •

الخلاصة

من كل ما تقدم نخلص الى أنه قد نشأ عن تسويات الحرب العالمية الثانية بنيان دولى جديد تميز بالمعالم الاتية :

اولا : لفترة معينة ، كانت الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى تتمتع باحتكار السلاح الذرى والنووى ووسائل نقله الى أى مكان فى العالم ، ومضت سنوات دون أن يظهر رادع حقيقى لتلك الميزة النسبية الهائلة •

ثانيا : وفى نفس الفترة ، كانت الولايات المتحدة أيضا أعظم قوة انتاجية ، وكان الفارق بينها وبين آية دولة تالية لها فى الترتيب ، أو حتى مجموعة دول فارق شاسع ، مما جعل أمريكا تتميز فى هذا المجال بتوفير فائض انتاج استهلاكى كبير تستطيع تقديمه لدول العالم •

ثالثا : وكانت أوربا الغربية واليابان فى حاجة ماسة لعملية بناء اقتصادى وسياسى وعلمى وتكنولوجى ، وكانتا مضطرتين للاعتماد على الولايات المتحدة فى ذلك الى حد كبير •

رابعا : ان الاتحاد السوفيتى قد خرج من الحرب بانتصار سياسى ، ولكنه كان فى حاجة لاعادة بناء وتنمية موارده ، فى نفس الوقت الذى كان يعمل لخلق قوة رادعة للقوة الامريكية •

خامسا : ان كثيرا من دول العالم الثالث دخلت مرحلة التحرير الوطنى بثورات شعبية لم تتمكن الدول الاستعمارية من التصدى لها بوسائلها القديمة •

سادسا : انه قد ظهر على المسرح الدولى — منذ عام ١٩٤٥ — دور منظمة الامم المتحدة كمنبر منظم للتعبير عن آراء الدول ومسرح لعملية التنسيق فى النزاع الدولى •

سابعا : ان الدخول فى الحرب الباردة كان محاولة من الاتحاد السوفيتى لتصحيح موازين قوته النسبية أمام التفوق الامريكى ، وبخاصة عن طريق تشجيع حركة التحرير الوطنى ومحاولة استمالتها وكسب تأييدها للموقف السوفيتى المضاد للولايات المتحدة ، وذلك الى جانب المضى فى بناء قوته الذاتية التكنولوجية والانتاجية لخلق السلاح الرادع للسلاح الامريكى •

وتلت ذلك مرحلة الحرب الباردة النشطة ، فبعد أن حصل الاتحاد السوفيتى على قوة ذرية وكسر الى حد ما التفوق الامريكى ، ظل لعدة سنوات يريد أن يكسب الوقت والخبرة التكنولوجية لتطوير سلاحه النووى ليصل الى حد الردع ، ومن ثم فقد كانت التناقضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى دول العالم الثالث وفى الحركات القومية بوجه عام فى مصلحته كما كان من مصلحته اثارة الاحزاب الشيوعية ، والجبهات الموالية لها فى الدول الغربية لتحقيق أكبر قدر من الضغط على الولايات المتحدة التى كانت لا تزال تحتفظ بتفوق حاسم •

وقد كانت هذه الفترة هى فترة التحالف النشط بين الاتحاد السوفيتى والحركات القومية ، حتى تلك المعادية للشيوعية وذات الاتجاهات الوطنية ، وذلك فى سبيل تطويق وحصر النفوذ الامريكى ، فكان ان عقد الاتحاد السوفيتى صفقة أسلحة مع مصر ، وتقبل التعامل مع دول العالم الثالث على أساس مبادىء باندونج ، وكل هذا ادى الى تقارب بين الاتحاد السوفيتى ودول العالم الثالث ، وقيام جبهة مشتركة بينه وبين الحركات القومية •

وتلت تلك المرحلة مرحلة اخرى تتميز بما يلى :

أولا : وصول الولايات المتحدة الى تحقيق القدرة على تدمير العالم عدة مرات ، الى جانب التوصل الى تحقيق قوة الضربة الثانية الرادعة ، بحيث أصبحت أى زيادة فى قوتها التدميرية بعد ذلك ضربا من الاسراف الذى لا مبرر له •

ثانيا : وصول الاتحاد السوفيتى هو الاخر الى القدرة النووية لضرب الولايات المتحدة ، وقوة الضربة الثانية الرادعة ولو بدرجة أقل من الولايات المتحدة •

ونظرا لان أى تصاعد فى القوة النووية التدميرية لاى من الدولتين أصبح عقيما اذ لا معنى لتدمير العدو عدة مرات ، فقد بزغ فجر مرحلة جديدة هى مرحلة الوضع النووى الذى لا يسمح لاى من الطرفين بالتحرك ضد الاخر ، فاصبح من الصعب على كل القطبين محاربة الطرف الاخر محاربة نووية ، أى أن هذا التكافؤ النووى الثنائى قد حقق الغاء شبه كامل للاستخدام النووى فى حل المنازعات بين القطبين • وقد بدا هذا بوضوح اثناء

الازمة الكوبية حين قام نظام شيوعى موال للاتحاد السوفيتى على بعد تسعين ميلا من الشاطىء الامريكى فى فلوريدا ، وهو ما اعتبرته الولايات المتحدة خرقا خطيرا لاحدى الركائز الاساسية فى السياسة الامريكية (مبدأ مونرو) ومع ذلك فقد ثبت ان الولايات المتحدة لا تستطيع استخدام قوتها النووية ضد كوبا رغم خطورة التحدى ، وفى نفس الوقت قبل الاتحاد السوفيتى أن يسحب صواريخه تحت الضغط الامريكى •

ثالثا : وقد اتاحت هذه الفترة أكبر قدر من الحرية لدول العالم الثالث للمناورة بين القطبين الكبيرين وممارسة الضغط ، فكانت أمريكا تحاول أن تحيط الاتحاد السوفيتى بسياج محكم من القواعد والاحلاف ، وكان الاتحاد السوفيتى يحاول أن يقفز من هذا السياج بتحالفه مع قوى التحرير الوطنى ، وبرزت فى هذه المنافسة العناصر الاتية :

أ ـ سياسة توريد السلاح •
ب ـ سياسة المعونة الاقتصادية والفنية •
ج ـ الثورات والحروب الشعبية والنشاط المضاد للثورة •

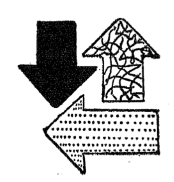
ثم انتقل العالم الى الفترة الانتقالية التى بشرت بعهد الوفاق ومهدت له ، وتميزت بما يلى :

أولا : تفكك العلاقة التقليدية بين قيادة كل معسكر وتوابعه ، مع استمرار علاقة التعاون وخاصة فى المسائل العسكرية ، وتمثل هذا التفكك أساسا فى الظواهر الاتية :

أ ـ ظهور أوربا الغربية والسوق الاوربية المشتركة ، كقوة يحسب حسابها اقتصاديا وسياسيا .

ب ـ الدور المستقل لفرنسا ودخولها النادى النووى مستقلة تماما عن أمريكا •

جـ ـ ظهور اليابان كطاقة انتاجية فرضت نفسها على الخريطة الدولية الاقتصادية •



ثانيا : ظهور حركات استقلالية داخل المعسكر الشرقى ابتداء بيوجوسلافيا وانتهاء برومانيا ، مع وجود أزمات عديدة فى عدد من الدول الاشتراكية وظهور ماعرف بتعدد المراكز ، اى ظهور المراكز والقيادات المتعددة داخل الحركة الاشتراكية •

ثالثا : احتلال النزاع الصينى السوفيتى أولوية عالية فى اهتمامات الاتحاد السوفيتى بعد ضمان قدر معقول من الامن فى أوربا •

رابعا : ضعف الامم المتحدة كمنبر وكعنصر ملطف تستخدمه الدول الكبرى كأداة رئيسية لحل المشاكل الخارجية •

وكان منطقيا ازاء تداعى الاحداث والظروف على النحو السابق أن تتوصل الولايات المتحدة الى ترشيد علاقة القوى بينهما على اساس تحديد السلاح النووى الذى حقق هدفه الاصلى وأصبح المضى فيه يشكل تكلفة باهظة لا معنى لها •• فمن ناحية لم يعد لهذه الاسلحة مغزى عسكريا يذكر ، ومن ناحية أخرى فان تكاليفها الباهظة عاقت من قدرة الطرفين على حل مشاكلهما الداخلية التى بدأت تصبح ملحة وخطيرة ، ففى الولايات ، برزت مشاكل التضخم والبطالة والاقليات وحماية البيئة والخدمات الاجتماعية والطبية ، وفى الاتحاد السوفيتى،وجه قدر كبير من اهتمام الحزب والدولة لحل مشكلات الاسكان والزراعة ومواجهة الاستهلاك المتزايد •

ومن هنا فان الوفاق فى جوهره تحديد للتسابق النووى ، وان كان الاتفاق على هذه النقطة ـ وفى ضوء المتغيرات الاخرى ـ قد أدى الى محاولة لتوسيع نطاق التفاهم حول المصالح المشتركة بينهما ، مثل استجلاب الاستثمارات الامريكية • والاوربية واليابانية الى الاتحاد السوفيتى ، فى مقابل حصول الاخير على خبرة تكنولوجية متقدمة ومواد زراعية لسد حاجته ، وبالنسبة للولايات المتحدة ، يحقق هذا التعاون تأمين موارد طاقته بطاقة اضافية خاصة فى مجال الغاز ، وتصدير بعض السلع الفائضة والوصول الى المستهلك السوفيتى على نحو يحقق دعاية للولايات المتحدة •

كل هذا أدى الى المبادرة التى قام بها نيكسون بعد اتصالات واعدادات مضنية وتحقيق قدر من « المصالحة الامريكية السوفيتية » التى توازنها وتقابلها مصالحة جزئية أمريكية صينية ، واستعادة واشنطن لبعض ما فقدته من القدرة على الحركة داخليا وخارجيا أثناء تورطها المتصاعد

فى حرب فيتنام وتوصلها الى اتفاق مرحلى يتيح لها الانسحاب التدريجى وغير المفضوح من فيتنام ، وازكاء المخاوف الصينية السوفيتية بطريقة محسوبة كوسيلة لضبط العلاقات الجديدة فى الشرق الاقصى ٠

وترتب على هذا أيضا ، قيام كل من القطبين باعادة نسيج علاقاته الدولية على أساس حسابات جديدة وارتباطات جديدة ، مع الاستمرار فى الارتباط باطار ايديولوجى بدرجات متفاوتة ، ويمكن أن يقال ان حدود هذا الوفاق تلخص فيما يلى :

أولا : اتفاق القطبين على تجنب الصدام النووى المباشر بينهما ٠

ثانيا : استمرار القطبين فى سياسة الوصول الى مجالات متزايدة ــ بقدر منضبط ومحكوم ــ من التفاهم المتبادل ، مع تجميد مجالات الخلاف ، دون ازالتها أو على الاقل الحد من درجة هذا الخلاف ٠

ثالثا : الوصول الى ارتباطات جديدة وتنسيق جديد لعلاقات القوى بينهما ، وهى عملية ديناميكية متغيرة وفى غاية الدقة ، ونحن نعيش فى أولى مراحلها ، ومن ملامحها الهامة انها تحتوى على صراع غير مباشر بين القطبين ، أو بينها وبين الاقطاب الجديدة وبعض دول العالم الثالث ٠

ويهدف هذا الصراع الى أن يحافظ كل طرف على مراكز قوته النسبية أو تحسينها باحراز تقدم معين فيها قد يتحقق على حساب علاقة هذه الدولة أو الدول بالقطب الاخر ٠

رابعا : انه من التسرع ان يقال بأنهذا الوفاق سيكون حتما على حساب دول العالم الثالث ٠ فمن ناحية ، يتعذر على القوى ــ مهما كانت سطوتها ــ أن تتصرف فى العالم على النحو الذى كانت تفعله القوى الاوربية فى مطلع هذا القرن (اتفاقية ١٩٠٤ بين فرنسا وبريطانيا مثلا) وذلك لاعتبارات كثيرة أهمها ظهور لاعبين عديدين على الساحة الدولية واصرار دول العالم الثالث على الا يتقرر مصيرها فى غيبتها ، ومن ناحية اخرى فليس من صالح القطبين ، وبخاصة الاتحاد السوفييتى أن يتخلى عن الدول التى تتطلع اليه كسياج ضد سيطرة الامبريالية الامريكية وقوة يمكن الاستعانة بها للمضى فى التحول الاشتراكى ، فلاشك انه مهما كان شأن المصالح الامريكية السوفييتية المشتركة ، فان توسيع وتعميق التحول الاشتراكى فى مجتمعات مختلفة يعتبر من عناصر الامن الاساسية بالنسبة للاتحاد السوفييتى ، خاصة فى المدى المتوسط والطويل ، كما انه من الصعب أن نتصور أن يتخلى الاتحاد السوفيتى عن مساندته لحركات التحرير الوطنى ، والا فقد هيبته فى العالم ٠

أسئلة للحوار

واذا كانت تلك هى المتغيرات السياسية الهامة التى طرأت على المجتمع الدولى فماذا عسى أن يكون تأثيرها على مسار العمل الوطنى وقضية تصفية العدوان ؟ وما هى الأسئلة التى يطرحها هذا الوضع والتى تقتضى منا نظرة أعمق ومتابعة مستمرة حتى تكون رؤيتنا واضحة فى كل المراحل ٠

ان أهم الاسئلة التى يمكن أن يدور حولها الحوار هى :

١ ــ اذا كان الاتحاد السوفييتى قد وصل الى صياغة محددة للدور العالمى الذى ينوى القيام به ، فما هى الصيغ التى نستطيع بها أن نتوقع درجات من الدعم السوفييتى تتقابل مع رؤيتنا العامة ، وكيف نستطيع العمل على تصعيد درجات الدعم ؟ ٠

٢ ــ الى أى مدى يمكن أن يكون دور الامم المتحدة مؤثرا ، مع ما تبين من عجزها عن تنفيذ قراراتها ؟

٣ ــ الى أى مدى يمكننا الافادة من القوة المتزايدة لاوربا واتجاهاتها السياسية المستقلة عن الولايات المتحدة ؟

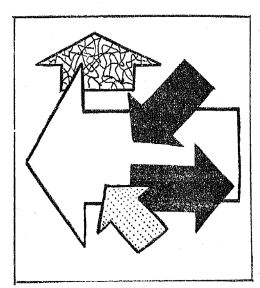
٤ ــ ما هى النتائج الواقعية التى يمكن أن يحققها الاتجاه العام لدول عدم الانحياز وكيف يمكن أن نفيد من دورها فى ظل الوفاق ؟

٥ ــ كيف يمكن أن نجعل الدور العربى مؤثرا وفعالا ؟ وفى ذلك كيف يمكن الاستفادة من الثروات البترولية العربية ومن تراكم رءوس الاموال العربية ، كعنصر قوة من عناصر صراعنا مع اسرائيل ؟ وما هى حجم الاضافة التى تحققها الوحدة بين مصر وليبيا لعناصر القوة اللازمة ؟

٦ ــ الى اى مدى تؤدى سياسة الوفاق الى وجوب الاعتماد على قدرتنا الذاتية لخوض معركة التحرير ؟ وما هى حدود هذه القوة الذاتية وعلاقتها بالقوى العربية والدولية ؟ وكيف يمكن بذلك أن نفرض ارادتنا على هذه المتغيرات السياسية فى المجتمع الدولى ؟ ٠

حـوار مع ورقـة الحـوار

أبو سيف يوسف



فى هذه الدراسة اهتم أبو سيف يوسف بعدد من القضايا المنهجية فى محاولة للتوصل الى تحديد أدق ، وطرح أوضح ، لمعنى « التغيرات » ولمضمون الثورة العلمية والتكنولوجية كظاهرة اجتماعية تختلف انعكاساتها باختلاف النظام الاجتماعى فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية ٠
ثم دعا الكاتب الى ضرورة تحديد أدق للنقاط الاربع التالية :
١ — مدلول الوفاق وأبعاده ٠
٢ — الموقف من الاتحاد السوفيتى ٠
٣ — الموقف من رأس المال الاجنبى ٠
٤ — قضية القطاع الخاص ٠
واختتم دراسته بالتأكيد على الوحدة الوطنية حول برنامج سياسى اقتصادى يحكمه شعار تحرير الارض ٠

طرحت ورقة الحوار عددا غير قليل من القضايا طرحا بعيدا عن الوقائع العلمية والتاريخية والسياسية التى لا خلاف حولها . وهذا الامر لا يصح التجاوز عنه ، طالما ان ورقة الحوار قد تم تقديمها الى الرأى العام فى بلادنا والبلاد العربية باسم الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى واللجنة الدائمة لمجلس الشعب ٠ وطالما ان الهدف المعلن من الحوار ٠ هو وضع استراتيجية تحكم مسار العمل الوطنى الى سنوات عديدة قادمة ٠

وفيما يلى بعض الامثلة :

١ — **ما ذكرته ورقة الحوار عن التاريخ الذى** وقعت فيه المتغيرات ، حين اشارت الى أنها « متغيرات سياسية واقتصادية وتكنولوجية واجتماعية وسلوكية هامة تمثلت بصفة أساسية فى ظهور قوى اقتصادية وسياسية عالمية جديدة ٠٠٠ وفى الاتجاه نحو التكتل والاندماج السياسى والاقتصادى ثم فى سياسة الوفاق العالمى ٠

ان ورقة الحوار تشير الى ان هذه الاحداث التى ظهرت على مسرح السياسة العالمية قد وقعت « منذ ان صاغ شعبنا العظيم فلسفته وحدد ابعاد سياسته فى ميثاق العمل الوطنى » ثم ما تلا ذلك ، من التحول الاشتراكى ، وتعميق الاتجاه نحو الوحدة العربية ، ثم هزيمة ٥ يونيو ، ثم حركة التصحيح وقيام دولة المؤسسات .. الخ ٠

والواقعة التى تحتاج الى تصحيح — هنا — هى ان المتغيرات التكنولوجية التى بدأت تفعل فعلها داخل البلدان المتطورة صناعيا ، وعلى مسرح السياسة الدولية ، انما ترجع الى الخمسينات من

هذا القرن واذا ما اتفقنا على انه لا توجد ثورة « للتكنولوجيا » وحدها (وانما هناك ظاهرة اجتماعية مركبة واحدة هي « ثورة العلم والتكنولوجيا » كما سنوضح فيما بعد) ، فان جذور هذه الثورة تمتد أيضا الى منتصف الاربعينات أى قبل صدور ميثاق العمل الوطنى وما تلاه .. الخ وكان ذلك نتيجة :

أ - تفجير نواة الذرة ، فقد أصبح فى مقدور الانسان اما ان يمحو الحياة فى ثوان من قارات بأكملها ، وأما ان يتسلح بقدرات غير محدودة فى توفير موارد غير محدودة وجديدة للطاقة وفى تطوير الانتاج .

ب - ظهور علم السبرناطيقا فى ١٩٤٣ (وهو علم دراسة القسمات العامة للعمليات التى تجرى داخل الكائنات الحية وجسم الانسان والاجهزة والتكنولوجية ، بما يسمح بالتحكم فى هذه العمليات وتوجيهها) .

جـ - ساعد ظهور السبرناطيقا على صنع الحاسبات الالكترونية التى تحل محل وتتفوق الى ما لا نهاية على بعض اشكال العمل الذهنى لدى الانسان .

وقد توالت تطبيقات هذا العلم بدون انقطاع . ومن ذلك : الاوتوماتيكية وهى التحكم الكامل فى قيادة عمليات انتاجية فى مجمعات صناعية معقدة وضخمة بعيدا عن تدخل اليد العاملة .

- التغيرات الهائلة فى مجال المواصلات والاتصالات اللاسلكية ، ودخول عصر الفضاء .

هذا عن « المتغيرات التكنولوجية »

اما عن المتغيرات السياسية والاقتصادية التى ترتب عليها قيام قوى وتكتلات عالمية جديدة ، فاذا كان المقصود بها أكبر حدثين وقعا بعد الحرب العالمية الثانية وهما : ظهور النظام العالمى للاشتراكية ، والنهوض الجبار لحركة التحرر الوطنى العالمية ، فان هاتين العمليتين التاريخيتين ترجعان أيضا الى منتصف الاربعينات أى قبل صدور ميثاق العمل الوطنى .. الخ .

٢ - **القضية الثانية التى تحتاج الى تصحيح** هى انه تتردد فى ورقة الحوار - أكثر من مرة - عبارة « ثورة التكنولوجيا » والواقع انه لا يوجد شىء اسمه « ثورة التكنولوجيا » فقط لان العملية الثورية الجارية الان فى العالم يمثلها كل واحد متكامل يعرف باسم « الثورة العلمية والتكنولوجية » أى ثورة العلم وثورة التكنولوجيا فى آن واحد .

وليس هذا من قبيل الحذلقة كما قد يتبادر الى الذهن . وذلك لسببين :

الاول : صحيح ان العلم شىء ، والتكنولوجيا شىء آخر . لكن الجديد فى عالم اليوم هو أن علاقة التزاوج والاعتماد المتبادل بين الاثنين ، قد انتقلت لأول مرة فى **تاريخ الإنسانية** - الى وضع نوعى جديد لم يكن موجوداً من قبل . ذلك ان جميع منجزات التكنولوجيا العصرية انما تؤسس اليوم - على اكتشافات اساسية وثورية فى مجال العلم الطبيعى . وفى الوقت نفسه ، فان دائرة الموضوعات العلمية التى تجد تطبيقا تكنولوجيا لها ، لا تتسع باستمرار فحسب ، بل ان الزمن اللازم لتطبيقها - وهذا هام جدا - يقل ايضا بكيفية مستمرة (مثال عن التباعد الشاسع بين الكشف العلمى وبين تطبيقه : **التصوير الشمسى** . فقد احتاج التصوير الشمسى الى ١١٢ سنة قبل ان يطبق تكنولوجيا ، فى حين ان اكتشاف الترانزستور احتاج الى ٥ سنوات فقط ليدخل حيز التطبيق .

والسبب الثانى : هو ان الحديث عن « ثورة للتكنولوجيا » فقط لايساعدنا على فهم ابعاد الثورة الصناعية الجديدة التى تدق الان ابواب البشرية بقبضات هائلة . وهذه القضية قد شرحها بعض المهتمين بدراسة آثار ثورة العلم والتكنولوجيا وقدموا لها الصياغة التالية .

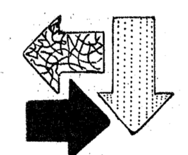
تطور العلم	/	تطور التكنولوجيا	/	تطور الإنتاج
عامل الزمن	\	عامل الزمن	\	عامل الزمن

اى ان تطور العلم يؤدى على المدى الى تطور التكنولوجيا ، وان كليهما يؤديان الى تطور الانتاج .

غير ان تطور الانتاج يعود اليوم ليحدث عملية أخرى تكمل الدائرة على الوجه التالى :

تطور الإنتاج	/	تطور التكنولوجيا	/	تطور العلم
عامل الزمن	\	عامل الزمن	\	عامل الزمن

أى انه ما ان تبدأ الثورة الصناعية حتى تتولى هى بدورها دفع التكنولوجيا والعلم دفعات أخرى هائلة الى الامام . فاى تغييرات أسطورية تنتظر عالم اليوم .



٣ - والواقعة الثالثة التى تحتاج الى تصحيح هى القول بان بعض الدول الاشتراكية عمدت الى تعديل قوانينها ، بما يسمح للاستثمارات الاجنبية بالمساهمة فى النشاط الاقتصادى الوطنى . وهذه العبارة على اطلاقها تعوزها الدقة الى حد كبير .

ا - فمنذ وقت مبكر ، وبعد قيام الاتحاد السوفيتى مباشرة ، دعا لينين الرأسماليين الانجليز والامريكيين الى أن يقدموا رؤوس اموالهم لاستثمارها فى الاتحاد السوفيتى . غير ان الموقف العام للدول الامبريالية - كان باستثناءات قليلة - هو المقاطعة وفرض الحصار السياسى والاقتصادى والدبلوماسى .

ب - غير ان هذا الاستثمار لم يأخذ فى البلدان الاشتراكية شكل مؤسسات أو شركات يمتلكها الاجانب ، أو شركات مختلطة يمتلكها رأسماليون اجانب ووطنيون ، بل كان الطرف المتعاقد مع المؤسسات الاجنبية - ولا يزال - هو الدولة الاشتراكية أو مؤسساتها المملوكة لقطاع الدولة .

جـ - تظل ملكية الدولة فى البلدان الاشتراكية لوسائل الانتاج الرئيسية ملكا للدولة ومن المحال ان يصدر قانون يغير هذا الوضع الا بحدوث ردة اجتماعية .

د - تظل قوانين العمل والتأمينات الاجتماعية .. الخ كما هى حتى مع قدول رأس المال الاجنبى ، ولا يمكن تغييرها لمصلحة الاستثمارات الاجنبية - ايضا - الابحدوث ردة اجتماعية .

هـ - تخضع رؤوس الاموال الاجنبية لمتطلبات التخطيط القومى الشامل ، بحيث توجه - لا الى المجالات التى يختارها المستثمرون الاجانب بمفردهم - بل الى المجالات التى تحددها الخطة القومية أو تسمح بالاستثمار فيها .

٤ - والواقعة الرابعة التى تحتاج الى تصحيح هى أن ورقة الحوار تقول انه ترتب على المتغيرات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية . :

« تزايد الهجرة الدولية وبصفة خاصة هجرة العقول من البلاد الاخذة فى النمو الى البلاد المتقدمة » .

والصحيح هنا ، ان هجرة العقول انما تتم فى اتجاه واحد وهو الى البلدان الرأسمالية المتقدمة ، ولا تتم الى البلدان الاشتراكية ، مع انها هى أيضا بلدان متقدمة صناعيا . واهتمامنا بتصحيح هذه الواقعة راجع الى ان هجرة العقول تشكل احد الجوانب السلبية للثورة العلمية والتكنولوجية فى البلاد الرأسمالية المتطورة صناعيا . وهى ناتجة من عدم قدرة النظام الرأسمالى (فى بلد كأمريكا) على فتح أبواب التعليم العالى والجامعى لابناء العمال والفلاحين والموظفين . ويترتب على هذا نقص فى اعداد المؤهلين من ابناء البلاد ، فى حين تشتد حاجة مراكز البحوث والمجمعات الصناعية الى اعداد متزايدة من العاملين المؤهلين تأهيلا عاليا . وهذا كله قد ادى الى الظاهرة التى تعرف بأسم « سرقة العقول » وهى أسلوب جديد فى النهب الاستعمارى ، يترتب عليه بالضرورة استنزاف مضاعف لموارد البلدان النامية .

٥ - تذكر « ورقة الحوار » أن العمالقة ، وقد امتنعت بينهم الحرب المباشرة ، نتيجة للتوازن النووى ، يحلون مشاكل السلام على حساب الامم الصغيرة باشعال الحروب الاقليمية الصغيرة .

وهذه القضية تحتاج الى تصحيح . فعلى الرغم من أننا لا نعرف بالتحديد كم هو « عدد الدول المعنية بكلمة « العمالقة » » ، وعلى الرغم من أن مثل هذه التعبيرات لا تستخدم عند وضع استراتيجية العمل الوطنى . فانه اذا كان المقصود بالعمالقة هو الدول الكبرى فان هذه الدول من نوعين :

- الدول الاشتراكية .
- الدول الامبريالية .

ولا يذكر تاريخ البشرية القريب (على الاقل خلال خمسة وعشرين عاما الماضية أن الدول الاشتراكية - وبوجه خاص - الاتحاد السوفييتى قد أشعلا نيران الحروب الاقليمية بين الدول الصغيرة . لانه اذا حصرنا الحروب « الصغيرة » التى وقعت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فسوف نجد أيضا أنها من نوعين :

ـ حروب التحرر الوطنى وقد خاضتها الشعوب مضطرة لتحطم قبضة النظم الاستعمارية ٠

ـ حروب اشعلتها القوى الامبريالية لتعيد الى مناطق نفوذها هذا البلد أو ذاك من البلدان الصغيرة ٠

وان أى متابعة للسياسة الامريكية ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تبين أن « نظرية الحروب المحدودة » ونظرية « الاسيويين ضد الاسيويين » ونظرية فتنمة الحرب » كلها اختراعات وتطبيقات أمريكية صرفة ٠ أما الحروب التى تنتمى الى النوع الكولونيالى(الاستعمارى) القديم مثل حرب الابادة التى تشنها البرتغال فى موزمبيق ، فان هذه الحرب انما تستمر فقط بدعم من حلف شمال الاطلنطى وبتأييد مباشر من بعض دول الغرب الاوربية مثل فرنسا ٠

استنتاج لا تؤيدها أدلة أو شواهد محسوسة

اشتملت ورقة الحوار على عدد كبير من الاستنتاجات التى لا تسندها الشواهد المادية أو الدراسة المتأنية ٠

١ ـ من ذلك ما جاء بالنص فى الورقة :

كان طبيعيا ، مع كل هذه المتغيرات السريعة والمتلاحقة ، وعلى رأسها سياسة الوفاق العالمى ، أن تتغير الاوضاع الاقتصادية والسياسية العالمية تغييرا بعيدا ، وأن تتغير أيضا علاقة كل من الاتحاد السوفييتى وأمريكا بالبلاد الاخرى ، وخاصة ببلاد العالم الثالث ٠ ولم يكن من المتصور أن تنجو منطقة الشرق الاوسط من هذا التأثير ٠

ان هذه الفقرة تقرر أن سياسة « الوفاق » قد غيرت علاقة أمريكا والاتحاد السوفييتى ببلدان العالم الثالث ٠ فما هى الوقائع التى تسند هذا الاستنتاج ؟ لم تتضمن ورقة الحوار واقعة واحدة لها وزنها ٠

ذلك اننا نعلم أن الولايات المتحدة الامريكية ، وهى زعيمة معسكر الدول الامبريالية تقيم علاقاتها مع البلدان النامية على الاسس التالية :

ـ فى المجال **الاقتصادى** : تصدير رأس مال الاحتكارات الجبارة لا لبناء اقتصادها القومى المستقل ، ولكن لجعلها سوقا لبضائع الاستهلاك ترتبط بالسوق الرأسمالية العالمية وتصبح جزءا منها ٠ وفى هذا تقوم الاحتكارات الامريكية باستنزاف المواد الاولية الاستراتيجية (نحاس ـ يورانيوم ٠٠٠ الخ) ومصادر الطاقة (بترول) من كثير من البلدان النامية ٠

ـ فى المجال **السياسى** : العمل ضد نظم الحكم الوطنية والتقدمية ، وتنظيم أعمال التخريب الاقتصادى والايديولوجى بهدف اسقاطها ٠ والتعاون فى نفس الوقت ـ مع بقايا الطبقات الرجعية : الاقطاعية والقيادات القبلية المتخلفة او الرأسمالية الطفيلية (الكومبرادورية) ومساعدتها على فرض دكتاتوريتها على الشعوب (فرموزا ، الفلبين ٠٠ الخ) ٠ ثم تسليح النظم الرجعية ضد شعوبها وضد الشعوب المجاورة ، وربطها بمعاهدات واحلاف عسكرية عدوانية ، واقامة القواعد العسكرية فيها ٠

فاذا كانت الولايات المتحدة قد غيرت علاقاتها ببلدان العالم الثالث تحت تأثير سياسة « الوفاق » فيحق لنا أن نسأل :

١ ـ متى بدأ هذا التغيير ؟ (ولو بالتقريب مع العلم بأنه لا توجد واقعة تؤيده) ٠

٢ ـ وهل يسير هذا التغيير فى اتجاه معاكس لما تقدم ذكره ؟

وذلك بما يعنى أن الولايات المتحدة لم تعد دولة امبريالية ٠ (وليس هناك واقعة تؤيد ذلك) ٠

٣ ـ واذا لم يكن الامر كذلك ، فهل التغيير فى اتجاه تصعيد أنشطتها العدوانية ضد بلدان العالم الثالث ، او مضاعفة الاعتماد على وسائل الاستعمار الجديد ؟ فاذا كان الامر كذلك فلسنا أمام ظاهرة جديدة تسمح بالحديث عن تغيير فى العلاقة بين أمريكا وبلدان العالم الثالث وانما هو استمرار لنفس السياسة الامريكية الامبريالية ، وذلك على الرغم من أن هذه السياسة قد تضاعف عملها فى البلدان النامية لتحمل هذه البلدان أوزار أزمتها الاقتصادية ٠

هذا عن موقف الولايات المتحدة الامريكية ٠

أما فيما يتعلق بما ذكر عن أن سياسة « الوفاق » غيرت من موقف **الاتحاد السوفييتى**

بالبلدان النامية • فنحن نعلم ان هـــذه العلاقة كانت – على الاقل – الى ما قبل لقاء بريجنيف – نيكسون علاقة تحالف وتعاون على أساس احترام الاستقلال والمنفعة المتبـادلة • وأن الاتحـاد السوفييتى قام بالمساعدة على انشـاء ٢٥٠٠ مشروع صناعى واقتصادى فى البلدان النامية ، وقدم لكثير منها مساعدات سياسية وعسكرية ضخمة • وفى الوقت ذاته فان هذه البلدان ساعدت الاتحاد السوفييتى مساعدات قيمة فى صراعه ضد محاولات التطويق الامبريالية (نذكر هنا على سبيل المثال الاثر الجبار لثورة يوليو فىمحاربة وفضح وتصفية الاحلاف الغربية والقـواعد العسكرية فى الشرق الاوسط ، وهى المنطقة التى تعتبر بطن – أو مـلاصقة لبطـن الاتحـاد السوفييتى) •

فاذا كانت سياسة « الوفاق » قد أحدثت تغييرا فى علاقة السوفييت ببلدان العالم الثالث فيحق لنا أن نسأل :

١ – هل العلاقة نحو الافضل ؟ وفى هذه الحالة فنحن لسنا أمام تغيير فى العلاقة بل تطوير ودعم لها •

٢ – أم هل العلاقة بعد « الوفاق » نحو الاسوأ ؟ وفى هذه الحالة فان المرء قد يتصور أن الدولتين الكبيرتين قد رسمتا سياسة موحدة ضد البلدان النامية • ويبدو أن هذا ما أرادت أن تقوله ورقة الحوار عندما أشارت الى « اننا نرفض أن تتم سياسة الوفاق على حسابنا » ثم أضافت فى مكان آخر الى انه لابد من اتخاذ موقف موحد مع دول عدم الانحياز « لتصبح موقفا لمواجهة الوفاق بين العملاقين ، وحتى لا يتم هذا الوفاق على حساب دول عدم الانحياز ، وعلى حساب الدول الصغيرة والامم المتحدة » • لكن هنا – نفتقد – مرة أخرى أية واقعة مادية لها وزنها على قيام مثل هذا « التواطؤ » بين الدولتين الكبيرتين ضد البلدان النامية •

والحقيقة أن ورقة الحوار تريد أن تقول :

١ – ان الاتحاد السوفيتى قد استدار تحت تأثير « الوفاق » ١٨٠ درجـة فـى سياسته الخارجية ، وانتقل من التعاون مع البلدان النامية والوقوف معها فى الجبهة المعادية للامبريالية الى التواطؤ •

٢ – وانه وفقا لذلك ، يكون الاتحاد السوفييتى قد تخلى عن استراتيجيته التى قـررتها كل المؤتمرات الحزبية منذ ثورة اكتوبر حتى المؤتمر الرابع والعشرين ، وهى اعتبار حركة التحـرر الوطنى جزءا عضويا ومكملا لحركة الثـورة العالمية ، هذه الحركة التى تضم روافد الثورات الاشتراكية والوطنية والكفاح الثورى للطبقـة العاملة وللجمـاهير الكادحـة ضـد سـلطة الاحتكارات •

فاذا صح هذا – وهو ما لم يقم عليه دليل مادى – فان معنى ذلك أيضا ان الاتحـاد السوفييتى – ولاول مرة فى تاريخه – يغير مبدأ ثابتا من مبادىء سياسته الخارجية وهو رفض كل اشكال الدبلوماسية السرية • وبالطبع فان اى اتفاق سرى يتضمن « تقسيما جديدا » لمنـاطق النفوذ • ولكن لما كانت الورقة لم تقدم دليلا واحدا على ذلك ، ولم تضىء الطريق أمام شعبنا والشعوب العربية ليعرف أين يذهب الشرق الاوسط فـى التقسيم الجديد ، وأين يمكن أن تذهب أمريكا اللاتينية والبلدان الافريقية ••• فان عدم اقدام ورقة الحوار على هذا التوضيح ، يعطينا الحق لنتحفظ على استنتاجاتها ، مستندين فى هذا الى تصريحات مباشرة وحاسمة من خطب قيـادتنا السياسية •

ففى خطاب ٢٣ يوليو ١٩٧٣ ، حدد الرئيس السادات ، بحسم ووضوح يتفقان مع المسئولية الخطيرة التى يتحملها فى قيادة البلاد فى أصعب المواقف ، ان مصر انما تتحرك الى تحرير الارض على ثلاثة محاور :

١ – القوة الذاتية المصرية •
٢ – الامكانيات العربية •
٣ – الدعم السوفييتى •

هنا يتبين الى أى مدى تتناقض ورقة الحوار مع تصورات القيادة السياسية لانه لو كان الامر أمر اتفاق بين « العملاقين » على بلدان العالم الثالث ، لما كان هناك مجال ، لا للكلام عن الدعـم السوفييتى ، ولا كان هناك أيضا مبرر لان تتحدث ورقة الحوار نفسها – عن أهمية الحرص على صداقة الاصدقاء وخاصة الاتحاد السوفييتى •

٣ – لم يظهر دليل مادى – لا قبل « الوفاق » ولا بعده – على أن الاتحاد السوفييتى قد غير موقفه من البلدان العربية • ويضيق بنا المجال ، لو عددنا ، الوقائع •

ففى مصر ، تم بعد العدوان استكمال السد العالى • وبدأ مشروع كهربة الريف وينتظر أن يتم

الان بناء السد العالي الثاني « وهو مجمع الحديد والصلب • وفي نجع حمادي يجرى الان انشاء مجمع الالومنيوم • وبعد رحيل الخبراء السوفييت تم افتتاح الترسانة البحرية ... الخ • باختصار لم يظهر دليل على أن الاتحاد السوفييتي قد أخل بعد باتفاقياته الاقتصادية •

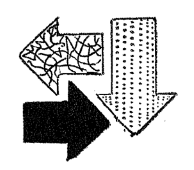
وعندما خاض **العراق** معركة تأميم « شركة نفط العراق » وهي أقوى احتكارات البترول في العراق ، وأشدها خطرا على استقلاله ، وذلك على امتداد تاريخه الحديث ، فان الاتحاد السوفييتي ساند العراق مساندة تامة • ولو انه عمل حسابا « للوفاق » لما فعل ، ولما اشترى البترول العراقي في مقابل احتياجات العراق من الالات والبضائع • أي أن الاتحاد السوفييتي ساعد العراق على تثبيت انتصاره الوطني ضد احتكار أمريكي وانجليزي وفرنسي الخ •

وفي **سوريا** ، تم هذا العام انجاز أضخم المشروعات الاقتصادية فيها وهو سد الفرات وتم ذلك بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي •

هنا نختتم الحديث في هذه النقطة بقولنا : ان الاستنتاجات التي طرحتها ورقة الحوار والخاصة بتغيير لم تحدد الورقة اتجاهاته في سياسة أمريكا والاتحاد السوفييتي نحو البلدان النامية ، لا يمكن الا أن توضع موضع التحفظ الشديد •

٢ ـ تستنتج ورقة الحوار ما يلي :

« أدت سياسة الوفاق العالمي بين العملاقين الى أن أصبحت الولايات المتحدة الامريكية أكثر جرأة في تدعيم اسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، وأكثر صراحة في تنكرها لحقوق شعب فلسطين » •



وهذا الاستنتاج ـ أيضا ـ لا تسنده وقائع صحيحة •

اولا : ان امريكا ـ قبل سياسة الوفاق وبعده ـ لم تكن تنقصها الجرأة في تدعيم اسرائيل ومدها بكافة أنواع المعونة السياسية والعسكرية والاقتصادية •

ثانيا : ان الدعم العسكري المتزايد من أمريكا لاسرائيل لا يرجع الى « الوفاق » بقدر ما يرجع الى :

ا ـ ادراك الولايات المتحدة الامريكيه ـ بعد هزائمها المدوية في آسيا ، انها انما تحارب أخد معاركها الكبرى والاخيرة في منطقة الشرق الاوسط •

ب ـ نجاح اسرائيل في اقناع حكام أمريكا بان الجيش الاسرائيلي هو أقل تكلفة بما لا يقاس من التدخل العسكري الامريكي المباشر (فيما لو اضطرت اليه الولايات المتحدة) •

ج ـ التبعية المتزايدة للاقتصاد الاسرائيلي ، وتحوله بالتدريج الى شبه فرع من فروع الاقتصاد الامريكي ، يرتب على أمريكا التزامات نحو اسرائيل بدعم أكبر •

د ـ ما أشارت اليه ورقة الحوار ـ بحق ـ من المحاولات التي تبذلها أمريكا للسيطرة على منطقة الخليج . وربما يتضح الامر ـ أكثر ـ لو لم تحذف من ورقة الحوار عبارة جاءت من قبل في تقرير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي (بتاريخ ٣ ـ ٨ ـ ١٩٧٣) هذه العبارة تقول :

« ان حلم الولايات المتحدة السيطرة على منابع البترول العربي قد دفعها لان تخطط لاخضاع العالم العربي لها عن طريق تطويقه عسكريا **شرقا وغربا** •

ان هذا الموضوع يستحق وقفة ، فاذا صح أن أمريكا قد أصبحت أكثر جرأة في دعم اسرائيل (بعد الوفاق) فهي قد أصبحت أكثر جرأة ـ أيضا ـ في دعم دول أخرى ، تشهد على ذلك صفقات السلاح الاخيرة لدول منطقة الخليج ، وهي صفقات يقدرها الكتاب والمعلقون بأنها تفوق كل ما تملكه اسرائيل ودول المواجهة مجتمعة • يضاف الى ذلك ان الولايات المتحدة بعثت الى الحياة مرة أخرى ـ حلف المعاهدة المركزية ـ بعد أن كان قد تجمد من الناحية العملية •

هـ ــ ولكن اذا ذكرنا ان امدادات السلاح الامريكية قد زادت الى كل من اسرائيل وايران ودول الخليج فيجب أن نذكر انه ليس الدافع هو سياسة « الوفاق » وانما هذا يرجع الى أن :

ــ صناعة السلاح هى أكثر الصناعات تطورا فى الولايات المتحدة الامريكية ، واليها توجه أكثر من ٩٠ فى المائة من الاعتمادات المخصصة للبحوث .

ــ صناعة السلاح هى أكثر الصناعات تحقيقا للارباح الاسطورية .

ــ الاحتكارات التى تصنع السلاح فى أمريكا اصيبت بهلع شديد بسبب وقف الاعمال الحربية فى فيتنام وتوقع وقفها نهائيا فى بقية شبه جزيرة الهند الصينية .

ــ صناعة السلاح الامريكية (التقليدية) تبحث عن أسواق جديدة .

من هنا تزداد ، ولسوف تزداد ــ ولفترة غير قصيرة ــ شحنات السلاح الامريكية ــ خصوصا ــ الى الدول التابعة والحكومات العميلة .

فالقضية تتصل أساسا بجوهر السياسة الامريكية : وهو جوهر امبريالي وعدواني لم تغيره سياسة « الوفاق » ولا تستطيع أن تغيره .

وهذا ما يدفعنا الى التحذير من المبالغة فى الحديث عن المتغيرات . لانه فى مقابل متغيرات كثيرة تحدث ، هناك أيضا « **ثوابت** » أساسية فى عالم اليوم هى التى تتحكم فى هذه المتغيرات سلبا وايجابا : من هذه الثوابت :

● **الامبريالية** لا تغير طبيعتها وان أجبرت على تغيير أساليبها .

● **النظام الاشتراكى العالمى** لا يغير طبيعته طور سياساته .

● **حركة التحرر الوطنى** ، لا تغير أهدافها فى الاستقلال والتقدم الاجتماعى ، وان تعرضت لنكسات وهزائم مريرة مؤقتة .

ثم تأتى بعد ذلك الاشارة الى ما جاء فى الفقرة المشار اليها ، من أن سياسة « الوفاق » جعلت أمريكا « أكثر تنكرا لحقوق شعب فلسطين » . فيلاحظ :

أ ــ ان هذا الاستنتاج لا يضيف جديدا لان أمريكا تنكرت على الدوام لحقوق عرب فلسطين ، قبل « الوفاق » وبعده ومنذ أن وضعت يدها على مصادر بترول شبه الجزيرة العربية .

ب ــ وهو غير صحيح أيضا ، لان هذا التنكر ــ لم يزد بعد « الوفاق » ، بدليل ان البيان المشترك بعد محادثات بريجنيف ــ نيكسون قد أشار لاول مرة الى حقوق عرب فلسطين . وهنا ، لعلنا نذكر ــ أيضا ــ ان الاخ **ياسر عرفات** قد صرح اثناء وجوده فى المانيا الديموقراطية اثناء المهرجان العالمى للشباب (أغسطس ١٩٧٣) .

« **لقد ثمنا تثمينا عاليا ما بذله الرفيق بريجنيف مع الرئيس نيكسون ، من أجل تثبيت حقوق الشعب العربى الفلسطينى فى البيان السوفييتى الامريكى المشترك . ونحن نعتبر هذا خطوة كبيرة على طريق كفاحنا الطويل** » .

٣ ــ **تستنتج ورقة الحوار مما ذكرته عن تأثير سياسة** « الوفاق » على منطقة الشرق الاوسط ما يلى :

« ان اعتمادنا على القوى الخارجية ، مع حرصنا عليها ، قد أصبح فى اطار الوفاق العالمى أقل فاعلية وأضيق نطاقا » .

وفى اعتقادنا ان مثل هذا الاستنتاج متسرع للغاية وليس هناك ما يبرره أو يدعو اليه .

أ ــ فمن ناحية ، يتناقض هذا الاستنتاج مع أهداف ووسائل السياسة الصحيحة التى تنفذها مصر ، وهى التوسع والتكثيف المستمر لدائرة العمل السياسى والدبلوماسى ، فهذه السياسة انما تهدف الى توسيع جبهة الحلفاء والقوى المؤيدة على الصعيد العالمى ، والى دعم العلاقات القائمة مع الاصدقاء ، والى تحييد أكثر مايمكن من الخصوم ، والى عزل جبهة الاعداء .

ب ــ واذا استبعدنا من مفهوم « القوى الخارجية » تلك الدول التى يمكن كسبها أو تحييدها ، فان القوى الخارجية اما أن تكون معادية . فلا مكان أصلا للحديث عن الاعتماد عليها ، واما أن تكون صديقة وهنا نرى ان كلمة **الاعتماد** لا تحدد بدقة طبيعة العلاقة بين بلادنا وبين البلاد الصديقة ، وانها تثير قدرا غير قليل من سوء الفهم والبلبلة .

ذلك أن الاصل فى الموقف الوطنى السليم لأى بلد من البلاد ، هو أنه « لا يعتمد » على بلد آخر . وانما تستخدم فى هذا المجال عبارات الصداقة ، أو التعاون المتبادل ، أو التحالف ... الخ .

ومنذ أن قامت ثورة يوليو ، واستخلصت السيادة القومية ، لم يرد فى يوم من الايام ان بلادنا تعتمد على قوى خارجية . لكنها كانت تعتمد فى الاساس على ايقاظ قوى الشعب الوطنية والتقدمية ، **وعلى استعداد هذه القوى لدعم النظام الوطنى فى معاركه ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ومن أجل التقدم الاجتماعى .** اما على الصعيد الدولى فكانت تفصل بوضوح بين معسكر الاصدقاء وبين معسكر الاعداء ، وفى داخل المعسكر الاول ، كانت تذهب فى تدعيم علاقات الصداقة والتعاون مع هذه الدولة أو تلك وفقا لمتطلبات الواقع الوطنى ، ووفقا للمدى الذى يمكن أن يذهب اليه الطرف الاخر فى الوقوف فى صف نضالنا الوطنى ، واستجابته لاحتياجات التنمية المستقلة .

وهناك حقيقة علمية بقدر ماهى تاريخية فى مسيرة ثورة يوليو وهى أنها كانت تكسب مزيدا من دعم الاصدقاء والحلفاء ، بقدر ما كانت تنطلق من مواقع « الاعتماد على الذات » فالاصح أن يقال ــ والحال كذلك ــ ان سياسة الاعتماد على الذات (التى تتجلى فى تقدمنا نحو مواقع أفضل فى نضالنا الوطنى والاجتماعى) هى (التى تجعل الاستفادة من علاقاتنا الدولية أكثر فعالية ، وهى التى تضاعف من تأثير الدعم الذى تقدمه الدول الصديقة **(وان الانذار السوفييتى الى دول العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ما كان له أن يحدث أثره ، وما كان من المحتمل أن يصدر ، لو لم تقرر قيادة البلاد سلفا رفض الانذار البريطانى الفرنسى وتستعد للقتال فعلا) .**

وانها لمسألة حيوية تقرر النصر أو الهزيمة فى معركتنا مع اسرائيل أن نصوغ الاستراتيجية التى تكسب لنا فى المجال الدولى أكثر مما كسبنا حتى الان . والمثل الذى قدمته فيتنام فى هذا ، من الامثلة الكلاسيكية ــ فبينما انطلقت قيادة الشعب الفيتنامى من مبدأ « الاعتماد على النفس » فى مواجهة أقسى هجوم لاداة الحرب الامريكية ، كان ثوار فيتنام يضعون كهدف استراتيجى ، لا يتخلون عنه لحظة ، ليس فقط زيادة المساعدات التى يتلقونها من الحلفاء والاصدقاء ، **بل كسب الرأى العام الامريكى الى صفهم** ، ودفع أقسام متزايدة من الشعب الامريكى الى معارضة التدخل العسكرى الامريكى ، وهو الامر الذى حققوا فيه نجاحات كبرى ، كانت من شروطه تحقيق النصر .

فليس هناك اذن تناقض فى الجمع بين أقصى الاعتماد على الذات ، وبين أقصى « الاعتماد » على القوى الصديقة والتى يمكن كسبها فهما وجهان لعملية نضالية واحدة .

وفى ختام هذه الفقرة نكرر باننا لا نتفق مع الرأى الذى تذهب اليه « ورقة العمل » من أن اعتمادنا على القوى الخارجية سيكون « أقل فاعلية واضيق نطاقا » ونضيف الى ما سبق الاسباب التالية :

ا ــ ان ورقة الحوار تدعو الى « الانفتاح » ولن يكون للانفتاح فى عالم ملىء بالمتغيرات سوى توسيع نطاق التعاون المتبادل طالما ان شروط هذا التعاون تتفق مع حماية الاستقلال السياسى والاقتصادى .

ب ــ فى عالم دفعت فيه الثورة العلمية والتكنولوجية وسائل المراسلة والاتصال نحو الفورية (اذ يتم النقل والاتصال بسرعة تفوق سرعة الصوت) وفى هذا العالم الذى تفرض فيه نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية فرضا على جميع الدول أن تدخل فى اتفاقات لحماية الحياة الانسانية من تلوث البيئة ــ فضلا عن الفناء بالتفجيرات الذووية ــ فى مثل هذا العالم لا يمكن ــ بداهة ــ أن تصبح علاقات بلادنا « بالقوى الخارجية » أضيق نطاقا وأقل فاعلية » والا فنحن نتحدث عن ثورة العلم والتكنولوجيا من ناحية ، ونتصرف بكيفية تعارض منطق هذه الثورة ومتطلباتها ، من ناحية أخرى .

جـ ــ وفى جميع الاحوال فان مقدرتنا على كسب المزيد من دعم القوى الخارجية يتوقف على ذواتنا ــ فى خاتمة المطاف . فهل نحن على استعداد لان نعى كل المتغيرات الرئيسية ، بمعنى أن نتمثلها وندرسها بالعمق ، وبالروح والايجابية التى تسمح لنا بأن نمسك بزمام المبادرة فى أيدينا ، فيما يتعلق بقضايانا المصيرية ، ام سنظل واقفين فى سلبية لتحركنا الاحداث كما تشاء . هذه هى القضية ، ولن يكون الخطأ ــ أبدا هو خطأ القوى الخارجية فى المحل الاول . ولكنه سيكون تقصيرنا نحن . ونحن اذ نختتم هذا القسم الثانى عن الاستنتاجات الخاطئة فى ورقة الحوار ، فانه يضيق بنا المجال لو تعرضنا لها بالتفصيل .●

قضايا أساسية تحتاج الى وضوح كامل

نترك الاخطاء التى تحتاج الى تصحيح ، كما نترك الاستنتاجات التى لا تبررها شواهد ، والتى ندعو الى العدول عنها عند اعادة كتابة الورقة ، لنواجه بعض القضايا الاساسية المطروحة فى ورقة الحوار . وهى القضايا التى عولجت ، اما بكيفية ناقصة واما بكيفية يلفها الغموض وسوف نركز على القضايا التالية :

١ ـ المتغيرات ما هى ؟ والوفاق وما دلالته وأبعاده ؟

٢ ـ الموقف من الاتحاد السوفييتى .
٣ ـ الموقف من رأس المال الاجنبى .
٤ ـ الموقف من القطاع الخاص .

(١) عن المتغيرات : يكاد المرء ان يصاب بالدوار لو حاول أن يحصى عدد المتغيرات الكبيرة والصغيرة التى اشتملت عليها ورقة الحوار .

ما هو الاساسى منها وما هو الفرعى ، وما هى فى نهاية الامر ـ العوامل الكبرى التى تولدت عنها بعض هذه المتغيرات أو التى تتحكم فى مسارها وتطورها وتتأثر بها .

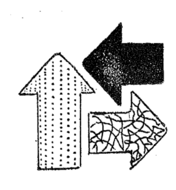
ان ورقة « الحوار » تقول ، ان « الوفاق » السوفييتى الامريكى هو أحد هذه المتغيرات على الصعيد الدولى . وهذا صحيح .

وتقول ورقة الحوار أن « ثورة التكنولوجيا » هى أحد المتغيرات الهامة . وهذا صحيح . لكن يبقى بعد ذلك اننا نجد أنفسنا أمام تصورين لموضوع المتغيرات :

١ ـ تصور يركز على قضية (الوفاق) باعتبارها المتغير الرئيسى الذى غير فى لحظات صورة عالم اليوم ويبرزها كظاهرة « فريدة » ومقطوعة الصلة بالعوامل التى ولدتها .

٢ ـ وتصور آخر ، يضع ظاهرة الوفاق فى اطارها الصحيح من التطورات العالمية والدولية والاجتماعية .

التصور الاول خاطىء ، لانه لا يرى ـ فى الواقع أن ما يسمى « بالوفاق » الامريكى السوفييتى انما هو ثمرة لتطور بطىء ، ولتفاعل



عميق بين المتغيرات أو العوامل الثلاثة الكبرى فى العالم وهى :

قيام النظام الاشتراكى العالمى الذى يشغل ٢٦ فى المائة من مساحة الكرة الارضية ويضم ٣٥ فى المائة من سكان العالم ، وينتج ٣٩ فى المائة من الانتاج الصناعى العالمى .

ـ ان أهمية هذه الظاهرة ترجع الى أن « الحجر الصحى » الذى فرضته الدول الامبريالية على الدولة الاشتراكية الوحيدة التى جاءت بعد الحرب العالمية الاولى ، هذا الحجر قد انهار الى الابد .

ـ والى أن مجموعة من الدول الاشتراكية « قامت فى مناطق وعلى أرض كانت تحكمها القوى الامبريالية .

ـ والى ان جميع المحاولات السافرة والمستترة التى بذلتها الرأسمالية العالمية لاحتواء وتصفية المجموعة الاشتراكية انتهت الى اخفاق تام .

ـ والى أن الاتحاد السوفييتى استطاع ، فى فترة زمنية محددة ، ان يضاعف وسائل نموه الاقتصادى وتقدمه العملى ، بحيث باتت مسألة اللحاق بالولايات المتحدة قضية سنوات قليلة تحدد الوثائق الحزبية السوفييتية انها ستتم عام ١٩٨٠ .

ـ والى ان البلدان الاشتراكية ألفت مع بلدان حركة التحرر الوطنى (البلدان النامية) الجبهة العالمية الواسعة المعادية للامبريالية والاستعمار وانه فى نطاق هذه الجبهة قامت ـ على أساس من المساواة ـ علاقات متبادلة بين البلدان الاشتراكية وبين بلدان العالم الثالث ، سياسية واقتصادية وثقافية من نوع جديد وتختلف فى جوهرها عن

علاقات التبعية والاستغلال التى مارستها الدول الامبريالية ـ ولاتزال ـ نحو بلدان العالم الثالث ·

ـ والى ان معسكر البلدان الاشتراكية قد أصبح يمتلك ـ على أساس من الاقتصاد المخطط وعلى أساس من العلم والتكنولوجيا قوة عسكرية تدخلها أقوى الدول الامبريالية فى حسابها عندما تنذر الامور بين المعسكرين باحتمال وقوع مواجهة ساخنة ·

٢ ـ **والعامل الرئيسى الثانى** فى تطور مجمل الاوضاع العالمية هو انهيار الصرح الاستعمارى الذى شادته الدول الصناعية الكبرى فى القرن التاسع عشر · وقد حدث هذا الانهيار تحت تأثير ونمو حركة جبارة عالمية هى **حركة التحرر الوطنى** الذى خلصت ١٦٠٠ مليون من البشر (نصف البشرية) من التبعية الاستعمارية ·

وان اهمية هذا العامل ترجع :

أ ـ الى ان عددا من البلدان النامية التى حصلت على استقلالها السياسى مضت فى طريق تحرير اقتصادها القومى من قبضة الاحتكارات الاجنبية ، ومن علاقات التخلف القبلية أو شبه الاقطاعية · وما أدى اليه هذا من تطور النضال الوطنى التحررى ليكون ـ موضوعيا ـ رفضا ونضالا ضد الرأسمالية كاسلوب للحياة ولتنظيم المجتمع · من هنا ، ظهور الدول الوطنية التقدمية التى طرحت هدف اقامة المجتمع الاشتراكى ·

ب ـ والى أن الدول النامية قد أخذ دورها يتعاظم فى الحياة الدولية وأصبحت شريكة بالفعل فى تقرير كثير من القضايا التى تمس استقلال وأمن ورخاء الشعوب ، والتى تؤثر فى مستقبل الانسانية · وبالتالى ازدياد تأثيرها داخل المنظمات الدولية المختلفة ·

لكن انتصارات البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى قد عجلت ـ بعد هزيمة ألمانيا واليابان ـ بتأكيد بعض المتغيرات فى الساحة الدولية ذاتها ، فمن ذلك :

أ ـ ان الامبراطوريات القديمة قد تراجعت الى الصف الثانى ، وتركت عبء الدفاع عن نظام الرأسمالية العالمى لدولة امبريالية كبرى ، على أعظم جانب من الديناميكية لما تملك من أسباب القوة الاقتصادية والصناعية والمالية والعسكرية ، وهى أسباب بدأت تتجمع منذ الحرب العالمية الاولى ثم تبلورت منذ أواخر الثلاثينات ، ثم تفجرت خلال الحرب الثانية · هذه القوة الجديدة أخذت على عاتقها أن تبسط سيطرتها على العالم تحت شعار أن القرن العشرين هو قرن السيادة الامريكية على العالم ·

ب ـ ان تقلص السوق الرأسمالية بسبب قيام معسكر البلدان الاشتراكية وانتصارات حركة التحرر الوطنى قد ترتب عليه نشوء ظاهرتين خطيرتين لا يكفان عن التأثير المتزايد فى مجرى الاحداث الدولية :

ـ اما **الظاهرة الاولى** فهى اشتداد التناقضات والمنافسة على الاسواق الخارجية بين دول المعسكر الامبريالى والرأسمالى (امريكا واليابان ـ امريكا وغرب اوروبا ـ اليابان وغرب اوروبا) ·

ـ **والظاهرة الثانية** هى محاولة الدول الامبريالية التكييف مع حقائق عالم اليوم الجديدة بسبب عجزها عن اعادة فرض سيطرتها بالقوة المسلحة على البلدان الاشتراكية ، بما يسمح للدول الامبريالية ان تواصل نهب البلدان المتخلفة اقتصاديا وابقائها فى فلك التبعية الفعلية ·

جـ ـ برزت خلال السنوات الاخيرة قوى اقتصادية عملاقة أخذت تنمو بثبات فى فترة ما بعد الحرب الثانية ، وهذه القوى العملاقة هى التى تعرف باسم الشركات المتعددة الجنسية · فلقد أصبحت هذه الشركات تحتل مواقع السيطرة فى مختلف القطاعات الاقتصادية فى العالم الرأسمالى ، بأكمله ، بما فى ذلك قطاعى الخدمات العامة والمصرفية · وفى الوقت الراهن ، يقدر أن ما يزيد عن ٧٥ فى المائة من رأسمال العالم الرأسمالى مملوك لما يقل عن ٣ فى المائة من مجموع المشروعات الصناعية والتجارية · والمتوقع ان هذه الشركات متعددة الجنسية ستنتج عام ١٩٨٥ حوالى ٧٠ فى المائة من الانتاج الرأسمالى العالمى ، ان هذه الشركات كما أوضح التقرير المقدم الى « مؤتمر النقابات العالمى فى سانتياجو (شيلى) فى ابريل ١٩٧٣ تدعم الانظمة العنصرية ، وتساند الحكم العنصرى العسكرى فى اسرائيل ، كما ان مجموعة شركات البترول قد تحولت الى قوة اقتصادية ومالية استعمارية · وهذه الشركات البترولية لا تكتفى بالحصول على ارباح سنوية تتراوح بين ٤و٥ مليارات دولار سنويا فقط ولكنها لا تكف عن التدخل العسكرى المباشر فى البلدان النامية · وهى قد وقفت بلا شك وراء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ والعدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ·

د ـ نتيجة للصراع ضد الفاشية ، وللضعف العام الذى أصاب النظام الامبريالى وتقلص جاذبية الرأسمالية كنظام وأسلوب للحياة ، وتحت تأثير عدد من نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، دعم اليسار الاجتماعى مواقفه ـ بشكل خاص ـ فى فرنسا وايطاليا واليابان « الاحزاب الشيوعية والاشتراكية » ، وكذلك اليسار المعروف باسم اليسار الجديد فى الولايات المتحدة وبريطانيا ٠

وقد شكل التجمع اليسارى فى انتخابات فرنسا الاخيرة لهذا العام ، حين حصل على ١١ مليون صوت تقريبا ، تهديداً جديا لانصار ديجول وحلفائهم ، ويسيطر الشيوعيون والاشتراكيون فى ايطاليا على مجالس بلدية فى كثير من المدن الهامة ٠ وتعجز السلطة القائمة فى فرنسا وايطاليا عن اتخاذ اى اجراء عنيف ضد اليسار ، دون ان تخاطر بحرب أهلية لا تستطيع هى ان تتكهن بنتائجها داخليا ودوليا ٠

٣ ـ **اما العامل الرئيسى الثالث** الذى يحكم متغيرات عالم اليوم فهو ثورة العلم والتكنولوجيا **وهذه الظاهرة ليست شرا أو خيرا فى ذاتها ٠ وليست اشتراكية أو رأسمالية ، وانما هى ظاهرة اجتماعية تكتسب كل ابعادها وفقا للاطار الاجتماعى الذى يحتويها وللنظام السياسى والاقتصادى الذى يؤثر فيها ويتأثر بها ٠**

وهذه الظاهرة تعمل عملها الان فى مجموعتين من البلدان المتطورة صناعيا :

ـ البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسمالية ٠

وهى تتخذ نتائج متعارضة تماما فى كل نظام من النظامين ، وذلك رغم مايبدو على السطح من ظواهر متشابهة (ادارة وعمليات تنظيم الانتاج ـ وفرة الانتاج ٠٠ الخ) والامثلة على ذلك :

ـ فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، ادت ثورة التكنولوجيا الى زيادة حدة التفاوت فى مستويات التطور بين هذه البلدان ذاتها ٠ (بينما حققت اليابان معدلات عالية فى التنمية ، ظل تطور بريطانيا بعد الحرب بطيئا تشوبه فترات من الركود) ٠

ـ وفى البلدان الرأسمالية ، تتجه الاحتكارات الى تخفيض نفقات الانتاج وذلك بخفض الانفاق على قوة العمل ، ويتم ذلك اساسا بضغط عدد المستخدمين ٠ الامر الذى يفاقم من مشكلة البطالة (فى عام ١٩٧٠ كان هناك مايزيد عن ٥ ملايين متعطل فى الولايات المتحدة) وهذا يفسر احتدام الصراعات الاجتماعية فى بلدان الغرب الرأسمالى احتداما لم يسبق له مثيل (الاتساع الهائل لحركات الاضراب وتغلغلها فى أوساط المهندسين والاطباء والمعلمين والفنيين والباحثين العلميين) ٠ والظاهرة الملفتة هنا هو ان الصراع لم يعد ضد الرأسمالى الفرد بل ضد سياسة الدولة الرأسمالية فى الداخل والخارج ٠

ـ تركز الاحتكارات فى البلدان الرأسمالية المتطورة على استخدام العلم والتكنولوجيا فى سباق التسلح قبل الاغراض المدنية ٠ ففى الولايات المتحدة يوجه ٩٠ فى المائة من الميزانية المخصصة للبحوث الى الاغراض العسكرية ٠ وتستحوذ الصناعات الحربية على أفضل المستويات من بين الباحثين والمهندسين ، بينما تعانى الصناعات المدنية من النقص فى الموظفين العلميين والتكنيكيين ٠

ـ ولما كان تطبيق ثورة العلم والتكنولوجيا على الصناعة يؤدى فى البلدان الرأسمالية الى وظائف أو فرص عمل أقل ، ولما كان ـ فى الوقت نفسه ـ يقرب بين مستويات العمل الذهنى والعضلى مما ترتب عليه نزول اعداد هائلة من الفنيين المهندسين مثلا « الى مستوى العمل المأجور » ، وعلى اساس عجز النظام الرأسمالى عن فتح ابواب التعليم العالى والجامعى لابناء العمال والفلاحين والموظفين (الطالب فى جامعة امريكية يدفع مصروفات تصل الى ٤ آلاف دولار فى العام) نقول على اساس ما تقدم كله ، تنفجر حركات التمرد بين الشباب الذى يجد نفسه أمام تناقضات حادة ـ بين وفرة الانتاج وبين ارتفاع اثمان السلع بشكل مستمر ـ بين حاجة المجتمع الى مزيد من المتخرجين والمتعلمين تعليما عاليا وبين الاساس الطبقى للتعليم ، بين تقدم اساليب الانتاج العصرية وبين عجز المؤسسات عن استيعاب الايدى العاملة ، بين مظهر براق للغاية من توافر مواد الاستهلاك الترفى وبين مظاهر الفقر والظلم الاجتماعى والحروب الاستعمارية ، بين الذرى الرفيعة التى تصعد اليها المعرفة العلمية بقوانين الطبيعة ، وبين الفراغ الروحى أو الاخلاقى المفروض على الشباب ٠

واذا صح أن النظام الاشتراكى يستطيع أن يتفادى الغالبية العظمى من السلبيات التى تحدثنا عنها (فلا بطالة ولا حرمان من التعليم فى جميع

المراحل ، ولا تضخم ببنسع الاجور ٠٠ الخ) الا أن الثوره العلمية والتكنولوجيه تواجه أيضـا مجتمعات البلدان الاشتراكيه بقضايا كبرى يتعين حلها • فالاتحاد السوفييتى مثلا قد طور صناعته ٤٥ مرة حتى عام ١٩٦٨ فى حين أنه لم يطور زراعته – على ضخامتها ، الا مرتين ونصف مرة فقط وهذه مشكلة تفرض على الاتحاد السوفييتى جهودا كبيرة ووقتا غير قصير لحلها •

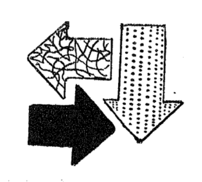
وبالاضافة الى ما تقدم ، فان الثورة العلمية والتكنولوجية قد أصبحت تواجه الجنس البشرى كله بأخطر قضية وهى حماية البيئة من التلوث • ان عددا من العلماء يؤكد أن الوضع فى هذا المجال قد وصل بالبشرية الى النقطة الحرجه التى تهدد الحياة • فالاشعاع ، وتلوث البيئة وقتل الحياة فى أنهار بأكملها • والضوضاء ، كل هذا يفرض على الدول أن تدخل فورا فى اتفاقات ومحادثات دولية للحد من التجارب الذرية ولحماية بعضها البعض من مخلفات المؤسسات الذريـة والمصـانع الكيماوية ٠٠ الخ •

والى جانب هذه المشكلة لاتكف الثورة العلميـة والتكنولوجية عن طرح أعمق القضايا فى مجالات الفلسفة والاخلاق والقانون • وعلى سبيل المثال :

– فان مقدرة علماء البيولوجيا على التحكم فى الصفات الوراثية للخلية تطرح قضايا أخلاقية على أعظم جانب من العمق والخطورة مثلا :

من هو الفرد أو مجموعة الافراد الذين يحق لهم أن يتدخلوا ليحددوا الصفات المطلوبة فى الاجيال المقبلة من الجنس البشرى ؟ وما هى هذه الصفات ؟

– وان تضاعف المعارف العلميـة كل عشر سنوات يطرح قضايا تربوية وتعليمية غاية فى



الحدة فما هى حدود التطوير الجذرى الذى يجب أن يدخل على المناهج حتى يستطيع المتخرج من الجامعة أو المعهد أن يكون كفؤا للعمل فى مركز للبحوث أو فى هيئة للادارة أو مجمع صناعى •

– وان تطور الالكترونات قد طرح منذ مدة قضية الخصوصية بالنسبة للفرد وقضية حماية شخصه وحرية فكره ومعتقده من أجهزة التصنت والاستماع ٠٠٠ الخ •

– وان نظام الاقمار الصناعية يطرح قضية كيف يمكن لبلد أن يحمى نفسه من خطر دعايات مضادة يحاول أن يفرضها بلد آخر يملك وسائل الاتصال الحديثة بالجماهير •

ومن هذا كله ، نصل الى نقطة هامة وهى ان العلماء والمفكرين فى البلدان الاشتراكيه وفى البلدان الرأسماليه المتطوره عاكفون على دراسات جاده وخصبة عن الثوره العلميه والتكنولوجية • ما هى قسماتها الرئيسية • ما هى جوانبها الاجتماعية والفلسفية والاخلاقيه ، وما هى آفاق نموها وتطورها فى كلا المعسكرين • وما هى آثارها على الثقافه والفنون وعلى تطور شخصيه الفرد نفسه •

واذا كان لهذا كله من دلالة فهو ان الثورة العلميـة والتكنولوجيـة لا تضيق نطاق الفكـر والايديولوجيا لحساب التقدم التكنيكى ، بل على العكس انها تطرح اهميه الايديولوجيا (التى تعرف بأنها نظام من وجهات النظر والافكار الفلسفية والدينية والاخـلاقيه والسيـاسية والقـانونية والجمالية ٠٠ الخ) بكيفية وبابعاد لم تطرح بها من قبل فى تاريخ الانسانية •

ومن ثم فان ما تقوله ورقة الحوار من أن الاعتبارات الاقتصادية قد أخذت تتقدم علـى الاعتبارات الايديولوجية ينبغى أن نحذر منه ، وينبغى أن يفند • ذلك أن الثورة العلميـة والتكنولوجية لا تجرى فى فراغ بل فى المجتمع الانسانى وتدخل الى أعماق الفرد •

ولان المشكلات التى تطرحها هذه الثورة هى أعقد المشكلات الانسانية وأكثرها حدة • ومن ثم لابد وأن تتصدى لحلها عقول البشر • ونحن فى مصر يجب أن نطوع التكنولوجيا للايديولوجيا وأن تعلى على الدوام من شأن الايديولوجيا • **ولكن المهم أن تكون أيديولوجيا التحرر الـوطنى ، والاشتراكية العلمية ، والسـلام ، والتقـدم**

الاجتماعي ، وليست ايديولوجيا الحضارة الرأسمالية التي دب فيها التفسخ .

١ ـ مدلول الوفاق وأبعاده

فاذا انتهينا من الحديث عن العوامل الرئيسية التي تحكم تطور الانسانية ، وترتب بالتالي متغيرات عالم اليوم وتؤثر فيها (قيام النظام الاشتراكي العالمي ـ وثورة التحرر الوطني ـ وثورة العلم والتكنولوجيا) فانه ينبغي أن نتحدث ـ على ضوء هذا كله ـ عن مدلول الوفاق أو الانفراج الدولي بين الاتحاد السوفييتي وبين أمريكا .

والواقع أنه يمكن القول بثقة ، أن تفاعل العوامل الثلاثة الكبرى المشار اليها اضطر الامبريالية (على الاقل الاوساط التي تبدى ميلا الى « **الواقعية** » في البلدان الرأسمالية الكبرى ، الى أن تصل ـ من خلال تجارب استمرت ٥٦ عاما الى قناعة هذا جوهرها وهي :

انه اصبح في حكم المستحيل على الدول الامبريالية أن تمحو النظام الاشتراكي من على وجه الارض وذلك من خلال حرب شاملة .

وهذه القناعة التي توصل اليها الامبرياليون « الواقعيون » هي بالفعل بداية تحول عميق ، خطير وتاريخي ، في العلاقات الدولية . لانها ، انما تسجل في الحقيقة تراجعا من قبل الامبريالية ، وهزيمة لكل المخططات السياسية والاقتصادية والايديولوجية والعسكرية لضرب المعسكر الاشتراكي .

وان أى دراسة فاحصة للاحداث الكبرى التي تتابعت في عالمنا بعد انتهاء الحرب الثانية يبين أن هناك علامات أساسية سجلت هذا العجز المستمر والمتصاعد من قبل الامبرياليين عن اعادة عجلة التاريخ الى الوراء :

١ ـ هزيمة التدخل الامريكي المسلح في كوريا الشمالية .

٢ ـ فشل دول الاستعمار القديم (بريطانيا وفرنسا) في اخضاع مصر عن طريق الغزو عام ١٩٥٦ (وفي هذه العملية قام الاتحاد السوفييتي بدور ايجابي للغاية) .

٣ ـ فشل الثورة المضادة المسلحة في المجر عام ١٩٥٦ .

٤ ـ قيام كوبا كدولة اشتراكية في نصف الكرة الغربي (منطقة نفوذ الامبرياليين الامريكيين) وعجز الولايات المتحدة عن تصفية الثورة الاشتراكية في كوبا) .

٥ ـ احباط الانقلاب الرجعي في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ .

٦ ـ الهزيمة التي لقيها التدخل الامريكي المسلح على يد شعوب فيتنام وكمبوديا .

واذا كان لهذه الوقائع الكبرى من معنى فهي :

ان علاقات القوى على الصعيد الدولي قد تغيرت لمصلحة المعسكر الاشتراكي ، وبالتالي لمصلحة الجبهة العالمية المعادية للامبرياليين التي تضم حركة التحرر الوطني .

وعلى هذا يمكن بالفعل أن نتحدث عن متغيرات ، أو عن وضع دولي جديد بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي . ولكن هذا الوضع ليس مضمونه التواطؤ بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وانما مضمونه التراجع التاريخي للامبريالية وظهور آفاق جديدة لا تحد لانطلاق قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني في النضال ضد الامبرياليين وضد التخلف .

بعد هذا ، يجب أن نضيف للحقيقة والتاريخ أن تحرك الدوائر الغربية الحاكمة نحو الانفراج الدولي ، قد تم أيضا لا بسبب اقتناعها باستحالة تصفية النظام الاشتراكي فحسب ، بل أيضا **تحت ضغط عوامل اخرى خطيرة في مقدمتها :**

١ ـ اتساع مقاومة الرأى العام الامريكي للانفاق الرهيب على التسلح ، ودخول قطاعات مستنيرة ومؤثرة « مثل اتحاد العلماء الامريكيين » في معركة تخفيض الانفاق الحربي ، باعتبار أن هذا الانفاق وصل الى حد ينذر بتبديد الثروات والموارد الرئيسية للبلاد (يكلف صنع الغواصة الواحدة من طراز ترايدنت ألف مليون دولار) .

٢ ـ تفاقم الازمة الاقتصادية في أمريكا (ومن مظاهر التضخم المستمر وانخفاض قيمة الدولار) أضعف مركز الولايات المتحدة في المنافسة مع أوروبا الغربية واليابان . فلم يعد سرا أن الولايات المتحدة قد أصبحت متخلفة عن بلدان السوق الاوربية المشتركة في حجم الصادرات وفي احتياطي الذهب .

والواقع أن هناك فرقا « جوهريا » بين نوعين من التصورات :

١ – تصور يرى أن « الوفاق » يتم على حساب مصالح البلدان النامية ، او بالتالى على حساب الثورة العربية •

٢ – وتصور يرى ان الانفراج فى العلاقات بين الدولتين الكبيرتين – يعبر عن هزيمة للامبريالية العالمية •

التصور الاول : يحجب عنا وتسائع العصر الاساسية ، كما يحجب نقاط الضعف فى صفوف العدو الرئيسى ، وبالتالى فان مثل هذا التصور يملى علينا سياسة قصيرة النظر ودفاعية تؤدى الى تضييق جبهة الاصدقاء والحلفاء •

التصور الثانى : يثبت ويحدد مكان مصر من الجبهة العالمية المعادية للامبريالية ويساعدها على أن تتعرف على الامكانيات الحقيقية لاصدقائها وحلفائها ، وبالتالى فان مثل هذا التصور يحتم أن ننطلق عند رسم استراتيجية للعمل الوطنى – من مواقع هجومية ضد الاعداء وعلى جميع الجبهات •

والتصور الاول • يغرى الاعداء بمضاعفة حربهم النفسية لزعزعة ثقتنا بقوتنا وطمس معالم القوة فى مواقعنا الحالية •

والتصور الثانى ، يضع بلادنا فى مكانها الطبيعى فى حركة التحرر العالمية ، ويمكنها من أن تقوم بالمبادرات السياسية والعسكرية التى تفرض نفسها على الاحداث •

يبقى بعد ذلك فى موضوع الوفاق نقطتان :

١ – ان عملية الانفراج الدولى بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا – وبين الاتحاد السوفييتى والمانيا الغربية وفرنسا ، يجب أن يعالج لا كعملية تامة ونهائية ، بل كعملية مبتدأة وفى أولى مراحلها • فبالاضافة الى الصراع بين المعسكرين سيتخذ أشكالا أخرى حادة ومعقدة اقتصادية وايديولوجية فانه لاتزال هناك قوى ذات نفوذ هائل فى أمريكا وفى غرب أوروبا تعارض سياسة الانفراج معارضة عنيفة ومنهجية • وهذه القوى تمثل اقصى اليمين المتطرف فى المجتمعات الرأسمالية ، وعلى رأسها الجماعات الضاغطة فى السياسة الامريكية – خصوصا المجموعات العسكرية الصناعية والمجموعة الصهيونية • وفى بريطانيا يمثلها بعض دوائر فى حزب المحافظين وفى ألمانيا الغربية يمثلها بعض الدوائر التى تصر على الثأر لنتائج الحرب الاخيرة • وعلى بعث العسكرية الالمانية

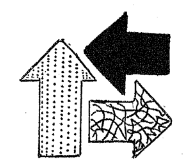
وفى الوقت نفسه ، فانه لما كانت الامبريالية لا تغير طبيعتها العدوانية ، فان الاوساط الغربية الحاكمة التى تؤيد الانفراج الحالى فى العلاقات الدولية **انما تريد – ضمن ما تريد – أن تكسب وقتا لتعيد تنظيم قواها** • وهذا فى الواقع المغزى الحقيقى للمشروع المعروف باسم « مشروع نيكسون » المقدم الى أوروبا الغربية • فهو يدعو أوروبا الغربية الى أن تعيد بناء وتسليح حلف الاطلنطى بأسلحة جديدة ذرية ، وأن تعيد تنظيم صفوفها فى كتلة سياسية واقتصادية وعسكرية تحت قيادة الولايات المتحدة الامريكية •

وبالاضافة الى ما تقدم فان حكومات الدول الامبريالية وفى مقدمتها الحكومة الامريكية الحالية لاتزال تسير على خطين مترابطين :

أ – فهى تعلن من ناحية انه اذا كانت توافق على الانفراج الدولى فلانها عازمة على استخدامه لاثارة مزيد من الشقاق والانقسامات داخل المعسكر الاشتراكى (هذا حلم أمريكا فى دفع الصين الى صدام مسلح مع الاتحاد السوفييتى) •

ب – ومن ناحية أخرى لاتزال الحكومة الامريكية ترفض مرة ، وتتلكأ مرة أخرى ، فى تصفية بؤر الحرب الساخنة فى الشرق الاوسط أو فى تلك الاماكن التى بدأت تخمد نيرانها مثل فيتنام وكمبوديا ولاوس • ثم لا نستبعد بعد هذا أن نرى مسرح الحروب الصغيرة والعمليات العسكرية وقد انتقل فجاة الى منطقة الخليج العربى ، فبهذا تؤذن النذر المتجمعة •

بمعنى هذا كله أن ورقة الحوار اذا أرادت أن تضع استراتيجية لمسار العمل الوطنى فانه يتحتم عليها أن تبدى تقييرا واقعيا لحصيله – العلاقات الدولية فى تعقدها الشديد وحركتها السريعة ، والا فان أى استراتيجية تعجز عن تفسير المواقف الجزئية والاحداث المقبلة ، وعن رصد اتجاهها لا يمكن بحال أن تخدم مسار العمل الوطنى فى شىء ، وعلى العكس يمكن أن تضر ضررا بليغا بمسار هذا العمل



٢ ـ **النقطة الثانية هى انه لا يجوز لبلادنا أن تتخذ موقف الجزع من « الوفاق »**

ذلك ان كفاح ثورة يوليو من أجل وضع حد للحرب الباردة ، وتخفيف حدة التوتر، وابعاد خطر الحروب النووية، وخفض الانفاق الحربى من اجل البناء ، ومن أجل التعاون الدولى . ان هذا الكفاح قد اسهمت فيه بلدان العالم الثالث المتحررة بما يجعلها شريكة فى صنع الانفراج الدولى · ومن هنا يجب أن نعتز بأن سياستنا كانت سليمة فى هذا المجال ويجب أن نرحب بالانفراج أعظم الترحيب منطلقين :

أولا : من واقع أن لجم الاتجاهات العدوانية للامبريالية الأمريكية ، وفرض الاسلوب السلمى فى حل المشكلات الدولية لا يمكن الا أن يخدم قضية تحررنا من الغزوة الصهيونية الامريكية ·

ومنطلقين **ثانيا** من أن فرض التعايش السلمى لا يمكن الا أن يكون فى مصلحة تقدم الشعوب وفى مقدمتها شعوب البلدان النامية ، وهذا كله ، لا يمكن الا أن يؤثر تأثيرا ايجابيا على مشاكلنا الوطنية والقومية ·

ثم منطلقين **ثالثا** : من أن أى خفض صغير فى نفقات التسلح سيفتح أمام البلدان النامية فرص التعامل بشروط أفضل من البلاد المتقدمة للحصول على المساعدات والقروض غير المشروطة وعلى الخبرة الفنية .»

٢ ـ الموقف من الاتحاد السوفيتى

عند التصدى لهذه النقطة يجب أن ننطلق من منطلق خدمة مصالح الوطن والدفاع عنها ، وأن ننحى ـ بالتالى ـ جميع الحساسيات ، وجميع المشكلات والتناقضات الثانوية التى يمكن أن تنشأ ـ بكيفية طبيعية ـ بين بلدين تربط بينهما علاقات التعاون والصداقة · لانه من المعروف ـ مثلا ـ انه توجد بين مصر وبين أقرب البلدان العربية الشقيقة اليها مشكلات كبيرة وصغيرة لكن وجودها لا يغير من صحة الاستراتيجية ـ بالتالى أيضا ـ من صحة السياسة التى يجب أن تتبع من أجل مزيد من التقارب والوحدة مع هذه البلدان الشقيقة .

واذا وضعنا جانبا ـ أيضا ـ أى منطلق مذهبى يمكن أن يحكم رؤية العلاقات المصرية ـ السوفيتية فسوف نجد أنفسنا أمام مجموعتين من الوقائع :

ـ **الاولى** : وقائع التجربة العملية .

ـ **الثانية** : الوقائع البارزة التى تحدد ملامح عالم اليوم .

بالنسبة **للمجموعة الاولى** من الوقائع ، فمن المتفق عليه ، أن قادة النظام **جمال عبد الناصر وأنور السادات** لم ينطلقا فى بناء وتبديد العلاقة مع الاتحاد السوفييتى من منطلقات يسارية (أو ماركسية على وجه التحديد) بل حكمت مواقفهما منطلقات وطنية مستنيرة وقومية تقدمية .

ولقد وصل جمال عبد الناصر الى وضع العلاقة السوفيتية ـ المصرية فى صياغات لا يمكن أن يقال انها من وحى المناسبات العابرة . ففى عام ١٩٦٤ تحدث فى حفل استقبال رئيس الوزراء السوفييتى فقال :

« ان الصداقة التى تربط بين بلدينا لم تكن صداقة المصادفة ولا صداقة الطريق السهل . ان القوى الاستعمارية أرادت دائما أن تضع الحواجز على طريقنا والعراقيل . وحينما ملكت شعوبنا ارادتها فانها سعت الى اللقاء مع شعوبكم متخطية هذه الحواجز ».

ومعنى كلام عبد الناصر ، ان هذه العلاقة ولدت فى غمار نضال مصر التحررى الوطنى وهى ثمرة تحرر الارادة الوطنية .»

ثم واصل عبد الناصر كلامه عن الاسباب التى ارست أسس الصداقة السوفيتية المصرية فحدد انها :

١ ـ وقوف الاتحاد السوفيتى الى جانب مصر فى تصميمها على كسر السلاح .

٢ ـ وقوفه الى جانب شعب مصر فى تصديه للغزاة عام ١٩٥٦ .

٣ ـ وقوفه الى جانب شعب مصر فى مقاومة الحصار الاقتصادى والحرب النفسية .

٤ ـ وقوفه الى جانب شعب مصر فى جهده البطولى لبناء وطنه اقتصاديا ، ومعاونته فى اقامة صناعته .

ومعنى كلام عبد الناصر ، ان هذه الصداقة عندما قامت كان لها باستمرار مضمون وطنى معاد للامبريالية ، ومضمون تقدمى متجاوب مع تطلعات البلاد فى اقامة صناعتها واقتصادها القومى المستقل .

ويضيق بنا المجال ، لو تتبعنا مسيرة فكر عبد الناصر حول العلاقات المصرية السوفيتية . فقد انتهى الى وضعها **كعنصر رئيسى** من العناصر الرئيسية للاستراتيجية المصرية ، وذلك حين حدد ان الصداقة المصرية السوفيتية « صداقة استراتيجية » وانه بغض النظر عن السلاح وعن العون السياسى والاقتصادى الذى يقدمه الاتحاد السوفيتى .

« فنحن واياهم بعد ذلك كله ، وقبله ، شركاء فى بناء عالم السلام المقبل حيث لا استغلال ولا تخلف (من خطاب له فى ١٩٦٤)

ومعنى كلام عبد الناصر ، ان حقائق العصر الموضوعية ، وتواجد مصر بالضرورة فى معسكر التحرر والتقدم الاجتماعى والسلم ، هو الذى يعطى لهذه الصداقة بعدها الاستراتيجى .

ومنذ ان تولى **الرئيس السادات** رياسة الجمهورية وقيادة البلاد ، حرص على ان يتصل هذا الخط الاستراتيجى موضحا فى كل موقف ـ بما فى ذلك ـ المواقف التى تعرضت لها الصداقة بين البلدين لازمات (بعضها لم يكن هينا ، على اقل تقدير) على ابراز اهمية الحفاظ على الحلف القائم بين البلدين .

ولسوف يتعذر علينا ـ أيضا ـ ان نرصد فى هذا الحيز الضيق كل ما قاله الرئيس السادات فى شأن العلاقة بين مصر وبين الاتحاد السوفيتى ، الا ان الرئيس السادات كان ينطلق ، بالمثل ، من مواقف الوطنية المستنيرة والحب للبلاد . وليس هناك أكثر وضوحا ودلالة مما قاله عام ١٩٧١ عندما اخذ يعقد المقارنة بين موقف كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية من مصر . لقد اوضح الرئيس السادات ان امريكا لم تقدم لنا مصنعا واحدا يمكن ان يكون له وزنه فى بناء اقتصاد وطنى مستقل . وعلى العكس من ذلك كان موقف الاتحاد السوفيتى الذى لم يقصر تعاونه معنا على المجالات العسكرية ، بل لقد تعاون اكثر فى مجال انشاء صناعات حيوية ورئيسية ، فى بناء عشرات المصانع وفى مجال البحث عن البترول وفى تطوير الزراعة وفى مجال تقديم الخبرة الفنية ، ومعنى كلام الرئيس انور السادات ان الصداقة بين البلدين تتحرك على محورين رئيسيين : متطلبات التحرر الوطنى ، ومتطلبات البناء والتقدم الاجتماعى .

ومن كل ما تقدم ، نصل الى أن الصداقة المصرية السوفيتية ليست مجرد مظاهرة للتضامن بين البلدين ، او مناسبة دبلوماسية للتعبير عن النيات الطيبة المتبادلة بين قادة البلدين ، لكنها تتجسد فى الكفاح والعمل المشترك ضد الامبريالية ، ومن اجل السلم ، كما تتجلى فى خطط واتفاقات محكمة لابناء الاقتصادى والتعاون الدولى بما يعود على البلدين بالمنفعة .

فاذا جئنا بعد ذلك الى المجموعة الثانية من الوقائع التى تحدد ملامح عالم اليوم فسوف نجد ـ أيضا ـ اذا وضعنا المنطلقات المذهبية جانبا ، أن أى مصرى وطنى وغير متحيز مسبقا ، سوف يصل ايضا ـ وبشكل عام ـ الى نفس الاستنتاجات التى توصلت اليها قيادات نظام يوليو عن الصداقة مع الاتحاد السوفيتى . وذلك اذا وضع هذا المواطن فى اعتباره ـ عددا من المعلومات الاساسية والعامة .

١ ـ فعلى خريطة العالم توجد ثلاث بلاد كبرى تتميز من حيث الامتداد القارى الهائل لها ، بين خطوط العرض شمالا وجنوبا ، وخطوط الطول شرقا وغربا ، بأنها تمتلك من الثروات المادية والبشرية ما يمكنها من أن تكفى نفسها بنفسها . وهذه البلاد هى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية .

واذا وضعنا جانبا الصين الشعبية ، على اعتبار ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هما أكبر

قوتين صناعيتين على النطاق القارى ، اذ يملكان القدرات الاساسية ، وأدق أساليب التكنيكية ، فان أى مواطن مصرى ، اذا اراد ان يبحث فى المجال الدولى عن قوى تساند مصر فى معاركها الوطنية والاجتماعية فسوف يصل وفقا لحسابات واقعية ـ الى ان هذه القوة لن تكون غير الاتحاد السوفيتى وذلك :

ا ـ لان الاتحاد السوفيتى من حيث انه يقف فى السياسة والمذهب الاجتماعى فى الجانب المقابل للدول الامبريالية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، قد حدد بحسم موقفه من حركة التحرر الوطنى فتحالف معها وساندها سياسيا فى جميع المنظمات الدولية وساندها اقتصاديا على انتهاج خط للتنمية المستقلة ، حيث قدم نموذجا جديدا للعلاقات الاقتصادية ، لا يقوم على فرض الشروط ، ولا يقوم على المشاركة فى أرباح المشروعات التى يتعاون على اقامتها ولا يقوم على فرض فوائد باهظة على القروض التىيقدمها .

وبالمقابل ، بينت التجارب ان الولايات المتحدة الامريكية ارادت أن تفرض على بلادنا فى المعاملات الاقتصادية أساليب الاستعمار الجديد ، ورفضت المساعدة فى بناء صناعات ثقيلة ، وقادت عملية تكوين الاحلاف ، وانشأت القواعد العسكرية فى العالم العربى ، وأصبحت السند الرئيسى للعسكرية الصهيونية ، ثم للعدوان والغزو الاسرائيلى .

ب ـ ولان تجربة الاتحاد السوفيتى فى البناء وتقدمه على الصعيد الدولى ، ليكون احد أقوى دولتين ، قد لفتت انظار قيادة ثورة يوليو . وهذه القضية ليست من القضايا الثانوية بالنسبة للقادة الوطنيين ، الذين ما ان يحصلوا على الاستقلال السياسى ، حتى يندفعوا فى طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، اى طريق التنمية المخططة لتعويض التخلف ، وبناء الدولة العصرية .

هنا يرى كل محايد ان وتائر التطور الاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى ، اسرع بما لا يقاس من وتائر التطور الاقتصادى فى الولايات المتحدة . فبينما احتاجت الولايات المتحدة الى ٢٠٠ عام لتكون هذا العملاق الاقتصادى فى العالم الرأسمالى ، استطاع الاتحاد السوفيتى فى ربع المدة ان يقترب منها ليحتل المرتبة الثانية ـ بعدها ـ من حيث الحجم الكلى للانتاج ، وانه لحق بها فى بعض فروع الانتاج الاساسية وزاد عليها فى فروع أخرى ، وحدد عام ١٩٨٠ للحاق بها والتفوق عليها . مع ملاحظة ان الاتحاد السوفيتى دمرت بلاده مرتين تدميرا مروعا فى الحربين الاولى والثانية ، الامر الذى نجت منه الولايات المتحدة .

واخيرا ، وعند ما ينظر أى مواطن الى مجموعة المشكلات التى تطرح فى مجتمعنا فليست هناك الان مشكلة حقيقية تتعلق بالاستقلال السياسى ، **وانما تختزل هذه المشكلات وتتبلور فى مشكلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فى المحل الاول .**

هنا تطرح الثورة العلمية والتكنولوجية كل التحديات الرهيبة . ولكن مصر تجد أنها مطالبة بأن تحل هذا التناقض :

■ فمن ناحية لا تستطيع مصر أن تستوعب منجزات الثورة العلميـــة والتكنولوجية بدون أن توفر أولا القاعدة المناسبة من القدرات الاساسية (أى القاعدة العريضة من الصناعات الثقيلة) .

■ ومن ناحية أخرى فان مصر لا تستطيع أن تبنى هذه الصناعات ـ أو أهمها ـ وفق أحدث ما توصلت اليه ثورة العلم والتكنولوجيا .

وحل هذا التناقض كامن أساسا فى المنهج الاجتماعى الذى تتبناه مصر لانجاح التنمية . ولما كانت لا تستطيع من ناحية الامكانيات التاريخية والامكانيات الذاتيــة أن تتبنى طريق التنميــة الرأسمالية فليس أمامها ، فى الواقع ، سوى أن تسلك طريقا مستقلا وتقدميا نحو هذا الهدف . وعندما تقرر مصر هذا ـ وهو بالفعل ما قررته المواثيق الاساسية لثورة يوليو ، فقد وجدت ـ على الصعيد الدولى ـ أن البلاد الاشتراكية وفــى مقدمتها الاتحاد السوفييتى هى التى تستطيع أن تقـدم ـ وقد قدمت ـ العون فى بناء « القـدرات الاساسية » التى تتمثل فى عدد من الصناعات الثقيلة والهندسية الاساسية وتوفير مصــادر الطاقة . ولم يكن من قبيل الصدفة ، أن يقوم السد العالى ومجمع الحـديد والصـلب ومشروع الالومنيوم والترسانة البحرية بمعزل عن دول الغرب الصناعية . وبينما يجد أى مراقب محايد أن بلدان الغرب الرأسمالى تتعارض مصالحها ـ استراتيجيا ـ مع اقامة صناعات ثقيلة وعصرية فى البلدان النامية يجد أن البناء الاجتمـاعى والاقتصادى للبلدان الاشتراكية لا يحول بينها وبين أن تقدم للبلدان النامية كل الخبرة الفنية العصرية المتاحة .

فالقضية برمتها ، فيما يتعلق بالاساس الذى تستند عليه العلاقات المصرية السوفيتية يعود كما كان « قضية سعى مصر فى وجه القوى الامبريالية والاستعمار الجديد لبناء مجتمع صناعى زراعى

عصرى ومتقدم . (أن بلادنا مستعدة دائما للتعاون مع جميع الدول بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية . ثم يبقى الفيصل دائما هو : الى أى مدى يمكننا هذا التعاون من بناء صناعاتنا الثقيلة والعصرية ، بما لا يخل بمبدأ الاستقلال الاقتصادى وبما لا يلقى على اقتصادنا القومى أعباء باهظة ومعوقة) .

هنا سوف نجد أن التجارب العملية ، وطبيعة النظام الاجتماعى فى البلدان الاشتراكية سوف تؤكد ــ مرة أخرى ــ امكانية المعسكر الاشتراكى ــ على أن ينافس دول الغرب الراسمالية المتقدمة فى تقديم المعونات الاقتصادية والفنية المطلوبة من قبل البلدان النامية .

ولسوف يؤدى خفض الانفاق العسكرى فى البلدان الاشتراكية « وهو الخفض الذى يتوقع أن يحدث بعد الانفراج فى العلاقات الدولية . الى أن يضاعف الاتحاد السوفييتى والبلدان العمل على تقديم المساعدات الاقتصادية والفنية الى البلدان النامية .

وهنا سوف تنشأ منافسة حادة وحقيقية فى المجال الاقتصادى بين دول المعسكرين ، ولكن هذه المنافسة تضاعف فرص البلدان النامية فى الحصول على أفضل الشروط من كلا المعسكرين .

٣ ــ الموقف من رأس المـــال الاجنبى

ان الرأى الشائع بأن مصر رفضت الاستفادة من رأس المال الاجنبى لتنمية اقتصادها على أساس عصرى حديث ، هذا الرأى لا أساس له من الصحة .

فبعد قيام ثورة يوليو ، رحب النظام الجديد ، كل الترحيب ، بمجىء رأس المال الاجنبى حتى أنه أبقى على اتفاقية النقطة الرابعة مع الولايات المتحدة الامريكية . وعلى الرغم من ذلك فان هذه الاتفاقية لم تساعد البلاد على أن تتقدم على طريق التصنيع الذى أراده النظام الجديد . وكان هذا راجعا الى سببين :

الاول : أن رأس المال الامريكى الاحتكارى هدفه الاول والاخير تحقيق أقصى ربح ممكن من خلال تلك المشروعات الاقتصادية التى تدر عائدا سريعا . ومن ثم كان اتجاه رأس المال الامريكى الى الصناعات الخفيفة (الكوكاكولا .. الخ) أو الى تلك الصناعات التى لا تغلق السوق المصرية أمام بضائع الاستهلاك الامريكية .

الثانى : هو أن مشروع النقطة الرابعة ، الذى يعكس أهداف ومصالح الاحتكارات الامريكية قد طالب بضمانات معينة لاستثمار رأس المال الامريكى منها على سبيل المثال :

أ ــ ضمانات من المصادرة ونزع الملكية .

ب ــ ضمان بامكانية تصفية المشروع الذى يستغل فيه رأس المال ، اذا أراد صاحب رأس المال ذلك .

جـ ــ كفالة أرباح معقولة .

د ــ أن تكون الضرائب معتدلة وغير قائمة على أساس التفرقة .

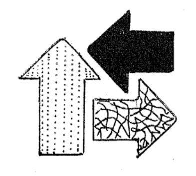
هـ ــ أن تكون التشريعات العمالية والاجتماعية عملية .

و ــ حكومة مستقرة .

ولكن اذا جاز لحكومة وطنية أن تقبل شرطا أو شرطين من الشروط السابق ذكرها ، الا أن مجموع هذه الشروط كان يمثل عدوانا على السيادة القومية ، وتدخلا فى الشئون الداخلية . فضلا عن أنها تعنى ــ فى مجموعها ــ تقييدا للسلطة الوطنية يمنعها من تخطيط الاقتصاد بما يخدم المصالح الوطنية أولا .

فالمشكلة التى نشأت بين رأس المال الاجنبى وبين القيادة الوطنية لثورة يوليو ، هى أن هذه القيادة كانت تريد أن تقوم بتنمية مستقلة انطلاقا من المبدأ الصحيح وهو أن الاستقلال الاقتصادى هو جوهر الاستقلال السياسى .

وبقية القصة معروفة ، فى الصدام مع الاحتكارات الدولية (الحصار الاقتصادى .. ورفض تمويل السد العالى ــ عدوان ١٩٥٦ ، حرب التجويع ، ثم عدوان ٦٧ الخ) . وحتى الاحتكارات الدولية الغربية التى « بدأت فى



الظاهر » انها استجابت لرغبة مصر فى اقامة صناعة ثقيلة ، قدمت معدات قديمة ، وقصةشركة « ديماج » الالمانية الغربية معروفة ايضا .

ومن الخطأ أن نتصور ، أن قرارات يوليو ٦١ وما تبعها من صدور الميثاق قد أغلق الباب أمام الاستفادة من رأس المال الاجنبى فقد وقعت مصر عقودا مع شركات بترول عـالمية . ويمكن أن نستطرد فى سرد القوانين والتسهيلات التـى وضعت لرأس المال الاجنبى ، واكتفى بالاحالة الى المقال الهام الذى نشره حول هذا الموضوع د . جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٧٣ .

من هذا يتبين :

ان الانغلاق كان من طرف الاحتكارات الدولية الغربية التى رفضت أن تاتى الا بفرض شروط غير اقتصادية ، وباهظة ولا يمكن أن يتحملها الاقتصاد المصرى . (نذكر هنا بموقف الكونسـورتيوم الاوروبى وتلكؤه فى انشاء خط الانابيب) .

فما هى اذن منطلقاتنا لكى نستفيد من رأس المال الاجنبى الفائدة التى تساعد على اقامة صناعة ثقيلة ، حديثة ومتفقة مع متطلبات عصر ثورة العلم والتكنولوجيا .

١ ـ **هناك أولا قضية الدفاع باستماتة عن القطاع العام .** وفى هذا لابد من التصدى بقوة لاشعارات التىتدعو الىتصفيةهذا القطاععنطريق بيع أسهمه أو جزء منها للقطاع الخاص . لان مثل هذا الاجراء يعنى الغاء التأميم . ولو تم هذا ، لكان ضربة موجهة الى الوحدة الوطنية ولكان تسليما حقيقيا للاستعمار الجديد الذى يلح فى المطالبة بتصفية القطاع العام . هذا الاستعمار الممثل فى بعض الهيئات الدولية « البنك الدولى للانشاء والتعمير » البنك لا يكف عن الدعوة الى اشاعة « **الليبرالية** » فى الاقتصاد المصرى . أى اعادته لعهد التبعية للاحتكارات الدولية .

٢ ـ يجب أن ننطلق من أن الاقتصاد المصرى فى مركز قوة ، وليس فى مركز ضعف . ذلك ان القاعدة الصناعية التى أقامتها ثورة يوليو هى التى تفتح اليوم مجالات كبيرة لجذب رؤوس أموال عربية وأجنبية . والتأكيد على هذه الحقيقة يضعنا دائما فى المركز الافضل عندما نتفاوض ، وبذلك نستطيع أن نحصل على أفضل الشروط .

٣ ـ **ويجب أن ننطلق فى التعامل مع الاحتكارات الاجنبية من مركز القوة لا من مركز الضعف** لان العالم اليوم (وليس العالم العربى فحسب) يتميز بوجود رؤوس أموال هائلة « سيولة كبيرة » لا تجد طريقها الى الاستثمار . وهذه الاموال يهددها التضخم وانخفاض قيمة العملة . ومن هنا فان أصحاب رؤوس الاموال يبحثون بكل سبيل عن أوجه الاستثمار .

من هنا فنحن فى ظروف مواتية للحصول على رأس المال الاجنبى بشروط معقولة لا تثقل اقتصادنا .

٤ ـ يجب أن ننطلق مما جاء بالميثاق من ترتيب أشكال الاستعانة برأس المال الاجنبى بقـول الميثاق :

١ ـ « ان الاولوية للمعونات غير المشروطة » .

٢ ـ « والمكانة الثـانية للقـــروض غيـــر المشروطة » .

٣ ـ « ثم يستعان برأس المال الاجنبى فـى العمليات الضرورية التى تقتضى خبرات جديدة يصعب توفرها فى المجال الوطنى .

والسبب فى اعطاء الاولوية للمعونات والقروض غير المشروطة انها تترك للبلاد حرية الاستثمار وفقا للخطة القومية .

وتحت هذا الضوء لابد من الاشارة الى أن هناك قروضا متاحة تتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ مليون جنيه مقدمة من الدول الاشتراكية ولم تستخدم .

٥ ـ يجب أن ننطلق من أن **القضية المطروحة** ليست هى ـ فى المحل الاول ـ الاستثمارات الاجنبية بل هى « **تنمية الاقتصاد المصرى** » يترتب على ذلك أن قبول رأس المال الاجنبى يجب أن تكون البداية فيه التخطيط للتنمية ، باعداد خطة خمسية أو عشرية وفى هذه الخطة ترتب الاولويات بالنسبة للمشروعات الحيوية ثم نبحث لها عن التمويل الاجنبى . معنى ذلك أن تكون **المبادرة فى أيدينا** . نحن الذين نتولى دراسة مشروعاتنا ، وتحديد أولويات بالنسبة لها . ثم نستقبل الاستثمارات الاجنبية لتنفيذ هذه المشروعات وذلك كما فعلنا فى مجال البترول .

٦ ـ يجب أن ننطلق من أن تعاملنا مع رأس المال الاجنبى والعربى يؤسس فقط على أسس اقتصادية خالصة . من حق رأس المال الاجنبى أن يحصل على ربح معقول ، أو يحوله للخارج ، ومن حقه أن يسترجع رأس ماله على مدى زمنى معقول ، ولكن ليس من حقه أن يتدخل فى طبيعة نظامنا السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، فيطلب تغيير قوانين أو وضع قوانين تتعارض مع قوانين الثورة .

وفى هذا يحضرنا مثل طيب من البلاد العربية ، وهى الجـزائر ، فهى تتعاون على نطـاق واسع مع رأس المال الاجنبى ، لكن فى جميع الاحوال يظل الطرف المتعاون مع رأس المال الاجنبى هو الدولة الجزائرية والقطاع العام الجزائرى .

٧ ـ فى اختيار المشروعات يجب أن ننطلق من اختيار تلك المشروعات التى تدر عائدا بالعملات الصعبة (البترول ـ السياحة .. الخ) ويجب أن نذكر هنا ما أوضحه بحق رد مجلس الشعب على بيان الحكومة عندما حذر من أن الاستثمار الاجنبى اذا حل بشكل مباشر بعض المشكلات الاقتصادية فهو يمثل عبئا مستقبلا . لان رأس المال المستثمر ، شأنه شأن القرض ، لابد لصاحبه من أن يحصل منه على عائد سنوى ، ولابد وأن يكون له حق استرجاعه .

فاذا لم يوجه رأس المال الاجنبى الى المشروعات التى تدر عائدا بالعملة الصعبة ، أو يعوضنا عن سلع نستوردها بالعملات الاجنبية ، فسوف يتحول رأس المال الاجنبى الى عبء على ميـزان المدفوعـات ، ويفاقم أزمتنـا الماليـة ، ويندفـع بالتضخم الى أبعاد خطرة .

٨ ـ **وهناك مخاطر تتعلق برأس المال الاجنبى** يجب أن نتيقظ لها . وفى مقدمتها نزعة الشركات العمـلاقة ، والمتعـددة الجنسيـة للسيطـرة والاستغلال . وفى هذا نستشهد بما جاء فى تقرير هيئة الامم المتحدة « الادارة الخاصـة بـالشئون الاقتصادية والاجتماعية » فقد جاء فى هذا التقرير أن المؤسسات الاقتصادية العملاقة المتعـددة الجنسية تستحوذ على قدر من القوة الاقتصادية يمكنها من خلق الازمات النقدية بطريقة متعمدة . ان عشرة من هذه الشركات يبلغ رقم أعمال كل منها ٣ آلاف مليون دولار ، وهو رقم يزيد عن الناتج القومى فى اكثر من ٨٠ دولة . وانها لذلك تستطيع أن تدمر مقدرة الدول على انتهاج سياسة تحقق أهدافها الوطنية والدولية (الاهرام ١٣ ـ ٨ ـ ١٩٧٣) .

يترتب على هذه المخاطر ضرورة احتفاظ الشعب بسيطرته على الهياكل الاقتصادية للانتاج . ففى هذا ضمان ألا تقع البلاد فى براثن شركة أو أكثر من الشركات العملاقة . ومن المفيد أن نذكر ، هنا ، ان دولا كبيرة مثل فرنسا اضطرت أن تتدخل فيها الدولة باستثمار من القطاع العام لكى تحمى الاقتصاد القومى من هذا النوع من الشركات .

٩ ـ فى موضوع الاستثمارات الاجنبية يجب أن ننطلق من التمييز بين رأس المال العربى وبين رأس المال الاجنبى .

من الطبيعى أن تعطى أولوية لرأس المـال العربى . ففى هذا مصلحة مشتركة ، اذ أن رأس المال العربى مهدد بمخاطر التجميد أو فقدان قيمته وربما كانت السياسة التى تحقق نتائج مثمرة فى هذا السبيل أن يتم التعاون مع رأس المال العربى :

اولا : بفتح مجال التعاون معه فى بلاده
ثانيا : فتح مجالات استثمارات له فى مصر
ثالثا : اقامة مشروعات مشتركة مصرية عربية

ان هذه الاولويات يمكن ان تزيل كثيرا من الحساسيات ، وان تحقق ـ فى النهاية ـ اساسا اقتصاديا صالحا للوحدة العربية .

٤ ـ قضية القطاع الخاص

ان الطرح الذى تطرحه ورقة الحوار عن قضية القطاع الخاص يثير الحيرة والبلبلة :

أولا : لانه لم يأت بجديد لم تتضمنه الوثائق التى قدمتها ثورة يوليو ، ولم يقدم خطة محددة .

ثانيا : لانه لا توجد معركة أو أصوات تعارض اشتراك القطاع الخاص فى التنمية . فاثارة هذا الموضوع تبدو كأنها معركة فى غير معترك .

ثالثا : لأن القطاع الخاص ، وبعد ١١ سنة من صدور الميثاق ينمو ولا ينكمش ، ويدعم مواقفه باستمرار ولا يتراجع . وكان أجدر بورقة الحوار ان تطالعنا بجديد فى هذه القضية يتمثل فى **تحديد مجالات نشاط القطاع الخاص** بحيث يمكن التمييز بين القطاع الخاص الذى ينتج ويسهم فى بناء البلاد ، وبين هذا « القطاع الخاص » الرهيـب والمتسلط الذى يطوق القطاع العام ويعمل فى مجالات طفيلية صرفة تهدد الاقتصاد القومى .

رابعا : القطاع الخاص الذى تريد له ان ينشط هو القطاع الذى :

ا ـ يقبل تنفيذ أهداف الخطة
ب ـ ويقبل قيادة القطاع العام
جـ ـ ويحترم التشريعات والمكاسب العمالية
د ـ ويبتعد عن الربح الاستغلالى .

خامسا : وفى تقديرنا أنه يدخل تحت عنوان القطاع الخاص المطلوب دعمه :

١ ـ الرأسمالية الوطنية التى تقوم بالانتاج .
٢ ـ الحرفيون .

هنا بالنسبة للرأسمالية الوطنية المنتجة لابد للدولة من ان تقدم لها كل مساعدة : بفتح مجالات تسويق انتاجها وتسهيل عمليات الائتمان لها ، ومساعدتها على تشغيل الطاقات المعطلة فـى مشروعاتها ومصانعها الصغيرة والمتوسطة .

وفيما يتعلق بالحرفيين ، فلا زلنا نتحدث عن أهمية هذا القطاع دون ان نقوم بالجهد اللازم لتنظيمه فى تعاونيات انتاجية ، ورفع مستوى

أدائه ، وتشجيعه على ان يقوم بدور حيوى فى الاقتصاد القومى .

سادسا : واذا كنا ، كبلد نام ، ملتزمين فعلا بمنطق الثورة العلمية والتكنولوجية فان هــذا المنطق يفرض علينا فرضا ان نحدد بدقة مجالات نشـــاط رأس المال الخـاص . والسبب هو أن المشروع الخاص فى البلدان النامية لا يستطيع ان يتصدى لاقامة المجمعات ، المشروعات الصناعية العصرية ، هذه المشروعات التى تتطلب وضــع استثمارات هائلة فى الالات الحديثة والتجهيزات الالكترونية ، والادارة العلمية للانتاج . وان هذا معناه أيضا ، ان القطاعات الرئيسية للاقتصاد يجب ان تكون بعيدة تماما عن سيطرة أو تدخل المشروع الخاص ، هذا المشروع الذى لا يهمه سوى تحقيق دورة سريعة لرأس المال تحقق أكبر عائد فى أقصر وقت .

من هنا نرى انه حتى اذا وضعنا جانبا أى فكر اجتماعى مسبق ، فان المنطلق الوطنى لاقـامة اقتصاد مستقل ، يطرح قضية **دعم القطاع العام وأن تكون أدوات الانتاج الرئيسية فى يد المجتمع ، او فى يد الدولة الممثلة لمصالح مجموع الطبقات الشعبية والوطنية .**

● ● ●

وبانتهاء الحديث عن الموقف من القطاع الخاص نرجـو ان ننهى عرض وجهـة النظر فى « ورقة الحوار » خصوصا فيما يتعلق ببعض القضايا الرئيسية التى اشتملت عليها . ثم يبقى بعد ذلك ، ان نستأذن فى ختام لهذه الكلمة بحدد ما هو المطلوب .

خاتمة : ماهو المطلوب

ان الانطباع الذى يخرج به المرء هو أن « ورقة الحوار » كتبت بطريقة متسرعة للغاية لا تتفق أبدا مع متطلبات وثيقة تتضمن رسم استراتيجية تحكم مسار العمل الوطنى .

ان هذه الوثيقة المتسرعة ، تنعكس فيما يلى :
ـ من ناحية الشكل فان صياغاتها غير محددة ، وتثير من الاسئلة أكثر مما تقدم من اجابات .
ـ ومن ناحية الموضوع فان أخطر الاستنتاجات لا تسنده دراسة متعمقة .

ـ واذا قارنا بينها وبين مواثيق الثـورة (الميثاق) ، برنامج ٣٠ مارس ، برنامج العمل الوطنى فسوف نكتشف انه ليس فـى « ورقة الحوار » شىء من القضايا الرئيسية (باستثناء مسألة الوفاق) لم يرد ذكره ـ بتفصيل أوفى وصياغة أكثر دقة واحكاما ـ فى وثائق الثورة (بل ان البرنامج الذى طرح فى نهاية ورقة الحوار لا يمكن أن يرقى الى البرنامج المدروس والمحدد الذى تضمنه « برنامج العمل الوطنى » المقدم من الرئيس انور السادات) .

لهذا كله فان اول اقتراح هو ان يعاد النظر فى « ورقة الحوار » برمتها ، اذا اريد لها ان ترسم استراتيجية تحكم مسار العمل الوطنى ، وتؤمن النصر فى معركة تحرير الارض .

وفى الوقت نفسه ، فانه مع الايمان بضرورة دراسة المتغيرات التى بدأت تحدث تحـولات تاريخية فى العلاقات الدولية ، فاننا نناشد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ان يهتم بوضع برنامج مرحلى ، وعملى ، محدد المعالم وممكن التنفيذ .

١ ـ **هذا البرنامج شعاره الرئيسى : تحرير الارض ودحر العدوان الاسرائيلى الامريكى**

٢ ـ **القسم الاول من هذا البرنامج سياسى** : ويتضمن النقاط العملية التى تضمن رص الجبهة الداخلية ، ودعم الوحدة الوطنية بين الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين والجنود والرأسمالية الوطنية . ويتم ارساء هذه الوحدة انطلاق من المبدأ القائل **بالمساواة فى التضحية بين جميع الطبقات ، وبتطبيق جاد وحقيقى لمبادىء اقتصاد الحرب وفقا لما ذكره الرئيس السادات من ان من عنده اكثر يعطى أكثر .**

٣ ـ **القسم الثانى** من البرنامج يتلخص فى العمل على ترجمة « **برنامج العمل الوطنى** » الى خطة خمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وللنهوض بالحياة الثقافية . وهذه الخطة يجب ان تستهدف البناء الاقتصادى المستقل وذلك باستكمال بناء قاعدة الصناعات الثقيلة والعصرية ، بناء لا ندخر فيه أى جهد شعبى أو حكومى ، **ولا نقبل فيه تراجعـا أمام ضـغوط الاحتـكارات الدوليـة والاستعمار الجديد .**

فالحقيقة الثابتة هى أنه فقط عندما تصنع مصر تصنيعا ثقيلا وعصريا يمكن الحديث ـ فى ذلك الوقت ـ عن نهوض حقيقى للبحث العلمى ، ويمكن الحديث بالتالى عن امكانية دخول البـلاد ـ دخولا ـ حقيقيا لا مجـازيا ـ عصر الثـورة العلمية والتكنولوجية ، وعصر الثورة الصناعية الثانية .

الجـــامعة الأهليـــة

[« الجامعة الاهلية » قضية من القضايا التى شغلت الرأى العام المصرى ــ وقد نشرت الطليعة فى عددها الماضى رأى مجموعة من اساتذة الجامعات المصرية حول هذه القضية الهامة . وتواصل الطليعة نشر الاراء التى وصلتها من بعض اساتذة الجامعات المصرية معارضة ومؤيدة للفكرة]

استطلاع رأى

■ التوسع فى افتتاح الكليات الاقليمية بدلا من الجامعة الاهلية

اننى لا اتجاوز الحقيقة عندما اقرر بان المؤسسات الجامعية تمثل أهم القطاعات الحيوية ، ذلك أنها الركيزة لكل انطلاق فكرى وأنها القاعدة الاساسية لكل تقدم تكنولوجى وهى وحدها المسئولة عن امداد بقية القطاعات على اختلافها بالشباب المؤهل فكريا وعلميا من خلال نبضات حولية تبقى على هذه القطاعات نضرتها وتحفظ لها شبابها .

يدفعنى هذا المفهوم ــ بل يجب أن يدفع كل غيور مخلص الى المشاركة بالرأى حول انشاء ما أسموه بالجامعة الاهلية وحول التوسع فى افتتاح الكليات الاقليمية وذلك بغية الوصول الى مناخ اكثر ملاءمة تقوم فيه الجامعات بأعبائها وتضطلع فيه بمسئولياتها التعليمية .

فانشاء الجامعة الاهلية والاتساع فى افتتاح الكليات الاقليمية ــ فى رأيى ــ يضر بالتعليم الجامعى بأكثر مما يفيده . وما نعانيه اليوم من عقم وجمود فى الجامعات يرجع أساسا الى اتجاهنا الخاص بتحويل هذه المؤسسات الى جامعات للاعداد الكبيرة . فانفتاح الجامعات لاستقبال أعداد مذهلة من الطلاب يتزايد بشكل رهيب عاما بعد عام لم يقابل بالعمل على ايجاد زيادة موازية فى أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ــ وهم عماد هذا التعليم . وقد أدى ذلك الى استنفاذ طاقة كل فرد من هذه الفئة التى اضطرت الى العمل أعدادا خيالية من الساعات بعضها فى كلياتهم ، والبعض الاخر فى كليات تنتمى الى جامعات غير جامعاتهم .

وقد ازداد هذا الموقف تدهورا عندما افتتحت الكليات الاقليمية الحالية التى تعمل من سنوات . فقد أضيف عبء التدريس فى هذه الكليات الى أساتذة جامعات منهكين سلفا من التدريس فى جامعاتهم الاصلية وغيرها . وأصبح الوضع الراهن ينطوى على آلاف كثيرة من الطلاب الجامعيين يدرسون على أساتذة مكدودين يقضون ما تبقى لهم من وقت فى القطار مرتحلين الى الكليات الاقليمية وهى عبء زائد على طاقة هؤلاء الاساتذة الذين هم بشر . وللبشر طاقة يجب أن نعترف جميعا بأنها ــ مهما تباينت باختلاف الافراد ــ ذات سمات محددة .

وقد نتج عن ذلك ما يمكن تلخيصه فى النقاط التالية :

أولاً : انفصال بين الطالب وأساتذته بدل الالتحام الذى يجب ان يسود الجامعة ، فاحس الطالب بفراغ لا حدود له .

ثانيا : ضياع السمة الاساسية للجامعة التى تتلخص فى البحوث والاطلاع والاشراف العلمى على المعيدين لتخريج أجيال جديدة من أعضاء هيئة التدريس . فنتج الجمود والعقم اللذين أشرت اليهما وتخلفت جامعاتنا عن مسايرة التقدم العلمى الذى تتميز به جامعات العالم من حولنا .

ثالثا : أصبح التعليم الجامعى عبارة عن تلقين معلومات دون توجيه من الاساتذة ، وأصبحت المذكرات وكتب الاساتذة هى مفاتيح النجاح . وأدى ذلك بالتالى الى انشغال المجلس الاعلى للجامعات باصدار القرارات التى تنظم تأليف هذه المذكرات ومواعيد طبعها ووضع أسعار لها وطريقة بيعها على الطلاب ، وطغى ذلك على وظيفته الاساسية نحو التخطيط العام للتعليم الجامعى ودراسة المسائل الجوهرية فيه .

رابعا : ترتب على ما سبق أن أصبح الخريج فجا علميا وغير متفتح القلب لتحمل أعباء المسئولية فى حياته العملية واتصفت تصرفاته وسلوكه باللامبالاة والسلبية . ولعل بعض الاختبارات الشخصية – كما حدث عند قبول أول دفعة لمعهد الاعلام – قد أكدت ذلك ، اذ كان المتقدمون من خريجى الجامعات . وقد كتب السادة الممتحنون عن ضحالة معلومات المتقدمين على صفحات الاهرام ، وكان أول من كتب هو السيد الاستاذ الدكتور سيد أبو النجا .

خامسا : تخريج أعداد مهولة من حملة الليسانس والبكالوريوس مما أدى عند توظيفهم عدم مراعاة التخصص للوظيفة المتاحة – وان كنت لا أشك لحظة واحدة فى حسن نية جهاز القوى العاملة ، فهذا خارج عن ارادته وله كل العذر . الى جانب أن ارتباط الدولة دستوريا بايجاد عمل لكل خريج قد أدى الى بطالة مقنعة بدأنا نستشعرها ونناقشها فى وقتنا الحاضر .

لذلك كله تجدنى أقترح الآتى :

١ – اجراء امتحانات للقبول بكل كلية ، على أن يكون الامتحان من واقع تخصص الكلية ، وهو مبدأ تأخذ به كل جامعات العالم ، وعندنا فى مصر تعمل به الكلية الفنية العسكرية ، وتختار الكلية العدد الذى يتلاءم مع امكانياتها من بين الناجحين بمرتبة معينة .

ولا يحسبن أحد أننى أخرج بهذا الاقتراح عن الخط الاشتراكى ، فالاشتراكية استثمار لكل الطاقات دون استثناء بشرط الاخذ فى الاعتبار بنوعيات ومدى كل طاقة من هذه الطاقات . ومن الخطأ فى المنطق الاقتصادى أن **تصرف الدولة** أموالها **على من لا يستحق أو على من لا تساعده** قدراته على اعطاء العائد المناسب .

وعلى أساس هذا المفهوم **تجدنى لا أقبل وجود جامعة أهلية بمصروفات ، اذ أن وجودها سيتسبب فى زعزعة الايمان بالقيم الاشتراكية حيث انها ستعطى الفرصة الجامعية لمن لا يستحقها بمعزل عن الاخرين وهم الممتازون ، وهذا منطق لا يتفق وتذويب الفوارق بين الطبقات**

٢ – دراسة مراحل التعليم المختلفة والتى تسبق مرحلة التعليم الجامعى فى محاولة للاكثار من الكوادر الفنية المتوسطة نجابه بها ما يلزم من قوة بشرية لتدعيم الثورة الصناعية التى طرأت على مجتمعنا ، وتخلخل عن طريقها ذلك التزاحم الكثيف على دخول الجامعة . وهذا يقتضى وقوف أجهزة الاعلام بكل جهودها وامكانياتها الى جانب هذا التغيير ، وعلى الدولة فى سبيل تحقيق ذلك أن ترفع أجور هؤلاء الى ما يقارب المرتبات التى يتقاضاها الجامعيون بعد تخرجهم . أما واجب النقابات المهنية فهو التيسير على هؤلاء الكوادر حتى تستريح نفوسهم الى مستقبل يرضيهم . ويكون ذلك بأن تفتح النقابات أبوابها لعضوية هؤلاء بعد انقضاء عدد من السنين – تحدده النقابة المعنية – فى الخبرة العملية .

٣ – تدعيم الكليات الاقليمية الحالية بما يلزمها من أعضاء هيئة تدريس ومبان ومعامل ومكتبات عن طريق رصد عدد أكبر من البعثات لهذه الكليات ، وعلى أن يكون الترشيح لها من بين معيديها حتى لا ينافسهم فيها زملاؤهم العاملون فى الجامعات الاصلية . اذ أن الجامعات الاصلية تستمتع بقدر من الامكانيات يتيح للمعيدين فيها التفوق على أقرانهم فى الكليات الاقليمية من حيث الحصول على الدبلومات وهى التى تعطيهم الميزة عند المفاضلة للبعثات . هذا الى جانب رصد مبالغ مناسبة بها يمكن استكمال النقص فى المبانى والمعامل والمكتبات .

وما دمنا لا نستطيع العودة الى الوراء فلا أقل من أن نقف ونكتفى فى الوقت الحاضر بما افتتح من كليات اقليمية ونعمل على تدعيمها باعضاء هيئة تدريس ، ونستعد بالمبانى المجهزة بالمعامل والاجهزة والمكتبات . وخلاصة القول هو أن يكون فتح الكليات مرتبط بخطة مدروسة ، فلا تفتتح الا وهى مستكملة لكل مقوماتها لتقوم من أول لحظة بخدمة البيئة من حولها . وأظن أن ذلك هو الهدف

من فتح هذه الكليات فى الاقاليم المختلفة · كما أنه لا ينبغى أن تكون الكليات الاقليمية صورا متطابقة فى انحاء الجمهورية بل يجب أن تكون تخصصاتها مرتبطة بالبيئة التى تنشأ بينها وذلك حتى لا ينتفى الغرض الذى نستهدفه من افتتاحها ·

وبعد .. فانها محاولة أرجو أن أكون قد أوضحت فيها بعض ما عنيت من ضرورة عدم انشاء الجامعة الاهلية والتوقف عن فتح المزيد من الكليات الاقليمية ... والله اسأل أن يوفقنا فى خدمة بلادنا .

الدكتور توفيق محمود بركات
رئيس قسم الكيمياء وعميد كلية التربية
بقنا جامعة اسيوط –

□□□

■ ضرورة الاسراع بانشاء الجامعة الأهلية

يضطر الطلاب الذين يحصلون على شهادة اتمام الدراسة الثانوية بمجاميع لا تؤهلهم لدخول الجامعات المصرية الى الاختيار بين :

١ – استخدام رخصة الاستثناء الممنوحة لابناء العديد من الفئات ، أو

٢ – الالتحاق باحدى الكليات التابعة لجامعة الازهر ، أو

٣ – البقاء للاعادة ، أو

٤ – الالتحاق باحدى الكليات أو بأحد المعاهد العليا التابعة لوزارة التعليم العالى ، أو

٥ – الالتحاق باحدى الكليات أو باحد المعاهد التابعة لاحدى الهيئات الاهلية ، أو .

٦ – الالتحاق باحدى الكليات أو بأحد المعاهد التابعة لاحدى الهيئات الاهلية ، أو

٧ – السفر للخارج للالتحاق باحدى الجامعات العربية أو الاجنبية ، أو

٨ – الانسحاب من مجال التعليم وما قد يعنيه ذلك من احتمال :

(أ) العمل كمجند بالجيش المصرى ، أو

(ب) العمل مستقلا أو كشريك فى ادارة بعض أو كل الوحدات الانتاجية ، أو الخدمية المملوكة للاسرة ، أو

(جـ) العمل باحدى الوظائف الحكومية ، أو باحدى الوظائف التابعة للقطاع العام أو القطاع الخاص ·

وفى مواجهة مختلف الاختيارات السالفة الذكر لابد من التسليم بعدد من الحقائق التى لعل من أهمها :

أولا : أن حجم الاستثناءات الممنوحة لابناء بعض الفئات عند تقدمهم للالتحاق باحدى الكليات الجامعية قد وصل الى حد لا يستهان به (خمسة أماكن لابناء العاملين بالجامعات فى كل كلية ولأبناء الشهداء ، وخمسة فى المائة من اجمالى عدد الاماكن لابناء أعضاء هيئة التدريس) ·

ثانيا : أن بقاء الطالب للاعادة أو التحاقه باحدى الكليات أو بأحد المعاهد الخاصة (كليات الجامعة الامريكية – معاهد التعاون – معاهد الخدمة – معاهد اللاسلكى – معهد القطن – الخ] أو سفره للخارج للالتحاق باحدى الجامعات العربية أو الاجنبية ، يتطلب مصروفات أو استثمارات مالية غير ميسرة بالنسبة للبعض من الافراد على أقل تقدير ·

ثالثا : أنه بالرغم من الانخفاض النسبى فى مستوى الطلاب الذين لا تقبلهم الجامعات المصرية ، لا بل وبالرغم أيضا من الانخفاض النسبى فى الكثير من المقومات الاساسية للتعليم اللاجامعى يتحصل خريجو الكليات والمعاهد التابعة لوزارة التعليم العالى ، وشانهم فى ذلك شأن خريجى الكثير من الكليات أو المعاهد التابعة لبعض الهيئات الاهلية أو الخاصة على نفس الدرجة العلمية التى تمنحها الجامعات المصرية (درجة الليسانس أو البكالوريوس)

رابعا : أن طبيعة الامور أو الاوضاع قد فرضت على بعض الكليات أو المعاهد العليا (الكليات العسكرية أو كليات جامعة الازهر مثلا) ، ضرورة تنسيق القبول بها على أساس عدد من الاعتبارات التى لم يعد المجموع أهمها أو أخطرها ·

وانطلاقا من مثل هذه الحقائق السالفة الذكر يمكن القول أو الادعاء بأن تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمام الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أمر تكتنفه ولاشك بعض نواحى الخلل أو القصور التى يبدو وكأنه لا مفر من قبولها مرحليا على اقل تقدير · كذلك يمكن القول أو الادعاء أيضا بأنه بالرغم مما قد يعنيه انشاء جامعة أهلية من تثبيط لهمم الداعين الى ضرورة التشدد فى تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية المفتوحة أمام الحاصلين على شهادة الثانوية العامة ، فانه يجب علينا الا نهمل طبيعة الظروف

أو الاعتبارات التى تشجع البعض على المناداة بضرورة انشائها .

فمن ناحية ، لابد لنا من أن نسلم بداية بأن انشاء جامعة أهلية لا ولن يمثل الاستثناء أو المعوق الوحيد لمبدأ تكافؤ الفرص فى مجال التعليم العالى .

ومن ناحية أخرى ، لا مفر أمامنا من أن نسلم أيضا بأن التطبيق الاشتراكى فى ج . م . ع مازال يعترف للقطاع الخاص بحق العمل فى مجال تقديم مختلف الخدمات التعليمية ابتداء من روضة الاطفال الى الكليات والمعاهد العليا .

ومن ناحية ثالثة ، لا نعتقد بأن هناك من يستطيع أن يجادل فى مدى ضخامة الارباح التى يمكن أن تغلها رؤوس الاموال المستثمرة فى مجال التعليم الاهلى أو الخاص .

ودون ما استرسال فى ذكر العديد من الظروف أو الاعتبارات الاخرى ، والتى قد يكثر ترديدها تأييدا للاتجاه القائل بضرورة الاسراع بانشاء جامعة أهلية ، لا نعتقد أيضا بأن هناك من سوف يجادل فى انه من شأن ضخامة الارباح التى يحتمل أن تغلها رؤوس الاموال المستثمرة فى مثل هذه الجامعة ، أن يؤدى الى امكانية توفير جميع الاحتياجات المالية اللازمة لانشائها واعدادها أعدادا عصريا مناسبا ، وذلك عن طريق الاكتتاب الرأسمالى أو التعاونى العام .

وبالرغم من أن امكانية توفير رؤوس الاموال اللازمة لتمويل عملية انشاء وتشغيل الجامعة الاهلية لا ولن تمثل والامر كذلك ، أية عقبة فى سبيل قيامها ، فاننا نشك كثيرا فى قدرة هذه الجامعة على جذب النوعيات الممتازة من أعضاء هيئة التدريس ، خاصة اذا ما تم ادارتها بتشكيلات مماثلة لتلك المسئولة عن ادارة الكثير من المعاهد العلمية الخاصة .

الدكتور محمد عبد الودود خليل
استاذ ورئيس مجلس قسم الاقتصاد الزراعى - كلية الزراعة - جامعة الاسكندرية

□□□

هل هى اضافة مشكلة جديدة الى المشاكل القائمة ؟

لم يعد خافيا الان على أحد أن تعليمنا الجامعى يعانى من مشكلات لا حصر لها ، يعانى من نقص شديد فى هيئات التدريس ونقص أشد فى امكانيات البحث العلمى الجاد من معامل ومواد خام ومراجع وتخلف نظم الامتحانات ، وقصور نظام القبول القائم حاليا .. الخ الخ ولهذا فمن الغريب أن تظهر الدعوة الى انشاء جامعة أهلية بينما جامعاتنا الحكومية القائمة فعلا أو التى ما تزال فى طور الانشاء تواجه كل هذه المشكلات المعلقة دون حل . ويتبادر الى ذهنى سؤال .. أليس من الاجدى ان نفكر فى مواجهة هذه المشكلات أولا قبل أن نفكر فى اضافة جامعة جديدة .. أى قبل ان نفكر فى اضافة كيان ناقص جديد الى مجموع ما هو قائم من كيانات ناقصة ؟ ومع ذلك فان تمحيص فكرة انشاء الجامعة الاهلية سوف يبين لنا الى أى مدى هى فكرة ضارة وغير مجدية ولا تقوم على أساس مدروس .

ولنأخذ أولا زاوية الامكانيات البشرية .. فمن المعروف ان هناك نقصا كبيرا فى هيئات التدريس ، حتى ان الجامعات الاقليمية الجديدة كجامعة طنطا والمنصورة والزقازيق والمنيا بل وحتى الازهر يقوم التدريس فيها بنسبة ٧٠ فى المائة على الاساتذة المنتدبين من الجامعات القديمة . وهذا أمر له خطورته على مستوى التدريس من زاويتين :

١ - ارهاق عضو هيئة التدريس نتيجة التنقل المتواصل وزيادة ساعات العمل عن العدد المناسب . فهو لا يقبل الانتداب الا اذا كان مجزيا ، والانتداب لن يكون مجزيا الا اذا كثر عدد ساعاته ، واذا اضفنا الى ذلك نصابه الاصلى فى كليته الاصلية لاتضح لنا ثقل العبء على عضو هيئة التدريس بما يؤثر على كفاءته سواء فى الجامعة المنتدب اليها أو فى جامعته .

٢ - ان ازدحام وقت عضو هيئة التدريس على هذا النحو سوف يعوق قدرته على رفع مستواه العلمى عن طريق الابحاث المستمرة ومن ثم يعجز عن ملاحقة التطورات العلمية الجديدة وهو ما يؤثر فى النهاية على مستوى تدريسه .

واذا كان هذا هو الحال فهل يتصور ان تقام جامعة جديدة تلقى باعباء جديدة على كاهل هيئات التدريس المثقلة فعلا ؟

وقد يقول احد بامكانية الاستعانة بالاساتذة العاملين بمراكز البحوث عن طريق الانتداب وهذا فى رأيى خطأ فهناك من جانب خبرة التدريس التى لا تتوافر الا بالممارسة ، ومن جانب آخر فان الشخص

المنتدب هو فى الاساس غريب على الجامعة ولن يعطيها الا بقدر محدود . أما الشق الخاص بتشغيل الاساتذة المحالين الى المعاش فتقديرى ان مسألة الاحالة الى المعاش فى حد ذاتها بالنسبة للاساتذة مسألة خاطئة فلا ينبغى أن يحال الى المعاش منهم الا من يطلب ذلك بنفسه ، ومع ذلك فانه اذا جاز الاستعانة بهؤلاء الاساتذة فلا ينبغى بأى حال ان يكون فى مهمة التدريس المجهدة صحيا بالنسبة لهم وانما فى الاشراف على الابحاث أو التدريس عند مستوى معين وفى التخصصات التى برعوا فيها كعلماء كبار . اذن خلاصة القول هى اننا لا ينبغى أن نقيم شيئا جديدا على حساب شيء قائم بالفعل وانما علينا ان نطور ما هو قائم، وان ندرس الجديد جيدا قبل أن نقدم عليه .

واذا اخذنا زاوية التمويل فان المسألة تبدو أكثر وضوحا . فما دامت هى جامعة أهلية ، فالمفروض ان يتم تمويلها من رأس المال الخاص أساسا والمفروض الا يخسر أصحاب هذا الرأسمال رساميلهم بل وان يحققوا ربحا مناسبا من وراء هذا الاستثمار . واننى أشك كثيرا فى امكانية توفير الامكانيات المادية للانشاءات الاساسية للجامعة الاهلية فضلا عن اعدادها اعدادا عصريا مناسبا عن طريق رأس المال الخاص وذلك لان الامكانيات المطلوبة ستكون باهظة بالفعل .

ومع ذلك فلو تصورنا ان الجامعة قد اقيمت فمن الذى سيمول مصروفاتها الجارية من أدوات ومرتبات للموظفين وهيئات التدريس .. الخ كم طالب مصرى يستطيع ان يدفع سنويا ما ستقرضه الجامعة الاهلية من رسوم على التعليم .. ثم ماهى نوعية هذا الطالب .. انه فى الغالب الطالب الغبى والموسر فى نفس الوقت فهل يستحق هذا العدد الضئيل وهذه النوعية المدللة ان ننشىء لهم جامعة خاصة ؟

أما فيما يتعلق بالطلبة العرب فهم يأتون هنا ليدرسوا بالمجان تطبيقا لسياستنا العربية . فاذا ما وجدوا أنفسهم مضطرين الى دفع مصروفات فمن يضمن لنا أنهم لن يفكروا فى الذهاب الى فرنسا او انجلترا أو غيرها من البلدان الاكثر تقدما كما يفعل جزء كبير من الطلبة العرب بالفعل . وبالقطع فلا يتصور أن تدخل الدولة شريكا فى عملية التمويل بأى صورة من الصور لان الجامعات الرسمية اولى بكل قرش يمكن انفاقه فى هذا المجال خصوصا وان الجامعات الاقليمية بالذات ما تزال تعانى عثرات كثيرة يعلمها كل المهتمين بالتعليم الجامعى .

وبالاضافة الى ذلك كله فان الجامعة الاهلية تتنافى مع تكافؤ الفرص ومع الحق الدستورى للمواطنين فى التعليم المجانى ، وفى النهاية فان خريجى هذه الجامعة المقترحة سيكونون بالتأكيد أقل مستوى من خريجى الجامعات الرسمية وذلك لانهم دخلو التعليم الجامعى بسلاح المال وليس بسلاح الكفاءة العلمية . ولو تصورنا انهم سيكونون فى الغالب من ابناء الاسرة الغنية القادرة بمراكزها على دفعهم الى المواقع القيادية فى مختلف المجالات وبخطوات سريعة ، فسنعرف اى كارثة يمكن ان تصيبنا من جراء هذه الفكرة . اننى اطالب بحل مشكلات الجامعات القائمة فعلا ، واذا كانت هناك امكانية يمكن ان تقدمها الدولة فلتكن موجهة أساسا لتطوير معامل الطلاب ،ومعامل البحث العلمى للاساتذة فهذه هى نقطة البدء لاى نهضة علمية حقيقية فى بلادنا .

د . عمر الفاروق بدوى منصور
استاذ مساعد الطبيعة بعلوم القاهرة

□□□

■ اخلال صريح بمبدأ تكافؤ الفرص

ان فكرة انشاء الجامعة الاهلية فيها اخلال صريح بمبدأ تكافؤ الفرص ، وهو أحد المبادىء الاساسية التى نص عليها الميثاق وأكدتها كل المواثيق التالية مثل بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى .. حيث تتيح الجامعة ذات المصروفات فرصة التعليم لمن لا يتمكن من الحصول على هذه الفرصة بقدراته العلمية .. بينما الاساس فى

التعليم الجامعى هو التفوق العلمى وليس التفوق المادى ..

وفى حين تم الغاء ميزة التفوق الرياضى والاجتماعى والارتكاز اساسا على التفوق العلمى كمعيار وحيد للقبول بالجامعات نجد من الغريب المناداة بانشاء الجامعة الاهلية التى لا تتيح فرصة التعليم الا لمن يتفوق ماديا ..

واذا كان البعض يرتكز على وجود قطاع خاص فى التعليم العام ، فان ذلك لا يبرر استمرار وجود هذا القطاع فى التعليم العالى ، بل الادعى ان يكون التعليم فى جميع مراحله قائما على معيار التفوق والاستعدادات الشخصية لكل فرد ويتم توجيهه وفقا لقدراته التى يتميز بها ..

هذا . من الناحية المادية البحتة .

فاولا : ذلك الجانب النظرى فى القضية ..

.. حيث لا يقبل فى بلد متخلف يسعى نحو التنمية وارتضى طريق التحول الاشتراكى أن تكون التفرقة بين مواطنيه على أساس ما يتفوق به البعض ماديا ويتساقط فى الطريق من لم يتمكن - بقدراته المادية - من التعليم فى المراحل العامة أو العالية .

هذا بالاضافة الى ما ينتج عن ذلك من اخلال بمبدأ التخطيط العام الشامل والملزم الذى يعتبر أساسا هاما من أسس التطبيق الاشتراكى .. حيث يكون التعليم أحد المجالات الهامة التى تحدد فيها الدولة احتياجاتها وامكانياتها لتحقيق أهداف واضحة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية بجميع جوانبها ..

ومن ناحية أخرى يعتبر التفكير فى انشاء الجامعة الاهلية ذات المصروفات اخلالا بمبدأ هام يقوم عليه دستور عام ١٩٧١ وهو مجانية التعليم ، وليس مقبولا أن تتخلى دولة تنادى بالاشتراكية عن مبدأ هام من مبادىء الرعاية الاجتماعية والعلمية أو الصحية .. الخ بعد اقراره حيث يعتبر ذلك نوعا من التراجع عن أساسيات مبدئية ارتضاها المجتمع وأقرها الدستور .

أما من ناحية وحدة التعليم فهنا تبرز مخاوف أن تتعدد مناهج التعليم ، وخاصة فى الكليات النظرية ، فحيث تقوم الدولة بتوحيد المناهج - الى حد كبير - فى جامعاتها ، يخشى أن يكون للمعيار المادى ضغطه على المناهج التى قد تسعى لتعليم يختلف فى أساسياته النظرية عن مثيله فى الكليات الحكومية ..

ثانيا : الامكانيات المادية :

ا - من حيث توفر الاساتذة الازمين :

■ **اذا تعرفنا على حقيقة** موضوعية يعيشها التعليم الجامعى حاليا وهى وجود توسع فى انشاء الجامعات الاقليمية ترتب عليه وجود عجز شديد فى هيئات التدريس بهذه الجامعات ، وارتفعت نسبة عدد الطلبة الى هيئات التدريس عن المعدلات المثلى أو حتى المعترف بها وتضاعفت هذه المعدلات بصورة قد تخل اخلالا صارخا بالكفاءة العلمية التى ينبغى أن يحصل عليها الطالب ، وأصبحت بعض الكليات فى الجامعات الاقليمية خلوا تماما من هيئات التدريس وتعتمد كلية على الانتدابات .. اذا تعرفنا على هذه الحقيقة ، تبدو لنا استحالة توفر الاساتذة اللازمين لهذا التوسع الافقى غير المدروس . وكان الاجدر أن يتم تغطية العجز فى هيئات التدريس فى الجامعات القائمة فعلا لتحقق أهدافها قبل مجرد التفكير فى انشاء جامعات أخرى ..

ب - رأس المال اللازم للانشاءات الاساسية للجامعة الاهلية والتمويل اللازم لاعدادها اعدادا عصريا :

■ **اذا كانت خطة التنمية** الحالية غير قادرة على الوفاء باحتياجات بعض المشروعات الحيوية اللازمة لها . فمن غير المعقول أن تخصص الدولة جانبا ليس بالقليل من ميزانيتها لتمويل مشروع لن يفيد فى النهاية الا فئة قليلة وتحقق منه منفعتها الشخصية أكثر من تحقيق منفعة عامة للدولة ..

ثالثا : الاعباء التى يفرضها المشروع على الدولة :

■ **اذا تم التسليم فرضا** بالموافقة على فكرة انشاء الجامعة الاهلية ، فان ذلك يستتبعه خطر آخر هو التزامها بضرورة تشغيل الخريجين حيث لا يجوز عندئذ التفرقة بين الخريج من الجامعة الحكومية والخريج من الجامعة الاهلية ، ومنذ بداية التزام الدولة بهذا المبدأ بعد صدور القوانين الاشتراكية وانشاء نواة القطاع العام وصدور القرارات الجمهورية بتعيين خريجى الجامعات ابتداء من عام ١٩٦٢ ، منذ ذلك الحين يتضخم جهاز الدولة والقطاع العام بالصورة التى أوجدت نوعا واضحا من البطالة المقنعة والعمالة الزائدة عن معدلات العمالة المطلوبة .. الامر الذى يفضح معه خطورة الصورة بعد وجود خريجين يفيضون عن احتياجات الدولة الحالية والمقبلة ، الامر الذى أدى بالدولة الى تصدير الخريجين حاليا . وليس مقبولا أن تتوسع الدولة فى تعليم يكون له هدف اخر غير أهداف التنمية ..

كلمة أخيرة :

اذا كان هناك من يعترف بعدم وجود تكافؤ فرص بين المواطنين حاليا فى التعليم أو الصحة او التغذية او المسكن او الملبس ، فلا يبرر ذلك المطالبة بتعميق هذا التفاوت فى الفرص المتاحة وانما يتطلب العمل على تصحيح هذه الاوضاع - ذلك لان التعليم هو جزء من بناء اجتماعى واقتصادى متكامل يهدف الى توفير امكانيات بشرية لتغطية احتياجات الدولة فى التخصصات المختلفة ، وليس مجرد اشباع رغبات الافراد الموسرين فى التعليم دون تخطيط شامل .

د . احمد اسماعيل
مدرس الامراض الباطنية
بكلية طب جامعة الازهر

القطــــاع العـــــام

ضرورة عمليــة لم تفرضــها اعتبارات أيديولوجية

كمــال الســيد

الارقام لا تكذب ، تلك هى الحقيقة التى استخدمها **الرئيس السادات** فى خطابه للامة فى ٢٤ يوليو ١٩٧٢ ، لبيان ما انجزته التنمية وما حققه القطاع العام • فقد أعلن الرئيس ان الناتج القومى قد زاد فى الفترة ٥٥ ـ٦٦ بمتوسط سنوى ٦ر٧ فى المائة ، وفى السنوات التى تلت العدوان ورغم فداحة الاعباء زاد بمقدار ٥ فى المائة ، فى حين لم يتجاوز معدل النمو فى الخمسين سنة السابقة على الثورة ١ر٧ فى المائة وهو نفس متوسط الزيادة السكانية ، مما اصاب الدخل الفردى بحالة ركود وجمــود • كمــا بلغت الاستثمارات فى العشر سنوات الاخيرة ٣٣٠٠ مليون جنيه ، مقابل الف مليون فى الخمسين سنة التى سبقت الثورة ، مما جعل دخل الفرد يرتفع من ٣٥ جنيها فى ١٩٥٢ الى ٧٩ جنيها فى ٧٠ ـ١٩٧١ • وفى حين لم يتجاوز الانتـاج الصناعى ٢٨٢ مليون جنيه، فقد بلغ فى ٧٠ ـ٧١ أكثر من ٢٤٢٤ مليون جنيه ، أى ان معدل الانتاج الصناعى كان ٤ر١١ فى المائة سنويا •

وفى الخطاب نفسه أكد الرئيس الســادات الحقائق التالية :

● « ان التصنيع ـ واداته القطاع العام ـ لعب الدور الاساسى فى هذا النمو السريع الذى يندر ان نجد له مثيلا فى الدول النامية باعتراف أجهزة الامم المتحدة ذاتها » •

● « ان القطاع العام تولى انشاء عدد كبير من الصناعات لاول مرة فى البلاد ، وفى مقدمتها صــناعة الحــديد والصــلب ، والمطــروقات ، والصناعات الكيماوية الثقيلة ، ومحركات الديزل ، والسيارات والجرارات ، والبتــروكيماويات •• والفارق الكبير بين قيمة الانتاج الصــناعى فى ١٩٥٢ وقيمته الان ، توضح أن الدور الاساسى فى التصنيع تولته الدولة » •

● « ان الصــناعة اصــبحت تغطــى كل احتياجاتنا الاستهلاكية تقريبا • وكان التعبير عن استقلالنا الاقتصادى هو انتهاء سيطرة بريطانيا على تجارتنا الخارجية وتنوع اتجاهات الصادر والوارد » •

● « زيادة فرص العمالة والاجور والارتفاع فى الدخول ، مما جعل الاستهلاك العائلى يزيد خلال السنوات العشر الماضية بمعدل ٣ر٨ فى المائة » •

● « كان التأميم واتساع نطاق القطاع العام فى المشروعات الجديدة ، هو الظرف المواتى لتأكيد حقوق جديدة للعمال » ، كالاشــتراك فى مجالس الادارة وصلاحيات لجان الانتاج والمشاركة فى الارباح ، واقامة مجمعات صناعية توفر المسكن والخدمات • « كما أصبحت مظلــة التــأمينات الاجتماعية تؤمن العامل ضد كل المخاطر بما فيها البطالــة ، بل وامتــدت هذه المــكاسب للقطــاع الخاص » •

● « اتاح تحرر الاقتصاد القومى من السيطرة الاجنبية وتأميم الشركات الرأسمالية الكبــرى وانجاز مشروعات التنمية الضخمة ، فرصة نادرة لجيل كامل من الفنيين والاداريين المصريين » •

ورغم كل ما أكده الرئيس السادات واوضحته التجربة لا يتورع البعض عن المطالبة ببيع بعض شركات القطاع العام الفاشلة كما يقولون •

والواقع ان القطاع العام فى بلادنا اختيار لم تفرضه اعتبارات ايديولوجية ، ولم تمليه افكار عقائدية أو احكام مذهبيةمسبقة • على النقيض من ذلك ، فقد بدأ الاخذ به فى وقت لم تكن فيه فكرة الملكية العامة وسيطرة المجتمع على وسائل الانتاج

الاساسية من المسلمات الشائعة والمستقرة •

بالفعل لقد تم اللجوء الى هذا الاسلوب لادارة الاقتصاد ومواجهة التحديات ، تحت ضغط اعتبارات عملية وتحت تأثير التجربة المرة مع القطاع الخاص ، الذى اتيحت له فى البدء كل الفرص والضمانات ليسهم فى تلبية احتياجات البلاد وسكانها مقابل عائد معقول ، ولكنه أبى الا السيطرة والتحكم والانفراد • ومن ثم كان لابد من القطاع العام لانجاز المهام المطروحة على النطاقين الوطنى والاجتماعى ، وأصبح هذا القطاع العام قدرا ومصيرا ليس فقط من أجل تحقيق التقدم والازدهار ، وانما من أجل ضمان مجرد الاستمرار •

وفى بلدان العالم الثالث ، لم يكن الاخذ بالقطاع العام ترفا نظريا أو موقفا مسبقا من المالكين أو عقوبة توقع عليهم ، وانما كان ضرورة حياة أكدتها الاحداث وفرضتها • فقد بينت التجربة العملية أن الدول التى انتهجت طريقا رأسماليا بعد تحررها وتركت الحبل على الغارب لقوانين السوق والسعى وراء الارباح ، وقصرت دور الحكومة على حماية الاوضاع القائمة ، لم تستطع أن تحل أيا من المشاكل الحادة والمزمنة التى تواجهها ، ولم تتمكن من تحقيق آمال جماهيرها التى طال بها العهد وظنت الاستقلال نهاية لالامها وبداية لحصولها على القدر الادنى من الاحتياجات الخليق بالبشر والحياة الادمية • فى حين أكدت تجارب أخرى أن الاخذ بالقطاع العام ــ وتلك نقطة تحول تاريخية على المستويين الوطنى والاجتماعى ــ قد أتى بما لم يأت به الاوائل ، وحقق انجازات تعادل المعجزات أو تزيد ، بعد أن وقر فى الاذهان واستقر أنه ليس لاوضاع التخلف والفقر تبديلا • ومن بين الانجازات التى تحققت بفضل القطاع العام ، وهى كثيرة ومتعددة :

■ تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، وذلك بانشاء المشروعات والتسهيلات الانتاجية التى تقضى على حالة التبعية الاقتصادية للخارج ، وتكفل سد حاجات الصناعات والنشاطات المحلية، حتى ولو لم تدر هذه المشروعات أرباحا أو جلبت بعض الخسائر ،أو استغرقت فترات طويلة لتدر عائدها ، وذلك أمر لا يمكن أن يقدم عليه القطاع الخاص الذى يريده ربحا عاجلا يحقق له مصالحه الشخصية •

■ تحقيق غايات اجتماعية قد تكون على حساب الربحية فى الاجل القصير ، أو على حساب ربحية المشروع الفرد ، رغم أنها مربحة فى الاجل الطويل أو مربحة على نطاق المجتمع ككل • ومن أمثلة هذا انشاء مشروعات فى بعض المناطق لانهاضها رغم زيادة تكاليف الانتاج بها ، أو بيع انتاج بعض المشروعات بأسعار أقل لانهاض مشروعات تقوم صناعاتها على هذا الانتاج ، أو لسد حاجات الاستهلاك الشعبى •

وفيما يتعلق باعتبارات العدالة الاجتماعية ، فان للقطاع العام فى ذلك دور لا يبارى ، ذلك أنه يقضى على التناقض الاساسى فى المجتمع الحديث ــ وهو مصدر كل أنواع الظلم والشرور فيه ــ وهو التناقض بين الطابع الفردى لملكية المشروع وبين الطابع الجماعى للعمل والانتاج فيه ، والذى يسمح لمالك فرد بأن يستولى على ناتج عمل المجموع ، ولا يترك اللهم الا النذر اليسير الذى يقيم أودهم بالكاد . أما القطاع العام فيتيح ــ للعاملين ــ أصحاب الجهد الاساسى ــ الاستفادة من ثمار عملهم الى حد كبير ، وتخصيص جزء منه للمجتمع بأسره ، أى أنه يعود اليهم مرة أخرى بطريق غير مباشر ، ولا يحبس فى خزائن أفراد أو يسخر لمتعهم الشخصية • كذلك فان قوانين العمل التى تكفل الحماية والامن للعامل ، أسهل تطبيقا فى القطاع العام ، اذ المفروض أنه ليس لمديرية مصلحة فى اهدار حقوق العمال واستغلالهم ، على النقيض مما يفعله الرأسماليون الذين يستعجلون تنمية ثرواتهم بتكثيف استغلال العاملين الى أقصى حد •

■ تمكين الدولة من أداء دورها الجديد • فدور الدولة سواء كأداة لحماية السيادة الوطنية ، أو كهيئة ذات نشاط اقتصادى فرضته طبيعة العصر ، يحتاج الى مبالغ ضخمة لا توفرها الضرائب وحدها ــ خاصة مع اكتمال وارتقاء تكنيك التهرب منها وفى المحل الاول من قبل رأس المال الخاص •

وهذه المبالغ يمكن أن توفرها « فوائض أعمال » المشروعات التى تملكها الدولة وتسييرها بطريقة اقتصادية ، أو الضرائب التى تدفعها هذه المشروعات عن أعمالها ، وهى أيضا ليس لمديريها مصلحة فى التهرب منها • وبالفعل فان حصيلة الضرائب التجارية والصناعية فى بلادنا تجىء أساسا من القطاع العام •

كذلك فان الاستثمارات اللازمة لتوسيع الانتاج والمشروعات بما يخدم الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، توفرها المشروعات العامة التى تقوم بعملية تمويل ذاتى واسع النطاق ، يكفل الامتداد الى مجالات جديدة وضرورية لضمان توازن النمو •

لكل هذا وكثير غيره ، تبدو غريبة تلك الدعوة التى يهمس بها البعض أو يقولونها على استحياء ــ وان شرعوا ينادون بها علانية فى الاونة الاخيرة وبلا استحياء ــ عن بيع أجزاء من القطاع العام أو حتى كله ، واطلاق الحبل على الغارب للقطاع الخاص طريقا وحيدا للنشاط الاقتصادى •

وفضلا عن أن هذه الدعوة ، تعتبر انتهاكا صارخا لمواثيقنا السياسية الاساسية ــ خاصة الميثاق وبرنامج العمل الوطنى ــ فانها تتناقض مع اختيارات شعبنا الاساسية الذى يتطلع للاشتراكية وأداتها التنمية والتخطيط والقطاع العام ، حلا لمشاكله وتحقيقا لاماله • كما أنها اهدار لكل التجربة الماضية خلال العشرين سنة المنصرمة ، والتى أكدت عجز الرأسمالية الخاصة وعدم رغبتها فى القيام بتنمية حقيقية •

والتحايل الذى يلجأ اليه أصحاب هذا الرأى ليبرروا به دعوتهم من ناحية ، ولكى يمرروها على الشعب ويسهلوهم من ناحية اخرى ، ادعاؤهم أنهم يطالبون فقط ببيع المشروعات الفاشلة فى رأيهم • لكن تلك الدعوة تثير كثيرا من التحفظات منها :

● **ما هو معيار الفشل ؟ هل هو مجرد عدم تحقيق أرباح ؟ وماذا عن النتائج الاجتماعية والسياسية وغيرها ؟**

● **ألم يكن الاجدر بحث أسباب الفشل والعمل على القضاء عليها ، ذلك أن خطأ التطبيق لا يلغى أبدا سلامة المبدأ • والواقع أن المصدر الاساسى لجميع المتاعب التى تعانى منها بعض شركات القطاع العام ، يتمثل فى الاعباء التى يفرضها عليه القطاع الخاص ، الذى درج على أن يعيش عالة عليه ، بأن يستولى على المستلزمات التى تستوردها له الدولة ليعيد بيعها لشركات القطاع العام بأسعار مضاعفة ، تؤدى الى تضخم التكاليف وتقليل هامش الربح ، أو استغلاله لحسابهم بارشاء وافساد بعض المسئولين عنه الذين يضعون مقدرات المشروعات العامة الموجودة تحت قيادتهم فى خدمة أصحاب المشروعات الخاصة •**

● **وفى غمرة الحديث عن الفشل** ، يتصيد أعداء القطاع العام مشروعا يعانى من بعض الصعوبات ليعمموا صورته ويجعلوا منه نموذجا وعينة لكل مشروعات القطاع العام ، ويتناسوا المشروعات الناجحة فيه والتى تعتبر هى القاعدة والاساس • وعند المقارنة مع القطاع الخاص ، يأخذون مشروعا خاصا ناجحا لسبب أو لاخر ، يتوقف فى التحليل الاخير على مدى كفاءة الاستغلال فيه ، ليجعلوا منه صورة لجميع مشروعات القطاع الخاص ، والتى يدعون نجاحها جميعا ، متجاهلين آلافا من حالات الافلاس والبروتستو والاغلاق التى شهدها القطاع الخاص قبل الثورة وبعدها بسبب عدم كفاءتها •

وفى غمرة المغالطة والحديث عن بيع المشروعات الفاشلة ، يتهرب اصحاب هذه الدعوة من السؤال التالى : من الذى سيشترى مشروعات فاشلة ؟ بالقطع ليس الرأسماليون • والواقع ان أعين اصحاب الثروات الخاصة والتى جمعوها من التعامل مع القطاع العام وعلى حسابه ، تتجه الى الشركات الناجحة ــ لا الفاشلة ــ يريدون الاستيلاء عليها مباشرة بدلا من استغلالها لحسابهم من بعيد • وشركات القطاع العام اجمالا • والشركات الناجحة بصفة خاصة تكلفت أموالا هائلة لكى تقف على قدميها وتحقق ما وصلت اليه ، والاستثمارات التى بذلت فيها مصدرها اما الضرائب التى دفعها الشعب أساسا ، أو فوائض المشروعات الانتاجية الاخرى المملوكة للدولة ، أو قروض من الخارج تحملت الدولة والشعب أعباءها • وهذه **لا يجوز** بحال من الاحوال التفريط فيها ، كما لا يمكن عمليا الاستغناء عن الفوائض التى تدرها هذه المشروعات ــ والتى تمكن الدولة من تنفيذ التزاماتها فى الدفاع عن الوطن وفى تحقيق الاصلاحات الاجتماعية ــ ولا يستقيم وضع هذه الفوائض تحت تصرف القطاع الخاص ليبددها فى انفاق استهلاكى أو ليستخدمها فى السيطرة •

لقد نهض القطاع العام بعبء تنمية مجالات لم يكن القطاع الخاص ليدخلها ولو بعد ألف سنة ، كفلت هذه المجالات سد معظم حاجياتنا • ويكفى فى هذا الصدد المقارنة بين الفترة التى كانت فيها البلاد فى « حالة حرب » ابان الحرب العالمية الثانية والتى انقطع فيها ورود معظم مستلزماتنا ، وبين « حالة الحرب » الحالية والتى يسد القطاع العام معظم احتياجاتنا فيها • كما أدت تنمية هذه المجالات الجديدة الى خلق فرص للعمل والاجور الافضل ، استفادت منها مئات الالوف من الاسر التى تضم ملايين الاشخاص • كذلك ساهمت هذه المجالات الجديدة فى تمويل عمليات التنمية اللاحقة والمشروعات الاجتماعية بل المجهود الحربى •

ان أى دعوة لتصفية القطاع العام ، تهدر فعلا انجازات وتجارب عشرين عاما ماضية • وذلك يؤكد قول الرئيس السادات فى خطابه فى ٢٤ يوليو ١٩٧٢ ، بأن « الدرس الاعظم الذى نستفيده من خبرة العشرين عاما الماضية ، هو أن الاستعمار وأعوانه من الرجعيين يتربصون دائما بنضال الشعب ومنجزاته • يريدون الانقضاض عليهما والارتداد بالجماهير الى أشكال من التبعية والاستغلال • ان سلاحنا هو قوى الشعب العامل واليقظة الدائمة والحرص على استمرار الثورة • ان ما أنجزه شعبنا لرائع جليل ، وأروع ما فيه أنه يهيىء لنا الظروف المواتية لانطلاقة كبرى لنصفى تماما آثار التخلف ونبنى على هذه الارض العريقة دولة حديثة » • لذلك فالموضوع الاجدر بالبحث ، والذى يتفق مع المصالح الوطنية والاجتماعية للبلاد ، هو كشف أسباب تعثر قلة من الشركات العامة والطريق الى التغلب على هذا ، لكى تنهض هذه الشركات بما أنشئت من أجله ، وحتى لا تتخذ ستارا للدعوة الى تصفية أروع انجازات ثورة يوليو : وهو القطاع العام •



شيلى
التجربة
الانقلاب
المقاومة
انتوفاجاستا
فالباريزو
سانتياجو
تالكاهوانو
تيموكو
كوبا
فنزويلا
كولومبيا
جيانا
بيرو
بوليفيا
البرازيل
باراجواى
الارجنتين
اورجواى
□ حركة الأحداث
□ أمل يخبو ولن ينطفئ
□ الطريق السلمى فى قارة دموية
□ الليندى ماركسيا يعرف روح عصره

شيلى : الليندى

سلفادور الليندى .. بطل من أبر وأنبل أبناء شعب شيلي .

ومع كل الالم والحسرة ، التى يخلفها استشهاده ، فان بذله لروحه وحياته دفاعا عما بشر به ونذر له نفسه ، ذخيرة ليس مثلها ذخيرة فى ترسانة من يبذلون الجهد والعمر لتخضر وتزهر صحراء حياة الكادحين وتثمر وتجود كروم ربيع مملكة الانسان ، على الارض .

وقليلون هم الزعماء الذين ناضلوا للنهاية فى سبيل ما بعثوا من أجله ونادوا به . وأندر من هؤلاء من قاتل بحد السيف ذودا عما جاء به واسترخص الروح فى سبيله . ومن بين كل هؤلاء يحتل الليندى شهيد الانسانية التقدمية جمعاء ، مكانة لا يدانيه فيها الا عدد محدود من قادتها على امتداد تاريخها الطويل . فقد ظل الرجل وفيا لما دعا اليه حتى آخر لحظة ، متذرعا بصبر وجلد ، وجنح للسلم ما وسعه الى ذلك سبيلا ، رغم ضراوة ونذالة الاساليب التى واجهوا بها دعوته للحق والعدل والسلام ، والتى « تصاعدت » الى حد قتل الرئيس الشرعي للبلاد الذى اختارته أمته فى انتخابات تمت فى ظل سلطة لم يكن هو صاحبها ، بل كان « مجرد » معارض ، ليس له تأثير على أجهزة الحكم ومؤسساته .. وحتى بعد انتخابه لم يحل « بنى الطريق السلمى » نحو العدل الاجتماعى ، البرلمان المعارض له ولم يلغ الصحف وأجهزة الإعلام التى لا تدين بطريقة ، والتزم حتى آخر لحظة الطريق الدستورى الشرعى القانونى السلمى .

واستشهاد الليندى صاحب التجربة الاولى للطريق السلمى ومدفعه الرشاش فى يده وخوذته على رأسه ، ليس « نقدا علميا » لمقولة الطريق السلمى ، وانما هو تأكيد جديد لحقيقة أن القوى المعادية للتقدم هى التى تفرض العنف أسلوبا للتعامل بين أبناء المجتمع الواحد . لقد استحق الليندى بموته لقب « القائد الشجاع لشعبه » ، هذا الشعب الذى لن يتوانى عن بذل كل التضحيات ليستمر طريق الليندى ويزيل ما علق به من أدران الفاشيين الصغار عملاء الاجنبى ، تستصرخه الدماء الذكية الطاهرة ، دماء الليندى ورفاقه ، دماء الطبقة العاملة والفلاحين وكل الكادحين ، لكى يخلص البلاد من قوى الجهالة والعمالة .

((الطليعة))



د . سلفادور الليندى

- ولد فى ٢٦ يوليو ١٩٠٦ من اسرة متوسطة فى مدينة فلباريزو .
- تخرج من كلية الطب . ومارسه لفترة قصيرة .
- عام ١٩٣٧ انتخب عضوا فى البرلمان .
- عام ١٩٤٠ كان وزيرا للصحة .
- عام ١٩٤٢ كان مديرا لصندوق الضمان الاجتماعى للعمال .
- عام ١٩٤٣ أسس الحزب الاشتراكى . واصبح فيما بعد سكرتيره العام .
- عام ١٩٤٥ انتخب عضوا فى مجلس الشيوخ .
- عام ١٩٥٢ رشح نفسه لانتخابات الرئاسة لكنه هزم امام الجنرال ايباتيز .
- عام ١٩٦٤ رشح نفسه مرة أخرى لانتخابات الرئاسة . وانفقت المخابرات الامريكية ٢٠ مليون جنيه لاسقاطه . وفاز هذه المرة المرشح الديمقراطى ادوارد فراى .
- عام ١٩٦٦ انتخب رئيسا لمجلس الشيوخ .
- فى الانتخابات الاخيرة كان مرشحا لجبهة اليسار وتكونت ١٥٫٠٠٠ لجنة للدعاية له . وانتخب فى سبتمبر ١٩٧٠ رئيسا للجمهورية وفاز على منافسه بفارق فى الاصوات بحوالى ٣٩ ألف صوت .
- عضو رئاسة المجلس العالمى للسلام .
- حائز على ميدالية جوليو كورى الذهبية للسلام .

شـــيلي : الأحـــداث

في ١١ سبتمبر روع العالم بأخبار انقلاب عسكري في شـيلي تزعمه قادة اسلحه الجيش والبوليس تحت رئاسة الجنرال أوجو ستينوبينوشيه القائد العام للقوات المسلحة • وحاصر الانقلابيون قصر الرئاسة ووجهوا انذارا الى الرئيس الشرعي والمنتخب سلفادور الليندى • يطلبون اليه الاستسلام مع تأمين حيـاته وخروجهمن البلاد •غير أن الرئيسالليندى رفضانذار الانقلابيين بالاستسلام ووجه نداء الى الشعب الشيلى دعاه فيه الى تنظيم المقاومة المسلحة ضد الانقلابيين دفاعا عن حقوقه وحـرياته ومكاسبه واستمر يقاوم في قصر الرئاسة المحاصر ، الذى حولته نيران الانقلابيين فى النهاية الى كتلة من النيران وتم الاستيلاء عليه •

وبعد الاستيلاء على قصر الرياسة اشاعت وكالات الانباء الغربية أن الرئيس الليندى انتحر أثناء الهجوم علـى قصر الرياسة • غير أن البيان الرسمى الذى أصدره الانقلابيون لم يشر على الاطلاق الى ذلك ، وجاء فيه أن جثة الليندى وجدت فى قصر الرياسة بعد الاستيلاء عليه بالقوة • وفى ١٤ـ ٩ أعلن ممثلو جبهة الائتلاف الشعبى فى بيونس ايرس ، فى مؤتمرهم الصحفى أن الرئيس سلفادور الليندى قد قتل على يد ضابط من الانقلابيين يدعى جاريدو عندما اقتحموا قصر الرئاسة •

وهكذا أودى الانقلابيون بحياة الرجل الشجاع والزعيم المحبوب لشعب شيلى وهو يقاتل حتى أنفاسه الاخيرة من أجل القضية التى ظل يدافع عنها طيلة حياته ، ووضعوا بذلك نهاية لثلاث سنوات حاسمة وخالدة فى تاريخ شيلى ، هى فترة حكم الليندى وجبهة الائتلاف الشعبى ، وضعوا نهاية لتجربة فريدة فى الثـورة الاجتماعية طالما تطلعت اليها أنظار الحركة الثورية فى جميع أنحاء العالم •

وسرعان ما أعلن الانقلابيون عن تشكيل حكومة معظمها من العسكريين يرأسها الجنرال بينوشيه • ولقد عين هذا الجنرال قائدا عاما للجيش قبل الانقلاب بثلاثة أسابيع فحسب بعد أن استقال الجنرال كارلوس براتس من منصبه كوزير للدفاع وقائد أعلى للقوات المسلحة •

ومنذ اللحظات الاولى بدأ أنصار جبهة الائتلاف الشعبى المقاومة المسلحة ضد الانقلاب فى جميع أنحاء البلاد ، وتميزت المقاومة المسلحة بعنف خاص فى الحزام الصناعى المحيط بالعاصمة سانتياجو • لقد احتل العمال المصانع والمؤسسات حيث قاوموا الانقلابيين ولم تتمكن القوات المسلحة للانقلاب من احتلال المصانع الا بعد صدامات مسلحة مع العمال استخدمت فيها

● بلغ مجموع ارباح شركة ناكوندا الامريكية من استثمار مناجم النحاس فى شيلى ٧٨٫٦٩٢٫٠٠٠ دولار فى عـام ١٩٧٠ .

● ٧ر٤ فى المائة من سكان شيلى (كبار الرأسماليين وكبار الملاك الزراعيين) كانوا يحصلون على ٣٩ فى المائة من الدخل •

● ٧ فى المائة من السكان (العمال الصناعيين والفلاحين والعمال الزراعيين) يحصلون على ٢٣ فى المائة من الدخل •

● بعد تأميم شيلى للنحاس انخفضت القروض الاجنبية التى كانت تحصل عليها من ٢٧٠ مليون دولار الى ٣٢ مليون دولار فقط •

● خلال حكم الليندى ارتفع معدل زيادة الانتاج القومى الى ٨٫٥ فى المائة وهى أعلى معدل شهدته شيلى وكان٥ر٢ فى المائة فى عام ١٩٦٦ وانخفضت نسبة البطالة من ٣ر٨ فى المائة (فى عام ١٩٧٠) الى ٨ر٣ فى المائة فى (عام ١٩٧١) •

الدبابات والمدافع الثقيلة والطائرات وادت الى خسائر ضخمة فى الارواح • وقامت قوات الانقلابيين بمحاصرة المؤسسات والمصانع التى لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها • واستخدموا الطائرات والدبابات والمدفعية ضد العمال المحاصرين • وامتدت المقاومة كذلك الى الاقاليم فهاجمت وحدات مسلحة من انصار الليندى فى فالباريزو ، كما أبرقت رويتر ، المدرسة البحرية وثكنات الجيش • ونظمت المقاومة المسلحة للانقلابيين فى جنوب البلاد وخاصة فى منطقة كونسبسيون وانتوفا حسبنا واوسورنو كذلك فى شمال البلاد فى منطقة شوكياماتا والسلفادور حيث مناجم النحاس الشيلية •

وفى محاولة لسحق المقاومة المسلحة للشعب أطلق الانقلابيون العنان لاعنف أشكال الارهاب الدموى ، ووجهوا الانذار تلو الانذار بأنهم سيقتلون على الفور كل من يقاوم الانقلاب وقد سقط آلاف العمال فى سانتياجو وفالباريزو وغيرها من المدن ضحايا جرائم العسكريين الفاشيين • كما اكتظت سجون شيلى بأنصار جبهة الائتلاف الشعبى وتحولت مبانى أكبر استادين رياضيين فى العاصمة الى سجون يقدر عدد من وضع فيها بحوالى ٦٠٠٠ • كما تم اعتقال ٣٠٠٠ شخص فى فالباريزو وضعوا فوق سفينة حربية ثم نقلوا الى جزيرة الكسندر سلكيرك فى خليج فيرنانديز • وتحولت مبانى وزارة الدفاع والاكاديميات العسكرية والثكنات الى سجون ومعتقلات • والقى القبض على عدد من وزراء حكومة الليندى ومن بينهم كلودميرو الميدا وزير الخارجية بينما تم اعدام عدد آخر من الوزراء وزعماء جبهة الائتلاف الشعبى ومن بينهم التامارينو سكرتير الحزب الاشتراكى ، حزب الليندى وتم نقل زعماء جبهة الائتلاف الشعبى المقبوض عليهم الى سجن بجزيرة كبركين •

وأصدر الانقلابيون أوامر عسكرية بتقديم أى شخص يروج دعاية معادية للانقلاب الى المحكمة العسكرية ، كما وزعت الطائرات منشورات تقول بأن القوات المسلحة ستطلق النار على الفور ودون تردد على أى شخص يهاجم الجنود أو يحمل سلاحا •

ووصل عدد كبير من اللاجئين الشيليين الى المكسيك من بينهم عائلة الليندى والجنرال براتس القائد السابق للقوات المسلحة ، كما وصل عدد آخر من اللاجئين الى الارجنتين •

وأعلن فى بيونس ايرس عن تشكيل « جبهة تحرير شيلى » تحت رئاسة سفير شيلى السابق فى كوبا ووزير المناجم فى حكومة الليندى • كما أعلن اتحاد الطلبة فى الارجنتين واتحاد طلبة المكسيك عن تشكيل وحدات مسلحة دولية باسم سلفادور الليندى لتدعيم ومساندة كفاح شعب شيلى ضد الانقلاب العسكرى الرجعى •

وقد هز الانقلاب الدموى جميع أوساط الرأى العام العالمى وكان رد فعله عنيفا فى مختلف البلدان والاوساط • وتوالت آلاف الاحتجاجات من جميع أنحاء العالم •

فقد احتج مجلس السلام العالمى فى برقية الى السكرتير العام للامم المتحدة على الانقلاب الرجعى وطالب باتخاذ كافة الاجراءات الممكنة لمساندة الحكومة الشرعية وشعب شيلى •

وأدان الاتحاد الدولى الديموقراطيين المسيحيين بحزم الانقلاب العسكرى فى شيلى الذى قضى على الحريات الديموقراطية • وأكد

● منذ نوفمبر ١٩٧٠ وحتى يناير ١٩٧٢ انتزعت حكومة الليندى ما يقرب من ٩ ملايين هكتار من الاقطاعيين ووزعتها على صغار وفقراء الفلاحين . وتعطى هذه الاراضى أكثر من ٦٠ فى المائة من الانتاج الزراعى .

● نتيجة لمؤامرة الاحتكارات الامريكية على شيلى بتخفيض اسعار النحاس فى السوق العالمى خسرت شيلى ٢٠٠ مليون دولار مع ملاحظة ان عائد النحاس يمثل ٧٥ فى المائة من صادرات شيلى .

● اتحاد المحامين العرب

نجحت الامبريالية الامريكية عن طريق العملاء والاحتكارات الامبريالية فى الاطاحة بالنظام الشعبى الديمقراطى الاشتراكى فى جمهورية شيلى وفى اغتيال رئيسها المرحوم سلفادور الليندى المنتخب انتخابا شعبيا حرا .

.. واتحاد المحامين العرب يؤكد تضامنه مع الشعب الشيلى فى كفاحه العادل ويهيب بكل الشعوب المحبة للحرية للوقوف الى جانب هذا الشعب المكافح .

ثقته بأن القوى التقدمية فى شيلى ستضمن للبلاد العودة بسرعة الى المبادىء الدستورية والديموقراطية .

وجاء فى برقية فرانسوميتران سكرتير الحزب الاشتراكى الفرنسى : « أن المعارضة اليمينية التى تلهمها الامبريالية سلكت منذ اليوم الاول لانتخاب الليندى طريق العنف والانحطاط . وكان الانقلاب العسكرى هو الحجة الاخيرة لدى هؤلاء الذين يريدون قمع الشعب ويعارضون التقدم والعدالة » .

وفى البلدان الاشتراكية أعلنت الحكومات والاحزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية استنكارها للانقلاب الدموى ومساندتها لجماهير الشعب الشيلى فى نضالها ضد الاجراءات الدموية العسكريين .

وفى بلدان أمريكا اللاتينية ثارت حركة جماهيرية عارمة تندد بالانقلابيين وتطالب الحكومات بعدم الاعتراف بالنظام العسكرى الجديد وتنظيم مساعدات لشعب شيلى . وتشكلت فى الارجنتين والمكسيك كتائب مسلحة دولية لمساندة شعب شيلى فى نضاله ضد الانقلاب . واعلنت حكومة المكسيك اعطائها حق اللجوء السياسى لعائلة الليندى ، ولعدد من الشخصيات الشيلية المعارضة للانقلاب ، وطلبت كوبا عقد جلسة طارئة لمجلس الامن لمناقشة الانتهاكات الخطيرة التى قام بها الانقلابيون للقواعد الاولية للقانون الدولى ومبادىء ميثاق الامم المتحدة بالعدوان على سفارة كوبا فى سانتياجو وعلى السفينة الكوبية بلايالارجا فى المياه الدولية . وكانت جلسة مجلس الامن مظاهرة احتجاج وادانة ضد الانقلاب العسكرى وعبر عديد من المندوبين عن قلقهم ازاء التطورات الاخيرة التى تجرى فى شيلى والتى تتنافى مع أبسط مبادىء الديموقراطية وحقوق الانسان .

وفى الولايات المتحدة سارت المظاهرات فى شوارع وشنطن تحمل لافتات « **العار للانقلاب العسكرى** » « **يسقط التدخل فى شئون شيلى** » « **السلطة لشعب شيلى** » . وأعلن أساتذة الجامعات الامريكية أن الانقلاب الذى تم فى شيلى انتهاك صريح لمبادىء الديموقراطية . وأعرب **ادوارد كيندى** عن قلقه العميق للانقلاب العسكرى ضد الرئيس سلفادور الليندى . وقال فى مجلس الشيوخ أن الرئيس الليندى كان منتخبا من قبل شعب شيلى وأن العنف الحالى فى ذلك البلد يثير الانزعاج ، سواء كانت سياسة الليندى مقبولة أو مرفوضة . وصرح م . **هارنجتون** النائب الديموقراطى فى الكونجرس « بأن الولايات المتحدة سعت بسياستها الاقتصادية الى خلق حالة من الفوضى فى المجتمع والاقتصاد فى شيلى . **وأكد هارنجتون « لقد استخدمنا قوتنا الاقتصادية الضخمة لخنق حكومة الليندى » .**

وحتى تكون لدينا صورة واضحة لما يجرى اليوم فى شيلى يجدر بنا أن نعود قليلا الى الوراء ، الى ما قبل الانتخابات التى أتت الى الحكم بسلفادور الليندى وحكومة الائتلاف الشعبى . لنتتبع الصراعات التى جرت على أرض شيلى والتى كان الانقلاب العسكرى الاخير والحرب الاهلية محصلتها النهائية .

فقبل فترة رئاسة الليندى التى بدأت فى سبتمبر ١٩٧٠ وخلال حكم فرى الديموقراطى المسيحى الذى استمر من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ تعقدت أزمة النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى شيلى بدرجة بالغة فزاد اعتماد البلاد على الخارج وتعاظمت

● اتحاد الطلاب العالمى

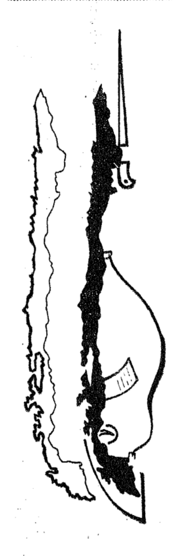
« **ان الطغمة العسكرية** التى تعمل بتوجيه مباشر من وكالة المخابرات المركزية الامريكية تستهدف اعاقة الزحف الثورى لشعب شيلى من خلال حمامات دم تشن فيها حملات مروعة ضد **القوى الوطنية** والتقدمية .

ان طلاب العالم يدينون **الانقلاب** غير الشرعى فى شيلى **ويؤكدون تأييدهم** لشعب شيلى وطلابه **فى مقاومتهم الباسلة** للطغمة الفاشية .. » ■

● **اتحاد الصحفيين الدولى**

« **ان ما يجرى الآن فى شيلى هو جزء** من مؤامرة امبريالية ضد الامم المناضلة فى سبيل استقلالها الحقيقى ..

.. ان اتحاد الصحفيين الدولى يعلن مساندته التامة للقوى التقدمية فى شيلى التى تتعرض الان لعمليات قمع وحشية من جانب الطغمة الفاشية » .



السيطرة الامبريالية وازدادت حدة المشاكل التى تواجهها غالبية السكان • وفشلت محاولات تخطى الازمة من خلال الاصلاح الزراعى الذى طبقته حكومة فرى لانه كان اصلاحا محدودا لم يمس جوهر المشكلة ، ولم يصفى الاقطاع الشيلى •

وعندما وصل فرى الى الحكم كانت ديون شيلى ضخمة • ولكنها ارتفعت فى أيام حكمه الى ٣ بليون دولار • ورغم الاصلاح الزراعى المحدود تدهور الانتاج الزراعى مما أجبر البلاد على زيادة وارداتها من المواد الغذائية • وفى عام ١٩٦٩ انفقت البلاد على شراء المواد الغذائية حوالى ١٥٠ مليون دولار ، رغم ان تقديرات الاقتصاديين تشير انه فى مقدور شيلى ان تنتج موادا غذائية تكفى لـ ٣٠ مليونا من السكان •

ومع تزايد الازمة اتسعت حدة نضال الجماهير العريضة خلال السنوات الاخيرة من حكم **فرى** وبدأ النظام يترنح لان الحلول التى قدمتها القوى السياسية البرجوازية فشلت الواحد بعد الاخر • وفى ظل الازمة الحادة التى واجهت البلاد عجزت البرجوازية فى شيلى أن تدخل انتخابات ١٩٧٠ موحدة الصفوف ، فنزلت بمرشحين احدهما **فرى** عن الحزب الديموقراطى المسيحى والاخر **جورج الساندرى** عن اليمين التقليدى « الحزب الوطنى » • وكان هذا الانقسام احد العوامل التى ساعدت جبهة الائتلاف الشعبى على كسب الانتخابات الرئاسية بعدد محدود من الاصوات ولم يكن هذا هو السبب الوحيد بل أن تعاظم نضال الجماهير واتساع مداه وارتفاع وعيها السياسى ساعد على نجاح مرشح جبهة الائتلاف الشعبى لانتخابات الرئاسة **سلفادور الليندى** •

وهكذا نجح سلفادور الليندى فى الانتخابات الرئاسية واصبح رئيسا لشيلى • وكان انتخاب الليندى يعنى أن جبهة اليسار الشيلى استطاعت ان تكسب الحكومة ولكن السلطة السياسية استمرت فى أيدى البرجوازية التى كانت لا تزال قوية النفوذ •

ولا شك هى أن انتخاب سلفادور الليندى لمنصب الرئاسة قد وجه ضربة شديدة للرجعية الشيلية والاجنبية • وكان انتصار القوى الديموقراطية اليسارية الممثلة فى جبهة الائتلاف الشعبى فى سبتمبر ١٩٧٠ مثيرا للاعجاب حتى أنه أذهل القوى الرجعية فى البداية • وتظاهرت البرجوازية والرجعية لبعض الوقت بالاذعان لارادة الشعب • غير ان البرجوازية الشيلية التى كانت تتشدق دائما بالديموقراطية سرعان ما تخلت عن مبادئها عندما أدركت أنها فقدت الحكومة وبدأت منذ الايام الاولى مؤامراتها ضد الحكومة الشعبية • وحاولت وضع المصاعب فى طريق حكومة الليندى وسرعان ما انتقلت الى التآمر والارهاب ، وزاد جنونها عندما بدأ يتضح لها أن عزلتها تزداد وأن الجماهير تزداد التفافا حول الليندى وحكومته •

وقامت حكومة الليندى خلال السنوات الثلاثة من حكمها واعتمادا على تأييد ومساندة الجماهير العريضة من الكادحين وخاصة الطبقة العاملة باحداث تغييرات عميقة فى شيلى • ونفذت الحكومة الشعبية عددا من الاصلاحات الجذرية والهامة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية فى البلاد •

ويجب أن نشير الى أن أهم عمل قامت به هو تأميم الاحتكارات الكبيرة المتعددة القومية التى كانت تستغل مناجم النحاس وتسيطر على ثروة شيلى القومية وتستغلها لحساب الامبرياليين الامريكيين

■ بدأ الصدام بين قادة الانقلاب العسكرى — والحزب المسيحى الديمقراطى والذى كان يتزعم احزاب المعارضة ضد حكومة الليندى • وأعلن باتريشيو ايلوين زعيم الحزب — ان الحزب لايقبل التوجيهات المتعلقة باجراء تغييرات فى النظام الدستورى الشيلى ، والذى لا تنبع من الشعب ، وان أحدا لا يمكنه ، ولو بقوة السلاح أن يفرض نظاما دستوريا على البلاد •

واعرب ايلوين عن شكوكه ازاء قرار المجلس العسكرى الذى حظر نشاط الاحزاب الماركسية ، وقال « اننا لا نعتقد أن الاحزاب السياسية يمكن قمعها بمرسوم او ان الافكار يمكن فرض حجر عليها بقرارات حكومية » ■

● اجتماع تابينى فى موسكو

فى ٢٠ سبتمبر عقدت رئاسة المجلس العالمى للسلام اجتماعا لتابين سلفادور الليندى .. والليندى عضو فى رئاسة المجلس العالمى للسلام وحائز على ميدالية جوليو كورى الذهبية للنضال من اجل السلام •

مؤتمر عالمى للتضامن مع شعب شيلى

عقد فى هلسنكى بناء على دعوة من حركة السلام الفنلندية مؤتمر عالمى للتضامن مع شعب شيلى يومى ٢٩ — ٣٠ سبتمبر وقد حضر المؤتمر ممثلون من مختلف انحاء العالم •

والرجعية الشيلية ، وتحولت هذه الشركات بعد تأميمها الى ملكية للشعب • وأممت حكومة الليندى كذلك الشركات العاملة فى أعمال المناجم (شركة جوجينهايم التى تسيطر على استخراج املاح البوتاسيوم وشركة امريكان سملدنج التى تتحكم فى استخراج خام الحديد) •

وخلال السنوات الثلاث من حكمها ضمت الحكومة الشعبية الى القطاع العام اكبر الشركات فى الصناعات التحويلية كما أممت البنوك • وبذلك وضعت حدا لجبروت الاولجاركيه المالية المرتبطة اوثق ارتباط باللاتيفونديين « كبار ملاك الارض » وشكلت فى جميع المؤسسات المؤممة مجالس للادارة نصفها يمثلون العمال •

كما نفذت الحكومه الشعبية اصلاحا زراعيا عميقا فخلال الثلاث سنوات نزعت ٩٧ فى المائة من الملكيات الصالحة للزراعة والتى تزيد عن ٨٠ هكتارا هى الحد الاعلى للملكية الذى نص عليه قانون الاصلاح الزراعى ، من كبار الملاك ووزعت على الفلاحين • وبدأ نزع مايزيد على ٤٠ هكتارا بالنسبة للاراضى التى لاتزرع ، او التى يسيء كبار الملاك استخدامها •

واعادت الحكومة الشعبية توزيع الدخل القومى بشكل اكثر عدالة • فخلال ثلاث سنوات زاد الجزء من الدخل القومى الذى يذهب الى الجماهير العاملة من ٥١ فى المائة الى ٦٤ فى المائة ويعكس ذلك السياسة الاقتصادية الاجتماعية التى تهدف الى زيادة دخول العمال والفلاحين •

غير ان الطريق الذى اختاره الشعب تحت زعامة الليندى لم يعجب الرجعية الشيلية ورجال الصناعة والاقطاعيين وممثلى الاوليجاركية المالية الذين ترتبط مصالحهم بمصالح الاحتكارات الاجنبية وعلى مدى السنوات الثلاث كان هناك تصاعد مستمر فى مقاومة القوى الرجعية لسياسة الحكومة الشرعيـة • وعملت الاحتكارات الاجنبية على مسـاعدة الرجعيين المسـعورين ، واستخدمت أساليب معقدة للرشوة والحصار الاقتصادى لشل حياة البلاد والزج بها فى هاوية الحرب الاهلية • وقد اكتسحت الرجعية كل قواعد ما يسمى بالديموقراطية البرجوازية وبأعمالها الهدامة ووضعت شيل فى موقف بالغ الخطورة •

وبدأت البرجوازية والرجعية الشيليـة مقـاومتها بمـا سموه « المقاومة المدنية » ثم صعدت تلك المقاومة الى محاولات مباشرة للاطاحة بحكومة الوحدة الشعبية بمساعدة بعض الدوائر فى القوات المسلحة كما حدث فى محاولة يونيو الماضى عندما تمرد جزء من الفرقة الثانية المدرعة ، وخلال العام المـاضى حـركت الامبريالية الرجعية اضراب الموظفين

وبعد النجاح الضخم الذى حققته جبهة الائتلاف الشعبى فى انتخابات العام الماضى أدرك الرجعيون انهم لا يستطيعون بالوسائل الشرعية ان ينالوا من انتصار كتلة التحالف الشعبى فبدأوا بسرعة يغيرون من تكتيكاتهم • لقد فشلوا فى خداع الشعب والحصول على ثلثى المقاعد فى انتخابات الجمعية الوطنية مما يسمح لهم بالتوصل الى اسقاط حكومة الليندى من خلال الشرعيـة البرجوازية • وازاء فشلهم فى الانتخابات وتقدم مراكز جبهة الائتلاف الشعبى وانفضاض الجماهير من حولهم بدأ الرجعيون يلجأون الى المؤامرات والعنف المسلح بشكل مفتوح • وتصاعدت حملة الارهاب من جانب الرجعيين • وخلال الشهر الاخير من حكم

المجلس المصرى للسلام

سعادة سفير شيلى بالقاهرة

عقدت السكرتارية الدائمـة للمجلس المصرى للسلام اجتماعا طارئا وفوضنى ان أوجه الى سيادتكم الرسالة المرفقة ، برجاء ابلاغها لحكومتكم .

خالد محيى الدين

السكرتير العام للمجلس المصرى للسلام

سعادة سفير شيلى ـ القاهرة

يود انصار السلام المصريين ان تنقلوا الى حكومة الانقلاب الاخير فى شيلى انزعاجهم الشديد للتطورات الخطيرة التى اطاحت بالحكومة الشرعية للرئيس الراحل سلفادور الليندى واضعين فى اعتبارهم ان هذا العمل الانقلابى والغير شرعى انما تم ضد مصالح الشعب الشيلى الذى اختار حكومته الشرعية فى انتخابات حرة ودستورية والذى اختار لنفسه السير فى طريق العداء للاسـتعمار والرجعية والقضاء على الاحتكارات الامبـريالية والعمل لبناء شيلى مستقلة ومتحررة اقتصاديا وسياسيا ومتطلعـة لبنـاء الاشتراكية على ارضها •

ان الانقلاب الاخير فى شيلى ليس سوى تنفيذ لمؤامرة استعمارية ضـد ارادة الشعب الشيلى وارادة شعوب أمريكا اللاتينية جميعا ...

الليندى قامت المنظمات الفاشية « رولاندوماتوس » و « بساتريا ايلبرتاد » بأكثر من ٣٠٠ عمل تخريبى وارهابى فى جميع أنحاء البلاد وقاموا بمحاولات متكررة للعدوان على زعماء اليسار والعمال الذين التفوا حول حكومة الليندى • وبدأت تحركات واسعة من القوى الرجعية فى مختلف الاتجاهات مستخدمة الارهاب والاضرابات والاعمال الانقلابية والعنف بهدف التحضير لقلب حكومة الليندى • وانفجر اضراب أصحاب سيارات النقل الذى اشترك فيه ٢١ ألف شاحنة ولم يكن يعمل فى البلاد طوال الاضراب سوى ٢٦٠٠ شاحنة مما كان له أثر بالغ على تعقيد امداد الشعب بالمواد الغذائية وعلى تدهور الاوضاع فى البلاد بصورة خطيرة وقد أوقع هذا الاضراب أضرارا بالغة بالاقتصاد القومى تقدر بمائة مليون دولار •

وازاء التدهور الخطير فى الاوضاع الاقتصادية والسياسية فى البلاد فى الشهر السابق على الانقلاب أصدر اتحاد النقابات فى شيلى نداء الى الطبقة العاملة والشعب جاء فيه « ان الوضع القائم فى البلاد ينذر بعواقب وخيمة » ووجه النداء دعوة لكل الوطنيين للاستعداد للدفاع عن حكومة الليندى ومكاسب الشعب التقدمية ازاء محاولات الدوائر الرجعية القيام بانقلاب عسكرى • وسرعان ما تحركت الاغلبية الرجعية « داخل الجمعية الوطنية فاتخذت قرارا قبل اسبوعين من الانقلاب اتهمت فيه الرئيس الليندى « بخرق القانون والاخلال بواجباته » ووقف النائب الشيوعى **جورج انسونا** ليعلن فى الجمعية الوطنية« ان هذا القرار الذى اتخذته الاغلبية الرجعية فى المجلس ليس سوى فتيل التفجير لمحاولة الانقلاب » • وقد كان ، ووقع الانقلاب بعداسبوعين من هذا القرار •

واليوم وسط مأساة شيلى تبدو الفكرة الرئيسية فى خطاب وزير خارجيتها **كلودوميرو ألميدا** فى مؤتمر الجزائر لدول عدم الانحياز ذات دلالة خاصة • لقد قال الميدا « ان الخبرة الثورية لبلدان امريكا اللاتينية ، التى اكتسبت فى النضال الطويل ضد الحكم الاستعمارى والتوسع الاقتصادى الاجنبى والعدوان العسكرى المباشر هى ملك لكل القوى التقدمية فى البلدان النامية • ان القوى الثورية فى أمريكا اللاتينية تستحث ما يمكن أن نسميه بالشحنة المعادية للامبريالية فى كل بلد فى العالم الثالث يقف الى جانب مبادىء عدم الانحياز فىشكلها الايجابى الديناميكى اى فى شكلها

وختم الميدا خطابه قائلا : « نحن الشعب الشيلى ندرك بعمق اننا جزء من عالم عدم الانحياز اننا ننتمى لكل قوى التقدم » وانفجر المستمعون بالتصفيق الحاد •

وقد قرر المؤتمر بالاجماع وقبل الانقلاب بأيام توجيه رسالة الى حكومة الليندى بناء على مبادرة الوفد الجزائرى • وفى تلك الايام ، وعلى خلفية الانقلاب الدموى ، تبدو هذه الوثيقة قسما بمسئولية العالم الثالث حيال مصير الثورة الشيلية •

وفى هذه الرسالة التى وقع عليها ستون من زعماء العالم الثالث رحب المؤتمر بالسياسة الشجاعة لشيلى فى معارضة الاحتكارات الدولية والعدوان الاقتصادى وتدعيم الاستقلال الوطنى : « أن نضال شعب شيلى الذى يواجه ضغطا امبرياليا شديدا تتابعه بعطف شديد كل الشعوب وكل القوى التى تعمل من أجل عصر من التقدم والحرية » •

ان انصار السلام المصريين يشعرون بانزعاج بالغ ازاء التطورات التى صاحبت الانقلاب والارهاب البشع الذى يشن ضد القوى الوطنية والتقدمية وانصار السلام الشيليين . ان الاعمال ذات الطابع الفاشى وعمليات القتل بالجملة واضطهاد اللاجئين السياسيين وغيرها انما تثير فى نفوسنا ونفوس كل انصار السلام فى العالم الاشمئزاز والرفض القاطع .

ان انصار السلام المصريين لبشعرون بالخسارة الفادحة التى لحقت الانسانية جميعا لمصرع الرئيس سلفادور الليندى ، القائد الشجاع لشعبه ، والذى كان ولفترة طويلة واحدا من أعضاء المجلس العالمى للسلام البارزين ..

وقد وردت الينا انباء مزعجة عن قتل شاعر شيلى العظيم بابلو نيرودا الحائز على جائزة نوبل للسلام وعلى ميدالية جوليو كورى للسلام .. وعضو المجلس العالمى للسلام وما كان احرى بالجنرالات الانقلابيين ان يدركوا ان اشخاصا امثال الليندى وبابلو نيرودا ملك للانسانية كلها .. وهم تجسيد لكل بطولة شعب شيلى وأمجاده ...

ولسوف يذهب أعداء الشعب • وتبقى خالدة الى الابد ذكرى الليندى واشعار بابلو نيرودا .

انى ارجوكم يا سيادة السفير ان تذكروا قادة الانقلاب بالمصير الذى حددته الانسانية للفاشيين والنازيين ..

ولن يكون مصير الفاشست الجدد بافضل من مصيرى الفاشيين القدامى •

خالد محيى الدين

السكرتير العام للمجلس المصرى للسلام

واحتوت الوثيقة السياسية الختامية للمؤتمر،وهى البيان العام فقرة خاصة موجهة لشيلى يتمنى فيها مؤتمر الجزائر لحكومة وشعب شيلى النجاح فى نضاله من أجل تدعيم استقلاله وبناء مجتمع جديد فى وجه العدوان المشترك للامبريالية والرجعية الداخلية .

كان الانقلاب طعنة فى ظهر التقدم والحرية فى شيلى فقد أدت السنوات الثلاث من تجربة الليندى الاشتراكية الى زيادة نفوذ حكومة الائتلاف الشعبى بين الشعب بدرجة جعلت الانقلابيين لا يجرؤون على مهاجمة مكاسب الشعب ، وانما حاولوا أن يتملقوها . ففى البيان الذى أذاعه الانقلابيون ادعت النقطة الثالثة « ان المكاسب الاقتصادية الاجتماعية التى تم الحصول عليها حتى اليوم لن تتعرض لتغييرات كبيرة » .

وفى نفس الوقت فان أسعار النحاس فى أسواق لندن ارتفعت من ١٫٩٢ دولارا للطن المترى الى ١٫٩٨ دولارا . وتعد الاحتكارات المتعددة القومية السوق لاستئناف نهبها لموارد شيلى الطبيعية على حساب رفاهية شعب شيلى . ان مديرى شركة التلغراف الدولية الذين تحقق حلمهم بالانقلاب بعد عام من مخططاتهم بدأوا يعدون لعملية « العودة » وتلك ليست « تغييرات كبيرة » فى المكاسب الاقتصادية والاجتماعية التى حققها شعب شيلى تحت قيادة الليندى . ان ذلك كارثة للديموقراطية وللمكاسب الاجتماعية المرتبطة بها .

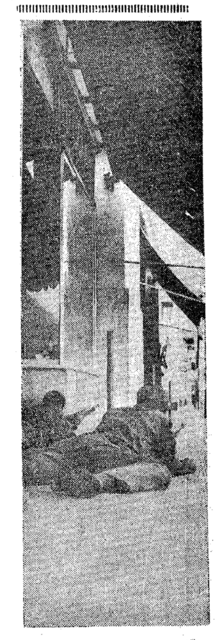
وليس هناك من شك فى أن الرصاصة التى أردت الليندى صريعا قد وجهت فى نفس الوقت الى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، والى الجبهة المشتركة النضال المعادى للامبريالية . ولابد لهم جميعا من التفكير واستخلاص الدروس . واهم هذه الدروس هو أن الولايات المتحدة هى المخطط والمنفذ الاول لخطط ضرب التجارب الجديدة التى تصلح كنموذج يتبع . ودورها واضح تماما فى شيلى بالتحديد ، ابتداء من مؤامرة شركة التليفون والتلغراف الدولية التى دبرتها لمنع الليندى من تولى الرئاسة ، الى ما عرف باسم خطة « كاميلوت » والتى جندت لها عددا من العلماء والخبراء الدراسة الاوضاع فى شيلى « دراسة علمية محايدة وموضوعية » فى ظاهرها ـ وان كانت تستهدف أساسا معرفة نقاط الضعف للتركيز عليها ، الى خطة « قانون الحماية » والتى كشفت حكومة بيرو أن مخابرات أمريكا وضعتها لقلب الاوضاع فى شيلى وفى بيرو وفى بوليفيا . أما دورها فى الاحداث الاخيرة فتؤكده كل الشواهد والدلائل . وقد أعلن الرئيس بومدين انه نموذج « لتآمر الامبريالية الامريكية ومناورات عملائها . وأكد الرئيس تيتو انه « رد من الامبريالية على مؤتمر عدم الانحياز » . كما أكدت حكومة كوبا أن لديها الدليل القاطع على أن أمريكا كانت وراء الانقلاب الاخير ، وقال مندوبها فى الامم المتحدة ان آثار الدماء التى أريقت فى شيلى تقود رأسا المخابرات الامريكية وقال أن وكالة المخابرات ضيقت الخناق الاقتصادى على شيلى وعرقلت كل القروض ، بينما قامت وزارة الدفاع الامريكية بالاتصال بالعسكريين فى شيلى وأمدتهم بسيل من السلاح . وفى واشنطن أعلنت المصادر الامريكية الحكومية انها تلقت معلومات اكيدة عن الاعداد للانقلاب قبل نحو اربع ساعات من تنفيذه ،وان نيكسون تلقى عدة تقارير خلال العام الماضى عن أن هناك انقلابا وشيك الحدوث .●

■ فى نفس الوقت الــذى اعلنت فيه وزارة الخارجية البريطانية اعترافها بحكومة شيلى العسكرية ـ جاء فى بيان وزارة الخارجية ان السفير البريطانى فى سانتياجو قد شرح للحكومة الشيلية المشاعر البالغة التى تسود دوائر كبيرة فى بريطانيا بسبب مقتل الرئيس الماركسى السابق سلفادور الليندى واعتقال العديد من الاشخاص ■

■ ذكرت وكالات الانباء انه من المتوقع ان تقدم لجنة حقوق الانسان التابعة لمنظمة الدول الامريكية استجوابا الى حكومة شيلى العسكرية يتعلق بمعاملة المعتقلين السياسيين ، كما تلقت المنظمة رسائل من لجنة العفو الدولية واللجنة الدولية للحقوقيين تعرب عن القلق الشديد بالنسبة للموقف فى شيلى،واهدار حقوق الانسان بعد الاطاحة بحكومة الرئيس الليندى ■

أمل يخبو ولكن لن ينطفىء

ورئيس مناضل ينضم الى ركب شهداء الحرية والتقدم



قال الرئيس الليندى فى وضوح وقوة : هذا صحيح ، تعقيبا على قولى له : بشىء من التقريب ، اذا كانت الامبريالية الامريكية قد استخدمت أساسا الشركة الدولية للتلغراف والتليفون لتحول دون انتخابك اولا ، ولقلب نظام الحكم الشعبى ثانيا ، فانها تستخدم فى منطقتنا اسرائيل لضرب النظم التقدميه ، مع فارق هام هو ان اسرائيل دولة مدججة بالسلاح ، تغنى واشنطون عن ارسال قواتها المسلحة فى مغامرة تشبه مغامرة الهند الصينية • ومن ثم فان لاسرائيل مطالب ومطامع الى جانب أهداف الامبريالية الامريكية •

وحين أضفت : اننا نريد أن نسترد أرضنا • وليس يسعدنا شىء أكثر من أن نستردها بتسوية سياسية • ولكننى لا أخفيك أن فرص هذه التسوية ضئيلة للغاية ، وأن يوما سيأتى نحمل فيه السلاح لتحرير ارضنا • اجاب الليندى : **وستكونون عندئذ على حق •**

وهذه الاجابات الوجيزة القاطعة تعكس بوضوح موقف حكومة الوحدة الشعبية التى كان يرأسها الليندى من أزمة الشرق الاوسط . ومن نافلة القول ان نذكر بعد ذلك انه بسقوط هذه الحكومة تفقد القضية العربية نصيرا قويا كان وهو فى أقصى المعمورة يدعو لها ويؤيدها ويؤمن بأنها من القضايا الرئيسية لحركة التحرر والتقدم فى العالم •

كان هذا الحديث فى سانتياجو قبل شهور خمسة • وقبل أيام معدودات كانت شيلى ترأس اللجنة الاقتصادية فى مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر • وتتصدر مع كوبا دول أمريكا اللاتينية التى انضمت الى حركة عدم الانحياز • وكان المؤتمرون يعلقون على دورها فى تغيير المناخ السياسى فى تلك المنطقة من العالم ، أملا حملهم على أن يقرروا أن يكون مؤتمرهم السادس فى أمريكا اللاتينية • ولا شك أن أكثر من رئيس كان اسم سانتياجو يدور بخاطره وهو يصوت على هذا القرار • ان الليندى المقاتل ابن السابعة والستين لم يتمكن من المشاركة بنفسه فى مؤتمر الجزائر ، لانه أصر بشجاعته المرموقة واحساسه العميق بالمسئولية على أن يظل وسط شعبه وقد ادلهم الافق • لم يفكر لحظة فى أن يهرب بجلده ويقود من المنفى ، وهو الذى كان يعلم حق العلم أن خصمه الضارى لن يترك له أبدا فرصة الحياة ، بل ستكون ضربته الاولى موجهة الى صدره بالذات • ولكن شيلى المناضلة كانت حاضرة • والانقلاب الفاشى الدموى يشكل ، بين أهدافه المتعددة ، رد الامبريالية الامريكية على نجاح مؤتمر الجزائر • ولذلك فقد كان

طبيعيا أن يدين هوارى بومدين - رئيس المؤتمر المسئول عن التنسيق حتى المؤتمر الخامس فى كولومبو - القتلة فى أقوى عبارة وأن يحيى فى الرئيس الشهيد قائدا مبرزا من قادة عدم الانحياز .

ولكن دلالة الانقلاب تتجاوز ذلك . انه يكشف مرة أخرى عن أن الامبريالية الامريكية رغم « كل المتغيرات الدولية » تصر اصرارا بعيدا كلما وسعها الامر . على أن تضرب فى وحشية كل تجربة تحررية يختارها الشعب بملء ارادته . لقد حاولت الولايات المتحدة غزو كوبا لتمنع هذا البلد الصغير من بناء الاشتراكية على النحو الذى أراده . وحين أخفق الغزو ، ضربت على الجمهورية الثورية حصارا بهدف عزلها عن بقية أمريكا اللاتينية التى تعدها واشنطون منطقة نفوذ وموقع استغلال لا يحتمل المعارضة أو النزاع . وكان أصحاب وكالة المخابرات المركزية ذات العمليات القذرة الشهيرة يتشدقون بأن السلطة تغيرت فى هافانا بالقوة وليس عن طريق انتخابات ديموقراطية . وطارد رجالهم وعملاؤهم بأحدث الاسلحة كل حركات الانصار من سان دومينجو الى بوليفيا . ولكن حكومة الوحدة الشعبية قد وصلت الى الحكم بانتخابات ديموقراطية حرة كأكمل ما تكون الحرية فى ظل الديموقراطية البورجوازية فى بلد استقرت فيه تقاليد تلك الديموقراطية منذ عشرات السنين ، فعاش بمنأى عن الانقلابات العسكرية وحرب العصابات . وهكذا كشفت تجربة شيلى أكثر من أى تجربة أخرى القناع عن ديموقراطية واشنطون وفضحت الحديث الممجوج عن « العالم الحر » وأثبت الانقلاب الدامى أن الامبرياليين لا يترددون امام اية وسيلة للاطاحة بأية حكومة تشق عصا الطاعة ، وتريد ان تمارس استقلالا حقيقيا . لقد كان واضحا لكل المراقبين أن الشعب ملتف حول حكومة الليندى . ورغم كل المصاعب الاقتصادية الجسيمة كانت انتخابات العام الماضى نصرا رفع أغلبية الحكومة من ٣٨ فى المائة الى ٤٦ر٥ فى المائة . وبهذا لم يعد هناك بديل آخر لحكمها الا الفاشية الغشوم . وتبنت واشنطون الفاشية وغذتها بالمال والسلاح حتى أتمت جريمتها النكراء . ان الامبريالية الامريكية تقدم التنازلات للاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية ، لانها بلغت من القوة والتقدم ما بدد أمل أعداء الاشتراكية فى ضربها أو تصفية نظمها . ولكنها توجه كل نيرانها الى دول العالم الثالث ، تريد أن تجتث منها جذور النظم التقدمية والحركات الثورية . ولا عصمة لنظام تقدمى أمام مؤامراتها الا بالتحلى باليقظة الدائمة وتحقيق أعلى درجة من الوحدة الوطنية والسير قدما فى طريق التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

لقد هزت جريمة مصرع الليندى واسقاط حكومة الوحدة الشعبية ضمير العالم الى الحد الذى جعل قادة الدول الرأسمالية الكبرى مثل بومبيدو وفيلى برانت ، يعبرون عن أسفهم لما حدث ، ويقدمون العزاء لارملة المناضل العظيم . ذلك أن تجربة شيلى كانت الاولى من نوعها . لقد كان هذا البلدالذى لا يزيد سكانه عن عشرة الملايين يحاول أن يشق أمام البشرية طريقا جديدا : **طريق الانتقال الى الاشتراكية بالوسائل البرلمانية** . وكانت شيلى بتقاليدها الديموقراطية واحترام القانون والشرعية مؤهلة تاريخيا لخوض تلك التجربة . ولم يكن الليندى قائدا شابا تعوزه الخبرة

● اسرائيل تؤيد الانقلاب :

رحبت صحيفةدافار الاسرائيليةبالانقلاب فى شيلى ، وحملت الصحيفة على الليندى وقالت أن شيلىتبنت فى عهده موقفا غير ودى تجاه اسرائيل ، وقالت أن الليندى كان يفكر فى قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل اقتداء بكوبا .

● أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى بيانا فى ١٢ سبتمبر قالت فيه :

[ان قلب حكومة الليندى هو ذروة أعمال التخريب التى قامت بها الرجعية فى شيلى بمساندة من القوى الامبريالية الخارجية .

« وفى هذه الساعات العصيبة التى يعيشها شعب شيلى تعرب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى باسم الشيوعيين السوفيت والشعب السوفيتى كله عن تضامنها الكامل مع الحزب الشيوعى الشقيق والحزب الاشتراكى والاحزاب الاخرى فى تحالف الوحدة الشعبية وكل عمال شيلى الذين مازالوا رغم ضربات الرجعية أوفياء لقضية الاستقلال والديموقراطية والتقدم الاجتماعى .. وهى الاهداف النبيلة التى كافح من أجلها ببسالة سلفادور الليندى وحكومةالوحدة الشعبية والشعب العامل فى شيلى .

« وتعرب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى عن ثقتها العميقة فى أن القمع والارهاب لن يتمكنا من تحطيم ارادة الشعب وسد طريق التقدم الاقتصادى والاجتماعى » .

● أصدر الاتحاد العالمى للنقابات بيانا قال فيه « باسم كل الاتحادات النقابية أعضاء الاتحاد والاتحادات العالمية ونقابات العمال فى العالم يعرب الاتحاد العالمى للنقابات عن احتجاجه واستنكاره البالغ للانقلاب العسكرى الذى قام بقلب حكومة الوحدة الشعبية بالقوة المسلحة وأسفر عن مقتل الرئيس سلفادور الليندى ، منتهكا بذلك الشرعية الدستورية والارادة الاجماعية لعمال وشعب شيلى .

بقواعد اللعبة ، بل كان متمرسا بالحياة البرلمانية ، تدرج فيها حتى شغل منصب رئيس مجلس الشيوخ الذى يلى منصب رئيس الجمهورية مباشرة من حيث الاهمية . وكان على رأس حزب اشتراكى قوى عمره خمسون عاما ، وكان يقود تحالفا شعبيا ، يضم الحزب الشيوعى والحزب الراديكالى ، ويؤيده حزب الحركة الشعبية الثورية (مير) . لقد ألحت الدعاية الرجعية فى العالم منذ قيام ثورة اكتوبر العظمى فى روسيا القيصرية على تلطيخ وجه الاشتراكية ، والزعم بأنها لا تحقق الا من خلال الدم والحروب. وكان أروع رد على هذه الدعاوى الباطلة هو تجربة شعب شيلى الباسل . فهذه حكومة شعبية تصل الى الحكم عن طريق الانتخابات ، وهى لا تحاول أن تختصر فترة الانتقال أو تبتسر طريق التحول . فقد قال لى الليندى بالحرف الواحد : اننى ماركسى أرأس حزبا أتخذ من الماركسية أساسا فلسفيا لنضاله ، ولكنه مع ذلك ليس حزبا شيوعيا . والحزب الشيوعى مشترك معنا فى الحكم ، ولكننا لم نقم نظاما ماركسيا . وبالفعل كان برنامج حكومة الوحدة الشعبية يركز على الاصلاح الزراعى وتأميم أهم المصالح الاجنبية ، ولم يطرح قضية التأميم للمصالح الراسمالية المحلية الكبيرة كسياسة عامة . وكفى الرئيس الراحل فخرا أنه كان يناضل فى جو لم تكن الحكومة تسيطر فيه الا على الجزء الاقل من وسائل الاعلام . حتى الاذاعة والتليفزيون لم تكن احتكارا للدولة . كان أمل الليندى ورفاقه أن تنجح سياستهم وينفذوا برنامجهم الانتخابى ، ثم يتقدمون للشعب فى الانتخابات المقبلة ببرنامج أكثر تقدما . فان حازوا الاغلبية ساروا فى تنفيذه والا انحنوا لارادة الناخبين . فماذا كان رد الامبريالية والرجعية على هذه التجربة الديموقراطية ؟ كان الرد التقصف بالقنابل ، والقتل الجماعى وحمامات الدم الفاشية الرهيبة .

● ● ●

ان ضرب تجربة شيلى لا يعنى أن الانتقال الى الاشتراكية ــ فى ظروف معينة ــ بالاسلوب البرلمانى طريق مسدود . فمن الناحية الفلسفية لا يجوز الحكم على سلامة مفهوم نظرى فى ضوء ما أحرز التطبيق من نجاح أو اخفاق ، والا هجرنا تماما مواقع التحليل العلمى الى منطق تجريبى صرف ، وهذا منزلق فكرى خطير . وسلامة مفهوم معين نظريا لا تعنى بالضرورة أنه لابد أن ينجح فى التطبيق ، لان للتطبيق مشكلاته الخاصة التى تحتمل الخطأ والصواب . وليس المقام مقام دراسة تفصيلية للتجربة الشيلية للكشف عن مواطن الزلل التى ساعدت موضوعيا مؤامرات الاستعمار والرجعية . ولسنا نزعم لانفسنا المعرفة الكافية بكل ظروف التجربة ، ولا يليق ودماء الشهداء لم تجف وقوى النضال لم تستسلم أن نركز الاضواء على مواطن الضعف . ومع ذلك فانه يمكن أن نقول ــ دون خوض فى التفاصيل ــ أن بعض السياسات قد أخطأت هدفها ، وبالذات فى مجال مقاومة التضخم وزيادة الانتاج ورفع الانتاجية . كما أن كثيرا من الشعارات التى رفعتها بعض المنظمات اليسارية المتطرفة ــ وأهمها الحركة الشعبية الثورية (مير) ــ كانت تخيف البورجوازية الصغيرة وتدفع بالطبقات الوسطى دفعا نحو مواقع الرجعية . ان الانتقال السلمى

« ويندد الاتحاد بتواطؤ الشركات المتعددة الجنسيات التى لم تتردد عن الاشتراك فى التحضير للانقلاب العسكرى وعن تشجيع القوى الرجعية على اللجوء الى العنف والى الجريمة ، لكى تحافظ على امتيازاتها : وتتمكن من مواصلة استغلالها للموارد الوطنية فى شيلى .

« ويدعو الاتحاد العالمى للنقابات العمال فى كل بلاد العالم الى :

ــ اظهار استنكارهم بكل الوسائل الممكنة لهذه الجريمة البشعة ضد شعب لم يكن يطمح الى اكثر من الحرية والرفاهية .

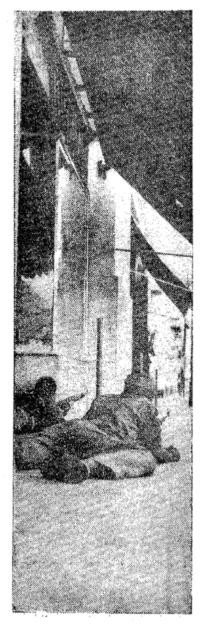
ــ المطالبة باعادة الشرعية واحترام الحريات والحقوق الديموقراطية والنقابية

ــ الاحتجاج بقوة على عمليات القمع الموجهة ضد النقابات والقوى الديموقراطية » .

● اصدر جورج مارشية السكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى وايزيكو برلينجر السكرتير العام للحزب الشيوعى الايطالى اثر اجتماع عقداه فى باريس فى ١٥ سبتمبر بيانا جاء فيه :

« وصلتنا فى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم معلومات من رفاقنا فى الارجنتين عن الوضع فى شيلى تؤكد ان ارهابا دمويا يخيم على البلاد . لقد ابيدت عائلات عن آخرها . ويقوم العسكريون الفاشيون والعصابات الفاشية باعدام العمال والشيوعيين والاشتراكيين والنقابيين والفلاحين المنتفعين بالاصلاح الزراعى واعتقالهم بصورة جماعية . ان شيلى تعيش الآن فى حمام من الدم . والديموقراطيون الشيليون الذين يواصلون مقاومتهم الباسلة يطالبوننا بالعمل .

« اننا نوجه الى الطبقة العاملة والى شعبى بلدينا والى الرأى العام الاوربى صرخة تحذير ونداء عاجلا: ينبغى الا نترك هذه المذبحة تستمر ! ينبغى أن توقفا ايدى السفاحين !! »



للاشتراكية ، ولا سيما بالطريق البرلمانى ، يفترض قبل كل شيء عزل الرجعية وحشد كل القوى الاجتماعية الاخرى فى مواجهتها . وقد حدثت فى شيلى أمور سارت فى عكس هذا الاتجاه . فقد احتل العمال مصانع لم يكن يشملها التاميم تحت دعوى دفع الحكومة الى مزيد من التاميم . ورفعت المنظمات اليسارية المتطرفة منار الادارة العمالية الخالصة للمصانع المؤممة باستبعاد الكوادر الادارية والفنية ، كما دعا بعضها الجنود الى رفض أوامر الضباط ، ودعا الى تنظيم سلطة شعبية على مستوى القاعدة لا سند لها من الدستور والقانون ، كما ساعد على تنظيم الاضرابات فى المصانع المؤممة ... الخ . هذا كله فى جو من الارتفاع الجنونى فى الاسعار ،طحن صغار الموظفين وأضر بصغار التجار والحرفيين وأصحاب المهن الحرة .. كل ذلك أشاع البلبلة بين جماهير الطبقات الوسطى وابعدها عن تأييد حكومة الوحدة الشعبية ، فسهل مهمة الرجعية . ولكن كل ذلك لايهون من ضخامة الوسائل التى وضعتها الامبريالية الامريكية فى خدمة هدف الاطاحة بحكومة الليندى . لقد أثبت تحقيق أجراه الكونجرس الامريكي نفسه أن الشركة الدولية للتلغراف والتليفون بالاتفاق مع وكالة المخابرات المركزية قد تدخلت تدخلا ايجابيا للحيلولة دون نجاح الليندى ، ثم فى التآمر لاسقاطه ، وأنها أنفقت فى هذا السبيل عشرات الملايين من الدولارات . وسيأتى يوم يكشف فيه الستار ولو جزئيا عن المبالغ الطائلة التى دفعت لاصحاب سيارات النقل ليمتنعوا عن العمل قرابة شهرين وللقادة العسكريين المتآمرين وللصحف ولمحطات الاذاعة والتليفزيون الاهلية فى شيلى ، ولفرق « الوطن والحرية » الفاشية التى تولت أعمال التخريب ، وعن خبراء الانقلابات وعملاء المخابرات الذين أنفقوا الاعوام الثلاثة السابقة فى اعداد محموم لجريمتهم الشنيعة .

● ● ●

ولكن التاريخ لا يعود الى الوراء . ان حكومة الوحدة الشعبية قد غيرت وجه شيلى فى ثلاث سنوات . لقد صادرت الملكيات الاقطاعية ووزعت الارض على الفلاحين . لقد أممت ثروة البلاد الاساسية : مناجم النحاس وردتها الى الشعب . لقد أممت أهم المصالح الامبريالية . لقد رفعت أجور العمال وأشركتهم فى الادارة . وعلى من يريد أن يمس هذا كله أن يصطدم بالملايين التى استفادت منه والتى هبت للدفاع عنه . بل ان حركة الانقلاب تمرد داخل القوات المسلحة لا يمثل تحركا جماعيا منها وفى داخلها عناصر شريفة ترفض أن تكون أداة الاستعمار أو وسيلة لتقويض الديموقراطية . لقد لجأ الانقلابيون الى أعلى درجات العنف . لم تتغير الاوضاع فى شيلى بمجرد الاستيلاء على محطة اذاعية ،لم يكن يكفى اغتيال الليندى ووزرائه ، بل كان لابد من الطائرات والقطع البحرية والمدفعية الثقيلة والقتل الجماعي . ومع ذلك لم يستسلم شعب شيلى الباسل واستمرت المقاومة المسلحة حتى داخل العاصمة نفسها . وحتى اذا سحق الفاشيون المقاومة المساحة ، فلن يقتلوا روح شعب مناضل عرف طريق الحرية والتقدم ،ولابد من أن يعود الى السير فيها . حقا ان الامل الذى تمثله شيلى يخبو ، ولكنه لن ينطفىء . وسلام على الليندى فى الخالدين من القادة الشهداء .

ا . ص . ع .

كتب كمال السيد :

« الطريق السلمي » في « قارة دموية » هل تقضي عليه « مأساة شيلي » ؟

الطريق السلمي للوصول الى السلطة كما طرحه الحزب الشيوعي في شيلي في مؤتمره السري العاشر في ابريل ١٩٥٦ ، يتلخص في توحيد الجماهير حول الطبقة العاملة وحزبها الطليعي ، وتكوين جبهة شعبية تكفل الاغلبية اللازمة للوصول الى السلطة دون حرب اهلية • وفي هذا المؤتمر لخص جالوجونزاليز رأى القيادة في هذا الموضوع كما يلي : « ان امكانيات اتمام ثورتنا بوسائل سلمية ، أي دون اللجوء حتما وبالضرورة الى الحرب الاهلية ، تتوقف على عاملين أساسيين : قوة ومقاومة العدو الطبقي ، وقدرة الطبقة العاملة على أن تجمع حولها الغالبية القومية لتصل الى السلطة من أجل الشعب ، عن طريق الانتخابات أو أي وسيلة أخرى •

« وليس هناك أي شك في أن العدو في بلادنا قوي نسبيا وانه يبدي وسيبدي مقاومة عنيفة للتغيرات الثورية • ولكن ليس هناك شك أيضا في أن الطبقة العاملة تستطيع أن تقهر هذه المقاومة ، وان تجمع حولها الاغلبية القومية وان تصل للسلطة ، بالانتخابات أو أي وسيلة أخرى غير الحرب الاهلية •

« ان انتصار الجبهة الشعبية في ١٩٣٨ وجبهة التحالف الديمقراطي في ١٩٤٦ ، قد بين على وجه التحديد الامكانية المتاحة للطبقة العاملة والشعب الشيلي في الوصول الى الحكم عن طريق ليس هو التمرد والهبة المسلحة •

« لكن هل توجد هذه الامكانية اليوم ؟ نعم توجد ، والاكثر من هذا ستوجد ، وذلك اذ افسد الشعب اعمال جونزاليز فيديلا (زعيم راديكالي حكم من ٤٦ ــ ١٩٥٢) وتمكن من توسيع الحريات العامة وتحقيق التغييرات التي ينص عليها برنامجنا » •

ومنذ ذلك الحين ولوى كورفالان سكرتير الحزب ، يكتب في مجلته النظرية « برنسيبوس » مؤكدا وموضحا الطريق السلمي على النحو التالي :

■ أن الماركسية لم تستبعد هذا الشكل للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، بل أكدته أدبياتها في أكثر من مناسبة •

■ ان الخبرة العملية في فرنسا وأسبانيا وشيلي ، اثبتته ودعمته عندما استطاعت الطبقة العاملة اقامة جبهة عمالية وشعبية تحت قيادة الطليعة الثورية ، اتاحت اشكالا جديدة للتعاون السياسي والنضالي مع قطاعات المجتمع الاخرى ، بما كفل الاغلبية القادرة على الوصول الى السلطة •

وكتب الدكتور رفعت السعيد :

الليندي : لم يكن « مسيحيا » في « قارة دموية » بل « ماركسيا » يعرف روح عصره

أخطر ما يمكن أن ينتج عن النهاية المروعة .. أو ان شئنا الدقة « البداية » المروعة للصراع في شيلي هو القول « بانتهاء » أو « هزيمة » طريق « البرلمانية » أو « التحول الدستوري » نحو الاشتراكية • وهكذا يفتح الباب من جديد على مصراعيه أمام التيارات المغامرة التي ترى في الكفاح المسلح طريقا وحيدا ولا بديل عنه لأي عمل ثوري يستهدف التغيير الاجتماعي •

وفيما يبدو لي فان اصرار الامبريالية الامريكية ومخابراتها وأجهزتها المختلفة على الاطاحة بحكومة « الليندي » لم يكن يستهدف مجرد الاطاحة بحكومة ماركسية مناهضة ، وانما ــ أيضا ــ هزيمة فكرة

■ ان هذه الامكانية تزداد فى عالم اليوم ، بعد أن أصبح النظام الاشتراكى العالمى قوة قادرة وملهمة ، وتزايد تاثير الحركة العمالية وأحزابها الطليعية فى البلدان الرأسمالية ، وتضخم الدور الذى تلعبه حركة التحرر الوطنى ، وفشل الرأسمالية فى تقديم أى حلول لمشاكل البشرية المزمنة ، بل واتضاح انها السبب الرئيسى فيها .

■ كما تدعم حقائق العصر الاساسية هذه الامكانية ، وتتلخص هذه الحقائق فى المحل الاول فى أن الثورة الوطنية ـ التى أصبحت شعبيتها وجماهيريتها الشرط الاساسى لنجاحها ـ أصبحت جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية ، وفى أن الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية فى البلد الواحد لا تنفصلان .

■ ان الطريق السلمى لا يصلح لكل البلدان . ولا يصلح للبلد الواحد فى كل الاوقات . فقد تسير الثورة فى أحد البلدان عبر الطريق السلمى لفترة طويلة ، وفى لحظة معينة لا مناص لها من أن تتحول الى طريق العنف . وقد يحدث العكس بأن تسير ثورة بلد ما فى طريق العنف ابتداء ، ثم تسلك بعد مرحلة معينة الطريق السلمى . احتمال ثالث هو أن تسير الثورة من البداية الى النهاية عبر طريق سلمى ، أو عنيف .

■ ان « سلمية » الطريق لا تتوقف على الطبقة العاملة وانما تعتمد أساسا على قوى المجتمع القديم ، فهى التى تلجأ للعنف لوقف التغيير الذى تختاره الاغلبية وترغب فى تحقيقه سلميا . ولابد لقوى الثورة أن تكون قادرة على تعديل تاكتيكها ، فى الوقت المناسب .

■ ان الطريق السلمى هو أيضا طريق ثورى ، وان هذه الصفة الاخيرة ليست حكرا على الطريق العنيف . فالثورية تتعلق فى المحل الاول بالاهداف التى يسعى اليها الطريقان ، واسهام الجماهير فى كل منهما .

كذلك فان الطريق العنيف هو أيضا طريق **ديمقراطى** مثله فى ذلك مثل الطريق السلمى ، حيث أنه يتم بالجماهير ولمصلحتها فى الاساس .

■ ان الطريق السلمى ليس هو البرلمانية وحدها . وهو وان كان يستبعد الحرب الاهلية ، فانه لا يمنع الاخذ بأشكال أخرى عنيفة مثل الاضراب والمظاهرات واحتلال المصانع ، واحتلال الفلاحين للاراضى الزراعية . وفى ظل النظام الرئاسى ـ كما فى شيلى ـ يمكن البدء بالسلطة التنفيذية ، تحقيقا للتغييرات الثورية .

■ ان الطريق السلمى لا يعنى تعايشا سلميا بين الطبقات ، أو ما يسمى بتعاون الطبقات . وانما هو أسلوب معين فى الصراع الطبقى داخل البلد الواحد . أما التعايش السلمى فيتعلق بالعلاقات بين الدول .

■ ان الطريق السلمى يقتضى : تعبئة وحشد الجماهير ، وتحالف العمال والفلاحين ، ووحدة نضال القوى الشعبية والتفافها حول الطبقة العاملة ، ووجود حزب طليعى قوى وقادر ، والدور القيادى للطبقة العاملة ، والملكية الجماعية لوسائل الانتاج .

التحالف الشعبى الثورى للعمل ديمقراطيا وبرلمانيا من اجل طرد الاحتكارات الامريكية وتصفية وجودها الاقتصادى وبناء الاشتراكية .

وقبيل معركة الانتخابات التى ففز بها « الليندى » الى السلطة ، مسجلا حدثا فريدا فى التاريخ ، هو وثوب أول رئيس ماركسى منتخب الى السلطة عبر طريق الانتخابات والديمقراطية البرجوازية .. قبيل هذه المعركة التى رشح لمنصب الرئيس فيها خمسة مرشحين يساريين ، أحدهم شاعر شيلى العظيم « بابلو نيرودا » الذى تقدم للناخبين كمرشح للحزب الشيوعى الشيلى ، استشعر الجميع خطر نزول اليسار الى معركة انتخابات الرئاسة منقسما ، وجرت مساع كثيرة للاتفاق على مرشح واحد للاحزاب والتجمعات اليسارية الخمسة .

وتوصلت المباحثات الى فكرة طريفة ، يجتمع خمسة مندوبين عن الاحزاب الخمسة لكل منهم صوتين ، صوت سيمنحه « بالضرورة » لمرشح حزبه ، وصوت آخر ترجيحى يعطيه للمرشح الذى يفضله بعد مرشح حزبه ، ونال « بابلونيرودا » اكبر عدد من الاصوات وأصبح مؤهلا لان يكون المرشح الوحيد لكل قوى اليسار .

لكن الليندى صمم على ترشيح نفسه ، مؤكدا أنه من الافضل للتجربة أن يتزعمها اشتراكى وليس شيوعى .

وازاء اصرار الليندى وجه « بابلو نيرودا » نداء الى الشعب الشيلى يقول فيه : « **من أجل أن تشرق الازهار فوق أرض شيلى ، وكى تتفتح الشمس على ربى بلادنا الزاهرة ، من أجل الاستقلال والحرية والاشتراكية ، من أجل وحدة اليسار أعلن انسحابى ، ليس مهما أن يكون « نيرودا » الشيوعى**

رئيسا ، ولكن المهم أن يكون **اليسار موحدا .. انتخبوا الليندى** » .

وفاز **الليندى** فى الانتخابات ، مسجلا بذلك حدثا خطيرا فى تاريخ الانسانية . ولم يكن ذلك كله مصادفة ، بل كان تعبيرا عن مرحلة تاريخية محددة .. من بين سماتها :

● أن الماركسية كنظرية قد اكتسبت جماهيرية واسعة تمكنها من أن تلف حولها الاكثرية من السكان .

● أن الماركسية كتطبيق قد استطاعت أن تبنى على أرض بلدان المعسكر الاشتراكى نموذجا ناجحا يستحق أن تتطلع اليه كل شعوب البلدان المستعبدة والمتخلفة ..

● أن الاستعمار والاستعمار الجديد ، وأداتها الاقتصادية « نظام الاحتكارات الرأسمالية » قد كسبت عداء متصاعدا من جماهير كثير من البلدان ، وأن كثيرا من القوى التى كانت فيما مضى تمثل احتياطيا للسياسة الاستعمارية قد أخذت فى التحول ، لتصبح فى اطار المناخ العالمى للتوازنات المحلية والعالمية الجديدة ، احتياطيا للتقدم الاجتماعى والنضال الوطنى ضد الاستعمار ، ومن أجل البناء والتقدم الاقتصادى والقضاء على التخلف .

هذه السمات تواجدت ونمت فى ظل مناخ عالمى يمكنها من التواجد والنمو ، ووجدت تعبيرا لها — مجرد تعبير — على أرض شيلى .

والخطر كل الخطر أن نقع فى شباك « البرجماتية » التى تقول بأن « كل ما هو ناجح هو صحيح » .. وأن نجاح المؤامرة الرجعية على الحكومة الماركسية الدستورية فى شيلى لا يعنى مطلقا خطأ الفكرة فى ذاتها .. وان كان لا ينفى أن هذه الحكومة قد وقعت فى أخطاء هامة :

■ ان الضمان الوحيد لهذا الطريق هو تنظيم الجماهير ووحدة حركتها على أساس برنامج محدد ، مع عدم اهمال الاستعداد لتغيير الطريق السلمى الى العنيف عند الضرورة .

■ أيا كان الطريق فالمهمة واحدة وهى قيادة نضال الجماهير وتدعيم وحدتها ، خاصة تحالف العمال والفلاحين ، وجمع الاغلبية حول البروليتاريا واهدافها .

■ الثورة ليست فقط استيلاء على السلطة ، فذلك ليس سوى مرحلة أولى فيها . وانما الثورة نضال طبقى واسع فى كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية .

والواقع أن انتصار « الوحدة الشعبية » فى شيلى لم يأت من العدم . فقد ظهرت فيها الاتجاهات الاشتراكية مبكرا ، وتنامت صفوف الطبقة العاملة وتدعم تنظيمها (يضم اتحاد العمال ٩٠٠ر٠٠٠ عضو) . وفى الثلاثينات مع نشيد الاممية ونشيد « بانديرا روسا » ، كان لثوار شيلى أحلامهم وأناشيدهم فقد ذاعت بينهم حينذاك أغنية تقول « كم هو جميل أن نحلم ، كم هو رائع أن نفكر فى بلد جميل اشتراكى لا يكون الناس فيه تعساء » وبين الحلم والامل ، بذلت الطبقة العاملة الكثير . ففى ١٩٢٠ استخدمت « كوقود لمدافع المعركة الانتخابية » التى كفلت انتصار البورجوازية على الاقطاع . وفى ١٩٣٨ لعبت دور « الكمان الثانى » فى مجىء حكومة الجبهة الشعبية برئاسة الراديكالى **بدروا جوير سيدرا** . وفيها كسب اليسار جزءا من السلطة السياسية ، لكن السلطة الاقتصادية ظلت بكاملها لليمين . وتكررت القصة فى ١٩٤٦ ، عندما أوصل العمال والشيوعيون **جونزاليز فيديلا** للسلطة ، فانقلب عليهم بعد ان دانت له الامور . وفى ١٩٥٨ رشح الليندى نفسه عن الحزب الاشتراكى وايده الشيوعيون . ورغم مساندة بارونات النحاس وسادة الارض وملوك البقالة ، فقد فاز مرشحهم على الليندى بـ ٣٠ ألف صوت لا غير . وفى ١٩٦٤ رشحت جبهة العمل الشعبى التى كونها الشيوعيون والاشتراكيون **الليندى** وحقق نصرا كبيرا وان لم يصل الى الرئاسة . والواقع ان الانتخابات المتعاقبة تصلح مقياسا لقدرة الضغط الشعبى . ففى ١٩٥٢ رشح الاشتراكيون **الليندى** وسانده الشيوعيون ، وفاز بنحو ٦ فى المائة من الاصوات . وفى انتخابات ١٩٥٨ حصل على ٢٩ فى المائة من الاصوات (حصل من انتخب على ٣١ر٥ فى المائة) . وفى ١٩٦٤ أدى الرعب من الجبهة الشعبية الى تكاثف اليمين ، وحصل **الليندى** على ٣٩ فى المائة من الاصوات . وفى ٤ سبتمبر ١٩٧٠ ، انتخب **الليندى** رئيسا بنسبة حوالى ٤٠ فى المائة ، وحصل على ١ر٠٧٥ر٦١٦ صوتا وحصل من يليه على ١ر٠٣٦ر٢٧٨ صوتا .

وقد قامت جبهة — بل اتحاد — الشيوعيين والاشتراكيين منذ أوائل الستينات على أساس برنامج مشترك يتم تطبيقه معا . وكان قادة كل تنظيم يحضرون اجتماعات اللجنة المركزية للتنظيم الاخر ، ويعقدون لقاءات يومية معا . ولم يكن للحزب الاشتراكى صحيفة ، فنذرت « السيجلو » وهى صحيفة الشيوعيين نفسها للدفاع عنه . كما تعاون الاعضاء القاعديون فى التنظيم فى العمل اليومى وفى المنظمات الجماهيرية .

وفى نهاية نوفمبر ١٩٦٩ اجتمع المؤتمر الـ ١٤ للحزب الشيوعى ، وأثناء انعقاده أعلن تحديد انتخابات الرئاسة فى ٤ سبتمبر

شيلي : خريطة اقتصادية

الموقع ـ الساحل الغربي لامريكا اللاتينية .
السكان ـ ١٠ ملايين .
الاوضاع الاقتصادية ـ قبل حكم سلفادور الليندي كانت تتحكم في اقتصاد شيلي ١٠ مجموعات اقتصادية كبيرة تسيطر على معظم النشاط الاقتصادي في البلاد . هناك تداخل بين كبار ملاك الارض والبرجوازية الصناعية ، وعلى خلاف بلدان امريكا اللاتينية الاخرى حيث توجد اوليجاركية اقطاعية مستقلة ، يمكننا ان نلاحظ في شيلي وجود برجوازية او ليجاركية واحدة ، متداخلة .
ومنذ بداية القرن الحالي بدأت الاحتكارات الامريكية استغلال مناجم النحاس في ثلاث مناطق شوكيكا ماتا حيث يوجد اكبر منجم للنحاس في العالم ، والتينيت والسلفادور . وتعتبر شيلي اكبر منتج للمعدن الخام في العالم . يمثل النحاس عصب اقتصاد شيلي اذ يشكل ٧٠٪ من دخل صادرات البلاد .
وقد بلغت ديون شيلي القومية ٤ بلايين دولار . وتصل فوائد الديون السنوية الى ٣٠٪ من قيمة مجموع الصادرات ، كانت ٨٠٪ من صادرات شيلي في ايدي الاحتكارات الاجنبية .
قبل الاصلاح الزراعي الذي طبق في عهد فري الرئيس السابق السلفادور الليندي كان ١٠٪ من كبار الملاك يملكون ٩٠٪ من الاراضي . بينما ٩٠٪ من الملاك يملكون ١٠٪ من الاراضي ، ولم يغير اصلاح فري (الرئيس السابق على الرئيس الليندي) هذا الوضع الا في حدود ضيقة .

١٩٧٤ ، فقرر المؤتمر اقامة « وحدة دائمة وليست عارضة » تقوم على أساس من المشاركة الفعالة والنشيطة لكل القوى الشعبية . وأكد **كورفالان** « ان الشعب لا يمكن أن يظل متفرجا » . ولبناء « منزل الوحدة » طالب المؤتمر بعقد اتفاق رباعي حول :

١ ـ برنامج مشترك . ٢ ـ حلف سياسي حول مفهوم السلطة ، وتكوين الحكومة بطريقة تجعل كل طرف يعرف مساهمته في العمل الجماعي ٣ ـ تنظيم الحملة الانتخابية . ٤ ـ اختيار مرشح واحد مشترك .

وبالفعل اتفقت ٦ تنظيمات على هذه النقاط وهي الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، والحزب الراديكالي ، والحزب الديمقراطي الاجتماعي ، وحركة العمل الشعبي الموحد ، والتحالف الشعبي المستقل . وبعد أن رشح كل تنظيم ممثلا عنه للرئاسة (رشح الشيوعيون **بابلو نيرودا** الشاعر المعروف) اتفق الجميع على **الليندي** مرشح الاشتراكيين . وخاضوا أعظم وأروع معركة انتخابية في تاريخ شيلي ، تكونت خلالها ١٥٠٠٠ لجنة للدعاية لليندي وجاب **الليندي ولوي كورفالان** جميع انحاء البلاد ، من قرية لقرية ومن مدينة لمدينة . وكان منطق **الليندي** بسيطا في مخاطبة الفلاحين اذ كان يقول لهم : « **انا لن اشترى أصواتكم . ومن يفعل ذلك يحتقركم . انه يعطيكم ما تشربون به يوما أو حتى أسبوعا ، ثم يتركم ست سنوات دون اهتمام بكم ليعود فيكرر نفس اللعبة . أما أنا فلا أريد أن أكون رئيسا آخرا . وانما أول رئيس لحكومة ثورية ، الحكومة الشعبية التي ستعطيكم الارض . انهم يقولون اني كاسترو بلا ذقن . والواقع أن كاسترو أعطى الارض للفلاحين ، وحرر بلاده من الامبريالية » . وفور هذا كانت عاصفة من الصياح تزأر « فيفا شيلي ، فيفا الليندي ، فيفا جوبير نوبو بولار »** .

.. أهمها افتقار اليسار الى الوحدة الحقيقية ، فوحدة اليسار التي استطاعت أن تكسر حاجز التاريخ ، وأن تستخدم البرلمانية ، والديمقراطية البرجوازية ، سبيلا لوصول رئيس ماركسي الى السلطة ، أي كما يقولون في الامثال « ان يشنق الرأسمالية بحبل من صناعتها » هذه الوحدة كانت متأرجحة دوما .

فالحزب الاشتراكي الذي يمثله الليندي كان حزبا اصلاحيا بحتا ، يعلن تمسكه بالماركسية ، لكنه في الجوهر ينكر أي مظهر من مظاهر الصراع الطبقي ، لقد تحول نجاح الليندي في الانتخابات الى قيد ذهبي كبل حركة الحزب وربطه ربطا الى عجلة الاصلاحات الدستورية ..

وفي حوار أجريته مع احد قادة الحزب الاشتراكي الشيلي ـ خلال زيارة قمت بها لشيلي في أكتوبر الماضي ـ لاحظت تحفظات كثيرة بكنها للشيوعيين اخلص حلفائهم في الجبهة وظل طوال الجلسة يردد بصورة أوتوماتيكية ـ نفس الالفاظ التي يرددها أمثاله في كل مكان « نحن اشتراكيون وطنيون ، وهم أمميون شيوعيون ، الشيوعية قد تكون جيدة من الناحية النظرية ، وقد تكون صالحة للتطبيق في اماكن أخرى ، لكن لشيلي ظروفها الخاصة » وأدت النظرة الاصلاحية الى تعثر التطبيق الاشتراكي والى مهادنة العناصر الاستغلالية في كثير من الاحيان مما أفقد التجربة بعض شحنتها .

وفي أقصى اليسار هناك الحركة الثورية اليسار MCR بجناحيها الاساسيين الحركة الثورية للطلاب FTR والحركة الثورية للفلاحين MIR وهي حركة متطرفة ترفض الاسلوب البرلماني رفضا قاطعا وتدينه باعتباره خضوعا لعقلية

البورجوازية الصغيرة . وهم يخزرون في بياناتهم وكراساتهم النظرية « أن السبيل الوحيد للاطاحة بحكم البورجوازية هو تصفية بنائها الفوقي بشكل ما يتضمنه من تكوينات ومصالح ، أما الادعاء بامكانية بناء الاشتراكية دون الاطاحة مسبقا بهذا البناء الفوقي فانه لن يؤدي الا الى امتطاء عناصر بورجوازية جديدة لقمة السلطة في النظام الجديد » .

وفي حديث كورفولان سكرتير عام الحزب الشيوعي (١٥٠,٠٠٠ عضو ، ٨٠,٠٠٠ عضو في منظمة الشبيبة الشيوعية) احسست انه يستشعر وقع البقاء بين فكي كسارة البندق اعتدال حزب الليندي ، وتطرف ويسارية منظمة MIR .. وفي مؤتمر صحفي عقده كورفولان سأله واحد من الحاضرين « الا تخشون من انقلاب عسكري ؟ » ونظر كورفولان مبتسما الى واحد من الجنرالات كان يجلس على المنصة ، ليمارس كالعادة تمثيل القوات المسلحة في كل شيء .. وقال « ان الجيش يحترم التقاليد الديمقراطية ، وقد أعلن قادته ان مهمتهم هي حماية حدود البلاد واحترام الدستور » ومضى كورفولان قائلا « ومع ذلك فان الحزب الشيوعي يرى أن خير حماية للسلطة من المؤامرات الاستعمارية والرجعية هو تسليح الطبقة العاملة .. ان الشعب المسلح هو الحارس الامين للاشتراكية ، وهو القادر على مجابهة العنف الرجعي المسلح » .

لكن الليندي رفض اية محاولة لتسليح العمال .. معتمدا في مجابهة العنف الرجعي الذي لجأ في كثير من الاحيان الى أساليب فاشية على القانون والدستور وحدهما .

والشيء الخطير الذي فات الليندي أن يدركه أن ضباط

وهكذا انتصر الطريق السلمي بفضل الوحدة الشعبية ربوصول الليندي للسلطة ، بدأت عمليات استعادة ثروات البلاد من أيدي الاحتكارات الاجنبية . وبدأت عمليات تنمية واسعة ، وكفلت أوسع الحريات السياسية للجماهير . وأجرى اصلاح زراعي جذري . وصمدت شيلي في وجه المؤامرات المباشرة مثل مؤامرة شركة التليفون والتلغراف الدولية ، أو غير المباشرة مثل خفض أسعار النحاس ومنع القروض والتسهيلات والمقاطعة الاقتصادية والتجارية ، لكن .. الرجعية الدولية ، أو الولايات المتحدة تحديدا ، والرجعية المحلية ، لم تكن لتقف ساكنة وتترك حكومة الوحدة الشعبية تبنى الاشتراكية وتنزع امتيازاتها وهي لاتبالي ، ولقد ركزت الرجعية على :

● **خلق المصاعب الاقتصادية . فبجانب الحصار الاقتصادي الذي نظمته الولايات المتحدة دوليا ، تمت عمليات تخريب داخلية واسعة على أيدي القوى الرجعية من أصحاب سيارات النقل - وليس عمالها - وأصحاب محلات البقالة (مليونيرات) واصحاب الاموال والاراضي .**

● **بذر بذور الفرقة والانقسام بين القوى المكونة لكتلة « الوحدة الشعبية » . وبالفعل استقال ممثلو أجزاء منها من الوزارة . والى جانب مسئولية مخابرات أمريكا وعملائها عن هذا ، ومسئولية القوى المنسحبة من التحالف والتي تمتاز قياداتها بالتردد وبسوابقها في نقض الاتفاقات . فان مسئولية لا شك فيها تقع على عاتق القوى الطليعية الاكثر وعيا في التحالف ، باعتبارها الاقدر والاقوى على تطوير الوحدة التي كفلت انتصار الليندي الى « وحدة عضوية » بين هذه التنظيمات وزيادة نقاط الاتفاق بل التماثل الى أقصى حد .**

● **استمالة قيادات الجيش . صحيح أن هذه القيادات قد رفضت التدخل لمنع الليندي من تولي منصبه بعد انتخابه وأعلنت التزامها بالقواعد التشريعية . كما ان الجيش في شيلي ليس في الاساس جيش انقلابات كما في معظم القارة ، الا انه تبقى عدة حقائق منها :**

ان التمرد على النظام القائم ليس جديدا كلية . ففي ٢١ اكتوبر ١٩٦٩ ، تمردت كتيبة سانتياجو بقيادة الجنرال روبرتوفيو وتولى الجنرال شيندر - الذي اغتالوه عقب تولي **الليندي** - قمع التمرد . كما أعلن اتحاد العمال الاضراب العام الفوري ، وشل المصانع والسكك الحديدية ، والادارات . واخمدت المؤامرة في مهدها .

كذلك لم يكن غريبا على بعض قوات الجيش ، الاشتراك في قمع التحركات الشعبية . ففي ١١ مارس ١٩٦٧ ، اضرب عمال منجم السلفادور ، فقتلت منهم فصيلة مسلحة عددا كبيرا من بينهم امرأة حامل . وفي مارس ١٩٦٩ ، بذرت نفس الفصيلة بذور الموت في بورتومونت بين السكان الثائرين بسبب عدم وجود مأوى لهم .

كذلك فان للولايات المتحدة دور كبير في الجيش . فقد تولى خبراؤها تدريب الجيش طوال ربع القرن الماضي ، ولهم صلات وثيقة بقياداتها . ومع أن الولايات المتحدة منعت المعونة الاقتصادية عن شيلي فور تولي الليندي ، فقد استمرت في المعونة العسكرية لجيشه وفي امداده بالسلاح .

ومع أن البرنامج المشترك للوحدة الشعبية قد أفرد للجيش جزءا كبيرا منه تضمن :

١ ـ تدعيم الطابع الوطني للقوات المسلحة بكافة قطاعاتها ، أى رفض استخدامها بأى طريقة كانت فى قمع الشعب أو استخدامها لمصلحة القوى الاجنبية .

٢ ـ التأهيل والتدريب التكنيكي والمفتوح لجميع الرتب على العلوم العسكرية الحديثة ، بما يتفق مع مصالح شيلى الحقيقية : الاستقلال القومى ، والصداقة والسلام بين الشعوب .

٣ ـ تكامل ومساهمة القوات المسلحة فى الحياة الاجتماعية فى كافة جوانبها . ولابد أن تهتم الدولة الشعبية بتيسير مساهمة القوات المسلحة فى التنمية الاقتصادية ، دون اهدار مهمتها الاساسية فى الدفاع عن السيادة القومية .

ومع كل هذا فان « تسييس » الجيش لم يسر بالمعدل المطلوب . ومع أن لوى كورفالان نبه الى أن الجيش أصبح عاملا حاسما فى حياة البلاد ، الا أنه لم يتم تحويله الى جيش شعبى حقيقى . والواقع أن هذا يطرح قضية كانت هى « كعب أخيل » او مقتل الثورات ابتداء من كوميون باريس الى ثورات التحرير المعاصرة ذات الطابع الاجتماعى فى العالم الثالث . هذه القضية هى « جهاز الدولة » بمختلف مؤسساته ، الجيش والبوليس والبرلمان والقضاء والصحافة ، الخ . فقد دلت التجربة الثورية فى العالم أجمع على أنه أيا كان الطريق الذى تصل به قوى الثورة الى السلطة ـ سلميا أو عنيفا ـ فلابد من تدمير ، بالمعنى الحرفى للكلمة ، جهاز الدولة القديم واستبداله بجهاز جديد يقوم أساسا على أوسع مشاركة جماهيرية وعلى أساس النقل المتزايد لسلطات واختصاصات اجهزة الحكم الى الجماهير الشعبية . ومع أن حكومة الليندى أطلقت أوسع الحريات للجماهير ومنظماتها ، الا أن أجهزة الدولة ظلت فى الاساس كما هى . فالبرلمان بقى وكرا للمعارضين تمسكا بسلمية ودستورية وشرعية الاساليب . وطفق هذا البرلمان يعارض الحكومة ويدينها ويعرقل مشروعاتها . كذلك ظل الجيش كما كان فى المجتمع القديم ، بنفس قياداته الطبقية ذات الامتيازات ، بنفس مفاهيمها وأفكارها ونظمها ، على الرغم من ان شواهد القارة تؤكد أن الجيش هناك اداة للتحويل الرجعى عادة ـ على عكس ما يحدث فى بلدان افريقيا بالذات . وبالفعل فان قوة المثل اغرت قيادات الجيش بالتحرك .

والواقع أن الصراع فى أمريكا اللاتينية ـ خاصة الاجتماعى ـ صراع دموى ، وتنبع دمويته أساسا من تقاليد تاريخية زرعها الاسبانيون والبرتغاليون ونماها الامبرياليون الامريكيون ، الذين درجوا على استخدام العنف فى « الابقاء على الاوضاع القائمة » . وبالفعل اصبحت الطبقات المالكة للاراضى والمصانع والمشروعات ـ وهى من سلالات الغزاة الاسبان والبرتغاليين ووكلاء الامريكيين ـ لا تعرف غير العنف طريقا

الجيش وخاصة كبارهم هم بحكم وضعهم الطبقى ومستوى معيشتهم وتكوينهم الاسرى قوى لصيقة بالرأسمالية المضروبة وكبار الملاك الزراعيين ، لقد نسى الليندى أن الانتماء الطبقى قد يتفوق يوما ما على « كلمة الشرف » أو « يمين الولاء » .

كان الليندى يعتمد كثيرا على صداقة وولاء الجنرال كارلوس براتز وزير الدفاع ، لكن الطبقة تستطيع أن تضحى حتى بأحد ابنائها فى سبيل مصالحها .. وتوجهت ثلاثمائة سيدة من زوجات الضباط ـ بينهن خمس عشرة من زوجات الجنرالات ـ الى مقر وزير الدفاع يطالبنه بالاستقالة .. وشعر الرجل أنه اذا كان الضباط يخضعون له بحكم الولاء العسكرى فانهم يتمردون عليه بحكم الانتماء الاسرى والطبقى المعادى للاشتراكية .. واستقال وزير الدفاع وفتح الباب أمام الانقلاب ..

وعندما شعر الليندى برياح الانقلاب تهب اذاع بيانا الى الشعب ، قال فيه ان عناصر غير مسئولة قد طلبت منه الاستقالة .. لكنه أعلن مصمما « لن أستقيل . لن افعل ذلك ، انني أندد أمام البلاد بالموقف الذى لا يصدق للجنود الذين ينتهكون كلمة الشرف التى أعلنوها ، وعند التزاماتهم كعسكريين . انني اعلن قرارى الذى لا رجوع فيه دفاعا عن شيلى . أعلن قرارى باننى ساقاوم بكل الوسائل المتوافرة ، حتى ولو كلفنى ذلك حياتى ، حتى يكون ذلك درسا يلحق الخزى التاريخى بأولئك الذين يستخدمون العنف دون أن تكون لديهم ذرة واحدة من المنطق » .

وهكذا .. وحتى فى أحرج لحظاته الاخيرة كان الليندى

يبحث عن « المنطق » في استخدام « العنف » ..

وحوصر الليندي في قصره وزحف آلاف من العمال العزل ، الذين رفض الليندي باصرار غريب تسليحهم بحجة أن تسليحهم يهدد الديمقراطية .. زحفوا عزلا ليواجهوا الدبابات والمدافع الثقيلة والطائرات ..

ونعود الى نقطة البدء ..

الليندي لم يكن مسيحا يبشر بكهنوت غريب في أرض قارة لا تعرف غير الدماء بل كان تعبيرا منطقيا وموضوعيا لظروف عصره، تعبيرا عن انتصار الاشتراكية وحتمية هذا الانتصار ، تعبيرا عن اتساع افقها ورحابة صدرها وقدرتها على الاستيعاب بحيث تستطيع أن تضم الى جانبها أوسع الجماهير الشعبية ..

وفشل التجربة لا يعني خطأ النظرية ..

فشلها يعني أن ثمة أخطاء وقعت ، يعني أن النظرية سوف تثرى ، سوف تجد لنفسها في المستقبل تطبيقا أفضل ..

ودفع الليندي حياته ثمنا ، ودفع آلاف من العمال والثوريين حياتهم ثمنا لا لانهم لم يعرفوا الطابع الدموي للقارة ، وانما لان البعض لم يعرف على وجه الدقة الطابع الدموي للصراع الطبقي .. لم يعرف أن الانتماء الطبقي قد يتغلب على الولاء العسكري ..

لكن انتصار المؤامرة لا يعني هزيمة الثورة ، فلسوف يواصل اليسار الموحد الصفوف معركته ضد الاستعمار .. وعملائه ، ولسوف يثبت التاريخ ان « الاشتراكية » أقوى .. وأعمق من مؤامرة حفنة من الجنرالات ، ذلك انها الخبز اليومي لملايين من البشر ..

للابقاء على أوضاعها . والحقيقة التي يجب تاكيدها هي أن الطريق السلمي أجدى وانفع وأكثر انسانية ، لكن قوى الثورة لا تختار ، بل ان الذي يحدده هم اعداؤها الطبقيون . وهؤلاء دمويون بطبيعتهم في أمريكا اللاتينية بالتحديد ، ان لم يكن في العالم أجمع . ومن ثم فان مأساة شيلي ، تطرح قضية الربط الصحيح بين الطريقين السلمي والعنيف ، والاستعداد للتحول من الاخر الى الثاني فورا بما يشل أي محاولات لقوى المجتمع القديم لاستعادة نفوذها باغراق التجارب الجديدة في حمامات الدم . والاستعداد للطريقين ليس تبديدا للجهود أو انفصاما كما أكد بعض قادة ثورة شيلي الذين أريق دمهم الطاهر الذكي لاصرارهم على « السلمية » في مواجهة أعداء اعتادوا شرب الدماء . ان مأساة الثورة في أمريكا اللاتينية تكمن في احادية الطريق . فالجماعات الثورية هناك اما أن تتبنى طريقا سلميا وترفض بعنف كل ما عداه ، أو تتبنى طريق الصراع المسلح وتدين كل ما يخالفه . في حين أن الطريق السليم يتحقق بالربط الصحيح بين الاسلوبين .

ان مأساة شيلي لا تدين الطريق السلمي ، وانما تنبه الى خطورة الركون اليه وحده . فأصحاب الامتيازات لا يتخلون عنها سلما وطواعية ، ولم تحدث تجربة واحدة في العالم تؤكد هذا . فابتداء من فشل الطوباويين في « اقناع » أصحاب المشروعات بالتخلي عنها ، الى تجارب الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوربا وآسيا ، مرورا بالتحولات الاجتماعية في الدول الوطنية ، وانتهاء بمأساة شيلي ، يتبين انه على قوى الثورة الاجتماعية أن تعد ما استطاعت من « القوة ومن رباط الخيل » لترهب به عدو الله وعدو الشعب وعدوها ، و « تقنعه » بعدم اللجوء الى العنف ، أو تلقنه درسا لا ينساه اذا لم يقتنع بالامتناع عن هذا ابتداء . أن الاستعداد واليقظة والقدرة على الضرب بشدة وفاعلية على من يودون ارجاع الامور الى الوراء هو الذي يقنعهم بالجنوح الى السلم ، ويثنيهم عن العنف ، الذي كانوا دائما وأبدا هم البادئين وهم الذين يفرضونه على قوى الثورة المسالمة بطبعها .



حرب الأيام الستة

وآثارها الاقتصادية والاجتماعية على اسرائيل

جاك كوبان

جاك كوبار صحفي فرنسي في « لومانتيه » ، الصحيفة الوحيدة التى ادانت عدوان اسرائيل فور وقوعه ، واستحقت بذلك صيحات المتهوسين من انصار اسرائيل الذين تجمعوا حول مبناها صبيحة يوم العدوان يهتفون بسقوطها وبحياة اسرائيل .

وكوبار من ابرز من اسمتهم صحيفة « لوكانار انشينيه » الموالية لاسرائيل « بالخونة » لانهم دافعوا عن الحق العربي ، وكشفوا تواطؤ اسرائيل والولايات المتحدة في «حرب البترول» التى شنتها اسرائيل يوم ٥ يونيو ، باعتبارها «وكيلا» معتمدا في المنطقة يحمى « مغارة على بابا » التى تضم كنوز المنطقة التى نهبها الاستعمار الامريكي. وفى هذا المقال يوضح كوبار ، أن الحرب بالنسبة لاسرائيل ليست مغنما صافيا ، وأن نتائجها باهظة على الاقتصاد الاسرائيلي رغم ذلك السيل المتدفق من المعونات ثمنا للدور الذى ارتضته .

هناك نتيجة هامة لحرب الايام الستة يتعين بحثها ودراستها حتى تكتمل الصورة تماما حول سياسة اسرائيل . هذه النتيجة هي الاثار الاقتصادية والاجتماعية لتلك الحرب على المجتمع الاسرائيلي . وتلك مهمة ليست ميسورة ، لان هذا الجانب من القضية ، قد تم اخفاؤه بعناية وحذر بالغين.

فى ديسمبر ١٩٧٢ ، أجاب **شيمون بيريز** وزير المواصلات واخلص معاوني الجنرال **ديان** ، على وزير المالية الذى كان يشكو مما يلاقيه من صعوبات اقتصادية بقوله « **لو أن سابير قال لنا اختاروا بين « الفانتوم » وبين التليفونات . ولكن اذا قالوا لى أن أختار بين المدارس وبين التليفونات ، وبين المساعدات الاجتماعية وبين التليفونات لاجبت أى نوع من الاولويات هذا ؟** [حديث مع جيروزاليم بوست ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٢]

وفى الاسبوع نفسه هاجم **بنحاس سابير** الهستدروت ، التنظيم النقابي الذى اضطر الى تأييد الاضراب الذى انفجر في كل القطاعات ، والى ادانة الفضائح التى حدثت في مشروعين من مشروعات قطاع الدولة : وهما **فيريد ونفتيفي نيفت** [الشركة البترولية المكلفة باستخراج البترول المصرى من سيناء] . ولام وزير المالية قادة الهستدروت ، وهم مثله أعضاء فيحزب العمال ، على اللجوء الى الصراع الطبقي : قال لهم « **انكم بالاصغاء الى المضربين ، ان تدركوا أبدا أن هناك مشاكل في مجال الدفاع** »

ولم تكن التعازيم والرقيات التى اطلقها وزير المالية كافية بوضع حد لاكبر موجة اضرابات شهدتها اسرائيل ، خلال ديسمبر ١٩٧٢ يناير ١٩٧٣ . فالعمال الاسرائيليون مضطرون الى خوض نضالات قاسية وصعبة لمحاولة الحفاظ على مستوى حياتهم « على الطريقة الاوربية » . لانه على الرغم من « الكرم » الامريكي ، لايمكن الحصول على الزبد والمدافع

فى نفس الوقت . وفى هذا الموضوع ، ليس هناك معجزات أوأوهام حتى فىاسرائيل نفسها . وأيا كان الذى قاله شيمون بيريز ، الذى يدعى أن عندهمالفانتوم والتليفوناتوالمدارس والمساعدات الاجتماعية ، فى الوقت نفسه ، فلابد من الاختيار فى واقع الامر (*)

ولقد اختار القادة الاسرائيليون ، وبذا شهدت اسرائيل منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، أول مظاهر للبؤس الناجم عنها والذى غدا أمرا لا يمكن احتماله .

فالواقع ان الرغبة فى الاحتفاظ بأقوى الجيوش « الغربية » فى المنطقة ، يتكلف غاليا أكثر فأكثر (*)

ففى ١٩٦٧ كان ثمن طائرة ميراج من الطائرات المجهز بها جيش اسرائيل ، يبلغ ٦ ملايين ليرة اسرائيلية [بأسعار ١٩٧٢] « واليوم ، فان أفضل طائرة فى حوزتنا وهى الفانتوم يتراوح ثمنها بين ٢١ مليون و ٣٤ مليون ليرة حسب الطراز .. » كما أعلن الجنرال ديان [جيروزاليم بوست ، ٢٢ — ٨ — ١٩٧٢] « ونعتقد أن ثمن الطائرات الامريكية المقبلة التى ستحل محل الفانتوم ، وهى طائرات ف ١٤ أو ف ١٥ سيزيد مرتين أو مرتين ونصف عن ذلك ، أى انه سيصل الى ما يزيد عن ٥٠ مليونا » (*)

وفى الفترة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٢ تضاعف ثمن الدبابة من ٣٥٠٠٠٠ الى ٧٠٠٠٠٠ أو ٨٠٠٠٠٠ ليرة وسيصل ثمنها وفق رأى ديان ، الى مليونى ليرة فى نهاية الثمانينات .

والمساعدة الامريكية والقروض ليست مجانية كلية ، كما يتعين أيضا سداد القروض الممنوحة ودفع فوائد الاستثمارات الخاصة التى فتح لها الباب على مصراعيه منذ ١٩٦٧ .

والواقع أن اسرائيل تعانى منذ مولدها من عجز دائم فى ميزان مدفوعاتها . فنظرا لانها بلد بلا مواد أولية ، أو هى كذلك تقريبا ، كان على اسرائيل أن تستورد الكتلة الاساسية من المنتجات القاعدية لصناعاتها ، وكذلك كان عليها أن تستورد المنتجات الغذائية [الدقيق ، اللحوم ..]

ان قادة اسرائيل باختيارهم الحرب قد أداروا ظهرهم لسياسة تكفل لهم التغلب على هذه العقبة . اذ لا يمكن التغلب على هذا الا ببدء المبادلات التجارية مع البلاد العربية المجاورة .

وبعد حرب ١٩٦٧ اتسعت الهوة بدرجة جعلت الاسرائيليين يسجلون حاليا الرقم القياسى العالمى فى الدين الخارجى بالنسبة للفرد الواحد من السكان . ولقد تجاوز هذا الالف دولار فى ١٩٧١ . ولكى ندخل فى اعتبارنا عناصر أخرى للمقارنة ، نقول أن دخل الفرد قد بلغ فى السنة نفسها ١٢٠٠ دولار . وفى عام ١٩٧١ أنفق كل اسرائيلى ٤٧٠ دولارا على الحرب ، وهو رقم يزيد ١١ مرة عن انفاق المصرى ، والسورى والاردنى أو اللبنانى وفق رأى اليعازر شيتر المدير العام لبنك اسرائيل [٧ — ١ — ١٩٧٢] . وبعد ذلك بعامين أكمل محافظ بنك اسرائيل موشيه سامبار المقارنة بالنسبة للفرد : ٤٨٠ بالنسبة لاسرائيل ، ٣٨٠ بالنسبة للولايات المتحدة ، ٢٧٠ بالنسبة للاتحاد السوفيتى [جيروزاليم بوست ٢٠ — ٣ — ١٩٧٣] .

ولقد ارتفع الدين الخارجى لاسرائيل من ١٦٠٠ مليون دولار الى ٣٦٠٠ مليون فى ١٩٧١ ، والى ٤٢٠٠ مليون فى ١٩٧٢ . وليس هناك ما يشير فى توقعات الاخصائيين الى انه سينخفض فى السنوات القادمة . أن للفانتوم أولوية على كل الاولويات .

والواقع ان هذا الوضع قد نشأ ، رغم ان الصادرات تضاعفت خلال خمس سنوات . ولكن ثمرة هذا العمل ، التهمتها مشتريات المواد الاولية المخصصة لمصانع السلاح . وفى ١٩٧٠ كانت هذه المصانع تستخدم ٢٥ فى المائة من العمال ، مقابل ١٠ فى المائة فى ١٩٦٧ .

وارتفع أيضا الجزء المخصص للحرب من اجمالى الناتج القومى من ١١ فى المائة فى ١٩٦٥ ، الى ٢٣ فى المائة فى ١٩٦٧ ، ثم ٣٠ فى المائة فى ١٩٧١ .

ولزيادة الصادرات ، وتحديث آلة الحرب ، لجأت تل ابيب الى طلب القروض الجديدةمن المصارف والرأسماليين الاجانب ، وفى مقابلهذا منحتهم كل الامكانيات والفرص لاعادة تصدير الارباح بالعملات الاجنبية التى يختارونها . وارتفعت الفوائد والاسهم التى يتعين سدادها الى ٨٠٠ مليون ليرة اسرائيلية فى ١٩٦٦ والى ٣٦٠٠ مليون فى ١٩٧٠ [٢٣ فى المائة من الميزانية] وقد ذكر هذا الرقم مايرفلنرفى تقريره الى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعى الاسرائيلى .

ودون فيضان الدولارات الذى تمنحه الولايات المتحدة للشرطى العامل فى خدمتها ، لتعرض هذا البلد لازمة اقتصادية خطيرة ، ولافلاس لم يسبق

له مثيل . ومع ذلك فان شركائه فى المعاملات ؟ قلقون للغاية من التضخم الذى يلتهم الليرة الاسرائيلية . ففى ١٩٦٨ طبع ٢٢٤ مليون ليرة وفى ١٩٧١ طبع ١١٤٢ مليونا .

وعلى هذا المنوال يمكن ان نعدد الارقام فيما يتعلق بالحالة الصحية المتدهورة للاقتصاد والمالية الاسرائيلية ، التى يبهظ كاهلها عبء ثقيل ناجم من سياسة الحرب .

ومع ذلك ، فان هذا العبء ليس متساويا بالنسبة لكل المواطنين .

ففى ١٩٧٢ : ارتفعت أرباح البنوك ارتفاعا كبيرا بالمقارنة بالنسبة للعام السابق : ٧١ فى المائة بالنسبة لبنك هابواليم ، و٤٥ فى المائة لبنك الخصم [وهما اثنان من أكبر ثلاث مؤسسات] . وبالنسبة لباقى ارباب العمل ، كان المعدل ٢٣ فى المائة خلال نفس المدة .

اما الاجور الحقيقية فقد انخفضت حسب الاحصاءات الرسمية بنسبة ١ فى المائة فى ١٩٧١ وبنسبة ٥ر٢ فى المائة فى ١٩٧٢ ،فى حين وصل ارتفاع الاسعار الى ١٣ فى المائة فى ١٩٧١ ،والى ١٤ فى المائة فى ١٩٧٢ [جيروزاليم بوست ، ٩ — ١ — ١٩٧٣] .

لقد جاءت حرب يونيو لتفاقم تطورا قائما فعلا ؟ هو افقار عمال اسرائيل وزيادة بؤسهم .

ولناخذ هذه المرة كمرجع لنا رسالة صحفى اسرائيلى هو بن بورا ، نشرتها المجلة الصهيونية الفرنسية « لارش » (يونيو — يوليو ١٩٧١) وجاء فيها :

« **فى ١٩٥٥ كان ٢٠ فى المائة من الاجراء الذين يحصلون على أدنى مستوى فى سلم الاجور فى اسرائيل ، يحصلون على ٧ فى المائة من اجمالى الدخول .**

« **وفى ١٩٦٤ ،كان دخل نفس الـ ٢٠ فى المائة يمثل ٥ر١ فى المائة من مجموع الدخول ، ثم انخفض فى ١٩٦٩ الى ٨ر٤ فى المائة .**

وفى الناحية المقابلة كان ٢٠ فى المائة من الاجراء الاكثر حظا ، يحصلون على ٣٨ فى المائة من اجمالى الدخول فى ١٩٥٥ ، وعلى ٧ر٤٢ فى المائة فى ١٩٦٩ .

ويضيف بن بورا « ان الاحصائين الاخيرين ، يوضحان الحقيقة التى اضطرت الحكومة حاليا للاعتراف بها ، وهى ان الفقراء فى اسرائيل يصبحون أكثر فقرا بصورة متزايدة ،والأغنياء يصبحون أكثر غنى بصورة مضطردة . ان قطعة الجاتوه التى ينالها البعض تقل ، فى حين يتزايد نصيب البعض بصورة مضطردة » .

والواقع ان لحظة الصدق القصيرة هذه قد ظهرت فى « لارش » فى الوقت الذى كانت فيه مظاهرات الشباب الاسرائيلى من يهود السفارديم (من آسيا ، وافريقيا ، واليونان ، واسبانيا ، وتركيا) ثائرة تجوب شوارع القدس وتل ابيب . كما كان انفجار « الفهود السوداء » ، قد كشف للعالم حقيقة لم يكف الحزب الشيوعى الاسرائيلى عن شجبها : وهى التفرقة الاجتماعية ضد مجتمع اليهود السفارديم الذى يمثل ٥٢ فى المائة من مجموع سكان اسرائيل . وهؤلاء هم اليهود « السود » كما يسمونهم فى اسرائيل ، وهذه الصفة الدالة على الاحتقار ، تفسر اسم الحركة .

كما انكشف القناع بنفس الضربة عن « **الاشتراكية الاسرائيلية » التى استخدمت كتبرير للهجوم على ناصر فى اكتوبر ١٩٥٦ ، وفى يونيو ١٩٦٧ .**

وقد أوضح **الدكتور اسرائيل كاتز مدير معهد** التأمين القومى : « **ان الجزر البائسة للدخول التى تقل عن المستوى الادنى .. كثيرة للغاية حتى أن شخصا من كل ثلاثة اشخاص كبار يعانى من ضائقة مالية » . وذكر أيضا أن الاسر الكبيرة العدد ، تمثل ٢٧ فى المائة من السكان . وأوضح** أوجه عدم المساواة « غير المادية » التى تسود فى مجال الصحة والتعليم (جيروزاليم بوست ، ٢٢-٦-١٩٧١)

وفى **بداية ١٩٧١ نشر المعهد القومى للتأمين** دراسة توضح أن ١٣٢٠٠٠ أسرة حضرية ، تضم ٥٢٠٠٠٠ شخص ، أى اسرائيلى من كل ستة ، أو أسرة من كل ٤ أسر فى المدن ، تعيش بدخل يعادل مستوى الفقر أو يقل عنه .

وفى **السنوات** التى أعقبت هذه الاحصائيات ، اتسعت الهوة بين الاغنياء والفقراء ، بين ذوى الامتيازات والعمال .

وتؤكد **الاحصائيات الرسمية عن ١٩٧٢** أيضا ، أن تفرقة فعلية تمارس بين العمال حسب أصولهم ، فقد بلغ متوسط دخل أسرة المستخدمين فى الحضر فى هذه السنة ١٤٤٠٠ ليرة بالنسبة لمن كانوا من أصل عربى ، و ١٠٧٠٠ ليرة لمن كانوا من أصل شرقى ، و ٨٦٠٠ ليرة بالنسبة للجماعات غير اليهودية (جيروزاليم بوست ، ١٣-١٢-١٩٧٢)

أى العرب الاسرائيليين ». وهكذا فان الاستغلال قد بلغ حدودا كبيرة يتضح بسهولة أن الحكومة وأرباب الاعمال هما السبب ، كما أنهما يمارسان سياسة التفرقة ، والابتزاز ضد العمال حسب ما اذا كانوا لابوين مولودين فى افريقيا أو فى أوربا ».

ويجب أن نبرز بصفة خاصة أن العمال العرب الاسرائيليين (١٣ فى المائة من السكان ، ٤٠ فى المائة منهم يعملون فى البناء ، ١ فى المائة منهم فى الجامعة) فى أدنى الهرم الاجتماعى ، وأن التفرقة تسحقهم أكثر من غيرهم .

أن ثمار الحرب مريرة بالنسبة للعمال الاسرائيليين

أن تصاعد سخط العمال وقرب انتخابات قيادة النقابات والجمعية الوطنية (فى خريف ١٩٧٣) قد دفع بعض قادة حزب العمال الى الاعتراف ببعض الوقائع :

« ان مجتمعنا الحالى هو مجتمع رأسمالى حقا . وقبل هذا المجتمع الذى يوجد فيه ذلك الفرق الكبير بين الميسورين والفقراء ، يتناقض مع مبادىء حزب العمال . ويبرهن الاحتكار الذى تمارسه شركة « الصفوة » (مصانع حلويات حدث فيها اضراب طويل للغاية فى ١٩٧٢) على أنه فى مقدور أسرتين أو ثلاث أسر أن تجمع الملايين ، وعلى الرغم من الصعوبات ، تستفيد حركة الكيبوتز من هذا التيار ومن الحياة الرغدة ، وبدلا من أن تبنى مشاريعها الخاصة ، تأخذ هى أيضا فى بحث الاستثمارات فى البورصة وامتلاك الاسهم .

ومن وراء هذا الطابع المقدس للفانتوم ولتوطين المهاجرين ، يجنى البعض ثرواته بطريقة ماهرة ، بالاستيلاء على جزء من الموارد التى كانت مخصصة لمستوى معيشة ليس مرتفعا على الاطلاق .

ومن جراء مصادرة بعض الافراد واستحواذهم دون حق على جزء من مخصصات القطاع العام ، نعيش فى ظل اشتراكية معكوسة ومقلوبة ، اى اشتراكية الجميع فيها فى خدمة عدة أفراد وليس العكس . ولابد من ايقاف هذه العملية التى تعرض وجودنا للخطر » (هارآتز ٨-٣-٧٣)

وقبل أن يعين رئيسا لدولة اسرائيل ، كان للبروفسور كاتشالسكى (والذى أصبح يدعى كاتزيرمنذ تعيينه) حديث يزيل الغشاوة والضلالة ، قال فيه :

« ان الوقائع تدفعنا الى القيام بكثير من الاشياء التى ما كنا لنقوم بها فى ظروف أخرى . فمثلا نصف ميزانية اسرائيل مخصصة للامن ، كما أن نصف العلماء والمهندسين قد جندوا للعمل من أجل الدفاع . وتلك تطورات لم تكن قد تنبأنا بها قبل اقامة الدولة .. ومنذ سنوات كثيرة وحزب العمال يحكمنا ، ولدينا نظام يفترض أنه نظام اشتراكى وأنا أحس بأننا ننزلق نحو نظام رأسمالى ، وهذا لن يكون نظاما رأسماليا عاديا ، بل سيكون من أسوأ الانواع التى يمكن تصورها » .

وفى مثل هذه الظروف ندرك جيدا أسباب تعدد الاضرابات وتكاثرها على الرغم من مناشدات ونداءات الحكومة والهستدروت ، ورغم اتفاقيات تجميد الاجور والاسعار التى تعقد مع أرباب الاعمال ، ورغم القمع . ففى ١٩٤٩ حدث ١٤٤ صداما هاما ، وحدث ١٦٣ فى ١٩٧٠ و١٧١ فى ١٩٧١ . وخلال هذه السنة الاخيرة ، لم يوافق الاتحاد النقابى على ٥٦ فى المائة من الصدامات ، الامر الذى يعنى أن المضربين لم يترددوا فى ان يحرموا أنفسهم من مساعداته المالية (صندوق الاضراب) والسياسية (المساعدة والتأييد ضد القضايا والدعاوى التى تقيمها الحكومة) .

ان اسرائيل بلد رأسمالى ، له سماته الخاصة لا يغير من ذلك شيئا ، ان جانبا هاما من القطاع الصناعى موجود فى يد الدولة . كذلك فان الحركة التى تسعى الى اتاحة الفرصة للرأسماليين الاسرائيليين والاجانب للمشاركة فى القطاع العام ، قد تزايدت سرعتها وحدتها منذ الحرب .

والواقع أن ادارة المشروعات تتم وفقا لمصالح البنوك الكبيرة المحلية والاجنبية ، أو المؤسسات التى تستثمر اموالها فى اسرائيل . كما ان الكيبوتزات نفسها ، لكى تتخلص من ديونها قد انغمست فى استغلال العمال بانشاء مشروعات صغيرة ، خاصة فى مجال الالكترونيات ، التى تحصل منها على أعلى الارباح الناتجة من عملها فى سباق التسلح .

وتنبع الهزات التى تعرض لها الاقتصاد الاسرائيلى ، والتى سيتعرض لها ، من عجز هذا المجتمع غير الرأسمالى عن تقديم حل لوجود الدواء والامراض التى تعانى منها البلاد .

وقد اخفت حرب الايام الستة « القصيرة والسعيدة » ونشوة النصر هذا الجانب من الصورة لبعض الوقت . ولنتذكر انه فى ١٩٦٦ كان فى اسرائيل ١٠٠٠٠٠ عاطل (أى ما يزيد عن ١٠ فى المائة من السكان العاملين) كما زادت الهجرة منها عن الهجرة اليها لاول مرة منذ ١٩٤٨ .

كذلك فان اسرائيل تواجه أزمة مساكن خطيرة فلقد تكون اتحاد للأزواج الشبان لمواجهة صعوبة العثور على شقة رخيصة . واقتحموا المساكن الجديدة التى كانت الحكومة تحتفظ بها للمهاجرين من أصل اوربى واحتلوها عنوة .

وهكذا ووجه القادمون الجدد بالكراهية والحقد بسبب الامتيازات الممنوحة لهم (الشقق ، والقروض ، والاعفاء من الجمارك على المنتجات المستوردة ، والاعفاء من الضرائب) ووجهت جولدا مائير نداء لهم تطيب فيه خاطرهم حتى لا يشعرو « بالبرد فى عز الحر الشديد » بسبب سوء استقبالهم .

ان العنف الذى قام الاستيطان والاستعمار على اساسه ، قد انتقل الى نشاطات واعمال المجموعات الفاشية . اذ يرتدى أعضاء رابطة الدفاع اليهودية التابعة للحاخام ماير كاهان زيا شبه عسكرى ، ويهاجمون مظاهرات الديمقراطيين . كما تبعث منظمة « دوف » . وهى منظمة « قمع الخونة » تهديداتها بالموت الى الشيوعيين والشخصيات التقدمية ولا يوقع عليها اى عقاب بسبب هذا . وقد تراجع ابا ايبان وزير الخارجية أمام تهديد وابتزاز « دوف » بعد ان أعلن أن اسرائيل تستطيع ان تعيد للبلدان العربية جزءا صغيرا من الاراضى المحتلة .

وقد لوحظ ان رئيس رابطة الدفاع اليهودية ، يتعاون مع المافيا ومع وكالة المخابرات المركزية فى الولايات المتحدة ، وان العقل المالى للمافيا ، مائير لانسكى ، يدفع مبالغ ضخمة لحزب دينى ، هو حزب أجودات اسرائيل . كما لوحظ ان الجريمة تزيد بمعدلات تدعو للقلق . وكتبت جيروزاليم بوست (١٣ ـ ٣ ـ٧٣) تقول « لقد تحولنا من مجتمع لم تكن الابواب تقفل فيه قط ، الى أمة من لصوص البنوك » .

وهناك علامة أخرى على روح العصر ، تتمثل فيما حدث لقريتى اقرت وبرعم وما نتج عنه من اضطرابات .

ففى يوليو ١٩٧٢ شهدت القدس واحدة من أعنف المظاهرات المعادية للحكومة فى تاريخ البلاد . وكانت تتعلق بمشكلة حساسه بصورة خاصة : وهى اجلاء السكان العرب من قريتين اسرائيليين ، قريبتين من حدود لبنان فى ١٩٤٨ .

وتذكر دير ياسين عادة كمثال على المذابح التى لحقت بالرجال والنساء والاطفال ، والتى ارتكبتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ مجموعة ارجون الارهابية التى كان يقودها حينذاك مناحم بيجن الرئيس الحالى لحزب حيروت . وقد صورت الدعاية الاسرائيلية هذه الجريمة على أنها حادث من عمل مجموعة صغيرة ، قررت أن تطرد الفلسطينيين بكل الطرق من فلسطين .

ولكن الطرد كان فى الواقع سياسة عامة ومتعمدة . وقدمت قريتى اقرت وبرعم دليلا اضافيا على ذلك .

ويبلغ عدد سكان القرية الاولى ٧٠٠ نسمة وسكان القرية الثانية ١٠٠٠ نسمة ، وهم جميعا من العرب المسيحيين التابعين للكنيسة اليونانية الكاثوليكية . وعندما وصل اليها الجيش الاسرائيلى دون أن يخوض أى معركة فى أكتوبر ١٩٤٨ ، استقبله السكان بلا حقد أو كراهية .
وأعلنت دولة اسرائيل .

ومع ذلك ففى الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ، أصدرت القيادة الاسرائيلية للمنطقة أمرا بالاجلاء ، « لاسباب تتعلق بالامن » . وطلب من السكان الرحيل لبضعة اسابيع فقط . ولكن مع مرور الاسابيع ، كان كل طلب يتقدمون به للعودة الى قريتهم ، يقابل بالرفض ، ودخل سكان اقرت وبرعم فى مفاوضات ، ولجأوا الى المحكمة العليا ووزير الحربية والهيئة المكلفة بالاراضى المهجورة . وأصدرت المحكمة العليا فى ٣١ يوليو ١٩٥٠ حكما قالت فيه أنه ليست هناك « عقبة قانونية » فى سبيل رجوعهم ولكن الجيش رفض .

وقدموا مظلمة جديدة للسلطات القضائية ولكن قبل الموعد المحدد لجلسة المحكمة العليا فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥٢ ، بشهر ونصف شهر نسفت منازل أقرت وبرعم بالديناميت ، عشية عيد الميلاد .

بل وأجبر الجيش عمدة القرية على أن يشاهد هذا المنظر من أعلى تل مجاور .

وفى سبتمبر ١٩٥٣ ، تمت عمليات تدمير جديدة اشترك فيها الطيران ، ولم يتركوا سوى كنائس ومدافن القريتين . ومع ذلك لم يصرح للسكان بالتردد عليها فى أى من جنازاتهم .

وبمضى الوقت ، سلمت أراضى وحقول أهل برعم التى استولت عليها الحكومة الاسرائيلية باعتبارها « ممتلكات مهجورة ولا صاحب لها » الى كيبوتز برعم والى قرية دوفيف التعاونية (موشاف) والى غيرها من المستعمرات الاسرائيلية .

وفى يونيو ١٩٧٢ ، الغيت الاوامر العسكرية التى جعلت بعض المناطق « محرمة » وحينذاك توهم سكان أقرت وبرعم الذين « وطنوا » فى معظمهم فى جوش هالاف و « عوضوا » عن الارض المسروقة ، أن هناك أملا فى عودتهم ، ولكن السلطات

رفضت التصريح لهم بذلك ، وصدر قرار منع وتحريم جديد من وزير الدفاع ، الجنرال ديان .

وحينذاك قرر سكان القريتين أن يحتلوا الانقاض . وقامت مظاهرة للتضامن معهم ضمت آلاف الاسرائيليين اليهود والعرب . وفي ٧ أغسطس طرد رجال الشرطة وحرس الحدود (البيريهات الخضراء) الذين اشتهروا في غزة ، الرجال والنساء والاطفال بقسوة ووحشية من مسقط راسهم مرة أخرى . ومنذ أول يناير ١٩٧٣ ، اعلنت الحكومة الاسرائيلية أن أقرت وبرعم ، قد أصبحتا من جديد « منطقة محرمة » .

ووفق هذا المرسوم ليس لاحد الحق في أن يسكن هناك ، أو حتى أن يمضي الليل دون تصريح خاص . واثيرت القضية في اجتماع غير عادي للجنة المركزية لحزب العمال في أغسطس ١٩٧٢ . ورفضت جولدا مائير بعنف وقسوة النقد الذي قدم حول هذا ، وتعللت باستمرار الصراع الاسرائيلي العربي وأكدت أن البلاد المجاورة رفضت السلام . السلام الذي تريد اسرائيل فرضه عليها .

واضافت : « انهم يقولون : اننا نريد المنازل فحسب . ولكن ماذا عن الحقول ؟ لا أعتقد أن كيبوتز برعم يمكن أن يعيش هناك معهم .. ولكن الامر الاكثر اثارة للدهشة هو أن نرى عددا كبيرا منا يتجاهل ببساطة مصالح اليهود الذين استقروا في السنوات الاخيرة على الحدود اللبنانية . اني أحذركم من أننا اذا أرجعنا العجلة الى الوراء ، فان هذا لن تكون له نهاية . أنا أدرك مدى المهم ، ولكننا نحن رأينا مسلاكنا .. » (جيروزاليم بوست ، ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٧٢) .

وبنفس هذه الحجج يبرر القادة الاسرائيليون عمليات الاستعمار وطرد الفلسطينيين ، ويرفضون عودة هؤلاء الاخيرين الى أسرهم .

وربما كان الجدل حول موضوع أقرت وبرعم قد بدأ فحسب . فقد رد البروفسور عمنون روبنشتين عميد كلية الحقوق بجامعة تل أبيب على جولدا مائير . وأدان في مقال له بعنوان « الخطيئة والجريمة » ، اللجوء الى قوانين الطوارىء البريطانية واستخدامها ضد « المواطنين العرب المسالمين في اسرائيل » . وذكر بتصريح الجنرال بارليف الذي كان حينذاك رئيسا للاركان ، والذي قال فيه « لو كنا سمحنا لهؤلاء القرويين بالعودة الى مسقط رأسهم ، لما كانت بنا حاجة الى اضافة جندي واحد لحراسة المنطقة » .

وقال البروفسور ان ترديد كلمة الامن ، بيتاهون بالعبرية ، «تشل خلايا المخ ، وتثير في غالبية أعضاء البرلمان بصفة خاصة موافقة وقبولا آليا » .. وأبرز دلالة القرار الحكومي بقوله « حتى اللجوء الى المحكمة العليا لن يجدي في شيء ، لان هذه قد أغلقت أبوابها منذ اللحظة التي نطقوا فيها بكلمة بيتاهون » .

انه يثير الجدل حول احدى المحرمات الصهيونية . لقد ارتكبت الجريمة في أقرت وبرعم في زمن السلم . كما أن القريتين لم تكونا تمثلان في ١٩٤٨ ولا في ١٩٥٢ عندما تم النسف ولا في ١٩٧٢ ، أي تهديد لامن اسرائيل .

ويكتشف الاسرائيليون ان قادتهم قد قاموا انطلاقا من الاوضاع القائمة من هذا النوع ، بطرد السكان العرب من فلسطين ، وأن هذه السياسة مستمرة في الاراضي المحتلة ، باسم ما يدعيه بنحاس « التهويد » .

وترى جولدا مائير في الاحتجاجات التي تثور ضد هذا « الخطر الحقيقي » على المجتمع الاسرائيلي (جيروزاليم بوست ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢) .

وهي ترى أن ذلك يعني اثارة للجدل حول « الحق المعنوي والاخلاقي لليهود في الوجود هنا » ، وحول حق وجود اسرائيل ذاته .

وهي ترى في ذلك ، ولها الحق في ذلك ، « تآكل العقيدة الصهيونية » ، وهذا ما أكدته في لقائها مع الكتاب الذين احتجوا على السياسة الحكومية في قضية أقرت وبرعم (جيروزاليم بوست ، ٨ ـ ٨ ـ ١٩٧٢) .

ولكن ماذا عن وجود أقرت وبرعم ؟ هل يتعين فرض حق الشعب الاسرائيلي في أن تكون له دولته على حساب شعب فلسطين الاخر ؟

ان رد القادة واضح وصريح على هذا . لقد قال الجنرال ديان « لقد أتينا الى بلد مأهولة وبنينا فيها دولة يهودية . وحكم علينا بأن نكون دولة في حالة حرب ونزاع دائم . اننا قلب مزروع في هذه المنطقة ، قلب ترفضه الاعضاء الاخرى » (خريطة جديدة ، علاقات جديدة) .

ومازال هؤلاء الذين يرفضون ذلك « الحرب والنزاع الدائم » أقلية ، ومع ذلك فان القادة الصهيونيين لا يطيقون وجودهم . فالتوسع لا يريد من يفضحه ويعريه . انه في حاجة الى الاعتماد على « حقه المعنوي » لكي يخدع الشعب الاسرائيلي ويضلله .

وفي الوقت نفسه يكتشف الاسرائيليون كيف أن التعصب والتطرف الاستعماري ، قد يلحق اضرارا جسيمة بصفوف شعبهم ، ويشيع فيه فساد الاخلاق .

ان السلاح الموجه ضد الشعوب العربية ، سلاح ذو حدين قاطعين .

وقد كتبت مزارعة شابة للجنرال ديان تقول : انه منذ حرب الايام الستة ، اضطر زوجها بسبب « توسع السوق » الى استخدام عمال عرب « والامور تسير من حسن الى احسن ، ونحن في طريقنا لكي نصبح أغنياء أكثر فأكثر ، ولكننا في الوقت نفسه نبيع روحنا . فليس هناك أي من أبنائي يريد أن يعمل . انهم يقولون لنا : فليذهب محمد أو علي ليبذروا الارض بدلا منا » .

وسألت الجنرال ديان « ما الذي سيصير اليه الوضع خلال ١٥ عاما ؟ » ، الذي كان يقرأ هذا الخطاب في اجتماع عام يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٢ « ان مزارعي القرى لم يعودوا يريدون استخدام طلاب المدارس في الاجازات الدراسية ، انهم يفضلون العرب الذين يتكلفون أقل .. لهذا يجب منع عرب الضفة الغربية من العمل في اسرائيل ، والا ستحل اللعنة بهذه البلاد » .

ويتفق هذا الخطاب مع شعور سائد في اسرائيل . ان ديان يرى انه يجب « العيش مع العرب » .. أي يجب فرض القانون الاسرائيلي عليهم . وهو ينصحهم « بالانضمام للنقابات » لكي يطالبوا بنفس أجور الاسرائيليين .

ونحن ندرك جيدا حقيقة هذا التضليل الذي يهدف الى تغطية وستر الاستمرار في الاستغلال المجزي للاراضي المحتلة .

والواقع ان الجنرال ديان ليس لديه ما يقترحه لانقاذ الاساطير الصهيونية القديمة عن « العمل اليهودي » وعن « العمل المخلص » ، الذي سيجعل من « الشعب اليهودي » مثلا وقدوة للعالم كله .

ان ذلك يعني « تآكلا في العقيدة الصهيونية »

وقد اعرب ابا ايبان عن قلقه في مؤتمر حزبه في ١٩٦٩ ، عندما تباكى على القيم بقوله « ان ما **أخافه وأخشاه قليلا ، هو انه في جو التوتر والعصبية الذي تثيره هذه الحرب ، قد تفقد اسرائيل بعض صفات الليبرالية والتسامح المميزة لها » . وأنا ارى مظاهر لهذا : فقد طالبت صحيفة بان تحرق كتب أحد المؤرخين الذي لم تعجبها أفكاره ، وطالبت صحيفة أخرى بأن تنصب المشانق للارهابيين . وليست هذه سوى مظاهر ، ولكنها تتطلب منا يقظة وحذرا . فلا يجب ان نفقد في ميزان الصراع القيم التي نحيا من أجلها » .**

ولكن وزير الخارجية لم يتعرض لجذور الداء والشر .

ان هذه الادواء والامراض نتاج طبيعي لما يسمى بالاوضاع القائمة **للتوسع الاستعماري** للاعتماد على واشنطن ، **للحروب وعمليات الاثراء** التي أعقبتها .

ان قادة اسرائيل الذين لا يريدون سوى الاعتراف بقانون القوة ، قد تسببوا **في نشوب** أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية **وايديولوجية** خطيرة في بلادهم . ولمواجهة **القلق والاضطراب ،** ينتهكون **الحريات الديمقراطية ويدوسونها** باقدامهم ،لقد تم تعديل **قانون الانتخابات لمنع تمثيل** الاحزاب الصغيرة في البرلمان . **واصدرت قوانين** تحرم الاضراب ، **وحددت اقامة عشرات من** الديمقراطيين والشيوعيين **والمستشارين في** المجالس البلدية والمناضلين النقابيين **والمعلمين** والكتاب بصفة دائمة **بسبب « جرائم »** الرأي .. وهم في معظمهم من مواطني المنطقة الثالثة ، أي العرب الاسرائيليين .

وترى الجنرالات يحتلون اماكن هامة أكثر فأكثر في هيئة أركان حزب العمال وفي حزب جحل الذي يقوده مناحم بيجن ، وعلى رأس مجالس ادارة الشركات الاسرائيلية الكبيرة . وقد اعترض على ذلك ابراهام اوفير النائب العمالي بقوله « هناك شعور سائد بأنه لكي يصبح الانسان وزيرا منذ الان فصاعدا ، عليه ان يكون جنرالا » .

وليس الشيوعيين فقط هم الذين يقولون ذلك ، ففي كتاب بعنوان « **المجتمع الاسرائيلي في أزمة** » يعارض **دوف بن مائير سكرتير تنظيم تل ابيب** لحزب العمال ، سيطرة « **مؤسسة » الدفاع** (أي ديان وهيئة الاركان) **على الوزارة** .

ومن جانب فان الولاية ٥١ تنحاز الى السياسة الامريكية لدرجة أنها **أقامت علاقات دبلوماسية مع نظام ثيو** في الوقت الذي كان فيه نيكسون **يطلق** قاذفاته من طراز ب ٥٢ **على شعب فيتنام . وقد** كتبت دافار وهي **الجريدة الرسمية حول هذا** الموضوع تقول « **ان اقامة علاقات مع سايجون ستدعم وتقوي وجود اسرائيل في القارة** » (١٤ نوفمبر ١٩٧٢) .

وصرح تران فان لام وزير خارجية سايجون لمعاريف : « **اننا نريد ان نتعلم منكم بصفة خاصة** ذلك التصميم والحزم الذي ابديتموه **في معرككم** للبقاء » . **واعرب عن آمله في أن يرى تل ابيب تساند هذا الدكتاتور بأن تتبادل مع سايجون المعلومات في الخبرات العسكرية ، وان تساعدها في تنفيذ المشاريع لمواجهة مختلف المشاكل الاقتصادية** (١٩ ديسمبر ١٩٧٢) .

وأكد جيل كيساري مراسل معاريف أن **سايجون**

مهتمة بالنصائح « التاكتيكية » (الاستراتيجية تحددها واشنطن) مثلا بطريقة استغلال الكيبوتزات العسكرية . وصرح المتحدث باسم سايجون للصحفي الاسرائيلي بقوله « ربما يتعين على جنوب فيتنام ان تواصل الحرب بنفسها كما قال الرئيس ثيو » . واختتم جيل كيسارى كلامه بقوله « ان فكرة مساعدة سايجون بالخبرة الاسرائيلية ، لا تعلمها واشنطن فحسب ، بل تشجع عليها » (*)

الم يفاخر الجنرال رابين الرئيس السابق لاركان حرب اسرائيل ، بأنهم يقومون بالعمل بطريقة افضل من ثيو . وقال في ذلك «انظروا الى الجلد والمثابرة اللذان أبداهما الرئيس ثيو فيجنوب فيتنام . ولكنهم في واشنطن يقدرون نظام ثيو بأقل مما يقدرون اسرائيل . ان تصميمنا ومثابرتنا ، هما أهم عامل في تقرير مستقبل الشرق الأوسط » (يونيتدبرس انترناشونال ، ٢٤ ـ ١١ ـ ١٩٧٢) .

ان حكام اسرائيل يدعون مواطنيهم الى التضحية بحرياتهم ليقوموا بدور حارس وحامى الامبريالية الامريكية (*)

ويؤكد الجنرال ديان « اذا كان على ان اختار بين ما تعطيه لنا الولايات المتحدة من المعونة التى تقدمها لنا ، وما تبيعه لنا في المجال الاقتصادى والعسكرى والسياسى ، والذى يحتم بالتالى نكون مرتبطين للغاية وخاضعين للغاية لرغباتها وارادتها ، وبين وضع نكون فيه أحرارا كالعصفور ، على الا تعطينا الولايات المتحدة شيئا ، فانى افضل خضوعنا الذى يمنحنا في الواقع مزيدا من الحريات أكثر من الاوهام التى تخلق لنا في الواقع حالة من العبودية » (*)

« والواقع اننا في الوضع الراهن لم نقبل خطة روجرز ، ولم نتراجع سنتيمترا واحدا ، علما أن وضعنا سيكون ميئوسا منه ، دون السلاح ودون المساعدات السياسية والاقتصادية ، والنتيجة المترتبة على هذا اننا لن نستطيع ان نكمل ما نفعله ... »

واضاف ديان : « بعبارة أخرى ، ان دولة ليست بقوة أو قدرة الولايات المتحدة ، أو الاتحاد السوفيتى (وحتى هذين ليسا احرارا كلية في هذا العالم) لابد ان تسعى للحصول على مزيد من التعاطف ومن المساعدة ، حتى لو كان ذلك سيؤدى الى تعرضها لضربات الاخرين » (جيروزاليم بوست في ١٢ يونيو ١٩٧٢ ، تقرير ماير فلنر الى المؤتمر ١٧ للحزب الشيوعى الاسرائيلى ، ص ٣٩) .

لقد اختار ديان الفانتوم والخضوع الكامل . وفى أول مارس ١٩٧٣ قالت جولدا مائير لنيكسون «اننا لا نريد أولادكم الى جانبنا ، اعطونا الادوات وسنقوم نحن بالعمل » (لموند ، ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٧٣) .

ولجعل مواطنيهم يقبلون هذه التبعية والتضحيات التى تقتضيها ، يزعم القادة الصهيونيون انه ليس للاسرائيليين خيار . وهم يعبرون عن ذلك بالعبرية بقولهم « أين بريرا » ان كل اليهود ، مستغلين ومستغلين على نفس الجانب من الحدود ، جانب نيكسون ضد شعوب الهند الصينية أو الشعوب العربية ، وهذا بسبب المعتقدات الدينية التى قامت الصهيونية على أساس منها . لقد جاءت الايديولوجية الرجعية لتبرر الشروتدعمه .

وهكذا تم الابقاء على الشعب الاسرائيلى في « حالة حرب دائمة » ضد جيرانه العرب .

وباستعارة عبارات اناتول فرانس ، يمكن ان نؤكد انه في اسرائيليعتقدون انهم يموتون من أجل الوطن ومن أجل أمنه وسلامته ، ولكنهم في الواقع يموتون في سبيل تجار البترول وفى سبيل واضعى استراتيجيات البنتاجون .

ان الازمة التى نجمت عن حرب الايام الستة ، تبين وتؤكد ان الحرية والديمقراطية لا تنفصلان ، وأن الحرب ضد الشعوب العربية ، هى أيضا حرب ضد شعب اسرائيل نفسه .

رؤيـــة من موســــكو
عمـــا يجـــرى فى العــالم
من تحـــول

الوصول الى عتبة عصر يبتعد فيه شـبح الحرب .. ويرسى أسس « التعايش السلمى » .. ربما يسـتثير لـدى الاتحـاد السـوفيتى شـعورا مشروعا بالثقة والاعتزاز .. لما تم انجازه .. ومـا ينبىء به المسـتقبل من آفاق واسـعة للحركة .. ولكنه يحمل ايضـا مشـاكل ومشاغل التكيف لوضـع جديد تماما .. نوعية هذه المشاغل . أمكن لمحمد سيد أحمد التقـاط التعبير عنها فى صور مختلفة .. فى رحلة استطلاعية قام بها الى العاصمة السوفيتية .

محمـــد ســيد أحمد

موسكو، بشوارعها الواسعة ونبضها الهادىء والخضرة المنتشرة فى كل مكان ، مخططة على نحو يوحى بأنها مدينة مؤمنة ضـد التلوث .. ولكن قضية التلوث تشغل العلماء السوفيت تماما كما تشغل علماء الغر ب .. وربما كنا نحن فقط «فى العالم النامى» غير مدركين لحقيقة ماتنطوى عليـه من اخطـار .

« منذ أيام فقط ، انفجر وباء **الكوليرا** فى نابلى وثبت أن السبب يعود الى أكل محار مسـمومة بسبب ارتفاع نسبة تلوث مياه البحر .. ان جميع البحار بما فى ذلك البحر المتوسط الذى تطلون على شواطئه فى مصر . اصبحت معرضة لهـذا الخطر .. وقـد يكون للنظم الاجتماعية حـدود جغرافية . وقد تكون الدول الراسمالية وحدها هى التى توطن شركات كبرى ، تعجز حكوماتها عن أن تفرض على نشاطاتها الصناعية القيـود الضرورية للحيلولة دون تلوث البيئة . الا أن البيئة الملوثة لا تعرف الحدود ، والبشرية بأسرها مهددة لمجرد وجود مصدر واحد للتلويث الحاد ـ بصوره الحديثة ـ فى أية بقعة من كوكبنا .

« خذ على سبيل المثال أخطار **تلويث الجو** . ان اغلب اشكال الوقود المعاصر يقوم على احتراق مواد كربونية ، تنبعث منها عوادم غازية تستقر فى طبقات الجو العليا ، وتنشىء ظـاهرة تعرف « **بأثر البيت الساخن** » HOT-HOUSE EFFECT ومن شأن هذه الظاهرة **تسخين المحيط الجوى كله** وقد لا تصل الحالة الى درجة الحرارة المرتفعة التى تحيط بكوكب الزهرة ، ولكن تنطوى هـذه الظاهرة على أثر أكيد **فى الحاق الضرر البالـغ بالحياة النباتية والحياة الحيوانية** على اتسـاع كوكبنا كلـه » .

هكذا حدثنى **جيميرين** ، النـائب الاول لرئيس اللجنة الحكومية للعلم والتكنيك التابعة لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتى ، وهو يجيب على سؤالى « **هل الانفراج الدولى الراهن، هو تلبية «للضرورة» أم تحول فى العلاقـات الدولية ، كان يمـكن أن**

يحدث الآن .. أو بعد عقدين من الزمان .. دون أثر جوهري يمس صميم الحياة فوق كوكبنا ؟ »

والواقع ان الحاجة الى الانفراج الدولي ، والى التعايش السلمى ، كثيرا ما نرجعها فقط الى ضرورة تجنب « **البديل** » ، اى خطر **الحرب النووية الشاملة** ، ولا نلتفت بشكل كاف الى ضرورات تعايش الدول سلميا **لتجنب اخطار نشأت حتى فى ظل سيادة مناخ السلام .**

صحيح ان « صناعات الحرب الشاملة » فى ظل « استحالة الحرب الشاملة » بدأت تتعرض حتى فى الدول الرأسمالية المتطورة لمأزق ، ولم تعد تبدو حتى « مربحة » من وجهة نظر مصالح الاحتكارات الكبرى المنتجة للسلاح ، ذلك « أن كل جيل من اجيال الاسلحة المتفوقة » على حد قول أرباتوف « تزداد حياتها قصرا ، وترتفع نفقاتها على شكل متوالية هندسية » . فلقد ارتفعت تكلفة انتاج الغواصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ٤٠ مرة ، وحاملة الطائرات ١٠ مرات ، وقاذفة القنابل الاستراتيجية ٣٦ مرة ، والمقاتلة ١٣٠ مرة .. « وهذا الارتفاع المذهل فى سعر السلاح هو الذى انضج الظروف لتجلس الدول الرأسمالية وتناقش قضية وضع حد لسباق التسلح ، والضمانات لتجنب المواجهة النووية الشاملة » ..

الا ان موسكو فى نظرتها للمستقبل لم تعد تقصرها على شواهد عن افلاس الروادع السلبية فقط ، بل تبحث عن طرق تنشيط الحوافز الايجابية فى دعم التعاون الدولى أيضا .

قال لى الاكاديمى **أرباتوف** ، وهو رئيس معهد دراسات الولايات المتحدة باكاديمية العلوم السوفيتية : « نحن نعتز ان لنا فى الاتحاد السوفيتى ربع علماء العالم ، ولكن هذه احدى طرق النظر الى المشكلة . الطريقة الاخرى أن نقول : هناك يعمل خارج الاتحاد السوفيتى ثلاثة ارباع علماء العالم . لماذا لانوحد جهودنا وأبحاثنا؟ .. ان طرق البحث العلمى لاتختلف — فى مجال العلوم الطبيعية — مع اختلاف العقائد الاجتماعية والايديولوجية السياسية » .

والواقع أن مجالات « توحيد جهود العلماء » فى ظل انجازات ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية ، تتسع آفاقها كل يوم . بل تتعدد المجالات التى لاتحتمل غير أن تتضافر فيها الجهود العلمية . يقول جيميرين : « من غير المتصور تدارك آثار الاعاصير والعواصف التى كثيرا ما تحدث بطريقة فجائية ، وأسبابها غير معروفة بعد ، دون تبادل معلومات مراكز الابحاث على نطاق العالم كله . ومجال **الارصاد الجوية** هو مجال يجرى فيه الان تعاون سوفيتى امريكى بمساعدة الكواكب الصناعية .كما ابرمت اتفاقات للتعاون فى مجال اكتشاف سر **السرطان** وفى **مجال جغرافية المحيطات** ، لتوسيع نطاق موارد الغذاء ، والاستفادة من المواد المعدنية المستقرة فى قاع البحار » .

« وهذه بعض الامثلة فقط . ولكنها تفسح **المجال لاستثمار مشترك لجهود العلماء فى اكثر فروع العلم تطورا ، وصولا الى طفرات جديدة فى رفع انتاجية العمل ، وخفض نفقات الانتاج** ، كتوليد الكهرباء مباشرة دون حاجة الى قطع متحركة بالمغناطيسية الايدروديناميكية ، أو كدراسة الظواهر البيولوجية والكيماوية التى تكتسب خواص مختلفة فى مجال انعدام الوزن عن تلك المعروفة عنها فوق سطح الارض ، أو كاستثمار الفضاء لالصاق المعادن دون حاجة الى لحام .. **أن هذه الابحاث الباهظة التكلفة ليس لاحد مصلحة فى أن يجريها منفردا** ويتعرض لاحتمال **تكرار نفس التجارب** ، فقط بسبب العوازل التى طالما حالت دون تعاون العلماء » .

أزمة الطاقة

■ **سألت : فى ظل ما ينبىء به الانفراج الدولى من آفاق لتنشيط التقدم العلمى ، ما حكمكم فيما يقال فى الغرب عن « أزمة طاقة » تهدد فى الصميم المجتمعات الغربية بعد عدد من السنوات ؟**

□ جاءتنى الاجابة على هذا السؤال من خبراء **معهد الاقتصاد العالمى** فى موسكو ، وبعض **معاهد البترول والطاقة** على النحو التالى :

« أزمة طاقة » كما تتصورونها احيانا ، وكما تصفها الصحافة الغربية ، مسألة نعتقد أنها **مبالغ فيها كثيرا** . وهى لا تصلح فى نظرنا بديلا عن حشد طاقاتكم البشرية لرد ما يواجهكم من تحديات امبريالية او صهيونية ..

« **قد** تتعرض أمريكا والدول الغربية **لنقص فى موارد الطاقة فى الثمانينات أو التسعينات ، ذلك بفرض عدم اكتشاف مصادر جديدة للطاقة حتى ذلك الوقت** .. الا انه ينبغى علينا ان ندرك أن أمريكا كلما لمست تخلفها فى أحد مجالات التفوق العلمى ، وكان الامر لها حيويا ، وركزت جهودها **نجحت دائما فى اجتياز العقبة فى أمد غير طويل** ولها فى هذا الصدد امكانيات اقتصادية وادارية ومالية هائلة .. ثبت ذلك اثر اكتشافها انها متخلفة فى مجال الصواريخ ، بعد ان سبقها الاتحاد السوفيتى باطلاق اول **سبوتنيك** الى الفضاء . **واليوم قررت أن تخصص عشرة آلاف مليون دولار للبحث عن مصادر جديدة للطاقة [أى نصف المبلغ الذى تخصصه لبرنامج « نازا » للفضاء] وهى بصدد أن تبذل فى هذا المجال جهودا خارقة فى اتجاهات متعددة** ، فى مجال التركيب الحرارى النووى ، وفى مجال استثمار الفحم والزيت الحجرى ، وفى مد انابيب **بترول** من الاسكا ، وفى تفجير قنابل ذرية **تحت الارض** لزيادة انتاجية آبار البترول العميقة . **واصبحت**

امريكا تلتفت الى « غاز المدن » الذى يلبى من ١٥٪ الى ٢٠٪ من احتياجات أوروبا الى مصادر طاقة وهو عبارة عن غاز مستخلص من العوادم . كما يجرى الحديث الان عن تصميم سيارات تسير بالكهرباء ، وتمثل السيارات ٣٠٪ من استهلاك البترول .. وعن توليد الكهرباء بطرق مستحدثة .. وعن استخدام التشريع للحد من تبديد استهلاك الطاقة المسخ ..

« وسبب هام من أسباب حفز الصحافة الامريكية على افتعال ضجة كبرى حول « أزمة الطاقة » ، هو **التغلب على كل مقاومة تشريعية أو اخرى** تعطل تخصيص الاموال الضرورية للتركيز على الابحاث المطلوبة ، وكذلك **ردع اية محاولات من قبل الدول المنتجة** لاستخدام سلاح البترول لاغراض سياسية .

« **ان المشكلة الحقيقية التى تواجه دول الغرب المستهلكة للبترول فى القريب العاجل تتلخص فى ارتفاع اسعار النفط الخام ، نتيجة جهود «الاوبك» فى انتهاك القانون الذى تحرص الاحتكارات الدولية على تطبيقه ، وهو الاحتفاظ بأسعار المواد الخام فى حدها الادنى** ، والامر هام لا لمجرد أنه يمس أسعار البترول ، وهو مصدر رئيسى للطاقة فى الوقت الراهن ، ولكن ايضا لانه يشكل سابقة « معدية » قد تؤثر فى أسعار مواد خام اخرى ذات اهمية حيوية للدول المتطورة ، وتنهبها الاحتكارات الدولية بأسعار بخسة من الدول النامية . ولذلك تبدى امريكا اهتماما لايمكن انكاره

« **ان اى ضغط بسلاح البترول ، لا يخطط له الا فى الامد الطويل ، لن يجدى اذن فى تحقيق اهدافه ، سواء كانت هذه الاهداف هى رد العدوان الاسرائيلى ، أو تنمية الدول العربية بشريا أو صناعيا .. ان الوقت المتاح لضغط فعال لايتجاوز خمسا الى عشر سنوات ، وبأساليب لاتقتصر على مجرد وقف زيادة الضخ** » .

التكنولوجيا والايديولوجية

■ **قلت : هذا الذى تقولونه عن الانفتاح العلمى والتكنولوجى على الغرب انما يفترض فى ظل المنافسة الاقتصادية السلمية ، وفى ظل سقوط حواجز كثيرة .. جسارة فى التصور ، وجسارة فى الاكتشاف ، وجسارة فى بحث وتمحيص وتقليب كل افتراض علمى جديد .. كيف توفقون بين ذلك ، وبين ضرورة الحذر والحرص فى مجال الايديولوجية ، تامينا لمجتمعكم وهى بصدد أن تفتح كل ابوابها ، من تسرب الايديولوجية البرجوازية ، ولها للتسرب مائة منفذ خلال نشيط التبادلات الثقافية ؟**

□ قال لى ، اجابة على هذا السؤال ، احد كبار الخبراء فى مجال البحث العلمى « ان الابحاث التكنولوجية اعرف كيف أطبق فيها مقاييس دقيقة تخضع للحساب ، ولا اعرف للايديولوجية مقاييس مماثلة » . الا ان قضية **الايديولوجية** ، وتأكيد ضوابطها و « مقاييسها » ، هى لا شك مسألة تشغل الحزب والمسئولين السوفييت ، بعد ما تم من انفتاح على الغرب ، وخاصة فى وقت اصبح لاحديث للصحافة الغربية فيه الا تصريحات العالم السوفيتى **ساخاروف** [عضو اكاديمية العلوم السوفيتية ، والملقب « بأبى القنبلة الهيدروجينية السوفيتية »] وتصريحات الكاتب **سولينتزين** [الحاصل على جائزة نوبل] الى المراسلين الاجانب فى موسكو . وكلاهما من مواقع ليست متطابقة تماما ، استنكرا « انصياع » الغرب الى « التعايش السلمى » مع الاتحاد السوفيتى ، فى وقت مازال يحجم فيه المجتمع السوفيتى عن اعطاء المواطن كامل حقوقه المدنية . ووصلت الامور بسخاروف الى **حد مخاطبة الكونجرس الامريكى لمطالبته بعدم اعطاء الاتحاد السوفيتى امتيازات « الدولة الاولى بالرعاية » ما لم يجر تغييرات جذرية فى هذا الصدد !**

وربما لا يحظى **سولينتزين** داخل المجتمع السوفيتى بالهالة التى نسجتها له هيئات الاعلام والدعاية فى الغرب ، لتعبيره فى مؤلفاته عن قيم فلسفية قليلة الاغراء فى نظر جمهرة الشعب العامل السوفيتى ، الا أنه معترف **لساخاروف** — لا شك — بمكانته الكبيرة كعالم فيزياء ورياضيات فذ ، وان كان يقال عنه ان استغراقه فى مشاغله العلمية حال دون اتقان تربيته السياسية [هذا القول فى ذاته يحمل معنى ان قصور النظرة السياسية قد يشمل اكثر من عالم واكثر من عامل فى حقل التكنولوجيا] كما يقال أن **ساخاروف** قد تعرض لهزة عاطفية حادة ، افقدته الاتزان فى بعض تصرفاته ، اثر وفاة زوجته منذ بضع سنوات .

ومع ذلك ، رأى أن يؤكد لى فى برافدا **يورى جوكوف** ، كبير المعلقين السوفيت ، والمتصدى عادة لادق القضايا الايديولوجية والسياسية :

« **اننا لا يمكن أن نقبل هدنة فى مجال الايديولوجية .** أكد **بريجنيف** هذا المعنى فى خطابه الهام فى الما أتا بعد عودته من أمريكا . أن هذا قد يعنى أحيانا التوتر مع الغرب ، ولكنه أمر لا مفر منه . أن التعايش السلمى قد فرض بالقوة ، ولم يكن نتيجة تنازلات . ولم يأت الا بعد ان فشلت سياسة « حافة الهاوية » التى اتبعها ضدنا دالاس ، وكل محاولات « احتوائنا » .. وحتى نظريات روستو عن « التقارب CONVERGENCE بين النظامين العالميين ، اصبحوا يغضون النظر عنها ، **ذلك انه فى الوقت الذى نحرص فيه على تأكيد صفتنا الاشتراكية، هم يتنصلون من صفتهم الرأسمالية** ، ويبتدعون كل يوم اسما جديدا لمجتمعهم : « مجتمع ما بعد الصناعة » تارة ، ومجتمع « التكنوترون » نسبة الى « التكنيك » و « الالكترون » تارة اخرى .. لقد اصبحوا حتى

يصفون أنفسهم بأنهم « اشتراكيون بالمشاركة » !

« لابد اذن أن تتكرر الزوابع .. مشكلة اليهود السوفييت مرة .. ثم مشكلة سخاروف وسولجينتزين الان .. وغدا سوف يفتعلون ضجة حول قضية أخرى مماثلة .. **اننا نرحب بصراع الافكار . نعتبره شيئا جادا ، وننظر اليه كأرقى واشرف اشكال الصراع . وهكذا نريد أن يكون الصراع الايديولوجي في ظل التعايش السلمي ، لا يصاحبه نشاط هدام ، او تدخل في شئوننا الداخلية .** كما نرفض دعاوى الصين ، أو دعاوى الفهود السوداء في أمريكا مثلا ، الداعية الى مباشرة حرب عصابات في المدن ضد سلطة البوليس، كأسلوب لممارسة الصراع الايديولوجي

وقد سلم لي مراسل « لوموند » في موسكو ، وكان سولجينتزين قد خصه بحديثه الى العالم الغربي ، بأن المتحدين علنا للسلطة السوفيتية ، بدعوى المطالبة باجتثاث سلبيات عهد ستالين ، هم حفنة ضئيلة فقط من الناس ، لا يتجاوز عددهم الخمسين . وان كان بينهم ابناء أوأحفاد شخصيات كان لها اسم أو دور مرموق في تاريخ الاتحاد السوفيتي . أن الامر الاهم في نظره ، هو قضية العاملين منهم في مجال النشاطات الاجتماعية والعلوم الانسانية وتنتابهم سلبية محسوسة لعدم استساغتهم مجاراة السياسة الرسمية .

ودعاة « الحقوق المدنية » وتأكيد اتجاه « الديمقراطية » وقيم « الليبرالية » في الحياة السياسية ، هم في اغلبهم على اى حال نقاد للسياسة السوفيتية تجاه الشرق الاوسط . وتجد اسرائيل فيهم — مع دعايات الغرب — سندا لتعزيز دعاويها .

الصين

وقضية الايديولوجية تطرح قضية المواجهة الايديولوجية بين الاتحاد السوفيتي والصين . الى أى حد يمكن اعتبار الانجازات التى تمت في اتجاه «التعايش السلمي» و «الانفراج الدولي» ، محكومة لا بمجرد ما تقتضيه انجازات التكنولوجيا العصرية من تعاون وأسع بين أكثر دول العالم تطورا — بغض النظر عن اختلافاتها الايديولوجية —ولا بمجرد ان ظروفا مختلفة قد نضجت في المعسكر الغربي ، وفي أمريكا بالذات ، لتقبل فكرة « التعايش » وللتخلي عن مظاهر بارزة لسياسات الاستعمار العدوانية السابقة ، ولكن ايضا — من وجهة نظر السوفيت — بسبب « تحدى الصين » وضرورة الالتفات الى عدائها المستحكم للاتحاد السوفيتي ، ورفضها كل هدنة معه ، واعتباره « استعمارا اجتماعيا » يمثل أيديولوجيا ، وفي تخطيطها الاستراتيجي ،عدوها الاول . وفوق ذلك دولة لاتسلم بأن أراضي واسعة من آسيا السوفيتية هي ملك شرعي للدولة السوفيتية ،ولا تكف عن تأكيد حقها في استردادها باعتبارها تاريخيا أراضي تتبع الصين .

■ **سألت** : الى أى حد يمكن اعتبار **المشاريع العملاقة** التى أقدمتم عليها لتعمير سيبريا ، ببحث عن صيغة تعاون مع **اليابان** أولا ، ثم مع **الولايات المتحدة** ثانيا ، ثم مع الدولتين الرأسماليتين — اكثر دولتى العالم الرأسمالي تطورا — معا ، الى أى حد يمكن اعتبار هذا **التعمير السريع لسيبريا تأمينا لها ضد دعاوى الصين** ، خاصة اذا لاحظنا أنكم قد قبلتم بيع منتجات استثمار سيبريا [الغاز الطبيعي] في صورة « **مادةخام** » لا في صورة « منتجات مصنعة أو شبه مصنعة ، **وهذه علاقة دولة متخلفة بدولة رأسمالية ، لا علاقة الند للند بين دولتين متطورتين ، احداهما راسمالية والاخرى اشتراكية ؟**

□ قالوا لي اجابة على هذا السؤال :

● سياسة « التعايش السلمي » مع الدول الرأسمالية المتطورة كانت سياسة لنا ثابتة ، ودائمة ، منذ أيام لينين .. منذ مولد أول دولة اشتراكية في روسيا . ولم نتخل عنها أبدا .. الصين هي التى انتقدت — وبشدة — في فترة من الفترات هذا الشعار ، وتعود الان لتتبناه.. وفي وقت ترفض فيه كل تعاون مع الدول الاشتراكية ، تستعد لاقامة علاقات تعاون واسعة مع دول رأسمالية متطورة عديدة .

● ان الاتفاقات المزمع ابرامها مع الشركات الامريكية بشأن استثمار الغاز الطبيعي في سيبريا قائمة على اساس أن تتحمل هذه الشركات نفقات اقامة المصانع ومد الانابيب الى الموانىء السوفيتية ، وعلى أساس أن يتقاسم نقل الغاز الى أمريكا الاسطول التجارى السوفيتي والاسطول التجارى الامريكي ، وأساطيل من بقية دول العالم ، بأنصبة متساوية . وسوف يدفع الاتحاد السوفيتي ثمن المصانع والانابيب من الغاز المصدر دون دفع روبل واحد من خزانة الدولة السوفيتية وليست منتجات سيبريا المصدرة هي في كل الاحوال مجرد « مواد خام » ، بل تعتبر اقامة المصانع تنشيطا وتطويرا لعمل مصانعنا في مجالات تخصص معينة . وبعض منتجات الغاز المستخرج ستصنع الى درجات متفاوته داخل الاتحاد السوفيتي ، كبعض انواع ومستخرجات البرافين ، والعقد يعتبر من وجهة نظرنا عملية « **تغذية عكسية** » **لزيادة دعم اقتصادنا القومي** ، بالاستعانة برؤوس أموال اجنبية وبخبرة دولية متاحة ، على نحو يسمح لنا باستثمار مواردنا في مجالات أخرى مع انجاز خطوات اساسية في استثمار مصادر الثروة الهائلة التى تبطنها أرض سيبريا الشاسعة الاتساع والتى لا زالت في أغلبها أرضا بكر . والعبرة في أن هذا العقد لايكتسب صفة العقود المجحفة التى تعقدها الاحتكارات الدولية مع الدول المتخلفة ، انما

تكمن فى أنه يبرم داخل اطار مجموعة اتفاقات متكافئة ومتوازنة ، لا تنم على أى نحو بقوة طرف فى مقابل ضعف الطرف الاخر .

● اما عن حقيقة الحملة التى تشنها الصين ضد الاتحاد السوفيتى ، فقد قال عنها **يورى جوكوف** : « أن حقيقة ما يدفع الصين الى معاداة الاتحاد السوفيتى على النحو الحاد الذى نشهده الان ، انما يرجع فى نظرى الى عدم استقرار الظروف الداخلية ، بالذات فى أعلى مستويات السلطة . ان الصراعات فى السلطة لم تنته فى نظرى بعد . ما زالت الحالة غير مستقرة . وما زالت بالغة الحساسية منذ الثورة الثقافية ، وحتى بعد انتهائها . **ولابد للقيادة الصينية من عدو وهمى خارجى تصب ضده جام غضبها كوسيلة تحقق به قدر من التوحيد للصفوف .**

« لقد اختاروا التحالف مع الغرب . وهم يقولون انهم دولة نامية تنتمى الى العالم الثالث ولا تنتمى الى المعسكر الاشتراكى .. علاقاتنا الان مع الصين طبيعية من الناحية الدبلوماسية .. لم يعد هناك توتر على الحدود ومع ذلك فما زالت تجارتنا معها ضئيلة للغاية ، والتبادل الثقافى عند نقطة الصفر . ليس هناك أى اتصال انسانى على أى مستوى من المستويات . ونحن نفعل ما فى وسعنا لتغيير هذا الموقف . **ولكن ينبغى أن نقول أن الدوافع الداخلية للحملات التى يشنوها تشير الى أنها لا تحمل أخطارا جادة تنال من حالة الاسترخاء الدولى الراهن » .**

« تصور » ثالث ؟

كان كارل ماركس منذ قرن وربع قرن قد بلور نظرية لتفسير أسباب تصادم المصالح بين البشر حملت « الصراع الطبقى » تحريك مجريات التاريخ .. واختبر صحة « تصوره » بتطبيقه على عدد من المجتمعات ، على أنه يصلح منهجيا للتعميم الى سائر المجتمعات .

ومنذ نصف قرن ، طبق لينين نظرية ماركس ، وأقام أول مجتمع اشتراكى ، السلطة فيه للطبقة العاملة . وبمجرد تطبيق « تصور » ماركس ، نشأت الحاجة الى « تصور ثان » ، ناجم عن اكتساب « الصراع الطبقى » صفة « صراع دولى » بين نظامين عالميين يتسعان الكوكب كله .. وكان « الهدف » بمقتضى هذا « التصور الثانى » هو « التعايش السلمى » بين النظامين ، توفيرا لانسب ظروف ازدهار الاشتراكية . ولكن ظلت « الممارسة » هى المواجهة العدائية بين النظامين والصراع الحاد بين دول تجسم « الصراع الطبقى » على نطاق الكوكب كله .

والان وقد توافرت الظروف لتطبيق « التعايش السلمى » . و « تجميد » صور الصراع التى تكتسب صفة حرب بين دول كبرى تهدد بافناء البشرية كلها ، **هل ينبىء ذلك بالحاجة الى** « تصور ثالث » ، **يكتسب بلغة جدلية هيجل** وماركس صفة « **نفى النفى** » ، **أى يستعيد سمات « التصور الاول » [الصراع الطبقى داخل مجتمع محدد] ولكن على مستوى أرقى ، متضمنا سمات « التصور الثانى » ، [الصراع على نطاق الكوكب كله] ؟ .**

لم يعد من الممكن الان التذرع فقط بمبادىء « السيادة » ، ولا الاحتماء وراء حدود « دول » أو « كتل دولية » بعد « تجميد » الصراع ــ بالحرب الساخنة أو الباردة ــ بين أقوى دول العالم ، وانفتاح تصارع الأفكار والمصالح والطبقات ، مخترقة كل قيد تحكمى . وهذا تحد لاشكال من الصراع الايديولوجى ربما كان يمكن الارتكان اليها خلف عوازل المواجهة العدائية بين النظامين ، ولكنها لم تعد تلائم مواكبة مناخ الانفراج الدولى الجديد .

الاطفال

كل معضلات التحول الذى يجرى ؟ قد يصعب على الجيل الحاضر التكيف لكل متطلباته ، وربما يكون للجيل الناشىء ، أطفال الاتحاد السوفيتى ، مهمة ارتياد آفاقه .. لقد قضيت اجازة السبت والاحد فى كييف اثناء رحلتى .. واستوقفنى فى هذه المدينة المشجرة الجميلة ــ عاصمة أوكرانيا الفنية بقمحها التى اسرع الالمان الى احتلالها وقت الحرب ــ تمثال لفريق من لاعبى كرة القدم « دينامو » ، أسرهم النازى ، وأمروهم بمنازلة فريق المانى على أن يلتزموا بعدم كسب المباراة ، تلطيخا لسمعتهم الرياضية ، ولكنهم أبوا وتحدوا الامر وهم يعلمون أن مصيرهم هو الاعدام .. والى اليوم ، مازال المتزوجون الجدد يتجهون بمجرد الفراغ من توقيع عقد القران ، الى مسلة الجندى المجهول فى المدينة ، تعبيرا عن مشاعر راسخة بأن منشاء الجيل الحاضر انما يرجع الفضل فيه الى تضحيات هؤلاء الذين استشهدوا من أجلهم .. والشهداء على يد النازى فى كل عائلة فى كييف .. ولكن الذى استوقفنى اكثر من هذا كله ، هو زيارة لقصر الرواد ، أول جيل لا يعرف الحرمان من اطفال وصبية الاتحاد السوفيتى . وما هوممنوح بحنان وسخاء للاطفال ، لتنمية مواهبهم فى الرقص والرسم ، وفى مختلف مجالات الترفيه والثقافة والعلم ، مثير للذهول ، داخل جو من الحياة الجماعية لا يمكن ان تجاريه كل الفرص المتاحة لاطفال اثرى اثرياء الغرب . **هذا الشباب يتذوق الان أرهاصات كوكب بلا تلويث مادى أو معنوى أو أخلاقى . وهذا رصيد المستقبل كفيل بهزيمة ما قد يستحدثه عالم يسوده السلام من تحديات ■**



الأزمة النقدية الدولية

.. والاستراتيجية العربية

كتب مصطفى النجار عن الازمة النقدية الدولية واثرها على الارصدة العربية ـ ومدى الخسارة التى يتحملها العرب ، وهم فى صراعهم المصيرى مع العدو الشرس الامبريالية وعميلتها اسرائيل كتب يقول :

■ لم يترتب على تخفيض قيمة الدولار الامريكى رسميا فى ابريل ١٩٧٢ ، وما تبعه من تعديل فى النظام النقدى العالمى ، وتغيير قيمة بعض العملات الاخرى استقرار فى الوضع النقدى العالمى ، فقد استمر الدولار الامريكى يواجه ضغوطا على قيمته ، نتيجة استمرار العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى ، كما واجه الجنيه الاسترلينى مثل هذه الضغوط خلال شهر مايو سنة ١٩٧٢ ، الامر الذى ادى بانجلترا الى أن تعلن (تعويم) قيمة الجنيه الاسترلينى ـ ليتقلب فى الحدود التى تتناسب مع قيمته الحقيقية فى السوق • وقد أخذت هذه القيمة تنخفض الى أن أصبح الجنيه الاسترلينى حاليا منخفضا عن قيمته الرسمية بحوالى ١٠ فى المائة •

والواقع ان العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى هو الاساس فى اختلال قيمة الدولار الرسمية عن قيمته الحقيقية • كما ان النسبة التى خفضت بها قيمة الدولار الامريكى الاسمية فى ديسمبر سنة ١٩٧١ لم تكن كافية لان تعيده الى قيمته الحقيقية ، وبالتالى استمر العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى . لذلك لجأت الولايات المتحدة الامريكية فى فبراير الماضى الى اعلان تخفيض آخر فى قيمة الدولار الامريكى بنسبة ١٠ فى المائة فى محاولة لعلاج العجز المزمن فى ميزان مدفوعاتها • والذى بلغ ٦٥٠٠ مليون دولار أمريكى عام ١٩٧٢ (١) •

وتهدف هذه الخطوة من جانب الولايات المتحدة

[١] الاهرام الاقتصادى ـ يحيى المصرى ـ ازمة الدولار أم أزمة النظام النقدى الدولى ـ العدد ٤٢٢ •

الامريكية الى تخفيض العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى عن طريق زيادة اسعار الواردات ونقص اسعار الصادرات . غير أن تحقيق هذا الهدف يتوقف على مدى قبول التجار الامريكيين للخسائر التى تترتب على هذا التخفيض ، والناجمة اساسا عن بيع سلعهم للخارج بأسعار أقل ، وبشراء سلع من الخارج بأسعار أكثر من السائدة قبل التخفيض . كما يتوقف على عدم قيام الدول الاجنبية التى لها معاملات كبيرة مع الولايات المتحدة ، كاليابان ، والمانيا باتخاذ خطوات مضادة لتخفيض الدولار الامريكى ، وعدم مساندته فى حالة قيام المتعاملين بالتخلص منه بكميات كبيرة .

٥٠٠ مليون دولار فى خبطة

ونتيجة للتخفيضات المتواليه ضاعت مئات الملايين من الدولارات التى يملكها العرب ، وخسارة العرب نتيجة تخفيض أسعار العملات الاجنبية ليست جديدة . فقد بدأت عندما لجأت بريطانيا الى تخفيض سعر الجنيه الاسترلينى بنسبة ٧ر١٤ فى المائة وكان ذلك قبل بضع سنوات .

يومها كانت معظم الدول العربية تحتفظ بأرصدتها الاجنبية وفائض حساباتها فى البنوك الاجنبية بالجنيه الاسترلينى ـ وعندما انخفض الاسترلينى انخفضت بعده ودائع العرب وأرصدتهم بنفس النسبة . وقدرت الخسائر فى ذلك الوقت بنحو مائتى مليون جنيه .

وعلى أثر هذا التخفيض لجأ الكثير من الدول العربية الى تحويل ودائعه ومدخراته وأرصدته الاجنبية الى دولارات . ولكن الدولار بدوره لم ينج من التخفيض كما ذكرنا ، وانخفضت أرصدة العرب الدولارية فى أعقاب هذا القرار بنفس النسبة .

والمرة الثالثة أصيب عدد من الدول العربية (٢) بخسارة كبيرة نتيجة للقرار الاخير الذى يقضى بتخفيض الدولار بنسبة ١٠ فى المائة . وقد قام بعض الخبراء العرب بدراسة قيمة الخسارة التى أصابت العرب نتيجة لهذا القرار فتبين لهم أن الارصدة العربية فى الخارج تتراوح ما بين ١٢ الف مليون دولار ، و ١٥ الف مليون دولار . (٣) .

وحسب البيانات التى ترددت واذيعت ، فقد تم فى الايام الاخيرة السابقة لقرار تخفيض الدولار التخلص من نحو ستة مليار دولار فى الاسواق الالمانية ـ يعتقد أن نصفها يخص بعض الدول العربية التى لديها أرصدة دولارية ـ فاذا خصمنا هذه القيمة من قيمة الارصدة الاجمالية ـ فان النتيجة تتراوح بين ٩ ، ١٢ مليار دولار ـ فاذا افترضنا أن نصف هذه القيمة موزعة بين عملات أخرى ، فان قيمة الارصدة المتبقية تتراوح بين ٥ر٤ مليار دولار و ٦ مليار دولار .

وبحسبة بسيطه يتبين أن خسائر العرب نتيجة لتخفيض الدولار يمكن أن تتراوح بين ٤٥٠ مليونا و ٦٠٠ مليون دولار وهذه الارقام تعادل ١٠ فى المائة من أرصدة العرب الدولارية . ورغم ان هذه الارقام غير مؤكدة نظرا لان الكثير من هذه الارصدة يحتفظ بها فى حسابات سرية الا انها اقرب التخمينات الى الواقع . وهكذا فى خبطة واحدة خسر العرب نحو ٥٠٠ مليون دولار .

والخسائر العربية سوف تزداد بازدياد الارصدة العربيه فى البنوك والمصارف الاجنبية ـ وكل الدلائل تشير الى أن دخل الدول العربية المنتجة للبترول يزداد عاما بعد عام ـ والدراسات تشير الى أن عائدات تصدير البترول لعام ١٩٧١ عدا مصر وسوريا بلغت ٦٩٨٠ دولارا أمريكيا ، وأنه سيتوقع لها أن تصل الى عشرة آلاف و ٥٥ مليون دولار فى عام ١٩٧٣ ، والى ١٤ الفا و ١٥٦ مليون دولار عام ١٩٧٥ والى ٤٠ ألف مليون دولار عام ١٩٨٥ . وهذا الدخل الكبير اذا ما قدر له أن يوجه بنفس الاسلوب الذى وجهت به الدخول السابقة فان مصيره من الخسائر سوف يكون أفدح (٤) .

فى مواجهة الخطر الماحق

ازاء ذلك الخطر الماحق بلاد العرب جميعا ولمستقبلهم .. أن الاوان لان يرسموا على المحيط القومى للامة العربية كلها ـ سواء كان ذلك بالاسلوب الرسمى المعلن أو بالاسلوب الوطنى الخاص ـ استراتيجية مقابلة وشاملة تتناول الجوانب الاقتصادية والمالية والنقدية بالاضافة الى الجانب المتعلق بالبترول ـ وان ينفذوا تلك الاستراتيجية على وجه السرعة .

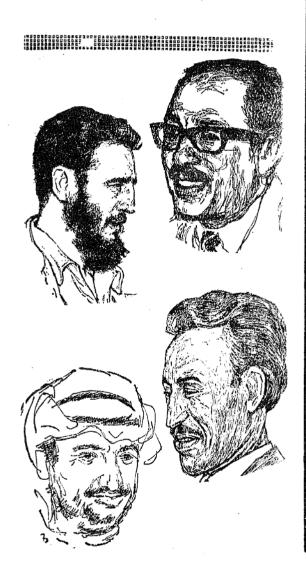
---

[٢] التى لديها فائض نقدى وتعتبر مصدرة لرؤوس الاموال [السعودية ـ ليبيا ـ الكويت ـ دول الخليج العربى ـ الجزائر ـ العراق] .

تقارير الشهر



- دولة الوحـــــــدة بين مصر وليبيـــا
- مؤتمر المواجهة : لماذا انعقد وما هى نتائجه ؟
- انتخابات الهســتدروت : هل من جــديد ؟
- أزمة الشرق الاوسط ودورة الجمعية العامة
- عدم الانحيــاز ســياســة للتحرر الوطنى
- المبــادرة الــكوبية .. دلالات هامـــة
- المؤتمر العــاشر للحزب الشيوعى الصينى



■ مصر ــ ليبيا :

دولة الوحـــــدة بين مصر وليبيـــا

قبل ثلاثة أيام فقط من الموعد الذى كان محددا لاجراء الاستفتاء على الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ، كان أكثر المراقبين تفاؤلا ــ لا يتوقع أن يشهد فى ذلك اليوم المحدد منذ عام سبق ــ سوى بيان سياسى .

ووسط حملات تشكيك ضـــارية اطلقتها القـــوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية ــ على انه لا أمل فى قيام الوحدة وأن نقاط الخلاف أكثر وأوسع من نقاط الاتفاق .

أعلن ميلاد دولة الوحدة بين مصر وسوريا وجاء اعلان الرئيسان السادات والقذافى بوصفهما القيادة السياسية الموحدة ــ لمولد الدولة الجديدة ــ فى وثيقة سياسية بالغة الاهمية .

ان دولة الوحدة تعلن « فى هذه الظروف الحاسمة من تاريخ الامة العربية المجاهدة ووسط استعداد الشعب العربى كله لمواجهة قوى الاستعمار والصهيونية المتربصة به والرجعية المتآمرة عليه » .

ويجىء ميلاد الدولة الموحدة الجديدة « ليؤكد استمرار الثورة العربية وتدعيم مبادئها وحشد كل طاقاتها من أجل معركتها الكبيرة على طريق تحرير الارض واستعادة الحق وبناء الدولة العصرية القومية » .

ويؤكد الرئيسان فى بيانهما « أن قضية الوحدة لم تعد قضية اختيار لشكل سياسى أفضل من غيره بل صارت حياة وبناء فى عصر تفنى فيه الكيانات الصغيرة أمام الكتل المتصارعة الكبيرة » كما أكد الرئيسان على أن كل وحدة تتحقق اليوم بين بلدين عربيين أو أكثر فى اطار مبادىء الثورة العربية ــ تشكل انتصارا لتلك الثورة وحماية لمبادئها وضمانا لاستمرارها كما تشكل بالتالى خطوة نحو تحرير الارض العربية واستعادة فلسطين بل وخطوة على طريق الاسراع بالتنمية وبناء الدولة العربية العصرية .

وأبرز الرئيسان فى بيانهما « ان قيام دولة الوحدة فى هذه الظروف الصعبة المعقدة التى تحيط بالوطن العربى كله انها هو تعبير حى عن صلابة هذه الامة واصرارها على مواصلة ثورتها ــ كما انها خطوة بالغة الاهمية على طريق التكامل الاقتصادى بين أجزاء الامة العربية ــ وهى فوق ذلك كله تمثل عمقا استراتيجيا هاما لخط المواجهة مع العدو الصهيونى » .

وأكد الرئيسان السادات والقذافى فى بيانهما على « ان الدولة الجديدة تولد على أساس مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الام وثورة الفاتح من سبتمبر ــ وهى لذلك تقوم على كل المبادىء والقيم التى تبنتها الثورة العربية » .

وتنفيذا لبيان الرئيسين باعلان قيام دولة الوحدة بين مصر وليبيا ، صدر قرار القيادة السياسية الموحدة بتشكيل جمعية تأسيسية من مائة عضو ــ خمسين من مصر ومثلهم من ليبيا وتحددت مهمة هذه الجمعية فى اعداد الدستور وترشيح شخص رئيس الجمهورية للدولة الموحدة .

● محـادثات مـع عمـال الكويت

■ اثر المحادثات التى اجراها صلاح غريب وزير القوى العاملة فى جمهورية مصر العربية مع المسئولين فى اتحاد نقابات العمال الكويتى . صدر بيان مشترك ندد فيه الجانبان ، بسياسة النظام الايرانى التوسعية العدوانية فى الخليج العربى ، واكدا ان هذه السياسة مرتبطة بصورة مباشرة بالولايات المتحدة الامريكية . واستنكرا بشدة احتلال النظام الايرانى للجزر العربية الثلاث وتدخله العسكرى فى عمان وبعض امارات الخليج العربى .

ودعا البيان المشترك الى استخدام النفط ورؤوس الاموال المستثمرة حاليا فى الخارج كسلاح ضد الحكومات التى تساند العدو الصهيونى .

وقال البيان أنه ليس هناك حل للقضية الفلسطينية الا عن طريق المواجهة المباشرة مع العدو الصهيونى ، كما دعا الى السماح للثورة الفلسطينية بالعمل فى جميع الاقطار العربية الواقعة على خط المواجهة مع العدو. ■

● المخـــابرات الامريـــكية والبترول

■ كشفت صحيفة السياسة الكويتية النقاب عن خطة وضعتها المخابرات المركزية الامريكية ــ لمواجهة الاجراءات التى يمكن أن

تتخذها الدول المنتجة للبترول فى الخليج العربى بشأن صادراتها من البترول خلال الاشهر القليلة المقبلة .

وترمى الخطة الامريكية ، والتى وضعها ريتشارد هيلمز سفير الولايات المتحدة فى طهران والمدير السابق للمخابرات المركزية الامريكية ، الى بث الارتباك فى منطقة الخليج العربى . وذلك بالقيام بسلسلة من الاعمال الارهابية فى الدول المنتجة للبترول بهدف اثارة ردود فعل من جانب الدول المعنية ، لتبرير التدخل الامريكى لضمان تصدير البترول ■

● **الاسد :**

السوفييت اصدقاؤنا

■ قال الرئيس حافظ الاسد فى حديثه نشرته جريدة [الثورة] السورية فى ١ سبتمبر الماضى : لقد ذهب بعضهم الى تفسيرات تقول ، ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة قد انحازا الى بعضهما بعضا ، وبالتالى انحازت الدولتان ضد شعوب العالم . وقال : هذا تفسير غير مقبول . فقد وقف الاتحاد السوفيتى ، ولا يزال يقف ، الى جانب الشعوب المناضلة من اجل حريتها وتقدمها ، داعما نضالها بالعون والمساعدات المختلفة ، بينما كان موقف الولايات المتحدة دائما هو موقف العداء للشعوب وحريتها وتقدمها ، واضاف قائلا : فى ضوء هذه الحقيقة يصبح من غير الجائز او الممكن ان نضع الدولتين على صعيد واحد ، بل ان الواجب يقتضى ان نشير الى أنه بالنسبة لنا نحن العرب ، كان الاتحاد السوفيتى ويبقى ، صديقنا الذى يدعم نضالنا ، ويساعدنا فى جهودنا فى مختلف المجالات ، فى حين ان الولايات المتحدة تدعم اعداءنا بل وتشجع خططهم العدوانية بشتى السبل والوسائل ■

كما تم تعيين وزيرين مقيمين فى كلّ من القاهرة وطرابلس لمتابعة تنفيذ قرارات بناء الدولة الجديدة ـ وهما **الدكتور مراد غالب** وزيرا مقيما فى ليبيا والسيد **محمد بن يوسف** وزيرا مقيما فى مصر .

وتقرر انشاء مجلس أعلى للتخطيط ويمثل مصر فى المجلس **الدكتور عبد القادر حاتم** نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ويمثل ليبيا فيه الرائد **عبد السلام جلود** عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء ـ كما تقرر تعيين الخبير المصرى الدكتور **عبدالمجيد عبد الرازق** أمينا عاما للمجلس الاعلى للتخطيط . وسوف تنشأ أمانة فنية تتولى معاونة الجمعية التأسيسية والمجلس الاعلى للتخطيط فى أعداد مشروعات القوانين وعرضها على القيادة السياسية الموحدة كما تم انشاء « دينار عربى حسابى جديد » وتقرر انشاء منطقة اقتصادية حرة على جانبى الحدود بين مصر وليبيا .

ويرى المراقبون انه بينما لم تستطع الدوائر الصهيونية والاستعمارية الا أن تعترف بأن اعلان دولة الوحدة كان مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لها .

وبينما أعربت الدوائر الامريكية عما اصابها من تشاؤم وقلق من الاخطار الناجمة على مصالحها بسبب انجاز هذه الوحدة ، فان مولد الدولة الجديدة التى تتوافر لها كل الامكانيات البشرية والمادية والخبرات العلمية الضخمة ـ قد لقى ترحيبا حارا وواسعا من القوى الوطنية والديمقراطية فى العالم العربى ودول العالم .

وفى حديث لفيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا : **أعلن تمنيه للوحدة المصرية الليبية التوفيق والخير ، وقال انه لا يفهم ولا يجد مبررا لعدم وحدة العرب ، وقال اننى لا أستطيع أن أفهم مسألة عجز مائة مليون عربى مع كل الثروات التى فى يدهم من القضاء على اسرائيل وتحرير فلسطين .**

ويرى المراقبون أن اعلان الدولة الجديدة والخطوات التنفيذية التى تمت ـ قد دعمت كل من مصر وليبيا .

فقد استطاعت ليبيا فى أول سبتمبر المنقضى وبعد أيام من اعلان الوحدة بين القاهرة وطرابلس ـ أن تبدأ مواجهة حاسمة لشركات البترول الامريكية ـ فأصدرت ليبيا قرارها بتأميم ٥١ فى المائة من جميع شركات النفط العاملة فى الاراضى الليبية ـ وهو القرار الذى لم تخفى الدوائر الامريكية جزعها الشديد من امتداد آثاره الى مصالحها البترولية فى دول منطقة الخليج .

كما يرى المراقبون أن الخطوات التى تمت على طريق انشاء الدولة الموحدة الجديدة قد عززت مركز مصر السياسى فى مواجهة الضغوط الامريكية والتبجح الاسرائيلى ـ وقد بدا هذا واضحا فى موقف مصر خلال زيارة السكرتير العام للامم المتحدة واصرار مصر على قيام الامم المتحدة بواجبها الكامل .

ويرى المراقبون أن الجهود الكبيرة التى بذلت على امتداد العام الماضى كله ـ سواء بما أنجزته لجان الوحدة ـ أو عشرات اللقاءات الجماهيرية داخل كل من مصر وليبيا ـ واللقاءات المشتركة بين القيادات السياسية من البلدين ـ قد ساعدت على تحديد معالم الطريق الى الوحدة السليمة ـ وانعكست آثارها فيما اتخذ من اجراءات تنفيذية ـ وكل هذا يشكل أساسا قويا ـ ومنطلقا سليما للدفاع عن الوحدة ودعمها ـ ومن هنا فأن المراقبين يركزون بشكل خاص على النداء الذى وجهه الرئيسان فى ختام بيانهما باعلان الدولة الجديدة بدعوتهم « **كل المؤمنين بالوحدة فى الوطن العربى**

لبذل جهودهم تدعيما لها وتأمينا لمسارها وضمانا لنجاحها كخطوة ثورية على طريق الوحدة الشاملة ـ وان الضمان لذلك كله هو المشاركة الفعالة المسئولة بكل مواطنيها فى اداء واجبهم القومى فى مواقع العمل المختلفة مسلحين بالايمان مزودين بالعلم معتصمين بوحدتهم عاملين بكل ما يملكون من قوة على تجسيد الدولة الجديدة وآمالهم فى مستقبل مشرق مزدهر •

□

■ جمهورية مصر العربية :

مؤتمـــــر المواجهـــــة :

لماذا انعقد وما هى نتائجه ؟

الموقف على خط المواجهة مع العدو الاسرائيلي كان هو الموضوع رقم ١ ـ على رأس قائمة الموضوعات الهامة التى نوقشت فى المؤتمر الاول لقمة دول المواجهة (مصر وسوريا والاردن) وحضره الرئيسان أنور السادات وحافظ الاسد والملك حسين والذى اختتم اعماله فى القاهرة بعد ثلاث جلسات عمل بالقصر الجمهورى بالقبة يوم ١٢ سبتمبر الماضى •

وقبل ان تحدث المفاجأة ويتقرر انعقاد مؤتمر رؤساء دول خط المواجهة كان الرئيس انور السادات قد انتهى من وضع خطة لتحرك واسع لتحريك الازمة فى ظل التطورات الدولية المتعاقبة ، وفى ضوء مناقشات مجلس الامن الاخيرة •

وكانت هذه الخطة محور رحلة « العمل السياسى المكثف » التى قام بها الرئيس السادات فى الاسبوع الاخير من شهر اغسطس الماضى وشملت السعودية وقطر وسوريا ، وكانت اجتماعات الرئيس المتعددة فى الجزائر اثناء مؤتمر قمة عدم الانحياز فرصة للحركة على هذا المحور •

لقد كانت خطة مصر ترتكز على ثلاثة دعائم رئيسية :

■ وضع اطار موحد للعمل العربى ازاء مرحلة بالغة الخطورة تواجهها الامة العربية •

■ حشد أكبر قوة عربية مؤثرة داخل هذا الاطار فى خدمة الصراع ضد العدو الصهيونى •

■ وضع الطاقة ورأس المال العربى فى خدمة النضال القومى ومعركة المصير توسيعا لرقعة العمل العربى المشترك •

لقد سبق اجتماع قمة المواجهة اجتماعات ومشاورات تمهيدية شهدتها العواصم الثلاثة القاهرة ـ دمشق ـ عمان • فقد زار القاهرة مبعوثا عن الملك حسين السيد عبد المنعم الرفاعى فى شهر اغسطس وصحبه فى عودته الى عمان الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس السادات حيث اجتمع بهما الملك حسين • ثم قام الرفاعى والخولى بزيارة الى دمشق حيث اجتمع بهما الرئيس حافظ الاسد وبعد ذلك بأيام قام وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس بزيارة الى عمان استقبله فيها الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعى •

● جنبـــلاط : نـؤيد الوحـــدة

■ قال كمال جنبـلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى بلبنان فى حديث له عن الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا : ان كل محاولة حقيقية للتوحيد بين الدول العربية هى خطوة اساسية فى طريق تحقيق الوحدة العربية والتهيئة الفعلية لمعركة تحرير الارض العربية والفلسطينية المحتلة ، واضاف جنبلاط أن المفروض استراتيجيا ومنطقيا وعمليا من العرب هو توحيد القيادة السياسية والعسكرية وجميع الطاقات الاقتصادية والانمائية لتكون قدرة فعلية فى معركة الصمود والتحرير .. واعرب جنبلاط عن اعتقاده بان الخطوة الوحدوية الاندماجية التى تحققت وسوف تتحقق بين مصر وليبيا تعتبر سعيا اكيدا فى سبيل هذا الهدف ■

● أرامكو تزيد من نشاطها

■ جاء فى البيان الذى اصدرته شركة أرامكو ونشرته فى بيروت المجلة المتخصصة [ميدل ايست ايكونوميك سارفى] أن الشركة الامريكية التى تستغل معظم حقول البترول فى السعودية قد بدأت فى اول شهر اغسطس فى استغلال حقل الحرمليه الذى اكتشفته منذ اقل من عشرين شهرا بمعدل مائة الف برميل فى اليوم . ولم يشر البيان الى حجم هذا الحقل الذى يقع على بعد ٥٠ كم تقريبا من الظهران . ومن ناحية اخرى اعلنت الشركة عن اكتشافها حقلا فى مياه الخليج عند ساحل المنارة واكدت اولى عمليات الحفر التى وصلت الى عمق ٣٠٠٠ متر وجود كميات كبيرة من البترول .

ومما يذكر انه منذ بداية عام ١٩٧٣ ـ كما ذكرت صحيفة واشنطن بوست ـ ارتفعت الواردات الامريكية من البترول العربى بنسبة ٣٥٪ بالمقارنة بالعام الماضى وهى تمثل الان اكثر من ربع الواردات كلها ■

● جلود : لا نخاف امريكا

■ اعلن الرائد عبد السلام جلود فى حديث له تعقيبا على مايسمى بأزمة الطاقة : ان الانباء

عن وجود ازمة طاقة عالمية بأنها أكاذيب امبريالية اختلقتها الولايات المتحدة ، لتبرير عمل عسكري أميركي في المستقبل ، بهدف الاستيلاء على آبار النفط العربي.

وأضاف قائلا : لقد سمعنا من قبل أن الولايات المتحدة تدرب قوات خاصة لعمليات حربية في الصحراء الليبية . لكن كل ذلك لا يهمنا . ونحن غير خائفين . وقال عن استخدام النفط كسلاح : ان المجنون وحده يقول ان البترول ليس سلاحا في المعركة . انه سلاح لالحاق الهزيمة بالعدو . ولقد استخدمت أميركا سلاحا قذرا جدا ضدنا وضد الشعب الفيتنامي ■

خلال هذه الاتصالات المكثفة تم الاتفاق على اجتماع رؤساء دول حد المواجهة حيث عقد الرئيسان انور السادات وحافظ الاسد والملك حسين جلسة عملهم الاولى مساء ١٠ سبتمبر لبحث امكانيات العمل العربي المشترك ودور الجبهة الشرقية وقد استمر الاجتماع الاول زهاء ٤ ساعات •

ثم عقدت جلسة العمل الثانية مساء ١١ سبتمبر بعد سلسلة من المشاورات الثنائية جرت بين الرئيس السادات والرئيس الاسد والملك حسين • وفي هذا الاجتماع تمت مناقشة خمس مسائل رئيسية :

- تقييم الموقف العام في العالم العربي •
- امكانيات العمل العربي المشترك •
- دور دول المواجهة والتنسيق بينها •
- وسائل تنسيق الجبهة الشرقية .
- الدور الذي يمكن لحركة المقاومة ان تقوم به في هذه الجبهة •

ومن بين ما أسفرت عنه مناقشات هذه الجلسة الاتفاق على عودة العلاقات الطبيعية بين كل من مصر وسوريا مع الاردن . وكانت مصر قد قطعت علاقاتها مع الاردن يوم ٦ ابريل عام ١٩٧٢ •

تعليق

انتخابات الهستدروت •• هل من جديد ؟

تستمد انتخابات الهستدروت التي بدأت في الحادي عشر من سبتمبر الماضي اهميتها من كونها مؤشرا لحركة القوى السياسية المتصارعة على السلطة ـ شهدت هذه الانتخابات ١٣ قائمة انتخابية ـ فعضوية الهستدروت تشمل ما يقرب من ٩٠ ٪ من العاملين في اسرائيل ، أو ثلث السكان تقريبا ، أضف الى ذلك ما يتمتع به الهستدروت من ثقل سياسي واقتصادي ، الى درجة ان احد الصحفيين الاسرائيليين « مارك سيجال » كتب في عدد ٤ سبتمبر في صحيفة « جيروزاليم بوست » « ان من يسيطر على الهستدروت يسيطر على اسرائيل » •• ولعله ليس من قبيل المصادفة ان حزب الماباي الذي سيطر على الحياة السياسية في اسرائيل ، مسيطر في نفس الوقت على الهستدروت •• وباستقراء النتائج التي اسفرت عنها هذه الانتخابات ، يمكن للمراقب ان يقدم الملاحظات الآتية :

① اشترك في التصويت هذا العام ٦٨ ٪ من مجموع الناخبين بالمقارنة الى ٦٥ ٪ في انتخابات عام ١٩٦٩ ، الامر الذي يشير الى استقرار نسبي لدرجة المشاركة السياسية بين الناخبين ، وان كان لابد من ملاحظة ان حدة التناقضات الاجتماعية التي وضحت في الاضرابات العمالية والمهنية التي سادت اسرائيل في العامين الاخيرين ، لم تعكس نفسها في صورة زيادة نسبة المشاركة ، الامر الذي ربما عكس عدم اقتناع الناخبين بان العملية الانتخابية لا تسهم حقيقة في صنع القرار السياسي ، ولا تعبر عن مشاركة سياسية فعالة •

② انخفاض نسبة التاييد لاحزاب المعراخ [التجمع ويضم حزب العمل ومابام] بنسبة ٤ ٪ ، فاصبح ٥٨ ٪ ، الامر الذي يعبر عن بعض الضيق بسياسة الحكومة الاقتصادية ، ولكن سيطرة التجمع على الهستدروت ما زالت قوية ، وبالذات اذا اخذنا في الحسبان التآلف الحادث مع الحزب الديني الذي حصل على ٦ ٪ من الاصوات •

③ ان الكتلة الانتخابية الجديدة « هاليكود » ، التي تكونت غداة الانتخابات من جحال والقائمة الرسمية والمركز الحر ، لم تستفد كثيرا من هذه الاصوات ، بل احتفظت بالنسبة التي كانت لديها وهي ٢٣ ٪ •

④ ان هذه الزيادة ذهبت الى قوائم الاحزاب والكتل الصغيرة مثل حركة الفهود السوداء [٢ ٪] ، والجبهة الحمراء [٢ ٪] ، والحزب الشيوعي الاسرائيلي [راكاح] الذي حصل على عدد كبير من الاصوات العربية التي اشتركت في الانتخابات •

وهكذا يجوز القول ان انتخابات الهستدروت ـ والانتخابات العامة التي ستبدأ في ٢٩ اكتوبر ـ لم ولن تحدث تغيرات اساسية على موازين القوى الانتخابية في اسرائيل في الاجل القصير فالمسالة قد لا تعدو ان تكون مجرد انتقال عدد محدود من كراسي الكنيست بين الاحزاب •• ورغم صحة هذا القول في مظهره ، فان المراقب لتطور المجتمع الاسرائيلي لا يمكن ان يغفل ان هناك تحولات عميقة تحدث في الاطار الاجتماعي وسوف تؤثر بالتأكيد على البناء السياسي وعلى توازن القوى التقليدي • النظام السياسي الاسرائيلي بالشكل الذي عرف عليه منذ عام ١٩٤٨ في طريقه الى الاختفاء التدريجي تحت ضغوط مؤثرات متعددة ، من ذلك : تزايد حدة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية ، وتبني نظام انتخابي جديد ، وضعف الاسباب التاريخية لوجود عدد من الاحزاب ، وضعف الالتزام الايديولوجي تجاه عديد من القضايا الاجتماعية ، وزيادة نسبة « الصابرا » [المولودون على ارض فلسطين] وبداية تغير الدور المتميز الذي كانت تقوم به جماعة الماباي في المجتمع ، وبداية تبلور كتلتين او اتجاهين عريضين في الانتخابات •• كل هذه مؤشرات ودلالات على ان النظام السياسي الاسرائيلي في مرحلة انتقال من شكل معين الى شكل آخر ، علينا ان نتتبعها ونرصد تغيراتها لتوضيح آثارها على المواجهة العربية ـ الاسرائيلية •

د • علي الدين هلال

ثم عقدت جلسة العمل الثالثة والاخيرة اذيع فى أعقابها البيان المشترك التالى :

« انطلاقا من مصلحة الامة الواحدة التى ننتمى اليها ، وانطلاقا من ضرورات معركة المواجهة المصيرية مع العدو • ومن خلال الاتصالات التى تمت منذ فترة بين القاهرة ودمشق وعمان ، فقد اتفق على اجتماع رؤساء دول المواجهة •

« وقد تم فى هذا الاجتماع بحث جميع القضايا المعلقة بين البلدان الثلاثه ، وجميع القضايا والتقديرات المتعلقة بمعركة المصير ، واتفق على متابعة الحوار والاتصالات للوصول الى وضع الحلول المقترحة والتى هى قيد البحث وموضع التنفيذ !!

وأنتهت أعمال مؤتمر رؤساء دول خط المواجهة وسط عديد من التكهنات والتوقعات كلها تنحصر حول قضيتين أساسيتين :

- احياء الجبهة الشرقية •
- عودة الفدائيين الى الاردن •

صحيح ان البيان المشترك لم يذكر تحديدا هذين الموضوعين الا أن متابعة تحركات كل من القاهرة ودمشق تشير الى أن هذين الموضوعين هما من الموضوعات الاساسية • فاذا كان هناك بحث وتقديرات متعلقة بمعركة المصير ، واذا كان هناك اتفاق على متابعة الحوار والاتصالات للوصول الى الحلول المقترحة فان البحث الاول هو بالطبيعة سوف يكون حول الجبهة الشرقية ودور العمل الفدائى •

والذى لا شك فيه ـ وهذا ما أكدته القاهرة باستمرار ـ أن أى مواجهة مع العدو الاسرائيلى لا يمكن ان تتم الا بعد الاطمئنان على سلامة الموقف الاردنى من قضية المواجهة الشاملة مع اسرائيل كما أنها أيضا وفى نفس الوقت لا يمكن أن تتم الا بعد توفير كل الضمانات لانطلاق العمل الفدائى الفلسطينى وضمان حريته وسلامته فى معركة المصير • فالعمل الفدائى هناك شريك أساسى وأصيل فى قضية المواجهة • هذا هو ما تؤمن به القاهرة وتسير عليه ومن هنا فان الايام القادمة سوف تلقى مزيدا من الاضواء على نتائج اجتماعات المؤتمر الاول لرؤساء دول المواجهة ••

ويبقى سؤال أساسى حول موقف حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى • لقد تحدد هذا الموقف فى بيان رسمى أعلنته قيادة المقاومة بعد اجتماع طويل عقد فى بيروت يومى ٢١ و ٢٢ سبتمبر • قال البيان ضمن ما قال :

ـ أن حركة المقاومة الفلسطينية لها حق مقدس فى العمل من جميع الجبهات ضد العدو الصهيونى وخاصة من الجبهة الاردنية التى يرتبط مصيرها بمصير الشعب الفلسطينى وقضيته •

ـ ان الجبهة الشرقية يجب أن تقوم على أسس وطنية تضمن قيام مواجهة فعالة ضد العدو الاسرائيلى ، وان هذا الامر يتطلب تحقيق ثلاثة أشياء :

١ ـ عودة المقاومة الى الاردن على أساس أن هذا هو حقها الوطنى الذى لا جدال فيه على أن تمنح الحرية الكاملة فى ممارسة نضالها ضد العدو المحتل •

٢ ـ اشتراك القوات السورية والعراقية بصورة فعالة فى الجبهة •

٣ ـ ضمان الحقوق الاساسية وحرية الشعب الفلسطينى فى الاردن لتمكينه من المساهمة فى النضال ضد العدو ••

● عاد الايريانى لليمن

■ نجحت محاولات الوساطة التى قامت بها اوساط يمنية وعربية فى اقناع القاضى عبد الرحمن الايريانى بالعودة الى صنعاء وممارسة مهام منصبه كرئيس للمجلس الجمهورى فى اليمن .

ويذكر ان القاضى الايريانى قد اقام شهرا كاملا فى دمشق معلنا عزمه على الاستقالة ■

● التضامن العمالى مع فلسطين

■ أكدت سكرتارية الاتحاد العالمى للنقابات وممثلو المنظمات النقابية العربية العضوة فى الاتحاد العالمى ، خلال اجتماع مشترك عقد فى دمشق ـ ضرورة بذل أكبر الجهود فى سبيل توسيع وتنشيط عمل اللجنة النقابية العالمية للتضامن مع عمال وشعب فلسطين بالتعاون الوثيق مع الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب وكل المنظمات النقابية الاخرى . وكما ناقش الاجتماع المشاريع والقرارات التى ستتقدم بها المنظمات النقابية العربية الى مؤتمر الاتحاد العالمى الذى سيعقد فى صوفيا فى الفترة من ١٥ الى ٢٢ اكتوبر الحالى ■

● كاسترو فى بغداد

■ فى زيارة رسمية لبغداد استغرقت يوما واحدا • قام فيدل كاسترو باجراء مباحثات وصفت بانها هامة مع السيد صدام حسين نائب امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى ـ وقد غادر كاسترو بغداد فى طريقه الى نيودلهى ثم هانوى ■

● صواريخ جديدة لاسرائيل

■ ذكرت الصحف الاسرائيلية نقلا عن مجلة « انبيش ويك » الامريكية ان الولايات المتحدة ستزود اسرائيل بصفقة صواريخ جو/جو من طراز م ـ ٧ ـ ف المصممة خصيصا للتصدى لاحدث طراز من طائرات الميج ٢٣ السوفيتية والميج ٢٥ التى تطير على ارتفاع شاهق وسرعة كبيرة لا تمكن المقاتلات الاسرائيلية من

اعتراضـــها ، وقد زودت هذه الصواريخ بمحركات ثنائية . ويبلغ مداها ٦٠ ك.م ، وارتفاعها ٣٠ ك . م .

ومن الدول التى اســـتوردت اسرائيل الصواريخ منهـــا غير الولايات المتحدة فرنسا وبريطانيـا وغيرهما من الدول التى ترى فى وجود اسرائيل سندا لمطامعها فى المنطقة العربية .

وقد ذكرت وكالة الانباء الفرنسية فى ١٩ اغسطس ١٩٧٢ ان اسرائيل ســتكون بذلك أول دولة بعــد الولايات المتحدة الامريكية تحصــل على الصـــواريخ من طـــراز م - ٧ - ف ■

● وفانتوم .. ايضا

■ ستزود الولايات المتحــدة الامريكية اسرائيل بـ ٤٨ طائرة قاذفة مقاتلة اضافية من طـراز فانتوم وذلك اعتبارا من بداية العام القادم . ومن المعروف أنه من المقرر أن تنتهى الولايات المتحدة الامريكية فى نهاية العام الحالى من تسليم اسرائيل ١٢٠ طائرة قاذفة مقاتلة تفوق سرعتها سرعة الصوت مـن طراز فانتوم سبق أن باعتها لها بالفعل . واضافت صحيفة (صن) الامريكية التى تصدر فى بلتيمور أن تسليم الطائرات الثماني والاربعين الاضافية والتى تقدر قيمتها بـ ٢٢٠ مليون دولار سوف يتم تسليمها على ثلاث سنوات . كما ستزود الولايات المتحدة الامريكية اسرائيل بست وثلاثين مقاتلة جديدة من طراز سكاى هوك ■

● المانيا الغربية واسرائيل

■ قررت شركات الطيران فى اسرائيل وفى المانيا الغربية زيـادة عدد رحلات الطيران بين البلدين خلال موسم الصيف القادم كما تقرر أن تقوم الشركة بتشـغيل احدى طائرات الجامبو لمواجهـة الطلب المتزايد للركاب للسفر بين اسرائيل والمانيا ولتشجيع حـركة السياحة من المانيا ■

■ الشرق الاوسط :

أزمـة الشرق الاوســط ودورة الجمعية العـامة

تبرز أزمة الشرق الاوسط باعتبارها أهـم القضـايا التى تواجه الدورة الحالية للامم المتحدة وخاصة ان الوضع فى المنطقة يشكل العقبة الاساسية امام تاكيد التحولات التى شهدتها العلاقات الدولية منذ الدورة السابعة والعشرين والتى كان أهمها انهاء الحرب فى فيتنام . ولذلك تحظى ازمة الشرق الاوسط باهتمام كثير من الاوساط والبلدان ، وسوف يتولى وفد يمثل دول عدم الانحياز عرض القضية خلال الدورة الحالية للمناقشة وهو ماتم الاتفاق عليه فى مؤتمر الجزائر .

وصرحت المصادر الاسرائيلية المسئولة بأن الدورة الحـالية للجمعية العامة لن تتوصل الى حل يخرج أزمة الشرق الاوسط من ركودها وذلك بعد أن تراجعت واشنطن عن فكرة الحل الجزئى الذى سبق وعرضته على مصر . وقالت صحيفة هاآرتس انه ليس هناك أى تغيير فى مواقف الولايات المتحدة من أن الدعم العسكرى لاسرائيل ضرورى للسياسة العسكرية الامريكية ، وانه لاسبيل الى حل الازمة الا من خلال المفاوضات بين الاطراف المعنية . وصرح هارى كيسينجر قائلا « أن الولايات المتحدة لم تجر أى تغيير فى موقفها من اسرائيل وانها لا تجد بديلا لشكل من الاشكال غير التفاوض ، وانهـا على استعداد لتقديم المساعدة اذا قرر الجانبان التفاوض » .

وفى الفترة التى سبقت دورة الجمعية العامة شهدت أزمة الشرق الاوسط تحركات واسعة فى المنطقة العربية وعلى النطاق الدولى . وتشير كل خطوط التحرك السياسى والدبلوماسى والاقتصادى للبلدان العربية خلال الفترة الاخيرة الى تزايد الجهود فى اتجاه تعبئة جميع القوى الممكنة لمساندة النضـال العـربى ، فى اتجـاه فضـح وكشف وزيادة عزلة اسرائيل وفى اتجاه توحيد القوى العربية من أجل اعطاء العمل العربى مزيدا من الفعالية وتنسيق خط التحرك العربى على النطاق الدولى والمحلى .

ففى أوائل الشهر الماضى قام فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة بجولة لتقصى الحقائق فى الشرق الاوسط استغرقت ٦ ايام زار خلالها سوريا ولبنان واسرائيل ومصر والاردن .

وخلال زيارته أوضحت القاهرة لفالدهايم تصميم مصر على تحرير أراضيها وكل الاراضى العربية المحتلة ومساندة الشعب الفلسطينى حتى ينال حقوقه المشروعة التى اقرتها هيئة الامم المتحدة وضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى يحظى بمساندة الغالبية الساحقة من دول العالم والمنظمـات الدولية ، كما أوضحت القاهرة موقف مصر ورأيها فى تطورات أزمة الشرق الاوسط .

وكان مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر فرصة لتحرك عربى واسع النطاق من أجل كسب مزيد من المساندة لقضية العرب ، وأحكام العزلة حول اسرائيل . وقد تمت خلال المؤتمر لقاءات واسعة واتصالات مثمرة بهدف توضيح وتأكيد جوانب القضية العربية لدى كل بلدان عدم الانحياز . وأعلن الرئيس السادات انه قد تم ايجاد خط

عربى موحد تجاه المعركة خلال اللقاءات التى تمت فى الجزائر ·
وتمخض مؤتمر الجزائر عن تأكيد عزلة اسرائيل الدولية وفضح وادانة مخططاتها العدوانية ، والتنديد بالاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية المحتلة ، ومطالبتها بتنفيذ قرارات الامم المتحدة بأنسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة ·

ومع استمرار العمل على الجبهات السياسية والدبلوماسية بدأ الحديث حول استخدام البترول العربى للضغط على الولايات المتحدة من أجل وقف مساندتها المفضوحة للعدوان ويقول المراقبون أن البترول قد بدأ يتزايد اهميته فى ظروف ازمه الطاقة التى تواجـه العالم الغربى والولايات المتحدة على وجه الخصوص ، وأن هذا السلاح الاقتصادى يعطى البلدان العربية فرصا اضافية لتدعيم ومساندة نضالها السياسى والدبلوماسى · واشارت مائير الى انها تعتقد أن العرب سيستخدمون أزمة الطاقة للضغط على الولايات المتحدة بشكل خاص لكى تغير من سياستها تجاه اسرائيل · وقد بدأت بعض البلدان العربية محاولة الاستفادة من هذا السلاح لصالح قضية التسوية العادلة لازمة الشرق الاوسط · وصرح الملك فيصل أنه يجب على الولايات المتحدة أن تعدل عن اتخاذ موقف منحاز لاسرائيل وعن تقديم المساعدات لها ممـا يزيد من صلتهـا ورفضها للسلام ،واذا لمتستجب امريكا لذلك فان مصلحتنا تملى علينا خفض انتاج البترول ·

وقد أدركت الدوائر الحاكمة فى اسرائيل خطر التحركات العربية فى زيادة عزلة اسرائيل وتوفير مناخ دولى اكثر مواتاة لنضـــال العرب . واشار موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى الى أنه يشعر أن الموقف الدبلوماسى الاسرائيلى قد تدهور بصورة خطيرة وأن اسرائيل تواجه عزلة دولية شبه تامة وقال فى تصريح له :

« **لقد حقق العرب فى الفترة الاخيرة انتصارات دبلوماسية بارعة وهم يعتزمون بناء على هذه الانطلاقة تحقيق انتصارات دبلوماسية أخرى يمكن أن تؤدى الى أحكام العزلة الدولية حول اسرائيل** » وقد دفع ذلك البعض فى اسرائيل الى الدفاع عن ضرورة قبول الاقتراح الخاص بعقد مؤتمر دولى تحت اشراف الامم المتحدة لتسوية أزمة الشرق الاوسط باعتبار ذلك مخرجا ينقذ اسرائيل من عزلتها الدولية ·

ومع تزايد عزلة اسرائيل الدولية وفى ظل هذا النشاط والتحركات الدبلوماسية التى تهدف الى فرض تسـوية عادلة لازمـة الشرق الاوسط لم تستطع الدوائر الاسرائيلية الحاكمة أن تقف مكتوفة الايدى فقامت بهجومها الجوى الواسع النطاق على سوريا ·

وتصدت المقاتلات السورية للهجوم الجوى الاسرائيلى فى أكبر معركة جوية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ · وقد وصف متحدث رسمى سورى المعركة الجوية بأنها كانت كميناجويا أعد بعناية لاستدراج سلاح الطيران السورى والقضاء عليه،لكن الخطةاخفقت بفضل استبسال الطيارين السوريين ·

وعلقت البرافدا قائلة ان الهجوم الاخير على سوريا هو محـاولة للحديث بلغة القوة وتلقين البلدان العربية درسا لاتخاذها فى الفترة الاخيرة عددا من الخطوات لتدعيم قواها فى النضال من أجل تصفية آثار العدوان وقد قامت اسرائيل بهذا العمل الاستفزازى فى وقت تبذل فيه محاولات جادة فى المجال الدول للتوصل الى تسوية لازمة الشرق الاوسط (•)

● برنـــــامج للاستيطان والاستعمار

■ **قرر حزب العمل الاسرائيلى الحـاكم [الديمـــقراطيون الاشتراكيون] دخـول الانتخابات البرلمانية التى ستجرى فى نهاية أكتوبر الحالى ببرنامج يتضـمن وعودا بانشاء مزيد من المستعمرات فى الاراضى العربية المحتلة . وقد رأستجولدا مائير الجلسة الخاصة التى عقدتها السكرتارية العـامة للحزب والتى أقرت هذا البرنامج .. وأعلنت دوائر حزب المابام المتحالف مع حزب العمل استعداد المابام لتأييد هذا البرنامج ■**

● الاستيطان بدون عرب

■ **يبحث قسم الاستيطان الاسرائيلى مع حركات الاستيطان الوسائل اللازمة لتغيير أسلوب المعيشة فى المستعمرات المقامة فى المناطق المحتلة وذلك لتنفيذ قرار الحكومة الصـادر أمس بشأن التقليل من استخدام العمال العرب المؤجرين فى مناطق الاستيطان الواقعـة خلف الخط الاخضر . ويعتزم قسم الاستيطان التقليل من الاعمال التى تتطلبعمالا عربا مثل زراعة الخضروات وفى نفس الوقت سـوف ينظم العمـل فى تلك المستعمرات بحيثيعتمد على الماكينة وقليل من الايدى العاملة . ومـن ناحية أخرى فان موشى ديان كان قد صرح فى حديث اذاعى أنه ينبغى على المستوطنين اليهود فى مدينة رفح المحتلة الكف عن استئجـار العمال العرب باختيارهم بدلا من الانتظار حتى تتدخل الحكومة لوقف هذا العمل ■**

● حرب البترول واسرائيل

■ **كتب الجنرال حاييم هيرزوج رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق فى صحيفة [جيروزاليم بوست] الاسرائيلية يقول أن قرار العرب باستخدام البترول لاغراض سياسية لا يمكن تجاهله وأنه يتعين على اسرائيل والشعب اليهودى أن يردا بنفس الطريقة التى يتعين عليهما الرد بها على العدوان المسلح . وذلك باستخدام نفس الاسلحة الاقتصادية التى يستخدمها العرب.**

واستـطرد الجنـرال هيرزوج قائلا ولكن اليهود يشكلون اليوم قوة اقتصادية هائلة . ولو أدركت الدول التى تسـارع الى ادانة اسرائيل فى مجلس الامن ومنظمة الطيران المدنى الدولية ، أن مثل

هذا النشاط يمكن ان يثير رد فعل اقتصادى من جانب اسرائيل ويهود الشتات لكانت اكثر حذرا

وذكر الجنرال هيزدوج أن الترسانات البريطانية تقوم فى الوقت الحاضر بتنفيذ بعض الطلبات التى تقدمت بها اسرائيل وهى أكبر طلبات فى تاريخها ■

وان اسرائيل تشترى منتجات بريطانية أكثر مما تشتريه الدول العربية المجاورة مجتمعة .

وصرح بانه قد حان الوقت لانشاء منظمة مركزية تنسق للمعركة الاقتصادية العالمية ويمكنها ان تشن هجوما مضادا على المقاطعة العربية وعلى استخدام البترول ■

● اسرائيل : جنوب افريقيا

■ كشفت وكالة تاس السوفيتية فى تعليق لها عن النشاط الصهيونى فى افريقيا عن حقائق الاتصالات السرية والعلنية بين تل ابيب والحكومات العنصرية فى جنوب القارة . فاشارت الوكالة الى امدادات الاسلحة التى يقدمها الصهاينة لجنوب افريقيا وقيام العسكريين الاسرائيليين الذين اكتسبوا خبرة فى قمع سكان الاراضى العربية المحتلة — بتدريب قوات جنوب افريقيا على وسائل حرب العصابات . كما ذكرت الوكالة ان اسرائيل تعتبر حاليا اكبر مشتر للماس الخام من جنوب افريقيا . كما أن تل ابيب هى التى ساعدت روديسيا فى تصدير اللحوم والمنتجات المعدنية لها منتهكة بذلك العقوبات التى تفرضها الامم المتحدة على روديسيا . وفى مقابل ذلك قدم العنصريون فى روديسيا لرجال الاعمال الصهاينة ٢٥٪ من اسهم مؤسسة « يونيفيكس » التى تعتبر أكبر مؤسسة اقتصادية فى روديسيا ■

■ مؤتمر الجزائر :

عدم الانحياز ..
سياسة للتحرر الوطنى

انعقد بالجزائر خلال الفترة من ٥ـ٩ سبتمبر الماضى المؤتمر الرابع للدول غير المنحازة وحضرته وفود كبيرة من ٧٨ دولة كان معظمها بقيادة الملوك والرؤساء ورؤساء الوزارات فى هذه الدول بالاضافة الى ممثلى ١٦ من حركات التحرير فى العالم مازال شعوبهم تقاتل من اجل الاستقلال الوطنى وسط ظروف بالغة التعقيد . وفى جلسة افتتاح المؤتمر ألقى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين باعتباره رئيسا للدولة المضيفة ، بيانا سياسيا لمس فيه الدور الذى تطمح دول عدم الانحياز الى القيام به فى السياسة الدولية والاهداف التى تسعى الى تحقيقها قائلا : « ان ألفى مليونا من البشر الذين لا يصنعون القنبلة الذرية يستطيعون أن يشكلوا قوة مؤثرة فى العالم . وأن هذه الامواج من الجماهير وهذه الملايين من البشر تطالب بتحقيق السلام القائم على العدل فى أراضيها وفى العالم كله » . ورغم أن أحدا من الوفود ـ كما بدا ـ لم يكن ليختلف على المعانى العامة لدور واهداف تجمع عدم الانحياز ، الا ان قاعات قصر الامم بمدينة الجزائر ـ مقر انعقاد المؤتمر ـ قد شهدت على امتداد الجلسات بعد ذلك محاورات ساخنة وتحركات أشد سخونة ،

تعليق
المبادرة الكوبية دلالة هامة

المبادرة التى اتخذتها كوبا بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، لها دلالات متعددة يمكن أن يتناولها المعلق السياسى على أنه من الاهم أن نرصد هنا دلالتين منها لهما اهمية خاصة :

اولا : ان هذه المبادرة الكوبية المباشرة ، ثمرة ايجابية تحققت بفعل عنصرين : الجهد السياسى الكثيف الذى قامت به القيادات السياسية العربية — وخاصة القيادة المصرية — خلال أعمال مؤتمر رؤساء دول عدم الانحياز وما سبق انعقاده سواء فى التحضير له او فى المنابر والساحات السياسية الدولية السابقة على ذلك ، بتوضيح حقيقة الموقف العربى وعدالته من جهة وعدوانية الموقف الاسرائيلى من جهة أخرى .

أما العنصر الثانى ، فهو طبيعة نظام وحكومة كوبا ، فلولا أن هذا النظام وهذه الحكومة يتصفان بالعداء للامبريالية وبمناصرة حقوق الشعوب : لما كانت هذه الاستجابة المباشرة من كوبا بالتحديد .. فآخرون قد حضروا المؤتمر ، الا أنهم لم يبادروا مثلما بادرت كوبا .

ثانيا : ان المبادرة الكوبية ، تكشف عن عدة حقائق : فكوبا «كدولة اشتراكية» تؤكد بمبادرتها مواقف الدول الاشتراكية فى تاييدها لعدالة الموقف العربى ومشروعيته . وهى « كدولة اشتراكية » ايضا ، تؤكد طبيعة خريطة الجبهة العالمية المعادية للاستعمار ، هذه الجبهة التى تضم — كضرورة — قوى الدول الاشتراكية جنبا الى جنب قوى دول التحرر الوطنى . هذه القوى جميعها ، ومهما تنوعت أو اختلفت نظمها ، تجمعها مصلحة مشتركة واحدة : العداء للاستعمار والعمل من أجل تصفيته كنظام . والحرص على تراص صفوف هذه الجبهة واستمرارها وحمايتها ، يتفق مع المصالح الوطنية العليا لهذه القوى جميعها .

يبقى أن نقول ، انه اذا وضعنا فى اعتبارنا « المركز » الذى تشغله كوبا فى الحركة الثورية بأمريكا اللاتينية وتاثيرها على المسار العام للمواقف السياسية لدول امريكا اللاتينية ، لادركنا — فضلا عما سبق — القيمة الايجابية للجهد السياسى العربى والمبادرة الكوبية معا .

حسين شعلان

عكست ـ كما يقول كثير من المراقبين ـ ما يعتمل فى صفوف دول المؤتمر من تفاعلات وتناقضات جديرة بالبحث .

فالمؤتمر يأتى وسط مناخ دولى معقد تتنازعه ظواهر متباينة وتؤثر فيه مجموعة من المتغيرات الدولية ستظل لفترة طويلة موضع جدل حاد ، سواء فى معسكر الثورة العالمية وبين فصائله المختلفة (الدول الاشتراكية ـ حركة التحرر الوطنى ـ حركة الطبقة العاملة فى البلدان الراسمالية) أو على الجانب الاخر فى المعسكر الامبريالى وعملائه من الصهاينة والعنصريين والقوى الرجعية فى محاولة من كلا المعسكرين لتوظيف هذه المتغيرات لصالحه وضد صالح الطرف الاخر .

ومن بين مجموع المتغيرات الدولية يتميز بأهمية خاصة ذلك الانفراج منعطفا يفرض عليها ترقية اساليب واشكال صراعها ضد والولايات المتحدة او بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية بشكل عام ، وما يمكن أن ينتجه من آثار على الصراع المتصاعد بين مختلف فصائل حركة التحرر الوطنى من جانب ، وبين الامبريالية العالمية وعملائها من جانب آخر . وعند تقدير آثار هذا الانفراج الدولى ، فان فصائل حركة التحرر الوطنى ستجد نفسها امام احد موقفين :

أولهما : أن تتصرف على نحو يجعل الانفراج اضافة الى رصيد القوى الامبرياليه وعملائها وتعتبره ستارا لاخفاء تناقضاتها الذاتية المهينه ، ومبررا للتراخى او حتى للاستسلام .

ثانيهما : أن تدرس بعمق ما يدور حولها من تطورات وأن تعتبر الانفراج منعطفا يفرض عليها ترقية اساليب وأشكال صراعها ضد الامبرياليه وتشديد الوحدة والانضباط بين صفوفها وتصعيد نضالها على مختلف الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية .

ولهذا فلم يكن غريبا ان يكون السؤال المطروح على مؤتمر الجزائر عن تأثير الانفراج (الدولى !) على سياسة عدم الانحياز هو أكثر الاسئلة اثارة للجدل . وتمايزت من اللحظة الاولى اجابتين مختلفتين على هذا السؤال ، تكشف كل منهما المواقع الحقيقية لاصحابها مع او ضد حركة التحرر الوطنى ونضالها من اجل الاستقلال والتقدم . فبينما حاول البعض أن يفرغ سياسة عدم الانحياز من مضمونها التقدمى المعادى للاستعمار والاستغلال بكل صوره وأشكاله ، وأن يضع الاتحاد السوفييتى مع الولايات المتحدة على صعيد واحد ، فلقد كان هناك من تصدى لهذه المحاولة ، مؤكدا ضرورة المحافظة على جوهر سياسة عدم الانحياز ومبينا خطورة الخروج بالانفراج فى العلاقات السوفيتية ـ الامريكية عن ابعاده الحقيقية . فالاتحاد السوفييتى وقف دائما الى جانب الشعوب المناضلة ، بينما وقفت الولايات المتحدة ، ومازالت تقف ، ضد الشعوب . وعلى سبيل المثال ، فلقد عبر الزعيم الكوبى فيديل كاسترو عن هذا الاتجاه الاخير حينما طالب بادانة الولايات المتحدة ، التى تدس يدها الاجرامية فى كل مكان ، والتى تساعد العنصريين وتغتال القادة الدوليين ، بدلا من الاساءة الى الاتحاد السوفييتى الذى يشكل حليفا استراتيجيا لدول التحرر الوطنى .

ومن الامور ذات الاهمية ان الاتحاد السوفيتى قد حرص على تحديد موقفه البناء ازاء مؤتمر الجزائر فى رسالة بعث بها الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف الى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين

● « عسكرة » المحيط الهادى

■ أعلنت وكالة نوفستى ان القوى الاستعمارية تضع المشاريع وترسم الخطط لتطوير التكتلات ودعم الاحلاف العسكرية وخلق ما يسمى بـ « حزام الدفاع » فى المحيط الهادى . كما أن هناك مشاريع أخرى تستهدف «عسكرة» المحيط الهندى بحجة الدفاع عن الخطوط البحرية منها اقتراح يدعو الى انشاء قوة بحرية مشتركة فى هذه المنطقة تضم وحدات بحرية من الولايات المتحدة واليابان واستراليا وعددا من دول أوروبا الغربية .

والمعروف أن الولايات المتحدة فى مجموعة جزر مارشال الواقعة على بعد ٣٥٠٠ ك.م من فيتنام شبكة من القواعد العسكرية ، ويجرى الان بناء المزيد من القواعد لاستيعاب القوات الامريكية المقرر انسحابها من مناطق الهندالصينية .. ووفق هذه المشروعات ستصبح جزر ماريا قواعد غوام وجزر مارشال مركزا للتجمع الحربى الامريكى فى الجانب الغربى من المحيط الهادى . والى جانب ذلك فان وزارة الحربية الامريكية تمتلك فى مجموعة جزر مكروتيسيا عددا من مستودعات الاسلحة والمطارات وقواعد لاطلاق الصواريخ الموجودة فى جزيرة كوايا لاين التابعة لجزر مارشال . وفى هذه الجزر مطارات خاصة ومخازن لقفازات الفضاء وكلها مستعدة للعمل فى أول تدخل عسكرى يقرره البنتاجون الامريكى .

كما انشأت الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا محطة لاسلكى عسكرية فى جزر دياجو كارسيا التابعة لبريطانيا والواقعة فى المحيط الهندى . وقد أعلن مؤخرا السكرتير العام للحزب الموحد لشعب جزر سيشل التابعةلبريطانيا فى المحيط الهندى أن خمسة آلاف جندى بريطانى وأمريكى موجودون الان فى جزر سيشل تمهيدا لاقامة قاعدة عسكرية بها وأنه قد تم بامر من السلطات العسكرية البريطانية نقل السكان المحليين الى جزيرة

[هاى] ■

قبل أيام من انعقاد المؤتمر وقد تضمنت هذه الرسالة تأكيدا لمجموعة من المواقف المبدئية الثابتة يأتي في مقدمتها :

اولا : ان الاتحاد السوفيتي يرى في المؤتمر تدعيما للجبهة المعادية للاستعمار في العالم ٠

ثانيا : ان محاولة التفرقة بين الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز حتى تعادى الدول غير المنحازة المعسكر الاشتراكي هي محاولة لحرمان هذه الدول من حليفها الطبيعي والاكيد في التنمية والتقدم ٠

ثالثا : ان الاتحاد السوفيتي لا يميز او يفرق بين الكبار والصغار او بين الاغنياء والفقراء ، ولكن خط التقسيم الحقيقي عنده هوبين قوى الاشتراكية والتقدم والسلام وبين قوى الاستعمار والامبريالية والرجعية ٠

أما على الجانب الاخر فلقد كانت رسالة الولايات المتحدة وعملائها الى المؤتمر مجموعة من المناورات والضغوط تهدف الى الحد من فاعليته والتأثير بالسلب على نتائجه ٠ ويشير المراقبون في هذا الخصوص الى الضغوط الهائلة التي مارستها الولايات المتحدة على دول امريكا اللاتينية لمنع رؤسائها من حضور المؤتمر ، ومازال الاحداث الدامية التي جرت ضد الحكم الوطني التقدمي في شيلي شاهدا يدين الدور الامريكي ضد الدول غير المنحازة ٠ كذلك يرصد المراقبون التهديدات الامريكية لليبيا عشية انعقاد المؤتمر بسبب محاولتها للسيطرة على مواردها البترولية وتخليصها من قبضة الاحتكارات وحادث الهجوم على السفارة السعودية في باريس وهو الحادث الذي استنكرته منظمات الكفاح الفلسطيني المسلح كجزء من نفس الدور التخريبي لجذب الاهتمام بعيدا عن مؤتمر الجزائر ٠٠

ويتفاوت تقدير المراقبين لاعمال المؤتمر ومدى النجاح الذي أحرزه فنجد من يرى بأن الانفعالات والصراعات قد سيطرت عليه ومن ثم فانه حتى القرارات الايجابية التي اتخذها لن يكون لها ثمرة كبيرة في الواقع ٠ وعلى العكس من ذلك يرى كثير من المراقبين ان التيار التقدمي في مجموعة عدم الانحياز قد استطاع أن يخرج بالمؤتمر من أسر الجدل العقيم ليقف به أمام القضايا العملية التي تواجهها دول التحرر الوطني بما يتطلبه ذلك من تحديد للمواقف بشكل مباشر مع أو ضد الشعوب المناضلة ٠ ويرى هؤلاء المراقبون أيضا ان ما تمخض عنه المؤتمر من قرارات يعد خطوة ايجابية ان لم يكن بالتقدم الى الامام فهي على الاقل بعدم التراجع الى الخلف ٠

ففيما يتعلق بتقييم الدول غير المنحازة لمسالة الانفراج في العلاقات بين الشرق والغرب اعلن المؤتمر في بيانه الختامي « ان **بلدان عدم الانحياز التي لم تفتأ تعمل من أجل السلم والقضاء على عوامل التوتر عن طريق التفاوض والرجوع الى المجالس الدولية لتعرب عن ارتياحها لكل هذه الجهود والمبادرات وتعتبرها مرحلة ايجابية على طريق استقرار السلام** » ولكن البيان ينبه مع ذلك الى انه « **اذا كان تخفيف حدة التوتر قد احرز تقدما فان صراع الشعوب مع الاستعمار والسيطرة والاحتلال الاجنبي والاستعمار الحديث والامبريالية والصهيونية سيظل حقيقة من حقائق عصرنا** » كما نبه البيان ايضا الى خطورة زيادة حدة الانقسام في العالم عن طريق « **قصر السلام على المناطق الغنية بينما يتعرض باقي البشرية لعدم الامن** » ويجمع العديد من المراقبين على أن قضية الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية وقضية الكفاح الفلسطيني من أجل

● فيتنام وايران

■ قررت حكومتا فيتنام الديمقراطية وايران تبادل البعثات الدبلوماسية على مستوى سفارة ٠٠ ايران هي الدولة رقم ٦٠ التي تفتح سفارتها في هانوي ■

● الدول المستهلكة للبترول

■ عقد خبراء من تسع دول مستهلكة للبترول هي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الاتحادية وكندا واليابان وايطاليا وهولنده والنرويج اجتماعا خاصا في باريس في النصف الاول من الشهر الماضي بحثوا فيه الموقف في السوق العالمي للبترول بعد ارتفاع أسعار البترول العربي وبعد الاجراءات التي قامت بها الحكومة الليبية لضمان الاشراف على نشاط احتكارات البترول الامريكية . وقد أخفق المشتركون في الاجتماع السري في التوصل الى رأي موحد بالنسبة لسياسة العمل في المستقبل ■

● الارهاب في جنوب افريقيا

■ ذكرت صحيفة نويس دويتشلاند كبرى صحف جمهورية المانيا الديمقراطية ان عدد الذين يشنقون سنويا بجنوب افريقيا حوالي ١٥٠ شخصا وعدد الذين يجلدون ٧٠ الف شخص وعدد الذين يعتقلون بـ ٨٠٠ الف شخص ■

استرداد حقوقه الوطنية والقومية المغتصبة قد حظيت بأوسع الاهتمام فى مؤتمر الجزائر ويرون ان المؤتمر قد تبنى وجهة النظر التى طرحها الرئيس المصرى أنور السادات وأكد فيها « ان قضية الشرق الاوسط هى اليوم اخطر القضايا التى تواجه عالمنا غير المنحاز » .

ويصف المراقبون القرار الخاص الذى افرده المؤتمر لهذه القضية بأنه اقوى القرارات التى صدرت بهذا الخصوص من أى تجمع دولى حتى الان لصالح الشعوب العربية والشعب الفلسطينى . وترجع قوة القرار ـ فى تقديرهم ـ الى أن القضية قد نوقشت فى اطار كونها قضية تحرر وطنى ومواجهة للامبريالية الامريكية والعنصرية الاسرائيلية المتحالفة معها .

ومن المواقف الجديرة بالتسجيل فى نظر كثير من المراقبين انه اذا كانت الحكومات الثورية فى العالم قد حظيت بتأييد المؤتمر فانه بالنسبة لحركات التحرير الستة عشر التى حضرته (١٤ حركة افريقية ـ واحدةمن أمريكا اللاتينية ـ فلسطين) لم يكتف المؤتمر باصدار ميثاق موحد لتمثيلها ، وانما اعلن ايضا عن انشاء صندوق للدعم تموله الدول الاعضاء وقد بدأت الدول العربية المنتجة للبترول بالتبرع فعلا لهذا الصندوق .

ومن الجدير بالتسجيل ايضا أن الدول غير المنحازة قد وعت حقيقة الارتباط بين التحرر السياسى والتحرر الاقتصادى فقد اسفرت مناقشة الجوانب الاقتصادية عن وضع ميثاق اقتصادى حقيقى للدول النامية يعلن تصميمها على المشاركة الكاملة فى ادارة الشئون الاقتصادية والمالية الدولية . واضعا فى الاعتبار الاثار السلبية التى نجمت بالنسبة لاقتصاديات الدول النامية نتيجة للازمة النقدية الدولية ومؤكدا ضرورة مشاركة الدول النامية فى حل هذه الازمة على اساس يحمى مصالحها المهددة . ودعا الميثاق الاقتصادى ايضا الى ضرورة أن تكون الاستثمارات الاجنبية فى الدول النامية تحت اشراف حكومى مركزى وأن تحصل على تصريح مسبق من الدولة المعنية بما يضمن تناسقها مع عملية تنمية الاقتصاد الوطنى وبشرط الا تعمل فى القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية . كذلك دعت القرارات الى أن أى تأميم تقوم به دولة من الدول لاستعادة مواردها الطبيعية (البترول مثلا فى الوطن العربى أو النحاس فى شيلى) هو حق من حقوق السيادة واذا تعرض ذلك لاى اجراء مضاد فان هذه المجموعة تجتمع لوضع « استراتيجية عمل جماعى يستهدف الحيلولة دون تطبيق هذه الاجراءات وكذلك تفادى الاثر الدائم لها » كما أوصى المؤتمر بتشكيل منظمات للدفاع عن مصالح الدول المنتجة للمواد الاولية على غرار منظمة الاوبك ، واللجنة الدولية للدول المصدرة للنحاس وتحقيقا للتعاون بين الدول غير المنحازة يجرى التفكير فى انشاء صندوق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية يستخدم فى تمويل مشروعات الانماء فى هذه الدول . كذلك فقد اتفق المؤتمر على عقد دورة خاصة فى العام القادم حول الاستعمار والتمييز العنصرى . على أن تكون دورته العادية القادمة فى كولومبو عاصمة سيريلانكا عام ١٩٧٦ .

وفى النهاية لقد علق الرئيس اليوجوسلافى جوزيب بروزتيتو على اعمال مؤتمر الجزائر قائلا « ان المؤتمر حدث تاريخى على درجة بالغة من الاهمية وان نتائجه قد فاقت توقعاتنا » وعلى العكس من ذلك أعلن الرئيس التونسى بورقيبة انه لن يحضر بعد الان أى مؤتمر

● التضخم فى امريكا

■ انتقد جورج مينى رئيس الاتحاد العام للعمل الامريكى [وهو من كبار القادة اليمينيين فى الحركة النقابية الامريكية] أمام ٣٠٠مندوب نقابى فى اتلانتا بولاية جورجيا الامريكية الرئيس نيكسون وحمله مسئولية الضائقة الاقتصادية المؤسفة التى اصبحت اسلوبا لمعيشة الامريكيين . وعقد مينى ـ مؤتمره الصحفى التقليدى فى يوم العمل ٣ سبتمبر ـ مقارنة بين الوضع الاقتصادى الحالى حيث وصل معدل التضخم الى ٨٪ بالوضع فى عام ١٩٦٩ وهو عام تولى الرئيس نيكسون للسلطة حيث كان معدل التضخم ٤ر٢٪ وكان نيكسون يعتبر هذا المعدل غير مقبول . واختتم جورج مينى مؤتمره قائلا ان العمال والعمال وحدهم قد أرغموا على تقديم تضحيات فى مكافحة التضخم المفروض ان تقوم به الحكومة ■

يعقد تحت اسم عدم الانحياز أما الرئيس الليبى معمر القذافى فقد قال حينما سالته وكالة الانباء الليبية بعد المؤتمر عن رأيه : ان مؤتمر « عدم الانحياز » كان ناجحا للغاية • لقد استطاع مؤتمر الجزائر أن يحتفظ بعدم الانحياز سياسة للتحرر الوطنى ومناهضة الاستعمار •

■ الصين :

المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى •• الصراع مستمر حتى بعد نهاية « لين بياو »

على مدى ١٧ عاما عقد الحزب الشيوعى الصينى مؤتمرين وطنيين فقط ، هما مؤتمراه التاسع (ابريل ١٩٦٩) والعاشر (أغسطس ١٩٧٣) • وقد عقد المؤتمران فى سرية كاملة ، وكان المؤتمر الثامن قد عقد فى سبتمبر عام ١٩٥٦ علنيا وبحضور عدد كبير من ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية « الشقيقة » •

وقد كسر جدار الصمت الذى احاط بالمؤتمر العاشر ببيان صحفى صدر يوم ٢٩ أغسطس الماضى فى بكين بعد تكهنات عديدة ظلت ترددها وكالات الانباء والصحف الغربية المطلعة ــ نقلا عن مراسليها فى بكين ــ بعضها يخمن أن مؤتمر الحزب الشيوعى فى حالة انعقاد وبعضها يخمن أن المؤتمر لم يعقد بعد وانما يجرى الاعداد له • وذهب البعض الى أن مئات السيارات وآلاف المندوبين الذين يشاهدون فى ليالى متعاقبة داخلين الى أو خارجين من قاعة الشعب فى بكين انما هم ممثلو الاتحادات العمالية التى جرت عملية اعادة تنظيم شاملة لها . وتعددت التكهنات الى أن صدر البيان الصحفى عن انعقاد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى خلال الفترة من ٢٤ الى ٢٨ أغسطس .

وبعد البيان الصحفى أخذت تتوالى « وثائق » المؤتمر وهى تنحصر فيما يلى (بالاضافة للبيان الصحفى) :

١ ــ التقرير السياسى الشامل الذى قدمه للمؤتمر شواين لاى رئيس الوزراء وعضو المكتب السياسى .

٢ ــ تقرير مراجعة دستور الحزب الشيوعى الصينى الذى قدمه الى المؤتمر وجه جديد شاب أثار صعوده المفاجىء الى الجلوس فى «الصف الاول » مع ماوتسى تونغ زعيم الحزب دهشه شديدة فى جميع أوساط مراقبى الشئون الصينية : وهو وان هون وين مؤسس « القيادة العامة »للثورة الثقافية فى مدينة شنغهاى ١٩٦٦ .

٣ ــ الدستور الجديد (بعد المراجعة) للحزب الشيوعى الصينى ، وهو الدستور الثالث الذى يصدر عن ثالث مؤتمر على التوالى •

وقد كان جدول اعمال المؤتمر ــ كما حدده البيان الصحفى ــ مكونا من ٣ موضوعات :

ــ تقديم شواين لاى تقريرا سياسيا بالنيابة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى •

ــ تقديم وان هون وين تقريرا عن تعديل دستور الحزب نيابة عن اللجنة المركزية وتقديمه مشروع الدستور المعدل .

ــ انتخاب اللجنة المركزية العاشرة للحزب .

والحقيقة الاولى الاساسية التى تدور حولها الوثائق المذاعة

● الشيوعيون •• كم عددهم ؟

■ فى تقرير أعده مكتب المعلومات التابع لوزارة الخارجية الامريكية أن عدد أعضاء الاحزاب الشيوعية العلنية فى العالم يبلغ ٤٧٫٥٠٠٫٠٠٠ عضو ، وقال التقرير أنه لا تزال قوانين ٣٩ بلدا تحرم قيام أحزاب شيوعية بها ■

حرب الكمبيوتر :

■ تاسست شركة فرنسية ــ المانية غربية ، لمواجهة السيطرة الامريكية على سوق الكمبيوتر فى اوربا الغربية والمعروف أن أمريكا توزع ما يزيد على نصف ما تستخدمه أوربا الغربية من الكمبيوتر بينما لا توزع الشركات الفرنسية والالمانية الغربية الا ٨٪ فقط .. وتنوى الشركة الجديدة طرح أجهزة كمبيوتر متطورة ابتداء من العام القادم ■

للمؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى هى مسألة « **مؤامرة لين بياو** » . فالحديث عنها يمتد على صفحات كاملة فى كل من البيان الصحفى والتقرير السياسى لشواين لاى وتقرير مراجعة الدستور . وتكاد تكون هذه المؤامرة **محور كل القضايا التى تتناولها وثائق المؤتمر** ، بشكل يوحى بأن المؤتمر انعقد لتحقيق مهمة واحدة هى اعلان القضاء على « **مؤامرة لين بياو** » وزير الدفاع السابق الذى نص الدستور السابق للحزب الشيوعى الصينى على انه خليفة **ماوتسى تونج** فى زعامة الحزب .

يقول البيان الصحفى عن المؤتمر :

« لقد أدان المؤتمر بسخط طغمة**لين بياو** المعادية للحزب على جرائمها . وقد أيد كافة المندوبين بحزم وعزم قرارا صادرا عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى طرد **لين بياو** الطماع البورجوازى والمتآمر والمنافق المعادى للثورة والمرتد والخائن من الحزب الى الابد ، وطرد **تشين بودا** (السكرتير الخاص **لماوتسى تونج**) العضو الرئيسى فى طغمة**لين بياو** المعادية للحزب والكومينتانجى المعادى للحزب الشيوعى والتروفسكى والخائن وعميل العدو والمحرف طردا ابديا من الحزب وتنحيته عن جميع المناصب الحزبية وغير الحزبية . كما اجمعوا على تأييد ما قررته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بشأن سائر الاعضاء الرئيسيين فى طغمة **لين بياو** المعادية للحزب ، وتأييد كل ما اتخذته من قرارات » .

ويقول التقرير السياسى لشواين لاى فى أول فقرة منه :

« ان المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى الصينى يعقد فى الوقت الذى تم فيه سحق طغمة **لين بياو** المعادية للحزب ، وأحرز خط المؤتمر الوطنى التاسع للحزب انتصارات عظيمة وساد الوضع الممتاز فى داخل البلاد وخارجها ، وانى نيابة عن اللجنة المركزية اقدم الى المؤتمر الوطنى العاشر هذا التقرير ومواضيعه الرئيسية هى : حول خط المؤتمر التاسع وحول الانتصار فى سحق طغمة لين بياو المعادية للحزب وحول الوضع والمهمات .

ويقول التقرير عن تعديل دستور الحزب الذى قدمه وان هون وين العضو الجديد بالمكتب السياسى للحزب :

« لقد احتفظ فى المنهاج العام من مشروع الدستور المعدل بما ورد فى دستور الحزب الذى اجازه المؤتمر التاسع من نصوص خاصة بطبيعة حزبنا وأفكاره المرشدة ومنهاجه الاساسى وخطه الاساسى وغيرها مع ادخال بعض التعديلات على تركيبه ومضمونه . ولم تدخل على مواد الدستور الا تعديلات قليلة ، وخفض مجموع الكلمات بعض الشىء ، وشطبت كل الفقرة الخاصة **بلين بياو** ، فى المنهاج العام من دستور الحزب الذى أجيز فى المؤتمر التاسع هذا هو المطلب الاجتماعى لكل الحزب والجيش والشعب والنتيجة الحتمية لخيانة **لين بياو** للحزب والوطن وقطيعته النهائية مع الحزب والشعب » .

والوثائق كلها بعد ذلك ـ سواء فى تناولها للمسائل السياسية الداخلية للصين أو للعلاقات الخارجية ـ تكاد ترتبط كلها « بمؤامرة **لين بياو** » .

هكذا فان المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى ـ وان كان مجرد انعقاده يعطى مؤشرا الى انتهاء مرحلة من الصراع داخله ـ الا انه يؤكد فى الوقت نفسه استمرار هذا الصراع الحاد ، ويؤكد ان الصراع لم ينته .. وبمعنى آخر **فان عهد الهزات المستمرة الذى عاشته الصين منذ اوائل الستينات ستمتد ربما طوال السبعينات كلها على الاقل** ■

● الدول المصدرة للبترول :

■ **دعت بلدان العالم الرئيسية المصدرة للبترول الى اجـــراء مفاوضات جديدة لزيادة أسعار البترول ، على أن تبدأ هذه المفاوضات فى ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، وجاءت هذه الدعوة نتيجة للقرار الذى اتخذه مؤتمر منظمة الاوبك فى اجتماعه الاخير بفيينا .**

وجاء فى البلاغ الذى صدر فى نهاية مؤتمر « اوبيك » ان اتفاقات الاسعار الاساسية التى جرى التفاوض بشأنها فى ١٩٧١ لم تعد تتناسب مع ظروف السوق المالية والتضخم العالمى الكبير .

كما قررت « الاوبيك » دعم ليبيا فى أية خطوات تتخذها لدعم تأميمها فى الاونة الاخيرة لـ ٥١٪ من أسهم ثمانى شركات بترولية كبرى تعمل على اراضيها .

كما اعلن الامين العام لمنظمة « الاوبك » ان مؤتمر المنظمة سيتخذ الاجراءات المناسبة لمواجهة اى اجراء جماعى تتخذه شركات البترول العالمية فى مواجهة الخطوة الليبية .

والمعروف ان دول الاوبك توفر ٨٠٪ من البترول الذى تستورده الدول الرئيسية فى العالم الراسمالى ■



تحالف الاحتكارات .. والعسكرية

■ تأليف :

الكسندر ديكين

■ الناشر :

وكالة نوفوستي للصحافة ـ موسكو ٧٣

رغم صغر حجم هذه الدراسة ، فانها تتصف بدرجة من الشمول تستحق الاعجاب فعلا .. ويتبدى هذا الشمول فى أمرين **أولهما** : التعرض لكافة جوانب القضية موضوع البحث بما يعطى صورة كاملة عن الظاهرة ، ويتيح فهما كاملا لها **والثانى** : ان كمية المعلومات والارقام ـ ومعظمها من مصادر أمريكية ـ تؤكد ان كاتب الدراسة قد تتبع الظاهرة تاريخيا ، وأحاط بكل تطوراتها ودقائقها .

وفى المقدمة يوضح الكاتب ان العسكرية ليست ظاهرة منعزلة ، فظهورها على المسرح العالمى ، ارتبط بظهور الملكية الخاصة والطبقات المستغلة . و « عسكرية اليوم » ، كما يقول ، هى امتداد ونمو للمرحلة العليا من الرأسمالية ـ الامبريالية التى أكد لينين انها « **تتسم بأدنى حد من الاهتمام بالسلام والحرية ، وبأقصى حد من التطوير الشامل للعسكرية** » .

والمجمع الصناعى العسكرى واحد من أحدث مظاهر رأسمالية الدولة الاحتكارية ، والاهتمام المشترك للصفوة الاحتكارية ولاجهزة الدولة بالاندماج معا سبب أساسى فى قيامه .. أما السبب الثانى فهو تفاقم التناقضات الداخلية والخارجية للرأسمالية ، ونتيجة لهذا فان الدوائر الحاكمة تعمل على توسيع وتدعيم جهاز الردع والتدمير ، لاستخدامه فى استعادة مراكزها المفقودة فى العالم ، ولقهر الطبقة العاملة وحركة التحرر الوطنى .

ويقول **ديكين** : ان رأس المال الاحتكاري الذي يستغل آلة الحرب ، يهتم كثيرا بسباق التسلح وينميه كوسيلة أساسية لتحقيق أهدافه . وقد أوضح **لينين** ان سباق التسلح يعتبر « منجم ذهب » للرأسماليين ، وبالفعل فان الاحتكارات المنتجة للحرب قد كفلت لنفسها أرباحا خرافية بعلاقاتها مع زبائنها من الحكومات والدول . ولكن سباق التسلح يتم على حساب الاقتصاد ، وعلى حساب مستوى معيشة الشعب . وقد أوضح **ماركس** ان « الحرب بالنسبة للاقتصاد لها نفس الاثر الذي يحدث عندما تلقى احدى الامم بجانب من رأسمالها في البحر » .

والواقع ان الاحتكارات الامريكية ، وقد جنت أرباحا هائلة من أوامر التوريد التي حصلت عليها في الحرب العالمية الثانية ، عملت على الاحتفاظ بهذا المصدر الفياض للارباح المفرطة خلال السلم .. وبالفعل فقد قدم **تشارلز ى . ولسون** رئيس لجنة الانتاج الحربي الحكومية حينذاك ، ورئيس جنرال الكتريك ، خطط « اقتصاد حرب دائم » . وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية عمل السياسيون الامريكيون « بعيدو النظر » مع قيادات الاحتكارات على ارساء أسس سياسة عدوانية ، للابقاء على سباق التسلح في زمن السلم ، وطالبوا بأن يظل الانفاق العسكري في مستوى ٢٠ مليار دولار ، في حين ان هذه النفقات لم تتجاوز — قبل الحرب — ٢ مليار دولار . وقد استمر هذا الرقم في التصاعد — للابقاء على « اقتصاد حرب دائم » حتى تجاوز ٨٠ مليار دولار في عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ .

وحول عبء الميزانية العسكرية ، يؤكد **المؤلف** ان الضغط المروع على النظام المالي للولايات المتحدة ، وعلى المركز الدولي للدولار ، الناجم عن التورط والانفاق العسكري ، كان هو السبب الاساسي للازمة النقدية والمالية في الولايات المتحدة ، ولتخفيض قيمة الدولار . وهذا هو السبب الذي أجبر الولايات المتحدة على مراجعة استراتيجيتها العسكرية والسياسية ، وجعلتها تحاول ان تستغل — بصورة أكبر — قوى حلفائها وتحملهم جزءا من أعباء سياستها العدوانية .

خلاصة القول ، ان الانفاق العسكري في ميزانية عام ١٩٤٨ ، بلغ ١١ مليار دولار ، ارتفع في عام ١٩٧٣ الى ٨٣ مليارا ، أي سبعة أضعاف . ويعتقد **ريتشارد بارنت** وهو خبير أمريكي معروف في شئون نزع السلاح والسياسة الخارجية ، ان هذا الرقم سيصل الى ٢٠٠ مليار دولار سنويا .. ومع ذلك فان وزارة الدفاع ليست هي جهة الانفاق العسكري الوحيد ، فهناك علاوة على ذلك ، ميزانية كل من لجنة الطاقة الذرية ، وادارة الفضاء والملاحة الجوية ، و « المعونات » العسكرية الاجنبية .. وتبلغ ميزانية لجنة الطاقة الذرية ، حوالى ٢٫٥ مليار دولار سنويا .. كما ان ميزانية ادارة الفضاء والملاحة الجوية تبلغ ٣٫٦ مليار دولار سنويا .. وكل ذلك بالاضافة الى تعويضات مشوهي الحرب [١٠ مليارات سنويا لضحايا حرب كوريا] ، وفوائد الدين القومي [٢٠ مليارا سنويا] . لقد قدرت الميزانية العسكرية المباشرة وغير المباشرة في عام ١٩٧٢ ، بحوالى ١١٥ مليار دولار ، أي نصف مصروفات الميزانية الفيدرالية .

ولقد أنفقت الولايات المتحدة ١٥٠٠ مليار دولار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، على سياستها العدوانية ، ويؤكد **كاهن** الاخصائي الامريكي المعروف ، ان هذا الرقم يزيد ٥ مرات عن اجمالي الناتج القومي في عام ١٩٦٥ لكل بلدان أمريكا الجنوبية وافريقيا وآسيا [عدا اليابان] ، والتي تضم ٢٠٠٠ مليون نسمة .. ويقول عالم الاجتماع الامريكي **س . و . ميلز** ان الانفاق العسكري بالنسبة لكل فرد ، زاد من ٢٫٢٥ دولار في عام ١٩١٣ ، الى ٢٥٠ دولارا في عام ١٩٥٢ ، والى ٤٠٠ دولار في عام ١٩٧٢ .. ويقول **الكاتب** ان للانفاق العسكري الضخم اثر معاكس تماما على الاقتصاد الامريكي ، كما انه يعوق حل عديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ويستشهد بقول **جاس هول** السكرتير العام للحزب الشيوعي الامريكي ، الذي يؤكد انه « في الولايات المتحدة ، يرتبط تدهور مستوى المعيشة ، وبصورة وثيقة ، بالسياسات العدوانية لامبريالية الولايات المتحدة ، وبأزمة هذه السياسة » . ان دولة اقتصادها هو « اقتصاد الموت » لا يمكن ان تهتم بحاجات الجماهير . وقد اعترف بهذا ممثلو الدوائر الحاكمة أنفسهم .. فقد اكد **السناتور ماكجوفرن** مرشح الرئاسة في انتخابات عام ١٩٧٢ ، ان المبالغ الضخمة غير الضرورية التي تنفق على التسلح ، وعلى قوات امريكا في اوربا ، وعلى حرب فيتنام ، لابد من اعادة توجيهها الى القطاع المدني من الاقتصاد لزيادة العمالة المحلية .. وهي من أهم المشاكل التي تواجه البلاد . وهاجم **ادوارد كيندي** اعتزام الحكومة زيادة الانفاق العسكري بمقدار ٣٫٦ مليار دولار في عام ١٩٧٣ ، وقال ان ما تحتاجه البلاد هو انفاق مليارات الدولارات على المدارس والاسكان والخدمات الصحية .

والواقع ان الميزانية الفيدرالية هي الوسيلة الاساسية لاعادة توزيع الدخل القومي لمصلحة المجمع الصناعي العسكري ، الذي يؤدي تركزه الى زيادة أرباحه من الاوامر الحكومية . ويتجلى هذا التركز في ان ١٠٠ مؤسسة تسيطر على ثلثي انتاج البلاد العسكري . أما الثلث الباقي فيتوزع على ٢٢٫٠٠٠ مؤسسة . وفي عام ١٩٦٨

حصلت ٢٥ مؤسسة على أوامر شراء عسكرية قيمتها ١٧٫٧ مليار دولار ، ذهب نصفها الى خمس مؤسسات منها . كما ان ٩ شركات استحوذت فى عــام ١٩٥٦ ، على أوامر شراء عسكرية قيمتها ٧٫٥ مليار دولار ، وحصلت فى عــام ١٩٥٩ على أوامر قيمتها ٩٫٤ مليار دولار ، وفى عام ١٩٦٨ على أوامر تبلغ قيمتها ١١ مليارا .. ويؤكد **فكتور بيرلو** الاقتصادى الامريكى ، ان أدنى نسبة للربح هى ١٨ ٪ ، فى حين ان متوســط الربــح فى الصناعات غير الحربية لا يتجاوز ١٠٫٦ ٪ ، وهذا أمر اكدته لجنة فرعية تابعة للكونجرس الامريكى فى عام ١٩٦٩ ، اذ أكدت ان الحكومة تعــاقدت مع شركات الاســلحة على صــواريخ اجاكس ، وهركيــولز ، بمبلغ ٢٥٠٠ مليــون دولار ، بلغت تكاليف انتاجها ١٤٠٠ مليون دولار ، أما الباقى ، وهو ١١٠٠ مليون دولار ذهبت ارباحا .. كما حققت « وسترن الكتريك » أرباحا قدرها ١١٢٫٥ مليون دولار من صفقة قدرها ٣٥٩٫٥ مليون دولار .. كذلك حققت الشركات العــاملة فى انتــاج برنامج « مينوتمن » نسبة أرباح تبلغ ٤٣ ٪ .

وحول « أركان حرب صانعى الســلاح » يقول **المؤلف** انه من اكثر الســـــمات المميزة للمجمع الصناعى العســكرى بروزا ، هو وجود قطــاع عسكرى كامل فى اقتصاد الولايات المتحدة ، تلعب فيه وزارة الدفاع الدور القيــادى والتنســيقى الاساسى . لقد أصبح البنتاجون هو اركان الحرب الحقيقى لصناع السلاح ، وهو الذى يضع الخطط والافكار التى تكفل ارباحــا هائلة للاحتــكارات الصناعية العســكرية . كما انه مركز الاشراف المالى والادارى على انتاج الاسلحة الاساسية .
ان الحكومة الامريكية هى التى تقرض للاحتكارات العسكرية رؤوس اموالها الثابتة والمتداولة ، وهى التى تحدد أســـعار الشراء بصــورة تكفل لهذه الاحتكارات ارباحــا خرافية . والاشراف العملى على وضع خطط وتنفيذ نظم التســليح الجديدة ، تتولاه ثلاث وكالات حكومية هى : وزارة الدفاع ، ولجنة الطاقة الذرية ، والادارة القومية للفضــاء والملاحة الجوية .

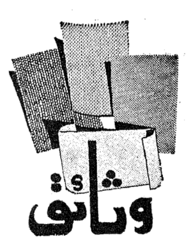
وحول وضع العلم فى خدمة العسكرية ، يروى **الكاتب** انه فى أواخر الثلاثينــات ، تقــدم أحــد الكيماويين الى البحرية بطلب وظيفة . ولكن هذه رفضت ، لان عندها كيماوى فعلا ولا تحتاج لاكثر من واحد . أما اليوم فقد أصــبح نصــف العلماء والمهندسين الامريكيين يعملون للبنتاجون بصورة مباشرة أو غير مباشرة . ذلك أن صناعة الموت فى الولايات المتحدة تسعى بصــورة متزايدة الى استخدام انجازات العلم لخدمة أهدافها الربحية . لقد ادت ســياسة الحكومة الامريكية فى زيــادة الانفاق العســكرى ، الى ارتفــاع الانفاق على البحث العلمى لاهداف عسكرية . وعلاوة على برنامج مانهــاتن لصــناعة القنبلة الذرية ، بلغت تكاليف الابحــاث العســكرية ٥٠٠ مليون دولار سنويا ابان الحرب العالمية الثانية ، ارتفعت الى ١٣٠٠ مليون دولار ســنويا خلال حرب كوريا ، ووصلت فى السنوات الاخيرة الى ١٥٫٥٠٠ مليون دولار . ويقول **ديكين** « ان عســـكرة البحث فى الولايات المتحدة ، تحرم القطاع المدنى من البحث والتطوير من أرصدة ضخمة ، ومن عدد متزايد من العلماء ذوى المهــارات العــالية ، الذين يجتذبهم القطاع العسكرى بالاجور العالية والتســهيلات العلمية الكبــيرة . وفى عــام ١٩٦١ ، أوضــح استقصــــاء اجراه أحــد المراكز ، انه من بين ٤٠٠٫٠٠٠ عالم ومهندس يشتغلون فى أعمــال البحث ، ٢٥٠٫٠٠٠ منهم يعملون فى أبحـــاث « الدفاع والفضـــاء » ، ومن أســوأ مظاهر تأثير البنتاجون على البحث العلمى ، التركيز على انتاج الاســلحة الكيماوية والبكتريولوجيــة .. ومما يســتخدم فى هــذا الصــدد ميكروبات الكوليرا والالتهاب الرئوى والطاعون والتيفوس وغيرها . كما تعاقد البنتــاجون مع ما يزيد عن ٥٠ جامعة لتطوير الاسلحة الكيماوية . وتعاقد أيضا مع ٣٥٠ مدرسة عليا وكلية ، ومع ١٠٠ هيئة علمية للهدف نفســه .

ويؤكد الكاتب ان **الكابيتول** هو الحليف الاساسى للمجمع الصناعى العسكرى . ويستشهد فى هذا بالنشرة الرسمية للكونجرس ، التى تقول أنه من بين الـ ١٠٠ شيخ و ٤٣٥ نائبا فى الكونجرس رقم ٩١ (٦٨ ــ ١٩٧٠) ، كان هناك ٣١٠ رجل قانون و ١٨٤ رجل بنوك ، ولكن ليس هناك شخص واحد من الطبقة العاملة . وكثير من هؤلاء السياسيين المحترفين شركاء لدوائر الاعمال الكبيرة . وتبين الارقام الرسمية أن ٣٨٩ عضوا من الـ ٥٣٥ عضوا فى المجلسين ، ممن عملوا فى الجيش من قبل ، بالاضافة الى عالمين فقط و ٨ مهندسين . وتقول مجلة « التقدم » الامريكية انه مع هــذه النوعية من العضوية لايمكن قيـــام اى حركة مناهضة للحرب فى المجلسين ، وليس هنــاك مايدعو للدهشة من ان البنتاجون يستخدم كــل الروافع لاقناع الكونجرس بخططه . اذ يرسل موظفيه الرسميين « لافساد » رجال الكونجرس وتدبير كل المناورات لضمان الموافقة عليها . ويبلغ عدد هؤلاء الموظفين المكلفين بتلك المهمــة ٣٤٠ موظفا ، لذلك فانه لكل ٣ أعضاء فى الكابيتول ، اثنين من موظفى البنتاجون يتوليان اقناع ثلاثة من الكونجرس . وتقول الصحافة الامريكية ان ٣٩٢ من بين ٤٣٥ عضوا فى مجلس النواب ، يعتبرون « صقور حرب » لقد تحول المجتمع الامريكى الى ثكنة ليس للرقابة المدنية دور فيها .

وفيما يتعلق بسياسة « **المعونة** » العسكرية والتجارة في معدات الحرب ، تلعب الاحتكارات الامريكية دورا اساسيا في تحديدها • اذ توضع خطط بيع الاسلحة واهدائها بمشاركة مباشرة من شركات **جنرال ديناميك** ، **وبوينج** ، **ولوكهيد** ، **وجنرال الكتريك** ، **ومكدونل دوجلاس** **ويونيتد اير كرافت** ، **وكرايزلر** • كما يشترك ايضا ممثلو البنوك الاساسية : **فيرست ناشونال سيتي بانك** ، **وتشيزمانهاتن بانك** ، **ومورجان جارانتي ترست كومباني** • وتستخدم المعونة العسكرية لفرض الشروط السياسية للولايات المتحدة ، وتحقيق ارباح ضخمة للاحتكارات ، اذ تحتاج هذه المعونات الى صفقات تكميلية ، ويشترط فيها زيادة اعداد قوات البلاد التي تتلقاها ومن ثم ضمان مشتريات جديدة •

وفي ختام الدراسة يقول الكاتب : انه لو تم الغاء الانفاق العسكري في ١٩٧٣ ، ووزع على الشعب الامريكي ، لحصلت كل اسرة من ٤ اشخاص على ١٦٠٠ دولار • وذلك في بلد تقول احصاءاته بوجود ما يزيد عن ٢٠ مليون معوز • ولا تتمثل الخسارة فقط في مجموع المبالغ المنفقة على الانتاج الحربي ، ولكنها تتضمن ايضا حرمان النشاط الانتاجي من مئات الالوف من الشباب القادرين المجندين في الجيش ، وتخفيض الاستهلاك الداخلي ، وسحب قوة بشرية ومالية ومادية هائلة من النشاط الاقتصادي العادي • وفي هذا يقول الاقتصادي الامريكي **كينيث** « **ان وزارة الدفاع تسبب خسائر اقتصادية هائلة للولايات المتحدة : فهي تخفض الاستهلاك المحلي** بحوالي ١٥ في المائة ، وتحول موارد هائلة الى هوة التسليح •• كما انها تخفض معدل النمو الاقتصادي السنوي ، بنسبة ربما تزيد عن ٢ في المائة » • ويورد **المؤلف** عددا من الوقائع التي تؤكد **اتساع نطاق الجبهة المعادية للحرب داخل الولايات المتحدة والتي تضم علماء وسياسيين وادباء مشهورين** •

والواقع ان كتاب الكسندر **ديكين** ـ رغم صغر حجمه يعتبر نموذجا ممتازا للتفسير السليم والمبسط لواحدة من اعقد ظواهر عصرنا ، وهي ظاهرة نمو وتضخم المجمع الصناعي العسكري وابتلاعه لمجتمع بأكمله ، مخضعا طاقاته وامكانياته المادية والبشرية ـ وهي هائلة فعلا في حالة الولايات المتحدة ـ لتحقيق أرباح مهولة حتى ولو كان ذلك ، عن طريق تنمية وتطوير صناعة وتجارة الموت والدمار الشامل •



مناقشات مجلس الشعب

لمشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الأطيان الزراعية والضرائب والرسوم الملحقة بها

« أصدر مجلس الشعب قانونا باعفاء صغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها ٠٠ ويمثل هذا القانون خطوة ايجابية هامة فى تخفيف الاعباء على صغار الملاك الذين لا تزيد ملكياتهم الثابتة بعقود مسجلة عن ثلاثة أفدنة وبشرط ألا تكون منزرعة حدائق مثمرة ٠٠

وقد جرت فى مجلس الشعب مناقشات هامة حول هذا القانون ، عبرت عن وجهات نظر مختلفة ، وعن منطلقات مختلفة فى تناول المشكلة الزراعية فى مصر ٠٠

و « الطليعة » اذ تقدم نص المناقشة التى دارت حول هذا الموضوع فى مجلس الشعب لتدرك أنها انما تقدم لقرائها وثيقة سياسية هامة ٠



(١) تقرير اللجنة المشتركة من لجنة الخطة والموازنة ومكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والرى

احال المجلس بجلسته المعقودة فى ١٥ من مايو سنة ١٩٧٣ ، الى اللجنة المشتركة من لجنة الخطة والموازنة ومكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والرى ، مشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها ، فنظرته بجلستها المعقودة فى ١٩ من مايو سنة ١٩٧٣ ، وحضر اجتماعها السيد وزير الدولة لشئون مجلس الشعب ، والسيد : محمود اسماعيل مدير عام الضرائب العقارية ، والسيد : محمدمهدى شومان امين أمانة الفلاحين باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

نظرت اللجنة المشروع ومذكرته الايضاحية ، ورجعت الى القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ الخاص بضريبة الاطيان ، فتبين لهاان هذه الضريبة تبلغ ١٤ فى المائة من الايجار السنوى وأن المالك هو الذى يتحملها ، أما الضرائب الاضافية وهى ضريبتا الدفاع والامن القومى فيتحملها الحائز . وقد فرضت ضريبة الدفاع بالقرار بقانون رقم ٢٧٧ لسنة١٩٥٦ بفرض ضريبة اضافية للدفاع المعدل بالقرار بقانون رقم ١٠٨ لسنة ١٩٦٢ والقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٥ بواقع ١٠ر٥ فى المائة من قيمة الايجار السنوى للاراضى الزراعية المفروضة عليها ضريبة طبقا لاحكام القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ المشار اليه ، كما فرضت ضريبة الامن القومى بالقرار بقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٦٧ بفرض ضريبة لاغراض الامن القومى المعدل بالقرار بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٨ وذلك بواقع ٣ر٥ فى المائة من الايجار السنوى للاراضى الزراعية .

كما رجعت اللجنة الى القانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة عن صغار ملاك الاراضى الزراعية : فتبين لها أنه قد اعفى من ضريبة الاطيان كل ممول لا تجاوز الضريبة المربوطة على أطيانه أربعة جنيهات فى السنة ، كما أعفى الممولين الذين تجاوز الضريبة المربوطة على أطيانهم أربعة جنيهات فى السنة ولا تزيد على عشرين جنيها ، من أربعة جنيهات من الضريبة فى السنة .

الا أن هذه الاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ المشار اليه ، لم تحقق الغرض المقصود منها فما يزال صغار الفلاحين ، على حد تعبير المذكرة الايضاحية للمشروع ، يسهمون فى التكاليف العامة بنصيب يفوق مقدرتهم ، الامر الذى يجافى صورة المجتمع الاشتراكى الذى تسعى الدولة جاهدة الى تحقيقه . ومن ثم فانه يجب بين حين وآخر النظر فى اعادة توزيع اعباء الضريبة والتكاليف العامة على نحو يتفق وهذا المجتمع المنشود .

وقد كان هذا المشروع وفاء لما أعلنته الحكومة فى برنامجها فى ٢١ من أبريل سنة ١٩٧٣ أمام المجلس ، من اعفاء جميع صغار ملاك الاراضى الزراعية ، عدا الاراضى المنزرعة حدائق مثمرة ، الذين لا تزيد ملكياتهم الثابتة بعقود مسجلة عن ثلاثة أفدنة ، من كافة الضرائب الاصلية والاضافية ، والبالغ عددهم ثلاثة ملايين من صغار ملاك الاراضى الزراعية .

ولا شك أن هذا المشروع ، حسبما قالته لجنة الرد على بيان الحكومة ، هو تأكيد لرعاية الرئيس أنور السادات لصغار الفلاحين الذين يمثلون مع العمال القوى القائدة فى تحالف قوى الشعب العاملة، كما أنه تتويج لتيسيرات أخرى قدمت للفلاحين فى العام الماضى بتوجيه من الرئيس ورعاية منه ، حين رفعت عنهم الديون وفوائدها وتحملت الحكومة عنهم تكاليف مقاومة الآفات .

وقد جاء هذا المشروع ، فيما ارتأته - بحق - لجنة الرد على البيان، باعفاء دائم وعام بالنسبة لصغار الفلاحين . وهو بهذه المثابة يمثل اضافة ثابتة الى دخولهم ويتقاسم فضله المالك والمستأجر من هؤلاء الفلاحين الصغار .

وقد لاحظت اللجنة ان هذا المشروع المقدم من الحكومة، ينظم هذا الاعفاء بما يأتى :

١ - أن هذا الاعفاء الجديد لا يخل بالاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ المشار اليه .

٢ - يتمتع بهذا الاعفاء المالك الذى لا تزيد جملة مايملكه من الاطيان فى أنحاء الجمهورية على ثلاثة أفدنة ،دون أن تطلب أن تكون هذه الملكية مسجلة ، وبذلك تكون الحكومة قد استجابت للاعتبارات العملية التى أثيرت بشأن تطبيق هذا الاعفاء ،وأصبح الطريق مفتوحا لاثبات الملكية بكافة الوسائل المقررة طبقا للقواعد العامة التى تجعل الارث ووضع اليد من أسباب كسب الملكية . وقد عهد المشروع فى مادته الثانية الى قرار يصدر من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بتحديد اجراءات اثبات الملكية .

وقد اطلعت اللجنة على الكتاب الدورى رقم ١٢ لسنة ١٩٧٢ الذى أصدرته مصلحة الضرائب العقارية والتى أجازت فيه نقل تكليف الاطيان الموروثة الى أسماء الورثة دون حاجة الى تسجيلها ، لان انتقال ملكية العقار بالميراث لايتوقف على شهر حق الارث .

٣ - كذلك فقد لاحظت اللجنة أن الانتفاع بالاعفاء يمتد أيضا الى الحائز الذى لاتزيد حيازته فى أنحاء الجمهورية على ثلاثة أفدنة . ولكن الاعفاء فى هذه الحالة يشمل الضرائب الاضافية وهى ضريبتى الدفاع والامن القومى - وهى الضرائب التى يتحملها المستأجر أصلا - فاذا كان المالك حائزا فى ذات الوقت ، شمل الاعفاء الضرائب الاصلية والاضافية .

٤ - ان المشروع قداشترط للاعفاء ، فضلا عن عدم زيادة الملكية أو الحيازة أو مجموعهما على ثلاثة أفدنة ، ألا يكون للممول دخل من أى مصدر آخر خلاف الزراعة . وقد قصد النص من ذلك أن يكون الاعفاء مقصورا على أصحاب الدخول الصغيرة .

ونظرا لما تبين للجنة من أنه قد يكون للمالك أو الحائز الصغير ، دخل آخر صغير من نشاط آخر ، ومن ثم فقد استحسنت أن يحدد هذا الدخل الاخر الذى يمنع الاعفاء بما يجاوز مائة وخمسين جنيها فى السنة، وقد روعى فى ذلك أن هذا المبلغ هو الذى يمثل حد الاعفاء من الضرائب النوعية الاخرى .

٥ - ان الاعفاء لا يمتد الى الحدائق

المثمرة ، وتحديد ما يقصد بالحديقة المثمرة سينظمه قرار يصدر من وزير المالية والاقتصاد بالاتفاق مع وزير العدل ، وقدرت اللجنة انه من المناسب انيشترك وزير الزراعة معوزيرى المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية والعدلفى اصدار هذا القرار •

وفى ضوء هذه الملاحظات واحكاما للصياغة فيبعض نصوص مواد المشروع فقد رات اللجنة اعادة صياغة بعض نصوصه على النحو المبين بالمشروع المرفق •

كما رات اللجنة حذف نص المادة السادسة منالمشروع والتى تجعل مكافاة لمن يرشد عمن يتمتع بالاعفاء بغير وجه حق ، وذلك لانواجب التبليغ عنارتكاب الجرائم والتحايل على القانون ، هو واجب وطنى يجب ان يضطلع به كل مواطن ، وجعل المكافاة على ممارسة هذا الواجب من شانها ان تضيع القيمة الاخلاقية والوطنية لواجب التبليغ •

واللجنة اذتوافق على المشروع ، ترجو المجلس الموقر الموافقة عليه معدلا بالصيغة المرفقة •

وكيل مجلس الشعب
ورئيس اللجنة التشريعية
دكتور جمال العطيفى

(٣) المشروع كما ورد من الحكومة
•• وكما عدلته اللجنة المشتركة

المشروع كما ورد من الحكومة	المشروع كما عدلته اللجنة
قرار رئيس جمهورية مصر العربية بمشروع القانون رقم ( ) لسنة ١٩٧٣ بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها	مشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها
باسم الشعب رئيس الجمهورية بعد الاطلاع على الدستور ، وعلى القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ الخاص بضريبة الاطيان ، والقوانين المعدلة ، وعلى القانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة على صغار الملاك ، وتعديلاته ، وعلى القانون رقم ٢٧٧ لسنة ١٩٥٦ بفرض ضريبة اضافية للدفاع ، والقوانين المعدلة له ، وعلى القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ باصدار قانون نظام الادارة المحلية ، والقوانين المعدلة له ، وعلى القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٦ بشأن لجان الفصل فى المنازعات الزراعية ، وعلى القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٦٧ بفرض ضريبة لاغراض الامن القومى ، المعدل بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٨ ، وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٦٥٢ لسنة ١٩٦٣ بتحديد سعر الضريبة الاضافية على ضرائب الاطيان بدائرة المحافظات ، وعلى موافقة مجلس الوزراء ، قــرر : مشروع القانون الاتى نصه يقدم الى مجلس الشعب •	باسم الشعب رئيس الجمهورية قرر مجلس الشعب القانون الاتى نصه ، وقد أصدرناه : (المادة الاولى)
مادة ١ ـ مع عدم الاخلال بالاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ المشار اليه يعفى من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب الاضافية الملحقة بها كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان بسائر انحاء الجمهورية عن ثلاثة أفدنة • ويعفى من ضريبتى الدفاع والامن القومى كل حائز لا تزيد حيازته بسائر انحاء الجمهورية عن ثلاثة افدنة • ولا تسرى هذه الاعفاءات اذا زاد مجموع ملكية الشخص وحيازته عن ثلاثة افدنة وفى جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على أى مساحة منزرعة بحدائق مثمرة •	مع عدم الاخلال بالاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة عن صغار ملاك الاراضى الزراعية ، يعفى من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب الاضافية الملحقة بها كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان بكافة انحاء الجمهوريه عن ثلاثة افدنة • ويعفى من ضريبتى الدفاع والامن القومى كل حائز لا تزيد حيازته بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة افدنة • ولا تسرى هذه الاعفاءات اذا زاد مجموع ملكيه الشخص وحيازته عن ثلاثة افدنة •

المشروع كما ورد من الحكومة

ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها عدم وجود دخل للممول من أى مصدر آخر خلاف الزراعة .

مادة ٢ ـ يحدد وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، بالاتفاق مع وزير العدل ، قواعد تطبيق الاعفاءات واجراءات اثبات الملكية والحيازة فى مجال هذا القانون وكذلك طريقة مراجعتها وكيفية التظلم منها والمواعيد المنظمة لذلك .

مادة ٣ ـ يستحق الاعفاء المنصوص عليه فى هذا القانون على أساس الملكية أو الحيازة أو كليهما معا فى أول يناير من كل عام بصرف النظر عما يطرأ عليها من تغييرات خلال السنة .

مادة ٤ ـ على كل ممول يمتلك أو يحوز ثلاثة أفدنة فاقل فى جهة واحدة او اكثر ولا تكون ملكيته أو حيازته منزرعة كلها أو بعضها حدائق مثمرة ولا يكون له دخل من أى مصدر آخر خلاف النشاط الزراعى ان يقدم الى مأمورية الضرائب العقارية المختصة اخطارا بذلك خلال شهرين من تاريخ نشر القانون .

ويلتزم بتقديم هذا الاخطار فى ديسمبر من كل عام كل مالك أو حائز يطرأ على ملكيته أو حيازته أو مصادر دخله تغييرات يترتب عليها عدم تمتعه بالاعفاء .

مادة ٥ ـ كل ممول تمتع بالاعفاء بدون وجه حق ، لاثباته بالاخطار المنصوص عليه فى المادة السابقة بيانات غير صحيحة مع علمه بذلك ، أو لجأ الى وسائل غير مشروعة ، ترتب عليها تمتعه بالاعفاء بدون وجه حق ، التزم بأداء مثلى الضريبة التى أراد التهرب منها وفقا للقواعد والاجراءات التى يحددها قرار من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية .

مادة ٦ ـ كل من يرشد ـ سواء من الموظفين المختصين أو غيرهم ـ عن أى ممول يتمتع بالاعفاءات بغير حق ، يمنح مكافأة تعادل ربع الغرامة التى يتقرر فرضها على هذا الممول

مادة ٧ ـ ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ، ويعمل به اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٧٣ وعلى وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه .

صدر برياسة الجمهورية فى ١١ ربيع الثانى سنة ١٣٩٣ (١٤ مايو سنة ١٩٧٣)

أنور السادات

المشروع كما عدلته اللجنة

وفى جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على أى مساحة منزرعة بحدائق مثمرة .

ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها الا يكون للممول دخل ، من اى مصدر آخر خلاف النشاط الزراعى ، يزيد على ١٥٠ جنيها سنويا .

(المادة الثانية)

يحدد وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، بالاتفاق مع وزيرى العدل والزراعة ، قواعد تطبيق الاعفاءات واجراءات اثبات الملكية والحيازة فى مجال هذا القانون ، وكذلك طريقة مراجعتها ، وكيفية التظلم منها ، والمواعيد المنظمة لذلك .

(المادة الثالثة)

كما هى .

(المادة الرابعة)

على كل ممول يمتلك او يحوز ثلاثة افدنة فاقل فى جهة واحدة أو أكثر ، ولا تكون ملكيته أو حيازته منزرعة كلها أو بعضها حدائق مثمرة ، ولا يكون له دخل يجاوز حد الاعفاء المنصوص عليه فى المادة الاولى من هذا القانون من اى مصدر آخر خلاف النشاط الزراعى ، أن يقدم الى مأمورية الضرائب العقارية المختصة اخطارا بذلك خلال شهرين من تاريخ نشر القانون .

ويلتزم بتقديم هذا الاخطار فى ديسمبر من كل عام كل مالك أو حائز يطرأ على ملكيته أو حيازته أو مصادر دخله تغييرات يترتب عليها عدم تمتعه بالاعفاء .

(المادة الخامسة)

كل ممول تمتع بالاعفاء بدون وجه حق ، بأن اثبت بالاخطار المنصوص عليه فى المادة السابقة بيانات غير صحيحة مع علمه بذلك ، أو لجأ الى وسائل غير مشروعة ، ترتب عليها تمتعه بالاعفاء بدون وجه حق، التزم بأداء مثلى الضريبة التى أراد التهرب منها ، وفقا للقواعد والاجراءات التى يحددها قرار من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، ويحدد هذا القرار كيفية التظلم ومواعيده .

(المادة السادسة)

حذفت .

(المادة السابعة)

(أصبحت المادة السادسة)

ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ، ويعمل به اعتبارا من اول يناير سنة ١٩٧٣ .

وعلى وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه .

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة ، وينفذ كقانون من قوانينها .

(٣) مذكـرة ايضـاحية لمشروع

القانون رقم لسنة ١٩٧٣

بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسـوم الاضـافية الملحقة بها

تتضمن ضريبة الاطيان الزراعية بعض الاعفاءات لصالح صغار الملاك مقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ تتلخص فيما يلى :

(أ) يعفى من ضريبة الاطيان كل ممول لا تجاوز الضريبة المربوطة على أطيانه أربعة جنيهات فى السنة ٠

(ب) الممولون الذين تجاوز الضريبة المربوطة على أطيانهم اربعة جنيهات فى السنة ولا تزيد على عشرين جنيها يعفون من أربعة جنيهات من الضريبة فى السنة ويشمل هذا الاعفاء الضريبة الاضافية على ضرائب الاطيان (رسوم مجلس المحافظة) ٠

والواقع أن هذه الاعفاءات لم تحقق أهدافها ، فلا يزال صغار الفلاحين يساهمون فى التكاليف العامة بنصيب يفوق بكثير مقدرتهم التكليفية ، الامر الذى يتنافى مع صورة المجتمع الاشتراكى الذى تسعى الدولة الى تحقيقه ، ويتعين اعادة توزيع الاعباء الضريبية والتكاليف العامة على نحو يتفق والسياسات الاشتراكية التى تنتهجها الدولة ٠

لذلك فانه من الملائم فى هذه المرحلة من تاريخ شعبنا أن يعاد النظر فى النظم الضريبية وعلى الاخص ضريبة الاطيان الزراعية لما لها من أثر واضح فى حياة الكادحين من جماهير الفلاحين وذلك بتقرير المزيد من الاعفاءات من تلك الضريبة لاصحاب الملكيات الصغيرة استهدافا لعدالة توزيع الاعباء الضريبية ٠

وقد رؤى تحقيقا لهذا الغرض اعفاء كل ممول لا تزيد الاراضى الزراعية التى يملكها او يحوزها فى سائر أنحاء الجمهورية على ثلاثة أفدنة من ضريبة الاطيان الزراعية وضريبتى الدفاع والامن القومى والضريبة الاضافية على ضرائب الاطيان (رسوم مجلس المحافظة) اذا لم تكن منزرعة حدائق مثمرة حيث أن هذا النوع من الاراضى يحقق لصاحبه دخلا مجزيا ، وبشرط الا يكون للممول دخل من أى مصدر آخر خلاف الزراعة ، على أن تسرى هذه الاعفاءات بالاضافة الى الاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ ٠

وقد أعد مشروع القانون المرافق ، وتنص المادة الاولى منه على أن يعفى من ضريبة الاطيان الزراعية وكافة الضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها (الدفاع - الامن القومى - ورسوم مجلس المحافظة) كل ممول لا تجاوز جملة ملكية الاطيان المملوكة له بسائر أنحاء الجمهورية ثلاثة أفدنة ، وذلك بالاضافة الى الاعفاءات التى قررها القانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ ، ونصت الفقرة الثانية من هذه المادة على أن يعفى من ضريبتى الدفاع والامن القومى كل حائز لا تزيد حيازته عن ثلاثة أفدنة ، وعلى ذلك لا يعفى الحائز الذى تزيد حيازته عن ثلاثة أفدنة ولو كانت من تكاليف معفاة طبقا للفقرة الاولى ونصت الفقرة الثالثة من هذه المادة على ألا تسرى هذه الاعفاءات اذا زاد مجموع ملكية الممول وحيازته عن ثلاثة أفدنة كما لا تسرى أيضا على المساحات المنزرعة حدائق مثمرة ، كما نصت الفقرة الرابعة على انه يشترط للتمتع بالاعفاء من ضريبة الاطيان الزراعية وضريبتى الدفاع والامن القومى الا يكون للممول دخل من أى مصدر آخر خلاف الزراعة ٠

وتحقيقا للمرونة وتبسيطا للاجراءات نصت المادة الثانية على أن يحدد وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بقرار منه بالاتفاق مع وزير العدل قواعد تحديد الملكية فى نطاق هذا القانون ونظم الاجراءات والمراجعة والتظلم ٠

ونصت المادة الثالثة على أن يستحق الاعفاء على أساس الملكية أو الحيازة فى اول يناير من كل عام بصرف النظر عن التغييرات التى تطرأ على الملكية أو الحيازة نتيجة التصرفات التى تتم خلال السنة ٠

وألزمت المادة الرابعة كل ممول يمتلك أو يحوز ثلاثة أفدنة فاقل فى جهة واحدة أو أكثر أو لا تكون ملكيته أو حيازته منزرعة كلها أو بعضها حدائق مثمرة أو لا تكون له مصادر دخل أخرى خلاف النشاط الزراعى ، أن يقدم الى مامورية الضرائب العقارية المختصة اخطارا بذلك خلال شهرين من تاريخ نشر القانون وألزمت كل مالك أو حائز تطرأ على ملكيته أو حيازته تغييرات أو يستجد له مصدر دخل مما يترتب عليه عدم تمتعه بالاعفاء بتقديم هذا الاخطار فى ديسمبر من كل عام ٠

وحددت المادة الخامسة الجزاءات التى توقع على كل ممول يتمتع بالاعفاء بدون وجه حق ولا يقدم اخطارا أو يثبت باخطاره بيانات غير صحيحة أو يلجا الى وسائل غير مشروعة يترتب عليها تمتعه بالاعفاء بغير حق ٠

ونظرا لما قد يحدث من تلاعب أو تحايل يصعب كشفه للاستفادة باحكام هـذا القانون بغير حق ، فقد نصت المادة السادسة على منح مكافاة لكل من يرشد عن أى ممول يتمتع بهذا الاعفاء بدون وجه حق ، تشجيعا على كشف هؤلاء الممولين ٠

ونصت المادة السابعة على ان ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويعمل به من أول يناير سنة ١٩٧٣ نظرا لسنوية الضريبة وليظهر أثر الاعفاء بين جماهير الفلاحين المترقبة لحركات الاصلاح والتصحيح ٠

كما نصت على أنه على وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية اصدار القرارات اللازمة لتنفيذ القانون ٠

وتتشرف وزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بعرض مشروع القانون المرافق ، رجاء اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستصداره ٠

نائب رئيس الوزراء
ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية

دكتور عبد العزيز حجازى

(٤) مناقشات أعضاء مجلس الشعب

(١) تقرير اللجنة الخاصة المشكلة من لجنة الخطة والموازنة مع مكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والرى عن مشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها .

اشير الى الكتاب الاتى :

« السيد رئيس مجلس الشعب

تحية طيبة . وبعد فاتشرف بان اقدم لسيادتكم ، مع هذا ، تقرير اللجنة المشتركة ، عن مشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها ، رجاء عرضه على المجلس .

وقد اختارت اللجنة السيد العضو دكتور محمود القاضى ، مقررا لها فيه امام المجلس .

وتفضلوا بقبول وافر التحية وعميق الاحترام .

٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٣

وكيل مجلس الشعب
ورئيس اللجنة المشتركة
دكتور جمال العطيفى

رئيس المجلس :

ليتفضل السيد المقرر .

السيد العضو الدكتور محمود القاضى [المقرر] :

احال المجلس بجلسته المعقودة فى ١٥ من مايو سنة ١٩٧٣ ، الى اللجنة المشتركة من لجنة الخطة والموازنة ومكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والرى ، مشروع قانون(١) بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها ، فنظرته بجلستها المعقودة فى ١٩ من مايو سنة ١٩٧٣ ، وحضر اجتماعها السيد وزير الدولة لشئون مجلس الشعب ، والسيد محمود اسماعيل مدير عام الضرائب العقارية ، والسيد محمد مهدى شومان ، امين امانة الفلاحين باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

نظرت اللجنة المشروع ومذكرته الايضاحية ، ورجعت الى القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ الخاص بضريبة الاطيان ، فتبين لها ان هذه الضريبة تبلغ ١٤ فى المائة من الايجار السنوى ، وان المالك هو الذى يتحملها ، اما الضرائب الاضافية وهى ضريبتا الدفاع والامن القومى فيتحملها الحائز . وقد فرضت ضريبة الدفاع بالقرار بقانون رقم ٢٧٧ لسنة ١٩٥٦ بفرض ضريبة اضافية للدفاع المعدل بالقرار بقانون رقم ١٠٨ لسنة ١٩٦٢ والقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٥ بواقع ٥ر١٠ فى المائة من قيمة الايجار السنوى للاراضى الزراعية المفروضة عليها ضريبة ، طبقا لاحكام القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ المشار اليه ، كما فرضت ضريبة الامن القومى بالقرار بقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٦٧ بفرض ضريبة لاغراض الامن القومى المعدل بالقرار بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٨ وذلك بواقع ٥ر٣ فى المائة من الايجار السنوى للاراضى الزراعية .

كما رجعت اللجنة الى القانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة عن صغار ملاك الاراضى الزراعية ، فتبين لها انه قد اعفى من ضريبة الاطيان كل ممول لا تجاوز الضريبة المربوطة على اطيانه اربعة جنيهات فى السنة ، كما اعفى الممولين الذين تجاوز الضريبة المربوطة على اطيانهم اربعة جنيهات فى السنة ولا تزيد على عشرين جنيها ، من اربعة جنيهات من الضريبة فى السنة .

الا ان هذه الاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ المشار اليه ، لم تحقق الغرض المقصود منها فما يزال صغار الفلاحين ، على حد تعبير المذكرة الايضاحية للمشروع ، يسهمون فى التكاليف العامة بنصيب يفوق مقدرتهم ، الامر الذى يجافى صورة المجتمع الاشتراكى الذى تسعى الدولة جاهدة الى تحقيقه ومن ثم فانه يجب بين حين وآخر النظر فى اعادة توزيع الاعباء الضريبية والتكاليف العامة على نحو يتفق وهذا المجتمع المنشود .

وقد كان هذا المشروع وفاء لما اعلنته الحكومة فى برنامجها فى ٢١ من ابريل سنة ١٩٧٣ امام المجلس ، من اعفاء جميع صغار ملاك الاراضى الزراعية عدا الاراضى المنزرعة حدائق مثمرة الذين لا تزيد ملكياتهم الثابتة بعقود مسجلة عن ثلاثة افدنة ، من كافة الضرائب الاصلية والاضافية ، والبالغ عددهم ثلاثة ملايين من صغار ملاك الاراضى الزراعية .

ولا شك ان هذا المشروع ، حسبما قالته لجنة الرد على بيان الحكومة ، هو تأكيد لرعاية الرئيس أنور السادات لصغار الفلاحين الذين يمثلون مع العمال القوى القائدة فى تحالف قوى الشعب العاملة ، كما انه تتويج لتيسيرات اخرى قدمت للفلاحين فى العام الماضى بتوجيه من الرئيس ورعاية منه ، حين رفعت عنهم الديون وفوائدها وتحملت الحكومة عنهم تكاليف مقاومة الافات .

وقد جاء هذا المشروع ، فيما ارتأته ـ بحق ـ لجنة الرد على البيان ، باعفاء دائم وعام بالنسبة لصغار الفلاحين ، وهو بهذه المثابة يمثل اضافة ثابتة الى دخولهم ويتقاسم فضله المالك والمستاجر من هؤلاء الفلاحين الصغار .

وقد لاحظت اللجنة أن هذا المشروع ، المقدم من الحكومة ، ينظم هذا الاعفاء بما يأتى :

١ ـ ان هذا الاعفاء الجديد لا يخل بالاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ المشار اليه .

٢ ـ يتمتع بهذا الاعفاء المالك الذى لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان فى أنحاء الجمهورية على ثلاثة افدنة ، دون تطلب أن تكون هذه الملكية مسجلة ، وبذلك تكون الحكومة قد استجابت للاعتبارات العملية التى اثيرت بشان تطبيق هذا الاعفاء . وأصبح الطريق مفتوحا لاثبات الملكية بكافة الوسائل المقررة طبقا للقواعد العامة التى تجعل الارث ووضع اليد من اسباب كسب الملكية . وقد عهد المشروع فى مادته الثانية الى قرار يصدر من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بتحديد اجراءات اثبات الملكية .

وقد اطلعت اللجنة على الكتاب الدورى رقم ١٢ لسنة ١٩٧٢ الذى اصدرته مصلحة الضرائب العقارية والتى اجازت فيه نقل تكليف الاطيان الموروثة الى اسماء الورثة دون حاجة الى تسجيلها لان انتقال ملكية العقار بالميراث لايتوقف على شهر حق الارث .

٣ ـ كذلك فقد لاحظت اللجنة ان الانتفاع بالاعفاء يمتد ايضا الى الحائز الذى لا تزيد حيازته فى أنحاء الجمهورية على ثلاثة افدنة . ولكن الاعفاء فى هذه الحالة يشمل الضرائب الاضافية وهى ضريبتى الدفاع والامن القومى ـ وهى الضرائب التى يتحملها المستاجر اصلا ـ فاذا كان المالك حائزا فى ذات الوقت ، شمل الاعفاء الضرائب الاصلية والاضافية .

(١) مشروع القانون والمذكرة الايضاحية ملحق رقم ٤

٤ ـ ان المشروع قد اشترط للاعفاء ، فضلا عن عدم زيادة الملكية او الحيازة او مجموعها على ثلاثة افدنة ، الا يكون للممول دخل من اى مصدر آخر خلاف الزراعة . وقد قصد النص من ذلك ان يكون الاعفاء مقصورا على اصحاب الدخول الصغيرة .

ونظرا لما تبين للجنة من انه قد يكون للمالك او الحائز الصغير ، دخل آخر صغير من نشاط آخر ، ومن ثم فقد استحسنت ان يحدد هذا الدخل الاخر الذى يمنع الاعفاء بما يجاوز مائة وخمسين جنيها فى السنة ، وقد روعى فى ذلك ان هذا المبلغ هو الذى يمثل حد الاعفاء من الضرائب النوعية الاخرى .

٥ ـ ان الاعفاء لا يمتد الى الحدائق المثمرة ، وتحديد ما يقصد بالحديقة المثمرة سينظمه قرار يصدر من وزير المالية والاقتصاد بالاتفاق مع وزير العدل .. قد رات اللجنة انه من المناسب ان يشترك وزير الزراعة مع وزيرى المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية والعدل فى اصدار هذا القرار .

وفى ضوء هذه الملاحظات واحكاما للصياغة فى بعض نصوص مواد المشروع فقد رات اللجنة اعادة صياغة بعض نصوصه على النحو المبين بالمشروع المرفق .

كما رات اللجنة حذف نص المادة السادسة من المشروع والتى تجعل مكافاة لمن يرشد عمن يتمتع بالاعفاء بغير وجه حق ، وذلك لان واجب التبليغ عن ارتكاب الجرائم والتحايل على القانون ، هو واجب وطنى يجب ان يضطلع به كل مواطن وجعل المكافاة على ممارسة هذا الواجب من شانها ان تضيع القيمة الاخلاقية والوطنية لواجب التبليغ .

واللجنة اذ توافق على المشروع ، ترجو المجلس الموقر الموافقة عليه معدلا بالصيغة المرفقة .

رئيس المجلس :

والان ، هل لاحد من حضراتكم ملاحظات على مشروع القانون من حيث المبدأ ؟

السيد العضو السعيد البيلى :

اتوجه بالسؤال حول نقطة معينة ، فقد ورد فى التقرير « الملكية بعقود مسجلة » ثم جاء بالفقرة الثانية من نفس التقرير « الطريقة التى يمكن ان يثبت بها المالك او الحائز ملكيته للثلاثة الافدنة » .

رئيس المجلس :

ان المناقشة الان حول مشروع القانون من حيث المبدأ ، فما هو راى السيد العضو ؟

السيد العضو السعيد البيلى :

اننى اؤيد مشروع القانون من حيث المبدأ .

السيد العضو السعدى عبدالحميد السعدى :

من حيث المبدأ ، اقول اننى اؤيد هذا المشروع بقانون لما سيحققه من فوائد لصغار الفلاحين ، حيث سيؤدى الى زيادة فى دخولهم ، وهذا ما اكده القانون وما جاء فى مذكرته الايضاحية .

والواقع ان مشروع القانون يوضح هذه الغاية العظيمة التى استهدفتها الحكومة ، وفى اعتقادى ان هذا المشروع يحرر الفلاح من ضغط الصيارفة ، والخوف من توقيع الحجز عليه لسداد الديون ، ان هذا القانون انسانى فى هدفه الاساسى لانه يحقق للمواطن الصغير العيش فى عزة وكرامة .

ولكن يهمنى ان ابرز لحضراتكم ، ان لى بعض التحفظات على هذا المشروع بقانون ، ولقد ارسلت للسيد الاستاذ رئيس المجلس اقتراحا بشان تعديل المادة الاولى من هذا المشروع بقانون ، كذلك كنت ارجو ان ينظر الى المواطنين الذين اضيرت اراضيهم نتيجة النشع ، واذكر على سبيل المثال بعض اراضى مركز العدوة بمحافظة المنيا ، فقد تدهور دخل الفلاحين هناك الى حد الكفاف لدرجة ان يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ، ويرجع هذا الى خطأ المسئولين عن مشروع استصلاح الاراضى فى شمال سمالوط وفى مركز العدوة . ان الارض التى كانت تنتج (١٢) اردبا او (٧) او (٨) قناطير من القطن لم تعد تنتج هذا القدر . ولهذا ارى ان الاعفاء طالما انه يستهدف زيادة دخل المواطن الفقير ، فيجب ان يشمل ايضا هؤلاء الذين اضيرت اراضيهم وشكرا .

السيد العضو عبد الرحيم الغول :

اننى اؤيد مشروع القانون من حيث المبدأ ، ولكن هناك بعض النقاط التى اود الوقوف عندها ، ومثال ذلك محافظة قنا ومن المعروف انها محافظة متخلفة جدا ، وقد كان السائد عند الترشيح لمنصب العمدية ان تصر العائلة على ان يبقى التكليف كما هو اى حوالى (٥٠) او (٣٠) او (٢٠) فدانا ومازالت الحال كذلك ، ونلاحظ ان اعتبار وضع اليد هو الشىء الاساسى فى الزراعة كثيرا ما ادى الى مشكلات الثار المتفشية فى محافظة قنا ، لذلك اطلب ان تكون الاستمارة (هـ) التى يحاسب الصراف المزارع على اساسها ، هى المرجع فى تطبيق هذا القانون .

رئيس المجلس :

اعتقد ان الموضوع اصبح واضحا ، فهل توافقون حضراتكم على اقفال باب المناقشة ؟

رئيس المجلس :

(موافقة) .

الموافق من حضراتكم على مشروع هذا القانون من حيث المبدأ يتفضل برفع يده .

(موافقة) .

رئيس المجلس :

ليتفضل السيد المقرر بتلاوة مواد مشروع هذا القانون لاخذ الراى عليها مادة مادة .

المقرر :

(المادة الاولى)

« مع عدم الاخلال بالاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة عن صغار ملاك الاراضى الزراعية ، يعفى من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب الاضافية الملحقة بها كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة افدنة .

ويعفى من ضريبتى الدفاع والامن القومى كل حائز لا تزيد حيازته بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة افدنة .

ولا تسرى هذه الاعفاءات اذا زاد مجموع ملكية الشخص وحيازته عن ثلاثة افدنة .

وفى جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على اى مساحة منزرعة حدائق مثمرة .

ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها الا يكون للممول دخل ، من اى مصدر آخر خلاف النشاط الزراعى ، يزيد على ١٥٠ جنيها سنويا » .

رئيس المجلس :

هل لاحد من حضراتكم ملاحظات على هذه المادة ؟

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

يهمنى قبل الدخول فى مناقشة هذه المادة ان اعرض على حضراتكم الفلسفة التى تحكم تقديم هذا المشروع من اساسه .

ان الهدف من تقديم هذا المشروع يتعلق اصلا بضريبة عقارية وليس بضريبة الدخل ، فهذه ضريبة على الارض ، وليست ضريبة على الدخل الزراعى ، اذ لم يعترف فى مصر حتى الان بالضرائب على الدخل الزراعى .

ان هذا المشروع موجه اصلا الى صغار الملاك ، والحائزين الذين يفلحون الارض بانفسهم ، ويستخرجون خيراتها ، وبذلك يمس المشروع طائفة كان من واجب الدولة ان تتحمل عنهم عبء التكاليف العامة ، ومن هنا ارتبط المشروع فى اعداده

ومناقشته وفى صيغته بمالك الارض الذى عمله الزراعة دون غيرها ، وكذلك ارتبط بالحائز الذى يستاجر ثلاثة افدنة ويفلح الارض بنفسه ، هاتان هما الفئتان اللتان قصد المشروع حمايتهما من عبء الضريبة ومن التعقيدات الخاصة بالصيرفة وبالمستندات الى اخره لاننا لو دخلنا فى موضوع الدخل الزراعى والدخول الاخرى غير الزراعية لوجدنا انفسنا نخوض فى تعقيدات محاسبية ، وعلى سبيل المثال لو ان هناك فردا يملك ثلاثة افدنة وله فى الوقت ذاته مصادر دخول أخرى ، فان الامر يستلزم محاسبته ضريبيا ، ونعرف جميعا المشكلات المتعلقة بعملية المحاسبة عن ضرائب الدخل ، فمثلا البقال والحلاق وغيرهما ممن يعملون فى القرية ، لو ادخلنا انفسنا فى موضوع الدخول الاخرى ، لوجب أن نحاسب هؤلاء الناس على الدخل الناتج عن التجارة أو المهنة أو الحرفة ، ويكون قانون الاعفاء الخاص بالضريبة على الملكية مرتبطا فى هذه الحالة بالمحاسبة عن نتائج اعمال هؤلاء الافراد ، بحيث اذا زاد الدخل او نقص يكون لزاما علينا أن نتابع هذا الدخل ، وبالتالى سوف نحتاج الى جهاز اخر للقيام بهذا العمل ، أو على الاقل سيكون ذلك عبئا على جهاز الضرائب الحالى •

لذلك فان النص الوارد من الحكومة واضح كل الوضوح ، فى تحديد المستفيد من المشروع فانه من يملك او يحوز ثلاثة أفدنة بشرط ان يعمل بيده وان يكون دخله الرئيسى من الزراعة ، وبحيث لا يكون له دخل اخر ولا يحتاج هذ الامر الا الى اقرار بذلك ، ولا يدخلنا فى مشكلات خاصة بالمحاسبة ، لاننا عندما ندخل اى رقم خاص بالمحاسبة ، قد تثار تعقيدات حول قياس الدخل ، وفى هذه الحالة نحتاج لاجراء عملية محاسبة لكل فرد يحوز اى قدر من الارض ، وهناك امثلة أخرى فقد يكتسب البعض ٢٠٠ او ٥٠٠ أو ١٠٠٠ جنيه ويملك فدانا واحدا وهؤلاء ليسوا مقصودين بالاعفاء الذى استهدفه مشروع هذا القانون ، ولا يسرى عليهم التخفيف الوارد حاليا والمقدر باربعة جنيهات •

ونوجز الخص ما سبق فيما يلى :

١ - يستهدف المشروع اصلا المالك او الحائز الذى يستفيد من أرضه ويزرعها بنفسه ويعيش من دخلها •

٢ - اى انسان له دخل أخر ، ولا يكون دخله الاساسى من الزراعة ، يجب استبعاده ، حتى لا ندخل فى تعقيدات القياس الخاص بالدخول من المصادر الاخرى •

٣ - فى حالة عدم الاعفاء ، فان قانون التخفيف الحالى موجود وهو اربعة جنيهات لن لا تزيد ضريبته العقارية على عشرين جنيها • لقد اردت بهذا ان اوضح الخلفية الرئيسية للموضوع ، واهم ما اشير اليه هو أن مشروع هذا القانون يتعلق بضريبة ارض ، ضريبة ملكية ، ضريبة عقارية ، ولا يتعلق بضريبة دخل وشكرا •

رئيس المجلس :

اى ان سيادتكم ترون الابقاء على المادة كما وردت فى مشروع الحكومة •

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

نعم •

السيد العضو أحمد يونس :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء ••

عندما اعلنت الحكومة عن قرارها باعفاء صغار المزارعين والملاك الذين يحوزون ثلاثة افدنة فاقل من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحقة بها ، فرح الجميع وهلل لهذا القرار ، الا انتى ارى ان المشروع المعروض علينا الان اتى بقيود تحد من التمتع بهذا الاعفاء • ففى الوقت الذى كنا نأمل فيه أن يحقق هذا المشروع للفلاح التخلص من الاجهزة العقيمة التى تقوم بتحصيل هذه الاموال ، نجد انه يضع قيودا سوف يترتب عليها ضرورة اقامة جهاز اخر يقوم بمحاسبة هؤلاء الملاك ، لمعرفة ما اذا كانت لديهم دخول اخرى ام لا ، ولا شك ان هذا يتنافى مع الهدف الذى وضع من اجله هذا المشروع بقانون • وفى تقديرنا ، أن عدد المستفيدين من هذا المشروع يصل الى حوالى مليون ونصف ما بين حائز ومالك وهم يمثلون حوالى نصف الحائزين فى جمهوريتنا ، ومما لا شك فيه ، أن هذا العدد يحتاج الى ما لا يقل عن عشرة الاف موظف متخصص ، كى يقوموا بمراجعة اوضاع هؤلاء الحائزين ، لمعرفة مقدار دخلهم من الاعمال الاخرى ان وجدت •

ولقد تقدمت الحكومة بمشروع هذا القانون بهدف رفع الضرائب عن صغار الفلاحين الذين يملكون ثلاثة افدنة فاقل ، ويقدر ما ستتحمله الدولة فى هذا الشأن بما يتراوح بين خمسة وستة ملايين من الجنيهات ، وهذا مبلغ بسيط رأت الدولة ان تتحمله رعاية لهؤلاء الفلاحين • ومن هنا ، فاننى ارى ان هذا الاعفاء يجب ان يكون مطلقا وبدون قيد او شرط ، وبخاصة ان هذا المبلغ الذى ستتحمله الدولة يقل كثيرا عما تحملته حين قررت ان تتحمل نصف تكاليف مقاومة دودة القطن ، وهى حين قررت ذلك لم تضع اى شرط لتمتع الفلاح بهذا الحق ومن هنا فقد استفاد جميع الفلاحين بهذا القرار حتى من كان يملك منهم خمسين فدانا مزروعة قطنا ، فهذه المساحة كانت تكاليف مقاومة الافات فيها تصل الى ٥٠٠ جنيه ، تحملت الحكومة منها ٢٥٠ جنيها ، فمن هذا المنطلق فاننى ارى ان من يملكون او يحوزون ثلاثة افدنة فاقل ، اولى بالرعاية ، ولهذا ارى اعفاء من يملك ثلاثة أفدنة فاقل من الضرائب والرسوم دون اى قيد او شرط ، لان القيد الذى وضعته اللجنة الوارد فى الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، سوف يلغى كل ما توقعناه من خير يعم هؤلاء الكادحين من هذا المشروع ، لهذا فاننى اطالب بالغاء الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، حتى يكون الاعفاء مطلقا لكل من يملك ثلاثة أفدنة فاقل بلا اى قيد او شرط •

(تصفيق) •

السيد العضو مصطفى كامل مراد :

ان المشروع الذى تقدمت به الحكومة كان يقضى فى فقرته الاخيرة بالا يتمتع بهذا الاعفاء كل من كان له دخل من مصدر اخر ، الا ان اللجنة رأت ، تقديرا منها لظروف بعض المزارعين الذين يعملون فى أعمال اخرى ، مثل البقال او الحلاق وغيرهما من صغار الممولين ، ان تأخذ حلا وسطا ، فرأت أن تعدل المادة بحيث تسمح بالتمتع بهذا الاعفاء للزارع الذى لا يزيد دخله من اى مصدر آخر على ١٥٠ جنيها فى السنة ، ذلك لان اللجنة رأت ان هذا الدخل يمثل حد الكفاف ، ومن هنا قررت ان يعفى من الضرائب كل من لم يزد دخله من الاعمال الاخرى بخلاف الزراعة عن هذا الحد ، ولقد أثار السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية فى تعقيبه الان ، نقطة حساسة بالنسبة لهذه الاضافة ، فأشار الى انه ستكون هناك صعوبة فى محاسبة هذه الفئة الكبيرة من الممولين بهدف حصر كل من لا يزيد دخله منهم على ١٥٠ جنيها فى السنة • وفى رأيى ان هذه العملية لا تمثل اى صعوبة ، حيث أن هناك بطاقات الحيازة ، كما اننا طالبنا الحكومة مرارا بأن تسرع فى فك الزمام ، حتى يمكن حصر الملكية على ضوء الواقع الفعلى ، وبالتالى فانه سوف يصبح من السهل تحديد الاشخاص الذين يسرى عليهم هذا القانون ويتمتعون بهذا الاعفاء • ومن ثم فاننى أرى ان الحل الذى انتهت اليه اللجنة ، والذى عدلت بمقتضاه الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، هو افضل الحلول ، اذ قضت بان يعفى من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية ، كل من يملك او يحوز ثلاثة افدنة أو اقل ، بشرط الا يزيد دخله من أى عمل اخر على ١٥٠ جنيها فى السنة •

السيد العضو عمار زناتى :

تقضى الفقرة الثانية من هذه المادة بان

يعفى من ضريبتى الدفاع والامن القومى كل حائز لا تزيد حيازته بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة أفدنة • وفى ظل أحكام هذه الفقرة ، أود أن أستفسر عن الموقف بالنسبة للحائز لثلاثة أفدنة ، منهم فدان حصل عليه من مالك آخر لعشرة أفدنة ، وهذا المالك الاخير لن يسرى عليه الاعفاء المقرر بهذا القانون ، فى حين أن الحائز لثلاثة أفدنة سوف يعفى من الضرائب الاضافية وهى الامن القومى والدفاع فهل سيطالب المالك بهذه الضريبة فى حين نجد أن القانون ينص على أن هذه الضريبة يدفعها المستأجر ، فما هو الموقف فى هذه الحالة ؟

السيد العضو الدكتور صفوت محيى الدين :

تقضى الفقرة الرابعة من هذه المادة بانه فى جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على اى مساحة منزرعة بحدائق مثمرة • واننى اقترح اعادة صياغة هذه الفقرة على النحو التالى « وفى جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على الاراضى المنزرعة حدائق، الا فى حدود ملكية فدان واحد » وذلك لاننى أرى أن الشخص الذى يملك فدان حدائق يحصل على ايراد يقل عن ايراد من يملك ثلاثة أفدنة من الاراضى الزراعية • ومن المعروف لنا جميعا أن من بين ملاك الحدائق ، من يعانون من الفقر ، فهناك من يملك منهم مساحة لاتتجاوز ربع فدان حدائق ، فمثل هؤلاء الزراع يجب أن نعفيهم أيضا من الضرائب الزراعية ، ومن أجل هذا تقدمت باقتراحى باعادة صياغة الفقرة الرابعة من هذه المادة ، بحيث يسرى حكمها على من يملكون فدانا فاقل مزروعا بحدائق مثمرة وشكرا •

السيد العضو محمد مهدى شومان :

عندما تقدمت الحكومة بمشروع هذا القانون ، واحيل الى اللجنة لدراسته وجدنا أن هذا المشروع يشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها عدم وجود دخل للممول من أى مصدر آخر خلاف الزراعة ، وقد رأت اللجنة ـ تقديرا منها لظروف الفلاحين ، حيث أن أغلبهم لا يقتصر دخلهم على الزراعة فقط بل منهم من يقوم بتربية بعض الحيوانات أو يعمل بقالا أو حلاقا أو نجارا ـ أن تقوم بتعديل هذه المادة بحيث تسمح بان يتمتع بهذه الاعفاءات كل من كان له دخل من مصدر آخر بشرط الا يزيد هذا الدخل عن ١٥٠ جنيها فى السنة • ولقد رأت اللجنة أن فى هذا التعديل تيسيرا على الفلاحين ، وليس تقييدا لهم ، ومن هنا فاننى أؤيد نص هذه المادة كما عدلته اللجنة •

السيد العضو محمود أبو وافية :

اننى أختلف مع الاخ احمد يونس فى الاقتراح الذى تقدم به ، لان المقصود بهذا القانون هو شخص الفلاح وليس الارض الزراعية ، بمعنى أن العبرة هنا ليست بمساحة الثلاثة أفدنة فاقل حتى نعفيها من الضرائب ، بل العبرة هنا بشخص الفلاح ، لاننا اذا اعتبرنا أن الاصل هو الارض الزراعية فاننا بهذا نكون قد أهدرنا الهدف الذى من أجله قدم هذا المشروع ، الا وهو حماية الفلاحين الكادحين الذين يعملون فى الارض بايديهم فى مساحة لا تجاوز الثلاثة الافدنة فاقل ولا يكون لهم مورد آخر للرزق ، هذا فى الوقت الذى نجد فيه أن اقتراح الاخ احمد يونس والذى يقضى بحذف الفقرة الاخيرة من هذه المادة ،سوف يؤدى الى انه لو كان هناك مواطن دخله السنوى ١٢٠٠ جنيه من وظيفة ، ولديه ثلاثة أفدنة فبالنص المقترح من الاخ احمد يونس ، فان هذا الشخص سوف يعفى من الضرائب والرسوم ، ولا أعتقد أن هذا هو ما يهدف اليه مشروع هذا القانون بل اننا لو اخذنا بهذا الاسلوب نكون قد أهدرنا العلة التى من أجلها قدم هذا المشروع ، لانه قدم أساسا لحماية صغار الفلاحين ، والتيسير على طبقة معينة من المواطنين الكادحين الفقراء ألا وهم صغار الفلاحين ، الذين يملكون ثلاثة أفدنة فاقل ، وليس لهم مورد آخر بخلاف الزراعة ، ومن هنا فاننى أطالب بالابقاء على النص كما جاء بالمشروع الذى تقدمت به الحكومة ، وشكرا •

السيد العضو محمد خليل أبو سديره :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

أمام الصعوبات التى ستنشأ وامام التعديل الذى ادخلته اللجنة على المادة ، وأمام الاقتراحات التى قدمت من بعض الزملاء ، فاننى أقول اذا ما اخذنا بالنص الذى ورد من الحكومة فأرى الغاء الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، حتى لا تنشأ مشاكل .

أما اذا بقيت المادة كما هى ، فاننا سنحرم الكثير من صغار الفلاحين الكادحين من هذه الميزة ، وهؤلاء الذين يعملون فى بعض الحرف كالحلاق والبقال ، ولا يزيد دخل أحد هؤلاء على الجنيهات القليلة • واذا أخذنا بالتعديل الذى أدخلته اللجنة ، فان ذلك يعنى أننا سندخل فى متاهات محاسبية ، مما لا يعود بالفائدة المرجوة من هذا المشروع على صغار الفلاحين •

ولقد تقدمت باقتراح الى رئاسة المجلس ، يقضى بالغاء هذه الفقرة ، وادعو الاخوة الى الموافقة على اقتراحى وشكرا •

السيد العضو المأمون صالح مشالى :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

أقترح حذف عبارة « ••• يزيد على ١٥٠ جنيها سنويا » الواردة باخر الفقرة الاخيرة من المادة الاولى ، وذلك لان المقصود بهذا الاعفاء هو الفلاح الذى يتخذ زراعة الارض حرفة له •

أما القول بان كل من له دخل يعادل ١٥٠ جنيها بالاضافة الى دخله من الثلاثة الافدنة وليكن ١٥٠ جنيها ، أى أن اجمالى الدخل ٣٠٠ جنيه ، يعفى اعفاء تاما من الضرائب ، ففى هذه الحالة أعتقد أن قاعدة تكافؤ الفرص بين المواطنين يجب أن تطبق ، ومن ثم يقتضى الامر أن ترفع كافة أنواع الضرائب عن جميع العاملين الذين تقل مرتباتهم عن ٢٥ جنيها شهريا •

كما سيترتب على بقاء الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، كما اقرتها اللجنة ، الحاجة الى جهاز تتوافر فيه الايدى العاملة ، للقيام بالعمليات الحسابية المطلوبة لمعرفة دخل الفلاح من الثلاثة الافدنة التى يمتلكها ، بالاضافة الى دخل آخر ان وجد لمعرفة مقدار دخل الفلاح بالكامل ، وهذه الحالة ستؤدى بلاشك الى اشكالات ستحدث وتظل قائمة ، سواء ألغى هذا النص أم لم يلغ ، لذلك فاننى أطالب بان يبقى الاعفاء قاصرا على الذين يمتلكون ثلاثة أفدنة فاقل فقط ، أما من يزيد دخله على ذلك ، فيجب أن يخضع لكافة انواع الضرائب •

رئيس المجلس :

أى أن السيد العضو يوافق على النص كما ورد من الحكومة •

السيد العضو المأمون صالح مشالى :

نعم •

السيد العضو محمد كمال صقر :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

اننى أؤيد ما أدخلته اللجنة من تعديل ، لاننا اذا ما وافقنا على النص كما ورد من الحكومة ، فان ذلك سيكون قاصرا على المالك أو الحائز للثلاثة الافدنة فاقل الذى ليس له أى مصدر آخر للدخل خلاف الزراعة • وساضرب لذلك مثلا من الواقع : هناك فرد يملك ثلاثة أفدنة ، وايراده من زراعتها ١٥٠ جنيها فقط وفى نفس الوقت هناك فرد آخر يملك عمارتين تدران ايرادا قدره ثلاثة آلاف جنيه فى السنة ، ويملك •••

رئيس المجلس :

ارجو ان يوضح السيد العضو رأيه فيما يتعلق بهذه المادة •

السيد العضو محمد كمال صقر :

اننى أوافق على المادة كما أقرتها اللجنة ، وشكرا •

السيد العضو عبده مراد :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

الواقع أنه لا خلاف على مشروع القانون من حيث المبدأ انما الخلاف على كيفية التطبيق ، ولاشك أن الرأى الذى أبداه السيد نائب رئيس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد له وجاهته ، ولكن الرأى المعارض الذى ذكره الاخوة الاعضاء له وجاهة أشد ، وأريد أن أضرب مثلا للسيد نائب رئيس الوزراء ، احدى السيدات فى القرى تستحق معاشا عن أحد الشهداء قدره جنيه واحد فى الشهر ، اذن فهذا المبلغ يعتبر مصدر ايراد ، فهل يرى السيد نائب رئيس الوزراء ان مثل هذه السيدة تحرم من هذا الاعفاء ؟ أعتقد أن سيادته لا يوافق على ذلك . اذن فنحن بين أمرين أحلاهما مر ، فاذا ما أطلقنا الامر وأعفى كل من يمتلك ثلاثة أفدنة دون نظر الى ايراده ، فستصبح النتائج غريبة كما يقول الزملاء . فمثلا الموظف الكبير الذى يمتلك ثلاثة أفدنة وله ايرادات من موارد أخرى الى جانب مرتبه ، فلا يتصور أن مثل هذا الموظف الذى يخضع لضريبة الايراد العام ، يعفى من الضريبة العقارية . كما ان صرف النظر نهائيا عن وجود أى نوع من ايراد آخر سوف يرتب مفارقات شديدة .

ولذلك ، فاننى اقترح ان يكون المعول عليه فى هذه المسألة ، هو أن يكون الاعفاء منوطا بالشخص الذى تكون حرفته الزراعة ، ويكون رزقه الرئيسى الزراعة أيا كان نوعها . أما أن نشترط للتمتع بالاعفاء بالا يكون للممول دخل من أى مصدر خلاف النشاط الزراعى يزيد على ١٥٠ جنيها سنويا فكما يقول السيد نائب رئيس الوزراء أن هذا يقتضى اعداد جهاز كبير للبحث والمحاسبة والمراجعة، لذلك يكفى ان نأخذ بتعريف الفلاح كما عرفه الاتحاد الاشتراكى ، وهو أن تكون الزراعة مصدر رزقه الرئيسى ليتمتع بالاعفاء مهما كان دخله وشكرا .

السيد العضو خلف الله مهنى :

اننى أوافق على مشروع القانون من حيث المبدأ . ولكنى اريد أن نحدد أيضا الجهاز الذى سيقوم بتحديد الايراد بمبلغ ١٥٠ جنيها . ثم هناك بعض الفلاحين ممن يزرعون ثلاثة أفدنة ولا يكفيهم دخلها . وبالتالى يحاول كل منهم زيادة دخله عن طريق تربية المواشى مثلا . فكيف يمكن حصر مثل هذا الايراد ؟ وفى هذه الحالة أرى أنه لابد من عمل بحث اجتماعى لكل مالك لثلاثة أفدنة حتى يمكن تحديد مبلغ المائة والخمسين جنيها ومصدرها .

اننى أعتقد ان السيد رئيس الجمهورية لم يشر الى موضوع الدخل عندما تكلم عن هذا المشروع ، لذلك فاننى أتساءل كيف ادخل هذا القيد على المشروع ؟ ان موضوع الـ ١٥٠ جنيها سيخلق لنا اشكالات كثيرة وبالتالى لن يستفيد من هذا المشروع بقانون الا القليل من الفلاحين . (تصفيق)

لذلك أرى حذف الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، وشكرا .

السيد العضو خليل خليل شرارة :

السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

فى الواقع أن هذا المشروع بقانون يمثل ناحيتين ، احداهما انسانية والاخرى سياسية ، ان تحرير الفلاح ماديا ، معناه تحريره فكريا وسياسيا . وفى اعتقادى أن الثلاثة أفدنة لا تكفى للاعفاء فلنفرض أن فلاحا يملك ثلاثة أفدنة وربع الفدان ، فهل بسبب الربع فدان الذى يدر ايرادا حوالى ١٢ جنيها سنويا نحمل الفلاح باعباء ضريبة قدرها ٦٠ جنيها ؟ ان حد الاعفاء مقرر فى قانون الضرائب ، فى الضريبة العامة على الايراد ، والضرائب المنقولة ، لذلك فاننى أقترح أن يتسع حد الاعفاء الى خمسة أفدنة ، بمعنى أن تعفى الثلاثة الافدنة الاولى ، وتدفع الضرائب عن الفدانين الاخيرين . وهذا المبدأ مقرر فى الضريبة العامة على الايراد والضرائب المنقولة حيث أن الممول يعفى من ضعفى حد الاعفاء ، ومازاد على ذلك يدفع عنه ضريبة . اذن ليس من العدالة أن نحمل شخصا بضرائب عن ثلاثة أفدنة وربع لزيادة ملكيته ربع فدان عن زميله الذى يمتلك ثلاثة أفدنة تعفى جميعها من الضرائب . وشكرا .

السيد العضو محمود السيد عبد الرحمن :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

لقد سمعت السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد يقول الان ان فلسفة مشروع هذا القانون هى الاعفاء من الضريبة العقارية .

وقد أوضح الاخ أحمد يونس الموضوع توضيحا كاملا وشاملا . كما أشار السيد رئيس الجمهورية باعفاء الفلاحين الذين يمتلكون ثلاثة أفدنة فاقل من الضريبة العقارية . وبالنسبة لما أثير الان من أن هناك من يمتلكون ثلاثة أفدنة أو أقل من ذلك ولهم موارد أخرى ، فأعتقد أنه لو قمنا باجراء عملية حسابية لمعرفة عدد هؤلاء الذين يمتلكون ثلاثة أفدنة فاقل ، فسوف نجدهم يمثلون رقما ضئيلا جدا لذلك فانى أرجو الا نعقد الامور بالنسبة لمشروع القانون المطروح وان يتخذ المجلس القرار الحاسم بان يعفى كل من يملك ثلاثة أفدنة فاقل بدون قيد من الضريبة العقارية ، وشكرا .

السيد العضو فوزى العمدة :

ان ما أبدى من آراء حول هذا الموضوع ، لاشك له قيمته وأهميته ، كما أن الامثلة التى ضربت تعبر عن الواقع .. ولدى اقتراح محدد أود أن أعرضه على المجلس الموقر فقد يلقى قبولا من الاخوة الزملاء .

أود أن أوضح أن الامر لا يقتصر على النشاط الزراعى فقط ، وانما يمتد الى أمور أخرى ، فمثلا هناك شخص مقيم فى القرية يحترف مهنة معينة كالحلاقة أو غيرها وفى نفس الوقت يمتلك ثلاثة أفدنة ، مثل هذا الشخص وفقا للنص الحالى ، لن يتمتع بالاعفاء .. ولذلك ، فاننى أقترح تعديل الفقرة الاخيرة من المادة لتصبح كما يلى :

اذا أثبت الممول أن مجموع دخله من الزراعة وغيرها ، لا يجاوز مائة وخمسين جنيها فى السنة ، يتمتع بالاعفاء .

السيد العضو السعدى عبد الحميد السعدى :

أن المقصود من هذا المشروع بقانون ليس مجرد ملكية قدر من المساحة الزراعية ، وانما المقصود به اعفاء المواطن الفقير صاحب الدخل المحدود من ضريبة الاطيان الزراعية ، وبذلك يمكن أن يزداد دخله بمقدار ما كان سيدفعه من ضريبة .... فمثلا عندنا فى محافظة المنيا ، مربوط على الفدان ستة جنيهات اموالا أميرية ، أى أن من يملك ثلاثة أفدنة سوف يعفى من ثمانية عشر من الجنيهات .. هذا علاوة على أن بعض الضرائب تتفاوت قيمتها من محافظة الى أخرى ، ولهذا فان النص كما هو وارد لا يحقق الهدف المنشود من وراء هذا المشروع بقانون ، ومن أجل ذلك فاننى اقترح استبدال عبارة « كل مالك لا يزيد جملة ما يدفعه من ضرائب على الاطيان الزراعية بكافة انحاء الجمهورية عن ثمانية عشر جنيها » بعبارة « كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة أفدنة » الواردة فى نهاية الفقرة الاولى من هذه المادة ـ وبهذا نحقق الهدف من الاعفاء من الضريبة على ثلاثة أفدنة وفى نطاق الثمانية عشر جنيها .

ومن مقتضى هذا التعديل ، أن يجرى تعديل الفقرتين الثانية والثالثة من هذه المادة ، فيما يتعلق بعبارة الثلاثة أفدنة ، لتصبح الفقرة الثانية على الوجه الاتى :

« ويعفى من ضريبتى الدفاع والامن القومى كل حائز لا يزيد ما يدفعه من ضريبة على الاطيان الزراعية بكافة انحاء الجمهورية عن ثمانية عشر جنيها » .

وتصبح الفقرة الثالثة على الوجه الاتى :

« ولا تسرى هذه الاعفاءات اذا زادت جملة ما يدفعه المالك من ضريبة على الاطيان الزراعية عن ثمانية عشر جنيها » .. وشكرا ..

المقرر :

فى الواقع أن ما أثاره السادة الزملاء والسيد الدكتور نائب رئيس الوزراء يتلخص فيما يلى :

يقترح الاخ أحمد يونس حذف قيد الدخل كلية .

(تصفيق)

ويؤيده فى ذلك بعض السادة الاعضاء الذين اثاروا عاصفة من التصفيق الآن . أما السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء فيرى أن كل من له دخل بخلاف النشاط الزراعى ، لا يتمتع بالاعفاء ، وذلك طبقا للنص الوارد من الحكومة .

اما بالنسبة لما ذكره الاخ الزميل خلف الله مهنى من أن هناك فلاحا يعمل - الى جانب الزراعة - بتربية بعض الماشية ، فاننا اذا ما رجعنا الى الفقرة الاخيرة وجدنا انها تنص على « ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها الا يكون للممول دخل من أى مصدر آخر خلاف النشاط الزراعى ، يزيد على مائة وخمسين جنيها سنويا » وعبارة « خلاف النشاط الزراعى » كانت واردة فى مشروع الحكومة « خلاف الزراعة » فعدلتها اللجنة الى « خلاف النشاط الزراعى » ، وبهذا فان من يربى ماشية لبيعها ، يعتبر ذلك من النشاط الزراعى .

ان السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء يقول اننا لو اشترطنا للتمتع بالاعفاءات المشار اليها ، الا يزيد دخل الممول عن ١٥٠ جنيها فسوف ندخل فى متاهة حسابات واجراءات لا أول لها ولا آخر - وأنا أقول اننا لو قلنا ان هذا الممول ليس له أى ايراد ، فسوف نقع فى نفس المشكلة ، اذ ان الممول سيقول انه ليس لديه أى ايراد ، فالامر يتوقف على تقديم اقرار منه ، كذلك فان من يقل ايراده عن ١٥٠ جنيها ، فالامر يتوقف أيضا على تقديم اقرار منه ، ومن ناحية أخرى فان المادة الخامسة من مشروع هذا القانون تنص على أن « كل ممول تمتع بالاعفاء بدون وجه حق ، بأن أثبت بالاخطار المنصوص عليه فى المادة السابقة بيانات غير صحيحة مع علمه بذلك ، أو لجأ الى وسائل غير مشروعة ، ترتب عليها تمتعه بالاعفاء بدون وجه حق ، التزم بأداء مثلى الضريبة التى اراد التهرب منها .. الخ أى أن فى جميع الحالات سيقدم الممول اقرارا ، فاما أن يقول فيه أنه ليس لديه دخل على الاطلاق ، وأما أن يقول فيه أن دخله لا يزيد عن ١٥٠ جنيها ، فاذا كان كاذبا فى اقراره ، فان المادة الخامسة ترتب عليه العقوبات التى أشرت اليها .

وهناك نقطة أخرى أثارها الاخ السعدى عبد الحميد السعدى تتعلق بتفاوت الضريبة ، مما يعالجه القانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٣ الذى يحدد اعفاءات للممولين الذين تجاوز الضريبة المربوطة على أطيانهم أربعة جنيهات فى السنة ولا تزيد على عشرين جنيها ، فيعفون من أربعة جنيهات فى السنة ، ويشمل هذا الاعفاء الضريبة الاضافية على ضرائب الاطيان - ولذلك ، فان المادة الاولى من هذا المشروع تنص على « مع عدم الاخلال بالاعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ ... الخ » فاذا كان هناك ممول تبلغ الضريبة المقررة على ما يحوزه من أرض خمسين قرشا للفدان الواحد ، فان الضريبة على الافدنة الثلاثة ستبلغ عندئذ ١٥٠ قرشا ، بينما حد الاعفاء أربعة جنيهات .

ان اللجنة عندما عدلت نص الفقرة الاخيرة من هذه المادة بأن جعلت شرط التمتع بالاعفاءات بالنسبة للممول هو الا يكون له دخل يزيد على ١٥٠ جنيها سنويا ، فانها لم تفعل ذلك اعتباطا ، وانما رجعت فى ذلك الى كل قوانين الضرائب ، واسترشدت بحدود الاعفاءات الواردة فيها ، فمثلا لقد أعفت المادتان ٤١ ، ٦٣ من القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ الخاص بفرض ضريبة على ايرادات رؤوس الاموال المنقولة وعلى الارباح التجارية والصناعية ، الممول فى حدود معينة تصل الى ١٥٠ جنيها تقريبا ، اذن فان اللجنة عندما قدرت المائة وخمسين جنيها كحد للاعفاء ، انما أخذت فى الاعتبار قوانين الضرائب السارية فعلا ، وحدود الاعفاءات المعمول بها - فمثلا اذا كان هناك موظف يحصل على دخل سنوى يبلغ ألفا أو ألفين أو ثلاثة آلاف جنيه ، وفى نفس الوقت يحوز ثلاثة أفدنة فى قريته ، فمثل هذا الشخص لا يتمتع بالاعفاء ..

وهذه هى الفكرة من وراء تحديد المائة وخمسين جنيها كحد للاعفاء ، أما الصعوبة التى أشار اليها السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء فغير قائمة ، لان الممول سيقدم اقرارا فى جميع الاحوال كما سبق أن ذكرت .

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

أود أن أعود الى توضيح بعض النقاط الاساسية ، فليس هذا قانون ضرائب دخل ، وهذه نقطة رئيسية .. فاذا قال الاخ المقرر أنه رجع الى القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ ، فان هذا القانون يتعلق بضريبة على الدخل ، أما المشروع بقانون المعروض اليوم ، فلا يتعلق بضريبة على الدخل ، وانما هو ضريبة على الارض ، على الملكية ، وبالاضافة الى ذلك ، فان المشروع المقدم من الحكومة يؤكد - بمنتهى الصراحة - تشجيع النشاط الزراعى ، لذلك فان المشروع بقانون لم يتعرض لمن يملك ثلاثة أفدنة ، ويمارس عملا آخر كتربية الماشية أو غيرها ، لان هذا العمل من شأنه أن ينمى النشاط الزراعى ، نباتيا أو حيوانيا ...

وبذلك فان المشروع بقانون لم يتعرض للدخول الاضافية الناتجة عن النشاط الزراعى باعتبار أن الممول الذى يملك ثلاثة أفدنة ويمارس عملا اضافيا كتربية الماشية يعفى من الضريبة .

نقطة ثالثة ، نحن نسلم بأن الممولين سيقدمون اقرارات ، ولكن هل يمكن للحكومة أن تأخذ هذه الاقرارات على علاتها ، أم أنه لابد لها أن تقوم باجراء فحص وحسابات ؟ واذا كنا نشكو مما نلاقيه من عملية تحصيل الضريبة المحددة على الملكية تحديدا واضحا بالمكلفة فكيف يمكن لنا أن ندخل فى متاهة حسابات البقال والحلاق .. الخ ؟ معنى هذا أنه لابد من عملية حسابات يضطر الفلاح بموجبها أن يتعامل مع جهتين : مصلحة الضرائب من ناحية ، ومصلحة الضرائب العقارية من ناحية أخرى ..

اذن هناك عملية حسابية ستحدث ، ومناقشة ضريبية ستجرى ..

النقطة الرابعة والاخيرة ، لا يعقل فى مجتمع اشتراكى ، ونحن نشرع مثل هذا القانون الذى قصد به صالح صغار الفلاحين الملاك والحائزين ، أن نأتى لنعفى ذوى الدخول الكبيرة منهم حتى ولو كانوا يملكون فدانا أو اثنين أو ثلاثة .

لذلك أرجو الموافقة على نص هذه المادة كما ورد من الحكومة وشكرا .

المقرر :

تعقيبا على ما ذكره السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء فيما يتعلق بالدخل ، فان الفقرة الاخيرة من المادة الاولى تنص على أنه « ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها عدم وجود دخل للممول من أى مصدر آخر خلاف الزراعة » ومن ثم فلقد كان واجبا على اللجنة أن تأخذ فى اعتبارها الدخل من المصادر الاخرى ، وهناك مثال ساقه الينا الزميل عبده مراد بشأن سيدة تتقاضى معاشا يبلغ جنيها أو جنيهين ، وتملك فى نفس الوقت ثلاثة أفدنة .. فمثل هذه السيدة لا تتمتع بالاعفاء الوارد فى مشروع هذا القانون ، وبالتالى فان الحكومة فى جميع الحالات سوف تتحرى من واقع الاقرارات التى يقدمها الممولون ما اذا كان لهم دخل آخر من عدمه .

السيد العضو ايهاب محمد مقلد :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

لى تساؤل هو : لمن الاعفاء ؟ اننى أقول أن الاعفاء يجب أن يتمتع به الفلاحون من صغار الملاك الذين يعملون بالزراعة فعلا .. وليس شرطا أن يكون دخل مالك الثلاثة أفدنة جنيهين أو ثلاثة جنيهات ، بل ان هذا الدخل قد يصل الى خمسمائة جنيه ..

ولهذا فاننى أقترح تعديل عنوان مشروع القانون ليكون كما يلى :

« مشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك الفلاحين من ضريبة الاطيان الزراعية ، والضرائب

والرسوم الاضافية الملحقة بها ، *

وبهذا فاننا نكون قد حددنا قطاعا معينا • وميزناه بالتمتع بهذا الاعفاء ، دون التعرض لفلسفة مشروع القانون من حيث الضريبة على الدخل العام •

واقترح ايضا حذف الفقرة الاخيرة من المادة الاولى وبهذا نقضى على التناقضات التى ثارت نتيجة المناقشة فى هذا الموضوع •

رئيس المجلس :

ارجو من السيد العضو ان يقدم اقتراحه مكتوبا ليتسنى عرضه على المجلس ضمن ما هو وارد من اقتراحات اخرى •

السيد العضو محمود ابو وافية :

الواقع ان ما بدا من المناقشة حتى الان ، هو ان الحكومة تاخذ اتجاها وان المجلس يتجه اتجاهين ولقد قدمت اقتراحات كثيرة ، وهذا القانون يتعلق بمسائل دقيقة تمس حياة عدد كبير من الفلاحين ، فلماذا العجلة اذن ؟ ارى ان يعاد مشروع القانون الى اللجنة للاتفاق على هذه النقطة بالذات ، ثم يعرض فى جلسة الغد ، ولن تستغرق مناقشته وقتا طويلا ، فهو يتكون من اربع مواد فقط ، وشكرا •

السيد العضو ابراهيم القاضى :

اننى اختلف مع السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية فى انه يعتبر ان الضريبة على الارض الزراعية ليست ضريبة على الدخل • فالواقع ان هذه الضريبة لا تفرض على الملكية فحسب وانما تفرض على ايراد هذه الملكية ، غاية ما فى الامر انها تقدر على حسب الاحواض والمواقع والتربة وغير ذلك ، فضريبة الفدان تقدر بنسبة ١٤ فى المائة من القيمة الايجارية السنوية التى تمثل دخل المالك او دخل المستغل للاراضى ، والضريبة اذا كانت تفرض بالنسبة للمالك على ملكيته من الارض ، واذا كان الاستغلال الزراعى فى مصر ، لا يخضع للضرائب النوعية ، فليس هذا مبررا لاخراج هذه الانواع من الدخول •

ان المادة كما وردت بمشروع القانون المقدم من الحكومة كانت تحرم كل من له دخل أيا كان دون تحديد ، ومعنى هذا ان الارملة او الشخص الفقير الذى يملك نصف فدان ويزاول عملا من الاعمال البسيطة التى تدر عليه دخلا محدودا يحرم طبقا لهذا النص من الاعفاء ، ولكن اللجنة تعميما للفائدة وتحقيقا للعدالة رأت ان تنسق بين حدود الاعفاء المقررة فى القوانين المختلفة وبين هذا القانون •

ان القانون يضع حدا لاعفاء الرجل المتزوج الذى يعول اولادا قدره ٢٥٠ جنيها ، وايراد الثلاثة الافدنة سواء كان عن طريق الاستغلال الزراعى او عن طريق التاجير للغير لا يزيد على ٦٠ او ٧٠ جنيها •

ومعنى ذلك انه لكى يتساوى مالك الثلاثة الافدنة مع زميله الذى يزاول عملا من اعمال الثروة المنقولة لابد له من ان يحقق ايرادا اخر ، اقترحت ان يكون ١٨٠ جنيها لاسباب مختلفة منها :

اولا — ان مبلغ الـ ١٥٠ جنيها الذى اقترحته اللجنة اذا قسم على شهور السنة كان الناتج ١٢٫٥ جنيه ولذلك اقترحت ان يكون المبلغ ١٨٠ جنيها حتى يكون الناتج رقما صحيحا •

ثانيا — ان حد الاعفاء المقرر بمقتضى القانون وقدره ٢٥٠ جنيها والذى اشرت اليه ، اذا ما رفع منه سبعون جنيها ، ايراد الثلاثة الافدنة فان الباقى وقدره ١٨٠ جنيها يمثل الايراد المعقول •

لذلك ارجو من المجلس الموقر الموافقة على التعديل الذى اقترحته برفع حد الاعفاء من ١٥٠ جنيها الى ١٨٠ جنيها •

السيد العضو الدكتور جمال العطيفى :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

هذا المشروع المعروض علينا اليوم يمثل قانونا ثوريا جديدا استقبله ملايين الفلاحين بالترحيب كما استقبله المجلس بالتاييد ، وسارت من اجله مسيرات شعبية فلاحية ضخمة لشكر الرئيس انور السادات •

هذا المشروع احس — ونحن نناقشه اليوم — وكاننا لا نقدر تماما قيمة هذا الاعفاء ، اقول هذا لان هذا الاعفاء كان مظهرا جديدا من مظاهر رعاية الرئيس انور السادات للفلاحين ولم نكن نحن الذين تقدمنا بهذا المشروع ولكنه ورد الينا من الحكومة بعد ان رأسها الرئيس انور السادات •

هذه كلمة حق يجب فى ضوئها ، ان نزن الامور ونحن نناقش هذا المشروع ومن الواضح — كما قال كثير من الزملاء — ان هذا المشروع قصد به ان يكون ثورة جديدة وخدمة جديدة تقدم لصغار الفلاحين ، الذين يملكون ثلاثة افدنة فاقل ، وقد وافقنا على هذا ، فكل اقتراح بالاضافة يصبح بذلك غير مقبول ، ولكن السؤال المطروح فعلا ، هو هل يكفى ان يكون معيار ملكية الثلاثة الافدنة فاقل هو المعيار الدال على ان الممول يستحق هذا الاعفاء وانه من صغار الفلاحين حقا ، الذين قصدهم الرئيس انور السادات برعايته فى هذا القانون ؟

ان كثيرا منا له عمل ضخم يتقاضى منه الاف الجنيهات وقد يملك فدانا او فدانين فى القرية لا يعرف عنها شيئا ، وكثير منا يقيم فى المدينة ولا تربطه بالقرية الا رابطة التحصيل ولا يعرف عن الزراعة ولا عما يعانيه الفلاحون شيئا ومع ذلك فهو يريد ان يستفيد من هذا القانون • لا • لن يقبل مجلسكم الموقف هذا ابدا •

ان هذا المجلس نصفه من العمال والفلاحين وهو يقدر مسئوليته فى ذلك بلا شك وهذا المجلس يدرك تماما ان هذا الاعفاء الذى قررته الحكومة وعرضته على المجلس الموقر لتوافقه عليه ، كان بادرة هامة نقدرها جميعا ، ولكننا نريد ان نضع الضوابط المناسبة بلا انفعال •

ارجو الا يفقد هذا الموضوع بهجته التى دخلت قلوبنا جميعا والتى دخلت قلوب ثلاثة ملايين من الفلاحين • لقد كان من الطبيعى اذن ان يرد المشروع من الحكومة فى صيغته المعروضة بعد عديد من المناقشات شاهدها كثير منا فى امانات الاتحاد الاشتراكى المختلفة ، وكان النقاش يدور حول الملكيات المسجلة ، بعد ان ورد ذكر المشروع فى برنامج الحكومة على ان الاعفاء يشمل الملكيات المسجلة ، وبذلك جرت مناقشات واسعة فى لجان الاتحاد الاشتراكى وفى امانة الفلاحين وفى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، استمع فيها الى شكاوى الفلاحين والى ملاحظاتهم وعلى اساسها جرى اعداد هذا المشروع بقانون ، وكان طبيعيا ان يرد فيه نص على انه يشترط الا يكون للممول دخل اخر ، ولا اعتراض لنا على هذا فى الاصل ، لان المفروض ان يقتصر الاعفاء على صغار الفلاحين الذين يملكون ثلاثة افدنة فاقل ، وهذا هو الغرض من القانون •

لقد حددت الحكومة الاعفاء بنطاق معين ورتبت التزاماتها المالية على هذا الاساس ، واى تعديل بعد هذا ، اذا لم يكن بالاتفاق مع الحكومة قد يرد عليه اعتراضها الدستورى بانه تعديل فى الموازنة لا يجوز الا بموافقتها وهذا ما نخشاه •

وحينما عرض المشروع على اللجنة كان من الوسائل التى اثارت نقاشا عريضا ، هو السؤال او الاعتراض الذى ذكره الزميل الاستاذ عبده مراد منذ قليل بالمثل الذى ضربه ، عن الارملة التى تتقاضى معاشا قد يكون جنيها او جنيهين ، فهل نحرم هذه الارملة من الاعفاء لمجرد ان لها هذا الدخل الصغير ؟ لقد اختلف الراى فى اللجنة حول هذا المعيار وكانت لجنة خاصة موسعة من لجنة الخطة والموازنة ومكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والرى •

ان الامثلة التى قدمت حول هذا الموضوع لها وجاهتها وليس من المعقول فى الوقت نفسه الا نشترط الا يكون للممول دخل اخر حتى يتمتع بالاعفاء ، والا ترتب على ذلك ان فقد القانون الهدف السياسى والثورى منه وهو اعفاء صغار الفلاحين الذين يعملون بايديهم فى الزراعة وليس لهم عمل اخر ، ولكن ما حدود هذا العمل اذا وجد ؟ هنا رأت اللجنة ان تسترشد ، كما قال السيد المقرر ، بالمعيار الوارد فى قوانين الضرائب الاخرى فيما يتعلق بالاعفاء من الضريبة وحده ١٥٠ جنيها ، ولكن فى الواقع ان ما قاله الزميل فوزى العمدة

منذ قليل - ولعله لم يتح له ان يشرحه شرحا وافيا - له وجاهته ، لانه اذا ما استرشدنا بحد الاعفاء وهو ١٥٠ جنيها الى جانب ايراد الثلاثة الافدنة فان حالة من يملك ثلاثة افدنة وايرادا آخر يبلغ ١٥٠ جنيها يكون الاحسن حالا من اى شخص له ايراد من مصادر أخرى يبلغ ١٥٠ جنيها .

ومع هذا - فايا ما يكون الرأى - فانه فى اعتقادى يجب أن يدور بين فكرتين ، فكرة استبقاء النص كما ورد من اللجنة وهو أن يكون حد الاعفاء ١٥٠ جنيها او الفكرة التى اقترحها الاستاذ فوزى العمدة .

اما ان يرفع هذا القيد كلية فمعناه فعلا ان القانون قد فقد مضمونه الثورى كقانون قصد به رعاية صغار الفلاحين .

هذا ما أردت ان اعرضه وشكرا .

السيد العضو أحمد يونس :

اود ان اسجل اننا نحن الفلاحين حينما سعدنا بهذا القرار لم تكن فرحتنا لانه رفع عن كاهلنا الاعباء المالية فقط وكم كنت اتمنى ان يكون معنا استاذنا الدكتور جمال العطيفى فى المسيرة الشعبية التى قام بها الفلاحون لشكر الرئيس المؤمن محمد انور السادات ليسمع بنفسه ما كان يردده الفلاحون قائلين « شكرا ، شكرا ، يا سادات انك حررتنا من الصراف » .

ولو اننا أبقينا نص الفقرة الاخيرة كما وردت فى مشروع الحكومة أو فى المشروع المقدم من اللجنة ، فان تكلفة الجهاز المطلوب لحصر الاشخاص الذين يزيد دخلهم على مائة وخمسين جنيها تتساوى تماما مع الضريبة التى يمكن ان تحصل من هؤلاء الناس .

(تصفيق)

ولو اننا راجعنا النص المقدم من الحكومة والذى ورد فيه انه يشترط للتمتع بالاعفاءات المشار اليها عدم وجود دخل للممول من اى مصدر آخر خلاف الزراعة . فاننا نلاحظ صعوبة تطبيق هذا النص . ان القرية مليئة بالعاملين فهناك فقيه القرية وحلاقها والحلاب والنجار الذى يصلح السواقى كل اولئك يعملون بجانب عملهم فى الزراعة ومن الممكن محاسبتهم على نتاج عملهم ودفع ضرائب عنها ، بينما لا يتقاضون أجرهم نقدا بل عينا ، فهل هؤلاء يمكن أن يطبق عليهم عدم الاعفاء لانهم يعملون ولهم دخل آخر خلاف الزراعة ؟

اننى ارى انه اذا وافقنا على حذف الفقرة الاخيرة فى مشروع الحكومة وكذا الفقرة الاخيرة فى المشروع كما عدلته اللجنة لحررنا بذلك مليونا ونصف مليون من المواطنين من ربقة الصراف والاساليب الملتوية التى تتبع فى تحصيل الاموال .

ان الدولة قد قررت اعفاء الفلاحين صغارا وكبارا من دفع ٩٩ مليون جنيه هى قيمة نصف تكاليف المقاومة فليس بالكثير ان تعفى صغار الفلاحين من هذه الضريبة التى لن تغل أكثر من مليون جنيه وتكاليف تحصيلها تثبت انها عملية خاسرة مائة فى المائة بل اننى اقول لكم كم نكون سعداء يوم أن يصدر قرار من المجلس بتحرير الارض الزراعية كلها من الضرائب العقارية لا هروبا من دفعها أو من تحمل الفلاحين بنصيبهم من الاعباء اذ يمكن ايجاد وسائل سليمة ندفع أضعاف هذه الضريبة باسلوب سهل ، ويكون يوم عيد حقا يوم أن يتحرر الفلاحون من هذه الضرائب العقارية .

(تصفيق)

السيد العضو احمد توفيق القاياتى :

عندما تقدمت الحكومة بمشروع هذا القانون تقدمت به من منطلق الاشفاق على الفلاحين والتخفيف من الاعباء التى يتحملونها ولانها تعلم ان الفلاح قد عانى الكثير اذ أن الفدان الذى يتحمل من الضرائب نسبة ٣٠ فى المائة من ايراده موزعة على النحو الاتى :

١٤ فى المائة ضريبة أصلية .
١٠ فى المائة ضريبة دفاع .
٢٫٥ فى المائة ضريبة أمن قومى .
٢٫٥ فى المائة ضريبة اضافية .

وليس هناك دخل فى الدولة يتحمل هذه النسبة من الضرائب سوى الارض الزراعية .

وبالاضافة الى ذلك فان الارض الزراعية تتحمل كل ما تطلبه الدولة وتحقق ما يستهدفه التخطيط من انتاج الارز والقطن للتصدير . ورغم ان الفلاح هو الدعامة الاولى للانتاج فانه يتحمل العبء الاكبر من الضرائب .

ان الزملاء يرون كما هو واضح من اتجاه المناقشات التى دارت فى المجلس المطالبة باعفاء من يملك مساحة لا تزيد على ثلاثة افدنة دون تقيد بالدخل ، لان هذا التحديد يستبعد مساحات كبيرة من التمتع بالاعفاء رغم أن الفرق ضئيل جدا فمثلا لو ان هناك عاملا يتقاضى عشرين جنيها فى الشهر ويملك ثلاثة افدنة يؤجرها بثمانية جنيهات للفدان ويدفع عنها ستة جنيهات للضريبة . فان حالته لن تكون افضل كثيرا من زملائه .

رئيس المجلس :

ما هو اقتراح السيد العضو فى هذ الشأن ؟

السيد العضو احمد توفيق القاياتى :

اننى اقترح الاعفاء النهائى لمن يملك مساحة لا تزيد على ثلاثة افدنة دون تحديد للدخل ، وشكرا .

السيد العضو الدكتور جمال العطيفى :

لقد ذكر الاخ محمود ابو وافية منذ قليل أن هناك عدة اقتراحات مقدمة من السادة الاعضاء فى شأن تعديل هذه المادة وطبقا لنص المادة ٩٧ من اللائحة الداخلية تطلب اللجنة اعادة التقرير اليها ببحث هذه الاقتراحات .

(ضجة)

رئيس المجلس :

لو سمحتم ليس هناك خلاف بيننا ونحن متفقون دائما على ان هدفنا هو المصلحة العامة فاذا ما ثار خلاف فى وجهات النظر فالرأى اولا واخيرا للمجلس ونحتكم دائما الى اللائحة الداخلية التى وضعناها لنسير عليها فى اجراءاتنا ولدى الان اقتراحات مقدمة من السادة الاعضاء الاتية اسماؤهم :

١ - السيد ايهاب نافع
٢ - السيد احمد جاويش
٣ - السيد رجب السعدى
٤ - السيد ابراهيم القاضى
٥ - السيد محمد أبو سديرة
٦ - السيد حسن فهمى تمام
٧ - السيد فوزى العمده
٨ - السيد عبده مراد
٩ - السيد فهمى محمد حسن الخبير
١٠ - السيد مأمون مشالى
١١ - السيد خليل شراره
١٢ - السيد د . صفوت محيى الدين
١٣ - السيد احمد يونس
١٤ - السيد محمد قرقورة
١٥ - السيد ابو الفتوح الجندى
١٦ - السيد سعد بشير

اى ان هناك ستة عشر اقتراحا كلها وردت فى نفس الجلسة وتتناول المادة الاولى بالتعديل . وارجو ان نرجع معا الى نص المادة ٩٧ من اللائحة الداخلية فقد ورد بها ما يلى « للجان ان تطلب من المجلس بواسطة رئيسها او مقررها اعادة اى تقرير اليها ولو كان المجلس قد بدأ فى نظره » .

اذن هذا حق مطلق للجنة ، لرئيسها او لمقررها .

كما ان المادة ١٧٦ تنص على ما يلى :

« التعديلات التى قدمت قبل الجلسة مباشرة او اثناء الجلسة وقرر المجلس النظر فيها يعرضها الرئيس على المجلس ، وللمجلس ، بعد سماع بمساحات مقدميها - ان يقرر بحثها فى الحال او احالتها الى اللجنة المختصة لبحثها ورفع تقرير عنها وعلى اية حال يجب ان تحال الى اللجنة اذا طلب ذلك رئيسها او مقررها او الحكومة » .

ان هناك ستة عشر اقتراحا قدمت فى هذه الجلسة فهل يمكن أن نبلورها ونعرضها على حضراتكم الان ؟

اعتقد ان هذا غير ممكن . ولقد طلب السيد رئيس اللجنة رد التقرير الى اللجنة لدراسة الاقتراحات المقدمة . والمادة ١٧٦ من اللائحة الداخلية توجب ذلك .

لذلك يعاد التقرير الى اللجنة .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- صفحات من أدب المقاومة الأسبانى
- خمسون عاماً على وفاة سيد درويش
- الشعر فى عالم متغير

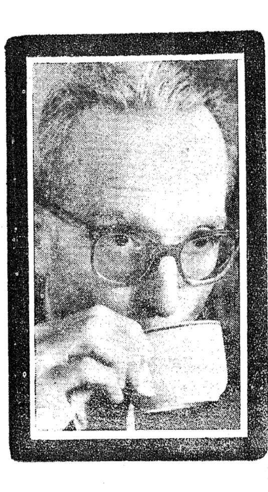


سيد درويش

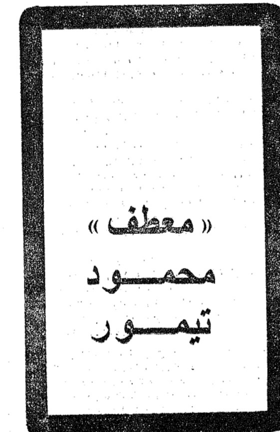


في هـــذا العـــدد:

- معطف محمود تيمور
- خمسون عاماً على وفاة سيد درويش
- علامات على طريق السينما المصرية
- المؤتمر الكبير الذي غابت عنه مصر
- الشعر في عالم متغير
- قصيدة : حكاية الحدائق المعلقة







فؤاد دواره

« كلما كان الشيء عاديا ، تطلب من الكاتب موهبة أكبر ليستخرج منه غيـــر العادى .. »

جو جول

[١]

فى تاريخ الادب العالمى عبارة مشهورة تنسب الى القصاص الروسى ايفان تورجنيف حينا ، والى زميله ومعاصره فيدور دستويفسكى حينا آخـــر .. « كلنـــا خرجنـــا من معطف جـــو جول .. »

وفى العبارة تورية جميلة ، بين قصة جـو جول الشهيرة « المعطف » وتأثيرها القوى فى مسار القصة الروسية القصيرة ، وبين المعطف بمعناه المادى ، اشارة الى دور جو جول الريادى فى الادب الروسى وتأثيره الواضح فيمن تلاه من كبار أدباء روسيا من أمثال تولستوى ودستويفسكى ونيكراسوف وتشيخوف وجوركى .. وغيرهم .

وفى أدبنا العربى الحديث ، نستطيع ان نطلق عبارة مماثلة على أديبنا الراحل محمود تيمور ، على الاقل فيما يتعلق بالقصة القصيرة ، بالرغم من قلة دراستنا لعوامل التاثير

والتأثر فى أدبنا الحديث ، وندرة اعتراف أدبائنا بتأثرهم بسابقيهم ، حتى ليبدو كل منهم كجزيرة منعزلة فى المحيط، أو شجرة برية نبتت فى البرية دون تعهد أو رعاية من أحد .

فهناك اجماع شبه كامل بين النقاد والدارسين على دور تيمور الريادى بالنسبة للقصة بشكل عام ، والقصة القصيرة بصفة خاصة .. طه حسين يخاطبه عند استقباله بالمجمع اللغوى قائلا :

« .. وسبقت أنت الى شىء لا أعرف ان أحدا شاركك فيه فى الشرق العربى كله الى الان ، واذا ذهب أحد مذهبك ، أو جاء فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع ان يتفوق عليك ، لانك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعى ، وأتحت له أن ينتج وأن يمتاز .. هذا الذى دنوت فيه وامتزت ، وسجلت به لنفسك خلودا فى تاريخ الادب العربى لا سبيل الى أن يمحى ، هو القصص على مذهبه الحديث فى العالم الغربى .. » .

وقال المستشرق الروسى كراتشكوفسكى :

« انى اقرر على رءوس الاشهاد ان قصة مبتكرة ذات طابع عربى صميم قد ولدت فى الادب العربى ، وان محمود تيمور له القدح المعلى فى تقديم هذا اللون .. » .

ويقول نزيه الحكيم صاحب الدراسة الوحيدة النافعة عن محمود تيمور من بين ستة كتب صدرت عنه ..

« .. حسب محمود تيمور ليكون اجدر بالدراسة ممن هم فى صفه من الكتاب العرب ، أنه كان هنا فاتح أبواب ومعبد طرق . فقبل تيمور لم يكن هناك قصص مصرى .. وأكثر فضل تيمور هو فى أنه بدل هذا الوضع ، وأنه فتح لادبنا المحجم المقلد طرقاً جديدة يسير فيها وأساليب فى الاداء كانت لا تغريه ألوانها .. » .

ويختاره انيس المقدسى - فى كتابه « الفنون الادبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة » - نموذجا لكتاب القصة القصيرة فى مصر لانه « تجرد لهذا الفن فنقله ، أو كان فى طليعة من نقلوه من طور الترجمة والتقليد الى طور الاستقلال والابتكار .. » .

ويقرر الدكتور احمد هيكل - فى كتابه « الادب القصصى والمسرحى فى مصر » - أن « نتاج محمود تيمور فى القصة القصيرة خلال الفترة التى يساق عنها الحديث (١٩١٩-١٩٣٩) نتاج غنى خصب ، يوشك أن يفوق فى كمه نتاج كل رفاقه مجتمعين ... »

أما الدكتور سيد حامد النساج فيذهب فى دراسته : « تطور فن القصة القصيرة فى مصر » .. الى « أن الشوط الطويل الذى قطعته القصة القصيرة منذ نشأتها ، حتى تطورت وأصبحت فنا مستقلا كباقى الانواع الادبية ، لا تتضح معالمه ولا تكتمل خطوطه الا بالوقوف طويلا عند كاتب اثرى الحياة القصصية منذ عام ١٩٢٠ حتى الان ، بخصوبة وتنوع وادراك كبير .. » . هذا الكاتب هو بطبيعة الحال محمود تيمور الذى يرى الباحث « أنه هو نفسه تاريخ القصة القصيرة فى أدبنا الحديث فى مصر .. » .

وهناك مجموعة أخرى من الاراء والاحكام المشابهة التى تؤكد مكانة محمود تيمور الرائدة فى فن القصة .. ومن اجتماعها نستطيع أن نقول - دون أن نجاوز القصد - أن القصة المصرية القصيرة قد خرجت من معطف محمود تيمور كما خرجت القصة الروسية من معطف جوجول ، وان احتاج الامر مع ذلك الى شىء من التحديد والتوضيح بقدر ما يسمح المجال ..

يرجع ميلاد القصة المصرية القصيرة - فى أرجح الاراء - الى سنة ١٩١٧ ، حين نشر محمد تيمور قصصه الثمانية التى جمعت فيما بعد فى كتاب « ما تراه العيون » .. وسبقت قصص محمد تيمور ومهدت لها ترجمات وتمصيرات واقتباسات عديدة من القصص الاجنبى ، كما سبقتها أيضا ارهاصات قصصية أخرى تمثلت فى اتجاهين رئيسيين :

- محاولة تطوير المقامة العربية على أيدى عبد الله النديم وابراهيم ومحمد المويلحى وحافظ ابراهيم ومحمد لطفى جمعة .

كتابات لبيبة هاشم وصالح حمدى والمنفلوطى وغيرهم لقصص قصيرة عناصره الفنية غير مكتملة ، مما اصطلح النقاد على تسميته بالمقالة القصصية .

وكان من الطبيعى أن تحمل قصص محمد تيمور بعض آثار هذه الارهاصات ، فجاءت غالبيتها أقرب للصورة القصصية منها للقصة القصيرة الناضجة المحكمة .

وانما تأتى أهمية هذه القصص فى تاريخ ادبنا من أنها نادت - على حد تعبير يحيى حقى - « .. فى عهد لم يألف هذا النداء بعد بضرورة خلق أدب مصرى محلى صادق فى تعبيره ، لا يقتبس أخيلته من الصحراء ولا من الغرب .. فكان عمل محمد تيمور اثباته أن المجتمع المصرى فى المدن والريف قادر وحده أن يمد الكاتب المصرى بقصص فنى بالمعنى المفهوم لدى الغرب من حيث الشكل والموضوع ، بل أثبت أن كل ما يخالف هذا الادب هو نشاز وزيف وتدليس .. ان كل من جاء بعد محمد تيمور مدين له بهدمه لهذه الشكوك وازاحتها عن سبيله .. » .

وكان على « المدرسة الحديثة » أن تواصل فى العشرينيات محاولة تأصيل فن القصة القصيرة فى أدبنا ، وكان محمود تيمور من ابرز اعضاء هذه المدرسة وأسبقهم الى اقتفاء خطى شقيقه . يقول احمد خيرى سعيد وهو يؤرخ لمجلة « الفجر » التى اصدرها اعضاء « المدرسة الحديثة » سنة ١٩٢٥ :

« .. لم نفكر أول الامر فى نشر قصص مصرية مؤلفة ، كنا نؤمن بالترجمة ، لتذوق القصص العبقرى الاجنبى بحيث من العبث أو الحمق مباراته ، لكننا عدنا فقلنا اننا نأمل أن نخلق أدبا جديدا ، فلماذا نترك هذا الشرف لغيرنا ، وبعد جدال عنيف قررنا القيام بهذه المغامرة ، والذى شجعنا أن محمود تيمور كان قد بدأ فعلا فى كتابة القصص .. » .

ورغم أهمية اسهام المدرسة الحديثة فى ارساء دعائم القصة القصيرة ، فان معظم أعضائها سرعان ماهجروا كتابتها .. حسن محمود بعد سبع قصص سنة ١٩٢٢ .. وحسين فوزى بعد خمس سنة ١٩٢٥ .. ومحمود طاهر لاشين بعد مجموعتين ورواية .. ولم يواصل كتابتها سنوات طويلة غير يحيى حقى وابراهيم المصرى وسعيد عبده ومحمود تيمور .. والاخير كان أسبقهم الى ارتيادها كما أشرنا ، كما كان أغزرهم انتاجا ، وأحرصهم على متابعة تياراتها وأحدث اتجاهاتها ، حتى بلغ ما كتبه منها حوالى ٣٠٠ قصة تضمها ٢٤ مجموعة ، كان لها أكبر الاثر فى ارساء قواعد هذا الفن فى الادب العربى الحديث ..

ظل محمود تيمور يكتب القصة القصيرة أكثر من نصف قرن ابتداء من سنة ١٩٢٠ ، وخلال هذه الحقبة خرجت من معطفه عدة أجيال من الكتاب من مختلف المدارس والاتجاهات .. فبعد المدرسة الحديثة جاء جيل الثلاثينات : محمود كامل والمازنى ويوسف حلمى ويوسف جوهر ومحمود البدوى ونجيب محفوظ وصلاح ذهنى وغيرهم ..

وجيل الاربعينات : توفيق الحكيم وسعد مكاوى وغراب والشرقاوى والخميسى واحسان والوردانى والسباعى والشارونى ومحمد عبد الحليم عبد الله ومحمد عفيفى .. الخ .. ثم جيل المخضرمين فى أوائل الخمسينيات .. يوسف ادريس ومصطفى محمود وصلاح حافظ وفتحى غانم وشكرى عياد ورشدى صالح وعباس صالح ومحمد صدقى ونعمان عاشور ولطفى الخولى

والفريد فرج ومحمد سالم .. وجيل أواسط الخمسينيات : صالح مرسى وعبد الله الطوخى وصبرى موسى وفهمى حسين وفاروق منيب وعبد الفتاح رزق .. وغيرهم .. ثم جيل أو جيلان آخران من الشبان خلال الستينات وأوائل السبعينيات ..

وتداخلت الاجيال من كتاب القصة القصيرة وتشابكت .. وتبادلت التأثير والتأثر .. وتطورت القصة المصرية القصيرة وعمقت وعرفت أشكالاومضامين ومستويات جديدة لم تبلغها القصة التيمورية .. ولكن نسبة كبيرة منها مازالت تحمل آثار تيمور واضحة ، فى حين أن الاخرى التى تجاوزته ظلت مدينة له بفضل الريادة وتمهيد التربة والاستمرار وتأصيل فن القصة القصيرة فى أدبنا ..

[٢]

يقول محمود تيمور :

« عندما التفت خلفى متكشفا ماضى حياتى ، ارى اربعة عوامل أساسية قد عملت فى تكوينى كاتبا :

الاول : والدى « أحمـــد تيمـــور » ، والثـــانى شقيقى « محمد » ، والثالث : حوادث خاصة كان لها تاثير فى تحويل مجرى حياتى ، والرابع والاخير : مطالعاتى .

فوالدى جدير أن يكون قد أورثنى مؤهلات الكتابة ، وقد تعهدنى منذ النشأة ، وحببت الى المطالعـــة والتأليف ، وأخى هذب ذلك الحب وأذكاه ، وحوادث حياتى ثم مطالعاتى هى التى عينت لى الوجهة التى أترسمها الى الان فى حياتى الادبية » .

أما أبوه فهو ذلك العالم البحاثة الذى أتاحت له سعة العيش أن يتفرغ للدرس والتأليف وحضور مجالس العلم والسمر ، فاثرى المكتبة العربية بمجموعة كبيرة من المؤلفات والمعاجم فى التراث العربى والثقافة الشعبية ، وكان من الطبيعى أن يترك أعمق الاثار فى نفوس أبنائه ومواهبهم .

وأما الشقيق فهو صاحب تلك الموهبة المتهبة والحماس المتوقد .. نظم الشعر وكتب المقالات وألف المشاهد التمثيلية وأداها .. فلما أتيح له السفر الى فرنسا للدراسة ،عب من روائع الفكر والثقافة وعاد بعد ثلاث سنوات ليدعو الى خلق أدب مصرى جديد يعبر عن شخصيتنا القومية ، وكتب نماذج رائدة فى القصة القصيرة والمسرحية والنقد الادبى والمسرحى .. بل اعتلى خشبة المسرح ممثلا فى وقت كان يعد فيه ذلك من الكبائر والخطايا .. فلما توفى سنة ١٩٢١ قبل أن يتم عامه الثلاثين أحس محمود ان خير ما يكرم به ذكرى أخيه وأستاذه ، أن يواصل السير على الدروب التى ارتادها محمد :

«.. كنت أعمل وكأنى مندفع بباعث مــن « واعيتى الباطنة » الى استكمال ماكانت تصبو نفس شقيقى اليه لو أتيحت له الحياة . وكنت أحس أننى بهذا العمل ارضى روح شقيقى ، وأقرئيا واجب التحية والاجلال » .

ومن الاحداث التى وجهت مجرى حياته نتوقف عند اربعة كان لها أقوى الاثر فى صقل مواهبه وتوجيه انتاجه ، أولها نشأته فى حى شعبى ، وثانيها اتصاله بالقرية المصرية عن قرب ، وثالثها المرض الذى لازمه من صباه حتى أخريات ايامه ، ورابعها رحلاته العديدة الطويلة الى أوربا ابتداء من سنة ١٩٢٥ ..

فى حى « درب سعادة » الشعبى القريب مــن « باب الخلق » ولد تيمور سنة ١٨٩٤ وقضى سنى طفولته بين أبناء الحى الفقراء من العمال وصغار الحرفيين .. والتقى فى ندوات أبيه بجمع غريب من شواذ الناس ممن كان يحلو له الاجتماع بهم بعد انتهاء جلسات البحث والدرس ترويحا عن النفس .. يقول يحيى حقى :

« فى هذا المجلس تعلم ابناؤه الثلاثة ، مع توقير الادب والعلم ، دقة الملاحظة ، واجادة الوصف ، واستخراج النوادر ، والتنبه للمفارقات ، وفرصة التعبير الفنى ، وكتم الابتسام تحت الشوارب أو تحت النظارات ، سيرث الابناء جميعا عن أبيهم حب تجميع شواذ الخلق حولهم ، ألم تكن هذه المجالس خير حقل لانبات بذرة كاتب قصصى ؟ .. »

وانتقلت الاسرة بعد ذلك الى السكنى فى ضاحية « عين شمس » وكانت وقتها لا تزال منطقة ريفية خالصة . ويحكى لنا المستشرق الروسى الشهير كراتشكوفسكى فى كتابه « مع المخطوطات العربية » ذكرى زيارة قام بها لدار احمد تيمور باشا فى « عين شمس » قبل الحرب العالمية الاولى ، وينقل لنا حديث ماسح أحذية صغير التقى به فى محطة السكة الحديد عن « الباشا » وأبنائه .. يقول الغلام الفصيح :

— « .. انه يسكن هنا طول العام ، ويقرأ الكتب دائما ، ولديه من الكتب ما لا يوجد فى القاهرة نفسها . وانه ليأتى اليه حتى شيوخ من الازهر ، واعرف أولاده : انهم فلاحون حقيقيون ! » .

وحينما لاحظ الغلام دهشة المستشرق الاجنبى واستغرابه عاد يؤكد : « — آه ، مضبوط . يأتون الى هنا فى الصيف فقط . وهم الان فى المدينة يتعلمون . يجرون بسرعة الى جدى — انه حارس على فرن القرية — أتعرف الفرن ؟ حيث يخبز فيه الفلاحون من القرية كلها . وفى الوقت الذى لا يكون هناك أحد ، يطلب هؤلاء الاولاد من جدى أن يقص عليهم حكاياته . وعندما تجتمع النساء ويحضرن العجين يغنين الاغانى والاولاد يحبون أن يسمعوا هذه الاغانى . وهم يجلسون فى هدوء . وكل النساء تعودن أن يعتبرنهم كأطفالهن ويستضفنهم بالخبز الطازج الساخن . وفى المساء عندما يجتمع صبياننا للعب بالكرة ، فان أولاد تيمور باشا يجرون معهم ويهزولون ويصرخون . انهم فلاحون تماما ! .. » .

وتعددت زيارات محمود تيمور للريف حيث كان يعاشر الفلاحين عن قرب كما روى ماسح الاحذية الصغير ، فعمق احساسه ببؤسهم وسوء حالهم ، حتى ليكتب سنة ١٩٢٦ رسالة الى صديقه الحميم زكى طليمات ، وكان وقتها يدرس فى باريس ، يصف فيها أثر زيارة قام بها لضيعتهم فيقول :

« .. ولكنى خرجت من هذه الزيارات والمعاينات التفتيشات بمعلومات كبيرة جدا ، ولكنها معلومات وياللاسف مؤلمة ، لقد دخلت بنفسى منازل هؤلاء الفلاحين بعد ما تفقدت الحارات الضيقة المتعرجة ، فاذا بهذه المنازل — لا وأستغفر الله بل هذه الزرائب — بل هذه الاوكار — بل هذه المغاور . سمها كما تشاء ، اذا بها أماكن أستحى من أن أربى فيها بعض الكلاب الضالة .

وفى هذه الحارات المنخفضة تارة والعالية اخرى ماذا رأيت ؟ .. رأيت الاقذار هى الاطفال والكلاب واحدة ، لا فرق بينها . ودخلت الطاحونة وسمعت دقاتها المنتظمة فشعرت كأنى انتقلت آلافا من السنين الى الوراء ، أليست هذه الطاحونة هى هى بعينها الطاحونة التى كان يستعملها الفراعنة وفلاح الرومان ..

هذه صورة أيها الصديق مازالت ولا تزال عالقة برأسى ، صورة بشعة للجهل والظلم والفقر والسذاجة .. ولا اكتمك انى شعرت بشىء من الاشمئزاز عندما قدموا لى وللشقيق ولجماعة النظار طعام الغداء الذى استهلوه بديك رومى ثم اتبعوه بستة أصناف من اللحوم والبقول والخضار ، وختموه بقشدة مترد وعســـل نحـــل وفاكهـــة .. يا لقصــــة الطبيعة وياظلم الانسان ! .. » .

لهذا النص أهمية خاصة فى نظرى لانه يفسر للدارس الادبى موقف الكاتب الطبقى ، وانحيازه الفكرى والعاطفى للفلاحين

والطبقات الشعبية فى المدينة ، بالرغم من انتمائه للطبقة الارستقراطية الثرية ، وسنلمس آثار هذا الموقف واضحة فى اتجاهه القصصى والمسرحى ، وبخاصة فى مرحلة الشباب ، بل سنلحظ ايضا رفضا واحتجاجا على القيم السائدة فى الطبقة الارستقراطية ، وسخرية بلا حدود من طبيعة العلاقات القائمة بين افرادها .

وثالث الاحداث الهامة المؤثرة فى حياة محمود تيمور وفنه هو المرض .. يقول :

« منذ الصغر والعلل تتردد على حتى ألفتها الان ، وأصبحت غير غريبة عنى . منذ سنين طويلة وأنا فى رقابة الطب فى مأكلى ومشربى ، وفى نومى ويقظتى . سن لى هذا الجبار قوانين لا أستطيع الخروج عليها . فأنا أعيش من مرضى فى قفص ، انظر الى الاصحاء من الناس يستمتعون بكامل حريتهم ، فأغبطهم وتتألنى حسرة اليمة .

وهكذا كنت احس فى أعماق نفسى بنقص يحجزنى عن الاستمتاع بما ينعم به غيرى ، هذا النقص دفعنى ، ومازال يدفعنى الى أن أستكمل فى الخيال ما عجزت عن اتيانه فى الواقع .. » .

ولولا المرض ، وعلى وجه التحديد حمى التيفويد التى أصابت تيمورا فى العشرين من عمره ، وعاقته عن اتمام دراسته بمدرسة الزراعة العليا ، لكان من الممكن أن تستحوذ زراعة الضيعة على الجانب الاكبر من اهتمامه ونشاطه ، فلا يكون له ذلك الاثر الكبير الذى خلفه فى أدبنا بأنتاجه الغزير المنوع ..

ولولا العلل وضعف الصحة لكان من الممكن أن يستمر فى وظيفته بوزارة الحقانية التى مكث بها عاما ، أو فى وزارة الخارجية التى لم يعمر بها سوى ستة أشهر .. ولاثر ذلك ، بطبيعة الحال ، على مؤلفاته ، ودوره الريادى الذى كان التفرغ الكامل للادب من أهم عوامله .

وعن الحدث الرابع الهام وهو سفره الى اوربا يقول تيمور :

« .. سافرت فى تلك الفترة — سنة ١٩٢٥ وما بعدها — الى أوربا ، ومكثت بها حينا يزيد على العامين ، قضيت معظمه فى سويسرا ، فتفرغت للقراءة ، واتصلت بالادب الاوربى الحديث أقرب اتصال ، وطالعتنى أثناء اقامتى هناك مرئيات ومناظر هزت نفسى ، وتغلغلت فى صميم قلبى .. كما أن خبرتى بالحياة ومعرفتى لها اتسعت وتنوعت . فكان لهذه الحياة الجديدة التى عشتها هناك أثر لا ينكر فى تطور فكرى ، ورأيت على ضوء مطالعاتى الجديدة ، وفهمى لنظريات الادب العالمى أن اللون المحلى ليس كل شىء ، بل هو بعض الشىء ، وما الادب الكبير الا أن يولى الانسان وجهه شطر النفس البشرية .. فحولت اتجاهى نحو هذه الوجهة .. محاولا التقدم فيها ما استطعت .. » .

[٣]

بدأ تيمور قراءاته بألف ليلة وليلة وبعض الروايات البوليسية المترجمة ، فانعكس ذلك على أول محاولاته للتأليف ، وهى — فيما يحدثنا — قصة بعنوان « الشرف الرفيع » ، بطلها ضابط انجليزى اعتدى على فتاة هندية وطنية ، فانبرى أهلها للانتقام منه والثأر لشرفهم .

وعرف بعد ذلك — بارشاد شقيقه محمد — مؤلفات جبران وأمين الريحانى وميخائيل نعيمة ، فتأثر بها وشرع يؤلف مقطوعات من الشعر المنثور تفيض حزنا رومانسيا . فلما عاد محمد تيمور من أوربا سنة ١٩١٤ وجهه الى قراءة الادب الاوربى ، وبصفة خاصة قصص « موباسان » الفرنسى و « تشيخوف » الروسى ، فملكا عليه نفسه :

« .. قرأت لهما ، أو قل عببت من أقاصيصهما عبا .. » « .. واتسعت مطالعاتى فيما بعد فى القصص الاوربى وتشعبت ، ولكنى حتى اليوم مازلت محتفظا لموباسان بالمكان الاول فى نفسى ، فهو عندى زعيم الاقصوصة الاكبر . وفن « موباسان » فى نظرى فن كامل توفرت فيه كل العناصر اللازمة لبناء قصة قوية ، من حيث عرض الموضوع ومعالجته ، وتحليل شخصياته ، وتسلسل الحوادث وخواتمها ، كل ذلك فى وضوح واتزان . ولا اذكر انى قرأت له قطعة لم تهزنى .

ثم انتقلت بعد ذلك الى القصص الروسى ، وقرأت « تشيخوف » و « تورجنيف » ومن ماثلهما ، فرأيت تأثير « موباسان » واضحا فى بعض انتاجهم » .

ولذلك لا ندهش حينما نراه يوقع بعض اقاصيصه الاولى هكذا « بقلم صاحب العزة محمود بك تيمور موباسان المصرى » .

ويقول تيمور عن فن « تشيخوف » :

« وأما « تشيخوف » فقد راعنى منه انه يصور مآسى الحياة فى الواح فنية ناطقة ، لعلها لا تستكمل صياغتها القصصية بالمعنى الشائع للقصة المحبوكة الاطراف ، ولكنها بضعة من الحياة فيها حرارة وفيها خفوق . ومع ما يبدو من بساطة الظاهر فى هذه الالواح فانها تنطوى على معان عميقة ، وتحليل للنفس البشرية عجيب » .

وهكذا بدأ محمود تيمور يكتب القصة المصرية القصيرة متأثرا بهذين العاملين الكبيرين ، مترسما فى الوقت نفسه خطى شقيقه « محمد » فى هذا الفن .

وكان اهم ما وفق اليه محمد تيمور فى اقاصيصه الثمانية هو خلق جو محلى مستمد من البيئات الفقيرة والمتوسطة مستلهما اطاره الفنى مما قرأه من قصص اجنبى ، مع ضعف فى البناء والاهتمام بتصوير الشخصيات من الخارج ، وارتفاع نغمة النقد الاجتماعى والدعوة الى الاصلاح ، حتى لتعتبر قصصه أقرب للصور القصصية منها للقصص الفنى الناضج . وهذا أمر طبيعى بالنسبة لشاب متحمس مثله ، لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره عندما كتب قصصه ، ولم يجد فى ادب العربية تراثا سابقا له يعتد به حتى يفيد منه ويبنى على أساسه .

يقول النقاد ان محمود تيمور قد بدأ من حيث انتهى شقيقه محمد . وهذا غير صحيح . فالاعمال الادبية لا تخضع لقوانين ومعادلات علمية ، يستطيع اللاحق أن يستوعب عن طريقها كل ما حققه السابق ، ليبدأ اضافاته من حيث انتهى زميله ، وانما هى تجارب معاشة وأحاسيس مبلورة ، وتمرس فى فنون الصياغة والتعبير اللغوى والبناء الفنى المعقد ..

والاقرب للصواب أن نقول ان محمود تيمور قد بدأ بمحاكاة قصص شقيقه ، فقدم لنا عددا من القصص فى نفس مستواها الفنى ، فيها أهم خصائصها ، ولم تخل من عيوبها .

ونمثل لهذه المرحلة بأربع قصص هى : « يحفظ بالبوستة » (١٩٢٠) ، و « الشيخ جمعة » (١٩٢٢) ، و « واسطة تعارف » (١٩٢٣) ، و « الست تودد » (١٩٢٤) ، وكلها فى مجموعة محمود تيمور الاولى « الشيخ جمعة وقصص اخرى » ، ١٩٢٥) .

القصة الاولى : وهى اقدم ما نعرف من قصص الكاتب ، تقدم صورة ساخرة لثلاثة من الشبان الارستقراطيين يغلب عليهم الادعاء والسطحية ، والحدث الذى تقوم عليه القصة هو تزييف أحدهم لخطابات غرامية يثبت بها لزميليه أنه معشوق النساء وفاتنهم !

و « الشيخ جمعة » صورة انسانية خالية من الاحداث لحارس « جرن الاوسية » الذى عرفه الكاتب فى ضيعتهم ..

ومثلها « الست تودد » المغنية البدينة الثرية .. يجيئها قريبها الفقير طالبا منها جنيها واحدا ، يرده حين يعود للعمل ، ليواجه ولادة زوجته .. فتعطيه قطعة بخمسة قروش ، وتعجب حين يرفضها !

اما « واسطة تعارف » فتصور لقاء بين تلميذ فاشل فى الخامسة والعشرين ومازال فى السنة الثانية الثانوية ، وطبيب عاطل كاد ينسى مهنته، فلكل منهما ثروة تغنيه عن العمل .. وقد جاء الطالب يحمل للطبيب بطاقة عشيقته معلمة البيانو الخصوصية ليعطيه شهادة مرضية تسمح له بالتغيب عن المدرسة .. ونفهم مما دار بينهما أن الطبيب هو الاخر على علاقة حميمة بالمدرسة « الخصوصية » ..

والقصص الاربع اقرب للصور الوصفية منها للقصص المحكمة ، وقد لاحظ ذلك الدكتور حسين فوزى فى مقاله المنشور بمجلــة « الفجر » ســنة ١٩٢٥ » فيقــول عــن المجموعة : «الكتاب فى ذاته مجموعة من الصور لجأ فيها المؤلف الى طريقتين : الاولى طريقة التصوير المباشر ، والثانية طريقة التصص » وعلى ذلك يمكن أن نضــع تحت عنوان (الصور) هذه المقطوعات : الشيخ جمعة ـ الست تودد هى الحياة ـ السائح . كما نضــع تحت عنــوان (القصص) المقطوعات الباقية » ..

ومنذ هذه البداية المبكرة ثمة موقف اجتماعى واضح تجاه الشخصيات التى يصورها الكاتب .. موقف الفهم والتعاطف تجاه الشيخ جمعة القروى البسيط الساذج ، وموقف السخط والنقد والسخرية من الست تودد الثرية البخيلة ، والطالب الفاشل والطبيب العاطل فى « واسطة تعارف » ، والاصدقاء الثلاثة الارستقراطيين فى « يحفظ بالبوسطة » .. وهو موقف أساسى فى كل انتاج محمود تيمور القصصى ، لعله هو الاخر من موروثاته التى خلفها له شقيقه محمد ، فالمستشرق الالمانى أ . شادة يربط بينه وبين أخيه فى هذه الناحية ويقول :

« يشعر الكاتب طبقا للفكرة السامية التى يعتقدها منذ صباه فى مهمته ككاتب اديب بانه مكلف أن يحمل أمام اعين مواطنيه صفحة من اغلاطهم ونقائصهم . ولكن هذه النزعة يقل ظهورها عنده بقدر ما تزداد عند أخيه الذى كثيرا ما دفعته غيرته الاصلاحية لان يكون أقرب الى المعلم منه الى الاديب .. » .

وفى مجموعة تيمور الاولى ، قصص أقرب للنضــج والاكتمال ، من بينها « سيدنا » (١٩٢٤) و « الاسطى شحاته يطالب باجرته » (١٩٢٥) ، الاولى تعتمد على عنصر المفارقة الساخرة بين جو الحزن الظاهرى الذى يبديه المعزون فى جنازة أحد الباشوات ، وبين انشغالهم الحقيقى بصغائر دنياهم .. واهمها ـ فى القصة ـ مشكلة فراش الباشا الذى طلق زوجته (بالثلاثة) ويريد أن يردها ، ويحصل ـ اثناء الجنازة ـ على فتوى بردها من أحد الدراويش الدجالين مقابل ريال يدسه فى يده ..

و « الاسطى شحاته » حوذى فقير له « زوجة وخمسة أطفال لا يجدون طعامهم ولا كساءهم الا بشق الانفس » .. خرج باقبال هائم للنزهة والزيارة ست مرات فتجمع له ثلاثة جنيهات ظلت الهائم تماطل فى دفعها له .. فهى ارملة سكير منحل دفع بها الى طريق الرذيلة قبل وفاته .. وقد تقدمت بها السن الان واصبحت فى ضائقة مالية .. وأمام اصرار الاسطى شحاته على تقاضى أجرته .. لا تجد ما تقدمه له سوى نفسها ! ..

ويقدم محمود تيمور لهذه القصة بقوله :

« من حقائق الحياة التى تجرى تحت ستار الخفاء ما هو فاضح ومؤلم .. والكاتب القصصى الذى شعاره دائما وصف الحقائق كما هى يرى من واجبه عرض هذه الفضائح المؤلمة مهما كانت قاسية .. »

وبسبب هذه القصة نفسها دافع الكاتب ـ فى تقديمه للمجموعة ـ عن اتباعه المذهب الواقعى (الريالست) ، ومما قاله :

« .. فواجبنا أن نفسح الطريق لهذا المذهب بيننا ليعم وينتشر ، فنحن فى حاجة لمن يصدقنا القول عن حياتنا ونفوسنا مهما كان القول شديدا ومرا ، لا من يصوغ لنا الاوهام الكاذبة عن بيئتنا فيقدمها لنا جميلة خداعة تدخل الغفلة على انفسنا .

وما أحسن ما قاله الكاتب الفرنسى الشهير اميل زولا حينما عاب عليه بعضهم شدة تمسكه بالمذهب الواقعى الذى عده المعيب منافيا للاداب ، حيث قال : نظفوا بيوتكم فسانظف كتابتى .. » .

وبشىء من التامل فى هذا النص ، وفى القصة التى يدافع عنها ، وعدد آخر من قصص المجموعة .. نستطيع ان نزعم أن بدايات محمود تيمور القصصية كانت اقرب للتيار الطبيعى منها للواقعية بمفهومها الاجتماعى والنقدى . اذ تغلب عليها التسجيلية المباشرة ، والاهتمام بأدق التفاصيل المادية ولو لم يتطلبها بناء القصة الفنى .. وتميل الى وصف الشخصيات من الخارج أكثر مما تنفذ الى خبايا النفوس وما تمور به من صراعات .. وتبرز أثر الغرائز فى سلوك الانسان الشرير أكثر مما تؤكد تأثيرات العقل والارادة ونوازع الخير فى النفس الانسانية .. بالاضافة الى قصور فنى واضح مرده حداثة السن وقلة التجارب الفنية والانسانية .

وهذا النزوع للطبيعية المتشائمة ليس الا صدى لاعجاب الكاتب الشديد بموباسان ، وبأستاذه اميل زولا ، وهو كما نعلم رائد المدرسة الطبيعية ومنظرها الاول ..

وهذه الخصائص التى تعرفنا عليها فى بدايات تيمور القصصية ترجع فى الاغلب الى نوع من المراهقة الفنية والفكرية والوطنية . فمبالغته فى تأكيد ملامح الطابع المحلى فى قصصه كان فى حقيقة الامر استجابة للنزعة القومية القوية التى سادت البلاد فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وقد فطن هو نفسه فيما بعد الى هذه الحقيقة فكتب يقول :

« اتى علينا حين من الدهر كان أكبر ما يعنينا فيه حين نتجرد لتدبيج قصة أن نكون قد ظفرنا بحادثة أو احدوثة ، فلا نلبث ان نعين لها مواقع مصرية واسماء عصرية ، وموضوعات وقتية ، ومتى تهيأ لنا من ذلك بناء هيكل القصة ، حسبنا اننا قد استوفينا عناصر القصص المصرى الصميم ، وظللنا على هذا النحو فترة ، نرضى نزعات نفوسنا ، ونشبع زهونا وتملق وطنيتنا ونغالى فى الاعتزاز بتلك الصبغة المحلية الزاهية .. » .

سنظل نلمس اصداء هذه الخصائص فى مجموعات تيمور الاولى فى العشرينيات واوائل الثلاثينيات ، واهمها : « عم متولى » ، « الشيخ سيد العبيط » ، « الحاج شلبى » ، « الشيخ عطا الله » .. مع قدر اكبر من النضج الفكرى والعاطفى ، ومزيد من التمرس بفنية القصة ، واهتمام أوضح بالتحليل النفسى الى جانب الوصف الخارجى للشخصيات .. يتبدى فى بعض القصص ، فى حين تظل غالبيتها محافظة على خصائص المجموعة الاولى ..

[٤]

لست من أنصار تقسيم انتاج الفنان الى مراحل أو نوعيات .. فلكل عمل فنى شخصيته وسماته الخاصة .. بحيث يصعب تصنيف مجموعة من الاعمال الفنية داخل اطار واحد .. وفى الوقت نفسه فاعمال كل فنان كبير تحمل آثارا من ذاته ، ومعنى هذا أن جميع اعماله لابد ان تحمل سمات وخصائص مشتركة لان ذات الفنان واحدة لا تتغير ..

ومن الحق بعد ذلك ان علاقات الفنان بالواقع الخارجي وقدرته على استيعابه والتعبير عنه تطرأ عليها تغييرات وتعديلات كثيرة لابد أن تنعكس بدورها على انتاجه الفنى ، وان كان هذا لا يستوجب بالضرورة تغييرات جذرية فى هذا الانتاج بحيث نستطيع أن نضع خطا فاصلا بينه وبين انتاج الفنان السابق .. اذ الى جوار المتغيرات ثمة عناصر اصيلة ثابتة لم يطرأ عليها تغيير .. وفى الوقت نفسه ففى حياة كل فنان دورات وارتدادات الى سمات وخصائص من انتاجه الباكر او اللاحق ..

والعملية الفنية ، من بعد ، ليست من البساطة والانتظام والوضوح بحيث نستطيع تقسيمها بسهولة ، وبخطوط فاصلة ، الى اتجاهات ومراحل لا يأتيها الباطل من وراء ولا من أمام ..

واذا صدق هذا كله على الفنون جميعا ، أدبية وغير أدبية ، فهو يصدق بصفة خاصة على القصة القصيرة .. ذلك الفن بسيط الظاهر شديد التعقيد والمرونة من الداخل .. بصورة عجز معها كل منظرى الادب حتى اليوم عن الامساك به ووضعه داخل قوالبهم وقواعدهم الثابتة .. فكل قصة قصيرة تكاد تكون تجربة جديدة قائمة بذاتها فى الشكل والبناء والمضمون .

واذا كنا قد استطعنا ان نتعرف ، بشكل عام على اهم خصائص فن تيمور القصصى فى نماذجه الاولى ، فقد نستطيع ، وبشكل عام أيضا أن نتعرف على أهم الخصائص والتعديلات التى طرأت على النماذج التالية ، ونتمثلها فى قصص بعينها .. ولكن هذا لا يعنى ان ثمة خطوطا زمنية فاصلة يمكن بواسطتها تقسيم انتاج تيمور القصصى الى مراحل أو نوعيات فنية ..

سنلاحظ مثلا على قصص تيمور فى مراحلها الزمنية المتوسطة والمتقدمة ، ميلا واضحا الى التحليل النفسى وتطبيق نظريات علم النفس الحديث عن الغرائز والعواطف والعقد النفسية وتأثيرها على سلوك الانسان ، وخاصة منذ فطن الى : « .. ان كاتبا يقتصر على العقل الواعى ، فيما يزاوله من عمله الفنى ، لهو كاتب يقنع بقشور الظواهر ، ويكتفى بالمعالم الطافية ، فلا يخرج من ذلك الا بصورة زائفة وسراب كاذب ، لا يغنيه عن حقيقة الحياة شيئا . فأما ان استطاع الكاتب أن يتخطى اسوار العقل الواعى ، فانه يجد فى يده المصباح السحرى ، ينير له طريقه ، فتتكشف له الشخصيات سافرة غير متنكرة ، وتتجلى له الدوافع التى تحرك تلك الشخصيات ، وتريدها على مختلف أنواع السلوك .. » .

نجد هذه الظاهرة واضحة فى قصص مثل « **مجنون** » (١٩٤٩) و « **أنا القاتل** » (١٩٥٩) و « **زامر الحى** » (١٩٥٣) و « **انتصار الحياة** » (١٩٦٣) .. ولكننا نجدها أيضا واضحة فى بعض قصصه القديمة مثل « **الى الجنة** » (١٩٢٨) ، « **حسن أغا** » (١٩٣١) ، « **الكسيح** » (١٩٣٦) .. فى القديم كان أميل الى اختيار نماذجه من الشواذ والمنحرفين والمشوهين ، وفى المراحل المتقدمة أصبح يؤثر تحليل شخصيات انسانية عادية ممن يملأون فجاج الحياة من حولنا ..

وسيخفف تيمور كذلك من حرصه على ابراز اللون المحلى الصارخ فى اختياره لشخصيات قصصه ورسمه لبيئاتها تحقيقا للشمول الانسانى الذى جاهد لتحقيقه فى قصصه الناضجة .. حتى لنقرأ له فى مستهل احدى قصصه وهى « **الطائر الطليق** » (١٩٥٧) :

« لا يعنينا متى وقعت أحداث هذه القصة .. كل الازمنة مواتية لها .. سواء أكانت قديمة متغلغلة فى القدم ، أم حديثة تعاصر حياتنا الراهنة .. ولا يعنينا أيضا فى أية بلد وقعت .. فكل البلاد تصلح أن تكون لها مسرحا ... الخ » .

ولعل اتجاهه لاستلهام الاساطير فى بعض قصصه « حورية البحر » (١٩٣٧) ، « بنت الشيطان » (١٩٤٠) ، « **ابنة ايزيس** » (١٩٤٩) ان يكون تطبيقا لهذا المبدأ الذى يستهدف الانسانية جمعاء بدلا من بيئة محلية ضيقة تجاوزت طور المراهقة ولم تعد بحاجة الى تأكيد ذاتها فى وجه مغتصب أجنبى .

ولا يعنى هذا ان تيمورا قد تخلى فى قصصه الحديث عن الواقعية ، وانما معناه ان واقعيته قد أخذت تتخلى عن طبيعتها المتشائمة منذ وقت مبكر ، وتكتسب بدلا منها تفاؤلا وايجابية أخذا يزدادان وضوحا مع الزمن .. ولكن حتى هذا التطور الهام فى قصص تيمور نجد بذرته كامنة فى بعض قصصه الاولى مثل « **أبو عرب** » (١٩٢٨) حيث نرى قوة بطش البطل وعنف رغبته فى الانتقام من الصبى الذى قتل كلبه العزيز تذوبان أمام عاطفة الامومة التى يلمح بعض مظاهرها من النافذة وهو رابض فوق الشجرة يتحين الفرص لتحطيم رأس الصبى كما حطم رأس كلبه ، فاذا به يهبط مسرعا ، ويعدو نحو خيمته ليحتضن ولده وهو فى عمر الصبى - ويقبله بشغف والدموع تسح من عينيه ..

وفى قصة « دنيا جديدة » (١٩٤٥) نجد محاولة واضحة لتأكيد معانى قوة الارادة والايجابية فى الحياة .. فهذا شاب يئس من الحياة وقرر الانتحار .. وعند شاطىء النيل يرى شابة تضع وليدها جانبا وتلقى بنفسها فى النهر فاذا به يندفع لانقاذها .. واذا به يطالبها بالتمسك بالحياة والكفاح لتحقيق الآمال .. لقد أنقذ روحين وأصبح مسئولا عنهما ، وأصبح لحياته معنى جديدا وهدفا جديدا .. فصحب الفتاة وطفلها وسارا جنبا الى جنب .. « وقلباهما يخفقان بشعور واحد ، شعور نقى ناصع كضياء هذا الكوكب المتألق الذى يغمرهما بفيضه اللؤلؤى .. يسيران نحو دنيا جديدة ! » .

وهى نفس الفكرة تقريبا التى عالجها الكاتب فيما بعد ، بتعقيد أكبر وقدر غير قليل من الافتعال فى قصة « **انتصار الحياة** » حينما أجرى على قلم بطل القصة الطبيب هذه الحكمة الشافية من داء الانتحار :

« افعل الخير فى حدود طاقتك ، وقدم العون لاخيك الانسان ما استطعت الى ذلك السبيل .. المصل الشافى من داء الانتحار هو أن نهب من حولنا قبسة طاهرة من جوهر أنفسنا ، هو ان نمد الضعفاء المنكوبين بقوة من روحنا ، هو أن نصنع الحياة لكى نحب الحياة » .

ولعل هذا التطور فى واقعية تيمور أن يتضح أكثر حين نقارن بين قصتيه «**الكسيح**» التى كتبها فى الثلاثينات و « **انسان** » (١٩٥٧) .. فالموقف الذى تنطلق منه القصتان واحد .. كسيح أيأسه العجز من الحياة وملأ نفسه حقدا على الناس .. فى القصة الاولى يظل « محمد عوف » صاحب ورشة التجليد يصب جام غضبه وحقده على صبيه « عبد العزيز » ويحيل حياته الى جحيم .. حتى ليندفع الصبى الى الالة القاطعة للورق فيقطع ساقيه !! .. أما فى القصة الاخرى .. وبطلها هذه المرة « رجل » ليس له اسم .. فرغم أنه هو الاخر « ينفس على الناس ما يستمتعون به من قوة نشطة ومراح ، ويشعر نحوهم بحقد مرير ، ولا يملك فيما بينه وبين نفسه الا ان ينحى عليهم بالسباب جزافا فى عنف كريه .. » . فان فرخ حمام صغير انفصل عن سربه وتهاوى على السطح يترنح .. ثم ما لبث - بمعاونة الرجل - أن تمالك قواه ولحق بسربه .. هذا الفرخ الصغير استطاع أن يقنع الكسيح أن يواصل حياته من جديد وينضم الى سرب البشر الذى كرههم وهجرهم .. فعاد انسانا من جديد ..

ومن الطبيعى ان يصاحب هذه التطورات نضج فى البناء

الفنى لقصص تيمور .. فاختفت التفصيلات التى لا تفيد فى تطوير الحدث او توضيح ملامح الشخصية ، وتنوعت أساليب العرض من استخدام أسلوب السيرة الذاتية الى أسلوب المراقب المحايد للاحداث ، وجاورت مناجاة الذات السرد والحوار والوصف فى بناء محكم نتيجة لطول الخبرة والتمرس ..

[٥]

واذا كانت القصة القصيرة قد استأثرت بالجانب الاكبر من جهود تيمور وهواه ، فانها لم تستأثر بها كلها .. فالى جوار قصصه التى تربو على الثلاثمائة ، خلف لنا عشر روايات من أشهرها « سلوى فى مهب الريح » و « نداء المجهول » و « شمروخ » .. وحوالى عشرين مسرحية ما بين قصيرة وطويلة .. بعضها مسرحيات واقعية تصور شرائح اجتماعية وتنقدها ، وتسخر مما فى حياة الطبقة الوسطى والعليا من مظاهر السطحية والخسة والفساد مثل « أبو شوشة » ، « الصعلوك » ، « حفلة شاى » ، « المزيفون » .. وبعضها الاخر مسرحيات تاريخية تتخذ وقائع التاريخ الثابتة اطارا لتقديم دراسات نفسية عميقة مع محاولة اسقاط ازمات الماضى على بعض مواقف الواقع المعاصر .. ومن هذا النوع الاخير مسرحيات : حواء الخالدة ، ابن جلا ، اليوم خمر ، صقر قريش ، طارق الاندلسى ..

وغالبية مسرحيات تيمور صالحة للعرض على خشبة المسرح ، وبعضها عرض بالفعل وحقق نجاحا ملحوظا .. ومن ثم يحق لنا أن نعجب .. لماذا لا تقدم هيئة المسرح بعض هذه المسرحيات ، ولو للتقليل من سيل الركاكة الذى تملأ به مسارحنا دون مبرر مفهوم ..؟

واسهم محمود تيمور فى ادب الرحلات بأربعة أو خمسة كتب ، كما قدم عدة دراسات عن تاريخ القصة وفنيتها ، وسجل جانبا كبيرا من ذكرياته وآرائه فى الحياة والادب والمسرح ، وكتب مقالات عن أهم شخصيات عصره وأدبائه وفنانيه ، بالاضافة الى أبحاثه اللغوية فى اطار مجمع اللغة العربية وخارجه .. ومن أهمها « معجم الحضارة » الذى استغرق منه عمل سنوات عديدة .. وان كنت أرى ان أهم اسهاماته اللغوية هو مشاركته الفعالة فى تطويع اللغة العربية فى قصصه سردا وحوارا ، حتى أصبحت ، بجهوده وجهود غيره من كبار ادباء العصر ، قادرة على التعبير عن أدق المشاعر والخلجات .. ولو حاول باحث ان يؤلف قاموسا للالفاظ والتعبيرات المستخدمة فى القصة العربية ، فسيجد أن تيمورا قد ابتكر وطوع الجانب من هذه الالفاظ والتعبيرات ..

وبعد ، فقد لا يكون محمود تيمور عبقريا .. وقد لا تكون موهبته الادبية خارقة .. وقد تلمس فى بعض انتاجه الفنى ضعفا هنا وفتورا هناك .. ولست من الميالين الى المبالغة فى التقدير حتى فى مجال التعريف والتكريم .. ولكنى مع ذلك أرى له فى الحساب الاخير أفضالا كثيرة على أدبنا من اهمها بالاضافة الى ما ذكرناه حالا :

● أكمل الخطوات القصيرة التى قطعها شقيقه محمد تيمور وأعضاء المدرسة الحديثة فى سبيل تأصيل فن القصة القصيرة فى الادب العربى ، وخلف نتاجا غزيرا منوعا كان بمثابة التربة الخصيبة التى أنبتت عدة أجيال من كتاب القصة العربية القصيرة .

● أرسى قواعد المذهب الواقعى فى القصة العربية ، وطور فى أساليب كتابتها وبلغ بها درجة من النضج لا تنكر سواء من الناحية الفنية أو الفكرية .

● اتخذ موقفا نقديا ساخرا من طبقته الارستقراطية ، وتعاطف مع أبناء الطبقة العاملة والفقيرة فى القرية والمدينة وعرض جوانب كثيرة من حياتهم ، فأصبح من المألوف والطبيعى أن يتصدروا بطولة القصة العربية الحديثة .

● بشر بالكثير من القيم الانسانية الايجابية فى قصصه .. كحب الحياة وتأكيد ارادة الانسان ونوازع الخير فى نفسه والدعوة للحب والتعاون بين البشر .

● كرس حياته كلها وجانبا كبيرا من ثروته للعمل الادبى ، فاستطاع أن ينجز هذا القدر الكبير من المؤلفات ، كما عاون عددا كبيرا من الادباء فى بداياتهم .. يقول يحيى حقى :

« لمحمود تيمور على الادب الحديث فضل كبير ، فقد ضرب للادباء مثلا رائعا للكاتب كيف يخلص لفنه ويقف عليه همه ، ويواظب بلا كلل ولا ملل على تنميته وتنويعه .

حمل المستشرقون اسمه ومؤلفاته الى بلاد اوربا فعرفت بفضله شيئا من أدبنا الحديث .. ما أشد احترامى له حين أراه الى اليوم لا يبخل بجهد فى خدمة الادب ، وكلما سئل أجاب ويفتح قلبه للجميع ، لا فرق بين صغير وكبير .. » .

اما اهم منجزاته فى رايى ، فهو قدرته المعجزة فى بعض الاحيان على خلق قصص فنية مؤثرة من احداث ومواقف وشخصيات عادية تحيط بنا فى حياتنا اليومية ولا تلفت انظارنا .. فاذا بها بين يدى الصناع قطعة نابضة من الحياة تدفع الدمع الى مآقينا ، او الضحك الساخر الى شفاهنا .. وتلك فى رأيى عبقرية القصة القصيرة ، وأهم مناطق تفوقها .. وعلى اساسها خلدت اعمال « تشيخوف » اعظم كتب القصة القصيرة فى كل تاريخها .. والامثلة على هذا الطراز من القصص فى ادب تيمور ليست قليلة بحيث لا تكاد تخلو منها مجموعة من مجموعاته العديدة ..

● ● ●

لقد سئل محمود تيمور ذات يوم :

ماذا تريد ان يذكرك الناس به بعد الموت ؟

فقال فى اجابته :

« كلما كان المرء مخفقا فى كسب مغانم الحياة ومتعها ، كان أشد حرصا وأقوى رغبة فى تخليد اسمه بعد انطفاء مصباحه تعويضا له عمسا فاته : وتعزية لنفسه عما فقده . ولعل السر فى ان الادباء من أكثر الناس تقديرا لفكرة الخلود هو أن الادب بضاعة مزجاة وحرفة كاسدة ، فلا غرو ان يتعلل الاديب بتلك الشهرة التى تنتظره بعد ارتحاله من عالم الاحياء ..

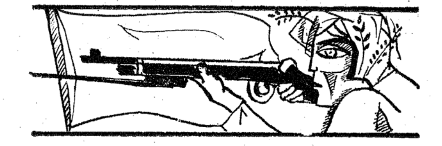
ولما كان الاديب يعطى ويعطى ولا ينال شيئا ، فانه يتطلع الى تعويض - من طيب الاحدوثة - ضخم جزيل ، ولو بعد عمر طويل !

فاذا ساءلت نفسى : ماذا أريد بعد الموت أن يذكرنى الناس به ؟ .. لم اجد من جواب صريح اركن اليه الا انى أرجو أن يعوضنى الله عما فقدت ، ولا أنشد غير ذلك من تعويض » .

الا أيها الرائد الكبير ، والانسان العظيم ... فلتطمئن روحك فى جوار ربها الى طيب الاحدوثة وخلود الذكر ..

واذا كنت لم توف حقك فى حياتك من الدراسة العلمية الموضوعية .. وهى خير تكريم يمكن أن نقدمه لك .. فلا شك انك ستنال بعد وفاتك ما أنت جدير به من دراسة وتكريم .. لان التقصير فى ذلك تقصير فى حق ادبنا قبل ان يكون تقصيرا فى حقك علينا ... وسلام عليك بين الخالدين .

صفحات من أدب المقاومة الأسباني



د. جليل كمال الدين

يرتبط

اسم أسبانيا بالحرية والبطولة ارتباطا وثيقا. والسائد في الادب العالمي ان أسبانيا هى انشودة الحرية والبطولة والفداء . ذلك ان اسبانيا هى التى اطلعت فى الثلاثينات جمهوريتها الديمقراطية الباسلة . التى رفعت علم الاشتراكية والديمقراطية الشعبية لاول مرة بعد الاتحاد السوفيتى فى ١٩١٧ وثورتى المانيا وهنغاريا البروليتاريتين فى ١٩١٨ – ١٩١٩ . وهى التى أنجبت أفواجا من الابطال الصناديد . وقدمت للعالم شعراء رائعين أمثال لوركا الذى سقط برصاص الفاشست الاسبان . ورفائيل البرتى . وجيراردو دييغو ، وجـورج غيلـن . وبدور سـاليناس . وامبليو برادوس . وميكويل آرناندس . ومانويل التولاغير . وانطونيو ماخادو وسواهم من ادباء اسـبانيا الاحرار . . كما انجبت فنـان الطليعة التقدمية العالمى الاشهر بابلو بيكاسو . وبالنسبة لنا . فان أسبانيا وثيقة الصـلة بالعرب . ولازال الجو الاندلسى العربى ماثل فى بعض أنحـاء أسبانيا . والاسبان أنفسهم يقولون بذلك . ملمحين الى التأثير العربى البـالغ فى الاغنية الاسـبانية والشعر الاسبانى والادب الاسبانى والملامح الروحية والاخلاقية الاسبانية عموما. وقدكتب الباحثون كثيرا – وليس ذلك دون اسباب وجيهة – عن تاثر لوركا ورفائيل البرتى بالعرب ثقافة وروحـا وشعرا ومثلا . حتى ان لوركا آلف كتابا فى العرب والثقافة العربية .. وسنتحدث هنا عن أدب المقاومة الاسبانى . مقدمين بضع صفحات مشرقةخـالدة منـه . مبتـدئين بلوركـا ، فماخادو. فالبرتى . فارناندیسی . ومنتهين بالشعراء الاسبان المعـاصرين من جيل الشباب وسواه .

① لوركا :
أنشـودة الحـرية



ان لوركا أنشودة رائعةخالدة منأناشيد البطولة والمقاومة الاسـبانية . وليس مصرعه التراجيـدى فى عام ١٩٣٦ ، وشعره الباقى على الدهر فى المقاومة الاسبانية والجمهورية الاسبانية ، وفى نشدان الحرية وتمجيد الفداء والبطولة ، وأبناء الشعب البسطاء ، سوى الدليل الذى لا يدحض على تعلق لوركا الاندلسى بالحرية والمقاومة ضد أعدائها .

كتبلوركا الكثير منالشعر والمسرحيات والمقالات . ومن جملة دواوينه الشعرية المشهورة « كتاب الاشعار » و « قصيدة الاغنية العميقـة » ، و « أغان » ، و « حكايا غجرية » ، و « شاعر فى نيويورك » ، و « ديوان التماريت » . ولعل أهم دواوينه فى مجال المجابهـة الثورية مع الامبريالية العالميـة هو « شاعر فى نيـويورك » ، حيث كان الشاعر قد حل فى الولايات المتحدة فى صيف عام ١٩٢٩ ، واصـطدم بعـالم الامبريالية الامريكية فى المتروبول ، فثار بوجه هذا العالم المقيت ، وانتصرللزنوج الامريكيين ، وكتب قصائد كثيرة فى ذلك ، منها « الفجر » ، حيث نسمعه يصف فجر نيويورك الامبريالية وعالم رأس المال :

لفجر نيويورك
أربعة أعمدة من طين
وزوبعة حمائم سوداء تتمرغ فى
مياه آسنة .
... يطلع الفجر ولا من يتقبله
بفمه
فليس هناك من صباح ولا أمل
منتظر
وتبحث النقود أحيانا مثل وحوش
ضارية .
عن الاطفال المشردين وتلتهمهم .

ويقول عن حياة الجماهير المنتجة فى هذا العالم الامبريالى الذئبى :

يعون لحظة يولدون ، فى عظامهم
انه لا جنة ولا حب طبيعى
يعرفون أنهم ماضون الى وحل
الارقام والقوانين
الى العاب بلا فن أو روح ، الى
كدح بلا ثمر
النور يدن فى السلاسل والضجيج
فى تحد وقح لعلم بلا جذور
الجموع الارقةفى الضواحىتترنح
وكأنها طلعت لتوها من طوفان
دموى

ان كفاح لوركا ضد الامبريالية العالمية والامبريالية اليانكى الامريكية ، بصـفة خاصة ، يرتبط ، على نحو عضوى ، بكفاحه ضد الفاشية ، وبخاصة ضد الفاشيين الاسبان ، الذين هبت لنجدتهم كل قوى الفاشية والرجعية فى العالم ، مثلما توحدت كافة قوى التقدم فى العالم نصرة الجمهورية الاسبانية الديمقراطية الوليدة فى صراعها ضد الفاشيةالاسبانية والعالمية ، ولعل ذلك هو أحد جذور حقد الفاشيين الاسبان الضارى على لوركا واغتيالهم اياه أخيرا .

يصف لوركا الحرس الاهلى ، وهو الحرس الفاشى الاسبانى ، فيجعلك ترى وتشتم هذا الحرس ، كما قال بالحرف احد قادة الجمهورية الاسبانية . ويقدم لوركا لوحة واقعية حين تزدان بالتهاويل الرومانتيكية والسريالية والرمزية لدينة الغجر [هى تمثل لديه عموم الشـعب الاسبانى] ، هذه المدينة التى يفترسها الحرس الأهلى وينتهبها فى عملية تأديب انتقامية ، تماما كما فعل ، فيما بعد ، الفاشيون الالمان فى كل جزء من أوربا المحتلة ، وكما فعل ويفعل الفاشيون الصهاينة فى أرضنا العربية المحتلة .

يقول لوركا فى الحرس الاهلى ومدينة الفجـر :

خيولهم سود ، سود حوافرها
الحديد ، تشع على مآزرهم
بقع من الحبر والشمع
وما دامت جماجمهم من رصاص
فلن يبكوا
يتقدمون بأرواحهـم الجليـدية
وقبعاتهم الملونة
عبر الطريق
متكورون كالحدب ، فاتمون حيث
يمرون ،
ينشرون صمت المطاط المعتم ،
ورعب الرمال الناعمة

ويختتم اللوحة بنهاية فاجعة ، تصور نهاية المدينة الغجرية ، وهى نهاية كل مدينة ثائرة عقب عملية تأديب فاشية :

وحين لم تعد السطوح
غير أخاديد من الارض
هز الفجر كتفيه على سرب طويل
من الاحجار
ايه يا مدينة الغجر
بينما تحتضنك الحرائق
كان الحرس الاهلى يتوارى
فى سرداب من الصمت

ويرافق لوركا هذا الحـرس الفاشى الذى يتقدم زارعا الحرائق التى تشعل الخيال ، على حد قول لوركا ، يرافقه فى كل قصيدة قالها تقريبا . فالحرس الاهلى هو رمز للفاشية ، والفجر هم رمز الشعب الاسبانى . واننا لنجد هذه المرافقة فى قصيدته فى مصرع أنطونيو آل كامبوريو ، وفى « صرخةالى روما » و « أغنية الفارس » و «القديس ميكويل» وغيرها من القصائد . وفى قصيدته صرخة الى روما » يصور لوركا الصراع بين الانسان وأعدائه ، بين الشـعوب والامبريالية ، وبين الطبقة العـاملة والرأسمالية ، فى مثل هذه الاشعار :

هنا لاشىء سوى مليون حداد
يسبكون القيود لاطفال لم يولدوا
بعـــد
هنا لاشىء سوى مليون نجار
يصقلون توابيت بلا صلبان

ويتوعد لوركا المستعبدين والظالمين جميعا بالانسان وثورته وحبه العظيم ، فالمجد للانسان ، والنصر له ، فى تحصيل كل حاصل :

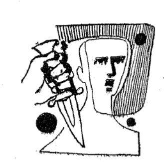
أما الانسان .. فسيتكلم
وسـيصرخ عاريا بين الاعمـدة
الشامخة
... سيقول : الحب ، الحب ،
الحب
حتى تتحول شفتاه الى فضـة

ويعلل لوركا ، محقا ، سر الصراخ الامبريالى المسعور بأنه النهـم المجنون والسعى المتوحش وراء الارباح ، وبأنه الارتعاب الامبريالى — ارتعاب المستغلين جميعا — أمام يقظة الفقراء ، وثورة المظلومين . وهكذا فانهم يصرخون ويولولون ، لاننا ، على حد ما يقول لوركا :

لاننا نريد خبزنا اليومى
ونريد أزهار الحور والسنابل
ذات النضارة الابدية
ولاننا نريد وفاء الارض
يهب الفاكهة للجميع

ويتمكن الفاشست ، أخيرا ، من القضاء على جسد لوركا ، لكن روحه وأشعاره وأغانيه ومسرحياته وكلماته تظل نبراسا يستضىء به رجال المقاومة الاسبان وشعراؤها ، على مر العصور .

٣ أنطونيو ماخادو :
.. ومصرع لوركا



انطونيو ماخادو هو صديق لوركا الحميم وزميله فى معركة النضال المقدسة ضد الفاشية العالمية والاسبانية ، وضد الامبريالية العالمية . وقد لاقى ماخادو حتفه في المنفى بعد سقوط الجمهورية الاسبانية وانتصار قوى الفاشية . فهو مثله أذن في الشهادة والبطولة والفداء ، وهو رفيقه في المعركة الضارية ، التى لازالت مستمرة ، ضد أعداء الانسان .

كان ماخادو عميق الصلة بالاغنية الشعبية الاسبانية ، وبالشعر الاسباني الجنوبى بصفة خاصة . وهو ينتمي ، على وجه الدقة ، الى جيل ١٨٩٨ ، وهو الجيل الباحث عن أسبانيا حرة ، أسبانيا من دون ممتلكات ومن دون امبراطورية ، أسبانيا ديمقراطية تحمى تقاليد الحرية والثورة والثوار فى العالم .

وللايضاح نقول ان عام ١٨٩٨ هو العام الذي انتزعت فيه كوبا حريتها من براثن الاستعمار الاسباني . ولذلك فان الجيل الجديد كان قد بدأ بالاحتجاج ، وقتذاك ، ضد أسبانيا الظالمة — كما يقول جان كامب ، صاحب كتاب « الادب الاسبانى » — ، لانه يريد اسبانيا أخرى ، أسبانيا منفتحة على الثقافة العالمية ، داخلة فى اطارها ، لا اسبانيا تتلذذ بمشاهد القساوة والموت وتفتخر بانغلاقها على نفسها واحتقارها للثقافة الاجنبية . وقد عد هذا الجيل عام ١٨٩٨ عام الانقاذ وعام البعث للحرية وللتقاليد العصرية الاندلسية الاسبانية .

هذا هو الجيل الذي ينتمي اليه ماخادو والذى سيتتلمذ على تقاليده لوركا ، فيما بعد . انه جيل البحث عن الحرية والديمقراطية ، وهو جيل يرفع لواء المقاومة منذ مولده ، ويشعل نار الكفاح في كل ابداعاته . ولم تستطع لا سريالية سلفادور دالي وبريتون ، ولا الدادائية أن تنتزع من جيل ماخادو راية الكفاح او تخدر وعيه ويقظته ، فالسريالية لم تكن الا قنطرة عبرها هذا الجيل ، كما عبرها ايلوار واراغون نحو رحاب الادب الواقعى الحديث المسلح بانجازات الرومانتيكية الثورية .

وحين يطرح لوركا مضرجا بدمائه ، فى فجر أحد ايام آب ١٩٣٦ ، برصاص الفاشست الاسبان ، يهب ماخادو ليعلن غضبته العارمة على صانعى الموت ، وتجار الظلام والرعب فى قصيدة رائعة ، تعتبر وثيقة هامة من وثائق أدب المقاومة الاسبانى والعالمى ، وانجازا رائعا من انجازات ادب ماخادو الكفاحى :

رأيناه يسير ، البنادق على جانبيه
عبر الطريق المديد ، الى سهول
الصباح الندية ،
صامتا تحت النجوم
وهناك .. في اشراقة الضوء
قتلوه بالرصاص
اطبق الجلادون أجفانهم ، كلهم ،
وصلوا ،
خائفين أن ينظرو اليه ،
ويتطلعوا الى عينيه ، وصلوا
يهتفون :
« ليس حتى الاله لينقذك الان ! »
الدم على جبينه ، الرصاص فى
ضلوعه
ثم ... هوى .
لقد وقعت جريمة في غرناطته ،
أنتم تعلمون — مسكينة غرناطة
— غرناطته !

ولعل ماخادو هو افضل مكتشف لروح لوركا ، ولسر أسرارها ، فهو يعرف من لوركا الكثير ، وهو يغترف من ذات المعين الذى يغترف منه لوركا . وهكذا فهو يواصل قصيدته :

كنا نراه يمشى مع الموت
غير آبه بمنجله .
الشمس على الابراج ، والمطرقة
على السندان ترن
وفيدريكو فى دربه الرحب
يحاور الموت وهو يسمع :
« بالامس فى قصيدى ، أيها
الرفيق
همس حفيف النخل الصلد
يثلج الاغنية ، ويبتر المأساة
بمنجل من الفضة ..

ويختتم انطونيو ماخادو قصيدته الرائعة هذه ، التى تعتبر ، بمعنى من المعاني ، بيان المقاومة الاسبانية الشعرى الثورى ، أمام لوركا — الروح ، بعد أن اختفى لوركا — الجسد ، فيقول :

رأيناهم يختفون ،
ألا انحتوا أيها الاصدقاء ،
عميقا فى الصخر ، والاحلام ،
عميقا فى قصر الحمراء ،
عميقا فى الصخر والاحلام ، قبره
قبر الشاعر ...

هكذا يكفن ماخادو صديقه لوركا بشعره ، ويدفنه روحيا في رحاب قصر الحمراء العربى الاندلسى بغرناطة ، التى كان لوركا قيثارها الذى لا يكف عن الصداح ، وهكذا أيضا يلتقى ماخادو بلوركا وبسائر الشعراء الثوريين وشعراء المقاومة فى العالم لقاء ثوريا ، على مستوى المقاومة ومستوى الكلمة المقاتلة .

٣ رفائيل البرتى :
.. وعائدة الحرة



رفائيل البرتي هو صديق آخر للوركا ورفيق له وزميل فى معركة الكتاب الديمقراطيين الاحرار فى أسبانيا ضد الفاشية . وكان البرتى مثل لوركا اندلسيا متعلقا بأغانى الشعب الاسباني وحكاياه وتراثه الفولكلورى الذي تمازجه عناصر عربية كثيرة .

ولد البرتى فى عام ١٩٠٢ ، وابتدأ الكتابة عام ١٩٢٤ . ويعد ديوانه «سوبره لوس انجيليس » البداية الرصينة الوطيدة لانتاجه الشعرى ، وقد نشر عام ١٩٢٩ . ويعده كثير من النقاد موازيا فى القيمة والاهمية لديوان « رومانسيرو جيتانو » — حكايا غجرية — الذى اشتهر به لوركا ، حتى أسمى « شاعر الغجر » . وقد تحدث البرتى فيه ، بصفة خاصة ، عن البحر ، واغانى البحارة الاندلسيين وحكاياهم

واساطيرهم . وكان ألبرتي — كما يراه س.م بورا — ذا ثقافة أرصن من ثقافة لوركا ، غير أنه كانت تنقصه سعة الخيال ورحابته التي كان يتميز بهما شعر لوركا . غير أنهما ، وان اختلفا بعض الشيء في الاسلوب والتناول الشعري ، كانا شاعرين ثوريين قد وظفا شعرهما الرائع في خدمةقضايا الشعب، وقضايا الثورة والمقاومة الاسبانية ضد الفاشية والامبريالية العالمية .

وفي عام ١٩٣٤ كان القتال بين الجمهوريين الديموقراطيين الاسبان والفاشيستيين الاسبان على أشده .وكانت المعركة قد بلغت مدينة [اونايدو] ، التي كانت تعاني وتتذاك من حصار محكم ضربته جيوش الجنرال الفاشي لوبيز أوكاوا ، الذي كان قد تلقى تدريبه في افريقيا ، واكتسب حنكة عسكرية في عمليات الاخماد والقمع الوحشي التي نفذها ضد العرب في شمال افريقيا ، وفي مراكش بصفة خاصة ، فكان يضع الاسرى في مقدمة الجيش الزاحف .

وبالرغم من شحة العتاد وقلة المدافع كانت الطبقة العاملة في استيريا ، وعلى وجه الخصوص عمال مناجم استيريا الابطال لا يرغبون في ترك مدينة أونايدو . فعبأوا قواهم ، وكل ما لديهم من عتاد ، واعتصموا في الخنادق .

وكان بين هؤلاء المقاتلين عدد غير قليل من النساء والاطفال . وكانت ثمة فتاة في السابعة عشرة ، غضة الاهاب ، ممتلئة بالحيوية ، وهي الشابة الثورية التي اشتهرت باسم عائدة دي فيونت . وكانت تشد على عنقها رباطا احمر ، وتطوف بين المقاتلين تشحذ عزائمهم ، وترفع معنوياتهم ، وتضرب المثل بنفسها في القتال والصمود ، فقد كانت تطلق النار من رشاشها باستمرار .

كانت عائدة هذه ابنة مدير لمسرح في أونايدو ، وهو ثوري قديم . الا انه كان مريضا بالربو ، فكانت ابنته عائدة تساعده في مسائل التنظيم الثوري ، وهكذا اصبحت منظمة وممرضة ممتازة . وكانت ، ابان الحرب الاهلية الاسبانية، تنظم فرق الاسعاف ، وتمرض الجرحى، وكانت ، حيثما تستطيع ، تنخرط في القتال الفعلي ، فكانت لا ترى الا وسط الدخان واللهب . وهكذا اشتهرت في اونايدو باسم « الحرة » والثورية .

وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٣٥ ، استطاعت عائدة ان تحمي بنفسها انسحاب عصبة من رفاقها المقاتلين . كانت عائدة تحمي الانسحاب برشاشها، دون أن توفر لنفسها الراحة . وكان رفاقها يقولون لها « اهربي ياعائدة » ، الا أنها كانت ترفض ، وترفض حتى استطاع آخر رفاقها الاختفاء والتواري وراء التل الذي انسحبوا اليه . ولكنها بقيت وحيدة ، ومع ذلك رفضت الانسحاب كانت تعلل نفسها بأن لديها مسدسا يفيدها في القتال أيضا . وهكذا كان . وظلت تطلق النار من رشاشها حتى نفد رصاصه ، ثم جابهت العدو بمسدسها العتيق حتى نفد رصاصه هو الاخر ، وسقطت شهيدة . كانت تؤثر الاستشهاد على الوقوع في الاسر لدى الفاشست الاسبان ، الذين لا يعرفون الرحمة ، ولا يأبهون للقانون الخاص بمعاملة الاسرى ، وكانوا كثيرا ما يمثلون بالاسرى بعد قتلهم بأبشع الطرق .

.. كان جسد الفتاة الصغيرة ، عائدة الحرة ، يرقد على قمة التل ، رمزا لبطولة العمال الاسبان ، ولفداء الشعب الاسباني . وكان رباطها الاحمر يتألق مثل مشعل ، مثل كوكب في صفحة السماء ، نبراسا للمقاومة والاستشهاد

وقد الهمت هذه اللوحة الواقعية شاعرنا رفائيل البرتي ، فنظم قصيدة كبيرة في [عائدة الحرة] وفي بطولة العمال الاسبان ، والمقاومة الاسبانية . وقد ظلت هذه القصيدة تتناقلها الافواه وتحفظها أوراق الثوريين ودفاترهم ، حتى وجدت طريقها للنشر . يقول البرتي :

اريد ان اعيدها الى الحياة ..
ان عبير الحزن الذي نشره
المصرع الدامي ينتشر في كل
ارض !
وقبرها الذي ذرته العواصف
يمتد ويمتد
قبرها الذي عليه يخطو الناس
اريد ان أعيدها الى الحياة ..
أريد أن أشق الارض ،
الارض التي لا يستطيع الناس
لها حرثا ...
هنا تغيب الازهار الجميلة
هنا لاشيء الا حصاد الفولاذ .
اريد أن أعيدها الى الحياة ...
عائدة ... الحرة ...
انظر الى صورتها الملطخةبالدماء
ونهداها ملصقان على الحراب ،
وقد قطعت أطرافها ..
أريد ان اعيدها الى الحياة ...
وأصيح بالفاشست جميعا
ان « الحرة » تعيش ،
« انها تجثو وراء رشاشها ،
تقاتل على الجسر » .
اريد أن أعيدها الى الحياة ...
ايه ، ياعامل المنجم ، دع يديك
تغمسان في نجيع عائدة
الحرة ..
واكتب ان اسبانيا وجدتشجاعة
جديدة
اريد ان أعيدها الى الحياة ...
"سنلتقي ، عندما تنتصراسبانيا،
عند قبر عائدة ،
ونقدم حبنا لعائدة
المرأة الحرة الباسلة ...

هكذا خلد البرتي الفتاة المقاومة ، والعاملة الثورية الاندلسية ، عائدة الحرة . وحسب البرتي أن بابلو نيرودا كتب عنه مرة فقال ، انه شاعر المقاومة التي وهبها كل حلاوة بيانه وسحر شاعريته ، وان لشعره طعم الدم ونكهة البارود ..

④ ميكويل أرنانديس :
.. وصوت الأرض



اعترفت اسبانيا الادبية بميكويل ارنانديس شاعرا وهو في الرابعة والعشرين . وكان اسمه يقترن بماخادو ولوركا والبرتي . وفي سنته الخامسة والعشرين كان آرناندیس راقدا في الخنادق على مشارف مدريد ، يذود عنها الفاشست ، وكان يطلق الرصاص من بندقيته ، وكان في ذات الوقت يكتب الشعر ، ويقرؤه لرفاقه المتخندقين ، ويأخذ طريقه للنشر على صفحات الصحف الجمهورية ، وفي نشرات الجيش الجمهوري وجرائده .

وفي التاسعة والعشرين من عمره ، وبعد تغلب الفاشست على قوات الجمهورية الاسبانية ، حكم على آرناندیس بالاعدام ، وأمضى سبعة أشهر ، بالفعل في زنزانة الاعدام . غير ان الاعدام أبدل فيما بعد ، بالسجن عشرين عاما . وكان هذا هو الموت البطيء ، وبالفعل نفد ذوى آرناندیس ، وحطمت السجون صحته ، فتوفي في السجن ، وكل ما له من العمر اثنان وثلاثون عاما .. وأضافته اسبانيا الى قافلة شهدائها من الشعراء الابطال ..

كتب ارناندیس عدة مجموعات شعرية ، وأربع مسرحيات ، وكثيرا من المشاهد المسرحية القصيرة ، وكتب فى فن متفرد من فنون الادب وهو الشعر فى النثر ، كما كتب عديدا من الاوجركات الحربية الملتهبة ، بل ورسم أيضا كثيرا من الرسوم المتعلقة بالقتال والمقاومة . ويقول كثير من النقاد انه لا يمكن فهم شعر أسبانيا المقاوم ، على نحو واف، دون ما ابدعه آرناندیس .

ويقول فيه بابلونيرودا ، الذى خاض المعركة الى جانب الجمهوريين الاسبان، وعرف لوركا وماخادو والبرتى وآرناندیس وسواهم من شعراء المقاومة الاسبان، من كتب ، يقول : ان وجهه هو وجه اسبانيا ، وان الشعر ينضح من فمه كما ينضح اللبن من الضروع الممتلئة . كما يقول فيه ان شعره يلتصق بالارض الاسبانية ، بروائحها وزهورهاواعشابها وفلاحيها . ان قصائده واشعاره هى فلذات من قلبه معمدة بدمه .

وهو يذكرنا ، عن حق ، بالشاعر السوفيتى موسى جليل ، الذى خاض مثله غمار المعارك ضد الفاشية ، وسجن فى سجون الفاشست ، ثم اعدم . ان شعرهما يعبق باللوعةالثورية ،والرجولة ويزكو بالبطولة ، التى هى تجسيم لبطولة الشعب الذى انحدروا منه . كما يجسد شعرهما ارادة الصمود والاصرار حتى شرف الاستشهاد .

ان الاسد لا يتقهقر ابدا . قد يحنى رأسه للعاصفة مؤقتا ، الا انه لا يركع ولا يستسلم . يقول ارناندیس فىقصيدة له بعنوان « ريح النضال الشعبى » :

تحملنى ريح النضال الشعبى
تجرنى وراءها
ويغدو القلب ارحب وأرحب
وتنثال الاغنية بحرية وطلاقة..
قد ينحنى الرأس مؤقتا
تحت الضربات الثقيلة
غير أن الاسد لا يتقهقر أبدا
فانه يتحمل الضربة بشجاعة
ويردها ببرثنه الفولاذى .
أن شعبى كالاسد فى البرية
ومثل النسر الجبلى فى الوادى

وفى ذات القصيدة يهتف آرناندیس هازئا بمصيره متقدما ، داعيا الى شرف الشهادة ، مكبرا عظمة الفداء من أجل الثورة والشعب :

فمادمت سأموت ، فانى سألتقى
الموت برأس مرفوع .
هب انى سأسقط ميتا
مكبا بوجهى الى الارض

ولكنى سأزم شفتى بقوة ...
بأصرار لا ينثنى ..
سأنتظر الموت بأغنية .
فان شدو البلابل لا يهدأ
حتى تحت أزيز الرصاص
وحتى فى لعلعة المعارك ..

ان آرناندیس هو ابن الشعب الاسبانى البار ، وهو لذلك ، وانطلاقا من ذلك يلتحم ، اقوى ما يكون الالتحام بأغانى الشعب وأساطيره ، وببطولات الشعب والجماهير اليومية التى لا عد لها ، والتى تنتظر التصوير والتسجيل . ويشبه آرناندیس نفسه بالبلبل ، كما كان الشعراءالاندلسيون يفعلون ، ويقول عن نفسه انه بلبل الشعب الصادح بظلاماته ، وهمومه :

أيها الشعب ، استجب لندائى
واطعمنى بحليبك .
انما أنت شجرة ، ياشعبى
وأنا ملتف بجذورك .
انما خلقت لاغنيك
ولاذود عنك الشرور الرهيبة ..
ان أسنانى ودمى .
هما سلاحان للذياد عنك .
لقد طلعت من أعماق الارض
الى عالم البؤس والضيم .
... من الظلمة طلعت الىالنور
لكى أكون على شجرة المعركة
ولكى أكون البلبل الصادح
بظلاماتك
وطموحاتك ومستقبلك ومصيرك
ولاجل أن تكون أنت ، ياشعبى،
الذى أصدح لك ،
يقظا ، فلا تنسنى ، وأنت تسمع
نداءاتى .
المرارة والعطش
وآلام الارض .

عشق آرناندیس الحرية ، وهام بها هيام العاشق المدنف المتوله ، فهو يعدها معبودته لاجلها يعيش ، ولاجلها يقول الشعر وهو جريح . ان روعة الحرية تمتزج بروعة الشعر ، وروعة الفداء ، وروعة المقاومة فى كل عضوى لا يتجزأ . انه يقول فى قصيدته « جريح » :

كلى فى الدم ، أيتها الحرية ..
اننى كتلة ملتهبة
ولك وحدك ، ايتها الحرية ،
أهب عينى ويدى .
وما يتبقى هو شجرة من اللحم

فليمض الى الجراحين ...
بسببك أيتها الحرية
أحمل تحت الجلد المزرق
قلبا أكبر من قبضة اليد ،
وبسببك أدخل ، وقد عميت عيناى
بالرغوة الحمراء ، فى القطن
كما لو انى دخلت فى عمارة
من زهور الدليك .
انك رائعة أيتها الحرية . اننى
أحب أن ألقاك فى العمل
انك تعيدين رسوخ النظرة الى
موق العين الاجوف
والاصابع والاقدام لمن فقدها
أما الى الارض —
فتعيدين الخضرة ورائحة المياه
الخضراء .

⑤ جيل الشباب .. وكوبا



لم تنته الملحمة البطولية المأساوية للشعب الاسبانى وشعره المقاوم بانتهاء أيام الجمهورية الاسبانية واستشهاد من استشهد من شعرائها أمثال لوركا وماخادو وآرناندیس وسواهم . فقد نزل حلبة الشعر شعراء أسبان جدد ، كما استمر بعض الشعراء الشيوخ على ترديد اغانيهم الثورية . ومن هؤلاء الشعراء الشباب خوسيه فالينتينة ، وأنطونيو بيريس ، وآنخيلا آيميريج .

ومما يميز هذا الشعر المقاوم المعاصر كونه يستخدم الرموز الثورية بكثرة ، فى بلاد تعانى من القمع المستمر للحرية ومغنيها . وهو لذلك يتخذ موضوعات قد تبدو للناظر العجلان بعيدة عن الواقع الاسبانى ، الا أنها ، فى حقيقة الامر ، وثيقة الصلة به . فان الشعراء الشباب يتجهون ، مثلا الى كوبا ، التى كانت جزءا من الامبراطورية

الاسبانية لم تتحرر منها الا فى عام ١٨٩٨ ، كما اسلفنا ، ويحفظونها اناشيدهم الثورية . وما من شك أن التوجه الى كوبا الثورية ، وتمجيد ثورتها بقيادة الثورى الكبير فيدل كاسترو ، هو ، بمعنى من المعانى ، توجه الى الشعب الاسبانى ذاته ، والى ابطال هذا الشعب العظيم . فان الصلة بين ثورة الشعب الكوبى ، وثورة الشعب الاسبانى جدلية ، حية ، تغتنى كل يوم بالجديد ، وتزدهر باستمرار وما كوبا بالنسبة لشعراء المقاومة الاسبان الا الطريق نحو اسبانيا ذاتها . فهم من خلال كوبا يخاطبون اسبانيا . وهم يخاطبون كوبا على نحو مباشر ، وعلى نحو غير مباشر ، ضاربين بها المثل ، متخذين منها القدوة ، موجهين اليها انظار الشعب الاسبانى خاصة ، والشعوب الناطقة بالاسبانية فى أمريكا اللاتينية ، وشعوب العالم كافة ، داعين لمساندتها ودعمها ماديا ومعنويا ، والتضحية من اجلها بالغالى والرخيص.

ان هذا الشعر يمتاز ، اذن ، بالوطنية ، والاممية الانسانية ، وهو ، اصلا ، يمتاز بالثورية اللاهبة التى تتجاوز سطح الحدث الى اعماقه ، وتستخلص الدروس والعبرة حيثما تستطيع وكان لابد لهذا الشعر من بعض الرموز ، وهى رموز ثورية اصلا ، ليحتال فى تجاوز القيود والسدود التى ضربها النظام المنتصر .

وقد ظهر فى باريس ، مؤخرا ، كتاب رائع مثير عنوانه «اسبانيا تغنى لكوبا» اسهم فيه ممثلون لمختلف اجيال اسبانيا الشعرية ، كان منهم شعراء معروفون جيدا فى عموم اسبانيا امثال غابرئيل سيلايا ، وانخيل كريسو ، كما كان منهم شعراء بداوا على التو طريقهم الادبى أمثال خوسيه فالنتينة ، وانطونيو بيريس وآنخيلا آيمبريج وغيرهم .

فهاهو الشاعر الكبير غابرئيل سيلايا ، ممثل الجيل القديم يخاطب كوبا ، فيتقدم اليها الشكر ويزجى لها الثناء ، ولكنه ، عبر ذلك ، يخاطب اسبانيا ذاتها ، ويجد أن كوبا لا تعدو أن تكون وليدة رائعة مرتبطة بالحبل السرى ـ اذا صح التعبير ـ بأمها الثورية اسبانيا . ان آلام كوبا هى آلامه ، وثورتها هى ثورته وكل شىء ممكن ، اذا ما القلب مزق قيود الرعب :

حين تدنس سفن الاسطول
السادس موانىء بلادى
فانى أفكر فى كوبا .
وحين تقتحم نفثاثات اليانكى
فضاءنا
وتسمم أجواءنا وهواءنا ،
فانى أفكر فى كوبا .
وحين يدبك الغازى فى ارضنا
ويدمغنا باسم « الحمر »
فانى افكر فى كوبا

ولا يلبث ان يقدم التفسير الثورى الشعرى لمقولاته الشعرية السابقة :

انما الشعب الكوبى
يمنح الانفاس للامل ـ ولذلك
فانى اومن فى اسبانيا .
انما احلام فيديل
تطير قرونا الى الامام ـ ولذلك
فانى اومن فى اسبانيا .
انما كل شىء يغدو ممكنا
اذا ما القلب مزق قيود الرعب
ـ ولذلك
فانى اومن فى اسبانيا .

ويختتم قصيدته بالقول : شكرا لكم أيها الكوبيون ـ أيها الرفاق ، أيها الاخوة ـ اننا معكم .

ويناول هذا الشاعر الشيخ المشعل للشعراء الشباب ، فيتلقفه خوسيه فالنتينه ، لنسمعه يقول فى قصيدته : كوبا ، الجزيرة العائمة ، بعد مقدمة شعرية غاضبة :

ولكن سيكون يوم
فتهب بقيا كلمات الذين أعدموا ،
وأحزان المهود ، بضراوة وكبرياء ،
وتنهض ، مقطعا بعد مقطع ،
وتلتحم كلا موحدا ،
لتنبجس ابنجاسة الينبوع فى
الحنجرة الانسانية .

ولا يلبث ان يعلن :

اننى صاح ويقظ . وانى لافهم
كل صوت .
لقد أقلعت الجزيرة
مثيرة اللهيب ،
فافتحوا الطريق لها !
هاهى توغل فى البحر الحر
وتصاعد العاصفة ببيارقها .

ويخاطب شاعر اسبانى شاب آخر ، هو انطونيو بيريس ، شاعرا كوبيا متاضلا هو نيكولاس غيلين ، فيدعوه الى الرقص الاحتفالى ، فهذا اليوم هو يومنا :

نيكولاس ،
أيها المغنى الكوبى ،
أعطنى يدك !
.. .. ان الاغنياء والحمقى
مدينون لنا ،
فليدفعوا لوطننا الان .
يكفيهم ما استلبوا ..
ان هذا الحفل حفلنا
ولن يستطيعوا تقييد موسيقانا
بعد اليوم .
فليشحذوا الخمر
لدى الاخرين
اما خمر كوبا الحرة
فليشربه الكوبيون فقط .

وتعلن الشاعرة الاسبانية المعاصرة آنخيلا ايمبروفيج ان والدها كان كوبيا ، وانها اسبانية من حيث الولادة ، ولكنها من حيث الدم والنزعة ابنة كوبا الحرة وتهتف بالشعوب ان تقتدى بكوبا ، وان تنهض على الطريقة الكوبية ، فالشعب فى كوبا يمهد الطريق للاحرار بصدره ودمه . ان الامل الجديد هو الذى تحمله البيارق الكوبية ، وهو الامل الحقيقى المنتظر للشعب الاسبانى ، لا ذاك الامل الزائف ، الامبريالى ، الطالع من ميامى ، كما يقول الشاعر خيمادى بيدما . وقد منح بعض هؤلاء الشعراء أغانيهم لمعركة الحرية فى فلسطين .

المراجع :

[١] دواوين الشعراء الاسبان المبحوثين فى الدراسة بالروسية ، وبالعربية .

[٢] مخطوطة كاتب السطور [من أدب المقاومة العالمى] .

[٣] اعداد من مجلة : الادب الاجنبى بالروسية .

[٤] لوركا قيثارة غرناطة ـ ترجمة كاظم جواد وسلافة حجاوى .

[٥] شاعر فى نيويورك للوركا [بالانجليزية] .

[٦] التجربة الخلاقة ـ س.م. بورا ـ بالانجليزية .

حكاية المدائن المعلقة

شعر : أحمد عنتر

[فى هذه الليلة ، بين جميع ليالى العام أى شيطان أغرانى بالمرور فى هذه الامكنة اننى أعرف الان جيدا ، هذه البحيرة المجهولة .. وهــذه البلاد التى ترود فى غاباتها الاغوال ..] .

ادجار آلان بو

المدائن ــ تلك التى داهمتها الفجيعة ذات صـــــباح ، وأوعية الدم كان تخثر فيها النباح ، تحشرجفيها الصـــياح العقيم ...

وسادتها يلعقون السماء بأعينهم ، فى الشرايين تمخر كل الاساطيل [لفظا على اثر لفظ] وتبحر للمستحيل ، وتفرد عند المضايق أشرعة الوهم [ها هو طارق قد عاد .. [احرقها .. والجنود تفانوا وضاعوا على مأدبات اللئام .. وحين استداروا الى الشط لم يبق شىء .. [وكانت ذراع الى الكتف مشدودة بنسيج من الجلد .. تنفر فيــه العروق .. وتهتز ..] .. والنار ترقص حول الهشيم .

المدائن ــ ذاك الخـــواء الاثيرى . ذاك الســكيان الاثيم ــ . وجهها الخزفى تناثر ..

[كانت تحلق ينصهر الشمع بين الجنــاحين . تهوى .. ولا شىء فيها يحس السقوط .. تحلق .. ينصهر الشمع .. تهـــوى .. وتهـــوى .. وتستعر الشمس تنفث من رئتيها الجحيم .] .

المدائن ــ تلك ــ استعارت رداء التبجح من زمن العهر والقبح . .عادت تعرى مفاتنها .. يســتبيح الســكارى مداعبــة الناهدين اللذين تساقط دونهمــا الشهداء[١] . . .

---

١ ــ تؤكد كل الاذاعات والصحف الظافرة
بأنهمو فى الجنان يعيشون فى فرحة غامرة
وفى خطب الجمعة الطاهرة ..
يذيعون شيئا من الذكر يثنى على السير العاطرة ..
....
ويروى الذى فر منهم وعاد جريحا ..
عن الحرب والموت والدود والدم شيئا ينز الصديد ذبيحا..
ويقسم حين أتوا فى غلائل احلامه أجهشوا بالبكاء ..
وهم يبصقون على المدن العاهرة !!

ويمتد سوق الرقيق فتشمل ساحاته المئذنات التى طار منها الدعاء جريحا .. وحوم خلف السديم ..

......

....

ويمتد سوق الرقيق .. على ضفة النهر . حيث المدينة . [ذاك الوعاء الحضارى .. ذاك الرداء الشفيف الذى لبسته القبائل ..

واللصوص ـ الذئاب ـ السماسرة الان ينتشرون على وجهها الزئبقى بثورا .. طحالب .. فوق دم البركة الراكدة ..

والجوارى تحس رنين الدراهم .. ترتج أردافهن . . [٢] ويقعين .. ينحسر النهر .. تعوى الضباع .. تجف البقاع .. وتضمر بين الحقول السنابل .

[.. يرتخى الساعد القروى ، ويسقط بالفأس ، تنعس بين أكف الرجال البنادق ، تدمع أمنية واعدة ..] [٣] .

.. وتقتطف كل النهود .. وكل الصبايا ..

يصدرن كالقطن .. تحملهن القوافل ..

....

« تذكرين عهود التحلل والموت .. كان السبايا يسقن لقيصر . والسوق يحدو المواكب ... لسكن صرير السلاسل .. يعلو .. ويعلو . تجسد قرطا بأذنيك عبر العصور . ولا تشعرين !! انظرى فى المرايا .. وجهك الان تعدو عليه سنابك كل الخيول .. وشعرك بيعت ضفائره [دون جدوى] .. وأيوب يرسف فى الصبر .. سبع « صعاب » تمر .. تحقق حلم العزيز .. ويوسف لا زال في البئر .. ينشب عينيه فى الطين بين القواقع والرغبة الخامدة » .

....

....

.. ويمتد عصر الترهل .. تمضي الدقائق لينة المس رخوة .. وتبدو الحياة وثيقة زيف .. اذا شاء يخرقها الموت يدخل كل المدائن عنوة ..

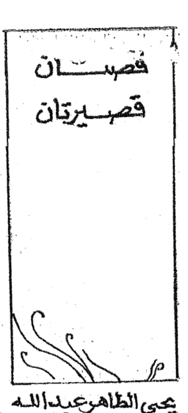
فتندب فيها الثواكل .

ويهتك هذا الرداء الشفيف الذى لبسته القبائل ..

---

٢ ـ العلاقة تبدو حميمة
بين ايقاع هذا الرنين وبين الجسد ..
في النقوش القديمة ..
انظر الرقص كيف انتشر !!

٣ ـ وقابلت شيخين ملتثمين يسيران نحو الضفاف
صحبتهما ..
حين ناما .. تفقدت ما يحملان متاعا ..
عرفتهما ..
[الجوع والفقر] كل يمد لتلك السهول ذراعا ..
يصيحان :
[أينعت الارض ..
هذا أوان القطاف !!] .



يحيى الطاهر عبد الله

الى الشاطئ الآخر



ناديته وهببت واقفا ، كانت فرحانةبه •• كنت طائرا لا أظن الا أنه أسود ، وها هو فى أحضانى بيضةدافئة ، كم هو رائع صديقى هذا ••

قال « تعال •• قم يا رجل •• ذاتيومسترفع من مقهاك هذا الكئيب على خشبة » ناولته سيجارة رفضها ، وسعلوسب البرد والدخان وكذا ليالى الصيف التى تجعل الادمى منا ينام عارياوتجعل ـ ليالى الصيف تلك ـ الفرد منا لا ينام ونافذة حجرته مغلقة ، وسألنى عنها :

قلت « هى تعرف اننى هنا ••دائما •• بهذا المقهى •• ومع ذلك تمر لاراها ـ لكن • دون أن تلتفت الى» •

وشققت صدرى ، ومن البيوت المهدمة المحترقة انتزعت قلبى وهو ينتفض ـ المسكين ـ فى كفى صغيرا ، وأسلمته له • ورآها منقوشة بالابر ـ وقال « حلوة » •• عرفتكيفتنتقى ثوبها ••وكيف تهذبشعرها ليبدو وجهها الحزين هكذا ضاحكا : عاريةالقدمين بنعلها ذاك ، القدمان أرنبان صغيران ، من ثوبها الابيض القصيرالنظيف رأيت الساقين كوبين من الخمرة باللبن ، تمسك منديلا منقوشا صغيرافى كفها الصغيرة تهصره وتخضب الكف الصغيرة المرتعشة ـ يا لوعتى ـبالدم ، ياالله كم هى قلقة ، ما أروع حزنها ذاك كانه كوبان من القهوةباللبن •، تبرق به العينان ـ من خلف نظارتها الطبية ـ كأنهماكوبان من القهوةباللبن •

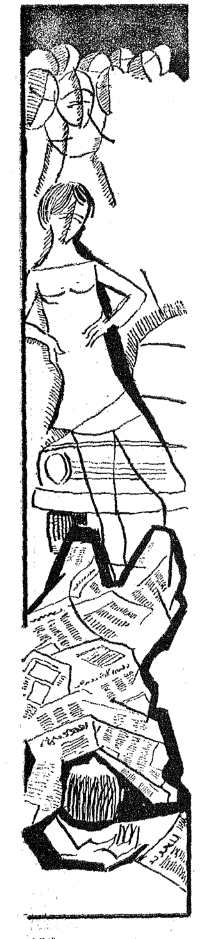
كان يتكلم هووكنت صامتاوكنت اراهامستعجلة تضرب الشارع بنعليها فيفر الارنبان ، وتقطع الطريق القصير الىمارقة من بين العربات •• حزينة ضاحكة ، ومن فتحة الصدر رأيتهما فىعشهما ، يمامتين فزعتين بزغب وبمنقارين ، وأغلقت عينى ـ أنا الذى افزعهما ـ وسمعت رفيف الاجنحة العارية من الريش •

وقال هو « الدواء الداء • وشعرتبشهيتى تتفتح للخمر واستضافنى هو •

كوبى نشعت على سطحه الخمرةالباكية قطرات من اللؤلؤ النقى ، كوبى قبضت بكفى عليه وسمعت صوت حباتاللؤلؤ وهى تتكسر وشعرت بالرعشة المشتهاة ، حركت كوبى وسمعتصوت الخمرة وهى ترتج وصوت النسغ فى عروقى وصوت قوالب الثلج الصغيرةوهى ترتطم بالزجاج •

كاسى السابعة •• ذابت قوالب الثلج الصغيرة فى كاسى السابعة » وصديقى سخى اليد والقلب •• وهى أمامى فوقىورائى هنا وهناك ، فى نيل رائق •• ما أقرب شطيه •• ما أبعد شطيه •• ياذراعيها اضربا بمجدافين •، أنتما : الفاس وساق الشجرة •• ايتها السماءفوقى يا عيونها التى تطل بالنجوم •• أرقدى يا أيتها العيون لارقد فاناجدمخموروصديقى تركنى وحدى •• وانا جد حزين •• أنا هالك سيدتى •• الطريقبعيدة والسير أتعب أقدامى •• بالطرقات تلك المدينة ذات القباب •• يالى من تعس • • يا لى من فاشل باكفان بيضاء •• هذا يوم بخمسين ألف سنةوالامس كان كذلك •• وغدا •• سيدتى ساعرج وحدى ـ انا العاشق ـ عاجزعن الفعل مؤمن كطبعى بالكلمات :

« ميم صاد راء •• السنوات ••الماء •• النار •• اللبن •• الخمر الزرع ميم صاد راء • القوارب•• الرمح الريح •• القلاع المآذن •• السهم •• الاهرامات البيوت •• ميم صاد راء •• الطفل القوس •• الحشائش •• الدم ••الحرب •• سيناء الرايات •• الحب الحب الحب » •



اليوم الأحد

(١)

كان يعبر الطريق مسرعا .. وكانت العربة أيضا تقطع الطريق مسرعة ..

(٢)

التم خلق كثير صنعوا حلقة حول الجثة والعربة « الفيات » السوداء وصاحب العربة السوداء الذى هبط وكان قصيرا ابطن لايكف عن مسح جبهته وعنقه بمنديل أبيض كوره فى كفه ...

(٣)

نادى رجل مسن يحمل بيده منشة الجمع بستر عورة الميت . بائع صحف طويل ضامر يلبس جاكتة قديمة قذرة طويلة الاكمام انحنى وفرش كمية من ورق الصحف فوق الميت ـ وعاونه فى هذا شاب له شعر غطى عنقه وكتفيه ، بينما أدارت رفيقة الشاب الشابة ظهرها كى لاترى . « قصيرة القامة قصيرة الثوب قصيرة الشعر كأنها غلام رغم ذلك فهى حلوة » بهذا القول حدث الولد زميله ـ فتململت هى وكشرت وتقدمت خطوتين وسمعته يقول لزميله « ستموت هى فجـــأة . . . وربمــــــا انـا وانت فلماذا ! ؟ » . دس صاحب « الفيات السوداء » يده فى جيبه وبيد مرتعشة قدم عشرة قروش معدنية لبائع الصحف الذى رفضها قائلا « الثواب عند الله » . جاء الذباب وعف فوق المكان . وأتت عربة هبط منها ثلاثة رجال جادون بملبس كامل حسن ، برفقتهم عسكرى وفى التو انضم اليهم عسكرى المرور . رجل من الثلاثة كان يتكلم أما الثانى فكان يكتب فى دفتر صغير والثالث كان يشير الى أماكن محددة لير سم العسكرى على الارض بالطباشير دوائر صغيرة ودوائر كبيرة وعلامات (×) .. بالتدريج كان الرجل صاحب الفيات السوداء يسترد توازنه وتخف حدة حركاته وهو يكلم الرجال الثلاثة ...

(٤)

لما أتت عـربة الاسعاف ـ انفرط العقد ، وهبط الرجال وحملوا الجثة على خشبة ـ وقلت الحلقة ، وانفض الجمع كله لما غادرت العربتان المكان ، عـربة المحققين والفيات السوداء . وغـــادر عسكرى المرور المكان لينظم حـركة المـرور المعطلة ، تلك التى تجعـل العربات تزعق وتناديه ـ ولا تكف ..

(٥)

« الضاوى » العامل بدكانة أحـذية « النجمة الزرقاء » أتى بجـردل من البلاستيك ـ وهو يتابع بعينيه عسكرى المرور الذى لم يبلغ مكانه الخشـبى بعد ـ ورش مكان الجثة بالماء وكنسه بمكنسة . وطار كثير من الذباب وسارت العربات بطيئة فمسرعة ، رتلا طويلا بكل لون .

سمير فريد

البدايات الجديدة للواقعية: «درب المهابيل»

اخراج : توفيق صالح

سيناريو : توفيق صالح ونجيب محفوظ عن قصة سينمائيـة لنجيب محفوظ

حوار عبد الحميد جودة السحار

تصوير : عبد العزيز فهمى (ابيض واسود)

تمثيل : شكرى سرحان ـ برلنتى عبد الحميد ـ عبد الغنى قمر ـ نادية السبع ـ حسب البارودى ـ توفيق الدقن ـ عبد العزيز احمد ـ رفيعة الشال ـ سعد أردش ـ شفيق نور الدين ـ احمد الجزيرى ـ

مقدمة : يعتبر توفيقَ صالح من الجيل الرابع فى السينما المصرية ، وهو جيل الخمسينات الذى يضم يوسف شاهين وكمال الشيخ وفطين عبد الوهاب . ذلك الجيل الذى بدا حياته الفنية بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ مباشرة ، أو قبلها بسنوات قليلة (*)

ويتميز توفيق صالح بوضع خاص بين أبناء جيله ، وفى تاريخ السينما المصرية ، والعربية بوجه عام . فقد استطاع طوال سبعة عشر عاما (١٩٥٥ ـ ١٩٧٢) أن يكون نموذجا فريدا على الصعيدين المصري والعربى للفنان السينمائي الملتزم بكل معنى هذه الكلمة . وكان عليه بالطبع أن يدفع ثمن هذا الالتزام .

ورغم المعارك العنيفة التى خاضها توفيق صالح ضد تجار السينما ، وموظفى مؤسسة السينما ، والنقد السينمائى المتخلف ، فقد ظل على موقفه ، وفضل أن يهاجر الى سوريا عام ١٩٧٠ على الاستسلام لما تفرضه ظروف السينما المصرية على فنانيها من تنازلات تصل أحيانا الى حد يفقد معها الفنان كل شيء ، ويتحول الى أداة في يد الرأسمالية ، أو في يد البيروقراطية .

وفى سوريا اخرج توفيق صالح فيلمه الروائى الطويل السادس « المخدوعون » الذي فاز بالجائزة الاولى في مهرجان قرطاج الرابع منافسة ، وكانت هذه الجائزة تتويجا لكفاحه الطويل من أجل سينما مصرية لها دورها في المجتمع ، ولها قيمتها بقدر ما تلبي من احتياجات هذا المجتمع .

ولد توفيق صالح عام ١٩٢٧لاسرة من البورجوازية الصغيرة ، وتخرج من كليةفيكتوريا ، ومنكلية الاداب جامعة الاسكندرية ، وفى عام ١٩٥٤ سافر الى باريس لمدة سنة شاهد خلالها الاستديوهات الفرنسية ، وعمل مساعدا للاخراج فيها ، كماشاهد العديد من الافلام الهامة التي لم يكن من الممكن مشاهدتها فى مصر ، ثم عاد ليخرج أول أفلامه « درب المهابيل » الذى عرض عام ١٩٥٥ .



وبعد درب المهابيل « لم يستطع توفيق صالح ان يعمل فى السينما أربعة سنوات كاملة ، حتي أنشأت مؤسسة دعم السينما عام ١٩٥٩ ، وفى ظل هذه المؤسسة اخرج اربعة افلام تسجيلية قصيرة هي « العرائس » ، و « نهضتنا الصناعية » عام ١٩٥٩ ، و « طريق المستقبل » ، و « اللاجئين » عام ١٩٦٠ . وبعد عامين آخرين من التوقف اخرج فيلمه الروائى الثاني « صراع الابطال » عام ١٩٦٢ ، ثم الفيلم التسجيلى القصير « القلة » عام ١٩٦٣ ـ وبعد اربع سنوات أخرى من

التوقف أخرج من انتاج القطاع العام ثلاثة أفلام على التوالى فى نحو عامين ، وهذه الافلام هى « **المتمردون** » عام ١٩٦٨ ، و « **يوميات نائب فى الارياف** » و « **زقاق السيد البلطى** » عام ١٩٦٩ .

وهكذا تعطل توفيق صالح عشرة أعوام ، فى تاريخه الفنى الذى لا يتجاوز سبعة عشر عاما ، ولكنه فى **هذه الاعوام** السبعة ، استطاع أن يقدم للسينما المصرية ، والسينما العربية ، مجموعة من أفضل الافلام الطويلة والقصيرة الملتزمة بالتعبير عن الواقع المصرى من وجهة نظر ثورية واضحة .

تتابع المشاهد

– لقطة عامة للقاهرة القديمة . حارة درب المهابيل .
الحاج مدبولى الفوال (**شفيق نور الدين**) يضع الفول فى السلة . خديجة (**برلنتى عبد الحميد**) تجذب السلة الى أعلى من النافذة .

– داخل بيت الحاج عزوز (**عبد العزيز أحمد**) نرى زوجته (**رفيعة الشال**) تغسل الملابس ، بينما تتطلع ابنته خديجة الى صورة طه (**شكرى سرحان**) .

– خديجة تصعد الى سطح المنزل حيث تلتقى بجارها طه ندرك من الحوار أنهما عاجزان عن الزواج بسبب عدم قدرتهما على شراء سرير . يبدى طه تبرما من الواقع الذى يعيش فيه .

– الام والاب يتناولان طعام الافطار . ندرك من الحوار أن الام ترفض منطق التواكل الذى يؤمن به الاب فى مواجهة مشاكل حياته .

– عم عمارة (**حسن البارودى**) يتناول طعام الافطار مع ابنه عبده (**توفيق الدقن**) العاطل عن العمل ، ويتضح بخل عم عمارة من خلال نصيحته لابنه بعدم الاسراف فى تناول الطعام ، وندرك أن زوجته قد ماتت منذ زمن .

– فى الحارة ، نرى طه يعمل فى دكان عم عمارة العجلاتى ، ويذهب الى مهنا (**عبد الغنى النجدى**) صاحب دكان الموبيليا ، ويشير الى سرير نحاس مؤكدا أن أحدا لن يشترى السرير غيره . مدبولى الفوال ، وصاحب المقهى (**أحمد الجزيرى**) يسخران من وصول سنية (**نادية السبع**) فى تاكسى وهى مخمورة .

– سنية تصعد السلم ، يلتقى بها عبده ، ويحاول ان يقبلها ، تدخل سنية الى شقتها وتلقى بالنقود الى سائق التاكسى من النافذة ، ندرك أن نافذتها تواجه نافذة شقة الحاج عزوز

– الحاج عزوز فى دكانه يتحدث مع شيخ الجامع (**سعد أردش**) ، يأتى العبيط قفة ومعه معزته عزيزة ، وحول رقبته أكواب اللبن المصنوعة من الصفيح . الجميع يعاملونه بقسوة ، فتاة تبيع أوراق اليانصيب تحاول ان تبيع ورقة سيتم السحب عليها غدا ، وقيمتها ألف جنيه . يرفض الجميع شراء الورقة ، وأخيرا يشتريها طه ويعطيها لخديجة . يرفض الحاج عزوز ان تأخذ ابنته الورقة لان اليانصيب فى نظره نوع من القمار ، فتلقى بها خديجة آسفة حيث يلتقطها صبى صغير ، ويعطيها لقفة مقابل كوبا من لبن الماعز .

– الحارة تتناول طعام الغذاء .

– الحارة فى الليل بدون كهرباء . خديجة تلتقى مع طه فوق السطح ، وعبده يذهب الى سنية ويمارس معها الجنس . رجل يغنى موال قصير فى المقهى ، نرى شيخ عجوز أعمى يعزف على العود ، وبجواره فتاة صغيرة ترشده الى الطريق .

– صباح اليوم الثانى . بائعة اليانصيب تعلن فى الحارة أن طه قد كسب « البريمو » . يهرع طه نحو خديجة سعيدا ، أما هى فتستقبله بصرخة لوعة طويلة وهو بين ذراعيها . قفة يعثر على ورقة اليانصيب ويعلن انه هو الذى كسب الالف جنيه . عم عمارة يدعى انه صاحب الورقة الحقيقى طالما انه صاحب المال الذى اشتراها طه به . طه يثور ، وتتحول المناقشات الى مشاجرة بين سكان الحارة . ويقول طه لخديجة انه لا يريد أن يراها بعد اليوم .

– شيخ الجامع يحاول ان يهدىء النفوس بعد صلاة الظهر فى المسجد ، وبعد أن يمضى الجميع يدور حوار طويل بينه وبين صديقه الحاج عزوز الذى يتساءل عن حكمة السماء فى منح قفة الالف جنيه ، وحرمانه هو منها رغم حاجته الشديدة اليها .

– أغنية جماعية فى الحارة تعبر عن احتفال السكان بفوز قفة ، يعرض عليه مدبولى الفوال المشاركة فى محل فول كبير .

– الحزن فى بيت الحاج عزوز

– فى المقهى . صاحب المقهى يعرض على قفة المشاركة فى مقهى كبير .

– قفة يسير فى الليل . يتابعه كل من طه ومدبولى ومهنا فى محاولات مختلفة لكسب وده . عبده يراقب قفة من بعيد .

– يدخل قفة كوخ الصفيح الذى يعيش فيه ، يجد عم عمارة فى انتظاره ، وبدوره يعرض عليه المشاركة فى محل كبير ، ثم يمضى ، تأتى سنية الى كوخ قفة ، وتحاول اغراءه يقتحم عبده الكوخ ويطردها . يطلب عبده من قفة أن يعطيه المال ، وعندما يرفض يضربه بعنف ، ويكاد يهدم الكوخ فوقه .

– يعلو صراخ قفة فى الحارة . يتدافع السكان لانقاذه وفى أيديهم الهراوات . يأتى رجال البوليس . يرى عم عمارة ابنه وهو يدخل شقة سنية هاربا فيدرك انه الفاعل ، ولكنه يرشد البوليس الى طه ، وبالفعل يقبضون عليه .

– عم عمارة يدخل شقة سنية ويطلب من ابنه الالف جنيه ، يرد عبده بأنه لم يعثر على المبلغ ، ولكن الاب لا يصدقه ، يتشاجران ، يدفع عبده أباه فيسقط ميتا . البوليس يقبض على عبده وسنية ، وندرك من الحوار انه اعترف بضرب قفة ايضا .

– طه فى الحارة يتجه نحو كوخ الصفيح ، وهناك يجد مدبولى ومهنا وصاحب المقهى . يتشاجرون بحثا عن المال . يتدافع سكان الحارة مرة أخرى نحو الكوخ ، وتنشب معركة كبيرة بين الجميع تنتهى بسقوط الكوخ عليهم .

– صباح اليوم الثالث . يأتى قفة الى الحارة ، ونراه من بعيد والضمادات تكاد تخفى وجهه . يجد معزته عزيزة بين الحطام . يمد يده فى طيات الخرق المهلهلة فوق ظهر المعزة ويطمئن على وجود الالف جنيه . يأخذ المعزة جانبا ، وينام على قارعة الطريق . شيخ الجامع يعلن طه أن الحاج عزوز قد دبر تكاليف زواجه من خديجة . مجموعة من المعيز تعبر الحارة فتسير وراءهم معزة قفة . المعيز تأكل الالف جنيه . طه وخديجة أمام السرير يحلمان بالمستقبل .

عن الفيلم :

اذا كان فيلم « العزيمة » الذى أخرجه **كمال سليم** عام ١٩٣٩ هو فجر الواقعية فى السينما المصرية ، فان « **درب المهابيل** » الذى اخرجه توفيق صالح عام ١٩٥٥ هو بداية وصول هذه الواقعية الى مرحلة النضج الكامل التى تمثلت فيما بعد فى أفلام توفيق صالح (**صراع الابطال** ١٩٦٢) . والعديد من أفلام **صلاح أبو سيف** (**الفتوة** ١٩٥٧ – **بداية ونهاية** ١٩٦٠) ، **ويوسف شاهين** (**الارض** ١٩٧٠) ، وبعض أفلام **بركات** (**دعاء الكروان** ١٩٥٩ – **الحرام** ١٩٦٥) الى جانب عدد من الافلام المصرية المعاصرة الاخرى .

فى « درب المهابيل » لم تعد الواقعية هى تصوير الواقع بغض النظر عن الموقف الذى يتخذه الفنان من هذا الواقع كما هو الحال فى « العزيمة » حيث يعبر كمال سليم عن الفكر التوفيقى للبورجوازية المصرية ، وانما اتخذت مفهومها الصحيح كتعبير عن موقف اجتماعى من الواقع . ولاشك أن الادباء قد لعبوا دورا هاما فى الوصول بالواقعية فى السينما المصرية – ويمكن أيضا أن نقول السينما العربية – الى هذه المرحلة ، فالى جانب أن « **دعاء الكروان** » عن رواية لطه حسين ، و « **بداية ونهاية** » عن رواية لنجيب محفوظ ، و « **الحرام** » عن رواية ليوسف ادريس ، و « **الارض** » عن رواية لعبد الرحمن الشرقاوى فقد كتب سيناريو الفيلم الاول **يوسف جوهر** ، والثانى **صلاح عزالدين** ، والثالث سعد **الدين وهبه** ، **والرابع حسن فؤاد** ، وجميعهم **أيضا من الادباء** . كما أن « الفتوة » عن قصة سينمائية لنجيب محفوظ الذى اشترك فى كتابة السيناريو ، و « صراع الابطال » عن قصة سينمائية

ليوسف ادريس الذى اشترك ايضا فى كتابة السيناريو ، وهما مع الشرقاوى يعتبران أهم الكتاب الواقعيين فى الرواية المصرية الحديثة . بل ان « درب المهابيل » أيضا عن قصة سينمائية لنجيب محفوظ ، ومن سيناريو اشترك فى كتابته ، وكتب له الحوار الاديب عبد الحميد جوده السحار . لقد ظلت السينما المصرية حتى مومياء شادى عبد السلام سينما أدبية .

ومن ناحية أخرى فقد كان من العوامل التى أدت الى تطور الواقعية فى السينما المصرية أفلام الواقعية الجديدة الايطالية التى عرضت فى مصر بعد الحرب ، والتى شاهدها صلاح أبو سيف فى روما أثناء انتاج الفيلم المصرى الايطالى المشترك « الصقر » عام ١٩٥١ ، وتوفيق صالح أثناء دراسته فى باريس عام ١٩٥٤ . وازدهار حركة الثقافة الوطنية فى منتصف الخمسينيات ، وخاصة بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ وما صاحب ذلك من ازدهار للواقعية فى الرواية والقصة والمسرح . وبروز الاتجاه الواقعى فى النقد الادبى ، والى حد ما فى النقد الدرامى . ولعل أهم المعبرين عن هذا الاتجاه فى النقد السينمائى كامل التلمسانى فى كتابيه عن السينما الامريكية وعن شارل شابلن ، وسعد نديم وكامل يوسف فى مقالاتهما النقدية بجريدة المساء ، وان لم يكن للنقد السينمائى تأثير كبير لعدم تفرغ هؤلاء أو غيرهم له ، ولتخلف الصحافة المصرية اليومية فى مفهومها للسينما الذى جعل نقد الافلام موضوع من لا موضوع لديه .

وقد لجأ توفيق صالح ونجيب محفوظ فى سيناريو « درب المهابيل » الى أسلوب « الاوتشرك » ، وهو مصطلح روسى وصف به البناء الدرامى لمسرحية « الحضيض » لمكسيم جوركى . ويعنى البناء الذى يقدم شريحة من الواقع تعتمد على خلق النماذج المعبرة من حركة هذا الواقع دون الاعتماد على التطور الدرامى الكلاسيكى . وكان فيلم « درب المهابيل » أول فيلم مصرى يتخذ هذا الاسلوب ، بقدر ما كانت مسرحية « الناس اللى تحت » ، والتى ظهرت فى نفس الفترة أول مسرحية مصرية تتخذه . ان « درب المهابيل » هو « الحضيض » المصرى . ولا غرابة اذا كان نعمان عاشور قد تأثر بهذه المسرحية فى عمله الرائد ، ولا غرابة أن نجد كامل التلمسانى يختتم أفلامه العشرة بفيلم « الناس اللى تحت » عام ١٩٦٠ . وقد كان كامل التلمسانى فى فيلمه الاول « السوق السوداء » الذى صوره عام ١٩٤٣ ، وعرض عام ١٩٤٥ أول مخرج مصرى يعبر عن المفهوم الصحيح للواقعية ، ولكن ظروف السينما المصرية بعد الحرب العالمية الثانية لم تمكن الواقعية من التطور والنمو ، حيث سادت الميلودراما البورجوازية ، وأصبح انتاج الافلام التجارة الثانية فى وقت ما .

وعلى الرغم من النزعة الطليعية فى البناء الدرامى لفيلم « درب المهابيل » الا أنه يحافظ على وحدتى الزمان والمكان على نحو كلاسيكى كامل . تماما كما هو الحال فى فيلم « المومياء » مثلا مع اختلاف الرؤية والاسلوب ، فأحداث الفيلم تقع فى دورتى شمس ، وكلها تقع فى مكان واحد هو درب المهابيل . والمحافظة على هاتين الوحدتين لا تعيب هذا الفيلم أو ذاك طالما لا تضفى عليهما طابعا ميلودراميا ، ولا ترتبط موقفهما الفكرى من العالم كما كان الامر فى المسرح اليونانى القديم ، وفى المسرح الكلاسيكى الى حد ما .

يبدأ « درب المهابيل » بلقطة عامة للقاهرة القديمة، ثم لقطة أخرى للحارة التى ستدور فيها الاحداث ، وهى درب المهابيل . واختيار القاهرة القديمة ملعبا لاحداث الفيلم يرتبط بموضوعه ارتباطا عضويا ، ففى هذه المنطقة من العاصمة المصرية توجد أقدم وأفقر الاحياء الشعبية . وهى فى نفس الوقت الاحياء التى نشأت فيها البورجوازية الصغيرة ، وتعيش فيها الى اليوم . وتسيطر عليها مفاهيم تلك الطبقة للحياة والدين والعالم .

ومنذ المشهد الاول يحدد توفيق صالح موضوعه ، كما يحدد أطراف الصراع الذى يعبر به عن هذا الموضوع . وبالطبع يحدد أيضا أسلوبه فى تناول هذا الموضوع . اننا داخل شقة الحاج عزوز التاجر البسيط الذى يعيش مع زوجته وابنته . ومن خلال الديكور والملابس والسلوك العام لهذه الشخصيات ندرك الى أى مدى هم فقراء ، بل انهم يعيشون على حافة الجوع . ويبدو ذلك واضحا من خلال لقاء الفتاة بجارهم العامل البسيط فوق سطح المنزل . فهما متحابان وقد اتفقا على الزواج ، ولكنهما لا يملكان ثمن السرير الذى سيناما عليه .

أما الاب فيؤمن أن فقره من قضاء الله ، ولا مفر من قضاء الله . لكن زوجته ترفض هذا المنطق ، وتعارضه بشدة . وعلى حين تأمل الفتاة فى المستقبل ، يبدو خطيبها متبرما الى أقصى الحدود ، ولكنه لا يدرى ماذا يفعل . وموقف الام هنا تعبير صادق عن موقف الام المصرية فى الاحياء الشعبية .

ومن ناحية أخرى نرى صاحب محل المجلات الارمل البخيل الذى يعيش مع ابنه العاطل . ومع بدء يوم جديد فى حياة الحارة نرى الانماط المختلفة التى تعيش فيها : بائع الاثاث القديم وبائع الفول وهو غذاء الصباح الرئيسى ، وربما غذاء الظهر والمساء أيضا عند البعض ، وصاحب المقهى ، وشيخ الجامع ، ثم العاهرة التى تعود مخمورة فى الصباح ، وأخيرا قفة ، المهبول الذى يجر وراءه المعزة عزيزة ، ويعيش على بيع لبنها فى أكواب من الصفيح تحوط صدره ، وتتدلى من رقبته .

ومن خلال ورقة يانصيب جائزتها الف جنيه يبدأ الصراع الذى يكشف به توفيق صالح عن رؤيته . فى البداية يرفض الجميع شراء الورقة حتى محترف اليانصيب بائع الفول . اما ايمانا بالاسلام الذى يعلى من قيمة العمل ، واما يأسا من الفوز ، أو كلاهما معا . ولكن طه الذى ينتظر شراء السرير حتى يتزوج من حبيبته خديجة يقترض خمسة قروش من عم عمارة صاحب المحل الذى يعمل فيه ، ويشترى الورقة . ويعطى طه الورقة لخديجة ، ولكن والدها يأمرها أن تلقى بها على الارض . وتستقر الورقة بين اوراق كثيرة عند قفة مقابل كوب من لبن الماعز للصبى الذى التقط الورقة .

وبعد الغذاء ، ونوم القيلولة ، تهدأ الحارة مع هبوط الليل . وفى الظلام حيث لم تصل الكهرباء بعد الى الحارة يلتقى طه بخديجة فوق السطح ، ويذهب عبده ابن عم عمارة العاطل الى شقة العاهرة سنية ويمارس معها الجنس . وفى المقهى يغنى أحدهم موالا ، ونرى عازف العود الاعمى الذى ترشده ابنته الصغيرة ، وكلاهما أيضا من أنماط الليل فى الحارة المصرية .

وفى صباح اليوم التالى تعلن بائعة اليانصيب فوز ورقة الالف جنيه ، وهنا تنقلب الحارة رأسا على عقب ، ويكشف توفيق صالح عن التناقضات العنيفة التى تحياها البورجوازية المصرية الصغيرة . انهم الان وبسبب من الفقر بالطبع ، وبعد أن كانوا يتقاعسون فى رفض شراء الورقة ، يتشاجرون من أجل الحصول عليها . هذا يعتقد أنه صاحبها لانه الذى اشتراها ، وذاك لانه الذى دفع الثمن ، وثالث لانه الذى يمتلك الورقة . أما التجار الصغار فكلهم يدافع عن حق قفة ، ويعرضون عليه المشاركة فى محل كبير فى نفس الوقت ، أو بالاحرى يريدون استغلال سذاجته . حتى العاهرة تحاول هى الاخرى أن تمارس الجنس مع قفة رغم دمامته .

ومع هبوط الليل مرة ثانية يصل الصراع الى ذروته بقتل الابن لابيه ، اذ يدفع عبده والده الذى ظن ان ابنه قد سرق الالف جنيه من قفة ، فيسقط الرجل ميتا فى شقة العاهرة ، ويقبض البوليس على عبده وعشيقته . وفى كوخ قفة المصنوع من الصفيح والخشب القديم تدور معركة عنيفة بين طه وتجار الحارة ، ويتدافع كل السكان نحو الكوخ ، وفى النهاية يتصدع الكوخ ويسقط عليهم جميعا .

وفى مشهد النهاية الذى يدور فى صباح اليوم الثالث يستجمع توفيق صالح كل طاقات الامل فى الانسان ، ويعبر عن موقف ثورى شجاع عندما يصور الماعز وهى تأكل الالف جنيه التى وضعها قفة بين طيات ملابسها . وتكون اللقطة الاخيرة طه وخديجة يتطلعان الى السرير الذى يحلمان به عند بائع الاثاث بعد أن أخبرهما شيخ الجامع أن الحاج عزوز قد تمكن من توفير المال اللازم لشراء السرير . وبهذا الرفض القاطع للفكر الغيبى كان « درب المهابيل » بداية جديدة للواقعية فى السينما المصرية .



٥٠ عاما على وفاة سيد درويش

محمود كامل

لماذا لقب سيد درويش ، بفنان الشعب ؟

سؤال كثيرا ما يتردد فى المحافل الادبية والفكرية ، وفى المجتمعات • والحق ان سيد درويش لم يحظ بهذا اللقب جزافا وانما خلعه عليه الشعب لانه الفنان الذى احس به فاعطاه كل ما يمكن أن يعطيه فنان لجماهيره ، ومنحه كل ما يستطيع أن يهديه فنان لفئات الشعب المختلفة •

كان الفناء قبل سيد درويش ، محصورا فى القصور وبين جدران بيوت الاثرياء ودوائر الاغنياء ، فنقله سيد درويش الى القاعدة العريضة للشعب •• الى الشارع •

واخذ سيد درويش من الشعب وأعطاه ، استلهم الحانه الجماعية من أفواه الناس ، من نداءات الباعة الجائلين فى الازقة والشوارع واحس سيد درويش بما كان يعانيه الشعب من جور وعنت ، وما كان يعتمل فى جوانحه من مشاعر الظلم والطغيان ، فعايشه وامتزج به ، وعبر عنه أصدق تعبير •

ولم يولد سيد درويش ، وفى فمه ملعقة من فضة أو ذهب بل عانى أشد المعاناة ، فى طفولته وفى صباه وفى شبابه بل وفى أخريات أيامه • وقد استمد اتجاهاته الفنية من الاحداث التى تعرض لها فى حياته ، اذ دعته ظروفه الى ممارسة بعض الحرف والمهن الصغيرة لكى يعول أمـــه وشقيقته بعد وفاة والده وهو صغير •

ولما وقف على قدميه كفنان ، اتجه بكليته الى قضايا المجتمع ، فكان صوت الشعب ولسان حاله ••

فقد غنى سيد درويش للصنايعية فى لحن :

الحلوة دى قامت تعـــجن فى البـــدرية
والديك بيـــدن كو كو كو فى الفجرية
يالله بنـــــا على باب الله يا صنايعيه
يجمل صباحك صباح الخـــير يا اسطى عطيه

وغنى للسقايين[١] فى لحن :

يعـــــــون الله   يعـــــــوض الله
ع الســـــــقايين   دول شـــــــقيانين
منغـــــــرتين   م السكوبانيـــــــة
خواجاتهـــــا جونا   حيطفشـــــونا
ليـــــه بيرازونـــا   دى صـــنعت ابونا
متسبرونا يا خلايق
عمـــلوها لينـــــا   طيب رضـــــينا
ما ينفعــــــونا   و يلــــــزقونا
ويشغلونا يا اخـــوانا
اشــــــمعنى يعنى   يساولـــــو ويــــنى
ياكلـــــوا المـــــنية   وياخـــدوا المـــاهية
م الكوبانية علاوله
وابن البـلد دى يطفح الدردى وما يتعـدلشى
يمكن ما يطولشى يتعشى طرشى ويعـــوض الله
يهون الله

وغنى سيد درويش للمربجية[٢] فى لحن :

اوعى يمينـــك اوعى شمالك
اوعى الازمـــة توقف حـــالك
اوعى وشـــك اوعى ضهرك
اوعى فوقـــك اوعى تحتـك
اوعى الكوكاكيين يلحس مخك
اوعى الجوزة تطير عقـــلك

ونادى بالاتحاد فى لحن [السكارة(٣)] :

ما قلتلـــكش ان الســـكترة
لا بد يــوم تغـــلب الشجاعة
واديك رايت كـــلام الامـــرا
طلع تمـــام ولا فيهش لواعــه

---

[١] هذا اللحن من رواية [ولو] لفرقة الريحانى تاليف بديع خيرى •
[٢] هذا اللحن من أوبريت [اش] لفرقة نجيب الريحانى •
[٣] هذا اللحن من أوبريت [رن] لفرقة نجيب الريحانى •

قيرش اللى كان هالك ابدانا
وطلع النجيل على عينا
ان نهمى يسكره حنسا
وايش دخل دنيانا بس فى دينا
دخل بناتنا اللى موقعنسا
فى بعضنا وراح لك متصدر
فتسنا لعبته واتجمعنا
ليضيع شرقنا الله لا يقدر
وكان على اللى اديتله الدنيا
واللى بقساله شركة ومتاعه
تشوفنا احنا تقول حنفيه
ونشوفه هوه تقول بلاعه

ودافع عن طائفة الموظفين مطالبا بحقوقهم فى هذا اللحن :

هز الهلال يا سيد   كراماتك لاجل نعيد
يغنى اللى خصل   كسام بوم ووصل

بقى زرع بصل

هديت واهو راق الحال   ورجعنا للاشغال

دا الموظف منا مش وش خناق ولا شومه
لما يحمر عينه والا بقوم له قومه
حد الله ما بينا وبينك   غير حب الوطن يا حكومة

وغنى للشيالين فى هذا اللحن[٤] :

شد الحزام على وسطك غيره ما يفيدك
لا بد عن يوم برضه يعدلها سيدك
ان كان شيل الحمول على ضهرك بيكيدك
أهون عليك يا حسر من مدة ايدك
ما تيالّلا بينا ويا
ونستعان ع الشقا بالله
واهو اللى فيه القسمة طلناه
واللى ما فيهش ان شاالله ما جاه
ما دام بتلقى عيش وغموس
يهمك ايه تفضل موحوس
ما تحط راسك بين الرؤوس
لا تقول لى لا خيار ولا ناقوس

الحانه الوطنية

وانفعل سيد درويش باحداث ثورة ١٩١٩ ، وتجاوب معها ، فشارك باناشيده الوطنية والحانه الثورية ، التى الهبت حماس الشعب ، وكانت عاملا من عوامل اذكاء الروح الوطنية ، نقدم من كلمات الشاعر بديع خيرى :

قوم يا مصرى مصر دايما بتناديك
خد بنصرى نصرى دين واجب عليك
يوم ما سعدى راح هدر قدام عنيك
عدلى مجدى اللى ضيعته بايديك
شوف جدودك فى قبورهم ليل نهار
من جمودك كل عضمة بتستجار
صون آثارك ياللى ضيعت الاثار
دول فاتولك مجد خونو لك شعار

شفت اى بلاد يا مصرى فى الجمال
تيجى زى بلادك اللى ترابها مال

تولها جاى السعد منه حلال زلال
كل حى يفوز برزقه عيشته عال
يوم مبارك تم لك فيه السعود
حب جارك قبل ما تحب الوجود
ايه نصارى ومسلمين قال ايه وجنود
دى العبارة نسل واحد م الجدود

ليه يا مصرى كل احوالك عجب
تشتكى فقرك وانت ماشى فوق دهب
مصر جنة طول ما فيها انت يا نيل
عمر ابنك لا يعيش ابدا ذليل
حب ارضك اتخلق فى دمنا
واللى غرضك ينكره مش منا
تحت رايتك كل شر يكون زلال
نفنى احنا قبل ما يفنى الهلال

وحفلت أوبريت [شهر زاد(٥)] بأربعة ألحان وطنية :

انا المصرى كريم العنصرين
بنيت المجد بين الاهرمين
جدودى انشأوا العلم العجيب
ومجرى النيل فى الوادى الخصيب
لهم فى الدنيا آلاف السنين
ويفنى الكون وهم موجودين
وأقول لك ع اللى خلانى
أفوت أهلى واوطانى
حبيت أوهب له روحى
لغيره لا أميل تانى

ولحن [اليوم يومك يا جنود]

اليوم يومك يا جنود   ما تجعليش للروح تمن
يوم المدافع والبارود   مالكيش غيره فى الزمن
هيا اظهرى عزم الاسود   فى وجه أعداء الوطن
عار على الجندى الجحود   الا اذا لفه الكفن

ولحن [أحسن جيوش فى الامم جيوشنا]
ولحن [دقت طبول الحرب]
ولحن [الجيش رجع]

واستهل اوبريت [الهلال(٦)] بهذا اللحن :

احنا الجنود زى الاسود   نموت ولا نبيعش الوطن
بالروح نجود بالسيف نسود   على العدا طول الزمن
الحرب دينا وطبعنا   والسيف أبونا وامنا
نحفظ كرامة شعبنا   بعمرنا وبدمنا
صوت السلاح يوم الكفاح   فى عرقنا فى سمعنا حلو النغم
لازم نعيش طول عمرنا   فى ارضنا احرار ورافعين العلم

ومن اناشيده الوطنية ، هذا النشيد القومى لامير الشعراء احمد شوقى :

بنى مصر مكانكموا تهيا
فهيا شيدوا الملك هيا

---

[٤] هذا اللحن من أوبريت [قولوله] لفرقة نجيب الريحانى .
[٥] قدمتها فرقة سيد درويش الخاصة وهى من تاليف محمود بيرم التونسى
[٦] قدمت هذه الاوبريت فرقة على الكسار .

خذوا شمس النهار له حليا
ألم تك تاج أولكم مليا

وطالب بحقوق المرأة في لحن [بنت مصر(٧)] :

دا وقتك دا يومك   يا بنت اليوم
قومي اصحى من نومك   بزياداكى نوم
وطالبى بحقوقك   واخلصى م اللوم

ليه ما نكونشى زي الغربية
ونجاهد فى حياتنا بحرية

شطاره شاطرين   قداره قادرين
سين فى دردحتنا   وخفتنا دى سين

ليه جوزى يتعب تملى
ليه يشقى وانا قاعدة ف محلى
اتعاون فى حياتى وحياته
وتروق له المعيشة وتروق لى
اشمعنا فى أوربا الستات
لهم صوت فى الانتخابات
احنا كمان لازم نفوقهم
هنا فى بلادنا ونبقى فوقهم
المصرية من نشأتها
ما فيش زيها ست فى بيتها
ان كان فى محبة بلادها
أو فى تربية أولادها

وعندما أعلن عن نبأ عودة الزعيم سعد زغلول من منفاه الى ارض الوطن ، عزم سيد درويش على المشاركة فى هذه المناسبة فصاغ هذا النشيد نظما ولحنا :

مصرنا وطننا سعدها املنا
كلنا جميعا للوطن ضحية
أجمعت قلوبنا هلالنا وصليبنا
أن تعيش مصر عيشة هنية

عزك حياتنا   ذلك مماتنا
يا مصر بسعدك   مالناش سعادة
لولا اعتقادنا   بوجود الهنا
كنا عبدنا   النيل عبادة

حبك كفاية   مالوش نهاية
كله مزايا   من فضل ربى
مهما أسينا   مكتوب علينا
موت المجاهد   من غير ذنب

روحنا فداك   مالناش سواك
ربك معاك   فى كل ساعة
و باتحادنا   نبلغ مرادنا
وبيد الله   مع الجماعة

احنا غايتنا   نرفع رايتنا
احرار خلقنا   نأبى المذلة
يا عيشنا سعدا   يا مفنا شهدا
لتحيا امة   مستقلة

ويتردد بين حين وآخر ، راى يقول اصحابه ان سيد درويش اخذ اكثر من حقه بالنسبة لحجمه الطبيعى ، والواقع أن سيد درويش لم ينل حقه الحقيقي ؟ ولم يزل في حاجة الى مزيد من الاهتمام والعناية • فان اطلاق اسمه على شارع او اكثر وعلى مسرح او قاعة ، او الاحتفال بذكرى وفاته او مولده وتقديم نماذج من اعماله ، ليس هذا بالشيء الكثير على فنان خدم فنه بصدق وايمان واحدث ثورة فى الموسيقى ، وخلف لنا هذه الكنوز الفنية الاصيلة التى تفخر بها الاجيال وتتيه بها المكتبة الموسيقية العربية •

بل اننا نعتبر انفسنا مقصرين فى حق سيد درويش ؟ فاننا اذا استعرضنا انتاجه نجد ان الجيل الجديد لا يدرى عنه الا النذر اليسير ، فقد لحن سيد درويش نحو عشرين موشحا لم يصل منها الى آذان المستمعين غير موشحين اثنين هما :

[يا شادى الالحان] و [منيتى عز اصطبارى] •

ولحن عشرة أدوار غنائية لم يتردد منها سوى دور واحد يتيم هو [أنا عويت وانتهيت] •

ولحن أكثر من ستين طقطوقه ، لم يعرف منها الجمهور اكثر من اثنتن هما (زورونى كل سنة مرة] و (خفيف الروح بيتعاجب] •

وبلغ ما قدمه للمسرح الغنائى ما يربو على المشرين عملا بين أوبريت واستعراض وأوبرا ، لم يكتب لغير ثلاثة منها الظهور ، وهى [العشرة الطيبة وشهر زاد والبروكه] •

أما باقى انتاج سيد درويش فانه لم ينتشر ولم يستمتع الشعب بما يحمله من الوان الابداع الجمالى والاعجاز الفنى

ولم يتيسر حتى الان ، جمع انتاج سيد درويش كله ، رغم الجهود المشكورة التى تبذلها جمعية أصدقاء سيد درويش والمجلس الاعلى للفنون والاداب والادارة الثقافية بهذا المسرح واللجنة الموسيقية العليا ومعهد الموسيقى العربية • فان هناك الحانا مجهولة ، من موشحات وطقاطيق والحان مسرحية • بل ان أول مسرحية لسيد درويش وهى [الشيخ وبنات الكهرباء] التى قدمتها فرقة عمر وصفى بسينما متروبول عام ١٩١٧ ، لا يعلم أحد عن أمر ألحانها شيئا •

ولا شك ان من حق سيد درويش علينا ، ان نبحث عن أصل هذا الانتاج ، نصا ولحنا ، ونضع أيدينا عليه قبل أن تفقد معالمه • كما أن هناك ظاهرة ينبغي الاشارة اليها وهي ان أكثر ما لحنه وغناه سيد درويش وخاصة فيما يتصل بالادوار والطقاطيق لا ندري على وجه التحديد ، من هم مؤلفو كلماتها •

فهناك من يقول ، ان بعض أصدقاء سيد درويش ومريديه من امثال الشيخ أحمد ابو على الذي كان أمينا لمكتبة الاسكندرية والشيخ ابراهيم خليل وموسى محمود المحامى والد الفنان محمود مرسى ، هم الذين كانوا ينظمون أدواره •

وهناك من يقول أن سيد درويش نفسه هو الذى كان يكتب هذه الادوار والطقاطيق ، تعبيرا عن انفعالات خاصة ومواقف معينة •

كما أن نشيد [بلادى بلادى ، لك حبى وفؤادى] ينسب الي ثلاثة مؤلفين ، هم سيد درويش وبديع خيرى والشيخ محمد يونس القاضى •

ويقتضينا الانصاف ، أن نقف على حقيقة الامور ، وذلك يبذل الجهود لتقصى الحقائق خدمة للفن ، وخدمة لسيددرويش

---

[٧] هذا اللحن من اوبريت [الانتخابات] لفرقة على الكسار ، وتوفى سيد درويش بعد ان انتهى من وضع ثلاثة الحان من هذه الرواية ، واتم الحانها ابراهيم فوزى •

حـــول مؤتمـــر الفلســـفة العـــالمى

■ فارنا : لمندوب الطليعة :

عقد فى فارنا [بلغاريا] من ١٧ الى ٢٢ سبتمبر الماضى المؤتمر العالمى للفلسفة • وهو المؤتمر الخامس عشر للاتحاد العالمى للجمعيات الفلسفية • وكان آخر مؤتمر للفلسفة قد عقد عام ١٩٦٨ فى المكسيك •

ومن المعروف أن الاتحاد العالمى للجمعيات الفلسفية يعقد مؤتمره الدورى كل أربع سنوات •

ولقد أتيح لمندوب الطليعة أن يتابع عن قرب التنظيم الدقيق لاعمال هذا المؤتمر الذى وصفه المراقبون بأنه يعد من أخطر الاحداث الفكرية فى القرن العشرين ، وأهم مؤتمر عقد للفلسفة حتى الآن •

وترجع أهمية هذه الدورة الى أكثر من سبب فى مقدمتها :

● ان الموضوع الذى طرح على المؤتمر هو :
« العلم والتكنولوجيا والانسان »

● وأنه قد شارك فى المؤتمر عدد هـائل ـ يقرب من الالفين ـ من كبار الفلاسفة وأساتذة الفلسفة ومن المهتمين بالدراسات الفلسفية فى الغرب والشرق على السواء •

● وأنه قـد مثلت فى المؤتمر جميع المدارس الفلسفية بدون استثناء ، وذلك على تنوعها وتعددها وتناقض منطلقاتها وتعارض مبادئها •

● وانه أول مؤتمر للفلسفة يشارك فيه ممثلون عن بلدان العالم الثالث •

● وان المؤتمر قد تم عقده فى اطار من الانفراج الـدولى العام •

وعلى الرغم من أن اعمال المؤتمر قد انتهت عمليا يوم ٢٤ سبتمبر الماضى ، وهو التاريخ الذى تصبح فيه « الطليعة » ماثلة للطبع ، الا أن الطليعة تعد قراءها ـ مع ذلك ـ بأن تقدم لهم فى أعدادها القادمة صورة حية عن هذا المؤتمر ، وعن المناقشات الخصبة والجادة التى دارت فيه •

واذا جاز لنا أن نختتم هذه الرسالة القصيرة بشىء فان أول ما يقال ، هو أنه على الرغم من الاهمية الكبيرة للمؤتمر وللموضوعات التى نوقشت فيه ، فان المرء لا يكاد ـ للاسف ـ يجد له أى صدى فى بلادنا ، بل ان أساتذة الفلسفة فى بلادنا لم يذهبوا اليه أو يساهموا فى أعماله ، على أية صورة من الصور • وانحصر وجود مصر هناك فى استاذ مصرى للفلسفة [هو د• مراد وهبة] ثم فى مراقب مصرى ، وكلاهما ذهب الى هناك بصفته الشخصية •• ولنا عودة الى هـذا الموضوع فى عدد قادم •





● خصصت مجلة عالم الفكر — التى تصدر عن الكويت — عددها الاخير [يوليو ؛ اغسطس ؛ سبتمبر ٧٣] لدراسة موضوع واحد هو الشعر العالمى المعاصر . وقد ضم العدد أربع دراسات رئيسية : كتبت الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسى عن « الشعر العربى : تطوره ومستقبله » ، وكتب الدكتور عادل سلامه عن « اتجاهات الشعر الانجليزى والامريكى المعاصر » ، وكتب الدكتور عبد الغفار مكاوى عن « الشعر الالمانى فى القرن العشرين » ، ثم كتب الدكتور محمود على مكى عن « الشعر الاسبانى المعاصر فى اسبانيا وامريكا اللاتينية » .

كذلك نشرت المجلة موضوعين ثانويين : احدهما عن الشعر اليابانى الحديث ، والثانى عن الشاعر الانجليزى وليم تبلر يتيس .

وفى نهاية تقديمها لهذا العدد الخاص تعتذر « عالم الفكر » : «ولا نستطيع أن نقول ان البحوث التى يقدمها العدد تحيط بكل اتجاهات الشعر فى العالم ، فقد قصر المكان عن ادراج دراسات عن الشعر الروسى والشعر الفرنسى المعاصر ، كما أن اغفال الشعر الافريقى — وقد برز فى أفريقيا شاعر مثل سنجور — أو اليونان — وفيها جورج سفاريس ، او الهند التى اخرجت طاغور ، أو باكستان بلد اقبال ، أو الشعر الصينى الذى يمر بفترة ازدهار جديرة بالتسجيل ، كل هذا يحتاج بالفعل الى دراسات وافية ، نأمل أن تقدمها المجلة فى أعداد مقبلة » .

وقد تميزت الدراسات الرئيسية الاربع بمدى الجهد المبذول فى متابعة موضوعاتها « وترجمة النماذج » ، وان اختلفت بعد ذلك فى منهجها ومداها ، وان يتسع المجال لعرض هذه الدراسات عرضا تفصيليا وافيا . يكفى أن نقف عند بعض أفكارها الاساسية :

● اختار الدكتور عادل سلامة ان يبدأ دراسته بالقاء نظرة عامة على ثقافة العصر وصورته المركبة ، نتيجة تطور العلوم الطبيعية والتقدم فى وسائل الاتصال ، وانعكاس هذا كله فى الادب الذى أنتجه العصر

● والشاعر الامريكى ولاس ستيفنس هو ابن هذا العصر ، وليس له بالتالى ان يكون شاعرا جماليا منفصلا عن الواقع ، مستغرقا فى الصياغات اللفظية » « انما الامر كما يبدو أن الواقع يفرض نفسه على قدرات الشاعر فيفصله عن ماضيه ومستقبله فى غمرة الاحداث المعاصرة التى تستحوذ عليه وتشكل رؤياه . وفى شعر ولاس ستيفنس مايشير الى أن ادراك الواقع يكون أوضح لدى الرجل الذى فرغ عقله من آثار الماضى وأحلام المستقبل ، ليتقبل اللحظة الراهنة كما هى دون رتوش ، دون اضافات من خبرات الاجيال السابقة وميثولوجياتها ومعتقداتها ، ودون آمال أو أحلام مستقبلية قد تراود العقل المكتنز بالمعلومات » .

● اما ت . س . اليوت فقد رفض فلسفات العصر المادية رفضا تاما ، واعتصم بحبل الكاثوليكية ، واعلن صراحة أنه « كلاسيكى فى الادب ، ملكى فى السياسة ، كاثوليكى فى الدين » ، انما الكاثوليكية عنده ليست طقوسا وشعائر ، بل دعوة الى تجاوز الحدود القومية نحو خلق مجتمع انسانى دينى مترابط ، واهتمام بنقاء الروح ومسراها فى العالم الاخر .. « من هنا كانت محاولات اليوت لخلق لغة جديدة للشعر ، تجتاز الحواجز الاقليمية من ناحية ، وتحاول أن تذلل العقبات فى سبيل الدلالة على المفاهيم الروحية والكونية التى يحاول الشاعر تقصيها من الناحية الاخرى . وبعد أن يعرض الباحث بالتحليل لقصيدة اليوت المشهورة « الارض الموات » يدعو الى اعادة دراستها فى ضوء ما توفر من معلومات عن حياة الشاعر الخاصة ، وأثرها فى تكوين القصيدة .

— النموذج الثالث الذى يقدمه الباحث يؤدى الى الجيل التالى لولاس ستيفنس واليوت ، وهو الشاعر المعاصر وستان أودن : بدأ أودن شاعرا ملتزما ، واشترك مع صحبه ستيفن سبندر ولوى ماكنيس وداى لويس فى الدعوة للسلام والاصلاح ، وشاركوا جميعا فى الحرب

الاهلية الاسبانية تعبيرا عن سخطهم واحتجاجهم ، وشعر اودن فى هذه المرحلة بقيد سياسى واجتماعى من اتجاه يرى انجلترا بلدا يعانى من العصاب . يشيع فى أرجائه الجوع والبطالة ، وتحيق بالناس نذر الموت من كل مكان . ... وظل أودن مؤمنا بقيمة الفن كعامل أساسى محرك للحضارة ، لكن تغيرا طرا على فهمه لمعنى الالتزام » وهو تغير نتج عن نضج نظرته الفلسفية واتساع دائرة خبرته وشمولها ، ... ويلاحظ أن أودن بدأ مع نهاية الثلاثينات فى التحول عن الموقف الماركسى الراديكالى متجها نحو الدين ، .. ثم انتهى به الامر بعد الحرب العالمية الثانية الى تحول يكاد يكون شاملا نحو الموقف المسيحى الذى يبلغ احيانا حد التصوف » .

— بعد هؤلاء الشعراء العمالقة يمكن تبين اتجاهين متضادين سادا الشعر فى انجلترا وامريكا منذ الثلاثينات ، « ورغم أن هذين الاتجاهين مختلفان جد الاختلاف ونابعان من أصول فلسفية متناقضة ، الا انهما مشيا متلازمين ومتوازيين لم يخفت احدهما صوت الاخر » . احد هذين الاتجاهين يقدم المضمون الفكرى للقصيدة على كل شىء ، ويخضع بناءها اللغوى لهذا المضمون ، رائدا هذه المدرسة هما وليام امبسون فى انجلترا و ا.ا. كمنز فى امريكا . أما الاتجاه الاخر فيهتم اساسا بالمضمون العاطفى للقصيدة ، ويرى القصيدة اعترافا يقدمه الشاعر بما يجيش فى وجدانه ، لا يهتم بالدقة واناقة اللفظ قدر ما يهمه صدق التعبير ، ويمثل هذا الاتجاه فى انجلترا **ديلان توماس** وفى أمريكا **روبرت لاويل** .

— وسنجد فى شعر الخمسينات والستينات اتجاهين أو مدرستين كذلك : شعراء «**الحركة**» . وشعراء «**المجموعة**» « ويمكن على سبيل التيسير أن نعتبر شعراء الحركة امتدادا للاتجاه الذى مثله ويليام امبسون خلال الثلاثينات والاربعينات ، أما شعراء المجموعة فهم على تنافرهم واختلاف مذاهبهم يمثلون فى فرديتهم الطاغية امتدادا لاتجاه ديلان توماس » . اهم شعراء الحركة هم **فيليب لاركين وجون وين وكنجسلى أميس ودونالد دافى** . اما المجموعة فاهم شعرائها **فيليب هبسبوم وادوارد لوسى سميث** وغرهما .

— وفى نهاية دراسته يشير الدكتور عادل سلامة الى ظاهرة هامة بدأت تثبت وجودها لا فى الشعر الانجليزى والامريكى فقط ، بل فى الشعر الاوربى بوجه عام ، وهى ما يعرف **بالشعر المجسد** أو **الشعر العيانى** ، بمعنى أن الشاعر يخلق تكوينات من الالفاظ ومقاطعها ، وقد يستخدم مادة غيرلغوية للتعبير عن رؤياه ، فالقصيدة فى النهاية تصبح تكوينا مرئيا يخاطب القارىء أو الرائى عن طريق تركيبها الشكلى أولا وقبل كل شىء . وهذا الشعر فى الواقع « خطوة أخيرة نحو كسر الحاجز اللغوى بين الامم المختلفة ، ومظهر جديد من مظاهر الاتجاه نحو العالمية » .

●

● أما الدكتور **عبد الغفار مكاوى** فقد اختار أن يمزج فى دراسته للشعر الالمانى فى القرن العشرين بين منهجين مختلفين : فبدأ أولا باستعراض الاطار التاريخى والاجتماعى والثقافى للشعراء المعاصرين فى المانيا ، ولعل أهم سمات هذا الاطار يمكن أن نجمله — بكلمات الدكتور مكاوى على هذا النحو : « جاءت الاجيال الشابة فبدأت الحساب الشامل مع الاجيال السابقة على سنة الكارثة [١٩٤٥] ، ثم اخذت تتطلع لحوار آخر مع ادب المهاجرين الذى بدأ يعود بالتدريج الى وطنه الاصلى ، وتبين للاجيال الشابة ان جيل المهاجرين جيل مختلف عنهم ، وأن أصحابه الذين قاوموا الطغيان وتنبأوا بسقوطه ليسوا رفاقهم فى السلاح وتعذر على الشباب ان يجدوا نقطة الالتقاء مع الجيل الذى سبق الكارثة ، فكان عليهم أن يبدأوا من نقطة الصفر المخيفة ، ولكنهم من ناحية اخرى لم يعدموا فرصة اللقاء مع أدب عظيم آخر كانت بلادهم قد فقدت الصلة به تماما الا وهو الادب الاوربى والامريكى . .. ونشطت حركة الترجمة من الانجليزية والفرنسية بوجه خاص ، وشارك فيها أدباء ما بعد الحرب بنصيب موفور ... وهنا نجد ملمحا يسرى على الشعر كما يسرى على الرواية ، على اختلاف الاسلوب والموضوع والرؤية ، وهو محاكمة الماضى ، وتعرية اوهام الاجيال السابقة وآمالها الكاذبة فى المستقبل ، ومواجهة قيم الواقع والحضارة والمدنية والتقدم .. الخ ، على ضوء الكارثة البشعة والمستقبل الضائع والماضى الذاهب بلا عودة . تلاشى الامل الساذج فى مستقبل انسانى ومثالى ، واختفى الايمان الطيب بماضى يرجى احياؤه وبعثه وبقى على الاديب أن يحدق فى هوة واقع خرب بغيض لا يحتمل » .

— ويقف الباحث عند شاعرين من اصحاب الشعر السياسى هما جو تلريدين **وبرتولت بريشت** ، ثم يتابع تأثير بريشت على المواهب الشعرية الشابة اصبحت القصيدة عنده دعوة سياسية تهم الرأى العام ، سلاحا للكفاح فى سبيل العدل والتقدم والسلام ، اداة للفعل والثورة والتغيير ، واستقبل الناس فى الشرق والغرب نموذجه المستفز المتحدى بالغضب ، أو الترحيب ، وتلقف الشباب منه الكرة فساروا فى موكبه ، وان تحرر معظمهم من « أيديولوجيته» وجددوا مصطلحه ومقصده الى حد كبير ، لكنه ظل فى نظرهم قدوة رفيعة للفعل والكفاح » ، من هؤلاء الشعراء فولفجانج فايراوخ ، هانز ماخيوس انسنزبرجر ، فولفديتريس شنورة . **وكريستا راينج واريس فريد** وغيرهم .

— المنهج الاخير الذى يستخدمه الدكتور مكاوى فيما تبقى من دراسته هو ان يدرس موضوعات بعينها فى الشعر الالمانى المعاصر ، فيبدأ **بالطبيعة** ، ثم الحب الذى يشغل معظم صفحات الدراسة ، **واللعب** ، واخيرا **الصمت**.

●

— وتبدأ دراسة الدكتور **محمود مكى** للشعر الاسبانى بما يتفق عليه مؤرخو هذا الادب من أن الشعر الاسبانى المعاصر يبدأ بتلك الثورة التى حمل لواءها شاعر ينتمى الى جمهورية من امريكا اللاتينية هى نيكاراجوا ، هذا الشاعر هو **روبن داريو** : كانت العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر تشهد تصفية الاتجاه الرومانسى فى أسبانيا وقد صمت اعظم شعرائها ، مما مهد الطريق لتلك الحركة الثورية التى اصطلح على تسميتها بالاتجاه الحديث ، وتعتبر سنة ١٨٨٨ هى فاتحة هذا الاتجاه ففيها نشر روبن داريو مجموعته الاولى التى أثارت اهتماما كبيرا ، واهم ما يميز هذا الاتجاه الحديث هو الاهتمام بالاسلوب أو المظهر الشكلى للقصيدة ، كذلك وجه داريو اهتمامه الى موسيقيته فى اللفظ وايحاءاته .

— لكن حركة روبن داريو لم تكن هى الوحيدة التى طمحت الى اجراء دماء جديدة فى عروق الاداب الاسبانية ، بل عاصرتها وعايشتها فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين حركة أخرى هى التى عرفت باسم **جيل سنة ٩٨** . كان هدف الحركتين واحدا هو الرغبة فى التجديد ، ولكن بطريقتين وأسلوبين مختلفين : ولد المذهب الحديث فى أمريكا اللاتينية وقد أسبغ عليه ذلك طابعا عالميا ... ، بينما كان جيل ٩٨ اسبانيا خالصا ، كان المذهب الحديث حركة جمالية محضة ، بينما كان جيل ٩٨ ينادى باصلاح فكرى شامل عميق الجذور

لكل نواحى الحياة فى أسبانيا ، لهذا تركز اهتمام المذهب الحديث على تجديد الشعر من ناحية الشكل والصياغة والاسلوب ، اما جيل ٩٨ فكان أكثر عناية بمضمون الشعر وجوهره الفكرى . وقد عبر عن جيل ٩٨ بوجه خاص الشاعر والمفكر **ميجيل دى اونامونو** والشاعر **انتونيو ماتشادو** .

— وكان الاتجاه الحديث بوجه عام هو الاكثر غلبة على أدباء العصر واستئثارا باعجابهم « اذ كان اتجاها عالميا بمعنى الكلمة ، فقد التقت فيه رغبات التجديد عند أدباء أسبانيا وأمريكا اللاتينية الناطقة بالاسبانية على السواء بينما كان صوت جيل ٩٨ العميق احساسه بكارثة أسبانيا لا يعدو أن يكون صوت أقلية أسبانية منطوية على نفسها . وهذا ما يفسر لنا كيف انحاز معظم أدباء الاسبانية خلال العقود الاولى من القرن العشرين الى الاتجاه الحديث ، وان لم يمنع هذا كثيرا منهم من الانفراد بطابع خاص داخل هذا الاتجاه » . من شعراء هذا الاتجاه يقف الباحث عند الشعراء **مانويل ماتشادو وتيسر فاينجو وجابرييلا ميسترال (وهو** الاسم المستعار للكاتبة والشاعرة الشيلية لوثيلا جودوى الكاياجا التى كانت أول من ظفر بجائزة نوبل فى الاداب من قارة أمريكا اللاتينية سنة ١٩٤٥] **وخوان رامون خيمنيث** [الحاصل على جائزة نوبل أيضا لسنة ١٩٥٦] .

— ولم تكن أسبانيا والبلاد الناطقة بالاسبانية بعيدة عن الحركات الثورية الادبية التى اضطربت فى عالم ما بعد الحرب العالمية الاولى ، وفى أمريكا اللاتينية امتزجت تلك الثورة بضرورة البحث عن شخصية مستقلة تتلمس جذورها الضاربة فى أعماق التاريخ قبل الاستعمار الاوروبى الابيض ، وعن هذا الامتزاج ظهر ما عرف بالشعر الاسود ، وأبرز ممثليه على الاطلاق هو الشاعر الكوبى **نيكولاس جيين** الذى غنى عذاب الرجل الاسود فى أمريكا اللاتينية ، ووقف بشعره الى جانب المسحوقين والمضطهدين والباحثين عن ذاتهم التى سلبهم الاستعمار اياها ، وقد استطاع جيين ان يودع فى تصويره لحياة السود فى كوبا مضمونا اجتماعيا وسياسيا جعله فى طليعة الشعراء الثوريين فى هذا القرن .

— أما فى أسبانيا فقد آتت تلك الثورات أكلها فيما عرف **بجيل ٢٧** « ولسنا نبالغ اذا قلنا أن النهضة الشعرية فى أسبانيا على أيدى أبناء هذا الجيل لا تقل عن تلك التى رأتها البلاد خلال ما يدعى بالعصر الذهبى [القرنين السادس والسابع عشر] ، ومازال الانتاج الشعرى لهذا الجيل هو الذى يغذى قراء الشعر ومحبيه فى العالم الناطق بالاسبانية حتى اليوم » ، من هذا الجيل يختار الباحث أبرز ممثليه وهو **فيديريكو غوسه لوركا** [١٨٩٨ — ١٩٣٦] . نشر لوركا أول مجموعاته الشعرية وهو فى الثالثة والعشرين بعنوان « **كتاب القصائد** » ، ثم « **قصيدة الغناء الاندلسى** » و « **أغانى** » ، وفى ١٩٢٨ نشر « **الديوان الغجرى** » ، وبعدها بسنة سافر الى الولايات المتحدة حيث قضى بها حوالى عام ونصف ، وكانت ثمرة تجربته هذه مجموعته « **شاعر فى نيويورك** » ، وفى ١٩٣٥ نشر **مرثيته لمصارع الثيران اخباثيوسانتشث ميخياس** وفى السنة التالية نشر آخر ما طبع من دواوين فى حياته وهو « **ست قصائد جليقية** » ، ونشرت بعد وفاته مجموعته الاخيرة « **ديوان تماريت** » .

— وعن نهاية لوركا يقول الدكتور مكى :

ما اكثر مادار الجدل حول الايام الاخيرة لفروسية لوركا والملابسات التى اعدم فيها ، فقد استغل مصرع الشاعر للتشهير بحكومة فرانكو والتنديد به على نطاق عالمى ، واذا كان حقا أن الذين قاموا بقتله كانوا ممن يعلنون ولاءهم لقائد القوات الوطنية الثائرة على الجمهورية **فان مصرع لوركا لم يكن لاسباب سياسية ، وانما لخصومات شخصية لاصلة لها بالسياسة** ، ولم يكن لوركا يولى هذا الميدان شيئا من اهتمامه ولا عرف يوما بتأييده لهذا الحزب او ذاك » .

اين الحقيقة التاريخية حول مصرع هذا الشاعر العظيم : اليس هذا امراجديرا بالنقاش بين المتخصصين ؟

— يواصل الدكتور مكى حديثه عن لوركا : « وعلى الرغم من حياة لوركا القصيرة ، اذ توفى وهو دون الاربعين فانه سرعان ما أصبح أشهر شعراء الطليعة فى أسبانيا وأكثرهم أصالة ، واذا كان ممن أوتوا ثقافة عالية — اتاحتها له دراسته الجامعية ، وقد ظل مرتبطا بالجامعة حتى نهاية حياته ، فانه لا يدين بصيته الذائع فى ميدان الشعر والادب المسرحى لتلك الدراسة بقدر ما يدين لموهبته الفطرية ، وقدرته العبقرية الملهمة على الغوص الى القيم الشعرية الحقة فى كل ما يحيط به من مظاهر الطبيعة أو ظواهر الحياة » .

— بقى أشهر شعراء الاسبانية ، وواحد من أعظم الشعراء فى هذا العصر : **بابلونيرودا** . واسمه الحقيقى نفتالى ريبس باسوالتو [وقد اتخذ لنفسه اسم نيرودا تعبيرا عن اعجابه بالشاعر والكاتب التشيكى **جان نيرودا**] ولد سنة ١٩٠٤ من أسرة فقيرة فى قرية صغيرة من قرى شيلى ، ثم انتقل به أبوه الى مدينة « تيموكو » فى الجنوب وهى مدينة دائمة المطر تحيط بها الغابات الكثيفة ، ولما أتم دراسته الثانوية بها التحق بكلية الاداب فى جامعة سانتياجو ، وبدأ نشر انتاجه الشعرى وهو لايزال طالبا ، فنشر ديوانه الاول بعنوان « **شفقيات** » « ١٩٢٣ ، وفى العام التالى نشر « **عشرون قصيدة غزلية وأغنية يائسة** » ، وفى كلا المجموعتين تبدو نزعة رومانسية قوية لا تخلو من تأثير شعراء الاتجاه الحديث . وفى ١٩٢٧ عين نيرودا قنصلا لشيلى فى رانجون ثم فى جاوة ، وفى ١٩٣٤ عين قنصلا لبلاده فى أسبانيا حتى نشوب الحرب الاهلية فعاد الى شيلى حيث نال جائزة الدولة فى الادب سنة ١٩٣٦ .

وفى ١٩٣٣ أخرج نيرودا الجزء الاول من مجموعته الثلاثية « **مقام فى الارض** » ويغلب على هذه المجموعة الطابع السوريالى ، وفى ١٩٣٥ نشر الجزء الثانى من الثلاثية ، وفيه يبدو تأثره بشعراء جيل ٢٧ من الاسبان ، ولوركا بوجه خاص ، فهو أكثر اهتماما بالشكل والصياغة والاسلوب وموسيقى الالفاظ ، وفى ١٩٣٦ نشر الجزء الاخير من ثلاثيته ، وفيه مجموعة كبيرة من القصائد بعنوان « **أسبانيا فى القلب** » ، هذه المجموعة هى ثمرة تجربته فى الحرب الاهلية الاسبانية فى صف الجمهوريين الذين انتهى أمرهم الى الهزيمة .. « ووجه الجدة فى هذه المجموعة من القصائد ودلالتها على بدء دور جديد من أدوار حياته الشعرية هو أن الشاعر قد ترك « الذاتية » واتجه الى « الموضوعية » ، انتقل من اهتمامه بأحاسيسه ورؤياه وهواجسه الى الاهتمام بالاخرين ، هذا الدور هو بدء تحول نيرودا الى الاشتراكية بمعناها العام : مشاركته لمن حوله فى أحلامهم وآلامهم ورغبتهم فى بناء عالم جديد .. هكذا هجر الشاعر موضوعاته التقليدية ، موضوعات الشك والقلق الميتافيزيقى واكتشف محورا جديدا للجاذبية هو الانسان فى صراعه الاجتماعى » .

ولعل قمة ما وصل اليه شعر بابلو نيرودا هو ديوانه الضخم « **النشيد الكبير** » [١٩٥٠] ، « وهو من أكثر محاولات الشعر الاسبانى طموحا وشمولا ، اذ أنه مجموعة ضخمة من آلاف الابيات ، تؤلف بين قصائدها وحدة

موضوعية ، وتســودها نفس النزعــة الاشتراكية ، والشاعر ينصب نفســه متحدثا باسم أمريكا اللاتينية ، متوجها برسالته الى كل شعوب العالم ، يهيب بالمستضعفين أن يوحدوا صــفوفهم ، ويعلن ان غناءه موجه لهم :

الى الجميع ، الى الجميع
الى كل هؤلاء الذين لا أعرفهم .. الى كل اولئك
الذين لم يسمعوا باسمى قط ، الى الذين يعيشــون
على ضفاف انهارنا الطويلة
وعلى سفوح البراكين ، وفى ظل النحاس الملتهب
الى الصيادين والفلاحين
الى الهنود الزرق المقيمين
على شواطىء البحيرات المتألقة كالزجاج
الى الاسكا الذى يتسائل الان
وهو يخيط الجلد بايد قديمة
اليك انت الذى كنت تنتظرنى دون ان تعرف
اليكم جميعا انتمى ، وبكم اعترف ، ولكم اغنى » .

ويزداد الطابع السياسى والنضــالى وضوحا فى دواوين الشاعر التالية مثل ديوان « **العشب والريح** » الذى يقص فيه الشــاعر رحلة طويلة له فى آسيا وأوروبا ، ويقدم فيه عرضا لاحــداث العالم من وجهة نظره ، وفى اعمــاله التالية ، فى ثلاثيته « اغان بدائية » وفى آخر اعماله المنشورة « **السيف المشتعل** » [١٩٧٠] يوزع ابداعه الشعرى بين محورى الانسان والطبيعة.

— ويختتم الدكتور محمود مكى دراسته بقوله عن بابلو نيرودا : « وقد أصبح نيرودا اكثر شعراء امريكا اللاتينية حظا من الشهرة خارج حدود العالم الناطق بالاسبانية ، وتأكدت مكانته فى العالم الخارجى وفى بلده على حد سواء ، اما فى الخارج فقد منح جائزة نوبل فــى الاداب سنة ١٩٧١ ، اما فى بلده فلعل مما أسعده أن يرى انتصار الشيوعية فى شيلى فى نفس السنة التى نال فيها هذا التكريم الدولى .. »

والان .. بعد ان هبت رياح الاستعمار والتآمر فأطاحت بتلك التجربة الرائدة فى شيلى .. ما أعمق حزن الشــاعر والمناضل الكبير .. بابلو نيرودا !.

[●]

● ولعل اهم دراسات هذا العــدد وأكثرها استحقاقا للمناقشة هى دراسة **الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسى** بعنوان « **الشــعر العربى المعــاصر ، تطوره ومستقبله** » ، فقد القت الباحثة — وهى شاعرة أيضا ولها كتاب بالانجليزية عن الشعر العربى المعاصر — نظرة ممتدة فى الزمن والمكان ، فشــملت الشعر العربى كله منذ بداية هــذا القرن ، واستطاعت أن تحدد حركته العــامة وملامح تطوره .

— ترى الدكتورة سلمى ان « تاريخ الشعر العربى الحديث فى هــذا القرن هو تاريخ تجــارب مستمرة فى جميــع عناصر القصيدة : فى الشــكل واللغة والصورة واللهجة والموقف والموضوع . كانت هذه التجارب تنزع باستمرار نحو التوصل الى نقطة اللقاء مع النهضــات الشعرية المهمة فى العالم .. وقد مر الشعر بفترات متلاحقة : من الكلاسيكية الجديدة الرومانطيقية الى الرمزية والسريالية . فالواقعية الجديدة ، ثم مدرسة الشعر الحديث .. »

— وترى ايضا : « اعتبر المؤرخون العرب المحدثون والنقاد ان الســياسة كانت ذات التــأثير الاكبر على تطــور الشعر ، وعددوا بعض التواريخ المهمة فى الوطن العربى كتواريخ حاسمة فى قصة الشعر العربى الحديث وتطوره ، غير أن الدراســة الدقيقة لتاريخ هــذا الشــعر تظهر بوضــوح أن الاحــداث السياسية — على اهميتهــا — لم تكن العنصر الفعال الوحيد أو المؤثر الاكبر الذى أحــدث التغيرات الحاســمة فى الشــعر ، فالقوى الفنيــة والثقــافية والاجتماعية والاقتصادية لايمكن فصــلها عنه على الاطلاق ..

« فى هذا الضوء اذ نصف تطورات الشعر العربى فى هذا القرن : يمكننا ان نقول انه خضع اجمالا للتيارات الفكرية الوافدة عليه من غرب أوروبا وشرقها ، مع تفاوت فى تأثير هذه التيارات بين بلد وآخر ، ونجمل فنقول : ان تاريخ العرب الحديث هو تاريخ ثورات وكفاح وجنبات كبيرة ، ومحاولات كان اغلبها فاشلا ، ثم كفاح وثورات جديدة . هــذه جميعا اشتركت مع التيارات الثقافية المستمرة فى خلق نموذج الشاعر العربى المعاصر ، من طبقة الرواد ، انه شاعر مصاب بجرح روحى عميق ، منقسم على نفسه ، تهيمن عليه مواقف مختلفة من الغضب والرفض والرعب والامل الجديد » .

— ثم تفصل الدكتورة سلمى ما اجملته ، فتبدأ بالحديث عن المدرسة الرومانطيقية وظواهرها العامة وتخلص الى ان هذه الحركة فى الشعر العربى « كانت خالية من العمق الفلسفى الذى ارتكزت اليــه الحركة الرومانطيقية فى الغرب ، فيما عدا أعمال جبران ونعيمة التى استندت الى أساس فكرى معين ، كان جله مقتبسا من منابع ثقافية مختلفة » . لكن هذه الحركة قبل أن تقوى وتصبح سنة فى الشعر الطليعى وجدت نفسها بازاء اتجاه مناوىء هو الاتجاه الرمزى ، وبعد أن تعرض لهذا الاتجاه تبدأ الدكتورة سلمى فى التعرف على ملامح الشعر من حيث اللغة والشكل ، فتعرض لمختلف التجارب فى الشعر الحر . ونتيجة هذه التجارب ، والحساسية الشعرية الجديدة بوجه عام ، أصبح الشعر العــربى « جاهزا لتجربة ناجحة مثمرة فى الشعر الحــر ، وكل ما عليه هو أن تبزغ فى الافق مواهب فنية جادة تستطيع أن تستخدم هذه الحرية المتاحة فى شعر جاد » .

— وهنا تصل الباحثة الى القســم الثانى من دراستها وهــو الشــعر بعد سنة ١٩٤٨ . تقول الباحثة : « كانت الفترة اذن فترة انكار ورفض على كل صعيد ، وتعرضت جميع عناصر العقيدة الى تغييرات جذرية على أيدى شعراء الطليعة ، وقام الرواد ينتصرون لنزوعهم العميــق الى تغيير جميع عوالمهــم ، ويحاولون تفسير تجاربهم بأساليب كثيرة ، وبقدر ما كانت ثورة الشعر فى هذه الفترة حادة وناجحة الى حد كبير ، بقدر ما كان الاصطدام مع القوى المحافظة عنيفا والصراع حادا ومشاكسا » . وانقسم شــعراء الطليعة — بوجه عام — الى قسمين : الشعراء العقائديون مثل **السياب** [فــى شعره الباكر] **والبياتى** ، والاخــرون الذين عجز حدسهم المرهف أن يرى كيف يستطيع الانسان فى العالم العربى ان يجد طريقة ، فامتلا شــعرهم بالغضــب والرعب والرفض [**أدونيس ، بلند الحيدرى ، السياب** بعد تحوله عن الماركسية] .

— وتناقش الدكتورة سلمى بعد ذلك قضية الشكل ، والشعر والوزن ، والشعر المنثور وقصيدة النثر واللغة والصــورة وتقف بالتفصيل عند الصورة الشعرية ، وتكوينها عند **توفيق صايغ والسياب وخليل حاوى ومحمود درويش** ، وتختتم بلمحة عن الاسطورة فى الشعر المعاصر .

— وتنتهى الباحثة الى أن هذه الفترة هى « أخطر فترات الشعر فى تاريخنا كله الادبى كله ، وان هذا الزمن الذى انفتح فيه العــالم العربى على العلم والتقنيات لا يزال أيضا وقت الشعر .. انه وقت الشعر لانه زمن تجديد الحياة .. وهو ايضا وقت الشعر لانه زمن الحركة والمغامرة غوصا الى الداخل يدعونا الى اكتشاف انفسنا فيه وجودنا الذى يرفض الاستسلام ، بل أصر على البوح والاعلان عن أزمته ، وعن تورطنا معه ، فاضطررنا الى مجابهة انفسنا . فوقت الشعر ايضا هو زمن اكتشاف الذات » .

— وتبقى دراسة الدكتورة سلمى واحدة من أهم الدراسات التى نشرت اخيرا عن الشعر العربى المعاصر .

« الشـــــحات » !

المـــلامح الخارجيـــة والداخليـــة

التزم فيلم « الشحات » بمعظم احداث الرواية ، وهو بهذا يحقق مطلبا هاما • ومع ذلك فان الفيلم لا يعبر عن روح الرواية ، بل ويخرج الجمهور فى نهاية العرض دون ان يفهم ازمة « عمـــــر الحمزاوى » الحقيقية ، فهى تبـــــدو انحرافا اخلاقيا تارة ، وحالة نفسية مرضية تارة اخرى ، وأحيانا تبدو غامضة تماما ، ليس لها ما يبررها أو يفسرها •

ويبدو ان كاتب السيناريو ، **أحمـد عباس صالح** — وهو من اكثر نقادنا دراية واستيعابا لادب نجيب محفوظ — قد أحس بان مشكلة الحمزاوى غـير مفهومة ، لذا فهو يقدم تحليلا ضعيفا وسريعا لها على لسان صديقه القـديم « عثمان خليل » بعد خروجه من السجن ففى احدى المواجهات بينهما يشـخص « عثمان » حالة « الحمزاوى » بأنهـا انهيار وضعف يأتيان نتيجة للابتعاد من القضية الكبيرة التى شغلت حياته يوما قضية حق الجماهير فى الحياة •

ولا شك ان توقف فهم المتفرج لاحدى الشخصيات على وجهـة نظر شخصية أخرى يعد من عوامل قصور السيناريو خاصة وأن الرواية تحتوى على عشرات التفاصيل النفسية الصغيرة ، البالغـة الاهمية ، تحدد كافة ابعاد الحمزاوى • وقد أدى اغفال وتجاهل هذه التفاصيل الى فقدان الفيلم لروح الرواية ، كما أدى الى غموض شخصية الحمزاوى •

يبدأ الفيلم بداية موفقة ، فقبل نزول التترات نشاهد اجتماعا فى بدروم بين اربعة اصدقاء « عمـــر الحمزاوى » و« عثمان خليل » و« مصطفى المنياوى» و « حامد صبرى » •• يوزع « عثمان خليل» المسدسات والقنابل على الاصدقاء لكن « حامد صبرى » ينسحب بعد أن يعلن أن مصر تحتاج للعلم ولا تحتاج للاغتيالات ، ويجيب « عثمان خليل » بأن العلم لن يخدم الناس فى ظل مجتمع ظالم •• وينطلق الزملاء الثلاثة لالقاء قنبلة على أحد الباشوات الخونة • وتقضى الخطة بأن يقوم كل من « عمر الحمزاوى » و « مصطفى المنياوى » بتغطية ظهر « عثمان خليل » بعد أن يلقى القنبلة •• ويبدأ تنفيذ الخطة • لـكن « مصطفى المنيـاوى » يجبن ،



وينطلق هاربا•• ويتردد «عمر الحمزاوى» فى اطلاق النار • ومع ازدياد عـدد رجال البوليس حول « عثمان خليل » يزداد تخاذل « الحمزاوى » ، وفى النهاية يسيطر عليه الخوف فيمســـح بصمات أصابعه من مقبض المســدس ويتركه على سور حديقة بينما « عثمان خليل » مقبوض عليه ، وجهه يمـــلا الشاشة وهو ينادى باسم مصر •

وهذه المقدمة بالغة الاهمية ، فهى تقدم الحادث المحورى فى حياة اربعـة أصدقاء • ومن خـلال تباين مواقفهم يكشف السيناريو بعدا فى شخصية كل منهم •

ان « حامد صبرى » ينسحب منـذ البداية ، صادقا فى هذا مع نفســه وفكره وطموحه ، ويقدمه الفيلم بعد ذلك طبيبا معروفا ، تنبىء عيـــادته ويشى مظهره بأنه يعيش حياة متوائمة مـــع الطبقة العليا دون شعور بالذنب •

أما « عثمان خليل » فانه شـخصية تكاد تكون جديدة فى السينما المصرية ، شخصية الثورى الذى يرتبط بقضـــية الجماهير ويوقف حياته كلها من أجل مصالحها ، لم يظهر من قبل الا فى أفلام قليلة ، لعل أهمها شخصية « **شوقى** » فى « **الرجل الذى فقد ظله** » •• ويبدو « عثمان خليل » من خلال هذه المقدمة صلبا ومتماسكا وواضح الرؤية ، وهى السمات التى ستلازمه طوال الفيلم ، وقد أكد السيناريو هذه الابعاد عن طريق عدم وشايته بأسماء زملائه ، وعن طريق علاقاته الانسانية بالسجناء ، وأخيرا عن طريق موقفه البناء من « عمـــر الحمزاوى » ، ومحاولاته العـــديدة للخروج به من الازمة التى يعانيها •

وقبل التعرض لطريقة السيناريو فى تقديم « عمر الحمزاوى » يجب التوقف قليلا عند شخصية « مصطفى المنياوى » ذلك أن « السيناريو » لم يستفد مطلقا من الامكانيـــات الدرامية الـكبيرة التى تحتويها هذه الشخصية ، انه فى الرواية يبدو ساخرا حقا ، لكن سخريته تتسم بمرارة دفينة ، سخرية من كان يحـلم بأنه سيكتب شيئا جادا وعظيما للناس ، وهو بالفعل يبدأ حياته كاتبا مسرحيا جادا ، لـكنه تحت وطأة الظروف ، والمناخ العام ، ولتخاذله الشخصى فى المحل الاول ، يهجر الكتابة الجـــادة ويتخصص فى تقديم التسلية الرخيصة من خلال كتابة التمثيليات الاذاعيـــة والتليفزيونية • وهو على طول الرواية يحاول أن يكون مرحا وهازلا ، ولكن مرحه وهزله يخفيـــان يأسا قاتلا ، وفقدانا تاما للثقة بنفسه وبأبناء جيله ، وهو بهذه الابعاد يعد شخصية بالغـة الاهمية ، خاصة وأن هزيمته فى النهاية تمد وجها آخر لهزيمة « عمر الحمزاوى» •• لكن السيناريو لم يقدم هنـــا الا الصـــورة المسطحة المملـة والمتـكررة لشخصية « **مضحك البطل** » ، المخلص التافه ، العاطفى ، الخفيف الظل ، الذى لا أبعاد له •

ويعطى الســـــيناريو اهتماما كبيرا لشخصية « عمر الحمزاوى » ، حتى أن بقية الشخصيات تبدو باهتة الى جانبه ، لكن هذا الاهتمام انصب اساسا على الابعاد الخارجية والملامح العـــامة دون العنـــاية بعشرات المشاعر والتفاصيل النفسية التى تعبر عن تكوينه الداخلى••
ان السيناريو يقدم « الحمزاوى » على أساس أنه رجل ينسحب من الحياة • وهو يقوم بمحاولات يائسة لايقاف تدهور حالته ، لكن محاولاته تذهب عبثا •• يذهب فى البداية الى صديقه القـديم « حامد صبرى » ليعرف منه الداء ، لكنه يكتشف أن مرضه ليس عضويا •• ويحاول أن يطلق العنان لرغباته لعله ينجح فى التعلق بأهداب الحياة ، الا انه يعود بعد جولته بين احضان النساء أكثر اكتئابا وأشد ضيقا بالحيـاة •• وتستمر حالته فى التدهور حتى تخور

عزيمته تماما فيهجر عمله وبيته وأصدقاءه ليعيش وحيدا ومنعزلا ، وهو بهذا يكون قد قضى على حياته أو كاد .

و « الحمزاوى » بهذا التصور يصبح حالة محيرة حتما ، وبالتالى يستحق السؤال الذى ردده الجمهور ولم يجد اجابته : ما هو السبب الذى يجعل « الحمزاوى » كارها لحياته ونافرا من كل ما حققه !

أن الفيلم يتجاهل ما جاء فى الرواية بخصوص علاقة « الحمزاوى بصديقه « عثمان خليل » ، وهى علاقة بالغة الاهمية ، لانها تفسر وتعطى سببا لتصرفات « الحمزاوى » . وتدور العلاقة فى الرواية على مستويين ، مستوى خارجى ، سمته الود والاحترام من جانب « الحمزاوى » ، والشفقة والاسف من جانب « عثمان خليل » ، وقد قدم الفيلم علاقة كل منهما بالاخر فى هذه الحدود لكن ثمة مستوى آخر للعلاقة ، أهم كثيرا من العلاقة الظاهرة ، علاقة دفينة تكشف الجانب المظلم فى وجدان الحمزاوى وتفسره وتكشف ابعاد هذه العلاقة من خلال العديد من التفاصيل والتعليقات والذكريات التى تدور داخل ذهن « الحمزاوى » . **ان «عثمان خليل» يشغل حيزا كبيرا فى أعماق «الحمزاوى»** وعلى طول الرواية تطالعك عبارات من نوع « ذكر الاخر فى السجن » و « فكرت بذهول فيمن ازدره السجن » و « انه لم يعترف . رغم الاهوال لم يعترف » .. وعندما يقترب موعد الافراج عنه يتكشف لنا مدى العبء النفسى الذى يحسه الحمزاوى تجاه هذه المقابلة « سوف تتلاقى الاعين فى دهشة مزعجة» وبعد أن تتم المقابلة فى مكتب الحمزاوى على نحو فجائى يملق نجيب محفوظ تعليقا كان يجب أن يترجم الى عدة مشاهد « ما أبغض هذا الموقف الذى أرق نومه مرات ككابوس » .

لا تظهر هذه التفاصيل النفسية فى الفيلم ، بل ان ذكرى « عثمان خليل » لا ترد الى ذهن « الحمزاوى » الا مرة واحدة فى بداية الفيلم وهو يستمتع بماء البحر .. وعندما ترد هذه الذكرى ينقلب على وجهه ويكاد يغرق فى الماء ذلك أن صوت « عثمان خليل » يأتى واضحا ومسيطرا ، وهو مشهد بديع لم يتكرر ثانية ، بل على العكس ، سارع السيناريو بمسح أثره عندما جعل زوجة الحمزاوى تؤكد أنه ليس هناك مدعاة لادنى شعور بالذنب ، طالما أن زوجها يساعد أهل السجين ماليا وبانتظام .

والفيلم بهذا يكون قد ألغى كل مايمثله « عثمان خليل » بالنسبة « الحمزاوى »، ذلك أن « عثمان خليل » بصموده وتماسكه واصراره على أن يكون « الانسان هو الانسانية جمعاء » يمثل كافة القيم التى تخلى عنها « الحمزاوى» بل وسار فى الاتجاه المعاكس لها ، فهو قد عاش حياة فردية استطاع ان يحقق خلالها نجاحا بورجوازيا كبيرا فأصبح يقف على ارض اقتصادية صلبة متجاهلا ومناقضا وهاربا من ايمانه الذى ملا حياته يوما « بالاشتراكية والشعر » لذا فانه من الطبيعى أن يعترف لنفسه بأن عثمان خليل « لا يوحى اليه الا بمشاعر الذنب والخوف وازدراء النفس» وهذه المشاعر المدمرة تدفعه الى كراهية حياته وتجعله ينفر من كل ما حققه .

ان الفيلم بتجاهله العلاقة الدفينة بين « الحمزاوى » و « عثمان خليل » يكون قد أخفى أهم ملمح من الملامح الداخلية لشخصية الحمزاوى .. وهذا ما يفسر عدم فهم الجمهور لازمته .

لم يستخدم « **حسام الدين مصطفى** » الا كأداة لتسجيل انفعالات أبطاله وتطورها . لذا فانه قد اعتمد على اداء الممثلين ، خاصة « **محمود مرسى** » الذى يعد دوره فى هذا الفيلم محاضرة فى الصدق الداخلى ودقة الاداء ، حيث تصبح لكل ايماءة وكل نظرة معنى وهدفا.

اعتمد المخرج على المونتاج «الروائى» فى تركيب الفيلم ، فكل مشهد يؤدى الى المشهد الذى يليه ، وهو اسلوب يتلاءم مع السيناريو وطريقة بناء الشخصيات ، الا انه لا يعبر عن روح الرواية ، ذلك أن بناء الرواية يقوم على التذكر والتداعى والمشاهد التخيلية والرؤى ، وهى عناصر كان من الممكن أن تترجم الى لغة سينمائية تغنى الفيلم وتقربه الى روح الرواية .

وفى النهاية يحسب للمخرج انه قد ابتعد عما كان من الممكن أن يقع فيه من ميلودراما واثارة جنسية ، فقدم بهذا عملا يستحق المناقشة .

كمال رمزى

●●●

الثقافة الجزائرية

صراع الماضى والمستقبل

زار القاهرة فى الشهر الماضى الاستاذ عبد الله شريط ، عميد كلية الاداب بجامعة الجزائر ، والاستاذ شريط مفكر وشاعر ، يكتب الشعر « التقليدى » ، وله مجموعة مطبوعة ، وان كان يؤكد انه توقف عن كتابة الشعر منذ الخمسينات !..

مع الاستاذ عبد الله شريط كان هذا الحوار عن الواقع الثقافى فى الجزائر، حاضره ومشاكله ، يقول الاستاذ شريط :

ــ يجب أن نعترف ــ منذ البداية ــ بتخلف الثقافة الجزائرية بوجه عام ، ولهذا الوضع أسبابه الموضوعية والتاريخية . بعض هذه الاسباب يرجع الى ما قبل الاستعمار الفرنسى، وبعضها الاخر يرتبط بهذا الاستعمار نفسه . فقبل الاستعمار كانت الثقافة تنحصر فى مجرد التعليم ــ ذى الطابع الدينى ــ فى الزوايا [أو الكتاتيب] ، حتى هذا الجانب الهزيل من الثقافة قضى عليه الاستعمار الفرنسى ، وفرض ثقافته على الاوساط ذات الاهتمام بالثقافة من ابناء المدن .

وكانت نواة الثقافة الجزائرية المعاصرة هى البعث الدينى والوطنى فى الثلاثينيات. لم يكن الوعى الدينى منفصلا عن الوعى الوطنى ، من هنا كان الطابع التقدمى للدين ، وكانت اهمية حركة الاحياء العظيمة التى قادها **عبد الحميد بن باديس**، ولم تكن الدولة مهتمة بالنشاط الثقافى أو التعليمى ، فكان الشعب هو الذى يتولى الانفاق على التعليم وتسييره حتى الحرب العالمية الثانية .

بعد الحرب الثانية ركدت الحركة الدينية نتيجة موت بن باديس [١٩٤٠] لكن الحركة السياسية المصاحبة لهما انقسمت الى شعبتين متمايزتين : حركة سياسية خالصة من جانب ، وحركة اخرى تعنى بالجانب السياسى فى الظاهر لكن وراء هذه الواجهة عمل سرى مركز، يهدف الى انتقاء افضل العناصر للمساهمة فى العمل العسكرى السرى .

ومع بداية اعلان الثورة المسلحة فى ١٩٥٤ اصبح كل شيء تحت الارض : فالتعليم يقوم به مستشارون لجبهة التحرير ، والمدارس والمحاكم وكافة الانشطة تتولاها هيئات تابعة لجيش التحرير ، خاصة فى البوادى .

وبعد اعلان الثورة خرجت الكوادر متجهة الى اوربا ودول العالم العربى ، هذه العناصر هى التى أصبحت تتولى مسئولية العمل الثقافى بعد التحرير .

● **والان .. يمكننا ان نتحدث عن اتجاهين ثقافيين متمايزين: احدهما تكون فى أوربا والجزائر وهو مرتبط بالثقافة الفرنسية ومتأثر بها ، والاخر تكون فى الشرق العربى والمغرب وتونس وهو مرتبط بالثقافة التقليدية ، ويمكن ان نعتبره امتدادا لعمل الشيخ بن باديس .**

والصراع بين هذين الاتجاهين ، أو فلنقل بين المثقفين بالفرنسية والمثقفين بالعربية هو ما يطبع الحياة الجزائرية كلها بطابعه . وجهة نظر الجماعة الاولى تتلخص فى اننا بحاجة لتطور سريع ، يقوم على اكتاف اطارات ذات تكوين ثقافى فرنسى ، والدعوة الى التعريب تعرقلنا وتضع فى وجهنا العقبات ، اما الجماعة الثانية فترى ان التعريب اولا لانه الطريق الوحيد للاتصال بالجماهير الشعبية ، فالتطور فى المدن لا يعنى سوى طبقة خاصة من السكان .

وفى ٦٥ [حركة ١٩ جوان] رجحت الكفة نهائيا لصالح الاتجاه الثانى ، فالرئيس بو مدين ذو اتجاه عربى ، ثقافى ودينى وعاطفى ، لكنه يستجيب لوجهة النظر الاولى فيما يتعلق بالتطور الاقتصادى . **وهكذا .. اصبحت قضية التعريب ليست مطروحة للنقاش ، لكنها مبدأ مفروغ منه ، المطروح للنقاش هو كيفية اتمامه ، واستطيع القول باننا قطعنا فى سبيله شوطا كبيرا :** فبالنسبة للتعليم الابتدائى والثانوى عربت السنوات الاولى تعريبا كاملا ، كما عربت مواد كثيرة فى السنوات المختلفة (عربت الانسانيات كلها — والعلوم فى بعض المدارس دون بعضها الاخر ، وهناك مدارس تجريبية نموذجية معربة تعريبا كاملا مع اختيار لغة أجنبية ، لكن المشكلة الحقيقية التى تواجهنا هى نقص كوادر المعلمين] ، وبالنسبة للتعليم العالى عربت مواد الدراسة فى كلية الاداب تعريبا كاملا [عدا بعض فروع علم النفس ذات الطابع التجريبى] ، وكلية الحقوق تسير بسرعة نحو التعريب الكامل ، أما فى الكليات العملية فقد ادخلت دراسة اللغة العربية كمادة أساسية .

● **هذا عن التعليم ، فاذا انتقلنا الى النشاط الثقافى بمعناه الواسع ، فسنلاحظ ان نشاط المثقفين بالفرنسية فى تقلص تدريجى ،** [وهنا يجب ان نشير الى الدور الهام الذى لعبه الكتاب الجزائريون الذين يكتبون بالفرنسية : **محمد ديب ، مولود فرعون ، مولود معمرى ، كاتب ياسين ، مالك حداد ، آسيا جبار ...** الخ ، فقد كانوا أفضل سفراء للثقافة الجزائرية والثورة الجزائرية والواقع الجزائرى ، غير ان أعمالهم بعيدة عن متناول الجماهير الجزائرية بوجه عام ، وكتبهم التى تترجم الى العربية ، واعمالهم المسرحية التى تترجم الى اللهجة الجزائرية ، تعرض فى الجزائر] ، وينحصر نشاط هؤلاء المثقفين بالفرنسية الان فى بعض الكتب والملاحق الادبية فى الصحف والمجلات .

وقد بدأت تظهر الان جماعة من الكتاب الثنائيين ثقافة مزدوجة ، أعنى انهم يجمعون بين الثقافة الفرنسية — أو الاوربية بوجه عام — من ناحية ، والثقافة العربية التقليدية من الناحية الاخرى ، واعتقد ان المستقبل لهؤلاء ، لكن كتاباتهم لم تتبلور — بعد — فى اتجاهات محددة يمكن تصنيفها والحديث عنها ، فلازال انتاجهم فى دور التجارب الاولية .

● والمشكلة الاساسية التى تعترض نمو الثقافة الجزائرية وتطورها هى نقص الكوادر المتخصصة ، **فبالنسبة للمسرح مثلا :** نجد ان كتابة النص المسرحى الجيد هو أضعف وجوه الحركة المسرحية، اما من حيث النوع فالظاهرة المسرحية جيدة جدا ، والمسرحيات التى تعرض تعالج مشكلات اجتماعية هامة ، انها تبدأ من قضايا الواقع [الثورة الزراعية، المرأة ، الشباب ، صراع الاجيال ، ومما هو جدير بالذكر ان مسرحية كانت تعالج مشكلة السكن لقيت نجاحا كبيرا]، لنحن لم نعرف ، بعد ، المسرح الذى يناقش قضايا ميتافيزيقية او عبثية ..الخ لكن الضعف فى قلة الامثال الصالحة للعرض ، ودعنى أقل لك شيئا خاصا بالجمهور الجزائرى : انه ذو طبيعة حادة ، اما ان يرحب بالعمل المعروض عليه ترحيبا كاملا ، واما ان يرفضه رفضا كاملا ، فلا توسط هناك .

كذلك الامر فيما يتعلق بالسينما : ليس لدينا سيناريست واحد ، ومستوى المخرجين والفنيين ضعيف الى حد كبير ، فلنقل ان متستواهم التكنيكى افضل من مستواهم الفكرى ، فهم متأثرون بتكنيك السينما الاوربية أكثر من التصاقهم بواقع الجزائر . والافلام القليلة التى تنتج جيدة من حيث موضوعاتها ، والجمهور الجزائرى ذو طابع سياسى فيما يتعلق باقباله على الافلام السينمائية ، لذلك تنجح الافلام ذات المضمون السياسى [وتلقى افلام **يوسف شاهين ،** على سبيل المثال ، ترحيبا خاصا] .

● **الصراع بين الثقافتين هو ما يطبع وجه الحياة فى الجزائر ، وهو ، فى جوهره ، صراع بين حضارتين ،** فلا مشرق عربى ومغرب عربى ، كلنا معسكر واحد فى مواجهة أوربا ، ومن المصاعب الاساسية ان ما تفرزه الحضارة العربية متخلف — من حيث النوع والكم معا — عما تفرزه الحضارة الاخرى ، فالطالب الجزائرى [خاصة فى سنوات تعليمه الاولى] لا يكاد يجد الكتاب العربى الذى يشبع احتياجاته الفكرية والروحية ، لكنه يجد الكتاب الفرنسى الذى يشبع هذه الاحتياجات ، ولهذا أثره على تكوينه فى المستقبل ، ان هدفنا الاساسى هو تكوين ثقافة عربية اسلامية حديثة ، ونعتقد ان التكوين العلمى لابد ان يؤثر على تفكيرنا الانسانى، واننا اذا استطعنا أن نخلص الدين من شوائبه فلن يكون عقبة امام تكوين تفكيرنا العلمى .

● ان مصيرنا مرتبط بمصير الثقافة العربية فى الشرق ، كنا من قبل معزولين عن هذه الثقافة بكل ما فيها ، الان .. ثمة نوع من التوازن بينها وبين الثقافة الاخرى ، وستقل المتاعب حين يزداد عدد هؤلاء الذين يحملون الثقافة الوطنية، والمتفتحين على ثقافة الغرب فى الوقت نفسه .

● **الصياغة الحقيقية للمعركة التى نواجهها اليوم فى الجزائر هى انها معركة بين الماضى والمستقبل ، هناك مشاكل ومتاعب لاشك فيها ، ولابد من مواجهتها، لكن ما يبعث فينا الامل هو انه لا التباس لدينا بالنسبة لها ، بل لدينا الوضوح الكامل فيما يتعلق باتجاهها العام .**

مصـــــــــــر

بين جمود المؤرخ وتسـطيح الأديب

ماأحلى ان ينظر الانسان بعمق وامعان الى تراب وطنه ، لكن ما اصعب واشق محاولات هذه الرؤية على المفكر المصرى. فمصر كوطن توله المصريون فى حبـه تستطيع ان تهيمن على اى صاحب نظرة متأنيه بانشعاعات من الطموح واليأس ، الرجـــاء والتقاعس ، الحب والعطف ، الرغبة والرفض ، واشياء اخرى كثيرة اعجز عن ان اعبر عنها ، لانها فوق كل محاولات التعبيــر بالكلمات .

كل هذا يتأتى عند مجرد النظر ، امـا الدراسة والتمعن والتأمل ، اما محاولة استشفاف ما هو خلف هذا الهدوء الراسخ والسخرية اللاذعة ، والصبر الخيالى ، اية محاولة للاستشفاف تقود صاحبهـا حتما الى نوع من الوجد قد يصل به الى حالة تشبه حالات الكشف عند الصوفية .

ونحن جميعا نحاول ، لكننا ومهما فعلنا لانستطيع ان ننظر الى مصر الا بعين واحدة عين المؤرخ او الكاتب او الشــــاعر او الجغرافى او السياسى .. غير ان واحدا منا وصل الى حالة الكشف وتجاسر ونظر اليها بكلتا عينيه .. محمد جبريل حملق فى وجه مصر ، وتجرأ فنظر اليها بعينين اثنين ، عين الاديب وعين المؤرخ ، فما اروع هـذه الرؤية .

وفى كتابه [مصر فى قصص كتابهـا المعاصرين] ، يجتاز محمد جبريل كــل حواجز الرؤية ليصـل الى العمق — او مكان قريب منه — وتنساب مصر فى سلامة خارقة للعادة .. احداثا حلوة ومرة ، تنساب فى قوة وضعف — اناسا مخلصين وآخرين ضعفاء ، تتهادى مصر بين صفحات كتابه فى خيلاء معجز ، وتشعر انك قـد وصلت .. او قاربت الوصول ، وانـك توشك ان ترى بالفعل طرف ثوبهـا .

ويجتاز محمد جبريل بوابة الرؤية عبر طريق طويل من المعاناة ، مازجـا بيـن رؤيا المؤرخ الصارمة ، وحنيـن الاديب المرهف الحس ويمزج من ذلك كله نسيجا فريدا على كل كتابة سابقة .

لكنه يشعر احيانا بالتمزق .. «ذلك ان العمل الفنى هو تجربة الفنان ، كما ان التاريخ هو تجربة المؤرخ ، ومن هنا فنحن نناقش فى الفنان — بداءة — عمله الفنى ، بينما ندرس فكر المؤرخ ونوازعه» [ص ١٢٩]

لكن الرؤيا بقدر جمالها مليئة بالمزالق والصعوبات ، فما اصـعب ان يتـأمل الانسان وطنه من خلال كلمات المؤرخيـن الجامدة ، واحكامهم الصارمة ، وتحيزاتهم واخطائهم .. وما اخطر ان يكتفى الانسان بحب وطنه من كل عواطف الادباء وحدها .

ويتشبث جبريل بالخيطين معا محاولا ان ينسج منهما .. الحقيقـة.

واصاب فى احيان كثيرة ، واخطــا احيانا أخرى .

اصاب عندما انحاز الى الاديب السحار ضد المؤرخ الرافعى مدافعا عن عرابى . وعندما رفض تصورات معظم المؤرخيـن والادباء للنديم مؤكدا ان النديم [كان ثائرا يحرص على الوصول الى وجدان الناس بكل الوسائل والسبل .. ولعل النـديم كان اكثر رفاقه ثورية » (ص ٧٥) .

واصاب فى مواقف اخرى كثيرة ... لكنه اخطأ ايضـا .

اخطأ عندما قال [لقد كون عرابى حزبا سياسيا هو الحزب الوطنى .. واعلـن الحزب برنامجه فى منشور وزع فى نوفمبر ١٨٧٩] (ص٤٣) .. فعرابى لم يؤسس هذا الحزب ، ولاحتى كان الحزب تعبيـرا عن آرائه وتطلعاته بقدر ما كان تعبيرا عن آراء الباشوات الدستوريين امثال شريف باشا .

واخطأ عندما استدرج الى ما تصـوره صراعا مريرا بين المصريين والشوام ، حقيقة وجد مثل هذا الصراع بين المصريين وبين [بعض] الشوام ، لكن احدا لا ينـكر فضل البعض الاخر منهم فى الدفاع الشجاع عن الحرية والمساواة ، وفى غرس بذور العقلانية والعلمانية وفى التشبث بالدفاع عن حرية الجماهير وحقوقها .. ام اننا ننسى فضل شميل ، وفرح انطون ، وولى الدين يكن ، ومطران ، ونقولا الحداد .. وحتى الكواكبى كان شاميا من حلب .

بقيت ملاحظة اخيرة ..

ان جبريل يغمرنا بفيض من مراجع هامة لكنها جميعا [كتب] ، ونسى جبريل ان الصحف والمجلات كانت منبرا هاما ، وربما اساسيا لنشر الاعمال الادبية من القصص والروايات .. ولعـــل عـذره فى ذلك الصعوبات التى تكتنف اية محاولة للاطلاع فى قاعة الدوريات بدار الكتب ، بحيـث اصبحت مثل هذه المحاولة تتطلب صـبرا فوق الوصف ، ووقتا ضائعا بغير حساب .. واشياء اخرى .. ايضا ، لكن جبـريل ليس ممن يبحثون عن السهل ، ولهذا فانه يتحتم عليه وهو يعد الاجزاء المقبلة ان ينتظم معنا فى سلك [الاشقياء] الملقين فى طاحونة قاعة الدوريات .

بقى ان اغبط جبريل على محاولتـه ؛ عند تجاسر وحملق فى وجه مصر .. فرآها .. وما ابهج هذه الرؤية .

د . رفعت السعيد

مطابع الأهــــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ نوفمبر ١٩٧٣

الطليعة

١١

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

٦ أكتوبر : المفاجأة والحقيقة

الحرب الرابعة

- حرب التحرير انطلاقة لانجاز الثورة الوطنية
- المدخل الى المعركة : الوحدة الوطنية
- أطراف الصراع فى ٤ حروب مع اسرائيل
- سلاح البترول فى الحرب الرابعة
- العرب عبر الطريق .. من الهزيمة الى الانتصار
- الاطار الدولى لمعركة التحرير
- بعد ٦ أكتوبر : اسرائيل .. الى اين ؟



طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهريه

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير

لطفى الخولى

ان [الطليعه] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وهى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة

من هذا المفهوم تفتح « الطليعه » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٤٦٤ق٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

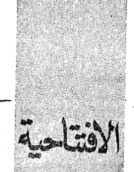
العدد الحادى عشر — السنة التاسعة — نوفمبر ١٩٧٣

د. محمد الخفيف

شـــارك في تاسيس الطليعــة
واسرة تحــــريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الى أصدقاء الطليعة

ترجو « اسرة التحرير » أن تلفت نظر قراء الطليعة واصدقائها ، الى أن غالبية مواد هذا العدد قد اعدت فى حدود يوم ٢٠ اكتوبر ١٩٧٣ . فهذا ما تقضى به الاجراءات الفنية لطباعة مجلة شهرية ، فى الحجم الذى تصدر به « الطليعة » . ومن هنا كان واجبا على اسرة التحرير أن تعتذر للقــراء والاصدقاء بسبب ماتفرضه الامكانيات الفنية من قصور عن متابعة الايقـــاع الهائل والسريع للتطورات التى تجرى فى بلادنا منذ ٦ اكتوبر المجيد ، يوم العبور الـكبير .



٦ أكتوبر : المفاجأة والحقيقة

تفجرت « **حرب أكتوبر ٧٣** » بين العرب واسرائيل ، على الرغم من أن كل الحسابات الظاهرة « **لموقف ما بعد حرب يونيو ٦٧** » ، اعتبرت مثل هذه الحرب احتمالا غير قابل للتحقيق . وذلك على الامتداد المرئى لكل من الزمن والواقع المطروحان امامها .

حسابات اسرائيل ، ظلت تقوم على تلك الفكرة التى حاولت الدعاية الاسرائيلية — من باب الردع المعنوى — غرسها فى أعماق « **الخصم المهزوم** » .. ولكن اذا بها تنتهى الى « **قوة تحكم ضاغطة** » على الفكر والعمل الاسرائيليين ، عسكريا وسياسيا . ونعنى بهذه الفكرة ، زرع اعتقاد عام بالمنطقة وبالعالم كله ، بان « حرب ١٩٦٧ »كانت «آخر الحروب» فى الصراع العربى — الاسرائيلى . وأن المسألة ، لاتعدو أن تكون مسألة وقت ، كى يفرض « السلام الاسرائيلى » جناحيه على المنطقة ، ويسلم العرب بالامر الواقع ويستسلمون له .

وراح « الفكر الاسرائيلى العسكرى » يقلل من وزن مظاهر المقاومة المسلحة والسياسة العربية — فى اطار هذا الاعتقاد — ويصورها على انها مجرد ، فورات لا مستقبل لها ، نابعة عن جيوب عربية متطرفة ومنعزلة عن الواقع ، وعن جماع القوى المؤثرة فى المجتمعات العربية . وقر فى تصور اسرائيل ، أن استمرار القيام بالتغييرات فى طبيعة الارض المحتلة من ناحية ، وتوجيه ضربات تأديبية مكثفة هنا وهناك فى البلاد العربية دون خشية رد مقابل من ناحية اخرى .. من شأنهما أن يقضيا على جيوب المقاومة . ويتيح الفرصة أمام ما تسميه اسرائيل « القوى المؤثرة فى المجتمعات العربية » أن تسيطر على الموقف ، وتتكيف لنتائج حرب ٦٧ العسكرية ، وتأخذ زمام المبادرة وتستجيب — بتعقلها واتزانها — لنداء اسرائيل بالجلوس الى مائدة المفاوضات المباشرة ، وتوقيع صك الاستسلام فى صورة معاهدة سلام .

وحسابات امريكا ، اعتمدت فى الاساس ، على كل من الحسابات الاسرائيلية ، والرؤية السطحية للموقف العربى بعد هزيمة ٦٧ وابنيته الفوقية .

فمن ناحية ، باتت أمريكا على يقين من أن اسرائيل غدت — ولمرحلة قادمة تستهلك عمر البترول الاستراتيجى — رجل البوليس القوى فى المنطقة . لا بديل منظور لـه . قادر على ان يشـل العرب شللا استراتيجيا عن الحركة .

ومن ناحية أخرى ، فان هزيمة العرب فى ٦٧ قد أدت — فى رأى الامريكيين — من جانب ، الى هزيمة القوى الوطنية والثورية العربية فى القطاعات المدنية والعسكرية على السواء . ومن جانب آخر الى انتصار قوى المساومة . وهو انتصار يدعم — فى تقديرهم — مراكز المصالح الامريكية والاسرائيلية فى المنطقة .

وفى ضوء هذه الحسابات ، أسقطت امريكا كل امكانية محتملة للقوات العسكرية العربية . وفسرت تفسيرا خاطئا مظاهر الصراع السياسى والاجتماعى — اقليميا وقوميا — فى المجال العربى ،وعمليات الشد والجذب فى العلاقات العربية السوفيتية، وعدد من التكتيكات السياسية المصرية فى كل من المجالين العربى والعالمى .

ومن هنا جاءت « حرب اكتوبر » مفاجأة صاعقة للولايات المتحدة واسرائيل معا . واضطر « **هنرى كيسنجر** » وزير الخارجية — فى مواجهته لاول أزمة خطيرة منذ توليه منصبه — أن يبرىء نفسه من الغفلة السياسية ، فيعلن أنه تلقى معلومات سرية بطريقة خاصة تشير الى احتمال اشتعال الحرب فى الشرق الاوسط قبيل ساعات معدودة من نشوبها . وأنه طلب على الفور الى كل من جهازى المخابرات فى أمريكا واسرائيل التحرى عن صحة هذه المعلومات ، فأجيب بأنها معلومات غير صحيحة وأن كل شىء هادىء وتحت المراقبة الدقيقة . ونام « كيسنجر » ليلته مطمئنا الى تقارير مخابراته ، غير أنه ما لبث أن أوقظ فى ساعة مبكرة من صباح ٦ أكتوبر — بتوقيت نيويورك — على رنين تليفون الحرب .

بيد أن الحرب لم تفاجىء معسكر العدو فحسب . فالحقيقة أنها أيضا فاجأت معسكر الاصدقاء والقوى العربية جميعا ، ولكن من زاوية أخرى .

فعلى الرغم من أن شن حرب تحرير ضد الاحتلال الاسرائيلى ، كان باستمرار مطلبا شعبيا ملحا منذ انطلق الشعب المصرى مع بقية الشعوب العربية ليلة ٩ يونيو ١٩٦٧ رافضا الهزيمة ومعلنا اصراره على المقاومة وطرد المحتلين ، الا أن ما آثارته الهزيمة من آثار وصراعات وزوابع فى كل انحاء الوطن العربى ، ومرور اكثر من ست سنوات على الاحتلال دون زعزعة ، رسب فى وجدان الشعب العربى من المحيط الى الخليج ، الشكوك حول مدى قدرة وجدية أى نظام عربى معاصر على تنفيذ وتجسيد الشعار الذى احتضنته الجماهير : « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . وزاد من هذه الشكوك — بغض النظر عن جوانبها الصحية — استمرار وقف اطلاق النار على الجبهات العربية رغم العربدة الدائمة للعدوان الاسرائيلى ، فضلا عما واجهته المقاومة الفلسطينية فى أكثر من موقع عربى من حصار وضرب وتشريد .

فى المواجهة المباشرة لاسرائيل ، يبرز فى المقدمة — اساسا — قوتان رئيسيتان : مصر وسوريا ، وكان الرئيس السادات منذ ولى مسئولياته بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، يرفع دائما شعار « ضرورة العمل السريع مع العدو

المحتل » ، ذلك أنه كان يعتقد — كما سمعت منه مباشرة أكثر من مرة — أن استمرار الاحتلال يجعل الوقت فى صالح اسرائيل ، وانه بمجرد التحرك لخلع هذا الاحتلال ، يتحول الوقت الى صالح العرب . وأنه باعلانه وتكراره لاعـــلان ضرورة الحسم واحيانا تحديد موعده انما يستهدف حفز كل القـــوى المصرية والعربيـــة الى العمل وتحديد موقفها ، فضلا عن ارباك حسابات العدو الذى يفاجىء بتحديد غريب لميعاد المعركة وكأنها مباراة رياضية .

ولا شك أنه بعد انتهاء الحرب سوف يكشف الرئيس عن الخطط والتكتيكات التى اتبعها من أجل أن يجعل كل المنطقة العربية فى حالة توتر وتحفز واعداد من ناحية ، وتنويم وتضليل الرؤى والحسابات الامريكية والاسرائيلية من ناحية اخرى . المهم ، انه فى حدود ما هو منظور ، أعلن الحسم أكثر من مرة وتأجل أكثر من مرة ، وترك هذا — بالضرورة — انطباعات سلبية لدى قطاعات واسعة من القـــوى الوطنية ، اذ فسرت الامر كما لو كان تأجيلا لمعركة التحرير الى أجل غير مسمى . لكن الرجل — والحق يقال — ظل باستمرار حافظا — من الناحية العمليـــة — لوعـــده بالحسم والمعركة . وذلك على الرغم من عديد من المظاهر التى كانت تتناقض مـــع ذلك . وعنـــدما كنت أسأل عن هذا الوضع من عدد من الاصدقاء المصريين والعرب — حتـــى بعد اختـــلافى مع الامانة العامة ولجنة النظام بالاتحاد الاشتراكى — كنت أسلم بالتناقض ، ولـــكنى ايضا كنت أؤكد على اقتناعى بأن السادات ، ابن الحركة الوطنية فى الاربعينيات وحركة الضباط الاحرار فى الخمسينيات ، يؤمن بأنه لا بديل عن حرب تحرير ، وان القضية الصعبة هى فى كيف يحول هذا « الايمان الذاتى المكنون » الى « ايمان موضوعى متحرك » .

وواجه الرجل — بطريقته — القضية الصعبة ، وجاء ٦ اكتوبر مفاجأة ايضا لكل القوى فى الوطن العربى ، حتى بالنسبة الى القوى التى كانت معركة التحرير مطلب حياتهم الاول والاخير . وفى لحظة عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف والجولان توارت كل الشكوك وانهارت كل التحفظات . وشمل المد الثورى جميع الشـــعوب العربية ، وانضوت كل القوى الوطنية بـــلا استثناء تحت لواء قيـــاداتها فى مصر وســـوريا ، وعادت مصر بقيادة السادات الى احـــتلال مكانها التاريخى وممارسة وزنها النضالى والسياسى فى الوطن العربى .

وتكشف للجماهير العربية ولمعسكر الاصدقاء ، من خـــلال الضربة المفاجئـــة ، الطريق الطويل الصعب الذى خاضته القيادة الوطنية والقوات المسلحة ، بصبر وألم وأمل حتى يصلوا الى ساعة الصفر فى الساعة الثانيـــة من بعد ظهر يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

مسيرة طويلة وشاقة تم خلالها تخطى المزالق الوعرة والتخفى عن عيون العدو وشباكه المترصدة على الطريق .

غير أن المفاجأة العربية هنا ، لم تصطدم وتصعق ، كما حـــدث مع اسرائيل وأمريكا . لكنها امتصت آلام ومهانة أكثر من ست سنوات ، وحسمت مع القتال الصراعات ، وحررت الطاقات من محابسها لتصب فى نهر واحد متدفق : معركة التحرير .

هكذا شقت الحرب الرابعة طريقها وسط النيران عبر قناة السويس والجولان .. وكان طابع المفاجأة المزدوج هو سر نجاحها التكتيكى الاول الذى حقق للعرب — لاول مرة فى تاريخ الصراع — ميزة التمتع بالمبادرة فى الحركة .

الحرب الرابعة ؛ أول فعل عربي — في الصراع — على حين كانت الحروب الثلاثة الاولى — من الناحية العربية — مجرد ردود أفعال لمبادرات اسرائيلية . بمعنى ان هذه الحرب الرابعة هي في جوهرها ، أول حرب تحرير ضد الصهيونية والاحتلال الاسرائيلي .

بيد أن التميز العربي بالمبادرة ، ليس هو — وحده — ما يميز الحرب الرابعة عما سبقها من حروب . هناك ميزات أخرى تشكل الملامح الاساسية للحرب الرابعة وتكسبها نوعية جديدة . علينا أن نستثمرها بوعي ، خلال حركتنا العسكرية والسياسية ، وخاصة فيما بعد خطوة العبور الناجحة .

الحرب الرابعة ، تتسم **بميزة ثانية** ، وهي أنها تستند الى مطلب شعبي عارم ظل يجتاح الوطن العربي كله ، وعلى الاخص الشعب في مصر وسوريا اللذين وقعت اجزاء من ترابهما الوطني تحت الاسرائيلي . وهو مطلب أخذ يتصاعد في الحاحه وضغطه على مدى سنوات الاحتلال ، التي شهدت مصرع كل المحاولات التي بذلت على طريق ما سمي « بالحل السلمي لازمة الشرق الاوسط » .

معنى هذا أن الحرب الرابعة ، ليست مفروضة على الشعب العربي من جانب حكوماته ، بل على العكس كانت هذه الحكومات تواجه ضغوطه بضرورة استكمال الاستعداد العسكري . فالحكومات هنا أداة تنفيذ لارادة شعبية . وليست « **مورطة** » لشعبها في حرب عدوانية لتحقيق منافع ومغانم لطبقة حاكمة على حساب شعبها . وبالتالي فالحرب — في جوهرها وأبعادها — يجب أن تصبح **حرب الشعب**. وحرب الشعب دائما — وكما ترشدنا حركة التاريخ — ذات نفس طويل ، تملك الجماهير الشعبية خلاله قدرة شبه اسطورية على تحمل واستيعاب أفدح الخسائر والتضحيات ، واثراء طاقاتها بزاد معنوي ومادي غير محدود . وهذا من شأنه ان يثور دوما وضعها وقيادتها الوطنية .

والحرب الرابعة — **ثالثا** — تندلع من خلال رماد ثلاث هزائم ، مني بها العرب خلال الحروب الثلاثة السابقة .. وكان آخرها [١٩٦٧] هو أخطرها على الاطلاق ، وأعمقها في انذار المواطن العربي للخطر الصهيوني وحفزه لمقاومته كقضية حياة أو موت ، أيا كانت عقيدته الدينية او رأيه السياسي او موقفه الاجتماعي .

واذا شئنا ترجمة هذا الانذار الذي أطلقته هزيمة ٦٧ ، فاننا نستطيع القول بأن ما من مواطن عربي — في المشرق أو المغرب — الا وافتقد الشعور الذاتي والقومي بعدم الامن ، وانه غدا مهددا بنفس المصير الذي لقيه المواطن العربي الفلسطيني منذ نزل به الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٤٨ .وتلازم مع هذا الشعور القومي ونما معه ، نوع من الاحساس بعقدة الذنب تجاه قصوره في الماضي عن مشاركة الشعب الفلسطيني — وبدرجات متفاوتة — في التصدي المبكر والحاسم للخطر الصهيوني .. **فلسطين كانت نقطة البداية فحسب . واليوم جاء دور بقية الوطن العربي ليلتهمه مخطط التوسع الاسرائيلي لقمة بعد لقمة .**

لم تقدر الحسابات الاسرائيلية — الامريكية ما يحدثه الشعور القومي بعدم الامن والاحساس بعقدة الذنب من تفاعلات ايجابية داخل الوطن العربي ، وفي صفوف قواته المسلحة .. هذه القوات التي علق بها — ظلما — هزيمة ١٩٦٧ أمام شعوبها ، فأقدمت على اعادة بناء نفسها في أحضان جماهيرها ، وبهدف محدد هو مواجهة وتحطيم الجهاز العسكري للعدوان الاسرائيلي وأسطورته التي روجها طوال خمس وعشرين عاما .

الحرب الرابعة ، صراع مزدوج .

صراع الانسان المهان المجروح قوميا مع نفسه ، التى ظلت « الاسطورة » **تجلدها** طوال سنوات الهزيمة على مرأى من العالم كله . فى حين كان هو يبذل أقصى **الجهد** لتغيير ذاته وتطوير قدراته والتعلم من أخطائه ومن تجربة فيتنام الجارية امامه .

وصراع بينه وبين ذلك « **السوبرمان الاسرائيلى** » الذى يتشدق كل لحظة **بانتمائه** الى « **شعب الله المختار** » . وراح ، بفكر غيبى عنصرى ، يتقمص — **على مسرح** المنطقة — دورن « **داوود** » الصغير قاهر الجبار « **جوليات** » فى الخرافة **المشهورة** .

من هنا يمكن ان نقول ان الحسابات الاسرائيلية — الامريكية — لحسن الحظ — اسقطت من تقديراتها الالكترونية حول توازن القوى فى المنطقة ، طاقة هذا الانسان العربى وقواته المسلحة وتفجرها بعد مهانة ظلت تتراكم — كما ونوعا — على امتداد ما يقرب من سبع سنوات .

الحرب الرابعة — فى ميزتها الرابعة — تشتعل على الجبهتين المصرية والسورية وسط ظروف عربية مواتية بدرجة لم يسبق لها مثيل من قبل خلال الحروب الثلاثة السابقة .

وعلى الرغم من تفاوت الاسهام العربى فى المعركة من دولة الى اخرى ، فان الحركة الشعبية العارمة يزداد ضغطها على دولهـا للالقـاء بكل ثقلها فى حومة الوغى .

واذا كانت الاسهامات الفعالة والقوية لكل من العراق والجزائر وليبيا ، لم يرتفع الى مستوى عطائها بعد دول عربية أخرى، الا ان الانصاف يقتضينا أن نقرر ان ما من بلد عربى يقف اليوم موقف المتفرج ،أو المساند بالبيانات الحماسية والتمنيات الاخوية الطيبة ، كما حدث من قبل .

وفضلا عن هذا فان الحرب الرابعة ، تستخدم فيما تستخدمه كل من سلاح البترول وسلاح الارصدة العربية السائلة ، لاول مـرة . وذلك فى وقت يواجه العالم ، والعدو بالذات ، أزمات حقيقية فى الطاقة والنقد الدولى . صحيح أن استخدام السلاحين ما زال بصفة عامة — مع استثناء العراق والجزائر وليبيا — دون المستوى المطلوب ، الا أن من المهم أن السلاحين قد دخلا ساحة المعركة بالفعل .

واذا كانت الحرب الرابعة تتصف — **خامسا** — بالتنسيق المشترك بين الجبهتين المصرية والسورية وتحركهما فى وقت واحد . فان ثمة عامل جديد لم يكن متوافرا فى الحروب الثلاثة الماضية . ونعنى به فتح الثورة الفلسطينية لجبهة قتال ثالثة ضد العدو فى اعماق كيانه وخلف خطوطه .وهى جبهة ، وصفهـا « فيليكس بولو » مراسل وكالة الانباء الفرنسية فى تل أبيب ، بأنها « **حرب أقل اثارة من الناحية الصحفية الا انها مدمرة** » .

صحيح ان الشعب الفلسطينى حارب خلال عام ١٩٤٨ وما بعده . لكن الجديد اليوم أننا بصدد حركة تحرير فلسطينية منظمة ، ذات استراتيجية بعيدة المدى تنفذها بكفاءة وثورية حركة التحرير العالمية . وذلك من خلال مراحل تكتيكية متتابعة .

ومن هنا فان الثورة الفلسطينية تحتل مكانها فى الحرب الرابعة ، ندا وشريكا ، وليس تابعا أو مجرد عامل مساعد . ولهذا فهى تضيف — موضوعيا — الى معركة التحرير وزنا ودعما مؤثرين .

الحرب الرابعة — **سادسا** — تستعر ، والموقف العربى تظلله « الشرعية الدولية » فى حين انها تنحسر تماما عن الموقف الاسرائيلى .

وهذه وضعية جديدة لم نتمكن من توفيرها من الحروب الثلاثة السابقة .

اذا استبعدنا امريكا والقوى الصهيونية وبعض الدوائر المحدودة المتعاطفة معها ، فان العالم كله ، شرقا وغربا ، ادان الاحتلال الاسرائيلى ، واعترف بحق العرب فى تحرير أراضيهم وشرعية النضال الفلسطينى . تجسد ذلك فى عشرات من القرارات التى صدرت عن الامم المتحدة وعن منظمة الوحدة الافريقية والبلاد غير المنحازة ومؤتمرات الدول الاشتراكية والحركات الشعبية العالمية .

فى هذه الحرب الرابعة ، تقف اسرائيل لاول مرة — فى المجال الدولى — عارية الا من ورقة التوت الامريكية . لا تحارب ، كعادتها كل مرة ، العرب فحسب ، وانما ايضا الشرعية الدولية والرأى العام العالمى .

وتكسب الحرب الراهنة بذلك ، بعدا متميزا هاما ، وهو ان العرب لا يحاربون حربا مشروعة ، بمعيار خلع الاحتلال من أرض الوطن فحسب . وانما هم فى نفس الوقت يحاربون دفاعا وتنفيذا عن الارادة الانسانية ، وذلك بمعيار الشرعية الدولية .

والحرب الرابعة — فى سمتها السابعة — تقع والولايات المتحدة ، المصدر الاساسى للعدوان الاسرائيلى ، تعانى مآزق خارجية وداخلية تاريخية : فشل مغامرتها العدوانية ضد شعب فيتنام — استمرار حرب التحرير فى كمبوديا — نمو التمرد الاوربى الغربى واليابانى على القيادة الامريكية للمعسكر الراسمالى ، مع اتساع متزايد لرقعة الصراعات الاقتصادية فيما بينها — أزمات الطاقة والدولار والبطالة — الفضائح السياسية والاجتماعية التى تحاصر جهاز الحكم ومؤسساته وتهدد الرئيس بعد نائبه ، وتجد تعبيرا لهافيما يسمى « فضيحة ووترجيت » .

واذا كان هذا كله لا يصل الى درجة غل يد أمريكا عن مد « اسرائيل » بالعون ، الا انها — امريكا — ليست اليوم — بالتأكيد — فى وضع مريح يتيح لها مرونة الحركة وصلفها . وذلك بالقياس الى وضعها فى الحروب الثلاثة الاولى . وسوف يزداد هذا الوضع غير المريح تعقيدا وعجزا مع استمرار الحرب الرابعة دون توقف حتى تحقق هدفها ، وما يترتب على ذلك من انهاك جذرى لقوة اسرائيل وقدراتها من ناحية ، وتدمير للمصالح الامريكية فى المنطقة العربية من ناحية أخرى .

الحرب الرابعة — ثامنا واخيرا — هى أول حرب اقليمية يتمثل فيها الصراع بين حركة التحرر وبين الاستعمار القديم والجديد والعنصرية . وذلك بعد الانفراج الدولى الذى تحقق من خلال العلاقات السوفيتية — الامريكية الجديدة وفقا لمبادىء التعايش السلمى . وبالتالى فالحرب الرابعة هى بالدقة « **أرض الاختبار الأولى** » للحركة المعقدة بين العملاق الاشتراكى والعملاق الرأسمالى ، من اجل المحافظة على جو التعايش السلمى عالميا من ناحية واستمرار الصراع — فى ظروف افضل — بين قوى السلام والحرية ، وبين قوى الاستعمار والعنصرية من ناحية أخرى .

ومن الواضح أن هذه الحركة تجرى اليوم من خلال خطين رئيسيين :

أولهما : سياسى ، يتحدد فى ان الوثيقة التى صدرت عن لقاء القمة بين بريجينيف و « نيكسون » فى واشنطون ، قد اكدت على اتفاق وجهات نظر الطرفين حول القضايا التى عرضت للنقاش . وذلك فيما عدا قضية محددة واحدة هى « قضية الشرق الاوسط » فقد احتفظ كل طرف ــ صريحا ــ بموقفه المتميز منها : السوفييت مؤيدين للعرب ، والامريكان مؤيدين لاسرائيل .

وثانيهما : عملى ، يتجسد رمزه على أرض القتال الملتهب ، حيث يستخدم المصريون والسوريون بنجاح « **صواريخ سام** » فى اسقاط « **فانتوم العم سام** » الذى يستخدمه الاسرائيليون فى قصف العرب .

بتجميع الخطوط التى ترسمها هذه المميزات الثمانية للحرب الرابعة ، تتكشف امامنا مواقع ومراكز الاطراف المتصارعة فوق خريطة الموقف المعاصر بعد ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

وبمقارنة خريطة أكتوبر ٧٣ مع خرائط الحروب الثلاثة الماضية ، وخاصة حرب يونيو ٦٧ ، تبرز أمامنا ــ حتى كتابة هذه السطور ــ الحقائق الاربع الموضوعية التالية :

● تبادل فى المواقع « الكيفية » بين اطراف الصراع المباشرين . مصر وسوريا والعرب ــ لاول مرة ــ فى مركز الهجوم . اسرائيل والصهيونية ــ لاول مرة أيضا ــ فى مركز الدفاع .

وينعكس ذلك فى امتلاك الجانب العربى لزمام المبادأة فى كل من الميدان العسكرى [استمرار القتال والتقدم] وفى الميدان السياسى [اعلان تحرير الارض المحتلة واقرار حقوق شعب فلسطين] . على حين مازال الجانب الاسرائيلى على حالة رد الفعل ، عسكريا وسياسيا ، رغم الجهود التى يبذلها ويدفع فى سبيلها ثمنا باهظا من قواته وسمعته العسكرية والسياسية فى المنطقة وفى العالم ، وذلك حتى يتحرر من قيود الدفاع ، وينتقل الى الهجوم [تغييرات القيادات العسكرية الجديدة ودعوة القيادات التقليدية ــ التصريحات العصبية والمتناقضة لجولدا مائير وديان وايبان ودافيد اليعازر] .

● تبادل آخر فى المواقع الكيفية بين الحليفين المباشرين لاطراف الصراع . الاتحاد السوفيتى فى وضع المطمئن والمحدد لسياسته فى ضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية بعد ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . امريكا على العكس فى وضع قلق وسياستها تتأرجح بين السعى لوقف اطلاق النار . والعودة لما تسميه حدود ٦ أكتوبر ، الى وقف اطلاق النار مع بقاء القوات المتحاربة فى مواقعها الحالية ، الى محاولة الوصول الى ما تسميه تسوية سلمية ونهائية للازمة ، تضمن لاسرائيلى حق الوجود والاستمرار .

صورة متناقضة تماما لما كان عليه الموقف فى حرب يونيو ٦٧ .

وينعكس ذلك فى امتلاك الجانب السوفيتى ــ دوليا ، وفى اطار العلاقات الثنائية فى الولايات المتحدة الامريكية ــ لزمام المبادرة . فشل المبادرة الامريكية الاولى فى مجلس الامن . اسراع كيسنجر وزير خارجية امريكا بالسفر الى موسكو فى نهاية الاسبوع

الثانى من الحرب ، وذلك من أجل البحث عن حل مقبول .. فى حين انه خلال يونيو ٦٧ كان كوسيجين هو الذى توجه الى جلاسبيرو بالولايات المتحدة ليناقش جونسون [الرئيس الامريكى وقتذاك] امكانية الوصول الى حل مقبول .

● زيادة كم ووزن كتلة الحياد فى أوربا الغربية بين العرب واسرائيل . كان حياد فرنسا عام ١٩٦٧ استثناء من القاعدة العامة فى اوربا . فى اكتوبر ٧٣ صار الحياد هو القاعدة العامة فى دول السوق المشتركة ، واوربا الغربيةبصفةعامة ، والاستثناء هو تحيز هولندا الى اسرائيل .

وينعكس ذلك فى التصريح المشهور « لجوبير » وزير خارجية فرنسا فى الاسبوع الاول من القتال ، عن أن أحدا لا يستطيع لوم العرب اذا عملوا على تحرير اراضيهم والعودة الى ديارهم . الحظر الذى فرضته بريطانيا على توريد الاسلحة الى دول المنطقة رغم المعارضة البرلمانية الشديدة . انسحاب دول السوق الاوربية من مشاركة أمريكا فى طلب دعوة مجلس الامن للانعقاد عشية الحرب حتى تدفع عن نفسها اى شبهة بالانحياز الى معسكر أمريكا ـ اسرائيل .

● زيادة كم ووزن دول العالم الثالث التى ربطت بين حركة تحررها وتقدمها ، وبين حركة التحرر العربى فى مواجهتهما للخطر الصهيونى ـ الامبريالى . الامر الذى بلور موقفها السياسى فى أنهاء الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية ، والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى .

وينعكس ذلك فى موجات قطع العلاقات الدبلوماسية بين هذه الدول وبين اسرائيل والاعتراف بشرعية الثورة الفلسطينية ، وخاصة فى افريقيا التى كانت تمثل موقعا خصيبا ومثمرا للرأسمالية الاسرائيلية .

هذه الحقائق الموضوعية الاربع التى تكشف عنها خريطة الحرب الرابعة ، تمدنا بالمعطيات الاساسية لتحديد اطار وأهداف حركتناالعسكرية والسياسية ـ فى هذه المرحلة من الصراع ـ وتحميها من شطط المغامرة أو الارتداد على السواء .

واذا ماالتزمنا فى حركتنا بالخط الثورى العلمى ، الذى يؤكد على ضرورة أن يقود الهدف السياسى للمرحلة العمل العسكرى ويحدد له مهماته ، فاننا يمكن أن نحدد الهدف السياسى للحرب فى أمرين متلازمين لا يقبلان الانفصال . وهما :

أولا : انهاء دور « رجل البوليس القوى » الذى تقوم به اسرائيل لمصالحها العنصرية والتوسعية ، ولصالح الامبريالية الامريكية ، والاحتكارات العالمية فى المنطقة .

ثانيا : تجسيد سياسى ـ عملى للحقوق القومية للشعب الفلسطينى . وذلك وفقا لمراحل استراتيجية الثورة الفلسطينية .

فى ضوء هذا الهدف السياسى المزدوج فان تحركنا العسكرى أولى به أن ينصب أساسا علىتحطيم جهاز الحرب الاسرائيلى العدوانى . وذلك بانزال افدح الهزائم والخسائر به ، مهما كان الثمن الذى يتوجب علينا الوفاء به . لقد دفعنا من قبل ، وأكثر من مرة ، اثمانا فادحة دون جدوى . فليكن ثمن هذه المرة مجزيا ، موضوعيا وتاريخيا .

ولعل معارك القتال الضارى المشتعلة على كل من الجبهة المصرية والسورية ـ حتى كتابة هذه السطور ـ تؤكد أن لدينا الشجاعة والقدرة على تحقيق ذلك .

وهذه ، فى الحقيقة ، مسئولية جيلنا التاريخية أمام الاجيال القادمة ..

ولا شك فى أن ضمان الوفاء بهذه المسئولية التاريخية ، يستلزم الامر — كما تعلمنا خبرات النضال الانسانى — ان نحشد جميع امكانياتنا الوطنية والقومية والعالمية « فى كل واحد » نحو الهدف ..

كل أمر خارج اطار هذا الهدف ، أيا كان حجمه أو قيمته ، هو صغار وعبث . الترفع عنه واهماله أو تجميده ، هو جوهر الفرق بين التضحية الوطنية والخيانة فى معركة المصير ..

وبتعبير سياسى ، فان التناقضات والخلافات الفرعية ، اقليميا وقوميا ، يجب أن تتوارى وتنزوى امام التناقض الرئيسى بين حركة التحرير العربية وبين اسرائيل والامبريالية الامريكية . ويصبح شعار المرحلة هو : « **كل شىء من أجل النصر فى الحرب الرابعة** »

كل شىء ، من أجل حرب تحرير طويلة النفس دون توقف ، وتتنامى عن قدرة العدو على الاحتمال ، يجب أن ييسر بحسم وسخاء لقواتنا المسلحة وفصائل المقاومة الفلسطينية ، كى تواصل قتالها البطولى والمشرف ..

كل شىء ، يلزم أن يمنح بقوة وانكار للذات من أجل الجبهة الداخلية فى مصر وسوريا وبنائها من خلال صياغة محكمة التنظيم ، شاملة لجميع القوى الوطنية بلا استثناء ، قادرة على الحركة الجماهيرية الفعالة لا الشكلية ، وعلى استيعاب وحل ما لابد من مواجهته من خسائر ، ومشاكل حياة كل يوم تحت وهج النيران .

كل شىء ، من أجل بناء أوسع واعمق جبهة عربية قومية ، تضم كل القوى الوطنية المعادية للصهيونية والامبريالية الامريكية تحت أية راية .. هو مسئولية كل الاحزاب والتنظيمات السياسية العربية ..

كل شىء ، من اجل توثيق أمتن الروابط مع أصدقاء وحلفاء نضالنا ، وخاصة الاتحاد السوفيتى الذى اثبتت التجارب المرة والحلوة صدقه وصداقته ، يجب أن نقدمه باخلاص ووعى ويد ممدودة .

الحق ، ان كل ضمانات النصر — هذه المرة — فى ايدينا ، ونحن وحدنا المسئولين أمام أنفسنا وشعبنا وعالمنا ..

الحرب الرابعة فى تاريخ الصراع العربى — الاسرائيلى ، والاولى فى مجرى التحرير .. كانت — أمس — أملا وشعارا شعبيا .. فى ٦ اكتوبر ، تفجرت مفاجأة .. اليوم ، حقيقة حية مشتعلة . غدا ، لابديل أمامنا غير تحقيق الهدف والنصر ، دون عنصرية ، أو تعصب ، أو غرور ..

لطفى الخولى

٣ كلمـــات حـــب

مـن أســرة تحــرير الطليعــة

☐ كلمة حب الى جنــود مصـــر

كانت أبلـــغ الكلمات الوطنيـــة ، هى أمـــر عبوركم .

من كان يستطيع أن يقول من أين تبدأ ذاكرةشعبنا الوطنية . انتم قلتوها فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ يوم أصفر لون أوراق الحزن الوطنىوسقطت . يوم فوجئت « سيناء » وسط احلامها بخطواتكم يئن لها السكون . ظهر آخر يوم أرادفيه العدو أن يكون حب « سيناء » محرما . يوم رأت « سيناء » فى وهجرصاصكم كلالشموس ،بعد أن كادت تنسى أن الارض تدور .

كانت أبلغ الكلمات الوطنية ، هى شجاعتكم التى عبرت عنها البلاغات العسكرية . لم يحدث من قبل أن نبضت قلوبنا مثلما نبضت ذلك اليوم٦ أكتوبر ١٩٧٣ .لم يحدث من قبل أن الف شيء بين فرحنا ودموعنا مثلما الفت شجاعتكم . ولاشيء كان أعظم يومها من جسوركم التى امتدت تمزق « أكفان » سيناء .

لسنوات قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، لم يعـــرفـزماننا الشمس عنـــدما كانت كلمات الفـــرح ممنوعة . لكن عبوركم العظيم صنع الاغنيـــةالتى رمت مصر وراءها ذكرياتها المؤلمة .

●●●

كانت أبلغ الكلمات الوطنية ، هى صوركمالتى طالعتنا بها الصحف والاذاعات فى المساء التالى لمساء ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . عندما لم يكن الصمت يكفى بل عرفتم كيف تقولون شيئا آخر

فى ذلك المساء الذى فتح فيه أطفالنا عيونهم المصرية الواسعة يرون دون أن يفهموا أن آفاق مستقبلهم تحمونها أنتم اليوم . يرونكم وقـــدحملتم خطايانا وتعبرون .

فى ذلك المساء نام أطفالنا آمنين . وعندمانامو كانوا قد ناموا مع صوركم .

صوركم أنتم ، يا اخوتنا ، يا أحب الاخوة ،صور عبوركم وأنتم تقولون وداعـــا ، وتؤمنون ونؤمن معكم أنكم عائدون بعد تحرير « سيناء »المهجـــورة . وعبرت معكم قلوبنـــا وأنفاسنا وجنوننـــا .

صدقونا الا شيء كان يثير الالم فى النفس مثلما كان الحزن الوطنى حتى ظهر ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

صدقونا ألا شيء يثير الفرح الان فى نفوسنامثلما أثارته صوركم وانتم تعبرون لتجعلوا من ليل العدو جحيما والنهار أشد حسرة .

وملعونة هى كل الكلمات التى لاتبهج قلب الوطن .

●●●

كانت أبلغ الكلمات الوطنية من صنعكم .

منذ سنوات كانت تلهب ظهورنا بلاغـــات العدو العسكرية . تعذبنا جميعـــا . وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ رأيناكم فى الطليعة أكثر فتـــوةمما توهم الجميع . واكثر بساطة . رأيناكم فى مثل شعبنا الذى يبتسم الان .

بالحرب العادلة ، تصـنعون بداية جديدة لمستقبل شعبنا ، بداية تستحقها كل الدماء الطاهره التى روت « سيناء » . دماؤكم : انتم أبناء العمال والفلاحين وكل القوى الوطنية فى مصر . أنتم : أعز الابناء حين كانت شهادات العلم يوم فزتم بها ، هى نفس وثيقـة شرف الانخراط فى صفوف الجندية المصرية .

أنتم : حيث ينتظـر الابنـاء .. ابناؤكم أن يعيشوا حياة أفضل من حياة آبائكم ، وأكثر ازدهارا . لا ظل فيها لخوف الكلمة الوطنية المخلصة . لا ظل فيها لاستغلال .

أنتم : حين توظفون شهادات العلم ، ووثيقة الشرف ، لخدمة سلام مصر فى ظل الاشتراكية التى اختارها شعبنا واكدتها قيادتنا الوطنيـة على لسان ابن مصر البار أنور السادات يوم حدد عشية ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، أهدافنا بوضوح « مرة أخرى أمام أنفسنا وامام العالم كلـه » ومنها :

« استمرار التحول الاجتماعى لصالح قوى الشعب العاملة » .

● ● ●

يا جنود مصر : يا اشقائنا : أحب الاشقاء .

لقد كانت أبلغ الكلمات الوطنية ، حربـكم من اجل السلام .

وكم يحبكم شعبنا لانكم تحبون السلام الذى تدافعون عنه وتصنعونه منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، انكم تحملون السلاح وتحبون الخبز والارض ، طهورون مثل شعبنا ، أقوياء حنونون مثله .

تحملون السـلاح وعلى صـدوركم تنبت السنابل واغصان الزيتـون . السنابل التى لا تدوسها أقدام اجنبى واغصان الزيتون التى تشجرونها فوق قبور شهدائنا .

لقد كانت ابلغ الكلمات الوطنيـة ، اليقين الذى صنعتموه .

عندما كان عبوركم فى ٦ أكتـوبر ١٩٧٣ ، فرصة جديدة — واخيرة — لان يستقطب من حول العبور معسكر الاصدقاء على جانب من المتاريس ، ومعسكر الاعداء على الجانب الاخر من المتاريس .

عبوركم هذا اكد مرة جديدة — واخيرة — لكل من اختلط عليه الامر يوما بالامس ، او خلط الامر يوما بالامس ، بين الصديق الحقيقى والعدو الحقيقى . الصديق الذى تبقى صداقته رغم كل شىء . والعدو الذى يظل عدوا رغم كل شىء

الى جانب عبوركم العربى ومن حوله ، وقف كل الاصدقاء بقلوبهم وزنادهم . وقفت الشعوب المحبة للحـرية ، وقوى التحـرر الوطنى والاشتراكية . وفى مقدمة هؤلاء وفى القلب منهم : كان الاتحاد السوفيتى : الصديق الاوفى .

وضد عبوركم العربى ، وقف كل الاعـداء بكراهيتهم وبعتادهم . وقفت كل قوى الاستعمار العالمى وقوى العدوان والنهب والعنصرية . وفى مقدمة هؤلاء جميعا وفى القلب منهـم : كانت الولايات المتحدة الامريكية : العدو الابغض

● ● ●

يا جنود مصر : أعز الجنود .

لقد حملتم السـلاح القـادر .. « وعبرتم الهزيمة » .

وعندما عبرتم كان يسطع فوق خوذاتكم نجم انتصارنا : انتصار كل الشعوب .

ويا مصر : يا أحب وأعز واقدس وطن .

لكم أظهرك العدو عجوزا عقيما .

لكم باعو نسمك ناقصا .

لكن فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ كانت مقاطع اسمك الساحرة بين شفاهنا جميعا ـ كحبات ـ توت أشجارك التى تضرب فى أعماق أعماق حضارة الانسان .

يا مصر !! يا أجمل الاغانى .

لكم يحق لك ـ ولنا جميعا ـ أن نفخر و نجل احباءك : احباءنا : جنودك الاوفياء .

□ كلمة حب الى جنــود ســوريا

من أعماق أعماق قلوبنا سمعناكم عنـــدمرتفعات « الجولان » ، حين بدأ كل شىء فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

حين كنا نود أن نصدق أن « النشيد » لايزال فى قلب « الجولان » مخبوءا تحت الارض .

حين عبر جنود مصر القناة ، وطالعوا على صفحات مياهها وجوهكم واطمأنوا . فقد قرأوا فيها كل معانى الوفاء .

حين تصرون دائما على « وحدة » الشهادة من أجل « وحدة » الحياة .

عرفناكم من صوت مدافعكم تدكون مواقع العدو وتعزفون فى آذاننا أحلى نشيد .

عرفناكم حين نظرت مصر فى مرآة المستقبل وشاهدت سوريا كتفا بكتف .

عرفناكم منذ كنا نسير جميعا وفى قلوبنـــا ثقب كبير يحول دون أن نرى عيون اطفالنا لاننا نعرف معنى الخجل .

عرفناكم لاننا عرفنا الصوت المميز لسلاحكم يدك حصون العدو . وكم يا رفاق امسنا ويومنا وغدنا ، يسعد الرفيق بالصوت المميز لرفيقه . يؤنس الوحشة ويبعث الدفء فى النفس والامان للغد ، لمستقبل اغانيكم : اغانينا .

حرب الســـلام يا اشقاء مليئـــة بالشظايا والقنابل . ولكنها مع ذلك هى حرب السلام . لكن اشقاءكم : اشقاءنا ، اشاوس العـــراق وجنده ، أصروا ، كما أصررتم ، على تجسيـــد أنبل الحقائق واكثرها اشراقا : قومية حـــرب التحرير .. حربكم : حربهم : حربنا . حين أصر جنود العراق أبطاله ، أن يدقوا معـــكم طبول زفاف « سوريا » « للجولان » من جديد .

السلام قاس يا اشقاء .

لكن السلام الذى تصنعونه سوف يجعـــل سماء سوريا زرقاء صافية كما لم تكن أبـــدا من قبـــل .

ويا سوريا الحبيبـــة : يا سوريا ١٩٥٨ : يا سوريا الجبهة الوطنية ، يا سوريا ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، كم تحسدك بلاد أخرى بجنودك الذين صنعوا لاشرف الكلمات معانى جديدة وعميقة .

يا سوريا الحبيبة ، ويا جنود سوريا الاحباء ، ويا جنود العراق الاحباء ، ويا كل جندي عربي جاء الى سوريا يساهم في صنع مستقبل امتنا جميعا !!

اسمحوا لنا ان نحنى رؤوسنا اجلالا وحبا لكم !!

□ الى جنـــود الثـــورة الفلســـطينية

كنتم بصيص الامـــل في « درب » ١٩٦٧ المظلم . كنتم «الامل» الذى حال دون أن « ينتحر يأسا » كثيرون شرفاء كانوا يفتقرون اليكم حتى وجدوكم .

وعندما بدأتم : أبصرنا وجوهكم وسواعدكم : سواعدنا نحن .

وفي مسيرتكم الطويلة ، أبصرت الدنيا فيكم اسم فلسطين : اسمنا نحن !!

وخلف الحـــروف الدقيقة لاسمكم وقتهـــا : المقاومة ، كنا نشفق على انفسنا ونحسدكم !!

وفي « ايلولنا » الحزين ، قفزت قلوبنا من الضلوع . وتوقفت حتى التقطتم الانفاس من جديد . وليس أسرع من المقاتلين في التقـــاط الانفاس وابتلاع الحزن العظيم .

وخلف الحـــروف الدقيقة لاسمكم وقتها : الثورة الفلسطينية . كنا نشفق على انفســـنا ونحسدكم ، ونغني لكم وللبنادق .

وظللتم عمالقة صامدين . عذرا : بل مهاجمين

حين كان غيظكم الوطنى يطل من عيونكم . تنظرون الى ارض فلسطين الشاسعة الصلبة ، تجمعون بيـــد كل الالم ، وبالثانيـــة ترفعون أسلحتكم : راياتكم .

منذ « الكرامة » سمعت الدنيـــا اغنيتكم . وتفتق كل حجر في الارض العربيـــة عن قلب وبندقية .

قلب يحبكم كل الحب .
وبندقية تود لو حظيت بشرف أن تحملها يـــد أحدكم نحو عدوكم : عدونا !!

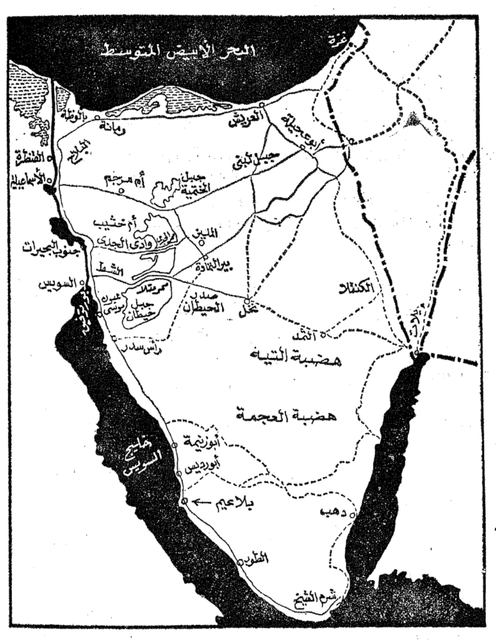
وفي ٦ اكتوبر ١٩٧٣ كان ميلادكم الالف . فأنتم كل يوم تولـــدون . من يمكن ان يتطهر كطهارتكم ، وأن يكون نقيا مثلكم الا ابناء كل يوم جـــديد .

ويـــوم تحققون اهدافكم في اقامة دولـــة فلسطينية ديمقراطية ، سوف يكون ميـــلادكم الاول : الحقيقي والكبير .

سلاما لكم ملؤه الحب والتقدير والاعجاب .
تحيـــة لابتساماتـــكم التى طالعناها على وجوهكم المحبة للحياة . . للحرية . . للتقدم !!

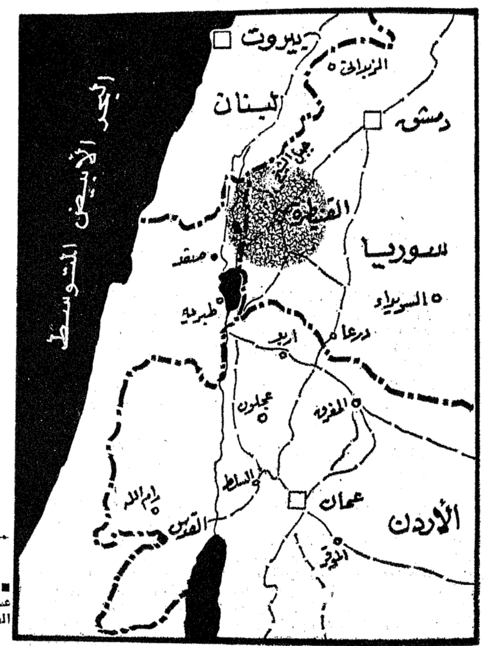
« الطليعة »

الحرب الرابعة



■ أرض العمليات على الجبهة المصرية ■

ان المعركة التى بدأت يوم ٦ أكتوبرفى سيناء وفى الجولان هى التى أوحت بتقديم هذه الدراسة • لكن القتال المسلح الذى بدأ فى ذلك اليوم لم يكن الا حلقة من حلقات نضال عسكرى وسياسى ودبلوماسى لم تنقطع منذ أن قامت الدولة الصهيونية كعنصر عدوان وتوسع مستمرين • فالقضية التى تطرحها الدراسة من واقع أحداث ٦ أكتوبر هى قضية حركة التحرر الوطنى بكل أهدافها القريبة والبعيدة ، فى مرحلتها التى بدأت يوم ٦ أكتوبر •



■ أرض العمليات على الجبهة السورية ■

حـــرب التحـــرير

انطلاقة لانجاز الثورة الوطنية

د. فؤاد مرسى

فى اللحظات الفاصلة من معارك التحرير يكون على الثوريين أن يطرحوا على أنفسهم ، بل وأن يعيدوا طرح ، أكثر الاسئلة بساطة . فمثل هذه الاسئلة ـ بالنقاش الاولى الذى تثيره وبالوضوح حول المبادىء الذى تعقبه ـ كفيلة فى أغلب الاحيان بأن ترد الامور الى أصولها الثابتة . ان حسمها على هذا النحو يحقق ويؤكد وحدة الفكر التى تصون وتعزز وحدة العمل .

وفى هذه اللحظة من معركتنا نود أن نطرح على أنفسنا مرة أخرى هذين السؤالين البسيطين ، من نحن ؟ وماذا نريد ؟

ففى السادس من أكتوبر الماضى ، حين تجدد القتال ضد اسرائيل ، بعد مضى أكثــر من ثلاث سنوات على محاولات الحل السياسى ، وبعد أكثر من ست سنوات من هزيمة يونيو ، بدأت فى الواقع مرحلة فاصلة فى التاريخ الحافل للثورة الوطنية ـ هذه الثورة التى اشتعلت نيرانها الاولى فى عام ١٨٨١ من خلال الثورة العرابية التى انتكست بعد قليل بالاحتلال البريطانى ، ثم استعادت الثورة جذوتها بثورة مارس ١٩١٩ التى وقف بها قادتها فى منتصف الطريق ، ثم عادت فانطلقت من خلال ثورة يوليو ١٩٥٢ التى حررت الوطن من التبعية الاجنبية والتى اكتسبت مضمونا اجتماعيا كان يمكن أن يفتح الطريق أمام الثورة الاشتراكية ، لكنها أصيبت فى يونيو ١٩٦٧ بانتكاسة الاحتلال الاسرائيلى المدجج بكل جبروت الامبريالية الامريكية .

● ● ●

لقد كانت ثورة يوليو ولا تزال ثورة وطنية فى الجوهر . التزمت خط التحرر الوطنى ، خـط النضال الايجابى ضد الامبريالية العالمية ، ضد الاستعمار القديم والجديد ، ضد الصـهيونية واسرائيل قاعدة الامبريالية العالمية وشريكتهـا الاصغر فى الشرق العربى . ولقد كشفت ثورة يوليو أن التحرر الوطنى لا يمكن أن يقتصر على الاستقلال السياسى ، بخروج قوات الاحتـلال واستعادة السيادة على التراب الوطنى . لكن التحرر الوطنى استقلال سيـاسى واسـتقلال اقتصادى معا . بل ان الاستقلال الاقتصادى هو جوهر الاستقلال السياسى نفسه . ان التحـرر

الفعلى من الاستعمار انما يعنى تحرير الاقتصاد الوطنى واستعادة السوق المحلية وشن الحرب على التخلف الموروث ، وذلك من خلال البدء بالتنمية الاقتصادية التى تعنى تصفية الاقطاع والسيطرة الاستعمارية وبناء صناعة حديثة تحت قيادة قطاع عام يسيطر على وسائل الانتاج الرئيسية ضمانا لتنمية الثروة القومية لصالح جميع العـــاملين وبخاصة العمال والفلاحين . من هنا عاشت ثورة يوليو عصرها طولا وعرضا . انجزت الاستقلال السياسى لمصر ، وأطلقت صيحة القومية العربية ، واجتازت عتبة التحولات الاجتماعية . لكنهـا استمرت ثورة وطنية ، باعتبار أن التنميـة الاقتصادية والتقدم الاجتماعى صارا جوهر عملية التحـرر الوطنى . بوصـفها ثورة وطنية ، فان عدوها الرئيسى ظل هو الاستعمار العالمى . ولقد نجت الثورة من عديد من محاولات التطـويق والاحتواء والاستيعاب ، كما تخلصت من كافة محاولات التصفية المباشرة . وفى كل مرة واجهت الثورة منعطفا حادا فى مسارها ، كانت تتغلب عليه بأن تتجاوزه رقيا الى مستوى أعلى . ومن ثم ضمنت الثورة استمرارها باضطراد انحيازها الى جماهير الكادحين والعاملين . وبفضل هذا المسلك تعاظم وقوف الجماهير الى جانبها وتزايد اعزازهم لقادتها ، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر .

وبعد انجاز الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية فى عام ١٩٦٥ ، تكتلت القوى المضادة للثورة بغرض الوقوف بها فى منتصف الطريق . وعندما ثبت لها عجزها عن ذلك ، وجه الاستعمار ضربته القاصمة فى حرب يونيه ١٩٦٧ بهدف تصفية الثورة والقضاء على النظام الوطنـى التقدمى فى مصر .

وبالفعل تمكنت قوى الثورة المضادة بقيادة الاستعمار الامريكى وبعدوان عسكرى اسرائيلى من تصـفية القوات المسلحة ، واحتلال جـزء من الارض المصرية . لكن الهزيمة العسكرية لم تتحول الى هزيمة سياسية للثورة . وبينما أخذت قيادة الثورة فى اعادة بناء القوات المسلحة وتحقيق الصمود الاقتصادى الكبير بالاعتماد على صلابة وتضحيات جماهير ٩ ، ١٠ يونيو التى رفضت الهزيمة وأعلنت استمرار الثورة ـ أخذت قوى الثورة المضادة تحاول ما استطاعت التعجيـل بالهزيمة السياسية للثورة . واتخذت محاولاتها فى السنوات الاخيرة صورة السعى لتصفية الثورة على مراحل ومن الداخل ، تمهيدا لفرض الحل الاستعمارى للقضية الوطنية .

• • •

ويمكن القول بأن محاولات تصفية ثورة يوليو قد تعددت وبخاصة فى الاتجاهات التالية :

أولا ـ محاولة فرض الاستسلام وتحطيم ارادة القتال ، وذلك بالتشكيك فى قدرة قواتنا المسلحة على قتال اسرائيل « التى لا تقهر » ، ومساندة دعاوى العناصر الانهزامية ودعاة الاستسلام أمام الاستعمار الجديد وهى محاولات نشطت فيها الرجعية العربية ، والسعى لايجاد جسر دائم مع الامبريالية الغربية بدعوى الضغط على امريكا . ومحاولة عزلنا عن صديقنا الثابت وهو الاتحاد السوفيتى ، وبث اليأس من قوة وتضامن الشعوب العربية ضد عدوها المشترك .

ثانيا ـ الدعوة لاعادة النظر فى المقـومات الاساسية لاقتصادنا الوطنى ، واجهاض التحولات الاجتماعية ، وتصفية القطاع العام ، ووقف التنمية الشاملة ، وفرض أسلوب الحياة الرأسـمالى بوصفه باب النجاة أمام مصر ـ وبالتالى الدعوة لضرب الرأسمالية الوطنية عن طريق فتح الابواب للانشطة الرأسمالية الطفيلية التى تعمل فـى الوساطة ، وتشتغل بالمضاربة والتخزين والتهريب والسوق السوداء ـ ومن ثم تضييق الخناق على النشاط الانتاجى للرأسمالية الوطنية . وينال هذا كله من سلامة اقتصادنا الوطنى المتحرر ويمهد لاعادة السيطرة الاستعمارية عليه من جديد .

ثالثا ـ محاولة استدراج أقسام مـن القـوى الوطنية الى أرضية المخطط الاستعمارى الصهيونى لتصفية الثورة ، وذلك بتقسيم الصـف الوطنى وتفجير الوضع من الداخل تمهيدا للاجهاز على النظام الوطنى . ولقد اعتمدت المحاولة علـى استغلال التناقضات الطبيعية فيما بين القـوى الوطنية ، وهى تناقضات غير عدائية بين طبقات يمكن التوفيق بين مصالحها ، طبقات لا تصادم بينها اذ لا تبغى احداها تصفية الاخرى . كما أنها تناقضات ثانوية خاضعة للتناقض الرئيسى مع الاستعمار ، ولذلك فانها يمكن أن تحل ويمكن ألا تحل حسبما يقضى التناقض الرئيسى . وقد تحل قبل أن يحل التناقض الرئيسى ، كما قد يتوصل فيها الى حل وسط ، وقد يؤجل حلها الى ما بعد حل التناقض الرئيسى بغير أن يختل مسار الثـورة الوطنية نفسها . لكن الذى حدث بالفعل أن غطت التناقضات بين القوى الوطنية فى الشهور الاخيرة على نداء الوحدة الوطنية ، حتى باتت تهـدد القضية الوطنية نفسها بخطر فادح .

هكذا حاولت القوى المضادة للثورة تصفية ثورة يوليو ، وعلى الرغم من النجاح الذى أحرزته فى بعض الميادين ، فان قوى الثورة كانت هى الغالبة فى النهاية وتمكنت بذلك من انقاذ الثورة .

فمن جانب رفضت جماهير العمال والفلاحين كل مساس بالمنجزات الاجتماعية وفى مقدمتها القطاع

العام . كما رفضت الرأسمالية الوطنية عمليات الاستيلاء على السوق المصرية بواسطة الاحتكارات الاستعمارية ، ورفضت محاولات تضييق الخناق على القطاع الخاص المنتج بواسطة الرأسمالية الطفيلية . وأعلن الشباب حرصهم على الثورة الوطنية بمضمونها الاجتماعى . ومن جانب آخر ، رفضت القوى الثورية تغليب التناقض الثانوى على التناقض مع الاستعمار واسرائيل ، وأعلنت أولوية القضية الوطنية على ما عداها من القضـــايا ، وطالبت برص الصفوف الوطنية خلف القيـــادة الوطنية للرئيس أنور السادات .

وفى ٢٨ سبتمبر ، فى الاحتفال بالذكرى الثالثة لوفاة جمال عبد الناصر ، أعلن أنور السادات برنامجا محددا وحاسما لمهام العمل الوطنى وأتاح ظروفا مواتية لوحدة القوى الوطنية .

وفى السادس من أكتوبر ، أنهى أنور السادات كل انتظار سقيم وحسم كل نقاش عقيم ، حين أمر بأن ترد قواتنا المسلحة على تحدى وغرور وغطرسة اسرائيل . وبدأت حرب التحرير الوطنى من جديد ضد العدو الاسرائيلى المسنود من الاســتعمار الامريكى .

انها حرب تحريرية عادلة ، نخوضــها لطرد العدو الاستعمارى الصهيونى الذى يحتل جزءا من الوطن ، والذى سعى فى الحقيقة لاسقاط النظام الوطنى التقدمى فى مصر وتصفية الثورة العربية نهائيا . وبالتالى فلا شك فى أن حرب التحرر هذه حرب فاصلة ، يتوقف على نتيجتها مستقبل الثورة الوطنية كلها ، اننا حين نقاتل اليوم ، فاننا لا نبغى تحرير الارض فحسب ، بل نبغى تحرير الانســان أيضا . ولا شك أيضا فى أنها ستكون بالضرورة حربا طويلة ، شرسة ، وحربا شاملة . فليست هى معركة عسكرية فحسب ، وليست هى مباراة بين جيشين فى صحراء بعيدة ، بل هى حرب التحرير الشاملة ، بين جميع القوى الوطنية من جانب ، وجميــع القــوى الاســتعمارية والصــهيونية والرجعية ، التى تعادى ثورة التحرير العربية ، وتحاول بقوة السلاح تصفيتها نهائيا . هى حرب يشترك فيها كل الوطنيين وتمس مصـــالح كل الوطنيين . حرب تدور رحاها فى كل مصنع وحقل وجامعة ومصلحة ووزارة ، سواء اتخذت صورة القتال أو اتخذت صورة الاستعداد للقتال . انهم جميعا يقاتلون ، جنودا ومدنيين ، من أجل أهداف الوطن العليا وهى : تحرير جميع الاراضى العربية المحتلة ، تأمين الحقوق المشروعــة للشــعب الفلسطينى ، مواصلة التنمية الاقتصادية الشاملة لمضاعفة الدخل القومى ، صون وتعميق التحولات الاجتماعية والاقتصادية ، تنميــة الرأســمالية الوطنية المرتبطة بالتنمية المخططة ، مواصلة السير فى طريق التطور غير الرأسمالى .

فالشعب الذى يتحمل أعباء معركة التحرير ، والجيش الذى يقاتل باستماتة فى ميدان الشرف ، كلهم يضحون من أجل مستقبل أفضل ، فبذلك يكون لتضحياتهم معنى . ان التلاحم بيـن الجيش والشعب ليس مظهرا للوحدة الوطنية فحسب ، لكنه ضرورة قتال ووحدة مصير أيضا . فهم معا أصحاب المصلحة فى المستقبل الذى يصنعونه الان بأغلى وأكرم التضحيات .

وسواء أردنا أو لم نرد ، فان العدو ينقل ساحة الحرب الى كل شبر من أرض الوطن . من هنا نؤكد على حركة الجماهير شرطا لكى تكون الجبهة الداخلية امتدادا عضويا لجبهة القتال ، لكى تكون الجبهة المدنية فى مستوى الجبهة العسكرية . وحركة الجماهير هنا انما تعنى أولوية العمل السياسى فى المعركة ، فالعمل السياسى الممتد على طول الوطن ، فى صفوف الجيش وفى صفوف الشعب ، هو الذى يضمن تلاحم الشعب مع الجيش ويجعل منه احتياطيا لا ينفذ للقتال . ويفترض هذا التخلى عن الاشكال التنظيمية المكتبية الجامدة التى أثبتت الاحداث عجزها عن متابعـــة حـــركة الجماهير ، واطلاق المبادرة وحرية الحــركة للجماهير نفسها ، والمبادرة بتسليح الجماهير فى المناطق المتاخمة ، او المعرضة للقتال ، واستيعاب الطاقات الضخمة والمعطلة للشباب وبخاصة طلبة الجامعات .

ان حرب التحرير الوطنية معركة شــاقة ، نخوضها ليس فقط لتحرير الارض المحتلة ، ولكن لهزيمة مخطط تصفية الثورة . ان مهمة حرب التحرير هى بالدقة افساح السبيل لانجاز مهام الثورة الوطنية . وعندما تنتصر مصر فى هذه الحرب ، فانها لن تعود الى السادس من أكتوبر ، ولا حتى الى الخامس من يونيو ، فان التــاريخ لا يعود الى الوراء ، لكنها ستندفع قدما لبنـــاء مستقبل أفضل .

ولهذا كله يتوقف الامر فى النهاية على الموقف من حركة الجماهير ، فاذا ما أصبحت النظرة الى حركة الجماهير كما ينبغى لم تعد هناك عقبة تذكر أمام الوحدة الوطنية ، وغدا النصر أكيدا فى حرب التحرير الوطنية ، الحرب الشرسة الطويلة الشاملة ، وفتح الطريق بقوة أمام الثورة الوطنية التى حاولوا عبثا أن يوقفوها ويصفوها .

واذن . . . فمن نحن ، وماذا نريد ؟

اننا الثورة الوطنية المصرية التى هى جزء لا يتجزأ من الثورة العربية الشاملة ، نقاتل من أجل تحرير التراب الوطنى المحتل تعبيرا عن انطلاق الثورة الوطنية نحو آفاقها التاريخية مـن جديد .

المدخــــل الى المعـــــركة

دعـــم الوحـــــدة الوطنيـــة

عبد المنعم الغزالى

فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، بدأت حرب التحرير الوطنية ، لاستعادة الارض التى احتلها المعتدون الاسرائيليون بدعم من الامبريالية الامريكية .

وهذه الحرب التى حدد الرئيس السادات هدفها الوطنى بأنه « تحرير الارض » تشكل فى الوقت نفسه مواجهة وصداما خطيرا بين جميع البلدان العربية من ناحية ، وبين قوى الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية من ناحية أخرى . وبهذا المعنى فان الهدف التحريرى للمعركة التى تخوضها القوات المسلحة لمصر وسوريا وتشارك فيها مشاركة فعالة العراق والجزائر وليبيا ، هو هدف مشترك بين جميع البلدان العربية سواء تلك التى يهددها ويهاجمها المستعمرون الجدد ، عن طريق اسرائيل ، وتلك التى ترزح تحت ضغوطه الاقتصادية والسياسية .

ومثل هذه الحرب الضروس ، لا يكسبها فى الواقع ، سوى شعب توحدت صفوفه وقواه الشعبية والوطنية وذلك بالكيفية التى تسمح له بأن يدرك كل الابعاد الوطنية والاجتماعية للمعركة ، وبأن يحبط كل المحاولات التى ترمى الى اضعاف يقظة الشعب الثورية ، وتخلخل تماسك جبهته الداخلية .

من هنا لم يكن من قبيل المصادفة ان شرعت القيادة السياسية العليا للبلاد ــ قبل بدء المعركة ــ فى اتخاذ طائفة من التدابير التى استهدفت دعم الصف الوطنى فى الداخل .

بنـــاء الوحـــدة الوطنيـــة

هكذا وقبـل المعـركة بأيام وفى خطـاب ٢٨ سبتمبر ، أعلن الرئيس **أنور السادات** برنامج النقاط السبع ــ كبرنامج لتوحيد كل القـوى الوطنية ، ولشجب ووقف اى اتجاه ممزق لعملية التوحيد الضرورية تلك ، ونحن نخوض المعركة ضد العدو الامبريالى الصهيونى .

وجاء برنامج الاهداف السبعة على النحـو التالى :

أولا : تحرير الارض هو المهمة الرئيسية لهذه المرحلة من جانبنا .

ثانيا : مواصلة التنمية الشاملة .

ثالثا : استمرار التحول الاجتماعى لصالح قوى الشعب العاملة .

رابعا : تعميق الممارسة الديمقراطية والاتفاق على ضوابط للحوار .

خامسا : اقامة الوحدة مع ليبيا على اسلم واصلب الاسس .

سادسا : ايجاد اوسع قاعدة ممكنة للعمل العربى المنسق المشترك أو الموحد .

سابعا : العمل فى المجال الدولى والتأثر والاستفادة من موازينه الجديدة .

ان هذه المهام الرئيسية التى طرحها هذا البرنامج تمثل فى مجموعها خط النضال الوطنى فى هذه المرحلة ، على أساس ان النضال الوطنى من أجل تحرير الارض ، انما هو ـ فى نفس الوقت ـ نضال من أجل الدفاع عن كل المنجزات الوطنية والديمقراطية والاجتماعية لثورة ٢٣ يوليو ، والاستمرار بها وتطوير وتعميق أبعادها واعماقها التقدمية . فعدوان الامبريالية والصهيونية انما كان يستهدف العصف بهذه الثورة ، وايقاف كل تطور لها على الجبهتين الوطنية والاجتماعية . فمثل هذا التطور ، سيكون السد الذى يقف فى وجه أى زحف للاستعمار الحديث على المنطقة . وهكذا جاء هذا البرنامج موحدا للوطن والشعب ، على أساس رفض كل الاتجاهات الرجعية ، والغريبة على حركة تطور ثورتنا ـ والتى نشطت بشكل محموم الى تفريغ التطور الثورى ، والعمل القتالى من أجل تحرير الارض من كل مضمون اجتماعى ووطنى وديمقراطى .

ولقد جعل برنامج النقاط السبع ، برنامج الوحدة الوطنية ، مهمة تحرير الارض الحلقة الرئيسية التى اذا ما أمسكنا بها يمكننا أن نمسك بكل حلقات تطور الثورة الوطنية والديمقراطية . ومن ثم يعتبر هذا البرنامج ـ فى مجموعه ـ انحيازا لخط الثورة الوطنية الديمقراطية ولمسارها ولافاق تطورها ، وانتصار لخط الوحدة الوطنية ووضعها فى الاطار السليم الذى يجب أن توضع فيه .

ومع اعلان هذا البرنامج ، أعلن **الرئيس** فى خطابه ، قرارين كانا على جانب كبير من الاهمية من وجهة نظر بناء الوحدة الوطنية ، **القرار الاول** ، بسحب كل قضايا الشباب من أمام المحاكم ، **والقرار الثانى** ، بعودة جميع الصحفيين الذين أبعدوا بقرارات لجنة النظام . وكما قال **الرئيس** : فقد قصد باتخاذ هذين القرارين : « **ان أفتح الباب لكل فرد فى هذا الوطن لكى يدرك أننا أمام مرحلة جديدة يجب أن تعالج فيها كل أمورنا ، وأن نفكر فيها فى كل مشاكلنا** » . وكان ذلك بمثابة اعلان من القيادة السياسية ـ عشية المعركة ، وبوضع الجميع أمام المهمة الرئيسية ـ تحرير الارض . وأن هذه المهمة يجب أن تنجز ـ ويجب أن تنجز ـ فى اطار وحدة وطنية صلبة تجمع كل القوى الوطنية والتقدمية مهما تعددت منطلقاتها ومدارسها .

ولقد جاء اعلان القرارين السابقين (الى جانب اعلان برنامج النقاط السبع) ، دعوة الى ضرورة وحتمية اخضاع كل التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسى : وهو التناقض بين مجموع الحركة الوطنية بكل قواها ، وعناصرها وبين الاحتلال الصهيونى الامبريالى للارض العربية والاستعمار الحديث بكل نفوذه ومصالحه .

ان كل خطوة لدعم الوحدة الوطنية ، فى مصر ـ من أجل انجاز هدف تحرير الارض ـ انما يكتسب أهميته الخاصة من واقع أن لمصر ثقلها البشرى والحضارى ، والسياسى والاقتصادى ، فى داخل العالم العربى . وان مصر اذ تخوض المعركة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، وانما تخوض معركة كل بلد عربى ، اذ يضيف هذا النضال اضافات هامة الى النضال المحتدم من أجل اضعاف مواقع المستعمرين الجدد والصهاينة . كما ان مصر تواصل الاسهام الذى بدأته عام ١٩٥٦ بعد تأميم القناة فى تقديم وتعزيز نموذج البلد المتحرر الذى يشق بثبات طريق التطور السياسى والاقتصادى المستقل .

وهكذا ، فان دعم الوحدة الوطنية ـ على أساس تغليب التناقض الرئيسى مع العدو الامبريالى الصهيونى على كل تناقض ثانوى يسهم فى توحيد الصف العربى ، ويمكن البلاد من الصمود والانتصار فى معركة قد تطول ضد مخططات الصهيونية والامبريالية الامريكية .

بدء القتال كعنصر توحيدى

مع أول قذيفة حطمت حاجز الهزيمة ، ومع أول جندى عبر هذا الحاجز ورفع راية حرب التحرير الرابعة العادلة ، اكتسبت الوحدة الوطنية قوة متزايدة ، فقد كان مطلب التحرير ، واسترداد ما اخذ بالقوة — بالقوة — مطلبا شعبيا لكل القوى الوطنية وكل القيادات السياسية ، وعندما تحول هذا المطلب الى حقيقة واقعة — تبدد كل تمزق نفسى عانت منه الامة والوطن ، وتحول القتال العادل الذى تخوضه قواتنا المسلحة ببسالة وجسارة الى عنصر مجمع وموحد لكل القوى الوطنية حول أهداف حرب التحرير . وبدت صلابة الجبهة الداخلية لدعم خطوط حرب التحرير الامامية تعبيرا عن الرغبة الشعبية الجارفة من أجل الثأر للكرامة الوطنية .

باختصار لقد غطت مدافع التحرير على كل الاتجاهات المترددة والانهزامية ،وحاصرت كل ثغرة بها تعصب لمصلحة ذاتية أو طبقية ،وبدأت تضيق الخناق — سواء على النطاق الوطنى أو على النطاق القومى العربى — من الذين يغلبون مصالحهم الخاصة والذاتية على المصلحة العامة .

واذا كان القتال — وانتصارات الرجال وتضحياتهم الهائلة ، ودم الشهداء قد فرض على الجبهة الداخلية ان تتماسك وتتحد ، وتدعم وحدتها الشعبية ، فقد عزز هذا التفافها حول القوات المسلحة ، التى بدأت فى احراز انتصاراتها ، وزاد هذا الالتفاف بفضل التخطيط العلمى للمعركة ، واستيعاب كل سلاح فى يدها ، واجادة استخدامه على الوجه الامثل . الامر الذى حرك كل العواطف الوطنية للشعب . وجعلته يرفع رأسه ليواجه المصير ، بعد آلام نكسة ١٩٦٧ ، والتى عانى منها — وعبرت الجماهير عن استعداد هائل لتقديم كل امكانية وكل تضحية من أجل احراز النصر

ولكن المعركة اذ ترتفع بوعى ويقظة الجماهير الشعبية ودرجة استعدادها لتحمل المسئولية انما ترفع فى الوقت ذاته الانضباط الذاتى ، الذى هو القاعدة والركيزة لحماية الجبهة الداخلية ، ولقد كشف الحماس الوطنى بعد المعركة عن قدرات الجماهير الكامنة والتى يمكن أن تصبح قوة خارقة اذا أحسن تنظيمها ، وان تبدى قدرتها الخارقة على انجاز كل عمل مطلوب منها وتخطى هذا المطلوب .

الاجراءات الاقتصادية خطوة فى اتجاه دعم الوحدة الوطنية

ان الاجراءات الاقتصادية الاخيرة التى أعلنت عقب بدء الحرب ، تعد بداية فى المجال الاقتصادى لدعم الجبهة الداخلية .

وقد جاء فى تقرير لجنة الخطة والموازنة وهى تقدم القرارات الاقتصادية التى صدرت يوم السبت ١٣ أكتوبر الى مجلس الشعب :

« تخوض مصر الان أشرف معركة فى تاريخها ، ألا وهى معركة تحرير أرضها التى اغتصبها العدو الصهيونى الذى تسانده القوى الامبريالية بكافة امكاناتها ، للوقوف فى وجه معركة التحرير التى تخوضها قواتنا المسلحة ببسالة وتصميم على النصر مهما كان الثمن ، مما يفرض علينا تدبير كل الامكانات اللازمة لاستمرار المعركة . ومما لا شك فيه ، ان الشعب المصرى اثبت بطولة فى وقفته وراء جنوده البواسل واستعداده للتضحية بكل غال ونفيس ، بل وبالحياة نفسها ، حتى يتحقق النصر . ان شعبنا يرى أن فى هذه الزيادات الطفيفة التى تقررت فى بعض أنواع الضرائب وأسعار بعض السلع اشتراكا واجبا فى نفقات الحرب وتكاليفها ، ومن ثم فانه يرحب ، بل وانه لعلى استعداد للمزيد من المشاركة لانه يعرف أن الحرب التى فرضت عليه الان هى حرب لاسترداد كرامته واستعادة أرضه واثبات وجوده ، فهى قدره ومصيره » .

وقالت اللجنة فى تقريرها عن المبادىء التى روعيت عند فرض الضرائب الجديدة :

« وقد روعى فى تقرير هذه الضرائب عدة مبادىء أساسية : أ — أن تتحقق بصورة شاملة مشاركة الشعب بكافة طوائفه فى تحمل هذه الضرائب . ب — أن تكون مساهمة كل مواطن فى حدود امكاناته وقدراته المالية . ج — الا تمس هذه الضرائب أصحاب الدخول المحدودة .

وترى اللجنة أن هذه القرارات بقوانين تتفق وما سبق أن طالبت به بالا يترتب على أية اجراءات ضريبية المساس بالدخول الصغيرة بصفة عامة وبالدخول الناشئة عن العمل بصفة خاصة » .

وهكذا صدرت القرارات : ١ — بفرض ضريبة

جهاد اضافية ، ا - بنسبة ٥ر٢ فى المائة على ايرادات رؤوس الاموال المنقولة ، ب - بنسبة ٥ر٢ فى المائة على وعاء ضريبة الارباح التجارية والصناعية وضريبة المهن غير التجارية الذى يزيد على ٥٠٠ جنيه فى السنة .

٢ - تعديل أسعار الضريبة على الشرائح من الثانية الى الخامسة - فمن ١٠٠٠ جنيه الى ١٥٠٠ جنيه ٩ فى المائة . ومن ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ١٠ فى المائة ومن ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ جنيه ١١ فى المائة ومن ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ جنيه ١٦ فى المائة .

٣ - فرض ضريبة جهاد على أجرة دخول ميادين سباق الخيل ومحال صيد الحمام وجميع الاماكن العامة والمحلات الاخرى الخاصه بالمراهنات بمختلف أنواعها .

٤ - زيادة رسم الدمغة بنسبة ٢٥ فى المائة مع تخصيص الزيادة لمواجهة أعباء الحرب .

٥ - فرض ضريبة جهاد على الاطيان الزراعية - على أساس اعفاء ملكية الثلاث أفدنة منها ، والتدرج فى فئاتها حسب الملكية ، وتحميل مالك الارض بهذه الضريبة .

٦ - فرض ضريبة على ملاك العقارات التى يزيد متوسط الايجار الشهرى للحجرة فى الوحدة عن ثلاثة جنيهات ، بواقع ٥ر٤ فى المائة من القيمة الايجارية .

٧ - فرض ضريبة اضافية على بعض المشروبات الكحولية باعتبارها من السلع الكمالية ، بالاضافة الى توافر امكانية مستهلكيها فى المساهمة فى تمويل المعركة .

٨ - ا - فرض ضريبة جهاد على السجاير والدخان مع اعفاء السجاير الشعبية . ب - تحديد ضريبة على اللتر من البنزين من جميع الانواع بمقدار خمسة مليمات .

٩ - فرض ضريبة على أجور سفر ركاب السكك الحديدية بالدرجات الاولى والثانية ، مع استثناء اشتراكات الطلبة .

١٠ - اقتطاع ٥ر٣ فى المائة من المرتب او الاجر الشهرى للعاملين فى الدولة مع استثناء العسكريين والعاملين الذين لا تتجاوز مرتباتهم ١٨٠ مائة وثمانون جنيها سنويا .

١١ - اصدار سندات جهاد بالعملات الاجنبية الحرة .

ان هذه القرارات كما قلنا - هى فى المجال الاقتصادى - بداية وخطوة فى اتجاه توزيع أعباء المعركة على جميع الطبقات الشعبية والوطنية .

ولا زالت المعركة فى استمرارها مع العدو الامبريالى الصهيونى الشرس فى حاجة الى المزيد من التضحيات على أساس أن من يأخذ من الوطن أكثر يدفع أكثر - وخاصة من الفئات التى كونت ثروات وكدستها بطريقة طفيلية وغير منتجة - وحتى تتحمل العبء الحقيقى المفروض أن تتحمله ، والوطن يحشد امكانياته كلها للمساهمة فى معركة تحرير الارض المحتلة .

ثم يبقى بعد ذلك فى المجال الاقتصادى أن يبذل كل الجهد من أجل الاستخدام الامثل لمواردنا الاقتصاديه - ويجب أن يصبح - هو خدمة حرب التحرير مباشرة ، بمعنى تخصيص الجانب الاكبر من مواردنا الاقتصادية - مادية وبشرية - لخدمة الاستمرار فى المعركة وتحقيق النصر على العدو . وهذا الاستخدام الامثل يجب أن يشمل كل قطاعات الاقتصاد ، صناعية وزراعية وتجارية ، القطاع العام والقطاع الخاص .

ويعنى هذا الامر - ضرورة العمل على زيادة الفائض الاقتصادى - وهو الذى يمثل الفرق بين حجم الانتاج القومى وحجم الاستهلاك الفردى العام . ومن ثم يترتب على ذلك ضرورة تحقيق أمرين :

الاول : زيادة الانتاج .

الثانى : خفض الاستهلاك .

وعن **زيادة الانتاج** لابد من : ا - العمل على تشغيل كافة الطاقات الانتاجية المعطلة - خاصة فى قطاع الصناعة - بسبب نقص المواد الخام وقطع الغيار . ب - تشغيل المصانع بأقصى طاقتها - وهو أمر يتم تحقيقه بزيادة العمل الانسانى المباشر ، وهنا يبرز أهمية العمل التطوعى ، والجهود الذاتية .

وعن تخفيض الاستهلاك : لما كان قدر الاستهلاك هو الذى يحدد لنا قدر الفائض الاقتصادى المطلوب توجيهه للحرب - فان العمل بكل الوسائل على تخفيضه أمر ضرورى ، وخاصة ان الاستهلاك فى بلادنا يمثل نسبة كبيرة من دخلنا القومى - تصل وفق تقديرات الاقتصاديين فى مجال الاستهلاك الخاص الى نسبة تتراوح بين ٦٠ و ٧٠٪ فى المائة ،

وفى مجال الاستهلاك العام ـ الحكومى والقطاع العام ـ الى نسبة ٢٠ فى المائة .

وفى مجال تخفيض **الاستهلاك العام** ، فانه يجب تحقيق مجموعة من الاجراءات الضرورية ـ منها ـ ترشيد الانفاق الحكومى للحصول على أفضل وأسرع خدمة بأقل تكلفة ، تخفيض الاجور والمرتبات العالية والحد من البدلات التى تصرف للفئات العليا ، التخفيض الى أقصى حد من استخدام الكهرباء فى المكاتب . الحد من استخدام العربات ، وقصر استخدامها الا على المهام الضرورية .

واما فى مجال تخفيض **الاستهلاك الخاص** ، فانه يجب **أولا** : اعادة النظر فى أنماط السلع الاستهلاكية سواء من ناحية الكم والنوع ،فيجب أن تحل سلع استهلاكية رخيصة محل السلع الاستهلاكية المستوردة . وتخفيض استهلاك سلع كثيرة مثل اللحوم والمواد الدهنية والسلع الغذائية . **ثانيا** : ضرورة استخدام نظام الاسعار حتى نحد من استهلاك الكثير من السلع . فيقتصر المستهلك على استهلاك القدر الضرورى . **ثالثا** : التوزيع المباشر لعدد من السلع الضرورية واستخدام نظام البطاقات . **رابعا** : الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، وخاصة على الدخول العالية . وعلى تلك الدخول الطفيليه والتى أصبحت تمثل عبئا على توجيه اقتصادنا لخدمة المعركة وتمويل الحرب ،أى تطبيق مبدأ المساواة فى تحمل أعباء المعركة .

فاذا ما أعملنا هذا المبدأ ، مبدأ المساواة فى التضحية وذلك وفقا لما أعلنه الرئيس السادات ـ من قبل ـ من أن من يأخذ من الوطن أكثر ،يدفع أكثر، فاننا نكون قد وضعنا ركائز راسخة للوحدة الوطنية، لا تنال منها الحرب النفسية ، ولا تنال منها الصعوبات والتضحيات التى تفرضها المعركة بالضرورة .

ولقد دلل شعبنا على امتداد تاريخه القريب والبعيد على قدرة فائقة على التحمل والبذل ، وان فى مقدوره أن يعبر عن وحدته الوطنية التعبير الصحيح بتطبيق هذين الشعارين فى حياته اليومية وهما :

كل شىء من أجل الجبهة

كل شىء من أجل النصر

أطـــراف الصـــراع

فى أربع حروب مع اسرائيل

كمال السـيد
حسين شعلان

ليس لاسرائيل دور آخر سوى اجهاض حركة الثورة العربية للتقدم الوطنى والاجتماعى ، ذلك هو « مبرر قيامها » الاساسى ، والدافع الجوهرى لبقائها وتدعيمها . ومنذ البدء كان العدوان هو وسيلتها لاداء الدور الذى أناطته بها الصهيونية العالمية والامبريالية الدولية · وان فهم الدوافع والاسباب التى كانت وراء خلق هذه الدولة ، أمر أساسى لفهم طبيعة سياساتها العدوانية والتوسعية ·

ولقد أكد مسار التاريخ الانسانى بأسره ، ان العدوان على اراضى الدول الاخرى واغتصابها ، رفيق دائم للنظم الاجتماعية القائمة على قهر فريق قليل من أبناء البلد الواحد لغالبية سكانه ، وانه امتداد لنفس القهر ليشمل أبناء البلاد الاخرى · وقد اكتمل هذا الاسلوب وتعددت صور تطبيقه واصبح هو النهج السائد فى عصر الامبريالية ، التى طورته بما يحقق لها أهدافها فى السيطرة والهيمنة ليوافق كل مرحلة من مراحل التطور العالمى · ففى البدء كانت السيطرة والقهر المباشر للاخرين ، سواء بالوسائل العسكرية أو الوسائل الاقتصادية اساسا · وفى مرحلة لاحقة · وعندما اصبحت « الوسائل المباشرة » (خاصة العسكرية منها] اكثر صعوبة ، رأت أن تحقق أهدافها « بالوساطة » ، أو « بالتفويض » أو « الوكالة » . والتقت فى ذلك اهداف « الوكيل » وأهداف صاحب الشأن الاصلى ، كل يبغي تحقيق مراميه بلجوئه الى الاخر ·

ومع نمو حركة التخلص من الهيمنة الاجنبية التى نمت وتطورت منذ بداية القرن ، واشتد ساعدها بمضى السنين ، ووصلت أوجها بعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة الفاشية ورسوخ النظام الاشتراكى ، وثبوت نجاحه فى حل القضايا القومية وفى القضاء على التخلف فى مناطق كان التأخر من سماتها التى لا تعرف بدونها ، مع كل

هذا اصبحت الوسائل المباشرة أكثر صعوبة وتكلفة . وتجلى هذا فى مناطق كثيرة من العالم ، اصطنعت فيها الامبريالية نظاما عميلا ، وأناطت به تحقيق اهدافها مقابل « جعل » أى أجر يتفاوت حسب مكانة هذا النظام ، وما اذا كان تابعا أو شريكا صغيرا (١) . وعند الضرورة خلقت الامبريالية هذا النظام الوكيل عندما لم يكن موجودا . وكان النموذج الواضح لذلك هو اسرائيل التى تبنت كل الدول الامبريالية فكرة اقامتها ، بعد تصاعد حركة الثورة العربية واتضاح استحالة السيطرة المباشرة (٢) . ففى البدء موات ألمانيا القيصرية انشاء المستعمرات الصهيونية فى فلسطين ، ثم رعتها بريطانيا بوعدها المشهور ، وبالتسهيلات التى منحتها لها ابان الانتداب ، وشاركت فرنسا فى توفير مقومات هذا الكيان الجديد ذو الاهداف المحددة . واخيرا ، التقت ارادة أمريكا واسرائيل فى أقوى تحالف لتحقيق أهداف مشتركة كثير منها متطابق تماما .

وكثيرة هى ، ومتعددة « الدوافع » التى حفزت الدول الامبريالية ــ كل بدورها ــ على بذل الجهد لخلق اسرائيل وتدعيمها . ومن اهم هذه الدوافع والاهداف :

● ضمان قاعدةامامية ، بل « امتداد عضوى» للامبراطوريات الامبريالية فى المنطقة ، يسهل العمل « المباشر والسريع » منها لمواجهة أى خروج على « الوضع القائم » فى المنطقة من قبل أى دولة من دوله .

● ايجاد حاجز جغرافى وبشرى وحضارى بين دول القومية العربية ، بما يمنع تقاربها ووحدتها النضالية التى لابد وأن تكون بالضرورة معادية للاستعمار ومصالحه .

● ضرب التجارب الجديدة ذات المضمون الاجتماعى والتى لابد وأن تنطلق من وضع ثروات البلاد فى خدمة أبنائها وتصفية السيطرة الاجنبية عليها ، هذا بالاضافة الى أن هذه النظم تشكل « نموذجا » ومثلا معديا يقتدى به الاخرون ، وتضغط به شعوب دول المنطقة على حكوماتها الموالية للمصالح الاجنبية . ويتأتى تحقيق هذا الهدف اما بالاطاحة بالنظم التقدمية تحت ضربات اسرائيل والهزائم التى تلحقها بها ، واما باستنزاف مواردها التى تجد نفسها ملزمة بتخصيصها لمواجهة العدوان مما يحرمها من تنفيذ خططها فى التنمية .

هذا عن أهداف اقامة اسرائيل فى المنطقة العربية . وفيما يجاوز هذه المنطقة . فان اسرائيل « معبر » نموذجى لدول آسيا وافريقيا ، تنتقل منها رؤوس أموال أوربا وأمريكا الى هذه البلدان (٣)

وعلاوة على كل هذا ، وكما هو دأب النظم الامبريالية فى « ترحيل » أزماتها والقائها على كاهل الاخرين ــ خاصة فى العالم الثالث ــ فان الدول الرأسمالية قد رحلت « **المشكلة اليهودية** » من بلادها وتخلصت منها على حساب العرب وحملتهم اعبائها . فمع عجز الرأسمالية عن حل المشاكل القومية ــ ولليهود وضع خاص فى هذا الصدد غاية فى التعقيد ــ فانها لم تعدم وسيلة للاستفادة من هذا العجز ، وذلك بتصدير المشكلة فى جملتها الى الشرق الاوسط ، تماما كما تصدر لها ولغيرها ، التضخم والكساد واعباء تدهور العملة ، بل والافكار والنظم والقيم السياسية والاجتماعية المهترئة والمتحللة ، وذلك تحقيقا لهدفها فى استمرار سيطرتها ونكب الشعوب بهذه الادواء التى تعوقها عن تحقيق مطامحها فى الاستقلال والتقدم .

والتقت غايات الامبرياليين مع اطماع الحركة الصهيونية ، وهى فصيلة خاصة من فصائل رأس المال المالى الامبريالى ــ المملوك لليهود أساسا ، على التوسع والعدوان على دول وشعوب المنطقة . وفضلا عن أن اسرائيل اختارت ــ منذ مولدها وبحكم الظروف التى تم فيها ــ المعسكر الذى تنتمى اليه ، وهو معسكر الامبريالية ومساوآة حركة

---

[١] فى ٢٤ نوفمبر ١٩٧٢ تباهى الجنرال رابين بقوله انهم فى واشنطن يقدرون نظام ثيو فى جنوب فيتنام باقل مما يقدرون اسرائيل .

[٢] فى ١٩١٩ هبت الثورة فى مصر وفى نفس العام تأسس حزب الدستور فى تونس ونجمة افريقيا والشعب فى الجزائر . وقامت ثورة ضد اسبانيا فى المغرب فى ١٩٢١ ، وثار الشعب السودانى على الانجليز فى أوائل العشرينات : وثار المراقيون فى ١٩٢٠ وفى ١٩٣٠ نشطت الحركة الوطنية فى مصر وائتلفت أحزابها لتعقد معاهدة ١٩٣٦ وطرد قواتها . وفى ١٩٣٥ هبت ثورة شاملة فى سوريا . وتفجرت الثورة المسلحة فى فلسطين فى ١٩٣٦ . وفى ١٩٤١ قامت ثورة العراق ضد الانجليز والنظام العميل لهم . وبعد هزيمة الفاشية فى الحرب الثانية ثارت لبنان فى ١٩٤٣ واندلعت ثورة فى الجزائر فى ١٩٤٥ . وفى العام نفسه هبت ثورة فى سوريا وفى ١٩٤٦ تفجرت ثورة الشعب المصرى واجبرت قوات بريطانيا على الانسحاب من المدن فى ١٩٤٧

[٣] على الرغم من أن اسرائيل تعيش على معونات الاخرين ، فان لها أموالا تستثمرها فى الدول النامية [استثمرت فى افريقيا فى ٥ سنوات حتى ١٩٦٤ ما مقداره ١٥٠ مليون دولار حققت منها ارباحا بلغت ٥٠ ألف دولار . وفى ١٩٦٣ كان لها ٤٨ شركة مختلطة فى أفريقيا . كما تمنح معوناتها (لها الف خبير فى افريقيا فى التعليم] ولهما ما يسمى « البرنامج الاسرائيلى للتعاون الدولى » كما تدرب الجيوش والقادة النقابيين .

التحرر العربى ، فان طبيعة الدولة الاسرائيلية نفسها جعلت العدوان أساسا لوجودها وذلك على النحو التالى :

● اعتمدت الحركة الصهيونية فى تعبئة واستجلاب يهود العالم لتكوين شعب الدولة الجديدة ، على أحط مشاعر وافكار العنصرية والتوسعية والعدوان · وواصلت تغذية هذا الاتجاه لضمان « أدوات طيعة » لسياساتها ولتبرير التضحيات التى تفرض على الكثرة من هؤلاء وطمس التناقضات الاجتماعية والحضارية والاقليمية التى تفرق بينهم ·

● عدم توافر المقومات الاقتصادية لدولة مزدهرة ، وتزايد متاعب « الكرم والعون » الامريكى ، لانه ليس مجانيا كلية · وانما لابد من سداد القروض ودفع فوائد الاستثمارات الخاصة [٤] . يضاف الى ذلك ان اسرائيل بلا موارد أولية تقريبا · وسوقها الداخلى عاجز عن ان يوفر الحجم الاقتصادى الذى يكفل اقامة مشروعات مربحة ـ هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فان اسرائيل فى حاجة الى أيد عاملة رخيصة . لكل هذا ـ وكثير غيره ـ فان التوسع جزء أساسى فى مخطط حل المشاكل الاقتصادية اللصيقة بالدولة الاسرائيلية ، والناجمة عن طبيعتها ذاتها ·

لكل هذا وكثير غيره ـ أيضا ـ كان العدوان هو أساس واسلوب قيام الدولة الاسرائيلية ، وكان هو الدور الذى نذرت نفسها له ـ بعد قيامها ـ نيابة عن الاخرين (٥) ، مكن لها من هذا طبيعة القوى الوطنية والاجتماعية والقيم الحضارية ، التى سادت فى كلا المعسكرين ، معسكر اسرائيل وحلفائها ، ومعسكر الشعب الفلسطينى والدول العربية · وكان ذلك على النحو التالى :

حرب ١٩٤٨ : بداية العدوان

كانت فلسطين أو « الارض الموعودة » هى نقطة الانطلاق المثلى فى تحقيق خطط الصهيونية والامبريالية فى ضرب حركة التحرر العربى ، وذلك لما يرتبط بها من أساطير ودعاوى دينية ترجع لما يزيد عن الـ ٤ آلاف سنة ، نفض عنها التراب ، بعد اندثارها ، لاستخدامها فى حشد وتعبئة الانصار · ومن جانب آخر كان نظام الانتداب البريطانى فيها ، أنسب أطار تتم من خلاله حركة الهجرة والاستيلاء على ممتلكات العرب ، خاصة بعد أن تبنت بريطانيا فكرة اقامة الدولة لتحقيق أهداف قصيرة المدى ، تمثلت فى تبرير بقائها ومناوأة فرنسا والحركة العربية ، كما تمثلت فى أهداف طويلة المدى : هى ادراكها انها راحلة عن المنطقة لا محالة · ومن ثم فلابد لها من خلق مركز توتر دائم يمكنها من الحفاظ على مصالحها والعودة ، اذا أمكن ذلك ·

ومن جانب آخر كان الهيكل الاجتماعى فى فلسطين ومرحلة تطور المجتمع فيها ملائمين تماما لتنفيذ المشروع وذلك على النحو التالى :

● فالطبقة السائدة كانت هى طبقة كبار ملاك الاراضى العقاريين (وقسم منهم لم يكن أصلا من فلسطين) · وهؤلاء كانوا خير سند ونصير للتوسع الاجنبى ، العثمانى ثم البريطانى وبعده الصهيونى ، وضعوا انفسهم فى خدمته ولم يكتفوا بممارسة الاستغلال لحسابهم الخاص وانما نصبوا من أنفسهم جلادين للشعب الفلسطينى لحساب الاجنبى · ولم يتورعوا عن بيع الاراضى عندما عرض الصهاينة لها سعرا مجزيا غير عابئين بمصير الفلاحين الفلسطينيين الذين كانوا يزرعونها بالمشاركة · كذلك شأن المرابين العرب استولوا على الملكيات الصغيرة للفلاحين المعسرين ليعيدوا بيعها لليهود بعد تجميعها بأسعار مجزية من وجهة نظرهم الخاصة ·

● أما الطبقة البورجوازية فكانت ناشئة وضعيفة · ففى ظل الاتراك ، ثم البريطانيين ، زاد تسلل الاجانب خاصة اليهود الى التجارة والصناعة حتى فاقت نسبتهم فيها وزنهم العددى لمجموع السكان · ومع أن البورجوازية الفلسطينية اعترضت ـ لدى سلاطين الاتراك ثم فيما بعد لدى

---

[٤] بلغت الاستدانة رقما قياسيا عالميا : تجاوز ١٠٠٠ دولار للفرد فى ١٩٧١ وزاد من ٣٦٠٠ مليون دولار فى ١٩٧١ الى ٤٢٠٠ مليون فى ١٩٧٢

[٥] بعد قيام الدولة ادانت الامم المتحدة اسرائيل ١٧ مرة حتى ١٩٥٦ . أما لجان الهدنة فقد ادانتها ٦١ مرة حتى ١٩٦٦ · واعلن وزير خارجية فرنسا فى ١٩٧٣/١٠/١٧ أنه منذ ١٩٦٧ ، قطعت ١٨ دولة علاقتها مع اسرائيل واتخذ ضدها ٤٠ قرارا بسبب عدوانها ·

الادارة البريطانية ـ على هذه الغزوة لسوقهم ، الا أن اعتراضها كان فى ضعف حجم وزنها الاقتصادى وتأثيرها على جهاز الحكم والادارة وتخلفها السياسى والفكرى والحضارى • وزاده ضعفا قصور اساليبها فى العمل السياسى والاجتماعى هذه الاساليب والتى تتسم أساسا بالبعد عن حركة الجماهير الشعبية •

● كذلك كانت الطبقة العاملة ضعيفة العدد والوعى الطبقى والسياسى ، تمزقها الامية (نحو ٩٠ فى المائة) والبطالة (بلغت أحيانا ٧٥ فى المائة فى بعض فترات الكساد) . وقد اعطت الاولوية للقضية الوطنية التى نجحت القيادة الاقطاعية العشائرية للثورة الفلسطينية فى عزلها عن القضية الاجتماعية • ولم يكن للفئات العاملة شعاراتها السياسية وبرامجها الوطنية الخاصة بها ، وارتضت شعارات وبرامج الطبقات المالكة .

● التخلف السياسى : فمن ناحية أساليب النضال اقتصرت وسائل المالكين على المؤتمرات والاحتجاجات والوساطات • اما وسائل جماهير الشعب فشملت الاضرابات والمظاهرات والعمل المسلح [خاصة فى ١٩٣٦] ولكن نال منها عدم وجود قيادة سياسية منظمة نابعة من صفوفها وتبغى تحقيق اهدافها • ومن حيث الفكر السياسى كان الاتجاه القومى ضعيفا لدى الفصائل الوطنية للمالكين ، صحيح ان بعض الاحزاب (مثل حزب الاستقلال الذى قام فى ١٩٣٠) نادى بالوحدة القومية للعرب ، الا أنه لم يكن اتجاها أصيلا ، كما راجت سياسة « خذ وطالب » والتهافت على التعاون مع الاستعمار والاجانب والتشدق بشعارات وطنية لمجرد تفويت الضغط الشعبى •

هذا على الجانب الفلسطينى • اما على الجانب العربى ، فلم يكن الوضع بأحسن من ذلك • فقد دخلت الحرب ضد الدولة الجديدة ، جيوش مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق • وكانت هذه الدول جميعها شبه مستعمرة تحكمها طبقات شبه اقطاعية وفئات بورجوازية تخلت عن مطامعها القومية ـ بل تخلت حتى عن فكرة استئثارها بسوق البلد الواحد ناهيك عن السوق القومى لمجموع البلاد العربية ـ وقنعت بالمشاركة كتابع او شريك صغير للمصالح الاستعمارية •

ففى مصر كان النظام شبه الاقطاعى وقمته الملك فاروق ، مواليا للمخططات الاستعمارية قانعا بحمايتها وكان انتماؤه القومى ضعيفا أو معدوما ووليد المناسبات والضغط الجماهيرى ، ووسيلة للحفاظ على وضعه المهتز • أما جهازه السياسى والعسكرى فكان ضعيفا وغير قادر على مواجهة جهاز القمع والتوسع الذى حشدته الصهيونية ودعمته الامبريالية العالمية ، فضلا عن عدائه للجماهير وميله التقليدى الى ابعادها عن المشاركة الحقيقية فى القرارات المصيرية • كذلك كانت الطبقة شبه الاقطاعية مرتبطة اقتصاديا بالاستعمار • فقد ساعد الانجليز كبار ملاك الارض على استكمال مقومات الملكية الخاصة التى كانت تضم سبع الارض فقط فى ستينات القرن ١٩ ، فأصبحت تضم معظم الارض الزراعية فى مطلع القرن العشرين • كما ساعد الاستعمار هؤلاء الملاك على استكمال سلطتهم السياسية وجعلهم يحكمون باسمه ، حتى ان « روزشتين » يقول فى كتابه عن « خراب مصر » : ان استبداد الخديوى توفيق لم يكن سوى استبداد الماليين الاوروبيين • أما البورجوازية المصرية فقد توقفت بالنضال المصرى ـ بعد ثورة ١٩١٩ عند منتصف الطريق عندما أظهر الاستعمار وملاك الارض استعدادهم للسماح لها بالمشاركة ، وانقلبت على الجماهير الشعبية لتصفية حركتها خوفا من أن تتخطاها • وجعلت من شعارات « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » و « الجلاء أو الفناء » شعارات مناسبة واندفعت البورجوازية الى مجالات كانت محرمة عليها من قبل وشاركت رأس المال الاجنبى وأصبحت دعامته فى كثير من الميادين • لقد نجح الاستعمار بتصريح فبراير الى تحويل القضية الوطنية والمطالبة بالاستقلال الى قضية الحكم والدفاع عن الدستور أو الهجوم عليه • وقنعت البورجوازية بوضع انصارها فى جهاز الدولة الى جانب ممثلى كبار الملاك والموظفين الانجليز أو عملائهم • أما البرلمان فكان مكانا لعقد الصفقات من وراء ظهر الشعب ، ولم يعبر ابدا عن احتياجاته فى تشريعاته ، او حتى فى مناقشاته كما لم يحدث تغيير جذرى فى الجيش ، فقد ظل فى الاساس اداة « للدفاع الداخلى » عن مصالح الحاكمين ضد تمردات المحكومين ، اما « الدفاع الخارجى » فلم يحتل كثيرا من اهتمامات قيادته ذات الاصول الاقطاعية والبورجوازية •

كما ان القضية القومية لم تحظ باهتمام القيادات البورجوازية ، فمنذ أن اعلنت القيادة الوفدية على عهد سعد ان قضيتنا « مصرية لا عربية » (كان فيصل فى نفس الفترة ينادى باستقلال البلاد العربية الاسيوية فقط) لم يحتل الفكر القومى مكانا يذكر فى تفكير القيادة السياسية للبورجوازية الا فى المناسبات وتحت ضغط الاحداث والجماهير •

أما الطبقة العاملة ففضلا عن سعى البورجوازية للسيطرة عليها ، فان طلائعها السياسية لم تكن على درجة كافية من الوضوح فيما يتعلق بالقضايا القومية ، خاصة قضية فلسطين ٠

ولم يكن شركاء مصر الاخرين فى حماية عروبة فلسطين بأحسن حالا منها ، ففى الاردن قام نظام عشائرى شبه اقطاعى خلقه الانجليز ، وكان انتماؤه القومى ضعيفا وكل ما يريده هو تدعيم وضعه والتوسع ، وبالفعل فكل ماادى اليه التدخل العربى هو التهام الجزء الذى كانت الامم المتحدة قد خصصته لاقامة الدولة العربية فى فلسطين بموجب قرار التقسيم ، ومن ثم لم تنشأ الدولة الفلسطينية وضاع اسم فلسطين ، فقد استولت الاردن على ٥٥٠٠ كم مربع منها وذلك فى شرق الاردن وجزء من القدس ، واستولت اسرائيل على ٦٦٠٠ كم مربع من هذه المنطقة غرب الجليل والنقب وجزء من القدس ، قام قطاع غزة تحت الادارة المصرية على مساحة ٢٥٨ كم مربع ٠

وكانت الوسائل عاجزة فكل ما تمخض عنه مؤتمر الملوك والرؤساء العرب فى مؤتمر انشاص ١٩٤٦ هو برقية لامريكا وانجلترا تقول ان لهؤلاء القادة « عظيم الامل ان لا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين ، اى تشبث من جانبهما يرمى الى اقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين » .. وعند التدخل دفعت الدول العربية بـ ١٥٠٠٠ ألف جندى غير مسلحين (قضية الاسلحة الفاسدة) وغير موحدين ٠

خلاصة القول : ان الانظمة العربية كانت عاجزة تماما امام العدو الصهيونى وبدت الهزيمة كأنها قدر لا فكاك منه ٠ وفى دراسة أعدتها مجموعة من باحثى « مركز الدراسات السياسية والاقتصادية » بالاهرام ، جاء ان العوامل الاساسية للهزيمة تتمثل فى :

● غياب الحركة الثورية الفلسطينية المنظمة واستئثار طبقة الزعامات والوجاهات بالقيادة ٠ لقد كانت القيادة السياسية من طبقة الوجاهات التى تميزت بتخلفها الثقافى والفكرى الذى جعلها لا تفهم ابعاد معركة معاصرة استخدم فى الاعداد لها وفى تنفيذها العلم المعاصر ٠ وكان تفكيرها المهادن والمساوم يجعلها لا تقف موقفا حاسما من سلطات الاحتلال ومشاريعها ٠ فقد كانت هذه الفئات مثل كل الفئات القائدة فى الوطن العربى فى ذلك الحين ، مستفيدة منه بصورة خاصة من ظروف الاحتلال ، وزادت الحركة الصهيونية من نفوذها وثروتها ، وأملت فى أن يؤمن لها التعاون مع الاستعمار والصهيونية المزيد من المكاسب ، ومن ثم آثرت المساومة على النضال ٠

● أما العامل الثانى للهزيمة فهو ان الوطن العربى كان بكافة اقطاره واقعا ضمن دائرة النفوذ الامبريالى بشكليه القديم والحديث ٠ وكان جنود الاحتلال يعسكرون فى انحاء مختلفة من الوطن العربى حتى فى مصر التى استقلت فى اوائل العشرينات ٠ وكانت الفئات الحاكمة فيه رجعية شبه عشائرية شبه اقطاعية وشبه بورجوازية فى بعض الاقطار ، مرتبطة بالاستعمار ارتباط مصلحة مصير ٠ فاستسلمت لمخططات الاستعمار واعلنت انها صديقته وحليفته ٠ ولم تكن الجيوش العربية أكثر قوة وتماسكا من البنيان السياسى العربى ، ولذا لم تستطع التصدى بسبب كل المعوقات التى كبلت بها للتحدى العسكرى الصهيونى ٠

اذا صح أن المتناقضات تجمعها وحدة واحدة فان اكثر نتائج هزيمة ١٩٤٨ ايجابية ، تمثل فى أن القوى الوطنية فى البلاد العربية أدركت أن الاطاحة بالهياكل الاجتماعية البالية والجائرة والعميلة فى بلادها ، هو الشرط الاساسى والاولى لنجاح النضال الوطنى ٠ فقد تكشفت خيانة الانظمة العربية ليس فقط للقضية القومية ، وانما تآمرها على أبناء بلادها (الاسلحة الفاسدة ، والصفقات التى عقدها العملاء مع اليهود وتسليم مواقع لهم) ٠ لقد اتضح بجلاء أن اقامة حكم وطنى يصفى مواقع السيطرة السياسية للاستعمار ، سواء بالقضاء على ركائزه الاجتماعية والسياسية المحلية ، أو بانهاء وجوده المباشر فى البلد المعين ، هو الطريق الوحيد لنجاح العمل الوطنى والقومى على حد سواء ٠ وكانت ثورة ١٩٥٢ هى الرد الوطنى على التفريط فى مصالح البلاد الوطنية والقومية ٠ وأصبحت هذه الثورة نموذجا احتذته عدة فئات فى سوريا والعراق — بل فى الاردن — وفى اليمن والسودان وليبيا ، وفيما وراء المنطقة العربية ٠

ومن ثم كانت بدورها سببا يبرر لاسرائيل دورها العدوانى لمحاصرة الخطر الجديد وضمان عدم خروجه على الخط السائد ٠ وهكذا تطورت الاحداث بما أدى الى عدوان ١٩٥٦ ٠

حرب السويس : لوقف « العدوى »

منذ اليوم الاول ، تبدى واضحا ... ، الجانب الوطنى لثورة يوليو وسبق الجانب الاجتماعى لها وطغى عليه فى الايام الاولى . فقد سعى النظام الجديد لتصفية الوجود البريطانى فى القناة . وعارضت اسرائيل ذلك بكل الطرق (بما فى ذلك الارهاب فيما عرف بقضية لافون) وذلك لانهـا كانت تحس أن فى القوات البريطانية حماية لها وسند ، بل وحاجز أكيد ضد امتداد التأثير المصرى الى دول المشرق . خاصة اذا ما نجح فى انهاء الاحتلال الذى دام ثلاثة أرباع قرن . كذلك صفت ثورة يوليو البركائز الاجتماعية لسيطرة الاجنبية والتى كانت بقصورها وعمالتها ضمانا آخر لاسرائيل ، بل وحليفا غير مباشر لها فى عدوانها على حركة التحرر والتقدم العربى .

ومن جانب آخر عارضت الثورة كل محاولات الاحتواء فى أحلاف استعمارية ، ورفضت على التوالى حلف بغداد وحلف البحر المتوسط ومشروع ايزنهاور والحلف الاسلامى ، وغيرها . وضربت بذلك مثلا تحتذيه دول المنطقة فى التمرد على الاوضاع المسيطرة فيها ، ويشجعها على الرفض والتحدى مما يهدد خطط الاستعمار والصهيونية .

علاوة على هذا ، بدأت مصر تلعب دورا دوليا معاديا للاستعمار والعنصرية ، وساهمت فى تكوين الجبهة العالمية المعادية للامبريالية وعملائها وذلك بمشاركتها النشيطة فى مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ وما تلاه من تعاون بين دول عدم الانحياز .

أضف الى ذلك سعى مصر لتكوين جيش قوى قادر على حماية استقلالها الوطنى والقومى . وهو ما كانت تخشاه اسرائيل خشية الموت . وتوج هذا بكسر احتكار السلاح والتعاون فى هذا مع الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا . وكانت هذه « سابقة خطيرة » من حيث التحريض على الاهتمـام بالجيوش الوطنية وتحويلها الى مؤسسات قوية وقادرة . الامر الـــذى لا تريده اسرائيل بأى ثمن ـ وكذلك من حيث التشجيع على التعاون الواسع مع المعسكر الاشتراكى . وكان هذا فتحا فى مجالات العمل الوطنى ، بدأته وتوسعت فيـه ثورة يوليو (وقد ردت اسرائيل على هذا فورا بالعدوان على الحدود فى ١٩٥٥ مرتين بسبب مقاومة حلف بغداد وكسر احتكار السلاح) .

أما القشة التى قصمت ظهر البعير ، فكانت تأميم قناة السويس . ففضلا عن قوة المثل الذى يمثله هذا العمل ، فقد اعتبر تهديدا مباشرا لمصالح رأسمالية متشابكة أهدافها مع اسرائيل ، فضلا عن أنه أضفى على مصر ـ وهى الخصم الاساسى للدولة الصهيونية ـ مكانة عالمية وقدره على التأثير فى المنطقة هددت اسرائيل ودفعتها الى محاولة هدمها . كذلك فان عائدات القناة كانت ـ لا شك ـ ستمكن مصر ، من تنفيذ أهدافها التنموية والدفاعية بما يزيد من قوتها التى تعتبرها اسرائيل تهديدا مباشرا لها .

ان قيـام نظام وطنـى معـاد للاستعمار والصهيونية له اتجاهات قومية واضحة [بلكان من أسباب قيامه المباشرة هزيمة ١٩٤٨) ، يعوق أهداف اسرائيل الخاصة ، وتلك التى تتولى حمايتها بالوكالة . كما أفزع اسرائيل والدول الامبريالية تنامى الحركة الوطنيـة فـى المشرق والمغرب العربى على حد سواء وان هذا اقترن بتأثيرات مباشرة أو غير مباشرة لنظام ثـورة يوليو [٦] فقد بدأ تصاعد الحركة فى العراق والاردن وفى اليمن والجزائر . وسارعت ثورة يوليو باسناد هذه الحركات ، الامر الذى فتح آفاقا واسعة للعمل القومى فى الساحة العربية . واخذ يشكل خطرا حالا على اسرائيل ومصـالحها الخاصة ، وعلى دور الوكيل الذى فرضته لنفسها نيابة عن الدول الاستعمارية .. ومن هنا جاء العدوان الثلاثى ، محاولة لوقف الاتجاهات القومية المعادية للاستعمار ، واجهاض حركة الاستقلال الاقتصادى واستعادة ثروات البلاد .

عدوان ٥٦ : تنمية للجانب الاجتماعى

وكما أسهم عدوان ٩٤٨ فى تنمية الجانب الوطنى على أسس راسخة ، فقد أدى عدوان ١٩٥٦ الى تأكيد الطابع الاجتماعى للثـورة العربية . فقد أدركت ثورة يوليو أن تصـفية السيطرة الاجنبية على اقتصاد البلاد ، والقضاء على مواقع المتعاونين معهم من المصريين ، ووضع مقدرات البلاد فى خدمة اختياراتها الوطنيـة والاجتماعية (٧) كل هذا يشـكل الضـمانات الاساسية لردع العدوان الخارجى ، وتوفير أسباب

[٦] فى المغرب قامت ثورة ١٩٥٣ ، وفى تونس فى ١٩٥٢ ، وفى الجزائر فى ١٩٥٤ وفى العراق فى ١٩٥٨ . واليمن ١٩٦٢ وعدن ١٩٦٥ وفى السودان وليبيا ١٩٦٩ .

[٧] فى ١٩٥٧ أممـت ممتلـكات الفرنسـيين والانجليز ، وفى ١٩٦٠ تم تاميم المصالح والبنوك البلجيكية ، وكذلك البنك الاهلى وبنك مصر ، وفى يوليو ١٩٦١ تم تأميم معظـم الشركات والمؤسسات الرأسمالية الكبرى فى مصر وسـوريا . وتوالت قوانين الاصلاح الزراعى لتجعل الحد الاعلى للملكية ٥٠ فدانا .

القوة والمناعة للاستقلال الوطنى وجوهره الاساسى وهو الاستقلال الاقتصادى ٠

وبدأ الادراك فى مصر ينمو بأن التخطيط والتنمية الشاملة وأداتها القطاع العام ، وسيطرة المجتمع على وسائل الانتاج الاساسية ، هى ضمانات التقدم والمناعة الحقيقية ٠ وبمرور الوقت ، تبين أن هذا لايمكن ان يتم الا بتصفية مواقع ذوى الامتيازات وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وتحسين اوضاع الجماهير ، ورفع شعارات الاشتراكية ٠ وبهذا اكتملت ملامح تجربة اجتماعية جديدة ، كانت بطبيعتها معادية للاستعمار واستغلاله ، ولها تأثير وجاذبية قومية تعجل بالتقارب والتوحيد ، فضلا عن انها تكفل لمصر قوة جديدة ، الامر الذى شكل بدوره سببا جديدا للعدوان ، ومن هنا جاءت حرب الايام الستة فى يونيو ١٩٦٧ ٠

الطريق الى حرب ١٩٦٧

منذ أوائل عام ١٩٦٤ ، كانت سماء الشرق **الاوسط** تنذر باتجاه تيارات المناخ السياسى نحو صدام عاصف ٠

فعلى الجانب العربى من متاريس الصراع الممتد مع اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ، كانت القيادة السياسية فى مصر ١٩٦٤ قد وجهت الدعوة الى عقد مؤتمر للقمة العربية ، انعقد فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤ ، لمناقشة المشروعات الاسرائيلية لاستغلال مياه نهر الاردن وآثاره على مجريات الصراع العربى الاسرائيلى ، ولاتخاذ موقف عربى موحد يرقى الى مستوى المسئولية القومية فى مواجهة عمليات « التسليح حتى الاسنان » التى أقدمت عليها أمريكا فى اسرائيل ٠

وقد أقدمت القيادة السياسية المصرية وقتها على هذه الخطوة ، وهى فى مركز وطنى وقومى قوى مكنها منه ، سرعة حركتها على تجاوز الوضعية السياسية الناجمة عن « حركة الانفصال » من جهة ٠٠ ثم مبادرتها بوضع أسس للتطور السياسى الديمقراطى (ميثاق العمل الوطنى وصياغة تحالف قوى الشعب العامل) من جهة اخرى بعد ان تأخر موعده الضرورى الذى كان مفترضا ان يلازم الاجراءات الاقتصادية الجذرية التى اتخذت فى يوليو ١٩٦١ ، وقطعت فى طريقها آفاقا ضخمة بقرارات مارس ١٩٦٤ ٠

وعلى المستوى **القومى** ، كانت القيادة السياسية المصرية قد حققت نجاحا كبيرا حين اخترقت « **حاجز الحصار القومى** » الذى حاولت القوى الاستعمارية والرجعية فرضه على مصر والذى كانت « حركة الانفصال » اهم شواهده ، وقد تمثل هذا النجاح فى المساندة الفورية لثورة اليمن ثم فى فتح جبهة جديدة معادية للاستعمار فى اليمن الجنوبية ٠

وعلى المستوى **الدولى** ، كانت مصر قد حققت نجاحا مماثلا ٠ يشهد على ذلك انها كانت « مسرح » مؤتمرى القمة الافريقى وعدم الانحياز (١٩٦٤) ٠ ولم تكمن اهمية ذلك فحسب فى دلالات « مكان » انعقاد المؤتمرين ، وانما أيضا فى الدور القيادى البارز الذى مارسته مصر فيهما معا ٠

وفى نفس هذا العام (١٩٦٤) كانت التجربة الاجتماعية فى مصر تستشرف آفاقا هامة يجعل منها « مركز جذب » يهدد مصالح قوى الاستعمار العالمى والرجعية ٠ ففى ذلك العام أتمت مصر المرحلة الاولى من بناء السد العالى ، الذى تكمن اهميته السياسية فى حقيقة أنه « **رمز** » لانتصار ارادة شعب بلد نام على تحديات القوى الاستعمارية ٠ كما تم فى نفس العام الافراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين ، وما كان يعنيه ذلك من معانى ديمقراطية تؤكد الطابع التقدمى للتجربة الاجتماعية فى مصر ٠

على أن القول بذلك فقط ، فيه اغفال شديد لحقيقة الوضع ٠ فالواقع أنه بينما كانت الثورة المصرية التقدمية قد حققت انجازات ضخمة فى الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٤ ، الا أن قوى بقايا الاقطاع واليمين والبيروقراطية ، وعناصر الطبقة الجديدة ، ومركز القوة الضاغط المتمثل وقتها فى « القيادة العسكرية » ، كانت تدفع التجربة المصرية الى « مخنق » بلغ من الحدة ، حديث القيادة السياسية للثورة وقتها عن ضرورات « الثورة على الثورة » وأهمية « بناء الحزب الاشتراكى » ٠

على أن ذلك كله ، بل وربما بسبب ذلك كله ، شجع اسرائيل والاستعمار الجديد ، بقيادة امريكا ، على التربص بالتجربة المصرية لاغتنام الفرصة ٠ وفى الداخل كانت بعض قوى الثورة المضادة من بقايا الاخوان المسلمين قد حملت السلاح واختزنته بالفعل لمقاومة التجربة المصرية ٠

أما على **الجانب السورى** ، فقد كانت سوريا تمر بارهاصات « تصحيح » وتغيير الموقف الناشىء عن حركة الانفصال ٠ وسعت سوريا فى ذلك الوقت الى الاقتراب من مصر خلال « مناقشات الوحدة » ٠ وسارت منذ ذلك الوقت الى اتخاذ عدد من التغييرات السياسية والاقتصادية الهامة التى

اعادت لها كثيرا من ملامح وضعها الوطنى التقدمى برغم كل مظاهر « صراع المجموعات » الذى ساد لفترة من الوقت ٠

واذا كان مؤتمر القمة العربى بما وصل اليه من قرارات « سرية » لم يحقق نتائج ايجابية ، مع تطور الاحداث فى ذلك الوقت ، فان مصر قد صاغت من خلال هذه التجربة مفهوما صحيحا لتصور احتمالات المواجهة التى كانت تراها « مؤكدة » مع اسرائيل ٠ فقد حددت مصر مفهوم أن المواجهة ينبغى ألا يجرها العدو اليها وفق خططه هو ، بل أن تدخلها فى « **الوقت** » و « **المكان** » اللذين تراهما مناسبين وفق ظروفها الذاتية والموضوعية ٠

الا أنه ينبغى أن نشير هنا الى أن قوى الاستعمار والرجعية ، اضطرت مصر — وهى محور حركة التحرر الوطنى العربية — الى الدخول فى عدد من الصراعات بهدف انهاك قوتها . على أنه من الضرورى فى هذا المجال أن نضيف ان دخول هذه الصراعات كان ضروريا من جانب مصر بقدر ماكان مفروضا عليها وبرغم ايضا مضاعفات ٠ نذكر فى هذا المجال المعارك ضد الاحلاف المشبوهة ومعارك اليمن ٠٠ الخ ٠

وعلى الرغم من أن شعار « وحدة الهدف » الذى رفعته مصر — عن حق — فى ذلك الوقت ، كان يطرح على الفور البحث عن صياغات تطبيقية لوحدة القوى الثورية العربية ، وقد طرحها بالفعل ، الا أن الجانب العملى الفعال للسياسة المصرية العربية كان يتم على أساس مفهوم « وحدة الصف » ، مما كان له آثارا سلبية على تحقيق الشعار السليم ، ظهرت نتائجها فيما بعد ٠

● ● ●

وعلى الجهة الاخرى من متاريس الصراع العربى الاسرائيلى ، كانت اسرائيل تستعد مستفيدة من كل معطيات حرب ١٩٥٦ ٠ ففى ١٩٥٦ دخلت الحرب مع قوتين عالميتين كبيرتين : **بريطانيا وفرنسا** ، لكن ظروف عالم الستينات كانت قد اختلفت عن ظروف عالم الخمسينات ٠ ويهمنا — فى هذا المجال — التركيز على حقيقة أن بريطانيا وفرنسا قد خرجتا من حرب السويس ، من الصف الاول للدول الكبرى بشكل عام ، وأصبحت الولايات المتحدة الامريكية القوة القيادية السائدة فى صفوف دول الرأسمالية العالمية ٠

ومن ابرز معالم السياسة الاسرائيلية ، أنها تسعى — دائما — الى الارتباط العضوى بأقوى الدول الرأسمالية الاستعمارية ، « لتنسج » ما بين مصالحها « الخاصة » ومصالح هذه الدولة الرأسمالية الاقوى ٠

فى هذا الاطار ، توفرت الظروف الموضوعية ، لكى تنجح اسرائيل فى بناء « علاقة خاصة » قوية بأمريكا وسياستها فى الشرق الاوسط ٠ فاسرائيل ، لها مخططها الخاص لتوسيع حدودها وضم أراضى جديدة من جهة ، كما أن لها مصلحة فى ضرب النظم التى تؤهلها سياستها لان تقف فى وجه المخطط الاسرائيلى ٠ وأمريكا ، لها مخططها الخاص لضرب النظم الوطنية فى المنطقة بشكل عام حيث أنها تعرقل استقرار المصالح الامريكية وتنميتها ٠ والاهم من ذلك ، ضرب النظم التقدمية التى تمثل بتجربتها الاجتماعية وبسعيها الى تصفية نظام الاستغلال ، خوفا من انتشار هذه « العدوى » ٠ وحاولت أمريكا بأكثر من وسيلة « عزل » التجربة المصرية فى حدود « للحجر الصحى » — اذا جاز التعبير — تمهيدا لتصفيتها من الداخل ، اذا استطاعت ، أو ضربها اذا سنحت الفرصة ٠

وهكذا التقى المخطط الاسرائيلى مع المخطط الامريكى ، استراتيجيا ، والتقى تكتيكيا — على ضرورة التجربة المصرية بشكل خاص وتنامى النظام التقدمى فى سوريا فى نفس الوقت ٠

وحتى عام ١٩٦٥ ، كانت الولايات المتحدة الامريكية تعمل على دعم اسرائيل عسكريا بطريق غير مباشر واضعة فى الاعتبار مصالحها الاقتصادية الضخمة فى الشرق الاوسط ، ولكنها ، بعد أن كشفت مصر حقيقة دور ألمانيا الغربية كمورد للسلاح الى اسرائيل لحساب أمريكا ، لم تجد الولايات المتحدة بدا من ان تظهر بنفسها مباشرة على مسرح الامدادات العسكرية لاسرائيل ٠

وقد ضاعف من جهود أمريكا فى خدمة الاحتياجات العسكرية الحديثة والباهظة التكاليف لاسرائيل ، « المأزق » الذى أخذ يغيب أمريكا بتورطها العسكرى فى « مستنقع » فيتنام . فعلى منتصف الستينات ، كانت أمريكا « تعانى » من مضاعفات عدوانها « المباشر » على شعب فيتنام ووصلت هذه المعاناة حد أن المجتمع الامريكى قد أصبح نفسه مهددا « بالتمزق » واكتشفت امريكا صعوبة تكرار التجربة اذا دعت الحاجة فى الشرق الاوسط ٠ وكان الوجه الاخر لهذه الحقيقة ، هو أن تمارس اسرائيل « الدور الامريكى » لتغنيها من مثل هذه المضاعفات وقد أجادت اسرائيل استثمار هذا

الاستنتاج ، على كل المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

هكذا كانت الاطراف على جانبى « المتاريس » تدرك أن المواجهة « حتمية » ولكن كل طرف كانت له أساليبه الخاصة فى العمل وحساباته الخاصة فى « التوقيت » على أنه بات واضحا ـ كما أثبتت الاحداث فيما بعد ـ أن الجانب الاسرائيلى كان يعد العدة بأسرع مما كان الجانب العربى يعدها وهنا نرصد حقيقةلها دلالتهاالهامة الاوهىقيامموشىديان بزيارة فيتنام الجنوبية أثناء عمليات القتال لدراسة الاعمـــال العســكرية الامريكيــة فى مواجهة « حرب العصابات » ومعروف أنه فى عام ١٩٦٥ تأسست منظمة « **فتح** » للمقاومة وبـدأت نشاطها بالفعل وان كان بالطبع نشاطاً محدودا .

ونستطيع أن نقول أنه عندما قامت الحرب فى ٥ يونيو ١٩٦٧ حين شنت اسرائيل عدوانها ، لم تكن مصر وهى القوة الرئيسية فى القتال ، كما لم تكن سوريا ، فى كل « ليساقتهما » السيــاسية أو العسكرية ، فضلا عن أنهما لم يختارا الوقت بل اختارته اسرائيل وفرضته عن طريق منـاورة الغارات الجوية المتكررة على سوريا وما أعقبها من حشد القوات الاسرائيلية على الحـدود السورية ، على أن ما يلفت النظر هنا ، هو الحركة المشبوهة بتحريك كل عناصر الضغط السياسى التى تمت ضد مصر للتشهير بها من خلال الحديث عن وضع قوات الطوارىء الدولية وخليج العقبة . ومن خلال العمل على جبهة « الضغط العسكرى » على سوريا وجبهة « الضغط السياسى » علـى مصر ، أحكم نصب « الفخ » .

أمام عدم «اللياقة» السياسية على الجـانب المصرى فقد كان يتمثل فى الاثار السلبية لعدة عوامل لعل أهمها :

● بينما كانت قوى الثورة وقيادتها ، تؤكد على ضرورة نقل **السلطة** الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعها بلا استثناء ، ظلت قيـادات المؤسسات الاقتصادية والعسكرية والسيـاسية ، تنتسب فى غالبيتها الى **بعض** قوى التحالف وفئات من الطبقة الجديدة التى لم تكن مقتنعة بالاشتراكية ولا متحمسة للدفاع عن التحول الاشتراكى ولا معنية بانجازه .

● بينما كانت بعض الاحداث فى الداخل ، تعبر عن عمق الصراع الاجتماعى ، الا أن معالجة هذه الاحداث تم من خلال عمليات ادارية علوية ، أدت الى تفريغ كثير من قرارات القيادة السياسية من محتواها الثورى .

● وفى هذا الاطار، كان هناك ثمة فجوة أو انفصال بين القيادة السياسية وتصوراتها ، وبين القيادة العسكرية التى سيطرت عليها آنـذاك عناصر البيروقراطية وأبناء الطبقة الجديدة . وقد شكلت هذه القيادة العسكرية وقتها « مركز قوة » ضاغط وكبير ، انفرد بشئون المؤسسة العسكرية بعيدا عن رقابة ومتابعة الاجهزة السياسية وفى هذا المجال افتقدت البلاد وجود قيادة عسكرية قادرة على ترجمة قرارات القيادة السياسية ترجمة عسكرية فقد انشغلت هذه القيادة العسكريـة بحماية امتيازاتها أكثر من التفكير فى حماية الوطن والثورة .

فى ظل هذه الاوضاع ، استجابت القيــادة السياسية الى الاستفزازات العسكرية الاسرائيلية والاستفزازات السيـاسية الرجعيـة ، ووقعت فى « الفخ » . على أن أبرز خطأ فى مجال تقدير الموقف السياسى ، هو تصور أن الولايات المتحدة يمكن أن تأخذ موقف « الحذر » الذى اتخذته فى عام ١٩٥٦ من العدوان الثلاثى . وفات هـذا التصور أن « حذر » عام ١٩٥٦ الامريكى كان مبعثه أن العدوان قد تم لحساب بـريطانيا وفرنسا . أما هذه المرة فهو يتم لحساب مصالح مشتركة اسرائيلية أمريكية مباشرة . وهذا ما يفسر لنا الموقف الامريكى من عدوان ١٩٦٧ .

حرب التحرير : ١٩٧٣

واذا كان من الصعب تجنب « طغيان » المشاعر الوطنية عند الحديث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فضلا عن أن أحداثها ماتزال تجرى ، الا أنه يمكن فى نفس الوقت رصد عددا من الظروف الموضوعية السابقة والمحيطة بحرب التحرير الوطنية التى خاضها الجيش المصرى تحت القيادة السياسية الوطنية للرئيس أنور السادات ، لتسجل فى تاريخ حركة التحرر الوطنى العربية واحدة من أروع وأشرق صفحاتها .

● أن هبة ٩ يونيو ١٩٦٧ الشعبية ، شكلت أساسا شعبيا لاستمرار نظام ثورة يوليو الوطنى ، وفرت له عبء حسابات موقف الشعب من ضرورات وتضحيات مواجهة الهزيمة والتغلب عليهـا . والاهم فى هذا الصدد ، أن « ٩ يونيو » كان يعنى سياسيا : ان اى طرف خارجى اوداخلى معاد

لنظام ثورة يوليو ، عليه أن يواجه «النظام والشارع» معا . ولمعطيات هذه الحقيقة آثارها الايجابية الهامة والحيوية بالقطع فى حسابات عمل القيادة السياسية الوطنية الممتدة من جمال عبد الناصر الى انور السادات ، من أجل التغلب على الهزيمة ٠

● أن القيادة السياسية ومعها القيادة العسكرية الجديدة ، قد بذلا جهدا خارقا للغاية فى عملية اعادة بناء القوات المسلحة المصرية بكثافة ضخمة على مستوى السلاح واستيعاب السلاح بالتدريبات الشاقة الضرورية . وفى هذا المجال أدت خطوة « تطعيم قاعدة القوات المسلحة المصرية بالعناصر الشابة من خريجى الجامعات ، الى اختزال كثير من الوقت فى عمليات التدريب واستيعاب السلاح الحديث ٠ وفى هذا المجال أيضا ، لابد من رصد حقيقة أن الجيش المصرى استطاع ان يتجاوز كل عمليات التشكيك التى حاولتها الدوائر الاستعمارية والرجعية ، سواء فى معركته الحقيقية أو فى قيمة السلاح الذى بين يديه ٠

● أن الرئيس أنور السادات قد حرص بوضوح ، عشية الحرب ٠٠ فى خطبه أمام مجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، حرص على تأكيد أهداف التجربة المصرية لبناء الاشتراكية ، وقضى بذلك على كل محاولات البلبلة التى جرت فى هذا المجال ٠ ولهذه المسألة اعتباراتها الهامة على صلاحيات الجبهة الداخلية ٠

● أن الرئيس أنور السادات قد حرص أيضا ، عشية الحرب على اتخاذ قرارات هامة فى مجال الوحدة الوطنية بعودة الصحفيين المبعدين وسحب قضايا الطلبة من أمام المحاكم ٠ وكان لذلك نتيجته الايجابية على وحدة الصف الوطنى : الدعامة الاساسية للجبهة الداخلية ٠

● ان الوعى العام فى مصر كان قد بلغ شوطا كبيرا فى ادراك كثير من السلبيات التى أدت الى نكسة يونيو ١٩٦٧ ٠ أيقظ هذا الوعى وساهم فيه حركة النقد التى أعقبت الهزيمة ٠ بهدف تخطى السلبيات وتجاوزها .

● استطاعت القيادة الوطنية المصرية ، بجهد شاق وضخم ، ان توفر حدا ادنى من وحدة الصف العربى ، فى اطار مفهوم يعمل على ثلاث جبهات : التنسيق أو العمل المشترك أو العمل الموحد ٠

● وفى سوريا ، توصلت القوى الوطنية والتقدمية فيها الى صياغة « الجبهة الوطنية التقدمية » التى حققت بها وحدة الصف الوطنى ٠

● فى خلال الفترة من حرب ١٩٦٧ الى حرب ١٩٧٣ ، أضاف انتصار الثورة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وفى الجمهورية العربية الليبية ، أضاف الى مسار حركة التحرر الوطنى العربية والى عملية « المواجهة مع العدو » ، جهدا جديدا واحتياطيا لازما ٠

● أمكن تدارك ومحاصرة مضاعفات « سوء التفاهم » فى مجال الصداقة العربية السوفيتية ، بحيث استعادت فعاليتها اللازمة لخوض حرب التحرير ٠ وفى هذا المجال كان التعبير ذا الدلالة السياسية العميقة الذى قاله الرئيس انور السادات « لقد عبرنا القناة بأسلحة سوفيتية » ٠

● وفى المجال الدولى ، كان الانتصار العظيم لشعب فيتنام قد تحقق ٠ وكانت قيمته السياسية والعسكرية بالنسبة لنا – على كل المستويات – أن الارادة الوطنية للشعوب النامية لايمكن ان تقهر ، بل لابد وأن تنتصر حتى على أعتى القوى الاستعمارية العسكرية : أمريكا ٠

● وفى المجال الدولى أيضا ، كان لانتصار أفكار التعايش السلمى وواقع الانفراج الدولى ، آثارهما الايجابية فى الاستفادة من حقيقة أن الانفراج الدولى يحول دون كثير من أخطار التدخل العسكرى الامريكى المباشر ٠ وعلى الرغم من كل عمليات الامداد العسكرى الذى قدمتها أمريكا لاسرائيل ، الا أن واقع الانفراج الدولى ، حال دون أن تترجم أمريكا ما دار فى خيال نيكسون حين تحدث عن احتمالات التدخل على نمط « أزمة لبنان ٥٨ » و « أزمة الاردن ١٩٧٠ » ، حال دون ترجمته الى واقع عملى بتدخل مباشر ٠

● وفى المجال الدولى كذلك ، أمكن عن طريق الجهود السياسية الكبيرة التى بذلت فى المؤتمرات الدولية ، أمكن تحقيق كثير من « حصار العزلة » السياسية لاسرائيل فى دوائر الرأى العام العالمى .

على أى حال كانت هذه أبرز معالم أوضاع الجانب العربى فى الحرب مع اسرائيل ٠ وهى فى نفس الوقت ، معالم « اللياقة » الجديدة التى لزمت رد العدوان الاسرائيلى فى ٦ أكتوبر وخوض حرب تحرير الارض المحتلة .

سلاح البترول

في الحرب الرابعة

د. محمد أحمد عجلان

تدور على الجبهة المصرية والجبهة السورية حرب ليست من أجل مساحات من الارض احتلتها اسرائيل في ١٩٦٧ ، ولكنها ـ في البعد الحقيقي ـ حرب مصير للشعوب العربية كلها . ليس ذلك من باب المبالغة أو اثارة الحماس ولكنها حقيقة واقعة مهما صورها البعض على مستوى أقل أو حاول احتوائها بتحديد أهداف ضيقة لها . وبالتالي فاما كانت النتيجة نصرا يفتح الطريق الى معركة أكبر ، نعنى معركة التحرر العربي الكامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، كما نعنى معركة تحدى التخلف والانطلاق الى آفاق حضارة القرن العشرين . واما ـ لا قدر الله ـ هزيمة تبقى على الشعوب العربية اسيرة الاستعمار في اسوأ صوره استغلالا ، واستيطانا ، ومهانة ، وذلا بمستوى العبودية .

ولأنها معركة بهذه الصورة ، فقد صار واجبا أن يستخدم فيها العرب كل سلاح لديهم ، بل وكل ما يمكن أن يكون سلاحا .

ولان ذلك ايمان قد تعمق في ضمير الشعوب العربية ، ولان البترول سلاح قائم وجاهز للاستعمال ، فلقد أصبح مستحيلا أن تقعد بالعرب وقياداتهم أى اعتبارات عن استعماله .

ولقد قرر وزراء البترول العرب في ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ خفض الانتاج من البترول فورا بحد ادنى ٥ في المائة تزداد بنسبة ٥ في المائة اخرى كل شهر الى أن يتم الجلاء عن الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني . كما تقرر أن يطبق هذا الخفض على أمريكا في المقام الاول ، وعلى الدول الصناعية الاخرى التي تساند اسرائيل . وتقرر أيضا أن تمنح الدول الصديقة للعرب معاملة خاصة تمكنها من الحصول على نصيبها الحالي من البترول العربي [١] .

(١) الاهرام في ١٨ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ .

ولعل أهم ظاهرة فى هذا القرار ، والجديد فيه فعلا ، أنه قد تم على مستوى الحكومات وأنه قد وضع موضع التنفيذ . لقد قررت الحكومات ذات مرة فى بلودان عام ١٩٤٦ أن تحرم الدول التى تساعد على قيام الكيان الصهيونى من البترول العربى ، ولكن بسبب نكوص أحد الدول عن التنفيذ لم يتح للقرار أن يرى النور ، حتى والقتال محتدم على ارض فلسطين . وفى ١٩٥٦ تم قطع البترول بالفعل وعانت أوربا شهورا من القحط فيه ، ولكن كان ذلك من عمل العمال العرب وليس الحكومات . وفى ١٩٦٧ حاول العمال العرب مرة أخرى قطعه عن التدفق ، ولكن لم يدم ذلك سوى أيام معدودة فقط وكان نصيب البعض الاعدام فى أحد البلاد . وان يتم اليوم اتخاذ اجراء ما فى شأن البترول ، وعلى مستوى الحكومات ، وأن ينفذ .. فذلك ما يدل على أن الضغط الشعبى — نتيجة لعديد من العوامل والاسباب — قد ارتفع الى حد لم يعد ممكنا معه أن تهمله أو أن تتغاضى عنه الحكومات ، وأن موقف هذه الاخيرة — نتيجة لبعض العوامل وللاسباب مرة أخرى — قد حدث له تحول بعض الشىء . **ان الانتقال — على المستوى العربى والحكومى بالذات — من مستوى مجرد رفع الشعارات واصدار التصريحات الى مستوى القرار ، وتنفيذ القرار ، ظاهرة جديدة يجب أن توضع فى اعتبار العمل الثورى العربى مهما كان الرأى فيه سلبا أو ايجابا .**

وقد يكون القرار الذى اتخذ أضعف مما كان يريد الكثيرون ، كما قد يكون مقدمة لخطوات أخرى فيما يرجو كثيرون كذلك . ولهذا يصبح من الضرورى أن تستمر دراستنا للبترول كقوة اقتصاديه وكسلاح حتى تكون خطواتنا أصدق ما يمكن فى آثارها ، وأقدر ما يمكن على الوصول الى أهدافها .

ان المعارك الحالية تثبت بجلاء أن المهم ليس وجود السلاح فحسب ، بل مدى تحكم المعرفة العلمية فى استخدام السلاح . وتثبت كذلك أن المعالجة العصبية لاى موقف لا تنجح فى تحقيق الهدف ، قدر ما يفعل ذلك الحساب العلمى الهادىء وقياس مدى قوة الاضداد ، ورسم خطة الحركة فى الميدان ، سواء فى ذلك ميدان السياسة والاقتصاد أو ميدان الحرب والاقتتال .

الاعتبـــارات الاســاسـية فى استـــخدام البتـــرول ســـلاحا

ان البترول قد تطور فى العصر الحديث وحتى نهاية القرن الحالى الى أن يكون سلاحا ضخما لمن يملكه ، له أبعاده الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وله قدراته المتعددة فى كل منها .

وتكفى حقيقة أنه هو الذى يدفع بدم الحياة فى الكيانات الانتاجية لكل أوربا الغربية واليابان بما لا يقل عن ٦٠ فى المائة من احتياجات الاولى ، ٨٠ فى المائة من احتياجات الثانية . ان امتناعه عن هذه البلاد كفيل بأن يحول مصانعها بل ومبانيها الى كتل خرساء لا قيمة لها ، وأن يحول أسلحتها الى قطع من الحديد يبليها الصدأ ولا تستطيع هى لاحد بلاء . ذلك شأن معظم العالم الغربى الاستعمارى . وتنبىء القياسات العلمية على أن الدول التى لا تعتمد اليوم بدرجة كبيرة على البترول العربى — مثل أمريكا — انما هى بسبيلها الى نفس الوضع فى وقت لا يعدو نهاية السبعينات من القرن الحالى حيث يكون الشرق الاوسط وشمال افريقيا هما تقريبا المصدرين الوحيدين لحركة البترول التجارية العالمية .

وسلاح على هذا القدر من الاهمية يجب أن يستخدم دون انفعال يشحن بالطاقة التى تصيب ، وبالعبوة التى تتلاءم مع الهدف .

ولهذا فهو لابد أن يخضع فى استخدامه لعدد من الاعتبارات الاساسية التى يمكن أن نجملها فى :

— البعد الحقيقى للمعركة العسكرية الحالية .

— الفهم الكامل بأوضاع وقدرات السلاح فى الحال والاستقبال .

— استراتيجية محددة لاصحاب السلاح .

استخدام تاكتيكى فى نفس الاتجاه الذى تفرضه الاستراتيجية البعيدة .

— ما يمكن أن يستخدمه العدو من أسلحة أو تكتيك أو مناورة لافشال الغاية من استخدام السلاح .

واذا كنا قد أجملنا هذه الاعتبارات فلابد من بعض التفصيل حول كل منها للالمام بمداها الفعلى .

البعد الحقيقى للمعركة الحالية

ان هذه المعركة على ضراوتها الشديدة ، وأهميتها الفائقة ، وعلى أملنا ان تنتهى بالنصر ، وعودة اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ، واقرار حق شعب فلسطين فى تقرير المصير ، فانها رغم هذا كله ليست الا حلقة فى سلسلة طويلة من المعارك العسكرية بدأت منذ وجود اسرائيل ، وفى سلسلة أطول من المعارك السياسية والاقتصادية بدأت منذ سيطرة الاستعمار على بلادنا العربية ، ولن تنتهى

فى صورها المختلفة هذه الا باستخلاص حريتنا كاملة من بين براثنه . ان الارضية الاصلية للصراع العربى الاسرائيلى هى أرضية التناقض المستمر ـ والذى يزداد حدة مع مرور الوقت ـ بين الشعوب العربية الراغبة فى التحرر الوطنى السياسى والاجتماعى والاقتصادى وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة استغلال العرب جميعا . ان الشعوب العربية رغم أى تناقضات هنا وهناك ، ورغم مواقف بعض الدوائر منخرطة فى عملية تاريخية واحدة هى حركة التحرير العربية أو هى الثورة العربية الشاملة ».

ان المعركة الحالية صورة واحدة فحسب من صور حركة الجماهير العربية لا لمجرد استخلاص أرض أو رفع راية ، بل للخلاص من التخلف نحو التقدم ، واستخلاص كل من الحرية والارادة كاتجاهات للحركة والثروة كدعامة رئيسية لتحقق هذا الهدف الذى تنضوى تحته كل الاهداف .

وهذا بالذات هو نوع الحركة التى يعاديها الاستعمار بكل الوسائل ، ومن بينها أن يقيم اسرائيل وأن يدفعها بين الحين والاخر لضربها وكسر شوكتها وتصفيتها حتى لا تصيب مصالح الاستعمار بالدمار والتصفية .

فالمعركة الحالية اذن جزء من معركة أخرى أكبر وأطول مدى ، طرفاها الاستعمار من ناحية والشعوب العربية من ناحية أخرى . هدف الاول استمرار استنزاف الثروة العربية ، وهدف العرب استخلاصها لاقامة مجتمع على الاقل غير متخلف ، يستعمل الاول اسرائيل ـ من بين ما يستعمل من أسلحة ـ للابقاء على هدفه ، ويسعى العرب لشل هذا السلاح عن العمل . وعليهم من أجل أهدافهم أن يستعملوا أسلحتهم كلهم فى معركة طويلة مادام هناك استعمار على الارض العربية .

أوضاع وقدرات سلاح البترول

وقد يكون الامر هنا من الضخامة بحيث لا يمكن أن توفيه بضع سطور أو صفحات من هذا المقال ، ويجب فى شأنه أن نقتصر على عدد من النقاط الرئيسية التى يمكن أن تعطى بعض التقدير لكل من الاوضاع التى تحيط بالبترول العربى وبالقدرات التى له .

فمن زاوية الاهمية نرجو أن نتذكر دائما :

● أن البترول العربى المستخرج الان يمثل ما يقرب من ٤٠ فى المائة من كل البترول المستخرج فى العالم .

● وأنه يمثل ثلثا الحركة التجارية العالمية فالكثير مما يستخرج فى البلاد الاخرى يستهلك فى داخلها .

● وأن احتياطياته تمثل ثلثى احتياطيات العالم من هذه المادة الاساسية .

وانه بسبب ضخامة هذه الاحتياطيات والارتفاع المستمر فى الاستهلاك ، وشبه النضوب لعدد من المصادر الحالية سوف يكون البترول العربى مسئولا عن أكثر من ٩٠ فى المائة من حركة البترول التجارية العالمية قرب نهاية السبعينات .

● وأن أوربا الغربية واليابان تعتمدان على البترول العربى اعتمادا شبه كامل اعتبارا من الان بينما أن أمريكا لا تحتاج منه لاكثر من ٥ ـ ٨ فى المائة من استهلاكها سوف ترتفع الى حوالى النصف فى ١٩٨٠ ، والى ما يقرب من ٧٠ فى المائة فى ١٩٨٥ .

وان اهميته كمصدر للطاقة فى البلاد العربية مجتمعة تنخفض الى حوالى ١٠ فى المائة مما يستخرج توجد فى المنطقة معامل التكرير ووسائط النقل التى يمكن أن توفر حركة داخلية عربية لها .

ومن زاوية المصالح المرتبطة به :

نجد أن الشركات الامريكية مازالت تسيطر حتى الان على ما لا يقل عن ٦٠ فى المائة من اجمالى المستخرج .

● وأن عوائدها من الاستخراج وحده بحيث تعوض لها كل الرأسمال المستثمر فى هذه المرحلة وحدها فى عامين تقريبا .

● وأن الشركات الامريكية هذه ـ سواء الكبرى الاحتكارية أو ما تسمى بالمستقلة منها ـ تسيطر على حوالى ٦٠ فى المائة من طاقة التكرير فى العالم ، كما تمتلك ما لا يقل عن ٣٠ فى المائة من أسطول نقل البترول العالمى وتستأجر لحسابها نصف الاسطول الباقى تقريبا . ذلك بالاضافة الى انتشار مراكز التوزيع التابعة لها فى جميع أرجاء المعمورة .

● وأن أرباح الشركات من هذه العمليات التالية تفوق مرات عديدة أرباحها من مرحلة الاستخراج التى نشاركها نحن العرب فى أرباحها ، ولا صلة لنا تقريبا بما بعد ذلك من عمليات .

● وأن الارباح تزداد تضاعفا بما ينتج بفضل البترول العربى من بتروكيماويات ».

● وأنه فى تقدير أحد كبار الاقتصاديين العالميين بينما يذهب حوالى ١٦ فى المائة من ثمن البترول المساهم فى التجارة العالمية الى أصحابه فان الباقى كله يذهب الى دوائر فى البلاد المستهلكة .

ومن ثم تكون المصالح البترولية الامريكية ـ وهى التى تعنينا عن غيرها الان بحكم موقف أزمة الشرق الاوسط فى المرحلة الحالية ـ تكمن ليس فى ما تعتمد عليه من بترولنا العربى لتسيير عجلتها الانتاجية ـ فهو لا يزيد عن ٨ فى المائة يمكنها الحصول عليها من ايران أو نيجيريا بل ومن دول أوربا ذاتها ـ بل فى أنها بتحكمها فى القدر الاكبر من هذا البترول تدير بها عملية تجارية ضخمة بين البلاد المنتجة والبلاد المستهلكة تحصل على الارباح فيها من خلال العمليات المتتالية التى تدخلها صناعة البترول ، وفى الرأسمال الذى تستثمره فى المنطقة .

ويجب أن نضيف هنا فى زاوية المصالح المرتبطة بالبترول العربى عددا آخر من الحقائق هى :

● أن الدول العربية التى كانت الى عهد قريب تعتمد اعتمادا كاملا أو كبيرا على دخل البترول قد توفر لدى كل منها من الارصدة المالية ما يكفى انفاقها لسنوات طويلة قادمة .

● وأن هذه العائدات قد تزايدت بفضل رفع نصيب الدول المنتجة الذى تم بعد عام ١٩٧١ ، والذى كانت أزمة الشرق الاوسط والتهديد بانفجار المنطقة هو العامل الرئيسى فى قبول الشركات الاحتكارية لهذا الرفع .

● وأن الدول المستهلكة للبترول العربى ـ وهى على الاخص أوربا الغربية واليابان ـ تبدى تململا كبيرا من السيطرة الوسيطة للشركات الامريكية الاحتكارية على تجارة البترول ، وسعت خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة الى أن توجد لشركاتها موضع قدم فى البترول العربى وبشروط أكثر سخاء . وحقيقة أن الثروة التى بالمنطقة تسيل لعاب كل هذه الدوائر ـ وهى استعمارية حتى العظم من أجسامها ـ ولكنه تناقض بين الاستعماريين يجب أن نضعه فى حسابنا .

ومن زاوية عوامل ترتبط به :

● أن المخزون منه على سطح الارض لن يزيد عن استهلاك ثلاثة شهور فى المتوسط .

● وأن هناك ارتباطا بين الدول المستهلكة بتبادل الكميات فيما بينها اذا حدث عجز فى تموين أحدها .

● وأن أمريكا تسعى جاهدة منذ بعض الوقت لايجاد تكتل للدول المستهلكة يقف فى وجه أى اتجاهات للدول المنتجة لرفع الاسعار أو خفض الانتاج أو غيرها من الاجراءات التى تستهدف بها صالحها الخاص .

● وأن دول العالم الثالث تئن هى الاخرى من سيطرة الشركات الاحتكارية ، وتسعى جاهدة كلما كانت لديها القدرة ـ سياسيا واقتصاديا ـ على ذلك الى الارتباط المباشر بالدول المستهلكة .

● وأن الشركات الاحتكارية قد عرضت أخيرا ـ وقبلت بعض الدول العربية بذلك ـ بمبدأ المشاركة فى رأسمال الشركات ـ فى مرحلة الاستخراج وحدها ـ بشروط استهدفت استنزاف قدر من العوائد العربية ، وسط فترة المشاركة سنوات طويلة ، وفى النهاية ايجاد واجهة وطنية تتكفل بالتصدى لاى ضغوط شعبية من أجل اجراءات ثورية .

● وأن المصالح البترولية الامريكية قد انتهت تماما من العراق بعد تأميم ما تبقى منها فى ٧ اكتوبر الماضى على اثر نشوب القتال ، وان هذه المصالح قد تقلصت الى حد كبير فى الجزائر وانخفضت الى النصف على الاقل فى ليبيا ، ومن ثم صار القدر الاكبر منها فى الكويت والسعودية ومنطقة الخليج العربى .

ويرتبط بالعوامل المحيطة بالبترول العربى موقف **الارصدة المالية المتولدة أساسا عنه وحركة التجارة بين أمريكا والبلاد العربية . وفى هذا الشأن يحسن أن نتذكر دائما :**

● أن الارصدة العربية قد تضخمت كرأسمال معطل ـ على العرب ـ فى بنوك أمريكا وأوربا ، بينما تدعم هذه الدول بها اقتصادياتها وتستثمرها .

● وأنه بسبب هذه الارصدة المرتفعة ، فان الدول العربية لا تحافظ على انتاجها من البترول بهدف الحصول على المال ، بل تستمر فى ضخ البترول ضمانا لاستمرار رفاهية المجتمع الدولى فى المقام الاول . وأنه ان كانت الدول العربية تستطيع بهذه الارصدة أن تقيم الحياة على أرضها سنوات فان انقطاع البترول شهورا فحسب يمكن أن يقضى على تلك الدول .

● بل أن هذه الارصدة وهى حبيسة البنوك الاجنبية تتضاءل قيمتها باستمرار تخفيض

العملات المودعة بها بحيث قد خسرت فى العامين الاخيرين ثلاثة أمثال كل الدعم الذى قدمته الدول العربية لدول المواجهة .

● **ويعتبر بالتالى أن ما تتكلفه أمريكا سنويا لدعم الكيان الاسرائيلى قدرا متضائلا أمام اجمالى العوائد لها من البترول بعملياته المختلفة وما تعود به الارصدة المالية عليها ، بحيث لا تخرج هذه التكلفة عن كونها أجرا مناسبا لحماية هذا الدخل الكبير .**

● وأن استخدام الارصدة فى البلاد العربية يمكن أن يدر عوائد مجزية بفضل كون المنطقة أرضا لم تتطور بعد وامكانيات الاستثمار فيها كبيرة .

● وأن البترول فوق كل شىء ثروة موقوتة سوف تنضب أو تقل قيمتها بنهاية هذا القرن ، ويجب لاستمرار الحياة على الارض العربية أن يكون هناك بديل له قادر على اعاشة هذه الملايين العربية .

● وأنه رغم عوائد البترول التى يشار الى ضخامتها فان مستوى المعيشة فى المجتمع العربى مازال متدنيا الى الحد الذى يثير الخجل . بل نضيف الى ذلك أنه لا يوجد مثال واحد فى العالم لدولة قد أثرت نتيجة بيع خاماتها فحسب ، وأن الارصدة العربية الموجودة حتى الان أضعف من أن توفى بالمطلوب لاقامة تنمية بمستوى القرن العشرين على أرض المنطقة .

● وأن البترول يمكن ويجب أن يكون دافعا للتنمية فى قطاعه بمراحله المختلفة ومن ثم مثيرا لنشاط اقتصادى واسع فى كل الاقتصاد الوطنى والقومى .

ويجب أن نضيف الى كل ما سبق حقيقة :

● أن العلاقات التجارية بين البلاد العربية عامة وأمريكا فى تزايد مستمر منذ ١٩٦٧ بحيث تبلغ الف مليون دولار معظمها من بضائع ومواد استهلاكية .

ذلك عن الاوضاع المحيطة بالبترول العربى ، وما يعود على الاطراف المختلفة التى ترتبط به . ويبقى سؤال آخر :

وماذا عن قدراته ؟

انه بحكم هذه الشبكة الواسعة من العلاقات التى يثيرها البترول بعملياته المختلفة فى الاستخراج والتكرير والنقل وصناعة البتروكيماويات ، وبحكم كونه اضخم عملية تجارية فى العالم لا توازيها حركة المواد الغذائية مثلا فان قدراته تتعدد وتتشعب قدر تعدد علاقاتها وتشعبها .

وتبدأ قدراته من مرحلة البحث عنه ومن الذى يعطى الترخيص به هل الشركات الاحتكارية أم المستقلة أم الجانب الوطنى سواء بقدراته الخاصة ، أو فى صورة عقود للمقاولة تقوم بها شركات متخصصة وهى عديدة ، منها الشرقى ومنها الغربى ومنها ما يتبع بعض دول العالم الثالث ـ ثم ترحل حين ينتهى البحث ايجابا أو سلبا .

واذا تحقق وجود البترول ، فمن الذى يقوم باستغلاله ، وبأى شروط ، ولاى زمن ، ومدى سيطرة الجانب الوطنى على العملية كلها .

واذا تم الاستخراج فبأى سعر يباع ، وأى النقد يكون ثمنا له ، وأين تذهب عوائد الجانب غير الوطنى ، وكم منها يصرح بخروجه . . الخ . .

واذا استخرج البترول فهل يباع خاما أم تقام الامكانيات لتكريره وتهيأ الوسائل الوطنية لنقله ، وكيف يدخل ضمن شبكة اقتصاد وطنى أو قومى متكامل ، وكيف يستغل لتهيئة نشاط اقتصادى دائم ، وكيف يتزايد الاستهلاك الذاتى منه بمعدل يدل على تقدم التنمية .

واذا بيع البترول سواء كان خاما أو مكررا فكم النسبة من كل منهما ، ولمن يباع ، وبأى الكميات ، وهل لمستهلك مباشر او لوسيط متطفل ، ومن الذى يقوم بتكريره ونقله الى آخر سلسلة العمليات البترولية .

انها جميعا وغيرها عديد ، قدرات للبترول ، ولكن يتوقف تحديد أيها أنجح فى وقت ما أو فى أزمة ما حسب عاملين أساسيين أولهما الاستراتيجية العامة فى شأن البترول ومستقبل أصحابها ، والثانى المعطيات الموضوعية ساعة التصدى لاخذ قرار تكتيكى يتلاءم مع مرحلة ضمن الخط الاستراتيجى العام .

الاستراتيجيات من حول البتـــرول العـــربى

لقد كانت الاستراتيجية الاستعمارية عامة منذ بداية القرن ، والامريكية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية تتمثل فى ضرورة استمرار السيطرة على منابع البترول العربى وتدفقه بين أيديها تجنى أرباحه استخراجا وتقيم عليه ومن حوله حركة تجارية تتحكم بها فى مصالح العالم بأسره .

وان تتبعنا لتاريخ المنطقة وسياسة الاستعمار فيها لتعطى الامثلة عديدة ومتتالية من أجل تحقيق ذلك . فتقسيم المنطقة الى دويلات ، وتشجيع اقامة ما يمكن أن نسميه الدولة الحقل أو الحقل الدولة على شواطىء الخليج ، واثارة الحساسيات والمنازعات بين الدول العربية ، واشاعة القواعد فى وقت من الاوقات فيه ، والان من حوله كاملا ، وغيرها العديد من السياسات ليدل فى وضوح على استمرار تلك السياسة .

وليس غريبا أنه حين تنضج الحركة الوطنية العربية بعد الحرب الثانية ، ويعلو فيها شعار بترول العرب للعرب على سبيل المثال ، ان تقام اسرائيل عندئذ لتكون اليد القريبة فى المنطقة . كما أنه ليس غريبا حين تعلو دعوة القومية العربية ، وحين تقوم بعض النظم التقدمية هنا وهناك أن تكشف أمريكا عن الوجه القبيح بالمساندة العلنية الوقحة لاسرائيل وأن تساعد كل اتجاهاتها العدوانية لارهاب العرب أجمعين ولعزل النظم التقدمية عن انتشار أثرها على المنطقة وتستهلك قواها فى الحرب بدلا من أن تكتل جهودها لإعطاء أمثلة من مجتمعات متقدمة تتحكم فى ثرواتها وتنميها فتكون مثالا لغيرها من أبناء المنطقة .

وليس غريبا اذ تتعاظم الحركة الوطنية والقومية العربية بعد النكسة وتأخذ تعبيرها فى ارتفاع الصيحة ضد المصالح الامريكية الى حد تأميم قدر منها فى الجزائر ، ومضايقتها فى ليبيا ، وتأميمها كاملا فى العراق .. ليس غريبا بعد هذا أن يحاول الاستعمار عن طريق المشاركة أن يحاول تطبيق شعار « فتنمة الحرب » فى مجال البترول وفى البلاد العربية بمواجهة الحركة الثورية العربية بقوى أخرى عربية مشاركة فى رأس المال تتولى هى كبح جماح الثورة او كبتها .

الاستعمار ذو استراتيجية واضحة ويخطط حركته دائما لتحقيقها ولا يفقد الاتجاه فى السير قدما نحوها . وهذا بالضبط هو ما يفتقده العرب فى شأن البترول .

فماذا يمكن ـ بل ويجب ـ أن تكون عليه الاستراتيجية العربية فى شأن البترول ؟

ان عددا من الحقائق التى سبق ذكرها من كون البترول ثروة موقوتة بحدود القرن الحالى ، ومن تدنى مستوى الحياة العربية الى ما لا يليق بالثروة أو بالقرن العشرين ، ومن وجود الامكانيات الواسعة للاستثمار فى الوطن العربى ، ومن أن الارصدة العربية فى خارج المنطقة عرضة للتخفيض المستمر وغيرها من الحقائق تؤكد أن الاستراتيجية العربية يجب أن تكون :

« استثمار الثروة الموقوتة فى تنمية شاملة فى كافة المجالات على المستوى الوطنى والقومى ، تهىء الامكانية لاستمرار الحياة بمستوى متنامى لابناء المنطقة ، وفى تعاون بناء لا استغلال فيه مع الانسانية العالمية » .

ولكن ذلك بالفعل هو المضمون العميق لحركة الثورة العربية التى سبق أن قررنا أنه ما يحرص الاستعمار على ألا يحدث . وأنه فى حركتنا نحو هذا الهدف لابد نصطدم برغبة الاستعمار فى ابقاء سيطرته على المنطقة لاستغلال هذه الثروة لصالحه ، وحرمان أصحابها من معظم أو كل امكانياتها .

ومن ثم تصبح الخطوة الاساسية الاولى هى ضرورة استخلاص الثروة من يد الاعداء ، وتحرير الارادة العربية فى استغلالها .

ويكون التأميم هو الحل الوحيد الصالح فى هذا الاتجاه .

ولان تحكم طرف أو عدد من الاطراف فى حركة البترول العالمية يمكن أن يشكل ضغطا فى سوق البترول وتصريفه ، كما أنه سوف يظل يجنى الارباح الاكبر اذا ما ظلت مراحل البترول بين يديه ، هذا بينما تعجز عوائد بيع الخام وحده عن احداث التنمية المطلوبة . ولان البترول كمصدر للطاقة وكمحور للتنمية يجب أن يلعب دوره فى عملية التنمية المطلوبة ، فان ذلك لا يمكن ان يتحقق هو الاخر الا باتباع سياسات محددة هى :

ـ كسر الطوق من حول البترول العربى بالسعى الدائم والدائب لايجاد الصلة المباشرة بين المنتج والمستهلك واخراج الوسيط خارج دائرة التعامل .

وسوف تمثل هذه السياسة بالذات اتجاه الحركة الرئيسى فى معركة البترول الطويلة .

ـ دفع النشاط البترولى فى البلاد العربية وراء حدود الاستخراج الى كل العمليات المكملة ، فى تعاون متكامل وتخطيط مشترك بين البلاد العربية يتيح الاستثمار حيث يمكن أن يأتى افضل ثماره .

ـ استخدام الارصدة العربية لبدء هذه التنمية على الفور .

ـ الانفتاح الكامل تجاريا على كل بلاد العالم بمحدد أساسى هو زيادة العلاقة مع تلك الدول التى تساعد من ناحية على كسر الطوق الاستعمارى حول البترول ، وتساهم بأكبر قدر فى مجالات التنمية المطلوبة .

هذه فى اعتقادنا ما يجب أن تكون عليه الاستراتيجية العربية فى أمر البترول . وكونها استراتيجية فانها تعنى أن تكون الهدف البعيد الذى تتجه الخطوات دائما نحوه ، والا تنحرف أى منها عن طريق الوصول اليه ، وأن يكون هو المحصلة الرئيسية والتجميع النهائى للسياسات والاجراءات التى تتخذ فى المراحل أو المواقف المختلفة .

وماذا يملك الطرف الاخر ازاء البترول العربى ؟

الثابت حتى الان ان العالم لا يستطيع بديلا عن البترول العربى . ان امكانياته حتى الان تنحصر فى تطوير الانتاج وزيادته فى مناطق الاسكا وبحر الشمال ، ونيجيريا وايران . ولكن الكميات المتاحة عندئذ من الضآلة نسبيا بحيث لن تغنى عن أى نسبة مقبولة من البترول العربى ، كما ان الاستثمارات المطلوبة فى بعض المناطق من الارتفاع بحيث تؤثر على سعر البترول ولا يصبح بأى شكل فى موقف منافس للبترول الرخيص القادم من الشرق الاوسط .

ويستطيع كذلك أن يزيد من استعمال الغاز الطبيعى ولكن الاستثمارات مرة أخرى تقف حائلا عن أن ينتج منه وبسرعة من غير المناطق العربية ما يجعل له أثرا محسوسا . ذلك فضلا عن الحاجة الواسعة الى تغيير المعدات ووسائل الاستخدام لهذا المصدر الجديد ، بحيث أن ذلك ما سوف يبدو ضروريا فى كل مصنع وكل بيت وكل مجال الاستخدام مما تصبح معه قيمة الاستثمارات صاروخية لا قبل المستهلكين بها على المدى القصير نسبيا .

ويستطيع أن يسخر ملايينا لبحوث حول مصادر جديدة للطاقة ، ولكنها لن تأتى ثمارها فى القريب المنظور ــ ونعنى نهاية القرن ــ بحيث تنتج عنها نسبة مقبولة من الاحتياجات بتكلفة مقبولة .

ومن ثم فالحاجة ماسة وضرورية للبترول العربى ، ولا سبيل عنه الى غيره . ان لدى العالم المخزون على سطح الارض وتبادل الكميات فيما بين الدول المستهلكة وذلك ما لا يدوم أكثر من شهور ثلاثة على التقريب يبدأ الصراخ وشبح القحط من بدايتها ..

ذلك مضمون الحدوث اذا ما قرر العرب ، وفى اجماع ان يوقفوا ضخ البترول نهائيا او لفترة طويلة نسبيا ، كما أنه أمر مضمون الحدوث اذا ما كان الخفض بنسبة لا تقل عن ٢٥ فى المائة ، اذ أن الخفض بأقل من هذه النسبة يتيح للاثار أن تمتد شهورا تصل الى العام حتى تردى على أساس التعويض من المصادر غير العربية وهى كثيرة ــ وان كانت امكانيات زيادتها محدودة .

وتستطيع الدوائر الاستعمارية ان تعرقل تسويق بترول أى دولة تتخذ فى شأن البترول موقفا منفردا كالتأميم . ولكنه اذا ما صح العزم بعدد من الدول تتمتع بنسبة معقولة من الانتاج العالمى على التأميم ومدعومة بالرضا ــ أو بالضغط ــ من عدد آخر من الدول حتى لا يرتفع انتاجها بما يعرض القدر المؤمم ، فلن تستطيع أى قوة أن تستمر فى العرقلة لمدة طويلة وعليها أن ترضخ .

فالتأميم اذن ليس بالضرورة أن يتم من مجموع الدول العربية ــ اذا لم تكن بعضها ترغب ذلك أو تستطيعه ــ ولكنه يجب أن يتم من جانب مجموعة منها ، وان تدعمه الاخريات ، ماديا من ناحية ، وبتنسيق الانتاج من ناحية أخرى .

وماذا يملك الاستعمار ازاء التأميم ؟ لقد أثبتت تأميمات الجزائر والعراق ، وموقف ليبيا الاخير من المشاركة ان الاستعمار لا يملك الكثير وانه لابد فى النهاية أن يرضخ .

والواقع ــ وهذا ما يجب أن نؤكد عليه . ان الاستعمار لن يعارض التأميم بشدة مادامت سيطرته على الحركة التجارية البترولية العالمية قائمة . ان الدراسة اثبتت أن ارباحه الاكبر تأتى من العمليات اللاحقة للاستخراج والتى يسيطر على الجانب الاكبر منها فى العالم . ومادام البترول المؤمم سيأخذ طريقه اليه ، فلن تتأثر أرباحه كثيرا ، بل انه يستطيع أن يعوضها بعديد من الوسائل فى السوق العالمية .

ان الحاجة الماسة للبترول العربى من ناحية ، وعدم مساس التأميم لقدر كبير من أرباح الاستعمار يجعلانه لا يملك الكثير ازاءه .

ولكن التأميم بالذات ، والتأميم وحده ، هو نقطة الانطلاق من جانب العرب لكسر الطوق الاستعمارى وامكان تحقيق التنمية والسير قدما لتحقيق الاستراتيجية العربية الطويلة المدى .

ويقال بتهديدات باحتلال المنطقة لضمان استمرار تدفق البترول . ويحمل البعض هذا التهديد محمل الجد على أنه أمر عملى ويؤدى الى

هدف الاستعمار باستمرار ضخ البترول • ولكننا نستطيع أن نقطع بأن ذلك ما يوقف البترول بالفعل •

ان السيطرة على آبار البترول ليست تعنى وجود قوات احتلال عسكرية فحسب • انها تعنى بالنسبة للاستعمار ضرورة نقل شعب بأسره يحل محل شعوبنا فى جميع الاعمال المتصله بالبترول ان اجراء كهذا فى ضوء الوضع المتفجر بالمنطقة • وفى ضوء حركة شعبية عارمة لابد تنطلق ازاءه سوف تعنى أن يأتى الاستعمار مع قواته العسكرية بكل من يقود لورى ، أو يمسك بمفاتيح الانابيب ، أو حتى ينقل الاكل الى الفرق العاملة فى الصحراء • أو •• أو •• وأن يكون هؤلاء فى حراسة مستمرة ليل نهار •

انه لا يجوز أن نصدق دائما كل تهديدات الاستعمار ، بل أن نخضعها للتقييم الدقيق حتى نراها فى منظورها الفعلى •

ويأتى دور الارصدة العربية ، وهنا حيث قد يملك الاستعمار فى المدى القصير بعض الاجراءات ، مثل أن يجمدها ـ وتاريخه سابق فى هذا الاتجاه ـ أو أن يقيد حركتها • ولكن لان لدينا الاجراءات الاكثر حسما فانه لن يستطيع الكثير بشرط ان تتحد الكلمة • اننا نملك أن نوقف امداده من البترول حتى يفرج عنها ، ونملك أن نرفض البيع بعملاته بل بالذهب وهى اجراءات ذات آثار مدمرة عليه • ان الاستعمار لا يلوح بمثل هذه الاجراءات الا لعلمه بأن البعض حريص على أن تبقى الارصدة لديه • أو أنه لا يجد لها مجالا للاستثمار فى غير بلاده ، أو أن العقد منفرط بين الدول العربية ، وأن وحدة التصرف مفقودة أو ناقصة •

البترول والمعركة الدائرة

لقد بدأنا الحديث بعنوان البترول والمعركة الرابعة ، وقد نحينا بعدها فى اتجاهات قد لا تبدو من اول وهلة على ارتباط مباشر بالوضع الحالى جزءا منه ومعبرا الى اجراءات أخرى تحقق ننظر الى الموقف فى حدوده الآتية فحسب •

ولان المعركة الدائرة جزء من حركة ثورية عربية أكبر وأطول وأكثر اتساعا من جبهة القتال فانه يجب اذن أن نرى تصرفنا فى ضوء استراتيجية ممتدة تجعل الاجراءات التى تتخذ لمعالجة الموقف الحالى جزءا ومعبرا لاجراءات اخرى تحقق على المدى الزمنى تحقيق الاستراتيجية النهائية •

وقد سبق التعليق على الاجراء العربى الاخير بأن أهم ظاهرة فيه هو اتحاد الكلمة على المستوى الحكومى ، ثم تنفيذ القرار بالفعل أنها ظاهرة • وان تناقص أثرها عن المطلوب من جانب الشعوب العربية وعن احتياجات الموقف الحالى ـ تستحق الاهتمام من ناحية ، والاشادة بها وتشجيعها من ناحية أخرى •

ان القرار بخفض ٥ فى المائة على الاقل من انتاج البترول رغم جماعيته ورغم أن عددا من الدول قد زاد النسبة عما جاء به ، لن يمكن فى الوقت الحالى أن يمثل أكثر من انذار للجماعه الدوليـة بأن العرب مستعدون ، ويمكنهم أن يستخدموا ذلك السلاح الكبير من جانبهم •

كما أنه لن يصيب أمريكا بالذات فى كثير • ان انخفاض النسبة من ناحية ، وطبيعة السيطرة على السوق العالمية للبترول ، ووجود مصادر أخرى يمكنها ـ وسريعا جدا ـ تعويض هذه النسبة ، واتفاق الدول المستهلكة على تبادل الكميات بينها عند الازمات ، كل ذلك كفيل بأن يجعل أثر القرار على أمريكا كدولة ، وعلى المستهلك الفرد فيها كانسان ـ كما حدث من فيتنام فى حربها ـ محدودا جدا ، وفى الامكان تخطيه وتفادى ان تكون له آثار مؤثرة •

كما قد نخشى فى ضوء السيطرة الاحتكارية الامريكية على سوق البترول أن تستغل شركاتها هذا النقص ، وكذلك رفع الاسعار الذى تم أخيرا لتوسيع هوة التناقض بيننا وبين دول أوربا الغربية واليابان ، ومن ثم تزداد امكانيات أمريكا لتكتيل الدول المستهلكة •

انه يجب علينا ـ على العكس ـ المحافظة على وتوسيع التناقض بين أوربا الغربية واليابان من جهة وأمريكا من جهة أخرى فى شأن البترول •

ان اتجاه ضربتنا يجب فى الوقت الحالى أن يوجه نحو أمريكا ، وأمريكا وحدها دون بقية العالم • ويأتى بعدها فى الاعتبار الثانى تلك الدول التى تقدم جهدا أو تسهيلات للمجهود الحربى الاسرائيلى •

ان الدماء العربية الزكية التى تخضب رمال سينا وصخور الجولان عزيزة على كل عربى •

وأمل الجميع أن يستعمل العرب أسلحتهم بما يحسم هذا الوضع ، لصالح العرب فالمحاربون لا يبذلون الدم من أجل قطعة من الارض هنا وهناك ولكن من أجل حرية الشعوب العربية جميعا •

واسرائيل هذه قد وجدت لحماية المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ٠

ولابد ان تصاب مصالح امريكا فى الاساس حتى تدرك ألا قيمة لهذا الحارس المرتزق ما دام العرب قد حزموا أمرهم ٠

ومصالح أمريكا تتركز فى الاساس فى رؤوس الاموال المستثمرة فى المنطقة ، وفى الارصدة الراقدة الراكدة فى بنوكها ، وفى حركة تجارية تجد بها سوقا واسعة لسلعها ٠

ولنا فوق ذلك استراتيجيتنا العربية بأهدافها البعيدة ٠

ولن يكون هناك اجراءات أقرب الى تحقيق استراتيجيتنا وضرب مصالح أمريكا من :

● أن يقوم العرب بتأميم المصالح البترولية الامريكية فى بلادهم ٠ أن الفرصة الحالية هى أنضج الفرص لتحقيق ذلك ٠ والتأميم وادارة المصالح المؤممة ميسور بفضل القدرات الفنية العربية من ناحية : وأى عون فنى لازم من دول العالم سواء منها الصديقة أو مجرد المستهلكة ٠ وان لم يكن التأميم الكامل فلتكن نسبة كبيرة تؤتى اثرا موجعا وذلك على طريقة أضعف الايمان ٠

● ايقاف كل عقود الاستكشاف الممنوحة لشركات أمريكية ، وتحويلها الى شركات من دول صديقة أو على الاقل غير معادية ٠

● البدء فورا فى تحريك الارصدة العربية من البنوك الامريكية بالذات الى دول أخرى صديقة أو على الاقل غير معادية ، وأفضل من هذا الى الدوائر المالية العربية ٠

● دفع الصلة المباشرة وتشجيعها بمختلف الاجراءات مع الدول المستهلكة ــ وخاصة دول العالم الثالث ــ بمضمون البدء فى كسر الطوق الاستعمارى حول البترول العربى ٠

ان ما سبق هو فى اعتقادنا الخط الثورى الصحيح الذى يتمشى مع قدر الازمة القائمة ، وفى نفس اتجاه الاستراتيجية العربية ٠

ولكن عملا بالقاعدة العربية التى تقول أن « ما لا يدرك كله ، لا يترك كله » خاصة وأن الدول العربية لم تنضج بعد وحدة أهدافها ، كما لم تتطور الحركة الشعبية الثورية فيها بحيث تصبح عاملا مؤثرا وفعالا فى فرض السياسة التى تتبع ، فان هناك حدا أدنى يمكن أن يكون مقبولا فيما لو اجمعت الكلمة عليه بين الجميع ، أو بين قدر له وزنه من هذا الجميع ٠

تلك الاجراءات يمكن ان نبسطها فيما يلى :

● أن يقوم من لا يستطيع ــ أو لا يرغب ــ التأميم باحتذاء المثل الليبى الاخير بفرض مشاركة لا تقل عن ٥١ فى المائة وبتعويض على أساس القيمة الدفترية ، وبشكل للادارة يضمن السيطرة الاساسية للجانب الوطنى ٠

● قطع الامدادات البترولية كاملة عن أمريكا وخفض الانتاج عامة بنسبة تجعل من الصعب على أمريكا التعويض ، وقد تحركت الدول العربية فى هذا الاتجاه فعلا ٠

● التدرج بخفض العلاقات التجارية الحالية الى الصفر فى فترة زمنية قصيرة ٠

ذلك هو مستوى الاجراءات الذى تستلزمه المعركة الحالية ، والذى يجعل للقرار العربى حين يتخذ أثرا ملموسا وسريعا ، ويحقق فى نفس الوقت خطوة نحو بناء الكيان العربى المتقدم ٠

ان هناك اجراءات أخرى من رفع الاسعار ، وتعديل أسس الحساب ، وتقنين ما تستطيع الشركات المستغلة أن تنزحه خارج البلاد المنتجة وغيرها من الاجراءات ولكنها جميعا تقصر فى اعتقادنا عن أن تتلاءم مع الموقف الحالى ٠

والمرجو الان والمعركة سوف تستمر حتى يتحقق الهدف ٠

والمرجو وقد أعطت الدول العربية بقرارها هذا انذارا ٠

والمرجو من أجل استمرار وتدعيم حركة الثورة العربية أثناء وبعد المعركة ٠ أن تتبع الدول العربية قرارها هذا بآخر وأكثر يكون له الاثر الموجع المطلوب ٠

لقد اتحدت الكلمة فى هذا القرار ، وما نرجوه أن تبعد بنا القرارات التالية عن اتحاد الكلمة فى رفع الشعارات ــ وقد عشنا ذلك طويلا ــ الى اتحادها فى التنفيذ على خط ثورى متصاعد ٠

ذلك أيضا ــ وربما فى الاساس ــ واجب القوى الشعبية العربية أن تدفع وأن تضغط من أجله ٠

وهو أيضا واجب الطليعة العربية التى نراها فى الدول الثلاث العراق وليبيا والجزائر ٠

العرب عبر الطريق من الهزيمة الى الانتصار

د. رفعت السعيد

لعل الصورة مختلفة تماما ..

١٩٧٣ يختلف اختلافا تاما عن ١٩٦٧ .. واذا كان الفارق واضحا تماما فى بسالة القوات المصرية والسورية وكفاءتها وقدرتها على الصمود وعلى تحقيق انتصارات حقيقية ، واذا كان الفارق جليا فى كفاءة ادارة المعركة عسكريا وسياسيا وفى حشد طاقات قادرة على كسر الصورة الزائفة التى صنعها العدو لنفسه والح عليها بحيث جعلنا نحن ـ وتحت وطأة الهزيمة ـ نصدقها ، أو نبرر لانفسنا كل شىء بتصديقها .

فان التغيير يصل على الصعيد العربى الى مدى لم يكن من الممكن لاحد أن يتوقعه ..

واذا عدنا مرة أخرى الى المقارنة بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ فان الفارق يبدو هائلا .

ففى ١٩٦٧ دخلت الدول العربية المتحاربة القتال وحدها تماما لم يساعدها أحد من العرب ، بل ان البعض لم يضع فى اعتباره أن هذه الحرب تمسه أو يمكنها أن تمسه ، ووقعت الهزيمة سريعا ، وتخلص الجميع من المأزق ببعثرة لومهم هنا أو هناك لكن احدا لم يجد الفرصة لتسليط الضوء على ضعف التضامن العربى فى ذلك الحين .. فاللوم قد أوجد لنفسه مسالك أخرى ..

وفى ١٩٦٧ اكتفى المؤيدون بكلمات حارة وشعارات حماسية ، واكتفى الشامتون بالشماتة واللائمون باللوم ، لكن أحدا لم يمد يدا ..

وفى ١٩٦٧ كانت مقررات الخرطوم هى أقصى ما يمكن انتزاعه فقد كانت تعبيرا عن توازن حقيقى للقوى ، فالانظمة التقدمية كانت تعانى من الهزيمة والمهزوم يملك أن يطلب لكنه لا يملك أن يفرض .. وكانت المعركة قد انتهت سريعا قبل أن يستطيع أحد ان يوجه طالبا ، أو أن يلح فى توجيه الطلب .

لكن الجرح الذى حققته الهزيمة استطاع أن يولد ارادة جديدة .. وقد ولدها على ثلاثة محاور :

● القوى الثورية العربية التى ترى أن العدوان الاسرائيلى هو فى جوهره ضربة موجهة للثورة العربية ومحاولة لتصفيتها بتصفية منساراتها التقدمية ، وتحويلها من نماذج باهرة أمام الشعوب العربية الى نماذج مهزومة وعاجزة ..

● القوى الوطنية العربية وهى التعبير المتفجر لحركة التحرر الوطنى العربية ، والتى عبرت عن نفسها فى معترك طويل من النضال ضد الاستعمار وضد الاستعمار الجديد ، وضد الاحتكارات الامبريالية ، وتسلطها على الثروات العربية ، وقد

وجدت هذه القوى فى أعقاب الهزيمة نموذجا ملهما لها فى حركة التحرر الوطنى للشعب الفلسطينى التى تمثلت فى حركة الكفاح المسلح الفلسطينية ، وقد استطاعت حركة الكفاح المسلح الفلسطينية — فى أعقاب الهزيمة مباشرة وبرغم تحفظات من هذا البعض أو ذاك — أن تكون ملهما لقوى عديدة فقدت الأمل فى الامساك بالطريق الصحيح ..

● القوى العربية التقليدية ، التى قد تختلف مع المحورين السابقين فى تقييم الثورة الاجتماعية وقد ترفضها ، والتى تختلف فى ربط العدوان الصهيونى بالامبرياليين الامريكيين ، لكنها وعلى أية حال وبالرغم من كل شىء ترفض الاحتلال الاسرائيلى وتجد نفسها — بناء على دافع ذاتى أحيانا وأحيانا أخرى تحت ضغوط شعبية وقومية عنيفة مضطرة الى مسايرة الموكب العربى العام فى معركته ضد العدوان الاسرائيلى ..

ومن هنا يمكن رصد عوامل التغيير فى المحيط العربى فيما يلى :

● ان القوى الثورية العربية أدركت انه لا يمكنها أن تنأى بنفسها عن المعركة مع المعتدى الصهيونى ، ذلك أن اسرائيل ليست فقط ذات مطامع فى هذه القطعة من الارض أو تلك ، لكنها وفى الجوهر اداة — تحاول لمصلحتها ولمصلحة الامبريالية الامريكية — أن تصفى كل الاتجاهات والانظمة والمحاولات التقدمية فى الوطن العربى . انها لا تريد الارض فقط ، لكنها تريد كل المنطقة ضعيفة متخلفة مهزومة ، تريدها مسرحا ممهدا للاستغلال الامبريالى ، ومن هنا كانت خطورة الدور الاسرائيلى بالنسبة للعرب ، ومن هنا كانت أهميته بالنسبة لامريكا ..

وباختصار ادركت الانظمة التقدمية العربية وكل القوى الثورية العربية ان ازالة العدوان الاسرائيلى واجب أساسى ليس فقط لانه يخرج بمصر وسوريا من عنق زجاجة خطير يشل طاقاتها وارادتها ، وانما أرضا لانه السبيل لافشال المخطط الامبريالى لدحر المنطقة كلها ، واخضاعها لمطامعه الاستغلالية .

● ان حركة التحرر الوطنى العربية ، قد اشتعلت فيها روح المقاومة ، والمقاومة المسلحة بالتحديد ، وروح الاعتماد على الجماهير وتعبئتها وتسليحها لمواجهة اعدائها .

وكما قلت فقد كانت المقاومة الفلسطينية — برغم كل شىء نموذجا ملهما ..

كذلك فان اجتراء اسرائيل على احتلال اراضى مصر وسوريا والاردن قد جرح الكبرياء الوطنى لشعوب هذه البلدان ، ودفعهم الى ميدان المعركة — ليس فقط كأعوان او حلفاء او اخوة للشعب الفلسطينى — وانما كمعتدى عليهم . وهكذا انتقلت شعوب هذه البلدان من موقع المتعاطف مع مظلوم الى موقع المعتدى عليه ..

ولقد كان كثيرا جدا على شعب من هذه الشعوب ان يقبل ان تحتل ارض بلاده والى الابد ..

ومن ثم فان اسرائيل بعدوانها سنة ١٩٦٧ قد فجرت الطاقات الوطنية فى هذه البلدان وحشدتها فى المعركة ضدها .

كانت اسرائيل تتصور انها تؤمن نفسها بضرب مصر وسوريا ، لكنها فى الحقيقة وضعت نفسها فى خط المجابهة الفعلية مع شعوب هذه البلدان ..

وما أصعبها من مواجهة عندما تتم ..

● ان الجرح الذى أحدثه عدوان ١٩٦٧ قد امتد ليلمس كل نفس عربية وكل كبرياء عربى ، فاسرائيل فى غمرة انتصارها الرخيص لجأت الى شن حملة دعاية واسعة تستهدف التهوين من شأن كل ما هو عربى ، معلنة انها الحقت الهزيمة بالعرب جميعا .

لقد بالغت فى الزهو ، محاولة ان تصور انتصارها على انه انتصار على مائة مليون عربى ، فاستفزت بذلك مشاعر وكبرياء المائة مليون عربى بالفعل ..

وهنا يكمن الخطأ الاسرائيلى الكبير ، لقد انساها النصر الرخيص الخاطف حقيقة توازنات القوى فى المنطقة فتسببت بعدوان ١٩٦٧ فى حشد الطاقات الثلاث : حركة القوى الثورية العربية ، حركة التحرر الوطنى العربية ، القوى العربية التقليدية .. فى مجابهة مباشرة معها ..

وعندما قال البعض بعد عدوان ١٩٦٧ ان اسرائيل تحاول ان تبتلع لقمة كبيرة جدا عليها .. تهكم الكثيرون فى اسرائيل وفى الغرب على هذا التعبير .. ومضى عام فى أثر عام واسرائيل تبنى المستعمرات ، وتستوطن ، وتقيم خطوطا حصينة وتتوهم انها قد ابتلعت ، بل وهضمت هذه اللقمة الكبيرة ..

لكن الخطأ الفادح الذى ارتكبه الاسرائيليون ومسانديهم هو أنهم تجاهلوا فى كل حساباتهم شعوب هذه المنطقة .. واصرارها على رفض الهزيمة .. وتجاهلوا امكانية العمل الموحد والمنسق بين هذه القوى العربية الثلاث .

وجاءت المعركة .. وهنا يبرز عنصر جديد يساعد العناصر الثلاث السابقة على التفجر

والفعالية هو النجاح فى المعركة واستمرارها ذلك الاستمرار والاصرار الذى يجذب فى كل يوم قوى جديدة ودماء جديدة ..

وهكذا عبر العرب الطريق من الهزيمة .. الى الانتصار واستطاعوا ان يوحدوا صفوفهم بالفعل فى مواجهة اعدائهم .

واذا كان لنا أن نحاول رصد ملامح الجديد فى الموقف العربى .. فان بعضا منها يتمثل فى :

● المعركة العسكرية تجرى على جبهتين : هما مصر وسوريا وقد اشارت التطورات الى أنهما يعملان فى تنسيق مشترك وفى ايقاع واحد ..

● المعركة العسكرية جذبت الى صفها قوى من اكثر من بلد لم تلمسه قبضة العدوان الاسرائيلى فكان ذلك دليلا على ادراك العرب أن الخطر الاسرائيلى يمتد فيشمل الجميع ..

● البترول الذى كان استخدامه نوعا من التمنيات التى تصل الى حد الاحلام ، يستخدم الان .. قد يحاول البعض أن يتحفظ على هذا الاسلوب أو ذاك ، أو يحاول أن يفضل هذه الوسيلة أو تلك — لكن الشىء اليقينى هو أن البترول ورقة مستخدمة وفعليا فى معركتنا ضد العدوان ..

والخطير فى هذا كله هو أن البترول عندما يستخدم انما يستخدم وبوضوح وصراحة فى وجه الامبريالية الامريكية .. وهكذا يعرف العرب اتجاه ضربتهم الرئيسية .

● العدو ليس اسرائيل وحدها ، اسرائيل مجرد أداة .. مخلب قط ، ربما رفعها عدوان ١٩٦٧ من دور الاداة الى دور الشريك ، لكن الامبريالية الامريكية ظلت وستظل دوما العدو الاساسى للعرب ، هكذا كانت القوى الثورية ، والوطنية العربية تعلن دوما ، ولقد بذل الامبرياليون الامريكيون الكثير لاخفاء دورهم هذا ، ولحصر الصراع بين العرب واسرائيل ، لكن القبضة الان موجهة ضد أمريكا وهذا هو الهام والجديد .. وهى موجهة من مكان ومن قوى لم يكن — فى مخطط الامبرياليين على الاطلاق أن يتلقوها منه ..

● وليس البترول وحده ، فالبحرين تلغى التسهيلات البحرية الممنوحة للاساطيل الامريكية ..

وهنا تكمن الاهمية الخاصة لهذا التوحيد العربى ، أنه ليس فقط توحيدا للجهد العربى العسكرى والاقتصادى والجغرافى والسكانى والاستراتيجى فى معركة .. ولكنه وهذا — هام جدا — موجه أيضا ضد العدو الحقيقى .. ضد أمريكا .

ولقد يتصور البعض أن هذه مواقف جزئية ومرحلية ، ولقد تكون كذلك ، لكنها ستترك آثارا هامة وخطيرة على مستقبل المنطقة ومستقبل التوازنات فيها .. وخاصة مستقبل علاقاتها بأمريكا .

نعود مرة أخرى الى المقارنة بين ١٩٦٧ ، و ١٩٧٣ ، فنجد ان الكثير قد تغير ، وان هذا التغير الكثير يسير فى الاتجاه الصحيح ..

فان العناصر الاساسية متوفرة فيه ..

● فهو يستخدم الطاقات العربية بمحاورها الثلاث استخداما منسقا .

● وهو يستخدم الامكانيات العربية فى مختلف المجالات ويحشدها فى المعركة ..

● وهو — وهذا هو المهم — يوجه ذلك كله ليس ضد اسرائيل وحدها ، وانما ضد سندها الحقيقى أمريكا .

وهكذا نصل الى جوهر الامر ..

ان حركة الشعوب العربية فى سعيها من أجل التوحيد قد عرفت كيف تحشد قواها بقدر ما عرفت الى أين توجه هذه القوى وضد من توجهها ، واضعة بذلك الامبريالية الامريكية والمصالح الامريكية فى وضعها الصحيح كعدو لحركة التحرر الوطنى العربية ..

وفى ذلك ما يغفر كل الملاحظات وكل الجزئيات التى قد يلاحظها البعض هنا أو هناك ..

لكن المعركة تمتد زمنا ومساحة وعمقا ، ومع امتدادها تتصاعد حركة الشعوب العربية وتكتسب هذه الحركة أبعادا جديدة ، وسمات أكثر أصالة .. ومع تصاعد هذه الحركة تجد الشعوب العربية نفسها تخوض الحلقة الاولى فى حرب التحرير الشاملة ..

فالعبور لم يكن مجرد خطوة الى الامام على أرض ينبغى تحريرها ، لانها جزء عزيز من أرض الوطن ، وانما كان ايضا عبورا وجدانيا ، كان اجتيازا لكثير من الحواجز والعقبات والموانع .. كان انبعاثا جديدا لروح الشعوب العربية فهى قد عرفت كيف توحد حركتها وضد من توجه هذه الحركة .

والمعركة بقدر ما استطاعت ان تحقق انتصارات عسكرية وسياسية ووجدانية .. استطاعت ايضا ان تلقن العرب درسا ثمينا هو .. انهم أقوياء .. اقوياء جدا اذا عرفوا كيف يفرضون اتحادهم .. وكيف يستخدمون وحدتهم هذه ، وضد من يستخدمونها ..

ولعل ذلك واحدا من الابعاد العميقة لمعركة التحرير .. ولعل الاثار والنتائج الحقيقية لهذا البعد سوف تحتاج لبعض الوقت عندما تنضج لتبرز فيما بعد فى صورة جديدة تماما ..

الاطار الدولى لمعركة التحرير

الأبعاد والآفاق

أبو سيف يوسف

تجرى معركة التحرير الوطنية التى دخلتها مصر وسوريا يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، فى ظروف دولية مواتية تماما ، من الناحية الموضوعية ، تسمح بتحقيق أكثر من انتصار عسكرى وسياسى على المعتدين الصهيونيين والامبرياليين كما تسمح بتحقيق الاهداف الرئيسية من هذا النضال وهى : تحرير الارض المحتلة والدفاع عن الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى .

وهذه الظروف الدولية ، تتميز أول ما تتميز ، بانتصار مضطرد لمبادىء التعايش السلمى ، وبانفراج عام فى العلاقات بين معسكر البلدان الاشتراكية وعلى راسه الاتحاد السوفيتى ، وبين معسكر البلدان الرأسمالية وفى مقدمته الولايات المتحدة الامريكية . ففى ظل انتصار مبادىء التعايش السلمى تنشأ ظروف أفضل تنمو فى ظلها حركة التحرر الوطنى ، وتسجل انتصارات تاريخية ومؤكدة .

وعلينا هنا ـ خصوصا ـ بعد انفجار الاشتباكات المسلحة فى الشرق الاوسط ، أن نحذر من التردى فى الوقوع فى هذا الموقف الفكرى الكئيب ، وهو أن نقفز ـ بدون استقرار ـ من موقف متطرف الى نقيضه . وعلى سبيل المثال : فان الذين وقعوا بحسن نية ـ قبل ٦ اكتوبر فى الوهم القائل بأن الانفراج فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة ليس الا مجرد « مقايضة » أو « اتفاق » على حساب الامم الصغيرة ، لا يبعد أن يقعوا ـ مرة أخرى ـ فى الوهم المقابل ، ومؤداه : ان كل ما قيل عن الانفراج الدولى ، وبدء مرحلة جديدة ـ على الصعيد الدولى بين الدولتين الكبيرتين ، ليس الا مظهرا خداعا ، أو مناورة ، لم تلبث أن سقطت على صوت المدافع والصواريخ فى منطقة القنال والمرتفعات السورية . لاسيما بعد ما تبين القائلون بهذا الراى ، أن المعسكرات الرئيسية ـ على النطاق الدولى ـ قد تحددت بوضوح بعد بدء المعارك : فالاتحاد السوفيتى يساند بحزم البلاد العربية فى كفاحها التحريرى ، ولا يخفى ذلك . والمعتدون الاسرائيليون تساندهم فى عدوانهم ، وبكل قوة ، الولايات المتحدة الامريكية ثم تعلن عن ذلك بكل سبيل .

الا إن الامر الذى يعنينا هنا ، هو أن نثبت أن

كلا التصورين خاطىء : سواء كان القول بأن الانفراج أو « الوفاق » تواطؤ ، أو القول بأنه مجرد موقف عابر فى السياسة الدولية .

ولقد كان يكفى للتدليل على ثبات مساندة الاتحاد السوفيتى وأسرة البلدان الاشتراكية أن نذكر – بالتفصيل – ما قدمه ، ولايزال يقدم من المساعدات فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والدبلوماسية . فوقائع الحياة ، تتحدث بنفسها ، ولا تحتاج الى برهان .

غير أن ما يشغلنا ، بكيفية رئيسية هنا – هو انه لابد – مع حرصنا على طرح الوقائع المتجددة التى تدلل على ثبات مساندة البلدان الاشتراكية لكفاحنا الوطنى التحريرى – من أن نؤكد ، على الحقائق العامة التى تتضمن الوقائع الجزئية ، ولكن تتجاوزها – فى الوقت نفسه – لتسلحنا بنوع من المعرفة العلمية ، يصعب بدونها أن نرسم استراتيجية صائبة لكفاحنا الوطنى التحريرى .

فما هى اذن الحقائق الرئيسية التى تحكم العلاقات الدولية ، وتؤثر – بالتالى – تأثيرا مباشرا على مسار حركة التحرر الوطنى .

الجواب ، انه فى مقدمة هذه الحقائق ظاهرة التراجع – أو الهزيمة التاريخية – للامبريالية العالمية . وهذه الهزيمة وذلك التراجع يتجسدان فيما يلى :

١ – عجز الامبريالية العالمية عن سحق النظام العالمى للاشتراكية من خلال اثارة حرب عالمية ، وذلك على الرغم مما أثارته من قبل من حروب ، ومحاولات ، ومخططات ، ومؤامرات ، ودعايات هدامة ، لم تتوقف منذ ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ ، بل لعلها قد زادت وتكثفت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .

٢ – أدى هذا العجز بالقوى الامبريالية – وبشكل خاص – بالولايات المتحدة الامريكية ، الى أن تتخلى عن السعى الى تحقيق التفوق الاستراتيجى على الاتحاد السوفيتى فى ميدان التسليح . ومن ثم اتجهت – فى الواقع العملى – الى قبول « مبدأ التكافؤ أو التساوى » معه فى هذا المجال . وتم ذلك تحت ضغط عاملين : **الاول** : هو الانفاق الخرافى الذى لم يسبق له مثيل على صنع الاسلحة الحديثة ، بالكيفية التى تنطوى صناعتها على خطر تدمير الموارد الاساسية للمجتمع الامريكى . **والعامل الثانى** : هو ما أثبته الاتحاد السوفيتى من تفوق على الولايات المتحدة فى بعض مجالات البحث العلمى والتكنولوجيا .

٣ – ترتب على ما تقدم ، مضافا اليه ضغوط الازمة النقدية الخانقة (١) ، أن الولايات المتحدة بدأت منذ عام ١٩٦٣ تقبل مبدأ الجلوس الى مائدة المفاوضات لمناقشة قضايا الحد من التسلح . ففى تلك السنة وقعت **معاهدة موسكو** لحظر التجارب الذرية حظرا جزئيا .

ومنذ ذلك التاريخ ، وخلال عشر سنوات مليئة بالتقدم والتراجع وبالنجاح والفشل ، على جبهة المفاوضات ، وصلت الولايات المتحدة فى مايو ١٩٧٣ (لقاء بريجينيف ونيكسون) الى ان تسلم بالنص فى عدد من الاتفاقات الثنائية مع الاتحاد السوفيتى ، على مبادىء التعايش السلمى . هذه المبادىء التى طالما وصفها الغرب الاستعمارى بأنها « خدعة ماكرة من قبل الشيوعية الدولية » .

٤ – وهذا التسليم بالنص فى المعاهدات الثنائية على مبادىء التعايش السلمى ، لا يعنى أن الامبريالية الامريكية قد غيرت طبيعتها العدوانية ، ولكنه يدل – بالاضافة الى الظروف الدولية الموضوعية الضاغطة على حكام أمريكا – على صحة الفرضية التى كان قد صاغها **لينين** عام ١٩١٧ ، عندما حدد أن دوائر الرأسمالية العالمية – مهما كانت نياتها العدوانية – لا تستطيع – فى ظروف معينة – أن « **تتحرر من الضرورات الاقتصادية الرئيسية** » .

ذلك أن هذه الضرورات تؤدى الى ما يلى :

● اضطرار الدول الرأسمالية الى اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع النظام الاشتراكى رغم عدائها لهذا النظام .

● اشتداد التناقض داخل الطبقة البورجوازية الحاكمة (فى البلد الرأسمالى المعنى) بين جناحين أو « حزبين » داخل هذه الطبقة : جناح « معتدل » أو « متعقل » يرى أن مصالحه الاقتصادية تزدهر أكثر فى جو علاقات سلمية بين الدول ، وبين جناح عدوانى موغل فى رجعيته ، يرى مصالحه كامنة فى ممارسة سياسة الحرب والعدوان وسباق التسلح . وبالطبع ، فان دبلوماسية الدول الاشتراكية تتجه الى تشجيع الجناح الاول ، بهدف عزل ومحاصرة الجناح الثانى الذى تمثله – بالاساس – المؤسسة

(١) يراجع فى قضية الوفاق المقال الذى نشره الكاتب فى عدد الطليعة رقم ١٠ – اكتوبر ١٩٧٣ .

الصناعية العسكرية فى الولايات المتحدة والاجنحة اليمينية المتطرفة فى بلدان كبريطانيا والمانيا الاتحادية وفرنسا .

صحيح أن جناح المؤسسة الصناعية العسكرى لا يزال هو الاقوى نفوذا بشكل عام ، على توجيه سياسة أمريكا الخارجية ، الا أن قوته غير مطلقة . ذلك أن الجناح الاخر من البورجوازية الامريكية ، يبرهن — ايضا — على ثقل محسوس . وعلى سبيل المثال فان الاحصاءات الغربية تقدر أنه فى غضون العام الماضى وحده زار الاتحاد السوفيتى ثلاثة آلاف من رجال الاعمال الامريكيين ، وقع كثيرون منهم عقودا مع مؤسسات الدولة السوفيتية . كما أن البنوك الكبرى الامريكية تسارع — حتى لا يفوتها القطار — الى فتح أفرع لها فى موسكو .

ومن هنا ندرك ، أن الانذارات أو « التهديدات » التى أطلقها هنرى كيسنجر باسم « الحفاظ على سياسة الوفاق » ، بهدف الضغط على الاتحاد السوفيتى وتقليص حجم مساندته لمصر وسوريا — نقول ان مثل هذه التهديدات ، وان كانت ليست مستحيلة التنفيذ — هذا صحيح — الا أنها أيضا ليست سهلة التنفيذ . ويتوقف الامر ، فى النهاية ، على اتجاه الوضع الدولى فى لحظة معينة ، وعلى علاقات القوى داخل الطبقة البورجوازية الامريكية ، وداخل المجتمع الامريكى نفسه .

على أية حال ، علينا أن نذكر أن الولايات المتحدة قد فرض عليها السلم فرضا فى فيتنام ، وذلك بفضل كفاح الشعب الفيتنامى ، ومساعدات البلدان الاشتراكية ، والتغييرات الواقعة فى جبهة الدول الامبريالية ، وتعاظم مقاومة الشعب الامريكى للحرب بما فى ذلك مقاومة هذا القسم من البورجوازية الامريكية الذى عارض سياسة المؤسسة العسكرية فى فيتنام .

هنا يطرح السؤال : وماذا عن موقف الولايات المتحدة من حرب الشرق الاوسط ؟

ان الامبريالية الامريكية — كما نعلم — ساندت بالمال ، وبترسانة هائلة من السلاح ، شريكتها وأداتها اسرائيل منذ اللحظات الاولى . الا أن المراقبين يستطيعون أن يرصدوا أن ثمة فروقا بين موقف أمريكا أيام اشتداد الحرب الباردة (وعلى سبيل المثال فى أعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٠) وبين موقفها عند تجدد القتال فى السادس من أكتوبر . ويتضح هذا من الوقائع التالية :

١ — فى فترة اشتداد الحرب الباردة لم تكن الولايات المتحدة تتردد فى ممارسة التدخل السافر بقواتها المسلحة (مستندة الى حلف الاطلنطى) فى هذا البلد العربى أو ذاك . وكانت تساندها بعض دول الغرب الامبريالية فى ذلك ، أو على الاقل لم تكن تعترض .

أما فى ظل الانفراج الدولى الحالى ، فان الولايات المتحدة رغم تهديدات نيكسون بأن يكرر ما حدث عام ١٩٥٨ وعام ١٩٧٠ ، الا أنه عجز عن تنفيذ ذلك لاكثر من سبب . ففضلا عن يقينه بأن مثل هذا التدخل سيحيل المنطقة العربية الى فيتنام أخرى ، تقبر فيها — الى الابد — كل مصالح ونفوذ الولايات المتحدة ، نقول بالاضافة الى ذلك ، فقد وجدت الولايات المتحدة نفسها — فى مساندة الاحتلال الاسرائيلى — تقف معزولة عن النطاق الدولى ، حتى من أقرب الحلفاء اليها . فالموقف الرسمى لحكومة فرنسا — مثلا — هو الحياد المشبع بالعطف على البلدان العربية . والمانيا الغربية التى مولت اسرائيل وسلحتها فى فترة الحرب الباردة — خصوصا قبل وبعد ٦٧ — أعلنت الحياد فى الصراع القائم . أما بريطانيا فقد اضطرت تحت دافع الخوف من ضياع البقية الباقية من مصالحها ، الى اتخاذ موقف « محايد » خاص ، حول قضية ارسال السلاح الى بلدان الشرق الاوسط . ولا يغير من قيمة هذه الوقائع أن وسائل الاعلام فى بلدان الغرب الرأسمالى كانت — بوجه عام — تبدى انحيازا الى المعتدين الاسرائيليين لاسباب لا تخفى على أحد . كما أنه لا يغير منها ، أن بعض مؤسسات استطلاع الرأى العام قد أشارت الى أن أقساما كبيرة فى بلد — كفرنسا — تبدى تعاطفا مع الموقف الاسرائيلى . لكن هذا كله لا يغير — رغم ذلك — من الحقائق التالية :

١ — أنه فى حرب ٦ أكتوبر — وفى ظل الانفراج الدولى العام — بدت الولايات المتحدة الامريكية أكثر عزلة وأقل مقدرة على الاستخدام السافر لقواتها المسلحة فى القيام بأعمال مباشرة ضد البلدان العربية . وهذا يفسر التخبط والارتباك الذى ظهر ، بعد الساعات الاولى من بدء القتال — فى مواقف وتصريحات الرئيس نيكسون . ففى تصريح له أعلن أن الولايات المتحدة لا تنحاز الى طرف ضد طرف آخر من أطراف النزاع ، وفى تصريح آخر ، راح يهدد بالتدخل ، ويعلن عن تقديم مساعدات غير محدودة الى المعتدين .

أما كيسنجر فقد بدأ — بعد نشوب القتال — بالتهديد بالخطر الذى يتعرض له « الوفاق » ، ولكنه انتهى فى الواقع العملى الى تفضيل أسلوب المفاوضة حول النزاع مع الاتحاد السوفيتى [٢] .

(٢) غنى عن القول هنا أن الارادة الذاتية لمصر وسوريا وقدرتهما على معاودة القتال بحزم وجسارة لهما أثرها الكبير على تشكيل مواقف الولايات المتحدة .

٣ ـ أنه في حرب ٦ أكتوبر ـ وفي ظل الانفراج الدولي العام ، أمكن تحييد قوى دولية في الغرب الرأسمالي ، كانت تساند اسرائيل وتشاركها في تخطيط وممارسة العدوان المسلح على البلاد العربية .

ونخلص من هذا كله ، الى أن التوازن الدولي الراهن في مجال العلاقات الدولية ، يؤكد على حقيقة تراجع الامبريالية العالمية وزعيمتها الولايات المتحدة الامريكية . وهذه الحقيقة تشكل ظرفا موضوعيا بالغ الاهمية ، تستطيع مصر وسوريا فيه ـ واعتمادا على حد أدنى من وحدة العمل العربي ـ ان تمضيا قدما في تحقيق المزيد من الانتصارات السياسية والعسكرية ، من أجل تحرير الارض والدفاع عن حقوق شعب فلسطين .

لكن الوضع الراهن أيضا في العلاقات الدولية يبين أن الاتفاقات الخاصة بالانفراج الدولي بين الاتحاد السوفيتي وبين كل من الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا ، لم تتم ـ ولا يمكن أن تتم ـ على أساس تنازلات أيديولوجية من قبل السوفيت ، أي تنازلات تمس المبادىء الاساسية في السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي ، ومن بينها المبادىء التي تحكم علاقته بحركة التحرر الوطني العربية :

١ ـ فمن ناحية ، لم يبادر الاتحاد السوفيتي الى امداد مصر وسوريا بمزيد من السلاح فحسب ، بل لقد أدان موقف أمريكا المساند للعدوان . ودعا الى قيام وحدة عمل عربي على جميع المستويات لمساندة مصر وسوريا . ولم يستثن الاتحاد السوفيتي من ذلك ضرورة أن يستخدم العرب البترول كسلاح سياسي واقتصادي للضغط على الدول الامبريالية ، وهو ما كتبت فيه **البرافدا** في ٩ سبتمبر ١٩٧٣ . وذلك ، مع علم الاتحاد السوفيتي بالمواقع الهامة التي تحتلها المصالح الامريكية في البترول العربي .

٢ ـ ومن ناحية أخرى ، دلل الاتحاد السوفيتي على أن مساندته لحركة التحرر الوطني العربية ليست قضية مرحلية ، بل هي قضية استراتيجية ترتبط ارتباطا عضويا :

ـ بأيديولوجية الحزب الحاكم هناك .

ـ وبمصالح الاتحاد السوفيتي وأمنه .

ـ وبمصالحه القريبة والبعيدة على المستويين السياسي والاقتصادي .

لهذا كله ، يمكن القول بأنه في ظل الانفراج الدولي تستطيع البلدان العربية ـ في نضالها التحريري ضد الصهيونية والامبريالية ـ أن تضع في حساباتها القريبة والبعيدة ، ثبات الموقف الذي تتخذه أسرة البلدان الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي .

بل ان حركة التحرر العربي تستطيع في تطورها اللاحق أن تعتمد على المزيد من هذا الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري .

ـ ٢ ـ

وتجرى معركة التحرير ـ أيضا ـ الراهنة في ظروف دولية مواتية تتميز ـ في نطاق العالم الثالث :

١ ـ بنهوض مجدد في حركة التحرر الوطني العالمية ، بعد النكسات التي ألمت بها في عدد من بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وهذا النهوض يكتسب دفعات أكبر في ظروف الانفراج الدولي .

٢ ـ بتعاظم الدور العالمي للدول الوطنية التقدمية في آسيا وافريقيا .

ان هذا نستطيع ان نتعرف عليه من واقع ان الهجوم الامبريالي على النظم الوطنية التقدمية التي قامت في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اذا كان قد بلغ ذروته في الحرب العدوانية التي بدأتها اسرائيل بتخطيط وبدعم امريكيين ضد النظامين التقدميين في مصر وسوريا . صحيح ان حركة التحرر الوطني قد هزمت امام الاستعمار الجديد في أكثر من موقع هام في أكثر من دولة من الدول الوطنية والتقدمية ، لكن مقاومتها تمركزت من ناحية ، في انتصارات حرب التحرير الوطنية في فيتنام ، وفي عجز الولايات المتحدة عن انزال الهزيمة بشعب فيتنام ، كما تمركزت في الصمود الذي أبدته النظم التقدمية خصوصا في مصر وسوريا رغم وقوع العدوان المسلح في ٥ يونيو .

وما لبثت حركة التحرر الوطني أن بدأت تستعيد زمام المبادأة في استكمال مهامها ، ومنازلة الامبريالية العالمية والاستعمار الجديد . ونكتفي هنا باشارات سريعة الى :

ـ حرب التحرير التي أقامت دولة بنجلاديش ، وأدت الى الانهيار الفعلي لحلف جنوب شرق آسيا .

ـ قيام النظام الوطني في ليبيا وتصفية القواعد العسكرية ونظام التبعية الاستعمارية فيها ، ومواصلة ضغط المصالح الاحتكارية الاجنبية .

ـ تدعم مواقع الثورة الوطنية الديموقراطية في العراق بالشكل الذي مكن شعب العراق من أن

يمضي بنجاح في طريق دعم استقلاله الاقتصادي بازاء أشرس الاحتكارات الاجنبية .

- اكتساب حركة التحرر الوطني الفلسطينية اعتراف اقسام واسعة من الرأي العام العالمي بها .

- تنامي الدور الذي تقوم به **منظمة الوحدة الافريقية** في الدفاع عن استقلال الشعوب الافريقية ومناصرة حركات التحرير الوطني فيها ، والنضال ضد النظم العنصرية .

- تاكيد مجموعة **دول عدم الانحياز** على المضمون الرئيسي لنضالها وهو مضمون معاد في جوهره - بشكل عام - للامبريالية وللاستعمار الجديد وللصهيونية (**مؤتمر الجزائر**) .

- اما في امريكا اللاتينية وهي منطقة النفوذ التقليدية للولايات المتحدة الامريكية ، فعلى الرغم من الخسارة الفادحة التي تمثلت في ضرب النظام التقدمي الذي رأسه **سلفادور الليندي** ، الا أن عددا متزايدا من دول أمريكا اللاتينية ، تتعاظم مقاومته - للامبريالية الامريكية ، وهو الامر الذي بدا جليا في « مؤتمر مجلس الدفاع المتبادل » لدول امريكا اللاتينية . هذا المجلس المكون من وزراء دفاع جميع دول أمريكا وتشترك فيه الولايات المتحدة وكندا . ففي ذلك المؤتمر الذي عقد من ٣ الى ٨ سبتمبر من هذا العام ، قاد **رئيس وزراء بيرو** حملة ضد السيطرة الامريكية التي تستهدف ربط دول أمريكا اللاتينية بالاحلاف العسكرية .

وكان منطلق بيرو في هذا ، هو أن التوازن الدولي الجديد ، وجو التعايش السلمي ، يحتم على دول أمريكا اللاتينية أن ترفض مزاعم الولايات المتحدة عن وجود خطر عدوان عليها من « وراء البحار » وان الخطر الحقيقي الذي تواجهه هذه البلدان هو خطر نهب ثرواتها والسيطرة على اقتصادها القومي من قبل دولة بعينها . وأن من حق كل دولة من دول أمريكا اللاتينية أن تمارس سيادتها على مصادر ثرواتها الطبيعية ، وان تنهج سياسة خارجية مستقلة ، فهذا هو الطريق الحق المؤدي الى تطورها الاقتصادي والى ضمان أمن القارة . وقد بقيت هذه الاراء مساندة قادة القوات المسلحة في كل من الارجنتين وشيلي وبنساما واكوادور وفنزويلا . وأدى هذا الى عجز مجلس الدفاع المتبادل عن اتخاذ اي قرار .

اما في القارة الافريقية ، فقد شهدت كثير من دولها نمو اتجاهات حازمة لمعارضة الدور الذي تقوم به اسرائيل هناك بعد ان ثبت انها :

- اشتركت في المؤامرة الاخيرة الموجهة ضد نظام سيكوتوري (غينيا)
- وقفت الى جانب الانفصاليين في بيافرا
- قامت بنشاط تخريبي في اقتصاد اوغندا
- تعاونت مع العناصر المناهضة للنظام في بوروندي
- تغلغلت بكيفية مقلقلة في منظمات العمل والشباب وفي أجهزة الامن والبوليس في أكثر من بلد افريقي .
- ساهمت في تقديم الاسلحة للقتلة البرتغاليين وللعنصريين في جنوب أفريقيا .

وبسبب هذه النشاطات كلها ، وبسبب غيرها ، أعلنت منظمة الوحدة الافريقية في آخر اجتماع لها :

ان الدول الافريقية سوف تتخذ اجراءات سياسية واقتصادية مشتركة ضد اسرائيل ، وذلك اذا ما أصرت على استمرار احتلالها للاراضي العربية .

وعندما خاضت مصر وسوريا النضال المسلح في ٦ أكتوبر فان ١٦ دولة افريقية ردت على نشاطات اسرائيل - التي هي جزء من نشاطات الاستعمار الامريكي الجديد - بقطع علاقاتها مع الدولة الصهيونية .

مما تقدم كله ، يمكن ان نستخلص فيما يتعلق بمعركتنا ضد العدو الاسرائيلي ما يلي :

١ - ان هذه المعركة تدور في فترة نهوض مجدد لحركة التحرر الوطني ، هذا النهوض الذي يعني :

١ - اضعاف متزايد لمواقع الامبريالية العالمية ، ولمواقع العدو الرئيسي الامبريالية الامريكية .

٢ - اسناد متزايد لكفاح الشعوب العربية بالكيفية التي تسهل عليها أن تمارس كفاحها في جميع المجالات السياسية والعسكرية والدبلوماسية بفاعلية أكبر .

٣ - فشل اسرائيل في خلق مؤخرة افريقية ضد الشعوب العربية ، تستخدمها في الضغط على الدول العربية التقدمية ، واهمية هذا تتضح بدراسة تصويت الدول الافريقية في هيئة الامم بعد عدوان ٦٧ ، ومقارنة هذا بمواقفها اليوم في هذه الهيئة . ان هذا يبين التحول الكبير لصالح القضية العربية ، كما يؤكد اهمية دخول البعد الافريقي بكيفية ايجابية ومتزايدة في كفاحنا الوطني التحريري .

٤ - في ظروف فرض التعايش السلمي على الامبريالية تنكمش وتتقلص فاعلية الاحلاف والكتل

العدوانية التى شكلها الامبرياليون . فالواقع أن الولايات المتحدة والدول الغربية قد استفادت من ظروف الحرب الباردة لتفرض على كثير من دول العالم الثالث الانضمام الى أحلاف عسكرية عدوانية بطبيعتها ، ولكن ظروف الانفراج الدولى تفقد هذه الاحلاف مبرر وجودها . والواقع أنه باستثناء حلف المعاهدة المركزية (السنتو) الذى تبذل الجهود اليائسة لاحيائه — وهى الجهود التى تسير فى اتجاه معاكس لتغيرات عالم اليوم — فان الاحلاف والكتل الاخرى (**حلف جنوب شرق آسيا — مجلس الباسفيك الاسيوى — منظمة الدول** الامريكية] تسير الى انهيار كامل ، او الى جمود مميت .

— ٣ —

هنا نأتى فى ختام المقال الى ذلك السؤال الهام وهو : اذا كانت هذه هى اهم الابعاد الدولية التى يجرى فيها كفاحنا الوطنى التحريرى بكل صوره العسكرية والسياسية ، فما هى الافاق الدولية لهذا الكفاح ، وبالتالى ، ما هى المهام المطلوبة لتحقيق النصر على الاعداء الصهيونيين والامبرياليين .

لا ندعى أننا نستطيع أن نقدم كل الاجابات المطلوبة ، او ان نوفى الابعاد الدولية للصراع العربى الاسرائيلى حقها . وانما نكتفى ، بتسجيل بعض قضايا أساسية : ان المعركة المسلحة والباسلة التى خاضتها قواتنا المسلحة فى مصر وسوريا ببطولة وكفاءة قد وضعت بقوة اسس واقع سياسى جديد فى المنطقة ، وهو واقع يمكن أن تكون له أبعاد وأصداء دولية تخدم قضية تحرير الارض ، وتدفع بقضية شعب فلسطين خطوات الى الامام ، وتفتح الطريق لردع فعال لنشاط المؤسسة الصهيونية العدوانية ، وتثير ردود فعل لا تتوقف داخل اسرائيل .

نقول هذا ، فى وقت يجتمع فيه مجلس الامن ليقرر وقف القتال الدائر . وأيا ما كانت التطورات التى ستصاحب تطبيق هذا القرار فى المستقبل — فان تطويع الوضع الدولى ليخدم قضية التحرير يتطلب ما يلى :

١ — ان نعرف أن معركة التحرير طويلة وشاقة ومعقدة ، وتجرى فى منطقة حساسة تتعقد اوضاعها وتتشابك . وعلى هذا الاساس يجب أن نحدد الاهداف المرحلية والبعيدة لكفاحنا العسكرى والسياسى ، ويجب أن تتألف من الكفاح على الجبهتين السياسية والعسكرية وحدة فعالة تجد نموذجا قويا لها فى مشروع السلام الذى قدمه **الرئيس السادات** فى ظل انتصارات عسكرية ، نموذج استقطب به الراى العام العالمى الحريص على ثمار الانفراج الدولى والتعايش السلمى .

٢ — ان استراتيجيتنا نحو اسرائيل يجب الا تتضمن اسقاط نظرية الامن الاسرائيلية المزعومة فحسب ، بل يجب أن تتجه فورا الى مزيد من احكام العزلة الدولية على اسرائيل . ومن الممكن أن تبذل فى هذا الصدد جهود مثمرة تنتهى لا نستبعد أن تنتهى بوضع اسرائيل كدولة عنصرية عدوانية فى نفس الموضع الذى تحتله حكومة جنوب افريقيا . وسوف نجد أننا لا نقف وحدنا فى تحقيق هذا الهدف ، فان المؤسسة الصهيونية العالمية واداتها اسرائيل تقوم بنشاط عدائى وتخريبى فى البلاد الاشتراكية ، كما تشكل اسرائيل نقطة خطر دائمة على السلم العالمى يمكن ان تثير قلق الدول الاوربية على مصالحها فى المنطقة ، كما تثير قلق المجتمع الاوربى — شرقه وغربه — على مصائر الامن والسلام فى المنطقة وفى العالم كله .

٣ — انه اذا استطعنا أن نحافظ على مستوى العمل العربى المشترك فى حده الادنى الذى وصل اليه فى فترة القتال (خاصة فيما يتعلق باستخدام سلاح البترول) أمكن أن نحقق هدفين :

— فمن ناحية ، فان هذا يفتح الطريق أمام الشعوب العربية لكى تنتقل الى مواقع متقدمة فى تصفية مواقع الاستعمار الامريكى الجديد العدو الرئيسى لحركة التحرر الوطنى العربية .

— ومن ناحية أخرى ، فان مثل هذا الموقف يعمق التناقضات بين الولايات المتحدة وبين دول غرب أوربا ، ويجعل من الضغط الاوربى على أمريكا سلاحا من أسلحتنا فى المعركة .

٤ — وفى جميع الاحوال ، يجب أن نلتفت فى الفترة القادمة الى كل المحاولات الامبريالية التى تبذل — وستبذل — لتخريب العلاقات السوفيتية العربية . فمعسكر البلدان الاشتراكية وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى ، قد دللوا ، وسوف يدللون على أنهم حلفاء ثابتون فى جميع معاركنا الحالية ، والقادمة ضد الامبريالية والصهيونية .

ولا شك أن ختام هذا المقال لابد وأن يتضمن هذه الفكرة التى عالجها زملاء آخرون فى « الطليعة » **وهى اننا نستطيع أن نطوع المعطيات الايجابية فى الموقف الدولى ، بقدر ما نرسى دعائم قوتنا الذاتية ، وذلك بالاصرار على شق طريق التقدم الاجتماعى لمصلحة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والجنود ، وبناء اقتصاد قومى مستقل ، واقامة نظام تعليمى حديث ، وتوفير المتطلبات والمقومات اللازمة لبناء وحدة عربية تقدمية ديموقراطية .**

بعد ٦ أكتوبر :

اســـــرائيل •• الى أيـــــن ؟

خيرى عزيز

لا شك أن هذه **الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل ، انما تعنى بداية النهاية للصهيونية والعدوان** ، حتى ولو كان تحقق تلك النهاية ، يتم على آفاق استراتيجية فى المدى الزمنى •

فلقد أثبت تاريخ اسرائيل ، انها اعتمدت دائما على القوة والارهاب ، فى سبيل فرض وجودها على الامة العربية ، ولذا فان تغير ميزان استخدام القوة والردع فى هذه المنطقة من العالم ، من شأنه ان يؤثر على ذلك الاسلوب الرئيسى الذى استخدمته أسرائيل فى الحفاظ على كيانها ووجودها ، ومن ثم يؤثر بالتالى على بقاء هذا الكيان وبالوجود نفسه •

وليس ثمة شك ، فى تاريخ الصراع العسكرى العربى الاسرائيلى ، ان **طرد الجيش الاسرائيلى من الضفة الشرقية لقناة السويس** ، بتلك العملية البطولية الرائعة التى قامت بها القوات المسلحة المصرية ، انما يعتبر **أول هزيمة استراتيجية لهذا الجيش منذ انشاء اسرائيل فى عام ١٩٤٨** ، خاصة **اذا اضفنا اليها الضربات الشجاعة الباسلة التى وجهها الجيش السورى الى الجيش الاسرائيلى فى الجبهة الشمالية لهذه الحرب الرابعة** •

وتنبع القيمة التاريخية لهذه الهزيمة الاستراتيجية الاولى للجيش الاسرائيلى ، من أنها تعنى **بدء تغير ميزان القوى العسكرى والعام فى العلاقات بين العرب واسرائيل ، لصالح الجانب العربى** ، الذى كان الجانب المهزوم تقليديا فى الفترة التاريخية من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٧٣ •

حرب « القواعـــد » لا « القيـــادات »

ومن الواضح ، من الشواهد البينة التى دل عليها القتال الضارى فى الحرب الرابعة ، انه لن يكون بوسع اسرائيل من الان فصاعدا ان تعتمد فى قتالها ضد العرب وفى خوض حروبها ضدهم ، على مجرد التخطيط **العلوى** المحكم فى مقرات هيئة الاركان الاسرائيلية، ولا على مجرد الضربات الخاطفة ، والمناورات الساحقة التى تعد لها **القيادة** الاسرائيلية على اساس تكتيك « **الاقتراب غير المباشر** » ، الذى برعوا فى اتباعه طوال ربع قرن ، وانما أصبح يتعين على القوات المسلحة الاسرائيلية من الان فصاعدا ، ان تقترب من

خصومها **اقترابا مباشرا** ، وان تجابه القـوات المسلحة العربية وجها لوجه فى معارك ضارية ، لا يمكن كسبها فى مقرات القيادة العامة ، وانما يمكن كسبها فحسب على أرض الصدام الضارى المباشر بين قوات الجانبين فى ميادين القتال نفسها · وهكذا اضطرت اسرائيل فى الحرب الرابعة ان تخوض حربا لا تدور على مستوى القمة ، ولا تكسب فى مقرات القيادة ، وانما **حربا جديدة قاعدية** ، حربا ضروس حقيقية بين قواعد الجيوش المتحاربة بآلافها المؤلفة ، وبذلك طرأ قـانون ، **وقاعدة جديدة على قوانين وقـواعد الصراع العسكرى العربى الاسرائيلى** ·

ففى سنة ١٩٤٨ ، انتصر الاسرائيليون نتيجة التخطيط المحكم للقيادات العسكرية الاسرائيلية ، المدعمة بقوى الحركة الصهيونية العالمية ، وقوى الاستعمار الغربى بصفة عامة ، ونتيجة الخيانة والتآمر على مستوى القمة أيضا · من جانب أنظمة الحكم العربية السابقة على ثورة يوليو ١٩٥٢ · وانتهت العمليات الحربية المحـدودة للقوات العربية ، بقبول اعلان الهدنة ، وصدور الاوامر للجيش المصرى والجيوش العربية الاخرى **بالانسحاب من فلسطين دون صدامات متصلة** شاملة مع العدو ·

وفى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، لـم يكن الجيش المصرى يصل الى مواقع المجـابهة للاسرائيليين فى سيناء وعلى الحدود المصرية ، حتى صدرت اليه الاوامر بالانسحاب **الفـورى السريع** لتدخل بريطانيا وفرنسا فى الحـرب ، ولتلافى الابادة المتوقعة للجيش بين فكى الكماشة الاسرائيلية من الشرق ، والبريطانية ــ الفرنسية من الغرب · وانسحب الجيش المصرى من سيناء دون قتال يذكر ، اللهم الا لبضع كتائب لاعاقة تقدم العدو ، ووصل الجيش الاسرائيلى الى قنـاة السويس **دون عناء** ، **بعد** انسحاب القوات المصرية الرئيسية ·

وفـى عـــــام ١٩٦٧ ، وجهت اسرائيــــل ضربتها المفاجئة لسلاح الطيران المصرى ، وصدرت الاوامر مرة أخرى الى الجيش المصرى **بالانسحاب الكامل من سيناء** قبل ان يلتقى بالعدو ، ودون مجابهة حقيقية شاملة معه ·

لم تحدث فى كل هذه الحروب الثلاث ، مجابهات شاملة بالمدرعات والمشاة والمدفعية والطيران ، كما تحدث اليوم فى الحرب الرابعة ، التى يرى عديد من المعلقين العسكريين انها وصلت الى حدود الشراسة التى بلغتها أكبر معارك المصفحات على الاطلاق فى الحرب العالمية الثانية ، بل انهم ليرون أكثر من ذلك أن استخدام هذه الاعداد الكبيرة من المدرعات على جبهات صغيرة نسبيا ، ومن جانب دول صغيرة نسبيا ، يعتبر حدثا لم يسبق له مثيل فى التاريخ العسكرى ·

وهذه الحرب الحقيقية الشاملة صعبة وباهظة التكاليف على الاسرائيليين وخاصة فى الارواح والمعدات ، كما انها جديدة كل الجدة عليهم وهم الذين اعتادوا على الانتصـارات السريعـة الكاسحة · فقد فقدت اسرائيل فى الايام الخمسة الاولى للقتال ــ طبقا لتقديرات البنتاجون ــ ١١٠ طائرة و ٤٠٠ دبابة ، وحوالى ٣٠٠٠ قتيـل ، وحوالى ألف أسير ، عدا ١٥،٠٠٠ جريح · وفى اليوم السابع للمعارك كانت خسائرها قد بلغت طبقا لتقديرات المخابرات الامريكية ، اكثر من ثلث قوتها الجوية الضاربة ، وحوالى ثلث قـواتها المدرعة · ولذا لم يكن مستغربا قط أن يصف ديان تلك الحرب بعبارات جديدة تماما فى الادبيات العسكرية الاسرائيلية « **ان اسرائيل تخوض الان حربا لم تحارب مثلها من قبل ، سواء عام ١٩٥٦ ، أو فى معارك الايام الستة عام ١٩٦٧ · حــرب صعبه ، معارك المدرعات فيها قاسية ، ومعارك الجو فيها مريرة ، حرب ثقيلة بأيامها ، وثقيلة بدمائها** » ·

ذلك هو قدر اسرائيل من الوجهة العسكرية انطلاقا من الحرب الرابعة التى تعتبر بداية مرحلة جديدة فى المواجهات العربية الاسرائيلية · لانه سوف يتعين على الجيش الاسرائيلى أن يجابه من الان فصاعدا ، وخاصة على الجبهة المصرية ، لا مجرد ذلك الجيش الذى كان يشكل القوة الرئيسية لقواته ، أبناء الفلاحين الاميين وشبه الاميين ، وانما أصبح يتعين عليه أن يجابه جيشا جديدا يشكل المتعلمون والمثقفون والالاف من خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة ، جانبا كبيرا من قواته الفعالة · ومن شأن هذا أن يؤثر ــ دون شك ــ على نوعية القتال بالاسلحة الحـديثة المعقدة ، وعلى درجة وعى وادراك الافراد فى القوات المسلحة ، وأن يوفر كل الامكانيات لتكوين جهاز حربى جديد مختلف ، مزود بكادرات أفضل من الجنود المدربين تكنولوجيا ، وهو وضع لم تجابه اسرائيل من قبل فى أى من الحروب التى خاضتها طوال تاريخها ضد الجيوش العربية ·

الهزيمة الاولى للعسكرية الاسرائيلية

ان الطريقة التى خاض ويخوض بها العرب حربهم الرابعة ، انما تثبت بوضوح ان العسكرية الاسرائيلية يمكن بالفعل هزيمتها • فقد اتسم الهجوم العربى ردا على الاحتلال والاستفزازات الاسرائيلية **بطابع المفاجأة التام** ، واختير له أنسب وقت وهو عيد الغفران على حسب تعبير ديان نفسه • وكان ذلك الهجوم ، أول هجوم عربى على اسرائيل منذ ١٩٤٨ يشن فى وقت واحد على جبهتين ، وفى ظل تنسيق تام ، وبقوات ضخمة . كذلك فقد نجح المصريون والسوريون الى حد كبير ، فى **التغلب على تفوق سلاح الطيران الاسرائيلى ، بالاستخدام الواسع الفعال للصواريخ السوفيتية الحديثة** أرض ـ جو ، التى أثبتت قدرة البلدين على توفير دفاع جوى متماسك لقواتهما البرية ، كما استبعدت هذه الصواريخ ، فضلا عن المدفعية المضادة للطائرات ، وشبكات الرادار ، والانذار العالية الكفاءة ، **أى احتمال لحدوث ضربة جوية مسبقة مفاجئة ، كالتى حققت لاسرائيل تفوقا فوريا فى عام ١٩٦٧** • وبذا لم تصبح المواجهة المصرية ـ الاسرائيلية هذه المرة ، كما كانت تقليديا من قبل ، مواجهة بين **جيش برى جوى [اسرائيلى] ، وجيش برى فقط [مصرى]** ، وانما أصبحت **مواجهة بين قوتين بريتين جويتين** • كذلك استطاع الجيشان العربيان ، مواجهة القدرة التكتيكية لاسرائيل فى استخدام المدرعات ، باستخدام الصواريخ السوفيتية الموجهة ، المضادة للدبابات من طراز ساجر التى أثبتت قوتها وفاعليتها ضد المدرعات الاسرائيلية •

كذلك اتبع المصريون خطة حذرة واثقة فى تحريك قواتهم فى سيناء ، تغلق الطريق على المناورات الاسرائيلية التقليدية ، بأن عمدوا الى تحريك القوات البرية والمدرعة المتقدمة ، علـى أساس **توفير الغطاء الصاروخى والجوى والمدفعى لها أولا وقبل كلشىء** ، لحمايتها من ناحية ، ولاجبار العدو من ناحية أخرى « **على أن يفعل ما تريده أنت أن يفعل** » بحيث يلتحم معك فى المجال الاكثر ملاءمة والاوفر أمنا بالنسبة لقواتك المتقدمة • وقد كان لتلك الخطة أثرها الفعال فى اجبار الجيش الاسرائيلى على العمل فى المجال الذى تحدده القوات المصرية ، الامر الذى كان له أثر كبير فى استدراج قوات هذا الجيش ، وتدمير أجزاء كبيرة منها أولا بأول عند رءوس حربة الهجوم المصرى • ومن ناحية أخرى ، تلافى المصريون التقدم السريع بخطوط طويلة داخل جبهة العدو ، وفوتوا عليه فرص القيام بالمناورات التى يجيدها والتى قد تتمثل فى محاولة الهجوم على مؤخرة القوات المصرية المتقدمة ، وقطع الطريق عليها ، وعزلها وحصارها •

فشـل التكتيك التقليدى

كذلك نجد من ناحية أخرى ان الحرب الرابعة ، أغلقت على الجانب الاسرائيلى ، طريق استخدام تكتيك تقليدى اتبعه فى يونيو ١٩٦٧ عندما جابه عدة جبهات عربية معا ، وهو تكتيك القيام **بالهجوم السريع الخاطف فى مواجهة كل جبهة على حدة مع محاولة تحييد فاعلية او نشاط الجبهات الاخرى أثناء تركيزه الهجومى على احدى الجبهات** ، وذلك بواسطة الدفاع الايجابى ، مثلما حدث من تركيز فى يونيو ١٩٦٧ على الجبهة المصرية من ٥ الى ٧ يونيو ، ثم الاردنية من ٦ الى ٨ يونيو ، وأخيرا السورية فى ٩ و ١٠ يونيو • وقد استهدفت اسرائيل هذه المرة التركيز على الجبهة السورية أولا لتحطيم الجيش السورى ، والقيام بعملية صد فى القناة ، ثم رد القوات المصرية عبرها الى الغرب مرة أخرى . ولكن هذا التكتيك فشل هذه المرة لان الجيش الاسرائيلى جابه فى الجبهة الشمالية صمودا سوريا رائعا ، وهجمات سورية مضادة شرسة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الصدام السورى الاسرائيلى . لـذا لن يصبح بامكان اسرائيل من الان فصاعدا ، التعويل على مثل هذا التكتيك ، أو الاطمئنان اليه على أقل تقـدير ، **فسيتعين عليها من الان فصاعدا مجابهة أكثر من جبهة عربية صلبة فى نفس الوقت** ، مما يهدد باستنزافها فى أى صراع طويل المدى ، **وتلك حقيقة أخرى جديدة** من الحقائق التى أضافتها الحرب الرابعة الى معالم الصراع العسكرى العربى ـ الاسرائيلى •

بناء فوقى يشترك فى التمويه

على أنه **ينبغى ألا يتبادر الى الذهن** بحال ، ان أخذ الاسرائيليين على غرة فى هذه الحـرب الرابعة ، وخاصة فى الانقضاض المصرى المفاجىء على خط بارليف ، **كان نتيجة خطأ فى العمل التكتيكى لاجهزة المخابرات الاسرائيلية والامريكية المتعاونة معها فحسب ، وانما هو كان فى الحقيقة ، وليد خطأ فى النظرة الاستراتيجية لدى القادة الاسرائيليين أنفسهم كذلك** ، واستبعادهم أن تسفر مثل المجتمعات العربية بأوضاعها الراهنة فى مصر وسوريا ويمثل أبنيتها الفوقية هذه ، عن هجوم

عسكرى استراتيجى على خطوط المواجهة مع اسرائيل · ومعنى ذلك أن الاسرائيليين ، وهذا أمر طبيعى تماما ، قد وقعوا فى نفس الخطأ الذى يقع فيه عادة، كل القادة الاستعماريين والرجعيين ، آلا وهو الفشل التام فى ادراك العوامل الكامنة المضطرمة فى قلب المجتمعات المحتدمة بعوامل الثورة والتفجر · وليس ثمة شك ، ان مثل هذه الظاهرة ، تستحق دراسة أعمق وأشمل فى المستقبل ، وهى : **كيف ساهم البناء الفوقى للمجتمع المصرى ، بصفة خاصة ، عن قصد أو غير قصد ، فى ايقاع العدو الاسرائيلى فى هذا الشرك الخداعى الذى أدى الى تبنى قادته لمثل هذا التصور الاستراتيجى ؟**

بيد أنه لا ينبغى لنا مع ذلك ، أن نغفل حقيقة هامة وهى ، ان فشل أجهزة المخابرات الاسرائيلية والامريكية فى التنبؤ بالهجوم المصرى المفاجىء ، لم ينبع فى الحقيقة من نقص فى المعلومات عن حشود القوات ، ولكنه نبع من الخطأ القاتل فى **تفسيرها** · لقد نظر الاسرائيليون بازدراء الى التحركات الضخمة للقوات المصرية غربى القناة ، باعتبارها مناورات روتينية تستهدف شغل الجيش المصرى والهائه · وبرغم أنهم وضعوا جيشهم فى حالة استعداد وتأهب ، الا أنهم قرروا أن يمضى يوم عيد الغفران طبيعيا ، وألا يعكر صفوه استدعاء الاحتياطى ، بل انهم منحوا أطقم الدبابات من الجنود النظاميين ، اجازات بسبب العيد ·

لقد أفرط الجيش الاسرائيلى وقياداته فى الثقة بأنفسهم ، نتيجة لانتصارهم السهل فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وكانت مشكلتهم الرئيسية فى الحقيقة هى انهم صدقوا اسطورتهم · لقد تحصنوا تحصنا واثقا مطمئنا وراء خط بارليف الذى انفقوا عليه مئات الملايين من الدولارات ، وقال عنه **بارليف :** « انه لن يمكن مصر من تحقيق أى عبور **لاستحالة** اجتيازه » **وآلون :** « ان خط استحكاماتنا فى منطقة قناة السويس ، لا يمكن اختراقه ، لا بهجوم مجابهة ، ولا بالتفاف من البحر أو الجو » · **وديان :** « اننا أقوياء بدرجة تكفى للاحتفاظ **الى الابد** بخط بارليف » و « اذا حاولت مصر عبور القناة ، فسوف تتم **ابادة** قواتها » و « اذا لجأوا الى استخدام القوة، وعبور قناة السويس، فان قواتهم ستتحول الى **رماد** » ·

مصير « المؤسسة العسكرية »

كل ذلك كذبته الوقائع بشكل لا يدحض فى حرب الشرق الاوسط الراهنة، وليس ثمة شك فى أن نجاح المصريين السريع فى الاستيلاء على خط بارليف واحتلال الضفة الشرقية لقناة السويس ، كان ضربة عنيفة ، لهيبة وسمعة و « اسطورة » المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، لا فى داخل اسرائيل فحسب ، وانما فى العالم الخارجى أيضا · بيد انه من الخطأ ـ مع ذلك ـ الاعتقاد بأن هذه الضربة تنال بصفة عامة من مكانة المؤسسة العسكرية نفسها بصفة عامة داخل المجتمع الاسرائيلى ، كجهاز يحتل مركز القلب ، والعمود الفقرى معا ، لان الاعتقاد الارجح ـ على العكس ـ هو أن هذه الضربة ، ستزيد من أهمية وخطورة المؤسسة العسكرية فى قلب المجتمع الاسرائيلى ، وستساعد ، أكثر من أى وقت مضى ، على تركيز كل الجهود لدعمها ، باعتبارها حصن الامان الاول والاخير ، ضد عدو تزداد قوته العسكرية ، فعالية واضطرادا · وهذا أمر منطقى تماما بالنسبة لكل متتبع لتطور تاريخ الدولة الاسرائيلية ، لانه لا يمكن فصل بقاء ووجود هذه الدولة ، عن مؤسستها العسكرية ، فهما مرتبطان ارتباطا حميميا · ولا يمكن الحديث عن دعم أمن هذه الدولة ، حاليا ومستقبلا، دون ارتباط بدعم مكانة المؤسسة العسكرية وسيطرتها أولا وقبل كل شىء · ولذا فمن الاصح أن نقول انه وان كانت الضربات التى تلقاها الجيش الاسرائيلى فى سيناء ، قد أضعفت من مكانة وهيبة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى أعين العالم ، الا أنها زادت فى الوقت نفسه ، من أهميتها وضرورتها القصوى ، فى قلب اسرائيل ذاتها ·

واذا حاول أحد أن يبحث عن دور أكبر للمؤسسات المدنية فى هذه الدولة ، بعد هذه الضربة التى تلقتها المؤسسة العسكرية ، فانه على الارجح يجانب الصواب ، فذلك ضد طبيعة هذه الدولة نفسها · ولا يمكن ان ينتظر المؤسسات المدنية دور أكبر فى دولة زرعت بالقوة العسكرية والعدوان ، فى قلب عالم يتحفز لرفضها ، اللهم الا اذا كان معنى ذلك انتحار هذه الدولة وفنائها الاختيارى ، وهو ما لا نعتقد أن الاسرائيليين قد عقدوا عليه العزم اليوم ، بعد الضربات العربية الاولى التى تلقوها ·

ولكن الجانب الذى أضير حقا من النتائج العسكرية المفاجئة لهذه الحرب الرابعة ، فهو **القيادات الحالية للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ،** وعلى رأسها **موشى ديان** الذى ضغطت أسطورته ، بفعل الضربات العربية السريعة الى حجمها الحقيقى ، وفقد الكثير من مكانته الاسطورية داخل اسرائيل ذاتها · وليس ثمة شك بهذا الصدد ، ان

استدعاء ١٢ من جنرالات الاحتياطي الى الخدمة أخيرا ، لم يكن في الحقيقة مجرد « تدعيم للقيادات العسكرية الحالية » بقدر ما كان يمثل في الواقع ، عمليات عزل بين تلك القيادات العسكرية ، وبين رجال الجيل الجديد من المؤسسة العسكرية ·
وهكذا نجد بعد كل ذلك ، **انه وان كانت المؤسسة العسكرية ، وبشكل أخص قياداتها ، قد اهتزت على المستوى التكتيكي بفعل الضربات العربية ، الا أن دورها سيصبح أكثر خطورة وشراوة داخل اسرائيل ذاتها على المدى الاستراتيجي ·**

امكانية متوفرة لمواصلة

حرب طويلة الامد

لكننا نود ان نتساءل بعد كل ذلك ، عن امكانيات المجتمع الاسرائيلي في الصمود والاستمرار في ضوء المعطيات الجديدة التي جاءت وتجيء بها الحرب الرابعة · وهل سيستطيع هذا المجتمع استيعاب الضربات التي تلقاها ؟ وهل سيتمكن من متابعة حرب قد يطول أمدها ، في مواجهة مصر وسوريا ؟ لقد أدلت صحيفة « **واشنطن نيوز ستار** » بوجهة نظرهافي هذا الصدد قائلة : « ان اسرائيل لا تستطيع من الناحية الاقتصادية ان تشن الحرب بالمعدل الحالي ، لاكثر من ثلاثين يوما ، وان عدو اسرائيل هو الوقت بسبب الاستنزاف الاقتصادي الخطير الذي ستتعرض له بتعدادها الذي يبلغ ٣ ملايين نسمة » كذلك أشار **موشي نوردرفر** الخبير الاقتصادي الاسرائيلي الى ان الحرب الحالية تكلف اسرائيل « نحو ٥ر٤ مليون جنيه استرليني في الساعة » · كما وان التعبئة المترتبة عليها تخلق مشكلات خطيرة للصناعة والاقتصاد الاسرائيليين ، اللذين يتهدد الانتاج فيهما هبوط شديد بعد استدعاء اغلب العمال للحرب ، كـذلك فان الحرب طويلة الامد مع اسرائيل ستؤدي الى استنزاف سريع للقوى البشرية فيها ، لا تقابله نفس النسبة المئوية في الجانب العربي · وان استراتيجية حشد واستخدام الاحتياطي البشري التي تلجأ اليها الدول العربية سوف تؤتي ثمارها المؤكدة في اضعاف الجانب الاسرائيلي ، والنيل من قواه بشكل محسوس ·

كل هذا صحيح تماما ، ولكن من المهم بالنسبة لنا نحن العرب ، ان نسترشد في خوض معركتنا الراهنة ، بالاعتبارات الواقعية ، لا الوهمية او المتوهمة ، وان ندرك بامعان ، الامكانيات الواقعية المتوافرة لدى العدو للاستمرار في قتاله العدواني الراهن ، فذلك هو الضمن سبيل لتحقيق طول النفس العربي ، الذي افتقدناه دوما في صراعنا مع هذا العدو · فعلى مستوى هذه الدونة ، نجد ان وزير ماليتها **بنحاس سابير** يعلن اخيرا ، ان اسرائيل اتخذت الاجراءات اللازمة لتنظيم اقتصادها من أجل حرب طويلة المدى ، وانه تم فرض نظام البطاقات في توزيع المواد الغذائية ، كذلك أصدرت اللجنة السياسية بالكنيست قرارا بفرض قرض اجباري بمليار ليرة اسرائيلية يموله دافعو الضرائب ، لتغطية نفقات الحرب ، فضلا عن قرض اختياري آخر لجمع مليار ليرة أخرى ، كذلك نجد ان الدولة قد استفادت من خبرتها وتجاربها في حرب يونيو ١٩٦٧ ، واتخذت منذ ذلك الوقت بعض الاجراءات الاحتياطية ، لاي حرب قادمة ، مثلما فعلت في مجال النقل على سبيل المثال ، حيث اشترت ٢٠٠٠ سيارة نقل لمواجهة الظروف الطارئة في حالة الحرب ، كالظروف التي تجابهها اسرائيل اليوم ·

ومن الناحية الخارجية ، نجد ان اسرائيل تتلقى كذلك سيلا من المساعدات السخية من الولايات المتحدة الامريكية ، والطوائف اليهودية في العالم · فقد طلب الرئيس الامريكي **نيكسون** من الكونجرس الامريكي أخيرا ، الموافقة على اعتماد جديد لبرنامج ضخم من المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل يصل في مجموعه الى ٢٢٠٠ **مليون دولار** ، وهو يعادل ضعف ماحصلت عليه اسرائيل من امريكا خلال تاريخها كله ، كذلك اعلن نيكسون انه اصبح من الضروري تزويد هـذه الدولة بالمعدات العسكرية **بالمجان** نتيجة لارهاق امكانياتها المالية · كما هبت الجاليات اليهودية في العالم لنجدة اسرائيل ، وعلى راسها الجالية اليهودية في الولايات المتحدة التي اعلن بنحاس سابير انه سيتعين عليها ، وهي اغنى الجاليات اليهودية واكبرها ان تتحمل الجزء الاساسي من النفقات الحربية · كذلك اوضح نفس الوزير الاسرائيلي ان اليهود في جميع انحاء العالم يقدمون تلبية لنداء اسرائيل ، مبالغ ضخمة لمساندة المجهود الحربي الاسرائيلي ، حيث تقوم منظمة النداء اليهودي الموحد بجمع التبرعات · ولذا نعتقد من الناحية الواقعية ، ونتيجة لهذه التعبئة المالية الداخلية والخارجية ، ان الاقتصاد الاسرائيلي ، سوف يكون قادرا على التغلب على الازمات العنيفة، والمشاكل الحادة التي قد تجابهه نتيجة استمرار أمد الحرب ، ولاينبغي ان يغيب عن بالنا بهذا الصدد انه اذا كان الاسرائيليون قد نجحوا في سنة ١٩٤٨ في القتال عدة اشهر ضد العرب ،

بجهود الوكالة اليهودية ، وفى الوقت الذى لم تكن قد توطدت لهم خير دولةبعد،فانتلك الامكانية لا تنتفى الان ، بعد أن أصبحت لهم مثل تلك الدولة التى اثبتت قدراتها العدوانية فى سبيل حماية مصالح امريكا البترولية فى الشرق الاوسط والتى لن يضنى عليها المستعمر اليانكى بفيض المساعدات الكفيل بدفع تبغى الحياة فى شرايين اقتصادها ٠

ضعف موقف « الحمائم »

ودعم موقف « الصقور »

وفيما يتعلق بأوضاع اسرائيل الداخلية ، فان المتوقع كنتيجة للضربات العربية العسكريه الاخيرة ، هو ضعف موقف ومكانة من يسمون « بالحمائم » داخل اسرائيل ، وتدعم موقف ومراكز من يسمون « بالصقور » ٠ وقد وجه « مناحيم بيجن » زعيم كتلة جحل المعارضة ، وهو من اشد « الصقور » عدوانية ، اللوم الى الحكومة فى مقال صحفى أخيرا ، لانها « جعلت الاسرائيليين يصدقون ان العرب لن يهاجموهم ! وقال بيجن : « ان الحرب أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان الاراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ كانت بالغة الاهمية بالنسبة لمصالح الامن الاسرائيلية الاساسية ، وانه لو لم تكن خطوط وقف اطلاق النار حيث كانت ، لدارت الحرب الان فى قلب الاراضى الاسرائيلية » ٠ كذلك فقد زادت هذه الحرب أيضا وهى حرب أكره عليها العرب لتحرير اراضيهم ــ زادت من عدم ثقة الاسرائيليين بالعرب ونواياهم ، خاصة وان اليمين فى اسرائيل قد ردد على مسامعهم طوال سنوات ان أى اتفاقية للسلام مع أى حكومة عربية لن تكون سوى قصاصة من الورق ٠ وان القوة العسكرية هى الدفاع الوحيد الذى يجب ان ترتكن عليه اسرائيل ٠ وقد وجدت هذه الدعاية صدى أكبر لدى الكثير من الاسرائيليين ، بعد الضربات العسكرية العربية المحسوسة التى تلقاها الجيش الاسرائيلى فى الاونة الاخيرة ٠

خطر ضرب الليبرالية

والتحول الى الفاشية

كذلك فمن المتوقع ايضا مع التحديات الصعبة التى ستواجه اسرائيل من الان فصاعدا وأكثر من أى وقت مضى ، ومع جو الحرب ، والنتائج المؤلمة المقبضة التى تسفر عنها ، ان تعمد الدوائر الحاكمة الى ضرب كثير من مظاهر الليبرالية السياسية فى حياة المجتمع الاسرائيلى فى الفترة الزمنية القادمة ، بلانهناك خطرا كاملايتمثلفى التحول من نظام يأخذ بشكل الديموقراطية البورجوازية الغربية بصفة عامة ، الى نظام يسير نحو الفاشية ٠ هذا الاحتمال قائم ، وقد تتزايد امكانيات تحققه فى المستقبل ، فمن الناحية النظرية نجد أن المبادىء العنصرية للصهيونية تقربها فعلا من الفاشية ، كما انهما يتماثلان فى عدائهما المميت للشيوعيه وللاتحاد السوفيتى ، وفى استخدامهما لوسائل متماثلة فى الارهاب والتفرقة العنصرية، والعمل ضد الكفاح التحررى للشعوب ٠ ومن الناحية العملية ، ليس من المتوقع نتيجة للحرب الرابعة ومعاركها الكثيبة بالنسبة لاسرائيل ، الا أن يستمر قادة اسرائيل ، بل أن يزيدوا من انتهاكهم للحريات الديموقراطية ، خاصة بعد تعديل قانون الانتخاب لمنع تمثيل الاحزاب الصغيرة فى البرلمان ، واصدار القوانين التى تحرم الاحزاب ، وتحديد اقامة عشرات من الديموقراطيين والشيوعيين والمستشارين فى المجالس البلدية ، والمناضلين النقابيين والمعلمين والكتاب بصفة دائمة ، بسبب جرائم الرأى ٠ وقد أوضح « **ماير فلنر** » سكرتير عام الحزب الشيوعى الاسرائيلى فى الفترة الاخيرة ان جو الشوفينية القصوى ، وهستيريا الحرب الذى تخلقه الدوائر الحاكمة ، قد دفع بحركة الطبقة العاملة فى اسرائيل والحياة الاجتماعية والسياسية فيها عامة ، دفعة نحو اليمين ٠ ويضاف الى كل ذلك تزايد اعمال العنف التى تقوم بها المنظمات والجماعات الفاشية مثل « **رابطة الدفاع اليهودى** » التى تعتبر تنظيما فاشيا نموذجيا ، يتزعمه الحاخام « **مائير كاهانا** » الذى يعتبر « **فوهرر** » الرابطة ، ومنظم نشاطها الذى يعد من أسوأ انواع النشاط الارهابى ، والذى يتعاون فيه كاهان مع عصابة « **المافيا** » ووكالة المخابرات المركزية الامريكية ، ولقد بلغ الامر بعصابة كاهانا حد ترشيح قائمة خاصة بها للكنيست فى انتخابات نوفمبر ١٩٧٣ ،الامرالذى يعنى ان الهيكل الاجتماعى السياسى لاسرائيل بدأ يستوعب على نحو طبيعى ، تنظيما فاشيا صريحا ٠ خاصة ، اذا لم يغب عن ناظرنا بهذا الصدد، ان **مائير لانسكى** العقل المدبر للمافيا ، يدفع مبالغ ضخمة مساهمة منه فى نشاط حزب « أجودات اسرائيل » الدينى أيضا ٠ وهناك كذلك منظمة « دوف » وهى منظمة « قمع الخونة » التى تبعث بتهديداتها بالقتل الى الشيوعيين والشخصيات التقدمية ويحدث كل ذلك فى الوقت الذى يزداد فيه احتلال الجنرالات للمراكز الهامة، سوا فى قيادة حزب العمل ، او فى كتلة جحل ، او

على رأس مجالس ادارات الشركات الكبرى • وفى الوقت الذى يتخذ فيه قادة الهستدروت المزيد من المواقف الرجعية ، بموافقتهم على القوانين المعادية للعمال والتى تحرمهم من حق الاضراب ، وبأغراقهم فى الديماجوجية الصهيونية الشوفينية ••

كذلك تلاحق الدولة نشاط التنظيمات والمجموعات مثل « **اتحاد الاشتراكيين الصهيونيين اليساريين** » ، ومجموعة « **هاعولام هازيه – وقوا حاداش** » المعادية للصهيونية ، و « **حركة السلام والامن** » و « **الشباب المستقل** » و « **الرابطة الاسرائيلية من أجل الحقوق الانسانية والمدنية** » وغيرها من التنظيمات (١) التى تتخذ مثل الحزب الشيوعى الاسرائيلى « راكاح » موقف العداء من السياسات المعادية للشعب التى تنتهجها الدوائر الحاكمة ، وتتصدى مثله لهجمات الرجعيين ، وتعمل من اجل حل سلمى عادل لمشكلة الشرق الاوسط ، وتسعى من أجل علاقات تقوم على أساس حسن الجوار والصداقة مع البلاد العربية •

أما الحزب الشيوعى الاسرائيلى « راكاح » الذى شن حملة عنيفة على الحكومة وحملها مسئولية « التدهور الذى ادى الى الحرب » نتيجة تعنتها ، واتجاهها التوسعى العدوانى ، واصرارها على احتلال الاراضى العربية بالقوة ، فلا نعتقد – برغم تأثيره المحدود فى مجتمع اسرائيل العنصرى الشوفينى – انه سيجابه فى ظروف اسرائيل المكفهرة اليوم ، بغير المزيد من القمع والارهاب ، لانه فى عز الانتصارات الاسرائيلية الخاطفة فى يونيو ١٩٦٧ وفى قمة ثقة الاسرائيليين الزائدة بأنفسهم ، لم يسلم هذا الحزب من القمع والارهاب ، الذى بلغ من زاوية فردية بحتة – حد طعن سكرتيره العام بالسلاح الابيض فى الطريق العام • فما الذى سيكون عليه الحال اليوم ، فى ظروف ما تلقاه اسرائيل من هزائم ونكبات ، الامر المؤكد هو ان الحزب الشيوعى الاسرائيلى « راكاح » سوف يجابه بمزيد من القمع والارهاب الاسود ، الا أنه من واقع تاريخه الثابت فى مساندة القضايا العربية العادلة ، سوف يتابع السياسة التى أمن بها وكافح من أجلها ، برغم العديد من الاساليب والوسائل التى تستخدمها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة لشل نشاطه ، وعزله عن القوى اليسارية الاخرى ، ولارهاب وتحطيم معنويات ممثلى التنظيمات التقدمية ، بالاستفزازات والاعتقالات ، والتعذيب والحبس ، وبرغم حرمان قادة الحزب الشيوعى ، ورابطة الشباب الشيوعى من حق التنقل ، وفصلهم من العمل ، وطردهم من اللجان والمجالس العمالية ، على أن كل صنوف الاضطهاد هذه ليست جديدة على حزب « راكاح » ولم تفلح قط فى حرفه عن مواقفه المبدئية العادلة التى تمثلت دوما فى معارضة سياسة الضم التى اتبعتها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة ، وفى الكفاح الدائم المستمر من أجل انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة ، ومن أجل تطبيق قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ تطبيقا كاملا • ولم يغير هذا الحزب قط ، تحت أى شكل من أشكال التهديد والارهاب فى الاونة الاخيرة بصفة خاصة شعاريه الاساسيين التاليين :

« **ضد احتلال الاراضى العربية – ومن أجل السلام** » •

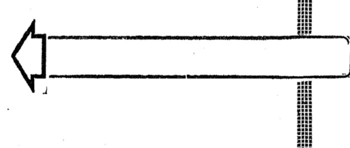
« **مع الشعوب العربية ضد الامبريالية ، وليس مع الامبريالية ضد الشعوب العربية** » •

---

(١) راجع وثائق الطليعة فى هذا العدد •

آراء
ومواقف

فى ظلال معركة التحرير الوطنية المجيدة التى بدأت يوم ٦ أكتوبر ، بالعبور العظيم ، استجاب عدد من أصدقاء الطليعة وكتابها وتحركوا وذلك على امتداد جبهة فكرية وطنية وتقدمية عريضة ، ليختار كل كاتب بحرية الزاوية التى يكتب منها ، وليعبر بحرية عن رأيه الخاص.



سمات هذه الحرب

د. اسماعيل صبرى عبد الله

من العسير على المرء أن يقف من الاحداث وقفة المحلل ، فى حين يصنع رجال بالدم والنار تلك الاحداث فى سيناء والجولان . ولكن الفكر كالحياة عملية لا تتوقف ، وفقدان القدرة على التفكير يفقد القدرة على الحياة كما ينبغى أن تكون الحياة . ومن ثم لابد من ضبط الشعور وضغط الانفعال واعمال الفكر واختيار الكلمات لتأكيد المعانى الاساسية التى يدور من اجلها القتال ، تشكل أهدافه ويشكل الاسلوب العنيف لنصرتها بكل مايحتويه هذا العنف من جسارة وفداء .

اننا نحارب حرب تحرير ، وحرب التحرير بقدر ما هى مشروعة وعادلة تكون عادة مريرة وقاسية . انها رد على نصر حققه مغتصب يعتز بقوته ويملى ارادته ، ويبقى أن يستضعف أعداءه . ليس فى عدتهم فقط ولكنهم فى انسانيتهم ذاتها . والتاريخ يعلمنا ان ذلك دائما هو شأن كل حروب التحرير . ونحن لا نحرر أرضا اغتصبها عدو تفصل بيننا وبينه البحار والمحيطات وتقاس المسافات بآلاف الاميال . بل انه عدو زرعه الاستعمار بين ظهرانينا ، ولذلك فحرب التحرير تدور على أبوابه وهو يربط بينها وبين وجوده كما تصوره ورسمه وخطط له . ولذلك فانه لا شك مستميت فى القتال ، وليس فقط فيما تسلم به قوانين الحرب وانما فيما وراء ذلك من أدنا الاعمال ، ان عدونا تسانده الامبريالية قد صاغ نفسه بمزيج من الميثولوجيا والتكنولوجيا وجودا مبناه التفوق المطلق ، ومنطق التوسع والسيطرة والتفوق، لانه على حد زعمه الشعب المختار الممتاز عنصريا بحكم كل ما ترديه الاساطير والممتاز فعليا بتملكه ناحية التقدم العلمى والتكنولوجى الذى اتاحته له أصوله الاوربية والامريكية والتوسع والسيطرة ، لانه كاستعمار استيطانى لابد أن يفرض وجوده بالارهاب ، ولما كان استيطانه فى أرض فقيرة فلابد من التوسع لاراضى أغنى ، والهدف الاخير هو السيطرة الاقتصادية على المنطقة وكل هذا التصور الذى أسموه « نظرية الامن الاسرائيلى » هو موضع الصراع فى سيناء والجولان وفى وجه هذا الغرور كله نقدم أمرا واحدا هو أمضى الامور ارادة النضال حتى نصل الى ما حددناه لانفسنا من أهداف مهما يكن الثمن ومهما يطل الزمن .

وهى حرب تندرج فى اطار حركة انبعاث وطنى وقومى استهلتها ثورة ٢٣ يوليو المجيدة فنحن بدورنا لا نقاتل لمجرد استرداد الارض المحتلة — على مالهذا المطلب فى ذاته من قيمة عظمى — بل لنؤكد حرية الارادة العربية فى تشكيل مستقبل الوطن العربى ، لنؤمن حقنا فى أن نقفز عبر سنوات التخلف ، ولنقتحم عصر التقدم بالعلم والتخطيط والعزم وقصر المدى الزمنى التى ميزت عبورنا القناة واقتحام خطوط العدو ، لقد حدث قبل قرن من الزمان أن تجمع الاستعمار الاوروبى كله لضرب تجربة مصر فى عهد **محمد على** لانها كانت تعنى نبضة الحياة فى جسد الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) وخطر تصدى مصر لمهمة التحديث وقيادتها للوطن العربى فى هذا الطريق ، وما يفعله جيلنا فى الوطن العربى يفوق فى أهميته أضعافا مضاعفة ما حاولته مصر آنذاك . فنحن نناضل لا لخلاف بين والى وسلطان ولكن تحت شعار الحرية بأوسع معانيها للوطن والمواطن . ونحن نناضل لا من أجل مجد حاكم تحيط به طبقة محدودة من أصحاب الامتياز ، ولكن من أجل الرخاء والتقدم لاوسع جماهير الشعب العامل ونحن نناضل لا لنبنى امبراطورية ، وانما لتحقيق الوحدة القومية . ولذلك فان شعارات الحرية والاشتراكية والوحدة التى رفعناها تفزع قوى الامبريالية العالمية وتجعلها تساعد اسرائيل لتشل تقدمنا نحو تلك الاهداف القومية ، وانتصارنا فى الصراع الحالى هو انتصار لكل ما ناضلنا من أجله من أهداف شريفة ، وعلينا أن نقاتل من أجل هذا كله وهو يستحق التضحية مهما تكن والاصرار مهما كلف .

وهى حرب من أجل السلام ، فنحن لسنا دعاة حرب من أجل الحرب ، وليست لنا تقاليد التعصب العنصرى ولا العسكرية الغاشمة ، وأمجادنا التى تبغى أمجادا حضارية ، ولذلك فهى باقية · ومن ثم كان موقفا رائعا ومسئولا حين قدم الرئيس أنور السادات مقترحات السلام فى الوقت الذى تطهر فيه جنودنا بحد السلاح أرضنا المحتلة . ولكن هذا السلام القائم على العدل هو أخشى ما يخشاه حكام اسرائيل ومن يساندهم · ان العدل معناه انتصار الشعوب المظلومة ، وتحقيق السلام القائم على العدل فى هذه المنطقة من العالم ستكون له أصداء بعيدة فى كل انحاء العالم الثالث يقوى عزيمة من يصفون الاستعمار القديم ويفتح عيون من يخدعهم الاستعمار الجديد . ان تحقيق السلام القائم على العدل يشكل سابقة جديدة فى تاريخ العلاقات الدولية التى قامت على الغصب والقهر وتصفية ارادة العدو ، انه يفتح فصلا جديدا فى تاريخ نضال البشرية الطويل من أجل سلام حقيقى ومستقر ، انه شعار العالم الثالث كله الذى يرفض الحروب المحلية التى يفرضها الاستعماريون أو يثيرونها لاستنزاف قواه · انه مثل أعلى لنا شرف النضال من أجله .

ان هذه السمات تجعل لحربنا هذه أبعادا ودلالات سياسية واجتماعية ، واقتصادية وتاريخية ، يصبح النصر فيها امرا لا بديل له ، مرة أخرى مهما يكن الثمن ، ومهما يطل الزمن .

٦ أكتوبر ١٩٧٣ : ميلاد جديد للشخصية المصرية

جمعة عبده قاسم

مع الساعات الاولى من يوم – عيد الغفران – فى اسرائيل خرجت طلائع من شباب مصر فى قواتها المسلحة لتمزق بقوة وعنف ذلك الصمت الرهيب الذى يخيم على اسرائيل فى هذا اليوم . ولتعلن للعالم كله أن معركة التحرير قد بدأت . وأن جيش مصر قد اجتاز – فعلا – فى هذه الساعات القليلة أقوى مانع حربى مائى فى العالم وأنه يحطم الان خط دفاعى – اسرائيلى – من أقوى خمس خطوط دفاعية عرفها التاريخ البشرى كله .

ونجح الجيش المصرى فى تحطيم أسطورة خط بارليف .. ونجح الجيش المصرى فى تحطيم جيش أسطورة جيش الدفاع الذى لا يقهر .. ونجح الجيش المصرى فى أن يثبت للعالم كله أن مصر ، هى كما هى مقبرة الغزاة . وان رجالها وشبابها ومعهم الحق والعدل والتاريخ قادرين على تحرير أراضيهم ومطاردة فلول العصابات الصهيونية الهاربة أمام جسارة وبطولة المقاتل المصرى التى تفوق فى تصورها حدود العقل البشرى . تلك البطولات التى سوف تقف أجيال مصر القادمة بل والتاريخ الانسانى كله فى ساعات خشوع ورهبة واكبار كما جاء يوم السادس من أكتوبر .

والانتصارات العسكرية متروكة لخبراء الحروب وجنرالاتها .

والمكاسب السياسية التى تترتب عليها متروكة أيضا لاساتذة السياسة ودهاتها .

ما اريد ان أتحدث فيه . هو أن آثار الساعات الاولى من حرب التحرير . فرضتها على الواقع والفكر المصرى والعربى والعالمى .. ولنحاول وسط ما يجيش فى صدورنا من انفعالات أن نرتب افكارنا لتبدو هذه الاثار كما يلى :

أولا : على الواقع والفكر المصرى

مع سقوط خط بارليف . سقط وفى نفس اللحظة ما سمى فى مصر .. بلذة الاستغراق فى تعذيب الذات .. وحل محله وفى نفس اللحظة أيضا الاحساس بقدرة هذه الذات . رغم كثافة السحب والغيوم . ولسوف يكون لهذا العامل أثاره البعيدة والكبيرة على أفكار وسلوكيات ولدتها ظروف ست سنوات من المرارة والانتظار والقلق والترقب والضياع . عاناها الشعب المصرى. وشرائح الشباب المثقف بالذات . وهو ينظر الى ثلث مساحة أرضه محتلة .. وسوف تنعكس هذه الاثار مباشرة وسريعا على قضية الولاء الوطنى ، التى لا يمكن لاحد أن ينكر أن السنوات الست الماضية قد هزتها بعنف . ولن يكلفنا ذلك سوى نظرة سريعة على أرقام

الهجرة قبل يونيه ١٩٦٧ . وبعده ثم بعد اكتوبر ١٩٧٣ ..

وسوف يكون العكس تماما على الجانب الاخر فى اسرائيل .. فقد سقطت دعوى الجنة الابدية الاسرائيلية التى كان لها أثرا بعيدا فى اغراء اعداد كبيرة من شتات اليهود فى العالم بالهجرة لاسرائيل . كذلك أيضا عادت الروح لمصر . وسقط جدار الوهم والخوف من أساسه وعادت الشخصية المصرية كما كانت دائما . تبنى . وتغنى . وتصنع الحضارة .

وتعلم الشعب المصرى أيضا أن الكلمات لا تغنى عن المدفع . وان الاستغراق فى التهام الشعارات والتغنى بها وبالماضى . لا يصلح بديلا عن القوة واستيعاب وسائلها وامتلاكها .. فقد هزم - بضم الهاء - فى ساعات يوم أن استرخى واطمئن لمستقبله . ثم أفاق على كابوس طويل . ثم هزم عدوه يوم أن عاش هذا العدو لا يملك غير نشوة انتصار ساحق وسريع . وعاش بها وعليها .. وهذا درس لا يستهان به لامة تريد أن يكون لها مكانا فى هذا العالم .

ثانيا : على الواقع والفكر العربى

لقد كان للتجمع العربى السريع والشامل فور اندلاع حرب التحرير دلائل بالغة الاهمية . من أهمها ان العالم العربى أدرك بما لا يدع مجالا لاى شك أن الامبريالية العالمية وعلى رأسها أمريكا لن تتخلى عن مساندتها السافرة والمطلقة لاسرائيل .. بحكم اعتبارات محلية وفردية .. دون النظر الى الاعتبارات الوطنية داخل أمريكا .. ولن يمكن تغيير هذا الموقف . بل وفرض تغييره الا اذا ووجهت بقوة عربية متحدة - مؤثرة - تعرف كيف تستغل ما فى أيديها من أوراق .. وما تمتلكه من امكانيات قادرة على أن تحول مدنية الولايات المتحدة وآلياتها الى هياكل ميتة مشلولة الحركة . وذلك اذا توقف تدفق البترول العربى الذى يمدها بطاقتها المحركة . كذلك قادرة على أن تحول الدولار الامريكى الى عملة لا تساوى قيمة تكاليف طباعتها على الورق . وذلك بما تمتلكه من أرصدة نقدية ستصل وفق أوثق التقارير والدراسات سنة ١٩٨٠ الى ثلث النقد العالمى المتداول .

ثم اثرا آخر أكثر أهمية مستقبلا وهو أنه لا بديل للعرب لكى يحيوا حياة كريمة غير الوحدة . وحدة تخلق منهم كيانا قوميا قويا قادرا على فرض ارادته على عالم تحركه الكيانات الكبيرة . ولسوف تعطى معارك التحرير فى سيناء والجولان للوحدة العربية دفعة قوية بعيدة المدى والاثر .

غير ذلك . لا يمكن أن نهمل بأى حال من الاحوال الاثر المباشر لهذا الميلاد على فصائل قوات الثورة الفلسطينية .. فى أن تعمل بروح عالية وثقة ليس لها حدود فى قوميتها وعروبتها نحو هدفها الاول والاكبر وهو تحرير فلسطين .

ثالثا : على الواقع والفكر العالمى

كادت اسرائيل أن تفرض على الاستراتيجية العسكرية العالمية مجموعة من الاعتبارات والقواعد . بعد يونيه ١٩٦٧ . ولم تكف دعاويها وحججها لفرض هذه الاعتبارات . لكنها سقطت منذ اللحظات الاولى من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. أهم هذه الاعتبارات والدعاوى .

● الحدود الاستراتيجية الآمنة .. فلم تكف اسرائيل عن المطالبة بها بحجة أنها تمثل عائقا يستحيل على العرب بوجوده استئناف الحرب . لكن بعبور القوات المصرية لقناة السويس وتدميرها لخط بارليف الذى تكلفت تحصيناته ما يقرب من ثلثمائة مليون دولار . هوت هذه القاعدة وثبت أنه لا يمكن فرض حدود على شعب دون ارادته . مهما كانت مناعة تحصينات هذه الحدود .

كذلك سياسة فرض الامن الواقع .. فلقد عمدت اسرائيل منذ يونيه ١٩٦٧ الى تغيير شكل الاراضى المغتصبة . فأقامت سواء فى سيناء أو مرتفعات الجولان العديد من المستعمرات والمشاريع وهجرت اليها الكثير

خطاب من الجبهة

رئيس تحرير الطليعة
تحية طيبة وبعد

تحية لكم من سيناء . من أرض مصر التى عادت اليها روح مصر تحية لكم ولكل كلمة شريفة فى هذا البلد .

وسلامى لاسرة الطليعة .
وتهنئتى ايضا لهم بالنصر .
وبالعودة كما عودتنى «الطليعة» دائما بأنها تفتح قلبها لكل كلمة صادقة .

لم أستطع أن أخفى انفعالاتى ..وكتبت هذه الكلمة المرفقة مع هذه الرسالة . أرجو أن تجد لها مكانا بين صفحات منبرنا الحر القوى الطليعة . كما وجدت من قبل غيرها مكانا فسيحا لها . اشكركم عليه .

أرجو لكم كل توفيق وأرجو منكم الدعاء .

ولاحبائى العائدين الى مكاتبهم كل تحية وتهنئة .

مقاتل جمعة عبده قاسم
ماجستير فى الاقتصاد

ملاحظة : لا شك انكم تستنتجون من هذه الرسالة أننا بخير واطمئنان كبير .

وليس هناك ما يقلقنا .. لاننا نؤمن هذه الايام بكلمة أبى بكر الصديق رضى الله عنه الخالدة :

« احرص على الموت توهب لك الحياة » .

مع تحياتى ، لكم حبى وتقديرى

من السكان ووضعت خططها التى تمكنها من هذا التغيير . وبالتالى تصبح هذه المناطق بمرور الزمن مدنا مأهولة بالسكان ، لن يكون - من العدل - الهجوم عليها أو المطالبه بها .. وان من يرى ما أحدثته فى سيناء - وسوف يراه العالم والشعب المصرى كله قريبا - لا يملك سوى الدهشة والرثاء لافكارهم ومعتقداتهم . فلن يمكن لاى انسان ان يتصور أن اسرائيل قد وضعت احتمالا ولو واحدا فى الالف فى أنها ستترك هذه الارض يوما من الايام . شبكات مياه .. خطوط مواصلات .. تحصينات تفوق حد التصور .. مستعمرات أشبه بقلاع القرون الوسطى . مشاريع تنقيب عن المعادن والبترول .. محطات ضخ مياه .. محطات توليد كهرباء .. اغرب من ذلك فنادق وشاليهات سياحية .. سقط كل هذا . واصبحت سياسة فرض الامر الواقع بتغيير بالشكل مستحيلة على الشعوب مهما طال الزمن .

وأيضا سقطت والى الابد الدعوى الاسرائيلية الدائمة بأنها تعيش بين « فكى كماشة » عربية يريدون الابقاء بها فى البحر . وتعرت أجهزة الدعاية الصهيونية على حقيقتها . وظهرت حقيقة الوجود الاسرائيلي باعتباره اداة قمع امريكية فى المنطقة . ونقطة ارتكاز تضرب بها الامبريالية الامريكية ارادات شعوب المنطقة فى افريقيا والشرق الاوسط .

ملحمة بطولة سجلها الجيش المصرى . أكبر من أن توصف . وسيأتى يومها .

٦ أكتوبر .. وحرب التحرير العربية الشاملة

زكى مراد

لقد عبرت نيران ٦ أكتوبر بقوات شعبنا المسلحة الباسلة من ضفة القنال الغربية الى ضفتها الشرقية لتبدأ زحفها المقدس .

ولكن هذه النيران العظيمة قد عبرت بجماهير شعوبنا العربية كلها من حالة سلم اجبارى مؤقت متوتر ، ثقيل وممعن منذ ٩ يونية سنة ١٩٦٧ ، الى حرب تحرير شاملة تستنهض أروع وأجمل ما فى الانسان العربى من حوافز وطاقات وقيم .

ذلك هو المغزى التاريخى الرائع ليوم ٦ أكتوبر الذى صنعته جسارة شعبنا وجيشنا بدءا من قائده الاعلى الى أصغر جندى فيه ، وجسارة الشعب السورى الشقيق وجيشه الباسل ، وان هى الا أيام حتى تجسدت كل معالم هذه الحقيقة تحت وهج الرصاص والبارود .

الشعب المصرى كله ، على ما كان يعتمل فى داخله من توتر وصراع ، ينهض فى لحظات ، ويتراص خلف جنوده صفا واحدا متماسكا صلبا ، وتشخص أبصاره وبصائره جميعا صوب أرض القتال .. جماهير الشعوب العربية من أقصى المغرب حتى أقصى المشرق ، ومن أقصى جنوب الجزيرة حتى الاسكندرية شمالا ، تنصرف عن مشاغلها الخاصة ويملأ حياتها شاغل واحد هو هذا القتال الدائر فى سيناء وفى الجولان فى الطريق الى فلسطين التى أصبحت هدفا ثوريا ساميا ولم تعد مجرد ضحية .

المقاومة الفلسطينية وجدت فرصتها الكبرى للعمل المباشر ، انها جيشنا فى مؤخرة العدو ، تنهك أحشاءه وتصيب معدته بالشلل .. آن لها وقت العمل بغير دقيقة واحدة لاختلاف الرأى وانقسام الارادة .. وهى تندمج بالفعل فى العمل وتكبد العدو خسائر حقيقية ، وتنصهر وحدة قواها فى حلاوة القتال ومرارته .

العراق يؤمم الحصص الامريكية فى بتروله ويرسل الدبابات والطائرات وألوف الجنود الى أرض المعركة .. جنود المغرب يقاتلون مع القوات السورية .. الجزائر توقف خطط التنمية وترسل قوات مسلحة وطائرات وتضع كل امكانياتها تحت تصرف جبهة القتال ..

الاردن ترسل قوات مسلحة الى الجبهة السورية .. دول البترول تنذر الولايات المتحدة بقطع البترول عنها .. ومظاهر أخرى كثيرة وخطيرة للتضامن ما تزال فى جعبة جماهير الشعوب العربية ستحمل حكامها حملا على القيام بها أو تقوم بها بنفسها .

وعلى الجبهة العالمية تتحرك القوتان الهائلتان ، قوة الثورة الاشتراكية العالمية وقوة ثورة التحرير الوطنى .

فالاتحاد السوفيتي أكبر وأعظم أصدقائنا ، يقود حملة فضح عنيفة ضد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية كعصبة من « القتلة وقطاع الطرق » ، ويتصدى لحليفتها الامبريالية الامريكية في المحافل الدولية ، ويمد نضالنا بالعون العسكري المباشر والمساندة السياسية الكاملة ..

وجميع بلاد الاسرة الاشتراكية تنظم التبرع بالدم والمؤونة والدواء ، وتقف بقلوبها معنا على خطوط القتال .

وقوى ثورة التحرر الوطني ، الممتدة عبر آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تعلن عن تضامنها الوثيق ، وتقطع سبعة عشر دولة افريقية علاقاتها باسرائيل بعد بدء القتال .. والحركات الاشتراكية والديمقراطية وحركة السلم في أوروبا الغربية وفي داخل الولايات المتحدة نفسها تنظم حملات التضامن مع الشعوب العربية . في حربها العادلة ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية .ومع كل يوم قتال يمر ،تزداد العزلة الخانقة التي يعانيها الحلف الامبريالي الصهيوني حتى عن العالم الرأسمالي نفسه . ان طلقات مدافعنا في جبهتي سيناء والجولان في ٦ أكتوبر العظيم قد افتتحت حرب التحرير العربية الشاملة واستقطبت كل قوى العالم بوضوح لا لبس فيه بين الصديق والعدو ..

سمات حرب التحرير الشاملة

الحرب التي تعيشها بلادنا اليوم اذن ليست مجرد حرب نظامية بين دولتين أو بين عدد من الدول ، وليست حربا بين جيشين فحسب .. انها حرب تحرير شاملة ، وهي ككل حرب تحرير تتسم بعدد من السمات يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - هي حرب عادلة تخوضها جماهير أمة بأسرها ضد عدو امبريالي استعماري عنصري ، يصر على احتلال أرضها والتوسع على حسابها ، هذه الحرب العادلة تستهدف تحرير الارض وتأمين الاستقلال الوطني ، وضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .ومن هنا فهي حرب تعتمد في الاساس على قوة ايمان المحاربين بالهدف ، وبأنهم يذودون عن الحق .. وفي مثل هذه الحرب ، فان العمل العسكري وحده - وعلى عظم أهميته وخطورته - ليس كل الحرب .. ان النضال العسكري هنا وجه واحد من وجوه النضال الشامل على كل الجبهات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد يتوقف القتال العسكري بعض الوقت ، وقد يتقدم أو يتراجع ، لكن الحرب تظل قائمة .. في صور وأشكال أخرى من النضال .. أن اقتناع كل أفراد الشعب المتزايد يوميا حتى يصبح ايمانا دافعا الى التضحية بالروح ، واقتناع كل الحلفاء والاصدقاء ووضوح الاهداف المتزايد يوما بعد يوم ، والتمييز القاطع بين الاعداء والاصدقاء على أساس مبدئي .. لامور جوهرية في حرب التحرير .

٢ - وحرب التحرير حرب شاملة يشكل الشعب كله قوتها الاساسية ، وليس الجيش فيها غير طليعة عسكرية أعلى كفاءة وأدق نظاما وأشد تدريبا على القتال بأحدث الاسلحة .. ومن هنا فان كل أفراد الشعب - الفلاح والعامل والمثقف جنود في هذه الحرب ، كلهم قادرون على حمل السلاح واستخدامه مستعدون للعمل العسكري في أي وقت وتحت أي ظرف مفاجىء .. ان الشعب في حرب التحرير مؤخرة مسلحة لقواته المتقدمة ، وليس مجرد متفرج كما كان الامر في الحروب النظامية التقليدية .

٣ - ومن السمتين الاولى والثانية تنبع السمة الثالثة لحرب التحرير الشاملة .. انها دفاع عن الوطن وحقه في الحرية والاستقلال ، يقوم به الشعب كله ، وفي مقدمته جيشه النظامي ، ومن هنا فهي حرب منتصرة .. حرب لا نهاية لها الا النصر .. حرب لا تعرف الهزيمة لان السبيل الوحيد لهزيمتها هي ابادة الشعب كله وذلك أمر لا يمكن تصوره .

ان شعبا في أرضه لا يمكن أن تهزمه قوة وافدة من خارج هذه الارض .. تلك تجربة كل حروب التحرير ، التي كانت حرب الشعب الفيتنامي البطل ذروتها وأروع نماذجها .

٤ - حرب التحرير في عصرنا جزء من ثورة عالمية معادية للامبريالية والاستعمار والاستغلال والتخلف .. وبقدر ما تعتمد حرب التحرير على قوى الشعب الاساسية في الداخل ، فانها تعتمد في الخارج على قوى الثورة العالمية الثلاث ، النظام الاشتراكي العالمي ، وقوى الثورة الاشتراكية والطبقة العاملة في الغرب الرأسمالي ، وقوى التحرر الوطني في العالم .

ان القاعدة السياسية والعسكرية الذهبية في حرب التحرير ، هي تحالف قوى الشعب الاساسية [العمال والفلاحون والشعب العامل] في الداخل ، وقوى الثورة العالمية في المجال الدولي .

هذه هي السمات الرئيسية في كل حرب تحرير شاملة وهي تنطبق تماما على حربنا الحالية ضد العدو الامبريالي الصهيوني . وقد يخدع بعض المفكرين مظهر الحرب النظامية الذي تتخذه حربنا حتى الان .. اذ تبدو وكأنها قتال صحراء بين جيشين كذلك الذي جرى في صحراء العلمين المجاورة لنا ، بين جيوش الحلفاء وجيوش

النازية .. ولكن واقع الامر أعمق من ذلك ... ولقد كان الجيش السوفيتى يحارب الجيش النازى ابتداء من الاراضى السوفيتية وانتهاء باحتلال برلين آخر الامر .. وبرغم هذا المظهر النظامى فقد كانت الحرب من جانب السوفيت حرب تحرير بكامل معنى الكلمة ، كانت حربا وطنية كبرى شاركت فيها جماهير الشعوب السوفيتية وشعوب شرق أوربا بمختلف الاشكال (فرق الانصار والمقاومة الشعبية) واذا أمعنا النظر فى حربنا الحالية ، فسنجد أن المقاومة الفلسطينية تشكل قوة هامة فيها وهى حركة شعبية ثورية ، وسنجد أن فلاحى مصر وسوريا قد أسهموا منذ الايام الاولى فى أسر طيارى العدو ، وأن الشكل السليم الوحيد لمقاومة ضربات العمق التى قد يلجأ اليها العدو ، حين يضيق عليه الخناق فى الجبهة العسكرية ، هو لجان المقاومة الشعبية أو الدفاع الشعبى المشكلة من جماهير الشعب المسلحة .. وكلما طال أمد القتال كلما اشتدت حاجتنا الى تسليح الشعب كله وتدريب الشعب كله على العمل العسكرى ، وكلما ازداد دور العمل الفكرى والسياسى داخل صفوف الجيش النظامى .

لذلك كله لا يجوز أن ننخدع بالمظاهر ، ونتصور حربنا مجرد حرب نظامية بين جيشين .. والا وقعنا فى خطأ قاتل .

مقتضيات حرب التحرير الشاملة

لعل أول مقتضيات حرب التحرير ، هو وضوح الهدف وضوحا كاملا لدى الشعب والجيش معا ، حتى يعى كل فرد ، سواء كان من مقاتلى المقدمة أو مدافعى المؤخرة ، حقيقة ما يحارب من أجلـه ويستطيع أن يصوغ الهدف فى أبسط عبارة . ومن هنا كانت أهمية الخطاب السياسى المسئول الذى ألقاه الرئيس أنور السادات ، لا فى توضيح الهدف بصورة محددة فى أذهان شعبنا وجيشنا فحسب ، ولكن فى توضيحه كذلك لدى جميع الحلفاء والاصدقاء فى كل مكان ..

ذلك أول مقتضى لحرب التحرير ، وأول أسلحة هذه الحرب التى تكمن قوتها الرهيبة فى عدالتها وذودها عن الحق .. وتوضيح الهدف واجب مستمر ما استمرت الحرب ، اذ ينبغى تأكيد الهدف عند كل تطور من تطورات القتال ، وتحليل الاهداف التكتيكية التى تحققت فى الطريق الى هدف الحرب العام ، ومتابعة كل تحركات الاعداء فى علاقتها بأهدافنا العامة وأهدافنا التاكتيكية ...

فاذا وضح الهدف وتحدد بأن « تحرير الارض المحتلة وايجاد السبل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » فان اقتناع كل القوى المحاربة والمتحالفة معنا وكل أصدقائنا فى الحقل الدولى بعدالة هذا الهدف وحقنا المطلق فيه هو سلاحنا الاول والاساسى الذى لا نمل ترسيخه وتحسينه ووضعه دائما فى حالة استخدام نشط فى مختلف مجالات النضال . انه أساس كل النشاط السياسى والعسكرى والمعنوى المبذول فى حرب التحرير ...

وبرغم بساطة الهدف وعدالته ووضوحه ، فانه لا ينبغى لنا أن نتصور أنه هـدف سـهل أو يسير .. ان أكثر من ست سنوات من الجهد الدبلوماسى والسياسى المكثف على النطاق الدولى بما فى ذلك حرب الاستنزاف التى دامت أكثر من عام ـ لم يكفل تحقيق هذا الهدف ، برغم توفر جبهة عالمية عريضة تضامنت معنا فى سبيله ..

ان الامبريالية الامريكية تعتبر ميدان الشرق الاوسط آخر ميادين الصراع الاساسية بينها وبين جبهة الشعوب المعادية للامبريالية ، خـارج الامريكتين .. لقد انتصرت هذه الجبهة عليها فى آسيا انتصارا ساحقا يحملها حملا على الانسحاب من فيتنام والاعتراف بالصين ، ثم حملها أخيرا على الاعتراف بحق شعب بنجالاديش فـى الاستقلال .

ومنذ ذلك الوقت تركزت أنظار العالم كله على الصراع فى الشرق الاوسط باعتباره العـامل الحاسم فى الصراع العالمى حول مختلف قضايا الحرب والسلم ، وقضايا الامبريالية والاستعمار واستقلال الشعوب ، وحقها فى الاختيار الحر لطريق تطورها الاجتماعى ..

ذلك كله بالاضافة الى ضخامة الاستثمارات والمصـالح الامبرياليـة والامريكيـة بالذات فى المنطقة ، هذه الاستثمارات والمصالح الذى أنيط باسرائيل ومؤسستها العسكرية دور حراستها .. يجعل أمر هزيمة التحالف الامبريالى الامريكى الصهيونى ، وحمله حملا على التسليم بهـدفنا الوطنى القومى أمرا شديد الخطورة صـعب المنال ..

وليس فى هذا التوضيح أدنى تشاؤم ، لان ثقتنا بانتصارنا ثقة لا حدود لها ، ولكنه تقدير واقعى لا يدلنا أن نعيه لحقيقة الجهد البشرى الهائل التى تفرضه علينا أهدافنا التى أصبحت أهـدافا للانسانية التقدمية بأسرها .. ولذلك كان تصور القيادة للحـرب أنها « حـرب ممتـدة » ... و «استنزاف نستطيع نحن أن نتحمله بأكثر وأوفر مما يستطيعون » (خطاب أنور السادات فى ١٦ أكتوبر) .

ومن هنا يصبح من أوجب واجباتنا أن نوفر لحربنا التحريرية كل مقتضياتها الاساسية ، على

جميع جبهات النضال وفى أسرع وقت ممكن ، وذلك وحده ضمان النصر ..

وبعد وضوح الهدف فان القوى التى تتبنى هذا الهدف وتعمل من أجله هى قوى جبهتنا الداخلية ، وقوى جبهتنا العربية ، وقوى الجبهة العالمية فلنتناول مقتضيات الحرب فى كل من هذه الجبهات الثلاث :

أولا — فى الجبهة الداخلية :

أسلفنا أن الجبهة الداخلية فى حروب التحرير تختلف كل الاختلاف عنها فى الحروب النظامية . فهى فى حرب التحرير جبهة مقاتلة ، أو مؤخرة قتالية ، ولعل مغامرة التسلل التى لجأ اليها العدو ، توضح لنا مدى أهمية هذه المؤخرة المكونة من قوى الشعب العاملة كلها ..

ان علينا أن نعسكر الجبهة الداخلية الى أقصى درجة ممكنة ...

ان صلابة وحدتنا الوطنية ، قد استعرضت نفسها منذ الرصاصات الاولى فى ٦ أكتوبر ، كما أشرنا فى بداية هذا المقال .. والشعب كله على اختلاف طبقاته الوطنية يقف اليوم على استعداد للنضال ، ولا يقلق المصرى الان الا شىء واحد هو أن يجد مكانا له على خريطة القتال ودورا يقوم به .. ان لفلاحينا وعمالنا ومثقفينا تاريخا عريقا فى الدفاع عن أرض الوطن .. هو مصدر هذا القلق العظيم لدى أبناء الشعب من الطلاب والعمال والفلاحين الشبان بحثا عن دور لكل منهم فى معهده أو مصنعه أو قريته أو حيه السكنى ..

ولا يكفى أن نقول للناس « ادخلوا لجان الدفاع المدنى » فان هذه اللجان اليوم قد اكتظت بمن فيها ... ان تدريب أفراد الشعب على السلاح ، وعلى المبادىء الاولية للعمل العسكرى يصبح اليوم وغدا وبعد غد ، أمرا ملحا لكى نضمن سحق العدو عند أية محاولة له فى العمق دون أن نشغل القوات المسلحة عن واجبها الاساسى فى التقدم والتحرير ...

ان مسائل المقاومة الشعبية والدفاع الشعبى يجب أن تنال نصيبها الواجب من اهتمامنا .

وكلما زادت مشاركة الشعب فى العمل العسكرى الفعلى ، كلما زاد تماسك الجبهة الداخلية ، وتصلبت الوحدة الوطنية أكثر وأكثر .

وقد كان الامر العسكرى باعتبار كل سلاح يحمله أفراد الشعب مرخصا خطوة فى الطريق السليم ، ولكن يظل أمر التدريب الشامل على السلاح من مراكز تدريب معروفة للجماهير ، وأمر توفير الاسلحة الصغيرة لهذه الجماهير مسألة فى غاية الاهمية والالحاح ..

ان تجاربنا التاريخية فى هذا المجال تؤكد جانبى الثقة بالجماهير والايمان بوعيها وقدرتها على استخدام السلاح فى موضعه ذودا عن الوطن .. ويكفى أن نتذكر تجربة سنة ١٩٥٦ الرائعة حين وزع السلاح على الشعب ، ثم قامت الجماهير باعادته بنفسها بعد انتهاء المعركة .

أما تجاربنا فى غدر العدو واستعداده للمغامرة فى العمق بغرض احداث ذعر مفتعل فهى ماتزال قريبة الى الذاكرة فيما حدث من هذا العدو خلال عامى ٦٩ ، ٧٠ ، من انزال فى أماكن نائية داخل القطر (نجع حمادى وسوهاج وغيرهما) ..

اننا فى أمس الحاجة الى اشراك جماهير الشعب من عمال المصانع وفلاحى القرى وطلاب المعاهد وموظفى دواوين الحكومة فى العمل العسكرى والسياسى معا .. وفى ذلك بالتحديد ، تكمن أقوى وسائل مساندة الشعب لقواته المسلحة ، والاحتفاظ بمعنويات كل من الشعب والجيش ، دائما ، فى أرفع مستوى . وان كل تردد ازاء هذه المهمة ، انما يعكس مفهوما متخلفا وغير واقعى لحقيقة حربنا الوطنية القومية ضد العدو الاستعمارى .. وفى مجموع العوامل المؤثرة فى حربنا ، فان عامل الجبهة الداخلية هو العامل الاساسى ، وهو مفتاح الانتصار الحقيقى فى أيدينا .

ثانيا — فى الجبهة العربية :

الحقيقة الاولى فى هذا المجال هى الجماهير الشعبية العربية .

ولقد كانت هذه الجماهير تتوق الى يوم القتال بقدر ما يتوق اليه شعبنا .. لذلك فقد نهضت معنا منذ الرصاصات الاولى فى الحرب .

وكانت هذه النهضة العامل الحاسم فى تحقيق أعلى درجة ممكنة من وحدة العمل العربى ، برغم كل العوامل الواقعية التى لابد من الاعتراف بها فى شأن النظم الحاكمة ..

وهذه الجماهير الثورية تشهد لاول مرة فى تاريخها الحديث تنسيقا عسكريا حقيقيا ، بل جبهة عسكرية واحدة تجمع مصر وسوريا فى قتال مباشر ضد العدو ، وتفسح لقوى الثورة الفلسطينية مجال العمل فى الجبهة السورية وفى داخل خطوط العدو ، فيزداد استعدادها للبذل والتضحية والالتفاف حول البلدان المقاتلة .

ولقد كانت وقفة العراق والجزائر منذ اللحظات الاولى للقتال ، نموذجا مشرفا للانظمة التقدمية فى الوطن العربى .

وقد تمت مبادرات جيدة حتى الان من غالبية الدول العربية على اختلاف النظم — ولكن هناك مبادرات لابد منها لم تتحقق بعد .

والوقت فى الحرب عزيز وغال ...

ان قضيتى البترول والنقد العربى القابع فى البنوك الامريكية والغربية يجب أن يحسما على الفور ..

ان الولايات المتحدة قد أغنتنا عن البحث عن الادلة المادية على مساعدتها لعدونا .. انها تحارب بطياريها الى جانبه ، وتعلن ذلك على الملا .. ولم يعد أمام أى عربى أدنى مبرر للتلكؤ فى اتخاذ القرار . ليس كالحرب امتحان للصداقة ،وها هى الدول والنظم التى احتفظت بصداقة أمريكا ترى وجهها الحقيقى سافرا ودون أى تناع .. فهل تقدم هذه الدول دم أبنائها فى الجبهة للطيارين الامريكيين دون أن تحرك ساكنا فى أمر هذه « الصداقة » !

ان كل النظم والحكومات تدخل أمام جماهير شعوبها امتحان الوطنية والقومية وبفضل قتال أبنائنا المستمر الطويل النفس أصبح الامتحان عمليا وعلنيا ولا مجال فيه للتحايل أو التضليل ..

المهم ، بالنسبة لنا نحن الذين نعانى أهوال القتال أن نعرف أن قوتنا الاساسية فى الوطن العربى تكمن فى جماهيره الشعبية التى تتفق مصالحها الاساسية تمام الاتفاق مع مصالح شعبنا الاساسية وبايجاد أحسن الجسور مع هذه الجماهير وقواها المنظمة النقابية والسياسية ، سنضمن دائما أصلب جبهة عربية ممكنة على مبادىء النضال العربى وخطه الثورى ..

ومن هنا تكتسب اتصالات العمال المصريين والسوريين والفلسطينيين بكل العمال العرب من أقصى الشرق العربى الى أقصى الغرب العربى أهمية عاجلة ، وتكتسب اتصالات الطلاب والمثقفين والعمال الزراعيين وغيرهم بزملائهم من قادة هذه الفئات فى كل البلاد العربية أهمية قصوى .. تلك هى العلاقات الباقية الثابتة التى تكون مؤخرتنا الحقيقية فى الجبهة العربية .. وهى القادرة على حسم أى تردد فى المواقف القومية الحاسمة ..

ثالثا ـ فى الجبهة العالمية :

فى هذا المجال أيضا يجب أن نفكر بعقل بارد ، ونتخلص تماما من أى وهم أو مبالغة فى دور البراعة الدبلوماسية ، برغم أهمية هذه البراعة ودورها .

يجب أن يكون واضحا فى أذهاننا منذ البداية ، بعض الحقائق الاساسية الصلبة فى واقع المجتمع الدولى المعاصر . وأول هذه الحقائق أن هناك قوى تقف معنا فى جبهة واحدة بحكم وحدة المصالح ووحدة العدو ـ تلك هى قوى الاشتراكية فى العالم سواء كانت دولا ونظما كأسرة الدول الاشتراكية وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، أو كانت حركات ثورية للطبقة العاملة فى بلدان غرب أوربا الرأسمالية . هذه القوى تعادى الامبريالية كما نعاديها ، وتتفق مصالحها مع مصالحنا فى القضاء على الامبرياليــة وحليفتها الصهيونية التى لا تعدو كونها صورة من صور الاستغلال الرأسمالى الاستعمارى العنصرى الرجعى ..

تحالف هذه القوى معنا تحالف ثابت ومضمون وأساسى ... ومن هنا فان واجبنا فى أتباع سياسة صداقة وتحالف صادقة وواضحة وحازمة مع هذه القوى وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، هو واجب وطنى وقومى بالدرجة الاولى .. وهو فى ظروف القتال مهمة استراتيجية للتقليل من تضحياتنا قدر الامكان وزيادة خسائر العدو الى أقصى حد ، وضمان النصر لقضيتنا فى النهاية ..

وكذلك الامر بالنسبة لقوى الثورة الوطنية فى العالم ، فهى قوى تتفق مصالحها مع مصالحنا فى القضاء على الامبريالية وعملائها وجيوبها من أمثال اسرائيل وفيتنـام الجنـوبية وجنـوب افريقيا .. وبرغم ضعف الامكانيات المادية لهذه القوى نسبيا ، فانها حليف ثابت ضرورى فـى نضالنا فى عدد هام من المجالات .. ويكفى هذا الاثر المعنوى العظيم لقرارات الدول الافـريقية المتوالية بقطع العلاقات مع اسرائيل كمثل على مايمكن أن تمد به هذه القوى حربنا التحريرية من مساعدة ..

ثانى هذه الحقائق : انه بقدر نجاحنا فى تأكيد التحالف مع هذه القوى المتفقة المصـالح معنـا وترسيخه ، يكون نجاحنا فى حمل دول رأسمالية مثل دول غرب أوربا أو اليابان على اتخاذ موقف أكثر عدلا فى قضيتنا . ان نجاحنا فى التحالفات الاساسية عنصر قوة لنا ، ومصدر احترام .. وبالاحترام لا بالشفقة يمكننا أن نقلل كتلة الاعداء الى أدنى حد ممكن فى المجال الدولى .

ثالث هذه الحقائق : أن انتصارات قتـالنا اليومى ، وقدرتنا على عرض انتصاراتنا ونضالاتنا عرضا سليما متفقا مع رغبة الانسانية كلها فى سلام دائم ، هى أقوى أسلحتنا السياسية لزيادة أصدقائنا الى أقصى حد وتقليل أعدائنا الى أدنى حد . ولقد كان لاسلوب خطاب الرئيس السادات مثلا أثر طيب فى المجال الدولى على نقيض الاثر الذى تركه خطاب جولدا مائير المليء بالصلف والغرور .

ان التزامنا بعرض قضيتنا بروح الحادب على السلام ، المدافع عن الحق ضد العدوان عليه ، المتخلص من كل تعصب عنصرى أو دينى أو قومى مبالغ فيه ، سلاح هام من أسلحتنا فى الجبهة العالمية ..

خــاتمــة

وفى الختام ، فان شعب مصر بجيشها ، وشعب سوريا بجيشها قد اقتحما جدار السلم الزائف المتوتر ، وفتحا النيران فى الطريق القديم الى سلم حقيقى قـائم على الحق والعـدل ... وانطـلقت شرارة حرب التحرير العربية الشاملة كأقـوى وأروع ماتكون الانطلاقة الاولى .. فلنحافظ جميعا على المسيرة الصاعدة لهذه الحرب التاريخية المجيدة حتى ينتقل هذا الوطن العربى العزيز الى غد رائع تصنعه جماهيره بارادتها الحرة ...

المعركة .. أبعادها ، وسبل النصر فيها

((كاتب عربى))

يمكن القول ، بدون تحفظ ، أن المعركة التى تخوضها الامـة العربية بشرف وبسالة ، علـى الجبهتين المصرية والسـورية ، منذ السادس من اكتوبر الحالى قد غيرت ، وبشكل جـوهرى ، موازين القوى وحساباتها فـى المنطقة العربية ، وعلى الصعيد الدولى أيضا .

واعظـم انتصـار حققتـه المعـركة ، ليس أى انتصـار عسكرى أحرز حتـى الان أو سيحرز مستقبلا على الجبهتين ، رغم الاهمية الاستثنائية لهـذه الانتصارات ، وانما هو انتصار العرب على أنفسهم ، على الواقع العربى المثقل بركام الهـزيمة ، على حالة اليأس والقنوط التى خلفتها الهزيمة ، على الضياع والتمزق وفقدان الثقة بـالنفس التى نجمت عن الهزيمة .

وأهمية هذا الانتصار تكمن فى انـه أعطى الجواب الصحيح والسليم على كيفية مجـابهة العدوان الامبريالى الصـهيونى على الامة العربية وحسم بالشكل الوحيد الصحيح النقاش حـول طريق الخروج من حالة اللاسلم واللاحرب التى خلفها العدوان ، ووضع العرب على بداية الطريق الصحيح لتحـرير أراضيهـم المحتلة ، والى جانب ذلك ، فقد حطمت المعركة منذ نشـوبها اسطـورة التفـوق العسكرى الاسرائيلى ، هذه الاسطورة التى بـذلت الصـهيونية العـالمية والامبريالية كل ما فى طاقتها من أساليب الحرب النفسية لتركيزها فى الاذهان .. واذا بها تسقط وتتهاوى أمام أول ضربة حقيقية توجهها اليها ارادة مقـاتلة .. وفى اول فرصـة يتـاح فيها للمقاتلين العرب أن يقـاتلوا مسلحين بالعلم والعقل وارادة القتال .

كما ابرزت المعركة ، أهميـة وفاعلية التضامن العربى فـى مواجهة الهجمة الشرسة التـى تواجهها الامة العربية منذ الغزو الاسـتيطانى الاسـتعمارى لفلسطين المحتلة واقامة اسرائيل قاعدة استعمارية عدوانية عـن طـريق الغصـب والاحتـلال المسلح .. وان كان ما تحقق من أشكال هذا التضامن حتى الان ليس فى مستوى المعركة المصيرية التى تقرر مصير كل العرب . ومازالت اسلحة عربية فعـالة اقتصادية وسياسية ومالية بعيدة عن ميدان المعركة .

كما أكدت المعـركة علـى الصعيد الدولى ، ومن خـلال التغيير الكبير الذى احدثتـه فى الراى العام العالمى أن الحـق المستند الى القوة هو وحده الذى يفرض احترامه واسناده وليس الحق الضعيف المتخاذل ..

شروط الظفر فى المعركة الراهنة .

لقد وضعت المعركة ، الامـة العربية كلها فى بداية الطريق الصـحيح لمجـابهة العـدوان الصهيونى الامبريالى ، وتحرير أراضيهم المحتلة ..

وأول شرط من شروط الظفر فى هذه المعركة هو استمرار المعركة ذاتهـا ، مهمـا بلغت التضحيات ومهما طال الزمن ، وثانيها عدم اغفال أو تنـاسى القوانين الثابتة التـى تحكم الصراع العربى الاسرائيلـى ، وهى التـلازم المطـلق بيـن الامبريالية الامريكية والوجـود الاسرائيلى ، والتلازم المطلق بين اسرائيل كقـاعدة اسـتعمارية للامبريالية والمصالح الامـريكية فى المنطقة ، والترابط التـام

العضوى بين أطماع اسرائيل التوسعية ، واحتلالها للاراضى العربية الذى هو امتداد لوجودها القائم على الغصب والعدوان واستخدام القوة ، وبين الامبريالية الامريكية .

وثالث هذه الشروط : هو أن ترتفع درجة التضامن العربى الى مستوى المعركة المصيرية الراهنة ، وتستخدم بجد كل الاسلحة العربية الفعالة فى المعركة ، وأهمها سلاح البترول ، والارصدة العربية المجمدة فى الخارج .. الى جانب زج كل القدرة القتالية العربية فى المعركة وعلى جميع الجبهات ..

وان تتحرك الجماهير العربية لتفرض هذه الشروط على كل الذين يتخلفون عن مواكبة أشرف وأقدس معركة تخوضها الامة العربية .

« حقائق مبدئية .. تحتم انتصارنا فى المعركة .. »

.. ان شعبنا العربى يخوض حربا عادلة ، لانه يقاتل دفاعا عن أرضه ووطنه ، عدوا مغتصبا جاثما فوق أرضه ووطنه .. وكل المبادىء والقوانين والحقائق والتاريخ ، تؤكد حتمية انتصار الشعوب المقاتلة فى سبيل تحررها وانفتاحها ..

الحقيقة الاولى .. ان الاحتلال القائم على الغزو والعدوان المسلح ، لا يمكن أن يدوم ، واذا ظل قادرا على الاحتفاظ بثمار غزوه وعدوانه بعض الوقت ، فلن يستمر ولن يستطيع المحافظة على وجوده غير المشروع كل الوقت ..

والوجه الاخر لهذه الحقيقة هى حتمية انتصار الشعوب المقاتلة المحتلة مهما طال الزمن ومهما امتلك العدو المحتل من وسائل اطالة امد احتلاله ... اذا تسلحت بارادة القتال ، وعزمت على سلوك طريق التحرير حتى النهاية .

وليس سقوط ، البونبارتية والنازية ، وظفر الثورة الفيتنامية الا أمثلة واضحة على صدق هذه الحقيقة بوجهيها ..

والحقيقة الثانية .. اننا فى سلوكنا الطريق الطبيعى لتحرير أراضينا العربية المحتلة لسنا وحدنا ... ان كل الشعوب معنا .... واذا استطاع التضليل واستطاعت الدعاية الصهيونية والاستعمارية أن تقلب الحقائق وتشوه قتالنا المشروع من أجل التحرير .. فان ضعفنا وتقصيرنا الاعلامى قد لعبا دورا هاما فى تقبل الكثير من بلدان العالم للحقائق المقلوبة والمشوهة .. وان شواهد كثيرة تدل على أن الوضع قد تغير الان ..

الحقيقة الثالثة .. هى ان عصرنا الراهن رغم كل النكسات التى أصابت مسيرة الشعوب فى نضالها الظافر على طريق التحرر والانعتاق ، هو عصر تحرر الشعوب وانعتاقها .

واذا كانت القوى المضادة لاتجاه التاريخ واتجاه العصر وحقوق الشعوب قادرة بين الحين والاخر على وضع العصى فى عجلات مسيرة الشعوب نحو التحرر والانعتاق .. فانها لن تستطيع أن توقف مجرى التاريخ او تغير اتجاهه او تعيده الى الوراء .

لو لم أكن عربيا لوددت أن أكون

د. عبد العظيم أنيس

كانت مؤامرة سنة ٦٧ الاستعمارية ضربة محكمة موجهة الى مستقبل الوحدة العربية ، بقدر ما كانت موجهة الى نظامى الحكم الوطنى فى مصر وسوريا بهدف تصفيتهما وعزل مصر بالذات عمن حولها .

وكان الاستعماريون يدركون ، اكثر مما كانت اقسام من الجماهير تدرك ، ان الوحدة العربية خطر ماحق على مستقبله فى المنطقة ، على مستقبل ربيبته اسرائيل العنصرية التوسعية ، على استثماراته فى حقول النفط وأرباحه التى تقدر بملايين الملايين ، على عملائه فى الوطن العربى ، وهى بهذا المنظور خطر على مستقبله فى أفريقيا !

وكان الاستعماريون يدركون - أكثر مما كانت تدرك أقسام من جماهيرنا الطيبة - أن مصر هى واسطة العقد فى مستقبل الوحدة ، وأن ضرب مصر وحصارها كفيل أن يرد قضية الوحدة الى الوراء عشرات وعشرات من السنين .

فبغير مصر ، شعبها ونظامها الوطنى ومثلها الاشتراكية وصناعتها المتقدمة وامكانياتها الكبيرة المادية ورصيدها الثقافى ، تصبح الوحدة العربية فكرة بلا مضمون ، وكيانا بلا قلب ، وأحلاما بلا تحقيق !

ثم جاء المقاتل المصرى الاسمر ، المولود فى أزقة القاهرة ودمشق وبغداد ، الناشىء فى قاع المدينة فى طنطا وحمص والبصرة ، والمعمد بطين حقول القطن والقمح والذرة فى ريف المشرق العربى وحقوله .. وكأنما انشقت الارض عن ابن هذا الوطن المبارك فاذا به يضرب ضربته الحاسمة فى ٦ أكتوبر فيكتب بدمائه على أرض سيناء وعلى قمم المرتفعات السورية صفحة باهرة الاشراق فى مستقبل الوحدة العربية ، واذا ببحور الزيف والاباطيل تغيض !

قبل ٦ أكتوبر كاد اسم « العربى » أن يكون مهانة وزراية — عند العالم الخارجى — كمهانة اليهودى التائه فى أوربا القرون الوسطى ، وبدا صوت المدافعين عن قضية الوحدة وكأنه صوت تائه فى الصحراء !

وبعد ٦ أكتوبر عاد كل شىء الى نصابه ، سطع نور الحقيقة التاريخية وهاجا من جديد . فى هذا اليوم الجليل وعلى هذه الارض العربية المباركة عرفت الوحدة العربية نفسها — للعالم أجمع — من جديد كوحدة نضال بالدم والروح ضد الاستعماريين والصهاينة ، كوحدة مصير للجماهير العريضة التى دفعت ضريبة الدم فى سخاء ، واثبتت بالبرهان القاطع أن صوت المناضل العربى فى القاهرة ودمشق — عندما يرتفع بكلمة الحق — يتداعى له صوت المناضلين العرب فى كل درب ، من المغرب العربى على حدود الاطلسى الى امارة الكويت على الخليج العربى .

نعم ... لو لم أكن عربيا لوددت ان اكونه ! .

موقع ٦ أكتوبر فى حركة التاريخ

عبد اللطيف حنفى

حينما يصف التاريخ المصرى ما جرى فى اليوم السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ سيقول « انه فى ذلك اليوم المجيد رفعت الوطنية المصرية المطعونة فى الصميم هامتها المثقلة بجراح العدوان والقت جانبا كل القيود والاثقال التى حاولت ان تشدها الى الوراء واندفعت الى الشرق تقاتل وتحرر وتمسح بالدم مهانة السنوات الكئيبة » .

صحيح ان التاريخ سوف يضع تفاصيل ما جرى قبل ذلك اليوم وبعده وفى كل المجالات على مائدة البحث العلمى المتأنى ، ليقيم الادوار ويستخلص العبر والدروس ولكنه فى النهاية لن يختلف معنا على تلك الحقيقة لان التاريخ الانسانى كما تعلمنا ادبيات الفكر العلمى هو حركة الشعوب المقهورة — تلك الحركة الازلية الابدية — من اجل التحرر والتقدم . وماحدث يوم السادس من اكتوبر العظيم لم يكن مجرد قرار قائد وطنى يرفض مهانة البقاء على رأس بلد محتل ، ولا مجرد اندفاعة جيش يثأر لشرفه العسكرى ، وانما هو فى الاصل والاساس حركة شعب بأسره ضد العدوان ، الجيش فيها اداة للارادة الشعبية ، والقرار ايضا تعبير جسور عن هذه الارادة . وما تزال كلمات انور السادات فى خطابه التاريخى يوم السادس عشر من اكتوبر تملا اسماع الجميع « لقد كان كل شىء منوطا بارادة الامة .. حجم هذه الارادة وعمق هذه الارادة وماكنا لنستطيع شيئا وما كان احد ليستطيع شيئا لو لم يكن هذا الشعب ولو لم تكن هذه الامة لقد كان الليل طويلا وثقيلا ولكن الامة لم تفقد ايمانها ابدا بطلوع الفجر . وانى لاقول بغير ادعاء أن التاريخ سوف يسجل لهذه الامة أن نكستها لم تكن سقوطا وانما كانت كبوة عارضة وأن حركتها لم تكن فورانا وانما كانت ارتفاعا شاهقا .. لقد أعطى شعبنا جهدا غير محدود وقدم شعبنا تضحيات غير محدودة واظهر شعبنا وعيا غير محدود . واهم من ذلك كله اهم من الجهد

والتضحيات والوعى فان الشعب احتفظ بايمانه غير محدود وكان ذلــك هو الخط الفاصــل بين النكسة وبين الهزيمة » .

ومما لاشك فيه أن مصر التى تقف كلها الان مع مقاتلينا عنـد موقع التناقض الرئيسى ضــد الامبريالية العــالمية واسرائيــل تعرف جيدا أن الحرب وان تكن هى ذروة هذا الصراع الا انهــا ليست سوى شــكل واحد من اشــكاله العــديدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .ولعلنا لا ننسى أن واحدا من اهم قوانين التطور الانسانى فى عصرنــا الراهن هو ان شعوب العــالم الثالث تصــنع تقدمها المــادى والاجتماعى من خلال النضــال الفعال وبمختلف الوسائل ضــد الاستعمار والاستعمار الجديد. ومعنى ذلك ببساطة أن ماحدث ويحدث سوف يفتح بل هو فتح الباب بالفعل امام تغييرات هائلة طال انتظار شعبنا لها . . انه مقدمات ثورة شــاملة ســتكون معركة التحرير هى « الشرارة » التى اشعلتها .

● بين الأســطورة والحقيقــة

د. مــراد وهبة

المعركة الراهنة أكثر من بعد
بعد مصرى وبعد عربى وبعد عالمى
ونسأل :
ماذا تفعل اسرائيل بهـذه الابعاد ؟
تعبث بأرض مصر

وتستهين بالعرب
وتقف ضد ارادة البشر المحبة للسلم
وماذا تفعــل مصر بهـذه الابعاد ؟
تحرر أرضها
وتفجر الطاقة العربية
وتضيف الى ارادتهــا ارادة البشر المحبة للسلم
وما الدافع الى اسرائيل فى أفعالها ؟
الاسطورة ليس الا
وما الاسطورة ؟
حفنة من أفكار تعشعش خارج الحقيقة
وما الجاذبية فيها ؟

وهم الانسان أنه أعلى مــن أخيه الانسان
والنتيجة ؟
استغلال من يتوهم أنه أرقى لمن يظن أنه أدنى ؟
وماذا بعد ؟
بخار يتصاعد ثــم يهــوى ويتلاشى فى نهاية المطاف
ودليلك على ذلك ؟
النازية فى الحرب العــالمية الثانية
وما الصلة بين الصــهيونية والنازية ؟

توأمان
وما العلاقة ؟
الاسطورة
أسطورة الانسان الاعلى عند كليهما مع فارق فى الدرجة
الانسان الاعلى عند النــازية هو الجنس الارى
والانســان الاعلــى عنــد الصهيونية هو الانسان المختار دون غيره من بنى البشر أجمعين

عيبه أو عورته أنه انســان
والانسان الاعلى ماذا عليه من عيب ؟
وجوده ليس ممكنا الا بتدبير وجود الاخر
وماذا عن وجود انسان من غير آخر ؟
بزوغ نرجسية قال عنها فرويد انها مرض

الصهيونية اذن مرض العصر
والعلاج ماذا يكون ؟
محاصرتها حتى لا تتحول من مرض الى وباء
وكيف تكون المحاصرة ؟
بالحرب أم بالسلم ؟
بكليهما معا

تناقض فى القول
ولكنه تناقض مشروع
لماذا ؟

لان الصهيونية تعبث بمعنى الحرب ومعنى السلم
والاستجابة كيف تكون ؟

تحـديد « حقيقة » الحرب
و « حقيقة » السلم
وهذا هو مضمون الخطاب التاريخي لـ « سادات » مصر في لحظة من لحظاتها المكثفة
والحقيقة ضد الاسطورة

فاما الحقيقة واما الاسطورة
وقد اختارت مصر واختارت الامة العربية واختارت القوى المحبة للسلم :
الحقيقة

واختارت اسرائيل ومعها أمريكا :
الاسطورة
والاسطورة بخار يتصاعد ثم يهوى ويتلاشى في نهاية المطاف .

● واجبات للاستمرار .. فالمعركة طويلة

محمد أحمد العقيلى

قد لا أكون مبالغا اذا قلت أنه في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ بدأت ثورة جديدة ، ثورة على النكسة التي عاشت فينا وداخلنا لمدة ست سنوات ، عانينا منها المرارة والالم والتمزق ، بدأت ثورةجديدة على العدوالصهيوني الذى صور على أنه لا يمكن قتاله والحاق الخسائر به ، ثورة جديدة على الاستعمار الحديث ، ثورة جديدة من أجل توحيد الصف الوطني والعربي، ثورة علىالانهزامية والانهزاميين وعلى دعاة الاستسلام والتسليم والذين كانوا يخيفون الناس بأمريكا وبالفانتوم والتكنولوجيا.

ويوم بدأت المعركة — أحسست احساسا عميقا أن الجرح العميق الذى نزفت منه دماء الوطن ، سيلتئم ، ولكن لانه كان عميقا — فان التئامه سيأخذ وقتا طويلا .. أى أن المعركة التي بدأت ليست معركة خاطفة أو سريعة ، أو سهلة أو هينة — فنحن نحارب عدوا شرسا ومؤيدا من الولايات المتحدة الاستعمارية والمتعطشة دائما لدم الشعوب لتحمى مصالحها الرأسمالية والاستعمارية .. فمعركتنا ليست مع اسرائيل وحدها ولكنها مع سادتهاكذلك الولايات المتحدة ومع كل المصالح الاستعمارية قديمة وحديثة ..

ولما كان ايماننا أننا نحارب حربا عادلة من أجل تحرير أرضنا — فان الطبقة العاملة وحركتها النقابية مدعوة لان تحدد بوضوح واجباتها ، وأن تحدد بجدية وواقعية هذه الواجبات — وأن تتجنبأسلوب الشعارات البراقة والكبيرة والحماسية . والعمل البسيط الذى يتحولفي الممارسة الىعمل كبير .. المهم أن نحدد ما هي واجباتنا وان نلتزم بها ، ونسعى الى حشد جماهير العمال الى تحمل المسئولية في انجاز هذه الواجبات .

فأولا : من واقع تجربة العمال المصريين ، فعندما واجهت البلاد عدوان ١٩٥٦ — تطوع العمال من تلقاء أنفسهم لواجب العمل في الجبهة الداخلية لمد العون لخطوط القتال — فقرر العمال المصريون بوعى كامل التطوع بالعمل ساعات عمل اضافية دون مقابل والعمل بدل العمال المجندين في القوات المسلحة أو المتطوعين في المقاومة الشعبية — القيام بنفس اعمالهم وكأنهم يؤدونها واستمرار صرف أجورهم — ومن هنا فانأول واجب يواجهنا هو أننزيد منطاقتنا الانتاجية، وان نقوم بأداء كافة أنواع العمل التطوعى ، وان ننجز نفس الاعمال التى كان يقوم به اخواننا العمال الذين استدعتهم المعركة — ليشاركوا في القتال وينخرطوا في القوات المسلحة.

وفي نفس الوقت يجب أن يقود التنظيم النقابي العمال من أجل بذل أقصى جهد حتى يستمر العمل لانجاز مشروعات خطة التنمية التى لم تتم بطاقة أكثر من الطاقة التى كنا نعمل بها قبل المعركة . وكذلك ان تنظم النقاباتحملة للمنافسة الوطنية في الانتاج — تحت شعار زيادة الانتاج من أجل المعركة .

ثانيا : أن تبادر النقابات باعتبارها التنظيماتالديمقراطية الممثلة للعمال الى ترك جميع الخلافات والمشاكل الخاصة الان على اساس أنيكون كل جهد ونشاط يبذل بتركيز من أجل المعركة — ولعمال النقل في ذلك تجربة عندما أجلوا في ١٩٥٦ نزاعهم الطويل معشركة الترام والذىكان معروفا بقضية المليم الى ما بعد المعركة ، والغوا نوعا منالاضراب البطىء كانوا قد بدأوه . وطلب كثير من العمال تأجيل نظر قضاياهم أمام القضاء حتىتنتهىالمعركة. ان الطبقة العاملة والتى عرفت بتضحياتها الجليلة طيلة تاريخ جهادنا الوطنى ضد الاستعمار

مدعوة اليوم أن تجعل كل تفكيرها وكل نشاط منظماتها النقابية وفكرها من أجل المعركة لان الإنتصار فى معركة التحرير كذلك لن يعنى فقط الانتصار على الامبريالية والصهيونية ، ولكنه يعنى فى نفس الوقت استمرار الثورة الاجتماعية بكل آفاقها الوطنية والاشتراكية .

ثالثا : ان التنظيم النقابى فى مصر مدعو لان يكون أكثر فعالية ونشاط سواء فى مجالات التوعية السياسية بابعاد المعركة ، والتعريف بالعدو ، والتعريف بالهدف التحريرى الوطنى لهذه الحرب . لان اسرائيل عندما اعتدت علينا فى ١٩٥٦ مع الاستعماريين الانجليز والفرنسيين انما كان ذلك لتمنع انجاز عملية تأميم قناة السويس ، ولتمنع تطور الثورة الوطنية المصرية الى مواقع أكثر تقدما وثورية . وفى ١٩٦٧ كان عدوانها المؤيد من قبل الامريكان من أجل القضاء على الثورة المصرية وتطوراتها الاجتماعية والثورية بعد ١٩٦١ .

وعلى نقابات العمال ان تنشط فى مجال تعبئة الجبهة الداخلية ، وفى ذلك أمامها مجالات كثيرة العمل — العناية بأسر المجندين أعضاء النقابات ، بالجرحى أعضاء النقابات ، بأسر الشهداء — بمقاومة حرب العدو النفسية ، بالمشاركة بفعالية فى الدفاع المدنى ، وفى كل نشاط يحمى المؤسسات والمنشآت ، وهناك أشياء كثيرة فى هذا المجال يمكن عملها وانجازها .

رابعا : يمكن للتنظيم النقابى أن يبذل جهدا مكثفا فى مجال كسب الرأى العام العالمى العمالى — وحركة الطبقة العاملة العالمية وخاصة فى البلدان الراسمالية — واضراب عمال الشحن فى ايطاليا عن شحن وحدة أمريكية محملة بالسلاح — يعطينا المؤشر لما يمكن أن تقوم به الحركة النقابية المصرية . ان نشاطا مكثفا يجب أن تقوم به نقابات العمال فى سبيل حشد وتعبئة عمال البترول العرب فى المعركة — وفى مجال التضامن الدولى يمكن للحركة النقابية المصرية بالتعاون مع العمال العرب وعمال البلدان الاشتراكية أن تفعل الكثير .

واخيرا لقد بدأت مسيرة حرب التحرير العربية — وبمزيد من الوحدة الوطنية والعمل الشعبى المكثف ، والالتحام مع قواتنا المسلحة الباسلة — فى الامكان احراز النصر والاستمرار بخطى ثابتة فى حربنا الطويلة والمريرة مع الامبريالية والصهيونية .

● قضايا جدية تطرحها المعركة

محمد حلمى ياسين

حقيقة رائعة نعيشها ، ولم يستطع أحد ان ينكرها : هى ان ما حققته قواتنا المسلحة بعبورها قناة السويس ، واقتحامها خط بارليف يوم ٦ أكتوبر الماضى .. كان حدثا من تلك الاحداث النادرة العميقة الاثر التى تحدث فى حياة الامم والشعوب مرة واحدة كل عدة أجيال ، وتشكل نتائجها منعطفا حاسما فى مسيرة تلك الشعوب ومستقبلها

لقد كان عبور قواتنا المسلحة لقناة السويس ، واقتحام خط بارليف ، بداية بعث جديد لشعبنا . وقد وضع هذا الانجاز العسكرى المذهل نهاية لليل الهزيمة واليأس والضياع ، وخلصنا فى ساعات قليلة من اهتزاز الثقة بالنفس والاقتناع الذاتى بالعجز عن مواجهة المعتدين .

لقد كشف الحدث التاريخى يوم ٦ أكتوبر عن جذوة الوطنية المشتعلة فى أعماق شعبنا ، فى قلوب أبناء الشعب البسطاء على اختلاف مواقعهم فى المدينة او فى أعماق الريف ، فى المصنع او فى الحقل ، فى المدرسة أو فى المكتب .. هؤلاء الذين طالما ظلمناهم وحملناهم مسئولية كل سلبية مما ساد حياتنا قبل ٦ أكتوبر ، هم انفسهم الذين أطلقوا من صدورهم مارد الوطنية المصرية فى بعث جديد ، لاسترداد النفس واسترجاع الارض السليبة من براثن الامبريالية والصهيونية .

ولم تكن مظاهر هذا البعث الجديد ، متمثلة فقط فى ان تلقى الجماهير خلف ظهرها كل مشكلاتها ومعاناتها ، وان تتقبل دون أى اعتراض أو مناقشة الاجراءات التنظيمية لتقنين بعض المواد الغذائية الاساسية بالبطاقات وفرض ضرائب اضافية لصالح المعركة .

بل تمثل البعث أيضا — وقبل كل شيء — فى استعادة الثقة بالنفس ، وبالقيادة المناضلة ، وبالقوات المسلحة الباسلة ، وان تصبح المعركة المقدسة واخبارها هى الخبز وهى الحياة ذاتها .

لقد عبرت جماهير شعبنا — وبحماس — عن ثقتها وتأييدها وتضامنها مع الرئيس أنور السادات فى القرار

التاريخي الذي اتخذه بعبور الهزيمة الى شاطىء سيناء ، شاطىء البعث .

ولم يقف تأييد جماهير شعبنا عن حد الحماس ، بل لقد شهد يوم ٦ أكتوبر وما بعده من أيام ، الشيء الذي افتقدناه كثيرا قبل هذا .. وهو الاندفاع الهائل من جماهير الشعب الى مقار التطوع وساحات التدريب ، في محاولة للمساهمة في المعركة بجهد ما .

ان زيارة واحدة لاى مقر من مقار الاتحاد الاشتراكى ، أو أى مركز من مراكز التدريب على أعمال المقاومة الشعبية وأنشطة الدفاع المدنى ، سوف تقدم الدليل لمن لا زال يبحث عن دليل أخير ، على ان جذوة النضال الوطنى العارم قد اضطرمت نارها من جديد .

الوف والوف من الفتيان والفتيات ، وسيل لا ينقطع من المواطنين من كل سن ، جاءوا يبحثون عن مكان لهم في ساحة التضحية من أجل حرية الوطن وكرامته .. لم يأتوا بحثا عن منصب أو جاه أو مظهر .. ولم يأتوا تقربا لحاكم أو مسئول ، أو ضمانا لمصالح .. وانما جاءوا تحركهم روح ما بعد ٦ أكتوبر ، بعد ان نفضوا من على اكتافهم — وبدافع الوعى التلقائى — روح السلبية واللامبالاة التى طالما عانينا منها ، والتى طالما وقفت مانعا بينهم وبين التنظيم السياسى .

وعند هذا الحد ، تبدأ مسئولية الاتحاد الاشتراكى ، وعليه تقع مسئولية حشد هذه الجماهير خلف قواتها المسلحة ، مسئولية الانتقال بهذه الجماهير من الحماس التلقائى الى الحماس الواعى القائم على الاقتناع والفهم لابعاد الموقف واحتمالاته وأداء التزاماته .

وان نجاح الاتحاد الاشتراكى فى هذه المهمة يكون قد ارتفع بالعمل السياسى الى موازاة العمل العسكرى .. وتختفى الفجوة بينهما .

لقد أكد الرئيس **أنور السادات** دائما على ان المعركة هى المجال الحقيقى لاختبار قدرات الناس ومواقفهم ، وانه من خلال المعركة يمكن اكتشاف القيادات الحقيقية واستكمال بناء التنظيم

وها هى الفرصة متاحة اليوم .. وقد لا تشهد الاجيال الحالية فرصة بهذا المستوى .. فكيف يمكن للتنظيم السياسى ان يحقق حشدا جماهيريا منظما وواعيا ، يشكل درعا للقوات المسلحة وسندا لها ، ويستطيع من خلال هذا الحشد ان يجعل الجماهير العريضة تقدم كل ما لديها من طاقات وامكانيات للمعركة ؟

ان السبيل الى ذلك فى المرحلة الراهنة يتم عبر النضال السياسى على ثلاث جهات :

- التوعية السياسية للجماهير بأبعاد المعركة والتزاماتها ، وتدعيم التنظيم .
- اعداد المتطوعين لمختلف الانشطة ، اعدادا سياسيا ، وتقديمهم للجهات المعنية .
- ترشيد الاستهلاك .

ففى ظروف المعركة الحالية التى نعيشها ، لن نستطيع أن نزيد الجماهير حماسا ، ولكن يجب ان نضع الحماس الجارف الذى تعيشه الجماهير فى اطاره الصحيح على أساس علمى وموضوعى ، بحيث يتحول الى طاقة بذل وعطاء ويغدو ثابتا لا يهتز أمام أول صدمة أو صعوبة .

ومن هنا ، فان المواطن يجب أن يجد لدى الاتحاد الاشتراكى الشرح العميق المبسط للتطورات العسكرية والسياسية فور وقوعها ، وان يجد المواطن أيضا الاجابة الموضوعية الصادقة عن كل تساؤلاته ، وان تكون آذان التنظيم السياسى على نبض الجماهير ، وعينه على حركتها ، ومكان قياداته فى صفوفها ووسط تجمعاتها .

ان الاغراق فى أعمال مكتبية وادارية ، أو القيام بأعمال من صميم واجبات التنظيمات المساعدة من نقابات واتحادات وجمعيات نسائية ، انما يجعل الاتحاد الاشتراكى بعيدا عن مواقعه الاصلية فى المعركة .

ولابد للتنظيم السياسى من استخدام كافة الوسائل المتاحة لتوصيل كلمته الى جماهير شعبنا . فمن خلال الاجتماعات الجماهيرية على كافة المستويات .. وبالكلمة المكتوبة ، سواء فى مجلة دورية أو نشرة صغيرة تتناول موضوعا واحدا ، أو دراسات مفصلة حول بعض القضايا الهامة ، ومن خلال المسرحيات والاشعار والاغانى والازجال وفرق الاطفال [الاراجوز والعرائس] ، يقدم التنظيم السياسى الافكار البناءة الهادفة الى تفجير طاقات البذل والتضحية .

ان صدور نشرة يومية بمبادرة من القيادات العليا ، يجب أن يتطور ليصبح عملا نضاليا من حيث تحريرها ، واعدادها ، ومدها بأخبار المبادرات الشعبية والامثلة الرائدة ثم توزيعها على أوسع نطاق .. ويمكن ان تقوم لجان التثقيف المشكلة فى الاقسام والوحدات بعمل كبير فى هذا الشأن .

وفى الاقسام والوحدات لابد من توسيع حملة الشعارات ، وبشكل خاص فى مراكز التجمعات ، وتشجيع مبادرات لجان الوحدات لنشر مجلات الحائط ، واذكاء روح المنافسة النضالية بين الوحدات والاقسام

ولكى يتحقق ارتباط المواطن بالاتحاد الاشتراكى ، لابد من أن يتوافر شرطان :

أولهما : أن يقتنع المواطن بصدق وجدية ما يقدمه له التنظيم السياسى ، وأن يشعر بالقدوة فى سلوك قادة التنظيم

ثانيهما : ان يشعر المواطن بأن مقر الاتحاد الاشتراكى هو

المكان الذى يستطيع أن يعبر فيه عن نفسه بكل وضوح وحرية .. ومن هنا فلابد من نبذ الاسلوب البالى الذى يرفع سيف الارهاب الفكرى ضد كل رأى لا يتطابق مع الرأى المطروح ، ما دام هذا الرأى يدور فى اطار معركة المصير واحتياجاتها .

لقد القت الجماهير خلف ظهرها بكل معاناتها ومشكلاتها أمام الواجب الاكبر ، وجاءت للتنظيم السياسى لتشارك فى الجهد الوطنى ، فلا يجوز ان نضع قيدا على حقها فى المناقشة الحرة ، ولا ان نشرع فى وجهها مواقف مسبقة قبل ٦ أكتوبر .

واذا كان هذا الامر هاما بالنسبة للجماهير عامة ، فانه أكثر اهمية ، بالنسبة لاصحاب النشاط السياسى . فان الموقف اليوم من أى انسان انما يتحدد على أساس موقفه من المعركة وقيادتها السياسية .

وقد أكد الرئيس **أنور السادات** فى خطابه أمام مجلس الشعب على هذا المعنى عندما قال : « كنت أعرف ان الامم العظيمة عندما تواجه تحدياتها الكبرى ، فانها قادرة على ان تحدد لنفسها أولياتها بوضوح لا يقبل الشك .. كنت مؤمنا بسلامة الدعوة للقومية العربية وكنت مدركا للتفاعلات المختلفة التى تحرك مسيرة أمة واحدة ، ولكننى كنت واثقا من أن وحدة العمل ، سوف تفرض نفسها على كل القوى ، وعلى كل الاطراف ، وعلى كل التيارات ، لانها كلها سوف تعى أن هذا الظرف ليس مباراة بين الاجتهادات ، وانما هو صراع بين الفناء والبقاء لامة بأسرها »

ولما كان التنظيم السياسى يتحمل عبء تقديم المتطوعين للجهات المعنية ، فان الالوف من المتطوعين الذين يتقدمون من تلقاء أنفسهم للتطوع ، مفعمين بروح التضحية والرغبة فى المشاركة فى المعركة ، هؤلاء ، يشكلون خامة طيبة جدا ، لديها الحد الادنى اللازم للتحرك السياسى ، ويستطيع التنظيم السياسى ان يشكلها ويطورها وينمى مداركها السياسية ، ولابد من جهد سياسى قبل الجهد الفنى للتدريب . لان دفع هذه العناصر للتدريب مباشرة دون توعية سياسية ينتهى غالبا بفتور حماس هذه العناصر .

على أن التوعية السياسية سوف تجعل المتطوع أكثر حماسا للتدريب — الذى قد يبدو له اقل مما يريد — وسوف تثير التوعية السياسية اهتماماته بالعمل السياسى وتقيم رباطا بينه وبين التنظيم السياسى .

وترشيد الاستهلاك معركة أساسية .. اذا كسبها الاتحاد الاشتراكى ، فانما يرفع عبئا ثقيلا من على كاهل الدولة ، ويوفر اعتمادات ، ويمنع اختناقات وتأزمات سببها نمط استهلاكى لم يعد مقبولا ولا متفقا مع مقتضيات تطورنا .

ولابد للتنظيم السياسى من أخذ المبادرات اللازمة لتثقيف الناس ، واعادة تربيتهم بأسلوب الحياة فى ظل الحرب . ويجب ألا يترك هذا المجال الحيوى للمبادرات الفردية أو لبعض النداءات المتفرقة الخالية من وضوح الهدف ، أو لبعض الاستفزازات من عناصر متحمسة وغير واعية .. بل يجب ان يخطط لحملة شاملة لاقناع الناس بالتخلى عن الكثير من العادات والاساليب التى تؤدى الى زيادة غير طبيعية فى الاستهلاك .

ولما كان التنظيم السياسى هو الذى سوف يتحمل مسئولية اعادة البناء والتعمير بعد انتهاء الحرب ، فان تعزيز مواقع الاتحاد وسط الجماهير ، ودعم مراكزه بعناصر جديدة من خلال نضاله فى المعركة ، تصبح واجبا أساسيا وهاما ، يتحقق من خلال سهره على تنمية الحركة الجماهيرية ، وتنظيمها وارساء علاقته بالمنظمات العمالية والطلابية والنسائية المساعدة على أسس سليمة .. فالمعركة الحالية هى أنسب الظروف لارساء الاسس السليمة ، لاستكمال بناء منظمة الشباب ومنظمة نسائية مقتدرة ، واطلاق طاقات الحركة النقابية والطلابية

عن معركة أكتوبر التحريرية

د . محمد على الشهارى

هل هناك ما هو اقوى دلالة فى البرهنة على وحدة الامة العربية ، وحركتها الوطنية الصاعدة نحو التحرر والوحدة القومية ، وعلى تجسيد ذلك كله على نحو حى وفعال من معركة التحرير الاخيرة المظفرة التى قادتها الثورة العربية تحت قيادة مصر ضد الاحتلال الصهيونى — الاستعمارى ، مستندة فى ذلك الى دعم أمتها العربية ، والى جبهة أصدقائها وحلفائها الممتدة على نطاق العالم كله ، والتى يشكل المعسكر الاشتراكى ،

بقيادة الاتحاد السوفيتي ، أقوى وأهم أركانها .»

لقد أثبتت معركة التحرير التى بدأتها مصر وسوريا فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، من أجل دحر الغزوة الصهيونية الامبريالية من سيناء والجولان التى كانت قد وقعت فى قبضتها بعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الغادر ليس فقط القدرة القتالية العربية الخارقة والمتفوقة ، والتى لم يتح لها قبل ذلك الكشف عنها ، كما أتيح لها ذلك هذه المرة ، وانما أثبتت أيضا القدرة المتميزة والمتفوقة للنظام الاجتماعى الوطنى التقدمى الذى امتلك مقومات النضال المظفر ، والذى خاض هذه المعركة على النظام الاجتماعى الرأسمالى النازى الحاكم فى اسرائيل ، كما دللت على خرافة الدولة والجيش الاسرائيلى اللذين لا يقهران ، وعلى خرافة أن اسرائيل وحدها هى القادرة على استيعاب واستخدام التكنولوجيا الحربية الحديثة ، وأبطلت فى نفس الوقت الزعم القائل بأن التكنولوجيا وحدها هى اداة النصر الحاسمة .»

لقد اتضح جليا أن التكنولوجيا تكون اكثر ما تكون فعالية عندما توضع فى مكانها الطبيعى ودون تزيد ضمن اطار حركة تحرر وتقدم قادرة ناهضة ، ومنسجمة مع حركة التطور التاريخى العام ، وعندما تخدم أهداف هذه الحركة الوطنية والانسانية الشاملة ، واتضح جليا خلال هذه المعركة أن هناك فعلا أمة عربية حية واحدة ، ينتظمها شعور قومى واحد من المشرق الى المغرب ، ويحركها قانون اجتماعى واحد ، هو قانون الدفاع عن نفسها ووجودها ومصيرها وحقها فى استكمال تحرر وطنها ، واستعادة سيادته ، وتحقيق استقلاله السياسى ، وبلورة شخصيته القومية والدولية ، وانجاز وثبته الحضارية الجديدة ، وتقدمه الاجتماعى الكامل .

لذلك فان معركة سيناء لم تكشف مجددا عن استحالة قهر مصر بكل تاريخها الحضارى العريق والشامخ فقط ، والتى عادت اليها روحها بهذه المعركة وخلالها ، والتى انطلقت بها وتعملقت وحلقت ــ حسب تعبير الاديب المصرى اللامع **نجيب محفوظ** فى كلمته فى الاهرام فى ١٠ــ١ــ١٩٧٣ ــ ولا عن [الوطنية المصرية] الملتهبة فحسب ، ولا عن كلما يرتبط بذلك من معان وقيم تتعلق بثوريته وحيوية الشعب المصرى المتجددة المستمرة ليس الا ، وأمثال ذلك من الحقائق والعبر والدلالات التى عبر عنها الكاتب الكبير **توفيق الحكيم** فى كلمته التى نشرتها له الاهرام فى ٩ــ١ــ١٩٧٣ بقوله : «عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء ومهما تكن نتيجة المعارك فان الاهم الوثبة . فيها المعنى أن مصر هى دائما مصر ، تحسبها الدنيا قد نامت ، ولكن روحها لا تنام . واذا هجعت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام . وقد هبت مصر قليلا ، وزمجرت ، ليدرك العالم ما تستطيع أن تفعل فى لحظة من اللحظات ، فلا ينخدع أحد فى هدوئها وسكونها . وكانت يدها التى بدرت منها حركة اليقظة هى جيشها المقدام ، بصيحة رئيسها الوطنى بالقيام . سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر » .

لقد كشفت المعركة عما هو أكثر من ذلك كثيرا ، كشفت عن حجم مصر القومى والتحريرى الكبير ، وعن دورها القيادى والثورى الضخم على النطاق العربى كله ، وعن مدى التفاف الامة العربية كلها حولها ، ووقوفها الى جانبها ، وسيرها خلفها فى هذه المعركة ــ [القومية] التحريرية معركة تحرير سيناء ، والجولان ، والضفة الغربية والقدس ، ومعركة تحرير الارض والانسان العربى من ربقة الاستعمار الصهيونى والامريكى ، ومعركة امتلاك الارادة الوطنية والسيادة العربية ، كما كشفت عن تسنم الامة العربية بقيادة مصر شرفات عصر جديد مضيئة ، عصر ظهور الكيان القومى العربى العملاق على الساحة الدولية ، واحتلاله مكانته التاريخية اللائقة بين الامم الناهضة المتقدمة المعاصرة .

ان هبة الجماهير العربية كلها فى نفس اللحظة التى هبت فيها مصر ، كما كانت برهانا مجددا على الوحدة القومية العميقة والاصيلة والقوية التى تشد أطراف وشعوب الامة العربية الى بعضها البعض ، فقد كانت برهانا اضافيا على موقع مصر القيادى البارز داخل هذه الوحدة القومية ، وعلى أنها محور الوجود القومى العربى ، وقاعدة وطليعة حركته التحريرية الوطنية والاجتماعية ، وقاعدته التاريخية والسياسية الثابتة فى حلبة الصراع العالمى من أجل ترسيخ هذا الوجود القومى العربى دوليا ، وانتزاع الاعتراف به من قبل كل دول وقوى العالم كبيرها وصغيرها

وكما كشفت هذه المعركة عن تلك الزمالة النضالية الوثقى والقوية والقديمة التى ظلت تربط دائما بين مصر وسوريا ، وتتجلى أكثر ماتتجلى خلال المعارك المصيرية الحاسمة ، منذ معركة [حطين] أيام صلاح الدين والى اليوم . فقد أماطت اللثام مرة أخرى عن عمق الروابط القومية التى تجمع بين مشرق الوطن العربى ومغربه ، والتى أفصحت عن نفسها بقوة فى مشاركة جناحى الامة العربية النضالية فى

المعركة القومية المجيدة الى جانب دول المجابهة – مصر وسوريا – وبذلك كسرت والى الابد تلك الاسطوانة الاستعمارية المشروخة والقديمة التى ظلت تعزف نغمة انفصالية ممقوته ، هى أن هناك كيانا قوميا عربيا متميزا فى المشرق ، وكيانا قوميا عربيا ذا سمات أخرى فى المغرب .

واذا كانت معركة السويس عام ١٩٥٦ ضد الغزو الثلاثى الصهيونى – الاستعمارى قد مثلت لحظة الميلاد التاريخية لظاهرة القومية العربية التى انفجرت شعوبها والتهبت فى هذا الوقت – تفاعلا مع معركة السويس – وخاضت مختلف أشكال النضال تعزيزا ودعما لمصر المناضلة التى برزت منذ هذا الوقت أيضا كقائدة تاريخية وثورية مقدامة لحركة التحرير الوطنى والتوحيد القومى العربية فأن معركة سيناء والجولان عام ١٩٧٣ كانت لحظة ازدهار وسطوع وتوهج هذه الظاهرة القومية والثورية العربية ، ولحظة انتصارها الرائع والعظيم على الاستعمار والصهيونية معا .

وكما لمعت شخصية **جمال عبد الناصر** القومية الفذة خلال معركة ١٩٥٦ ، وغدا منذئذ قائد حركة التحرير والتوحيد القومى العربية المعترف به ، فلقد لمعت شخصية خليفته **محمد أنور السادات** خلال معركة ١٩٧٣ الذى قاد نفس النضال ضد نفس الخصم الصهيونى – الاستعمارى والذى – كما كتب **نجيب محفوظ أيضا** « تقمص فى لحظة من الزمان عصارة أرواح الشهداء العظام من زعمائها [مصر) واتخذ قراره ، ووجه ضربته » [الاهرام فى ١٠–١٠–١٩٧٣] والذى غدا بهذه المعركة قائد حركة التحرير والتوحيد القومى العربية فى مرحلتها الجديدة

واضافة الى ذلك كله فأن الانظمة الوطنية العربية – وبصورة خاصة مصر وسوريا والعراق ، التى تعثرت فى السابق محاولات توحيدها سياسيا بتاثير العوامل الاقليمية والحزبية وغيرها من العوامل الموضوعية والذاتية ، قد حققت بانخراطها معا فى معركة التحرير القومية اللاهبة ضد الصهيونية والاستعمار الامريكى ليس فقط تضامنها النضالى ووحدتها الثورية والعملية ، وانما صهرت – قبل ذلك – فى لهيب المعركة ذاته كل خلافات الماضى العارضة ، وارست حجر الاساس لانبثاق وقيام وحدة عربية تحررية حقة ، لن تقتصر عليها وحدها ، وانما ستشمل – بالتأكيد – غيرها من الاقطار الوطنية العربية فى مشرق الوطن العربى ومغربه .

لذلك فأنه من الحق أن نقول منذ الان ان معركة أكتوبر ١٩٧٣ التحررية العظيمة ضد اسرائيل والامبريالية الامريكية كانت قمة معارك النضال القومى التحررى والتقدمى العربى . فعلى نار هذه المعركة الضارية والمقدسة نضجت واستوت وتبلورت وشمخت الروح الوطنية والقومية العربية ، وذاب كل تناقض قديم بين الانتماء الوطنى الخاص ، والانتماء القومى العام ، وفى أتون هذه المعركة نسجت وفتلت خيوط الوحدة العربية التى غدت الان أقرب الى التحقيق من أى وقت مضى .

ومن الحق – فى خاتمة القول – أن نقول ان حركة التحرير والتوحيد القومى العربية التى ظهرت تباشيرها فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر قد اشرفت – بعد رحلة حوالى مائة عام من النضال – على بلوغ أهدافها النبيلة – بعد ان ازدادت خلال هذه الرحلة المجيدة والطويلة وضوحا وتبلورا وتألقا واقترابا من تجسيد آمال ومطامح ومصالح الجماهير الشعبية العربية العريضة فى التقدم الاجتماعى والديمقراطية السياسية – هذه الاهداف المتمثلة اليوم فى اقامة دولة عربية كبرى موحدة ، ناهضة متقدمة ، ديمقراطية اشتراكية .

الدجاجة الذهبية .. والحرب الرابعة

لطفى الخولى

حين يتقدم « الرئيس نيكسون » الى الكونجرس الامريكى بطلب اعتماد برنامج ضخم من المساعدات العسكرية المجانية لاسرائيل يصل فى مجموعه الى ٢٢٠٠ مليون دولار .. فهو لا يتحرك بمنطق « هارون الرشيد » وانما بمنطق ضرورة صلب عود « رجل بوليسه القوى » فى المنطقة الذى أتخذه الدهماء من العرب بالجراح ، وأفقدوه – بالتالى – هيبته ، وجانبا كبيرا من قدراته العدوانية . ذلك أن هذه «الحرب الرابعة» بين اسرائيل والعرب ، قد خلقت

ـ على حد اعتراف نيكسون نفسه ـ « احتياجات تتجاوز قدرة اسرائيل » . وبالطبع فان استمرار الحرب يعنى تزايد هذه الاحتياجات التى تفوق قدرة اسرائيل ، وهذا كله يعنى ، فى النهاية ، أنه بدون التغطية والدعم الأمريكيين ، فان اسرائيل سوف تفقد دورها فى المنطقة كحارس للمصالح الامريكية ، ومنفذ لاستراتيجيتها فى المنطقة ، يمتلك قبضة فولاذية فى وجه العرب .

ليس غريبا اذن ، هذا التحرك من جانب الرئيس الامريكى . ولن يكون غريبا ـ أيضا ـ ان يسارع الكونجرس بالموافقة على الاعتماد بل والمزايدة عليه .

لكن الغريب ، أن لا نواجه « نحن العرب » هذا التحرك بتحرك مضاد ، ان لم يكن اقوى ، فعلى الاقل فى مستواه . ذلك ان علينا أن نفهم هذه الـ « ٢٢٠٠ مليون دولار » مترجمة الى قوة نيران تدميرية تنصب علينا قتلا وتخريبا .

ومع ذلك فان « المضحك المبكى » أن هذه « القوة التدميرية » التى تهديها امريكا الى اسرائيل ، تعوضها السلطات الامريكية فى الحقيقة من حصيلة ارباح الاحتكارات والاستثمارات الامريكية فى بلادنا العربية والتى تصل سنويا الى حوالى ٩ مليار دولار .

وانه لعمل ذكى أن ينفق أصحاب « الدجاجة الذهبية » على حارسها ٢ مليار لتمكينه فى المحافظة على بيضتها السنوية ذات التسع مليار دولار .

وهكذا فاننا نقع فى الحقيقة أسرى لتلك الحلقة الجهنمية ، التى نقوم فى اطارها بتمويل امريكا كى تقدم فى النهاية السلاح الى اسرائيل لقتلنا .

القضية اذن ، تتركز فى كسر هذه الحلقة الجهنمية .. فى تحرير « الدجاجة الذهبية » من مغتصبها الامريكى ، وحارسها الاسرائيلى على السواء .

والاسلوب الحاسم فى معالجة هذه القضية هو تاميم المصالح الامريكية فى المنطقة العربية .

ومع ذلك ، فانه بالنظر الى الظروف الموضوعية للمنطقة واختلاف النظم الاجتماعية ومعاداة عدد منها للتأميم ، فاننا نكتفى ـ فى اطار خدمة الحرب الرابعة ـ باقتراح أكثر تواضعا ولا يتعارض مع الاسس التى يقوم عليها أى نظام عربى .

ويتلخص الاقتراح فى أنه مقابل كل دولار تمنحه امريكا لاسرائيل نقوم نحن العرب بخصمه ومصادرته من المصالح والمشروعات الامريكية فى بلادنا .

وفى تقديرى أن هذا الاقتراح يمكن أن نتوجه به أساسا الى الجامعة العربية باعتبارها مؤسسة قومية تعايش ، لاول مرة ، معركة قومية ، شكلا وموضوعا .

الجامعة العربية فى قدرتها وقدرة أجهزتها أن تحصر المصالح والاستثمارات الامريكية فى المنطقة العربية . وعليها بعد ذلك ـ وبأسرع وقت ـ أن تدعو دولها الاعضاء الى اجتماع لتقرير مبدأ وضع اليد العربية على المصالح الامريكية بما يوازى كل دولار تمنحه امريكا لاسرائيل . وتحدد بالتالى الحصة الواجبه وضع اليد عليها فى كل بلد عربى ـ اليوم ـ فى اطار الـ ٢٢٠٠ مليون دولار . ويتكرر ذلك مع كل مساعدات جديدة فى المستقبل .

والبلد العربى ، حر بعد ذلك ، فى أن يعامل حصته ، من وضع اليد كما يشاء ، ووفقا لنظامه الاجتماعى والسياسى وظروفه الاقتصادية .

والطريق أمامه ، فى هذا المجال مفتوح .. من التاميم الى مجرد التعريب .

بمعنى ان بلدا عربيا رأسماليا مثلا ، يمكنه أن يوطد بوضع اليد نظام « رأسمالية الدولة » فيه ، بما يمنحه قوة انتاجية جديدة ومتطورة ، ويمكنه أيضا ان يبيع هذه المصالح الامريكية ، الموضوع اليد عليها ، الى مواطنيه . وفى هذا ما يساعده على بلورة رأسمالية وطنية محلية تسهم فى نقل البلاد من حالة التخلف القبلى والاقطاعى الى التقدم الرأسمالى ، وتغير من الظروف الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية على نحو أفضل .

وهكذا ، فان معاداة التاميم ـ اجتماعيا ـ لا تقف حائلا دون العمل ـ قوميا ـ على ضرب المصالح الامريكية ، والاستفادة ـ وطنيا ـ فى تنمية المجتمع العربى وتقدمه فى وقت واحد .

ملف الطليعة

حــــركة المواجهـــــة العســـــكرية فى سـيناء والجولان والأرض المحتـلة

فى كل مرة تدعى اسرائيل أن العرب بدأوا العدوان ، ثم يتضح العكس وعلى لسان قادتها • فبعد عدوان ١٩٦٧ بخمس سنوات ، اعتـرف الجنرال ماتاناهيو بيليد وهو من هيئة الاركان أن اسرائيل لم تكن تتعرض لاى خطر فى ١٩٦٧ ، وانها هى التى نفذت العملية لاسباب سياسية •

وفى الحرب الجديدة ، نقلت وكالة الانبـاء الفرنسية من تل أبيب عن المسئولين الاسرائيليين أن هناك توترا متزايدا على جميع خطوط وقف اطلاق النار ، وبصفة خاصة جبهة السويس • وأضافت أن الحديث يدور فى عواصم كثيرة بما فيها تل أبيب عن أن اسرائيل تفكر فى عملية حربية لرد اعتبارها الذى اهتز بعد « عملية النمسا » •

وفيما يلى تقدم « الطليعة » الجزء الاول من رصد العمليات العسكرية فى الفترة بين ٦ و ١٩ اكتوبر :

٦ أكتوبر

● سيناء ●

● فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر حاول تشكيل جوى اسرائيلى مهاجمة قوات مصر فى الزعفرانة والسخنة فى خليج السويس ، بينما كانت بعض الزوارق الحربية تحاول الاقتراب من الساحل الغربى للخليج • وجاء هذا التحرك تأكيدا لتوقعات القيادة المصرية التى أدركت من متابعتها للحشود الاسرائيلية الضخمة وتحركاتها علـى الضفة الشرقية للقناة طوال الـ ٤٨ سـاعة السابقة ، أن عدوانا جديدا يوشك أن يتم •

● وكانت خطة القيادة المصرية هى الردع الشامل لاى عدوان اسرائيلى وتعقبه الى الضفة الشرقية • وبالفعل بدأت فى الساعة الثانية عملية عبور ناجحة للقناة ــ بعد دحـر التشكيـل الاسرائيلى ــ واقتحمت **خط بـارليف** • وتمكنت قوات العبور من الاستيلاء على الجزء الاكبر من الجانب الشرقى للقناة وسقطت فى أيديها النقط الاسرائيلية الحصينة والاستحكامات القـوية • ورفع الجنود فوقها **العلم المصرى** • ولم تستطع طائرات اسرائيل وقف التقدم لكثافة نيـران الصواريخ المصرية ، وفى الليـل جـرت معـركة ضارية للدبابات • وعلق **ديان** على سقوط خط بارليف بقوله انه « لم يكن سوى قطعة من الجبن

الجروبير فيه من الثقوب أكثر مما فيه من الجبن » ·

● الجولان ●

● شنت اسرائيل في الثانية بعد الظهر عدوانا على القوات السورية الامامية على طول جبهة وقف اطلاق النيران ، وحاولت مجموعة من مقاتلاتها اختراق المجال الجوي في القطاع الشمالي وردت القوات السورية على مصادر نيران اسرائيل ، ونجحت في وقف الهجوم وانتقلت الى الهجوم المضاد ، وتمكنت من تحرير بعض المواقع منها جبل الشيخ واحتلت عدة مراكز من دفاعاته ·

وأعلن الرئيس الاسد « لقد كنا يقظين ساهرين ، نرقب حركات العدو ونستعد ونتأهب لرد عدوانه · فلم نسمح له أن يأخذنا على غرة ، واندفعت قواتنا المسلحة ترد عليه · اننا لسنا دعاة قتل ، وانما نحن ندفع عن أمتنا القتل · لسنا معتدين ولم نكن قط معتدين ، ولكننا كنا وما زلنا ندفع العدوان · اننا لا نريد الموت لاحد ، وانما ندفع الموت عن أبناء أمتنا » ·

● وقد صدر اول بيان من اسرائيل في الساعة الثانية و ٤٣ دقيقة ، جاء فيه « أن مصر وسوريا شنتا هجوما منسقا جيد التخطيط » · واعترف راديو اسرائيل بأن القوات المصرية اخترقت الدفاعات الاسرائيلية · وقال « أنها الحرب · وليست مجرد حادث محلى »

وفي المساء أعلنت جولدا مائير رسميا أن الحرب قد نشبت ·

● تم الغاء أجازات الضباط والجنود في الاسطول السادس الامريكي وأعلن المسئولون فيه أنهم لا يستبعدون التحرك نحو منطقة القتال اذا تطور الموقف واستمر القتال مدة طويلة ·

٧ اكتوبر

● سيناء ●

● تم تدمير محاولتين اسرائيليتين للتصدى للقوات المصرية المتقدمة شرق القناة · وخسرت اسرائيل ٣٠ طائرة و ٣٢ دبابة ، واستسلم عدد من جنودها · وقالت الاسوشيتدبرس أن موقف اسرائيل حرج للغاية » · وعززت القوات المصرية مواقعها على طول الشاطىء الشرقى · وفشلت طائرات اسرائيل في ضرب المعابر ، واستمر تدفق القوات المصرية ·

● أعلن شموئيل جونين القائد الاسرائيلى للجبهة الجنوبية ، بأن المعارك « قاسية جدا بسبب حشود المدفعية المصرية الضخمة بالقرب من منطقة المواجهة » · وقالت الاسوشيتدبرس أن القوات المصرية استطاعت التمركز في المواقع التي احتلتها ·

● الجولان ●

● تقدمت القوات السورية مسافة ١٥ كم في بعض المواقع في المرتفعات السورية · وكان التقدم واضحا في ٣ مناطق هي الاحمدية ورافد منشية ورامات ماجشيميم ·

● توغلت الطائرات السورية لمسافة ٦٠ ميلا داخل اسرائيل ، وقصفت منطقة « مجدل هامك » شمال تل أبيب · واعترف المراسل العسكرى لاذاعة اسرائيل بوجود حشود سورية في منطقة القنيطرة ، قالت رويتر أنها تبلغ ١٠٠٠ دبابة ·

● عرض التليفزيون السورى فيلما لعمليات اسقاط الطائرات الاسرائيلية ، وحوارا مع ٧ من الطيارين الاسرى · وقالت رويتر أن السكان اعتادوا مشاهدة الطائرات الاسرائيلية وهى تهوى ، وان المقاتلات السورية تشكل مظلة قوية لحماية دمشق ·

● أعلنت الجزائر ارسال قوات جوية الى الجبهة · وقالت المغرب أن قواتها تشترك في القتال في سوريا وانه سيتم تعزيزها ·

● قال مندوب وكالة الانباء الفرنسية في تل أبيب أن أزمة الحياة المدنية بادية في المدينة ، فالمرور مرتبك والمحلات مغلقة ، والمواصلات صعبة · وقد اجتمعت الوزارة الاسرائيلية لثالث مرة خلال ٢٤ ساعة · كما اعلن تعبئة الحاخامات لدفن الجنود القتلى ·

٨ اكتوبر

● سيناء ●

● تقدمت القوات المدرعة المصرية الى مسافات بعيدة داخل سيناء ، بعد أن فقدت اسرائيل كل مواقعها على الضفة الشرقية (٢٥ موقعا) واعترف متحدث اسرائيلى بالانسحاب الى خط دفاع جديد ·

● تم تحرير مدينة القنطرة وهى أكبر مدن سيناء بعد العريش · ورفعت القوات المصرية علمها فوقها ، بعد استسلام ٣٠ اسرائيليا في أعقاب قتال في الشوارع ·

● استمر تدفق قوات العبور المصرية رغم ان اسرائيل أعلنت فى اليوم السابق تدمير المعابر . وضربت الطائرات المصرية مطارى المليز وبيسر تمادة وبطاريات صواريخ فى بالوظة وتمادة والجدى ومركز قيادة فى أم خشيب وأم رحمة .

● هاجمت الطائرات الاسرائيلية أهدافا مدنية فى بورسعيد وأعلنت القيادة العامة المصرية أنه « على العدو أن يتحمل نتائج هذه العملية » . وصرح المتحدث العسكرى المصرى أن خسائر اسرائيل فى ۳ ايام بلغت ۸۱ **طائرة** و ۱۲۸ **دبابة**، و۱۲۳ **اسيرا** ، علاوة على خط بارليف الذى تكلف ۲۳۸ **مليون دولار** . وقال أن القوات المصرية استولت على الضفة الشرقية كاملة وصفت كل الجيوب الاسرائيلية فيها . وأعلن المتحدث الاسرائيلى أن اسرائيل تخوض أكبر معركة دفاعية فى تاريخها على طول جبهة القناة ضد قوات لم تفقد المبادأة منذ بدء القتال .

● اعلن متحدث مصرى انه تم تدمير آبار بلاعيم البترولية .

● الجولان ●

● واصلت قوات سوريا تقدمها داخل الجولان ، بعد أن نجحت فى الاستيلاء على الجزء الاكبر من القطاع الاوسط ، وافشال الهجمات الاسرائيلية المضادة . وقالت رويتر أن قوات سوريا تحاول شق طريقها للقنيطرة .

● تم اسر قائد كتيبة دبابات اسرائيلى ،وكذلك ٦ طيارين بعد اسقاط ۲۸ طائرة . وعرض التليفزيون السورى ، فيلما عن المناطق المحررة ، وحوارا مع ٦ أسرى .

● أعلن مراقبو الهدنة ان اسرائيل تستخدم النابالم .

۹ أكتوبر

● سيناء ●

● دارت معارك ضارية ، كسرت فيها قوات مصر موجات متوالية من الهجوم الاسرائيلى بالالوية المدرعة التى حاولت وقف التقدم المصرى الذى وصل الى ۱٥ **كيلو مترا** داخل سيناء .

● تم تدمير اللواء المدرع ۱۹۰ الاسرائيلى ، واستسلام قائده **العقيد عساف ياجورى** ، وكذلك تدمير ۱۰۲ دبابة من هجومين للواءين اسرائيليين مدرعين فى القطاعين الاوسط والجنوبى . واعترف ياجورى بأن الدبابات المصرية تحارب بكفاءة عالية ، وأن قتالها كان متفوقا وباسلا .

● أعلن الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الاركان المصرى ، أن تقدم قوات مصر يتم طبقا لخطة يجرى تنفيذها بدقة طبقا لمعدل زمنى يخضع لعوامل تاكتيكية وتعبوية .

● اكد مراسل رويتر فى اسرائيل ان الجيش الاسرائيلى يواجه أكثر المعارك مرارة فى تاريخه . وأن هذه المعارك أبعد ماتكون عن نهايتها وأن القوات الاسرائيلية فوجئت بقوة مصرية فى حجم لم تره حتى الان وبروح قتالية لم تعرفها والاكثر من ذلك فان القوات المصرية مدعمة بمعدات فريدة وباسلحة حديثة جيدة الصنع . وقال مراسل اليونيتبرس انها لا تواجه جيوشا مصرية مكسورة وانما جيوشا تتمتع بروح عالية ، وقالت اسوشيتدبرس أن طيران مصر وسوريا مازال سليما ، اذ لم تتم ابادتهما على الارض مثلما حدث فى ۱۹٦۷ .

● الجولان ●

● انتقلت المعارك الضارية لغرب القنيطرة وشمالها وتمكنت القوات السورية من وقف هجوم اسرائيلى مضاد لفك الحصار السورى للمدينة وأعلن متحدث اسرائيلى باسم وزارة الدفاع أن الهجوم المضاد تهاوى أمام الصلابة العربية .

● قامت اسرائيل بغارات على الاهداف المدنية فى دمشق وحمص ، ودمرت المركز الثقافى السوفيتى وقتلت عددا من الدبلوماسيين الاجانب ، وحملت سوريا اسرائيل مسئولية ماحدث .

● استخدمت سوريا صاروخا سوفيتيا يسميه حلف الاطلنطى « **فروج** » وهو صاروخ ارض ارض مداه ۷۰ كيلو مترا ويحمل رأسا ناسفة وزنها ۱۱۰۰ رطل .

● أعلنت دوائر البنتاجون العسكرية أن خسائر اسرائيل جسيمة ، وأنها فقدت فى ۳ أيام ٥۰ طائرة و ۹۰ دبابة .

● استدعت اسرائيل قوات جديدة من الاحتياط .

۱۰ أكتوبر

● سيناء ●

● أجرت اسرائيل **تغييرات ضخمة فى القيادة العليا** أثناء المعركة استدعت ٦ **جنرالات من الاحتياط** للخدمة فى رئاسة الاركان وفى قيادة الجبهة الجنوبية وقيادة سلاح الطيران ، وهم

حاييم بارليف ويشعياهو جافيتش وريحاباوم ريفين وآموس هوريف وموردخاى هود واهارون بارليف ، وأعلنت وكالة الانباء الفرنسية ان الاستدعاء يعنى أن القيادة الحالية تعانى موقفا عصيبا ، وانها محاولة لاعادة الثقة .

● دارت معارك عنيفة فى القطاع الجنوبى ، تركت فى اعقابها قوات اسرائيل احدث الدبابات الامريكية « ام - ٦٠ » وهى مزودة بمدفع ١٠٥ مللم ودروع قوية ، وتعمل ليلا بالاشعة فوق الحمراء . وكان قتال دبابة لدبابة .

● وبعد معركة فى القطاع الاوسط ، انسحبت قوات اسرائيل الى ماوراء الخط الدفاعى الجديد الذى تتحصن وراءه وهو على بعد ٢٠ كم .

● توسعت طائرات اسرائيل فى القاء الشراك الخداعية فى الدلتا ، كما دأبت على القاء حمولاتها من القنابل بعيدا عن أهدافها لكثافة الدفاع عنها .

● أعلن ياريف الذى عين حديثا ، أن الدفاع الجوى المصرى أسقط عددا كبيرا من الطائرات الاسرائيلية ، وعزا خبراء البنتاجون ارتفاع خسائر اسرائيل الى ان القوات المصرية تقاتل بصلابة وخطة علمية منفذة بدقة » .

● الجولان ●

● استمرت معارك الدبابات والمدافع والصواريخ حول القنيطرة . بل وأكد ريتشارد جروس مراسل اليونيتدبرس أن القتال الشرس يدور داخل المدينة . وقال مراسل رويتر أنه رأى ١٠ دبابات سنتوريون محطمة حول المدينة ، وأن أحداها بدت كما لو أن يدا عملاقة سحقتها بضربة واحدة .

● أعلن مراسل الوكالة الفرنسية أن القوات السورية تواصل ضغطها ، وتلحق بقوات اسرائيل خسائر كبيرة فى الارواح والمعدات . وقال أن مدى المدافع السورية يصل الى ٤٥ كم ، وأن سوريا تطلق مئات القذائف على قوافل التموين وعلى المستعمرات وعلى كل شىء .

● أغارت اسرائيل لليوم الثانى على التوالى على الاهداف المدنية فى حمص وطرطوس واللاذقية ومطار دمشق . وأعلن مساعد وزير الخارجية السورى أن هذا قد أدى الى قتل مئات المدنيين .

● أعلن راديو لندن أن القوات المغربية تقاتل فى مواقع متقدمة .

● استدعت الاردن قوات الاحتياط .

● أعلنت العراق اسقاط طائرة اسرائيلية فى أراضيها ، وأن ١٦ ألف جندى عراقى و ١٠٠ دبابة قد دخلوا الى سوريا لمعاونتها .

١١ اكتوبر

● سيناء ●

● دارت أعنف معركة برية وجوية منذ أن بدأ القتال . وأكد جيرارد لوجران مراسل اليونيتدبرس أنها أكبر معارك الدبابات فى العصر الحديث . وصرح مصدر عسكرى مصرى أن العدو قذف فى سيناء بنحو ١٠٠٠ دبابة اشترك فى القتال منها ٨٠٠ دبابة دمر منها ٤٠٠ دبابة .

● ويلبورن هاملتون مراسل اليونيتدبرس يقول أن القتال العنيف فى المنطقة الوسطى يتم غربى منطقة الممرات ، وأن كل يوم يمر يجعل مهمة اسرائيل أكثر صعوبة . ومراسل الاسوشيتدبرس يقول أن الدفاع الجوى المصرى يشكل غلالة كثيفة من النيران يصعب اختراقها . كما أن جونين القائد الاسرائيلى للمنطقة الجنوبية من سيناء يقول أن اسرائيل تخوض أعنف قتال منذ ٢٥ عاما .

● الجولان ●

● القتال يزداد ضراوة بعد أن دفعت اسرائيل بامدادات جديدة لوقف تقدم القوات السورية وشن هجوم مضاد فى القطاع الشمالى . لكن القوات السورية دمرت له ٦١ دبابة . وقد أعلن راديو لندن ان القيادة الاسرائيلية تقذف بكل قواتها الاحتياطية والجوية . واعترف هيرتزوج المعلق العسكرى لراديو اسرائيل ، بأن الجيش السورى مازالت لديه القدرة على القتال رغم كل التعزيزات الاسرائيلية .

● مراسل اليونيتدبرس يؤكد أن اسرائيل اخطأت فى تقدير صواريخ سام ، وأنها فوجئت بالتحسن الذى طرأ على القوات العربية .

● أمريكا تبدأ فى شحن طائراتها بالصواريخ والقنابل من قاعدة وسيانا الجوية فى فرجينيا لارسالها لاسرائيل . وقد أعلن **هيرتزوج أن** اسرائيل حصلت على ٤٨ فانتوم جديدة .

١٢ اكتوبر

● سيناء ●

● هاجمت القوات المصرية مراكز القيادة الاسرائيلية فى أم مريم والطاسة بالصواريخ ، وصدت هجوما بالدنشات .

● وقد قدرت المخابرات الامريكية الخسائر الاسرائيلية بـ ٢٠٠٠ قتيل وجريح ، علاوة على مئات الاسرى ومائة طائرة و ٦٠٠ دبابة .

● مراسل اليونيتدبرس يقول ان هزيمة اسرائيل عند العبور تشبه هزيمة الولايات المتحدة فى بيرل هاربور . ومراسل اليونيتدبرس يقول ان الدبابات المشتركة فى القتال بسيناء تفوق تلك التى اشتركت فى العلمين وستالينجراد ، وأن القوات المصرية تكمل استعدادها للمرحلة التالية من القتال .

● الجولان ●

● استمرار معارك المدرعات الضارية فى الجولان . وقد اعترف متحدث اسرائيلى بفشل محاولة اختراق صفوف القوات السورية المتقدمة . مراسل اليونيتدبرس يقول أن تساقط الطائرات الفانتوم يشبه مهرجان الالعاب النارية .

● القوات العراقية تشتبك فى قتال دموى مع القوات الاسرائيلية فى الجولان .

● مصر توجه تحذيرا للولايات المتحدة من دعمها لاسرائيل بالسلاح والمعدات . وصحيفة « يا » الاسبانية تقول ان ١٥٠ طيارا امريكيا من طيارى الفانتوم مروا بمطار مدريد فى طريقهم لاسرائيل .

● كيسنجر يعترف بأن المخابرات الامريكية والاسرائيلية فشلت فى تقدير الموقف ، واعتقدت ان القوات المصرية تقوم بمناورات روتينية .

١٣ اكتوبر

● سيناء ●

● استمرار معارك الدبابات على طول الجبهة ، مع استمرار طوفان الامدادات المصرية عبر ١١ جسرا على القناة ، وتحريك صواريخ سام الى سيناء . وقد أكد هنرى ستانهوب مراسل التايمز العسكرى أن الجيش الاسرائيلى أخفق فى ايجاد طريقة فعالة لايقاف التعزيزات المصرية لان طائراته لم تستطع تدمير المعابر المصرية .

● استمرار عمليات الكوماندوز المصريين فى كل أنحاء سيناء . وقد اعترف هيرتزوج بان مصر تستخدم تاكتيكا جديدا فى الحرب بالكوماندوز . وقال كاللان القائد الاسرائيلى لاحد مواقع شمال سيناء بأن القوات المصرية الخاصة تدخل سيناء من كل مكان وكل اتجاه وبكل الوسائل وتقاتل بشراسة مستخدمة أحدث الاسلحة ، وذلك لتدمير أكبر قدر من المدرعات وقطع طرق الامداد ، يمكنها من ذلك صاروخ سام ٧ المضاد للدبابات والذى يحمله جندى بمفرده على كتفه ويطلقه على الدبابات .

● مراسل الوكالة الفرنسية يقول أن قوات الدفاع الجوى المصرى أقامت « حائطا صلبا من الصواريخ يصعب تخطيه » .

● القوات المصرية تستمر فى تدعيم المواقع التى استردتها .

● الجولان ●

● القوات السورية ترغم قوات اسرائيل على التراجع عن مواقعها بعد هجوم عنيف كسر موجة الهجوم الاسرائيلى . وقد أعلن مراسل الاذاعة البريطانية أن مزاعم اسرائيل عن سير القتال غير صحيحة ، وأكد الصمود الشديد للقوات السورية . وقال أن أقرب موقع للقوات الاسرائيلية يبعد ٢٥ ميلا عن خط وقف اطلاق النار .

● الاردن يدخل الى سوريا خيرة تشكيلاته المقاتلة للاشتراك فى القتال الى جانبها .

● جولدا مائير تعقد مؤتمرا تقول فيه أن اسرائيل دولة صغيرة تريد السلام ، وأن الحرب فرضت عليها .

● طائرتان أمريكيتان للتجسس من طراز س . ر . ٧١ التى تطير على ارتفاع ٢٥ كيلو مترا ، تطيران فوق مصر وسوريا للاستطلاع .

● أمريكا تعلن التزامها بتعويض خسائر اسرائيل .

١٤ اكتوبر

● سيناء ●

● القوات المصرية تشن هجوما شاملا على طول الجبهة وتشتبك فى معركة ضخمة بالمدرعات تستمر ١٢ ساعة وتحرر مساحات جديدة من أرض سيناء وتدمر ١٥٠ دبابة .

● قوات الدفاع الجوى المصرية تخلى سماء المعركة من الطائرات الاسرائيلية وتسقط ٢٩ طائرة كما تقصف طائرات مصر مواقع الصواريخ المضادة للدبابات التى تعوق تقدم مدرعاتها .

● الجنرال ابراهام مندلر قائد عام المدرعات يلقى مصرعه . وهو أول جنرال اسرائيلى يقتل فى المعركة . كذلك اعترف راديو اسرائيل بالهجوم المصرى على طول الجبهة . واعلن هيرتزوج بأن القتال واسع وعنيف وبلغ مرحلة حرجة يصعب التنبؤ بنهايتها . كما صرح ديان بأن المعركة الحالية لم تحارب اسرائيل مثلها من قبل ، انها معركة صعبة قاسية ثقيلة بايامها ودمائها ، معركة

أساسية يتوقف عليها الكثير • وقال اننا نقاتل بقلوب كسيرة ولا نعرف الى متى يستمر هذا .

● الجولان ●

● صدت القوات السورية هجوما اسرائيليا واسعا ، ودارت معركة عنيفة على عدة محاور بكافة الاسلحة ، تم فيها تدمير ٥٠ دبابة اسرائيلية •

● اكدت القوات السورية سيطرتها على القطاعين الجنوبى والاوسط • واعلن مراسل اليونيتدبرس أن الاسرائيليين لم يحرزوا أى تقدم • وقال مراسل الاسوشيتدبرس بان التقدم الاسرائيلى تعترضه مقاومة عنيفة ، وانه فشل فى اسكات المدافع السورية بعيدة المدى •

● أعلنت السعودية ارسال بعض قواتها الى سوريا للاشتراك فى القتال الدائر فى الجولان •

● اسرائيل تستدعى سابع جنرال من الاحتياطى للخدمة وهو الجنرال مئير عاميت •

● ميشيل كوماى سفير اسرائيل فى لندن يشن حملة للدعوة لوقف اطلاق النار •

بقصف التجمعات الاسرائيليةفىمنطقة سهل الحولة وشمال بحيرة طبرية •

● القوات السورية تصد هجوما اسرائيليا فى القطاعين الاوسط والجنوبى • ومراسل رويتر يؤكد ان صمود قوات سوريا ادى الى فشلقوات اسرائيل فى استعادة المواقع محررة ، وقال ان مزاعم اسرائيل تحيط بها الشكوك

● اعلن الرئيس الاسد فى حطاب له ان القوات السورية تلاحق القوات الاسرائيلية بضربات هجوميه قويه بعد صد هجوم مضاد قامت به وتحرر المدن والقرى ومن ابرزها جبين والرفيد وتل الدرس والخشمية والجوفدار

● اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان الامدادات الامريكية بدأت لاسرائيل لاعادة التوازن للمنطقة وتعويض اسرائيل عن خسائرها • واعلن المتحدث باسمها انه لا علم له بارسال قوات امريكية لاسرائيل •

● أعلن نيكسون ان الولايات المتحدة تقدم الضمان لعدم تعرض استقلال اسرائيل وامنها للخطر وانها ستفعل كما فعلت مع لبنان فى ١٩٥٨ ومع الاردن فى ١٩٧٠ •

● اعلن الاتحاد السوفيتى التزامه بمساعدة العرب بكل وسيلة ممكنة لتحرير اراضيهم •

● استدعت اسرائيل ١٢ جنرالا جديدا من الاحتياط للخدمة •

١٥ اكتوبر

● سيناء ●

● وجهت القوات الخاصة المصرية ضربات قوية للقوات الاسرائيلية ، أهمها عملية انزال فى موقع حصين وراء الخطوط الاسرائيلية ، حيث اشتبكت فى قتال عنيف مع أفراده والحقت بهم وبمعداتهم خسائر فادحة •

● قامت القوات المصرية بتعزيز قبضتها على المواقع التى حررتها فى اليوم السابق فى القطاعين الاوسط والجنوبى • وفى القطاع الشمالى دارت معركة للمدرعات • واعلن **الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى** ان خسائر اسرائيل تزيد عن خسائر مصر ٣ مرات فى الدبابات و ٥ مرات فى الطيران •

● الجولان ●

● فشلت محاولات القوات الاسرائيلية التى استمرت ٣ أيام ، لاستعادة المواقع التى حررتها سوريا فى الجولان • كما قامت القوات السورية

١٦ اكتوبر

● سيناء ●

● ألقى **الرئيس انور السادات** خطابا اعلن فيه ان الهدف من القتال هو تحرير الارض التى احتلت فى عدوان ١٩٦٧ وايجاد سبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين • وقال أن مصر على استعداد لوقف اطلاق النار على أساس الانسحاب من كل الاراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولى الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وفور اتمام الانسحاب ، فان مصر مستعدة لحضور مؤتمر سلام دولى فى الامم المتحدة لوضع ضوابط للسلام فى المنطقة على أساس احترام الحقوق المشروعة لكل الشعوب ، وقال الرئيس انه على استعداد لتطهير القناة وفتحها فورا • واعلن انه لن يقبل وعودا مبهمة او عبارات مطاطة ، وقال أنه لابد من وضوح الغايات والوسائل •

● القت **جولدا مائير** خطابا فى الكنيست قالت فيه انها تشترط لوقف اطلاق النار ، ان يتمتبادل فورى وكامل لاسرى الحرب •

● صدت القوات المصرية هجوما مضادا بلواء مدرع حاول اختراق مواقعها فى المنطقة الوسطى ،

ودارت معركة استخدمت فيها كل الاسلحة استمرت ٦ ساعات دمرت فيها معظم القوات المهاجمة ، كما اشتبك طيران الجانبين واسقطت ١١ طائرة اسرائيلية ، واشتبكت ايضا القوات البحرية فى البحرين الاحمر والابيض ، وأعلنت المصادر المصرية ان اسرائيل تمهد لهجوم كبير ٠

● دفعت اسرائيل بوحدة كوماندوز من ٧ دبابات عبر البحيرات المرة الى الجانب الغربى للقناة ، تم تدمير ٣ منها وحوصر الباقى ٠

● الجولان ●

● دارت معارك شرسة بكل الاسلحة غطت ثلثى الجولان ٠ وتمكنت قوات سوريا من صد هجوم اسرائيلى معاكس وشنت هجوما مضادا عريضا ٠ وقال المراسلون الاجانب أن دبابات سوريا تفوق تلك التى استخدمتها المانيا ضد الاتحاد السوفيتى ٠

● أكد مراسل اليونيتدبرس ، ان القوات الاسرائيلية لم تستول على قرية سعسع التى زعمت انها احتلتها وان قوات سوريا مازالت متحصنة بها ٠

١٧ اكتوبر

● سيناء ●

● جرى صدام واسع ورهيب بالمدرعات فى أضخم معارك الحرب ، اشتركت فيه مئات الدبابات والكتائب الكاملة من المدرعات والمدفعية والقوات الجوية واستمرت طوال الليل والنهار ٠ وأعلن هيرتزوج ان تركيز اسرائيل انتقل الى سيناء ، وأنها تحاول الافلات من تاكتيك القوات المصرية الذى يهدف الى الزام قواتها بالدفاع وعدم السماح لها بحرية المناورة ٠ وقد أكدت المعارك نجاح الصواريخ المضادة للدبابات ٠

● أكدت المصادر العسكرية ان المعركة الدائرة أساسية فى الحرب وأن القوات المصرية تصد الموجات الكثيفة المتوالية من قوات العدو للضغط على الجبهة الوسطى ٠

● اسقطت قوات الدفاع الجوى المصرى طائرة تجسس من طراز رايان فاير بى - ١ التى تطير بدون طيار على ارتفاع ١٨ كيلو مترا وبسرعة ١١٠٠ كم فى الساعة ٠

● أعلن متحدث عسكرى مصرى أنه تم القضاء كاملا على مجموعة الكوماندوز الاسرائيلية التى تسللت عبر البحيرات المرة ٠ وقال ان خسائر اسرائيل بلغت ٢٦٩ طائرة و ١٥ هليكوبتر ،و٤٩٢ دبابة و١٨ قطعة بحرية وعدد محترم من الاسرى ٠

وقال أنه لدى القوات المصرية دبابة سوفيتية تماثل الدبابة الامريكية ام - ٦٠ أو تفوقها ٠

● أعلن حاييم هيرتزوج أن القوات المصرية تتحرك بشكل راسخ ٠

● الجولان ●

● قاتلت القوات السورية بصلابة ضد القوات الاسرائيلية على طول الجبهة ٠ كما أحبطت هجوما قامت به وأجبرتها على الفرار ٠

● اعلن مراسل رويتر ان القوات السورية تقاتل بشراسة ، وهى أبعد ما تكون عن اعتبارها قوات مسحوقة ٠ وأكد راديو لندن ان اسرائيل لم تحتل قرية سعسع السورية كما قالت ٠

● شنت القوات الاردنية فى الجولان هجوما على القوات الاسرائيلية ٠

● أعلن الاتحاد السوفيتى لاول مرة انه يمد مصر وسوريا بالاسلحة والمعدات لمساعدتها على تحرير الارض ٠ كما أعلنت وزارة الدفاع الامريكية أن موسكو عززت اسطولها فى البحر المتوسط ٠ وأعلنت الصحف الامريكية أن الولايات المتحدة فى سباق مع الزمن لتعويض خسائر اسرائيل ٠

● أعلن الخبراء العسكريون الغربيون أن الصاروخ سام ٦ وهو ارض جو ، من اكثر الاسلحة كفاءة ، وأنه غير طبيعة الحرب الجوية واعاق فاعلية السلاح الجوى الاسرائيلى ٠ وانه لم يستخدم الا فى الشرق الاوسط ، وان الاتحاد السوفيتى لم يعطه لحلفائه فى الكتلة الاشتراكية ٠

١٨ اكتوبر

● سيناء ●

● تحولت المعارك الى أكبر صدام بالدبابات فى تاريخ حروب العالم ، يدور فيه قتال عنيف وضار بمئات الدبابات والمدرعات والمدافع والصواريخ والطيران ٠ وأكد خبراء وزارة الدفاع الامريكية أن هذه المعركة قد تكون لها نتائج هامة فى سير القتال كله ، وانها قد لا تنتهى الا بعد بضعة أيام ٠ وقال بيان مصرى أن القتال ما زال مستمرا منذ يومين بضراوة فى القطاع الاوسط ، وأن القوات المصرية نجحت فى أحداث خسائر كبيرة فى قوات اسرائيل ٠

● قامت القوات المصرية بضرب القوات المتسللة التى تم حصارها فى نقط متفرقة بعد أن واصلت طوال اليوم السابق ضغطها بشدة على قوات اسرائيل ٠ وقد أعلنت رويتر أن بؤرة الحرب انتقلت الى سيناء ٠ وأعلن الجنرال اليعازر رئيس الاركان أن اسرائيل تركز على سيناء ٠

● وقد أعلن وزير الجيش الامريكى أن عبور القوات المصرية فى مواجهة التفوق الاسرائيلى فى القوة الجوية وهى علامة بارزة فى الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية . وقال أنه يتعين ادخال تعديلات فيها .

● الجولان ●

● قامت وحدات سورية بهجمات عنيفة على المواقع الاسرائيلية التى حاولت الرد بهجوم معاكس صدته القوات السورية والحقت بها خسائر كبيرة . كما واصلت المدفعية السورية قصف مواقع التجمعات والمدفعية والصواريخ الاسرائيلية .

● اعلنت رويتر ان الجبهة السورية تتطور الى حرب استنزاف لا يقوم فيها أى من الجانبين بهجوم كبير جديد .

● أعلنت مصادر دولية أن خسائر اسرائيل فى سيناء والجولان فاقت ١٠ آلاف قتيل .

● أجرى **اليكسى كوسيجين** رئيس الوزراء السوفيتى عدة اجتماعات مع الرئيس أنور السادات خلال الايام الثلاثة الاخيرة .

● قدمت اسرائيل شكوى الى فالدهايم من تزايد عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد اسرائيل على الخطوط اللبنانية .

● زار **الملك حسين** القوات الاردنية فى الجبهة السورية .

● سيناء ●

● استمرت المعارك عنيفة وضارية خاصة على المحور الاوسط بعد أن دفعت اسرائيل بقوات واسعة لتعويض الخسائر التى منيت بها فى الايام السابقة . وقد أنزلت القوات المصرية بالقوات الاسرائيلية خسائر ضخمة فى الافراد والمعدات ، وواصلت طائراته قصف التجمعات الاسرائيلية الدبابات والمدرعات .

● اشتبكت القوات المصرية مع القوات التى تسللت ليلا الى الجانب الغربى عبر البحيرات المرة ودمرت أجزاء منها حول منطقة الدفرسوار .

● تم اسقاط ٧ طائرات اسرائيلية وأسر قائد احداها برتبة رائد ، حيث اعترف بأنه وصلت الى اسرائيل قبل اسره مباشرة ٣٥ طائرة فانتوم يقودها طيارون أمريكيون .

● الجولان ●

● دارت معارك واسعة اشتركت فيها الدبابات والمدفعية فى القطاعين الاوسط والشمالى ، وقد شنت القوات السورية والعراقية والاردنية هجوما بريا واسعا لارغام القوات الاسرائيلية على التخلى عن مواقعها ، واستخدمت مئات الدبابات ، وذلك فى أكبر هجوم مسلح يجرى فى الجولان منذ أن بدأت الحرب .

ضربات المقاومة الفلسطينية فى أعماق العدو

كان الاستفزاز والعدوان الاسرائيلى فى الزعفرانة والسخنة فى خليج السويس ، وما أعقبه من عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس ، واستيلائها على خط بارليف ، وكذلك الاعتداءات الاسرائيلية فى الجولان التى دفعت بالجيش السورى الى القيام بهجوم مضاد على طول جبهة الجولان ، كان هذان الطرفان الجديدان على خطوط المواجهة مع العدو ، فرصة للثوار الفلسطينيين ليصعدوا عملياتهم ضد العدو الاسرائيلى سواء فى الاراضى المحتلة او فى خطوط العدو الخلفية اوفى عمق اسرائيل ذاتها.

وسوف نقدم هنا فحسب ابرز العمليات التى قام بها الثوار الفلسطينيون منذ اندلاع الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل فى ٦ أكتوبر الماضى:

● ففى ليلة ١٠/٧ قامت بعض المجموعات الانتحارية الخاصة بتدمير مستودعات الذخيرة فى جبل **ام حواويط** وهى من اضخم مستودعات الذخيرة فى منطقة النقب ، ودمرت المستودعات عن آخرها .

● وقام عدد من الثوار بقطع الطريق العام غربى مدينة **القدس** ونسف عدد من العبارات والجسور ادت الى تعطيل الطرق . كما قامت بعض المجموعات الخاصة بنسف قطار محمل بالذخيرة والجنود بالقرب من مدينة **خان يونس**.

● ودار قتال عنيف بين قوات الثوار الفلسطينية ، والعدو فى القطاع الشرقى من الجبهة اللبنانية جنوب جبل الشيخ . وشنت قوات المقاومة هجوما فى مرتفعات ابو الروس، استطاعت بعده تحرير كل المرتفعات والتثبت بها ورفع العلم الفلسطينى عليها وبذا اصبحت تهدد مستعمرات العدو الشمالية .

● وهاجم الثوار الفلسطينيون مركزا لتجميع قوات العدو الاحتياطية فى منطقة سعسع .

● وقامت وحدة اخرى من الصواريخ الثقيلة ليلة ١٠/٨ بقصف شبكة الرادار العسكرية للعدو الواقعة على قمة جبل الجرمق فى الجليل الغربى واصابتها اصابات مباشرة .

● وتصدت احدى المجموعات الفلسطينية لقافلة عسكرية للعدو كانت فى طريقها الى جبهة القتال فى الجولان واوقعت بها خسائر .

● وتمكن الثوار الفلسطينيون فى ١٠/٦ من قتل مساعد مدير البوليس الاسرائيلى فى قطاع غزة [**مويشى كارمى**] بسبب جرائمه المتكررة ضد الشعب الفلسطينى .

● وقامت قوات المقاومة بقصف مدينة **الخالصة** وخوض معارك عنيفة فى العرقوب .

● كذلك نصبت مساء ١٠/٦ كمينا لقافلة من سيارات التموين والامدادات تتكون من ١٢ سيارة تصفوها بالرشاشات والقنابل اليدوية ودمروا عددا كبيرا منها .

● وقامت مجموعة من القوات الخاصة بمهاجمة « باص » عسكرى يحمل عددا من الطيارين الصهاينة على طريق الحقنيرة — حيفا وتمكنت المجموعة من ضربه بقذيفة بازوكا .

● واقتحم الثوار مواقع العدو العسكرية فى غور بيسان وقصفوا ثلاث مستعمرات له .

● وفى يوم ١٠/٩ قامت وحدات الثوار الفلسطينيين بالهجوم على عدد من المستعمرات فى الجليل الاعلى ، وسيطرت على تل السدانة فى مرتفعات جبل حورانى ، وقصفت معسكرا لتجميع آليات العدو وافراده فى منطقة جبل الشيخ الغربية .

● واشتبكت مجموعة من الثوار مع حشود العدو فى المنطقة المحيطة بمستعمرة المنارة فى الجليل الاعلى قصفت فيه حشود العدو ومستعمراته بالمدفعية والصواريخ .

● وكان الثوار قد قاموا مساء ١٠/٨ باقتحام عدد من مواقع العدو العسكرية فى منطقة الصبيحة فى الجليل الاعلى ، فدمروها واصابوا عددا من جنودها .

● ونصبوا كمينا فى صباح ٩ — ١٠ لقافلة عسكرية للعدو عند تحركها من معسكر فشكول العسكرى، ادى الى تدمير عدد من آليات العدو .

● وقام الثوار الفلسطينيون ليلة ١٠/٨ بنسف وتدمير مستودعات النفط الاحتياطى فى منطقة كفار حزيم شرقى **حيفا** ، مما ادى الى تدمير عدد من خزانات الوقود الضخمة .

● وقاموا ايضا بنسف خط انابيب البترول الممتدة من ايلات الى عسقلان ، وادى ذلك الى تدمير مجمع المضخة الرئيسية واشتعال النيران فيهـا .

● وقامت بعض المجموعات العاملة فى الاراضى المحتلة بتدمير عدد من العبارات والجسور مابين الناصرة والعفولة ، ومابين حيفا وعكا ، ومابين الواد ، والرملة ، وفى منطقة وادى الصرار .

● وقام الثوار كذلك بنسف قضبان السكة الحديد المتجهة الى سيناء ، مابين خان يونس ورفح ، فى مسافات كبيرة ، تقدر بمئات الامتار فتعطل مرور القطارات فضلا عن الهجوم على عديد من المستوطنات فى مناطق اخرى .

● وفى فجر ١٠/١٠ قام الثوار بقصف مدينة نهاريا وعددا من المنشآت والمؤسسات ، التى اشتعلت فيها النيران . ونصبوا كمينا لقافلة عسكرية للعدو على الطريق بين المالكية والمنارة تكبد فيه العدو خسائر بشرية ومادية كبيرة .

● ونشطت عدة مجموعات للثوار للهجوم على حشود قوات العدو المدرعة باتجاه هضبة الجولان وادت الى اصابة وتدمير عدد من آليات العدو .

● واقتحمت قوات الثوار مستعمرة المطلة العسكرية ودمروا ثلاث منشآت ونصبوا عدة كمائن على محور المطلة — ابل القمح حيث دمروا عددا من آليات العدو وقتلوا وجرحوا من فيها .

● وفى يوم ١٠/١٢ ألقت مجموعة ثورية عدة قنابل على مطار عسكرى فى بئر السبع ، أدت الى ايقاع خسائر كبيرة بين أفراد العدو . وقامت مجموعة أخرى بنسف محطات المياه فى تل أبيب، ومحطة كهرباء مستخدمة العبوات الناسفة ونفذ الثوار عملية استهدفت خزانات الوقود فى منطقة **العريش** وأخرى ضد ٣ جسور فى « شفا عمر » و ٥ جسور فى طبريا مستخدمة العبوات الناسفة، وكانت مجموعة الشهيد **غسان كنفانى** قد قامت بمهاجمة معسكر المظليين فى الكويدره فى جنوب الرملة مستخدمة الاسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية . وتقدر خسائر العدو فى هذه العملية بـ ٣٥ قتيلا وجريحا من المظليين ،واستشهد ٦ من الثوار من بينهم **صادق محمد صادق** عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما قام الثوار بعدة عمليات أخرى استهدفت ٣ جسور وهاجموا عددا من مستعمرات العدو ، كما قاموا بزرع شبكة ألغام على طريق بانياس — القنيطرة فى المرتفعات السورية .

● وقام الثوار الفلسطينيون فى الايام التالية بتنفيذ عمليتين كبيرتين فى قلب تل أبيب قامت بهما القوات الخاصة ، حيث تم وضع عبوات ناسفة فى المصانع العسكرية التالية :

١ — مصنع القنابل اليدوية الواقع فى شارع يوروخوف بشمال شرقى المدينة .

٢ — مصنع لاهف لصناعة الاسلحة الخفيفة والمواد المتفجرة والواقع فى شارع بتاح تكفا شرق تل أبيب وقد انفجرت العبوات صباح ١٠/١٣ وأدت الى تدمير أجزاء كبيرة من المصانع المذكورة واشعال النيران فيها ، وقدرت خسائر العدو بأنها

كبيرة جداً ، وقد أطلقت صفارات الانذار بعد توالى الانفجارات ، وهرع أهالى تل أبيب الى المخابىء .

● كذلك قام الثوار صباح ١٠/١٣ بقصف مركز بالصواريخ على مصانع انتاج الطائرات فى بيت شميس جنوب غربى القدس ونتج عن ذلك اصابة صف تركيب طائرات عراطا — وكومودور جيت، واشعال النيران فى هذه الاقسام وأصابت بعض القذائف صف تركيب صاروخ كبريال البحرى ، وتوالت الانفجارات لمدة ساعات .

● وفى ليلة ١٠/١٤ شن الثوار عدة هجمات مركزة على مواقع العدو الحيوية ومستعمراته مثل المنارة ، ومسكاف عام ، وادمك ، وسعسع ، كما ضربوا موقع الرادار فى منطقة الناقورة فدمروه ، وأوقعوا خسائر بالعدو فى هذه الهجمات

● وقام الثوار فى نفس الليلة بقصف مدينة **نهاريا** بالصواريخ الثقيلة ، ومواقع العدو فى النبى يوشع ، ونصبوا كمينا للدوريات المعادية بين كفار جلعادى وبيت هليل .

● وفى صباح يوم ١٠/١٥ هاجم الثوار موقع رادار هود الجوى للعدو فى جبل الرامة . وقامت مجموعة من القوات الخاصة بقصف معسكر الكوماندوز الواقع قرب مستعمرة حانيتا بالصواريخ الثقيلة وأصابت أهدافها اصابات مباشرة .

● وفى مساء نفس اليوم قصف الثوار مستعمرة مرغليت فى الجليل الاعلى ، ودمروا بعض منشآتها وأوقعوا خسائر بشرية فى صفوف العدو.

● وفى ليلة ١٠/١٦ هاجموا بعض نقاط العدو المحصنة فى الجليل الاعلى ، ومواقع مدفعية العدو فى وادى العسل ، وشوهدت طائرات الهليوكبتر وهى تهرع لنقل القتلى والجرحى .

● وواصلت قوات الثورة الفلسطينية تصعيد عملياتها فدمرت عدة سيارات عسكرية فى مستعمرات جلعادى والمالكية وكفار بوهال ، وهاجم الثوار ودمروا ٦ سيارات عسكرية للعدو فى شمال وجنوب غزة وخان يونس . ونسفوا محطة المياه المركزية لبعض المستعمرات .

وفى تل أبيب تم نسف معمل للمارتديلا ، وحانوت لصنع الجلود والبلاستيك ، ومصنع للورق . وفى غور الاردن تم تدمير مصنع للسفن وأصيب العدو فى هذه العمليات بخسائر بشرية ومادية ، كذلك نسف الثوار محطة توزيع المياه المركزية لعدة مستعمرات ، وهاجموا مجموعة من ٢٦ سيارة بوار واجن على دوار النصيرات مما أدى الى اصابة جميع أفراد العدو واعطاب السيارة

● وفى ١٠/١٨ قام الثوار باقتحام مستعمرة المطلة ، ومهاجمة معسكر فشكول وقصف مستعمرة الخالصة ، ومطار بيت هليل بالصواريخ الثقيلة .

كما هاجموا مستعمرة شالومى ومعسكر العباسية فى سهل الحولة بالقذائف الصاروخية والهاون .

● وفى ١٠/١٩ صعد الثوار الفلسطينيون عملياتهم ضد مواقع العدو ، فدمروا جسرا على طريق بئر سبع — القدس وهاجموا موقعا للمدفعية فى تل القاضى ، أوقعوا فيه خسائر كبيرة ، وأسكت الثوار مواقع هذه المدفعية، بعد اشتباك استمر ١٢ ساعة ، واقتحموا مستوطنة المنارة ومسكاف عام ، وقصفوا مدينة نهاريا بالصواريخ الثقيلة وأوقعوا خسائر فى منشآت العدو ومواقعه وأفراده ، ودمروا مستودعا للوقود فى مجدل شمس ونسفوا مجمع الكهرباء فى الجليل الاعلى فدمروه ، وهاجموا مواقع العدو المتقدمة فى المنطقة الشمالية من الجولان .

● وقام الثوار بعد ذلك بعدة عمليات ناجحة فى قلب تل أبيب وحيفا ، وقطاع غزة وبئر سبع . فوضعوا عبوات ناسفة فى مصنع الذخيرة الخفيفة فى تل الزعتر شرق حيفا ، مما أدى الى تدمير جزء كبير من المصنع وتعطيل العمل فيه ، واتلاف كمية كبيرة من الذخائر وتدمير عدد من السيارات التى كانت محملة بالذخائر ومعدة لارسالها الى جبهات القتال ، وقتل وجرح عدد كبير من المهندسين ، والفنيين ، والعمال . كذلك فجروا عبوات ناسفة شديدة الانفجار فى مستودع قطع الغيار للطائرات الحربية ، وفى مستودع ذخيرة تابع لطيران العدو.

وفى قطاع غزة قام الثوار بمهاجمة دورية للعدو بين رفح والشيخ زويد ، كما تم تدمير أربع سيارات فى مستعمرات « نحال عوز » و « تل جمعة » و « ريمين » و « قفار غزة » . وعلى طريق الحسبانية هاجم الثوار رتلا من دبابات العدو بالرشاشات والقنابل اليدوية فدمروا وأعطبوا عددا منها .
وفى مدينة عكا قاموا بمهاجمة مطارها ، وهو موقع لتجمع طائرات العدو الحربية ، وفى بئر سبع هاجموا عدة سيارات عسكرية للعدو بالقنابل اليدوية والرشاشات وتم تدمير عدد كبير منها واعطاب الاخر . كذلك قام الثوار بقصف مدينة صفد بالصواريخ الثقيلة وتدمير عدة منشآت فيها، كما هاجموا واقتحموا مستعمرات «كفار جلعادى» و « معسكر فشكول » . وفى الايام التالية لذلك ، وحتى وقف اطلاق النار بين الجيشين المصرى والسورى وجيش العدو ، كان الثوار الفلسطينيون يقومون بعمليات عديدة أخرى فدمروا سيارات العدو فى كمائن نصبوها على الطريق بين مستعمرة الفجر — والعباسة ، كما هاجموا مواقع جنود العدو فى مستعمرتى مسكاف عام والمطلة ، وقصفوا مستعمرة الخالصة بالصواريخ وأحدثوا بها تدميرا كبيرا ونصبوا عدة كمائن لآليات العدو ، ودمروا أعدادا منها على طريق رنديس الموصل الى تل أبيب .

قبل أن تنقضى أربع وعشرون ساعة على اندلاع شرارة الحرب الاخيرة بين الدول العربية وبين اسرائيل ، صرح **موشى ديان — وزير الدفاع الاسرائيلى بأن الايام القادمة ستشهد حربا صحراوية بين مصر واسرائيل .**

فن حرب الصحراء

عبد القادر ياسين

لم يكن ما قاله ديان الا تحصيل حاصل، فمن الطبيعى ان تكون صحراء سيناء المسرح الرئيسى للقتال بين الجيش المصرى والجيش الاسرائيلى . دون ان يعنى ذلك ، أن المناطق الاخرى فى الدولتين ستكون فى مأمن من الحرب.

وما يهمنا هنا هو القاء الضوء على ملامح حرب الصحراء . مستفيدين بخبرات أكبر حرب صحراوية نشبت حتى اندلاع الحرب الجديدة . الا وهى حرب شمال افريقيا بين المحور وبين الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية . والتى يبدو أنها ستخلى مكانها — بلا تردد — لحرب سيناء الحالية ، التى لاشك ستفوقها من حيث اتساع مسرح العمليات وضراوة القتال فيها ، وارتفاع مستوى الاسلحة المستخدمة . ولقد كانت حرب شمال افريقيا حقل تجارب ، دفع فيه كلا الطرفين المتحاربين بما فى جعبتيهما من تكتيكات الحرب والاساليب الادارية . كما جرى فى هذه المعارك اختبار التكتيكات المختلفة لدى المحور والحلفاء على حد سواء .

خصوصية معارك الصحراء

تلعب طبيعة الارض الجافة والظروف الجغرافية والطبيعية القاسية دورا هاما فى معارك الصحراء . فانبساط الارض وافتقارها للموانع وللموارد الطبيعية والمياه العذبة، ولصعوبة المواصلات ، وسوء الاحوال الجوية فيها — كل ذلك اضفى على معارك الصحراء سمات ميزتها عن المعارك من الانماط الاخرى .

وعن حرب شمال افريقيا ، قال مرجع عسكرى سوفيتى ، أن المسرح الصحراوى اوجد صعوبات جمة أمام القوات المتحاربة هناك ؛ ومن أهمها : « عدم وجود شبكات كافية من الطرق ، وعدم توفر قواعد ومصادر للتموين ، وصعوبة توفير المياه للتموين ، وصعوبة استخدام العتاد الحربى المختلف ، وقد استدعى ذلك ضرورة الاستعانة بكل الوسائط لتموين القوات ، بما فى ذلك الاسطول والطائرات ، وكذلك القيام بأعمال كبيرة لانشاء الطرق والقواعد التموينية المختلفة

ولد الانابيب للتموين بالمياه والمحروقات » [١] *
ويأتى هذا مؤكدا لقول روميل القائد الالمانى الفذ والذى استحق لقب « ثعلب الصحراء » لحذقه ومهارته فى حرب الصحراء ، الذى تضمن « أن الشئون الادارية فى المعركة الحديثة هى التى تقرر مصير المعركة » [٢] .

واذا كانت الصحراء وبالا على رجل الشئون الادارية (●) فهى (جنة رجل التكتيك) لان ميدانها الواسع وأرضها المكشوفة تعطى لرجل التكتيك حرية أكثر على الحركة ومجالا أوسع للمناورة .

ولحرب الصحراء مشاكل من نوع آخر ، لعل أبرزها تلك التى أشار اليها الجنرال **أريك دورمان سميث** — رئيس أركان الجيش الثامن البريطانى — حين قال « **ان المشكلة الكبرى لحرب الصحراء هى النسبة بين حجم المواجهة والعمق ، وبين القوات الامامية والقوات الاحتياطية . ان الحركة الميكانيكية سهلة للغاية فى الصحراء ، خاصة وان العوامل الادارية تؤدى الى تخفيض حجم الجيوش الميدانية بشكل كبير . ولذلك فان الطرف الذى يجمد على موقف الدفاع ، يتم تطويقه من جانب خصمه بسهولة . ويحاول الجانب المدافع ان يتغلب على هذا ، بأن يزيد امتداد جبهته على حساب العمق والقوات الاحتياطية** » . **والمشكلة هى « كيف يمكن تجنب الوقوع فى شراك الاضطراب النفسى ، الذى ينتج عن قيام العدو بحركة مفاجئة ضد مؤخرة الجيش ، أو كيف يمكن — بشكل مضاد — اعداد الجيش بحيث يستطيع استخدام اسلحته فى اتجاه جديد دون أن يفقد توازنه** » [٣] .

معارك شمال أفريقيا

منذ خريف ١٩٤٠ التهبت شمال أفريقيا بنيران حرب دامية ، امتدت حتى مايو ١٩٤٣ . ووقعت معظم معاركها على الشريط الساحلى الشمالى ، بعرض لم يتجاوز ٨٠ كم . وتبادل الجانبان المتحاربان الانتصارات والهزائم حتى أكتوبر ١٩٤٢ ، ويرجع الباحث العسكرى السوفيتى ، الجنرال ستروكوف ، هذا التبادل للانتصارات والهزائم بين الطرفين « الى أن الطرف المهاجم لم ينجح فى تنظيم مطاردة خصمه ، وفى تحقيق التفاف عميق يسمح بتطويق وتدمير القوى الرئيسية المعادية . ونتيجة لذلك كان الخصم يتمكن من الانسحاب الى خط جديد ، ومن شن ضربات جوابية جديدة . ويمكن أن نذكر — أيضا — أنه خلال الاعمال القتالية الدفاعية لدى الطرفين ، وخاصة لدى الطليان والانجليز ، كان يلاحظ انعدام الثبات والصلابة ، فعند التهديد بالتطويق كان الذعر يدب فى الصفوف وكانت القوات تنسحب دون أية أوامر » [٤] .

وبالرغم من هذا التوازن ، فان القوات الايطالية أحرزت تقدما ملموسا وتوغلت فى الاراضى المصرية نحو ٩٠ كم داحرة أمامها القوات البريطانية المذعورة .

الا أن القوات البريطانية استفادت من فترة توقف القتال ، فحشدت قواها ، وشنت هجوما مضادا ، صباح التاسع من ديسمبر ١٩٤٢ ، أوصلها بعد شهرين الى منطقة العقيلة . وقصة المعارك بعد ذلك معروفة * وما يعنينا منها هى خبراتها والدروس المستفادة منها .

على أن معارك شمال افريقيا هذه تعتبر ضمن العمليات المحدودة ، من حيث مستوى القوات المشتركة فيها . فقد كان مسرح العمليات الحربية ذو طبيعة لا تسمح باشتراك قوات كبيرة . وبلغ حجم القوات المشتركة من الناحية العملية مستوى الجيش الميدانى الذى كان يعمل على قطاعات ضيقة ، تتراوح بين ٢٥ و ٦٥ كم . ومع ذلك فان عمق العمليات تتراوح بين ٥٠٠ و ٩٠٠ كم وأكثر ، كما ان الهجوم نفذ بايقاعات عالية ، تراوحت بين ٢٥ و ٥٠ كم فى اليوم . ويعود ذلك الى التجهيز الجيد للقوات بالعتاد المدرع وبوسائط النقل وكذلك الى عدم وجود قوات كافية فى المستوى العملياتى ، لدى الطرف المدافع قادرة على ايقاف العدو المهاجم . وبالرغم من أن العمليات نفذت الى عمق كبير فان مهمة التدمير الكامل للعدو لم تنفذ فى أغلب الاحيان ، بسبب انعدام الكفاءة فى تنظيم المطاردة وانعدام

---

[١] الجنرال ستروكوف وآخرون : تاريخ فن الحرب . الجزء الثانى ، نقله عن الروسية العميد الركن صباح الدين الاتاسى ، وزارة الدفاع السورية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٩

[٢] مذكرات روميل . ترجمة ن. بعلبكى دار الكاتب العربى ، بيروت ، يونيو [حزيران] ١٩٦٨ ، الجزء الاول ، ص ٢٧٤

* الشئون الادارية هى تلك التى تختص بالتموين والامداد والمواصلات وما اليه .

[٣] انظر : محمود عزمى : معارك العلمين الدفاعية . الطليعة ، يناير ١٩٧٣ ، ص ٧٠

[٤] الجنرال ستروكوف وآخرون مصدر سبق ذكره : ص ٢٦٣

* للاطلاع على تفاصيل معارك شمال افريقيا ، انظر : محمود عزمى . خبرات فى حرب الصحراء . الطليعة ، يناير ١٩٦٨ — ومحمود عزمى . معارك العلمين الدفاعية ، مصدر سابق .

التعاون الجيد بين أسلحة الجيش المختلفة .. وكانت المطاردة تتم بشكل جبهى وبقوى غير كبيرة . ولم تنجح محاولات الوصول الى طرق انسحاب العدو لعرقلة تراجعه وانسحابه ، وذلك لقلة القوى والوسائط المكلفة بهذه المهمة . وعانت القوى الرئيسية للجيوش من مشاكل التموين المختلفة ، وخاصة التموين بالوقود . وكانت هذه القوى تنتشر على مسافات شاسعة ، ولم تكن قادرة على المشاركة الجدية فى المعركة عند التحامها ، بسبب انتشارها الواسع . وكان نقل القواعد الجوية يتم ببطء ، مما سبب حرمان القوات المهاجمة من الدعم فى المرحلة الاخيرة للعملية الهجومية ، ولم تقدم الاساطيل البحرية الدعم المطلوب للقوات البرية المنزلة بحرا . وقد وفر كل ذلك للطرف المدافع امكانية سحب قواته بشكل سريع الى مسافات شاسعة ، وتجميعها هناك وخلق بعض التفوق فى القوى والوسائط ، ثم ايقاف العدو القائم بالمطاردة وتدميره على مراحل [٥] .

ومنذ أكتوبر ١٩٤٢ شنت قوات الحلفاء هجوما على قوات المحور ، واعتمدت خطة الحلفاء الهجومية على توجيه ضربة بالجيش الثامن البريطانى من الاراضى المصرية ، مع انزال قوات أخرى فى تونس والجزائر والمغرب . وفى حين اندفعت الاولى نحو الغرب اطبقت القوات الثانية على قوات المحور من الغرب . هذا فى حين اتسمت خطة المحور بالطابع الدفاعى البحت . « وتكون الدفاع الالمانى فى منطقة العلمين من نطاقين دفاعيين ، واحتوى على أربعة أو ستة انساق من الحواجز والالغام . وبلغ عمق المنطقة المحايدة حوالى ٦ كم ، وكانت مغطاة بالالغام أيضا » [٦] .

تكتيكات حرب الصحراء

الصحراء وتنظيمها

ربما كان **روميل** هو خير من حدد **قواعد حرب الصحراء** بعد ان خاض غمار اعنف معاركها بنفسه ، لذا فالقواعد التى ذكرها تتسم بالدقة والعمق ، وتعكس ذكاء ومهارة فائقتين .. ويحدد **روميل** قواعد حرب الصحراء فى خمس هى [٧] :

[ا] تطبيق مبادىء الحرب الميكانيكية والمدرعة فى الصحراء .

[ب] المشاة المترجلة تؤدى الى الهجوم التكتيكى : كما تصبح غير ذات جدوى فى مواجهة عدو محمل او مدرع ، الا اذا احتلت مواقع مجهزة . ولو حدث اختراق او تطويق لهذه المواقع فسيؤدى ذلك الى صعوبة انسحابها امام هذا العدو المحمل ، ولن يبقى أمامها الا التشبث بمواقعها لاخر طلقة وآخر رجل .

[ج] يجب أن تغطى المدرعات انسحاب القوات المترجلة .

[د] مبادىء استخدام التشكيلات الميكانيكية فى المستقبل ، عند محاصرة العدو يمكن تدميره فى الاحوال الاتية : اولا — عندما يكون غير محمل ، او اضطر للثبات بسبب افتقاره للوقود ، او عندما تشمل قواته عناصر غير محملة يجب وضعها فى الاعتبار وعدم التخلى عنها . ثانيا — عندما تكون قيادة العدو غير ماهرة ، او عندما تقرر قيادته التضحية بتشكيل معين لانقاذ قوات أخرى . ثالثا — عندما تكون قوة العدو المقاتلة قد تحطمت بالفعل وسادت صفوفه الفوضى والتفكك .

وفيما عدا الحالتين الاوليين فحصار العدو وتدميره فى الجيب الناشىء لا يجوز تنفيذه الا بعد أن يتلقى العدو ضربات قاصمة فى معارك متحركة ، بحيث يؤدى هذا لتدمير التنظيم الرئيسى لقواته . وفى الحرب الميكانيكية يجب أن تكون الشئون الادارية للجيش المعادى وتدمير الهيكل التنظيمى له ، الهدف المباشر لكل الخطط .

(هـ) معارك التعرية : وهى العمليات التى تهدف الى تحطيم قوة العدو وقدرته على المقاومة ..

أولا — تركيز الجهود لحشد قواتنا مكانا وزمانا ، وان نحاول — فى الوقت نفسه —

---

[٥] ستروكوف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨

[٦] المصدر نفسه ، ص ٢٦٤

[٧] مذكرات روميل ، الجزء الاول ، ص ٣٠٥ — ٣١٠ و ٤٤٦

تقسيم قوات العدو، في أمكنة متفرقة ، للقضاء عليها في أزمنة مختلفة . فان مدى حشـد أي جانب لقواته في المكان والزمـان المناسبين هو الذي يحسم الامر في الحرب الميكانيكية .

ثانيا ـ حماية خطوط مواصلاتنا ، مع ازعاج الحركة على خطوط مواصلات العدو ، والاحسن من هذا ـ طبعا ـ قطعها ، لان الامـداد هو العنصر الاساسي للمعركة ، ويجب اعطاؤه أكبر قدر ممكن من الحماية .

ثالثا ـ المدرعات هي نواة الجيش الميكانيكي ، ولذلك فان حرب التعرية ضد مدرعات العدو يجب خوضها باستخدام وحدات تدمير **الدبابات** . أما دباباتنا فتستخدم فقط في توجيه الضربة الحاسمة .

رابعا ـ يجب أن تبلغ تقارير الاستطلاع للقائد في أسرع وقت ممكن ، ليتخذ قراراته فورا وليقوم بتنفيذها بأسرع ما يمكنه . علما بان سرعة رد الفعل تحسم مصير المعركة .

خامسا ـ سرعة الحـركة ، والتـرابط التنظيمي للقوات .

سادسا ـ اخفاء النية للغاية ، بقصد تحقيق المفاجأة لعملياتنا . ويجب استخـدام كل وسائل الخداع وتعزيزها ، لارباك القائد المعادي ودفعه الى هوة التردد والبلبلة .

سابعا ـ بعد توجيه ضربات قاصمة للعدو ، يستغل النجاح لاجتياح وتدمير اجـزاء كبرى من تشكيلاته المفككة .. وهنا ـ مرة أخرى ـ نجد أن السرعة هي كل شيء . ويجب عدم اعطاء العدو أية فرصة من الوقت لكي يعيد تنظيم قواته . **ويجب اعادة التجمع كالبرق** ، للمطاردة واعادة تنظيم الشئون الادارية لقوات المطاردة .

أما عن **النواحي التنظيمية في حـرب الصحراء** ، فقد نصح **روميل** بالاهتمام بالنواحي التاليـة ، فيما يخص المدرعـات والمدفعيـة والمشاة : [٨]

١ ـ أهم صفات **الدبابة** هي قـدرتها على المناورة ، وسرعتها ، ومدفعها البعيد المدى ، لان الجانب الحائز للمدفع الاكبر مثل الملاكم ذي الذراع الاطول ، يستطيع أن يسبق عدوه في الضرب .

٢ ـ يجب أن تكون **المدفعية** بعيدة المدى ، خفيفة الحركة ، قادرة على حمل كمية كبيرة من الذخيرة معها .

٣ ـ يجب أن تستخدم **المشاة** ، فقط ، في احتلال المواقع الدفاعية المعادية ، على أن تكون خفيفة الحركة ، مزودة بعتاد يمكنها من احتلال مواقع دفاعية بسرعة ، ومقامة في أرض مفتوحة عند النقاط ذات الاهميـة التكتيكية في ميـدان المعركة .

أما **الدفـاع** فهو مؤقت وعـابر في معـارك الصحراء . صحيح أن الهجـوم في تلك المعارك يعطى الاولوية لتدمير القـوى البشرية والمعدات العسكرية ، وليس لاحتـلال الاراضي . اذ ليس للاراضي الصحراوية قيمـة اقتصـادية أو استراتيجيـة كبيرة ، بل ان الـدفاع عن تلك الاراضي والاقامة فيها يشكل عبئا غير هين على القوات . وهدف الدفاع في الصحراء هو الاستعداد لشن هجوم جـديد ، تستخدم فيـه المواقع الدفاعية كنقطة ارتكاز ولوحة قفز تنطلق منها القوات عند هجومها .

وغالبا ما لاتسير الامور وفق تصور القيادة ، فتضطرب معـه الجداول الزمنيـة التي تكون قد وضعتها القيادة قبل المعركة . ويتطلب هذا الامر الاهتمام ببناء مواقع حصينة ، يمـكنها الاعتماد على مخزونها من الذخـيرة والعتاد والمؤن والمياه لمدد طويلة .

ويقدم لنا روميل نموذجا للتحصين الدفاعي ، كان قد لاحظه في فرنسا لدى اشتراكه في الهجوم عليها ، اذ يقول « ... وكان الفرنسيون يدافعون من مواقع منشأة بمهارة وسلسلة من الاستحكامات والنقاط القوية والخنادق والحصون الصغيرة وأوكار المدافع المضادة للدبابات ، وكل هذا يحيط به حقول الالغام العميقة . ومثل هذا التحصين الدفاعي يعتبر منيعا للغاية ، ولا يسهل التأثير عليه بنيران المدفعية أو القصف الجوي ، لان الاصابة المباشرة منها لا تدمر أكثر من خندق فسي كل مرة . وقد تسـتهلك كميـة كبيرة من الذخيرة للتأثير على عدو يحتل مثل هذا الموقع القوي » [٩] .

---

[٨] المصدر نفسه ، ص ٣١٠ ـ ٣١١

[٩] المصدر نفسه ، ص ٣٢٩

ركائز حرب الصحراء

تقوم حرب الصحراء على المدرعات والقوات الجوية والشئون الادارية ، ولكل من هذه الركائز الثلاثة أهميتها البالغة ، وهى تتكامل مع بعضها البعض ، وربما أدى ضعف أحداها الى افلات النصر .

وقد اعتبرت **المدرعات** ، بحق ، **عصب معارك شمال افريقيا** وقواتها الضاربة الرئيسية . واذا كانت المدرعات قد عاونت فى اختراق الخطوط الامامية للعدو ، جنبا الى جنب مع المشاة ، كما حدث فى معركة العلمين ، الا أن المجال الرئيسى للمدرعات هو تعزيز الهجوم ، والدفاع فى الصفوف الثانية للجيوش ، والقيام بالضربات المضادة ، وتعزيز المدفعية المضادة للدبابات . وعموما فالتفوق فى سلاح المدرعات يورث النصر .

ويرصد لنا **روميل** — بالدقة التى عرفت عنه — التكتيكات التى اتبعها الانجليز فى معركة العلمين . وكيف أنهم كانوا يدفعون بدباباتهم الخفيفة الى المقدمة ، ويبقون الدبابات الثقيلة فى الخلف ، لاجتذاب نيران مدافع قوات المحور المضادة للدبابات والمضادة للطائرات والمدرعات . وبمجرد أن تكتشف مواقع مدافع ودبابات المحور عن أماكنها تسارع الدبابات البريطانية الثقيلة الى فتح نيرانها المدمرة على كل الأهداف التى يمكنها تحديدها من مسافات تصل الى ٢٧٠٠ ياردة ، وفى الغالب يتم هذا من المنحدر الخلفى لاى مرتفع . وبدا كما لو أن نيرانها كانت توجه دائما بواسطة قائد القوة . وكانت كميات الذخيرة الضخمة التى يحتاجها هذا الاسلوب تنقل للامام فى حمالات المدافع الرشاشة المدرعة [يونيفرسال] . وبهذه الاساليب قام البريطانيون بتدمير دباباتنا وأوكار المدافع الرشاشة التابعة لنا ، ومواقع مدافعنا المضادة للدبابات والمضادة للطائرات على مسافة لم يكن فى مقدور مدافعنا أن تخترق منها دروع دباباتهم لثقل تدريعها ، ولم يكن فى امكاننا — على أى حال — أن نستهلك الكميات اللازمة لتدميرها [١٠] .

ويرى **مونتجمرى** ، قائد القوات الحليفة فى العلمين وقاهر قوات روميل فيها « أن خير وسيلة لتدمير مصفحات العدو هو حملها على الهجوم على مصفحاتنا الموجودة والثابتة أمامها » [١١] .

ويجمع المؤرخون على ارجاع انتصار الحلفاء فى معارك شمال افريقيا — بشكل أساسى — الى السيطرة الجوية للحلفاء . **فالطائرات فى ظروف الصحراء تلعب دورا محوريا فى ابطال دفاعات العدو العميقة ، وحشوده ، واحتياطاته ، وعتاده ، وتدمير خطوط مواصلاته ، وعليها يقع العبء الاكبر فى الاستطلاع بمختلف أشكاله . والتفوق الجوى لاحد أطراف القتال يهدر نصف وقت الطرف الاخر** ، اذ يحرمه من الحركة نهارا ، مما يجعل القوات المتفوقة جويا تمتلك من الوقت ضعف ما تمتلكه القوات المعادية ، بما تحمله هذه الميزة الى الحرب الميكانيكية من قوة وفاعلية . وهى الحرب التى تعتمد على السرعة .

وكان هجوم روميل على قوات الحلفاء قد باء بالفشل ، فى آخر اغسطس وأوائل سبتمبر ١٩٤٢ ، وأرجع القائد الالمانى فشله الى قوة المواقع البريطانية ، وسيطرة السلاح الجوى البريطانى مما أدى الى شل حركة قوات المحور ومنعها من الحركة ، وأخيرا انقطاع البترول عن قوات روميل (١٢) .

وقد استخلص **روميل** من هذا الفشل درسا هاما ، دونه فى مذكراته ، وهو « أن أية أرضية استراتيجية وتكتيكية ستقيد للغاية اذا ما استطاع الخصم أن يسيطر على الجو بقوة جوية كبيرة ، واستطاع الاغارة بحشود من الطائرات الثقيلة ، لا يهمه ما قد تصاب به من الخسائر » [١٣] .

ولعل من الامور التى زادت الطين بلة بالنسبة لهذا الامر ، أن السلاح الجوى الالمانى العامل فى شمال أفريقيا لم يكن تحت قيادة فيلق أفريقيا الذى يقوده **روميل** . وقد انتقد **روميل** هذا الامر بمرارة ، ثم علق قائلا « . . وكان من الافضل ان يتبع قائد القوة الجوية الالمانية فى أفريقيا لفيلق افريقيا ، ليقوم بتلبية مطالبه التكتيكية ، بينما

---

[١٠] مذكرات روميل ، الجزء الثانى ، ص ٥١١
[١١] مذكرات المارشال مونتجمرى . كتب سياسية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، كتاب رقم ٢٤٣ ، ص ٩٣
[١٢] مذكرات روميل ، الجزء الثانى ص ٤٤٢
[١٣] المصدر نفسه ، ص ٤٤٣

يقوم الفيلق الجوى العاشر الالمانى بالواجبات الاستراتيجية » [١٤] .

وتعليقا على المعارك بين المحور والحلفاء ، والتى امتدت فيما بين ٣١ اغسطس و٦ سبتمبر ١٩٤٢ ، قال **روميل** « .. من ناحية القيادة فان العدو سيتمتع بالمزايا الاتية : ا — ستحصل قيادة العدو ، بسبب سيادتها فى الجو ، على تقارير استطلاع كاملة وغير منقطعة ب — ستتمكن من العمل بحرية ، وبجرأة أكبر ، لانها اذا حدثت أية عمليات طارئة من جانبنا تتمكن — على الاقل — من تعطيلها لحين اتخاذ الاجراءات المضادة اللازمة جـ — وكقاعدة عامة ، فأى تعطيل لسرعة العمليات فى اى جانب ، يؤدى الى زيادة السرعة فى الجانب المعادى . **وحيث أن السرعة من أهم العوامل فى الحرب الميكانيكية** ، فمن السهل أن نستنتج أثر هذا على العمليات .

« ويضاف الى هذا أن الجانب الذى يتمتع بالتفوق الجوى يستطيع أن يلحق بقوافل امداد العدو خسائر فادحة ، بحيث يؤدى هذا الى مشاكل ادارية خطيرة ، وهو يستطيع أن يراقب الطرق المؤدية للجبهة باستمرار ، مما يؤدى الى توقف كل حركة عليها أثناء النهار ، ويجبر عدوه للتحرك ليلا فقط ، وهذا يؤدى الى اضافة وقت ثمين . ولكن سيل الامدادات المستمر ضرورى ، وبدونها يتجمد الجيش فى اماكنه ، ولا يستطيع القيام بأية عمليات .. واى انسان يضطر للقتال ، ولو حتى بأحدث الاسلحة ، ضد عدو يسيطر على الناحية الجوية تماما ، فسوف يقاتل مثل الهمجى فى مواجهة قوات اوروبية حديثة ، وتحت الظروف نفسها وبنفس فرص النجاح » [١٥] .

وعن العلاقة بين المدرعات والطيران فى المعارك ، يقول الكاتب العسكرى البريطانى **دوجلاس أورجيل** فى دراسة له عن « الدبابات » أنه فى الهجوم اكثر منه فى الدفاع «بدون قوة جوية، يصبح استخدام الهجوم للدبابات حاليا أمرا غير عملى ، رغم أنه يمكن للهجوم فى حالة توفر السيادة الجوية أن ينجح حتى فى حالة اذا ماكانت المدرعات تلعب دورا ثانويا . أما فى الدفاع فالوضع يختلف .. فبواسطة أرض ملائمة ، وبدون طائرة واحدة .. تقريبا ، يستطيع جيش مصمم على القتال أن يعيق — على نحو غير محدود — عدوا يتفوق عليه كثيرا فى عدد الدبابات والطائرات» [١٦] .

وخلال معارك شمال افريقيا برزت أهمية المدفعية . وقد أفادت خبرة هذه المعارك انه يجب تزويد مدافع الميدان وتلك المضادة للطائرات بقنابل مضادة للدبابات باعداد كبيرة ، لتوجيهها الى الدبابات المعادية المهاجمة ، ويفضل ضرب الدبابات على بعد كبير ، لارباكها ولاجبارها على فتح نيرانها من مسافات بعيدة ، كما يجب تعزيز المدفعية المضادة للطائرات ، بغية توفير الطائرات للواجبات القتالية الاخرى .

ولدى تعليقه على أسباب انتصار **مونتجمرى** فى العلمين ، قال **روميل** ، ان البريطانيين « لم يقوموا بأية عمليات ، وانما اعتمدوا — ببساطة وباختصار — على تأثير مدفعيتهم والسلاح الجوى » [١٧] .

ولدى هجومه على العلمين ، استخدم **مونتجمرى** المدفعية بشكل واسع ، واعترف **روميل** ان المدفعية البريطانية أظهرت عظمتها المعهودة . ورصد روميل تكتيكات مدفعية **مونتجمرى** فى العلمين فقال « .. ومن المظاهر البارزة فى عملياتها ، خفة حركتها الكبيرة وسرعتها فى اجابة طلبات القوات المهاجمة . وواضح ان الوحدات البريطانية المدرعة كانت تحمل معها ضباط ملاحظة أماميين للمدفعية ، لكى يقوموا بنقل احتياجات المقدمة الى المدفعية فى الخلف فى اقصر وقت ممكن . وبالاضافة الى ميزة توافر كميات ضخمة من الذخيرة ، فان البريطانيين استفادوا كثيرا من المدى الاكبر لمدافعهم ، مما مكنهم من ضرب مواقع المدفعية الايطالية من مسافات لم يكن للمدافع الايطالية ، ذات المدى الصغير ، أن ترد عليها [وأغلب المدافع الايطالية كان مداها محدودا بستة آلاف ياردة فقط] . وحيث أن الجزء الاعظم من مدافعنا كان من هذه المدافع الايطالية العتيقة ، فقد كان هذا عاملا هاما فى موقفنا السىء » [١٨] .

---

[١٤] مذكرات روميل ، الجزء الاول ص ٢٠٧
[١٥] مذكرات روميل ، الجزء الثانى ص ٤٤٥ — ٤٤٦
[١٦] انظر : محمود عزمى ، معارك العلمين الدفاعية . الطليعة ، يناير ١٩٧٣ ، ص ٧٩
[١٧] مذكرات روميل ، الجزء الثانى : ص ٥٠٩
[١٨] مذكرات روميل ، المصدر نفسه ص ٥١١

وارتكاز حرب الصحراء على الدبابات والطيران والشئون الادارية ، لا ينفى حاجتها الى المشاة الذين تنحصر واجباتهم فيها بالاحتفاظ بالارض المحررة والتى جرى الاستيلاء عليها ، وتطهير مواقع العدو بعد اقتحام الدبابات لها . وان كان استخدام المشاة يحتاج — فى مثل هذه الحرب — الى أقصى درجات اليقظة والاقدام معا .

وفى معركة العلمين استعان **مونتجمرى** بالمشاة فى هجومه . ويقول روميل انه « بعد أن دمرت المدفعية دفاعاتنا ، بالاشتراك مع الدبابات والسلاح الجوى هاجمتنا المشاة البريطانية ، وقامت المدفعية البريطانية بتثبيت نقاطنا الخارجية فى أماكنها التى كانت تعرفها منذ زمن طويل بواسطة الاستطلاع الجوى ، ثم قام المهندسون البريطانيون — تحت ستارات من الدخان — بازالة الالغام ، وفتحوا ممرات عريضة عبر حقول الغامنا . ثم بدأ الهجوم بالدبابات تتبعها المشاة عن قرب . وأثناء عمل الدبابات كمدفعية متحركة قامت مجموعات الاقتحام البريطانية بشق طريقها الى مواقعنا الدفاعية وهاجموا فجأة خنادقنا ومواقعنا بالحراب (السنكات) ، وكانت كل خطوة تتم بانتظام ، طبقا لكتب التدريب فكل عملية منفصلة كانت تتم بتفوق كبير تم حشده قبلها . وكانت المدفعية تتبع المشاة لتحطيم أى بقايا للمقاومة . ولم يقم البريطانيون باستغلال النجاح — كالعادة — بعمق وانما اكتفوا باحتلال المواقع المجتاحة ، التى كانت تصل اليها التعزيزات والمدفعية ، وتقوم باحتلالها للدفاع . واستمرت الهجمات الليلية كاختصاص للبريطانيين » [١٩]

وفى معارك شمال أفريقيا اجتهدت أساطيل الطرفين لتأمين مواصلاتهم فى البحر الابيض المتوسط ، بما ييسر لهم الوصول الى القوات المتحاربة ، وامدادها بالاسلحة والعتاد والمؤن . فى حين انحصرت مؤازرة بحرية الطرفين فى العمليات العسكرية فى أضيق الحدود .

ولعبت الالغام المضادة للدبابات والافراد دورها فى عرقلة تقدم القوات المدرعة . اذ أن حقول الالغام تحتاج الى وقت طويل لفتح ثغرات فيها ، بما يسمح للجنود والمدرعات المرور عبرها . وفى المقابل تتطلب معارك الصحراء وحدات من المهندسين لتطهير حقول الالغام المعادية .

واحتل عنصر التمويه أهمية خاصة فى معارك الصحراء الافريقية . وقد أمكن ذلك ، فقط ، عندما تم نشر القوات البريطانية والامريكية على مسافات واسعة من الارض ، وأجيد تمويه العتاد ، والقوات ، ووفرت لها التغطية الجوية الكافية ، هذا بالاضافة الى التوسع فى استخدام الحشود الوهمية وهياكل الوحدات والاجهزة المختلفة .

الدروس المستفادة

عدد كاتب عسكرى مصرى الدروس المستفادة من معارك شمال افريقيا ، فيما يلى : [٢٠] .

١ — فرضت طبيعة عمليات حرب الصحراء ، وتباين واجبات الجيش فيها ، اعتماد تكتيك « **اعادة التجميع** » ، مما يتطلب تشكيلات منظمة تنظيما راقيا ومرنا ، ومضاعفة احتياطيها القتالى والادارى .

٢ — فى الدفاع عن السهول ، برزت أهمية الدبابات ، لمساندة الموقع الدفاعى ، أو حماية جناحى الهجوم ، للحيلولة دون تطويق العدو له ، واختراقه .

وفى حالة ضآلة عدد الدبابات، فان انتشار الخط الدفاعى على مساحات واسعة ، يزيد من صعوبة تطويقه .

٣ — أما الوسيلة المثلى للدفاع عن الموانىء ، فتكون باحاطة الميناء بموقع دفاعى يتخذ من البحر جناحى وقاية له .

٤ — أهمية الاستعداد للمعركة ، وفعالية سلاح المدرعات باعتباره عماد حرب الصحراء ، علما بأن خير المدرعات هى تلك السريعة الحركة ، الطويلة النفس ، والشديدة النيران .

٥ — امتلاك سلاح جوى قوى من شأنه أن يلعب دورا محوريا فى حرب الصحراء .

أما **لى كولا** ، فقد استخلص أربعة دروس من معركة العلمين ، هى : [٢١]

١ — القرار السياسى السريع والصائب ، هو أساس التخطيط السليم للحرب .

---

[١٩] المصدر نفسه ، ص ٥١٢

[٢٠] فتحى عبد الله النمر : فلسفة فن القتال [١] ، تحليل معارك الجيش العاشر الايطالى . ادارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى ، القاهرة ، رسائل الثقافة الحربية [٥٠] ص ٧٤ — ٧٥ والمؤلف نفسه : تحليل معارك باتل آكس [معركة السلوم] . رسائل الثقافة الحربية [٥١] ص " — ٦٤

[٢١] لى كولا : روميل من الصحراء الى الاطلنطى [انظر : عرض الكتاب لمحمد فوزى الوكيل ، الجمهورية [القاهرة] ١٩٧٣/٥/١٧ ، ص ١٢]

٢ – **التخطيط الناجح هو ما يرمى الى تدمير قدرات العدو القتالية وليس مجرد التشبث بالارض** ·

٣ – **الاستطلاع الناجح يمكن القادة من التخطيط السليم والاعداد الصحيح** ·

٤ – **هيبة القادة ونجمهم المحبوب يفيدان فى حفز الهمم وفى دعم الروح المعنوية للقوات** ·

ويقول **مونتجمرى** أن من عوامل نجاح البريطانيين فى بداية حرب شمال أفريقيا « **الشجاعة ، وخفة الحركة ، وفوق كل ذلك قيادة أوكونور ، والتعاون الوثيق المتبادل بين الاسلحة الثلاثة** » [٢٢] ·

أما روميل فقد أرجع فشله فى العلمين الى خسارته لمعركة الشئون الادارية ، وبسبب التفوق الجوى البريطانى ، وأخيرا بتأثير تلك القرارات الخاطئة التى كانت تتخذها القيادتين الالمانية والايطالية البعيدة عن مسرح القتال ·

وفى أماكن متفرقة من مذكراته ، يذكر **روميل** العديد من دروس حرب شمال افريقيا ، من واقع خبرته الشخصية ، ولعل أهمها : (٢٣) ميل بعض القادة الى التوقف بدون مبرر ، بقصد الامداد بالوقود والذخيرة ، أو بقصد صيانة مركباتهم بطريقة بطيئة ، مع العلم بأن **حظ الهجوم العاجل فى النجاح هو دائما كبير** · والهدف الاساسى لاى قائد ، أثناء تنفيذه لعملية معينة ، هو انجازها فى الوقت المحدد لها · وعليه استخدام كل قدراته التنفيذية ، لانجاز واجبه خلال هذه المدة المحددة ·

كما استخلص روميل من هزيمته فى العلمين الشرطين التاليين للصمود : (٢٤)

« الشرط الاول ، لكى يتمكن الجيش من تحمل العبء فى المعركة ، أن يكون هناك **مخزون كاف من الاسلحة والوقود والذخيرة** · وفى الواقع **تبدأ المعركة وتنتهى بواسطة رئيس الشئون الادارية** ، قبل أن يبدأ الاشتباك الفعلى · فالشجاع لا يستطيع أن يفعل شيئا بدون سلاح ، والمدافع لا تستطيع أن تفعل شيئا بدون ذخيرة متوفرة ، ولا تستطيع المدافع ولا الذخيرة أن تكون ذات فائدة تذكر فى الحرب الخفيفة الحركة ما لم توجد عربات ووقود كاف ليحركها فى كل مكان ·

« كما أن **الاعاشة يجب أن تكون من حيث الكمية والنوعية متساوية تقريبا مع ظروف العدو** ·

« الشرط الثانى ، لكى يتمكن الجيش من الصمود فى المعركة ، لابد أن يكون **متعادلا أو متقاربا مع العدو فى القوة الجوية** · ولو حاز العدو السيادة الجوية واستغلها استغلالا كاملا ، فان القيادة تعانى من القيود ونواحى التقصير التالية :

١ – يستطيع العدو – باستخدامه قواته الجوية الاستراتيجية – أن يعرقل امداداتنا ، وخاصة اذا كان من الضرورى نقلها بحرا ·

٢ – يستطيع العدو أن يخوض معركة التعرية [التدمير التدريجى] من الجو ·

٣ – ان استغلال العدو لتفوقه الجوى بدرجة كاملة يؤدى الى قيود تكتيكية خطيرة الاثر لقيادتنا ·

« وفى المستقبل تسبق المعركة الجوية المعركة البرية زمنا · وهذا سيقرر أى المتقاتلين سيعانى من خوض غمار المعركة تحت القيود ونواحى العجز المذكورة ، وبذا يضطر أثناء المعركة لاتباع الحلول الوسط للتخلص من هذا المازق » ·

وتحدث القائد الالمانى نفسه عن سر الارتفاع الهائل لنسبة الخسائر فى الافراد ، عند التحول من العمليات المتحركة الى قتال المواقع · مبينا أنه فى « قتال الحركة نجد أن العنصر المهم هو المعدات كمكمل أساسى للجندى ، لان أحسن الجنود كفاءة لا قيمة لهم فى حرب الحركة بدون الدبابات والمدافع والعربات · فاذا أمكننا تدمير دبابات أى قوة خفيفة الحركة استطعنا منعها من الدخول فى أية عمليات بالرغم من أنه لن يؤثر هذا كثيرا على القوة البشرية ، وهذا ليس الحال فى قتال المواقع · فاذا فقد جندى المشاة – أثناء وجوده فى موقعه – بندقيته أو قنبلته اليدوية ، فهذا لا ينقص من قيمته بشرط حمايته – بالطبع – بواسطة المدافع والمدافع المضادة للدبابات ضد مدرعات العدو ، اذ **أن الهدف الاول للعدو هو قتل فرد المشاة العادى فى موقعه ، ومن هنا نجد أن قتال المواقع عبارة عن صراع لتدمير الرجال ، أما بالنسبة لقتال الحركة ، فهو على العكس ، عبارة عن تدمير العدو لا أفراده** » (٢٥) ·

---

[٢٢] **الفيلد مارشال مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ . ترجمة العميد عبد الله النمر ، مكتبة الانجلو المصرية ؟ القاهرة ، غير موضح تاريخ النشر ، ص ٧٣١**

[٢٣] **روميل ، الجزء الاول ، ص ١٨٠**

[٢٤] **روميل ، الجزء الثانى ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨**

[٢٥] **مذكرات روميل ، الجزء الاول ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦**

ويقرر روميل أن « **القرارات الجريئة تؤدى الى أحسن احتمالات النصر** » • ولكنه ينصح بضرورة التمييز الدقيق بين الجرأة والمقامرة • ويصف العملية الجريئة بأنها تلك التى « لا يكون نجاحها مؤكدا ، وانما اذا ما فشلت تترك للقائد القوات الكافية لمواجهة أى موقف قد ينتج عن هذا الفشل » • أما المقامرة « فهى عملية قد تؤدى للنصر أو للدمار الكامل للقوات » • ومع ذلك يرى **روميل** أنه قد تنجم ، أحيانا ، مواقف تبرر اللجوء الى المقامرة » كما يحدث عندما نتأكد أن الهزيمة ستتم حسب سير الاحداث الطبيعى ، وأن العملية عملية وقت ، وينتج عن هذا أن كسب الوقت أصبح غير ذى موضوع ، فلابد من اللجوء الى عملية تنطوى على مخاطرة كبيرة ، كحل ، أو للحد من الموقف اليائس » • ويحدد ثعلب الصحراء الفرصة الوحيدة التى تمكن القائد من تصور سير المعركة مقدما ، وهى «عندما تكون قواته متفوقة لدرجة أن النصر يصبح مفروغا منه » (٢٦) •

تحفظـــات

يعتمد العلم العسكرى على الممارسة وعلى الخبرات المكتسبة ، دون أن يقلل ذلك من أهمية الابحاث النظرية العسكرية • ويعنى العلم العسكرى – فى الاساس – باستخلاص نتائج علمية من الممارسات الحربية ، والخبرات العسكرية ، وان كان اثبات صحة هذه النتائج أو خطئها غير ممكن الا فى الحرب نفسها ، مع ملاحظة انه لا يمكن لكل حرب أن تكون مقياسا صحيحا لتقييم تلك النتائج العلمية ، فيما عدا تلك الحرب الضارية التى يخاض غمارها بمعدات وأسلحة قوية من كلا الطرفين المتحاربين • ويحذر **روميل** من التقيد الكامل بالمقاييس النظرية العسكرية ، وينبه بأن « المقاييس المبنية على الخبرة العملية فى ميدان المعركة تكون ، عادة ، أقل من المقاييس الموضوعة نظريا ، ولهذا يجب الا نقيس عليها » (٢٧) •

وحتى قواعد الحرب نفسها معرضة للتطور بسبب التقدم التكنولوجى * واذا كان التمسك بالاسس العلمية العسكرية مطلوبا فى الاشتباك نفسه ، فان ذلك غير ملزم للقيادة العسكرية ، اذ يجب على القادة أن يميزوا بين الافكار النظرية العسكرية وبين الواقع الراهن ، بما يستجد فيه من أمور طارئة • ويجب أن يكون القائد مستعدا للتنازل عن هذه الافكار النظرية عند اللزوم ، مستجيبا بذلك لتطور الاحداث فى ميدان المعركة • **وفى الحرب كما فى السياسة ، لا يجوز نقل الافكار النظرية والخبرات المكتسبة بالمسطرة والمنقلة الى ميدان القتال ، فهما ليسا أكثر من مرشد عمل** •

وفى مجال الخبرات ، يجب الانتفاع بأكثرها معاصرة ، وأشدها اتساعا ، وأقربها شبها بالحرب التى نخوضها ، من حيث الاسلحة ومسرح العمليات • فمثل هذه الخبرات تقدم للعسكريين والاستراتيجيين مادة غنية تعينهم على اعمال الفكر ، واجراء المقارنات ، واستخلاص القوانين والقواعد •

مع الحذر من أن الحروب لا تتطابق سماتها ، ولا تتشابه أساليبها • ومن ثم فدراسة الحروب السابقة ليست الا أحد أساليب المعرفة ، لذا كان من واجب الباحث العسكرى تسليط الضوء على الظواهر الجديدة فى الحروب ، وفى الوقت نفسه على الظواهر الاخرى التى أخذت تفقد قيمتها وأهميتها •

ولدى الافادة من خبرات الحروب السابقة ، لابد من النظر اليها فى اطار أحدث النظريات العسكرية ، وفى ظل الوضع الراهن ، زمانا ومكانا ومعدات •

ومن البديهى أن الحرب وقوانينها لا تدرس بمعزل عن حياة الشعب الاجتماعية ، ولا عن طبيعة الحرب ، وما اذا كانت عدوانية أم تحررية عادلة • كما يجب النظر الى الحرب وقوانينها بارتباط كامل مع السياسة . **فما الحرب الا امتداد للسياسة بوسائل عنيفة** • « **والسياسة تحدد أهداف الحرب ، واتجاهها ، واتساعها ، وتمارس عملها فى اختيار أساليبها وأشكالها ، والسياسة هى أساس الفن العسكرى بمجمله** » [٢٨] •

---

[٢٦] المصدر نفسه ، ص ٣١١

* وقد أشار الخبير العسكرى الامريكى المشهور ، دور ميدلتون ، الى ان سلاح الصواريخ المستخدم فى الحرب العربية الاسرائيلية الحالية قد غير استراتيجية القتال التى سادت منذ الحرب العالمية الثانية [انظر : مقال الخبير المذكور فى الاهرام – ١٨/١٠/١٩٧٣ ، ص٣]

[٢٧] المصدر نفسه ، ص ١٨٢

[٢٨] المجلة العسكرية السوفيتية : الحرب وطبيعتها . ترجمة النقيب انيس سليمان ، المجلة العسكرية السورية ، العدد السابع ، السنة التاسعة عشرة ، فبراير [شباط] ١٩٦٩، ص ٤٦ – ٤٧

إعصار هائل

.. في مرحلة التكوين

بدايات الصراع بين الرأسمالية الأمريكية واليابانية

□ يعالج هذا المقال القفزات الضخمة التى حققتها الرأسمالية اليابانية ، وحولت اليابان من دولة مهزومة بل ومحتلة فى نهاية الحرب العالمية الثانية الى ثانى دول العالم الرأسمالى بعد الولايات المتحدة . والمنافسة الشديدة التى تدور بين اكبر دولتين رأسماليتين منذ هزيمة المانيا النازية . ومدى تأثير هذه المنافسة على العلاقة بين البلدين ، بعد ان اتضح لليابان أن السير فى ركاب الولايات المتحدة الامريكية لم يعد أمرا مأمونا كما كان فى الماضى □ .

سمير كرم

يتعين على الفكر الاشتراكى أن يتصدى بالتحليل منذ الان لواحدة من أعقد العلاقات فى العالم الرأسمالى فى الوقت الحاضر ، وهى العلاقة بين الولايات المتحدة واليابان ، ليس فقط لان « المعجزة اليابانية » الاقتصادية تشكل تحديا رأسماليا بارزا للنظرية الاشتراكية وللتجربة الاشتراكية فى أذهان الكثيرين ، وانما أيضا لان اجراس الخطر تدق برنين عال الان منذرة بأخطر منافسة تدور بين دولتين رأسماليتين كبيرتين منذ هزيمة المانيا النازية .

وربما يكون قد بدأ لفترة طويلة أن العلاقة بين اليابان والولايات المتحدة هى علاقة تحالف بحت أو علاقة تبعية . ولكن التطورات الهامة التى دخلت على الحياة الاقتصادية والسياسية فى هذين البلدين ، والتطورات الاعمق التى دخلت على علاقات القوى بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى ـ جعلت حقيقة تعقد العلاقة بين اليابان والولايات المتحدة تطفو واضحة على السطح . وجعلت الوجه الاخر لما كان يبدو تحالفا بحتا يظهر فى صورة منافسة تحمل فى بذورها كل احتمالات الصراع بل والصدام .

لقد تحولت اليابان من دولة مهزومة محطمة اقتصاديا وسياسيا ـ بل ومحتلة ـ فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، الى ثانى دول العالم الرأسمالى بعد الولايات المتحدة . وتحولت بالتالى الى منافس خطير لها فى المجالات الحيوية التى كانت تتحرك فيها التجارة الامريكية والاستثمارات الامريكية وحدها . بل تفاقمت المنافسة الرأسمالية بين اليابان والولايات المتحدة الى حد غزو السلع اليابانية للاسواق الامريكية بصورة خطيرة ، جعلت الميزان التجارى بين البلدين يميل لصالح اليابان محدثا عجزا بلغ فى عام ١٩٧٢ أكثر من ٤٠٠٠ مليون دولار فى الميزان التجارى الامريكى .

وبصورة شبه فجائية ، تحولت اليابان ، من الحليف المطيع لامريكا فى شرق آسيا ، الى « وجه قبيح » يتعرض لحملات كراهية شديدة داخل المجتمع الامريكى .

جو الحرب العالمية الثالثة

والجو النفسى بين اليابان والولايات المتحدة يقترب اذن ، من جو الحرب العالمية الثانية عندما كانت اليابان على طرف ، والولايات المتحدة على الطرف الاخر المعادى مباشرة . والذى يزيد من حدة هذا الجو النفسى ، أن أولئك الذين يقفون فى

اليابان منافسين الان للاقتصاد الامريكى هم انفسهم الذين كانوا بمثابة اللحم والدم لاقتصاد العسكرية اليابانية قبل الحرب العالمية الثانية . هم انفسهم **مجموعة المؤسسات الاربع الكبرى اليابانية التى يطلقون عليها اسم « الزايباتسو » التى تملك وحدها الان ـ كما كانت تملك قبل الحرب العالمية الثانية ـ أكثر من ٩٠ فى المائة من اجمال الانتاج القومى اليابانى .**

لقد كانت مؤسسات « **الزايباتسو** » الاربع ـ ميتسو وميتسوبيشى وسوميتومو وياسودا (حسب ترتيب ضخامتها] هى التى خلقت لليابان فى الثلاثينات جهازها الحربى الهائل ، وغذت أحلام التوسع الرأسمالى اليابانى وجوعه الى المواد الخام والاسواق . وكان مديروها هم المخططون الحقيقيون لحرب الباسفيك خلال الحرب العالمية الثانية . ولهذا كانت أول مهمة للاحتلال الامريكى لليابان بعد هزيمتها فى تلك الحرب ـ هى تدمير « **الزايباتسو** » تماما

ولكن كل هذه الاجراءات التى اتخذها الاحتلال الامريكى لم تمنع عودة «الزايباتسو» ـ وبمساعدة الاستثمارات الامريكية نفسها ـ لكى تنافس الاقتصاد الامريكى ، وتوجه اليه ضربات عنيفة بعضها « تحت الحزام » وفقا لما يشكو منه الرأسماليون الامريكيون .

والسؤال المثار الان على أوسع نطاق فى العالم ـ **وليس فى اليابان وأمريكا وحدهما ـ هو الى أين تقود هذه التطورات العلاقة بين عملاقى العالم الرأسمالى . . والاعم والاهم من ذلك الى أين تقود هذه التناقضات العالم الرأسمالى كله ؟**

المركز الاول لليابان عام ١٩٨٠

والذين يحاولون تقديم اجابات على هذه التساؤلات مجبرون على أن يقدموا قبل هذه الاجابات تقديرهم لاحتمالات واتجاهات تطور الرأسمالية اليابانية والرأسمالية الامريكية .

والذى تقوله الارقام شىء بالغ الاهمية والخطورة : « **فى بداية الثمانينات ـ ان لم يكن قبل ذلك ـ سيكون متوسط دخل الفرد اليابانى أعلى من متوسط دخل الفرد الامريكى . ففى الوقت الحاضر يبلغ نصيب الفرد من اجمالى الانتاج القومى اليابانى أكثر قليلا من ٣٠٠٠ دولار مقابل ٥٥٠٠ دولار فى الولايات المتحدة . فاذا استطاعت اليابان ان تحتفظ بمعدل نموها الحالى ـ وهو يتراوح بين ٨ الى ١٠ فى المائة ـ فان المسألة تكون مسألة سنوات قليلة ، وتتخطى اليابان أمريكا لتصبح الدولة الاولى فى العالم الرأسمالى (١)** .

والحقيقة المؤكدة ان **اليابان منذ بداية** السبعينات وهى تبحث لنفسها عن سياسة خارجية خاصة بعد انتهاء مرحلة اقتفاء أثر السياسة الخارجية الامريكية . ففى تلك المرحلة **جنت اليابان فوائد هائلة من حربين أثارتهما الولايات المتحدة على أرض آسيا ـ قريبا من اليابان ـ أولهما : كانت الحرب الكورية [٥٠ ـ ١٩٥٣] ، والثانية كانت حرب فيتنام [١٩٦٠ ـ ١٩٧٣] ومن وراء** هاتين الحربين ، جنت اليابان ثمارا اقتصادية هائلة . ان الحرب الكورية قد أمدت الاقتصاد اليابانى بدفعة قوية نتيجة اتجاه أمريكا لشراء كل مستلزمات هذه الحرب من سلع وخدمات من سوق اليابان . وتلقى **الاقتصاد اليابانى دفعة قوية** مماثلة من وراء حرب فيتنام . زادت صادرات اليابان من **ألف مليون دولار** عام ١٩٦٠ الى ٣٤٥٠ مليون دولار عام ١٩٦٥ ومرة ثانية الى ٨٣٥٠ مليون دولار عام ١٩٦٩ .

والان والوجود العسكرى الامريكى يسير فى طريق الانحسار بعد انتهاء الحرب الفيتنامية بفشل أضخم جهاز للحرب عرفه التاريخ . فان اليابان تعيد التفكير فى الارتباط الكامل بالسياسة الامريكية الذى عاشت به منذ عام ١٩٤٥ . وربما نلاحظ هنا أن **بحث اليابان عن سياسة خاصة غير أمريكية ـ قد تأخر عن بحث أوروبا الغربية عن هذه السياسة .**

صدمتان : الصين والدولار

وكان يمكن أن يتأخر بحث اليابان عن سياسة خارجية خاصة بها ، لولا أن الولايات المتحدة وجهت اليها صدمتان ـ خلال فترة وجيزة ـ وبالتحديد فى النصف الثانى من عام ١٩٧١ .

الصدمة الاولى : تلقتها اليابان يوم سمعت ـ مع باقى دول العالم ـ نبأ اتفاق الولايات المتحدة والصين على أن يقوم الرئيس الامريكى نيكسون بزيارة لبكين . وقد أعلن نبأ هذه الزيارة فى يوليو عام ١٩٧١ .

ولقد كانت علاقة اليابان بالولايات المتحدة ـ قبل هذه الصدمة ـ توصف بأنها « **علاقة زواج كاثوليكى** » وعندما علمت اليابان فجأة بنبأ زيارة نيكسون للصين والترتيبات السرية التى أعدت لها كانت بمثابة من يكتشف **خيانة زوجية** . وزاد من حدة هذا الشعور لدى اليابان أن الولايات المتحدة ائتمنت دولتين أخريين ـ هما باكستان ورومانيا ـ على سر تقاربها الجديد من الصين ـ رغم أن هاتين الدولتين لا تربطهما بأمريكا علاقات بنفس قوة علاقة اليابان بها .

(١) هنرى ووليتش المحرر الاقتصادى لمجلة نيوزويك الامريكية .

الصدمة الثانية : جاءت لليابان فى أغسطس فى عام ١٩٧١ ــ أى بعد شهر واحد من الصدمة الاولى ــ **فى قرارات نيكسون الاقتصادية لدعم مركز الدولار** ، وكان من بين هذه القرارات فرض رسوم اضافية بنسبة ١٠٪ فى المائة على واردات الولايات المتحدة من الخارج ، وهو قرار أضر أكثر ما أضر بالتجارة اليابانية بالذات لان ٣٠ فى المائة من صادرات اليابان يدخل الولايات المتحدة بالذات .

ولقد يبدو لاول وهلة أن **الصدمة الاولى كانت ذات طابع سياسى ، والثانية ذات طابع اقتصادى .** ولكن الواقع أن الصدمتين اقتصاديتين فى محتواهما تماما . فقد **أدركت اليابان سريعا** ، **أن الولايات المتحدة سبقتها الى بكين لتفتح أبواب أسواقها للتجارة الامريكية ، قبل أن تسبق اليابان الى هذه الاسواق بصورة كاملة اليها** . والواقع أن اليابان كانت قد وضعت لها قدما فى السوق التجارية مع الصين ، قبل ذلك ، ووصل حجم التجارة المتبادلة بينهما الى نحو ١٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٠ . وهكذا تكون امريكا قد قصدت الى سد الطريق على اليابان استعدادا لمرحلة منافسة حادة على أسواق آسيا بين الرأسمالية الامريكية واليابانية .

وقد تلقت اليابان هذه الصدمة فى وقت كانت السياسة الخارجية الامريكية فيه قد ربطت اليابان بمعاهدة أمن مع تايوان (فورموزا) وربطتها بها أيضا بحجم هائل من الاستثمارات أنعش نظام حكم تشيان كاى تشيك فى الجزيرة الصينية ، وأقام سدا سياسيا هائلا بين طوكيو وبكين .

بل الواقع أن الولايات المتحدة كانت قد انتزعت من **ايزاكو ساتو** ــ رئيس وزراء اليابان السابق فى زيارته للولايات المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٦٩ تعهدا باعتبار أمن تايوان وكوريا الجنوبية جزءا حيويا من أمن اليابان نفسها . وكان ذلك بمثابة توريط أكثر فى سياسة معاداة الصين .

ولهذا كانت مفاجاة زيارة نيكسون للصين مذهلة لليابان اكثر من أى دولة أخرى من أصدقاء الولايات المتحدة وحتى اعدائها . ووجدت الحكومة اليابانية (حكومة ساتو وقتها) نفسها عارية من أى دفاع أمام رجال الاعمال اليابانيين الذين ظلوا يلحون طوال السنوات الماضية على ضرورة الاعتراف بالصين رسميا وفتح أبواب التجارة معها على مصراعيها .. بأى ثمن ..

البحث عن سياسة خارجية جديدة

ولا نبالغ اذا قلنا أن التغيير الحكومى الذى حدث فى اليابان باستقالة وتقاعد **ايزاكو ساتو** ــ الذى كان رمزا للارتباط الكامل بسياسة أمريكا ــ وتولى **كاكوى تاناكا** رئاسة الحزب الحر الديمقراطى والحكومة اليابانية ــ وهو يعد الان رمزا للبحث عن سياسة خارجية جديدة لليابان (وللاقتصاد اليابانى بالدرجة الاولى) . هذا التغيير كان ، برمته ، رد فعل الصدمة الامريكية الاولى لليابان . خاصة وأن الصين كانت قد اعتبرت رحيل **ساتو** عن المسرح السياسى اليابانى شرطها الوحيد لاقامة علاقات طبيعية من جديد مع اليابان . وهو ما تم فعلا ابتداء من زيارة **تاناكا** لبكين فى سبتمبر ١٩٧٢ .

ولكن بحث اليابان عن سياسة خارجية تتلاءم مع « عملاق اقتصادى » أمر يفرض تساؤلا هاما : هل يعنى هذا أن تخرج اليابان كلية من دائرة التحالف مع أمريكا ؟

يرى بعض المحللين الغربيين أن اليابان لن تفكر فى الخروج من دائرة التحالف الامريكى ، حتى ولو صعد الى السلطة فيها الاشتراكيون ! وحجتهم فى هذا أن كلا الطرفين ــ اليابانى وأمريكا ــ يرى بوضوح المخاطر الجسيمة التى ينطوى عليه سماحهما للتنافس الاقتصادى بينهما لان يتحول الى صراع كبير .

ولكن هذا المنطق نفسه لا يستقيم مع ما تريده الولايات المتحدة من اليابان ــ ومن كل حلفائها الان ــ وهو أن يشاركوا ــ بنصيب أكبر ــ فى نفقات الدفاع عن « العالم الحر » (العالم الغربى) بعد أن خرجت أمريكا من حربها فى فيتنام بعجز فى ميزان المدفوعات يتجاوز ١٢ الف مليون دولار .

الواقع أنه حتى **هدف الحفاظ على اليابان بدون أسلحة ذرية ، أصبح يتناقض مع أهداف الولايات المتحدة فى المرحلة الجديدة من المنافسة الخطيرة بينهما على المركز الاول فى العالم الرأسمالى .** وهذا أمر تفسره تصريحات ، أذهلت بعض المراقبين فى آسيا وأمريكا فى مايو الماضى ، قالها **وليام كليمنتس نائب وزير الدفاع الامريكى اثناء** مقابلة أجراها فى واشنطن مع عدد من رجال الاعمال اليابانيين كانوا فى زيارة للولايات المتحدة . فقد قال لهم كليمنتس بالحرف الواحد أن **على اليابان الا تستبعد ارسال قواتها الى الخارج ، وأن تسعى لتعديل مواد دستورها الحالى ــ الذى وضع ابان الاحتلال الامريكى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ــ تلك المواد التى تمنعها من استخدام قواتها المسلحة فى عمليات تجرى وراء البحار .**

كذلك فقد اقترح نائب وزير الدفاع الامريكى على رجال الاعمال اليابانيين فى ذلك اللقاء ، **أن توسع اليابان بحريتها ، لتحرس ناقلات البترول التى تنقل امداداتها منه من الشرق الاوسط حتى الجزر اليابانية** . وكانت نصيحته لهم عبارة للحكيم الصينى القديم « **أن القواعد توضع لكى تخرق** » .

الجلوس تحت المظلة الذرية الامريكية

واذا نظرنا الى هذه النقطة ، من زاوية رؤية الجانب اليابانى ، فاننا نجد ـ حتى الان ـ أن اليابان تبدى رسميا تمسكا بمواصلة نموها الاقتصادى دون عودة لاحياء النزعة العسكرية اليابانية . وان كانت هناك عناصر تدعو لهـا وتغذيها .

والرأى الرسمى فى اليابان المؤيد لعدم الحاجة لجهاز حربى ضخم ـ وخاصة عدم الحاجة للتسلح الذرى ـ يذهب الى « **أن الولايات المتحدة لن تهاجم اليابان على أى الاحوال عسكريا . والصين لا تملك بحرية قوية تعتمد عليها فى مهاجمة اليابان . والاتحاد السوفيتى يستطيع ـ وهو من القوة بحيث لا نأمل فى الوقوف فى وجهه . ولا نستطيع ولا نريد أن نتوسط فى أماكن خارج اليابان . لان أحدا لا يستطيع أن يعرف الى أين يؤدى بنا ذلك . وانظروا الى ما حدث بفيتنام . ولهذا فاننا محجمون عن عمل أى شىء سوى الجلوس تحت المظلة الامريكية ـ طبعا عدا اولئك الذين لا يؤمنون منا بالمظلات على وجه الاطلاق** » .

وعند هذا الحد ، قد يبدو ان الخلاف حول السياسة الخارجية ، بين اليابان وامريكا ، ينحصر فى طريقة تطبيق « مبدأ نيكسون » ، وهو مبدأ تحميل الاسيويين مسئولية مواجهة بعضهم بعضا . فاليابان تريد لها دورا فى آسيا ذا طبيعة اقتصادية بحتة . وأمريكا تريد أن تقوم اليابان فعلا بدور فى آسيا يمكن أن يكون ذا طبيعة عسكرية . اليابان تريد دورها فى آسيا لمصلحة صادراتها ، وأمريكا تريد الدور اليابانى فى آسيا أن يكون لمصلحة الصادرات الامريكية . ولهذا فان الولايات المتحدة تريد أن تضرب عصفورين بحجر واحـد :

● **تريد من اليابان أن تستورد منها مزيدا من الاسلحه لتغطى جزءا من عجز ميزان مدفوعاتها الدولى .**

● **وتريد أمريكا ـ فى الوقت نفسه ـ أن تلعب اليابان فى آسيا دور الشريك لامريكا فى استغلال أسواق جنوب شرق آسيا بوجه خاص .**

ولتحقيق هذا الهدف المزدوج ترفع الولايات المتحدة شعار « **قيام اليابان بدور عالمى بارز** » والذى يهمها فى الواقع أن تنفتح اليابان على نفس المشاكل التى عانت منها الولايات المتحدة طوال السنوات الماضية . ولكى تصبح اليابان فى مركز تقلفيه قدرتها الخطيرة على منافسة الولايات المتحدة اقتصاديا .

والحقيقة أن الولايات المتحدة قدمت من أجل جر اليابان الى هذا الموقف تنازلا شكليا بسيطا هو **نقل السيادة على أوكيناوا ـ التى احتلتها الولايات المتحدة منذ ختام الحرب العالمية الثانية ـ من السيادة الامريكية الى السيادة اليابانية . وقد حرصت الولايات المتحدة على أن تحتفظ بقواعدها العسكرية فى أوكيناوا** ـ رغم ذلك ـ وربما لتستخدمها كورقة فى مساومة جديدة قد تضطر اليها مستقبلا فى علاقتها مع اليابان .

وتواجه الولايات المتحدة ـ رغم «العلاقة الخاصة » التى ربطت اليابان بها على مدى ربع القرن الماضى ـ واقعا يضعف من مركزها فى الضغط على رأس المال اليابانى . ذلك أن قيمة الاستثمارات الامريكية فى اليابان لا تتجاوز ١٥٠٠ مليون دولار . وهو رقم يقل مثلا عن نصف الاستثمارات الامريكية فى استراليا ، وأقل منها فى ايطاليا ودول « البنيلوكس » (بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج) . وفى الوقت نفسه فانه على الرغم من ضآلة حجم الاستثمارات اليابانية فى الخارج ، بالمقارنة بحجم الاستثمارات الامريكية ، الا أن **معدل الزيادة السنوية فى الاستثمارات اليابانية الخاصة أسرع ٣ أضعاف الاستثمارات الامريكية** . ومن المتوقع أن تصل استثمارات اليابان الى ٣٠ الف مليون دولار عام ١٩٨٠ ، بينما تكون الاستثمارات الامريكية (اذا استمرت النسبة الحالية لها) ٨ آلاف مليون دولار .

وهكذا فان اليابان تدعم مراكزها فى الاسواق الامريكية (داخل الولايات المتحدة وخارجها) رغم مقاومة الاحتكارات الرأسمالية الامريكية لهذا الاتجاه . وتشير التقديرات الاولية الى أنه مع استمرار معدل نمو الصادرات الحالى فى اليابان فستصل الى ١٢ فى المائة من اجمالى صادرات العالم الرأسمالى كله فى منتصف السبعينات **وستزيد قيمة السلع المصدرة من اليابان عن ٥٠ ألف مليون دولار . ومعنى هذا أن قيمة السلع اليابانية التى ستغرق الاسواق الامريكية ستصل فى ذلك الوقت الى حوالى ٨٠ ألف مليون دولار .**

ومن ناحية أخرى ، فقد ظهرت اليابان ـ وخاصة مع بداية السبعينات ـ كمصدر هام لرأس المال ، **وأصبحت تمثل المركز الثانى فى العالم** . وهكذا فانها فتحت جبهة جديدة للصدام مع رأس المال الامريكى . ولهذا فان الولايات المتحدة تريد أن تفرض على اليابان التسليم لها مقدما فى « الحرب الاقتصادية » التى لاتزال نيرانها تتأجج تحت السطح ، وان كان تعبير « الحرب الاقتصادية » قد أصبح شائع الاستعمال كثيرا فى التحليلات الامريكية واليابانية ، سواء لطبيعة المرحلة الحالية ، أو للتطورات المنتظرة فى العلاقات بين البلدين .

أما كيف تريد أمريكا فرض الاستسلام مسبقا على اليابان فذلك عن طريق **ثلاثة شروط** تريد الزام اليابان بها :

■ أن تفرض اليابان على نفسها اختياريا قيودا تحد من منافسة سلعها للسلع الامريكية فى أسواق الولايات المتحدة . وخاصة المنسوجات والسلع الالكترونية التى حققت اليابان فيها تقدما كبيرا حتى بمقياس المستويات التكنولوجية الامريكية المتقدمة ، وبأسعار أقل . والهدف من هذا الشرط بطبيعة الحال خفض صادرات اليابان الى الاسواق الامريكية . وبالتالى خفض المبالغ الهائلة التى تحصل عليها اليابان من الدولارات مما يؤدى تلقائيا الى هبوط قيمة الدولار الامريكى فى الخارج .

■ أن ترفع اليابان القيود عن الواردات الامريكية وأن تقدم لها معاملة « الدولة الاولى بالرعاية » أى المعاملة التفضيلية الكاملة على الدول الاخرى .

■ أن تشارك اليابان بنصيب كبير فى النفقات الدفاعية للسياسة الامريكية فى آسيا - بل وفى أوروبا أيضا (وفقا لاقتراح « الميثاق الاطلنطى الجديد » الذى أعلنته الولايات المتحدة فى مايو الماضى والذى يقضى بضم اليابان الى التحالف الاطلنطى) . وأحد أوجه هذه المشاركة بطبيعة الحال شراء مزيد من الاسلحة من الولايات المتحدة . وأحد أوجهها أيضا الزام اليابان بالدفاع عن تايوان وكوريا الجنوبية ، وأيضا باقى حكومات جنوب شرق آسيا الداخلة فى تلك السياسة الامريكية .

لماذا دور أكبر لليابان فى آسيا

فى اطار هذه السياسة الامريكية تعمل واشنطن على دفع اليابان بشدة نحو منطقة جنوب شرق آسيا ملتقية فى ذلك مع التطلعات العميقة لدى الرأسمالية اليابانية نحو هذه المنطقة باعتبارها « المجال الحيوى » لحركة التجارة والاستثمارات اليابانية . اذ تعتقد الولايات المتحدة أن باستطاعتها أن تنسق مع اليابان أدوارهما فى تلك المنطقة على نحو يحقق مصالحهما الرأسمالية معا (والمقصود بطبيعة الحال تحقيق المصالح الامريكية بالدرجة الاولى) فى مواجهة منافسات أخرى ، سواء تلك التى تجىء من جانب العالم الرأسمالى (السوق الاوروبية المشتركة) أو من جانب العالم الاشتراكى (الاتحاد السوفيتى أو الصين) .

وحتى نوضح هدف الولايات المتحدة من دفع اليابان أكثر وأكثر نحو جنوب شرق آسيا ، نقول أن هدف واشنطن هو أن تصبح اليابان - بعد أن تربط بها دول جنوب شرق آسيا اقتصاديا وتجاريا ربطا كاملا - فى نفس الموقف الصعب الذى تجد فيه الولايات المتحدة نفسها الان تجاه اليابان . ويقدر الاقتصاديون الامريكيون ان تبلغ قيمة استثمارات اليابان فى دول جنوب شرق آسيا خلال السبعينات ١٠ آلاف مليون دولار ، وأن يصبح ٤٠ فى المائة أو ٥٠ فى المائة من صادرات اليابان ووارداتها مرتبطا بهذه الدول . ويكفى أن نذكر أن قيمة صادرات دول جنوب شرق آسيا الى اليابان ، من المنسوجات ، كانت ٨ ملايين من الدولارات فقط عام ١٩٦٦ . ومع ازدياد اتجاه اليابان الاقتصادى نحو هذه الدول ارتفعت هذه الصادرات (من المنسوجات وحدها) الى ١٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٠ .

وطبقا لحسابات الاقتصاديين الامريكيين ، فان تقوية مواطىء أقدام اليابان على « سواحل آسيا الباسفيكى » سيرغمها على أن تزيد من مساعداتها الاقتصادية والمالية لبلاد المنطقة التى ظلت لسنوات طويلة تعتمد على المساعدات الامريكية وحدها تقريبا .

وربما كان فى حساب الرأسماليين الامريكيين - أيضا - أن يؤدى دفع اليابان نحو جنوب شرق آسيا ابعادا لها عن الصين ، حيث يعتقد الامريكيون بوجود أضخم سوق فى العالم حيث يعيش ٨٠٠ مليون نسمة . ولكن الامر المؤكد - والذى يظهر من النشاط اليابانى الكثيف ، وخاصة من جانب رجال الاعمال ، مع الصينيين - أن اليابان عازمة على الدخول فى المنافسة على سوق الصين ضد أمريكا بكل قوة وبدون هوادة .

وهكذا فان الاتجاه الواضح للعلاقات بين اليابان وبين الولايات المتحدة يندفع بها نحو صراع محقق لا مهادنة فيه ، بين الرأسمالية اليابانية ، والرأسمالية الامريكية . وهو بالضرورة صراع اقتصادى وسياسى أيضا . ولم يعد المسئولون اليابانيون انفسهم يخفون ادراكهم لحتمية هذا الاتجاه .

وقد خلق الموقف من حركة الاستثمار الرأسمالى بين اليابان والولايات المتحدة موقفا ينطوى على تناقض مضاعف . فهناك تناقض بين الرأسماليين الامريكيين أنفسهم حول الرغبة فى جذب رؤساء الاموال اليابانية الى الاستثمار داخل الولايات المتحدة نفسها . بعض الرأسماليين الامريكيين يؤيد هذا الاتجاه على أساس أنه يضع الاموال اليابانية تحت يد الرأسمالية الامريكية ، ويوظفها لخدمتها . وفى الوقت نفسه يؤدى الى تقليل كميات الدولارات المطروحة فى أسواق اليابان عن طريق جذبها الى الاستثمار داخل أمريكا ، وهو أمر من شأنه ان يقلل من ضعف قيمة الدولار المستمر . فضلا عن أن استثمار رأس المال اليابانى فى أمريكا يخلق فرص عمل لمزيد من الامريكيين فى ظروف تعانى فيه نسبة ٥ر٥ فى المائة من القوى العاملة الامريكية من البطالة الدائمة .

ولكن جانبا آخر من الرأسماليين الامريكيين يعارض بشدة الاستثمارات اليابانية فى الولايات المتحدة ويخوض ضدها « حرب مقاومة » عنيفة فى

اطار حرب شاملة ضد محاولة الرأسمالية اليابانية الاوروبية الغربية لغزو الاقتصاد الامريكي بسلاح الاستثمار .

واذا كانت الرأسمالية الامريكية منقسمة على نفسها بالنسبة للسماح باستثمار رؤوس الاموال اليابانية على نطاق واسع داخل الولايات المتحدة فانها متفقة تماما على ضرورة « الرقابة الامريكية عن قرب » على الاستثمارات اليابانية في الخارج عموما ، وهي الاستثمارات التي تتوقع الحكومة الامريكية لها أن تنمو بشكل هائل خلال المستقبل القريب . ولتحقيق هذه الرقابة الامريكية على استثمارات اليابان في الخارج تخطط السياسة الاقتصادية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة على النحو الذي أشرنا اليه وبصفة خاصة فيما يتعلق بمنطقة شرق آسيا .

كسر الاغلال الامريكية

وربما يرى البعض ان علاقة التبعية اليابانية لامريكا لا تزال قائمة (التبعية للدولار اقتصاديا والتبعية للمظلة الذرية الامريكية عسكريا ، والتبعية لنصوص معاهدة الامن المتبادل مع امريكا سياسيا) ولكن من المؤكد ان اليابان بدأت تعمل الان - ومنذ « صدمة التقارب الامريكي الصيني » على كسر اطار هذه التبعية شيئا فشيئا . ويساعدها على ذلك ادراكها أن الرأسمالية الامريكية تريد حل مشكلاتها على حساب اليابان (ربما بدرجة أكبر مما تريد حلها على حساب أوروبا الغربية) ، ويساعدها أيضا بدرجه أكبر أن اليابان فعلا - وكما سبق أن أوضحنا في المقدمة من هذا المقال - هي أكبر منافس في العالم الرأسمالي للولايات المتحدة ، مهما قيل عن النفوذ الامريكي في واشنطن . ولا شك أن الجانب الاقوى من الرأسمالية اليابانية هو الذي يريد أن يتخلص من « الاغلال الامريكية » .

واذا أردنا أن نتلمس انعكاسات ذلك على سياسة اليابان الخارجية ، فاننا نجد أمثلة مما كان يمكن أن توجد في تصريحات المسئولين اليابانيين ، او في تعليقات الصحف اليابانية منذ سنوات معدودة ، ولا حتى في أواخر الستينات (باستثناء تصريحات وبيانات الاحزاب اليسارية المعارضة وخاصة الحزب الاشتراكي - أكبر الاحزاب المعارضة - والحزب الشيوعي - الذي يعد الان « النجم الصاعد » في سماء الحياة السياسية في اليابان) .

أمريكا ليست الاقوى

ومن الطبيعي أن تتفجر مشكلة العلاقات اليابانية الامريكية كمشكلة داخلية يابانية خلال الفترة القصيرة القادمة التي تسبق اللقاء في واشنطن بين رئيس الوزراء الياباني تاناكا ، والرئيس الامريكي نيكسون (يومي ٣١ يوليو وأول أغسطس) . فان المخاوف تتزايد في نفوس اليابانيين من احتمالات الضغوط الامريكية لارغام اليابان على اتخاذ اجراءات لا تتفق مع المصالح الاقتصادية اليابانية . فضلا عن تزايد الشعور في اليابان - في الوقت نفسه - بأن الولايات المتحدة ليست بالقوة التي كان يظنها اليابانيون ، سواء عسكريا أو اقتصاديا ، أو أن السير في ركابها لم يعد أمرا مأمونا تماما كما كان في الماضي . فهذا على الاقل ما أثبتته أحداث الحرب الفيتنامية ، وتدهور مركز الدولار الامريكي وخفض قيمته رسميا مرتين في غضون ١٨ شهرا .

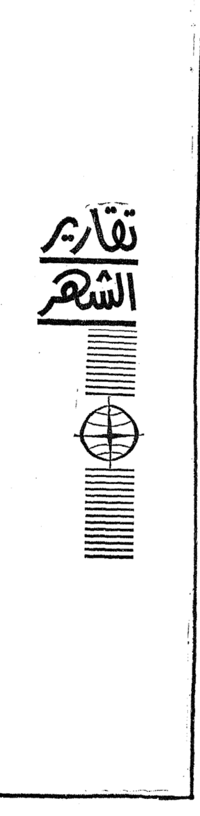
والواقع أن اجتماع تاناكا ونيكسون يعقد في ظل مشكلة أخرى تضيف عنصر خلاف جديد بين البلدين ، وهي مشكلة الطاقة . وقد قاومت اليابان حتى الان مطالب الولايات المتحدة لتكوين كتلة أمريكية يابانية ، أوروبية ضد الدول المنتجة للبترول ، وذلك - بطبيعة الحال - ارضاء لدول البترول في الشرق الاوسط التي تحصل اليابان منها على أكثر من ٨٥ في المائة من احتياجاتها البترولية .

وربما في ضوء ادراك اليابان الجديد بأن الولايات المتحدة ليست الاقوى عسكريا ولا الاقوى اقتصاديا في العالم ستحدد اليابان سياستها الخارجية في السنوات القادمة . وفي هذا الاتجاه لن يعود اعتماد اليابان كليا على الولايات المتحدة . وعلى حد تعبير الصحفي الامريكي سولزبرجر فان اليابان « قد تأخذ بعض بيضها من السلة الامريكية لتوزعه على أنحاء العالم الجديد ، المتعدد الجوانب ، الذي يحل الان محل العالم الثنائي القديم » .

وهذا المنطق نفسه يجعل استمرار معاهدة الامن المتبادل بين اليابان وأمريكا أمرا غير مقبول . فالمنطق الذي يفهمه العالم فيتطوراته الجديدة هو منطق التعاون الدولي على قدم المساواة الذي نادت به دائما الدول الاشتراكية .

وقد تفهم اليابان هذا المنطق فتنفتح على العالم الذي كانت الويالات المتحـدة قد اغلقته على اليابان .

قد تخرج اليابان لتبادل التعاون الاقتصادي والتجارة ، مع الاتحاد السوفيتي ، ومع الصين ، ومع دول العالم النامي . ولكن تظل مشكلة المنافسة الخطيرة بين الرأسمالية الامريكية والرأسمالية اليابانية قائمة وتظل تزداد حدة . والزمن وحده هو الذي سيبين الى أين يمكن أن ينتهي هذا الصراع الذي لا تحكمه قوانين الصراع الداخلي في صفوف الرأسمالية وحدها ، بل تحكمه أيضا قوانين الصراع الاشمل بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي .



■ العالم العربى

بداية عهـد جـديد
من التضامن العربى

المنظمات الديمقراطية
العالمية تدين اسرائيل

■ العالم الثالث

على مشـــارف
تطورات حاسمة

■ الدول الاشتراكية

مســاندة تامــة
على كل المستويات

● جمهورية مصر العربية ●

على الجبهـــة الداخليـــة

أصدر الرئيس **أنور الســادات** ــ استجابة لقرار مجلس الامن ــ **قرارا** بوقف اطلاق النار مساء اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر الماضى .

وقد أكد **الرئيس السادات** ، وهو يتخذ قراره ، على أن القاعدة الوطنية قد برزت وتدعمت بعمل القوات المسلحة المظيم والمجيد ــ هذا العمل الذى كسر وحــده جمود الازمة ــ وأنهى للابد صــلافة وحمــاقة القوة للعــدو الاسرائيلى الذى ظل يمارسها خمسة عشر عاما .

كما أن **الرئيس السادات** قد وضع فى اعتباره عند اتخاذ قرار وقف اطلاق النار ، مجموعة من القرارات الهامة ، من بينها :

● أن مشروع القرار الذى وافق عليه المجلس ــ وقد تقدمت به الدولتان الاعظم : الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ــ **بعد جهود مكثفة** على أعلى مستوى .

● أن مجلس الامن قد وافق على القرار دون أى اعتراض من أى عضو .

● أن المناقشات فى المجلس ألقت أضواء هامة للغاية ، وبشكل خاص كان لملاحظات فرنسا والهند أهميتها .

● أن التفسير المصرى لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واضح كل الوضوح فيما يتعلق بالانســحاب من كافة الاراضى المحتلة ، والمحافظة على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

● مشروع السلام الذى عرضه **الرئيس السادات** على الرأى العام العالمى والقائم أساسا على أن الانسحاب الكامل أساس أى عمل سياسى .

● المحادثات التى دارت بين الرئيس السادات واليكسى كوسيجين خلال زيارته للقــاهرة .

● التأكيدات التى تلقاها الرئيس السادات من **ل . بريجنيف** فى رســالة خاصة تلقاها يوم ٢١ / ١٠ .

● الاتصــالات مع عدد من العواصم العربية المهتمة مباشرة بالمعركة .

وكان الرئيس **أنــور الســادات** قد أعلن [أمام مجلس الشــعب] فى اليوم الثانى عشر لبدء القتال ، مشروعا للسلام من خمس نقاط :

١ ــ الالتزام بقرارات الامم المتحدة : الجمعية العامة ومجلس الامن .

٢ ــ الاستعداد لقبول وقف اطلاق النــار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى المحتلة فــورا وتحت اشراف دولى الى خطــوط ما قبل يونيو سنة ١٩٦٧ .

٣ ــ الاستعداد فور اتمام الانسحاب ، لحضور مؤتمر ســلام دولى فى الامم المتحدة لوضع قواعد وضوابط ســـلام المنطقة ، تقوم على الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

٤ ــ الاستعداد للبدء فورا فى تطهير قناة الســويس وفتحها أمام الملاحة العالمية لكى تعود الى دورها فى رخاء العالم .

٥ ــ رفض قبول وعود مبهمة أو عبارات مطاطة تقبل كل تفسير .

وكان **الرئيس** قد حــدد فى أول خطاب له بعد بدء القتــال ، بأن للحرب هدفين : استعادة أراضينا المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلســطين . وأدان **الرئيس** فى خطــابه موقف الولايات المتحــدة الامريكية التى لم يكفها أن ســلاحها هو الذى مكن اسرائيل من تعطيل كل محاولات الحل الســلمى فى أزمة الشرق الاوسط ، فاذا هى ــ بينما نحن نقاتل العدوان ونحاول ازاحة كابوســه عن أراضينا المحتلة ــ تسارع الى العدوان تعوضه عما خسر وتزوده بما لم يكن لديه .

وأعلن **الرئيس** ثقته وثقة الشــعب فى القوات المســلحة المصرية « التى قامت بمعجزة على أساس أى مقياس عسكرى يوم الســادس من أكتوبر ،

حين تمكنت من اقتحام القناة واجتياح خط بارليف المنيع واقامة رؤوس جسور لها » .

كما أكد الرئيس ان القوات المسلحة كان فى استطاعتها عام ١٩٦٧ ، ان تحارب بنفس البسالة والصلابة التى تحارب بها اليوم ، لو ان قيادتها العسكرية لم تفقد أعصابها بعد ضربة الطيران التى حذر منها **عبد الناصر** .. أو لو ان تلك القيادة لم تصدر بعد ذلك قرارا بالانسحاب من سيناء دون علم **عبد الناصر** أيضا .

وعبر الرئيس السادات فى خطابه عن مشاعر التقدير العميق للسوريين « أشرف الاصدقاء وأشجع المقاتلين » .. والجيش السورى العظيم الذى يحارب معركة من أمجد معارك الامة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للرئيس **حافظ الاسد** .

هذا وفور بدء القتال ، تم اتخاذ طائفة من التدابير الضرورية لمواجهة الموقف ، من بينها :

- تأجيل بدء الدراسة بالجامعات ، وتعطيلها بالمدارس الاعدادية والابتدائية ، أما المدارس الثانوية فتحولت الى مراكز لتدريب طلبتها .
- وقف المباريات الرياضية واغلاق المحلات العامة والمقاهى اعتبارا من الساعة الحادية عشرة مساء .
- تقنين صرف بعض المواد كالسكر والزيت والبنزين .
- قصر بيع اللحوم على يومين فى الاسبوع .
- زيادة الضريبة التجارية مؤقتا بنسبة ٢/١ ٢ ٪ ، والايراد العام ١ ٪ ، ورفع أسعار السجاير والبنزين والمشروبات الكحولية واجور السفر ، على أن تقيد الزيادة [كضريبة جهاد] .
- وقد وافق مجلس الشعب على مجموعة قوانين خاصة بفرض ضريبة الجهاد .

وهناك اجماع بين كل المراقبين الذين أتيحت لهم فرصة الحياة فى مدن مصر وقراها بعد بدء القتال ، على ان تحولا هاما وعميقا قد بدأ يطبع حياة الناس واهتماماتهم . وان عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف قد أشعل حماس المواطنين وفجر عزائمهم .

والملاحظ ان كل الاجراءات الاقتصادية قد تقبلها المواطنون — رضاء ودون أى اعتراض — وتدفق الالوف من الرجال والنساء على مقار الاتحاد الاشتراكى ومراكز النقابات المهنية والعمالية والاتحادات الطلابية لتسجيل أسمائهم كمتطوعين فى أنشطة المقاومة الشعبية والدفاع المدنى ، واتسعت بشكل ملحوظ حركة التبرع بالمال وبالدم .

وعبرت جماهير القاهرة عن ثقتها وتأييدها **للرئيس** ، وللقرار الذى اتخذه ليس فقط بآلاف البرقيات من الهيئات والمؤسسات والافراد ، وانما باستقباله فى طريق ذهابه **لمجلس الشعب** ، استقبالا وصف بأنه كانت فيه « قمة مشاعر الحب والتقدير والعرفان » .

وقد أذاعت **الامانة العامة** للاتحاد الاشتراكى بيانا ، أكدت فيه ان المعركة « معركة الوطن كله على اختلاف جبهاته وقواه ومواقعه من العمل الوطنى » .

ودعت **أمانة الشباب** باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، الشباب الى التطوع للدفاع الشعبى والمدنى وخدمة الجبهة العسكرية ، مؤكدة على ان الشباب يجب ان يبذل المزيد من العمل والوحدة والنضال من أجل مصر وراء قواتنا المسلحة وخلف قيادة الرئيس أنور السادات .

وتقرر تشكيل كتائب مركزية من الشباب لخدمة المعركة على المستوى القومى لتولى مسئوليات رئيسية فى مهام الخدمة المعاونة للقوات المسلحة .. وتم اختيار خمسمائة من طلاب جامعات القاهرة والجيزة لهذا الغرض .

كما تم تشكيل فرق من الشباب للنزول الى المجمعات الاستهلاكية لترشيد الاستهلاك .

ووجه **اتحاد طلاب الجمهورية** نداء الى الطلاب يدعوهم الى مراكز

تدريب طلاب الجامعات لحمل السلاح والتدريب على أعمال الدفاع المدنى والاسعاف والتمريض .

وفى اجتماع النقابات العمالية مع الامين العام للاتحاد الاشتراكى ، تقرر ان يتولى العمال قيادة حملة شعبية لزيادة الانتاج فى مواقع العمل ، بهدف :

● سد الفراغ والنقص فى العمالة الذى ترتب على استدعاء بعض العمال للخدمة .

● زيادة الانتاج فى كل موقع بمقدار ٥ ٪ على الاقل .

● القيام بحملة شعبية لتقليل الهالك والعادم ، وتوفير استخدام المواد الخام .

● ضرورة أن تتحول لجنة الانتاج فى كل مصنع الى لجنة الانتاج من أجل المعركة .

وفى مؤتمر كبير عقده الصحفيون فى نقابتهم ، اتخذوا عدة توصيات ، من بينها :

■ ان المعركة ضد اسرائيل فى جوهرها معركة ضد قوى الامبريالية التى تساند اسرائيل والتى حرضتها ومولت عدوانها .

● التأكيد على وحدة كل القوى الوطنية تجاه الهدف المحتمل فى جبهة القتال .

● الدعوة لتسليح الجماهير فى المناطق المتاخمة لمواقع القتال ، وفى المناطق ذات الطبيعة الاستراتيجية والتى تضم أهدافا حيوية — لضرب وافشال محاولات الاسرائيليين — التى لا شك سيقومون بها فى العمق المصرى .

● أصدرت النقابة نشرة يومية باسم المعركة .

وعندما أعلن وقف اطلاق النار ، عبر كثير من المراقبين عن ضرورة اليقظة التامة لمؤامرات العدو وتخطيطاته ، وألحوا على ضرورة الاستمرار فى التعبئة ، ومواصلة الاستعداد والتدريب وسد ما بدا من نقص أو قصور فى بعض النواحى .. **واعتبار ان ما تم حتى الان هو الجولة الاولى .**

كما ركز البعض ، على ضرورة مواصلة تنمية الحركة الجماهيرية النشطة التى بدت فى صفوف العمال والطلاب والنساء ، وتدعيمها واستغلال امكانياتها الضخمة واتاحة الفرصة أمامها لمشاركة أكثر فاعلية فى مساندة القوات المسلحة وحماية الجبهة الداخلية .



● العالم العربى ●

بداية عهد جديد من التضامن العربى

ما تزال تطورات الحرب وانتصارات الجيشين المصرى والسورى على القوات الاسرائيلية تثير — كل يوم — ردود فعل بعيدة المدى فى كافة أرجاء الوطن العربى .

وكان لنبأ عبور القوات المصرية لقناة السويس ، فى السادس من شهر اكتوبر الماضى ، واقتحام خط بارليف وتدمير الحصون التى أقامها العدو الاسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة ، واشتراك القوات المصرية والسورية فى الهجوم على القوات الاسرائيلية فى وقت واحد وقع المفاجأة العظيمة بين الجماهير فى كل البلدان العربية ، تلك المفاجأة التى عبرت بهم جميعا وفى لحظة واحدة من واقع اليأس والرجاء ، الى واقع الانتصار والامل وثقة فى المستقبل .

ولقد ظهر منذ البداية امكانيات التضامن العربى فى هذه الحرب المصيرية ، وخاصة من جانب الدول الوطنية والتقدمية . فقد أعلنت حكومة الجبهة الوطنية التقدمية فى العراق أنها تضع جميع القوات المسلحة العراقية تحت تصرف القيادة المصرية السورية ، واعلان حالة الطوارىء فى البلاد واستدعاء الاحتياطى من العسكريين والفنيين فى العراق ، وقد أشاد الرئيسان أنور السادات وحافظ الاسد بكفاءة وشجاعة القوات العراقية المشتركة فى القتال على الجبهتين المصرية والسورية ، والاشادة بتأميم العراق لحصة أمريكا وهولندا فى شركة نفط البصرة . كما أعلنت الجمهورية العربية الليبية بأنها تضع كل امكانياتها فى خدمة المعركة ، وذكر الرئيس معمر القذافى أن ليبيا ستقوم بتمويل المعركة ومد كل من مصر وسوريا باحتياجاتهما من البترول لحين تحقيق النصر . كذلك أعلن الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ، أن الجزائر تضع كل امكانياتها وطاقاتها العسكرية والمادية تحت تصرف مصر وسوريا ، وان الجزائر أوقفت تنفيذ خطة التنمية فى الداخل لحين الانتهاء من المعركة .

وتحتل الاردن وضعا خاصا فى الحرب الدائرة الان ضد اسرائيل ، باعتبارها من دول المواجهة مع اسرائيل ، ويوجد جزء كبير من أراضيها ، وهو الضفة الغربية ، تحت الاحتلال الاسرائيلى منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ . ولقد أرسلت الاردن بعض القوات الخاصة للاشتراك فى القتال على الجبهة السورية ، وقد أعلن الملك حسين : أن الاردن لن يتخلى أبدا عن مطلبه فى استعادة أراضيه التى فقدها فى حرب ١٩٦٧ ، وأن القوات الاردنية تقاتل بصلابة على الجبهة السورية ، وأن العرب سيواصلون القتال حتى يتم تحرير أراضيهم واستعادة القدس . كما تشترك بعض البلدان العربية الاخرى مثل الكويت والمغرب والسعودية فى القتال بقوات رمزية على الجبهتين المصرية والسورية .

ولقد طرح منذ بداية الحرب موضوع البترول العربى ، واتجهت أنظار الجماهير العربية الى البلدان العربية المنتجة للبترول ، حيث عقد بالكويت فى ١٧ — ١٠ اجتماع وزراء الدول العربية المنتجة للبترول [١١ دولة] لبحث دور البترول فى المعركة الراهنة مع العدو الاسرائيلى . وأصدر المؤتمر قرارا بخفض الدول العربية المنتجة للبترول انتاجها من البترول فورا بنسبة ٥ فى المائة ، تزداد بنسبة ٥ فى المائة أخرى كل شهر ، الى أن يتم جلاء اسرائيل عن الاراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق شعب فلسطين ، على أن يطبق هذا القرار على أمريكا فى المقام الاول ، والدول الاوربية الصناعية التى تساند اسرائيل .. ثم عادت كل من أبو ظبى وليبيا والسعودية والجزائر والكويت وقطر والبحرين ودبى وأعلنت بعد ذلك وقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة ، بسبب مساعداتها العسكرية لاسرائيل ، وهددت كل منها باتخاذ اجراء مماثل ضد اية دولة أخرى تساند اسرائيل فى حربها العدوانية ضد العرب .

وفى الاراضى العربية المحتلة تميزت ردود الفعل للانتصارات العسكرية على العدو الاسرائيلى فى حركة الجماهير العربية التى غمرتها الفرحة بقرب زوال الاحتلال الاسرائيلى ، وتشير الانباء الى أن نشاط قوات الثورة الفلسطينية آخذ فى التزايد والعنف ضد منشآت العدو وقواته المسلحة وتدمير خطوط امداداته ، وتكبيده خسائر كبيرة ، كما يتمثل ايضا فى اتساع حركة العصيان المدنى بين المواطنين ، وشل الاعمال التى يستفيد منها العدو ، وتواجه السلطات الاسرائيلية فى الوقت الحاضر ، مقاومة من جانب العمال العرب لارغامهم بالقوة على العودة الى العمل بالمصانع الاسرائيلية ، التى كانوا قد تركوها عند نشوب الحرب .. وقد ذكر مراسل وكالة الاسوشيتدبرس فى تقرير له من غزة ، أن كل الناس فى غزة يستمعون طول الوقت الى راديو القاهرة ، وانه منذ بداية القتال تقوم دوريات اسرائيلية فى سيارات مصفحة بجولات فى شوارع القطاع ، وأن

سكان غزة أصبحوا مقتنعين بانتصار مصر ، وانهم يتطلعون الى اليوم الذى يتم فيه تحرير أراضيهم .

ومن ناحية أخرى ناشـدت اللجنة التنفيذية **لمنظمة التحرير الفلسطينية** السلطات الاردنية ، العمل على ادخال القوات الفلسطينية الى الاردن ، وخاصة فى منطقة الاغوار ، للقيام بواجباتها ضد العدو الصهيونى ، مما سيساهم فى الدفاع عن شرق الاردن ومساندة نضـال سـكان الاراضى المحتلة ، وقالت المنظمة أنها تأمل أن يرتفع الجميع الى مستوى المسئولية القومية فى هذه الظروف المصيرية ، كما اعلنت المنظمة أنها ستلجأ الى كل الوسائل لادخال قواتها الى الضفة الغربية وبقية الاراضى المحتلة .. وقد أعربت كافة المنظمات الشعبية والقـوى الوطنيـة والصحافة فى العالم العربى ، عن تأييدها لمطلب منظمة التحرير الفلسطينية فى هذه الظروف المصيرية ، وهو الشىء الذى لم يتحقق حتى الان .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى الجهد الذى تقوم به الامانة العامة **لجامعة الدول العربية** فى خدمة المعركة ، فقد بعثت الامانة العامة ببرقيات الى الدول الاعضـاء ، تذكرهم فيها بما جاء فى معاهدة الدفاع العربى المشترك التى تنص على اعتبار العدوان على اى عضو من الدول العربيـة يعتبر عدوانا على جميع الدول الاعضاء . وتقوم الامانة العـامة لجامعة الدول العربية باجراء اتصالات بين الحكومات العربية لاتخاذ موقف موحد ازاء سياسة امريكا الاستعمارية لتحديها السافر للحق العربى بمساندتها لاسرائيل وامدادها بالمقاتلين الامريكيين وبالسلاح والعتاد .

وقد عبرت كافة الجماهير والمنظمـات الشـعبية والاحـزاب الوطنيـة والتقدمية فى البلدان العربية عن فرحتها الغامرة بانتصارات الجيشـين المصرى والسورى وتمثلت هذه المشـاعر الحماسية الفياضـة فى المظاهرات والمسيرات الشعبية وتشكيل الوفود الضخمة الى السفارات المصرية والسورية ، لمساندة وتأييد مصر وقائدها **الرئيس أنور السادات** ، وتقديم طلبات التطوع الى السفارات المصرية والسورية للمشـاركة فى القتال ، وفى الاقبال على التبرع بالمال والدم للمساهمة فى المجهود الحربى .

وقد اصدر كل من الحزب الشيوعى اللبنانى والحزب الشيوعى السورى بيانا ، يدعون فيه كافة القوى الوطنية والتقدمية والمنظمات الجماهيرية العمالية فى الوطن العربى الى حشد جميع الطاقات والامكانيات والوقوف بحزم وراء مصر وسوريا ومساندتهما بكل الوسائل .

كذلك اتخذت الاتحادات العمالية العربية قرارات هامة تتعلق بموضوع البترول العربى كسلاح فى المعركة ، وغـيره من الموضوعـات الخاصـة بالمعركة مع اسرائيل والاستعمار الامريكى . فقد طلب اتحاد عمال الكويت ان يكونوا على أتم استعداد لتدمير جميع المنشآت البترول ، اذا اقتضت تطورات الحرب فى الشرق الاوسط ذلك ، كما دعا الاتحاد الدول العربية المنتجة للبترول الى وقف تصدير البترول لجميع الدول التى تؤيد اسرائيل . واعلن الاتحاد العربى لعمال البترول والتعدين والـكيماويات ، ان عمال البترول العرب لن يسمحوا لحلفاء اسرائيل واصدقائها بالاستفادة من قطرة واحدة من بترول العرب ، وانهم لن يترددوا فى اسـتخدام كل الوسـائل لتحقيق هذا الهدف ، وان عمال البترول العرب على استعداد تام من أجل ان يحقق البترول العربى دوره الفعال فى المعركة . وقررت نقابة عمال البترول والمناجم فى السودان مقاطعـة شركات الطـيران الامريكية التى تتوقف طائراتها فى الخرطوم ، وطالب الاتحاد العام لنقابات العمال فى العراق الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب بضرب المصالح الامريكية فى الوطن العربى تنفيذا للقـرارات الاخـيرة للمجلس المركزى للاتحاد الدولى للعمال العرب . كما وجه الاتحاد العربى لعمال النقل تحـذيرا الى جميع اتحادات النقل الدولية ، من نقـل الطيارين والخـبراء العسـكريين الى اسرائيل لمساعدتها فى عدوانها ضد الامة العربية .

وتولى كافة الاذاعات والصحف العربية اهتماما كبيرا لهذا التطور الجديد فى المعركة مع العدو الاسرائيلى وقد اجمعت على الاشادة بالانتصارات العربية على جبهة السويس والجولان ، وببسالة القوات المصرية والسورية فى تحطيم الاسطورة حول استحالة قهر القوات الاسرائيلية ».

ودعت الصحف الدول العربية الى التحرك بكامل قواتها وان تؤمن وصولها الى ميادين القتال بأسرع وقت لدعم القوات المصرية والسورية فى مواجهة العدو المشترك اسرائيل ، وان تضع كل دولة عربية ما تملكه من امكانيات تحت تصرف المعركة ومساندة الحق العربى ، لان المعركة ليست معركة مصر أو سوريا وحدهما ، وانما هى معركة الامة العربية كلها ».

وركزت معظم الصحف العربية على أهمية سلاح البترول فى المعركة الراهنة مع العدو الاسرائيلى والاستعمار الامريكى ، وطالبت بوقف ضخ البترول وتأميم الشركات الامريكية أسوة بالعراق التى أممت الشركات الامريكية منذ اليوم الاول للقتال ، وقالت الصحف انه اذا كانت الظروف اثناء حرب يونيو ١٩٦٧ قد حالت دون استخدام هذا السلاح فان المعركة الحالية تتطلب دفع كل امكانيات الامة العربية البترولية والمادية والبشرية لخدمتها ».

ويلاحظ المراقبون فى العالم العربى ان المساعدات العربية لدول المواجهة مازالت حتى الان دون الحجم المطلوب من الدعم المادى فى المعركة المصيرية الراهنة ، خاصة وان دول المواجهة العسكرية يقع على كاهلها العبء الرئيسى فى هذه المعركة ، مما يشكل ضغطا هائلا على مواردها واقتصادياتها ، كما ان العرب فى حاجة أكثر الى توحيد صفوفهم ، واتخاذ موقف موحد حتى تحقق المعركة النتائج المطلوبة . وقد ذكرت صحيفة الاهرام القاهرية « ان التضامن العربى لا يجوز ان يظل فى هذه اللحظات المصيرية مقصورا على « مساهمات رمزية » حتى لو تمثلت المساهمات فى المشاركة العسكرية بل تنتظر الشعوب العربية جميعها ان تتحمل جميع الدول العربية أعباء المواجهة بصورة متكافئة . وان توجه ضرباتها الى المواقع التى توجع العدو ، وترد تحدى امريكا الصارخ للامة العربية قاطبة باعلانها رسميا التدخل بالاسلحة ، وليست الاضرار التى يمكن الحاقها بالعدو مقصورة على ساحة القتال وحدها ، وان مستقبل خريطة المنطقة يتقرر فى هذه الايام ، ولا يملك مسئول واحد الافلات من أحكام التاريخ فى لحظات المصير » ».

●

وقف اطلاق النار : بداية مرحلة دقيقة

اعلن الرئيس **أنور السادات** فى الثانى والعشرين من شهر اكتوبر الماضى موافقة جمهورية مصر العربية على قرار مجلس الامن الذى يقضى بوقف اطلاق النار فى الشرق الاوسط ، بشرط أن توافق عليه اسرائيل ، وذلك بعد حرب شرسة استمرت ١٧ يوما . استطاعت خلالها القوات المسلحة المصرية والسورية من خلال جهد بطولى أن تكسر الجمود الذى أحاط بقضية الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية المحتلة ، وان ترغم اسرائيل على تغيير موقفها وقبول تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وكان مجلس الامن قد اقترع فجر يوم ٢٢ اكتوبر على مشروع قرار مشترك مقدم من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ويدعو القرار الى وقف القتال فى الشرق الاوسط مع احتفاظ القوات المتحاربة على الجبهتين المصرية والسورية بمواقعها ، وقد تمت الموافقة على القرار بأغلبية ١٤ صوتا وامتناع الصين الشعبية عن التصويت .

ويتضمن مشروع القرار الامريكى السوفيتى ثلاثة بنود اساسية هى كما يلى :

١ ــ يدعو كل الاطراف المشتركة فى القتال لوقف اطلاق النار وانهاء كل نشاط عسكرى فورا فى فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة منذ لحظة الموافقة على هذا القــرار . وفى المواقع التى يحتلونها الان .

٢ ــ يدعو الاطراف المعنية لان تبدأ فورا بعد وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل بنوده [والمعروف أن قرار مجلس الامن ينص على انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضى العربية التى احتلتها فى حرب يونيو ١٩٦٧] .

٣ ــ يقرر أن تبدأ فورا وفى نفس الوقت مع وقف اطلاق النار المحادثات بين الاطراف المعنية تحت الاشراف المناسب بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط .

وكانت اسرائيـــل هى أول من أعلنت موافقتها على المشروع الامريــكى السوفيتى ، فور الاقتراع عليه فى مجلس الامن وذلك شريطـــة أن توافق الدول العربية عليه . وطالب يوسف تكواه مندوب اسرائيل بأن يطبق وقف اطلاق النار على كل المعارك ضد اسرائيل ، بما فى ذلك الاعمال الفـــدائية للمقاومة الفلسطينية ، وانهاء الحصار المفروض على الممر المـــائى الدولى ــ باب المندب ــ الذى تفرضه جمهورية اليمن الديمقراطية ضد اسرائيل .

وقد استقبلت الجماهير فى مصر قرار وقف اطلاق النار بمزيج من الحذر والترقب ، فى انتظار ما تسفر عنه التطورات القادمة ، وبشعور من الثقة بالقيادة الوطنية للرئيس **أنور السادات** وبالاعتزاز بقواتها المسلحة .

وحتى ساعة اعداد هذا التقرير ، لم تكن سوريا قد أعلنت عن موقفها من قرار مجلس الامن وقبول وقف اطلاق النار ، كما اعلنت كل من العراق وليبيا والجزائر والمقاومة الفلسطينية انها ترفض وقف اطلاق النار .

ويلاحظ المراقبون أن قبول مصر لقرار مجلس الامن ينسجم الى حد كبير ، مع مشروع السلام الذى طرحه الرئيس **أنور السادات** فى رســـالته التى وجهها الى الرئيس الامريكى نيكسون فى خطابه بتاريخ ١٠/١٦ ، والذى جعل من الانسحاب الكامل أساسا لاى عمل سياسى .

والمعروف أن **اليكسى كوسيجين** رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ، كان قد عقد مع **الرئيس السادات** خمس جلسات عمل مشترك بالقاهرة ، فى الفترة ما بين ١٦ ــ ١٩ اكتوبر ، وتتعلق بأزمة الشرق الاوسط .

كذلك جرت فى موسكو اجتماعات بين **ليونيد بريجينيف** ســكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى ، وبين **هنرى كيسنجر** وزير خارجية الولايات المتحـــدة واستغرقت مدة يومين وتم فيها التوصل الى مشروع القرار المشترك .

ويرى المراقبون ان البدء الفعلى لتطبيق قرار مجلس الامن ، سوف يفتح مرحلة جديدة تماما فى صراع الشرق الاوسط على المســتويات السياسية والدبلوماسية لا تقل عنفا عن مرحلة القتال . ويضيف المراقبون ان نتائج اية مفاوضات لتنفيذ قرار مجلس الامن منوطة بالحفاظ على ســلامة الجبهات الداخلية والقيام بكل جهد ممكن للحفاظ على وحدة العمل العربى ، هـــذه الوحدة التى بدأت ايام القتال بداية مبشرة .

●

المنظمات الديمقراطية العالمية تدين اسرائيل

فور أن تناقلت وكالات الانباء العالمية بعد ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ خبر اندلاع حرب التحرير الوطنى المصرية ــ السورية ــ ضد الاحتلال الاسرائيلى نشطت كل القوى والمنظمات التقدمية والديمقراطية والمحبة للسلام فى انحاء كثيرة من العالم تعبىء قواها الجماهيرية ماديا

ومعنويا لنصرة الحق العربى وتأكيد شرعيـة الاجـراءات المصريـة السورية لردع العدوان وتحرير الارض بالقوة المسلحة .

وقد ادركت هذه القوى والمنظمات الشعبية انه بعد نحو ست سنوات ونصف من المحاولات المخلصة والدءوبة التى بذلتها البلدان العربية لحمل اسرائيل سلميا على الانصياع للشرعية الدولية فلم يعد هناك من سبيل لردع المعتدى سوى اجباره بالقوة المسلحة على تنفيذ ارادة المجتمع الدولى بالانسحاب من الارض العربية التى احتلها عام ١٩٦٧ واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

ومنذ اللحظة الاولى لاندلاع حربنا التحريرية العظيمة نشطت المنظمات الجماهيرية المصرية بدورها لتؤكد للعالم التقاء الارادة العربية ــ سلما وحربا ــ مع ارادة مجتمع الدول ومبادئه وطموحاته من أجل سلام عادل للبشرية جمعاء . ولقد كانت الاستجابة السريعة التى أبدتها المنظمات التقدمية العالمية نتاج طبيعى للعلاقات الوثيقة التى استطاعت منظماتنا المماثلة أن تبنيها معها عبر النضال الطـويل المشترك من أجـل القضـايا العادلة لكل الشعوب المكافحة .

ونقلت الانباء ان رئاسة المجلس العالمى للسلام قد بادرت بعقد اجتماع طارىء فى موسكو للبحث فى الوسائل الفعالة لمســاندة حرب التحرير العربية حتى تصل الى تحقيق اهدافها العادلة . وقد وجـه الرئيس أنـور السادات رسالة الى هذا الاجتماع قال فيها « نحن نخوض حرب تحرير من أجل اقرار سلام عادل وان الهدف الموضوع أمام قوات مصر هـو تحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلى » وقال الرئيس « لقد بذلت مصر كل ما تستطيع من اجل تحقيق سـلام عادل وصبرت طويلا أملا فى تسوية سلمية تقر السلام وتعيد الحق الى اصحابه . لكن اسرائيل رفضت كل هذه المحاولات مدعومة فى ذلك من الولايات المتحدة » وحدد الرئيس مطلبنا بأنه « يجب ان يتم انسحاب اسرائيل انسحابا كاملا من كل الاراضى التى احتلت عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ ، مع احترام وضـمان الحقـوق القوميـة المشروعة للشعب العربى الفلسطينى »وأكد الرئيس فى ختام رسالته « ان معركتنا هى فى نفس الوقت معركة كل القوى الداعية للدفاع عن السلام العالمى والقانون الدولى وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ونحن على ثقة من التأييد الجماعى لكل هذه القوى » ومن المجلس المصرى للسلام أرسل السـيد / خـالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس وعضـو رئاسـة المجلس العالمى برقية قال فى بدايتها «أعتذر عن مشـاركتكم فى هذا الاجتماع يعوقنى عن ذلك عدوان اسرائيلى جديد على أرض بلادى » وقال خالد محيى الدين « أن مصر تحرر الان أرضا مصرية لايشـك احد فى مصريتها » واكد وجهة نظر المجلس المصرى فى « أن أى وقف لاطلاق النار يجب أن يكون مصحوبا بالانسحاب الاسرائيلى الكامل من كل الاراضى العربية التى احتلت عقب عدوان ١٩٦٧ مع الاحـترام الـكامل لحقوق الشعب الفلسطينى » وقال فى ختام برقيته « نحن نخوض حرب تحرير، نحن نحارب من أجل السلام العادل . نحن ندرك انكم معنا ».

كذلك فقد أصدرت المنظمات والاتحادات العمالية والمهنية الديمقراطية العالمية بيانات عبرت فيهـا عن التأييد المطلق للعـرب فى حربهم من أجل تحرير الارض المحتلة والحفاظ على حقوق شعب فلسطين وقرر الاتحاد العام لعمال مصر ايفاد مندوبين لحضور المؤتمرات العمـالية العالمية التـى تعقد فى هذه المرحلة لشرح وجهة النظر العربية فى المعـركة الدائرة الان . وفى برلين عاصمـة المانيا الديمقراطية اجتـمع اتحـاد النساء الديمقراطى العالمى واصدر بيانا ندد فيه بالعدوان الاسرائيلى وقصفة المدنيين فى سوريا ومصر وأعلن عن تضامنه مع الحقوق العربية المشروعة وفى جنيف اصدر المؤتمر البرلمانى الدولى الذى حضرته وفود من ٧٠ دولة قرارا بشجب العدوان والدعوة الى السلام الدائم والعادل فى المنطقة

وكان قد حضر هذا المؤتمر وفد برلمانى مصرى برئاسة الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب عقب البيان التاريخى الذى القاه الرئيس أنور السادات أمام المجلس فى ١٦ أكتوبر .

وقد تلقت منظمة الشباب الاشتراكى سيلا من برقيات التضامن من مختلف المنظمات الشبابية التقدمية فى جميع أنحاء العالم وكانت المنظمة قد بادرت بارسال نداء الى هذه المنظمات تدعوها فيه الى مساندة مصر من أجل رد العدوان ، وفى برقية التأييد التى بعثت بها اللجنة المركزية لعصبة الشباب الشيوعى (الكومسومول) ، ولجنة منظمات الشباب بالاتحاد السوفيتى أعلن الشباب الشيوعى وكل الشباب السوفيتى ثقته فى « ان الشعوب العربية سوف تنتصر فى صراعها ضد العدوان الاسرائيلى الاجرامى وسوف تحقق حريتها واستقلالها » كما أعلن اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى باسم جميع المنظمات الشبابية الداخلة فى عضويته ادانة اسرائيل وعزمه على القيام بحملة تضامن واسعة النطاق لصالح الشعوب العربية المقاتلة من أجل الحرية . كذلك فقد ارسل اتحاد الطلاب المصرى قد أصدر عقب العدوان الاسرائيلى بيانا دعا فيه كل القوى الديمقراطى العالمى الذى يضم ١٠٥ من المنظمات الطلابية برقية الى الاتحاد العام لطلاب جمهورية مصر العربية أعلن فيها ان ملايين الطلاب فى جميع انحاء العالم يدينون بقوة العدوان الاسرائيلى الاخير ، ويؤيدون بالكامل النضال العربى من أجل تحرير كل الاراضى المحتلة واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى وحق تقرير مصيره فى أرضه وكان اتحاد الطلاب المصرى قد اصدر عقب العدوان الاسرائيلى بيانا دعا فيه كل القوى الشعبية والطلابية الشريفة فى العالم للوقوف ضد هذا العدوان وفضحه وادانته . واذا كان من الواضح أن اسرائيل قد استنفرت ضد نفسها وبسياستها الخرقاء كل القوى الديمقراطية والمحبة للسلام فمن الواضح أيضا أن حرب التحرير العربية تكتسب كل يوم المزيد من الاصدقاء والمساندين فى مختلف أنحاء العالم وتبقى القوى والدوائر الامبريالية وحدها وفى عزلة عن الجميع هى الظهير المتغطرس للاجرام الاسرائيلى .

●

المؤتمر النقابى العالمى الثامن

من ١٥ الى ٢٢ أكتوبر ، انعقد فى « فارنا » ببلغاريا المؤتمر النقابى العالمى الثامن ، للاتحاد العالمى للنقابات ، وشهد المؤتمر ممثلون لاكثر من ١٤٠ مليون عامل نقابى منظمين فى اتحادات نقابية عضو بالاتحاد العالمى للنقابات . كما شهد المؤتمر ممثلون لاتحادات نقابية دولية واقليمية عديدة — الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، المؤتمر الدائم لعمال أمريكا اللاتينية ، اتحاد نقابات جميع أفريقيا — وعشرات من الاتحادات والمنظمات النقابية المستقلة . وانعقد المؤتمر تحت شعار : « الوحدة والتضامن من أجل مستقبل مزدهر من التقدم والحرية والسلام » .

وقد ناقش المؤتمر ، الوضع الدولى الذى تتطور فيه النقابات ، وأزمة العالم الرأسمالى وازدياد عمقها ، وتقدم البلاد الاشتراكية ، ودور النقابات ، والتحدى الذى يواجه العصر — التخلف — والوحدة لمواجهة المشاكل المعقدة ، ووضع الاتحاد العالمى للنقابات فى واقع العالم المعاصر . كما ناقش المؤتمر ميثاق حقوق النقابات والمطالب الاقتصادية والاجتماعية لعمال البلاد الرأسمالية فى المرحلة الحالية .

اولا :

- حق تكوين النقابات والانضمام للتنظيمات النقابية والاشتراك فى جميع النشاطات النقابية .

- حق النشاط النقابى فى كافة مواقع العمل .
- حق الاضراب ومنع وتحريم اغلاق المصانع .
- حق توزيع المطبوعات والدعاية النقابية .
- حق العمل فى انتخاب قياداتهم بحرية .
- حق الاجتماع فى مواقع العمل .
- حق القيام بنشاطات نقابية دولية .

ثانيا ــ حق العمل :

- الاعتراف بحق العمل فى الدساتير والقوانين القومية .
- تحديد وتطبيق سياسة اقتصادية واجتماعية تكفل الاستخدام الرشيد للموارد المادية والبشرية .
- الحماية الاجتماعية لكل شخص يبحث عن العمل ، بمنحه اعانة بطالة تكفل له ولاسرته ظروف حياة مناسبة .
- اعادة التأهيل المهنى للعمال والحاقهم بوظائف جديدة على اساس تأهيل معادل ، وذلك فى حالة ادخال تغييرات تكنيكية فى الانتاج .

ثالثا ــ عن الاجور والدخول :

- الحق فى أجر مضمون يكفل للعامل وأسرته عيشة ملائمة وميسورة .
- الحق فى حد أدنى للاجور مضمون محدد على النطاق القومى .
- حد أدنى من الدخل السنوى للعامل وأسرته ، بغض النظر عن أمراض وحوادث العمل والامراض المهنية والشيخوخة والوضع الاقتصادى .
- ضمان الحفاظ على اطراد القوة الشرائية لكافة دخول العمال .
- انقاص فترة العمل دون تخفيض الاجور .
- وضع نظام ديمقراطى للضرائب يكفل اعادة توزيع الدخول فى المجتمع
- الاعفاء من كل الضرائب بالنسبة للحد الادنى المضمون لدخل العمال المشتغلين أو المتقاعدين ، الى جانب حقوق الضمان الاجتماعى والتسهيلات الاجتماعية ، والترفيه والثقافة .

رابعا ــ القضاء على التخلف :

- اصلاحات زراعية تقضى على كافة أشكال ومخلفات الملكية الاستعمارية والاقطاعية والعقارية ، وتضمن الارض لمن يفلحونها .
- تصنيع يتجه نحو توسيع السوق الداخلية ورفع مستوى معيشة السكان .
- انشاء وتطوير قطاع الدولة الصناعى ، والقضاء على الاحتكارات الخاصة .
- توفير ظروف المساواة فى التجارة مع البلدان الراسمالية المتطورة ، واستقرار أسعار صادرات البلاد المتخلفة ، مع القضاء على التكتلات المغلقة ، وتحويل النفقات العسكرية ونفقات التسلح الى اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية .
- السيادة القومية لكل بلد على موارده الطبيعية ، وحق السيادة للبلدان المتخلفة فى ان تراقب استقلال رؤوس الاموال الاجنبية وفق الاحتياجات القومية للتنمية فيها ، وان تؤمم المشروعات المملوكة لرأس المال الاجنبى .

وتضمن البرنامج العديد من الواجبات والمطالب النضالية المتعلقة بالنضال ضد الاحتكارات الدولية والشركات متعددة الجنسيات ، والنضال من اجل علاقات اقتصادية وتجارية ونقدية تخدم مصالح العمال والشعوب ، وعن ظروف العمل وحماية الصحة ، وتخفيف أعباء العمل ، وتخفيض ساعات العمل ، وعن ارساء الديمقراطية فى التعليم والتأهيل المهنى ، وعن حقوق المراة العاملة ، والشباب العامل ، والعمال المهاجرون ، والمهندسون والكوادر والفنيون ، وتحقيق الديمقراطية الاقتصادية والسياسية .

وكان من اهم الموضوعات التى طرحت على المؤتمر ، وناقشها ممثلو الحركة النقابية العالمية ، قضية الشرق الاوسط ، والتضامن مع العمال

والشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الامبريالى الصهيونى على البلدان العربية .

وفى هذا المجال قال الكسندر شيلبين رئيس المجلس المركزى للنقابات السوفيتية : « أن شعب الاتحاد السوفيتى والنقابات السوفيتية ، يعتبرون أن نضال العرب من أجل انهاء الاحتلال الاسرائيلى لبلادهم حق طبيعى ، لهم ، وباعتبار الشعب السوفيتى والنقابات السوفيتية أصدقاء موثوق بهم للشعوب العربية ، فانهم يطالبون باصرار بضرورة الانسحاب الكامل غير المشروط للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة ، وضرورة ضمان حقوق شعوب كل المنطقة ـ بما فيهم حق الشعب العربى الفلسطينى . وقال : ان اسرائيل قد قامت باستفزازات وأعمال ارهابية ضد العرب ، وان سياسة اسرائيل المغامرة والعدوانية والمدعومة من القوى الرجعية الامبريالية والصهيونية العالمية هى المسئولة عن التوتر الحالى » .

وركز سكرتير الاتحاد العام للنقابات الفلسطينية ، فى خطابه أمام المؤتمر على النضال الذى تشنه الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلى من أجل سلام دائم فى الشرق الاوسط . وكما أشار فى خطابه الى اهمية المساعدات الاخوية غير المشروطة التى تقدمها البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، من أجل انتصار حقوق الشعوب العربية .

وجاء فى القرار الصادر عن المؤتمر حول سياسة اسرائيل العدوانية فى الشرق الاوسط « ان المؤتمر ينعقد فى وقت يعود فيه اندلاع نيران الحرب من جديد فى المنطقة . وقد عبر الاتحاد العالمى للنقابات عن تضامنه مع الشعوب العربية ، وادان المعتدين الاسرائيليين الذين يشنون الغارات الهجومية على الاهداف المدنية ، والذين يواصلون احتلال الاراضى العربية متحدين جميع القوانين الدولية وقرارات الامم المتحدة » .. وطالب المؤتمر بوقف العدوان على الفور وانسحاب جميع القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية . وكما أعلن المؤتمر : ان السلام لا يمكن ان يعود الى المنطقة الا على اساس الاعتراف بالحقوق الشرعية للدول العربية والشعوب التى يعيش فيها ؛ بما فى ذلك الشعب العربى الفلسطينى .

وقد بحث المؤتمر فى هذا الصدد دعوة الجماهير العاملة والتنظيمات النقابية فى مختلف أنحاء العالم لرفع صوت التضامن مع العمال والنقابيين والشعوب فى البلدان العربية والذين يقع عليهم العدوان ، وجاء فى القرار ان المؤتمر ينادى بضرورة القيام بجهود موحدة من جانب الحركة النقابية من أجل تحقيق سلام دائم وثابت فى الشرق الاوسط فى أقرب وقت ممكن .

وقد قال بيير جنسوس السكرتير العام للاتحاد العالمى للنقابات فى خطابه الختامى : ان الاتحاد العالمى للنقابات يبذل نشاطا خاصا فى دعم نضال الشعوب ، وهو اليوم يركز أولا فى توجيه نشاطه وعونه الى شعوب البلدان العربية التى تناضل ضد العدوان الاسرائيلى ، الى شعوب الهند الصينية التى تناضل من أجل التصفية النهائية للعدوان وآثاره ، ومن أجل بناء ووحدة بلادهم ، والى كل الشعوب المناضلة ضد قهر الاستعمار الحديث والامبريالية والفاشية .



● العالم الثالث ●

على مشارف تطورات حاسمة

عندما بدا القتال لتحرير الاراضى العربية المحتلة ، فى ٦ أكتوبر الماضى ؟ لم تكن صورة اسرائيل فى العالم عامة ، وفى العالم الثالث خاصة هى صورة « الحمل الوديع » المحاط « بذئاب » عربية ، كما حاولت اسرائيل أن تصور نفسها أثناء حربها العدوانية فى يونيو ١٩٦٧ ، وانما ظهرت اسرائيل هذه

المرة على حقيقتها ، كقوة عدوانية تريد فرض احتلالها غير المشروع لاراضى الغير بالقوة المسلحة . وكان لذلك التصور اثره الكبير فى المساندة التى حظت بها الجبهة العربية فى معركتها .

ففى **الهند** وجهت « **أنديرا غاندى** » رئيسة الوزراء اللوم الى اسرائيل وحملتها مسئولية اندلاع القتال . وقال بيان أصدرته وزارة الخارجية الهندية ان عناد اسرائيل ورفضها اخلاء الاراضى المحتلة هو السبب الرئيسى فى نشوب الاشتباكات . كذلك اعلن عمال الموانىء فى بومباى مقاطعة السفن الاسرائيلية او التى تحمل بضائع من والى اسرائيل .

وفى **بنجلاديش** ندد الشيخ **مجيب الرحمن** رئيس وزرائها بالعدوان وأكد للرئيسين السادات والاسد ، تأييد بنجلاديش وتنديدها بالعدوان الاسرائيلى .

وأعلنت **الصين الشعبية** أن الحكومة والشعب الصينى يقفان جنبا الى جنب مع الشعب العربى والفلسطينى فى نضاله العادل ضد العدوان الاسرائيلى . واكدت الصين تأييدها الحازم لمصر وسوريا ولبنان . وأعلن **شواين لاى** أن الصين تؤيد باصرار الشعبين المصرى والسورى والشعب الفلسطينى وكل الشعوب العربية ، فى نضالها العادل ضد العدوان الاسرائيلى . كذلك قررت الصين تقديم معونة قدرها عشرة ملايين دولار ومائة الف طن قمح الى مصر .

وفى **أوغندا** هدد الرئيس **عيدى أمين** بقطع علاقات أوغندا الدبلوماسية مع امريكا وطرد جميع الرعايا الامريكيين اذا تدخلت امريكا فى القتال فى الشرق الاوسط . وتقدم الالاف من المتطوعين طالبين المشاركة فى الحرب ضد اسرائيل .

كذلك أصدر **رؤساء وفود الدول غير المنحازة فى الامم المتحدة** بيانا طالبوا فيه بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة ، كشرط مسبق لاى حل لازمة الشرق الاوسط . واعربوا عن تأييدهم الكامل لمصر وسوريا فى كفاحهما العادل ، وجهودهما البطولية لتحرير أراضيهما المحتلة .

ودعا مندوب **كينيا** فى الجمعية العامة الى **مبادرة أفريقية جديدة** لحل الازمة على اساس وقف القتال وانسحاب اسرائيل فورا من كل الاراضى العربية المحتلة .

كما ندد **عزيز أحمد** وزير خارجية باكستان باسرائيل وأوضح ان لدى العرب كل المبررات السياسية والاخلاقية لاتخاذ اى خطوات لاستعادة أراضيهم ، وأعلن رئيس وزراء باكستان أنها ستقوم بمساعدة العرب بأكثر من مجرد التأييد السياسى .

كذلك قررت حكومة **الصومال** أن تقدم الى مصر وسوريا جميع انتاجها من اللحوم والاسماك المحفوظة والمواشى الحية ، وقررت تقديم مليون علبة من اللحوم المحفوظة بصفة عاجلة **هدية** للشعبين المصرى والسورى وتأييدا لهما فى كفاحهما الباسل ضد العدوان الصهيونى واكدت الصومال أنها تضع كل مواردها وبلا حدود تحت تصرف جمهورية مصر العربية وخاصة كل مواردها من اللحم والسمك والفواكه .

واشترك ممثلو **٧٦ دولة اسلامية** من افريقيا وآسيا وبعض دول اوربا وأمريكا اللاتينية فى ارسال برقيات الى رؤساء الاحزاب الاسلامية ، وزعماء العالم الاسلامى والجمعيات ، والهيئات الاسلامية فى جميع أنحاء العالم ، يشرحون فيها موقف مصر البطولى فى رد العدوان الاسرائيلى ، والانتصارات التى حققها الجيش المصرى والسورى .

وفى **ماليزيا** قامت المظاهرات الطلابية مطالبة باغلاق سفارة ماليزيا فى أمريكا ، واغلاق مركز « **لينكولن** » الثقافى ،وأعلنوا أنهم سيواصلون التظاهر حتى تتوقف أمريكا عن مساعدة اسرائيل .

كذلك أعلن المجلس الوطنى لاتحاد عمال **موريتانيا** التبرع بأجر يوم مساعدة لمصر وسوريا فى نضالهما ضد العدوان ، فضلا عن تضامن موريتانيا عامة مع النضال العربى ضد اسرائيل .

وفى القاهرة قام **السفراء الافريقيون جميعا** [٢٥ سفيرا] بتسليم بيان الى وزير خارجية مصر بالنيابة ، أيدوا فيه موقف مصر السليم ، **وادانوا** فيه اسرائيل لمواقفها غير الانسانية او الوحشية .

كما اعلنت **أندونيسيا** أنها ستبذل كل ما فى وسعها لمساعدة العرب ضد اسرائيل — واكد **آدم مالك** وزير خارجيتها أن الحكومة الاندونيسية ستقدم العون والتأييد للدول العربية التى تخوض نضالا عادلا ضد المعتدين الاسرائيليين .

وفى **مالطة** أعلن متحدث رسمى أن حكومة مالطة توافق على مقترحات السلام التى قدمها الرئيس أنور السادات .

أما **تانزانيا** فقد قطعت علاقاتها باسرائيل احتجاجا على عدوانها على الاراضى العربية . **واتخذت كل من الكاميرون وفولتا العليا وتشاد** موقفا مماثلا .

وفى مانيلا **بالفيلبين** تبرع المسلمون بدمائهم لجرحى الحرب على الجبهتين المصرية والسورية وأعلنوا تأييدهم للدول العربية ضد العدوان الاسرائيلى .

وفى اثيوبيا ، أعلن الامبراطور **هيلاسيلاسى** انه لن يمكن تحقيق السلام والاستقرار فى الشرق الاوسط ، دون انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها بالقوة فى عام ١٩٦٧ واتخذ بعدذلك قرار بقطع العلاقات مع اسرائيل .

وعلى هذا النحو نجد فى آسيا ، اجماع معظم دول هذه القارة وخاصة دولها الكبرى من الصين الشعبية الى الهند وبنجلاديش وباكستان وغيرها الى جانب القضية العربية فى تحرير الاراضى المحتلة . ولكن الامر الملاحظ فى آسيا أن معظم هذه الدول الكبرى ، وخاصة الصين والهند كانت تقف فى ١٩٦٧ فى صف الشعوب العربية . ولكن التغيرات الكبرى التى طرأت حقا فى العالم الثالث ، فهى **التغيرات التى حدثت فى موقف الدول الافريقية**، فبينما كانت مواقف عدد كبير من الدول الافريقية فى عدوان ١٩٦٧ تتراوح مابين تأييداسرائيل والتعاطف مع أو على أكثرتقدير الامتناع عن التصويتعلى القرارات التى تخدم الموقف العربى ، وعدد قليل منهاهوالذى تعاطف معالبلاد العربية ، نجد ان الموقف الحالى قد تغير تغيرا كبيرا فى داخل هذه القارة لصالح مصر والدول العربية . وبلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل مؤخرا ٢٢ دولة حتى الآن .

وربما تكون تلك التحولات السريعة ضد اسرائيل فى القارة الافريقية هى أبرز التحولات فى بلدان العالم الثالث ، فى ظروف الحرب الرابعة ، بالنظر الى أهمية القارة الافريقية بالنسبة للشرق الاوسط وقربها من مواطن النزاع .

ولهذا التحول أهميته الكبرى بالنسبة للمخططات الاسرائيلية لانه يعنى فشل التكتيك الذى كانت اسرائيل تستهدف من ورائه خلق **مؤخرة افريقية معادية للعرب** ، والعمل لاكتساب تأييد مندوبى أفريقيا فى الامم المتحدة ، وتصديع منظمة الوحدة الافريقية ، وعزل الانظمة التقدمية فىالقارة الافريقية أو القضاء عليها .

وهذا التدهور لوضع اسرائيل فى افريقيا ، هو الذى حدا بالاسرائيليين أخيرا الى عقد اجتماع لسفرائهم فى أفريقيا لمحاولة وقف هذا التدهور ، دون أن يسفر ذلك عن اى نتائج ايجابية بالنسبة لهم .

على أن هذا التدهور فى وضع اسرائيل فى أفريقيا ، لم ينبع فحسب من استنكار الشعوب والدول الافريقية لدورها العدوانى المتزايد ضد الشعوب والدول العربية ، وانما نبع أيضا من **اكتشاف الافريقيين المتزايد لحقيقة الدور الذى تقوم به اسرائيل فى أفريقيا** . وخاصة ادراك الزعماء الافريقيين والشعوب الافريقية لدورها فى تدبير المؤامرة الاخيرة على **غينيا** ، وموقفها الى جانب حركة الانفصاليين فى **بيافرا** ، والنشاط التخريبى الذى قام به الخبراء الاسرائيليون ضد الحكم القائم فى **أوغندا** ، والمساعدات التى قدمتها اسرائيلللعناصر المخربة فى **بوروندى**، والذىكانسببا فى قطع العلاقاتمعها .

كذلك انكشفت اخيرا الاكاذيب التى كانت تروجها الدعايات الاسرائيلية ، والاساطير التى تشيعها بين الافريقيين عن المساعدات العملية الفعالة التى تقدمها الدول الافريقية عندما علم أن حصة اسرائيل فى كل ما تناله افريقيا من مساعدات من دول العالم لا يشكل فى واقع الامر سوى ٠.٥٪

ويزيد من اهمية النشاط الاسرائيلى فى أفريقيا بالنسبة لنا ان الاسرائيليين كانوا يولون اهتمام كبير هناك **بتشكيل منظمات شبه عسكرية للشباب فى الدول الافريقية** . وكان الخبراء الاسرائيليون يسعون الى أن **يشيعوا بين ابناء الجيل الناشىء فى افريقيا ، روح الحقد والبغضاء تجاه الشعوب العربية والاحزاب والحركات التقدمية** . كما كانوا يعملون بشكل رئيسى من اجل التغلغل فى صفوف قوات الجيش ، والبوليس ، وأجهزة الامن الداخلى ، والنقابات .

ان اعمال اسرائيل العدوانية ، هى التى كشفت عن وجهها الحقيقى فى افريقيا ، فقد أجمع الرأى العام فى معظم الدول الافريقية على استنكار أعمال اسرائيل الارهابية المشينة منذ حادث اسقاط طائرة الركاب الليبية ، حتى اغتيال زعماء حركة المقاومة الفلسطينية فى بيروت . وقد زاد من حدة ذلك الاستنكار ، ما يعرفة الافريقيون عن مساهمة الاسرائيليين فى **وضع خطط حملات التنكيل ضد أحرار غينيا ــ بيساو ، وانجولا وموزامبيق** ، وايفاد خبرائهم ، وتقديم اسلحتهم الى الاستعماريين **البرتغاليين والعنصريين فى جنوب أفريقيا وروديسيا** .

ولقد أعلنت منظمة الوحدة الافريقية أخيرا ، أن الدول الافريقية سوف تتخذ اجراءات سياسية واقتصادية مشتركة ضد اسرائيل ، **اذا أصرت على** استمرار احتلالها للاراضى العربية .

وهكذا نجد أن أعمال اسرائيل العدوانية الاجرامية ضد الشعوب العربية والافريقية ، قد كشفت حقيقتها أمام الشعوب والدول الافريقية ، وهذه الاعمال والجرائم تدفع الشعوب الافريقية أكثر فأكثر نحو العمل الموحد مع الشعوب العربية للتصدى معا فى وجه المعتدين ، وأن تلك الظاهرة تعتبر دون شك من المعالم الايجابية البارزة فى العالم الثالث تأييدا ودعما لنضال الشعوب العربية .■

● الدول الاشتراكية ●

مساندة تامة على كل المستويات

يجمع المراقبون السياسيون على أن مواقف الدول الاشتراكية من « حرب التحرير » التى خاضتها القوات المصرية والسورية ظهر يوم ٦ أكتوبر ، ردا على « العدوان الاسرائيلى » ، قد تحددت فى اطار نقاط أربعة هى :

● أن اسرائيل تتحمل مسئولية « بدء العمليات الحربية » فى ٦ أكتوبر ، بسبب السياسة العدوانية الاسرائيلية التى رفضت طوال السنوات الماضية تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ .

● أن الحرب التى يخوضها المصريون والسوريون ، هى حرب عادلة ، لانها تهدف الى تحرير الاراضى العربية المحتلة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ .

● أن الدول الاشتراكية « تقف بثبات » الى جانب الشعبين فى مصر وسوريا ، « تؤيدهما » وتدعمهما فى حربهما العادلة

● أنه ليس هناك حل « للقضاء على بؤرة الحرب فى الشرق الاوسط » ، الا اذا أعلنت اسرائيل قبولها الانسحاب من جميع الاراضى العربية التى احتلتها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وأقدمت على تنفيذ ذلك .

وقد جرى التزام الدول الاشتراكية بهذا الموقف ، سواء على مستوى التأييد السياسي أو على مستوى الدعم المادى .

فعلى المستوى السياسى ، اذاعت وكالة **تاس** السوفيتية بيانا رسميا **للحكومة السوفيتية** جاء فيه « **أن الاتحاد السوفيتى الامين لسياسته المبدئية فى مساندة الشعوب الساعية الى الحرية والاستقلال يقف بثبات صديقا أمينا للدول العربية . وانه اذ يدين سياسة الاحتلال الاسرائيلية يساند بحزم المطالب الشرعية للدول العربية حول تحرير جميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل** » . ويمضى بيان الحكومة السوفيتية محذرا : « واذا بقيت حكومة اسرائيل على مطامعها التوسعية غير منصاعة لصوت الحكمة ، وواصلت — كعهدها — سياسة الاحتلال متشبثة بالاراضى العربية المحتلة ومتجاهلة قرارات مجلس الامن الدولى والجمعية العامة للامم المتحدة ومتحدية الراى العام العالمى ، فان ذلك قد يكلف شعب اسرائيل غاليا » .

وعلى المستوى الحزبى ، اعلن **ليونيد بريجينيف** السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى : « أن ما يجرى فى الشرق الاوسط الان هو معركة بين المعتدى وهو اسرائيل وبين ضحايا العدوان وهى مصر وسوريا اللتان تريدان تحرير أراضيهما . وان كان تعاطفنا يتجه ، بطبيعة الحال ، نحو الجانب الذى كان ضحية للعدوان . وبالنسبة للاتحاد السوفيتى ، فقد كان ولا يزال ، يؤيد عن اقتناع السلام العادل والدائم فى الشرق الاوسط وضمان الامن لكل البلدان وشعوب المنطقة التى تقع قريبا من حدودنا . ونحن على استعداد ، مثلما كنا من قبل ، للاسهام فى اقامة ذلك السلام » .

وفى كل من كوريا الديمقراطية والمانيا الديمقراطية وبلغاريا ويوجوسلافيا وفيتنام الديمقراطية ورومانيا ومنغوليا الشعبية والمجر وكوبا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والصين ، أصدرت الاحزاب الشيوعية والحكومات بيانات رسمية وبعثت برسائل الى الرئيس أنور السادات ، يعلنون فيها ادانة اسرائيل والوقوف الى جانب مصر وسوريا ومساندتهما .

وفى الجلسة الطارئة التى عقدها مجلس الامن لبحث الموقف فى ضوء استئناف القتال ، بناء على طلب من أمريكا ، أعلن المندوب السوفيتى جاكوب مالك « أن الطريق الى الخروج من الموقف الراهن ينبغى ان يبحث عنه أولا وقبل كل شىء فى حل مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة » .

وبعد أن قامت اسرائيل بالقاء القنابل على بعض الاهداف المدنية فى مصر وسوريا ، أدانت الدول الاشتراكية فى بيانات رسمية لها « هذا العمل الاجرامى » . وجاء فى البيان الذى اذاعته وكالة **تاس** السوفيتية « لا يستطيع الاتحاد السوفيتى أن يتخذ موقف اللامبالاه من الاعمال الاجرامية التى يرتكبها العسكريون الاسرائيليون والتى كان من نتيجتها أن سقط ضحايا بين المواطنين السوفيت فى سوريا ومصر . ويطالب بوقف عاجل لقصف المدن المسالمة فى سوريا ومصر . وبأن تراعى اسرائيل بدقة قواعد القانون الدولى » .

ويضيف البيان « أن استمرار اسرائيل فى القيام بأعمال اجرامية ستكون له آثار فادحة بالنسبة لاسرائيل نفسها » .

ويميل المراقبون السياسيون الى الاعتقاد بأن أبرز معالم مواقف الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتى يتضح بشكل قاطع فى مجال أعمال الدعم العسكرية والمادية . وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتى لم يصدر بيانا رسميا فى مجال تزويد العرب بالاسلحة ، الا ما جاء فى مقال نشرته

احدى الصحف السوفيتية ردا على محاولات التشكيك التى خرجت بها بعض الدوائر الاسيوية المعروفة بعدائها للسوفيت ، واشارت فيه الى « ان الاتحاد السوفيتى يزود الدول العربية بالسلاح لمساعدتها فى تحرير أراضيها التى تحتلها اسرائيل » . وأضافت : أن جماهير الشعوب العربية تربط بشكل مباشر بين زيادة المقدرة القتالية للجيش المصرى والسورى وبين المساعدات العسكرية التى قدمها ولا يزال يقدمها الاتحاد السوفيتى .

ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد السوفيتى كان هدفا لحملة هجوم مركزة من واشنطن ومن الصحافة الامريكية بسبب « استمرار الجسر الجوى فى نقل الاسلحة الى مصر وسوريا اثناء العمليات الحربية » كما جاء فى الصحف المصرية اليومية .

وقد ركزت وكالات الانباء والصحف الاجنبية ، والغربية منها بشكل خاص ، على أنواع الصواريخ السوفيتية سواء المضادة للطائرات أو المضادة للدبابات .. هذه الصواريخ التى فاجأت الاسلحة الامريكية فى يد العرب دون أن يكون للاخيرة مقدرة كافية على تجنب فعاليتها العالية .

وجدير بالذكر ان قول الرئيس أنور السادات الى السفير السوفيتى فى القاهرة — كما جاء فى مقال محمد حسنين هيكل — « لقد عبرنا القناة بأسلحة سوفيتية » يكتسب فى نظر المراقبين معان بالغة الدلالة .

ومن المعروف أن معظم الدول الاشتراكية قد أرسلت الى كل من مصر وسوريا أطنانا من الادوية كما نقلت بلازما الدم والمساعدات المادية الاخرى. وتقول وكالات الانباء أن بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا « تقوم بدعم سوريا ومصر بشكل ملحوظ لردع العدوان الاسرائيلى » .

وقد انعقدت فى الدول الاشتراكية عدد كبير من المؤتمرات الجماهيرية الواسعة التى نظمتها المؤسسات الحزبية والنقابية ، ليعبر فيها المواطنون فى هذه البلاد من المصانع والحقول عن « تضامنهم التام مع شعبى مصر وسوريا ، وعن « تأييدهم الكامل » لمطالبهم المشروعة فى تحرير أراضيهما .

●

أمريكا .. أوروبا الغربية .. والمعركة

تدفقت الانباء من العواصم الغربية فور اندلاع القتال فى منطقة الشرق الاوسط من جديد ، تحمل ردود فعل متباينة ازاء ما يدور فى المنطقة من أحداث ملتهبة . ورغم ذلك التباين فلقد كان بامكان أى مراقب أن يلمح من سيل التصريحات والبيانات والتحركات التى تجرى فى هذه العواصم أن هناك اتفاق بينها فى نقطتين :

النقطة الاولى : هى الشعور بالمفاجأة والدهشة الذى اصيبت به كل دول الغرب نتيجة لجرأة القوات المسلحة المصرية وعبورها الناجح — بأى مقياس عسكرى — لمانع قناة السويس ثم اقتحامها خط بارليف الاسطورة فى مدى ساعات قليلة من بدء القتال .

النقطة الثانية : هى الرغبة العارمة فى وقف الاعمال الحربية فورا وبأية وسيلة توجسا من الاثار السيئة التى يمكن أن يجلبها استمرار الموقف المتدهور سواء بالنسبة للسلام والامن الدوليين أو بالنسبة للمصالح الغربية فى المنطقة بأسرها .

ومن جهة ثانية فان المراقب يستطيع أن يتبين أيضا أن ردود الفعل القادمة من العواصم الغربية ، لم تحمل جديدا فيما يتعلق بالمواقف المعروفة

لكل دولة من دول الغرب ازاء الصراع العربى الاسرائيلى ابتداء من الموقف الامريكى المنحاز تماما لاسرائيل وحتى الموقف الفرنسى الذى يدعو الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ على اساس انسحاب اسرائيل من الارض العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة لشعوب المنطقة بما فيها الشعب العربى الفلسطينى .

■ **فبالنسبة للموقف الامريكى** : لاحظ المراقبون ان الولايات المتحدة الامريكية قد لجأت منذ اللحظة الاولى الى المناورة . ففى ثانى ايام القتال قطع الرئيس الامريكى أجازته وعاد الى واشنطن ليصدر تعليماته الى هنرى **كيسنجر** بطلب عقد اجتماع طارىء لمجلس الامن . وفى هذا الاجتماع طالب المندوب الامريكى جون سكالى الاطراف المتحاربة بوقف القتال فورا والعودة الى مواقعهم قبل ٦ أكتوبر وبدء جولة من المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية للوصول الى تسوية على اساس قرار مجلس الامن الشهير وبسبب هذا الانحياز الفاضح لاسرائيل أجل المجلس مناقشته للازمة الى أجل غير مسمى . وفى نفس الوقت اقامت الولايات المتحدة جسرا جويا وبحريا الى اسرائيل أمدتها من خلاله بسيل من الاسلحة والمعدات العسكرية والفنيين الذين يعملون فى الخطوط الخلفية للقتال بل والطيارين ايضا كما ذكرت بعض وكالات الانباء الغربية نفسها وذلك تعويضا عن الخسائر الفادحة التى منيت بها فى ميادين القتال . وذكرت الانباء أنه فضلا عن مبلغ ٨٢٥ مليون دولار تكلفتها الحكومة الامريكية بالفعل خلال الاثنى عشر يوما الاولى من القتال ثمنا لتلك الامدادات العسكرية فان الرئيس نيكسون قد طلب من الكونجرس اعتماد أكثر من ألفى مليون دولار لتمويل احتياجات اسرائيل من الاسلحة والمعونات الاقتصادية . وحتى حينما اضطرت الحكومة الامريكية الى البحث عن تسوية شاملة للازمة كشرط قدمته البلدان العربية لانهاء القتال الدائر فانها اعتبرت ـ كما صرح المتحدث الرسمى باسم البيت الابيض ـ **أن أية تسوية لن تكون ممكنة الا اذا تحسن الموقف العسكرى لاسرائيل بعد الضربة الكبيرة التى تلقتها من القوات المسلحة المصرية** . أما الكونجرس الامريكى فقد سيطرت عليه تماما الاتجاهات الموالية لاسرائيل وخصوصا فى مجلس الشيوخ حيث دعت الاغلبية الديمقراطية الحكومة الامريكية الى الوقوف بحسم الى جانب اسرائيل وعدم « مكافأة العدوان العربى » على حد تعبير السناتور الديمقراطى **هنرى جاكسون** الذى طالب بأن تأتى اية تسوية من خلال محادثات تتم وجها لوجه بين أطراف النزاع . ولكن هذا لم يمنع من ظهور اتجاهات تدعو الى عدم تورط الولايات المتحدة مباشرة فى القتال خوفا من مأساة جديدة كمأساة فيتنام وهو الاتجاه الذى عبر عنه السناتور **روبرت جريفين** مساعد زعيم الجمهوريين فى مجلس الشيوخ ، كما لم يمنع من تردد آراء اكثر انصافا كتلك التى نادى بها السناتور الديمقراطى **وليم فولبرايت** الذى طالب الامم المتحدة باجراء فورى لوقف اطلاق النار وتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وبأن تصبح القدس مدينة دولية بعد انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة . ويرى المراقبون أن الدور الامريكى فى الاتصالات الدولية التى اسفرت عن قرار مجلس الامن بوقف القتال فى ٢٢ اكتوبر لا يعبر عن تغيير فى الموقف الحقيقى الذى دأبت الولايات المتحدة على اتخاذه لصالح اسرائيل ولكن حقائق الموقف فى ميدان القتال والعاصفة العالمية التى أثارتها الحرب من جديد بكل ما تنطوى عليه من احتمالات خطيرة للصدام مع الاتحاد السوفيتى فضلا عن الموقف العربى الصلب ازاء العدوان الاسرائيلى ، وازاء المصالح الامريكية فى وقت واحد كل هذه العوامل تضافرت لتجبر الولايات المتحدة على الانصياع لصوت العقل بدلا من المضى فى طريق لا يمكن التكهن بعواقبه الوخيمة .

■ **أما الموقف الفرنسى** فقد كان تعبيرا عن السياسة التى تنتهجها فرنسا منذ عام ١٩٦٧ . فلقد صرح **ميشيل جوبير** وزير خارجية فرنسا معلقا على تطورات الامور فى الشرق الاوسط قائلا « نحن لا يمكننا أن نلوم اناسا يريدون استرجاع اراضيهم أو نحـاول اتهامهم بالعـدوان » كما حددت الحكومة الفرنسية موقفها بأنه لا يمكن وقف اطلاق النـار دون تسوية شاملة للازمة . ففى اليوم الخامس للقتال وعلى أثر اجتماع خاص لمجلس الوزراء الفرنسى أعلن **جوزيف كوميتى** المتحدث الرسمى باسم الحكومة « أن موقف فرنسا تجاه أى وقف محتمل لاطلاق النار لن يكون مصدره مجرد الحرص على وقف القتال أو الاعتراف غير المباشر بخط تقسيم ما للاراضى وانما سيكون نابعا من الرغبة فى أن يفتح وقف اطلاق النار الطريق الى مفاوضات حقيقية والى أسلوب يتم تحـديده ويساعد على التوصل بموجب قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الى تسوية نهائية للصراع تكون مقبولة للجميع وتنطوى على كافة الضمانات اللازمة للامن » ومن المعروف أن تفسير فرنسـا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو أقرب التفسيرات الغربيـة الى وجهة النظر العربيـة حيث ترى فرنسا ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة كأساس لاية تسوية عادلة للازمة . وحينما ادعت اسرائيل أن طائرات الميراج التى تبيعها فرنسا لليبيا قـد اشتركت فى المعركة بهدف اثارة أزمة مفتعلة بين فرنسا والدول العربية فان الحكومة الفرنسية لم تلتفت كثيرا لهذا الادعاء بعد أن بادرت الـدول العربية المقاتلة نفسها بنفيه نفيا قاطعا .

■ **أما الموقف البريطانى** فقد مر بعدد من التطورات ففى البداية كانت بريطانيا هى الدولة الوحيدة التى أيدت دعوة الولايات المتحدة الامريكية لعقد مجلس الامن كى يصدر أمرا بوقف القتال دون ارتباط ذلك بتسوية شاملة رغم معارضة بقية الدول الاعضاء دون استثناء ولكن بريطانيا عادت بعد انعقاد المجلس ولم تستطع أن تؤيد المشروع الامريكى الذى كان يدعو الاطراف المتحاربة الى الانسحاب خلف خطوط ٦ أكتوبر ، ثم حاولت بريطانيا أن تتخلص من تورطها وأن تؤكد أن دعوتها لوقف القتال لم تكن تستهدف الاضرار بالمصالح العربية فأصدرت الحكومة البريطانية قرارا بوقف تصدير الاسلحة الى جميع الاطراف المشتركة فى القتال وهو اجراء — كما يقول الخبراء — ذو أهمية محدودة سواء بالنسبة لاسرائيل أو بالنسبة للـدول العربية المشتركة بشكل رئيسى فى المعركة . وأمام احتجاج المعارضة فى مجلس العموم البريطانى وقف **دوجلاس هيوم** وزير الخارجية ليضع الاجراء البريطانى فى حجمه الصحيح معلنـا أن حكومته ستعيد النظر فى هـذا القرار اذا ما تعرض كيان اسرائيل للخطر ومع تداعى الاحداث تغير الموقف البريطانى وأصبح يربط بين وقف القتال وبين الوصول الى تسوية شاملة للازمة على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تمشيا مع الاتجاه العـام الذى أصبح يسود الدوائر العالمية ، ومع ذلك فان بريطانيا وهى صاحبة مشروع القرار المذكور لم تشأ أن تتقدم بتفسير له — كما طالبها العرب من قبل — يسهل مهمة الاطراف المتباحثة حول الازمة ، ومما هو جدير بالذكر أن هيوم قد وقف يهاجم القرار الذى أصدرته الدول العربية المنتجة للبترول بتخفيض انتاجها منه قائلا « ان بريطانيا ليست على استعداد لان تغير سياستها » . ولكنه عاد يستدرك فى نهاية حديثه مشيرا الى « أن القرار على أية حال ليس موجها ضد بريطانيا بالذات » ومن المثير للتساؤل حقا أن يكون هذا هو موقف بريطانيا التى حاولت خلال العامين الاخيرين أن تبدى عطفا متزايدا على العرب وصل الى حد عرض تزويدهم بالسلاح .

■ **أما المانيا الغربية** : فقد أعلنت ـ على لسان المتحدث الرسمى ـ أسفها لاندلاع القتال وتأييدها للحلول السلمية فى مناطق التوتر ، وبعد أسبوع من المعارك صرح المستشار الالمانى فيلى برانت بينما كان يتحدث فى فرانكفورت بمناسبة سوق الكتاب الخامس والعشرين أنه اذا ما أردنا أن نعطى فرصة حقيقية للسلام فى الشرق الاوسط فانه يتعين احترام حق الحياة لجميع الدول فى المنطقة . وفى حديث تليفزيونى **أكد فالتر شيل** وزير الخارجية « ان المانيا ـ رغم حيادها ـ لا يمكنها أن تقف ساكتة ازاء هذا النزاع الذى ينطوى على أخطار كبرى » . وقال أن المانيا الغربية ، مستعدة للتشاور مع شركائها الاوروبيين ، لاتخاذ موقف موحد من الصراع فى الشرق الاوسط . وبعد هذا التصريح بيوم واحد نقلت وكالات الانباء ما يفيد بأن الولايات المتحدة تمد اسرائيل بالمعدات العسكرية من مخازنها فى المانيا الغربية وتستخدم القواعد الامريكية هناك كمحطات لطائراتها التى تنقل العتاد الحربى لاسرائيل .

■ وبصفة عامة فقد اشتركت بقية دول أوروبا الغربية فى الدعوة الى ايقاف القتال وايجاد تسوية شاملة للنزاع على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . **ويمكن القول بأن المواقف الرسمية للدول الاوروبيـة عموما قد عسكت ادراك هذه الدول لخطورة استمرار القتال وتفاقمه على نحو سوف يهدد بالتأكيد مصالحها الحيوية فى المنطقة فضلا عن أضراره الفادحة بالنسبة للسـلام والامن الدوليين** . غير ان ذلك لا ينفى تورط بعض الدول مثل هولندا فى مساندة اسرائيل لـكنها أيضا لقيت جزاءها بتأميم حصتها فى بترول العراق .

■ ■ ■

وفيما يتعلق بالمواقف غير الرسمية التى عكستها أجهزة الاعلام وتحركات الرأى العام ومواقف القوى الديمقراطية والاحزاب الشيوعية فى الـدول الغربية فان الامر كان جـد مختلف . فبينما وقفت القوى الديمقراطيـة والاحزاب الشيوعية والعمالية تناصر الحق العربى على طول الخط فان أجهزة الاعلام الغربية وغالبية الرأى العام هناك عبرت عن انحيازها للعدو الاسرائيلى .

■ ومن البداية ، كان واضحا أن صحافة الغرب وأجهزة اعلامه الاخرى قد فوجئت بحجم النجاح الذى حققته القوات العربية المقاتلة على جبهتى الجولان وسيناء . وفى حين لم تتوقف هذه الاجهزة عن مناصرة وجهة النظر الاسرائيلية والترويج لدعاياتها فانها لم تستطع فى نفس الوقت أن تخفى أنباء النجاحات التى حققتها القوات المصرية والسورية . وقد كان لتضارب البيانات التى يدلى بها العـدو الاسرائيلى عن سير القتـال بل واختلاقها من الاساس فى بعض الاحيان اثرا لا بأس به فى دفع الصحافة الغربية الى التزام بعض الحذر . وعلى سبيل المثال فقد تورطت صحيفة « **لوفيجارو** » الفرنسية فى نشر أنباء عن قتال تخوضه القوات الاسرائيلية المدرعة فى قلب الدلتا ، ولكنها سرعان ما اضطرت الى تكذيب هذا النبأ ، ملصقة التهمة بالمصادر الاسرائيلية المسئولة على حد تعبير الجريدة نفسها ونفس القول ينطبق على الانباء التى روجت لها الدعاية الغربية عن تقدم القوات الاسرائيلية صوب دمشق خلال الأيام الاولى للقتال ثم اتضاح كذب هذه الانباء بعدها بقليل بشهادة المراسلين الغربيين أنفسهم . ولا بد هنا من الاشارة الى صحافة القوى الديمقراطية والاحزاب الشيوعية وحرصها على نشر الانباء الصحيحة لسير العمليات العسكرية من موقع التعاطف والتأييد مع النضال العادل للشعوب العربية فقد كتبت « **يونيتا** » صحيفة الحزب الشيوعى الايطالى تعزى استئناف المعارك الى توقع هجـوم اسرائيلى جديد ضد مصر وسوريا . وقالت الصحيفة ، أنه لا يمكن اعتبار

مصر وسوريا دولتين معتديتين حيث أن سيناء والجولان أجزاء من أراضيهما وأدانت رفض اسرائيل للسلام وحملت الولايات المتحدة مسئولية التعنت الاسرائيلى طوال السنوات الست الماضية حيث هى التى قامت بتسليحها وحمايتها سياسيا ودبلوماسيا ضد ارادة المجتمع الدولى وكل القوى المحبة للسلام . وهذا هو نفس الموقف الذى اتخذته « ليومانيتيه » صحيفة الحزب الشيوعى الفرنسى وغيرها من الصحف الديمقراطية .

■ أما الرأى العام الاوروبى فقد أظهر عدد من الاستفتاءات انحيازه الى اسرائيل . ففى استفتاء أجرته صحيفة « **لوفيجارو** » الفرنسية بعد ٩ أيام من اندلاع القتال كانت النتائج على النحو التالى — ٤٥ ٪ مع اسرائيل ١٦ ٪ مع العرب ٨ ٪ مع الطرفين ٣٠ ٪ لا رأى لهم كما أظهر الاستفتاء ردا على سؤال حول ما ينبغى أن تفعله فرنسا اذا اتضح أن طائرات الميراج [التى قدمتها لليبيا] تستخدم ضد اسرائيل أن ٥٥ ٪ طالبوا بحظر تصدير السلاح الى جميع الدول العربية ، ٩ ٪ طالبوا بفرض عقوبات على ليبيا ، ١١ ٪ طالبوا ببيع الميراج لاسرائيل ولاحظت الصحيفة أن الدول العربية لم تحصل على أغلبية الاصـــوات بالنسبة للمتعاطفين معها الا من الشيوعيين حيث حصل العرب على ٣٧ ٪ مقابل ٢٦ ٪ لاسرائيل . وفى لندن لم يختلف الامر حيث بلغت نسبة المؤيدين لاسرائيل فى أحد الاستفتاءات ٤٧ر٥ ٪ مقابل ٥ ٪ فقط لصالح العرب ، كذلك فقد اظهر الاستفتاء الذى أجراه معهـــد جالوب الامريكى أن ٤٧ ٪ يؤيدون اسرائيـــل مقابل ٦ ٪ يتعاطفون مع العرب ، ٢٢ ٪ يرفضون اتخاذ موقف فى صالح أى من الطرفين المتحاربين ، ٢٥ ٪ لا رأى لهم . وعلق متحدث باسم معهد جالوب على نتائج هذا الاستفتاء فأعرب عن اعتقاده بأن العدد الكبير من الاشخاص الذين لا رأى لهم ، أو الذين يرفضون اتخاذ موقف يعكس خشية الأمريكيين من رؤية بلادهم تتورط فى حرب جديدة .

وعموما فان هذا كله يعكس الى أى مدى ما زالت الدعاية الصهيونية عميقة الجذور فى أوساط الرأى العام الاوروبى .

■ وفيما يتعلق بالقوى الديمقراطية والاحزاب الشيوعية فى دول الغرب فلقد عبرت كـــل الاحزاب الشيوعية بلا استثناء عن استنكارها لسياسة اسرائيل التوسعية وتأييدها للحق العربى وجاء فى بيان أصدره الحزب الشيوعى الامريكى « ان حل مشكلة الشرق الاوسط يتمثل فى انهاء العدوان الاسرائيلى .. وأن الحل الوحيد العادل والمقبول هو العودة الى خطوط ما قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، والاعتراف بحقوق الشعب العربى الفلسطينى طبقا لقرارات هيئة الامم المتحدة الخاصة بالشرق الاوسط » كذلك فقـــد صدر فى باريس بيان عن الاجتماع المشترك للجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى ونواب الحزب فى الجمعية الوطنية أكـــد على سياسة الحزب المبدئية فى تأييد الشعوب المقاتلة من أجل حريتها واستقلالها القومى وعبر من جديد عن تضامنه مع الشعوب العربية التى لها الحق المقدس فى أن تحرر أراضيها التى احتلت فى عدوان ١٩٦٧ » .

كذلك فقد نشطت جمعيات الصداقة مع البلدان العربية وغيرها من القوى الديمقراطية الاخرى تنظم المظاهرات والمسيرات فى مختلف العواصم الغربية تأييدا لمصر وسوريا فى قتالهما من أجل تحرير أراضيهما المحتـــلة ولادانة السياسة التوسعية لاسرائيل . وعقب المناورة الامريكية فى مجلس الامن فى اليوم الثانى للقتال قام خمسة من كبار الشخصيات البريطانية بتوجيه خطاب الى نيكسون دعوه فيه الى اعادة النظر فى سياسته ازاء الشرق الاوسط حتى يمكن تحقيق السلام فى المنطقة والشخصيات الخمسة هم دنيس والترز رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس العموم **وانتونى ناتنج** الوزير السابق ، **وكريستوفر مايهيو** النائب العمالى والوزير السابق **ومايكل آدمز** مدير مجلس تنمية التفاهم العربى البريطانى ، **وجون ريدواى** المدير السابق لوكالة غوث اللاجئين .

رسالة فارنا :

علامة هامة على طريق الفكر المعاصر
المؤتمر الخامس عشر للفلسفة

فارنا : من أبو سيف يوسف :

فى خلال ستة أيام . امتدت من ١٧ الى ٢٢ سبتمبر ، عقد فى مصيف « فارنا » على البحر الاسود ، المؤتمر الخامس عشر « للاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية » . وكان الاتحاد ، قد درج على أن يعقد مؤتمره كل أربع سنوات ، وذلك منذ أن تأسس فى عام ١٩٠٠ .

وعلى امتداد الايام الستة ، التى سبقها تحضير مثابر ودقيق ، من قبل اللجنة التوجيهية للاتحاد ، ومن لجنة النظام البلغارية ، ومن خلال جلسات طويلة وجادة ، تتابع انعقادها فى الصباح وفى المساء ، ومن المدرج الكبير الذي يسع الالاف الى الحجرات الصغيرة التى ضمت مجموعات للنقاش والدراسة والبحث ، طرح المؤتمر قضيته الرئيسية :

« العلم ، التكنولوجيا ، الانسان »

ولقد تنادى الى دراسة هذه المشكلة الراهنة ١٨٧٧ من المشتركين فى المؤتمر ، وهو عدد لم يسبق ان اجتمع من قبل ، من الفلاسفة واساتذة الفلسفة الجامعيين ، ومن العلماء والمفكرين والباحثين والمراقبين . جاءوا من ٦١ بلدا من البلاد الاشتراكية وبلدان الغرب الرأسمالية وبلدان العالم الثالث .

فاذا أضفنا الى الرقم السابق ، عددا آخر من المدعوين والمهتمين بالدراسات الفلسفية ، ومن طلاب الفلسفة والعلوم الانسانية ، فسوف يرتفع الرقم الى ثلاثة آلاف . ثم وجدنا انفسنا بعد ذلك ، بازاء مدينة صغيرة للفلسفة ، تضمها قاعات « قصر الثقافة والرياضة » ثم يضيق هذا القصر على سعته ، بنشاطه الجم ، وبجمهوره الضخم ، فتضاف اليه مدرجات وحجرات المبنى القريب : المعهد العالى للدراسات الاقتصادية .

وربما قيل ، ان مجرد اجتماع هذا العدد الهائل الذى يمثل كل تيارات الفكر الفلسفى ومدارسه ، يكفى وحده ، لان يضفى على المؤتمر اهمية خاصة . ولكن ، لما كان المؤتمر العالمى للفلسفة ، قد وصف أيضا ، بأنه حدث من أخطر الاحداث الثقافية فى القرن العشرين ، فان هذه الاهمية انما ترجع بالتحديد :

- الى سجانة الاتحاد الدولى للفلسفة . والى التخصيصات الفلسفية التى ساهمت فى اعمال المؤتمر
- والى الموضوع المطروح للمناقشة
- والى جو النقاش الذى ساد المؤتمر
- والى الاعداد الدقيق الذى صاحب المؤتمر ، فكرة ومشروعا وتنفيذا

وفيما يتعلق بالقيادة التى حملت عبء الدعوة الى المؤتمر وادارة المناقشات فيه ، فانها تتكون من أعضاء « لجنة التوجيه » فى الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية . وفى هذه اللجنة تبرز بعض اسماء ، نذكر من بينها

ليوجابرييل [رئيس الاتحاد ـ فيينا] وأندريه مرسييه السكرتير العام للاتحاد [سويسرا] ، وبيرلمان رئيس المعهد الدولى للفلسفة [بلجيكا] ، والعلامة السير الفرد آيير زعيم المدرسة الحديثة للوضعية المنطقية واستاذ الميتافيزيقا باكسفورد . والاستاذ ايونج من كمبردج . والاكاديمى ميتين من موسكو ، ومياموتو من جامعة طوكيو . والاكاديمى جانوفسكى من بلغاريا ، وآدم شاف من بولندا . ودوميرى من جامعة باريس ، وكون من ميونخ ، وباسمور من كانبيرا ، وفان بريدا من جامعة لوفان ، وجياكون من بادوا ، وهينرنخ من هيدلبرج .

كما ساهم فى رئاسة الجلسات اساتذة وعلماء نذكر من بينهم :

ريكور من جامعة باريس ، وفيدوسييف نائب رئيس اكاديمية العلوم السوفيتية ، ودى مندوزا [البرازيل) وباندبا [الهند] ونيديلكوفتش [يوغسلافيا] ، وشيباتا [اليابان] ودراميف [بلغاريا] .

ولقد اهتمت الاوساط الفلسفية والعلمية فى أكثر من بلد بأن توفد أكبر عدد من المشاركين : ـ الوفد السوفيتى ضم ٢٧٨ عضوا ، والامريكى ١٢٠ ، وكان هناك ٧١ عضوا فى كل من وفدى اليابان والمانيا الاتحادية ، وضم الوفد الفرنسى ٥٠ ، والوفد الانجليزى ٣٢ . وضمت

وفود رومانيا وبلجيكا واسبانيا ٤٧، ٢٦، ٢٢، عضوا على التوالى .

فاذا اضفنا الى ذلك ، ان المئات من الاكاديميين والعلماء والاساتذة والاساتذة المساعدين قد اسهموا بكيفية ايجابية فى لجان المؤتمر ، وذلك بالاوراق أو التقارير أو المناقشات الشفوية ، أمكن القول ، بان أهمية المؤتمر انماتستمد من النوعيات الممتازة التى تولتادارة اعماله ، وساهمت فى مناقشاته .

ثم ناتى بعد ذلك ، الى الموضوع الذى طرح على المؤتمر وهو « **العلم ، التكنولوجيا ، الانسان** » . ولسوف نجد أنه ليس فى الواقع ثمة قضية من قضايا الفكر المعاصر ، أكثر الحاحا من قضيتنا هذه ، التى شغلت ، وتشغل ولسوف تظل تشغل عقودا طويلة ـ قطاعات واسعة من العلماء والمفكرين ، سواء فى البلاد التى تعانى ثورة العلم والتكنولوجيا ، أو فىتلك البلدان التى تجاهد أشق جهاد لتلحق بثورة العصر ، دفاعا عن بقائها البشرى والحضارى .

هكذا وتحت هذا العنوان الكبير ، بدأ المؤتمر بأربع جلسات عامة عقدها .

واجتمعت الاولى تحت عنوان « **الفلسفة والعلم** » وقدمت فيها ثلاث ورقات رئيسية : من كيدروف عن « وحدة العلوم » ومن مرسيه عن الفلسفة والعلم ، ومن اماميتشى عن « الخلاف فى البنية الاساسية بين الفلسفة وبين العلم » . واعقب تقديم الاوراق مناقشات اشترك فيها اعضاء من المانيا الاتحادية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الديموقراطية واليونان .

ثم انعقدت الجلسة الثانية العامة ، لتناقش موضوع « **الاخلاق والثقافة** » وكانت **القضية المطروحة وموضع الجدل الحامى هى : ماهى طبيعة العلاقة بين الاخلاق وبين الثقافة ؟**

لقد ذهب بعض المشاركين ، الى أن دور البحث العلمى ـ بطبيعته ـ يتصف بالاطلاق ، فلا تقيده اعتبارات الملائمة الاخلاقية . ذلك ان العالم ، اذ يسعى وراء الحقيقة الموضوعية لا يسأل عما اذا كان اكتشافه يتفق مع المعايير الاخلاقية أم لا .

ولقى هذا الرأى معارضة . فقد قيل ، ان المشكلة انما تطرح طرحا خاطئا . وهذا يترتب عليه نتائج خاطئة بالضرورة أو ناقصة . ورفض البعض ان يخلع على المعرفة العلمية هذا الطابع المطلق . كما رفض أن تكون نقطة البدء فى البحث التعارض بينالاخلاق وبين الثقافة ، مؤكدين انه لا يمكن للمعرفة العلمية الا أن توضع فى ظروف اجتماعية ملموسة . واذا صح أن الانسان هو الهدف الاسمى ، فان تطابق المعرفة العلمية مع خير الانسان أو تصادمها معه ، مردهما ـ فى نهاية الامر ـ الى نوع النظام الاجتماعى السائد فى هذا المجتمع أو ذاك .

وفى خلال هذه المناقشة لفت الاستاذ باهم [جامعة الينوا] الانظار ، بدعوته التى تذكرنا ـ مع الفارق ـ بدعوة قديمة لافلاطون . فقد لاحظ باهم ، ان عالم اليوم ينقصه الحد الادنى من الاتفاق الاخلاقى ، وأن تعيين هذا الحد الادنى مطلوب ، وأنه تقع على عاتق الفلاسفة مهمة أن يقوموا بدور رئيسى فى هذا السبيل . ودعا المؤتمر الدولى لاتحاد الجمعيات الفلسفية الى تكوين لجنة دائمة تدرس طبيعة هذه المسئولية وحدودها .

وعندما عاد المؤتمر ليناقش موضوع « **الاخلاق والثقافة** » مرة أخرى ، وذلك فى نطاق اللجان وحلقات البحث والنقاش ، احتدم الجدل ايضا ، وتعددت الاجتهادات . وكان من بين الاراء التى أبديت :

● **ان الانسان قد سبق فى الوجود كل من العلم والتكنولوجيا فلابد من اعطاء الاولوية لدراسة الانسان .**

● **ان عالم الاخلاق يتطلب ـ كشرط لازم ـ الحرية الانسانية ، وهذه الحرية ملازمة للتكوين الانتولوجى للانسان .**

● **لما كانت الثقافة ظاهرة انسانية من الطراز الاول ، فان القضية الاخلاقية تطرح نفسها ـ بالضرورة ـ فىكل مستوىمن مستويات الثقافة . وانه على الرغم من أن الثقافة فى عصرنا الحديث تتبدى تحت أقنعة التكنولوجيا و « العلمية » ، الا أن ما يحدد الخطوط الرئيسية للاخلاق هو ذلك الحافز الصوفى الذى يعلى من شأن الوجود الانسانى ويضعه فى مرتبة تعلو على مرتبة النظر العقلى .**

غير ان هذه الاراء لقيت معارضة تمثلت فيما يلى :

● **ان السلوك الاخلاقى ليس منفصلا ، ولا يمكن أن ينفصل ، عن الابنية الاجتماعية ، وذلك مهما قيل ـ وهو صحيح ـ عن تمايز الظاهرات الاخلاقية عن الظواهر الاجتماعية الاخرى .**

● **ان الثقافة ، هى الاخلاق موضوعة موضع التطبيق . ومنثم فالنظريات الاخلاقية هى نظريات اجتماعية أيضا .**

● **ان انسان العصر الحديث يتعرض لخطر القيم التى يفرضها مجتمع الاستهلاك . فهذا المجتمع ، مثله الاعلى فرد بلغ ذروة الكمال فى اعداده المهنى . لكن مجتمع الاستهلاك اذ يركز جل اهتمامه على « الاعداد المهنى » للفرد ، انما يدفع**

بالانانية الى ذروتها . ومن هنا فلابد من معارضة مجتمع الاستهلاك ، بما يمكن أن يسمى بمدينه « التثقيف والتربيةالمستمرة » . لان التركيز في هذه المدينة ، سوف يتجه الى تكوين الشخصية ، واثراء مضمون الحياة الانسانية .

وفي الجلسة الثالثة العامة ، كان الموضوع المطروح هو « **الانسان والتكنولوجيا** » . وقدمت فيه اوراق من الاساتذة دى جورج [جامعة كانساس] وريكتا (تشيكوسلوفاكيا] وباسمور [استراليا] وميتين [الاتحاد السوفيتي] .

ومرة أخرى ، شجرت الخصومة الفكرية حول عدد من القضايا التى طرحها دى جورج فى ورقته .

قضية أولى طرحها دى جورج ، هى أن التكنولوجيا هى الذروة التى يتجسد فيها نشاط العقل التحليلى للانسان . والمثل النموذجي لهذا النشاط هو الالات الحاسبة الالكترونية ، التى هى نتاج هذا العقل التحليلى وامتداده .

قضية ثانية ، هى انه حتى لا يهرب الانسان الى اللاعقلية والتصوف من ناحية ، وحتى لا يبالغ فى أمر التكنولوجيا من ناحية أخرى ، يحتاج الانسان الى ان يضيف ـ الى العقل التحليلى ـ العقل التركيبى والعقل الجدلى .

قضية ثالثة ، هى أن الانسان أصبح مغتربا لانه اجبر على الاذعان للتكنولوجيا . ومن هنا يتعين الا تخرج التكنولوجيا عن سيطرة الانسان . وعلى الفلاسفة أن يقوموا بدورهم فى هذا السبيل .

وقد لقى دى جورج معارضة من الفلاسفة الماركسيين الذين اشاروا الى الطابع التوفيقى لاراء الاستاذ الامريكى : فاشار ريكتا الى أن التكنولوجيا تصبح خصما للانسان ، فقط ، فى مجتمع يقوم على الاستغلال ، ففى هذا المجتمع تعمل التكنولوجيا على سلب الانسانية من الانسان . . وشرح الاكاديمى ميتين ـ بتطويل ـ كيف انالتناقضات والصراعات التى تطرحها ثورة العلم والتكنولوجيا يمكن أن تحل فى مجتمع يتبنى الثورة الاشتراكية .

أما باسمور [استراليا] فقد رفض ردود الفعل اللاعقلية بازاءتطور التكنولوجيا ، كما رفض ، فى الوقت نفسه ـ أن توضع التكنولوجيا فوق الانسان .

وهنا تدخل رئيس الجلسة « باندیا » [الهند] ليقول : ان السبب الرئيسى للصراع بين التكنولوجيا وبين الانسان كامن فى هذه الحقيقة : وهىانالتكنولوجيا قد داهمتالانسانولم يكنقدتهيأ لملاقاتها بعد . واضاف ان المطلوب هو أن يتم تكييف الانسان بخلق « تكنيك عقلى » يوازن « التكنولوجيا المادية » .

وأيد الاستاذ جابرييل الاكاديمى ميتين ، عندما أشار الى ان الثغرة الاساسية فى مواقف الفلاسفة الغربيين ، انما تتمثل فى أنهم « ضمنوا » الانسان فى التكنولوجيا . وفى رأيه أن الانسان ـ بالمعنى الوجودى ـ هو القيمة الاسمى . وانضم مع غيره الى الرأى القائل بضرورة أن يسيطر الانسان على التكنولوجيا .

أما فيليبتش [بلغاريا] فقد أيد الرأى القائل بضرورة السيطرة على تطور التكنولوجيا وأضاف ان لهذه السيطرة ثلاثة أوجه : تكنيكى ، وعقلى ، واجتماعى .

وعندما انعقدت الجلسةالرابعة العامة ، تفرعت الى ثلاثة اجتماعات بحثت مرة اخرى ـ على التوالى ـ قضايا : الفلسفة والعلم ، الاخلاق والثقافة ، التكنولوجيا والانسان .

وعقب انتهاء الجلسات العامة توزع المؤتمرون على ثلاثة أنواع من الحلقات : حلقات للنقاش ، وحلقات للمشكلات الفلسفية ، وحلقات للبحث .

أما حلقات النقاش فقد ركزت على الاوراق المقدمة لها عن :

- المعرفة والقيم فى العصر العلمى والتكنولوجى
- الفلسفة فى مجرى عملية الثورة العلمية والتكنولوجية
- التكنولوجيا والسلم والماركسية
- بنية المعرفة العلمية الحديثة ومناهجها

واما الحلقات الخاصة بالمشكلات الفلسفية ، فقد بلغ عددها تسع ، ناقشت : طبيعة الانسان ووجوده ـ اللغة والمنطق والعمل الانسان والكلمة والتاريخ ـ المجتمع ومعاييره ـ الانسان وحريته الشخصية ـ المسئوليةوالابداع فى الفن والادب ـ مذهب الجبر ومشكلاته ـ مستقبل الفلسفة .

وفيما يتعلق بمجموعات البحث ، فقد درست « فلسفة التربية »كما درستمجموعة ثانية رأسها الفيلسوف الفرنسى لوسيان سيف الجوانب الفلسفية فى علم النفس . ودرست مجموعة ثالثة « مشكلة علم المنطق المعاصر » . وقدم عدد كبير منالبحوثتحت عنوان : « دراسات معاصرة فى تاريخ الفلسفة » .

وربما نكون قد أطلنا ـ بعض الشىء ـ فى الاشارة الى الموضوعات التى نوقشت . ولكن الحقيقة هو أننا اكتفينا بمجرد قراءة عناوين قليلة . وهذا يتضح ، اذا علمنا ، انه قدم الى المؤتمر أكثر من الف ورقة وتقرير ، سجل

عناوينها ، ولخص عددا كبيرا منها ذلك المجلد القيم الذى وزعته لجنة النظام تحت عنوان « **ملخصات** » .

ثم نمضى لنستكمل رسم ملامح المؤتمر الخامس عشر للفلسفة ، فنقول . ان أهمية هذا المؤتمر تتأكد بالنظر الى الوقائع التالية :

١ ـ مناخ الحرية الكامل الذى ساد المناقشات فى جميع مراحلها ، وذلك على الرغم من تعدد المدارس والمذاهب ، وعلى الرغم من تضاربها ، وتناقضها فى المنطلقات الاساسية . وقد نوه أكثر من مشترك باهمية هذا المناخ الذى ساد المناقشات المحتدمة .

٢ ـ ان الاختلافات فى الرأى لم تكن قائمة بين المدرسة الفلسفيةوبين نظيرتها المعارضة فحسب ، بل وجدت الخلافات داخل المدرسة الواحدة . وعلى سبيل المثال : بين الفلاسفة السوفييت خلاف حول مفهوم الحقيقة فى العلم . فبينما يذهب البعض الى أن الحقائق الموضوعية هى حقائق العلم الطبيعىفحسب ، يخالفهم زملاؤهم فى الرأى مقدمين ايضا حقائق العلوم الانسانية .

مثال آخر : الخلاف الذى ثار حول قضية **الايكولوجيا** ، فبينما استنكر بعض المشاركين من الفلاسفة الغربيين والماركسيين أن يقحم هذا الموضوع على مؤتمر للفلسفة ، أيد فلاسفة امريكيون وماركسيون من البلاد الاشتراكية أن يبحث المؤتمر هذه المشاكل التى تطرحها علاقة الانسان ، بالبيئةوالطبيعة ، وقالوا أنها من صميم الفلسفة .

٣ ـ ومن الامور ذات الدلالة انه فى نطاق المؤتمر ، تم عقد عدد من المناظرات ، اختصم فيها المتحدثون حول عدد من القضايا [الجدل عند هيجلوعند ماركس » ، « الديالكتيك : مكانه : فى التاريخأم فىالطبيعة » ، « المنطق الجدلى والمنطق الشكلى » .

٤ ـ وفى نطاق المؤتمر ايضا ، كان عدد من الجمعيات والهيئات الفلسفية غير الماركسية تعقد اجتماعاتها :

ـ الاتحاد الدولى للفلاسفة الكاثوليك
ـ جمعية هيجل الدولية

ـ المركز الدولى للبحوث الفلسفية [بلجيكا] وهو المركز الذى يستخدم العقول الالكترونية فى أعماله .

وليس من شك فى أن كل هذه الوقائع السابقة ، انما تؤكد ، المرة بعد المرة ، على أهمية المؤتمر الذى تم عقده فى فارنا .

أما التقييم النهائى لحصيلته العلمية ، فربما نتركها للاوساطالفلسفية والعلمية ، وربما استلزم الحديث الجادعنها ، أن يتم تقييم تقوم به مجموعة ضخمة من أساتذة الفلسفة والمتخصصين فيها . غير أننا قد لا نركب متن الشطط والمبالغة ، اذا قلنا ان المؤتمر طرحت فيه مساهمات قيمة ، وجديدة ، وايجابية ، وذلكفى جميع الموضوعات التى تطرق اليها .

ثم تبقى بعد ذلك كلمة .

اذا كان المؤتمر الخامس عشر للفلسفة ، هو أول مؤتمر يدعى اليه المشتغلون بالفلسفة من ابناء العالم الثالث . فهنا يثور السؤال :

فكيف نقدر الثقل الحقيقى لجهود العالم الثالث فى ذلك المجال ؟

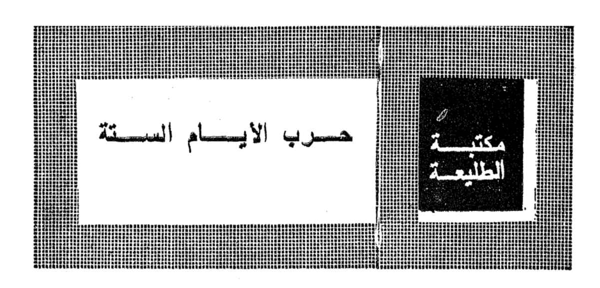
الواقع ، ان الانسان لا يستطيع الا أن يقرر أن صورة العالم الثالث ـ كانت وباستثناءات فردية وقليلة للغاية ـ شاحبة الى حد بعيد .

واذا تحدثنا بلغة الارقام ، قلنا انه جاء من كل بلاد العالم الثالث الى المؤتمر ٥٨ فقط ، بصفة اعضاء مشاركين ومراقبين ، ليمثلوا ١٦٠٠ مليون من بنى البشر ! وان الارقام التى ذكرناها من قبل عن عدد وفود بعض البلدان الاخرى تغنى عن كل تعليق .

غير أن السؤال الذى ألح علينا فى **فارنا** ، لم يكن أين هو العالم الثالث ؟ بل كان : اين هى مصر . فقد ذهب من المصريين ، الى هناك ، اثنان اولهما : د . **مراد وهبة** استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس ، بصفة شخصية ، **وقدم بحثا** عنوانه « نزعة الاطلاقية لانسان القرن العشرين » اما الثانى فهو كاتب هذا المقال ، ذهب موفدا من جريدة الاهرام ، يحاول أن يربط بين ما قرأه وسمعه فى المؤتمر ، وبين ما درسه من الفلسفة منذ أكثر من ربع قرن .

وكان مبعث الالم الحقيقى بالنسبة لمصر ، أن عدم تواجدها فى المؤتمر بالوزن الكافى ، لم يكن راجعا الى فقر فى اساتذة الفلسفة أو فى كوادر المشتغلين بفروعها الاساسية . فبلادنا تملك الحد الادنى الذى يمكنها من أن تشارك بايجابية ، وان تسهم مساهمات لها دورها .

فاذا اضفنا الى ذلك ، ان المؤتمر لم يضم المشتغلين بقضايا الفلسفة فحسب ، بل ضم ـ ايضا ـ عددا غير قليل من العلماء ، فسوف يتضح ان خسارتنا ، فى هذا السبيل ، لم تكن هينة على أى وجه .



تاليف :

جاك كوبار

عرض وتحليل :

كمال السيد

الناشر :

المنشورات الاجتماعية

باريس — ١٩٧٣

كتاب الصحفى الفرنسى جاك كوبار عن «حرب الايام الستة» نموذج مشرف « لامانة » المفكر الاوربى والتزامه بالمنهج العلمى وصولا للحقيقة الموضوعية ، فى زمن أصبح فيه عدم الامانة والنطق عن الهوى سمة مميزة لقادة وسائل الاعلام فى أوربا ، خاصة اذا كان الامر متعلقا بالنزاع العربى الاسرائيلى ، الذى تنحاز فيه كافة احتكارات صناعة الرأى — بكل ما تملكه من وسائل راقية وامكانيات هائلة — الى جانب اسرائيل ، ولا يبقى للعرب سوى قلة مؤمنة بقيم الحرية والتقدم ، امكانياتها قليلة ولكن صوتها مرتفع لانه صوت الحقيقة القادرة على الاستمرار والصمود والاقناع والانتصار على « الاستحواذ الوقتى » الذى تمارسه أجهزة الاعلام المغرضة على افئدة وعواطف البسطاء ، بالتزوير والاختلاق .

فكثير من المواطنين الفرنسيين العاديين الذين تجمعوا حول سفارة مصر صبيحة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، يتطاولون على بلادنا وعلى قادتها ، بعد ان وقر فى أذهانهم أن مصر معتدية تحت تحريض أجهزة الاعلام [كان مانشيت « فرانس سوار » فى ذلك اليوم : « مصر تهاجم »] ، لا شك سيغير رأيه بعد كتاب كوبار الذى أوضح عدة حقائق أبرزها أن اسرائيل قد أعدت للعدوان منذ مدة طويلة ونفذته لتحقيق أهداف توسعية محددة سلفا ، وأنها لم تكن تواجه « خطر ابادة » كما ادعت حينذاك

وتساندتها فى ذلك كل وسائل التوجيه والاعــلام الاوربى .

ففى الفصل الاول يورد المؤلف فقرة من محاضرة القاها فى ١٧ مارس ٧٢ ، الجنرال **ماتانياهو بيليد**، وكان عضوا فى هيئة أركان الحرب التى أعــدت لعمليــة ١٩٦٧ ، القاهــا فى نادى « أهفا » فى تل أبيب وجاء فيها « أن النظرية التى تقول أن خطر الابادة كان يخيم على اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ ، وأنها كانت تصارع فى سبيل وجودها المادى ، ليست سوى خدعة » . وهذا الرجل يعلم جيدا ما يقول وهو ليس من المعارضة ولم يقف أبدا ضد سياسة الحكومة ، كما أنه عضو قديم فى حــزب العمال مع **جولد مائير وديان** ، ومشاعره الموالية لامريكا والمعادية للسوفيت والعرب معروفة ، وهو ليس أحد هؤلاء « الخونة الاسرائيليين » من اليهود الذين ادانوا العــدوان . واســتطرد الجنرال السابق والاستاذ الحالى فى الجامعة قائلا : « لقد كان سبب الحرب هو محاولة الاتحاد السوفيتى تعديل الوضع القائم فى المنطقة واستبدال النظام الامريكى الذى كان موجودا فى المنطقة منذ ١٩٥٧ ، بنظام سوفيتى . **وأنــا أرفض تماما القــول بــأن الاسرائيليين كانوا معرضين لخطر الاعدام كأفراد أو كجماعة ، وأعتبره قولا زائفا** . لقد ركز المصريون فى سيناء ١٨٠ ألف جندى ، وعبأنا نحن ضدهم مئات الالوف . وأنا مقتنع تماما بأن الحكومة لم تسمع أبدا من هيئة أركان الحرب بأن التهــديد العسكرى المصرى كان خطيرا بالنسبة لاسرائيل . لقد اختلقت كل هذه القصص لتبرير الحــرب . وعندما عبأ الجيش الاسرائيلى قواه الكاملة وكانت تتجاوز قوة الجيش المصرى عدة مرات ، لم يكن هناك شخص عاقل يعتقد أنه من الضرورى لنا ان ندافع عن أنفسنا ضد الخطر المصرى . **لقد كان عدم وجود خطر ابادة يثير للحكومة صعابا كبيرة ، فى حين أن الحرب يمكن تبريرها فقط اذا ما كان هناك مثل هذا الخطر ، اذ لا يعقل اشعال نيرانها لاســباب سياسية فقط** » . وعندما سأل أحــد الحاضرين المحاضر عما اذا كانت اسرائيل قــد تعرضت لخطر هجوم عربى » أجاب هذا بقوله « لقد حدث هذا فى عام ١٩٤٩ فحسب » .

وبعــد ذلك بيومــين فى ١٩ مارس ، نشرت هآرتس الحوار ، وثارت العاصفة واجتمع مجلس الوزراء لدراسة الموضوع . وأرسل للرجل من يرجوه بالرجوع عن أقواله فأجاب هذا فى مؤتمر صحفى بقوله « ليس هناك سبب يدعونا الى أن نخفى حقيقة أنه منذ ١٩٤٩ ، لم يجرؤ أحد — أو بصورة أكثر دقة — لم يكن فى مقدور أحد أن يجرؤ على وضع وجود اسرائيل موضع الجدل . ومع ذلك ، فقد واصلنا تغــذية الاحساس بالنقص ، كما لو كنا شعبا ضعيفا وصغيرا ، يعيش فى حالة من القلق على وجوده ويمكن ابادته فى كل لحظة »

وتحرك أنصار الخدعة للــرد على الجنرال بالتبرير والتلفيق ، ومع ذلك فقد اعترفوا بدورهم ، وبرز فى هذا ثلاث جنرالات هم : **ايجال ايادين** الذى كان رئيسا للاركان فى حكومة **بن جوريون** ، **واريك شارون** قائــد ســيناء فى يونير ١٩٦٧ ، والرئيس الحالى للاركان **دافيد اليعاذر** ، الذى أعلن للصحف : « ان الحــدود الســابقة لم تكن مضمونة ، ومن ثم كان من الصعب الدفاع عن البلاد بمثل هذه الحدود . ولو كنا سمحنا للقوات المسلحة العربية بأن تنظم نفسها وأن تهاجمنا أولا ، لعرضنا دولة اسرائيل للهلاك » . وهــذا القول يوضح بدوره من البادىء . وفى ٢٩ مارس أعــلن الجنرال **عازر ويزمان** رئيس الطيران : « انى متفق مع الرأى القائل بأنه لم يكن هنــاك خطر استئصال لوجود اسرائيل ، ولكن هــذا لا يعنــى أننــا كنا نســتطيع تجنب قيامنــا بضرب المصريين والاردنيين والســوريين ، لاننــا اذا لم نفعل ذلك ، لمــا استمرت دولة اسرائيل بنفس روحها وطابعها » . ويرى وزير **جولدا مائير** هذا [وكان حينذاك رئيسا لحزب حيروت المتطرف] ان البدء فى الحرب لا يستلزم وجود خطر ابادة . وفى ٤ أبريل كرر الجنرال **ويزمان** فى معاريف « أنه لم يكن هناك خطر ابادة » . وفى ١٤ أبريل أعلن بنتوف وهو وزير سابق فى حكومة الائتلاف التى شكلها أشكول عشية العدوان فى صحيفة علهمشمار [جريدة المابام] : « **لقد اخترعت قصة الخطر هذه وضخمت مقدما لتبرير ضــم اراضى جديدة** » . كما اكــد الجنرال **حاييم بارليف** وزير تجارة **مائير** ورئيس الاركان المساعد ابان العدوان ثم رئيسها فيما بعد لصحيفة معاريف « لم يكن هناك خطر ابادة عشية حرب الايام الستة . لم نفكر فى هذا ولم نتحدث فيه . ان مثل هذا الخطر كان قائما فى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ فحسب » . وفى ٥ يونيو ١٩٧٢ نظم « صوت اسرائيل » نقاشا حول حرب يونيو أعلن خلاله **حاييم هرتزوج** الرئيس الســابق للمخابرات « لم تــكن هيئــة الاركان الاسرائيلية ، أو هيئة أركان البنتاجون ، كما تبين ذلك مذكرات **ليندون جونسون** رئيس الولايــات المتحدة فى ذلك الحين ، تعتقدان فى وجود هذا الخطر » .

ورغم كل هذا — وكما يقول المؤلف — فان الذين رددوا فى أوربا وغيرها حديث اسرائيل عن الخطر ، سكتوا عن هذه الاعترافات ولم يعلقوا عليها ، لانهم متواطئون . ففى صبيحة ٥ يونيو ١٩٦٧ أبرقت وكالة الانباء الفرنسية من تل أبيب تقول « هاجم المصريون اليوم اسرائيل من الجنوب بالطائرات والمدرعات » ثم قالت « بدأت معارك عنيفة بين القوات الاسرائيلية والمصرية فى أعقاب اختراق الدبابات المصرية لاراضى اسرائيــل تســاندها

الطائرات » . وبعد دقائق رددت اذاعات فرنسا وأوربا وأمريكا نفس الخبر . ونشطت الصحف والاذاعات في الترويج لفكرة أن مصر هي البادئة بالعدوان ، وأخذت تنقل أخبار تل أبيب وتصريحات قادتها ، مثل اعلان الامر اليومي الذي أصدره **ديان** والذي قال « نحن لانريد غزو الاراضي ، ولكن مجرد ضمان سلامتنا » . وقول **اشكول** « اننا نعتمد على معونة الاصدقاء في رد العدوان الوحشي على حدودنا . ان اسرائيل تريد السلام ولن تهاجم أي بلد عربي وكل ما تفعله هو الدفاع » . وسمحت الاذاعة الفرنسية لسفير مصر بالحديث ، فأعلن اعترافات الطيار الاسرائيلي الذي أسر في ذلك اليوم ، بأن أمر القتال صدر له مبكرا وقبل الاعلان عن هجوم مصر » . **ولكن الاذاعة أعطت فرصة أكبر لسفير اسرائيل لتفنيد ذلك** ، وأخذ في ترديد أقوال حكومته حول بدء مصر للعدوان . ومع ذلك تطوع راديو أوربا رقم ١ ليقول أن المسئول هو من جعل الحرب حتمية [حتى وان لم يبدأها] . « فظهور قوات مصرية على الارض وفي السماء والبر ، يجعل مصر هي المعتدية ، لانها أجبرت اسرائيل على الرد » . ولعب راديو لوكسمبورج وتليفزيون فرنسا دورا كبيرا في اقناع المواطنين بادعاءات اسرائيل . مما جعل البعض منهم يهتفون بحياة اسرائيل أمام سفارة مصر وأمام جريدة **لومانتيه** وهي الوحيدة التي دافعت عنها . وبعد انتهاء القتال ، عبرت وسائل الاعلام الاوربية عن احتقارها العنصري للعرب المهزومين . ومع أن الصحفيين الاجانب الذين نقلتهم اسرائيل الى احدى مستعمرات الحدود ، ليروا بأنفسهم آثار الحرب على جدرانها ، قد تبينوا أن الاوامر قد صدرت للسكان بالتوجه للمخابىء مساء ٤ يونيو - أي قبل العدوان - فانهم سكتوا عن هذه الواقعة ، وانطلقوا يؤكدون بدء مصر للعدوان .

وفي مساء نفس اليوم بدأ التوقيع على العرائض في باريس وعلى طلبات التطوع في جيش اسرائيل . وتكتمت اسرائيل في البدء أنباء انتصاراتها لتستمر صورة « داود الصغير المعتدى عليه » . وعندما سأل صحفي **أبا ايبان** عما اذا كان المصريون اخترقوا الحدود ، رد بقوله « على كل الاحوال فان قذائفهم قد اخترقتها » . ثم بدأ التبرير وأعلن راديو لوكسمبرج « ما أهمية البحث عمن كان المسئول أولا . لقد أرادت حكومة اسرائيل منع العدوان » . وأعلن راديو أوربا رقم ١ أن **ناصر** هو المسئول عن توسيع الحرب . وقالت صحيفة « ليزيكو » أنه لا أهمية للحديث عن المسئول ، وأكدت « الفيجارو » القول نفسه ، ونفس الكلام رددته « كومبا » ومع ذلك فقد أكدت نفس الصحيفة في بداية نقلها للاخبار أن مصر هي التي هاجمت .

ويؤكد المؤلف أن الاعداد للحرب بدأ قبل وقوعها بمدة طويلة بالترويج لحب اسرائيل للسلام ، وتعطش العرب للحرب . ومن بداية شهر مايو نشطت صحف الغرب في تصوير **عبد الناصر** على أنه هتلر وكتابه فلسفة الثورة على أنه مثل كتاب « كفاحي » المتضمن فلسفة **هتلر** . وساعدت الاذاعات والصحف ومحطات التليفزيون في أوربا على اشاعة مشاعر العطف على شعب اسرائيل الصغير الذي يبني الاشتراكية ، وتشجيع المشاعر العنصرية تجاه العرب . **ويؤكد المؤلف أن المسألة كانت فخا أعد لمصر بعناية** . اذ حشدت اسرائيل قواتها حول سوريا ، ودفعت أنصارها في بعض أجهزة اعلام عدد من الدول العربية الى الحديث عن تخلي مصر عن نجدة سوريا . وعندما دفعت مصر ببعض قواتها الى سيناء ، ادانت الصحف الاوربية ذلك فتحدثت « لورور » عن تهديدها للسلام ، وقالت « الفيجارو » أن السلام يتوقف على تحركات مصر ، وقالت « ديبش دي ميدي » أن قوات مصر تهدد سلام اسرائيل . وبدأت حملة صليبية فكرية لصالح اسرائيل اشترك فيها **سارتر وسيمون دي بوفوار وبيير فيدال ، وايتيميل ، ومارجريت دورا** ، الذين لم ينسوا أن يعلنوا أنهم « أصدقاء للعرب ومعادون للامبريالية الامريكية » ومع ذلك فقد أكدوا أيضا أن اسرائيل قد برهنت على حبها للسلام . وأعربت عن نفس الموقف صحيفة « تريبون سوسيالست » الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي الموحد ، وقالت أن سبب الحرب هو « متاعب داخل مصر وسوريا » . وأعلن **كلود لانزمان** المتحدث باسم هؤلاء المثقفين في مؤتمر : « هل سيأتي يوم أضطر فيه الى الهتاف بحياة جونسون لانه الوحيد الذي يمنع ابادة اسرائيل » . وأعلن **اميل سيرفان شريبر** في كومبا : « ان العرب يريدون القيام بغارة على اسرائيل التي فجرت ثروات من الصحراء للحصول على غنائم فشلوا في انتاج مثلها بجهودهم » . وأعلن **جورج لاموس** في بوبلير دي سنتر : «أن اسرائيل تبني الاشتراكية ، ومن ثم لن تكون دولة توسعية أو أداة للامبريالية » ، وتحدث **رايمون تريبولي** الوزير الفرنسي السابق عن نازية العرب . ونفس الامر أكدته صحيفة « لوكانار » وقال **دانيل ماير** رئيس رابطة حقوق الانسان أن العرب يريدون ابادة اليهود كما فعل النازي . بل شارك في الحملة **جاك سوستيل** السفاح الفرنسي في الجزائر وتحدث عن نازية القيادة في مصر [وكان قد زار تل أبيب قبل اعلانه هذا بـ ١٥ يوما بدعوة من مناحم بيجين] . وأعلن اتحاد الشباب الديجولي تضامنه مع دولة اسرائيل بل لقد خالف كثير من قادة الحزب الديجولي سياسة رئيسه بالتمسك بنوع من الحياد ، واشتركوا في مظاهرات التضامن مع اسرائيل في أول يونيو ٦٧ ، ومنهم **اشيل بيريتي** رئيس الجمعية الوطنية **وجاك ماريت** الوزير السابق ، **وسانجونيتي ، وجان كلود سيرفان شرببر** الذي

أسس تجمع مساندة اسرائيل . وفى المساء حضر عدد كبير من هؤلاء الديجوليين اجتماعا عقده سفير اسرائيل . كما عبر عن مسئولية العرب جان ليكانويه رئيس الوسط الديمقراطى . كما شارك ممثلو حكومة فيشى فى الحملة بل وانضم لها اناس عرفوا بمعاداتهم للسامية . ووصف **جى موليه** [فى الاكسبرس ٢٩ مايو] اسرائيل بالدولة الشجاعة وقال أن السماح بسحقها سيكون ميونيخ أخرى . وأكدت فرانس سوار حالة الحصار التى يعيشها الاسرائيليون . وكانت لومانتيه هى الصحيفة الوحيدة التى نبهت فى ٢٢ مايو الى المؤامرة التى تحاك ضد البلدان العربية ، والى العدوان الذى يدبر عليها « ضد حرية الشعوب وتطلعها للتقدم » .

ويقول المؤلف أن التفكير فى العدوان اكتمل فى ١٩٦٦ عندما نشط العمل الفدائى ، بمقتضى ما أسمته اسرائيل « حق الملاحقة » أى حق تتبع الفلسطينيين ومهاجمة من يساندونهم . فقد أعلن الجنرال **رابين** فى جريدة الجيش الاسرائيلى فى سبتمبر ١٩٦٦ اعتزام بلاده العدوان على سوريا والاطاحة بنظامها . والواقع ان اختيار البلد الذى يهاجم لا يتوقف فقط على كونه منطلقا للفدائيين ، وانما يتوقف على طبيعة النظام القائم فيه . فقد كان فى الاردن ولبنان فدائيون ، ولكن اسرائيل لم تعد للاطاحة بالانظمة فيهما . وقد أعلنت اسرائيل حقها هذا فى « الملاحقة » بطريقة عملية ، فأثناء مناقشة الجمعية العامة مشكلة اللاجئين ، اعتدت على قرية سامو العربية وقتلت عددا من سكانها .

ومنذ نهاية ١٩٦٦ وبداية ١٩٦٧ ، بدأ قادة اسرائيل يعدون العدة للتنفيذ الفعلى . وفى ٧ ابريل ١٩٦٧ أشعلوا نيران القتال على الحدود مع سوريا . ومع ذلك ، طفقوا يتحدثون كثيرا عن رغبتهم فى السلام . فقد أعلن **اشكول** فى الكنيست فى ٢٢ مايو : « أريد أن أقول بأعلى صوتى للبلاد العربية خاصة مصر وسوريا ، أنه ليست لدينا نوايا عدوانية ضدها ، وليس لنا مصلحة فى المساس بأرضها أو حقوقها المشروعة » ومع أن الرئيس **عبدالناصر** كما يقول المؤلف ، قد أعلن ان مصر لن تدخل القتال الا اذا تعرضت سوريا والبلاد العربية للعدوان ، فقد تناست الصحف الغربية كلمة « الا اذا » وقالت أن مصر تريد الحرب . ويقول المؤلف ان القادة العرب فاتهم « أن تل أبيب تحظى منذ ١٩٥٦ بالتأييد الكامل لواشنطن . وأن جنرالات اسرائيل استفادوا كثيرا من فشل عدوان ١٩٥٦ » .

وفى اجتماع مجلس وزراء اسرائيل فى ٢٩ مايو ، دعا ٩ أعضاء فى المجلس الى شن الحرب فورا وهم : **ليفى اشكول ، وايجال آلون ، وموشى كارمل ، وجاليلى ، وجيفانى ، وساسون ، و ى. شابيرو ، وشيرف ، ويسهاياهو** وكلهم أعضاء فى حزب العمال . وكان هناك ٩ ما يزالون مترددين وهم : **أبا ايبان ، وسابير ، واران** [**حزب عمال**] **وباريزلاى ، وبنتوف** [**المابام - الحزب العمالى الموحد**] **وبورج ، وشابيرو** [**الحزب الدينى**] **وكول** [**الليبرالى**] لانهم كانوا يريدون مزيدا من مساندة أمريكا . ولهذا أرسل فى ٣٠ مايو الى واشنطن ، رئيس المخابرات الاسرائيلية لبحث امكانيات التنسيق . وفى أول يونيو تشكلت فى اسرائيل حكومة الوحدة الوطنية ودخل فيها **ديان وبيجن** . وفى ٣ يونيو أبرق رئيس المخابرات الاسرائيلى من واشنطن الى **اشكول** بما يفيد التفاهم ، ومع ذلك فقد تحدث ديان فى اليوم نفسه عن انتظار اسرائيل للجهود الدبلوماسية لفترة أخرى . ويوضح المؤلف أن هيئة الاركان الاسرائيلية دون علم **ديجول** ، استخدمت العقول الالكترونية التى تملكها البحرية الفرنسية فى طولون — بموافقة **ميسمير** وزير الدفاع — فى اعداد خطة الهجوم على مصر ، رغم أن ديجول كان قد حذر وزرائه قبل ذلك بيومين من المشاركة مع طرفى النزاع بأى صورة . وفى ٤ يونيو اتخذ مجلس وزراء اسرائيل قرارا يقول « قررت الحكومة القيام بعمل عسكرى لتحرير اسرائيل من عقدة العدوان التى تضيق من حولها باضطراد . والحكومة تخول رئيس الوزراء ووزير الدفاع أن يحددا لجيش الدفاع ساعة البدء » .

ويقول المؤلف أن اسرائيل وعت حقائق الموقف الدولى جيدا واستخلصت الدرس من حملة ١٩٥٦ فقد أعلن **ديان** ان المعركة مع مصر يجب الا تستغرق أكثر من ٣ أو ٤ أيام ، وأيده فى ذلك الجنرال **بوفر** قائد القوات الفرنسية فى حملة ١٩٥٦ قائلا : « أن حملة ١٩٦٧ تعتبر نموذجا للعمل العسكرى الذى يهدف الى خلق وضع قائم قبل أن يستطيع الرأى العام العالمى التدخل » ونفس التأكيد قدمه القادة العسكريون لالمانيا الغربية .

ويوضح **كوبار** فى كتابه أن اسرائيل كانت تهدف — علاوة على أغراضها التوسعية — الى خدمة المخطط الامريكى فى المنطقة . فقد أعلن **حاييم هيرتزوج** غداة الحرب « أن الثروات البترولية فى الخليج الفارسى وفى صحراء السعودية كانت فى خطر . وما لم تبدأ اسرائيل حرب يونيو لضاعت بلاد كثيرة » ويقول المؤلف أن اسرائيل أرادت بحرب يونيو أن تدافع أيضا عن مصالح حلف الاطلنطى والكارتل البترولى ، بل وأعلن **هيرتزوج** أنها أرادت مساعدة أمريكا على البقاء فى آسيا .

وتوالت قبل الحرب وبعدها تصريحات قادة اسرائيل التى تؤكد مسئولية بلادهم فى الحفاظ على المصالح الامبريالية والنظم الرجعية فى المنطقة . ويقول **كوبار** أن اسرائيل اختارت منذ قيامها فى ١٩٤٨

معسكرها : وهو المعسكر الامبريالي . وفي ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، شنت غارة على غزة لارهاب النظام الجديد في مصر واخضاعه ، ثم اشتركت في عدوان ١٩٥٦ لمعاقبة مصر على التأميم . وبعد مبدأ **ايزنهاور** لملء الفراغ في المنطقة في ١٩٥٧ والذي رفضته مصر ، بدأت اسرائيل تعرض خدماتها على امريكا لحماية مصالحها في المنطقة ، ويورد المؤلف رسالة بن جوريون الى دلاس التي تعرض خدمات اسرائيل ، ويقول ان مائير واصلت نفس الخط ، فقد التقت بدلاس في ١٩٥٧ لعرض مشروع بالتدخل في سوريا لم يتسن تنفيذه الا في ١٩٦٧ .

ويقول **كوبار** ان مصالح أمريكا في المنطقة هائلة فعلا ، وان التخلف يساعدها على الاحتفاظ بها ، ومحاولات التنمية تهددها بالخطر ، اذ يعترف **والت روستو** مستشار **جونسون** : بأن تطور البلدان المتخلفة يضر بالولايات المتحدة ، ويقول ان الشرق الاوسط له اهمية خاصة في ذلك بالنسبة لامريكا . ولهذا كانت حرب يونيو حرب بترول ، ذلك ان ٧٠٪ من احتياطي البترول في العالم غير الاشتراكي ، موجود في البلاد العربية التي يبلغ متوسط الانتاجية فيها من البئر الواحدة ٣١٨٨ برميلا في اليوم مقابل ٣٦١ في فنزويلا ، ٥٢ في كندا ، ١٢ في أمريكا . وفي ١٩٦٧ كانت تسيطر أمريكا على ٥٨ر٦٪ من احتياطيات البترول في المنطقة . وقد أكدت دراسة اعدها معهد الشرق الاوسط الامريكي في ١٩٦٩ ان استثمارات وتجارة امريكا مع شمال افريقيا تدر لها ٢ مليار دولار ارباح سنويا معظمها من البترول .

وفي مقابل هذا ، فان اسرائيل تحتل مكانة خاصة بين عملاء امريكا ، من حيث حجم المعونات أو نوعها . فقد قدر **دافيد نيس** القائم بالاعمال الامريكي السابق في القاهرة أن اسرائيل حصلت بين ١٩٤٨ و ١٩٦٨ على ٣٦ مليار دولار معونة ، اي ١٤٠٠ دولار للفرد . في حين أن ١٣ دولة أخرى في المنطقة لم تحصل سوى على ٣٥ مليارا في نفس الفترة . كما أن امريكا خصصت ٣٣ مليار دولار لمعاونة مجموع الدول النامية في الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ ، وبعد حرب يونيو زادت الهبات : ٨٠٠ مليون في ١٩٧٠ ، حوالي مليار في ١٩٧١ . كما أن امريكا هي المورد الوحيد للسلاح لاسرائيل بأن تصنع معدات حربية الكترونية ايطاليا ٣٠٠ ، اليونان ٢١٦ ، الاسطول السادس

٢٠٠] . وفيما بين ١٩٦٩ و ١٩٧١ منحت امريكا لاسرائيل حوالي ٩٠٠ مليون دولار ائتمان لشراء الاسلحة مقابل ٣٠٠ مليون دولار بين ١٩٤٨ و١٩٦٨ . وفي نوفمبر ١٩٧٢ وقع اتفاق يسمح لاسرائيل بأن تصنع معدات حربية الكترونية امريكية . كما تساعد امريكا اسرائيل في مجال تطوير قدراتها الذرية . وتدفع أمريكا الهيئات الدولية التابعة لها لمساعدة اسرائيل مثل البنك الدولي للانشاء والتعمير الذي منح اسرائيل مساعدات بلغت ٢٢ر٨٣ دولار للفرد ، في حين بلغت مساعداته لسوريا ٢ر١٣ دولار للفرد وللعراق ١ر٦٧ ولليبيا ١ر٤٧ دولار ولمصر ٠ر٦ دولارا وفيما بين ١٩٥١ و ١٩٧٢ ، باعت اسرائيل أوراق مالية في أمريكا بلغت قيمتها ٢ مليار و٢٠٠ مليون دولار . كما يلعب السوق الاسرائيلي دور الوسيط والترانزيت في التجارة الامريكية .

وفي كل عدوان تحصل اسرائيل على مكافأة . ففي عدوان ١٩٥٦ حصلت على مكافأة تمثلت في فتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ليزدهر ميناء استولت عليه في ١٩٤٩ منتهكة اتفاقية الهدنة . وفي ١٩٦٧ كانت المكافأة أكبر اذ بلغت نحو ٨٠٠٠٠ كم٢ : الضفة الغربية ، الجولان ، سيناء ، وهي تمثل خزانا لليد العاملة الرخيصة : نحو ٩٨٢٧٠٠ ، وتضم أراضي خصبة في الضفة الغربية وكذلك البترول في سيناء ، وتضمن لها موقع قدم على القناة ، وطريق الى دمشق وعلى الرغم من تصريحات قادة اسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ عن عدم رغبتهم في ضم أراض عربية ، فقد أقام المعتدون نحو ٥٠ مستعمرة في ١٩٧٢ في الاراضي المحتلة . ولكن الاحتلال ليس بلا تكلفة . وفي هذا يورد المؤلف أرقاما كثيرة توضح أن للعدوان نفقاته [١] التي تفوق طاقة اسرائيل لولا مساندة أمريكا التي تزداد أعباؤها مع ازدياد حالة العزلة التي بدأت اسرائيل تشكو منها . في وقت بدأ فيه تذمر قطاعات متزايدة من بعض سكان اسرائيل من جراء القيود والازمات الاقتصادية .

لذلك كله ينادي المؤلف أن بداية الحل تكمن في تنفيذ قرار مجلس الامن بالانسحاب من الاراضي التي احتلتها اسرائيل بعد حرب يونيو .

والحق ان كتاب كوبار ، مثل طيب على أن العدل والحق له أنصاره في كل مكان ، حتى وأن كثر أعوان الباطل وعلا صوتهم .

---

١ - راجع مقال كوبار المنشور في عدد أكتوبر ١٩٧٣ من الطليعة عن اثر حرب الايام الستة على الاقتصاد الاسرائيلي

التحالف من أجل التقدم والتاكتيك الجديد للامبريالية

شاكر العاشور

بأى ثمن ، وبأى شكل من الاشكال ، تسعى الامبريالية العالمية ، وبالاخص الامريكية الى الاحتفاظ بثنائية العالم (عالم المواد الاولية وعالم المصنوعات) ، كيما تتمكن ، الى النهاية من تحقيق اهدافها العدوانية ، على حساب تخلف الشعوب فى العالم . وذلك جلى من خلال التطورات التاكتيكية الدقيقة ، التى تمارسها الامبريالية باستمرار على استراتيجيتها فى مناطق العالم الثالث ، ولا سيما فى امريكا اللاتينية .

فحين فضحت حركات التحرر الوطنى فى القارة اللاتينية مبدأ (مونرو) فى حماية اقطارها من أطماع الدول الاوروبية ، وكذلك حين تقهقرت سياسة (روزفلت) فى (العصا الغليظة) ، وما أعقبها منسياسة (حسن الجوار) ، وجدت الامبريالية الامريكية نفسها محاطة بوعى جماهيرى لاتينى يفضح استراتيجيتها العدوانية فى تصدير رساميلها الى اقطار امريكا اللاتينية لتعود محملة بأرباحها الطائلة الى الخزانة الامريكية ، من ذلك الثورة الكوبية عام ١٩٥٩ ، التى استطاعت ان تصعد مخاوف امريكا ، وفشل الاعتداءات الامريكية على هذه الثورة ، التى بدأت تشكل نبراسا وحافزا لاغلب أقطار القارة اللاتينية .

وازاء هذه الاحداث التى استجدت فى القارة اللاتينية ، بدأت الرساميل الامريكية بالانحسار عن اقطار هذه المنطقة .. على الرغم من توافر الاجور المنخفضة وأسعار الاراضى الرخيصة . فهذه المميزات لم تعد كافية « مع انعدام الثقة بالتطورات السياسية والثورية ، والاوضاع غير المستقرة .

وماتبقى من هذه الرساميل الامبريالية فى القارة اللاتينية لم يكن الا مغامرة دنيئة ، تحاول التمسك بعناد فى استثماراتها ، عنطريق اشتراكها فى هذه الاستثمارات مع رؤوس الاموال العامة أو الخاصة المحلية ، مما يمنحها ميزات عديدة ، ويقدم لها نوعا من الضمان ضد الاخطار السياسية (١) .

التاكتيك الجديد

بيد أن الامبريالية الامريكية ، التى بدأت تكلفها حروبها العدوانية فى بلدان شرقى آسيا ، ومناوراتها الخبيثة فى الشرق الاوسط ، وبقية اصقاع العالم المتيقظ ، الى جانب التناقضات المتفاقمة داخل مجتمعها الطبقى، وتردى حالة الطلبة والعمال، والتفرقة العنصرية ... تحت كل هذه الضغوط وجدت الامبريالية الامريكية نفسها غير قادرة على

---

(١) بيير جاليه ــ نهب العالم الثالث ص ١٤٦

تحمل أعباء كل ذلك ، الا من خلال استراتيجيتها الاحتكارية فى أمريكا اللاتينية . فعمدت الى تمرير ذلك عن طريق برامج المساعدات لاقطار هـذه القارة ، متخفيه تحت اقنعة مساعدة هذه الشعوب والنهوض بها من تخلفها . فراحت الامبريالية توبن حزنا على هذه الشعوب المتخلفة ، وتدعو الى انقاذها . وذلك ما يتضح من خـلال خطاب « روبرت كيندى » أمام مجلس الشيوخ الامريكى ، فى التاسع من آيار ١٩٦٦ ، فى محاولة لاقناع بعض الشيوخ المتصلبين ، للمضى بمساعدة أخيه الرئيس « جون كيندى » فى تنفيذ مشروعـه « التحالف من أجل التقدم » ، وذلك بعد مرور ست سنوات على تنفيذ هذا المشروع . حيث قال يصف حال اقطار أمريكا اللاتينية : [٢] [اعتماد دول أمريكا اللاتينية على محصول واحد فقط للتصدير ، وانعدام الصناعة نسبيا ، وغياب السوق الداخلية القوية ، وغلبة الاحتكارات الحكومية . والنتيجة النهائية لهذا الشكل من التنمية هى الفقـر والانحطاط والبؤس ، وعندما يتجول المرء فى انحاء أمريكا اللاتينية يشاهد واقع البؤس البشرى ، هناك أناس فى ــ رسيف ــ يعيشون فى أكواخ بائسة قرب المياه التى يصـبون فيها نفاياتهم وبرازهم . وفى كل مكان حول كل مدينة كبيرة نوعا ما ، توجد أحياء قذرة ، مزدحمة بالسكان ، وموسومة بالفقر والرذيلة ، ولن يقبل هؤلاء الناس بهذه الظروف الحياتية خلال الجيل القادم ، ولا نحن نقبل بها ، وستكون هناك تغييرات ، فقد انطلقت الثورة فى مسيرتها ، وهى ثورة سلمية اذا كان لدينا القدر الكافى من الذكاء ، ومعتدلة اذا كان لدينا الحذر الضرورى ، وناجحة اذا كنا محظوظين ، ولكنها ثورة ستتحقق شئنا أم أبينا ، نستطيع أن نؤثر فى طابعها ، ولكننا لا نستطيع تقييد حتميتها] .

ان خطاب [روبرت كينـدى] هذا جـاء بعد مسيرة ست سنوات ــ كما قلنا ــ من تنفيـذ (التحالف من أجل التقدم) . واذا كان لنا أن نستنتج من هذا الخطاب شيئا ، فانما نستنتج شيئين :

أولا : الفشل الذريع الذى تتعرض له الامبريالية الامريكية فى القارة اللاتينية ، حتى من خلال تخفيها وراء مشروع (كالتحالف من أجل التقدم) والذى هو عبارة عن مجموعة من المساعدة التى لا يظهر فيها التدخل العسكرى أو المباشر . وذلك ما يدل على سوء النية فى ابرام مثل هذه المشاريع .

ثانيا : الدعوة الى استمرار مثل هذه البرامج بأكثر دقة ، من أجل تحويل عملية الثورة الحتمية الشعبية الى ثورة اصلاحية ، تجد خـلالها الاحتكارات الامريكية مرتعا خصبا وآمنا .

ان ما دفعنا الى اقتبـاس هـذه الفقرات من خطاب كيندى هذا ــ بعد ست سنوات من تنفيذ المشروع الجديد ــ هو ابراز سوء النية فى هذا التاكتيك الامبريالى .. الذى كشفت عنه أمريكا الامبريالية بنفسها .

التحالف من أجل التقدم

ان ما دفعنا الى اقتبـــاس هذه الفقرات من ركز قاعدته جون كيندى ، وانشأ منظمته عـام ١٩٦١ هو خطة تهدف الى اخفاء (الميثـاق التجارى) والديكتاتورية العسكرية ، التى تؤمن مسيرة الاحتكارات الامريكية ، وتصدير رؤوس الاموال المكثفة ، وذلك خلف قناع من مساعدة أقطار أمريكا اللاتينية ، لتغييـر أوضـاعها الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة ، وذلك بعد فشل الامبريالية فى التدخل المباشر أمام الانتفاضات الجماهيرية فى هذه القارة .

وقد وجد مشروع (التحالف من أجل التقدم) مراتع خصبة فى مواقف بعض الحكومات العميلة ، مما فتح الطريق أمام الرساميل الاحتكارية لاخذ مواقعها الاستثمارية فى بعض أقطار القارة ... متخفية تحت برنامج كيندى الاصلاحى .

وفى الوقت الذى اتجهت فيه الرساميل الامريكية الفردية ، مدفوعة برخص الايادى العاملة وانعدام القيود الضريبية والتبادل الحر الذى يسـمح باسترجاع الارباح ، اتجهت المساعدات التـى تقدمها منظمة (التحالف) الى تنفيذ مهمتهـا « لتطوير الحالة الاجتماعية والاقتصادية » كما تزعم ، ولكن من خلال توظيف هذه المساعدات فى استثمارات غير منتجة : [الطرق ، المستشفيات ، المـدارس .. الخ] [٣] ، وذلك حسـابا من الامبريالية لدرء الخطر ، الذى قد ينتج من توظيف هذه المساعدات فـى أماكنها الحقيقيـة .. كاستثمارها فى الشركات الوطنية المساهمة ، أو فى تصفية علاقات الانتاج الاستغلالية . بيد أن الامبريالية كانت تخشى أن يضع تطور البورجوازية الوطنية ــ حين تتولى تحويل المواد الاولية ــ حدا للميثاق الاستعمارى ، ويشجع هذه البورجوازية

---

[٢] جاك رودس ــ الاسـتعمار الجديد فى آسـيا وافريقيـا وأمريكا اللاتينية ص ١٢٠

[٣] ريجى دوبريه ــ ثورة فى الثورة ص ١٦٣

على اقامة علاقات تجارية مع جميع الدول ، فتقضى بذلك على الاحتكار التجارى الذى تملكه الولايات المتحدة .

وبذلك نتوصل الى النتيجة العدوانية التى هدف اليها (التحالف من أجل التقدم) ، وهى اضفاء قناع الاصلاح غير المنتج على ابرام اتفاق يسمح بتصدير الرساميل الاحتكارية الامريكية بشكل مكثف الى أقطار القارة اللاتينية .. كيما تأخذ هذه الرساميل طابع الشرعية ، وبالتالى الاستقرار .

ويدرج (ريجيه دوبريه) فى كتابه (ثورة فى الثورة] بعض الفوائد الاستعمارية التى صاحبت مشروع [التحالف] هذا ، تلك الفوائد التى تبين اهمية هذا التاكتيك الجديد فى خدمة الاستراتيجية الامريكية العدوانية والاستغلالية (٤) :

١ - اشتراط أمريكا باستخدام الاموال المقروضة الى اقطار أمريكا اللاتينية - فى كل الاحوال - فى شراء سلع أمريكية شمالية مصنوعة ، وبأسعار تزيد عن مستوى السوق العالمية بنسبة تتراوح بين (٥٠-٢٠٠ بالمائة) .

٢ - ان تصدير الفائض من المنتوجات الزراعية الامريكية الشمالية يحقق غايتين : أولا : انه يخفف من أزمة تزايد فائض الانتاج الوطنى فى الولايات المتحدة . ثانيا : انه يدر الارباح على شركات الشحن الامريكية الشمالية ، التى تفرض رسوم شحن خيالية .

٣ - على كل دولة تتسلم (المساعدة) من منظمة [التحالف] أن تؤمن من جهتها : اعالة جهاز ضخم من الموظفين والفنيين الامريكيين الشماليين ، يعيشون على مستوى معاشى مرتفع جدا ، وتنفيذ مشاريع الاشغال العامة ، كشق الطرق وازالة الغابات ، وانشاء القنوات والانارة ، فى المناطق التى تعمل فيها الشركات الامريكية ، وحيث توظف الاستثمارات . وتلك طريقة بارعة لتخفيض تكاليف الانتاج ، عن طريق القائها على عاتق الاقطار اللاتينية .

ذلك الى جانب أن الهبات المقدمة لكولومبيا واقطار جبال الانديس على شكل سلع [كالحليب المجفف والزبدة المعلبة مثلا) على يد (فيالق السلام) التى تضم شبانا من أمريكا الشمالية ، يتطوعون لتأدية دور هو خليط من العمل التجسسى والنشاط الكشفى فى هذه المناطق ، ماهى الا أدوات للتغلغل والابتزاز فى أوساط الفلاحين .

ويضاف الى كل ذلك ، تمكن الامبريالية الامريكية - عن طريق هذه المساعدات - من الضغط على أقطار القارة اللاتينية لقطع علاقاتها التجارية بأوربا والبلدان المجاورة ، والاكتفاء بالاستيراد من أمريكا بواسطة مبالغ مساعدات منظمة (التحالف) .

هذه الخطة الدنيئة ومفارقاتها ، والتى عملت الحركات الثورية الوطنية داخل القارة على تعميق تناقضاتها ، نجد أنها أصيبت بالفشل الذريع (تحدث عنه روبرت كيندى ، كما أوضحنا سابقا) وتعرضت الى عكس ما طلبت اليه الامبريالية فى تحويل الثورة الجماهيرية الحتمية الى ثورة سلمية اصلاحية . فقد كشفت حركات التحرر الوطنى : أن تخطيط (التحالف) كان يرمى الى أن تزداد التنمية الاقتصادية بنسبة سنوية تبلغ (٢ر٥ فى المائة) لكل شخص . وبالرغم من الاعلان بأن هذا الهدف قد تحقق عام ١٩٦٥ ، فان هذه الارقام الرسمية « خادعة نوعا ما » ، ذلك أن الزيادة لم تزد عن (١ر٤ فى المائة) فقط لكل شخص . اضافة الى أن التقارير لم تأخذ بعين الاعتبار التضخم النقدى الذى ساد عددا من أقطار أمريكا اللاتينية . كل ذلك بصحبة الانقلابات العسكرية المدعومة من قبل الامبريالية فى أقطار هذه القارة ، حينما تشعر الامبريالية بنسائم اصلاحية لبعض قادتها . ومن امثلة ذلك الانقلابات العسكرية ضد (غولار) فى البرازيل و [باز استنسيرو] فى بوليفيا ، و [جوان بوش] فى جمهورية الدومينكان [٥] .

نستنتج من ذلك أن (التحالف من أجل التقدم) لم يكن سوى تحالف بين أمريكا الشمالية والامريكيين الشماليين فى أمريكا اللاتينية .. وسوى تطبيق [لمبدأ مونرو] فى خلق قواعد مضادة للثورة الحتمية . لذا فقد عمدت الامبريالية الامريكية الى دعم مشروعها هذا بالانقلابات العسكرية ، التى تقودها الولايات المتحدة ، وعن طريق انشاء قوات مضادة لحرب « الغوار » الجماهيرية .

---

(٤) ريجى دوبريه - المصدر السابق ص ١٦٤ .
(٥) جاك وورس - المصدر السابق ص ١٢١ .

أثر الوعي الجماهيري

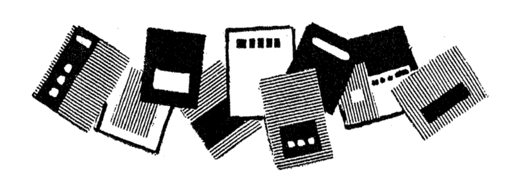
وازاء تفاقم الوعى الجماهيرى ، بدأت بعض الحكومات فى أمريكا اللاتينية بالتحرك المضاد للامبريالية . فقامت ، تحت ضغط الحركات التحررية الوطنية ، الى اعادة النظر فى تبعيتها هذه ، فصادرت حكومة بيرو عام ١٩٦٨ موجودات شركة البترول العالمية الامريكية ، وتبعتها بوليفيا عام ١٩٦٩ ، مما سبب مشكلات جديدة أمام الامبريالية ، ومما دعا الى نوع من التحالف بين أقطار القارة اللاتينية ، كبداية لمواجهات القارة للتدخل الامريكى ، وكمنطلق للخلافات الايديولوجية والتناقضات الاقتصادية والسياسية بين الطرفين .

مبدأ المشاركة

فى عام ١٩٦٩ ، وبعد زيارة لاقطار أمريكا اللاتينية قام بها « **روكفلر** » قدم تقريرا الى حكومته ، اعترف فيه بأن الولايات المتحدة كثيرا ما تحدثت عن (التحالف أو الشراكة) ولكنها لم تمارسها ، ودعا الولايات المتحدة الى [اعادة الحياة) مع دول أمريكا اللاتينية ، وعلى (أساس جديد وأشكال جديدة وأسلوب جديد) . فكان أن قرر الرئيس الامريكى الحالى نيكسون احداث تغيير [جذرى] فى طرق تقديم المساعدات غير المشروطة ، واحترام سيادة وحرية الدول اللاتينية ، واعادة النظر فى سياسة بلاده التجارية مع هذه الدول ، والعمل « معا » على رفع المستويات المعيشية فيها .

من هذه التطورات الجديدة فى تاكتيك الاستراتيجية العدوانية الامريكية ، خرج نيكسون بمبدئه الجديد المسمى « بمبدأ المشاركة » والرامى الى تقديم المساعدات لاقطار القارة اللاتينية ، مع الدعوة الى نشر « الحرية والديمقراطية » فيها .. مبيتا لهذه الاقطار تحالف الامبريالية مع الانظمة الرجعية والانقلابات العسكرية ، لتمرير تصدير الرساميل الامريكية الشمالية .. حيث أصبح [**التحالف**] فى عهد نيكسون تحالفا بين الولايات المتحدة والانظمة الرجعية المحلية ، بعد أن كان وجه التحالف بين الولايات المتحدة والامريكيين الشماليين فى الاقطار اللاتينية سافرا فى عهد جون كيندى . **ومع ذلك فقد دعم نيكسون** [مبدأ المشاركة والحرية] الذى دعا اليه باشارته الى قرار المؤتمر الاستشارى التاسع عام ١٩٦٤ لوزراء خارجية منظمة الدول الامريكية ـ عدا المكسيك ـ الداعى الى قطع علاقاتها السياسية والتجارية مع كوبا ، وذلك كأسلوب للتهديد النكسونى لتلك الاقطار .

ومن ذلك تظهر بجلاء حقيقة مبدأ (المشاركة) هذا ، من حيث استمرار ربط أقطار أمريكا اللاتينية بعجلة الاحتكارات الامريكية ، مع اضفاء اسم (المشاركة)و (الحرية) على خطة (التحالف من أجل التقدم] .





□ اعتراف من جنرالات اسرائيل بارتكاب عدوان ٦٧

□ برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الأرض المحتلة

فى هذا العدد .. والعرب يعيشون جميعا أيام الانتصار .. تقدم «الطليعة» وثيقتين هامتين .. حزمتين من الضوء .. احداهما وثيقة تعبر عن رفض الاحتلال والاصرار على مجابهته والكفاح ضده .. هى برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة .

.. والثانية ادانة جديدة للعدوان الاسرائيلى فى ١٩٦٧ .. اعتراف من مدبريه من جنرالات اسرائيل بأن اسرائيل ارتكبت العدوان ، وأنها لم تكن مهددة .. ولا بحاجة الى ضربة وقائية .

وثيقتان .. واحدة تفضح العدوان ،والاخرى ترفضه وتقاومه .

■ برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة

فى نداء وزع فى الاسبوع الاول من سبتمبر الماضى فى جميع انحاء المناطق المحتلة وعلى الصحف ووكالات الانباء اعلنت الاحزاب والهيئات والرجالات الوطنية الفلسطينية فى المناطق المحتلة عن قيام « الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة » على اعتبار انها « جزء لايتجزأ من الحركة الوطنية الفلسطينية المتمثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية ، والتى هى جزء من حركة التحرر العربى » .وتضمن النداء ، الذى صدر سرا فى شكل كراس ، « برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة »

الشعب العربى الفلسطينى شعب صامد

وبعد ان يستعرض واضعو هذا النداء التاريخى ضراوة الاحتلال الاسرائيلى ، الذى يقوم « بتجريد حملات القمع الدموية ضد شعبنا العربى الفلسطينى ، وحركته الوطنية داخل الارض المحتلة وخارجها يشجعهم الدعم الاميركى الذى لا حدود له سياسيا واقتصاديا وعسكريا .. وكذلك تحرك قوى الاستسلام والانهزام فى انتظار حل اميركى يطبخ فى واشنطن ويستهدف خدمة وحماية المصالح الاستعمارية اللصوصية فى الوطن العربى وتحقيق الاطماع التوسعية الصهيونية على حساب امتنا العربية ، وبشكل خاص على حساب شعبنا العربى الفلسطينى وحقوقه المقدسة » .

وبعد هذا يؤكد واضعو النداء التاريخى ان « هذه المؤامرات والهجمات ، على ضراوتها وخطورتها لم تستطع ان تخضع شعبنا الفلسطينى المناضل ، رغم ما تكبده من تضحيات جسيمة وما يتعرض له من ويلات وظروف قاسية ، ولم تتمكن من طمس شخصيته وتصفية قضيته » .

على مستوى التحدى المصيرى

ولذلك ، « فان شعبنا الفلسطينى فى ارضنا المحتلة يدرك خطورة الموقف. لانه يقف وجها لوجه امام مخططات التوسع والتهويد الصهيونية التى تنفذ على حساب ارضه ووجوده ، مما يدفعه للتصدى لها ، ومقاومتها والسعى لتوحيد كل قواه لصد الطوفان الصهيونى الذى يهدد باكتساح كل شىء .

« ومن هنا تنادى العديد من ابناء شعبنا فى الارض المحتلة لمواجهة الاخطار القائمة . وبعد التداول وتبادل وجهات النظر قرروا تشكيل الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة باعتبارها الطريق المجرب لتعبئة وتوحيد طاقات شعبنا الكفاحية . وتجاوبا مع نداء المجلس الوطنى الفلسطينى الذى انعقد فى القاهرة هذا العام . وبالتالى فان الجبهة الوطنية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية الفلسطينية المتمثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية ، والتى هى جزء من حركة التحرر العربى » .

وفيما يلى البرنامج الذى تبنته الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة :

« ١ – مقاومة الاحتلال الصهيونى والنضال فى سبيل تحرير ارضنا العربية المحتلة .

٢ – تامين الحقوق المشروعة لشعبنا العربى الفلسطينى ، وفى مقدمتها حقه فى تقرير مصيره على ارضه والعودة الى دياره .

٣ – رفض جميع المشاريع التآمرية التى تستهدف تصفية قضية شعبنا العربى الفلسطينى والتفريط بحقوقه ، سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الفلسطينى والادارة المدنية والحكم الذاتى ومشروع الون ، او مشروع الملك حسين والحلول الاميركية، وما شاكلها من التسويات التصفوية الاستسلامية .

٤ – الدفاع عن الاراضى والممتلكات العربية فى وجه عمليات المصادرة والاغلاق والتهويد .

٥ حماية اقتصادنا العربى والمحافظة على المشاريع والمؤسسات الزراعية والصناعية والتجارية العربية امام محاولات المحتلين لضربها والحاقها بالشركات الصهيونية

٦ – حماية ثقافتنا العربية وتاريخنا من العبث والتشويه الصهيونيين ، خصوصا فى مجال المناهج المدرسية .

٧ – الدفاع عن مقدساتنا امام تطاولات الصهاينة ومساعيهم لهدمها والاستيلاء عليها .

٨ – احياء تراثنا الشعبى وادب المقاومة لما فيهما من تجسيد لتعلق شعبنا بارضه ونضاله البطولى للدفاع عنها .

٩ – العناية بالمناضلين والمناضلات من ابناء شعبنا وبناته الذين يرزحون فى سجون الصهاينة والنضال لتحسين معاملتهم والافراج عنهم ، ورعاية شئون عائلاتهم والاهتمام باطفالهم ونسائهم وذويهم .

١٠ – دعم المنظمات الجماهيرية كالنقابات العمالية والمهنية واتحادات الطلبة والنساء والاندية والهيئات الدينية والاجتماعية ومساندتها فى الدفاع عن مصالح الفئات التى تمثلها وتعبئة طاقاتها فى النضال ضد الاحتلال والعمل مع هذه المنظمات جميعا لحمايتها من محاولات الصهاينة للتغلغل فيها . والتصدى لمساعى المحتلين لاغراق شبابنا بموجات التفسخ والانحلال واللاوطنية .

١١ – تؤكد الجبهة على وحدة الشعبين الشقيقين الفلسطينى والاردنى ، وتعلن إن ارتباطها الوثيق وتلاحمها مع الحركة الوطنية الاردنية فى النضال من اجل تحويل الاردن الى قاعدة متينة يستند اليها النضال العربى والفلسطينى ضد العدوان الصهيونى الاستعمارى .

١٢ – تؤكد الجبهة على ان المعركة الوطنية لشعبنا الفلسطينى داخل الارض المحتلة وخارجها هى جزء اصيل من حركة التحرر العربى ، كما تؤكد على ان استمرار الاحتلال والعدوان الصهيونى لا يهدد حقوق ومصالح الشعب الفلسطينى وحده ، انما يهدد كذلك حقوق ووجود الشعوب العربية الشقيقة الاخرى .

١٣ – تناضل الجبهة من اجل تعزيز اواصر الصداقة والتعاون مع جميع القوى التقدمية والثورية فى العالم ، وفى مقدمتها الدول الاشتراكية . وتعمل من اجل اكتساب المزيد من الاصدقاء والمؤيدين لقضيتنا العادلة فى المجال الدولى » .

واختتم البرنامج بالتاكيد على اهمية قيام الجبهة الوطنية ، « التى من شانها ان تعزز ثقة شعبنا بنفسه

وترفع من مستوى نضاله ضد الاحتلال وتقطع الطريق على مزاعم الفراغ فى الارض المحتلة وتشد من ازر النضال الفلسطينى فى الخارج وتؤكد وحدة نضال شعبنا الفلسطينى فى جميع مواقعه » .

النصر للشعوب

وانهى هذا النداء التاريخى باعلان الثقة بالمستقبل .. وذلك :

« ان عصرنا اليوم هو عصر تحرر الشعوب وانتصار قوى التحرر والتقدم وهزيمة قوى الاستعمار والغزو والعدوان والعنصرية . وفى مقدور كل شعب اذا ما حزم امره ووحد جهوده وسلك طريق النضال المثابر ان يحرز النصر ويظفر بحريته وحقه فى تقرير مصيره ، مهما كانت قوة اعدائه ومهما بلغت اساليب القمع والارهاب الوحشى التى يستخدمونها . هكذا انتصر شعب الجزائر وشعب اليمن الجنوبية بعد كفاح مرير طويل حافل بالتضحيات . وهكذا يشهد العالم اليوم انتصار شعب فيتنام على اعتى قوة استعمارية ممثلة فى الامبرياليين الاميركان اسياد الصهاينة وحماتهم . وسير شعبنا على نفس الدرب يجعل النصر حليفه الحتمى » .

□□□

□ اعتراف من جنرالات اسرائيل بارتكاب عدوان ٦٧

بعد خمس سنوات من حرب يونيو ، وقف فى تل أبيب من يعلن : « ان المقولة التى تزعم أن خطر الابادة كان يخيم علينا فى يونيو ١٩٦٧ ، وان اسرائيل كانت تصارع فى سبيل بقائها المادى ، ليست سوى خدعة » .. وأثار هذا الحكم صدمة كبيرة — فى ذلك المساء — فى نادى **اهفا** فى تل‌أبيب ، بسبب انه صدر من رجل جعله ماضيه السياسى والعسكرى ، أحد منفذى الصف الاول لحرب الايام الستة . وكان من الصعب على سامعيه أن يشكوا فى اخلاصه لبلاده أو فى جدية معلوماته . وكان هؤلاء المستمعون قد جاءوا أصلا للاشتراك فى حوار حول آخر كتاب **لعاموس ايلون** : « الاسرائيليون » .

وفى هذا الكتاب تبنى المؤلف الرأى الرسمى ، الذى روجت له الصحافة والاذاعة فى العالم أجمع لكسب تأييد الرأى العام الدولى : وهو أن **داود الصغير** الذى كان يهدد مائة مليون عربى بالابادة ، قد انتصر عليهم انتصار الحق والعدل . وحققت الضحية البريئة العدالة ، وباء الاشرار بالفشل والخزى المبين .

وفى يوم ١٧ مارس ١٩٧٢ هذا ، أى بعد الحرب بخمس سنوات ، قرر الجنرال **ماتاتياهو بيليد** انه يجب تخليص اسرائيل من تجارة صور العذاب والمعاناة التى راجت . ولاشك انه رجل يدرك جيدا ما يقول ويعرف ما يتحدث عنه . فهو أحد صانعى انتصار يونيو ١٩٦٧ الاساسيين .

فقد كان عضوا فى هيئة الاركان الاسرائيلية التى أعدت للحرب . وتولى فيها ادارة التموين . ومن يقوم بمثل هذا العبء وهو تموين حرب واضحة وصريحة ، لا يمكن أن يكون ممن يلقون القول على عواهنه .

فقد توافرت فى أيدى الجنرال بيليد كافة تقارير ادارة المخابرات الاسرائيلية حول جهاز الامداد والتموين المصرى فى سيناء ، واعداد الجنود ، وعدد الوجبات المتاحة لهم . وكان يعرف الى أقرب لتر ، كمية المياه الصالحة للشرب التى كان فى مقدور الوحدات المصرية الحصول عليها . ويعرف جيدا عدد الاسابيع التى يمكن أن تنقضى قبل أن تبدأ هذه الوحدات فى ملاقاة صعوبات التموين ، حسب هذه التقديرات .

وماتاتياهو بيليد ليس معارضا لحكومة بلاده . ولم يقف أبدا ضد سياسة الحكومة الاسرائيلية . وهو منذ زمن طويل ، عضو فى حزب العمال مع **جولدا مائير وموشى ديان** . ومشاعره الموالية لامريكا والمعادية للسوفيت وللشيوعية ، معروفة تماما . وهو ليس أحد « الخونة » الذين أدانوا « العدوان » الاسرائيلى . هكذا كان ومايزال الجنرال المتقاعد والذى يعمل حاليا أستاذا فى جامعة **بار ايلان** ، والذى كشف — بكلف وولع — أمام جمهور مذهول ، ما حدث حقا فى ١٩٦٧ .

واستطرد الجنرال بيليد : « لقد كان سبب الحرب ، هو محاولة الاتحاد السوفيتى تغيير الوضع القائم فى المنطقة واستبدال النظام الامريكى الذى كان قائما فى المنطقة منذ ١٩٥٧ ، بنظام سوفيتى .. وانني لارفض تماما ، وأعتبره أمرا زائفا كلية ، ذلك القول بأن الاسرائيليين كانوا معرضين لخطر الابادة كأفراد أو كجماعة . لقد ركز المصريون فى سيناء ٨٠٫٠٠٠ جندى ، وعبأنا نحن ضدهم مئات الالوف ... وأنا مقتنع بأن الحكومة لم تسمع أبدا من قبل هيئة الاركان أن التهديد المصرى كان خطيرا على اسرائيل ، أو انه لم يكن فى مقدور الجيش الاسرائيلى هزيمة الجيش

المصرى الذى كان مكشوفا ومعرضا للضربات القاصمة من الجيش الاسرائيلى بغباء مدهش » . وأضاف « لقد اختلقت كل هذه القصص ، بعد الحرب ببضعة شهور فقط ، ولم يكن لها أى نصيب فى مجموع الاعتبارات التى روعيت فى تلك الايام . ومن بين هذه القصص ، قصة ان اسرائيل كانت تواجه خطرا رهيبا بسبب حدودها الضيقة . فعندما عبأ الجيش الاسرائيلى قواه كاملة ، والتى تجاوزت قوة الجيش المصرى عدة مرات ، لم يكن هناك شخص عاقل يؤمن بأنه كان من الضرورى لنا أن ندافع عن أنفسنا ضد تهديد مصرى . لقد كانت هذه القوة ضرورية لانزال هزيمة حاسمة بالمصريين فى ميدان المعركة ، وبحمايتهم السوفيت فى المجال السياسى . والقول بأن القوة المصرية التى كانت متركزة على حدودنا الجنوبية ، كانت قادرة على تهديد وجود اسرائيل ، ليس فقط اهانة لذكاء أى شخص قادر على تقييم مثل هذا الوضع . ولكنه قبل أى شىء آخر اهانة للجيش الاسرائيلى »

واضطرب نادى أهفا واهتز وانقلب رأسا على عقب . فلم يكن متوقعا أن يقوم جنرال « بطل » من أبطال يونيو ١٩٦٧ ، بفضح الادعاء الذى أقيم لتبرير الحرب بمثل هذه الطريقة القاطعة .

وأضاف الجنرال « لقد كان عدم وجود خطر ابادة ، يسبب للحكومة صعوبات بالغة فى اقناع الرأى العام فى الشتات بخططها ، اذ أن الحرب يكون لها ما يبررها فقط اذ كان هناك خطر ابادة ، لانه من غير المسموح به شن حرب لاسباب سياسية » . وكان أصعب الامور ، جعل الناس يعتقدون فى خطر غير موجود .

وطالب شخص ما فى قاعة النادى بمزيد من التحديد ، فسأل الجنرال : « فى رأيك ، متى تعرضت اسرائيل لاخر مرة ، لهجوم عربى ؟ » وأجاب **ماتاتياهو بيليد** : « اذا رجعت الى التاريخ ، أقول أن ذلك كان فى ١٩٤٩ » .

وبعد ذلك بيومين ، فى ١٩ مارس ، قدمت **هاآرتز** وهى من كبريات صحف اسرائيل ، عرضا وكشف حساب عن تلك الامسية الادبية فى نادى أهفا . وأثار نشر هذه الاراء عاصفة مدوية . لقد أثير الجدل حول مدى نزاهة العقيدة . واستشاطت **جولدا مائير** غيظا ، وذهبت الى حد عقد مجلس غير عادى للوزراء لدراسة الاصداء الداخلية والخارجية ، ولم يقتصر الامر على هذا ، فالمناقشة والجدل ، كانا قد بدأ فحسب .

وهرول الرسل والمبعوثون الى البروفسور **بيليد** ، يدعونه الى العدول عن أقواله وتقدير العواقب . وحاولت الصحف امتصاص الصدمة وانكار الحقيقة . ولكن **ماتاتياهو** أجاب على كل هؤلاء فى ٢٤ مارس فى **صحيفة معاريف اليومية** المسائية بقوله :

« **ليس هناك أى سبب لاخفاء** حقيقة انه منذ ١٩٤٩ ، لم يجرؤ أحد ـ أو بصورة اكثر دقة ـ لم يكن فى وسع أحد أن يجرؤ ، على اثارة الشك فى وجود اسرائيل . ورغم هذا ، ظللنا نغذى شعور بالضعة والنقص ، كما لو كنا شعبا ضعيفا وصغيرا ، يعيش فى قلق وضيق ليضمن وجوده ، ويمكن ابادته فى أى لحظة » .

ورد على من يذكرونه بحذلقة وصلافة **الشقيرى** ، وتهديدات « صوت العرب » وخطب **ناصر** الملتهبة بقوله :

« لقد كان معروفا للرأى العام ، أن القادة العرب أنفسهم كانوا واعين تماما بعجزهم ، وانهم لم يكونوا يؤمنون بتهديداتهم .

وفى ٥ يونيو ، كان زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يحزم حقائبه استعدادا للسفر لواشنطن التى كان مقررا أن يطير اليها فى اليوم التالى ليبحث مع الرئيس **جونسون** الطريق الى تسوية النزاع دبلوماسيا . وكان **ناصر** يعتقد أن الامبريالية الامريكية ، مازالت تحتفظ بنفس « الفطنة » التى أبدتها فى ١٩٥٦ ، أبان العدوان الثلاثى الفرنسى الانجليزى الاسرائيلى فى اعقاب تأميم قناة السويس .

ومضى الجنرال بيليد الى ابعد من هذا فقال : « ان « الحكومة » باختلاق أسباب للحرب ، ولف دوافعها الحقيقية بستار من الضباب والابهام ، تسعى الى جعل الشعب يقبل مبدأ ضم الاراضى ، جزئيا او بصورة كاملة اذا كان ذلك ممكنا » .

واضاف الجنرال : « ولتبرير ضم الاراضى العربية ، اثارت الحكومة فى الرأى العام مرضا نفسيا ليس له مايبرره ، وقدمت صورة زائفة عن الظروف التى سبقت حرب الايام الستة . وذلك لانها ترى فى الحصول على اراض جديدة وصفة شافية سحرية ، وحلا لكافة مشاكل أمننا » .

وتحرك انصار « الخدعة » . وحاول ثلاث جنرالات تدعيم مقولة الابادة ، وهم الجنرالات **ايجال يادين** الذى كان رئيسا للاركان فى حكومة **بن جوريون** ، **واريك شارون** الذى كان يتولى القيادة فى سيناء فى يونيو ١٩٦٧ . ورئيس الاركان الحالى الجنرال **دافيد اليعازر** . فقد صرح **دافيد اليعازر** ، المدافع عن الضم ، لصحيفة **يدعوت احرنوت** بقوله : « ان الحدود السابقة لم تكن مأمونة . ومن ثم كان من المستحيل المضى فى الدفاع عن البلاد بمثل هذه الحدود . ولو كنا سمحنا للقوات المسلحة العربية بأن تنظم نفسها وأن تهاجمنا اولا ، لكنا عرضنا دولة اسرائيل للهلاك » .

ويتضمن هذا القول ــ بطريقة عابرة ــ الاعتراف بأن الجيش الاسرائيلى هو الذى هاجم أولا فى فجر ٥ يونيو ، وذلك على النقيض من الادعاء الرسمى الشائع منذ ذلك اليوم ٠

ولكن لنواصل حاليا بحث هذه المناقشة وآثارها ، فقد تلقى **ماتاتياهو بيليد** دعما وتأييدا لما قاله . ففى ٢٩ مارس أيد الجنرال **وايزمان** قائد الطيران وأحد زملاء **بيليد** فى هيئة الاركان ما كشفه هذا الاخير وأعلن فى **هاآرتز** : « انى متفق مع الرأى الذى يقول بأنه لم يكن هناك خطر ابادة يتهدد وجود اسرائيل ، ولكن هذا لا يعنى أنه كان فى مقدورنا تجنب قيامنا بضرب المصريين والاردنيين والسوريين : لاننا اذا كنا لم نفعل ذلك ، لما استمرت دولة اسرائيل على نفس الروح والطابع » ٠

وفى رأى هذا الوزير السابق ، فى حكومة **جولدا مائير** ، والذى كان فى ذلك الحين قائدا للمتطرفين فى حزب **حيروت** ، ويدعو ويحبذ علانية اقامة اسرائيل الكبرى ، فانه لا يلزم أن تكون بلد ما مهددة بالابادة ، لكى تشن الحرب ٠ وفيما يتعلق باسرائيل « فان طابع الدولة لا يجب تحديده فقط عن طريق الحصول على حدود آمنة ، ولكن الحدود يجب رسمها أخذا فى الاعتبار ، وعلى المدى الطويل ، المصالح القومية والتاريخية ، وبعد هذا فقط يتعين الاهتمام بتجديد الحدود الامنة » ٠

وعلى النقيض من الجنرال بيليد وهو من أنصار اعادة الاراضى المفتوحة ، والتى تكفل علاقات القوة حاليا الابقاء فيها على وضع قائم على الطراز الامريكى ، فان **عازر وايزمان** ، على العكس من ذلك ، نصير متحمس لتوسيع خريطة اسرائيل وفق « الحقوق التاريخية » التى يدعى حزبه الاستناد اليها ٠

وله قول مشهور ، بصدد ردود الافعال التى قد يثيرها فى المجتمعات اليهودية اكتشاف أن اسرائيل لم تكن مهددة على الاطلاق :

« ان اليهود فى الشتات كانوا يريدون لاسباب خاصة بهم ، أن يروا فينا أبطالا محاصرين ظهورهم الى الحائط ٠ ولكن هذه الرغبة لا يمكن أن تغير من الواقع شيئا » ٠

وفى ٤ ابريل كرر الجنرال وايزمان فى معاريف قوله بأنه « لم يكن هناك أبدا خطر ابادة » ٠ وان هذا الافتراض « لم يثر أبدا فى أى اجتماع جاد » ٠

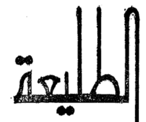
وفى ١٤ أبريل ، اعترف بهذا أيضا وزير سابق آخر فى حكومة التحالف التى شكلها **ليفى أشكول** عشية العدوان ، وذلك فى صحيفة **علهمشمار** ، الناطقة بلسان حزبه **المابام** (حزب اتحاد العمال ، الذى يشترك أيضا فى حكومة **جولدا مائير**) ٠ فقد اعترف **بنتوف** بأن « هذه القصة حول خطر الابادة ، قد اخترعت بكاملها وضخمت مقدما لتبرير ضم أراضى جديدة » ٠

وها هو وزير آخر ، مازال يمارس عمله الى الان يكشف بدوره الستر عن « تلك الخدعة » التى دبرت فى ١٩٦٧ ٠ وتصريحه لا يكتسب أهميته وقيمته من منصبه كوزير للتجارة فى حكومة جولدا مائير ٠ بل من أنه كان عضوا فى هيئة الاركان فى ١٩٦٧ ٠ بل لقد كان الرئيس المساعد لها على وجه الدقة : **وهو الجنرال حاييم بارليف** ، والذى تولى بعد ذلك قيادتها قبل أن يعهد اليه بمنصب وزارى ٠ فقد صرح **لمعاريف** بقوله « لا ، لم يكن هناك خطر ابادة عشية حرب الايام الستة ٠ لم نفكر فى هذا الموضوع ولم نتحدث فيه ٠ ان مثل هذا الخطر كان قائما فحسب فى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ٠ بل ولقد اتضح سريعا أن هذا الخطر لم يكن جديا حتى فى ذلك الحين » ٠

وفى ٥ يونيو ١٩٧٢ نظم « صوت اسرائيل » نقاشا حول الذكرى الخامسة للحرب ، اشترك فيه **الجنرال بيليد** والمعلق العسكرى الرسمى الجنرال حاييم هيرتزوج الرئيس السابق لهيئة المخابرات ٠ واعترف هذا الاخير بأن « هيئة الاركان الاسرائيلية ، وهيئة أركان البنتاجون ــ كما تدل على ذلك « مذكرات » رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الحين ، **ليندون جونسون** ــ لم يكن يعتقدان بوجود مثل هذا الخطر » . ويرى الجنرالان أن علاقات القوى فى ١٩٦٧ كانت فى مصلحة اسرائيل ، ويؤكد **ماتاتياهو بيليد** بأنه لم يكن هناك أى دليل على أن مصر كان لديها نية مهاجمة اسرائيل ٠

ولكن بعد ذلك بيومين ، تلقى الجنرال **هيرتزوج** بدوره لوم الحكومة ، التى أهابت « بالاحساس الوطنى » لاصدقائها ، لتدعوهم الى الصمت ، حتى لا يخاطروا بفضح اسرائيل لدى الرأى العام العالمى ٠ **وأعلن حاييم هيرتزوج** أنه « يجب وضع حد لهذا النقاش ٠ لانه يجب ألا تثار الشكوك حول هذه القصة التى اختلقناها » ٠

وبالفعل لاقت النصيحة استجابة ٠ ففى خارج اسرائيل استمر صمت أولئك الذين علا صراخهم من قبل عن الابادة والاستئصال ٠ لان صورة اسرائيل لن تكون وحدها ، هى موضع النقاش هذه المرة ٠ فى حين أنه ينبغى ألا يعرى ويكشف ــ بأى حال من الاحوال ــ ميكانزم « الخدعة » . وكذلك ينبغى ألا يفضح موضوعها : فلابد من اخفاء طبيعة هذه الحرب وأهدافها ٠



ملحق الأدب والفن

- من أوراق مقاتل مصري
- ميخائيل رومان .. مسرح شجاع مفتوح العينين
- بابلو نيرودا .. الشعر وضرورة الالتزام



بابلونيرودا



في هـذا العـدد :

هذه رسائل لمصر

يكتبهـا ـ على استحياء ـ شعراء وفنانون وكتاب ، على استحياء لان الكلمات التي يمكن ان يكون لها معنى يكتبها الان مقاتلون في سينا والجولان ، برصاصهم ودمائهم وعرقهم ••

هؤلاء كتاب وفنانون يختلفون في الاجيـال التي ينتمون اليها ، والثقافات التي اكتسبوها ، والاهتمامات التي ينشغلون بها ، لكنهم يتفقون على حب مصر ، وهذه الرغبة الطـاغية في الخلاص من الهزيمة التي احتملناها طويلا حتي كادت تزهق النفوس والارواح ••

رأى كل منهم شيئا في هـذا الحدث العظيم الذي تفجرت به الارادة العربية ظهر السادس من اكتوبر ••

تحية تقدير واعتـزاز لهؤلاء الابطـال الذين خلقوا بدمـائهم واقعـا جديدا ، وقدموا لمصر ـ والعالم ـ صورة مشرقة للانسان العربي ، وحطموا ـ بانتصارهم ـ خرافة الاسرائيلي الذي لايقهر •• ■

□ هـذا الشـــعب سليم في جوهره

اول كلام ينبغي ان يقال عن المعركة هو الدروس المستفادة منها ؟ اول درس في اعتقادي هو ان النجاح المصري في عبور القنـاة ، وتحطيم خط بارليف ، والتوغل في سيناء ، وتثبيت القواعد ، انمـا دل على أن القوة الذاتية للشـعب المصري لم تنكسر برغم الهـزيمة المريرة ، التي لاقتها مصر في حرب ٦٧ . وقد كان عند اكثر المواطنين اعتقاد جازم انهم لا يهابون المواجهة مع الجيوش الاسرائيلية ، وهذا لا يمنع ان بعض المواطنين من فرط الحذر ـ كانوا يعتقدون انه لابد من ارجاء المعـركة حتى نسـتكمل استعداداتنا ، ولكن الجسم الاكبر من الشعب كان يعتقد انه لم يمتحن في حرب ٥ يونيو ، وانمـا حدثت اخطاء هي التي ادت الى الهزيمة ، وانه بالتالي اذا اعطى فرصة اخرى فانه سيثبت وسيتقدم .

اذن وبالرغم من ست سنوات من التمزق والالـم والمراره التي كادت ـ في بعض الاحيان ـ ان تصل مبلغ اليأس . اثبتت معركة ٦ أكتوبر أن الشعب المصري سـليم في جوهره . أما الـدرس الثـاني ـ وهو لايقل اهمية عن الدرس الاول ـ وهو أن غسل عار الهزيمـــة بقوة السلاح قد رد الثقة بالنفس للمصريين نهائيا ، ولو كنـا وفقنا في أن نستخلص حقوقنا عن طريق الحل السلمي وتجمع المجتمـع الدولي لتطبيق القرار ٢٤٢ ، وانه لم تكن هناك عقبات ، أو صلف اسرائيلي ، أو أي شيء من هذا النوع : لظلت هناك دائما علامة استفهام بالنسبة للشعب المصري ، وللجيش المصري ، هل هو قادر ، أو غير قادر ، وفي اعتقادي أن خوض المعركة الاولى بيننـا وبين اسرائيل التي نجحنـا في تحقيق ما كان يوصف بانه مستحيل ، هذا النجاح قد رد للشعب المصري وللجيش المصري ثقته وايمانه بنفســـه ، بحيث انه ايا كانت نتائج هذه المعركة ، سواء حلت بقية قضيتنا بالمبادرة السلمية أو أيا كانت النتائج ، فاننا خرجنا بنتيجة واضحة ، وهي اننا لم نعد نهاب القوى الاسرائيلية التي صورتها الحرب النفسية ، وأكاد أقول المؤامرة الدولية علينا ، بانها قوى لا تقهـر !! ، وللاسف انهـا وجدت بين ابنائنا من يستمع الى هذه الاصوات الغريبة ، والان نسـتطيع أن نطمئن الى أن ـ حاليا وفي المستقبل ـ أسطورة ان هنـاك أعداء لا يقهـــرون قد تبددت الى الابد . □

د • لويس عوض

الألم .. والشعب العظيم

« لقد عبر الجندى المصرى مانعا من اصعب الموانع التى قابلت جيشا فى العالم ، حين قرأت هذه العبارة فى صحف الصباح ، اوحت لى على الفور بان الانسان المصرى قد عبر اصعب مانع بينه وبين نفسه . كان ثمة شبه انفصام فى شخصية الانسان المصرى ، ثمة حاجز بينه وبين نفسه الحقيقية ، وبين تاريخه الحقيقى ، وبين حضارته الحقيقية ، وبين اخوته العرب الحقيقيين ، كان هذا الانفصام يعطيه احساسا بالعجز ، وكل من سافر الى الخارج راى هذا العجز منعكسا فى عيون الاجانب الزرقاء ، ويشير بوضوح الى ان الانسان المصرى لا يستطيع ان يقاوم او يصمد . ان ماحدث على جبهة القتال شىء عظيم فعلا ، وان شيئا اعظم منه قد حدث داخل النفس العربية ، لقد قابلنا ست سنوات هزيمة وعشناها ، ومثلما تصنع الالام العظيمة الانسان العظيم ، تصنع الالام العظيمة شعوبا عظيمة . ولا يمكن ان يكون هناك شعب ينتصر باستمرار ويصبح شعبا قويا . الهزيمة والالم هى التى تصنع الانسان العظيم والشعب العظيم . والشعب المصرى مر بآلام عظيمة على مر السنين ، سبعة آلاف سنة ، يمر هذا الشعب بآلام عظيمة ، ويمر ايضا بانتصارات عظيمة ، وكلما كانت كذلك كلما كان الاحساس بالانتصار اعظم ، الانتصار فى رايى لم يحدث فى يوم وليلة ، ولكن حدث على مر سنين واجيال طويلة ، وجموع من الشعب المصرى ، وكفاح طويل للرجال والنساء والاطفال ، كفاح طويل ضد الياس والاستسلام والعجز فى نفس كل انسان ، رغم الاحساس العميق بالهزيمة ، كان كل مصرى يحس انه لابد من الانتصار الحاسم القريب .

د . نوال السعداوى

■ ■ ■

بداية ثورة رابعة

ان ما حدث فى مصر ولمصر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، لا يمكن ان نسميه بداية حرب تحرير فقط ، لان فى هذا غبنا له اى غبن ، انه فى الواقع بداية للثورة الرابعة للشعب المصرى ، تلك الثورات التى بدات بثورة احمد عرابى ١٨٨٢ ، ثم ثورة ١٩ ، ثم ثورة ٥٢ ، ثم ثورة ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، بل اكاد اقول انها اعظم هذه الثورات جميعا ، لانها بدات والشعب المصرى فى اعمق اعماق الهزيمة ، بدات والشعب فى حالة من الاحباط ، وفى حالة من فقدان الشخصية ، وفى حالة من الياس ، وفى حالة من التردى فى مغارات الحرمان ، وانتفضت به من هذه الاعماق كلها ، الى قمة الثورة . وقمة الثورات فى رايى ، هى الثورة الشعبية المسلحة ، تلك التى يمسك فيها الشعب بسلاحه ، ويدافع به عن وطنه ، ويواجه عدوه وجها لوجه ، وبندقية لبندقية ، ودبابة لدبابة . وهذا هو ما حدث يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لقد قادنا انور السادات فى هذه الثورة الشعبية المسلحة قيادة لا اقول انها قيادة شخص عادى ، ولكنها قيادة بطل تحسس نبض الشعب ، وادرك انه يختزن فى اعماقه طاقة وقوة ، قادرين على كبح جماح العدو ، فاعطى اشارة البدء بالمعركة ، كانت ضربة ارادة قوية اهتزت لها اعماق الشعب ، وتكشفت عنها بطولاته ، وما نسمعه الان من هذه البطولات الخارقة ليس جديدا ، وما سنسمعه عنها لن يكون جديدا ، لان هذا الشعب يحتوى بين صدوره كل مقومات البطولة ولكن وكأنها كانت هناك مؤامرة من الاستعمار العالمى ، والقوى الرجعية ، الحكام الطغاة ، على كبح جماح هذه البطولة ، وعلى دفنها وعلى افقاد الشعب لشخصيته . كان الاستعمار طوال الوقت يتحاشى الالتحام مع الشعب او يتحاشى بمعنى ادق ان يحمل الشعب سلاحه دفاعا عن حقه فى الثورة ، وحقه فى التحرير ، ولهذا حين قامت المظاهرات سنة ١٩٤٦ ، واحس الانجليز ان الشعب على وشك الغليان ، جلا الانجليز الى منطقتى فايد والسويس ، وحين حدث عدوان ١٩٥٦ ، ما كاد العدوان يبدأ حتى فوجئنا بايقاف اطلاق النار . وهذا هو ماحدث سنة ١٩٦٧ ، فما كادت الحرب تبدأ حتى انتهت دون ان يتمكن الشعب من الدفاع عن نفسه ، ومن مواجهة عدوه ، ومن حمل السلاح دفاعا عن حريته ، ولهذا فنحن الان فى فترة من أعظم فترات هذا الشعب ، انني امشى فى الشوارع ، واصافح الوجوه بناظرى ، فاذا بها حافلة بالبشر ، واذا بالامل يتفتح ، ولم يحدث اى تغيير يذكر فى حياتنا ، لم يحدث سوى ان هذا الشعب احس انه لاول مرة يحمل السلاح دفاعا عن نفسه ، ومواجهته لعدوه ، انها ثورة . ثورة بالمعنى الكامل للثورة ، وكل ما اتمناه ان تمضى هذه الثورة قدما ، لتخلق مصر الجديدة مصر التى بشرنا بها ، والتى آمنا بها ، والتى تفاءلنا بوجودها ، ان تخلق هذه المرة ذلك الخلق السوى الذى انتظرناه لها جميعا ، ذلك الذى حلم به عرابى ، ذلك الذى بشر به سعد زغلول ، ذلك الذى كافح من اجله جمال عبد الناصر ، نريد لكل هذا ان يتحقق على يد أنور السادات ، وعلى يد الشعب المصرى ، المتحرر ، الحر ، المدافع عن نفسه ، عن أمجاده وعن تراثه ، وعن تاريخه .. المعيد الى الاذهان كل بطولاته السابقة من ايام أحمس .. الى قطز .. الى انور السادات ، انى لشديد التفاؤل ، وعظيم الامل ، فى ان كل ما حلمنا به ، وما ضيعنا العمر من اجله ، سيتحقق فى هذه الثورة الرابعة من ثورات الشعب المصرى .

د . يوسف أدريس

□ انتصارات أكتوبر: قيم جديدة

فى الأدب والفـــــن

وجاء العبور العظيم .

جاء بعد أن سادت أدبنا وفننا ظواهر مريضـــة منـــذ ٦٧ : أسرف الادب فى الغموض والتعمية ، وتعثر بين التخفى والمكاشفة ، وضرب فى متاهات اليأس والعبث . والاحساس بالعقم وانعــدام ثمرة الجهد الانسانى ، واصبحت افضل اعمالنا نواحا فاجعا ، وخمشا بالاظافر للوجوه والنفوس ، ولوما للذات واتهاما للاخرين .

جاء بعد ان دارت الرؤوس بمـــرارة الهزيمة فانعكس فيها الانبهار بالعدو وأسهمنا – دون أن نعى – فى بدورة الخرافة : اذ كيف يمكن ان يهزمنا ويلوى ذراعنا شىء يمكن ان يقهر ، أو تكون هزيمة فى وسع البشر ؟ ، وعن هذا الوهـــم الذى جسدناه وتقبلناه ووقعنا اسراه نبعت كل الاتجاهات المريضة التى الفت شبحها الكئيب على الادب والفن : هربنا من النظر الى الواقع فى عينيه ورحنا ندفن رؤوسنا فى كل الرمال . اصـــبح الدين شعوذة ودروشة ، وراجت بين الناس كتب الخرافة والتماس الخلاص فى غير هذا العالم ، وتحولت مسارحنا الى اماكن للغمز واللمز ، تدوى فيهـــا القهقهات الفارغة والضحكات الســـقيمة والربت الغليظ على الذات الجريحة .وتحولت افلامنا الى شىء لا ينتمى لهذا الواقع باوهى الصلات ، تمتلىء بالمشاكل الزائفة ، والمشاعر الزاعقة ، واحلام اليقظة الفجة ..

ورحنا نضرب فى هذه الاتجاهات جميعا حتى كادت أرواحنا ان تزهق ،وانسانيتنا ان تذوى ، وكاد جسد مصر أن يتحلل ، وتنبعث فى الجو رائحة عفنة وتحلله ..

ثم جاء العبور العظيم ..

ووضعنا اقدامنا على بداية الطريق الصحيح .

التام الصداع ، وتماثلت الذات المريضة للشفاء ، وعرفنا كيف تجسد لنا الوهم فقبلناه ، وحين لفحتنا رياح المعـــركة الساخنة وجدناه يتبدد مثل قبضة ثلج تحت شمس لاهبة ، وأيقنا ان هـــذا العدو . الوهم يمكن أن يضرب وأن يقهر وان يلقى سلاحه ويولى الادبار ..

من هذا الصدام الدامى على الساحة العربية ستتخلق قيم جديدة وصحيحة فى الادب والفن ، لن نتعثر وتتشابك خطانا ، لن نضرب فى متاهات اليأس والغموض بعد ، لن نشق الجيوب ونلطم خدودونهيل اللعنات فوق رؤوســـنا ورؤوس الاخرين نداوى بها الشعور الاليم بالخواء والذنب ، لن نخجل من النظر فى وجوهنا ووجوه الاخرين ، ولن نحس باننا الادنى بعـــد .

ســـنحس باننا بشر ، فينا عظمـــة الانسان وكبرياؤه ..

وقد رأينا البداية الرائعة : أسقط لهيب المعـــركة تلك الواجهة الزائفـــة الكاذبة ، اسقط الترهل ، والخمـــول والضحك الاجوف ، القوافى المستهلكة والايقاعات المكرورة والتلهى بنواح وسيل اغان وكلمات مقاطعة .. وكل ما يبهظ روح الانسان ويثقلها ويقعد بها عـــن التحليق والتخطى ..

راينا البداية الرائعة ، ونحن نعرف الا شىء يأتى هينا دون ثمن ، واننا بقدر ما نبذل من جهد قدر ما نلقى من جزاء ، وقدر ما نريق من دم قدر ما نحرر من أرض وارادة وعقل وفكر وفن .

وضعنا اقدامنا على بداية الطـــريق الصحيح ، الطريق لاستعادة جوهرنا الانسانى ، وتكامل وجوه روحنا الممزقة ، وسنمضى عليه الى غد جديد ، يشرق على الجميع دون تمييز ..

سنصبح بشرا افضل مما كنا ،قاماتنا مرفوعة ، وجوهنا مشرقة .. نحتضن الافق الدامى ، ونلثم وجه الشمس .

فاروق عبد القادر

★

الكلمـــــة .. والطلقـــــة

الذى حدث ويحدث هذه الايام على ارض بلادنا شىء حقيقى لا يدعو الى الاعجاب فقط بل يؤكد من جديد انــــامة تصنع تاريخها ببسالة ونبل وصمود ان المعركة الدائرة اليوم ليست جديدة لان المعركة التى بدأت فى ٥ يونيـــو ٦٧ لم تتوقف ، ولم يكن وقف اطلاق النار ايقافا للمعركة ولا للنضال الكامن فى شعبنا العظيم ، وانما كان وقف اطلاق النار ايذانا لنا بأن نشحذ نضــالنا ، وان نتزود من روح هذا النضال .

اننا لم نحارب ولم نقاتل فى ٥يونيو، فماذا ننتظر من جيش هذه حاله ؟ لاشك انه لو حارب وقاتل فسوف يحقق فى ذلك معجزات ، وهذا ماحدث ويحدث منذ ٦ اكتوبر العظيم .

فى مساء ٦ اكتوبر تأكدت ان الكلمة ليست مثل الطلقة تماما ، وان الطلقـــة اقوى تاثيرا فى كثير من الاحيان ،واذا كانت الكلمة مقدسة عند اصحابها فلابد ان ان نعترف بأن للطلقة قداستها ايضا. كلاهما لا يغنى عن الاخر ، ولا فضـــل لاحداهما على الاخرى الا بما تحدث من أثر .

ونحن لا نستطيع اليوم ان نتفلسف كثيرا او نكثر استخدام الكلمة ، بعد ان بدأت الطلقة فى صنع فلسفتها وبعد ان شرعنا فى استخدامها بقوة وكفاءة نادرتين .

نحن بناة حضارة ولسنا بناة دمار ،وعدونا يعادى الحضارة ويشيع الدمار، وما نفعله معه اليوم درس بليغ مـــن دروس بناء الحضارة والتقدم ■

على شلش

◻ الخلود

حق للشهداء

ما ينبغى أن نفكر فيه من الان ، ونحن نخوض حربا مصيرية عادلة ، هو كيف نكرم شهداءنا فى هذه الحرب ، والتكريم الوحيد للشهيد هو تخليد اسمه ودوره ، وهويته وذكراه ، فقد قبل ان يفنى فى المجموع ، وان يمنح كل وجوده وحياته لقومه ، ويضحى بالعمر الوحيد الذى يملكه ، عن ارادة واختيار ، فى صمت ورضا .

ولقد درجنا منذ قرون على منح هذا التخليد بصورة عمومية للشهداء ، فى ابان القتال ، وبعده ، بنصب تذكارى للجندى المجهول ، متجاهلين اسم كل شهيد ودوره ، وحياته وهويته ، ذكراه الشديدة الخصوصية ، أو بتخليد بعض الشهداء البارزين لاسباب اجتماعية أو عسكرية مختلفة ، وترك الباقين من الشهداء اسمائهم سجينة السجلات ، وقليل منهم من يطل اسمه علينا بين سطور صحيفة ، أو دورية من الدوريات .

واثناء المقاومة المصرية لاحتلال جيوش نابليون لمصر قام الجبرتى بعمل أفضل فى تخليد الشهداء ، كتب عن كثيرين منهم عمدا وفلاحين وتجارا وحرفيين وعربا ، ومنذ ما يقرب من قرنين .

وبوسعنا الان ، ان نبدأ فى الاعداد لتخليد شهدائنا واحدا واحدا ، وبالاسم والدور والهوية والحياة كما تفعل الدول المتقدمة ، وبخاصة الدول الاشتراكية مع شهدائها ، ومن صور هذا التخليد الذى هو حق علينا ، مفروض أن نؤديه ، ونفى به « لكل شهيد » :

● اقامة نصب تذكارى ، فى كل قرية ، ومدينة ، وعاصمة اقليم ، يكتب عليه أسماء شهداء هذه القرية ، أو المدينة ، او ذلك الاقليم .

● اعداد متحف خاص فى كل قرية أو مدينة او عاصمة اقليم ، أو ارض معركة كبيرة ، يضم كتيبات عن شهداء القرية أو المدينة أو الاقليم ، تعرف بهم ، وتكشف عن دورهم الذى أدوه للوطن ، ويضم صورا مطبوعة لهم ، والمخلفات الشخصية التى حصلوا عليها من المعارك التى خاضوها .

● اطلاق أسماء الشهداء فى كل قرية أو مدينة او عاصمة اقليم على شوارعها وميادينها ، والطرق المؤدية اليها ومدارسها ومنشآتها .

● أعداد أفلام تسجيلية للمعارك التى خاضها الشهداء لاستثمارها فى أفلام خاصة بهذه الحرب ، ليس فقط تعبيرا عن المجد الوطنى ، وانما أيضا وفاء لهؤلاء الشهداء بحقهم فى الخلود ، كأى كاتب ، أو عالم ، أو فنان ، أو زعيم ، أو قائد .

وهذه الوسائل والصور لتخليد ذكرى كل شهيد ، يمكن الاعداد لها وتنفيذها ، عن طريق الثقافة الجماهيرية ، والتوجيه المعنوى للقوات المسلحة ، وأهل هؤلاء الشهداء فى القرى والمدن وعواصم الاقاليم . وتجارب العالم المتقدم فى هذا الموضوع يمكن دراستها والاستفادة منها بما يناسب الواقع المحلى للشعب المصرى .

ذلك هو السبيل الوحيد لتحول الشعار « الخلود حق لكل شهيد على الطريق » من كلمات الى أفعال ، من تعميم الى تخصيص ، من حماس موقوت ، الى وفاء دائم ، وباق ، لكل شهيد .

ان شهداءنا هم أفضل من خدم مصر ، وحافظ على روحها . وتخليدهم ، كل على حدة يعنى اننا نقيم شعلات مضيئة لكل أجيالنا القادمة ، تحفزهم على التضحية كلما تعرضت روح مصر وحياتها للخطر ، أرضا وشعبا ومستقبلا وحياة ، تدفعهم الى القبول بالفناء فى المجموع ، وبالاستشهاد من أجل الوطن ، وقضاياه الانسانية العادلة . ◻

سليمان فياض

من أوراق

مقــــاتل مصـــــرى

فــؤاد دوارة



د. احمد حجى

« أمام رصاص البنادق الالية ، وشظايا الدانات والقنابل ، وتحت طـائرات العدو المغيرة ، ولد انسان مصرى جديد . . » .

لسم

يتح لي ان اتعرف عليه .. بل لم اره ولا مرة واحدة .. ومع ذلك فقد كان اول من خطر ببالي وانا اسمع اخبار عبور جنودنا المظفر الى سيناء ..

لقد سمعت به لاول مرة عقب استشهاده في الجبهة في اليوم الاول من عام ٧٢ .. ولفت نظرى فى كلمات الرثاء التى نشرت عنه اجماعها على انه قضى اخصب سنوات شبابه فى خدمة قريته، وتعرض فى سبيل ذلك لكثير من العنت والاضطهاد .. ثم دعاه داعى الوطن .. فنقل كفاحه الى اشرف ميدان ، وعاش تجربة الصمود والاستنزاف كاملة ، وشارك فى معارك المدفعية الضارية عامى ٦٩ و ١٩٧٠ ، وسجل جوانب منها فى عمل ادبى اسماه « مذكرات جندى مصرى » .

وكان ذلك كافيا فى نظرى لكى اتصل بشقيقه الفنان المعروف **محمد حجى** ، دون سابق معرفة ، وابدى له رغبتى فى الاطلاع على **مذكرات** شقيقه .. فرحب ، وجاءنى معها بملفين آخرين .. **الاول يضم مجموعة من المقالات** والدراسات الادبية والثقافية .. **والاخر يحمل مجموعة من التقارير والرسائل** وقصاصات الصحف وعنوانه : « **العمل السياسى والثقافى فى سندوب [١٩٦١ — ١٩٦٩]** .. بالاضافة الى عدد من الرسائل الشخصية ، وحب كبير يملا قلبه لشقيقه الصفير الراحل ، ومعايشة كاملة لتجربته الخصبة الرائدة ..

ومع كل صفحة قرأتها وجدتنى امام **مثقف ثورى اصيل** ، وضع كل طاقاته فى خدمة بلاده ، والتصق بالجماهير ، وتعلم منها ، فترك لنا نموذجا سلوكيا ونضاليا ينبغى وضعه امام شبابنا ، ليتعلموا منه كيف يكون السخاء فى العطاء .. وكيف يكون الاصرار فى **الالتزام بقضايا الوطن الحيوية .. وكيف** يكون العمل الايجابى فى خدمة الجماهير باقل الامكانات .. او دون امكانات على الاطلاق الا الوعى والحماسة .. ورغم كل المعوقات والمثبطات .. وما كان اكثرها فى **حياة احمد حجى** القصيرة ..

ولد احمد حجى فى ١٢ فبراير ١٩٤١، وكان ترتيبه الثانى بين ثمانية اخوة .. ابوهم مزارع فقير ، فى حياته اكثر من دلالة على قوة الارادة والعناد .. قد بدا حياته اجيرا معدما واحب فى صباه ابنة احد الاقطاعيين ، وبادلته الفتاة الحب ، فهدده اهلها بالقتل .. فهجر القرية وقد قرر ان يصبح ثريا مثلهم ليستطيع مواجهتهم والصمود امام طغيانهم ..

واقتصد الاب من اجره الضئيل ما اشترى به اثنى عشر فدانا من الاراضى البور .. اخذت تزداد حتى قاربت المائتين .. وبالعمل الشاق الدائب تحولت الارض البور الى تربة خصبة خيرة .. ولم يكتف بذلك ، بل دخل فى مضاربات ومغامرات مالية لاشك انها كانت تعبيرا عن اصراره على تحقيق الثراء الكبير الذى يتحدى به اولئك الذين هددوه وطردوه ذات يوم .. غير ان هذه المغامرات مالبثت ان قضت على كل ثروته وارضه .. وكانت السن قد تقدمت به وانهكه العمل الشاق ، فلم يسعه الا ان يستسلم ويقنع بخمسة افدنة من ارضه القديمة وزعت عليه تطبيقا لقانون الاصلاح الزراعى ..

وحينما وعى ابناؤه وجدوه على هذه الحال من القناعة والاستسلام ، وان لم يسعه الا ان يورثهم جانبا كبيرا من عناده القديم واصراره على بلوغ الهدف مهما كانت المشاق والتضحيات ..

يقول محمد حجى انه عرف — وشقيقه احمد — فى طفولتهما كل مظاهر الفاقة والحرمان .. كانا يسيران فى ازقة القرية حافيين وملابسهما ممزقة .. وفى بعض الاحيان امعاؤهما خاوية .. ومع ذلك كانا يحسان بشىء من الغربة بين اطفال القرية ، نتيجة لثراء ابيهما الذى كان .. وعزلته عن اهل القرية .. وبيتهم الكبير .. وهو الاثر الوحيد الباقى من العز الغابر الذى لم يشهداه .. اصر ابوهما على الاحتفاظ به رغم ضائقته المالية .. واورثهما هذا الاحساس بالغربة مزيدا من العناد والاصرار على ان يكونا شيئا .. فاتما تعليمهما الثانوى رغم كل العقبات .

وعن طريق القراءة وملاحظة واقع القرية المحيط بهما ، نضج وعى محمد واحمد حجى .. وادركا كثيرا من الحقائق والاوضاع الغريبة فى « سندوب » ..

كان اول ما استلفت نظريهما كثرة المقاهى فى تلك القرية الصغيرة .. اذ بلغ عددها ٣٥ مقهى تكتظ منذ الصباح الباكر بعدد كبير من الفلاحين يظلون يلعبون الورق ويتعاطون المكيفات طوال النهار دون عمل .. وبالتحرى والمناقشة فهما حقيقة المأساة التى كانت تعيشها سندوب .. وكانت ترجع فى جانب منها الى واقع الريف المصرى المتخلف بشكل عام ، وفى جانب آخر الى ظروف سندوب الخاصة ..

فمثلا ضيق الرقعة الزراعية بالنسبة لعدد السكان مشكلة عامة فى قرى مصر كلها ، ولكنها فى سندوب اتخذت شكلا اخطر ، ساعدت ظروف التقدم على تفاقمه .. فقد كان زمام ارض القرية كلها مقسما ذات يوم بين اربعة من الاقطاعيين الاتراك لاغير .. وبمرور الزمن تفتتت هذه الملكيات الكبيرة بين الورثة والدائنين ، ولم يحصل ابناء القرية من الفلاحين على شىء منها .. يقول فلاح عجوز :

« طول عمر فلاحين سندوب تملية [اى اجراء] .. واللى يشم نفسه شوية يأجر له قيراطين وبس .. »

ولعل خير ما يصور مدى تفتت ملكية الاراضى الزراعية فى سندوب ، ان قانون الاصلاح الزراعى لم ينطبق على اى من ملاكها .. وتفاقمت هذه المشكلة بامتداد مشروعات التعمير بالمنصورة [وسندوب تقع على مدخلها] لتقتطع مساحات كبيرة من ارض القرية الزراعية للاستاد الرياضى والمقابر ومحطة المجارى وغيرها من المشروعات .. وقبض الملاك التعويضات من الحكومة ، فى حين كان نصيب ١٢ الف فلاح معدم المزيد من التشرد والبطالة ..

ووصل التصنيع أخيرا الى القرية ، وتقرر انشاء مصنعين بها ، أحدهما للخشب الحبيبى والاخر للغزل الرفيع .. وقبل وضع حجر الاساس للمصنعين

تقدم آلاف الفلاحين بطلبات التحاق بالعمل .. ولكن حين انتهى المصنعان فوجىء فلاحو سندوب بمئات العمال يتوافدون للعمل بالمصنعين .. جاءوا من الفيوم والجيزة .. ومن كل مكان الا من سندوب .. وحين ناقش الفلاحون ادارات المصنعين كانوا يتلقون اجابة واحدة لا تتغير :

ــ لا يمكن نعتمد على عمال زراعيين غير مدربين !

وكانت القيادات السياسية فى القرية قيادات تقليدية من بقايا الاسر الاقطاعية وفلول الاحزاب البائدة ، لا تهتم ــ بطبيعة تكوينها ــ الا بالمكاسب الشخصية ومظاهر الرئاسة ، ولا تلقى بالا لمحاولة مواجهة مشاكل الجماهير الحيوية .. وكان لابد أن يتحرك شباب القرية المثقف.

اجتمع عدد منهم عام ١٩٥٧ ، وكان بينهم محمد واحمد حجى ، وبدأوا يلتقون بالفلاحين العاطلين ، ويناقشون معهم مشكلتهم ، ويحثونهم على اختيار عناصر قيادية من بينهم .

وتنبهت القيادات التقليدية الى خطر هذا التحرك ، فسارعت الى وأده بالاساليب العتيقة القذرة ، فألصقت بالشباب تهمة الشيوعية والالحاد . يقول د. احمد حجى فى احدى مقالاته :

« .. وكانت النتيجة كما احبها المرايون ، وكما تمنت القيادات القديمة ، فقد تبوأت هى العمل السياسى بالقرية ، وفشلنا نحن . وزادت من حولنا الشكوك والريب ، وساءت علاقتنا بالفلاحين . وكانت تلك فرصة طيبة للعناصر الانتهازية لتنهب حقوق الفلاحين الفقراء فى الذرة الصفراء ، ويستحوذ البعض الاخر على خدمات القرية لنفسه ، كان يبنى احدهم سورا حول حنفية المياه ويستخدمها لنفسه .. »

ورغم ذلك فلم يعرف اليأس طريقه الى تلك المجموعة من الشباب المؤمن الواعى ..

فى تلك الاثناء كان محمد واحمد قد اتما تعليمهما الثانوى ، وانتقلا للاقامة بالقاهرة حيث التحق محمد بكلية الفنون الجميلة ، والتحق احمد بكلية الطب البيطرى .. واخذا يقرآن بنهم .. كانا احيانا يبيتان على الطوى ليشتريا كتابا جديدا .. وفى الايام الاخيرة من كل شهر كانا يشتريان بما تبقى معهما من



قروش كمية من البطاطس يسلقانها لتصبح طعامهما الاوحد .. الى أن يأتى الله بالفرج ..

ولم تنقطع صلتهما بالقرية .. كانا يجتمعان بشبابها المثقف ، ويتناقشون ، ويتعلمون من اخطائهم ، ويلتقون بالفلاحين فى مقاهيهم ، وعلى المصاطب .. فلم تأت سنة ١٩٦١ حتى كانوا قد انتهوا الى خطة جديدة مدروسة قوامها العمل فى ثلاثة مجالات :

- محو الامية .
- مجلة حائط .
- لجنة نسائية .

وفى كل من هذه المجالات كان على شباب سندوب أن يخوض معركة فدائية..

كان محو الامية فى نظرهم عملا سياسيا قبل ان يكون عملية تعليمية او تثقيفية .. فعن طريق تعليم حروف الهجاء كانوا يعلمون الفلاحين تاريخ بلادهم ومشكلاتها ويؤهلونهم للمشاركة الايجابية فى اختيار ممثليهم فى التنظيمات السياسية. وبعد انشاء المصانع فى سندوب اصبح محو الامية وسيلة الفلاحين للعمل بها بعد أن اصبحت هذه المصانع هى مصدر الرزق الوحيد المتاح امامهم ..

واستطاع بعض من محيت أميتهم ان يعلموا عددا من زملائهم الاميين . ومن بين هؤلاء الشحات جوهر الذى يقول :

« .. كان مدرسو الوزارة يعلموننا وزن وأخذ .. ولكن المشروع كان يعلمنا كل ما يهمنا . وكان الدكتور احمد حجى يعلمنا اشياء كثيرة عن الفلاح وامراضه وعلاج الحيوانات ، أما مدرس الوزارة فكان يقول اشياء لا اريد ان اعرفها .. »

ومن الغريب أن كثيرا من المتعلمين بالقرية عارضوا مشروع محو الامية وقاوموه ، ومن بينهم عدد من المدرسين، عشرة منهم كانوا أعضاء بلجنة العشرين. ويفسر الفنان رضا منصور ــ احد المسهمين فى المشروع ــ هذه الظاهرة الغريبة بقوله :

« الذين عارضوا المشروع كانوا يريدون الحصول على نقود فى مقابل تعليم الفلاحين .. وبعضهم الاخر كان يريد تركهم جهلة لكى لا يعملوا بالمصانع ، وبالتالى ترخص اليد العاملة فى الارض الزراعية المتبقية .. »

ورغم ذلك فقد مضى العمل فى طريقه، وفى سنة ١٩٦٣ تخرج أكثر من مائتى فلاح وفلاحة ، وفى العام التالى تخرجت دفعة أخرى ..

وكانت مجلة الحائط هى الوسيلة الثانية التى اختارها شباب سندوب لعملهم ، فكانوا يستكتبون فيها الفلاحين، ويستخدمون الكاريكاتير للنقد والدعوة لافكارهم وطرح مشكلات القرية .. ثم يكتبون منها خمس نسخ تعلق فى جهات مختلفة من القرية ..

وتعرضت المجلة هى الاخرى لاضطهادات القيادات الرجعية ، فكانوا يرسلون من يمزقها ، ويهددون العاملين فيها ، وينشرون الشائعات والاتهامات الباطلة حولهم .. ولكن مجموعة الشباب صمدت وظلت المجلة تصدر وتنمو حتى وصل طولها الى ١٥ مترا وعرضها

ثلاثة امتار ؟ وأصبح الفلاحون ينتظرون ظهور اعدادها الجديدة بشوق ويحمونها من كل عدوان بعد ان احسوا انها لسان حالهم المعبر عن آمالهم ومطالبهم.

وكتبت بعض صحف القاهرة ومجلاتها عن مجلة سندوب الحائطية ، واشادت بها .. وعرض التليفزيون برنامجا عنها ودعا الى تعميمها .. ولم يرض ذلك القيادات المتخلفة فى القرية . فاستعانت ببعض المسئولين فى المحافظة ، وظلوا يتآمرون للقضاء على المجلة وايقافها .. فاضطر احمد حجى رئيس تحريرها سنة ١٩٦٨ الى كتابة عدد من الشكاوى الى الصحف وكبار المسئولين يناشدهم حماية المجلة .. ولكن الرجعية انتصرت وحطمت المجلة بأمر من اجهزة الامن !!

● ● ●

ومع تحول عدد من الفلاحين الى عمال فى المصانع ، وارتفاع تكاليف الحياة فى القرية تغيرت نظرة الرجل الى المرأة ، واصبح شبان القرية يفضلون الزواج من فتاة تعمل لتساعدهم على مواجهة متطلبات الحياة .. وكانت كل بنات سندوب بلا عمل . فالحقول لا تستوعب كل الرجال ، والمصانع لا تقبل تشغيلهن ، فأعد مثقفو القرية برنامجا لتدريبهن على التفصيل والتطريز وبعض الصناعات المنزلية الخفيفة بالاضافة الى محو اميتهن

وبالجد والدأب نجحت الفكرة واصبح عدد المنضمات للجنة النسائية بالقرية ١٥٠ سيدة وفتاة برئاسة السيدة وداد عمر بمدرسة التدبير المنزلى بمدرسة القرية . واقامت اللجنة معرضين لانتاج عضواتها فى عيد الثورة سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ . واشتركت بفعالية فى مشروع الادخار ، ومقاومة دودة القطن ، وتحرير مجلة الحائط ، وحملات التوعية القومية والاجتماعية ولتنظيم الاسرة ، واستخرج معظم عضوات اللجنة بطاقات تحقيق شخصية ، وتقدمن لمكتب العمل بالمنصورة بطلبات تعيين فى المصانع .

ولم يرض هذا النجاح اعداء التقدم فى القرية فأخذوا يحيكون للجنة المؤامرات ، وبلغت بهم الخسة ان انتهزوا فرصة ندوة اقيمت فى ابريل ١٩٦٦ عن تنظيم الاسرة ، وحضرها احد علماء الدين واحد الاطباء ومندوبون عن مصلحة الاستعلامات لعرض فيلم مناسب ، فقطعوا التيار الكهربائى ، واطلقوا الشائعات الرخيصة حول الاجتماع واهدافه ، فغضب أولياء امور الفتيات وكتبوا عريضة وقعوها جميعا واعلنوا فيها استنكارهم لهذه التصرفات الشائنة ، وأكدوا ثقتهم المطلقة فى شباب القرية المثقف وتأييدهم لنشاطهم البناء فى اللجنة النسائية .. يقول احمد حجى عن هذه الواقعة :

ومن الاوراق التى كان يحتفظ بها المرحوم احمد حجى باعتزاز واضح مجموعة من الخطابات تفيض بمشاعر الود والعرفان ، ارسلتها اليه بعض الفلاحات من اعضاء هذه اللجنة .. تقول احداهن فى صدق يغفر لها اخطاءها الاملائية :

« .. واعرفك من يوم ما سافرت محضرناش فى اى ندوة من الندوات ، واعرفك بأن الاستاذ سكرتير النادى الثورى عامل زى الحاوى ، كل يوم فى مشغولية ومفيش حد يأدر يمشى اللجنة والاستاذ احمد حجى سافر واللجنة بقت فى ربع هدمة .. اللجنة ماتت من بعدك يا اخى العزيز .. »

ومن خلال المناقشات والنقد الذاتى انتهى اعضاء اللجنة الثقافية بسندوب الى أن العمل التعليمى والثقافى لا يكفى وحده لتحقيق اهدافهم ، وانه لابد من مزيد من العمل الايجابى وسط الفلاحين واختاروا جسر القرية للبداية ..

ففى القرية ترعة تقسمها الى قسمين ، لايصل بينهما سوى كوبرى قديم من الخشب المتآكل يتسبب كل يوم تقريبا فى كارثة للفلاحين واطفالهم وبهائمهم .. وكانت القيادات القديمة قد وعدت أكثر من مرة باصلاح الكوبرى ، وجمع بعضهم أموالا من الفلاحين لهذا الغرض ولم يفعلوا شيئا ..

وبعد الدراسة وجمع تبرعات قليلة حمل الشباب المثقف المعاطف والفئوس وغرسوا ارجلهم فى الطين وبدأوا يعملون مع الفلاحين فى تشييد جسر جديد من الخراسانة .. وشاركت اللجنة النسائية فى العمل الذى انتهى فى فترة وجيزة ، ولم يتكلف الجسر اكثر من ١٢٠ جنيها فى حين ان وزارة الرى كانت قدرت له ١٥٠٠ جنيه !!

وتلا ذلك افتتاح مدرسة مسائية لعمال المصانع لتثقيفهم نقابيا وسياسيا ودراسة تاريخ الحركة العمالية .. وكان احمد حجى يدعو كبار المثقفين لالقاء المحاضرات على عمال سندوب وفلاحيها ، ومن بين من لبى دعوته د. محمد انيس ومحمد عودة ..

ومنذ اللحظات الاولى للعدوان الاسرائيلى الغادر فى يونيو ١٩٦٧ حمل شباب سندوب المثقف مسئوليته كاملة ، فأخذوا يعقدون الندوات لمحاربة الشائعات الانهزامية ورفع الروح المعنوية بين اهل القرية ، والمحافظة على تماسك الجبهة الداخلية .. وقامت مجلة الحائط بدورها فى هذا المجال بالاضافة الى المنشورات ، وكتابة شعارات الصمود على جدران القرية ..

تخرج محمد حجى فى كلية الفنون الجميلة واستطاع ان يشق طريقه بسرعة كواحد من ابرز الرسامين فى صحافتنا ، وقلت نتيجة لذلك زياراته للقرية ، فوقع الجانب الاكبر من عبء العمل الثقافى والسياسى فى القرية على احمد ، ونهض بواجبه على خير وجه ، وتعثرت لذلك دراسته بكلية الطب البيطرى ، فتخرج سنة ١٩٦٨ ، اى بعد عشر سنوات بدلا من خمس .. وكان لمواقفه النضالية الصريحة فى الكلية تأثير على علاقته ببعض اساتذته ، فصححوا أوراقه بقسوة متعمدة ..

واذا كانت مشاركة محمد فى العمل بالقرية قد قلت نتيجة لعمله الصحفى ، فانها لم تتوقف تماما فقد ظل يسهم بفكره وريشته فى نشاط اخيه احمد وزملائه ، وتولى فى الوقت نفسه الجانب الاكبر من مسئوليات الاسرة المادية ، ومن بينها احتياجات احمد فى الكلية وغير ذلك .. حتى اصبح احساسه نحوه اشبه باحساس الاب نحو ابنه رغم انه لايفصل بينهما سوى احد عشر شهرا ..

لذلك ما كاد احمد يتخرج ويعين فى مؤسسة اللحوم بالمنصورة حتى سارع الى اعفاء محمد من معظم مسئولياته تجاه الاسرة ، ولولا ذلك ما استطاع محمد أن يتزوج ويؤثث بيتا صغيرا بالقاهرة ..

واذا كان العمل الثقافى فى سندوب قد تعثر وكاد يتوقف نتيجة لمقاومة القيادات الرجعية القديمة ، فان تجربة سندوب كانت نموذجا احتذاه كثير من شباب المدن والقرى المجاورة مثل : نشا والمنزلة وميت الصارم وكفر المناصرة والسنبلاوين وكوم الدربى وغيرها .. وساعد على ذلك حرص احمد حجى على تسجيل تجربته مع زملائه فى مقالات نشر بعضها فى « الطليعة » و « سنابل » .. واستخلص منها نتائج واسسا نظرية وعملية يمكن أن

يفيد منها كل العاملين فى مجال الخدمة العامة فى ريف مصر المتعطش للخدمات من كل نوع ، واهم هذه النتائج والاسس هى :

● ان العقم والجفاف والتفكك فى حركتنا الثقافية يرجع اساسا الى غياب الهدف المشترك بين المثقفين . وفى مثل ظروفنا لا ينبغى ان يكون للحركه الثقافية هدف غير العمل من اجل العمال والفلاحين لدعم الاشتراكية والقضاء على جيوب الرجعية والاستعمار .

● الطريق الوحيد لبناء الاشتراكية وتصحيح خطى الثورة لابد ان يبدأ بحركة جماهيرية تشمل الريف المصرى كله . واقدر الناس على القيام بهذه الحركة هم الشباب الثورى .

● اول واخطر المشكلات الثقافية فى بلادنا هى مشكلة الامية التى نعانى منها اكثر من ٧٠ ٪ من ابناء شعبنا معظمهم من الفلاحين والعمال . والامية ليست عملية تعليمية فقط ، بل هى قضية قومية يجب ان تكون مواجهتها مسئولية المثقفين الدوليين ، والكتاب ، والتنظيم السياسى ، ووزارة التربيه والتعليم ، والاجهزة الثقافية المختلفة .. وتصفية الامية هى المنطلق للثوره الثقافيه ولدعم البناء الاشتراكى ، وهى بداية الطريق نحو خلق ادب وفن ثوريين يتفاعلان مع الجماهير العريضة .

● قد يكون من المجدى دعوة مثقفى المدينة للنزول الى القرى لخدمتها ، ولكن الاجدى ان يبقى مثقف الريف فى قراهم جنود للثورة الثقافية ، والا يتركوها مهما كانت المغريات .

● لا سبيل لمقاومه هذه الحملات الا بالعمل من خلال التنظيمات الشعبية مع العمل على تطعيم قياداتها بعناصر ثورية من الشباب المثقف والفلاحين حتى يتمكنوا من كشف اهداف القيادات القديمة ومقاومتها . وانفراد المثقفين بقيادة العمل بعيدا عن الفلاحين يعرضهم للعزلة والفشل .

● المشكلات الواقعية التى تملا حياة الفلاحين اليومية مع الجمعية التعاونية وبنك التسليف ومهندس الرى .. الخ .. هى المدخل الطبيعى لتثقيف الفلاحين وتوعيتهم ، مع ربط هذه المشكلات اليومية بواقع الوطن وقضاياه المصيرية . ومحاولة تجاهل هذه المشكلات او الاستخفاف بها لابد ان تعزل الشباب عن الفلاحين الذين لا يستجيبون عادة للحديث النظرى عن ضرورة التعلم والتثقف ما لم يكن مرتبطا بقضايا الارض والانتاج وتاريخ النضال الوطنى ، مع الاجتهاد فى تقريب الاراء والنظريات من واقع الفلاح ، وتطويرها بحيث تتلاءم مع ظروفه واحتياجاته .

● من عوامل نجاح العمل الثقافى فى القريه الاستعانة بالشخصيات البارزة والمستنيرة ذات التاثير الكبير فى نفوس الفلاحين ، كرجال الدين وناظر المدرسة وطبيب الوحدة .. الخ .

● يقع بعض المثقفين فى خطأ كبير حين يحتقرون تقاليد الفلاحين البسيطة واساليبهم فى التسلية والترفيه . والواجب تطوير هذه التقاليد والعادات (كالاحتفالات الدينية والموالد وسهرات السمر والقصص والملاحم الشعبية والاسواق العامة) والاستفادة منها فى العمل الثقافى والسياسى .

● مجلة الحائط وسيلة تثقيف جماهيرية فعالة فى القرية ، ومن الممكن ان يشارك فى تحريرها دارسو فصول محو الاميه بعد تقدمهم ، فتضمن تدريبهم على القراءة والكتابة بالاضافة الى شغلهم بقضايا القرية التى تنشرها المجلة .

ويجمل د. احمد حجى خلاصة خبرته فى العمل الثقافى بالقرية فيقول :

« ان ملامح الثقافة فى القرية واضحة فالمشكلة الاولى هى الامية ، ودار النشر الجماهيرية هى صحيفة الحائط ، ومدرستنا هى مشاكل الجماهير التى لابد ان تؤدى الى اعادة تكويننا الثقافى . فمشاركتنا فى محو الامية ليس عملا هينا يقتصر على التعليم فقط ، بل ينبغى ان يتعداه الى تقويض السيطرة الاقطاعية والاستعمارية فى وجدان الشعب ، ومشاركتنا فى تحرير صحف الحائط الجماهيرية هى فى الحقيقة مشاركة فى اعداد القراء والكتاب الجدد ، ومعايشة الاحداث والمشكلات المحلية والعامة معهم ما يغنى ادبنا وفنوننا بالتجارب والخبرات .

وهذا العمل المشترك سيؤدى حتما الى اعداد مجموعات كبيرة من العمال والفلاحين والشباب فى كل مكان .. وتجنيدهم فى جيش ثقافى ضخم يعمل فى خلق الانسان المصرى الجديد المحب للعمل .. والعلم .. والسلام .. المهم ان نبدأ من حيث تقف الجماهير الكادحة .

لو اقتصر دور الدكتور احمد حجى على ماذكرناه من نضاله الثقافى والسياسى فى قريته لكان جديرا بالاشادة وبأن يقدم للشباب المصرى كنموذج يحتذى .. ولكنه خاض بالاضافة الى ذلك تجربة خصبة اخرى فى ميدان القتال : فابلى فيها احسن البلاء ، وقدم لادبنا نموذجا يكاد يكون فريدا من ادب المعركة ..

لقد جند فى اوائل عام ١٩٦٦ ، فكان تعليقه :

« ما أشد سعادتى ان يتحول كفاحى فى قريتنا الى نضال على جبهة القتال من اجل مصر .. كم يشرفنى ان اكون جنديا يشارك فى معركة الوطن ضد الصهيونية والاستعمار .. وان انقل حقدى على الاستعمار العالمى الى حقد يحمل السلاح ويصوبه على العدو .. » .

واتم احمد فترة تدريبه بمركز التدريب الاساسى للخدمات الطبية ، وخلال تدريبه اصدر مجلة حائط بالمركز ، وابدى نشاطا لفت نظر قائد المركز ، فعرض عليه ان يعينه فى المركز ليعاون فى تدريب المجندين الجدد ، ولكنه رفض واصر على ان يكون تعيينه فى الخط الاول من جبهة القتال ، فقد كان حريصا على ان يخوض تجربة الدفاع عن بلاده وعن القضايا التى آمن بها ، وكان يعتقد ان القتال واجب مقدس على كل فئات الشعب ، وان محاولة عزل المثقفين عن القوات المسلحة كانت من أسباب هزيمتنا سنة ١٩٦٧ ، وكان يردد دائما قوله ماوتسى تونج :

« جيش بلا ثقافة هو جيش بلا عقل وجيش بلا عقل لا يمكنه ان ينتصر » .

ومنذ ان وصل احمد حجى الى جبهة القتال وهو يسجل بانتظام مشاهداته ومشاعره وانطباعاته وبطولات الجنود والضباط فى مذكرات من اروع واصدق ماكتب فى هذا الموضوع .. وقدم لها بقوله :

« اذا قدر لى ان اعيش فسوف اقص

على شعبنا ماساة مقاومته للعدو .. وبطولات جنوده وبسالتهم .. اما اذا قدر ان تكون نهايتى على ارض القناة فساموت مستريحا لانى كنت افكر فى مناخ صحى ، ولان افكارى وجدت طريقها الى الناس .. ان هذه المذكرات هى حديث الرصاص الذى يجب ان تتكلم به قضية شعبنا فى دحر قوى الامبريالية والصهيونية وبناء الاشتراكية العلمية » .

ولن يجدينا كثيرا ان نعالج هذه المذكرات باعتبارها نصا ادبيا ونحاول اخضاعها لمقاييس فنية بعينها ، فالمذكرات بطبيعتها شكل ادبى مرن يتسع للمشاعر الذاتية والوقائع الموضوعية ، ومن حق كاتبها ان يصف من الخارج ويسرد مايقع امامه ، ويدير حوارا بين الشخصيات التي يتحدث عنها ويشارك فيه ، ويسترجع ذكرياته الماضية ويربطها بالحاضر ، ليتطلع بعد ذلك الى المستقبل .. ومن حقه ان يسجل الظواهر الايجابية ويشيد بها ، ويلاحظ السلبيات وينقدها ويشجبها .. وقد فعل احمد حجى ذلك كله بصدق وشاعرية ووعى انسانى ووطنى يرتفع بالمذكرات الى مستوى النصوص الادبية الباقية ، فضلا عن تفردها بموضوعها بين انتاجنا الادبى ..

واول ظاهرة تستلفت النظر فى هذه المذكرات ان الكاتب يحتوى مصر كلها فى قلبه .. مصر الوطن .. والناس والتاريخ .. والحيوانات .. والطبيعة .. والمبانى .. وكل ذرة تراب فى ارضها .. يقول بتاريخ ٥ ابريل ١٩٦٩ :

« انحنت العربة مع انحناءة الطريق لتدخل احدى القرى .. وقد اكون غير دقيق فى هذا التعبير فهى ليست قرية عامرة بسكانها بل هى قرية مهدمة .. طلقات المدفعية دمرت بعض المنازل .. بين انقاض القرية تمرح بها الكلاب التى رفضت الرحيل مثلما رحل اهلها يحملون امتعتهم ودوابهم .. حتى النوافذ والابواب نقلوها الى مكان آخر .. مفارقة عجيبة على كل حائط مازال قائما فى القرية .. خطت يد صغيرة ، يبدو انها ايدى اطفال المدرسة الابتدائية ، كلمات تقول : [النصر لنا] ... »

ويكتب بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٦٩ :

« ارتديت البالطو الصوف واحكمت اغلاق جميع ازراره لاحمى نفسى من البرودة القادمة من قناة السويس والبحيرات المرة واطراف بحيرة المنزلة .. قادتنى قدماى فى شغف نحو القناة .. فبالامس كنت اقرا كتابا من تاريخ قناة السويس والالاف الذين ماتوا من الفلاحين اثناء شقها .. والتاريخ الطويل لمقاومة الاحتلال الذى كان يطمع فى الاستيلاء عليها .. ان كل القرى على طول القناة تحمل بصمات التاريخ .. تاريخ شق القناة وتاريخ العمل الفدائى لمقاومة فلول الاحتلال الانجليزى ..

اسراب العصافير وابو قردان ترفرف بين الحشائش .. وفجاة انطلقت مدافع العدو نحوى فانقطع حبل تفكيرى واسرعت الى ملجاى .. »

والظاهرة الثانية الهامة فى المذكرات ايمان الكاتب ببطولة الجندى المصرى وشجاعته وقدرته اللامحدودة على البذل والعطاء ، وما اكثر قصص البطولة والتضحية التى ترويها المذكرات .. قصة الجندى الذى ظل يطلق مدفعه على طائرات الاعداء حتى ذاب المدفع وذاب جسده معه .. قصة الابطال الذين قاموا بعمليات العبور الاولى الجسورة واوقعوا بالعدو اكبر الخسائر .. قصة رجل الدين الذى حضر الى الجبهة ليعظ الجنود ، فلما نشب القتال . خلع جبته وعمامته وشارك فى نقل صناديق الذخيرة للمدافع .. فبين اللهب .. وامام رصاص البنادق الالية وشظايا الدانات والقنابل وتحت طائرات العدو المغيرة .. ولد انسان مصرى جديد .. تقول المذكرات :

« ان اللحظة التى يعيشها المقاتل بين اللهب هى التى تخلقه من جديد .. هى التى تجعله يستعيض بحياته المرفهة الهادئة الخنادق الترابية وظلمة الليل الداكنة بلا شعاع من ضوء ، وقد تعودت اذناه على صوت المدفعية وهدير الدبابات .. ومع ذلك فهو يرى مصر اكثر من غيره رغم الظلمة ويسمع صوتها اوضح من غيره رغم ضجيج المعارك ..

ما اروعها من لحظات تلك التى يحمل فيها الجندى سلاحه على كتفه وعيونه تخترق الظلام وقد احس انه حارس شجاع يحمل مصر فى قلبه ويحس بها مع خفقاته ..

ووراء كل خبر عسكرى قصة انسان ولد من جديد على الجبهة .. وكل يوم على الجبهة يولد حشد كبير من الناس الجدد .. يعرفون كيف يحبون مصر وكيف يكون اداء الواجب ..

ان انساننا الجديد لاتهمه طلقات الرصاص ولا مارددده اذاعات العدو واجهزة دعايته عن قوة الجيش الاسرائيلى وعظمة تسليحه .. ان المقاتل على الجبهة يثق بأن حل قضية الوطن مع الامبريالية ومشاكله الداخلية لن يكون الا بالمزيد من القتال .. » .

وتلح « مذكرات جندى مصرى » على ضرورة الالتحام بين الشعب وجيشه من طريق اجهزة الاعلام وزيارات العمال والفلاحين والطلاب للجنود فى مواقعهم على الجبهة ومشاركتهم حياتهم . كتب احمد حجى بتاريخ ١٩٦٩/١٠/٢١ :

« فى المساء عدت منهكا من رحلة طويلة قمت بها للمستشفى للحصول على الادوية اللازمة للجنود .. تمددت على البطانية وشددت بطانية اخرى فوق جسدى .. اشعلت احد اقراص الوقود الجافة بعد ان صنعت له علبة تخفى ضوءه ماعدا فتحة تبعث الضوء الى عينى لاستطيع القراءة .. مددت يدى اقلب فى جريدة قديمة كان احد الجنود قد احضرها منذ يومين وهو عائد من اجازته .. تصفحتها دقيقة .. القيتها جانبا .. اكلنى الغيظ .. مازلنا نضحك على ذقون بعضنا .. مازالت مشكلة المشاكل فى نظر صحافتنا هى كرة القدم .. ادرت مفتاح الراديو .. فايزة احمد تغنى « فازلاله ياامه بايدى الطاقية » .. اطفأت الراديو .. شددت البطانية وغطيت بها راسى .. لمصلحة من هذا الحاجز الضخم الذى تتعمد اجهزة الاعلام اقامته بين مايحدث فى الجبهة وبين الشعب » .

هذا الالتحام بين الشعب وقواته المسلحة تحقق بالفعل فى جبهة القتال فى اكثر من موقع حين عاد الفلاحون يزرعون ارضهم ويعاونون الجنود فى عملهم :

« .. لم يعد الفلاحون يفرون خوفا من الانفجارات كما كان يحدث من قبل .. بل انك ترى فلاحا يقود ثورين يجران محراثا يخطط قطعة الارض الباقية الى جوار بعض مواقع مدفعيتنا .. تطرقع الفرقلة فى يده تحت الثيران على

العمل .. في الوقت الذى تكيل فيه المدفعية ضرباتها للعدو .. بعض النساء يحصدن الزرع .. والاطفال الصغار يعملون في صيد الاسماك من البحيرة .. قد يتوقف البعض عن عمله .. لاخوفا لكن ليطمئن الى ان ضرباتنا للعدو مؤثرة .. وعندما يطمئن الى ذلك ينحنى على عمله .. وينطلق صوته بأغنيات عذبة .. كم هى مؤثرة .. » .

وهكذا يتأكد اننا شعب صناعته الحضارة حتى وهو يحارب ويدافع عن ارضه . لايكف الفلاح عن حرث الارض وحصد الزرع وصيد السمك والترنم باهازيج الحب والسلام ..

والمعركة الضارية التى نخوضها بلادنا ضد العدوان الاسرائيلى لاتنفصل — فى نظر احمد حجى — عن بناء الاشتراكية فى بلادنا .. فهو يقول فى رسالةصادقة لشقيقه الصغير ابراهيم :

« .. عندما ستكبر مثلى .. وتكون رجلا يمكن ان يستفيدمنه الوطن ومن امكاناته .. عندما ستكبر ستعرف اكثر ان الفترة التى يعيشها الشعب المصرى هى من اقسى الفترات التاريخية ..

اننا فقراء لاننا نشترى أسلحة نحارب بها اسرائيل .. وعلشان نحارب الاستعمار كويس ونهزمه لازم نعمل الاشتراكية فى مصر كويس برضه .. وبناء الاشتراكية عاوز رجالة بيفكروا زيك كده .. يعنى بيفكروا فى الوطن وفى مشكلة العدوان والفقر .. والتخلف اللى الفلاحين عايشين فيه ..

لابد أن تقرأ كثيرا .. وان تعرف كل شىء عن تاريخ الشعب المصرى وكفاحه علشان لما تكبر تبقى راجل من الرجالة اللى حيبنوا الاشتراكية فى مصر ......

وعاوزك ياابو خليل ماتمشيش حافى .. انت دقيت راجل دلوقتى ، والراجل اللى زيهم لازم يكون نضيف كمان .. »

وما أكثر القضايا والمواقف الممتازة التى تزخر بها المذكرات .. بحيث يحق لنا أن نعجب لماذا لم تعرف طريقها الى القارىء العربى حتى اليوم رغم ما تحفل به من قيم نضالية ايجابية نحن فى مسيس الحاجة الى تمثلها واستيعابها فى ظروف معركتنا الباسلة ضد الصهيونية والاستعمار والرجعية ..

وآخر فقرة من المذكرات تحمل تاريخ ١٥ أغسطس ١٩٧٠ وتقول :

« فى بادىء الامر كنا نخجل من زملائنا المقاتلين كلما سألونا عن تسليحنا .. فقد كانت مدفعيتنا من طراز قديم بالنسبة للاسلحة الحديثة التى يقاتلون بها .. ورغم أن فكاهاتهم وسخرياتهم بمدفعيتنا القديمة كانت تأكل قلوبنا فقد كنا نحس ان علينا أن نكون رجالا لاننا نحتل موقعا خطيرا على ضفة القناة .. فما اكثر ماحاول العدو العبور من أمام موقعنا ، وفى كل مرة كنا نغرقه فى قاع القناة ..

وذات مساء تعرضنا لهجوم مركز من طائرات العدو .. كان من الواضح انه يمهد به لمحاولة عبور جديدة .. كان الموقف صعبا للغاية .. فالموت ينقض فى لحظات مع شحنات الطائرات .. واستمر افراد الكتيبة فى القتال .. انبعثت فينا روح فدائية غريبة ..

لم تسكت المدفعية لحظة واحدة .. كنا نقاتل بطريقة انتحارية .. عندما يظهر لهب طلقات المدافع كانت الطائرات تنقض علينا واحدة اثر الاخرى بحمولتها الكثيفة .. فيرقد الجنود على الارض ، وحينما تبتعد الطائرات يسارع الجنود بحشو المدافع بدانات جديدة واطلاقها وهكذا ..

نجحنا فى اغراق جميع زوارق العدو ولم تكف مدفعيتنا القديمة عن العمل ..

ولم نعرف النوم طوال تلك الليلة .. وفى الصباح جاءنا شكر القيادة العامةوتقديرها لبطولتنا ..

واخيرا امكن تزويدنا باسلحة حديثة ، وصدر الامر بتسليم مدافعنا القديمة للصيانة ..

وفى الليل تحركت العربات تجر المدافع .. وقد امتلأت نفوسنا بالحزن لفراق سلاحنا الذى أبلى أحسن البلاء فى صد العدو رغم قدمه .. وتذكرنا ونحن نودعه شهداءنا الذين ضحوا بأرواحهم فىأشرف ميدان .. وجرحانا الراقدين فى المستشفيات تحتالعلاج .. وبدأنا تدريبنا على السلاح الجديد بعزيمة جبارة .. فى انتظار ساعة الصفر .. يوم نعبر القناة لتطهير الارض من غاصبيها .. »

● ● ●

ولقد توفى أحمد حجى وهو ينتظر هذه الساعة بلهفة عارمة ..

واليوموقدحانتالساعة .. وعبرابطالنا الى سيناء . وشرعوا فى تحريرها ببطولة نادرة أذهلت العدو .. اليوم نذكر أحمد حجى .. ونذكر كل شهدائنا ، فلاشك ان أرواحهم قد بدأت تهدأ وتطمئن فى جوار ربها .. بعد أن تأكدوا أن الهدف النبيل الذى استشهدوا من أجله قد بات قريب التحقق .. على أيدى اخوتهم وزملائهم من أبطال قواتنا المسلحة ..

ان أحمد حجى ليس نموذجا فريدا نادرا بين شبابنا المقاتل من أجل الحريةوالكرامة والاشتراكية .. ولكنه واحد من آلاف .. بل ملايين الشباب المصرى الذين ضحوا ويضحون من أجل بلادهم .. واذا كنا قد خصصناه بالحديث فى هذا المقال . فلأننا فى حقيقة الامر قد تمثلنا فيه كل هؤلاء الملايين من الشباب الواعى الواعد .. الذى سيصنع مصر الغد .. مصر الحرة .. مصر الاشتراكية .. مصر الكريمة ..



منشور وطنى على رقم [١]

شعر : أحمد فؤاد نجم

أيهـا المواطنون
أيهـا المواطنات
مصر من طول السكات
بتناديكوا
تسمعون ؟

●

عطرونى بالبارود
كحلونى باللمون
نفسى أغمض
أو أفتح
يرجع الشوف للعيون
والقى سينا
جوه حضنى
بالمناجم

والزتون
يا حبايبى
يا جنودى
ما عساكم تفعلون

●

يحكى فى أمثال زمان
كل وقت وله أدان
يا بهية وخبرينا
بمعنى ايه معنى الادان

●

شوف يا أستاذ بغبغان
يا للى قاعد فى البراح
والملاحم فى الجولان

تسرق النور م الصباح

●

لما نصحى فى الصباح
والخلايق مجروحين
تبقى حى على الكفاح
والسلاح يا مظلومين
واما نصحى بالسلام
والخلايق مرتاحين
تبقى حى على الكلام
والمناقشه يا أفلاطين

●

أيها المواطنات
مصرنا ست البنات
عايزه منكو تزوقوها



وانتو أهل المكرمات
عايزه عقد النصر وردى
والحلق بالدلايات
عايزه طرحة وعايزه فرحة
وعايزه ساعة م الساعات
تعجنوا الحنه السويسى
من زتون البيارات

●

ما عساكن فاعلات
أيهـــا المواطنـــات

●

يا حياة الشعب يا
مصر يا
نور العيون
الحياة والممات
والمشانق والسجون
والكلام
والآلام
والدساتر والقانون
والدساكر
والعساكر
كله فى حبك يهون
ليس فينا من جبان
ليس فينا يحزنون
فينا طيبه
زرع طيبه
بس آه لو تعلمون

لو يفيض الصبر بينا
تطفح النار م الأتون
لو يفطى الصعب سينا
والعبور يصبح جنون
نرمى يا مصر العزيزه
جسمنا فوق الجنون
يمشى يا مصر العزيزه
ركبنا فوق المنون
وانتى يا مصر الحبيبه
عندنا جوه العيون
واحنا يا مصر الجميله
حبنا فوق الظنون
حبنا فوق الظنون (*)



ميخائيل رومان :

مسرح شجاع مفتوح العينين

نبيل فرج

فقدت الحركة الادبية فـي القاهرة ، فى أوائل أكتوبر الماضى ، الكاتب المسرحى المصرى ميخائيل رومان ، قبل أن يبلغ الخمسين من عمره . وبذلك تحطم أحد الامال التى كان ميخائيل رومان يمثلها بالنسبة للمسرح فى بلادنا .

■ بدأ ميخائيل رومان حياته الادبية بالقصة والمقال والترجمة ، كما قدم عدة تمثيليات للاذاعة والتليفزيون . غير أنه فى سن الخامسة والثلاثين اتجه دفعة واحدة نحو المسرح ، وكتب ، فى هذه المرحلة الناضجة ، مجموعة من المسرحيات ، تحت تأثير ردود أفعاله حيال الاحداث الوطنية والعالمية الحاسمة .

ولم يعرض على خشبة المسرح سوى أقل من نصف ماكتب على وجه التقريب، وهى : « الدخان » ١٩٦٢ ، « الحصار » ١٩٦٥ ، « الوافد » ١٩٦٦ ، « العرضحالجى أو الزجاج » ١٩٦٨ ، « ليلة مصرع جيفارا » ١٩٦٩ ، « ٢٨ سبتمبر الساعة الخامسة » ١٩٧٠ .

■ ولميخائيل رومان مفهوم متقدم لوظيفة المسرح ، ينبع من ظروف الثورة التى يرى اننا نعيش فى مناخها . وعنده أن « كل عمل فنى متكامل مستوفى الصدق الذاتى والموضوعى هو بالضرورة يعتبر عملا ثوريا » .

وفى ضوء هذا المفهوم ، يقول ميخائيل رومان فى حديث نشر بمجلة « المسرح » ، عدد مايو ١٩٦٧ : « أنا لا أطلب الا مسرحا شجاعا مفتوح

العينين والقلب ، مقبلا على الحياة كما يراها وكما ينبغى أن تكون ، وأن يكون منا » ٠

● ومن هنا وقف ميخائيل رومان دائما الى جانب القيم التقدمية فى هذا العصر ، وحملته العنيفة المتصلة على كل القوى الرجعية المستبدة التى تريد قهر الانسان ، وتحطيم ملكاته الخالقة ومعنوياته الرفيعة ٠

■ ما أكثر الشخصيات التعسة المنهارة فى مسرحه ، التى تنحدر الى الهاوية السحيقة ، اجتماعيا وخلقيا وانسانيا ٠ ولكن ما أقوى الشخصيات المتماسكة الابية ، المتمردة على وضعها ووسطها المحيط ، التى ترفض ، من الناحية المقابلة ، ان تركع وتقبل هذا المصير ، رغم المحنة الحالكة والضياع والعذاب ، لكى تحافظ على حرية الانسان ، الذى يضرب بجذوره العميقة فى الارض ، بتاريخه الطويل ، والذى وجد قبل كل الاجهزة العلمية والمخترعات الحديثة ، التى تحاول الغاءه أو سحقه ٠

وهذه الشخصيات المثقفة غالبا ، المنتمية الى الطبقة الوسطى ، التى تواجه ، بارادتها الخاصة المفردة ، صراعا حادا مع النفس ومع العالم الخارجى المهترىء ، هى التى تعبر عادة عن مبادىء الكاتب وأهدافه ، وهى التى تجعل مسرحه المصرى الحى ينتمى الى نفس النبع الكلاسيكى الذى تدفق منه المسرح اليونانى القديم ٠

● وكما يلتقى مسرح ميخائيل رومان مع مسرح اللامعقول الحديث من ناحية تركيب احداثه ، وتداخلها ، وعدم ترابطها ، واختلاط الوهم بالحقيقة ، عبر الانتقال الحر فى الزمان والمكان ، على نحو يتعذر فهمه أحيانا ، لعدم خضوعه للتفسير المنطقى ، وان استطاع ، بالمحاته الرشيقة ، أن يحرك فى النفس امواج المشاعر ، ويثير فى الذهن اعمق الافكار ٠

● على أنه يذكر ، فى مسرحية الخطاب » ، أن القوة بحد ذاتها هى التى تحيل الخير الى شر ٠ ولذلك تحول « هو » ، بعد أن تلقى شيكا بمال العالم ، من شخص يريد القضاء على الجوع والقذارة والكلاب ، الى طاغية متجبر ومجرم سفاح ، لايفرط فى قطرة واحدة من القوة الجهنمية التى كان يعتقد من قبل أنه من الضرورى مصادرة القدر الزائد منها ، وتوزيعه على الفقراء التعساء حتى يعيش الانسان كاله ٠

والحق ان القوة كطاقة مجردة لاتحمل فى ذاتها قسمة الخير او الشر ، لانها قد تكون خيرة بمثل ما تكون شريرة ٠ ذلك انها تتوقف على النظام الذى يظللها ويضعها فى اطاره ، فيجعلها فى خدمة الغالبية العظمى من البشر ، كما نجد فى النظم الاشتراكية ، أو فى خدمة نفر قليل ، يملك زمام القوة الاقتصادية والسياسية ، ويقف بها ضد الانسان كما نجد فى النظم الرأسمالية البالية

ويطابق هذا المفهوم التجريدى للقوة مفهومه للحرية التى لايعترضها شىء والتى يلح أبطاله فى طلبها ٠ ومثل هذه الحرية تكون وبالا على صاحبها ، لاننا لا ندرك وجودنا الصحيح الا من خلال الصراع الاجتماعى ، وواجبنا نحو الاخرين ٠ ولولا الصراع والواجب لغدونا كالحيوانات السائمة ، ولعشنا فى الخواء ٠

ان الطيور حرة ، نعم ، ولكنها لا تتوقف أبدا عن بناء اعشاشها ٠

وفوق هذا ، لم تكن لميخائيل رومان رؤية واعية متكاملة ، محددة الابعاد ، واضحة المضمون ، للعالم الانسانى الذى يريد تشييده على أنقاض العالم القديم الخرب : الذى يرفض أبطاله الانصياع له ، وهم يضربون فى الافاق المجهولة ٠

ولقد تعرض ميخائيل رومان ، منذ كتب للمسرح ، لحملة ضارية من قبل النقاد ٠ فمنهم من رفض الاعتراف به ، اساسا ، ووصف احدى مسرحياته بأنها مجرد شىء ، دون أدنى مناقشة ٠ غير انه لم يعدم — فى نفس الوقت — من يحسن فهمه ، وتقدير اعماله ، والدفاع عنه ٠ وفى مقدمة اولئك الدكتور محمد مندور ، الذى استقبل عمله الاول « الدخان » ، حين عرضه المسرح القومى ، بحفاوة بالغة ، وأبرز فكرتها الاساسية وعلتها الغائية ، التى ترفع من قيمتها الفكرية وأسلوبها الفنى ، على أساس من رؤيته النقدية الرحبة ٠

هى معركة الوجود كله

استطيع ان أقول الان انه صار لنا مستقبل ! هذه الامة التى عاشت ست سنوات من التيه فى الصحراء السوداء . ان الذى عبر القناة ليس هو الجيش المصرى فحسب ، وانما هو أمة بأسرها من المحيط الى الخليج عبرت فى تلك الساعات المجيدة من ضفة لضفة ومن مواقع السكون والجمود .. الى حيوية الصراع والحياة .

ان المعركة بيننا وبين اسرائيل ليست معركة على الارض فقط ، وانما هى معركة الوجود نفسه ، لقد أرادوا لنا أن نكون موتا حيا يتحرك ويتنفس لكن بلا ذاكرة وبلا مستقبل .

الخسائر هنا لا تقاس بما فقدنا من معدات أو أفراد لان المعدات والافراد يمكن الاستعاضة عنهما ، لكن ما لا يستعاض عنه هو الدمار الداخلى الشامل الذى كان ينهش قلب كل واحد من شباب هذه الامة .

بالنسبة لنا كانت المعركة امتحان وجود ، أما بالنسبة لقوى التقدم والسلام فقد كانت عودة الروح الى العضو الاشل فى جسد الانسانية العظيم .

ان مصر تصحو الان من جديد ، لتثبت للعالم ان طريق الشعوب هو الطريق الصحيح . □

أمل دنقل

وكنت الوطن

فى الصباح كنت الصباح ، وللضحى كنت وردة ، وبالظهر كنت الدم والجمرة والوردة المشتعلة ، وكنت الظهر والعصر والمغرب الجوهرة ، لم يلحقنى العشاء سبقته وكنت فجرا ، كنت الفجر الذى انطلقت من جوفه حمامة ورصاصة وقنبلة .

ولدت فى الصباح صبحا ، وكنت الضحى والظهر وشمس العصر ، سبقت الغروب وكنت الشروق الذى يحمل فى جوفه ليلة البارحة ، ويحمل فى جوفه الحمائم والوردة والقنبلة .

عدوى عدوى : اصبته ، كان عدوى وكنت مصيبا .. وطفلا .. وجمرة .. ووردة مشتعلة .. وكنت رجالا .. وكنت الوطن .

يحيى الطاهر عبد الله

قصة قصيرة

العروس وشجرة الزيتون

سعيد الكفراوى

برغم الحزن الذى يلف الحى كله ، الا أنه كان عزاء من ذلك الاستعباد الذى ترسف فى ظله البيوت القديمة

كان الشارع فى رابعة النهار اسيرا لشمس اكتوبر المتكسرة ، الواهنة .

كان يحلو للشيخ العجوز الوحيد ، أن يجلس امام دكانه الوطىء ، ينظر الى الطريق الذى لم تمر منه — بعد — الحياة .

رمشت عينا الكهل وحدق فى الطريق المفتوح على اتساع الصحراء احتوت عيناه الرمال والهضاب ، وغشيته ومضة خاطفة فأسدل جفنيه .

رفع جاره بابه الصاج الى اعلى ، فانفجر فى صمت النهار صوت كالصليل .. افاق الكهل .

— كانوا يصرخون تلك الليلة .

قال جاره ، ودخل الى الدكان .

لم يكن الطريق موضا .. لكن كانت تندفع فوقه فلول هاربة مذعورة ، وملابس صفراء ، وبيضاء ، ومواش مختلفة الاحجام والاعمار والانواع .

كان آخر الصفوف سيدة تركض تحمل على رأسها صرتها ومتاعها القليل ، وتسحب طفلها الصغير .

حيث تغرب الشمس تغيب السيدة والطفل الصغير .

همس الكهل .

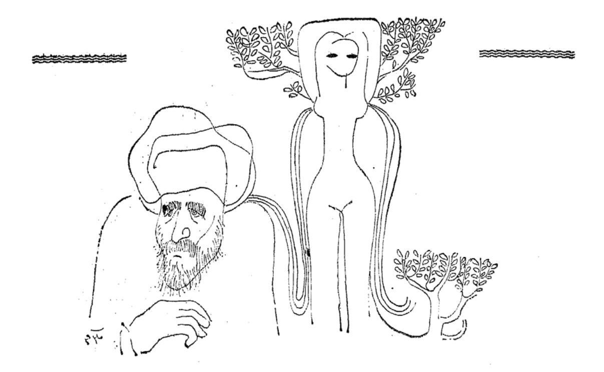
— كانوا قد رحلوا آنذاك .

وكانت الشمس قد غامت ، واستقر كسف صغير لكنه ثقيل لسحاب مابعد الغروب .

قال أيضا :

— وطأت الشارع احذية غريبة .

لكنه فى آخر كل نهار — قبل الغروب تماما — ينزل الى الصحراء ويشاهد تلك الاعضاء البشرية الممزقة ، والملتصقة بالاسلاك الشائكة ، وقد اخذت لون القار وانتفخت ممزقة لباسها العسكرى الاصفر .. كانت أياد كثيرة ممدودة الاصابع تشير الى الطريق ... عبر الصحراء ... كان



يجمع الاعضاء التى تضاعفت بشـــكل مخيف ويواريها التراب ــ فى هـــذه اللحظات كان يطلق غنـــاء حزينا كانه الرثاء أو الندب ــ كان شيئا مروعا وتجربةمخيفةآ جمعتلك الاشلاءالممزقة .

لكن عيناه لم تفارقا الطريق .

عاد بعدها وغرس فى مربع الارض اللاصق بدكانه بذرة زيتون ... قال فى نفســه : « سأرويك بالدم » .

مر شهر ورفعت الزيتونة رأســـها الاخضر فأخفاها بالاعشاب عندما تهددها الخطو الغريب .. دفعت الرياح الضوء وشمس السنوات .. خرجت الزيتونة جذورها فى الارض وفرعت ناشرة خضرة غريبة لم يألفها ــ كان النهار ينقضى ولا ينقضى حديثه معها ــ هى الان تظلل الدكان ومربع الارض .

خرج الرجل الاخر من محله .

ــ كانوا يصرخون تلك الليلة .

تعلقت به عينا الكهل ، وغاص وجهه فى تجاعيده .

ــ لقد تغير الزمن .

هفت أغصان الزيتونة ، وتألق ضوء النهـــار .

من آخر الشارع أتى طفل يعدو ، مرسوم فى حدقتى الافق نقطةهلامية ، تغسله الشمس بضوئها الكاسحالمتألق .. كان يصيح بصوت راعد ملتاث كأنه يحمل النبوءة .. صـــوتل تحمله الريح التى نشـــطت الان .. كـــان فى عين الشمس حتى استقر امام الكهل .. صـــاح فيه .

ــ جرى .. امى تنتظر .

حدجه الكهل ، وغاب فى صمته .

كانت « غزة » غارقة فى انتظـــار مريب ، مروع .. كانت محشورة داخل اسوار كئيبة ، يموج بداخلهـــا صمت متوتر ، تحيطها اشـــجار الكروم التى تضرب بجذورها فى الارض السمراء .. كانت المزروعات تفنى عند آخر العمار ولا يبقى الا الصحراء .. كانت التلال والهضـــاب محاصرة ولكنها فى هـــذا النهار تتألق تحت ضوء الشمس .

لحظة أن دوى انفجار بعيد ، وقف الكهل نصف وقفة ثم جلس مرة اخرى .

خرج الرجل الاخر من دكانه ونظر فى عينى الكهل ثم عاد ...

اشتد الدوى فنهض الكهل منتصبا ... كان الطريق يبدو مضيئا هذا النهار

كانت « غزة » العروس تشق ثوبها الاسود فيبين ثدياها وقد اندفع شلالان من اللبن فى عروق الصدر فينبض فى ضوء النهار .. تتردد خفقات الحياة فى الصدر المتكور .. كانت الشمس رغم انقضـــاء اليـــوم لا تغرب ، ثابتة فى منتصف السماء .. منذ ذلك انطلقت اصوات المآذن العتيقة تغرق الفضـــاء الطليق بصوت جديد يتسلل عبرشقوق الارض العطشى .. ودقت اجـــراس الكنائس فى اديرة الصحراء ، وارتفع نشـــيد من تحت بطن الجبل مجـــللا بالشوك والدم ، ولاح عبر البحر يسوع سائرا فوق الماء .. كانت فى تلـــك اللحظـــة تتألق فوق الارفف الخشـــبية ملايين الكتب ، والزمن يغير فصوله ودوراته ، وفى الحقول البعيدة تثغو الاغنام وتتفتح المراعى من خضرة بليلة .. ومحاريث تدك فى تلك اللحظة داخل رحم الارض ويهتز النبات وينبعث فوح الخبز الساخن .. كانت رءوس كثيرة ــ ملايين الرءوس ــ تنفض عنها وحلا وعفنـــا ..

فى تلك اللحظة اشتدت الريح ، واهتزت اغصان الزيتونة ، لكن الكهل العجوز المنتصب القامة كان ينظر الى الطريق ينتظر الرجال .

بابلو نيرودا

الشعر وضرورة الالتزام



بابلو نيرودا (١٩٠٤ ـ ١٩٧٣) ، أشهر شعراء الاسبانية ، وواحد من اعظم شعراء العصر . شارك شعب شيلى آلامه وأحلامه ، وشاركه مصيره الفاجع كذلك • وحين وقع الانقلاب الفاشى الذى أطاح بحكومة الليندى تساءل الناس فى كل مكان : وأين الشاعر العظيم ؟ هل يتركه الجلادون على قيد الحياة ؟

ولم يكل تساؤلهم ، قبل أن ينقضى أسبوعان على أحداث الانقلاب حملت الانباء خبر وفاة الشاعر العظيم فى مستشفاه ، وردد الذين عرفوا وتابعوا شعره : لو بقى نيرودا حيا لقتلوه ، فما كان لهم ان يتركوا صوتا تردد فى ارجاء العالم الاربعة يغنى للانسان ، ويحمل اليه الامل فى الانتصار على قوى البغى والظلام ■

جـــــرنيكا

أو

الســــــاعة الخامســـــة

أحمد عبد المعطى حجازى

● خطبة لوسياس الاخيرة ★

كان لوســـياس على ســـجادة البهـــو تتبلا
هـــــــذه خطبتــــه الاولى
التى توج فيها بامتشاق الســـيف أغنياته للحق
لــكن .. بعد أن فـــات الاوان !
ســقط الســـــيف من الكف التى كم رفرفت
فوق رؤوس النـــــاس بالحكمة ،
فى الستين يا لوسياس لن تحسن تلك المهنة الاخرى
ولو صـــرت اشتـــــتراكيا ،
وقاسمت أرقاء أثينا الخبز والخمر
وهل كنت أخذت القصر بالسيف لكى تمنعه بالسيف ؟
لا بأس اذن أن يقتل الجند خطيبا
تحت ســـــقف البرلـــــان !

● بحـــارة ماجلان ★

كانت الشمس التى تلفحنا فوق مدار السرطان
زهرة مقرورة فوق مدار الجدى ،
ليســت هـــذه الارض اذن تفـــاحة ،
بــل صـــــخرة تفلت منــا
فى التقاويم التى لم نكتشف ايقــاعها الصعب
فمن يــوقف هـــذا الدوران
ســاعة ندفن ماجـــلان فيهــا
ونشم الريح هل تحمل طعم الشـــاطىء الاخر
كم تبعد شيلى عن نيويورك ، وعن موســـكو
وكم قبر من الســاحل للســـاحل
كم ميــل ترى بين الكلاشـــنكوف والايــدى
وكم يبعــد مبنى البرلمــــــان
عن ســــــــلاح الطــيران !

★ لوسياس خطيب يونانى قديم ، ولـد فى اثينـا حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، كان نصيرا للديموقراطية ؟ وعندما قامت حكومة الثلاثين التى قضت على النظام الديموقراطى فى اثينا عـــام ٤٠٤ ق٠م قبض على لوسياس وشقيقه تمهيدا لاعدامهما ، ونفذ الحكم فعلا فى شقيقه ، أما هو فقد استطاع الهرب ليواصل دفاعه عن الديموقراطية حتى انهارت حكومة الثلاثين بعد عام قضاه فى المنفى ٠
ويوحى المقطع الاخير من القصيدة « المشهد الاخير من فيلم زد » بنوع من استمرار الماضى فى الحاضر ٠
« المحرر »

وأيقظت عصافير الكتدرائية الخضراء
في تلك الثلاثين التي لم تتكرر .
من يغنيك النشيد الاممي الان ؟
من يدنيك من أرض الهنود الحمر ؟
من رائحة النترات والخبز ؟
ومن ليل المراعي
لتشم النار في العشب الشتائي !
ومن يعطيك أسماء الذين استشهدوا قبلك ؟
فيالستين يأتي الثور فيهيئته العصرية النكراء
في حلته الصفراء ،
يأتي ...
بينما أنت هنا وحدك ملقى فيفراش المرض الملعون
ماذا ؟
قد تأخرت كثيرا أيها الثور الخرافي ،
تأخرت كثيرا
أيها الثور الجبان !



● بابلو نيرودا :

ها هو الثور الخرافي ،
يقوم الان منلوحات بيكاسو
ومن أشعار لوركا
بينما أصبحت شيخا
عاجزا عن أن ترى روعته الوحشية البكر
وتلقاه بذات العنفوان !
في الثلاثين التيلم تتكرر أبدا
كنت تناديه ،
وتغريه بزخات السهام الحمر أن يأتي
وتعطيه الامان
واقفا في ليل غرناطة بالجيتار ،
أطلعت رياحين الشبابيك

● المشهد الاخير من فيلم [زد] :

كان نواب الاقاليم
يشدون على الاعين ظل القبعات السود
في خوف فكاهي ،
وينسلون في الليل فرادى .
تلك سياراتهم ،
مذعورة تمرق كالفيران
في منعطف الوادي الذي يمتد مثل الافعوان
والرئيس الاشتراكي على سجادة البهو بنظارته ،
شيخ وحيد هجرته هيبة المنصب
والحراس قتلى حوله ،
والدم ما زال طريا
وجنود الانقلاب الجامدو الاوجه
يلقون على جثته القبض ،
ويصطفون كالاعمدة الجوفاء في البهو
ولن تمضي سوى بضعة أيام ،
وتأتي فرق التنظيف كي تغسل هذا الدم بالماء
وتمحو من على الجدران آثار الدخان
سيدي
ما رأيك الان بامكان بناء الاشتراكية عبر البرلمان !

القـــربـــــان

الى بابلو نيرودا

عبد الوهاب البياتى

يسلخ جلد الشاة بعد ذبحها . لكن جلد ذلك المنتظر — الانسان ، قبل ذبحه ، يسلخ فى المنازل الارضية — المحاضر السرية — الملاجىء — المحاكم المصارف — المسالخ — الشوارع العارية — السجون ، يشوى فى جحيم الكلمات — اللغة — القوالب الجاهزة — القاموس ، يستعير من اوراقه الاجنحة — السماء ، كان الشعراء يطبخون الموت والطيور فى رؤوسهم ، وكنت فى الجبال اصطاد لك الفراشة — الوعل — الغزال — القمر . المنجمون ازدحموا فى مدن الطفولة . البحر على السواحل — الممالك — الابواب : هل غير وهو صامت : لغته وصوته ؟ والطائر المنحوت فى وجهك : هل مزق فى الحلم قناع العاشق ؟ الحلاج كان بقميص الدم مشبوحا على القاموس فى عيونه : مدينة اصابها الطاعون . ركعتان فى العشق . تعالى . حامل القربان القى وردة فى النهر . قاتلت مع الاسكندر الاكبر فى فارس ، لكنى مع المراكب — الطيور ابحرت الى زماننا هذا : معى شهادة التطعيم والبطاقة الشخصية . الانهار كانت ترتدى اكفانها . رأيت « نيرودا » مع الهنود فى مذابح « الانديز » فى مطارح القارة حيث الجوع والانجيل والمنشور فى الشوارع العارية — المسالخ — السجون حيث المدفع — الدبابة — البيان فى الاذاعة — الجريدة الصفراء ينهى دورة الفصول . يلوى عنق الوردة . قاتلت مع الاغريق فى مجاهل الشرق ، وقعت وانا امارس السحر ، اسيرا ، فتعلمت من الانهار : كيف احمل النار الى زماننا هذا ، واصطاد لك الفراشة — الوعل — الغزال — القمر . المنجمون ازدحموا فى مدن الطفولة . الحلاج كان بقميص الدم مصلوبا ، وكان قائد « الزنج » على الفرات ينهى لعبة الخليفة الابله ، لكن ملوك المال والبترول فى « الانديز » حيث الجوع والانجيل والمنشور ، كانوا يقتلون باسم عجل الذهب — الطغاة فى كل العصور حامل القربان القى وردة فى النهر . قال : اشتعلى ايتها الانهار فى القارة باسم الفقراء حامل القربان . قال : اشتعلى ايتها القارات .

[٢]

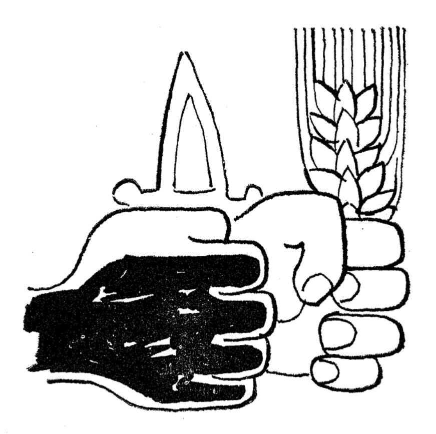
لجوهر الحب الذى يكمن فى العذاب والابداع لسيدى الشاعر ، لا أقول ، وهو يرحل : الوداع

[٣]

اميركا الشعوب والقصيدة — العاشقة — القربان جئناك بالخبز وبالمنشور والسلاح .

[٤]

ماذا اضاف الدم للقاموس ؟ ركعتان فى العشق رأيت البحر فى طفولة الشاعر يستحم فى غدائر العاشقة — القصيدة — القربان . كان الفقراء يذرفون الدمع فى شوارع المدينة العارية . الحلاج قال ساخرا للقاتل المأجور : هل سترفع السوط بوجه الكلمات — الجبل — القاموس ؟ مولاتى



ستبكى ، عندما يهزمنى الخليفة الابله فى هـذا السباق القذر المجنون فى دائرة الضوء . رايت: الشمس فى عيونه يصطادها العبيد والمؤرخون: خدم الملوك فى مزابل الشرق . رأيت .. الـدم فى شوارع القارة مكتوبا به الانجيل والمنشـور مطبوعا به جبين « نيرودا » على طوابع البريد والابواب . كان الفقراء يذرفون الدمع فى شوارع المدينة العارية ــ القضية ــ المحكمة ــ التاريخ كان الخدم ــ الثعالب ــ السادة فى العواصم الكبرى وفى مصانع السـلاح والبنوك يغرقون شعبا كادحا بالـدم . كان الجنرال ــ القـاتل المأجور وهو خائف ، يذيع ، من دبابة ، بيانه الاول ركعتان في العشق . تعالى . حامل القربـان القى وردة فى النهر . لا أقبل أن اهزم فى الحب ولا اقبل أن اساوم الانهار . قاتلت مع الاسكندر الاكبر فى فارس ، لكنى مع المراكب ــ الطيـور ابحرت الى زماننا هذا . وفى العواصم الكبرى رأيت : الشـعراء يطبخون الموت والطيـور فى رؤوسهم . وكنت فى الجبال اصطاد لك الفراشة ــ الوعل ــ الغزال ــ القمر . المنجمون ازدحموا فى مدن الطفولة . الاسكندر الاكبر باح لى بسر الوردة الزرقاء . كان « الخضر » فى الحاشـية الكريمة . المؤرخون حذفوا اسماء قتلانا . اضافوا بعض اسماء لصوص الخيل . قال خدم الملوك : هل تبيع هذى الوردة الزرقاء ؟ لكنى مع المراكب ــ الطيور ابحرت . تعالى . شفتى بملح ميلادك املحت . رأيت : الشمس فى عيونها يطفئها : العبيد والمخنثون ، ورأيت الدم فى شوارع القارة « نيرودا » على خريطـة التكوين يستقرىء : اقمار براكين الهنود الحمر ، غابات من النعاس ليـل البحر يسـتلقى على اسرة العمـال فى مناجم النحاس . كان الجنرال ــ القاتل المأجور وهو خائف ، يذيع من دبابة ، بيانه الاول . ركعتان فى العشق. تعالى .. حامل القربان القى وردةفى النهر . قال : اشتعلى ايتها الانهار فى القـارة باسم الفقراء : حامل القربان قال : اشـتعلى ايتهـا القـارات .

خمس قصائد عن الوطن

من شعر نيرودا

□ المقاتلون

ولكن اذا سلحت قطعانك يا أمريكا الشمالية
لتدمرى هذا الجدار النقى
وتأتى بجزار شيكاجو
ليذبح الموسيقى والنظام الذى نحب
سنطلع من الحجارة والهواء
نمزق هذا الكيان الغريب
ونطلع من آخر نافذة
نصب عليك النار
ونطلع من أعمق الامواج
نرمى ونردى
ونطلع من خطوط الارض
لتجمع بذور النبات
قبضتها كالقدر
وتضربكم
سنمنع الخبز عنكم
ونمنع الماء عنكم
ونحرقكم فى الجحيم ●

□ الاعلام

أعلام هذا الزمن العاطر
ساعة أن تطرز
ساعة ان تولد
يملؤها السر مثل حب عميق
وتخفق فجأة
فى الرياح الزرقاء
رياح البارود الحبيب
وطنى مهد كبير
وسماء نجوم
ورمانة ناضجة
فجأة تمتلىء الارض
بالنحل والهمسات
يتناقلها الطوب والحجر
من يد ليد
يمتلىء الشارع بالازياء
يترنح مثل شعاع العسل
فى الليل طلقات النار

والرقص يسطع فى العيون
والزهر يتسلق مثل البرتقال
قمصـــان الشـباب
والحب يقيم القبل
والحـــرب تغنى
بقيثارتها فوق كل الطرق (*)

□ الحـــب

متى تزوجت بلادى
بعيونها البحرية الخضراء
وردائها الناصع
انجبت آلافا من الابناء .

□ العمال فى الجبهة



أين عمال المناجم والذين
يصنعون الحبال والذين يدبغون الجلود
والذين يطرحون الشباك
أين هم
المنشدون وهم يشيدون البناء
فى التراب وفى العرق
والارض تعلو الى السماء
أين هم
الوقاد وسائق القطار
صلب الارادة وصلب الليل
والذين يحملون المؤن
أين هم
حملوا البنان والسلاح
فوق السهول ونبضها المترامى
ينظرون الى الدمار
مصوبين الى قلب العدو الشرس
كمن يريد أن يصيب سواد الشوك
أن يصيب الافاعى
ليـــلا نهـــارا
فى شجن الفجر
فى وهج الظهر الفضيل (*)

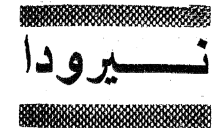
□ الشهداء



لا ! .. لم يموتوا
انهم فى حومة البارود ما زالوا الرجال الواقفين
ما زال فى وجدانهم سر اللهب
خطواتهم وظلالهم تمضى
طهرا على الارض
فى المرج خضب بالاصيل وبالدماء
وكأنهم باتوا رياحا مشرعه
وكأنهم باتوا متاريس الغضب
وكأنهم صـــدر السماء

يا أمهات رزقن ذاكرة البنين
لا ! .. لم يموتوا !
فى حقول القمح ما زال الرجال الواقفين
المشرفين على المساحات العريضه
أعلى وأسطع من ضحى الظهر العميق
وكأنهم دقات أجراس
تنفض من جثث وأجداث
ترجع الانتصـــار
يا أمهات سحقن كالبارود واستلبت
منكن أفئدة القلوب
لا نفقد الايمان بالموتى من الابناء
لا نفقد الايمان بالشـــهداء

لم يبرحوا مثل الجـــذور
تحت الحجارة خضبت بالدم
والمطبقين على الرصاص الفم
وعظامهم فى الارض أطياف تثور
وكأن بحرا من حديد يندفع
فوق الزمان وترتفع
أيديهم العليـــا
فى ساحة الدنيا
ويكذبون الموت (*)



في رسالة من « ليما » عاصمة « بيرو » كتب « جنريش بورفيك » مراسل وكالة نوفوستى الخاص عن القصيدة الاخيرة التى كتبها بابلو نيرودا قبل وفاته ، والظروف التى احاطت بها ، وبجنازة الشاعر الكبير .

الرحلة الأخيرة .. والقصيدة الأخيرة

حينما أرسل هذه السطور يكون جسده قد ووري التراب في مقبرة الاسرة بسنتياجو ، ويقال أنه بعد فترة سيعاد دفن رفات الشاعر الكبير - بناء على وصيته - في قرية « ايسلا نيجرا » - التي كان يعيش فيها - وهي قرية ليست بعيدة عن سنتياجو .

وكانت حكومة الانقلاب تخشى ما قد يحدث اثناء مراسم الجنازة ولهذا اقامت بعض قواتها العسكرية بحصار منطقة المدافن ، وكانت خوذات الجنود وفوهات البنادق ترى وراء كل مقبرة . وتحرك قطار الجنازة الذي نقل النعش من تلال « سان كريستوبل » - حيث منزل الشاعر بالمدينة - محتشدا بالجنود والحرس المسلح ، ورغم كل هذا فقد تحولت مسيرة قطار الجنازة الى مظاهرة . وكانت حكومة الانقلاب قد أمرت بالغاء نداء « رفيق » رسميا ولكن بعض من كان خلف نعش نيرودا رفع لافتة كتب عليها بخط اليد هذه الكلمات « الرفيق بابلو نيرودا ؟ معنا اليوم ، وسيكون معنا دائما ! » . ولم يجرؤ الجنود أن ينتزعوا الشعار من الايدي التي كانت ترفعه . وقبل أن يدخل الى المقابر مشيعو نيرودا في رحلته الاخيرة ، اخذوا ينشدون النشيد الدولي « انترناسيونالي » وتعالت كلمات نشيد البروليتاريا كقسم للشاعر الوطني الكبير .

ان الراديو الصغير الذي أحمله ينقل الى أخبارا جديدة من شيلي .. بعد ساعات من وفاة « بابلو نيرودا اقتحم الجنود بيته في سنتياجو واخذوا يعملون فيه تخريبا . وحينما نقل النعش الذي يحتوي جسد الشاعر الى الشقة المخربة ظل النعش في مهب الريح ، كانت الرياح تحمل رائحة مأساة شيلي . رائحة الدخان والبارود ، والدماء . ووقفت حول النعش المحاط بالزهور زوجة بابلو والكاتب الشيلي المعروف فرانسيسكو كولواني » ، ومدير الجامعة السابق « جوان جوفير سيلاس » .

وسأل مراسل احدى الصحف الفرنسية ارملة الشاعر كيف تفسر تخريب جنود حكومة الانقلاب لبيتهم . فأجابت ببساطة : « لا ادرى . لا أستطيع ان افسر فاننا لم نكن نعيش في هذا البيت مؤخرا ، لان بابلو لم يكن يستطيع ان يصعد الدرج ، ولكن بيتنا في « ايسلانيجرا » قد لحقه التخريب أيضا ! » .

واندفع المراسل الى المتحدث الرسمي لحكومة الانقلاب يسأله تفسيرا فأجابه الرجل الفاشستي في تعال : « ان السلطات لم تأمر .. بتخريب شقة نيرودا ، واضاف « ونحن لم نأمر بحرق الكتب » .

قيل هذا في وقت امتلأت فيه سنتياجو ومدن اخرى غيرها بحرائق الكتب التي

القيمت فى الشوارع والميادين بأمر من السلطات . ولم يكن جنود حكومة الانقلاب وهم يمشطون بيوت الشيليين ، يبحثون فقط عمن يطلقون عليهم الشبوبين ويدفعون بهم الى الخارج ليلقوا مصرعهم بالرصاص ، بل كانوا يبحثون أيضا عن المكتبات ومخازن الكتب ورفوف الكتب فى الشقق الخاصة . واشتعلت الحرائق فى الشوارع واندلعت ألسنة النيران فى السماء تذكر البشرية بحرائق الكتب فى عهد المانيا النازية . حتى أن صحيفة « وشنطن ستار » التى كانت دائما تعارض حكومة الليندى ، رفعت صوتها - منذ أيام - تنذر بأن مكتبة سنتياجو القومية وهى مكتبة عظيمة وضخمة - مهددة بالتدمير فى المستقبل القريب كما حدث لمكتبات البلدية الاخرى التى دمرها الجنود ، وابدت الصحيفة رأيها فى أن استمرار حرق الكتب فى الشوارع سيؤدى الى موقف حرج لحكومة الانقلاب !

وفى يوم دفن « بابلو نيرودا » أشعل الجنود حريقا كبيرا للكتب فى منطقة « سان بورجا » بسنتياجو ، ومن بين الكتب التى احترقت كانت كتب « بابلو نيرودا » .

وقالت زوجة نيرودا للمراسل الفرنسى : « لقد تأثر بابلو بالاحداث التى جرت اخيرا فى شيلى ، ولاشك ان هذا قدعجل بوفاته . وكان يقاوم المرض بشجاعة ، ثم اخذت تسوء وتزداد سوءا بعد ١١ سبتمبر ، ولكن عقله ظل يقظا واستمر يعمل . وبعد الانقلاب الفاشى بأسبوع أخذ الى مستشفى سانتا ماريا فى سنتياجو ، ولم يسمح لاحد بزيارته ، ومنعت عنه زيارات أقاربه » .

لقد عزلت حكومة الانقلاب بابلو عن العالم الخارجى فقد كانت السلطات تخشى اى تصريح أو راى يصدره ويذاع عنه . وقد عرف الان بالتأكيد أن بابلو نيرودا وزوجته ماتيلدا طلبا اللجوء السياسى الى المكسيك ، وقد منح لهما هذا الحق ، ووضع اسمهما فى قائمة المسافرين بطائرة شركة مكسيكية كانت ستقوم من سنتياجو الى المكسيك فى ٢٤ سبتمبر ، ولكن قلب بابلو نيرودا توقف عن الحركة يوم ٢٣ سبتمبر الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا .

ومنذ أيام قبل دفن نيرودا جاء رجل الى ادارة تليفزيون ليما ، لم يشأ أن يذكر اسمه ولكنه طلب ان يقابل محرر قسم الاخبار قائلا أن معه رسالة هامة ، وعندما قابله المحرر قال له : « معى رسالة حملت الى من شيلى عن طريق الارجنتين ، وهى تحوى القصيدة الاخيرة التى كتبها « بابلو نيرودا » قبيل وفاته . لا استطيع ان أذكر لك اسمى . لكن هذه هى القصيدة » ومد اليه يده بصفحة عليها نص مكتوب على الالة الكاتبة .

فى نفس المساء ترئت القصيدة بتليفزيون واذاعة ليما . وفى الصباح فى نفس يوم جنازة نيرودا نشرتها الصحيفة التقدمية « اكسبريسو » .

وهذه هى ترجمة القصيدة كلمة كلمة بتصرف ضئيل :

اليوم ، فى سبتمبر الحزين من سنة ثلاث وسبعين ..
أنشب وحوش التاريخ أسنانهم فى راياتنا
كم من دماء أرقتموها
وأنتم تسمنون أنفسكم فى ضياعكم
نهابون تستحقون جحيم الشيطان !
يشتريكم ويبيعكم آلاف المرات
ذئاب من نيويورك .
آلات التعذيب الشرهة
تغطيها دماء ضحاياكم .
تجار خبز وهواة أمريكا الداعرون
الجزارون القساة ،
عصبة الطغاة
الذين لا يعرفون من القيم
الا التعذيب والتجويع
لشعب مضروب بالسياط » .

وسألت محرر صحيفة « اكسبريسو » اذا كان يمكن أن يجزم بأن هذه القصيدة لبابلو نيرودا فاجابنى : « لا اشك فى هذا . وهناك تأكيدات من بونيس أيرس والمكسيك » .

وحتى اذا كانت هذه القصيدة قد كتبها شاعر آخر ، محترف أو شعبى ، فانه قد كتب تماما الكلمات التى ينتظرها الشعب من بابلو نيرودا ، الكلمات التى كان لابد أن يتولها قبل وفاته ، وهو قد قالها فعلا ، قالها امام جسد الزعيم الشيلى العظيم سلفادور الليندى الذى اغتيل فى ١١ سبتمبر ، وأمام جثة الشاعر والمغنى الشعبى الشيلى « فيكتور هارا » الذى اغتيل أيضا فى ١١ سبتمبر ، ولا شك أنه قالها أمام جثث الستمائة عامل الذين استشهدوا وهم يدافعون عن سومار ، وامام جثث الاف الشيليين الذين استشهدوا فى تلك الايام على أيدى حكومة الانقلاب الفاشية .

ولا ادرى ، لعل هذه القصيدة الاخيرة هى التى كان جنود الانقلاب الذين اقتحموا بيته بعد وفاته يبحثون عنها ، ولعلهم وجدوا قصيدة أخرى واحرقوها ، وعلى أى حال ، فان هذه الكلمات كان يمكن أن يقولها آخرون ، وهى تنتمى الى نيرودا العظيم

قصة قصيرة

شئون عائلية

مجيد طوبيا

السكر :

في التاريخ المروى لاسرتنا قيل انني واخي قد ولدنا في بطن واحدة ، لا اقصد من نفس البطن فقط وانما في نفس الولادة ، وهذا يعني انه توأمي .. وقيل ايضا انني خرجت الى الحياة قبله بثلاث ساعات على الاكثر ، وان كانت هذه الحقيقة غير واردة فيسجلات الحكومة ، وانني ارهقت امي كثيرا قبل ان اسلم قدمي اليسرى الى الداية كي تسحبني الى هذه الحياة .. وانني قد تفوقت على جميع الاطفال في كمية الضجيج التي احدثتها لحظة الميلاد ، وان صراخي كان يصل الى اسماع القاطنين في البر الاخر ، وانه بمجرد سماع هذا الصراخ لعلعت الزغاريد من جميع القريبات والجارات المتجمعات في الدار ، وان احداهن توجهت الىالنافذة واخبرت الجارات الاخرياتبذكورة المولود فاطلقن على الفور المزيد من زغاريد المجاملة ..ثم اختارت المراةاخف الاولاد اللاعبين في الشارع بنيسة واوصته بالاسراع الى والدى بالنبأ الميمون ..

قيل ايضا في تاريخ عائلتنا الذى تناقله الرواة ان ابى بمجرد رؤيته لدلائل الوضع عند الصباح ترك المال اللازم وغادر البيت مؤمنا بأن هذا اليوم شأن من شئون النساء ، وبأنه ما ان عرف خبر مولدى حتى سارع متوجها الى قيد اسمى المختار لدى الحكومة ، وبعد ان اتمذلك اشترى بطيخا وشماما وتوجه عائدا به الى الدار ، مطمئنا الى ان مجهوداته في الاشهر التسعة الماضية لم تذهب هباء ، وبمجرد ان وطأ عتبة الدار قر في قراره ان مجهوداته هذه كانت اكثر من اللازم ، فقد سمع بدل الصراخ صراخين ..



وقيل ايضا ان اخي كان خارجا لتوه في صخب عظيم ، وانه وان كان صوتي قد سمع في البر الاخر فان صوته هو قد وصل اسماع كل البرين ... ولان ابى لم يكن يتوقع قدوم فهو لم يكن قد اختار له اسما ، وجلس يفكر وعندما استقر رأيه ونهض متوجها لتسجيله كانت مواعيد العمل الرسمية قد انتهت واغلقت الحكومة مكاتبها ، فعاد ادراجه ولم يسجله الا في اليوم التالي .. وهكذا صرت انا عند الحكومة اكبر من توأمي بيوم كامل ، وهذا ماكان له شأن كبير فيما تلا ذلك من ايام ..

وقيل ايضا اننا كنا شديدى التشابه في البداية ، لكننا بعد سنوات قليلة صار الخلاف بيننا واضحا ، ورفض احدنا ان يلبس مثل الاخر ، وصرنادائمي النقار الى درجة ازعجت ابى ، فصار يعايرنا ساخرا بأن قدومنا كان نحسا وكان نذيرا بقدوم الغلاء الفاحش ، ولم نفهم شيئا ووجمنا وقد ظننا اننا ارتكبنا خطأ ما .. وعندما عاد ابى الى تكرار ذلك هبت فيه امى بألا يعاود رمينا بتهمة النحس هذه ، وهددته بترك الدار واللجوء بنا الى عشيرتها ..وقالت كلاما كثيرا لم يرد عليه ، منه انه لا دخل لى او لاخي في مسألة الغلاء هذه وانما السبب الحقيقي هو حرب فلسطين التي جاءت بعد مولدنا بحوالى العامين .. وكانت هذه اول مرة نسمع فيها عن شيء اسمه حرب فلسطين ادى الى شكوى ابى من شيء اسمه الغلاء ، وجعل السكر الابيض المكرر يختفي من عندنا لنستعمل بدلا منه السكر الاصفر !!

الملعب :



وكانت فى اطراف البلدة ارض فضاء مهجورة فى اتساع ملعب ثانوية المركز ، وكانت تلاصقها ارض الكلا التى ترعى فيها كباش الغجر وماعزها ، وفى هذه الارض تتناثر اطلال المعابد القديمة واصنام الفراعنة .. وكنا واقراننا قد تعودنا على اللعب فى الارض المهجورة .. وذات نهار ذهبنا اليها كالمعتاد فوجدنا عددا من الرجال يقيسون ويخططون فوقها ، ظننا انهم سيحولونها لنا الى ملعب حقيقى ، غير انهم جاءوا فى اليوم التالى بعمال البلدية وبوابور الزلط لينشئوا فى خلال يومين طريقا اسفلتيا كطريق السيارات ثبتوا على جانبيه رايات صغيرة خفيضة .. ثم احاطوا كل الارض باسلاك شائكة لم نر مثلها من قبل فى بلدتنا ، وفهمنا ان هذه الارض قد صارت مطارا حربيا .

وفى المساء عرفت انا وتوامى من حديث ابى مع امى شيئا من تاريخ هذه الارض لم نكن نعرفه .. قيل انها كانت فيما مضى مطارا مدنيا لم يستعمل الا مرة واحدة ، وانه انشىء خصيصا كى تهبط فيه طائرة الاميرة — التى كانت اختا للملك الذى طرد من مصر بعد مولدنا بحوالى الستة اعوام — وكانت قادمة لحضور زفاف ابنة احد الاثرياء ، وان موسيقى المطافى النحاسية صدحت من اجلها وان المأمور انحنى مقبلا ظهر كفها ، وان الطائرة القت وهى فى سماء المدينة علبا صغيرة بها بعض الحلوى لم يقع اى منها فوق سطح دارنا لسوء الحظ .. وامتدح ابى جمال الاميرة فاتهمته امى بفراغة العين واتهمت الاميرة بان جمالها لم يكن اكثر من بودرة وموضة ..

وفى الايام التى تلت ذلك انتقل مكان لعبنا الى ارض الكلا ، حيث كنا نتسلق صخور المعبد الفرعونى ونجلس فوق اعلى بقعة فيه نتفرج على ما يحدث فوق ارض المطار الجديد فى اندهاش بالغ .. وتحدثنا كثيرا عن الطائرات وغاراتها ، وقال احد الاولاد بانه عندما تتقاتل طائرتان فان الطيار الذى يسبق فى تصويب بندقيته الى راس الطيار الاخر ويقتله يكون هو المنتصر وتسقط الطائرة الاخرى ميتة ..

وذات صباح وعندما راينا القمر باهتا فى السماء رغم بزوغ الشمس قال اخى بأن طائرة من هؤلاء يمكنها ان تعلو فى السماء وترتفع حتى تصل الى هذا القمر ومن هناك يستطيع الطيار ان يبول فوقنا لو اراد ، فقفزنا الى الارض ساخرين من سذاجته — فلا شىء يمكنه ان يصل الى القمر البعيد غير عفريت السندباد — وسحبناه من فوق راس صنم الفرعون وحملناه من يديه وساقيه لنلقى به وسط مجموعة من ماعز الغجر ونحن نضحك ، فنهض يطاردنا لكنه تركنا ليلهو مع الكباش المتقافزة ..

ثم حدث ان حذرنا الكبار من الاقتراب من هذا المطار لان الحرب قد قامت ، وذات صباح اغارت عليه طائرات الاعداء فقتلت شظاياها قنابلها بعضا من كباش الغجر المرحة ، وعندما تسللت الى هناك بعد ذلك بدافع الفضول رايت دماءها متناثرة عند اقدام الفرعون .. وعند الغداء عرفنا من الراديو ان ثلاثة من الدول قد اتفقت واعلنت علينا حربا اسمها العدوان الثلاثى ، وان هذه الدول هى فرنسا واسرائيل وانجلترا .. فتساءل ابى مستغربا ان كنا نستطيع نحن الدولة الصغيرة ان نحارب بريطانيا العظمى ، لكن الراديو كان لايكف من القول بانها لم تعد بعظمى .. ووضعت امى امامه طبق الملوخية ..

وكانت هذه هى المرة الاولى التى نكتشف فيها ان بريطانيا هذه هى هى انجلترا .. وكانت هذه الحرب قد دخلت فى حياتنا — انا واخى واصحابنا — لاول مرة عندما فقدنا الارض المهجورة التى كنا نلعب فيها بالقرب من الكباش الظريفة .

الازمة :



لم تخلع امى سواد الحداد على ابى الا يوم تخرجى وتوامى من الجامعة ، فجاة رجعت صغيرة لتطلق الزغاريد التى جذبت الجارات الى دارنا والتى انتهت بتوزيع شربات الورد المعطر .. وسرعان ما تم استدعاء اخى الى التجنيد — ولم استدع انا لاننى اكبره فى السجلات الرسمية بيوم كامل ، فاكون بذلك رشيد الاسرة وعائلها من بعد رحيل ابى — وبمجرد ان قرب موعد انتهاء تجنيده وعودته الى الحياة المدنية انهمكت امى فى مهمة لم نطلبها منها .. فقد بدأت تبحث لكلينا عن عروس ، وهى مهمة ولا شك كانت عسيرة عليها ، فمن الممكن تصور مدى حرصها مثلا فى العثور على فتاتين متقاربتين من كل النواحى كى لايشعر احدنا بالغيرة ان هو وجد ان عروسه مثلا تقل فى الجمال او فى خفة الظل من عروس الاخر .. وعبثا حاولت افهامها ان كل واحد سيتزوج بالطريقة التى تريحه وعلى مسئوليته ، غير انها لم تكف تماما عن جميع محاولاتها هذه الا بفعل طارىء خارج عن ارادتنا ، اذ زج باخى فجاة الى سيناء فى حرب سميت بحرب الايام الستة من يونيو — حزيران ٦٧ — التى جاءت بالاعداء الى مياه القنال ، ادت الى اهتمام امى بسماع نشرات الاخبار ، بامل ان تسمع فيها شيئا من مصير ولدها الذى تأخرت اوبته ، والذى مضت ايام انتظارنا له متثاقلة معذبة ، ونحن لانعرف ان كان قد مات او مازال حيا او سقط اسيرا ، وانهالت الدموع من عينى امى ، وظلت حالتها تسوء الى ان عاد الينا ذات يوم حار من ايام يوليو ، كشبح فى وضح النهار ، منكس الراس زائغ النظرات ممزق الثياب ، لتستقبله احضان امى الباكية ولتذبح له البطة المسمنة ... الا انه ظل ممددا على السرير محتقن العينين ، ولاحظت انا ان بطنى قدميه متشققتان مثخنتان بالجراح ، ولم اشأ ان اسأله عن كيفية عودته ..

ايام قليلة والتامت جراح قدميه الا انه مكث قابعا فى غرفته يخجل من مواجهة الناس ، وكان كابوس العصيان قد ركب فوق اكتاف الجميع .. ورفض ان يخرج معى الى شاطىء النيل ، وهناك جلست بمفردى والخواطر المتوترة تملا عقلى .. حدثت نفسى بانه يبدو ان ابى كان محقا فى سخريته من مدى عقلنا ، لكنى قلت ايضا بان هذا العالم غريب حقا ، كبير ومعقد ومترابط ومتنافر وكل شىء فيه يؤثر فى اى فرد فيه ... وصرخت : لكن ماذنب اخى وقد وقع فى ايدى قادة ليسوا على مستوى المسئولية .... وقر قرارى بان هناك امورا كثيرة يجب ان تتغير ووجوها عديدة يجب ان تختفى .. وكانت هذه هى ايام الهزيمة السوداء التى عشناها شبابا ، والتى سميت فيما بعد بالنكسة احيانا وبأزمة الشرق الاوسط احيانا اخرى ، وكانت فى حقيقة الامر ازمة شخصية لاخى ولامى ولى ، كما اسماها الاعداء بحرب الايام الستة سخرية منا ...

الستة :



بعد هزيمة الايام الستة ، مرت علينا سنوات ستة ، وهى تعادل ربع عمرى او عمر اخى تقريبا .. وقد سمعنا خلالها سماجات لاحصر لها ومنغصات لا آخر لها ، وظلت رغبة امى فى تزويجنا رغبة معطلة ، وقد صار شعرها جميعه ابيض اللون .. كما وقعت امور عديدة لاهثة ، بعضها كان واضحا ومعظمها كان مموها . منها — وهذه بديهة — ان عمر البشر زاد ستة اعوام حدثت فيها ملايين الوفيات والولادات والقبلات والاكاذيب والبسمات والاحضان .. وفيها صار اهتمام امى بنشرات الاخبار اهتماما محموما وتدادركت ان مايحدث فى الخارج له علاقة بكيفية مابنا ، وقد كرهت امريكا بسبب انها سممت من افسادها لحل سلمى كان يسمى اليه مجلس الامن او هيئة الامم لا اذكر ، وبسببه تدربيها لبحرية الاعداء وطيرانه فى مناورات مشتركة مع اسطولها السادس ، ويبدو ان امى قاست كل ذلك على انه تهديد لابنها ولابناء مثيلاتها .

وفى خلال هذه الاعوام الستة دك العدو مدن القناة الثلاثة وحرق معامل بترول الزيتية واغار على عمال ابى زعبل واطفال مدرسة بحر البقر وعلى الناس فى سوريا ولبنان والاردن وعلى المطار عند اطراف بلدتنا حيث قتلت للمرة الثانية بعض كباش الفجر ، وزاد الضغط على الاعصاب حتى قارب الانسان ان يصاب بضغط الدم او بتصلب الشرايين ، وفيها ايضا مرت خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ ، وصعد الانسان الى القمر لاول مرة ووصفه بانه كشاطىء رملى قذر عليه آثار اقدام وتنتشر فوقه الفوهات البركانية والجبال الوعرة ، وفيها قرأت ان عالم المصريات ايمرى واصل تنقيبه ربما للموسم السادس على التوالى فى محاولة لاكتشاف مقبرة ايمحوتب الذى رفعه المصريون فوق الفرعون والى مرتبة الالهة — مع انه لم يكن ملكا من ملوك مصر — تقديرا منهم لعبقريته الفذة وباعتباره رمزا للعلم فى مصر القديمة .. وفى خلال هذه الايام الستة ايضا زاد نفاذ الصبر عند الناس والشباب وخاصة الطلبة ، كما استفاد بعض الانتهازيين من ظروف الركود واثروا من وراء ذلك .. وانتشرت الافلام الرديئة والفجة ، وشاهد اخى فى احدى اجازاته القصيرة فيلما اسمه ابى فوق الشجرة فقال انه تافه ويعكس التفسخ الذى حدث للناس من فعل الهزيمة ، كما حدثت اشتباكات عديدة على جبهات القناة والجولان وربما الاردن ، وقامت دولة جديدة اسمها بنجالاديش ، وانتشرت موضة الملابس القصيرة جدا ثم موضة الملابس الطويلة جدا ، وسمعت آلاف النكات .. وفيها قال لى اخى انه قرأ عن اكتشاف لعالم ايطالى يقول فيه بأن الحب هو خير عقار ضد تصلب الشرايين ، ولهذا فان اخى — هكذا قال — قد وقع فى حب فتاة تسكن فى شارع النيل وتعمل مدرسة ، وكان وجهه محمرا وهو يخبرنى بذلك ، وهى التى تعيش فى دارنا الان منذ ان تزوجها تنتظره مع امى .

وقد كنا فى المساء عندما علمنا انه قد تم عبور قناة السويس فى ست ساعات ، فجلست اتأمل كم لعب هذا الرقم دورا فى حياتنا ، وسمعت امى تدعو لاخى ولامثاله بالعودة سالمين الى امهاتهن وزوجاتهن وبأن تكون هذه الحرب هى آخر الحروب التى ملات حياتى وحياة اخى منذ ولدنا .. وعلى الفور خطرت على بالى جميع هذه الذكريات العائلية التى هى من اخص شئوننا .

من الدعم الى المشاركة المسئولة

هذه أيام تهز العالم . فلقد خاض شعب مصر العظيم المعركة الفاصلة ضد الاستعمار القديم فى الخمسينات ، وها هو شعب مصر العظيم يخوض هذه الايام المعركة الفاصلة ضد الاستعمار الجديد . ان كل المراقبين العسكريين والسياسيين يجمعون على ان الحرب الوطنية التحريرية التى يخوضها شعبنا الان انما هى أهم معلم تاريخى بعد الحرب العالمية الثانية من جهة انها ستحدد وفقا لنتائجها مسارات أهم ظاهرتين عالميتين نشأتا بعد تلك الحرب :

— سيتحدد وفقا لنتائجها مصير الاستعمار الجديد

— وستحتل وفقا لنتائجها حركة التحرر الوطنى مكانها فى ادارة صراعات هذه المرحلة من تاريخ العالم .

وهى أيام تهز العالم العربى . فلقد تنادت الحكومات والشعوب العربية لا الى دعم المعركة كما كان الموقف فى حالة اللاسلم واللاحرب بل الى المشاركة المسئولة فيها ، وهذه المشاركة هى اكثر الظروف التاريخية مناسبة لتوكيد الروح القومى ، والامل الوحدوى ، وفتح الطريق واسعا لتقوم الامة العربية — فى هذا العصر — بدورها فى حضارة الانسان .

وهى ايام تهز مصر . فلقد برزت منذ اللحظة الاولى التى عبر فيها الجنود المصريون الطاقات الانسانية والحضارية الجبارة الكامنة فى الشعب المصرى العريق : برز فى العمل الداخلى حس وطنى راق وظلف الصراعات والتناقضات من اجل وحدة وطنية متماسكة . وبرز فى العمل العربى حس قومى قائد وحد فى الساحة ما لم توحده السياسة فى عشرات السنين . وبرز فى العمل القتالى حس انسانى مسئول يتخذ من الحرب وسيلة الى هدف البشرية كلها : سلام دائم عادل .

ان شعبنا المصرى العظيم لا يخوض حربا عادية ، بل هو يدير — مبادرا وباسلا — صراعا تاريخيا عادلا : يواصل فيه نضاله الديمقراطى ليتيح لحركته فى هذا الصراع المناخ الديمقراطى الذى يطلق مبادراته وابداعه ، وليتيح التوزيع العادل لاعباء هذا الصراع على كل طبقاته . ويواصل فيه نضاله الوطنى والقومى بالرفض الحازم الاكيد لاى مناورة لوقف اطلاق النار وبمواصلة الحرب حتى تتحرر كل الاراضى العربية المحتلة . ويواصل فيه دوره القائد لحركة التحرر الوطنى ودوره الانسانى فى مواجهة الاستعمار الجديد ، حتى يتحقق حلم البشرية فى عالم نبيل شجاع ، وسلام عظيم قائم على العدل ونفى كل ضروب القهر والاستغلال .

د. عبد المنعم تليمة



« ان معركة العرب الحالية ليست مجرد ملحمة عسكرية ضد اسرائيل ، بل هى صراع اقتصادى بالدرجة الاولى ضد أطماع الامبريالية العالمية برمتها وعلى نتيجة الصراع يتوقف مستقبل العالم العربى بقضة وقضيضة • وليكن لنا فى دروس الماضى عبرة والتجربة التى تضمها هذه الصفحات لا تختلف كثيرا عن تجربة اليوم » •

حين تحول البحر الأبيض الى بحيرة عربية

د• محمود اسماعيل

تجمع النظريات الجيوبوليتيكية القديمة والحديثة على ان « وحدة البحر المتوسط » ظاهرة تاريخية موغلة فى القدم، مذ حققتها اليونان عن طريق القوة والسيادة البحرية Thalassocracy ، وظلت هذه الوحدة غير منفصمة فى العصر الرومانى، وحسبنا ان الرومان كانوا يطلقون على البحر المتوسط «بحرنا» Mare Nostrum وتفاخر اباطرتهم بنشر السلام الرومانى Pax Romana ، بين ربوعه •

وعن الرومان ورث البيزنطيون سيادة البحر المتوسط وافلحوا فى الاحتفاظ بها من طريق ابتكار نظام الثغور الشهير Themes ، حتى اوائل القرن الثالث الهجرى ••

وبديهى ان تؤول تلك السيادة الى القوى العربية الاسلامية بعد سلسلة من الحروب الموفقة التى خاضتها ضد بيزنطة ،وحق لابن خلدون ان يقول(1): « وكان المسلمون لعهدة الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه ،وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للامم النصرانية قبل باساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ... » •

وتوقيت السيادة العربية على البحر المتوسط يثير تساؤلا هاما وهو ان الخلافة لم تستطع تحقيق تلك السيادة ابان سطوتها فى العصرين الراشدى والاموى، كما وان الخلافة العباسية اتسمت بطابعها الشرقى البحت ، فولت وجهها صوب

(1) المقدمة ص ٢٥٤

المشرق واعطت ظهرها للبحر المتوسط حتى لم يكن لها ثمة نشاط بحرى فيه ، ناهيك عن انفراط وحدة « دار الاسلام » ابتداء من نهاية القرن الثانى الهجرى وظهور الحركات الاستقلالية ذات الطابع الاقليمى ، **كيف ــ والامر كذلك ــ تسنى للقوى الاسلامية المتعددة والمتصارعة فى كثير من الاحيان تحقيق السيادة البحرية المتوسطية وسط هاتيك الظروف ؟؟**

والاجابة على هذا التساؤل كامنة فى حقيقتين اساسيتين : الاولى التعاون المشترك بين القوى العربية فى مواجهة الخصم رغم العداء التقليدى بين بعض تلك القوى بحيث يمكن القول بوجود استراتيجية بحرية اسلامية عامة تضافرت على انتزاع السيادة من العدو البيزنطى.

اما الحقيقة الثانية فتكمن فى انبثاق استراتيجيات خاصة من الاستراتيجية العامة بما يخدمها ويحقق اهدافها ، نفسر ذلك فنقول أن القوى الاسلامية المختلفة المطلة على سواحل البحر المتوسط تسمت ميدان النشاط البحرى فيه وكرست جهودها لضرب الثغور البيزنطية الواقعة فى ميدان كل منها ، فالدولة « الشامصرية » ركزت نشاطها البحرى فى منطقة بحر ايجه وحققت انتصارات بحرية فى هذا الميدان ضمنت لها تحقيق الامن فى شواطىء مصر والشام فى وقت مضطرب بالاضطرابات السياسية ، ويمكن القول أن الجهود التى بذلت فى هذا الميدان كانت دفاعية بالدرجة الاولى ، ولم يكن بالامكان التطلع الى دور اكبر فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط.

وقد يدهش المرء لو علم ان مثل ذلك الدور الطموح اضطلعت به قوة اسلامية صغرى او هكذا تبدو ، اعنى ما قام به عرب جزيرة كريت من مناجزة الاساطيل البيزنطية العاتية وفق سياسة هجومية فى المحل الاول ، تكتب التاريخ الاسلامى والحوليات البيزنطية تجمع على عظمة هذا الدور فى الدفاع عن الشواطىء المصرية من ناحية والهجوم على السواحل البيزنطية من ناحية أخرى . لقد كان عرب كريت يدينون بولاء اسمى للخلافة العباسية ويتبعون والى مصر اداريا بعد نجاحهم فى الاستيلاء على الجزيرة عام ٢٠٩ هـ من قبضة البيزنطيين ، ولم يكتفوا بهذا القدر انما عولوا على شن غاراتهم المستمرة على سواحل بلاد اليونان التابعة لبيزنطة والحقوا بها الخراب والدمار(٢) بل كثيرا ما عولت اساطيل كريت على مساعدة المسلمين المغاربة فى فتوحاتهم بجزيرة صقلية وجنوبى ايطاليا ، فقد اشتركوا فى بعض المعارك التى دارت على أرض صقلية حتى تم للمغاربة الاستيلاء عليها ، كما عاونوهم فى حصار برنديزى عام ٢٢٧ هـ حتى سقطت فى أيديهم ..

وفى الحوض الغربى للبحر المتوسط اضطلع امويو الاندلس بدور اقرار السيادة الاسلامية بين ربوعه . حقيقة ان البحرية الاندلسية لم تلعب دورا موجها فى سياسة البحر المتوسط الا فى وقت متأخر ، لكن حسبها ردع الاغارات التى قام بها شارلمان ــ عاهل الفرنجة ــ على الشواطىء الاندلسية ، فضلا عن الاستيلاء على جزر البليار وجزيرة كورسيكة وضمها جميعا الى دولتهم فى عام ١٩٣ هـ . وغنى عن القول ان مسلمى شمال افريقية ــ رغم عدائهم السياسى لامويى الاندلس ــ ساعدوا اخوانهم فى المعارك البحرية التى دارت فى القطاع الغربى من البحر المتوسط (٣)

اما القوة الاسلامية الضاربة التى لعبت الدور الفعال فى تحقيق السيادة البحرية فقد تمثلت فى دولة الاغالبة بتونس ، وجدير بالذكر ان التاريخ البحرى للمغاربة عبارة عن سلسلة طويلة من الانتصارات منذ حروب هانيبال وحتى عهد قريب . وأبرز حلقة فى تلك السلسلة تمثل العصر الاسلامى ، واول قوة بحرية منظمة فى هذا العصر اسسها امراء القيروان ــ عاصمة افريقية ــ تونس الحالية ــ فى أوائل القرن الثالث الهجرى بعد قيام دولة الاغالبة . والى الاغالبة يعزى الفضل ليس فقط فى تحقيق انتصارات مظفرة على اعظم قوتين اوروبيتين آنئذ هما بيزنطة ، ودولة الفرنجة ، انما فى مد النفوذ السياسى والحضارى للاسلام الى جنوب اوربا والجزر البحرية فى القطاع الاوسط للبحر المتوسط مثل سردينية وصقلية وردوس ، وتهديد روما نفسها مقر البابوية ، حتى ليمكن أن يقال دون مبالغة ان البحرية الاغلبية كانت اعظم قوى البحر المتوسط على الاطلاق طوال القرن الثالث الهجرى.

كانت البحرية البيزنطية تهدد الشواطىء المغربية دوما حتى اضطر المغاربة الى العدول عن الطريق الساحلى فى تجارتهم مع الشرق الى المسالك الصحراوية الداخلية الوعرة ، بل اضطر كثير من الولاة الى مهادنة البيزنطيين بتقديم الهدايا والالطاف اتقاء لشرهم ، ولم تجد سياسة انشاء المحارس والاربطة على السواحل فى الحيلولة دون توغل البيزنطيين بين الحين والاخر داخل الاراضى المغربية بهدف الغنيمة والسلب .

وكانت جزيرة صقلية ــ الخاضعة لبيزنطة ــ منطلقا لتلك الاغارات ، ومن ثم عول الاغالبة على الاستيلاء عليها لوضع حد نهائى لهذا الخطر الدائم ويحاول بعض الدارسين المغربيين (٤) التهوين من شأن الفتح الاسلامى لصقلية برد اسبابه الى مجرد النهب والقرصنة ، لكن الفهم الموضوعى لاسباب الفتح لا يمكن

---

(٢) عن مزيد من التفصيلات راجع

Setton : On the raids of the Moslems in the Aegean. American Journal of Archelogy. Vol. 53. p. 315 seq.

وانظر ايضا : محمود اسماعيل :الاغالبة ص ١٦٢ وما بعدها .

(٣) لمزيد من المعلومات : راجع :

Buckler : Haroun El-Rashid and Charles the Great, p. 39.

ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية.. ص ٧٦ .

(٤) راجع : ديمومبين : دائرة المعارف الاسلامية ـ ومادة بنى الاغلب ـ مجلد ص ٣٢٨ ،

Marcais : L'Afrique du Nord Française dans l'Histoire, p. 152 & Vonderheyden. La Berberie Orientale sous la dynastie du Bana-L-Arleb. p. 274.

ان يتجاهل العاملين الديني والاقتصادي، فالدور الأغلبي في هذا الصدد استمرار لحركة الجهاد الاسلامي من اجـل نشر الدعوة في اصقاع جـديدة ، كما وان النشاط التجاري الاسلامي ما كان له ان يستمر دون تحقيق الامن والسـلام ، ناهيك مما كانت تتمتع به صقلية من ثراء عريض لاشك في انه شحذ همم الفاتحين.

ومهما يكن من أمر ، فقد انتهز الاغالبة فرصة الفوضى السياسية الضاربة داخل الجزيرة وأعدوا حملة بريةضخمة ـ ابحرت من ميناء سوسة سنة ٢١٢ هـ وهبطت الجزيرة ، ثم اشتبكت مـع الجيوش والاساطيل البيزنطية في معارك دامية استمرت قرابة سبعين عاما بعـدها استسلمت صقلية وتم طرد البيزنطيين منها

والتاريخ العسكري لتلك المعارك صفحة مشرقة في تراثنا الحربي باعتراف المؤرخ سكوت (د) ، ونحن نضيف صفحة مشرقة **اخرى فيالدبلوماسية العربية الحاذقةالتي استطاعت أن تستغل المتناقضات الدولية بين القوى المسيحية المعاصرة وتفيد منها في خدمة العمليات العسكرية** . وعلى سبيل المثال انتهز الاغالبة الصراع بين القسطنطينية وآخن « اكس لاشـابل » ـ عاصمة امبراطورية الفرنجة ـ على سيادة العالم المسيحي في الحيلولة دون اتحادهما ، ثم ضرب كل منها على حدة ..

وبعد الاستيلاء على صقلية انسابت الجيوش المغربيـة داخل شبكة الجزيرة الايطالية واستولت علىاجزائها الجنوبية، كما قضت على النفوذ البيزنطي في البحرين الادرياتي والتيراني .. وافادت في هذا الصدد ايضا من التناقضات الدوليـة المعاصرة ، فاكتسبت الى جانبها بعض المدن الايطالية الساخطة على السيطرة البيزنطية ، وحسبنا أن مدينـة نابلي ساعدتالاغالبة في معاركهمضدالبيزنطيين كما افادت من الصراع بين الامبراطـور البيزنطي وبابا رومـا حول السـيادة الدينية في طرد النفـوذ البيزنطي من ايطاليا ، ثم تهديد روما نفسها التي حوصرت مرتين وأوشكت على السقوط في يد الاغالبة . تلك البراعة الدبلوماسية كان لها أبلغ الاثر في انجاح الجهـود العسكرية ..

وجدير بالذكر ان الاغالبة استعانوا باخوانهم عرب كريت في هذه الفتوح كما المحنا سلفا . كما لم تتقـاعس الدولة الاموية بالاندلس ـ رغم عدائها السياسي للاغالبة ـ في تقديم العون والامدادات المتوالية للاغالبة ابان معاركهم في صقلية وجنوبي ايطاليا سواء بسواء ، فالحملة على صقلية تكونت « من العرب والبربر والاندلسيين » ، وفي اثناء الفتح كانت الامداداتتصل الى الجزيرة » من افريقيا والاندلس (٦) وحق لمؤرخينا المعاصرين القول بأن « المغاربة والاندلسيين اشتركوا في الفتوح في البحر المتوسط بدرجـة لا يمكن معها الفصل بين جهودهما (٧) وان «نشاطالاغالبةاتسم بالتعاون البحري مع القوى الاسلامية الاخرى » (٨) . **بفضل هذا التعاون ـ رغم العداوات السياسيةوالخلافات الايديولوجيةـاحرزت القوى العربية الاسلامية انتصارات شتى في كافة أرجاء حوض البحر المتوسط . وبرغم ما يبدو من أن هذه الانتصارات لم يشملها ثمة ترابط مكاني أو زماني ، الا انه يمكنالقول انها كانت تخدمالاستراتيجية العربية العامة في السيطرة على هذا البحر الذي تحول الى « بحيرة عربية » عمها السلام الاسلامي Pax Islamica**

في وحدة لا تنفصم

ولا عـبرة البتـة بـآراء مستشرق متعصب «مثل هنري بيرين (٩) الـذي دعـم أن « الاسـلام مسئول عن فصـم وحـدة البحر المتوسـط » ، وان المسلمين لم يمكنهم القيام بدور بيزنطة السابق في تجارة هذا البحر .

ونكتفي بمـا أورده المـؤرخ لويس (١٠) عنعدم مسئوليةالمسلمين عن عرقلة التجارة العمالية حيث يقول « .. لا دليل على أن المسلمين اعترضوا سبيل تجارة أوربـا اللاتينية أكثر مما فعلوا مع بيزنطة ، والواجب اسقاط هذا الزعم باعتباره خرافة ، واذا كان ثمة شك حول هذا الموضوع ، فمن اليسير تبديده لو اننا درسنا طـريق الحج الى الاراضي المقدسة حينذاك ، فالواقع انه لم يحدث أي ازعاج أو اعتراض من قبل حكام المسلمين لطريق الحجاج بدليل ازدياد أعدادهم » ..

وما نود ابرازه هو ان تلك الجهـود العسكرية الموفقة لم توقف خط التهديد البيزنطي فحسب انما أدت الى سيطرة العرب على طرق التجارة العالمية فجنوا ارباحا طائـلة اسهمت في ازدهارهم الحضاري ..

---

(٥) راجع الفصل الرائع الذي كتبه في هذا الصدد بكتابه :
History of the Moorish Empire in Europe.
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ ص ١٣٢ .
(٧) حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية مجلد ٤ ص ١٠٠
(٨) ابراهيم العـدوي : المسلمون والجرمان ص ٢٧٣ .
(٩) انظر كتابه : Mohammed and Charlemagne. p.p. 95, 147.
(١٠) القوى البحرية والتجارية ص١٩٠ . عن مزيد من المعلومات حولتفنيدآراء بيرين في هذا الصدد راجع كتابنا: الاغالبة ص ٢٣٤ وما بعدها

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ ديسمبر ١٩٧٣

الطليعة

١٢

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

فى مواجهة الامبريالية الكبرى .. والامبريالية الصغرى

ملف الطليعة: العلم - التكنولوجيا - الانسان

أعمال المؤتمر العالمى للفلسفة

وثائق : محاكمة جماعة ماتزبن

« صورة من داخل اسرائيل »

ملحق الادب والفن



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير

لطفي الخولي

ان [الطليعه] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. ـ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الثانى عشر ـ السنة التاسعة ـ ديسمبر ١٩٧٣

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس الطليعة

واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ – . مارس ١٩٧٢



فى مواجهـــــة

الامبرياليــة الكــبرى .. والامبرياليــة الصــغرى

هل هناك تغيير فى الموقف الامريكى ، بعد حرب اكتوبر ، من قضية الصراع العربى ـ الاسرائيلى ؟

سؤال بات مطروحا فى صور واشكال متعددة . وذلك بعد صدور قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ بوقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، بناء على مبادرة سوفيتية أمريكية مشتركة . وبعد زيارة الدكتور كيسنجر وزير الخارجية الامريكى الى عدد من الدول العربية ، وما تمخض عنها من مشروع النقاط الست الذى وصف بـأنه المدخل نحو السلام فى المنطقة .

من الممكن الاجابة على هذا السؤال ، فى ضوء ما تلحظه العين على سطح حركة الاحداث الجارية ، « **بنعم** » . هناك تغيير ما .

بيد أن الوقوف عند « **نعم السطح** » ، يضلل الرؤية الحقيقية والتقييم الواقعى لنوعية هذا التغيير ، ومداه ، وآثاره المباشرة وغير المباشرة على واقع ومستقبل الصراع العربى ـ الاسرائيلى .

من هنا يصبح ضروريا أن ننفذ الى ما تحت جلد السطح ونضع « نعم » فى اطار الظروف السياسية والاقتصادية للمرحلة الراهنة ، محليا وعالميا . ولا نكتفى برؤيتها فى جو المجاملات الدبلوماسية التى راح الرئيس الامريكى يبديها ، مؤخرا ، نحو العرب ، مصحوبة بابتسامات كيسنجر الودودة .

كيف نحدد مظاهر التغيير فى الموقف الامريكى الراهن ؟

ليس أمامنا من سبيل الا عقد مقارنة بين الملامح الاساسية للموقف الامريكى ، قبل وبعد ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

● ظل الموقف السياسى الامريكى منذ١٩٦٧ ، يمنح - فى علانية مستفزة عن عمد - مظلة الحماية والمساندة الكاملة لاسرائيل فى استمرار احتلال الارض العربية . كأن الاحتلال هو القاعدة والانسحاب هو الاستثناء .

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية صوتت فى مجلس الامن لصالح القرار رقم ٢٤٢ ، فان تعاملها مع القرار ، كان هو ذات التعامل الاسرائيلى . البند الاساسى الوحيد والمقبول فيه هو « الحدود الامنة والمعترف بها » لاسرائيل . وذلك بمفهوم التوسع الصهيونى .

وفى هذا الاطار نشطت الولايات المتحدة ، بتعاون عضوى مع اسرائيل فى تجميد كل امكانية لتنفيذ القرار وافشال مهمة السفير يارنج ممثل السكرتير العام للامم المتحدة ، وفى اهدار ما سمى بمحادثات الاربعة الكبار الاعضاء بمجلس الامن ، والمباحثات الثنائية بينها وبين الاتحاد السوفيتى

■ **بعد** السادس من اكتوبر هرعت الولايات المتحدة الى احياء قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وحرص « كيسنجر » ، فى اطار تحديد موقف بلاده ، الى القول بأن أمريكا « **تعهدت فى اطار القرار رقم ٣٣٨ الذى أصدره مجلس الامن بتأييد تطبيق كافة بنود القرار رقم ٢٤٢** » . كأنه يريد أن يقول أن ما لم نكن نقبله بالامس قد أصبحنا نقبل به اليوم . ومن هنا حرصه على أن ينص على « كافة بنود القرار » لينفى الموقف السابق الذى انحصر فى ضمان حدود التوسع المطلوبة لاسرائيل .

وفى هذا الاطار عادت الولايات المتحدة الامريكية الى احياء المباحثات الثنائية بينها وبين الاتحاد السوفيتى .

● بقى الموقف الامريكى ، حتى أكتوبر١٩٧٣ ، يردد النغمة الاسرائيلية القائلة بأن الباب الوحيد الذى يمكن أن يؤدى الى السلام فى المنطقة هو المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل .

■ بعد ٦ أكتوبر لوحظ شذوذ اللحن الامريكى عن النغمة الاسرائيلية ، اذ راح يردد أن الباب المتصور الى الحل السلمى هو « مباحثات سلام تحت اشراف مناسب » تارة ، « ومؤتمر سلام دولى » تارة أخرى . واختفى من قاموس الدبلوماسية الامريكية اصطلاح المفاوضات المباشرة .

● حرصت الولايات المتحدة طوال فترة ما قبل أكتوبر ١٩٧٣ ، على أن لا ينزلق من لسان دبلوماسيتها أى حديث عن « انسحاب » قوات الاحتلال الاسرائيلية من أى بقعة من الارض المحتلة ، أو « حدود ١٩٦٧ » .

وفى المرة التى أخطأ فيها « روجرز »وزير الخارجية الامريكى الاسبق وتحدث عن « انسحاب » اسرائيلى من الارض المحتلة ، انهالت عليه الصفعات الاسرائيلية بقدر اضطره هو الى الانسحاب والاعتذار .

■ بعد أكتوبر تردد حديث فى أروقة السياسة الامريكية عن حدود ١٩٦٧ ، وعن الانسحاب من اراض عربية محتلة . صحيح أن الحديث غامض ومبهم ، وجاء فى ارتباط مع حديث آخر عما سمى بحدود أكتوبر ، الا أنه مع ذلك جديد فى لغة السياسة الامريكية .

ولوحظ - أيضا - أن هنرى كيسنجر قد واتته الشجاعة فتحدث فى تليفزيون بكين ، خلال زيارته للصين فى النصف الاول من نوفمبر ١٩٧٣ ، عن حدود ١٩٦٧ . ورغم أن

جولدا مايير أرعدت وأزبدت – كما فعلت من قبل مع روجرز – الا ان كيسنجر ظل صامدا، ولم يعرف بعد أنه تراجع واعتذر مثلما فعل خلفه روجرز .

● خلال السنوات التالية لهزيمة ١٩٦٧ ، حرصت الولايات المتحدة على تغطية عمليات العدوان الاسرائيلية المتكررة على البلدان العربية . ورفعت درع الحماية لاسرائيل في وجه غضبة المجتمع الدولي ضدها . ومنعت صدور أي قرار بتوقيع العقاب عليها بسبب انتهاكها الدائم لميثاق الامم المتحدة . وفي كل مرة اضطر مجلس الامن الى اصدار قرار ادانة لاسرائيل يتسم بنوع من الحزم ، سارعت الولايات المتحدة الى ابطال مفعوله باستخدام حق الفيتو .

■ بعد ٦ اكتوبر ، أسرعت الولايات المتحدة تطلب العون من مجلس الامن على أساس أن العرب هم المعتدون هذه المرة .ولكنها وجدت نفسها وحيدة ومعزولة في المجلس ، فآثرت العدول عن مشروعها باستصدار قرار ، بل ان كلا من الرئيس الامريكي ووزير خارجيته ، طلبا صرف النظر عن تحديد من المعتدي ومن المعتدى عليه في حرب اكتوبر ، باعتبار أن هذا الامر غدا ثانويا بالنسبة للجهد الواجب بذله لوقف الحرب .

وطارت الولايات المتحدة ، ممثلة في وزير خارجيتها الى موسكو ، ليتفق على التقدم بمشروع قرار مشترك الى مجلس الامن بوقف اطلاق النار . وحين انتهكت اسرائيل قرار وقف اطلاق النار رقم ٣٣٨ ، وعرض الامر من جديد على المجلس لم تستخدم الولايات المتحدة الامريكية « الفيتو » كعادتها . بل منحت صوتها للقرار رقم ٣٣٩ ، الذي يقضي بضرورة احترام اسرائيل لحدود وقف اطلاق النار عند حدود ٢٢ اكتوبر التي اشترطها القرار رقم ٣٣٨ .

● تبنت الولايات المتحدة ، دون تحفظ ، طوال سنوات هزيمة ١٩٦٧ ، الموقف الاسرائيلي الذي يصادر تماما حقوق الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية . بل عمدت الولايات المتحدة الى قيادة حملة مسعورة ضد الثورة الفلسطينية تحت اسم « مقاومة الارهاب العربي » الذي يهدد النظام والامن الدوليين ويعرض حياة الابرياء للخطر .

■ بعد اكتوبر ١٩٧٣ ، تذكرت الولايات المتحدة – على حياء – الشعب الفلسطيني واعترفت – على نقيض اسرائيل – بوجوده الواقعي . وطرح هنري كيسنجر ما أسماه « المشكلة الفلسطينية » ، بندا من البنود الخمسة المقترحة في جدول أعمال مؤتمر السلام . وان كان قد نزل بها الى آخر القائمة .

● خلال جميع الاتصالات الدبلوماسية ، قبل اكتوبر ، التي جرت بين الدبلوماسيين العرب والامريكان ، كان الموقف الامريكي يتحدد في أنه ليس أمام العرب من طريق للخروج من الازمة « التي ورطوا أنفسهم فيها » ، الا بقبول الشروط الامريكية – الاسرائيلية . بل ان « روجرز » وزير خارجية امريكا الاسبق استخدم عبارات جارحة خلال لقائه مع عدد من وزراء الخارجية العرب حين قال لهم بتحد : اذا لم تقبلوا شروطنا ، فليس أمامكم الا الحرب . هل أنتم قادرون على احتمال هزيمة أخرى ؟

■ بعد السادس من اكتوبر غيرت العبارات الامريكية من جلودها . تحول ملمسها الجارح الخشن الى ناعم باسم . وتبارى الرئيس الامريكي ووزير خارجيته في القيام بمجاملات اتسمت بالطابع الشرقي العاطفي تجاه الدبلوماسيين ووزراء الخارجية العرب ، صاحبتها ربتات على الظهر وكلمات في العيون تكاد تقول : جربونا هذه المرة تجدوا ما يسركم !

وفى المؤتمر الصحفى الاخير لهنرى كيسنجر الذى عقده بواشنطن بعد جولته فى عدد من البلدان العربية ، راح الوزير الامريكى يعرب عن أمله فى « أن تمهل الدول العربية الولايات المتحدة فترة معقولة لكى تتيح لها الفرصة لممارسة ضغط من أجل التوصل الى تسوية مرضية للازمة بدلا من أن تحاول هذه الدول ممارسة الضغط على الولايات المتحدة » .

هذه هى الملامح التى أصابها التغيير فى الموقف الامريكى بعد اكتوبر ١٩٧٣ . لكن تبقى هناك ملامح اخرى لم يلحق بها ادنى تغيير . ما هى ؟

● يتحدد أول هذه الملامح فى أن جهاز العدوان الاسرائيلى المتمثل فى « جيش الدفاع » ظل — بعد اكتوبر ، كما كان من قبل — الامتداد العضوى لجهاز العدوان الامريكى ، وترسانة أسلحته الضخمة . وفى أقل من أسبوع فتحت أبواب الترسانة الامريكية على مصراعيها ، لينهل منها الجيش الاسرائيلى كل ما يحتاجه من أسلحة ، تعوضه عما فقده فى المعارك ، وتضيف اليه قوة جديدة من اسلحة الكترونية حديثة ، مثل « قنبلة سمارات » . وتقدم الرئيس الامريكى بسرعة الى الكونجرس مطالب باعتماد ٢٢٠٠ مليون دولار منحه الى اسرائيل لتلبية احتياجاتها العسكرية . فى نفس الوقت الذى يتردد فيه الرئيس عن طلب اعتمادات من الكونجرس لا تزيد فى مجموعها عن ١٥٠٠ مليون دولار لمقاومة حالات الفقر والبطالة فى المجتمع الامريكى ذاته .

● اما ثانى هذه الملامح التى لم تتغير على الرغم من اكتوبر ، فهو أن « اسرائيل : دولة وقوة » تحتل مركز الثقل فى السياسة الاستراتيجية الامريكية تجاه البلاد العربية والشرق الاوسط كله . قد يكون هذا الثقل اهتز — فعليا — نتيجة أحداث اكتوبر ، لكنه داخل السياسة الامريكية ، ظل محتفظا بوزنه النسبى .(•) وقد تبادل الامريكان والاسرائيليون ، خلال اكتوبر وبعده ، عبارات تؤكد على هذا المعنى .

تحدث « كيسنجر » عن « العلاقات الخاصة التى تربط أمريكا باسرائيل » .(•)

وتحدث « حاييم هرتزوج » المتحدث العسكرى الرسمى ، عن أن الولايات المتحدة تعتبر « وجود وأمن اسرائيل ، قضية وطنية أمريكية » (•)

من هذا المنطلق أقدم الرئيس نيكسون على مغامرته باعلان حالة الطوارىء فى جميع قواعد القوات المسلحة الامريكية فى العالم ، بعد وقف اطلاق النار ، وذلك فى مواجهة التهديد السوفيتى بابادة قوات العدوان الاسرائيلية اذا لم تمتثل لقرار وقف اطلاق النار .

وهى مغامرة ، كان لها — على حد تعبير الرئيس الامريكى — ما يبررها ازاء جدية الانذار السوفيتى لاسرائيل . وذلك على الرغم مما كانت تحمله هذه المغامرة من مخاطر حقيقية على العلاقات السوفيتية الامريكية الجديدة بعد الانفراج الدولى ، وما سببته بالفعل من تصدع فى التحالف الامريكى الاوربى الغربى .(•)

● ويتبلور الملمح الثالث الذى ظل بعيدا عن التغيير فى أن « اسرائيل ما بعد أكتوبر » بالمنظور الامريكى ليست اسرائيل ما قبل ٦٧ وانما اسرائيل أخرى (•) وبتعبير آخر اسرائيل وسط ما بين أكتوبر ٧٣ ويونيو ٦٧ » (•) وقد عبر كيسنجر عن ذلك بصراحة عندما قال ان انسحاب القوات الاسرائيلية فى اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يعنى حدودا مختلفة عن خطوط ١٩٧٣ وخطوط ١٩٦٧ (•)

● **الملمح الرابع** للموقف الامريكي الثابت ، يبرز ازاء القضية الفلسطينية . فعلى الرغم من الصياغات الامريكية الجديدة ، فان المشكلة في المضمون ، تظل محصورة في نطاق معالجة مأساة لاجئين . وليست قضية شعب يطالب بحقوقه القومية .

بهذه الرؤية لما فوق وتحت سطح الموقف الامريكي ، تتحدد ، واقعيا ، ملامح التغيير وملامح الثبات ، في « صورة أكتوبر » بمقارنتها « بصورة ما بعد ٦٧ » . وبالتالي فان حصيلة التغيير لم تتعد ـ بعد ـ الشكل الى المضمون .

ماذا يعني هذا ؟

هل يعني انه « لافائدة » من معاودة الاتصال مع الولايات المتحدة الامريكية ، لانه كما يقول المثل لابد وأن تعود « ريمة » في نهاية المطاف الى « عاداتها القديمة » . أم يعني أن التغيير في الشكل قد يقود ، مع تبدل الوجوه وصعود نجم كيسنجر مثلا ، الى تغيير في المضمون ؟

لا أعتقد أن هذا أو ذاك ، صحيحا . فالرؤية السياسية النضالية ليست ، **أولا** ، بالرؤية الجامدة التي تتوقف عند حالة معينة من الظاهرة ، وكأنها كل شيء ، لا أمس لها ولا غد . وهي ـ **ثانيا** ـ ليست جزئية تتقوقع عند تفصيل معين من الصورة . وانما شاملة لكل التفاصيل وفي علاقاتها المتبادلة مع بعضها البعض . وهي ـ **ثالثا** ـ ليست مجردة ، تعزل الظاهرة عما يحيط بها من ظروف تؤثر وتتأثر بها . وهي ـ **رابعا** ـ ليست حسابية المنهج تجمع الاحداث جمعا ميكانيكيا وتظل أسيرة لحصيلته ، وانما هي جدلية مقتحمة تربط بين الاحداث ربطا ديناميكيا ، وتوظف فعاليتها في مواكبة تطور الحياة وفرض ارادتها على الاحداث .

أذن ، ماهو الطريق ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، أود أن أسجل ثلاث ملاحظات مبدئية .

الملاحظة الاولى ، هي أن تغيير الاشخاص ليس بالضرورة تغييرا في السياسة . ربما يصاحب تغيير الوجوه تغييرا في أسلوب ممارسة السياسة ينبع عن الاختلاف في السمات الذاتية والثقافية بين شخص وآخر . التغيير السياسي لا يأتي الا نتيجة لتغيير في الظروف أو المصالح التي أرسيت على أساسها سياسة ما في ظروف محددة .

من هنا عبثية الحديث عن عبقرية كيسنجر الخاصة . أو عن أصوله اليهودية ، التي لا تجعله يخشى الابتزاز الاسرائيلي باتهامه بمعاداة السامية ، مما يمنحه القدرة على رؤية « العدل » في قضية الشرق الاوسط ، والقوة على فرضه ، والحرية في التصرف . كيسنجر في النهاية وعلى الرغم من سماته ومميزاته الذاتية يظل ، في قدرته وقوته وحريته ، أسير حدود السياسة الامريكية ومصالحها الجوهرية . الساحر وسحره لا وجود لهما في عالم السياسة .

الملاحظة الثانية ، تتلخص في أن لعبة الوعود والتصريحات الامريكية المشجعة والمصحوبة بأجمل البسمات ، لم تعد قادرة على أن تجذب عواطف العرب فضلا عن عقولهم . خاصة بعد عشرات التجارب المريرة ، وسنوات ما بعد يونيو ١٩٦٧ .

ليس هذا موقف الاشتراكيين العرب من السياسة الامريكية ولكنه موقف **الملك فيصل** عاهل المملكة السعودية ذات العلاقات التاريخية الوثيقة مع الولايات المتحدة . في

حديثه مع تقى الدين الصلح رئيس وزراءلبنان بالرياض خلال الشهر الماضى ، قال الملك ، الذى كان قد تقابل مع كيسنجر :

« لقد شبعنا من وعـود الامـريكان وكلماتهم . لم يتحول وعد واحد أو كلمة واحدة حتى الان الى عمل واحد ملموس . لانستطيع بعد اليوم أن نطمئن الى مجرد وعود جديدة » .

الملاحظة الثالثة ، تتعلق بأنه اذا كان لايمكننا أن نتجاهل ــ ونحن جزء من هذا العالم وهذا العصر ــ وجود ووزن الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها احدى القوتين العظمتين فى عالمنا وعصرنا ، فاننا بالمقابل لا نستطيع أن نتجاهل أن الولايات المتحدة الامريكية هى قيادة الامبريالية العـالمية المعادية لحركة التحرير العربية من ناحية ، وأن اسرائيل ــ من ناحية أخرى ــ هى فى جانب من جوانبها الرئيسية ، امتداد وقاعدة للولايات المتحدة فى منطقتنا .

نعود الى سؤال ، ما هو الطريق اذن ؟ أوبتعبير آخر كيف نواجه فى حركتنا المعاصرة الموقف الامريكى بما تغير وما لم يتغير منه ؟

الجواب فى تقديرى بصفة عامة ، يتحدد فى توظيف ما لدينا من طاقات قتـالية واقتصـادية وسياسية ، تـوظيفا واعيـا ومخططا . وهى طاقات تفجرت مع حرب اكتوبر ، واكتشفناها كامنة داخل انفسنا ، بنفس اللحظة والقدر ، التى اكتشفها الغير عنا ، وذلك حينما تحركنا .

هذا شق من الجواب .

الشق الثانى هو توظيف هذه الطاقات فى ضوء المشاكل التى تعانيها امريكا واسرائيل من ناحية . وفى ضوء التغيرات التى طرأت على علاقات القوى وموازينها فى العالم ، وخاصة بعد تحقيق الانفراج الدولى عام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ من ناحية أخرى .

يتركز ما لدينا من طاقات ايجابية ، مابرحت قابلة للاستخدام والتوظيف ، فى ثلاث أنواع رئيسية :

● عسكرى ، وهو القدرة القتالية حتى التضحية بالنفس التى يتصف بها الجندى العربى .

اذا كان اندلاع حرب اكتوبر هو مفاجأة تكتيكية ناجحة ، فان اقتدار وبسالة الجندى العربى هو المفاجأة الاستراتيجية .

ولعل هذه المفاجأة الاستراتيجية ، كانت العامل الاول فى حسابات الحركة لدى جميع الاطراف المباشرين وغير المباشرين فـى الصراع منذ السادس من اكتوبر حتـى اليوم .

قبل شهرين من تفجر حرب اكتـوبر فحسب ، ألقى موشى ديان محاضرة فى كلية اركان الحرب الاسرائيلية ، صور فيها الوضع القائم للصراع العربى الاسرائيلى واحتمالاته فيما بين اغسطس ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٧ على الاقل ، على النحو التالى :

« ان المناطق التى فى ايدينا ــ سـيناء والضفة والجولان ــ تكون دافعا قـويا بالنسبة لمصر والاردن وسوريا لان تحاربنا . وبالاضافة الى ذلك فان هذه الدول العربية

اعطيت السلاح والمال والمساعدات الفنية من اجل تقوية جيوشها » .. لكن « ميزان القوى بصورة عامة لصالحنا ، وهذا هو الامر المقرر بالنسبة لاعتبارات ودوافع الدول العربية ، وهو الذى يمنع تجدد الحرب المباشر » .

الى هذا الحد ، كان ديان يذل مايمثله مطمئنا . وكانت الولايات المتحدة مطمئنة ايضا لدرجة أن المخابرات الامريكية أكدت لوزير خارجيتها عشية ٦ اكتوبر ان العرب غير قادرين على الحرب حتى لو أرادوا .

وجاء الجندى العربى ومن خلفه المواطن العربى ليعصفا بهذا الاطمئنان الاسرائيلى ـ الامريكى .

انبثقت ، من داخل قمقم أحكم غلقه وافساد ظروف حياته ، قوة عسكرية ـ شعبية فى المنطقة قادرة ، اذا امتلكت النفس الطويل والتنظيم على أحدث تغييرات جوهرية .

صحيح ان هذه القوة لم تستطع ان تحقق نصرا حاسما على اسرائيل ، ولكنها عرتها من الرداء الذى كانت تتدثر به كقوة امبريالية صغرى فى المنطقة مرتبطة بالقوة الامبريالية الكبرى فى العالم .

هذه الطاقة القتالية الجسور ، كانت وماتزال أهم سلاح فى أيدينا . ويتوجب الامر أن يكون جاهزا للاستخدام . فالوضع العسكرى على كلى الجبهتين السورية والمصرية غير مريح ولا مستقر ، سواء بالنسبة للعرب أو بالنسبة لاسرائيل . ولا مفر ، طالما لم تسحب اسرائيل قواتها المعتدية ، من حسمه حربا وقتالا .

ينتمى الى هذه الطاقة ، قوة شباب الثورة الفلسطينية التى فجرت جبهة ثالثة فى اعماق العدو ، باسلوب حرب العصابات الثورى ، ومازالت تمارس نضالها دون توقف .

● **النوع الثانى اقتصادى** ، ويتجسد فى البترول العربى . العالم العربى يختزن ما يزيد على ثلثى احتياطى البترول فى العالم ، وينتج ما يوازى ثلث مجموع الانتاج العالمى من البترول ، ويسيطر على حوالى ٥٥ فى المائة من مجموع صادرات البترول فى العالم . وذلك فى وقت أصبح البترول أهم السلع الاستراتيجية على الاطلاق فى عالمنا المعاصر ، ولفترة تمتد الى نهاية القرن تقريبا . فضلا عما يجتازه العالم حاليا ، من أزمة تتصاعد حدتها فى موارد الطاقة .

فى الوقت نفسه ، فان الولايات المتحدة تملك ، وتسيطر عن طريق احتكاراتها على ما يقرب من ثلثى انتاج البترول فى الوطن العربى . وبالتالى فان هذا الوضع ، فضلا عما يوفره لامريكا من مصالح ضخمة ورئيسية ، يسهم فى منحها القوة الاقتصادية والنفوذ السياسى اللذين تتمتع بهما فى العالم .

مع حرب اكتوبر ، حسم العرب ، لاول مرة ، استخدام سلاح البترول فى المعركة ضد اسرائيل وحلفائهما .

ووقع الاستخدام بطريقين ، احدهما **استراتيجى** وهو التأميم المباشر للحصص الامريكية وحصص هولندا المنحازة لاسرائيل ، الذى اقدم عليه العراق بشجاعة ثورية فى شركة نفط البصرة . والثانى **تكتيكى** ، استهدف التخفيض التدريجى

للانتاج شهريا مع منع ضخه تماما للولايات المتحدة حتى تنسحب اسرائيل انسحابا كاملا من الاراضي العربية المحتلة وتؤمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

لقد ظل الدور الاساسي « للامبريالية الاسرائيلية الصغرى » في المنطقة هو دور رجل البوليس القوي الحارس لمصالح وممتلكات « الامبريالية الكبرى » البترولية .

بيد أن استخدام العرب لسلاح البترول ، استراتيجيا وتكتيكيا ، قلب الاوضاع رأسا على عقب . وأصبح « **الشرطي الحارس** » هو نفسه مصدر الخطر على المصالح البترولية . ليس فقط بالنسبة الى الدول العربية المعادية بطبيعة نظمهـا للولايات المتحدة ، وانما ايضا بالنسبة للدول العربية الاخرى ذات العلاقات التقليدية معها .

من هنا ، برزت في مجرى الاحداث ، حقيقة موضوعية جديدة ، وهي ان الاستثمار الامريكي - الاسرائيلي غدا متناقضا مع الاستثمار الامريكي - البترولي . وعلينا أن ندفع نحو التصاعد في استخدام هـذا السلاح لنعمق هذا التناقض الى درجـة التفجير .

● **النوع الثالث سياسي** ، ويتصـل بوضعين أساسيين :

الاول : الممارسة الواعية لما أمكن تحققه ، لاول مرة ، خلال حرب اكتوبر من حد أدنى لوحدة العمل العربي في مواجهة العدو . وذلك بغض النظر عن اختلاف وتمـايز الانتماءات السياسية والاجتماعية في العالم العربي .

ان توصل الجميع ، من خلال الصدام المصيري ، الى الفهم النظري ، والممـارسة العملية ، لقانون ان التناقض الرئيسي مع العدو المشترك والمباشر يجب في هذه المرحلة كل التناقضات الاخرى ويهبط بها الى درجة ثانوية ، هو تطور موضوعي بل وثوري .

ومهمة القوى الثورية ، قبل كل القوى الاخرى في عالمنا العربي ، تهيئة المنـاخ الصحي لاستمرار فاعلية هذا القـانون ، ودرء كل خطر يتهدده .

والثاني : المحافظة على استمرار ونمو قوى الرأى العام العالمي بمـؤسساتها السياسية والشعبية ، المساندة للمـوقف العربي . وذلك من حيث كونه حركة تحرير وطنية معادية للعنصرية والاستعمار ، تعي ـ في نفس الوقت ، مسئولياتها الدولية تجاه كل من السلام العالمي ، والتعاون الدولي اللذين يحتلان اليوم قلب وعقل الانسانية المعاصرة .

ولن يتأتى ذلك بتحرك العرب على المسرح الدولي بأسلوب « **شمشون** » الذي لا يبالي بأن يهدم « المعبد » فوق رؤوس الجميع ، وانما بأسلوب **سبارتاكوس** محرر العبيد **وهوشي منه وجياب** وغيرهما من أبطـال الشعب الفيتنامي .

استخدامنا لهذه الطاقات الثلاث ، لا يتم في فراغ ، وانما من خلال عالم جديد ينمو ويتخلق من خلال ظروف جديدة وصياغات جديدة للصراعات .

هذا العالم ، هو عالم الانفراج الدولي والتعايش السلمي ، الذي فرض قـوانينه فرضا على القوى الامبريالية ، بفضل التأثير المتعاظم لحركة الانسان التقدمية .

فى هذا العالم ، لا تخمد الصراعات أوتسوح القوى الدولية بعضها على بعض . . وانمـــا تتميز وتؤكـــد كل منها طبيعتهـا ومواقفها . . ان الاتحاد السوفيتى وامريكا دولتان عظمتان ،ولكن يظل لكل منهما ، طبيعة وموقف تتميز بهما عن الاخرى ، رغم مايكون هناك من اتفـــاق عـــلى ســـلوك أساليب معينة تجاه مشكلة دولية محددة كمشكلة الصراع العربى الاسرائيلى . **كيف ؟**

يبقى الاتحاد السوفيتى هو صـــديق وحليف العرب .

تبقى الولايات المتحدة هى صديق وحليف اسرائيل .

بيد أنه فى نفس الوقت ، يتفق الطرفان ـ بحكم مسئولياتهما ـ على معالجة المشكلة الملتهبة بحيث لا تؤدى الى اشتعال النار عالميا . والطريق أمامهما هو مبـــادىء الشرعية الدولية . لكن فهم وممارسة كل منهما للشرعية الدولية يختلف ويتناقض ، كما أن فهم كل من العرب واسرائيل حول هذا الطريق يختلف ويتناقض .

لمن تكون الغلبة اذن ؟

تتحقق الغلبة لمن يحـــافظ عـــلى طاقاته ويواصل استخدامها بكفاءة . ومن يوفر من خلال التحالف مع اصدقائه قوة وطنية ـ عالمية ترجح على قوة التحالف الاخرى . وتمنع قيام « طابور خامس » تحت أى صورة وبأى شكل ، يتسلل من موقع القوة المعادية الى قلب قواه .

ان نتائج حرب اكتوبر ، على الرغم مماشابها من سلبيات ، مضاف اليها كم ونوع الخسائر ، التى لحقت باسرائيل وفاقت فى وزنها حدود احتمالها ، مضافا اليها جراح أمريكا الداخلية والخارجية ، نتيجة حرب فيتنام وأزمـــة النقد والطـــاقة واعصـــار ووترجيت السياسى والاجتماعى ، يخلـــق ظروفا موضوعية مواتية أمام العرب لان يكسبوا الجولة الراهنة ، فـــى حـــدود معطياتها ، عسكريا وسياسيا . ويفرضـوا ـ بالتالى ـ تغييرا فى المضمون ، لا الشكل فحسب ، على المنطقة وذلك على نحو ما تحقق فى جولة فيتنام الراهنة . . التغييـــر الحقيقى ، لن تكون أمريكا مصدره . وانمـــا حركة التحرر العربية .

وفى ذلك نحن مطالبون تاريخيا بـــأن نسلك ، بحزم ومرونة غير مساومة منهج « حرب السلام وسلام الحرب » . بمعنى مشروعية الحرب التحريرية وضرورتها مع احساس مسئول بواجباتنا الانسانية نحو السلام العالمى .

لطفى الخولى

حـــول اســـــتراتيجية وتاكتيــك العـــدو الرئيسى فى المعـــركة الوطنيـــة

د. فؤاد مرسى

لــم تنته حــرب التحــرير بعد ، فهى لا يمــكن أن تنتهى قبل أن تتحقق أهدافها الرئيسية ، وفى مقدمتها تحرير الارض التى يحتلهـــا العدو ، وتجســيد الحقوق القومية لشعب فلسطين . لن تنتهى حرب التحرير الحـــالية الا بدحر العـــدوان الامبريالى الصهيونى على بلادنا .

ولكم خضنا من حروب تحرير فى محــــاولات مستمرة لصد الغزوات الاستعمارية والامبريالية التى لم تنقطع منذ مطلع القرن الماضى حتى الان ! .. ولذلك نســتطيع نحن المصريين ان نقول عن خبرة ، ان الامبريالية هى العدو الرئيسى للبشرية وانها القصة الرئيسية التى تعترض سبيل تطور الشعوب . كما نستطيع ان نقول عن معرفة أن الامبريالية الامريكية هى القيادة العليا للامبريالية العــالمية ، وانها أشـــد قوى الامبريالية عدوانية وأكثرها شراسة ووحشية فى تهديد الشــعوب وتدعيم الرجعيات فى كل مكان من العـــالم . انها بوصفها اكبر راسمالى فى العـــالم ، تعتبر المركز الرئيسى — عســكريا وســياسيا واقتصــاديا وروحيا — للرجعية العالمية على اختلاف أشكالها

حول الاستراتيجية

وفى معركتنا الوطنية ، وسواء اتخذت صورة الحرب أو وقف اطلاق النار أو النضال من أجــل الســلام العادل ، وسواء تحركنا على مســتوى الاستراتيجية أو على مستوى التاكتيك ، فاننا من أجل النجاح فى تحـــديد اتجـــاه الضربة الرئيسية والتصرف السليم فى القوى الضـــاربة ، يجب أن نكون قد فرغنا من تحـــديد كل من العدو الرئيسى والحليف الرئيسى بوضوح . ولا أعتقد ان أحـــدا فى بلادنا كلها يمكن ان يختلف اليوم حول حقيقة ان الولايات المتحـــدة هى العـــدو الرئيسى ، وان الاتحاد السوفيتى هو الحليف الرئيسى لنا . **فمن المســـلم به أن معركتنـــا الوطنيـــة هى الصراع التاريخى الذى لا يقبل المصـــالحة بين الامبريالية العالميـــة بزعامة أمريكا ، وبين الحركة العربيـــة للتحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى** . ان العـــدو الرئيسى فى هذه المعركة وهو الامبريالية الامريكية — أشد قوى الامبريالية العالمية عدوانية — يتحرك حفاظا على مصـــالحه البترولية والاســـتراتيجية التى تهـــددها بالطبع انتصـــارات حركة التحرر الوطنى العربية ، والتحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية فى عدد من الدول العربية المتحررة .

ويعلم العدو علم اليقين ان علاقات القوى على نطاق العـــالم كله تعمل اليـــوم ، لا فى صـــالح الامبريالية ، وانما فى صالح قوى السلام والتحرر الوطنى والاشتراكية ، فيضاعف ذلك من نزعته العدوانيـــة المتزايدة . ان الامبرياليـــة العـــالمية لا تستطيع ان تفرط بسهولة فى المصالح البترولية والاستراتيجية التى ينطوى عليها الوطن العربى ، والتى تحقق لهـــا أرباحـــا مذهلة وطـــاقة وفيرة وسيطرة عالية ، وكل ذلك بأقل التكاليف ، وحماية هذه المصالح هى الهدف الرئيسى للاســـتراتيجية الامبريالية .

وعندما كانت هذه الامبريالية ما تزال تحتفظ بنظام استعماري عالمي شامل ، كانت تتولى مباشرة ، وبقوة السلاح ، حماية مصالحها البترولية والاستراتيجية فى البلاد العربية . لكنها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما أصيب النظام الاستعماري فى المستعمرات بالتفكك ، بفضل هزيمة الامبريالية الفاشية ، واتساع رقعة العالم الاشتراكى ، وانتصارات حركة التحرر الوطنى فى كثير من المستعمرات ، واشباه المستعمرات ، هبت الحركة الوطنية فى البلاد العربية — وبخاصة فى مصر — وحققت نجاحات هامة ضد الاستعمار القديم . هنالك خلقت الامبريالية العالمية اسرائيل لتكون قاعدتها للاستعمار الجديد . زرعوها فى المنطقة زرعا ، بهدف حراسة المصالح الاستعمارية المهددة . والتقى هذا الهدف مع الاهداف الصهيونية القديمة .. **ومن ثم لعبت اسرائيل منذ خلقها دورا مزدوجا فى المنطقة ، فى خدمة الاحتكارات الاستعمارية العالمية ، وفى خدمة الصهيونية ذات الاطماع التاريخية فى التوسع الاقليمى والسيطرة الاقتصادية .**

لقد كانوا بحاجة لاسرائيل فخلقوها ، زرعتها بريطانيا فى فلسطين ، ومنحتها أمريكا وجودها الشرعى ، وسلحتها فرنسا ، ومولتها المانيا الغربية . ثم انتهى الامر الى أمريكا لتقدم لها حاليا — على حد قول **الرئيس السادات** — من رغيف الخبز الى الصاروخ . وأصبحت اسرائيل هى القوة الرئيسية للعدو الرئيسى ، القوة الضاربة الرئيسية للاحتفاظ بالمنطقة فى حالة طاعة وخضوع وتبعية . تسندها وتلتف حولها وتفتخر بها كل قوى التأخر والعنصرية والرجعية فى العالم .

ان اسرائيل جزء لا يتجزأ من الامبريالية العالمية بزعامة أمريكا . انهما من نسيج استعمارى واحد . فاسرائيل هى تعبير عن الحضور الاستعمارى فى المنطقة . انها مشروع استيطانى مبنى على الايمان بتفوق الحضارة الغربية الرأسمالية ، حضارة الرجل الابيض المزود بعلوم وتكنولوجيا العصر ، هذه الحضارة المستوردة التى لا يكون للعرب فى ظلها سوى ان يكونوا قوة عمل رخيصة لابد منها لتعمير الارض وتشغيل المصانع وشراء المنتجات الرخيصة . وتقدم الامبريالية العالمية رؤوس الاموال لهذا المشروع الاستيطانى . وبالفعل فانها تقبض على ناصية الاقتصاد الاسرائيلى الذى يفتقد بذاته لمقومات الحياة . ويمثل رأس المال الامريكى وحده ٦٠ ٪ من مجموع رؤوس الاموال الاجنبية فى اسرائيل .

وتقدم اسرائيل من هذه الزاوية صورة طريفة لبلد صغير ، لكنه بلد استعمارى . وهناك بلاد صغيرة اخرى لكنها بلاد استعمارية أيضا ، تشكل نسيجا عضويا واحدا مع الظاهرة الاستعمارية العالمية . ان هولندا أو بلجيكا وغيرها . بلدان صغيرة واستعمارية . **كما ان هناك بلدانا صغيرة** اخرى كسويسرا لا تكتفى بتصدير راسمالها الصغير ، وانما تقوم فى السوق المالية العالمية بعمليات وساطة هامة فى نقل الاموال من بلد الى بلد . وهى تتلقى رأس المال لتعيد تصديره تحت اسمها المقبول عالميا . انها تتاجر برأس المال المستعار ، وتقوم بالتالى بما يمكن تسميته السياحة المالية التى تنافس ما هو معروف عن سويسرا من سياحة بشرية ، وتنتزع الرأسمالية السويسرية بمهارتها وذكائها الشديدين ، شرائح مختارة وكبيرة من الارباح تحت أنف بورجوازيات الدول الكبرى . وهكذا أصبحت سويسرا مركزا لادارة الاستثمارات الامريكية فى أوربا الغربية كلها . وقامت بدور الوعاء لرأس المال الالمانى الغربى المتجول ، وسمحت له بالدخول الى بلاد عديدة . وتلعب اسرائيل دورا قريب الشبه بدور سويسرا فهى تؤدى دور الوسيط بمهارة بين الامبريالية العالمية ، وبخاصة الامريكية ، وبين بلاد العالم الثالث . وهى تتلقى رؤوس الاموال لا لتبنى اقتصادها فحسب ، بل لتعيد تصديرها الى افريقيا وآسيا ، وأحيانا حتى الى أوربا . كذلك كانت اسرائيل تيارا لالمانيا الغربية التى اتخذتها منفذا الى الشرق ، وأقامت فيها أمريكا والمانيا الغربية صناعة أسلحة للتصدير فى الاساس .

من هنا تحتفظ اسرائيل بطبيعة مزدوجة ، فهى من جانب حارسة للمصالح الاستعمارية ، وهى من جانب آخر مشروع استعمارى صهيونى . ومن تفاعل هذين الجانبين تمثل اسرائيل دور الشريك الاصغر للامبريالية الامريكية . وبذكائها المعهود تسعى اسرائيل لتنمية دورها كاستعمار أصيل لا وكيل . وذلك يدخلها بلا شك فى دائرة التناقضات الاستعمارية فيما بين قوى الامبريالية العالمية ، ويجرى عليها ما يجرى على غيرها داخل الغابات الرأسمالية .

وعلى أية حال ، فان الطبيعة المزدوجة لاسرائيل تظل هى القانون الاساسى الذى يحكم حركتها . وطبقا لهذه الطبيعة المزدوجة ، يسقط المفهوم السطحى الذى يقدم عن اسرائيل فى بعض الاحيان ، سواء بوصفها مجرد اداة فى أيدى الاستعمار العالمى ، وبالذات الامريكى ، أو بوصفها قوة عالمية بغير حدود تتحكم بواسطة اليهود فى العالم ، وتتحكم بالذات فى سياسة أمريكا . وعلينا هنا ان نستعيد فحسب كلمة **جورج باندى** مستشار **الرئيس كيندى** ثم رئيس المكتب الذى شكله **الرئيس جونسون** فى يونيو سنة ١٩٦٧ ، لمتابعة الحرب فى الشرق الاوسط ،

فقد قال بصراحة نادرة عندئذ : « **ان سياستنا فى تاييد اسرائيل انما تنبع من مصالحنا القومية** » .

ان اسرائيل كيان استعمارى موضوع فى آن واحد فى خدمة مصالح الامبريالية العالمية وفى خدمة أطماع الراسمالية اليهودية الصهيونية . من هنا تخدم اسرائيل اهداف امريكا فى المنطقة ، مثلما تسعى لتحقيق اهدافها الصهيونية بالتوسع الاقليمى والسيطرة الاقتصادية لحسابها الخاص . **والاهداف جميعها تلتقى عند مهمة مشتركة هى تصفية حركة التحرر الوطنى العربية ، وذلك باسقاط أو تصفية النظم الوطنية وتصفية الكفاح الفلسطينى المسلح** . ولهذا فنحن لا ندهش عندما نجد **ديان** المتغطرس يؤدى دور الوكيل الصريح عندما يعلن فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٨ قائلا : « **أود أن أرى نفوذا أمريكيا متزايدا فى مصر والعراق وسوريا** » .

لهذا كله تضع الامبريالية العالمية اسرائيل تحت حمايتها . وفى ٦ يونيو سنة ١٩٦٧ ، كتبت جريدة **التايمز** البريطانية تحذر قائلة : « **لا توجد ظروف يسمح فيها بنصر عربى شامل** من غير أن تضطر القوى الغربية للتدخل » . وهو كلام قديم ، تجدد أخيرا على لسان **كيسنجر** : « **لنا علاقة خاصة باسرائيل . ونحن ملتزمون بحماية أمنها ، ولا نجد فى ذلك تعارضا مع صداقة نريد تنميتها وتقويتها معكم** » . فطالما بقيت المصالح البترولية والاستراتيجية للامبريالية العالمية ، وبخاصة الامريكية ، ستبقى اسرائيل حارسة لها ، وستبقى الامبريالية العالمية حارسة لاسرائيل . **وقد تضغط الامبريالية على اسرائيل كاستعمار صهيونى ، لكنها لن تتخلى عنها كحارس استعمارى للمصالح الامبريالية فى بترول وأرض العرب** . تلك حدود ما تسمح به الطبيعة المزدوجة لاسرائيل . ويزداد هذا التحليل صحة بقدر ما تتعمق فى اسرائيل نفسها طبيعتها الاولى كحارس للمصالح الاستعمارية . وهو أمر يتأكد اكثر فأكثر فى هذه الايام ، نتيجة ليس فقط لحرب يونيو سنة ١٩٦٧ التى لم تنته ، وللمغامرات العسكرية الفاشلة التى تلتها ، وانما نتيجة أيضا للضربة المذهلة التى أنزلتها بها القوات المسلحة المصرية فى حرب السادس من اكتوبر .

ان ذلك كله يضع اسرائيل بأسرها فى موضع التبعية المتزايدة ازاء الامبريالية العالمية وبالذات ازاء الامبريالية الامريكية التى غدت اليوم مسئولة عن حياة اسرائيل من يوم الى يوم . ان الحروب الفاشلة التى شنتها اسرائيل منذ يونيو سنة ١٩٦٧ ، قد أفضت بها الى الاعتماد المتزايد على الامبريالية الامريكية . لم تعد المسألة مجرد التداخل العضوى بين الراسمالية الامريكية واسرائيل ، وانما أصبحت مسألة دور المساعدات الامريكية فى استمرار الوجود الاسرائيلى . وفى هذه الحدود بالدقة تصبح أمريكا واسرائيل شيئا واحدا . فأمريكا لا تدفع لاسرائيل الوف الملايين من الدولارات فحسب ، وانما تضع جهاز مخابراتها فى خدمة الجيش الاسرائيلى قبل السادس من اكتوبر ، ثم ترسل طائراتها للاستطلاع لتوجيه ضربات الجيش الاسرائيلى ، ثم تضع بين يديها أحدث اسلحتها ، وتفتح لها مخازن السلاح تأخذ منها حتى تكتفى . وقبل ذلك وبعد ذلك تصدر الحكومة الامريكية قرارها — استثناء من احكام القوانين الامريكية — باحتفاظ الامريكيين الذين يلتحقون بالقوات المسلحة الاسرائيلية بجنسيتهم الامريكية . وتلك هى المشاركة الفعلية فى القتال .

حول التاكتيك

ومع ذلك كله ، فلقد كان السادس من اكتوبر ضربة فى الصميم لاسرائيل بطبيعتها المزدوجة ، وبالذات لدورها فى خدمة الامبريالية الامريكية . **فلم تستطع القوة العسكرية الاسرائيلية ان تنقض علينا بمنتهى القوة — كما كانوا يأملون — وعلى العكس أثبت الجنود المصريون قدرتهم على القتال لتحرير أرضهم ، واستعاد الشعب المصرى ثقته بنفسه ، وازدادت عزلة اسرائيل وأمريكا** .

من هنا كان على تاكتيك العدو الرئيسى أن يتغير طبقا لظروف المعركة . **فشل تاكتيك انقضاض الجيش الاسرائيلى بكل قسوة ، وأصبح مطلوبا أن يحل محله تاكتيك التسلل التدريجى والارهاق المضطرد** . ويقوم التاكتيك الامريكى الجديد على العناصر التالية :

أولا : محاولة احباط حرب التحرير ، وذلك بعدم السماح لنا بانتصار محقق على اسرائيل ، والتأكيد على أن حرب التحرير ليست سوى حرب سياسية لكسر جمود الموقف وتحريك القضية على المستوى الدولى .

ثانيا : محاولة احتكار الحل السياسى ، مع محاولة عزلنا عن حليفنا الرئيسى ، وذلك ابتداء من التأكيد على عدم السماح للسلاح السوفيتى بتحقيق انتصار كبير — ولو غير حاسم — ضد السلاح الامريكى ، وانتهاء بالتسليم بأن الاتحاد السوفيتى يستطيع ان يعطى السلاح ، لكن الولايات المتحدة هى التى تستطيع ان تعطى الحل .

ثالثا : محاولة الاغراء الاقتصادى ، وذلك بالايهام بأن التراجع عن المواقع المتقدمة التى وصلت اليها ثورة يوليو ، سيقابل من جانب أمريكا بمزيد من الضغط على اسرائيل ، وبعصر من الرخاء الذى تسنده الراسمالية العالمية التى تنتظر الاشارة .

ولا شــك ان التاكتيك الجديد يلقى هوى لدى الرجعية القديمة التى كان موقفها دائما هو محاولة تصفية النظام بالتفاهم مع امريكا . ونحن نعلم انه منذ سنوات طويلة والاستعمار الجديد والرجعية القديمة تركز جميعا على الراسـمالية الوطنية ، وتسعى لاجتذابها الى مواقع الثورة المضـادة . لكنها لم تفلح الا فى ضم تلك الاقسام الطفيلية التى تشـتغل بالوسـاطات والتهـريب والمضـاربة والتخزين . وهى اقسام تنفصل عن الراسمالية الوطنية وتصبح ظفرا عليها يهدد نشاطها الانتاجى والتجارى بالانهيار والافلاس .

ان القـوى السلمية من الامـة ، من عمال وفلاحين وحرفيين ومنتجين ومثقفين وراسماليين وطنيين ، تأبى ان تستدرج الى حيل الامريكان . ومع تسلمنا جميعا بفداحة الخسائر التى حلت بالعدو الرئيسى وبقواه الرئيسـية الضاربة على كافة المسـتويات ، فاننا جميعـا على يقين بأن التاكتيك قد يتغير لكن الاستراتيجية تظل ثابتة ، تلك حقيقة علمية معروفة . كذلك فاننا نعلم علم اليقين ان استراتيجية الامبريالية الامريكية ازاءنا لم تتغير ، **اولا** : لاننـا لم نتغير كحركة وطنية ، **وثانيا** : لان الامبريالية الامريكية لم تتغير بعد .

ويجب ان نعترف بأن الامبرياليـة الامريكيـة تحاول ان تبدو فى ثوب السـلام الابيض ، لكنها فى الواقع لا يمكن ان تكون قوة من قوى السلام . فلا يمـكن ان تكون بداية عصر الانفراج الدولى والتعـايش السـلمى بين الدول ذات النظـم الاجتمـاعية المختلفة بحيث تخفى أو تغطى على الطبيعة العدوانية للامبريالية الامريكية . وعندما جلس الفيتنـاميون الى مائـدة المفاوضـات مع الامريـكان فى باريس ، لم يتغير وضـع أمريكا بوصفها العدو الرئيسى للشـعب الفيتنامى ، لم يتغير وضـع امريكا من قوة عدوانيـة الى قوة سلام . ولقد حرصت أمريكا على ان تذكر بحقيقة وضعها كل من حاول ان يتناسـاه ، وذلك عندما اسقطت على فيتنام من قنابل الموت والدمار خـلال الايام الاخيرة من المفاوضات وزن جميع ما اسقطته عليها خلال سنوات الحرب كلها .

والواقـع ان بـداية عصر الانفـراج الدولى والتعـايش السـلمى بين الدول ذات الانظمـة الاجتماعية المختلفة انما تعبر عن فشل الامبريالية الامريكية أكثر مما تعبر عن نجـاحها . انهـا فى الحقيقة تأكيد لواقع معين هو ان المكانة القيادية للولايات المتحدة فى العالم الرأسمالى قد ضعفت الى حد كبير . وبدلا من المركز الامريكى الاوحد فى الاقتصاد والسياسة ، يحل محله تدريجيا تعدد المراكز القيادية ، وتزداد المواجهـة حـدة بين الاحتكارات الامريكية وبين الجماعات الاحتكارية المندمجة او المتكاملة : السوق الاوربية ، المانيـا الغربية ، اليابان .. وتظهر بالتالى تناقضات حادة فيما بين الطبقات الحاكمة فى البلدان الامبريالية ذاتها . وفى الوقت نفسه فان كون قارة بأكملها هى اوربا قد عاشت منذ قرابة ثلاثين عاما فى ظل السـلام ، او على الاقل بلا حروب ، قد صـان الشعوب الاوربية من ويلات الحرب ، واطلق فى الوقت ذاته قوى الاشتراكية كى تنمو . وعلى الرغم من ان البلاد الاشـتراكية كانت لسنوات طويلة مضطرة لبذل طاقات غالية فى سبيل منع الحرب ، فلقد اخـذت تحقق معـدلات عالية فى النمو الاقتصـادى . وفيمـا بين عامى ١٩٥١ و ١٩٧١ ، ارتفع الدخل القومى لبلدان السـوق الاشـتراكية خمس مرات ، بينما لم يزد الدخـل القومى لبلدان السوق المشتركة عن ثلاثة أمثاله فى المدة ذاتها . وكل هـذا واقع ملموس لم يعد بوسع الراسمالية العالمية ان تتجاهله عند حساب المستقبل .

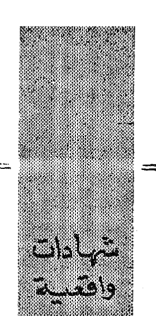
ان نجاحات النظـام الاشـتراكى العـالمى ، وبخاصـة الاتحاد السوفيتى ، ونجـاحات حركة الطبقة العـاملة العالمية ، وبخاصـة فى اوربا الغربية ، وانتصـارات حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبخاصة فى حرب فيتنـام ، هى واقع ملموس يعلن بصراحة **ان الامبريالية لن تستطيع استعادة زمام المبادرة التـاريخية الذى فقدته** . واصبح على الامبريالية الامريكية بالذات ان تواجه عالما جديدا : فيه عدو يتسـاوى معها فى القوة العسـكرية ، ومعها شركاء يتسـاوون معها فى القوة الاقتصـادية . من هنا تغلب منطق التعقل والواقعية ، واصبح على نيكسـون بطل الحرب الباردة فى الخمسينات ، ان يكون بطل الانفراج الدولى فى السبعينات .

وتأتى حرب السادس من اكتوبر لتؤكد من جديد على حقيقتين :

الاولى : ان الانفراج الدولى ليس سـوى شـكل فعـال للصراع الطبقى على المستوى العالمى ضد القوى الامبريالية العدوانية ، يشـل أيدى المعتدين ، ولا يتيح لهم حرية الحركة التى كانت لهم من قبل .

والثانية : ان قوى السلام أقوى بكثير مما كانت وان الشـعوب أكثر ثقة فى قدرتهـا على الحاق الهزيمة بالمعتدين .

ولذلك تزداد عزلة الامبرياليـة الامريكية حتى عن أقرب حلفائها . وهـذه الامبريالية الامريكية التى تزداد ضعفا ، وتزداد عدوانية ، هى العدو الرئيسى الذى لا تغفل عيوننا عنه ابدا . فاننا نعلم علم اليقين ان التـاكتيك مهما يتغير فهو دائمـا موضوع فى خدمة الاسـتراتيجية ، تابع لها . ان التاكتيك قد يتغير لكن الاسـتراتيجية تظل ثابتة بلا تغيير .



رؤية شعبية لحــــرب ٦ أكـــتوبر

كان العبور يوم ٦ اكتوبر يوما فاصـــلا فى تاريخ المواجهـــة بين الشـــعوب العربيــــة وبين الحلف الصهيونى الامبريالى ، ترتبت عليه ردود فعل بعيدة المدى على الاصعدة الدولية والعربية والداخلية .

وقد حرصت الطليعة على أن تمضى فىاستكشاف ابعاد حرب ٦ اكتوبر ، خصوصا فى الداخل ، فرات أن تستطلع ردود الفعـــل فى صفـــوف الجمـــاهير الشعبية وذلك من خلال عدد من الاسئلة المحدودة توجه الى عدد من العمال والفلاحين .

أما الاسئلة فتدور حول ما يلى :

ـ ١ ـ

التصور الخاص بالمعركة :

هل كانت متوقعة من حيث التوقيت والنتائج ؟

ـ ٢ ـ

وما هو تقييم دور العوامل المساعدة الى جانب الدور الرئيسى الذى اضلعت به القوات المسلحة ؟

وكيف تتحدد معسكرات الاصدقاء والاعداء ؟

ما هى بشكل عام انعكاسات الحرب على المجتمع المحيط بالعامل أو الفلاح ؟

ـ ٣ ـ

واذا كان تحقيـــق النصر النهـــائى هو الهـــدف الاساسى . فما هو ؟

ـ رأى العامل والفلاح ـ العمل المطلوب :

ـ من الشعب .

ـ ومن الحكومة .

ـ ومن الاشقاء العرب .

رؤيــة العمــال

الاسم : محمود على خليفة

المهنة : عامل نسيج

محل العمل : شركة وولتكس [مصنع البطاطين بروض الفرج].

ـــ كنت عارف اننا فى معركة دايمة مع اسرائيل وأمريكا . وما كنتش أتوقع تاريخ قيام المعركة الاخيرة .

ـــ لما بدأنا احنا المعركة أدركت اننا حننتصر وكان عندنا ثقة تامة فى الانتصار وأن قضيتنا بدأت تتحرك ناحية الحل الصحيح .

ـــ موقف البلاد العربية هو أكبر انتصار سياسى لمصر فى توحيد البلاد العربية ، ووقفة البلاد العربية فى المعركة انتصار لوحدها مهم جدا وده اللى يجب انه يستمر .

ـــ كان عند العمال ثقة دايمة فى الاتحاد السوفيتى وصداقته لمصر والعرب ، وان وقوفه بشرف جنبنا فى المعركة الاخيرة كان شىء طبيعى زى كل المعارك الماضية فى سنة ٥٦ ، و٦٧ ومساعداته فى تصنيع بلادنا وبناء السد العالى وتسليح الجيش وباقى المشاريع الثانية . وعندنا ثقة أن الاتحاد السوفيتى حيقف جنبنا فى المستقبل وفى كل وقت ، وهو يعتبر حارس السلام فى العالم .

ـــ ان عدونا معروف وهو أمريكا . وهى دولة رأسمالية استعمارية وهى واسرائيل شىء واحد . ويجب ناخد بالنا منها لانها بتاعة دمار العالم . وايه اللى أقوله عن عدونا انه عدونا وكفاية .

ـــ تأثير المعركة على عملنا فى المصنع كانت تظهر فى نشاط العمال فى العمل ، كان كل واحد بيعمل بدون مراقبة من رئيسه ، ومش محتاج حد يقول له شد حيلك او خد بالك . كل واحد عارف شغله كويس وشاعر انه بيعمل عشان يزود الانتاج . ودى معناها أن بلده بتزيد قوتها وتقدر تواجه العدو ، وان الايام اللى قدمها العمال للمجهود الحربى هى على كل حال حاجة بسيطة وفى حدود امكانيات العمال البسيطة . واحب أقول انه زاد الانتاج بفضل العمال فى أيام المعركة زيادة كبيرة عن قبل المعركة .

ـــ كانت الطبقة العاملة دايما ابتداء من اول شهر رجب لغاية العيد وكمان دخول المدارس ، فى المواسم دى تكون لها مطالب مادية . ولما بدأت المعركة نسيت العمال كل حاجة وماعادتش تفكر الا فى المعركة والانتصار ، وحتى بالمناسبة ، كان فيه فى المصنع عمال لهم أولاد فى الجبهة ، ولكن كانت روحهم المعنوية عالية جدا وماكانوش بيفكروا الا فى البلد والنصر . وانا لى ابن أخت فى الجبهة وأولاد اخى اثنين تانيين بيحاربوا فى الجبهة .

ـــ كنا مستعدين لمواجهة الخطر عن طريق الدفاع المدنى والحرس الوطنى من عمال المصنع المتفرغين .

ـــ ماكانش حد يصدق الدعايات المضادة . لاننا كنا بنعرف أن هدفها الشوشرة علينا وتخريب جبهتنا الداخلية .

● **المطلوب :**

ـــ لتحقيق النصر هو أن نكون فى حالة استعداد على طول وان نستمر فى زيادة الانتاج ، ونواصل البناء والتعمير فى ظروف المعركة عشان نكون قادرين على تحقيق النصر وان صمود الشعب والتوقف عن المطالب فى الوقت الحاضر ، وده شرط رئيسى لتحقيق النصر النهائى على اسرائيل وامريكا .

— نطلب من الحكومة أن تستمر فى سياستها اللى بدأت فى يوم ٦ اكتوبر . ونرجو أن تستمر على طول روح الرؤساء فى العمل زى ما كانت فى أيام المعركة . وان تكون السلطة قريبة دايما من العمال، وان تثق القيادة السياسية فى بلدنا فى الطبقة العاملة .
— المطلوب من الدول العربية أن تستمر وقفتهم مع مصر . ولازم تبحث عن طرق تانية تستخدمها ضد أمريكا زى تحويل نقودهم من البنوك الامريكية وتأميم الشركات الامريكية فى البلاد العربية .

● ● ●

الاسم : ماهر عبد السيد

المهنة : عامل فنى

محل العمل : شركة المحلات الصناعية [اسكو]

— كنت أتوقع أن تبدأ المعركة في يوم من الايام خصوصا بعد السنين الطويلة اللى فاتت اللى كنا بنبنى فيها قوتنا العسكرية .
— كان عندى ثقة فى انتصار بلادنا لانها تدافع عن حقها فى استرجاع الارض المحتلة .
— موقف البلاد العربية اللى ساعدتنا ووقفت معانا كلها . كان من الاسباب المهمة فى الانتصار فى المعركة على اسرائيل .
— كان تصرف السكان عادى جدا فى أيام المعركة ، وخصوصا فى الايام الاولى بعد ما اطمأنوا الى انتصار الجيش ، واصبحوا واثقين من النتيجة .
— قدمت الشركة فى المعركة ١٠٠٠ من العمال المشتركين فى الجيش الشعبى والمدربين على المقاومة الشعبية وهما الان فى جبهة القتال بعد أن طلب الرئيس **أنور السادات** اشتراك الشعب فى المقاومة ضد العدو وحماية جبهتنا الداخلية ، وقدم العمال مبلغ ١٠٥٠٠ جنيه تبرع للمجهود الحربى .
● **المطلوب عمله لتحقيق النصر :** أن نستمر جميعا فى الصمود الشعب والحكومة والعرب كما كنا ابتداء من يوم ٦ اكتوبر .

● ● ●

الاسم : عوض ابراهيم

المهنة : عامل فنى لاسلكى

محل العمل : ادارة المواصلات اللاسلكية

— كنا نحس أننا فى معركة مستمرة مع اسرائيل ، واننا فى مرحلة اعداد وتدريب وبناء عسكرى . ولم أكن اتوقع قيام المعركة الاخيرة من حيث التوقيت .
— الانتصارات والنتائج التى تحققت تعتبر معجزة . ولا يجب أن ننسى حجم الدعايات الاجنبية المعادية التى كانت تثار من قبل حول قوة اسرائيل وخط بارليف والحصون المنيعة التى أقامها العدو فى سيناء الخ . وهذا الانتصار الذى تحقق يعتبر فخرا لجيشنا وتحطيمه لغطرسة اسرائيل والهبوط بسمعتها العسكرية الى الحضيض .
● بالنسبة للعناصر المساعدة فى المعركة . وكما يقول المثل فى وقت الشدائد يظهر الصديق ، وقد أظهرت المساعدات العربية خلال المعركة سواء من الناحية المادية أو العسكرية أن العرب قلب واحد وروح واحدة ويد واحدة . ومن العناصر المساعدة أيضا دور الاتحاد السوفيتى الذى ساعدنا بالاسلحة التى استطعنا بها تحقيق نجاحنا ووقوفه الى جانبنا فى المجال الدولى . وكذلك الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل ، لقد تكشف للدول الافريقية حقيقة موقف اسرائيل العدوانى ضد الشعوب العربية وخاصة موقفها من الشعب الفلسطينى وسلبه حقوقه المشروعة فى أرضه ووطنه ، ورفضها لكل المبادىء التى تطالب باحترام الحقوق الشرعية للشعوب وحماية السلام العالمى .
● ان الدول المعادية هى امريكا فى المقام الاول وغيرها من الدول الاوروبية التى تساند اسرائيل، ولقد وجه اليهم العرب مايستحقونه من عقاب . وهذه الدول مضطرة الان لمراجعة مواقفها وتحسين علاقاتها بالدول العربية .
كانت هناك روح عالية جدا من جانب المواطنين ، والرغبة الصادقة فى عمل كل شىء لمساندة اخوانهم فى الجبهة . وكان من الطبيعى انك تلاقى الناس فى الطريق

يشجعون الجنود الذين يقابلونهم . ويحسون بالفخر بجنودنا الذين رفعوا رؤوسنا في العالم ، واعادوا لنا الاحترام الذى نستحقه والجديرين به . كما كان لزملائنا في العمل أبناء في الجبهة ، وكانوا يحسوا بأن أبناءهم يقوموا بدور هام في خدمة الوطن .

— كلنا في القسم الذى أعمل فيه مدربين على وسائل الدفاع المدنى والدفاع الشعبى ، وأنا شخصيا مسئول فريق الانقاذ في الدفاع المدنى

— كانت روح الجميع عالية جدا في مواجهة الدعايات والاشاعات المضادة التى تستهدف تحطيم جبهتنا الداخلية واشاعة الفتنة بين المواطنين ، وهذه الاشاعات مصدرها الاذاعات الاجنبية على أمل أن تلاقى من يرددها من العناصر المغرضة والسيئة والجاهلة .

— وأنا لى أخ يقاتل في الجبهة واننى أعتز جدا بدوره الذى يقوم به في خدمة الوطن والمواطنين .

— ان عملنا ليس مرتبطا بالانتاج . ولكن كل واحد منا في العمل كان يؤدى واجبه بروح الاخلاص والتفانى في العمل من جانبه .

— المطلوب من الحكومة ان تقوم بتجنيد الشباب الجامعى وتدريبه على أعمال الدفاع الشعبى ، والاستفادة في المعركة من الكفاءات والطاقات الموجودة في البلد ، وانشاء مراكز أو مكاتب في الاحياء لتجميع الكفاءات وتنظيمها والاستفادة منها في خدمة المعركة ، وأيضا المزيد من التوعية للمواطنين .

والمطلوب من العرب هو زيادة المساهمة في المعركة والغيرة على الشرف العربى والدم العربى لان المعركة هى معركتنا جميعا نحن العرب .

● ● ●

الاسم : محمود عبد المطلب

المهنة : عامل نسيج
محل العمل : شركة وولتكس [مصنع شبرا الخيمة]

— كنت أتوقع المعركة باستمرار، ومهما طال الوقت كان لابد من تحرير الارض المحتلة ، وان كنا نسأل أنفسنا متى تبدأ المعركة ، وهذا كان حديثنا باستمرار في العمل أو المنزل . اننا لم نكن نرضى بالاحتلال لبلادنا لان الاحتلال هدفه انه يعرقل ويمنع طريقنا الى الاشتراكية وتقدمنا . ان سبب اعتداء اسرائيل علينا هو اننا اخترنا النظام الاشتراكى وحل الكثير من مشاكلنا . وان النفقات الحربية كان من الممكن أن تتحول لبناء المصانع والمدارس وتطوير حياتنا . وطبعا ده ماكانش يرضى عنه الاستعمار .

— كنت أتوقع النتائج بانتصارنا لاننا نحارب من أجل مبدأ وهو استرداد أرضنا ، ولم نكن نحارب لاستعمار احد ، وكانت الفترة الماضية تعطينا الامل من ناحية بناء جيشنا واستيعابه السلاح الحديث .

ان وحدة الشعوب العربية هى الاساس في نجاحنا في المعركة الاخيرة ، وكلما زاد ترابط الشعوب العربية زاد انتصارنا ونجاحنا وان الامل هو في زيادة وحدة الشعوب العربية وبذلك يمكن القضاء على الاستعمار واستغلاله للمنطقة . وانه لولا أمريكا ماكانش هناك اسرائيل ، وان اسرائيل وجدت في العالم العربى لحماية المصالح الامريكية ، ووحدة الشعوب العربية هى اللى تمكننا من القضاء على الاستعمار والاستيلاء على الشركات الاحتكارية البترولية الامريكية والبريطانية وتحويلها لصالح الشعوب العربية .

— اننا نضع في مقدمة أصدقائنا الاتحاد السوفيتى بجانب الشعوب العربية وان الاتحاد السوفيتى هو الذى قدم لنا السلاح . وكان السلاح ووطنية جنودنا الابطال وحماسهم لتحرير بلادهم طول ست سنوات كان من العوامل الاساسية في نجاحنا وكذلك الدول الافريقية اللى قطعت علاقاتها باسرائيل . وكانت السبب في عزل اسرائيل عن العالم .

— أن اعداءنا هم الاستعمار الامريكى والاستعمار البريطانى . ان أمريكا تريد تحطيم استقلالنا وحريتنا وتغيير طريقنا الى الاشتراكية سواء بالحرب أو بالمؤامرات الدموية كما فعلت أخيرا ضد الشعب الشيلى ونظامه التقدمى واغتياله رئيسه الشرعى المنتخب من الشعب سلفادور الليندى .

ــ بالنسبة لتصرف السكان كانوا باستمرار متحمسين للمعركة ومتلهفين على أخبار انتصاراتنا على العدو ، وخاصة عندما كانوا يشاهدون الاسرى الاسرائيليين فى التليفزيون

ــ لقد رحب جميع العاملين على اشتغال أيام العيد كما قرروا من جانبهم اشتغال يوم آخر ، وأن يخصص حصيلته لصالح المجهود الحربى ، وكان الشعور الذى يسود بين العمال أن اسرائيل تحصل على تبرعات كثيرة من أمريكا والبلاد الاستعمارية الاخرى . وأن هذه الايام التى يقدمها العمال هى مساهمة بسيطة من العاملين فى المصنع بالنسبة للجنود فى الجبهة الذين يضحون بدمائهم وأرواحهم ، وان العمال المصريين مستعدين لتقديم كل تضحيات من أجل انتصار جيشنا العظيم .

ــ وأنا بصفتى عضو فى الدفاع المدنى كنا مستعدين لاسوأ الاحتمالات ، واحنا استفدنا من تجربة عدوان اسرائيل على مصنع أبوزعبل فى الماضى ، وهذا العدوان الغاشم درس لنا لنكون مستعدين لمواجهة الاخطار .

ــ وأحيانا كنا نسمع اشاعات خبيثة وخاصة فى الايام الاخيرة عن جيشنا ، وكنا نقاومها بالوعى واليقظة المستمرة ، واجراء مناقشات علنية داخل المصنع لتوضيح الهدف من الاشاعات التى كان مصدرها راديو صوت أمريكا ولندن ، وهو تحطيم روحنا المعنوية لشعبنا .

ــ ولى أقارب فى الجبهة وهم زوج ابنتى ، وزوج ابنة شقيقتى ، واثنين من أولاد شقيقتى الثانية .

المطلوب لتحقيق النصر النهائى هو تدريب جميع أفراد الشعب وكل العاملين فى بلادنا لحماية أرضنا وتوعية الجماهير بالمعركة وظروفها وأساليب عدونا فى الخداع ، لكى نكون فى وضع قوى لحماية بلادنا ، ولا ننقاد لاى اشاعة هدفها تخريب جبهتنا الداخلية .

ــ ان شعبنا أعطى ومستعد ان يعطى دائما بسخاء وتحمل كل التضحيات من أجل انتصار بلادنا ، وهذه التضحيات يضعها الشعب بين يدى القيادة الوطنية التى يمثلها القائد أنور السادات ، وان المطلوب من الحكومة الوقوف بصلابة ضد الاستعمار الامريكى واسرائيل ، والاستمرار فى المعركة وعدم الاستجابة للتهديد والضغط الاستعمارى وان الشعب يقف وراء حكومته الوطنية ومستعد لكل التضحيات اللازمة .

ــ ان تحقيق وحدة الشعوب العربية وتضامن جميع المنظمات والقوى الوطنية والتقدمية فى البلاد العربية والتعاون بينهم أمر ضرورى فى المعركة المصيرية ، لان هدفنا جميعا واحد وهو تحرير أراضينا وتحقيق التقدم الاشتراكى لشعوبنا العربية .

ــ كان من الحاجات المؤسفة أن نجد فى ظروف المعركة والتضحيات العظيمة التى يقدمها شعبنا فى ميدان القتال وفى الداخل . ان يوجد بعض العناصر من التجار الجشعين الذين يسرقون الشعب ويخفون السلع الضرورية وزيادة أسعارها عن الاسعار الرسمية من أجل زيادة أرباحهم على حساب قوت الشعب الضرورى .

● ● ●

الاسم : محمد حجازى حسبو
المهنة : عامل بهندسة السكة الحديد
محل العمل : قسم الزقازيق

لازم كنا نحارب اسرائيل عدوة الانسانية والعرب علشان تحرير ارضنا وعلشان حماية أولادنا الجنود وعلشان الدول كلها تحترمنا وتعترف بأننا دولة حربية تقاوم الاستعمار واعدائها .

والعبور معجزة من عند الله لانهم كانوا محصنين خط بارليف جامد وكنا نسمع انهم صرفوا على بنائه ٥٠ مليون جنيه .

والدنيا كلها تشهد أن الجندى المصرى الشجاع عبر قناة السويس بطريقة انتحار من غيظه من اسرائيل ومعها امريكا .

والبترول العربى وقطعه عن امريكا والدول التى تجامل اسرائيل ساعدنا تماما فى المعركة

وكمان وحدة العرب وسلاح الاتحاد السوفيتى أهم حاجة فى معركتنا مع اسرائيل . ونسمع أن الصين ساعدتنا فى المعركة مساعدة جامدة .

وأنا لى ولد فى الجبهة وأرسل لى خطاب مملوء شجاعة مع انه مصاب فى المستشفى وأنا وأمه كنا قلقين عليه وكنا ندعو له بالنصر والسلامة هوه واخوانه الجنود .

ـ ولازم تعرف اننا كلنا كنا فى آخر فرحة أيام القتال ولم نخف من طائرات العدو وامريكا كنا نلعنها لعنة الله عليها لانها تساعد اسرائيل علينا بالعسكرية والسياسية .. والنصر سيتحقق ان شاء الله بالسلام .

● ● ●

الشحات عبد العظيم طاحون
المهنة : عامل بشركة نسيج بوليتكس ـ
محل العمل : شبرا الخيمة

الحرب والمعارك الاخيرة مع اسرائيل لم تكن على بالى ابدا مع أن العمال والطلبة كانت تطالب بالثأر والحرب مع اسرائيل .

والسبب الذى جعلنى لا أتوقع الحرب هو السكوت بقصد أو بغير قصد من الحرب الفعلية مع عدونا اسرائيل .

وللحق ما كنتش أصدق عملية العبور الهائلة لجيشنا المصرى الباسل ولاضرب خط بارليف بسبب التهويل الكثير حول صعوبة العبور ومناعة خط بارليف العجيب فى جرايدنا المختلفة .

والمعركة الاخيرة مع اسرائيل أثبتت وجود الدول العربية ووحدتها وبالذات السعودية والكويت وامارات الخليج والعراق التى قدمت بترولها ومالها وأولادها ومثلها الجزائر العظيمة واليمن الشعبية التى قامت بدورشهم فى مساعدة أسطولنا عند باب المندب وغلق المياه من الناحية الشرقية على اسرائيل

وفى **المعركة** وقبلها كل المصريين لابد أن يفهموا الجميل الكبير للاتحاد السوفيتى الدولة الاشتراكية الصديقة .

وعلى العموم فالمعركة مع اسرائيل كانت معركة تفرح مع وجود بعض القلق والزعل على اخواننا فى الجبهة وأخويا فى الجبهة . ولم يرسل خطابا للان وأتمنى عودته واخوانه سالمين .

وجو المعركة عرفنا الشجاعة والصبر وزاد مجاملة الناس لبعضهم . فالبيت الذى ليس به أبناء على الجبهة لم يعمل كعك العيد مجاملة للجيران الذين أبناؤهم فى الجبهة .

وعرفتنا المعركة أننا لازم نستمر فى كراهية الاستعمار وأمريكا .

وعلشان نمشى للنصر نتفاوض ، فاذا لم تنفع المفاوضة فالحرب الحرب ..

● ● ●

الاسم : عطية عبد المنعم نادى
المهنة : عامل يومية [موسمى بمحالج الاقطان]
محل العمل : محلة البرج ـ مركز المحلة .

بالحق كنت انتظر الحرب لتحرير أرضنا من اسرائيل والانتقام من هزيمة ١٩٦٧ والانتقام من ضرب الاهالى والمدنيين بالطائرات يعنى كنا لا بد من الانتقام لعمال مصنع أبو زعبل وتلاميذ مدرسة بحر البقر .

وتخطية القنال وتحطيم خط بارليف كنت أتوقع حدوثها لبطولة الجندى المصرى اللى زى أخويا المتطوع والموجود فى الجبهة .

والشدة وأيام المعركة عرفتنا أفضال الدول العربية ومساعدتها لنا بكل شيء وقطع البترول عن اصدقاء اسرائيل .

والاتحاد السوفيتى والصين مدونا بالسلاح وبالاكل واللحمة وكل طلباتنا .

وكل وقت المعركة كان وقت فرح والغارات لا خوف منها . والنصر بالحرب بس .

● ● ●

الاسم : فاروق سلطان عبد النبى
المهنة : عامل بشركة مصر للالبان وعضو لجنة وحدة الاتحاد الاشتراكى بالشركة

● المعركة كانت حتمية · ولكن التوقيت يجب أن يترك للقيادة السياسية نظرا لان رؤية القيادة أوضح وأشمل من رؤية الفرد · وكان الاحساس بالمعركة مستمر نظرا لوجود التدريب

والاعداد العسكرى للقوات المسلحة واستكمال الدفاع المدنى واعداد وتدريب أفراد الدفاع الشعبى والمقاومة الشعبية ٠

أما عن النتائج من ناحية مصر ، فقد كنت أتوقعها تماما نظرا للاعداد والتدريب وتغيير المعاملة بين الجنود والضباط المصريين . ولكن كنت متوقعا خسائر أكبر فى الافراد والمعدات أثناء العبور ٠

أما من ناحية اسرائيل فالهزيمة كانت مؤكدة نظرا للغرور الزائد ٠

أما عن العناصر المساعدة فى المعركة ، فانها تتمثل أولا فى وحدة الوطن العربى وتجميع شمل العرب التى لم يكن متوقعا بهذه الصورة من قبل ، وتوحيد الهدف وقطع البترول العربى ٠ وثانيا فى موقف الاتحاد السوفيتى فى الدعم العسكرى والمساندة السياسية فى مجلس الامن ٠ كذلك الدور البارز للدول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل التى ظلت تنمى فيها حوالى ٢٠ عاما ٠

ولاشك أن أمريكا تقف فى مقدمة الدول المعادية بسبب دعمها العسكرى لاسرائيل بالمعدات والمال ٠٠ الخ ٠

● لقد كان تصرف الناس كله احساس بالمسئولية واحساس بالنصر ٠ وكان كل مواطن يحاول أن يقدم نفسه لخدمة المعركة فى الدفاع الشعبى والدفاع المدنى والشرح للمواطنين بظروف وأعباء المعركة ٠

وكان احساس كل أسرة لها مقاتل على الجبهة مطمئن وكانت الدعوات على كل لسان بالنصر ٠

وفى مواقع الانتاج ، ازداد احساس العاملين بأهمية الانتاج للمعركة ودعمها المالى ٠ فكان العمل يتم بصورة مستمرة ، وعدم قيام العاملين بأجازات فى العيد وان العيد الاكبر هو عيد النصر على الاعداء .

وفى مجال مواجهة الخطر ، كان هناك العمل على توفير كل مستلزمات الاسعافات الاولية بكل بيت ورمل ومياه وتنفيذ تعليمات الدفاع المدنى بكل بيت ٠

وكان كل مواطن يعمل على التصدى لكل محاولة اشاعة أو تشكيك فى قدرتنا أو قواتنا المسلحة ٠

ان لكل بيت أبناء فى الجبهة ومن هنا حرص كل بيت على حماية مؤخرة ابنائه ، ومن عندنا مثلا مقاتلين من أعز أولادنا ، ابن أخى وهو حاصل على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية وزوج بنت أخى العامل الميكانيكى ٠

● المطلوب بالنسبة لشعب ، فهو يقدم التضحية بعدم استعمال الكماليات والحد من الاسراف ٠ وأن يكون كل مواطن فى الموقع المحدد له لتأدية دوره فى المعركة وعدم ترديد الاشاعات أو الاستماع لاذاعات العدو ٠

ويترك للقيادة السياسية حرية التصرف لاتخاذ ما تراه من ترتيبات واعداد وتوجيهات والقضاء على تجارة السوق السوداء والتصدى لكل منحرف أو مخرب ٠

وبالنسبة للحكومة ، لابد من القضاء على الروتين وتطهير مواقع العمل ووضع الشخص المناسب فى المكان المناسب واعطاء الفرصة للقيادات الفنية الشابة لتحمل مسئولية القيادة وتنظيم توزيع كافة السلع الاستهلاكية حسب ظروف المعركة للحد من الاستيراد والقضاء على تجار السوق السوداء .

وبالنسبة للعرب ، أن يتمسكوا بقطع البترول والترابط الكامل لكل الدول العربية وتجميع القوى العربية وسحب الارصدة العربية من بنوك الدول المعادية واستثمارها فى الدول العربية .

● ● ●

الاسم : أحمد محمد موسى

المهنة : عامل قطع

محل العمل : شركة النصر لصناعة الزجاج والبللور

ما كانش فيه حد يعلم بميعاد بدء المعركة أو الساعة التى حاتقوم فيها غير القيادة السياسية فى بلدنا ٠

ومن ناحية النتائج تعتبر دى أول مرة الجيش المصرى يحارب فيها حرب حقيقية من سنة ١٩٤٨ ويحقق الانتصار على اسرائيل .

أما موقف الدول العربية فيعتبر أحسن موقف . ودى أول مرة تتحد فيها الدول العربية ، ويعتبر حاليا كل الدول العربية واقفة معانا . وان الدول الصديقة هى الاتحاد السوفيتى ، وأن موقف فرنسا هو احسن موقف فى الدول الاوروبية ، ومفيش هناك من الدول المعادية لينا غير أمريكا .

ومن ناحية تصرف السكان كانت الروح المعنوية للشعب عالية جدا ، وطريقة معاملتهم لبعض طيبة جدا وكل الناس شاعرة انها تواجه خطر واحد ومصير واحد .

وكانت الشركة اقترحت أن يتبرع العمال بربع يوم لصالح المجهود الحربى ولكن العمال قرروا التبرع بيوم عمل كامل على مستوى المصنع كله ، ده الى جانب العمل أيام العيد .

وبالنسبة لمواجهة الخطر فيه هناك دفاع مدنى وفرق الانقاذ والحريق وناس مختصة بالاسعاف وكلهم مدربين من قبل الجهات المختصة . وفى وقت الغارة من جهة الاحتياط ينزل العمال الى المخابىء ولا يبقى هناك غير العدد اللازم لتشغيل المصنع .

ولم يكن أحد يصدق أى اشاعات من العمال لان الاشاعات هدفها معروف .

ومفيش شك أن الانتاج حقق زيادة كبيرة .

المطلوب عمله لتحقيق النصر : أن يتحمل جميع أفراد الشعب أعباء المعركة ، وأن لا يشغل الناس نفسهم بحكاية التموين . وان هناك دولا كثيرة تحملت سنين طويلة أعباء الحرب وليه احنا ما نكونش زيها .

وان المطلوب من الحكومة حماية المواطنين والمحافظة على النظام .

ومن ناحية العرب مطلوب استمرار المساعدات من الدول الغنية اللى تنتج البترول ومش من المعقول نطلب من الدول الفقيرة انها تساعدنا . وان الواجب على الدول المنتجة للبترول أنها تعمل مصانع سلاح وذخيرة وطيارات فى الدول العربية ومن هنا ما نكونش محتاجين لحد يدينا سلاح ، وان الدول الاوربية مضطرة تدينا مصانع غصب عنها والا نمنع عنها البترول .

بالنسبة لانعكاسات المعركة علينا كشعب كانت مشجعة لينا . وخلت الانسان ينسى كل شىء فى نفسه الا المعركة اللى كان يتوقف عليها مصير مصر والامة العربية كأمة متقاتلة .

وبالنسبة لاسر المجندين عملنا صندوق لمساعدة أسر المجندين منذ سنة ١٩٦٨ ، وتمويله من التبرعات الثابتة التى تدفع شهريا من العمال ، وهى تبدأ من الدرجة العاشرة وتزيد نسبتها حتى الدرجة الاولى ، ده بالاضافة الى المساعدات الاخرى لحل مشاكلهم الاجتماعية .

من ناحية العطاء للمعركة ، تبرع العمال بيومين عمل بالاضافة الى العمل فى أيام العيد . وان هناك حوالى ٢٥ فى المائة من عمال الانتاج يشتغلون ساعات عمل اضافية ويطبقون فى وردية العمل من أجل زيادة الانتاج ـ وان هناك كثيرا من العمال من المتفرغين للجيش الشعبى سافروا الى الجبهة . ده بالاضافة الى وجود جيش شعبى آخر فى داخل الشركة .

يتولى المحافظة على الامن فى المصنع مجموعة كبيرة من الدفاع المدنى من العمال المدربين على أعمال الدفاع المدنى من انقاذ وحريق وتمريض ، وأن حوالى ٥٠ فى المائة من العمال فى الشركة مدربين على الدفاع المدنى .

وكنا نواجه الاشاعات عن طريق عمل المناقشات التى كانت تجرى دايما بين مجموعات لمواجهة الدعايات المضادة ، ويوجد ميكرفون على نطاق كافة اقسام الشركة يتولى العمل فيه مندوبين من النقابة والاتحاد الاشتراكى للرد على الاشاعات المضادة .

● ● ●

الاسم : خليل خليل الشعراوى

المهنة : عامل نسيج

محل العمل : شركة مصر ـ حلوان للغزل والنسيج

كمواطن مصرى كنت أتوقع قيام المعركة وان تشبث اسرائيل باحتلال الاراضى العربية واذلال العرب يجعلنا دايما مستعدين لتحرير الارض المحتلة ، أما موعد المعركة فهو فى يد المسئولين .

كقيادة سياسية وعسكرية ، وهى تتصرف حسب ظروفها وتحديد ميعاد المعركة ، وكان التوقيت سليم من حيث قيام المعركة •

ـ والحمد لله كانت النتائج مشرفة وكان الانتصار حليفنا ، وكنا ننتظر عبورنا لقناة السويس وده يرجع لشجاعة أبنائنا والقادة الذين خططوا للمعركة ، ودى كانت أول تجربة لمصر فى الحرب الحقيقية وأنها انتصرت فيها •

ـ الامة العربية ماقريناش فى التاريخ ـ انهاوقفت وقفة كاملة زى ما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ ، وده يرجع للسياسة الحكيمة لبلادنا •

ـ عن الدول الصديقة نذكر موقف الاتحاد السوفيتى فى المحل الاول • ويليه يوغوسلافيا والدول الاشـتراكية بـالاجماع والدول الافريقية •

ـ أما أعداؤنا بالدرجة الاولى فهى الولايات المتحدة الامريكية ، والدول التى تساند اسرائيل كجنوب أفريقيا وروديسيا وغيرهم من الدول المعادية •

ـ لى أبناء وأقارب فى الجبهة •

ـ الانتاج زاد على الاقل بنسبة ٢٠ فى المائة ، والمشاكل قلت ولم يعد أحد يهتم بمشاكله الشخصية وكان الاهتمام الاول للمعركة •

ـ والمطلوب من الشعب تحقيـق النصر النهائى أن نكون مترابطين ترابطا كاملا بالنسبة لتحرير الارض العربية ، وضرورة التضحية فى سبيل النصر •

وان الحكومة مش مقصرة فى واجبها من ناحية الشعب •

وان كل اللى أطلبه من الامة العربية أن تترابط كما هى الان فى المعركة ،وعدم الرضوخ لاى ضغط خارجى •

وانا عندنا كل الامكانيات لتحقيق النصر ، وان أهم شىء فى حياة الامة العربية أنها تعيش حرة •

● ● ●

الاسم : محمود محمد عطا

المهنة : عامل انتاج بشركة مصر للالبان والاغـذية
وعضو لجنة الاتحاد الاشتراكى بشياخة الاميرية

كنا نتصور وقوع معركة ولكن ليس فى ذلك الحين الذى وقعت فيه بل كنا نظنها بعيدة الى حد ما •

وما كنا نتوقع نصرا كبيرا بالنسبة لمصر نظرا لعدم معرفتنا كمستوى معين بمدى قـوتنـا العسكرية من ناحية ومن ناحية أخرى أن الدول العربية لم تظهر وحدة صفها وتلاحمها الا أثناء المعركة •

وأهم العناصر المساعدة فى المعركة هـى موقف الدول العربية الموحد ، والتخطيط العلمى السليم ، والسرية التامة المحكمة ، ووعـى القاعدة بمسئولياتها وتحملها واجباتها •

والثقة موجودة فى الدول العربية والدول الصديقة أما الدول المعادية فهى معروفة •

من أول اعلان بيان عن نشوء قتال بين مصر وسوريا من ناحية واسرائيل • كان الشعب متفائل والكل يدعو الله بالنصر والكل مستعد للتضحية والفداء •

أما أسر المجندين • فكانوا يتمنون على الله النصر ، وأن يرجع اليهم ذويهم سالمين وهناك من يتمنى شرف الجهاد والتضحية •

وقد قام الشعب بجمع التبرعات للمعركة ولبوا نداء الدم وكثر المتبرعون بالدم ومحاربة الشائعات • والحد من الاسراف •

وقد استعد الشعب لمواجهة المخاطر بثبات وصبر وتدبير مع أنه لم تحدث مخاطر •

المطلـوب الاهتمام الكامل بالسـلع التموينية ومراقبة توزيعها توزيعا سليما وعدم ربة السوق السوداء والاخذ على يدى المتلاعبين بشـدة للمحافظة على سلامة القاعدة ومعنوياتها •

كذلك قيام التنظيمات السياسية وغيـرها بدورها على النحو المطلوب • ونشر الوعى الدينى والسياسى بين أفراد الشعب • واقامة العدل بين الناس والبت فى القضايا على وجه السرعة بدون مماطلة •

وشيء آخر مهم جدا وهو تجمع كلمة العرب ووحدتهم والمحافظة على مقدراتهم واستغلالها لصالح قضيتهم وتنمية وتقدم البلاد العربية تقدما يتمشى مع العصر ومتطلباته .

● ● ●

الاسم : صلاح ابراهيم السيد
المهنة : عامل بشركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع المعركة بالفعل . نحن عرب وحقنا مغتصب بالقوة . وما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

نعم كنت متوقعا النتائج من ناحية مصر ومن ناحية اسرائيل ، ان اجتياز خط بارليف الحصين والمانع الاسرائيلى هو العامل الاساسى للنصر وهو ما لم يتوقعه العالم ولكنه فوجيء بشجاعة الجندى المصرى وبراعته فى عملية مثل هذه العملية الكبرى وهى عملية عبور صعب .

ان موقف البلدان العربية هو العامل الاساسى فى المعركة . ان وحدة الدول العربية قوة ضاربة وفعالة وخصوصا فى مثل هذه الظروف .

الدول الصديقة ، ومثلها الاتحاد السوفيتى ساندنا وساند الحق لاننا أثبتنا للعالم كله أننا لسنا دعاة حرب ولا التوسع نريد ارضنا وحقنا المغتصب .

ان الدول المعاديه مثل أمريكا انها تؤيد اسرائيل وهى كآلة فى يديها للتوسع علـى حساب العرب .

ان الانتصار الذى حققته قواتنا المسلحة وعبور خط بارليف الحصين المنيع لاسرائيل التى كانت تتحدى به بلاشك آثار انعكاسات على المجتمع العربى كله من المحيط الى الخليج حتى الدول المحبة للسلام وكنا نتوقع ذلك .

وتصرف السكان كان عاديا جدا

اننا فى القاهرة كنا نتوقع غير ذلك ، لم نسمع أصوات المدفعية ولم نشـاهد طيرانا معاديا على اجواء القاهرة . ولم نكن نسمع سوى البيانات العسكريه وكانت فى التقدم دائما وكنا نتابعها باستمرار وحينما سمعنا النبأ باجتياز الخط الحصين والتقدم والخسائر التى لحقت باسرائيل والتى اعترفت بها جولدا مائير أخيرا .

المطلوب عمله لتحقيق النصر النهائى :

بالنسبه للجبهه الداخليه هو الترابط والتكامل وعدم ترويج الاشاعات على أن تظل الجبهة الداخليه صلبه حتى يتم النصر النهائى ويجب ان يكون الشعب سندا لجبهة القتال . وأن يراعى شعور الجندى على خط النـار ويسانده بكل ما يملك حتى يتم النصر النهائى .

أما من ناحية المعركة فان القادة المصريين كما علمت وقرأت انهم يعرفون أن عـدوهم غادر ، ويتوقع ذلك فى أى وقت وهم الان يعدون العدة لحدوث أى مفاجأة قد تحدث .



الاسم : بهية حسين
المهنة : عاملة بشركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت متوقعة أننا سننتصر لاننا أصحاب حق والارض أرضنا ، والهزيمة لاسرائيل لانهـا ليست صاحبة حق بل مغتصبة لارضنا .

موقف الصديق ، موقف روسيا الصـديقة ساعدتنا دائما من أجل تحرير أرضنا لان مبدأها تحرير الشعوب من الاستعمار والقضاء عليه فى العالم .

المعركة سببت ارتفاع الروح المعنوية عند الشعب ولم تنجح دعايات العدو . ومحاربة السوق السوداء وزيادة الانتاج يقوى الجبهة الداخلية .

الاسم : دولت حفنى

المهنة : عاملة بشركة مصر الجديدة

محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع المعركة فى أى وقت وكذلك أتوقع النصر وأتوقع هزيمة اسرائيل ولكن ليست بهذه الصورة ، فان اسرائيل القاعدة الاستعمارية لامريكا قد هزمت شر هزيمة .

موقف الدول العربية واتحادهم واستخدامهم سلاح البترول هز أمريكا ، وجعل الدول الغربية تقف بجوارنا من أجل مصالحها ولاننـا انتصرنا . وأنا مبسوطة لانتصارنا حتى لا تهددنا أمريكا كل شوية باسرائيل .

وفى الجبهة الداخلية الروح المعنوية مرتفعة جدا والحرب النفسية لم تنجح فقد وقفت الجبهة الداخلية موقفا موحدا ، وكانت على استعداد لحاربة أى شىء يؤثر عليها .

● ● ●

الاسم : نفيسة ابراهيم

المهنة : عاملة بورش شركة مصر الجديدة

محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع النصر لاننا أصحاب حق ، وكنت مؤمنة بالنتيجة أيام المعركة .

موقف البلاد العربيه واتحادها واستعمالها سلاح البترول جعلنا أقوياء وأثر على موقفنا عالميا

انعكاس المعركه : شعورى بأن كل الجنود على الجبهة اخواتى ورغبتى القوية فى تقديم أى خدمه لاسر المجندين .

وفى الجبهة الداخلية لم تنجح الحـرب النفسية لارتفاع الروح المعنوية .

● ● ●

الاسم : فهيمة محمد

المهنة : عاملة بشركة مصر الجديدة

محل العمل : مصر الجديدة

ما فيش شك كنت أتوقع المعركة لاننا لن نقبل الظلم والعدوان :

« اذا اعتدوا فاعتدوا عليهم بمثل ما اعتدى عليكم » .

كنت متوقعة اننا سوف نعبر خط بارليف لان الجندى المصرى مقدام وعنده ايمان والله معنا ودخلنا المعركة وهدفنا الاساسى تحـرير أرضنا ولكن اسرائيل ليست أرضها والجندى المصرى داخل الحرب اما النصر واما الشهادة وانتصر بكفاءة تدريبه .

البلاد العربية تنظر الى مصر على انها الام وأى شىء يصيبها يهدد البلاد العربية كلها وكان لازم يعملوا كده ويقفوا موقفا متحدا لان على مدى العصور كانت وحدتهم دائما تؤدى بهم الى النصر وسلاح البترول كانوا يأخذوا البترول ويعملوا السلاح ويضربونا به فمنعنا عنهم البترول حتى لا نضرب نفسنا بأموالنا وخيراتنا .

الدول الصديقة كنا ننتظر منها انها تقف بجانب الحق بجانبنا . والدول المعادية غيرت موقفها لانها خائفة على مصالحها وليست من أجل الحق .

كان الشعب خافض رأسه تحت ولكن دلوقت رفعنا رأسنا .

أى مواطن كان يتصرف بكل ما هو مفيد للمعركة بالتبرع بالدم والتطوع فى الهلال الاحمر والعمل بالتمريض .

خطيبها فى المعركة .

المطلوب : احنا نفسنا أطول من اسرائيل . مصانعنا شغالة والانتاج أكبر والمزارع شغالة .

الاسم : منى السيد سليم
المهنة : عاملة بورش شركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع النصر . وكان العبور أول نصر وفاتح له ولاننا ندافع عن أرضنا فهذا دافع أقوى من دافع اغتصاب حق الغير .

الروح المعنوية مرتفعة . وتدريب الجيش تدريب سليم . والدول العربية أحسن موقف لانها وقت الشدة يتحدوا وسلاح البترول أقوى سلاح ضد البلاد الاوربية التى كانت تؤيد اسرائيل .

والدول الصديقة نشكرهم وخصوصا الدول التى قطعت علاقاتها باسرائيل . وروسيا التى مدتنا بالسلاح وهذا مهم جدا لنا وهى واقفة بجانبنا منذ ٦٧ .

الدول المعادية ، فأمريكا دولة معادية وبتساعد اسرائيل لانها قاعدة لها وهى الصديقة الوحيدة لها فى الشرق .

داخل البلد كانت الروح المعنوية مرتفعة جدا

وزيارة الجرحى والتطوع فى الهلال الاحمر والمقاومة الشعبية

والدعايات لم يكن هناك أى صدى لها والشعب كان واعيا جدا .

مطلوب من الجبهة الداخلية محاربة الاشاعات ونزيد الانتاج لتعويض الخسائر

ويجب على الحكومة التعاون مع الشعب وازالة الفوارق .

وتكون الدول العربية مستمرة فى تعاونها .

● ● ●

الاسم : محمد درويش مصطفى
المهنة : براد
محل العمل : مصر الجديدة

لم اكن أتوقع المعركة فى هذا الوقت . وذلك من خطاب **الرئيس** وكان النصر حاجة مذهلة جدا وكان العبور وهزيمة خط بارليف الذى قيل عنه انه لن يهزم الا بالقنبلة الذرية

وتوقع النصر كان موجودا لان ده كان طار بايت

كنت منتظرا الهزيمة لاسرائيل لانها مغتصبة أرضنا وحق غيرها .

وحدة الدول العربية وسلاح البترول وهو العامل الاساسى فى المعركة الذى جعلنا نملى شروطنا . وكان هذا السلاح ضد أمريكا وضد أى دولة تتعاون مع اسرائيل مثل هولندا .

موقف الدول الصديقة مثل الاتحاد السوفيتى **وتيتو** والدول الافريقية **وعيدى أمين** ، وكان العدو يعمل اشاعات عن عدم امداد الاتحاد السوفيتى لنا بالسلاح ومع انه كان يمدنا بالسلاح . ولكن هذه الدعايات والاشاعات لم تنجح لان الشعب قوى وروحه مرتفعة .

زاد الناس ايمانا بالله لان خط بارليف المنيع حطمناه ولم يكن يصدق أن يتم العبور فى ربع ساعة .

والناس روحها كويسة جدا وعايزين يقدموا أى شىء بروح مرتفعة ويتبرعوا بيوم أو بنصف يوم برضا .

الجبهة الداخلية تريد أن تقوم بزيادة الانتاج وأنا عضو نقابة وعرض على التفرغ ولكن رفضت لزيادة الانتاج فى وقت الحرب .

والمطلوب من الجبهة الداخلية عمل ندوات وأفلام سينمائية عن العبور تبين مدى قوة الجندى المصرى الذى لا يقهر وكيف واجه الجندى الاسرائيلى واصدار كتيبات عن ذلك .

والملك حسين أتى عندما وجد أن الدول العربية اتحدت وحققت النصر ، ووجد نفسه سوف ينعزل عنهم .

وقال **عبد الناصر** سنخوض معركة فى بحر من الدماء وتحت أفق مشتعلة بالنيران . **وما** أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

الاسم : جمال دبون

المهنة : عامل بورش شركة مصرالجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع قيام المعركة لاسباب عديدة حدثت فى العالم وداخليا وفى العالم العربى .

١ ـ الموقف السياسى العالمى

٢ ـ تضامن الدول العربية مع بعضها

٣ ـ تضامن الدول الافريقية وتأييدها حقوق شعب فلسطين كنت أنتظر هزيمة اسرائيل .

٤ ـ دول السوق المشتركة وحلف الاطلنطى أخذت موقفا ايجابيا فى المعركة بعد استعمالنا سلاح البترول وبعد موقف أمريكا التى أخذت موقف المسيطر ومن أجل مصالحها الخاصة ولاسباب أخرى اقتصادية

نصادق من يصادقنا يجب أن نمد يدنا للصديق بحظر تام ونقف معه مادام هذا الصديق ليس استعماريا والدول الافريقيه والاوربية .

موقف أمريكا من اسرائيل كأنها جزء من أراضيها فى الشرق الاوسط وذلك لاستعمالها كسلاح ضد الدول العربية .

موقف السكان كان مساعدة أسر المقاتلين وتقديم المساعدة لهم وكانت الاسر نفسيتها مرتاحة وتقول آنمش مهم الا الانتصار وتحرير الارض .

موقف الجبهة الداخلية ترعى الجماهير ومصالح التموين وعدم التكالب على الجمعيات التعاونية . ومنع حرب الاشاعات والحرب النفسية .

● ● ●

الاسم : فتحى ابراهيم الحنفى

المهنة : عامل بمصانع شركة مصر ـ شبين
محل العمل : شبين الكوم

من سنة ١٩٦٧ كان فيه اعداد سياسى ودبلوماسى يهيىء الجو للمعركة . وكان فيه أخذ ورد مع كل الدول مع الدول العربية والدول الافريقية والدول الصديقة . ووصلنا الى انهم أصبحوا جميعا يدينوا اسرائيل واحتلالها لارضنا وبعدين بقت المسألة : اما ان اسرائيل تنسحب أو نطردها بالقوة واحنا ضامنين تأييد كل الدول لعملنا ، واحنا كنا شاعرين دائما ان المعركة حتمية .لكن لما حصلت معارك ٦ أكتوبر كانت مفاجأة كاملة لنا : من ناحية لان عملية الاستعداد السياسى طالت أكثر من اللازم ، ومن ناحية تانية لان الرئيس **السادات** عرف يموه على الجميع حتى علينا احنا كمان . احنا كنا زهقنا من الكلام عن المعركة وافتكرنا ان الحكاية لسه بدرى عليها وبعد ٦ أكتوبر الوضع اتغير وعرفنا ان الرئيس **السادات** كان عايز يفاجىء العدو

■ كانت الدعاية بتصور لنا الجيش الاسرائيلى على انه الجيش الذى لا يهزم . واحنا كنا عايشين فى حالة تمزق وبلبلة ، لكن ماكناش قادرين نصدق هذه الدعايات . والنهاردة اتضح اننا لو تشجعنا وتكاتفنا مع بعض نقدر نسبب لهم خسائر كبيرة . . جيشنا عبر القناة وحرر جزءا من سيناء . وكان سر نجاحنا اننا مؤمنين ببلدنا واننا عايزين نحرر أرضنا بعكس الجيش الاسرائيلى اللى كل هدفه العدوان على العرب واحتلال أرضهم .

■ من حيث الدول العربية كنا بنسمع كلام كتير عن وقوفهم معانا ، لكن ماكناش شايفين فعل . ولما حدثت المعركة ودخلت الدول العربية بثقلها وراءنا نفسيتنا ارتاحت . العراق حاربت مع جبهة سوريا والجزائر والكويت اشتركوا معانا والدول المنتجة للبترول قررت قطع البترول عن كل دولة تساند اسرائيل وبالذات عن أمريكا . وده كان موقف مشرف لكل العرب وكان له آثر كبير لان الدول اللى بتساند اسرائيل بدأت تفكر من جديد لما مصالحها اتهددت وبدأت تخاف من العرب وتعمل لهم حساب .

■ صحيح احنا أصدقائنا كتير فى العالم كله لكن أهم صديق هو الاتحاد السوفيتى اللى ساهم بكل شيء بالمعدات والتأييد فى الامم المتحدة والتدريب على السلاح . وقبل المعركة كنا بنسمع دعايات أمريكية ضد الاتحاد السوفيتى . كانوا بيقولوا انه مش هيقف مع العرب لكن أحنا كنا عارفين ان الاتحاد السوفيتى ماشى معانا على حق وان صداقته لنا متينة .. وظهرت الحقيقة فى الحرب ووقف معانا وقفة جامدة فى كل المجالات .

● عدونا هو اسرائيل وأمريكا اللى مستخبية وراها وبتدفعها لاحتلال ارضنا وبتمدها بالسلاح وبالاموال وبكل ما تطلبه واحنا كنا عارفين كده ، ومازلنا عارفين . ولازم نجهز نفسنا بقوة تقدر تواجه أمريكا واسرائيل مع بعض .. كذلك كل دولة تساند اسرائيل هى عدونا على طول الخط .

■ الناس كلها اهتمت بالمعركة وكل واحد كان بيقدم اللى يقدر عليه . كل الناس كان نفسها تحارب وكل واحد له ابن أواخ أوقريب فى الجبهة كان بيدعى له بالنصر ، كان القلق بيظهر لما تتأخر البيانات اللى يتعرفنا سير المعارك وغير كده ماكانش فيه قلق .

■ العمال فى مصانع الشركة زودوا الانتاج . وانا شغلتى أنقل تموين المصانع من بالات القطن . وكنت بألاحظ أن سحب المصانع بيزيد يوم عن يوم ، والاقسام الطبية توقفت عن العمل واختفى التمارض ووفرنا الادوية علشان أبطالنا الجرحى فى المعارك . وقدمنا ١٥ الف جنيه مساهمة فى سندات الجهاد ، ونظمنا عملية التبرع بالدم وفرق الانقاذ والاطفاء . الخ ولما أخذوا مجموعات الجيش الشعبى اللى فى المصنع وسفروهم الجبهة اتشكلت مجموعات جديدة من العمال والموظفين وحلت محلهم وبعضهم كان غير مدرب تم تدريبه أثناء المعركة بسرعة .

■ فى موضوع الاشاعات احنا ماكناش بنسمع اشاعات وكنا مهتمين بالعبور وبس .

■ قبل المعركة كان كل عامل بيطالب برفع المظالم اللى واقعة عليه . ولكن لما بدأت المعركة نسينا كل حاجة وبدأنا نفكر فى اللى بيجرى على الجبهة . لاننا عارفين ان نجاحنا فى المعركة معناه ان كل عامل هيأخد حقوقه المهضومة وترفع عنه المظالم اللى وقعت عليه قبل المعركة وهياخد علاواته ودرجاته فى المواعيد .

■ **المطلوب** : لابد أن يكون ايماننا قويا ولا نيأس أبدا ونفضل واقفين على رجلينا للنهاية

■ ثانيا لابد ان كل عامل يتدرب على السلاح ونحرس مصانعنا بأنفسنا ، فمثلا لما أخذوا مجموعات الجيش الشعبى من مصانع الشركة رفعنا شعار ان كل العمال أعضاء فى الجيش الشعبى لكن عدد المدربين كان قليلا علشان كده لازم كل العمال يتدربوا .

■ وفى المرحلة الجاية لازم المرتبات الكبيرة تساهم اكتر فى المجهود الحربى العامل اللى مرتبه صغير بيدفع قسط سندات الجهاد ٢٥ قرشا كل شهر . والموظف اللى مرتبه أضعاف أضعاف العامل بيدفع ٥٠ قرشا فقط وده مش كفاية لازم كل واحد مرتبه أكتر من ١٠٠ جنيه يدفع ربعهم للمجهود الحربى والباقى كفاية عليه .

■ مطلوب من الحكومة انها تهتم بالقوات المسلحة وترفع كفاءتها واحنا مستعدين نقدم كل التنازلات فى سبيل المعركة
■ مطلوب من العرب انهم يستمروا فى تأييدنا مهما طال زمن المعركة .

● ● ●

الاسم : محمد توفيق المليجى
المهنة : عامل مطبعة بالثقافة الجماهيرية بالقاهرة
محل العمل : القاهرة

■ كان قرار دخول المعركة قرارا حكيما ، رد للشعب المصرى وللامة العربية كرامتها . وكنت اتوقع المعركة لاننى اعرف تاريخ بلدى فى مقاومة الاحتلال والوقوف ضد الاستعمار ولان قائد امتنا له تاريخ حافل فى مقاومة الاستعمار .

ولو أن تحقيق النصر الكامل لم يتم بعد الا أن نتائج المعركة ردت للشعب ثقته بنفسه وأكدت ثقة الشعب فى أن القيادة لن تدخر جهدا فى سبيل اجبار اسرائيل على الانسحاب . ولم يكن ما وصلنا اليه حتى الان مفاجاة كبيرة بالنسبة لى فلقد كنت أثق من ناحية فى قوة الجيش المصرى وشجاعة جنوده وكنت متاكدا اننا سنضرب اسرائيل ومن ناحية اخرى كنت أتوقع ان أمريكا ستدخل بكل ثقلها فى الجانب الاسرائيلى وهو ما حدث بالفعل وادى الى الموقف الحالى .

■ أما من ناحية العناصر المساعدة للمعركة فان الموقف الحازم للدول العربية المنتجة للبترول كان من العوامل التى ساعدت على عزلة اسرائيل وتشديد الخلاف بين اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . ومن صواب الرأى الا نشدد على الدول الغربية حتى لا نخسر موقفها الذى بدأ يتغير لصالح العرب . كما لابد أن نراعى مصالح الدول البترولية نفسها حتى تستمر فى مساعدتنا وهذه مسئولية الذين يخططون للمعركة مع العدو .

■ أما عن الدول الصديقة فان مساندة الاتحاد السوفيتى لنا بكل ثقله كان العامل الذى ارغم امريكا على موقفها الاخير والذى تمثل فى الاعتراف بما نص عليه القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ولذلك يعتبر الاتحاد السوفيتى من اخلص أصدقائنا . ومن الاصدقاء ايضا الدول الافريقية وعلينا الا نجعلهم يشعرون بالضرر نتيجة موقفهم من اسرائيل وذلك بأن نزيد من تعاوننا الفنى والاقتصادى والعسكرى معهم حتى لا تجد اسرائيل فرصة للتغلغل مرة أخرى فى افريقيا .

ومن ألد اعدائنا امريكا ، والتاريخ يعلمنا أن الاستعمار كان دائما ضد مصر ويرفض وجود قوة عسكرية كبيرة فى مصر ، ولذلك حاربوا محمد على وحاربوا عرابى وحاربوا جمال عبد الناصر ومن صواب الرأى ان نستخدم الوفاق بين أمريكا والاتحاد السوفيتى فى كشف الحجة التى تستخدمها امريكا لمحاربتنا تحت ستار مقاومة الشيوعية فاذا كانت امريكا تتفق مع الاتحاد السوفيتى فلماذا تكون علاقتنا به نحن ممنوعة ؟ كذلك من ناحية البترول يجب أن يعلموا اننا لن نشربه وانما سنصدره لهم ولكن عليهم أن يتخذوا موقفا عادلا من قضيتنا .

■ تصرف السكان كان فى منتهى ثبات الاعصاب والحماس للمعركة أما عن اسر المجندين فانهم كانوا يفتخرون أن لهم أولادا فى المعركة ولم يكن لديهم جزع او قلق من هذه الناحية .

■ أما فى مواجهة المخاطر فلقد كانت أعمال الدفاع المدنى غير كافية وأرى ضرورة التوسع فى هذه النواحى .

■ ومن ناحية الدعايات المضادة فـان مسئولية محاربتها تقع أساسا على وسائل اعلامنا فالشعب يمكن أن يسمع الاشاعات ويصدقها . لكن دور وسائل الاعلام أن توضح الحقائق اولا بأول وبالتالى يصدق الشعب اعلامنا ولا يصدق اعلام الاعداء . فكلما قلنا الحقيقة كلما صدقنا الشعب أكثر ولم يلتفت الى الافتراءات الاستعمارية .

■ حتى يتحقق النصر النهائى ، فلابد من تدريب كل أفراد الشعب القادرين على حمل السلاح واستعماله على أن يتم التدريب على مستوى راق ، وعلى كافة أنواع الاسلحة التى

تستخدم فى الحروب المتقدمة حتى يكون الشعب كله قوة كبيرة نحقق بها النصر سواء بالسلم او بالحرب . فنحن لسنا أقل من فيتنام ونحن متأكدين من النصر الكامل اذا تمت هذه المسألة . ولابد أن نفرض عليهم بالقوة الانسحاب الكامل من كل الارض العربية المحتلة لاننى أخشى أن تطول فترة وقف اطلاق النار ويفشل الضغط السياسى والضغط بالبترول فى تحقيق هذا الهدف وعندئذ سيتضح انه لا طريق الا تدريب الشعب كله على السلاح ومحاربة اسرائيل حتى النصر النهائى .

● ● ●

الاسم : عبد الحليم حسين عثمان
المهنة : سائق بشركة النيل العامة لاتوبيس وسط الدلتا .

● **التصور الخاص بالمعركة**

نعم كنت اتوقع المعركة لانه ما كنش قدامنا خيار مع غطرسة العسكرية الاسرائيلية وكنت اتوقع النتائج العسكرية التى حققتها قواتنا المسلحة . لايمانى بكفاءة الجندى المصرى ..

● **العناصر المساعدة فى المعركة**

الدول العربية شعوب وحكومات نسيت كل الخلافات وقدمت المساعدات . بل واشترك بعضها اشتراكا فعليا فى القتال كذلك كان سلاح البترول من اهم الاسلحة .

اما الدول الصديقة وعلى راسها الاتحاد السوفيتى فقد قدمت لنا كل متطلبات المعركة .

اما الدول المعادية فلم تستطع ان تحقق اى نصر سياسى . وتم عزلها تماما عن مجتمع الدول ..

● **انعكاسات المعركة على المجتمع المحيط :**

تصرف السكان والناس بهدوء واتبع الجميع تعليمات الدفاع المدنى وكان هناك تكيف سريع مع جو المعركة ، اما اسر المجندين فكانوا على مستوى المسئولية .. وعملوا على رفع روح ابنائهم المعنوية .

والعطاء المقدم للمعركة كان عظيم ظهر فى الاسراع بشراء سندات الجهاد .. وتخفيض الاستهلاك وزيادة الانتاج والتبرع بالدم ومحاربة الاشاعات .

مواجهة المخاطر تتمثل فى تنفيذ تعليمات الدفاع المدنى بكل دقة .

● **مجابهة الدعايات المضادة :** عدم السماع لاذاعات العدو والقضاء على الاشاعات التى ينشرها العدو وعدم اذاعة اى اسرار يستفيد منها العدو .

● **هل لك اقارب فى الجبهة ؟** نعم وحصل على نيشان حيث أصيب فى المعارك .

● **المطلوب عمله لتحقق النصر**

من الشعب : الاستمرار فى تقديم كل عون للمعركة .

من الحكومة : الحذر التام من اى تصرف من جانب العدو .

من العرب : استمرار التضامن العربى ووضع كل الامكانيات فى سبيل النصر .

● ● ●

الاسم : فريدة عز الدين احمد
المهنة : عاملة بشركة اتوبيس وسط الدلتا

نعم كنت اتوقع قيام المعركة ولكن ليس فى هذا التوقيت بالذات .

لم اكن اتوقع نتيجة المعارك بهذه الصورة بالنسبة لاسرائيل .

موقف البلدان العربية كان اكثر مما تصورت أن يكون فى أى وقت . ولم تقف هذه البلدان هذه الوقفة من قبل واخذت هذه البداية فى الافاقة الى مدى اهمية دورها والى اى حد تستطيع أن تلعب دورا له اهميته فى العالم ، وتستطيع ان تجعل العالم بأسره يخدم ارادة هذه الدول ،ويتأثر بالقرارات التى أخذتها ويحاول جاهدا أن يصل الى حل للازمة حتى يمكن أن تعود الدول العربية الى موقفها السابق .

بالنسبة للدول الصديقة :

كان الموقف الذى أثار اعزازى وتقديرى موقف مجموعة الدول الافريقية التى هبت لتعلن تأييدها للدول العربية ومقاطعة اسرائيل . كما كان موقف الاتحاد السوفيتى عظيما سواء من الناحية العسكرية أو الناحية السياسية فقد قام بامدادنا بجميع ما احتجنا اليه من سلاح وهذه النتيجة التى وصلت اليها جنودنا فى المعركة كانت بسلاح من الاتحاد السوفيتى علاوة على التأييد السياسى التى اعطتنا اياه .

أما بالنسبة للدول المعادية فقد أصبحت مقصورة على أمريكا وهولندا وكندا ولكن بالضغط على هذه الدول عن طريق الضغوط السياسية والضغوط الاقتصادية .

تصرف السكان كان مثاليا للغاية فقد أظهر هذا الشعب عن معدنه الاصيل فى الوقوف خلف قواته المسلحة .

أسر المجندين كانوا متلهفين على سماع الانباء الخاصة بالمعركة للاطمئنان على البلد وعلى ابنائها . الشعب قدم للمعركة جميع ما احتاجت اليه . وكان عطاء الناس جزيلا فى كل ما طلب وما لم يطلب منهم . اتحد الناس لمواجهة المخاطر وكانوا على استعداد لاحتمال كل شىء طالما انهم يسمعون عن أخبار انتصارات القوات المسلحة .

ولعبت الدعايات المضادة دورا فى التقليل من أهمية ما حدث بالنسبة للقوات المسلحة وبالنسبة للانتصارات التى حققوها ولكن الناس كانوا على قدر من الوعى بحيث استطاعت مجموعات الناس أن تفهم الخطأ والصواب وترفض الدعايات المغرضة .

المطلوب من الشعب حتى يمكن تحقيق النصر رفض الاشاعات والدعايات المغرضة ، التماسك والالتفاف حول قواتنا المسلحة وتقديم كل ما يحتاجه الوقت الحالى من بذل وعطاء دون اى تضرر أو ضيق .

وعلى الحكومة أن تفطن جيدا الى الاساليب الخداعية التى قاسينا منها كثيرا من عدونا الغادر ،وعدم التنازل عن اى شبر من الارض حتى يكون هناك ثمن عادل لدماء أبنائنا والارواح الغالية التى زهقت على تحرير الارض .

وعلى العرب أن يستمروا فى موقفهم وتقديم كل الامكانيات التى تحت يدهم وتسخيرها لخدمة المعركة والمضى فى حرمان الدول التى تؤيد اسرائيل وتساعدها من البترول . وأن يعقد مؤتمر قمة يتخذ فيه موقف موحد بالنسبة لجميع الدول العربية لا يحيد عنه أحد



الاسم : أحمد فهمى الدسوقى

المهنة : عامل بشركة اتوبيس وسط الدلتا .

● كنت أتوقع قيام المعركة ولكن فى غير الموعد الذى قامت فيه .

وكنت أتوقع النصر للجيوش العربية ولكن ليس بالسرعة والصورة التى تمت ، فقد أعطى الجيش المصرى أروع الصور للقتال والفداء .

أما من ناحية اسرائيل ، فان الدعايات كادت تفقد الروح المعنوية .

● **العناصر المساعدة فى المعركة :**

استمرار التدريب ـ توحيد القيادة ـ دقة الخطة ـ قوة الرجل الذى أصدر القرار .

وعن موقف البلدان فهذه أول مرة نرى فيها الدول العربية تتخذ موقفا موحدا وأعتقد أن قوة الرجال وقوة القرار هو الذى ادى الى هذه الوحدة .

ورغم ان الوحدة زادت من قوة وفاعلية الدول العربية ، فانه ايضا بدأ موقف الدول العربية يوحد أوروبا ذاتها ، وهذا ما وضح من موقف دول السوق الاوروبية .

وعن موقف الدول الصديقة فقد بان لها أن المساعدات التى تقدمها انما تقدمها لدول تستحق التقدير ، فبدلا من أن كانت الصداقة عطفا أصبحت الصداقة مبناها الاحترام .

ومن الدول المعادية ، فان الموقف قد تغير تماما ، وأعيد عصر تاريخها القديم ذات الحضارة ، وأصبح يحسب لها حساب ، وقلبت الموازين الدولية والتكتيكات العسكرية .

لاول مرة يتلقى السكان نبأ الحرب بالفرح . فرغم ما للحربمن أخبار مفزعة ، الا أن الخبر كان مصدر فرحة الجميع ، وكان النـاس يتصرفون بحكمة خلال المعركة . وأما عن أسر المجندين ، فقد أنزل الله السكينة على قلوبهم وأيدهم بنصر من عنده .

وعن العطاء المقدم للمعركة ، فلابد ان نهب كل ما نملك ونشد الاحزمة على البطون .

وكان لوسائل الاعلام فى جمهورية مصر والدول العربية والالتزام بذكر الحقائق ما يجعلنا نصدق وسائل الاعلام .

اما عن زيادة الانتاج فلم أر ذلك فى شركتنا نظرا لعدم عقد أى مؤتمرات او توعية ، وكان لابد على التشكيل الاعلى ، وهو الرقابة العامة ، أن تقوم بدور فعال للمعركة .

ولتحقيق النصر النهائى مطلوب :

● **من الجبهة الداخلية :**

عدم السماح للاشاعات بالانطلاق وعدم اثارة البلبلة بأية أزمات .

● **من الشعب :**

التقيد بالاستهلاك للاشياء الضرورية والتبرع بالدم والمال .

● **من الحكومة :**

ما تعلنه الحكومة جميل ، ويجب المحافظة عليه وزيادة الربط بين الدول العربية .

● **من العرب :**

ان الموقف قد وحد أوروبا نفسها ونرجو من الدول العربية الاستمرار فى هذا الموقف الموحد .

● ● ●

الاسم : مدى محمد عيسى

المهنة : الشركة المصرية لصناعة وسائل النقل الخفيف

قيام المعركة أمر لابد منه ولا مفر فيه ، فان الارض المسلوبة او المغتصبة بأيدى المعتدين من الاسرائيليين كان لها يوما لابد وأن تعاد فيها الارض الى اصحابها مهما طالت الايام والسنوات . فان توقع قيام المعركة كان امرا مألوفا ومتوقعا من قبل ذلك بزمان .

النتائج كانت مشرفة للغاية ، رفعت لنا رؤوسنا عالية ، وردت لنا كرامتنا التى اهدرت منذ الاعوام الستة ، فقد ثبتت النتائج العسكرية والسياسية من النجاح والتوفيق ما لم يكن فى الحسبان . وكانت هذه النتائج حصيلة خبرة سنوات طويلة ، ومشقة عاناها شبابنا وأبطالنا على الجبهة الى أن وصلت بهم قدراتهم ومهاراتهم واستعدادهم الى هذه الدرجة الرائعة من النجاح .

اما بالنسبة لاسرائيل فكان متوقعا لها الهزيمة لانهم شعب كتب عليه التشرد والذل منذ نشأة الخليقة . شعب لا ايمان له ولا دين شعب يستحق الذل وكان لابد للغادر من نهاية وقد كانت نهايتهم على أيدى العرب المؤمنين .

أما بالنسبة لموقف البلدان العربية المساعدة لنا فقد أثبت أن الامة العربية أمة واحدة شعب واحد قضية واحدة وآمالنا وأهدافنا نحو تحقيق النصر ورجوع شعب فلسطين امل لا خيار فيه . وقد وقف الجميع بجانبنا وقفة الاخ لاخيه والاب لابنه .

وأما الدول الصديقة فهى كالصديق الوفى الذى يمد يد العون والمساعدة فى وقت الازمات والشدة وهاهى الايام بينا تثبت الصديق من العدو .

اما الدول المعادية فهى تسير فى تيار يجرفها نحو نهايتها هى الاخرى ، وليست مساعدة اسرائيل بالعامل الكبير الذى يجعلها تعادى العالم العربى والعالم الصديق ، لسنا من أجل بلد تعتبر ذبابة صغيرة تصل تحت ارجل عابر سبيل غير مكترث .

وقد اثبت السكان تضامنهم بكل ما تمتلك الايدى وبكل ما يستطيع ان يقدم من تطوع وتبرع بالدم والهدايا ورعاية الجرحى وانشاء نوادى اصدقاء المقاتلين والرعاية الطبية ومحاربة الاشاعات والفرحة لكل شهيد ضحى بحياته من أجل الوطن ومضاعفة الانتاج بالعمل المتواصل فى العطلات الرسمية مثل الاعياد وكل ذلك بروح عالية وثقة كبيرة فى القادة وفى ابطالنا على الجبهة وفى السياسة المتبعة الان ٠

المطلوب الان الضغط فى جميع المصروفات والكماليات وغير الكماليات فى الجبهة الداخلية لتوفير احتياجات الجبهة الخارجية مهما كلفنا ذلك من مشقة ٠

ومواصلة الضغط السياسى من الحكومة ومواصلة الحرب ضد هؤلاء المعتدين مهما ضحينا فى سبيل ذلك بأبنائنا وازواجنا واخواننا ٠٠ مواصلة الحرب حتى النصر ،واذا كانت اولى خطواتنا ناجحة ١٠٠ فى المائة فالباقية تأتى والنصر لقريب

وعلى العرب ان تضع يدا على يد ، ومساندة الاخوة مع بعضهم حتى النصر النهائى وعودة أهل فلسطين الى ديارهم وأرضهم ٠

والله معنا والعزة للعرب والنصر لنا جميعا فى رعاية رئيسنا البطل السيد محمد أنور السادات سدد الله خطاه وحماه ورعاه وجعل على يده النصر والله اكبر والعزة لمصر

● ● ●

الاسم : عويس عبد المقصود خضراوى

المهنة : بواب

● التصور الخاص بالمعركة :

كنت اتوقع قيام المعركة ٠٠ قبل هذه الايام بكثير لكن كده كويس ٠٠ وكنت اتوقع اننا سوف ننتصر ٠٠ لاننا نحارب حربا دينية ٠٠ ولذلك فربك نصرنا ٠٠ وجعل العرب كلهم يقفوا معانا ويمنعوا البترول عن العدن انغادر ، كمان مانسناش الدول الصديقة روسيا فقد ساعدتنا كثيرا ٠٠

● انعكاسات المعركة على المجتمع المحيط :

ـ السكان كانوا يتصرفوا كويس ، وكانوا مبسوطين اننا بنحارب واننا انتصرنا على العدو .. وكمان السكان هنا ماحدش منهم عمل كعك العيد لانه مافيش سكر ٠٠ ومافيش حد زعل ولا حاجة ٠

● ما هو المطلوب عمله لتحقيق النصر النهائى ٠٠

ـ من الشعب : يظل الشعب يعطى من اجل المعركة الى آخر ما عنده

ـ من الحكومة : اذا اسرائيل ماانسحبتش مطلوب ان الحكومة تحاربها ٠

ـ العرب كلهم موقفهم كويس ٠٠ ويفضلوا على هذا الموقف على طول لغاية ما تنسحب اسرائيل ٠٠

● ● ●

الاسم : على الصغير

المهنة : بائع فول

● التصور الخاص بالمعركة :

لاماكنتش اتوقع قيام المعركة ، وانا فوجئت بأننا عبرنا القناة عشان كان بيقرلوا انه مش ممكن اننا حنقدر نعدى القناة ٠٠ ولذلك ماكنتش اتوقع اننا سننتصر عليهم بالسرعة دى ٠٠ ودا كله توفيق من ربك عشان ينصرنا عليهم ٠٠

كمان لاول مرة ٠٠ يقف العرب مع بعض ويمنعوا البترول عن امريكا والدول المعادية ٠٠ ولذلك كان موقف الدول العربية مشرف والاتحاد السوفيتى ساعدنا بالسلاح وثبت انه صديق لان الصديق ينفع فى وقت الشدة ٠٠

أما الدول المعادية امريكا فلما وصلتهم اخبار انتصاراتنا ٠٠ راحوا يدوروا على حل ٠٠ طب ما كان من الاول ٠٠

● انعكاسات المعركة على المجتمع المحيط :

الناس فرحوا جدا بالمعركة ٠٠ وأسر المجندين ٠٠ كانوا مشغولين شوية لكن ماحدش كان فاكر غير ان علم مصر رفرف على الضفة الشرقية لقناة السويس ، اما عن العطا المقدم

للمعركة ·· فأنا تبرعت بالدم وزوجتي ايضا ·· وياريت كان عندى فلوس كنت قدمتها او ولد كنت قدمته للجيش ··

- **مواجهة المخاطر** مافيش مخاطر تعرضت لها البلد اثناء الحرب

- الدعاية المضادة كانت فى صوت أمريكا ·· وصوت امريكا كان بيزعل الواحد فبطلت اسمعه ·

● **المطلوب لتحقيق النصر النهائى :**

- الشعب ، لازم يبقى على مستوى المسئولية والناس ماتزعلش ان فيه نقص فى بعض السلع ·· عشان الحرب كده ولازم برضه الناس تتطوع للدفاع المدنى ·· والفدائيين ·

- **الحكومة :** مطلوب ان الحكومة تحارب التجار الجشعين اللى بيخفوا السلع ، كمان مطلوب ايضا أن تظل المعركة مستمرة لان اليهود غدارين

- **من العرب :** العرب كانوا كويسين ومش عايزين اكثر من اللى عملوه ·

● ● ●

الاسم : محفوظ محمد حسين

المهنة : عامل معمار بسنتماى - مركز ميت غمر

انا كنت انتظر وقوع الحرب مع اسرائيل وياريت كنت محارب والعبور فى نظرى كان صعب جدا وخط بارليف اصعب . ولكن رسالة الجندى المصرى والعناية الالهية وسلاح روسيا عبرنا القناة وفتحنا خط بارليف .

والبترول العربى حارب معنا والعرب كلهم كانوا معنا وروسيا كانت معنا وأمريكا عدونا اللدود وكلنا ساخطين عليها وعلى المحبين لها .

وفى أيام المعركة كنا كلنا متشجعين لانخاف الموت ولكن كان فيه بعض التجار مشغولين بالسوق السودة .

وكلنا نتمنى النصر والنصر جاء بالمفاوضة ،والرئيس انور السادات بينادى بالسلام ·

● ● ●

الاسم : سليم على احمد

المهنة : سائق بشركة أتوبيس شرق الدلتا

اننى كنت اتوقع المعركة مع اسرائيل من اجل تحرير ارضنا وأرض أجدادنا ومن اجل تخليص قناة السويس التى حفرناها بأظافرنا وبأيدى أجدادنا والتى مات فى حفرها آلاف العمال والفلاحين .

ومسألة العبور وتحطيم خط بارليف كنت اتوقعه ايضا لان التدريب كان قويا ومستمرا والسلاح السوفيتى الحديث معنا ، والجندى المصرى مقاتل شجاع مثل الجندى الانجليزى الذى عبر بحر المانش وهجم على فرنسا فى حرب الالمان ، ولان الجندى المصرى ايضا لايقل عن الجندى الالمانى الذى اقتحم خط ماجينو فى الحرب الماضية ·

وفى يقينى ان الاتحاد السوفيتى بما قدمه من سلاح حديث وتدريب قوى هو العنصر الرئيسى الذى ساعدنا فى المعركة ·

وطبعا كان البترول العربى وموقف الدول العربية وراءنا عامل مهم فى المعركة مع اسرائيل

واثناء المعركة كانت الروح المعنوية عالية خالص والانتاج فى زيادة والعمال كلهم مستعدين للتضحية بكل شيء فى سبيل المعركة والنصر .

ولابد ان يعرف الجميع أن النصر النهائى ليس له طريق غير قوة سلاحنا والحرب مع اسرائيل مع تضامن الدول العربية والدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى .

● ● ●

الاسم : محمد خليل طنطاوى
المهنة : عامل معمار
محل العمل : ميت غمر

لم اكن انتظر قيام معركة مع اسرائيل لاننى كنت مؤمنا بأننا لسنا على استعداد لحرب اسرائيل ولاننا لم ننتصر من قبل فى اى معركة مع اسرائيل ولان وحدة العرب كانت فى نظرى بعيدة جدا .. والعبور وضرب خط بارليف كان صعبا امامى ولهذا لم انتظر الخطوة الجبارة التى خطاها جيشنا الباسل بالعبور لقناة السويس . وتحطيم خط بارليف الصهيونى

والذى ساعدنا فى ذلك سياسة الرئيس أنور السادات الحكيمة وتأييد الدول العربية بأموالها وأرواحها والبترول العربى سلاح كبير فى المعركة

ولا شك أن السوفيت وسلاح السوفيت عامل كبير فى نصرنا وفى المعركة

والجميع كان فرحان بالمعركة وكلنا نسينا أولادنا وأصابة أولادنا فى أيام المعركة ولكن لم ننس جرائم أمريكا وعداوة أمريكا للعرب

والذى اراه ان السلام هو طريق النصر .

● ● ●

الاسم : محمد موسى السودانى
المهنة : ملاحظ بشبكة المجارى - ميت غمر

الحرب مع اسرائيل كانت غير متوقعة علشان الركود الشديد فى مصر كلها وفى مجتمع مصر كلها ، وشكل الركود انشغال الناس بمصالحها الشخصية

ان الاتحاد السوفيتى الصديق المخلص يعطينا التأييد الشديد والسلاح القوى والحديث ويساعدنا بالصناعات الحديثة علشان نقوى ونتطور ونتقدم على اسرائيل..

وبسبب هذا فالعبور العظيم وكسر خط بارليف ونفخة فى الهواء بفضل الجندى المصرى العامل والفلاح كان شيئا مفاجئا لى جدا .. لان الصحافة المصرية وبعض الكتب السيئة كانت تضخم أمام عيوننا وعقولنا التسليح الخاص باسرائيل وقدرتها المهولة فى العلم وفى الحرب وفى السياسة .. وفيه كتاب اسمه ممنوع التداول شحن مخنا بعجائب اسرائيل ، وكذلك جرائد اسرائيل وتهويلها فى كل شيء

وفى المعركة كان موقف الصديق الاتحاد السوفيتى عظيما جدا . ولذلك فان هذا الموقف لن ينسى على مر التاريخ .

وكمان تكتل الدول العربية ساعدنا جدا فى المعركة .

وطول المعركة كان أبسط الناس فى غاية الفرحة والخسارة فى جنودنا لم تكن مفزعة حتى بالنسبة لاهلهم .

وكل واحد منا كان مستعدا للمساهمة فى المعركة بماله ونفسه ، واقصد بذلك العمال والفلاحين والمثقفين .

وطول المعركة كان الحقد على أمريكا يتزايد .. والنصر لن نناله أبدا الا باستمرار الحرب والقتال ضد اسرائيل .

الاسم : كمال مصيلحى عبد الرحمن
المهنة : عامل بهيئة التليفونات — ميت غمر
محل العمل : ميت غمر

طبيعى كنت انتظر حدوث معركة وحرب بيننا وبين اسرائيل ، حتى نحدد مصير دولتنا وبلدنا ٠ والرئيس اشار اكثر من مـــرة الى ضرورة الحرب مع اسرائيل حتى ننتهى من الحالة التى يسموها حالة اللاحرب واللاسلم أى الحالة الميعة والسيئة .

وان تجديد روح الجيش وتزايد معنوياته وتجديد سلاحه وكثرة تدريبه جعلنى اعتقد واؤكد بامكانية العبور وتحطيم خط بارليف

وكان تدعيم الدول العربية لنا وترابطهــا بشكل كامل معنا ساعدنا فى المعركة ، وهــذا الترابط لم يحدث من قبل مما ادى الى اشهار سلاح البترول لاول مرة فى حربنا مع الاستعمار والصهيونية

ولن ننسى ان الاتحاد السوفيتى كصديق مدنا بالسلاح وساعدنا فى المعركة

وفى كل لحظة فى ايام المعركة كانت الجبهة الداخلية تساند جبهة الحرب علشان معنويات الشعب كانت مرتفعة .

وان سكة النصر النهائى فى التصميم على النضال من أجل السلام والنضال بكل الطــرق ضد اسرائيل وامريكا عدوة الشعوب ٠

● ● ●

الاسم : السعيد على الشناوى
المهنة : ناظر بشركة اتوبيس وســط الدلتا

المعركة مع اسرائيل كنت اتوقع قيامها ، علشان اسرائيل كانت ديما ترفض كلام مجلس الامن ولم تحــترم اى دولــة تحب الســلام العادل . وطبعا أن ماأخذ بالقوة لا يأتى بغير القوه . وكنت انتظر عبور قناة الســويس وكسر خط بارليف بواسطة جنــودنا الابطال اولاد العمــال والفــلاحين ، وكنت فى الوقت نفسه متهيب المعركة مع ثقتى فى الله وفــى الجندى المصرى كبيرة ، والاتحاد السوفيتى وسلاحه وتأييده ساعدنا خالص فى المعركة بجانب تأييد الدول العربية والدول الاشتراكية وقطع البترول عن الدول التى تساعد اسرائيل ٠

وكنا فى المعركة بقلوبنا وارواحنا ولم نقلق من الجيب الذى احدثته اسرائيل لان الحرب كر وفر ، ومن الطبيعى فى الحرب وفى الخناقة أن التف حول العدو والعدو يلتف حولى ٠

وكل عامل وكل فلاح كان فى شجاعة وقت المعركة وكنا فى انتظار نزول جنود اسرائيليين من الطائرات فى لهفة علشان نعرفهم شجاعة المصرى ورجولته .

وحضر العيد واغلب البيوت لم تصنع كعك العيد علشان جنودنا الموجودين فى الجبهة

وفى ايام المعركة لاحظت الاهتمــام بزيـــادة الانتاج ، ولاحظت غضب الاهالى على أمريكا شيطان الشياطين

وفى رأيى بعد المعركة ان الحرب وبس هى الطريق للنصر الخالص ٠

رؤية الفلاحين

الاسم: أحمد السيد الصياد

المهنة : فلاح (الملكية فدان واحد) •
البلد : الدلاتون – محافظة المنوفية •

● قبل الحرب كنا متبرجلين ، وحالتنا النفسية تعبانة جدا خصوصا ان المدة كانت طالت من ١٩٦٧ لغاية النهاردة . لان طبعا من ناحية كان فيه اسرائيل محتلة أرضنا والنكسة اللى احنا شفناها فى أموالنا وأموال الدولة . وأمريكا ، من ناحية تانية بتساعد اسرائيل من غير حدود . صحيح كان فيه محاولات لتاييدنا من دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى لكن برضه تعبانين لان ماكانش فيه حل . وكنا عايزين نحارب بأى طريقة .. زهقنا من الانتظار احنا عايزين نحارب . أولادنا فى الجيش عايزين يحاربوا طيب ليه ساكتين ؟ لكن مع ذلك أنا كنت متوقع المعركة .. امتى بالضبط ؟ ما أعرفش لكن عارف ان احنا لازم نحارب . أيام الرئيس **عبد الناصر** كان دايما يوضح لنا ويفهمنا ولما جه الرئيس السادات كان بيعمل – فى صمت – وقال الصبر والصمت وكنا مصدقينه لكن كان الصمت بيقلقنا . احنا عارفين اسرائيل كويس ولا يمكن نخلص منها الا بالقوة .. وطول ما فيه احتلال كنت متوقع أن فيه معركة . كمان احنا عرب لنا تاريخنا ولنا ماضينا ولا يمكن يهون على الانسان تاريخه وكان لازم نحارب .

■ من حيث نتائج القتال فأنا لما شفت جنودنا فى التلفزيون وهم فى الضفة الشرقية ورافعين العلم المصرى وبيقولوا الله أكبر والدبابة مكتوب عليها الله أكبر عينى فرت منها الدموع وبقى نفسى أقوم أحدف نفسى معاهم على الجبهة بأى وسيلة وأى طريقة . ولما شفت الاسرائيليين وشفت « عساف » القائد بتاعهم قلت لنفسى همه دول اللى بيقولوا عليهم جيش لا يقهر أهم ولادنا قهروهم وأسروهم . ولما سمعت ان عملية العبور اللى قام بها الجيش المصرى هتدرس فى المعاهد العسكرية فى العالم بقيت فرحان . أما حكاية **الدفرسوار** ما همتناش لانهم لو جاءوا لنا هنا فى **الدلاتون** هنحاربهم بايدينا ، ومع الايمان القوى لا يمكن الشعب ينهزم أبدا .

■ بالنسبة لاشقائنا العرب كانت وقفتهم معانا ممتازة وأنا أحب أقول انه قبل موضوع البترول القوات العراقية اشتركت فى الحرب والقوات المغربية والقوات الجزائرية .. الجزائر وضع نفسه كلى وجزئى فى المعركة وأوقف مشروعات التنمية من أجل المعركة ومن أول طلقة ابتدت الجهود العربية تظهر على الشاشة على طول .. قبل البترول كانت الحاجات دى وبعدين جه الملك فيصل وأمير الكويت وكل العرب بالبترول ، وأنا كنت بأقول اننا لو حاربنا يومين وانتصرنا فيهم كل العرب هتقف معانا لان هيبتنا هتزيد ولان الشعوب العربية هتتشجع .

■ أمريكا أنا بأعتبرها عدو لنا على طول الخط ، والضربة اللى خدتها اسرائيل فى الحرب تعتبر ضربة لامريكا .. وبيقولوا ان اليهود لهم نفوذ فى أمريكا وده السبب فى انها واقفة جنب اسرائيل . طيب ماهو فرنسا فيها يهود لكن موقفها غير موقف أمريكا . وانجلترا اللى هيه موقفها من العرب اتحسن فيها برضه يهود لكن لما وجدت مصالحها مهددة حسنت موقفها اذن أمريكا عدو لدود والمسألة ما هياش مجرد نفوذ اليهود هناك .

■ بالنسبة لاصدقائنا ، الفضل يرجع لرؤسائنا الرئيس جمال الله يرحمه كان له أثر كبير لان لما قامت ثورتنا بدأ العالم كله يحس بمقاومتها للاستعمار وبدأ الرئيس جمال عبد الناصر يجمع دول عدم الانحياز وبعدين في افريقيا ساعد على بناء منظمة الوحدة الافريقية وبعدين عمل علاقات مع روسيا اللى ما كناش بنسمع عليها زمان . كل ده جعل العالم يحس بالظلم اللى بتعمله أمريكا علينا وعلى غيرنا من الشعوب وكان له الفضل الاول فى وقوف كل الدول دى معانا ولما جه الرئيس الصامد المؤمن أنور السادات سار فى نفس الخط وبقينا كل ما نسمع منه كل ما يدخل قلبنا أكتر ونطمئن على سياستنا ومستقبلنا .

■ وبالنسبة للاتحاد السوفيتى أيام الرئيس أنور السادات ما أخرج الخبراء السوفيت أنا كنت بأقول ان دى سياسه واننا لا يمكن نستغنى عن صداقة الاتحاد السوفيتى والنهاردة اتضح ان الاتحاد السوفيتى له الفضل الاعظم فى السلاح والتأييد السياسى وفى عملية وقف القتال اتخذ موقف بطولى وقال لامريكا لابد من وقف القتال وان كل واحد يأخذ حقه ولما اسرائيل خرقت وقف النار أرسل الرئيس بريجنيف انذارا لامريكا واسرائيل وده طبعا كان جزء من انتصارنا .

● بلدنا تعدادها حوالى ٣ آلاف مواطن منهم حوالى ٢٠٠ فى القوات المسلحة ما بين مجندين ومتطوعين وضباط وما كناش خايفين عليهم لكن كنا بندعيلهم بالنصر او الشهادة . والموت لا يمكن حد يمنعه ما احنا هنا بنموت فى البيوت وأفضل لنا نموت فى الجبهة فى سبيل البلد ومن رابع يوم المعركة اتجمعنا وشكلنا فرقه للانقاذ وفرقة للحرائق وفرقة للدفاع المدنى اشترك فيها العمال والفلاحون وبعض الطلبة وقمنا بجمع تبرعات ومازالت العملية دى ماشية وحددنا فصائل الدم لكن قالوا ان المستشفيات استكفت .

■ كان فيه بعض الناس بيحاولوا يقللوا من أهمية الدفاع المدنى على أساس أن قريتنا بعيدة عن الميدان . لكن اتصدينا لهم وقلنا لهم ان كل حته فى مصر جزء من الميدان . ولما عملت اسرائيل غارة على قويسنا وقتلت الفلاحين ، الناس دى ما قدرتش تتكلم . ولما كان واحد يردد اشاعات راديو لندن، وصوت أمريكا كنا بنسكته . لكن برضه مهم قوى ان اذاعتنا تقول لنا على كل حاجة . واحنا أصبحنا غير زمان أصبح عندنا وعى وثقة فى جيشنا وفى قيادتنا وعارفين ان الحرب معارك وكر وفر وتضحيات يعنى ما هياش حلو على طول وعلينا ندفع ثمن النصر .

■ مطلوب مننا نستمر فى سياستنا « نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا ». واحنا واثقين فى رئيسنا وخطواته وعارفين انها هتكون كلها فى مصلحتنا ، واللى أظهره الشعب ده مش كفاية عليكم ؟ احنا شعورنا هو اننا عايزين نضحى الى آخر حد ولازم تستمر المعركة حتى يتحقق النصر الكامل لان اللى حققناه كان خطوة كويسة ولازم نكمل الطريق .

■ ومطلوب من الحكومة أولا انها تحارب كل مستغل يحاول يتغنى على حساب المعركة وعلى حساب الشعب . وكل انسان يحاول يشوه المعركة تقف ضده على الخط المستقيم . والحاجة التانية انها تدرب الفلاحين على السلاح علشان يدافعوا عن نفسهم . أنا عايز مدفع جنب الزراعة . عايز أكون فلاح وعسكرى فى نفس الوقت . كمان احنا جنبنا مصنع الغزل ، وفيه عمال من المصنع راحو الجبهة طيب ليه ما نعلمش الفلاحين عملية الغزل علشان يحلوا محلهم وبكده يبقى فيه تعاون بين الكل .

■ أما العرب فمطلوب انهم يحافظوا على وحدتهم اللى ظهرت أثناء المعركة . وانهم ياخدوا درس ويبنوا جيوش قوية فى كل بلد عربى علشان تكون كلها رصيد للمعارك اللى جاية بشرط انها تكون جيوش موحدة . وعموما اللى عند العرب مالهش حدود ولازم أن نستخدمها ضد الاعداء اكتر واكتر .

■ مطلوب من الاصدقاء ، انهم يستمروا فى تأييدنا بكل الطرق . وان الاتحاد السوفيتى يستمر فى توريد السلاح لنا علشان نقدر نواجه اسرائيل وأمريكا بنجاح أكبر وأكبر .. فيه

ناس كانت بتقول أن اللى حصل معجزة من عند ربنا،وانا شخصياوقفت للناس دول وقلتلهم صحيح ان كل حاجة بمشيئة الله لكن ربنا كان هينصرنا من غير السلاح والتدريب والتضحيات اللى قدموها اخواننا فى الجبهة ؟ أبدا الحاجات دى شرط اساسى للنصر وربنا قال « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » احنا بنزرع الحبة فى الارض ونشقى لغاية ما ناخد منها المحصول ومش ممكن ننام ونتصور ان الحبة ممكن تنزرع وتبقى محصول لوحدها او بمعجزة من عند ربنا ».

● ● ●

الاسم : حسن ابراهيم خميس
المهنة : عامل زراعى
البلد : شنوان

■ صحيح أنا فوجئت بالمعركة لكن أنا فاهم ان ده شيء طبيعى لانه لابد نحارب اسرائيل علشان نحرر الارض المحتلة وبغير كده اسرائيل مش هتخرج

■ ولم أكن أتصور أننا ننهزم مرة ثانية لاننا خدنا درس من حرب ١٩٦٧ علشان كده كان عبور الجيش المصرى وتحطيم خط بارليف شرف كبير لنا كلنا . واذا كانوا جم غرب القناة فاحنا لازم نطردهم تانى من كل أرضنا وده مايقللش من البطولات اللى عملوها العساكر والضباط المصريين فى سينا .

■ موقف البلاد العربية رفع روحنا المعنوية اما باشتراكهم فى الحرب زى العراق مسا اشتركت من جبهة سوريا أو قطع البترول عن الدول اللى بتؤيد اسرائيل .

■ الاتحاد السوفيتى هو صديقنا الاساسى ، والدعايات اللى كانت بتقول انه مش هيقف جنبنا ثبت أنها غلط واعطانا السلاح اللى حاربنا به وحطمنا خط بارليف فالفضل يرجع للاتحاد السوفيتى .

■ امريكا ساعدت اسرائيل وأعطتها السلاح الحديث . وده كان وضع ضدنا لانه مكنها من التوسع فى أرضنا وقتل اخواتنا فى الجبهة وفى القرى والمدن زى ما حصل فى بنها وقويسنا

■ من خلال احتكاكى بالناس كنت بأرد كل واحد يتكلم كلمة غلط اى حد كان يتكلم عن السكر أو الشاى كنت أراجعه لان التموين كفاية علينا . وبعد كده لازم نتحمل وما نزودش عن التموين . وطبعا كان فيه بعض الناس الاغنياء خزنوا شاى وسكر لكن أغلبية الشعب رفضت التخزين .

■ وبعض الناس كانت خايفة من الحرب على أموالها اللى همه العالم الكبار وانا شفت ناس من النوع ده . ولما كنت أتكلم معاهم كانوا بيقولولى انت ما تعرفش فى المسائل دى . لكن بعضهم كان بيقبل الكلام وكان بيوافقنى على أن المعركة أهم من كل شيء . وأنا عن نفسى كنت باتمنى انى أكون مع الجنود ولو أملك أى شيء غير القوت الضرورى كت اتبرعت به . وكل الناس العاديين كانوا مثلى مستعدين للتضحية وكانوا فرحانين بالمعركة .

■ كنا بنرد على الاشاعات ، ومثلا لما ضربوا على طريق **قويسنا** طلعت اشاعة بتقول ان **قويسنا** انضربت فاحنا وضحنا الحقيقة وان قويسنا سليمة وكان هدفنا ان الناس لا تتردد أو تصاب بالخوف .

■ أحنا بلدنا تعدادها أكثر من ٤٥ الف نسمة غير المهجرين ومع ذلك مافيهاش صفارات انذار وبالنسبة للدفاع المدنى ماكانش عنده أى استعدادات لا فى الانقاذ ولا فى اطفاء الحرائق ولا مواجهة الغارات ولا دفاع شعبى للدفاع عن البلد لو حصل اى حاجة وواجب الحكومة توفر الاشياء الناقصة والشعب ممكن يعاونها ».

■ لاحظت ان فيه عدد كبير من الشباب العاطل فى شنوان وما أمكنش الاستفادة منهم لانهم عايزين يشتغلوا باجرة ياكلوا منها . والدفاع المدنى بدون اجرة وده معناه أن فيه اعداد كبيرة من الناس فى كل قرية قاعدين بدون عمل فى الوقت اللى البلد محتاجة كل مجهود فى أعمال كتير ، والحكومة واجبها تستفيد من الناس دول وتفيدهم فى نفس الوقت بأنهم يحصلوا على لقمة عيش شريفة وفى مصلحة البلد .

■ العرب لازم يقدموا للمعركة أكتر وأكتر لان اللى عملوه وان كان كويس ورفع روحنا المعنوية الا أنهم يجب يبنوا جيوشهم ويقدموها تساهم فى الحرب مع مصر وسوريا حتى نهزم اسرائيل هزيمة نهائية .

● ● ●

الاسم : السيد محمد صقر
المهنة : فلاح (لا يقرأ ولا يكتب) •
البلد : الدلاتون

■ صحيح المعركة كانت مفاجأة لنا .. لان احنا كنا بنقول أن الرئيس مش عايز يحارب علشان خايف على أولادنا اللى فى الجبهة . لكن فوجئنا بالحرب ، واحنا عارفين أن العمر واحد والرب واحد ، علشان كده ماكانش عندنا أى خوف . واتهزينا قوى لما سمعنا بيان العبور وعرفنا أن قواتنا رفعت العلم المصرى على أرض سينا وحسينا أننا اتخلقنا من جديد ، والوعى دب فى عروقنا وعقولنا وأصبحنا مستعدين لاى حاجة .

■ واحنا ما كناش متعشمين أننا نعبر القناة نتيجة الدعايات اللى قبل المعركة عن جيش اسرائيل وعن خط بارليف وغيره ، لكن اللى حصل لغاية دلوقت كويس الا نقطة الدفرســوار وواجبنا نرجعهم تانى ونطردهم من كل الارض اللى خدوها سنة ١٩٦٧ أو السنة دى .

● الدول العربية وقفت موقف كويس سوريا حاربت فى الجولان ومعاها العراق ، ودول البترول قطعته عن أمريكا وعن كل اللى بيساند اسرائيل وده ساهم فى النصر .

■ أما الاتحاد السوفيتى فالفضل لله وله فى التموين بالاسلحة الحديثة اللى استخدمناها فى الحرب والعبور . وكل الدول اللى أيدتنا فى افريقيا وعدم الانحياز هى دول صديقة .

■ اسرائيل بتحاربنا وأمريكا بتدعمها بالسلاح وهمــه دول أعــداءنا . لــكن كان احساسنا أننا لازم نفضل نحارب حتى مع أمريكا .. فيتنام غلبت أمريكا واحنا مش أقل من فيتنام .

■ أهل البلد ماكانش لهم كلام غيــر المعركة . وكل فلاح فى أرضه بيشتغل علشان المعركة . واحنا قدمنا تبرعات وعملنا دفاع مدنى وماحدش طلب مننا حاجة أكثر من كده . وعموما أنا لى ولدين بيحاربوا واحد فى سلاح المهندسين اللى عمل كبارى العبور والتانى فى الخدمات الطبية .

■ كل واحد كان بيحاول يستغل ظروف المعركة كنا بنقف ضده . واحنا بلدنا صغيرة وكلنا عارفين بعض . وكان فيه بقالين حاولوا يستغلوا الظروف لكن اللى كنا بنسكت عليه قبل الحرب ما يصحش نسكت عليه أثناء الحرب فبلغنا فيهم واتحولوا للنيابة العسكرية .

■ أما عن موضوع الاشاعات ماكانش فيه اشاعات . كان فيه نكت على موسى ديان وعلى الاسرى الاسرائيليين .

■ مطلوب من الشعب أن كل واحد يجتهد فى عمله ويؤديه بأمانة . الفــلاح والعــامل والموظف كلنا نزود الانتاج ونوحد صفوفنا ونقف ضد أى انحراف فى طريقنا وأى استغلال لقوت الشعب ، ومانسكتش على الغلط .

● ومطلوب من الحكومة انها تجتهد فى الجبهة العسكرية واحنا مستعدين كلنا نشيل السلاح .. نزرع الارض ونوقع الطيارات زى فيتنام .. كمان السياســة الخــارجية لازم نحافظ على أصدقائنا ونزودهم ولازم نحذر من أعدائنا ومن ألاعيبهم السياسية .

■ أما العرب فمطلوب منهم الاستمرار فى قطع البترول . وزى ما احنا بنضحى بدم أولادنا وبدمنا يضحوا همه بالبترول لغاية مايتحقق النصر الكامل وتنسحب اسرائيل من كل الاراضى المحتلة ■

● ● ●

الاسم : عطيات حجازى سعودى
المهنة : فلاحة (عضو لجنة الاتحاد الاشتراكى بالقرية عن التنظيم النسائى)
القرية : الدلاتون .

كنت أتوقع المعركة فلم يكن من الممكن أن يظل أبناءنا واقفين على الجبهة فى الشمس وفى المطر بلا نهاية . ولكن الرئيس السادات أخذ درسا من الماضى ، ومن الظروف التى كنا عايشينها فظل يكتم السر الى أن فاجأ العدو وطبعا كانت مفاجأة لنا أيضا .

■ واحنا كنا خايفين لانهم صوروا لنا اننا سنخسر فى العبور خسائر كبيرة ولكن المفاجأة أذهلتهم والعسكرى المصرى أثبت كفاءته واثبت انه عنده صبر وصلابة وقوة تحمل أكثر من العسكرى الاسرائيلى ، وهذا وحده نصر لنا .

■ ارتباط العرب ببعضهم أظهروا أنهم قوة كبيرة تستطيع التأثير ضد العدو وهذا كان من أسباب اهتزاز موقف اسرائيل . وكنا نتمنى أن يدخل الاردن بكل قواته فى المعركة لان هذا يخفف العبء عن القوات المصرية السورية ويزيد من خسائر العدو . والحقيقة أن قطع البترول كان مفاجأة غير متوقعة وهذا أربك البلاد التى تؤيد اسرائيل واشاع الخلافات فى صفوفهم .

■ روسيا دولة تحب السلام ولا تحب العدوان على الدول الاخرى ولذلك شجعتنا وايدتنا بالسلاح وبالدعاية لقضيتنا فى كل مكان ووقفت ضد احتلال اسرائيل لارضنا .

■ أمريكا وقفت مع اسرائيل زى عادتها وهذا تصرف لم يكن ضدنا وحدنا بل ضد العالم كله زى ماقال الرئيس السادات وعموما احنا عارفين ان أمريكا هى اللى بتحاربنا أصلا اما اسرائيل فهى مجرد أداة أو غطاء لدور امريكا ضدنا

■ بمجرد قيام الحرب الناس سادهم شعور بالاخوة والترابط كان فيه خلافات باقية من انتخابات الاتحاد الاشتراكى الاخيرة انتهت وظهر التعاون بين الناس فى جميع المجالات فى الدفاع المدنى والتبرع بالدم . كل واحد كان عايز يأخذ فرصة لخدمة بلده أثناء الحرب وأولادنا المقاتلين على الجبهة كنا بندعلهم بالنصر وماكناش قلقين عليهم بالعكس كنا فخورين بهم وطبعا الصورة كان فيها الابيض والاسود فمثلا فى الوقت اللى الفلاحين فيه متحمسين للتضحية بكل حاجة كنا بنلاقى بقالين بيحاولوا يستغلوا الظروف فقمنا بالتبليغ عنهم وقبضت عليهم مباحث التموين .

■ الناس ماكانش عندها أزمة فى حاجة . والناس كانوا مستعدين يضحوا بكل شىء لكن اللى بيخلق الازمة همه التجار الجشعين والناس اللى بتحب التخزين ومايهمهاش مصلحة الوطن .

■ التنظيم النسائى فى القرية ماكانش له نشاط كبير لان المعركة انتهت بسرعة وعموما احنا كنا بنوعى الناس بالمعركة .

● **مطلوب من الشعب أنه يستمر فى التضحية لكن لابد تتناسب التضحية مع الدخل . يعنى الاغنياء يساهموا أكتر لان دخلهم أكبر والناس الفقراء بيساهموا طبيعى وكفاية فقرهم .. يعنى هوه الفقر ده مش تضحية** ؟ فلو أن تكاليف الحرب انصرفت على تنمية البلد كانوا همه أول فئة هتستفيد . لكن الحرب بتأخذ كل شىء ولذلك همه خسرانين ومع ذلك فكل واحد يساهم بالشىء اللى يستطيعه بدمه أو بجهده أو بماله من غير بخل ولا أنانية .

■ مطلوب من الحكومة انها تزود قوةالجيشبكل الوسائل ، وانهم يظلوا يقظين للعدو حتى لا يفاجئهم بأى عمل يهد اللى احنا عملناه فى العبور والشعب كله مستعد يتدرب ويدافع عن بلده وهذه مسئولية الحكومة .

● ● ●

الاسم : الشيخ محمد عزب بحيرى

المهنة : فلاح

البلد : دمنهور الوحش ــ مركز زفتى

الكلام عن الحرب مع اسرائيل كان موجود . وهذا الكلام كان متوقع حدوثه لان حقنا منهوب بواسطة اسرائيل ، والحق المنهوب لا يعود الا بالحرب . وما أخذ بالسيف يأتى بالسيف . وكنت بأشوف العبور فوق قناة السويس سيتحقق ولو ضعنا كلنا . ولو لم تحدث المعركة والعبور لا نستحق أن نعيش .

وفى المعركة كان معانا ربنا ومعانا روسيا بنفسها واخلاصها وسلاحها .

وكل أيام الحرب كنا عال العال ، ماكنش ناقصنا حاجة .

وكل المطلوب من المعركة والحرب مع اسرائيل العدالة ، وعمر العدالة لا تأتى الا بالحرب .

● ● ●

الاسم : عزت حماد زمزم

المهنة : فلاح

البلد : حنون ــ مركز زفتى

حربنا ومعركتنا الحالية مع اسرائيل لم تكن على بال أحد ولا فى نية أحد لعدم وجود استعداد ، وعدم وجود أسلحة للحرب . وهذا كلام كنا نسمعه كثير كثير .

وعبور جيشنا القناة ، وفتحه خط بارليف كانت خطوة غير متوقعة وان كنت متوقع انه فى يوم من الايام سوف أشرب من دم الاستعمار والصهيونية لاننا مغلولين من نكسة ١٩٦٧ وضياع أرضنا .

وروسيا غذتنا بالسلاح ولم تؤخر عنا أى شىء .

وأمريكا المجرمة لا تستحق الا ضرب الحذو .

واحنا فى أيام المعركة كنا جامدين خالص وكانت الطيارات تزن فوق رؤوسنا ولا أهمية بها .

والنصر علشان تشوفه العين لازم بالحرب ودق اسرائيل « لا تيجى فى السلب لا فى الخشب » .

● ● ●

الاسم : سعد زغلول البرى

المهنة : فلاح

البلــد : بشالوش ــ مركز ميت غمر

الحرب لما قامت مع اسرائيل فى يوم ٦ أكتوبر كنت منتظرها من زمان لان شعبنا وشبابنا كان صبرهم فرغ ولازم يحاربو . والحرب مع اسرائيل لا تفزع أبدا لان الجندى الاسرائيلى جبان وغير شجاع وقد عرفته فى حرب عام ١٩٤٨ . وكل ميزة الجندى الاسرائيلى هو الخدعة .

وتخطية جيشنا المصرى البطل لقناة السويس كنت متوقعه مية فى المية ، وكذلك الاستيلاء على خط الخواجة **بارليف** لان الموت أفضل ألف مرة من قلة تخطية القناة وتكسير خط الخواجة بارليف .

وأول هام الاتحاد السوفيتى مدنا بالسلاح الجبار . وثانى هام قطع البترول واتحاد العرب ساعدنا فى المعركة وقوى نفسنا على اسرائيل وأمريكا .
وفى القتال كانت الروح عالية .
وكعك العيد كان قليل فى البيوت علشـان العيد الحقيقى اللى نعمل فيه الكعك هو النصر الذى لن يأتى الا بالحرب على طول .

● ● ●

الاسم : لطفى أحمد موسى
المهنة : فلاح
ـ حنـون ـ مركز زفتى

لم تكن المعركة مع الصهيونية فى دماغى لعدم تحديد ميعادلها من جانب الحكومة . وفى نظرى ان الحرب مع اسرائيل بعيدة خالص لعدم التجهيز اللازم للحرب . ولذلك فان العبور ومسك خط بارليف قدرة من الله وقدرة الهية بجانب شجاعة الجيش والجنود المصريين .
وتكتل الدول العربية ساعدنا فى النصر . وتأييد الدول الاشتراكية وروسيا التى مدتنا بالسلاح ساعدنا كمان فى النصر . ومنع البترول عن أمريكا والدول التى تساند اسرائيل عجز الصهيونية وقطع نفسها .
والمعركة لم تعطل شغلنا فى الغيط أبدا .
والناس كلها مع المعركة لذلك فأكثر أهالى حنون لم تعمل كعك العيد مع انها سنة شرعية .
والطريق فى نظرى الى النصر على اسرائيل هو بالحرب .

● ● ●

الاسم : محمد عبد الحميد ناصف
المهنة : فلاح
البلـد : دمنهور الوحش ـ مركز زفتى

لازم كانت تقوم الحرب ضد اسرائيل لان مصر وشعبها عزم على أن لا يضيع من أرضه شبر واحد . وهذا الكلام كان عنوة الجميع فى كل وقت ولن يستطيع أى رئيس للبلاد أن يرجع عن غنوة تحرير الارض وطرد اسرائيل . .
وكان رأيى أن عبور قناة السويس وكسر خط بارليف ممكن ولكن بخسائر كبيرة جدا .
وكان تصميم الجندى المصرى المطالب بثأر بلده هو الذى نفذ العبور وحطم خط بارليف وان مطلبنا كان هو الارض والثأر . ولهذا كنت انتظر النصر باذن الله .
والاشياء التى شجعتنا فى المعركة كثيرة : مثل موقف الدول العربية المشرف وشن حرب البترول وتأييد الاتحاد السوفيتى بـالسلاح والمعدات .
والحرب الاخيرة مع اسرائيل كانت سببا فى اننا عرفنا شجاعتنا وروحنا المعنوية العالية فلا الغارات تهم ولا الطيارات تخوف .
ولكن المعركة طويلة والنصر يأتى بالعمل فى أنحاء العالم مع التمسك بالدين .

● ● ●

الاسم : محمد أبو الخيـر ابراهيـم نصر
(يعـرف القراءة والكتابة)
المهنة : فلاح
النخاس ـ مركز الزقازيق

كنا نتوقع قيام المعركة لانها نتيجة حتمية لحرب ٥ يونيو . لكن لم يكن ممكن تحديد الموعد ولاننا نعرف مقدار غدر العدو .
وكنا نتوقع كل ما حدث . وهو كسر جمود المشكلة ـ وأثبتنا اننا شعب عملى لا قولى .
وكنت أتوقع ما حدث من الدول الصديقة ، لان موقف الصديق يظهر فى الشدة .

-تقبل السكان المعركة بنفس راضية نتيجة للنتائج التى أسفرت عنها الحرب وكذلك لما ثبت من قدرة القوة المسلحة .

وأسر المجندين كانت سليمة . وكان الاب اوالاقارب يتمنون ان يذهبوا الى الحرب لكى يثبتوا انهم أعطوا للمعركة . وأنا لى أقارب كثيرة فى الجبهة .

والعطاء المقدم للمعركة كـاف لاثبـات أن الجماهير واعية وذلك فى التبرع بالدم وجمع المال للمعركة وكذلك سندات الجهاد .

ومخاطر المعركة الكل تقبلها بشجاعة حاسمة ، وهذا ما يثبت سهر الجماهير على الحراسة والابتعاد عن المخاطر

وكل انسان كان يتقبل الدعايات المضادة على أنها خفض للروح المعنوية ولا تعمل الا سوى لعمل صراعات الجبهة الداخلية وتفتيت فى الرأى العام .

المطلوب من الشعب .

ان يعمل اللازم نحو الحفاظ على ما انجزه يوم ٦ أكتوبر وتوقع المعركة فى أى لحظة لان طبيعة العدو الغدر

المطلوب من الحكومة :

عمل اللازم نحو تدريب غالبية شباب العمال والفلاحين والطلاب على السلاح

المطلوب من العرب :

ان يلتزموا بتعهداتهم تجاه المعركة وتجاه دول المواجهة ولا يتفرعوا الى مشاكل جانبية والحفاظ على حقوق شعب فلسطين .

● ● ●

الاسم : شوقى أحمد محمد عبد الكريم

المهنة : فلاح (يعرف القراءة والكتابة)

البلد : البيروم — محافظة الشرقية

فى الحقيقة معظمنا ماكانش يتوقع الحرب ،لكن كان فيه فى البلد ناس رأيهم أن القيادة لا يمكن توافق على استمرار الوضع على ما هو عليه ، وان البشاير لسه جاية .

فى موضوع العرب تاريخ الدول العربية بيبين دايما انها كانت تتخطى جميع الخلافات ولا تفكر الا فى الاخطار اللى بتواجهها .

وبالنسبة للدول الصديقة تعشمنا فى الصديق خير دايما .

وبالنسبة للعدو موقف الانجليز والغربيين كان مفاجأة لنا .

وعن حالة الاهالى جات اللحظة اللى انتظرناها بفروغ صبر . فلابد أن أكون فى خدمة المعركة . لابد أعمل وأزود الانتاج علشان الوصول للنصر القريب .

واما أسر المجندين فكل أسرة تتشرف بأن لها قريب أو أحد افرادها ان ماكانش اكثر على الجبهة . وأنا لى سبع أقارب فى المعركة .

المطلوب : جهد متواصل . المتبرعون بالدم كتير كتير واحنا فى الانتظار للتبرع وما اعرفش ليه ماجاش علينا الدور .

وكلنا مستعدين للتضحية . واذا كانت فيه طريقة للوقاية والدفاع المدنى فاحنا نتبعها ، واذا ما فيش فاحنا نقبل التضحية .

فى حكاية الدعايات المضادة **أولا** : لنا عقل يميز ويطرد أى محاولة لاضعاف روحنا المعنوية، ثم ان الافراد ضعاف النفوس معروفين ولا نستمع اليهم ونعاملهم كمرضى ، ونعرف جميع الافراد بيهم .

المطلوب عمله من الشعب :

اتباع الارشادات من الجهات المسئولة

قبول زيادة من التضحيات ، وفى مواد التموين وغيرها

الوقوف ضد محاولات اضعاف الروح المعنوية

المطلوب عمله من الحكومة :

الاتصال المباشر بين جميع الهيئات الرسمية لعدم التعارض مع قرارات مختلفة الهيئات علشان الاجهزة تاخذ تعليمات وأوامر متشابهة ولا يحصل تعارض

المطلوب من العرب :
أولا : الصمود فى موقفهم المشرف ،واستمراره الى النهاية التى نتمناها . ومطلوب اجراءات أكثر ضد أعدائنا .

● ● ●

الاسم : محمد احمد ابراهيم راجح
المهنة : فلاح
كفر الحمام ـ مركز الزقازيق

كنت اتوقع قيام المعركة فى أى لحظة بعد طول الانتظار
كنت اتوقع النتائج من ناحية البلاد العربية والدول الصديقة
خرج السكان للمساهمة فى المعركة بدافع الوطنية .
أسر المجندين كانت روحهم المعنوية عالية والكل يدعو بالنصر
الجميع قدم كل ما يملك من أجل المعركة ـ الكل وقف يستعد لاستقبال اى مخاطر
قام الفلاح والعامل بزيادة الانتاج
المطلوب لتحقيق النصر النهائى :
من الجبهة الداخلية تماسك وثقة بالقيادة
من الحكومة : تلبية مطالب الشعب بقدر المستطاع .
من العرب : تقديم كافة المعونة ، والمساعدة للقوات المسلحة .

● ● ●

الاسم : محمد عيسى النجدى سويلم
المهنة : فلاح [يعرف القراءة والكتابة]
الغار

كنت أنتظر قيام المعركة
وفى موضوع البلاد العربية لم أتوقع هذا الموقف الرائع
وفى موضوع البلاد الصديقة ايضا لم اتوقع هذا الموقف وبالطبع كنت أتوقع موقف المؤيدين للعدو
وبالنسبة للسكان فاتوقع ان يقفوا هذا الموقف الرائع فى هذا الظرف العصيب .
وبالنسبة لاسر المجندين توقعت ان أرى منهم روح التضحية بالمال والنفس والدم والولد .
وبالنسبة لعطاء الشعب لم أتوقع هذا العطاء الرائع والتسهيلات التى فاقت الوصف والحدود .

● ● ●

الاسم : محمد فضلى فهمى
المهنة : أمين شباب أم الزين

نعم ، كنت أتوقع المعركة لان الحرب هى الحل الوحيد والامثل لاسترداد حقوقنا وخصوصا بعد فشل كل المحاولات التى بذلت لتحقيق السلام .
لم أكن أتوقع النتائج من بعض البلدان العربية وذلك للسياسة التى كانت تنتهجها كل دولة ، أما بالنسبة لدول الاتحاد فالمتوقع هو ما حدث وأكثر . والدول الصديقة كان المتوقع منها ذلك وخصوصا بعد الكسب السياسى والدبلوماسى للقضية العربية على مستوى شعوب العالم ومجلس الامن . أما الدول المعادية فلم أكن أتوقع منها هذه النتائج وذلك لعدم تفهمها قضيتنا الا بقوة السلاح .
كانت المعركة متوقعة من السكان ، وذلك لحالة الاستدعاء المفاجىء لقوات الاحتياط المصرية فقبلوا الاخبار بكل رضى وسرور ـ وخصوصا ـ لان مطلبهم استعادة الارض لا أكثر من ذلك . وكان أسر المجندين يهللون بالتكبير والهتاف والدعاء بالنصر .
وقدم الجميع كل ما يمكن تقديمه ، وتحدى الشعب المخاطر ورفض كل تحد للشائعات ووقف بالمرصاد للشائعات . وأصبح هناك وعى وادراك كامل بالمعركة .
ولى أقارب كثيرون بالجبهة .

وقد زاد الانتاج بطريقة ملحوظة وزيادة الورديات والعمل ليل نهار فى خدمة المعركة والمجهود الحربى .

لا بديل للحرب لتحقيق النصر النهائى وهذا واضح ومعروف وبذل كل جهد ومعايشة حالة الحرب والاقتصاد فى السلع التموينية ومعرفة كل واحد واجبه حتى يؤديه على الوجه الاكمل وبنظام ووعى وادراك .

وفى الجبهة الداخلية : تجهيز أنفسنا بالسلاح والعمل فى كل المجالات بضمير واخلاص . وتقبل الشعب كل شىء ويعلم أننا فى حالة حرب .

وتبذل الحكومة كل العناية وكل الجهودلخدمة المعركة .

والجبهة الخارجية أن تصر وتستمر على هذا الموقف حتى يتم تحرير الارض كاملة وعودة حقوق شعب فلسطين المشروعة .

● ● ●

الاسم : محمد محمد بيومى خليل

المهنة : فلاح

البلد : بنايوس مركز الزقازيق

لم أكن أتوقع قيام المعركة فى الايام التى قامت فيها .

ولم أكن أتوقع هذه النتائج . لان كل ما حدث من تحول بالنسبة للدول العربية والدول الاجنبية كان متوقفا على نتائج المعركة فعبور قواتنا للضفة الاخرى من القناة كانت سببا من أسباب هذا التحول وهذا يؤكد مبدأ أن العالم لا يحترم الا الاقوياء .

تصرف السكان فى المعركة كان حميدا خاصة بعد النتائج الاولية للمعارك التى رشدت سلوك الناس .

أسر المجندين كان لديهم ايمان بقدسية المعركة .

قدم كل المواطنين للمعركة كل حسب جهده وطاقته ، بل وأكثر من جهده وطاقته .

مواجهة المخاطر : كان لدى المواطنين ومازال القدرة على مجابهتها .

مواجهة الدعايات المضادة : كان للشباب الدور الاكبر فى القضاء على هذه الدعايات .

زيادة الانتاج : كان للفلاح والعامل وكل فئات الشعب الحرص على زيادتها .

المطلوب عمله لتحقيق النصر النهائى :

ـ من الشعب : التماسك والتلاحم وزيادةالانتاج ، والوعى والاحتفاظ بروح ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ـ **من الحكومة** القضاء على الروتين وحل مشاكل الجماهير .

ـ **من العرب** :الالتزام بقطع البترول ـ مساعدة الدول الصديقة للعرب ـ دور الارصدة العربية .

● ● ●

الاسم : سليم أبو العلا شاهين

المهنة : جناينى بالتعليم الزراعى

البلد : ميت غمر

الحقيقة بتاعة ربنا ما كنتش أتوقع الحرب مع اسرائيل علشان اسرائيل معاها أمريكا الظالمة بمالها وسلاحها ورجالها .. والعبور عملية صعبة ولكن ربك كريم . انتهت المعركة فى نصف ساعة عبرنا قناة السويس وكسرنا خط بارليف .

وكانت وقفة الدول العربية وقفة اخوات ووقفة اخلاص ساعدتنا فى المعركة .. وكمان سلاح قطع البترول عن أمريكا وأصحاب اسرائيل كان زى السلاح الذرى .

وروسيا والصين شجعونا فى المعركة بالسلاح وكل حاجة .

ولى فى الجيش ولد متطوع ولى جوز ابنتى وكنت فى قلق شوية عليهم ولكن الله سلم .

وأقول اذا كنا خسرنا أولادنا أو نخسرهم ونكسب المعركة والحرب نكون مبسوطين .

وجه العيد ولم يدخل الكعك بيوتنا علشان المعركة كانت هى كل شىء .

ـ السلام كويس وهو باب النصر .

الاسم : السيد عبد المنعم السيد

المهنة : عامل بالرى ــ ميت غمر
البلد : ميت غمر

كنت شايف ان المعركة لازم تقوم مع اسرائيل لان الارض المغتصبة لابد أن تسترد ولاننا لو تركنا اسرائيل فسوف تتوسع فى الاراضى العربية فى السعودية والاردن وسوريا ومصر

ولم اكن انتظر تحطيم خط بارليف وكنت انتظر العبور بس لان الجرايد عرفتنا ان خط بارليف صعب ومحصن جدا .

وأول مساعد ومعاون لنا فى المعركة مع اسرائيل هو الاتحاد السوفيتى الذى أعطانا السلاح والتأييد والسلاح السوفيتى هو الذى عبرنا به القناة

وأيضا فان تأييد الدول العربية والافريقية ساعدنا جدا فى المعركة

وطول المعركة كانت الدعوات فى كل بيت علشان النصر لجيشنا وأولادنا فى الجبهة

والشيء الحلو شجاعة كل الناس ايام المعركة وزيادة الانتاج .

ورأيى علشان النصر النهائى على الصهيونية لازم نستأنف القتال على طول على طول *.

● ● ●

الاسم : محمد عبده سماع

المهنة : سائق جرار زراعى
البلد : بشالرش

كنت متأكدا من حصول معركة مع اسرائيل علشان لازم نحرر ارضنا ، وانا اعرف القنال وارض سينا العزيزة التى مشيت فيها كثير على قدماى .. وكنت متأكدا من العبور انه سوف يتم بسلام مع أنه عبور صعب لان العبور مش تخطية مياه القناة بس ففيه سد ترابى بجانب القناة وفيه خط بارليف

وروسيا بتاعتنا والدول العربية بتاعتنا وقفوا معانا

وفى المعركة كنا بخير وان كان اهالى الجنود زعلانين شوية ولذلك فأغلب البيوت لم تعمل كعك العيد المعتاد

وفى المعركة كمان كنا عارفين ان امريكا هى سبب الازمة وسبب المصائب

والنصر موش ممكن نراه الا بخبط اسرائيل والاستعمار ، والخبط هو الحرب علشان ننفض منهم *.

● ● ●

الاسم : محمد منصور سالم

المهنة : عامل زراعى
البلد : بركة السبع ــ منوفية

كل الناس اللى بتفهم كانت تنتظر المعركة مع اسرائيل علشان نحرر ارض بلدنا وتراب بلدنا ونضرب خصمنا الملعون اسرائيل .

والعبور وسد بارليف كنت أتوقع ان الجندى المصرى سيكتسح كل شيء علشان عندنا رجالة وعندنا شجاعة واخلاص وعلشان عندنا تجهيز عمره سبع سنوات .

وماكنتش انتظر ابدا دخول جيش اسرائيل فى ناحيتنا وكلنا زعلنا علشان هذه الدخلة الخبيثة

وفى المعركة ظهرت شهامة العرب ورجولتهم ، وظهر اخلاص روسيا التى مدتنا بالسلاح وكل حاجة

والحرب لم تهزنا ، وانا لى اولاد فى الجيش وفى الجبهة وفيه أولاد جيراننا وكلهم أولادى ولذلك لما وصلت خطابات من اولادى ولم تصلهم خطابات رفضنا عمل الكعك علشان كلنا واحد ، وكلنا اهل .

ولازم تكون روحنا عالية ونعرف صاحبنا من عدونا فالصاحب هم روسيا والعدو هم أمريكا لعنة الله على اسمها ..

واللى اعرفه ان الحرب هو طريقنا للنصر على اسرائيل وعلى كل الظالمين *.



نحو تقييم موضوعى لحركة الجماهير الشعبية

ربما كان اول الاسئلة التى تطرح حول هذه الشهادات :
ولماذا الشهادات الواقعية من العمال والفلاحين ؟ ولماذا الاهتمام بالتعرف على رؤيتهم الخاصة لحرب ٦ اكتوبر التحريرية ، فى ملابساتها ، وفى ملامحها العامة والرئيسية ، وحول القوى المساعدة لبلادنا ، والمضادة لها ، على الصعيدين العربى والدولى . وما هو مطلوب لتحقيق النصر النهائى من الشعب والحكومة معا ؟

والاجابة هى : أنه صحيح أن العمال والفلاحين يندرجون تحت هذه المقولة العلمية : « **الجماهير الشعبية** ». وصحيح ـ أيضا ـ ان هذه المقولة يندرج تحتها ـ بالاضافة الى العمال والفلاحين ـ الحرفيون والمثقفون والشرائح المتوسطة والصغيرة فى المدينة ، كما تدخل فيها الشرائح الوطنية والمعادية للاستعمار من الراسمالية . الا أن الاهتمام برؤية العمال والفلاحين ـ هنا ـ هدفه التعرف على ملامح الموقف السياسى الاساسى ، بشكل خاص ـ والموقف الفكرى ـ بشكل عام ـ لهذه القوى الاجتماعية التى **تتميز بأنها تحتل المواقع الاساسية فى الانتاج المادى ، والتى تخلق بجهدها الخيرات فى الريف والمدينة** . ولعل من الامور البديهية ، بعد هذا ، ان تأمين الانتاج فى جميع المجالات ، ورفع معدلات الاداء خاصة فى زمن الحرب ، يشكلان الارضية الصلبة التى تؤمن استمرار اى جهد عسكرى ناجح .

على أنه قبل أن نشرع فى التعليق على مضمون هذه الشهادات ، ربما تعين أن نبدأ ببعض ملاحظات منهجية :

الملحوظة الاولى : هو أن عدد الشهادات التى تمثل رأى العمال يزيد زيادة واضحة عن عدد الشهادات التى تعكس رؤية الفلاحين . ومن باب الامانة فان هذا يجعلنا أكثر اطمئنانا الى ما نستخلصه من الشهادات العمالية ، وذلك على الرغم من أن العدد الاقل من الشهادات الفلاحية يعكس أيضا رؤية صحيحة نرجح أنها تمثل ـ الى حد كبير ـ موقف الفلاحين .

الملحوظة الثانية : هى أن هذه الشهادات تتفاوت فيما بينها . ويستطيع المشتغلون بعلم الاجتماع أن يروا الفروق الواضحة بين مجموع الشهادات التى تعبر عن راى العمال ، وبين الشهادات التى تنطق برأى الفلاحين . وهذا ما يمكن أن نلمسه ـ على سبيل المثال ـ فى اجابة كل مجموعة على الاسئلة الخاصة بالمعركة : هل كان يتوقعها ؟ ولماذا ؟ فبينما اتجهت اجابات العمال ـ بشكل عام ـ الى تقديم أسباب ذات « **طابع عقلانى** » مثل :

ـ اننا فى معركة مستمرة مع اسرائيل وأمريكا .

— أمريكا تريد حرفنا عن الطريق الاشتراكى .
— البلاد تدافع عن حقهـا فى تحرير الارض .
— لان الاستعداد السياسى والدبلوماسى والعسكرى كان يجرى منذ ١٩٦٧ .
اذ نرى بوضوح أن اجابات الفلاحين كانت مليئة بالشحنات الانفعالية والعاطفية التى تركز على :
« **الارض المنهوبة** » و « **الثـأر** » و « **الانتقام** » لما حدث عام ١٩٦٧ .
الملحوظة الثالثة : هى أن الفروق توجد — مع ذلك — فى داخل كل مجموعة من الشهادات على حدة . فهناك شهادات يمكن أن نعتبرها « نموذجية » ولا تمثل المتوسط العام لرؤية العمال ، كما أن هناك شهادات « نموذجية » أيضا ، ولا تمثل المستوى العام لرؤية الفلاحين . ومع ذلك تظل هذه الشهادات النموذجية صادقة ، لانه توجد فى جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية ، عناصر أكثر تقدما فى الوعى . ولن يعجزنا ، فى الواقع ، أن نجد تفسيرا لهذه الظاهرة لاسيما وانها ترتبط — فيما يتعلق بالشهادات المطروحة — بظروف موضوعية محددة . فمن بين العمال ، سنجد أن العمال الفنيين وعمال الانتاج [خصوصا من سكان المدن الكبرى] يتميزون — بشكل عام — بوعى أرفع . كما أن من بين الفلاحين من يتقدم فى الوعى . والغالبية من هؤلاء ممن ينتسبون الى الاجيال الشابة (بين العشرين والثلاثين] ، وممن يعرفون القراءة والكتابة .
أما الملحوظة الرابعة والاخيرة ، فهى ان هذه الشهادات ربما بدت — فى الظاهر — مكررة ، أو (متطابقة — وبالتالى ، لا تثير الاهتمام . غير أن الواقع — فى اعتقادنا — غير هذا ، لان قراءة فاحصة ، سوف تضع ايدينا على النواة الصلبة التى تفسر ما نسميه فى العادة بصمود الجبهة الداخلية . وهذه النواة عبارة عن الحد الادنى من المبادىء والافكار ، أو المنطلقات الاساسية والراسخة رسوخ الجبال ، فى عقلية الشعب ، والتى تشكل رؤية مشتركة سياسية فى المحل الاول — وأيديولوجية فى المحل الثانى — للوضع الراهن وما يفرضه من مهمات .

فما هى الاركان الاساسية لهذه الرؤية المشتركة للعمال والفلاحين ؟

يمكن من واقع الاجابات أن نعيد ترتيبها على الوضع التالى :
١ — منذ ٦ سنوات تتعرض البلاد لعدوان اسرائيلى امريكى مستمر ضاع بسببه جزء من الارض .
٢ — لابد من استرجاع هذه الارض لان هذا ما يحتمه المبدأ ، والشرف ، والثأر للكرامة الوطنية .
٣ — فى هذه المعركة تحددت المعسكرات ، فيقف مع شعبنا الشعوب العربية الشقيقة والاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية . ويقف فى معسكر العدو الاسرائيلى الولايات المتحدة ودول استعمارية أخرى .
٤ — تحرير الارض ممكن مهما غلت التضحيات . وذلك بفضل :
— بطولة القوات المسلحة وحسن تدريبها .
— ثبات الشعب وارتفاع روحه المعنوية وقدرته غير المحدودة على العطاء والتضحية .
— وقوف الانسانية المحبة للعدل والحرية بجانب قضيتنا .
— قدرة الدول العربية على الضغط على المصالح الاستعمارية .
٥ — البرنامج اللازم لتحقيق النصر النهائى .
١ — فى الداخل : حماية الوحدة الوطنية وهذا يعنى :
— مزيد من توعية الشعب بالمعركة وظروفها واساليب خداع الاعداء فيها .
— تسليح الشعب وخاصة شباب العمال والفلاحين والمثقفين .
— زيادة الانتاج ومواصلة البناء والتعمير فى ظل المعركة .
— حماية الشعب من المستغلين الذين يتاجرون فى مواد التموين الاساسية والمساواة فى التضحية بين جميع الطبقات .

٢ ـ فى المجال العربى :

ـ حماية التضامن الذى تحقق منذ ٦ اكتوبر ودفعه الى الامام من أجل المزيد من مساهمة الدول والشعوب العربية .

ـ مواصلة الضغط على المصالح الاقتصادية للامبريالية ..

٣ ـ فى المجال الدولى :

ـ دعم علاقات الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية والافريقية ..

هذه الرؤية الشعبية فى نقاطها المحددة هى التى تمثل ـ فى اعتقادنا ـ الموقف الحقيقى والراهن لجماهير العمال والفلاحين ، وذلك على الرغم من ان حظها من الوضوح والتكامل قد يتفاوت من طبقة الى طبقة ، ومن شريحة اجتماعية الى شريحة اجتماعية داخل هذه الطبقة أو تلك . لكنها تمثل الموقف العام والمفاتيح الرئيسية التى تحكم الحركة وردود الفعل فى مراكز الانتاج العمالية والفلاحية .

وهذه الرؤية تتميز بأنها « واقعية » ، وأن ابرازها ـ كما هى ـ وبدون تهوين أو تهويل ، من شأنه أن يستبعد فى الواقع مفهومين خاطئين عن « الجماهير الشعبية » .

المفهوم الاول : هو وجهة النظر المحافظة والرجعية التى لا ترى فى الجماهير غير « الدهماء » و « السواد » ، والكتلة الصماء التى لا تؤثر تأثيرا يذكر فى مجمل التطور الاجتماعى .

المفهوم الثانى : هو المفهوم الرومانسى الذى يجرد « الجماهير الشعبية » من اطار الامان المحدد والمكان المحدد ، وينسب اليها القدرة على صنع « المعجزات » و « الخوارق » دون أن تتوافر الظروف الموضوعية أو الذاتية التى تؤهلها لذلك ..

أما التصور الاول الذى يقلل من فاعلية القوى المنتجة فى المجتمع ، وعلى رأسها العمال والفلاحون ، فيمكن تفنيده بالاستناد الى الحقائق التالية التى أصبحت منذ عدوان يونيو جزءا من حياة الشعب ..

الحقيقة الاولى : هى أن الحرب تعلم الناس العاديين السياسة ، وتفعل هذا بطريقة مكثفة للغاية . فالناس البسطاء من العمال والفلاحين قد نشأوا وتربوا على التعلق بحب التراب الوطنى وربطوا بين هذا الحب وبين قيم الشرف والكرامة كما يمارسونها فى حياتهم .. وعندما تعرض الوطن للخطر بعد هزيمة يونيو ، أصبحت هذه القصة شغلهم الشاغل ، أو « غنوة كل الناس » كما يقول أحد الفلاحين ..

وعندما شرعت البلاد تعد نفسها لتخوض معركة التحرير كان العمال والفلاحون فى مركز هذا الاعداد وفى بؤرته الرئيسية ، بحكم موقفهم الرئيسى من الانتاج . فالعمال الذين عملوا للجبهة وللقوات المسلحة ، وبنوا قواعد الصواريخ ، والفلاحون الذين طلب اليهم مزيد من الانتاج من أجل التضحية . والعمال والفلاحون الذين تدربوا فى الجيش الشعبى والدفاع المدنى ، والذين انخرطوا فى صفوف المقاومة الشعبية ، وقبل ذلك أرسلوا أبناءهم واخوتهم وأقاربهم الى جبهة القتال ، كل هؤلاء قد جذبتهم معركة التحرير ، والحرب ، الى السياسة بقوة لا تقاوم ، وفرضت عليهم أن يحددوا مواقفهم العسكرية والسياسية ولقد فعلوا هذا بطريقتهم ، وعبروا عنه بأبسط الكلمات وأشدها تركيزا ، وأكثرها بعدا عن التصنع والافتعال . وعندما جاءوا الى السياسة فقد تعلموا كل الدروس عن المعسكرات الحليفة والمعادية ، وعن دور التضامن العربى ، وسلاح البترول ، وحقوق شعب فلسطين ، وزيادة الانتاج ، والرغبة الصادقة فى السلام الذى يؤدى الى التحرير . وكما قال أحد الفلاحين ، « كل المطلوب العدالة » .

وعندما جاءوا الى السياسة ، رتبوا لانفسهم وطالبوا بحقوق المشاركة والمساءلة والرقابة ، وفعلوا ذلك ، فى أكثر من موقف ، بطريقة ايجابية ..

الحقيقة الثانية : هى أنه مرت بمصر ، بعد ٥ يونيو ، لحظات حرجة هائلة ، لم يكن من الميسور اجتيازها ، الا بفضل انضباط أوسع الجماهير الشعبية ، وفى مقدمتها جماهير العمال والفلاحين. ولنذكر رفض الشعب للهزيمة وتصديه للدفاع عن بقاء النظام الذى أقامته ثورة يوليو . ولنذكر قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، أن الامن الداخلى كان فى أيام ٩ ، ١٠ ، ١١ يونيو ، وما قبلها ، فى حماية حقيقية

بفضل الحركة الهائلة والتلقائية التي قامت بها جماهير العمال والفلاحين وغيرهم من الجماهير الوطنية . ونستطيع أن نستطرد الى أحداث أخرى هائلة مرت ببلادنا . لكن يكفي أن نذكر مظاهر الانضباط الذاتي العفوى للجماهير وهى تستمع لبيان العبور الى سيناء . هذه المظاهر التي يعبر عنها فى الشـهادات الواقعيـة بعبـارات « التماسـك » و « الـوعى بالمعـركة »وحمـاية الجبهـة الداخلية من الاشـاعات والاذاعات المعادية » . وربما نذكر فـى نهاية هذا ، شـهادة المسئولين عن الامن وقولهم بأن أقل الاحداث اخلالا بالامن كانت فى أيام المعارك .

الحقيقـة الثـالثة : هـى أن ما قدمتـه جماهير العمال والفلاحين من عطاء يؤكد أنهم يقفون عند مستوى من الوعي السياسى بمصالح الوطن العـامة ، يمثـل ضمانة حقيقية لاستمرار المعارك المسلحة ضد العدو . ان اهتمامهم بزيادة الانتاج ، وتنازلهم المؤقت عن تقديم مطالب جديدة ، والعمل المتطوع ، والانخراط فى صفوف المقاومة والجيش الشعبى ، كل هذا يشكل جانبا من الفعالية الهائلة الكامنة فى أعماق هذه القوى المنتجة .

واخيرا ، فان عمال مصر وفلاحيها لابد وأن ينظر الى حركتهم ، والى ردود أفعالهم نحو معركة التحرير ، فى الاطار التاريخى العام ، وباعتبارهم يمثلون غالبية هـذا الشعب الذى لم يختزن فى داخله تجارب الكفاح ضد المسـتعمرين والمسـتغلين فحسب ، بل تربى أيضا عبـر آلاف السنين ، فى ظل حضارة عريقة تعلى من شأن العمل الانسانى وتقدسه ، وتفضل السلم فى ظل الاستقلال والتحرر .

ومن كل ما تقدم يمكن القول بأن الجنود والضباط بشجاعتهم وبالاعمال المجيدة التى قاموا بها ، انما هم الامتداد المسلح والحقيقى للجماهير الشعبية ، وللملايين من العمال والفلاحين ، وانهم اذ يدافعون عن حق هذه الجماهير فى التحـرر والتقدم ، انما يفعلون ذلك تحت المظـلة التى تنشرها الجمـاهير الشعبية عليهم : مظلة الانتاج ، والامن والعطاء غيـر المحدود .

وان ابراز هـذا الـدور للجماهيـر الشعبية والتأكيد عليه ، هو فضلا عن أنه تأكيد لحقيقة علمية ، يعد الشرط الرئيسى والحاسم فى تحقيق النصر النهائى على الصهيونية والامبريالية .

على أن الحقائق التى أشرنا اليها لا يمكن أن تعطينا ايضا من نقد التصـورات الرومانسية التى تذهب الى أن الجماهير الشعبية قادرة بحركتها العفـوية أن تفعل كل شيء فى كل زمان ومكان .

والواقع أن فعالية الجماهير الشعبية فى حسم التطور لصالح التقدم تضيـق وتتسع وفقا للظروف الموضوعية والذاتية السائدة . ونستطيع من خلال الشهادات المنشورة أن نؤكد على بعض هـذه الظروف :

١ ـ فلا أحد ـ مثلا ـ يستطيع أن يزعم أننا استثمرنا بكيفية جيـدة وكاملة الامكانيات التى لا تحد من استعداد الجماهير العمالية والفـلاحية لـزيادة الانتاج ، وللتغلب على معوقاته ولابتكار مئات بل آلاف الحلول الذاتية لمشـكلات تتجدد بتجدد الحياة نفسها .

٢ ـ ولا أحـد يستطيع أن يزعـم أن الطاقة الهائلة لهذه الجماهير الشعبية التى يشبهونها أحيانا بقوى الطبيعة الجبارة ، تجد المنافذ والقنوات التنظيمية اللازمة التى تستوعب حركتها اليومية وتـرشدها ، ويستفيد من رقابتها الفعالة فى ضرب أى اشاعة او حركة معادية ، وفى القضـاء على السوق السوداء .

٣ ـ ولا أحـد يستطيع أن يـزعم أن الحماس الوطنى الـكامن فى الجماهير ، والذى يستطيع أن يزحزح الجبال ، قد أحسن استغلاله ليقوم الشعب بعملية عبور أخرى هائلة ، نحو تصفية الاميـة ، والقضاء على الامراض المتـوطنة ، ورفـع مستوى الاداء ، ونشر الثقافة العلميـة والتكنيكية .

٤ ـ وعندما نسـتمع الى بعض الشهادات وهى تؤكد على ان قيما جديدة تسود العلاقات بين المواطنين قد ولدت فى ظل المعركة ، فان أحدا لا يستطيع أن يزعم اننا قد أخذنا وضع الاستعداد لاطـلاق مبادرات الجماهير انطلاقا من الثقة بأنها تتحلى بالفعل بروح المسئولية فى بنـاء الوطن والحفاظ عليه ، وهى الروح التى تؤكد حقها فى أن تتمتع بثمار « التعليم العصرى والثقافة الديموقراطية .

« الطليعة »

تتابع الاحداث ودلالتها

سعيد خيال

لماذا لم يكن أحد يتوقع الحرب ؟ . . فباستثناء القيادة طبعا لم يشعر احد فى مصر ولا خارج مصر بأن المعركة وشيكة الوقوع . ويقول الدكتور هنرى كيسنجر فى حديثه مع الاستاذ محمد حسنين هيكل . . « قبل ٦ أكتوبر ، كانت كل معلوماتنا تستبعد احتمال قيام الحرب » .

وهذه شهادة على ان التمويه وكتمان الاسرار العسكرية كان محكما . والحرب خدعة كما يقال . . ومع أن الناس كانوا يضغطون طيلة السنوات الماضية من أجل معركة التحرير ، الا انه لم يظهر ما يدل على الاقتراب منها ، وكل الظواهر كانت تنبىء بأنها لا تزال بعيدة الاحتمال . كان الناس فى مصر مشغولين بالجدل حول مسائل داخلية جرتهم اليها أوساط رجعية . فكثر الشد والجذب حول مواثيق الثورة والتحول الاشتراكى والانفتاح الرأسمالى . وثار الخلاف حول المتغيرات الدولية ، واهمية العلاقة مع الاتحاد السوفيتى . وكفاءة السلاح الذى يمدنا به . كنا نواجه مراجعة تهز كل الاسس .

فى ٦ أكتوبر وقعت المفاجأة . واهتز العالم كله امام النجاح العظيم فى عبور المانع المائى والاستيلاء على خط بارليف الحصين . وليس مثل النجاح حافز على التقدم . رفع المصرى راسه الذى أثقلتها طويلا هزيمة سنة ١٩٦٧ ، ولا أقول عادت الثقة . فجماهير الشعب كانت على الدوام مستعدة للبذل والتضحية ، واثقة من توافر امكانيات تحقيق النصر الحاسم . . لم يكن الشرخ فى الثقة ، وانما كان فى الكبرياء ، ومن هنا كان الاصرار على خوض المعركة . . ولعل ما حير الناس كثيرا هو التعارض بين هذه الثقة وما بدا من تردد وانصراف عن القتال فى بعض الاوقات . كان ضغط الجماهير عارما من أجل المعركة . دون حساب للنتائج ولا عيب فى هذا ، فواجب الجماهير ان تقاتل لتصفية الاحتلال مهما كانت التضحيات . أما الحسابات والتنظيم فمسئولية القيادات .

ان الثقة والحماسة وشجاعة الجنود والضباط لا تصنعها الاناشيد والمقالات وخطب المنابر . . ان أسبابها الحقيقية تكمن فى نظرى فى عملية التحول الاجتماعى على طريق الاشتراكية . فقوانين الاصلاح الزراعى ، وتأميم الرأسمال الاجنبى والمصرى المستغل قد رفعت عن المواطنين أثقل نير للاستغلال والتحكم . ومضى الوقت الذى كان يستطيع فيه أحد ، أيا كان ، أن يذل المواطن او يهينه ، دون ان يلقى منه هو نفسه أشد انتقام . يضاف لهذا انتشار الثقافة والتعليم ، وكثرة

المتعلمين ؟ جامعيين وغير جامعيين فى صفوف الجيش . هذا هو المصرى الجديد الذى اعتز بنفسه حين بنى السد العالى وغيره من المشروعات والذى خاض حرب أكتوبر فى بطولة شهد بها الاعداء ، وحقا كانت الشهادة .

وفى سوريا ، كما فى مصر ، حماس الشعب وعطاؤه كان بغير حدود .. هاجم الجيش السورى ودافع فى قتال بطولى وبشجاعة وتضحية شدت أنظار العالم كله اليه ، وبخاصة فى مراحل الاشتباك رجلا لرجل بالسلاح الابيض .

نستطيع ان نقرر اذن ان هزيمة سنة ١٩٦٧ – وان كانت لا تزال جاثمة على الارض – الا ان آثارها قد أزيلت تماما من نفوس المواطنين فى مصر وسوريا وباقى بلاد العرب .. وبالتالى فان قوة أسطورية عملاقة قد أطلقتها حرب أكتوبر . فيها الضمان ، وفيها الامان ، والويل لمن لا يحسب لها ألف حساب !

التضامن العربى :

تضامن لا يقاس بحجم الاسهام والمساعدات .. لان الوقوف عند الحجم يخالف قاعدة العدالة التى تقول من كل حسب قدرته ، وينتهى الى فساد التقدير . وعلى سبيل المثال فان دور الجزائر – رغم عدم معرفة تفاصيله – يلقى كل تقدير . وبالمثل دور العراق ، وقد زاد تقدير الناس له لما عرفوا ان العراق عندما سمع من الاذاعات بقيام الحرب ، لم يتردد فى ارسال قواته الى الجبهة السورية ، لكسر الهجوم الاسرائيلى المضاد . كذلك فان وضع اليمن الشعبية ميناء عدن تحت تصرف البحرية المصرية ، ومشاركتها لها بقواتها فى قفل مضيق باب المندب له أهمية تتخطى الاحجام والاوزان . وما فعلته البحرين ، حيث أنذرت الولايات المتحدة بضرورة تصفية قاعدتها هناك ، ضربة قوية للامبريالية الامريكية ، تعزز بها البحرين استقلالها وتحرر ارادتها .

يبقى بعد ذلك تقييم دور البلاد المحافظة أو دول البترول .. المملكة العربية السعودية ، والكويت ، ودولة امارات الخليج .. ان أهمية موقف هذه البلاد لا يتحدد فقط باستخدام سلاح البترول على قوته ، انها بلاد تربطها بالولايات المتحدة علاقات وثيقة ، سياسية واقتصادية وعسكرية .. وكان فى حسابات الولايات المتحدة انه اذا قامت الحرب فستتحرك هذه البلاد .. نعم .. لاستحالة الحياد وعدم التعاطف .. ولكن تبقى حركتها مظهرية لا تخرج على الصداقة والولاء ، ولا تمس المصالح الاستراتيجية .. وحدث ما لم يكن فى الحسبان .. تمردت هذه الدول على الولايات المتحدة وحرمتها هى ومؤيدى اسرائيل فى المعركة من البترول .. وأنقصت استخراجه بقيمة الربع فنقصت أرباح الشركات . ضربة مزدوجة . والاخطر من ذلك ان هذه البلاد تمسك فى أيديها المصالح الاستراتيجية الامريكية وتلوح بالاتجاه الى الشرق .. وتضغط لاسترجاع القدس العربية والانسحاب وحقوق شعب فلسطين . وبذلك توحد الموقف العربى من المحيط الى الخليج ، وجب فى قوته وأثره الوحدة الدستورية .. واتسع ميدان المعركة كما يجب أن يتسع لان المعركة لا تنحصر فى قتال اسرائيل ، وانما تشمل المصالح الامريكية التى تحرسها اسرائيل والتى هى سبب هذه العلاقة الخاصة بينهما .

ولهذا التطور أهميته بالنسبة للمستقبل . فقد كشف عن فاعلية حركة التحرر الوطنى فى بلاد البترول التى بدأت تضع أقدامها على الطريق الصحيح المؤدى الى تطهير الوطن من نفوذ الامبريالية وتخليصه من استغلال الاحتكارات الدولية ، وتدعيم الاستقلال الحقيقى السياسى والاقتصادى .

ومما لا شك فيه ان الشعوب الشقيقة فى هذه البلاد تشعر بقسوة الاستغلال الاجنبى لثرواتها ، وتتطلع لتحسين معيشتها وتقدم أوطانها ، وهم بداهة يتابعون نجاح اخوانهم فى مصر وغيرها من البلاد المتحررة كما أن جنودهم وضباطهم والمثقفين لا يقلون عن زملائهم فى البلاد العربية من حيث تأجج الشعور الوطنى والحماس العربى . وأما الرأسمالية الوطنية فقد عانت كثيرا من تقلبات سعر الدولار وانهيار مركزه الدولى .

ولعل هذه العوامل تفسر ، ولو الى حد ما ، تحدى دول البترول لامريكا . فهل تسكت الولايات المتحدة على هذا التحدى ؟ .. لابد ان نفترض – طلبا لليقظة والحرص – انها لن تقف مكتوفة اليدين . وهنا تبرز أيضا أهمية الوحدة الوطنية الديموقراطية والتضامن العربى الكامل .

وعلى الصعيد الدولى :

كان مجلس الامن مسرحا سياسيا يعكس الى حد كبير حقيقة الاوضاع فى ميادين القتال كما يكشف عن حركة موازين القوى الدولية .

امام نجاح الهجوم المصرى والسورى ، طلبت الولايات المتحدة من مجلس الامن ان يصدر قرارا بوقف اطلاق النار ، والعودة الى مواقع ٥ أكتوبر . ويدل هذا على ان الموقف العسكرى فى الجبهة حينئذ فى غير صالح اسرائيل .

وفى ٢٢ أكتوبر ، صدر من المجلس القرار رقم ٣٣٨ بوقف اطلاق النار والدخول فى مفاوضات سلام تحت الاشراف الدولى لاقامة سلام عادل فى المنطقة ، بتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ بحذافيره . ويعكس هذا ان القتال سجال وفى نفس الوقت يدل على ميل الميزان فى صالح العرب وضد اسرائيل .

لم تحترم اسرائيل وقف اطلاق النار رغم قبولها للقرار ، وبمساعدة الولايات المتحدة خاصة فى الطيارين ، استمرت تزحف فى الجولان وغرب القناة .. ولما طلب الرئيس السادات من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ارسال قوات لمراقبة وقف اطلاق النار ، وافق الاتحاد السوفيتى ورفضت الولايات المتحدة . ورفضها طبعا كان بهدف عرقلة الجهود الدولية ، واتاحة الفرصة لتوغل اسرائيل

وفى صباح يوم ٢٥ اكتوبر ، اصدر الاتحاد السوفيتى انذاره الشهير بلغة وحشية ، كما قال بعض المسئولين والمعلقين الامريكان ، واعلن انه سيتدخل لردع العدوان ، وتنفيذ قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار .. وجاء فى خطاب برجنيف فى اليوم التالى امام مؤتمر السلام ، ان الاتحاد السوفيتى أرسل رجاله ، تلبية لنداء الرئيس السادات . لم ينفع التهديد الذرى واعلان حالة الاستعداد القصوى بين القوات الامريكية فى جميع انحاء العالم . فتراجع الامريكان ، واصدر المجلس قراره رقم ٣٣٩ يوم ٢٥ اكتوبر ، بضرورة التقيد بوقف اطلاق النار والانسحاب لمواقع ٢٢ اكتوبر يوم صدور القرار الاول المشار اليه . وامكن تفادى المواجهة النووية .

ويذكرنا هذا بما حدث عام ١٩٦٧ ، حيث كان لموقف الاتحاد السوفيتى الاثر الجاسم فى وقف زحف اسرائيل عند البر الشرقى للقناة . وهذه حقيقة اكدها الرئيس الراحل جونسون بتصريحه يوم ١٩٦٨/١/٢٨ ، قال :

« انه خلال حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، تم استخدام الخط التليفونى المباشر بين البيت الابيض والكرملين لاول مرة فى التاريخ ، وانه أمكن تحقيق وقف اطلاق النار دون مواجهة بين الدول الكبرى » .

ان تتبع ما جرى فى مجلس الامن على النحو السابق ، يوصلنا لنتيجة تلخص فى الحقيقة النجاح الكبير الذى حققته حرب أكتوبر . ولبيان ذلك نشير الى ما كان منذ هزيمة سنة ١٩٦٧ ، فقد صدر القرار رقم ٢٤٢ ، لكنه لم يوضع موضع التنفيذ ، رغم جهود السفير جونار يارنج ، ثم لجنة الاربعة الكبار ـ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا ـ وقد عطلتها الولايات المتحدة بمقاطعة الاجتماعات .

وتعرض القرار رقم ٢٤٢ لمحاولات الطمس والنسيان ، ورفعت اسرائيل شعارها بالمفاوضات المباشرة دون شروط مسبقة ، والمقصود دون التقيد بالقرار . وأيدتها الولايات المتحدة ، بحجة انه لا يمكن فرض حل من الخارج .. وردت على الجهود السلامية المصرية ، فأوصدت فى وجهها الباب قائلة ان على المهزوم أن يدفع الثمن .

اين نحن من هذا الان ؟ .. لقد عدلت حرب أكتوبر الميزان ، وعادت اسرائيل والولايات المتحدة الى صوابهما ، بطى الذراع ولى العنق . فاعترفتا قسرا بالقرار رقم ٢٤٢ ، وبضرورة تنفيذه بحذافيره . ان هذا انتصار كبير لنا .. للحق والعدل والسلام .

ولم تنته الحرب ، لاننا فى مرحلة وقف اطلاق النار ، وتستعد مصر والعرب لمحادثات مؤتمر السلام ، متمسكين بالانسحاب الكامل من الاراضى المحتلة ، والحصول على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

فى هذه المرحلة سكت السلاح ليبدأ الحوار تحت الاشراف الدولى المناسب . وسيكون الحوار قويا متمسكا بأهداف العرب ، ما دام يدور فى ظل قوة السلاح . ومصادر قوتنا نحن العرب معروفة .. منها سلامة قواتنا واستعدادها الدائم لادارة الحوار بالنار ، ومنها وحدة وطنية بلا ثغرات ، ليست هى وحدة الصمت وانما وحدة بالديموقراطية على حسب الظروف ومقتضى الحال ، ومنها حزم التضامن العربى وصلابته والتخطيط لامكانياته الكبيرة الاقتصادية والتجارية والسياسية ، والعسكرية ، واستخدامها بشعار : « نعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا » ، ومن اجل التخلص من السيطرة الاجنبية . وقوتنا أيضا فى تعزيز الصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الاشتراكية ، من أجل التحرير ، ومن أجل التنمية .. وكذلك فى تعزيز التعاون مع بلاد افريقيا العظيمة ، وكتلة عدم الانحياز وغيرها .

ان معركتنا الاساسية نحن العرب لا تزال قائمة ، وتحقيق النجاح ممكن تماما اذا تمسكنا بأسباب القوة وتركنا أسباب الفرقة والانقسام .

ان واجب جميع القوى الوطنية وقيادات الرأى العام أن تلتقى لتبادل الرأى فيما يجب عمله ، ووضع خطة عمل وتحرك تأييدا للحق العربى . ولا يجوز ترك القضية كلها على كاهل القمة العربية ، لان الشعوب فى عصرنا هى صانعة المعجزات .

موقع أفريقيا من الصراع العربى الاسرائيلى بعد ٦ أكتوبر

دعوة للحوار

حسين شعلان

على عكس ما يتصور البعض ، فان أقدام ٢٩ دولة افريقية على قطع [أو تجميد] علاقاتها باسرائيل ، يعنى – فى رأيى – البداية الحقيقية لالتهاب الصراع العربى الاسرائيلى فوق أراضى القارة . ذلك أن افريقيا كانت – وسوف تبقى – ساحة أساسية لمجريات هذا الصراع ، وحلقة هامة من حلقاته . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن مسار علاقة افريقيا بأحداث الصراع العربى الاسرائيلى ، هو بمثابة ترمومتر لا يخطىء فى التعبير عن مدى اقتدار كل طرف فى هذا الصراع ، على ادارة مسار هذه العلاقة وفق حسابات دقيقة لصالحه ، أو على حساب مصالحه .

وقد يعتقد البعض ان « البداية الملتهبة » التى نزعمها تعود الى **مجرد** واقع قطع العلاقات القائم الان . لكن ربما كان من مخاطر هذا الاعتقاد أن يبقى أسير « انجاز » الحاضر دون أن يمتلك من « بعد الرؤية » ما يؤهله لتصور **استراتيجى** تجاه تطورات متغيرة سريعة الايقاع . ذلك أنه من المتصور أن تتخذ « جغرافية » الصراع العربى الاسرائيلى ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، فوق الساحة الافريقية ، ملامح جديدة سوف تعكس بالضرورة **المعطيات المفترضة لمؤتمر السلام** ، المحتمل انعقاده بحضور اطراف متعددة منها طرفا الصراع المباشران : العرب واسرائيل .

ويزيد من حدة التهاب هذه المواجهة ، انها عملية لا تبدأ فى هذه المرحلة – عند الطرفين – من نقطة الصفر أو فوق موقع شفاف لا ظلال عليه . بل انها تبدأ بالفعل من « جغرافية » **معقدة** ومتشابكة لعل ابسط تعقيداتها ميراث ونتاج أكثر من ١٥ **عاما** . فيها من الايجابيات والسلبيات لكل طرف ما تلزمه بالدراسة الدقيقة ، وهى دراسة ذات مطلبين متناقضين : **عمق** وشمول الدراسة **وسرعة** الاستنتاجات لوضعها فى التطبيق .

ومفترق طريق المواجهة الملتهبة ، سوف تبدأ عند معطيات الموقف الراهن :

○ أن **اسرائيل** لن ترضى بقبول الواقع الحالى . وسوف تسارع بالعمل على أن تكون بداية المواجهة من منطلق له ملامحه المختلفة .

● **ان العرب** لن يفرطوا فى الواقع الحالى ، وسوف يتشبثون بالحفاظ على **المعنى السياسى** للموقف الحالى كبداية لمنطلق له آفاق وملامح ابعد .

على أن محصلة ادارة الصراع من حول هذين الموقفين ، سوف تكون لحساب الطرف الذى يستطيع من الان أن يتوصل الى تصور استراتيجى أدق على ضوء احتمالات « ما بعد مؤتمر السلام » وليس على ضوء ما قبل ذلك .

واول دواعى العمل على وضع مثل هذا

التصور ، يتطلب ضرورة تجنب – بل نبذ – بعض المفاهيم أو المعانى التى ربما تدخل فى اطار « الدعاية » ولكنها بالتأكيد لا تدخل فى اطـار « مسئولية سياسية » جادة كتلك المسئولية .

ومن أمثلة هذه المعانى أو المفاهيم ما ساد كثيرا من التعليقات التى عالجت الموقف الافـريقى الاخير .

فالقول – مثلا – بأن اسرائيل « قد تلقت ضربة قاصمة فى افريقيا لن تقوم منها » قول يستجيب لاغراءات العمل الدعائى حين يظن خطأ أننـا نخاطب انفسنا لنقنع أنفسنا ! . أو أننا نخاطب عقولا على درجة أقل من الدراية ! . لان مثل هذا القول يقلل – دونما مبرر كاف – من أعمال وجهد كبيرين قام بهما العدو الاسرائيلى سنوات امتدت أكثر من ١٥ عاما استطاع خلالها أن ينسج فى بعض المواقع علاقات سياسية واقتصـادية واجتماعيه قوية نفذت الى ما هو اكثر مـن السطح . وهو قول يبالغ – من جهة أخرى – فى تصور « اللحظة الحالية » ليجعل منها « زمانا » كاملا لا يتحرك . انه يخلط – آخر الامر – بين فهم موقف « قطع العلاقة » وبين فهم موقف « سحب الاعتراف » فقطع العلاقة وضع « كمى » مؤقت يمكن أن يتصاعد – بشروط – ويمكن أن يتراجع بشروط . أما سحب الاعتراف فوضع يفيد بتغير « كيفى » يمكن عنده أن نقوم بالضربة القاصمة .

والقول بأن الدول الافريقية قد اتخذت موقفها «بعد ان تبين لها الزيف الاسرائيلى وخداعه»،قول يستجيب لفنون العلاقات « الشخصية » لا لفنون العلاقات « السياسية » بيـن الدول . فمصر – مثلا – عندما اتخذت قرارها فى عام ١٩٦٧ بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع امريكا ، لم يكن ذلك بسبب « الزيف والخداع » الامريكى . بل كان موقفا مصريا محددا فى مواجهة موقف أمريكى محدد يهدف الى تحقيق أغراض محـددة . والخداع والزيف ، ألفاظ لها معانى نسبية تختلف من فرد لفرد ، فما بالك من دولة لدولة . لكن خطورة مثل هذه الاقوال ، لاتكمن فى مشكلة عدم القدرة على اجادة التعبير بانتقاء اللفظ ، ولكن فى كونها انعكاسا لمفهوم فى العمل السياسى تغيب عليه مقـاييس « التسـطيح » ، والخلط بين المـوقف « الذاتى » والموقف « الموضوعى » .

ولعل أكثر هذه الاقوال « قصورا » ، عنـد الحديث عن « حول مستقبل العلاقات الاقتصادية مع دول افريقيا » ، القول الذى ينتقد اقـامة العلاقات الاقتصادية على أسس « مستقلة قوامها من العلاقات السياسية » ، ويذهب الى حد اعتبار أن هذه الاسس السياسية كانت « أحد العوامل التى تركت آثارا سلبية على العلاقات بيننا وبين الدول الافريقية بعد ذلك » . ثم يضع هذا القول تصوره : « ان تقوم العلاقات على أسس اقتصادية وبعيدا عن التقلبات السياسية التى كثيرا ما تضر اكثر مما تنفع » !!

والواقع أن مثل هذا القول يذكرنا – لمجرد التشبيه – بالاتجاه الاقتصادى فى الحـركة النقابية . فضلا عن أنه من المستحيل أن نعزل بين العلاقات الاقتصادية والعلاقات السياسية ، فان هذا القول لم ينضج بعد لمستوى رؤية أن العلاقة الاقتصادية نفسها هدف سياسى ولخدمة أهداف سياسية . وهى كذلك فى كل النظم سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية . والفرق الوحيد يكمن فى نوع الاهداف السياسية التى تخدمها العـلاقة الاقتصادية . أما اذا كان المعنى الذى يهدف له هذا القول ، أن نقيم العلاقات الاقتصادية مع النظم المستقرة وحدها وبغض النظر عن نوع هذه النظم وطبيعتها ومواقفها .. الخ ، فذلك هو الخطر بعينه لانه مع متداعيات هذا المنطق سوف نجد أنفسنا نطرق أبواب جنوب افريقيا – جدلا – حيث الطرق ملغومة ومتفجرة بل ومضيعة . ويتجاهل هذا القول – كذلك – أن العلاقة الاقتصادية ليست رغبة طرف واحد ولكنها رغبة طرفين . وحتـى أن افترضت امكانية أن تفصل بين أهدافك السياسية وبين علاقاتك الاقتصادية ، فان الطرف الاخر لن يفعل نفس الشىء . اللهم الا اذا كان ذلك القول دعوة خلفية – جدا – الى تغيير فى أهـدافنا السياسية نفسها . وهذا شىء آخر !!



على أية حال ، فان الاهم – الان – هو تلمس الخطوط العامة لتصور أهداف « مرحلة ما بعد ٦ أكتوبر » فى المجال الافريقى سواء على الجانب الاسرائيلى أو على الجانب العربى ، واضعين فى الاعتبار – كضرورة – المعطيات المفترضة لمؤتمر السلام المحتمل .

ومن الاهمية هنا الاعتراف مقدما – من باب اقرار الحقيقة ان ذلك جهد يفوق جهد أى فرد مهما بلغت درايته .

وجهة نظر

ولعلنا نسلم بأن بداية وضع تصور للاهداف ،

تتطلب تقييم ورصد أسباب ونتائج الموقف الافريقي الذي اتخذ صورة قطع العلاقات ـ أو تجميدها ـ مع اسرائيل .

حين نحاول ذلك ، لابد أن نذكر هنا أن معظم الكتابات التي تناولت هذه الاسباب ، قد ردتها الى أسباب « خارجية » . وتلك مقولة خطيرة لانها ـ دون أن تدرى ـ لا تؤمن بقدرات حقيقية للحياة السياسية العامة في القارة ، وبتأثيرات ايجابية ممكنة لمنظمة الوحدة الافريقية . بل تكاد لا تؤمن بالقيمة الحقيقية لما أنجزته مصر في ٦ أكتوبر وتأثيراته الاكيدة على مجريات الاحداث . فمرة يردون الموقف الافريقي الى « تأثير أموال عربية » . ومرة ثانية الى « تأثير موقف فرنسا او بريطانيا » الذي تجنب اتخاذ مواقف منحازة لاسرائيل . ومرة ثالثة الى « محاولة رؤساء بعض الدول الافريقية تجميد مساعدات دول عربية لبعض حركات التحرير الافريقية العاملة ضده » ومرة رابعة الى « وعود مفرطة في الاغراء » .. الخ ..

قد يكون هذا السبب أو ذاك ـ بشكل جزئي تماما ـ له دوره أو تأثيره ، الا أن القول بأن تلك هي الاسباب الحقيقية ، فيه تجن كبير على كثيرين بقدر ما فيه من التجني على أنفسنا .

الواقع ان هناك اسبابا عامة ، شاركنا مع غيرنا من الافريقيين في صنع خلفياتها خلال سنوات طويلة . وهي جميعها ، قد شكلت الاطار العريض للدوافع الكامنة وراء الموقف الافريقي ـ ككل ـ وبغض النظر عن كثير من التفاصيل .

فأولا : المناخ السياسي العام في افريقيا اليوم ، يختلف كثيرا عن مثيله في ١٩٦٧ ، حيث كانت الهجمة الاستعمارية المضادة تطبع ببصماتها كثيرا من ملامح الصورة الافريقية العامة ، وذلك في محيط من عدم الاستقرار السياسي . وعلى امتداد السنوات الماضية ، وبـرغم بعض الظـلال ، استطاعت حركة التحرر الوطني الافريقية وخاصة في مواقع الكفاح المسلح ، أن تحرز انتصارات وتقدما ملحوظا . فقد نجح عدد من الثورات الوطنية في تولى السلطة . ويجب أن نركز هنا بشكل خاص ـ بالنسبة لوسط وشرق افريقيا ـ على التأثيرات الايجابية البارزة للتطورات التقدمية للثورة في الصومال وفي الكونجو برازافيل ، وشروعهما في انجاز تطبيقات محلية لمفاهيم ومبادىء « الاشتراكية العلمية » . وكذلك فشل محاولة الغزو الاستعمارية ضد غينيا وآثار ذلك ، كما أنه بعد عام ١٩٦٧ ، اندلعت حركة الكفاح الوطني المسلح في روديسيا . وأحرزت حركة الكفاح المسلح في موزمبيق وأنجـولا بعض الانتصـارات الجـزئية . علـى أنهـا فـي غينيا « بيساو » تمكنت من تحرير معظم أراضي غينيا وأعلنت قيام الدولة الجديدة التي سارعت كثير من الدول الى الاعتراف بها .

ويكفى ان نرصد في هذا المجال ، أنه قد تم اقرار « بيان لوزاكا » [أبريل ١٩٦٩] ثم « اعلان مقـديشيو » [أكتوبر ١٩٧١] ، ثـم « التعهد بالتضامن » (سبتمبر ١٩٧٢ في دار السلام) ثم « اعلان أكرا » [يناير ١٩٧٣] . وهي من أهم وأخطر وثائق حركة التحرر الوطني الافـريقية ككل ، وذلك من زاوية ، أنها قد صاغت المبادرات الافريقية لمسـاندة حـركات التحـرير مـن مفهـوم « العمل السيـاسي » وحـده الى مفهوم « الكفاح المسلح » كطريق وحيد لانتـزاع الحرية والاستقلال من السـلطات والقـوى الاستعمارية . واقرار هذه المواثيق ، من خلال منظمة الوحدة ، يعني الالتزام ـ على نحـو أو آخر ـ بما ورد فيها .

في هذا المناخ المواتي ، وجد « انجاز » الجيش المصرى صداه السريع . واذا كان « القـرار المصرى » بالقتال ، تجسيـدا لمبـادىء « اعلان أكـرا » ، فان « القرار الافريقي » ، تجسيدا لمبادىء « التعهد بالتضامن » . على أن الاستجابة الافريقية على هذا النحو من السرعة والاتساع ، لم تكن ممكنة بدون « الانجاز » المصرى .

ثانيا : كان طبيعيا أن يثير واقع احتلال اسرائيل للاراضي المصرية منذ ١٩٦٧ حتى اليوم ، مخيلة دول أفريقيا وفق حصاد خبرتها مع الاستعمار ، لقد كان الاحتلال الاسرائيلي تجسيدا جـديدا للامبريالية وأطماعها . والواقع أن سيـاسة اكتساب الاراضي وتغيير الحدود بقوة السلاح وتجزئة أرض دولة أفريقية ، تشكل تهديدا حقيقيا لكل الدول الافريقية . خاصة وأن معظم هذه الدول تعاني مشكلات « الحدود » و « التجزئة » . وتلك قضية أفـريقية بـالغة الحسـاسية . وكان اقرار « المنطق » الاسرائيلي بشأن الارض ، يعني تسليم كثير من دول أفريقيا بتجزئة حدودها أو عدم استرداد ـ بعض آخر منها ـ بأراضي تعتبرهـا جزءا من أراضيها .

ثالثا : ان اقدام اسرائيل على احتلال جزء من

الضفة الغربية للقناة ، قد أسقط كل التحفظات التى كانت تثيرها بعض الدول الافريقية حول احتلال شبه جزيرة سيناء « كقضية افريقية » . فتسلل اسرائيل الى الضفة الغربية واحتلال جزء منها ، أبرز الطابع الافريقى للمشكلة عند عدد من الدول كانت تفتقد هذه القناعة .

رابعا : ان لافريقيا تجربتها المباشرة فى هذا المجال . فقد سبق أن تكونت من خلال منظمة الوحدة الافريقية ، « لجنة الحكماء » التى ضمت ١٠ رؤساء دول أفريقية ، حاولوا ايجاد حل سياسى للمشكلة بتطبيق قرار مجلس الامن ٢٤٢ . لكن محاولتهم اصطدمت - وقتها - بالغطرسة الاسرائيلية التى ادت الى فشل اللجنة فى مهمتها . ومن هنا ، فقد كان اقتناع هؤلاء الرؤساء مع غيرهم ، بعدالة قضية مصر ، اقتناعا عمليا نتيجة لتجربة عملية مباشرة . لقد سبق لمصر أن أوضحت - بكل الطرق - آمالها فى السلام القائم على العدل .. ووضوح هذه الرغبة لدى دول القارة ، لعب دوره فى حصار المنطق الاسرائيلى . ومن هنا كان طبيعيا أن تقف أفريقيا الى جانب مصر عندما لجأت الى حقها المشروع باستعادة أراضيها .

خامسا : ان اصرار مصر على مواصلة تأييدها لحركة التحرر الافريقية ، من جهة ، والجهود السياسية الكثيفة التى بذلتها مصر خلال مؤتمرات القمة الافريقية ومؤتمر عدم الانحياز ، من جهة أخرى . قد ساهم ذلك كله فى تحقيق الواقع الافريقى الحالى . ان الموقف الافريقى الحالى المساند لمصر ، ليس الا واحدا هاما من منجزات السياسة التى صاغتها ثورة ٢٣ يوليو فى مواثيقها السياسية ، والحرص على تأكيد هذه السياسة وممارستها ، مسئولية يفرضها الحرص على حماية الموقف الافريقى والتصاعد به .

وجه آخر للصورة

واذا كان هذا الواقع الحالى ، يمثل « الوجه الافريقى » للموقف ، فان هناك وجها آخر ينبغى الا يفوتنا رصده بل والاعتزاز به . واقصد هنا « الوجه المصرى » للموقف .

وأعنى بذلك أن هذا الانجاز الافريقى الضخم ، يكشف بل يؤكد من جديد مدى حجم وتأثير كل انجاز وطنى مصرى على الحركة العامة للحياة السياسية فى افريقيا .

فمثلما كان لقيام الثورة الوطنية المصرية [يوليو ١٩٥٢] ، والمعركة تأميم قناة السويس [١٩٥٦] ، آثار كبيرة على نهوض واتساع حركة التحرر الوطنى الافريقية ، حيث اندلعت الحركات الوطنية وبدأت تحقق استقلال بعض البلدان الافريقية فى ١٩٥٧ ليتصاعد الموقف الوطنى العام فى ١٩٦٠ [عام استقلال افريقيا كما يسمى] بعد حصول أكثر من ٣٠ دولة على استقلالها السياسى ، نقول اذا كان ذلك قد اثبت أن لمصر دورا قياديا هاما فى حركة التحرر الافريقى ،فان الانجاز الوطنى المصرى فى ٦ اكتوبر سوف يفتح آفاقا واسعة نحو استنهاض جديد للتحرر الافريقى،ولعل الموقف الاخير ، ينبىء عن بوادره المؤكدة . وهكذا ، تأخذ مصر وتعطى . وهكذا أيضا تبدو القيمة الحقيقية لان تأخذ مصر زمام المبادرة الوطنية ، حيث أن هذه المبادرة لا تكتسب بعدا عربيا فحسب بل وبعدا افريقيا كذلك . وهكذا أيضا .. تؤكد التجربة العملية سقوط كل دعاوى العزلة أو الانغلاق على الذات أيا كانت حججها .

هدف اسرائيل واساليبها

اذا كنا نسلم بان افريقيا ، ستظل محورا هاما من محاور الصراع العربى الاسرائيلى ، فان وضع أى تصور للمواجهة السياسية الملتهبة المحتملة ، يفترض التعرف على الهدف العام للعمل الاسرائيلى فى افريقيا والاساليب التى حاولت بها تحقيق هذا الهدف وتمكنت بها من تحقيق نجاحات ملحوظة .

فافريقيا تملك ثلث مقاعد الامم المتحدة . وهى - بهذا الواقع - تملك صنع ثلث قرار المجتمع الدولى . وتلك مسألة هامة لاسرائيل منذ ١٩٥٦ حين وحدت - أمام العالم - بين مصالحها ومصالح بريطانيا وفرنسا خلال العدوان الثلاثى . وكانت الجهود العربية قد نشطت لوصم اسرائيل بانها « اداة » للامبريالية . كذلك فان ظهور حركة التضامن الاسيوى الافريقى - منذ باندونج (١٩٥٥) - كانت تهدد بعزل اسرائيل ، ومن هنا كانت مساعيها فى افريقيا ، محاولة منها لتحسين وضعها الدولى . وراحت تبحث عن الوسائل التى تحقق بها « القفز من فوق أسوار الحصار العربى » والبحث عن حلفاء تخترق عن طريق علاقتها بهم « التحالف الوليد » بين القوميات الافريقية - الاسيوية .

ولما كان هذا الهدف يعكس احتياجات ومصالح الاستعمار الجديد - بزعامة امريكا هذه المرة - فقد قامت اسرائيل بتحديد برنامج ، تسانده وتموله امريكا ، يدعى انه يتفق تماما مع التطلعات

الافريقية ، ويختفى تحت رطانة أن له « مهمة مثالية » . وكانت اسرائيل تحقق بذلك اهدافها ومصالحها من جهة ، وتدعم من جهة أخرى علاقاتها الضرورية بأمريكا ، بأن تكون « الجسر » بين المستعمرات السابقة والاستعمار الجديد .

وكان هذا البرنامج الاسرائيلى ، « للمساعدات الفنية والاقتصادية » ، يركز فى المجالات الاستراتيجية الهامة وبصفة خاصة تدريب « الكادر » سواء فى المجال العسكرى أو المدنى واقامة مشروعات مشتركة ، او خاصة وتوسيع علاقاتها التجارية . وبرغم أن هذه المساعدات لم تكن كبيرة من الناحية الاحصائية ، الا أن العمل من خلال « تخطيط شامل » و « بكادر تنفيذى » مقتدر ، عوض الحجم المحدود للمساعدات وحقق نتائج لا تنكر .

وفى المجال السياسى والايديولوجى ، من خلال النقابات ومنظمات الشباب ، عملت اسرائيل على الترويج للافكار المناهضة للاشتراكية ، وللدول الاشتراكية كمدخل لغرس الافكار المعادية للتحرر الوطنى والداعية الى « نموذج رأسمالى » للتطور . وباختصار سعت الى تصدير ما يسمى « بالتجربة » الاسرائيلية وحتى طابعها العسكرى فى الزراعة وتربية الشباب .. الخ .

ولسوف تتصور اسرائيل — بعد مؤتمر السلام اذا تم — ان الظروف اكثر مواتاة لها فى العمل . واذا كان من مقتضيات تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ — المفترض طرح تطبيقه فى مؤتمر السلام — ان تشمل بنوده انهاء حالة الحرب ، فان اسرائيل سوف تعمل على أن ينسحب هذا البند على موقف قطع العلاقات الافريقية معها ، ظنا منها أن المنطق العربى فى حصار اسرائيل ، سوف يكون ضعيفا فى نظر دول القارة . ومن المتوقع أن تسعى — بهذا الفهم — الى توسيع علاقاتها الافريقية ودعمها ، بل وربما تسعى الى النفاذ الى البلاد العربية من خلال افريقيا . **وهنا تصبح قضية البناء الاقتصادى ونموذجه ، هى القضية الاولى** . أى نموذج للبناء سوف يقنع دول القارة بثماره للتعامل معه بشكل أوسع ومحاولة الاستفادة منها وتكراره .

الهدف العربى واساليبه

أما الهدف العربى فينبع من واقع أن مصالح الامن الوطنى المصرى جزء من مصالح حركة التحرر الوطنى الافريقية ، مثلما هى جزء من مصالح حركة التحرر العربية . وبقدر نجاح واتساع أى منهما — أو نجاحهما معا — بقدر ما يمكن أن تطمئن مصر الى حماية مصالحها الوطنية العليا وأمنها الوطنى . هذا بالاضافة الى الاعتبارات القومية من جهة واعتبارات دوافع حركة الوحدة الافريقية ومتطلباتها وآفاقها أيضا .

ان تصفية الاستعمار فى افريقيا ، ضمان اكيد لحماية ودعم استقلال مصر الوطنى . وتحرر دول افريقيا ، اقتصاديا وثقافيا ، واحد أكيد من ضمانات اعادة صياغة العلاقات الاقتصادية والتجارية الدولية على أسس جديدة تتمشى مع مصالح وأمانى شعوب الدول النامية فى اللحاق بمنجزات العصر العلمية والتكنولوجية . كما أن التحرر الثقافى للقارة ، واحد أكيد أيضا من ضمانات بعث الحضارات الافريقية لتساهم بدورها فى بنيان الحضارة البشرية وفق روح العصر .

وتحرر افريقيا — من الزاوية القومية لمصر — واحد من مداخل اقرار الحقوق القومية لشعب فلسطين وحمايتها .

على أن قصور هذه المهام يلفظ بالضرورة بعض التصورات الساذجة عن مصالح اقتصادية بمنطق « المجال الحيوى » . ان النظام المصرى ، الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، نظام للتحرر الوطنى وجزء من حركة التحرر الوطنى العالمية . ومن هنا فانه بطبيعته وبحكم مساره التاريخى ، لابد وأن يلفظ مثل تلك التصورات التى لا تتخلف عن ايقاع العصر ونغمته فحسب ، بل وتحمل الامور ما لا تطيق ولا تقدر عليه .

من الجائز فى اطار هذا التصور ، أن تطرح قضية التعاون الاقتصادى والمصالح الاقتصادية المشتركة ، فى اطار معرفة قدرات مصر وامكانياتها التى يمكن أن تقدمها وتساهم بها . على أنه من وجهة النظر هذه ، يصعب الحديث عن مساعدات كبيرة أو استثمارات عامة أو خاصة . ربما يجوز الحديث عن مساعدات عربية كبيرة أو استثمارات عامة عربية لكن تلك قضية أخرى تتجاوز حدود مصر .

الواقع ان اهم ما تستطيع أن تقدمه مصر كخلفية لكل « عملها الافريقى » ، هو أن تقدم — وفق مؤهلات محددة — نموذج للتقدم الاجتماعى والاقتصادى ناجح ، [يقنع الحكومات الوطنية بالاخذ به] **وتقدمى** [يقنع شعوب القارة بالحماس له والدفاع عنه والاخذ به] . وخبرة العصر تقول أن **النظام الناجح** — للدول النامية — هو فقط **النظام التقدمى . وباختصار أن الاشتراكية لا تحل فقط**

مشاكل شعبنا وانما تؤهله أيضا لاقامة علاقات ناجحة وقوية ومؤثرة مع الشعوب الاخرى لتحقيق المصالح المتبادلة .

ويمكننا ان نحدد اساليبنا أيضا من خلال واقع أن دول افريقيا يمكن تصنيفها ــ اذا جاز هذا التعبير الى : مجموعة دول التحرر الوطنى ، سواء الدول المستقلة ذات النظم التقدمية الساعية لبناء تطورها ، أو تلك التى تناضل حركات كفاح المسلح الوطنى فيها من أجل تحررها . ومن أمثلة دول هذه المجموعة [غينيا ــ الكونجو برازافيل ــ الصومال ــ تنزانيا ــ غينيا « بيساو » ــ حركات التحرر فى انجولا وموزمبيق وروديسيا وجنوب افريقيا ..] والمجموعة الاخرى ، دول لا تزال تعانى من النفوذ الاجنبى فى أشكال متعددة ، ودول تعانى من الوقوع فى جيب النظم العنصرية .

مع المجموعة الاولى ، نقدم لها النموذج الاجتماعى للتطور الاقتصادى والسياسى والخبرات الفنية وتدريب كادرها الوطنى فى مختلف المجالات ، مع التقدم ــ من خلال خطة عربية ــ بالمساعدات الاقتصادية الممكنة فى اطار أن مصر ما تزال تقوم بمهام تنفيذ خططها فى التنمية . وفى هذا المجال أيضا ، لابد من ايجاد جهد « منسق » مع الدول الاشتراكية التى أثبتت تجربتنا معها اخلاصها فى تقديم المساعدات ونجاح مشروعاتنا المشتركة فى بلادنا ، ان مسئوليتنا الوطنية تجاه افريقيا تقتضى منا ــ كذلك ــ نقل هذه الخبرة فى التعامل مع هذه الدول ونجاح انجازات هذه العلاقة .

أما دول المجموعة الثانية ، فهى بحاجة الى تقديم كل الامكانيات المستطاعة لتقليص النفوذ الاستعمارى فيها ومطاردته من خلال برنامج عام مشترك ــ على مستوى منظمة الوحدة والمستويات الثنائية والاقليمية ــ وابراز دور اسرائيل « كوسيط » بين الاستعمار العالمى وتحقيق مطامعه فى هذه الدول . وهنا يمكن لمصر أن تمتلك أسلحة مؤثرة ، بابراز الوجه العنصرى لاسرائيل كجزء مشترك من عملية النضال ضد النظم العنصرية فى افريقيا . وهنا لابد من التركيز على علاقات اسرائيل بهذه النظم العنصرية وخاصة مع جنوب افريقيا ، ودور اسرائيل فى الحركات الانفصالية فى القارة ودورها فى محاربة حركات الكفاح المسلح .. الخ .

ان اقامة أوسع العلاقات وأعمقها مع المؤسسات السياسية الجماهيرية فى افريقيا ، هو بالتأكيد مجال نستطيع ان نلعب فيه دورا مؤثرا وفعالا ، وربما تؤتى هذه العلاقات ثمارا تفوق كثيرا ثمار « العلاقات العلوية » . وفى هذا المجال ، لابد وأن تثار مسألة « الكادر » القادر على اقامة هذه العلاقات « والاساليب » التى تضمن تحقيق النجاح . ولعل « ندوة أفريقيا : حركة التحرر الوطنى والاشتراكية » التى أقيمت فى أكتوبر ١٩٦٦ فى القارة ، مثالا بارزا للاثر الذى يمكن ان تحققه مثل هذه الاعمال الناجحة .

على أن كل هذه التصورات تصبح مجرد خيال ، اذا ظلت المؤسسات العلمية والنقابية والاعلامية .. الخ على ما هى عليه . ان واقع وحجم ومضمون ، معهد الدراسات الافريقية الحالى وبرامجه الدراسية ، لقاصرة كل القصور عن تلبية متطلبات أى تصور ولو محدود عن علاقاتنا بافريقيا . ان دور **الاتحاد العام للنقابات** ومؤسساته ذات الصلة بافريقيا ، ليحتاج بالفعل الى اعادة نظر شاملة فى ضوء مثل هذه التصورات . أليس غريبا أن **القاهرة لا تعرف** حتى الان منبرا افريقيا أو جهاز اعلام افريقيا » للكادر والجماهير ؟ أليس غريبا أن **تكون صورة أفريقيا** ــ حتى اليوم ــ فى الاذاعة والتليفزيون اذا قدم برنامجا عنها ــ وهذا نادر ــ هى صورة الطبول ورقص شبه العراة المحموم ؟ أليس غريبا ان معظم أخبار القارة لا تجد مكانا شافيا لها على صفحات صحفنا ومجلاتنا حتى اليوم ؟ ... الخ .. الخ .

لقد كانت هذه السطور ، كما قلنا فى البداية ، مجرد دعوة الى ضرورة لا غنى عنها . وهى بالقطع ضرورة وطنية تفوق مسئولياتها جهد الافراد وتحتاج الى جهد المؤسسات .

لنعتبر ذلك كله دعوة الى النقاش نطرحها أمام مؤسسات وجهات لها سمعتها واحترامها . لنعتبره دعوة الى النقاش مع معهد الدراسات الافريقية والجمعية الافريقية ومركز الدراسات الاستراتيجية [الاهرام] ، ومراكز البحوث بالمؤسسات المصرية العاملة فى افريقيا ، ومع كل الشخصيات المهتمة بالشئون الافريقية ، ومع غيرهم كثيرين يتمتعون بكل تقدير للمسئولية .

آراء ومواقف

تواصل الطليعة — فى ظلال معركة التحرير الوطنية المجيدة التى بدأت فى السادس من اكتوبر نشر ما كتبه أصدقاء الطليعة ، كل من الزاوية التى اختارها ليعبر بحرية عن رأيه الخاص.

● ٦ أكتوبر .. منعطف الطريق

عبد التواب يوسف *

عندما يستعرض المرء « بانوراما » الفترة الماضية ، تشده بضع صور ، يقف عندها مبهورا ، فان لها دلالات كبيرة .. اننا حين نقول ان « ٦ اكتوبر » منعطف تاريخي كبير ، فنحن لا نتجاوز الحقيقة .. اذ **على المستوى العالمى** ، كانت الدنيا تسخر منا حين نقول ان مشكلة الشرق الاوسط تهدد السلام العالمى ، فانها كانت ترى ان هذه المشكلة قد أصبحت « جثة » هامدة ، لن تتحرك ، ولم يكن أحد يرى انها تهدد حتى سلام المنطقة ، فان العدو قد لوى ذراعنا ، فى يونيو سنة ١٩٦٧ .. ووضع القضية برمتها فى الجبس ، فتحجرت .. **وعلى المستوى العربى** كانت هناك قضايا فرعية تتفجر ، واتهامات متبادلة لا آخر لها ولا أول ، ومناقشات بيزنطية تدور هنا وهناك ، كأنما تستهدف ابعاد أنظارنا عن حقيقة كبرى واضحة . ان اجزاء غالية من بلادنا محتلة ، وان « قدرا أدنى » من التفاهم بين الاخوة من أجل نظرة موضوعية لامورهم التى أصبحت مصائرها فى أيد غريبة عنهم ، تحركها فى غير صالحهم .. **وعلى المستوى الافريقى** ، كانت القارة غارقة فى نوم طويل تاريخى ، لم توقظها منه دقات الطبول على مدى السنوات الاخيرة ، ولم تلفت أنظارها تلك الرايات التى خفقت لترمز للاستقلال ، فانها خرجت من براثين الاستعمار القديم لتسقط فريسة بين يدى « اسرائيل » ، العنصرية ، الاستغلالية ، رأس الحربة الامبريالية .. **وعلى المستوى المحلى فى بلادنا :** مصر ، تمزقنا طويلا ، ولم تكن هزيمتنا فى سيناء وحدها ، ولكن اسرائيل نجحت فى ان تحتل فى نفس كل منا رقعة ، كانت مظلمة قاتمة ، مهما حاول البعض ان يسترها مرة بالكلمات ، ومرة بالشعارات ، الا انه كان واضحا اننا عشنا الهزيمة ، وتمادينا فى تعذيب النفس بصورة رهيبة .

وظهر السادس من اكتوبر ، سقطت طائرة على احدى قرى محافظة المنصورة ، أحرقت العديد من بيوتها ، واستشهد عدد من أبنائها ، وجرح كثيرون .. وأضحت القرية كلها فى مأتم كبير ، وسارعت عربات الاطفاء والاسعاف والنجدة لكى تشارك فى تخفيف المصاب .. وخلال ذلك انطلقت من قلب القرية زغرودة .. وفزع البعض ، فان قرانا عرفت الحزن كاملا اذا حدثت فيها حادثة وفاة واحدة ، فما بالكم بهذه الكارثة .. وذهل الناس ، خاصة ممن قدموا للمساعدة .. ولكنها لحظات قليلة وانقلبت القرية كلها الى مظاهرة تهتف وتزغرد .. ان جنودنا قد عبروا القناة ورفعوا العلم على سيناء .. وكان أن

(*) عضو اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى .

نسى الناس كل شيء ، اللهم الا العبور ، والعلم الذى خفق .. وانعطف بهم الطريق !

● وعالمنا ، كان أيضا مثل هذه القرية الصغيرة ، عندما انعطف به الطريق ، فقد ظل يتصور أن قضية الشرق الاوسط قد ماتت ، وشبعت موتا ، وانها دفنت أو تم تحنيطها عن طريق « الاسطورة التى لا تقهر » ، و « الجيش الذى لا يهزم » .. وأفاق العالم على ان « الاسطورة » ، لا تتجاوز حجمها الحقيقى : انها اسطورية خيالية وهمية ، خلقتها عقول مريضة ، مرضها ناجم عن رغبتها الشديدة فى العزلة ، واستغلال العالم لصالح « شعب الله المختار » ! .. أفاق العالم للمواجهة التى كادت تحدث بين الدول الكبرى ، ورفعت حالة التأهب بين الجنود واشتغل الخط الساخن ، وعقدت اجتماعات مجلس الامن ، وتحركت الدنيا ، فان الطريق الذى كانت تسير فيه ، كانت تقودها فيه « عصابة » تريد ان تعيش على حساب دمار عالمنا كله . وكانت تضع على عينى الدنيا ، وبالذات على عينى أمريكا « عصابة » تخفى عنها انها تمضى الى هاوية .

● ووطننا العربى ، كان هو أيضا هذه القرية ، التى انعطف بها التاريخ .. احس بأن الطاقة التى يعطيها لامريكا ، وللدنيا ، توضع فى الفانتوم ليقتل بها أطفال بحر البقر ، وعمال أبى زعبل ، ولكى يضعها فى قوارب يرسو بها على شواطىء بيروت ليعربد فيها ويقتل أزواجا تحت سمع وبصر زوجاتهم ، ولينسف أبطالا فى سياراتهم .. وكان أن قرر العرب ان يحتووا الطاقة وان يحفظوها لانفسهم ولصالحهم ولمستقبلهم ، وكان ان احسوا ان المال يسرق منهم ، وان عرقهم يتبخر ويضيع ، فضلا عن الكرامة والشرف ، فكان ان جمعوا أمرهم ، والتقت كلمتهم حول قضيتهم .. ارضهم .. وطنهم وكانوا الى عهد قريب يتنابذون بالالقاب وكانوا يتزيدون احيانا ، ويترخصون احيانا اخرى ، ولكن هزيمة يونيو كانت قد وصلت منهم الى النخاع .. وكان لابد من صحوة لينعطف بهم الطريق تجاه التضامن والوحدة الحقيقية ، فما من طريق آخر فى عالم الكيانات الكبرى ..

● وكانت القارة الافريقية أيضا ، هى هذه القرية ، التى انعطف بها الطريق .. فقد دقت الطبول لتعلن ثورات أفريقية أجهضت فى كثير من البلدان ، وخرج الاستعمار من الباب ليعود من النافذة ، وما كانت أفريقيا لتستطيع أن تتخذ لنفسها قرارا ، وما كان فى استطاعتها أن ترفع صوتها فى وجه سيدها « الابيض » فقد خرج الجنود ، وأنابوا عنهم اسرائيل .. تدعى الخبرة ، وتسرق ، وتنهب ، وتستغل بل وتحكم وتتحكم .. وانتهى الامر بالقارة الى أنها استجارت من الرمضاء بالنار ، وكان لابد من صحوة حقيقية ، تفيق منها الى الابد .. ان اسرائيل يجب أن تخرج من القارة ، والى الابد .. وليس فقط الى أن تجلو اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة عام ٦٧ .. ان اسرائيل يجب الا تعود قط الى أفريقيا .. يجب الا تضع قدمها على الارض العذراء من جديد ..

● وعلى المستوى المحلى ، كانت مصر كلها هذه القرية .. التى انعطف بها التاريخ من الصراخ والبكاء على كارثتها ، الى الهتاف والزغاريد لانتصارها .. وما من قرية ، أو مدينة فى بلدنا الا وكان من السهل علينا ان نتبين أن هذا المنعطف قد حدث لها .. ولقد أتيحت لى خلال المعارك أن اشهد صور هذا المنعطف ، غير أنه كان واضحا بشكل مؤثر فى واحدة من مدن المواجهة « الاسماعيلية » .

ولقد سمعت كثيرا عن المدن الصامدة ، والمبانى الصامدة ، وقرأت أن الاشجار تموت واقفة ، ولم أتحقق من صحة هذه العبارات الا وأنا أجوس خلال شوارع الاسماعيلية ، وأصابع الاصدقاء تشير الى مبان اخترقتها القذائف ، ولكنها صامدة .. مبنى ارشاد السفن التابع لهيئة قناة السويس .. مبنى الترانزستور .. مبنى المحافظة .. كلها صامدة ، أما الاشجار فأذهلتنى خضرتها بعد السنوات الست ، بل رأيت شجرة أطارتها قذيفة فاذا بها تطير عن جذعها ، ولكنها تظل واقفة مستندة الى عمود اضاءة ! .. وأسأل الاصدقاء عن البطولات ، فاذا بهم لايحكون قطعن بطولات فردية .. بل يقولون .. ان مسئولى الاحياء كانوا فى اجتماع يتدارسون فيه اتجاهات الرأى العام ويناقشون القضية من زواياها المختلفة حين وصلت الاخبار أن الدبابات فى طريقها الى المدينة ، وانتفض الشباب يحمل السلاح ، ويقبل كل واحد الاخر ، ووداع الى لقاء فى الجنة ، وقسم الا تدخل دبابة المدينة الا على أجسادهم .

ويبرون بالقسم .. وفى المدينة مخبز واحد يعمل ، والذين ينهضون بالعبء أناس انتزعوا من وسط أسرهم وأبنائهم حيث يعيشون فى قرى التهجير ، ويحصلون على الاعاشة من وزارة الشئون ، ويدعون كل ذلك لكى يقفوا أمام النيران الملتهبة ، وتحت وابل القنابل المتناثرة لكى يصنعوا الخبز للقوات المسلحة ، وللمقاومة الشعبية ، وللمدينة ، ويعمل الواحد منهم أربعة وعشرين ساعة ، بل ويتجاوزها ، وهو خلال ذلك يغنى لمصر ..

وأظل أجوس فى المدينة .. كنت قد زرتها يوما أشهد مبنى المحافظة القديم الذى هدمته قوات الامبراطورية البريطانية فى ٢٥ يناير ٥٢ ، قبل حريق القاهرة

بيوم ، على رجال الشرطة الابطال الصناديد .. وكنت قد زرتها مرة أخرى أشهد رحيل قوات بريطانيا عن معسكر كبير يحمل اسم معسكر الجلاء ، وكم اذهلني ان يحمل الانجليز وهم يمضون عن أرضنا اللافتة التي أعددناها لنضعها على المعسكر .. سرقوها ! .. ثم أمضي في المدينة بعد السادس من أكتوبر ، ويقال لي : المجلس الشعبي والمجلس التنفيذي في اجتماع لمناقشة أمور المستقبل .. وأجد « عثمان أحمد عثمان » — ابن الاسماعيلية — على رأس الاجتماع « يقول في هدوء .. عبر رجالنا القناة ، ويجب أن يعبرها النيل الى سيناء .. كان النيل ، ومياهه ، يصل الى التينة ورأس العش .. التينة هذه أصلا : الطينة .. من طمي النيل .. ان عبور النيل للقناة اصبح ضرورة استراتيجية ... سيعبر في انفاق .. نفق يضم سكة حديد ، وقناة من النيل وطريق للسيارات .. سيناء ستكون حلقة تدخل في حلقة القناة ، وهذه تدخل في حلقة الدلتا .. مثل شعار التعاون ، حلقات متداخلة لا انفصام ولا انفصال بينها .. الخرائط موضوعة .. هنا ستكون ميناء .. وهنا مصنع . وهنا . وهنا.

وهنا في الاسماعيلية سيكون مقر وزارة التعمير .. كانت وزارة السد في اسوان ، وعمالقة السد سوف يكونون عمالقة سيناء والقناة .. يتم هذا الاجتماع ، والقي بنظرة الى الموجودين ، واذا بالطابع العام لهم : الكاكي .. لبس الميدان .. وأحسب أن الاجتماع ترجمة حقيقية لشعار : يد تحارب ، ويد تبني ..

وانتجول في المدينة باحثا عن قصص البطولة .. أرويها لابنائي .. لاطفالي .. في مصر كلها .. واقف أمام الدبابات .. بل القلاع المتحركة — التي حاولت بها اسرائيل أن تدخل المدينة ، والتي دمرتها يد الانسان .. يد المقاتل يد البطل المصري وعندها أسمع قصة ابراهيم الدسوقي .. البطل الذي دمر أولى هذه الدبابات ، واستشهد معها .. وأسمع قصص المجند « قدري » .. والرقيب «غيث» .. وعشرات من الاسماء التي يحني الانسان رأسه لها .. كلهم شهداء ، أما الاحياء ، فلا احد منهم يتصور نفسه بطلا .. جميعهم ينكرون ذاتهم .. لا يذكرون أسماءهم ..

ان بطولات قواتنا المسلحة كانت أسطورية بحق .. ويذهلني أن يشيد واحد من الضباط بزيارتنا لهم .. زيارة ؟! .. وأصعق وهو يقول انكم ترفعون روحنا المعنوية ! ، ويقول ذلك بتواضع حقيقي ، مع أني أعلم جيدا أنه شارك في معركة الدبابات ، وان دمارها كان على يديه ، ولكنه يحس أن البطولة للشعب ، وأن القوات المسلحة تمثل جزءا من هذا الشعب ، جانبا من بطولته .. وأهتز لهذا البطل الذي من حقه اليوم أن يرفع رأسه ، فقد ظل على مدى سنوات يتجرع سموم الكلمات .. ويصر هذا البطل ان يروي لي بطولة سيدة .. امرأة فلاحة .. طردتها قوات اسرائيل من قريتها ، وخلال رحلتها الى الاسماعيلية كانت عيونها اليقظة تجمع المعلومات .. وقد نقلتها الى البطل ، وأحس بدقتها ، وشعر بفائدتها القصوى له ، فاذا به يلمح لها بأنه في حاجة اليها لكي تدخل القرية من جديد لتجمع له بعض المعلومات ، فاذا بها تتحمس .. ويحذرها من حقول الالغام التي زرعت حول القرية ، فيزيدها ذلك حماسة ، وينبهها الى انهم قد يشكون فيها ، فاذا بها تحمل فلذة كبدها ، ابنها الرضيع ، تمويها ، وتسير به وسط حقول الالغام ، وتدخل القرية وتعود بما تطلب من بيانات ومعلومات .. وأسأل عن اسمها فيقول ببساطة لم تذكر اسمها .. وأسأله : ماذا أعطيتها مقابل ما فعلت ، يجيب : عزمت عليها ببرتقالة ، واعتذرت عنها ! ..

قلت ، واقول ، وسأقول : ان ٦ أكتوبر منعطف طريق أمام الانسانية ، وأمام العالم .. وليس جديدا علينا ان نصنع في تاريخها وتاريخه منعطفات الطريق ، فليس بعيدا عام ١٩٥٦ الذي أنزلنا فيه دولا من الدرجة الاولى الى دول من الدرجة الثانية والثالثة ، ويستطيع العالم ان يتلمس طريقه الجديد نحو السلام المبني على العدل اذا هو نجح في استيعاب درس ٦ اكتوبر ، واذا هو عبر الازمة الى آفاق الحرية .. و ٦ أكتوبر منعطف أمام العرب ، اذا هم استمروا في تجميع صفوفهم ، ولم شملهم وتوحيد كلمتهم ، وتضامنوا لكي يصبحوا القوة العظمى السادسة في عالمنا ، فما من منطقة في العالم مهيأة لهذا ، كالوطن العربي ، بامكانياته ، بطاقاته ، بأمواله ، بأراضيه .. ثم فوق كل ذلك بالانسان فيه ، انسان السادس من أكتوبر .. و ٦ أكتوبر منعطف أمام قارة أفريقيا ، فان الاعلام التي ترفرف ليست هي كل الحرية ، ليست هي كل الاستقلال ، ان مصير القارة يجب ان يكون في يدها ، ويجب أن تنفض عنها هذا التخريب الذي تصنعه اسرائيل تحت اسم « الخبرة » و« المعونة » ، الى آخر هذه المسميات التي هي في واقع الامر استعمار واستنزاف .. و ٦ أكتوبر منعطف أمام بلادنا .. منعطف طريق صاعد تجاه الحرية كل الحرية للارض ، والشعب .. تجاه الوحدة كل الوحدة للوطن ، والامة العربية .. تجاه الاشتراكية ، كل الاشتراكية لجماهيرنا التي أعطت الدم بسخاء .. ليكن منعطفا صاعدا نحو كل القيم التي قاتلنا من أجلها .

● القضـــية هى قضـــية التعبير عن واقعنـــا

جبريل محمد *

الزمان .. كان بعد ٦ أكتوبر الخالد .

والمكان .. مقهى من آلاف المقاهى التى تعمر بها بلادنا .. فى حى من أعرق أحياء الاسكندرية .. فى كرموز ..

وحينا لا يضم غير الكادحين من العمال والصيادين والمنتجين .. باختصار لا يضم ، رغم تعداده الضخم ، غير هؤلاء الذين يبذلون بسواعدهم وعرقهم لكى يوفروا أسباب الحياة للأبناء والنساء .. ويوما بيوم .

وكان الحديث .. وأى حديث لا يكون الا عن المعركة .. كان الحديث — وعلى غير العادة — لا تتخلله فرقعة « الكوتشينة » .. وبطلا .. رجل قارب الستين .. وشاب لم يتعد بعد الخامسة والعشرين .

كان العجوز مصرا على ان الموقف لن تحله الا أمريكا .. ويضيف : ان أمريكا تلعب دورا كبيرا لانهاء النزاع سلميا ، وانها سوف تفرض عودة القوات الاسرائيلية الى مواقع ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ ، على حكام اسرائيل

وعلى العكس تماما كان منطق الشاب .. فهو يقول ان أمريكا لا يمكن ان تغير من سياستها بين يوم وليلة من أجل سواد عيوننا .. وحتى بالضغط الذى تمارسه الدول العربية ، وفى يدها سلاح البترول .. واحساس أوربا بالخطر الذى يتهددها من جراء استعمال هذا السلاح ، والتأييد العالمى للموقف العربى ؟ فان هذا كله لن يغير من سياسة أمريكا .. ويمضى الشاب فى حديثه ، ويقدم الدلالات على حجية كلامه بأن أمريكا عندما شعرت بتدهور موقف اسرائيل العسكرى فى الايام العشرة الاولى من الحرب ، دفعت بأحدث عتادها وسلاحها .. بل وبالمتطوعين فى شكل الطيارين والمقاتلين والفنيين ، لكى تمنع هزيمة نكراء لاسرائيل .. الى حد أعلن وزير الدفاع الامريكى ان مخزون الاسلحة لدى الجيش الامريكى تناقص بشكل خطير ، بسبب الشحنات الضخمة التى أرسلت الى اسرائيل بعد يوم ١٥ أكتوبر ، ثم يستطرد الشاب فى بساطة شديدة قائلا .. كيف اذن تمارس أمريكا ضغطا على اسرائيل ، بينما تزودها بأحدث ما أنتجته ترساناتها الحربية من الاسلحة ؟ .. ثم يمضى فى بساطة أيضا .. وهل يعقل هذا بينما السلاح الامريكى بالتأكيد جاء لقتل اخوتنا وابنائنا فى الساحة ؟؟

ويهز العجوز رأسه .. ويحاول ان يرسم ابتسامة على شفتيه ، ولا يملك الا ان يقول .. سوف تثبت الايام صدق ما أقول .

هذه اللقطة واحدة من آلاف اللقطات التى يمارسها الشعب الان فى هذه المرحلة ، تعطى انطباعا بوعى شعبنا وبالطريقة التى يفكر بها .

ان الشعب يعرف عدوه .. ويعرف ايضا صديقه .. وهو يستطيع ان يفرق بين كليهما .. انه يعرف من معه ومن يقف ضده .. ومثل هذا النوع من الحوار ، وهو فى هذه الايام سمة بارزة لمناقشات الجماهير ، يدعونا الى أن نحدد موقفنا .

ولست أعتقد ان فترة يمكن لامة فيها ان تحدد مواقفها تماما — مثل هذه الفترة الحاسمة والخطيرة في حياتنا ، وربما لاجيال قادمة .

وليس بالتشنج تحدد الشعوب مسارها .. وليس أيضا بالعواطف .. وانما بالفهم والوعى الكاملين ، وأيضا بالتجربة .. لكن ابدا لا يجب أن تكون من تلك التجارب التى تقبل الخطأ والصواب .. ذلك انه عندما تقرر مصائر الامم والشعوب .. تنحى تماما كل محاولات تلوين الصورة أو اضافة رتوش اليها أو بمعنى آخر الوقوع فى أفدح الاخطاء وهو التمنى .. ويصدق تماما قول شاعر مصر :

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وهكذا تصبح القضية اذن .. هى قضية التعبير عن واقعنا .. دراسة هذا الواقع .. قيادة هذا الواقع فى خط ثورى اشتراكى صاعد .

(*) عضو مجلس الشعب وصحفى بجريدة الجمهورية .

ولقد كانت رؤيا قيـادتنا السياسية شـفافة وصادقة .. ولم تختلط الامور عليها ، رغم محاولات اشـاعة الضباب التى كانت بعض القطـاعات ــ من خـلال مواقعهـا الطبقيـة ــ ومواقفهـا التى حاولت بهـا ان توهم ــ ولا توهم الا نفسها ــ ان الموقف فى يد الولايات المتحدة الامريكية .... وليس هنـاك حل الا عن طـريق واشـنطن .. وخـرجت بعض العينـات من جحـورها ... لدرجـة أن احـدى الصـحف أفردت أخيرا حديثا دعت اليه باشـارة بارزة فى صفحتها الاولى لكاتبة ... فى الوقت الذى ظهـر فيـه تميع الموقف الامريكى وضعفه ، تعلن ثـلاث مرات فى مقـدمة كلامها الذى ينضـوى على مغالطـات ومفارقات مذهلة ... ترحيبهـا بواحد من أخطر واضعى ومنفذى السياسة الامريكية ..

وتصوروا أن مجمل ما قررته هذه الكاتبة .. انها غير مشفقة على المشردين والتعساء من أبناء فلسطين ، ولا على الرجال الذين يحاربون ... ولا على هذه الامة التى وقفت ــ وربمـا لاول مرة فى تاريخها المعاصر وتفجرت من وقفتهـا انتماءاتها الى قوميتهـا العربية ... وانما ــ وهذا كلام الكاتبة ــ وأيضا مشـاعرها ، اشـفاقها على آلاف الامريكيين السـذج الطيبين والكرماء من تسخير جهدهم لخدمة اسرائيل ، وشراء السلاح لها ..

وبعـد .. فقـد عـرضت لصـورتين .. الاولى صـورة للشعب ، بكل أصـالته ووعيه وشجاعته ..

أما الصـورة الثـانية ، فهى بالتأكيد ليست صورة الشعب ، ولا تنبـع الا من واقـع الذين يحلمون بعودة الزمن الى الوراء .. وأبدا لن يعود .. انها صورة مرفوضـة ومحكوم عليهـا .. وقطعا لا تستحق الا الاشفاق ..

لجـان العمـارات من أجـل المعـركة

حكمت الغزالى

ان المرحلة الحالية ــ مرحلة المـد الثورى ــ التى تجتـازها البـلاد لمواجهـة الاسـتعمار الامريكى ــ الاسرائيلى ، تقتضى منا حشد كافة القوى القـادرة على العمـل لمواجهة قوى الشر والطغيان ، سـواء فى الجبهة على خطوط النار ، أو فى الجبهة الداخلية .. ولما كان الشـباب والرجال يقومون بالدور الرئيسى فى ميدان المعركة .. فانه تبرز أهميـة قيـام المرأة بدورهـا السـياسى والايجابى ، وتنظيم صـفوفها ، حتى تقـوم بدورها بجـانب الرجل ، تشـد أزره ، وتسد الفراغ الذى يتركه الرجل فى ميدان العمل الداخلى ، ولما كان التنظيم النسـائى يتطلب قيادات نسائية تحمل فكرا علميا متطـورا ، تابعا من دراسـات تاريخية للحركات الشـعبية فى مصر والعالم ، فهو كذلك يحتاج لقيادات انصهرت فى المعـارك اليومية من أجل أن تحمى الارض .. فعلى المرأة دور أساسى فى المعركة ، لا يقل عن دور الرجل ، فعليها ان تحمى الجبهة الداخلية من الحرب النفسـية ، والقضاء على الدعايات الكاذبة التى تنشر الذعر بين النـاس ، وخـدمة الجرحى ورعاية أسر الشـهداء والمجندين والمهجـرين ، والعمل على مراقبـة التمـوين فى الجمعيات الاستهلاكية ، وتجار القطاع الخاص، ومحاربة المنحرفين والمتجرين بأقوات الشعب، والتدريب علـى الـدفاع المدنى للـدفاع عن العمـارات والاحيـاء مع الشـباب المسـئول عن الدفاع المدنى ، وحراسـة المنشـآت الاقتصـادية للدولة عندما يترك الرجال أماكنهم للذهاب الى خط النار ، ورعاية الطفولة والمسنين أثناء الغـارات ، وهذا بطريق لجان العمارات .

فلجنة العمارة مسـئولة عن الدفاع المدنى والمقاومة الشعبية داخل العمـارة ــ بالتعاون مع شـبابها ــ والتبرع للمجهـود الحربى ورعاية أسر المجندين ، وكذلك فهى مسئولة عن التموين فى الحى .. ولجنـة العمـارة هى القاعدة الاسـاسية للتنظيم النسـائى فى المدينـة ، وهى القـاعدة الواسـعة النابعة من الجماهير النسائية ، ونجد أن أى تنظيم سـياسى ما هو الا عمـل ضخم نتيجة لجهد كبير ، فنضال المرأة من أجل تحرير الارض عمل عظيم للدفـاع عن بلدها وبنـاء مجتمعها ، فبهذا العمل الضـخم الذى تقـوم به المـرأة يجعـل المجتمع يغير نظرته لها ، فترتفع بتنظيمهـا الى أعلى مسـتوى

سياسى ؟ فتأخذ حقوقها الاجتماعية كاملة .

كما انها يجب ان تخرج من المعركة بكادرات نسائية مدربة ، فاهمة لاهداف التنظيم النسائى ، مدركة لغاياته ، مؤمنة به وبسياسته وأعماله .

وهنا تجربة قمنا بها فى حى منشية البكرى ، بتكوين لجان العمارات من أجل المعركة ، ولتكون قاعدة أساسية للتنظيم النسائى فى الحى .. ولجنة العمارة فى منشية البكرى تتكون من مقررة عن العمارة ، ومعها عدد من سكان العمارة يتحدد طبقا لعدد شقق العمارة وحجمها .. وأهداف اللجنة هى :

١ عمل شنطة اسعاف ، وتدريب بعض فتيات العمارة على الاسعاف والتمريض لرعاية سكان العمارة أثناء الغارة أو التطوع فى المستشفيات .

٢ جمع التبرعات لرعاية أسر المجندين فى الحى ، ومساعدتهم .

٣ زيارة الجرحى وتقديم الهدايا لهم بالتعاون مع لجنة الشياخة .

٤ التعاون مع الدفاع المدنى أثناء الغارة وتنفيذ تعليماته وتدريب الفتيات على اعمال المقاومة الشعبية والدفاع المدنى .

٥ مراقبة التموين فى الحى من داخل العمارة ، بأخذ رأى السكان فى التموين ومشاكله ، وكيفية الاشراف عليه ، حتى نخرج برأى سليم لمراقبة التموين على مستوى الحى ، وتكون مقررة العمارة هى المسئولة عن نقل آراء وشكاوى السكان الى لجنة التموين على مستوى الحى .

٦ توعية سكان العمارة ضد الاشاعات الكاذبة والحرب النفسية .

وكذلك لا ننسى فى هذه المرحلة التى نناضل فيها لتحرير الارض ، توعية نساء العمارة بأهمية التنظيم النسائى واهدافه ، لنربط التنظيم النسائى بالنضال الوطنى .. وقد نجحت هذه التجربة فى منشية البكرى بالنسبة للعمارات التى تكونت فيها هذه اللجان ، بدليل اقبال السيدات على تكوين لجان عمارات جديدة يوميا .

أوسع فرص المشاركة الشعبية

قبارى عبد الله *

دخلت الحركة الوطنية المصرية والعربية بحرب أكتوبر مرحلة جديدة وحاسمة فى تاريخها . وبرغم الموقف الرسمى لاطلاق النار فان المعركة بين العرب وبين اسرائيل وأمريكا ستزداد ضراوة فى المرحلة القادمة على كافة الجبهات السياسية والعسكرية والاقتصادية .

ان الولايات المتحدة الامريكية واداتها اسرائيل فى محاولة جديدة :

● للرد على المبادأة المصرية والعربية فى ٦ أكتوبر .

● ولمواجهة الموقف العربى التاريخى خلال فترة الحرب وبعد وقف اطلاق النار .

● ولوقف المد الوطنى العربى الواسع والذى دفعته حرب اكتوبر بقوة الى الامام فانهما يعدان العدة فى ظل ستار الدخان الذى يطلقانه حول نواياهما السلمية لتدبير اعتداءات عسكرية جديدة على بلادنا .

● ونظرا لان اسرائيل هى بؤرة الحرب فى الشرق الاوسط .

● وأن الولايات المتحدة الامريكية ومنذ عام ١٩٦٦ قد قررت استخدام العنف ضد الحركة الوطنية العربية بعد أن فشلت محاولاتها المتكررة لاحتواء هذه الحركة والسيطرة عليها .

● ولان اسرائيل قد احتلت فى عام ١٩٦٧ سيناء والجولان والضفة الغربية للاردن وانها

(*) عضو مجلس الشعب .

شرعت فعلا فى الضم النهائى لهذه الاراضى تحقيقاللهدف الاعلى للسياسة الاسرائيلية فى اقامة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

فان النضال الوطنى فى مصر والعالم العربى سيأخذ ولفترة طويلة شكل حرب التحرير والمقاومة الوطنية وسوف ينفجر القتال بين لحظة واخرى .

ان التاريخ لا يعود الى الوراء وان النصر النهائى والحاسم هو مستقبل قوى التحرر والتقدم مهما تعثرت خطواتها فى البداية .. وليست أمتنا العربية مستثناة من حكم التاريخ ، بل على العكس من ذلك فقداثبتت خبرة النضال الوطنى ضد كل الدول الاستعمارية فيما مضى كما أكدت حرب اكتوبر ان امتنا العربية تملك كل شروط النصر وأنما يلزمنا فقط هو وضع الخطط الاستراتيجية والتكتيكية الصحيحة وأن هذه الخطط لابد وان تبنى على العناصر التالية :

١ — حرب تحرير طويلة .

٢ — استناد الجيوش النظامية على شعوب مسلحة .

٣ — الاعتماد على القوة الذاتية المصرية والعربية كأساس .

٤ — ان البعد القومى اساس وفعال للغاية وانه لابد من وجود استراتيجية عربية واحدة وصحيحة .

٥ — استنادا الى اوسع جبهة عالمية مؤيدة للحق العربى فى تحرير أراضيهم بقوة السلاح وانه فى ظل نشوب القتال فعلا نكتسب المزيد من الانصار . وأن ارادة القتال الحازمة هى الاساس فى توفير كل هذه العناصر للنصر . ولكى ما تكون ارادة القتال لدى كل الشعوب والنظم والقوى السياسية العربية حازمة وراسخة لا تتزعزع فاننا يجب أن نواجه وبأقصى حد من الصراحة قضيتين رئيسيتين :

الاولى ، وهى الموقف من التهديدات الامريكية . أن القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية الامريكية قوة هائلة ، وقد هدد الرئيس نيكسون فعلا فى الايام الاولى من حرب أكتوبر بالتدخل على نحو ما فعلت أمريكا عام ١٩٥٨ فى لبنان . واثناء الحرب الاهلية بين النظام الاردنى والمقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٠ .. ولكن القوة الاستعمارية الامريكية قوة بلا مستقبل وتحمل بين طياتها ككل قوة استعمارية فى التاريخ عوامل ضعفها وقد بدأت مكانة امريكا عسكريا وسياسيا واقتصاديا فى التدهور ، فقد تلقت ضربات عسكرية مؤثرة من حركات التحرير فى الشرق الاقصى أجبرتها على التراجع ويعانى اقتصادها من ازمة طاحنة وتنشب التناقضات الحادة بينها وبين حلفائها فى غرب أوربا . وهى باختصار ليست بالقوة الخرافية التى لا تقاوم .

ان أمريكا ليست مطلقة اليد فى التدخل المباشر ، كما ان التدخل المباشر ليس مطروحا طالما أن القوة العسكرية الاسرائيلية ما تزال قادرة على العمل . ولكن علينا ان نكون مستعدين لمواجهة التدخل المباشر اذا حدث ومن لانتراجع امام التهديدات الامريكية لان التراجع سيزيد الاستعماريون الامريكيون تمسكا بأهدافهم الاستعمارية فى المنطقة العربية .. وسيقع العالم فريسة سهلة للاستعمار الامريكى اذا ما أفزعته التهديدات الامريكية .

ان الاستعمار الامريكى على المدى الطويل ، والمستوى الاستراتيجى مصيره الهزيمة النهائية ويجب أن لا يخالجنا شك فى ذلك ، أما على المدى القصير والمستوى التكتيكى فيجب أن لا نستهين بالقوة الامريكية دون أن نتراجع أمامها بل يجب مواجهتها بخطة صحيحة خطة حرب طويلة .

أما النقطة الثانية فهى تعبئة كل طاقات شعوبنا ضد العدو . ان النصر على عدونا الاسرائيلى الامريكى لا يكفى لتحقيق جزء من طاقات شعبنا المصرى أو شعوبنا العربية ، ولا كل طاقات هذه الشعوب بمستواها الحالى . ان ذلك يتطلب كل طاقات شعبنا المصرى وشعوبنا العربية ، بل يتطلب مضاعفة هذه الطاقات أضعافا مضاعفة اى رفع مستوى الكفاءة الفردية والجماعية فى كافة المجالات القتالية والسياسية والاقتصادية والثقافية أضعافا مضاعفة . وذلك كله مرهون باتاحة أوسع فرص المشاركة الشعبية فى الحياة العامة على كل الجبهات . ولابد لذلك من تحقيق شرطين ضروريين :

١ — توسيع مجالات الحريات العامة وخاصة حرية الرأى والنشر والصحافة الا ما يتعلق بالاسرار العسكرية .

٢ — تنظيم الشعب فى الاشكال الملائمة والقادرة على حشد كل القوى وتعبئتها واثارة حماسها ، واطلاق امكانياتها المبدعة .

ان جنودنا وضباطنا الذين اقتحموا قناة السويس وخط بارليف ، وابناء شعبنا الذين تدفقوا على مراكز التدريب والذين يتحرقون شوقا لمواجهة العدو جديرون بتحقيق كل شروط النصر وتحمل كل ما يتطلبه من تضحيات .



جيفـــارا .. ودروس الاخفـــاق المؤقـت

فى الأرجنتـــين

والكـونجو ..

وبوليفيـــا..

خيـرى عـزيز

ها هى التطورات الاخيرة فى امريكا اللاتينية ، ونعنى بها على وجه التحديد ، التـطورات التى ادت الى اسقاط حكم الرئيس التشيلى «**سلفادور الليندى**» تأتى لتثرى مرة اخرى ـ الخبرة الثورية لشعوب ومناضلى هذه القارة الغاصة بالبطولات والاساطير . وتثرى ـ ايضا ـ الخبرة الثورية للشعوب المناضلة عامة ، ولشعوب العالم الثالث بصفة خاصة .

فكما كان اغتيال واستشهاد المناضل الثورى « **تشى جيفارا** » فى بوليفيا عام ١٩٦٧ ، حافلا بالعبر والدروس للحركة الثورية فى امريكا اللاتينية والعالم ، وخاصة لتلك الفصائل الثورية التى تبنت خط الكفاح المسلح ، فان اغتيال واستشهاد الرئيس التشيلى « **سلفادور الليندى** » يأتى الان ليغنى تجارب النضال السلمى والمسلح أيضا من أجل الاشتراكية ، والنضال السياسى العام من أجلها .

فليس ثمة شك فى ان التآمر الرجعى والاستعمارى المسلح الاطاحة بحكم الرئيس الليندى ، واغتياله شخصيا ، قد أضاف جديدا بالفعل الى رصيد الدوافع المنطقية العادلة ، التى تدفع كثيرا من الفصائل الثورية فى هذه القارة ، الى طريق الكفاح المسلح . والامر الذى ينطوى على مفارقة سياسية ملحوظة هنا هو انه فى حين اعقب استشهاد «**تشى جيفارا**» الرائد البارز لخط الكفاح **المسلح** ، خفوت وضعف مؤقت لحركة الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية عامة ، فان من شأن استشهاد الرئيس « **سلفادور الليدى** » الرائد البارز لخط الكفاح السياسى السلمى أن يغذى

بقوة مضطردة ابدأ خط الكفاح المسلح في قارة تتسم القوى الرجعية فيها بعنفها الدموى القاتل .

على أنه اذا كانت الحصيلة المحددة لتجربتى « جيفارا » و « الليندى » فى كل من بوليفيا وشيلى ، ومن واقع التطورات السياسية المحددة فى هذين البلدين ،هى حصيلة سلبية مؤقتا ،نظرا لاستمرار سيطرة القوى الرجعية والاوليجاركية فى بوليفيا كما كان العهد قبل حركة جيفارا المسلحة ، ونظرا لنجاح قوى الثورة المضادة فى الاستيلاء على السلطة فى شيلى والاطاحة بحكم الليندى التقدمى ، فان تلك الحصيلة السلبية المؤقتة على نطاق البلدين ، انما تتطلب الان اكثر من أى وقت مضى ، اعادة نظر نقدية شاملة ، للطريق الذى سلكته كل من حركة الكفاح المسلح ، وحركة الكفاح السياسى السلمى فى هذين البلدين فى الحقبة الاخيرة علما بأن التعرض النقدى لتجارب جيفارا المسلحة ، لا يعنى بحال فقد خط واختيار الكفاح المسلح فى حد ذاته والذى تتبدى اهميته وضرورته اليوم اكثر من اى وقت مضى ، كما وان نقد تجربة الليندى فى تشيلى لا يعنى بحال ايضا نفى امكانية التحول السلمى الى الاشتراكية نفيا قاطعا ، اذا توفرت ظروف ضرورية معينة .

وسنحاول فى هذاالمقال ، أن نقوم بعملية اعادة نظر نقدية للسبل النظرية والتطبيقية التى اتخذتها ، تجارب جيفارا المسلحة ، سواء فى داخل أمريكا اللاتينية او فى خارجها ، على أن نستكمل فى مقال تال ، الجانب الثانى من الموضوع ،الاوهو التعرض النقدى لتجربة الليندى فى تشيلى من الناحيتين النظرية والتطبيقية وفى ضوء الخبرة التاريخية ، والخبرة الثورية السابقة لشعوب أمريكا اللاتينية نفسها ، ولشعوب العالم وحركاته الثورية عامة .

اهمال ضرورة توفر الظروف الموضوعية

ليس ثمة شك فى أن المقتل الاساسى الذى ضربت منه حركات الكفاح المسلح ، او بمعنى اكثر دقة ، محاولات اشعال الثورات فى أمريكا اللاتينية بعد ثورة كوبا ، قد تمثل فى رفض أو اهمال هذه الحركات او المحاولات ، للمفهوم الماركسى اللينينى عن ضرورة توفر الظروف الموضوعية اللازمة للثورة فى بلد من البلدان حتى يمكن نجاح هذه الثورة . وحتى تشى جيفارا نفسه ، ذلك القائد الثورى الفذ ، الثاقب النظر ، والنافذ البصيرة ، الذى اتسق فى كل حياته وأعماله دوما ، مع مصالح الثورة ، قدشارك ، بوجه منالوجوه ، فى شيوع هذا المفهوم .ولقد اتضحتجوانب من فكره وفق هذاالمفهوم أيضا فى الحوار الهام الذى أجرته معه الطليعة فى عام ١٩٦٥ ، والذى قال فيه : « ان التجربة العملية فى كوبا أثبتت امكانية تخليص البلاد المتخلفة من قبضة الاستعمار ، حتى اذا لم تتحقق جميع الشروط الموضوعية والذاتية للثورة » ، وذلك فىالوقتالذى أثبتت فيه تحليلات ودراسات محللى الثورة الكوبية ودارسيها ، ان هذه الثورة ، ما كانت لتنجح هذا النجاح الفذ الباهر ، لو لم تتوفر الشروط الموضوعية والذاتية اللازمة لنجاحها تماما ، سواء فى رحم المجتمع الكوبى المتحلل المتفسخ فى ظلال ديكتاتورية باتيستا ، او فى نموذج القيادة الثورية الفذة البارعة ، الذى قدمه قائدها العظيم الاعلى : فيدل كاسترو . وهى نقطة سوف نتعرض اليها بتفصيل محدد بعد قليل .

ان المشكلة التى اوقعت كثيرا من حركات الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية فىالفترة المنصرمة ، فى طريق مسدود ، وقادتها الى مهاوى الاحباط والفشل ، قد تمثلت بوجه من الوجوه ، فىالتقييم الخاطىء من جانب قادة هذه الحركات لحقيقة الظروف الموضوعية فى بلاد امريكا اللاتينية عامة ، ومدى ملاءمتها لتفجير ثورة شاملة على نطاق القارة بأسرها . فقد اتجه هؤلاء القادة فى تحليلهم لواقع ظروف تلك القارة ، الى التعميم ، دونالتحديد ، فى الوقت الذى يكمن فيه جوهر ومحتوى اى تحليل ثورى علمى ، فى ذلك المبدأ البالغ الاهمية فى حياة أى ثائر وثورة .. « التحليل المحدد للظروف المحددة » .

لكن العديد من قادة هذه الحركات ، قدموا فى الحقيقة ، مساهمة نظرية ، لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الفكر الثورى فى العالم ـ اللهم الا فى بعض المساهمات التروتسكية ـ حول توفر الظروف الملائمة لاندلاع الثورة على نطاق القارة اللاتينية بأسرها فى حقبة تاريخية واحدة . ونحن بالقطع لا نبحث هنا ، عن مقارنات تاريخية جائرة وظالمة ، حين نقول ان فكرة الثورة الشاملة على نطاق قارة بأسرها ، وعلى نطاق العالم بأسره فىوقت واحد ، لم تبرز فى الادبيات الماركسية الا من خلال نظرية « ليون تروتسكى » عن الثورة الشاملة على نطاق القارة الاوربية كلها بعد الثورة الروسية ، ثم على نطاق العالم بأسره ، بعد ذلك وفق مفهوم تروتسكى عن « الثورة الدائمة » ، ذلك المفهوم الذى خاض « ستالين » ومن ورائه الحزب الشيوعى السوفيتى ، بكل تراثه الثورى، وخبرته العميقة ، نضالا مظفرا ضده ، بنجاحهما عمليا فى تحقيق الانتصار « للاشتراكية فى بلد واحد » اولا على عكس مفاهيم وتنبؤات تروتسكى . بيد أنه اذا كان أحد بالطبع ، لا يوجه تهمة التروتسكية أو يطبع بوصمتها ، نضال ابطال رائعين للتحرر ، وثوار عظام كابطال وثوار هذهالقارة الكبرى ، الا انالتماثل التاريخى بينهاتين الفكرتين فىالحقيقة أمر لا يمكن انكاره .

لقد اعتقد قادة كثير من حركات الكفاح المسلح

في أمريكا اللاتينية في الفترة المنصرمة — بتصوراتهم الذاتية — ان الظروف الموضوعية للثورة ، متوفرة في جميع بلدان امريكا اللاتينية ، وانما ينقص هذه البلدان فحسب ، فهو الظروف الذاتية المفجرة للثورة ، والطلائع الثورية التي تشعل نارها ، وبذا خلط هؤلاء القادة بين الظلم الاجتماعي كحقيقة ميكانيكية سائدة ، وبين الثورة على هذا الظلم ، كعمل واع جدلي حي ، خلطوا بين الظلم ، والاحساس بالظلم في حياة المجتمعات الانسانية بصفة عامة . لانه اذا كان صحيحا ان تلك البلدان التي نشبت فيها الحركات الثورية المسلحة في أمريكا اللاتينية ، مثل بوليفيا ، والارجنتين ، وجواتيمالا ، وكولومبيا ، وغيرها ، تتسم جميعا بحكم الاقليات الاوليجاركية الظالمة ، وبالقمع الوحشي والبوليسي ، وبالفقر والبؤس والتعاسة التي تعيش فيها الملايين ، فمن الصحيح أيضا ، ان كل هذه المظالم الموضوعية ، لا تخلق ثورات ، بحد ذاتها . ولا تحتاج تلك البديهية الى مزيد تأكيد ، وهي ان الثورات لا تقوم ، مجرد نتيجة للمظالم الاجتماعية فحسب ، وانما نتيجة للحركات الثورية المنتفضة لطبقات التي تتعرض للظلم الاجتماعي ، ونتيجة للولادة التاريخية الطبيعية لقيادة هذه الطبقات والحركات ، من رحم المجتمع الذي يئن منقسوة الظلم الاجتماعي أولا وقبل كل شيء .

استخدام خاطيء لمفهوم :

« البـؤرة الثـورية »

ولكن المشكلة التي تعرضت لها حركات الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية بعد ثورة كوبا ، ومنها الحركات التي قادها جيفارا نفسه ، قد نبعت بوجه من الوجوه ، من عمليات التنظير الثوري التي أعقبت نجاح الثورة الكوبية ، ومحاولة الاسترشاد بهذا التنظير في تقليد النموذج الكوبي ميكانيكيا . وهكذا ، نجدانه بدلا من ان يكون نجاح الثورة الكوبية تأكيدا جديدا لصحة الفكرة الماركسية اللينينية عن ضرورة توفر الظروف الموضوعية والذاتية الملائمة لنجاح الثورات — وهي الظروف الموضوعية والذاتية التيتوفرت بالفعل فيكوبا — نجد ان تجارب هذه الثورة تستخدم لفرض صيغة نظرية جاهزة للثورة في امريكا اللاتينية تتمثل في تقليد النموذج الكوبي بتطبيق مفهوم « البؤرة الثورية » ، هذا المفهوم الذي يركز مشكلة الثورة في تلك القارة ، في مجرد خلق بؤر ثورية ، في مختلف البلدان ، ينطلق منها رجال العصابات من المثقفين الثوريين والفلاحين الفقراء ، للقيام بالدعاية المسلحة ، واثارة الشعب ، ودفعه للقيام بالثورة بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية في النهاية .

وتتمثل نقطة القصور الاساسية لدى انصار هذا المفهوم وعلى رأسهم « ريجي دوبريه » في أنهم تناولوا قضية الثورة من جانبها الذاتي أساسا . يقول ريجي دوبريه موجزا أفكار شتى : « الظروف الموضوعية متوافرة في جميع الدول تقريبا ، لكن الظروف الذاتية منعدمة » . وهكذا أقروا بفرضية تناسوا فيها الى حد كبير دور العوامل الموضوعية ذات القدرة الجبرية القسرية في تحديد مسار التطور التاريخي ، او — على اكثر تقدير — افترضوا توفر هذه الظروف الموضوعية ، في الوقت الذي لم تكن موجودة فيه واقعيا ، وركزوا مشكلة الثورة في امريكا اللاتينية فحسب ، في مشكلة توفر الظرف الذاتي ، في مشكلة ايجاد الطليعة الثورية للعمل المسلح في مختلف البلدان ، وذلك بغض النظر عما اذا كانت الظروف المحيطة ستسمح بنجاح الجهود المسلحة لهذه الطليعة ام لا ، وبغض النظر عنطريقة تشكيل هذه الطليعة ، وما اذا كانت نتاجاموضوعيا نابعا — بشكل طبيعي — من خضم الصراع الاجتماعي المحلي ، ومن رحم التناقضات الاجتماعية المحلية المحتدمة ، أو مفروضا بشكل ذاتي تحكمي مصطنع من الخارج ، بدفع من الروح الثورية العالية لحفنة من الابطال الرومانسيين المسلحين ، ابتغاء تطبيق مفهوم « البؤرة الثورية » .

هنا يكون الخطأ التاريخي الذي وقع فيه مثل هؤلاء الابطال الكبار متمثلا في أنهم حاولوا فرض طلائع مسلحة متقدمة جدا ، على واقع ثوري متخلف ، حاولوا فرض حالة ديناميكية متقدمة ، على واقع سياسي خامد وساكن ، وبذا ضيعوا الترابط الجدلي الحي ، بين الذاتي والموضوعي ، وكان الاحباط نصيبهم في ختام الامر .

من هنا نعتقد أن ما هو أكثر أهمية — لنجاح حركات الكفاح المسلح في الحقيقة — ليس هو مجرد خلق البؤرة الثورية ، كما تصور معظم قادة هذه الحركات في الفترة السابقة ، ليس هو البؤرة الثورية في حد ذاتها ، لانها يمكن أن تتشكل بالرغبات الذاتية لاي مجموعة من المناضلين تعقد عزمها على بدء الكفاح المسلح ، وانما الاكثر اهمية لنجاح حركات الكفاح المسلح ، فهو ضرورة توفر الظروف الموضوعية العامة التيتتيح للنضال المسلح لهذه الثورة ، ان يؤتي ثماره في مدى زمني طال أم قصر ، على نطاق المجتمع بأسره . من طريق الالتحام الثوري الحقيقي في نهاية الامر بين مناضلي الطليعة في المقدمة ، وبين الجماهير الشعبية الواسعة ، كقاعدة انطلاق للثورة الشاملة في هذا المجتمع ولن يتأتى ادراك ذلك الا من خلال تحليل علمي ثوري للتناقضات الاساسية والثانوية الحقيقية التي تحكم مسار هذا المجتمع . والتي تكشف الامكانيات الحقيقية المتوفرة فعلا لاحداث تغيير ثوري استراتيجي ، وتفجير ثورة شاملة .

لقد نجم فشل حركات التحرير المسلحة الفترة الماضية بالتحديد ، نتيجة للاستخدام الخاطىء لفكرة البؤرة الثورية ، بغض النظر عن توفر الظروف الموضوعية الملائمة ، تدفع هذه البؤرة قدما على طريق النجاح فى تفجير ثورة شاملة ، أو عدم توفرها . من هنا نعتقد أن مفهوم البؤرة الثورية يأخذ طابع « تصدير الثورة » ، عندما تكون هذه البؤرة متولدة لا كافراز طبيعى موضوعى ثورى من رحم المجتمع الذى تعمل فيه ، وانما عندما تكون وليدة الارادة الفنائية الذاتية للرومانسيين المسلحين ، وعندما تكون محاولة « مصطنعة » وان تكن مخلصة بالقطع ، من جانب هؤلاء الابطال ، لفرضها فرضا على رحم المجتمع الذى يحاولون « زرعها » فيه .

لقد كانت الثورة الكوبية نتاجا ثوريا موضوعيا طبيعيا للمجتمع الكوبى المفعم بالعسف والتناقضات ، وهذا يفسر قبل غيره — سر انتصارها الظافر ، فى الوقت الذى فشلت فيه المحاولات الثورية الاخرى . لقد خلق المجتمع الكوبى المحتدم بالثورة والمتفجر ، ثواره وأبطاله الوطنيون اولا وقبل كل شىء ، ولم تستورد كوبا قيادتها من أى مصدر خارجى ، مهما كانت روعة واتقاد اشعاعه الثورى . وان مقارنة بين قيادة الثورة الكوبية بزعامة كاسترو ، وقيادة الحركة البوليفية المسلحة بزعامة جيفارا ، والحركة الارجنتينية المسلحة بزعامة ماسيتى ، تكشف لنا عن الفارق الجوهرى الموضوعى ، بين ثورة تتولد نتيجة احتدام تناقضات طبيعية موضوعية ، وتنفجر فى أصعب صفات النظم الاوليجاركية فى أمريكا اللاتينية (نظام باتيستا الديكتاتورى) ، وبين ثورة أخرى ، يحاول الابطال « زرعها » ، وتفجيرها ، بارادات ذاتية مسبقة ، يدفعها حلم رومانسى عريض يبتغى كما قال جيفارا « الاسراع بعجلة التطور التاريخى ، لا القبول بمجراه الثورى الطبيعى الحتمى .

واذا كنا نريد ان نسترشد حقا بهذه المقارنة التاريخية كما أوضحنا فاننا نود بهذا الصدد ، أن نتساءل : من هم فى هذه المقارنة الهامة اذن ، القادة الكبار للثورة الكوبية ؟ انهم فيدل كاسترو ، وراؤول كاسترو ، وجوان الميدا ، وكاميلو سيينفويجوس وكلهم كوبيون ، باستثناء جيفارا ، الارجنتينى الوحيد .

اما القادة الكبار للحركة البوليفية المسلحة ، فمن هم اذن ، بخلاف تشى جيفارا ؟ . انهم : « خوان نوفييز ، وأورلاندو تاماجو ، وايليسيو رودريجيز ، وجوستافو ماشين ، والبرتو سانشيز ، وخيسوس كاجول . وكلهم كوبيون ، باستثناء بيريدو ، البوليفى الوحيد .

وهكذا نجد أن بيريدو البوليفى الوحيد فى قيادة الثورة البوليفية يجسد نفس الوضع الاستثنائى الذى مثله جيفارا ، الارجنتينى الوحيد فى قيادة الثورة الكوبية ، ولكن على نحو معكوس تماما . فبينما كان جيفارا ، هو الاستثناء « الاجنبى » الوحيد فى القيادة الكوبية الوطنية ، كان بيريدو هو الاستثناء « الوطنى » الوحيد فى القيادة البوليفية « الاجنبية » ، علما بأن ذلك لا يشكل على الاطلاق اعتراضا على مساهمة العناصر الثورية الاممية فى أى نضال ثورى فى اى بقعة ومكان .

لكن القاعدة التاريخية قد اكدت دوما ، فى تشكيل قيادات كل ثورة عظمى ، ان العناصر الوطنية كانت هى أساسها ولبها وجوهرها . أما المناضلون الامميون « الاجانب » ، فهم معالم استثنائية مجيدة على طريق نضالها . ولم يثبت التاريخ قط ، ان عناصر الاستثناء الاممى ، كانت هى الاساس واللب والجوهر ، فى قيادة أى ثورة كبرى حتى الان . ولن تثبت أمريكا اللاتينية العكس . لان الثورة حدث لايفلح فيه التمثيل النيابى ، ولا يفجره احد نيابة عن أحد ، ولا شعب نيابة عن شعب آخر . فالثورة ظاهرة وطنية أولا ، ومن ثم فهى أممية .

ان أحد الادلة الكبرى ، على تأهل كوبا موضوعيا للثورة ، انها افرزت بصراعها ، وتناقضاتها ، واحتدامها الثورى الكامن ، دون غيرها من بلاد أمريكا اللاتينية الاخرى ، قائدها ، فيدل كاسترو ، بكل مواهبه السياسية والعسكرية الثورية الفائقة ، وذلك أمر لا يتسم قط بأهمية محدودة ، لان افراز نوعية قيادية كبرى مثل كاسترو ، بشكل طبيعى من رحم المجتمع الكوبى ، كان يعنى — فى سلك التطور التاريخى — ان هذا البلد مؤهل حقا للثورة . ذلك أن قادة الثورات ، والافراد العظام ، لا ينشأون بمحض صدفة ، أو عفو الخاطر ، فى التاريخ . وانما ينشأون كتتويج لاحتياجات موضوعية معينة ، وكتعبير مركز عن نمو طبقات جديدة صاعدة . بل انه حتى تشى جيفارا نفسه ، وابرازه كمناضل ثورى كبير من خلال دوره البطولى المجيد فى الثورة الكوبية ، قد جاء فى البداية والاصل ، نتاجا خصبا مبدعا ، لنشاط الثوار الكوبيين فى المنفى اساسا . لقد كان فيدل ، ابن كوبا ، هو الذى قام بتجنيد تشى جيفارا لصفوف الثورة الكوبية . ان « الوطنى هو الذى جند الاممى » للثورة التى اضاف اليها تشى رصيدا ثوريا هائلا بمواهبه ، وابداعه الثورى الفائق الى جانب قائدها الاعلى . وهكذا نجد أيضا ، انه حتى تجنيد قائد ثورى كبير مثل تشى فى صفوف الثورة الكوبية ، قد جاء — كذلك — نتاجا موضوعيا للامكانيات السياسية الموضوعية والذاتية ، التى توفرت لهذه الثورة فى ابداع

ومواهب تلك الشخصية القيادية العظيمة : فيدل كاسترو .

وهكذا نجد - على نحو اجمالي عام - ان الثورة الكوبية ، لم تكون كحقيقة موضوعية نتيجة تطبيق المفهوم المسبق « للبؤرة الثورية » وانما نجد ان « البؤرة الثورية » هى التى نجحت واقعيا فى كوبا ، لان الظروف الموضوعية والذاتية هناك ، كانت كفيلة بنجاح خط الكفاح المسلح ، بمعنى أن كوبا الثورة الكامنة ، هى التى خلقت البؤرة الثورية اولا وقبل كل شيء ، وليس العكس باى حال ومن ثم نجد ان الثورة الكوبية ، لم تنقض الفكرة الماركسية اللينينية عن ضرورة توفر الظروف الموضوعية والذاتية اللازمة لنجاح الثورات ، وانما أكدتها لان الحفنة من الرجال المسلحين بقيادة كاسترو ، لم تعمل ضد منطق الظروف الموضوعية والذاتية الكامنة فى رحم المجتمع الكوبى ، وانما عملت فى اتساق تاريخى تام معها . وهذا هو سر نجاحها الفائق .

الاضافة الكوبية الجديدة :

ان الجديد الذى جاءت به الثورة الكوبية ليس هو قط مفهوم « البؤرة الثورية » ليس هو ذلك الاعتقاد بأن خلق « البؤرة الثورية » كفيل بتفجير ثورات شعبية شاملة فى أى بقعة ومكان فى تلك القارة الرحبة ، فقد ثبت فى التطبيق ان ذلك غير صحيح ، لان مفهوم البؤرة الثورية فى حقيقته ، ليس الا عملية« تنظير » و« تأطير نظرى » للجانب الذاتى من الكفاح المسلح الناجح الذى قام به كاسترو وجيفارا فى كوبا ، ينطوى على اغفال للجانب الموضوعى الذى لعب دورا أساسيا فى نجاح هذا الكفاح . وهذا هو السر فى أنه عندما تلقف بعض قادة حركات الكفاح المسلح هذا المفهوم ، «كوصفة ثورية » و « صيغة نظرية » جاهزة تفتح لكل ثورى قادر على حمل السلاح فى القارة اللاتينية ، مغاليق النصر والظفر ، فانهم لم يتمكنوا من تحقيق مثل هذا النصر الموعود ، ولم تؤد كافة هذه الحركات الى نجاح الكفاح المسلح فى تفجير ثورة أخرى بعد الثورة الكوبية منذ ١٩٥٩ حتى الان .

أما الجديد الذى جاءت به الثورة الكوبية حقا ، والاضافة الجديدة التى قدمتها للماركسية اللينينية حقا ، فتتمثل فى اثبات تلك الحقيقة التاريخية الحية الخلاقة وهى انه اذا عجز احد أحزاب الطبقة العاملة ، أحد الاحزاب الشيوعية المحلية ، عن التعبير عن المتطلبات التاريخية الضرورية التى يحتمها الصراع الطبقى فى مجتمع ما ، أو هو بمعنى ادق ، اذا تخلف عن القيام بدور طليعة الشعب فى هذا المجتمع ، فان الصراع الطبقى لا يتوقف بأى حال من الاحوال ، وانما يخلق لنفسه اداة جديدة تكون تعبيرا تاريخيا جديدا عن الطليعة ، واداة جديدة لتحقيق مهماتها ، وهى الاداة التى تجسدت فى كوبا ، فى حركة ٢٦ يوليو التى قادها كاسترو ، والتى ادت الى نجاح الكفاح المسلح ، وتفجير الثورة الشاملة فى البلاد .

على انه اذا أردنا ان نجسد الحقائق النظرية المذكورة سالفا عن الثورة الكوبية تجسيدا محددا مختصرا نقول : لقد نجح فيدل كاسترو فى تفجير الثورة فى كوبا ، لانه تمكن من الاستفادة من الظروف المحيطة به ،ومن استغلال التناقضات التى يتيحها واقع كوبا الموضوعى ، استغلالا ذكيا مبدعا ، فلقد تمكن بمهارته السياسية من أن يحظى بدعم مادى ومعنوى حتى من السياسيين الليبراليين التقليديين ، الذين كان يبدو لهم - كمناضل من أجل الديمقراطية ضد ديكتاتورية باتيستا . كذلك استطاعت حركة كاسترو (حركة ٢٦ يوليو) ان تحظى بدعم خارجى ، وان تجمع التبرعات باسم « حقوق الانسان » حتى من الولايات المتحدة نفسها ، وان تتلقى معونة مالية من رئيس جمهورية كوستاريكا باسم الدفاع عن الديمقراطية ومن فنزويلا أيضا ، وان تؤمن لنفسها دعاية عالمية ضخمة ، عن طريق مجلات غربية عالمية كبرى . لقد نجح كاسترو لانه نجا الى استغلال التوتر السياسى الذى كان سائدا فى كوبا ، لصالحه ، كما أنه نجح - وهذه مسألة حاسمة فى كل حرب عصابات ثورية - فى كسب الفلاحين فى جبال سييرا مايسترا الى جانبه فضلا عن انضمام مجموعات من البورجوازية الصغيرة اليه واعترافها به ، كذلك فقد تمكن فيما بعد من الحصول على دعم مجموعة أخرى من البرجـــوازية التى تمـــكن من عزلهـا عن البورجوازية الكبيرة ، وهى المجموعة التى كانت تعمل مع بورجوازية استغلال مشروب الروم ، واستغلال السكر ، وتربية الماشية، وزراعة البن ، وتمكن من دفعها الى العـداء لحـكم باتيسـتا وديكتاتوريته ،وبالتالى الى الاتجاه الى دعم موقفه هو بالذات ، كذلك لم يكن فى اتجاه كاسترو حينذاك أى أثر « لليسارية » يخيف البورجوازية بل على العكس كانت تثق به تماما . كما أنه تمكن من الحصول على دعم بعض رجال الدين ، وهم فئة ذات أهمية وتأثير فعال . وهكذا نجد أنه فى الوقت الذى نجح فيه فى كسب تعاطف الفلاحين ، وخاصة الفلاحين الفقراء ، فانه نجح ايضا فى كسب كثير من القوى البورجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الاخرى ، وفى تحييد كثير من القوى التى كان يمكن أن تقف ضده ، وباختصار فانه نجح فى أن يربط حركته المسلحة بالريف الكوبى اولا ثم بالمدن الكوبية ، حتى تمكن فى النهاية من الاستيلاء على

هافانا ؟ واسقاط الحكم الرجعي ؟ واقامة السلطة الثورية في البلاد .

ولكن الامور لم تسر على هذا النحو ، في الحركات التي تصدرها جيفارا بشكل مباشر أو بغير مباشر ، سواء في الارجنتين أو الكونجو أو بوليفيا .

الارجنتين : الغابة العذراء تبتلع « ماسيتي »

فالى الارجنتين بعث **جيفارا** بصديقه الحميم وصفيه الارجنتيني الاصل « **خورخوماسيتي** » الذي كان يعمل مديرا لوكالة « برنسا لاتينا » الكوبية للانباء ، ليمهد لقدومه الى الارجنتين ، وقيادة الحرب الثورية هناك . وكان **ماسيتي** قد تدارس مع **جيفارا** نظرية الاخير الاستراتيجية التي أوضح فيها أنه : « **من الممكن اقامة بؤرة حرب عصابات في الارض الارجنتينية ، انطلاقا من قاعدة موجودة في بوليفيا** » . وكان جيفارا موقنا أن الوضع في الارجنتين يتطور في اتجاه انتفاضة شعبية ذات طابع ثوري . وقال في حديث مع صديقه الحميم « **ريكاردو روخو** » ضمنه الاخير في كتابه عن « تشي » : « **ان الشروط الموضوعية للنضال بدأت تظهر في الارجنتين** ، فالبطالة تسود ، والناس في جوع ، وهذا يؤدي الى تحرك الطبقة الكادحة في رد فعل لا يلبث بدوره أن يدفع الى عمليات قمع تهدف الى خنق أصوات الاحتجاج بخلق جو من الارهاب ، ولكن القمع يثير الحقد ، وفي هذه اللحظة بالذات ، يأتي دور الشروط الذاتية الى جانب الشروط الموضوعية ، يأتي دور الوعي بأن الانتصار مستطاع ، بالعنف ، تجاه الامبرياليين وحلفائهم في الداخل » .

وكان **ريكاردو روخو** الذي استدعاه جيفارا من الارجنتين ليستشيره في مسألة بدء الحرب الثورية فيها ، يعارض ذلك الرأي ، وقد حاول دون طائل ولمدة شهرين ، اقناع جيفارا بعدم جدوى هذا العمل ، لان « **روخو** » كان يعتقد أن **الارجنتين ليست ــ فحسب ــ حالة استثنائية تخرج عن المخطط النظري العام الذي يدعو اليه جيفارا ، وانما هي أيضا نقيض كامل للنموذج الكوبي** . ولكن **جيفارا** لم يقبل بذلك الرأي ، وكان في كل مناقشاته معه ، يرفض أية امكانية للاستثناء ، بسبب خشيته من أن ينقلب هذا الاستثناء ذريعة للاحزاب والحركات اليسارية في أمريكا اللاتينية تبرر بها قعودها عن العمل الثوري .

لقد رفض جيفارا في الحقيقة أن يفرق بين وضع الجيش الارجنتيني والوضع الاستثنائي الذي كان عليه الجيش الكوبي قبل الثورة . فهذان الجيشان لم يكونا يتشابهان الا في كونهما فحسب مكتملي التجهيز ، وكثيري العدد نسبيا . ولكن الجيش الارجنتيني لم يكن على مستوى تفسخ وتحلل جيش باتيستا الكوبي ، الذي كانت تحكمه المحاباة لو يفتقر رجاله الى التضامن ، فيما بينهم ، فضلا عن افتقاده لاية تقاليد تاريخية ، واعادة تنظيمه ٣ مرات في فترة قصيرة على أسس لم يرض عنها العسكريون أنفسهم . كذلك فرغم أن الجيش الارجنتيني ، كان قد أفرز عددا من غلاة الرجعيين في البلاد ، الا أن الرئيس **جوان بيرون** بشعبيته الواسعة ، كان ينتمي اليه ، وكان لا يزال يؤلف عقبة أمام أولئك الذين قد يفكرون بالقتال ضد الجيش .

وبالاضافة الى ذلك ، فان **جيفارا** قد تعامل مع الواقع الارجنتيني بفكر مسبق في الحقيقة . لذا لم يكن بوسعه أن يقبل أو يستجيب لحاجة الارجنتين الموضوعية الى تنظيم ثوري على الصعيد الوطني أولا وقبل كل شيء . لانه لو فعل ذلك لكان معناه قبوله بالنظرية التي يرفضها ، والتي تقول أن انشاء الحزب ينبغي له بالضرورة أن يسبق بداية الكفاح المسلح . كذلك نجد أنه اذا كان ــ من ناحية أخرى ــ يصر على القول باستحالة انشاء حزب يمثل تحالفا بين طبقات تكون أهدافه قومية ومعادية للاستعمار ، فهو بذلك سينتهي الى نتيجة لا يمكن أن ترضيه ، وهي أن يختلط الحزب الثوري اختلاطا بعيد المدى بالحزب الشيوعي ، الذي كان هو قد أضاع كل رجاء في أن يكون لهذا الحزب الاخير طاقة على الثورة .

وفضلا عن ذلك وكما أوضح «**روخو**» ، كان « **جيفارا** » يرى فيما يتعلق بالارجنتين ، أن تنظيم الكفاح المسلح يجب أن يتم في المناطق الريفية، مادامت الزراعة هي القطاع الاقتصادي الاكثر أهمية . كان يتصور جيشا من الفلاحين يستولي على المدن . وكان يرفض أن يقبل أن هيكل الملكية الزراعية في الارجنتين يتألف ــ في الاغلب ــ من ملاك صغار ومتوسطين ، ومن مزارعين يدفعون ايجارا متواضعا نسبيا ، وان هذه الفئة من الناس ، هي ذات الوزن الرئيسي في مناطق الارجنتين الاكثر أهمية ، سواء من حيث ثروتها أو من حيث عدد افرادها ، وهذا عامل آخر كان جيفارا يبخسه قدره ، ربما لانه كان ، على غير وعي منه ، ينقل ، بصورة آلية ، ظروف الزراعة الكوبية الى بلدان أمريكا اللاتينية الاخرى ، ناسيا ما تتميز به الزراعة في الارجنتين من طابع شديد الخصوصية : ففي الارجنتين ، وحسبما يرى المتابعون لاوضاعها الاقتصادية عامة **لا تجد بعض**

الروح « البروليتارية » لدى العمال الزراعيين ، الا فى حقول القطن ، وفى مزارع قصب السكر وغابات « الكيبراتشو » (أشجار تشبه البلوط) . ولكن سعة الارجنتين جغرافيا ، تحول هذه المراكز الى جزر منعزلة يسهل حصارها وسحقها اذا ما حاولت أية حركة ثورية أن تقوم فيها . وبالتالى ، فان مختلف القطاعات التى تنبض ببعض الحيوية الثورية ، لن يدفعها الى التمرد الأمنى وبصورة متناسقة ، الا تنظيم أعلى يكون ذا نفوذ مؤثر على الصعيد الوطنى . ثم أن سكان الريف الارجنتينى يتصفون اجتماعيا من حيث الخطوط العامة بمثل خصائص سكان المدن ، فالعنصر المهيمن فيهم يظل طبقة متوسطى وصغار الملاك وكذلك طبقة المزارعين المستأجرين الذين يعيشون حياة لا تقل رخاء عن حياة أولئك ، فاذا كان صحيحا أن هذه الكتلة من الناس تعانى أيضا من مشكلات كبيرة . لكن أغلب الظن أنها ليست على استعداد لان تعبىء للثورة ، الا من كان من شبابها ، ذا شجاعة فائقة .

وعلى أية حال فقد تسلل ماسيتى فى يونيو ١٩٦٣ الى بوليفيا ، يصحبه ثلاثة من الضباط الكوبيين من هيئة أركان « تشى » ، وأهمهم المقدم « هرمس بينياتوريس » . ولكن وصولهم الى بوليفيا ، جاء فى أعقاب حدثين خطيرين ، أدخلا الاضطراب على الاطار الذى كان ماسيتى يعتزم العمل فيه ، الاول هو اعتقال الزعيم الطلابى هوجو بلانكو زعيم فلاحى وادى « كوسكو » فى بيرو ، فى مايو ، وبدء اضمحلال حركته ، الامر الذى اعتبر منذ البداية ، ضربة للمشروع الذى كان محوره ، خلق سلسلة من بؤر رجال العصابات تمتد من بيرو حتى شمال الارجنتين ، وهو مشروع كان أحد امتدادات الحرب الثورية ، كمـا تصـورتها أمـال جيفارا .

أما الحدث الثانى — وكان غير متوقع — فيتمثل فى أن العسكريين الارجنتيين الذين تعبوا من الشقاق والتنافس فيما بينهم ، اتفقوا فى نهاية الامر على أن يسلموا السلطة لحكومة مدنية تأتى نتيجة لانتخابات « مراقبة » فى يوليـو ١٩٦٣ . وتتوفر لها بعض الضمانات الدستورية ، وكان معنى ذلك فى الحقيقة أن الارجنتين مقدمة على مرحلة انتقال هى دون شك ، أقل الظروف مواتاة لاختيار طريق جديد .

وهكذا ، لم يعد باستطاعة ماسيتى منذ البداية ، الغلو فى آماله بشأن تطور الحرب الثورية بعد هذه الضربة فى بيرو ، وبعد التحولات السياسية فى الارجنتين التى كانت تشير الى بدء حقبة دستورية يبطل خلالها توفر الشروط المسبقة المثالية لتمتع رجال العصابات بالتأييد الشعبى .

ولكن ماسيتى كان قد اختار طريقه ، وبدأ فى معسكر على حدود الارجنتين توافد أوائل القادمين للالتحاق « بجيش الثوار الشعبى » . وكان رفاق ماسيتى يسمونه « المعاون » ولم يكن ذلك اسما حركيا فحسب ، بل اسما مقصودا من شأنه تذكير الجميع بان هناك قائدا عاما ، وان كان غائبا بصورة مؤقتة ، ولم يكن هذا القائد العـام سوى « تشى » .

وعلق ماسيتى آماله على امتناع العسكريين الارجنتينيين عن تسـليم السـلطة للـرئيس المنتخب « ارتورو ايليا » مرشح الحزب الراديكالى لانه لو حدث ذلك لاصبح عدد المنظمات السياسية والنقابية والشخصيات التى تكون قد فقدت كل أمل فى تحول الحياة العامة فى الارجنتين نحـو الديموقراطية ، كبيرا ويمثل قوة حقيقية ، لن تلبث أن تصطدم بالعسكريين المغتصبين فيبدأ العنف فتتبعه الغضبة الشعبية وبعدها قمع أشد بطشا بغية خنـق المعـارضة . ولكن العسكريـين الارجنتينيين حينذاك خيبوا هذا الظن ، وغـدا واضحا ، انهم صادقون فى عزمهم على تسليم الحكم للدكتور « ايليا » ، عندئذ فهم ماسيتى ان النموذج الكوبى لن يتكرر ، وانه لن يكون عليه أن يقاتل ديكتاتورا مثـل باتيسـتا ، بل رئيسا مدنيا متواضعا ، مستعدا للدخول فى مفـاوضات وتسويات مع كل الكتل الضاغطة فى الارجنتين ، وغير مستعد أبدا لاستخدام العنف كوسيلـة للحكم .

وفى أواخر سبتمبر ١٩٦٣ ، اجتاز أفـراد الحملة الحدود ، ودخلوا أراضى الارجنتيـن ، وبعدها بقليل ، حرر ماسيتى « كتابا مفتـوحا » يطلب فيه من الرئيس الجديد أن يستقيل ، وأن يعترف بأن انتخابه ، جاء ثمرة لصفقة غير شريفة وغير ديموقراطية فى الاساس ، مادامت القوة ذات الاكثرية — وهى البيرونية — منعت من التصويت لمرشحيها .. ونشر « الكتـاب المفتـوح » فـى مجلة « الرفيق » الاسبوعية التى يصدرها اليسار البيرونى ، فأحدث ضجة محدودة فى أوسـاط اليسار السياسية ، ولكن صوت ماسيتى ، كما يوضح روخو ، « بدا مخنوقا أبح فى تلك المجلة التى لا سبيل الى المقارنة بينها ، وبين الصحافة التى أيدت كاسترو ضد باتيستا ، كمجلة « بوهيميا » الكوبية الواسعة الانتشار .

ولكن « الكتاب المفتوح » — وهذا هو الاخطر — فتح أعين دوائر المخابرات فى الجيش والشرطة ، اذ قررت فرض رقابة منظمة ، بغية معرفة أهمية جماعة ماسيتى ، على حقيقتها ، ويقيم ريكاردو

ويحلو (١) أسباب شعور ماسيتي بالقنوط في هذه المرحلة المبكـــرة مـــن كفـــاحه فـــي الارجنتين فيقول : « لقد وصل الى هناك من أجل تفجير الازمة السياسية والاجتماعية الطويلة التي كانت تتخبط فيها الارجنتين ، فاذا مناورات الاخرين تضع على رأس السلطة رجلا لا يؤذي ولا ينفع ، ولا سبيل أبدا الى وصمه بالديكتاتورية . فكان ماسيتي ، كأنما وقع في مصيدة الفئران ، ولكن أسوأ ما في الامر ، أنه — هو نفسه — لم يحاول النجاة من ورطته ، اذ رفض أن يعتبر نفسه في حل من عهده مع جيفارا ، مع أن انقلاب الموقف السياسي على تلك الصورة غير الملائمة ، كان يمنحه الحق المطلق في نقض هذا العهد » .

والذي فاقم الموقف أكثر من ذلك ، فيما يبدو ، أن ماسيتي لم يحاول التعاون مع المنظمات السياسية القائمة في الارجنتين ، بل لم يسع حتى الى الاتصال بها حقا ، مما كان يمثل خروجا صريحا على التكتيك الكوبي ، اذ أن كاسترو كان قد عقد المفاوضات والاتفاقات مع كل الاحزاب السياسية والمنظمات المتنوعة التي أظهرت استعدادا للتعامل معه .

ولقد فضل ماسيتي أن يختار جنوده من فئتين ، الطلاب والمنشقون من الحزب الشيوعي ، وهؤلاء واولئك ، كان بوسعهم ان يزودوه برجال مستعدين للتضحية بحياتهم من أجل المثل الثورية ، وهو ما حدث بالفعل ، ولكن كلتا الفئتين ، كانتا عاجزتين عن أن تقدما له تنظيما في المدن ، مهما كانت ضـــآلته ، للقيـــام بعمليـــات النســـف والتـــدمير والتحريض السياسي . وبالتالي ، فان ما أنشأه كان قوة حرب عصابات مؤلفة من أفراد يغلب أن تكون لهم شخصيات ممتازة ، ولكنهم في الحقيقة ، مجرد أفراد ، منفصلين كلية عن قوى البلـــد الاجتماعية .

وفضلا عن ذلك ، كانت الظروف الطبيعية في الارجنتين مختلفة ، عما كانت عليه في كوبا ، فقد كانت الحياة في الغابة العذراء في بوليفيا ، ثم في ولاية « سالطا » أقسى بكثير من كل ما كان رجال العصابات الكوبيين الذين يصحبون ماسيتي قد توقعوه ، على كل ما عركهم من شدائد ، أثناء الحرب الثورية الكوبية . كانوا مثلا قد ألفوا في كوبا ، أكل « المالانجا » تلك الفاكهة المتوفرة في الغابات الكوبية . فذاقوا ثمرة شبيهة بها في الغابة الارجنتينية العذراء ، فاذا هي ثمرة سامة عانى الذين أكلوا منها تشنجات وآلاما مبرحة ، وظل بعضهم مريضا بسمها حتى ساعاته الاخيرة .

والتقى سوء الطالع السياسي ، مع افتقـــاد مقومات البقاء على تنكيد عيش الجماعة الصغيرة التي لم تكن قد أتيح لها بعد ، أن تخوض معركة واحدة . فبدأت تثبط تدريجيا عزيمة رجالها ، وفكر أحدهم في الهرب ، فقدم للمحاكمة ، وقضت عليه محكمة الثوار بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم فعلا .

وكان الكابتن هرمس ذراع ماسيتي الايمن ، يقوم بتدريب هذا الخليط المتنوع من الجنود ، بينما كان رئيسه يجتر يأسه . كان لا يستطيع صرف رجاله دون قتال ، ولكنه لم يكن يجد عدوا يقاتله ، ولذلك كان التوتر العصبي يبلغ به درجة التفجر ، فيزداد انطواء على نفسه كل يوم .

وفي فبراير ١٩٦٤ ، عادت أزمة المعنويات تدب كالحمى في أعصاب الثوار أنفسهم . وصدر حكم جديد على ثائر آخر انتهك الانضباط . وانحرف عن المناقب الثورية ، بالاعدام . وكان فتى لا يكاد يبلغ التاسعة عشرة من العمر . طلب أن يعدم بالرصاص وهو في زي المحارب ، ووعد رفاقه أن يموت كما يموت الرجال ، وأطلق النار عليه ثلاثة من الثوار ، فاخترقت جسده رصاصتان على ارتفاع الضلعين الرابع والخامس ، ثم أجهز عليه « الكابتن هرمس » برصاصة مزقت خده الايمن ، وخرجت من جبهته .

فهل كانت تلك هي حرب العصابات الثورية التي حلم «ماسيتي» و «جيفارا» أن يهزا بها الارجنتين ؟ بكل تأكيد لا . والقائد « المعاون » كان يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه كان يفتش عبثا عن طريقه للاتصال بالجماهير لفك أسار العزلة الموحشة التي كان يحياها ، والتي كانت قد اصبحت مثقلـــة بالنذر . وزاد منها — على الصعيد النفسي — تعذر اقامة اتصال لاسلكي مع الخارج ، اذ تيقن لهم منذ الايام الاولى أن الجهاز الذي كانوا يأملون أن يصلهم حتى بهافانا ، لم يكن يصلـــح لشيء .

وخلال تلك الفترة ، كانت اجهزة المخابرات قد أدخلت اثنين من عملائها بين المتطوعين في الجيش الثوري ، واكتشفت السلطات مقر الحركة ، وبدأت حملة ابادتها ، وسقط عدد من الثوار أسرى في

---

(١) في كتابه « تشي جيفـــارا .. حياته وموته » ترجمة نزيه الحكيم — دار الطليعة — بيروت ص ١٩٠ .

أيدى حرس الحدود ، ثم انقطعت موارد الطعام حين أحكم الحصار حول الثوار ، فأخذوا وقد عضهم الجوع ، وانقطاع الموارد تماما ، يستسلمون الواحد أثر الاخر ، عقب أن مات ثلاثة منهم خورا ، بعد أن حاولوا مقاومة الجوع بأكل النباتات البرية ٠

وفى حوالى منتصف ابريل ، اصطدم الكابتن هرمس وأحد مرافقيه بمخفر أمامى للحرس فقتلا أحد جنوده ٠ وتلك كانت المناوشة الحقيقية الوحيدة التى خاضها الثوار الارجنتيون ، ولكن الحرس استطاعوا تحديد مكان « هرمس » وحاصروه فظل يقاتل هو ورفيقه حتى سقطا صريعين ٠

وكان ١٤ آخرون من الثوار قد وقعوا أسرى بين يدى رجال الجيش الذين ساموهم عذابا اليما ٠ جروا خمسة منهم من شعرهم ثم غطسوا رؤوسهم فى احشاء أولئك الذين سبقوهم الى الموت ، وهم يخلطون القهقهات الماجنة بالشتائم المقذعة ٠ وخلال ذلك كان « ماسيتى » يزداد توغلا فى الغابة العذراء الكثيفة ، غابة « جوتو » وهى جهنم أشواك ، وحيوانات كاسرة ، أجش فيها النبت وتعالى ، حتى لتمشى فيها أياما دون أن ترى الشمس ٠ ثم لم يعد أبدا بعد ذلك ، ولا سمع أحد بنبأ عنه ، لقد ابتلعته الغابة العذراء ».

تلك هى قصة « حرب العصابات » الارجنتينية الحزينة ، التى انقلبت الى كارثة مفجعة ، كان لها وقعها المؤلم على نفس تشى جيفارا ، لان أبرز ما لاحظه الذين التقوا به فى مطلع ١٩٦٥ ، كان هو شدة تأثره لوفاة صديقيه الحميمين « ماسيتى » ، و « هرمس » اللذين ماتا ميتة الثوار الشجعان ، وكانا على مستوى صديقهما البطوسى ٠ ولكن فيما عدا ذلك ، ماذا كانت عبرة العملية ، وماذا كان جوابها على نظرية « البؤرة الثورية » ؟ وكيف نحلل اخفاقها ؟ ٠

لقد كان من المستحيل أن تنضم جماهير الفلاحين الى ماسيتى أو أن ينضم هو اليها ، لسبب وحيد ، هو ان مثل هذه الجماهير لاوجود لها فى شمال الارجنتين ٠ فكثافة السكان فى الارجنتين منخفضة بصورة عامة ، ولكنها ضعيفة أقصى الضعف فى مناطق الشمال الريفية ٠ ولئن وجدت تجمعات لا بأس بها فى مناطق زراعة قصب السكر والقطن واستغلال الغابات ، فهذه ليست أكثر من جزر معزولة فى قلب صحارى حقيقية ، جرداء كلها أو شائكة يغطيها النبت البرى ، فما يمكنها عمليا أحد ٠ ولذا ما كان لرسالة ماسيتى اذن أن تقابل الا بالحذر ، خالقة حولها فراغا لا سبيل الى ملئه ٠

خاصة وقد كانت جماهير الضواحى العمالية المحيطة بالمدن الارجنتينية تجهل - عمليا - ان جيشا ثوريا بدأ نشاطه فى الشمال ٠ كذلك ، فعلى الرغم من أن ماسيتى حاول اتباع تعاليم جيفارا عن حرب العصابات ، الا أن عشرة شهور من التضحيات على أرض جاحدة يصعب تصور مثل قسوتها ، لم تبلغ بقوته المقاتلة ، ثلاثين رجلا ، ثم أغرقت العزلة هؤلاء الرجال فى قنوط عميق ٠

ومن هذه الناحية نقول ، فيما يتعلق بكوبا ، ان الحركة الكوبية كانت أسعد حظا بكثير من المغامرة الارجنتينية ٠ فلقد كان « فيدل كاسترو » شخصية معروفة جدا فى الجزيرة قبل غزوة « جرانما » ، وكان مرشحا لان يكون نائبا عن حزب « بريو سوكاراس » (رئيس كوبا قبل باتيستا والذى عاد اليها بعد انتصار الثورة) بارز النشاط فى أوساط القيادات الطلابية ، وكانت دراسته فى مدرسة ثانوية ارستقراطية ، قد جعلت منه صديقا لعدد من الفتيان كانوا ، يوم بدأ الثورة يهيمنون على المشروعات ، وعلى مكاتب المحاماة الاكثر نفوذا ، والاعلى مكانة فى كوبا ، أما « ماسيتى » فلم يكن يجهله الناس فحسب ، بل كان شبه مجهول حتى فى وسط الصحافة الضيق ، وكان قد أمضى القسم الاكبر من حياته المهنية خارج الارجنتين ، فلم تنشأ له صداقات بين ذوى المراكز الرفيعة ، ولا صلات سياسية متينة ٠ وبالتالى لم يكن يستطيع أن يطمع بتأييد تلقائى له فى المدن ، كما حدث فى كوبا مع حركة ٢٦ يوليو ٠

وعلى أية حال ، لقد هزت الكارثة الارجنتينية تشى الذى كان يأمل فى أن يمهد ماسيتى لقدومه فيما بعد ٠ وشعر تشى بأن عليه ان ينتقم لفشل ماسيتى ، على الرغم من أنه لم يكن مسئولا عنه مباشرة ، أكثر من مسئولية فيدل عن فشل تشى الخاص فى بوليفيا ٠ فعلى الرغم ان ما انتهت اليه هذه المأساة ، لم يكن الا نكسة تعثرت بها الثورة فى أمريكا اللاتينية ، الا أن جيفارا استشعرها كهزيمة شخصية له ٠

لن نبحث بالتفصيل بعد ذلك العوامل الداخلية المتعلقة بوضع جيفارا الشخصى فى كوبا ، وتلك المتعلقة بدور « تشى » الخارجى ، وبصفة خاصة جولاته الدبلوماسية سواء فى الاتحاد السوفيتى ، أو فى دول أوربا الشرقية ، أو فى دول العالم الثالث ٠ والاخفاقات التى نجمت عن بعض الخطوط التى اتبعها « تشى » فى البناء الاقتصادى الكوبى ، وتقييم كاسترو لكل ذلك ٠ لن نبحث ذلك جميعه ، فقد كان له دون شك أثره فى دفع جيفارا الى الطريق الذى سلكه بعد فشل المحاولة الارجنتينية ، والذى تمثل على وجه التحديد ، فى

أفريقيا ، ومشاركته في النضال المسلح في الكونجو ، ومحاولة اشعال الثورة في بوليفيا عن طريق البدء بحركة كفاح مسلح هناك ».

جيفارا في الكونجو : انتهاء مهمة قبل أكتمال أهدافها

في ١٩ فبراير ١٩٦٥ ، اجتمع جيفارا في القاهرة ، بجاستون سوميالو أحد زعماء الثورة الكونجولية ، الذي كان قد أعلن في سبتمبر ١٩٦٤ ، قيام « جمهورية الكونجو الشعبية » وعاصمتها « ستانلي فيل » ، وكان وزيرا للدفاع في حكومة هذه الجمهورية ، كما كان دائم التنقل بين ستانلي فيل والقاهرة ، حيث كان للحكومة الثورية مقر في حي الزمالك بالقاهرة ، ينعقد فيه المجلس الاعلى للثورة ، تحت قيادة مكتب كان « سوميالو » رئيسه ، « وبيير موليلي » و « لوران كابيلا » نائبين له · وكانوا ثلاثتهم ينظرون الى حرب العصابات نفس نظرة جيفارا · كانوا يفتقدون الكوادر السياسية في المدن ، ولذلك قرروا خلق جيش حقيقي في الادغال مقتنعين بأن المدن لابد لها آخر الامر أن تستسلم ·وتبادل جيفارا وسوميالو الدعوات · فدعي الاخير لزيارة كوبا حيث كانت الثورة في السلطة ، ودعي جيفارا الى القتال في الكونجو · وكان موليلي يقود الكفاح المسلح في « ليوبولد فيل » و « كاسـاي » ، وكان كابيلا يتزعم العصيان في كاتنجا وكيفو ، ولكن الثورة لم تكن حقيقة مؤكدة بعد ، كما كانت المنازعات القبلية تزيد منتعقيد الوضع السياسي ·

وفي بداية مارس ١٩٦٥ استأنف جيفارا في القاهرة ، مرة أخرى ، محادثاته مع ثوار الكونجو · وكان تدهور الاوضاع في القارة بشكل أو بآخر حينذاك ، حافزا له ، ليعيد النظر في جماع شبكة المحالفات الكوبية في القارة الافريقية التي كان قد نسجها خلال رحلته الطويلة في مطلع ذلك العام · وبدا للكوبيين عامة ، أن الثورة الافريقية تشرف على الغرق ، وبدأ الاستعمار الجديد ، وبدأت الفوضى تفرض هيكلها ، فقرر جيفارا أن يحمل هذه المسئولية الجديدة : مسئولية الذهاب الى قلب القارة السوداء ، ليقدم للثورة عونه الشخصي ، فيساعد على منعهامن أن تغرق ·

وقد غادر جيفارا كوبا ، بعد يوليو ١٩٦٥ ، قاصدا الكونجو · وقامت بالعناية باعداد رحلته ، الشرطة السياسية الكوبية التي يرأسها « القومندان مانويلو بينيرو » المشهور بلقب « باربا روخا » (اللحية الشقراء) ، ففي يونيو ١٩٦٥ بينما كان جيفارا يوشك أن يسافر الى القاهرة ، استطاع الكوبيون أن يسربوا « خبرا سريا » الى مكتب رئيس اللجنة العسكرية الحاكمة في سان دومنجو ، يقول ، ان « تشي » وصل الى سان دومنجو في اليوم الذي وقع فيه التمرد العسكري ، في أبريل من ذلك العام ، ونزل في فندق امباسادور تحت اسم « أوسكار أورتيز » ، ثم انتقل بعد ذلك الى « الفندق التجاري » ، وانه قتل خلال احدى معارك الشوارع ، وبذلك تم صرف أنظار العالم كله ، عن حقيقة مكان جيفارا ، في الوقت الذي كان يواصل فيه رحلته في اتجاه الكونجو ·

وفي الكونجو ، كانت الجماعات المسلحة التي يقـودها مـوليلي وسـوميالو تقـاتل مرتزقة « تشومبي » الذين كان بينهم فئة حسنة التدريب ، من الطيارين الكوبيين من أعداء كاسترو · ووصل جيفارا الى برازافيل ، وقابل الرئيس «ماسيمباديبا » وكان قد سبقه عدد لا بأس به من الكوبيين ، أخذوا يشتركون في انشاء قوة عسكرية تملك من الاستعداد ما يكفيها للصمود بنجاح في وجه هجمات المجرمين الاوربييـن والامريكيين المعروفين باسم « المرتزقة » · وفـي الاسابيع التالية ، انضم عدد آخر من الكوبيين الى مواطنيهم المحاربين الى جانب الثـورة ، ولكن مجموعهم لم يصل قط الى بضعة آلاف كما زعم بعض الصحفيين ، اذ لم ترسل كوبا قط في أوج مساعدتها لثوار الكونجو ، أكثر من مائتي رجل ، كانت مهمتهم في الغالب ، تدريب الفدائيين على حرب العصابات ·

وقد قضى تشي في الكونجو ، حوالي تسعة أشهر ، واشترك في عدد من المعارك ، ولا سيما في تلك التي واجهت فيها قوات الثورة مباشرة ، المرتزقة البيض المجهزين بالعتاد الحديث · وقد أثار في نفسه أعمق الاضطراب ، تقليد شعائري افريقي ، هو أن يأكل المنتصرون ، قلب المحاربين الاعداء المقتولين في المعركة ، بحيث تنتقل الى المنتصر ، شجاعة المحارب القتيل ، فيزداد بهذه الطاقة الجديدة ، ضراوة وروحا قتالية ، ومن المؤكد أن أناسا مثل جيفارا ينتسبون الى مجتمعات أكثر تطورا بمراحل ، لم يكونوا قادرين على احتمال مشهد من هذا النوع ·

وفي فبراير ١٩٦٦ ، بعث جيفارا من برازافيل ، برسالة الى ابنته الكبرى (١٠ سنوات حينذاك) يخبرها فيها بأنه سيظل بعيدا عنها حقبة طويلة · ولكن ذلك لم يتحقق ، اذ لم يلبث أن غادر الكونجو بعد ذلك بقليل ، وانتهت مهمته في برازافيل قبل أن تكتمل أهدافها ».

وقد قدم لنا « ر. روشو » تفسيرة لاسباب مغادرة تشي الكونجو دونما أي تغير ملموس في وضع الثورة الكونجولية ، ودون اكتمال أي هدف أراد تشي تحقيقه هناك ، فأوضح [٢] ، « أن الازمة في العلاقات بين بكين وهافانا — (اتهام كاسترو للصينيين بتحريض الجيش الكوبي على التمرد ، ودعايتهم المضادة للسوفيت بين الضباط) — كانت ذات أثر فورى على مصير جيفارا في الكونجو • وهناك رواية تقول أن الصينيين طلبوا من « سومياللو » و « موليلي » حليفيهم الرئيسيين في الكونجو ، أن يطلبوا من الكوبيين ، التوقف عن المشاركة في المعركة الافريقية • وفي المقابل ، هناك آخرون يؤكدون أن السوفيت هم الذين نصحوا كاسترو بسحب بعثته المحاربة من الكونجو • وهناك مزيج من هذين الافتراضين من شأنه أن يقودنا الى تفسير ثالث كان سومياللو اذ ذاك في القاهرة ، وهو — اذا صح هذا التفسير — قد طلب من كاسترو أن يأمر جيفارا بمغادرة برازافيل فورا ، اذا أراد تفادى فضح وجوده في الكونجو علنا ، وهو أمر لو تم لكان لابد له أن يسفر عن فضيحة دولية » •

« وفي البداية ، رفض جيفارا أن يغادر أفريقيا • فالمبعوث الذي حمل اليه رسالة « فيدل كاسترو » ، هو نفسه الذى عاد الى هافانا ، يحمل رسالة « تشي » الى ابنته • ولكن سومياللو ازداد لجاجة • وفي آخر فبراير ، وصل الى القاهرة ، ومنها الى برازافيل ، رجلان من أخلص أعوان كاسترو وأصدقاء جيفارا هما : القومندان «أميليو آراجونيس » ، أحد الوجوه البارزة في حكومة هافانا و « القومندان دريك » الضابط في الجيش الكوبي • واستعرض هذان الرجلان الموقف مع جيفارا ، أوفهماه ضرورة الانصياع فورا ، ودون نقاش ، لاوامر هافانا ، اذا أراد أن لا يغامر بمصير كوبا كله • وفي مارس ١٩٦٦ غادر تشي ومساعدوه الاقربون في حرب العصابات أرض الكونجو ، بعد حوالى ٩ أشهر من وصولهم • غادروها ، كما قدموا اليها ، في اطار من السرية المطلقة » •

وهكذا ضربت لاسباب موضوعية وذاتية ، تنبع من درجة تطور الثوار الكونجوليين أنفسهم ، وطبيعة الصراعات التى تتنازعهم ، فضلا عن الملابسات الخاصة بالصراع الصيني — السوفيتي ، والتطورات الداخلية في كوبا نفسها ، محاولة جيفارا الثورية الثانية في الكونجو • فالحقيقة أنه ما كان بوسع جهود جيفارا الذاتية — أيا كانت قيمتها — ان تدفع بالثورة الافريقية والكونجولية الى أبعد من واقعها الموضوعي وامكانياتها الحقيقية ، فقد حاول جيفارا مع الكوبيين الاخرين — مثلا — تدريب الكونجوليين على القتال المتطور لحرب العصابات ، ولكنهم وجدوا أن متطوعيهم خسامة فقيرة ، وكانت حصيلة الشهور التسعة التى قضاها جيفارا في الكونجو مزيجا من الاخفاق والاحباط •

بوليفيا « تشي يكرر طريق ماسيتي »

في مارس ١٩٦٦ ، عاد جيفارا خفية من الكونجو الى كوبا ، « عاد اليها بصحة أكثر اعتلالا ، وبمرارة مهزوم لم يكن يسعه أن يجعل منها شعورا بالنصر ، الا على صعيد وجدانه الشخصي فحسب » • اذ ذاك حزم أمره على العودة الى حلمه القديم ، حلم اثارة شعوب امريكا اللاتينية ، انطلاقا من بوليفيا أو من شمال الارجنتين ، أو من جنوب بيرو ، ذلك المشروع الذى كان يطابق الى حد كبير ، مشروع ماسيتي الذى انتهى الى الفشل عام ١٩٦٤ • وبعد ان قام جيفارا بدراسة الاوضاع في الارجنتين وبيرو وبوليفيا ، وقع اختياره على بوليفيا ، للبدء بشن الكفاح المسلح هناك •

ففي الارجنتين كان « أرتورو ايليا » الطبيب المسالم الاصلاحي لا يزال في السلطة ، والجو لا يبدو ملائما للتحرك برغم ما ظهر على الوضع من بداية تدهور ، وفي بيرو كانت توجد حكومة مدنية غير ديكتاتورية ، برهنت على نشاطها في مكافحة حركات حرب العصابات ، وقتلت أو اعتقلت أبرز الزعماء الثوريين ، أما في بوليفيا فقد كان من الممكن هناك ان يسقط الحكم العسكرى في أى لحظة ، وكان الاضطراب يسود المناجم •

ولكن كانت أولى نواحي القصور التى وقع فيها جيفارا في بوليفيا ، هي ان اختيار وحشد العدد الاكبر من رجال العصابات قد تم من بين صفوف عمال المناجم المتمردين والعاطلين عن العمل في المدن • وقد واجه هؤلاء العمال المولودون على الهضاب أو في وديانها ، مصاعب لا طاقة لهم بها حين نزلوا الى المنطقة الاستوائية ، مما يعنى ان

---

[٢] نفس المرجع السابق ص ٢٢٤ و٢٢٥ •

متقطعى الحركة ، لم يمنحوا شروط اللياقة البدنية الا قليلا جدا من اهتمامهم ، خاصة وان احدا لم يحاول فى هذه المرحلة الاولية ان يبرز بموضوعية ، تأييد جماهير الفلاحين للحكومة ، هذا التأييد الذى كان محسوسا آنذاك ، بدليل اختيار أغلبية المقاتلين من العمال •

ومن ناحية أخرى ، فقد ارتكب جيفارا فى بوليفيا خطأ آخر ــ غير مقصود بالطبع ــ يتمثل فى « الطابع الاجنبى » الذى اعطاه لقيادة الحركة ، فهو لم يقدر حق القدر ، المحاولات الرجعية التقليدية فى امريكا اللاتينية ، لاستغلال النزعات الوطنية لتشويه حركات الكفاح المسلح وتصوير نشاطها الثورى على انه عملية غزو أجنبية ، فقد كان تشى قائد الحركة ارجنتينيا ، وكانت هيئة أركانه كوبية ، وقد حدث احتكاك داخل مجموعة الثوار نفسها بين الرفاق الكوبيين والبوليفيين ، فى حين ارتاب الهنود البوليفيون بالكوبيين واعتبروهم ليسوا غرباء فحسب ، بل أيضا الرجال البيض الكاذبين • كذلك كان قد سبق لبوليفيا أن قامت باصلاح زراعى أبان نظام حكمها القومى السابق ، والهنود البوليفيون وان كانوا فقراء الى حد التعاسة ، الا أنهم لاول مرة امتلكوا ، بفضل هذا الاصلاح ، أرضهم الجرداء ، وذلك منذ ٣٠٠ عام فكان فدان فى اليد يساوى أى حلم على الشجرة بالنسبة للهندى البوليفى • وكان فشل تشى فى تجنيد فلاح واحد الى جانب قضية الثوار خلال الاحد عشر شهرا من التهيئة والقتال ، هو السبب الرئيسى فى انهزامه •

يقول « اندروسنكلير » فى كتابه عن جيفارا [٣] تعليقا على هذه النقطة : « لقد سبق لفيدل أن رفض اصطحاب عدد كبير من غير الكوبيين الى جرانما ، خوفا من أن ينظر الى ثورته على انها غزو أجنبى • غير ان تشى لم يكن حكيما الى هذا الحد وأكثر من ذلك فقد تجلى فشله الاكبر فى فقدانه للمرونة السياسية • كان عليه ان يتوصل الى تفاهم مع رجل واحد هو « ماريو مونجى » (زعيم الحزب الشيوعى البوليفى) كى ينهى عزلته ، ويضع حدا لاختناق مجموعته على يد قوى جبارة » • وكان هذا الحزب يستطيع ان يلعب دورا حاسما عن طريق جهازه وشبكات تموينه ومواصلاته وأعضائه العاملين ، وخاصة من أجل الحيلولة دون عزل حركة الكفاح المسلح ، ومساعدتها باثارة الحركات الثورية فى المناجم وفى لاباز » • ولكن تشى رفض العمل على التوصل الى تسوية مع مونجى • فعندما طلب الاخير ان يتولى الحزب الشيوعى البوليفى قيادة الحركة المسلحة ، رفض تشى ذلك مصرا على تولى القيادة بنفسه ، حسب النظرية الكوبية التى كانت تطبق هنا بطريقة مصطنعة ، فلم يكن تشى حقا ، هو كاسترو بوليفيا •

ومن المؤكد ــ كما يرى العديد ممن حللوا موقفه فى بوليفيا ــ ان جيفارا قد ذهب ضحية اغراقه فى التصلب ، فلم يحاول البحث ، كما فعل كاسترو عام ١٩٥٨ ، عن تحالف مع أحزاب المعارضة لتحطيم الطوق السياسى ، وتفادى الاختناق داخله • لقد وقع كاسترو مع الاحزاب البورجوازية فى كوبا ، « ميثاق كراكاس » ، فأنفق به قناعا كاملا على الاهداف السياسية لحركته • ولم يجعلها مقبولة فحسب ، بل وجديرة بان يدافع عنها السياسيون المحترفون • وقد سمحت له هذه المناورة فيما بعد ، أن يفاوض القادة العسكريين الذين كانوا يدافعون عن باتيستا ، والذين هدأ السياسيون من روعهم بعد أن اطمأن اليه هؤلاء أنفسهم بتوقيع الميثاق . لقد كان فيدل داهية بحق عندما أعطى الضمانات للسياسيين المدنيين كى يحصل على تأييدهم • ولطالما تحدث جيفارا عن أعجابه بما اتصف به كاسترو من موهبة سياسية فائقة • وربما ادرك فى اللحظات الحرجة التى مرت به مدى افتقاره هو الى مثل هذه الموهبة • فلو أن كاسترو كان فى موضعه ، لكان من المؤكد الا يترك نفسه يقع فى مثل هذا الموقف المستعصى ، ولعله فى موقف كهذا ، كان سيرضى بتسليم القيادة لماريو مونجى ، شريطة ان ينخرط فى القضية كل جهاز الحزب الشيوعى ، لقاء ذلك ، وهذا ما لم يفعله جيفارا •

ثم يضاف الى هذه العوامل ــ أيضا ــ افتقار منطقة عمليات الثوار لاى كثافة سكانية ، فولاية سانتا كروز التى كانوا يعملون بها ، لا يوجد على خريطتها أى تجمع سكانى ، لسبب وحيد ، هو أنه لا وجود عمليا للبشرفى هذه المنطقة • فهذه الولاية البوليفية ، التى تعادل مساحتها ، مساحة بريطانيا وبلجيكا وكوبا مجتمعة ، لا يكاد عدد سكانها يبلغ ٣٤٠ الف نسمة ، اى أقل من شخص واحد ، فى الكيلومتر المربع • ومزرعة « نيانكاهواسو » التى كانت مقر القيادة العامة للثوار ، مزرعة منعزلة فى وسط هذه الارض الفقيرة بالسكان ، والزاخرة

---

[٣] «جيفارا» ترجمة ماهر كيالى ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص١٦٩ .

بالنبات الضارى ، والادغال الكثيفة الشائكة بشجيراتها وأوراقها المسننة كالمنشار ، تمزق الثياب والاجساد .

كذلك يرجع جانب كبير من الشقاق الذى دب فى معسكر الثوار الاخر البعيد عن قيادة تشى يرجع بصورة رئيسية الى افتقاد الاغذية ، والى انقطاع الصلة عمليا مع العالم الخارجى . فقد كانت كل الحدود فى بوليفيا عونا للحكومة القائمة ضد الثوار . ولم تكن هناك منطقة مؤخرة أمنة ، كالتى توفرت للصينيين فى حدود الاتحاد السوفيتى اثناء الحرب الشعبية الصينية ، أو التى توفرت للفيتناميين فى حدود الصين ، أثناء حرب فيتنام ، ذلك أن جيوش الارجنتين والبرازيل وبيرو ، كانت تؤلف خطا متصلا معاديا للثوار على حدود البلاد ، وكان من غير المتصور امكانيـة وصول اى نجدات حاسمة للثوار ، متسللة عبر هذا الجدار من القوات المعادية ، كما حدث فى « السييرا مايسترا » يوم استطاعت طائرة أن تحمل الى كاسترو ، شحنة كاملة من السلاح .

ومن الاسباب التى ادت الى اخفاق تشى أيضا ، تلك الضربة التى تلقاها فى ابريل ١٩٦٧ ، حين أعلن الرئيس البوليفى السابق « بساز استنسورو » ، (مؤسس الحركة القومية الثورية) الذى كان يعيش منفيا فى ليما بعد أن اسقطه العسكريون « ان حركة رجال العصابات مؤامرات شيوعيه ، وبالتالى فان الشعب لن يمنحها تأييده » . وكان معنى هذا ان عجز جيفارا عن الحوار مع أهم الاحزاب الشعبية فى البلاد ، قد دفع زعماء هذا الحزب الى المشاركة العلنية فى مقاومة حركة الثوار المسلحة . وهكذا زاد من عزله تشى ، ان أبرز الكوادر المعنية بالسياسة فى بوليفيا ، كانوا اما أعضاء فى الحزب الشيوعى أو فى الحركة القومية الثورية » وقد قرر هذان الحزبان ترك الحركة المسلحة لمصيرها العاثر .

سوف لا نتحدث هنا عن التفاصيل العسكرية لحرب العصابات البوليفية بقيادة جيفارا ، فقد ضمنها هو فى يومياته فى بوليفيا بكل تفصيل ، وهى تتضمن عناصر قتالية أكثر ايجابية وثمرة بكثير من مغامرة ماسيتى الفاشلة فى الارجنتين ، لان حركة جيفارا البوليفية ، دخلت بالفعل فى مناوشات ومعارك مع رجال الجيش قتلت وأسرت فيها أعدادا من جنوده ، بلغت ذروتها فى المناورة التى قام بها « أكونيا نونيز » (عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكوبى) عندما احتل قرية « ساماليباتا » لفترة من الوقت ، وقطع الطريق بين « كوتشا بامبا » و « سانتا كروز » .

واستولى من القرية على كل ما كانت قواته بحاجة اليه ، وهو حدث كان له آثار سياسية ملموسة لانه هز الرأى العام البوليفى ، وأدى الى اغلاق حدود بيرو والارجنتين ، واعلان التعبئة فى جيشيهما .

ولكن مثل هذه المناوشات والمعارك تحدث عادة فى مختلف حركات الكفاح المسلح ، وانما الامر الذى يهمنا فهو عوامل اخفاق جيفارا فى بوليفيا ، ولا شك انه يضاف الى العوامل السابقة ، عامل الخيانة ، فبعد أن كان الثوار قد استهلكوا تقريبا كل مدخراتهم من الاطعمة ، لم يعودوا يسمعون بأى نبأ عن الرجل المكلف بتموين الحركة . وقد عرف جيفارا بعد قليل ، ان هذا المسؤل الذى لم يقع عليه الاختيار ، الا لما كان يوحى به من ثقة قد خانهم فى تلك اللحظة الحرجة وهرب حاملا معه ٢٥٠ ألف دولار ، كان قد استلمها ليشترى بها المؤن وليوصلها الى نيانكا هواسو . وبعد نقص الغذاء ، بدأت نذر السوء فى الافق عندما هرب اثنان من صفوف الثوار وفقد بعض السلاح . ومن هذه الناحية تقول ، انه وان كان من المستحيل مقدما ، الحيلولة دون اعمال الخيانة هذه كجريمة فردية ، الا أن نقص الرجال موضع الثقة الحقيقية فى حركة ثورية يعكس بشكل ما مدى شعبيتها واتساع جماهيريتها ، وتغلغلها فى صفوف الطبقات الثورية ، اى يعكس بالتالى حالة موضوعية .

كذلك فضمن الاعمال التى أودت بالحركة ، وشاية الفلاحين . ففى آخر فبراير ١٩٦٧ ، قام ٥ كوادر ، منهم كوبيان على الاقل باتصالات متفرقة مع الفلاحين ، فاستقبلهم هؤلاء بحذر ، اذ كانوا يرون فيهم غرباء ، وتجربتهم الطويلة علمتهم ألا ينتظروا من الغرباء سوى الشر ، وقد دلوهم على الطريق الى « ريوجراندى » ولكن ما ان ابتعدوا عنهم ، حتى كانوا يبلغون الجيش بأمرهم .

وبعدها فى ١٦ مارس ١٩٦٧ ، هرب اثنان من عمال المناجم اضناهما الحرمان وخاب أملهما لعدم وقوع معارك فعلية . ودلا على مكان أحد المستودعات السرية التى عثر فيها الجيش على ثياب مدنية تكفى ١٠ أشخاص عليها شارات « محل أبيون بهافانا » فأيقن الجيش بوجود كوبيين فى الحركة قد يكون من بينهم « تشى » فأثار ذلك كل أجهزة الامن فى كل أنحاء القارة . وذهب رئيس أركان سلاح الطيران البوليفى ، الى الارجنتين والبرازيل طالبا عونا يتناسب مع مكانته الشخصيات الثورية العاملة على اشعال الثورة فى بوليفيا ، وبخاصة تشى ، الذى كان وزير خارجية بوليفيا قد كشف فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٧ عن حقيقة

وجوده في بوليفيا امام اجتماع « منظمة الدول الامريكية » ٠

كذلك من الاخطاء القاتلة التي وقعت فيها الحركة ، اكتشاف مقر قيادتها في نيانكا هواسو » في وقت مبكر نتيجة للخطأ الذي وقع فيه القومندان « انطونيو دياز » الكوبي ، اذ تجنب قتال وحدات الجيش التي اكتشفت مكسان مخفرة المتقدم ، على أساس أنه لم يتلق أمرا بالقتال ، واختار اسلوبا أكثر خطورة للافلات ، هو التراجع الى مقر القيادة العامة في نيانكا هواسو ، وكان يكفي الجيش أن يقتفي أثره ليصل الى مقر القيادة ٠

وقد أدى الى المزيد من عزلة تشي أيضا ، مخاطرته غير المأمونة ، باخراج « ريجي دوبريه » الصحفي والكاتب الثوري الفرنسي ، وزميله الارجنتيني سيرو بوستوس من معسكره في ظروف كان محاصرا فيها بقوى الجيش من كل جانب ٠ وقد وقع الاثنان في أيدي الجيش ، بينما كانا يجتازان احدى القرى ، وكان في ذلك كما يرى العديد من المحللين ، سوء تبصر ، ندم تشي عليه ؛ لان السلطات قبضت في شخصيهما على عنصرين ، كانا يمثلان حينذاك افضل أدوات اتصاله المباشر مع الخارج ٠

كذلك لم يستطع تشي الاستفادة من الانتفاضة العفوية التي وقعت بين عمال المناجم ، والتي تعرضت للقمع الوحشي على يد الجيش (٤٠ قتيلا وأكثر من ١٠٠ جريح) ٠ فقد خلقت عزلته وضعا رهيبا جعل حركتين متوازيتين تنزلقان نحو الخسارة لعجزهما عن التفاهم والتعاون ٠ ويرى « اندرو سنكلير » في كتابه عن جيفارا [٤] : « انه لو كان تشي أكثر عدوانية في تلك اللحظة ، فهاجم برجاله الواحد والعشرين ، حقول الزيت والمواصلات التي تتسم بالفوضى في بوليفيا ، لجلبت أسطورة الثوار المتنامية ، والتي لا تقهر متطوعين جددا ، ولربما سببت أيضا سقوط بارينتوس الذي كان أعداؤه يتربصون به الفرص ، مستفيدين من السخط الشعبي ٠ ولكن تشي كان حذرا للغاية » ٠ وبدأت استراتيجية الجيش البوليفي في التحسن نوعيا ، وبدأ الثوار يقعون في الكمائن ، وأصبح تشي خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة من حملته ، في حالة هروب وخسارة مستمرة ٠

ومن ناحية أخرى ، فان البيان السياسي الذي أصدره وهو « من جيش التحرير الوطني ، الى شعب بوليفيا » ، لم ينشر عمليا في بوليفيا ، الا في دوائر سياسية ضيقة ، على الرغم من أنه عبر الحدود ونشر في بلدان مختلفة ، ولكنه لم يغير شيئا من انطباع ذوي البصيرة عن الوضع حينذاك ، وهو أن الثوار كانوا واقعين في مصيدة ، وغدوا تحت رحمة جيش يتزايد دربة على القتال في الغابة الاستوائية ٠

وضاقت على الثوار ، حلقة انحصار ، ففي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ ، خاضوا معركة طويلة في وضح النهار بالقرب من وادي نهر يورو ، قتل خلالها الزعيم البوليفي « روبرتو بيريدو » ، وبعد هذه المعركة ، أخذت جماعة تشي الصغيرة (١٧ رجلا) تتفرق خلال النهار ، ليكون أفرادها أقدر على الحركة في مواجهة ١٥٠٠ من رجال الصاعقة أرسلهم الجيش في أثرهم ،ثم تعود الجماعة فتلتقي في الليل في أمكنة يتفق عليها من قبل ٠ كان على تشي أن يتعرف جيدا على المنطقة التي ينتقل فيها ، قبل أن يختار اتجاهه ٠ وهذا ماكان يشغله يومي ٦ر٧ أكتوبر بعد انقضاء ١١ شهرا على بدء العمليات العسكرية ٠وقد مر الثوار في ذلك اليوم ،ببعض الفلاحين فتبادلوا معهم الحديث ، وقالت لهم عجوز تحرس عنزة ، أنها لم تر جنودا في المنطقة ،ولكنهم لم يطمئنوا الى صدق قولها ٠وفي ٨اكتوبر ، قالت احدى القرويات للجيش أنها سمعت أصواتا يقرب مصب نهر «يورو»، فأرسل العسكريون عدة دوريات للاستطلاع وحوالي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، كانت طلقات رشاش تعلن أن رجال الصاعقة قد اكتشفوا مكان الثوار ٠

كان الثوار طابورا في طليعته عامل المناجم البوليفي « سيمون كوبا » وهو من أمهر الرماة ، وكان يطلق النار حتى يفرغ سلاحه ، ثم يختفي بسرعة ، وخلفه كان تشي الذي أطلق النار هو الاخر ، ولكنه تلقى بضع رصاصات في ساقيه ، واذ ذاك حمله سيمون كوبا على ظهره ، وحاول الابتعاد به عن خط النار ، ولكن رصاصة أخرى أصابت تشي ، فأنزله كوبا الى الارض ، وعاد ليستأنف اطلاق النار ٠ ولكن رجال الصاعقة

---

[٤] ص ١٣١

أحاطوا به من مسافة تقل عن ٢٠ امتار وامطروه بوابل من الرصاص . أما تشي ، فعلى الرغم من أنه كان في موقف ميئوس منه ، الا أنه حاول أن يقاوم مرة أخرى ، فاستند باحدى يديه ، وأمسك بندقيته بالاخرى ، محاولا اطلاق النار منها ، برغم ثقلها ، ولكنه لم يستطع استخدامها أكثر من بضع دقائق ، اذ اصابته رصاصة جديدة فى ساقه اليمنى ، بينما كسرت رصاصة أخرى عقب البندقية ، وسقطت البندقية من يده ، واستقرت الرصاصة الجديدة فى ساعده الايمن . اذ ذاك أحاط به الجنود وأسروه .

ودارت مشاورات بين قيادة القوات العسكرية المحلية ، وبين القيادة العليا فى « لاباز » بشأن مصيره طوال ليلة ٨ ــ ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، وفى فجر التاسع من أكتوبر ، انتهت المشاورات وصدر الامر باعدام « تشي » فى الصباح نفسه ، فى المكان الذى كان أسيرا فيه بمدرسة قرية «هيجويرا » .

دخل رجلان الحجرة التى كان يجلس على أرضها ، مستندا بجانبه الى الجدار ، يتنفس بمشقة . واقترب أحدهما من خلفه (الكابتن جارى برادو) ، وأفرغ فى ظهره رصاص رشاشه من أعلى الى أسفل ، فأصابته ٤ طلقات ، أما الاخر « الكولونيل سلنيتش » ، فلم يطلق الا رصاصة واحدة من مسدسه ، اخترقت القلب واحدى الرئتين ، وكانت تلك رصاصة الرحمة . ومات تشي .

والان ، وبعد أن استشهد أيضا الرئيس التشيلى المسالم « سلفادور الليندى » على أيدى عصابات العملاء ، القتلة والمجرمين ، تبرز أكثر من أى وقت مضى ، أهمية وحكمة وضرورة خط الكفاح المسلح فى هذه القارة الغاصة بالعنف الرجعى الدموى . ولم يكن الغرض الرئيسى من هذا الاستعراض النقدى لدروس الاخفاق فى تلك التجارب المسلحة ، الا المزيد من التزود بنظرة موضوعية أشمل ، وأكمل ، وأكثر عامية عن هذه التجارب الثمينة الغالية ، تحمل لنا فى طياتها ، الرجاء الثورى والامل ، فى تخطى الحركات الثورية مستقبلا ، لكل الثغرات القاتلة التى أدت ببعض الرواد العظام الى طريق مسدود . كل ذلك من أجل اندفاع جديد أكثر ثمرة وظفرا ، للثورة ، ضد كل عنف رجعى استعمارى فى هذه القارة التى لم تعد « منسية » كما كانت من قبل ولا يغيب عن أذهاننا بهذا الصدد ، ان الغاية الاسمى لاى كفاح مسلح ، ليست هى مجرد خلق اروع نماذج للتضحية والبطولة والفداء ، ليست هى شن الكفاح المسلح فى حد ذاته وانما قيادة هذا الكفاح الى الظفر والنصر بهدف تحرير الشعوب من أغلال العسف والعبودية ، تلك هى الغاية الاسمى ، وانبل الاهداف التى لن تتحقق الا بقيادة نضال ظافر ، يضم العلم الى جانب الجرأة ، الابداع والمهارة السياسية ، الى جانب البطولة ، وحتى يكلل بالانتصار فى آخر الامر نضال أولئك المسلحين المغاوير ، الذين يقدمون عذابهم وأرواحهم ، طواعية واختيارا ، من أجل الاخرين ، ولتحرير المظلومين المستعبدين ، والذين اعتبرهم جيفارا بصدق وحق : « أرقى أنواع الجنس البشرى » .



العلم - التكنولوجيا - الانسان

صراع الافكار
فى المؤتمر العالمى
الخامس عشر للفلسفة

فارنا - بلغاريا





أولا : قصة المؤتمر

للمؤتمرات الفلسفية قصة بدايتها القرن العشرون ، فقد انعقد أول مؤتمر فلسفي دولى عام ١٩٠٠ فى باريس برياسة الفيلسوف الفرنسى **اميل بوترو** وتتابعت بعده **ثلاثة** مؤتمرات فى جنيف ١٩٠٤ وهيدلبرج ١٩٠٨ وبولونيا ١٩١١ ثم توقفت بسبب الحرب العالمية الاولى حتى عام ١٩٢٤ حيث انعقد المؤتمر الخامس فى نابولى . ومن بعد هذا المؤتمر بعامين اتجه الفلاسفة عبر الاطلنطى الى هارفارد ، ومن بعد ذلك ثلاثة مؤتمرات : فى اكسفورد ١٩٣٠ وفى براغ ١٩٣٤ وفى باريس ١٩٣٧ « **مؤتمر ديكارت** » بمناسبة مرور ثلثمائة عام على كتاب « مقال فى المنهج » .

وتوقفت المؤتمرات الفلسفية الدولية للمرة الثانية بسبب الحرب العالمية الثانية . وفى عام ١٩٤٨ انعقد المؤتمر العاشر فى امستردام وفيه تم تأسيس الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية ويضم اربعين جمعية فلسفية وطنية فى احدى وعشرين دولة ، بالاضافة الى احدى عشرة جمعية دولية ، ومن بعد امستردام انتظم انعقاد المؤتمر الدولى للفلسفة كل خمس سنوات : ١٩٥٣ فى بروكسل ، ١٩٥٨ فى فينسيا ، ١٩٦٣ فى المكسيك ، ١٩٦٨ فى فيينا .

وفى هذا العام ، انعقد المؤتمر الخامس عشر فى فارنا . بيد أنه نسيج وحده ، اذ هو قد ضم لاول مرة فلاسفة من دول العالم الثالث : افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ومن ثم اتسم هذا المؤتمر بالعالمية ، وهى السمة المميزة للفكر الفلسفى منذ قديم الزمان .

وجاء فى الخطاب الذى أرسله **اندريه مرسييه** [السكرتير العام للاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية] الى فلاسفة العالم فى ديسمبر عام ١٩٧٢ « ان هذا اللقاء بين المفكرين من كل أنحاء العالم هو مناسبة فريدة لتبادل الرأى حول مختلف المسائل ، وكذلك حول القضايا الهامة فى الفكر المعاصر . ويتم هذا اللقاء فى مناخ روحى من شأنه أن يفرز ما هو افضل . وقد بذل رفاقنا البلغاريون كلمافى وسعهم لتأمين الحرية اللازمة لاى حوار فلسفى » .

ثم استطرد قائلا « أن هذه المناسبة لن تتكرر لعدة سنوات . وسبب ذلك مردود الى ان هذا اللقاء يتم فى موقع يتسم بجمال طبيعى فائق للغاية يواكبه انجاز تكنولوجى متقدم لابعد حد الامر الذى يمنح فارنا سحر القديم والحديث فى آن واحد ، وتؤازر كل ذلك الرغبة فى معرفة ما يدور من فكر فى أعماق رفاقنا من مختلف البلدان وذلك بفضل الاتصال المباشر » .

ويختتم خطابه بقوله : « أن مؤتمر فارنا حدث فى تاريخ الفلسفة العالمية فى نهاية هذا القرن حيث تواجه التيارات الفكرية بعضها البعض فى جو من الصداقة والتفاهم المتبادل . وفى مواجهة توتر سياسى عالمى ينبغى أن تكون الفلسفة الحقة قادرة على المعارضة والمقاومة » .

وقضية المؤتمر الرئيسية :

العلم ـ التكنولوجيا ـ الانسان

ويتفرع عن هذه القضية ثلاث :

د. مراد وهبة

- أستاذ الفلسفة فى كلية التربية جامعة عين شمس

- مؤلفاته :
  - المذهب فى فلسفة برجسون (دار المعارف ١٩٦٠)
  - قصة الفلسفة (دار المعارف ١٩٦٧) .
  - المعجم الفلسفى [الطبعة الثانية ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٧١]
  - مقالات فلسفية وسياسية [الانجلو المصرية ـ ١٩٧١]
  - المذهب عند كانط [بالفرنسية ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٧١]
- شارك فى مؤتمر الاديان الذى عقد فى موسكو ١٩٦٩ ومؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع بالقاهرة ١٩٧١

والمؤتمر العالمى الخامس عشر للفلسفة بفارنا ١٩٧٣

١ — الفلسفة والعلم .
٢ — الاخلاق والثقافة .
٣ — الانسان والتكنولوجيا .

وتناقش القضية الرئيسية فى حلقات أربع تتناول زوايا محددة هى على النحو التالى :

١ — العقل والعمل فى تغيير العالم .
٢ — الفلسفة فى مضمار الثورة العلمية والتكنولوجية .
٣ — المعرفة والقيم فى عصر العلم والتكنولوجيا
٤ — بنية ومناهج المعرفة العلمية المعاصرة .

وثمة مشكلات متفرعة عن القضية الرئيسية هى على النحو التالى :

١ — طبيعة الانسان ووجوده .
٢ — اللغة والمنطق والعمل .
٣ — الانسان واللوغوس والتاريخ .
٤ — المجتمع وقيمه — الانسان وحريته الشخصية .
٥ — المسئولية والابداع فى الفن والادب .
٦ — مشكلات الحتمية .
٧ — مستقبل الفلسفة .

وثمة مشكلات ليست متفرعة بالضرورة عن القضية الرئيسية ومع ذلك تقرر مناقشتها وهى على النحو التالى :

١ — المنطق ومناهج العلوم .
٢ — الفلسفة والدين .
٣ — اللغويات والانثروبولوجيا .
٤ — الميتافزيقا المعاصرة .
٥ — الدراسات المعاصرة فى تاريخ الفلسفة
٦ — الجوانب الفلسفية فى علم النفس .
٧ — فلسفة التربية .
٨ — فلسفة القانون وفلسفة السياسة .

هذا بالاضافة الى مناقشات جانبية دارت على قضايا حددتها لجنة المؤتمر وأشرفت عليها جمعيات فلسفية :

١ — « الديالكتيك » باشراف المعهد الدولى للفلسفة .
٢ — « التكنولوجيا والسلام والماركسية المعاصرة» باشراف جمعية دراسة المادية الديالكتيكية .

وفى مفتتح الجلسة الاولى للمؤتمر ، تحدث **تودور بافلوف** رئيس اللجنة البلغارية المنظمة للمؤتمر ورئيس شرف الاكاديمية البلغارية للعلوم ومدير معهد الفلسفة التابع لهذه الاكاديمية قال : « اننا جئنا الى هذا المؤتمر بارادة خيرة ورغبة مخلصة لنناقش بصراحة القضية التى تهمنا جميعا » ثم استطرد قائلا « ينبغى أن نمهد الطريق لعصر يسوده سلام دائم وتعاون دولى »

وبعد ذلك قرئت رسالة بعث بها رئيس جمهورية بلغاريا الشعبية **تودور جيفيكوف** الى المؤتمر ، رحب فيها بأجتماع الفلاسفة من جميع انحاء العالم فى بقعة جميلة تقع على شاطىء البحر الاسود لمناقشة قضايا العصر . وفى ختام رسالته أشار الى **سقراط** والى مبدئه القائل بأن « معرفة الفضائل ضرورية ولكنها ليست كافية ، اذ ينبغى أن نحيا وفقا لقوانينها ، وفى عالم اليوم ليس من فضيلة أعظم من هذه : النضال من أجل تحقيق السلام والتعاون بين الدول ، والنضال من اجل وضع المنجزات الهائلة للثورة العلمية والتكنولوجية فى خدمة الانسان وفى خدمة التقدم الاجتماعى » .

ثم القى رئيس الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية **ليوجبريل** كلمة جاء فيها ان « المؤتمر العالمى الخامس عشر يقع على قمة الاحداث فى حياتنا الثقافية فى هذا العصر » ثم أعرب عن اغتباطه لاتاحة الفرصة لمثلى المذاهب المتباينة فى ممارسة حوار خصب . واختتم كلمته باسداء الشكر العميق للجنة البلغارية المنظمة للمؤتمر بسبب الجهد المذهل الذى بذلته لتنظيم المؤتمر على افضل ما يكون .

وبعدذلك قرأ **رينيهحبشى رئيس شعبة الفلسفة** التابعة لهيئة اليونسكو رسالة موجهة من مدير الهيئة **رينيه ماهيو** . اعقبها كلمة من عمدة **مدينة** فارنا **ستانوى يونيف** رحب فيها بأعضاء المؤتمر وتمنى لهم اقامة طيبة على شاطىء البحر الاسود .

ثانيا : أبحاث المؤتمر

أ — الفلسفة والعلم

نوجز عرضها مع بيان الاتفاق والافتراق بين الاراء . وتأتى قضية الصلة بين الفلسفة والعلم فى مقدمة القضايا المطروحة . وقد دارت الابحاث فيها على مسألتين :

الاولى عن دور الديالكتيك فى تطور المعرفة العلمية الحديثة .

والثانية عن العلاقة بين العلم والفلسفة .

عن المسالة الاولى يذهب **كدرف** (الاتحاد السوفيتى فى بحثه « فى التأليف بين العلوم » الى أن لزوم الديالكتيك نابع من تطور العلم ذاته . فالتأليف ملازم للعلم ، والتأليف بين العلوم انما هو تعبير عن مبدأ الديالكتيك : وحدة الاضداد .

تفصيل ذلك :

ثمة نوعان من التأليف :

تأليف برانى [ت بر] حيث العلوم الطبيعية أجزاء من كل يشملها . وهذا حاصل كذلك بالنسبة الى العلوم الاجتماعية .

وتأليف جوانى [ت جو] لا يصلح الا للعلوم الطبيعية [ومن بينها العلوم الرياضية] ويفيد الربط بين هذه العلوم ، أو يكون مقصورا على علم واحد بمفرده .

والنوع الثانى يكشف عن خاصية التناقض الملازمة للتأليف ذاته من حيث انه لا يوجد بين العناصر المتباينة فحسب ، بل ايضا بين العناصر المتضادة وهو على النحو التالى :

ا — بين الكلى والجزئى ، وبين العلوم الكلية [الرياضيات] والعلوم الجزئية [الطبيعيات] .

ب — بين الادنى والاعلى فى المعرفة حيث الادنى مولد للاعلى .

ج — تحقيق هوية الاضداد [تغير الشىء وثباته] و [النظرى والعملى] للنشاط الانسانى

ورفع التناقض مطلوب ، وهذا الرفع على أنواع :

رفع التناقض بين الجزئى والكلى يتم بفضل اكتشاف نظرية جديدة من حيث أن الجزئى يعنى الوقائع المعزولة ، والكلى يفيد التعميم الذى يأخذ شكل **القانون** او النظرية [ت سق] .

واكتشاف القانون أو النظرية لا يفضى فقط الى التأليف فى العلم ذاته . وانما ايضا الى التأليف بين العلوم .

والتأليف ذاته متطور لا يقف عند حد ، وتطوره يسمح باكتشاف قوانين جديدة ، كما انه يسمح بارتقاء المعرفة من الادنى الى الاعلى .

والقانون الجديد له خاصية الديالكتيك ، ذلك انه يتجاوز القانون القديم من حيث أن له خاصية الاحادية فى تأويل الواقع . وليس من الضرورى أن يكون العالم على بينة من خاصية الديالكتيك كما هو الحال عند **دارون ومندلييف ولوى دى بروى** . فالمهم ليس هو الشكل وانما المضمون الذى هو العنصر الاساسى فى القوانين التاليفية اذ هى من شأنها أن تعبر عن التناقض الواقعى الكامن فى الظواهر الطبيعية . بيد ان هذا التناقض لا يدرك الا على هيئة الوحدة التى تنطوى على الجوانب المتضادة . ولهذا السبب فان النظرية الجديدة ليست مجرد تلفيق بين تصورات متعارضة ، وليست مجرد توفيق بين وجهات نظر متضادة وانما هى فى تضاد مع ما سبقها من نظريات ، ومن ثم فهى وليدة الصراع . ودليل **كدرف** على ذلك نظرية الكم — ميكانيكية للضوء ، اذ هى ليست مجرد تجميع للنظريتين المتضادتين : النظرية الجسيمية والنظرية الموجية

وفى راى **كدرف** ان الديالكتيك ليس مقصورا على كونه مجرد مبدأ للتأليف ، وانما هو علم عام يحوى الثلاث مجموعات التى تنقسم اليها المعرفة العلمية :

١ — العلوم الطبيعية وموضوعها الطبيعة .
٢ — العلوم الاقتصادية والاجتماعية وموضوعها المجتمع .
٣ — العلوم التى تبحث فى العقل والروح وهى الفلسفة وعلم النفس .

وهذه العلوم ليست منفصلة وانما هى متصلة ، ولكن اتصالها ليس مباشرا وانما غير مباشر عن طريق علوم متوسطية . فالعلوم التكنيكية هى همزة الوصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والاقتصادية . هى على صلة بالعلوم الطبيعية من حيث أن غايتها — أى غاية العلوم التكنيكية — هى الافادة العملية من القوانين الطبيعية . ثم هى على صلة بالعلوم الاجتماعية والاقتصادية من حيث أن مصالح البشر وتطلعاتهم هى التى تحدد الغاية من الافادة من القوانين الطبيعية .

بيد أن العلم الوحيد الذى لا يلزمه جسور عابرة الى العلوم الاخرى هى الفلسفة الديالكتيكية من حيث هى علم القوانين العامة للحركة فى الطبيعة والمجتمع والعقل . ومعنى ذلك أن الفلسفة الديالكتيكية هى آلة التأليف النظرى بين العلوم . ومن ثم فيكون لدينا فى نهاية المطاف ت بف أى التأليف بالفلسفة ورمزه ت ح/ك بر ذلك ان العلاقة برانية [بر] بين علم كلى [ك] هو الفلسفة وعلوم جزئية [ح] .

أما **تودور بافلوف** [بلغاريا] فيعرض لقضية العلاقة بين الفلسفة والعلم من زاوية الحقيقة فيتساءل فى مفتتح مقاله «عن الحقائق والحقيقة» : ما الحقيقة ؟

وجواب بافلوف على النحو التالى :

ان الحقيقة عملية ديالكتيكية يقترب فيها الفكر الانسانى على الدوام من موضوعية الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، ومن تفسيرها وتغييرها ، ومن ثم تأنيسها .

ومعنى ذلك أن الحقيقة ليست مجرد نسق من التصورات والمقولات والقوانين ، وانما هى حركة ديالكتيكية ، وتغيير للنسق . ولهذا فان العلم الذى يعلن عن نفسه أنه نسق من التصورات والمقولات والمبادىء الثابتة ليس جديرا بأن يكون علما .

والحقيقة العلمية ، من حيث هى حركة ديالكتيكية لتفسير العالم وتغييره سلاح فعال فى يد الانسان لبناء نظام اشتراكى على درجة عالية من التقدم التكنولوجى والثقافى والروحى وخال من الصراع الطبقى .

وتأسيسا على ذلك يمكن تحديد العلاقة بين الفلسفة والعلم على أنها علاقة اتصال وليست علاقة انفصال بمعنى أن الفلسفة من غير العلم مجرد تجريد ، والعلم بدون الفلسفة مجرد تأمل تجريبى سلبى . وكذلك بمعنى أن ثمة وحدة قائمة بين المعرفة الانسانية وتغيير العالم من زاوية الفلسفة والعلم . فلهذا يتفق بافلوف مع قول العالم الفيزيائى هيزنبرج بأن « الفزياء الذرية الحديثة قد أثارت جدلا حول القضايا الاساسية للفلسفة والاخلاق والسياسة » . ومن ثم فمن الخطأ القول بأن عصرنا هو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ، لان من شأن هذا القول حذف الانسان وتحويل النظم الاجتماعية الى نظم آلية تحكمها حاسبات الكترونية ، فيختفى الصراع الايديولوجى . وواقع الحال يناقض هذا القول ، فعصرنا هو عصر الثورة الاشتراكية حيث يتحكم الانسان فى آليات الثورة العلمية والتكنولوجية تحكما اجتماعيا من أجل القضاء على التناقضات الطبقية والبطالة وخلق حضارة انسانية تخلو من الحروب واستغلال الانسان لاخيه الانسان .

الحقيقة اذن ليست الا العلم ذاته منظورا اليه فى وحدته الديالكتيكية .

والوحدة الديالكتيكية تنطوى على ثلاثة عناصر :

١ — نسق من التصورات والمقولات والقوانين
٢ — منهج المعرفة .
٣ — الارتباط بالممارسة العملية كنقطة بداية ونهاية .

وحذف أى من هذه العناصر يمتنع العلم معه عن أن يكون علما بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، أى بمعنى الحقيقة .

وفى تواضع يختتم بافلوف مقالة عن الحقيقة « العلى على خطأ ؟ »

بيد أن تواضعه يتسق مع مذهبه حيث الحقيقة حد وسط بين التزمت والتشكك .

أما مرسييه [سويسرا] ففى بحثه « الفلسفة والعلم » يتخذ موقفا معارضا من الوضعية المنطقية .

وهو فى هذا الموقف يقترب سلبا من وجهة نظر كدرف وبافلوف . فهو يعترض على رد الفلسفة الى العلم ، وعلى كونها مجرد فلسفة علوم . فالفلسفة فى مثل هذا الوضع ، انما هى فلسفة مزيفة ، والعلم كذلك ، فى مثل هذا الوضع انما يتحول الى معتقد .

الفلسفة اذن ليست هى العلم ، ولكنها مع ذلك ليست غريبة على العلم . فثمة أساليب أربعة للمعرفة فى رأى مرسييه :

الاسلوب الموضوعى وهو ما يميز العلم .
الاسلوب الذاتى وهو ما يتسم به الفن .
الاسلوب الجماعى وهو ما تتصف به الاخلاق
الاسلوب التأملى وهو ما يختص به التصوف .

ومعنى ذلك ، أن الاسلوب الموضوعى ليس هو الاسلوب الوحيد للمعرفة الانسانية . ويخطىء من يقف ضد هذا المعنى ، والخطأ قائم بالفعل فى هذه النزعة التى تجعل من العلم كل شىء فى الحياة . والعلم ، فى هذه النزعة ، هو علم مزيف ، بل هى أفيون الشعوب . أما العلم الحق فهو العلم الذى يفسح مجالا للعلوم الاخرى من أخلاق وفن وتصوف ، وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يقدم أى خدمة لاى من هذه ومع ذلك فثمة تعاون يمكن ان يقوم بين العلم من جهة والاخلاق والفن والتصوف من جهة اخرى ، مع ملاحظة ان هذا التعاون يتسم بالديالكتيكية .

ثم يتساءل مرسييه :

أين موقع الفلسفة من هذه الاساليب الاربعة للمعرفة ؟

وكيف يمكن طرح قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم ؟

ثم يجيب بأن الفلسفة هى نقطة الالتقاء بين الاساليب الاربعة . وحيث أن اللقاء الجزئى بين العلم والاخلاق يكون مانسميه بالتكنيك فالفلسفة اذن هى التكنيك المثالى حيث ينعدم الصراع ويتلاشى فى سلام الروح ورضا الانسانية المفكرة والفاعلة ، وبذلك يتحقق الانسجام التام بين الفكر والفعل طبقا للاساليب الاربعة .

وليس معنى ذلك أن تتصف الفلسفة بأنها « ما فوق العلم » أو « ما فوق الاخلاق » أو « ما فوق الفن » أو « ما فوق التأمل » . ولكن معناه أن تحجم الفلسفة عن البحث عن القيم فهذه مهمة الاساليب الاربعة ، وأن تقصر همها على أن تكون أسلوب حياة يتصف بالنقد والالتزام ومن هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، تعد الفلسفة منطقا متكاملا ورابطة وجودية وابستمولوجية ، وانطولوجية ديناميكية . ومن ثم يفلت الانسان من الوقوع فى براثن المذهب المغلق حيث ينعدم بعده موضوعات الفكر ويختفى الصراع بين أساليب المعرفة ويقنع الانسان بالوقوف عند « اية » ما I.S.M. وتتهيأ الفلسفة بعد ذلك للاختفاء . ومن هنا تنشأ أهمية اثارة قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم لكى نؤكد من جديد قيمة الفلسفة من حيث انها القوة المحركة للعقل وما أساليب المعرفة الاربعة الا العناصر المكونة لهذه القوة .

وحين انتهى **مرسييه** من القاء بحثه وجه اليه **الفريد آير** — وهو من قادة الفلسفة التحليلية — نقدا ساخرا مفاده انه ليس ثمة فلسفة قائمة بذاتها وانما ثمة فلسفة علم قوامها البحث فى قضايا العلم من حيث هى تعبيرات لغوية ، وثمة علم واحد ترد اليه باقى العلوم هو العلم الفزيائى

ثم اعترض **مرسييه** قائلا : ان ما يقوله **آير** تبسيط مزيف . فثمة علوم وليس علم واحد ، ومرد هذا التعدد الى تعدد درجات التجريد . ثم ان ما يذهب اليه **آير** من الاكتفاء بالعلم يجعل منه مؤسسة مطلقة تقوم بالرد على كل مايدور فى عقل الانسان . وهذا خطأ وقع فيه كل من المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى . وهو خطأ مماثل للخطأ الذى وقع فيه **هيجل** حين جعل من الدولة مؤسسة مطلقة .

وفى رأيى ، أن أشكال **مرسييه** يقوم فى رفضه فلسفات العصر بدعوى انها مطلقات تأخذ شكل « ايات » علمية فيضيف الى الاسلوب الموضوعى الاسلوب الذاتى ، ولكنه يعزلهما بدعوى أن الاسلوب الموضوعى يخص العلم والاسلوب الذاتى يميز الفن . ومع ذلك فهو يقرر أن قيمة الجميل قيمة كلية وليست شخصية بل هى مكملة لقيمة الحق .

ومن المعروف أن العلم هو معرفة ما يتصف بالكلية فى مقابل الجزئى دون تجاهل العينى . وهذا هو قول مرسييه ذاته . ومنطق هذا القول يفرض عليه طرح قضية الاساس العلمى لاساليب المعرفة ، كما يفرض عليه اعادة النظر فى مفتتح بحثه حيث يقول « الفلسفة ليست علما والعلم ليس فلسفة ما ولا هو الفلسفة » .

اما ميوردراج سيكتش (يوغوسلافيا) فهو يركز فى بحثه « الفلسفة والعلم » على نقد الوضعية المنطقية ، فهو يرفض قول الوضعية المنطقية أن الفلسفة علم . فثمة اختلاف بين الفلسفة والعلم من حيث المنهج ومن حيث نقطة البداية .

من حيث المنهج العلم تجريبى اما الفلسفة فتخلو من التجريب . ان المنهج الفلسفى قد يكون ترنسندنتاليا وقد يكون ديالكتيكيا وقد يكون حدسيا ، وقد يكون فينومنولوجيا ، وقد يكون شكيا . بيدان المنهج الرئيسى ، فى رأى **سيكتش** ، هو منهج الشك ، أما المناهج الاخرى فليست الا تحويرا لهذا المنهج . وقد يقال ، ردا على **سيكتش** ، أن الحس السليم ، يمكن ان يعد منهجا فلسفيا كافيا . ولكن ليس هذا القول بالصحيح . انه منهج فلسفى ولكنه ليس كافيا لانه ليس منهجا نقديا ، والشك هو المنهج الذى يسمح لنا بتغيير أسلوب رؤيتنا للاشياء ، وبتعمق فهمنا للعالم .

واختلاف المنهج بين الفلسفة والعلم يلزم منه اختلاف نقطة البداية . فالعلم يبدأ من المعطيات المباشرة ، اما الفلسفة فلا تبدأ من الموجود ، اذ تشك فيه . ولكن هذا الشك ليس واقعيا لان المريض نفسيا هو الذى يشك واقعيا فى الموجود وهو لهذا فى حاجة الى طبيب للامراض النفسية . أما الشك المقصود ، فى رأى **سيكتش** ، فهو الشك الذى يسمح لنا بالتفلسف وكأن العالم غير موجود ، لكى نرى بعد ذلك ماذا يترتب على هذا الفرض من نتائج .

ولكن هل يعنى هذا الاختلاف بين الفلسفة والعلم انهما منفصلان ؟

جواب سيكتش بالسلب لان الفلسفة نظرة شاملة للكون لا يقوى عليها العلم ولكنها فى نفس الوقت تستند الى نتائج العلم بالاضافة الى منجزات الاخلاق والفن والحياة الاجتماعية . ومع ذلك ينبغى الفصل بين ما هو فلسفى وما هو علمى حتى يمكن تقدير ما هو علمى فى العلم وما هو فلسفى فى الفلسفة . ولهذا ليس من المطلوب أن نتساءل عن الخلفية الفلسفية للعالم ، أو عن الخلفية العلمية للفيلسوف ، وانما المطلوب البحث عن أصالة الافكار وعمقها .

ويخلص **سيكتش** من ذلك الى أن فلسفة العلم ليست علما كما تزعم الوضعية المنطقية ، ولكنها احدى وظائف النشاط الفلسفى النظرى . فمع حق الفلسفة أن تتخذ من العلم موضوعا لها كما

تفعل ذلك مع الاخلاق والفن والدين . فكما أن التناول الفلسفي للدين ليس دينا فكذلك التناول الفلسفي للعلم ليس علما .

ويزداد الهجوم على الوضعية المنطقية ، وما يماثلها من فلسفات في بحث **نيقولاي ارپياجاكوف** [بلغاريا] وهو ينعتها جميعا بأنها فلسفات مثالية ومعادية للفلسفة لانها تزعم أن الفلسفة ليست شكلا من اشكال المعرفة العقلية وليست علما وليست معرفة للواقع . فجميع قضاياها ليست مستخلصة من الملاحظة أو التجربة .

واربياجاكوف يرى أن هذا الزعم لا يصدق على الفلسفة المادية الديالكتيكية . صحيح ان نقول بأن الفيلسوف لا يصطنع التجارب ليبرهن على قضاياه ، ولكن ليس من الصحيح أن نخلص من ذلك الى انتفاء السمة التجريبية عن الفلسفة المادية الديالكتيكية ، وذلك لسببين :

— **السبب الاول** ان ثمة علوما لا تستعين ، بل ليس فى امكانها ان تستعين بالمنهج التجريبى ومع ذلك فهى علوم .

— **السبب الثانى** أن الفلسفة المادية الديالكتيكية تستند الى الخبرة الانسانية فى تاريخها الاجتماعى والى منجزات العلوم ومكتشفاتها . ومن هنا ثمة علاقة حميمة بين الفلسفة والعلوم والفنون والاخلاق والقانون وجميع الانشطة الروحية الاخرى .

ويتساءل **ارپياجاكوف** :

كيف نفسر هذه العلاقة الحميمة ؟

ليس من جواب سوى أن الفلسفة هى الاساس المنهجى لجميع العلوم وكافة الانشطة الروحية . ومن ثم فان الفلسفة لن يكتب لها الفناء .

وهنا يتساءل **ارپياجاكوف** :

أية فلسفة ؟

والجواب بالطبع : الفلسفة المادية الديالكتيكية ووظيفتها مزدوجة ، اذ هى تمدنا بمنهج وبنظرة كونية .

ولكن أية نظرة كونية ؟

ثمة عدة نظرات كونية وهى كلها ذات مضمون اجتماعى ، ثم هى كلها أسلحة هامة فى الصراع الاجتماعى . ويترتب على ذلك أن الفلسفة بالضرورة ملتزمة . والقول بأن الفلسفة يمكن أن تكون غير ملتزمة وهم . ولهذا يخطىء كثير من فلاسفة الغرب فى الدعوة الى فلسفة تأملية أو الى فلسفة هاربة من طرح قضايا تخص الحياة الاجتماعية . فان مثل هذه الدعوة أمر محال .

واربياجاكوف يلتزم المادية الديالكتيكية كتعبير عن نظرته الكونية لانها تتميز بسمات ثلاث :

أولا : لانها تتبنى المادية وتطبقها ليس فقط على المعرفة والطبيعة بل أيضا على الحياة الاجتماعية والتاريخية .

ثانيا : لانها تطرح الديالكتيك ، لاول مرة ، على أساس مادى وتتناوله على أنه علم القوانين العامة للطبيعة والمجتمع والمعرفة الانسانية .

ثالثا : لانها تتميز بالتناول العلمى للقضايا الفلسفية مع مزجه بالنضال الثورى للطبقة العاملة لتحقيق الاشتراكية .

وهذه الميزات الثلاث متداخلة تداخلا عضويا بمعنى أن المادية التاريخية تنبع من الطابع الديالكتيكي للفلسفة الماركسية ، وانها من حيث هى فلسفة الفعل الثورى تصدر عن المادية والمادية الديالكتيكية فى آن واحد . وهذا التداخل العضوى يمتنع معه تكوين مذهب مغلق ينطوى على الحقيقة المطلقة عن العالم وعن الانسان ، ولكنه يسمح بتكوين مذهب مفتوح يستند الى التراث الايجابى للفكر الفلسفى ويتطور بتأثير من المعرفة العلمية والخبرة العملية للتاريخ الاجتماعى .

ويتضح من سياق هذا العرض أن الوضعية المنطقية هى العدو الرئيسى اليوم للماركسية ، وقد حدثت مشادة فلسفية بين **آير واربياجاكوف** اثر قول **آير** ان **ماركس** ليس فيلسوفا وانما هو عالم اجتماع . ورد **اربياجاكوف** بأن **ماركس** قام بتحليل عدة تصورات مثل المادة والشعور والضرورة والحرية ، وتساءل عن معنى الانسان والمجتمع والطبيعة . وبالمنظار التحليلى للوضعية المنطقية فان **ماركس** ينبغى ان يعد فيلسوفا . والقول بغير ذلك ليس من الموضوعية فى شىء ، بل هو ليس الا تحيزا من البورجوازية . ذلك أن فلاسفة الوضعية المنطقية يقومون هم أيضا بتحليل هذه التصورات للكشف عن معانيها .

وهنا تغيرت نغمة **آير** وقال : ربما كان **ماركس** فيلسوفا .

ونقد الوضعية المنطقية ليس مقصورا على الماركسيين وانما يمتد الى نفر من فلاسفة الغرب فيرى لاسزلو (امريكا) فى بحثه « فلسفة الانسقة : مسح لنمط متطور من الفكر المعاصر » ضرورة تأسيس فلسفة علمية يطلق عليها اسم « فلسفة الانسقة » وهى فلسفة تكاملية تنطوى على نظرة كونية تستعين فى تكوينها بالتطورات العلمية وتتغير مع تغيرها . بيد أن هذه الفلسفة لا تقدم قواعد لصنع فلسفة ما ولكنها تقدم اطارا تصوريا يسمح بالابداع الفلسفى ، والمعلومات التجريبية التى ينطوى عليها هذا الاطار التصورى مردودة الى العلوم . والقضايا المطروحة هى قضايا متصلة بالانسان ، والفلسفة التحليلية عاجزة عن تناولها بمفردها .

وأمام هذه الفلسفة الجديدة ? فلسفة الانسقة ، مسائل مطلوب حسمها من بينها تحديد المعانى الاساسية مثل النسق والعلاقة والبنية وعلاقة الجزء بالكل ثم بناء منطق علاقات ومنطق استدلال ، وتحليل مناهج الانسقة،وليس من مبرر لعدم الحسم سوى أن هذه الفلسفة حديثة النشأة ، فقد نشأت فى نهاية الستينات كرد فعل ضد الوضعية المنطقية ، وضد تيار « معاداة النسق » الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وقد تعرض لهذا التيار « **أولوج نوتكو** [تركيا] فى بحثه « معاداة النسق والنسق المفتوح فى الفلسفة » .

وقد نشأ هذا التيار ، تيار معاداة النسق ، كرد فعل ضد الانسقة الكبرى المسماة بالمثالية الالمانية . وقد انقسم الى اتجاهين متناقضين :

الاتجاه الاول ، يقلل من شأن العقل،فيذهب فى تطرفه الى معاداة العلم فيتولد عنه ثلاث تيارات : النزعة التاريخية والفينومنولوجيا والوجودية .

الاتجاه الثانى ، يبالغ فى قيمة العقل فيمهد الطريق الى الفلسفة من خلال العلم ويتخذ اسما له هو المادية الديالكتيكية ولم يكن الغرض من طرح هذا الاسم ان يتحول الاتجاه الى « اية » وانما ان يكون مجرد علامة على مجموعة من الافكار . ذلك أن الـ « اية » تلازمها الحقيقة المطلقة ، والحقيقة المطلقة منافية لروح البحث العلمى .

المادية الديالكتيكية اذن ليست نسقا مغلقا وانما هى نسق مفتوح فى مواجهة معاداة النسق .

وثمة معضلة ازاء النسق المفتوح . ذلك أن المعنى التقليدى للنسق يلزم منه أنه مغلق . فالنسق يعنى الكل ، والادعاء بمعرفة الكل هو ادعاء بمعرفة حقيقة مطلقة ، ومن ثم ينغلق الباب أمام أى بحث . والفلسفة ليس فى امكانها استبعاد فكرة الكل ، وفى ذات الوقت ، ليس فى مقدورها الزعم بأنها حاصلة على معرفة كاملة للكل . بيد أن تجاهل الفلسفة لهذه الفكرة أو نفيها يعنى اكتفاء الفلسفة بمسألة التحليل اللغوى للتصورات .

وليس من سبيل لحل هذه المعضلة سوى القول بأن مبادىء الفلسفة متطورة بفضل الاهابة المتواصلة بالكشوفات العلمية الجديدة .

بيد أن هذا الحل لا يعنى أن تكون لدينا فلسفة علم .

ب ـ الاخلاق والثقافة

فى مفتتح هذه الحلقة تحدث **فيدو سيف** [الاتحاد السوفيتى] عن « الاخلاق والثقافة » وعن العلاقة بينهما من حيث انها من القضايا الرئيسية فى الحياة الاجتماعية الحديثة . وقارن بين فلاسفة المعسكرين الراسمالى والاشتراكى فى تناولهما لهذه القضية . فلاسفة المعسكر الرأسمالى يفصلون بين الاخلاق والثقافة بدعوى انهما متناقضان ، فى حين أن فلاسفة المعسكر الاشتراكى يقررون أن ثمة وحدة عضوية بينهما تتولد من جراء التغير الاجتماعى ، والقضاء على جميع أشكال الاستغلال .

وفى ختام حديثه أشار **فيدوسيف** الى التناقض المترتب على معارضة الثقافة للاخلاق وهو دفع المعرفة العلمية الى المطلق وعزلها عن الظروف الاجتماعية العينية .

وتناول **أرشى باهم** [امريكا] مسألة العلاقة بين الاخلاق ومهمة الفلاسفة وارتأى أنه ازاء التهديد بازالة الانسانية فليس امامنا سوى الاتفاق على حد أدنى من القيم الاخلاقية . بيد أن هذا الاتفاق ليس متحققا بسبب التدهور المتواصل للقيم التقليدية الامر الذى يؤدى الى انتشار الجريمة والى نسبية الثقافة التى يمتنع معها الاتفاق على حد أدنى من القيم الاخلاقية . وعلى الفلاسفة تقع مهمة معالجة هذه المسألة .

ولكن أى منظمة من المنظمات الفلسفية تقع عليها هذه المسئولية ؟

فى رأى باهم انه هذا المؤتمر العالمى ممثلا فى الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية [أ.د. ج . ف]

والملاحظ على هذه الاراء انها تعبير عن أمل يراود صاحبها فى أن يمسك الفلاسفة بزمام المسألة الاخلاقية حتى يتسنى اصلاح العالم ، وهو أمل يذكرنا بطموح أفلاطونى انقضت عليه عدة قرون دون أن يتحقق . وأغلب الظن أن عدم تحققه مردود الى انتفاء التحليل العلمى للوعى الاجتماعى ومن ثم للوعى الاخلاقى .

وقد حاول اجراء هذا النوع من التحليل « **لوبومير درماليف** » فى بحثه « مكانة الاخلاق ودورها فى نسق القيم الروحية » فهو ، فى هذا البحث ، يذهب الى ان الوعى الاجتماعى ينطوى على ثلاثة عناصر : الحياة العقلية للمجتمع ، حياته الثقافية ، والقيم الروحية .

والقيمة ليست مجاوزة لما هو اجتماعي ؟ ومن ثم فعالم القيم هو في صميم الحيـاة الواقعية للانســـان .

والقيم ظواهر اجتماعية تهدف الى اشـباع الحاجات الانسانية ، ومن ثم فهي — أي القيم — باعتبارها « موضوعا » اجتماعيا ليست منفصلة عن حاجات ورغبات وأفعال الانسان من حيث هو « ذات » .

والقيم على ضربين رئيسيين : روحي ومادي

القيم الروحية على ضروب منها الكشـوف العلمية والاداب والفنون والنظريات الفلسـفية والاخلاقية والقانونية والسياسية ، وهذه القيم تشبع حاجات ذهنية .

ولهذا فان القيم الروحيـة تواكب الثقـافة الروحية .

وحيث أن الثقافة الروحية جـزء من القيم الروحية فان القيم الاخـلاقية ينبغي الا تـكون متعارضة مع ثقافة المجتمع .

ثم يتساءل **درماليف** :

ما هي الطبيعة الاجتماعية للقيم الروحية وما دورها من حيث احتوائها للقيم الاخلاقية ؟

والجواب عن هذا السؤال لازم من السؤال عن البناء الاساسي للوعي الاجتماعي .

وتحديد هذا البناء من تحديد « مجـالات » و « اشكال » الوعي الاجتماعي :

— من حيث معرفة العالم الخارجي ، والتحكم فيه ثمة مجالان : وعي الجماهير ،والوعي النظري

— ومن حيث وظيفة الوعي الاجتماعي ثمة وظيفتان : المعرفي والتقويمي » .

والوعي النظري وهو أعلى مستوى للوعي له مجالان :

معرفي وتقويمي . والتقويمي ليس الا الوعي الايديولوجي .

أما أشـكال الوعي فتتحـدد على المستوى النظري ، وعلى مستوى العمل الذهني .

وهـذه الاشكال عـلى صـلة بالعـلاقات الاجتماعية المادية أي بالاساس الاقتصـادي . وهكذا ترتبط الاخلاق والايديولوجيا السـياسية والقانون بهذا الاساس وتتاثر به ، وبذلك ينتهي درماليف الى ما انتهى اليه انجلز في خطـابه الى شميدت عام ١٨٩٠ حيث أشار الى العلاقة المتداخلة بين اشكال الوعي الاجتماعي والاقتصاد . ولهذا فالاخـلاق ، وهي من أشـكال الوعي الاجتماعي ، تمـارس وظيفتها في الجمـاعات الاجتماعية بشرط أن يتوفر لاعضاء هذه الجماعات مصالح مشتركة . ومن ثم فالسـلوك الاخلاقي ليس نمطا مستقلا عن النشـاط الاجتماعي فهو يعكس قيم هذا النشـاط . وبذلك يتحدد دور الاخلاق في اطار نسق القيم الروحية .

وازاء هذا التحديد الحاسـم للاخـلاق عند **درماليف** نلاحظ نوعا من التشـاؤم والترنح في بحث مقدم من **شيلب** (أمريكا) عنوانه : « هل في الامكان اعطاء الانسان اسبقية » ؟

فهو يتساءل : ما الانسان ؟

ولكن ليس من مجيب

لماذا ؟

لاكثر من سبب .

فالانسان صانع العلم والتكنولوجيا ، ومع ذلك فهما متقدمان عليه . وصياغة الموضوع الرئيسي لهـذا المؤتمر شـاهدة على ذلك : « العلم — التكنولوجيا — الانسان » ، فالانسان هنا يأتي في المؤخرة .

والانسان صانع القرار في مجال العلم ، وفي مجال التكنولوجيا .

ولكن على أي أساس يتخذ الانسان أي قرار ؟ في مجـال العلم ، الاسـاس هو البحث عن الحقيقة ، وهذه مسألة ابستمولوجية لم يتخصص فيها شيلب .

أما في مجال التكنولوجيا ، فالاساس هو كيفية الافادة ، وتحديد الافادة يلزم منه تحديد قيمة الخير والشر ، وهذا التحديد لم يتفق عليه الفلاسـفة منذ قديم الزمان حتى اليوم .

ما العمل اذن ؟

الاجابة عن أعمق سؤال :

ما الانســان ؟

وهذا هو رأي **شيلب** .

أما **سومرفيل** [امريكا] في بحثه « علم الاخلاق وأمراض الثقافة » ، فلديه نبرة تفاؤل ازاء امكان تأسيس علم للأخلاق ، ومن هـذه الزاوية يقدر **سومرفيل كارل ماركس** .. صحيح ان اعمـال **ماركس** لم تكن تنطوي على أي محاولة لتأسيس علم للأخلاق ، ولكنها تفترض مقدما امكان تأسيس مثل هذا العلم . كما انها تنطوي على أسس هذه الامكانية . ولهذا يمكن القول بأن أعمال **ماركس** ليس لهـا من معنى ان كان ثمة اسـتحالة في تأسيس مثل هـذا العلم . كمـا اننا نخطيء فهم **ماركس** حين نتصور ان **ماركس** يدعو الى انسانية وليس الى انسانية علمية ، ذلك ان البراكسيس عند ماركس هو في آن واحـد مصـدر تجريبي للنظرية ومقياس للحكم على صحة النظرية ، وأن الانسان في مقدوره أن يبرهن عقليا على الفارق بين البراكسـيس الانســاني والبراكسـيس اللاانساني ، واذا لم يكن الامر على هذا النحو ،

وإذا قامت الاحكام الاخلاقية على مفاضلات انفعالية ، فكيف يمكن مواجهة كل من **نيتشه ودستيفسكى** .. الاول بدعوته الى ارادة القوة ، والثانى بتشاؤمه من تقدم العلم والتكنولوجيا ؟

جواب **سومرفيل** بالنسبة الى **نيتشه** ، أن الاسلحة النووية قد كشفت ان الصراع من أجل القوة كغاية فى ذاتها يعنى نهاية الانسان .

وجواب **سومرفيل** بالنسبة الى **دستيفسكى** ، ان ليس ثمة مبرر للتخوف من تحول الانسان الى مجرد حاسب الكترونى أو من تكميم القواعد الاخلاقية ، وبالتالى من اختفاء الحرية .. صحيح ان الانسان قد استعان بالعلم والعقل لاستغلال أخيه الانسان ، ولكن هذا لا يعنى ان على الانسان الاختيار بين العلم والحرية ، وانما يعنى الاختيار بين استخدام العلم لتدعيم الاستغلال والعبودية ، أو بين استخدامه للتحرر منهما .

ومن ثم فالمطلوب ، فى رأى **سومرفيل** ، هو تحديد معانى التحرر والحرية .. فنحن نقول التحرر من ... ونقول الحرية من أجل ... وعلى سبيل المثال نحن نقول التحرر من البؤس ، والحرية من أجل السعادة .

والمطلوب بعد ذلك ، فى رأى **سومرفيل** ، هو بيان الخطوات اللازمة لتأسيس علم الاخلاق .

ان الخطوة الاولى هى تحديد المعانى .. فليس ثمة معنى مطلق ، أى ليس ثمة مبرر من قول تحرر من كل شىء ، وحرية من أجل أى شىء ، وسبب ذلك هو ان الموجود الانسانى متناه ، أى انه لا يفعل من غير علة .. فليس الفارق بين الانسان والالة الموسيقية ان الاول يفعل باختيارات مستقلة عن أى علة ، فى حين ان الثانية تفعل بعلة .. ذلك ان الاختيارات هى الاخرى فى حاجة الى علل . ونحن نقول عن اختياراتنا انها حرة حين نكون على وعى بأنها اختيارات ، ونقبل أخلاقيا العلل التى تدخل فى صنعها .

والخطوة الثانية هى تكميم القيم ، أى قياس درجات الحرية والاستغلال ، السعادة والشقاء ، اللذة والالم ، ومن غير هذا القياس نظل فى مرحلة ما قبل العلم .

وثمة ملاحظة أخيرة يختم بها **سومرفيل** بحثه ، هى الشكوى من تقدم متزايد فى العلم ، مقابل تقدم بطىء فى الاخلاق .

فنحن نتساءل .

ما السبب فى ذلك ؟

والاجدر بنا أن نتساءل ؟!

كيف يمكن أن يكون الامر على خلاف ذلك ، طالما اننا نحرم الاخلاق من امكانيات العلم ؟

جـ ـ التكنولوجيا والانسان

فى بداية الحلقة الثالثة ، تحدث **دى جورج** [أمريكا] ، عن « التكنولوجيا والعقل » ، لفكرته المحورية ان الانسان مغترب لانه محكوم بالتكنولوجيا ، والمفروض ان يكون الحال على الضد من ذلك ، أى ان تكون التكنولوجيا محكومة بالانسان .

والسؤال الان :

لماذا يكون الانسان محكوما بالتكنولوجيا ؟

للاجابة عن هذا السؤال ، يلزم النظر فى طبيعة العقل الانسانى ، فثمة هوية بين التكنولوجيا والعقل فى نظر الكثيرين . ولا أدل على ذلك من ان التهجم على التكنولوجيا يعد فى نفس الوقت تهجما على العقل ، ودعوة الى اللاعقلانية . ومعنى ذلك ان التكنولوجيا قمة العقلانية ، وان العقل التحليلى النموذج الاعلى للعقل الانسانى ، وأن الحاسب الالكترونى هو أول مثال على استخدام العقل التحليلى فى التطبيق .

والنتيجة ماذا تكون ؟

تحول العقل التحليلى الى اسطورة .

واسطورة العقل التحليلى تعنى أنه العقل بمعنى الكلمة ، وان به وحده يتحقق التقدم .

وهذا وهم ، لان العقل التحليلى يعجز عن رؤية الكل اذ هو يقف عند الجزء .

ورؤية الكل ضرورية ، لان الانسان يبحث عن تكوين الانسقة حيث الاجزاء مترابطة . ومن هنا ـ وهذا ليس من شأن العقل التحليلى ، بل من وظيفة العقل التركيبى .

ومع ذلك فليس ثمة انفراد لواحد دون الاخر ، بل ثمة معية ، ولكنها معية عضوية ، أى عدم امكان الانسان الوقوف عند أى منهما . ومن ثم يضيف دى جورج الى العقل التحليلى والعقل التركيبى ، العقل الديالكتيكى . فمن شأن هذا العقل الاخير ان يمنعنا من الرضا بأحد العقلين الاخرين ، اذ هو ينتقل من وجهة نظر الى وجهة نظر أخرى ، دون ان يقف عند حد ، فيمتنع معه تكوين نسق مغلق أو حقيقة مطلقة .

والنتيجة بعد ذلك كله ماذا تكون ؟

تحكم الانسان فى التكنولوجيا ليس باستبعاد العقل، ولكن باستخدامه على نطاق أوسع مما يبدو للتكنولوجيا ، وبذلك يمكن النظر فى بعض مشاكل التكنولوجيا على انها مشاكل انسانية ، وليست مشاكل تكنولوجية ، فيسهم فى حلها الفلاسفة ، وهذا هو دورهم .

والملاحظ على آراء دي جورج انه يعزل قضية العلاقة بين التكنولوجيا والعقل عن النظم الاجتماعية ، ويتناولها على انها مجرد نظرية في المعرفة ، الامر الذي دفعه ، اثناء مناقشة آرائه ، الى عدم التفرقة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، بدعوى ان مشاكلهما متماثلة ، ولم يكن في امكان ميتين [الاتحاد السوفيتي] أن يترك المسألة من غير تعليق . وفي تعليقه أومأ الى انعقاد المؤتمر في مدينة ساحرة وجميلة ، هي مدينة فارنا ، والفضل في ذلك مردود الى التحكم الاجتماعي في التكنولوجيا . وأيده في ذلك رئيس المؤتمر ليو جبرييل [النمسا] ، قائلا ان عيب الفلسفة الغربية هي انها تدمج الانسان في التكنولوجيا ، في حين ان الانسان هو القيمة العظمى . ودعا الى ضرورة تحكم الانسان في التكنولوجيا .

واوضح رختا [تشيكوسلوفاكيا] ، في بحثه « الانسان والتكنولوجيا » ، ان التناقض بين التكنولوجيا والانسان قائم في المجتمع البورجوازي لانه مجتمع يسلب الانسانية من الانسان ، وليس من علاج سوى التغيير الجذري للمجتمع .

بيد ان باسمور [استراليا] له رأي آخر في بحث له عنوانه : « الانسان والتكنولوجيا » .. يبدأ بطرح اتجاهين نحو التكنولوجيا ، هما : التشاؤم التكنولوجي ، والتفاؤل التكنولوجي .

التشاؤم التكنولوجي نعثر عليه لدى روسو ولدى الشاعر وليم بليك في قصيدته « الطواحين الشيطانية المظلمة » ، التي اقتحمت تربة انجلترا الخضراء ، والشاعرة ماري شيلي في تصويرها لفرنكنشتين على انه شبح مخيف من خلق التكنولوجيا لتدمير الانسان . كما نعثر عليه لدى الاتجاه المحافظ القديم القائل بأنه ينبغي على الانسان ان يمتنع عن تغيير العالم الذي خلقه الله سواء كان هذا التغيير لمصلحة الانسان أم لضرره بدعوى ان الطبيعة مقدسة ، وانها تعرف ما تريد على اكمل وجه . في حين ان اكتشافات الانسان لا تخلو من عنصر المغامرة ، ومن النتائج السيئة التي يجهل حدوثها . وقد اعترض انجلز على هذا الاتجاه ، قائلا ان الجهل بالنتائج السيئة مسألة مؤقتة ، فسرعان ما نصححها بالعلم .

اما التفاؤل التكنولوجي فهو مرتبط باسم فرنسيس بيكون ، حيث يقول انه بفضل التكنولوجيا يستعيد الانسان سلطانه الذي كان حاصلا عليه في بداية الخليقة ، حيث كان يشكل الطبيعة على النحو الذي يريد ، كما لو كانت قطعة من الشمع . وعيب هذا الاتجاه انه يفترض سلطة الانسان المطلقة على الطبيعة . ذلك ان العلاقة بين الطبيعة والانسان هي على غرار العلاقة بين الحصان والسايس . فكل ما يستطيعه السايس هو التحكم في الحصان الى حد ما ، مع ادخال عنصر التعاون . أما اذا تجاوز السايس الحد المطلوب ، فان الحصان قد يتخلص منه ، اما بقذفه الى بعيد ، أو قتله تحت قدميه .

اذن كل من التشاؤم التكنولوجي ، والتفاؤل التكنولوجي مرفوض .

وما البديل ؟

الحكمة التكنولوجية .. هكذا يجيب باسمور ، والحكمة التكنولوجية مزيتها انها تدخل في اعتبارها الاثار الاجتماعية والبيولوجية للتكنولوجيا ومن ثم لا تلقي اللوم على التكنولوجيا ، وانما على الانسان .. مثال ذلك : الانتاج بالجملة . فالقول الشائع ان هذا النوع من الانتاج يحيل الانسان الى مجرد آلة ، فتضعف قدرته على الابتكار والابداع . ولكن هذا القول مردود عليه ، اذ في الامكان تنظيم عملية الانتاج بالجملة بأسلوب مباين للأسلوب الراهن ، بحيث يستطيع العامل ان يعمل ويفكر على نمط الصانع الفنان ، وليس على نمط الالة .

وقد يقال ان التكنولوجيا الصناعية تدمر الجمال الطبيعي ، بل تدمر الاشكال الرئيسية للمتعة الانسانية . ورد باسمور ان هذا التدمير ليس من انتاج التكنولوجيا ، وانما هو من انتاج جهل الانسان وشراهته .

ويخلص باسمور من كل ذلك الى أن التكنولوجيا من غير حكمة مدمرة للبشرية ، أي أن التكنولوجيا سلاح ذو حدين ، والقول بأنها ذو حد واحد خطأ لا يعادله خطأ آخر . فالابداع مغامرة ، ولكن أليست الحياة كذلك ، بل أليس الحب هو كذلك ؟

ومع ذلك يبقى سؤال لم يطرحه باسمور ، ومتى تتوفر الحكمة التكنولوجية ؟

وثمة بحث يؤيد بوضوح التشاؤم التكنولوجي ، وعنوانه : « الانسان والتكنيك » ، بقلم جوزيه سانابريا [المكسيك] ، يتجاوز سؤال ، ما الانسان ؟ .. الى سؤال ، ما هو مصير الانسان ؟ .. وهذا التجاوز مردود الى اسباب ثلاثة ،

السبب الاول ، عجز الفلسفة عن الاجابة عن ماهية الانسان منذ هرقليطس الى يومنا هذا ..

والسبب الثاني ، عجز العلم عن ادراك الوجود ، اذ هو لا يدرك الا ما هو براني ، ومن ثم لا يقدم الا تفسيرا جزئيا للواقع .

والسبب الثالث ، ان عصرنا هو عصر السيبرنطقيا وعصر التكنيك . ولهذا فالسؤال الحقيقي هو :

هل من مكان للانسان ؟

فريق يجيب بالايجاب ، بدعوى ان الانسان هو صانع التكنولوجيا وهو حاكمها ..

وفريق يجيب بالسلب ، على أساس أن الالة فى طريقها الى تدمير الانسان .

وينحاز سانابريا الى الفريق الثانى ، وحجته فى ذلك ان التكنيك فى الاصل من صنع الانسان ، وهو الوسيط بين الانسان والطبيعة . ومع ذلك فقد تجاوز حدوده ، وتحول الى شىء على الانسان ان يدخل فى علاقة معه . وهنا المعضلة . بمعنى ان التكنيك يفرض ذاته على الانسان ، فى حين انه من خلق الانسان . ومن ثم تنشأ ظاهرة اغتراب الانسان ويقف الحاسب الالكترونى ضد الانسان . وحين تصبح الثقافة مجرد تكنولوجيا ، تكون الغلبة للحاسب الالكترونى . ويتحول شعار « استغلال الانسان للانسان » الى « استغلال الحاسب الالكترونى للانسان » ، ومعنى هذا التحول ان يصبح الانسان عبدا ، بدلا من أن يكون سيدا . ومع ذلك فالذنب لا يقع على الالة ، وانما على الانسان .

ويبقى بعد ذلك سؤال :

ما سبب هذه الازمة ؟

جواب سانابريا : الفقر الروحى هو الذى يفضى الى آلية الحياة .

وفى تقديرى ان جواب سانابريا ليس علميا ، فالعلمية ضد التفسير الاحادى ، اذ لابد من البحث عن عدة عوامل متداخلة ومتشابكة فى اطار نظام اجتماعى معين .

وقد فعل ذلك دوبريانف [بلغاريا] فى بحثه « التكنولوجيا فى المجتمع » ، بعد أن حدد معنى التكنولوجيا والتكنيك .

فالتكنولوجيا هى نسق من المصنوعات المستخدمة كوسائل فى انشطة الانسان المتعددة والتى تنطوى على خبرات العمل فى المجتمع وفى التاريخ .

والتكنيك هو المعرفة ، وقد تجسدت فى الواقع المادى لتحقيق غايات معينة .

وهذا التحديد يلزم منه التفرقة بين التكنولوجيا والتكنيك ، فالتكنيك هو الاسلوب المتبع لاستخراج القوة الانتاجية الكامنة فى التكنولوجيا . ومعنى ذلك ان التكنولوجيا عنصر هام من عناصر قوى الانتاج ، شريطة أن تكون فى قبضة الانسان من حيث هو كائن منتج — أى العامل — اذ هو أول قوة انتاجية من بين بنى البشر اجمعين ، وهو صانع التكنولوجيا . ومن هذه الزاوية ، فان التكنولوجيا تعكس قوة الانسان الاجتماعية والتاريخية .

اذن التقدم التكنيكى يجسد درجة تطور العلاقات الاجتماعية ، ولكنه فى ذات الوقت يؤثر فى هذا التطور ، بحيث يدفعه الى الامام . ولهذا يقول ماركس : « ان تباين الفترات الاقتصادية ليس مرجعه تباين المنتجات ، وانما سببه تباين كيفية الانتاج ، وتباين وسائل العمل ، ولهذا اهتم ماركس بدراسة دور قوى الانتاج ، ومن بينها التكنولوجيا ، فى وحدتها الديالكتيكية ، مع علاقات الانتاج . وهذه الوحدة هى الاساس الحقيقى لتطور جميع العلاقات الاجتماعية لتحديد مراحل تطور المجتمع . وعند مرحلة ما من مراحل التطور ، تدخل قوى الانتاج فى تناقض مع علاقات الانتاج . وتتوقف خاصية التناقض على خاصية النظام الاجتماعى . فمثلا فى ظل ظروف تنافس حر ، فان التناقض يتميز بأنه عدائى ، ويظهر على هيئة بطالة وتدمير مصالح البورجوازية الصغيرة . والثورة الاشتراكية كفيلة بالقضاء على مثل هذا النوع من التناقض ، فتضيق الخناق على القطاع الخاص ، وتفتح آفاقا جديدة لتطور سريع ومتواصل لقوى الانتاج . ومن ثم فالاشتراكية تفترض مقدما أساس تكنيكى متقدم وتزايد مطرد لقدرات العمال وعدد وفير من أصحاب الخبرات الفنية العالية تتفق ومنجزات العلم والتكنولوجيا .

ومعنى ذلك ان التقدم العلمى والتكنيكى والاشتراكية فى وحدة لا تنفصم عراها . ومستقبل البشرية مرهون بهذه الوحدة .

وهذا المعنى يفيد تعاظم العامل الانسانى فى ظل الثورة العلمية والتكنولوجية ، الامر الذى دفع الفلاسفة الى الاهتمام بدراسة الانسان الفرد وليس فقط الانسان العام .

وفى بحث تقدمت به عنوانه : « انسان — آية القرن العشرين » ، ربطت فيه بين الانسان والـ « آية » ربطا عضويا ، بمعنى ان الـ « آية » فى صميم كينونة الانسان ، بحكم القدرة على مجاوزة الواقع بفضل عملية التجريد الحاصل عليها العقل الانسانى ، وهذه المجاوزة تفسر لنا امكان تغيير الواقع ، وهى مهمة الفلسفة على النمط الماركسى . ومن ثم ترتبط الفلسفة بالايديولوجيا ، لان الايديولوجيا تؤثر فى مسار التاريخ . والمجاوزة تدفع الايديولوجيا الى المعرفة الشاملة ، وهذه الشاملية بدورها تحيل الايديولوجيا الى مطلق ، الى « آية » .

بيد ان الـ « آية » تتطور بالضرورة ، والا تحجر الواقع ، وتطورها يمر بمرحلتين :

المرحلة الاولى : سلب الـ « آية » ، والسلب هنا يعنى معارضة تمطلق الايديولوجيا ، اذ ان من شأن هذا التمطلق الوقوف عند حقيقة مطلقة ، وهذه بدورها تدفع الانسان الى الشاملية ، ومنها الى الدكتاتورية ، ومنها الى تقويض الحرية . ومن أجل ذلك فان الايديولوجيا ينبغى ألا تكون غاية فى ذاتها ، وانما وسيلة الى تحرير الانسان من الاغتراب الذى يعنى فصل منتجات الانسان عن ذات الانسان .

ولكن سلب الـ « آية » لا يعنى تقويضها والاستغناء عنها كلية ، وانما يعنى اعادة صياغتها ، وهذه هى **المرحلة الثانية** .

بيد ان ثمة تيارا سائدا فى الولايات المتحدة الأمريكية يهدف الى الوقوف عند المرحلة الاولى ، أى عند سلب الـ « اية » ، والاقتصار على التكنولوجيا كبديل للايديولوجيا ، الا ان هذا الاقتصار على التكنولوجيا هو ايديولوجيا ، فتتحول التكنولوجيا الى تكنولوج « ية » ، أى الى « اية » مزيفة .. ومع ذلك فان هذه الـ « اية » المزيفة شاهد حق على عدم الاستغناء عن الايديولوجيا .

وهنا ثمة سؤال لابد أن يثار :

أى « اية » يريدها انسان القرن العشرين ؟

انها « اية » مفتوحة وليست مغلقة .

وهل ثمة امكان ؟

نعم .. اذا نظرنا الى الانسان على انه غاية فى ذاته وليس على انه وسيلة .

ويقرر **فرولوف** [الاتحاد السوفيتي] فى بحثه « العلم المعاصر والانسانية » ، ان الانسان هو الغاية العظمى من التطور الاجتماعى .

والعلم المعاصر ينحو نحوا جديدا فى تناول الانسان ، ليس من حيث هو موضوع ، أو من حيث هو ذات فى نسق التقدم العلمى والتكنولوجى ولكن من حيث هو ذات وموضوع متداخلان تداخلا ديالكتيكيا ، ومن ثم تغيرت العلاقة بين الانسان والتكنولوجيا . فلم تعد المسألة مجرد تكييف الالة للانسان ، بل تشكيل قدرات الانسان لمواكبة التطور التكنولوجي ، الامر الذى أدى الى ابتكار علم جديد يدرس خصائص الفرد واتجاهاته لزيادة فاعليته ودفع تطوره الروحى والفزيقى ، هذا العلم الجديد ينطوى على البيولوجيا النووية وعلم الوراثة والبيوسيبرنطيقا . ولهذا يطلق فرولوف على هذا العصر اسم « العصر البيولوجى » ، ولكنه يضيف الى هذه العلوم ، حيث الانسان هو الموضوع ، نظرة كونية اجتماعية وفلسفية .

أما **سسافا جانوفسكى** [بلغاريا] ، فيقرر فى بحثه « المفهوم الفلسفى للانسان » ، ان الانسان هو نقطة البداية فى التحليل الفلسفى . بيد ان هذه القضية قد حدث لها تطور فى المائة عام الاخيرة فى الفلسفة الغربية الحديثة . فثمة تصور مثالى للانسان يفسر العالم من خلال الانسان ، وليس الانسان من خلال العالم . وثمة تصور مادى للانسان يطرح فهما صحيحا للمجتمع والطبيعة ، ويكشف عن الكيفية السليمة التى تحقق الوحدة بين الانسان والطبيعة . ولكن يعاب على هذا التصور انه ينظر الى الانسان على انه كائن طبيعى ، أى جزء من الطبيعة ، فيقع فى حدود المادية الميتافزيقية التى تقلل من دور القدرات الفعالة للانسان ، فتظهر الماركسية وتصحح هذا العيب ، فتكشف عن الخاصية الاساسية للانسان من حيث هو كائن اجتماعى . ومن ثم تتناوله فى علاقاته الطبيعية والاجتماعية .

والعمل هو همزة الوصل بين ما هو طبيعى وما هو اجتماعى فى الانسان ، ثم هو الذى يحول الحاجات البيولوجية الى حاجات اجتماعية . ولهذا فماهية الانسان لا تتحدد بالبناء البيواجتماعى ، وانما تتحدد بالفاعلية الاجتماعية .. وتأخذ الوجودية على الماركسية انها ترد الانسان الى ماهيته ، وتتجاهل وجوده .. وتأخذ الفرويدية على الماركسية انها تحدد الانسان بجملة عوامل اجتماعية ، والاصح ان تحدده بالغرائز اللاشعورية . ويرفض **جانوفسكى** المأخذين ، لانهما يجهلان الديالكتيك بين الجوانى والبرانى ، بين الذاتى والموضوعى ، بين الماهية والوجود . كما انهما يجهلان ان العالم الجوانى للفرد فى وحدة مع العوامل الاجتماعية والثقافية . ومن هنا أهمية تعريف ماركس لماهية الانسان بأنها « جملة علاقات اجتماعية » .

وثمة بحث طريف مقدم من **هيوارد بارسنز** [أمريكا] عنوانه « التكنولوجيا وأزمة تدمير الانسان فى الولايات المتحدة الامريكية » ، يقرر فيه ان أزمة المجتمع الامريكى هى فى تدمير الانسان بفضل ما لديه من اقتصاد محكوم بفئة قليلة ، وموجه الى غايات غير انسانية . ومن شواهد هذه الازمة انتشار الفقر والمجاعة بنسبة ٤٠ ٪ .. [٥٠ مليونا من الاطفال يعانون من اضطرابات عقلية ، ١٨ مليونا يدمنون احتساء الخمر ، ٨ ملايين يتعاطون المارجوانا ، ٢٠ مليونا يعانون من الامية الوظيفية ، تزايد الجرائم وفساد البوليس ورجال القانون ، وضعف الروابط الاسرية] .. وهذه كلها شواهد تدل على انهيار منظم للمجتمع الامريكى ، وقد جاء هذا البحث كدليل على ان التكنولوجيا فى نظام راسمالى تفضى الى تدمير الانسان ، وعلى ان الوسائل التكنولوجية للانتاج ينبغى تأميمها لصالح الطبقات الكادحة .

د ـ العقل والعمل فى تغيير العالم

فى بحث طريف **لساسكوسكى** [بولندا] عنوانه « تخارج الانسان كوسيلة الى الابداع الذاتى والى معرفة الذات » ، ثمة مبدآن رئيسيان .. **المبدأ الاول** : ان العمل يسبق الفكر ، **والمبدأ الثانى** : ان التغير الكيفى يؤدى الى تغير كمى .

عن المبدأ الاول يرى صاحب البحث ان نمو الانسان يقاس بزيادة قدرة تحكمه فى الطبيعة . والعلامة الاساسية على هذا التحكم هى كمية الطاقة التى يستثمرها الانسان من حيث هو فرد ، ومن حيث هو عضو فى جماعة . وهذه الطاقة المستثمرة لا تكشف فقط عن درجة تحكم الانسان فى الطبيعة ، وانما أيضا عن نمو قدراته المنظمة

والمتحكمة . ومعنى ذلك ان « قوة » عقل الانسان تدرك بفضل القوى التى يتحكم فيها هذا العقل . ومن ثم فـــان فهم طبيعـــة القـــدرات المعرفيـــة والتنظيمية للانسان تستلزم الالتفات الى طبيعة وبنية نشاطه المادى [العملى] .

وعن المبدأ الثانى ، يرى صـــاحب البحث ان الانســـان ، مع تعاظم نموه ، اســـتطاع استثمار الطـــاقة الكامنة فى أبنيـــة خارج حدود الجهـــاز العضوى . واستثمار هذه الطاقة الخارجية كان يعد حدثا ثوريا فى التـــاريخ البشرى ، بل ثورة كيفية ، لانها أضـــافت طـــاقة جديدة الى طاقة الانسان ذاته . بيد ان هـــذه الطاقة الجديدة لم تقلل من طـــاقة الانســـان . ومع نشـــأة الثورة الصناعية ، المتمثلة فى منتجات الانسان من كهرباء وســـدود صـــناعية وتغيير فى التركيب الذرى ، تحولت الثورة الكيفية الى ثورة كمية ، بمعنى ان الطاقة الكامنة فى هذه المنتجـــات قد خفضت من طاقة الانسان الفزيقية . ولكن قد يقال ان هـــذا الانخفاض يقابله الارتفاع فى نسبة الطاقة الذهنية الا ان صاحب البحث يرى ان النسبة متســـاوية بين انخفـــاض الطـــاقة الفزيقية وارتفاع الطاقة الذهنية .

والملاحظ على المبدأ الثانى انه معكوس أحـــد قوانين الديالكتيك القائل بأن التراكم الكمى يؤدى الى تغير كيفى ، الامر الذى يســـــتلزم مزيدا من التأصيل النظرى .

وعلى الضد من هـــذا البحث ، بحث آخر بقلم **مانئج** [انجلترا] عنوانه « العـــلاقة بين النظرية والممارسة العملية » ، يقدم بتعريف للنظرية على انها جملة مبادىء ، بفضلها تصبح التجربة معقولة .. ثم يثنى بتعريف للممارســـة العملية على انها نوع من السلوك ، يقصد به تغيير العالم المحيط بنا ، ومن ثم فالممارسة العملية فى تغير متصـــل ولن يكتمل عقدها على الاطلاق .

وتأسيسا على ذلك ، فان النظرية هى التفسير بالعلة ، والممارسة العملية هى القدرة على التحكم فى الاحداث . ومن ثم فالنظرية فى حد ذاتها تخلو من المنفعة ، بمعنى أنه من العبث ان نبحث عن حل لمشكلة ميكانيكية فى كتاب عن الالكترونيات ، بل ثمة مشاكل لا يمكن ان نجد لها حلا بالعلم على الاطلاق .. فمن يرغب السفر الى جهة ما ، فى حاجة الى معلومات عن موعد سير القطار ، ولكنه ليس فى حاجة الى معلومات تخبره عن الســـبب الذى يحرك القطار . أما الممارسة العملية فهى وان كانت تســـتثمر النتـــائج العلميـــة ، الا انها لا تتصف بالعلمية .

ثم ان الممارسة العملية تقوم على أحكام تقويمية فى حين ان الامر ليس كذلك بالنســـبة للنظـــرية العلمية .

ويرتب **مانئج** على هـــذا الفصـــل الحـــاد بين النظرية العلمية والممارسة العملية ، نتيجة هامة ، هى ان الايديولوجية السياسية لا يمكن ان تتصف بالعلمية ، ومن يزعم غير ذلك فهو يروج لخدعة ذلك ان الايديولوجيا تفسير للماضى وإســـقاط لمستقبل ، استنادا الى فهم عملى للحاضر ، اى أن الماضى والمستقبل يتحددان بالحاضر ، والحـــاضر ذاته غير محدد .

وواضح من هذا البحث ان صاحبه يوجه نقدا للماركسية بطريقة خفية ، الامر الذى يدفعنا الى القول بأن تفرقته بين النظرية والممارسة العملية لها خلفية أيديولوجية ، أى خلفية لا علمية بمقياس صاحب البحث نفسه .

ومع ذلك فثمة ســـؤال جوهرى كان ينبغى طرحه والاجابة عنه :

هل الاحـــكام التقويمية مســـتقلة عن الاحكام التقريرية ؟ .. أى هـــل ثمـــة علاقة بين القيمة والعلم ؟

هـ ـ الفلسفة فى مضمار الثورة العلمية والتكنولوجية

ألقى **كوتان** [فرنسا] بحثا عنوانه : « ملاحظة حول التناقضات الراهنة لمفهوم البورجوازية عن المعرفة الموضوعية » .. الفكرة المحورية ان ثمة اتجاهين متعارضين فى المعسكر الرأسمالى ازاء امكان المعرفة الموضوعية .

اتجاه تتبناه الوضعية الجديدة ، ويســـتند الى الرياضيات ، والمنطـــق الصـــورى الحديث ، يقر موضوعية المعرفة ، ولكنه يقف ضـــد تكوين أية رؤية كونية موحدة .

واتجـــاه آخر لاعقلانى ، ينـــكر على المعرفة العلمية أى قيمة اجتمـــاعية ، بل ينـــكر عليهـــا الموضوعية .

وفلســـفة **هيـــدجر** هى المعبر الامين عن انكار المعرفة الموضوعية .

وفى ختـــام البحث يرى **كوتان** انه حين تتخلى البورجوازية فى العصر الامبريالى عن تكوين رؤية كونية ، وحين تصدر عنها اتجاهات متعارضـــة فلن يبقى أمامها من سلاح ايديولوجى سوى سلاح واحد لا يتسم الا بالتناقض وعدم الاتساق .

ويطرح **جيسيبى برستيبينو** [ايطاليا] فى بحثه المعنون : « الفلسفة فى مضـــمار الثورة العلمية والتكنولوجية » سؤالين :

الســـؤال الاول : هـــل مفهوم العلم يتحـــدد بالاستخدام الاجتماعى ؟

والســـؤال الثانى : واذا كان ذلك كذلك ، فهل معنى ذلك خضوع الطبيعة للنظـــام الاجتماعى ، سواء الرأسمالى منه أو الاشتراكى ؟

الجواب عن السؤالين يستلزم تفسيرا فلسفيا لأسس العلوم الفزيقية والرياضية . وهنا يستعين صاحب البحث بكل من **انجلز وماركس** ، ينقل عن **انجلز** قوله ان للانتـــــاج عنصرين : الطبيعـــة والانســـــان ، والانســـــان منظورا اليه من حيث علاقته بالطبيعة ، ومن حيث علاقته ببنى البشر .. ويتأثر **ماركس** بهذا القول فيخلص منه الى أن الغاية الاصيلة من الانتاج ، انتاج المنتج لذاته فى أحضان الظروف الموضوعية . أما التطور الكمى والكيفى للانتـــاج فغـــاية ثانوية ملحقة بالغـــاية الاصيلة . ومن ثم فالثروة ، على حد قول **ماركس** ليست الا تطورا لتحكم الانسان فى قوى الطبيعة ســـواء الطبيعة المصـــنوعة او الطبيعـــة بمعنى الكلمة .

وفى « **ضد دوهرنج** » يقرر **انجلز** ان الاستخدام الرأســـمالى للعلم يفجر قـــوى الطبيعة ، ولكنه عاجز عن التحكم فيها فى غياب التنظيم العقلى لعلاقات الانتاج .

ويخلص **ماركس** من ذلك الى الربط بين العلم والقوى المنتجـــة . ولكن من الخطـــأ القول بأن ماركس يقصد أن ثمة هوية بين العلم والتكنولوجيا بل يقصـــد ان الاســـتخدام التكنولوجى للعلم هو الذى يقع فى دائرة القوى المنتجة .

وهكذا يرى صاحب البحث انه على هذا النحو قد أجاب عن السؤالين اللذين طرحهما فى بداية البحث . فثمة اســـتخدام اجتماعى للعلم ، وثمة انطلاق محكوم للقوى الطبيعية فى ظل الاشتراكية

وفى رأيى ان الاجابة لا ترقى الى مســـتوى السؤالين ، اذ هى تستند الى مجرد انتقاء نصوص من انجلز وماركس ، دون أن يواكبه تأصيل نظرى

أما بحث **ترندافيلف** [بلغـــاريا] وعنوانه : « التكنيكى كشكل من حركة الاجتماعى » ، فيركز على نقد الحتميـــة التكنولوجيـــة ، حيث يتمطلق التكنيكى ، فيرقى الى ان يكون الضابط الكل لما يحدث من تغيرات اجتماعية .

ويعيب الحتمية التكنولوجيـــة انها عاجزة عن تفســـير الظروف التى ســـتدفع الثورة العلميـــة والتكنولوجية الى نظام عالمى للانتاج الاجتماعى . أنها تتجاهل الثورة الاجتماعية التى ستحدث تغيرا جذريا فى الانتقال من بنية اقتصـــادية عالمية الى بنية اقتصـــادية جديدة ، ويكون من شـــأن هذه الثورة سرعة نضوج الطريق الجديد للانتـــاج . وســـــيواكب الثـــورة فى المجـــال الاجتمـــاعى والاقتصادى والســـياسى ثورة ثقافية ، تهدف الى تحرير الوعى الانسانى من العوائق .

والذى يبشر بحدوث هذه الثورة هو ما يشاهد الان من تنـــاقض بين قوى الانتـــاج المعـــاصرة وعلاقات الانتاج الرأسمالية .

ويعيب الحتمية التكنولوجيـــة كذلك أنها تقرر اســـتقلال العلمى والتكنولوجى عن الانســـان . وعلى الضد من ذلك يرى صـــاحب البحث أنهما بلورة لقوى الانسان الجوهرية . وحين يقال عن العلم انه من نتاج تطور العقل الانســـانى ، فانه يقال عن التكنولوجيا انها تجسيد للخبرة البشرية المتراكمة فى عمليات الانتاج . ومن ثم فالتكنولوجيا شـــكل خاص من حركة الانســـــانى ، والعلاقات المرتبطة بها هى علاقات انسانية خاصة ، وهذه العلاقات لها اســـتقلالها النسبى ، ولكنها ليست مســـتقلة عن العلاقات الاجتماعية والاقتصـــادية للبشر .

ونختتم هـــــذه الحلقـــة ببحـــث **لسزيلينى** [تشيكوسلوفاكيا] ، عنوانه : « الثورات العلمية والتغيرات فى أسس التفكير العلمى » . ويطرح صاحب البحث فى البداية تعريفين أحدهما للثورة العلمية ، والاخر للمعرفة العلمية .

يعرف الثورة العلميـــة بأنها ظـــاهرة معقدة تنطوى على جوانب تاريخية وعلمية وابستمولوجية واجتمـــاعية . ومن ثم فالتحليـــل النظرى للثورة العلمية يســـتلزم فهما لجميع هـــذه الجوانب فى علاقاتها المتشابكة وتأثيراتها المتبادلة .

ثم يعرف المعرفة العلمية من وجهة نظر المادية الديالكتيكية ، بأنها تعكس الواقع الموضـــوعى ، وبأنها تتحرك حركة ديالكتيكية بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية . وصاحب البحث من هـــذه الزاوية يرفض نظرة الوضـــعية المنطقيـــة فى رد أسس العلم الى أسس الرياضيات والمنطق الصورى الحـــديث ، وهى نظـــرة مردودة الى القول بأن النظريات العلمية ليست الا تطبيقات للرياضيات .

وبعد ذلك يطرح خصـــائص أسس التفـــكير العلمى من خلال ما يسميه بأنماط المعقولية ، وهى على ثلاثة ضروب :

الضرب الاول : دعا اليه أرســـطو ، ويتســـم بأنه « تأملى » .

والضرب الثانى : نادى به ديكارت ، ويتصف بأنه لا تاريخى ، ويقوم على الميتافزيقا .

والضرب الثالث : ظهر مـــع حركة الطبقـــة العاملة الثورية ، ويتميز بانه تاريخى وعملى ، ويقوم على نفى الميتـــــــافزيقا ، وعلى اقـــران الديالكتيك بين الذات العارفة والموضوع المعروف فتكون الذات فاعلة وليست منفعلة .

تبقى بعد ذلك ملاحظة هى ان الضرب الثالث فى حاجة الى تأصيل نظرى حتى يمكن التوفيق بين نظرية الانعكاس من جهة ، وفاعلية الذات العارفة من جهة أخرى .

و – المعرفة والقيم في عصر العلم والتكنولوجيا

افتتح هذه الحلقة **ايفاندرو أجازي** [ايطاليا] ببحث عنوانه « المعرفة والقيم في عصر العلم والتكنولوجيا » . الفكرة المحورية فيه أن العلم وحده ليس يكفي ، وأن ماهو خارج نطاق العلم ليس زائفا بالضرورة فالتحليل الفلسفي للمعرفة العلمية يخلص الى أنها نتيجة مواجهة ديالكتيكية بين التجربة والعقل ، ومن ثم فهي تتميز بأنهـا **فرضية** (اى ان الفروض في حاجة الى التجربة من أجل التحقق من صحتها] وأنها نسبية [أى انها محدودة] ولهذا فالحقيقة العلمية تقف عند حد لا تتجاوزه . ولكن ينبغي التنويه بأن ممارسة البحث العلمي تنطوي على قيم معينة من بينها « الامانة العقليـة » أى التـزام المـوضوعية وتجنـب الدجماطيقية ، والنظر الى البحث العلمي على أن غايته خدمة الحقيقة والانسان . ومعنى ذلك أن العلم وسيلة الى كشف القيم ، ولكنه مع ذلك عاجز عن صياغة أحكام القيمة . وقد تبدو هذه المسألة غريبة ، الا أن الغرابة تزول حين نعرف أن العلم يبحث في « ماهو كائن » بينما أحكام القيمة تدور على « ماحقه أن يكون »

والتكنولوجيا في هذه المسألة مماثلة للعلم . صحيح انها نشاط موجه لغاية ولكنها هي في حد ذاتها ليست حائزة أي قيمة

ثم يزيد الامر ايضاحا فيقول ان القضايا العلمية محكومة بالوقائع في حين أن القيم هي التي تحكم الوقائع ويترتب على ذلك أن من الخطأ تربية الانسان بالعلم وحده .

ومع ذلك يبقى ثمة سؤال في حاجـة الى جواب :

ما هـو مقياس التفرقة بين قيمة انسـانية وقيمة لا انسانية بمعيار العلم ؟

ليس في الامكان ، طبقا لما يذهب اليه صاحب البحث .

اذن بماذا ؟

ليس من جواب في حدود هذا البحث

ثم أعقبه **ستيفان انجيلف** [بلغـاريا] ببحث عنوانه « **تناول معقد نحو معرفة الانسان** » يذهب على الضد من سابقه الى التداخل ، رغم التمايز ، بين التناول العلمي والتناول التقويمي للانسان ، اذهما جانبان لرؤية واحدة . وليس أفضل من الانسان كشاهد على الوحدة بين الحقيقـة والقيمة .

ومعنى ذلك أن تنـاول الانسان العقد اذ هـو ينطوي على ضرورة التركيب بين العلوم الطبيعية والاجتـماعية مـع ابـراز تكاملهـا ، فالعلوم الطبيعية (البيولوجيا والفسـيولوجيا .. الخ) تعالج الانسان من حيث هو كائن بيولوجي . وعلم النفس لا يعنيه من الانسان الا أنه حامل لخصائص نفسية مشروطة بعوامل فسيولوجية واجتماعية . وعلم الاجتماع يفحص الشخصية الانسانية من حيث انها وجود فردي ذو علاقات اجتماعية مـع غيره من بني البشر والاخلاق تتناول الانسان من حيث هو كائن أخلاقي فتعرض لدور الاخلاق في الحياة الاجتماعية . والفلسفة تكشف عن قوانين التفاعل بين الانسان ، من حيث هو ذات ، وبين العالم الموضوعي ، كما أنها تعرض للعلاقة القائمة بين الروحاني والمادي في بنية الانسان .

ولهذا كله فان الفلسفة الماركسية هي الاساس المنهجي لجميع هذه العلوم التي تعرض لقضية الانسان من زوايا محددة

وفي نفس الاتجاه **يسير درابنتسكي** ★ **الاتحاد السوفيتي**] في بحث له بعنوان « العلم والقيم : الوضع الراهن للمشكلة مع اعادة صياغتها » .

والوضع الراهن لمفهوم العلم محصور بيـن الوضعية الجـديدة والمـاركسية . الوضـعية الجديدة ، ابتداء من الذرية المنطقية حتى الفلسفة التحليلية ، تعزل قضية الانسان عن العلم بدعوى أن بحث الغايات العليا للانسان يتجاوز حدود العلم . صحيح أن العلم في مقدوره التنبؤ بنتائج الافعال الانسانية ولكن ليس في مقدوره تقويم هذه النتائج ، أي المفاضلة بينها . ومعنى ذلك أن العلم « محايد » وعن هذه المحايدة نشأت المدرسة الوظيفية في علم الاجتماع بزعامـة العـالمين الامريكيين **بارسونز ومرتن** تجرد القيم من النظرية الاجتماعية فيتحول علم الاجتماع الى مجـرد هندسة اجتماعية ، أو مجرد تـكنيك للتنظيـم الاجتماعي وتعالج المشاكل الاجتماعية من زاوية الوضع القائم ، وتطرح القيم من حيث علاقتهـا الوظيفية بالجماعة . ويبقى موضوع الفلسفة .

أما الماركسية فتقرر أن المعرفة العلمية تصلح أن تكون اساسا للقيم . ذلك انها تنظر الى الانسان من حيث هو موجود تاريخي كما أنها تنظر الى المعرفة على أنها نحو من أنحاء ادراك العالم وعلى انها الوعي الذاتي التاريخي للانسان . وهكذا يمكن ان تفسر القيم على أنها شكل من أشكال سلوك الانسان الروحي والعملي تجاه العالم .

وفي بحث فرونديزي (امريكا) بعنوان « هل للعلم علاقة بالقيم ؟ » التركيز يدور على العلاقة بين القيم والوقائع ويقرر صاحب البحث في البداية أن التراث الفلسفي الانجليزي بتأثير من دفيدهيوم ينكر مثل هذه العلاقة بدعوى أن القيم لا تستند لا

★ توفي في ٣ مارس ١٩٧٣ اثر حادث ، اذ تحطمت الطائرة التي كانت تقله من صوفيا الى موسكو ، ومات كل من فيها .

الى الوقائع ولا الى العقل وانما الى المشاعر والانفعالات ، كما ان كلا من النزعتين الوضعية والطبيعية فى القرن التاسع عشر اتجهت الى تحرير الوقائع من القيم حتى يمكن تطبيق مناهج العلم الطبيعى على جميع مجالات التجربة الانسانية وفى القرن العشرين اتسعت الهوة بين الوقائع والقيم بفضل دعاوى الوجودية والوضعية المنطقية .

ثم يطرح صاحب البحث السؤال الاتى :

هل العلم لا تعنيه مسألة القيمة ؟

للجواب عن هذا السؤال يقسم الباحث القيم الى ضربين : قيم وسلية وقيم جوانية ، ثم يستطرد قائلا أن العلاقة واضحة بين العلم والقيم الوسلية بمعنى أنه يهتم بتحسين الوسائل التى يستخدمها الانسان لتحقيق رفاهيته ، أى يهتم بفاعلية هذه الوسائل . بيد ان الفاعلية لا علاقة لها بالقيم الجوانيةوسبب ذلك واضح . فنحن نفترض غاية نسعى الى تحقيقها ، ثم نتساءل عن كيفية هذا التحقيق ، وهـــذا الســؤال تجريبى . والعلم هو أرقى صورة للمعرفة التجريبية . ولكن العلم يصمت حين نبحث عن القيم الجوانية كأن نبحث مثلاً عن اخلاقية الفعل او السلام أو المحبة .

ومن أجل ذلك ينقد الباحث جون ديوى لانه ينكر التفرقة بين القيم الوسلية والقيم الجوانية بدعوى ان الغايات تتحول باستمرار الى وسائل ، ومعنى ذلك أنه ليس لدينا سوى قيم وسلية . وخطأ ديوى ، فى راى الباحث ، يقوم فى انه يوحد بين القيم الجوانية والقيم الابدية المطلقة . وحيث انه ينكر هذه فهو بالتالى ينكر تلك . بيد أن القيم الجوانية لا تعنى أنها ليست متغيرة وانما تعنى أنها ليست وسائل لغايات .فالحب مثلا – وهو قيمة جوانية – ليس وسيلة الى غاية ، واذا تحول الى وسيلة فلن يكون حبا بل دعارة .

والرأى عند صاحب البحث أن القيم تستند الى الوقائع والوقائع ليست مستقلة عن القيم حتى الادراكات البسيطة لا تخلو من القيمة ، ويستعين صاحب البحث بمفهوم الجشطلت لتدعيم رأيـــه ، بمعنى أن أى موقف انسانى انما ينطوى على الوقائع والقيم معا . وبذلك يمكن للعلم أن يتناول القيم الجوانية شريطة تطوير مفهـوم « العقل » ومفهوم « الذات » . ولم يتحدثصاحب البحثعن هذا المفهوم المتطور .

ولكن المسألة يجب ألا تقف عند حد التساؤل عن امكان ايجاد علاقة بينالعلم والقيم وانما ينبغى أن تتجه الى التساؤل عن امكان تأسيس علم القيم . وهذا هو مضـــمون بحث مقـــدم من **روبـــرت هارتمان** [المكسيك] بعنوان « تكنولوجيا القيمة » وحيث أن التكنولوجيا تتأسس على العلم فيبقى أن اقران علم القيم سابق على تكنولوجيا القيم .

ولكن ثمة سؤال لابد ان يثار :

ماالعلم ؟

وفى راى **هارتمان** ان العلم-سواء طبيعى ،أو اخلاقى – ليس الا فلسفة قد تطورت الى نسق اجرائى على الواقع ، أى أن النسق الاجرائى هو الجسر الذى تعبر عليه الفلسفة حين تستحيل الى علم . فالرياضيات مثلاهى النسق الاجــرائى الخاص باستحالة الفلسفة الطبيعية الى علـم طبيعى . وعلى نفس المنوال يمكن القول بأن علم القيم أو منطق القيم هو النسق الاجرائى الذى سوف يحيل الفلسفة الخلقية الى علم أخلاق .

وكما بزغت التكنولوجيا الطبيعيـة مـن الرياضيات فى مجال العلم الطبيعى ، كذلك ستبزغ تكنولوجيا القيم الاخلاقية المكممة من منطق القيم فى مجال علم الاخلاق .

وهاهنا ثمة سؤال :

لماذا لم تبزغ حتى اليوم تكنولوجيا القيم ؟

لان علم الاخلاق لم يبزغ بعد .

ولماذا لم يبزغ بعد ؟

لعدم تطبيق **منهج نيوتن** فى مجـــال القيـــم الانسانية ، والاكتفاء بتطبيقه فى مجال الوقائع ونتيجة ذلك تأسس علم طبيعى أحدث ثورة علمية كان من شأنها تفجير ارادة الفعل وبقى بعد ذلك تأسيس علم اخلاق لاحداث ثورة أخلاقية يكون من شأنها تفجير ارادة الحياة .

وممارسة الحياة فن يستلزم تأسيس تكنولوجيا القيـم وتكنـولوجيا القيـم تتجـاوز جميـع الايديولوجيات .

والملاحظ على هذا الباحث أنه يهدف من وراء بحثه الى الاكتفاء بالتكنولوجيا دون الايديولوجيا وهو تيار ســائد الان فى الولايـــات المتحـــدة الامريكيـــة يهـــدف الى اخفاء معـــالم الصراع الايديولوجى .

ز – بنية المعرفة العلمية المعـــاصرة ومناهجهـــا

فى بداية طرح هذه القضية القى **جيبســون** [استراليا] بحثا عنوانه « تعليق على النسبية فى العلم ونتائجها »يدافع فيه عنالعقل لانه فى خطر بسبب شيوع مبدأ النسبية فى العلم .

وثمة خمس ذرائع لتبرير النسبية ، بيد أن **جيبسون** يركز على اثنتين منها :

الذريعة الاولى تقرر أن المعتقدات من نتاج ظروف اجتماعية ونفسية وليست من نتاج البداهة العقلية . ومعنى ذلك أن المعتقدات العلمية جزء لا يتجزأ من الايديولوجيات . وهذه الذريعة تروج لها « سسيولوجيا المعرفة » .

ويلاحظ جبسون أن هذه الذريعة امتداد للنظرية الماركسية فى الايديولوجيا . ولكن كان ينبغى التمييز بين الايديولوجيا والعلم ، وهو أمر وارد فى مؤلفات ماركس ، فقد كان يؤلف فى الاقتصاد، من حيث هو علم ، لكى يكشف عن أخطاء علم الاقتصاد الكلاسيكى . وكان رأيه أن هذه الاخطاء مردودة الى مؤثرات ايديولوجية .

وقد أخطأت « سسيولوجيا المعرفة » فى تعميم مفهوم الايديولوجيا .

والسؤال الان :

لماذا هذا التعميم ؟

للقضاء على مبدأ البداهة العقلية .

وما الذى يدفع سسيولوجيا المعرفة الى انكار مبدأ البداهة العقلية ؟

انها تفترض مقدما أن معتقداتنا العقلية لا تستند الى علة تفسرها .

ثم انها تقرر ان أى ظاهرة اجتماعية لابد أن تكون لها علة تفسرها .

فتخلص الى انكار المعتقدات العقلية وبالتالى البداهة العقلية .

والخطأ هنا ، فى رأى جبسون ، يكمن فى الافتراض . فما المانع من وجود معتقدات عقلية لها علة ، وهذه العلة هى البداهة .

أما الذريعة الثانية فتقرر أن قواعد الاستدلال العلمى ليست حاسمة فى استبعاد فروض معينة . فمثلا اذا كان لدينا فرضان أحدهما يفسر وقائع اكثر ، فى حين أن الاخر أبسط فاختيارنا أحد الفرضين يتوقف علينا . ومعنى ذلك ان الاختيار مسألة ذوق . وفى رأى جبسون أن المسألة ليست كذلك . فمن الممكن أن يكون الاختيار حاسما ، واذا لم يكن ممكنا، خاصة فى الظواهر المعقدة ، فالبديل هو الحدس والخبرة الطويلة .

والملاحظ على هذا البحث أن صاحبه يوحد بين نقد النسبية والدفاع عن العقل فيستعين فى النقد والدفاع الى اقرار البداهة أو الحدس . بيد أن بديل النسبية هو المطلق

والسؤال اذن :

هل فى امكان العقل ادراك المطلق ؟

وكان من الواجب على جبسون طرح هذا السؤال ،واغلب الظن ان المانع من هذا الطرح هو اغفال منهج الديالكتيك حيث يوفر لنا هذا المنهج اقرار النسبية مع عدم الشك فى المطلق .

وقد أخذ بهذا المنهج ، منهج الديالكتيك ، جان لادريير [بلجيكا] فى بحثه « من مفهوم تصورى الى مفهوم اجرائى للممارسة العلمية » . وتأسيسا على هذا المنهج يرفض لادريير مذهبى « التجريبية المفرطة » و « الواحدية المنطقية » .

المذهب الاول يميز بين قضايا الاستنباط ، وقضايا التجربة . قضايا التجربة تبدأ من معطيات بسيطة ومباشرة ، اووقائع خالصة . بيد ان هذه البداية فى رأى لادريير وهمية لاسباب ثلاثة :

السبب الاول انه ليس ثمة معطيات بسيطة .

السبب الثانى ان التجربة تفترض مقدما نظرية .

السبب الثالث ان النتائج التى تقدمها لنا الاجهزة العلمية لابد من تأويلها ، والتأويل من عمل العقل .

والنتيجة أن الاتصال المباشر بالواقع يزول . مثال ذلك : لدينا نظرية ولتكن ن ١ نريد اثباتها ، ولدينا نظرية ن ٢ وهى جملة القضايا النظرية التى نستعين بها فى اجراء التجارب للبرهنة على ن١ فنحصل اما على اتفاق او افتراق بين ن١ ، ن٢ وليس بين ن١ والواقع .

أما المذهب الثانى فينظر الى الوجود على أنه لوغوس ، ومن ثم تتمطلق اللغة ، وهذه مثالية مرفوضة .

والفارق بين المذهبين أن الاول يتسم بالتحليل حيث نقطة البداية البسيط وحيث التمايز بين الاجزاء . والثانى يتصف بالتركيب حيث نقطة البداية بناء تصورى محيطى .

ولكن فى رأى لادريير أن المسيرة العلمية ترفض هذا وذاك ، اذ هى مرتبطة بالواقع الفعلى الذى لا يمكن رده الى البناء الوصفى سواء قيل عن هذا البناء أنه تحليلى أو تركيبى . فثمة تفاعل بين النظرية والواقع العينى أو التجربة . ولكن هذا التفاعل ليس مجرد ذهاب واياب . انه عملية ديالكتيكية ، وهو شبيه بالفعل الذى ينظم ذاته بذاته . وسبب هذا التنظيم هو اتساق الفعل مع ذاته . غير أنه ليس اتساقا يخلو من التناقض ، وانما هو قدرة الفعل على التركيب . ولهذا فان الفعل فى حالة توتر وبحث عن أشكال أكثر فاعلية فى تحقيق التكامل . ولكن ينبغى ألا ننسى أن هذا الفعل هو فى الحقيقة تفاعل . انه ليس مستقلا عن الواقع العينى وانما هو محايث فيه كما لو كان هو اللحظة المغيرة للواقع .

ومن حيث أن الفعل هو المحل الذى بفضله ينغمس الموجود الانسانى فى الكسموس فان خاصية الاتساق الكامنة فى الفعل تصور البحث فى اشكال اكثر خصوبة يكون بمقتضاها استدعاء العملية الخاصة بتكسموس الانسان

Cosmisation de l'homme

ويناقش « كراجوسكى » (بولندا) فى بحثه « الانماط المتباينة لنظرية الرد» قضية «مثارة فى بولندا فى هذه الأيام لانها مسألة هامة فى تزيياء

القرن العشرين ». فقد حدث أن ردت الميكانيكا الكلاسيكية ، أى ميكانيكا نيوتن الى النظرية الخاصة للنسبية ، أى نظرية أينشتين ، وحدث كذلك أن هذه الميكانيكا بعينها ردت الى ميكانيكا الكوانتم .

وفى رأى العالم الفزيائى نيلز بور أن الربط بين النظريات القديمة والنظريات الجديدة فى الفزياء المعاصرة انما يتم وفقا « لمبدأ المراسلة » . وفى رأيه كذلك أن النظرية الجديدة اعم من النظرية القديمة ، ولكنها اكثر واقعية . اى ان الجديدة تعيين للقديمة .

والرد قد يتم داخل النسق الواحد أو بين عدة أنسقة . والذى يهم الفلاسفة هو النوع الثانى ، مثال ذلك رد النظريات البيولوجية الى النظريات الفزيائية والكيميائية . وينقسم الفلاسفة والعلماء ازاء هذا النوع الثانى الى فريقين : فريق يؤيد وفريق يرفض . ومن المؤيدين أصحاب المذهب الحيوى ، والمذهب الروحى والمادية الديالكتيكية حيث يركزون على خصوصية العمليات العليا وخصوصية الكل أو النسق .

وفى رأيى أن اهمية هذه المسألة ، مسألة الرد ، مردودة الى ما تنادى به الوضعية المنطقية ، المؤثرة فى قطاع كبير من العالم الاوربى والامريكى ، من رد العلوم جميعا الى علم الفزياء ، وقصر مهمة الفلسفة على تحليل قضايا هذا العلم .

وثمة بحث آخر مقدم من فلاديمير نوفاك [تشيكوسلوفاكيا] عنوانه « مبدأ الاجتماعية ومضمونه الفلسفى » يقرر فيه صاحبه أن ثمة رابطة بين البيولوجيا وقوانين الديالكتيك بفضل مبدأ الاجتماعية . وهذا المبدأ ملازم للحياة من أدنى صورها الى أعلاها ، ودعا اليه كثير من علماء البيولوجيا والاجتماع والفلاسفة من امثال هيكل وفورمس وويلر وتيار دى شاردان .

ويحاول نوفاك فى هذا البحث الربط بين مبدأ الاجتماعية وقوانين الديالكتيك بهدف فهم عملية الانتقال من الصورة الكيميائية للحركة الى صورتها البيولوجية ومن صورتها البيولوجية الى صورتها السيكواجتماعية .

كما يحاول كذلك تفسير الانتخاب الطبيعى فى ضوء مبدأ الاجتماعية . والذى يدفعه الى ذلك ما يبدو له أنه تفسير خاطىء لمفهوم الانتخاب الطبيعى حين يقال انه مشروط بالصراع بين الانواع الحيوانية ، والغاية من هذا القول تبرير الفاشية والنزعات العنصرية والرأسمالية الليبرالية .

أما التفسير الصحيح فى رأى نوفاك ، فهو القول بأن التعاون بين أفراد النوع وبين الانواع بعضها وبعض هو العامل الرئيسى للانتخاب الطبيعى . وهذا التفسير الصحيح ينطوى على نتائج لصالح التقدم البشرى اذ هو يكشف عن الدونية البيولوجية للتيارات اللااجتماعية وجميع أشكال الاستغلال السياسى ». ثم هو يدعو الى وضع الخطط للتغلب على الصراعات الطبقية فى داخل المجتمع الانسانى وتحقيق سلام دائم . وكل ذلك ممكن التحقيق ، ولكن امكانيته مشروطة بعدم تدمير الانسان لنفسه .

وأهمية هذا البحث تأتى من أن صاحبه ينتمى الى دولة اشتراكية تستند فى فلسفتها على مبدأ الصراع الطبقى وعلى أنه من بين المبادىء الضرورية لتفجير الثورة الاشتراكية ، وصاحب هذا البحث يرفض هذا المبدأ ومع ذلك يقر قوانين الديالكتيك الاربعة ومن بينها قانون وحدة وصراع الاضداد

هذه مفارقة فى حاجة الى تفسير.

ثالثا : تقييم المؤتمر

هذا المؤتمر شاهد على العصر ، فهو يشهد على ان الانسان هو القيمة العليا ، وعلى ان العلم والتكنولوجيا هما بالضرورة فى خدمة الانسان .

ولكن من هو هذا الانسان ؟

انه فى هذا العصر ليس الانسان المجرد وانما هو الانسان العينى المحدود بالزمان والمكان واللامحدود بقدراته المبدعة . ومن ثم فابداعه هو بالضرورة انسانى الطابع ، ومن ثم فهو يتسع حتى يشمل الانسانية كلها .

ولكن أى انسانية ؟

هنا ينقسم فلاسفة المؤتمر الى فريقين : فريق يجردها من مضمون العصر ، وهو مضمون اجتماعى بالضرورة بحكم الصراع الايديولوجى بين الانظمة الاجتماعية المتباينة . وفريق آخر يلتزم هذا المضمون الاجتماعى .

وبالطبع ليس من شأن هذا المؤتمر وقد بلغ عدد المشتركين فيه ١٨٧٧ ان يحسم هذا الخلاف ، ولكن من شأنه أن ينبه الانسانية الى حقيقة صراعها مع ذاتها . وهكذا تظل الفلسفة محتفظة برسالتها وهى تفجير الوعى الانسانى دون أن ترقى الى مستوى التحكم فى هذا الوعى ، وان كان ثمة تطلع لدى بعض الفلاسفة الى ضرورة ممارسة هذا التحكم بدعوى ان الانسانية مدفوعة الى تدمير ذاتها بسبب ما تحمله فى طياتها من رعب نووى .

وبرؤية رومانتيكية يمكن القول بأن هذا التطلع مشروع .

ولكن برؤية علمية فهو غير مشروع لان التطور الاجتماعى محكوم بالقاعدة اكثر مما هو محكوم بالقمة . والفيلسوف موقعه الدائم عند القمة .

تقارير الشهر

■ جمهورية مصر العربية ■

المقاومة الشعبية تؤكد
ضرورة تسليح الشعب

■ الـــوطن العـــربى ■

مرة أخرى : خطأ فى
الحسابات الامريكية

■ اسرائيـــــــــل ■

هل تستمر « حكـومة كل
العصـور » بوجوه جديدة ؟

■ رســالة دمشــق ■

سوريا فى مرآة ٦ أكتوبر

■ رســالة موســكو ■

قضـــية الشرق الاوســـط
فى جمعية عمومية لشعوب العالم

■ تقرير خاص :

هنرى كيسنجر ..
والدبلوماسية السريـــة

■ جمهورية مصر العربية ■

المقاومة الشعبية تؤكد ضرورة أهمية تسليح الشعب

اذا كان عبور قواتنا المسلحة لقناة السويس واقتحامها لخط بارليف ، يوم ٦ أكتوبر قد هز الكثير من الادعاءات التى دأبت على ترويجها الدوائر الاستعمارية والصهيونية عن الروح القتالية للمصرى فقد جاء اشتراك قوات المقاومة الشعبية فى القتال غرب قناة السويس - ليحسم جدلا طويلا شهدته بلادنا - منذ عدوان ١٩٦٧ - حول دور الجماهير المسلحة ، وضرورته جنبا الى جنب . مع القوات المسلحة - فى هزيمة العدوان الاسرائيلى

ففى اليوم الثالث والعشرين من شهر اكتوبر - اليوم التالى لقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار - وفى أعقاب ما ظهر من استغلال العدو لالتزام مصر بقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار - اصدر الرئيس انور السادات توجيهــا باشــتراك قــوات المقــاومة الشعبية فى مختلف انحــاء مصر مع زملائهم من قوات القاومة الشعبية بمنطقة غرب القناة ، ليساندوا القتال البطولى الذى يقوم به الجيش المصرى ضد العدو الاسرائيلى •

وفور اذاعة توجيه الرئيس السادات ، تدفق على مقــر الاتحــاد الاشتراكى الالوف من الشباب الذين سبق تدريبهم تدريبا راقيا من عام ٦٨ حتى ٧٣ على مختلف أنواع الاسلحة • وكان قد تم استدعاؤهم فور اذاعة توجيه الرئيس •

ولقد ابدى الجميع اصرارا على السفر ضمن الافواج الاولى ، وكانت المشكلة الحقيقية امام المنظمين - هى اقناع الشباب المشتعل بالحماس - بأن ينتظر دوره • ولاحظ المراقبون ، أن عددا غير قليل من الشباب ، حضروا دون ان يتم اخطار شخصى لهم ، اى أنهم حضروا فور معــرفتهم بتوجيه الرئيس كما شوهدت اعداد من المتطوعين (ممن بهم اصابات عمل أو مرضى) ومع ذلك ، كان اصرارهم شديدا على السفر ، وعلى أخذ مكانهم لحين استكمال لياقتهم ، ولم تقف اى ظروف عمل او مصدر رزق أو مشكلات عائلية حائلا دون ان يتقدم سائقو تاكسى ، وعمال فى محلات تجارية قطاع خاص ، أو فى ورش ، أو حتى من الشبان المعافين من الخدمة العسكرية بحكم أنهم وحيدى أبويهم •

وقبل ان تتحرك الافواج المسافرة الى جبهة القتال ، كانت هناك ألوف أخرى من الشبان والشابات يلحون فى الذهاب الى الجبهة سواء للخدمة فى صفوف القوات المسلحة ، او للعمل فى مواقع الخدمات ، وقاموا بملء استمارات التطوع لهذه الاغراض ، مؤكدين اصرارهم على الذهاب الى جبهة القتال •

كما توجه المئات من طلاب وطالبات الجامعات والمعــاهد العليا الى ادارات الجامعات مطالبين باتاحة الفرصة لهم للمشاركة فى المعركة • وقد تم افتتاح أربعة مراكز لتدريب الطلاب على أعمال المقاومة الشعبية •

وتلقت امانة الشباب بالقاهرة طلبات من المهجرين يطلبون اعطاءهم الاولية فى الذهاب الى الجبهة للمشاركة فى القتال على أساس انه كان قد سبق تدريبهم •

وعلى الرغم من أن الفرصة التى أتيحت حتى الان لاشتراك المقــاومة الشعبية كانت لايام محدودة ، وفى منطقة محدودة ، الا انها كانت كافية لتدشين مولد المقاومة الشعبية المسلحة فى وجه الغزاة • كما تحقق من خلالها بطولات شعبية رائعة تكمل بطولات القوات المسلحة •

فعندما دفع العدو بدباباته من الدفرسوار ، غرب القناة فى اتجاه مدينة السويس ، فى محاولة منه لاقتحام المدينة ، استطاعت القوات المسلحة المتلاحمة مع قوات المقاومة الشعبية بالمدينة وجموع الشباب من سكان المدينة والفلاحين والاهالى المسلحين – أن تمنع الدبابات الاسرائيلية من اقتحام المدينة ، وأن تجبر ما بقى من هذه الدبابات على التراجع شمالا داخل صحراء السويس الى مسافة ١٢ كيلو مترا ».

وأبدت جموع الشباب والفلاحين بطولات فى القتال عند مشارف السويس وعجرود وكشك العوايد وفايد وكبريت وكسفريت وجنيفة .

وفى بورسعيد والاسماعيلية ودمياط والغردقة وسفاجة – كانت عناصر المقاومة والدفاع الشعبى تتمم مجهود دفاعات الجيش فى عدم تمكين قوات العدو البحرية من الاقتراب من الشواطىء ». وكانت تقرب المثل للمواطنين فى الصمود فى وجه الغارات المكثفة وفى اليقظة ضد المتسللين ، ومواصلة الحياة تحت وهج القنابل .

وشاهد الصحفيون عسكريا من رجال المقاومة يحمل حقيبة أدواته وعلى كتفه بندقية ، وشاهدوا مهندسا يقود سيارة لكسح المجارى ، بدلا من السائق الذى استدعى للخدمة العسكرية – وعمال التليفونات يصلحون الاعطال على قمة الصوارى فى ظل الغارات .

وفور وقف اطلاق النار ، بدأت كتائب الشباب وهى الكتائب المشكلة من الشباب المتطوعين من الذين لم ينلهم شرف حمل السلاح . بدأت فى ازالة الانقاض التى تخلفت فى منطقة بورسعيد . كما تم توزيع ٦٠٠ من طلبة وطالبات السنوات النهائيه بكليات الطب على مستشفيات الجبهة .

وضرب العاملون فى عدد من المصانع مثلا ثوريا على وحدة النضال فى وجه الغزو الصهيونى بين الجبهة والمؤخرة . فقد بادر العمال الى جمع تبرعات من جميع العاملين وكذلك من الادارات – وقامت لجان التبرعات بشراء اللوازم التى يحتاجها أبناء الوحدة المتطوعون فى المقاومة الشعبية والذين توجهوا الى جبهة السويس .

وعلى ضوء التجربة التى عاشتها منطقة القناة طالبت أمانة الشئون السياسية باللجنة المركزية بتسليح جميع المدن والقرى المصرية واعدادها للمشاركة فى المعركة ولمواجهة أى احتمال . كما طالبت لجان الاتحاد الاشتراكى فى محافظة سيناء بتسليح أهالى سيناء . وأعلن ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية أنه تقرر الترخيص لاهالى سيناء بعد التحرير بحمل السلاح .

ولقد أكد واحد من كبار المعلقين السياسيين المصريين على اشتراك رجال المقاومة الشعبية فى القتال بقوله :

« ان هذه الفترة الحرجة يجب أن تتميز باستخدام كل الطاقات وحشد كل القوى من أجل التدريب السريع على أحسن أنواع السلاح التى يمكن الحصول عليها وعلى اعداد موجات بشرية اضافية يعرف العدو دائما انها ستكون جاهزة للاشتباك به فى اى لحظة » .

وعلى ضوء ما أكدته مصر بعد وقف اطلاق النار « حق الاهالى والسكان فى مقاومة الاحتلال ، هذا الحق الذى يستند الى عدم شرعية الاحتلال الحربى طبقا لقواعد قانون الحرب . وان حق الدفاع عن النفس مشروع فى ميثاق الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن والجمعية العامة وكلها تعطى شرعية لمقاومة الاهالى للاحتلال » .

وعلى ضوء التوقعات من مختلف الدوائر بأن اسرائيل لا يستبعد أن تقدم على عدوان غادر مستغلة قرار وقف اطلاق النار ، فان المقاومة الشعبية ودورها الفعال تصبح قضية الى اكبر جانب من الاهمية وبشكل خاص بعد وصول القوات الاسرائيلية الى غرب القناة وعلى مشارف محافظات

الدلتا • ومن هنا يطرح — على الفور — مسألة التطبيق الجاد والفورى لتوجيه الرئيس السادات : « ان المعركة هى معركة كل الشعب ، وتتفق مع تقاليدنا التاريخية العريقة فى دفع الغزوات البربرية بكل ماتملك من أفراد ووسائل وسلاح »

العمل السياسى على الجبهة الدوليـة نتائج ••• واحتمالات

لم يحدث أن تحركت مصر فى ظل مثل هذه المظلة من التأييد العالمى الواسع ••

وحتى عندما اعتدى الاسرائيليون عدوانا سافرا على ثلاثة بلدان واحتلوا أراضيها بالقوة ، وتحدوا كل القوانين الدولية وقرارات الامم ، وتباهوا بعدوانهم • حتى فى هذه الاثناء كانت اسرائيل قادرة على كسب قطاعات من الرأى العام العالمى •• ويومها قيل ان العدوان الاسرائيلى هو أول عدوان فى العصر الحديث يجرى فى ظل تأييد عالمى ••

ولكن كما تغيرت الصورة فى ميدان القتال تغيرت أيضا فى ميدان السياسة •

ففى الايام الماضية كانت « مصر » تتحرك بسرعة •• وفى أكثر من موقع •• لتستكمل خطتها فى تعبئة الرأى العام العالمى الى جانب الحق العربى ••

● حوار عربى مكثف ومؤتمر قمة لبلورة النتائج

فقد تباينت ردود الفعل القادمة من العواصم العربية المختلفة ازاء قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ وهو القرار الذى يقضى بوقف اطلاق النار بين الاطراف المتحاربة والعمل فورا على تطبيق القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بكل بنوده ، فقد عارضت بعض الدول العربية هذا القرار مطالبة باستمرار القتال مهما كانت الظروف وبدا الموقف العربى خلال الايام القليلة التالية لوقف القتال منذرا بخطر شديد ، ومع ذلك فقد لعب التحرك السياسى والدبلوماسى النشط الذى اشتركت فيه كل العواصم العربية ومعظم الملوك والرؤساء العرب دورا هاما فى حصر نطاق الخطر تمهيدا للتغلب عليه • ولقد حدد التحرك السياسى والدبلوماسى المصرى فى الساحة العربية خلال تلك الايام الصعبة هدفه الاستراتيجى بأنه **المحافظة بكل الوسائل على الموقف العربى الموحد الذى ظهر من قلب معارك أكتوبر وتنمية هذا الموقف بما يحقق حشد الامكانيات العربية لاجبار اسرائيل على الانسحاب النهائى من الاراضى العربية المحتلة واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى** •

وكان الموقف المصرى كما حدده الرئيس السادات فى اجتماعاته مع الملوك والرؤساء العرب أو كما حمله مبعوثيه العديدين الى مختلف العواصم العربية واضحا على النحو التالى :

أولا : أن قرار وقف القتال بالصورة التى صدر بها هو قرار مصرى مائة بالمائة تبناه الاتحاد السوفيتى بكل ثقله واشتركت فيه الولايات المتحدة تحت وطأة الضغط السوفيتى وموازين القوى المحلية والعالمية فى المنطقة •

ثانيا : أن توقف القتال لا يعنى أن المعركة قد انتهت وأن القتال يمكن ان يستأنف فى أى لحظة اذا لم تتحقق الاهداف العربية المشروعة •

ثالثا : ان الجهد العربى فى المعركة جهد أساسى واستمراره عامل هام فى تحقيق النصر النهائى على العدو •

ويرى عديد من المراقبين أن التحرك السياسى المصرى قد حقق الجانب الاكبر من أهدافه وان الموقف العربى الذى بدا فى أعقاب وقف اطلاق النار منذرا بالخطر قد تحرك الى أوضاع أفضل وان تكن ما تزال فى حاجة الى

● ابتداء من ٢٢ نوفمبر الماضى نظم اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى واتحاد الطلاب العالمى بالاتفاق مع منظمة الشباب الاشتراكى فى جمهورية مصر العربية اسبوعا عالميا للتضامن مع الشعوب العربية .

وتشمل حملة التضامن الواسعة الدعوة الى انشاء « صندوق التضامن الدولى مع الدول العربية» ، وايفاد لجنة من الاتحاديين العالميين لتقصى الحقائق فى البلاد العربية ، ودعوة وفد من الصحفيين المنتمين الى منظمات الشباب والطلاب العالمية ، خصوصا من أوروبا الغربية ، لزيارة الدول العربية فى مهمةمماثلة.

تنظم حملة التضامن ندوة دولية تنظم فى القاهرة فى ١٥ يناير ١٩٧٤ ، على أن تتحول الندوة الى مؤتمر دولى لكل اقسام الحركة الشبابية العالمية للتضامن مع الشعوب العربية .

وقد تبرع اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى بـ ٢٠ الف فلورين لمناصرة شعوب مصر وسوريا والشعب الفلسطينى، كما تبرع اتحاد الطلاب العالمى بـ ٣٠الف كرون لنفس الغرض.

مزيد من الجهد لأعادته الى التماسك • ويشير المراقبون الى المؤتمر الذى عقدته الدول العربية المنتجة للبترول فى ٤ نوفمبر الماضى وما توصل اليه من نتائج ايجابية تقضى باستمرار الحصار البترولى واحكامه ضد الدول المساندة لاسرائيل وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية وهولندا باعتباره بادرة أساسية فى هذا الاتجاه ولقد برزت الحاجة الى عقد مؤتمر عربى على مستوى القمة تجرى فيه بلورة النتائج التى تمخض عنها الحوار العربى المكثف الذى جرى خلال تلك الاتصالات بما يمكن من الاتفاق على الخطوط الاستراتيجية للعمل العربى خلال المرحلة المقبلة ويترك فى نفس الوقت فرصة مناسبة أمام الدول المحاربة لمواجهة الظروف المتغيرة فى مختلف ميادين الصراع العسكرى والعالمى •

وبناء على دعوة مشتركة من الرئيسين **أنور السادات** و**حافظ الاسد** تقرر ان ينعقد مؤتمر القمة العربى لبحث الموقف من جميع جوانبه •

وخلال الجولة التى قام بها الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فى كل من مصر وسوريا والعراق والكويت والسعودية جرى الاتفاق على أن تستضيف الجزائر مؤتمر القمة العربى الذى تحدد موعده يوم ٢٦ نوفمبر على أن يسبقه هناك أيضا مؤتمر تمهيدى من وزراء الخارجية والدفاع العرب يوم ٢٤ من نفس الشهر •

وجدير بالذكر أن الوزراء قد تلقوا ورقة عمل اقترحها **محمود رياض** الامين العام لجامعة الدول العربية وتتضمن البنود الاربعة التالية :

اولا : متابعة العمل العربى اثناء المعارك وتقييم نتائجه •

ثانيا : تنظيم خطوات المرحلة القادمة •

(ويتصل بهذين الموضوعين : استخدام الطاقة العربية ـ علاقات العرب بالدول الاجنبية على أساس مواقفها من المعركة) •

ثالثا : دعم العمل الاقتصادى المشترك كقوة مؤثرة جديدة فى المعركة (ويدخل فى هذا الموضوع : الاستثمارات العربية والمشروعات المشتركة فى تنمية الاقتصاد العربى) •

رابعا : التحرك الاعلامى فى ضوء السلبيات التى حدثت اثناء المعارك بحيث لم يستطع الاعلام العربى مواكبة المعارك التاريخية التى شغلت العالم كله •

ويرى عديد من المراقبين ان فرص النجاح امام مؤتمر القمة العربى يمكن أن تكون الان أوسع منها فى أى وقت مضى • فالعرب يعقدون مؤتمرهم وقد حققوا لاول مرة نجاحا عسكريا لا شك فيه ضد اسرائيل • وهم من ناحية ثانية قد لمسوا عمليا قيمة مايملكونه من امكانيات ومدى ماتحدثه هذه الامكانيات من آثار واسعة المدى فى العالم كله اذا ما استخدمت الاستخدام الصحيح وفى الوقت المناسب وهم من ناحية ثالثة يتحركون تحت مظلة من التأييد والتضامن العالمى مع قضيتهم فاقت كل التوقعات وامتدت على جبهة عريضة من الدول الافريقية الى دول عدم الانحياز الى أسرة البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى بكل امكانياته وثقله العالمى •

وحتى كتابة هذا التقرير كانت سبعة عشر دولة عربية بما فيها فلسطين قد أعلنت موافقتها على حضور مؤتمر الجزائر وكانت العراق وليبيا قد أعلنتا رفضهما الحضور • وعموما فان العرب سواء بمؤتمر القمة أو بغيره يواجهون الان تحديا دقيقا ، فاما ان ينجح العدو فى تمزيق ماحققوه بتضامنهم منذ معارك ٦ اكتوبر ، واما ان ينجحوا هم فى الثبات على مواقفهم وتطويرها بما يحقق فى النهاية أهدافهم فى هزيمة العدوان •

● **الزيات •• لندن ـ باريس ـ بلجراد**

عندما وصل **د • الزيات** الى باريس أدلى أحد مرافقيه فى مطار « لايورجيه » ببيان قال فيه : « ان الرئيس **السادات** قد ارسلنى لاوضح الوضع الراهن فى الشرق الاوسط للرئيس بومبيدو ، وقال انه قد جاء الى

● **اصدرت ثمانية وفود عمالية عربية اجتمعت فى طرابلس بعد اجتماع دعا اليه الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ـ مجموعة من التوصيات جاء فيها :**

● **بعد تاميم العراق لحصة شركتى ستاندرد اويل اوف نيوجرسى ـ اوكسن ـ وموبيل اويل كوربورشن ـ تبين ان نائب الرئيس التنفيذى لشركة اوكسن هو هوارد بايج الذى عين قبل أشهر رئيسا لمجلس امناء الجامعة الامريكية فى بيروت .**

فرنسا أولا لان فرنسا تتمتع بوضع خاص فى أوربا ، وبوضع خاص بالنسبة لمصر وللبلاد العربية الاخرى (يونيتدبرس ٥ ـ ١١ ـ ١٩٧٣) •

وقد لاحظت وكالات الانباء أن زيارة **الدكتور الزيات** لباريس أول زيارة لمسئول عربى الى أوربا الغربية بعد وقف اطلاق النار •• وقد حرصت وكالات الانباء على التلميح بأن مصر تعمل على أن تفتح قلبها لاوربا الغربية فى وقت تشعر فيه دول أوربا الغربية بالمهانة نتيجة لمحاولة تجاهلها فى محاولات ايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط •

فقالت رويتر « ربما كانت الزيارة لفرنسا وانجلترا محاولة لتهدئة أوربا الغربية التى تشعر بعدم الرضا نظرا لتولى القوتين الكبيرتين وحدهما مسئولية التوصل الى تسوية لازمة الشرق الاوسط » (رويتر ـ ٤ـ١١ـ١٩٧٣) •

وفى نفس البرقية التى أرسلتها وكالة يونيتدبرس من باريس عن زيارة **الزيات** اضافت قائلة « ان الصحيفة الديجولية « لاناسيون » نشرت ان السفير الفرنسى فى واشنطون قد قابل **كيسنجر** والح عليه « فى أن الاوربيين لديهم ما هو أكثر المسئوليات الاقليمية فى هذا الجزء من العالم » •

وقد حرص **الدكتور الزيات** على ان يؤكد ذلك ايضا ، فقد صرح لدى وصوله الى باريس « أن مصر تريد أن تتبادل وجهات النظر مع فرنسا وانجلترا اللتان تلعبان دورا هاما فى منطقة البحر الابيض وفى الشرق الاوسط • وقال ان رحلته هذه هى جزء من بحث القاهرة عن « السلام العادل » •

وقد توقف المعلقون كثيرا عند تصريح د • الزيات الذى أدلى به قبيل مغادرته لباريس ، اذ أعرب أمام الصحفيين « عن أمله فى أن تكون لاوربا ارادة مستقلة • والا تؤيدنا أو تؤيد اسرائيل ولكن تؤيد سلاما عادلا فى المنطقة • وقال لقد جئنا لتقديم المعلومات وطلب النصيحة » • (ا • ش • ا • ٦ـ١١ـ١٩٧٣) •

وربط المعلقون هذه التصريحات بالتناقضات الظاهرة بين دول اوربا الغربية وبين الولايات المتحدة الامريكية •• الامر الذى دفع نيكسون الى مهاجمة حلفائه الغربيين ودفع هؤلاء الحلفاء الى اتخاذ موقف مستقل ، يرفض الاندفاع الامريكى فى تأييد اسرائيل ، ذلك الاندفاع الذى دفع الدول الغربية الاعضاء فى حلف الاطلنطى الى الشعور بخطر حقيقى من ارتباطها مع امريكا فى حلف الاطلنطى •• وقد علق **والتر شيل** على قرار نيكسون بتعبئة القوات الامريكية فى الخارج ، اى القوات الامريكية التابعة لحلف الاطلنطى دون أن يأخذ رأى الدول الاوربية المنتمية الى هذا الحلف ، بل دون ان يعلمها بقراره قائلا : « انه لو قدر لاجراء نيكسون هذا ان يتحول فعلا الى انذار حربى لكانت دول حلف الاطلنطى ستجر مرغمة الى مغامرة عسكرية خطيرة العواقب دون علمها وبالرغم من ارادتها » (الصياد ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣) •

واذا كانت معركة البترول تمثل أحد الجوانب المهمة للصراع بالنسبة لاوربا الغربية •• فان زيارة الزيات كانت تستهدف ايضا طمأنة كل من باريس ولندن من هذه الناحية •

وفى باريس صرح الزيات « انه لا ينبغى لفرنسا أن تشعر بأى قلق فيما يتعلق بحصولها على البترول » (ا • ش • ا • ٥ـ١١ـ١٩٧٣) •

وبعد أن سلم **الزيات** رسالة من **الرئيس السادات** الى **الرئيس بومبيدو** واجتمع معه ٧٠ دقيقة، التقى لفترة أطول مع وزير خارجيته ، ثم غادر باريس الى لندن حيث سلم أيضا رسالة الى **ادوارد هيث** •• واجتمع بالسير **هيوم** وزير الخارجية •• وكان المتطرفون اليهود قد شعروا أن البترول موضوع هام فى رحلة **الزيات** فتجمعوا أمام رئاسة الوزراء يحملون لافتات تعير هيث بأنه باع اسرائيل مقابل البترول ••

● دعت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية فى بيان اصدرته فى الشهر الماضى الى حشد عسكرى عربى من أقصى المغرب الى أقصى المشرق يتواجد على خطوط وقف اطلاق النار •

وحذر البيان من أن العدو الاسرائيلى لن يوقف عدوانه المسلح خلال المرحلة المقبلة وسيحاول بكل الوسائل ان يجردنا مما كسبناه خلال المعارك الاخيرة •

وأكد بيان الجبهة التى تضم ممثلين من جميع الاحزاب والمنظمات السياسية فى سوريا ان القوات السورية المسلحة خرجت أقوى واعمق تجربة واقدر على مواصلة الصراع مما كانت عليه فى بدايته وستنمو القوى العددية والروح القتالية لهذه القوات خلال الايام المقبلة •

وذكر البيان : ان النشاط فى المجال السياسى لا يلغى الصراع العسكرى ولا يوقفه • واننا نعرف ان عدونا غادر وانه لولا النزيف الدموى الذى اصبناه به لاول مرة فى تاريخ صراعنا مع الصهيونية لما وافق على وقف اطلاق النار •

غير ان المباحثات مضت بنجاح .. وصرح الدكتور الزيات « بانه قد جاء الى لندن ليضع بريطانيا فى الصورة » وقال « لقد وفت بريطانيا باعتبارها عضوا فى مجلس الامن بالتزامها خلال الحرب على نحو جيد جدا » .

وكان سير هيوم قد صرح قبلها « بأن مباحثاته مع الدكتور الزيات ستوفر فرصة طيبة بشأن كيفية امكان تذليل بعض العقبات قبل البدء فى مباحثات السلام » (الاهرام ٦-١١-١٩٧٣) . حريصا بذلك على أن يفتح أمام لندن دورا تقوم به فى حل الازمة .

كذلك لايمكن ان نتجاهل علاقة هذه الزيارة التى قام بها د . الزيات باجتماع وزراء خارجية الدول الاوربية التسع الاعضاء فى السوق المشتركة ، وبالقرارات الهامة التى اتخذت فى هذا الاجتماع .

وقد صرح ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا عقب مقابلته للزيات « بأنه سوف يبلغ وزراء خارجية دول المجموعة الاوربية أثناء اجتماعهم فى بروكسل بمضمون ما دار فى حديثه مع الدبلوماسى المصرى » (ا ش ا ٥-١١-١٩٧٣) .

ومن لندن الى بلجراد طار الدكتور الزيات حيث سلم الرئيس تيتو رسالة من الرئيس السادات ، ومنها الى المغرب فتونس .

ويلاحظ المراقبون أن دول أوربا الغربية قد راعت الموقف فى الشرق الاوسط بدقة بالغة ، ومهارة كافيتين لان تقلل خسائرها من الازمة دون أن تقدم شيئا . فهى قد حرصت على موقف محايد مشبع بالعطف على القضية العربية دون ان تتخذ اى اجراء مثير لاسرائيل او ضار بها ، وفى نفس الوقت ضمنت - باستثناء هولندا التى تساند اسرائيل بسفور - أن تقلل من آثار أزمة الطاقة .. خاصة وبعد أن قرر اجتماع وزراء البترول العرب فى اجتماعهم بفيينا عدم تطبيق نسبة الخفض فى الانتاج البترولى المقررة عن شهر ديسمبر بالنسبة لدول السوق الاوربية المشتركة فيما عدا هولندا وذلك تقديرا لموقف هذه الدول من الازمة ..

● أعلنت « البرافدا » السوفيتية - ان تملص اوروبا الغربية من السياسة الامريكية الموالية « لاسرائيل » قد تزايد بسبب استخدام العرب للنفط كسلاح سياسى . وقالت الصحيفة : انه بالرغم من المحاولات الامريكية لم تتخذهذه الدول موقفا موحدامع الولايات المتحدة عند عرض مشكلةنقص النفط فى اجتماع « لجنة النفط » المنبثقة عن منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى فى باريس أخيرا .

وأعلنت الصحيفة ان هذه الاختلافات قد أوضحت ان أزمة الطاقة فى الغرب ليست قضية اقتصادية فقط ولكنها مسألة سياسية أيضا . واضافت : ان الاستخدام العربى الفعال للنفط العربى كسلاح سياسى من شانه اجبار الدول الغربية على الابتعاد المتزايد عن السياسة المنحازة لاسرائيل التى تنتهجها الولايات المتحدة .

● الاتحاد السوفيتى .
كوزنتسوف فى القاهرة ..

.. ولعل العلاقات تجاه الاتحاد السوفيتى والمشاورات معه أكثر من تلك التى تشاهد على السطح ، وعلى أية حال فقد جاءت زيارة كوزنتسوف النائب الاول لوزير الخارجية السوفيتى - كمبعوث خاص - الى القاهرة فى مرحلة هامة .. ويبدو أيضا انها قد حققت نتائج هامة .. وقد استقبل الرئيس السادات كوزنتسوف بعد ساعات من وصوله الى القاهرة حيث استمع منه « الى تقرير كامل عن تصور القيادة السياسية السوفيتية للموقف » (الاهرام ٣١ - ١٠ - ١٩٧٣) .

وتأتى زيارة كوزنتسوف فى أعقاب الزيارة الهامة التى قام بها كوسيجين للقاهرة وبعد سفر كوسيجين « تسلم الرئيس السادات رسائل من الزعيم السوفيتى بريجنيف حملها اليه السفير السوفيتى فى القاهرة .. ثم قررت القيادة السياسية السوفيتية أن توفد مبعوثا خاصا لمقابلة الرئيس السادات ولتقديم تقرير كامل ومفصل عن تصور القيادة السياسية السوفيتية للموقف بكل تطوراته » (الاهرام ٣١ -١٠ -١٩٧٣) .

ومن هناتأتى أهمية هذه الزيارة التى تمكن فيها كوزنتسوف من مقابلة الرئيس السادات اربع مرات .. قال الاهرام بعدها « ان المبعوث السوفيتى قد أطلع الرئيس السادات على تفصيلات كافة الاتصالات التى جرت بين موسكو وواشنطون ، كما جرت مناقشة تنفيذ قرارات مجلس الامن ، والخطوات المقبلة لاقرار السلام فى المنطقة » (الاهرام ٢ - ١١ - ١٩٧٣) .

وفى ٣ نوفمبر طار كوزنتسوف الى دمشق حيث أجرى مباحثات مع المسئولين السوريين هناك تتعلق بنفس المهمة التى أتى بها الى القاهرة ..

● قرر الحزب الشيوعي العراقي وحزب « تودة » الايراني تعزيز العلاقات فيما بينهما • وقد جاء ذلك في بيان صدر على اثر المباحثات التي جرت بين وفد من حزب ـ تودة ـ برئاسة ايراج اسكندر السكرتير الاول للحزب ووفد من الحزب الشيوعي العراقي برئاسة عزيز محمد سكرتير الحزب •

وقد نشرت صحيفة ـ طريق الشعب ـ الناطقة باسم الحزب الشيوعي العراقي هذا البيان مؤخرا وقالت ان الاجتماع عقد بين الوفدين في بداية الشهر الحالي دون ان تشير الى المكان الذي عقد فيه •

وادان الحزبان في بيانهما العدوان الاسرائيلي على الدول العربية بمساندة الامبريالية الامريكية • واعلنا تأييدهما لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ • كما اعربا عن مساندتهما لنضال الشعب الفلسطيني من اجل استعادة وطنه وحقه في تقرير مصيره •

وقد صرح مسئول سوري عقب انتهاء الزيارة « بأن مباحثات كوزنتسوف مع المسئولين السوريين تناولت الصراع العربي الاسرائيلي وموقف الاتحاد السوفيتي المؤيد للقضية العربية » (و ١٠ ف ٦ ـ ١١ ـ ١٩٧٣) •

وجدير بالذكر ان الاتحاد السوفيتي قد حرص في كل المناسبات على تأكيد مواقفه المؤيدة للحق العربي العادل ففي الزيارة التي قام بها الرئيس اليوغسلافي تيتو الى الاتحاد السوفيتي في النصف الثاني من نوفمبر أكد ليونيد بريجنيف وقوف الشعب السوفيتي وحزبه وحكومته الى جانب العرب ودعمهم بكل الاساليب حتى يحققوا أهدافهم المشروعة في تحرير أراضيهم وضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ••

● اسماعيل فهمي •• الى واشنطن

وكجزء من التحرك السياسي المصري الذي شمل جميع الجبهات أوفد الرئيس **أنور السادات** يوم ٢٨ اكتوبر الماضي السيد **اسماعيل فهمي** وزير الخارجية الى واشنطن حيث سلم رسالة خاصة الى الرئيس الامريكي **نيكسون** وأجرى مباحثات مطولة مع هنري **كيسنجر** وزير الخارجية ومستشار الامن القومي تناولت دور الولايات المتحدة في تنفيذ القرارات التي أصدرها مجلس الامن لوقف اطلاق النار وكذلك القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ والذي يحمل اسس حل الازمة كلها • وقد استمرت زيارة المبعوث المصري لواشنطن سبعة أيام اجتمع خلالها مع **هنري كيسنجر** عدة اجتماعات وصفها بأنها « كانت ودية للغاية وصريحة » والجدير بالذكر أن **جولدا مائير** رئيسة وزراء اسرائيل قد أعلنت فجأة سفرها الى واشنطن لمقابلة **نيكسون** بينما المبعوث المصري لم يكن قد أنهى بعد محادثاته هناك • وقد أجمعت الدوائر السياسية على أن الاتصالات التي كانت تجري في واشنطن بخصوص الازمة قد طرأ عليها عامل جديد بوصول « مائير » الى العاصمة الامريكية حيث تبادل **هنري كيسنجر** الاجتماعات مع كل من **اسماعيل فهمي** ورئيسة وزراء اسرائيل •• وقد عقب **هنري كيسنجر** على هذه المحادثات بقوله « اعتقد اننا نحرز تقدما في محاولات تحقيق السلام في الشرق الاوسط » ولقد عبر **هنري كيسنجر** عن رؤيته للموقف حينما جزأ المشكلة في تصريح قال فيه « اننا نواجه مشكلتين **الاولى** هي استقرار وقف اطلاق النار **والثانية** هي التحرك من وقف اطلاق النار الى سلام دائم » ويبدو أن هذا هو نفس المنطق الذي حكم **كيسنجر** خلال المباحثات التي أجراها في القاهرة بعد ذلك بأيام قليلة وعموما فقد حذرت الدوائر العربية من أن الفصل بين المسألتين قد يكون مقدمة لتجميد القضية برمتها تحت مظلة وقف اطلاق النار وهو ما ترفضه البلدان العربية باصرار •

● كيسنجر في القاهرة •

•• لقد وصل كيسنجر الى القاهرة ليعبر عن مشاركة الولايات المتحدة في محاولة التوصل الى تسوية للازمة •• وذلك كجزء من جولة استعراضية شاملة حاول أن يبرز نفسه فيها كفارس الاحلام لكل قضايا العالم •• ابتداء من الشرق الاوسط •• حتى باكستان •• الى الصين •

واذا كان **هنري تانر** مراسل نيويورك تايمز قد استقبل **كيسنجر** في القاهرة بمقال عنوانه « كيسنجر يصل الى عاصمة مستعدة للقتال » فان الجو الذي أحاط به **كيسنجر** ومرافقوه أنفسهم قد حاول الايحاء بأنهم يهيئون المسرح لاتفاق سلام ، ابتداء من الخط الساخن مع واشنطون ، الى تأجيل جولدا مائير لبيانها امام الكنيست • الى الحشد الهائل من الصحفيين الذي غص به مطار القاهرة في القاهرة ـ « ٥٠٠ **صحفي** » (الاهرام ٧ ـ ١١ ـ ١٩٧٣) الى اعلان أحد مساعدي كيسنجر انه لن يحضر حفل تسليمه جائزة نوبل للسلام « بسبب مشاغله الدولية العاجلة » (الاهرام ٧ ـ ١١ ـ ١٩٧٣) •

وعلى أية حال فقد أسفرت زيارة كيسنجر الى القاهرة عن اعلان من روبرت ماكلوفسكى المتحدث الصحفى باسم وزارة الخارجية الامريكية قال فيه « ان المباحثات قد حققت تقدما غير متوقع ·· وان هذا التقدم هو الذى دعانا الى ارسال سيسكو الى اسرائيل فى مهمة تستهدف المشاكل العاجلة ، كما تستهدف المشاكل الاخرى البعيدة الامد التى ينطوى عليها نزاع الشرق الاوسط ·· » (الاهرام ٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٣)

ويمكن تلخيص زيارة كيسنجر الى القاهرة فى نتيجتين اساسيتين ·· احداهما هى « اتفاقية لتثبيت قرار وقف اطلاق النار » تنص على انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ اكتوبر مع الشروع فورا فى تبادل الاسرى والثانية هى اتفاق كل من مصر والولايات المتحدة من حيث المبدأ على اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ·

واذا كانت النتيجة الثانية قد شرع على الفور فى تنفيذها حيث جرى بالفعل تبادل مبعوثين على مستوى السفراء ، فان المهمة الاولى لازالت تتعثر ·· فقد وقعت اسرائيل وهى تحاول أن تبدى تمنعها على الاتفاقية ·· وقد بدىء بالفعل فى تنفيذ بعض بنودها وان كان البند الاساسى فيها لم يحرز أى تقدم ·· وهنا نعود مرة أخرى الى التساؤل ، هل كان كيسنجر يطمح بزيارته الى كسب سياسى سريع ، ومحاولة تثبيت الاوضاع الراهنة ، وهى محاولة مقضى عليها بالضرورة بالفشل ، أم انه كان حقا يعنى تنفيذ بنود الاتفاقية التى ارتبطت باسمه وبزيارته ·· هنا سيكون كيسنجر بحاجة الى دفعة جديدة من النشاط ·· ليس فى القاهرة وانما فى تل أبيب ·

● ·· وفد الكونجرس · زيارة لتقصى الحقائق

وقد وصل الى القاهرة فى ٢١ نوفمبر وفد من الكونجرس الامريكى يضم ٢١ عضوا من اعضاء الكونجرس وثمانية مستشارين فى زيارة هدفها ـ كما اعلن مستر صموئيل ستراتون رئيس الوفد ـ تقصى حقائق الموقف فى المنطقة · وقد عقد الوفد عدة اجتماعات مع عدد من المسئولين السياسيين والبرلمانيين بالقاهرة من بينها اجتماع مع أعضاء اللجنة الدائمة لمجلس الشعب وآخر مع عدد من أعضاء أمانة الاتحاد الاشتراكى وثالث مع الدكتور عبد العزيز حجازى نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد · وقد استقبل الرئيس أنور السادات أعضاء الوفد البرلمانى الامريكى وتحدث اليهم وأجاب على أسئلتهم وقد صرح رئيس الوفد عقب هذا اللقاء قائلا « لقد أصبح فهمنا للامور الان متوازنا » ويقيم كثير من المراقبين هذه الزيارة باعتبارها عملا ليس له سوى قيمة اعلامية حيث يكاد الكونجرس الامريكى أن يكون واقعا بالكامل تحت سيطرة جماعات الضغط الصهيونية أو الموالية لاسرائيل على طول الخط ، ومع ذلك فان هناك من يرى فى استعداد القاهرة لاستقبال هذا الوفد أو غيره علامة على رغبتها فى تأكيد حرصها على السلام مع وعيها فى نفس الوقت بأن السلام لن يتحقق مع عدو من نوع اسرائيل الا بالقوة ·

● اليابان ·· بادرة جديدة لصالح الحق العربى

منذ قررت البلدان العربية المنتجة للبترول تخفيض انتاجها بشكل تصاعدى (٥ فى المائة شهريا) بعد نسبة الخفض الاولى (٢٥ فى المائة) التى تقررت فى مؤتمر ٤ نوفمبر اخذت اليابان تجرى حساباتها بسرعة درءا للاخطار المتوقعة على صناعاتها الرئيسية من جراء نقص امدادات البترول · ومع اقتراب موعد الخفض الجديد فى أول ديسمبر اقتربت الاخطار من الصناعات اليابانية وعلى رأسها الصناعات البترولية بعد أن أنذرتها شركة البترول الفرنسية بأنها ستتوقف عن امدادها بالبترول اعتبارا من شهر ديسمبر وكان على اليابان أن توازن بين الخضوع للضغط الصهيونى والامريكى الذى يدعوها الى عدم التحرك فى أى اتجاه من شأنه الضغط على اسرائيل وهو الامر الذى سيؤدى بها الى المعاناة من نقص

● يرى الخبراء الاقتصاديون ان الصناعة المعرضة للضرر أكثر فى الولايات المتحدة نتيجة القيود العربية على تصدير البترول للولايات المتحدة هى الصناعة البتروكيميائية وقطاع النقل وصناعة الصلب التى قد يصل انخفاض الانتاج فيها الى ١٥٪ فى الوقت الذى تزداد فيه التكهنات داخل الحكومة الامريكية نفسها باحتمال حدوث انكماش للاقتصاد الامريكى ، بسبب احتمالات اغلاق المصانع ، وفصل العمال بالجملة .

امدادات البترول وسيؤثر بلا شك على جزء كبير من صناعاتها الرئيسية أو تحذو حذو دول السوق الاوروبية المشتركة فى محاولة اتخاذ موقف أكثر عدلا وايجابية للضغط على اسرائيل من أجل تطبيق قرارات مجلس الامن بشأن ازمة الشرق الاوسط ، ومن ثم تحصل على نفس المعاملة التى حصلت عليها دول السوق (عدا هولندا) حينما قررت البلدان العربية اعفاءها من الخفض الجديد المقرر فى أوائل هذا الشهر وتشير الانباء الى أن اليابان وقد أحست بجدية الموقف العربى لم تجد مفرا من محاولة اتخاذ موقف مؤيد للحق العربى ازاء عدوان اسرائيل فقد أصدرت الحكومة اليابانية فى ٢٢ نوفمبر بيانا حددت فيه موقفها من أزمة الشرق الاوسط فى أربع نقاط :

١ ـ عدم جواز الاستيلاء والاحتلال لاى أرض بالقوة .

٢ ـ ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة فى حرب ١٩٦٧ .

٣ ـ احترام السلامة والامن لاراضى كل الدول فى المنطقة وضرورة ايجاد ضمانات لهذا الغرض .

٤ ـ الاعتراف الكامل لحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى تقرير مصيره بموجب ميثاق الامم المتحدة .

وأكد البيان أن الحكومه اليابانية سوف تكون مضطرة الى اعادة النظر فى سياستها تجاه اسرائيل فى حالة عدم تنفيذها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كما أعلن وزير الخارجيه اليابانى مساهمة بلاده بخمسة ملايين دولار فى صندوق الامم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين فى العام القادم بينما كانت مساهمتها فى العام الحالى ١ر١ مليون دولار فقط .

وقد سارعت اسرائيل الى استنكار هذا البيان اليابانى وأعلنت أنها ستدعو المنظمات الاقتصادية الصهيونية الى مقاطعة اليابان اقتصاديا ، كما اعلن وليم بورتر المتحدث الرسمى الامريكى احتجاج بلاده رسميا على هذا الموقف اليابانى الجديد مسجلا بذلك استفزازا آخر للبلدان العربية .

والجدير بالذكر ان الشـيخ احمد زكى اليمـانى وزيـر البترول السعودى كان قد اعلن ان على اليابان ان تقطع علاقاتها باسرائيل « اذا أرادت أن تستثنى من قرار خفض امدادات البترول العربى » ومع ذلك فان كثيرا من المراقبين يرون ان البلدان العربية ربما اكتفت مرحليا بهذه المبادرة اليابانية كمبرر لاعفائها من الخفض القادم خلال ديسمبر الحالى دون أن يعنى ذلك الكف عن مطالبة اليابان بقطع العلاقات مع اسرائيل ويستند العرب فى ذلك ـ كما يقول هؤلاء المراقبون ـ الى أن عملية الخفض التصاعدى المقررة سوف تتيح فرصا متجددة شهريا للضغط على اليابان من اجل تحقيق هذا الاجراء أو غيره من الاجراءات طبقا لتطورات الامور بالنسبة لقضية احتلال اسرائيل للاراضى العربية .

● اعلن وزير الدفاع فى حكومة جنوب افريقيا ان بلاده تشعر بتعاطف عميق مع اسرائيل فى الحرب الدائرة، وانها تؤمن بأن ما يحدث لاسرائيل اليوم قد يحدث غدا لحكومة جنوب افريقيا .

وقال وزير الدفاع فى اجتماع تضامن مع الجالية اليهودية فى جورج تاون أن حكومته ارسلت معونات نقدية وطبية لتل أبيب .

● أديس أبابا .. مؤتمر وزراء خارجية افريقيا

ويؤكد المراقبون ان دعوة الجزائر الى عقد مؤتمر طارىء لوزراء خارجية الدول الافريقية ، دعوة جاءت فى وقتها تماما حيث كانت الدول الافريقية فى مجملها قد أعلنت عزمها على مساندة البلدان العربية عمليا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وأصبح من المفيد أن تتحول هذه الخطوة لتصبح فاتحة لتطوير التضامن العربى ـ الافريقى ووضعه على أسس صلبة وقابلة للاستمرار والتصاعد . بدلا من تركها عرضة لعوامل الضغط والتعرية الاستعمارية التى تحاول بلا شك تبديد آثارها فى الهواء . وبعد الاتصالات المكثفة التى قام بها الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وزار خلالها القاهرة ، اتفق على عقد هذا المؤتمر فى العاصمة الاثيوبية أديس أبابا يوم ١٩ نوفمبر ، وقد حضره وزراء خارجية ٣٨ دولة افريقية وافتتحه الامبراطور هيلاسلاسى بكلمة قال فيها « ان استمرار الحكم الاجنبى على الاراضى

العربية المحتلة موقف لا يتمشى مع القيم التى نؤمن بها كافريقيين » وقد القى وزير الخارجية المصرى خطابا أكد فيه تقدير مصر لمواقف الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل ، ودعا الى اتخاذ مزيد من الخطوات لاجبارها على الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة والاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره •

وقد أصدر المؤتمر قراراته فى ٢٢ نوفمبر مؤكدا ادانة الدول الافريقية الثمانية والثلاثين المشتركة فى المؤتمر لاسرائيل باعتبارها نظام حكم عنصرى استعمارى يقف على قدم المساواة مع النظم العنصرية الاستعمارية فى القارة ومتخذا اسلوب المواجهة الشاملة الفردية والجماعية باعتباره الوسيلة الوحيدة للتضامن الحقيقى مع البلدان العربية من اجل اجبار اسرائيل على الجلاء عن الاراضى المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين

وكان من بين ما دعت اليه قرارات المؤتمر :

١ ـ تعزيز الاجراءات الفردية والجماعية من اجل زيادة عزلة اسرائيل فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية حتى يتم التوصل الى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط •

٢ ـ الابقاء على قطع العلاقات مع اسرائيل ، حتى يتم الجلاء عن جميع الاراضى العربية المحتلة ، واستعادة الحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين •

٣ ـ الارتباط بين قرار وقف اطلاق النار وبين التنفيذ الفورى للقرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، الذى يطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضى العربية المحتلة •

٤ ـ الاعتراف بشرعية نضال الشعب الفلسطينى من اجل استعادة حقوقه الوطنية بكل الوسائل التى يملكها والتأييد التام لقضية الشعب الفلسطينى العادلة ورفضه أى تعديل فى وضع القدس وبطلان أية اجراءات كانت قد اتخذت لضم المدينة •

٥ ـ فرض حظر اقتصادى شامل على اسرائيل وخاصة على النفط بالنسبة لها وللبرتغال وجنوب افريقيا وحكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا •

٦ ـ ادانة الاعتداء العشوائى على المدنيين العرب الابرياء من جانب اسرائيل طوال حرب اكتوبر بما يتنافى مع اتفاقيات جنيف ونظم القانون الدولى •

وقد أعلن المؤتمر عن تشكيل لجنة سباعية تضم **غانا وتانزانيا والكاميرون ومالى وبتسوانا والسودان وزائير** لاجراء اتصالات مع الدول العربية عن طريق الجامعة العربية لازالة آثار الحظر البترولى عن الدول الافريقية التى اضيرت من جراء ذلك ، كما دعا رؤساء الوفود بقوة الى مزيد من العمل الموحد بين العرب والشعوب الافريقية فى مواجهة التواطؤ المكشوف بين اسرائيل والولايات المتحدة والبرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية ضد النضال العربى والافريقى من أجل التحرر •

ومن الجدير بالانتباه ان مسئولية المحافظة على هذا الموقف الافريقى الممتاز وحمايته من أية تأثيرات هى بالاساس مسئولية عربية حيث يتعين على الدول العربية الا تتأخر فى بناء شبكة من العلاقات السياسية والاقتصادية والفنية والمالية مع دول افريقيا كبديل للدور الاستعمارى الذى كانت اسرائيل تلعبه فى البلدان الافريقية • ومما لاشك فيه ان الدول العربية الافريقية تتحمل مسئولية خاصة فى هذا السبيل ، باعتبارها جسر الاتصال بين النضال الافريقى والنضال العربى ضد الاستعمار والعنصرية

● اسرائيل تماطل ٠٠ وكيسنجر يهدد

خلاصة الموقف اذن ـ كما يراه العديد من المراقبين ـ ان التحرك السياسى المصرى ـ العربى النشط على مختلف الجبهات يحكم حلقة الحصار على

اسرائيل ويسد الطرق أمام محاولاتها للافلات من اطار الشرعية الدولية الا يكسر هذا الاطار على مرآى ومسمع من كل البلدان والقوى المحبة للسلام والعدل فى العالم وهذا سوف يسبب لها ولاصدقائها وحلفائها والعاطفين عليها مزيد من الاضرار البالغة بمصالحهم فى المنطقة العربية وغيرها من المناطق المتفجرة بالنضال المعادى للامبريالية فى العالم وبالذات فى افريقيا • وسوف يقوى فى نفس الوقت من الدعم الذى تقدمه اسرة البلدان الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى الصديق •

ومع ذلك فمن الواضح ان اسرائيل ماتزال تسوف وتماطل فى تنفيذ قرارات مجلس الامن الخاصة بالعودة الى المواقع التى كانت عليها القوات المتحاربة يوم ٢٢ اكتوبر وهو ما يعوق عملية الفصل بين القوات المتحاربة ويهدد باندلاع القتال فى أية لحظة نتيجة لاستمرار هذا الوضع • وفضلا عن ذلك فان التصريحات ماتزال تتوالى من تل أبيب عن رفض اسرائيل انعقاد مؤتمر السلام الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية فى ٣١ ديسمبر القادم • وتدرك اسرائيل جيدا ان كل هذه المحاولات لن تثنى مصر خطوة واحدة عن أهدافها فى تحقيق السلام العادل ولو أدى بها الامر للعودة الى القتال • ومعنى ذلك أن اسرائيل تماطل لتكسب وقتا من أجل الاستعداد للحرب من جديد • وعلى الجانب الاخر نجد أن الولايات المتحدة التى ادعت الرغبة فى المساهمة فى اقرار السلام فى المنطقة تهدد الدول العربية بفرض حظر على المنتجات الغذائية الامريكية مقابل الحظر الذى تفرضه هذه الدول على البترول • فبدلا من ان تضغط على اسرائيل من اجل الانسحاب وهو الامد الذى سيخفف بالتأكيد من الازمة الناتجة عن الحظر العربى على البترول فهى تتجه الى تهديد الدول العربية فيعلن كيسنجر الذى حاول ان يبدو من خلال جولته فى المنطقة كرجل سلام « انه من الواضح اذا استمر قطع البترول العربى عن الولايات المتحدة بدون اسباب والى أجل غير مسمى ، فان على أمريكا أن تتخذ قرارا بشأن الوسائل المضادة الضرورية » •

وهذا ما يضيف ظلالا كثيفة من الشك حول حقيقة النوايا الامريكية ومدى صدق ما ابدته من رغبة فى القيام بدور من اجل اقرار السلام فى المنطقة ، ويجعل من حديث هنرى كيسنجر ومطالبته للعرب بضبط النفس وعدم التعجل محاولة خادعة تستهدف تبريد النتائج الايجابية التى حققتها معارك اكتوبر محليا وعربيا وعالميا تمهيدا للعمل على تفكيكها او تصفيتها نهائيا اذا أمكن وجر الازمة من جديد الى دوامة بلا نهاية •• وذلك وضع تضعه الدوائر العربية بلا شك فى بؤرة الحساب •

الذكرى الخامسة والعشرون للاعلان العالمى لحقوق الانسان

بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين للاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وجهت الدعوة لاتحاد المحامين العرب ، للمشاركة فى الندوتين اللتين ستقامان بهذه المناسبة ، احداهما فى مقر الامم المتحدة بنيويورك ، وتنظمها المنظمات غير الحكومية حول موضوع « **الاعلان العالمى لحقوق الانسان — أمانى وانجازات** » والاخرى فى قصر اليونسكو بباريس وتشرف عليها منظمة العفو الدولية ، وتعد بمثابة **تدشين لحملة عالمية من اجل حظر التعذيب** •

■ دعا النائب عبدالمطلب الكاظمى رئيس اللجنة المالية فى مجلس الامة بالكويت الى مقاطعة تامة للاقتصادالامريكى وسحب رؤوس الاموال العربية من البنوك والمؤسسات المالية الامريكية . وقال أن هذه الاجراءات مكملة لوقف تصدير النفط ، ويجب أن تطبق باسرع مايمكن .

وقد قدم الاستاذ « عبد الرحمن اليوسفى » الامين العام المساعد لاتحاد المحامين العرب تقريرا عن هذه الذكرى ، وعن قضايا الحريات وسيادة القانون فى الوطن العربى ، دعا فيه الى القيام بحملة واسعة فى العالم العربى ، يقوم بها المحامون العرب بالتعاون مع كافة الحقوقيين ، لحمل الحكومات العربية على المصادقة على الاتفاقيتين الدوليتين المتعلقتين بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وعلى البروتوكول الاختيارى المضاف الى الاتفاقية الاولى حول الحقوق المدنية والسياسية ٠

وقد أشار الاستاذ « عبد الرحمن اليوسفى » فى تقريره الى أنه يتعين على العرب أكثر من أى وقت مضى ، أن يربطوا كفاحهم ضد الاستعمار الصهيونى بنضالهم ضد الاستعمار العنصرى الجاثم على شعوب أنجولا وموزامبيق وزيمبابوى وناميبيا وجنوب أفريقيا ، خاصة وقد جعلت الامم المتحدة من يوم ١٠ ديسمبر القادم (يوم الذكرى الخامسة والعشرين للاعلان العالمى لحقوق الانسان) يوم بدء النضال المقبل لمكافحة التمييز العنصرى الذى يعانى منه العرب والافارقة وكافة الشعوب المترنة ٠ وأكد اليوسفى دعوته هذه مشيرا الى بروز التضامن العربى الافريقى فى أعظم مظاهرة فى الفترة الاخيرة ، وطالب الاستاذ اليوسفى أيضا بتطوير وتنشيط اللجنة العربية الدائمة لحقوق الانسان ، بتنظيم ندوة دراسية خلال العام القادم ٠

وأشار فى تقريره أيضا الى أن اللجنة العربية الدائمة لحقوق الانسان التى كان مجلس الجامعة العربية قد أنشأها فى سبتمبر ١٩٦٨ لم تجتمع سوى مرة واحدة فحسب فى أبريل ١٩٦٩ ، بالاضافة الى أن اختصاصات هذه اللجنة تتسم ـ أيضا ـ بالغموض ٠ وتتلخص حصيلة عملها حتى الان فى تحرير « **مشروع اعلان حقوق المواطن فى الدول والبلاد العربية** » ٠

هذا وقد قدمت المنظمات الدولية غير الحكومية مذكرة حول مشروعى البروتوكولين الاضافيين لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ ، أعدها فريق عمل اشترك فيه ممثلون عن اتحاد المحامين العرب ، لعرضها رسميا على المؤتمر الدبلوماسى حول اعادة تأكيد وتطوير القانون الدولى الانسانى الواجب تطبيقه فى النزاعات المسلحة ، والمزمع عقده فى جنيف فى فبراير ـ مارس ١٩٧٤ ٠

ودعت هذه المذكرة الى وجوب تطبيق المبادىء الانسانية الاساسية فى جميع النزاعات المسلحة ، الداخلية والدولية ، وذلك على أساس أنه ليس للاطراف فى النزاعات ولاعضاء قواتها المسلحة حق غير محدود فى اختيار وسائل القتال وطرقه ، والاهداف التى تهاجم ٠ كما دعت الى وجوب تمتع السكان المدنيين بحماية تحترم وضعهم كغير محاربين ، وتؤمن الاحوال التى لا غنى عنها للابقاء على حياتهم فى جميع النزاعات المسلحة ٠

ودعت المذكرة أيضا الى وجوب حظر استعمال الاسلحة ووسائل وطرق القتال التى تصيب أو تؤثر بلا تمييز فى السكان المدنيين والمقاتلين ، أو التى تتسم بطابع القسوة البالغة أو تسبب آلاما مبرحة ٠

وقد طالب مشروع البروتوكول الاضافى لاتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ بشأن حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية ، بعدة تعديلات واضافات على نصوص المادة ٤٢ جاء فيها أن أعضاء حركات التحرير يجب أن يتمتعوا بنفس الحماية التى تتمتع بها القوات النظامية المسلحة ٠ كذلك أكد مشروع البروتوكول على الفقرة التى تحظر المهاجمة بلا تمييز وكهدف واحد ، بطريق القصف او اية طريقة اخرى لمنطقة تحتوى على عدة اهداف عسكرية كائنة فى جهات آهلة بالسكان ، ويقع كل منها على بعض المسافة من الاخر ٠ وطالب مشروع البروتوكول ، بحماية خاصة للنساء والاطفال

فى حالات الحرب ، وحق الطفل ، فى أن يكون بين أوائل من يتلقون الغوث ، وعدم اصدار حكم بالاعدام على أمهات الاطفال ، او على نساء مسئولات عن رعايتهم ، كما طالب بوجوب عدم اعتبار الاحداث دون سن الـ ١٥ الذين أسروا بعد اشتراكهم فى العمليات العدائية مسئولين عن هذا النشاط ، ومن ثم يجب ألا توقع عليهم أية عقوبة لهذا السبب .

■ الـوطن العـربى ■

مرة أخرى : خطأ فى الحسابات الامريكية

■ **خلال زيارة هنرى كيسنجر وزير خارجية الامريكى للسعودية ، لم تفلح محاولاته فى زحزحة الملك فيصل عن موقفه فى استخدام البترول كسلاح ، واصراره على استمرار قطع البترول العربى عن الولايات المتحدة الى أن يتم تحرير « كل الاراضى العربية المحتلة » .**

وكتب « **هنرى براندون** » مراسل « **الصنداى تايمز** » فى واشنطن معلقا على هذا الموقف يقول : « لقد نجح **كيسنجر** فى تدعيم وقف اطلاق النار ، غير أنه فشل فى الحصول على تعاون من جانب العرب ، فى الوقت الراهن على الاقل ، فى المملكة العربية السعودية . ومازال من المشكوك فيه أن يكون **كيسنجر** قد نجح فى اقناع الملك فيصل بالابقاء على المستوى الراهن من انتاج البترول . والغاء المرحلة التالية من التخفيض بنسبة ٥ فى المائة من الانتاج الحالى ، وهو ما يمكن أن يؤدى الى أحداث آثار مدمرة على الاقتصاد الامريكى .

وكان هذا مظهرا لنجاح « سلاح البترول » الذى استخدمته الدول العربية المنتجة للبترول وتأثيره على الغرب . فكيف استخدم العرب هذا السلاح ؟

الواقع ان سيل البلاغات العسكرية الصادر من سيناء والجولان على اهميتها الكبرى لم تطغ على خبر موجز ــ من **بغداد** ــ حول قرار **مجلس قيادة الثورة العراقى** بتأميم ملكية شركتى البترول الامريكيتين العاملتين فى العراق وهما : « **ستاندارد أويل أوف نيوجيرسى** » و « **موبيل أويل كوربوريشين** » . فقد علقت « **التايمز** » اللندنية على قرار العراق بقولها : « ان العالم العربى قد أظهر عزما صلبا على استخدام موارده البترولية سلاحا فى الميدان الدولى » .

ثم بدأ الحديث يتردد عن استخدام الدول العربية البترول كسلاح . هنا قالت « **الفاينشيال تايمز** » « ان هذه الدعوة خطر حقيقى ينذر بأن البلدان العربية بامكانها أن تقدم على تقليص صادراتها النفطية الى الغرب » . ثم بدأ بالفعل استخدام هذا السلاح عندما عقد وزراء البترول العرب (عشرة وزراء) أول اجتماع لهم لمناقشة كيفية استخدام هذا السلاح . وبعد أقل من عشرين يوما دعى نفس الوزراء الى اجتماع آخر طارىء عقد فى الكويت أيضا يومى ٤ و٥ نوفمبر .

■ وفى الاجتماع الاول الذى عقد خلال معارك التحرير تقرر البدء على الفور بخفض انتاج الدول العربية من البترول بنسبة لا تقل عن ٥ فى المائة على أن تستمر شهريا ثم أوصى الوزراء بأن ينال الولايات المتحدة أكبر تخفيض من الانتاج العربى ، وأن يؤدى ذلك الى قطع امدادات امريكا بالبترول من كل دولة عربية منتجة على حدة . وقرر الوزراء كذلك اتخاذ موقف من الدول التى تساند اسرائيل ، وفرض الحظر بالفعل على واردات البترول العربى المتجهة الى هولندا .

وفى الاجتماع الثانى للمجلس الوزارى لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، صدر بعد جلسة عمل استمرت ٧ ساعات البيان الرسمى

التالى : « اجتمع وزراء البترول العرب للمرة الثانية فى الكويت يومى ٤و٥ نوفمبر عام ١٩٧٣ ، وتدارسوا الطريقة التى تم بها تنفيذ قرارهم الاول والاثار التى ترتبت عليه واتخذوا قرارات منها :

■ أن يكون مجموع تخفيض الانتاج من كل دولة عربية منفذة للقرار هو ٢٥ فى المائة من انتاج شهر سبتمبر ، داخلا فيها الكميات المخصومة نتيجة قطع البترول عن أمريكا وعن السوق الهولندية . ثم يستمر التخفيض بعد ذلك فى شهر ديسمبر بنسبة ٥ فى المائة من انتاج نوفمبر ، على ألا يؤثر أى تخفيض على الحصة التى كانت كل دولة صديقة تستوردها من كل دولة عربية مصدرة للبترول خلال التسعة أشهر الاولى من السنة الحالية .

■ تقرر ايفاد كل من وزير الطاقة الجزائرى ووزير البترول السعودى الى العواصم الغربية لشرح وجهة النظر العربية من القرارات البترولية .

■ تقرر أن تعقد اجتماعات فى المستقبل من وقت لاخر حسب الحاجة لمتابعة تنفيذ القرارات وآثارها ·

وقد حددت القضايا فى الاجتماع الثانى بشكل أوضح من القرارات العامة التى اتخذت فى الاجتماع الاول ، ومن هنا اتفق على أن يضع وزراء الخارجية قائمة بأسماء الدول التى اتخذت موقفا صديقا للعرب فى نزاع الشرق الاوسط ، وأخرى بأسماء الدول المعادية ، والتى سوف تخضع لقرارات حظر البترول العربى ، والتى تم تطبيقها على الولايات المتحدة وهولندا . وكذلك قرر الوزراء تشكيل لجنة وزارية تتولى مراقبة تدفق البترول العربى فى الاسواق بحيث لا يتسرب عند وصوله الى أية دولة أخرى مفروض عليها الحظر . ويتم ذلك ، بقيام الشركات باثبات وجهة كل شحنة بترول يقومون بتصديرها من موانى الشحن العربية ، الى جانب مراقبة عمليات التسويق التى تقوم بها معامل التكرير فى أوربا . وفى الوقت نفسه فان قرار الحظر الذى فرضته الدول العربية يمتد ليس الى البترول الخام فحسب وانما كذلك الى منتجاته التى يتم تكريرها فى المعامل .

وقد عبرت احدى الصحف السويسرية المحايدة عن ردود الفعل فى الغرب بازاء مجموع هذه القرارات بكلمتى : « صدمة عميقة ». فلم تعد القضية الان هى قضية تأميم الشركات الغربية ، أو التخلى — هنا وهناك — عن امتيازاتها السابقة فى المعارك الضارية التى دارت — ومازالت تدور — بين الدول المنتجة والشركات الاحتكارية ، بل ان القضية تعدت ذلك الى مسألة التزود بالبترول عموما ·· فتقول « النيوزويك » الامريكية : « ان الولايات المتحدة يزداد اعتمادها أكثر فأكثر على البترول السعودى حتى فى العقد الحالى . ففى عام ١٩٨٠ ينتظر أن يبلغ استهلاك البترول فى الولايات المتحدة ٢٤ مليون برميل فى اليوم الواحد ، أما استخراج البترول من الولايات المتحدة ذاتها فمن المتوقع ألا يزيد الا قليلا عن المستوى الراهن ان لم يقل ، وهو ١١ مليون برميل فى اليوم .

ونضيف هنا ، الى أن هناك أصلا مشكلة طاقة كثر الحديث عنها حتى قبل معارك أكتوبر . ذلك أن حاجة الدول الصناعية المتقدمة الى البترول تزداد يوما بعد يوم ، الامر الذى سيضطرها — فى نهاية السبعينات — الى استيراد مقادير من البترول تصل الى ٦٠ مليون برميل يوميـــا . وتقول « النيوزويك » الامريكية « أنه نظرا الى أن جانبا كبيرا من هذا البترول سيجىء من الشرق الاوسط ، عامة أو من المملكة العربية السعودية ، بشكل خاص ، فان كل هذا أدى الى صراع جنونى للغاية حول البترول العربى » .

وتستورد أوربا الغربية الان من الدول العربية حوالى ٧٠ فى المائة ، من بترولها ولا يزيد رصيدها الحالى لاكثر من ٦٠ الى ٧٠ يوما . أما اليابان فيعتمد ٨٠ فى المائة من بترولها على العرب . ورغم أن الولايات المتحدة الامريكية لا تستورد أكثر من ٧ فى المائة من احتياجاتها البترولية من

● صدر عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى فى ٩ أكتوبر الماضى قرارا خاصا بالشرق الاوسط، جاء فيه ، لقد اشتعلت الحرب فى الشرق الاوسط ، وتقع مسئوليتها بالصفة المباشرة على الزعماء الرجعيين فى الدولة اليهودية ،الذينيرفضون منذ أعوام كثيرة تطبيق قرارات الامم المتحدة التى تقضى بالانسحاب من الاراضىالعربية المحتلة فى شهر يونيو ١٩٦٧، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربى فى فلسطين .

وجاء فى القرار أن : « الحزب الشيوعى الفرنسى الحريص على سياسته المبدئية التى حملته دائما على ان يقف باستمرار الى جانب الشعوب التى تناضل من اجل حريتها وسيادتها الوطنية ، يؤكد مرة اخرى تضامنه معا[illegible]رب العربية التى لها الحق المقدس فى استعادة كافة أراضيها التى اغتصبها عدوان ١٩٦٧ .

الدول العربية الا انها تستورد كمية مماثلة تقريبا من البترول العربى من دول أوربا الغربية بطريقة طريقة غير مباشرة أو بعد تكريره ، كذلك ستصل هذه النسبة الى حوالى ٥٠ فى المائة تقريبا عام ١٩٨٠ .

أما **نيكسون** فقد أوضح فى خطابه الذى أذيع يوم ٩ سبتمبر :

ـ « ان تأمين كمية كافية من الطاقة الان وفى المستقبل هو المجال الذى يثير قلقنا • وقد ظهرت لدينا هذا الصيف موجة فزع بسبب النقص فى البنزين ، وفى هذا الشتاء ربما يظهر نقص جدى فى البترول لاغراض التدفئة . واذا لم نقم بعمل سريع وفعال ، فانى أشك فى أننا نستطيع أن نعول على ان النقص فى الوقود سيقل فى السنوات القادمة » •

ولكن جاءت احداث الشرق الاوسط لتدفع بمشكلة الطاقة الى منعطف آخر • فتحدثت « الفاينتشيال تايمز » عن هذا بقولها : « ان العنصر الجديد فى الوضع الراهن يكمن فى ان العالم كله قد ادرك فجأة ان لدى العرب سلاحا بتروليا . وسواء صح هذا أم لم يصح ، فان العرب أخذوا يعرفونفى الاونة الاخيرة أكثر فأكثر بأن أزمة الطاقة فى أمريكا والغرب ـ والتى كثر الحديث عنها فى الاونة الاخيرة ـ تتيح لهمفرصة فريدة ، لكى يظهروا للعالم كله أنهم مستعدون للاقدام على كل شيء ، وقد استخدم « سلاح البترول بالفعل » !

ماذا كانت نتيجة استخدام العرب « لسلاح البترول » ؟

■ تنتج الدول العربية (المنتجة للبترول) ٨٠٠ مليون طن من البترول سنويا ، بينما لا تنتج الولايات المتحدة سوى ٤٧٠ مليون طن وليس هناك أى أمل يوحى بزيادته . بل على العكس هناك من يقول أنه سيتناقص حتى لقد أشار نيكسون فى خطابه الذى وجهه للشعب الامريكى يوم ٨ نوفمبر الى : « ان الولايات المتحدة الامريكية تواجه بسبب قطع الدول العربية لامداداتها من البترول لامريكا أسوأ أزمة طاقة منذ الحرب العالمية الثانية ، قد تستدعى توزيع البنزين بالبطاقات لاول مرة منذ الاربعينات » وفى نفس الوقت زيادة أسعار البترول بنسبة ٣٠٠ فى المائة .

واعلن **جون لاف** مستشار الرئيس **نيكسون** لشئون الطاقة يوم ١٠ نوفمبر ان خطر عدم ارسال البترول العربى الى أمريكا ليس فى مجرد البرد القارس الذى سيشعر به الامريكيون فى بيوتهم هذا الشتاء ، ولا فى نقص البنزين ، ولكن الاخطر من ذلك أن الاقتصاد الامريكى ذاته أصبح مهددا . ويهدد بحدوث انكماش اقتصادى خطير فى البلاد ويخفض معدل النمو فيها بنسب مئوية قد تصل الى ٩٠ فى المائة » .. ان صناعة الصلب مثلا مهددة بخفض ما يصلها من امدادات الطاقة بنسبة قدتصل الى ١٥ فى المائة فى العام القادم اذا استمرت الدول العربية فى استخدام البترول كسلاح فى المعركة » .

وأعلن « **كلود برينجار** » وزير النقل الامريكى فى نفس اليوم « ان انقطاع البترول العربى يمكن اذا استمر لفترة طويلة أن يؤدى الى أزمة خطيرة فى الامن القومى الامريكى والتأثير على القوات المسلحة الامريكية لان نسبة ماتستورده امريكا من البترول العربى سوف تزيد كثيرا فى السنوات القليلة القادمة » .

ثم قررت الولايات المتحدة فى ١١ نوفمبر فرض نظام اجبارى لتوزيع البترول بمختلف أنواعه بالبطاقات وهذاأول قرار من نوعه تتخذه الولايات المتحدة فى تاريخها . ونحن هنا لن نتحدث باستفاضة عن تقييد الاضاءة وتحديد استهلاك الفرد من بنزين السيارات وغيرها من الاجراءات التى اتخذت فى الولايات المتحدة وعدد من دول أوربا الغربية ، حيث قالت « **الفرانس سوار** » الفرنسية :

« لقد بدأت « حرب البترول » هذه المرة بالفعل ، وهى حرب اقتصادية وسياسية . ان صناعة البترول متشابكة ومعقدة ، لدرجة أنه لو عانى

جيراننا من نقص البترول ، فاننا ايضا سنعاني ، حتى لو اتخذت الدول العربية المنتجة قرارها بعدم قطع البترول عن فرنسا الصديقة » !

■ اما **هولندا** فسيشل القرار الذى اتخذ بشأنها لموقفها المعادى الصارخ نصف طاقة ميناء روتردام اذ يمثل البترول حوالى ٦٩ فى المائة من اجمالى السلع التى تمر بهذا الميناء ، ونصيب البترول العربى منه أكثر من ٧٠ فى المائة • وتستورد هولندا البترول وتقوم بتكريره ثم تعيد تصديره الى المانيا الغربية وبلجيكا وبريطانيا . وهى تستورد ٦٨ مليون طن من البترول الخام :

١٩ مليون طن من السعودية

٥ر١٣ مليون طن من الكويت •

٣ر٤ مليون طن من قطر

٤ ملايين طن من ليبيا •

٣ر١ مليون طن من العراق

١ مليون طن من الجزائر

٥ر مليون طن من مصر

٥ر٣ مليون طن من دول عربية أخرى •

أى أنها تستورد من الدول العربية حوالى ٤٧ مليون طن (أرقام عام ١٩٧٢) ثم تحصل على الباقى وهو حوالى ٢١ مليون طن من نيجيريا وايران وفنزويلا . وتقوم بتكريره وتصديره الى دول اوربا الغربية حيث يتولى ميناء روتردام تكرير ربع البترول الخام فى اوربا الغربية • وعلينا أن نتصور معنى المقاطعة العربية الان .

■ ونتيجة لهذا ، اقترحت هولندا توحيد موارد السوق الاوروبية المشتركة من البترول بغرض امداد بلدانه بالبترول . وقد رفضت الدول هذا الاقتراح وخاصة بريطانيا وفرنسا وفضلت كل دولة « السير فى طريقها الخاص وفقا لمصالحها » كما قالت « **التايمز** » البريطانية .

■ وتفاقمت أزمة الطاقة فى الولايات المتحدة الامريكية بعدما أعلن « **روناld ماكدونالد** » وزير الطاقة الفيدرالى الكندى يوم ٦ نوفمبر ان بلاده على استعداد لقطع صادراتها البترولية الى الولايات المتحدة اذا فرضت الدول العربية المنتجة للبترول هذا كشرط أساسى لاستمرار تدفق بترولها الخام الى معامل التكرير الكندية • ولكى نفهم هذا نقول : أن كندا هى الدولة الصناعية الوحيدة فى الغرب التى تنتج من البترول أكثر مما تستهلك . ولكن المشكلة أن البترول يوجد فى غربها ويعيش سكانها فى شرقها ، لذلك بدأ أصحاب الاحتكارات البترولية الكندية بمد أنابيب بترول الى اقليم الوسط الغربى من الولايات المتحدة الامريكية ، المجاور للابار الكندية • وفى الوقت نفسه تقوم كندا باستيراد ما يحتاجه شرقها من بترول ، نصفه من فنزويلا و٣٠ فى المائة من الدول العربية ، وهذا ارخص من تكاليف نقل بترولها من الغرب الى الشرق . وعلى اى الاحوال كان « **بيير ترودو** » رئيس وزراء كندا قد أعلن فى سبتمبر الماضى ، عن سياسة بترولية جديدة يواجه بها الولايات المتحدة ، لذا لم يكن قراره الاخير مفاجئا لها رغم تأثيره الضار عليها

■ وأصدرت حكومة **الفيليبين** أوامرها الى شركات البترول الامريكية العاملة فى أراضيها وفى مقدمتها شركة « اسو » بالامتناع عن تزويد القواعد العسكرية الامريكية فى الفيليبين بالبترول وذلك احتراما لقرارات دول البترول العربية بحظر امداد الولايات المتحدة بالبترول العربى .

■ وأعلنت حكومة **سنغافورة** أنها ستقطع كل امداداتها من البترول عن القوات الامريكية الموجودة فى المحيط الهندى بعد تهديدات الدول العربية بوقف امدادات البترول التى ترسل الى سنغافورة ويتأثر بهذا القرار وحدات الاسطول السابع الامريكى والقواعد الامريكية فى تايلاند وغيرها

من بلدان المنطقة . ومن المعروف ان معامل تكرير سنغافورة تقوم بتكرير ٧٠٠ الف برميل يوميا من البترول العربى الخام وحده ، أما دخلها من عمليات التكرير بشكل عام فيبلغ ٥٠٠ مليون دولار سنويا ، ومن المعروف أيضا أن معاملها هى أكبر مركز لتكرير البترول فى جنوب شرقى آسيا .

ان البلدان العربية المنتجة للبترول مازالت مصممة على استخدام هذا السلاح فى معركتها ضد الصهيونية ومن أجل تحرير الارض العربية المحتلة . وللمرة الاولى فى التاريخ ، يستخدم هذا السلاح الجديدودون شك أصبح سلاحا سياسيا واقتصاديا نافذا » .

ويرى المراقبون أن اصرار الدول العربية على مواصلة استخدام هذا السلاح حتى تجلو اسرائيل عن الاراضى التى احتلت بعد يونيو ، هو أحد الاسلحة النافذة بحق على الصعيدين السياسى والاقتصادى . وان استخدامه يتجاوب مع المطالب الرئيسية لحركة التحرر الوطنى العربية .

ولعل أول رد فعل سوفيتى تفصيلى حول موضوع المقاطعة البترولية العربية قد جاء من مجلة « الازمنة الحديثة » التى اكدت نجاح هذه المقاطعة موردة الاسباب الاتية :

١ ـ زيادة الطلب على البترول فى الوقت الحاضر الى درجة تجعل البائع هو الذى يملى شروطه وليس المشترى .

٢ ـ أن الدول أعضاء منظمة الدول العربية المصدرة للبترول قد جمعت أموالا طائلة وتستثمر عشرين مليارا من الدولارات فى المصاريف الاوروبية وحدها .

٣ ـ اذا قررت الدول العربية سحب نصف أموالها على الاقل فستتسبب فى أزمة مالية لا مثيل لها فى كثير من دول الغرب .

٤ ـ تستطيع منظمة الدول العربية المصدرة للبترول بفضل مالديها من احتياطى من أن تصمد لدة اطول من تلك التى تستطيع ان تصمدها الدول المستهلكة .

٥ ـ تنتج شركات البترول العربية المؤممة ٣٠ فى المائة من البترول المستخرج من الدول العربية مقابل ١٠ فى المائة منذ عام .

٦ ـ ضعف مواقف الامبريالية فى العالم العربى فى وقت يتدعم فيه اتحاد منظمة الدول المصدرة للبترول ويزداد تعاون الدول العربية مع الاتحاد السوفيتى .

■ بيـــروت ■

اجتماع هام لامانة الجبهة المشاركة للثورة الفلسطينية

عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية فى دورتها الاستثنائية سلسلة اجتماعات يومى الخميس والجمعة ٨ ، ٩ تشرين الثانى الجارى لبحث الوضع الراهن فى المنطقة العربية وأكد المجتمعون على الخطوط التالية :

ان الحرب الوطنية التى خاضتها الجيوش العربية المقاتلة وقوات المقاومة الفلسطينية والتى حظيت باهتمام والتفاف أوسع الجماهير العربية قد فتحت الطريق أمام مواجهة عربية فعالة للعدو الصهيونى والامبريالية الامريكية ،جديرة ـ اذا ما توفرت لهاعوامل الاستمرار فى تعبئة كل القوى وحشد جميع الامكانيات ـ بأن تفرض على الحلف الاسرائيلى الامريكى المزيد من الانكفاء ، وتلحق به المزيد من الهزائم . ولابد من التشديد ـ فى

هذا المجال — على ان اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة تحاولان الان تنفيذ خطة تستهدف الالتفاف حول الانجازات التى حققتها حرب تشرين الاول من خلال الترويج لمشاريع وحلول تصفوية جزئية ترمى الى فرض الاستسلام على الشعوب العربية ٠

ان الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة فى الثورة الفلسطينية اذ تقدر تقديرا عاليا الامكانيات التى تملكها الامة العربية فى مواجهتها للحلف الاسرائيلى الامريكى ، واذ تدرك ان الظروف العربية والعالمية لم تكن فى أى يوم من الايام مواتية لشن نضال حازم وطويل النفس ضد الاغتصاب الصهيونى والسيطرة الاستعمارية مثلما هى مواتية اليوم ، ترى بوضوح ان المعركة لم تنته بعد ، وان الهجمة الاسرائيلية الامريكية مستمرة بمختلف الاشكال ،تستدعى أعلىدرجات اليقظة والاستعداد ،وحشد القوى من أجل احباط محاولات تكريس نتائج العدوان الصهيونى ، وتصفية الحقوق القومية للشعب الفلسطينى العربى ، واخضاع المنطقة لنفوذ وهيمنة الولايات المتحدة الامريكية من أجل تمرير مشاريعها هذه ٠

ويلعب النظام الاردنى فى هذا المجـال دور رأس الحربة الموجهـة الى صدر الشعب الفلسطينى وجميع الشعوب العربية ٠

ان اعلان كيسنجر ، عن الدور الرئيسى الذى سوف يضطلع به الاردن فى ازمة الشرق الاوسط ، ليس الا اشارة فى جملة الاشارات الى الصفقة التى تهيأ الى عقدها النظام الاردنى كأداة امريكية اسرائيلية يجرى استعمالها لتصفية الحقوق القومية لشعب فلسطين ، وطمس شخصيته القومية ، وضرب مسيرته النضالية التحررية ٠

ان الامانة العامة انطلاقا من ادراكها لهذه الحقائق جميعا تقدر ما يلى :

اولا : مواصلة النضال ، بمختلف الوسائل ، وفى جميع الميـادين العسكرية والسياسية والاقتصادية ، هى أداة الطريق الصحيح والمجدى لدحر الهجمة الاسرائيلية الامريكية المستمرة ، واحباط المشاريع الرامية الى قهر الشعوب العربية منجديد ،وذلك يتطلب استمرار مضاعفة الجهد لتعبئة القوى وحشد الامكانيات لتحرير الاراضى العربية المحتلة وحماية الحقوق القومية للشعب الفلسطينى ٠

ثانيا : رفض كل التسويات التى تنطوى على تصفية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، أو ترمى الى هدر حقه فى مواصلة كفاحه بمختلف الاشكال المسلحة والسياسية والجماهيرية ، من أجل تحريره الكامل لترابه الوطنى ٠

ثالثا : مقاومة جميع المحاولات الرامية الى حرمان الشعب الفلسطينى من حقه فى تقرير مصيره ، وعودته الى وطنه ، سواء بفرض الوصاية عليه ، أو افتئات جهات مزورة تدعى النطق بلسانه ٠ والتأكيد على ان منظمة التحرير الفلسطينية هى وحدها الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى العربى ٠ ودعوة جميع القوى والانظمة الوطنية الى القيام بدور فعال فى منع تنفيذ المخطط الامريكى الاسرائيلى الذى يقوم النظام الملكى الاردنى بدور أساسى فيه والرامى الى تصفية القضية الفلسطينية من أساسها ٠

رابعا : مواصلة النضال من أجل المزيد من تنظيم أستخدام النفط العربى سلاحا فعالا فى المعركة وتصعيد الاجراءات المتخذة فى هذا النطاق نحو تأميم جميع المصالح البترولية الامريكية فى المنطقة العربية ٠

خامسا : اعتماد وتأييد مقررات مؤتمر الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، فيما يتعلق بالمقاطعة الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة ، والدول المعادية لمعركة العرب الوطنية ، وسحب الارصدة العربية من المصارف الامريكية ٠

سادسا : التأكيد علىوحدة جميع القوى العربية المناضلة كاساس لابديل عنه لفرض استمرار أجواء التعبئة وحشد القوى والتضامن العربى الذى

يؤمن بتوظيف جميع الطاقات في المعركة والتأكيد على أهمية وضرورة المشاركة العربية الشاملة في جميع القضايا والشئون المصيرية ٠

سابعا : تحية جميع القوى العالمية والصديقة ، وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وسائر البلدان الاشتراكية ، التي وقفت ـ وما تزال تقف ـ الى جانب الشعب العربي في معركته المصيرية ، والتنويه بموقف البلدان الافريقية التي سارعت بقطع علاقاتها باسرائيل في اطار مساندة النضال العربي ٠

ثامنا : تدعو الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية كل فروع الجبهة وجميع المنظمات الاعضاء فيها الى تنظيم حملة نشاط جماهيرية واسعة بمختلف الوسائل من أجل رفع درجة الاستعداد واليقظة والتعبئة في صفوف الجماهير العربية وتصعيد الدعم والمساندة لحركة المقاومة الفلسطينية في نضالها المصيري خلال هذه المرحلة الحاسمة ٠

■ ■ ■

■ اسرائيل ■

حتى ادانة العدوان غير محتملة
لماذا يضطهدون حزب « راكاح » في اسرائيل ؟

في استفتاء أجرته الجامعة العبرية في القدس ، وافق ٧٣ في المائة من المشتركين في الاستفتاء على قرار وقف اطلاق النار ، وأعلن ٥٢ في المائة أن العرب مستعدون للسلام (كانوا ٢١ في المائة قبل الحرب الاخيرة) ، وقال ٤٤ في المائة أنه يجب اعادة سيناء مقابل اتفاق سلام ٠

والواقع أن كثيرين في اسرائيل بدأوا يحسون أن الامور لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه ٠ ويرجع الفضل في ذلك بالدرجة الاولى الى دعاية اليسار الاسرائيلي ، خاصة الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح الذي تعرض سكرتيره العام « ماير فلنر » بسبب هذا لطعنة سكين من أحد المتطرفين في يونيو ١٩٦٧ ، وفي حرب أكتوبر اعتدى عليه بالضرب ثلاثة من زملائه في البرلمان من نواب أحزاب اليمين ومنذ اليوم الاول للحرب الاخيرة أعلن الحزب ضرورة وقف الحرب ، واقامة سلام دائم على أساس اعادة الاراضي المحتلة في ١٩٦٧ ، والاعتراف للفلسطينيين بحقوقهم ٠ وفي يوم ٩ أكتوبر اعتقل البوليس ٥ من أعضاء الحزب يلصقون اعلانات تتضمن قرار المكتب السياسي للحزب الذي يدعو لهذا ٠ وعقب هذا اقتحم البوليس مقر لجنته المركزية ، وقام باستجواب واعتقال عدد من الاشخاص ، لم يفرج عنهم الا عندما احتج سكرتيره على ذلك في البرلمان ، وان كانوا ما زالوا رهن التحقيق ٠ وأصدرت اللجنة المركزية بيانا حول هذا أعلنت فيه ان ما تم انتهاك صارخ للحقوق الديمقراطية ومحاولة لاخماد صوت العقل والسلام وحرمان الشعب من معرفة حقيقة السياسة اللاقومية لحكومة اسرائيل ٠

واستمرارا لهذا الخط نشر « ماير فلنر » السكرتير العام لحزب راكاح مقالا في جريدة الحزب جاء فيه :

● بدأ العدو الاسرائيلى فى انشاء مزيد من المخابىء والجدران الواقية فى مختلف انحاء مدينة تل ابيب . وذكرت الانباء أن مجلس بلدية تل‌ابيب اجتمع وقرر بناء المزيد من المخابىء والدفاعات داخل المدينة . كما تم ايضا بحث اقامة أقبية ومواقف للسيارات تحت الارض .

« نحن الشيوعيون الاسرائيليون نعلن للشعب مع احساسنا العميق بالالم لكل يهودى أو عربى يموت فى هذه الحرب الدامية ، وبكل احساسنا بالمسئولية القومية : ان الحل موجود والمخرج متوافر ، ويتمثل فى الكف عن اراقة الدماء ، ووضع حد للاحتلال ولسياسة التوسع ، واقامة سلام عادل ودائم • ويمكن اقامة هذا السلام ، اذا تغيرت السياسة الاسرائيلية • وليس هناك سوى طريق واحد لذلك هو الاستجابة لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وللقرارات الاخرى التى اتخذتها بعد ذلك الامم المتحدة والتى يؤدى تطبيقها الى اقامة سلام عادل ودائم ، عن طريق انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى التى احتلت فى ١٩٦٧ ، والاعتراف لدولة اسرائيل بحق الوجود ذى السيادة وبالحقوق القومية للشعب العربى الفلسطينى •

ولقد كان فى الامكان منع الحرب • فقد قدمت اقتراحات مختلفة لتحقيق السلام • لكن حكومة « جولدا مائير » رفضت هذه المقترحات ، وعارضت وعرقلت بكل الطرق تحقيق التقدم فى طريق السلام ، وسعت للتوسع فى الاراضى العربية وضمها لدولة اسرائيل • وبدون المساندة العسكرية والمالية والسياسية لواشنطن ، لما استطاعت الحكومة عرقلة اعادة السلام وتحدى الرأى العام العالمى • لقد شنت الحرب بهدف التوسع الاقليمى ، وفرض سيطرة اسرائيل على الجولان السورية وعلى شبه جزيرة سيناء المصرية ، ولتحقيق المصالح الشاملة للامبريالية الامريكية » •

« ونحن الشيوعيون ندعو جميع الرجال الناضجين سياسيا الى أن يوحدوا جهودهم لوقف الفتن الامبريالية ودحر الاهداف والسياسة التوسعية • ان سياسة حكومة اسرائيل مقضى عليها فى نهاية المطاف ، بالفشل والخذلان •

وقد تأكد هذا الموقف لحزب راكاح فى المناقشة التى جرت فى البرلمان فى أعقاب بيان جولدا مائير • فقد اعترض على سياسة الحكومة عند التصويت عليها ثلاث نواب شيوعيين فقط ، أما نواب الاحزاب المنضمة للائتلاف الحكومى وكذلك نواب « المعارضة » فقد اقاموا « اتحادا مقدسا » حول أهداف الحرب التى أعلنتها جولدا مائير

وقد قدمت الهيئة البرلمانية للحزب الشيوعى الى الكنيست ، قرارا يطالب بوقف الحرب الدائرة فى الشرق الاوسط • وينص القرار على أن السياسة العدوانية للحكومة الاسرائيلية هى السبب الرئيسى فى هذه الحرب • ويطالب مشروع القرار بتطبيق قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، والذى ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة •

وللحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) سياسة ثابتة فى هذا الصدد عبر عنها فى التقرير التمهيدى لمؤتمر الخامس عشر فى ١٩٦٥ ، والذى جاء فيه :

« اننا نرفض النظرية القائلة بأن أساس وسبب النزاع الاسرائيلى العربى ، يتمثل فى وجود صدام بين قوميتين ، كل منهما ترفض الاعتراف بحقوق الاخرى • ان هذه النظرية تخفى دور الامبريالية فى خلق النزاع • وتخفى هذه النظرية من الناحية الموضوعية ، مخاطر السياسة الرسمية لاسرائيل •• ان نظرية الصراع بين قوميتين جعلت معتنقى هذه النظرية يؤمنون بأن السياسة المعادية للامبريالية والتحولات الاجتماعية فى بعض البلدان العربية ونضالها من أجل الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، بمثابة تطلعات قومية متطرفة ، تهدف الى تدمير دولة اسرائيل ، وبدا لهم الامر كما لو أن السياسة العربية ونضالات الشعوب العربية موجهة جميعها نحو اسرائيل • قد تكون هناك بعض الاتجاهات الشوفينية داخل

حركة التحرر العربية ، لكن هذه الظاهرة السلبية فى قلب حركة التحرر العربى ليست سوى أمرا مؤقتا وغير أساسى • ويجب على اسرائيل أن تكون هى البادئة بالاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى • وهكذا فان مفتاح حل مشكلة فلسطين ، يوجد بين أيدى حكومة اسرائيل » •

كذلك فقد أعد الحزب عريضة جمع عليها توقيع امهات وزوجات الجنود ، وجاء فى هذه العريضة « اننا والقلق يعتصرنا على مصير اقربائنا ، وتحركنا الرغبة فى الا يكتب علينا أن نصبح أرامل وامهات ثكلى يبكين ابناءهن ، نطالب بوقف اراقة الدماء فورا . وبذل كل الجهود لمنع سقوط ضحايا جدد ، ووقف عمليات التدمير الجديدة » .

وأثناء مناقشة سياسة الحكومة فى البرلمان ، هجم ثلاثة من نواب اليمين المتطرف على **ماير فلنر** سكرتير الحزب الشيوعى الاسرائيلى [راكاح] وضربوه وهو على المنصة ، يتحدث عن مسئولية حكومة اسرائيل عن اراقة الدماء • وفى حديثه هذا الموجه لشعب اسرائيل ، اقتبس فلنر عبارة **أناتول فرانس** التى تقول : « انهم يعتقدون انهم يقاتلون فى سبيل الوطن ؛ لكنهم فى الحقيقة يقاتلون فى سبيل رجال الصناعة » وقال **فلنر** : يجب أن نضيف الى العبارة السابقة « انهم يقاتلون فى سبيل الاستعمار » • وبعد ضرب فلنر رفض **ايجال آلون** نائب رئيس الوزراء اعطاء الكلمة من جديد لفلنر • ومع ذلك فقد نشرت صحيفة « **زوهاديريش** » فى ١٥ اكتوبر ، رأى **فلنر** الذى قال فيه : ان تجنب الحرب كان ممكنا ، لو قبلت الحكومة مقترحات السلام التى قدمت اليها • وأضاف : « ان الحكومة لم ترفض فقط كل مبادرة السلام ، وانما اتبعت أيضا سياسة دؤوبة لاستعمار الاراضى العربية المحتلة • ان ما يسمى « وثيقة جاليلى والتى تبناها الائتلاف الموجود فى السلطة (ائتلاف حكومى من حزبى العمل والمابام) كبرنامج رسمى ، قد أغلقت أبواب السلام .

« وأكثر من هذا ، فان الحكومة قد قامت بصورة منتظمة بعمليات حربية ، واعتداءات عسكرية مبيتة ضد سوريا ولبنان (غارة القوات الجوية الاسرائيلية على سوريا ، اسقاط طائرة مدنية لبنانية ، الغارات والهجمات على بيروت) وبذلت كل جهدها لزيادة التوتر والاستفزاز •

« وهكذا ، فمن الواضح تماما أن حكومة جولدا مائير قد رفضت كل تقدم نحو السلام ، بسبب رغبتها فى التوسع فى الاراضى العربية المحتلة وضمها لدولة اسرائيل •

« ومع ذلك فلا يمكن أن نفهم تجدد الحرب ، ما لم نضع فى اعتبارنا العامل الامبريالى الامريكى • فبدون أسلحة ونقود واشنطن وتأييدها السياسى ، ما كانت الحكومة الاسرائيلية بقادرة على رفض السلام ، وعلى استفزاز الرأى العام العالمى بأسره ، وتحدى قرارات الامم المتحدة بوقاحة ، ولما استطاعت أن تظل غير مبالية بعزلتها السياسية عن عدد متزايد من البلدان التى تقطع علاقاتها الدبلوماسية بدولة اسرائيل » •

« ان الامبريالية الامريكية لم تتخل عن اهدافها الاساسية فى الشرق الاوسط وفى العالم العربى ، منذ أن دبرت مع حكومة اسرائيل حرب يونيو ١٩٦٧ • لقد كانت هذه الاهداف وما زالت ، تتمثل فى الاطاحة بالنظم المعادية للامبريالية فى مصر وسوريا وفى البلاد العربية الاخرى » •

« وفى ١٠ اكتوبر نشر الجنرال الاحتياطى **ماتياتياهو بيليد** مقالا معاديا للعرب وللسوفييت فى **معاريف** بعنوان « الهدف السياسى » فما هو هذا الهدف فى رأى الجنرال ؟ يقول ان الهزيمة العسكرية [لمصر وسوريا] حتى ولو لم يترتب عليها أى كسب ستؤدى الى تغيرات فى المدى الطويل فى هيكل النظامين فى مصر وسوريا ، والى علاقات مختلفة بينهما وبين العالم أجمع ، وبين هذين البلدين وبعضهما البعض •

« وهذا هو – حقا – الهدف النهائى لمن قاموا بمبادرة حرب ١٩٦٧ : تغيير السياسة الداخلية والخارجية للدول العربية المعادية للامبريالية ٠

« وفى سبيل هذا الهدف الشامل لاصحاب المليارات الامريكيين ، وللابقاء على التوسع الاقليمى والقضاء على الحقوق القومية لشعب فلسطين العربى ، يدعى الشبان الاسرائيليون للتضحية بأرواحهم ٠ انها ليست حربا فى سبيل وجود اسرائيل وأمنها ٠ فان بلدان العالم أجمع ، بما فيها البلدان العربية المجاورة ، لم تطرح قضية وجود دولة اسرائيل » ٠

« ان ما كنا نخشاه ، قد حدث . ان الحكومة الاسرائيلية تناقض علاقات القوى الحقيقية فى العالم ولا تدرك التغيير الذى طرأ عليها فى الشرق الاوسط ، وتستمر فى تطبيق سياسة مغامرة غير مسئولة على النطاق القومى ٠

« ونحن الشيوعيون نهيب بالوعى السياسى للجميع ونناشد الاحساس بالمسئولية نحو مصير شعب اسرائيل ، لوقف الجنون العسكرى التوسعى » ٠

وفى حديث أجراه جون فينكور مراسل الاسوشيتد برس مع هانز ليبرخت (٥٨ سنة) عضو اللجنة المركزية لحزب (راكاح) ، قال ليبرخت ان ايام الحرب السبعة عشر الاخيرة لم تكن سهلة بالنسبة لقيادة الحزب، لكن الوضع كان مختلفا للغاية عنه فى حرب الايام الستة فى ١٩٦٧ « حيث كان الشيوعيون معزولين للغاية ٠ أما هذه المرة ، فكل الناس كانوا ودودين تجاهى ٠ ان الناس فى الحى الذى اقطن فيه يعرفون من أنا ، وكانوا عادة يستوقفوننى ليسألونى الرأى ، وتبينت هذه المرة أن اعدادا متزايدة من الاسرائيليين ادركت، ان الامور لا يمكن ان تستمر على هذا النحو .

ان حزب راكاح يريد ارجاع كافة الاراضى التى احتلت فى ١٩٦٧ الى العرب ، بالاضافة الى أعطاء اللاجئين الفلسطينيين الاراضى التى يطلبونها ٠ ويقول ليبرخت انه موضع مراقبة مستمرة من الشرطة ، وان ألفا من العاطفين على الحزب محددة اقامتهم ٠ وعندما سأله المراسل هل يريد أن تخسر اسرائيل الحرب ؟ قال : « أريد أن تقف فورا اراقة الدماء ٠ لقد أعلنا أن حرب ١٩٦٧ كانت حربا عدوانية من جانب حكومة اسرائيل ، التى كانت تهدف الى قلب الحكومتين التقدميتين المعاديتين للامبريالية فى مصر وسوريا ٠ وقد نشبت الحرب الجديدة لان اسرائيل احتفظت بالاراضى المغتصبة فى ١٩٦٧ . واذا كان بعض العرب يدعون لتدمير اسرائيل ، فهم قلة غير واقعية ٠ ان المصريين واقعيون جدا ٠ ولا أعتقد أن الحكومات العربية تهدف الى تدمير اسرائيل ٠ ان سياسة اسرائيل التى تصر على الانطلاق من موقع القوة ، قد جلبت لها العزلة فى العالم ٠ بل ان الولايات المتحدة نفسها تزداد عزلة لتأييدها اسرائيل » . ويقول ليبرخت ان سياسة اسرائيل الحالية لن تؤدى الا الى معارك جديدة ، ويؤكد ان الحزب توصل الى اقناع الكثيرين بانهم لا يحاربون فى سبيل وجودهم » ٠

وفى المناقشة التى أجراها الكنيست حول اسرى الحرب ، منع « ماير فلنر » من الكلام ٠ ومن ثم اصدر الحزب بيانا مطبوعا قال فيه : « للتعجيل بتسوية مسألة اسرى الحرب،يجب على حكومة اسرائيل،ان تنفذ اولا وبدقة البند الاول فى قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ اكتوبر . ويطالب هذا القرار بوقف اطلاق النار فى المواقع التى يحتلها الطرفان فى ذلك اليوم ، وهذا يعنى انسحاب القوات من المواقع والاراضى التى احتلتها بعد هذا التاريخ ٠ ان تنفيذ البند الاول من الاتفاق يسمح بالانتقال لتنفيذ البندين الاخرين : تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، والمفاوضات بين الاطراف المعنية تحت الاشراف المناسب لاقامة سلام عادل ووطيد فى الشرق الاوسط ٠ ولهذا فان انسحاب القوات من الاراضى التى تم غزوها بعد

● أعلن مائير لانسكى الذى يسمى وزير مالية عصابة المافيا تبرعه بمليون دولار لاسرائيل . وكان لانسكى قد تبرع لاسرائيل فى حرب ١٩٦٧ و ١٩٥٦، و ١٩٤٨ .

وكان لانسكى قد هرب من القبض عليه فى الولايات المتحدة ولجأ الى اسرائيل ، ولكن اراء الضجة التى اثيرت حوله اضطر وزير داخلية اسرائيل الى منعه من التمتع بحقوق « قانون العودة » واخراجه من البلاد واعترف بانه « العقل المالى » لعصابة المافيا . ومع ذلك تسلم منه بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل التبرع .وصرح لانسكى للصحفيين بقوله « انا يهودى قبل اى شىء ، وان هذه الهبة شىء طبيعى عندما نقاتل اسرائيل فى سبيل وجودها » .

تطبيق قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ، هو المسألة الاساسية فى الوقت الراهن ، التى تكفل تسويتها ظروفا أفضل للمضى الى السلام الذى طال انتظاره » .

وفى زيارة لوفد حزب [راكاح] لموسكو برياسة « **توفيق طوبى** » عضو المكتب السياسى اعلن فى بيان مشترك ضرورة «التنفيذ الدقيق لقرارات مجلس الامن فى ٢٢ و ٢٣ أكتوبر الماضى » . وصرح رئيس الوفد بأن الحرب الاخيرة قد أظهرت « افلاس السياسة العدوانية للقادة الاسرائيليين الذين تساندهم الاوساط الامبريالية فى الولايات المتحدة » وقال ان أمن اسرائيل يتوقف « على سلام عادل مع البلاد العربية ، يكفل الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى ولكافة دول المنطقة ، بما فى ذلك حق اسرائيل » .

■ ■ ■

■ اليونان ■

أنقلاب حتى على الديمقراطية الزائفة

على نمط انقلابات أمريكا اللاتينية التقليدية يجىء انقلاب اليونان العسكرى ضد سلطات عسكرية ليدفع بالموقف فى اليونان نحو منحنى أشد خطورة مما كان عليه منذ وقوع الانقلاب العسكرى الاول فيها فى ٢١ أبريل عام ١٩٦٧ .

وكما أن انقلاب ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ لن يكون نهاية أحداث الصراع بين القوى اليمينية العسكرية والقوى الديمقراطية فى اليونان ، **فانه لا ينبغى أن نغفل عن بدايات الاحداث التى عجلت بهذا الانقلاب الجديد ، لانها ترسم الاسهم التى تشير الى الاحداث المتوقعة بعده .**

فى البداية كانت المناسبة الاحتفال ـ يوم ٤ نوفمبر ـ بذكرى وفاة رئيس الوزراء الاسبق **جورج بابا ندريو** عندما انفجرت المظاهرات فى أثينا ضد الحكومة اليونانيــة . وقد اوضحت هذه المظاهرات التى انفجــرت بشكل فجائى أن الموقف لم يكن يحتاج لاكثر من مناسبة .

ورغم تصدى السلطات العسكرية بالقوة لهذه المظاهرة فان المظاهرات لم تلبث ان تجددت ، وكما فى المظاهرة الاولى كان عنصر الشباب هو الغالب عليها . ولكن مظاهرات منتصف نوفمبر اتخذت شكلا اشد عنفا . واتضح خلالها ان وراءها قاعدة شعبية مؤيدة ، وان منظمات المقاومة اليونانية التى اضطرت فى السنوات الماضية منذ الانقلاب العسكرى فى أبريل ١٩٦٧ الى اتخاذ مراكز لها خارج الاراضى اليونانية قد استطاعت أن تربط نشاطها بداخل اليونان .

وأوضحت أحداث منتصف نوفمبر أن **الساسة القدامى** الذين اتخذوا على مدى السنوات الماضية موقفا سلبيا غالبا قد شجعتهم المظاهرات الشعبية ، وان كان موقفهم الجديد أيضا اتسم بالازدواجية . فعلى حين دافعوا عن **حق الشباب فى طلب جو ديمقراطى** الا انهم لم يتوانوا عن التعريض بما أسموه بالشعارات المتطرفة التى ظهرت خلال المظاهرات . وكانت هذه اشارة غير محايدة ، لانهم لم يشيروا فى بيانهم ـ الذى أذاعه نيابة عنهم **بانا يوتس كاستيلو بولوس** رئيس الوزراء وقت وقوع الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٧ ـ الى تطرف اجراءات البوليس ثم الجيش ضد المتظاهرين .

وقد بررت الحكومة اليونانية مسلكها ضد المظاهرات وسماحها بتدخل الجيش بعد كل مااتخذته من اجراءات « لاعادة الحكم المدنى » ـ بما فى

● فى اجتماع حاشد فى مدينة بوليفيا الايطالية اعلن انريكو برلينوير السكرتير العام للحزب الشيوعى الايطالى ـ أن احداث الاسابيع الاخيرة فى المنطقة العربية تشهد على أن الامبريالية لم تتخل بعد عن سياسة التهديد والعدوان وتأييد العدوان .

● سلمت بريطانيا عددا من طائرات الهليوكوبتر المقاتلة الى السلطات العسكرية الفاشية فى شيلى . والمعروف أن مجموعات أخرى من هذه الطائرات ستسلم الى حكومة شيلى . كما طلبت الحكومة العسكرية شراء دبابات جيفتين البريطانية من الحكومة البريطانية .

ذلك استفتاء الجمهورية ـ بأنها رأت أن المتظاهرين أرادوا تعويق اجراءاتها القادمة الرامية الى اجراء انتخابات عامة . وقد حاولت بهذا أن تصور قيادات المظاهرات الشعبية بأنها معادية للديمقراطية . ولكن هذه القيادات نفسها فيما أصدرته من بيانات لم تخف أنها تقف ضد الاجراءات الحكومية الرامية الى انتخابات عامة . ولكن ذلك كان بمنطق مختلف .

فقد أعلن بيانهم الرئيسى « أن الشرط الاول لحل مشكلات الشعب هو السقوط الفورى لحكم المجلس العسكرى المستبد واقامة سيادة الشعب » . كما ربط البيان هذا المطلب الاولى بضرورة « استعادة الاستقلال الوطنى من المصالح الاجنبية التى تؤيد هذا الاستبداد فى بلادنا منذ سنوات » .

ومن ناحية أخرى كشفت بيانات جماهير المتظاهرين ـ التى كانت تمثل اتجاهات وطنية مختلفة ـ أن اجراء الانتخابات فى ظل نظام الحكم القائم يضفى على هذا النظام شرعية دون أن يقدم ضمانات لممثلى الشعب بأن تكون لهم السلطة التشريعية بسبب طبيعة الدستور الذى أعده العسكريون ، والذى يعطى لرئيس الجمهورية ـ جورج بابا دوبولوس زعيم الانقلاب العسكرى نفسه ـ سلطات تنفيذية وتشريعية واسعة .

كذلك فان القوى الشعبية تخشى أن تؤدى مثل هذه الانتخابات الى جعل نظام الحكم اليونانى مقبولا من المنظمات الدولية العديدة التى وقفت حتى الان ضد اجراءاته غير الديمقراطية .

ومن الواضح بعد هذا كله ان القوى التى قامت بالانقلاب العسكرى ـ حتى وان كانت بعض المصادر تشير الى أنها « صديقة » للملك قسطنطين ـ لم تقنع بدرجة العنف التى مارستها حكومة بابادوبولوس فى مواجهة المظاهرات الجماهيرية . كما أنها لم ترض عن وجود حكومة مدنية يمارس العسكريون السلطة من وراء واجهتها . وهذان العاملان يفسرهما ـ تفسيرا سياسيا أوضح ـ بيان قيادة الانقلاب الجديد الذى أعلن « أن الجيش سبق أن تدخل عام ١٩٦٧ لانقاذ البلاد من الفوضى ... وبدلا من ذلك فقد وجهت جهود القائمين على الحكم الى ابعاد القوات المسلحة عن رسالتها الوطنية » .

وهكذا فان مظاهرات الجماهير فى منتصف نوفمبر قد اشعرت العسكريين اليونانيين بان القبضة العسكرية على السلطة ليست بالقوة التى كانت بها قبل تكوين حكومة مدنية ، وان جورج بابادوبولوس بعد أن اتخذ كل الاجراءات التى كفلت له ان يصبح رئيسا للجمهورية اصبح ملزما بالالتزام الشكلى بتصرفات الحكومات المدنية ، واصبح يتحدث كثيرا عن الانتخابات والنظام البرلمانى .

ومع ذلك فينبغى أن لا نغفل عن حقيقة أساسية هى أن حكومة بابادوبولوس هى التى حفرت قبرها بنفسها عندما لجأت الى القوات المسلحة مباشرة لمواجهة مظاهرات الجماهير فى منتصف نوفمبر . ولقد كانت أحداث انقلاب عام ١٩٦٧ قد أظهرت بوضوح أن العناصر اليمينية فى القوات المسلحة اليونانية ـ ولها اليد الاعلى فيها ـ لن تكتفى بدور حماية الحكومات ومساعدتها على البقاء . لقد قرر العسكريون فى عام ١٩٦٧ أن يكون الحكم لهم مباشرة . وفى عام ١٩٧٣ فانهم أرادوا تأكيد هذا القرار وعدم ابتعادهم عنه شبرا واحدا .

وربما كان لهذا الغرض بالذات قرارهم باعادة الشعار العسكرى للدولة الذى اتخذ منذ انقلاب عام ١٩٦٧ والذى لم يلغ الا بعد « الاستفتاء » الذى أفضى الى تولى بابادوبولوس رئاسة الجمهورية .

والشىء المؤكد بعد ذلك أن الشىء الذى نجحت فيه المظاهرات الجماهيرية فى منتصف نوفمبر ـ وان بدا أنها عجلت بالانقلاب العسكرى الجديد ـ هو أنها كشفت أمام العالم زيف اجراءات اعادة اليونان الى الديمقراطية ، وأكدت أنه ـ برغم كل شىء ـ فان المقاومة مستمرة .

● تواصل حكومة الانقلاب العسكرى الفاشى فى شيلى تصفية المكتسبات التقدمية التى تحققت فى عهد حكومة الوحدة الشعبية برئاسة الرئيس الشهيد سلفادور الليندى .

وكانت حكومة الانقلاب قد قررت فى الفترة الاخيرة اعادة منشآت الشركات المؤممة الى اصحابها الرأسماليين الاجانب والمحليين .

وتستخدم الحكومة العسكرية أساليب وحشية فى قمع وارهاب الطبقة العاملة الشيلية حيث تقوم بقتل العمال المناضلين وتشويه جثثهم والقائها عند محطات الاوتوبيس والاماكن العامة ، وخاصة فى الاحياء الفقيرة فى العاصمة سنتياجو.

أوروبا الغربية

فشل أمريكي في التنسيق مع أوروبا الغربية

هناك معلومات تقول أن الولايات المتحدة الامريكية قد قدمت خطة لحلفائها فى حلف الاطلنطى ، تتضمن الاجراءات الطارئة التى يجب اتخاذها فى حالة اندلاع حرب جديدة فى منطقة الشرق الاوسط ، وقد كشف النقاب أيضا عن هذه الخطة • وقبل أن نعرض هذه الخطة نحب أن نقول أن الدول أعضاء حلف الاطلنطى هى الولايات المتحدة الامريكية وكندا وايطاليا وبلجيكا وهولندة والدانمرك والنرويج ولوكسمبرج وايسلندة وتركيا والبرتغال واليونان ، ثم بريطانيا واخيرا فرنسا التى تتخذ موقفا خاصا فى الحلف ، ومن القضايا الدولية بشكل عام •

لقد نوقشت طريقة مواجهة الازمة البترولية عند احتمالات نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط ، داخل حلف الاطلنطى ، وكانت نتيجة المناقشات :

أولا : على دول أوربا الغربية أن تخفض جزئيا من البترول للمستهلك • ويعاد تصدير البترول من الدول الغربية الى الولايات المتحدة ، وفى حالات الضرورة تغير ناقلات البترول طريقها لتذهب فورا الى الولايات المتحدة الامريكية •

ثانيا : اتفقت الدول أعضاء حلف الاطلنطى على أن تعطى أولوية التزود بالبترول ، فى حالة تجدد القتال فى الشرق الاوسط ، لاسطول الولايات المتحدة الامريكية • ويمكن أن يستخدم هذا البترول ، ليس فى الاغراض العسكرية المحدودة للحلف فحسب ، ولكن فى نفس الوقت يمكن للولايات المتحدة أن تستخدمه فى أغراضها الاستراتيجية العسكرية • وقد اتفق المسئولون فى الحلف على استخدام مخزون الحلف من البترول فى حالة الطوارىء ، لسد الاحتياجات المباشرة للولايات المتحدة (وعلى سبيل المثال فى حالة نقص موارد البترول الامريكية بسبب التهديد من الخارج) •

وقد تأسست هذه الخطة نتيجة للاعتقاد بتفوق الجيش الاسرائيلى وقدرته على الردع ، وعدم قدرة العرب على القيام بأى هجوم على اسرائيل • أى أن الخطة كانت قائمة على أنه فى حالة نشوب حرب جديدة ، ستكون هذه الحرب خاطفة وسريعة ، كما وضعت اسرائيل فى استراتيجيتها •

وعلى هذا الاساس ، وطبقا للاتفاقيات السرية المعقودة بين أعضاء حلف الاطلنطى ، أعلن **نيكسون وكيسنجر** أنه ليس هناك ادنى خطر من أزمة البترول على الولايات المتحدة الامريكية • وعلى هذه الاتفاقيات أيضا اعتمدت الولايات المتحدة فى تزويد اسرائيل بالسلاح عن طريق جسر جوى عبر البحر الابيض ، عندما تجدد القتال فى سيناء والجولان •

ولم تأت هذه الاتفاقات عرضا ، فالتعاون بين أعضاء الحلف ، أو على وجه الدقة بين بعض دول أوربا الغربية وبين الولايات المتحدة الامريكية ، فى مجال البترول فى حالة تجدد نشوب القتال فى الشرق الاوسط ، هو نتيجة سياسة أمريكية وضعها عدد من الخبراء الامريكيين المتخصصين ، وأهمهم واشهرهم الان ، **جيمس ايكينز** الذى قال عنه **ستيفن روزيفيلد** فى مقال له فى « **الواشنطن بوست** » (٣ ــ ٣ ــ ٧٣) :

ــ « **جيمس ايكينز** ، دبلوماسى ذكى المعى الى درجة كبيرة ، ملم بموضوعه متعمق فى تخصصه • وقد أدى كل هذا الى تكليفه فى العام الماضى باعداد تقرير لنيكسون عن أزمة الطاقة فى الولايات المتحدة الامريكية » •

وقد ركز **ستيفن روزينفيلد** على أهمية هذا الخبير الامريكى ، وعبقريته

● **نشرت وكالة انباء المانيا الديمقراطية تقريرا عن المساعدات العسكرية الضخمة التى تقدمها الولايات المتحدة والمانيا الغربية الى اسرائيل، وكذلك المساعدات الامريكية لتعزيز قطاع الصناعات الحربية باسرائيل .**

وقد جاء فى التقرير ان الولايات المتحدة قد استثمرت حوالى ثمانية آلاف مليون دولار فى اسرائيل منذ انشائها عام ١٩٤٨ وحتى يونيو ١٩٦٧ . وان هذا القدر من الاستثمارات قد تضاعف خلال العامين التاليين لعام ١٩٦٧ ، وبالنسبة لعدد سكان اسرائيل فان هذه المبالغ تعتبر أكبر مبالغ استثمرتها الولايات المتحدة فى بلد أجنبى . اما حكومة المانيا الغربية فقد قدمت لاسرائيل حوالى ٣ آلاف ونصف مليون مارك فى الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٥ وذلك فى نطاق مايسمى باتفاقية التعويضات . ولقد زادت هذه المساعدات بعد عام ١٩٦٧ بدرجة كبيرة .

في رسم السياسة البترولية خلال الازمات مع عدد من رجال الحكومة الامريكية المسئولين ، الذين قالوا أنهم « يشكون في صحة وجود أزمة طاقة حقيقية في الولايات المتحدة » ٠

ولقد كانت مجهودات روزيفيلد للتعريف بايكينز تتمشى مع اهداف بعض الجماعات في الولايات المتحدة ، تلك الجماعات التي تصارع من أجل « سياسة تعاونية » ، وبالذات في مجال استهلاك البترول ، للتنسيق مع دول أوربا الغربية ، وما يستدعي ذلك من عدم تخطيها والقفز من فوقها ٠

ثم دارت مناقشات حول التنسيق مع دول أوربا الغربية وأعضاء حلف الاطلنطي في السياسة البترولية ، لتستفيد الولايات المتحدة في حالة حدوث أي طوارىء في الشرق الاوسط ٠ ولنذكر هنا بالحرف ما قاله **هاتفيلد** عضو لجنة الشئون الداخلية بالكونجرس الامريكي ٠ لقد أعلن أمام الكونجرس في ٢٣ يناير ١٩٧٣ :

ــ ان استهلاك الولايات المتحدة للبترول استهلاك « نهم » ، لقد كان عام ١٩٧١ حوالي ١٥ مليون برميل في اليوم الواحد ٠ ويرتفع هذا الرقم ليصل الى ٢٤ مليون برميل في عام ١٩٨٠ ، وهذا طبقا لما يقوله الخبير الدولي ايكينز في محاضرة له بمعهد البترول الامريكي بلوس انجيليس بكاليفورنيا في ٦ يونية ١٩٧٢ ٠ وحتى نفي بهذه الاحتياجات ، فنحن لا ننتج سوى ١١ر٢ مليون برميل (احصائيات عام ١٩٧١) ونستورد الباقي من كندا وفنزويلا والشرق الاوسط ٠ ونأمل أن يزداد معدل انتاجنا بأكثر من نصف مليون برميل يوميا خلال عام ١٩٨٥ ٠ والحقيقة أن هناك تقديرات أقل تفاؤلا من هذه تقول بأن انتاجنا سيقل بنسبة ٣٠ في المائة بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٥ ٠ ولهذا فانه لما كان طلبنا على البترول يرتفع بشكل هائل ، ويرتفع انتاجنا بشكل طفيف وحتى قد ينخفض ، فسيتضاعف ما نستورده من البترول ثلاث مرات في عام ١٩٨٠ ، وقد يتضاعف خمس مرات عام ١٩٨٥ ٠ وهذا يعني بوضوح زيادة اعتمادنا على الحكومات الاجنبية المنتجة للبترول ٠ وباستثناء كندا وفنزويلا ، فان ٧٠ في المائة من وارداتنا من البترول ستكون من الشرق الاوسط وشمال افريقيا » ٠

ثم رسم **السيناتور هاتفيلد** صورة للموقف البترولي لدول أوربا الغربية واليابان وركز على ضرورة رسم سياسة بترولية أمريكية يمكنها أن تواجه احتمالات المستقبل ٠ ولكن لعل أغرب توقعات السيناتور كانت بخصوص بترول الدول العربية واستخدامه كسلاح في وجه الولايات المتحدة وسياستها الامبريالية المؤيدة لاسرائيل في حالة قيام حرب ٠ ويبدو أن حسابات السيناتور كانت بنفس العقول الالكترونية التي قامت بالحسابات الامريكية والتوقعات في فييتنام ٠ فقد توقع السيناتور ألا يستخدم العرب البترول كسلاح ــ لاحظ ان الخطاب في يناير الماضي ٠

ــ « ان آخر مانتوقعه من العرب هو ان يوقفوا ضخ البترول ، **ثم** علق « **هنري كيسنجر** » في رده على بعض الاسئلة في هذا المجال بقوله:

ــ « ان علاقاتنا مع أهم مصادر استيرادنا من بترول الشرق الاوسط وهي السعودية وايران حسنة جدا ، ونستبعد حدوث تطورات في المستقبل تجعلهم يقطعون امداداتنا البترولية » ٠

سياسة جديدة

من هنا نقول ، ان هناك مجموعة في الكونجرس الامريكي ومن المسئولين الامريكيين ، كانوا جادين في وضع معالم « سياسة بترولية جديدة » للولايات المتحدة الامريكية ٠ وكانت هذه السياسة تعتمد ــ قبل ٦ اكتوبر ــ ، وبطبيعة الحال ، على اسرائيل « كبلطجي » لحراسة المصالح الامريكية في المنطقة ٠ ولكنها في نفس الوقت تعتمد على اجراء بعض

● انحاز كلاوس شويتز عمدة برلين الغربية الى جانب الولايات المتحدة في النزاع بينها وبين المانيا الغربية بشأن شحنات الاسلحة الامريكية الى اسرائيل عن طريق أراضي المانيا الغربية ٠ وقال ــ وقتها ــ في حديث لصحيفة [مورجن بوست] الالمانية الغربية بانه يجب أن يكون في الامكان الجمع بين الحياد العسكري ومساعدة الاصدقاء في وقت الحاجة ٠

وكما أن الحزب المسيحي الديمقراطي المعارض انتقد موقف فيلي برانت ــ وذكر متحدث رسمي باسم الحزب ، أن الحكومة بدلا من أن تقف الى جانب الولايات المتحدة فانها تعنفها علانية ٠

التغييرات فى علاقة الولايات المتحدة بالدول العربية وخاصة تلك المنتجة للبترول . يقول هاتفيلد :

« ان مسار هذه السياسة ليس سرا خافيا على أحد . فبالنسبة لاسرائيل ، فاننا نؤكد ونعلن باستمرار تعهدنا لوجودها ، وتعهدنا هذا يجب وسيستمر كجزء أساسى من سياستنا ، ولكن اسرائيل ستستفيد ، كما سنستفيد نحن من سياستنا الايجابية نحو العرب . لقد اعتمد الوجود الاسرائيلى سياسيا واقتصاديا على الولايات المتحدة . من هنا فلو تعرض الاقتصاد الامريكى ، وقوة الدولار ، وأمن وثروة هذه الامة للخطر ، فان اسرائيل ستتعرض له بالمثل » !

هذه السياسة الجديدة تتجسد فى خطة « جيمس ايكينز » .

ومن أجل مساندة أفكار ايكينز تنشر الـ « يو اس بوليتيكال ساينس» عددا من الدراسات والمقالات ، بينها مقال بقلم جون كمبل وهيلين كاروس تحت عنوان « الغرب والشرق الاوسط » نشره « مكتب العلاقـــات الخارجية » ، والجزء الاخير هو أهم جزء فى هذه الدراسة ، وهو تحت عنوان : « الدول المتقدمة : سياسات منفصلة ام مترابطة ؟ ! » ويضـــع الكاتبان هذا السؤال :

هل بين الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية واليابان ، صراعات مصالح ، أم طرق مختلفة فى النظر الى المصالح التى يتقاسمونها ؟ انهم يجب ان يتوصلوا الى طريقة للعمل المشترك ، والا فستكون هناك سياسات مختلفة ومنفصلة ؟ ! »

وتركز الدراسة على واجب الدول الغربية الاوربية فى قبول « سياســة التنسيق والتعاون .» مع الولايات المتحدة ، حتى فى المجالات التى قد لا تبدو فيها مصالح أوربا الغربية واضحة . « ان وجود القوات الاوربية تحت علم حلف الاطلنطى يتطلب فهم الولايات المتحدة عن غرض تواجدها ، كذلك تهتم دول أوربا الغربية بالمهمة المزدوجة للاسطول السادس فى البحر الابيض المتوسط لانجاز مهمات حلف الاطلنطى وأيضا لحماية المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، تلك المصالح التى ليس لها علاقة بحلف الاطلنطى أو أوربا . فلو أرادت الولايات المتحدة — على سبيل المثال — أن يتحرك الاسطول السادس الى نقطة ما فى شرق البحر الابيض المتوسط لتحول دون تحرك عسكرى ضد اسرائيل ، فانها لا تتوقع تعاون الوحدات الاوربية الغربية الا فى حالة موافقة الدول المعنية على الهدف السياسى . ان الدافع العسكرى يدفع بالتالى الدول الاوربية الغـــربية لتنســيق سياسى ، والمصلحة الاساسية لاوربا هى بطبيعة الحال الا تقوم حــرب فى الشرق الاوسط ، وان تتم تسوية المشكلة حتى لاتؤثر بشكل او بآخر على أمن أو تزويد الاسواق الاوربية بالبترول » ، لهذا فمن الضرورى للولايات المتحدة أن تعمل جنبا الى جنب مع أوربا الغربية على طريق سياسة بترولية طويلة المدى تؤدى الى تقليل اعتماد الجميع على بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وماذا لو لم تنسق الــدول المتقدمة سياساتها البترولية معا ؟ ستكون النتيجة ان تصبح الولايات المتحدة ، وحدهــا تحاول ان تناور بين اسرائيل وبين العرب والروس دون فرصــة للنجاح أو للخروج من الازمة . ولان كل دولة من دول أوربا الغربية تنظر الى مصلحتها الخاصة فستكون النتيجة محاولة كل منها التملص من سياسة الولايات المتحدة التى تساند اسرائيل أكثر منها ، وتثير سحب الحرب الباردة . وقد تستدير الدول الاوربية لترتب أمورها مع الدول العربية على حساب كل من اسرائيل والمصالح الامريكية . ومعنى هذا فى المسائل البترولية ، أن يؤدى ذلك الى احتمال الاحتكاك بين شركات البترول الامريكية وشركات البترول الاوربية والفرنسية ، وبين واشنطن وحلفائها

وتكون النتيجة الحتمية هى استغلال حكومات دول الشرق الاوسط والكرملين لهذه الخلافات » !

الخطة فى التطبيق

ولكن اتضح ان هذه الخطة التى قدمها السيد « ايكينز » خطة خيالية لم تضع فى اعتبارها كثيرا من التغيرات التى اجتاحت العالم ، والتى ظهرت بعد ذلك فى الصراع بين قوى الامبريالية والصهيونية من جانب وقوى التحرر الوطنى العربى من الجانب الاخر فى الشرق الاوسط ٠

فالحرب الرابعة كانت مفاجئة لاسرائيل وللولايات المتحدة الامريكية كذلك وهى نفس الوقت طالت الحرب الى درجة تعانى منها اسرائيل ويعانى منها اقتصادها ٠

ولقد كانت « امريكا متأكدة بأنها مهما فعلت فاننا سنظل نرسل النفط والنقود اليها » ٠ ولم تضع فى خطتها أن تقطع عنها الدول العربية المنتجة للبترول ، امداداتها البترولية ٠

وتحصل الولايات المتحدة على ٦ فى المائة فقط من بترولها بصورة مباشرة من الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، وهو ما يساوى مليونا من استهلاكها اليومى الذى يبلغ ١٨ مليون برميل ٠ كما أن هناك ٥٠٠ الف برميل أخرى من البترول الخام أو منتجات البترول تصل اليها على نحو غير مباشر عن طريق أوربا ٠ وجدير بالذكر أن نقاط الشحن الرئيسية للبترول هى ايطاليا وبلجيكا وهولنده ــ وقد قررت ايطاليا بالفعل وقف تصدير الكيروسين والجازولين ، بينما أعلنت كل من بلجيكا وهولنده فرض متطلبات خاصة لاصدار تصاريح تصدير البترول »٠ وفى العادة ، فان الولايات المتحدة تشترى كميات ضخمة من البترول الذى يستخدم وقودا للتدفئة من أوربا فى هذا الوقت من السنة ، ويمكن أن يؤدى الحظر المفروض على التصدير الى تفاقم النقص الذى سيعانى منه الامريكيون هذا العام » (المصدر السابق)

لقد كان من أهم نتائج حرب ٦ أكتوبر أن انفجرت التناقضات بين دول أوربا الغربية والولايات المتحدة ٠ « ولم تكن علاقات أمريكا مع بريطانيا واوربا الغربية أسوأ أبدا مما هى الان منذ حرب السويس السابقة قبل ١٧ عاما مضت ٠ وقد بدأ خلال الاسبوع الماضى أن أدوار عام ١٩٥٦ قد قلبت رأسا على عقب ٠ فالولايات المتحدة تبدى نفس الازدراء الغاضب تجاه حلفائها فى حلف الاطلنطى بسبب افتقارهم المزعوم الى التأييد فيما يتعلق بالشرق الاوسط على النحو الذى ابداه كل من انتونى ايدن وجى موليه تجاه الرئيس ايزنهاور ، ابان حرب السويس ٠ ان أسباب الصراع هى نفسها : الصدام بين مصالح أوربا البترولية فى الشرق الاوسط وقلق الاستراتيجية العالمية الامريكية من القوة السوفيتية واثرها على اسرائيل والدول العربية ٠ ولكن الوسائل التى استخدمها الاوربيون ، وتلك التى استخدمها الامريكيون للسعى الى مصالحهم ، قد تحولت بالكامل » (مقال روبرت ستيفنز ٥ ــ ١١ ــ ١٩٧٣) ٠

النتيجة اذن ليست خطة يجتمع عليها اعضاء الحلف ، بل تناقضات حادة ازدادت بنشوب الحرب ، وتتوج هذه التناقضات بدعوة الرئيس بومبيدو الى مؤتمر قمة أوربى لكى ترسم ١٢ دولة أوربية غربية سياسة مشتركة تعرب عن مصالحها وبالذات البترولية ٠

ولقد كان اجتماع وزراء خارجية الدول الاوربية التسع ، والقرار الذى اصدره ضربة سياسية خطيرة سواء للموقف الامريكى أو الموقف الاسرائيلى ، ولعل اوضح تعبير عن وجهة النظر الاسرائيلية تجاه هذا الموقف هو تصريح « **موشيه آلون** » سفير اسرائيل لدى السوق المشتركة الذى أعرب فيه عن دهشته واستيائه من بيان الدول التسع ووصفه بأنه « بيان احادى الجانب ، بل وموال للعرب » (رويتر ــ ٧ ــ ١١ ــ ١٩٧٣) ٠

قضية الشرق الأوسط في جمعية عمومية لشعوب العالم

موسكو : من انجي أفلاطون :

« ان مؤتمرنا ليس تكرارا للماضي ، انه شيء جديد ، شيء لم يحصل اطلاقا من قبل » . هكذا ، قال روميش شاندرا ، رئيس المؤتمر العالمي للقوى المحبة للسلام ، في كلمته يم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، يوم افتتاحه في قصر الاجتماعات في الكرملين ، فعبر - بقوله هذا - عن رأي واحساس أغلب المندوبين .

لماذا .. وما هو الجديد في هذا المؤتمر ؟

فلاول مرة ، منذ ان تأسس مجلس السلام العالمي عام ١٩٤٩ ، بل ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، يجتمع هذا العدد الضخم (٣٢٠٠ مندوب) يمثلون **كافة الاتجاهات والتيارات السياسية والاجتماعية** . **ومن ١٤٤ دولة ذات نظم اجتماعية مختلفة** . وفود من أنصار السلام من الدول الاشتراكية ، ومن الدول الرأسمالية ، ومن الدول النامية ، ومن البلدان التي لا زالت تناضل من أجل الاستقلال والديموقراطية والتحرر الوطني . كما جاء الى المؤتمر ١٢٢ منظمة عالمية واقليمية وأكثر من ٢٠٠ أعضاء مجالس نيابية قومية .

ولكي ندرك التركيب السياسي الحقيقي للمؤتمر ، ومدى تنوع القوى المشتركة فيه لاول مرة ، سنعطي بعض الارقام :

● ١٠٠ منظمة تنتمي الى الاتجاه الحزبي الديموقراطي المسيحي والليبرالي والفلاحي (وهذه المنظمات كان يمثلها تقريبا ٦٠٠ شخص) .

● أكثر من ٣٠ **حزبا** اشتراكيا ، واشتراكيا وديمقراطي وطني (يمثلهم ٣٠٠ شخص) .

● أكثر من ٦٠ **حزبا** ومنظمة للتحرر الوطني وديمقراطي وطني (يمثلهم ٣٠٠ شخص) .

● أكثر من ٧٠ **حزبا** شيوعيا وعماليا (ويمثلهم ٥٠٠ شخص) .

أما باقي المندوبين فكانوا يمثلون ٩ منظمات دولية ، غير حكومية تابعة للامم المتحدة ، و١٧٧ منظمة دولية واقليمية . وعددا كبيرا من ممثلات الاتحادات النسائية الجماهيرية والاتحادات العمالية والنقابية ، وشخصيات بارزة في عالم العلوم والفنون والاداب ، وكلهم حريص كل الحرص على تحقيق نفس الهدف ، ألا وهو الدفاع عن السلام ، وانقاذ العالم من ويلات حرب نووية مدمرة (•) .

الاعداد للمؤتمر الدولي للقوى المحبة للسلام

واذا صح أن « مجلس السلام العالمي » هو الذي بادر بطرح فكرة هذا المؤتمر الواسع الكبير ، فلم يغب عن ذهنه - لحظة واحدة - أهمية تكوين « **لجنة تحضيرية دولية** » ، تضم عددا كبيرا من منظمات وشخصيات جديدة بارزة ، ذات نفوذ وتأثير على قطاع واسع من الرأي العام العالمي ، وكل ذلك من أجل تحضير وتنظيم أوسع مؤتمر عالمي لقوى السلام عقد حتى اليوم .

وفي الوقت نفسه ، أرسل المجلس الى كافة المجالس ، والى لجان السلام الاقليمية ، توصية ملحة ، تطالبها بتكوين لجان تحضيرية واسعة في كل بلد على حدة ، حتى يشمل التحضير أوسع القوى الممكنة ، وكافة الاتجاهات السياسية والاجتماعية في تلك البلدان ، طالما أن هدفا واحدا يجمعها : هو قضية حماية السلام .

وقد تمسكت اللجنة التحضيرية ، طوال الفترة السابقة للمؤتمر ، **بأربع كلمات** أو شعارات ذات دلالة عميقة هي :

جنبا الى جنب ، والانفتاح ، والحوار ، والعمل النشط المستمر .

وتعني هذه الكلمات الاربع ، أهمية الانفتاح على منظمات وتكتلات تضم جماهير واسعة وجديدة ، كانت بعيدة - فعلا - حتى الان عن مؤتمرات واجتماعات مجلس السلام العالمي ،

بالرغم من تقارب أهدافها . **كانت تعنى تحملها الكامل مع مجلس السلام العالمى مسئولية حماية السلام** ، والعمل النشيط من أجله ، بالرغم من الاختلافات فى الاراء والمعتقدات والاهداف السياسية .

وبالحوار الواسع والحر ، على الصعيدين الاقليمى والعالمى ، **يمكن أن ننمى الخلافات التى تعتبر ثانوية ، اذا قيست بحيوية الهدف الرئيسى ، وهو أهمية النضال من أجل سلام عادل قائم على احترام مصالح وحقوق جميع الشعوب** . فبدون هذا السلام العادل ، تصبح القيم والثروات الهائلة الموجودة — اليوم — فى العالم ، مهددة تهديدا مباشرا بالزوال والخراب ، بل وبالتدمير المطلق .

عصر انتصارات الشعوب

فاذا سألنا بعد ذلك : لماذا أمكن — اليوم فقط — تنظيم وانجاح هذا النوع من التجمع الهائل ، هذه الجمعية العمومية لشعوب العالم .. فى موسكو ، ولماذا لم يكن من الميسور ان يعقد من قبل . فان الرد لابد وأن يرتبط ارتباطا وثيقا **باللحظة التاريخية الحاسمة التى يمر بها العالم ، والتى تتميز بتعاظم قوى السلام والاشتراكية والتحرر الوطنى ، وبتعاظم النضال المرير البطولى للشعوب ضد قوى الامبريالية والحرب فى كل مكان** .

« فاذا تحدثنا عن الاهم ، فان خطر نشوب حرب عالمية نووية ، هذا الخطر الذى ظل يتهدد البشرية منذ النصف الثانى من الاربعينات قد أخذ يتقلص ، وتصبح آفاق الحفاظ على السلام العالمى أفضل ، كما يصبح مضمونه ، **أرحب مما كانت منذ عشرة أو اثنى عشرة سنة مضت** . ويمكننا أن نقول ذلك بكل ثقة » — (من خطاب ليونيد بريجينيف ، فى المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلام فى موسكو) .

فاذا سألنا — أيضا — ولماذا اختيرت موسكو عاصمة الاتحاد السوفيتى مكانا لانعقاد هذا المؤتمر الكبير للقوى المحبة للسلام ، فانه لن يكون من قبيل التعسف ان نجيب على هذا التساؤل بأن أول مرسوم أصدرته أول دولة اشتراكية فى العالم منذ ٥٦ سنة ، وفى غمار الحرب العالمية الاولى ، هو « مرسوم السلام » الذى صاغه لينين . لقد كان « **السلام للشعوب** » أحد الشعارات الاساسية للدولة السوفيتية الفتية .

— « وفى هذه الوثيقة التاريخية توجهت حكومة العمال والفلاحين لروسيا السوفيتية لا الى الحكومات فحسب ، بل الى شعوب جميع البلدان ، معبرة عن الطموح الذى لا يتزعزع لدولتنا نحو سلام ديموقراطى عادل . وأوكد : **نحو سلام عادل ، سلام ديموقراطى أى قائم على أساس احترام حقوق ومصالح جميع الشعوب** . وخلال السنوات التى مرت بعد ثورة أكتوبر العظمى كنا **نناضل على الدوام بدأب وما زلنا نناضل من أجل** انتصار مثل هذا السلام على كوكبنا » — (من خطاب بريجينيف فى المؤتمر) .

ان النضال المستمر والعنيد للشعب السوفيتى من أجل انتصار السلام العادل فى العالم ، بل ومساندته الفعلية والمبدئية لجميع الشعوب التى تكافح من أجل التحرر والسيادة الوطنية والديموقراطية ، ان هذا خير مثال يزكى مدينة موسكو لتكون المقر المناسب لذلك الحشد السلامى الكبير . كما يزكيه أيضا حرارة الاستقبال الذى شعرنا به ، نحن العرب ، وباقى الوفود ، أثناء وجودنا ، وحماس الملايين من أفراد الشعب السوفيتى الذين ساهموا واشتركوا اشتراكا فعليا فى تحضير وانجاح هذا المؤتمر الكبير .

وأخيرا فانه مما يدل على الاهمية التى كان يعلقها المسئولون السوفييت على هذا المؤتمر التاريخى ان لجنة الرياسة للحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة السوفيتية ، حرصت على أن تحضر جلسات المؤتمر بكامل هيئتها يومين متتاليين : فى مساء يوم الافتتاح فى ٢٥ أكتوبر ثم فى اليوم التالى حينما القى الرفيق **بريجينيف** خطابه الهام الذى استغرق ساعتين ونصف الساعة .

لقد وضعت اللجنة التحضيرية الدولية **لائحة عمل** تتضمن أسلوب عمل جديد يتمشى مع المتطلبات الجديدة لهذا المؤتمر الكبير . فنصت لائحة العمل — التى ووفق عليها بالاجماع منذ بدأ المؤتمر — **على اصدار تقارير وبيانات** (وليس قرارات) حتى تجىء التقارير معبرة عن مختلف اتجاهات ممثلى الرأى العام العالمى ، وحتى تتضمن تسجيل جميع الاراء التى ابديت أو التى لقيت تأييد الحاضرين . أما طريقة اصدار هذه التقارير ، فتكون من **خلال اللجان الفرعية للمؤتمر** ، وهى اللجان التى تفرعت الى ١٤ لجنة ، تم انتخاب هيئاتها الرئاسية فى جلسة عامة للمؤتمر .

اما اللجان فهى :

١ — لجنة التعايش السلمى والامن الدولى — ٢ — الهند الصينية — ٣ — الشرق الاوسط — ٤ — الامن والتعاون فى أوربا — ٥ — السلم والامن فى أسيا — ٦ — نزع السلاح — ٧ — حركة التحرر الوطنى والنضال ضد الاستعمار والعنصرية — ٨ — النمو والاستقلال الاقتصادى — ٩ — حماية البيئة الطبيعية — ١٠ — التعاون فى مجال التعليم والثقافة — ١١ — التعاون الاقتصادى والتكنولوجى العلمى — ١٢ — القضايا الاجتماعية وحقوق الانسان والسلام — ١٣ — التعاون بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية — ١٤ — شيلى .

ثم جرى توزيع اعضاء المؤتمر على هذه اللجان وفقا لرغباتهم واهتماماتهم . وجدير بالذكر ، أن **لجنة الشرق الاوسط** كانت من أكثر اللجان التى

بجذبت الاهتمام ؟ ولم يكن من قبيل الصدفة بعد ذلك أن تضم ۱۰۰۰ عضو . كما انضم ۱۰٤۰ عضوا الى لجنة القضايا الاجتماعية وحقوق الانسان . وضمت لجنة الهندالصينية ۷۰۰ عضو ، ومثل هذا العدد انضم الى لجنة التعاون فى مجال التعليم والثقافة .

وكان الوفد المصرى قد قرر فى اجتماع داخلى له — يرأسه **خالد محيى الدين** السكرتير العام للمجلس المصرى للسلام ، ورئيس الوفد المصرى وعضو مكتب رياسة المؤتمر ، ان يتوزع اعضاء الوفد بقدر الامكان على جميع لجان المؤتمر — مع مراعاة التركيز — أساسا على لجنة الشرق الاوسط ، فقد كان من المفيد ، حقا ، بل من الضرورى أن يتواجد اعضاء الوفد المصرى فى جميع المناقشات التى كانت ستدور فى هذه اللجان والتى كان من شأنها أن تؤثر — حتما — على مضمون التقارير المرفوعة للمؤتمر فى النهاية .

كذلك تقرر القيام بتنسيق العمل مع جميع الوفود العربية لتوحيد خطتنا وموقفنا امام المؤتمر — وتمت هذه الخطوة بنجاح كبير . ولاول مرة — منذ زمن طويل انكمشت الخلافات بيننا وبين اشقائنا العرب — والواقع ان اندلاع القتال الباسل للجيش المصرى والسورى من أجل تحرير الاراضى المحتلة وضمان حقوق شعب فلسطين فى العودة وتقرير المصير ، كل هذا ، خلق على الفور نقطة التحام كاملة بيننا وبين الوفود الشقيقة فى المؤتمر ، جعلتنا نسير على خط واحد يضعنا على مستوى المسئولية والاحداث الكبرى .

وقد دعا المؤتمر الى مزيد من الضغط واليقظة ضد خرق هذه الاتفاقيات من طرف المعتدين الامريكيين وعملائهم ، ومساندة شعوب لاوس وكمبوديا وفيتنام التى تناضل من أجل الاستقلال والسلام .

وكذلك كان على رأس اهتمامات المؤتمر الانقلاب الدموى الفاشى ضد حكومة سلفادور الليندى الشرعية فى شيلى . فهذا الانقلاب العسكرى الرجعى المسنود مباشرة من الاحتكارات العالمية والاستعمار الامريكى يشكلخطرا كبيرا على السلام فى العالم — فهو ينذر مرة اخرى بمدى خطورة الهجوم المضاد للقوى الرجعية والاستعمارية العالمية على الحكومات الشعبية الشرعية التى تسير فى طريق الاستقلال والتحرر والتقدم الاجتماعى .

ولقد قابل الحاضرون بتصفيق عاصف كلمة السيدة الشجاعة **هورتنسيا الليندى** زوجة الرئيس الشهيد وزميلة كفاحه ، وذلك عندما كشفت الجرائم البشعة « للطغمة العسكرية » التى تدوس على حقوق الانسان والتى تحضر الان من وراء الشعب ، دستورا فاشستيا تنتزع به ملكية الشعب لتعيدها الى قبضة المغتصبين ثم لتصفى — كلية — مكاسب شعب شيلى البطل .

وعندما اعلنت السيدة **الليندى** اننا سنستمع الى شريط كان قد سجل عليه النداء الاخير الذى وجهه الرئيس الفقيد من راديو شيلى وهو يترقب الموت فى القصر ، تحت قصف المدافع وانفجارات القنابل ، عند ذلك تحول التصفيق الى مظاهرة حماسية ، فهب الحضور واقفين ، وهم يهتفون باسم الليندى وبابلونيرودا :

« **حقا سوف يعيش شعب شيلى ، ولن تنتصر الطغمة العسكرية الفاشستية** » .

وحينما قفزت قضية الشرق الاوسط الى الامام ، وأصبحت — كما قلنا من قبل — تثير القلق والاهتمام البالغين من ناحية ، كما تثير الاحترام لنضال الشعوب العربية ، من ناحية أخرى — أمكن فى هذا الجو أن يتم عزل بعض عناصر الصهيونية الدولية التى تمكنت من التسلل الى المؤتمر عن طريق بعض الهيئات الدولية والاحزاب السياسية فى الغرب . ومن ثم لم يكن من قبيل الصدفة ان تدين الغالبية الساحقة من المندوبين — فى اللجان المختلفة — العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية ، وان تفعل ذلك بحزم .

وحينما أعلن عن وصول رسالة تحية من الرئيس**أنور السادات الى المؤتمر** قوبل الخبر بتصفيق حار من المندوبين :

« **تحيات حارة أبعثها اليكم باسم شعب مصر الذى يناضل فى سبيل قضية السلام ، تلك القضية التى اجتمعتم هنا من أجلها ، وأؤكد لكم اننا نسير معكم على نفس طريق النضال الذى تخوضونه بهدف تدعيم قواعد السلام الدائم والعادل فى كافة أركان العالم ، تلك القواعد التى تقوم أساسا على حق الشعوب فى تقرير مصيرها واحترام أمن وسلامة وسيادة الدول على اختلاف نظمها الاجتماعية** » .. وقد ختم الرئيس رسالته بهذه التحية المعبرة القوية : « **واننا نؤمن ايضا بأنكم قوة شريفة تناضل من أجل أخطر وانبل احلام البشرية فى تحقيق سلام دائم وعادل فى العالم أجمع .. انكم ستعرفون طريقكم لدعم هذه القضية فقد كنتم دائما مقدرين لمسئوليتكم ، ولقد كانت شعوبنا دائما مقدرة لجهودكم . واتمنى لمؤتمركم النجاح والتوفيق فى تحقيق اهدافكم السامية** » .

وهكذا فان هذا المؤتمر العظيم الذى وضع مشكلة الشرق الاوسط فى مركز اهتمامه — يطالبنا ، نحن الشعوب العربية ، بأن ندرس بجدية وثائقه وقراراته ، حتى نسهم فى وضع هذه القرارات موضع التنفيذ الفعلى ، وحتى نتمكن من بناء أوسع جبهة على الصعيد العالمى ، جبهة من كل الناس الشرفاء الذين يساندون بلادنا ، فى نضالها التحريرى ، من أجل السلام القائم على العدل .

رسالة دمشق

ســـوريا فى مـــرآة ٦ أكـــتوبر

دمشق : من فيصل حورانى :

تشهد سورية ، منذ توقف اطلاق النار ، موجة من النشاط السياسى الواسع النطاق ، وهى موجة حفزها القتال ، وحفزتها النتـــائج التى ترتبت عليه . واذا كان النشاط السياسى الواسع النطاق ليس أمرا جديدا بالنسبة لسورية ، التى تعيش منذ الاستقلال الى اليوم معارك سياسية وغير سياسية متصلة ، فان الجديد فى الموجة الراهنة أمران :

● حجم هذا النشاط الذى تشترك فيه كوادر وقواعد حزب البعث العربى الاشتراكى والاحزاب والقوى السياسية الاخرى ، الممثلة فى الجبهة الوطنية التقدمية ، والذى يجتذب اليه اعـدادا متزايدة من المستقلين ، وجماهير المنظمات الشعبية العديدة ، التى تمثل مختلف قطاعات الشعب العربى السورى .

● نوع المسائل التى وضعتها الحرب ونتائجها أمام القوى السياسية ، وأمام الفكر السياسى فى سورية ، خاصة بالنسبة لحزب البعث والقوى التى يتطابق موقفها مع موقفه ، وبينها مسائل جديدة كلية فى هذا المجال ، وفى مجال فهم واقع ومستقبل القضية الفلسطينية والموقف من قرارات الامـم المتحدة بشأن الشرق الاوسط على وجه التحديد .

وقبل الاستفاضة فى الحديث عن هذا النشاط وعن بواعثه وظواهره ، يجدر بنا أن نتوقف أمام الوقائع الاساسية المتعلقة بسير الحرب ذاتها ، وبمجمل النشاطات التى دارت فى الايام المجيدة من شهر تشرين الاول ــ أكتوبر ــ المنصرم . لان متابعة تلك الوقائع ، بمقدماتها وبتطوراتها، يشكل مفتاح فهم الموقف الراهن برمته مع الجبهـة السورية ، ولان الحديث عن هذه الامور يجرى فى كل مكان فى البلاد .

دخلت سورية الحرب ، مثلما فعلت مصر ، وقد وضعت لنفسها هدفين تحددا بوضوح لم يترك مجالا للابهام : تحرير الاراضى العربية المحتلة فى حزيران ــ يونيو ــ ١٩٦٧ ، وضمان الحقـوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى . وقـد تم الاعلان عن هذين الهدفين فى كافة البيانات ، والوثائق السياسية الاخرى ، التى صدرت قبل أو ابان الحرب .

وأهمية ذلك ، بالنسبة لسورية بالذات ، أن تحديد هذين الهدفين ، وبهذا الوضوح وبموافقة القوى الممثلة فى الجبهة لوطنية التقدمية بما فيهـا حزب البعث ، القائد المعترف به للجبهة ، قد ادى من جهة الى غياب الشعارات الاخرى التى كانت فيما مضى تعطى الانطباع بأن ثمة خلافا فى الرأى بشأن المستقبل بين سورية ومصر ، والى بروز وجود وفعالية التنسيق السورى ــ المصرى ، وأدى من جهة أخرى الى تنشيط أوسع قدر ممكن من المبادرات والقدرات الشـعبية ، فضـلا عـن العسكرية ، فى ظل وخدمة سياسة مفهومة ، وفى ظل وخدمة شعارات يثق أكبر عدد من الناس ، ليس بعدالتها فقط ، بل بامكانية تحقيقها استنادا لميزان القوى الراهن .

وهكذا دخلت سورية الحرب ، وتصـدت للعدوان ، وهى تملك ثقة أكبر بالقدرة على تحقيق هدفين مرسومين بوضوح ، وتملك اقصى ما امكن حشده من وسائل عسكرية وسياسية : تملـك الجيش الذى نما وكبر وجرى تسليحه ، وخاصة فى السنتين الماضيتين ، بأسلحة وافرة وحديثة ، وتملك المؤسسات الدستورية التى طال غيابها فيما مضى ، وتملك جبهتها الوطنية التقدمية ، بما تمثله من تعاون بين كافة الاحزاب والقوى التى ظلت مسألة التصدى للعدوان الاسرائيلى والاعـداد للمجابهة مع العدو تشكل شاغلها الاول .

ومثلما حدث فى مصر ، اندفع جيش سورية ، ومعه الوحدات المتواجدة على أرض سورية من القوات الفلسطينية ، والوحدة التى سبق أن قدمت من المغرب الاقصى ، اندفع الجيش المفعم بالثقة وبالحماس ، فاجتاز بضربة ناجحة خطوط وقف اطلاق النار خلال الساعات الاولى للقتال وبعد تمهيد مناسب بالقصف المدفعى ، واجتاز الخندق الحصين الذى أقامه الاسرائيليون على امتداد تلك الخطوط ، واندفعت ــ فى الوقت نفسه ــ الوحدات العديدة من القوات الخاصة التى أوكلت اليها القيادة السورية ، فى اطار خطتها العسكرية الشاملة ، مهمة مهاجمة أو مشاغلة مواقع حصينة معينة داخل الجولان .

وقد هاجم السوريون على امتداد الجبهة ، التى تستند من جهة الى سفوح جبل الشيخ وتستند من جهة أخرى الى الوديان الفاصلة بين سورية والاردن .

وأدى الهجوم السوري الذى اشتركت فيه كل صفوف الاسلحة البرية والجوية ، الى التقدم السريع على عمق بعيد أمام القطاع الجنوبى من الجبهة ، والى عمق متوسط أمام القطاع الاوسط ، الا أن التقدم لم يحقق المهمات المرسومة له على القطاع الشمالى ، فتعثر فى هذا القطاع لوعورة المنطقة ، ولقوة التحصينات الاسرائيلية وكثافة أسلحتها . ولان محاور هذا القطاع تقود بعد كيلومترات قليلة الى قلب اسرائيل عبر القسم الشمالى من نهر الاردن ، فقد حصنه الاسرائيليون ، بداية ، تحصينا واسعا . وقد بادروا – بعد ان التقطوا أنفاسهم وحشدوا الاحتياطى – الى تركيز قوتهم الرئيسية عليه من أجل وقف التقدم السوري ، ثم فيما بعد ، من أجل احداث الخرق على محور القنيطرة دمشق ، والتهديد باحتلال العاصمة السورية ، التى كانت قبل الحرب أصلا على بعد حوالى خمسين كيلومترا من خط وقف اطلاق النار السابق ، فى تلك المنطقة .

وكما قال رئيس الجمهورية ، القائد العام للجيش ، الفريق **حافظ الاسد** فى خطاب وجهه للشعب بعد حدوث الخرق ، آثرت القيادة السورية عدم الاعلان عن تفاصيل المعارك التى خاضتها أو عن المناطق التى حررتها فى أيام الحرب الاولى . كان السوريون ، كما بدا واضحا ، يضعون فى الحسبان أسوأ الاحتمالات ، مثلما وضعوا أحسنها ، وعندما جرى التراجع تحت ضغط التركيز الاسرائيلى الكثيف للغاية ، أعلم الشعب بذلك من قبل رئيس الجمهورية الذى دعا الشعب والقوات المسلحة للاستبسال فى صد الهجوم وايقاف التقدم الاسرائيلى على طريق دمشق ، ونشطت الى أقصى الحدود اجراءات الدفاع على الجبهة وفى العاصمة .

وقد خاضت الدفاعات الجوية السورية ، والطائرات ، والوحدات الخاصة وصنوف السلاح الاخرى ، أمجد معاركها فى تلك الايام ، حيث بلغ النهوض الوطنى احدى ذرواته الرائعة ، وحيث اشتركت الوحدات العراقية التى أمكن وصولها فى تلك الايام جنبا الى جنب مع المقاتلين على الجبهة : وحيث بدت دمشق ، وهى مهددة تتعرض للغارات الهمجية المتواصلة ، أكثر صلابة ، وأعظم ثقة بالنفس ، وأكثر احساسا بالعزة الوطنية ، مما كانت فى أى يوم أخر من أيام تاريخها الطويل .

فى الجو دارت معارك من نوعين : الصراع بين الدفاعات الجوية والطائرات الاسرائيلية المغيرة ، والصراع بين المقاتلات السورية والمعتدية . ولم يكن الاعلام السورى مبالغا حين وصف كيف كانت الطائرات الاسرائيلية تتهاوى ، وقد أتيح للعاصمة السورية ولمدن الساحل السورى ، ولمناطق اخرى عديدة فى البلاد أن تتابع بالعين المجردة وقائع هذا الصراع . وفشل العدوان الاسرائيلى الذى صب جام حقده على الاحياء السكنية والمنشآت الاقتصادية المدنية مولدات الكهرباء ، مصفاة النفط ، ومستودعاته ... فشل فى احداث أى تأثير ضد المطارات والموانى التى هاجمها . وظلت هذه المنشآت الجوية للجهد العسكرى تعمل بكامل طاقتها ، طيلة أيام القتال ، بالرغم من كثافة الغارات التى استهدفتها ، ومن تلاحقها .

وقد أسهم ذلك الصراع المجيد ، الذى اتيح لسكان العاصمة ومدن أخرى أن يتابعوه ، فى رفع المعنويات وفى تزايد ثقة المواطنين بقواتهم المسلحة . ومن الذى يمكن أن يفقد الثقة حين يتاح له أن يرى ذلك الطيار الذى أسقط بطائرة ميج ١٧ طائرة فانتوم فوق بصر دمشق وسمعها !؟ أو حين يتاح له أن يرى قائد ميج ٢١ يقذف طائرة فانتوم ويسقطها فى بساتين دمشق ، ثم يهبط سالما بمظلته لانه قصف الفانتوم التى كان صاروخ منها قد أصاب طائرته بالذات !

لقد أصبح الكثير من الوقائع معروفا ، وسوف يمكن الكشف عن المزيد منها ، ويمكن القول – بايجاز – ان السوريين قاتلوا بكل الاسلحة فى التقدم ، وفى التراجع ، فى الجو ، وفى البر ، ونظرا للوضع الجغرافى أمكن للمواطنين أن يروا جانبا هاما من وقائع القتال . وقد أوجد ذلك كله – لدى الجيش مثلما لدى الجماهير – احساسا عاليا بالمسئولية الوطنية ، ساعد ، وسوف يساعد أيضا ، على جعل تناول أية أخطاء ارتكبت ، تناولا مسئولا ، يحفز ، قبل أى شىء آخر ، الرغبة فى تلافى تلك الاخطاء .

كيف جرت الامور على الجبهة الداخلية ؟

لقد أعدت البلاد للحرب فى الاشهر الاخيرة ، بقدر الامكان ، وقد تم ذلك فى ظل الحرص الشديد على التكتم ، مخزون التموين كان كافيا ومن أجل ضمان سلامة توزيعه نشطت قبل الحرب ، وحتى فى أيام القتال وتحت القصف الجوى ، عملية افتتاح محلات البيع بالفرق التى تديرها الدولة ، وتبيع فيها للمواطنين المواد الضرورية كافة ، وتم تسليح عناصر الجيش الشعبى وتكليفها مع عناصر الدفاع المدنى بالخدمات الضرورية فى المدن والقرى . وخلال أيام القتال كان تدريب المتطوعين على السلاح يجرى حثيثا ، وتقرر أن تعمل كافة دوائر ومؤسسات الدولة طيلة الاربع والعشرين ساعة من كل يوم ، وقامت الاحزاب والمنظمات الشعبية بتنظيم المبادرات فى مجال الخدمات الصحية والتطوع للعمل فى المصانع ورعاية أسر الجنود ، وتنظيم توزيع المواد الغذائية ، ويمكن القول ان ذلك جرى بحد من الاتقان لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد .

ويسود الجميع الان احساس بأن روح المبادرة التى حفزها القتال يجب ان يحافظ عليها ، خاصة وان الصراع ما يزال محتدما ، وبحاجة الى استمرار التلاحم الداخلى ، وان احتمالات تجدد

القتال واردة في كل ذهن ، وان سورية ، ايا كانت الاحتمالات ، قد بدأت معركة اعادة البناء لترميم وتجديد ما دمرته الحرب ، ولتمضي قدماً في عملية التنمية الواسعة .

وكيف جرت الامور على الجبهة السياسية ؟

تعتبر الجبهة التقدمية السورية ، الى جانب قيادة حزب البعث التى يشترك كثير من اعضائها في اللجنة المركزية للجبهة ، القيادة السياسية العليا للبلاد . وقد قامت هذه الجبهة ، كما هو معروف ، بعدالحركة التى قادها الرئيس الاسد في ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٧٠ .

وقبل قيام الحرب كان التعاون قائما بين فرقاء الجبهة ، وخاصة بين طرفيها الرئيسيين : البعثيين والشيوعيين ، وكانت الامال كبيرة بأن هذا التعاون يتعمق ويترسخ بمضى الايام .

وقد أعطى للجبهة زمام المبادرة السياسية خلال الحرب .

عن الجبهة ، وفقا لميثاقها ، انبثقت قرارات الحرب والسلم ، وفي جو النهوض الوطني العارم الذى فجرته الحرب حدث أمران متوازيان : زيادة الثقة بالقيادة السياسية ، وزيادة التعاون بين فرقائها ، وهو عامل ستكون له آثاره العميقة على مستقبل البلاد .

وكان هذا واحدا من النتائج الايجابية التى تمخضت عن القتال . ويجرى الحديث في كل مكان حول تقييم نتائج المعركة ، ورصد آثارها الايجابية ، وتحديد المظاهر السلبية التى ينبغى تجاوزها ، وهذا الحديث ، بكل ما يشتمل عليه ، يحدد معالم النشاط السياسى الواسع الدائر في البلاد ، داخل كل حزب وكل قوة سياسية ، وكل تنظيم ، وبين هذه الاحزاب والتنظيمات وعلى صعيد التثقيف والتعبئة والصلة بالجماهير .

ان محاولة القاء نظرة شاملة على هذا النشاط الواسع والممتد لايمكن أن تستوعبها رسالة كهذه ، ولذا سأكتفى بسرد أبرز النقاط التى يجرى الحديث عنها في المحافل السياسية والعسكرية ، وسيكون ثمة فيما بعد متسع لالقاء نظرة أكثر تفصيلا .

لقد ادى القتال الى تثبيت النقاط التالية :

● كسر حواجز الخوف ، والاوهام التى كانت سائدة بشأن القوة العسكرية لاسرائيل ، ووضع البداية لاعادة موازين القوى الى ما ينبغى أن تكون عليه ، وفقا لحجوم القوى الحقيقية ، القائمة والممكنة .

● بروز الكفاءة العالية التى أبداها المقاتل العربى ، والمقدرة على استخدام الاسلحة الحديثة ، والتقدم الذى حققه فن الحرب العربى ، وهو تقدم ، ان لم يؤد الى التفوق ، فقد جعل امكانية الوصول الى التفوق واردة في ذهن كل من يعنيهم الامر .

● الفشل الذريع في استراتيجية اسرائيل التى استهدفت ضرب الانظمة الوطنية التقدمية . وبروز دور هذه الانظمة ، بوصفه الدور الرئيسى في معارك المجابهة مع العدو ، وبوصفها القاعدة الرئيسية لمجمل حركة التحرر العربى .

● بروز التضامن العربى المعادى للاستعمار والصهيونية كحقيقة قائمة الان . لم يكن من الممكن التوصل اليها ، لولا القتال ولولا الصلابة التى أبداها المقاتلون ، في حالة التقدم وفي حالة التراجع على حدسواء .

وفي هذا المجال ، وفي حالة الوضع السورى بالذات ، أدى التدخل العراقى في الحرب الى فتح الطريق أمام تعاون وسع بين القطرين المتجاورين ، والى وضع الاسس لازالة كثير من العقبات التى كانت تحول دون وجود مثل هذا التعاون . من الحق ان قرار الانسحاب العراقى قد أضعف هذا الامل بعض الشىء ، ولكن ليس الى الحد الذى يمكن ان ينفى امكانية استمرار وتنشيط التعاون .

● رسوخ أسس الصداقة مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى ، لقد اجتازت هذه الصداقة امتحانا جديدا ، وخرجت منه أكثر ثباتا ، وقد اتضح لكل من يعنيهم الامر أن العرب يستندون الى حليف قوى ومقتدر ، في السلم وفي الحرب !

● رسوخ السياسة الحكيمة التى دارت الحرب في ظلها ، لقد كان لهذا وسيكون له تأثيره البالغ على حاضر ومستقبل العمل السياسى داخل سورية . مثلما كان له وسيكون ، دور بارز في ترسيخ عدالة القضية العربية وعدالة الاهداف التى تقاتل دولتا المجابهة من أجل تحقيقها .

● وقبل ذلك ، وبعده برز تماسك الجبهة الداخلية السورية كحقيقة ساطعة ، كانت أساسا للثبات في القتال ، وكانت أساسا لحفز مظاهر التضامن العربى ، وشكلت الاساس الراسخ الذى يمكن ان يجعل تزايد مظاهر الدعم والتفهم الدوليين للكفاح العربى التحريرى اكثر فعالية وجدوى .

ان هذه الحقيقة التى يجمع الكل على ضرورة التمسك بها ، واستمرارها ، تشق الطريق نحو مزيد من ثقة القوات المسلحة بنفسها وبشعبها ، ونحو مزيد من ثقة النظام بقوته ، وبصحة السياسة التى انتهجتها ، وتفتح الطريق بصفة خاصة أمام مزيد من التعاون بين القوى الوطنية في البلاد .●

تقرير خاص

هنري كيسنجر : والدبلوماسية السرية

مصطفى سامي

لا نبالغ اذا قلنا ان طوفان المقالات الذى كتب عن هنرى كيسنجر ، ظاهرة تستحق التأمل . وقد تناولت هذه المقالات وزير الخارجية الامريكية من زوايا مختلفة ، تراوحت بين المنهج الواقعى فى محاولة تفهم أسلوب الرجل وتفكيره ، وبين الاثارة الصحفية التى حاولت ان تخلق « **أسطورة لكيسنجر** » جذابة وسحرية .

والاهتمام بالكتابة عن هنرى كيسنجر ، أمر مفهوم فى حدود انه وزير خارجية الدولة الكبرى التى تقع عليها مسئولية فادحة فى اثبات جديتها فى تنفيذ قرارات مجلس الامن من أجل اقامة سلام عادل فى منطقة الشرق الاوسط . ومن ثم يظل المحك الصحيح فى الحكم على الافراد ، مهما كانت مواهبهم وعبقرياتهم ، هو الافعال لا الاقوال

أما الشعوب العربية التى تقف فى خط المواجهة ، فتحتاج دائما الى أن ترى الامور على حقيقتها ، لا تحب ان تخدعها دعايات موجهة ، ولا تحب ان تظلم انسانا كائنا من كان .

ومن هنا ، فان التزام جانب الحقيقة التاريخية سيظل عاصمنا ، عن التردى فى أية اوهام ، وفى وضع الامور فى حجمها الصحيح .

ومن هذا المنطلق ، نحاول فى هذا المقال ان نقدم صورة واقعية لهنرى كيسنجر ، نضع الرجل وسياسته فى الاطار الذى يحكم تصرفاته ، وهو اطار السياسة الخارجية العامة للولايات المتحدة . فالامر المقطوع به هو انه اذا صح ان كيسنجر من صناع هذه السياسة ، ومن المؤثرين فيها ، الا انه لا يستطيع ان يتنكر لها أو يخرج عليها .

يبدو ان الفترة الطويلة التى عاشها كيسنجر فى ادارة المخابرات المركزية — منذ بدء حياته العملية ، حتى تعيينه مستشارا للرئيس نيكسون لشئون الامن القومى — قد لعبت دورا فى تشكيل سلوكه وشخصيته . فهو يقوم دائما بأعماله الدبلوماسية سرا ، وتجده بعيدا عن الاضواء

لقد انضم كيسنجر الى وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٤٣ ، وهو برتبة جاويش أثناء فترة تجنيده ، بعد خمس سنوات من هجرته الى الولايات المتحدة . وكان يعمل بتدريس تاريخ المانيا فى احدى مدارس المخابرات العسكرية ، وكان هذا العمل بداية صلة كيسنجر بوكالة المخابرات المركزية ، وهى الصلة التى استمرت بعد ذلك وهو طالب يدرس نظم الحكم فى جامعة هارفارد ، فخلال دراسته كان يشرف وينظم مجموعة عرفت باسم « **ندوة هارفارد للشئون الدولية** » ، وكانت المخابرات المركزية تشرف على هذه الندوة وتقوم بتمويلها . ودفعه هذا العمل الى ان يهتم بالدراسات الاستراتيجية ، وقام بنشر كتابه « السلاح النووى والسياسة الخارجية» Nuclear Weapons and Foreign Policy. عام ١٩٥٤

وفى هذا الكتاب ، دافع كيسنجر ، بحرارة ، عن سياسة الحروب المحلية المعتمدة على الابتزاز النووى ، ودخل ضمن مجموعة الباحثين والخبراء الاكاديميين وثيقى الصلة بوكالة المخابرات ، ثم رقى بعد ذلك مستشارا لمدير مكتب الاستراتيجية السيكولوجية الذى كان يتبع مجلس الامن القومى وعمل كيسنجر مستشارا لكل من ايزنهاور ، وكيندى ، وجونسون ، لكنه لم يتول أى منصب رسمى فى هذه الحكومات ، وظل يحتفظ بعمله الاساسى كأستاذ لنظم الحكم بجامعة هارفارد ، حتى استقال فى يناير سنة ١٩٧١ من عمله الجامعى ليتفرغ للعمل مع نيكسون كمستشار للامن القومى ، ومشرفا على سير السياسة الدفاعية فى البيت الابيض .

ولكن هل كانت لنشأته وظروفه العائلية أى اثر فى تشكيل شخصيته ؟

لقد أمضى هنرى الفريد كيسنجر ، وهذا هو اسمه الكامل ، سنوات عمره الاولى فى بلدة فورت الالمانية . وكان أبوه يعمل مدرسا فى مدرسة للبنات ، أما أمه فكانت تنتمى الى احدى اسر الطبقة المتوسطة . . وقد نشأ خلال السنوات المضطربة التى مرت بألمانيا ، حيث الارهاب النازى والتضخم الاقتصادى ، وينفى كيسنجر ان طرد أبيه من وظيفته ، ثم طرده هو بعد ذلك من المدرسة التى كان يتعلم بها ، وارغامه على الالتحاق بمدرسة كل تلاميذها من الاطفال اليهود . . نقول انه ينفى ان تكون هذه الاحداث قد تركت أى تأثير عميق على آرائه السياسية .

ولكيسنجر عدة أسماء ، فاسمه الاصلى هو « هاينز » — غيره بعد ذلك الى هنرى ، ويطلق عليه أحيانا .

أما على المستوى الرسمى فيطلق عليه اسم « **ميترنيخ** الرئيس نيكسون » . وفى أحد الايام نشرت مجلة « كوزموبوليتان » الامريكية الشهيرة صورة لرجل عار تماما وأطلقت عليه اسم « رجل الشهر » ، وقد أوحت هذه الصورة لطلبة جامعة

هارفارد بفكرة استخدام هذا الرجل العبقرى فى مجلتهم الجامعية ، فقطعوا رأس هذه الصورة ووضعوا بدلا منها رأس «العزيز هنرى كيسنجر» استاذهم السابق ، والفتى اللعوب الساحر فى ميدان الدبلوماسية الامريكية ، وقد احدث نشر الصورة ضجة كبيرة فى الولايات المتحدة ، ولكن كيسنجر كان أول من استغرق فى الضحك عندما وقعت عليها عيناه ، ولم يساوره الغضب عندما وجد نفسه يظهر فى صورة « رجل الشهر » . وعندما بدأ يشتهر بأنه نموذج « للسفير العاشق » فقد اعتبر نشر الصورة تحية له ، بل انه اعترف بأنه دخل الدبلوماسية عن طريق الحب الافلاطونى الذى يصل الى حد الوله للسياسى الفرنسى الشهير تاليران ، ثم للسياسى النمساوى الداهية ميترنيخ .

وأول عمل سياسى ارتبط باسم كيسنجر ، ولفت اليه انظار العالم ، كان فى فتح أبواب الصين التى ظلت مغلقة فى وجه الولايات المتحدة طوال العشرين عاما الماضية . وهناك تحققت المقابلة التاريخية التى لم يكن أحد يتصور حدوثها بين ماوتسى تونج ونيكسون . والغريب ان العالم فوجىء بخبر زيارة كيسنجر للصين ومحادثاته مع الزعماء الصينيين طوال ثلاثة أيام بعد عودته الى واشنطن بأيام ، لقد اختفى عن الانظار بعد أن أعلن بأنه أصيب بآلام شديدة فى أمعائه فى نفس الوقت الذى كانت الطائرة تحمله الى بكين للقاء شواين لاى ، وسخر وقتها الكاتب الامريكى « آرت بكوالد » من تصرف كيسنجر ومن تمويهه على الصحفيين ، فكتب يقول : « اذا أصيب كيسنجر بآلام حقيقية فى معدته ، فمن الذى يصدقه ؟ » .. وردا على هذا التساؤل تخيل « بكوالد » عيادة فى البيت الابيض ، وهنرى كيسنجر يندفع اليها ويشكو للطبيب من آلام مبرحة فى أمعائه ، ولكن الطبيب ينفجر ضاحكا ويسأل كيسنجر .. لعلك تنوى الذهاب الى ألبانيا فى الاسبوع القادم !!

الاهم من ذلك كان كيسنجر يقوم بمهامه الدبلوماسية دون رجوع الى وزارة الخارجية الامريكية ، مما أثار ثائرة وزيرالخارجية الامريكى فى ذلك الوقت ويليم روجرز والذى عرف بزيارته للصين بعد عودته بأيام .. وقد تكرر نفس الاسلوب ، بعد ذلك ، فى زيارته السرية لموسكو التى تمت فى أبريل عام ١٩٧٢ ، وقد تحدثت مجلة « لايف » عن الزيارة فقالت : « ان السفارة الامريكية لم تعلم بوجود كيسنجر فى موسكو الا بعد أربعة أيام من وصوله بسبب القيود السرية التى فرضت حولها » ..

كتب **جورج ميتان** فى مجلة « بارى ماتش » ، فى ديسمبر عام ١٩٧٢ ، مقالا بعنوان : « **كيسنجر العجيب** » ، قال فيه :

« .. وجاء عام ١٩٦٨ ، واستعدت الولايات المتحدة لحملة الانتخابات ، وعزم روكفلر الوسيم على ترشيح نفسه لمنصب الرئاسة ، واختار هنرى كيسنجر ليكتب له خطبه .. ولكن من كان منافسا لروكفلر ؟ .. لقد كان منافسه هو ريتشارد نيكسون ، وحمل كيسنجر حملة شعواء فى خطبه على نيكسون ووصفه بأوصاف حادة » .. « وقد سأل صحفى فى ذلك الوقت كيسنجر عن رأيه فى نيكسون كانسان ، فقال : انه يثير السخرية ! »

.. وعندما سأله رأيه فى نيكسون كرئيس للولايات المتحدة ، رد كيسنجر قائلا — والكلام لا يزال لجورج ميتان — : انه حينئذ سيكون أشد سخرية » ..

ولم تمض على أقوال كيسنجر هذه بضعة أشهر ، حتى انتخب ريتشارد نيكسون رئيسا للولايات المتحدة ، وكانت الهوة قد اصبحت عميقة بين الاثنين ، وبدا ان الخلاف بينهما مما لا يمكن اصلاحه .

وبعد انتخاب نيكسون ، كتب هنرى براندون ، المعلق السياسى للصنداى تايمز البريطانية يقول : « انه لم يندهش أحد ، أكثر من هنرى كيسنجر نفسه ، عندما عرض عليه الرئيس نيكسون هذا الدور الهام . أما أولئك الذين يعرفون آراء كيسنجر فى الرئيس نيكسون فقد أصيبوا بدهشة أكبر عندما قبل هذا الدور » !! .. ويقول براندون فى نفس المقال : « أذكر فى عام ١٩٦٨ ، أن دخلت فى حوار تليفونى طويل مع هنرى كيسنجر ، فى ميامى بيتش ، بعد ان اختار مؤتمر الحزب الجمهورى نيكسون فى انتخابات الرياسة ، وناقشنا معا شخصية المرشح الجمهورى ، وآراؤه ومؤهلاته ، ولم يؤكد كيسنجر كل شكوكى ومخاوفى فحسب ، بل زاد عليها . فكان يشاركنى عدم ثقتى فى الرجل وشخصيته » !!

وكيف حدث اذن ان وقع اختيار نيكسون على كيسنجر ؟ .. ولماذا قرر كيسنجر أن يعمل فى خدمة رجل لا يثق فيه تماما ، ولا يعتقد ان لديه الثقة الكامنة والامن اللذين يحتاج اليهما أى زعيم ؟؟

لكن من الواضح ان نيكسون كان من أكثر المتحمسين لكيسنجر حتى قبل توليه الرياسة بسنوات ، وكانت كتابات كيسنجر تثير اهتمام نيكسون . وكتب اليه مرتين من قبيل المجاملة ، لكى يعبر له عن اتفاقه مع آرائه ، مرة بعد نشر كتاب كيسنجر « **الاسلحة النووية والسياسة الخارجية** » ، والمرة الثانية بعد مقال نشره عن مزاج أوربا فى صحيفة نيويورك تايمز فى عددها الصادر فى ديسمبر عام ١٩٥٩ ، أما الفقرة التى أثارت نائب الرئيس الامريكى فى ذلك الوقت فى هذا المقال فهى انتقاد كيسنجر لسياسة ايزنهاور الاوربية التى وصفها بأنها « **عقيمة** » و « **دفاعية للغاية** » ، ومضى كيسنجر يقول : « اننا نبدو كما

لو كنا أسرى الظروف ولسنا صانعيها » . وقد ذاعت شهرة كيسنجر كخبير فى السياسة الخارجية ، وأحد الاستراتيجيين العسكريين ، بعد نشر كتابه ، وحاول ان يثبت فى هذا الكتاب ان استخدام الاسلحة النووية ، فى نطاق محدود ، أمر ممكن من الناحية العملية . ولما كان الكتاب حقق رواجا كبيرا ، فقد عاد عليه بأموال كثيرة ، كما أتاح له الاتصال بعدد كبير من الشخصيات الهامة ، ويضحك كيسنجر عندما يتحدث عن هذا الكتاب قائلا : « انه أكثر الكتب غير المقروءة رواجا منذ توينبى » .

وكان نيكسون يعرف — أيضا — كتابات كيسنجر التى تقول انهما يشتركان فى نفس النظرة عن الكيفية التى ينبغى ان تتعامل بها الولايات المتحدة مع السوفييت والصينيين لا كدول أيديولوجية ، وانما على أساس المصلحة المتبادلة وهما متفقان أيضا فى عدم ثقتهما فى وزارة الخارجية الامريكية . وحاول كيسنجر ان يستخدم النزاع الصينى — السوفييتى من أجل مصالح بلاده ، وكشف عن آرائه حتى قبل دخوله البيت الابيض ، ففى أثناء حضوره مؤتمرا دوليا للعلوم السياسية بمدينة سوبوت فى بولندا فى سبتمبر عام ١٩٦٦ ، صرح كيسنجر — وكان لا يزال استاذا بجامعة هارفارد « بأن الخطر الذى كان يمثله الاتحاد السوفييتى على أوربا انخفض الى حد كبير بسبب ازدياد حدة الصراع بين موسكو وبكين . وقال ان هذا الصراع سيستمر ما دام ماوتسى تونج يحكم الصين » .. ثم استدرك قائلا : « لكن هذا لا يعنى انه يمكن اعتبار ان الاتحاد السوفييتى يمكن ان يصبح حليفا للغرب »

كذلك ، يشترك نيكسون مع كيسنجر فى حبهما للدبلوماسية السرية وكراهيتهما للبيروقراطية . وقد كتب كيسنجر فى احدى الصحف : « **ان البيروقراطية تعتبر الابتكار عملا غير مأمون العواقب** » .

ان كل هذا يوضح لماذا اختار نيكسون كيسنجر — ارضاء لنزعاتهما الاساسية — وهو الولع بالدبلوماسية السرية . وكان كيسنجر — بسبب معرفته العميقة للدبلوماسية الاوربية فى القرن التاسع عشر — يفضل توجيه السياسة الخارجية بعيدا عن أعين الناس ، وبعيدا عن الكونجرس ، وعن البيروقراطية التى يحتقرها . ولكنه أصبح واقعيا بدرجة جعلته يدرك ان عليه ان يقبل الحلول الوسط عندما تتأزم الامور .

وقد عارض كيسنجر الحرب فى فيتنام على أساس انها افراط فى الالتزامات . ولكن ، كان من رأيه ، ان سحب القوات الامريكية يجب ان يتم بصورة تتفق مع مقدرة الفيتناميين الجنوبيين على تحمل مسئولية الدفاع عن انفسهم . وقد وضع كيسنجر آراءه عن انهاء الحرب فى مقال نشر بمجلة «Foreignaffairs» فى العدد الصادر فى يناير عام ١٩٦٩ ، تحت عنوان « **المفاوضات الفيتنامية** » ، وهذا المقال يعبر عن المقترحات التى بعث بها نيكولاس كاتزنباخ وكيل وزارة الخارجية الامريكية فى ذلك الوقت الى السفير الامريكى فى سايجون . وهى المقترحات التى أطلع عليها كيسنجر . ولا شك ان نيكسون وكيسنجر كانا يتفقان على « انهاء الحرب بطريقة مشرفة ، أمر أساسى من أجل السلام العالمى » .

أما « الطريقة المشرفة » فى نظر كيسنجر فهى تحقيق النصر على الثوار الفيتناميين . ويقول كيسنجر فى نفس المقال : « لما كانت هانوى لا تستطيع ارغامنا على الانسحاب فلابد ان نتفاوض بشأن هذه المسألة » . ومع ان مقال كيسنجر كان يتضمن فى بعض جوانبه تحليلا ذكيا للموقف ، الا انه وقع فى نفس الخطأ الذى سبق ووقع فيه — بشكل عام — مجموع الساسة الامريكيين ، الا وهو التقليل من شأن قوة الفيتناميين الشماليين وتصميمهم على توحيد فيتنام .

لقد كان محور فلسفة نيكسون الدبلوماسية بالنسبة لمشكلة فيتنام يدور حول فكرة ان المفاوضات يجب ان تقترن بالتهديد باستخدام القوة ، وذلك حتى يصبح التهديد فعالا .. فعندما استؤنفت محادثات باريس بين كيسنجر ولى دوك تو ، تعرضت فيتنام الشمالية — طوال أكثر من عشرة أسابيع — لاشد الغارات الامريكية عنفا ، ألقيت خلالها مئات الاطنان من القنابل ، وهو الامر الذى لم يسبق حدوثه فى تاريخ الحروب ، الا أن موقف هانوى — فى المباحثات — لم يطرأ عليه أى تعديل ، وذلك رغم هذا القصف الجوى العنيف الذى أدى الى قتل المئات من الابرياء فى المدن والقرى الفيتنامية . ويبدو أن كيسنجر لم يتنبه الى ان التهديد باستخدام القوة فى بداية المباحثات قد فقد فاعليته عند البدء فى تنفيذه ، ثم فشل تماما فى تحقيق هدفه . وهذا وحده يفسر أسباب تقلص هيبة كيسنجر فى نظر مفاوضيه الفيتناميين . الا أن هذا يثير فى نفس الوقت التساؤل حول دوره فى هذه القضية ، وهل كان كيسنجر فعلا « رجل سلام » استحق على عمله جائزة نوبل ؟ .. والجواب الوحيد على هذا التساؤل هو أن كيسنجر حاول **فرض « السلام الامريكى »** على الفيتناميين ، ولكنه فشل أمام اصرار حكومة هانوى على تحرير بلادها مهما كان الثمن الذى دفعه ويدفعه أهلها من دمائهم وأراضيهم التى ضربها الامريكيون بمنتهى العنف والقسوة — والمفاوضات دائرة فى باريس — دون مراعاة لاى اعتبارات أو قيم انسانية .. ولكن النضال الفيتنامى الشعبى نجح ، وفشل « السلام الامريكى » القائم على العدوان ، والذى كان يعبر عنه كيسنجر ويتفاوض من أجل فرضه .

وثائق

تقرير عن محاكمة اسرائيلية فى اسرائيل

بقـلم

بيير مارتنز

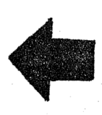
[الاستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة بروكسل ومبعوث رابطة الحقوقيين الديموقراطيين لحضور قضية « شبكة التجسس اليهودية العربية » امام محكمة حيفا فى ٢٠ — ٢٣ مايو ١٩٧٣ ، كمراقب قانونى]

تنشر الطليعة فى هذا العدد ، تقرير **بيير مارتنز** الاستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة بروكسل ، عن « **قضية حيفا** » ، وهي القضية الرابعة التى عرضت على المحاكم الاسرائيلية بعد اكتشاف ماسمى « بشبكة التجسس اليهودية العربية » منذ بضعة شهور .

وكانت رابطة الحقوقيين الديموقراطيين ، قد أوفدت الاستاذ **بيير مارتنز** لمتابعة هذه القضية ، كمراقب قانونى امام محكمة حيفا فى الفترة من ٢٠ الى ٢٣ مايو ١٩٧٣ .

ويكشف هذا التقرير [الوثيقة] عن طبيعة القضاء الاسرائيلى ، واسلوب المساومات غير القانونية وغير الاخلاقية التى يلجأ اليها ممثلو الادعاء مع ممثلى الدفاع فى هذا القضاء الامر الذى يؤثر دون شك على المسار القانونى الطبيعى — للقضايا والذى يفترض فى النهاية الوصول الى عدالة المحاكمة وعدالة الحكم . كذلك تكشف هذه الوثيقة مرة اخرى عن طبيعة المعاملة التى يلقاها العرب فى هذه الدولة التى لا يعاملون فيها فحسب كرعايا « من الدرجة الثانية » بل وكأجانب أيضا . لان المتهم العربى فى هذه القضايا قد استخدم «كوسيلة ايضاح» تستهدف عمليات التعذيب الحقيقية ، لارهاب المتهمين الاسرائيليين عن بعد . وذلك بقصد الحصول منهم على الاعترافات المطلوبة .

وبرغم اختلاف «الطليعة» مع المناهج السياسية لهذه المجموعة الا انها تقدم هذه « الوثيقة » كتعبير كاف عن الجرائم التى ترتكب فى اسرائيل و «باسم القانون » ضد اى صوت معارض .



* هذه هي القضية الرابعة التي تنظرها المحاكم الاسرائيلية بعد اكتشاف « شبكة التجسس اليهودية العربية » منذ بضعة شهور . وقد أثار هذا الموضوع حينذاك ضجة كبيرة لوجود عناصر يهودية ضمن هذه المجموعة ، وهي عناصر اختارت ، لاسباب ايديولوجية ، النضال الى جانب العرب ، بل ان بعضها ادى الخدمة العسكرية في الجيش الاسرائيلي ، وهناك منها من ينتمي الى بعض الكيبوتزات الهامة . ويمكن القول بوجه عام ان كل هؤلاء المناضلين يدينون بايديولوجية يسارية متطرفة — مع تفاوت محسوس في بعض الاحيان — وبنظرة أممية دفعتهم الى اعادة النظر في نظم دولة اسرائيل . وهكذا تجمعت كل هذه العناصر في ظروف والى مدى يصعب تحديدهما احيانا ، حول « الجبهة الحمراء » التي يتزعمها داوود تركي . وكان بعضهم يناضل في صفوف جماعة يسارية هي « التحالف الشيوعي الثوري » .

ولقد كان هذا كله كفيلا بأن يفضي الى موقف فيه الكثير من « الخلط » فقد كان ثمة خشية من تنظيم « قضية استعراضية كبرى » يتم من خلالها تشويه صورة المعارضة اليسارية في اسرائيل في مجموعها ، في تلك الفترة التي سبقت الانتخابات العامة في اسرائيل . لكن المراقب لم يشعر بشيء من ذلك . فرغم جو الاثارة البالغة الذي صاحب اكتشاف الشبكة ، ورغم الاهتمام البالغ الذي احاط بالقضية الاولى التي حوكم فيها زعماء الشبكة من امثال داوود تركي ، فاننا نستطيع ان نقول ان القضية الجديدة — والرابعة في سلسلة المحاكمات — كانت تجري في جو عام من اللامبالاة وعدم الاكتراث . لكن هذا يجب الا يحملنا على الظن بأنه كانت هناك محاولات « لاسدال حجاب على القضية » على هذا النحو ، فقد تتبع هذه القضية التي بدأت جلساتها في ١٠ مايو ثلاثة من المراقبين القانونيين الاجانب وهم الاستاذ كلود ووكرو وكاتب هذا التقرير عن رابطة الحقوقيين الديمقراطيين المالية والاستاذ جاستون امبلارت من الاتحاد الفرنسي لرجال القضاء من اعضاء المقاومة . وكانت الرابطة قد ارسلت مراقبا آخر لحضور احدى القضايا السابقة وهي التي نظرتها محكمة حيفا في ابريل الماضي] .

والغريب في الامر ان هؤلاء المراقبين ، وان كانوا قد استقبلوا بأدب جم من جانب القضاة ، فقد اصطدموا بعداء صريح من جانب محرري الصحف القضائيين الذين كانوا يتابعون الجلسات ، والذين كانوا يرون أن مجرد حضور هؤلاء الاجانب ينطوي على اهانة للقضاء الاسرائيلي ، بل ان احد الصحفيين سألني عما اذا كنا قد ابدينا يوما ما شيئا من الاهتمام بمصير الجاليات اليهودية في الدول العربية ، وهنا كان من حقي ان احدثه عن مهمة اديتها شخصيا في هذا الصدد في اكتوبر ونوفمبر ١٩٦٧ ، اى في الوقت الذي لم يكن يأبه فيه سوى القليل جدا من المراقبين بهذا الوضع .

الاتهــــام

كان هناك تسعة متهمين ، منهم سبعة من العرب هم :

راسان اجباري ٢٢ سنة

حسن جبرين ٢٢ سنة

صلاح جبرين ٢٦ سنة

احمد المصري ٢٢ سنة

قاسم مصيلحة ٢٢ سنة

دياب سمسم ٣٧ سنة

نعيم الرياض ٢٢ سنة

واثنان من اليهود :

رامي ليفين ٢٧ سنة

ميلي ليرمان ٢٧ سنة

وكانت التهم الموجهة الى العرب هي :

١ — الانتماء لجماعة غير مشروعة

٢ — عدم الابلاغ عن نشاط هذه الجماعة

٣ — ابداء النية في القيام بعمل ضد الانظمة القائمة في دولة اسرائيل .

أما المتهمان اليهوديان فلم توجه لهما تهمة الانضمام الى « الشبكة » بل الاتصال بعميل أجنبي .

وكان الاتهام قائما على اساس الاعترافات [هذا اذا استثنينا حيازة البعض لمنشورات دعائية غير مشروعة] وكان الشهود الوحيدون هم رجال الشرطة الذين تولوا القبض على المتهمين . وهنا تثور — منذ البداية — قضية جوهرية وهي : في اية ظروف أدلى المتهمون بهذه الاعترافات ؟ ويزيد من اهمية هذا السؤال ان المقبوض عليهم لا يدلون بأقوالهم — حسب الاجراءات المتبعة في اسرائيل — أمام قضاة تحقيق بل امام رجال البوليس ، فيواجه الاشخاص المقبوض عددا من رجال شرطة الامن تكون مهمتهم هي الحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات التي تتعلق بالامن القومي ، ثم يحالون بعد ذلك الى رجال شرطة يدلون أمامهم بأقوالهم .

واذا كان المتهمون — فيما أعلم — لم تصدر عنهم اية شكوى من مسلك هذا « البوليس العادي » معهم ، فان الامر لم يكن كذلك فيما يتعلق برجال اجهزة الامن . فقد اكد اكثر من متهم ان رجال الامن اساءوا معاملتهم وعرضوهم لضغوط نفسية لا تحتمل . ولاشك ان هذا الموضوع له اهميته البالغة . فما هي في الواقع قيمة الاعترافات كأدلة اتهام اذا كانت قد انتزعت في مثل هذه الظروف . انها تعد عندئذ باطلة وينعدم كل اثر قانوني لها .

وقد أفضى ذلك الى فتح « قضية صغيرة » في اطار القضية الاصلية لبحث مسألة التعذيب . وسنرى فيما يلي ماهو القرار الذي اتخذ في هذه القضية الفرعية .

وينبغي ان نلاحظ ان كل اجراءات المحاكمة تمت امام محكمة عادية هي محكمة حيفا .

ويبدو ان اجراءات المحاكمة تمت وفقا لتشريع قديم هو « اجراءات الدفاع في ظل حالة الطوارىء » الصادر في عام ١٩٤٥ ، والذي كان مطبقا ابان الانتداب البريطاني ، وكان يبدو حينذاك مليئا بأوجه الانتقاد سواء في نظر القانونيين اليهود أو الفلسطينيين .

« جو » المحاكمة

كانت المحاكمة شبه علنية . فكان مسموحا فقط — من حيث المبدأ — بحضور اثنين من اقارب كل متهم . وان كنت قد لاحظت اكثر من مرة ان البوليس يتجاوز عن التفسير الحرفي لهذا الاجراء ويسمح بدخول اكثر من اثنين من أفراد الاسرة الى قاعة المحكمة . بل ان العديد من رفاق المتهمين — وخاصة من المناضلين المعروفين بانتمائهم الى « الرابطة الشيوعية الثورية » كانوا يتمكنون من حضور الجلسات بعد الحصول على تصريح يتجدد يوميا . وقد منع واحد منهم من الدخول في احدى المرات ، ولكن المراقب تدخل لصالحه وذكر المعلومات التي يستطيع هذا الشخص ان يقدمها اليه . وفي النهاية سمح له بحضور الجلسة وكان مسموحا لاقارب واصدقاء المتهمين بالتحدث اليهم خلال فترات رفع الجلسات والاستراحات وتسليمهم الصحف والخطابات والهدايا في حضور رجال البوليس . وقد علمت انه كان مسموحا للمتهمين خلال فترة الحبس الاحتياطي بأن يزورهم اهلهم واصدقاؤهم في السجن مرة كل اسبوع

على الا يزيد عدد الزائرين فى كل مرة عن ثلاثة اشخاص .

وقد سمح للمراقبين بمتابعة المحاكمة دون مصاعب . وقد قاموا بمقابلة القاضى فريدمان ، لكنه لم يدل لهم بأية تصريحات ، لكون القضية لم تزل منظورة بعد . وهو الامر الذى شرحه لهم بأدب جم . اما دافيد ممثل الادعاء — الذى لم يكن هناك ما يضطره الى عدم اعلان موقفه — فقد وافق اول الامر على الاجابة على اسئلة المراقب . لكنه احاله بعد ذلك — وبعد تسويف طويل — الى النائب العام لكى يرد على اسئلته . كذلك فقد رفض الطلب الذى تقدم به المراقب الفرنسى كلود دوكرو والمراقب البلجيكى للتحدث مع المتهمين اثناء فترة رفع الجلسة . وكان القضاة قد وافقوا فى البداية على هذا اللقاء ، ولكنهم طلبوا ان يوافق ممثل الادعاء على هذا الطلب . وقد طلب مستر رافيد مهلة للتفكير أبلغ بعدها المراقبين « انه بعد استشارة شرطة الامن لا يمكنه الاستجابة لهذا الطلب » . وليس من المألوف أن يلجأ ممثل للنائب العام ، عند اتخاذ قرار من هذا النوع ، الى رجال البوليس ليسألهم المشورة .

الاجراءات

تولى الدفاع عن المتهمين مجموعة من المحامين الذين وكلتهم عائلاتهم ، ولكن كان هناك ايضا بعض المحامين من المشتغلين بالسياسة [منهم الاستاذة فليتسيا لانجر عضو حزب ركاح والاستاذة ليا ستيميل عضو المابزين والاستاذ على رفاعى]

وتذكرنا الاجراءات التى اتبعت فى المحاكمة بأجراءات « اختبار صحة الاقوال » المتبعة فى نظام القضاء الانجلو — سكسونى . فكان الحوار القضائى متدفقا وصريحا وعنيفا . وقد يبدو لاول وهلة انه كفيل بأن يظهر الحقيقة امام القضاء . ولكن ما لبث ان اتضح انه يمكن ان يؤدى الى « اتفاقيات سرية » تعقد بين الدفاع والاتهام قبل نظر القضية ، ويمكن ان يتم خلالها « لعبة » غريبة جدا تتضمن الاتفاق على حلول وسطية وتبادل المنافع والصفقات بين الطرفين [كأن يعدل احد المحامين من الاستشهاد من بعض النصوص القانونية او يتغافل عن حق موكله فى ذكر بعض الوقائع .. ويعدل ممثل النيابة فى مقابل ذلك عن توجيه بعض التهم او يطالب بعقوبة مخففة .. الخ ..]

ومنذ بدء القضية أراد المحامى الذى كان يترافع عن حسن جبرين ان يشرح طبيعة الاسباب التى دفعته الى عقد هذه « الصفقة » مع ممثل الاتهام ؟ رغم ان موكله لم يرتكب كل الاعمال التى اتهم بها . وكان رد سلوغيم رئيس المحكمة بالغ العنف ضد هذا الاسلوب فى الدفاع . وقال انه ليس هناك من يمكنه ان يجبر أو يحث شخصا على الاعتراف بوقائع يرى انه لم يرتكبها ، وان هذا يصدق بوجه خاص على هيئة المحكمة . وفى النهاية وافق المتهم على الالتزام ببنود هذا « الاتفاق » المبدئى وعلى تحمل مسئولية الاعمال التى وجهت اليه تهمة ارتكابها .

ونستطيع ان ندرك من هذه الواقعة — بادىء ذى بدء — جوانب الغموض العديدة التى تنطوى عليها مثل هذه الاجراءات . كما نستطيع ان ندرك بعد ذلك حقيقة الواقعة التى حدثت بعد ذلك والتى اتخذت ابعادا كبيرة . ويكفى ان نذكر هنا الملامح الاساسية لهذه الواقعة . فقد شكا المتهم رامى ليفى من التعذيب الذى تعرض له اثناء التحقيق على يد رجال شرطة الامن الذين ضربوه ونزعوا عنه ملابسه واهانوه ، وقال أنه تعرض لضغوط معنوية شديدة لاجباره على الادلاء باعترافات .

واثيرت عندئذ قضية التعذيب الجسمانى والمعنوى التى تعرض لها المتهمون حتى يدلوا باعترافاتهم ، وقررت المحكمة الفصل فى هذه الدعوى على حدة . وفتحت داخل القضية ما أطلقت عليه اسم « القضية الصغرى » .

وطلبت المحامية فليسيا لانجر التى كانت تدافع عن المتهم رامى ليفين استدعاء شوقى الخطيب للشهادة .

وكان قد حكم على هذا الاخير فى القضية السابقة بالحبس عشر سنوات ، ولم يكن قد اشار قط خلال محاكمته الى سوء المعاملة التى تعرض لها . ولكنه قدم كشاهد بعض المعلومات المفيدة فى هذا الصدد . فقال أنه تعرض لتهديدات باخصائه ثم بتعريضه لصدمات كهربائية تصيبه بالعجز ، ثم بعد ذلك بالضرب على رأسه بمضرب وبعصا وبوضعه فى حوض به ماء مثلج ، بل أكد انه عذب فى النهاية بصدمات كهربائية . وكان الهدف من هذه المعاملة مزدوجا ، اذ ارادوا من التأثير من خلال تعذيبه على اصدق اصدقائه رامى ليفين الذى كان يستخدم حقه فى الصمت ويرفض الكلام . وقد وضع الخطيب فى نفس الزنزانة مع ليفى واستطاع اقناعه بأنه أن لم يتكلم سيتعرض لنفس هذا التعذيب مما دفعه الى الكلام .

ولكن قد نتساءل : لماذا لم يقم البوليس بتعذيبه هو على نفس النحو بدلا من تعذيب صديقه ؟ يقول الدفاع ان شرطة الامن لم ترغب فى التورط بهذه الصورة لاحد اليهود خاصة وان والده عضو فى البرلمان عن حزب راكاح ، ففضلوا التعرض لعربى وتعذيبه » . فاذا صح ذلك فان مثل هذه التفرقة فى المعاملة تؤكد بشاعة « المعاملة » التى يتعرض لها المتهمون .

اما الاسباب التى دفعت الخطيب الى الصمت فهى أن محاميه قد اتفق مع الاتهام وحصل على بعض المزايا لصالح المتهم نظير سكوته عن سرد وقائع التعذيب الذى تعرض له .

وقالت المحكمة أن الخطيب ما كان ينبغى له ان يقبل مثل هذا الاتفاق ، وكان واجبه أن يظهر الحقيقة . كما وجهت اللوم للمحامية فليسيا لانجر لانها تنال من كرامة زميل لها هو المحامى لفنبرون الذى تولى الدفاع عن الخطيب والذى كانت قاعدة عدم اثارة موضوع انتهى بعد ابرام اتفاق سرى قد روعيت لما ظهرت الحقيقة فيما يتعلق بشوقى الخطيب .

ولعل هذا يوضح الاخطار التى تتعرض لها الحقيقة القانونية فى ظل مثل هذه الاجراءات التى تطبقها العدالة الاسرائيلية والانجلو ساكسونية على حد سواء .

تلقى الاعترافات

فى هذه الحالة التى اشرنا اليها كما فى غيرها من الحالات قال المحامون أن الاعترافات قد انتزعت بالعنف والضغوط النفسية وقد سبق الاشارة الى ذلك خلال قضايا سابقة [مثل حالة دان فيريد واحمد مصراوى وعلى شلبارى]

ولكن لايمكن القول أن كل الحجج المتعلقة بالتعذيب كانت متماسكة ودقيقة ، فقد بدت بعض التأكيدات مثل التى قدمها « رسان اجبرياى » وبدت غامضة بعض الشىء وغير متناسقة وتنطوى حتى على بعض التناقضات . وفى هذه الحالات رأت المحكمة ان الامر لا يعدو أن يكون « خيالا وافتراء » . لكن من المؤسف أنه عند اثارة هذا الامر فى الكنيست [البرلمان] فانه لم يوافق على تشكيل لجنة تحقيق كما طلب النائب لفنبراون ، ولو شكلت هذه اللجنة لاستطاعت ان تجلو الغموض عن كثير من الاحداث .

ولكننا هنا بصدد أقوال متهم وأقوال شرطى ، وكلاهما قد حلف اليمين . فمن يصدق القضاء ؟ أو من يميلوا الى تصديقه ؟ لاشك أنه من الصعب على المتهمين اقناع المستشارين بصدق تأكيداتهم .

من المهم أن نتحدث عن شهادة رامى ليفين وشوقى الخطيب : لقد كانت شهادتهما واضحة ودقيقة ومتماسكة

ولم يظهر أى تناقض خلال الاستجوابات العديدة . ومن ثم فقد أثرت الشهادة التى أدليا بها — وعلى النحو الذى ذكرنا — فى كل من كان يتشكك فى تعرض المتهمين للتعذيب .

لكن ممثل النيابة حاول أن يقلل من شأن هذا التعذيب . فبعد أن روى رامى ليفين كيف أجبره الشرطى على خلع ملابسه ، ثم اخذ يضربه فى الاماكن الحساسة ، قال له المدعى : أهذا ما تسميه تعذيب ؟ فأجابه ليفين ببلاغة : « وهل سبق لسيادتكم التعرض لمثل هذه التجربة ؟ »

وعندئذ سأله ممثل النيابة لماذا لم يسجل محاميه الوقائع التى أشار اليها الخطيب . ولكن القضاة طلبوا منه عدم التعرض لهذا الموضوع الشائك .

وأيا كان الامر فقد اعتبرت المحكمة اعترافات رامى ليفين صحيحة ولم تنتزع بالقوة .

حدثان لهما مغزى

ان قضية حيفا — من الناحية الرسمية — تثير الشك حول رعايا دولة اسرائيل ، وبعضهم من اليهود ، والبعض الاخر من العرب . ان المتهمين العرب بالذات ، الذين مثلوا أمام المحكمة الجزئية ، قد مروا بهذه الاجراءات كأنهم أجانب وذلك لاسباب واضحة ، وهذا شىء بديهى من ناحية ، وان كان من الضرورى التركيز على هذا الجانب من المسائل الذى كانت له عواقب عديدة . وسنضرب لذلك مثلين :

عندما كان المحامى على زقح يدافع عن واحد من موكليه ويدعى قاسم مصالحة ، أجرى لرجل البوليس الذى كان قد تلقى اعترافات مصالحة اختبارا مثيرا للاهتمام . وبدأ بالتشكيك فى أن يكون نص الاعترافات الذى وقع عليه مصالحة قد ترجم بالفعل الى اللغة العربية فى الوقت الذى حدده المحقق. وذكر رجل البوليس بأنه يدلى بشهادته بعد أن أقسم اليمين ، واجبره على الاعتراف بانه — وقد علم أن مصالحة يعرف بعض كلمات عبرية — لم يهتم بأن يترجم نص الاعترافات الى لغته كلمة كلمة . ومن بين الكلمات التى لم يكن متأكدا من أنه ترجمها توجد عبارات مثل [ارهاب] ، و [تخريب] ، و [تدريب] وغير ذلك مما كان يقتضى بصفة خاصة أن يفهم الشخص المستجوب معناها الدقيق لانها هى اساس الاتهام الموجه اليه .

ولمح المحامى لياشترنل الى أن محققا آخر سجل — بعبارات من عنده — بعض الاقوال التى أدلى بها موكله .

والان لنرسم الصورة المميزة لواحد من المتهمين ، وهو من أكثرهم اشتغالا بالسياسة .. أنه راسان اجبارى . وقبل أن يبدأ نظر [القضية الصغرى] الخاصة بالتعذيب والمعاملة السيئة رفض المتهم الفصل بين هذه المسألة وبين المسائل الاساسية التى تدور حولها القضية . وعندما بدأ نظر « القضية الصغرى » وأتيحت له فرصة الحديث عن المعاملة السيئة التى يدعى انه لقيها ، لم يشأ اجبارى هذه المرة ايضا أن يفيض فى الحديث عنها دون أن يعيد الى الاذهان آراءه الايديولوجية التى يعتنقها . وقد اعتزم ان يسلك هذا المسلك على الرغم ، ليس فقط من الدعوة للهدوء التى وجهها اليه القضاة بل كذلك من التوصيات التى صدرت اليه من محاميه أثناء استجوابه .

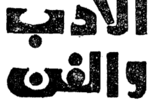
فقد كان هؤلاء المحامون يخشون حقا أن يثير هذا الموقف سخط القضاة وتقلل فى النهاية من صدق التأكيدات بشأن المعاملة السيئة .

وقد رد المتهم بغلظة انه « لايضع ثقته ولا امله على الاطلاق فيمن يتولون محاكمته » ، وانه يرى انهم « جزء من النظام مثلهم فى ذلك مثل رجال البوليس » . ويمكن أن نقول أن هذا موقف كان لاداعى له ومن شأنه أن يعرقل جهود المحامين الذين يتولون الدفاع عنه ويعوق اظهار الحقيقة أمام القضاء . ولم يحدث مطلقا أن كانت هناك لحظة انسب من هذه لفهم اليأس البالغ الذى استولى على شاب يافع يحس أنه غريب على البلد الذى يعيش فيه ويرفض بالتالى أن يلعب « لعبة القانون » فهو ينظر الى هذه اللعبة على أنها طقوس لامعنى لها وتقاليد لا يمكن من خلالها أن تظهر الحقيقة التى يؤمن بها هو .

ولعل هذا يؤكد — اذا كان ثمة حاجة لهذا التأكيد — مدى الصعوبة التى نصادفها حين نحاول أن نفصل بين مناقشة قانونية كهذه وبين دوافعها وخلفياتها السياسية . ▪

الطليعة

ملحق



- التفكير الخرافي والمسئولية الاجتماعية
- عن العبور "قصة قصيرة"



طــه حسين

في هــذا العــدد :

— التفكير الخرافى والمسئولية الاجتماعية

طــه حســـين

● الفكر الاجتماعى والمواقف

● مؤرخ صدر الاسلام

● مدخل لدراسة فكره الادبى

● السيرة الذاتية والرواية

● قائمة بأعماله المنشورة

— عن العبور « قصة قصيرة »

الفكر الخرافى والمسئولية الاجتماعية

د. فؤاد زكريا

قد لايكون أدق وصفا يوصف به التفكير الخرافى هو أنه تفكير مخطىء أو باطل ، بل ربما كان الاصح أن يقال عنه انه تفكير متخلف عن العصر . ذلك لان الطابع الخرافى للفكر أمر نسبى ، بمعنى أن مايعد اليوم خرافة كان بالامس تفسيرا للعالم يبدو معقولا فى نظر أصحابه ، أو على الاقل يبدو فى نظرهم مقنعا وكافيا ، ولايدور بخلدهم أن يبحثوا عن بديل له ، فالتفكير الخرافى كان فى وقته مايعبر عن نظرة متكاملة الى العالم ، يمكن من خلالها ايجاد تعليل لكل شىء ، ووضع كل شىء فى مكانه المحدد ،وذلك على أساس من الاساطير أو الخرافات التى تقدم للعقلية البدائية ارضاء كاملا .

ولقد حاول بعض المفكرين ولاسيما أوجست كونت — أن يضع قانونا لمراحل تطور البشرية ، يبدأ بمرحلة الخرافة [التى ترتبط عند كونت بالمرحلة اللاهوتية ارتباطا وثيقا] وينتهى بالمرحلة العلمية ، مرورا بالمرحلة الميتافيزيقية . ولم يكن ما يعيب قانون أوجست كونت هو طبيعة المراحل التى اختارها ، بقدر ما كان تصوره أن كل مرحلة تلى المرحلة السابقة ، واعتقاده بأن سيادة المرحلة العلمية فى عصرنا الحاضر كفيلة بأن تؤدى الى استبعاد المرحلتين السابقتين . فها نحن أولاء ، بعد مايقرب من قرن ونصف قرن، منذ عهد كونت ، وبعد أن أصبحنا فى صميم عصر العلم ، نجد الخرافة لاتزال ضاربة اطنابها بيننا ، ونرى أنفسنا مضطرين الى استخدام كل مالدينا من أسلحة عقلية من أجل محاربة هذا الخصم العنيد .

وهكذا يبدو أن من الضرورى تصور العلاقة بين التفكير الخرافى والتفكير العلمى لا على أنهما مرحلتان متعاقبتان فى عصرين مختلفين من عصور تطور الانسان العقلى فحسب ، بل على أنهما نمطان يمكن أن يعيشا معا فى العصر الواحد ، على الرغم من أن كلامنهما ينتمى الى عهد مختلف من عهود التفكير البشرى . فهما أشبه بالطبقات الجيولوجية التى نجدها متراصة بعضها فوق البعض فى الجبل الواحد ، والتى ترجع كل طبقة منها الى زمن مختلف .

هذا التعايش بين العلم والخرافة لايقتصر على المجتمعات التى يوجد فيها تميز واضح بين اقلية مستنيرة وأغلبية متخلفة . ذلك لان الخرافة تظل شائعة حتى فى تلك المجتمعات التى يشيع وصفها بأنها مجتمعات متقدمة ، أو التى يقال أن أغلب سكانها قد نالوا حظا معقولا من العلم ، وربما حظا معقولا من الثقافة أيضا . ويزداد الموقف تعقيدا اذا لاحظنا أن الجمع بين التفكير العلمى والتفكير الخرافى كثيرا ما يحدث داخل الذهن الواحد . فليس اتباع المنهج العلمى فى المعامل ، أو تكوين حصيلة ضخمة من المعلومات العلمية — ليس فى كل الاحوال عاصما للذهن من أن يكون ، فى جانب من جوانبه ،مؤمنا بالخرافات، راضيا بتفسير بعض الظواهر على نحو لا علاقه له ، من قريب أو من بعيد ، بالمنهج العلمى الذى يجيد استخدامه .

وهكذا نجد فى أكثر المجتمعات تقدما، بقايا من التعلق بالخرافة تتمثل فى اعطاء مكان الصدارة ، فى كثير من الصحف ، للحوادث التى تبدو خارقة للطبيعة ، وفى استمرار ظهور أعمدة من أمثال «حظك هذا الصباح» أو «هذا الاسبوع»، وفى التشاؤم من الرقم ١٣ ، وفى استخدام الكثيرين لعبارة « امسك الخشب » ، الى آخر هذه المظاهر التى تدل على أن التفكير الخرافى مازال فى عصر الصعود الى القمر ، متشبثا بكثير من مواقعه .

ولقد ظهرت تعليلات متعددة ،ومتباينة الاتجاه ، لتفسير استمرار تيار اللامعقول فى مساره الخفى تحت سطح العقلانية الظاهرة للمجتمع الحديث ، واصرار الغيبيات على الا تختفى من حياة الانسان الحديث . وربما كانت التعليلات النفسية أكثرها انتشارا : فهناك من يقولون ان

«★» د. فؤاد حسن زكريا :« ٤٦ سنة » ، أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة عين شمس . من أهم أعماله . نيتشة ، الانسان والحضارة ،التعبير الموسيقى ، اسبينوزا « جائزة الدولة التشجيعية — ١٩٦٤ » ، دراسة لجمهورية أفلاطون . ومن اهم ترجماته:المنطق وفلسفة العلوم ، الفلسفة الانجليزية فى مائة عام ، نشأة الفلسفة العلمية ، جمهورية أفلاطون ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، العقل والثورة

الاحلام ، فى حياة الانسان ، مصدردائم للخرافة ، اذ أن الصور الخيالية ، غير المترابطة وغير الواقعية ، التى تتراءى فى الاحلام ، يمكن أن تختلط بالواقع ، وتكتسب فى حياة الناس طابعا متجسدا يتخذ شكل الخرافة . وربما كان تأثير الاحلام ، والاستعداد للخلط بينها وبين الواقع ، اقوى ظهورا لدىبعض أصحاب الحالات المرضية ، ممن لا يتورعون عن تأكيد رؤيتهم لاشباح أو أرواح لمجرد أن صورة معينة تكررت فىأحلامهمواختلطت بواقعهم . ولا جدال فى أن استطلاع علم النفس الفرويدى لافاق اللاشعور قد اعطى دفعة قوية لمحاولات استكشاف أسباب استمرار التفكير الخرافى فى عصر تقوم حياته أساسا على العلم . ذلك لان الخرافة ، فى ضوء التحليل النفسى ، لاتظهر بوصفها شيئا ماضيا لم يعد له مكان فى حياة الانسان ،وانما هى جزء من التكوينالنفسى للانسان ، يظل كامنا فى اللاشعور الى أن تطرأ ظروف تدفعه الى السطح الخارجى .

على أن التعليل المستمد من مجال علم النفس ، والتحليل النفسى بوجه خاص ، ربما لم يكن كافيا الا لايضاح جانب واحد من جوانب مشكلة استمرار التفكير الخرافى فى المجتمع الحديث . فحتى لو سلمنا بالايضاح الذى تقدمه مدرسة التحليل النفسى ، سيظل علينا أن نعرف تلك الظروف التىتبعثالخرافة من اعماق اللاشعور الى المظاهر الواعية للتفكير أو السلوك . هذه الظروف هى، فى واقع الامر ، ظروف تنتمى الىطبيعة المجتمع ، ونوع القيم السائدة فيه ، والعوامل الاجتماعية التى تتحكم فى تحديد هذه القيم .

وفى اعتقادى أن الاحساس بالعجز هو العامل الاساسى فى ظهور الخرافة. وهذا الشعور بالعجز يتخذ فى العصور المختلفة اشكالا متباينة ، ولكن نتيجته دائما واحدة ، هى أن يلجأ الانسان ، فى تعليله لظهور الحوادث ، الى قوى غيبية لاعقلية ، تساعده فى التخلص من المشكلات التى تواجهه تخلصا وهميا ، بدلا من أن تساعده على حلها أو حتى مواجهتها بطريقة واقعية .

ومن الممكن القول ، بصورة مجملة ، أن الشعور بالعجز فى العصور القديمة، وفى المجتمعات التى تخضع لتنظيمات عتيقة ، كان فى أساسه شعورابالعجز عن الفهم . فالمشكلة فى هذه الحالة مشكلة قصور فى المعرفة ، وهذاالقصور هو الذى كان يدفع العقل الى تعليل الظواهر التى لا يفهمها بأقرب الظواهر اليه ، كالمشاعر الانسانية أو تصرفات الحيوانات المحيطة به ، فيعلل كسوف الشمس ، مثلا ، بغضب الالهة ، أو يعلل الزلازل بأن الثور الذى يحمل الارض على قرونه قد نقلها من قرنه الايمن الى قرنه الايسر .

اما فى المجتمعات الحديثة فان الشعور بالعجز اصبح له طابع اجتماعى قبل كل شىء . فلم تعد المسألة متعلقة بالفهم أو المعرفة ، بعد أن توصل الانسان منذ مطالع العصر الحديث الى قدر من المعرفة يتيح له أن يجد اجابات علمية عن الاسئلة الاساسية التى كان يعجز من قبل عن فهمها . غير أن توافر هذا القدر المعقول من المعرفة لم يؤد الى اختفاء التفكير الخرافى ، لاننوعا آخر من العجز أصبح ماثلا امام وعى الانسان ، وحائلا بينه وبين المضى فى طريق العقلانية الى مداه الكامل .

هذا النوع الجديد من العجز يتمثل فى عدم القدرة على التحكم الواعى فى مسار المجتمع ، وفى القوى التى تسيطر عليه . وربما كان ذلك هو التعليل الرئيسى لاستمرار ظهور التفكير الخرافى فى مجتمعات لايمكن القول ان الجهل مازال مخيما عليها ، او ان الفقر يعمى عقول الناس فيها عن التفكير فى اتجاه سليم . وأوضح مثل على ذلك هو الولايات المتحدة الامريكية : ففى هذا البلد الذى يقود حركة التكنولوجيا المتقدمة فى العالم ، والذى بلغ مستوى المعيشة المتوسطة فيه حدا لم يبلغه فى أى مجتمع أخر على مدى التاريخ ، والذى تظهر فيه كل يومألوف الاكتشافات العلمية التى تعلنها على العالم جامعاته ومعاهده الهائلة العدد ، المحكمةالتنظيم — فى هذا البلد بالذات ينتشر التفكير الخرافى بمعدل كبير ، الى حد وجود جماعات منظمة تمارس انواعا من السحر والطقوس الغريبة فى قلب اعظم المجتمعات الصناعية تقدما . وفى«مجتمع الوفرة » هذا توجد أكبر نسبة من الجمعيات الروحانية [بالمعنى المشعوذ لهذا اللفظ [وتزدهر الاتجاهات اللاعقلانية وتنتشر المحاكاةالعمياءلتصوف الشرق الاقصى بما فيه من زهد وعزوف عن الدنيا وانقطاع عن العالم . وليس الناس ، بالرغم مما توافر لديهم من معرفة ومن مستوى عال للمعيشة ، يعجزون عن فهم القوى التى تتحكم فى مسار حياتهم ، وينظرون الى المستقبل نظرة قاتمة ، ويتصورون ان الكارثة توشك أن تصيب الانسان ، وأن قوى الشر السوداء تعمل طليقة حرة لايجرؤ على مواجهتها أحد ، وأن نوعا من الحتمية الكئيبة يظلل العالم ، ويحكم عليه بالتوتر والصراع الدائم ، وما على الانسان الا ان يستسلم لمصيره المجهول، أو ان يحارب هذه القوى الخفية بقوى أخرى أشد منها خفاء .

هذه الظاهرة ، على الرغم من انتشارها فى مجتمعات متقدمة ، لاتعد مع ذلك خطرا داهما على هذه المجتمعات، ذلك لانها فى المجتمع الصناعى المتقدم تظل ، مهما انتشرت ، ظاهرة هامشية. فنوع الحياة التى تسود المجتمع الصناعى يحول دون ان يصبح التفكير الخرافى خطرا مؤكدا على المجتمع ككل ، ويجعل هذا التفكير ظاهرة منعزلة لا خطر منها الا على من يمارسونها فحسب ، اما التنظيم العام للمجتمع ، والمسار الذى يتجه فيه ، فيظل فى عمومه سليما .ذلك لان الصناعة ذاتها مرادفة للترشيد والتعقيل ، والممارسة اليومية للحياة العادية ، فى مجتمع كهذا ، حافلة بمظاهر الانضباط والدقة المبنية على تخطيط علمي مدروس . بل ان مبدأ الصناعة نفسه ، يعنى تحكم الانسان بوعى فيما ينتجه ، واعتماده على مجهوده وموارده وتفكيره وتخطيطه من اجل انتاج مايلزمه ، بحيث لايكون هناك عنصر غير محسوب ، او غير مأمون ، أو غير متوقع . كل هذه ضمانات مؤكدة تعصم المجتمع الصناعى من اضرار التفكير الخرافى مهما كانت درجة انتشاره على المستوى الفردى ، وتعزل هذا التفكير عن المجرى العام للحياة .

اما فى المجتمع الزراعى فان خطر التعرض للخرافة اشد بكثير ، لان العوامل المؤدية الى انتشار الاسلوب الخرافى فى التفكير تنتمى الىصميمبنيان المجتمع الريفى ، وترتبط ارتباطا عضويا بنمط الحياة الزراعية . ففى الزراعة عنصر أساسى من عدم التوقع ، ومن المفاجأة ، ومن عدم القدرة على التحكم فى كل العوامل المرتبطة بالانتاج . ومهما بذل الفلاح من جهد ، وعمل حسابا لكل المواقف المحتملة ، فمن الممكن أن تظهر فى آخر لحظة آفة غير متوقعة ، أو فيضان مفاجىء ، أو

أحوال جوية غير مواتية ، تقضى على كل مابذل من جهد .وهذا يصدق ، بطبيعة الحال ، على الاساليب التقليدية فى الزراعة أكثر مما يصدق على الاساليب الحديثة التى تكاد تقترب من الاساليب المتبعة فى الصناعة . ولكن ، أيا كان الامر ، فان فى الزراعة مهما تقدمت عنصرا مجهولا غير متوقع ، يزيد من تعرض العقلية الريفية لاخطار التفكير الغيبى والخرافى ، لان عدم القدرة على التحكم وعلى التوقع تزيد من شعور الانسان بالعجز ، وهو الشعور الذى يرتد اليه — كما قلنا من قبل — كل تفكير خرافى .

ولو شئنا أن نحدد موقع مجتمعنا من حيث مدى تعرضه لخطر هذا النوع من التفكير ، لكان من الواجب أن ندرجه ، بالنسبة الى هذا الموضوع بالذات فى اطار المجتمعات الزراعية . وبطبيعة الحال فأن اول ما يتبادر الى ذهن القارىء النقدى هو أننى أتجاهل حركة التصنيع الواسعة ، التى تزداد أهميتها فى مجتمعنا يوما بعد يوم ،والتى أصبحت تشكل قطاعا يقترب من منافسة القطاع الزراعى فى أهميته . وربما ظن مثل هذا القارىء — فضلا عن ذلك — أننى أنظر الى مجتمعنا نظرة سكونية ، تتمسك بما هو موجود بالفعل ، أو بما كان موجودا من قبل ، وتتجاهل بذور التغيير التى ستظهر آثارها بصورة مؤكدة فى المستقبل ، وان لم تكن قد ظهرت بوضوح فى الحاضر .

على أن ادراجى لمجتمعنا ضمن المجتمعات الزراعية فى موضوع التفكير الخرافى لايرجع على الاطلاق الى تجاهل لحركة التصنيع أو لاتجاهات المستقبلفى بلادنا ، وانما هو يتم من خلال وعى كامل بهذه الحقائق . وكل ما فى الامر ان حركة التصنيع عندنا حديثة العهد الى حد أن قيمها الخاصة لم تنضج بعد ، ومازالت معظم القيم التى نعيش عليها ، حتى فى صميم المدن ، وفى قلب الحياة الصناعية ، قيما ريفية . ومن المعروف أن حركة القيم أبطأ من حركة التغير فى نمط الانتاج ، بحيث يمكن ، أنيسير هذا التغير فى اتجاه لا تلاحقه فيهالقيم الا بعد مضى وقت طويل . وهذا بالفعل ما حدث فى تحولنا الى التصنيع ، اذ أن نوع العقلية المسيطرةفيهذاالتحول ، ونوع القيم السائدة فيه ، مازالت الى حد بعيد قيما ريفية ، ولابد ان ننتظر وقتا غير قصير حتى تتمكن قيم العصر الصناعى — من عقلانية ودقة وانضباط وموضوعية لا شخصية — من توطيد اقدامها فى المجتمع .

هذا التشخيص لطبيعة القيم السائدة فى مجتمعنا ، يحدد بوضوح دور المفكر فى مثل هذا المجتمع . ذلك لان المفكر الذى يدرك عن وعى نوع الرسالة التى يضطلع بها بوصفه صوتا معبرا عن أمانى المجتمع وتطلعاته الى مستقبل أفضل ، لابد أن يعمل على التعجيل بنشر القيم التى تساعد على تطور المجتمع ونموه . واذا كان للمفكر من فضل فى فترة تاريخية كتلك التى نعيش فيها ، فان هذا الفضل ينبغى أن يتمثل فى قدرته على استشفاف اتجاه المستقبل ، والاسهام فى توطيد دعائم القيم الجديدة التى لاتزال تحتاج الى صراع ونضال من أجل تأكيد ذاتها فى وجه القيمالبالية التى تشد المجتمع الى الوراء .

وربما اختلف الناس فى تحديد نوع القيم التى تلائم المستقبل وتلك التى تربطنا بالماضى ، ولكن لاأظن ان احدا يجادل فى أن التفكير الخرافى ، والنظرة الاسطورية الى الامور ، تنتمى فى صميمها الى الماضى الذى ينبغى التخلى عنه ، ولا مكان لها فى المستقبل الذى ننشده . ولذلك فان من حق المرء أن يتعجب حين يرى مفكرا فى مجتمع كمجتمعنا يدعو بحماسة الى التفكير الخرافى ، بل ويعمل على نشره على أوسع نطاق ممكن ، ويضع وراء هذا اللون من التفكير كل السلطةالتىيكتسبها المفكر والكاتب المشهور فى مجتمع يقدس الشهرة ويظن أصحابها معصومين من الخطأ .

ومن المؤلم حقا أن عددا من مفكرينا لايجدون غضاضة فى الدعوة الى التفكير الخرافى ،ولا يبالون بالاضرار العقلية التى تلحق بمجتمعنا من جراء انتشار أمثال هذه الافكار . والاشد من ذلك ايلاما أن هذه الافكار تنتشر بالفعل ، وعلى أوسع نطاق ، اذ أن الخرافة مريحة ، وهى تقدم اجابة جاهزةسريعة ، كلها تواكل وارتكان ، على الاسئلة التى تحيرنا ، على حين ان التفكير العقلى والمنطقى أمر شاق ، يحتاج الى جهد ومعاناة ، ومقاومة للميل الطبيعى الى اختيار الحلول السهلة والردودالسريعة ، وفيه يعتمد الانسان على نفسه اعتمادا تاما ، فلا يجد شيئا يرتكن اليه سوى جهده الخاص . لذلكفان انتشار أمثال هذه الكتابات لايرجع الى فضل لدى هؤلاء الكتاب ، بقدر ما يرجع الى الكسل العقلى والميل الى الاعتماد على سلطة الغير لدى قرائهم .

وعلى الرغم من أن قائمة هذا النوع منالكتابات طويلة ، فيكفينى هنا أن أشير الى واحد منها أعده كتابا ذا دلالة خاصة ، هو كتاب الاستاذ **أنيس منصور « أرواح وأشباح »** ، الذى صدر فى بيروت فى مستهل هذا العام . أما الدلالة الخاصة لهذا الكتاب فترجع الى أن مؤلفه يتمتع بقدر من الشهرة والشعبية يتيح لكتاباته أوسع قدر من الانتشار فى أقصر الاوقات ، فضلاعن أن ثقافته الواسعة — التى تتجلى فى كتابات أخرى — لابد أن تضفى على ما يكتبه سلطة تجعله أقوى تأثيرا فى النفوس ، ولاسيما بين جمهور من القراء يصدق كل ماتنشره الصحيفة اليومية ، وكل ما يقوله أى كاتب مشهور .

فى هذا الكتاب من الاقوال الخرافية مالا أرى حاجة الى مناقشته ، لان الدخول فى نقاش حول ذراع نفرتيتى التى مازالت دائبة بعد ثلاثة آلاف سنة ، أو حول الملكة « آن بولين » ذات الاثداء الثلاثة ، أو حول الزجاجات التى تكبر وتتضخم حتى تتحول الىامبراطور ، أو الاشجار التى تتحول الىذئب —أقول أن الدخول فى نقاش خرافات كهذه ، حتى لو كان نقاشا نقديا ، يعنى اخذها مأخذ الجد ، والوقوف على نفس الارض التى ترتكز عليها . ولكن الذى يعنينى هنا هو المنهج المتبع فىأمثالهذه الكتابات ، والاسس « الفلسفية » التى ترتكز عليها . فأكثر العبارات تكرارا فى الكتاب هى « يقال ان ... » والقصص كلها تساق على أساس كلمة « يقال » هذه ، بلا شواهد ، وبلا ادلة . فمثل هذا الكتاب لم يكتب الا للقارىء الذى لايستطيع ، فى أية مرحلة من مراحل القراءة ، ان يتساءل : الا يجوز أنهذه الحكايات كلها ملفقة ؟ !

هذا الدفاع عن التفكير الخرافى تساق له أحيانا أدلة ذات مظهر علمى ، فنرى دفاعا عن وجود ظواهر غير مفهومة ولا معقولة على أساس « أن عددا كبيرا من العلماء لايرفضون الاشياء الغريبة اللا معقولة ، لان العلم لايرفض مالا يفهم . انه يقبله ثم يناقشه حتى يؤمن به أو حتى ينكره » . ولست ادرى من أين أتى هذا المبدأ القائل « ان العلم لا يرفض مالا يفهم » ، ولكنه

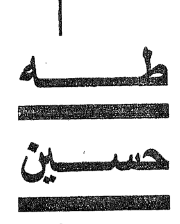
على اية حال مبدأ خطير لو اخذ بـه العلم لكان تاريخه كله منصرفا الى مناقشة الخرافات التى لايكف الناس عن طرحها ، ولما استطاع أن يتقدم خطوة واحدة فى طريق المعرفة المضبوطة . ومن الادلة الاخرى ذات المظهر العلمى الخداع ، مايقال قرب نهاية الكتاب من اننا « لن نعرف أكثر الا اذا تساءلنا أكثر ... فلا علم بغير دهشة » هذا كلام أوافق عليه من كل قلبى ، ولكن المشكلة هى أن الخرافات التى يحفل بها الكتاب لن تؤدى الى تلك الدهشة التى تولد المعرفة ، بل انها تفتح الباب على مصراعيه لدهشة البلاهة والعجز وتصديق كل العجائب والغرائب التى تخرج عن نطاق الفهم السليم . أما التساؤل فان التفكير الخرافى يقضى عليه من اساسه ، لانه بطبيعته تفكير تصديقى ساذج ، ولو كان يتساءل لاصبح علميا .

على انه اذا كانت العبارات السابقة تتضمن محاولة مستحيلة هى الدفاع عن الخرافة من خلال حجج « علمية » المظهر ، فان الكتاب يستهل بعبارات اخرى تتضمن هجوما على العلم ، وحملة على الحياة الضارة المسمومة التى جلبها لنا العلم ، وهى عبارات أراها أصرح تعبيرا عن موقف أنصار الارواح والاشباح من تلك التى تتخذ مظهر الدفاع عن العلم . وأقل مايقال عن هذا الهجوم والتحامل أنه ينطوى على دعوة ضمنية الى الرجوع الى عصر ما قبل العلم ، وهى دعوة لا أمل منها لان مسار التاريخ لارجعة فيه .

والاساس « الفلسفى » الثانى — الى جانب العلم — لهذا الدفاع عن الخرافة ، هو ارتباطه ، على ما يقال ، بالدين .. « ان هناك عالما آخر [يقصد عالم الاشباح] ... وان هناك أدلة كثيرة على ذلك ، ولكن هذه الادلة تحتاج الى توضيح لكى يؤمن بها كل الناس .... ان الاديان تؤمن بها » . فهل يعد تكريما للدين أن نربط بينه وبين الاعتقاد بالاشباح الخفية والارواح التى تتجسد فى عصور مختلفة والاشخاص الذين يوجدون فى مكانين فى وقت واحد؟ أليست أكبر اساءة تلحق بالدين أن يرتبط على أى نحو بالجهل والغفلة ؟ **على أية حال ينبغى أن نلاحظ أن هناك فى الطرف الاخر ، فئة أخرى من الكتاب الذين تنتشر مؤلفاتهم بدورها انتشارا كبيرا فى هذه الايام ، يحاول أفرادها أن يثبتوا أن كل النظريات العلمية ، قديمها وحديثها ، موجودة فى الدين ، وكأن النص الدينى كتاب فى الفزياء الذرية أو فى الطب أو البيولوجيا .** وعلى الرغم من أن الموقفين مما على خطأ ، فقد أردنا من هذه المقارنة أن نشير الى التقابل بين أولئك الذين يتصورون أن مما يدعم قضية الدين تأكيد قصور العقل ووجود عالم من الاشباح متغلغل فى عالمنا المنظور ، أى بالاختصار تأكيد الجهل والخرافة ، وأولئك الذين يدعمون الدين عن طريق تأكيد انطوائه على كل نظرية علمية وصل اليها العقل البشرى وسيصل اليها فى المستقبل .

وعلى أية حال **فليس هذا هو بيت القصيد ، وانما المشكلة الحقيقية ، فى رأيى ، هى مشكلة مسئولية الكاتب فى مجتمع مثل مجتمعنا .** فنحن ، كما قلت من قبل ، نعيش فى مجتمع لاتوجد فيه ضمانات كافية تحول دون استفحال التفكير الخرافى وامتداد تأثيره الهدام على أوسع نطاق . ولا وجود فى مجتمعنا لتلك الضوابط التى تجعل المجتمعات الصناعية المتقدمة تلجأ الى الخرافة من آن لاخر كنوع من الترويح عن النفس أو تغيير النمط العقلانى والعلمى المألوف للحياة ، دون أن تتاح لها فرصة تجاوز هذه الحدود التى تفرضها طبيعة المجتمع نفسه . بل ان الاتجاه الاصلى للفكر فى مجتمعنا ، بحكم تراث طويل من الاضطهاد والشعور بالظلم والتعرض لافات الفقر والجهل والمرض ، هو الاتجاه الى التفسير الخرافى للاشياء ، ولابد لتغيير هذا الاتجاه من جهد واع يرتكز على شعور المفكر بالمسئولية تجاه مجتمعه فى اللحظة التى يمسك فيها قلمه لكى يكتب شيئا سيقرؤه الناس بالالوف وربما بالملايين .

ان الدفاع عن العقل قد لايكون جذابا بقدر الدفاع عن اللامعقول ، والدفاع عن المنطق العلمى وعن وجود أسباب للظواهر قد لايكون خفيف الظل كالدفاع عن الاشباح والظواهر التى تحدث بلا سبب ، وتختفى بلا سبب ، ولكن الامر فى النهاية يعود الى ضمير الكاتب ، والى الاختيار الاساسى الذى لابد أن كل كاتب قد واجهه فى مرحلة مبكرة من حياته : هل أنا أكتب لاكسب ، أم أن الكتابة عندى رسالة ؟ وهل أكتب لاسخر من عقول الناس ، أم لكى أساعدها على مواجهة مشكلاتها بمزيد من الوعى واليقظة ؟ هذا الاختيار هو الذى سيقرر ، فى نهاية الامر ، ان كان الكاتب من أنصار الخرافة أم من أنصار العقل .





لاكثر من اربعين عاما ؛ فرض الدكتور طه حسين ظله على الحياة الثقافية العربية : مفكرا وناقدا ومؤرخا وأديبا • ولم يكن طه حسين رجل فكر معزول عن الواقع ، تل كانت مواقفه وأعماله وحدة متسقة مع الواقع ، ملبية لاحتياجاته ، وحين اتيح له انيكون مسئولافى الجامعة وفى وزارة «المعارف» حاول ان يضع ماكان يؤمن به موضع التطبيق .

وقد عاش طهحسين حياتهالطويلة الخصبة مؤمنا بقيم العقل والعلم والحريه ، وخاض المعارك الطويلة — المريرة — ضد أعدائها ، ولقى من الجامدين والحاقدين عنتا وارهاقا ، لكنه لم يضعف ولم يهن ؛ وحق له ان يقول عن نفسه — فى آخر صفحات سيرته الذاتية —انه كان « يعرف نفسه حين يشقى فى سبيل مايرى انه الحق ، وينكرها أشد الانكار ، بل يبغضها أشد البغض اذا نعم بالخفض واللين لانه صانع أو داجى أو جهر بغير مايسر ، أو اثر رضا السلطان على رضا الضمير .. ».

وسيقول التاريخ كلمته فى طه حسين، وقد اكتمل عطاؤه برحيله عن عالمنا — وما اكثر ما سيقول ! — لكن فى اعناق المثقفين المصريين دينا ثقيلا لطه حسين فما منهم الا من استمد من نور عقله قبسا ، بل ان أجيالا بكاملها كان يمكن أن تنفق حياتها فى غير جدوى لولا ايمان هذا الرجل العظيم بحق الانسان فى العلم والحرية ..

وفيما يلى تقدم « الطليعة » اربعة هوامش على متن طه حسين ..
وتواصل تقديم بقيةالهوامش فى العدد القادم

وما نحس أبدا أننا أوفيناه دينه ؛ انما الوفاء أن نرعىالقيم التى آمن بها،وان نطورها ونتقدم بها•
هذا هو الوفاء الحقيقى لكل ما آمن به ، وعاش له العقل المصرى العظيم : طه حسين ••

١ فكر طه حسين الاجتماعى ومواقفه

د. عبد العظيم أنيس

لا أظن أن أستاذا من اساتذة طه حسين قد أثر فيه — فى مرحلة الدراسة — كما اثر دور كايم أستاذ علم الاجتماع بجامعة السوريون فىفترة الحرب العالمية الاولى . وليس هذا الظن من قبيل الرجم بالغيب ، وانما يشير طه حسين الى هذا بصورة شبه صريحة فى الجزء الثالث من كتابه « الايام » فهو يقول فى صفحة ١٣٦ « كان الفتى لاستاذه محبا وبه معجبا اعجابا يوشك أن يبلغ الفتون » ولذلك أدركه حزن عميق عندما علم بوفاته وهو يعد رسالة الدكتوراه عن ابن خلدون . وفى الفصل الاخير من هذا الكتاب وعنوانه «ايمان بالثورة» يعود طه حسين الى دور كايم مرة أخرى فيقول انه « كان شديد التأثر بدروس دور كايم فى علم الاجتماع » ويشير فى أماكن متعددة الى فضل دور كايم فى توجيه رسالته عن « الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون » .

وربما تكون هذه النقطة بالذات — صلة طه حسين بدور كايم — مدخلا مناسبا لبحث فكر طه حسين الاجتماعى فى أولى مراحلـه . فاذا عدنا الى كتاب الايام مرة أخرى نجد طه حسين يذكر صراحة أن دوركايم « انفق عاما كاملا يدرس لتلاميذه مذهب الفيلسوف الفرنسى سان سيمون الذى يقوم على أن أمور الحكم الصالح المنتج الذى يحقق العدل ويكفل رقى الشعب ويتيح للانسانية أن تتقدم للامام ما يجب أن يصير الى العلماء لانهم هم الذين يستطيعون أن يلائموا بين نتائج العلم على اختلافها وبين حاجات الناس وطاقاتهم واستعدادهم للتطور والمعنى فى سبيل الرقى » .

ومن الواضح أن دور كايم كان شديد الاعجاب بسان سيمون مفتونا به هو الاخر ، كما فتن تلميذه طه حسين بأستاذه ، والا ما أنفق عاملا كاملا فى دراسة لفيلسوف واحد معروف بمنهجه ونظرته الاجتماعية كسان‌سيمون .

من هو اذن سان سيمون الذى لا يقول طه حسين عنه الا أقل القليل ؟

يعرف كل المتتبعين لتاريخ الحركة الاشتراكية فى العالم ان سان سيمون [١٧٦٠ — ١٨٢٥] كان مفكرا اشتراكيا وثائرا ، وان كانت اشتراكيته من النوع الطوباوى بسبب عجزه عن ادراك الدور التاريخى للطبقة العاملة . ولم يكن سان سيمون مفكرا اشتراكيا فحسب ، وانما كان مناضلا عمليا أيضا. فقد كان وثيق الصلة بأشد أجنحةالثورة الفرنسية راديكالية [اليعاقبة] وشارك شخصيا بالسلاح فى حرب الاستقلال الامريكية .

ومن الناحية الفكرية تحمس سان سيمون لافكار المدرسة المادية الفرنسية فى الفلسفة وعارض بعنف الفلسفة المثالية [وخصوصا المثالية الالمانية] كما دافع عن النظرية الجبرية ممتدا بها فى التطبيق الى تطور المجتمع‌البشرى واهتم اهتماما خاصا بمقولة أن التاريخ تحكمه القوانين . وكان سان سيمون يؤمن بأن على التاريخ أن يساهم فى التقدم البشرى كما تساهم العلوم الطبيعية ، كما كان يعتبر أن القوى المحركة للتقدم الاجتماعى ثلاث : المعرفة العلمية ، الاخلاق ، والدين . وعلى هذا فان التاريخ يمر فى رأية بثلاث مراحل : المرحلة الثيولوجية [وهى مرحلة سيطرة الدين وتغطى المجتمعات العبودية والاقطاعية] ، المرحلة الميتافيزيقية [وهى‌مرحلة سقوط المتجمعات الاقطاعية والثيولوجية] ثم المرحلة الايجابية [نظام المستقبل الاجتماعى القائم على العلم] . وعلى الرغم من تسرب بعض آثار الفكر المثالى الى نظرته للتاريخ فان هذا لم يمنعه من الاقتناع بأن التقدم الاجتماعى عملية موضوعية ، وان يشير بشكل واضح الى دور الملكية والطبقات فى التطور الاجتماعى .

ووفقا لسان سيمون فان مجتمع المستقبل سوف يقوم على صناعة كبيرة منظمة وخاضعةللتخطيط العلمى ، وسوف يكون الدور القيادى فى هذا المجتمع للعلماء والمشتغلين بالصناعة [ومنهم العمال] وسوف يتم هذا التخطيط لمصلحة غالبية المجتمع وخصوصا الفقراء ومحدودى الدخل . وفى مثل هذا المجتمع سوف ينتهى‌التحكم‌الاجتماعى لطبقة من الطبقات ويدار المجتمع وانتاجه لمصلحة المجموع .

ولعل هذا التعريف الموجز بشأن سيمون يشير الى أحد المصادرالاساسية للفكر الاجتماعى لطه حسين فى أول



مراحل حياته الفكرية وما بعد ذلك .
ولسنا نريد بذلك ان ندعى أن طه حسين — قبل سفره الى فرنسا — كان خالص الذهن من هذه الافكار الفلسفية والاجتماعية . فالمحقق أن ذهن طه حسين — فى مرحلة دراسته بالازهر — كان مشغولا بعدد من القضايا التى أثارها المعتزلة فى الاسلام ، وفى مقدمتها قضية الجبر والاختيار ، ومن المحقق أيضا أن مرحلة دراسته بالجامعة المصرية قد انضجت عددا من هذه الافكار . فرسالة الدكتوراه التى قدمها للجامعة المصرية عام ١٩١٤ عن ابى العلاء كان تعكس ايمانه بـ « الجبر التاريخى » أو كما يقول : « بأن الحياة الاجتماعية انما تأخذ أشكالها المختلفة وتنزل منازلها المتباينة بتأثير العلل والاسباب التى لايملكها الانسان ، ولا يستطيع لها دفعا ولا اكتسابا » وبمقتضى هذا الجبر التاريخى يرى طه حسين ان « الحادثة التاريخية والقصيدة الشعرية والخطبة ... كل اولئك نسيج من العلل الاجتماعية والكونية يخضع للتحليل خضوع المادة لعمل الكيمياء » .

ومع أن هذه النظرة تكاد تهدم العوامل الذاتية فى التطور الاجتماعى وتلغيها بشكل ميكانيكى ، الا أنه يبقى الجانب الايجابى فى فكر طه حسين عندما ينادى بأن التطور الاجتماعى تحكمه قوانين كما تحكم علم الكيمياء ، وان التاريخ ليس مجرد مجموعة من الاحداث العشوائية التى لاتقبل تفسيرا وانما تحكمه مجموعة من القوانين كذلك .
ونستطيع أن نجد افتتانه بهذه الفكرة واضحا ليس فى كتاباته فحسب ، وانما فى مواقفه ومجادلاته ايضا . ويذكر طه حسين ضمن ذكرياته فى الايام أنه ابان دراسته فى الجامعة المصرية أبدى أحد أساتذته من المستشرقين الاجانب [الاستاذ سانتلانا] رغبته فى حضور درس من دروس الازهر ، فصحبه الى الرواق العباسى حيث كان الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشرى يلقى درسه فى التفسير ، وكان يومذاك مشغولا بتفسير آية كريمة من سورة الانعام . ولقد جره تفسير الاية الى الخوض فى حديث الجبر والاختيار وجعل يرد على الجبريين ويدفع مقالتهم . فاذا طه حسين يجادل الشيخ البشرى فيما يقوله ويرد عليه ، واذا الشيخ البشرى يستشيط غضبا وينهر طه حسين بهذه الكلمات « ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن . الله اكبر على العلم والايمان . حضرتك مسلم ! » ويهم طه حسين أن يرد ، غير أن أستاذه سانتلانا يوقفه بلمسة فى كتفه قائلا بالعربية « أسكت ، أسكت ، ليضربك » !

من الواضح اذن أن طه حسين قد بدأ تفكيره فى « الجبر التاريخى » قبل ذهابه الى فرنسا ، ومن المرجح ان مرحلة دراسته على المستشرقين فى الجامعة المصرية قبل سفره قد ساعدته على ذلك ، الا أن تتلمذه على دور كايم فى السوربون وانشغاله بالفكر الاشتراكى الفرنسى سان سيمون ، عاملا كاملا قد انضج فكرة فى هذا الاتجاه ، ومنحه دعامة عقلية جديدة لم تتوفر له قبل سفره . وربما خففت حياته الفكرية فى فرنسا بعض هذا الغلو الميكانيكى فى النظر الى التاريخ ، لاننا نجد طه حسين بعد عودته يخفف تدريجيا من صرامته العقلية ذات النظرة الاحادية الجانب فى التاريخ ، ويسمح بتعدد العوامل فى صياغة الظواهر الاجتماعية والتاريخية ولايقتصر على العوامل الخارجية فحسب وانما ينادى أيضا بأثر العوامل الذاتية والنفسية الى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى التطور التاريخى . ولكن طه حسين يظل مع ذلك معطيا العوامل المادية اقتصادية واجتماعية الاثر الاول كمحرك لتطور المجتمعات .

ولعل دليلنا على هذا التطور فى فكر طه حسين الاجتماعى ونضجه يبرز بشكل حاسم فى دراسته الخصبة فى كتابيه « الفتنة الكبرى » : عثمان ، وعلى وبنوه .

ان طه حسين ليس بالمفكر الوحيد — من القدامى أو المحدثين — الذى تعرض لتقييم هذه المرحلة الهامة من تاريخ المجتمع الاسلامى ، ولكنه كان اكثرهم اقناعا ، لانه لم يكن مجرد سارد للاحداث فحسب وانما أعاد صياغتها وترتيبها على نحو منطقى عقلى ، اى انه أعاد بناء هيكل تاريخى كامل ، وجعل لكل من العوامل المادية والذاتية والنفسية دورها ومزج بينها مزجا مقنعا فى تفسير كثير من الظواهر .

ولقد يكفى لكى ندرك الامتياز الرفيع لفكر طه حسين فى هذا المجال أن نقارن بين تناوله لهذه المرحلة وتناول كاتب آخر — مثل عباس العقاد — لنفس المرحلة فى كتابة « عبقرية على » فبينما نجد العقاد مشغولا بتفسيرات نفسية أو غيبية فى فهم هذه المرحلة ، الامر الذى أدى به الى موقف تلفيقى واضح ، نجد طه حسين يقدم صورة أكثر حيوية واقناعا بسبب وضوح رؤيته فى الاساس الاجتماعى للتاريخ . ومع أن طه حسين قد امتنع عن اصدار حكم أخلاقى نهائى على واحد من الصحابة الذين اشتركوا فى احداث الفتنة ، واستشهد فى حياده هذا بكلمة سعد بن ابى وقاص « لااقاتل حتى تأتونى بسيف يعقل ويبصر فيقول أصاب هذا واخطأ ذاك » ، الا انه تناول هؤلاء الصحابة جميعا [عثمان ، على ، طلحة ، الزبير ..] بميزان انسانى رافضا تأليه أى منهم .

نستطيع اذن أن نقول عن فكر طه حسين الاجتماعى انه بدأ فى مستقبل حياته بفكرة الجبر التاريخى ، وانه دعا الى فكره الاساسى الاجتماعى فى التفسير التاريخى ولم يتخل عن هذا الفكر أبدا ، وأنه طرح فى تطور حياته النظرة الميكانيكية فى هذا التفكير وجمع بين العوامل الموضوعية والذاتية فى النظر والتحليل . ولكنى أذهب الى أبعد من ذلك فأزعم أن فكر طه حسين ومواقفه العملية لم تخل من آثار الفكر الاشتراكى الخيالى للمفكر الفرنسى سان سيمون وعندما وصفته مجلة « الفجر الجديد » اليسارية التى كانت تصدر فى الاربعينيات بأنه كاتب بورجوازى ليبرالى سارع طه حسين بالرد مفكرا بورجوازيته ومؤكدا فكره اليسارى وصحيح أن طه حسين كان حريصا — ابان النظام الملكى — بشكل عام على مداراة هذا الجانب فى فكره ، بل لعلنا نجد فى كتاباته ايضا فقرات يحاول أن ينفى بها عن نفسه شبهة ان يوضع فى عداد « الاشتراكيين » . ففى كتاب « المعذبون فى الارض » يقول فى صراحة « ان هذا الحديث يدل — فيما أظن — دلالة واضحة على أنى من المحافظين المتشددين فى المحافظة ، ومن اصحاب اليمين الذين لا يضيقون بأحد كما يضيقون بأصحاب الشمال » ، الا أن هذه الفقرات لم تكن فى رأيى الاستارا يريد أن يحمى نفسه من بطش السلطان

لان كتاب « المعذبون فى الارض » يرقى فى دلالته الموضوعية الى المنشور السياسى الثورى ، والحض الصريح على الثورة على النظام الملكى والاقطاعيين ، مهما غلفت عباراته بنزعة اصلاحية ركيكة ، ودعوة الى زيادة الضرائب على الاغنياء. وبعد ثورة عام ١٩٥٢ والقضاء على النظام الملكى نجد طه حسين أكثر اتزانا فى تحديد موقفه الفكرى مما يجرى فى العالم من صراعات بين الرأسمالية والاشتراكية . ففى كتاب « الفتنة الكبرى » [عثمان] الذى صدر عام ١٩٥٣ يقدم طه حسين للكتاب قائلا « ان الديمقراطية [يعنى الديمقراطية الرأسمالية] قد ضمنت للناس شيئا من الحرية وقليلا من المساواة امام القانون. ولكنها لم تكن تضمن لهم من العدل الاجتماعى شيئا . والشيوعية قدضمنت للناس قليلا أو كثيرا من العدل الاجتماعى فألغت ما بينهم من فروق ، واتاحت للعاملين منهم أن يعملوا وينتفعوا بثمرة عملهم ، واتاحت للعاجزين منهم أن يعيشوا غير معرضين لذلة أوضعة أو هوان . ولكنها ضحت فى سبيل ذلك بحريتهم كلها فلم تدع لهم منها شيئا أولم تكن تدع ا م منها شيئا . والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جميعا .... »

وهذه النظرة هى فى جوهرها نظرية الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى الغرب أو لعلها نظرة بعض اجنحتها . ويشير طه حسين — فى المرة الوحيدة فيما أعلم — الى ثورة أكتوبر السوفيتية اشارة لها دلالتها عندما يقول فى الجزء الثالث من الايام « وفى أثناء تلك الحرب [يقصد الحرب العالمية الاولى] كانت ثورة لم يعرف التاريخ لها نظيرا الا الثورة الامريكية والفرنسية فى القرن الثامن عشر . وقد حاولت هذه الثورة أن تحقق نظاما كان الناس يقرأونه فى الكتب ويعتقدون أنه من المثل البعيدة التى لا سبيل الى تحقيقها » .

وايا كانت كتاباته فى العهد الملكى أو مابعد ذلك الا اننا نستطيع أن نؤكد أن حياته ومواقفه العملية ظلت دائما دفاعا متصلا عن الفقراء ورفضا صريحا للنظام الاجتماعى الذى لايكفل لهؤلاء حقهم فى الغذاء والمسكن والدواء والتعليم . وقد يكون من نافل القول أن تشير الى شجاعته العظيمة فى دعوة « الماء والهواء » فى التعليم ، وهى اساسا دعوة لتعليم الفقراء فى جميع مراحل التعليم ، أو أن نشير الى الفقرات الثورية التى يمتلأ بها كتاب « **المعذبون فى الارض** » عندما يهاجم انانية الاغنياء « المشغولين بجمع المال الى المال وضم الثراء الى الثراء ، وباللذات التى لايفرغون منها الا ليقبلوا على بعضها الاخر ... ثم لم يخطر لاحد منهم — وليس يرجى أن يخطر لاحد منهم — أن بؤس البائسين واعدام المعدمين لايجر الخزى عليهم بمقدار ما يجر الخزى على وطنهم كله ، ولايستحون لهذا الجيل من المصريين ان يوصم فى اعين الاجنبى بالاثرة المنكرة التى تغض من صاحبها وتجعله خليقا أن يزدرى ويحتقر ... »

وهو يصرح فى آخر فصل من الكتاب بعنوان « مصر المريضة » اشارة الى وباء الكوليرا قائلا « ويقبل العيد فاذا المترفون مقبلون على عيدهم كما أقبل عليهم عيدهم ، لايشعرون أن مئات من الاسر فى مئات من المدن والقرى قد كانت تنتظر العيد كما كانوا ينتظرونه وتتشوق اليه أكثر مما كانوا يتشوقون اليه ، ولكن العيد اخلفهم موعده وارسل اليهم الموت نائبا عنه .... نعم لايشعرون أن أمهم مصر مريضة ، وأن مرضها هو النزيف المهلك ، ولكنها لاتنزف دما وانما تنزف أبناءها وبناتها نزفا ».

ولقد كان من الطبيعى أن يصادر مثل هذا الكتاب فى مصر ، وأن يحل على رأس صاحبه غضب السلطان . **وكم تعرض طه حسين طوال حياته لاضطهاد السلطان ؟ .**

ففى الجمعية التشريعية ابان الحرب العالمية الاولى هاجم بعض النواب طه حسين وتقدموا باقتراح فصله من الجامعة للافكار « الملحدة » التى عبر عنها فى رسالته عن أبى العلاء . وبعد أن عاد من فرنسا ونشر كتابه « فى الشعر الجاهلى » عام ١٩٢٦ هاجت الدنيا كلها عليه لارائه المجددة ومنهجه الديكارتى فى البحث ، وقامت القيامة فى مجلس النواب وسيق طه حسين الى النيابة العمومية وفرض عليه سحب الكتاب من الاسواق ولم ينشر بعد ذلك الا بعد تعديله وحذف بعض فقراته . ولولا أن بعض المسئولين تصدوا للدفاع عنه ، ولولا أن رئيس الوزراء هدد بالاستقالة اذا حوكم طه حسين لكان مصيره الى السجن حتما . وفى عهد صدقى أخرج طه حسين من الجامعة لانه دافع عن الحرية والديمقراطية والدستور ورفض أن يستجيب لاوامر صدقى وارهابه فى داخل الجامعة . وفى ابان النظام الملكى صودرت كتبه وحورب فى رزقه فلم تلن له قناة وظل شاكى السلاح شجاعا فى فكره مقداما فى مواقفه العملية رغم مأساة فقد ان بصره ورغم زواجه من سيدة فرنسية غريبة عن مصر شاءت الاقدار أن تمتحن امتحانا عسيرا خلال مواقفه كمفكر ومناضل وصاحب رسالة .

وفى كل هذه الاختبارات صمد صمودا رائعا ، وأثبت بالفعل لا بالقول اخلاصه الشديد لفكره ، ووحدة شخصيته العظيمة فى الفكر والعمل ، فلم يداهن ولم ينافق ولم يقفز من معسكر الى آخر تحت ضغط الحاجة أو طلبا لرضا السلطان. وكم بدأ الكثيرون من كتابنا ومفكرينا كما بدأ طه حسين — ثوارا ومجددين — ولكن ما أسرع ما لاذوا الى زوايا النسيان أو انتقلوا الى معسكر المحافظين وانصار السلطان. وفى فقرة من أروع ما كتب طه حسين يقارن فى كتاب « الايام » بين هؤلاء المثقفين وبين عامة هذا الشعب فى لحظة الخطر والاختيار فيقول «وكان أول مالاحظ بعد أن اقام وقتا قصيرا فى مصر ، أن الامر كان مختلفا بين الذين كانوا يرون أنفسهم علماء ومفكرين وبين عامة الناس والشباب منهم خاصة. أما أولئك فكانوا يؤمنون بالثورة ولكنهم كانو يؤمنون بأنفسهم أيضا . وهم من أجل ذلك لاينظرون الى الاحداث ولا يشاركون فيها خالصين فى غير تردد. وانما كانوا يقدرون لارجلهم مواضعها قبل الخطو ... اما عامة الناس والشباب منهم خاصة فكانوا مؤمنين بالثورة قد أخلصوا لها نفوسهم وقلوبهم وأيديهم أيضا . لايفكرون فى عاقبة ولا يخافون هولا مهما يكن . وهم كانوا يعرضون صدورهم لرصاص الانجليز ويغامرون بحياتهم مغامرة رائعة ... »

ويختم طه حسين هذا الفصل الرابع من كتاب الايام بالرد على الذين يلومونه بأنه غرق فى السياسة الى أذنيه وكان جديرا ان يفرغ للعلم والتعليم ، والا يفكر



الا فى طلابه وكتبه قائلا « أن بعض الظروف تحيط بالشعوب فتجعل الحيدة بالقياس الى بعض اتنائها انما لايغتفر ولاتمحى آثاره ، وكان صاحبنا يرى الحيدة فى ذلك الوقت جبنا ونفاقا ... »

من هذا المنطلق عنى طهحسين بالشباب وأخذ بيده وحاول أن يوجههوأنيشجعه. وأغلب الظن أن هنالك مئات من الذين اتصلوا فى شبابهم بطه حسين وكان له عليهم فضل التوجيه أو المساعدة أو التشجيع . ومعظم هذه المواقف لطه حسين غير منشورة ولا معروفة . لقد كانت حياة طه حسين فكرا ونضالا متصلا،وكان فكره حياة متصلة ، وكان اشتغاله بالسياسة موقفا واضحا من مفكر صمم على أن يقف فى جانب الشعب ، والفقراء منهم خاصة .

بقيت عدة ملحوظات فى ختام هذا المقال الذى يتعرض لفكر طه حسين الاجتماعى ومواقفه وأولها **موقفه من قضية تحرير المرأة** ، ولعل موقف أى مفكر من هذه القضية هو أحد الاختبارات الاساسية فى قياس مدى تقدميته : وطه حسين كان دائما ــ قبل سفره الى فرنسا بكثير ــ نصيرا لحرية المرأة مناديا بالمساواة بينها وبين الرجل ،وله فى هذا مقالات عديدةمعروفة جرت عليه غضب عتاة الرجعيين ونقمتهم . وأعتقد أن موقف طه حسين من المرأة كما هو منعكس فى قصصه جدير بدراسة خاصة وان كان هذا ليس موضوعنا اليوم .

والملاحظة الثانية تتعلق بقصصه وادبه ، وصلة هذا بموقفهالاجتماعى. ولست أظن أننى ابالغ عندما أقول ان قصص طه حسين ذات صلة وثيقةبنظرته الاجتماعية ، وأنه من خلال هذه القصص حاول أن يعلن تمرده على حالة التخلف الاجتماعى والفكرى التى كانت تسيطر على المجتمع المصرى ــ فىأوائل هذا القرن ــ عامة وفى الريف خاصة . وليس كتاب « الايام» عندما صدر على هيئة الفصول عام ١٩٢٦ فى مجلة « الهلال » الا صرخة أدبية وفنية عن حالة الريف بأمراضه وفقره وبؤسه وسيطرة بعض رجال القرن على فكرأهله دون أن يكون هناك مبرر لذلك من دين أو عقيدة . ولقد اعترف طه حسين نفسه فى طبعة متأخرةبأن هذا الكتاب استجابة نفسية لمحنته فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وهو فى جوهره دعوة الى اعلاءشأن الفكر الانسانى الالحاح على حريته والتمرد على المحافظة والسلفية والجمود والذى يقرأ «شجرة البؤس » سوف يلحظ هذاالبعدالاجتماعى فى أحداث القصة وعمق ادراك طه حسين لما يصنعه التطور فى المجتمع من متناقضات ومفارقات لا تمس حياة التجار فحسب وانما تمس أعمق أعماق حياتهم الشخصية وحياة ابنائهم من زواج وطلاق وما يفعله المتاجرونبالدين والصراع الاجتماعى فى حياة الناس من هم ثقيل .

وأخيرا وليس آخرا ، تبقى مفارقة موقف طه حسين من سعد وحزب الوفد فى أول انشائه من المفارقات الهامة فى حياة طه حسين وفى فكره ونضاله . لقد اتصل طه حسين بحزب الوفد منذ عام ١٩٣٠ وارتبط به حتى نهاية هذا الحزب ، وكان هذا الموقف منطقيا ومتسقا مع نضاله من أجل الحرية وديمقراطية التعليم والاصلاح الاجتماعى. أما مالا يبدو منطقيا ومفهوما فهو حملته على سعد والوفد فى أوائل العشرينيات وانحيازه الى اعداء الوفد وخصوصا حزبالاحرار الدستوريين . وفى رأيى ان هذا الموقف من جانب طه حسين كان خطأ تاريخيا فى عمله السياسى ، ولكننا يمكن ان نلتمس له الاسباب فى فهم موقفه هذا . فعندما انشئت الجامعة الاهلية عام ١٩٠٨ وجد طه حسين أمل حياته فى التحول من الدراسة الازهرية المحافظةالى دراسةاكثر تحررا وارحب فكرا ، وكانت الجامعة فى يد الطبقة الحاكمة آنذاك ، فكان الامير أحمدفؤاد هو رئيس الجامعة ، وكان مجلس ادارتها يضم عددا كبيرا منأعضاءحزب الامة وانصاره ، وهؤلاء احتضنوا طه حسين وساعدوه فى السفر الى باريس لدراسة الدكتوراه . ولقد كان طهحسين حريا أن يعرف فضل هؤلاء جميعا فى تشجيعه على الحصول على الدكتوراه فى مصر وفى السفر الى باريس ، وأن يتحرج فى الانشقاق عليهم وبينهم أستاذه لطفى السيد الذى فتح له آفاقا فى الفكر اليونانى وشجعه على الكتابة فى « الجريدة » . أما السبب الثانى فهو أن حزب الوفد كان حزبا حديث التكوين ليس له برنامج اجتماعى واضح يحسم قضية ما فى الفكر الاجتماعى ، بل ان موقف حزب الوفد ازاء الحزب الاشتراكى الذى ظهر بعد الثورة كان موقفا رجعيا شديد الرجعية ، ومن هنا بدا لطه حسين أن الفرق بين الوفد والاحرارالداستوريين ليس الا فرقا بين شخصيات القادة ، وأن الصراع بين القيادتين ذو طابع شخصى بحت . ولقد وجد طه حسين ملاذه الفكرى عند عدد من المثقفين المرتبطين بالاحرارالدستوريين الذين كانوا على استعداد للدفاع عن حرية طه حسين الفكرية . أما السبب الثالث فهوعلاقاته الشخصية الوثيقة بلطفى السيد وبعائلة عبد الرازق ، الى درجة أن طه حسين ــ عندما عاد من البعثة مع زوجته ــ نزل بالاسكندرية فى قصر حسن باشا عبد الرازق محافظ الثغر آنذاك . وأقام عنده اياما . ثم يبقى بعد ذلكالجانب الذاتى فىالصراع بين شخصيتين عملاقتين كطه حسين وسعد زغلول . ومن المحقق ان سعد زغلول قابل طه حسين [عندما ذهب لزيارته فى باريس ابان مؤتمر الصلح] فى فتور وضيق ولم يرحب بمقدمه ، وأن هذا اللقاء الفاتر ومادار فيه من نقاش قد ملأ قلب طه حسين ضيقا بسعد واعراضا عنه .

ولكن طه حسين فاته أن حزب الوفد كان الحزب الشعبىالوحيد فى مصر بعد الحرب الاولى مباشرة ، وأن أصحاب « المصالح الحقيقية » قد انشقوا من الوفد لانهم كانوا قانعين من الاستقلال بالاسم وليس بالجوهر ،وأنسعدزغلول كان ممثل الثوار الحقيقيين من أجل الاستقلال ، وأنه بهذه الصفة كان رمزا للامة ومصالحها الحقيقية وليس لمصالح الاقطاعيين .

واذا كان قد فات طه حسين كل هذا فى حياة سعد فانه لم يفته بعد وفاة سعد أن يصحح موقفه ، وأن يشق طريقه الى صفوف القاعدة الشعبية فى سهولة ويسر ، وأن يلعب دوره الرفيع فى ثبات مناضلا من أجل الديمقراطية والاستقلال،ومن أجل العدل الاجتماعى.

② طه حسين :

مؤرخ صدر الاسلام

د. محمود اسماعيل

تأتى قيمة طه حسين فى حياتنا الثقافية ليس فقط من كونه مفكرا مبرزا ضرب بسهم وافر فى اثراء ميدان الانسانيات بأعمال مبتكرة ودراسات موسوعة متنوعة المناحى بل تتجلى هذه القيمة باعتباره داعية للتنوير وصاحب رسالة تروم وضع حياتنا الثقافية برمتها على المسار الصحيح ومن هذه الزاوية نعتبره امتدادا طبيعيا ومنطقيا لرواد التنوير من أمثال الطهطاوى ومحمد عبده .

وبديهى ان تنصرف هموم رسل التنوير بالدرجة الاولى نحو هدم ركامات الابنية الفكرية التقليدية واشهار عجزها وافلاسها تمهيدا لبناء ركائز الفكر الجديد على اسس سليمة ، وهذه المرحلة الهامة هى التى اطلق عليها طه حسين مرحلة « هدم الهدم » ..

ومخطىء من يتصور سهولة تلك المهمة المحفوفة بالمخاطر ، وحسبنا ماآل اليه مصير اصحابها ابتداء بالطهطاوى من نفى وعزل واضطهاد ، ولم يسلم طه حسين نفسه من شرور تلك المخاطر ، فحياته سلسلة متصلة من المعارك التى جرت عليه مزيدا من المتاعب .

ان الفكر المتخلف الذى ران على حياتنا قرونا عديدة من الزمان ، والذى يستمد وجوده من قدسية زائفة اكتسبها بحق التاريخ ، ما كان محتكرو الوصاية عليه يسمحون لامثال طه حسين بالولوج فى رحابه للكشف عن حقيقته ، فسلاح الشلح والحرمان الذى طالما استخدمته الكنيسة فى العصور الوسطى لرواد الفكر الحر ظل مشهرا فى ايدى « الاكليروس » يستخدمونه سوط عذاب لكل من رام مخلصا كسر احتكار الفكر وتحريره من اسار الكهانة ..

كان طه حسين — بحق —«بروميثيوس» العصر الذى ناضل من اجل رسالة قوامها تبديد الفكر الغيبى ، وبعث الجوانب الوضاءة فى التراث العربى واحكام الصلة بينها وبين الفكر الليبرالى الغربى . لقد كان من اولئك النفر من المفكرين الهيومانيين الذين يؤمنون باستمرار روح الحضارة رغم تجوالها عبر الزمان والمكان. ومن ثم لم يجد تناقضا البتة بين الاصالة والمعاصرة ، فاليقظة الفكرية العربية لن تتأتى مالم « نتدارك ما نسينا من التراث القديم ... ونستدرك مافاتنا من العلم الحديث»[١] ، ولاغرو فالمنهج التاريخى فى نظره يقوم على اساس من الشك العلمى ، وهو قاسم مشترك بين القدماء والمحدثين على السواء ، « فالقدماء انفسهم وضعوا قواعد التعديل والتجريح والتصديق والتكذيب وترجيح ما يمكن ترجيحه واسقاط مايمكن اسقاطه ،والشك فيما يجب الشك فيه . فليس علينا بأس ان نسلك الطريق التى سلكوها ، وان نضيف الى القواعد التى عرفوها ما عرف المحدثون من القواعد الجديدة التى يستعينون بها على تحقيق النصوص وتحليلها وفقهها » [٢] ..

ولنا ان نتساءل كيف توصل طه حسين الى هذا المنهج الذى عالج به وفقه تاريخ صدر الاسلام ؟؟

نعتقد انه افاد من القدامى والمحدثين كذلك ، والذهن يتبادر الى **ابن خلدون** على الفور ، لكن الثابت ان ابن خلدون لم يظهر من فراغ ، وانما سبقته تجارب منهجية وضع اصولها حفنة من مؤرخى الاسلام مثل **الطبرى والبلاذرى والمسعودى** وغيرهم ممن اشاد بهم ابن خلدون فى مقدمته[٣] . وجدير بالذكر ان طه حسين قد اعتمد على اعمال اولئك المؤرخين فى تاريخه لصدر الاسلام دون تاريخ ابن خلدون المتأخر . ولا بد انه تأثر بمناهجهم فى قليل او كثير ، فمن الطبرى عرف الامانة العلمية **فى نسبة الروايات الى ذويها** ، وعن البلاذرى وقف على تحرى الصدق ونقد المصادر ، وعن البلاذرى ذكر طه حسين [٤] « البلاذرى يروى الخبر متحفظا متوخيا للصدق ما استطاع ، وهو كثيرا ما يروى بعض

[١] طه حسين : مرآة الاسلام ص ٣٠٨ .
[٢] الفتنة الكبرى ح١ ط٨ ص ١٧٢ .
[٣] مقدمة ابن خلدون ح ١ المكتبة التجارية . ص ٤
[٤] الفتنة الكبرى ح٢ ط٧ ص ٩١ ، ٩٢ .



الاحاديث ثم يعقب عليها بما يظهر الشك فيها » ..

اما المسعودى ، فقد عالج فى كتابه مروج الذهب الجغرافيا والملل والنحل **والنواحى الاقتصادية والاجتماعية** الى جانب التاريخ السياسى ، وهو امر انعكس على منهج طه حسين فى الافادة من دراسة المجتمع الاسلامى لتفسير وقائعه السياسية .

لكن مقدمة ابن خلدون فى فلسفة التاريخ تظل حجر الزاوية فى تاثيرها على رؤية طه حسين التاريخية ، ولا غرو فقد درسها عن كثب واعد رسالة جامعية حولها ، واكاد اجزم بان جل آراء طه حسين فى مناهج البحث مستقاة عن مقدمة ابن خلدون ، وهاك بعض اصولها ، يقول ابن خلدون [٥] « التاريخ لايزيد فى ظاهره عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول ..... وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ... » مشكلة التاريخ الاسلامى عنده « ان فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها .. وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الاثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها .... فالتحقيق قليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل .. » وعلاج المشكلة يكمن فى النقد الذاتى اعتمادا على حصافة المؤرخ الذى يعيش الاحداث على طبيعة المجتمع « ... فالناقد البصير قسطاس نفسه فى تزييفهم فيما ينقلون .. فللعمران طبائع فى احواله ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والاثار .. » .

فالعملية التاريخية عند ابن خلدون — كما هى عند طه حسين — تتضمن مرحلتين : الاولى هى التحقيق وذلك بأعمال العقل فى الروايات التاريخية ولفظ مالا يستقيم منها والمنطق ، تلى ذلك مرحلة التفسير وهى البحث فى الاسباب والعلل التى تقفوراء الظاهرة التاريخية، والمعيار هنا دراسة الخلفية الاجتماعية التى تعكس الحدث التاريخى .

هذا عن الاصول الاسلامية التى استقى منها طه حسين منهجه فى البحث التاريخى ، فماذا عن المؤثرات الاجنبية؟؟

لاشك انه افاد من الفكر الاوروبى الحديث باعترافه ، والدارسون يجمعون على تأثره بديكارت على وجه الخصوص، حتى لقد زعم البعض [٦] «ان منهجطه حسين — بلا حرج — هو المنهج الديكارتى على وجه اليقين » .. وربما كان الصواب فيما ذهب اليه البعض الاخر من ان[٧] « تأثر طه حسين بديكارت لم يتجاوز حد اصطناع منهج يزيل كثيرا من الاوهام، فلم يكن الشك الديكارتى عنده غير جانب من منهجه العملى » ..

ومهما كان الامر ، فالثابت انه درس فلسفة ديكارت ، ووجد الشك الديكارتى الفلسف استجابة من **نفس شاكة قلقة** بطبيعتها ، فنعلم من « ايام » طه حسين مدى برمه منذ وقت مبكر بسقم مناهج العلوم الازهرية وتشكيكه فى استقامتها . وعلى ذلك ، فالى ديكارت يعزى الفضل فى بلورة تلك الوساوس والشكوك الفطرية والمكتسبةعلى اساسمن الفلسفةوالعلم ، وسنرى فيما بعد كيف ان آراء طه حسين فى هذا الصدد صدى لمذهب الشك الديكارتى حيث يقول صاحبه [٨] « ..ان عقلنا مشحون بأحكام الفناها فى عهد الطفولة او قبلناها من المعلمين قبل تمام النضج والرشد . واذا نظرنا فى العلوم الفيناها تكونت وتضخمت شيئا فشيئا بتعاون رجال مختلفين ، فجاءت كالثوب الملفق او البناء المرمم ، فاذا اردنا ان نقرر شيئا مختلفا فى العلوم كان من الضرورى ان نشرع فى العمل من جديد، فنطرح كل مادخل عقلنا من معارف ونشك فى جميع طرق العلم واساليبه ، مثلنا مثل البناء يرفع الانقاض ويحفر الارض حتى يصل الى الصخر الذى يقيم عليه بناءه الاساسى الذى نريد الوصول اليه وهو العقل مجردا خالصا » .

واذ افاد طه حسين من ديكارت فى مرحلة التحقيق ، فقد افاد من ماركس ودور كايم وفرويد فى مرحلة التفسير ، ويخيل الى انه مزج بينهم جميعا ، فقد افسح مجالا لاهمية العامل الاقتصادى فى حركة التاريخ وخاصة فى كتابه عن الفتنة الكبرى ، كما ابرز دور العامل النفسى فى تكوين الشخصيات التى اسهمت فى تشكيل الاحداث ، ومزج بين العاملين معا فى عملية تأثر وتأثير متبادل مسترشدا بفلسفة دور كايم التى ترىفى الظاهرة الاجتماعيةنتاجا لوجدان اجتماعى متمايز من الوجدانات الفردية واعلى منها [٩] . ولعل هذا الخلط والمزج مما قد يؤخذ عليه ، ولعله ايضا كان سببا فى اختلاف الدارسين حول كنه نظرته التاريخية ، [١٠] فالبعض وجد فى كتاباته « استهلالا للنظر الى وقائع التاريخ الاسلامى من زاويةالمادية التاريخية او التفسير المادى للتاريخ ، استهلالا متأنيا متمهلا على استحياء » . والبعض الاخر [١١] رأى فيه مؤرخا « يجمع بين العوامل المختلفة الذاتية والخارجية » فى تفسير التاريخ . **ومهما كان الامر ، فالذى لاشك فيه ان طه حسين يعد أول مؤرخ عربى يقيم وزنا للعامل الاقتصادى الاجتماعى فى تفسير غوامض التاريخ الاسلامى ، وان كان** بعض المستشرقين قد سبقوه فى هذا السبيل [١٢] ، ولعله تأثر بكاتباتى

[٥] سعد زغلول عبد الحميد : تاريخالمغرب العربى ط١ . ص١٨ من المقدمة
[٦] كتاب طه حسين — دار الهلال—مقال بعنوان المنهج الفكرى عند طهحسين لكامل زهيرى ص ١٤٤ .
[٧] المصدر نفسه .مقال محمود أمينالعالم بعنوان طه حسين مفكراص ١٢٨ — ١٢٩ .
[٨] يوسف كرم : تاريخ الفلسفةالحديثة — دار المعارف .ط٤.ص ٦٥ ،٦٦ .
[٩] المصدر نفسه ص ٤٣٣ .
[١٠] انظر : فتحى عثمان : التاريخالاسلامى والمذهب المادى فى التفسيرط الكويت . ص ٧ .
[١١] محمود العالم : طه حسينمفكرا — ص ١٢٧ .
[١٢] Lewis. B; Some observations on the significance of hersey in the history of Islam, StudiaIslamica, 1, p, 46.

الايطالى بالذات برغم اختلاف كل منهما فى الاسس والتقديرات التى اعتمد عليها [١٣] .

تلك اذن هى المناهل الاساسية التى استقى منها طه حسين منهجه فى دراسة التاريخ : فالى اى مدى نجح فى تطبيق هذا المنهج وهو يعالج تاريخ صدر الاسلام ؟؟

الف طه حسين عدة مصنفات غطت البعثة النبوية وعصر الراشدين : هى :

[١] على هامش السيرة (٣ اجزاء)
[٢] الوعد الحق (جزء)
[٣] الشيخان (جزء)
[٤] الفتنة الكبرى (جزآن)
[٥] مرآة الاسلام (جزء)

ويلاحظ انه لم ينهج نهج المؤرخين الاكاديميين فى تناول الموضوع من حيث تقسيمه الى ابواب وفصول ، كما لم يفرد حواشى يثبت فيها مراجعه ، انما عول على تقديم صور متتالية متتابعة تكون فى مجموعها صورة عامة للعصر على اساس انتقاء الروايات التى لا يشك فى صحتها دون أن يشغل باله طويلا بايراد الروايات المغايرة . وهذا النهج احتذاه مؤرخ معاصر له هو المرحوم الاستاذ **عبد الحميد العبادى** . حقيقة أن هذا الاسلوب فى المعالجة قد لايرضى الاكاديميين فلا يعتبرونه تاريخا بالمعيار التقليدى ، لكنه فى رأينا عظيم الخطورة من زاويتين :

الاولى تقديم صورة واضحة لمسار حركة التاريخ الاسلامى مصفاة من اكداس الغيبيات والخوارق والكرامات والمعجزات والاساطير التى تراكمت بمرور الزمن لطمست معالم الحقيقة طمسا يكاد يكون تاما .

والثانية الهدف التنويرى التعليمى الذى اخذه المؤلف على عاتقه وكرس له — هو وبعض زملائه من امثال الاستاذين عبد الحميد العبادى واحمد امين [١٤] — جهوده فى تغطية سريعة وملحة للتاريخ الاسلامى بعد اعادة تقييم ومراجعة .

ويتجلى الهدف التنويرى بوضوح فى كتابه « على هامش السيرة » الذى لايعد تاريخا بأى حال من الاحوال ، بل مجرد « صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين لانى لم ارد بها الى العلم ولم اقصد بها الى التاريخ » حسب قوله [١٥]

وانى اتشكك فى الهدف الذى يسوقه طه حسين ويعلن عنه صراحه فى المقدمة بأنه « يقدمها الى القلب والشعور على انها مثيرة لعواطف الخير صارفة عن بواعث الشر معينة على انفاق الوقت واحتمال اثقال الحياة وتكاليف العقل .. » [١٦] فالهدف فى ظنى اكبر من ذلك واخطر ، واكاد اجزم انه قصد اظهار عقم واشهار افلاس الروايات التقليدية المتواترة عن اعظم حادث فى التاريخ الاسلامى — وهو البعثة النبوية — بما انطوت عليه من خرافات وغيبيات عمد المؤلف الى ذكرها كما وردت عند الطبرى وابن سعد وابن هشام وغيرهم . فليس معقولا أن ينزلق مفكر عقلانى فذ كطه حسين الى سوق « مجموعة من الاخبار والاحاديث التى لايسيغها العقل ولا يرضاها » [١٧] جزافا ، او لمجرد العبرة والموعظة الحسنة كما يذهب احد تلامذته [١٨] . وليس معقولا ايضا ما خرج به البعض [١٩] من تفسير مؤداه تشكيك طه حسين فى قيمة العقل كمصدر للمعرفة .. انما المؤكد ان طه حسين بهذا العمل استهل بداية ذكية لمرحلة فكرية نضالية ضد الخرافة والتقليد وسيلته فيها عرض بضاعة الخرافة والتقليد عرضا « كاريكاتوريا » دون تعليق لتكشف عن نفسها بنفسها .

ومما يزيدنى اصرارا على هذا الزعم ان طه حسين لم يشأ تجريح تلك الروايات صراحة — ولم يكن بوسعه ان يفعل ذلك — من باب « التقية » ، ولو اقدم على ذلك لجر على نفسه نقمة قد لاتحمد عقباها .

وهذا يفسر احجامه — فى مرحلة تالية عن نقد مثل تلك الرايات صراحة حين عرض للبعثة النبوية فى كتابه « **مرآة الاسلام** » ، لكنه — وبذكاء شديد ايضا — المح الى سخفها وزيفها ، فطالما كانت الاخبار تتفق ومنطق العقل ، كان يمضى فى عرض الاحداث دون اشارة الى مصادرها ، اما تلك التى كان يتشكك فى صحتها ، فقد اوردها مسبوقة بعبارة « حدث اصحاب الاخبار ، او قال الرواة ، او ويحدث رواة السيرة .. الخ » [٢٠] .

فاذا ماانتهى من عرض سيرة الرسول عاودته الجرأة على نقد الاخبار صراحة [٢١] **ودون تحرج .** وسمة النقد والتجريح تكشف عن وجهها سافرة فى كتابى « **الشيخان** » و « **الفتنة الكبرى** » ، لقد خرج مؤرخنا مظفرا من بعض معاركه مع « المعممين » ، ووجدت آراؤه آذانا صاغية لافى مصر وحدها بل فى العالم العربى كذلك . ومن هنا واتته الفرصة ليعلن ما ابطن فى مؤلفاته السابقة ، وحسبنا قوله [٢٢] « ان نظام الحكم ايام النبى لم يكن ثيوقراطية مقدسة ، وانما كان امرا من امور الناس يقع فيه الخطأ والصواب ويتاح للناس ان يعرفوا منه وان ينكروا وان يرضوا منه ويسخطوا عليه » . وبالتالى لم يجد غضاضة فى نقد شخوص الخلفاء بغض النظر عن مكانتهم فى نفوس المسلمين —

---

[١٣] جورجيوديلافيدا : طه حسين المؤرخ . مقال بكتاب دار الهلال عن طه حسين ص ١٠٢ .
[١٤] أنظر : مقدمة طه حسين لكتاب فجر الاسلام لاحمد امين ط ١ ص ل .
[١٥] على هامش السيرة حـ١ . دار المعارف ص هـ .
[١٦] المصدر نفسه ص ك .
[١٧] المصدر نفسه ص ى .
[١٨] انظر : ابراهيم الابيارى : طه حسين المؤرخ الاسلامى . مقال بكتاب دار الهلال سالف الذكر ص ٩٠ .
[١٩] انظر : محمود العالم : طه حسين مفكرا ص ١٢٩ .
[٢٠] انظر على سبيل المثال لا الحصر: مرآة الاسلام ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٥ .
[٢١] المصدر نفسه ص ٥١ .
[٢٢] الفتنة الكبرى جـ ١ ص ٢٧ .



وكانت حجته فى ذلك ان « الاحداث التى حدثت والنتائج التى ترتبت عليها كانت اكبر واوسع واضخم من الاشخاص الذين شاركوا فيها من قريب او بعيد [٢٣] ». وفى جراة وجسارة نعى على المؤرخين القدامى والمحدثين تواطؤهم على الكذب وانقسامهم مابين مبرر لاعمال الصحابة على علاتها ، او ملق بالتبعة على عناصر رامت بالاسلام كيدا كعبد الله بن سبأ ومن لف لفه . وفى صراحة كاملة يعلن ان منهجه مغاير لهؤلاء واولئك «واننا لانستطيع ان نذهب هذا المذهب او ذاك ، فنحن لانهب الكسل ولا نطمئن الى الراحة . ولا نغلو فى تقديس الناس الى هذا الحد البعيد ، ولا نرى فى اصحاب النبى مالم يكونوا يرون فى انفسهم ، فهم كانوا يرون انهم بشر يتعرضون لما يتعرض له غيرهم من الخطايا والاثام » ٢٤] .

قصارى القول ان طه حسين فى معالجة عصر الراشدين « نظر الى القضية نظرة خالصة مجردة ، لاتصدر من عاطفة ولا هوى ، ولا تتأثر بالايمان ولا بالدين ، وانما هى نظرة المؤرخ الذى يجرد نفسه تجريدا كاملا من النزعات والعواطف والاهواء ، مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها » | ٢٥ | .

وبهذا المنهج طفر بأصول البحث فى التاريخ الاسلامى طفرة هائلة اذ خرج به من نطاق القدسيات والمحظورات والحرمات الى موضوع يخضع البحث والتحليل خضوع المادة لعلم الكيمياء . وبذلك حرر التاريخ الاسلامى من كثير من الاوهام والخرافات التى علقت به وقطع فيها برأى صريح [٢٦] . وفى رأيه ان تلك الاوهام نسجت نتيجة ظهور الفرق الاسلامية وتناصرها وانتحال كل منها الاحاديث النبوية والمأثورات لتبرر صدق موقفها من ناحية وتكفر ماعداها من ناحية اخرى . كما ان بعضها كان نتيجة السخائم والخلافات القبلية ـ ، فأطلق القصاص والاخباريون العنان لخيالهم يشيدون بمآثر قبائلهم ويندون بماعداها. يضاف الى ذلك فساد الذمم والخلق مما جعل الاخباريين يزيفون الحقائق مقابل الاموال والرشاوى [٢٧] . ناهيك عن الشعوبية وما جرته من صراع عنصرى انعكس على تدوين التاريخ الذى تم فى وقت متأخر وما نجم عن ذلك من اخطاء وتحريفات نتيجة ضعف الذاكرة [٢٨] .

استطاع طه حسين ــ وقد وقف على موطن الداء ــ ان يقدم صورة محققة لتاريخ صدر الاسلام قوامها الروايات المستقيمة مع المنطق والعقل بعد ان نحى عنها تلك التى لاتستقيم ، وهذا الدور المجيد فى غربلة تاريخ صدر الاسلام تميز بأن يخلده بين مؤرخى الاسلام قاطبة . ومن يطالع مؤلفاته يستطيع دون لاى ان يقف على اهمية هذا الجهد الذى بذله المحقق الاعظم ، وحسبه ان صفحة واحد من كتبه لاتخلو من اثر لهذا الجهد، يشهد على ذلك تلك العبارات الشائعة مثل « ومن المحقق . .والحقيقة ان .. وليس بد من ان نبين وجه الحق ... وواضح مافى هذا من الكذب .. وهذا وهم .. الخ » .

تأتى بعد ذلك قضية التفسير ، ومن الانصاف ان نذكر ان احدا من مؤرخى الاسلام ــ قبل طه حسين ــ لم يلج هذا الميدان ، فالنظريات المعروفة فى تفسير التاريخ من محصلات العلم الحديث، وابن خالدون نفسه الذى انطوت مقدمته على مبادىء فى التفسير المادى والبيولوجى نبحث عن اصداء لها فى تاريخه فلا نجد لها اثرا .

ومن هنا وجب ان نأخذ تلك الحقيقة فى الاعتبار ونحن نقيم اعمال طه حسين فيما يتعلق بصدر الاسلام . كان احرى بالرجل ان يقدم كتابا يعالج فيه ماسبق ان حققه وفق نظرة شمولية عامة Macrostudy تفسر تاريخ تلك الفترة .

واذا كان بعض [٢٩] تلاميذه يرون فى كتابه « مرآة الاسلام » تحقيقا لهذه الغاية « حيث طوى فيه المؤرخ تلك الحقب .. ليجعل منه ظلا على هذا كله » ؛ فنحن نرى فى الكتاب رأيا آخر. لم يكن اكثر من عرض تاريخى او سرد للاحداث لا يرقى الى منزلة كتابيه عن الشيخين والفتنة الكبرى حيث تتضح رؤية الكاتب ويستقيم منهجه . بل طوى فيه عجالة سريعة لاهم معالم التاريخ الاسلامى حتى الوقت الحاضر لاتشفى غليلا . وما ورد فيه من معلومات عن صدر الاسلام لم يحقق غاية المؤلف فى تقديم « مرآة صادقة للعصر والبيئة الذين عاش فيها النبى واصحابه » [٣٠]

واجتهادات طه حسين فى مجال التفسير ــ كما يتضح فى مرآة الاسلام ــ يغلب عليها الطابع المثالى ، وتفسير ذلك ــ فيما نرجح ــ اعتماده على القصص القرآنى كمصدر اساسى استمد منه معلوماته عن العصر الجاهلى والبعثة النبوية ، وقد اثر ذلك على منهجه تأثيرا واضحا حين صنف القوى المناوئة للدعوة نفس التصنيف القرآنى ، فعرض لليهود والنصارى والكفار والمشركين والمنافقين بمعزل عن البنية الاجتماعية . وبديهى انه حول التاريخ ــ بهذه الطريقة ــ من موضوع انسانى يخضع للبحث الى عمل سماوى من صنع الله ، وبالتالى فسر الاحداث والوقائع بعلتها الاولى ، تأمل قوله [٣١] « ونظرة سريعة الى مابدأ الاسلام عليه فى مكة ، وما انتهى اليه فى المدينة فى هذا الوقت القصير،

[٢٣] المصدر نفسه ص ٤٠ .
[٢٤] المصدر نفسه ص ١٧١ .
[٢٥] المصدر نفسه ص ٥٤٤ .
[٢٦] الفتنة الكبرى ج٢ ص٩١ .
٢٧] المصدر نفسه ص٩٢ ، ٩٣ .
[٢٨] طه حسين : الشيخان ج٤ ص٣٤، ٣٥ .
[٢٩] ابراهيم الابيارى : طه حسين المؤرخ الاسلامى ص ٩٣ ، ٩٤ .
[٣٠] مرآة الاسلام ص ١١٥ .
[٣١] مرآة الاسلام ص ١٢١ .

تبين فى جلاء ان قوة عليا ارادت لهذا الدين ان يقوى وينتشر » . بديهى والامر كذلك ان يعترف بقوى الغيب فى حسم قضايا الصراع ، كالطير الابابيل والصواعق ، والملائكة ... الخ [٣٢]، وفى احيان اخرى عزى تحولات تاريخية هائلة الى مواقف شخصية بحتة [٣٣]. ثم يعود نيغمط الاشخاص دورهم وينسبه الى الله سبحانه وتعالى ، فالاسلام عقب وفاة الرسول كاد ان يندثر « لولا ان الله عز وجل هو الذى نزل الذكر وانه حافظ له ... » [٣٤] .

ومع ذلك لم يعدم كتاب « مرآة الاسلام » وجود تفسيرات علمية مقنعة، من ذلك الربط بين حرص قريش على وثنيتها وبين مصالحها الاقتصادية [٣٥]، ودراسة القوى الاجتماعية فى الحجاز كركيزة لفهم تاريخ الدعوة الاسلامية[٣٦]

وهذا فى الواقع يثير قضية التفسير الاجتماعى عند طه حسين المؤرخ ، ذلك النوع من التفسير الذى اسهم فيهبنصيب الرائد ، فرغم ولوعه بالكلاسيكيات وما تنطوى عليه من اظهار دور الفردالبطل فى التاريخ لم يحفل طه حسين بهذا الدور الا فى اطار محدود ، انما كان اقرب الى مدرسة التفسير الاجتماعى . وليس معنى ذلك انه اخذ بالمادية التاريخية على طول الخط رغم ايمانه « بالحتمية » و « الضرورة » و « جدلية العلاقة بين الابنية التحتية والفوقية » فى صياغة الواقع الاجتماعى . **فنظرته الى التاريخ الاسلامى اقرب الى « الهيجلية » منها الى المادية التاريخية .** وحسبنا قوله [٣٧] « ان التطور العربى كان معنويا نشأ من تغيير النفس العربية بتأثير الاسلام ، فكأنه كان تطورا من داخل الى خارج ، تغيرت النفس العربية فتغيرت الحياة المادية للعرب » . وعكسه لقانون الجدل على هذه الصورة لم ينقص من قدره كرائد للتفسير الاجتماعى، فقد اعترفبقانون صراع القوى الاجتماعية كدعامة للعملية التاريخية ، غير ان هذه القوى — فى نظره — تتشكل حينا على اساساثنوجرافى ، وحيناآخرعلىاساس طبقى ، وفى كلا الحالين تتصارع ومن خلال الصراع تتم حركة التاريخ .مصداق ذلك انه نظر الى الصراع بين الرسول وقريش نظرة اجتماعية « فقد فرضعليها نوعا من العدل لايلائم منافع سادتها وكبرائها [٣٨] . كما فسر حركة الردة عن الاسلام من خلال الصراع التقليدى بين قحطان وعدنان [٣٩] . وجمع بين النظرتين معا — الطبقية والاثنوجرافية — فى تعليل الفتنة الكبرى ، فاعتبرهانتيجة طبيعية للتطور الاقتصادى والاجتماعى فى العالم الاسلامى بعد حركة الفتوح الكبرى ، فأبرز دور الموالى — المسلمين من غير العرب — فى احداث العصر جنبا الى جنب [٤٠] تكوين طبقة ارستقراطية ثيوقراطية عربية اقتنت الضياع الواسعة وتطلعت الى الصدارة السياسة [٤١] **وانتهى الى حقيقة غاية فى الاهمية ، وهى ان ظهور الرأسمالية العقارية اودت بنظام الخلافة الاسلامية ،** بنفس الدرجة التى اسهمت فيها « اللاتيفونديا » — الضياع الواسعة» فى القضاء علىالجمهورية الرومانية [٤٢] . بل انه احيانا يستخدم مصطلحات علم الاجتماع الماركسى مثل « استغلال الطبقة العاملة » [٤٣] فى دراسته للتاريخ الاسلامى ، الامر الذى يؤكد افادته من المادية التاريخية فى تفسير تاريخ صدر الاسلام بما لايدع للشك سبيلا . **وحسبه فى نهاية الامر انه كان — حسب قوله — أول مؤرخ اسلامى يفطن الى خطورة العامل الاقتصادىفى الحياةالسياسية للمسلمين، اكثر من هذا اعتباره عاملا له الاسبقية والصدارة على العوامل الاخرى ،** يقول فى هذا الصدد موضحا تكامل العوامل المحركة للتاريخ الاسلامى « .. ظروف الحياة الاجتماعية اولا وظروف الحياة السياسية ثانيا ، وظروف الملاءمة بين اصول الدين وحقائقه وبين طبيعة الحضارة التى اضطر المسلمون الى لقائها وممارستها فى آخر الامر » .

الخلاصة ان طه حسين المؤرخبمنهجه ورؤيته للتاريخ الاسلامى كان له فضل السبق والريادة فى وضع هذا التاريخ على الطريق القويم ، ومهد بذلك الطريق « لعلمنة » هذا الفرع من الدراسات الانسانية الذى ظل لقرون طويلة حبيس سحب كثيفة من الخرافات والاساطير .

واذا كان طه حسين قد خلف فى حياتنا الفكرية مدارس فى شتى نواحى المعرفة التى ارتادها ، فان امتداده فى حقل الدراسات التاريخية الاسلامية يتمثل فى نفر من الدارسين تلقفوا المشعل وساروا على نفس الدرب ، لعل منهم عبدالرحمن الشرقاوى واحمد عباسصالح وكاتب هذا المقال . حقا ان طه حسين « **عقل موزع فى كل العقول** » «٤٤»

[٣٢] المصدر نفسه ص ٣٢ .
[٣٣] المصدر نفسه ص ١٣٢ .
[٣٤] المصدر نفسه ص ١٣٤ .
[٣٥] المصدر نفسه ص ١٦ .
[٣٦] المصدر نفسه ص ١٨ ، ١٩.
[٣٧] الفتنة الكبرى ج ١ ص ٣٠ .
[٣٨] الفتنة الكبرى ج ١ ص ١١ .
[٣٩] الشيخان ص ١٤ .
[٤٠] المصدر نفسه ص ١٢ .
[٤١] الفتنة الكبرى ج١ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
[٤٢] المصدر نفسه ص ١٠٩ .
[٤٣] المصدر نفسه ص ١٩٥ .
[٤٤] انظر : مقالا بهذا العنوانللشاعرعبد المعطى حجازى بمجلة روزاليوسفعدد ٢٣٦٩ .



٣ طه حسين :

مدخل الى دراسة فكره الأدبى

د· عبد المنعم تليمة

يلخص تراث طه حسين — بجوانبه الفكرية والادبية والفنية والاجتماعية والتربوية والتاريخية — الحس الراقى العميق لرجل النهضة . ولست هنا بحيث اقف عند هذه الجوانب كلها ، فهذا امر لاتقدر عليه الا مجموعة من العلماء والباحثين ، تخطط لعملها ، وتنسيق فيما بينها ، انما اقف عند الفكر الادبى فى تراث المعلم العظيم ، وحتى فى هذه الزاوية ، فاننى اقوم فحسب بمحاولة لدرس هذا الجانب من ذلك التراث الكبير . وعلى الرغم من هذا الاحتراز ، فان الدارس للفكر الادبى فى تراث طه حسين مضطر الى ان يقترب من النهج العام لهذا التراث ، وذلك لامرين : اولهما ان الفكر الادبى وجه من وجوه «الفلسفة العامة» السائدة فى المجتمع ، او جزء من الروح العام فى المجتمع ، وعنصر من عناصر البناء الثقافى فى هذا المجتمع ، ولقد كان لتراث طه حسين — كما ذكرت — الدور البارز فى تلخيص هذا الروح العام ، ولذا فان فكره الادبى لايمكن التعرف عليه الا مرتبطا بهذه الفلسفة العامة او الروح العام . ثانيهما أن النهضة احياء وانشاء احياء لقديم ، وانشاء لجديد . والمهمة الاولى لرجال النهضات ان يعيدوا بناء التاريخ الثقافى لمجتمعاتهم ، محددين للملامح العامة لتجربة امتهم روحيا وفنيا وفكريا ونهجا حضاريا ، وان يؤسسوا على هذا البناء جديدا يرون انسجامه وحقائق هذا البناء . ولقد كان طه حسين واحدا من ابرز هؤلاء الرجال فى تاريخنا الثقافى الحديث .

ان حركة البناء الثقافى لشعب من الشعوب ، وهى تتجه نحو النهوض — اى نحو الاحياء والانشاء ومشاركة المجموعات التاريخية الاخرى المعاصرة انما تستند على مستوى التطور التاريخى والاجتماعى لهذا الشعب . ذلك لان اعادة بناء التاريخ الثقافى للشعب ، وتحديثه ، يتحددان وفق المواقع الطبقية للبناة ، من مفكرين ومبدعين وعلماء . ان حاجات التجديد وآفاقه يتحكمان فى تفسير التراث ويحددان نهج احيائه . وعلى الرغم من وحدة التاريخ الثقافى للشعب ، فان النظر الى هذا التاريخ ، فى كل مرحلة من مراحل بنائه وتحديثه ، ينهض على حاجات التجديد لدى كل طبقة ، وعلى وجهتها فى تفسير التاريخ والمجتمع والثقافة ، لذا فان كل طبقة من طبقات الشعب تفسر التاريخ الثقافى للامة — وتاريخها عامة — بفلسفتها ، ومن ثم فان التراث — من حيث مفهومه وتحديد عناصره ونهج احيائه — انما يرتبط بحركة كل طبقة ومطالبها ونظريتها الاجتماعية والفلسفية . وعلى هذا فان الحاضر هو الذى « يخلق » الماضى ، أن صحت هذه العبارة ، او ان الحاضر هو الذى يفسر الماضى ، وليس العكس . ان الوجهة فى التجديد هى التى تحدد الوجهة فى التعامل مع التراث . ونستطيع ان نتبين هذا الامر من مسار النهضة الفكرية العربية الحديثة فى القرنين الماضى والحالى كما نستطيع التمييز فى هذا المسار بين مراحل ثلاثة عامة : كانت المرحلة الاولى فى ظل سيادة العلاقات الاقطاعية التقليدية وفى بدء علاقات بورجوازية راسمالية ضعيفة . ولقد تحكم فى هذه المرحلة نزوع احيائى سلفى حازم ، كان وجهه الادبى والفنى الكلاسيكية الجديدة او المحدثة ، وكان مثله الفكرى بعامة « النقل »والسير على السنن القديمة ، كما كان مثله الفنى الاعلى احتذاء النماذج الفنية الموروثة . وكانت المرحلة الثانية فى ظل نضج العلاقات الراسمالية والطبقة البورجوازية . وتحكم فى هذه المرحلة نزوع تجديدى ليبرالى ، كان وجهه الادبى والفنى الرومانسية ، وكان مثله الفكرى بعامة « النقد »والكشف عن الجوانب العقلانية والكشف عن الشخصيات « المتحررة » ، كما كان مثله الفنى العلى « تحديل » التقاليد والقوالب الموروثة والكشف عن الشخصيات الفنية « المتفردة » فى ذلك المورث . والمرحلة الثالثة تنزع علميا — وتستند اجتماعيا على النضال فى سبيل علاقات اشتراكية الى تجاوز الموقف النقدى الى رؤية « للتحديث » اساسها الثورة الاجتماعية ، والى بناء التاريخ الثقافى القومى على التقويم ، و « قطع » الجوانب المتخلفة والغيبية — بعد تقويمها وبيان ملابساتها وموقعها فى سياق ذلك البناء — وعلى «وصل» الجوانب الديمقراطية والشعبية والعلمية والعقلانية والتجريبية فى هذا التاريخ ، وعلى محاولة وضع هذا البناء الثقافى موضعه من السياق التاريخى والحضارى الانسانى . لقد تحدد التراث فى ظل العلاقات الاقطاعية التقليدية ، بالجانب الدينى منه ، وتحدد التعامل معه بالنقل والاحتذاء ، وظهر — فى هذا التعامل — منحى عقلانى اولى ، لكنه استقر فى ذلك العلم الدينى غالبا . وتحدد التراث فى ظل العلاقات البورجوازية الحديثة بالجانبين الفكرى والادبى بصورة عامة ، وكان التعامل مع هذين الجانبين نقديا عقلانيا بصورة عامة . وتجعل النظرة العلمية تراث الامة كل ، مسقط الى وعيها الحاضر من كل تجربتها التاريخية ، وتوسع من

مفهومه لتبرز كل جوانبه الديمقراطية والعلمية والفكرية والفنية والتجريبية ، اى انها — أى هذه النظرة العلمية — تجعل مفهومه محددا بدواعى تجديده وتتعامل هذه النظرة مع التاريخ الثقافى تعاملا جادا ، اذ ترى ان العمل القومى المثمر بالنسبة للتراث الوطنى والقومى هو جمعه وتصنيفه منهجيا ثم درسه وتقويمه علميا ، على ان تنهض المؤسسات والاجهزة الرسمية بهمة الجمع والتصنيف وفق خطة قومية عامة مدروسة ، وان تنهض الجامعات والمجامع والمراكز العلمية والفنية بمهمة الدرس والتقويم . وتعقد هذه النظرة الاصرة الحقة بين التاريخ الثقافى للشعب والتاريخ الثقافى للشعوب الاخرى فترى انه اذا كان تراث الامة وعاء حافظا لخبرتها فى التاريخ ، فان هذه الامة — كمجموعة من البشر صاغتها ظروف تاريخية محددة — ليست مقطوعة الصلات فى كل مراحل حياتها بغيرها من الامم او المجموعات التاريخية الاخرى . ان مبدأ التأثير والتاثر مقر الا عند غلاة « التراثيين » . ويفيد هذا المبدأ فى تقرير حقيقة وهى ان التراث الخاص بأمة معينة هو نتاج تطورها الذاتى من ناحية ، وتلاحمها بغيرها من الامم من ناحية اخرى ، وان ثمار التلاحم بين ثقافات الامم هو تمثيل دال على خبرة البشر على هذه الارض : هو تراث الانسان أن تراث المة هو وعاؤها الحافظ لسماتها الذاتية ، وهو فى ذات الوقت جزء من كل هو بعض من التجربة البشرية العامة . أن بناء التاريخ الثقافى للشعب يظل جزئيا وناقصا ومحليا — وربما عنصريا — طالما ظل محدودا بالافاق السلفية التقليدية ، والمناهج البورجوازية الليبرالية ، ولا يكتمل ولا يكتسب طابعه الانسانى الا بمنهج بناء علمى ثورى .

ولقد كان طه حسين اماما غير مدافع للفكر البورجوازى العربى الحديث ومن ثم فهو ابرز بناة تاريخنا الثقافى الوطنى والقومى من وجهة البورجوازية ونهجها فى التفكير والابداع ، وفلسفتها فى التاريخ والانسان والمجتمع . وقد امتد به العمر فعاصر مراحل النهضة الفكرية العربية بمراحلها الثلاث ، لكنه كان علما على المرحلة الثانية التجديدية : وهى المرحلة التى سادت — بصورة غالبة مابين الحربين العالميتين . لقد قاد طه حسين المجددين فى معاركهم الاحيائيين كما كانت له مواقفه مع العلميين . ومن يقف عند فكره الادبى — وهو قطعة هامة فى تراثه — ينتهى الى تصور للفكر الادبى العربى الحدث عامة .

أولا — الاحياء

الاحياء — بناء التاريخ الثقافى على محض النقل والاحتذاء — موقف كلاسيكى يستند الى تخلف اقتصادى واجتماعى ، تسود فيه علاقات اجتماعية اقطاعية وشبه اقطاعية ، وبدايات مبكرة لعلاقات بورجوازية . ولقد نهضت فى العالم العربى — فى النصف الثانى من القرن الماضى واوائل هذا القرن العشرين — حركة احيائية قوية ، توجهت الى اعادة بناء التاريخ الثقافى العربى ، على الجانب الدينى من التراث ، بل وضيقت هذا الجانب فوقفت منه عند الفقهاء واصحاب علم الاصول ، ومجتهدى أهل السنة عامة والمتشددة منهم خاصة ، فكان ابن تيمية واضرابه أثيرين لديها ، وكادت تنكر المتكلمة والمتفلسفة . وعلى الرغم من ان هذه الحركة قد توجهت اساسا الى الجانب الدينى من التراث ، الا انها صرفت جهدا فى الجانب الادبى منه ، وان كانت قد حملته على الجانبين الدينى واللغوى غالبا ولائمة الاحياء فكر ادبى يطلب النثر « الفنى » الجميل والشعر « المطبوع » . ويحتفظ ازاء الانواع الادبية المستحدثة . وفكرهم الادبى لا يبتعد فى مجمله عن التراث البلاغى والنقدى القديم . فهم — كما يسود عمل اسلافهم الاقدمين غالبا — يفتشون عن عناصر العمل الشعرى ، ولا يبعد نظرهم الى طبيعته . اى انهم يرصدون العناصر اللغوية والعروضية والبلاغية فى العمل ويعدونها ، ويفصلون القول فيها ، دون البحث فى « ماهية » الشعر بحثا نظريا . ويركز هذا التعامل على اللغة من حيث الصحة والسلامة ، ويتحرج من « تحضر » هذه اللغة وينص على التثقيف الواعى بالمأثور ، ويوصى بحفظ النماذج الممتازة من الشعر القديم وبدراستها والوقوف على منازعها واساليبها فالشعر — هنا — ضرب من الكلام مؤسس على التثقيف الاحتذاء الذكى للقديم ، وهو — اى الشعر — صناعة لها ادواتها الخاصة ، وللناقد دور توجيهى عملى للانتاج الشعرى ، اذ لابد لكل صناعة من قواعد يقوم عليها الحذاق والعلماء ، وهذه القواعد مجموعة اساسا من العناصر الشكلية المشتركة لشعر الفحول السابقين وهكذا غلب على النظرات النقدية عند ائمة الاحياء التطبيق الجزئى ، والعناية بحصر التقاليد الفنية من الموروث القديم ، وضبطها وتقنينها ووضعها بين ايدى الشعراء لتكون لهم هاديا فى « صناعتهم » وكان كثير من النقاد الحيائيين على وعى بمهمتهم التوجيهية العملية ازاء الشعر والشعراء . وتوجه فريق من الاحيائيين — خاصة فى الشام والعراق ومصر — وجهة جليلة فى خدمة التراث واذاعته محققا . وعرفت من هذا الفريق قلة صابرة مجاهدة توفرت على جمع ماتشتت من امهات الكتب ودواوين الشعراء ، وعلى تحقيقه ونشره نشرا دقيقا ، وتحلت هذه القلة بالمقدرة والعلم والغيرة والمثابرة والمعرفة الواسعة بالمطبوع والمخطوط ، كما اخذت نفسها بشدة التحرى والتمحيص والضبط ، ودلت اعمالها على علم بتحقيق الاسانيد ، وبمواضع الصحة ، ومواضع التلفيق فى الاخبار والروايات ، وعلى خبرة بفهم النصوص وبيان مستقيمها من متناقضها وصحيحها من واهنها . ولكن لهذه الصناعة — على ضرورتها ونفعها العظيم لحياتنا الروحية والفكرية — آفة خبيثة . فهى تجعل صاحبها — مالم يكن مزودا بوعى فكرى ونظر رحيب — يقع على اول طريق ضيق ينتهى به الى الحاية داخل النص القديم لا يتعداه ولا يعى ما حوله من علل وتفسيرات ، بل ربما انتهى به هذا الطريق الى سلفية متشددة تقدس الماضى — من خلال النصوص والجزئيات — تقديسا يسد على صاحبها سبيل الفهم لما احاط بذلك الماضى من ظروف وملابسات .

كان الحياء — فى اتجاهه الصحيح الاساس — موقفا ضروريا فى بواكير النهضة ، واستجابة لحاجاتها ومطالبها فى دفع الغزوات الفكرية الاستعمارية والتعرف على الذات القومية وبناء الثقافة الوطنية والقومية . وكان للاتجاه الاحيائى الصحيح فضل بعث الوجه العقلانى المتقدم فى التفكير العربى القديم وهو الوجه الذى عبر عنه — بشكل عام — متكلمو المعتزلة فى ميادين الفكر الدينى والفلسفى والفنى على السواء . ولقد حاول **محمد عبده** بعث النهج الاعتزالى ، بل لقد حاول — تطبيقيا — تأسيس مايمكن تسميته — بالمصطلح الاسلامى — علم كلام جديد . وفى هذه المحاولة نهج حجاجى يسعى الى اعمال العقل فى المأثور ، والاجتهاد فى تخريجه وفقا لحاجات النهضة كما تصورها الامام . كذلك كان لهذا الاتجاه الاحيائى الصحيح جهد عقلانى فكرى

يتجاوز محض النقل وظواهر النصوص وجهد ديمقراطى علمانى ضد الاستبداد الاقطاعى التركى والمحلى ، وجهد فنى فى السعى الى تمييز الجانب الادبى فى الموروث القديم من الجانب الدينى . غير ان هذه الموقف الاحيائى السلفى الذى كان فى اتجاهه العقلانى العلمانى — استجابة صحيحة — وصحية — لمطالب النهضة فى فجرها اصبح عقبة امام تطورها

فقد انتهى هذا الاتجاه — نتيجة التطور الاجتماعى والنضال الديمقراطى الى حس تراثى متطرف يوحى بوهم « الاكتفاء الثقافى الذاتى » ، ويغلق التاريخ الثقافى للامة على ذاته ويجعله مكتفيا بهذه الذات ولقد سبق القول ان التطرف فى هذا السبيل أفقر هذا التاريخ الثقافى فلم يقف منه الا عند الجانب الدينى ، بل لقد أفقر هذا الجانب فلم يفسره الا تفسيرا ضيقا غيبيا ، وراح اصحابه يعقدون مصالحة وتوفيقا آليين بين قيم التاريخ الثقافى القومى — حسب تفسيرهم — ومطالب العصر . وطبيعى أن ينتهى هذا النهج الى ضرب غير صحى من الفتنة بالذات القومية ، والى ضرب آخر أشد مرضا وخطرا ، اذ يمكن ان يخلص الى ان ماضى الامة خير من حاضرها وربما خلص — طردا لوجهته — الى ان حاضرها خير من مستقبلها . ولا يثمر الا ذلك التشاؤم من الحاضر ، واليأس من المستقبل . فهو يضخم حجم الماضى تضخيما يجعل منه سدا هائلا امام حركة الحاضر ونموه ، وامام ولادة المستقبل وتطوره . فهو يرى تاريخ المة وراءها ، ليس بين يديها فى حاضر تصنعه ، وليس امام نظرها فى مستقبل ترجيه . والحق ان تعليق البصر — منبهرا — بعصر ذهبى « واحد » فى تاريخ الامة ، يفضى ضرورة الى هاتين النتيجتين . فهو من ناحية يذهل عن مبدأ التأثير والتأثر — بل انه لينكره — فلا يرى رؤية صحيحة موقع تراث الامة من حيث هو حلقة من حلقات الحضارة الانسانية ولا يستطيع ان يزن موضوعيا تجربتها ، ومن ثم فانه لايصل الى تحديد دورها فى التاريخ . وهو من ناحية ثانية يصادر التجارب الجديدة ، ويحكم على الاجيال الجديدة بالبوار والعقم وكثيرا ما اعتمدت السلطة والقوى الرجعية هذا السبيل فى محاربة الاتجاهات الديمقراطية والراديكالية والثورية فى الفكر والمجتمع على السواء . النتيجة الاولى أن يقطع الامة عن وشائجها الحضارية ، والنتيجة الثانية انه يقطع الماضى عن وشائجه وامتداده فى الحاضر . ولايستطيع مثل هذا الموقف ان يبنى — احياء وانشاء — التاريخ الثقافى للامة .

ثانيا — التجديد

تحمل البورجوازية — أبدا — لواء [تحديث] المجتمع ، وتفشل — أبدا — فى حمل لواء المعاصرة . أى ان البورجوازية تحمل اعباء الثورة الوطنية الديمقراطية التى تنقل المجتمع من العلاقات الاقطاعية التقليدية الى العلاقات البورجوازية الرأسمالية الحديثة . لكن الانتقال الى العلاقات الاشتراكية انما يتم بقيادة الطبقة العاملة . وثمة ملاحظة هنا — وتكاد تكون عامة فى تطور البلاد العربية فى العصر الحديث — وهى ان البورجوازيات العربية ، لم تصل « بالتحديث » الى غايته ، ويرتد هذا الى ملابسات نشأة هذه البورجوازيات وظروف تطورها . ولعل هذا الامر يبدو فى اكثر المجتمعات العربية نضجا ، وهو المجتمع المصرى . فالبورجوازية المصرية نشأت نشأة زراعية ، ولهذا لم يبرز تناقض واضح بينها وبين الاقطاع كما ان طموح هذه البورجوازية الى ان تحل محل رأس المال الاجنبى — بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٥٢ — لم يؤد — لقلة خبرتها وضآلة مواردها ولقوة الاستغلال الرأسمالى الاحتكارى الاستعمارى — الى تطور رأسمالى مصرى قوى . ويفسر هذان الامران معا بقاء الاقطاع واستمراره جنبا الى جنب مع نمو الرأسمالية المصرية وتطورها تطورا بطيئا . لهذا كانت العلاقات فى مصر سنة ١٩٥٢ شبه اقطاعية — شبه رأسمالية . ومعنى هذا ان البورجوازية المصرية انتقلت بالاساس المادى للمجتمع المصرى انتقالات كبيرة نحو العلاقات الرأسمالية الحديثة ، لكنها لم تستطع ان تنجز ثورة صناعية ناضجة . بعبارة اخرى لم تنجح هذه البورجوازية فى ان تصل الى غايتها من « تحديث » المجتمع .



الليبرالية الكبرى (التنوير الاول)

وتحمل البورجوازية — ابدا — لواء [تعقيل] الفكر ، ، وتفشل — أبدا — فى منهجته [علميا] . اى ان البورجوازية تنتقل فى الفكر من « المنهج النقلى » الى « المنهج العقلى» ، لكن الانتقال الى « المنهج العلمى » انما يكون من مهام الفكر الثورى . وثمة ملاحظة هنا فى الفكر العربى الحديث ، تنسجم وتلك الملاحظة التى سبقت فى المجتمع العربى الحديث ، والملاحظة هنا ان هذا الفكر العربى البورجوازى لم يصل الى غايته من « التعقيل » ، على الرغم من التبشير — عالى الصوت — بالعقل . لقد طمح المفكر العربى الحديث — فى محاولته بناء التاريخ الثقافى المتصل بين ماضى وحاضر — الى ان يتخذ من المنهج العقلى الارسطى اداة واساسا للنهضة العربية الحديثة ، كما كان — فى ظن هذا المفكر العربى الحديث — اداة للازدهار العربى العباسى العظيم ، وكما كان اداة للنهضة الاوروبية الحديثة ... لفت نظرى فى أرسطو انه اول من ابتدع علم المنطق واكبر مؤلف له اثر خالد فى العلوم والاداب . ولما كنت مديرا لدار الكتب المصرية تحدثت مع بعض اصدقائى فى وجوب تأسيس نهضتنا العلمية على الترجمة قبل التأليف كما حدث فى النهضة الاوربية ، فقد عمد رجال هذه النهضة الى درس فلسفة ارسطو على نصوصها الاصلية ، فكانت مفتاحا للتفكير العصرى الذى اخرج كثيرا من المذاهب الفلسفية الحديثة . ولما كانت الفلسفة العربية قد قامت على فلسفة ارسطو ، فلا جرم ان اراءه ومذهبه اشد المذاهب اتفاقا مع مألوفاتنا الحالية ، والطريق الاقرب الى نقل العلم فى بلادنا وتأقلمه فيها رجاء ان ينتج فى النهضة الشرقية مثل ما انتج فى النهضة الغربية وفى الحق ان ارسطو لم يكن كغيره معلما فى نوع خاص من العلوم دون سواه ، بل هو معلم فى الفلسفة معلم فى السياسة والاجتماع ، فهو كما لقبه العرب بحق « المعلم الاول » على الاطلاق ... ولقد اثمر المنهج العقلى — سواء رجع الى ارسطو او رجع الى الفكر الليبرالى

---

[1] احمد لطفى السيد : قصة حياتى ص ١٦٨ .

الحديث — فى كافة مجالات النهضة العربية ووجوهها ، فكان اداة للفصل بين الجانبين الروحى والزمنى فى الاسلام ، وللدعوة الى المفاهيم السياسية الليبرالية والحريات الديمقراطية ، والتسامح الدينى وعلمانية التربية ، وحرية المرأة ، والتبشير بحرية البحث والفكر وحقوق الفرد وحريته وكرامته ... الخ . وعلى الرغم من ذلك فان حركة « التعقيل » لم تبلغ غايتها كما ذكرت ، فلقد تواكبت العلاقات الاقطاعية القديمة والعلاقات البورجوازية الحديثة فى المجتمع ، كما تواكبت المناهج التقليدية والمناهج الحديثة فى الفكر ، ولقد انتهى ذلك الى سيادة التوفيق بين النقل والعقل ، بين التقليدية والحداثة .

ولقد كان ثمار التحديث والتعقيل طيبة فى الحياة الادبية وفى مناحى الدرس الادبى ومناهجه وآفاقه . وكان الثنائية البورجوازية [العقل والقلب] صدى عميق فى الامرين معا : توجه الفكر الى تحرير الدرس الادبى من التأثرات الذوقية السريعة . والى الاشتغال بالنظر الفلسفى فى طبيعة الفن وآثاره والى الضبط المنهجى فى التفسير والتعليل . كما توجه هذا الفكر الى طلب ان يتحقق [الوجدان] فى الفن . وسنقف عند هذا بالتفصيل ، لكن هنا ايضا ملاحظة قد تنسجم مع الملاحظتين السابقتين فى المجتمع والفكر ، والملاحظة هنا هى ان هذا « التجديد » فى الدرس والابداع الادبيين وان اثمرا ثمرات باقيات — فى الدرس: وضع البذور الاولى للنظرية النقدية الحديثة والمناهج الاكاديمية . وفى الابداع : نقل الفن العربى الادبى الاول « الشعر » الى آفاق حديثة ثرية ، ونشأة الانواع الادبية الجديدة « ادب المسرحية ، والرواية ، والقصة القصيرة — الا انه لم يصل الى غايته فى اعادة بناء التاريخ الثقافى العربى : ماوصل اليه انه تعامل فحسب مع الجانب الادبى من ذلك التاريخ ، وعالج هذا الجانب بصور جزئية وجهود فردية وبفلسفة فنية غير علمية . ويمكن أن يصل بنا هذا السياق عن «تحديث» المجتمع ، و «تعقيل » الفكر ، و «تجديد» الادب ، الى ان البورجوازية فى بلادنا — مع جهدها التاريخى فى هذه السبل — لم تنته الى المراحل المتقدمة من غايتها ، فى مجتمع ديمقراطى حديث ، وفكر علمانى عقلانى ، ونظرية فى الثقافة الوطنية والقومية ، وبناء للتاريخ الفنى للامة .

العقل يأبى صوت القلب

قام طه حسين — مع الرواد من جيله — بجهد اصيل فى تاسيس فكر الثورة الوطنية البورجوازية فى عالمنا العربى الحديث . لقد برز النهج العقلانى فى تراث طه حسين منذ اعماله المبكرة . وليس مصادفة ان يرتبط هذا المعلم الرائد بدرس **أبى العلاء المعرى** ، وان يواصل هذا الدرس — منذ رسالته عن شاعر المعرة سنة ١٩١٤ — قطعة كبيرة من حياته الطويلة . وليس مصادفة كذلك ان يرتبط بدرس **ابن خلدون** « رسالة : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : سنة ١٩١٨ » نقول ليس مصادفة أن يرتبط طه حسين بدرس هذين العلمين العظيمين ، اذ من العلوم فى تاريخنا الادبى والفكرى ان ابا العلاء اقرب شعراء العربية الى ان يكون صاحب « موقف » عقلى مهما تكن طبيعة هذا الموقف ، وان ابن خلدون علم فى تراث العرب على التفكير المادى المتقدم فى فلسفة التاريخ والاجتماع . ونستطيع القول ان « عقلانية » طه حسين — وهى استجابة فكرية للتطور الاجتماعى الذى نشط طه حسين خلاله — انما اسست على ما استوعبه من الجوانب العقلانية فى التراث العربى ابتداء من المعتزلة الى ابى العلاء وابن خلدون ، وعلى ما انفتح عليه من تلك الجوانب فى التراث الغربى ابتداء من **ارسطو الى ديكارت ، دور كايم** . ولقد أتى على طه حسين حين من الدهر ، رأى فيه ان النهضة التى شارك مشاركة قوية فى تأجيل نهجها الفكرى ، قد اصبحت حقيقة عالمية : ... ان نهضتنا آية من آيات هذا العصر الحديث ... فقد خلقنا انفسنا خلقا جديدا ، واكرهنا العالم الاوربى لا على ان يعترف بنا ويؤمن لنا بالحياة الخصبة المنتجة فحسب ، بل على ان يحسب لنا حسابا ، ويستيقن بأن العالم الحديث لن يستطيع ان يعيش بغير جهودنا ، ولا احد يستغنى عن مشاركتنا فى احتمال هذه الاعباء الثقال التى تفرضها الحضارة على الشعوب الراقية «٣» » .

غير اننا قد ذكرنا فى موضع سابق ان هذه النهضة لم تبلغ غايتها ، اذ ظلت العلاقات الاجتماعية التقليدية مواكبة للعلاقات الحديثة ، كما ان ثنائية الفكر البورجوازى قد وفقت توفيقا متعسفا بين النقل والعقل وبين العقل والوجدان ، وبين القديم والحديث ، وبين الاصيل والوافد ، وانها فصلت احيانا فصلا حادا بين مالا ينفصل ، وزاوجت احيانا أخرى بين امور مزاوجة آلية . فبقاء العلاقات القديمة جعل الامر « مصالحة » بين القديم والحديث ، اكثر منه تاسيسا لهذا الحديث . والثنائية جعلت «الجدل» غائبا ، وهو حركة الظواهر . هذان الامران يجعلان الجدل بين الفرد والجماعة مصالحة وتوفيقا يبهمان حقيقة هذه العلاقة « ... فالناس يذهبون فى مثل هذا الموضوع مذهبين متباينين اشد التباين ، أريد انا ، كما اراد غيرى من المؤرخين المحدثين ان اتوسط بينهما وأن آخذ من كل منهما خلاصته . فمن الناس من يغلو فى اكبار الجماعة والبيئة واضافة كل شىء اليهما واستنباط كل شىء منها ، حتى ينسى الفرد نسيانا تاما ، فان تذكره فانما يذكره على انه اداة من الادوات ومظهرا من المظاهر ليس له قوة ولا عمل ولا ارادة . ومنهم من يغلونى اكبار الفرد فيضيف اليه كل شىء ويقصر عليه كل عناية ، ويعنى الجماعة فيه كما يفنيه السابقون فى الجماعة . اولئك يمحون الفرد محوا . وهؤلاء يمحون الجماعة محوا ، اولئك وهؤلاء مخطئون فيما اعتقد فلست اجهل ان الفرد قوة تختلف عظما وضآلة ، ولكنها قوة على كل حال . قوة لها اثرها فى تكوين القوة الاجتماعية ، بل لها اثرها العظيم فى تكوين هذه القوة واذن فليس من البحث العلمى القيم فى شىء أن تعتبر هذا الفرد كما مهملا . وليس من البحث العلمى القيم فى شىء ان تجعل الفرد كل شىء وتمحو الجماعة التى انشأته وكونته محوا ، انما السبيل ان تقدر الجماعة وتقدر الفرد ، وان تجتهد ما استطعت فى تحديد الصلة بينهما ، وفى

---

[٢] عبد المنعم تليمة ، مقال [ارسطو فى التفكير الادبى عند العرب] مجلة [المجلة] مارس ١٩٦٨ م
[٣] طه حسين ، مقال [نهضتنا الادبية مجلة [الهلال] الجزء الاول المجلد ٤٢ سنة ١٩٣٣ م



تعيين ما لكليهما من اثر فى الادبوالاراء الفلسفية والنظم الاجتماعية والسياسية المختلفة «٤» كما أن هذين الامرينيفضيان الى « توسط » بين القديم والحديث ،هو فى حقيقته — هذا التوسط — لصالح القديم ... بيننا وبين الماضى اسباب متصلة ، وبيننا وبين المستقبل اسباب ستتصل ، فمالنا لا نحتفظبهذه المكانةالتى وضعتنا فيها الطبيعة فلا نسرف فى التقدم ولا نسرف فى التأخر ؟ لا أمقت القديم ولا آنف من الحديث ، وانما ارى انى وسط بين التقديمو الحديل«٥» أن العقلانية التى بشر بها بصوت عال ، لا يمكن ان تحقق غاياتها كما بشر بها ، ما دامت العلاقات الاجتماعية التقليدية قائمة .

ولقد انسحبت عقلانية طه حسين على نظره الادبى . فتغير مفهوم الادب لديه واتسعت دائرته ، ووضحت ثورة منهجية اكاديمية فى تاريخة ومناهج نقده.وكشف طه حسين فى جهدهالتطبيقى عنشخصيات ادبية فى تراثنا كانت متوارية فىتواريخ الادب القديم . كما اكتشف نصوصا من ذلك التراث وقدمها تقديما سائغا عميقا . ووضع هذا الرائد الفروض الحديثة الاساسية فى التاريخ الادبى . والدراسة الادبية . والنقد الادبى . ويستطيع الدارس ان يقع فى تراث طه حسينعلى هذه الفروض الاساسية من جهة علاقات النص الادبى ، وصلات الكتاب ، والعوامل الفعالة فى التاريخ الادبى . سيجد الدارس لهذا التراث ان طه حسين يلمح الحقيقة « النفسية » دون انيتورط فىجعل العمى «تنفسيا» عنذاتنفس الفنان وسيجد انهيلمح العلاقاتاللغربة فىالنص دون ان يجعل من الفن الادبى مجردمهارة لفظية او صناعة لغوية . وسيجدالدارس لهذا التراث ان طه حسين يلمح بعض حقائق التشكيل الجمالى فى النص ، دون ان يرى النص حقيقة « جمالية » خالصة ، وسيجد الدارس لهذا التراث ان طهحسين يشير الى العوامل الفعالة فى التاريخ الادبى ، دون ان يرى فى نتاج هذاالتاريخ مجرد « وثائق » او « شواهد » على تلك العوامل .يجدالدارس فى تراث هذا المعلم العظيم كل ذلك ، ويجد ايضا اشارات الى آفاق جديدة للدرس الادبى وريادات الى تحقيق بعض هذه الاشارات يجد توجيها الى درس الاداب العامية والشعبية وتوجيها الى دراسات مقارنة لبيان الصلات التاريخية الكبرى للادب العربى بغيره من الاداب العالمية القديمة والوسيطة والحديثة . ولقد يرى بعض الدارسين فى مقدمة « فى الادبالجاهلى » نصوصا صريحة وقوية على النهجالعقلانى الذى اخذ طه حسين به نفسه فىالدرس الادبى ، مثل قوله فى تلك المقدمة :... «اريد أن اصطنع فى الادب هذا المنهج الفلسفى الذى استحدثه ديكارت للبحث من حقائق الاشياء فى اول هذا العصر الحديث . والناس جميعا يعملون ان القاعدة الاساسية لهذا المنهج هى ان يتجرد الباحث من كل شىء كان يعلمه من قبل وان يستقبل موضوع بحثه خالى الذهن مما قيل خلوا تاما . والناس جميعا يعلمون ان هذا المنهج الذى سخط عليه انصار القديم فى الدين والفلسفةيوم ظهر قد كان من اخصب المناهج واقومها واحسنها اثرا ، وانه قد جدد العلم والفلسفة تجديدا ، وانه قد غير مذاهب الادباء فى ادبهم والفنانين فى فنونهم وانه هو الطابع الذى يمتاز به هذا العصر الحديث «٦» لكن الحق أن هذا النهجانما يتبدى فى الكثير من اعمال طه حسين النظرية والتطبيقية . وتتجاوز الجهود العلمية المعاصرة الاصول الفكرية والاجتماعية الجمالية التى قام عليها هذا النهج ، لكنتظل ثورة طهحسين المنهجية حقيقة تاريخية فى تراثنا القريب بل فى تراثنا الفكرى كله .

وعلى الرغم من ان طه حسين يصدر فى فكره عامة عن وجهة مثالية . وفى فكره الادبى عن نظرة رومانسية . فان دوره التنويرى ، ومسئوليته فى قيادة النضال الفكرى الديمقراطى . قد عصماه من الغلوفى قطع الفن الادبى عن حقائق التطور الاجتماعى . فهو لا يلف لف غلاة المثاليين فينكر الوجود الموضوعى ويجعل منه خلقا ذاتيا . ومع ذلك فهويعتدبضرب من تصور الذاتلعالمها وهوفىهذا الضرب لا يتطابق مع ذلك الغلو المثالى الذىيجعل العالم الموضوعى مجموع عوالم بعدد الذوات المدركة ، ولكن طه حسين يأخذ بفعالية الذات ودورها النشط فى الادراك وخصوصية « تصورها » لعالمها ، ويبلغ هذا التصور عنده غايته من الخصوصية فى الفن . ان علاقة الفنان بالعالم — لديه — انما تقوم على « الوعى العاطفى» منجهة الفنان أى على نشاطهالادراكى القائم على الشعور والميان والوجدان . ان اكثر الامور اصالة فى الانسان وجدانه ومشاعره وصورةنفسية ،اىعالمهالباطنى وان اكثر الامور اصالة فى الفن ما «عبر» عن هذاالعالم الباطنى ...«الشعرالجيد يمتاز قبل كل شىء بأنه مرآة لما فى نفس الشاعر منعاطفة ، مرآةتمثل هذهالعاطفة تمثيلا فطريا بريئا من التكلف ... فاذاخلت نفس الشاعر من عاطفة او عجزت هذه العاطفة عن ان تنطق لسان الشاعر بما يمثلها فليس هناك شعر وانما هناك نظم لاغناءفيه «٧» الانسان — فى هذا الفكر — قوى متضامة ، ابرزها اثنتان : الدماغ والقلب ، او الرؤية بعين الرأس ،والرؤية بعين الباطن ، العقل والحدس . ويتضمن العالم المادىوالمجرد ، المحسوسوالروحى الواضح والمبهم . ويكشف الانسانالمادى والمحسوس والواضح بعين رأسه ، ويكشف المجردوالروحىوالمبهم بعينباطنه . والفن اداة « معرفية » حدسية . لكن طه حسين ليس فيلسوف فن ، بل هو — فى الادب — دارسوناقد ومؤرخ ، له احيانا اجتهادات نظرية عميقة ، نعتمدها هنا فى محاولة لبيان خطة لدرس فكرهالادبى ولقد ذكرت انه فى هذه الاجتهادات لا يذهب مذهب غلاة المثاليين وان نهجنهجهم بصورة عامة . فهو يعتمد — الى جانب مايسميه الرومانسيون الغلاة « الوعى

---

[٤] طه حسين : قادة الفكر ص ٨

[٥] طه حسين : حديث الاربعاء ،الجزء الثالث ، ص ١٢ ، وراجع لطهحسين كذلك مقاله [العقل العربى الحديث مجلة [الهلال] العدد الخاصبالاسلام سنة ١٩٣٩ م

[٦] طه حسين : فى الادب الجاهلىص٦٧ .

[٧] طه حسين حافظ وشوقى ص١٠٩

العاطفى » — الجانب الواعى فى عملية الابداع ... ان الاجادة الفنية اذا كانت اثرا من آثار الشعور، ومظهرا من مظاهر الحس القوى والعواطف الدقيقة والخيال الخصب، فهى لغو اذا لم تستمد غذاءها من العقل والعلم «٨» وهو احيانا يتناول مشكلة القيمة تناولا يرتب عليه وظيفة الفن الادبى، والفن عامة. فقد يرى ان هناك قيما « نسبية » هى وسائل الى تحقيق غايات، ولذلك فهى تختلف من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان، وان هناك قيما «مطلقة» هى غايات فى ذاتها لا يجدها زمان ولا مكان. وقد يرى — احيانا — ان وظيفة الفن انما تؤسس على هذه القيم الاخيرة المطلقة، وان الفن قيمة «روحية» لاترتبط بالنفع والفائدة كما يراهما الاخلاقى ولا ترتبط بملابسات الزمان والمكان، وانما تنبثق المقاييس الفنية من قيم للجمال والحق مطلقة ثابتة. قد يرى طه حسين ذلك فى بعض عمله، لكنه فى مجمل جهده الفكرى يعتصم بمسئوليته الفكرية يحاول المزاوجة بين المطلق والنسبى : « المثل الاعلى فى الفن، انما هو هذا النمو الذى يحقق هذا الجمال الفنى الخالد الواحد فى احسن صور وفى اشدها بالذوق اتصالا وللنفس ملاءمة ... والمثل الاعلى فى الشعر هو هذا الكلام الموسيقى الذى يحقق الجمال الخالد فى شكل يلائم ذوق العصر الذى قيل فيه، ويتصل بنفوس الناس الذين ينشد بينهم «٩» بل لقد تتبدى الحقيقة الاجتماعية للنتاج الفنى فى جهد طه حسين اكثر سطوعا : « ... أن الاديب مهما كان أمره كائن اجتماعى لا يستطيع ان ينفرد ولا يستقل بحياته الادبية، ولا يستقيم له أمره الا اذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس، فكان صدى لحياتهم، وكانوا صدى لانتاجه «١٠» وقد تعلو هذه الحقيقة فيما يشبه التوجيه التنويرى : ... لست ادرى كيف يستطيع الاديب ان يكون اديبا حقا دون أن يكون أديبه صورة من صور الحياة. ولست ادرى كيف يستطيع الاديب أن يصور الحياة وهو يجهلها ولا يعرف من اسرارها ودقائقها ولا من ظواهرها وقوانينها ... وربما كانت لفظة «الحياة» هنا — وفى كثير من الكتابات — من الغموض بحيث لا تفصح عن وجهة محددة فى الفكر الاجتماعى او الفلسفى او الفنى، لكنها بعامة تدل على فكر مسئول تبدى فى مجمل تراث طه حسين.

الكلمة الضائعة الباقية

والمقصود هنا هو كلمة [الفن]. **الحق ان الفن لم يضع، وانما تصور له فكرنا المعاصر ماهية ومهمة مختلفتين عن التصور الذى بشر به الفكر التجديدى الليبرالى بين الحربين.** ولقد ثار الجدل حول التصورين بين المفكرين والنقاد والبورجوازيين من ناحية والمفكرين والنقاد الثوريين من ناحية ثانية، بين التجديد بين الرومانسية والمعاصرين الواقعيين. وقد شهدت الخمسينات حرارة هذا الجدل : كانت معاناة ولادة الجديد اليمة ورائعة فى ان اخذ فريق من الكتاب الشباب بالعلمية فى الفكر، وبالواقعية فى الفن، وبالتاريخية فى المجتمع. وكانت المعاصرة لديهم مرادفة لهذه المعانى. كان فكر جديد وفن جديد، معاصران، يتخلقان. وثار هذا الجدل بين سبيلين فى المجتمع وفى الفكر وفى الفن على السواء. وشاب الحوار تطرف من الجانبين افضى الى عدم توفر الفكر الجديد — فى ذلك الوقت — على التأصيل النظرى الهادىء، والى التسرع والتعميم فى الجوانب التطبيقية. وتجنب طه حسين غلظة الرواد من جيله فلم يسلك مسلك بعضهم فى التعالى على الجديد ورفضه، بل التزم ادبيات راقية فى الحوار وكان مما خشى عليه ان تهدر قيم الفن وحاول ان يرقى بكلمة « فن » الى موضع رفيع من النشاط الانسانى، وان يحميها فى واقع مختلف، وكان من بين ما كتبه فى هذا السبيل مقال « الكلمة الضائعة » « صحيفة الجمهورية سنة ١٩٥٤ » : بعد ذلك تعاطف هذا الرائد مع الفن الجديد تعاطفا رحيما وتقبل نتاج كثير من الشباب تقبلا نبيلا، وحدد الساحة الزمنية لثورة جيله بالنصف الاول من هذا القرن العشرين فكان هذا وعيا منه بثورة اخرى فى النصف الثانى من هذا القرن : «.. أن الدين طوروا الذوق الادبى فى النصف الاول لهذا القرن لم يكونوا كما يظن كثير من الناس فى هذه الايام يعيشون فى البروج العاجية ولا يعتزلون الحياة الشعبية ولا ينأون بحال من الاحوال عن آلام الناس وآمالهم، ولا يهملون قدراتهم وطاقاتهم، وانما كانوا يعيشون مع الشعب، بل يعيشون بالشعب وللشعب. يعيشون له لانهم كانوا يعربون عن ذات نفسه، يصورون لم آماله ليحرص عليها ويجد فى تحقيقها ويفتحون له آفاقا جديدة من الامل يسرع اليها ويمعن فيها، ويصورون له الامة ليضد من نفسه انالها ... وايسر القراءة فيما كانوا يكتبون تبين ذلك فى غير لبس ولا غموض ...

وليس من شك فى ان ثورة طه حسين الفكرية — بحدودها الليبرالية البورجوازية ومنهجها النقدى العقلانى. وبعطائها العظيم فى الادب واللغة والفن والتربية والتاريخ والفكر السياسى والحضارى والاجتماعى قد كانت اقوى تعبير عن معنى [الحداثة] فى مجتمعنا العربى، أى عن انتقال هذا المجتمع من العصور الوسيطة الى العصور الحديثة. وليس شك كذلك فى ان هذه الثورة الفكرية الكبرى قد صاغت الافات العامة للثورة الوطنية الديمقراطية فى المجتمع العربى الحديث، والاصول الكبرى للبناء الثقافى لهذا المجتمع حتى الحرب العالمية الثانية. فاذا كانت هذه الثورة — لحقيقتها الطبقية ونهجها الفلسفى العام، المعبر عن هذه الحقيقة — لم تبين التاريخ الثقافى القومى، فانها — بلا ريب — أهم معلم فى هذا التاريخ منذ القرن الخامس الهجرى :

[٨] المرجع السابق ص ١١٩

[٩] المرجع السابق ص ٢٧

[١٠] طه حسين : فصول فى الادب والنقد ص ٨، وراجع له ايضا : فى الادب الجاهلى ص ٤٤ وما بعدها، وراجع له كذلك الفصل الاول من : مع المتنبى.

[١١] طه حسين، [نهضتنا الادبية] المشار اليه سابقا.

[١٢] طه حسين : من ادبنا المعاصر ص ١٦٤



٤ طه حسين : السيرة الذاتية والرواية

فاروق عبد القادر

● يقول طه حسين فى تقديمه « **لجنة الشوك ..** » : « والذين يقرأون ماأذعت فى الناس من الكتب منذ أكثر من ربع قرن يستطيعون ... أن يتبينوا فى وضوح وجلاء أنى استجيب حين اكتب — وحين اكتب فى الادب خاصة — لشيئين اثنين : أحدهما ما أرى من رأى أو أجد من عاطفة وشعور ، والاخر امتحان قدرة اللغة العربية على أن تقبل فنونا من الادب لم يطرقها القدماء .. »[١] . واذا أخذنا بما يقوله بعض دارسيه[٢] فلنا أن نعتبر الجزء الاول من الايام — الذي صدر فى سنة ١٩٢٩ ونشر مسلسلا فى فصول قبل ذلك — استجابة طه حسين الفنية والنفسية لتلك الحملة الظالمة والمروعة التى تعرض لها بعد كتابه « **فى الشعر الجاهلى** »[١٩٢٦] لقد هزته هذه الحملة هزا عنيفا ، وأحيت فى نفسه الحساسة كل آلام الماضى ومراراته ، فراح يملى هذه الفصول ، يشفى بها جراح نفسه ، ويكيد لمن كادوا له ، ويبدى رأيه — من خلف ستار شفيف — فى طبيعة هذه القوى التى ناوأته صبيا ، وتكاد الان — فى رجولته — ان تحرمه كل شىء.

وقارىء «الايام» باجزائها الثلاثة[٣] لا يملك أن يدفع عن نفسه الاحساس بأنه يقرأ عملا تمتزج فيه عناصر من **الرواية — بشروطها الفنية المكتملة — بعناصر من السيرة الذاتية ، [بما فيها بعض الصفحات التى تحمل طابع الاعتراف الخاص] ، بهدف واع يسعى اليه الكاتب** : يتخذ فى الجزء الاول صورة كشف ابنية الثقافة الغيبية التى تسود القرى ومدن الريف فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن وفى الجزء الثانى تقديم النماذج لتلك الشخصيات من أبناء الريف « التى كانت تفد على القاهرة لتدرس العلم والدين فى الازهر ، فتصيب من العلم والدين ما تستطيع ، ولكنها تصيب معها الوانا من علل الاجسام والاخلاق والعقول .. » [٤] ، ويتخذ فى الجزء الثالث كشف مختلف المشاكل العلمية والعملية التى يواجهها الطلاب المصريون — ذوو التعليم المضطرب والثقافة التقليدية — حين يواجهون المناهج والدراسات الحديثةفى جامعاتالغرب .

لكن النواة الصلبة التى تصدر عنها عناصر الايام جميعا يمكن أن نجدها فى تلك الرغبةالطاغيةفى العلموالتعلم ،يبذل فى سبيلها طه حسين — صبيا ثم فتى ثم شابا — **الجهد الذى يستطيعه والذى لا يستطيعه** . يتمثل أولا فى تلقيه مختلف الوان الثقافة التقليدية التى تضطرب بها القرية والمدينة القريبة ، ثم الصراع بين هذه الثقافة والدراسات الحديثة فى الجزء الثانى ، وأخيرا انحياز طه حسين الى هذه الجديدة فى الجزء الثالث والاخير .

وطه حسين — فى الايام — راض عن نفسه وعما أصاب من نجح يرضى أناسا ويسخط آخرين ، يسترضى ذاته القلقة المضطربة باذاعة قصة نجاحه بين الناس ، يختار لها فى الجزء الاول صور الحرمان التى تعرض لها والتى نجح فى أن يتغلب عليها ، وفى الثانى يضعها فى وسط فاسد مختلط ، كان لا بد أن يقعد به وبأمثاله عن تحقيق ما يصبون اليه ، وفى الجزء الثالث فى تلك العقبات المتتالية التى ينبرى لها فى ارادة لا تعرف اللين أو التردد **لهذا يقول فى نهاية صفحات الايام قولة الراضى عن نفسه ، الذى يرى أنه كان مصيبا فى كل ما أخذ من الامر وما ترك** « لو استؤنف الامر من حيث ابتدأ لاستأنف سيرته التى سارها ، لم يغير منها شيئا ، ولم ينكر منها قليلا أو كثيرا . » [٥] . وتلك مرحلة من مراحل الرضا عن النفس لا يبلغها الا من خاض نضالا مثل الذى خاضه طه حسين : صبى ضرير فقير من قرية بعيدة ، يصبح — قبل أن يبلغ الثلاثين

---

[١] جنة الشوك ، دار المعارف ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠ .

[٢] أنظر : د. عبد المحسن بدر : تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ص ٣٠٢ ، وكذلك : د. عبد الحميد يونس ، طه حسين بين ضمير الغائب وضمير المتكلم مقال فى كتاب « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » دار الهلال ، ص ٦٣ .

[٣] صدر الجزء الثانى فى ١٩٣٩ ، وصدر الثالث بعنوان « مذكرات طه حسين » [دار الاداب — بيروت] فى ١٩٦٧ ، وأعادت دار المعارف طبعه بعنوان « الايام ، الجزء الثالث » فى ١٩٧٢ .

[٤] الايام ، ج [٢] ، ص ٧٣ .

[٥] الايام ، ج [٣] ، ص ١٧٢ .

من عمره — كاتبا ملء السمع والبصر حصل على أول درجة علمية تمنحها الجامعة المصرية ، وأول ليسانس فى الاداب تمنحه جامعة فرنسية لطالب مصرى ، ودكتوراة فى الاداب من نفس الجامعة ، الى جانب دراسة جيدة للتراث العربى وعلومه « الاصولية » ومعرفة بمناهج الفكر الحديث وأصولها الاغريقية والرومانية ، وقدرة على النقد والجدل ، ونفس ثائرة تدفعه دوما الى الارتياد والتحدى ، وحياة عاطفية مشبعة مستقرة تملاها تلك التى «بدلته من البؤس نعيما ومن اليأس أملا ، ومن الفقر غنى ، ومن اليأس سعادة وصفوا » •

[●]

وفى « الايام » نرى ملامح هذا التكون تتخذ خطوطا ثلاثة ، تتوازى حينا وتتداخل حينا آخر :

● التكون الثقافى والفكرى :

يحدد لنا طه حسين **المكونات الثقافية** فى بيئته الاولى ، تلك التى استمع اليها ووعاها بأنها قصص الغزوات والفتوح ، وأخبار عنترة والظاهر بيبرس ، وأخبار الانبياء والنساك والصالحين ، وكتب الوعظ والسنن ، واخبار الهلاليين والزناتيين ، واغانى النساء وتعديدهن ، وأوراد الجد العجوز وادعيته ، ثم القرآن •

وقد كان طه حسين فى طفولته — مثل الناس جميعا فى قريته ومدينته — يقدس **العلماء** ويراهم من طينة ممتازة غير طينةالبشر ،واول من نرىمنهؤلاء هو «سيدنا» صاحب الكتاب وفقيهه : غليظ بدين نهم أكرش ، كاذب يقسم أغلظ الايمان وهو موقن أنه كاذب ، أعمى يحسب نفسه مبصرا ، ومنكر يحسب نفسه حسن الصوت، ومساعده وعريفه سىء الحظ لم يوفق فى حياته لخير ، حاول الاعمال كلها فلم يفلح فى شىء ، محتقر من الجميع ، كاذب متسلط فاسد مرتش • وليس علماء المدينة الرسميين — كاتب المحكمة وامام المسجد والتاجر — وغير الرسميين — ومن بينهم خياط بخيل وحمار مغتصب وأمى يفتى الناس فى شؤون دينهم ودنياهم — بأفضل من فقيه الكتاب وعريفه • أما الفقهاء أو « حملة كتاب الله » فهم يأخذون علمهم من القرآن مباشرة « يفهمونه كما يستطيعون ، لا كما هو ، ولا كما ينبغى ان يفهم •• » [٦] • وهناك أخيرا **مشايخ الطرق** ، ويصف لنا طه حسين واحدا منهم ، شره ، يلقى الى الناس كلمات غامضة يحارون فى تأويلها ، ويمضون فى ذلك الى شتى المذاهب ، زيارته شر لا بد منها ، ترهق الناس من أمرهم عسرا ، ويتأكد للصبى أن ايمان أبيه بهذا الشيخ « لم يكن يخلو من الشك ومن الازدراء»

وكان الصبى يختلف الى هؤلاء جميعا « حتى اجتمع له من ذلك مقدارا من العلم ضخم مختلف مضطرب متناقض ما أحسب الا انه عمل عملا غير قليل فى تكوين عقله الذى لم يخل من اضطراب واختلاف وتناقض •• » «٧»

ولم يقف الامر عند حد تكوين عقله هذا بل تجاوزه الى الخبرة الشخصية فقد أعجب الصبى بالسحر والطلاسم والتصوف • أليس الامران مرتبطين يقوم كلاهما على تجاوز حدود القوانين الطبيعية ؟ ، ودفعه ابوه الى ذلك دفعا ، فقد كان شيخا كثير الحاجات عند الله ، يستعين على قضائها بالصلاة والدعاء والاستخارة ، ويستخدم فى سبيلها صبيه هذا الضرير •

ويكون مقدم المفتش الزراعى الى القرية بشيرا لمعرفة الصبى بوجود لون آخر من العلم والثقافة ، فهو مطربش يجيد الفرنسية ، تخرج من مدرسة الفنون والصنايع ، وهو كذلك يحفظ القرآن ويجوده « وكان خفيف الظل جذابا •• » وبوصول هذا المفتش الى القرية ، وبوصول طه حسين الىالازهر واستماعه لاول دروسه فيه ، ينهى الينا الكاتب رفضه التام لهذا اللون من العلم القائم على النقل والخرافة ومجافاة العقل والذوق •• « وقد اقسم لى بعد ذلك أنه احتقر العلم منذ ذلك اليوم » «٨» •

ولكن كان عليه أن يغوص فى هذا العلم حتى أذنيه وأن يدرس الفقه والمنطق والتوحيد والاصول ، وأن يحسن « الفنقلة » وأن يمتاز فى علوم الازهر ، فماذا أمام المكفوف الا أن يدرس فى الازهر حتى ينال الدرجة ، فينال أرغفتها وقروشها ، أو أن يتجر بالقرآن فى البيوت ؟ •

وتتحالف عوامل متعددة كى تصل بطه حسين الى نقطة التحول الرئيسية فى تكونه الثقافى والفكرى : يزداد ضيقه بشيوخ الازهر وطلابه لما يسمعه عنهم ، لم يكد يسلم من هذه العيوب أحد ، فتثير فى نفسه الغضبوالازدراء وخيبة الامل : ثمة الحقد والمكر والاثرة والانفاق والتظاهر بالتقوى مع الانغماس فى الاثم ، التلميح الى عشق بعض الشيوخ لطلاب من طلابهم ، حتى شيخ الازهر نفسه « كان اذنا للنمامين » «٩» ويميل الى دراسة الادب ، ويعجب بمدرسه — **الشيخ سيد المرصفى** — الذى لعب فى حياته دورا هاما ، فهو يسخر من الازهريين وطريقتهم فى الدراسة ، ويساهم فى تحطيم القيود الازهرية والدعوة الى الثورة على الشيوخ فى علمهم وذوقهم وسيرتهم وأحاديثهم ، كان المرصفى أستاذا وأديبا ، يحيا حياة فقيرة لكنها حرة ممتازة ، اضطر أن يهادن الازهريين على كره منه « كى يأكل العيش•• » !

وحين كتب طه حسين أول مقال يهاجم فيه الازهر ، ومضى به الى لطفى السيد كى ينشره فى الجريدة كان قد اختار اختياره الوجودى الحاسم : ان يدير ظهره للازهر بما فيه ومن فيه ، وأن ينصرف عن تلك الثقافة التقليدية الغيبية التى تقوم على النقل لا العقل وتلك المناهج العقيم فىالتعليم والتدريس وأن يولى وجهه وجهة آخرى ، نحو بيئة « المطربشين » والقدر المتاح من الثقافة الحديثة •• كان يقرأ فىالاجازة

---

[٦] الايام ، ج [١] ، ص ٨٦ •
[٧] الايام ، ج [١] ، ص ٨٧ •
[٨] الايام ، ج [١] ، ص ١٤٤ •
[٩] الايام ، ج [٢] ، ص ١٣٢ •



ويفكر .. « ما ترجم فتحى زغلول من الفرنسية ، وما كان السباعى يترجم من الانجليزية ، وما كان جورجى زيدان يكتب فى الهلال من مقالات ، وما كان ينشر من قصص ، وما كان يؤلف من كتب فى تاريخ الادب والحضارة ، وما كان يعقوب صروف يكتب فى المقتطف ، وما كان الشيخ رشيد يكتب فى المنار .. وكتب قاسم أمين وكثيرا من آثار الاستاذ الامام ، وهذه القصص الكثيرة التى كانت تترجم لتلهية القراء .. » «١٠» .

وكأنما على موعد .. فتحت **الجامعة الاهلية** [١٩٠٨] ، ووجد طه حسين — الذى بلغ التاسعة عشرة — ضالته الحقيقية . وفى الجامعة الجديدة يتفتح عقله المتشوق للمعرفة على دروس فى تاريخ الادب والفلسفة والحضارة واللغات القديمة والجغرافيا والتاريخ الاسلامى ، ويقرر أن يتعلم الفرنسية ليحسن الفهم والتعلم .

وتمضى أحداث حياته على نحو ماهو معروف ، وفى فرنسا يستوفى معرفته بالفرنسية ، ويتعلم اللاتينية ، ويتعرف الى الدراسات الاجتماعية والانسانية ومناهج البحث ، وتاريخ العصور القديمة والقرون الوسطى ، والتاريخ الحديث والمعاصر ، والفلسفة ، ويلم باللغة الانجليزية ، الى جانب معرفة جيدة بالثقافة الاغريقية والحضارة الرومانية والادب الفرنسى الحديث والقديم .

وهكذا تتحدد المكونات الثقافية والفكرية لعقلية فرضت ظلها على الثقافة العربية والادب العربى اربعين عاما ، واستطاعت أن تكون نقطة انطلاق عديد من الدراسات فى فروع المعرفة المختلفة فى النقد الادبى والتاريخ الادبى والتاريخ الاسلامى وفلسفة التربية والتعليم .

● التكوين العاطفى والانفعالى :

قبل قصة حبه ، الاولى والاخيرة ، والتى حكاها طه حسين فى **الجزء الثالث** من « الايام » ، تكاد صفحات سيرته أن تخلو من حديث القلب .. هما اشارتان عابرتان تردان على استحياء كبير ، أما الاولى فهى امرأة ذلك المفتش الزراعى ، وكانت صبية فى مثل سن طه حسين ، فنشأت بينهما « مودة ساذجة » حببت اليه الاختلاف الى هذا البيت ، ليجود القرآن فى ظاهر الامر ، وليخلو الى هذه الصبية ساعة أو بعض ساعة يديران بينهما هذا الحديث الساذج فى حقيقة الامر . أما الثانية فكانت مى : قدر هذا الجيل من المثقفين أن يسموا اليها ويتعلقوا بها ، وأن تترك فى نفس كل منهم أثرا . وما لهم لا يعجبون بها ويفتنون ، هم الخارجين من اصول ريفية خالصة لم يجلسوا من قبل الى امرأة برزة تخالط الرجال وتحادثهم وتعاتبهم فى صوت آسر ونغم ساحر .. « سحر الفتى .. وانصرف وفى نفسه من الصوت ومما قرأ شىء كثير .. » «١١»

ثم لاح له الحب الكبير ، ومن يقرأ قصة هذا الحب كما هى مروية فى الجزء الثالث من « الايام » «١٢» لا يملك أن يدفع عن نفسه شيئا من الدهشة : فهذا الرجل الذى اقترب من الثلاثين ، واستوفى نضجه العقلى كأوفى ما يكون النضج ، وخاض النضال الطويل المتصل من أجل أن يعرف وأن يكون شيئا ، يبدى سذاجة واضحة فى شئون قلبه : حين يضطره الوجد الى البوح بحبه فهو لا يريد لهذا الحب صدى أو جوابا يكفى أن يحبها هو ، وأن تأذن له بذلك ، وماله لا يفعل وقد كان حبه « يستحى حتى من نفسه فينكرها ، ويكره أن يتحدث به الى نفسه ، وقد استيقن أنه لم يخلق لمثل هذا الشعور وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له .. » «١٣» .

طبيعى اذن حين يأتيه القبول أن يتغير تغيرا كاملا . وأن يكون هذا القبول نقطة التحول فى تكونه العاطفى والانفعالى ، لقد كان — مثل هذا الرجل الذى أحب ان يتوحد به منذ عرف حياته وأقبل على شعره : أبى العلاء المعرى — « انسى الولادة ، وحشى الغريزة » ، بينه وبين العالم حجاب صفيق ، وبينه وبين الطبيعة باب موصد ، وبينه وبين الناس شك وخوف وقلق واضطراب . هذا الرجل الذى عرف نفسه ، منذ البداية ، غير أهل لان يأخذ الحب ويعطيه ، تقوم علاقته بالناس — القريبين والبعيدين — على مزيج من الاشفاق والرثاء ، وشىء من الزراية والاستخفاف ، لا ترطب جفاف نفسه الملتهبة عاطفة انسانية ، ويستجيب هو لهذا الجفاف المحرق بالكره والسخرية والعبث ومداورة النفس واساءة الظن بالمرأة هذا الرجل ذو النضج العقلى والاحباط العاطفى يلقى القبول من صديقته الفرنسية صاحبة الصوت العذب ، ابنة هذه الحضارة التى ناضل طويلا كى يصل أمره بأمورها ، ويأخذ منها ما يشبع عقله ونهمه للمعرفة ، وهاهى تهديه واحدة من بناتها ، فيتم قبولها له ، عقلا وعاطفة وجسدا ووجودا .

من الصعب حقا ان نتصور حياة أخرى لطه حسين لا تكون فيها صاحبة هذا الصوت العذب . لقد نجحت فى أن تقهر العلة الاساسية فى وجود صاحبها وحين يذكر عنها طه حسين — أكثر من مرة — انها قد بدلت ظلمته نورا فهو انما يعنى شيئا واحدا : انها قد نجحت فى ان تلغى من وجوده تلك الآفة البغيضة التى وقفت بينه وبين الحياة والاحياء والاشياء . « كان يخيل اليه أن صوتها يكشف له من حقائق كانت مستخفية عنه ، ولم تكن غريبة بالقياس اليه كأنه قد عرفها فى الزمان الاول البعيد ، ثم نسيها دهرا طويلا ، فهو يذكرها بعد أن طال عهده بها .. «١٤»

فى عبارة واحدة : لقد ردت اليه ابصار عينيه المظلمتين ، وأتاحت له أن يعيد صياغة علاقته بالعالم ، فلا تقوم على الخوف والتوجس ، بل تقوم على قاعدة انسانية من الاخذ والعطاء .

● نمط الاستجابة : التحدى وتأكيد الذات :

فى الجزء الثانى يروى لنا طه حسين حادثة يمكن أن نعتبرها

---

[١٠] الايام ، ج [٢] ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .
[١١] الايام ، ج [٣] ، ٣٠ .
[١٢] ص ١٠٩ وما بعدها .
[١٣] الايام ، ج [٣] ، ص ١١٦ .
[١٤] الايام ، ج [٣] ، ص ١١٢ .

نموذجية فى الدلالة على نمط استجابته للاحداث : عاد الى القرية بعد أن قضى عاما فى الازهر ، اختلف خلاله الى شيوخه ، وسمع منهم ، وحفظ بعض الكلمات والعبارات ، ورجع بهذا كله وقد استقر فى نفسه أنه قد أصبح عالما يستحق مكانة العالم ، لكنه اكتشف أنه لا زال كما كان قبل أن يبرح القرية « قليل الخطر ، ضئيل الشأن ، لا يستحق عناية به ولا سؤالا عنه ، فآذى ذلك غروره ، وقد كان غروره شديدا ، وزاده ذلك امعانا فى الصمت وعكوفا على نفسه وانصرافا اليها .. » «١٥» . تلك هى المرحلة الاولى من استجابته ، سرعان ماسيندفع بعدها الى اثبات الذات وتأكيدها .. ، بدأ بانكار بعض المسلمات فى هذه الثقافة الدينية التقليدية ، ولم يتحرج من أن يهاجم « سيدنا » أمامه ، ثم اتسعت دائرة نقده وانكاره فشملت أدعية أبيه وأوراده ، وتجاوزتها حتى بلغت المدينة ، فقال الناس فيها هذه القولة التى رددها الرجعيون والجامدون وأعداء التقدم بعد ذلك مرارا من طه حسين : « انما هو فاسد مفسد ، ضال مضل — الخ » ، لكن الفتى حقق بهذا نجاحه الاول فانتقم لنفسه وخرج من عزلته .

ولا شك فى أن النضج العقلى والاستقرار العاطفى قد رققا من هذه الاندفاعة الوحشية ، لكن نمط الاستجابة ظل كما هو : عكوف على الذات ان أحست شيئا يهدد كبرياءها ، ثم اندفاع بعد ذلك الى التحدى والمضى فيه الى آخر الطريق .

ولا شك أيضا فى أن جذور هذا النمط من الاستجابة قد غرست فى طفولته الاولى ، حين فقد بصره ، وبدأ ينبوع الشقاء الذى « لن يغيض حتى تغيض حياته نفسها .. » فقد ألزمته هذه الافة أن يكبت رغباته كبتا شديدا وان يأخذ نفسه بالقسوة اخذا عنيفا **وألا يجعل من نفسه محطا للشفقة أو الرثاء ، وأن يتناسى هذه الافة كلما استطاع الى ذلك سبيلا ..** « لكنها كانت تأبى الا أن تظهر له بين حين وحين أنها أقوى منه وامضى من عزمه واصعب مراسا من كل ما يتفتق له ذكاؤه من حيلة .. » «١٦» ، فهى تكمن له ثم تباغته فى بعض الطريق ، فتؤذى نفسه ، وتفرض عليه أن يقضى ليله ساهرا محزونا : حين يقول له الممتحن فى الازهر : « أقبل يا أعمى .. » ، وحين يمنع حرس الجامعة الاهلية خادمه من أن يصحبه حتى مكان المحاضرة ، وحين تتردد أدارتها فى أن تمنحه البعثة خشية مضاعفة النفقة ، وحين يسأل الاستاذ فى الجامعة الفرنسية رفاقه : « أصاحبكم مكفوف ؟ » لانه لم يرفع قبعته وهو يدخل مكان المحاضرة ، وحين يهم به « الامير » أحمد فؤاد وينبئه بأن هناك مؤتمرا سيعقد للمكفوفين ، فيرده عنه فى غلظة بادية وكبرياء جريح .

أرست هذه الافة اذن نمط استجابته الرئيسى : العكوف على الذات ، ثم قبول التحدى . وهى قد حددت مجال حركته ورؤيته ، فكان عليه أن يعوض ضيق مجال الحركة بانطلاق الخيال حرا لا تحده حدود ، وبارهاف بقية حواسه جميعا فلا تفوته مما يقع فى مجال ادراكها فائتة ، فهو يقظ الحس ، حسن الاستماع ، يجيد الرؤية بأذنيه وأنفه ، [أنظر الى تلك الصفحات التى يصف فيها طريقه من الربع الى الازهر فى الجزء الثانى من « الايام »] ، وهو يألف الاشياء ويطمئن اليها ويجد بينه وبينها مودة ، وكم فرح حين رد اليه الصندوق الذى حزن عليه حزنا شديدا حين حرم منه فى قريته البعيدة ..

وبقدر ما يألف الاشياء ويطمئن اليها بقدر ما يخشى الناس ويتوجس منهم . وماذا لقى منهم غير ما يكره ؟ ..

ان الايام — بأجزائها الثلاثة — لاتقدم الينا شخصية يتعاطف معها الفتى تعاطفا انسانيا كاملا غير صاحبة الصوت العذب . أما بقية الشخصيات فهى للسخر والهزء والكره : الجد بغيض الى قلب الصبى ، أكره على التقوى اكراها حين لم يجد شيئا غيرها ، والاب كاذب أحيانا ، خادع معابث قاس أحيانا أخرى .. « وما هى الا أيام حتى سئم لقب الشيخ وكره ان يدعى به ، وأحس ان الحياة مملوءة بالظلم والكذب ، وأن الانسان يظلمه حتى أبوه ، وأن الابوة والامومة لا تعصم الاب والام من الكذب والعبث والخداع .. » [١٧] ، والاخ الازهرى الاكبر منصرف من الفتى الى أصحابه وكتبه ، لا يحس آلامه حتى يدفعه دفعا الى أن يجهش بالبكاء ، والاخر يكذب ويتنكر ويستولى على ما كان الاب يرسله للفتى — اثناء بعثته — من مال قليل ، وطلاب الازهر وشيوخه جميعا قد أصابتهم الافات فى نفوسهم أو عقولهم أو خلقهم .

لا يتعاطف طه حسين الا مع نوعين من الشخصيات : هؤلاء الذين قدر لهم أن يلعبوا أهم الادوار فى حياته العقلية والعامة ، وأهمهم **الشيخ سيد المرصفى ولطفى السيد ، ..** « أصبح للفتى استاذان يختصهما بحبه واعجابه ، احدهما يذكره بأئمة البصرة والكوفة وهو الشيخ سيد المرصفى ، والاخر يذكره بفلاسفة اليونان الذين سمع اسماءهم فى الازهر ، وجعل يدرس اطرافا من فلسفتهم فى الجامعة وهو لطفى السيد .. » [١٨] .

النوع الاخر يتمثل فى ضحايا تلك البيئة القاسية الجاهلة المتخلفة التى افقدته بصره ، ضحايا ذلك « العلم الاثم » كما يسميه ، علم النساء وأشباه النساء ، فبسببه فقد هو عينيه ، وبسببه أيضا فقدت أخته الصغرى حياتها .. » كانت خفيفة الروح طلقة الوجه فصيحة اللسان عذبة الحديث قوية الخيال .. » ، مرضت عدة أيام دون أن يعنى بها أحد « فيستطيع الشيخ أن يتلو القرآن ، وتستطيع هذه الام أن تتضرع ، ومن غريب الامر أن احدا من هؤلاء الناس جميعا لم يفكر

---

[١٥] الايام ، ج [٢] ، ص ١٢٢ .
[١٦] الايام ، ج [٣] ، ص ١٠١ .
[١٧] الايام ، ج [١] ، ص ٣٨ .
[١٨] الايام ، ج [٣] ، ص ٤٢ .



فى الطبيب » [١٩] . ثم ماتت . وكأنما كان موت الاخ الشاب بعدها هو عقاب هذه الاسرة الغارقة فى جهلها وتخلفها وعلمها الاثم .. « كان أنجب الاسرة وأذكاها وأرقها قلبا وأصفاها طبعـــا وابرها بأمه وارأفها بأبيه وارفقها بصغار اخوته واخواته .. » . بموته الفاجع تغيرت نفسية الصـــبى تغيرا تاما .. عرف الله حقا وحرص على التقرب اليه وعرف كذلك الاحلام المروعة وارق الليل

ان تعاطف طه حسين مع هذا الاخ وهذه الاخت انما هو رثاء الذات من ناحية وصرخة احتجاج ضد هذه البيئة الفقيرة الجاهلة ، الغبية المتخلفة من الناحية الاخرى .

وانعكس هذا النمط الاساسى على احساسه بما يلقى من الناس والحياة ، ان الرحمة واللين ترتبطان بالازورار عنه والاهمال له ، والاشفاق يشوبه الازدراء لهذا لم يعرف لذة لا يخالطها الالم ، ولم يعرف ألما لا تمازجه اللذة ، وكان فى كل الاحوال مقاتلا صلبا ، وعنيدا ذا كبرياء مرهف ، وســـــاخرا — فى قسوة — من الحياة والاحياء .

[●]

« الايام » مزيج من الرواية والسيرة الذاتية ، يبدو جانب الرواية ، بمعنى تتابع الفصول حسب منطق فنى لا يلتزم سرد الاحــــداث فى تتابعها الزمنى أو المكانى ، بل حسب تتابعها فى وعى الفتى كما تصل اليه ، يبدو هـــذا الجانب واضحا فى الجزء الاول ، وتبدو حركة الجماعة وراءه راكدة ساكنة ، فى الجزء الثانى يزداد نصيب صفحات السـيرة ، وتخضــع لنوع من التتابع الزمنى ، ويتضح هذا أكثر واكثر فى الجزء الثالث حين تعنف الحركة ويسرع الايقاع ، ولا يعود الفتى — وقد أصبح شابا — يخلو الى نفسه كثيرا ، انما عليه أن يلاحق مشكلات حياته هـــذه الجديدة : من الازهر الى الجامعة ، ومن القاهرة الى فرنسا مرة بعد مرة ، وعليـــه أن يحقق أن ما كان امتيازا ممنوحا له بحـــكم عاهته ، يجب أن يتحول الى امتياز وتفوق .

وفى الايام بعد ذلك صورة صـــادقة لتلك الفترة التى عاشها طه حسين منذ أواخر القرن الماضى حتى عشرينات هذا القرن . كان الطابع العام لهذه الفترة هى الاختمار الثورى الذى تفجر سنة ١٩١٩ ، والنمو التدريجى للطبقـــة الوسطى وتقدمها حتى أصبحت لها قاعدة قوية عريضة أقرب للجماهير ، وتحكى الايام قصة صعود طه حسين — ابن الشريحة الدنيا فى هذه الطبقة — ليكون — بالفعل والقول — واحدا من الصفوة فى العاصمة .

وفى الايام أيضا هذه الصور التى استخلصها طه حسين من قبضة العدم : صورة الحياة فى تلك القرية النائية من قرى الصعيد فى أواخر القرن المـــاضى وأوائل هذا القرن ، وصورة الازهر وما يحيط به وما يضطرب فيه من طـــلاب وشيوخ وعلوم ومناهج ، وصورة بعض أحياء القاهرة آنذاك ، وبعض نمـــاذج المثقفين فيها ، وما حول هذا كله من صور الحياة فى مصر قبل ١٩١٩ وبعدها بقليل ..

يتراوح أسلوب القص فى الايام بين التصوير والتقرير ، ويسودها هـــذا الاسلوب الذى عرف به طه حسين فى أعماله جميعا ، « الذى يتميز بالاصالة والتأثر بأعمال الائمة من كتاب العـــرب القدامى ، وخاصة الجاحظ ، ولاسلوبه موسيقاه الخاصــــة ، واعتماد على الترادف والتكرار ، وتمسك باســـتخدام المفعول المطلق والحال .. » (٢٠) .

وستبقى الايام دائما : وثيقـــة تكون طه حسين عقلا وقلبا ، وصورة للحياة المصرية المتهيئة للثورة فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن .

[●]

ومن بين أعمال طه حسين الابداعية تتميز « **أديب** » بصلتها الوثيقة بسيرته الذاتية ، من هنا يفضل البعض اعتبارها جـزءا من « رباعية » الايام ، يقـــع مكانها بين الجزءين الثالث والرابع ، فهى تحكى فترة اختلاف طه حسين الى الجامعة الاهلية ثم سفره الى فرنسا ، لكن هذا التشابه الخارجى يؤكده ويعمقه تشابه آخر : ان طه حسين يخلق كثيرا من المبررات كى يتسلل من وراء صاحبه ، فيحكى عن ذكريات له هى ذكريات طه حسين نفسه ، فيجعله من قرية قريبة من قريته ، وهو قد تعلم فى الكتاب نفسه وعرف بعض اخـــوة صاحبه ، وهما يرتحلان معا — بالخيال المنطلق حينا وبالرسائل حينا آخر — الى مراتع الطفولة والصبا ، ويقفان على أرض الذكريات المشتركة .. ، يقول طـــه حسين : « والغريب أنه كان يتحدث فيثير فى نفسى مثل ما يثير فى نفسه من الذكرى ، ثم يتحدث عنى وعمـــا أحب فكأنما انا اتحدث عن نفسى .. » (٢١) ، ويعمق التقارب بين الصديقين حين يتفقان على ضرورة السفر الى فرنسا لاستكمال دراستهما ، وحين يقوم بينهما نوع من التعاون العلمى ، فيعلم طـــه حسين صاحبه بعض علوم الازهر ، ويعلمه صاحبه الفرنسية .

والشىء الذى لاشك فيه ان لشخصية « أديب » أصولا فى حياة طه حسين ، وأنه لم يخلقها من عند نفسه خلقا ، فنحن نقرأ فى الايام ، شيئا عنه حين يتحدث طه حسين عن استعداده للتقدم للامتحان فى اللاتينية ، وان يقهر تلك الصعوبة التى لم يقهرها مصرى من قبل : « وكان ثلاثة من المصريين قد أزمعوا أن يقهروا هذه الصعوبة ، ويقتحموا هذه العقبة ويدرسوا اللغة اللاتينية .. فأما أحدهم فقد جد وكد وتقدم للامتحان فأخفق ، ثم أخذ يستعد ليؤدى الامتحان فى العام المقبل ، ولكن الاسباب تقطعت بينه وبين ذلك ، أدركته العلة فاضطرب أمره واختلط عقله ورد الى مصر فأنفق فيها أياما كئيبة بائسة ، فاستأثرت به رحمة الله فأراحتـــه من أثقـــال الحياة .. » (٢٢) ، لكن طه حسين قد صاغ شروط وجودها على نحو يجعل

[١٩] الايام ، ج [١] ، ص ١٢٣ .

[٢٠] د. عبد المحسن بدر ، المرجع السابق ص ٣١٢ .

[٢١] أديب ، دار المعـــارف ١٩٦١ ، ص ٣٠

[٢٢] الايام ، ج [٢] ، ص ١٢٥ ، وانظر كذلك : الجزء نفسه ص ١٤٤ .

منها شخصية فنية مقنعة ، توفرت لها أسباب الحياة من ناحية ورمزا يحملها المؤلف بدلالة أشمل من وجودها الواقعى من الناحية الاخرى .

وإذا نحن أعرضنا عن تلك الصفحات التي يمكن ردها الى «الايام» (٢٣) ونظرنا الى صياغة شخصية « الاديب » نفسه فماذا نرى ؟ ..

رجل قبيح الوجه غليظ الصوت ، يفرض وجوده على طه حسين — وهو آنذاك يختلف بين الازهر والجامعة ، وما يزال به حتى يصادقه ويتخذ لنفسه عليه حقوقا ، ثم هو يسبقه الى فرنسا للدراسة فتتوزع حياته بين الجد واللهو فهو لعبة تتقاذفها معاهد العلم ومنازل العبث ، يمضى أحيانا فى الدرس حتى ينجح فيما يخفق فيه الكثيرون ، وينسى كل شىء أحيانا بين ذراعى امرأة أو زجاجة خمر . يرى الجنون مقبلا عليه لكنه لا يملك أن يدفعه عن نفســـه ، فيستسلم له أخيرا ويترك وراءه « أدبا رائعا حزينا صريحا ، لا عهد للفتنا بمثله فيما يكتب ادباؤها المحدثون ..»(٢٤).

وفى احـــدى رسائله الى صاحبه يقول الاديب : « اشعر بأن نشأتي فى مصر هى التى دفعتنى الى هذا كله دفعا وفرضت على هذا كله فرضا ، لانى لم أنشأ نشأة منظمة ، ولم تسيطر على تربيتى وتعليمى أصول مستقيمة مقررة ، وانما كانت حياتى كلها مضطربة كلها أشد الاضطراب ، تدفعنى الى يمين وتدفعنى الى شمال ، وتقف بى أحيانا بين ذلك .. » (٢٥) .

على أنه لم يكن بدعا بين المتعلمين آنذاك ، انما كان واحدا منهم يمكن ان يدل عليهم : ابن عشة ميسور ، أتم تعليمه الثانوى وعمل كاتبا فى احدى الوزارات ، ينفق نهاره فى عمله ، وليله فى قراءة ما كان متســاحا من الوان الثقافة آنذاك ، ثم هو زوج ســـعيد بزوجته ، مستقر فى بيته ذلك على رابية فوق المدينة ، لكنه « مضطرب ، ملتو ، شديد الاضطراب والالتواء .. » نرى نحن من وجوه اضطرابه والتوائه اسرافا فى الحديث ، والاستطراد ، وانطلاق الخيال رحبا بغير حـدود ، ونفسا شاعرة مرهفة الحس .

لكن هذا لا يكفى كى يبلغ طه حسين بأديبه أن يكون شخصية فنية مقنعة من جانب ، ورمزا يتجاوز وجوده الواقعى من الجانب الاخر . لهذا خلق طـــه حسين فى نفس بطله هذا الصراع بين زوجته « حميدة » التى أرغم نفسه على طلاقها من اجل أن يسافر الى فرنسا وبين « فرنند » أول فتاة يقدر لها أن يراها ويحادثها فى فرنسا ، ثم «الين» التى عرفها بعد ذلك فكان بين ذراعيها نعيمه ودماره . ونحن لا نعرف أيا من هاته النسوة الثلاث ، نعرفهن من خارج لو صـــح التعبير ، نعرفهن من حيث دلالة كل منهما فى هذا الصراع . ليس هذا مهما ، المهم ان يدفع طه حسين بطله الى أن يرتكب اثما [هو طلاقه لامرأته] وأن يتعذب من أجله [فى هذا التمزق الرهيب بين دور العـــلم ومجالس اللهو] ثم ان يكفر عنـــه ويتطهر منه [بالجنون الذى ينتهى اليه]

لقد حاول طه حسين ان يخلق من اديبه بطلا تراجيديا على نحو ما عرف أبطال التراجيديا الاغريقية ، فهو يخطىء لا لشر فيه أو نقيصــــة ، ولكن لهدف نبيل يسعى اليه ، وتظل نفسه موزعة بين طرفى هذا الصراع ، وكأنه اراده أو سعى اليه سعيا .. « ولست مع هذا كله مبغضا لشيطان الندم ، هذا الذى يعذبنى ، ولا منكرا عليه ، فأنا أعطى الحق من نفسى وأقبل راضيا أو كارها ما ليس من قبوله بد ، فأنا قد اقترفت الاثم ، ولا بد أن احتمل أثقاله واتجرع آلامه .. » [٢٦] ، وهو يخطو — من ثم — الى دماره وتكفيره كخلاص وحيد لا خلاص غيره .. « انى لادنو الان من فرنسا خائفا وجـــلا شديد التشاؤم ، لا انتظر خيرا ولا نجحا ، وانمــــا انتظر شرا كثيرا واخفـــاقا شنيعا .. » [٢٧] .

لكن نتيجة هذا الصراع محددة سلفا حددها « قدر كونى » لا مهرب منه ولا سبيل الى تغييره . قدر كونى قد حدد أن تهزم « حميدة » فى هذا الصراع ، وأن يتوارى شبحها البائس حين تشرق فرنند أو الين أو أية امرأة فرنســـية أخرى . فجوهر الصراع — ولب رواية « أديب » كلها فى الوقت نفسه — انما هو فى هذا اللقاء بين حضارة هرمة ، تقليدية وغيبيـــة ، جـــامدة وغبيـــة ، وأخرى فتيـــة منطلقة ، تؤمن بالنظام والاطراد ، والعـــلم والفن وانسانية الانسان . يقول أديب لصاحبه فى احدى رسائله : « اذهب الى الاهرام ، فما اظن أنك ذهبت اليها قط ، وانفذ الى أعماق الهرم الكبير ، فستضيق فيـــه بالحياة وستضيق بك الحياة ، وستحس اختناقا وسيتصبب جسمك عـــرقا ، وسيخيل اليك انك تحمل ثقل هـــذا البناء العظيم ، وأن يكاد يهلكك ، ثم اخرج من أعماق هذا الهرم واستقبل الهواء الطلق الخفيف ، واعلم بعد ذلك أن الحياة فى مصر هى الحياة فى أعماق الهرم ، وأن الحياة فى باريس هى الحياة بعد ان تخرج من هذه الاعماق..» [٢٨] .

وينبئه فى رسالة أخرى — بعد أن قامت الحرب ورفض أن يتخلى عن باريس وان انتهى به ذلك الى الموت — بأنه يخلو بنفسه أمام تماثيل باريس وعماراتهـــا ومعاهدها ويفكر « فى أن قوما يزحفون عليها يريدون بها السوء ، ولا يكرهون ولعلهم يحبون ان يمحقـــوها محقـــا ، ويسحقوها سحقا ، ليغضوا من أمر باريس ، وليغضوا من أمر فرنسا ، دون أن يحفـــلوا بأنهم ان فعـــلوا سيغضون من أمر الحضارة كلهـــا ، وسيعلنون فى القرن المتم العشرين كما أعلن آباؤهم فى أول التاريخ المسيحى ان عهد الحضارة والعـــلم والفلسفة والتفكير والفن قد آذن بزوال ، وأن الانسانية قد آن لها ان تستريح من جهدها الخصب المنيف ، وان تعـــود الى هذه الراحة المجدية التى يملاهـــا

---

[٢٣] وصف طه حســين للطريق المؤدى الى بيت صـــاحبه ، ورسـائل صـــاحبل اليـــه من الصعيد ، وحديثه عن الحمـــار الشـــيخ او الشـــيخ الحمـــار ، وجـــو القهـــوة والقـــاهرة فى الليل ... الخ .

[٢٤] أديب ، ص ١٨٣ .

[٢٥] أديب ، ص ١٦٨—١٦٩ .

[٢٦] أديب ، ص ١٢٠ .

[٢٧] أديب ، ص ١٣٠ .

[٢٨] أديب ، ص ١٥١ .



الذل والعتم والهوان .. » [٢٩] .

لقد استخذى الاديب فى مواجهة هذه الحضارة استخذاء كاملا ونهائيا ، تماما كما فعل لحظة رأى فتاة الفندق ، فكذب واحتال كى يمد اقامته فى هذا الفندق أياما ، ولكى يهيم بهـــا فى صحوه وسكره ، وليست هى — بعد — سوى فتاة تهب ابتسامتها ورقة حديثها لكل نزيل عابر .

لقد كتب طه حسين « أديب » بعد **ازمة اخراجه من الجامعة [١٩٣٢]** ، **وهو يعترف صراحة فى سطورها الاخيرة** بأنه كتبها بعد أن اتاح له « الظالمون » **شيئا من فراغ** ، وهو ينحى على الجامعة باللوم فى اكثر من موضع منها « ٣٠ » ، **ثم هو يهديها الى صديقه هذا الذى كان** أول المعزين له حين أخرجه الظلم من الجامعة ، وأول المهنئين حين أعـــاده العدل اليها . ولعل هذا كله أن يجعل منها استجابته الفنية والنفســية لتلك **الازمة الحادة من أزمات حياته** : لقد أرضى بها نفسه حين عرض هذا الوجه من وجوه الشبان الذين يسافرون لطلب العلم فيضطربون بين الجد واللهو وينتهى بهم الامر الى الاختلاط والخيال ، وهو قد قال فيها رأيا كذلك ، هو رأيه فى موقف « المراهق » الشرقى من حضارة أوروبا الناضجة ، قاله مستترا مضمرا من وراء قناع شفيف ، ليقوله بعد ذلك صراحة فى عمل لا ينتمى الى الفن بل ينتمى الى فلسفة الحضارة والتربية هو **« مستقبل الثقافة فى مصر »** بعد ثلاث سنوات فقط من صدور « أديب » ..

[●]

كانت « أديب » عملا روائيا وثيق الصلة بسيرة كاتبه الذاتية . لكنه قدم لنا ، كذلك ، عملين روائيين خالصين هما « دعـــاء الـكروان » [١٩٣٤] و « شجرة البؤس » [١٩٥٤] .

والصفحات الاولى من « دعـــاء الكروان » تلخص على الفور كل نجاح الرواية وفشلها ، كل ميزاتها وعيوبها . ففى هـــذه الصفحات نلتقى بموقف « اثارى » يشير الى الطابع الميلودرامى للحادثة الرئيسية فى الرواية ، وبجملة تشير الى هدفها التعليمى والاخلاقى ، وبالصياغة الشعرية الخطابيـــة التى ستحدد أسلوبها الفنى وتناولها لموضوعها وبالرحلة التى قطعتها البطلة محددة .. دلالتها الاجتماعية الشاملة .

على أن المشكلة الحقيقية فى هـــذه الرواية أن بها صدعا رئيسيا يمتد ليشمل موضوعها وطريقة تعبيرها عن هـــذا الموضوع معا . أما الموضوع فرقيق أنيق مترف : كيف يمكن التطهر بالحب وكيف يكون الصراع بين الحب والكبرياء يدور فى نفس قروية بدوية .، لا تزال فى آخر الصبا وأول الشباب ، لم تبل من الحياة شيئا ، ولم تر منها شـيئا غير مضارب قبيلتها على أطراف الريف وذلك البيت من المدينة التى عملت بها زمنا . لكنها تدير هذا الصراع باقتدار حتى تنتصر فيه ، وهى تمى بنفسها وتفكر فى نفسها ، و « تذكر ما مضى على علم به وتقـــدير له ، وتستقبل ما سيأتى فى روية وبصيرة واستعداد للاحتمال .. » [٣١] . هذا الصدع فى شخصية آمنة يحاول طه حسين أن يرأبه بأن يجعل لامنة حظا من التعليم فهى تختلف مع سيدتها الصغيرة الى الكتاب ، وهى تتلقى معها درس المعلم بل ويصر عاشق اللغة الفرنسية على أن يجعل لامنة حظا منها ، فهى تتعلمهـــا مع سيدتها وهى تقرأ بها كذلك ! . وحسب طه حسين أن آمنة قد اصبحت « فتاة فرنسية » فاستقدم لها عقـــدة فرنسية خالصة كى تدور روايتها حولها فلا شك فى أن الموضوع على هـــذا النحو غريب كل الغـــرابة عن الواقع المصرى آنذاك فى تلك المدينة البعيدة من مدن الاقاليم ، ولا يجدينا فى الحقيقة هذا الدفاع البليغ الذى يسوقه **الدكتور على الـــراعى** فى دراسته لدعـــاء الكروان (٣٢) ، فليس صحيحا أن هذه الرواية تبنى نفسها على أسس فنية « كلها يجحد الواقع ولا يعترف به ، ويتخذ من هذا الجحود أسلوبا فنيـــا ومبررا للبقاء .. » ، فتلك الصفحات الطـــويلة التى يرسم فيهـــا المؤلف شخصيات واقعية ، ويصور اجـــواء واقعية ، ويصف أحداثا بتفاصيل واقعية كرسمه شخصيات هاته النسوة الثلاث : المرابية والدلالة والعرافة [والاولى بوجه خاص] ، وتصويره الجو فى بيوت أثرياء الريف ، « الذين لايأخذون من ترف الحضارة الا بأيسره وأهونه ، محتفظين بما ألفوا من هـــذه الحياة الريفية التى لا دقة فيهـــا ولا رقة ولا افتنان فى ارضاء الذوق .. » ، والجو الذى يحيط خطبـــة الفتيات فى أسر الطبقة الوسطى ، ووصفه مقتل شيخ الخفر فى القرية التى لجأت اليها آمنة مع أمهـــا وأختها [بصرف النظر عن وظيفة هذا الحادث فى التمهيد للفاجعة المقبلة] — أقول ان فى كل هذا تناقضا مع ذلك الاسلوب الشـــعرى المغرق فى الصياغة المهتمة بموسيقى العبارة واختيار اللفظ ، والـذى يميز مونولوجات آمنـــة الطويلة وتحليلها لمشاعرها حتى أدق خلجاتها .

ذلك لان المؤلف قد منح البطلة وعيه هو ، ولم يخلق لها وعيها الخاص الذى نتلقى منه روايتها . فوعى المؤلف هو ما نلتقى به حين تدبر آمنة انتقامهـــا الاخلاقى بيدين تجتهدان فى أن تـكونا نظيفتين ، لكنها تكتشف ضرورة وجود قدر من الشر المحسوب ، يسارع المؤلف الى تبريره بأنه من كيد النساء [ومتى عجزت المرأة عن أن تبلغ من المـكر والكيد ما تريد « !] ، وهو ما نلتقى به فى دفاعها عن سرقة الكتب واختلاسها كى تقرأها بعيدا عن أصحاب البيت ، ووعى المؤلف هو ما نلتقى به فى ذلك التحليل الاجتماعى لحياة أثرياء الريف وكبار موظفى الحكومة فى العقود الاولى من هذا القرن ، وهو ما نلتقى به فى

---

[٢٩] أديب ، ص ١٥٦ .

[٣٠] ص ١٥٧ — ١٥٨ على سبيل المثال .

[٣١] دعاء الكروان ، الطبعة الثالثة عشرة ، ص ١٣٨ .

[٣٢] د. على الراعى : دراساته فى الرواية المصرية ، الثقـــافة والارشاد القومى ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٤٠ — ١٥٦ .

تلك الاهمية الكبيرة التى تضفيها البطلة على الكتب والثقافة ‥ التى لم تأسف حين خرجت من بيت المأمور لما افتقدت من ترف لكنها تأسف على ما تركت من كتب مترفة — بالعربية والفرنسية — ذات طبع جميل وجلد أنيق ، ووعى المؤلف هو ما نلتقى به فى تأكيد أن هذه الكتب هى ما يمكن ان تتيح لمن يفيد منها تلك الحركة الاجتماعية من مرتبة الخدم الى مرتبة السادة ، وهو ما نلتقى به أيضا فى هذا التصوير الرائع لبنات الليل واشباحه وينبوع الدم المتفجر حول آمنة بعد أن شهدت مصرع أختها ·

والادوار محددة تحديدا واضحا فى هذا الحدث الميلودرامى : آمنة هى البطل الذى يحقق انتصاره بالمعرفة والارادة والمهارة فى ادارة الصراع العاطفى ، والمهندس هو رمز الغواية الذى يحترق بلهيب الحب فيخلق خلقا جديدا ، وهنادى هى الضحية البريئة من مقتلها تنبعث صحوة البطل ، والخال تجسيد الشر [الشيطان كما تصفه آمنة دائما بغير مواربة] ‥ وهكذا ، ثم تأتى النهاية السعيدة — بعد مشاهد القتل والفرار والشقاء فى الحب — لتمسح الدموع وتؤكد المعنى العام للحدث .

وسيبقى أثمن شىء فى «دعاء الكروان» هو تلك الصفحات التى تحلل فيها آمنة مشاعرها ، فتغوص الى اعماقها ، ملقية الضوء على كل خلجة من خلجاتها ‥
« ولو أنى تعمقت قلبى ، وتبينت قرارة ضميرى لرأيت شرا يا له من شر ، ولشهدت هولا يا له من هول ، ولعرفت أنى لم أكن أفى لأختى ولا لصديقى ، وانما كنت أوثر نفسى بما أراه خيرا وشرا ، وأتقى هذه النار المضطرمة المتأججة على نفسى وأحميها من أن يحترق بها احد غيرى ... » [٣٣] .

واذا كنت كلفا بأسلوب طه حسين ، بنسيجه العربى الخالص ، وموسيقيته تشكيل الفقرات والعبارات ، وجرس اللفظ المنتقى بعناية وحرص ، فانك ستجد فى « دعاء الكروان » زادا كثيرا وما أجمل الصفحات التى تصف بنات الليل واشباحه ، أو طريق العودة الى أطراف الصحراء وما تراه العين من مشاهد الريف · لكننى لا أكتمك أيضا أنك ستجد تكلفا فى صياغة بعض الجمل والعبارات ، قد يرضى هذا أئمة البلاغة القدامى ، ولعله اليوم لا يرضينا ·
انظر الى قوله آمنة تصف المهندس :
« انما هو صائد يحتبل الفتيات احتبالا ، ويختلبهن اختلابا ، يصرفهم عن الجادة وينحرف بهن عن القصد ، حتى اذا بلغ منهن ما يزهده فيهن خلى بينهن وبين ما ينتظرهن من الموت أو من حياة هى شر من الموت ... » [٣٤] .

لقد أراد طه حسين أن يكتب رواية مصرية ، فجاء بموضوع فرنسى خالص ، وأسقطه على الواقع المصرى فضاق به وتعثرت « دعاء الكروان » بين صياغتها العربية التقليدية وموضوعها الغريب ، لهذا لم تلعب دورا فى تطوير الرواية العربية ، ولم تبق منها سوى صفحات نثرية من اجمل ما كتب بالعربية كاتب حديث ..

[●]

وكان علينا أن ننتظر عشرين عاما أخرى كى يقدم طه حسين روايته الثانية « **شجرة البؤس** » .

وشجرة البؤس هى تلك الشجرة التى وضعت بذرتها حين أمر شيخ الطريق بتزويج خالد من نفيسة على قبحها ودمامتها ‥ وكان حتما أن تثمر هذه الشجرة ثمرات مرة ، يتابعها الكاتب جيلا بعد جيل ، **والرواية هى حركة هذه الاجيال المتعاقبة وتطورها الاجتماعى · وهى من بين اعمال طه حسين أكثرها تقدما نحو حركة المجتمع الذى عرفته مدن الاقاليم — والقاهرة — فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن · يتابع الكاتب هذه الحركة خلال عرضه لنماذج من ثلاثة اجيال :** جيل الاباء ، يعملون بالتجارة ، ويراكمون الثروات ، ويتكلمون بالقرآن ، ويخضعون فى تدبير أمورهم كلا لبناء متماسك من القيم التقليدية والدينية ، وفى هذا البناء يلعب « شيخ الطريق » الدور الرئيسى ، فهو يعرف كل شىء عن تلامذته واتباعه ومريديه ، اليه يفزعون ان احزبهم امر ، وهو يقضى فى شئونهم بكلمات قليلة غامضة يذهبون فى تأويلها شتى المذاهب ، ويخط مصائرهم ويتحكم بها دون أن يجرؤ واحد على الاعتراض ، هو عندهم صوت الله ورسوله ، « وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ‥ » وعلى هذا النحو يأمر الشيخ بغرس شجرة البؤس هذه فتغرس ويلقى جيل الابناء منها عذابا موصولا ·

ولا يكاد هذا الجيل — جيل الابناء — يختلف عن آبائه كثيرا ، لقد أصابه قدرا من التعليم المنتظم أو غير المنتظم وحين تكسد تجارة الاباء يتجه الابناء الى العمل فى الوظائف الحكومية المتاحة « فى المديرية والمراكز والمحاكم والدائرة السنية ‥ » ، لم تعد تجارة الاباء رائجة لان هؤلاء الشياطين القادمين من القاهرة ومن وراء البحار يقيمون هذه المتاجر الجديدة « التى أخذت تنشأ فى المدينة على غفلة من أهلها لا يدرون كيف جاءت اليهم ولا كيف استقرت فيهم ، وانما هو بناء يقام لا يعرف أهل المدينة من يقيمه ولا لمن يقام ، ثم ينظرون فاذا عمارة فخمة ضخمة قد ارتفعت شاهقة فى السماء ممتدة فى الفضاء ، وقد أقبل عليها قوم غرباء جاءوا من القاهرة فملأوها بضائع وعروضا ، واحاطوها بألوان من الزينة والبهجة تدعو الناس وتغريهم بها ... » [٣٥] .

وعجز الفكر التقليدى وأنماط الثقافة التقليدية عن مواجهة هذا الذى حدث ·

---

[٣٣] دعاء الكروان ، ص ١٠٦ .
[٣٤] دعاء الكروان ، ٩٩ .
[٣٥] شجرة البؤس ، الطبعة التاسعة ص ٥٢ .



لم تستطع أن تفهم معنى تكون هذه الرأسمالية الناشئة على الطراز الغربى واكتفوا بأن يستعيذوا بالله من شر هذه الشياطين التى تعمل على تقويض أسس حياتهم جميعا ، وبدأوا يلتمسون العزاء فى عالم آخر : « ثم سعوا الى شيخهم وتحدثوا اليه فى ذلك ، فماذا هو يرى مثل ما يرون ، ويجد مثل ما يجدون ، ويقول كما كانوا يقولون : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل .. ثم يحدثهم من أشراط الساعة ويذكرهم بأيام الله ، ويعظهم فيبغض اليهم الغنى ويحبب اليهم الفقر ، ويؤكد لهم أن أكثر أهل الجنة من الفقراء ، وأن أكثر أهل النار من الاغنياء .. » (٣٦) .

ولا يجدى هذا كله شيئا ، استمر تقوض هذا البناء التقليدى ، ومن قلبه بدأ تكون الطبقة الوسطى الجديدة التى راحت تشق طريقها بسرعة الى مراكز الصدارة فى المجتمع ، ويؤكد طه حسين هنا حكمته المفضلة ، ان التعليم هو السلاح الذى يمكن أبناء هذه الطبقة من التقدم واتمام الصعود ، يتمثل هذا فى الاختلاف بين أبناء الاخوين : خالد وسليم ، أما خالد فقد اتسم صعوده لطموحه وطموح زوجه وقد صمم على أن يتيح لابنائه ارفع مستوى ممكن من التعليم فى القاهرة..» والا يقنع لهم بالشهادات اليسيرة والمناصب التى تنال بقليل من الجهد وتغل على أصحابها رواتب ضئيلة يراها أهل الاقليم شيئا عظيما وهى فى حقيقة الامر لا تقيم الاود ولا تحمى من الجوع ، فضلا عن أن تبيح لاصحابها ما هم أهل له من الترف وخفض العيش .. » (٣٧) ، أما أخوه سليم فقد كان يرى أن هذه المدارس لم تنشأ لابناء الفلاحين وأوساط الناس ، انما انشئت لابناء الاتراك والذوات من المصريين ، فقعد بأبنائه عنها وأسلمهم الى الصناع يتعلمون منهم حرفا بسيطة يشقون بها فى حياتهم من بعد ، وهو يقول لاخيه وهو يحاوره : فليكن من كل أسرة فرع واحد ممتاز ، ولا يمكن أن يكون جميع الناس ممتازين .

ان تقوض أبنية الحياة التقليدية ، وتكون الطبقة الوسطى الجديدة ونموها السريع هو الاطار الواسع الذى تدور داخله أحداث « شجرة البؤس » ، وهو الذى يحميها من أن تتحول لحكاية خرافية من حكسايات الجدات ، يلعب الادوار الرئيسية فيهــا شيخ الطريق وعفاريت الجن ، وما البشر – بعد – سوى أدوات بين أيديهم .

وحين تقدم طه حسين نحو أرض الواقع الاجتماعى ليجعله اطار روايته اختار لون الواقع الذى عرفه وعاشه ووعاه ، وليس مدهشا أن نعرف عن جيل الاباء ، فى تفاصيل حياته اليومية فى زواجه وطلاقه ، فى عمله ولهوه ، أكثر مما نعرف من جيل الابناء ثم الاحفاد فانما هذا الجيل هو الذى عايشه طه حسين وتفتح وعيه عليه ، أما الابناء والاحفاد – ولعلنا بعض هؤلاء الاخيرين فهم حولنا ، نراهم ونعرفهم فما حاجتنا اليهم ؟ انما « هى صورة للحياة فى اقليم من أقاليم مصر آخر القرن الماضى وأول هذا القرن.. » (٣٨) ، استخلصها لنا طه حسين من قبضة العدم ، وقدمه الينا بأسلوبه المألوف وطريقته فى القص التى كان يضيق فيها أشد الضيق بتعاليم النقاد وقيودهم فى بناء الرواية ، فهو يتحدث الى قرائه مباشرة فى الصفحات الاولى .. » وأظنك فى حاجة قبل أن يتقدم هذا الحديث الى أن تعرف شيئا من أمر هذين الرجلين اللذين كانا يتناجيان .. » (٣٩) وهو يتوجه اليهم بمحاضرة طويلة فى فلسفة التاريخ وانتقاء الحوادث ذات الدلالة حتى يفرغ من روايته .. « ان محاولة احصاء الايام والليالى عبث ، ومحاولة احصاء مايقع فيها من الحوادث والخطوب سخف، فالخير ان نطوى من ذلك كله ما يجب أن يطوى وألا نقف من ذلك كله الا عند ما يستحق أن نقف عنده ونفكر فيه ، ونحن مع ذلك لا نحسن تمييز اليوم ذى الخطر من اليوم الذى لا خطر فيه ، ولا التفريق بين الحادثة ذات الاثر البعيد والحادثة التى ليس لها أثر قريب أو بعيد .. » وهو ينسى فى بداية صفحات روايته أنه حدثنا عن الاب [أبى خالد] حتى انتهت حياته ، ثم يبعثه لنا بعد ذلك ويروح يتابع زواجه وطلاقه وكساد تجارته ..

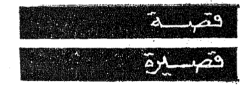
لا عجب ، بعد ذلك ، ان رأينا فى « شجرة البؤس » نوعا من الترهل فى بنائها الفنى يبعد بها عن الاحكام ، وسيبقى أثمن ما فيها تلك الصفحات التى تصور شيخ الطريق وطقوسه ، وتصور الحياة اليومية لجيل الاباء فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن .

[●]

كان طه حسين رائدا عظيما ، وقد حاول كل ألوان الكتابة ، وحاول الرواية كذلك . واذا كانت أعمال طه حسين الروائية لن تبقى طويلا ، ولم تؤثر فى تطور الرواية العربية تأثيرا كبيرا فحسب انه كان رائدا فى هذا المجال أيضا الى جانب مجالات أخرى من العمل الادبى والنقدى .

---

[٣٦] شجرة البؤس ، ص٥٣ .
[٣٧] شجرة البؤس ، ص ١٧١ .
[٣٨] شجرة البؤس ، ص ٥ .
[٣٩] شجرة البؤس ، ص ٨ .





العبور

محمود عبد الوهاب

دنت الساعة فتجلدوا أيها الرفاق .. وليخرج كل منكم مثلى صورة أرملته ويتيمه الصغير وليتحسر على الوجهين الحبيبين

وقدرات على مجرها الضاحك ظل ترابى من غزوب وشيك ولتنتحبوا دونما خجل فلن يطهركم من مر الفراق الا مر البكاء. تحسسوا لذعة البرودة فى حلقــات السلسلة المعدنية

المتدليــة مــن رقابكم وليتأمل كل منكم رقمه المحفــور على دائــرة الرصاص الكابيه فهاهنا قبــره وهاهنا المجــد وأكاليل الغــار ودليل الاهــل المتعبين بين اضــابير المعاشات .

اقرأوا ما تذكرونه من آيات مقدسة فقد قدر عليكم أن تكونوا جثثا وحفارى قبور وصانعى مراسيم . تجــلدوا وليتقبل كل منكم بالزهو المناسب موتا تزفه الطبول وتحسدكم عليه فئران التجارب .. موتا تعرفون انه بلا عزاء فأنتم أذكى من أن تخدعكم الـكلمات الـكبيرة : الوطن .. التــاريخ .. المستقبل .. الخلود .. ومع ذلك من يدرى قد تذكركم سطور قليلة فى كتاب الموتى وقد تجهش باسمكم فى بكائية عجوز ضريرة ليلة شتاء كئيب ثم .. لا شىء . لستم فى النهاية الا حفنة من التعساء وما اكثر ما تحفل دفاتر مؤرخينا بحكايات التعســـاء . بل لسنا فى النهاية الا شعبا يعانى منذ

الميلاد حشرجة احتضار طويلة . بلادنا يا رفاق لم تعرف الا شمس الغروب : أهرامنا مقــابر ومساجدنا أضرحـــة وايقاعات الاجراس فى كنائسنا حزينة. حتى ملوكنا الفراعين حين أرادوا أن تخلدهم التماثيل اختاروا لحظة كانوا يشيعون الجنازات .

مد الجسور فوق الجسور

سيناء يا سيناء .. أشتاق اليــك شوق السقيم الى الموت .. شــوق البناء المتصـــدع الى حضن الارض وشوق العظام النخـــرة الى تراب الجدود . هناك دفنت أبى وها أنذا أعود كى أضمه الى صدرى للحظـة أخيرة : هيكلا رميما لكنه حبيب وجها موميائيا لكنه حميم . وهكذا قدر لى يا أبى أن أحدق فى فجوات جمجمة حين أود أن أرى ابتسامة وجهك .

ترى من يصدق أن وجهى هـــذا المتجهم السادر فى جفاف اكتئابه كان يملك يوما طواعية أن يبتســم وان يضحك بل ان يتوهج حماسا وبشرا مثل هؤلاء الجنود . كان ذلك فى تلك الايام البعيدة حين كان لى اب وحين كنت قادرا على الزهو به . كــان حكيما وطيبا وسخى العطاء وكنــا جميعا نرفل فى بحبوحـــة من ذخيره الوفير .. كان يعطيني الحنو والحكمة .. نبل الفارس وشجاعة المحارب .. وكان يعطى للمعسر مالا .. للمريض دواء .. للحائر اجابة وللضيف صدرا رحيبا .. لاحجار بيتنا رسوخا وللتوتة العجوز عراقة .. لطين حقلنا رحما خصيبا ولماء النهر نطفة ولود . تحت أمان ظله وفى ضياء حضوره كنـــا نضحك ونلعب .. ننام وهواء سكينه وسلام يملأ صدورنا من انفاسه .. نصحوا فى الفجر فنراه : يضم خضرة الحقول بعينين تفيضان بدمع أمتنان .. يتهدج صوته بآيات من القرآن .. يحنو على افراخ الحمام ويبارك رؤوس الابقار .. يقف فارعا أسفل « تكعيبة العنب » ويمد يده فقط يمد يده فتتبلج بين أصابعه حمرة العنقود الندية ..

أصب له ماء الوضوء فينسكب من

بين يديه نبعا طهورا .. يصلى فينعم فناء البيت بصلاة يتخافت محـــاذرا حفيف الصفصافة الرؤوم حول جلال جرسها الرخيم .

وكان نادر الضحك لكن ابتساما هادئا يشع دائما من وجهه الوسيم : يبزغ حين التأمل فجر استناره .. يكمن نجما بعيدا حين يشاركنا ثرثرة التصاقنا بسفحنا الدنيوى .. يخبـو



حين العبوس لكنه لا ينطفىء ابدا ·· وتمضى الحياة بنا واحداث حياتنا من حوله أمواج نهر يتحـــدر فى رتابة لا تقطعها الا ضحكته النادرة : تتداح دوائرها البهيجة على وجوهنا آياما طويلة وما ان تهدأ حتى نحاول ابتعاثها من جديد ·

— قلنا انت حكاية ابيك مع الاب بنيامين ·

تشابكت اغصان النخيل فى غصن الغروب وران على الاعمدة الشاهقة فى المعبد الفرعونى صمت مهيب ·· اتسعت امامنا الصحراء جليلة الصمت ·· رحيبة السكون ·· انبعثت اشجار التين الشوكى فى الخلاء وحيدة ·· حبيه الخضرة ·· انسدل على جدران الدير بقايا راحله من شمس راحت تغيب خلف التلال البعيدة ·· تشدخ صمت الصحراء صرير الباب العتيق ·· لاح الاب بنيامين مرهقا عابسا ·· تهلل وجهه العجوز وراح يتقدمنا ·· انبجست فوق الجدران من فجوات الضوء حول المصابيح الصغيرة وجوه وديعة تبتسم فى امتثال حزين ·· عبرنا الدهليز الى فناء الدير ولم تزل تتبعنا ابتسامة العيون المحلقة فى فضاء واسع والمعذبة فى قيود الاسر فى آن · قدم الينا الاب بنيامين عودا صغيرا ترنق فى معالجة استخلاصه من قبضة الارض الضنينة ·· أشار الى أوراق ذابلة والى دوائر صفراء داكنة حول ساق العود العليل ·· تراخت ذراعاه وعيناه تتابعان وجه أبى بأمل متهافت ·· قال أبى :

— ترى لمن نصلى الان كى تعود الحياة الى العود الذابل ·· اقترح أن نصلى معا لايزوريس ·· أى ايزوريس رب الخصب والنماء ·· علمتنا الكثير ولكن ··

أطرق الاب بنيامين وقال فى استسلام
— اذن لا امل

نظر ابى مليا الى وجه الشيخ ثم قال

— لا عليك ·· عندى الدواء

تهلل وجه الاب بنيامين فضحك ابى ·· احاط الكتفين الضامرتين بضمة ود وراح يحدثه واصداء من ضحكته لا تزال تتحدر فى صوته ·· عندما عدنا عبر الدهليز رأيت العيون وقد شف حزنها القديم واضاءت بنظره امتنان هادىء رزين ·

القوات الخاصة تهاجم نقط المقاومة

أسفى عليكم أيها الرفاق ·· ها انتم تصنعون فى عصرنا هذا الدنىء ملاحم بطولة وفداء ·· ها أنتم ترتفعون بنا من سفح وحلنا الخسيس الى ذرى رفيعة فوق قمم النبالة الجسور ولكنكم لن تلبثوا طويلا حتى تكتشفوا مثلى انكم تحاربون على أرض جزيرة صغيرة تخلفت من الطوفان · لسنا يا احبائى من اهل هـــذا الزمان وما تسمونه الشجاعة ليس الا سبنا صدئا يشرعه فارس نحاسى يمتطى حصانا خشبيا ويحارب فى حجرات المتاحف طواحين الهواء · معذرة يا ابى اعرف أننى اسخر منك ولكن ما حيلتى وقد ذابت تحت جحيم سيناء كل أصنامك ·· تهشمت قشرة الصـــلب الرقيقة عن هيكلها المعبود فاذا بها كومة من طين شمعى رخو · شجاعتكم يا ابى قــد تملا صدر المتربص لغريمه فى حقول الذرة · قد تفتح البلاد فى غابر الزمان حيث تخفق الاعلام المقدسة على الوية القاتل والمقتول ·· قد تناسب زمانا كان للالهة فيه انسانية البشر · فى زماننا هذا للالهة قلوب معدنية ·· عيون تومض بحكمة الكهرباء ·· أصابع فولاذية تهتك القناع عن وجه القمر فينكشف وجهه الحجرى الـــدميم · والمؤسف حقا أننى حين بدأت التعرف على هذا العالم الجديد كنت قــد فقدتك : يوما بعد يوم كانت الشمس تطلق ضوءها الفاضح على عــرى هيكلى القمىء ·· ينهمر ماء الصنبور على قشرة الكآبة الجافة على وجهى ·· انزلق على السلالم الصدئة تدفعنى قذارة الجدران ·· أصعد لاهثا بلاطات الشارع المتحدر فأجدنى ضائعا فى قاع الميـدان الفسيح ·· أنحى عن جريدة الصباح ركام الثرثرة الفارغة فينبجس فى الورقة الخاليـــة طنين الصمت اللحـــوح المنبعث من فراغ اختفائك ·· اجلس هامدا فى قاعـة التدريب وعيناى تتابع باهتمام شبكة الخطوط المعقدة فى راس معبود هذا العصر · أفعل ذلك رغم نفورى من قبيح القلب المعدنى اذ كان يكفينى الصقيع النافذ الى عمق أعماقى منذ تيقنت حقيقة موتك ·

قوات الجيش تعبر القناة الى سيناء

مهلا مهلا يا أحبـائى ·· خففوا قليلا من غلواء هذا الاندفاع واغفروا لى انى لا أتقدم بنفس سرعتكم ·· علمتنى الايام المشئومة من الحـكمة ما أثقل جسدى بكل امراض الشيخوخة غدا — وفى رحلة العودة — ستحتاجون الى كل ما ادخرتموه من قوتكم وحينئذ من يملك انفاسا أكثر ستكتب لــه النجاة ·

ما انجزناه حتى الان تكفى لتحقيقه بسالة الفرسان أما ما سنواجهه بعد ذلك فلا بد له من جيش ·· نحن نعرف هذا النوع من تجمعات الجنود أما الجيش ·· حسنا يبدو أن ترف التفلسف هو ما يناسبنا تماما فى هذه اللحظات · قدر علينا ان نتعلم فى اللحظة ما بين اختراق الرصاصـــة عظام الصدر وفتكها بالقلب ·· حينئذ تشرقه الحقيقة البسـيطة امام وعى تتوهج فيه ذبالة ضوء ·· تشرق دون فائدة اذ بعدها تماما يدلهم الظلام ·

الاشتباك مع قوات العدو

تباركت يا سنوات الذل ها قـد صنعت على اجسادنا قشرة صلبة لم تسقط عنا بعد رغم ضراوة النيران · تباركت يا حقدنا المكبوت ها قد منحتنا شراسة ان تكن قصيرة العمر ساعة الهجوم فقد يطول عمرها ساعة الصمود تباركت يا أعلامنا المقدسة هــا أنت ترتفعين من قمم عالمك القديم لتمنحى أبناء هذا الزمان لحظات غالية من كبرياء شحيح تباركت يا ريفنا الطيب ها نحن نمتاح من نبعك تلاحما عرفناه ساعة الحريق وحين يغدر بنا النهر·· تلاحما ما اسرع أن يتفتت ، ولكنه سينقذنا حتما من عار الفرار فقــد قاومنا على اى حال ·

المعركة تزداد عنفا

من أين لنا هذا الرسوخ ·· من اين لاقدامنا هذا التشبث العنيــد بالارض ·· كنت أحسبنا فطرا ينمو على مستنقع وها أنذا اكتشف اننـا اشجار ولنا جذور واننا نقاوم عواصف النيران لا نخش ان نحترق ولـكننا نرفض ان نقتلع · ترى هــل هم الشهداء يسقطون من حولنا فتنفجر دماؤهم فى عروقنا نيران غضــب وميثاق انتقام ·

معارك لم يشهدها من قبل ميدان قتال

صمدنا أشجارا عريقة الجذور فهل يمكننا الصمود غابة·· واجهنا الوحش افرادا متعاونين فهــل يتخلق من أجسادنا كائن جديد ربما ليس له خبث الوحش ودناءته ولكنه مثله قادر على البطش باقتدار ·· كائن قد يجرح ·· قد تبتر أعضاؤه ولكنه لا يتشرذم ابدا ··كائن له نفس صلابة الجسد الواحد الضارب باحكام العقل الواحـــد ·· ها أنذا اتمنى فأرى الامنية لحظـــة تخلقت فى راسى واقعا على ارض العالم ·· ها نحن نتلاحم سدا صخريا يصد عواصف جهنم ·· نجابه قلاعا منيعة حمم السعار الحيوانى الغضوب ·· تتكسر على سفح دروعنا صواعق الهواء الهائج ·· تتحطم على صدور جبالنا البشرية صخور اللهب الهاطل من ســماوات الجحيم ·· ترتد عن رسوخنا الراسخ جحافل الغيظ البربرى الموتور ·· بل ها نحن نزحف طوفانا شاهقا على جدران القلعة الفولاذية·· تنهال قبضاتنا الحديدية على أسوار الحصن الشيطانى المنيع ·· تلامس أيادينا المتطاولة رأس الوحش المراوغ ·· تجلجل قعقعة ارتطام صـدورنا بصدره الصخرى المدجج ·· تتصدى صلابة سواعدنا الهصور لهجمتــه الوحشية الجموح ·· تكبح اندفاعة امواجنـــا الداهمة انقضاضة قطعانه الشرسة تنطلق من عمق ســحيق فى صدورنا صيحة استبسال عـــاتية جسور ·

رصاصة تخترق القلب

دوى الاصوات شاهق ·· فسيح ·· ينهمر دفق شلالاته من زحف ملايين الجموع ·· يتسامى فى استداره قباب وسيمة ·· يتصلب فى اعمدة شاهقة ·· يبزغ يقينا راسخا فى عيــون الفراعين ·· تنتظم ايقاعاته وقــع خطوهم الثابت الرصين ·· يخفق فى دقات الاجراس نشيد بعث وبشـير قيامه ·· يخفت قصف الهدير البشرى ·· ينساب نيـــلا هادىء الرنين ·· يفيض على الحقول نهرا أخضر ·· يرفرف فى حضن الغروب أغصـــان نخيل ·· ينبلج فى حمــرة العنقود الندية ·· يضىء فى العيون الوديعة نظرة امتنـــان هادىء رزين يترقرق صلاه يتخافت محاذرا حفيف صفصافه رؤوم حول جلال جرسها الرخيم ·· يشرق فجر استناره فى وجه وسيم : يتقدم الجموع والبسمة هادئة لا تتشنج بحماس ·· يتأخر والبســمة هادئة لا تغرب ابدا رغم غمامة العبوس ·· انا اعرف هذا الوجه ·· اعرف هاتين العينين واعرف هذا الصوت ·· اعرفه حقا ويقينا لكنى لا اتذكر اين عرفته أو كيف ·· ترى هل اتذكر ؟ [.]

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش


Bibliotheca Alexandrina
0531938